



فهرس لمدد

الافتتاحية

من اللغة تبدأ ثورة التجديد

دواسات ثقافية

عثمان شوب

- 13 عبد الحميد مهري
17 د. بوعلام بن حمودة
23 عبد المجيد مزبان
33 د. احمد طالب الابراهيمى
39 محمد الشريف مساعدي
49 مولود قاسم

نحو خطة شاملة لتطوير اللغة العربية
التعريب قضية ارادة
التعريب من الوجهتين الاجتماعية والسياسية
الثورة الثقافية تعريب والتعريب ثورة ثقافية
الجماعة والتعريب
اللغة والشخصية فى حياة الامم
دور اللغة العربية فى الحفاظ على الشخصية الوطنية
عبر التاريخ

- 71 عبد الكريم غلاب
75 عبد الحميد شنينى
87 محمد زبير
93 د. عبد الله دكيبي
101 محمد الفاسي
107 د. شكري فيصل
119 يحيى بوعزيز
123 د. هشام الصلبي
131 صالح القرماني
143 د. عبد الله شريط
149 د. عبد الملك مرتاض
163 اسماعيل العربي
175 د. محمد مصاييف
187 عبد القادر حجار
201

التعريب واقعه ومستقبله فى المغرب العربي
أضواء على قسم اللغة الوطنية فى كلية العلوم
التعريب بين الامس والفسد
تعريب التفكير أولا
التعريب ووسائل تحقيقه
حركة التعريب وصل بين الماضي والمستقبل
واقع ومستقبل حركة التعريب فى الجزائر
لغة التازيغ
دور الاسنية فى المساعدة فى التعريب
مشكلة اللغة والمجتمع
خطوات فى طريق تعريب التعليم فى الجزائر
تجربتان فى التعريب
التعريب والشخصية الوطنية
التعريب
ملاحظات حول تطوير اللغة العربية لمسايرة التطور

- 209 د. محمود الجليل
213 د. عبد الحليم منتصر
229 محمد عزيز الجبايى
243 محمد يحيى الدين الشرفي

العلمى والتقنى
خصائص اللغة العربية فى التعبير العلمى
تكون او لا تكون تلك هى المشكلة
مستقبل اللغة العربية فى المغرب الاقصى

253	فتيحة بقاي	التعريب بين اللغة والفكر
259	د + محمد ناصر	واقع اللغة العربية في الصحافة الإصلاحية في الجزائر
271	احمد الاخضر غزال	في قضايا اللغة العربية ومستوى التعليم العربي
	محمد عزيز الحيايي	لغز في اللقطة
	ترجمة :	
289	فاطمة الجامعي الحيايي	التعريب والازدواجية اللغوية في تونس
295	الطيب البكوش	عبد الله بن المقفع زعيم التعريب في عصره
305	عبد الحميد حاجيات	التعريب قديماً وحديثاً
313	د احمد فؤاد الإهواني	الرصيد اللغوي المغربي
321	احمد العابد	انصاف لا تضريف
325	عبد الكريم غلاب	نصوص العربية في المغرب العربي
329	عبد الله كنون	حول التعريب
331	عبد الوهاب حسن	الهند تبحث عن لغة قومية
339	اسماعيل العربي	من الارشيف = وختاما لك ألف سلام
347	د م م د	
		مقابلات
355	عبد الرحمن حاج صالح	دور معهد اللسانيات في التعريب
		دراسات سياسية
361	بول بالطا	موقف أوروبا من العرب من 1967 الى حرب أكتوبر
		نقد الإصالة :
367	عثمان شبوب	مشاكل اللغة العربية
		كتاب الإصالة :
379	موريس كوميارد	اللغة العربية وكيف حلت محل اللغات القديمة
389	تقارير بعض الوزارات	التعريب في الجزائر
4	اسماعيل العربي	افكار ومذاهب من وراء البحار
4	بهية ع	مع المجسات
4		توصيات ملتقى التعريب



من اللغة تبدأ ثورة التجديد

لا يمكن لثورة شعبية أن تتمحور وتحقق أهدافها إلا إذا كانت اللغة الوطنية فيها تحل مكانتها الطبيعية. كما أن المضمون الحقيقي للثورة هو تحقيق مقومات الشخصية الوطنية وفي طبيعتها اللغة. لأن اللغة هي رمز القومية الرئيسي، ويستحيل على أي شعب ما أن يغير مصيره إلى الأفضل بواسطة لغة أجنبية عنه. والشعب الذي يفقد لغته يفقد حريته واستقلاله. وهذه القسرة التي ساوردها هذا اللاميرال قيديون الوالي الفرنسي على الجزائر أثناء الاحتلال تكفي للدلالة على دور اللغة في الحفاظ على الأمة. يقول هذا الوالي في خطاب توجه به إلى أتباع البيض سنة ١٨٧١ :

مهاو شوب



الانتماء

لنشأة المعرفة الإنسانية وتطويرها - وختم هذا القسم باحثين من جميع الاختصاصات ، ومن جميع الاتجاهات الفكرية والثقافية لا فرق في ذلك بين المحدث والمؤمن ، واليساري واليميني ، لانهم جميعا يعتبرون ان البحث في اللغة لا ينبغي ان يتأثر باختلاف العقائدي والايديولوجي .

واورد نموذجا اخر من الفيتنام أمل ان يتجرده اولئك الذين يتصورون اللغة مسألة شكلية ، ويرمون الدعوة الى حمايتها بالتعصب والشوحيية - يقول الأستاذ تران هويوك الرئيس المساعد للجمعية العامة للطلاب في الفيتنام : « ان اللغة القومية مقدسة ، ينبغي ان تكون هي لغة التعليم العالي في بلد يتمتع باستقلال حقيقي ، في بلد ذي سيادة حر وديمقراطي » هذه هي الحقيقة الواضحة » .

والواقع ان تجارب الشعوب ومختلف الثورات الحقيقية في ميدان اللغة معروفة ولا تحتاج الى تكرار . وهي عند ذوى العقول السليمة بديهية عقلية واضحة . ولكننا في الجزائر ما تزال نسمع الاسف في حاجة الى تكرار مثل هذه البديهيات ما دامت مصيبتنا في هؤلاء الذين نسميهم ضحايا الاستلاب الثقافي قائمة .

* * *

ونستعرض الآن بعض العينات من تفكير هؤلاء لهما ينضم وضع اللغة ووظيفتها :

اللغة أداة لا غير :

يرى بعض هؤلاء ان اللغة لا تعدو ان تكون أداة شكلية لنقل الافكار والنظريات . وينبغي الا نتمسك بقضايا شكلية .

« انكم اذا سمعتم الى استمالة الامالي بواسطة التعليم وبواسطة ما اسديتم اليهم من احسان قد قدمتم بعلكم هذا خدمة جليلة للبلاد الفرنسية . فليس في وسع فرنسا ان تتجيب من الابناء مسا يكفي كي تعمر بهم الجزائر . وصار من اللازم ان يستعاض عنهم بفرنسة مليونين من البرابرة الخاضعين لسلطاننا . واصلوا بعلكم بحكمة ودرية وحيلة ، ولكم مني التأييد ، وفي امكانكم ان تعتمدوا على كل الاعتماد » (مجلة العالمين الصادرة في باريس اول افريل ١٩٢٥) .

وتكتب الكاردينال لافيجري ايضا مانصه : « اذا كسينا ثقافة الشعوب بالاحسان والتعليم الصيبيان (الفرنسية طبعاً) فلا بد ان ياتي يوم ينقسم فيه ما يربط بينها من عرى يكتيفية تلقائية ، فلا نرى هزرة هي لسط ، كالثمرة الناضجة ، ونجني ثمن قطفها » .

فاللغة الوطنية ليست فقط وسيلة للحفاظ على الشخصية وضماني تماسكها وانما هي الى ذلك اساس كل نهضة حقيقية شاملة . وكل الحركات الثورية في العالم كانت قضية اللغة بالتمسية اليها هذا استراتيجيا ثابتا . وليست قضية شكلية كما يقول بعض قصيري النظر عندنا . فالفرنسيون مثلا ، لم يكد يمشي على ثورتهم اربعة اعوام حتى اجتمع رجال الفكر منهم للتفكير في قضية اللغة على اي نمو يتصورونها ، وفي اي اتجاه يوجهونها ، ولا عادة بنائها على خطة جديدة تتفق وروح ثورتهم . وكوتوا لهذا الغرض سنة ١٧٩٥ م عهدا جديدا اسماه : « العهد القومي للعلوم » ومن بين اقسام هذا العهد الاساسية ذلك القسم الذي يبحث في تحليل الاحساسات والافكار وعلاقة اللغة به ، باعتبارها الوسيلة الاساسية



من اللغة فيما عدا التهجيد الاصدا

يكون الامتثال عند الآخر هو مضمون الاصدا
لا ترتيبها الزمني .

* * *

ويقول آخرون : انه من الحسن والافيد الاعتماد
على اللغة الاجنبية في دراسة العلوم والتقنيات .
وحصر مجال اللغة الوطنية في المواد النظرية .
وهذا خطأ كبير . لانه كما قال الاستاذ عبد الله
المازوني : « من الخطأ الكبير من اية جهة كانت
ان توجد نهجا ثقافيا تكون فيه التقنية مقبولة
عن اللغة القومية » . اذ تكون نتيجة هذا في العاجل
ان تنفر من العربية شبها هم النجاعة ، ومهمته
متجهة الى العلوم الصميمة التي هي علوم
الطبيعة . وان نوصيه ان اللغة الاجنبية وحدها
القادرة الى التعبير عن العقول والتقنية وان
لا نتاهى منها اذا اردنا ان نضع انفسنا . وان
نلتزم العالم المعصرى » . كما ان القيم لا يمكن
تكوينها الا من خلال واقع محدد : جغرافيا ولغويا
في ان واحد . وان الثقافة الوطنية لما تتشكل
مما تقوم به الامة - اية امة - من تاليف ما
اكتسبته من العلوم والفنون والادب . وان اللغة
الوطنية تمثل عنصر تلاحم لاغنى عنه . فلا بد
من لتمام اللغة الوطنية مجالات العلوم حتى
نصم بحق ، يا تشاننا الى المعصر .

* * *

وهناك ايضا مسألة الازواجية التي يدعو
اليها البعض .

يقول الجاحظ عند التعرض للترجمة والنقل
في عصره : « ومتى وجدنا الترجمان قد تكلم
بلسانين علمنا انه قد ادخل الخميم علينا . لان
كل واحدة من اللغتين تجذب الاخرى وتأخذ منها

وبالرغم مما تكشف عنه هذه التقريه من
فقدان لروح الاعتزاز بالشخصية وللشعور
الوطني - نقسوي : ان جل الباحثين في
قضايا اللغة وعلم الاجتماع والنفس يكادون
يتفقون على ان الابداع الحقيقي لا يكون الا
باللغة الوطنية . وان ما هو وطني في مضمونه
لا يمكن التعبير عنه بعمق ، يبرز كل تفاصيله
بلغة غير وطنية .

وان استعمال لغة اجنبية تنشأ عنه نتيجتان :
فكرية ، ولسانية . فالواقع الجزائري الذي
تريد وصفه مثلا باللغة الاجنبية يكون قد وقع
اندراكه بنسق لسانی اجنبی عنه . وبهذا فان هذا
النسق يكون غير قادر على الإبلاغ بامانة .

يقول السيد مالك حداد الكاتب الجزائري
باللغة الفرنسية : « ان الكلمات وهي معد اننا
اليومية ليست في مستوى افكارنا بله مواطننا
وليس هناك الا توافق تقويي بين فكرتنا العربية
والفاظنا الفرنسية » .

فاللغة ليست مجرد التعبير عن افكار تكونت ،
بل هي جزء لا يتجزأ من عملية التفكير نفسها .
بل ان تكوين الافكار واثيق الصلة بتكوين الكلمات .
انظر مثلا الى الانسان عندما يتناول الطبيعة
من حوله بكل ما فيها ومن فيها تجد لالفاظ اللغة
التي يستخدمها وطرائق تركيبها جذورا عميقة
في هذه الطريقة المستخدمة : فاختلاف لغة عن
لغة في التعبير عن الزمن مثلا ، ايضا ، ينشأ
عنه اختلاف في اللغة العقلية عند اصحاب
اللغتين : فقد يكون موضوع الامتثال عند فريق
هو ان تجيء الافعال في اللغة دالا على الضبط
الزمني بين حادث سبق ، وحادث لاحق . في حين

على انه يمكن ان تضيق اعتبارات اخرى ذات قيمة منها ان الزوجية قد تكون صدمة تظهر آثارها مثلا بنوع من التمتعة لدى الزوجين كما ان الطفل اذا ما مارس لغة ذات اعتراض قد يفر عن اللغة الثانية ، مما يؤدي الى شيء من عدم الاستقرار يعبر عنه بالركب - وتوضح الاحصائيات ببلاد الغال ما يتبع الزوجية من الصعوبة لدى الطفل غير الموهوب ، ولا غرو ان هناك حملا اضافيا لا يمكن الطفل ان يتحملة ***

لا اود ان يفهم من هذا كله اننا ضد اللغات الاجنبية ، او اننا نريد غلق الابواب والنوافذ عن نسيم الثقافة العالمية - فهذا ما لا يقول به عاقل - لكن الزوجية الضيقة والخطيرة في رأيي انما تتمثل في ذلك الانقسام بين الفكر والحياة الوطنية في جميع ابعادها - فالفكر هو حصيلة التفاعل الحي بين عناصر الثقافة والشخصية وظروف البيئة المحلية وحركة التطور الاجتماعي والنفسى ولن يتم ذلك الا باللغة الوطنية - هذا من الناحية النظرية - ومن الناحية العملية فالزوجية يعنى ان اللغة الوطنية تتصل في مسابقة غير متكافئة - وكلنا نطمح ان العربية ان تدخل هذا السياق وهي ما تزال مثقلة بأوزار عهود الانحطاط والجمود ** وفى وسط يعيش حالة استلاب ثقافى وحضارى ستخسر السياق *

ورأى الخاص ، ان ظاهرة الزوجية ينبغي ان ننظر اليها على انها مرحلة من مراحل التطور ، وانها تبذل فى حركة جبلية واسعة الاعداد - فإذا كانت المرحلة الاولى هي مرحلة الانغمال ، والمرحلة الثانية هي مرحلة التفتح على الفكر العالمى مع

وتعترض عليها * وكيف يكون تمكن اللسان ملهما مجتمعين فيه كتمكنه اذا انفرذ بالوحدة ، وانما له قوة واحدة استقرت تلك القوة عليها ***

وليس خلدون رأى في الزوجية اللغوية ويسميا : مخالطة العجمة : « ملكة ممتازة من الملكة الاولى » ومفاده ان خطئ الزوجية كبير على اللسان الاصلى لانها تبعد المتعلم عنه وكأنه يدعو الى التقيد بلقمة واحدة اصلية في تعليم الاطفال حتى تقوم ملكتهم الاولى ، يقول : « لان البعد عن اللسان الاصلى انما هو مخالطة العجمة - فمن خاطئ العجم اكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الاصلى ابعد * لان الملكة انما تحصل بالتعليم كما قلناه وهذه ملكة ممتازة من الملكة الاولى التى كانت للحرب - ومن الملكة الثانية التى للعجم * فعلى مقدار ما يسمعون من العجم ويربون عليه يبعدون عن الملكة الاولى »

ويقول عالم اللغة المعروف ماريتنى : « لكل لغة نظامها الخاص بها في مجال معطيات التجربة فظلم لغة ثانية لا يعنى وضع علامات جديدة على اشياء معروفة بل يقتضى ان يقع تحليل آخر لما يهدف اليه الاسلاغ اللغوى * فمجرد ما يتحول المرء من لغة الى اخرى يفتقد جزءا كبيرا من روح اللغة الاولى *

وفى هذا المعنى يقول ايضا : فيما يخص الدراسة النظامية وهي يجب ان تهتفى - فيما نتقن - حوالى السادسة من العمر وان تستمر الى الخامسة عشرة ، تلاحظ في البداية - حتى حوالى الثانية عشر - ان الزوجيين متأخرون ذهنيا من وحيدى اللسان ؟ *** وفيما بعد نشاهد الانكفاء من التلازمة الزوجيين يتقدمون على انكفاء التلازمة الوحيدى للغة *

توفر الشعور الوطني والإرادة الثورية - أن يدرس هذا الضعف بهدف تجاوزه لا أن يكون تبريراً لتخريب التعريب *

ولما القول بأن المعربين عاجزون - فيمكن الرد عليه بأننا منذ الاستقلال وكل أمورنا الإدارية والثقافية والعمرانية وغيرها بأيدي هؤلاء - فأي إصلاح أدخلوه على حياتنا - أنهم كما قال الأستاذ عبد الله شريط في مقال له من هذا الموضوع - مكبلون بالقيود الفرنسية - واقتلوا جميع التوائذ المظلة على النماذج الاستثنائية الأخرى - وأقول أيضاً أن هذا العجز قاسم مشترك بين الجميع - وإذا كان هناك فرق فهو في درجة الوطنية والاعتزاز الوطني فقط *

أما المسألة الأخرى فهو ادعاء البعض من يتنصبون زوراً إلى التقدمية، أن التعريب شعار ترفعه الرجعية في هذا الظرف بالذات لتخطية قضية الثورة الزراعية - وأن التعريب ودة شوقية *

أقول لهؤلاء أن التعريب ليس هذا أو ذاك - أنه في إحدى وجوهه مشكل صراع طبقي بين الأغلبية الساحقة، وبين الأقلية المتعلمة والمثقة الأجنبية - وأن تحليل الأصول الاجتماعية لكلا العنصرين يوضح من يقف فعلاً ضد جميع الاختيارات الأساسية للثورة ومن يبتها الثورة الزراعية - ولا شك بناء على هذا التحليل أن المعربين ومعهم الجماهير الشعبية العريضة لا يوجد أي تناقض بينهم وبين الثورة الزراعية - هذا من الناحية النظرية التطبيقية - ومن الناحية التاريخية، ويتتبع سير حركة التحرر الوطني الجزائري يتبين لنا أن الريف كان الوعاء الذي

تجامل الثقافة الوطنية أو التكتل لها - فإن المرحلة الثالثة - ونأمل أن تكون في بدايتها - هي الرجوع إلى الثقافة الوطنية بروح ومقاهيم جديدة *

وأما القضية الأخرى التي تثار من خلال هذا الحوار حول التعريب، فهي قضية العامية والمصمى - وهذه القضية قديمة ووقع حولها نقاش واسع في المنشرق العربي خاصة - وكان أنيس فريخه مثلاً يقول : « أن العربية ليست لغة الكلام فلا يرجى منها أن تعبر عن الحياة الواقعية كما تستطيع العامية - والدليل ظاهر، فأنك لا تستطيع أن تقول بالمصمى ما تقوله بالعامية - وإذا نقلته إلى المصمى أتى جافاً، قاسياً، خلوا من العنصر الإنساني » - وما يزال الحوار حول هذه المسألة حتى الآن *

والواقع أن ظاهرة العامية ليست ظاهرة تنفرد بها اللغة العربية، فقد عرفت كل اللغات تقريباً - ووقائع التجارب الآن على مستوى العالم العربي تؤكد أن نشر التعليم، وتعميم الثقافة بالوسائل التقنية الحديثة، ومبادرة بعض البلدان، ومن بينها الجزائر، إلى تصبح كثير من المفردات الدارجة ونشاطات المعاهد اللغوية والجامع في البلاد العربية - كل ذلك من شأنه أن يوفر الجو الطبيعي لسيادة المصمى لتكون لغة الحياة اليومية والثقافة *

أما المسألة الأخرى التي تثار أيضاً فهي ادعاء البعض أن التعريب يؤدي إلى تضخاض المستوى - ومع إقرارى بهذا الضعف - فهو ليس وقفاً على الأسقام الحرة، فهو ضعف عام متجانس لجميعه أيضاً في الأسقام غير العربية - وكان ينبغي - لو



الفرنسية في العهد الاستعماري لغة التخزين والحياة
واليوم هي كذلك . فلماذا نكرم أبنائنا ؟

صحيح أنه يوجد من بين المصريين من له اتجاه
أو موقف انبولوجي مخالف . ولكنه يوجد أيضا
منهم متحمسون لاختيارات الثورة ، ونفس الظاهرة
تلاحظ بالنسبة لغير المصريين .

وأما مسألة المارة موضوع التعريب في هذا
الطرف ، طرف معركة الثورة الزراعية واعتباره
تشويشا لسير هذه المعركة . فتأويل ساذج . ولو
درسوا بالعمق تاريخ التطلع الحركات الاشتراكية
في العالم لتوصلوا إلى نتائج مهمة تساعدهم على
انضاج ثقافتهم . أن أول قضية باسرينج بعد
انتصار الثورة هو اصلاح اللغة الروسية
لا استبدالها بلغة أخرى . ولأنه في سنوات المجاعة
كان لينين يتحدث ويحرم الجهود للضماء على
الامية ولم ير أي تعارض بين تعليم اللغة الروسية
لأفراد شعبه وبين استمرار تطبيق الاشتراكية .
ويقول لينين : « شعب يعتمد في حياته الفكرية
والثقافية على لغة أجنبية لن يتمكن أبدا من
التحرر الاقتصادي والاجتماعي والسياسي » لأن
اللغة الأجنبية ستبقى وقفا على طائفة ذات
امتيازات ثقافية . ومن ثم تقول إلى امتيازات
اقتصادية واجتماعية وسياسية .

وكان هدف الحزب الشيوعي الفيتنامي منذ
الايام الأولى لتأسيسه إعادة الاعتبار للغة الوطنية
والعمل من أجل سيادتها . يقول السيد تويوين
هان هوين : كان الحزب منذ تأسيسه الأول يصدر
قراراته وتوجيهاته ومشوراته وتدابيره باللغسة
الفيتنامية . وكانت القضايا الطائفية والسياسية
تقدم بلغة الشعب . صدرت كتب عن الماركسية
باللبنينية وحررت في مرحلة الكفاح السري

حامي الثقافة العربية الإسلامية من الثلاثي . وهذا
التلاحم بين الفلاحين وكل الفئات الكاسحة والثقافة
الوطنية هو الذي يفسر المعق الخلفي للثورة
الجزائرية الذي يتألف من كلمتين : الأرض واللغة .
والريف بعد أن انتزعت منه الأرض تحول إلى
قلعة حصينة قاومت عملية المسخ الثقافي . فهناك
اثن امتزاج عضوي بين النضال من أجل استعادة
الأرض ومقومات الأمة وفي طليعتها اللغة . وهذا
الامتزاج هو الأساس الانبولوجي للثورة
الجزائرية .

ولنا أن نتساءل : من هم المتحمسون للتعريب
والثقافة الوطنية ككل ، ومنهم المعارضون له ؟
إن الرغبة في تعلم اللغة الوطنية موجودة بصورة
واضحة بين الجماهير الشعبية الواسعة . أما
المعارضون فهم الأقلية التي تسيطر وتملك جميع
أدوات السلطة الحقيقية .

وإدعو هؤلاء إلى تأمل التحول الاجتماعي في
بلادنا منذ الاستقلال حتى الآن . سيجدون أن
هذه الطبقة الثقافية تحول شيئا فشيئا إلى طبقة
لها امتيازات اقتصادية واجتماعية متناقضة مع
مصالح الجماهير الشعبية .

والواقع أن الصراع حول وضع اللغة والثقافة
الوطنية ومستقبلها لا يضع في مقدمة المواجهة هذه
الطبقة البروقراطية والجماهير الشعبية ضمت ،
ولكنه يضع أيضا قمة الدولة باعتبارها المعبرة عن
أهداف الثورة .

فاحتكار هذه الأقلية لجميع السلطة الإدارية
وغيرها يلق وراء الفعل في حركة التعريب إلى
درجة أن بعض الأبناء أصبحوا يحتجون عندما
يعلن ابتناؤهم في الإقسام المعربة . ويقولون كانت



من اللغة فيما ثورة التحرير

وهنا تتساءل اليس انتنصار ما يسمونه انفسهم ،
بالثقافة القريبة الراسمالية من هذا الطريق وغيره
هو الذى يهدد نجاح الاشتراكية ؟ ومع ذلك لم
نشاهد هؤلاء يتخذون اى موقف تجاه هذا الخطر .

* * *

ينبغي ان تلق هذه الزايدة والثرثرات العقيمة
البعيدة عن الواقع الموضوعي للجماهير الشعبية ،
هذه الشعارات التي تخضع يردائها الثورى
الظاهرى ، وتخفى فى طياتها خواء الفكر والبعد
عن الواقع . ووضع المسألة على وضعها الصحيح
وهو ان التعريب يعنى : ثقافة وطنية يلفة وطنية
وعلى اساس شعبية ثورية .

وأملنا اخيرا ان نعمل جميعا على تطوير اللغة
الوطنية بحيث تحقق شرطين : ان تحافظ على
عبايتها اولا ، وان تكون اداة للتواصل والابلاغ
لا مجرد وسيلة للترنم بها . وبهذا نحل مسع
الانسانية عصور التفكير العلمى الذى يواجهه
المشكلات .

عثمان شويوب

باللغة الفيتنامية وانتشرت فى جميع انحاء الوطن
وانتت تأثيرا عميقا على مختلف طبقات الشعب .

فهل تنهم ليثين والشيوعيين الفيتناميين عندما
يؤكدون على دور اللغة الوطنية بالشوكينية
والرجعية ؟ ان الخطر الحقيقى ليس هو التعريب
بالنسبة للثورة الاشتراكية . وانما الخطر فى
هذه الظاهرة : وهى اننا فى ظرف عشر سنوات
انتشرت اللغة الفرنسية على نطاق لم يصل اليه
الاحتلال الفرنسى طيلة حكمه الطويل ، وان عدد
الكتب الفرنسية - ونقتطف هنا بعض ما ياء فى
تصريح للوزير الفرنسى السابق رونى يورون
عارض به ريموند كرى فى ندوة تليفزيونية حيث
ذكر ان عدد الكتب المنشورة من فرنسا بالنسبة
للجزائر ، هو خمسة اضعافها سنة ١٩٦١ . وما
نتج ويتج عن هذا من نزوع مغموم نحو التقليد
واعتيار النموذج الفرنسى الراسمالي اعلى
المستويات الثقافية والمضاربة .

ونلاحظ بازاء هذا ذلك التفكير المصنوع فيما
يتعلق باستيراد الكتاب العربى وما ينشأ عن ذلك
من مضاعفات على حركة التعريب .



ج - د - ع عدد 36 بتاريخ 3 مايو سنة 1968

امر رقم 68 - 92 مؤرخ في 28 محرم عام 1388 الموافق
26 أبريل سنة 1968 يقضى باجبارية معرفة اللغة الوطنية على
الموظفين ومن يعالهم

ان رئيس الحكومة ، رئيس مجلس الوزراء ،

- بناء على تقرير وزير التربية الوطنية ، ووزير الداخلية ،

- وبمقتضى الامر رقم 65 - 182 المؤرخ في 11 ربيع الاول عام 1385 الموافق 10
يوليو سنة 1965 والمتضمن تأسيس الحكومة ،

- وبعد الاطلاع على الامر رقم 66 - 133 المؤرخ في 2 صفر عام 1386 الموافق 2
يونيو سنة 1966 والمتضمن القانون الاساسي العام للوظيفة العمومية ولا سيما
المادة 25 منه ،

ياسر ما يلي :

المادة الاولى : تتم المادة 25 من الامر رقم 66 - 133 المؤرخ في 12 صفر عام
1386 الموافق 2 يونيو سنة 1966 والمتضمن القانون الاساسي العام للوظيفة
العمومية كما يلي :

« 4) اذا لم يثبت معرفة كافية للغة الوطنية اثناء تعيينه . فير ان هذا الشرط
لا يلزم به المترشحون لوظيفة عمومية من الذين لا يتمتعون بالجنسية الجزائرية
بصورة أصلية .

يسدر مرسوم بتحديد كفايات وميدان تطبيق الفقرة 4 من هذه المادة » .

المادة 2 : ينشر هذا الامر في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية
الشعبية .

حرر بالجزائر في 28 محرم عام 1388 الموافق 26 أبريل سنة 1968 .

هوادي بومدين



دراسات ثقافية



عل هامشي المؤتمر الثاني للتعريب

نحو خطة شاملة لتطوير اللغة العربية

لعل أهم ما نستخلصه من مناقشات المؤتمر الثاني للتعريب وتوصياته هو الشعور المتزايد لدى المشاركين فيه بالحاجة الى خطة شاملة ودقيقة تنظم الجهود التي تبذل لتطوير اللغة العربية •

فقد لمس الجميع مدى التخطي الذي يتجسم عن فقدان مثل هذه الخطة في كل قضية من القضايا التي تناولها البحث في المؤتمر • وإذا كان المؤتمر قد عبروا ، أكثر من مرة ، عن تقديرهم للجهود التي بذلتها الهيئات العلمية العربية وبعض الافراد من العلماء العرب لتطوير اللغة العربية العلمية والنتائج التي وصلوا اليها فانهم ادركوا بدون شك ان فقدان خطة مدروسة لتنظيم هذه الجهود في المستوى العربي العام هو السبب في عجز هذه الجهود عن تلجيز ثروة لغوية ترقى الى مستوى طموح المجتمع العربي المعاصر وتطلعاته •



عبد الحميد مهري
الامين العام لوزارة
التعليم الابتدائي والثانوي

14

فالجوامع العربية مدعوة للتوسع في تدريس اللسانيات الحديثة لتفريخ الاغارات اللازمة في مختلف التخصصات ووحدات التربية مدعوة لاقامة مراكز بحث للدراسات اللسانية التربوية واللسانية النفسية ، تعمل باتصال مع الجامعات من جهة ومع المربين والمدرسين من جهة أخرى .
لفضية الكتابة العربية مثلا ولفضية القواعد العربية ، ولفضية الرصيد اللغوي الاساسي ، لا يمكن حلها الا باسهام منظم من وزارات التربية في البلاد العربية .

ومن الضروري ان نواجه مشاكل اللغة العربية بشئ من الحرص والحزم وليس لدينا الوقت كله لحل هذه المشاكل بل اننا مدعوون لاحكام الاداة اللغوية التي ليست الا وسيلة لتحقيق فسوة ثقافية وعلمية عميقة الجذور باسقة الافنان .

ثالثا : ضرورة وضع سياسة عربية موحدة في اعسل المستويات للتوسع في استعمال اللغة العربية في الداخل ونشرها في الخارج .
وهذه النقطة الهامة لم تكن موضوع نقاش في المؤتمرات ولكنها كانت تخيم على هذا النقاش كلما ابتعد عن الجوانب التقنية البحتة واقترب من تحليل الوضع اللغوي السائد في الوطن العربي . وقد مكن لقاء رؤساء الوفود مع الرئيس يومين من طرح هذه القضية في آخر جلسات المؤتمر والارادها بتوصية خاصة نرجو ان تكون لها نتائجها المرجوة

والواقع ان تطوير اللغة العربية لا يمكن ان يتم الا ضمن سياسة لغوية سليمة ومهما كان حرصنا

وان يعطى مكتب التعريب - وهو الجهاز التخصصي للمنظمة - من الوسائل البشرية والمادية والتقنية ما يمكنه من تحضير هذه الندوات والمؤتمرات تحضيراً دقيقاً من الناحيتين العلمية والمادية .
والتنسيق في المستوى العربي العام يمكن ان يتم عن طريق الصل المشترك بين الهيئات وداخل الندوات والمؤتمرات كما يمكن ان يتم بتوزيع العمل بين الافكار والهيئات العربية للاستفادة من جميع امكانيات العالم العربي وكفالاته .

ثانيا : ان التراء اللغة العربية بمصطلحات العلم الحديث لا يمثل الا جانباً هاماً من قضية متعددة الجوانب ، بل انه لا يمثل كسل البحث والعمل للعجى التي ما زالت اللغة العربية في حاجة اليه . واستثناء هذا الجانب بالاهتمام ووضعه في مصف الاوليويات له مبرراته الفكرية والعلمية . ولكن حل قضية المصطلحات العلمية حلاً جذوياً لا يمكن ان يتم بمعزل عن حلول بقية المشاكل الحقيقية كالموهبة التي تصوق تطور اللغة العربية . ولعل المشاكل الحقيقية - في هذا الميدان - تكون اسهل علاجاً من المشاكل الموهبة .

ولهذا فمن الضروري ان يعطى البحث والتجربة جميع هذه المشاكل وان تحاط الجهود المبلولة بالجد العلمى والتنسيق الواعى الذى يخرجهما من طود المحاولات الى ميدان البحث المنظم الطويل النفس ومن الجهود الفردية المتقطعة الى العمل الجماعى المنظم .

تدريس العلوم حتى تتأهل لذلك . إذ يكون معنى هذا أن اللغة العربية التي أصابها القصور لجدها عن مواكبة العلم سوف يستقيم أمرها إذا أقيمت بعيدة عنه عشر سنوات أو عشرين سنة أخرى .

وهناك ظاهرة أخرى تتصل بمكانة اللغة العربية في العالم ، فالمنظمة الحضارية العربية من أكثر المناطق إقبالاً على دراسة اللغات الأجنبية وفي هذا الحيز كل إنحر إذا سلمت النيات . ولكن حظ اللغة العربية ضئيل بين اللغات الأجنبية في هذه الدول التي تحتل مكانة ممتازة في بلادنا . بحيث أتى هذا الاختلال الحظي إلى عكس ما يرمى إليه المفلاسفة من تشجيع دراسة اللغات الأجنبية وهي زيادة التفاهم بين الشعوب والحضارات ، أدى هذا الاختلال إلى فهم من جانب واحد وسوء فهم - على الأقل - من الجانب الآخر .

لأن هذه القضايا كلها يجب أن تبحث في مستويات عربية عليا وإن ما يصدر فيها من قرارات وتوجيهات سيحيل عمل المعلقة يسيرا في المؤتمرات القليلة .

على التقيد بالمنهجية العلمية في عملنا اللغوي فإن ذلك لا يعوض فقدان سياسة لغوية سليمة ولا يصحح من باب الأخرى سياسة لغوية خاطئة . إن أغلب الحكومات العربية تنتظر حسن المجامع والهيئات العلمية القيام بمهمة تطوير اللغة العربية ولا يظهر أنها تنسحب بضرورة القيام بشيء آخر . والواقع أن عمل العلماء لا يمكن أن يأتي بنتائج حاسمة في هذا الميدان إلا إذا قامت السلطة السياسية برسم الطريق أو على الأقل بإزالة بعض المتناقضات الصارخة التي ظلت تواكب السياسة اللغوية في معظم الاقطار العربية منذ عشرات السنين : مثل تكليف المجامع بتطوير اللغة العربية العلمية والاستمرار في تدريس العلوم باللغات الأجنبية في الجامعات : فخرمان اللغة العلمية الموضوعة من طرف المجامع والهيئات العلمية من الاستعمال في ميدانها الطبيعي هو قضاء عليها وقضاء على جهود المجامع بالمقم .

وقد حان الوقت على ما اعتقد لتصحيح هذا الخطأ الاستراتيجي في سياستنا اللغوية ونبذ الفكرة القائلة بتأجيل استعمال اللغة العربية في



التعريب قضية ارادة ثورية



د. محمد عيسى بن عبد الحميد

وزير العدل
وحامل الاختام

حينما قررنا التعريب الشامل في القضاء ،
اولنا ان نجاوز الجدل العظيم الذي كان يدور
منذ الاستقلال حول مسألة التعريب - فقد اطلعنا
على عدة مقالات ناتجة عن هذا الجدل : فالبعض
منها ايدى تحمسا للتعريب والبعض الآخر لفت
الانتظار الى الصعوبات التي ستجتم من تعريب
سريع بيد ان الناسا فضّلوا الاحتفاظ باللغة
الفرنسية لانهم يعتبرون اللغة كاداة للتعريب فقط
والهم عندهم هو المحتوى *

بعد ان تمت لنا فرصة الاطلاع على المجهودات الكبيرة التي بذلتها وزارة العدل لتطبيق التعريب بشكل علمي منظم ، من ذلك
تأسيس مخصصين بالعربية اعدادها في مجن الحراس والاخرى ياك ار اليضاء لطبع الاراق الادارية المستعملة عربيا باللغة العربية
وتنظيم محاضرات يومية ودورية وباللغة العربية لتكوين واعادة تكوين القضاة وتعليم اللغة العربية بوسائل مصرية تامل حسن
المؤسسات والمصالح الادارية وغيرها الاستغناء من علم التعريب. و الواقع ان تجربة وزارة العدل تعتبر رائدة ، وتتمتع تحقيا خاصا
سنتقدم به في احد اعدادنا القادمة

لحنوده ، العبر امامنا والبحر ورائنا فاختاروا
ايهما شئتم ، واحرقاه للسفن الحربية عبارة عن
قطع كل وسية للرجوع وعن سد الفراخ *

وتحن نطوف بان قرائنا كان يتصف ويشهد
من المغامرة غير انه اسفل في الحصان وجود
ثلث القضاة معربين ووجود ١٠ في المئة من
الكتاب معربين واخذ بعين الاعتبار التعريب الذي
كان قد تم في فرع الاجوال الشخصية وفي ولايتي
بشار والواحات * وعلاوة على ذلك حسبنا حسابا
لنجاحة الوسائل السمية البصرية التي تستطيع
ان ترفع المستوى اللغوي في ظرف قصير من
الوقت *

فما كانت اثار القسار وما هي الحالة التي
خلفها وكيف تطورت ؟

من الناحية النفسانية احدث القرار تخوفا
واضطرابا عند البعض وامالا كبيرا عند البعض
الاخسر *

ولكن بعد ايام من اندمجة وبعد ان يقين الكل
من ان الامر لا مرد له ، بدأت نرى الناس بالقرن
الوضع الجديد ويتقدمون وسائل مختلفة لتطبيق
القرار ولتحسين مستواهم في اللغة العربية ،
وبالفعل اكتشفنا ان بعض القضاة والموظفين
والصاميين تعاملوا بمراسة العربية لأول مرة منذ
الاستقلال وهذه الملاحظة تبين ان عامل الزمن
الذي يعتمد عليه البعض لتحقيق التعريب لم يكن
كافيا اذا لم تحط الخطوة الاولى في العملية *

ولتشجيع حرص الجميع على تعلم اللغة
العربية نظمنا دروسا في الوزارة وفي كل محنة
وانشأتنا مركزا خاصا بمراسة التكوين المهني وتمعيق
المعلومات في اللغة العربية (وهذا المركز المعرب

طال الجدال هذا ولكن بدون جدوى حتى سئل
المحورون من الحديث عن التعريب وحتى شجر
القراء من مطالعة دراسات متصلة بالموضوع *

وتحن نقول ان بعض المبادئ الاساسية لا تقلل
الجدال مثل مبدأ الحرية والاستقلال ومبدأ
الاعتزاز بميزات الشخصية الوطنية * فما كان
علينا الا ان ننطلق من الحقيقة التاريخية الثابتة
وهي ان الجزائر تنتمي الى العربية والاسلام
وان لغتها كانت عربية حين احتلتها الجيوش
الاستعمارية *

فكان من المفروض ان تعود الى لغتنا بمجرد
الحصول على الاستقلال * وانني اعتقد شخصيا
ان الشعب الجزائري ، لو قررنا التعريب الكامل
في ١٩٦٢ لاعتبر قرارا مثل هذا طبيعيا ولتكيف
مع الوضع الجديد *

كما عرف كيف يواجه مشاكل الفراغ الاداري
وقد بينت لنا التجربة ان الخطوة الاولى هي
الحاسمة : فاذنا كان الايمان قويا فلا شيء يوقف
السير والمثال الحي ابدى ياتي الى اذهانتنا هو
اندلاع ثورة ابر نوفمبر الذي تحقق بقلعة املمسة
وقلة رجال ولكن الشروع في المعركة المصممة
فجسر الطاقات وحكم المناضلين حتى اصبوا
قادرين على حل مشاكل لم يكونوا يتصورونها
قبل بداية الثورة *

فايماننا منا بان التعريب الكامل ضرورة حتمية
يؤكد عليها برنامجنا للتوري ، شرعنا في العملية
بدون تردد *

وقد كنا نعلم ان التعريب الشامل والمفاجيء
سيطرح مشاكل وقد طرحها ولكن كنا نعلم ايضا
ان الانسان قادر على التكيف السريع امام امر
لا رجوع فيه - وهنا فنكرنا قول طارق بن زياد

وتشغيلهم فاستخدمناهم في الطبيعة النابضة
لوزارة العدل وقربنا هذه المهمة ماديا وبشريا
وهي عبارة الآن عن مصنع كبير *

كل الجهود الفعالة التي بذلتها وزارة العدل
قطعت على الناس كل الاعذار ، غير أننا لا ننكر
الصعوبات التي واجهناها ونلنا الكثير منها *
ولاعطاء صورة عن بعض الصعوبات لنذكر
مما يلي :

— لقد حاولت قلة من الناس عرقلة تطبيق القرار
بعدة وسائل ولكنها لم تنجح *

لقد حاول محام فرنسي مثلاً أن يرافع
بالفرنسية في اليوم الاول من دخول القرار حيز
التنفيذ ، قبله بر القاضى الذى اسكنه قاضلا :
اننى لا افهم لغتك الفرنسية فاذا اردت ان ترفع
فتكلم باللغة العربية كما نصت عليه تعليمات
الوزارة والا فاننى اطلب منك الانسحاب من قاعة
الجلسات *

— مثال آخر ، تباطا بعض القضاة في معارضة
الانقشآت العلانية والعربية فاسلنا اليهم انذارا
يطلب منهم ان ينفذوا قورا تعليمات الوزارة والا
الحقا بهم العقوبات التى يرقمها قانون الوظيف
العمومى على كل موظف يعصى اوامر رؤسائه ،
فبعد هذا التهديد امتثلوا للامر *

— وقد سلب منا محامون اشوا من فرنسا
للمرافعة في قضايا تمس مواطنهم الاعفاء من
المناخ بالعربية فرفضنا طعنا متبئين اياهم اننا
لا نظن ان محكمة فرنسية تقبل من محام صيرى
ان يرافع بلعته *

تماما فتح ابوابه في سنة ١٩٧٢ واستقبل خمسين
قاضيا وخمسين كاتباً لمدة ثلاثة اشهر) *

وقرار التعريب اضطر الوزارة ، لضمان الحظ ،
الى اتخاذ تدابير سريعة منها :

— تكوين صوبع للكتاب على الآلة الراقنة ،
(والجدير بالذكر ان الآلات التى اشترتها الوزارة
تمتوى على الحركات لان الاحكام التى تصدر
مشكولة تزداد وضوحا عند المواطنين) *

— اعادة النظر في مشات المطبوعات
والاستمارات التى كانت تستعمل باللغة الفرنسية
لجندنا برنامجا واسعا لطبع هذه الاستمارات
بالعربية فقط لاننا لاحظنا ان الموظفين يملؤونها
بالفرنسية اذا كانت مطبوعة باللغتين *

— المشروع في عملية كبيرة وهي طبع القوانين
الهامة ومجموعة المناشير والاحكام الهامة التى
صدرت منذ الاستقلال لتكون في متناول الجميع *

ولتجنب الاختلاف في المصطلحات القانونية
جمعناها في قاموس صفيير وزع على القضاة
والحاميين *

فالمعملية ضخمة لان عدد انواع الاستمارات
٦٠٠ تقريبا وكل استمارة تستخرج منها مشات
الآلاف من النسخ *

فكذلك عدد القوانين التى صدرت منذ الاستقلال
كبير وسيرتفع جدا ان الجسرات قررت ان
تتخلص من التشريع الفرنسى في * جوليت
١٩٧٥ ، ومشكل كيد العاملة في الطبيعة لم يطرح
لان عملية التعريب صادفت تطبيق مشروع اخر
يهدف الى تربية المسجونين وتثقيفهم وتكوينهم ،



(٤) نماذج من النماذج التي أصدرتها وزارة العدل لمساعدة القضاء والمحامين على استعمال المصطلحات العربية.

وتنظرا لتضييع الوقت اكتفينا بترجمة منطوق الحكم فقط وهو قصير عادة *

لهكذا اجتهدنا ولامعنا تدبيرنا مع سير العملية فالان كل التعليمات التي تمكك العملية صدرت من الوزارة وشرحت مرات في اجتماعات عقيناها في ابوزارة او في الولايات *

وكم كان سرورنا شديدا اذ وجينا محاكم هريت اشغالها مدة في المئة ومحاكم اخرى صاعية كل السعي الى تعريب كامل الفروع *

ونستطيع القول بان وزارة العدل في ميدان التعريب قسمت المرحلة الحاسمة ، فبالقضاء على لسمويات الباقية وبالنزاهة اليقظة الدائمة مستعمل لا محالة الى النجاح في العملية التي كانت تعتبر معامرة ولكن المغامرة اذا كانت في سبيل الوطن وفي سبيل استرجاع لفتنه فهي مقبولة بسل مستوحجة *

هذه امثلة تبين المحاولات التي كانت ترمى الى عرقلة القرار او تساجيل مفعوله والتي لم يقض عليها الا بالمزم الذي وجبته لدينا *

- نوع اخر من الصعوبات ، الادارات التي تتصل بوزارة العدل ما زالت تعمل بالفرنسية فيضطر القاضي الى ترجمتها وهذا تضيق للوقت *

- وفي بعض المحاكم تم التعريب الكامل بسبب وجود قضاة وكتاب يحسنون العربية ولكن في بعض المحاكم نجد قضاة ضعفاء في اللغة العربية وكتاب يحسنونها او العكس ، فحاولنا يقدر الامكان اصلاح هذه الوضعية بقرارات التبديل وبالتكوين المستمر الذي ذكرته في بداية المقال *

- ومن الصعوبات ايضا ما هو ناتج من ترجمة الاحكام من العربية الى الفرنسية : فلتسهيل فهم الاحكام وتنفيذها قررنا ان نكتبها بترجمة فرنسية.



التعريب من الوجهتين الاجتماعية والسياسية

« لم يبعث الله نبيا الا بلغة قومه »

حديث

(١) ملابسات « التحول الثقافي »

توجد في كثير من بلاد العالم الثالث اليوم طوائف من المثقفين لغت النقد الذاتي من مزايا مشنومة تعكس لهم وجوههم في أشنع الصور وحسب الرسوم التي يرسمها لهم مستعمروهم القنصاء ، ويتلج عن هذا التشويه أنهم كرهوا صورتهم أشد الكراهية وأرادوا استعارة وجه جديد*



عبد العزيز بوعبد الله
رئيسة الأدب
جامعة الجزائر

حتى الآن ، انها مطايا للعقائد ومغارات للتوحيات الثقافية ، والجزء اليسير منها الذي هو علم حقيقي يمكن ان نسمعه أي لغة من لغات الدنيا دون كثير ضمام .

ومن الملائمة ان نقذف بلغتنا بميدا من وجودنا كائنا الشيء المنفصل عن كياننا ونصب عليها اللغات فنعلمها لغة القرون الوسطى ، ولغة الشعر والمطافة ، واخيرا لغة الرجعية والرجعيين . ان لغة مجتمع ما تمكس حياة هذا المجتمع بكل اخلص فاذا قلنا ان لغتنا لغة الشعر والمطافة فمعنى هذا ان مجتمعنا مجتمع الشعر والمطافة . واذا قلنا وصح قولنا ، انها لغة القرون الوسطى فمعنى هذا اننا لا زلنا نعيش حياة القرون الوسطى . وبما ان اللغة ليست الا جزءا من انتاج المجتمعات وبشاطاتها فعلينا ان نلهم انفسنا عن كل عجز يلاحظ في لغتنا ، ولا يمكن ان نتصور عزم امة متخلفة على الاقتلاع عن التخلف دون ان تتصور عزمها على محاربة الامية ودون ان تتصور عزمها على النهوض بلغتها بكل اسراع ، الا ان تكون امة تعيش اشد الاستلابات وطأة وهو الاستلاب الثقافي الذي يثيره بالانقراض الغريب .

وانه ان الملائمة ان نقول ان التمسك باللغة الوطنية امر عاطفي اكثر مما هو عقلائي ومتهوَج التقلب على مظاهر التخلف لا يتطلب الا العقل البارد الصريف - واعترف اني لو سئلت لماذا احب لغتي الوطنية لوقح مني التهامات على التماس الاملية العقلية ولكنها اذلة مستغلى الواقع العميق ، وهو ان حب الانسان للغة امر شعوري لولاه ولولا شعورات اخرى مثل الاعتزاز بالوطن والتضحية من اجله ، لما كانت هناك اوطان ان ام يفاخر بعضها البعض ، ولا يتجاهل هذه الحقيقة

اعطى صوبتك انتقع بها ، اعطى دماغك افكر به ، اعطى يدك اعمل بها ، اعطى لسانك اتكلم به - لو سمعنا انسانا ينطق بهذه الجبارات لقلنا انه يهدى ، اننا تعودنا في لساننا العربي ان نسمى منيسان الطائفة الاجتماعية استلابا واعترايا . ان المجتمع المسلوب الثقافة يشابه الشخص المسلوب للعقل ، والاعتراي الاكبر هو ان تقرب من قومه فيجبونك تتكلم معهم بلسان الآخرين . والاعراي في الجنون والاستلاب هو ان تقول لقومك افغريوا جميعا حتى تصيروا مثلي لانني بخير .

لقد اصبح الفكر العياسي الذي يدعوى الى تفنيت الوطنيات من اجل عالمية مثابية يشابه الممثل انوزي ، ما دام الناس يطمنون ان تفنيت وطنية ، ان فرضنا وقومه ، يؤدي حتما الى التوحيات في وطنية اخرى اشد قسوة .

وهذا شأن دماء الثقافة العالمية لليوم ، يتصورونها خياليا ولا يلتصقونها واقعا الا في الثقافات الوطنية للسيطرة : في الانجليزية ، وفي الفرنسية مثلا ان التحول الثقافي بناء على هذا الاعتبار تحول كاتب من الوطنية الى العالمية ، بل هو مجرد تحول من وطنية الى وطنية اشد قوة ، ومثال من يدعو الى هذا التحول مثقال الانسان المسلوب العقل الذي يفكر بدماع الآخرين وينطق بلسان الآخرين - من الملائمة ان يقول المرء ان الاقتلاع على العالم والاقتلاع عن التخلف يقتضى الاخذ بالعلم والتكنولوجيا بكل اسراع ، وثقافتنا ولغتنا لا تسعان هذا العالم الضخم فلناخذ من عند نوبه دون تردد ، ان العلط هنا هو ان لا نفرق بين ما هو علم وما ليس بعلم . ليست « العلوم الانسانية » علوما راسخة القواعد

مهددة بالانقراض من كل جانب . لكننا نتمسك ببغايا من ثقافتنا كأخر وسيلة للنجاة ، أما الآن وقد زال الخطر المباشر فينبغي ان انتهاء الكثير منا قد عرف بعض الفتور . لقد أصبحنا نتكلم عن ثنائية الاصالة والتفتح كشعار يفهمه كل منا حسب تكوينه الصالى ، مع جهد قليل فيما يخص التواصل ولا غرابة أننا نجد بعض المثقفين يضيفون مفهوم الاصالة لحصره في حدود الثقافات الشعبية او لحصره في شبه تقليد لاسلافنا مع التكاسل عن الاصالة الحقيقية التي هي الخلق والإبداع الذي تتطلبه النهضة الراجية على أجيالنا الحاضرة .

٢) للثقافة بنياتها :

يمكننا ان نقول ان للثقافة بنياتها كما ان لمجتمع بنيات . غير ان البنيات في الثقافة مربوطة بمعيارية لا ماض منها إذ ان هناك فروقا عظيمة بين المستويات . من أجل هذا ، لا يمكننا ان نضع كلا من الفلكلور والتكنولوجيا في نفس المستوى .

وان الانتباه الى تاريخية الوضع الثقافي منذ اتصالنا بالاستعمار يجعلنا نشاهد ان معظم مجتمعاتنا في العالم الثالث قد توضحت فيها الفوارق بين البنيات الثقافية ، لثقافة المستعمر تعتبر البنية العليا أو تاج الثقافة عند الإيجال الحاضرة ، وانعكاس هذه الوضعية على الحياة المجتمعية يجعل طبيعة الحال ، هذه الثقافة في قمة الهرم المجتمعي ، ولا عجب ان تكون بيرقراطياتنا وكتنوقراطياتنا ذات خور استمرارية في غالب الاحيان اما الثقافة الوطنية فانها بمثابة البنية الوسطى ، وهي قبل كل شيء ثقافة انترت يعنى بها قدر الحاجة الى بناء التاريخ القديم وحياء المعارف الاسلامية ويعتنى بها احيانا في

الا المتجاهلون لاموال المجتمعات . ولو سألنا الانجليز والفرنسي لماذا تصرف الاموال الضخمة في مختلف بقاع العالم من أجل التحصيل صلبى اشباع ثقافى للغة الانجليزية واللغة الفرنسية ، لقل لنا : « نحن امة تحب لغاتها وتتبنى لها الانتشار في جميع الانحاء » ولو تناولنا بالبحث ظاهرة حرص الامم على نشر لغاتها لوجدنا ان اسانحية العاطفة لا تقل اهمية فيها من النواصى المصلحية .

وإذا كانت العاطفة شسبه جريمة في الميدان العلمى الصرف ، لانها مقسدة للبحث الفزيى ، فانه من الجريمة في ميدان التمسك بالوطن واللغة ان لا تكون هناك عاصفة او ان نأليس على انعدامها عند الامم الضعيفة بالجوء الى العقليات التى تبدد التحول الثقافى المهيء للثوبان .

ونقول اخيرا ان الملايسة الكبرى فيما يتعلق بظاهرة التحول الثقافى هي ان نفتامى تاريخية هذا التحول وارتباطه بالوثيق بالاستعمار ، ولذا كانت أجيالنا الحادية في العالم الثالث تتجاهل الحقيقة البديهية التى هي تخطيطات الاستعمار في الميدان الثقافى ، لما عليها الا ان تجرى فصصا على نفسها نجد ان تكوينها العلمى من قيس اجتماعية وخلقية ، وانراق ، يرجع معظمه وحتى الآن الى مدارس الاستعمار .

لنكاد نتمائل هل نحن اليوم اكثر وعيا ام كان وهينا اقوى منذ عشرين سنة . لقد كان الضغط الاستعمارى يجرى علينا مباشرة اذ ذلك ، وكنا نتنبه بسببه الى محطات العدو ونحاول احياها في انفسنا قبل كل شيء ، وكنا نشاهد التفككات المسبية التى يتعرض لها مجتمعنا ونذكر بالمصر والسمن الذى لا يحتاج الى التعليل ، ان امتنا

ينتمون الى طبقة اجتماعية موحدة للمعصرين البورجوازي والبيروقراطي ، ذلك لان كثيرا من حملة الثقافة الاجنبية ، بغرض تخصصهم التقني او المهني ، يجهلون ثقافتهم الوطنية ولكنهم لا يهتمون لها بالاحترار والمصداق ، ويريدون ان لو مكنتهم الظروف من معرفة هذه الثقافة ، وهم مربوطون ذهنيا وسلوكيا وعضويا بالطبقات الشعبية . كما ان هناك حملة للثقافة الوطنية مربوطين ذهنيا وسلوكيا وعضويا بالعصرين البورجوازي - البيروقراطي .

ولو طبقنا مثل هذا التصنيف المسطح على مشكلة اللغة ، لمجدنا ان هناك مستويات تكاد تكون طبقية . فاجباري عندنا مثلا ان اللغة الفرنسية او الانجليزية تمتد بمثابة البنية الفرعية ، واللغة الوطنية تقوم مقام المستوى الاوسط بينما اللهجات المحلية تكون المستوى الاسفل .

قد يقال ان هذا الوضع طبيعي ما دامت اللغة الوطنية دون مستوى اللغات العلمية خير ان عرض القضية بهذا الاختصار مع معاملة اللغة الوطنية كعبء موروث محدود في مستوى معين ، انما هي تعبير عما يجري في خلد طبقة معينة ، تريد بسبب تكاسلها ويسبب ارتباطاتها ان تستمر في تقليد مستعمرها الى اجل غير محدود ، والتعبير الوطني السليم يفرض هنا ان نقول : « يجب ترقية اللغة الوطنية الى مستوى العالمية ومستوى اشليخ العلمي مهما كلفنا ذلك من جهود » .

وبفضل هذه الجهود يمكن التخفيف من حدة لغوارق في المستويات ، ويمكن وضع اللغة الوطنية في القمة ، ووضع اللغة الاجنبية في مكانتها الطبيعية كلفة اضافية للتبادل العالمي . وبهذا المفهوم يمكننا ان نتكلم عن الاسانلة والفتح

جملات التواصل ، وقوة هذه الثقافة راجعة في اغلبها الى اللغة الوطنية ، غير ان هذه اللغة تعامل معياريا ، كلفة ثانوية لانها ليست لغة العلوم ، فيما يزعمون .

اما اسفل البنيات فانها بنية الثقافات الشعبية ويمكن ان نسج فيها هي الاخرى مختلف المستويات : من الفلكلور الضعيف الى مستوى الشعر الراقي ، وبحيرة هذه الثقافات ترجع الى حيوية اللهجات المحلية وقدرتها على تصوير الواقع الاجتماعي بوسائل فنية خاصة بها .

وانا اردنا حسب المفهوم المادي ان نلخص الاصالة في هذه المستويات فنسجدها مربوطة بالبنيتين السفلى والمتوسطة .

اما لنفتح او نغمر العالمية فكله مربوط بالبنية الثقافية العليا ، ومعنى هذا ان نفتح حسب المفهوم الجارى عندنا ، يعنى في غالب الاحيان اكتساب الثقافة الاجنبية ، تارة للمفعالية العلمية والتقنية ، وحيانا اخرى للتصصيل على مستوى التمدن الذي توحيه الثقافة العالمية المزعومة ، الا وهي ثقافة المستعمر القديم ، في ميادين غير علمية مثل الادب ، والاثواق ، والقوانين . نقول ان هذا التحليل المتعلق بابنيات الثقافية قد يكون مبسطا للغاية . وانا اردنا ان نذهب الى اصاق الواقع ، فاننا نستعرض لمشكلتين . اولهما مشكلة ربط للمستويات بالواقع الاجتماعي الاقتصادي الذي يتجلى في تباين الطبقات ، والمشكل الثاني هو مشكل اللغة الوطنية ومكانتها بالنسبة لمختلف الطبقات . ومن هذه المعرفة للواقع يمكننا ان نتصور المشاكل التي تترتب سبيلنا في تطبيق سياسة التعريب ، سنكون من الشوهرين للواقع اذا ادعينا ان كل المتمسكين بالثقافة الاجنبية

التعريب من الوجهتين الاجتماعية والسياسية

الثقافة الفرنسية ، وإنما مخطط التحول الثقافي الذي شرع الاستعمار في تنفيذه منذ بداية هذا القرن *

يمكن أن يقال لهذه الطوائف المحافظة التي تمسك على تخطيطات ما قبل الاستقلال أن التعريب ليس اختياراً سياسياً من بين اختيارات متعددة ، ولكنه فرض طبيعي فرضه واقعاً الاجتماعى ، ولا يمكن التخلي عنه دون معاكسة هذه الطبيعة التي تأكدت طوال عشرة قرون *

إننا لا ندعى أن التعريب في إطار الفسوف الإسلامى وقع دون مجهود أو تخطيط من رجال الثقافة عبر الأجيال ، ولا ندعى أنه كان اسماً ثقافياً لم يمتح إلى أي تدعيم من طسرف قادة البلاد ، الراعين لاهمية الثقافة فى البناء الحضارى . بل كان التعريب لمدة مئات من السنين ثمرة مجهودات جبارة من طرف المثقفين وبعض رجال الدولة ، غير أن الامة جمعاء كانت تحتصن هذه المجهودات كتشخيص لرفيتها العميقة فى اكتساب الثقافة العربية وكوسيلة ضرورية لفهم العقيدة الإسلامية الراسخة فى النفوس ، ويمكننا أن نجد هذه الرغبة الجماعية أبرز مظهر يجعل من التعريب ظاهرة اجتماعية طبيعية ، لأنها مفروضة بحضارة الامة وكيانها *

كل أنواع التعريب كانت مبرورة بالثقافة الإسلامية لقد تعود المؤرخون أن يصفوا اتواع التعريب ويرون أن هناك نوعين : نوعاً حضارياً ينطلق من المدن ، ونوعاً لغوياً محضاً يأتى عن طريق التمايش بين اللغائى ذات النسان العربى وغيرهما . وليس لحسن من المشاهدة فى نظرهم لاثبات هذه الظاهرة أن اذ لهجاتنا العامية تنقسم أجمالاً الى لهجات حضرية ولهجات بدوية وقد تفنن المستشرقون فى

بقعة أكثر فتكون الأصمالة ابداعاً وحفظاً فى مستوى العالمية ويواسطة لفسة وطنية راقية ، ويصبح التفتيح تبادلاً بين الكفاء ، وتزول الالتباسات والاستلابات المتعلقة بالتحول الثقافي والعالية إنشاقية المزعومة *

وإذا رمتنا أن نيسط مشكلة التعريب من حيث الغاية التي يجب رسمها من الآن ، فلا يمكن أن نتناسى قصبة المستويات الموجودة حالياً ولا نتناسى أن اللغة الوطنية إذا بقيت بمعزل عن التعبير العلمى والثقفى ، عدت باستمرار لفسة للبيئة الوسطى ، أى لغة ثانوية ، بمعيار الثقافة الحالية ، حتى ولو كانت لغة الإدارة ، ولغة المدارس الابتدائية والثانوية ولغة التخاطب اليومى إن فرضنا نجاحنا فى محاربة الامة . هذه بعض منطقات لسياسة التعريب ، إذا اخذت بكيفية لجمالية ، أما الجوانب العملية والجزئية من هذه السياسة فإنها أشد تعقيداً مما يظن لأول وهلة ، إذ أنها تثير مشاكل فوعية بالنسبة للمراحل ومختلف الأجيال وبالنسبة للتطبيقات ، والفكرات والأشخاص الذين تصنف اليهم المسؤوليات فى الإدارة والتعليم *

التعريب ظاهرة اجتماعية طبيعية

تعودنا أن نلرح فى هذه السنين قضية التعريب من الوجهة السياسية كهدف وطنى ، نسترجع به شخصيتنا الثقافية التي فككها الاستعمار ، وأنه لولف سليم أن نلظر الى هذه القضية فى إطار التخطيط الوطنى . وإذا كان التعريب يعد عسدة بعضنا من المتطلبات الينيهية ، يحكم واقع الامة ويحكم تاريخها وضمأن كيانها فى المستقبل ، فإن هناك طوائف لا تحس بهذه البدامة ، ولعلها ترى البداهة فى إبقاء الحال على ما كان من مسيطرة

فان اسنوع التعريب كنها راجعة الى الثقافة الاسلامية.

هذا هو المتجه التاريخي الاجتماعي العام الذي يجب للوقوف عليه للاقتناع بان التعريب كان امرا طبيعيا بالنسبة لجميع سكان الغرب الاسلامي ، وهناك حقائق جريئة لا يد من الاطلاع عليها لدراسة كليات التعريب وتطور نماذجها عبر الاجيال .

الاتساع الثقافي للمدن الاسلامية :

يفترض بعض المؤرخين ان التعريب في الغرب الاسلامي ، كان من الممكن ان ينحصر في كبريات المدن ، لولا توالي هجرات السكان الناطقين باللسان العربي ويبدو لنا ان مثل هذا الافتراض لا اساس له من الصحة ، لان رغبة الجماعات المحلية في التعريب كان مقرونا بالتطلع الى الحضارة واكتساب الثقافة الاسلامية . ومهما كانت أهمية الدور الاقتصادي والسياسي الذي كانت تلعبه المواضع الاسلامية الكبرى ، فان اشعاعها الثقافي كان يعتبر اهم شيء في نظر الامة ، وأنه لمن المخافة ان تربط ظاهرة التعريب بالمرق العربي ، كما كان يفعل المستعمرون بالاسر واتباعهم من ابناء امثنا اليوم . ذلك ان حملة الثقافة الاسلامية كانوا من مختلف الاعراق ولا يهمهم البحث عن اجناس البشر بقدر ما يهمهم الانتساب الى الامة ، وليس من العجيب ان تجد في مجتمعاتنا الحضرية جل العربيين من السكان الاصليين . واننا اذ نتكلم عن الاتساع الثقافي للمواضع الاسلامية انما نغني بذلك ان العلوم العربية والاسلامية لم تكن منحصرة وراء اموار المدينة ، بل كان الطلبة المنخرجون من حلقات العلم بكبريات المدن ، يذهبون الى قرانهم ويقرءون بنفس الدور الذي قام به شيوخهم ، وممرعان ما تصحيح

الوقوف على الفوارق المعينة بين اللهجات ، مقررين في سرعة استنتاجاتهم ان كل لهجة لها شبه كيان مستقل وتطور خاص ، رغم تفرع جميع اللهجات عن الجذر المفقود أو اللغة « الميتة » التي هي اللغة العربية .

ولقد انت بهم نظرتهم التجزيئية الى عدم تصور الواقع على حقيقته ويتلخص هذا الواقع في هبنة التعريب الثقافي على كل انواع التعريب ، وفي توحيد حركات التعريب ضمن المصطلحات الثقافية ، وتظهر هذه الحقيقة عمليا ، في الجهود المستمرة التي كانت تبذلها كل جماعة في انصهر على قدر ادنى من الثقافة العربية الاسلامية لتتصيب للامة . كما انها تظهر في سهولة تسره الكثير من الفئات لهجاتها الاصيلة للاخذ باللسان العربي العامي كخطوة أولى للوصول الى لسان الثقافة الاسلامية الذي هو اللسان العربي الفصيح ولم يتيسر لاجلبيبة المستشرقين ان يدركوا ان التقييمات السياسية الامامية للشعوب الاسلامية كانت في الغالب تلك التي تجعل وحدة الامة اساس شعورها ونشاطها . ولم تكن الا قليميات واللبنات الا مجرد تفرعات سياسية تعتبرها الشعوب عوارض عائقة في طريق الوحدة ، او مراحل في سبيل تحقيقها . ولا تتناهي هذه الحقيقة مع تمسك كثير من الجماعات بلغاتها المحلية غير ان اللغات المحلية لم تزاحم في يوم من الايام لغة الامة ولغة الثقافة الاسلامية التي كانت تصل محل البنية العليا منذ ظهور الاسلام بهذه البلاد ، وسواء تعريب الناس عن طريق المدن ، او عن طريق البراري ، سواء تركوا لهجاتهم الاصيلة نهائيا او حافظوا عليها مع اكتساب العربية كلفة للامة الاسلامية التي ينشرون اليها من اصاق شعورهم

للأشباع إلا في المدن التي تحتضن فيها الجماعات المحلية هذه المؤسسات ، فليست قضية التعريب لأن قضية سكان مناطق أو غير مناطق بالملهيات العربية ، وليست قضية تشجيع أو عدم تشجيع من طرف السلطان ، وليست قضية مدن كبيرة أو مدن صغيرة ، ولكنها قضية شعور شعبي وجماعة واسعة ومنظمة تعمل على تحقيق هذا الشعور .

الصفة الشعبية - الجماعة للتعريب :

كثيرا ما يشن الدارسون لحركة التعريب عبر التاريخ أن السياسة لعبت الدور الأهم في تثبيت هذه الظاهرة ، وأن الدول كانت تصاحب حركاتها العسكرية بمسيرة ثقافية وحضارية موازية ، ولا زلنا نضع حتى اليوم من المتمسكين ببقايا الدعاية الاستعمارية ، أن تطور الأحداث الثقافية في القرون الوسطى شبيه أشد الشبه بابتسور الثقاف في عصر الاحتلال الفرنسي ، وأن شعب الغرب الإسلامي قد حول عن ثقافته القيمة بالضغط والتخطيطات السياسية من لدن الغاتمين الأولين ، ثم من لدن الاقليات الحاكمة من بعدهم ، وليست تعني مثل هذه الدعاية سوى التوصل إلى استنتاجات سياسية تجعل المغتربين بها يعتقدون أن التوصل الثقافي الذي فرضه الاستعمار الفرنسي يضيء التحول الثقافي الذي فرضه المحتلون المسلمون وأصبح الكثير من هؤلاء المغالطين بدعايات الاستعمار يؤمنون الناس أن الاقليات التي لا تتكلم العربية ، تكون النواة الثقافية ، في نظرم ، للرجوع إلى ما قبل الثقافة العربية الإسلامية ، وكلنا يعلم أن سجل هذه الدعايات لا يعرف عنها الشعب أبشئ شرم ، ولكن حملتها من المثقفين المتعشقين لثقافة الفرنسية ، تغنيهم العرقية الفرنسية بكل ما أوتيت من

القرية عبارة عن مدينة مصغرة لها رسالتها في نشر الحقبة والشريعة واللغة العربية .

وإذا كانت هناك مدن « طليبية » تدور حولها حركات ضخمة من الانشطة الحضارية والثقافية مثل القيروان وقرطبة وفاس ، فإن هناك عواصم جهوية لا يمكن تناسي أنوارها في نشر العلوم الإسلامية وربما كان لها القسط الأوفر في حمل الثقافة العربية الإسلامية إلى أبعد الآفاق ، وأن بجاية وتلمسان وتلميط ، لقد فصائح لهذه العواصم الجهوية التي كانت تسهر على تعريب السكان بتعدد الاتصالات وأرسال الطلبة إلى مختلف النواحي ، وليست قضية الأشباع الثقافي مربوط حتميا بكون المدينة أو صغرها ، ولا باستقرارها أو عدم استقرارها السياسي ، تلك لأن المثقفين المثقفين من الجماعات الشعبية كانوا يلفون في بعض الأحيان مساندات من السلطان ، كما كانوا يلاقون أحيانا أخرى ممالك ورسالتهم الثقافية هي هي لا تعرف أي قنور . وقد نجد النشاط العلمي زاخرا في المدينة الصغيرة ، بينما تجد معهودا في المدينة الكبيرة ، غير أن الظاهرة العامة بالنسبة للأشباع الثقافي في المدن كانت تنحصر في شعور مثقفها بخير حصار منظم على الجبل أينما وجد ، وكانوا يستغلون كل اتصال ليت معارفهم العربية الإسلامية . ومن العجب أنهم كانوا لا يفرقون بين السكان للمناطق بالسكان العربي وغيرهم من السكان في إقليم برسالتهم الثقافية ، ولا فرق بينهم بين هؤلاء هؤلاء إذ يعتبرونهم سواء في الجهل بالشريعة وبلغة القرآن ، فالتعريب الحقيقي الذي هو تعريب ثقافي كان يحتاج إلى مؤسسات علمية ثابتة معتبرة ، ولم تكن تتوفر شروط الاستقرار الضامن

تمويهات لا حباط سياسة التعريب والمحافظة على هيمنة الثقافة الفرنسية في بلادنا ، ولنا في حاجة إلى عرض كل الحجج التي يأتي بها أنصار هذه الدعاية ، وسواء كانوا صانقين أو كاذبين في تبنيهم لها ، فأنسه يكفى أن نقوم بصرف موضوعي للمواقع التاريخية ، الاجتماعي لتبيين لنا معالطات المؤرخين الاستعماريين واتباعهم في هذا الميدان .

نقول ان التحول الثقافي الذي أحدثه الاستعمار الفرنسي قد صدر بقوة السلاح وبعد القتل والتشريد الذي عرفه جميع السكان ، وبعد أن استتصلت المؤسسات الثقافية الشعبية من اعماقها بينما كان التحول الثقافي الذي أحدثه الاسلام تحولاً برغبة الشعوب ، ولم تكن الدول الا منفذة لارعية الشعوب في هذا الموضوع ، وربما لم تكن منفذة لرغبة الشعوب الا في هذا الميدان .

لنا نعلم حق العلم ان جل المؤسسات ادينية والثقافية كانت من مجسرات الشعب تمسهر الجماعات المحلية على بنائها وتمويلها ، وتسهر على توظيف اطاراتها ، وتحبس الاملاك للمقيام بمختلف شؤونها ، وتتجلى صفاتها الجماعية ايضاً في كيفية تسييرها والانتفاع بها ، قدم يكن المسجد ولا المدرسة وفقاً على طبقة او فئة بل كان من حق جميع السكان أن يستفيدوا منها دون قيود ولا شروط ، ولو فرضنا ان السياسة كانت تلعب الدور الام في التعريب ، لاقتصرت هذه الحركة على المدن الكبرى التي ترجد فيها السلطة الحاكمة بكل قواها ، ولبننا مئات الامثلة التاريخية تثبت ان الثقافة كانت من نشاط الجماعات المحلية حتى في كبريات المدن التي هي « كراسي للملك » كما كان يسميها الاقدمون ، ولبننا أكثر من مثال على

استقلال الجامع ، او الرباط ، او المدرسة عن رجال « المشور » ، وكثيراً ما كانت تقع السرعات بين فقهاء الشعب وفقهاء « المشور » ، وتناصر الجماعة المحلية مثقلها حتى لا ينتصر عليهم اعدائهم ، ولبننا أكثر من مثال على قياس النزاهة لطمبة عند الاقصين بتحملهم الفقر في ظل الحياة الجماعية وتفضيلهم هذه الحياة على الجاه والتلف المروض عليهم من طرف الامراء .

ولو فرضنا من جهة اخرى ان السلطة الاقطاعية كانت تلعب الدور الام في التعريب ، فكيف يمكن ان نجد النواحي النائية التي لا علاقة لها بالسلطة ، لا علاقة الاقصاد الى الامة ، ولا تعاني أي ضغط عسكري او اداري ، تتمسك لإنشاء المؤسسات الثقافية وتمويلها ، وتتجسم شديد التحمس الى الثقافة الاسلامية والتعريب ؟ لو فرضنا مثلاً على تاريخ قرية نائية مثل قرية تمنطيط الموجودة في أقصى صحرائنا الغربية وراينا كيف هربت نفسها بنفسها ، وكيف بعثت البعث الثقافية الى اقاصى افريقيا السوداء ، لعلمنا ان التعريب كان منبثقا من صميم الرغبات اشمعية وإن الجماعات المحلية هي التي لعبت فيه أهم الدور .

ولنا في التاريخ البعيد والغريب امثلة متعددة عن التعريب الذاتي ، وتوفان الشعوب الى الثقافة الاسلامية وربما كانت هذه الحركات الشعبية قوية النشاط في عصور انهيار السلطات المركزية على الخصوص ، ولا يمكن أن نغفل هذه الظاهرة الابعورية الروح الجماعية في بلادنا ، وإن نلاحظ أن الجماعات المحلية كانت السبب الام في نشر الثقافة الاسلامية واللغة العبرية في الغرب الاسلامي وفي افريقيا منذ عشر قرون .

الواسعة ، أمة محددة والخسنة التوفيق والنشاط ، واكتسبنا عوضا عن السلطان الاتقاضي دولة عصرية شديدة الرغبة في التوحيد انتقافي بين مختلف الجهات والطبقات ، واكتسبنا أخيرا امكانيات علمية وتقنية للاسراع بتنفيذ رغبات الشعب .

ونعتقد ان رغبة شعبنا في اعطاء ثقافته الوطنية مكانتها التي هي مكانة الاولوية ، لا زالت كما كانت في القيم رغبة اكيدة لا يجوز مماكستها أي التحيل على تأجيل تطبيقها الى أبعد الآجال .

هذه بعض الملاحظات التاريخية والاجتماعية عن ظاهرة التعريب في بلنغا ، واننا اذا نتطرق اليها اليوم ، من خلال التاريخ فلا يمتري ذلك أن الظروف القديمة لا زالت ممتدة الآثار ، وينفس الكيفية ، حتى في عصرنا الحاضر . ان الجماعات المحلية قد فطنت من حيويتها ، وأن العقيدة الاسلامية الحاملة للتعريب قد فطرت ايما فتور ، غير اننا قد حصلنا على مكتسبات اجتماعية وسياسية جديدة لم تكن متوفرة عند اسلافنا -

لقد اكتسبنا عوضا عن الجماعة الحسية والامة



لغة عربيّة "وطانيّة" في المغرب العربيّ

عربيّة بنسابة مؤنبر المستشرقين المنعقد مؤخرًا في باريس ، أن كلا من الجزائر والمغرب وتونس تميز اعتماد لغة عربيّة « وطلّانية » موحدة في التعليم المدرسي ابتداء من السنة القادمة - والمراد من لفظة « وطلّانية » نسي حرف اللغويين هو اختيار الألفاظ المطابقة لمنشآت العصر الصنّاعي الحاضر ، فضلًا عن اهتمام اللغوية اللطيلة التي تقوم ملثًا جسيما بين دولة وأخرى .

فإن الشمال الإفريقيّ يواجه اليوم مشكلة التعريب إذ أنه يريد في آن واحد الانسجام مع العصر ، دون الانتطاع عمن الثقافة العربيّة الأصلية ،

لهذا وضع علماء اللّغة « الرصيد اللغوي » الذي تصانرت على وضعه ثلاث مؤسسات : مؤسسة الرباط الدراسية والإبحاث اللغوية والتعريب ، ومؤسسة علم اللغة في الجزائر ، والفرع اللغوي في جامعة تونس .

7000 لفظة أصلية :

مهدت الرصيد اللغوي ثلاث عمليات :

— عملية تقتطّش في الكتب المدرسية

الحاضرة لمعرفة الألفاظ الناقصة مع أهمها ضرورية .

— عملية مراقبة وإحصاء لدى المدارس أخصيت في هذه العملية 7000 لفظة من أصل مجموعة يبلغ عدد الفاظها نحو مئة وعشرة آلاف كان العقل الإلكتروني في مؤسسة الجزائر قد عينها . وسيت مجموعة المجمة آلاف لفظة « الألفاظ الأسلمية » .

— عملية اختيار قائمة من الألفاظ اللغوية والصناعية التي لابد من أهمها للمعش في المن في الثلث الثالث من القرن العشرين .

لها العربيّة « الوطلّانية » فقد حصلت على ضم هذه القوائم بعضها إلى بعض ، وهي تضم المفردات والتعابير المطابقة لوطلّانص العصر .

ينبغي أن الوحدة الثقافية لا تقتسم إلا بوحدة اللغة وبأصلانها . والإصالة تقتضي من المتكلمين ألا ينتقلوا في الحديث من الفصحى إلى الدارجة العامية ، ومن العربيّة إلى الفرنسية أو الانجليزية لتعريب عن المفاهيم والأفكار .

هذا ما توخاه اصحاب هذا المشروع في محاولتهم .

الثورة الثقافية تعريب والتعريب ثورة ثقافية

- الازدواجية تعنى عندنا اسلوبا من اساليب الثراء اللغوي وهي يحكم المرحلة الحضارية الحالية ضرورة علمية .
- ان العلم لا يمكن ان يفهم وان ينتشر الا في نطاق اللغة الاصلية .
- اللغة هي الفكر - اننا نفكر باللغة، واللغة أداة للتعبير عما تفكر فيه .



د. أحمد طالب الإبراهيمي
وزير الاعلام والثقافة

اللغة العربية لارتباطها بهذا الدين * ولكنهم تعلموا من الحروب الصليبية أن العرب الدينية طويلة المدى بطيئة النتائج فخططوا لها على المدى البعيد * أما الحرب اللغوية فقد فرضوها في كل مكان وبكل أسلوب ومن أساليبهم في ذلك ما هو مباشر : أي فرض اللغة الفرنسية ، وما هو غير مباشر من إحياء اللهجات المحلية * وهكذا اتخذوا طريقهم إلى الإغراء بهذه اللهجات

ج - بعد حرب التحرير وانتصار الثورة كان لا بد من أن تعود الأمور إلى مجراها الطبيعي أي إلى أصلاتها * أي أن تبدأ من حيث انشعب الطريق ، وبعبارة أوضح أن تبدأ بإعادة العربية إلى مكانتها : لغة دين وثقافة وتعامل يومي ، لغة المدرسة والحياة *

كذلك يبدو لي مفهوم التعبير : عودة إلى الأصالة *

وجيد ذلك لا يلتبس الأمر لأن الاهتمام بالعربية وتأكيدا لا يعني إغلاق النوافذ في وجه اللغات الأجنبية ، سواء أكانت اللغة الأجنبية فرنسية أم إنجليزية أو ما شئت من اللغات الأخرى * * * اتقا لا تزد القضاة على اللغة الفرنسية ما دامت لغة من هذه اللغات الأجنبية التي نحتاج إليها في الاستقاء من موارد الثقافة في العالم * * * ولكن نريد القضاء على بقايا الاحتلال الفرنسي من حيث هي أدوات احتلال وبقايا احتلال * * * الفرنسية في ذهننا ولساننا لغة ولكنها إذا حلت محل العربية على السنة الأطفال والتلاميذ وفي عقول الطلاب والجامعيين فهي ليست لغة وإنما هي احتلال * وقد اقتبنا مليون ونصف من الشهداء وقاسينا تاريخا طويلا من النكبات من أجل أن نطارد الاحتلال *

السؤال : هناك انتباهات ما تزال سائدة حول مفهوم التعريب : فهناك من يرى التعريب في القضاء على اللغة الفرنسية ، وهناك من يراه في الاندراجية * * فما رأيكم في كل هذا وغيره ؟
الجواب : لا أظن أن هناك ما يدعو إلى الالتباس في مفهوم التعريب إذا نحن وضعنا الأمور في موضعها الصحيح * * كل مفهوم يمكن أن يتشعب وأن يضطرب ، ولكن مفهوم التعريب في الجزائر واضح جدا ، إذا نحن مضينا مع التاريخ وتطلعنا إلى المستقبل *

إن الأمر يبدو لي على النحو التالي :

١ - الجزائر جزء من العالم الإسلامي العربي * وقد اتخذت العربية لغة كما اتخذ الإسلام ديننا * وقبل الاستعمار الفرنسي كنا نتحدث العربية وتعلم بها وندرسها وندرسها ، وكنا نسهم في كل حقول المعرفة آنذاك بالعربية * * كان عنينا محبسون وقهفاء ولغويون ومؤرخون ورحالة وجغرافيون ، وكيميائيون ورياضيون ، وفلكيون وطبييون ، وأبناء وشعراء ، كانوا جميعا على امتداد التاريخ الإسلامي يكتبون بالعربية ويؤلفون بالعربية * وكان يشارك العربية أحيانا في الجزائر في الحديث اليومي الضيق ، لهجات محلية - وهي لهجات موجودة في كل لغة وفي كل بيئة - ولكن يبقى دائما أن اللغة الأصلية واللغة الأصلية واللغة التي ترتبط بها الثقافة واللغة التي تصل بيننا وبين غيرنا من المسلمين أو التي تصل بيننا وبين الدول الأخرى هي العربية *

ب - بعد غزو الجزائر ، دخلت لغة أجنبية مع الغزاة : الغزاة الفرنسيون حاولوا أن يجعلوا من الجزائر قطعة من فرنسا ، حاربوا الدين وحاربوا

وتشير في سؤالك الى ازدواجية *

انني اعرف ان هذا اللفظ دار ، وينور ، على
كثير من الاسئلة ، ولكنه قد يكون تعبيراً مرحلياً *
نحن نفهم الازدواجية بمعنى ان يكون للشباب
الجذائري متقناً للغة العربية متفهماً على لغة
من اللغات الاجنبية او على اكثر من لغة *
الازدواجية لا تعني ضرورة وجود لغة يعينها الى
جانب اللغة العربية * الازدواجية عندما تعني
اسلوباً من اساليب التراث اللغوي وهي يحكم
المرحلة الحضارية الحالية ضرورة علمية ، ولذلك
فنحن نؤمن بالازدواجية - بالتفسير الذي قمته
لك - في نطاق ما هو صائد من اسر التركيب
اللغوي في البلاد الغامية - اما اذا تطور التركيب
اللغوي وتشتت حركة الترجمة واستخدمت فيها
الاساليب والالات واصبح من الممكن ان تضع
بين يدي الملقين ترجمات مباشرة وسريعة لكل
تتاج جيد ، فما الحاجة الى ان يبذل كل انسان
وكل متعلم وكل طالب جهداً لتعلم لغة اجنبية ؟

من هذا انشراح يبدو لي ان مفهوم التعريب
يجب ان يكون بعيداً عن كل القياس :

حركة التعريب اذن عودة الى الاصلية * انها
تعني استعمال اللغة العربية وتعميمها واتقانها ،
وذلك امر لا يسد الطريق على اللغة الاجنبية اية
لغة ولكنه لا يضطر الازدواجية شرطاً ولا يطلق
منها ولا يحتم ان تكون اللغة الثانية هي اللغة
الفرنسية *

* اسؤال : يقال ان التعريب وضع على مستوى
المشاعر والدعاية اكثر مما هو موضوع على
اساس علمي حقيقي ومن هنا كان الاتفاق في
ممارات التعريب ، ما رايمك في هذا القول ؟ *

الجواب : * - في سؤالك اشارة الى تشويه
التعريب ، وكأنه ليس له اساس علمي والحق ان
الاضطراب اللغوي الذي خلقه الاستعمار هو
الشيء البعيد عن الاساس العلمي * انه نوع من
الاكراه والفرش * انه خلق طبقة خاصة لحسن
الفرنسية وترك للقاعدة العريكة : للمجاهدين ان
تتسلق بقشورها بالفاظ يومية ليس لها حصيلة
فكرية تقتصر او تكاد ، على اسماء الطعام
والشراب وبعض الكلمات الصباح
والمساء *

ان هذا ليس ثقافة لغوية ولكنه تشويه
للسوى *

ان الاساس العلمي الذي انتهت اليه الدوايات
العلمية والنفسية اللغوية اثبت ان النظم لا يمكن
ان يفهم وان ينتشر الا في نطاق اللغة الاصلية *
العلماء الكبار وحدهم يحتاجون الى اللغة الاجنبية
لتنام بمولهم وبراساتهم اما الذين دونهم فلا
يبركون المعرفة العلمية الا بلغتهم الاصلية *

ولهذا كان للتعريب هذه القاعدة الصلبة العلمية
ب - اما الحديث عن اتفاق التعريب وان هذا
الاتفاق دليل على (انه موضوع على مستوى
المشاعر والدعاية اكثر مما هو موضوع على
اساس علمي حقيقي) كما جاء في نص السؤال
فهذا كلام خاطيء كما يبدو لي *

ان طرح الموضوع على هذا الشكل محاولة
للتبشير باخفاق التعريب * وعن الذي يستطلع
ان يقول ان التعريب قد اخفق ؟

قل لي : متى بدا التعريب ؟

اذا افكرت انه لم يبدأ الا منذ عشر سنوات ،
فهل تعتقد ان عشر سنوات كافية لاصلاح مسا
اهله الاحتلال خلال قرن ونصف تقريبا ؟

ثم اننا في الثقافة لا تجد المضمون وحده واللغة وحدها ، فهناك الترابط الكامل بينهما . اللغة بالنسبة الى الفكر ليست اطارا ولا وعاء خارجيا ، ، اللغة هي الفكر اننا نفكر باللغة ، ونستعمل اللغة للتعبير عما نفكر فيه .

ان العلاقة بين الفكر واللغة مسلمة علمية ، ولذلك فانه لا ثورة ثقافية في المحتوى وحده بل في المحتوى والمضمون ، اي لا ثورة ثقافية دون تعريب ، ، هذا اذا لم نقل ان هناك هذا التطابق الكامل بينهما ، فالثورة الثقافية تعريب ، والتعريب ثورة ثقافية .

اسؤال : وقعت التباسات فيما يخص كلمة « اصالة » لدرجة ان بعضهم ربطها بالاعراق ونحن اعتدنا ان لا نتكلم حسن الاصالة الا في نطاق ثقافي ، ، ما راىكم في هذا ؟

من الذي يربط بين الاصالة والعرق ؟ هذا تعريف لفهوم الاصالة .

ان الاصالة مجموعة من الخصائص ، ولكنها ليست ابدا خصائص عرقية او بدوية لقد تجاوز العالم اليوم الوقوف عند الاعراق ، ولم تنته الابحاث العلمية في ذلك الى نتائج ، لان العالم تعرض لوجات من الامتزاجات الغت ، او اوشكت ان تلغى خصائص الاعراق ، المجتمع العالي قد اتفصح بعضه على بعض في كل السبل والاميراطوريات الكبرى ، وفي منطقتنا الاسلامية العربية كان هناك هذا الامتزاج الكبير . واجب بعد ان اتفح هذه الصلة بين الاصالة والعرق او الجنس ان تعود الى ما كنت ذكرته لك في السؤال الاول عن الاصالة .

كيف نقول ان التعريب قد اخفق وهناك خطوات واسعة اتخذت في هذا المضمار في كل المجالات لتحقيق التعريب ؟

قد تكون في حاجة الى خطى اسرع ، ولكن ارجو ان نلاحظ نقص الأدوات عندنا ، و حاجتنا الى الاستعارة ، وكثرة الاعباء التي ينهض بها الوطن للجزائر في البناء ، كل ذلك لا يد له من ان يقيد خطواتنا ، ، نحن شعب عاني الاستعمار طويلا ، وتركه الاستعمار ثقيلة ، وليست قضية التعريب هي القضية الوحيدة المطروحة امامنا في الساحة وان كانت من القضايا الاساسية .

السؤال : ما هي الاطارات التي نتمتع عليها لانجاح التعريب ؟

الجواب : الاطار الاول الذي نتمتع عليه هو اطار التعليم : التعليم في وزارات التعليم الابتدائي والثانوي والعالي والاصلي ، والاطار الثاني الذي نتمتع عليه هو اطار التعليم ولكنه في هذه المرة في نطاق الاعلام والتلفزة والاذاعة ، والاطار الثالث الذي نتمتع عليه هو كذلك اطار التعليم ولكنه في هذه المرة في نطاق كل دائرة او مؤسسة .

والجواب الكامل والوجيز ان هو ان نجسح التعريب مرتبط بنجاح حركة التعليم .

السؤال : نعتقد فمما يخصنا ان الثورة الثقافية لا يمكن ان تتم بدون تعريب ، ويرى بعض العروبيين الذين يتسميون زورا الى التقدمية ، بان المهم في الثورة انتقافية هو المستوى وان لا اهمية بلغ في نظرهم ما راىكم في هذا القول ؟

الجواب : في الثورة الثقافية لا يمكن فصل المحتوى عن الاطار او عن الشكل ، هذا اولا .

والعراقيل في الاصل ، موجودة في كل صل
انثوائي جديد .^{٥٠} وحين نمارس حركة شخصية
كحركة الاصالة والتعريب يجب ان تدخل هذه
العراقيل في حسابنا وبعين ان نفهم ذلك من
جانبه النفسي والانساني ، فالجزائري الذي تقل
خمس اجيال او اكثر يتكلم الفرنسية في مكتبه
ومع موظفيه ويتعامل مع الحرف اللاتيني في
ادارته وكتابه ومادة عمله وثقافته ، لا يد له من
ان يجد الصعوبة حين ينتقل الى التعامل مع
حرف اخر ولو كان صرفة الاصيل ان القضية
ليست سهلة ، ولكن لا يد فيها من شيء من
المحاوية . واذا كان الفرنسيون سيبروا عشرات
السنين لفرنسة لغة الجزائر ، افلا يليق بنا ان
نصير كذلك حين نحاول العودة .

السؤال : كيف ترون واقع التعريب الآن
ومستقبله ، وعلى الخصوص كيفية حمل
البيروقراطية على التخلي عن العراقيل التي
تصعب في طريق التعريب ؟

الجواب : اجد نفسي ، مرة اخرى ، احيلك
الى وقائع مؤتمر التعريب الذي انعقد هذه الايام
في الجزائر .

ان التعريب عملية شعبة ، ولكننا نريدها اكثر
نشاطا . ومن هنا اشارتك الى العراقيل التي
تضعها البيروقراطية ، انني لا اعتقد ان هناك
من يضع العراقيل قصدا ، فهذا مخالف لمسيرتنا
التاريخية والثورتنا التحريرية والثورة الثقافية
التي هي احدى ثورتنا الثلاث .^{٥١} ولكن قد تكون
هناك عراقيل في طريق العمل نفسه ونحن نأمل
ان تتعاون القوى جميعا لا زانة هذه العراقيل .



• • ايها الاخوة • •

ان التعريب يجب أن يرتبط بتجربة الثورة الجزائرية ويستفاد من التجارب في البلاد العربية وغيرها •

واعتقدت شخصيا ان التعريب في الجزائر لا بد ان يرتبط ارتباطا عضويا بالتجربة الوطنية الجزائرية الاساسية • فهذه ملاحظة اولي •

وهناك ملاحظة ثانية وهي انه لا بد ان نستفيد من التجارب التي وقعت في العالم العربي ومن التجارب التي وقعت في العالم بصفة عامة بدون ان يكون لنا مركب نقص وبدون ان نكون حذرين أكثر من اللازم بالنسبة لهذا الموضوع • وهناك ملاحظة ثالثة ، وقد اشار اليها بعض الاخوان ، وانا اؤكدها مرة اخرى ، وهي انه يجب ان لا نربط قضية اللغة الوطنية بالوضع الذي يوجد عليه المجتمع العربي اليوم • وانا لنتكبر غلطا فادحا اذا ما ربطنا قضية اللغة بالاحتلال المجتمع العربي بعد ان عرف حضارة لا زال يتعاملها المفكرون الغربيون عن قصد •

ان هناك ملاحظة أخرى وهي عدم ربط مشكل التعريب بالقضية الوطنية لاسباب لا يجعلها معظم اعضاء هذه اللجنة • واذا نحن توغلنا في هذه المناقشة وتساءلنا عما اذا كان المثقف بالبربرية كان أكثر وطنية وعما اذا كان المثقف بالفرنسية أكثر أو أقل وطنية لبلاده ، فهذا جدال يجب ان لا نحوض فيه ، لان اوضاع الجزائريين والاضاع الجزائر بصفة عامة أنسأه المرحلة الاستعمارية كانت اوضاعا معروضة •

مرحطاب الرئيس بومدين أمام اللجنة الوطنية لاصلاح النعام

في 28/4/1970

الجامعة والتعريب

- التعريب هو الجانب اللغوي في الثورة الثقافية ♦
- التعريب حلقة في سلسلة جلقان تصفية الاستعمار ♦
- اللغة العربية مطلب شعبي واردة القيادة الثورية تلتقي مع الارادة الطيبة ولكن الاجهزة غير ذلك ♦



محمد الشريف هساعديه
مسؤول التوجيه والاعلام
بالجرب

س x : هناك التباسات ما تزال سائدة حول مفهوم التعريب : فهناك من يرى التعريب في القضاء على اللغة الفرنسية ، وهناك من يراه في الازدواجية : ... الخ ، فما رأيكم في كل هذا وعبره ؟

ج : لعل استمرار الالتباس الذي ذكرتموه لدى البعض حول مفهوم التعريب ، حتى الآن ، ودغم ورود أكثر من عشر سنوات على استعادة البيلاد لسيادتها الوطنية ، يعود في الأساس الى سوء الفهم أو بالاحرى تمعد علم الفهم لمضمون التعريب ... ومكانته في قائمة اختيارات الثورة وأهدافها وإذا كان الأمر يحتاج الى تأكيد فأننا نقول أن التعريب اختيار أساسي من خيارات الثورة الجزائرية وهدف من أهدافها الأساسية المقصودة ... فستحار الثورة والغربة والاستقلال واستعادة السيادة الوطنية كان مفهوما شاملا ومتكاملا بجوانبه السياسية والاقتصادية والثقافية ، وإذا كنا لم نقبل وجود سيادة أخرى في هذه البلاد غير السيادة الجزائرية وحدها ، وإذا تخلصنا من الجيوش الاستعمارية ، وحررنا الاقتصاد الوطني من سيطرة الاحتكارات الأجنبية ، فلماذا يا ترى نقبل تقاسم السيادة الثقافية في بلادنا أو بالأحرى استمرار التبعية الثقافية ؟

وإن الحركة في ميدان التعريب تعتبر من أهم المعارك التي نغوضها ولا بد أن تنتصر فيها ، ولا تكتمل الشخصية الجزائرية ما لم تسترجع العربية مكانتها اللغوية بها في جميع الميادين الحيوية . وعلى هذا الأساس يحق لكل مواطن أن يسأل عن مفهوم التعريب في بلادنا .

إن كلمة التعريب في حد ذاتها لا تعبر في نظري ، عن العمل الجبار الذي تسعى البيلاد جاهلة لتجاوزه . ذلك أن التعريب في مفهومه اللغوي هو ترجمة أو نقل أشياء مكتوبة بلغات مختلفة الى اللغة العربية وليست هذه هي ثبسة الجزائر الأساسية وإن ما تريد ، في نظري ، هو أن تسترجع اللغة القومية مكانتها التي زحزحت عنها منذ أكثر من مائة وأربعين سنة . ومن ثمة فإن هذه العملية تصبح جزءا لا يتجزأ من الثورة الثقافية التي لا بد منها والتي تبدأ باديء ذي بدء بتغيير العقليات التي عشتت فيها الانكسار الاستعماري وبأبست بحيث صار اصحابها يرون في اللغة العربية منافسا للغة الأجنبية يستحق على كل متقف أن يعادها ويعد من توسعها لأن ما يتم الآن من خطوات في سبيل التعريب ومحو الأمية يعتبر في نظري ، توسعا استعماليا في مجال الثقافة .

إن التعريب ، إذن هو الجانب اللغوي من الثورة الثقافية ... وإذا أردنا اتجاهه بصفة جدية لا بد من الشروع فوراً في الاعتماد لاشمال هذه الثورة وإن لم نفل واکتينا بتعليم الحروف الهجائية فإن عملنا يكون ناقصا ومهددا بالفشل والزوال في كل لحظة مهما بعد الزمن . ذلك أن معظم المشرفين على نحو الأمية وكثيرا من المستفيدين يحتاجون ، أولا وقبل كل شيء ، الى من يفصل امخاضهم ويخلصها من مركب النقص الذي يسيطر على عقولهم .

سلبية للغاية . ذلك ان هذه المدرسة لم تكن ، خلال هذا العقد من الزمن ، سوى انصاف مترجمين يبيعون كل البعد عن الثقافة الواسعة المطلوبة منهم ، عاجزين عن التأثير في المصالح التي عيشوا فيها وعن النقل الجدي بصفة عامة ، كما ان المدرسة لم تنشر ولو كتابا واحدا مترجما من هذه اللغة او من تلك .

وامام هذا الوضع غير الطبيعي نجد انفسنا امام تساؤلات محيرة ، من المسؤول عن هذه السلبية ؟ اهو المرسوم او مدير المدرسة ؟ او الاساتذة ؟ او الطلبة ؟ اما الطلبة فانه صريح ولا يمكن ان تلقى عليه التبعة ، واما الطلبة فانهم لا يمكن ان يكونوا الا كما اعدوا . فبقى إذن مديرية المدرسة والاساتذة ، هذه تلصق المسؤولية بهذا ، وهذا يلصقها على تلك . والواقع ان هناك عوامل كثيرة قد تدخلت في الاخير لافشال مهمة هذه المؤسسة الوطنية . ومصدر هذه العوامل كلها تقريبا ناتج عن عدم تتبع المرسوم في مراحله التنفيذية ، وما من شك ان مثل هذه التصرفات مناهضة للتثورة ، ومهما حاول اصحابها ان يبرروها فانهم لن يبدوا لها مبررا ، لانهم بدلا من ان يبحثوا عن الحلول الجذرية لجأوا الى التمسيع لم القتل وبذلك خرجوا البلاد من اطارات تكون مكونة تتناسب مع واقع الثورة واحتياجاتها ومتطلباتها .

والمرسوم الثاني الذي نتعرض له هنا هو ذلك الذي صدر بتاريخ 26 افريل سنة 1968 ، ويقضي

واصدار القرارات وحده لا يكفي اذا لم تكن هناك عقول ثورية تنتج مسانئ العمليات في مراحل تنفيذها ، واذا لم تكن هناك اطارات مكونة تكوينا يتناسب مع واقع الثورة . وفي هذا المجال نستطيع ان نسوق امثلة لا حصر لها ، ولكننا نكتفي هنا بما يل :

لقد صدر مرسوم بتاريخ 22 مايو سنة 1964 يقضي بتأسيس مدرسة عليا لترجمة يكون القرض منها تكوين هيئة من المترجمين والتراجمة يساعدون في مرحلة اولى ، على خلق جو من التعاون بين المتكلمين باللغة القومية والمتعلمين بلغات اجنبية . وفي مرحلة ثانية يقومون بترجمة تراثنا المكتوب بغير العربية الى اللغة الوطنية حتى يسنى للباحثين ان يدرسوه ويخلصون من مظاهر التشويه التي عقلت به على مر السنين ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ينقلون الى اللغات الحية المختلفة مؤلفاتنا العربية حتى نمطي صورة للعالم صورة صادقة ومعبرة عن بلادنا كما فهم يسهرزون على تتبع التطور العلمي والتكنولوجي ونقل المصطلحات الفنية الى لغتنا الوطنية لتصبح في متناول الجميع ولتحقيق هذه الاهداف ينص المرسوم على ان المدرسة تعي جميع الوسائل المالية الموضوعة وعن اشرفها ضمن ميزانية الدولة . ومن ثم لم يبق من المشاكل سوى مسألة اختيار الاساتذة المختصين ووضع البرامج المناسبة لتكوين ما نحتاجه من اطارات . وعلى الرغم من ان المرسوم قد حاول تحديث نوعية التعليم الذي تقوم به المدرسة ، فان النتائج بعد حوالى عشر سنوات

المسؤولين وعد اهتمامهم بتطبيق الرسوم، فاخلوا
المسألة ماخلوا غير جنى .

(2) ان بعض الاجهزة لم تقم بواجبها ، وكان
من المفروض ان تساهم في خلق الظروف اللازمة
لتنفيذ هذا الرسوم ، فهناك مصالح بأكملها كان
ينبغي ان تعرب كالأحوال المدنية واليسيريد
وتواصلات وغيرها من المصالح التي لها اتصال
مباشر بالجماعية الشعبية التي لا تعرف عسر
العربية . وكان من شأن مثل هذه الاجراءات
التورية ان تساعد ، لو تمت على دفع الموظفين
الى بلل القى ما يمكن من الجهود لتعلم لغتهم .
لكننا ، مع الاسف ، شاهدنا ، بدلا من ذلك ،
اسرعا في السير نحو فرنسة حتى ما كان مريا .

(3) ان البلديات والولايات والنواثر لم تقم
بواجبها في تعريب اللاتسمات والواجهات في
الشوارع والطرق حتى تجعل المواخر يشعر
بانه على ابواب ثورة ثقافية فيستمد لذلك ويتم
بتعلم اللغة القوية التي ستكون بلا شك ، هي
المتعلق لهذه الثورة .

(4) ان الوظيف العمومي لم يساعد على خلق
جو من الجدية حول هذا الرسوم . وكان بإمكانه
ان يفعل ذلك بمراجعة ترتيب الموظفين مهما كانت
مستوياتهم وفقا لتفهمهم في معرفة اللغة الوطنية

(5) اصدر قرارات ووزارة تتنافى مع المرسوم
وتشجع الموظفين والاطارات بالخصوص على عدم
الخدمه بعين الاعتبار . ولتدليل على ذلك نذكر
القرار الصادر عن ودارتي التمسليم الابتدائي
والتانوي والداخلية بتاريخ 21 مارس سنة 1973 .

باجبرية معرفة اللغة الوطنية على الموظفين ومن
يمالهم لكي نأخذ نفس العبارة الواردة في
المرسوم .

فتمتصا صدرت هذه الوثيقة من الجميع بان
التعريب قد تم ، وان المسألة لم تعد سوى قضية
وقت ثم ينتهي كل شيء . وكان من الممكن ان
يكون الامر كذلك لو كانت الاجهزة المكلفة بالتنفيذ
تعرف بان استرجاع مكانة اللغة العربية مطلب
شعبي ، وان ارادة القيادة التورية تلتقي مع
الارادة الشعبية حول هذه النقطة ؛ ولكن الاجهزة
لم تكن كذلك مع الاسف . ولذلك وبهد مرور
خمس سنوات ، فإن المرسوم لم ينفذ حتى بكمية
جزئية والاسباب اذا بحثنا عنها واضحة للغاية
وهي في نظرننا كالآتي :

(1) ان الاطارات المسؤولة عن التنفيذ كلها
مفرنسة او وشبه مفرنسة لم تعمل في عقولها
بلور الثورة الثقافية بحيث غلب عليها الاعتقاد
بان عملية التعريب هذه موجهة ضدهم ، لذلك
يتحجب عليهم ان يتصدوا لها ففعلوا . فعلوا ذلك
عندما وقفوا لتعليم اللغة الوطنية على الحجاب
والموظفين البسطاء واعتبروا خطأ ، ان نزولهم
لتعلم لغة ميتة ، في اعتقادهم ، مضيق للوقت
الذي يفضونه في المسامرات التافهة لن لم نقل
في الشوارع واللاهي . ففعلوا ذلك عندما لم
يتنبهوا مراحل معو الامية بانفسهم ، ولم يوجعوا
محظرات لانجاح العملية ، بل ان كثيرا من المراء.
قد بللوا كل ما في وسعهم خلق انواع وانواع
من العراقيل ، واحصى البسطاء باستخفاف

لانتاج ما يسمى بالمخطط العام ولا أدل على ما نقول من أن كلية الحقوق التابعة لجامعة الجزائر لم تبدأ تدريس اللغة العربية في العام الماضي إلا في أواخر ديسمبر أي بعد مضي أربعة أشهر من السداسي الأول والقراب الامتحانات لكي يعنى الطلبة اهتماما بالغا بتعلمها . أما في هذه السنة فإن التدريس في نفس الكلية ، قد بدأ في أواخر نوفمبر . ألا يوجد هناك تقدم وتحسن ملحوظان ؟

أما الازدواجية ، فإننا تبدأ بالتساؤل عن المقصود منها والإحاح عليها من قبل البعض فإذا كان المقصود منها الإحاح ، بعجز اللغة العربية عن أداء دورها الوظيفي في جميع مجالات الحياة ، فإن النقاش في هذا التحفظ أو هذا الاهتمام السلي تجاوزته الأحداث يصبح نوعا من الفلسفة .

أما إذا كان المقصود اكتساب واثقان لغة أجنبية أخرى ، وتمكين ذوى الثقافة العربية من الانفتاح على الخارج فنحن لنا مع الازدواج فقط وإنما نحن من انصار التمدد ولذا نقرر هذا الازدواج على اللغة الفرنسية وحدها ، فإلزامي اليوم لها علاقات واسعة مع العالم أجمع ، وبهذا الاعتبار فإننا يجب أن نهتم باللغة الفرنسية فقط وإنما باللغات الأخرى الإنجليزية ، والأسبانية والرومانية والصينية الخ ... والاهتمام بهذه اللغات يجب أن يتم في مرحلة لاحقة من التعليم ولا ينبغي أن تعمل على قدم المساواة مع اللغة العربية ، ولكن لو حللنا هدف الازدواجية في إطارها المعلن ، لوجدنا أنه لا يخرج عن طريق

تكتفي بهذين المرسومين : ولم تفعل ذلك إلا لتؤكد بأن اصدار القرارات وحده لا يكفي إذا لم يكن هناك تنفيذ ، وأن التعريب ينبغي أن يكون هو محور الثورة الثقافية .

ومن الناس من يقول بأن التعريب لا يهم هذا الجيل بل هو من اختصاص الأجيال المقبلة يريدون مضادة الرأي العام ، وإيهامه بأن اللغة العربية صعبة للغاية وإن طرق تدريسها عقيمة ، وعليه يجب انتظار عشرات السنين إلى علمنا يصبح التعليم حيا لا يكلف مشقة ولا عناء . هناك من يزعم بأن اللغة القومية عاجزة عن مسايرة الركب الحضاري ، وأنها لا تصلح أن تكون لغة علم لأنها وضعت أساسا لقول الثمر لا غير .

وعلى هذا الأساس وأبنا الجامعة تتحارب لابقاء الفرنسية حتى بالنسبة للفروع التي أعلن عن تعريبها مثل علم النفس وعلم الاجتماع ، ولتوسع اللغة القومية من اقتحام بعض الفروع الأخرى مثل الرياضيات والطب . ويدعى المسؤولون عن هذه التصرفات بأنهم إنما يعملون ذلك حفاظا على الأجيال كانوا التي يحافظ على الأجيال ينبغي أن يقتلع جذورها ويعمرها حسن أساس ثقافتها .

ولنطبعة مناخية التعريب في الجامعات أنشئت جان للتتسيق أطلق عليها اسم لجان التعريب مهمتها تنسيق ومراقبة جميع العمليات المقررة في المخطط العام للتعريب داخل ككل جامعة . وبالفعل فإن هذه اللجان تؤدي دورا أساسيا

الاساسية للتورة حربا ومقاومة من قبل اعدائه ، سواء عن وعى او عن جهل . فاذا كان البعض يعارضه عن وعى فان البعض الآخر يعارضه نتيجة لتصوّر بان التعريب سوف يحرره من جميع الامتيازات .

وهذا النوع من التفكير الطبقي ناتج عن الروح الرجعية المتأصلة في نفوس هؤلاء .

وعلى هذا الاساس ترى زمرة من المتفرنسين ، ان اللغة العربية أصبحت لغة ميتة وانها لم تعد اهلا لدراسة العلوم والرياضيات وان الجزأس لو اتخذتها بالعلم وتخلت عن الفرنسية لصارت حتما الى الانهيار واللفهقر ، وانقلبت عن طريق التقدم والازدهار شأن سائر البلدان العربية التي ما زالت تعيش تحت سيطرة الحرفات واللاهوام بينما تتاولي الامم المتقدمة ارتقا. اسباب السماوات بحثا عن اكتشافات جديدة وسعيا وراء تطوّر الاحداث العلمية .

ان هؤلاء يهزؤون بمطالب التسبب معتقدين بان الجماهير نائمة لا تبصر ما يفعلون ، والا كيف يتجاهلون المؤلفات العربية التي تركها لنا ابن سينا وابن الهيثم والبيروني وجابر الحواري والرازي وابن النفيس والزهرأوى وابن يونس والصوني وابن النصوام وغيرهم في الفلك والرياضيات والفصو، والهتصة والجبر والطب والكيمياء حتي قيل ان البيروني الاول للعلوم الطبيعية انما تفجر في العصر العربي الاسلامي .

ان اللغة العربية قد اثبتت وما زالت تثبت قدرتها على التعبير العلمي وعلى نقل المصطلحات العلمية ، ولذلك يتحتم علينا ان نفتح لها ابواب

مقاسمة اللغة العربية لسيادتها في عقر دارها ، وترسيخ التبعية الثقافية التي نصبل للتخلص منها . وهذا امر في الواقع لا يقبله اى شعب حر يص على شخصيته ، فإى لغة كانت ليست مجرد وسيلة اتصال وتغاطب وانما هي الوعاء الرئيسى للشخصية الوطنية واهم عناصر مقوماتها وعلى هذا الاساس فان الموضوع ليس موضوع مفاضلة بين هذا الاسلوب او ذلك او محاولة التوفيق بين هذا المذهب او ذلك ، وانما المسألة في النهاية مسألة اختيار ثورى وكل اختيار ثورى لا يقبل انصاف الحلول . وبعد هذا كله اعقد اننى لم اعد في حاجة الى القول بان الازدواجية ليست هي التعريب ، كما ان التعريب لا يعنى ابدا القضاة على الفرنسية ولا على غيرها من اللغات الحية والتي يتحتم على الجزأرين ان يتعلموها ليتكثروا من مواكبة الركب الحضارى .

س 2 : يقال ان التعريب وضع على مستوى المتشاعر والدعاية اكثر مما هو موضوع على أساس على حقيقى ومن هنا كان الاخفاق فى محاولات التعريب ، ما رأيكم فى هذا القول .

س 3 : ما هى الاطارات التى نعمت عليها لانجاح التعريب ؟

ج : فاعتقادنا ان هذا السؤال الذى يليه يطرح قضية رئيسة ومبدئية وهي قضية العلاقة بين الاختيارات والشعارات الملغلة والوسائل المكرسة لتحقيقها والوسط او المناخ العام الذى يتم فيه تحقيق هذا الهدف .

فالتعريب باعتباره اختيارا حسن اختيارات التورة الاساسية واجه مثل غيره من الاختيارات

أن كثيرا من هذه الحصص التي تتلغز قصيد الساعمة في عمليات الشرح والتلخيص لانجاح مختلف الحملات الوطنية يجتهد اصحابها في أن تكون شروحاتهم واجاباتهم كلها بالفرنسية ، كأنهم يخاطبون جمهورا فرنسيا ، والعجيب في الامر انهم لا يستحيون لا من انفسهم ولا ممن الشعب الذي تولوا باسمه هذه المسؤوليات .

ورب من قائل ، إن الذين يشاركون في التلغوات المتلفزة هم في معظمهم من التقنيين ولا يستيعب التقنى أن يعبر عن افكاره الا بلغة اجنبية . ومثل هذا الادعاء لا يستحق منا أن نقف عنده لان اللغة العربية فئدته في جميع الأزمات ، هذا اذا صح أن اصحاب هذه التلغوات تقنيون فعلا . ولكن الحقيقة غير ذلك ، لاننا لا نرى أين تكمن التقنية في حديث موجه لشرح مجانية العلاج أو التعليق على فيلم حربي أو بوليسي في غالب الأحيان .

وهكذا ، فالتمتع ضرورة ملحة في الجزائر ، لان اللغة المصرية - هي المرأة التي تمسك الشخصية الجزائرية ونحن لا نستطيع أن نتخل عن هذه الشخصية .

ولكن التمتع لا يعني ترجمة التصوص والمطب من الفرنسية كما يحاول أو يهمل الرأي العام بعض السادة الذين يسعون في إخفاء للتيل من قيمة العربية ومن قيمة مثقفي هذه اللغة ويظهرون انفسهم للبيان كأكبر حماة لها . هؤلاء السادة الذين نجدهم ، في الغالب ، مكللين

الفروع العلمية واسعة في جامعاتنا ، ولا يمكن أن يتم ذلك الا اذا تخلصنا من مركب النقص الذي يقضي علينا كلمة اردنا أن نتال من سلفنا اللغات الأجنبية التي ما تزال تسيطر على عقول الاغلبية من اقطابنا المسؤولة . الا فليعلم هؤلاء بان علمية اللغة تضعف لمعيتنا ، وإن الانسان العالم هو الذي يخلق لغة علمية ولنا على ذلك امثلة كثيرة نستطيع اخذها من مختلف انحاء العالم .

ولقد اثبت التجربة من جهة اخرى أن تعلم اللغة العربية ليس بالعملية الصعبة اذا كان المتعلم ذا ارادة قوية ، ولقد شاهدنا بمضى الاخوات الليقي بنان دراسة العربية مع بداية الاستقلال ومن الآن معلومات يدرسن هذه اللغة للابناء الجزائريين . ولاحتلنا من خلال مختلف النشاطات السياسية اليومية أن كثيرا من كبار المسؤولين في أجهزة الدولة قد اصبحوا يتكلمون اللغة الوطنية بسهولة ، وكانوا قبل اليوم لا يجيدون حتى التعلق بها ، وما من شك أن السر في الحصول على مثل هذه النتائج الإيجابية يتطلب بالإضافة الى الادارة القوية التي اشرنا اليها من قبل تخلصنا نهائيا من مركب النقص والكمال اللذين لا يزالان مع الاسف عالقين بأذهان بعض اقطابنا ، ولينهم كانوا يعلمون أن الاعاود لا يكون كاملا ونافعا الا اذا كانت له شخصية متكاملة . وبهذا الصدد يؤسفني أن اعرض الى بعض الحصص المتلفزة ، وهي من المفروض حصص موجهة الى سواد الشعب الذي يفهم الفرنسية .

س 4 : وقعت التباينات قبياً بعض كلمة
« أصالة » الى درجة ان بعضهم ربطها بالاعراق .
وسن اعتدنا ان لا نتكلم عن الاصالة الا في نطاق
تقايي ، ما وأيكم في هذا ؟

ج : فيما يتعلق بالاصالة ، لا يمكن ان نتجاوز
التنطاق الثقافي والتنطاق التقايي بالنسبة الى
هو ذلك التنطاق الواسع الذي يشمل التعليم
والعادات والتقاليد وكل ما له صلة بانتماءات
الحياة . وفيما يخص الجزائي فان مفهوم الاصالة
لن يكون له معنى الا في إطار الثورة الثقافية
اما الذين يريدون ربط الاصالة بالاعراق فهم اما
من الذين تسيطر عليهم الروح العنصرية فصاروا
يتعاملون على التاريخ ويتحينون جميع الفرص
تخلق الاجواء الملائمة لفرس الكارهم ، واما من
الذين لا يحبون العيش في ظلال الوحدة فصاروا
يخلقون الاسباب لتسهيل التجزئة وعمليات
الانقسام التي لا تخدم عادة سوى مصالح
الاستعمار والامبريالية بجميع اشكالها ، وفي
جميع الحالات فان اصحاب الطائفتين يتولون خطراً
على مصالح الشعوب ، ومن كفة فهم مفسدون
يتحتم على السلطات الثورية ان تقف لهم بالمرصاد
وتضع حدا لمناوذتهم لانهم في العادة لا يتحركون
الا لتغطية نزعاتهم الهدامة المناهضة للثورة
وتطوؤ التاريخ الختم . وربط الاصالة
بالاعراق ، زيادة على كونه عملاً اجرامياً في
حق العدالة والاخوة يقلل من قيمة الاصالة كاساس
لبناء الشخصية الوطنية وللحفاظ عليها ، ذلك ان
التاريخ على الرغم من الوسائل العلمية الحديثة لم

يشؤون التعريب - مع شدة الاسف - يؤمنون
ايماناً جليلاً بان الترجمة كما تمارس في بلادنا
خفق وقتل للربية . . . ذلك ان ميادين الترجمة
- اذا صح ان نسميها ميادين - لا تخرج عمن
ترجمة التقارير يكتبها بعض انصاف المثقفين
بفرنسية رديئة ، او ترجمة الجريمة الرسمية
والرسائل التي يكتبها المواطنون بلغتهم القوية .
يقولون : لا نريد ان نتعجل في التعريب .
ان العمل الجدي هو العمل البطيء ، ولكن ماذا
انجزوه منذ حوالي عشر سنوات ؟

ان التعريب حركة اصيلة في الجزائر ومستقلة
عن الترجمة يجب ان يقوم بها ابناء العربية
المخلصون لها ، والتعريب لا يخص وزارة التربية
الوطنية وحدها ، بل انه عملية مشتركة ينبغي
لانجاحها ان تتوفر شروط ، اهمها : المحيط
والمباددة في العمل .

اما المحيط فلان الانسان يتأثر كثيراً بالوسط
الذي يعيش فيه ويتطبع بطيانه ، واذا كنا
نريد التعريب ارادة صادقة ، يجب ان نخلق
له الجو المناسب .

واما المباددة في العمل فلان الثاني لا يمكن
له غير القفل ولان العمل الذي يبدأ لا بد ان يتم .
وميادين التعريب ، كما قلنا ، لا تنحصر في
مؤسسات وزارة التربية والتعليم بل تمتد لها
الى مصالح البريد والبلديات والمحاكم وغيرها
من الهيئات التي لها اتصال مباشر بالجمهور
الشعبية .

فيمكن القول أننا قد انطلقنا من مركز القوة ، حيث أن التجاوب بين القيادة والجماهير قد تمتد وتوسع .

وعلى هذا الأساس نستطيع القول أننا قطعنا أشواطاً ، وذلكنا صاعداً ، وحصلنا على نتائج إيجابية قد لا تكون في مستوى طموحنا ، ولكنها مهمة إذا أخذنا بعين الاعتبار عملية التغريب والتشويه التي قام بها الاستعمار طيلة مائة وثلاثين سنة ضد العربية وأهلها .

وأما عن مستقبل التغريب وتحقيق مضمونه الكامل فهو يتطلب منا جهداً مضاعفاً وإرادة قوية وبقطة دائمة لتدليل المصائب وإحياء المرائيل ومعالجة ما تصونه بالبروقراطية تتطلب أمرين :

أولاً : المتابعة الدائمة ، فلا يكفي أن نصدر القرارات والقراسيم فقط ، وإنما لا بد من السير عليها ومراقبة تنفيذها في المراحل التطبيقية حتى يكون التنفيذ في مستوى الأهداف المنشودة وطابقاً لروح القرارات والقراسيم .

ثانياً : أن كل هدف ثوري يتطلب تقديم التضحيات اللازمة سواء أكانت هذه التضحيات مادية أو بشرية فإذا كانت التضحية المادية تتمثل في الإعداد المادي وتهيئة الوسائل والادابيات الضرورية ، فإن التضحية البشرية تعني إلى جانب الجهد الذاتي والمخلص تطوع بل وحتى التضلل من العناصر والعقليات التي تعرقل تطبيق هذا الهدف الثوري .

يمكن حتى الآن ولن يتمكن من تحديد مصائد الإنسان الأولى وقيمتها سائر التفرعات التي ينشئ عليها المجتمع البشري .

وأخيراً نكرر بأن التغريب مطلب وطني لأنه يضع حداً لذلك الاحتلال الرهيبي الذي تعرضت له شخصيتنا والذي أصبح عائقاً يمنع المجتمع الجزائري من أن يفتح نفسه طبيعياً ، وبالفعل فإن الشخص إذا كان ينتمي إلى مجموعة قومية يجهلها ، لا يستطيع الاتصال بالجماهير المكونة لمجتمعه . ولا يكون قادراً على التفاهم معها ، ولا على التعبير عن أفكاره إلا في لغة أجنبية يستعمرها من الغير . وفي هذه الحالة ، ينقص صاحبنا - لاشعورياً - بشخصية المجتمع الذي يستعمل لفته ويتطبع بلبائمه فينفضل بالتدريج عن أهله وولديه . وإن هذا الطلاق اللاإرادي يجعل الفرد المصاب بجهل لفته لا يتجاوب مع الطامح الشرعية التي يصبو إليها أبناء الشعب وتقلص طاقته الخلاقة ثم تضمحل وتزول لأنه لا يتكلم نفس اللغة التي تتفاهم بها الجماهير . يحدث ذلك في كثير من الأحيان على الرغم من هيولة الوطنية ومن شعوره واحساسه بالانتماء القومي .

س 5 : وأخيراً كيف ترون واقع التغريب الآن ومستقبله ، وعمل المصير كيفية حمل البيروقراطية على التخلص من المرائيل التي تضمها في طريق التغريب ؟

ج : إذا أخذنا بعين الاعتبار كل العوامل التي سبق ذكرها والتي تشكل حواجز وعقبات ،

بلاغ حول الملتقى الثامن للفكر الاسلامي

تعلم وزارة التعليم الاصل والتشؤون الدينية ان الملتقى الثامن للفكر الاسلامي سينعقد في بجاية بقاعة المسرح البلدي من العاشر الى الثاني عشر من ربيع الاول 1394 هـ الموافق الخامس والعشرين مارس الى الخامس من ابريل 1974 م . وسيحضره طلاب وطالبات جامعات الجزائر ، وقسنطينة ، ووهران ، وتلمسان وتلمذات السنتين السادسة والسابعة من الثانويات (الاولى والنهاية سابقا) من كل بلد كان ، وسيسمح لغير الطلبة من الجزائر وغيرها ممن هم في المستوى المذكور بالمشاركة في الملتقى حسب الاماكن الشاغرة .

وستتلقى الى الملتقى شخصيات جامعية ورجال بحث من الجزائر وغيرها من انحاء العالم الاسلامي وبلدان اخرى لالقاء المحاضرات ، وعقد الندوات ، والمناقشة فيما بينهم بحضور الطلبة ومشاركتهم .

ونظام الملتقى هو النظام الداخلي ، ويمكن السماح بالنظام الخارجي لمن يطلبه . هذا وتحمل الوزارة ، في اطار الملتقى ، نفقات الاقامة والتنقل داخل التراب الوطني ، وبالنسبة للطلبة الاتيين من اوربا فستحمل الوزارة نفقات سفرهم ذهابا وايابا من مرسيليا واليهما او احد هوانى البحر الابيض المتوسط .

وسيتطلب من المشاركين اسهام دعوى قدره خمسون دينارا جزائريا ، وعلى منه الطلبة الاتون من خارج الجزائر ، جزائريين كانوا او غيرهم .

وترسل طلبات المشاركة الى ادارة البحوث الاسلامية ، نيابة الملتقيات ، ووزارة التعليم الاصل والتشؤون الدينية . نهج تيفاد حيمرة ، الجزائر ، مع ذكر كلمة « الملتقى » على زاوية الغلاف .

وعلى كل مترشح ان يبعث مع طلبه شهادة دراسية وشهادة طبية . وآخر اجل لقبول طلبات المشاركة هو السابع من محرم 1394 هـ الموافق

31 يناير 1974 م .

هذا وسيكون جدول الاعمال كالآتي :

(1) - وضع الاقليات والمجاليات عموما والاسلامية خصوصا في كثير من بلدان القارات الخمس ، وواجب العلماء والمفكرين ، ورجال الاعلام نحوها .

(2) - دور الفكر اليوم وعلى مر العصور في امته وتجاه الانسانية في كل من قضايا الساعة وافاق المستقبل .

(3) - مساهمة بجاية الحمادية في الحضارة والفكر الاسلاميين والعالميين واسباب وآثار انحطاطهما .

(4) - مساهمة الحضارة والفكر الاسلاميين في مختلف مجالات العلوم ، والثقوف، والتراث الانساني على العموم ، عوامل ازدهارهما - اسباب انحطاطهما وشروط انتعاشهما .

(5) - الاسالة والتفتح - ما متاهما ؟ وما معنى أهمية هذا الجمع اليوم بالنسبة للانفراد والام ولصير الانسانية كلها ؟

اللغة والشخصية في حياة الإمام

سأحاول أن أتكلم عن الصلة بين اللغة والشخصية من جهة ، وصلتهما بما يستمر في حياة أمة من الأمم ، من جهة أخرى ، مع التركيز في النهاية على الجزائر .

وسأكون مهبطاً وسهلاً جداً في بعض الأمثلة ، وعابراً سبيل ، سريعاً ، بالنسبة لأخرى ، ولعل ما أبدأ به تجربة مرت بها أمة في القرن الماضي ، أو أوشكت أن تمر بها ، في نظر أحد فلاسفتها ، وسائق طويلاً لدى هذه التجربة نظراً للصور الديناميكية الأساس الفعالة والمباشرة التي لعبت فيها شخصية أمة ، ونظراً لانطباق آراء هذه الشخصية على أمة من الأمم في جزء كبير من هذه الآراء التي كانت يغاطنا بها ، والتي لا تزال لها صلاحيتها وصحتها حتى اليوم .

مؤلف تأسس
وزير التعليم العالي والبحث العلمي

محاضرة ألقيت في 24 مايو 1998 في قاعة المحاضرات الجامعية بدعوة من وزارة التربية الوطنية . وتحدثت في كل من التسبب والعلل بالفرنسية ثم في « اللغة » . وتعيد لفرحة في هذا الإرث الخاص بالتسبب ، لا فيها من المقارنات مع الانشراح في بعض التسبب والدول الأخرى قديماً وحديثاً ، ولا تسبب في تصحيح بعض المفاهيم حول اللغة « الإمالة » .

لم يكن يتصور أن يكون هناك لمانى متدين ولا يحب وطنه ولعنه ، كما أنه لا يتصوره محبا لثقته دون وطنه ودينه ، ولا محبا لوطنه دون دينه ولفقته .

(x) - فيقول عن المنصر الدينى :

« أن قومية الشعب على التماسك بالمدن والاخلاق هي أساس كل حكومة ، وكل الحكومة أن تؤسس معها دائما لهذه التربية الدينية ، وهذا المهد جزء لا يتجزأ من مؤسسات كل دولة حكيمة طيلة دوامها » .

« وأن قس النولة (أى الألمانية) بأنها في استطاعتها تفسير الشعب بلون هذه التربية الدينية والاخلاقية ، وتناولها في هذه المسألة هما اللذان أديا بها الى الحالة التي تتخبط فيها اليوم ! » .

ويضيف فيخته :

« على أن هذه التربية المدنية والاخلاقية لا ينبغي أن يكون هدفها العالم السماوى غير الحسى فحسب ، إذ أن الحياة ارضية وسماوية ، والذي لا يؤمن بالحياة الارضية يصير الى السزوال السريع » .

« أن اللهم الحقيقى للأشياء هو أن الحياة الارضية حياة حقيقية جميلة ، علينا أن نجعلها وتنمى بها حتى شاكين ، في ظل احترام الدين والاخلاق ، وفي انتظار الحياة السماوية التي هي أعلى منها » .

تلك الامة هي ألمانيا ، وهذه الشخصية الفنية هو أحد فلاسفتها العظام ، أحد الفلاسفة العظام على الإطلاق في سائر العصور ، الذين كانوا يطغون في أثنائ التجريد المحض والثالية الخالصة العليا ، ومع ذلك لم يفقدوا الاتصال بالمحسوس والملموس ، ولم يكتفوا بالحديث عن جنس الملائكة وخلود الروح ، بل اهتموا أيضا وبالدرجة الأولى بالقضايا الوطنية والانسانية اليسومية ، بالأم الشعب ومصير الامة كامة ، فوضعوا طاقاتهم ، كل طاقاتهم في خدمة أمتهم وانقاذها ، وضمان خلودها ، وأقصد بهذه الشخصية الفنية المتأخرة يوهان غو تليب فيخته J. G. Fichte ، استاذ الفلسفة بجامعة برلين ، الذى صارع نابليون ، ومات شهيد الحربة والدفاع عن أمته ، وشخصيتها ، ولفتها ، هذه اللغة التي لم يكن يتصور أمته يدونها ، والتي كان يرى فيها المنصر الأساسى لشخصية كل أمة تسمى نفسها أمة ، وتستحق أن تسمى كذلك . وتريد لنفسها الكرامة والخلود ! .

يرى فيخته ، صاحب فلسفة الانية أو الذاتية (وكلمة الانية هذه لابن سينا) ، أن وجود أمة من الأمم بوجود انيتها التي هي شخصيتها ، وأن هذه الشخصية تتكون من عناصر ثلاثة : الدين واللفة وحس الوطن .

رستعرض لكل نقطة من هذه النقاط على حدة على أنها في غاية التداخل عند فيخته ، وذلك أنه لم يكن يتصور عنصرا من العناصر الثلاثة بدون الآخرى ، بل متشابكة متكاملة عنده بحيث أنه

هناك جاليات وعدنا كاملة يستكملون بلغتهم ، ويحيون حياتهم ، ويحافظون على تقاليدهم ، بقوا لنا ونم قبل التراب ، أي رغم حياتهم في بلاد غير بلادهم الاصلية. اما الالمان الذين كثر تغلب عليهم المحتل الاجنبي وانساهم لغتهم فهم لسن يعودوا لنا رغم انهم يقولوا في ألمانيا »

ولنا يرى فيخته أن الالم ان يحافظتهم عسل اصلتهم ، أي لغتهم الاصلية التي هميت متعلقة بجنورها ، امة ، بينما الشعوب الجرمانية الاخرى التي هي من اصل واحد والشعب الالماني ، ولكنها تخلت عن اللغة الاصلية او حلتها بلغات اخرى ليست الا قبائل ، جرمانية حقا ، كالامة الالمانية ، ولكنها تبقي قبائل واشتاتا وليست امة متلا !

« ان اللغة هي التي تكون الانسان ، وليس العكس ، وهي التي تؤلف فيه ، وليس العكس » فهي صدى روح الامة ، وتؤثر في التصورات وتصيب عليها معاني والوانا ، وتمسك عليها اشارة او تلالا خاصة بها هي التي تجعل الانسان من هو. وليست مجرد اداة يعبر بها الانسان عن نفسه ، بل هي ، أي اللغة ، الطبيعة الانسانية التي تبرز منه في شكل اصوات خاصة معينة لا يمكن أن تكون غيرها ، وهذه الاصوات الخاصة التي هي صدى الروح بما تجعله من شحنات عاطفية وتصورات ومغاهيم وذكريات مشتركة يتلهم الانسان بها مع من يشاركونه نفس التصورات ، ونفس المفاهيم ، والطابع ، والتقاليد ، والمعادن ، والذكريات ، أي مواقبعه ، ولو كانوا ولدا في قارات اخرى غير قارته !

« على أنه اذا كانت في الدين تمزية للعبيد المستعبدين عن عبيدتهم ، فان الروح الدينية في الواقع هي التي ينبغي أن تحت هؤلاء العبيد على رفض عبيدتهم تلك ، وعلى تحرير انفسهم » ويجب علينا أن نعمل كل ما نستطيع ضد استغلال الدين وامتهانه ، في دركة (أي عكس درجة) جملة تمزية وسلوى للعبيد ! »

« ان الثقافة يميلون طبعيا الى امتنان الدين واستعماله كمخدر لحرمان ضحاياهم من الحياة الارضية ، بل يدعى ان هناك حياة مساوية تنتظرهم ولكن علينا الا نقبل من الثقافة هذا الامتنان للدين ، كما ان علينا أن نمنعهم من تحويل الأرض الى جهنم ، ليشوقونا اكثر الى الحياة السماوية »

« ثم ينتقل فيخته الى الكلام عن عنصر اللغة ويؤكد عليه كل التأكيد ويجمله المحور الذي يدور حوله كل ندائه الى امة الالمانية ، إذ ان اللغة الاصلية في نظره هي رمز وجود الامة ، وبقدر اصالة اللغة والحفاظ على اللغة الاصلية او فقائها تكون المجموعة البشرية لمة وشعبا اصيلا او مجرد اشتات خصب »

وعكنا يفرق فيخته بين الالمان الذين هم في نظره شعب اصل اصلي ، وامة ، والشعوب الجرمانية الاخرى التي نغرت عن الالمان واتخلت لغات اخرى ،

ويرى انه الى عنصر اللغة يسم عنصر التراب ، الارض ، ولكن المحافظة على اللغة اهم في نظره ، « إذ ان اللغة او المحافظة على الاصل تؤثر على التراب ، أي الوطن الجديد ، فالالماني الذين هاجروا الى امريكا وكونوا

« بل وأبعد من هذا : أن الشعب لتأثر بلغة أجنبية يتطلع بطور شعور حتى الشكائم الوجهة إليه » ويتبنّاها « ويوجهها إلى نفسه » رغم أنها شذوذة « وعند ما يفرق من ذلك فكل ما يبقى له هو محاولة التجرد من نفسه « وتقبس شخصية الامة القالبة ماديا او روحيا او كليهما معا » حتى يتم انمواجه فيها كنية ولا تطبق عليه كلمات التحقير المخصصة لبنى لومه ».

« ولأن اليونان غرسوا في الرومان مركب النقص وسوهم المتوحشين حاول الرومان طاعة جهنم تقليد اليونان في كل شيء ليتخلصوا من جلبابهم ويصبحوا يونانا « ولا تطبق عليهم صفة المتوحشين ».

« وكذلك لأن الرومان وصلوا الإلآن بهدا التعت بلل هؤلاء الطغرىون كل ما استطاعوا من جهد لتقليد الرومان والانمجاخ فيهم « وذهب بهم مركب النقص « والتأثر بالرومان « والتعلق بهم « والحرص على التشبه بهم إلى حد القضاء جميع الكلمات التي يبدو عليها طابع الاصابة الجرمانية ليحلوا محلها كلمات لاتينية « لأن هذه الأخيرة في نظرهم مثال النبيل والافاقه ورمز التفخافه الرفيعة ! وحتى عند ما بقيت هناك كلمات اللاتينية بجانب كلمات لاتينية بنفس المعنى كان اجدادنا الجرمان اولئك يستعملون الكلمات اللاتينية طمعا « ويلبسونها على اللاتانية الستى كانت في نظرهم يحكم انمواجههم ومركب النقص لديهم رمز التلخر والبدائية والهمجية !

« فهي تلك الطبيعة الانسانية « هي الطبيعة الوطنية المشتركة التي تبرز في شكل اصوات « هي الالفاظ « هي اللغة « انها التي تكون الخلية « وتنبع الانسان بطابعها « وتشكله بشكلها « وتؤثر فيه التأثير العميق الذي يجعل منه انسانا آخر « بمميزات الخاصة به ! »

« انها تلك القوة الطبيعية العارمة التي تتغنى تلقائيا « وتؤثر في الانسان والحيطة تأثيرا مباشرا « فالا « بما تشعنه من طاقة كاملة « وقوة ديناميكية فياضة تدفع إلى الامام !

« انها ذلك السيل المتواصل لا يمحسى السيلان الدائم الديمقرطى « إلى التغير « بل بمعنى الدوام والاستمرار والاستمرار !

« أن الذي ينفذ لفته يمزق الخيط الذي يصله بالاجساد « وينفذ معها حلقات ماضيه « ويشمر بقوة عميقة حقيقية في تطوره « ينقطع عن أصله « كجلود سخر انفصل عن الصخرة الام « وحط السيل من عل « فجرفه وقذف به بعيدا إلى اعماق النويان « والاصحاء « والوجود « « لأن اللغفة الاصلية الاصلية هي الحياة « والتي تلمد بالحياة « ولأن الامم المغلوبة التي تفقد لغتها تنمى وتلدوب في جنى اللغة الغالبة !

« أن اللغة تؤثر في الشعب لتكلم بها تألخرا لا حدة له « يمتد إلى تفكيره « وارادته « وعواطفه « وتصوراته « وإلى اعماق اعماله « وأن جميع تصرفاته تصبح مشروطة بهذا التأثير « ومتكيفة به ».

وقد نضح المستشرق الجري المعروف عبيد
الكريم جرمانوس المسلم هذه المؤامرة من
الخارج وهذه البلامة في الداخل بقوله ان هؤلاء
العرب (الشرقيين) جهلة يريدون ان يفسدوا
اتاتورك ، وهم جهلة لا يتطور للغات فحسب ، بل
ويتأرجح لغتهم وعبرتها ايضا .

ونفلق الفوس الآن لنعود الى فيخته الذي يتكلم
عن شعبه فيقول :

« وان هذا المرض ، مرض التفاهت على كل
ما هو من الخارج لدى طائفة من مواطنينا هو اصل
جميع مصائبنا ، وسبب الهوة التي تزداد اتساعا
بين هذه الطبقة المترطبة بلغة الاجانب ، والمتباهية
بزيهم في الملابس ، والمقلدة لهم في الاخلاق ،
وعامة الشعب المتمسك باخلاق البلاد ، ولحافظ
على لفته التي هي قوته الطبيعية ، والقوامسة
لأصالة واستمرار شخصيته ووجوده ؟

وبضى فيخته فيقول .

« والبولة التي تفرض على الشعب التجنيس
الاجباري لرد الفزو الماقى ، مع احترام حقوق
الفرد وحتى في الظروف العادية ، لا يحق لها
فقط ، بل يجب عليها ان تفرض عليه ايضا
التربية الصحيحة لتحصينه من الفزو السروحي ،
وتضمن له الاستمرار والخلود ، وكل تربية
صحيحة سليمة لا يمكن ان تقوم الا على اساس
اللغة القوية الاصلية التي هي القوة الطبيعية
الاولى للامة !

« مساكين اولئك المنحمجون الهاديون من
اصلهم ، اللاجئون الى اعدائهم ! وهذا مرض عميق
في نفوسنا ، نحن الالان ، حتى جاء هارتين لوتر
فاحيا الالانية من جديد ، وبعث فيها النشاط
والقوة ، وادرج لها مكانتها واصالتها !

« ان لغة الامة من الامم هي قوتها الطبيعية ،
كما ذكرنا ، وعليها ان تستنفذ كل ما في حبله
اللغة من امكانيات ومكناات وقوة طبيعية للتعبير
عن نفسها ، مع تنسيق الالفاظ واختيار المعاني ،
بحيث تصبح كلا متناسقا متسجما انسجاما
منطقيا ، ودالذلة واضحة تامة .

« اما تلك الطبقة التي تتسائل في لغتها او
تريد تبسيطها ، وتوخي السهولة ، وتتجاشى
الالفاظ الصحيحة الثلق ، فهي لا حق لها اطلاقا
في المشاركة معنا في هذا الموضوع ، اذ ان هذه
الطبقة نفسها هي التي تنباهي بكل ما هو اجنبى
عنا من لغة ، وعادات ، ولباس ، وترى فيه التبل
كلى التبل ! »

(وما نضع الفوس لذكر بمحاولة فاشلة
في المشرق العربي كانت تدعو - تحت تأميم
الاستعمار - الى استبدال الحروف اللاتينية
بالعربية ، اى ترك العربية لغائفة اللاتينية في
الكتابة العربية ، بدعى التسييط والتسهيل !
ومحاولة اخرى لا تزال تظهر من حين لآخر
حتى الآن في المشرق العربي ايضا وهي الدعوة
الى اللغة العامية ، اى اللهجة المحلية لكل قطر
من الاقطار العربية .

ثم يتساءل فيخته من هو الوطني ؟

ويجيب :

« أن الوطني هو الذي يعمل على تحقيق هدف الإنسانية قبل كل شيء في اهته التي هو عضو منها » أن الوطن خالده ، هذا الوطن الأفاضى الحسى الذى نحن فيه ، وأن الذى لا يحب وطنه ليس له وطن ، وأنى لأرى كل الرقاء أن لا وطن له !

« أن الذى يريد اختلوه لنفسه لا بد أن يريعه لوطنه ، وأن الوطن خالده ، وأحب لا يتعلق إلا بالخالديات ، والذى يريد هذا الخلود لوطنه إرادة حقة يدركه لا محالة !

« انظر فقط الى مثل الرومان وتبجيدهم لروما ، لانهم كانوا يرون فيها الخلود » لها ، ولانفسهم من خلالها ، ولكل ما تمثل من قيم في نظرهم ! وقد تحقق لهم ذلك ! فكل ما في روما حقيقة خالده لانها إرادة شعب كامل أراد لها ذلك الخلود !

« ونحن الألمان ، كيف كما صنع تحت حكم الرومان الذين كانوا يزحفون علينا لاحتلال أرضنا ، ومحو لغتنا ، والقضاء على ثقافتنا ، ولولا حب الوطن هذا ، ولولا رغبة الخلود لدى أسلافنا ، ولولا كفاحهم الطويل المرير ؟

« لقد حاول الرومان أن يذوقوا علينا مصهم كلها ، التي كانت تتمثل في الإلتعاب ، وفسي ثقافتهم ، ولتهم ، وعاداتهم ، مع المبودية ، لتمويسنا بذلك كله عن حريتنا ، وثقافتنا ، ولغتنا ، وعاداتنا »

« ولأن ضمان استمرار الأمة متوقف كسل التوقف على علم التربية ، نرى أن حل مشكلة التربية شرط أساسى لحل جميع المشاكل الأخرى ، وأن الأمة التي تحقق التربية المثل هي الوحيدة التي تستطيع أن تحقق الدولة المثل !

« وفي هذا السياق نتحدث علينا كتابة تاريخ أمتنا ، تاريخ يلهب ويحس ، ويدفع بنا السى الامام ، تاريخ يكون لدينا مثل الانجيل ، ويقرا بنفس الحب والتفهدس والاحلال ، تمجيدها للجداد ، وحننا لأفسنا على اقضاء انهم ، لنكون جديرين بالانتماء اليهم ، ولنترك شيئا للجبال الخفية ، لاستمرار شخصيتنا !

« أن هذا الفسخ والمسخ لروحنا ، وأن هذا المحو لشخصيتنا وانيتنا ، وأن علم التربية العقلية والعاطفية للأجنبي ، وهذا الانسلاخ عن الشعب ، كل هذا يؤدي الى حب التقليد للأجانب ، وترك الشعب بعيدا ، بل يؤدي حتى الى خيائته وغدره ، وصراخ في وجهه اذا ما نادى للرجوع الى أصله واحترام أصالته !

« وهذه التبعية نصدما أحيانا تغتفى ، وتستسر ، وترتدى اردية مختلفة تتفحق بها ، ولكنها تفكششف في النهاية ، مهما كان مبرؤها عميكا ! »

3 - وعن المنصر الثالث للشخصية وحياتة الأمة ، وهو حب الوطن ، يقول فيخته :

« فكما أن الدين هو المنصر الدائم لحياتنا الروحية العليا كحياة روحية بمعنى الكلمة ، فإن حب الوطن هو المنصر الدائم والاساسى لحياتنا المدنية كمواطنين »

« أن الأشياء بأسبابها » ونحن نعرف الأسباب التي أدت بنا إلى ما نحن عليه الآن ، وهو الإهمال والكهولون . ولكن هذا الإهمال كان في الماضي ، ولنترك الماضي ماضيا لانه خارج طاقنا » .

« وإذا كان الحاضر أيضا ليس في وسعنا لانه نتيجة لذلك الماضي » فإن المستقبل بإيدينا ، وعلينا ابتداء من اليوم أن نعد انفسنا لمستقبل جدير بنا وباعتنا ، وكل من تتجاوز اهتماماته البحث عن الحيز فقط مطالب بأن يساهم في هذا التجديد لاعداد المستقبل، ولكن المسؤولين والاولون في الدولة ومساعدوهم ومستشاروهم على رأس العاملين لهذا المستقبل حتى نرى في حياتنا ذلك اليوم الذي يعنى فيه المار الذي اتفق بالاسم الاكثي وبالمانيا معوا نهائيا وإلى الابد ! »

« أن التربية فقط هي التي تستطيع أن تقللنا من هذه الهيجية الانحلالية الزاحفة علينا ، ولذا يتحتم على جميع الإكأن الذين يتمتعون بمعرفة الاثانية وليس فقط بالجنسية الاثانية أن يعملوا من أجل هذا الهدف الوطني المشترك بين جميع الدول والولايات الاثانية اللفة ! »

« أن هذه التربية ينبغي طبعاً أن تكون باللفة الاثانية ، والمعلمون ينبغي أن يعملوا بالاثانية ، والكتب الدراسية تكون بالاثانية وذلك انى لا تصور كيف يكون الامر غير ذلك ! انى لا تصور أن تكون هذه التربية بلغة أخرى غير الاثانية ، انى لا تصور أن يعلم المعلمون وتؤلف الكتب الدراسية بلغة أخرى غير اللفة الاثانية ، ايسة كانت هذه اللفة ! »

« ولكن اسلافنا اعتبروا جميع تلك النعم لقما ، وقاموا ، وتشبثوا بلغتهم ، وثقافتهم ، وعاداتهم ، وحياتهم ، وبفضل كفاحهم ورغبتهم في الخلود بقينا من نحن . أى الإكأن إلى الابد ، ولاسلافنا أولئك تدين أيضا حتى تلك القبايل والقصوب الجرمانية الاخرى التي لم يسعها الرومان الوجود »

« وعلينا يقع اليوم عبء ومسؤولية العمل على إزالة شبح العبودية الجديدة في شكل الرومان ، الجدد ، الذين يريدون أن يمحوا كياننا ! »

« علينا أن ندافع عن ثقافتنا ، وأسلافنا ، ولفتنا ، حتى تبقى دائما المانا ونضمن الخلود لانفسنا وأبنائنا ، واحاد اسفادنا إلى ابد الآبدين ولتبقى من نحن ، بجميع مقوماتنا وعناصر كياننا ، أى أن تبقى المانا ! »

أولاً ستطلب في النهاية ، لأن النصر ليس للقوة المادية ، ولا لكثرة الاسلحة وتنوعها ، بل للقوة الروحية ، للعزم وإرادة الخلود ! »

وبعض فيجته يقول :

« أرجو - وربما أخطأت في هذا الرجاء ولكن بسأ انى لا أريد أن أبقي حيا بعد اليوم الا من أجل هذا الرجاء ، لا أريد الا أن أتمسك به ، وهو - أن أفتح بضع الإكأن إلى التربية وحدها هي التي ستخرجنا من هذا المأزق ، وتقللنا من جميع هذه المصائب التي بليتنا بها ، وليضحك كل من تساوره نفسه بالضحك من هذا الامل ، وليسفر بى أن شاء ! »

وعند الحكاية كان يمكن أن تحدث طبعاً في أية بلاد مغربية أخرى ، بل وشرقية أيضاً .

ولذا نتمسك هنا ولا نفهم : لماذا لا تزال الجامعات الشرقية - عدا الجامعة السورية - تدرس باللغة الصامية والانجليزية ؟ الى متى تبقى الجامعات الشرقية - عدا الجامعة السورية - تدرس بالانجليزية والجامعات المغربية بالفرنسية ؟ كيف يمكن لهذه اللغة العربية أن تحتل مكانتها بين اللغات العالمية الحية الكبرى ؟

فيما تعلم تدرس الجامعة السورية - وهي الوحيدة - جميع المواد بالعربية | حل المستوى فيها أقل مما هو في أخواتها في بقية العالم العربي ؟ ولنلق التوس لنعود الى فيخته الذي يقول بالحرف :

« ان الموقف خطير ، واني لا امزح ، ولست هنا لاحكي لكم البكتنة الاخيرة ، هذه المادة البكتنة التي بدأت تنفخ لدينا ! وذلك ان الامة الانلانية امة مهددة في كيانها وانيتها الميزة لها عن الغراء »
« ان اللغة تسرع جنباً الى جنب مع الاستقلال ، فلنشعب الذي يفقد الاستقلال ، يفقد لفته بصوت آلية وحتى اذا لم يلقها ، فلا يمكن أن يكون لها ادب ، وذلك انه اي ادب يمكن أن يكون لشعب فقد استقلاله السياسي ؟ »

« كما ان الذي يفقد لفته ينتهي به الامر الى اللوبان » كما ذكرناه آنفاً ، وذلك ان اللقطة هي القوة الطبيعية الاولى لامة ما ، فهي صمد روحها واصالتها ، وهي لسان شخصيتها والحافظة

« ان هذه التربة يجب ان تكون وعنتية بمعنى الكلمة لا مواد اجنبية مترجمة ، بل باللغة الانلانية ، تتلف من ينائها ، وتستمد قوتها من حيسة هذه اللغة ، التي سميناها القوة الطبيعية للامة »

« اني ادعو الدول الانلانية الى التسابق في هذا المجال ، وان الفضل سيكون للتي ستأخذ المبادرة وستتلوها جميع الدولات الانلانية الاخرى ، معترفة لها بالجليل والتقدير والاحترام ، وشاكرة لها قصب السبق كأكبر محسن الى الامة كلها »
وعنا ننتج التوس لنقول ان هذا النداء كان يمكن ان يوجه أيضاً الى العالم العربي في جبلته ليحيي العربية الفصحى ويعصمها اذا كاد يبرد لها ان تكون لغة دولية حية :

يعني الكاتب المصري عفيفي في كتابه «تاريخ المستشرقين» ان مستشرقاً للانيا كبيراً - وافته فيما اذكر في تاج او ليتمان - في احلى زياراته للمغرب الشقيق خرج مرة الى الاديانية ليتفحص ، ولا اراد في النساء ان يعود الى المدينة اخذ يبحث عن سيادة ايجار ، ولا لم يجد عاد يبحث عن حمار ويقول : « فود ان استاجر حماراً » « بسوى ان اكرى حماراً اعود به الى المدينة » ، الخ ، وحاول بجميع الصيغ الممكنة ليعبر عن رغيبته فلم يفهم احد ، ثم عاد واجلا الى المدينة ولم يصل الا في وقت متأخر من الليل عند مستفيله المغربي ،
ولا احكي قصته وسبب تأخره قال له صديقه المغربي :

« طبعاً لا يمكن ان يفهمك احد ان تكلمت بالفصحى ، فكان ينبغي ان تقول : نجب داب ! »

ولما عاد المستشرق الانلاني الى بلاده كتب يقول « يا حبرته على عمر قصيته في تعلم لغة لم توصلني في النهاية حتى الى ركوب حمار » -

« أن هؤلاء المساكين لا يعرفون معنى العطسة والمبقرة ! » *

وفيلسوفنا هنا يقصد مواطنه الشاعر عمرته والمالم هومبولت والفيلسوف هيجل الذين حللوا بنابليون الذي غزا بلادهم واحتلها، وحبوا به في ويرعهم مهنتين صجيين بما يتسبونه له من روح عالية سامية ، يجرون اليه ويطلبون مقابلته في الوقت الذي كان هناك آخرون مثل ليخته وشيلر وبيتهوفن يرفضون كل اتصال به ويكرسون كل طاقته ، كل في ميدانه ، للتنديد به والسخط عليه ونداء الشعب الإلاني الى ازالة ذلك الكابوس عن نفسه ، وطرد المعتدي من بلادهم *

وعندما كتبت اليه زوجته وهو بعيد عن برلين تخبره بمقابلة هومبولت لنايليون ، اجابها فيخته : « اني لن يحصل لي ابدا مثل هذا الشرف المخزى ! » *

ويضي فيخته فيقول لهؤلاء المتعلمين : كما يسبيهم : « لا ، ايها الابان ، ايها المواطنين ، لا نسمح لكم بهذا الهراء ، ولا تترككم تدمنون لغتنا الى هذا الحد بتملغكم هذا وهي التي خلقت للتعبير عن الحقيقة ! » *

ويختتم فيخته ندائه هذا الى أمته بقوله :

« أينما الامة ، ايها الابان ، استمروا في نومكم وتهاونكم ، حتى تفقدوا جنسيتمكم ولغتمكم ، وأن أبناءكم هم الذين ميذلون تمّن تهاونكم هذا ! أفقدوا أعز ما يملكه الانسان ، الحق ، وذوبوا في غيركم ! » *

لترانها ، والفضامة لاستمرادها السروحي ، والرابطة بين اجيالها الى آخر الايام ! » *

« ان العبد ياخذ لغة سيده ، الا ترى الان اديبه لنا وقد بدأوا يتسابقون الى الكتابة بلغة المحتل ، للمدح والتعلق والتقرب ؟ ماذا سيكون المصير بعد جيل او جيلين او ثلاثة ؟ » *

« ان التاريخ يعلمنا انه كلما وجدت امة من الامم الا وكانت لها لغتها الخاصة ، وإن فقدتها لهذه اللغة يؤدي بها لا محالة الى فقدان وعيها وانيتها وذايتها ، لان المحتل يحرس دائما على فصل شعباها عن ماضيهم بقطع وسيلة الاتصال التي هي سلفى اسلافهم ، والقوة الطبيعية المحبة لامتهم ، إذ ان اللغة المكتوبة هي الاسمت التي يضمن تماسك الوحدة الوطنية ، وهي العروة الوثقى التي تربط بين الاحياء ، وتصل بالاموات ، ويكتب بها سجل الامم ! » *

« ان شخصية امة من الامم ليست شيئا اصطفايا فانويا ، بل هي شجرة تغرب بجلوها في اعناق تلك الامة ، وان غطية امة من الامم ليست في الماهر المايرة ، وعبقرية الرجال لا تقاس بالتماثيل التي تقام لهم ، ولا بالصفيق والهلثاف اللذين يقاتلون بهما ، ولا هي في الانقلاب التي يسعونها على انفسهم ، وانما تقاس بالاعمال التي يقومون بها وتمثل في راحة ضميرهم ، وحكم الاجيال وسجل التاريخ ! » *

« ولذا لا أهم هؤلاء الذين يتلغون هذا المبقرى العظيم الذي يرسن ان يستندوا اليه مهمة العالم وتسيير الشؤون الدولية ! » *

الى البست مهرولا لوجد زوجته في حالة سيئة وقد
تفاقم مرضها. فاخذته الشفقة عليها واقترب منها
كثيرا يسألها عن حالها ، فاصابته العدوى ومرض
بدوره ١

وعند ما قدم له ابنه دوا قال له فيخته والفا:
« دح ، كفي ، انى انتهيت » وعات في سبيسل
مبادلته ووطته بعد ان تحررت بلاده بايام قليلة ،
وذلك في 27 من يناير 1814 ، هرتاج القميسر ،
هادى البال ، واضيا عن نفسه ، ولا يزال يعتبر
حتى اليوم كأكبر انصار الحرية من بين اللاسلطة
الآن ، الى جانب استاذة كند ، وصديقه شيلور ،
وصديق الجميع : الموسيقي الثاني الخالد : لودفيغ
فان بيتهوفن ، الذى ظل يؤمّر باقواله ، ويرعد
بالحانه ، ويعرك المزائم والهيم ، انتصارا لبلاده
ولقضية الحرية ككل ١

ايها السادسة

قد يقول البعض ان هذا الحماس كله من طرف
فيخته حماس مؤقت بالظروف التى صاحبت بالانثيا
اذ قاله ، وان هذا لم يعد ينطبق على عصرنا هذا ،
عصر تشابك المصالح والمجتمعات الدولية الكبرى
والتقدم الصناعى ، الذى لم تمده فيه اللثة محملة
بتلك الشحنة من المواطف والانفعالات ، وان
المهم هو هذا التقدم الصناعى ، بآية فقة كانت ،
اذ ان اللثة ليست الا أداة لا غاية في ذاتها .

وهنا أقول لا ! : واحدت الادلة والتجارب
كفى بفضي الامم عديدة لتأكيد صحة ما نقول .

« لا ، ايها المواطنون ، بل قوموا وادافعوا عن
بلادكم وشخصيتكم ولنتكم ، وتروا ان اصوات
الاجداد الذين طردوا الرومان من هذه الربوع ،
وحرروا هذه الجبال والسهول والانهار تمتزج
الآن ، في هذه اللحظة ، بنداىي هذا اليكم لتحتكم
على اتقاذ اصالتكم ولنتكم ، واسترجاع حريتكم ،
والا تلحقوا بهم المار والشنار » .

« قوموا ، ان حمير الانسانية كلها مرتبط بك
ومتوقف على مصيركم ، واذا غرقتم فستغرقون
الانسانية كلها ! » .

« هل تعرفون شيئا ادهى من الموت ؟ انسه
ينتظرنا على كل حال ، فمننا ام لم نتم . وقدضعت
شعوب بعيانها لمسائل اقل اهمية بكثير من
قضيتنا . وحل هناك قضية اهم من هذه ؟ » .

« هذا ما اردت ان اقله لكم ، واؤكد ، وكان
واجبا على ان اقله واؤكد » .

وبهذا حتم نداهه الى امته وذهب ليتطوع في
الجيش وتبعه اغلب تلامذته من جامعة برلين ، كما
تبعته زوجته ، ولكنه لم يغبل في الجيش ، ووجه
الى الجامعة يحاضر ، ويوجه ندواته وينتقل من
جامعة الى اخرى ، ثم اعاد الكرة ومرض مسن
جديد ، ولكن زوجته قبلت كمرضة في احد
مراكز الجرحى ومرض الاصاب من الجيش فسي
برلين ، فاصيبت بعدوى ومرضت ، وتعرض الصاية
يها طل فيخته يحاضر ويوجه ندواته في جامعة
برلين ، ليسكت بصوته طويل تايليون ومزاميره
وهي تضح حول الجامعة ، وفي احدى المرات قفل

سلسلة مقالات دائمة تصدر منذ سنوات بانتظام تحت حذاء الشمس ، ان مجلسا دوليا للغة الفرنسية قد تكون وتنضم اليه اغلب البلدان التي تدعى او تدعو نفسها بالفرنكوفونية . وان هذا المجلس الدولي بدأ عمله وبصفة رسمية في قصر فرساي في اكتوبر من العام نفسه ، وان هذا المجلس الاعلى للغة الفرنسية سيصدر انقائوس العالمى للغة الفرنسية يشارك في تحريره علماء من جميع تلك البلاد ، واخيرا ان دارا للغة الفرنسية ، وهي مقر هذا المجلس ، ستعشن قريبا في باريس .

وفي اسرائيل ما هو الوضع ، وكيف حلت خثالة البشرية مشكلة اللغة فليطها الزوكش ؟ لتستجع الى ما نشرته جريدة لوموند بتاريخ 15 يونيه 1965 ، لقد نشرت مقالا لتوكلاي بوديسه يلخص فيه فصلا من كتاب كان ينوي اصداؤه عن اسرائيل ، وهذا الفصل يلخص جهود اليهود ثم اسرائيل لاحياء لغة ميتة - كما تقول الجريدة نفسها في مقدمتها لهذا المقال - وهذه اللغة الميتة هي كما تعلمون العبرية !

يقول مؤلف الكتاب : « انه اذا كان الدين في اسرائيل من الشؤون الخاصة لكل فرد ، فان التوتاة ملك مشترك بين جميع اللواتين ، بل هي مستور هلم التوتاة اللاديشية . وجاء في اصلاان استقلال اسرائيل ما يلي : « ستقوم دولة اسرائيل على مبادئ الحرية والعدالة والسلام كما كان يلهمها انبياء اسرائيل » .

فلتستعرض استعراضا خاطلا بعض الامثلة .
في اللاتيا نفسها التي تكلمنا عنها وهي في القرن التاسع عشر نجد ان فكر فيخته قد انصب ولا تزال له فحاليته حتى اليوم ، على الال في هذه النقطة التي تمينا هنا وهي اللغة .

واكتفى هنا بمثل بسيط واحد ولكنه كله دلالة ومغزى فقد جاء في جريدة دى فيلت الالمانية بتاريخ 25 ابريل 1968 خبر على الصفحة الاولى تحت عنوان :

« لا يكالوريا مع ضعيفه في اللغة الالمانية »
ومفاده ان طلبة الالمانية في التعليم الثانوى سقطت في امتحان البكالوريا لانها حصلت على علامة « ضعيفة » في اللغة الالمانية . فشكت امرها الى المحكمة الادارية الفيدرالية ضد حكومة مقاطعة (ميسن) التي توحد فيها لجنة الامتحان ، ولكن المحكمة الفيدرالية اصدرت حكمها بتأييد حكومة المنطقة المذكورة ولجنة الامتحان ضد الطالبة الضعيفة في اللغة الالمانية !

وفي فرنسا نفسها ، الا نقرأ يوميا في جرائدها ومجلاتنا مقالات ولدهات وصرخات تذمر بالخطر على اللغة الفرنسية ، وتخبر عن انشاء لجان ومنظمات، منها منظمة يشرف عليها رئيس الحكومة نفسه ؟ الا نسمع عن تلك المنظمة الثالثة على اساس اللغة والتي ستشمل بدانا عديدة في مختلف القارات ؟

ففي مايو 1968 ، نشر في جريدة لوموند تحت عنوان « الدفاع عن اللغة الفرنسية » ، وهي

يكرسون نحو ثلاثين في المائة من مجموع دروسهم لقراءة وشرح التوراة ، التي هي البداية والنهاية وجميع الجوامع في نظرهم .

« وفي طرف النماذج سنوات التي يستغرقها التعليم الإجباري أي الابتدائي يكون التعليم الإسرائيلي قد قرأ وفهم التوراة تقريبا من ألفها إلى يانها وحفظ جزءا كبيرا وتمرد على شروح أهم مفسريها » .

المسابقة الوطنية والدرسية حول التوراة التي تنظم سنويا في الهواء الطلق .

« والذي يلفت النظر في هذا هو أن الإسرائيليين غير - المتدينين أو احرار الفكر - كما يقال ، يمكنون على دراسة التوراة بنفس الحساس ، وذلك من وجهة نظر وطنية وتاريخية وإخلاقية وأدبية أو حتى أثرية »

« وفي الوزارات ومختلف الإدارات تتكون حلقات منتظمة لدراسة التوراة ، حلقات تضم ألقا من القمة إلى القاعدة في جهاز الدولة .

« وأكثر هذه الطائفة كلها دلالة على اهتمام الشعب كله بالتوراة هي المسابقة المنظمة سنويا داخل الجامعة العبرية في القدس والتي يهتم بها باهتمام أكثر من مئتين في المائة من مجموع السكان وثمانين في المائة من كبارهم .

« وحتى في الأبحاث الجيولوجية والأسموية والنباتية والزراعية بصفة عامة تلعب التوراة دورا أساسيا ، بل وحتى الاستراتيجية العسكرية

« أن هذه الدولة ليس لها دستور ، ولكن دستورها العمل هو التوراة ، ومن حين لأخر تصدق قوانين جزئية حسب الحاجة .

« إن الشيء الأول الذي يلفت النظر في إسرائيل هو هذا الجهد الجبار المبذول لحياء تراثها ، لحياء التوراة : فالمهاجرون المتقنون الذين جاؤوا من أوروبا والآخرين الذين يجرون جلاديتهم الشرقية ، إذا كانوا يختلفون في هذه الأشياء لو تلك ، فهم يتجمعون في كل الأقاليم وهم أنهم كلهم يتكلمون العبرية ويسكنون في بلاد تقوم كل حياتها على أساس التوراة »

« أنهم أصبحوا لغة مشتركة بينهم ماتت منذ ما يقرب من ألفي سنة »

« لقد كانت لأغلبية المهاجرين اليهود إلى أرض فلسطين لغة في روسيا وبولونيا وأوروبا الشرقية عامة - وقد كانت لهذه اللغة أديانها - ولكنهم تركوها وأديانها ليحيوا لغة أخرى ماتت عمليا منذ نحو ألفي سنة ، ألا وهي العبرية - وهذا الهيكل الذي يبدو لأول وهلة اصطناعيا هو الطابع الأساسي والأكثر أصالة لإسرائيل والأكثر انخفا يوجودها كعولة وأمة .

« فكم من مدينة ونهر وشارع لها اسماء مأخوذة من التوراة ، وطوائف اليريد والمعلمة تستعمل مسموزا توراتية ، وعربات النقل «التوبيسات» ترفع شعارات واعلاما توراتية ، واللائحة تبدأ وتنتهي نثراتها بتلاوة نصوص من التوراة ، والثالثة في المدارس بجميع أنواعها

اما في فييتنام للكافج المناضل منذ اكثر من عشرين سنة فان لغة للمعاد والكلديات وللمواصل والتنمية تحت الارض والمعرضة في كل وقت للقبلة والتنمير ليست الا الفيتنامية والفيتنامية وحدها ، وهذا لجميع اللواد بدون استثناء ، وقد استاصلوا من لنتهم جميع الكلمات الاجنبية ، حتى الكلمات الواردة اليهم من البلاد الصديقة للجاورة !

ولكن هذه البلاد كلها الى جانب مشاكل البناء والتشييد لا يتنازع فيها احد في هذه الحقيقة الناصحة التي عبر عنها روني ماهو ، المدير العام لليونسكو ، في حديث له بجلة جون افريك سنة 1964 ، ونص كلمته حرفيا :

« ان الامة التي لا تؤمن بنفسها لا وجود لها ، وكذلك انه لا يكفي ان يكون لها سفراء ، ورئيس دولة ، وعلم ، وموظفو الجمارك ، الخ . فالتا لم يكن لتسبها طابع خاص به يعبر به عن نفسه وخصائصه وخصياته وطرقه الخاصة به في الحياة فلا وجود له باستقلاله استقلال سطحي لا يلوم . ان الطريقة الوحيدة لكي شعب من الشعوب لان يعبر عن وجوده هي الثقافة ، والوعي بالطابع الخاص الذي يميزه عن غيره » .

وما هي هذه الثقافة . وما هو هذا الطابع الخاص وذلك المميزات اذا لم تكن اللغة من بينها ؟ وان جمال الدين الانفاني هو الذي كان يقول قبل روني ماهو بنحو قرن :

تستقي من التوراة سلوحتك وذلك باستمرار وبصلة دائمة !

« حقا اننا نجد في كثير من بلدان العالم اسما عبرية مستقاة من التوراة وتطلق على مؤلفات ادبية واعمال فنية ومسرحيات ، الخ . ولكن الذي يزيد هذا اهمية ويضبط على اكثر فسي اسرائيل هو اللغة ، هذه اللغة التي كانت قد فقدت طابعها كلفة حية ولم يعد يتكلم بها منذ اكثر من الفي سنة ، ها هي تعود الى الوجود والحياة بصورة غاية في النجاح !

« لقد انشئت اول مدرسة ابتنائية لحياء هذه اللغة سنة 1888 . وخلق لها مشروفا الياذر بن يهودا مفردات جديدة بل كل المفرد فسي اريجادها ، ومن هذه المدرسة الابتنائية ، من هذه النواة البدائية ، انطلق خط مستقيم متواصل انتهى في النهاية الى تاسيس الجامعات الاربعة التي نجدها اليوم في اسرائيل !

« واستمر هذا الجهد في خلق مفردات حية على اساس القديم لمسارية الركب الحضاري وتطور العلوم ، ويوجد منذ سنة 1953 للجمع العلمي للغة العبرية والى جانبه كون ايضا مجلس اعلى للغة يشمل نحو اربعين لجنة متخصصة في مختلف البادين العلمية والتقنية والادبية والفنية وغيرها لانشاء واشتقاق للمفردات الجديدة حسب الحاجة وفقا لروح اللغة وعقريتها ، وبعد ان يتسهم الاتفاق على صلاحية تلك المفردات تنشر فسي الجريدة الرسمية ويصبح استعمالها اجباريا في جميع دواليب واجهزة الدولة » .

الفلسفة والآداب والعلوم المختلفة من طب وفلك وطبعية وسياسة وغيرها من طرف أساتذة لامعين .
وقال السيناتور كومب في مجلس الشيوخ الفرنسي ما يلي : إن الجزائر كان فيها عند احتلالنا لها أكثر من ألفي مهندس ثانوي وعالي ، ويضيف فالسن Walain Ezenchaay وأوربان Urbain في عدد يوليو (سبتمبر) 1955 من « مجلة التاريخ الحديث والمعاصر » تحت عنوان : « الحالة الثقافية والاخلاقية في الجزائر سنة 1830 » .
« أن نسبة الأمية في الجزائر سنة 1830 كانت أقل منها في فرنسا بالنسبة لعدد السكان ، أي أنها كانت أعلى في فرنسا ! » .

ويضيف بولار الذي ذكرناه آنفا : « إن احتلال فرنسا للجزائر أحدث فوضى هامة في ذلك العالم من العلماء والمفكرين ، وكثير منهم تركوا البلاد » .
وكانت تلك الثقافة طبعاً بالعربية وطيلة العهد الاستعماري خنقت العربية ومنع تعليمها وكانت المدارس العربية تغلق وأموالها تصادر ، ومعلموها يقبض بهم في السجون والمخاض .

ولم يكن هدف الاستعمار من خنق العربية محو الشخصية الجزائرية وإحلال الفرنسية محلها فحسب بل كان أيضا يرمي إلى الجهل واسدال ستار الطلبات على الجزائر وفصلها عن العالم العربي والعالم كله ، ولم يكن يسمح حتى بتعليم الفرنسية إلا بقدر ما يحتاج اليه من أعوان له في مهمته يقصد المخلوق ، وتدلنا على هذا الإحصائيات الفرنسية الرسمية لسنة 1955 ،

« لا سبيل إلى تمييز أمة عن أخرى إلا بلغتها »
وهذا الأمر من الفوض والظهور للعيان ما لا يحتاج معه إلى دليل أو برهان !

والا فربما الآن لن نخلس إلى الجزائر ونلقي نظرة فاحصة سريعة على مراحل تطورها في هذا المجال وجدنا أنها مثل أخواتها من البلاد الشقيقة كانت لها مساهمتها في التراث العربي الإسلامي المشترك ، ومن خلال التراث الإنساني العالمي ، فكانت لها جامعاتها وكان لها علماءها ، وكانت هذه الجامعات يؤمها علماء وفلاسفة من القرب في القرون الوسطى وبه الثقافة .

ولا نذكر منهم الآن إلا اثنين ، أحدهما ، رينسفي إلا أن ذكر اسمه بالضيض الآن ، لأن ذلك من قراءات قديمة وليس لدى الآن المرجع ، لكنني أظن أنه الاخضري ، وكان عالم كيمياء ، وكتابه كان يدرس في جامعة مبولسي في فرنسا ، والعالم الثاني كان ريسون لول الذي جاء إلى الجزائر ليدرس العربية والمنطق في بجاية ، وهو صاحب الكتاب « الفن الكبير Ars Magna » المعروف في المنطق .

وفد استمر ازدهار تلك الجامعات حتى إلى قرب الاحتلال الفرنسي الذي وجد آثارها حية .

ففي كتابه « التعليم في الجزائر » يقول المؤرخ الفرنسي : بولار Poulard
« L'enseignement en Algérie avant 1830 »

كانت للجزائر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر مراكز ثقافية مزدهرة كانت تدرس فيها

هذه المياه الى مجاريها الطبيعية ، بضوا ومزام
في غاية السخف والتناقض مع التاريخ، والتعارض
مع تجارب الامم .

ان دعوى هذه الغربان التي اكل عليها الاسفل
وشرب ، او ينبغي ان يفعل ، هي ان اللغة ليست
الا أداة ، والربية كأداة لمسيرة الركب الحضاري
والتمدن التفتي غير متينة وغير سليمة على الاقل
في مرحلتها الحالية ، ولذا ينبغي في نظرم النهل
وعدم التسرع وانتظار الفد البعيد !

واصحاب هذه المزاعم هم في الواقع وعناء
الحبس ، وسجناء الامم عبر البعيد ! بل هم
يتجاوزون حدود الجزائر في زعمهم هذا الى حد
الرغبة في شمول سائر أنحاء العالم بلغة مستعمر
الامس ، التي هي لغة ثقافية حقا ، ولكنها اجنبية
لا تأتي الا في الدرجة الثانية بعد اللغة القومية .

وهنا لا ياسي بذكر نكتتين ، او ثلاث ، احباها
وقعت في الجزائر فعلا ، وقد كتبت ذلك في
ديسمبر 1968 ، والثانية والثالثة على سبيل
التشيل :

فقد وجهت احدى وزاراتنا في اواخر سنة 1968
اي بعد تأسيس الحكومة الاولى في عهد الاستقلال
رسالة الى اليونسكو باللغة الفرنسية ، وقد كتبت اذ
ذاك في « المجاهد » مقالات منها : « ترميم الاضاح
والقلوب قبل ترميم « الاسسة » وذكرت هذا
المثل وتساءلت : متى تسلمت الفرنسية الى بلاد
السلال ؟

ص 44 الى 46 ، التي تقول ان نسبة الامية في
الجزائر سنة 1954 بلغت 94 ٪ بين الرجال و66 ٪
بين النساء .

وقام ابن باديس ليصرخ في وجه الاستعمار
وليوجه نداءه الى الامة الجزائرية ، ذلك النداء
الذي يشبه كثيرا نداء فيخته الى امته ، الذي
يلخص في قوله المشهور من « ان الجزائر ، لم
تكن فرنسا وليست فرنسا ولا يمكن ان تكون
فرنسا ، ولا تريد ان تكون فرنسا » تلك الجمل
الثلاث الخالصة التي يلخص فيها - حل ما قاله
فيخته ، وهي :

« الجزائر وطني والاسلام ديني والربية لغتي »
وواصل مهمته بعد وفاته اخوه الابراهيم ،
وكلماته في موقف الاستعمار من الجزائر ولغتها
معروفة مشهورة ، ولسنا في حاجة الى اعسادة
ذكرها الآن وقد سمعنا جزءا منها في ذكراء منذ
الكناح الشوري المسلح الى ان تحررت بلادنا
واسترجعت كل امكانيات العمل لتصحيح الوضع
واعادة المياه الى مجاريها ووصل الحيط حيث
قطعه العهد الاستعماري الطويل .

وليس غريبا ان تصبح الربية على ما اصبحت
عليه بعد قرن وربع قرن احتلال من ابيض
الاحتلالات خلال التاريخ ، خاصة اذا ما تذكرنا ما
قاله فيخته عن الاثان وخوفه من تقديم للفتهم
وهم لم يروا من احتلال نابليون الا بضع سنوات
معدودة .

ولكن المريب الا تنصدي نحن الآن بكل حزم
لكل من يريد ان يماطل ويؤجل ويؤخر يوم اعادة

العبرية بفضل ارادة المتكلمين بها أو الذين ارادوا احياها والتكلم بها في طرفة - اجتازت فرائضا يستند الى اكثر من ألفي سنة ، أي الى وقت لم تكن تعرف فيه العلوم ! أي انها لم تصرفها قط في الماضي !

إذا كان هذا حال العبرية فكيف بالعربية التي كانت لغة العلوم والعلمسة والحضارة في العصور الوسطى وبهذه النهضة الأوروبية ؟

لنستمع الى ما تقوله المؤلفة الألمانية سيغريد هونكه في كتابها : « شمس الله تسطع على الغرب » عن العربية والعلوم :

« قبل ستة قرون كانت مكتبة كلية الطب في باريس أصغر مكتبة في الأرض ، إذ كانت تتكون من كتاب واحد مستعار ، استثماره الملك الفرنسي لويس الحادي عشر مقابل 22 ماركا ذهبيا ومائة نالر فضي ليستخ له منه أطباء الخواص نسخا يرجعون اليها كليا (صاحب أو أحسن بوعكة ما ، ولا يزال طلبة كلية الطب الجديدة في شارع سان جرمان ذي برى في باريس يرتنون في درجهم نحو ملحقات الكلية التي تمثل قائم في بهو الكلية وهذا المثال المؤلف الكتاب المذكور ، وهو واحد من أكبر أطباء جميع الاممكة والاظمة : انه إسوا بكر بن محمد زكريا الرازي ! »

وتضيف المؤلفة الألمانية فتقول : « وكان يقال عن أي طبيب ماهر في أوروبا انه روح ابن سينا » Aziz Avicenna « وهذا حتى القرن السابع عشر ! »

ولقد شاهدت في الخارج نموذجاً آخر من هذا النوع من ضحايا المهد الاستعماري لدينا « فهم يعتقدون من العالم كله ان يتكلم الفرنسية مثلهم » وعندما يأتون الى بلاد اجنبية أخرى خارج المنطقة الفرنكوفونية يستغربون من عدم تكلم الناس هناك بالفرنسية ! ويرون كل شيء من خلال منظارهم ذلك !

وبعض هؤلاء المواطنين عاشوا سنوات في بلدان اجنبية طيلة كفاحنوا المسلح أو قبله أو بعده ولم يكتفوا انفسهم عن تعلم لغة البلاد ، وربما كانوا يعتقدون ان تعلم تلك البلدان اللغسة الفرنسية عنهم !

انهم يشبهون ذلك الاسياني الذي تروى عنه مقدمة كتاب لانفانشايد Langenscheidt لتعلم اللغة الدانماركية من ان اسبانيا عاش في كونهاجن أكثر من عشرين سنة ولم يتعلم اللغة الدانماركية وعندما زاره بعد طول هذه المدة صديق له من اسبانيا وسأله عن الدانماركيين ، أجابه صاحبا يقول : « انهم يا أخي احمره ! اني هننا ميجن طهرانهم منذ عشرين سنة ولم يتعلموا الاسبانية بسد ! »

ان هذه الضحايا للمهد البائد تدعي ان اللغة العربية قد تجددت ، وتوعكت اعصابها ، وشاخصت عروقها ، ولم تعد في حالتها هذه صالحة لتعريس العلوم الحديثة بها !

وهل هناك مقارنة بين موت العبرية ، وتجديد العربية ؟ ومع ذلك فقد رأينا كيف اجتازت اللغة

لها صدى لدى كل من ديكرت وفيخته ، وعنهما
تقرأ بعض تماير ديكرت وكنط عن حرية الاختيار
تظن انك تسمح واصل اين عطاء وايا الهذيل
الملك وابا اسحاق النظام يتكلمون ! واحرا ،
وليس آخر ، ان اين رشد قد سبق كنط بقرون
الى القول بذلك الامر الجازم أو الازامي المعروف !
وقد ظلت فلسفة اين رشد هي محور الحديث
في جامعات بولونيا بايطاليا ، وكولونيا بالانثيا وفي
السربرون بفرنسا ! وكان طلبة الهى اللاتيني اذ
ذاك يل والاساتنة ايضا قبل ان يبدوا اية مناقشة
مفسية بسالون يعضهم مضاً كمنخل ولمسة
موقف الخصم مقنعا : « هل انت مع اين رشد أو
ضده ؟ »

والذى يرى لنا هذا ليس ممن يصفون بصفة
خاصة على الاسلام والفلسفة الاسلامية ، ومع
ذلك لم يجد بدا من التقلب على عواطفه والاعتراف
بهذه الحقيقة . « انه ارنست رينان في كتابه :
اين رشد والرشدية »

ويقول لنا مؤرخ الفلسفة الفرنسي المرسوف
الير ويتر Albert Rensod في كتابه (تاريخ
الفلسفة) : « ان تأثير الفلسفة الاسلامية على
الاروبية ظل سائلا حتى اوائل القرن التاسع
عشر » .

والآن ايها السادة ، فتمسك : ما هي الفلسفة
التي عبر بها اولئك المسلمون عن جميع هذه
الجوانب المختلفة لتكون والكائنات وما يربطها من
علاقات ؟

« ونظريات اين سينا في الجيولوجيا وكمايه
عن المعادن بقوا المرجح الاساسي لاروبا حتى
القرن الثامن عشر » .

اما كتابه القانون في الطب ، فقد ذكر المؤرخ
الفرنسي للفلسفة
Favret modérak.
في كتابه :

Esquisse d'une histoire générale et comparée des philosophes
انه كان يدرس في جامعة لوفسان ببلجيكا حتى
سنة 1209 ! ثم ، 1209 .

ونعود الى المؤلفات الانثية اذ تقول : « ان العرب
الذين ازدهرت جامعاتهم منذ القرن التاسع الميلادي
هم الذين امدونا بنموذج الجامعات وتسميتها الى
الكليات المختلفة - والحلق الفروع الضرورية بكل
كلية مثل المستشفيات والمخابر لاجراء التجارب ،
ومنهم تعلمنا اجراء الامتحانات وجمع الشهادات ،
وعنهم اخذنا مناهج التعليم ، واشترا : فمنهم
اخذنا المحتوى ايضا ، ولم تخلق منهم الكاس فارغة
بل يمتلئها ، فلقيناهما مليئة بالروح المتفتة !
فالغرب هم الذين انشأوا الكيمياء التجريبية ،
والطبيبات ، ائمنى الحالى ، والجبر والمقابلة
والرياضيات وحساب الثلثات الكروية والجيولوجيا
وعلم الاجتماع »

وفي الفلسفة ؟ ألم يكن تأثير الفلسفة المسلمين
فاصلا في تاريخ الفكر الفلسفي الاروبي ؟

ولقد تكلم الفزائى عن الزمن والمكان في احياه
علوم الدين برون قبل كنط ، وان كان ليس
بذلك التوسع والتفصيل ، وانية اين سينا نجد

فى القرون الوسطى ومنه النهضة الأوروبية ،
متعلمها البرتوس ماقنوس وإيبيلاردوس نسي
فى ألمانيا ، ونصدها القديس العيسوف الإيطالى
توماس الاكوينى .

أما فى اسبانيا ، فزيادة عن ويون لول الذى
ذكرنا أنه درس فى الجزائر وأنه صاحب الكتاب
المعروف فى المنطق « الفن الكبير » ، وعسكن
الفيلسوف اليهودى الإندلسى موسى بن ميسون
تلميذ ابن رشد والاستاد الروحى لاسبينوزا
وسائر الفلاسفة اليهود فى مختلف أنحاء أوروبا
فما بعد حتى القرن الثامن عشر ، الى جساتب
هؤلاء نجد أن العربية غزت سائر الأوساط
الاسبانية ! لننمى الى ما يقوله الكاتب الاسبانى
القديم الفارو فى القرن التاسع الميلاى ، أى فى
عهد عبد الرحمن الثانى :

« أن أرباب الفطنة والتفوق سرحهم ونسج
الإدب العربى فاحتقروا اللاتينية وجعلوا يكتبون
بلغة قاهرهم دون غيرها » ولقد ساء ذلك بعض
كبار الأسبان فقال : أن اخوانى المسيحيين
يسحبون بشعر العرب واقاصيصهم ويدرسون
التصانيف التى كتبها الفلاسفة والمتفهماء
المسلمون ، ولا يفعلون ذلك لسطها والسرود
عليها ، بل لاقتباس الاسلوب العربى الفصيح .
« فابى اليوم من غير رجال الدين من يقرأ
النفايس الدينية للدورة والانجيل ؟ وابن اليوم
من يقرأ الانجيل وصحف الرسل والإنبياء ؟
وأسماء : أن الجبل لناشئ من المسيحيين الإذكية
لا يحسنون أدبا أو لغة غير الأدب العربى ،

إنها العربية التى كانت ايضا اللغة السائدة
فى قصور ملوك النورمان وقياصرة ألمانيا فترة
من الزمن !

لقد كان فيلهلم الثانى ملك صقلية ينتقى
مساعديه وأطباءه ووزراءه من بين العرب ، وكان
هو نفسه يقرأ ويكتب ويتكلم العربية التى كانت
لغة قصره .

ويذكر لنا ابن جبير الغرناطى فى رحلته التى
قام بها سنة 1185 الى بالمو عاصمة صقلية بعد
احتلالها من طرف النورمان أن نساء بالمو
المسيحيات يقدن المسلمات لا فى ملابسهن فقط ،
بل وفى لعتنهن أيضا ، فكان يتكلمن بالعربية !

وكان فريديك الثانى الألمانى ، ملك صقلية
وقيسر الامبراطورية الألمانية الرومانية المقدسة
وحفيد فريديك بارباروسا الأول ، يتكلم العربية
التي كان يجيدها كلغة الألبانية ، ودرس الفلسفة
والمجدل بالعربية لدى قاضى المسلمين المتبحرين
فى بالمو .

وهكذا فكما كانت العربية هى اللغة الغالبة
على أوروبا فى القرن الثامن عشر وكانت لغة
العصر فى بروسيا فى وقت فريديك الكبير
وفى عاصمة روسيا فى وقت القيصرة كاترين ،
كانت العربية هى لغة فيلهلم الثانى وروجر الثانى
وعاصمة فريديك الثانى ، ملك صقلية وقيسر
الامبراطورية الرومانية الألمانية المقدسة .

كما كانت العربية لغة العلم والفلسفة لدى
علماء أوروبا الذين كانوا يحرصون على تعلمها

ولقد اكد الرئيس يومين هذه النقطة في خطابه في قسبطينة اخيرا بمناسبة تمشيع حاسمتها اذ قال :

« وكما حرصنا على استرجاع جميع موارثنا وثرواتها المادية سنعمل على تميز هذا التكوين بتربية وطنية مثل تساعدنا على استعادة جميع ثرواتنا المعنوية وعناصر شخصيتنا والمكونات الاساسية لذاتيتنا ، ومن اهمها الوسيلة الاولى للتصير عن هذه الشخصية وتمازجها وازدهارها ، حسب عبقرية شعبنا واصالته »

« وبدون استرجاع هذا العنصر الهام الذي هو عنصر الامة فان مجهودنا سيظل ايتسر ، وشخصيتنا ناقصة ، وذاتيتنا جسما بلا روح !

« وانه ليجوز لنا ونحن في عاصمتنا الثقافية مركز الاشعاع الفكري القومي طوال العهد الاستعماري ان نؤكد هنا ما سبق ان قلناه من ان التربية مهما كانت راقية اذا لم تكن وطنية فليست بتربية ، وان التكوين مهما كان عاليا ، اذا لم يكن بلغة البلاد سيبقى ناقصا ايتسر ، بل وربما ترتببت عنهما انحرافات تعيدنا عن الجادة ، وتصلنا عن وجهتنا الصحيحة السليمة ، وان احلال لغتنا مكانتها الجسيرة بها في التعليم والادارة ومختلف مظاهر الحياة اليومية والقومية لا يقل اهمية في نظرنا عن اي مشروع مسن مشارعا الثورية الكبرى ، كاعادة تنظيم اجهزة الدولة ، وتصنيع البلاد ، وتحقيق الثروة الزراعية »

وبجمعون منه المكتبات الكبيرة بأعلى الاثمان ، ويتربون في كل مكان بالثناء على الفنايس العربية، بينما هم حينما يسمعون بالكتب المسيحية يأنفون من الاصفاء اليها « محتجين بأنها شيء لا يستحق منهم مؤونة الالتفات ! فيا لئلى ! ان المسيحيين قد نسوا لغتهم ، فلا تكاد تجد فيهم اليوم واحدا في كل الف يكتب بها خطايا الى صديق ! اما لغة العرب فما اكثر الذين يحسنون التصير بها على احسن أسلوب ! »

وتجدون هذا النص بالعربية في كتاب العقاد « اثر العرب في الحضارة الاوروبية » ، وهو نقله عن المستشرق الهولاندي المعروف رينهاردت دوزي في ص 327 من الجزء الاول من كتابه الكبير : « تاريخ مسلمي الاندلس » وهو نفسه نقله عن المجموعة الاسبانية الكبيرة لألغارو تحت عنوان : *Indicatos Luminosos In Espana Sagrada* المجلد الحادي عشر ، الصفحة الحادية عشرة (وكتاب دوزي موجود بالمكتبة الوطنية)

وبصفة عامة كانت العربية لغة الدوايسة والبحث لكثير من العلماء والفلاسفة الاوروبيين الذين مهدوا لعصر النهضة التي ادت بدورها الى انطلاق أوروبا ، ذلك الانطلاق الذي لم يكن ليتم لولا منطلقه الحقيقي الا وهي الحضارة الاسلامية التي كانت لغتها العربية !

هكذا تحس الام يوحنا الضمير بحر كمسا وبقفظها ويميد اليها الرعي بنفسها ! واطن ان الام الذي يحز في نفس هذا الاسباني ينهض ان تنسج به نحن ايضا تجاه لغتنا وثقافتنا .

القومية ، والا يستندوا بقلة الوقت وكثرة العمل والمشاغل . فهذا لم يمهضاً !

وليتحلوا من الاستعلاء والإعلاء في هذا الميدان . فقد رأينا جهود الميثتامين ، كما نعرف مثل إسرائيل ، وكيف اتجهوا ماير ، وبين غوريون ، وموشى شروتوك ، وليني اشكول الذين هم من اصل يهودي وروسي ، وكيف ان تيودور هرتزل التمسوا واما ابيان المولود في جنوب افريقيا ، وموشى ديان المولود في فلسطين، كيف ان هؤلاء كلهم تعلموا العبرية ، وباصتثناء هذا الاخير فالجميع تعلموها وهم في انحاء الدنيا للتناثر للنباعة ، وفي اغلب الاحيان في سنن متقدمة ، وكثيراً ما ان الجلمسة العبرية في القسم الشريف والجامعات الاسرائيلية الثلاث الاخرى ومحمد وايزمان للذرة تدرس فيها جميع المواد بالعبرية . وكيف ان الفادين والذين من اكثر من مائة بلد من القارات الخمس احيوا لغة ماتت منذ الف سنة ليجمعوا منها لفهم الرابطة الحية لشلهم ، ولغة الاستعمال اليومي ، والتفكير ، والادارة ، والبحث والانتاج !

فليتجسد لهذا الهدف الوطني كل من في امكانه القيام بشئ للاسهام في تحقيقه ، بالبلد نفسه وعائلته واصفائه ، وبالانتماء والتوعية والتربية ، والتمهيد الحسنة ، او الصدى الايجابية ، ليصل كل منا في مجاله وذاترة نشاطه ، وبجهود الخاصة ، ولضرب المثل العمل الحس في هذا الاتجاه كما لو كان تحقيق هذا الهدف

« وذلك انكنا هي من اهم عناصر شخصيتنا ، ولساننا الذي ينبغي ان نسير به عنها ، وانها من اهم مطالب شعبنا طوال العهد الاستعماري ، واحد الاهداف الاساسية لنضالنا الطويل وثورتنا المجيدة »

« ونحن اذ نؤكد عزما هذا مرة اخرى نترك الى جانب ذلك جميع التوافد مفتوحة على لغات وثقافات العالم الاخرى ، فهي تكميلية لما ، بل وعسورية ، كما هي الحال بالنسبة لاية بلاد اخرى في العالم ، تنهل من جميع الثقافات ، ولكنها تمنع الكتابة الاولى ثقافتها ولغتها الخاصة بها ، واللذين هي بها ما هي ، فهما اساس وجودها كامة ، وهنوان كيانها ، ورمز شخصيتها »

وقد قررت الحكومة فعلا كخطوة اولى لبعده تحقيق هذا المشروع بمل معرفة لفتنا معرفة كافية شرطاً لازماً لتفقد اية وظيفة ابتداء من سنة 1971 »

كما ان وزارة التربية الوطنية من جهةها تبذل جهودها المتواصلة لتحقيق هذا الهدف ، بطريقة تضمن له النجاح »

ولكننا نرى ايضا ان هذه المهمة ، مهمة وطنية يجب ان يتجند لها جميع المواطنين ، وانه على كل منا ان يتحمل قسطه من هذا الواجب الوطني ، بتطبيق المبدأ على نفسه ، وعلى عائلته ، واتخاذ اسدقاته ، وزملائه في دائرة عمله واتصالاته بضرورة الاسراع الى تعلم اللغة

وبذلك فقط تكون قد جعلنا في المرحلة انفاصلة
الحاسمة لتحقيق هدفنا هذا، لاسترداد هذا العنصر
الاساسى من شخصيتنا ، كما كان يقول فيخته ،
هذه الاصاله القومية ، هذه الرابطة الوطنيه
المعززة والصامته لوحدة الامة ، الا وهي لغتنا
التي تساهم في اطارها في الجهد الحضارى
الانسانى المشترك ، والتي هي رمز شخصيتنا ،
وعنوان حياتنا ، ولساننا الذى تصيح به عن
وجودنا بين الامم .

الوطنى العظيم مهمة ملقاة على عاتقه وحده ،
وكمبشر ، وعليها وحدها كمبشرة ، متوقفا
عليه وحده ، وعليها وحدها ، واذا ذاك فقط
تكون لمساعى المسؤولين في هذا المجال فعالية
وقوة ، واذا ذاك فقط يوجد جو حامى عام
يكتنف جهود المسؤولين ويشجعهم على المشى
بسرعة وتجاوز المراحل عوض الاكتفاء باحتيازاها،
وباقصى سرعة ممكنة !



اللغة العربية لغة رسمية في المنظمة الأممية

ووافقت لجنة الموازنة التابعة للأمم المتحدة يوم السبت على ضرورة إضافة اللغة العربية الى جانب اللغات الرسمية المعمول بها في هيئة الأمم المتحدة .
ووافقت الدول العربية على أن تغطي نفقات هذا الاجراء خلال السنوات الثلاثة الاولى *

ويعتطلب تنفيذ التوصية المساق 98 مترجما وعددا آخر من الموظفين بالسكرتارية العامة للأمم المتحدة .
وستكون اللغة العربية رسمية ومعمول بها في الأمم المتحدة الى جانب الصينية والانجليزية والفرنسية ،
والروسية والاسبانية *

دور اللغة العربية في الحفاظ على الشخصية الوطنية عبر التاريخ

من الثابت الذي لا شك فيه أن اللغة تعتبر من أهم العوامل في خلق وإرساء الوحدة بين عناصر الشعب الواحد أو بين شعوب الأمة الواحدة وتقوية أو إضعافها وزعزعتها على التآخي والتعاون ، ودفعها للسير قدما في مضمار التطور والانحلاق بقوايل الحضارة وهذا ما يثبته تاريخنا الإسلامي ونعيشه حاليا من تضامن بين الشعوب العربية ، في المشرق والمغرب ،

من هذا المنطلق ، فإن الجزائر ظلت محافظة على الثقافة العربية الإسلامية التي نقلتها وانصهرت في بوتقتها منذ الفتح الإسلامي ، وعبر القرون التالية له إذ حافظت على هذه اللغة بصلابة نادرة المشل ، ساهمت في إثراء التراث العربي الإسلامي بكثير من الانتاج والشروح والتعاريف والمؤلفات النجدة ، واتسمت بالتيارات الثقافية العربية التي فعمت لها من الاندلس والأفطار العربية الأخرى ، فازدهرت اللغة العربية بفضل هذه المدارس والجامعات الموجودة في كل من تلمسان ، ووهران ، وبجاية ، وفسنطينة ، والتي كانت مصدر إشعاع لعالمها بآهر .

وهكذا أصبحت اللغة العربية جزءا من كيان لا يفصل عن الشخصية القومية الجزائرية ، وأصبحت لتغلغلها في النفوس ومكانتها هي الوسيلة والأداة في التعامل في كل المجالات الإدارية ، والعلمية ، والعسكرية .

وهكذا كانت جميع الوثائق الرسمية للدولة الجزائرية تصاغ بالعربية ، ومن أمثلة ذلك الوثائق المتبادلة بين الأمير عبد القادر والمسكرين الفرنسيين الفزاه وهي الآن محفوظة بالكتابة الوطنية تثبت أن العربية أرغمت فوق اللهجات وكانت دائما في الجزائر لغة الدولة والمدن والوطن .

دور السزوايا والرباطات في الحفاظ على اللغة :

وابان المصور الوسطى انتشرت الزوايا والرباطات التي أدت الى حركات ثقافية قدر لها أن تستمر رديحا من الزمن وقد اشتهر بعضها بأسماء اصحابها وأصبحت مركزا للأدب والإمامة والارشاد ، ويكفي الاستشهاد بقول المؤرخ الفرنسي « بولارد » في كتابه « التعليم في الجزائر » إذ يقول : « كان في الجزائر في القرن الرابع عشر وما بعده مراكز ثقافية باهرة » وكان فيها اساتذة متمكنون في علوم الفلسفة ، والفقه ،

والآداب ، والطب ، والنحو ، والفلك ؛ وكانت المدارس منتشرة في ربوع البلاد ، وكان التعليم فيها دينيا ومدنيا . « وجاء في تقرير للجنرال « كالاوي » سنة 1834 : « يكاد كل العرب (الجزائريين) يعرفون القراءة والكتابة . » فإذا غارت هذا الوضع بنسبة 90 ٪ من الأمازيغ في الجزائر عدا الاستغلال ، نسينا لنا بوضوح مقدار ما خسرته البلاد حين أصيبت بتلك الاستعمار .

الحنينة الاستعمارية :

وفي الحقبة الطويلة من أيام الاستعمار أراد المحتل أن يمحو شخصيتنا ويمزقنا عن مجموعتنا فيجند كل الطاقات لتشويه ماغيينا التليد ، وطمس معالمه ، والعمل على تجريد التسبب من كل معوماته الأساسية ، فحارب اللغة العربية لأنها العامل الموحّد والحري ، ولأنها أيضا السلاح الفكري الفعال في ميدان الصراع بين الأصالة والراسخة من جهة ، وبين عطلات المسخ التي قام بها الاستعمار من جهة ثانية .

ونمشيا مع هذه الحطة القاضية بسحق اللغة العربية في الجزائر ، أصدر الاستعمار الفرنسي خلال سنة 1904 م قانونا يمنع أي معلم عربي أن يتعاطى مهنته إلا برخصه تحدد نشاطه وفق شروط أهمها ما يلي :

- 1) اقتصار التعليم على حفظ القرآن لا غير ،
- 2) عدم التعرض لتفسير الآيات التي تدعو إلى التحرر من الظلم والاستبداد ،
- 3) استبعاد دراسة التاريخ العربي الإسلامي ، والتاريخ المحلي ، وجغرافية القطر الجزائري والاقطار العربية الأخرى الخ . . .
- 4) استبعاد دراسة الأدب العربي بجميع فنونه .

وفد جرت هذه العمليات الاستعمارية على مراحل وبواسطة أجهزة متعددة شارك فيها عدد كبير من الباحثين ، والمفكرين ، والمستشرقين ؛ وبمئلب خاصة في الاجراءات التالية :

- على كل الأبواب في أوجه الاجزائيين حتى لا يتمكنوا من تعلم لغتهم ،
- فرنسة الإدارة ، والاقتصاد ، والتعليم ،
- محاربة العقيدة الإسلامية وذلك بتحويل المساجد إلى كنائس وتكنات ، أو حتى إلى اصطبلات ، علما بأن تحويل مسجد يعني تحويل مدرسة ومكتبة وقاعة للمحاضرات ومركز ثقافي ، إذ أن المسجد كان أيضا الجامعة ، ومركز الإشعاع الثقافي والديني والعلمي ، وله الدور الذي تقوم به جامعة الزيتونة بنونس ، وجامعة الأزهر بالقاهرة ، وجامعة القرويين بالمغرب .

ردود فعل الشعب ضد هذه السياسة :

ان هذه السياسة الفرنسية الاستعمارية الرامية الى مسح الشخصية الجزائرية ادت الى ردود فعل قوية نابذة من الفصح الاجتماعي للشعب الجزائري العربي المسلم . وكان من نتائجها ان نضالنا تضمن في كل وقت بعدين متلازمين : تحرير الوطن ، واستعادة القيم الرحية والثقافية المتمثلة في اللغة العربية .

وتجسد هذا النضال بادئ ذي بدء في حركات الاصلاح الديني والاجتماعي والتربوي ، التي ظهرت بوادرها في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، وكانت هذه الحركات تحت الشعب على تأسيس المدارس والمساجد ، والجمعيات الثقافية للمحافظة على اللغة ، والعقيدة . ونمت نموا مطردا بعد تأسيس الحركات الوطنية ، والاصلاحية التي كان منهاجها يتلخص في هذا الشعار « الاسلام ديننا ، والعربية لغتنا » والجزائر وطننا » .

كما ادى هذا الياء الوطني الذي كان اول رد فعل منظم ضد الفرنسية والتجهيل ، الى انشاء مئات من المدارس الحرة ، يعولها الشعب بواسطة التبرعات والاشتراكات .

ومع هذا كله فقد كان الجزائريون يبعثون بابلهم الى كل مكان تدرس فيه اللغة القومية ، طلبا للعلم واستزادة من المعرفة ، الى ان انطلقت الثورة التحريرية المطهرة في مطلع فجر فاتح نوفمبر 1954 م ، فاعتمدت اللغة العربية اساسا في معاملاتها الداخلية والخارجية وفرضت استعمالها في كافة الولايات الوطنية .

ذلك ان ايمان الثورة وايدولوجيتها مسنمان من اصالة الشعب الجزائري بماضيه التليد ، الماجد ، واعتزازه بلغته ودينه كجسر لمستقبله المشرق .

وانشاء الكوادر المسلح كاتب السجون والمعتقلات والمحتشدات عبر التراب الجزائري مدارس شعبية عامة يتلقى فيها السجن والمعتقل تعليما كاملا باللغة العربية .

وما ان استعادت الجزائر حريتها واستقلالها حتى اخذت تعمل بجهد لتستعيد مجدها الثقافي الاصيل ، وتخلص من النقيصة الفكرية البعيدة عن واقعها . وقد كان التعليم بكل انواعه من الميادين الحيوية التي تجلب فيه هذه الارادة الراسخة .

إن قضية التعريب هي مطلب وطني وهدف ثوري (ونحن لا نفرق بين التعريب وبين تحقيق أهداف الثورة في الميادين الأخرى) وأنا شخصيا أعتقد أنه يجب أن يكون الاختيار على هذا الأساس حتى يكون اختيارا واضحا

وإن الاختيار في الميدان الاقتصادي مثلا طرح على أسس واضحة ، وقد قلنا آنذاك هل نحن نؤيد فكرة بناء اقتصاد اشتراكي أم نؤيد فكرة بناء اقتصاد ليبرالي ؟ فكانت المناقشة على هذا الأساس واختارت اليسار المنهج الاشتراكي ، ولم نجد آنذاك أناسا أرادوا نظاما مشتركا نصفه اشتراكي والنصف الآخر ليبرالي ، فكان الاختيار كاملا .

إن اختيار البلاد كان دائما اختيارا كاملا ، وحاولنا دائما أن نتفادى الحلول الوسطى ولا يمكن أبدا أن نتحار الحلول الوسطى في القضايا المصيرية . فإذا انطلقنا من تحليل سطحي سليم للقضايا المصيرية لا يمكن أن نقف في وسط الطريق .

إذا فالتعريب بالنسبة إلينا هو مطلب وطني ، فهو هدف من الأهداف الكبرى بالنسبة للجماهير ، كل ذلك أنه توجد في الجزائر بنية متفجرة وشعب . وفي مثل هذه الحالة أعتقد أنه يجب على النخبة المثقفة أن ترجع إلى الشعب خاصة بالنسبة لهذا الموضوع لأن الشعب هو الذي احتضن عبر السنوات كل ما يمثل عصرا أساسيا لنا نسميه اليوم بالقيومات الشخصية .

ثم إن الاختيار لا يكون بين تعليم الفرنسي - الذي تمثل لا أكثر ولا أقل مرساة للشعب الجزائري وتحقيق الحلم الذي راود لمشترات السنين المستعمرين الفرنسيين في الجزائر ومسح هذا الشعب والفضاء على مقوماته وشخصيته وربطه بصفة نهائية لفرنسا حتى يصبح عبارة عن حضيرة صالحة لكل شيء - وبين تعليم الصربية .

إذا فالقضية قضية التعريب الكامل المطلق وهو هدف استراتيجي لا بد من تحقيقه لأنه ليس لدينا اختيار نحن نرغبون على السبيل في هذا الطريق .

من خطاب الرئيس بومدين في 19 جوان 1970

التعريب واقعه ومستقبله في المغرب العربي

حينما استقلت بلاد المغرب العربي وجسدت نفسها تحت عبء ضخيم تغلف من سيرة الاستعمار الفرنسي في هذه الاقطار ، سواء في الميدان السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي .

وليس من مهمة هذا الحديث أن يناول الأثر الثقيل في مختلف الميادين ، فذلك موضوع بناء استقلالنا على أنقاض هذا الأثر الضخم ، ولكننا نقتصر فقط على مشكلة أساسية تتصل بمقوماتنا الوطنية والقومية والفكرية . وهي مشكلة اللغة . فقد جاء الاستعمار بعقلية جديدة غريبة هي تغيير معالم انظار المغرب لتتكسب نموذجاً مموخاً لمعالم البلد المستعمر أو الدولة الأم كما كانت تسمى .



عبدالكريم خيلاوي
رئيس اتحاد كتاب المغرب
مدير جريدة عالمية المغربية

الفرنسية يترحمون لمدير الإدارة - ولكن أبسط إدارة أو أصغرها - ولحاكم - وليكون حاكم قرية مثلا - ما يقوله هؤلاء الأهل « ليزانديجين » من كلام يحسر لهمه على المدير أو الحاكم ، أو يقولون أياهم المدير والحاكم لهؤلاء ، « الانديجين » الذين لا يفهمون ما يقول المدير أو الحاكم

من هنا كانت المدرسة - على حالتها - فرنسية اللغة والتوجيه والفكر - وبما أن الإدارة كانت تحت السلطة الفرنسية ، فقد كانت هي الأخرى فرنسية اللغة والتوجيه ، وبما أن المسيحيين على الحياة الاقتصادية والاجتماعية كانوا هم الفرنسيين الذين لم يتأقلموا وبالتالي لم يتعلموا لغة البلاد ولم يسمعوها ، لأن صخبهم نقل هذه البلاد إلى بلادهم لا نقل الإنسان الفرنسي إلى بلاد الغرب العربي ، فقد كانت الحياة الخاصة هي الأخرى فرنسية اللغة في العمل والتاجر والحقل والشارع .

وهكذا وحدنا بلادنا بعد الاستقلال مغرسة في كل قطاعات الحياة المتحركة : اللغة والفكر والإدارة والحياة العامة .

حقيقة إن معظم أبناء الشعب كانوا يتكلمون العربية أو البربرية في المنزل والشارع - وأحيانا عربية أو يبرية مزوجة بكتبات فرنسية - تكثر سببها سنة بعد سنة - وهذه اللغة المنجذبة بها احتفظت لما يظهروا للغوى نسبيا ، ثم أن الإسلام والقرآن احتفظ لنا بكياننا العربي وبأصالتنا اللغوية - ولكن القرآن ظل منزويا في

كان ذلك هو منطلقهم في العمل الاقتصادي باعتبار المغرب ، ليكون هذا الاقتصاد مكسلا للاقتصاد الفرنسي دون اعتبار لما يجب أن تدره تنمية هذا الاقتصاد على الإنسان المغربي . ولذلك كان الاقتصاد لا يستهدف تنمية ما بين العمارة من موارد اقتصادية لصالحهم وصالح الجالية الأجنبية التي « تنميش » معهم ، ولكنه كان يستهدف سرقة مواد الاقتصاد من أرض ملاحية وموارد معدنية وثروة مسكية وصناعات مختلفة - إلا بعض الصناعات التقليدية التي لا تسد مالا - وتمليك كل ذلك للجانب حتى يصبح المواطن المغربي في الاقطار الثلاثة مرغما على أن يطيع ، لأن سياسة التقدير وسيلة للارغام وسبيل للطاعة .

وكان ذلك أيضا منطلقهم في العمل الفكري والتعليم واللغة أول مراحل هذا العمل . سياسة التعليم في الاقطار الثلاثة قامت على أساس الفرنسية . ولا تحتاج أن نتحدث عن قيمة التعليم ومستواه في السوق أو في الانتشار وكما فقط نشر إلى أن التعليم الذي « منح » لبعض المواطنين في المغرب العربي كان فرنسي اللغة ، بالإضافة إلى أنه فرنسي التوجيه والمحتوى والهدف منه - كما لا تحتاج أن نقول - ليس إخراج متقنين أو أطر كبرى للدولة ، فذلك من اختصاص الجالية الفرنسية التي كانت تتمتع بتعليم فرنسي متقن بمدارسه ، وأساتذته وبرامجه ووجهه إلى الجزائر أو تونس أو المغرب وإنما كان الهدف منه إخراج مساعدين للادارة

المشكلة التي وجدناها ان بعد الاستقلال
تشخص في النقط الآتية :

- اللغة الفرنسية هي لغة التعليم .
- هي لغة الادارة والحياة العامة .
- اللغة العربية - على ضعفها وانزوانها
واختلاطها - لغة الحديث تشاركها في ذلك
البربرية .
- هي لغة "مرآة" والتعليم الاصيل الذي
يتضال في وجوده من جهة - وليست له صلة
بالحياة العملية الادارية والاقتصادية من جهة
اخرى .

هذه الملاحظات اعطت لبلاد المغرب العربي
الصورة الآتية :

بلاد مستقلة سياسياً تستعمل في تطبيها
وادارتها لغة اجنبية وتتبع الفكر الاجنبي وترتبط
من اجل ذلك بالاقتصاد الاجنبي ، وتكاد تقتصر
ارتباطاتها الثقافية والاقتصادية على بلاد اجنبية
يعنيها يوحى ب اللغة المشتركة أو يامر منها .
وهو التمديد الصحيح .

وهذا ما دفع بالكثيرين ان يصنفوا في البلاد
"الفرقونية" ودفع بالبعض منا الى المشاركة
باسمنا في جميعات الجامعات والمؤسسات التي
تكونها البلاد المتحدة بالفرنسية (كلا أو بعضاً)
وكاد هذا التصنيف يجعلنا من البلاد التي ليست
لها لغة قومية . واصبح من حق الذين لا يعرفون
تاريخنا وحقيقة شعبنا ان يحسبونا من البلاد
افريقية التي لا يمكنها حضاراً وثقافياً الا ان

المساجد وعند اللغة الذين يتلون تيركا أو قهما .
ولمة المنزل والتسارع ليست اللغة الحية المتطورة
التي تسير الحضارة الفكرية والسمية الانسانية .
ولذلك ظلت شميقة مزلولة لا تكاد تعبر الا عن
أبسط الصليات الذهنية والرشبات البدائية .

ومعنى هذا ان لغة الحياة والفكر والادارة - وهي
لغة الحركة العملية للانسان المتطور - أصبحت هي
الفرنسية . وقد حاولت هذه اللغة ان تقضي حتى
على ما تبقى من لغة الحديث البسيطة ، أو لغة
القرآن المنزوية ، أو لغة التعليم الاسلامي وخاصة
في القرويين والزبونة والمدارس الاسلامية
بالجزائر ، ولكنها من حسن الحظ لم تستطع ان
تفقد الى اهدافها . والفضل في ذلك يرجع الى
الاسلام والقرآن أولاً ، ثم الى التمسك القوي
بقوميسا . فقد ظل المستعمرون اجانب رغم قرن
وقلت قرن من الاستعمار في الجزائر ، وثلاثة
ارباع القرن في تونس وثلاثة واربعين سنة في
المغرب - ثم يرجع الفضل ايضا الى السروح
الاستعمارية التي كانت تدفع بالمستعمرين الى
نوع من التعالي على المواطنين في الاقطار المغربية .
وهذه سياسة دفعت بالمواطنين الى التشبث
بالعزلة عن الفرنسيين . ولذلك فقد كاد استعمار
فرنسا استيطانيا . ولكنه لم يكن استعماراً
انداسياً . وهذا من مصالحة احتفاظ شعوب
المغرب العربي بمقوماتها الذاتية ، ومنها اللغة
العربية في مظهرها البسيط كلفه حديث ، وفي
مظهرها الميق المنزوي كلفة القرآن والاسلام .

في المغرب والجزائر) يندفع بالطفل الى الانجذاب
الى هذه اللغة احسن من لغته واحسن مهسا
بالاستعمال في العلم ، والا لا احتيرت لتكون لغة
تلقين . ومن هنا يبدأ الشعور بالنقص = ان لم
تفل بالاحتقار = ازاء اللغة الوطنية .

ح = مما لا شك فيه ان اللغة الفرنسية
مدرسة أكثر وكتبت منظمة ولها صلة بالحياة ،
وعلى الاخص في الكتب التي تستعمل في المدارس
فهى اذن الاقوى . وحينما يجد الطفل نفسه بين
لغتين احدهما تمكنه من الفهم والتفكير أكثر من
غيرها يميل اليها بوعي منه أو بغير وعي لتصله
بالحياة الاجنبية فكريا واقتصاديا على حساب
لغته ومصلحة بلاده . كل ذلك نتيجة لسباق
لغتين ليست لهما نفس الحظوظ ونفس الامتيازات

د = الازدواجية تفرض مزاينة مضاعفة -
مقربا للتعليم = فوزارة التربية مضطرة ان تنعق
على تعليم اللغة الاجنبية منذ المرحلة الاولى
للاندائي . ثم هي مضطرة الى توظيف مدرسين
وامانة اجانب لا لتعليم اللغة الفرنسية فحسب
ولكن لتعليم العلوم الملقنة بالفرنسية . ويقطع
النظر عن ان فرنسا لم يعد في استطاعتها ان تلبى
حاجاتها الى هؤلاء الاساتذة ، ويقطع النظر عن
لمسرى المنحدر الذي اصبح عليه الاساتذة الذين
يرسلون الى هذه الاقطار في نطاق المساعدة التقنية
فيمطهم من المحدثين الذين ليس لهم مستوى
بيداغوجي تربوي ، وانما يرسلون اليها ليدوا
واجب الخدمة العسكرية في عمل عدني هو تعليم
ابناء افريقيا والمغرب العربي .

تلجا الى لغة حديثة معروفة بانها لغة علم وحضارة
هى الفرنسية لتكون لغتها .

هذا مطهر من مطهر الانحياز الناتجة عن
الوصعية الدعوية التي ورنها عن الاستعمار .
وهو مطهر خطير لانه يسلبنا من احد مقومات
كياننا القومى وهو اللغة .

وباقى الاخطار ننصورها كما على :

1 - استمرار الشعور بالنقص أو التشكيك
في النومية العربية واللغة احدى معوماتها .

2 - الارتباط المستمر باللغة التي نستطيع
التفكير بها . ومتى ارتبطت باللغة التي تفكر بها
ارتبطت بالتفكير والاقتصاد واجتمع الفئ ينسج
من هذه اللغة . واذن فسقط مستمري ولو
كنا مستقلين .

3 - استعمال هذه اللغة كلفة تفكسج في
لتعليم يفرض عدة صعوبات تعرق تطور التعليم
وتعرق نمو تعليم الطفل وفي معدتها :

أ - تعليم الطفل لغتين في وقت واحد يحد
من قوة ادراكه ويجعله يعاني مشكسة الازدواج
الادراك والفهم . وخطر ذلك تربويا واضح جدا ،
وخاصة بتعليم لغتين يختلف قواعد ومطن احدهما
عن الاخرى ، وبذلك يحرّج الطفل ضميما على
لغتين معا .

ب - استعمال الفرنسية كلفة تلقين للمواد
العلمية والرياضية والاجتماعية كما كان الامر
من الاستقلال في اقطارنا الثلاثة (وقد بدأ
الوضع يتقر الآن بتعريب التاريخ والجغرافية

التعريب والعه ومستقبله في المغرب العربي

الفرصة لهذه اللغة كي تبقى متغلبة على لغتنا القومية من جهة أخرى ، وإسرافاً في ميزانية التعليم على حساب التعميم ورفع المستوى من جهة ثالثة .

هـ - من المعروف ان جزءاً مهماً من المواطنين في المغرب والجزائر على الاخص يتحدثون البربرية أو لهجة من لهجاتها المتعددة في البيت وريساً في الشارع أيضاً . فإذا كانت لغة الحديث عنده هي البربرية - وهو لا يتعلمها في المدرسة كلفة علم وثقافة - ولغة العلم والكتابة والإدارة هي الفرنسية ، فقد تحقق ما كان يفضله الاستعمار الفرنسي من السياسة البربرية التي حاول أن يطبقها في الجزائر والمغرب ، وانفصلت عناصر الشعب فكرياً ولغوياً بعضها عن بعض - وأصبحت اللغة المشتركة للتفاهم هي الفرنسية التي هي لغة أجنبية عن بلادنا تماماً ، كما هي لغة تفاهم بين الشعوب المختلفة في المؤتمرات والمنتديات الدولية .

و - استورد المواطنون في المغرب العربي اعتبارهم ، ولم تمتد صلتهم بالإدارة مقتصرة على تنقيح التعليمات والأوامر ، ولكن الإدارة أصبحت - أو هكذا يجب أن تكون - في خدمتهم وصليفة المشاكل التي تفتش طرقهم أثناء عطلهم الحياتي اليومي سواء كان عملهم يتصل بالفلاحة أو التجارة أو الصناعة أو السياسة أو البناء والتعمير أو بالتحصين أو الاداء في البريد والمصارف الخ دخل المواطن الحياة العملية من أوسع أبوابها نتيجة لإعلان الاستقلال ، فكان ذلك انقلاباً في

بالإضافة إلى ذلك فهم يحصلون على مرتبات عالية تماثل على الأقل ثلاثة أضعاف مرتب الاستاذ المواطن . ونظراً لهذه المرتبات التي لا تحتلها ميزانية التعليم في بلاد نامية كالمغرب أو الجزائر أو تونس فإن تكاليف التعليم تصبح مصاعفة مما يعود بالضرر على تميم التعليم ورفع مستواه . وفي هذا الإطار يمكن أن نقل شهادة مسنوعة البنك الدولي التي زارت المغرب في سنة 1966 لدراسة مشاكله الاقتصادية وقد جاء في تقرير هذه البعثة (وهو رأى صادر عن تفكير اقتصادي وليس عن تفكير قومي أو وطني حتى ينهم بالتطرف) : « تعتبر بعثة البنك الدولي أن المغرب لا يمكنه أن يستعمل في تعليمه لغتين إلا في ذلك من أسرف - ولهذا فإن البعثة توصي بأن يختار المغرب اللغة العربية ويقوم في اللغة التي تنتهي في سنة 1970 بالمهام الآتية :

- 1 - اتخاذ التدابير الضرورية لجعل اللغة العربية صالحة لتلبية حاجيات العصر .
- 2 - جعل اللغة العربية لغة الادارة .
- 3 - جعل اللغة العربية لغة التعليم .

أما فيما يخص التعريب فيجب حالاً تعريب التعليم الابتدائي جميعه . ويصب تعريب التعليم الثانوي ابتداء من السنة الدراسية 1970 - 1971 ويجب كذلك تبني لغة ثانية (الفرنسية أو الإسبانية أو الانجليزية) ابتداء من السنة الاولى من الثانوي . »

كل ذلك يؤكد أن بقاء اللغة الأجنبية كنسبة تلقين يعتبر محاسناً بقوميتنا من جهة ، وإعطاء

على صلة بهذا العمل مبتدئا عن عدم تحليل العمل الشعبي والحكومي الذي قام به القطران الشقيقتان لتقص ملامحتي في الموضوع *

كان تطلع الشعب يستهدف تعريب التعليم والادارة * وكانت المنظمات الوطنية تطالب بهذا التعريب في الوقت الذي كانت الحكومة وادارتها تشعر بنوع من الحيز عن الاستجابة لهذا المطلب الشعبي *

وساعدوا الى هذه النقطة الاخيرة فيما بعد *

فيما يخص المطلب الشعبي تجل عند المواطنين وفي الصحافة الوطنية التي كانت تلح دائما على تعريب التعليم والادارة باعتبار التعريب قضية وطنية أولى * وقد اسست في المغرب عدة لجان وطنية في اطار وزارة التربية شارك فيها ممثلون عن الاحزاب والنفابات والجمعيات الثقافية والاصانلة والمتقنين عموما ، وكان التعريب هو الحل المقترح لحل مشكلة التعليم او جانب منها على الاصح * فهو سبيل التمسك ومغربة الاطر ووسيل المتعلم ببيئة بلاده ومجتمعه *

كان هذا هو اتجاه اللجان المختلفة * وهو الاتجاه الذي تبناه المجلس الاعلى لتعليم في الدورات التي اجتمع فيها * ثم كان هو المطلب اساسي الذي قلم مشروعه فريق التعادلية والشموعية الى البرلمان الال سنة 63 و 64 *

مرحلة اخرى مرت بها مشكلة تعريب التعليم في المغرب الاقصى *

حياة الانسان المغربي كان من الطبيعي ان يمتح الاداة الضرورية للتصرف وفق هذا الانقلاب * اعني ان تتحول الادارة لصالحه ، وان تكون في حكمته على قدر ما يستطيع ان يستفيد من هذه الخدمة ، فتتخل عن تعقيداتها ومكنيتها (بيروقراطية) وسعيرا التقليدي البطيء المطرد (الروتينية) ، وفي مقفلة ما كان ينبغي ان تتخل عنه : اللغة الاجنبية التي كانت دائما حاجزا بين المواطن العادي والاستفادة من الادارة التي كان يشرف عليها الاجانب ، فاصبح يشرف عليها في الغالب مواطنون ولكن بلفة اجنبية * الادارة في بلاد المغرب العربي كانت اسلم ضرورتين لا محيد عنها اذا ارادت ان تكون في مستوى الاستقلال الذي حققه الشعب بفضاله :

اولهما : تطهير الادارة بالمواطنين *

ثانيهما : تعريب الادارة *

بهذين العمليتين يمكن القضاء على الزلزلة المتبادلة بين الادارة والمواطن *

نود نقول اننا وجدنا أنفسنا في بلاد المغرب العربي امام مشكلتين :

— تعريب التعليم *

— تعريب الادارة والحياة العامة *

ومن الاضافات للتاريخ ان نقول : ان الشعب مثلا في منطقاته الوطنية أخذ يشعر منذ اليوم الاول للاستقلال بضرورة تعريب هذين القطاعين * ويمكنني ان اتحدث عن العمل الشعبي قريبا يخص تجربة المغرب الاقصى لاني كنت وما ازال

في الجوهر ، وممثلها قدمت وأيا جملا « غير أن حزب الاستقلال قدم مذكرتين أحدهما في يونيو 1966 وثانيتهما في أغسطس من نفس السنة »
وعما دراستان مستدتان بالأرقام والرأي الترجيحي وتهمتا فيما يخص التعريب المذكورة الأولى وهي تخطيط ثنائي لتعريب التعليم في المغرب يشتمل على الأسس الآتية :

- تخطيط محكم في الزمان والمراحل التعليمية والسنوات .
- تكوين للمعلمين والإساقفة المغربية الأطر .
- تأليف الكتب المدرسية لتغطية مراحل التعليم المغرب .
- تحديد المصطلحات العلمية والتقنية المغربية .

وتقترح المذكرة تخطيطا زمنيا لتحقيق التعريب في ثمان سنوات تفصلها بالأرقام سواء نسي المرحلة الابتدائية « الثانوية » بحيث يتم تعريب المرحلة الابتدائية في أربع سنوات تنتهي سنة 1970 . ويتم تعريب المرحلة الثانوية سنة 1973 ويشمل التعريب المواد الأدبية والعلمية . ويقوم البرنامج المقترح على أساس ميكانات الدولة وفي نطاق الميزانية المخصصة للتعليم .

طلت المشكلة قائمة دون أن تجد لها حلا . وظل التعليم والإدارة فرنسيي اللغة ورغم المحاولات التي بذلت هنا وهناك - ولكن الشعب ظل يطالب بتعريب الطاعين معا - وهو يعرف أن تعريب التعليم لا يكون محضيا دون تعريب الإدارة . وبالتالي لن يكون تعريب الإدارة ناجزا دون تعريب التعليم .

كان ذلك في ربيع سنة 1966 حينما تقدم وزير التربية آنذاك بشروع مذهب لاصلاح التعليم وأثار هذا المذهب ردود فعل على النطاق الوطني وعارضته المنظمات الوطنية « وبمسا من هذا المذهب ومعارضته جانب التعريب »

يقول المذهب الذي أعلنه وزير التربية في ندوة صحفية « فترة مه تحت عنوان : ضرورة اختيار لغات التعليم : « أن تعريب التعليم يعتبر هدفا من الأهداف الأساسية التي قر العمل على تحقيقها عند الاستقلال » ولكن إذا كان من السيسر الاتفاق على مبدأ من المبادئ « فإن تطبيقه بدون وسائل أمر ليس باليسير ولا باليسر »
إن اصلح وسيلة لتعريب التعليم تكمن في تكوين أطر وطنية ذات كفاءة ومقدرة « والواقع أنه يستحيل على المغرب الآن وبعد سنين أن يجد ما يحتاج إليه من أطر وطنية يمكنها أن تدرس المواد العلمية بلغة الفصاد ولا سيما في التعليم العالي والتعليم الثانوي ، وأجهة ما سيلتحق به من تلاميذ تقدر بنحو 1.600 أستاذ جديد في كل سنة « بالإضافة إلى تمويل 4.600 أستاذ اجنبي الموجودين حاليا في المغرب ... فالظاهر إذن أن استعمال لغة اجنبية كأداة لتدريس المسواد العلمية لا زال يعتبر أمرا لا محيد عنه لفترة انتقالية » .

ونظرا للمعارضة القوية التي لقيها مذهب السيد الوزير فقد قام جلالة الملك باستشارة الأحزاب السياسية وإنهيات الوطنية عمن السياسة التي ينبغي اتباعها فكانت أجوبتها متفقة

أيهما يجب أن يكون مقدما على الآخر ؟

من الواضح أن التعليم الذي يكون الأطر الإدارية يجب أن يكون مغربا حتى تستطيع هذه الأطر أن تستعمل العربية في عملها الإداري ، ولكن أفراد تعريب الإدارة وفق تحفيظ زمني وفي قطاعات متماثلة يمكن أن يكون ضغطا على تعريب التعليم .

المشكلة من حيث المبدأ مغرور منها ، أو كان يجب أن تكون كذلك ، فقد وجد في المغرب ، وربما في الجزائر وتونس ، من يعتقد أن تعريب التعليم أو الإدارة فكرة نابعة عن تعصب لا ينظر إلى المشكلة من وجهة نظر واقعية ، ويعمل هؤلاء وجهة نظرهم بأن اللغة ليست الأ وسيلة ، وليس من مصلحة الآن أن نهم بالوسائل على حساب الأهداف ، الهدف هو التعليم وهو سير الإدارة وليكن ذلك بآلة لغة كانت ، خاصة وأننا سرنا في طريقنا خطوات بأحدى الوسائل هي الفرنسية فلا معنى لأن نعمل عنها لقبلا من جديد بوسيلة أخرى هي العربية .

وما من شك في أن هؤلاء تراودهم فكرة تقدم اللغة الفرنسية كلفة علم وحضارة ودبلوماسية ، وتعلم العربية في كثير من الميادين ، ولذلك فهم ينظرون إلى الجانب الأسهل في الموضوع ، وهو استعمال اللغة المتطورة ولو على حساب اللغة القديمة ، بدلا من أن ننهي بلفتنا لتكون وسيلة التعليم والإدارة مسنعتين باللغات الأجنبية المتطورة عالميا ، وكثير منها يفوق الفرنسية في الميدان العلمي والتقني .

هؤلاء ، فلة ما يزالون مستبدين تحت التأثير الاستعماري من الاحساس بأهمية اللغة كأحدى مقومات القومية والوطنية ، وأحيتهما في استرجاع الكيان الوطني ، بل والاقتصادي ، لبلاد ضلت تحت نير الاستعمار فترة قصيرة من الزمان .

يقطع النظر عن هؤلاء المعارضين ، وهم قلة ، كما قلنا ، لا يصمدون لحوار فكري في الموضوع ولا يجراؤن على الجهر بإفكارهم به الدماغ عنها ، فإن هناك مشاكل تعف في وجه التعريب يرددها المعترضون والباحثون عن الحقيقة بحسن نية ، نلخصها فيما يلي :

1 - اللغة العربية غير اهل لأن تساير التقدم العلمي والتقني .

وهذه الفولة التي تفرى الكثيرون من الذين يجهلون العربية ولا يعرفون ماضيها ، كما تؤثر على الكثيرين من الذين عاشوا في مجتمع فكري بعيد عن اللغة العربية ، لا يعرفون مثلا غير الفرنسية ، وقد يحسون بأن غيرها من اللغات - الانجليزية أو الألمانية أو الروسية - غير قادرة على أن تساير التقدم العلمي والتقني .

وقد تكلم نالرد على هذا الإيهام كثير من المختصين في علم اللغات المقارن وشرت في المغرب عدة أبحاث ومقالات وألقيت عدة محاضرات لرفع هذا الإيهام من عقول الذين يمكن أن يفرسهم بنظفه . ويمكن أن أذكر على سبيل المثال المجهود الذي بذله الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله الأمين

يحتاج يوميا الى عشرات - إن لم تقل - مئات - الكلمات الجديدة المبتكرة *

وفي هذا الميدان يستطيع المغرب العربي ان يستفيد من خبرة المشرق ، فهي لغتنا جميعا ، كما يستطيع ان يستفيد من الجهود التي يبذلها مكتب تنسيق التعريب ومعهد التعريب ، فلم يشأ الا للاحقة التطور المسمى ولتفتي *

ومهما يكن ندس هناك نقص في المصطلحات المدرسية بحيث يعرقل تعريب التعليم الذي كان معرا منذ البداية في معظم البلاد العربية *

3 - نص الاطر التعليمية المعربة *

وهذه مشكلة حقيقية - ولكن حلها واضح يتلخص في تكوين الاطر وفق برنامج وتخطيط زمني مرحلي - وما ان التعريب يمكن ان يطلق ابتداء من القاعدة (المرحلة الابتدائية) ومن القمة (المرحلة الجامعية) فان تعميده سيكون بحسب ميكانات تكوين الاطر - بل يمكن تطبيقه بحسب الاقاليم مثلا ، أي اننا نعرب كل اقليم استطاعنا تكوين المعلمين والأساتذة الذين ستعرقهم عذرسه *

ومن الواضح ان تكوين الاطر في السعي لا يختلف عن تكوينهم في أي قطاع متحرك - اقتصادي أو صناعي - فلكي تؤسس مصلا لا بد من تكوين اطره * وفئة الاطر أو اعدادها لم يعرف الحياة الاقتصادية عند الدول التي تصنع نفسها من ان تسيير في طريق التصنيع * والحاجة تخلق الوسيلة كما يقال *

العام للمكتب تنسيق التعريب النابع لنجاحات التعريب * وعقره الرابطة سواء بالابحاث التي كتبها عن قابلية اللغة العربية لمسايرة التقسيم العلمي واعتقني ، أو الابحاث التي كتبها مساعده في المكتب ونشرتها مجلة لسان العرب * كما يمكن ان اذكر المقالات والابحاث التي كتبها الأستاذ أحمد الأخضر مدير معهد التعريب في حرية العلم والمحاضرات التي ألقاها في الموضوع *

ومن كل هذه الابحاث يتضح ان قابلية اللغة العربية لمسايرة التطور العلمي والتعني حقيقة علمية لا يمكن ان يجادل فيها الا من يجادل في انقابلية التي اكسبتها اللغات الاخرى كالروسية والصينية واليابانية مثلا مع ان جميعها كانت لغات متحفة - تقنيا وعلميا - في الربع الاول من هذا القرن ، أو في القابلية التي اكتسبتها اللغات الأوروبية المتقدمة كالفرنسية والانجليزية والالمانية وتاريخ تطورها معروف وتعيش ح. منه يوميا -

2 - اللغة العربية ناقصة في المصطلحات العلمية والتقنية والادارية *

واذا كان هذا حقا بالنسبة للغة المستعملة في المغرب العربي فانه عار عن الصحة - تقريبا - في اللغة المستعملة في المشرق العربي * فقد استطاعت امدارس والجامعات في المشرق ان تعرب وتبتكر مصطلحات في العلوم الطبيعية وما فيها الطب والهندسة والزراعة والفيزياء والكيمياء وعلوم انفساء * وما زال تسير في هذا الاتجاه ولو انها لا تلاحق التقدم العلمي والتقني الذي

4 - نفس المشكل - أو المشكلتين السابقتين - يتأثران عندما تعرض قصيدة تعريب الإدارة - المصطلحات الإدارية ناقصة - الأطر الإدارية غير مبره - وقد تحدثنا عن معالجة مشكل المصطلحات أما مشكل الأطر الإدارية الحالية - ويضحا لا يعرف العربية - فإن هذا « البضى » لا ينبغي أن يمرر بل تطور إدارتنا نحو التعريب - ثم إن الحكومات تستطيع أن تكون هؤلاء تكويناً سريعاً في اللغة العربية المبسطة التي يستطيعون بها أن يسعروا علومهم الإداري - وقد حاولت وزارة الشؤون الإدارية بالمغرب سنة 1965 القيام بهذا التكوين للموظفين الذين لا يحسنون العربية في مختلف القطاعات - وأتت المحاولة بفضي ثمارها - ولكن المشروع أقر بعد التغير الوزاري آنذاك - وقامت الجزائر بشروع على آخر هو وقف ترقية الموظفين الذين لا يحسنون العربية إلا بعد أن يحسنوها -

على أن لغة الإدارة لغة بسيطة غير معقدة ويمكن إتقانها والتعريب عليها عند الاستعمال بسهولة، كما أتقن الموظفون الإداريون اللغة الفرنسية بالاستعمال - فكثر من مصطلحاتها لم يكونوا يعرفونها قبل الممارسة -

فإذا أضيف إلى علين كهذين قرار حكومي منفذ بتعريب الإدارة فيسبب ضغط الموظفون الذين لا يحسنون العربية أن تعلم هذه اللغة والا كانوا معرضين لأن يفقدوا وظيفتهم -

5 - انخفاض المستوى -

ولعله من الواضح أن مستوى التعليم انخفض نسبياً (هذه تجربة المغرب وربما كانت تجربة كل من الجزائر وتونس أيضاً) - والذين يلاحظون انخفاض مستوى التعليم يخشون أن تزداد نسبة الانحياز إذا ما عرب - وأسياب انخفاض مستوى التعليم ترجع إلى أنه لم يعد للتخبة بل أصبح - إلى حد ما - معيماً في المدن الكبرى على الأقل - في الوقت الذي لم تهتم الحكومات ببناء الأقسام الكافية لاستيعاب الكثرة التي تكسدت في الأقسام كما لم تهتم بتكوين الأساتذة تربويين (بيداغوجيين) تكويناً قوياً - والأساتذة والمعلمون من فرنسا مثلاً أصبحوا نى مستوى أقل مما كانوا عليه أيام الحماية والاستعمار -

اذن فالتعريب لن يكون نسبياً في انخفاض المستوى إذا نفذ بشروطه : أي تكوين الأطر علمياً وتربوياً باللغة العربية - مع رفع الأسباب التي أدت إلى انخفاض مستوى التعليم ولا صلة لها مطلقاً بالتعريب -

معنى هذا أن معركة التعريب مبروكة من الوجهة النظرية - وكل الاعتراضات التي يثيرها خصوم التعريب بحق أو بباطل - بحسن نية أو بسوءها - إنما هي اعتراضات شكلية وصعوبات عادية يمكن التغلب عليها عند الممارسة - وإذا كنا جميعاً متفقين على أن التعريب هدف فيجب البدء بالوسيلة للحصول إلى الهدف - مع العلم بأن لكل تجربة مشاكلها وصعوباتها - ومع العلم أيضاً بأن صعوبات التعريب أقل مما تتصوره - والمشاكل التي يثيرها خصوم اللغة العربية فتلقى

على منهج واحد يستفيد بعضها من تحديرات الأثر وفق تخطيط محكم موقوت * ونحن لا ندعو الى مؤثر من هذه المؤثرات النظرية التي تنهى بتوصيات تنشر في الصحف وينسأها بعد ذلك حتى الذين وضعوها ، ولكننا ندعو الى مؤثر على يبحث وسائل تنفيذ التعريب في الإدارة والتعليم* ونعتقد ان مؤثرا من هذا المستوى يمكن ان يكون فيه نوع من الالتزام يساعد شعوبنا على الخروج من المأساة الفكرية والعملية والنفسية التي نعانيها : مأساة شعوب تعلم وتعامل بغير لفتها*

صداها في النفوس هي مشاكل وهمية ستتبدل بمجرد الاقتناع بكل مقومات قوعينا ، وستنتهي عندما تبدأ في التنفيذ *

والذي اعتقده ان اشتراك المغرب العربي في المشكلة كان يجب ان يمتد على حلها في نطاق المغرب العربي بمؤثر يعقد رجال التربية والتعليم تحصره دمرة من المتعدين يستهدف البحث في صلاحية اللغة العربية لتكون لغة تلقين وإدارة* ثم وضع الاسس والاساليب لتنفيذ المبدأ حتى ما أقره المؤتمر حتى تسير كل أقطار المغرب العربي



كتبت «فرانس سوار»: «إن حرب البترول» هي التي نشبت بالفعل في هذه المرة
إنها حرب اقتصادية وسياسية في وقت واحد . أن قضايا الصناعة البترولية معقدة إلى
درجة أنه إذا أعرض جيراننا البترول فإنه قد يعوضاً أيضاً حتى ولو قررت حكومات
بذل الخليج العربي اتخاذ موقف إيجابي من الحكومة الفرنسية »

تلك هي لتأنيج الدرع الذي تقدمه الأوساط الامبريالية للصوان الاسرائيلي على
الشعوب العربية . وقد قال جيهيد اموزيقار، وزير مالية إيران ، أن القرب يفقد قرابة
..... من من البترول في اليوم بنتيجة المقاطعة . وذكر أن شحن البترول إلى
البلدان القريبة سيؤدي انخفاضاً عما قريب .

وتجدر الإشارة إلى أن رجالات الأحصال في أميركا الذين لا يوافقون على سياسة
دعم اسرائيل كانوا يملكون، منذ زمن طويل، من مثل هذه النتائج . فمن المعروف أن
رئيس ادارة الشركة البترولية « ستاندارد اويل اوف كاليفورنيا » اوق ميل كانت
يقول بأصرار أن على الولايات المتحدة أن تولي مزيداً من الاهتمام لمطالب البلدان العربية
وأن تكون أكثر انتقاداً لوقف اسرائيل .

إن عمل البترول يعمل بمنحوله بقوة اكبر في الوقت الحاضر . ولم يعد في وسع
واشنطن أن تتجاهل أن من مصلحة الاقتصاد الوطني الأميركي الاسباب في تسوية أزمة
الشرق الأدنى . وقد كتبت صحيفة « كريستيان ساينس مونيتور » تقول : « إن أربع
حروب في غضون ربع قرن قد بينت أن من المستحيل الحصول على مثل هذه التسوية
بنتيجة العمليات العسكرية . أن اسرائيل لم تعد تستطيع مواصلة احتلال الاراضي
العربية الجديدة فالجديدة . كما أنها لا تستطيع البقاء لمدة غير محدودة على الحدود غير
القبولة بالنسبة للعرب ولاغلب أعضاء منظمة الأمم المتحدة .

وقالت « نيويورك تايمز » بدورها « إن الحل الوحيد الذي يمكن أن يحد ما انت
يرور التضحيات المؤلفة التي عاناه حالياً الاسرائيليون والعرب هو في تسوية سياسية
شاملة تراعي مصالح جميع بلدان وشعوب الشرق الأدنى » . وكل حال آخر سيكون
مناقياً للاتجاه السائد في تطور العلاقات الدولية . الانجساح نحو الانقراج وهو يدعم
الامن العالمي .

أضواء على قسم اللغة الوطنية في كلية العلوم

لقد كثرت النقاشات حول قضايا التعريب في هذه الأيام * ولذا رأى صديقي السيد محرم هذه المجلة أن أملي ببعض التصريحات التي تتعلق خاصة بقسم اللغة الوطنية في كلية العلوم *

وانتفى انتهت هذه الفرصة لأعطاء بعض التوضيحات عن هذا القسم العلمي المعرب ، ليس كمسؤول لأنني لمت مسئولاً فعلاً عن طريق رسمي ، وليس فقط كمعيد في هذا القسم ولكن كاتحاد شارك بكل ما لديه من قوة في استتباب وضع هذا القسم منذ اللحظة الأولى لانتشائه إلى يومنا هذا ، وأنا مسؤول مسؤولية شخصية عن كل كلمة أقولها في هذا المقال *

المهندس عبد الحميد شتيبي

معيد في فرع الميزاب
قسم اللغة الوطنية
كلية العلوم - الجزائر

المقسم الحرب بالعلوم الشهادات الاخرى العليا
مثل شهادة الدراسات العليا D. E. S. سواء كان
هذا في قسم العلوم الطبيعية او في العلوم
البيولوجية او كذلك شهادة للهنس في مجال
العلوم الهندسية ؟

هذا استمّال كثيرا ما كان مصل نقاش بين
صفوف الطلبة وغيرهم - واكثر الآراء انتشارا
والتي سمعتها من اكثر من مصدر ان المسؤولين
يشكون في مقدرة اللغة العربية على مواصلة
الدراسة في هذه المجالات المتقدمة من التعليم وانه
ليس لهم اي ايمان باللغة العربية او بالتحريب .
وفي الحقيقة انا لا اشارك الاخوة في هذا الرأي .
وفي اعتقادي ان المسؤولين في الوزارة وفي
الجامعات قد فكروا في مصلحة الجزائر وفي
شأن تمرير التعليم الثانوي فيها غارادوا كمرحلة
اولى تكوين الشباب الجزائري المغمرب في العلوم
فينخلون هذا الميدان بجانب اخوانهم المغمرب
امعاريين الى الجزائر ثم الاستعداد لمد عجز او
نقص محتملين في صفوف اساتذة التعليم الثانوي
في العلوم باللغة الوهنية فالموضوع ان يمس
الجزائر في تطور تعليم الثانوي باللغة العربية
فيها .

والآن اذا طرحت مسألة الشهادات العليا
لسابقة الذكر امام المسؤولين فماذا سيكون رد
فعلهم ؟

اعتقد انهم سيبحثون أولا عما اذا ان الان
لهذه الشهادات ام لا ؟ ثانيا اذا اتخذ المسؤولين
قرارهم في فتح باب الشهادات العليا قسلا ،
هل يكون هناك في الامكان توفير الامكانيات ...
كل الامكانيات في الاطارات والمراسم
وغيرها ... ؟ هذا موضوع شائك وستتناوله
فيما بعد .

وقد ان اتطرق الى اي موضوع انتهي الفرصة
كنتك واقوم بدعوة عن طريق هذه المجلة لاطلس
اخواننا الطالبات واخواننا الطلبة في الثانويات
والذين يدرسون باللغة الوطنية او الذين هم في
الفصول اثنائية اللغة Bi angue على ان هناك
قسم في التعليم العالي بكلية العلوم جامعة الجزائر
يدرس المواد العلمية في كلتا فرعها .

١ - العلوم الطبيعية والتكنولوجية

Sciences exactes et technologiques

ب - العلوم البيولوجية Sciences Biologiques

لقد انشئ هذا القسم بمقتضى قرار وزاري
في اكتوبر او نوفمبر عام ١٩٧١ (ارجع الى
الجريدة الرسمية) وبمقتضى هذا القرار فقسد
تخصص هذا القسم لتفريخ النفعات من اساتذة
التعليم الثانوي بعد الحصول على شهادة ليسانس
التعليم Licence d'Enseignement والتي تطول
مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات يختار فيها الطالب
تخصصا حسب ما اذا كان في قسم العلوم
الطبيعية والتكنولوجية او في قسم العلوم
البيولوجية .

وهذه التخصصات هي بالنسبة للمقسم الاول
(ع - ص ٢) في تحضير ليسانس التعليم :

١ - فيزياء وكيمياء (أ)

ب - فيزياء وكيمياء (ب)

ج - رياضيات

بالنسبة للقسم الثاني (العلوم البيولوجية) في
تحضير ليسانس التعليم :

١ - علم الحيوان

ب - علم النبات

وانتويف منا لحظة لارد عن تساؤل كثيرا ما
يطرح نفسه وهذا التساؤل هو لماذا لا يفتح في

الشمول أو العموم التي لها مقدره أكبر في حل المشاكل بصريقة جفرية وخاصة أن كل الطلبة هم طلبة جزائريون والبعض الآخر من الاقطار الصنفية وأن كل المسؤولين هم مسؤولون جزائريون ويجب على كل مسؤول طبعاً أن يتحمل مسؤوليته *** فلو فكرنا إذن في خلق إدارة خاصة بالقسم العرب فمعنى هذا أنه ليس لدينا ثقة في هؤلاء المسؤولين وهذا بطبيعة الحال شيء خطير *** وأرى كذلك أنه من الأفضل ألا يعمل هذا القسم عن باقي اكلية لأنه لربما أن تكون هذه الميزة هي الضرورية القاسية عليه بدلاً أن تكون هي نجيته *** فإذا كانت هناك مشاكل فستكون عامة على كل من في الكلية وإذا كان هناك إصلاح فستكون عام على كل من في اكلية ولهذا يواصل الجميع في الصواب والصواب ولا خير لعربي على أعجمي إلا بالعمل الصالح *

ربما يريد البعض أن ينتقد الإدارة فأقول أن أي إدارة في الدنيا محل نقد ولا يتجو منها أحد وخاصة إذا تكلمنا عن إدارتنا في الجزائر ككل وهذا شيء يعرفه الجميع *

أذن كان هذان التضاؤلان اللذان كنت أريد أن أدلي برأي فيهما ولست أدري ما إذا كان هناك تساؤلات أخرى وعلي كل حال غالباً مفتوح للنقاش ويمكن أن تناول أي نقطة بالمبحث *

أريد أن أتطرق الآن بمصرعة إلى النواحي الإيجابية والنواحي السلبية في القسم العرب بكلية العلوم حتى يكون الطريق واضح أمام الأخوة الطلبة الذين سيحاولون شهادة البكالوريا في نهاية هذه السنة الدراسية *

أول كلمة أقولها أن قسمنا العرب بكلية العلوم بخير - واعتقد أن البعض سيتصور من هذه الكلمة -

ولكن رغم ذلك فقد أصبح بعض الطلبة الذين لهم رغبة في تحضير الشهادات العليا ورأوا في مقدرتهم متابعة دراستهم باللغة الفرنسية (رغم عدم إجادتهم لها إجادة كاملة) ولكن مقدرتهم هو ذلك الحافز القوي الذي يدفعهم إلى الاستزادة من التعليم وعندها رأى المسؤولون أنه ليس هناك أي مانع أن يتابع الطالب الذي يريد أن يتابع دراسته طالما أن العلوم هي العلوم سواء كانت باللغة الفرنسية أو باللغة الانكليزية أو بالنفسي الصربية فالمرسوخ لا يتعدى أن يكون موضوع مصطلحات ويعرف اللغة الأخرى معرفة متوسطة يمكن للطالب أن يواصل - على ذلك فقد قرر عميد الكلية أنه بعد الفصل الرابع أي بعد سنتين يقضيه الطالب في القسم العرب يمكنه بعد ذلك أن يحول إلى القسم الفرنسي لتحضير الشهادات العليا *

ثم ثلثي بعد ذلك إلى سؤال يطرح نفسه دائماً وهذا السؤال هو التدهار بخلق إدارة خاصة بقسم اللغة الوطنية داخل كلية العلوم ؟ في الحقيقة هذا سؤال خطير ، والإجابة عليه أخطر ، ولكن أرى أنه لكي نوفي هذا الموضوع حقه يجب أن نتطرق إلى كل الجوانب وهذه العملية تتعذر علينا الآن في مقال قصير مثل هذا *** ولكن سأحاول هنا أن أعبر عن رأيي باختصار ولكن سيظل الباب مفتوحاً للمناقشة في مقالات أخرى إذا أراد الاخوة ***

لبي في الحقيقة وجهة نظر الشمول والعموم وهذا يعني أنه لا يجوز معالجة الأمور في نطاق ضيق فنتأى مثلاً لحل مشاكل القسم العرب فخلق له إدارة في وسط إدارة أخرى فنكسر بذلك فكرة

من التعليم ونحد لهم كذلك في بعض المقررات التي تدرس بطريقة صحيحة ذلك انتحرم من مركب المقص بالنسبة لزملائهم في الاقسام الفرنسية *

وجد كذلك كنقطة ايجابية اخرى ثغاني بعض الزملاء الآخرين من الاساتذة والمساعدين مسواء من الجزائر او من الاقطار الشقيقة في خدمتهم لصلحة القسم الحرب والعمل بكل اخلاص كما ان هناك بعض الزملاء المسؤولين في الادارة الذين يعملون قدر استطاعتهم في خدمة القسم العرب * فهذه نظرة تقاؤل بالنسبة للقسم العرب وما اصبح العيش لولا فسحة الامل وعلى المصوم فالوضع يتحسن فصل عن فصل *

والآن بالنسبة للمفروض السلبية التي يتأثر من تحتها القسم العرب هو اللقص المفرغ في اعضاء الهيئة التدريسية وكفاءة بعضهم اولا وثانيا موضوع الكتب والمراجع *

اول شيء جدير بالترك هنا بخصوص حاجات القسم العرب فنكر ان اكبر نقص يشكو منه القسم العرب هو بالنسبة لامتادة الرياضيات وتلفت انتباه الاخوة هنا ان هذا النقص يشكو منه العالم العربي عامة بما في ذلك مصر وسوريا والعراق حيث ان اسفاذ مادة الرياضة هناك يعمل اكثر من عشرين ساعة اسبوعيا نتيجة للقص *

وفي موضوع قلة فرع الرياضيات للتخصص فمن وجهة نظري انها خطوة صائبة وليس عليها اي عيار لان من غير المعقول ان يزجى الطلبة في تخصص مسدر مضمون لسه أي مواصلة او استمرارية فتمكن النتيجة ان يترقق الطلبة كلية عن متابعة دروسهم او ان يؤتى لهم ببعض المعيين فقط دون محاضرات او بالامانة من فرع انفيزاء الذين هم يعينون عن الرياضيات

ولكن اكرهما دائما لان اجماليا فالقسم فعلا بخير اذا ما قيست للمفروض الايجابية والمفروض السلبية *

اهم نقطة ايجابية يمكن تذكرها هنا ان القسم العرب بكلية العلوم استطاع ان يواصل طريقه رغم كل المصاعب التي ميأتى ذكرها في السليبيات وما بي امامه الآن سوى فصل دراسي واحد وتخرج اول دفعة من اساتذة الثانوى الذين سيقيمون مهمتهم في تحقيق الهدف الذي انشده القسم العرب من اجله ، كما ان هناك البعض الآخر الذين سيواصلون دراساتهم في الشهادات العليا باللغة الفرنسية فيخرجون في العلوم وهم يجهدون اللعنين وحينذاك يمكن ان يستفيد بهم القسم العرب لكي يصحوا احد اطاراته او منهم من سيختار الشركات الوطنية *

ولربما البعض ينتقد كيفية سير القسم العرب منذ ان وجد ، وهنا اؤكد ان سيره كان متعشرا ولا زاب متعشرا والمهم فقط الا ننسى ان هذا القسم قد واصل طريقه ويجب ان نولي كل اهتمامنا حتى يواصل طريقه ويخرج من اعثرة المايعة ويضلل الفترة الدائمة المنتظمة *

ايعلم الجميع ان قضية التعريب هذه قضية مفرد منها فقد أصبحت حقيقة لا جدال فيها وبالتالي فالموضوع بالنسبة للقسم العرب ليست قضية تعريب بقدر ما هي قضية دراسة امكانياته التي تكس له المواصلة والنجاح *

نقطة ايجابية اخرى تكس لهذا القسم المثابرة وقدره المواصلة والنجاح هي نفسية طلبة هذا القسم فالاغلبية الساحقة من هؤلاء الطلبة لهم ذلك الحافز القوي والارادة الفعالة في الاستزادة

كل البعد وفي الحقيقة فهما بعيدتان كذلك عمن
الاخوة الذين يريدون أن يتطرقوا إليه كل لبعد
والنقاش فيه يعتدّ بمحل في شؤون الغير *

تأتي الآن الى موضوع اكتب والمراجع ...
ففي الحقيقة هذا ليس مشكلة بالمرّة حيث أتى
أشهد أن سيادة وزير التعليم العالي والبحث
العلمي بنفسه قد أطلق حملة تدعى « اكتساب
العربي » وسافر ونسج خاص الى استرق بهذا
الفرض ولكن في الحقيقة كل الكتب التي وجدها
الولد لا تتلائم كلياً مع المقررات التي تدرس في
الكلية والتي هي تمتدّ مقررات وسية ومع هذا
لقد اشترى الولد بعض أهمّيات الكتب العلمية
الترجمة في سوريا وهي الآن معروضة أمام
الطلبة في مكتبة الجامعة. وهنا أتبه الاضطرّة
من الأفضل أن تقوم حملة ترجمة تلبّي طلبات
الكليات وعليه يجب تشجيع الترجمة *

ينبغي موضوع صغير وهو ليس نقطة سلبية
في القسم المصروب وهذا الموضوع هو مشكلة
المصطلحات العلمية في كلية العلوم حيث يوجد
مقابلات عربية متعددة للمفهوم العلمي الواحد ،
ولحين ما تتفق كل الدول العربية عن المصطلحات
العلمية المستخدمة في التعليم العالي يمثل ما
وقع بالنسبة للتعليم الثانوي فإن اللجنة الدائمة
لتعريب التعليم العالي بالوزارة متكة على هذا
الموضوع والمشكلة الآن هي مشكلة امكانيات فقط
وعلى كل فقد اتبعنا اسلوباً طريفاً جداً في كلية
العلوم وهو أن يستخدم المعيد نفس المصطلحات
التي يستخدمها الحاضر وقد طبقت هذه الطريقة
بين البعض ولم تطبق مع البعض الآخر مع
الأسف *

البحثه بمسير تكوين هؤلاء الطلبة هزيل وضعيف
قياساً بمزملتهم في لاقسام الفرنسية وهنا أتدّ
يستوجب أن تنفد قليلاً في موضوع الامكانيات
حيث أن الامر يتطلب قبل اتخاذ أي قرار ان ندرس
امكانياتنا في تحقيق هذا القرار والا فستصبح
المسألة عبارة عن تصرفات عشوائية لا حكمة ولا
مدير فيها وعليه فقد كان من الأفضل قفل
التخصص في فرع للرياضيات حتى تتوفّر جميع
الامكانيات التي تضمن استمراره ... وحيث أن
الفصلين المدرسين الأولين يستوجبان دراسة
ثلاث مقررات أساسية في الرياضيات فقد رفوت
كلية العلوم أستاذ ومعيدين لضمان دراسة هذه
المقررات الأساسية *

ثم يأتي بعد ذلك موضوع كثافة بعض اعضاء
الهيئة التدريسية وهذا في الحقيقة موضوع شائك
يوجب النقاش فيه وإنما يدخل تحت بند والإسنادة
المعاري في استجوابه أي كما نسميه بالثقة
الفرنسية ومشكلة المتعاونين في الجرائد رصده
مشكلة يمرها الجميع ولا يغفلها أي شخص حيث
انه من المعروف أن هناك متعاونون مهمما كانت
جنسيتهم أوروبية أو عرب أو غيرهم من لهم
كفاءة وصغير في العمر ومجموعة أخرى لهم
كفاءة وليس لهم صغير ومجموعة أخرى ليس لهم
كفاءة ولهم صغير ... فهذا في الحقيقة موضوع
قائم بذاته وليس لي أي رأي فيه هنا *

وكما أن مشكلة المتعاونين مشكلة قائمة بذاتها
فأدائها في الجرائد كذلك مشكلة قائمة بذاتها
كما ذكرت سابقاً ... ولقد كان من أهم أسباب
تدور بعض المتعاونين هو شكواهم من الإدارة فأتدّ
هاتان المشكلتان بعيدتان عن موضوع مقالنا هذا

من أدب النفط

النفط والوجود^(١)

لم يسبق قط أن قرعنا امرز بقف متاملاً قرب مضخة بئرين ، وهو يتصورها شجرة "خير التكنولوجيا وفرها . لكن ، هوذا التوازن غير المستقر في جاذب من العالم قد لفته المنف ، والعجرة تهدد بالتوقف عن حل النار . فقرار البلدان العربية بتوقيف الامدادات جزئيا يشيخ الطاقه جاء يوجه ضربة لمجتمعات الصناعية .

في أي زمن سيعملنا ملاك المنف على التثبقر الى وراء بسيفه اللاه ؟ عساا نصطر عند ذاك الخروج من الجنة مقفمة قلوبنا بمطاطا .

التأمل حول النفط يعملنا تعاود اكتشاف صلتنا المتينة بالأرض . يترادى لنا ألتا تركناها حين غادرتا خسارة الإزاعة لنستقر في عالم الآلات ، أسقاء ، النفط ليس من تلك الفئز القائمة في كل موضع . هو روة تزوية ترتضي التلغفي ههنا لا هناك . بعيدا عن المواقع التي كان يمكن لأتائتنا أن نجد فيها لنفسها دورا أيسر . وما دام النفط يقلص مدى صحبته ، أقر يعلطينا درسا في الأخلاق .

فنعن نعرف ، في الواقع ، أن المخزونات ستنفد في مدى عدد من السنين ، حق بغير مداخلات سياسية . غير أن التساؤل الأعمول في هذه الأيام الأخيرة — ما نفعل بغير نفط ؟ — أقاه في تشبيط خيال الكسالى . التهديدات وحدها تفسح هال للتفكير ، إننا ندخل عن وعي عالم العلم — الخيالي الاقتصادي ، عسائم احتفاء المقرول كإر ووه كاتب روائي .

(١) يفسح العنوان الاصلي لهذه القطعة المجال أمام القاريء لا أن يذهب بتفكيره الى كتاب شور لمارسيل مارسيل « الحاية والوجود » ، اذ يكتب العنوانان في عدد من اللغات الأجنبية بالطريقة ذاتها L'essence et l'existence . فكأنما الكاتب يذكر بأن النفط للإنسان يدرشه أن يكون في مقام ماهيته ، ما دامت كلمة essence تعني « الحاية » كما تعني « النفط » .

"المعركة" السورية

التعريبُ بين الأمس والغد

لقد كان من الطبيعي أن تثار قضية التعريب بصورة ملحّة بعد حصول انقلابنا المغربي على الاستقلال وبعد التفكير جيداً وعملياً في بناء ذلك الاستقلال من سائر جوانبه * وقد برزت المشكلة بكل حدتها في ميداني الإدارة والتعليم * فإدارتنا الفتية لم تستطع أن تتحرر في الحين من استعمال اللغة الأجنبية ، نظراً لكون عدد كبير من أطاراتها حصلوا على ثقافة فرنسية بحتة ووجدوا من السهل عليهم أن يستمروا في استعمال الفرنسية ، فكان ذلك سبباً في البطء الحاصل في تحقيق التعريب* وهذا ما يقال أيضاً عن التعليم الذي ظل متوقفاً على المساعدة الأجنبية ، من جهة ، والذي وجد عدداً من أطاراته الوطنيين مثقفين*ثقافة فرنسية بحتة ، من جهة أخرى * وكلما اتجه التفكير إلى تعريب التعليم تطرح في الحين مشكلة الإغارات القادرة على تحقيق هذا الهدف ويثني أنها غير كافية من حيث الكم والكيف ، وإن كان عددها يتزايد بصورة مطردة سنة بعد أخرى *

محمد زكريا

كلية الآداب
الرباط

نكل هذا ست اعقد ان قضية التعريب في بلادنا تستحق ان تطلق عليها كلمة مشكلة - خلفلة مشكلة تشير الى وضعية يصعب الخروج منها - وليس الامر كذلك بالمسبة للتعريب ان هو امر ميسر لا يعارض فيه واحد ويعطى بالتأييد الشعبي - وانما جاز لنا ان نستعمل كلمة مشكلة فلنكرر ما قلناه انما من انها مشكلة زمان *

هنالك اسباب اخرى تجعل من التعريب ضرورة محتومة لا يمكن ان يطرق اليها الشك *

فيجب ان نعتبر ، قبل كل شيء ، ان العربية ليست لغة جديدة على بلادنا وشعوبنا فريد ان نفرصها عليهم فرضا كشيء سحلي لا عهد لهم به * بل هي لغة البلاد ، لاسلية ولها تاريخها العريق ورجالها الذين كتبوا بها * وهي اللغة الرسمية التي استعملها الاغالبية والادارسة والزيروين والعماديين والمزابيون والموحدون والزياتيين والمريسيون الخ *** وانما حساوول الاستعمار بمخططاته الماكرة ان يطمسها ويسيل عنها رداء الاهمال والنسيان * ولكنه ، في الواقع كان يحاول المستحيل * فشعبونا في احلك ساعات الياس ظنت ترى في اللغة العربية لغتها القومية التي تجسد شخصيتها التاريخية * وتاريخ العالم يشهد بالعديد من الامثلة القديمة والحديثة ان اللغة القومية هي اصعب شيء يمكن القضاء عليه مهما كانت قوة المتكلم * فكم حكمت يوما سن شعوب ! ولكن هل استطاعت ان تعولها عن لغتها لقد حكمت للغرب ومصر والشام واليونان عدة قرون ، ولكنها ما ظفرت بان تستبدل لغة اهل تلك البلاد بلغتها * وكم خضعت بولونيا ، مثلا ، للمسيحة الاجنبية ! ومع ذلك فقد احتفظت بلغتها * واحسن مثال معاصر يمكن ان نقتمه كيرمان هو

وانذا تدبرنا الموضوع يعمق وموضوعه ، نجد ان المشكلة مشكلة زمان لا غير - طبعاً ، انما من اناحية العاطفية ثور حينما نرى اللغة الاجنبية لا زالت تحتل مكانا بارزا في بلادنا المستقلة وتضايق العربية التي هي لغتنا القومية * ولكنها ظاهرة طبيعية في المرحلة التي نجتازها لان انخلاص من الازر الاستعماري ان امكن تحقيقه بسرعة في الميدان السياسي مثلا ، فانه في ميادين اخرى كالثقافة لا يمكن ان يتم بالصورة المرغوبة الا بعد مرور فترة من الزمان لان الاسر يتطلب مجهودات وتصميمات *

ولذلك ، فليست اعتقد ان هنالك خطرا حقيقيا يهدد التعريب في بلادنا ، سيما وان الاجماع حاصل في رأينا العام على العير في هذه الوجهة وان المواطنين المتأثرين بالثقافة الاجنبية انفسهم يشاركون في هذا الاتجاه ويسلمون بان وضعيتهم لا تحلو من شذوذ * ومن اصعب ان نتصور وجود مواطن يتمتع بكامل عقله ورشده يدافع من بقاء اللغة الاجنبية ويريد ان يحلها محل العربية * نعم ، هنالك مواطنون يكتبون بالعربية لانهم لا يستطيعون ان يكتبوا بغيرها * فهل يحق لما ان تستنك عملهم ؟ لست اعتقد ذلك * فمسا داموا يتمتعون بكل مقومات المواطنة ، وما داموا يسكنون في كتابتهم عن وطنية صادقة ، فلا بد لنا من ان نرحب بكتابتهم ولو كانت بلغة اجنبية * ولا ننس انهم ، في اغلب الاحوال ، من ضحايا الاستعمار اندي حرمهم من تعليم اعرابية وفرض عليهم لغته * فانما ما قمنا اليوم بالواجب نصو الجيل الناشيء ولقناه العسريية والظلماء على جمالها ونديناه على استعمالها والتعبير بها ، فستتقضى في الحين تلك الظاهرة العربية الشاذة ظاهرة انتشار الكتابة باللغة الاجنبية *

الحضرية ، الوثائقية ، وهي لغة سامية وشاقشية للعربية ، والتي كان لها ، على ما يظهر ، انتشار واسع في البلاد المغربية بسبب النفوذ المعنوي والثقافي الذي استطاعت الدولة القرطاجية المنقرضة أن تحضره فيما سبق من الأيام .

وهكذا نستطيع أن نقول أنه لم تكن هناك لغة قومية موحدة في بلاد المغرب قبل الإسلام ، ومن المعلوم أن الفتح الإسلامي لحدث في المغرب ثورة عميقة لا زالت لم تدرس لحد الساعة من جميع جوانبها ، والمقارنة التاريخية بين الفتح الروماني والفتح الإسلامي تبرر أن هذا الأخير استطاع أن يغير عقلية المغاربة في ظرف وجيز ويجعلهم من المتكلمين بالعصوة الإسلامية والمدافعين عن مبادئها وأهدافها ، فشاركوا في فتح الأندلس ، وثاروا على دولة الخلافة باسم الإسلام ولم يحاول العرب الفاتحون أن يتهجوا سياسة أسنيطان كما فعل الرومان ، بل اعتمدوا كثيرا على الرابطة الدينية في المحافظة على وحدة دار الإسلام ، وتركوا المغاربة لحرار في تسيير شؤونهم فتح من ذلك أن تأسست دول إسلامية مستقلة منذ انقصر القرن الثاني للهجرة كالناردين الفارسيين الرستميين بتمهتت والحدراوية بمسلماسة ودولة الأدارسة بفاس ، وكلها دول مغربية صميمة لا تمثل أي سيطرة خارجية ، وميزتها الوحيدة أنها قرّبت غط بأميرة الدين مع الخلافة الأموية ثم العباسية .

وهذه الدول المغربية الإسلامية الأولى تمثل حدثا حاسما في تاريخنا ، فهي ، في الواقع ، تكرر أول صورة للكيان المغربي المستقل ، بكل معنى الكلمة ، فالتاريخ السابق كان يغلغ على

شقيقتنا الجزائر التي بعد مرور قرن من الحكم الاستعماري الغاشم القاسي ظلت متشبثة بكل مناهج ثقافتها العربية ، ففي الوقت الذي كان الاستعمار يحتفل بمرور مائة سنة على احتلال الجزائر ، كان العلماء للجزائريون يعملون لواء الثقافة العربية ويؤسمون الماسد والمدارس ويصنرون المسجلات والجراند ، وكان التمثيل العربي يشق طريقه ، وكانت الموسيقى الاندلسية باثصارها وترانيمها تترن في كل الاندية كل هذا يدس على ان اللغة القومية جزء من كيان الأمة وروحها وان الماسم به من قبيل المستحيل ، فانتطور نحو التعريب ، والحالة هذه ، ما هو الا نهاية محتومة لسلسل تاريخي .

هناك ملاحظة قد يبيدها بعض اقراء تمسبنا مع المسطق الطاهري فيقولون ان العربية كانت هي ايضا ، في وقت من الاوقات التاريخية طارئة على البلاد وان سكان البلاد الاصليين لم يكونوا يتكلمون بها بل كانت لهم لغاتهم ، فلم ، يا ترى ، نميز العربية عن غيرها من اللغات في هذا الباب ؟ والجواب على مثل هذا التساؤل يقتضي منا عودة اخرى الى التاريخ .

قبل الاسلام ، كان الوضع اللغوي بالمغربيا الشعالي كما يلي :

كانت هناك لهجات بربرية تختلف من ناحية الى ناحية ، بل من قبيلة الى اخرى ، ولم تتمكن اى لهجة من تلك اللهجات ان تتمركز تمركزا كافيا وتصبح عامل توحيد وتحتج ، اى لغة حضارية وثقافية في المستوى العالي ، وكانت الى جانب تلك اللهجات لغتان حضاريتان : اللاتينية التي تمثل لغة الادارة والسطوة الرومانية والكتيبسة المسيحية والتي كان لها وجود في بعض المراكز

أخرى * وقد حاول الاستثمار ، في خلاق سياسة التفرقة ، أن يخلق المشكلة ويثير حولها البلباسة والفنتة في النفوس * كما حاول عن طريق نشر الفرنسية دون العربية أن يضعف تعلق المغاربة بلغتهم ، ولكن ، ماذا كانت نتيجة هذه السياسة ؟

هل كان المغاربة يشعرون بأن العربية متفيلة عليهم لما تردوا في نينذها وقد اتبعت لهم قسوس عديدة خلال تاريخهم الطويل * ولهذا ، فقد كان رد الفعل على السياسة الاستعمارية هو رفع شعار التعريب والبعاء عن العربية ، كما كانت حزمة شعوبنا غداة الاستقلال في العمل على محو آثار الخطط الاستعمارية وأرجاع اللغة العربية إلى مركزها الطبيعي في حياة البلاد *

فإذا انتقلنا الآن بنظرتنا من اعتبارات التاريخ والماضي ، التي هي كافية في حد ذاتها ، إلى آفاق المستقبل ومقتضياته نجد هناك دواعي أخرى للإيمان بالتعريب * إن شعوبنا المغربية المتحررة تريد أن تكتب صفحة جديدة في التاريخ ، صفحة ناصعة مشرقة ، نابعة من شخصيتها ومعمرة عن أصالتها * فهل تستطيع أن تقوم بهذه المهمة بالاعتماد على لغة غير لغتها ؟ أمّا فريد أن تخلق ثقافة جديدة في بلادنا ، ثقافة عصرية وتلقينية ، بالبلغ ما في الكلمة من معنى ، ثقافة تعتمد على العلم وعلى العقل وعلى الجسرة في التفكير * فكيف ، يا ترى ، نستطيع أن تبرز بعلتنا هذا إذا لم نغير عنه باللغة التي نتجاوب بها مع شعبتنا * فلا ننس أن الضبط ، في معظمه ، ظل بعيدا عن اللغة النخيلة ، وأن الفرنسية لم تمس إلا أقلية محصورة من المتعلمين حتى أصبحت ، اليوم ، ذات مظهر طبقى في مجتمعتنا *

ظل قرطاجة أو روما أو بينظلة * لما للمهد الاسلامي الجديد ، خفيه تهرر وأوسع ضمن روابط الامة الاسلامية *

وهذه الدول المغربية هي التي عملت على نشر اللغة العربية بمحض اختيارها * فجعلت منها ، أولا ، لغة رسمية في دواوينها ومحاكمها * وكانت هي لغة التعليم في المساجد والكتاتيب والمآدب * وعن طريق القرآن وإقامة الشعائر الدينية انتشرت العربية شيئا فشيئا في الحواضر والبادي ، وطسح إلى تعلوها وإتقانها كل من أراد أن يصير مثقفا أو عالما وكل من رغب في أن يتبوأ مرتبة مرموقة في المجتمع * وهكذا ، فالمغربية لم تستقر بالمغرب كلفة سيطرة اجنبية فرضت على السكان فرضا ، وإنما تبناها المغاربة في نطاق اقبالهم على الثورة الاسلامية واقدامهم على تأسيس دول قومية ، ولم تضائق اللهجات المحلية التي استمر وجودها وإنما جاءت لتملا قسراغ اللغة الحضارية والثقافية وتكون عامل توحيد في البلاد المغربية * ولا ابل على ذلك من كون الدول البربرية من زيرية وحماوية ومراييلية وموحدية وحفصية ومرينية كانت هي انشط العاملين على نشرها كما تدل على ذلك مراسلاتهم ومجهوداتهم في نشر العلم واستقدامهم لاساتذة اللغة وشيوخ البلاغة من الاندلس وغيرها *

لكن هذه الاسباب التاريخية التي اشرنا اليها بكل ايجاز ، حظيت العربية بامتياز خاص بالنمسية لغيرها من اللغات الطارئة على المغرب ، فانتشرت ووسع الانتشار واصبحت هي لغة البلاد ، بصورة تلقائية وبدون عنف * فالتاريخ على ما اعلم ، لا يحدثنا بأي نزاع منشؤه قضية اللغة ، كما لا زال يحدث إلى اليوم في اقتطاس

على امس متينة ، ومن جملة هذه الاسس وحدة اللغة - بل من الممكن ان نقول ، من ان نخشي المبالغة ، ان اللغة هي التي اشعرت العرب بوحشتهم في العصر الحديث وهي التي كانت اقوى حامل للتضامن فيما بينهم في كل المعارك التي خاضوها ولا يزالون يخوضونها ، فالسير قدما في طريق التعريب هو ، في الحقيقة ، سير في طريق تدعيم هذه الوحدة الضرورية امام التكتلات الكبرى التي يشاهدها هذا العصر ، وهو سير في طريق المزيد من القوة والاطمئنان ، فالمجموعة العربية ، اليوم ، برغم ما يمرتض حريقها من مشاكل ومصاعب ومأس ، تكتسب يوما عن يوم مكانا مرحوما في المجال الدولي ويزيد وزنها ثقلا ، هذا مع العلم بان وحدتها لا زالت لم تتحقق بالصورة المنشودة وان هنالك جوانب سلبية لم تستطع لحد الساعة ان تغلب عليها - فالاقليمية لم يبق لها محل في عالمنا الحاضر لانها تمثل امورا خطيرة ومخيفا ، ولذلك فالتعريب يفرض علينا نفسه فرضا لانه يجنبنا مزالق ، الاتعزال ويمكثنا من ربط اصرة محكمة مع مجموعة كبيرة من الشعوب تستطيع ان تفرض احترامها اكثر فاكث في المجال الدولي .

الا ان قضية التعريب لا ينبغي ان نكتفي بلنظر اليها من الجهة العاطفية ، بل تقتضي منا ان نواجهها بطريقة واقعية وعملية - ومعنى هذا انه لا يجلد بل ان نكتفي بترداد بعض الاقوال مثل : « لا يوجد لغة اجمل من لغة الضاد » ، او « العربية هي اشرف اللغات واحسنها » ، وسأ الى ذلك من الاقوال والتأكيدات التي تضر بالعربية اكثر مما تنفعها ، اننا لا نشك في ان العربية من اجمل اللغات واقربها على التعبير والتصوير ، ومع ذلك ، فلا ننس ان اللغة هي ، قبل كل شيء

فنحن اذا القينا نظرة على مجتمعا ، نجد هنالك اتجاهين في استعمال اللغة ، هنالك فئة قليلة من الناس تميل الى استعمال الفرنسية في محادثتها وفي جو الحياة العائلية ، وغالبا ما يقترون ذلك المظهر مع الحياة البروجوارزية ، فالطبعة البروجوارزية يميل بها الكبرياء الى الى التناقص من لغة الجماهير وتفضل ان تتميز باستعمال لغة تعتبرها « راقية » ولو كانت اجنبية ، وهنالك اتجاه العواد الاظم من الشعب الذي لا يجدار تياحه الحقيقي الا في استعمال العربية ، ودرجة كانت ام فحصى ، وهذا ، بالطبع ، هو الاتجاه السليم لانه يمثل ارادة الجماعة ويشعرها بالفلسفة الاجنبية ، حتى في وقت اشتداد سطوة الاستعمار ، لم يكن لها الا مظهر سطحي في مجتمعا ، فلم تستطع في يوم من الايام ان تصبغ لغة يتكلم بها الشعب ولم يتجاوز استعمالها نطاق الاقلية الضئيلة من المتعلمين في المدارس الفرنسية ، بل ان هؤلاء انفسهم لم يكونوا يتحدثون بها الا في اوقات ومناسبات محدودة وقرامهم يرجعون الى العربية كلما وجبوا مع ذويهم ومواطنيهم .

وهناك اعتبار آخر يهم المستقبل والمسير ، ان عالم اليوم والذي ينحو الى تكتيل الشعوب في مجموعات كبيرة قادرة على ان تدافع عن نفسها وتثبت وجودها ، بها نحن نشاهد اوروبا تعمس جاهدة على انشاء وحدة فاصلة بين شعوبها ، ونشاهد روسيا تكتل حولها شعوبا سلافية وغير سلافية تحت شعار الاشتراكية ، ونشاهد الصين تسير في نفس الاتجاه بالشرق الاقصى ، وليس من المعقول ، في مثل هذه الحال ، ان يظل العرب مشتتين وموزعين وهم قاطنون على ارساء وحدتهم

وهذا موقف طبيعي ومعقول . إلا أنه موقف يحجب عنا الحقيقة في قضية التعريب كما هي مطروحة أمامنا اليوم . فمن لا يولد للتعريب من أجل التراث ، أو من أجل الماضي ، ولكننا نريد التعريب لأننا نريد أن ننشئ ثقافة عربية جديدة ونخلق تراثاً آخر لأجيال المستقبل . فالعربية ليست لغة أجدادنا وحدهم ، بل هي لغتنا نحن ، أيضاً . ونحن ، فالوجب يقتضي منا أن ننظر إلى التعريب من زاوية الحاضر والمستقبل ، قبل كل شيء .

فالتعريب سيصبح لنا أن نملأ الفراغ الفكري الذي تعاني منه بلادنا اليوم . ولئن كان شبابنا ينصرف الآن إلى الآداب الغربية فيطالع مختلف آثارها من قصص ومسرحة وفلسفة ، فإلانة يحتم في بلاده العدم الفكري الذي يحقق المستوى المنشود . فمهمتنا هي ، إذن ، أن نملأ هذا الفراغ بواسطة ما نكتبه بلغتنا العربية .

ونحن لو القينا نظرة على تطور الكتابة بالعربية منذ بداية هذا القرن إلى اليوم فمن المؤكد أننا نجد مواضيع كثيرة للمناقشة . لقد وقع تقدم عام وشامل . فقد كثر الإنتاج في ميدان التأليف ، ونبغ كتاب وشعراء فيهم من تسهم ذروة عالية . وانتشرت الصحافة في كل الأقطار العربية من يومية وأسبوعية وشهرية . وغزت العربية مسائر ومائل الإعلام . ومما لا شك فيه أن الرابح والفترة حاملان قويسان في نشر القصص بين الجماهير الضعيفة . لكن هذه ، في الحقيقة ، ما هي البداية ومرحلة تمهيدية . فلا زال أمامنا مجال واسع لرفع مستواها في سائر ميادين الإنتاج الفكري واختراق سبل الابتكار والإبداع حتى لا يبقى مقلدون ومقتسمين وتلامذة .

أداة وجدت لصحة الإنسان ، والأداة ينفي أن تتطور مع حاجات الإنسان وتطور المجتمع .

وفي هذه الناحية ، يجب أن نعترف بأن أمامنا عملاً كبيراً يجب أن نقوم به لنجعل من العربية لغة حضارتنا الحالية حتى تصبح قادرة على أداء كل العلوم والفنون وتنافس في هذا الضمير أكبر اللغات العالمية . ولقد بذلت جهد الساعة جهود مشكورة في المجالس اللغوية العربية وفي مكتب تنسيق التعريب ، إلا أن هذه الجهود يجب أن يخرج من النطاق الأكاديمي إلى نطاق الاستعمال العام . ومن أوجب كذلك أن نخضع تحت تصرف أطفالنا بالمدارس الابتدائية والثانوية كل المفردات التي تساعد على التعبير حسن الأشياء التي تحيط بهم حتى لا يعانون ما نستطيع أن نسميه الفقر اللغوي .

ومن دور شك أن نخلقنا اللغوي ، في الوقت الراهن ، وأجى إلى خلقنا العام . فمتى سرنا في طريق التقدم والتنمية بخطوات واسعة ، منتطور لغتنا هي أيضاً للتصميم لمهاجراتنا الجديدة ، سيما إذا حمل التعريب مسائر المرافق في حياتنا الاجتماعية . فإذا أخذنا ندرس لطلبتنا مسائر العلوم والعربية في الجامعات والمعاهد تستطيع انذاك أن نغفر لبلدنا فترة كبيرة وحاسمة . ولكن لا ينبغي لنا أن نعتمد على التطور الطبيعي وحده في تحقيق التعريب . بل يجب من الآن أن نعد له العدة ونجد له الخبراء ونؤسس المعاهد ونرعاها بكل التشجيعات المادية والمعنوية .

إننا ، في الحقيقة ، كلما أثرتنا قضية التعريب ، ترجع بفكرنا إلى تراثنا الثقافي لمعيد ونتملي بما خلفه الأجداد من آثار أدبية وعلمية .

مثالك تقلة لا بد من أن نوضحها في الأخير وهي تتعلق بفكرة التعريب من أساسها - أن الدعوة للتعريب ، كما فهمها ، ليست مبنية على أي تمصّب أو انحراف فكري - بل انها تهدف فقط لاحتلال اللغة القومية محلها الطبيعي والمطروح - ولذلك ، فهي لا تتنافى ، مطلقاً ، مع دراسة اللغات الأجنبية - بل يجب أن يؤكد ، ويكل الحاح ، أن متقني المغرب في حاجة ماسة إلى معرفة اللغات الحية الكبرى - فهي نوافذ مفتوحة على عوالم اجتهدت وتقدمت في سائر ميادين الحضارة - وكل اتصال بالثقافات الأجنبية فيه خير كبير لنا لأنه سيمدنا بلفاحات مستغنى في بناء ثقافتنا الجديدة كما أننا عند مزاولتنا للبحث العلمي ، لا غنى لنا عن المراجع الأجنبية ، بحيث أن الباحث الذي يتقن اللغات الأجنبية يجد أمامه الطريق مهيأة للاستفادة من كل المجهودات السابقة فالتعريب لا يعني إغلاق الباب أمام الدال السطور على أنوافذ بل هو تعريب من أجل التفقن والاتصال ، جرياً مع تقاليد ثقافتنا كما كانت في أيام الرشيد والمأمون ، صاحب « بيت الحكمة » .

والطريق نحو التعريب المسموح تبيناً من اكتاب المدرسي الذي هو رفيق التلميذ الدائم ومرجعه الأساسي بعد الأستاذ - ومن التجريبية التي عشناها بالمغرب الأقصى ، تبين أحد من الأستاذة أنه من الممكن أن نعرب فوراً معظم مواد التدريس - فبالإضافة إلى المواد الأدبية والبحثية ، من الممكن أن نعرب التاريخ والجغرافية والفلسفة وكل ما يرتبط بالمعلوم الانسانية - يبقى بعد هذا بعض المواد العلمية من رياضيات وفيزياء وكيمياء وغيرها التي يمكن التريث في تعريبها حتى تتكون الاطر اللازمة لذلك في وقت محدد - فالمسألة هنا ليست مسألة عجز اللغة العربية - بقدر ما هي مسألة إيجاد الأستاذ المغربي - واعتقد أن هذا هو الجانب الذي يجب أن تنصب عليه مجهودات المهتمين بالتربية منذ الآن - فمن اللازم ، أولاً ، أن نعمل على تمصير أستاذة العلوم بتفصيلهم تدريبات منظمة - ومن اللازم ، ثانياً ، أن نكون الأستاذة الجديد على أساس أعدائهم للتدريس بالعربية - والكتاب المدرسي العرب - كما قلت آنفاً ، هو الذي سيساعد الأستاذ والتلميذ على السواء ، على السير قديماً في طريق التعريب .



تعريب التفكير أولاً

لا أشك مطلقاً في أن ما أسوقه في هذا الحديث من آراء وأفكار ، وما أعرض فيه لقضية خطيرة تناقشها الكتاب وأخذت من الاهتمام ما لا ينالها سوى الحديث عن حرية الشعب واستقلاله ، قلت لا أشك في أن ما أقوله عن التعريب سيثير سخط الناس إن لم أقل غضبهم وثورتهم ، لانهم تعودوا على الخوف من القول والعادي من الأمور - بل الفوا الرتابة في حياتنا الثقافية والفوا أن يؤمن على كل ما يفعلون ويمسحون على الصواب والخطأ حتى في القضايا المصرية التي تمس واقع الشعب ومصيره على السواء •

وحين يسعى بعضنا لتبذير بعض العقول التي ألقت للحمول والركود ، يسارع أصحابها إلى رمي الحجارة في وجوه الذين يسعون جادين مخلصين إلى إنسالة القضايا ومناقشتها بموضوعية ونزاهة • وهذا التفكير المتحجر الجامد هو سبب الخاساة التي نحسها في حياتنا الثقافية والأدبية •

د. عبدالرحمن رجب
كاتب الأدب
جامعة الجزائر

منذ الاستقلال حتى الآن ، مرحلة الستيات ومرحلة لمبمينات ، فالأولى كانت دفاعاً عن التعريب وعن اللغة العربية بوصفها إحدى الاختيارات الوطنية ، التي لا رجوع فيها وأن التعريب من المقومات الأساسية للشخصية القومية .

ومن هنا نشأ ذلك الصراع الطويل بين من يؤمنون بالتعريب وبين من يقفون ضده ، وكان سراعاً مبالغاً بإرثاً للعيان . فقد كان خصوم التعريب يصاربهون في وضع النصارى ، ويقفون ضده بآلقول وللفعل معاً ، ويبذلون جهودهم لعرقلة في شتى المجالات وبشتى الوسائل . كما تعرض انصاره الى حرب نفسية قاسية وللى ضغط شديد وصل الى الذبح في ثقافتهم وكفائتهم فرق لدعاية المغرضة التي تتهم اشقاقه العربية بالخمور والتأخر . فكانت المارقة باستمرار بين اللغة العربية وبين اللغات الأجنبية ، والهدف هو الوصول الى نتيجة معينة وهي أن اللغة العربية قاصرة عن أن تستوعب ما تنتجه الحضارة الحديثة وبالتالي فهي لغة لا تصلح لمصر . وإذا فلا بد من بقاء اللغة الأجنبية واستمرارها . يل وصل الامر الى الارهاب الفكرى أيضاً دفاعاً عن اللغة الاجنبية وضد نهاده أن يدافع عن اللغة القومية من بعض العناصر المتصبة للغة الاجنبية .

هذا مجمل ما كان يجرى في المرحلة السابقة . أما المرحلة الجديدة بالنسبة للتعريب ، فانها تختلف عن الاولى في الملامح والسمات والمظاهر ، ولكنها تتفق معها في النتيجة ، ذلك أن التعريب في السبعينات اصبح مفتقلاً منذ من أجل القوانين وصنرت في حقه القرارات الحكومية ، واصبح يحكم التشريع ويحكم القانون أمراً مقررًا لإخلاف حوله . فماذا كان رد فعل خصومه ؟

ورغم ما ألفاه من رد فعل هذه العنة ومن عقليتها ومن تصرفاتها التي عايننا منها وما زلنا ، رغم ذلك ، فإنا لن نبعث عن رضاءها ولا عن مسخطها أو ثارتها ، فنحن لا تصدر فيما نكتب أو نقول سوى عن مسؤولية وعن صدق فيما نعتقد وإيمان بما نقول دون هدف آخر .

والواقع أن التعريب تعرض لضغوط كما تعرض لاستغلال عجيب . فهناك من رفعه شعاراً لتحقيق مآرب خاصة ومصالح انبية ثم لاذ بالصمت ، وهناك من لا يزال يرفع شعاره طمعاً في أسس ويرجو تحقيقها في المستقبل ، ولكن هناك من دافع عنه كقضية قومية مثل القضايا الوطنية لا لمرحلة من المراحل .

ويمكن أن نلمس هذه المواقف المختلفة في كثير من القضايا مثل الاشتراكية ، فالبعض نادى بها بوصفها حل لمشاكل الشعب وتحقيقاً للعدالة وحين تحقق له السكن المريح سكنت ، ولكن الاشتراكي الحقيقي ما فتى مطالب بها وينادى بشمولها سواء عن طريق الثورة الزراعية أو عن غيرها . ويمكن أن نمسوق امثلة من قضايا كثيرة ومن مواقف متخلفة لو أن المجال يسمح لذلك .

على أنه فيما يتعلق بالتعريب فإن المراء مطالب بأن يعرض لتطوره لا من حيث الاحصائيات أو من حيث تقديم الحلول ، فقد سبق لي في مكان آخر أن بينت رأيي بوضوح في هذا الامر ، ولكنني هنا فقط أرد أن اقدم بعض الملاحظات بعد سنوات مرت على الاستقلال وعلى الثورة ثم مرت على البداية من تحقيق التعريب .

والظاهرة التي تلت النظر في وضعية التعريب في بلادنا ، هي أن التعريب مر بمرحلتين واضحتين

باحساس وعدم الواقعية في نظرتهم لهذا الموضوع وسكت المبررين الا القليل ، واعتبروا ان القانون سيضع حدا للمناورات ضد التعريب ولكن الواقع يؤكد ان اعداء التعريب يتظاهرون بعمل لهم بينماهم في واقع الامر يحاربونه بشدة ، وبذلك سدوا الطريق امام انصار التعريب ، بل وسبقوهم الى النفاق عنه في المناسبات ، وهذا الاسلوب الذكي يدل على ان الافكار قد تليس قفارا ناعسا ولكنها تبقى كامنة حتى تأتي الفرصة للملائمة للظهور ، وهذا ما يسمى بالاحتراف ، والحقيقة التي لا بد ان نسلطها ان خصوم التعريب ليسوا في درجة واحدة من رفضه ومقاومته ، فهناك من يرفضه بحسن نية او بسذاجة وعدم فهم ، ين وبايمان بان التعريب قد يسرخر البلاد ، وهذا المصنف من خصوم التعريب من الممكن انقاسه بالحجة وبالتجربة والواقع ، بل من واجب المزمعين بالتعريب ان يفتحوا نقاشا هادئا متزنا مع الذين لا تحركهم عقد ان مركبات خاصة تجاه التعريب ، وانما يتقصص فقط الفهم وادراك الحقيقة .

ولكن الصعوبة التي تواجه التعريب فعلا من تلك العقليات التي رسمت في اذهان المصنف الآخر الذي يلقى ضد امعريب ويحسمه رفضا باتا بدافع العداوة امنية على سوء النية وعلى الفكرة المسبقة التي اشرت اليها في بداية هذا الحديث ، وهؤلاء لا يد ان يتجردوا من انبائهم التي يعرفون بها الشخصية الوطنية ، ان اسناد الوثائق لهم واعنائهم الحرية المطلقة ان ان يتصرفوا كسبا يشاؤون في تصايا تمس مستقبل الوطن ومستقبل الاجيال ، ان هذا سيكلفنا الشيء الكثير ، قد لا ندركه اليوم ، لانا نفيس الاحداث اليومية بحكم

لقد احلوا الى طريق جديدة ، طرق ملتوية يسرون بها النصوص القانونية حسب اموانهم ، ويحل التعريب في مرحلة المناورة بدل المباشرة وتنفيد القانون ، فساد القانون يصفه فان الارتفاع في وجهه جهارا نهارا ، قد يعرض من يفعل ذلك الى المتابعة القانونية والشعبية ، فتغيير التكتيك ، وتغيير الاسلوب ، واصبح الشعار في الطاهر هو : « كلنا مع التعريب وكلنا مع اللغة القومية » ولكن الحقيقة ان مقاومة التعريب استمررت كما كانت في السابق تحت صور متعددة ، تغيرت الاصباغ ولكن الجوهر لم يتغير ، لما زالت البصرة كما هي بل اشد مما كانت عليه في السابق .

فالعراقيل التي توضع امام التعريب اليوم اشد عليه من الفترة الماضية ، فهي عراقيل متروسة بعناية كبيرة من بعض خصومه ، فقد افرقوا القانون من محتواه ، اشترطوا للوظائف مستوى للترسيم والتثبيت ولكن حين جاء التطبيق تمخلت الاعتبارات الخاصة والتواقي المبيتة والافتكار المسبقة ، فوجدنا ممن لا يستطيع كتابة جملة بالعربية مرسما في وظيفة ، وبذلك استغلوا القانون كما استغلوا الفراغ الذي سببه عدم المراقبة الصارمة على تنفيذ النصوص ، وظن اصحاب النية الطيبة ان القانون وحده يكفي لردع المخرضين واذا بالتعريب يتفش حيث لم يدخل قطاعات كثيرة كالحرفين ان يدخلها ، لم يدخل حتى المجالات البسيطة التي تعبر عنها العامة فضلا عن العربية الضعيفة المعربة ، والا فكيف نلخص عدم تعريب امور لا تتطلب ثقافة او تعمقا في اللغة في مستويات كثيرة ابتداء من البلديات مرور بالحزب حتى المؤسسات الاخرى حسب السلم الاداري .

وما قيمة الامتحانات التي عقدت لعربية وما اثرها في التعريب لقد تم انصار التعريب دائما

بلا روح • فالوحدة لا تتم مع الإقليمية ولا مع التعريب اللغوي ، وإنما تتم مع التجانس الفكري ، مع التوافق ، مع تعريب التفكير •

وأطن أن تقسيم المنطقين الجزائريين إلى « معربين ومفرنسين » ، انطلق من مفهوم لغوي ومن نظرة سطحية أو مقصودة مغرقة • فالقسمية علميا ووطنيا وقرميا غير مفهومة وغير دقيقة وغير سليمة ، بل وغير مقبولة ، أي مبررة •

فمن غير القبول إطلاقا أن تستخدم مصطلحات - مثل هذين المصطلحين - دون أن تفكر في مدلولها سوى الفهم السطحي الساذج • أو أننا نستخدمها من منطلق النظرة اللغوية وبالتالي نجرد التعريب كما قلت من محتواه الصحيح ونحصره في زاوية ضيقة بحيث لا يميز عن قيم معينة أو تقاليد راسخة أو جذورا عميقة في تاريخنا ؟ !

قد يقال هذه أصور شكلية ، ولكن المشكلات أحيانا قد تحدث البليدة في الإيمان والتفويض لأن تمديد الانتباه يعطيها مدلولها الحقيقي ، فالغفوش يحدث الغفوش ويترك المجال للاجتهادات الخاصة والتفسيرات المختلفة ، خاصة في القضايا الجوهرية ذلك أن تناقض المفاهيم ينشأ من تناقض التعبير وتضارب المصطلحات في شتى المجالات - فوضوح السرائر من وضوح الفكرة ووضوح التعبير •

فمشكلة الإنسان مشكلة التعبير باستتوارها فاللغة من الإنسان بمعنى أو آخر • واعتقد ، أنني حين أقول • من لي بأية لغة نتكلم أقل لك من أنت ؟ اعتقد أن هذه المقولة صحيحة ، فاللغة بهذا المعنى التفكير والتعبير معا • لأن لكل لغة خصائصها

لعادة وعدم التنبيه للتاريخ ، ولكن سيأتي اليوم الذي يحكم فيه غيرنا علينا وعندئذ ستظهر الحقيقة المرة •

هذا الحكم ليس من وحي النظرة التشاؤمية أو الحساسية المفرطة تجاه قضية مبدئية مصيرية • ولكنه حكم مبني على الملاحظة والتجربة المباشرة • ولكن بعضنا ملاحظ ويمسك ويمسنا بفنيل قول الحقيقة ولو كان مرا •

وهنا يمكن أن نتساءل : لماذا يسير التعريب ببطء ويتعثر باستمرار ؟ أن الجواب عن هذا السؤال يوصله عنوان المقال • فالمشكلة في تصوري هي أننا نظننا إلى التعريب نظرة لغوية بحتة ، ونسينا الجوهر الأساسي في الموضوع ، فالتعريب اللغوي لا يكفي ، لأن من يقرأ بالعربية أو يكتب بها قد يلتقي مع أي أجليبي يحسن العربية ، يلتقي مع المستشرق الذي يتقن العربية مثل أهلها وربما أكثر منهم • ويلتقي مع من يتعلم لغة أجنبية بغض التعامل مع أصنافها - في حين أن التفكير هو المهم في الموضوع • فريما وجدنا مواطنا لا يحسن العربية ومع هذا يدافع عن العربية والعروبة أكثر من بعض الذين يتقنون العربية •

ولو كان خصوم التعريب يعملون ولاه للتفكير العربي لما وقفوا ضده ، فمثلا نجد الشاعر مالك حداد لا يعرف العربية بقائنا ومع هذا فهو يؤمن باللغة القومية وله ولاه كامل للامة العربية ولصيرتها الواحدة •

فالذين ينظرون للتعريب نظرة لغوية • يجربونه من مضمونه ، من حقيقته ، ويسمعون في الوقت نفسه إلى تكريس الإقليمية ، ويعملون لاستمرار التجزئة وللتشتت وإبقاء الامة العربية جسدا

وأذا كنا سنسعى « مجالس شعبية للرقابة والتوجيه والتسيير ومصالح مختلفة تسهر على تحقيق أهداف الثورة » فلماذا لا ننشئ مجلساً يتابع ما أنجز من تعريب ، ويساعد على بلوغ الغايات والأهداف ويعمل على استمرار التعريب الكامل الشامل ؟ لقد فعل هذا أناس لم تعرض لقتلهم بل ما تعرضت له لقتلنا من حصار وضغط من قبل الاستعمار الفرنسي ، وعانت الكثير من أعدائها وخصومها وربما حتى من بعض أنصارها الذين القوا المسؤولية على غيرهم لسبب أو لآخر ، وهم مسؤولون عن التمهد للثورة الثقافية التي سيكون التعريب من بين أهدافها وهي آتية لا ريب في ذلك سواء طال الزمان أو قصر ، لأنها ستغير من مفاهيم كثيرة وستصلح أخطاء عديدة تصد مقاييس جديدة للثقافة والفكر والتقدم .

ومميزات التي تجسم بها تفكير أهلها والناطقين بها ، لهذا المعنى تعتبر اللغة مقراً أساسياً للشعب من الشعوب بل حتى التي تعطيه طابعاً خاصاً يميزه عن غيره .

وفي تصوري ، فإن ما عرضت له من آراء خاصة بالتعريب وبالرغم مما أحسه من جسوة عميقة ما زالت تفصلنا عن التعريب الحقيقي ، فإن الأمل يبقى دائماً في الجيل القادم الذي عايش ظروف تاريخية لم يتوث فيها بالفساد القديمة ورواسب استعمارية ولم ينشع مركبات نفسية خاصة ، فهذا الجيل هو الذي يمكن أن يحقق التعريب العموي والفكري إذا خططنا له تخطيطاً سليماً وهيئنا له المناخ الملائم . أما إذ تركنا الأمر للزمن وحده فإنه لن يحل المشكلة فلا بد من رقابة يظلة مستمرة ، ولا بد من تفكير في سبل جديدة لتحقيق المزيد من النجاح .



نزاع الشرق الأوسط والبتروك العربى

أثار قرار البلدان العربية باستخدام بترولها كأداة في النضال من أجل إزالة آثار العدوان الاسرائيلى ود فعل عتيفاً عند العرب . فكتبت «جرميدة» ناسيون « فرنسية تقول : « ان تخفيض شحنات البترول للعربى يمكن أن يسبب هبة من قنضهم النقدي » . وقالت « النايير » النمالية : « من الواضح تماماً ان البترول هو مصلحتنا الحيوية في الشرق الأدنى » . وقالت « كريستين سائيس موليتور » بقلق : « ان العرب يشدون الخزامه ، شيئاً فشيئاً ، الولايات المتحدة التي يموئزها البترول ، مستهدفين من ذلك معاقبة واشتغلن على الدعم الذي تقدمه الى اسرائيل » .

ان البلدان العربية المنتجة للبترول التي اعلنت عن عزمها على تخفيض انتاجها من البترول وعلى وقف شحنات البترول الى الولايات المتحدة كلياً ، تنتج سنوياً حوالي ٨٠٠ مليون طن من البترول . وفي الولايات المتحدة ، نتج في العام الماضي ٤٧٠ مليون طن من البترول وليس ثمة أي أصل في زيادة انتاجه وفي الوقت ذاته يزداد استهلاك البترول . وقد ازداد منذ مطلع الستينات قرابة مرتين مؤلفاً في عام ١٩٧٠ قرابة ٧٥٠ مليون طن . وفي حوالي هذا العام كانت الولايات المتحدة تستورد أكثر من ٢٠٠ مليون طن من البترول ومن مشتقاته ، أي أكثر من ربح كل استهلاك البلاد ، وكما يمكن التوقع فان نصيب المستوردات من البترول في العام الجاري سيمتقع في البلاد الى ٣٥ ٪ ، وبعد عامين ، الى ٥٠ ٪ .

وقد كتبت صحيفة « كريستيان سائيس موليتور » ان الولايات المتحدة متعلقة حالياً بالبترول العربي ، وما دام ليس لها طاقة مماثلة أخرى ، فستظل متعلقة به بقدر اكبر فأكبر » .

وتقياً يتصلق بأوروبا الغربية قانها متعلقة منذ الآن بمستوردات البترول العربي بنسبة ٧٠ ٪ واليابان بنسبة أكثر من ٨٠ ٪ .

التعريب ووسائل تحقيقه

من المركبات العميقة التي خلفها في نفوسنا اتصالنا الطويل بالحضارة القروية واستيلاء انطوؤن القهري الإستعماري على بلادنا هذه النظرة الى لغتنا من أنها لا تفي بمتطلبات هذا العصر وأنها في حاجة الى الإصلاح والتطوير في كتابتها وفي مفرداتها وحتى في تراكيبها ونحوها وصرفها ، وإلى أن يتم هذا التحويل الجذري في نظر المخترسين يجب أن تبقى اللغة الفرنسية أداة التعليم والعلاقات الإدارية وحتى التعبير الأدبي . وذلك أن المستعمر كان افرغ كل جهوده في محاولة القضاء على لغة البلاد من جهة وفرض استعمال لغته في المدارس وفي الدواوين الإدارية من جهة أخرى . وقد كان لهذا الغزو المعنوي وهو اتساع من الغزو السياسي اثر عميق على كثير من المنقذين في بلاد المغرب العربي خصوصا الذين تخرجوا في المدارس والمعاهد والجامعات الفرنسية سواء منها المؤسسة في بلادنا أو الموجودة بفرنسا نفسها وبالأخص من بين هؤلاء المنقذين من لم تكن لهم معرفة باللغة العربية مطلقا أو كانت هذه المعرفة سطحية مهزلة .



محمد الفاسي

رئيس جمعية الجامعات الإسلامية
- الرباط -
وعشر من جمع اللغة العربية

وإن لفظة التعريب التي تحمل اليوم في التفكير الغربي المقام الأول والتي تشغل بال الشعب وطبقات المفكرين والمسؤولين في الدوائر العليا والتي صارت بكثرة ما رددتها الألسن في النداء والجالس ، وأشاء بها الكتاب والصحفيون والمذيعون كانتا الترياق لكل أوقاتنا خصوصاً المتعلقة بالثقافة والتعليم وعليها يتوقف كذلك النمو الاقتصادي والتقدم الصناعي ، هذه اللفظة المحرمة يكتنفها رغم كل هذا كثير من الغموض والابهام وكل واحد ينظر إليها بمنظار خاص . فتعين إذن قبل الخوض في هذا الموضوع أن نتلصق على مدلوله ومفهومه وما يقصد به . والواقع أن التعريب له مدلولات كثيرة ومفاهيم متعددة كما قلنا ، وليس الضرر في هذا ولكن الضرر في عدم الوضوح والاشتغال بمسألة التعريب على أن لها مدلولاً واحداً مع أن كل واحد من المتكلمين أو الكاتبين يعني شيئاً ليس هو المعنى عند صاحبه . أمّا لو أننا نتكلم جميعاً على التعريب ونعني بقصد به مثلاً إحلال اللغة العربية في التعليم محل اللغات الأجنبية أو توسيع اللغة العربية بإدخال مصطلحات جديدة عليها ، وإلزام الإدارة بعدم استعمال لغة دون اللغة العربية أو العمل على أن تكون لغة التخاطب هي العربية وحدها والدعاية لها ومقاومة كل الذين يبتذنون لغتهم للتفاهم فيما بينهم بلغة أجنبية أو غير هذا من النماذج التي يمكن أن تتمثلها لفظة التعريب فيكون حينذاك الخطب سهلاً ويمكن للمتكلمين في الموضوع بأحد معانيه المذكورة كمثال أن يصلوا إلى حلول نظرية وأن يسطروا خططاً عملية لتصنيفها . لذلك يتعين علينا أن ندرس هذه القضية بكيفية تصنيفية مقدمين إذكاء للتعريف الواضح لما نقصده من لفظة « تعريب » .

وإزاء هذه الحالة الخطيرة على مستقبل ثقافتنا وأصالتنا قام المخلصون من أبناء البلاد عندما لمسوا خطر هذه السياسة الجهنمية بمحاربتها بشتى الوسائل من إسماء المدارس للصرة التي تعتمد في تعليمها على العربية والجمعيات الثقافية 'والجرائد والمجلات وبإلغاء المحاضرات ونشر الدراسات حول اللغة العربية ومقاومة النزعات الانحرافية عند تلك انطلاقة من المثقفين بالفرنسية ، ومنهم من كانوا نوى ثبات حسنة ويميدون عن الخيانة إلا أن دعاة السياسة الاستعمارية نجحوا في بث سمومهم في نفوسهم .

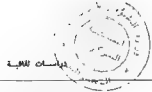
وبعد الاستقلال كان أول مما اتجهت إليه اهتمامات المسؤولين الفضاء على هذه الظاهرة وإحلال اللغة العربية في مكانتها كلفة وطنية صالحة لكل ما تصلح له أية لغة في أي بلد وأطلق على هذه الإجراءات لفظة التعريب . وهكذا مثلاً قررت لجنة وطنية أسست في مطلع سنة ١٩٥٦ بالمغرب لوضع أسس السياسة التعليمية مبدأ التعريب من جملة المبادئ التي ركزت عليها هذه السياسة - وأخذ في المنين في تطبيقها في المدارس الابتدائية وفي مدرسة نموذجية ثانوية وهي مدرسة يعقوب المصنوع بالرباط . ومن الناحية العامة صدر قرار بإلزام كل أصحاب المتاجر والمعامل والمهن الصرة كتابة الإشارات والألفاظ بالعربية إزاء الكتابة بالفرنسية وكانت في الغالب الأغلب وحدها مستعملة . ولكن مع الأسف وقعت بعد ذلك نكسة في هذه الضفة وبقيت مسألة التعريب تتخبط منذ ذلك الوقت بين مسد وجسز إلى أن اقتضت الحكومة الآن بضرورة تطبيق التعريب بكيفية شاملة في التعليم والإدارة والحياة العامة .

تؤديها الآن حيث تمكنت من التعبير عن ارقى ما وصلت اليه المادرك الانسانية في وقت بلسوغ الحضارة الاسلامية اوج عظمتها - ولكنها أي قل ولكن أهلها أصابهم من الركسود والضمود ما حصم يتقهرقرون ويتخلفون عن ركب الحضارة الجديدة التي أخذت المضم من يد العرب وصارت تنير به الطريق بدمهم ، وقد أخلفوا الى لسكون مما أضافهم الى ذلك السميات العميق ، فلما قبض الله لهم من الرجال المصلحين من بينهم من نوحهم ويبيت فيهم روح النهضة والتقدم وجدوا ان الامر قد اقلت من ايديهم وأن العلوم والفنون والصناعات احرزت على انتصارات باهرة ووصلت الى غايات بعيدة على يد اعم غير الامم الاسلامية لها لغات بلغت كذلك درجة عليا في الترقى ، مما اضطر المسلمين لتعلمها واتخاذها في كثير من الاسم الاسلامية العربية وغيرها كلفة العلم و لتناميم ، وكانت هذه المرحلة ضرورية في اول النهضة ، ولكن سرعان ما تتيه زعماء الفكر العربي خصوصا في البلاد المشرقية انى الخطر الذى كان يهدد كيان الامة العربية في اقرب دعامة لها وأهم العناصر التي تتكون منها وهى لغتها - فآخذوا يذاورون بوجوب الانتماء بيسا بالتعليم والشعر والدعابة والبحث عن اسباب تاخرها وعن وسائل علاجها ، وقد بدأت العناية بهذه الشؤون بالخطر في اواسط القرن الماضى ومن العجيب ان هذه النهضة استمرت في نفس الوقت مع التيار الماركس الذي يمثل في شذو اللغات الاجنبية للبلاد العربية شرقا وغربا ، فبينما كانت اللغة التركية بالمشرق تحتل المقام الاول في الدواوين والمدارس كان انتصار القرمية العربية يملعون على ترقيتها بالترجمة والطباعة والصحافة والمطالعة خصوصا في الشام والعراق

وقبل كسل شيء ينبغي ان لا نتعرض لتعريب لا يهمننا مطلقا في هذا البحث وهو اصطلاح لغوى اتفق عليه علماء المجمع اللغوى بالقاهرة ويقصدون به اخذ كلمة اجنبية كما هي واعتبارها عربية ، وهذا ما كان علماء اللغة يجربون عنه بالعرب او المختل وليس للغة التعريب في اكثر المعاجم العربية هذا المعنى ، وقد اورد لها صاحب القاموس احد عشر اسلافا منها اعطاء العربون وتهذيب المنطق من اللحن والاكثار من شرب الماء الصافى الخ ، وليس من بينها المعنى المشار اليه ، ومن اورد المعنى المذكور فانما فعل ذلك استنادا الى ان لكل فعل مصدرا ، ومن المناسب ان نقول انه ليس من بينها كذلك المعنى الذى نعطيه لهذه اللفظة في المغرب لذلك اتفقنا في مؤتمر المجمع اللغوى سنة ١٩٦١ على ان نعتبر كلا من هذين لاسلاطين الجديدين صحيحا وسياق الحديث يخصص المعنى المقصود .

والن ما هو لتعريب الذى نريد ان نتحققه ؟ يلوح لي ان التعريب هو في معناه الاحم السعى لجعل اللغة العربية اداة صالحة لتعبير عن كل ما يقع تحت الحس ، وعن كل العواطف والافكار والمعاني التي تخلق في ضمير الانسان المتعلم الذي يعيش في عصر الذرة والصواريخ .

يستنتج أولا من هذا التعريف ان هذه اللفظة التي يراد لها هذا المعنى هي لغة لا تؤدى هذه الرسالة اليوم على اكمل وجه ، وهذه هي الحقيقة الاولى التي يجب ان نواجهها ولا نترك للمعاطلة مجالا في سقمنا عنا ، واكمل يعلم ان اللغسة العربية وسعت في وقت عزمها وازدهارها علم ايونان وفسفتهم واسي للفرن والهند وحكمتهم وانها استطاعت ان تؤدى الرسالة التي نريد ان



الى يائه على النمط الفرنسي وبالله الفرنسية وبالإسبانية الفرنسية أو بالمطابع الإسبانية في كل ذلك ينقسم الشمالي من الوطن المغربي ، ومن هنا كان الاحساس بسد الاستقلال مذوبان شخصيتنا في الشخصية الأجنبية احساسا عميقا أخذ علينا كل مشاعريا وجعلنا نسعى للتخلص من ثقل هذا لكابوس على انفسنا بكل الوسائل . وتبلور هذا الشعور في نقطة واحدة ، بل في كلمة واحدة هي التعريب ، ويقصد به ليس فصيح ذلك المعنى العام لئى ذكرت وإنما أيضا وقبل كل شيء احسبال للغة المصرية والإسبانية العربية في التعليم والإدارة وفي كل مناحي النشاط القومي معلى اللغة والإسبانية الفرنسية أو الإسبانية .

ومن الجدير أن هذا لا يقتضى إلا إذا كانت اللغة العربية صالحة وقادرة على أن تقوم بهذا الواجب وتؤدي هذه الرسالة بنفس الطريقة والدقة والكفاءة التي تؤديها بها اللغة الفرنسية أو الإسبانية ، وهذه الملاحظة تردنا لذلك التعريف الذى اعطيناه للغة التعريب في معناه الاسم ، وهو التعريف الذى ينطبق على كل البلاد العربية والذى تص دراسته كل المشاكل الخاصة بكل بلد عربى على حدة .

فماذا ينقص إذن اللغة العربية اليوم لتكون تلك الاداة انصالمة على حد ما يستحقها في التعريف المذكور ، وما هي المشاكل التي تعترض طريقها ؟ ذلك ما يجب أن نقيته بدقة حتى اذا تشخص الداء سهل البحث عن الدواء .

أول مشاكل اللغة العربية حسب نظرى الآن بعد الاهتمام بهذا الموضوع طيلة سنتين طويلة ترجع لطريقة الكتابة . وذلك أننا في ما سوى القرآن الكريم وبعض الدواوين الشعرية القديمة نكتب

بحقها في احياة - أما في المغرب الأقصى فلم تكن عربية في خطر لاننا من جهة كنا احرارا لا نفوذ لسلطة أجنبية علينا ، ومن جهة أخرى لم تكن لثبنتنا من سياقتنا واتصلنا بعلم الغرب ومدينته ولما ته ، وكانت اللغة المصرية تؤدى حاجياتنا الثقافية إذ ذلك على اكمل وجه بمعنى أن لغة الدواوين والمراسلات الرسمية كانت اسلم لغة عربية في العالم وأفصحها حتى أن كتابة ادباء ذلك العصر من أمثال ابن اديم وغريب وابن الوز وغيرهم تذكرنا بنشر ادباء النخبة والقلاند .

ثم جاء دورنا فاصبنا باستعمار دهمنا على حين غلة منا ولم يكن لنا ما نتمسك به ضد شروء ، فلا نحن عرفنا إسبالية الغرب ولو عن طريق غيونا كما كان الشأن في البلاد العربية التي كانت تابعة للدولة العثمانية ولا نحن كنا احسننا بضرورة الاقتداء بالغرب في ميادين الحضارة الحديثة كما كان الشأن في مصر مثلاً على عهد محمد على الذى كان ليه من حكمة بونا بارت خير مدرسة لانخال للنظم والمؤسسات العمرانية الحديثة لبلاده ، إلا ما كان من تلك المحاولة للجريئة التي قام بها السلطان مولاي الحسن الأول رحمه الله حيث وجه في أواخر القرن الماضي بعثات من الطلبة لأوربا بقصد التخصص في العلوم والفنون الحديثة من طب ومهندسة وما إلى ذلك ، ولكن هذه المحاولة الشبيهة بالنقطة التي رسمها الياباني في نفس الوقت وسار عليها لم يكتب لها نفس النجاح الذى أحرزته عليه في الامبراطورية اليابانية ، لذلك عندما استولت سلطة الصماية على مقاليد الحكم في بلادنا كان كل ما أحدث بالمغرب من ألف

التي يتطلبها اليوم وكانت الاجناس تجري على طلاب العم في الجامعات كالفريين والزيوتنة والازهر والمساجد الكبرى في المدن الاسلامية كلها والزوايا والخانات والمدارس *

ولكن عندما اتصلنا بالمدنية الحاضرة التي تقتضى السرعة في التعلم والتي يحتاج فيها كل واحد الى المعرفة ليشغل عملا في المجتمع ولمو كان صناعة يدوية بحيث صار تميم التعليم من الضرورييات اللازمة ، ظهر للوجود هذا الشكل ، ولم يكن حقا من المتوقع ان يقبته اليه في اول انخراط الطباعة للبلاد العربية ، ولكن منذ الوقت الذي تنهى العرب الى هذا النفس - الذي ليس ينقص في حقيقة الواقع - كان ينبغي ان يمد الى طبع كل الكتب والبرائيد والمجلات بحروف مشكيلة تمام الشكل - ورغم القرارات المتخذة في هذا الشأن في المجمع اللغوية والندوات والمؤتمرات لتي عقدت لدراسة هذا الموضوع لا تزال طبع كل جرائدنا واكثر كتبنا مجردة عن الشكل *

وقد كنا في مجمع اللغة العربية باقاهرة قرينا ان تطبع كل الكتب الرامية والفصوص الادبية القيمة بالشكل النام على غرار ما تفعله في طبع المصاحف ، ولم يدع احد ان قراءة القرآن الكريم صعبة ، وما ذلك الا لانه يطبع دائما مشكولا * ولم يطبق هذا القرار بكيفية شاملة في كل البلاد العربية وفي طبع كل انواع الكتب المذكورة * كما ان احد الباحثين القوتبيين وهو الامتداد البشير ابن صلالة في كتابه « اللغة العربية ومشاكل الكتابة » (١) توصل لنفس النتيجة بعد دراسة واسعة وتحليل واقعي لكل جوانب المسألة وان كنا لا نوافق على كل النظريات التي يحتوى عليه هذا كتاب القيم *

لحروف مجردة عن الحركات - ورغم ما كتب من هذه المسألة ورغم المناقشات الحادة والخلافات لميقة لتي شغلت افكار الباحثين والتهجمات لتي تعرضت لها لغة القرآن غلني اعتبر ان هذا لشكل اصطناعي * بل انه مدموس طليئا لان لحروف العربية تامة كاملة تقوم برسمائها في ثالثة الاصوات العربية وحركتها على اكمل وجه * ولا يلزم من كون الحركات تؤدي بعلامات توضع فوق الحروف او تحتها ان تكون طريقة الكتابة العربية ناقصة ، والسبب في اغفالنا لهذه العلامات هو ان طبيعة اللغة العربية في نحوها وصرفها تجعل التضلع في ما يسمى علوم العربية يقرأ بدون خطأ أي نفس قديم او حديث ولو كان مجردا من الشكل - ولكن هذا التضلع كان متيسرا لما كان للتعليم منحصر في عدد قليل ممن يكرسون حياتهم للعلم والتعلم اي في الغالب ابناء الفقراء ومتوسطي الحال خلافا لما يمكن ان يتبادر الى الاذهان من ان الذين كان في وسعهم ان يحصلوا على تعلم متين هم ابناء الاغنياء - ونقيا قير : دولا ابناء الفقراء لضاع العلم ، وذلك ان الحالة الاجتماعية كانت تقتضى من ابناء التجار ورجال الدولة من القسود والبرساء ونحرم ان يتروا مهن اباؤهم ومناصبهم بدون ان يجتهدوا الى ثقافة واسعة مضللاف الاخيرين فانهم كانوا مضطرين ان ارادوا انصعود في السلم الاجتماعي ان يتدبروا بالعلم وهكذا نرى ان اغلبية العلماء من المرمسين والمفتين والقضاة وكتاب الدواوين السلطانية كانوا من ابناء الفلاحين والصناع وصغار التجار خصوصا وان اتعليم كان لا يتطلب المصاريف الباهضة

ب - أن الضرورات الحاضرة تفرض ابتكار وسائل جديدة لتيسير الطباعة العربية باختصار عدد الحروف فيها إلى أقل قدر ممكن *

ج - ويقرر أن السبيل إلى ذلك هو محاولة تطوير صور لحروف العربية للآلات الطباعية لا تطويح الآلات لصور الحروف الراهنة ، مع المحافظة على جمال الحروف العربية وصدم تعبير صورتها العامة *

د - ويرى أن الطريقة التي ابتكرها الأستاذ أحمد الأخضر هي أحسن ما توصل إليه لحد الآن *

هـ - ويشكر المؤتمر الحكومة المغربية على مؤازرتها للمشروع *

و - كما يوصي الحكومات العربية بالانتفاع بهذه الطريقة وتشجيع المطابع الخاصة على الانتفاع بها كذلك ، لتسهيل النققات وانسداد الزمن *

فالحل أن ميسر وسهل بل وقد يرهق التطبيق العملي لهذه الطريقة على أن المصاريف بهذه الطريقة يكلف ثلث مصاريف الطريقة الحالية التي لو استعملت على ما هي عليه مع زيادة علامات الحركات لكلفت حقا مصاريف باهضة لأن مجموع أشكال الحروف أذك يبلغ خمسمائة شكل مع تعدد العمليات الطباعية *

فيتمتع عن هذا تعميم الطبع بالحركات ولا تبقى أذاك مشكلة ويمكن حتى للمتوسط الثقافية قراءة الكتب والصحف بدون جهد وبدون تشويه لصفاء اللغة ونساعتها *

وهنا تطرح مشكلة اقتصادية ، وذلك أن جعل الحركات على الحروف أو تحتها في الطباعة يستلزم نفقات رائدة * هذا صحيح * إلا أن جهوداً محمودة بذلت لتسهيل وسائل الطبع بأثمان مناسبة وقد انكب الأستاذ أحمد الأخضر مدير معهد التعريب بالرباط منذ عشرين سنة على معالجة هذه القضية وتوصل إلى طريقة مسجلة تجعل أشكال حروف الطباعة لا تتعدى اثنين وأربعين شكلاً ومع العلامات الحركية والاضلالية والأرقام تبلغ تسعين شكلاً لا غير وهو العدد المعيارى لكل المطابع بالحروف الاعمية وذلك مع المحافظة على جمال الحروف العربية وأصالتها وقد تبنتها الحكومة المغربية وأيدتها عدة شخصيات وثروات ومؤتمرات ننكر من بينها على سبيل المثال التوصية التي أصدرها مؤتمر التعريب الذي كانت دمت إليه حكومة صاحب الجلالة الحسن الثاني والذي انعقد تحت إشراف جامعة محمد الخامس وكان في شرف رئاسته وذلك ما بين ٢ و ٨ أبريل ١٩٦١ وقد ضم نخبة من رجال العلم والفكر من الاقطار العربية * ونص هذه التوصية :

التوصية ٤ في موضوع تيسير الطباعة العربية : (٢)

١ - أن وسائل الطباعة في صورتها الراهنة لا تلائم سرعة التقدم والنشاط التعليمي المتزايد في الزيادة وذلك لتعدد عدد حروفها إلى المئات مما يقتضى ابريد من النفقات والجهد والزمن ويمرّق حركة نشر التعليم ، ولذلك فإن المؤتمر يقر :

(٢) انظر مجلة « التربية الوطنية » عدد ٥ من السنة الثامنة : الرباط - أبريل ١٩٦١ ص ٤٩ - ٥٠

يسمى كل مما تضطرب فيه وما تكتبه لمعة إلى باستثناء لأعراب وبعض المفردات فهما لمعة واحدة * وكل لغات الدنيا تنقسم بهذه أنفارق فهل لغة العامة بفرنسا مثلا ولمعة الكتابة ليس بينهما بون لا يقل عما بين لهجاتنا من جهة وبين لغتنا الفصحى من جهة أخرى ؟ بل أرى الفرق بين لغة عمال ضاحية باريس ولغة الشاعر فاليري يفرق بمراحل الفرق بين ما يتكلمه العامل الجزائري وما ينظمه من شعر الشاعر مفيد زكرياء * على أن هنالك لغة علمية وأقية وهي الألمانية تهوى على أعراب محقق تيسلر حتى على أداة التعريف تكون مذكورة ومؤنثة ومحايدة وبالألف والجمع وبالحالات الفاعلية والمفعولية وغيرها من الموجبات لأعرابية وذلك مثل : Des, Den, Dem, Der, Die, Das : تخ (أ) ثم أنها لا يتكلمها أحد إذ لكل ناحية لهجتها الخاصة وإنما تستعمل الفصحى المكتتمة وهي التي توجد بين مختلف أجزاء البلاد الألمانية وهي في هذا تماما مثل العربية ولم يمنع ذلك من أن تكون اللغة الألمانية من أهم لغات العلم والأدب ولم ينزها أحد بنقص *

فالمسألة إذن هي هذه « المشكلة » مسألة تعليم فقط فلو لم يكن التعليم عاما بالبلاد الألمانية لكان لهم مشكل من هذا النوع ولكن حيث أن كل فرد من مجموع الاقطار التي لغتها جرمانية (الألمانيتان والنمسا وجزء سويسرا الألمانى وما جاور هذه البلاد ممن يتكلمون لهجة جرمانية) يحسن الألمانية الفصحى فانه يقرأ كل ما يكتب أو يلقى في الاتاعة والنفرة ولا يحبس بنقص ولا ينسب للفتح هجر * وهننا يبرز هذا الفرق بسبب الأمية الفاضية ببلاننا * فالذى لا يحسن

وينبى في هذا الصند التنبه أيضا إلى ظاهرة غريبة تتعلق بصوت ولحم يوجد في كل اللهجات العامة خصوصا في بعض الأعلام التاريخية والجغرافية ولا نصرف كيف نكتبه وهو القاف المقودة وقد وجد له سلفا حلا بسيطا وهو زيادة ثلاث نقط على الكاف أن كان لفظا أعجميا كالتير مثلا وثلاث نقط على القاف أن كان لفظا عربيا تنطق قافه مقودة مثل شرافة قبيلة في أحواز فاس وثلاث نقط تمت الجيم أن كان لفظا عربيا تنطق جيمه كما تنطق الجيم القاهرية وذلك مثل الجرار اسم عائلة * وكل هذا بسبب الكسل الفكرى وعدم المبالاة فترانا نكتب اسم المدينة المغربية اكدير بالكاف أو بالعين أو بالجيم أو حتى بالقاف ولا واحد منها يؤدي النطق الحقيقى مع أن الاعاجم وجنوا الحل لهذه المشكلة البسيطة فلا يرانيون مثلا يكتبون هذه القاف المقودة كافا فوقه صلة هكذا ك وهي الطريقة التي أقرناها في مجمع اللغة العربية ولكن ذلك بلى جيرا على ورق * وفي طريقة الأخضر مضموما إليها طريقة ابتكرتها لكتابة اللهجة العامية المغربية بأصواتها وحركاتها الخاصة أثبت شكل كتابة القاف المقودة حسب أصل الكلمة *

ومن النقص التي تنسب للغة العربية ما يسمى بالأزيراجية وهي أن أشخاص المريرى يتكلم لغة ويكتب لغة أخرى على خلاف ما هو الشأن عند غيرنا بمعنى أن اللهجات العامة التي نتكلمها مخالفة للغة الفصحى التي نكتبها * وهذا أيضا يكبنة عامة صمصح * ولكن في هذا الادعاء مبالغة ومغالطة وذلك أن الفرق بين العامية والفصحى ليس بهذه الدرجة حتى

(١) كل هذه الصيغ وباقى الحالات الأعرابية يجب ر عنه في لغتنا بل ال *

كانت عليه ما جمدت اختراجه ووقف الفكر العربي عن الاختراع والابتداع ، بل زاد المسألة تراجعا وتأخرا أن المثقفين في أكثر البلاد العربية بأقبالهم في أول الاتصاف بالحضارة الحديثة على اللغات الأجنبية والثقافات الغربية أهملوا تراثهم اللغوي وقت المعرفة بدقائق اللغة ومصطلحات العلوم والفنون التي كانت بعت درجة عالية في الدقة والاتصاف فاهملت تلك الثروة العظيمة وبقت مخبأة في طيات الموسوعات والمؤلفات المختصة المحبوسة منها والمطبوعة .

ولما تده الصالحون في فجر النهضة العربية المباركة لهذه الحالة المؤسفة كان أول ما انصرفت اليه الجهود هو اسعاد المصطلحات وحياء الآثار الثمينة بالنشر والبحث وساهم في هذه الجهود الافراد والجماعات . وكان للمصاحفة دور هام رغم ما تتميز به في كل عصر من استعمالها للالفاظ استعمالا غير صحيح أو تحريفها للمعنى العربي الفصيح أو العبث به ومخالفتها للقواعد اللغوية والنحوية والمصرفية الى غير ذلك مما يجعل لتعبير عنه بهذه العبارة : « لغة الجرائد » - ولكن فصلها مع ذلك لا ينكر وعلى علماء اللغة والمجامع الصربية والمعاهد المختصة أن تتدخل كل ذلك وتصنفه .

وهنا يجب التنويه بمجهودات هذه الجامعات التي تسمهر على صفاء اللغة من جهة وتقوم بتنقيتها من جهة أخرى ، انما يؤخذ عليها البعد في العمل وقلة الانتاج وعدم التنسيق فيما بينها .

واذا كان من الممكن بل من الواجب أن نصل الى سريفة عملية للتنسيق فإن الاتفاق في العمل وطرفو الماملين في هذه ايامين يجعل البعد وبالتالي قلة الانتاج من الصفات التي تلازم عمل

العربية الفصحى لا يمكن أن يفهم ما يقرأ أن هو استطاع القراءة ولا ما يسمع ، وعندما يحسم التعليم تسقط هذه المشكلة من نفسها ويضع أن الامر لا يرجع لطبيعة اللغة ولا للمفارقة الطبيعية التي تتسم بها لغة التخاطب العادية ولغة الكتابة والمثالي . فالحال إذن هو تنشئة أبنائنا على العربية الفصحى وتعويدهم التخاطب بها في المدرسة وخارجها على أن الفسوق نفسها بين العامة والفصحى تزداد يوما فيوما حتى بالنسبة للكبار بفصل الاتباع المسعومة والمراثية حصوصا في ابرامج التي تستعمل اللغة الفصحى .

وهذا يجبرنا الى الكلام على لغة المسرح . ان من اكبر العوامل الخسارة باللغة العربية وبمستقبلها وحتى بمستقبل الوحدة العربية استعمال اللهجات المحلية في السينما والمسرح وفي الاتاعة والتلفزة إذ يجمع بين البلاد العربية الا لغة القرآن والمندول عنها الى اللهجات المحلية هو فصح لهذه الوحدة وقد قال الدكتور طه حسين رحمه الله : « الذين ينامون باحلال العامية لسهرلتها محل الفصحى لصعوبتها هم أشبه بمن يتناولون بتعميم الجهل لانه سهل » والقضاء لهم لانه صعب المال » .

وثالث المشاكل التي تتعلق باللغة العربية هو قضية المصطلحات العلمية والحضورية التي تخلفنا فيها منذ دخلت المدنية الاسلامية في طور الركود لاسباب التاريخية المعروفة التي ليس هنا محل تفصيلها ، إذ العلوم أخذت تتقدم وتوسع والمنظم السياسية والقضائية والإدارية تتطور والصناعات تنمو وتترقى ، وكل هذا استلزم أحداث الالاف بل مئات الالاف من الالفاظ والاصطلاحات لتعبير عنه في الوقت الذي بقيت لغتنا على ما

وينبغي أن يسبق هذا العمل القيام بتجريد كل المؤلفات القديمة واستخراج مصطلحاتها * فمن كلف بوضع مصطلحات القانون مثلاً يجب أن يشكل عدة لسان فرجية تكون مرجعها الرجوع إلى أهميات كتب لفقہ الاسلامي في سائر المذاهب انسانية وغيرها بما في ذلك كتب اصول الفقه والنوازل والوائن والفتاوى والخلاف والاحكام وانفراض والمسيرة القضائية والسياسية الضرعية * فان مجموع هذا التراث الاسلامي يكون ثروة لغوية تكون خير عون لما لمد الفراغ * وتجلنا من جهة اخرى قريط الصلة بماضينا املى الجيد فثبرن شخصية حضارتنا وتصطبغ بصيغتها الاصيلية وتكون نهضتنا الحالية امتداداً لمنينتنا السابقة *

وهكذا يكون العمل بالنصبة لكل العلوم والفنون الاخرى ، واننى لا ادعى اننا مستجد في ذلك التراث الخالد كل ما تعرف عليه من مصطلحات وانما نستفيد من هذه الطريقة كمية ذات بال من هذه المصطلحات ونكتسب يارجوع الى الاصول الملكة والحكمة على استنباط ما لا نجد فيها *

٢ - ثم يتعين كذلك أن تخصص لسان في كل قصر للعكوف على دراسة اللهجات العامية في مصاورات انبساط وفي حكاياتهم وفي أمثالهم وأجاليهم وأغانيهم ومصطلحات أهل السنانع والحرف منهم ، فان من يشتغلون بهذه الناحية من الدراسات اللغوية يؤكدون أن هذه اللهجات العامية قد حافظت على ثروة هائلة من الالفاظ الفصيحة المهمة عند الكتاب والادباء والمصطلحات العربية الصميمة التي استنبطت أيام أروها المندلية العربية ولم يضمها معهم ولا سجلها احد من علماء اللغة الا في القليل النادر * وينبغي في هذا الجانب

كل الجامعات في الدنيا ومثال الاكاديمية الفرنسية في وضعها للقاموس الرسمي للغة فولتير مثال مشهور * الا انه من الممكن تحسين هذه الحالة ، والملاحظ أن نشاط اجمع النغوى بالقاهرة مثلا في هذه السنين الاخيرة تعلق عليه اكبر الاسام وما تم وضعه في هذه الحقبة من مصطلحات في مختلف العلوم والفنون وفي الالفاظ الحضارة يماثل مرات الانتاجات السابقة *

ولكن الحالة التي وصفناها تستدعي حلولاً اخرى ووسائل اكثر فعالية ، لان الزمان لا ينتظرنا ، والمسلم ومصطلحاتها في تقدم مستمر بمعنى أن في مجموع النشاط الفكرى الانسانى توجه الاف الالفاظ في كل سنة بحيث اننا رغم كل المجهودات المبكورة يجب أن نتحقق باننا نتأخر في حين بطور لنا اننا نتقدم - واننا مانعنا لم نهتد الى وسائل اخرى مبروعة فانه سيكون من الصعب علينا ان لم يكن من المستحيل أن نلحق بالركب وأن نتمسك الى النتيجة التي نتوخاها من جعل اللغة العربية تؤدي الرسالة المحددة في التعريف الذي عرفنا به التعريب في اول هذا البحث *

وان الحلول العملية الناجمة التي تمكنا من بلوغ الهدف في اقرب وقت لان المسألة كما قلت مسألة زمان قبل كل شيء نتخلص في ما يلي :

١ - يجب أن يكلف كل قطر عربى باحية من نواحي النشاط الفكرى أو مينة نواح اذا كانت تتوفر لديه وسائل كثيرة من اشتغاله على عسده كبير من المؤسسات العلمية والهيئات الثقافية ، ويمهد اليه وضع كل المصطلحات الراجعة للناحية الفكرية التي عينت له *

من عبريتها وخصائصها الذاتية ، ولنضرب
لذلك مثلا بلغة اوروبية كان يعمها هذا الشمول
لو كان حقا ان المصطلحات العلمية هي عالمية ،
ولكنها في الواقع تستعمل الفاظا جرمانية بصفة
ولتأخذ سست كلمات علمية وهي هيدروجين
واوكسجين وتلفون وتلفزة وجغرافية وبنترول
فنرى ان الالمان لا يستعملون واحدة من هذه
الكلمات وانما يقولون :

لهيدروجين = فاسر شتوف Wasserstoff
الماء

ولاوكسجين = واور شتوف Sauerstoff
حامضة

وتلفون = فرن شبيتر Fernsprecher
الهاتف

وتلفزة = فرن زيهن Fernkino
السينما

ولجغرافية = اركونداه Fernkond
الارض

ولبنترول = ارنول Erdöl
اي زيت الارض

وهذا رغم كون لغتهم من فصيلة اللغات الهندية
الاوربية وهي شقيقة اللغات اللاتينية والانكليزية.
فما بالك باللغات الهندية من هذه الفصيلة كغات
المجر والفنلاندي والصين واليابان وغيرها ؟

وما ادعاء عالمية المصطلحات الا من تلك
المركبات التي ركزها في ادغمتها نفوذ الاستعمار
على بلدان في المقبسة الطويلة التي متينا به
وصرنا لا نعرف الا ما اتصل بحضارة فرنسا
وانكلترا وكل ما لا يتفق مع معاييرهما واساليبهما
لا نقبله - فوقع لنا مثل ما يحكى عن اعمى لم ير

الرجوع الى الكتب الموضوعة قديما في ما يسمى
بلحن العامة او تقويم اللسان وهي مصادر مهمة
بالنسبة لهذا الموضوع

ثم ان هناك مصدرا قليلا ما يرجع اليه الباحثون
مع انه لو عرف كيف يستغنى على اكمل وجهه
لاهدنا الشرح الكثير ، وهو الكلمات العربية التي
اقتبستها اللغات الاجنبية عن لغتنا وبقيت
محفوظة عليها بمعناها الاصلي او بمعنى آخر
خصصتها له في استعمالات اصلاحية علمية او
حضرية ، ومنها ما بقى كذلك حيا في لغتنا ومنها
ما سقط من الاستعمال وعفى عليه الزمان * ومن
هذا القبيل الشرح الكثير في اللغات الغربية
كالاسبانية في المرحلة الاولى واللغات اللاتينية
الاخرى والانكليزية وحتى الروسية ، ثم في
اللغات الاسلامية من هذا القبيل كمية وافرة
خصوصا في التركية والفارسية والاوردو
والبربرية

فكون هذا العمل ايضا من اختصاص لسان
اللهجات العامة مع تكليف كل قطر عربي بلغة
من هذه اللغات

وتجدر الاشارة هنا الى قصيدة تتعلق
بالمصطلحات العلمية حيث يمسد اليمض من
يهتزون يوضمها الى اللفظ الاعجمي وينقلونه على
كلته بحروف عربية معتدين على ادعاء باطل
ومعالملة لا اصل لها من الصفة وهي ان هذه
الفاظ عالمية فولية تستعمل في كل البلاد -
والواقع ان لفظة من هذا النوع لا وجود لها ، واذا
كانت اللغات اللاتينية واللغة الانكليزية - هذه
اللغات التي كان اتصلا بها اكثر من الاتصال
بغيرها - تستعمل احيانا الفاظا متقاربة متشابهة
فان باقي الشعوب لها الفاظها الخاصة المنيقة

والتوحيد - وذلك ما تقر في مؤتمر التعريب المشار اليه سابقا الذي انبثق عنه مكتب تنسيق التعريب الذي مقره بالرباط وهو يقوم بجهود مشكورة في هذه السبيل وعلى نجاح هذا المشروع يتوقف صمان استمرار الوحدة العربية نفسها ومن حسن حظنا وبفضل القرآن الكريم ان هذه الفروق الآن لا تتعدى المفردات ولا تمس القواعد النحوية والصرفية بحيث اننا لا نحتاج الا لتنظيم العمل والمسير فيه على طريقة منهجية لنصل الى النهاية المنشودة *

ران تعلقا بلمتنا وسعينا في المحافظة عليها وتصفيقتها من الشوائب ليس أمرا خاصا بالعرب بل نرى اليوم الشعوب الراقية كلها تسير في نفس هذه الطريق ومنها من يبلغ به الامر الى حالسة التعصب مثل ما نراه عند أهل بلجيكا المتكلمين بالفرنسية (وهم يقضون هذه التسمية على الغلامانكية التي يستعملها مواطنهم من المتكلمين بالفرنسية في هذا الصدد) حيث قرروا أخيرا العقاب بالسجن وغيره لكل من ثبت استعماله الفرنسية تكلما أو كتابة وهو يقوم بعمل رسمي * وتوجد عشرات الهيئات الرسمية والخاصة تقوم بالمحافظة على اللغة الفرنسية وإيهاد الكلمات البذخية التي غسرتها في هذه السنين الأخيرة خصوصا الانكليزية حتى أطلق أحد الاساتذة الفرنسيين المشهورين وهو الاساتذة Etienne على لغة فرنسا في الوقت الحاضر لغة الفرائكلية Je froussione أي الفرنسية المزوجة بالانكليزية (١) وعلى رأس هذه المؤسسات الجمع الفرنسي الذي لا يدخل في قاموسه الا ما كان سليما من

الضوء منذ ولد وفجأة فتحت عيناه فوقع بصمره على فلان ثم عسى مرة أخرى يمثل المسرحية التي أبصر بها لفسار كل من حبلته عن شيء يسأله هل هو حبل انفسار ؟

ومن المشاكل التي تعترض اللغة العربية في سبيل تاديثها لمراسلتها صفة حميدة من جهة إذ تمل على ثروتها وغناها وفي اتساعها بكثرة المترادفات ولكنها في نفس الوقت تجمل كذلك الغموض واللبلة من صفاتها وتجعل الخلاف يتسع بين مختلف الاقطار العربية * فلو ان للعرب كلمة واحدة لثانية معنى من يقوم مقام غيره لما كنا نقول حسب الاقطار للتعبير عن هذا المعنى : خلية * نائب * وكيل * وكامية التركية الخفية * وكذلك الشأن في القسم والمصفى والسبقة والفصل للنجرة التي يتعلم فيها التلمذ في المدرسة وهكذا دواليك - واذا كان هذا الخلاف غير ذي شأن كبير في ما يرجع للشمس والانتاجات الادبية المجردة فانه بالنسبة للسلسلات الحضارية ولغة القانون والطب فلا يرى بالنسبة للمصطلحات العلمية البحثية يكون أكبر حطرس على الوحدة العربية التي ترتكز في اساسها على اللغة * واذا لم يجعل حد لهذا التباين مع كثرة ما يستحدث من العاظم والمصطلحات أصبحتنا وقد علم الفريق بين مختلف الاقطار العربية واتسع الخرق وصعب الرق * لذلك يتعين علينا أن ننظر جيد في اوسائل الناجمة لتلافي هذه الاخطار * وارى أنه ان كان للبلاد الحقيقة الشرقية دورها الهام في الناحية الابجدية الابتكارية فسان لنا ان نساهم في هذا البرنامج الواسع المنهجى بدور التتسيق

(١) وقد تبعه في ذلك الاساتذة قاسم الزهيري سفير المملكة المغربية بالمصين في محاضرة له سماها الرسمية مشيرا بذلك الى اللغة التي تتكلم بها بعض الاوساط وهي مزيج من العربية والفرنسية *

ماضى حضارى ولم تخلف تراثا ثقافيا عظيما مثل الذى خلفته الامة العربية واتسرت به الحضارة الانسانية جمعاء مما سهل علينا الجهد الموفق الذى بذلناه لاندخال اللغة العربية كلغة عمل فى منظمة اليونسكو على قدم المساواة مع الانكليزية والاسبانية والروسية والفرنسية فكانت اللقمة العربية هى اللغة انفير الاوربية الوحيدة التى تحظى بهذا الاعتبار *

فوجب على اينائها قبل كل واحد ان يعرفوا لها هذا الفضل ويشدروا بالنواجذ عليها ويمضوا على المحافظة على صفاتها لضمان استمرار وجودها كلغة حضارة اُسمدت فى تاريخها المجيد الكبر الحدمات للانسانية جمعاء *

حيث الاصل الفرنسى وموافقا للثوق والاساليب الفرنسية - واخر هيئة سمعنا بتأسيسها اخيرا بـ **BITNET pour servir la frappe scientifique** فى سويسرا
Service International de terminologie scientifique et technique

المصلحة الدولية للمصطلحات العلمية والتقنية لانقاذ اللغة الفرنسية العلمية * وتوجد هيئة هليا فرنسية تضع المصطلحات الفرنسية محل ما انتشر منها باللغة الانكليزية بين العلماء الفرنسيين وتصدر قوائم لهذه المصطلحات فى مجريات الصحف ليطلع عليها الجمهور الخلق *

ثم ان المطالبة بالتعريب فى بلادنا بكيفية صامة امر طبيعى ضرورى فكل الشعوب تستعمل لغاتها فى سائر مناحى الحياة حتى الامم التى ليس لها



حركة التعريب

وَصَل بَيْنَ الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ

عندما تحدث عن حركة التعريب ، وأنا أזור
الجزائر مشاركا في المؤتمر الثاني للتعريب الذي
يُعقد فيها هذا المسام استمرارا للمؤتمر الأول
الذي عقد من قبل في المغرب عام ١٩٦١ بتملكتي
احساس عميق بالقيمة الكبرى لهذا العمل *
وينبع هذا الاحساس عندي من الفكرة التي اؤمن
بها وانطلق منها وهي ان حركة التعريب ليست
حركة تراثية بحال من الاحوال ، ليست حركة
متصلة بالماضي فحسب ولا يمكن ان تكون *
وليست متصلة بالآثار الذي تملكه ولا يمكن ان
تكون ، وانما هي حركة وصل بين الماضي الذي
كنا نعيش فيه وبين المستقبل الذي نتطلع اليه *
في ضوء هذه الفكرة اجبتي امضي وفي هديها
اجد تفسير كل ما تقوم به المؤسسات المختلفة
في هذا السبيل *

د. شكري فيصل

الامير العام
لجيش اللغة العربية
- دمشق -

لظهور الإسلام وانتشاره ، وأضحيت اللغة العربية هي لغة التفكير العلمي ، وهي كذلك لغة الحس الإنسي ، وارتبط ، ما بين اللغة العربية وبين الحضارة العالمية برباط وثيق ، بحيث أصبح عصيرا على الإنسان - قبل أن ينحدر المجتمع الإسلامي ، أن يكون مثقفا إذا لم يكن على اتصال باللغة العربية واتقان لها .

* * *

هذه الشعوب العربية الإسلامية إذن تتميز بهذا الاقتران المعامل بينها وبين الحضارة الإنسانية الواسعة - بمعنى أنه إذا كان هناك نوعان من الشعوب : شعوب لم تسهم في الحضارة المشتركة وإنما كان لها حضاراتها الخاصة الضيقة والبدائية * وشعوب أخرى أسهمت في الحضارة المشتركة وكانت جزءا منها - فإن الشعوب العربية الإسلامية هي من هذه الشعوب الأخيرة التي دخلت الحضارة المشتركة وداخلتها هذه الحضارة المشتركة بحيث ارتبط ما بينهما .

هذه الشعوب - عندما تناول أن تطرح بسبب الحضارة الإنسانية من جديد ليس من خيرها ولا من مصحتها أن تتقدم في هذا الاتجاه لتبني المرحلة من بدائتها ، من الصفر - ذلك ليس من مصلحتها وليس ممكنا حتى إذا هي أرادت . لأن هذا الأمر انحصاري يدخل كل جزئية من جزئيات حياتها الفاعلة ، وحياتها العاقلة ، حياتها المشعوبة ، وحياتها العقلية - أنه يدخل عقلها ، ويدخل مشاعرها ، يعتزج بها حتى ليكون جزءا منها ، وتمتدح به حتى لتكون جزءا منه .

وإن غائنا لا تقف في الدرجات الدنيا من السلم الحضاري ، وإنما تقف على بعض درجاته .

ولكي أبين من ذلك بوضوح ، يحسن أن ألحظ أن هذه الشعوب العربية الإسلامية التي تمتد في هاتين القارتين في آسيا ، وأفريقية شعوب لها ماضي حضاري طويل - أنها في فترة طويلة من فترات التاريخ ورثت الحضارة الإنسانية - ولكنها لم تكتف بأنها حافظت على هذا الإرث ، وإنما لجأت إلى المحافظة عليه من جهة ، وإلى اغنائه من جهة أخرى ، وإلى تعريبه من جهة ثالثة .

أ - أما أنها حافظت عليه فذلك واضح في أنها منطلق من خلفية فكرية واسعة أساسها الإيمان بحرية الفكر وحركته - استطاعت أن تتلقى مع هذا الإرث ، وأن تقبل عليه ، وأن تثقلمه ، وأن تمتع قلبها وعقلها له في حدود ، كان من رسالتها الإنسانية .

ب - وأما أنها اغنته فذلك لأنها - في حركة تزاوج فكري رثع بين العناصر الإنسانية كلها وفي طلال دعوتها إلى مجتمع عالمي واحد - أصغت إلى هذا التراث الإنساني أضافات كبيرة ، وإن هذه الإضافات تناولت الجوانب العنصرية الإنسانية منه ، وزاوجت بين النظريات والتطبيقات . فكان من ذلك كله أن ليست الحضارة الإنسانية لباسها العربي الإسلامي خلال ستة قرون أو تزيد . ثم أخضت في بلد أثر بلد ، أو حملت على أن تفتق وراء حركات جديدة قامت على أساس الكسره والحد ، فاضطرت الشعوب العربية والإسلامية إلى أن تقف موقف الدافع عن وجوده ، وبذلك توقفت حركتها الإبداعية .

ج - وأما أنها هربت ، فذلك لأنها لمجت ما بين هذه الحضارة وما بين اللغة العربية ، فانتسعت هذه اللغة للحضارة التي جاءت نتيجة

من قترات الضعف ولكننا لا محال ان نتخلص من عناصر القوة .. وننتقل الى مواكبة العصر ويجب ان نخضع لهذه المواكبة اقتصر طرقها واسرعها .. ولهذا تظل اللغة دلت الرصيد الفكري والفهم والتجارب الثقافية امنية هي لمة هذه المواكبة واداتها *

ان اماننا ، بانسوط الحضاري الذي حققته الشعوب الاخرى لا يعني عندنا الماه الانسواط الحضارية التي كنا اصحابها .. ان الامر على النقيض .. قاضواطنا الحضارية السابقة يجب ان تمثل عندنا اقوة النفسية الدافعة التي تمنحنا الثقة المطلقة باننا قادرون على التايمة ، متمكنون منها .. عننا المادة المساعدة عليها وعننا الاداة الصالحة لها ..

وليس ادل على ان حضارتنا السابقة لا تزال تحل حتى اليوم بعض ضماثر المستقبل انهما تؤلف ، وفي مرات كثيرة ، نقساط ارتكاز حتى للمعارف العصرية ، وان ابحاث كثيرين من المستشرقين في التراث العلمي القديم ، لا تزال تتتالي من اجل ان تقدم للابحاث الجديدة بعض المنجزات الحضارية السابقة *

وعلى ان هذه قضية اخرى ، فان الذي يربط باذماننا في حركة التعريب انها حركة مستقبلية ، وانها حين نلظر الى الماضي فالتما نلظر اليه ليكون طريقا الى المستقبل ، وان استخدام اللغة العربية في ذلك هو ضرورة يعليها وجودنا نفسه ويعليها حرصنا على استمرار هذا الوجود في المستقبل ، ويعليها ان العربية انما تؤلف ، في جملة عملها في ذلك ، هذا الوصل الكامل بين الماضي والمستقبل *

ومهمتها ان تتابع السير في هذا الطريق مستفيدة من كل الاكتسابات التي سبق لها ان خاضتها من اجل هذه الغاية ، من اجل ان يكون رصيدها الذي تملكه رصيذا متجيا وفاعلا ، فان حركة هذه الشعوب تنسج ثقل الحضارة والمشاركة فيها لا يمكن ان تتم بعيدا عن اللغة التي اصطنعتها في التفكير وهي للتعبير على السواء *

لقد نشأت عند هذه الشعوب علوم ومعارف ، ونظريات وآراء * واخاضت في كل فروع المعرفة العلمية والتطبيقية ، النظرية والعملية .. اهدت فيها وجهدت .. وكان هنالك علماء دائما على طول هذا السط الذي يمتد من جاكارتا الى طنجة ، ومن صقلية الى جنوب الصحراء .. لم يخل بلد من بلاد الاسلام من عالم كان له ، في هذا المنمو او ذاك من نواحي المعرفة والحلم اسهام وتجميع *

ومعنى هذا ان المنطق والحياة والواقع ، كل ذلك يفرض علينا ان نتابع الطريق ، وان تتم هذه التايمة الا اذا كنا نستخدم الاداة ذاتها ، احسن اللغة العربية *

* * *

ان هذه اللة تمثل قطبين اساسيين : تمثل مستودع معارفنا ، وتخزن كذلك أسلوب تفكيرنا . واذا كان هنالك حركة جديدة نحو اكتساب مزيد من المعارف ، او نحو تصحيح بعض اساليب الفكر ، فان هذا يجب ان يتم في نطاق حركة ذاتية ، اعنى في نطاق تطور ما عندنا ، دون ان ننسلخ عنه ، ونتايحه دون ان نهدر منه *

وهذا فان حركة التعريب لا تستهدف شيئا كما تستهدف هذه الصلة بين الماضي والمستقبل .. انما في حركة النهضة الحية نحاول ان نتخلص

للتخيل إحقاقاً للكتاب ، وعمارة مستقبل ، ومصورين ومؤلفي أغان يلقون أمام تساؤلاتنا . سيتخيل أكثرهم سطحية أن المقاتلة الراجلين سيفوزون في الكفاح من أجل استمرار الحياة ، وأن سائقي السيارات ، بما لهم جميعاً من عضلات خائرة لا تعيهم على الخروج في أقل زحمة ، سوف يسمعون في مأو يهون قيساً أيامهم . ومن أجدهم ميعاداً في أوروبا اكتشافاً الاحساس الذي فقدت من قبل بالمخافات ، وسوف نقضي المصانع أماكنها للكاتدرائيات وأقواس النصر ، في حين يقرر مؤلف "لعشة في فيينا" خطة جديدة لاعادة توزيع السلطة ويُطعِم تقوم البلاد الهيلين ، أفضل مستعدي الأقدام ومستصلي أقل قدر من الموارد الطبيعية

وسيعتبر علماء المستقبل المبشرون بآفة العالم من جهتهم أن آفة القتل ، اذ تبطل تقدي البلدان المتطرفة ، ستعود الامم غير المصنعة لأن تفرض على العالم ضرباً من الحضارة ، بدائي الشكل ، يحتوي على مناطق شاسعة لوعي الخترجين ، وهو نموذج ملهه ، لكنه غير جدير بتلبية الحاجات التي ولدها تكاليف السكان . ولا نملك شهادات اختراع صنع البيبتيم من ماء ت الفصم (هيدروكاربيو) فما هناك تقدم من طعام الى ذرايفنا ، وقد تكسروا يحد من العنف والهدنة بعرضهم لأن يأكل بعضهم لحم بعض ؟

وأشد الاختصاصيين قدرة على التنبؤ بالمستقبل ميتادون : لم يقدروا فقط بآفة أن يتواري . ليس بسبب حرب ما - سيقولون - بل الأخرى أن يصر ذلك بقرار تتفق عليه البلدان الصناعية التي تعتبر أن التلوث بلغ درجة لا تحتمل بسبب الاستخدام المكثف للمواد الهيدروكاربيوية ، ما دامت الانبار المستمعة لم تعد تقدم سمكاً والبحر يمتنع على الصيد .

وبعد عصر النفط قد لا يقتضي سوى أمر واحد يُفعل ، هو استيراد الهواء النقي من البلدان المتطرفة في خراوات كروية هائلة . قتب فوق مناطقنا ريج مقوية تعيد الي النشاط والحياة ، فريضة ألا تقطع البلاد المصدرة بالطمح - وهي المونة الشككة النافكة - بالحد - حركة التمنوي هذا المواد الهيدري من جديد .

ستيفانو وكياني

مصحفة . لاسانيا . الإيطاليا

واقع ومستقبل حركة التعريب بالجزائر

الفلورف التاويغية* التي خلقت قضية التعريب :

يعتبر التعريب ثالث الألافى للثالثون الكبيـ
أو الثورات الثلاث : الصناعية ، والزراعية ،
والثقافية ، التي تخوضها الجزائر بعد الاستقلال
من أجل البنا. والتنشيد للعاق بركب الطمو
والتقدم الحضارى . وهو صمم الثورة الثقافية
وضرورة ملحة وعاجلة وخطرة فى نفس الوقت
لأن الاستعمار الفرنسى حاول الاستعيل خلال
عهد الاحتلال الطويل ، أن يطمس شخصية الجزائر
ويحوّل قوميتها ، ويشوه تاريخها ويفصلها تماما
عن أمجادها الفكرية والحضارية .

محمى بوهزير
كلية الآداب
جامعة وهران

البلاد طيفة عميلة ما يزال بعض افرادها حتى اليوم يجحدون ثرات بلادهم وامجادهم التاريخية والحصارية ، ويحتقرون لفهم القومية العربية ، ويرفضون ان يعترفوا أو يصدقوا بانها لغة العلم والعمل والمخير منذ اكثر من اثني عشر قرنا ، وان التي عاق تطورها هو تختلف اهلها تبسة لطروف الاستعمار التاريخية في العصر الحديث .

امثلة من التاريخ على حقبة التعريب :

ان طروف الجزائر التاريخية هي التي خلقت ما ندعوه اليوم « تصبئة التعريب » ، وهي التي تحتم العمل على تحقيقه كفضيلة ملحة وضرورة عاجلة . ذلك ان الاستقلال السياسي وحده لا يكفي لاثبات شخصية امة وابرازها ما دام لا تملك لغة قومية كأداة لعمل الحلق والابداع . وسيلة للتطور المعرفي والحصاري خاصة في عصرنا الحالي بل ان ذلك الوضع يجعل تلك الامة باستمرار في مؤخرة القافلة وعالة على المر في كل شيء مدولة وحسرة .

وهناك امثلة عديدة من التاريخ تؤيد حتمية التعريب بالجزائر . منها المانيا في القرنين الثامن والتاسع عشر .

فقد كانت امانيا معزقة الى اكثر من ثلاثمائة وستين امة ، الكثير منها يخضع للسيطرة الاجنبية النمساوية والفرنسية ، واللبص مستقل بذاته وليس للامبراطورية الرومانية المقدسة الا سيطرة اسمية وشكلية عليها .

راكات محاربة اللغة العربية من اسفل المحاولات التي بذلها الاستعمار الفرنسي ، ولم يترك أية وسيلة لتحقيق فكرة « العرسة والتصميم » فهدم الكثير من المساجد وحول الكثير الى كتكات للجيش الاستعصري ، وكنايس للبعثات التبشيرية وشجع حركة التنصير والتبشير لمقاومة الاسلام في عفر داره وهو عقيدة الشعب الجزائري العربي المسلم واعلق المدارس العربية ، ومنع الجزائريين من تعلم لغة آبائهم واجدادهم القوية العربية . ومنع الكتاب العربي من التداول والانتشار في البلاد ، كما منع الصحافة العربية من الظهور والتداول .

وحتى تعليم القرآن الكريم وضع ضده قيودا وعراقيل وشدد على الذين يتصدون لتعليمه وفرض عليهم رقابة شديدة ومنعهم من شرح معانيه الى النشء خاصة الايات والصور التي تتصل بالمهاد والكفاح . وحرص على توظيف اطار ديني في المساجد جاهل وعميل اناط اليه وطمبة المؤسسة ضد السكان الجزائريين .

ورغم ان شعب الجزائر قاوم هذا المسح الاستعماري ، وتشبث بمسومته وشخصيته العربية الاسلامية بفصل جهود الزوايا الدينية ، والكتاتيب القرآنية ، والمدارس الحرة ، الا ان التأثير الاستعماري كان قويا وشديدا ، استطاع ان يزل العربية ، ويحاصرها ، ويفرض لنفسه كأداة ووسيلة للعمل فسا عرق « بالفرنسية والتصميم » جريا وراء تحقيق خرافة : « الجزائر الفرنسية » ، وخطر من كل هذا انه خلق في

وان الكاتب العظيم حقا هو الذي تصمم اللذة التي يكتب بها بالطابع الوطني الصميم ويرفض محاكاة وتقليد التمايز الاجنبية .

ونتيجة لتلك الحركة الفكرية « الملتزمة » برز في ألمانيا ما دعى « بأدب الحروب » لدى الشعراء والمفكرين الألمان ، وظهرت مدارس قومية وتاريخية ركزت على قصية التحرير والوحدة مثل المدرسة العمومية التاريخية التي فسرت التاريخ تفسيراً قومياً ، ومهدت الطريق للشباب الألمان الذين أخذوا ينطلقون المقاومة في النوادي والجمعيات ضد تسلط ميترليخ النمساوي زعيم الترجمية في أوروبا القرن التاسع عشر . وحملت امارة برussia بعد ذلك لواء تحقيق الوحدة انطلاقاً من حركة الإحياء الادبية لفكر الألماني واللغسة الألمانية ، وأعطت بتقوية نظمها الاقتصادية والمسكرية ، ولم تنردد في خوض ثلاثة حروب كبيرة ضد الدانمارك ، والنمسا ، وفرنسا . انتهت بانتصارها وتوقيع امبراطورها الألماني في 1871 وهو قصر فرساي الكبير بباريس في جانفي 1871 بعد ان أسرت الامبراطور الفرنسي نابوليون الثالث وعائلته إلى من جنوده المقاتلين في ميتر ، وسيدان .

فاذا كانت ألمانيا التي لم تتعرض لمحاولة محو لغتها وتراثها ، بذلت مثل هذه المحاولات ، فكيف بالجزائر التي عمل الاستعمار الفرنسي طوال قرن وربع قرن على «فرنستها» بكل الوسائل وازالة شخصيتها القومية من الوجود . انها اعظم رسالة وأقدسها بعد معركة التحرير .

وكان الشعب الألماني يعاني من هذا الانقسام والتمزق ، وهذه للسيطرة الاجنبية ، كما كان يعاني من الشكل الفكري بسبب حروب الثلاثين عاما الدينية (1618 - 1648) ، ويصيح يطمئنة خنجر في كبائه فإماذا صنع ؟

لقد انكب على احياء تراثه ويعنه ، وشهدت ألمانيا اواخر القرن الثامن عشر ميلاد « أمة » من ناحية الفكر والادب « برز الشاعر ليبنتز والفيلسوف والفلاسفة والشعراء والكتاب ، والتورعون الدينيين ، والمتنورون ليخوضوا كلهم معركة احياء الفكر والتراث الحضاري الألماني .

وظهرت الصحف والمجلات الادبية والاخلاقية بشكل واسع زادت على مائة واثنين وثمانين مجلة وصحيفة . وجرى الاهتمام بانشاء واصلاح الجامعات مثل جامعة ووتنجن Wittenberg وادي كل ذلك الى تقديس كل ما هو ألماني وثبة فيه، واصبح تفكير رجال الفكر « ألمانيا بحثا » . ولعب كل من هيجل Hegel وقوته Goethe وكانت Kant وشيلر Schiller وهيردر Herder دورا في الهاب، حماس الألمان ودفعهم الى الانضمام بجرائهم الفكري والادبي ، « فعلوا على احيائه وابرازه بلتهم القومية الألمانية » .

ومن اقوال هيردر ان اللغة أو لسان الشعب نفسه هي الالات الاساسية للانصاح عن عبقريته والتصميم عن مزايه واحاسيسه وانكاره وكل ما هو متصل به وبقدرته على الابداع والابتكار ،

التعريب المطلوب والعراقيل التي تعترضه :

عندما ظهرت قضية التعريب بالجزائر عام 1968 برزت معها الصعوبات والعراقيل والحواجز وظهر اتجاهان رئيسيان متناقضان في البلاد :

— اتجاه كان يتظاهر بتأييد حركة التعريب ولكنه يعمل في الخلف ، على عرقلته وذلك بمحقيق تعريب سطحي لا يغير من الواقع من شيء ولا يمس جوهر القضية الحقيقية ، عن طريق تعليم اللغة العربية في المدارس على شكل محو أمية الحرق ، ولا يتعمد الأمر معرفة الفصح والفاسي وسقط بعض الاناشيد للناسيات ، وهذا يجعل العربية دائما في مركز ثانوي متاخر ، وتبقى الفرنسية ، او الفرنسية والتصحيم ، صاحبة المركز الاول ولغة المخبر .

والذي دغا اصحاب هذا الاتجاه الى اتخاذ هذا الموقف من قولهم من ان يفقدوا مكانهم في الحياة العامة ويساقون الى الهامش ويرومسون على الرء ، يضاف الى هذا كونهم لا يؤمنون اطلاقا بأن لغة «ناعم القومية العربية هي لغة المخبر والعمل ، وكانت قبل الاحتلال تحتل مكانها كلفة حضارة مات من السنين .

وتفكيرهم هذا خاطيء من أساسه لا يعتمد على أي أساس ، فالعربية كانت وما تزال لغة العمل والمخير ، والجرائر بحاجة اليهم والى غيرهم فهي تستخدم سنويا آلافا من المعاونين الاجانب الكثير منهم يضررون البلاد اكثر مما يفيدونها فيستنزفون اموالها ويخربون اقتصادها ويسمون اجيالها

الصاعدة كونهم لا يريدون لهذه البلاد التطوير والتقدم .

واخطر ما في هذا الاتجاه هو انه صاحب ثقل وتأثير في مصائر امور البلاد حتى هذا الوقت .

— لما الاتجاه الثاني فعل عكس الاول يؤمن بضرورة التعريب ، ويسدرك أهمية استمادة الشخصية القومية للجزائر ، ولكن ازمه في كونه محرولا لا يملك من الوسائل الا الابدان بمدلة صمية التعريب ، والتماس المنوى لتحقيقه ولا يقرأ حساب لاجسامه وإيمانه ، بل وحتى لبعض صيحاته واستغاثاته .

ان وجود هذين التيارين المتناقضين ، جعل حركة التعريب تتعرض لهزات كبيرة وتتأخر اكثر من اللازم رغم ان السلطة العليا والقيادة الثورية عملت ما فوق جهدها لانجاح حركة التعريب .

ان التعريب المطلوب في الجزائر لا ينبغي ان يقتصر على التعريب الحرفي ، بل ينبغي وبحسب ان يقزو الافكار والامخاخ وهو ما يحتم القيام بثورة ثقافية « عتيمة » نهز كيان « الفرنسية » ، ونحطم رواسبها المتخلطة وتفصل ادمغة الذين ما يزالون يؤمنون بخرافة « رسالة الاستعمار التمدينية » ، وهم كثيرون وأن كانوا لا يستطيعون ان يرفعوا رؤوسهم ويظهروا نواياهم .

ويسبب التعريب الحرفي حاليا سعيًا طبعيا متناكفا في المدرسة ويحاول ان يقتحم وسائل الاعلام وبعض الزوايا الجانية والهامشية في المعاهد العليا والجامعات ، ولكنه عجز تماما عن

عبر مقصود « وعلى سبيل المثال نطق فأن صحيفة المجاهد اليومية المكتوبة بالفرنسية تغطي كثيرا على صحيفة الشعب الحرةية » ولو لا ان الاغلبية الساحقة من شعبنا عربية الاتجاه لانلمست صحيفة الشعب وانقلت ابوابها « فلماذا لا تسخر لها الامكانيات و الاطارات الكفأة لتصبح صحيفة البلاد الاولى والناطق الرسمي للدولة والقيادة « ومصدر الاخبار لكل الجهات الداخلية والخارجية؟ ان الذي يحفز العالم الخارجي على التعرف على اخبارنا ليست الجريمة الناطقة بالفرنسية ، وانما اعمالنا و جهودنا في البناء ، ان اخبار الاحرام المصرية ، وهي جريدة عربية ، تحفظ من الخطية لنزول الى كل ارجاء الدنيا ، وهذا تلاحط اهمية مجلة الاسالة التي تسير بخطوات ناجحة في سبيل احياء تراثات الجزائر الاصيل كما يلاحظ ذلك في الجدية التي تنسم بها الدراسات التي تنشرها ، وفي الاسمار الزميدة التي لا تغطي حتى تكاليف الطبع على ما يظهر « وذلك ما تحتاجه الجزائر وتتطلبه في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخها »

« والتلفزة الجزائرية تلعب دورا حيويا في النوعية وترسيخ فكرة التعبير بما تقمعه من برامج متنوعة باللغة القومية ، ولكن هذه البرامج تزاحمها برامج أخرى ذات خطورة ، اذ زيادة عن كونها تقدم بلفة احسن تهدد اخلاطنا وتقاليدنا محتمنا بما تعرضه علينا من الكار مسمومة واساليب جارحة لعواطف اسرنا ، ومنافيسة لطموحننا الكبير نحو المستقبل الزاهر والنظيف » ان بلادنا تقارم الاجرام ، والتلفزة تعرض علينا

اقتحام ميدان الادارة ، التي يسيطر عليها اصحاب الاتجاه الاول ، وذلك من المخاطر الكبرى لحركة التعبير »

وعندما ننقص الخطوات التي يحطرها للعريب نشعر بالامل والتعامل ، لان عوامل النجاح لسه اكثر من المحرقات التي تترشده »

« فالاغلبية الساحقة من الشعب الجزائري عربية صميمية تؤمن باهمية التعبير وضرورة تحقيقه ، وتدعم بكل قواها المساعي التي تبذل في سبيل ذلك « وهذه القاعدة الشعبية هي التي حالت سابقا دون « فرنسة الجزائر » و « تصجيها » »

« والندسة الجزائرية بعد الاستقلال لمبست وتنب دورا مشروفا في غرس اللغة القومية العربية معقول ايجابا لناشطة طوعية المستعمل بفضل جهود الملين الذين يصلون في صممت ددون جسيمة لسان « رغم كل المشاكل التي يترشون لها من طرف الاجهزة الادارية للفرنسة »

ان القاعدة الشعبية ، والندسة الجزائرية هما العماد الهام والاساسي لنجاح حركة التعبير وامتدادها الى كل جوانب الحياة العملية الاخرى ، والى حد الآن يتوفران على طاقة هائلة لدفع حركة التعبير الى الامام »

« وهناك محاورات معدودة في وسائل الاعلام رغم اهمية هذه الوسائل في حركة التعبير »

« فالصحافة المكتوبة بالعربية تزاحمها صحافة اخرى تكتب بالفرنسية وتحفظ بتفوق مادي وفي الاطارات الكفأة ، قد يكون موصودا وقد يكون

بحاماننا الثلاث بسبب ذلك ، وهذا لا بد من ملاسطة الدور الذي تؤديه للمهاد الإسلامية والمدارس والثانويات المعربة في خلق وتنشئة اجيال معربة مؤمنة بامعاد بلادها القومية ولغتها العربية

— والى هنا ناتي لأخطر المراحل التي تواجه حركة التعريب وهو اطارات الادارة الجزائرية التي يتكون معظمها من اجهزة مفلسة تولى في التعريب خطرا ، كما ذكرنا سابقا ، على مستقبلها فحتى اليوم ، وبعد عشر سنوات من تحقيق الاستقلال الوطني لم تعرب أية ادارة جزائرية ، عدا وزارة التعليم الاصل والشؤون الدينية ، اللهم الا كناية المناوين على بعض أوقافها الرسمية بصورة شكلية .

ماين تعريب ادارات البريد ، ومسايل النقل ، والبنوك ، والمصارف العامة . واين تعريب الوزارات والدواوين القومية والوطنية ؟ واين تعريب وزارة التعليم الابتدائي والثانوي ، ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، وهذا مصدر خلق الاجيال طليعة المستقبل . ان معظم التخطيطات والمشاورات الصادرة عن وزارة التعليم الابتدائي والثانوي تصدر باللغة الفرنسية وهي اولي الوزارات كلها في احتضان التعريب .

لقد اعلنت القيادة الثورية منذ عام 1969 ان عام 1971 هو عام التعريب ولكن الذي منع من تحقيق ذلك بصورة ملموسة هي اطارات الادارة هذه التي لا تؤمن بالشخصية القومية لبلادها وشعبها ، وليس من السهل اقناعها بالعودة الى

الافلام التي تعلم جيئنا قسوق الاجرام ، وبلادنا تقاوم التحلل الجنسي ، والتلفرة تعرض علينا ما يشجع على ذلك ، وهي امور منافية لاهدافنا القومية التي نكده ونسعى بكل قوانا لتحقيقها .

— ولعل صحافة الاثير ، والاذاعة ، هي التي تبذل جهودا ناجحة في تعميق فكرة التعريب ولكن ينبغي مراجعة برامجها وتزويدها باطارات كفالة حتى تكون في مستوى طموحنا الكبير الاهداف الى احياء وابراز شخصيتنا القومية العربية الإسلامية .

— ولما اعلمناات والمعاهد العليا فما تزال حتى اليوم لم تقدم أية خدمة حقيقية للتعريب ، وتعتبر من الموارض والعقبات الخطرة له لانها هي التي تخلق الاطارات الضرورية ولكنها عقلية غير العقلية القومية التي نريدها وننشدها ، وما ذلك الا لان محاولاتها لجل اللغة العربية لغة المخبر محدودة جدا ان لم تكن معدومة ، ومشككل الجامعات العليا يكمن في اطاراتها الغير المؤمنة بتفضية التعريب كقيمة قومية ، اذ ليس من المقول لصيد كلية او مدير معهد مثلا جاهل لغة القومية ان يسمى ويعمل على تعريب مؤسسته يضاف الى هذا ان مؤسسات التعليم العالي يوجد بها اطار اجنبي كبير يلعب دورا كبيرا في عرقلة التعريب ، فطالما لم يسلم امر الجامعات والمعاهد العليا الى اطارات عربية صينية في تفكيرها مؤمنة بالتعريب كقيمة قومية ، فلا يمكن لها ان نمب دورها المطلوب منها ، ومن نافذة القول الإشارة الى ما تعانيه الاقسام العربية في كليات الآداب

- اعطاء ابعاد جديدة للتعريب تمتد الى السينما والشاشة الصغيرة ، ولصحافة ، والمجلة والكتاب ، والنشرات الدورية والمخاطبة .

فرص اللغة العربية في كل الادارات الجزائرية دون استثناء ، وتضجيع الاطارات الحرة باستناد الوظائف العليا لها في المؤسسات والمعامل والمصانع والوحدات ، والمزارع ، حتى تلعب دورها في غرس اللغة القومية بين كل الفئات .

- القيام بثورة ثقافية حقيقية تستهدف تطهير البلاد من كل الرواسب الاستعمارية المادية والمعنوية ، وخلق اتجاه قومي يتكبد على احياء الامجاد القومية للبلاد ، وابرار شخصيتها العربية الاسلامية .

وهذه الثورة الثقافية ينبغي ان تكون جديدة و ، عجيبة ، تمس كل جوانب الحياة : الاطارات لشريحة اشعرقة ، والترات الدخيل والمسموم مكتبة با كان او مصورا او منحوتا او منقوشا ، او في شكل عادات وتقاليد .

ان هذه الثورة الثقافية هي الوسيلة الفعالة التي تفرض الامة القومية وتجعلها لغة العمل المختبر ، والجزائر فاددة على خوضها مثلما حاضمت بنجاح الثورة الصناعية والثورة الزراعية ، وهي بحاجة ماسة واكيدة الى خوضها .

جادة الصواب لان من شب على شيء شاب عليه كما يقول المثل . وليس هناك من دواء الا زحف الاحياء الصاعدة التي ترشح العربية من المهد وتنشأ في مدروس قومية اصيلة ، لتتسلسم المسؤوليات ومستقبل البلد ، ولعله من المفيد هنا والمهم ان نسجل ان رئيس الدولة والقيادة الثورية قد دفع بحركة التعريب الى الامام بحطوات هامة ، بفضل تكوينه العربي الاسلامي . انه عندما يتخطى بلعة البلاد القومية يبرز حقيقة وجه الجزائر اسر الحقيقى النظيف ، ويجسمه في اطاره المصري السلم ، وتأثيره في هذا الميدان لا ينكره احد . وبفضل تمسكه بهذا المدأ أرغم المديد على اتباع نفس الطريق ولو بحطوات وثيمة ، وهذا مما يبشر بنجاح حركة التعريب مستقلا بالجزائر . ومع ذلك تلع على تطبيق الامور التالية لصمان النجاح والسرعة اكثر :

- التوسع في تعريب المدرسة الجزائرية حتى تصبح العربية لغة العمل والمختبر حقيقة .

- التعريب الكامل لاجهزة الاعلام المكتوبة والمرئية حتى تفرض على غيرنا ان يتعلم لغتنا اذا ما اراد ان يفهم ويتعامل معنا مثلما يفعل هو . هذا ولا ينبغي تملقه ومداراته على حساب تقليدنا وقوميتنا ، وهو ما فعلته بعض الاسم قبلنا كالماتيا مثلا ، والصين ، واليهود الذين احبوا لغتهم العبرية التي ماتت منذ ائلي عام .

على أننا كما قلنا مرارا نرى أن التعليم لا بد أن يعود
بلغة البلاد حتى لا يكون ناقصا أبتر لأن كل ثقافة لا تستمد
أساسها من تراث الأسلاف ولا تصرب بجذورها في أعماق
تاريخهم تبقى فاخرة جفاء وبلا روح.

وهذه المناسبة واذئيد بالجهود المبذولة حتى الآن لنشر
لغتنا التي أصبحت الآن لغة العلم في كثير من المستويات من
الابتدائي حتى الجامعي لا يسعني إلا أن أذكر بالمعاد الذي
ضربناه لأهنا بخصوص العمل بها في ادارتنا بل وحياتنا
اليومية والقومية وهو سنة ١٩٧١ •

وعلى كل منا ان يأخذه بالجد ليكون على أهبة
واستعداد •

وذلك ان هذا الهدف لا يقل ثورية ولاهمية واستمجالا
عن الثورة الصناعية ولا الزراعية ولا الادارية ولاعن أي هدف
من أهداف الثورة العليا •

ولهذا كلت لجنة اصلاح اشعليم باعداد الخطة الكفيلة
بتحقيق هذا الهدف لنضمن لأهنا تعليمًا قائمًا على أساس
متين هو تراثنا الثقافي ومطلعنا بقيمتنا الروحية السامية تعليمًا
كاملا يعطينا اطارات ثقافة مسلحة لضروريات العصر ومتضيات
التنمية ومحصنة ضد جميع انواع الانحراف الخلقي الذي
بدأ يستفعل ويكتسح مجتمعات عدة في عالم اليوم •

لغة التامنج

تصادف كتابة هذا البحث مع اشتعال حرب
الحرير التي تخوضها مصر وسوريا، ومن ورائهما
الامة العربية - دفاعا عن الارض والوجود ، ومن
اجل حياة حرة كريمة •
واليوم اذ يتعرض الوطن العربي في منفرقة لطعنة
رابعة غادرة توجهها اسرائيل - حليفة الاستعمار
الجديد وخنجره المسموم - الى قلب الامة العربية •

د. هشام الصغدي
كلية الآداب
جامعة الجزائر

التصت إلى التاريخ أسأله : تراء تمود عججلته إلى الوراء، فيحقق للاستعمار الجديد ما عبر عنه سلفه القديم ؟ أتمسّطع أسلعة البغي والدمار أن تستعيد أمة جذورها راسخة في أعماق الزمان ، وحضارتها على سمع وبصر الانسان ؟

من جيهاات القتال ، ومن الجزائر بالذات ، وبحسما كنت الحرية بالدماء يتناهى رجس الجواب : لا أن يعود التاريخ إلى الوراء ، ولكن يكتب تاريخ أمة بغير لغة الضاد *

تعتبر الثورة الثقافية في طليعة المواضيع الهامة التي يتصدى لها المجتمع الجزائري بعد نجاحه في ثورة التحرير ، وهو يطلق في ما صمم عليه من مبادئ أساسية :

١- إحياء اللغة الوطنية مكانها الطبيعي كأداة للتقافة وللتعلم .

ب - إعادة النظر في هياكل البرامج الثقافية والتعليمية وخاصة تلك التي ورثها الجزائر عن العهد البائد وفي الحقيقة كانت أضراس التركة التي خففها الاستعمار في هذا الميدان ثقيلة الوطأة ، بعيدة الآثار ، فهي لا ترجع إلى سنوات ، ولا إلى عقود ، بل تمود إلى أكثر من دهر من التخليط والتطويق لأقصاء اللغة الوطنية من حياة المجتمع المغلوب على أمره وتلخيص المشكلة الراحنة من المفيد جدا أن نستشهد بالتشخيص الناجح الذي وضعه لها الفيلسوف الفرنسي جاك بول سارتر (٢)

« أن من متطلبات العظم الاستعماري أن يحاول سبه طرق التاريخ على المستعمرين (يمتح الميم) »
ولما كانت المطالب القومية في أوروبا تمتد دائما على وحدة اللغة ، فقد حرم على المسلمين استعمال لغتهم بالذات ، لأن اللغة العربية تعتبر في الجزائر لغة أجنبية منذ عام ١830 * لهم يتحدثون بها ، ولكنها كفت عن أن تكون لغة مكتوبة إلا بالقرعة ، لا بالفعل ... ولقد سلبنا المسلمين كل شيء ، ثم حرمتنا عليهم كل شيء حتى استعمال لغتهم الخاصة ... وعلى كل حال أردنا أن نجعل من « أختونا المسلمين » شعبا من الأميين ... (٣)

من الطبيعي إذا أن يعبر الشعب الجزائري - غداة استرجاعه لسيادته - عن مطلب عزيز طالما تلهب إليه وهو : استعادة لغته الوطنية في كافة مجالات الحياة . ولقد عبر الجزائريون عن ذلك مرارا وتكرارا وعلى لسان قادتهم ومفكرهم قبل الثورة وبعدها - وفي ذلك كتب المناضل الراحل الشيخ الشير الأبراهيمي في إحدى الفتاحيات جريدة البصائر :

« إن هذه الأمة تعتقد - وتموت على ما تعتقد - أن لغتها جزء من كيانها السياسي والديني ، وشرط في بقائها . وقد اتفق على الكفاح في سبيلها اأندين والسياسة ... ثم يقول في موضع آخر : « والامة تريد تلميها عريبا عليه طابعها ، وفيه أثر يدها » وله ما لها من روح ، وعليها ما عليها من سمات ... » (٣) *

(٢) جان بول سارتر - عارنا في الجزائر ، ترجمة سميل الأديس ، ص 23

(٣) جان بول سارتر ، نفس المرجع ، ص 61 ، ص 23

(٤) الشيخ الشير الأبراهيمي : اختلاف حتمين في معنى التعليم العربي ، حيز البصائر ، دار الحرف الطاهرة ، ص 305

الوضع السابق للتاريخ في الجزائر :

اشعوب الواقعة تحت سيطرتها ، سواء بلغتها الأجنبية او حتى باللغة الوطنية (كالدول المحمية او الواقعة تحت الانتداب) - وبالمقابل اعملت التاريخ الوطني للاحالي *l'histoire* أو ادمجته بتاريخ مناطق أخرى . وبذلك أصبح الطالب في البلاد المستعمرة يعرف أفق التفاصيل عن تاريخ نابلون بونايرت وفنوداته ، أو عن تاريخ مصر الملكة فيكتوريا الاستعماري - مثلاً - وعن تصاريص أوربا وحبالها وطول انهارها وتعداد مدنها ، أكثر مما يعرف عن تاريخ قفزه ، أو عن طبيعة بلاد جيرانه الأفريقيين الذين تشبه اليهم أوتق روابط اللغة والدم والدين والتاريخ المشترك ،

لم يكن تدريس التاريخ ل أبناء الجزائر يتدرج في ضمن هذا المخطط فحسب ، بل يتميز أيضا في أن المستعمر انفرذ بفرض لفته سواء في تدريس هذه المادة ، أو في تأليف كتبها ، أو في اختيار مواضيعها واساتذتها - فاحسرت اللغة الوطنية بالضرورة عن ميداني التاريخ والجغرافيا شأنها في ذلك شأن بقية العلوم الأخرى - ومع مرور الزمن غدت كتابة التاريخ واليهت عن مصادره المادية والأثرية وتفاعل المؤرخين والأثريين واللغويين الفرنسيين والأجانب ، وعشية استقلال الجزائر لم يكن عند المتخصصين في التاريخ من ابتائنا - حتى باللغة الفرنسية - يتجاوز اصابع الأيدي . أما بالنسبة لكتاية التاريخ باللغة العربية فقد وجدت

هذا ما كان عليه حال اللغة العربية في الجزائر امان عهد الاستعمار وهو وضع تبرز آثاره لسي مختلف جوانب الحياة ، وتنعكس خاصة في مجالات التربية والتعليم . وكان من المفروض عنه أن يتناول الحجر المصروع على اللغة العربية ، التدريس والتأليف في ميدان العلوم الاجتماعية - وفي مقدمتها التاريخ والجغرافيا - باللغة الوطنية . فالتاريخ عامة ، والتاريخ القومي خاصة - مادة شديدة الخطر سريعة الانهيار اذا ما احسن تغذية عقول الناشئة بها ، والتاريخ في جوهره تعبير عن كبرياء الشعوب وسجل لمزتها ولأمانتها . وهو يبين لكل جماعة الاطار الذي يجب ان يحكم تطورها ، والاتجاهات التي يجب ان تسير فيها عملية تقدمها ، حتى لا تخرج جماعة ، في سياق عملية التطور من جلدنا ، فتتطور الى جماعة أخرى . أو تندمج في جماعة أخرى وهي لا تدري . ولعل من أهم قوانين التطور ان تتطور الجماعة وترقى ، ومع ذلك تكون بالتطور الصق بكيانها التاريخي ، واصدق تمثيلا مع قيمها التاريخية (4) وجود التاريخ معروف في حركات نشوء القوميات - وخاصة القوميتين الألمانية واليتالية - في القرن التاسع عشر ، وفي تحقيق عمليات التحرير والتوحيد لشعوب عديدة منها الشعب العربي .

أي تاريخ يلوس ؟

انطلاقا من هذه الحقائق يلاحظ أيضا ، ان الدول المستعمرة فرصت لتدريس تاريخها على

(4) حري جونسون ، تدريس التاريخ ، ترجمة الدكتور ابو الفتح رضوان ، القاهرة 1995 ، ص (٤) ، وللمعة

يرى المواطن بوضوح أكثر في المواقف التي تستدعي منه استجابة مينة ولكي يتمكن المواطن من معرفة ما عليه عمله ، يتوجب عليه ان يعرف المكان الذي يقف فيه .

أما على الصعيد القومي فإن تعليم التاريخ في مختلف مراحل التعليم الابتدائي والثانوي يراعي الهدف العام للتعليم وهو : خلق المواطن المحب لموطنه ولأمته التي ينتمى إليها . وفي تقرير اعداد لمدارس اسلمين في فرنسا ، تنص روح تعليم التاريخ في الجملة التالية : « من بين كل المواد التي تعلم في المدرسة نجد ان التاريخ مع الاخلاق والتربية الوطنية أقوى عامل يمكن ان يوحد ارادة الأمة » . ويتم التوحيد على افضل وجه عندما يحتاج لمواطن ان يفهم بشكل سليم تاريخ بلاده وان يقارنه بتاريخ الشعوب والحضارات الأخرى ، فنتولد لديه الرغبة الأكيدة لمقابلة البناء ودفع التطوير في الحاضر ومن أجل المستقبل . وبذلك يكون المواطن نتاج التاريخ من جهة ، وقوة أحداث الحوادث الحاضرة من جهة أخرى ، وهو في الحقيقة حزمة الوصل بينهما .

بلاحد أن مثل هذا التفاعل الحلقى والهادف بين المواطن الجزائري والتاريخ كان معدوماً خلال الحكم الاستعماري . وذلك لاسباب عديدة نورد منها :

1- كرس المؤرخون الفرنسيون جهودهم لتجريد استعمار الجزائر وإضفاء الشرعية عليه ، وخدمة

محاولات فضيلة لطرق هذا الميدان من قلة حسن الافراد الهيورين على تاريخ بلادهم ، وعلى تنقيف إبتائهم بلغة آباءهم وأجدادهم - أمثال الاستاذ مبارك الليل والاستاذ دبرز وغيرهم ... ويعبر الاستاذ الليل في مقدمة كتابه (تاريخ الجزائر في القديم والحديث) عن الوضع المؤسف لتأليف التاريخ بالعربية آنذاك : « اني لست من فرعان هذا الميدان ... ولم يحصل على الخوض في هذا الموضوع الهام غير لشعور بواجب خدمة الوطن وقراء العربية طالما من أهل القدرة والدراسة الا يجعلوا كبر ما عليهم من المسؤولية امام الوطن والعربية ، وان لا يحدوا - بتفريطهم في نشر هذا الفن - حبل الجزائر منقوصاً مضوئاً (5)

أهداف تدريس التاريخ :

للتاريخ اهداف عديدة متممة سواء فسي المجالات القومية او التربوية لا حاجة لحصرها في هذا البحث منها : أن يلم مواطن المستقبل بعرفه للظروف التي تطور فيها المجتمع ، فالتطور عملية مستمرة لها مقدمات ونتائج ، تولدت من شيء سابق الى شيء لاحق . والتاريخ بائس حركة مستمرة الحاضر فيها يختلف عن الماضي ولكنه وثيق الصلة به بحيث لا يمكن ان يوجد نظام جديد للاشياء يستطيع ان يقطع صلته بالماضي وينزع الى صورة جديدة ليس لها مقدمات (6) . وبكلمات أخرى يستفاد من التاريخ لكي

5 مبارك بن محمد الهليل الليل ، تاريخ الجزائر ، الجزء الاول ، مكتبة النهضة الجزائرية ، ص 28

6، مري جونسون ، نفس المربع ، ص 64

كما كان الاهتمام بالتاريخ السياسي - وخاصة لتاريخ أوروبا - يتم على حساب التاريخ الحضاري العام *

التعريب (أو لغة التاريخ)

لأسباب عديدة كان من الطبيعي أن يحدث في الجزائر أثر انتزاع الاستقلال ، شيء مشابه لما تم في عهد الحليتين الأمويين عبد الملك وابنه الوليد. ونعني بذلك عملية التعريب التي فرضها الأمويون اللغة العربية لغة رسمية لدواوين وأعمال الدولة العربية الإسلامية بدلا من اللغتين اليونانية والبهلوية الفريشيتين على اللجج العربى * ولقصد تمييز الاستعمار في الجزائر بجهده الدائب منذ عام 1890 لتقريب اللغة العربية في بلادها ، بعد أن فقد الشعب حريته وسيادته في وطنه * وعلى الرغم من المستعمرين نجحوا في مساهمهم عمل الصمعيدين الرسمي والثقافي ، عجزوا عن مسح اللغة العربية من صدور السنة أهلها * وهي لسان اللغة ، ولغة القرآن ، ووعاء الحضارة الإسلامية *

والآن والجزائر المستقلة تجابه بكل تصميم موضوع التعريب لا بد من تقرير حقيقتين هامتين :

1 - أن التعريب في الجزائر لا يقل أهمية عما تصديق له من قبل حلفاء بني أمية في دمشق *

2 - أن اصطلاح التعريب قد يعقد شيئا من مدلولاته الحقيقية إذا نظر اليه البعض وكأنه مرادف لعملية « الفرنسية » التي كانت تمارس في ظل الاستعمار * ولعله من الإنسب الحديث عن عملية استعادة اللغة الوطنية العربية **Restoration**

الإدارة الاستعمارية وذلك بحكم انماهم الى الشعب المستعمر ، وكان تاريخ الاستعمار الروماني للغرب مصدر وحى واقتناء للعديد منهم *

3 - تم أعمال التاريخ الوطني الجزائري وتطور مجتمعه سواء في عملية التأليف والبحث أو في عملية التعليم *

3 - بذلت محاولات مستمرة لقطع الصلات التاريخية والجغرافية بين الجزائر وبقية العالم العربي * وتجنبت الإشارة الى كل ما يستلزم العربية او الى المجتمع العربي بصفة * فخلت مثلا اصطلاحات شمال افريقيا والشرق الأوسط بديلا للتسميات الأصلية للشرق والغرب العربي كما اغفل ذكر الحركات التحررية والتطورات الأخيرة التي طرأت على التاريخ العربي المعاصر *

4 - زادت الفجوة واضمحلت الشعور بالوحدة الوطنية والدينية لدى المواطن عن طريق الغاء الظلال على مرحلة من أزهى مراحل التاريخ المغربي وهي المرحلة الإسلامية ، التي أصبحت تسمى « بالقرون الفاضلة » * ويظهر جليا تمعد المؤرخين الفرنسيين في تقديم الجانب السلبي « لفتح العربي الاسلامي » و « لغزوة الهلالية » *

5 - الشكوك بالثورات التحررية التي خاضها الشعب الجزائري عبر الزمن والتقليل من دور ووطنية قادته ، ورويه بالتصعب *

6 - انعدام الكتاب العربي والاقتصار على كتب التاريخ على تلك المؤلفة باللغة الفرنسية *

للفترة ورغبة في سهولة الفهم ، ولم يمنع ذلك بالمقابل من وجود كتب للتاريخ واجتهدت بلغات اجنبية تقنى البحث التاريخي ، ولهذه الاسباب يصطّر الباحثون اليوم الى تعلم اللغات الاغريقية واللاتينية لدراسة وفهم تاريخ وحضارة هذين الشعبين ، متدبرا يحتاجون الى تعلم العربية لدراسة التاريخ العربي - الاسلامي ، وعلاقات المصوب بالخصارات الاخرى .

المسائل الناجمة عن تعريب التاريخ :

للتاريخ اليوم اختصاصات محددة وفروع يحرسها على الالتزام بها . فهناك ما قبل التاريخ ، والتاريخ القديم ، والوسيط ، والحديث ، والمعاصر ، ويتميز تاريخ المغرب بانصاح كل من هذه المراحل فيه ، وتكاد المصادر العربية تكون متوفرة فيها اعتبارا من العهد الاسلامي ، وتقل نسبيا فيما يخص حقبة التاريخ الحديث والمعاصر . ولهذه الحقة مصطلحاتها وتقسيماتها ومؤرخوها وفيها كتب وفيرة باللغة العربية ، او مترجمة لها من مؤلفين اجانب وخاصة فيما يتعلق بالتاريخ الاوربي الوسيط او الحديث ، وبالمقابل تشكل حقبة التاريخ القديم وما قبل التاريخ ثغرة في المكتبة التاريخية العربية . وقد بدأ مؤرخون العرب عقب استقلال الدول العربية بالتحصن في هذه المواضيع كالناريج المصري القديم ، والرافدي ، والكتاني ، والكلاسيكي

عند التصدي لموضوع استعادة اللغة الوطنية لمكانها الطبيعي في المجتمع - وفي الثقافة هل الاخص - يتبادر الى خاطر اول ما يتبادر ان يكون التاريخ - والتاريخ الوطني خاصة - اول ما ينبغي «توطئته» اي اعادة كتابته وتدريبه باللغة الوحيية . لقد كتب هيرودوت « ابو التاريخ » تاريخ الامة الاغريقية وعلاقاتها بالشعوب الاخرى باللغة الوطنية الاغريقية ، وكذلك عمل زملاؤه توكيديس وبوليبي ، وبالمثل اخذ مؤرخون اللاتين امثال «تيت - ليف» و«سالت» لعنهم اللاتينية لكتابة تواريخهم الشهيرة . اما المؤرخون العرب من الطبري الى البلاذري والمسعودي - الخ فقد خلدوا التاريخ العربي الاسلامي بمؤلفاتهم القوية والتي لم يخشوا غير العربية لغة لها . وهكذا كان حال المؤرخ مومن اللاتني ، ومحبوب الانكليزي كل كتب التاريخ بلغته الوطنية وبها درس « وهذه اللغة العربية كتب شيخ المؤرخين العرب الموسوي ابن خلدون ، وحده مفاهيم التاريخ والاجتماع » (7) ووضع لها مبادئ ما زالت رائدة للعلماء القائلين حتى ان المؤرخ الاوربي المعاصر ارنولد توينبي يعرب عن رغبته الاكيدة في ان تكون له شخصية المؤرخ العربي ابن خلدون من بين كافة المؤرخين (8) .

يتبين من الامثلة المتقدمة اثر الشعوب حرصت على كتابة التاريخ بلغتها الوطنية ، وعلى تدريبه لحياتها بهذه اللغة اعتزازا بالثقافة ، واجلالا

(7) ابن خلدون ، المقدمة ، ص 2 م 26

(8) ارنولد توينبي ، مدخل من مجلة الاذاعة البريطانية ، اوت 1973

يطرح تعريب مادة التاريخ مسائل عديدة ،
اذ لا تقتصر العملية على مجرد نقل المصطلحات
التاريخية من لغة الى اخرى ، او مجرد تدريسها
للطلبة بلغة بدلا من أخرى، بل انها تشمل سلسلة
من الاجراءات والتدابير مترابطة الخلفات ، متكاملة
الاطر يمكن عرضها باختصار على الوجه التالي :

١ - تدريس التاريخ :

في نطاق تطبيق سياسة احيال اللغة الوطنية
في مراحل الدراسة ، نصبت وزارة التربية
الجزائرية برنامج كبير لعملية تدريس التاريخ
بالعربية ، وقد ساعد في ذلك والى حد كبير
توفر عنصرين حامين :

١ - نشر المعهد التربوي الوطني لجمعية
من كتب التاريخ المدرسية تغطي حاجات الدراسة
الاولية حتى الثانوية (20) . وقد أعدت الكتب
وفن محطت عصرى يراعى الجانبين التربوية
والعلمية ، اضافة الى التأكيد على الجانب الوطنى
فى تكوين الطالب - وهى جهود مشكورة تستحق
التقدير . واغلب الظن ان القائمين على هذه
السلسلة الهامة سيحاربون فى المستقبل الاستفادة
من إعادة طبع الكتب ، لتفقيح بعض ما ورد فيها
من اخطاء مطبعية، او لغوية أو تاريخية . واستكمال
بعض المواضع الاخرى .

٢ - وسائر الاهتمام بها التعمى فى ميدانى
علم الآثار واللغات القديمة التى تعتبر المصدر
اوتيسى للتاريخ القديم . وهى دراسات لم تبدأ
فى أوروبا ايضا وبشكل جدى الا فى القرون
الثلاثة الأخيرة . ورغم ان دراسات التاريخ القديم
وعلم الآثار حديثة على المكتبة العربية نسبيا ،
هناك محاولات مستمرة للبحث والتأليف فى
هذه المواد . وقد وجد الباحثون فى مفردات
اللغة العربية الفنية مقابلا ، وامكانيات اشتقاق
او توليد لكثير من المصطلحات الفنية والعلمية
اتى يستعملها العلماء الاوربيون . كما اخلت
تظهر معاجم باللغة العربية نشرتها المجامع
اللغوية فى سوريا ومصر لترجمة هذه المصطلحات .
وهى تساعد الباحثين على الوصول الى المرادفات
وعلى توحيد المصطلحات نفسها فى الاقطار
العربية (9) . ولتكتمل المكتبة العربية بجرى
حاليا الاسعانة بالمعاجم الكتب فى التاريخ القديم
وعلم الآثار المؤلفة بلغة اجنبية ، وترجمتها الى
لغة عربية سليمة . فندس حاجة الطالب أو الباحث .
غير ان هذا العمل المؤقت لن يضى عن ان يمارس
أهل المغرب ايضا البحث التاريخى والآثرى فى
مختلف الحضارات التى عاشت على ارضهم وان
تنشر نتائج هذه الابحاث وفق الأساليب العلمية
المتبعة فى العالم . هذا العمل يتطلب بالضرورة
اعداد المخصصين فى حقول التاريخ المختلفة نظرا
لضخامة التراث الحضارى المتوفر فى الجزائر
وفى المغرب عامة .

(9) راجع يحيى الدهابى . معجم للمصطلحات الآثرية . دمشق 1967

(10) صدر المعهد التربوي سلسلة من كتب التاريخ المدرسية تحت اشراف الاستاذ جوسى مرسى المسمى العام للتاريخ

2 - تم التكامل في تدريس التاريخ بين نشر الكتب المدرسية المنشور إليها ، وإقبال الجامعات الجزائرية على تطبيق تعريب التاريخ ثم الجغرافيا في معامدها . وبذلك أمكن تخريج عدد من المجازين في الآداب سنوياً يسلمون حاجات التعليم الإعدادي - الثانوي للإطلاقات المؤهلة ، وقد تم تخريج أول دفعة منهم عام 1969 ، وما زالت أعدادهم تتزايد سنوياً بشكل ملحوظ يؤدي إلى الاكتفاء الذاتي من جهة - وإلى تزويد التعليم بأساتذة على قدر كاف من المعرفة التاريخية واللفظية .

3 - إصلاح التعليم الجامعي : كانت عمليتا التعريب وتطوير التعليم الجامعي تطويراً عصبياً في طليعة الأهداف التي توخاها الإصلاح الجديد . فقد قضى في ميدان تدريس التاريخ على ازدواجية التعليم (بلغتي) واعتصر على تعليم التاريخ باللغة الوطنية فقط . كذلك استبدل الإصلاح نظام الشهادات القديم بإطره الحامدة ، بنظام الفصول المرن والمتعدد الفوائد . فاضيفت إلى البرنامج الجديد علوم مكملات التاريخ كالدراستات الاجتماعية والاقتصادية ، والفربية ، وعلم النفس ، والأعمال الميدانية ... وأتمت بإبراز تاريخ المغرب بدراسته دراسة رامية في كافة مراحله - وإن نظرة معارضة لما كان يحتويه برنامج التاريخ في القسم باللغة الفرنسية مع ما يدرس حالياً بالفربية تشكلت بإضاح المارق -

ويتمثل تطوير التعليم الجامعي - في المرحلة الانتقالية الحاضرة - في إعطاء الطالب عدداً كبيراً من المحاضرات النظرية ، والأعمال التطبيقية يتراوح مجموعها من فصل آخر بين خمسة وعشرين إلى خمسة وثلاثين ساعة في الأسبوع وقد يكون ذلك المدد الضخم لتعويض قصر مدة الدراسة البالغة ثلاث سنوات أي ستة فصول ، للحصول على شهادة ليسانس التعليم في التاريخ (xx) .

ولكي يحقق البرنامج الإصلاحي الجديد كافة أهدافه في مجال تعليم التاريخ كن من الضروري توفير العناصر الأساسية التالية :

أ - وجود إسمالكاني من الأساتذة المختصين والمساعدين . ولا يتوفر الأساتذة في كافة اختصاصات التاريخ - حالياً - في كافة جامعات الجزائر بمسبة واحدة . وللتغلب على هذه الصعوبة الواضحة ، لا بد من الالتجاء إلى وسيلتين مساعدتين : أولاً اتباع التنسيق بين الأساتذة والاستعانة بخبراتهم بين جامعات وهران وقسمية والجزائر . ثانياً : دعوة الأساتذة الزائرين من الجامعات الشقيقة والاجنبية لتغطية بعض المواد ودعماً .

ثانياً : أما الأساتذة المساعدون فلا توفر الجامعة جهداً لانتقاظهم بين المرشحين من الطلبة المتخرجين . وأصبح هالك عدد لا بأس به منهم ، يرتبط مستقبلهم العلمي بما سيتطور عليه

(xx) تبلغ مدة الدراسة في بناسات الشرق أربعة سنوات للحصول على شهادة الليسانس (الإجازة في الآداب) .

منه ، وحل مؤقت فيما اذا بوفرت الامكانيات المادية والصية : وفي مقدمتها عدد ووع من الصاريين على الالة السكانيه ، وجهاز للمراقبة والتوزيع . **لان الامالي لا يمكن ان تكون بديلة للكتاب الجامعي** - خاصة وان الاولى غالبا ما تصدر حاملة بالاختصاص الطبعية ، اضافة الى كونها بعد ذاتها ليست على مستوى الكمال في البحث . والواقع ان الطلاب يقتصرون غالبا على وريقات الامالي ، ويسنفون بها عن الرجوع الى المصادر والمراجع الضرورية لتكوينهم العلمي .

ويلحق بشكلكتي الكتب والامالي ، مشكلة الاطالس التاريخية والخرائط ، والصور الصوتية اللونية **Dispositive** وارشفيف جيد للوثائق التاريخية التي يساعدهم توفرها في ابحاح البرنامج التعليمي ، وفي اعطاء تعليم التاريخ في الجامعة طابعا عصريا يضاهي المستويات التي وصمت اليها الجامعات الاخرى .

ح - يعتبر الطالب الناصر الثالث والهام في التعليم - وان كان التريب قصد استهداف بنجاح كلاً من النماذج والاساتذة ولغة التدريس؛ من حلال عملية اصلاح التعليم العالي ، فانه شمل بالمثل الطالب نفسه ، هذا الطالب الذي اصبح يصل الى الجامعة بعد انتهائه للدراسة الثانوية ، وقد تعلم معظم مواد دراسته باللغة الوطنية . الا ان هنالك عددا لا بأس به أيضا من الطلبة يصلون الى الجامعة - بحكم المرحلة الانتقالية - الحاضرة التي يس بها التعليم الثانوي - يصلوا

المشروع المدد لاصلاح الدراسات العليا ، وعلى هؤلاء المساعدين وعلى نوعية تكوينهم يعتنصه مستقبل « حوزة » التعليم الجامعي وتكوين الاطارات العلمية الضرورية ، وسنشير الى دورهم في الحديث عن البحث العلمي .

ب - كتب التاريخ الجامعية : لاسباب تتعلق بطبيعة وروح التعليم الجامعي تصنف تاليف سلسلة من كتب التاريخ الجامعية في الاختصاصات المختلفة ، تماثل ما قامت به وزارة التعليم الاجتدائي والثانوي . اذ ان الدراسة الجامعية لا تعتمد في الاصل على كتاب واحد يقرر لجميع الطلاب ، او لكافة الجامعات ، بل تترك لكل استاذ عادة تدريس الكتب التي يفضلها ، كذلك يتطلب لاعداد مسالسل الكتب الجامعية توفر الوقت ، لان الكتب المؤلفة هي نتيجة لا بحث الاساتذة في ميادين اختصاصهم خلال سنوات التدريس ، ومن جهة اخرى لم يتوفر لنفسهم التاريخ الذي لم يصح عن تعريبه بعض سموات - في الجامعات الجزائرية - كافة الاطارات المختصة التي يمكنها املاء هذا الفراغ ، علاوة على ان الاساتذة المتدربين يقومون بالتدريس لغتسرات محددة - لهذا توجب اعتماد الطلاب العاميين على مراجع ومصادر من كتب التاريخ المؤلفة بالعربية في جامعات ومعاهد المشرق والمغرب ، وهذه الكتب تقوم في وجه استيرادها صعوبات عديدة ، يقال بانها ادارة ا

اما محاولات طبع الامالي ، او ما يسمى بملخصات المحاضرات الاساتذة المحاضرين ، فانها - شر لا بد

- 2 - حدث فصل بين التاريخ والجغرافيا ، ومن الضروري إعادة ادخال مواد من الجغرافيا في عداد المواد المكملية للتاريخ والعكس بالعكس بالنسبة للتاريخ ، ذلك ان حامل لسانس التعليم في التاريخ او في الجغرافيا مطالب بالسبب بالضرورة بتدريس كلا المادتين في المدارس الإعدادية والثانوية ، علاوة على العلاقة الوثيقة بين العلمين .
- 2 - هنالك ميل لدى الاساتذة والطلاب لطلب الاقلال من عدد المحاضرات وفي المواد التكميلية خاصة ، التي تكاد تغطي على الدراسات التاريخية نفسها في الفصل الاول .
- 3 - حمل مادة علانات الشرب الحضارية مع الضروب الاخرى (في الفصلين الخامس والسادس) مادة الزامية لكافة طلبة التاريخ ، ووقع عدد المحاضرات المخصصة لمراكز الحضارات الاولى في الشرق القديم وفي مصر الى محاضرتين لكل وحدة منهما (الفصل الاول) .
- 4 - إعادة النظر في توزيع بعض مواضيع التاريخ بشكل يتناسب مع عناوينها من جهة ومع عدد الساعات المخصصة لكل منها من جهة اخرى ، مع مراعاة التوازن والتسلسل في المواد .
- 5 - تخفيض عدد الساعات التطبيقية في الفصول الثلاثة الاولى نظراً لقلة خبرة الطلاب المبتدئين ، ولوجودهم المستمر يومياً في فاعات المحاضرات ، وبالمقابل تخفيض عدد ساعات المحاضرات في العصور النهائية ، إذ أن الأعمال ، لمحاضرات في العصور النهائية :
من مدارس ماوس فيها ثنائية اللغة في التدريس ، ويلاحظ الاساتذة الجامعيون ضعف هؤلاء الطلبة في اللغة العربية ، ويشغل هذا الضعف أيضاً بعض الذين درسوا بالعربية ، ومن البديهي ان يكون اتقان اللغة الوطنية شرطاً أساسياً لفهم المحاضرات ، وقرائة المصادر وكتابة الأبحاث ، وخاصة في الأعمال التطبيقية وفي الامتحانات ، ثم في ممارسة التعليم فيما بعد للأجيال الجديدة ، ولهنه الغاية لعله من الضروري تخصيص ثلاثة ساعات مسائية أسبوعياً يحضر الطلاب على الاشتراك فيها - تحت اشراف قسم اللغة العربية - لتقوية طلاب الفصول الاولى باللغة العربية (22) بمواد اختصاصهم - وذلك اسوة بالدروس المخصصة لتعليمهم اللغة الاجنبية المقررة في البرنامج .
- يتميز المنهاج الاصلاحي بالرونة والبعد عن المركزية ، وخاصة عندما يتسرك للوحداثات السيداغوجية - التي اشترك فيها الى جانب الاساتذة ممثلون عن الطبقة - مجالاً واسعاً لمراقبة تطبيق البرنامج الجديد على الطبيعة . كذلك عندما ترك لهم اعداد الدراسات والملاحظات التي تضمن تعديل المنهاج بما يتلائم مع حسن اداء مهمته . واعطى للاستاتذة الخرفين والمنسقين صلاحيات عديدة الغاية منها اضافة انطوار المستمر والجبرية على الدراسة الجامعية - ومن بين الملاحظات التي تجتمعت على ضوء التجربة العملية خلال السنتين الفاتتتين ، يجدر تقديم النقاط التالية بالنسبة لمادة التاريخ عامه :

ومواضيع الساعة * ولقد أظهر اقبال الطلبة الجامعيين على موضوع حيوي كموضوع الثورة الزراعية مثلا * * * أظهر جانباً من الجوانب الايجابية المدينة التي حققها اصلاح التعليم الجامعي - ولسوف نعرف هذه السادة الطيبة آفاقاً اوسع عندما نستمع بعزيم من توجيه الاساتذة وبالتفاهم مع ابنائهم الطلبة حول آماني الشعب لتحقيق المشاريع الصحية التي وضعها قادة ثورتهم *

ج - البحث العلمي

قدمنا في بداية هذا البحث المراجع صورة عن الوضع المؤسف الذي كانت عليه ابحاث وكتابة التاريخ العربية في العهد الاستعماري * واذا كان من مهمات الجامعة حالياً ان تعد وتخرج اساتذة للتاريخ يلاؤون اطارات التعليم في الجزائر ، فان مهمة الجامعة بالنسبة للبحث العلمي اساسية ومستمرة * وفي الجامعة يمكن توفير المناخ المناسب لنشوء الابحاث التاريخية : الجزائرية ، والمغربية * * * الخ - واعداد العاملين فيها *

واذا كان من المهم تدريس وبحث التاريخ باللغة الوطنية ، فان من الاهم اعطاء هذه الفعاليات فرصة للنجاح ، وجعلها تبلغ مستوى الدراسة باللغات الأخرى ، وذلك بوضع اطارات ومناهج ودرجات الدرامات العليا في الجامعة على المدى البعيد وبشكل واضح - كذلك يتوجب انشاء المعاهد التي تخصص في كل ميدان من ميادين البحث

التطبيقية تتطلب قضاء وقت كبير في المكتبات ، وتستهدف تنمية القدرة الذاتية للبحث لدى الطالب *

6 - توفير كتب الدراسة والمراجع باللغة العربية والاجنبية للطلاب *

7 - الخاء ، تقييد ليسانس التاريخ «بالتعليم» ، وفتح مجال البحث العلمي والعمل للبحرئين في مرافق الدولة : كالدبلوماسية ، والآثار - الخ *

8 - تحقيق التفاعل الحثاق بين الطالب ومجتمعه :

لا نبالح اذا قلنا ان نجاح التعليم في خلق التفاعل النضر يتوقف على الخطوة الاولى التي خطاها الاصلاح الجامعي وهي : استعمال اللغة الوطنية - التي وضعها المعلم مع لين امه - واسطة لتلقى المعرفة ، وتتميز العلوم الاجتماعية بانها تتعرض اكثر من غيرها لعلاقة المواطن بالمجتمع - والتاريخ بالذات يصنع النقاط على الحروف بالنسبة لمواضيع عامه وفيرة مثل : الحرية ، العبودية ، الاستعمار ، الاستغلال ، التطور ، العدالة الاجتماعية ، الثورة * * * الخ - من المعامير *

اما الخطوة الثانية فتكمن في ضرورة توفير مناخ جامعي وحياة جامعية تنصم فيها الحواجب المصطنعة بين الطالب وزملائه ، وبين الطالب واساتذته * فيتم عن طريق اللقاءات والندوات والرحلات والاعمال الجماعية (او في نادي للطلبة والاساتذة) تبادل الافكار وتحليل وفهم ووعم ، مشاكل المجتمع

ويضاف الى هذه العرود دار للوثائق التاريخية
اما الكتب والدراسات والمجلات التي ستصدر
عن هذا المعهد باللغة العربية وباللغات الاجنبية
لاخرى ، فستكون السائل الحى والمستمر - عمل
الصعيدين الوطنى والعالمى - على نجاح الجهود
البيضاء التي بذلتها الثورة الجزائرية فى مضامير
اعادة الاعتبار للثقافة الوطنية ، وتطوير التعليم
العالى * وفى كليهما اثبات دور الجزائر ، الطليعى
لاقى المغرب فحسب ، بل وبالتسوية للقادة
الافريقيين *

التاريخي * وما اعظم الفراغ القائم فى هذا
المجال (٤٣) * نعم ينبغي انشاء « معهد للدراسات
التاريخية المغربية فى الجزائر » يستوعب العاملون
فيه نشاطاتهم من محاور ثلاثة اساسية . مغربية ،
عربية - اسلامية ، متوسطية ويشمل فروعها
للإختصاصات التالية :

- ١ - الدراسات ما قبل التاريخية والمغربية *
- ٢ - الدراسات التاريخية الإسلامية - العربية
- ٣ - دراسات تاريخ حوض البحر المتوسط
- ٤ - دراسات العوية القديمة *
- ٥ - الدراسات الأثرية *

(٤٣) ارى من الضروري التمسك بعبارة الكثرة الى الامامية الكثرة الى اوليها اسرائيل لتدريس لتاريخ والعلوم الانسانية و بالثقة
المبررة والفتاها الصمد الضخم من المعاهد ودور الوثائق التاريخية التى تمارس بحث تاريخ الشعب اليهودى وعلاماته بالمناطق
وباشعوب الاخرى . راجع : شرون فلسطينية - ابريل ١٩٧٢ ، ص ٤٤٣ - ٤٧٦ *

دور الألسنية في المساهمة في التعريب

تواجه بلدان المغرب العربي في الفترة الراهنة من تاريخها مشكلة هامة جدا، يتوقف عليها تطورها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي عتينا مشكلة التعريب ذلك الواجب التاريخي الختمى الذى لا مناص من تعقيقه لاسمعة مسوويات اللات الآيلة وبنا. مستويات، الذات الجودة المحركة على اساسها •

صالح القرماردى
مدير بحث قسم الألسنية
الناح مركز الدراسات والبحوث
الاقتصادية والاجتماعية
- تونس -

بحث قدم الى المؤتمر العالمى للتعريب المنعقد بطنزوى من 15 الى 20 ديسمبر 1973 .

ومساعيها العلمية فاختلفت بالتالي من حيث
حضا من النجاح والدوام^٢

ويبدو في هذا السياق ان اثبت تجربة قيم
بها في بلدان المغرب العربي هي التي تجرى الآن
بالجزائر الشقيقة . فقد ادوجت حكومة حسنه
السلا منذ سنة ١٩٥٨ في راتدها الرسمى قوانين
خاصة بالتعريب متينة اياه بصورة رسمية
باعتباره مهمة عظمى ينبغي اتخاذها ضمن برنامج
انجاز المشاريع الحكومية الاخرى من ثورة زراعية
واقتصادية وثقافية .

ومن الطبيعي في مثل هذه الملامسات التأويضية
وامام عظمة العمل الذى يستدعي التعريب على
اسس عصرية ناضجة ان تنفتح في وجه الالسنين
المغربين من مقاربه رجزائريين وتونسين آفاق
عريضة للنشاط العلمى وامكانيات لا تحصى للبحث
وال تصنيف من ذلك :

١ - ميدان شاسع للتقريب العلمى الاساسى في
حقول البحوث الالسنية مثل :

وصف كامل الواقع الفعوى والاجتماعى -
العوى في البلاد وصفا علميا دونما تغريط في
أى عصر من عناهه .

- تحليل مجتلف اللغات المتعاقبة بالبلاد من
الناحية الالسنية .

- القيام بدراسات مقارنة يقارن اصحابها
فيها بين تراكيب مختلف هذه اللغات من الناحية
الصوتية والصرفية والنحوية المجسمة .

٢ - هذه المسألة هي موضوع دراسة مشتركة يقوم بها قسم الالسنه وقسم علم الاجتماع (التابن) لمركز الدراسات والابحاث
الاقتصادية والاجتماعية .

فكيف سيتسنى لهذه البلدان ان تتجاوز
مرحلة التفكير والتردد التي دامت طويلا فتتخذ
لنفسها في اقرب الاجال سياسية لغوية وضئنة
منطقية منظمة منخطلة تكون غايتها تمصيم استعمال
اللغة القومية الوحيدة في هذه الديار ، أى اللغة
العربية في جميع مستويات حياة البلاد .

وكيف ستتسكن في نفس الآن من ادخال
المعدلات والتحويلات التدريجية اللازمة فى
تعليم اللغات الاجنبية من انجليزية وفرنسية
وروسية وألمانية واسبانية وإيطالية . باعتبارها
أداة هامة - وان كانت ثانوية بالنسبة الى اللغة
القومية تسمح بالفتح الضرورى على العالم
العصرى ؟ وقد احتد النقاش الايدىولوجى في
بلدان المغرب العربى حول مسألة التعريب (٢)
منذ الاستقلال وحتى وطيس الحرب القلمية فى
هذا الشأن بين مختلف الفئات الاجتماعية والثقافية
للتناوشة في صلب المحتج المغربى - فممن
مدافع عن التعريب التام فورا الى زائد ممن
اردواجية اللغة ومن قائل بوجوب استعمال
النهجات الدارجة الى عناصر لفكرة الفرنكوفونية
حتى ان المتصلص للمصحف والمجلات المغربية اصبح
يعد فيها جميع المواقف والاتجاهات في هذا
الصدد .

وقد شرعت افطار المغرب به الاستقلال - وهي
مسترة في ذلك الى الآن - في انجاز بعض
التجارب في ميدان التعريب كما وكيفا
من حيث درجة شمولها وتخليطها المطلق

الحقيقية الموضوعية من شأنها أن تذلّل عن طريق مثل هذا العمل العلمي الثابت الخاضع للمخطط تخطيطا عقلانيا رصينا والجاري في نطاق برنامج حكومي واسع المدى لتسمية بلداننا تنمية عصرية متماشية ومقتضيات الحياة المتجددة * هذا وإن هؤلاء الأسننيين واللغويين المغربيين المجهضين الآن، في صلب معهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر والكتب الدائم لتتسقى التعريب بالرباط وفي قسم الأسنسية التابع لمركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية بتونس قد شرعوا بعد في التعاون والعمل المشترك * وقد تم تكليف جهودهم بالخصوص في نطاق البحث الخاص بوضع الرصيد اللغوي المغربي *

وفي نطاق هذه الدراسة المشتركة التي تطافرت عليها جهود الأسننيين المغربيين وكذلك في نطاق البرنامج العام في البحث العلمي الخاص يقسم الأسنسية بالمركز تقدم اليوم لخبرات المؤتمرين لمحة عن عمل هذا القسم *

لقد امسك قسم الأسنسية التابع لمركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية في بداية سنة 1964 وما انفك اعضاؤه منذ ذلك الحين يعملون جهدهم في سبيل تحقيق برنامج مزدوج الهدف :

1 - القيام في مرحلة أولى واجبة بابحاث علمية أساسية غايتها وصف الواقع اللغوي التونسي بجمع مقوماته من عربية فصلى وعربية دارجة وبربرية وفرنسية الخ ... وصفا علميا موضوعيا دونما تحيز لفة دون أخرى أو تفریط في واحدة منها جميعا *

2 - امكانيات لاحد لها للقيام بانجازات علمية تجرى على مدى تساليم الأسنسية التطبيقية منها *

- المساهمة في تعريب بعض الكتب المدرسية المستعملة في البلدان المتقدمة وخاصة بالياديين العلمية من المرفة مثل الحسابات والفزياء والكيمياء والعلوم الطبيعية والجغرافية الطبيعية وذلك قصد استعمالها في المدارس المغربية *

- المشاركة اللغوية في تحرير الكتب المدرسية القومية باللغة العربية وذلك في المواد ذات الطابع القومي المغربي مثل التاريخ والجغرافية البشرية والاقتصاد والمقوق *

- المشاركة اللغوية في اعادة تكوين المدرسين المغربيين للواد العلمية من الناحية اللغوية وذلك بتلقينهم بسرعة ما يحتاجون اليه من قواعد العربية ويدهم بالخصوص بقائمت من الالفاظ العربية المقابلة للمصطلحات الاجنبية الناهضة لاختصاصاتهم *

وفي حالة ما اذا تبنت جميع حكومات المغرب العربي التعريب باعتباره مهمة رسية يتحتم تحقيقها في نطاق مخططاتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فوفرت للأسننيين المغربيين ما يحتاجون اليه في هذا المضمار من وسائل مادية وبشرية جبارة فانه يبينوننا ان هؤلاء الاختصاصيين في الة مستعدون الآن لجمع قواهم وتكنيف جهودهم للمساهمة العلمية في تحقيق التعريب بوصفه مشروعا قوميا عظيما باعنا على الحساس وما من شك في ان جميع صوبوات التعريب

2 = انقسام في مرحلة ثانية وإجبة كذلك

بأبحاث وإعمال تطبيقية تشمل في وضع المعلومات والنتائج المتحصل عليها أثناء أبحاث المرحلة الأولى في خدمة تطوير الواقع اللغوي في بلادنا تطويراً عسرياً وذلك بالمساعدة خاصة في التعريب وضع مواد ووسائل يبدأ غوجية جديدة أصها كتب القراءة لتعليم اللغة العربية بالاعتماد على أحدث الطرق التي حامت بها معطيات اللسانية الحديثة .

ولقد تمكن قسم اللسانفة باستعمال هذه المنهجية الرصينة من القيام بعدة دراسات وبحوث نشر عند كبير منها بتونس نصي بالذكي منه ثلاثة كراريس يتعلّق واحد منها بوصف فونولوجيات بعض اللهجات التونسية وآخر بالنظر في الإلغاط المستعملة في كتب القراءة العربية بالمستة الأولى من التعليم الابتدائي وثالث بدراسة بعض مظاهر الأزواجية (أو الثنائية) اللغوية ببلادنا وكذلك البحث الهام الخاص بضمير الرصيد اللغوي أو ما يسمى بالعربية الأساسية . كما أن أعضاء القسم (2) عاكفون الآن على إنجاز مشروع عظيم جداً يتمثل في وضع وصف الستى جديد للغة العربية الفصحى الحديثة وذلك إلى جانب اهتمامهم بتعريب بعض كتب اللسانفة الاجنبية وبتوسيع مناهج مبررة للمصطلحات العربية المستعملة في ميدان اللسانية في كامل البلدان العربية .

هذا وإن نشرات قسم اللسانية التي كانت تصدر بالفرنسية يحكم بعض الظروف القاهرة الخاصة أصبحت الآن تنشر بالعربية فقط أو باللغتين العربية والفرنسية وذلك عند الاقتضاء ولتعميم الفائدة .

أيها السادة المؤتمرون .

انه ليبدو لنا ان مهمتنا الاساسية اليوم تتمثل في محاولة الإجابة العلمية على عدة اسئلة يتسامها مجتمعنا في نطاق تطوره وفي قننى وحيرة لما لها من عليم الحظر بالنسبة الى تجديده حضارتنا وشخصيتها في المستقبل .

نرى بآية لغة يجب ان نتقّف أطفالنا اليوم وغدا ؟ وما هي اللغة التي سيجد فيها الطفل العربي العربي هويته المتطورة وكذلك وفي نفس الآن الفعالية اللازمة التي ستمكّه من الخروج من النسيان التاريخي الذي ناء عليه بكلّكّه ومن الطوق على صفحة التاريخ .

وفي الواقع فالجواب على مثل هذه الاسئلة ليس بان يقال : الامر بسيط اذ هذه اللغة هي العربية بداهة وانما بان يوضع سؤال آخر هو التالي : اية عربية ؟ نرى ما هي العربية التي ستكون لغة غدنا أي لغة يتكلّمها وينفهمها ويكتبها ويقرأها كل فرد منا ؟ امهل ستكون لغة القرآن أم لغة أين قتيبة لم أين منظور أم نجيب محفوظ أم على الدواعي أم لغة الاذاعة والصحافة أم لغة

(2) دهر الاسفة زمرة الرياضى والاسلانة والطيب الكوشى ورشاه الحرارى وسعد السورى وميد القادر المجرى وعشام ميكى وحاسد المايد وسعد العرنى وصالح القرماي .

المستعمل الشائع بين الناس والمجاهير العربية وذلك حتى يتسنى لنا شيئاً فشيئاً اتخاذ لغة متكاملة تمر عن جميع مستويات الحياة بما فيها من رق بديل ويومي بسيط لغة يكون تركيبها الصرفي والنحوي والمحمي تركيب النحوي الحديثة المبسطة وتكون في نفس الوقت متعنتة قابلة عند الاقتضاء للدخيل من الالفاظ الدارجة والاجتبية الضرورية للحضارة * وذلك حتى يكون التعريب ليس غاية جمالية فحسب وانما وسيلة اجماعية تمينة تمكنا من الاتكاء على الماضي للقفز في المستقبل وحصص التلبد لاستيعاب الجديد وترك المسود والاخذ في الصمود *

والسلام عليكم

بعض القادة والزعماء العرب ام اللغة التي يتعامل بها الناس في الشارع أو بالمنزل بل اللغة التي يتخاطب بها اعضاء مؤتمراتنا المؤخر اذا ما خلوا الى انفسهم بعد المناقشات والمجادلات *

سادني :

ان الجواب الرصين على هذه الامور لن يكون ولا عن طريق العمل العلمي الرصين التاييس المتوقف أولا وبالذات وفي نطاق مساعدة الحكومات على تعاون الاساتيد والعلماء والمربين *

على ان تكون الفكرة الاساسية التي تقتدى بها في هذا المضمار هي التعريب قدر الامكان بسين مستويين لغتنا الى مسنوها الفصيح ومستواها



منشورات
وزارة التعليم الاصل والشؤون الدينية

صدر الحق كتاب
الملتقى الساس للتعرف على الفكر الاسلامي
باللغة العربية
ويحتوى على خمسة مجلدات



انتظروا الترجمة الفرنسية كاملة

مشكلة اللغة والمجتمع

موضوع هذا البحث هو اللغة والمجتمع من خلال التجربة الجزائرية .

فتحن هنا نشعر بضغط شديد نتلقا به المشكلات الثقافية إزاء المجتمع ، لاننا نملك انبعاث الحركة الوطنية السياسية والحركات الإصلاحية الثقافية في بلادنا ، أي منذ الثلاثينيات ، تعودنا أن نربط بين هذه الحركات وشماعاتها ومنهجياتها من ناحية ، وبين وضعية الشعب التي نستمع منها الكثير من معطوي هذه الحركات من ناحية أخرى .

الطبقة الكادحة بصورة أخص ، يصورون يؤسها

د. عبد المبرك
كلية الآداب
جامعة الجزائر

أي استعمار في أي بلد عربي آخر ، بحيث لم يترك محلا من الاختدار أمام الأطارات المنقصة : أما ان نضع في تقاليد اجبية تدين بالنقصا للثقافة ، ونعلم للعلم ، والفن للفن ، وأما ان يلتقي بها على الهامش بعدا عن الحياة الفكرية ، وقريبا من المحيط الشمسي المحروم من هذه الحياة الفكرية حرماه من الحياة المادية ، فكان المنقب الجزائري ، على ندرته في عهد الاستعمار ، مصغرا لان يعيش معه ان لم يكن متطوعا لذلك . وهذا ما جعل الانتاج الثقافي في الجزائر منذ الثلاثينيات الى الستينات ينطبع بطابع الروح الشعبية سواء منه ما كتب باللغة العربية العصرية او حتى باللغة الفرنسية .

كانت الأطارات الثقافية في الجزائر تميز من ناحية بروح شعبية تسببا في اتجاهها وتكوينها الاجتماعي ، وتتميز من ناحية أخرى بمستوى المتوسط من حيث تكوينها واتساعها الثقافيين .

وقبل ان ندخل في تفاصيل هذا الوضع يجب ان نشير الى ان لنا اثنين من المنقبين : فئة عربية اللغة ، وفئة فرنسية اللغة ، وقليل من ثقافة مزدوجة ، واداك كانت اللغة الثانية تسد ارتباطت بمجتمعها من حيث العاطفة والشعور ومحوى الانتاج ، فانها مقطعة عنه من حيث اداة التبليغ الى هذا المجتمع : مولود فرعون وكاتب ياسين ومولود مغربي ومالك حداد ، وعن يعدون في رواياتهم كلها عن الشعب ، وعن

وليس معنى هذا اننا قد وفقنا الى تخطيط ما يسمى بالايديولوجية الفلسفة المتكاملة ، وتطبيقها حسب مراحل مضبوطة ، وانما يرجع السبب في هذه « الشعبية » الى ان العناصر البشرية التي انبعثت منها في الاصل هذه الحركات كانت تنتمي في اغلبيتها الى الارسط الشعبي ، وحتى ان وجد من بينها من ينتمي الى وسط ما يسمى في لغة اليوم بالوسط البورجوازي (وبرز مثل عليه هو الشيخ عبد الحميد بن باديس) فانه - لكي يؤدي رسالته الاصلاحية انتعافية بصورة واقية - لم يلبث ان السمع عن وسطه الاجتماعي ، وعاش في وسط اوسع محيطا واعزز محتوي اجتماعيا وانسانيا ، وهو المحيط الشعبي .

ولهذا المنزع الشعبي في طرنا جوانب ايجابية لا ننكر ، واهمها تحقيق اقتسام متساو تسببا في اشاعة روح اليقظة والضح السياسي والعكوي بين الأطارات الوطنية على قلنها وبين حواضر الشعب الواسعة على كثرتها ،

ولكن كان لهذا الاتجاه ، الى جانب اسباب اخرى حصارية ، جوانب سلبية أهمها بقاء اطاراتنا الثقافية في مستوى متوسط لم ترتق منه الى تخريب اعلام كبار ، من المفكرين والنقبيين ، لانه لم يتح لها ان تنقطع للبحث والتقصي والجدية الفكرية الحالية .

وهنا ساهم في تكوين هذا الاتجاه الشعبي ايضا ان ضغط الاحتلال الفرنسي على الجزائريين بلغ من الضمة والتوسيع والارصاق حدا لم يلفه

وعدم استحياء اللفظة اللاتينية من ذلك ، وانتقال المعنى المجازي من المعنى الاصل في العربية ، أو انتفاع اللفظة العربية من اللغات العارسية واليونانية في بعض المفردات الى آخره .

كذلك يجب ان يشير هنا الى الحركة السنتي قامت في وقت ما بين دعاء الفصحى ودعاة العامية ، أو احياء بعض اللهجات الاعلامية كالقرونية في مصر والفينيقية في لبنان والبربرية في الجزائر والبربر ،

ولكن هذه الدعوات مثل الحملات المضادة لها ، لا تدخل في ميدان البحوث العلمية بقدر ما تنحصر على نزوات سياسية هارضة لم تضر اكثر مما تستحق ، ولم تستند منها اللفة والمجتمع شيئا يذكر ، وبقيت المشكلة قائمة الى اليوم في الوطن العربي كله ، ولكن على تفاوت ، وهي مشكلة انفصال لغة الثقافة لا عن لغة المجتمع فقط ، بل عن حياة المجتمع العربي برمته ، ونحن ازاء هذه المشكلة ما زلنا في طور الاشارة اليها في بعض البحوث ، والتشكي من وجودها ، دون مهاجمتها بالبحث العلمي الملمط ، فالاستاذ عبد العزيز يلال في مفتحي شهر نوفمبر سنة 1970 ، بمدينة دوفان ¹LOUVAIN يذكر : « ان العالم العربي عاش فترة تاريخية طويلة قبل ان يتدخل فيه الاستعمار الاوربي على انظمة اقتصادية واجتماعية متجذرة » كما عاش على ثقافة «متهنة» وان احبطت بجعلها التاريخي وصيتها الحضاري الذي كان للبربر .

الطبعة الكادحة بصورة اخص ، يصورون يؤمها وحرمانها واميتها ، ولكن هذه الطبقة بالسلطات لا تعرف همتا ممسا كثيرا ، وبالتالي فهؤلاء الكتاب معروفون في الخارج اكثر مما هم معروفون في بلادهم .

واما اللفة العربية والثقافة ، فهي تحس نفس لماطلة ونفس الاهتمام بنفس هذه الفئسة الاجتماعية الامية المحرومة ، ولكنها ليست اكثر اتصالا بها من حيث اداة التليخ من الفئسة الفرنسية الثقافة .

هذا واقعنا الذي تمشيه من حيث مشكلية اللغة منظورا اليها هي زاوية علاقتها بالمجتمع ، ولكن هذا الموضوع كما تملسون ، بالرغم من انه كان مطروحا في المجتمع العربي منذ بداية الاختلاط في العصر الاموي الى اليوم ، الا انه لم يحث في تراثنا بحثا وافيا باستثناء ابن خلدون ولجاءت ، بشكل غير مقصود .

وحتى في تراثنا الحديث لم اعثر شخصيا على بحوث علمية في هذا الموضوع ، فقد رجعت مثلا الى كتاب «اللفة والمجتمع» للدكتور عبد الواحد وافي ، وهو مختص في علم الاجتماع الذي درسه في اوربا من ناحية ، وفي علم اللغة الذي درسه في الازهر من ناحية اخرى ، ولكنني لم اجد عنده حتى طرحا للمشكلة ، فضلا عن تحليلها ، واتما وجدت اشارات لقضايا جزئية عن اللغة العربية في معرض الآراء الغربية عن لغاتهم ومجتمعهم ، من نوع استحياء اللفة العربية واللغات الاوروبية الحديثة عند ذكر الصورة ،

تجتازها الآن في الحياة الإدارية على الخصوص وما يتبعها - أقول بالإضافة إلى هذه الجهود التي لن تأتي بشمارها الكاملة إلا بعد سنوات أخرى ، هناك مجهودات أخرى في مستوى فكري أرقى ، ودراسات جادة عميقة الأثر ، تتناول مشكلة اللغة عندنا من الوجهة الاجتماعية خاصة، ومرتبطة بفرض من الإندولوجية الشيبينية الوطنية التي أشرت إليها في مطلع هذا الحديث، وهو اتجاه متحرر من الديماغوجية الماركسية السطحية في بعض أوساطنا ، أعني في الجزائر وفي العالم العربي كله ، مثلما هو متحرر من الديماغوجية الأخرى المقابلة ، وهي ديماغوجية عبادة الماضي بحماسة ومساوئه ، تلك التي ينظر أصحابها إلى اللغة على أنها معبد مقدس لذاته ، وليست أداة للتبليغ الثقافي لدى مختلف طوائف المجتمع .

هذا الاتجاه الشعبي القومي ، كما يمكن أن نسميه ، هو الذي اردت ان اعرضه عليكم كمنال عن معالجتنا لمشكلة اللغة والمجتمع عندنا . رابا لا ادري الى أي حد يتجاوب مع بقية البلاد العربية الأخرى ، وذلك نظرا لوضعية الجزائر الخاصة في هذا الموضوع .

واحد من يمثل هذا الاتجاه عندنا هو : الاستاذ مصطفى الاشرف ، في دراسات قيمة نشرها في عدة مجلات عالمية مثل «إيسبري» و «الازمة الحديثة» وتم البعث منها إلى مؤتمرات ثقافية عقدت عندنا .

إن هذه الثقافة التي ادركتها الشيبونية قد أصابها الشلل والقيود عى التقدم بسبب ثلاث متناقضات . تناقض بين اللغة المكتوبة واللغة المروية ، وآخر بين ثقافة استقرائية وثقافة شعبية ، وأخيرا تناقض بين مفاهيم وثوقية متحجرة ، وأخرى مؤمنة بالتقدم العلمي والفني، (انظر كتاب : نهضة العالم العربي ص 29) .

وبدا كانت هذه الظاهرة تسمى الوطن العربي من المشرق إلى المغرب ، فانما نجد هذا أكثر استحكاما في الجزائر للأسباب التي ذكرناها في مطلع هذا البحث ، ولكننا لنفس اسبب نجد الاهتمام بها أيضا بالغا أشده ، فلإضافة إلى كل ما يكتب عندنا في الصحف والمجلات عن مشكلة التعريب ، ومعالجتها من مختلف الوجوه البيداغوجية والتقنية والاجتماعية وإلى نشرات والكتيبات التي تؤلف في اللغة لمختلف الإدارات الإدارية ، وللصالح والعاجل ، وهي جهود كبيرة بالنظر إلى اعتباط المستوى الثقافي العام الذي عليه أكثرية القارئ به ، وبالنظر لتنوع المستويات من الجماهير المستهدفة لهذه النشرات والكتيبات ، ولتنوع مياديهما في العمل ، مما يستلزم تنوعا في التأليف ، أو بالإضافة أخيرا إلى الحملات التي لا تخلو من عنف والتي يقوم بها المثقفون بالعربية ضد تهساؤن المواطنين - خصوصا - في بذل الجهد اللازم لتعلم لغتهم القومية ، حتى يستطيعوا الاتصال بجموعهم أكثر ، ويؤكد بينهم وبينه جدار اللغة الأجنبية وتخرج البلاد من فترة الأزدواجية اللغوية التي

بلهجة بربرية ، ولكن لم يكتب لهذه اللغة يوما في عهد الاستعمار ان تعلم تعلما رسميا ، بل هي ازيحت من ميدان التعليم الرسمي منذ سنة 1830 ، كما ازيحت كل الثروات الوطنية الاخرى واقفيت مقامها ثروات المحتل الاحبي .

ان هذه العملية تولدت عن واقع ، هو واقع الاحتلال ، وهي يمكن ان تقل بأي يد متطور كما تقل ببلد متخلف ، وبعبارة اخرى : حتى لو افترضنا ان الاستعمار الفرنسي لم يمنع تعلم اللغة العربية في الجزائر ، فان صيرها لم يكن لمتخلف كثيرا عن المصدر الذي آلت اليه بالتح ، ونفس الامر كان سيحدث لهذه اللغة او تلك من اللغات الاوروبية تحت الاحتلال الالماني لو كتب له ان يمتد جيلا او جيلين ، ولكن من سدا جنتنا نحن في فترة الكفاح الوطني اننا كنا نعتقد مخلصين ان اللغة العربية في بلادنا لو لم يمنحها المحتل من التعلم لاستطاعت ان تكسب كل خصائص اللغات العلمية المعاصرة ، حتى ولو بقي بلادنا في المجالات الاخرى بلدا زراعيّا متخلفا ، على ان خطورة هذه السدا جنة ما زالت تلاحقنا الى اليوم ، وهو اعتقادنا بان تخلصنا من الاستعمار الذي قضى على لغتنا منذ قرن وثلاث قرون ، سيجعلنا بفضل الاستقلال ، وبدون اي جهد عقلي منظم ، قادرين على جعل لغتنا تحصل بصورة تلقائية مكانة اللغة العلمية في طرف عام او عامين او عشر سنوات .

والحقيقة ان طامع التخلف الذي يطبع لغتنا العربية لم يات من اصاليها البيداغوجية

يصعد الاستاذ الاشراف ان ما دفع بالتحصب الجزائري الى اعتناق الثقافة الفرنسية ولغتها ، ليس هو كون هذه الثقافة ولغتها قد فرستها عليه فرضا بقدر ما يرجع السبب الى ان الشعوب ذات التقاليد العربية في الثقافة مثل الشعوب العربية لا تستطيع ان تقبل الفراغ النقاسي بسهولة ، حتى ولو اضطرت الى سد هذا الفراغ بتبني ثقافة ولغة اجنبيتين عند ما تنعم وسائل التفكك بلغتها الوطنية ، كما وقع للتحصب الجزائري تحت الاحتلال الفرنسي .

وبالرغم من اننا في مواجهة هذا الصاليم الحديث بتقافته المسمية ، بقينا متمسكين بجوانب من ثقافة لقرون الغابرة ، وخاصة ما يتصل بها بالحياة الاخلاقية والروحية ، الا اننا في هذه المواجهة لا بد لنا من ان نقيم موازنة عن شعور او لا شعور ، بين الثروات الانسانية والدينية ، الذي بقي متحكما فينا ، وبين الضرورات الجديدة لتدسول في العالم المعاصر ، واللغة ليست فقط تراثا لامة ، بل هي بالاضافة الى ذلك اداة حركة لمجتمع الذي يريد ان يتصل من العجز والتعفن والجزائر حافظت طيلة عهد الاستعمار على لغتها المكتوبة التي تجعلها بالشعب العربي في كل مكان ، كما حافظت على لهجاتها المحلية التي تستعملها لاغراض معنية بحتة ، وقد حافظت عليها بوسائل تعلم بسيطة احيانا ، في الارياف والقرى والمدن ، في المساجد والمدارس والازوايا وحتى في المناطق التي لا يتكلم اهلها اي لهجة من اللهجات العربية ، بل يتكلمون بدلا من ذلك

أن يندينا أو يقضى على مجاعتنا إذا لم يكن لدينا أساس في الثقافة مطبوع بالدراسة النقدية ، هذا فيما يتعلق بمشكل اللغة المكتوبة أو النصي .

أما فيما يتعلق باللغة الشفهية التي يتكلمها المجتمع الجزائري ، فإن الأمر يشهد أن يصبح أيضا مصفا كثيرا ما وقع فيه الخطأ ، وهو يتعلق بما يزعم من أن اللغة الفرنسية طغت في الجزائر حتى على اللغة الشفهية التي تتكلمها الطبقات الشعبية ، والواقع أن الجزائريين لم يفقدوا يتكلمون لفهم الوطنية ، أو أن شئنا لحاتم الوطنية ، لكن حدث ، وهذا من رواسب إقطاع حركتنا الوطنية ، أن نحنا نشك في معرض التمدد بالاستعمار الفرنسي ، بأن هذا الاستعمار لم يقض على تملك اللغة الفصحى وحسب في بلادنا راسا قضي أيضا على لهجاتنا المحلية الشفهية نفسها التي تتكلمها الطبقات الشعبية ، وهكذا شاع عنا في الخارج بأننا شعب مسلوب ليس فقط من سيادته السياسية وتراثه الاقتصادية وتراثه الثقافي ، بل هو مسلوب حتى في لهجته الموية التي يستعملها في حياته اليومية ، وأن الاستيلاء في هذا الميدان لم يقف عند الطبقات المثقفة في استعمالها الثقافي ، بل تجاوزته إلى طبقات الشعب البعيدة عن الأحوال الثقافية ، وقد ساهم في هذه التهمة للحقبة أن بعض مثقفيها ممن درسوا في الشرق أجنبي ، كانوا لا يبعدون كثيرا عن الذين درسوا في بلاد الغرب

الموسوعية التي بقيت دون تغيير ، ولا من محتواه الذي بقي جامدا تقريبا ، يقدر ما جاء ، هكذا انبغلت الموى من تحلف المجتمع العربي إزاء ظهور موقف آخر نشأ من الاستعمار والاحتكاك بالعالم الحديث .

إن هذا الوضع الثقافي الجديد الذي يصح لعنتا وتفاخا وجهها لوجه مع لمات الأهمم المتقدمة وثقافتها المحلية - هو الذي صير كل فيما اللغوية والثقافية فاعرة من محتواها المعنى للمجتمع ، ومع ذلك فإن هذا الفراغ لم ينقص من تمييزنا بها ، إنما لم نستطع أن نحقق التوازن الصحيح بين ما اكتسبناه من الماضي وما اكتسبناه من الأجانب بصورة عارضة مبترة ، صيرته أخطر علينا من مكتسباتنا التقليدية . نسرنا في طريق يلاسر الماضي والحاضر والمستقبل من بعيد ، دون أن يتوغل في أي واحد منها ، وهذا ما يفسر خطراتنا المتعيرة الضمنية السي الامام ، والنزاع اعلاقنا إلى ااضي كأننا نودعه لانا نعرف أننا لن نعود إليه ، وهو أيضا ما يفسر غموض الرؤيا واضطرابها عندنا في مجال اللغة والثقافة عامة مما نشأ عنه إحسانا نالنج فاحمة في دخولنا إلى العالم المعاصر مع أحياء تراثنا القومي .

إن وضعنا الثقافي اليوم هو وضع الحساب بالمجاعة تبدر عليه أعراض كل الأمراض ، دون تحديد واحد منها يوضح .

نعم إن لدينا بعض التكوين الأيديولوجي السياسي ، ولكنه تكوين إلى ديم مرتجل ، لا يمكن

من حيث حجمهم بالمشاكل الأولية لوطهم ومجتمعهم فهم لا يتكادرون يملكون بعض الإلام الطول باللغة الصحي حتى ينفسوا في ضرب من اللاواقعية والتمن السليم يصهم يبدؤون علاقتهم الفكرية مع مجتمعهم ياقتار لهجتهم كما كان يعمل المتفنون حتى في اجتماعاتهم العلمية بلسنة مجتمعهم التي يتكثرت في حياتهم اليومية ، كما ينسبون أن هذه اللهجات ظلت شائعة في مختلف المجتمعات العربية منذ أوائل العصر الاموي الى اليوم ، واذاً فلم يكن من الصواب أن ننقص من قيمة هذه اللهجات القومية العربية بقارنتها مع اللغة الصحي ، ولا أن نعتبرها من ناحية أخرى لغة قانلة بذاتها يجب أن ندوسها في مدارسنا ، وانما كان ينبغي فقط أن نعترف بانها واقع ، واقع لا يعبدا شيئا أن نتجاهل وجوده ، ثم هي أداة تبليغ طبيعي في مجتمعنا ، ووسيلة اضافية لثقافة فرعية ذات تعبير شفوي ، واداً كانت العلاقات بين اللغة الثقافية والسياسية والادارية وبين القاعدة الشعبية تتعرض لفسى أكثر الاحيان الى الاخفاق والنتائج السلبية وصو. التناهم ، فذلك راجع الى حد كبير الى هبدا التعاون اللغوي بين القمة والماعدة ، والي أن المتفنين لم يبدلوا أى جهد لتطوير اللهجة الوطنية التي هي لغة التعامل بالنسبة لثنى أبناء البلاد الايمن ، أن تطوير هذه اللهجات لو قام به المتفنون بالعربية عديدا لساهم أكثر من أى وسيلة أخرى ، وهذا ما نحن عند البيداعرجيون كثيرا ، في نهضة من سينرثج لتعلم الفصحى

ان النتيجة الحتمية لهذا الإهمال هو اننا نصدر تعليمات الى الجماهير اما بلسنة اجنبية او باللغة الفصحى ، فلا نأص أكثر من ١٩ نسي المائة من السكان ، لأن الـ 8٥ في المائة الآخرين لم يقرأ لهم أحد حسابا ، ولاننا ما زلنا نصر عن وعى أو عن غير وعى ، على أن اللغة حتى ولو بقيت غير مستعملة من اعلبية المجتمع ، فان قيمتها الذاتية تكفيها للحياة والطور مع الزمن ، والتجمع من ناحيته سينطور علميا وسيامنيا ، حتى ولو كانت اللغة التي يستعملها ويعمها غير سياسة ولا علمية ، واللغة السياسية والعلمية لا يعمها ولا يستعملها ، ووضعية كهذه من الافتقار لا تقود الا الى العاء التدريجي للغة والمجتمع معا ، لأن اللغة لا بد لها من مجتمع واجتمع لا بد له من لغة يعيش كل منهما من

آخر ويتفقد منه ويتفاعل معه ويكسب منه العوة على البقاء والتطور .

ان طريقة الفصل التي اتبعناها الى اليوم بين الاغلبية الكبرى من المجتمع وبين اللغة التي تفكره ويفكرها علميا وسياسيا ، قد قدمت نسا في عصر الفكر الميتافيزيقي ولم تستطع ان تنقل الى العصر العلمي ، وليس من التناقض في شيء ان نزع ان موقف المتكلمين بالصحة من اللهجات الشعبية انما اتاحهم من عدم تمكنهم من اللغة الفصحى نفسها ، بالإضافة الى كونهم لا يعتبرون اللغة أداة عمل ويبحث وتبادل ولا يعرفون ان تعاملها مع المجتمع هو الذي يثريها وييسدها طوعية ومرونة وقسرة على التعبير ، وما زاد في فداحة هذه المشكلة عندنا في الجرافة خصوصا ان اللغة الفصحى او المكتوبة ما تزال مطبوعة بطابع البلاغة اللفظية والتفصيح بالمانع الفلسفية، واللهجة الخطابية والنصائح الاخلاقية الكسولة التي تستعمل للاستهلاك اليومي ، مع شعور بالغيرة على اللغة الفصحى كشمس المؤمنين بالفن للفن ، فكان لهذه النظرة الجمالية للغة عندنا ان صيرت فائدتها لا تعتمد الجمال في القول على حساب الفعالية والتبادل النعسي في المعرفة ، اي صيرتها حبيسة في عصر الطفولة لا تصداه ، مشلولة عن القيام بحركتها الطبيعية التي هي التمتع نحو المجتمع والتحرر من ترف القومية في بلاد لا يجوز لها اي ضرب من ضروب الترف .

اما مشكلة المتكلمين باللغات الاجنبية عندنا فان مجهودهم في احسن الحالات ينحصر في التصر في اللغات الاجنبية ومعرفة دقائقها في

احلوم ، كما لو كان الفكر العلمي لا يقتضي البحث العلمي ولا يستوجب ، وانما يقف عند تعليم ما تعلمنا أو نقله الى لغتنا ، والنقل نفسه لا يصحبه مفهوم واضح للماثل المعاصر ومكاسبه العلمية ، وهذه النظرة الضيقة للمعرفة تخلفها وتمنع عنها التنفس ، انما في هذا النقل الجري للمعارف نميد طريقة بيداغوجية تقليدية تجعل التلميذ يقف امام الاستاذ وعة المتلقي ، او وقفة المهزوم امام المنتصر ، ذكر « ريشارد لومي » RICHARD LOMAY في كتابه : « الترجمة من العربية الى اللاتينية » ان الثقافة العربية بسبب كتابتها واشاعها في اسبانيا الى نهاية القرن الثاني عشر قد خلعت وراءها كل المراحل والفترات الاخرى السابقة واللاحقة ، من حيث نقل المعرفة العربية الى الغرب ، ويرجع تفوقها في الدرجة الاولى الى الثلاثي الحاسم مع انتاج الفكر الساذج المتخلف من القرن الثامن اللاتيني ، فقد ظهر ما للتأليف العربية من الطوعية والقدرة على الوصول الى الدفن ، وبفضل اساليب النقل التي نصبت في القرن الثاني عشر امكن لفكر العربي الحديث اذ كان يتسرب بسهولة الى الغرب ابتداء من القرن الثالث عشر ، في حين ان هذا الفكر لم يات بعد بكل مساهمة الكائنة في العالم الاسلامي ، ثم يقول : وهذا ما يهنا هنا - :

« ان الاتصال بالاسلام قد وضع حدا للزعة والتأخر اللذين كان عليهما الفكر اللاتيني العربي، وما استفاد رواد الفكر الغربي الاول من

تقل الحزليات او المفردات العلمية ايسر من نقل الروح العلمية ، وهذا الشكل لكسول - كما يسميه الاشرف في اثناء المحارف - جعلنا نمود بين امرين في الثقافة :

لما الفراغ والكرا ، لان ما يريد ان تحصل عليه قد حصل من قبل ، وانما تكسوه اليوم بلهجة جديدة من الدعاية الجارية التي تستعملها لفة الثقافية ازاء القاعدة الضعيفة. واما الانحراف الذي نشاهده عند المثقفين في الشباب السنويين من شخصيتهم والمتشبهين بالهيجانات السلبية التي يصدقونها ثقافة لانها تمكنهم من احتلال مناصب يحتقرون منها المجتمع ويترددون عندهم ويبنون تراثه السليم ، مع حرصهم على استعمال شعاراته التي يغالطونه بها ،

* * *

قد يبدو في هذا الحكم ظل من الفتاة القاسية عند ما ننظر الى وضعنا نحن ائققيين في الداخل ، ونقطع النظر عن علاقتنا بالمجتمع ، ولكن هذا الحكم ميبين لنا صيحجا عاجزا في صحته عند ما نضع انفسنا داخل مجتمعا ، ونطرق الى وضعنا من هناك ، ونسأل : أي شيء أتينا به لهذه الاغلبية الكادحة التي تمشي على هامش التاريخ من ابناء مجتمعا في البلدان النكاسي ؟ وهل ادخناها في الحساب يوما ، ونحن نعد حاجياتنا الثقافية ومشكلاتنا الفكرية ؟

فليست مثلا الى ميدان النعم : لنا ثلاث مجامع لغوية في الوطن العربي ، ما هي مهنتها ، لقد

الاتصال بالفكر الاسلامي لم يكن عيما احتسوت عليه النظريات الاسلامية او مباح بحثها ، بقدر ما كان في اطلتها المراهب كانت في الغرب معطلة مشلولة ، اذ بدأ هؤلاء الرواد الاول يقيمون بسقة وموسوعية اكثر ملاحظة الطواهر ، ومكالة الانسان الحقيقية في عاله المادي ، هذه في نظرنا هي قيمة اكتشفنا للعالم العلمي عند العرب ، ذع العالم الذي تعرفنا اليه بخصس الوجود العربي في الاندلس حيث امكن للمسيحيين من رجال الدين والحرب والادارة ورجال الإصلاح من كل نوع ان يجدوا افسهم محمولين حلا في تيار الحركة العامة التي حولت ظروف الحياة والثقافة .

ان الاستاذ الاشرف يخرج من هذه المقارنة ، واعتقد ان هذا الامر ينطبق على الثقافة العربية الماصرة في غير الجزائر ايضا ، بان ما نأخذه اليوم عن الغرب هو اجزاء معككة من المعلومات الغربية ، وليس هو الروح العلمية التي تحول الثقافة والحياة عندنا ، ان حقيقة وضعنا اليوم اننا اكثر تأخر عن الغرب عند ما كان يأخذ عما فاحسن ، لانه كما يقول ولوي « لم يستفد من النظريات الاسلامية او مباحها بقدر ما استفاد من اطلاق مواهبه التي فت اغلالها احتكاكه بالاسلام .

وانطلاق المراهب هو الذي لا نبحث عنه نحن اجوم في احتكاكنا بالمالم الاوربي . اننا ما ولنا كما وصفنا ابن خلدون في عهد انعطاطنا ، ميالى الى السهولة والى السلاط من الامور ، لان

واللموية ، تعيش أكثريته في العصر البدائي
واقليته في العصر الدرّي ؟

هذا هو السؤال المطروح أمام المتقنين العرب
ومي مقدمتهم الفاتون بعلم الاجتماع ، وعلم
اللغة ، وهذا على أية حال هو السؤال السبقي
تلع في طرحة هما في الجرائ ، وتعاور توضيح
مأله ، قبل السح له من حل ، ولكن ما يتقصنا
فيه هو وسائل السح ، أعنى الوسائل البشرية
في الدرجة الأولى .

إن الدكتور طه حسين يشك في أن المجموع
اللوي يتعب نفسه بتعريب المصطلحات الحصارية
والعلمية ، ثم لا يتعد أي شيء مما يقوم به .

ونعود إلى ما يؤاخذ الإشراف على المتقنين
بالرسمية في الجرائ من يطون أن مهمتهم
العلمية تنحصر في نقل المصطلحات الاجتماعية
وشرحها للطلاب ، عاين عن أننا في حاجة
إلى نقل الروح العلمية أكثر من حاجتنا إلى نقل
المصطلحات الحربية ، ثم لماذا يصح الحصر
للوي نفسه من البحث في وسائل تبليغ اللغة
العصبي إلى المجتمع ، وسائل تنسجم مع روح
العصر ، وتعنى بها تبسيط قواعد اللغة وتقريرها
في تناول الجمهور ، ووسائل رفع لغة الجمهور
حتى يلتقي لفته مع لغة الخاصة ، أو لغة الادب
والعلم .

المجيب إن الدكتور طه حسين الذي كان في
وقت زعيم تصمم التعميم وإجباريته في مصر ،
وكانت روحه الشعبية هذه مما خلد ذكره في

حصه الدكتور طه حسين آخر ، بأن مهمة المجموع
منذ أربعين سنة هي الاهتمام بالعصبي ، حيث
أها لغة واحدة ، أما اللهجات المختلفة — حسب
تعبيره — والعامية فهي ليست لغة ، وما يكسب
هذه اللغة لا يسمى أدبا ، ونحن لا نترف باللغة
العامية ، وليس ذلك بموجب قانون المجموع ،
ولكن لأننا أساسا عرب .

وأشارع هما إلى القول بأننا على اتفاق تام مع
المجتمع في أن اللهجات العامية ليست لغة أدب
راق وإن كانت بذلك رأي ابن خلدون وتزيد عليه
أنها ليست لغة علم ، وأنها قوميا وسياسيا لا
تصلح أن تكون أداة تعامل بين أبناء الأمة العربية
لأن تنزع إلى الوحدة في جميع أشكالها
ومستوياتها ، ولكن هناك واقع — كما يقبول
الإشراف — واقع مجتمعي يعيشه أبناء أمتنا في
هذا الميدان كما واقعهم في ميدان الطب الأهل
ووسائل تجميلهم المحلية ، وفنونهم الجمالية ،
فهل يشك هذا الواقع تراثا يجب أن نعتني به
ونفسره ونطقه ونقله من مادة الواقع المعاش إلى
العلم اندروس ، بواسطة التحليل والملاحظة ،
والوصف والمسخ في مرحلة أولى ، ثم تنتقل إلى
مرحلة ثانية من الدراسة هي استشاره بشكل
من الاستشاور سقى به الانسجام بين أجزاء تراثا
ما كان مه عاميا وما كان خاصا ؟ أم يبقى هذا
لنشاز قائما في مجتمعنا يفصل بين قطاعاته
ويرفها إلى طبقات في الحياة الثقافية تزيد من
ستعمال الطبقة الأكاديمية وتغذيها ؟ وإلى متى
سينزل مجتمعنا مجتمعين في حياته الثقافية

فإننا لا نرى بعد نفسك في أحولته عجيبه - من
عاطف ورياءك ، - وسه سحرية نصرتك عما
يرد من معنى ، لتعكف على انعم والحسرس ،
انك تقرأ سطرًا كما تقرأ سطرين ، أو عشرين
سطرًا ، فاحساسك هو انك واقف بمسار القدمين
في مكان واحد ، لا تتقدم من فكرة الى فكرة ، انما
هو دوران في لا شيء ، فهو في فراغ يملؤه
بالخريف ، لكنه ضرب من الكتابة لا يصلح
أداء في عصرنا يصل بين كاتب وقارئ فيص
يراد عمله بالسبب الى وضاع الحياة اليومية
الحالية . - وإذا كان هناك ما نحمد الله عليه
فهو دن الناس في حياتهم اليومية يعرفون كيف
يفهمون بلغة دالة على واضح .

نعم ان اصحاب هذه الانعامات للغة العربية
في اتصالها مع المجتمع العربي ، او عن الاعلانية
الساحقة منه (معدل ثمانين في المائة من الاميين)
وعن شؤون احياة انومية - لا يفهمون لما يديلا
ولا حلا ، وهم لا يحزرون عن ان يقدموا لسا
اللمات العامة كيدل لانهم يعرفون انها قد
صلح محليا لهذا القطر او ذاك من الاقطار
العربية ، ولكنها لا تصلح للامة العربية بأكملها
وهم يعرفون ان اللغة العربية مهما كان عجزها
الحالي عن استيعاب المصطلحات العلمية ، فانها
سترتقى برقي مجتمعا او جزء المجتمع من لهذا
الاستيعاب ، ولكن ما يبنى مشكلا ، وما يوشك
ان يصل مشكلا دهرًا آخر طويلا ، لانه بقي قائما
منذ حوالي أربعة عشر قرنا ، وما يريد تحسن
البروم ان يطرحه في هذا المجموع ، فهو وجود .

لأفاق العربية كلها ، يتقلب اليوم الى شمه خصم
لجمهور المجتمع العربي وينزل بالحرف : ، لأطلب
من الجمع ان يكون له أي اتصال بالجمهور . -
فالمجمع جهة مهتمة بالبحث العلمي فقط ، كما
لو كان البحث في وسائل تحقيق الاستجمام
النفوس بين اجزاء المجتمع الواحد ، ليس من
البحث العلمي الذي يجب ان يهتم به المجمع

ان مثل هذا انزعت السهل الذي لا يتكفا
مشقة البحث هو الذي يولد الانعجارات المنطرفة
السهلة هي ايضا ، وهو الذي تقع برجل مثل
الدكتور زكي نجيب محمود في كتابه « تجديد
الفكر العربي » الى القول بان « الثورة الفكرية
مستحبة بغير معاودة النظر في اللغة المستخدمة
لعملان الوثيقة بين الفكر واللغة . - وان اللغة
العصبي في ترانما الادبي لم تكن أداة اتصال
بمشكلات العالم الارضي ولا وسيلة لتقصية
التصلة بحياة الناس . - واننا عند ما ندخل في
عالم اللغة عندنا ، فاننا ندخل عالما مسجورا
لا عالما مالوع ، بل هو يتفن مع جاك يدرك
في كتابه « العرب » بان « اللغة العربية كما نراها
في التراث الادبي ، وكما لا تزال تستخدم عند
كثيرين ممن يطولون اهم يكتبون ادبا ، توشك
ن لا ننتمي الى دنيا الناس فلا تكاد ترقى علاقة
بينها وبين محرى الحياة العملية ، ولذلك لم
يحد اسكلمون بالعربية معرا لهم من ان يخلصوا
- الى جانب المعصي - لغات عامية يباشرون
بها شؤون حياتهم اليومية » ، ثم يمرؤ كل هذا
أدلة من نوع وانك عند ما تقرأ كتابا من / هيون

ومقدار الملكية ، وتوجه الكتاب والمؤلفين وتسيطر على الفن واللغة والدين والأخلاق وتقوم بالعروات الثقافية . . الخ .

أما الحكومات التي ليس هذا منهاجها الصام ، بل هي تترك الحرية للناس في كل شيء وتطالبها بأن تضغط عليهم في استعمال مفردات المجمع المعوى وحدها ، فهذا ضرب من الثورة لسم يخلق بعد .

أنا يوسفنا علماء اجتناع ليس من شأننا ولا من اختصاصنا أن نتولى نحن تبسيط قواعد اللغة وحذف ما فيها من حشو ، وإبتكار أساليب جديدة في تملؤها وكتابتها ، ولكن من شأننا ومن اختصاصنا أن نطالب علماء اللغة بأن يحولوا بعض جهدهم إلى هذه الناحية من يحوهم اللغوية لانا أعرف من غيرنا بأن اللغة هي المر الرئىسى الذى ينتقل منه مجتمعنا من التخلف إلى التقدم ، ومن القعود إلى النهوض ، أو إلى عامل اليوم ، رأى فلاح لا يستطيع أن يساهم في نهضة أمته ولا في إعالة ذريته إذا لم يكن له نصيب أدنى من المعرفة العلمية بسله ، والمعرفة العلمية تتطلب لغة علمية من ناحية ولغة مبسطة مطواعة سريعة في متناول أكثرية الناس من ناحية أخرى ، نحن نطالب يوسفنا اجتناعيين ، أن تكون اجتمعتنا لغة واحدة لا لغتان ، وأن يقاء اللغة على ما هي عليه وعلى ما طنت منذ قرون إلى اليوم سيدفع مجتمعنا ، ولعله فعل بعد ، إلى تبني لغة لا هي عامة ولا فصحي ولا قومية إطلاقا ، وإنما هي خليط من مفردات عربية وأخرى إنكليزية وبعضها

لغتين للمجتمع الواحد ، لغة للخاصة يتفاهمون بها ، في جميع أنحاء القطر العربي ، كما تفعل نحن اليوم ، ولغة أخرى تفصل بين كل فئة مثقفة في كل قطر ، وبين جمهورها في القطر نفسه ، كما تفصل بين الجديهير السورية في مختلف إقطارها ، ونحن نعلم أن هذا الفصل والتزقي لا يقتصر على اللغة أو مخارج حروفها ، وإنما يستتبع فصلا عميق يتناول العاطفة والشعور والفكر والنظرة إلى الحياة ، وما نفعو إليه هو القضاء على هذه التواصل بالقضاء على التواصل اللغوية .

ثم إن لغة الصحافة اليوم وبها حققت شوطا في هذا الغرض ، وإن بقي من بين فصاحتنا من يتعالي عن استعمال لغة الصحافة استكبارا أجوف ولكن إلا يكون من العجيب أن تترك أمرا خطيرا كهذا لا يهتبه علماء الاجتناع ، ولا علماء اللغة ، ولا علماء المجمع اللغوية ، ويغنى لبيادرات الصحفيين وهم ما هم عليه من ضعف المستوى في المواد العلمية وفي المادة اللغوية ، وفي معرفة مشكلات المجتمع جميعا معرفة مصفة ؟

إن الدكتور طه حسين يؤاخذ الحكومات العربية على أنها لم تحمل الناس على استعمال المفردات التي يخرجه المجمع المعوى من مصممه الضخم ، وهذه المزاينة تكون في محلها لـسو كانت الحكومات العربية مثل الحكومات في العالم الاشتراكي تأخذ كل شيء بيدها وتعمل عبيده الناس حولا شأورا أم كرهوا: فهي تنظم الاقتصاد وتعتمد الاسعار وتضبط العمل وكيفية الانتخابات

والثقافة والمستوى الحضارى و لم يكن من الروح
الملى ، تزدهر كلها فى اجتماع أو تنكس بما
تكون عليه لفته من ازدهار أو انكسار ، لقد
صدق « مولى » فى قوله :

« ان اللسان هو الذى يعرف به الطبيب
أمراض الجسم ، والفيلسوف أمراض النفس » .

ابطالى والأخس يوناني أو روسي ، مع قبول ما ينشأ
من ذلك من نصاء على وحدة المجتمع بل ووحدة
الامة أيضا .

ونحن بوضعنا علماء اجتماع نستطيع أن
نحيط ما نشأ فى الاقتصاد والزراعة والعمل
والتجارة ، ولكن الاقتصاد يبقى قبل كل شيء
سلوكا إنسانيا تشكله الثقافة والمستوى الحضارى



منشورات
وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية

صدر أخيراً:

ديوان الكفاح التحريرى الجزائرى



خطوات في طريقة تعريب التعليم في الجزائر

لقد تحدثنا في مقالات نشرناها ببعض الصحف والجلات الجزائرية عن التعريب ، طوال السنوات العشر الماضية ، كما تحدثنا عن هذا الموضوع نفسه بكثرة دعت اليها أهمية القضية ، وشرفها ، وصلتها بالشخصية الوطنية ، وارتباطها بمصير الامة الجزائرية ، فهل لنا أن نؤكد مرة أخرى بأن التعريب ما كان يوماً قد قضية خبز ، أو قضية الحصول عمل وتلبية سامية أو متاعاة ، وإنما التعريب قضية شرف وطني ، وأصالة جزائرية ، وتصحيح فكري في اتجاهنا الثقافي الذي أن له أن يتحدد بدقة ، فنعرف معناه ، ونبصر مسلكه .

د. عبدالمالك بركات

كلية الآداب
جامعة وهران

فأمة بدون لغة وطنية أمة بدون شخصية . وكل أمة لا شخصية لها ، لا قيمة لها في التاريخ .

2

نحن لا نتجاهل الظروف التاريخية والسياسية القاسية التي تسلمت على الشعب الجزائري فأرغمته على تعلم لغة لا علاقة لها بهماضيه ولا بمضارته ولا بدينه ، ولا يجنسها العربي الاصيل .

كذلك نحن لا نتجاهل ما حلت هذه الظروف من آثار ، ظلت قائمة بعد الاستقلال ، بل وبما اشتد سلطانها بعد الحصول على الاستقلال السياسي لأسباب بينها في غير هذا الفصل .

ولكن ذلك كله ما كان ليحول بسين الشعب الجزائري واسترجاع شخصيته الوطنية استرجاعا كاملا ، ليتخلص ، في تعليمه ، من هذه الأذواجية الموقوتة التي تجعل أبنائنا وشبابنا لا هم عرب فيتحدثوا عربية ، ولا هم فرنسيين فيتحدثوا فرنسية ؛ ولظروف وأسباب جرحناها في غير هذا الوطن ، تسيطر الفرنسية على العربية فإذا وجد العربية لا يبدو أن يكون شكلها ليس غير .

ولما كان التعريب قضية ذات صلة شديدة بالتعليم ، فإنه لا يتم إلا بتعريب التعليم . فليس من الخير ولا السداد أن نتحدث عن التعريب إذن، حيث يجب أن نتحدث عن التعليم .

ما شأنه ؟ وما تم فيه من تعريب ؟ وما هي المواد التي يأدر المسؤولون بتعريبها والتخلص من وطأة لغتها إلى الأبد ، إن شاء الله ؟

ذلك بعض ما ستحاول الإجابة عنه في هذا الحديث العابر . ولكن حديثنا هذا منقسم إلى ثلاثة أقسام ، كل قسم يمثل مرحلة من مراحل التعليم الثلاث .

3) التعريب في التعليم الابتدائي :

3

جاء في الأثر الشريف الصحيح : (يولد المرء على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) .

يدل هذا الحديث الشريف على أن الإسلام قدر التربية حق قدرها ، وأعطى لتعليم الديني ، والتوجيه المبكر ، كل عناية فلا يترك قطعة من المجين اللين الطبع ، ربما أبواه هما اللذان يستطيعان أن يتغلبا من هذا المجين ما شاءا : إما مجرّسا فاسقا ، أو مؤمنا مسالما ، أو عربيا صريحا ، أو فرنسيا قحيا ، وهلم جرا . هذا كله من حيث اللغة . أما من حيث الدين فحدث ولا حرج . لأن التوجيه المبكر في تربية الطفولة يكون له أثره الذي لا ينكر .

ماذا صنعت الحكومة الجزائرية لاتخاذ الطفولة الجزائرية من التعريب (بالتين المجبة) والرطانة والانتحال؟ بعد صنعت كل خير ، وبذلت كل جهد . ونحن نقول هذا لا حاجة في نفسنا نريد تصامها ولا رغبة منا في كيل الكليات الغزيلة للمسؤولين عن التعليم الابتدائي . وإنما نقوله لياضنا به . ولأننا نراه حقا فقلناه .

المواد الفرنسية الأخرى - إن ذلك الأثم قد تطور منه التعليم الابتدائي في الجزائر - وإن تلك المعنة التي كانت أصابت العربية في هذه الديار قد تجت اليوم منها -

وإذن فأننا نستطيع أن نقول - بأن التحرير في التعليم الابتدائي لم يمد مشكلة قائمة - ولا مضلة من المضلات التي لا حل لها - وحسبنا يتعرب تعليمنا الابتدائي في طرف عمر سنوات فقط -

ويشير هذا الصنيع نحرا ميينا للتربية السليمة المثالية في الجزائر إذ أمكن الآن توجيه الناشئة توجيهها عربيا إسلاميا خاليا من تلك المقد النفسية التي تتكون في انفسهم من فعل تلقى دوس مختلفة لغاتها - تبعا لاختلاف تعليمها - كل يكون حسب هواه - وكل يزرع في نفس الطفل البرينة الوانا من المزروعات التي لا يفي زمن عليها - حتى تنبت الوانا من المشاكل النفسية التي لا تلتف أن تتولد عنها مشاكل اجتماعية فيفسح الانحراف - ويتخبط - شبايبا في الضلال - فلا يدرون أي طريق يتبعون - ولا أي اتجاه يسلكون -

تحرير التعريب في التعليم الثانوي :

لقد امتد سلطان العربية الى التعليم الثانوي - تبعا لامتداده الى التعليم الابتدائي - واستطاع هذا السلطان أن يشمل كثيرا من المواد ذات الصبغة الوطنية أو التاريخية أو الانسانية المحضة -

فقد اتجعت وزارة التعليم الابتدائي على تحرير مسلم المواد المراسية في هذه المرحلة - فإذا العربية تقزو المواد واجمعت فصلها، لنطرد عنها الفرنسية التي شابتها ظلما وعدوانا في عصر دارها - فإذا هي تقزو التاريخ فتخلصه من لغة السين - وذلك منذ السنوات الأولى من الاستقلال ثم لم ترش بذلك حتى غزت الجغرافية فانتقدتها من غربة اللغة وروايتها - ثم ما لبثت أن امتد طوسها للشروع الى مادة العلوم فنقضت عنها غبار المجنة - وشر الرطانة فإذا هذه المادة العلمية تدرس لأطفالنا في للدرسة الابتدائية بلغةهم الوطنية - ومثل ذلك يقال في مادة الحساب -



وهكذا تتقدم أول دفعة من الاعمال مصرية منذ المرحلة الابتدائية في يونيو للقبل - الى امتحان المخلول الى الثانوي - في حين كان التلاميذ يتبعون طرقا ملتوية - ويسلكون سبلا غريبة معقدة من أجل الامتياز الى التعليم الثانوي للعرب - - لم تمد هذه المشكلة قائمة - فيما يبدو - انطلاقا من السنة الدراسية الحادية - لاكتساح التعريب جميع مواد التعليم الابتدائي الى السنة الخامسة منه -

ولم يبق للفرنسية من سلطان في التعليم الابتدائي على فلكلذات أكبادنا إلا من حيث انها مادة لغوية تدرس لذاتها المحضة - فقد بقي ذلك الزمن الذي كانت تدرس فيه العربية لغاتيا - والفرنسية الغربية تدرس لذاتها ثم تدرس مسج

لا يسحر الاحقاد كهؤلاء من الحكمة الحذر في ايداع اطعانت لدى اساتذة لا يعرفون من التاريخ الجزائري أو الاسلامي شيئا ذا بال *

وقد كانت كتابات ظهرت عند بدء عهد الاستقلال تطالب بتعريب هذه المادة ، لانها تنضاف الى التربية الدينية والثقافة العربية باعتبار مالها من تأثير في تكوين عقلية أطفالنا وتناغمنا *

7

من أجل ذلك كله التينا المسؤولين عن التعليم الثانوي يسارعون الى تعريب هذه المادة بمسدد سنتين أو ثلاث فقط من التردد والإحجام . ونحن حين نرى ما نرى حول تعريب هذه المادة ، لاتصعبا على هذه الفرنسية التي أجل الجزائريون بها ابتلاء عظيم ، وأما حبا في تقرير مبدا تربوي مفيد لناشئة ، ذلك بأن التاريخ ينصب في الابتدائي والثانوي الأول على أهم المواقف العظيمة للامة . وبرز النواحي الذهبية في الصفحات التي كتبها الإجداد للاحتفاد ، فإذا أسندت هذه المادة إلى أجنبي من حيث لفته ومن حيث دينه ، ومن حيث عقيدته السياسية أيضا ، أضل أطفالنا وجعلهم يتيهون في بيده ليس لها من مخرج *

إن تكون الشخصية لدى الطفل يتبدى من أيامه الأولى إلى نهاية الشباب المشر ، وهذه هي المرحلة التي يكون فيها دور المدرسة مقيما له ، إن كان في هذه المدرسة ما يفيد ، ويكون دورها سينا في تكوينه إذا أودعته أجنبيا يهينون بعقله عشا *

وقبل أن يمتد سلطان العربية إلى بعض المواد ليشملها بالتدريس كالتاريخ والجغرافية ، ابتداء بتصميم حجم المحصن الخاصة بتدريس اللغة لذاتها فبعد أن كانت العربية في سنة 1962 لغة أجنبية غريبة لا مكانة لها بجانب الفرنسية ، تغير الوضع منذ أكتوبر من تلك السنة نفسها ، فبدأت العربية في الجزائر (حرة ليس لها خرة) على حد تعبير الأيراهيمي رحمه الله ، وإذا عمد الساعات التي تدرس في السنتين الأولى من التعليم الثانوي لا يقل عن تسع ساعات في الأسبوع بالرغم من أن هذا العدد ينخفض إلى أن يصبح أربعا فقط في الفروع العلمية *

■

ويبدو أن أول ما عرب من مواد التعليم الثانوي في الجزائر بعد تصميم حجم الساعات الخاصة باللغة العربية في حد ذاتها ، دروس الفرنسية الوطنية والدينية . وبالرغم من أن هذه المادة لم تخصص لها أكثر من حصة واحدة في الأسبوع فإنها كانت تحولا عيمونا في مسيرة التعريب في التعليم الثانوي *

ولكن ما لبث المسؤولون أن عربوا مادة التاريخ . وقد كان يجب أن تعرب هذه المادة في السنة الأولى من الاستقلال ، لأنها مادة يتصل موضوعها بتراننا الحضاري والثقافي ، ويتصل بماضينا السياسي ، بما فيه من مقاومة وكساح ، وما فيه من بطولات وأمجاد ، وكان من الخطأ ترك هذه المادة للمدرسين كانوا يطاربوا بالاسم القريب ، وإن الزمن

ومدارس حزب الشعب باللغة العربية ، ولم يكن يومئذ أحد يزعم أو يفكر في الزعم بأن العربية ليست قادرة على تدريس الجغرافية وقد كانت هذه المادة مغربة ، ومعها التاريخ طبعاً ، في معهد ابن باديس بقسنطينة ، وكانت تدرس بأغرائط والطرق العسية البسطة ،

فنحن اليوم ، في الحقبة ، حين تعرب هذه المادة لا تكون قد صنعنا شيئاً مستمراً يستحق الاهتمام ، لأن هذه المادة - وكل ما عربناه حتى الآن في التعليم الثانوي - كان مغرباً منذ أكثر من عشرين سنة في معهد ابن باديس ، إن الجرائز على الصعيد القومي ، كانت مغربة حتى قبل الاستقلال ، من حيث تسجيل المواليد والوفيات ومن حيث عقود البيع والشراء ، ولكن الأغرب في الأمر أن بلدياتنا ، إلى اليوم - فيما نعلم - لم تعرب الحالة المدنية - قبايلت شعري ما هي الصعوبات التي تحول دون تحقيق هذه الغاية التي بدون تحقيقها ، وتوظيف شبان متعربين في مصالحها ، مستغل أسمائنا وأسماء آبائنا وأبنائنا وبساتنا مكتوبة بهذه الحروف اللاتينية التي لا تؤدى مشاريع الحروف العربية فإذا محمد « معمه » ، وإذا علي « ال » ، وإذا خالد « كالد » وإذا رحيق ، « رحيك » ، وأحلام « أحلام » .. إن الأيقار، على هذه الظاهرة وحدها مبعججس ابتائنا ، ويرطن المستهم ويجعلهم في تضايق نفس شديد للتوفيق بين الأمرين في التفتين العربية والفرنسية ، ولذلك لا تزال نسمج أطفالنا وشبابنا أيضاً وهم يتنادون بهذه الاسماء

وإن قد عربت مادة التاريخ ، واحسن المسؤولون بذلك معنا »

8

وحيث عرب التاريخ أيقنا بأن الجغرافية في طريقها إلى التعريب لأنها جزء من التاريخ ، بل هي أصله ومضطره ، فالتاريخ زمان والزمكان أحداث ، والأحداث لا يمكن أن تضطرب في غير مكان ، بل لا بد لها من مكان معلوم ، وهذا المكان المعلوم هو الجغرافية بما فيها من طبيعة الأرض ، ولرورات البلاد ، وأصل السكان ،

ثم أنها ليست مسن العلمانية بحيث يكلف تعريبها تصحبة ما ، أو مشكلة ما ، إن تعريبها كتعريب التاريخ لا أكثر ولا أقل ، كل ما في الأمر إلقاء الدروس بالعربية بدل هذه الفرنسية التي أصابتنا منها في الجزائر ما أصابتنا ،

لا سيما إذا علمنا بأن هذه المادة قد عربت في المشرق العربي من زمان طويل ، حيث مهد الجغرافيون العرب المصرون كل الصعوبات الكبرى المتصلة بالمصطلحات التي هي ظاهرة كل علم ، وقاموس كل فن ، فما بقي نحن أمامنا شيء ، غير الشجاعة في نبذ الفرنسية والأفقال على العربية لوضع الثقة فيها للقيام بهذه المادة أثناء التدريس »

9

ثم أن الجزائريين أنفسهم كانوا قد عربوا هذه المادة في المدارس الوطنية منذ عقود طويلة ، فقد كانت الجغرافية تدرس في مدارس جمعية العلماء ،

المرحلة المهجنة اللغوية ، لأن الأطفال يسمعون من الشباب والشباب ، وسمعون من الشيوخ وهم جميعا يقرأونها في السجلات الرسمية في البلديات مهجنة مسجلة ، ليرطون .

10

وإني أرى الفلسفة ، بعد التربية الدينية ، والتاريخ والجغرافية وقد صار أصحاب الفرنسية صراعا مستحيلا من أجل الإبقاء على فرنسية هذه المادة ، وقد وقفوا توقيفا كبيرا حين ظلت تدريس بالفرنسية فقط ، ثم بالعربية والفرنسية على أن يكون الامتحان بالفرنسية فقط ، ثم للانقسام الحرة بالعربية ، وبالفرنسية للانقسام اللغوية الفلسفة .

لقد امتحنت الفلسفة امتحانا شديدا في مدارسنا الثانوية حتى كدنا نياس من تعريبها ، ولا سيما بعد أن عرفنا هذه المادة في الخامسة تعريبا نهائيا . ومع ذلك لم تنظر العربية بالصرح إلا منذ نحو مئة حين أصبحت الفلسفة صريحة لا تدخل لضررتها الفرنسية في امرها . تدريس بالعربية ويكون الامتحان فيها بالعربية ولا خيار للطالب في ذلك ، بل هم مجبرون على دراستها والامتحان فيها باللغة الوطنية . وبذلك قضى على عجمة أخرى طائلا منعت عقائد شبابنا ، وأغرقتهم بالكفر فكفروا ، وأوحش اليهم بكثير من الشرور فاضطربوا فيها .

11

وتعريب الفلسفة لم يبق من المواد للفرنسية الرئيسية غير المواد العلمية البحتة ، كالعلوم الطبيعية ، والفيزياء والكيمياء والرياضيات .

وتحين تتساءل ما يستعسا الآن من تعريب الرياضيات وقد وصلنا إلى هذه المرحلة من التعريب لا شيء . فإن المتعربين من كليات العلوم أصبحوا يسمعون بالعربية في الجامعات الوطنية ، وهم لا يمدحون قدرة ما على تدريس هذه المادة بالعربية في كثير منهم . هذا إلى أننا نستعين بالمدرسين الأجانب لهذه المادة ، فلم لا نستعين بالمصريين أو السوريين وهم إخوان لنا ؟ ومثل ذلك يقال في بقية المواد العلمية التي أن لها أن تعرب ، لا سيما بعد أن عريت فروع كلية العلوم ببعض الجامعات الجزائرية . فإني سيوقف المتخرجون العرب من هذه الكليات ؟ ولم لا نفر من الآن في وضع مختلط شامل للتعريب بالمدارس الثانوية .

وبما كانت وزارة التعليم الابتدائي والثانوي قد فكرت فعلا في هذا الخطط بل وبما كانت قد وضعتها فعلا ، فمسي أن يكون الظن حقيقيا والاعتقاد يقينا .

فإن شخصيتنا ، وشخصية شبابنا مستكون مزقة منحلة ما لم يثقلوا تعليمنا مبريا يوس لهم بأنهم عرب مسلمون ، وأهم جزائريون قبل كل ذلك .

12

هذا الشأن في التعليم الثانوي العام ، أما التعليم الثانوي التقني فقد استطاعت العربية في الجزائر أن تفرد بعض موادها فتزجج عنها الفرنسية إلى الأبد .

المتخرجين فيها ، مساعد ترشيح المعلمين العربية ، والجامعات . وكانت هذه الثانويات تجد صعوبة في الحصول على دلائلها الذين يلتحقون بها كل سنة ، حيث أن التعليم الابتدائي لم يكن مربيا بنسبة تامة ، وآلان وقد عرب هذا التعليم ، فإن هذه الثانويات مستجد لها تلامذة عادييين درسوا العربية ومائس المواد الاخرى في المدارس الابتدائية بصورة منتظمة ، وتعلموا على اساس تربوية متتارة تزهملوا لان يجهلوا من هذه الثانويات المغربية عليا قوية يطلاق منها جنود التعريب .

15

ونرج على تعليم آخر ثانوي ، فنتجده مربيا بنسبة تامة أيضا منذ اساس في مطلع عهد الاستقلال . وهذا التعليم هو الخاص بالمعاهد الدينية التابع لوزارة التعليم الاصل والشؤون الدينية . ان التعليم الاصل الذي يتبر بمتابعة المكيف العقل أو النظام الآل للاتجاه التربوي والفكري في البلاد ، لان الالميد الذين ينتمون الى هذه المعاهد يتقنون اللغة العربية اتقانا جيدا . وهم الصفة تتج لهم ان يكونوا عاصر حية للدفاع عن العربية لا بالكلام عنها ، ولكن بالعمل بها . اذ يدوسون كل شيء بالعربية ، لان هذه الوزارة هي الوحيدة المغربية في الجزائر تعريبا تاما . ثم تأتي بعدها ، من غير ترتيب ، وزارة الدفاع ، ووزارة التعليم الابتدائي والثانوي ، ووزارة العدل ، ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي .

نفي التكميليات التقنية نجدقسم «السكرتارية» قد عربت مواده كلها ، بما فيها الاخرال ، والمحاسبة، والتجارة والمكتب التجاري، والمراسلة التجارية والفاونز . واصبح هذا القسم يتألف من ثلاث سنوات ، يصلح الى الطالب الناجح على اثرها شهادة الكفاءة المهنية في هذا القسم الفني . مستخرج الدفعة الاولى من حامل هذه الشهادة باللغة العربية ، لأول مرة في تاريخ الجزائر.لدى نهاية السنة الدراسية الراهنة .

13

على أن المسؤولين غيروا اتجاه ، ولكن في صالح التعريب بحيث تصبح الدراسة البقية في التكميليات أربع سنوات عوضا عن ثلاث ، يتقدم الطالب على اثرها الى امتحان لنيل شهادة تسمى شهادة التعليم المتوسط الفني . وما يدرس الطلاب في هذا التوجيه التربوي الجديد الذي ابتدا منذ هذه السنة الدراسية . الاقتصاد ، والمحاسبة ، و « تقنية التسيير » .

14

وهناك ثانويات كثيرة مغربية ، يلتقي فيها التلاميذ جميع المواد باللغة العربية ، ولا يدوسون الفرنسية او الانجليزية او غيرها الا لآلذات للغة .

وهذه الثانويات في حقيقة الامر قد غيرتجبرى التعليم في الجزائر، وصححت الشخصية الجزائرية صحيحا سليما ، نفي التي أصبحت تمد بواسطة

متمكئة متشبكة ، كل منها يد الآخر ، ويتوقف عليه في حياته وازدهاره - فلا ثانويات بدون مدارس ابتدائية - ولا جامعات بدون ثانويات وكل هذه بديهيات *

ولكن مما يلاحظ في التعليم العالي ، وغسم توقفه على الثانوى لانه اعتماد له ، فان الجامعات الجزائرية لم تنتظر حتى يتعرب كسل شىء في الثانوى لتعرب هي ، بل بادرت الى تعريب بعض الفروع العلمية قبل ان تعرب في الثانويات نفسها ، ومن ذلك الفلسفة التي تعربت منذ بداية عهد الاستقلال ، وكذلك التاريخ والجغرافية غير ان المتفرسين كانوا يدعون الى شىء مسمن الوحدة واللئى في مسيرة التعريب ، حتى لا يقع اى اضطراب ، وما حل قائما بعض الزمن ، بفعل تأثيراتهم وتشكيكاتهم ، وجود فرعين في التاريخ فرع عرب ، وفرع مغربي ولم تتخلص الجامعة الجزائرية من هذا الشر الا منذ السنة الماضية حيث قضت ، فيما نعلم ، على فرسة التاريخ *

17

غير ان هذه الظاهرة ظلت قائمة الى اليوم في جامعتنا ، حيث نجد مظاهر ناشرة غريبة نابية يملؤها التناقض الشديد ، في دوائر المعلوم الاجتماعية - وتمثل هذه المظاهر في احدات فرعين اثنين في فرع علم النفس ، وعلم الاجتماع فاذا علم الاجتماع له فرعان : احدهما تدرس فيه المادة بالعربية ، واحدهما الثانى تدرس فيه بالفرنسية - ومن ذلك يقال في فرع علم النفس ،

غير ان التعليم الاصل سيكون محدود الفائلة ، ضعيف التأثير ، اذا اقتصر فيه على المرحلة الثانوية وحدها ، فان المفروض في حامل الكالوريا الاصلية ، ان يلتحقوا بجامعة اسلامية تدرس الديانة الاسلامية وفكرها وحضارتها على مستوى اكاديمى عال ، فيصبح لنا علماء دين باحثون منتجون واعون ، فقد لاحظنا فراغا شديدا لى المؤتمر الاسلامى السابع الذى انعقد بتيزو وؤ اثناء الصيف الماضى ، فلم نشعر في ذلك المؤتمر بان الجزائر لها اطار دينى قوى يجادل في القضايا الدينية ، ويقترح الحجة بالحجة ، ويرد القول بالقول ويقس الفروع على الاصول ، ويستمد من الحكم الاصل احكاما فرعية ، او يمازرة فقهية جامعة : بان الجزائر ليس لها مجتهدين في الدين *

ونحن نقدر لو اسست كليات لدراسة الشريعة الاسلامية واصولها في الجزائر ، لكان لنا في بحر عشر سنوات جيش من الباحثين والوعاظ والخطباء المختصين في الدين لى ان يتم فتح هذه الجامعة للتعليم الاصل ، قريبا فان متحيا سيفلق كثيرا من الوافد والابواب التي يتسرب الى فكرنا وحضارتنا وشخصيتنا منها الاذى والشر والسهم والريب *

3) التعليم العالي :

III

ان مرحلة التعليم العالي تعتبر استمرارا لرحلة التعليم الثانوى ، كما ان التعليم الثانوى في حد ذاته يعتبر امتدادا للتعليم الابتدائى ، فهو

وكيف نقل نحن أن تدرس العربية بالعربية في الجزائر ؟ وكيف يحل لمة أن تدرس وتحييا على حساب لغة أخرى في وطنها وبين أهلها ؟ إن الجواب عن هذا نعرفه ، ولكننا لا نحوش فيه ، لأن الله قد أذهب عن الجزائر ذلك الكابوس الرهيب الذي قسمه اللغة بالاستعمار .

غير أنني اعتقد أن دوائر اللغة العربية تنفي بعض التضييق المتعمد أو المعوي ، في أداء مهمتها التعريبية ، فإن بعض الكليات ربما صغرت خدوها وتسمخرت بأنفسها ، حين يقال لها : يجب على الطلاب المتحصنين اليك أن يدرسوا العربية لأنها أصبحت معيارا واجبا على كل من يدرس باللغة الاجبية . بل منهم من يتحسم في الدفاع عن «مصالح» الطلبة فيزعم قائلا : كيف يعقل أيها الناس ، أن تصطرب دراسة طالب ممتاز في الحقوق أو العلوم أو الطب بسبب هذا الشيء القبيح تسموله «عربية» ؟

ورغم النصوص القانونية الصارمة التي تحتم على كل طالب يتابع دراسته بلغة أجنبية ، أن يتلقى مقاييس محددة ، بالقوانين والقرارات ، في تعلم العربية فإني أخشى أن كليات معينة لا تحترم هذه القرارات احترامها تماما فتتخذ من الحجة قبة ، ومن السبب البسيط نتيجة شخصه ومن مشكلة التوقيت والفاعات عقبة كاداء ، لا يصعلها أحد .



غير أن هناك دوائر بالجامعات أصبحت ترحب بتدريس «مقاييس» اللغة العربية ، بحيث تقوم

مع أن الطلاب آتون من مدارس متشابهة جدا في المواد الدراسية والسياسة التربوية ، علم ابتداء هذه الفرنسية بجانب العربية ؟

فما بال هذه الضررة تصاحبها في كل محفل ، وتصارعها في كل ماقط ؟ فاما أن تعرب المادة ، واما أن لا تعرب ، ولا حالة بعد ذلك ، وانا لا ندري كيف تعرب الفلسفة والتاريخ تعربا تاما ، ولا يستفيد علم النفس وعلم الاجتماع من هذا القرار الثوري العظيم .

III

إننا نطالب المسؤولين بتهريب هذين الفرعين تعربيا نهائيا كما وقع بالنسبة للتاريخ والفلسفة . لأن علم الاجتماع أصبح يقوم على الدراسة الميدانية، والامزاج بالوساطة الشعبية، والاتصال بالسكان في القرى النائية والارياف البعيدة ، فمن الحق ، والحال هذه ، أن تعرب حتى لا يخاطب الطلاب الشعب بهذه الفرنسية التي أتى لها أن تنجزر انجزارا ، ويتخلص ظلها فينصر ، موقنا في المواد ذات الصبغة العلمية المعقدة كالطب مثلا .

19

أما دوائر اللغة العربية وثقافتها في الجامعات الجزائرية ، فهي عربية طبعاً ، بل منها يشجع التعريب ، وفيها يقوى لينطلق مفيضاً نوره على الدوائر والكليات الأخرى . فقد ذهب ذلك الزمن المظلم الذي كان المستشرقون في جامعة الجزائر يدرسون فيه الادب العربي بواسطة اللغة الفرنسية

الفرنسية واعدة مطمئنة ، وقائمة مستقرة ، فما قيمة العربية ؟ أن التعريب ميدانة وطنية، وشعور شعبي ومبدأ أساسي في تحديد معالم الشخصية الجزائرية ، وتطهيرها من الاضرار التي أصابتها من قبل هذه الموجة الغريبة . أن التعريب ليس أمراً شكلياً ، بحيث يدرس الناس العلوم القانونية بالفرنسية أن شاموا ، وبالعربية أن شاموا أيضاً فإن في حرية هذه المشيئة كثيراً من الإثم الوطني.

فأما أن تعرب ، وأذن قلصت هذه الفرنسية من الطريق ، وأما أن نترك دار لقمان على حالها ، وهناك فنتترع هذه الفرنسية على لفرنسا إلى أجل معلوم . غير أننا لا نرضى أن تستمر نفس تربيتها صيغة مختلة متجربة ، يملأها البطر والغرور ، ويغمرها التملأ والازدراء . على اللغة العربية صاحبة الدار .

22

نستخلص مما سبق ، أن الجامعات الجزائرية بلغت جهداً مشكوراً في مجال التعريب ، وإنه بالنية الحسنة ، والارادة الطيبة في التثمين والتصحيح ، سيكون للربية شأن عظيم فيها ، في المشر السنوات المقبلة . بعد أن تم في المشر السنوات الماضية تعريب العلوم القانونية ، وعلوم النفس ، وعلوم الاجتماع والفلسفة ، كما تم تعريب قسم خاص في كلية العلوم بالجزائرس العاصمة . بالإضافة إلى فرض تعلم اللغة العربية ودراسة المصطلحات العلمية بها ، على كل الطلاب الذين يدرسون باللغات الأجنبية في جامعتنا .

بجميع التسهيلات والمساعدات الممكنة لاتجاح عملية التعريب . وأمثلة لذلك ، بالنسبة لجامعة وهران ، بدائرة اللغات الأجنبية التي تعتبر أكثر الدوائر تحمساً للتعريب . حتى أن رئيسها كان قد كتب جميع اللقائن التي تكتب على الابواب لتحديد وظيفة المكاتب ، باللغة العربية وحدها .

ومن الانتصارات التي حققها التعريب ، ما يجعل في اجبار كل طالب متخرج في الجامعة بالفرنسية أن يؤدي امتحانا في اللغة العربية . ولا تسلم له الإجازة إلا إذا نجح في هذا الامتحان غير أنني أخشى أن تكون بعض الكليات الحسنة تجاهلت هذا القرار الثوري الكبير ، لتستمر في استغنائها بالعربية واصحابها .

21

فإذا ذهبنا إلى كلية العلوم بجامعة الجزائر بالذات لقينا فيها قسماً مغرباً . وعدم النتيجة التعريبية لم تحقها بعض الدول العربية وغمر نيلها الاستقلال قبلنا .

أما في كلية الحقوق فقد تعرب فيها فشرع العلوم القانونية ولم يبق الآن إلا فرع المعلوم الاقتصادية الذي نود أن يشمله التعريب أيضاً .

غير أن ما كنا لاحظناه في علم النفس وعلوم الاجتماع ، فإن العلوم القانونية تدرس باللغتين ما . ونحن نرى أن ترك الفرنسية بجانب العربية يعتبر لونا من التشويش الفكري ، أو ضرباً من التلاعب بالقيم . فانا لا أنهم التعريب الاعل استغنائها لفرنسية ، وإعلان لربية . فإذا ظلت

التعليم الثانوي الذي لا يزال يدرس المواد العلمية كلها بالفرنسية ، ولكن لا يعني ان هذه المواد لن تعرب ، فان الجزائر الطويلة التي صبحت شخصيتها العربية في بضع سنوات ، كقيلة بأن تحقق المعجزات في مجال التعريب ، كما حققتها في مجال التنمية والاقتصاد »

يضاف الى كل ذلك فرض امتحان خاص في اللغة العربية ، بالنسبة للطلاب الذين كانوا خاضعين للنظام القديم ، عن كل من تخرج في الجامعة ، وكان يدرس بصفة اجنبية .
اما التعريب في المدارس الابتدائية فقد رانا انه يشر كثير ، في حين انه اقل حجرا وسعادة في



تبرعوا بالكتب المكتبات المساجد

إذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث :
صدقة جارية ، وولد صالح يدعو له ، او علم نافع
ينتفع به .

حديث شريف

ابعثوا يكتبكم الى :

المكتبة المركزية لوزارة التعليم الاصلى
والشؤون الدينية

قصر حسن - ساحة ابن باديس
الجزائر العاصمة

تجربتان في التعريب

بمات حركة النقل والتعريب منذ المصود
الإسلامية الأولى ، تحت تأثير عدد من العوامل •
ليعد ما استولى العرب في موجة الفتوحات الأولى
على البلدان التي كانت خاضعة لنفوذ الفرس
وبينطقة الثقافي ، في سورية والعراق وإيران
ومصر والمغرب ، حيث وجدوا حضارات عريقة
وعمرانا مزدهرا ، تولدت عن الاحتكاك بهذه الأمم
حاجة للتعريب على شعوبها وتنهضهم انظمتها
الاجتماعية والاقتصادية • وفي نفس الوقت ،
افتشى اتساع رقعة العالم الإسلامي ، معرفة
العرب بالطرق التجارية والاقتصاد والانتاج ، وغير
ذلك مما يدخل في علم الجغرافيا • ثم إن القرآن
الكريم الذي يحث على التفكير في مكونات السماوات
والارض ، وعلى طلب العلم ، خلق حوافز لهم
الغاية ، وايضا لتطبيق احكام الشريعة بدقة
(مثلا الامور التي تتعلق بضبط اوقات الصلاة
وبداية شهر الصوم) ، فاتجه العرب الى معرفة
علم الفلك وغير ذلك من العلوم التي بلغت مرحلة
متقدمة عند هذه الأمم •

إبراهيم العرف
كاتب حراري

وفي نفس الوقت ، أحدثت اللغة المستعملة في المعاملات والمراسلات التجارية وفي مختلف المرافق الاقتصادية ، ترك مكانها تدريجياً لغة العربية التي أثبتت حيوية وعفوية صلبة على التطور ، كما كانت الشعوب المغلوبة على أمرها تقبل على تعلم هذه اللغة لممارسة شعائ الدين الاسلامي الذي اعتنقته ، ولواجهة التفريعات التي تطرأ على الحياة اليومية .

واذا كانت حركة التعريب العلمي لم تشهد الازدهار الذي عرفته الا في العصر العباسي ، فان حركة الترجمة ، مع ذلك ، تمتد جذورها الى عهد بني أمية ، بل وإلى فترة مبكرة من هذا العهد . فان الجاسط وابن النديم ، يذكران أن خالد بن يزيد بن معاوية ترجمت له كتب في الفصاحة والطب والنجوم (علم الفلك) (4) .

على ان من الممكن القول بأن النقل والترجمة العلمية ، قد أصبحت مهمة من مهام الدولة ، رعاها وبنق عليها بسخار ، ابتداء من عهد جعفر المنصور ، الخليفة العباسي الثاني (٢٥٨ هـ 775 م) .

ومن جهة أخرى ، فقد كانت الجيوش الاسلامية التي تطيح بالعروش والاطعمة السياسية ، تكتفي بالاستيلاء على مقاليد الحكم في البلاد التي تفتحها ، بينما تترك المؤسسات والاجهزة الادارية واعمال المكاتب وشبكات الاتصالات التجارية والموظفين ، بل والعملة المتداولة نفسها (٢) على الوضع الذي كانت عليه في العهد السابق بدون تغيير . وكذلك ظلت اللغات اليونانية والفارسية والسريانية واللاتينية والقيطية (3) لغة الادارة والاعمال في هذه البلاد عشرات السنين ، بعدما دخلت تحت السيادة الاسلامية . ولم يفرغ العرب لمتهم في هذه الجالات ، حرصا على عدم احداث خلل في نظام الحياة العامة .

وفي هذه الاثناء ، كانت الاطارات المدربة ومختلف الطاقات الذهنية التي تسير الدواوين وتوجه الحياة الثقافية في الشعوب المغلوبة على أمرها ، تترك عطفتها ، خطورة التطور الذي طرأ على الحياة السياسية في بلدها ، فاختتكت نفسها بنشاط ، بتعلم اللغة العربية ، وباستيعاب ثقافتها ، وبالاتهام في النظام الجديد (والناس على دين ملوكهم) ، بل وراحت تسابق العرب أنفسهم في خدمة لغتهم وثقافتهم حتى جاء يوم حازت فيه قصب السبق فلم « يتم » كما يقول ابن خلدون « يحفظ العلم وتكوينه الا لاجلهم » (5) .

(٢) ظل الفهم لاساسي للغرب من اللغة ، والديار البيزنطي للغرب من اللب ، يمدان السنة المتداولة في العالم الاسلامي على اساس نظام المصنفين ، حتى سنة 75 هـ = 667 م ، حينما احدث عبد الملك بن مروان اول اصلاح جليلي للغة ، بذاك الديار الاسلامي .

(3) كانت اللغة القبطية ، كما يذكر لومبارد ، في الفصل المشهور في هذا العهد من كتابه فالاسلام في عهده الاول ، هي لغة المداير والكتابة في مصر ، في النصف الاول من القرن الثالث الهجري ، بحيث ان المصور قد اضطر الى ان يصطبغ معه مترجما سيما قام بزيارة واسي النيل سنة 227 هـ 838 م .

(4) راجع الفصل الذي خصصه المؤرخ العربي لاجلغة الجيم في تنمية الثقافة واللغة العربية ، في مقدمة تاريخه ، طبع بيروت ٤ = 543 = 543

٤٤ ابيان واليهي ، لغز التاليف والترجمة وابشر ، ص ، طبع القاهرة ، ص 328 ، والغريسة ، طبع القاهرة ص 340 .

خرابة كتب اليونان ، وكانت مجموعة عندهم في بيت لا يظهر عنه أحد ، فأسلمها اليه ، وجعل سهل بن هارون حازناً عليها .

ولما استظهر المأمون على الروم (215 هـ - 130 م) بلغه ان اليونان كانوا قد جمعوا كتب الفلسفة من المكتبات والقوا بها في سراديب ، فكتب المأمون الى ملك الروم يستأذنه في أنقل ما يختار من هذه الكتب وإن يعطيها له بدل الغرامة التي كان قد فرضها عليه ، فقبل ثوفيل ، ملك الروم ، هذا العرض واعتبره كسبا كبيرا له . (3)

وقد شملت حركة النقل والترجمة جميع مجالات العلم المعروفة لدى الأمم القديمة ، بما في ذلك الفلسفة والطب والكيمياء والرياضيات والفلك والجغرافيا والموسيقى ، وشملت فيمما شملته النقل والنقل والديانات القديمة . وقد ترجم فيما ترجم كتاب زرادشت المسمى «أفستاه» وما عليه من شروح ، ، بل وكتب العجائب والاساطير أيضا . وهذه الآثار المترجمة ، تتجمع في دكاكين الوراقين ويكتفعل نسخها النساخون وسرعان ما تجد طريقها الى بيوت الملوك والباحثين حيث تتحول الى خبيرة للتفكير وشرارة تنبعث منها تيارات بعيدة الاثر في الفلسفة والدين والاجتماع .

وقد اعتمد المترجمون في النقل - طريقة الترجمة اللغوية ، أو التي تسميها اليوم «طريقة

الحاجة لتعدي هذه الحركة ولتدعيمها بالآثار العلمية والفلسفية الأجنبية ، ونحن لناخه فكرة حسن مدى اتساع نشاط النقل والترجمة ، يكفي أن نلمى نظرة متأنية على قائمة مشاهير المترجمين التي أوردتها ابن السديم في المهرست (4) ، ولو أنها تقتصر على ذكر المترجمين من العباسية دون ما سواها من النفاث ، الى العربية . وسنجد في مقدمة هؤلاء ، عبد الله بن المقفع ، وآل تويجت ومحمد بن جهم اليرمكي ، وزادويه بن شاهويه الاصفهانى ، ربهام بن مردان شاه ، وغيرهم من أرتطت اسمائهم ، هم وعبرهم ، مثل يوحنا بن ماسوية ، ارتبطا وثيقا بازدهار العلوم والفنون العربية وكانوا حلقة وصل بين الحضارات القديمة والبهضة الأوروبية في عصر استنور .

وقد بلغت حركة النقل والترجمة أوجها في عصر المأمون الذي غداها بالموارد المالية وجمع لها الرجال والكتب ، وأنشأ لها مؤسسات ، أهمها « بيت الحكمة » المشهور الذي وقف عليه الاموال للذين يريدون الانقطاع لترجمة كتب الفلسفة الى اللغة العربية . وقد ذكر ابن نباتة في سرح الحيون ، عند ترجمته لسهل بن هارون - أن المأمون عينه كتابا على خرائن دار الحكمة ، التي تضمنت على كتب الفلسفة التي نقلت الى المأمون من جزيرة قبرص (5) . وذلك أن المأمون ، لما هدن صاحب هذه الجزيرة ، أرسل اليه يطلب

(4) المهرست ، ص 224 وما يليها

(5) مريح النوير ، طبع القاهرة - ص 166

(3) المهرست ص 339

والحاجة إلى النقل والتعريب اليوم - وهي أقوى مما كانت من قبل - تقوم على نفس الاعتبارات التي قامت عليها في عصر العباسي : سد الفجوة التي تمتد على عدة قرون والتي تفصل بين الحضارة العربية وحضارات أمم أخرى تقدمت عنها في العلم والحرفة ، وللموارد المادية التي تتطلبها مجهود التعريب أيضاً متوفرة لتجربة الممارسة كما كانت متوفرة لتجربة الأولى . فإن الثروة الطائلة التي كانت تتدفق على قصور بغداد وساحت للخلع المباسيني بإقامة المؤسسات وتشجيع الباحثين وجمع المترجمين واستقدام الكتب ، إذا كانت تختلف من حيث مصدرها عن الثروة التي يسكنها العرب اليوم والتي تمكنهم أن يخصصوا جزءاً صغيراً منها للتعريب ، فهي ليست أكبر من الثروة المتولدة من النفط وغير ذلك من الموارد - وبصفة عامة ، يمكن القول بأن الفوارق بين التجربة الأولى والتجربة التي تسر بها اللغة العربية في عصرنا ، من حيث المواقع والمناخ العام والنتائج المأمول تحقيقها ، هي فوارق ظاهرة أكثر منها حقيقية - وبالتالي ، فإن التجربة التي تسر في عصور الإسلام الأولى ، ذات قيمة حية ويمكن ، في رأي هذا الكاتب ، الاسترشاد بها ، ولا سيما فيما يتعلق بتحديد الأولويات وتركيب التوجيه وبناء مشتملات التعريب واقتراح المجال لمعالجة جميع العناصر في مجهود التعريب ، يقطع النظر عن الاعتبارات الدينية والقومية .

والمؤال الذي يتبادر إلى الذهن في سياق هذه المقاربة العامة هو :

طريقة الترجمة المعنوية ، مما - فهي الطريقة الأولى ، التي كان على رأس العاملين بها ، يوحنا بن البطريق وعبد المسيح بن الناعة الحسني ، ينظر الناقل في كل كلمة في النص بفردتها ثم يصح لها مرادفها من اللغة الأخرى - وقد انقضت هذه الطريقة بحق ، بأن عدداً كبيراً من الكلمات في كل لغة لا يوجد مرادف لها يحمل معناها بالضبط ، في لغة أخرى - ثم إن المجاز والاستعارة لا يمكن أن تنقل بالطريقة الحرفية من لغة إلى لغة أخرى ، والطريقة المنصوية ، وكان يتزعم اتباعها حينئذ بن اسحاق ، تقضي بأن ينظر المترجم في الجملة فيحصل معناها في ذهنه ثم يعبر عنها بالمعنى الذي يطاق في اللغة الأخرى ، جملة فجملة -

* * *

وبعد هذه النظرة السريعة نوعاً ما إلى التجربة الأولى للتعريب ولتنقيح الثقافة العربية ، يبدو بنا أن طرح سؤال ، وهو ، هل يمكن استخلاص درس منها قد يفيدها لتوجيه خطانا في تعريب التعريب الثانية ، التي تحاولها البلدان العربية في العصر الحاضر ؟

لقد تغير كل شيء منذ عهد هارون الرشيد والمأمون - تغير مفهوم الدولة الإسلامية ونظام الحكم ، وتغير مفهوم الفلسفة والعلوم . كما تغيرت السمات التي تحتاج اللغة العربية إلى الاقتباس منها والنقل عنها - ولكن اللغة العربية نفسها لم تزال حية ببلامة تراكيبها وحسبها . وقد اتسعت فروع مفرداتها وكسبت مرونة عبر العصور .

أضف إلى ذلك ، أن التراث العربي الاساسي الذي يمكن ان يقوم عليه أي مجهود حقيقي واسع النطاق للتعريب ، ولا سيما فيما يتعلق بأسماء المصطلحات العديدة وتكييف معانيها ، أصبح معظمه اليوم مشتملا في مختلف أنحاء العالم ، بعد ما نهى المستعمرون ، في شكل مخطوطات أو أعمال نشرت بقصد التعريف بها في الغرب ونقلت طبعاتها منذ أزمان طويلة .

وأما قيمة النتائج التي حققناها في مجال التعريب بصيغة عامة في التجربة الحالية ، فهي تبدو إيجابية ، خصوصا ، إذا أخذنا إلى الاعتبار عامل الزمن ، حيث أن الجهود المعاصرة يمتد على أقل من نصف قرن ، بينما تمتد التجربة الأولى على أكثر من قرنين ، ولكن الفرق الحقيقي بين التجربة الأولى ، فرق في النوع ، فبينما اتجهت التجربة الأولى التي كانت تجري في مجتمع تسود فيه حياة البلح والتمر ، بمزج وتصميم إلى أثر التعريب العربي بالاعتراف من العلوم والفلسفات الأجنبية ، بحيث تجاملت الثروة الأدبية اليونانية الهائلة ، بل وحتى أعمال المؤرخين اليونان والبيزنطيين (تلك الأعمال التي لو قدر لها أن تترجم لفوت نظرة المؤرخين العرب إلى الشؤون العالمية) ، اتجهت حركة الترجمة في عصرنا ، أساسيا ، إلى الأدب ، ولا سيما القصص والروايات الطاعنية (وكثير منها في شكل أفلام) ، ولم ننتبه إلى أهمية ترجمة الأعمال العلمية إلا في وقت متأخر نسبيا .

ما هي قيمة النتائج التي حققتها البلسمان العربية في مجال التعريب على ضوء معطيات التجربة الأولى ، ثم ما هي قيمة المنهج الذي اعتمدناه لهذه الغاية ؟

فيما يتعلق بمحاولة الإجابة على التساؤل الأول من هذا السؤال ، يجب أن تبدأ بملاحظة فارق شكل بين التجريبتين ليس له صلة بالتعريب نفسه ، بل بالنسخ العام الذي يجري فيه التعريب ودعى بذلك الوضع السياسي ، فإن اللغة العربية قد دخلت في التجربة الأولى للتعريب ، وحسب في مركز القوة ، فكانت جميع السبل ، لذلك مسيرة أمامها ، أولا من حيث توفر المادة العلمية (المخطوطات) الأصلية التي يحصل عليها العلماء والخلفاء بسهولة (أو في مقابل غرامة فرشت على البلد المفتوح) ، وثانيا أقال العلماء والإطباء والفلاسفة والمترجمين من مختلف الملل والفنل على المساعدة في تنمية تراث الثقافة العربية طلبا لنال أو للبناء والخطوة لدى الخلفاء ، أو لكلا الأمرين .

وأما اللغة العربية في العصر الحاضر ، فهي تواجه عقبات أدبية يصعب التغلب عليها ، أهمها وجود أبناء الحضارة الغربية الذين يعتبرونها لغة متخلفة ، أن لم تكن ميتة - وهذه النظرة ، بطبيعة الحال تؤثر على الإقبال على تعليمها والمساهمة في تنميتها (2) وهذا فضلا عن العقبات المادية التي تتمثل في شراء حقوق الترجمة ودفع نفقات النشر التي لا يمكن ضمان استرجاعها ، حتى على المدى الطويل في كثير من القطاعات المتخصصة .

(1) راجع بحثنا ناقص الأجل في جزم العربية وقلة سعد المستعرب ، في فرنسا ، مثلا - الاستعراض الذي نشرته في العدد السابق من مجلة الإصالة للكتاب ، بل ، لندون - سياسة فرنسا تجاه العرب ، في دورجل آل بوبهيو ، .

منه زيجات (2) ، اشتهر بين علماء العرب فلم يملوا الا به ، حتى ايام الامون .

فهذه القصة تدلنا الى اى مدى كان يبلغ اهتمام الخليفة بالتعريب العلمى . فان للتصور ، لم يكتف باستغلال فرصة زيادة عالم هندى له ، ليطلب اليه ان يعمل فى عجلة ، بدون شك ، ملخصا لكتاب لا يتسع الوقت امامه لترجمته كله . بل هو يواصل الاهتمام بهذا العمل ليامر بنقله كله ، فى مرحلة تالية ، الى اللغة العربية . وكاننا اى الا ان يقدم دليلا لبربر اهتمامه بهذا العمل ، فامر باستخراج ما فيه من الجداول الحسابية لوضعها تحت تصرف العلماء والمهتمين بمعلم الفلك .

وفى مقابل عناية السلطة المركزية وتوجيهها المباشر لنشاط التعريب العلمى والثقافى ، تلك العناية التى تستمر فى بعض الحالات (كما فى المثال السابق) حتى مرحلة تطبيق النظريات المترجمة ، فى التجربة الاولى ، نجد ان السلطة المركزية فى التجربة الثانية قد منحت الاولوية المطلقة للتعريب فى قطاعين حيويين : الادارة والتعليم .

وكذلك نجد ان مسلم الدول العربية قد حقق فى طرف وحيد لا يكاد يتجاوز ربع قرن ، تعريب مختلف النواحي الادارية وانظمة الجيش ، واجهزة الاعلام ، واعمال المصارف ، والاعمال التجارية ، ووسائل النقل الخ - - - - - وهذه

ما هو سبب هذه الظاهرة ؟ ان تحليل هذا السبب ، سيقتضى بنا الى محاولة الرد على الشك الثانى من السؤال الذى طرحناه آنفا ، ونعنى بذلك قيمة المنهج .

فان الفرق الاساسى بين التجريبتين يتصل بتخطيط التعريب وتنظيمه . فان الباحث والمترجم فى التجربة الاولى ، كان يستبد الوعى والتوجيه من الفئة السياسية ، اى من الخليفة نفسه . وقد كانت هذه العناية الشخصية لى حد ذاتها ، كقيلة بصران الجند فى العمل وعدم تضيق جهد المترجم فى اعمال تافهة ، وخصوصا بايماده عن السعى لكسب رضا الجماهير بالانتاج للتسلية . ولكن المترجم ، زيادة على ذلك ، كان يكلف بالعمل فى قطاع محدد ، او بترجمة كتاب معين من قبل الخليفة . فان المؤرخين يذكرون ، مثلا ، ان وفدا هنديا حضر الى بغداد لزيادة ابي جعفر المنصور فى سنة 354 هـ - 772 م ، وكان ضمن وجاله احد العلماء الهنود ، وكان ماهرا فى معرفة حركات الكواكب وحسابها ووسائل اعمال الفلك ، على مذهب علماء الهند ، فكلف المنصور هذا العالم باملاء مختصر لكتاب السنهين باللغة العربية ثم امر المنصور بان ينقل الكتاب كله الى اللغة العربية (3) . ثم ان الخليفة امر ابا اسحاق ابراهيم بن حبيب الغزاري ، بان يستخرج من الكتاب المترجم ، كتابا تتخذ العرب اصلا لى حساب حركات الكواكب وما يتعلق بها ، فعمل

(3) راجع احمد امين ، فى الاسلام - الجزء الاول - طبع بيروت ، ص 242 - 243 . وشوقي شريف ، المصدر المذكور ، ص 111 وعمر فروغ ، تاريخ العلم عند العرب ، طبع بيروت ، ص 225 ، والمراجع الذى نقلوا عنها

(4) الزيج (جمعه) (زيجات وادراج) ، جدول حسابى بين جداول النجوم وحساب حركاتها

والحصول على الربيع السريع ، سيتجه في اختياره حتما ، الى تعلق الجماهير وسد حاجتها الى التسلية وترجمة الوقت ، واما الاعمال الهامة التي تعالج موضوعات ثقافية علمية فوق مستوى معين ، فان نشرها يتطلب استشارات على المدى الطويل حيث انها تنحى الى جمهور محدود ، وبالتالي ، فهي تكلف عتاء ومشقة للترجم بدون مقابل ، ولا تضمن الربح المنشود لمتاجر التاجر ، ثم ان المرحوم الذي ينقل للتسوية وترجمة الوقت لا يجد مبررا لاجهاد نفسه في تحري الدقة في الترجمة والعناية بالاسلوب ، فضلا عن محاولة اثناء العمل الترجمة بالهوامش والشرح ، حيث ان القارئ المقصود ، لا ينظر منه ذلك ، بل ولربما يتضابق منه ، اذ يفصد عنه قراءته السريعة المسترخية .

وهذه الظاهرة التي نشاهدها في اسواق الترجمة ، خصوصا في بلدين عربيين معروفين بنشاط المطابع وبسعة اسواق النشر فيهما (وهذا يشمل الكتب والافلام الطويلة والقصيرة) كانت لها آثار سلبية على مستوى التعليم الذي كان من المفروض ان يحد دعامة متينة في الترجمة التي تسمح للعالم بان يستفرك ما فاته وتتيح له ما يكمل به معلوماته المدرسية التي هي ناقصة بطبيعة الحال ، كما تسمح المجال للخريج لتوسيع آفاقه الفكرية بدون عتاء أو جهد خاص .

وعلى صعيد التعليم العالي ، يشل الضعف الذي يعانيه التعريب الثقافي تهديدا بفشل محاولات تعريب هذا النوع من التعليم بان يصبح تلميذا شكليا عتيقا - فان التعليم الجامعي يقوم ،

مهمة تتطلب كثيرا من العناية والتخطيط ، كما تتطلب فترة طويلة من الوقت ، ولكن النجاح فيها ، يتوقف خصوصا ، على مدى ما حققه البلد من التقدم في تعريب التعليم ، فان تكوين اطارات تلقت التعليم والمدرّب في مختلف المجالات ، في معاهد قومية وباللغة العربية ، بالعدد الكافي ، وعلى المستوى المطلوب ، امر حيوي لتعريب الادارة و مختلف مرافق الاعمال .

والبلدان العربية تختلف حطوطها من النجاح في تعريب التعليم بين بلد وآخر ، فبينما نجد بعض البلدان قد حققت التعريب في جميع مراحل التعليم ، بما في ذلك التعليم العالي ، ولم تعد تستخدم اللغات الأجنبية الا للتدريس في بعض نواحي التخصص ، فاداً بلبلان أخرى لم تحقق سوى مرحلة ، قد لا تتجاوز مرحلة التعليم الابتدائي ، مع محاولات لتعريب بعض اقسام الدراسات العليا ، ما يتصل بالعلوم الإنسانية .

وهذا التركيز في البلدان العربية في مجموعها على تعريب التعليم له ، بدون شك ، ما يبرره . بل ان تخصيص جميع الموارد والجهود لتعريب التعليم ، في المراحل الاولى ، كان ضروريا ، بسبب قلة الموارد المالية والبشرية التي تملكها البلدان العربية في تلك المرحلة - ولكن اعمال التعريب الثقافي ، او عبارة أدق ، تركه تحت رحمة النصار وقوانين السوق (العرض والطلب) ، كانت له نتائج سيئة ستظهر خصوصا في الخطط مستوى الانتاج ، حيث ان المترجم ، ودار النشر التي يصحبها في المكان الاول ، وواج العمل المترجم ،

والمرية ، ولكنه انما يتمد في تكوينه العلمي على ما توفره مكتبة بلده وعلى ما ينتجه علماءه ، أو يتقل الى لغته من الاثار الاحيية ، واما اللغة الاجنبية التي يدرسها ، فهو انما يستفيد منها ، خصوصا ، في حالة ما اذا اتجه الى التخصص في آداب تلك اللغة وتاريخها ، أو ينوي الإقامة أو ممارسة اعمال من نوع خاص في البلد الذي يتكلم تلك اللغة .

صحيح ان بعض البلدان العربية قد اضطرت تحت ظروف صعبة واجهتها بعد الاستقلال مباشرة الى اتخاذ سياسة محافظة في التعريب ، فان تحويل المرافق والمعاد والمناهج وخصوصا ، العقليات التي تركها الاستعمار ، لا يمكن ان يتم بين عشية وضحاها ، ولذلك فقد فضلت حلولاً سهلة نسبياً ، وأحدثت نظام الازدواج اللغوي . ولكنه في مقابل ذلك ، تجد بلدان أخرى حاولت متجاملة جميع العوائق والمثبطات ، ان تطوى المراحل ، بحيث تحقق التعريب الشامل في اقل وقت ممكن - وهذه البلدان تصل في المكان الاول لاحداث الصدمة النفسية الضرورية لتحويل عمليات الادراء والجماعات وتغيير العادات الذهنية المسعفة - ومن ثم ، يمكن لا يمكن ان تتوقع منها ، ان تهتم في هذه المرحلة بالتنوع بقدر ما تهتم بالكم .

والمثال الذي يتبادر الى الذهن لهذه الفئة من البلدان ، هي الجزائر .

فان هذا البلد الذي بذل الاستعمار كل ما في وسعه للقضاء على شخصيته ولغته العربية خلال

أولاً وقبل كل شيء ، على مجهود الطالب لاكمال تعليم نفسه والتدريب على مناهج البحث والاستقصاء ، واما دور الأستاذ الحقيقي ، فهو يكاد يهصر في النصيح والإشراف على هذا المجهود وتوجيهه في الطريق الصحيح ، وتزجج هذا المجهود لا يمكن ضمانه الا بتوفر مكتبة غنية بالفراميس المعتمدة والموسوعات وأهميات الكتب في مختلف العلوم والفنون .

والحق انه يوجد تناقض واضح في السياسة التي تعمل جامعة لتعريب التعليم في مختلف مراحلها ، وتهتم في نفس الوقت ، العمل الضروري لتوفير قاعدة من وسائل البحث من الكتب الاساسية والموسوعات الخ ... التي يستحيل عليها القيام بوضعها في الرحلة الحالية مسن طورنا ، ولكننا نستطيع تفهها والاستعداد منها بلغتنا بسهولة .

وقد يقال ان الطالب العربي يدرس لغة اجنبية أو لغتين في المرحلة الثانوية ، وبالتالي ، فهو يستطيع الاستفادة من المراجع الاجنبية في المرحلة الجامعية ، ولكن هذه الحجة تنطوي على تبسيط مفضل لمشكلة ، وقيمتها الوحيدة في نظرنا هي انها يمكن ان يستعمل للتخدير وتشجيع التقاضي والحول الذهني - لان الاستفلال الثقافي - النسبي - الذي نشهده ، لن يتحقق أبداً ، اذا لم تكف بالبقاء على غيرنا ، بل نأبى الا ان نستعمل ما يكتبه الاجانب وباللغة الاجنبية . ونحن نعرف ان الفرنسي ، مثلاً ، يدرس لغات اجنبية في المدارس الثانوية كالانجليزية والاسبانية

عليها حيوية لاعادة تركيب شخصيته القومية ولتقدمه التعاقب .

وخلالسة القول ، ان التعريب ، بوصفه عملية واعية هادئة لاثراء التفكير واللغة العربية ، ووسيلة لربط الحضارة العربية بثقافات الامم العدينة من جهة ، وبالحضارة الحديثة التي تقوم على العلم والتكنولوجيا ، من جهة أخرى ، قنه شهد تجربتين اساسيتين ، بلغت اولاهما اوجها في اواخر العهد العباسي ، وهذه التجربة عرفت حظا من النجاح لم يشهد له التاريخ مثيلا قبل الفتح الاسلامي ، حيث وفرت المعاملة التي قامت عليها النهضة العلمية والفنية التي شهدتها اورويا في القرن السادس عشر - وعلى الرغم من تضرر الظروف التاريخية ، فان التجربة الاولى ، تطوى على عناصر ذات قيمة يمكن دوسها للاستفادة منها في حركة التعريب المعاصرة ، ولا سيما ، فيما يتعلق بإقامة مؤسسات التعريب ومنح الاولوية للتعريب الفلسفي والمبسمي ، والاستعانة بالعناصر الاجنبية الصالحة .

والتجربة الثانية ، هي التي تميزها الامسة العربية في الوقت الحاضر - وهي على الرغم من انها سجلت قهما تختلف دجته باختلاف الاقاليم العربية ، الا انها ، في مجموعها ، لا تزال في المراحل الاولى - وتبما لذلك ، فان الحكم على نجاح هذه التجربة او فشلها ، يجب ان يكون جزئيا ومؤقتا ، ولا يتناول الا النواحي القطاعية . ولكنه من الضروري ، مع ذلك ، متابعة التقييم باستمرار حتى يمكن اصلاح ما يقع في التجربة من الخطا في التوجيه وفي اختيار الاولويات .

فترة تمتد على قرن وربع ، وضع مسألة التعريب بعد حصوله على الاستقلال ، في مقدمة الاولويات القومية التي يسمى لتحقيقها ، وعلى الرغم من بعض جوانب النقص التي تشوب جهوده ، فقد استطاع جعل اللغة العربية لغته الرسمية ، وتعريب التعليم الابتدائي وبعض قروع التعليم العالي ، ولا سيما دراسات التاريخ والآداب والفنون . وكذلك سقق التعريب في عدد من المؤسسات وفي معظم أجهزة الاعلام والادارة . وقد حصل البلد على هذه النتيجة المبكرة بفضل سياسة واضحة هادئة للتعريب ، وجعلت سندها خصوصا في المرسوم الذي صدر في سنة 1972 والذي يعرض معرفة حد ادنى من اللغة العربية على موظفي الدولة .

وتعليم اللغة العربية خارج المدارس ، يجرى تحت رعاية الدولة بمثابة مختلف اجهزتها ، وسود في ذلك ما يتصل بالمدرس الليلية التي تقدم للصال في نطاق برنامج محو الامية الذي نص عليه المخطط الرباعي الاول للتنمية الاقتصادية والاجتماعية (الذي ينتهي العمل به في نهاية سنة 1973) ، او بالمدرس التي تلقى بواسطة الاذاعة الصوتية والاذاعة المرئية او التي تلقى في المساجد .

وبالطبع ، فان من سبق الاوان التكهّن منذ الان بالنتائج المنتظرة لجهود الجزائر في مجال التعريب ولكن المؤكّد ، ان الشعب يعلق آمالا كبيرة على هذه الجهود ويعتبر النتائج التي يأمل في الحصول

1 - تنسيق البرامج القومية التي تولها الدولة للتعريب وادغامها في مخطط عربي شامل وربط التعريب بمختلف النشاط الثقافي والبحث العلمي في الوطن العربي .

2 - تكوين مكاتب فرعية في جميع البلاد العربية لتبادل المعلومات بين الباحثين المحصيين والطلاب والترجمين ، بشأن الاعمال العلمية المترجمة والمنشورة ، أو التي هي في طريق الترجمة والنشر ، حتى يمكن تجنب التضاعف والتكرار الذي يكون ضرا ، حتما ، بالناشر والمترجم معا .

3 - تسهيل الحصول على الاعمال العلمية المنوى تعريبها ومساعدة المترجم ، متى كان يقوم بالعمل لحسابه الخاص ، أو لحساب دار للنشر ، وخارج نطاق البرامج الحكومية ، للاتصال بالناشرين المحتملين ، وتزويدهم بالمعلومات والايضاحات التي تتعلق بمختلف النواحي الصحافية والقانونية (مثل حقوق التأليف والنشر الخ ...) .

والملاحظة العامة (والاجرة) التي نود تسجيلها بعد هذا التخط ، تتعلق باتجاه التعريب الذي يخضع في الوقت الحاضر لقوانين السوق ، إلى إرضاء حاجة الشعب إلى المتعة والتسلية ، وإعمال التعريب الثقافي والعلمي .

لإصلاح هذا النقص ، يقتضى الامر تخصيص الدولة واهبتها بطريقة فعالة ، تمانل تدخل إلى جهر المصور ، ان ضحت هذه الاشارة . ونظرا لان التعريب العلمي ، يتطلب استثمارات كبيرة الحجم وتجنيد الطاقات العلمية المتوفرة في جميع البلدان العربية ، يحتاج القيام بهذه المهمة بطريقة ناجحة إلى تعاون وثيق بين الدول العربية . وهذا التعاون ، يمكن ان يجرى في نطاق الاجهزة الاكاديمية والقيمه الاكاديمية الموجودة (مثل جامعة الدول العربية واللجنة الاستشارية لدول المغرب العربي) ، أو في نطاق جهاز دائم مشترك بين الحكومات ينشأ لهذه الغاية ويقوم بهام اساسية منها :

منشورات
وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية

قريباً ستصدر في طبعة مستقلة كاملة مع الترجمة

اليأذة الجزائر

التي نظمها خصيصاً للملتقى السادس
للتعرف على الفكر الاسلامى

الشاعر
مفلى زكرىام

التعريب والتخصيصة الوطنية

موضوع « التعريب والتخصيصة الوطنية » ، موضوع لا اعتقد ان موضوعا آخر نال من الكلام مثل ما نال ، فقد تحدث عنه الرئيس يومين في مناسبات مختلفة ، واتخذ فيه موقفا من اوضح المواقف الرسمية عند ما اكمل « ان التعريب مطلب نوري » ، وناقشه وزير التربية الوطنية في غير مرة ، والقى فيه السيد وزير التعليم الاصيل والشؤون الدينية منذ حوالي ثلاث سنوات محاضرة قيمة ، وتحدث عنه الصديق عبد الحميد مهري ، الامين العام الحالي لوزارة التعليم الابتدائي والثانوي ، في محاضرة عامة كذلك ، وناقشته اللجنة الوطنية لاصلاح التعليم طوال شهود

د. محمد مصباح
كلية الآداب
جامعة الجزائر

« محاضرة ألقيت بالمرکز الثقافي الاسلامي اثناء وزارة التعليم الاصل واشهدون الدينية

وفي الهمد بصفة خاصة - غير ان الامة الجزائرية
مختلف عن هذه الامة - لان مواطنيها يدينون
بدين واحد ، هو الدين الاسلامي الحنيف ، الدين
الذي واكب مسيرتها منذ ان اعتنقته في القرن
الاول من انتشار الاسلام . واتخذته نبراسا لها
في حياتها الدينية والاخرى - هذا بالإضافة
الى ان الاسلام هو الذي ضمن وحدتنا - ومكننا
من الصمود للضغوط الاستعمارية ، وحفظ علينا
شخصيتنا الوطنية في عهود التخلف والمهمل -
عائدين الاسلامي بالنسبة اليها مقوم أساسي
لا يتبنى التفريط فيه بحال ، لان التفريط فيه
تفريط في الجماهير التي قامت على كاهلها الثورة
المسلحة . وتقوم اليوم على عاتقها الثورة
الاشتراكية -

وتشكل اللغة أبرز مقوم للشخصية الوطنية ،
لأنها وسيلة التعبير عن مشاعر الافراد والجماعات
وإداة التعامل بين أبناء الوطن الواحد - واللغة
التي يستعملها المواطنون أكثر - وتثبت قهرتها
على مواكبة الحضارة الانسانية هي اللغة الوطنية
بالنسبة اليها - وهي اللغة العربية التي تهبست
للحن التي سبغها عليها الاستعمار طوال قرون
ونصف قرن من الزمان ، وهي التي نقلت اليها
حضارة أسلافنا ، وسجلت علومهم وامجادهم ،
وتقوم اليوم بنص الرسالة للامة العربية جماء -
انها اللغة الفاعلة على استيحاء الهجات الوطنية
للشعب الجزائري - فاللغة العربية اذن مقوم
أساسي من مقومات شخصيتنا - وسنرى كيف
انها كانت المرص الصديق عرس شخصيتنا في

معتقد ، وكتب فيه الادباء وسهم محاضركم الليلة
دراسات مطولة ثرية - فهل وصلنا من كل هذه
الاهتمامات والمواقف الى موقف موحد في قضية
التعريب ؟ هل نحن اليوم متفقون على الخطية
الثورية الموحدة التي يجب ان يسير التعريب
في اطرها ؟ هل حققا كل ما كان في الإمكان
تحقيقه طوال السنوات الاحدى عشرة الماضية ؟
ما هي الامتراحات العملية التي يمكن ان تسهم
بها هذه المحاضرة المتواضعة في دفع عملية
التعريب الى الامام ؟ هذه الاسئلة الاربعة وغيرها
هي التي تشكل محور حديثي اليكم في هذه
الليلة - وقبل محاولة الاجابة عليها اريد ان احدد
على راسه التعريب ما نمن بكلمة و شخصية
وطنية . وان اذكر العلاقة العضوية التي وطلت
بين هذه الشخصية وبين اللغة العربية طوال
تاريخنا الحديث -

لقد اعتدنا ان نسلط حديثنا عن مفهوم
« الشخصية الوطنية » ، فنكتفي بذكر مقوماتها
البارزة التي تقع تحت ادراكنا جميعا ، وهي
القومات التي عالما ما تنصرها في عناصر الدين ،
واللغة ، والتقاليد ، والحضارة او التاريخ - وهي
كما اسلفت أبرز ما يتبادر الى اذهاننا كلما اثرنا
كلمة « شخصية » ، لانها السمات الاساسية
الظاهرة التي تتركب اية امة في مسيرتها
التاريخية ، ولو ان بعض المفكرين يناقشون
في كون الدين عنصرا من عناصر الشخصية
الوطنية ، باعتبار ان الامة الواحدة قد تنعقد
الاديان فيها ، كما هو الشأن في معظم الاعمم ،

مختلف العصور ، وانها لذلك ستكون الصمان الوحيد لمفهوم الشخصية من الامحاء والتجعية .

ومن المقومات الاساسية لاية شخصية وطنية ما نطلق عليه اسم « التقاليد » ، ونعني بهذه الكلمة كل ما يميز عن نفسية امما باعتبارها « امة » ، ويمثل صورة عامة عن حياتها اليومية خلال تاريخها لطويل . وبرز هذه التقاليد تقاليد الاسرة الحزائية - وانك لتجد صلتهم التقاليد واحدة أو متشابهة جدا في جميع اقطار الوطن - وبالرغم من ان اتصال بعض المواطنين في المدن بالحضارة الغربية قد صور شيئا من هذه التقاليد ، فانها مع ذلك حافظت على روحها واهم سماتها . وان هناك تقاليد اعرق من السابقة ، وادل على شخصية شعبنا . ولعل احسن مصدر لمعرفة هذه التقاليد هو الادب الشعبي بما فيه الاساطير والشعر والفاد . وتعد التقاليد الوطنية من اهم الموضوعات لدراسات الاجتماعية . واتصال التقاليد بالحضارة والتاريخ الوطني مما لا يحصى على احد . وبذلك كان التاريخ بما فيه التطورات الاجتماعية والحركات الشعبية التي تتخلل هذا التاريخ مقوما هاما من مقومات شخصيتنا الوطنية والحزائري مهما تطور في حياته اليومية ، ومهما اختلفت نظرتهم الى مواطنيه ، فهو اعلق بتاريخه الوطني العربي الاسلامي ، فهو يذكر امجاده بكل اعتزاز ، ويتعطف بالتكسات التي حدثت لاحد في الماضي القريب أو البعيد . ويتمنى ان يتطور هذا التاريخ في اطار الاستقلال والحرية والنزاهة - وكل ما يقوم به المواطن في سبيل

الوطن يمد خدمة لهذا الباري ، ومساهمة في تطوره . بل حتى اهتمام المواطن بمصالحه الخاصة يدخل في آخر المطاف في هذا الاطار العام الذي هو تاريخ امتنا الفتية . لان انما حياة الافراد ما هو الا انشغال بحياة الامة .

هذه هي المقومات ابارزة التي اعتدنا ذكرها بمناسبة الحديث عن « الشخصية الوطنية » ، وهي مقومات اساسية فعلا ، لانها تشكل ابرز السمات لنفسية الشعب الجزائري في جميع مراحله وطواره . ونفسية الشعب الجزائري هذه هي التي اعتبرها الشخصيه الوطنية الحق لامتنا ، وهي من الاسماع والصق والخلود بحيث تشمل دينا وتقاليدا وتاريخنا وحضارتنا وآمننا وأماننا ومطامنا . فهي بذلك تنطلق من الماضي السحيق لتستمر في المستقبل البعيد . ومن هنا كانت الشخصية الوطنية ميراثا وصلنا من الاسلاف ، وامانة يجب علينا ان نسلها لاجيال المقبلة كما استلمناها من الاجيال الماضية . وما دامت الشخصية الوطنية تشمل التاريخ والحضارة والتقاليد التي هي اثر من آثار الاجيال السابقة فاننا لا نخطئ اذا ارجعنا جذور هذه الشخصية الى اليهود الاولي من حياة امتنا . فشخصيتنا تعتمد على تاريخنا قبل الاسلام ، وتزداد قوة واتصالا وتجديدا بدخول الاسلام الى هذه الديار . وابتأخذ اسلافنا اللغة العربية أداة تعبير بينهم ، ولو فارنا بين مواقف اسلافنا في الماضي ، ومواقفنا في الحاضر ايمان الاستمرار والثبات الثروة ، لوجدنا شيئا كسرا

المساجد الى كنائس ومع الوافدين من تعلم دينهم كما يريدون، وأرغامهم على التحاكم لتوانينه الحديثة المأدية للإسلام . فلما صعب عليه أن يحقق مراده أدرك أنه ما دام الشعب الجزائري يتحدث اللغة العربية ، ويعرض عن اللغة الفرنسية ، يستحيل عليه ادخاله في الأمة الفرنسية . ولهذا وجه أكبر جهوده لمنع اللغة العربية من التلطم ، واضطهاد من حاول تعليمها بطريقة أو بأخرى . ولعل معلم الحاضرين يذكرون الاصطهاد الذي نال المعلم الحر قبل اندلاع الثورة الماركة ، ويرفون أن المدارس كانت لا تمتع إلا لتعلق ويلقى بمسيريها ومعسها في السجون . هنا كله بالإضاعة إلى اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في درجة أقل من اللغات الأجنبية الأخرى . ومن الواضح أن الاستثمار لم يقف هذا الموقف من اللغة العربية إلا لإدراكه أن العلاقة بين هذه اللغة وبين الشخصية الوطنية الجزائرية علاقة عضوية يستحيل معها العناء على أحدها دون الأخرى . وفلا فإن الشعب الجزائري ظل يعتبر اللغة العربية رمزاً لحياته الوطنية ، ومقوماً من مقومات شخصيته التي لا ينبغي التعريط فيها بحال . وهذا ما يحضر انكماشه فيما يخص تعلم اللغة الفرنسية في عهد الاستثمار ، التي كان يعتبرها بحق منافسة لفته العومية . كما يفسر كذلك تحمله كل شيء في سبيل الحفاظ على لفته ، وتعلمها بكل الوسائل والطرق ، مبني من أجلها المدارس بالمآل رغم فقره واحتجائه ، وبعثه الزوايا والمراكز والمساجد إلى حلقات دروس تعلم

في البصرة ، وفي ردود العمل وراء الاحتمات والمجن . وأما الجزائر قبل قرون هي أماله اليوم . والمستقبل سوف لا يكون غير اعتداد طبيعي لهذا الماضي الذي صنعته إسلاماً ، وهذا الحاضر الذي حققناه وما تزال نبحثه في هذه الفترة الحاسنة من حياة امتنا . فالشخصية الوطنية للشعب الجزائري إذن هي قبل كل شيء معسمة ، وما يتفرع عن هذه النفسية من تقاليد ومبادئ وآداب ومعامات ، وهي بصمة عامة هذه الحضارة العربية الإسلامية التي تحرك في أطوارها . وما الدين والتقاليد واللغة إلا مظاهر لهيئة النفسية وما أن حياء هذه المعومات دليل على حياة الشخصية الوطنية . كانت المحافظة على اللغة والدين والتقاليد محاطة على الشخصية ، والتعريط فيها تعريظاً في الشخصية . وفي نهاية الحديث عن مفهوم الشخصية الوطنية كما تصوره يكون من المعيد جداً أن نتبين العلاقة بين هذه الشخصية وبين اللغة العربية ، لنرى بعد ذلك السبب الذي يجعل دعاة التعريب الكامل ينحون على الإسراع بتطبيق هذا الأمر في جميع مراحل التعليم . وعلى تعيينه في الإدارات والمؤسسات المختلفة .

لقد أدرك الاستثمار هذه العلاقة بين الشخصية واللغة ، ولذلك لم يرق في عدائه للأمة الجزائرية بينهما ، فكان يحاول صلب الشعب الجزائري من شخصيته الوطنية، وإخافه بالشخصية الفرنسية . ولعل هذه الغاية استخدم جميع الوسائل التي أبسطها الإغراء والتهديد ، وأشدّها تعويصاً

واسمها من طرف أهم الشخصيات الإصلاحية ضد الحركة الوطنية كمبدأ ، ولا ونوف الوطنيين ضد المصلحين باعتبارهم حركة تقدم اللغة العربية والثقافة الإسلامية . وهذا لأن كلامهم كان يعرف أن الوطنية التي هي عنوان الشخصية النافذة ، واللغة العربية التي هي تعبير صادق عن هذه الشخصية ، لا يمكن أن تتعديا صديها ، وأن الأولى لهما ، أن لم تستطعا السير مما في حركة واحدة ، أن تسيريا متوازيين نحو غاية واحدة ، هي تحرير الشعب الجزائري من جميع أنواع استئصال الاستعماري ، وهذا ما حصل بالفعل إلى أن دقت ساعة الثورة ، فصورت جميع الحركات الإصلاحية والوطنية في حركة تاريخية واحدة ، هي حركة التحرير الشامل .

فالحركة التي كانت دائرة بين الشعب الجزائري وبين الاستعمار إذن كانت معركة حول الشخصية الجزائرية واسعة العربية . وكما كان الاستعمار لا يفرق بينهما في موقفه العدائي من الشعب الجزائري ، كان شعبنا كذلك لا يفرق بينهما في صموده ومقاومته وحصلته على معراته . فمن يجب يا ترى في هذه المعركة التي دأبت ما يقرب من قرن ونصف ؟ فهل نجح الشعب الجزائري ، فحافظ على شخصيته وقلته إلى يوم الاستقلال ، أم نجح الاستعمار فقفى على هذه الشخصية وعده اللغة ؟ الواقع أن الإجابة على هذا السؤال يتخذ شكلين اثنين : شكلا عاما يلاحظ فيه بكل سرور نجاح الشعب الجزائري بالرغم من كل ما سلب عليه من تهديد ، واضطهاد ،

مهما النمة العربية ، ويبحث بإبنااته إلى تونس والمغرب الأقصى والبلدان العربية المشتقة الأخرى استزادة من فقه اللغة وأصول الأدب والدين . وما اهتمام الجزائريين في عهد الاستعمار بتتبع اختيار أسلافهم الطليعة في البلدان العربية ، والاعتزاز بهم بعد رجوعهم إلى مسافط رؤسهم ، والاتلعات حولهم رغم تهديد الإدارة الاستعمارية لهم ، إلا دليل قاطع على رباط الجزائري العادي بين ثقافته العربية وبين حياته الوطنية وحضارته بصفة عامة .

لم يخطئ الشعب الجزائري في فهم حسنة العلاقة بين الشخصية الوطنية واللغة العربية كما لم يخطئ الاستعمار كذلك في هذا الفهم ، فقد فاد تعم اللغة العربية وأصول التاريخ والحضارة العربية الددة كبرى في نشأة الوعي الوطني بين الجماهير ، وتطوره بسرعة عجيبة أدت إلى تأصل الزعة الثورية في هذه الجماهير . ولعل موقف المصلحين والسياسيين الجزائريين من الشخصية الوطنية واللغة العربية مما يدل على فهمهم لهذه العلاقة التي سبق الحديث عنها . فقد يذكر الكثير أن المصلحين والوطنيين لم يكونوا دائما على اتفاق ، وفتح الجرائد الوطنية والإصلاحية قبل ثورة نوفمبر وحده يبين لنا جانباً من الممارك التي كانت تدور بينهم حول تزعم الأمة الجزائرية ولكن بالرغم من هذا الصراع ومن الممارك الصديدة التي كثيرا ما أدت إلى السباب والشتم ، فإن مواقفهم كانت مع ذلك تعوم على احترام المبادئ التي كان يستند كل منهم . وهكذا لم نجد نقوداً

هياة الحرب التحريرية ليعنوا عن هذه التسمية فى غير مودة . وهم الذين وقفوا فى طرئس انحراب مند سنة 1962 ، ولم يفتاوا يشيعسون القيل والقال حول الدين الاسلامى اعترف ، والسنة العربية ، والصيغة الشرقية لحصارتنا . وكانوا يهدفون من وراء ذلك الى اقتناع الشعب الجزائرى من هيكلة العلم ، هيكسل العربية والاسلام . والذى زاد من خطورة هذا الموقف هو وجود هؤلاء الاخوان - لثقافتهم حاجة الجزائر اليهم - على رأس الحركة الثورية فى بلادنا . فمند سنة 1962 الى سنة 1969 تقريبا ومسؤولية التربية الوطنية بين ايديهم . وبالرغم من اخلاص وزراء التربية الوطنية فى حكومتنا، وفصدهم الى احلال اللغة العربية مكانتها، فانهم لم ينجحوا الا قليلا فيما ارادوا ، اذ كانوا دائما يصطلمون بهذا الاطار المسير الذى كان يعدم لهم الامور بالصورة التى يريد، والسبب واضح فى وقوف هؤلاء الاخوان ضد الاسراع بالانحراب ، وهو انهم يحشون من تسلط لغة العربية على مقاليد التعليم والتسيير، فيفقدون المسؤولية التى نعمتسون بها فى النظام التربوى . فهم لا يفرقون بين مصالحهم الخاصة ومصصلحة الشعب الجزائرى - على انهم مخطئون شديد الخطا فى تخوفهم من نجاح التعريب . فهذا لا يعنى الافراد مهما كان تصورهم للاشياء ، ولا يهدف الى تحقيق مصلحة طائفة معينة ، بل يهدف الى ارجاع الامور الى مجاريها ، وتمكين الجماهير العربية من متابعة المسيرة الثورية التى تسيرها بلادنا . وهكذا نستطيع ان نؤكد ان الشخصية

وتفصيل ، وتقيل من كثير من الاحيان ، فقصيد استقلت الجزائر سنة 1962 وشعبها عربى نسى لغته ودينه ومومئته وآماله وعطامحه ، والدليل على هذا انه ما كادت علامات الاستقلال تبدو فى الافق حتى ظهر الشعب الجزائرى فى شوارع المدن كاقوى ما يكون ، وهذا رغم اسلحة الاستعمار ودباباته . ولم تكن مظاهرات 1962 فى شوارع المدن الكبرى الا تشبيها لهذه النفسية التى سبق الحديث عنها ، نفسية الاياه والتضحية والحفاظ على التقاليد ، وهى كما سبق من اهمم مقومات شخصيتنا .

بيد ان هناك جانبا آخر من الجوانب ، وهو لحسن الحظ لا يحل بالجانب السابق . وهذا الجانب الثانى هو ان الاستعمار كان قد نجح فى تشكيل بعض النفوس الجزائرية بالشكل الذى اراد ، وهذا بفضل ثقافته ولغته من جهة ، وعن طريق اغراءاته من جهة ثانية ، واعنى ببض النفوس الجزائرية ها هيا هذه الطائفة الجزائرية التى تنفقت باللغة الفرنسية وحدها ، ولم تطلع على الاطلاع الكامى على الحضارة العربية ، بل لم تعرف عن هذه الحضارة الا ما يحط من قيمتها فى نفوسهم . واذا عرفنا ان الاستعمار هو الذى كان يلتهم تاريخهم فى مدارسه وبلغته ، سهل علينا ان نذكر القدر الذى حصلوا عليه من الثقافة العربية ، والشكل الذى حصلوا به على هذا القدر . فهؤلاء الجزائريون رغم مشاركتهم فى حركة الثورة ظلوا يحافظون على هذه النفسية الخاصة التى خلقها الاستعمار فيهم ، وانتظروا

ددا اصفنا الى هذا الاعتبار خروج الجزائر من الكفاح الوطني ، الى احتفاظها بالمبادئ التي كانت تكافح من أجلها ، عرفنا انه لم يكن في إمكان الحكومة الجزائرية ان تفعل هذه المسؤولية الوطنية مسؤولية احلال اللغة القومية مكانها في المدرسة الجزائرية ، وفي الادارات والمؤسسات المحتلة . وقد حاولت ان تنهض بهذه المسؤولية ، فادخلت اللغة العربية منذ فجر الاستقلال في مساهج التربية . ولكن امكانياتها لم تكن تسمح لها بان تفعل شيئا كثيرا في هذا الميدان ، فكانت السمعان الاوليان بالنسبة لتعليم اللغة العربية عبارة عن محاولة لاحلال الحق في نصابه ، فلم تكن النتائج مرضية لمسؤولين لسياسة : الاول انعدام الكتاب العربي في ايدي المسم ، فضلا عن التلميذ والثاني ضعف مستوى معظم الاطوار الجديد لدى احرط في ملك التعليم لاول مرة . ولست في حاجة الى التنبيه الى ان هذا الضعف كان عاما في اللغة العربية والفرنسية معا ، ومصدره هو ان الجزائر اضطرت في الستين الاولى والثانية الى قبول حاملي الشهادة الابتدائية في سلك التعليم ، وهو المستوى الذي لا يكفي لخزن معلم مقدر . وبعد سنتين من الاستغلال اخذ هذا الاطار يتطور ، وضد في احرأ امتحان الامحاط في سلك التعليم . غير ان هذا كله لم يعد كثيرا حركة اعريب ، فطلت القصية غامصة بالنسبة لكثير من المسؤولين الجزائريين ، وظهرت نزعاب متباعدة في كيفية تعريب التعليم ، وبرزت قصية ما اسمى « الادراج النغوي » ، وما دهي « بالانحاء اصلي »

اوطية للشعب الجزائري قاتلة كما اردها الله والتاريخ ، وان اللغة العربية ما تزال هي المبر الوحيد عن هذه الشخصية في احسن الظروف كما عسرت عنها في احلكها .

ولكل ما سبق كان عن الحكومة الجزائرية منذ قيامها في آخر سنة 1962 ان تفكر في قصية إعادة اللغة العربية الى مكانها التاريخي المشروعة ، وان تبحث عن احسن الطرق لقيام بهذه الصمة في احسن الظروف . ولم يكن للحكومة الجزائرية ان تفعل غير هذا ، لان العلاقة بين اللغة والشخصية التي سلف الحديث عنها ، هي التي تفرض عليها مثل هذا الموقف ، فالجزائر استرجعت سيادتها بعد كفاح مرير ، ونصحيات لا نظير لها في حروب التحرير ، وهي لا تريد ان تفقد هذه السيادة من جديد ، بل تريد ان تثنى استقلالها اسياسي باستقلال اقتصادي وثقافي كامل ، وهذا لا يكون الا بالاعتماد على نفسها في جميع الميادين ، وبالمحافظة على شخصيتها واهلياراتها الوطنية . وقد رايد قيل ان المحافظة على الشخصية الوطنية لا يمكن ان تكون دون المحافظة على اللغة ، والعكس صحيح . فالسبين الوحيد للمحافظة على مكتسبات الثورة اذن هو اصاح الحال لمة العربية في نظام التربية ، وفي حياة اليومية ، لانه بفضل هذه اللغة وحدها يستطيع الجزائري ان يعبر عن آماله ومطامحه ، فتبقى عاطفته الوطنية ، ويعمق رعيه بالمرحة التي قطعتها الثورة ، وبالمرحلة التي عليها ان تقطعها في ظل الاستقلال .

اللغة القومية - ثم اننا نريد ان تكون الثورة من الشعب وإلى الشعب ، أي ان تكون من صنع الشعب - وهذا يتطلب من هذا الشعب ، وعيا بالمسؤولية ، وفهما للمرحلة التي تحتازها امتنا ، واستعدادا للعمل الواعي الجاد - وكل ذلك يكون بالتعليم والتوعية - وكل من التعليم والتوعية لا يفيد الا اذا كان باللغة التي تفهمها الجماهير ، وهي اللغة العربية - وهكذا نرى ان التصريب كان منذ الاستقلال ضرورة لم يدع اليها الاحلاس لارواح الشهداء فحسب ، بل دعت اليها كذلك حزمة الدفاع عن السيادة الوطنية ، والرغبة في تنجيب الشخصية الوطنية التي تصورت انهاء العهد الاستعماري ، كما تطلبها امبريالية الثورة الاشتراكية التي تستند اليها مسيرتنا الوطنية ، ويؤمن بها شعبنا - فهل وفقت بلادنا الى تحقيق هذه الضرورة في التعريب ؟

لا بد ان اعترف بان حركة التعريب لا تسير وفق تخطيط ثوري هادف - وهذا لاختلاف في النزعات اندى اسلمت الحديث عنه - واهم هذا الاختلاف يكمن في المطر الى اللغة العربية - اد يتفق الجميع على ان من حق المدرسة الجزائرية ان تنهج اتجاهها علميا ، لان هذا الاتجاه هو الذي ينقل بلادنا من حالة التخلف التي ورثناها عن العهد الاستعماري البائد - واذا كنا نفق الى هذا الحد فاننا نتخلف بسد ذلك في الاداة التعليمية التي ينبغي اعتمادها في هذا الاتجاه ، فدعاة التعريب ، والصورون على الشخصيات الوطنية ، وممثلوا الايديولوجية الاشتراكية

لمدرسة الجزائرية ، والى بعض الاخوان الذين سمعت الاشارة اليهم على ان اللغة العربية غير متطورة ، أي انها لا تكفي كأداة عقلية في السير بالجزائر الثورية في طريق التقدم ، وهذه الرغبات المخلصة منها وغير المخلصة ، هي التي كانت السبب الرئيسي في كون التعريب لم يحقق اهدافه استطرة الى اليوم ، وطل يدعو عرض ان يسير سيرا ثوريا ومضبوطا الى الامام .

لقد صرح الرئيس يومين مرة بان « التعريب مطلب ثوري لا هدف فقط » - وفي هذا التمييز بين المطلب والهدف ما يبين شعور الدولة بضرورة التعجيل بتحقيق التعريب ، اذ ان كونه « مطلبا » يمنحه سعة للمشروعية الثورية ، ويجعله في مقدمة اهتمامات الثورة ، ويتخذ من اجل تحقيقه جميع الوسائل الضرورية ، في حين ان كونه « هدفا » لا يعني اكثر من انه احد الاهداف التي تسعى الثورة الى تحقيقها ، وقد يكون من الاهداف البعيدة التي يمكن ان تنتظر - فاذا اضيف الى هذا التحديد الرسمي للقضية التعريب ان المدرسة الجزائرية يجب ان تكون **ديمقراطية** ، وان تكون في خدمة الجماهير ، أي في خدمة الاهداف التي تنتظر هذه الجماهير تحقيقها بالسرعة المطلوبة . اذا افعدنا هذا عرفنا مدى ضرورة التعجيل بتحقيق التعريب ، فديمقراطية التعلم تقتضي ان تكون الاداة التعليمية لغة الجماهير ، أي اللغة التي يمكن ان يتابع بها مجذوع الشعب الجزائري تعلمه مساواة كاملة ، وعلم المساواة لا يمكن ان تحصل من طفل المدينة وطفن القرية ، لا بلغة واحدة ، هي

لتعليم العالي ، وهي التي تصبح المناهج ، وتقدم لتقدير ، وتفرض من خلال هذه المناهج وهذه التقارير وجهة نظرها التي ليست دائما في صالح اللغة العربية ، والعرب في الامر انها استطاعت ان تجعل حركة التعريب تقف على ارجلها السنة لثالثة ابتدائي ، وان تعرض تعليم الحساب باللغة الفرنسية ابتداء من السنة الخامسة ، وبالنظر فقط الى المرحلة الابتدائية يتضح ان وجهة نظر حائه الطائفة من المواطنين مطبقة حرفيا في نظام تعليمنا ، فالطفل يتعلم باللغة الام وحدها في السنتين الاولى والثانية ابتدائي ، لانه لا خطر منها في نظرها على سير التعليم في استويات **ثالثية** ، فاذا ما دخل الطفل الى السنة الخامسة ، السنة ما قبل الاخيرة في اعداده لخلول المرحلة التكمية عادت العربية غير قادرة في نظر هذه الطائفة ، لان تعليم الحساب مثلا يصبح شيشا جديا لا تقدر على تاديبه غير انه متطورة هي اللغة لفرنسية ، ومن هذا الوقت المبكر ، بل ابتداء من السنة الثالثة التي يصطدم فيها الطفل باللغة لفرنسية لأول مرة ، تبدأ الصعوبات في المدرسة لجزائرية - صعوبات مصدرها فرض لغة اجنبية على طفل صغير السن والعقل - ولا غرابة اذا راينا بعد ذلك هذه الصعوبات تلاحق الطفل في اللغتين ان آخر مرحلة من التعليم ، فهو في **الثانوية** لا يهضم أية لغة بطريقة مرضية ، ويظل يبحث له عن طريق بين اللغتين فلا يعلج الا في معيّن احسانه بالعباءات التي تحيط به ، ولا يستطيع منها فكاكا .

كل اولئك يرون ان لا سبيل الى تطوير بلادنا عليا الا في اطار لغة قومية قوية ، ويعتقدون ان هذه اللغة من الاستعداد للتطور بحيث تستجيب لاهداف ومطالب ثورتنا ، لا سيما و ان بلدا ما شقية مبنية الى التجربة ، وظهرت ان لغتنا لا تحفظ عن اللغات الحية الاخرى في شيء ، واحراد هذه النزعة ، وهم يشكلون الاغلبية الساحقة من المواطنين الواعين ، يرون ان استخدام لغة اخرى مكان اللغة القومية كفر يروح الثورة ، وتترك للمبادئ التي سقطت من اجلها ، يربو على المليون شهيد ، وهم لذلك لا يقبلون اي تنازل في هذا المطلب الثوري على حد تمسير الرئيس بومدين .

يبدو ان النزعة الثانية ترى غير هذا ، وتؤكد لي يريه ان يسمعا ان من المخاطرة بالثورة الجزائرية اعتماد اللغة العربية كأداة تعليمية ، وتضيف الى هذا ان اللغة الفرنسية قد اظهرت قدرتها على استيعاب العلوم المختلفة ، وهي موجودة بالفعل في المدرسة الجزائرية ، فلم لا تتخذ اداة لتعليم العلوم ، على ان تخصص اللغة القومية لتعليم الدين وللغوية والعلوم الانسانية الاخرى ؟ ان احراد هذه النزعة لا يشكلون الا اقلية ضئيلة في نظام تربيتنا ، غير انها اقلية ديناميكية تشغل مسؤولات علما في وزارتي التربية والتعليم ، ولهم الديناميكية وهذه المكانة الادارية التي تشغلها استطاعت ان تعطل اتخاذ موقف ثوري في قضية التعريب ، فكلمتها مسبوقة في وزارة التعليم الابتدائي والثانوي ، وكذلك في وزارة



اولا . ولمعز اللغة العربية في قعرهم عن تاديه المواد العلمية من جهة ثانية - وهذه النظرة الى «الفتن» وهذا التحكم في توزيع المواد الدراسية عليهما ، هما اللذان سميتهما «دأجا» تارة ، و «اضرا» باللغة العربية «تارة اخرى» لان مثل هذا الخوف من اللغة القومية سيجعلها لغة «اقلية» تفيد في التحاطب والحياة اليومية ، ليس غير ، وهو ما سيحولها مع الايام الى لهجة محلية عائرة عن تحمل اية رسالة انسانية - ومن الواضح ان قبول هذا المصير للغة العربية يعد تراخيا خطيرا عن اهم مبدأ من مبادئ فورتسا ، وهو مبدأ المحافظة على الشخصية الوطنية بما فيها من دين ولغة وفضائل .

ولكني ساكون مقصرا اذا انا لم اسجل في هذه المحاصرة الخطوات الإيجابية التي حققها التصريب في السنوات الثلاث الاخيرة ، فقد استطاعت وزارة التعليم الابتدائي والثانوي بفضل وزيرها المديناميكي ، وامينها العام لصديقي عبد الحميد مهري ، ان تخطو بالتصريب بعض الخطوات العملية التي سيكون لها اثر مؤكّد على نظام التربية الوطنية ، وتخلص هذه الخطوات في تعريب الشجرة الادبية ابتداء من السنة الاولى تاوتى ترميها كاملا ، اذ بعض هذا التعريب الكامل للشجرة عامة من شعب التعليم الثانوي سيورد عدد المترشحين الممربين لامتحان البكالوريا سنة بعد اخرى ، وفي السنة المقبلة سيكون المترشحون لثليل هذه الشهادة كلهم عربى الثقافة ، ويسقط بمسئولية المناسبة ما يسمى

«من بين العقبات التي يضعها هؤلاء الاخرون في طريق التعريب عقبة ما يسمى بـ «الازدواج اللغوي» ، وهو شيء ظاهر» فيسه الرحمة ، وباطنه من قبله الطلاب » ويعنون به ان تأخذ الجزائر بلغتين اثنتين من نظامها التربوي ، فلا تعرب في لغتها القومية ، ولا في اللغة الفرنسية التي تشكل التمازج الحقيقية لتقارنها على العالم الخارجي ، وهم في هذا يعتمدون على ان الثقافة الحية المعاصرة لا تقوم على البندان المتعصبة على لغة واحدة ابدا . وكثيرا ما يصرون مثلا بسويسرا التي يتكلم شعبها اكثر من لغة واحدة ، وبنميكات التي يتكلم مواطنوها الفرنسية والفلمايية ، وهنا يكمن الخطأ ، وهو ان هؤلاء الاخوان يعرون قياسا مع وجود الفارق ، فقمصم سويسرا لا يتكلم اللغات الثلاث او الاربعة بنفس المستوى ، والفرنسية والفلمايية لا يتعايشان بنفس الدرجة في نفس الصف . فاذا اراد هؤلاء الاخوان بازواجهم اللغوي ان يتحدث الطفل الجزائري اللغتين في نفس الوقت ، وينتمس المستوى ، فهذا شيء لم يقل به احد ، ولا مميما بالنسبة للأطفال ، فاذا ارادوا بذلك ان تنوزع المعتاد المواد الدراسية بالسوية ، فهذا شيء يطوى على قصده الاضرار باللغة انقومية . لان القائمين بهذا سيضيقون اليه ان للواد العلمية يجب ان تكون من نصيب اللغة المتطورة علميا ، وهي عندهم اللغة الفرنسية طبعاً ، وان المواد الادبية والاجتماعية من حقها ان تقصر على اللغة القومية ، لعلاقة هذه المواد بالشخصية الوطنية

المخاربة والتوسيع عن بعض المواقف التي تنفذها في ميدان التعريب - والتعميل الشائع لهذا التراجع هو ان هذه المواقف اتجحت دون دراسة كافية للمخاطر التي قد تنجر عنها للاجبال المقبلة - ولا يشك احد في ان مسؤولي وزارة التعليم الابتدائي والثانوي لا يريدون ان يخطوا اي ضرر بالاجيال الحزائية الصاعدة، ولهذا يحتاطون اشد الاحتياط في كل خطوة يخطونها ، ولا يخطون الخطوة التالية حتى يتأكدوا من نجاح الخطوة السابقة - وهذا الاحتياط هو الذي جعلهم يميلون الى التعريب النسبي في السنة الاولى تكميل والسنة الاولى ثانوي ، ويرفضون التعريب حسب المواد ، وبصورة شاملة - ان هذا التعريب النسبي يسمح لوزارة التعليم الابتدائي والثانوي باعداد الاطارات الضرورية ، ويمكن في الوقت ذاته بقية الاقسام من متابعة العراسة باللغة الفرنسية - وهو شيء لا يأس به اذا نظرنا اليه من حيث العمل والطريق ، ولكنه شيء مضر من حيث مكافأة الغرض - لان المقياس الذي تختار بموجبه النسبة لغرية مقياس غير سليم ، لان هذا العمل يقع بين تلاميذ المستوى الواحد نوعا من التعميرة والتنافس نريد ان يحدث بين جيل واحد صاعد - وكان في امكان الوزارة ان تستهج بها آخر في اختيار النسبة المغربية ، كان تلحق بالاقسام المغربية مثلا كل تلميذ يقل معدله في الفرنسية عن عشرة - سواء كان قويا في العربية او متوسطا - غير ان هذا كله شيء ثانوي بالنقياس الى ما يجب ان يحدث من موقف ثوري

بالإكادوليا المزدوجة . وهو شيء ذو خطر على مستقبل التعليم اسامي ، اذ ستلتحق اغلبيية الحاصلين في هذه الشهادة بفروع اللغة العربية وعلومها بالجامعة - وما يذكر لوزارة التعليم الابتدائي والثانوي انها عريت ثلث اقسام الشعة العلمية في السنة الاولى ثانوي ، الامر الذي سيضطر الجامعة الى انشاء شعبة علمية مبرة لاستقبال الحاصلين في الإكادوليا العلمية المغربية - وهذا شيء سيكون له اثر كبير على موقف المسؤولين من اللغة العربية ، فيضاعفون من محدوداتهم في ميدان التعريب - ويسد من الخطوات الهامة لي تحقيق التعريب ما قامت به الوزارة من تعريب ثلث اسمتين الاولى والثانية من المرحلة التكميلية ، لان هذا التعريب سيكون نسبة هامة من التلاميذ من التشجيع بروح الثقافة العربية منذ بداية المرحلة التكميلية ، وضاعف عدد التلاميذ الذين سيلتحقون بالسميتين الادبية والعلمية المغربيتين في المرحلة الثانوية - كل هذه الخطوات التي حققتها وزارة التعليم الابتدائي والثانوي ستضطر المسؤولين على التربية والتعليم الى ان يعدلوا من نظرتهم الى اللغة العصرية ، وبالتالي الى ان يتخذوا مواقف اخرى اكثر ثورية في صالحي هذه اللغة .

وتبين الخطوات التي سبق الحديث عنها المبدأ الذي اختارته وزارة التعليم الابتدائي والثانوي في مجابهة قضية التعريب ، فهي لا تريد ان تتجمل الامور ، لان المجلة قد تؤدي الى بعض الانتكاسات وقد سمعنا حتى ملنا الحديث عن تراجع الاشقاء

وأصبح في قضية التعريب ، لأن مثل هذا الموقف الثوري الواضح هو الذي يمل على المسؤولين الحطة العملية المناسبة . وما دما لم نتخذ هذا الموقف الثوري فإن التعريب سيطر على اجتهاديا أكثر منه خطة محددة توفر لها اليزانيات ، وتمه الاطر والمناهج . وقبل اقتراح بعض المواقف لصلية للاسراع بتحقيق التعريب في اسرع وقت ممكن ، وفي ظروف حسنة ، اريد ان ازيد بسوق الصديق عبد الحميد مهري من النفاة العمومية ، موقف بحدردا حاسما على الطريقة الثالثة بحجز اللغة العربية عن استيعاب العلوم .

يتلخص هذا الموقف الذي عر عنه الاخ مهري في المحاضرة التي ألقاها في 20 ماي 1990 ، وعنى عليها محاضركم البيلة في I جوان من نفس السنة في حريمة الشعب ، في القول بصسورة الاتفاق على الاداة الاساسية للتعليم في المدرسة اجزائية ، وعلى نوع التعايش الذي يجب ان يقوم بين المصين القومية والفرنسية . والموقف يمتاز في الواقع بالشجاعة وعدم التهرب من مواجهة الجمعية الحامية ، فالاخ مهري لا يريد انسل من تحديد اللغة التسمية . ومن الطبيعي ان يختار الاخ مهري اللغة العربية كأداة تعليمية ، وموقفه ال هذا الحد موقف متعار يستوجب منا كل تقدير ، غير انه يعود فيطالب بأقامة علاقة حديثة بين أداة التعليم ، وهي اللغة العربية ، وبين اللغة الفرنسية التي لا يمكن انكار وجودها في المدرسة الجزائرية . ولو قصر الاخ مهري هذه العلاقة على المرحلة التكميلية لكان موقفه

واضحاً وعلى غاية من الاهمية . ولكن الاهميين العام لوزارة التعليم الابتدائي والثانوي يصرى اقامة هذه العلاقة بين اللغتين في المرحلة الابتدائية ، وهو ما اضعف قوله السابق بحمل اللغة العربية « أداة تعليم » ، لأن مثل هذه النظرة هي التي سمحت بقاء اللغة الأجنبية في المرحلة الابتدائية ، وبجعل تدريس الحساب والمواد العلمية من نصيب هذه اللغة . في حين ان التعريب ينبغي ان يتم انجاحا آخر أكثر وضوحا . بيد ان هذه الملاحظة العابرة لا تقلل من اهمية الجهود العظيمة التي يقوم بها الاخ مهري في خدمة اللغة العربية في باقي المراحل التعليمية .

اريد ان اهتم هذه المحاضرة المتواضعة باقتراح بعض الحلول الماحلة للخروج من المازق التي تنشب في قضية التعريب . وقبل ذلك اؤكد من جديد ان الحلول التي اتحت الى اليوم ، والحلول التي ساقترحها في هذه الحانة ، سوف لا يكون لها المصول المنتظر الا اذا طبقت في اطار موقف ثوري يقوم على اساس اعتبار اللغة العربية « الاداة الوحيدة للتعليم في المدرسة الجزائرية » ، على ألا تكون اللغة الفرنسية أكثر من لغة اجنبية من بين لغات أخرى يحتار منها الطالب عند ما يصلح المسألة الأولى أو الثانية من المرحلة التكميلية ادى ان من الضروري مواصلة التصريب تدريجيا في المرحلة الابتدائية ، بحيث يسم التعريب المسنة الثالثة ثم السنة الرابعة وهلم جرا ، لأن هذا الحل وحده هو الذي يخرج الطفل الجزائري من البيلة التي تحيط بدراسته ،

تدريسها باللغة الام ، اللغة التي درس بها الطالب في المرحلة الابتدائية = اعرف ان مثل هذا الحل سيضطر بلادنا الى اعداد الآلاف من الاطـر العربية - غير انه هو الحل الوحيد الذي يخلق المدرسة الجزائرية ، ويمتص هذه المدرسة ذاتية تتميز بها عن المدرسة الفرنسية القديمة = واعداد الاطـار ليس هي الصعوبة بحيث يعجز بعض الاخوان - والصعوبة الكبرى. انما تكمن في ايجاد عشرات المراكز لاعداد المعلمين ، وفي احضار الاساتذة الاكفاء لهذه المراكز - ولا اعتقد ان ايجاد الاساتذة والمراكز مما يسر على حكومة ثورية تعالج شؤون البلاد بحزم وتصميم - اما الطلبة الذين سيقبضون في هذه المراكز فلا اعتقد ان الثور عليهم يشكل مشكلة صعبة الحل ، فالتصيان الذين يحضرون الشهادة التكميلية يصلون اليوم في بلادنا بالآلاف - واسأأ ينبغي ان يكون قبول ترشيحهم حسب خطة مدروسة صنيقا ، حتى يكون اعدادهم معيدا للمدرسة الجزائرية، وحتى يصلوا الفراغ الهائل الذي نحس به في الاطـار العربي - ولا اشك في ان تضطرب هادئا ونوريا لتكوين الاطـار العربي سيقبض الوضع رأسا على عقب في بضع سنوات ، وسيبقى قضاء نهائيا على الادعاء القائل بصعـز اللغة العربية في المواد العلمية -

قترح كذلك ان تنظر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في طريقة جديدة لقبول الحاصلين على البكالوريا في الجامعة ، وان تفرض في اطار هذه الطريقة على هؤلاء الطلبة كيفما كان

فيكون في امكانه مواصلة هذه الدراسة في هروف عادة كسائر اقرانه في البلدان المتقدمة - وهو ما سيسمح للمدرسة الجزائرية كذلك بتحسين مستوى اطلالها ، وتكوينهم من الجاهدين الاصاصية الاولى لغة الام بطريقة موفية - واعرف ان مثل هذا التعريب عدد ما ينتهي في المرحلة الابتدائية سيسلزم معجبا جديدا في المرحلة التكميلية ، لان تعلم العفل لمادة الحساب الى السنة الاولى تكمل باللغة القومية سيجعله قادرا على مواصلة هذه المادة وغيرها بنفس اللغة - وهذا يكون على وزارة التـمـيم الابتدائي والثانوي ان تنظر بـطـة جديدة الى المكاة التي ينبغي للغة الفرنسية ان تحتلها ، او بصارة اخرى سيكون عليهما ان تنظر في طريقة التـمـيم بين اللـتين ابتداء من السنة الاولى او الثانية من المرحلة التكميلية ، لا قسـل هذه المرحلة - وهذا فقط تنـوحد لـستويات ، وتنشأ للمدرسة الجزائرية الموحدة - يطر الى مكانة اللغة الفرنسية من نظام تعليمها في المرحلة التكميلية ، اما على انها لغة احتية كسائر اللغات الاخرى الحية ، واما على انها لغة اجنبية محطولة - ففي الحالة الاولى يتـسـجـر لـطالب بينها وبين اللغات الاجنبية الاخرى - وفي طائفة الثانية يطالب التلميذ باختيارها ودراستها كلمة اجنبية محطولة الى آخر المرحلة التكميلية ، وفي السنة الاولى ثانوي (الخامسة ثانوي سابقا) يخـار الطالب لغة اجنبية ثانية - وفي كـسـل الحالات يـمـي ان تـدرـس اللغة الفرنسية كلـة اجمية حية ليس غير ، اذ جميع المواد يجـبـم

خدمة انصافيا ،لوطنية الاساسية ، واعتقد ان بلادنا ستزداد وقعة في عين الامة الصربية اذا ما قامت هذه الحسوات التي تطوى صفحاتها الماضى الى الابد ، وتمتص صفحة جديده يظهر فيها الشعب الجزائري كاقوى ما يكون وطنية وايمانا بنفسه ومستقبله .

وبعد ، بهذه محاضرة ما قدمت مسها الى النقاد احد ، وانما قصدت من ورائها الى توضيح الحانة التي وجد عندها التعريب خلال السنوات الاحدى عشرة الماضية ، والى تبين العقبات التي ما تزال تقف في طريق اللغة العربية ، والسعى يجب ان تزال يحزم وتصميم حتى يظهر الشعب الجزائري كما هو في الواقع ، وكما كان مسمى سائر لتصور الماضية التي عرف فيها القشل فلم يؤخره عن واجبه الوطني ، وداق النصور فلم يحمله على ترك المطرة الواقعية للاشياء . وان شعبا حاض حربا تحريرية عرف التاريخ قليلا من مثيلاتها لدير بان يحوش ثورة التعريب في ثقة بالنفس ، وايمان بالنصر المؤكد ، والله الموفق في الاول والاخر .

والسلام .

انفرع الذي يختارونه سنة تحضيره قبل الليسانس يدرسون فيها اللغة العربية وحدها لان اغلب هؤلاء الطلبة ياتون مردوحى اللغة ، اى ضعفى المستوى فى اللغة القومية . ويهده الطريقة تحمل مشكلة التعريب الذى يحرص على هؤلاء الطلبة فى فروع اللغات الحية والمعلوم والطلب والحقوق وما لها . لسنة دراسية واحدة فى اللغة العربية كفيفة بتحسين مستوى هؤلاء الطلبة وجعلهم بعد ذلك قادرين على استعمال لغة القومية فى مباشرة مهمهم التى يتحصرون فيها . وان مثل هذه الطريقة ستسمح لكثير من الطلبة بالقيام بتدريس العلوم مثلا فيما بعد باللغة العربية . فكون قد ربحنا عددا لا بأس به من الاطر لغاوصة قصبة التعريب ينجاح وفعالية .

هذه هى بعض المقترحات التى اراها ضرورية كمرحلة عملية عاجلة فى انتظار موقف حسمى يصبح للغة العربية فى مكابها الى الابد . واعود ناؤكد ان العمل بهذه المقترحات لا يتطلب اكثر من اعزيمة والصميم وبعض التضحيات المادية . وقد علمتنا بلادنا الا تبخل بشيء فى مسييل



التعريب

إن موضوعي ليس محصوراً في التعريب داخل المدرسة فقط ، بل يتعداه ليمارس أخرى وعوامل أخرى لتتجلى منها ما كان متاهراً ودافعا للنتائج ، وما كان مبطنا ودافعا للفشل ، وأحاول أن اتفصل الواقع بكل الإمه وويلاته كواحد عاشه لحظة بعيدا عن اصطناع المناهج والتباعد الترقيم ، تاركاً الواقع يتحدث بكل مرارة وانفعال ، ولست ناقلًا إلا ما أعتقد وأعمل له وأستعد للنفاذ عنه بكل ما يتطلب ذلك من جهد واجتهاد ، وينبغي لأول وهلة أن الكلام عن موضوع مثل هذا أصبح مملا ومعادا لما كثر فيه من لغط وخط ، ولما دار فيه من جدال ونزال، وهو موضوع على أي وجه قلبناه أثرتا حساسيات عديدة ومتنوعة ، وكلما حاولنا

عبد القادر ججار
مدرس بوزارة التعليم
الابتدائي والثانوي

وقتلها بواسطة الصوفية المخالفة لمآلهم المين
الحنيف ، والاجتهاد أغلقت أبوابه بامر من صاحب
سلطان ، فتمحور التفكير وجمدت معه لغة التعبير
ولم ينته العرب الا وهم تحت وطأة الاستعمار ،
فلسبت خبرات البلاد واستبعدت الآراخ
والاجساد ، ولم تجد حيحة اخرى من صرخة
الفجيعة لشاعر الفيل مغموسة بجراحات قلب الى
كن القلوب المايضة بالمعروية والاسلام :

ايطر بكم من جانب القوي قاعبي

يذدى يواذى في ربيع حياتي

وانذا تركت العوامل الدلالية ورحلت استنفذ
اعمال المستشرقين ودراساتهم المخرمة والمنطلة
في غائبة عراقية وحقد صليبي اعمى ، فتحاملوا
على اللغة لكونها تعبيراً عن قرآن ، ورموها
بالعمق والجمود ، واعتبروا القواعد التي كانت
دلالة البيان عرقلة وعجزاً في اللسان ، ولم
يعترفوا لها بفضل الا من ضد منهم عن الاجماع ،
ماذا كان في العربية بعض من صعوبة فهذه
الفرنسية التي اعتبرت بغير حق في بلادنا لغة
العلم والخبر والادارة ، تشكسو كثرة الازمنة
والقوالب ، وصعوبة الاملاء والاقاء ، وكثرة
الحروف وتنوعها وتقاربها في اللفظ الواحد ،
فهل هانت لغة فرنسا عند الفرنسيين لانها صعبة
وعويصة ، ولغة الصين اقوى حجة ، وانحصاراً لمثل
متقول افاك ، لانها عبارة عن رموز لسميات يصيغ
كاملة تتجاوز المشرات من الالوف ، ولم تعرف
حتى الآن الضرب على الآلة الرقاقة ، ولم تنف
صعوبة اللغة حاجزاً في طريق الوصول لصنع
القنابل الترية والهيدروجينية *

الموسمية والابتعاد عن الذات الا وحننا انفسنا
متغمسين فيها ، متحشّين بها وهذا ، لان اللغة
ليست وصفاً لسميات الجوامد من الصفصور
فحسب ، بل هي احسن وسيلة معبرة عن خلجات
الضمور ، بل هي بليغيتها شمنات نفسية مليئة
بالاماس ، متفاعلة بتقلب الظروف والاحوال ،
والالفاظ كالانسان حيوات متجددة على طريقة
التناسخ في فلسفة الهند ، تسمو في لحظات سمو
النيرة والاشراق ، وتثية في لحظات اخرى تيهان
الظنور والهلاك ، ومن هنا تكون مهمة الباحث
صعبة ومعقدة ، لان حديث اللغة باللغة هو .
حديث بالذات عن الذات ، وخاصة اذا كانت
العلاقة بين الذات وذاتها علاقة ترجمية تتحول
من واقعها الى واقع تصنعه الاحلام والخفالات ،
وتسيه وتباريح العشق والهيام *

* * *

اللغة ظاهرة اجتماعية تتقدم بتقديم شعوبها *

ان اللغة العربية كجميع اللغات الحضارية
ظاهرة اجتماعية ووعام جامع لتجارب الشعوب
العربية رفعة وسموا او خضة وانضطاطا تقيمت
بتقدم شعوبها فحوت كتاب الله لفظاً وقاية
ومعيرت اغوار الفلسفات اليونانية ، والحكمة
الهندية ، ومماريات الفرس ، بل لم تعجز عن
الفلك والطب والصيرفة ، ولا عن الهندسة والجبر
والجساب ، ولا عن التاريخ والخبور والانساب ،
ولا عن الفقه والحديث والتصير ، ولا عن الادب
شعرا ونثرا في كل اغراضه وفنونه ، كان ذلك
عندما كانت شعوبها راقية بالجهد ، متقدمة
بالجهاد ، مكثفة بالاجتهاد ، ولما تحول الجهد
الى كسل وتواكل ، والجهاد صار جهادا للفس

الجزائري في أعز مقوماته : الدين واللغة . ومشروع سنطينة سنة ١٩٥٨ والذي جعله ديوجول مخططا للقضاء على الثورة الجزائرية كان من بين أهدافه تعميم التعليم بالفرنسية سنة ١٩٥٩ وفي احتفائه الشهير ١٩٥٩ في تقريره اصبر للشعب الجزائري شريطة ان يضع الثوار سلاحهم ويجري استفتاء شعبي عام بعد اربع سنوات ، ولما رفضت الثورة هذه الاغلوطة وتبنت لهذه الاحبولة ، واصلت فرنسا حربها الاستعمارية لمدة اربع سنوات * ما معنى ذلك ؟ انه تخطيط محكم يهدف لاشياء كثيرة منها في اسوء الحالات التبعية التامة لفرنسا وفي احسنها تهزم الثورة وتنمحق انوية الجزائر جرد لا يتجزأ من فرنسا . وبواسطة الثورة والتضحيات والعزم قصى الشعب الجزائري على المخططات والوعد ، وكان النصر حليفنا ، ولم يكف الله المؤمنين القتال ، حيث لتتقلت من جهاد فيه جنود العدو على مرص نتائجنا الى جهاد فيه فكر العدو داخل رؤوس الكثير من ابنائنا .

(١) تسليح المفترسين غير الثوريين لمرآكز حساسة باجهزة الدولة

خرجت البلاد من حرب ضروس دفعتها الحاجة لكل ابنائها ، ولم تصنع الاخلاص مقاييس لتسييم المناصب ، ولا الكفاءة ميزانا لمعمل الرجال ، وصدة وبلا مقدمات وجدت جماعة من المفترسين من غير الثوار نصفا في اعلى مراكز السلطة والتوجيه ، وراحت تخطط من مصادر التشريع لتستقبلها ومصاصها على حساب الناس والاختيارات ، قجامت كثير من القرارات حسب القاس ، وهي واعية ان وصولها لمرآكز السلطة

وهذه اسرائيل التي طامنا سعيها بالمصاهرة او يادوية ، ونمطنا جالها رجالها بنفايات الارض وشذاذ الاتاق ، احبت لفتحها بعد الالف المستين من الموات ، وصيرتها لغة علم واديرة ، وفيما تقوله بعض الصحف : ان عهد ويزمان للعلوم انثوية بش ابيب تدرس فيه جميع المواد باللغة العبرية * ومن هنا نلاحظ ان العبرة كثيرة والقوة أكثر ، ولكن ما فائدة القوة بدون اقتداء ؟ وما قيمة العبرة بدون اعتبار .

التعريب بين الخصوم والانتصار :

كفاسي تجرالا ، فقد حان وقت الحديث عن جرح ختالم له وبه منذ عشر سنوات ، بل حول حريض اعراض الداء فيه واضحة ، واختلفنا في تعريف التشخيص ، ذلك المرض هو التعريب في الجزائر ، يراه اهلوه ونووه ضعيفا يجب ان يفوى ، هزينا يجب ان يسمن ، مظلوما يجب ان ينصف ، ورياه الخصوم هخيلًا متطفلا يجب ان يبعد ، مريضًا معديا يجب ان يتقى ، شبحا متيقفا يجب ان يروى * ومن هنا تتمر التعريب بين حين راضية لا تسرى فيه الا الكمال وحين عين فاقمة لا ترى فيه الا المساوى والفقائس ، ودون ان اتوه في الحديث من محاربة فرنسا للعربية ، وتكوين لجان ابتداء في ١٨٨٠ وتطبيقها العمل الجاد بعد ثلاثة عشر قرن في العربية والاسلام في الشمال الافريقي واطصال افريقيا المسيحية قبل الفتح العربي بتسميع شمال افريقيا بعد انحر العرسي ، ولا اتحدث من حربها الضروس على المدارس العربية ولا من اعتياد تدريسها جرما يحاقب عليه القانون ، ولا من مخططات كثيرة ومتنومة تهدف للقضاء على شخصية الشعب

حضارة هذا الشعب وأماه وآلامه غير أن الطغاة وجهت له قباعا ، وألصقت به نقائص الدنيا كلها ، من تجرد في الفكر ، وحرد في الطبيعة ، وتزمت في السلوك ، ورجعية في السياسة ، وتخلعا في النظر ، وعجز في الكفاءة ، ونقص في الوعي ويعد عن المدنية ، وأفساد للحضارة ، وما إلى ذلك من الأوصاف والتشبيهات ، وأصبحت كلمة : *Arabisme* هي العنوان الشامل لكل هذه الطاعن والمثالب ، لغته لغة أشعر والخيال ، ولغة فرنسية لغة أعلم والحضارة ، وهكذا هسبور العربي بعربيته ، ممثلا لأساليب العصر ، وهكذا صور المقرنس بفرنسته ممثلا لأبوابيات العصر في فهم الغف والأثوار . لم تتوقف دعاياتهم عند هذا الحد ، بل امتدت لأحوالنا الشرقيين الذين ظلمنا منهم يد العون والمساعدة ، ونعلنا لهم في سنوت الظلم والاضطهاد ، أولئك الذين وجدناهم بالأس مندا قويا في أحلك الظروف القاسية ، تعرضوا من أجبا للعزو والاحتلال وجعلوا أراضيتهم وأعلامهم رموزا لفهم السياسة والديبلوماسية خدمة لقصيتنا ، وكان أعرب متعاضدا ضدنا وكانت أحلامه متخالفة علينا بالأس والرجال ، وبصرية لازب انقلاب العبد حسيديا ، وجاءت جعلاه في إطار التعاون « الحثرم » ، قدمت للمقاتلين أسبند من فرنسا وأروبا الهد يا ومصيايا ، ولهجت الألسنة بطرمهم ومعارفهم وحولت ضعفهم إلى قوة ، وسلوكهم الشائن إلى خلسن حميد ، وقررت لهم الجور النفساني المساعد على التبرير بأجبالنا التي قدمت لهم طينة مسنونة قابلة لكل شكل أو تشكين ما لشوان السراء والفساد من بني العسوية فوجهت لهمهم أشحن التهم وسوا في أقفس ما يملك الإنسان : وهي الكرامة والنفس ، وتعرضوا

وصولية وانتهازية يأتي اليوم الذي تملأ المساب ، وبطبيعة العمل واغته انتشرت الفرنسية في سنوات قليلة أكثر مما انتشرت في عهد الاستعمار ، رغم المشاريع والتشريع ، ورغم الناهج وأبرامج ، ورغم الدراسات والأبحاث في علوم النفس والاجتماع ، وأصبحت هذه الفئة متحدة بال مصلحة على التصريف المشهور في السياسة ، السياسة تصاح على المصالح ، وإذا كن الوفاق فيما بينها على المصلحة والحاجة لعدواء التعريب ومحاربتة كانت بالطبع والصورة أوصلتهم الفرنسية لقمة السلطة ، والهاش على القم لا يخفى شيئا إلا السقوط إلى الحضيض رأسا دون أن يمر بالمتحدرات ، لانه وضع على القمة رأسا دون اجتياز المرتفعات اتصلت الفرنسية وضما ومصلحة كانوا في القمة ، وانصار التعريب ولقعا ومكانة كانوا في الحضيض ، انصار الفرنسية هم المشعرون وتمخطون والساھرون على التعريب وكان كل ذلك وإيد دراسات ومسابيات متعمقة وبقية تسيير بالتعريب للنهاية المحدودة والمحددة بالفضل والأخفاق ، بل شرعوا للمعربين كذلك ، فأبعدوهم عن مراكز القيادة في كل شيء ، وسردا ملفاتهم بملاحظات تسويدا وتشويها تهنن له الضمائر ، طمنا في الكفاءة ، ومما في الشخصية ، وأمتهانا للكرامة وتقيدا للشاعر ، عمل الأعرب معاملة العبيد وهو حر ، ورفضت عليهم العسرية والحزلة بين أعلية ونديه ، وكان يسرجه منه لكونه ممثلا للطبقات الكادجة أن يغير ويبدل أوضاعا ومقائيق صنعها الاستعمار لخدمته وخدمة أذنايه ، كان يرجى أن يكون في طليعة الثورة الاجتماعية لقلب المفاهيم النعمة رأسا على عقب ، كان يرجى منه أن يكون في خط الهجوم اعتمادا على أنه يمثل

والمتمثلة في الكتيبات القرائية وروايات الطريقة والمدارس الحرة أو من الزيتونة والغريبيين ومع عدد ضئيل من خريجي الجامعات المصرية والجزائرية، وقد ساعد على إضعافها بالإضافة لعدم التجانس من ما تعرضت له البلاد من حرب ضد كل القومات، وتميزنا في أغلب الأوقات بصيابة في الرؤية وتصارب في التدبير، ونقص في اليقظة والتفطن لما يصاح لنا من الظلم ونتيجة لذلك حشنا فرديين، كسل قيس وإيلاء، فهزيمة الواحد أو ضربه أو عزله لا تتحرك له الجماعة، وصارت المسألة وروح الاستسلام هي أكبر علاقة يعملها المثقف باحترية كثير كبير القرن، دليل ضعفه فوق رأسه، وفي كثير من الحالات فرضت علينا أعمارك غرادي في كثير من بقاع الصراع وترك المقاتل فردا في الساحة يجابه يمنة ويمرة حتى يفر ممدلا على مسمع ومراي منا، تقاترت صفوفنا وتناثرت وانزويها ذهولا أمام الصفحة ليك كان يناضل من أجل مبادئه من بينها لغته، تحول الى واقع من مصلحته محاربته واحتاق الحصر ومائل جهنمية وقتت ضد انشورية التي نتمتع بها نظريا، وحولها الى حرب بيننا وعداوة شتمت في كثير من امحالات عن التصالح او الاصلاح يسر ربما تلوك بعضنا بالسنة حداد واختلفنا مشاب وعيوباً قديمنا لاهدائنا صلي مائدة الشلق والانشاد، واحتقنا كل افتاح لنا في الثقافة والادب، ومن اراد ان يقتحم اصفر من جماعتنا ويلقى بصدوره نار الخصوم من أجل المبدأ العام والظلم المشترك وجهنا له لعنات في الظهر غادرة ترديه طريقا يتن تحت وطأة الخيانة وكل لسان صرخ باسمنا آخرسنا، وكل نبيه منا وصل مركزاً هو اهل له وأصلح، ورمياء بالجهل في العلم والجهالة في السلوك.

للغرائيل المفتعلة في الإدارة والامتحان المبيت في العمامة والإهانات الأخلاقية في الشوارع وشربوا من تعجرف بعض المسؤولين السم المقاتل أعمالا تتنافى وكرم الضيافة، وتمادي روح الاخوة وتخالفا أعرف الشاؤون انزويه حتى لو لم تجمعنا وشائج القرين، وأواصر الرحم، وذكريات الآلام والأصايل وليت كان هذا من السوق والرعاع، بل ارتفع لاعلى المستويات.

أيها السادة، ان الموقف واضح ابلغ من نهار، وان هذه اللغة التي ولنت نفسها على محاربة شخصيتها الوطنية والتي تنتمي لها بالجنسية والولادة، والتي تفسد لها ان تتمدد وتضبط وتنفذ باسم الجزائر العربية لمقام على اللغة العربية، اذا فمنسب مثل هؤلاء، فاني اصرخ مع قرار قباني صرحته أياثمة:

ان كان من نبوءا التاريخ هم نسبي

على مدى الدهر اني ارقص النسيب

انحصار التعريب وضعف الكم والكيف:

وان كنت صميريا واضحا عندما تعرضت لاعلاء التعريب فلان اكون اقل صراحة عن الحديث عن انصار التعريب واجراء عملية تقويم على عي ان اشخص الداء الذي نضر مقامنا. لقد كان نحن حماة العربية وانصارها ضعافا كما وكيفا وما زلنا كذلك اذا ما قيست قوتنا بكثافة المخططات العاجلة والمستعجلة التي واجهت البلاد في كل الميادين، وخاصة في ميدان التعليم والتعريب، كانت الميزة الجامعة لنا هي اننا ابناء الطبقات الكاسحة، وان ماضينا الدراسي كان غير متجانس بالقياس الى الطبايع التي نهلنا من معينها،

أغلب اللانويات المزوجة ، وهناك لانويات عربية كاملة ، أما باقي الاقسام المزوجة فتتراوح فيها حصص العربية من خمس لعشر ساعات ، أما في التعميم العالي فقد أنشئت ليسانس فلسفة وليسانس تاريخ وليسانس جغرافيا ، وأختت العربية حصصا مرموقة في ليسانس علم افس ، وليسانس علم الاجتماع ، هذا بالإضافة إلى ليسانس في اللغة العربية وحوسوت اللغة الفرنسية في دائرة اللغات الحية ولا يمكن للدارس ان يحصل الا على ليسانس في الادب الفرنسية هدا في كلية الاداب وقررت اجبارية اللغة العربية مستوى الثالث على حملة اللسانس في اللغات الحية كما احدثت ليسانس بالعربية في كلية الحقوق وبدأت الاقواج الاولى من المتخرجين تحتل مراكزها في كثير من المستويات ، وفرضت العربية كمادة اجبارية في ليسانس حقوق بالفرنسية كما لا ننسى ليسانس في الترجمة عربية فرنسية وأعكس ، وليسانس في العلوم الصحية بالعربية وديبلوم التجارة وشهادة الكفاءة للتمريض كما فتح قسم عربي في كلية العلوم ، أما باقي العروغ ففرصت فيها اللغة العربية كمادة اجبارية كما يجب ان سوء بالخطوة الجبارة التي قامت وزارة العدل في تعريب التقاضي والمرافعة في الاحوال الشخصية والمدنية ، وترجو ان تقدم على تعريب القضاء في الاحوال الجمانية أما التعريب في دواليب الدولة واجهزة المؤسسات الوطنية فقد صدر فيه مرسوم رئاسي حدد فيه مدة اثنى عشرة السنة الفرنسية والعربية ويجعل سنة ١٩٧٧ سنة للتعريب وخصصت الدولة ميزانية سميت بميزانية التعريب وقررت ثلاث ساعات اسبوعية لكل موظف او مستخدم داخل النصاب القانوني لعمله لكن النقصية لم تؤخذ ملخذ الجد حيث اقتصر على

علام نخاف ايها الاخوة ، وقد فقدنا كل شيء حتى الكرامة ، وفيهم التخائل ونحن الصق الناس بارمنا واكثرهم تمثيلا لشعبنا لاتجاه ما لم يتحد الصف ، ولا نعتبر التعريب رسالة مالم يستعد رسل العربية ليدل كل غال ونفيس ، وان قدمت الثورة زمام الارض للفلاحين والكاذهين لمعبير وشعبية الريف ، واعطاء خيرات الارض لمالحي الارض ، فقد كلفنا الثورة رسا هنا يا حلال لغة الضاد محلها الطبيعي ، وأرجاح اللسان العربي للشعور العربي ، واني اتمنى هجرة من كلمة التعريب في ملتقى العتشرين بالجزائر اذ جاء فيها ما مفاده : ان مليونين ونصف من اينائنا في مدارسنا وتحت المشراطنا فان نجحنا في تعريبهم نكون قد قصينا نهائيا على حرافة الفرنسية في الجزائر وان كان العكس لا قدر الله ، فان محكمة التاريخ لن تغفل لنا ، وعلى عظم الجبرم يكون العقاب *

انجازات التعريب :

ولمعد الآن في لحة خاطفة على الانجازات التي تمعت في ميدان التعريب ، فبالنسبة للتعليم عربت السنتان الاولتان تمسوريا كليا والثالثة والرابعة جزئيا والثلث في عادة الحساب في السنين الخامسة والسادسة ، وتعريب العلوم والتاريخ والجغرافيا وامثال العربية يجعل عشر ساعات في باقي السنوات ، أما اللانوي فقد عرب التاريخ في كل الاقسام والجغرافيا سنة قسنة واللمسة في الشعب الادبية وتعريب ثلث الاقسام ابتداء من السنة الاولى اعدادي وثانوي اي : وعربت الاقسام الادبية نهائيا ابتداء من نفس السنة ، كما لا ننسى الاقسام العربية كلية داخل

فرز سهلة للقياس ، وذلك بمعرفة كل الذين مرت عليهم عشر سنوات بعد الاستقلال دون أن يتعلموا لغتهم ، واعتبارهم عجومات يهيمه لخلوهم من الصميم الوطني والانتماء الثقافي أما المثقفون بالفرنسية والدين ما زالوا مرتبطين بشعبهم متفاعلين بآرائهم وأفراحهم ، عليهم أن يتعلموا اسبوقولية ويبرهنوا أكثر من أي وقت مضى على انتمائهم لهذا الشعب ، ودفاعهم عن قضاياها الجهرية ، والقيام بواجباتهم كاملة غير منقوصة وتحويلهم لواجب حقا ينفي مطالبته والدفاع عنه ، تمشيا مع أحدث انطلفات الاخلاقية الثورية التي تعتبر الحق وحده استهلاكا في عرف الاقتصاد والواجب انتاجا ، وكل شعب تجاوزت حقوقه واجباته تحققه وانسهر ، وكل شعب تجاوزت واجباته حقوقه تقدم واندهر ، وكفاهم من تحميل لخرائهم المعربين أكثر مما احتملوا فهدء الحراجز هم يئانها ، وهذه الشار المتعفة هم المارسون لاشجارها واشواكها ، فقد حسان الوقت للتكفير ولهم بالانصاف براسة ، وعلينا بالافصاح تدريسا ، وتعريبهم ليس تبديل المصطلحات المحمية ببديلة عربية ، بل التعريب هو تعريب العقول والوجدان وتعريب السلوك واللساني .

التعريب تعريب للفكر والسلوك :

اننا لا تريد من التعريب ان يكون بدلا للفرنسية فقط بل فريده خسلاتا تواغا طموحا نحو العلى ومشاركا فعلا في ميادين الحضارة ااتمانية والرقى العلمى والتقنى ، واذا توافرت الفسوايا السمة وتكانت اجهود وتوعيتا دور المدرسة الحاسم والفعال في تزويد مرافق الدولة بالاطارات المختلفة واذا خلقت المدرسة الاسان الجرائرى

تعريب البوابين والمضاربين على الرافغات اما علية القوم واكابر السادة فقد اعطو انفسهم لكونهم مسؤولين عن التعريب ومثقفين جدا بلغة الاستعمار ونزولهم لمستوى التلمذة خدش في كرامة المسؤول . ان تخصيص ميزانية ضخمة للتعريب وتنظيم الدراسة بهذا الشكل تعتبر ضربة قاصمة للتعريب والمعربين ، فالتعريب مسؤول عليه من جعل لسه وفرض عليه ، واستاذ العربية انذى طالما نعسى برسالة التعريب تحول الى مرزق حقير يجرى وراء لسريعات الاضافية هنا وهناك واصمح يعامل بامتهان وئلا ، لان كرامته باسمها شره الارتزاق ، ومن هذه السلبيات نوك جو نغمسى قاتل امترجت فيه التقيم والماهيم بالاغراض والاطماح واصبحنا نسمع كلاما وثرثرة لا متناهية حول علية التعريب ، وتخطيط التعريب ، وتنظيم التعريب ، ومهجة التعريب ، وللعمل في التعريب وتهويل تجارب تورس والمضرب في التعريب ، وكلها اقامة زائفة مضخلة اذا ما قيست بالمعاطف الكامنة لدى شعبنا وجهه لغته وثقافته في تعلمها والتعنى بها والعمل بها .

لا نتجح التعريب الا بالقضاء على التزييف :

ان تجاح التعريب الكامل لا يكون الا بالقضاء على التزييف ، وكشف اعدائه اينما وجدوا ، والقيام بحملة نفسية مركزة تنوجه راسا لقضاء على مركبات النقص التي تصانى منها بعض المواطنين في مستويات عنيا باجهزة الدولة ، وعقد لنفس امراض مستوطنة هي اللاتصور ، يصعب علاجها باسوية هادية ، لان يكون الدواء ناجحا لا بتحديد مدة زمنية جادة وصارمة يشمل فيها التعريب كامل الادارات ويقضى نهائيا على الميوعة والاتساع الثقافي ، وعزل الجرائم الطفلة بطريقة

أعمالهم معجزة من أكبر المعجزات وأن الكثير منهم بذل فوق طاقة البشر في جهود مضنية لحافا بالركب ومسايرة للعصر وخدمة للبلاد والثقافة وأن الكثير منهم ثبثوا في الميدان ببسالة المجاهدين لا يثنون ولا ييكون ، ولكنهم يكافحون على جيهاة عديدة ، ويواصلون السير رغم الكفوم الدامية ورغم ضحايا الحقد والكراهية المبثوثة لهم في كل سبيل »

ولقد تلقى العربون خلال سنوات خلت ظلم نوى القوي بشجاعة الصبر ، ومرارة الوعى ، وكانت ثقافتنا محصورة حتى اليوم في النقد كتعبير ، ولكن يجب أن تتحول إلى تقويم وتغيير ، وأن الخرسة التي تميثلها البسالة اليوم لمواتية للعمل ، وأن الظروف الموضوعية التي خلقناها بجهادنا مقدمة للمجاح ، وأن وقت الدفاع عن النفس تجاوزته الأحداث ، فالنفس آمنة ، والخطى ثابتة والسلاح حاد وفتاح وتبشير النصر لا حت في الأفق ، وإشارة الضوء أعطيت للهجوم ، وأن هذه الجولة لى الجولة الحاسمة بيننا وبين التفرنس ، فلنأخذ مواقفنا في الصف الأول ، ولن نكون ذلك ، لا نتوحيدنا وإيماننا والمشاركة الواعية لجميعنا »

المؤمن بالحراثر وطنا ، وبالإسلام ديننا ، وبالعرابية لسانا ، وبالعرابية انتماء ، وبالإشترابية نهجا لا شك أننا مهتدا سبل النجاح أمام الأجيال ، وإذا تنبهنا للمشارك التي ما زالت منصوبة وعريتنا المواد العلمية أبعادا للثمن التي تصف العرابية بالمناطة والخيال رجلنا لما لغة تدرس في جميع المسود وتتحول ميزانية التعريب التي خصصت للإدارة إلى مرفق تعليمية صحيحة تشفع بقوانين صارمة تجبر الطاعة على الركوع أمام لمتهم حتى يتعاملوا مع شعبيهم وكفاهم إذلالا بهذا الشعب وإستقلالاً وخطرة ، وكفاهم من أشعار المواطنين بوجود فرسا خطايا ومعاملة رغم ذهابها »

ويكون دور المثقفين بالعرابية هو جعل للتعريب رسالة ولكل رسالة شهادتها وضماها »

يرمن الحوب في هذه الفترة على صلاحية الحياة فيه وفي لفته

لم يبق لي الآن إلا أن أقول في الختام أن رجال العرابية رغم فسادة الطرف ، وكهيرة الجسر ، وضعف الصف ، برهنوا على أهلية الرسالة وعلى صلاحية الحياة فيهم وفي لغتهم وبذلوا جهدا لولا تكاتف الأخبيسات وتكاتف الاعداء لاعتبرت



ملاحظات حول تطوير اللغة العربية لمسيرة التطور العلمي والتقني

تضمن جدول أعمال مؤتمر التعريب الثاني
المقرر عقده في الجزائر في شهر كانون الأول
(ديسمبر) 1973 بحثونا للمناقشة في الاجتماع
العام للمؤتمر منها (الطرق المتبعة لتطوير اللغة
العربية العلمية) ، واقترحت المنظمة العربية
للتربية والثقافة والعلوم إعداد بحث عن الموضوع.
ضمنا بأعداد الملاحظات التالية الغرض منها إثارة
النقاش وتوجيهه وجهة عملية .

د. محمود الجليلي
عضو اللجنة العليا للدراسات

بحث قدم إلى المؤتمر الثاني للتعريب لمطعم بالجزائر من 28 إلى 30 ديسمبر 1973 .

1 - ان اتساع اللغة العربية يجعلها قابلة للتطور لتستوعب النمو السريع في مختلف العلوم والفنون ، وقد سبق لها ان استوعبت العلوم والفلسفة قبل مئات السنين ، وهي الآن ماضية في نفس السبيل .

2 - ومن اهم العناصر اللازمة لتطوير العربية وجود مصطلحات تفي بالافراض العلمية التي اصبحت سرعة نموها في سنوات اكثر مما كانت عليه في قرون . وقد اولت الجامعات في البلاد العربية المصطلحات العلمية والحضارية عناية متزايدة ، كما أخذ الباحثون يعملون بجهد في هذا المضمار ، ولكن لا بد من ان تؤكد نقطة مهمة وهي ضرورة التمسك على توحيد هذه المصطلحات قبل ان تتعدد وتتفرع في الاقطار العربية ، فيصعب بعد ذلك توحيدها بعد ان تكون قد رسخت في القطر الذي وجدت فيه . ان وجود مصطلحات موحدة متفق عليها او مقبولة في الاقطار العربية اصبحت حاجة ملحة .

ومما يجب التنويه به ان انشاء اتحاد المجامع العربية والاتحادات العلمية والمهنية الاخرى خطوة مهمة في تسهيل وتوحيد المصطلحات . وقد تم اجراء المسح العسكري الموحد بسمى جامعة الدول العربية ، وتم انجاز معجم المصطلحات الطبية بسمى اتحاد الاطباء العرب ، كما اقترت مصطلحات كثيرة في مختلف العلوم في اجتماعات المتخصصين او المختصين بها في الاقطار العربية .

3 - وقد كان تيسير اللغة العربية موضوع اهتمام منذ عشرات السنين ، ويجب ان نفرق

بين مجموعتين من طلاب الدراسات العربية . اولئك الذين يختصون بها وعليهم اتقانها على اوسع مدى وارثك الذين يختصون بفروع اخرى من المعرفة كالطب والهندسة والعلوم الصرفة (البحتة) او التطبيقية ، والذين عليهم اتقان مقدار كاف يسهل لهم حسن الاداء من دون حياء ، اذ لا يمكن الفصل بين الفكرة العلمية والتعبير عنها ، واللفة أداة عرض الفكرة وواسعاً لتعامم بين المشتغلين بالعلوم .

ان الحاجة الى لغة عربية للمشتغلين بالعلوم واضحة ، وتزداد مع تقدم العلوم السريع ، ويوجد في لغات كثيرة كتب لغوية للمشتغلين بالعلوم عامة والعاملين بفروع علمية او غنية خاصة وقد حان الوقت لاعادة شيء من ذلك باللغة العربية خاصة ونحن نجد كثيراً من المشتغلين بالعلوم ليس بإمكانهم الكلام أو الكتابة بلغة صحيحة خالصة من الخطأ .

ولا بد ان نذكر ان طلبة المدارس بعد انهاءهم احدى عشرة أو اثنتي عشرة من الدراسة ليس بإمكانهم - الا من ندر - التكلم أو الكتابة دون خطأ كبير ، كما ان كثيراً من طلبة الجامعات في الدراسات العلمية وربما الادبية هم كذلك . فلا بد من بحث وتقييم الطرق التي يدرس بها الطلاب اللغة العربية ، فهل الخطأ في اعداد الطالب ، أم في اعداد المدرس ، أم الخطأ في مادة وطريقة التدريس ، أم في الكتاب المدرسي ، أم الخطأ في أكثر من جهة واحدة .

4 - ولقد عملت لجان الاسول خاصة فسي جميع اللغة العربية في القاهرة ثم في جميع

المسمى المراقى على تليل بعض الصعوبات ، كما قام بعض الباحثين بقرء من ذلك وقد حتى القياس والاشتقاق واستعمال صيغ للدلالة على الامراض او الحرف او الآلات ، ولكن العربية ما زالت تحتاج الى كتاب فى النحو والصرف يحتوى القواعد العامة ويتجنب التواء ، ويوجد باللغات الاجنبية كتب من هذا النوع تتدرج مع الطالب ، او تكتب لمعلمى اللغة من الاجانب .

لقد جرت محاولات لتسهيل النحو وتيسيره ولكن الذى نحتاجه هو كتاب لطلبة العلوم لا لطبة قواعد اللغة .

5 - يضاف الى ما تقدم توضيح الاملا بحيث لا يترك مجالاً للخطأ مثال ذلك تنقيط الياء لتفريقها عن الالف اليائية مثل المصطفى والمصطفى ، اذا لم يكن ثمة مجال لكتابة الالف المقصورة الفا قائمة .

غير ان الدعوة الى اجراء تبديل فى الحروف العربية لا مبرر لها وقد تزدى الى قطع صلة الامة بماضيتها وتراثها . اما مشاكل الطباعة فلم تمنع النشر باللغة العربية منذ ان عرفت الطباعة، وحدها يكون عن طريق التطور التقني فى هذا الشأن .

6 - الاسلوب العلمى - ان عرض الفكرة العلمية يحتاج الى اختيار دقيق للكلمات واستعمال موفى للجميل ، وذلك يستوجب تحديد المصانى واستعمال الكلمات بوضوح بحيث يقل المجاز المرسل وغيره مما ينافى دقة التعبير العلمية ، وتقل الصيغ والتباير التى فيها مجال كبير للتأويل والتفسير ، ومن المسحسن ان يصار الى الاسلوب الموضوعي المجرد بدل الاسلوب الشخصى

ومن الضرورى ان تحتوى كتب الادب واللغة نماذج من الكتابات العلمية الى جانب التصور والنصوص الادبية الاخرى . وهناك مسألة النسية فى اللغة وضرورة الاستعانة بها لتحيين الدقيق كان ينسب بطرق مختلفة لتتدليل على صان مختلفة كان يقال فى النسية الى كلمة بيضة يبيض عندما تقصد البيضة ومشتقاتها ، ويقال يبيض عندما يقصد شكلها ، وكذلك النسية الى الجمع او المفرد للتفريق فيقال جرثومي عندما تقصد الجرثومة ويقال جرثومي عندما يقصد المختص يعلم الجرثوم .

7 - ان الاستعمال الدقيق للفردات يوجب بحث الترادف فهل هو مترادف صحيح ام ان لكل كلمة مدلولها المميز ، ام ان كل قبيلة كانت تستعمل كلمة دون اخرى ، وما يضيرنا فى اللغة العلمية اذا حددنا لكل من هذه الترادفات مدلولاً خاصاً . اما الاصداد فلا بد من اهلها .

ان تحديد المعنى الدقيق للكلمة يستوجب معرفة تطور استعمالها .

ولصرب لذلك مثلاً كلمة التعريب - فلتعريب معان متعددة اقربها الى ما نحن بصدده قول مجيد الدين الشرايى (الديروزابادى) فى القاموس المحيط (والتعريب تهذيب المنطق من اللحن) ، وفى لسان العرب لابن منظور قوله (وتعريب الاسم الاعجمي ان تنقوه عن منهاجها ، تقسول عربية العرب واعربته ايضاً) .

وفى المعجم الوسيط الذى اخرججه مجمع اللغة العربية التعريب الآتى (اعرب الاسم الاعجمي

وقد يكون في استعمال الحسابة في ذلك ما يسهل هذه البحوث *

٣٥ - ولأجل أن تتمكن اللغة العربية من مسايرة التطور العلمي والتقني فلا بد من اتباع السبل التالية :

١ - إيجاد مصطلحات موحدة تستعمل في البلاد العربية ، بماكانها مسايرة التطور السريع في العلوم *

٢ - استعمال الاسلوب الواضح الدقيق واللغة الصحيحة في التخاطب والكتابة والتدريس وإبعاد وسائل الإعلام كالإذاعة من غير ذلك *

٣ - تأليف المعاجم المتخصصة وقدر الف بعضها ، ومن المفيد تأليف معجم للتطور الحضاري لاستعمال الكلمات *

٤ - إصدار نشرات أو مجلات دورية باللغة العربية في مختلف العلوم تحتوي على البحوث الأصلية والتطبيقية إضافة إلى بحوث مراجعة المصادر والمستخلصات والخلاصات *

لنطق به على مناهج العرب ... وعرب الاسم الإجمعي عربي ... *

وعند هذه المصطلحات العلمية بحث «التعريب» بحثاً واسعاً وتقرر استعماله فقط عند الضرورة القصوى *

ولكننا نجد انه أصبح للكلمة مدلول آخر ، فأصبح الكلام عن (تعريب التعليم) مألوفاً ويقصد به التدريس باللغة العربية ، وكذلك اسم مؤتمراً هذا (مؤتمر التعريب الثاني) وكما سبق ان أنشئ (المكتب الدائم لتنسيق التعريب) وأصدر دراسات وإبحاثاً عديدة *

٨ - على أن تسمي اللغة العربية للعلوم يجب ان لايدع مجالاً لتسلسل التسمية أو الركة الى اللغة الصحيحة ، فهناك درجات من البلاغة فيجوز استعمال البليغ مع وجود الأبلغ وكذلك هناك درجات كامية من المعرفة بتواعد اللغة وأصولها لتؤدي الى اداء صحيح بها كتابة أو تكليماً *

- ان استمرار البحث العلمي في اللغة واستنباط القواعد الشاملة من الأمور الضرورية ،



فما أضل اللغة العربية في القبر العلي

منذ أكثر من أحد عشر قرناً من الزمان وفي
عهد الخليفة المأمون على التحديد تقاطع المترجمون
على بيت الحكمة في بغداد ، ينقلون التآخــر
العلمية التي تركها الإغريق والفرس والهنود
والسريان والقيط وغيرهم إلى اللغة العربية وضمج
الخليفة العالم هذه الحركة العلمية العارمة فكان
يولي العلماء عطفه ورعايته كما فتح لهم خزائن
المال ، يفتح عليهم منها ، استحدثوا منه لهم على
نقل هذا التراث إلى اللغة العربية وكذلك تم نقل
هذا التراث الضخم في الطب والفلسفة والمنطق
والاخلاق والسياسة والفلك والرياضيات والتشريع
والنبات والحيوان وما إليها من علوم لم يكن
للعرب بها عهد *

د. عبد الحليم شمس
عضو مجمع اللغة العربية
- القاهرة -

بحث قدم إلى المؤتمر الثاني للدراسات المعقود بالجزائر من 22 إلى 26 ديسمبر 1973

بأعشرات ولكن بالمئات - وتساء هذا العصر أعظم العلماء في كل عصر وأن وما هي ذي تكليفهم ومخطوطاتهم تزدان بها نور الكتب والمناقب - مما يعد بمئات الألوف مما يحتاج تحقيقه وعرضه إلى جهود حربية من أولى العزم من العلماء ليتمكنوا على دراستها وتحقيقها وعرضها ملخصة ومفصلة وقد انصفتا بعض مؤرخي العلم حين قالوا إن الحضارة الإنسانية مدينة للعلماء العرب في كل فروع المعرفة وأنه كان لا بد من ظهور ابن الهيثم والصوفي والبيروني والمكثي لكي يتسنى ظهور جاليليو وكير وكوبرنيك - وأنه لولا أعمال العلماء العرب لاضطر علماء النهضة الأوروبية أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ولتأخر سير المدنية عدة قرون وأنسه لو لم يوفقنا المقول والتأخر والتسرب والاستعمار لكانت هذه النهضة التي تغاخر بها أوروبا تكون من نصيب الأمة العربية وتكون لغتها هي العربية وتتقدم عليها في التاريخ عدة قرون -

ولا شك أن القارئ مؤلفات ابن سينا وابن الهيثم والبيروني وجابر والخوارزمي والرازي وابن النفيس والزهراني والصوفي وابن يونس وابن العوام وغيرهم ليشمكه الإعجاب والاكبار بأسلوبهم العلمي الأخاذ ولغتهم العربية المسية التي كتبوا بها في الفلك والرياضيات والشعر والهندسة والجبر والطب والكيمياء - لقد طوعوا الحرية لمصطلحات هذه العلوم الطبيعية المختلفة حتى قال المنصفون إن التنوع الأول للعلوم الطبيعية إنما تغير في العصر العربي الإسلامي الذي أزدان بأعمال من شكري -

وإن الأيام مول كما يقولون فضعت أم الأمة العربية بعد أن قدمت لأوروبا زاد نهشتها العلمية

وليس من شك في أن تلك كانت نقطة بدء النهضة للانطلاق وغنت بغداد مركز إشعاع علمي حضاري تاهت به على حوافر تلك العصر ودانت الحضارة الإنسانية ليعداد المأمون وغدا الخليفة المأمون رمزا للملك الحالم - وجسج حوله جمهرة من العلماء علا بهم بلاطه وزين ملكه نفلوا له روائع إقراط وفيناغورس وأفلاطون وأرسطو وبطليموس وجالينوس وديسقوريدوس وأقليدس وأرخميدس وغيرهم من علماء أثينا والإسكندرية -

وعرفت الأمة العربية طلب إقراط وفلك بطليموس وهندسة أقليدس وقساروا جسطي بطليموس - وأصول أقليدس وجامع أوريباسوس، ومثأت بل الوفا من كتب أرسطو وجالينوس وثاؤون ومهيدون وغيرهم من رواد العلم في العصرين الإغريقي والإسكندري وسمعت العربية الجومطريا والأسطرولوجيا واليقافيريقا والأريثماتيكا والماتيماتيا ومصطلحات التفسير والهندسة والفلك والطب والرياضيات وما إليها - واستعرت الحركة العلمية في النمسو والأزدهار وشملت العواصم العربية كلها من بغداد إلى دمشق إلى القاهرة إلى مراكش إلى الأندلس إلى الجامع المنصور والجامع الأموي والجامع الأزهر وجامع القيروان وجامع قرطبة وفي بيت الحكمة ودار الحكمة ودار العلم - فكانت هذه تلك تؤدي ما تؤديه الجامعات ومجاهد العلم في الوقت الحاضر، وكانت منازل العلماء وقصور العلماء والإسراء والمساجد ودور الكتب تزدان بمجالس العلم والأدب وأمتعت الأبراطورية العربية والإسلامية من حدود الصين شرقا إلى حدود فرنسا غربا وأكب علماء المسلمين على التأليف بلغة عربية سليمة حتى كانت أعمال العلماء منهم تسعد بالاحاد ولا

التدريس هي الأجنبية ، ولم يكتب بأن يكون ذلك في المعاهد العليا وحدها ولكن عم ذلك في المدارس الابتدائية والثانوية فاستقر في أذهان الكثرين أن هذه العلوم مستوردة هي الأخرى من الخارج وأنه لم يكن لنا بها عهد ، وتأسى الكثرين أنها بشاعتنا ترد إلينا وإن العلماء العرب هم واضع أسس هذه العلوم وهم مبتكر كثير من أجهزتها وأدائها بل ومصطلحاتها أيضا *

ومنذ أوائل القرن العشرين عانت اللغة العربية مكانتها في التدريس في المدارس الابتدائية والثانوية ، كما اشتمت في مصر الجامعة الأهلية وكانت مقصورة على كلية الآداب كما انشئت معاهد عليها كثيرة وفي أواسط عشرينيات هذا القرن ، انشئت الجامعة المصرية الاميرية وكانت تتكون آنذاك من أربع كليات هي الآداب والحقوق والطب والعلوم وكانت العلوم هي وحدها التي انشئت انشاء في ذلك الترخيم لم تكون متحولة عن معهد أو مدرسة أخرى ، وضمت إليها بعد ذلك كليات أخرى ، ثم انشئت في أوائل الأربعينات جامعة الاسكندرية ثم جامعة عين شمس في سنة ١٩٥٠ ، وتتابعت الجامعات في مصر بعد ذلك في اسبوط وطنطا والمنصورة والزقازيق كما تتابع انشاء الجامعات في كثير من البلدان العربية في العراق : في بغداد والموصل ، وفي سوريا : في دمشق وحلب وفي الاردن في عمان ، وليبيا وتونس ، والجزائر ، والمغرب ، والكويت ، والسعودية وغيرها * كما انشئت الجامعات للغوية في القاهرة وبغداد ودمشق للمحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها مسايرة للنهضة العلمية * ومن أسف أن اللغة العربية لا تزال وتبده الخطر لتكون لغة التدريس في الكليات العملية خاصة باستثناء جامعة دمشق *

عن طريق الانسلاخ التي سطعت فيها الحضارة العربية الاسلامية عدة قرون وعن طريق صقلية التي دانت لحكم العرب بضعة قرون ، وعن طريق الحروب الصليبية ثم عن طريق الامبراطورية العثمانية في شرق أوروبا وظلت كتب من نكرنا من العلماء العرب هي للأرجح المعتمدة في جامعات أوروبا طيلة قرون وانشئت الجامعات الأوروبية على غرار جامعة الأزهر الشديدة وترجمت الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية واللغات الأجنبية الأخرى و سطعت شمس الحضارة العلمية على أوروبا في حين انحسرت عن الأمة العربية *

* * *

وفي أوائل القرن الماضي بدأت الاتصالات بين بعض النوايا الأوروبية وبعض البلدان العربية كان هدفها الأول حربيا استعماريا ، لم يكتب لها فيها نصر ولم تتحقق أغراضها منه ولكننا شحقت اتصالات علمية كان من نتائجها نقل العلوم الحديثة إلى البلدان العربية وانشاء بعض المدارس الحديثة وارسال البعثات العلمية إلى أوروبا ، وعاد هؤلاء البعثون ليقودوا نهضة علمية حديثة * ومنذ أوائل القرن الثامن عشر انشئت في مصر مدارس انطب والهندسة والمعلمين وغيرها من مدارس وشارك علماء من اساتذة هذه المدارس من الاجانب والمصريين في ترجمة امهات الكتب العلمية إلى اللغة العربية ان في الطب أو الهندسة أو الزراعة أو الصيدلة أو انكيميا وما إليها من علوم وفنون * وكان الحكام يلزمون طلاب البعثات بنقل هذه العلوم إلى اللغة العربية وأن تكون للغة العربية لغة التدريس في هذه المعاهد *

وفي أخريات القرن الماضي عاد الاحتلال ينشر ظله الثقيل مرة أخرى ، وشيئا فشيئا جعل لغة

الطبية والصيدلية والهندسية والعلمية العربية في كل رجا من أرجاء الوطن العربي من أقصى شرقه إلى أقصى غربيه تحت راية لغة الضاد - ليعان عن حيويته الكامنة وليقود الانتمائية مرة أخرى إلى رحاب العلم والرفاهية والسلام وأنه على ذلك التقدير ما اتحد من العلم هاديا وأماما وما رفع راية لغة إخصان يعطها من مقومات ثقافته وحضارته ، بل وكيانه ، ولا مرأ في أن أؤلى مراتب الثقافة الرفيعة علم المرء بلفته ، وقدرته على التعبير والإبداع العلمى فيها في كل مصرف من مرافق الحياة .

ولا مرأ في أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة - وقد عاصرت زهاء ثلاثين عاما - أعظم خدمة تعريب لعلم إذ خصص جانبها غير يسير من وقته وجهده لترجمة المصطلحات العلمية إلى اللغة العربية بعد أن جند لها الخبراء من الاساتذة المتخصصين . كان يجتمع بهم أعضاء المجمع في لجان واجتماعات تعقد بصفة منتظمة لهذا الغرض ثم يعرض ما مقدره اللجان على أعضاء المجمع مجتمعين في صورة مجلس ثم تعرض مرة أخرى على هيئة المجمع في صورة مؤتمر حين يقعد المجمع مؤتمره السنوى ليناقش ويقر ما أنجزه المجلس من أعمال مثيلة العام فكان مرور المصطلح والتعبير العلمى بهذه الخطوات جميعا كسبيلا يصفقه وحسن صوغه .

وقد أثر مجمع اللغة العربية الوفاء المصطلحات والمعبيرات العلمية في مختلف فروع العلم ، نشر منها حتى الآن نحو خمس عشرة مجموعة تضم بضع عشرات من الوفاء المصطلحات ، فضلا عن عدد غير قليل منها يتضمّن المعجمان اللذان يصدرهما المجمع ، وهما الوسيط والكبير .

وقد آمن الكثيرون أن التدريس إنما كان بلغة اجنبية ضرورية مؤقتة لم يكن معدى عنها وأنهم ليبرقيون اليوم الذى يعم فيه اتخاذاً العربية لغة العلم ، فالعربية لم تقصر عن اللحاق بركب العلم إنما قصير ابتائها .

وفي أوائل الثلاثينيات صدرت في مصر مجلة علمية باللغة العربية وفيها دعوة صريحة لتحقيق هذا الهدف ، وكان العدد الأول يمس استفتاء بين كبار أعضاء هيئة التدريس وكلهم يجمع على تحقيق ذلك الهدف . وتكونت جماعة أطلقت على نفسها اسم جماعة انصار اللغة العربية كان هدفها تحقيق هذا العلم وتدريب أعضاء هيئة التدريس والطلاب معالجة الموضوعات العلمية بلغة عربية سليمة ، يتناولون في محاضراتهم ومقالاتهم أحدث الموضوعات العلمية من كيميائية وبيولوجية وطبية وصيدلية ونباتية وحيوانية ورياضية وهندسية وبلبية بلغة عربية لا هجة فيها . لقد حدث كل ذلك آنذا في كلية العلوم بالجامعة المصرية وكان للانجليز في ذلك الوقت سلطان ودولة ، لا في السياسة فحصب بل في العلم والتعليم كذلك - ومع ذلك فقد توارى لدى الكثيرون من أبناء العربية من القوة والشجاعة ما جعلهم يتأخرون بتعريب العلم ، وأنى لاسجد لله شكرا أن ضحت حتى أرى فجر هذا اليوم يبرّز وما أشك في أن ضحاء قريب ما دنا نعمل هذه القلوب القوية والعزمات العلية ، وما دام أبناء العربية ، في أرجاء الوطن العربي يستنهفون وحدته ورفيقه وقوته ومثاقه ليكون وطننا كريبا يسعد ابتاده ويشرف ابتائوه بالانتماء اليه .

وهاهم العلماء العرب يتزايد عددهم يوما بعد يوم يحاولون أن يعمدوا مجد أسلافهم من أمثال من ذكرنا وهاهم أولا يعقون المؤتمرات

علم وفن ويسمى ما وسع الاقدمون من استعمال
ارثماطيقا وميتافيزيقا وجومطريا واسطرونوميا
وغيرها »

وإذا نحن اتفقنا على الترجمة العربية لكلمة
قلعه من الواجب توحيدها وتعميم استعمالها في
الافتقار العربية ، بل التزام هذا الاستعمال وإذا
ترجمنا ميكروسكوب فهل تستعمل مجهر بصيغة
اسم الفاعل أو مجهر بصيغة اسم الآلة أو نقول
محمار على وزن مفعال ؟

وإذا نحن ترجمنا كلمة ترمومتر فهل نقول ميزان
الحرارة أو نستعمل اسم الآلة فنقول « محرار »
على وزن محمار أو نبقى على ترمومتر تقريبا فهذا
كما نرى أمرا محيرا ، تختلف فيه الآراء وتباين
في الأدواق .

توحيد الترجمة العربية للمصطلحات

وهناك أوجه خلاف بين الدول العربية والمثقفين
العرب بشأن هذه المصطلحات فالعراق والأردن
ومصر لوئتهم الثقافة الانجليزية حينما فتأثروا بها .
وسوريا ولبنان وقطر والجزائر ثقافتها فرنسية
فتأثرت مصطلحاتهم العلمية بالأصوب الفرنسية
لكلمات ، فلا بد لنا إذن من الترجمة ثم توحيد هذه
الترجمة - ولنضرب بعض الأمثلة لهذا التباين
في التعبير العلمي في بعض البلاد فعلم الطبيعة
كما نعرفه في مصر يسمى في سوريا والعراق
والأردن ولبنان « خيزياء » ، والأولى ترجمة الثانية
تعريب على أن التعريب ليس كاملا أو صحيحا
فالمتعريب الصحيح هو « فيزيقا » كذلك استعمله
العلماء الاقدمون كما استعملوا ارثماطيقا لحساب
وماثيماسيقا للرياضيات وجومطريا للمهندسة وهكذا
كلمة خيزياء لم تلتزم فيها العربية المسمى ولا

وقد ذهب فريق من المثقفين بهذه المسألة الى
أنه لا بد من ايجاد جذور عربية للكلمات
والمصطلحات المراد ترجمتها والتعبير عنها ، وأنه
لا ينبغي أن ندس العربية بعجمة أو لكّة وانسا
تبقى مصفاة مطهرة . وقد يبدو هذا الرأي وجيها
لولا أن هناك استحالة في تنفيذه أو الاخذ به على
أية صورة . فالمصطلحات العلمية في تزايد مستمر
بسل أنها للتكاثر كما يتكاثر الانسان والنبات
وانحجران ، فيزيد عندها يوما بعد يوم وسنة بعد
أخرى حتى أصعب مجرد حصرها مشكلة تعترض
الفنيين والمختصين وأضحت دور البشر تخرج
علينا بين حين وآخر بمعاجم تتفاوت حجوما
واشكالا ، وتختلف في لغاتها وطرائقها ، فمنها ما
يصور بلغة واحدة ، ومنها ما يصور بلغتين ،
ومنها ما يجمع بين ست لغات أو أكثر . فملاحقة
هذا التكاثر بلغة عربية أصيلة يبدو مستحيلا
لأسباب ، ليس أقلها شأننا أن العرب لم تكن تعرف
هذه الموضوعات وأن هذه العلوم حديثة حتى على
العربيين وأن الكثير منها إنما راجى النور وعرفته
الإنسانية في مالمع هذا القرن ، بل يبعد أن
تصنف فمن أين تأتي الجذور العربية لهذه
استحداثات واستعربات والنظريات التي لم يكن
للعرب بها علم .

إننا نكلف العربية بسلطا ، ونكلف أنفسنا جهدا
لا نأصل تحته أن نحن صممنا على التنقيب في
بطون المعاجم عن أصول عربية للميكروسكوب
والترمومتر والالكترون والبيثرون والميزون وما
اليها مما يعد بعشرات الألوف ، فما علينا إلا أن
نبحث ونناقش فإن اسمفقتنا المراجع يميئنا ، فيها
ونعنت ، والا فلي التعريب متسع لهذه الألوف
المؤلفة من المصطلحات والتعبيرات العلمية في كل

ونقول مقنطيسية تعريباً لكلمة *Magnetum* فعرينا الجاف بالجم حيناً وبالفين حيناً آخر .
ونحن نقول أبجروسكوبى وآخرين يقولون
أبجروسكوبى *** وهكذا .

وليس الترجمة العربية للمصطلح جامدة أبداً فما أيمر أن نتبين أن هناك ترجمة أو تعبيراً أفضل حتى نعدل عن الأول إليه ، فلم تكن الترجمة جامدة أبداً ، فقد كانت الترجمة تعرض فى المقالات والبحوث وللتراسات فيصقلها ويصحبها الذوق العام والاستعمال . ومن أمثلة ذلك ترجمة المصطلح الذى يدل على درجة تسكين أيون الأيدروجين ويرمز له بالفرنسية بالرمز *pH* ، فقد سمى أولاً - الجهد الأيدروجينى ثم الأس الأيدروجينى ثم عدل أخيراً إلى « الرقم الأيدروجينى » .

وكذلك تلك الظاهرة التى سميت حينها « انمصاص » ثم عدل عنها إلى التجمع المصطفى وهى ما تسمى الآن « امتزاز » ترجمة لكلمة *Adsorption*

ومصطلح غروى اتخذ ترجمة لكلمة *Colloid* ثم عدل عنها إلى شبه غروى ثم إلى غروانى . وكذلك سمى *Alkaloid* عربيت حيناً إلى قلوي ثم ترجمت إلى شبه قلوى ثم إلى قلوانى ، وهكذا .

« مصطلحات فى علم الطبيعة »

وهناك مصطلحات مقاربية المعنى مقاربة الحلول لا بد من تعريفها تعريفاً دقيقاً ، ولا بد من وضع الترجمة الصحيحة لكل مصطلح يقيم بها عن المصطلح الآخر فالمعانة والمعارفة ، والمقاربة قريبة فى معناها ولكن ملولاتها متفارقة فترجمت :

المعانة ترجمة *Reliance* إلى

التعريب السليم ولا هيب فى كلمة طبيعة إلا احتمال التشبيه مع *Nature* التى تترجم بنفس الكلمة « صبيعة » .

ونحن نقول فى مصر كما يقول أهل العراق يؤرة الدمنة ولكن الاقطار الأخرى تقول « المعركة » ونحن فى مصر نقول بنول الساعة تعريباً لكلمة *Pendulum* وفى العراق يقولون « وقاص » وفى سوريا « نواس » وفى الأردن « خطار » فينبغى أن تختار الدول العربية ترجمة واحدة للمصطلح الواحد .

وفى مصر والعراق تطلق كلمة « طحلب لتدل على *Alga* على حين أنهم فى سوريا ولبنان يقولون « أشنة » أما أشنة فنستعملها فى مصر لكلمة *Lichen* على حين تقول الاقطار الأخرى طحلب .

وكلمة *Endosperm* عربت فى مصر إلى انسبرم وترجمت فى بعض البلاد العربية الأخرى إلى سويداء .

وكلمة *Ecology* ترجمت فى مصر إلى علم البيئة وفى أقطار أخرى إلى علم المحيط و« قسيلة » *Rosaceae* ترجمت فى مصر إلى سبجة نسبة إلى اسم النبات الذى اشتق منه اسم الفصيلة واستعملت الاقطار الأخرى ليمونية نسبة إلى أشهر نباتاتها .

وكلمة *Nucellus* ترجمت إلى « جويذة » فى البلاد العربية وعربت فى مصر إلى نويصلة .

وكلمة *Microphyte* ترجمت إلى نغير فى مصر وفى البلاد العربية إلى بيريوب . - ونحن فى مصر نقول « جرام » تعريباً لكلمة *Gram* الإنجليزى ونغيرنا يقولون « جرام » .

وهي النسبة بين شدة التمدد إلى شدة المجال المغنطيسي في الدائرة المغنطيسية

المفاعلية ترجمة لـ Reactivity
والمعاوقة ترجمة لـ Impedivity
والموصلية ترجمة لـ Conductivity

وهي خاصية للمادة بفعلها تسمح بلفيار الكهربائي بأنور خلالها * إذا كان هناك فرق جهد وهي مقولب المقاومة *

وكذلك تتقارب معاني الانحلال والتدهور والفساد والتفتت والتحلل وقد ترجمت على هذا النص:

انحلال Dégénération
تدهور Défrication
هدم Destruction
تفتت Disintégration
تحلل Analysis
فساد Decay

« مصطلحات طبية »

وايكثر صيغ قياسية كثيرة في المصطلحات الطبية ، كان ثقرر عصاب ترجمة للمصطلح Neurosis

وهو مرض عصبي وظيفي ، تصحبه علامات عضوية ، ومن انواعه :

(أ) عصاب القلق Anxiety neurosis
(ب) عصاب اصابي Traumatic neurosis
(ج) عصاب قلبي Cardiac neurosis
(د) عصاب كلالي Fatigue neurosis
(هـ) عصاب متأخر Neurons tarda
(و) عصاب انحصاري قسري Obsessive Compulsive
(ز) عصاب مهني Occupational neurosis

والمقاومة Réistance
والمعاوقة Impédance

تسم المجاوزة والمهادرة والمسايرة قريبة في معناها ، ولكن مدلولاتها متقاربة فترجمت :

المجاوزة ترجمة لـ Permittance
والمهادرة Susceptance
والمسايرة Admittance

ثم المفاعلة ، والمفاضة ، والمواصلة ، والمحنة قربية في معناها ، ولكن مدلولاتها متباينة فترجمت :

المفاعلة ترجمة لـ Réaction
والمفاضة Permédance
والمواصلة Conductance
والمحنة Inductance

ثم ابتكرت صيغ جديدة لم تكن تستعمل كثيرا كالمصدر الصناعي فنقول :

المخاضية ترجمة لـ Relativity

وهي مقدار قابلية المادة المغنطيسية لتوسيع لبعض المغنطيسي وهي مقولب النفذية

والمخاضية ترجمة لـ Permésibilité

وهي النسبة بين كثافة الفيض المغنطيسي المنتج في وسط ما إلى القوة المغنطة المنتجة له .

والمجاوزة ترجمة لـ Permittivity

وهي النسبة بين الاذاعة الكهربائية لوسط ما إلى القوة الكهربائية المنتجة له

والمقاومية ترجمة لـ Resistivity

وتعني المقاومة الحجمية للمادة ، ويقصد بذلك مقاومة جرم من تلك المادة طوله الوحدة ومساحة مقطعه الوحدة تسمى أيضا المقاومة النوعية *

والمخاضية ترجمة لـ Susceptibility

وكذلك قول من المريض الجلدى - جلد

Dermatosis

وعن مرض أصدفية ، صدف
 ونقول بواغ الشعر
 زبورام الزمى
 ويطار الشعر
 وعقاد الشعر
 واسراق اللصن
 والفرق القصفورى
 اصمعام
 وترجم الى الصم الجسمى مصطلح
 وهو القصور عن تمييز الاشياء ونواعه :

أ) عمه بصمى
 ب) عمه بصرى
 ج) عمه لمسى

وترجم الى - - - الحركى المصطلح
 Apraxia agnosia

وهو عدم القدرة على الاتيان بحركة ذات قصد
 وهناك عشرات من الامثلة لهذه المجاميع من
 الكلمات او المصطلحات التى تتقارب فى معانيها
 وتتفاوت فى دلالتها ومن اسف ان المراجع الاجنبية
 كثيرا ما تستعمل الكلمة الواحدة لاكثر من معنى
 وحلول . فكان على المترجم ان يحتاط كذلك ، ومن
 حسن حظ العربية انها غنية جدا بالترادفات وان
 فقها من اغنى لغات الارض بالمحولات والالفاظ
 والاقوية ، وكانت الطريقة الوحيدة هى جمع هذه
 الاشياء وتبسيط الاضراء عليها واستنباط
 المحولات الحقيقية لها والغوص فى المعاجم
 لاستخراج الكلمة اللائقة وتعميم الاستعمال
 والتراسه .

«الوحدات والرموز والثوابت»

وهناك صعوبة الوحدات والمواصفات والمقاييس
 واستعمال الرموز المناسبة لكل وحدة ، وتميزت
 اللغات الاجنبية بالمخطوط المتغيرة ، فابروماتى
 والاغريقى والايطالى والخفيف والثقيل والكبير
 والصغير لكل صورة مما جعلنا نحصل على مئات
 الصور للحروف الايحدية ، ومن حسن الحظ ان
 الخط العربى هو ايضا متعدد الصور فهناك
 النسخ والرقمة والمثلث وما الى ذلك نجد مثلا
 هذه الصور :

الكاف	ك	ك	ك	ك
الميم	م	م	م	م
النون	ن	ن	ن	ن
الجيم	ج	ج	ج	ج
المصين	ص	ص	ص	ص
القاف	ق	ق	ق	ق
الياء	ي	ي	ي	ي
الراء	ر	ر	ر	ر

فكان علينا ان نؤلف بين هذه الحروف لنجد
 الرموز الكافية لمئات لوحدات والمقاييس
 واعتاصر ، فهناك رموز للثوابت مثل ثابت سرعة
 الصوت ، ثابت ، فوجاسرو ، ثابت فراداي ، ثابت
 شحنة الالكترونات ، ثابت الجاذبية ، وثابت بكتلة
 الالكترون .

وهناك وحدات المقاييس من طول وعرض
 وارتفاع ونصف القطر والزاوية والمساحة
 والحجم .

وحدات الوقت والوزن والتردد والمروعة
 وطول الموجة والاتساع والكثافة والمزم والشغل
 والقوة والوزن والضغط والطاقة والقدرة والكفاءة
 والشد والني والاحتراق والانتراء والاحتكاك

والتورك (عزم النوران) والوقت ومعامل الانتقال وثابت سرعة التفاعل يرمز لها بالحرف «ت» *

وعدد أفوجا ذرو والزمن وثابت الدوران وعدد اللغات الجزيئات والسعة الحرارية للجزيء وعدد الانتقال ووحدة نيوتن كل ذلك يرمز له بالحرف «ن» *

وهكذا من عشرات الأمثلة أختي يرمز فيها بالحرف الواحد لعدد كبير من الأحداث والثوابت والمعاملات وما لها من وحدات ومقاييس عالمية معيرة ينبغي أن تسود لها مقابلات بالأحرف العربية فضلا عن أن الحرف الواحد قد يرمز إلى أكثر من عنصر كيميائي واحد فالزئبق والأزوت والزرنيخ قد يكون رمزها جميعا « ز » فضلا عن أن حرف «ر» نفسه يرمز به لعدد آخر من الوحدات مثل وحدة إزاحة التيار ومعامل الأسمنز وما أشبهه *

لذلك كان لا بد من اختيار صور مختلفة للحرف الواحد فضلا عن ضرورة الجمع بين حرفين أو أكثر منها للمص وكذلك الأبقاء في بعض الحالات على الحروف الإغريقية كرموز بعض الوحدات العالية بـ «م» أو الرموز الرياضية حيث بدأ صعبا أحيانا إيجاد رموز من حروف عربية موحدة * ولا بد أن يعضى بعض السقوت حتى تكامل طريقة سوية مبررة من المآخذ بعد أن حصلها ويصحها ويسبغها الرأي العلمي العام والذوق العام وبعد أن سمينا المطابع والمساكن على إيجاد الصور المطلوبة للحروف وقد جربت صور مختلفة لضبوط التنسيخ والرقعة وانثلث والفارسي والكوفي بل وحروف الفتح التي أبدعت حيناً ثم عدل عنها *

واللزوجة والراء والتوتر والتيار والمقاومة والحد والسعة وانفيس والجهد والمقاومة والمناطة والمجازرة والمواصلة والأضائة *

ثم معاملات الانكسار والانحراف وبرجات الحرارة والتعدد والموصلية والعدد الثرى والوزن الثرى والتكاثر والتحلل والتأين *

ثم المتر والميستر والسنتيمتر والميكرون والميليلتر والثانية الدقيقة والساعة والميكسل والكيلو ميكل والجرام والميلجرام والكيلو جرام والسعر والكيلو سعر والواط والفلوط والامبير والجيول والفنديلة والكيلومب والفلوط كولومب والفلوط امسير والهينرى والغاراد والكسوى والميكروكسوى ، والبوصلة والقسم والياردة والجالون والحبة والواقية والباوند والبالوند والحصان ... الخ *

هذه أمثلة لوحدة لا تتجاوز المائة وهناك مئات غيرها لا يتسع المقام لتكرها عدا أكثر من مائة من العناصر الكيميائية ينبغي أن يتفق على رموز من حروف عربية لها * وقد قال قوم بالإبقاء على لوحدة والرموز الأجنبية إلا أن هذا الرأي قد رفض ورؤى التزام بالعربية والمعادلات الكيميائية رؤى تعريبها هي الأخرى ما دامت الرموز قدس عرت جميعها *

وتبين الصعوبة إذا عرفنا أن القدرة والقوة والقطر وقرة المجال المختلبي وأنقرة الدافعة الكهربائية والطاقة والدقيقة كل هذا وغيره كثير يرمز إليه بالحرف «ق» ولا بد من التمييز بينها فقد يقع أثنان أو أكثر في معادلة واحدة كذلك المساحة والسعة وستوكس وغيرها يرمز لها بالحرف «س» * والشددة والشغل والشحنة ومعامل الانتشار وغيرها يرمز لها بالحرف «ش» والتريد والتيار

وقد ازلت هذه الاسماء التي تنق عليها
واقرها مجمعا المؤثر ازلت حيرة كانت شائعة
لدى مؤلفي كتب المواليد ، واصبح اليوم كل اسم
عربي يدل اصطلاحيا على حقة واحدة من حلقات
التصنيف على سطر الاسماء الاعجمية المقابلة
مها وواضح ان اسماء حلقات التصنيف هذه تعد
من اسماء المائى ، وانها ترجمت الى العربية
ولم تكن الصعوبة في الترجمة ولكن في تخصيص
كل حلقة باسم عربي واحد راجع وهذا ما اقره
المجمع ، وهو قرار خليك بان يتيسر مها يكن
للبيض من آراء أخرى في هذه التسميات وذلك
لان فيه خلاصا من فرضي تعدد الاسماء لكل
حلقة واحدة من حلقات تصنيف المواليد *

وقد اقر المجمع القواعد الآتية في ترجمة
وتعريب اسماء المواليد والاعيان

الاولى ترجمة الالفاظ العلمية بمعانيها هو المجال
الاربع في حلقات التصنيف العليا وهي
الشعب والطوائف والرتب *

الثانية اسماء انقياس والفصائل النباتية ان
الحيوانية تكون عربية او معربة على حسب
اسم النبات ان الحيوان الذي تنسب اليه *

الثالثة اجناس المواليد التي ليس لها اسماء
عربية تعرب اسماؤها العلمية اذا كانت
متسوية الى الاعلام وترجم بمعانيها اذا
امكن ترجمتها في كلمة عربية واحدة
سائلة وان لم يكن ذلك ممكنا رجس
تعريبها *

الرابعة لا مجال للتعريب في الالفاظ العلمية
الدالة على انواع النبات لان جميع الالفاظها
ان معطيات نعت او صفات تترجم ترجمة
في جميع اللغات الحية *

وعلى الذين يقولون بالابقاء على الرموز
والمعادلات احروف الافرنجية ويضربون امثلة
على تلك باللغات الاوروبية المختلفة التي اتفقت
على الرموز نفسها في هذه اللغات فاتهمهم ان
الحروف في هذه اللغات جميعا متشابهة الى حد
كبير فضلا عن انها تكتب جميعا من اليسار الى
اليمن فاذا فرضناها في كتاباتنا وبين سطورتنا
العربية جاءت نشازا *

وفي علوم الحياة اقر مجمع اللغة العربية قاعدة
موحدة لتصنيف كما وضع قواعد لترجمة وتعريب
اسماء المواليد والاعيان ومن نبات وحيوان فاقر
حلقات التصنيف الآتية :

Kingdom	عالم
Sud Kingdom	عويلم
Phylum	شعبة
Sub Phylum	شعبية
Class	طائفة
Sud Class	طويقة
Order	رتبة
Sub Order	رتبية
Family	فصيلة
Sub Family	فصيلية
Tribe	قبيلة
Sud Tribe	قبيلة
Genus	جنس
Sub Genus	جنس
Species	نوع
Sub Species	نوع
	ضرب
Race	سلالة
Strain	صنفة
Individual	فرد

مجال البحث العلمي والكتابات العلمية يتعين
الاندواج وتكرار الاسم العلمي باللغة اللاتينية *

« في الجيولوجيا »

وفي المصطلحات الجيولوجية نستخدم العربية
بالفاظ تحدد الفروق الدقيقة بين درجات متفاوتة
من النور والظلمة والعمق والضمالة والمروحة
والمنوية والبرق والتفتت والتشقق والانفصال
والانقسام وما الى ذلك فاذا بها معطاء كاجزئ
ما يكون العلماء *

فنجذ الثور والنسق والدش والغبق والاضلام *
كما نجد السد ، والغائر والعميق والمحيق *
وفي مدى استجابة الصخور ورد العمل فيها
بالنسبة للحركات الارضية *

Jint, Jinting	*****	فاصل وتفصل
Fault, Faulting	*****	صدع وتصدع
Fissure, Faulting	*****	شق ، تشقق
Thrust, Thrusting	*****	بصرة ، وبسر
Cleavage	*****	تفلاق
Sliding	*****	انزلاق
Slipping	*****	تزلزل
Creeping	*****	زحف

وفي باب الطبي :

Fold, Folding	*****	طية وطى
Plicata, Plicating	*****	ثنية وثنى
Corrugation	*****	تعرج
Deme, deming	*****	قبة ، تقبيب

وفي درجات ملوحة الماء نقول :

Fresh water	*****	ماء عذب
Brackish water	*****	ماء مالح
Saline water	*****	ماء مالح

الخامسة يوجد مجال للترجمة أو التعريب جميعا
في الالفاظ الدالة على السلالات والاصناف
أو اشروب *

السادسة لا مجال للمخت ولا للتركيب المزجى في
تصنيف المواليد ولا حاجة اليهما وفي
اللجوء اليهما تشويه لغة العربية *

ومع ذلك فقد رأى المجمع ضرورة الاندواج اى
ذكر الاسماء العلمية اللاتينية في الدراسات العليا
وفي حالة احتمال اى ليس *

فمثلا لا مجال للتعريب في المقاريات والاسماك
والرمثيات والزواحف والطيور والثدييات في
رتب الحيوان . كذلك لا مجال للتعريب في غشائية
الاجنحة وحشفيات الاجنحة وذوات الجناحين
ونصفيات الاجنحة وما اليها من رتب الصفريات
وكذلك للنباتات الزهرية واللازهرية وذوات
العلقتين وذوات الفقرة الواحدة وكاسيات البذور
وعاريات البذور وما اليها *

فهذه جميعا ترجمات مقبولة مستساغة
فلا معنى للتعريب هنا مطلقا وكذلك نقول في
الفصائل النباتية النجيلية والنجيلية والزنبقية
والترجسية والسحلبية والخبازية وكذلك اسماء
الاجناس كالقمح والشعير والخرمل والقطن والورد
وما اليها *

اما النوع فينبغي ان دل على صفة بعينها ان يرف
الاسم المتفق عليه باللغة العربية بالاسم العلمي
كاملا ويتعين ذلك خاصة في الحالات التي تختلف
فيها المسميات فالبطاسس في مصر هي البطاطا
في سوريا . والخرخ هو القراق والكثير هي
الاجاص . بل ان الديس والبريط والبردى اسماء
مختلفة لنبات واحد ولكنه يعرف باسماء مختلفة
في الجهات المختلفة ففي كسل هذه الحالات وفي

اطول مراحل العصر في الزمن الجيولوجي ويقاس مداها ببضعة ملايين من السنين (لا يتجاوز العشرة عادة) ويتميز كل حين من الأحيان الجيولوجية بفصائل اجناس حيوانية ونباتية مميزة يبيد معظمها مع نهايته * مثل حين الحياة القديمة *

٣ الحقب : Penod

الدة من الزمن ترسبت اثناءها صخور المجموعة - وتقر بمئات الملايين من السنين مثل الحقب الكربوني *

٤ العصر : Age

اطول مرحلة من مراحل الحقب ويقاس مداها بمئات قایل من عشرات الملايين من السنين * ويتميز كل حقب برتب وفصائل حيوانية ونباتية تفرض عليها أو تقل أهميتها الجيولوجية مع نهاية الحقب

ولم تسمح وسائل تقسيم لاحقاب الى عصور الا في الاحقاب الثلاثة الأخيرة فقط التي تتبع دهر الحياة الظاهرة *

٥ البرهة : Herero

مرحلة من الزمن الجيولوجي يقاس مداها بمئات الآلاف من السنين ويندر ان يبلغ مداها أكثر من مليون سنة * وهي اطول مرحلة ينقسم اليها حين من الأحيان الجيولوجية ويتميز بآرديمار نوع معين أو عدة اسواع معينة من الحيوانات أو النباتات تنقرض أو تقل في الأهمية الجيولوجية كثيرا مع نهايتها *

٦ اللحظة : Moment

اقصر مراحل الزمن الجيولوجي واصغر وحداته ولا يتجاوز مد ما يضع عشرات من الآف

Hypersaline water	ماء زعاق
Brack water	ماء اجاج
		وهي باب ما يشبه
Colloid	غسراواتى
Crystalloid	بلورائى
Metalloid	فلزائى
Saccharoid	سكرائى
Spheroid	كروائى
De.roid	دلتائى

وفي موضوع البرى والصح والتحات والتاكل نقول *

Abrasion	البرى و الصح
Erosion	احصات
Corrosion	التآكس

ونقول *

Sialagmites	صواهد
		وهي اعدة من كربونات الكلسيوم ترسبت في ارضية الكهف بسبب بخر الماء متجهة الى اعلى :
Stalactites	وهوابط

وهي اعدة من كربونات انكسيوم مدلاة من سقف الكهف بسبب بخر الماء متجهة الى اسفل *

وهي صيغ عربية سليمة ما اطن ان الاقدمين قد استعملوها *

وفي مرتب ومراحل الزمن الجيولوجي نقول :

الدهر والحين والحقب والعصر والبرهة واللحظة *

١ الدهر : Eon

اطول مرحلة من مراحل الزمن الجيولوجي لا يقل مداها عن عدة مئات قد تصل الى الف او أكثر من ملايين السنين * مثل دهر الحياة الظاهرة

٢ الحين : Era

ولا ننسى المؤتمرات العلمية العربية التي نظمها الاتحاد العلمي العربي والمؤتمرات العلمية العربية والمؤتمرات الطبية العربية التي عقدت في المراسم العربية منذ عشرين عاماً ، فقد عقد المؤتمر الأول في الإسكندرية سنة ١٩٥٣ ، وكان الثاني في القاهرة سنة ١٩٥٥ ، والثالث في بيروت سنة ١٩٥٧ ، والرابع في القاهرة سنة ١٩٦١ ، والخامس في بغداد سنة ١٩٦٦ ، والسادس في دمشق سنة ١٩٦٩ ، والسابع في القاهرة سنة ١٩٧٣ . لقد عرّضت من بين ما عرّضت لموضوعات المصطلحات ولوحشت من بين ما لوحشت بضرورة الإسراع في وضع معجم علمي عربي موحد أعد به نحو مائة ألف مصطلح روجعت حيزاً ذات نحو ثلثها ، ومن أسف أن توقف العمل فيه وكان في كنف وزارة البحث العلمي ثم أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا .

وكذلك عقدت مؤتمرات طبية عربية كثيرة كوئت هيئة لترجمة المصطلحات كانت نواة لتأليف لجنة المصطلحات الطبية بمجمع اللغة العربية .

وينبغي أن نذكر بالشكر جهوداً أخرى بذلتها جامعة الدول العربية حين جمعت الإدارة الثقافية بها - المصطلحات العلمية التي تسعمل في المدارس الثانوية وعملت على توحيد ترجمتها في الأقطار العربية فجمعت مئات المصطلحات مما يستعمل في الرياضيات والكيمياء والطبيعة والنبات والحيوان وعرضتها على المختصين في البلاد العربية وقد أقرت الترجمة المصرية الموحدة في المؤتمرات العلمية .

« خيمو أجينسي »

ولعلنا أن نذكر في هذا الصدد جهود خبير أجينسي هي السيد « جميل » الذي استقدم بمعرفة

السنتين ويتميز بسيادة نوع معين من الكائنات خلافاً أو بمرحلة معينة من تاريخ هذا النوع .

« جهود مجمع اللغة العربية »

وإذا نحن عرضنا للهيئات التي كان لها أفضل في هذه الحركة المباركة من تطوير لغة العربية للاستعمال في التعبيرات والمصطلحات العلمية فالتأني للضع على رأسها مجمع اللغة العربية - فهو الذي يسر الأمر بجهود أعضائه وخبرته من اساتذة الجامعات المتخصصين فهم جميعاً قوم عاكفون على صون اللغة وملائمتها وهي اشخاص الوحيد للثقافة الصحيح بين قطان الوطن العربي إذ إن العامية واللهجات المختلفة لا يستقيم بهط تخاطب ولا تفاهم وإنما يكون ذلك باللغة العربية السليمة التي يحاط عليها ويتميزها مجمع اللغة العربية بأعضائه ولجانه وخبرائه وكانت حصيلة جهوده في هذا المجال خمس عشرة مجموعة تضم عشرات الألوف من المصطلحات في العسليم المختلفة .

« المجمع المصري للثقافة العلمية »

وانذكر بانتقدير المجمع المصري للثقافة العلمية وقد عاصرته منذ إنشائه منذ ثيف وأربعين عاماً لا أنكر أنني تخلفت عن محاضرة من محاضراته أو مؤتمر من مؤتمراته إلا لعذر قاهر طارئ لقدس جعل من أهم أغراضه تعريب العلم ونشر الثقافة العلمية باللغة العربية . وقد حقق هذا الترخس كاملاً بما نشر وأذاع من كتب ومحاضرات وبما ترجم وعرب وناقش من موضوعات هي من صميم الموضوعات العلمية نشرها على الناس بلغة عربية سليمة لقد استحق أعضاؤه ومؤسسه كسل تقدير أن أسهموا بأوفى نصيب في خدمة اللغة العربية وتطويرها للتعبير العلمي .

وبعله قد أن الأوان لتتسبك هذه الجهود جمعا والعمل على إصدار معجم علمى عربى موحد وهو ما أوصت به المؤتمرات العلمية العربية المختلفة وكذلك العمل على إصدار دورية علمية عربية تكون مدرسة كبار المتخصصين لنشر الثقافة العلمية الرفيعة والموضوعات العلمية المتخصصة الدقيقة.

« خاتمة »

وبخلاصة القول أن اللغة العربية قد أثبتت قدرتها على التعبير العلمى وعلى نقل المصطلحات العلمية الدقيقة إليها وأنها قادرة على ملاحقة التقدم العلمى فى مختلف مجالاته لولا هذا التحريك الذى يأتى عن طريق نفر من أبنائها ولا يصبرون على أدائها يستعملون استعمال اللغات الأجنبية فيظن شبابنا أن هذه العلوم مستوردة من الخارج مع أنها بضاعتنا ترد إلينا ومع أننا نحن العرب أهل أصالة وأثالة فيها .

ومن الحق أن نقول أن التعليم فى كل بلاد اعالم باللغات العربية لذلك البلاد ، فيما عدا قلة ضئيلة تلك التى تعددت فيها اللغات الإقليمية أو التى خضعت للاستعمار الأجنبى ربما طويلا ، فاضطرت لاتخاذ لغة المستعمرة لغة رسمية وتعليمية لها .

ونحن فى وطننا العربى لا نستطيع أن نحقق ديمقراطية التعليم ما لم يكن باللغة القومية ولمت ادرى لماذا لم تكن العربية هى لغة التدريس فى اجامعات العربية ؟ فماذا يتمسبن أن تكون الانجليزية أو الفرنسية ؟ أن استعمال اللغة العربية فى التعليم الجامعى إنما هو وسيلة لتكيدة للإبداع العلمى وربط الجامعة بالمتجمع ورفسح المستوى الثقافى والعلمى للامة العربية ومنع

البيتسكو ايان انعقاد المؤتمر العلمى العربى انثانى سنة ١٩٥٥ ، وامضى بمصر سنة أشهر عكف فيها على جمع نحو ألف وأربعمائة مصطلح فى علم الطبيعة جميعها وتعريفها من المعاجم المصيرة وفرقها فى جذافات وزعت على المختصين لترجمتها ، ثم جمعت فى كتاب يقع فى جزأين عرضت بعد ذلك فى المؤتمر العلمى العربى الثالث فى بيروت . وقد اشار الضير بمعالجة المصطلحات جملة حسب الموضوعات لأقراى حسب الترتيب الإيجسدى كما اشار بانشاء مكتب خاص للمصطلحات وباستعمال النظام المفرى العالمى فى تصنيفها وتبويبها .

« مكتب التعريب »

وما هو ذا مكتب التعريب يقوم بدوره فى هذا المجال وقد أخرج حتى الآن عددا من المجموعات التى تضم الوب المصطلحات .

« معاجم مختلفة »

ولعلنا نذكر كذلك عددا من المعاجم كان لها أثرها فى تذليل الصعاب مثل معجم شريف للمصطلحات الطبية والعلمية ومعجم المألوف للحيوان ومعجم حيسى للنبات ومعجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهاوى ثم معجم المصطلحات العلمية والفنية الذى يضم نحو من خمسة وثلاثين ألف مصطلح فى العلوم الميكانيكية والهندسة والرياضة والطيران والبحرية وما انيا .

وهناك المعجم المسكوى الموجد الذى اشرفت على إصداره جامعة الدول العربية ويضم نحو ثمانين ألف مصطلح .

٣) أسماء ميسوان المترجمة تحشد له أرقى انكشافات العلمية لنقل البحوث والكتب العلمية إلى أسلحة العربية *

٤) تأكيد العناية بتدريس اللغة العربية واللغات الأجنبية في المدارس والجامعات والمعاهد *

ويعد ، فإنه مما يشرفه حيننا أن نقف عن العربية تهمة الجمود والقصور وأن نجعلها لغة العلم كما فعل أسلافنا في الزمن الماضي ، حين جعلوا منها لغة للنشر العلمي العالمي ومنها نقل أهل أوروبا علوم العرب وقتونهم - - ولولا هذه الانقضاء التي طالت بضعة قرون لكان الحال غير الحال ، ولا ستمر قصب المسبق في إيجينا ، نذل به على من نشاء ، وما نحن بنضوب ثوب الخمول ونركض نحو المجد وثبا نريد أن نستعيد مجد السلافة وأن نلحق بالركب ونشارك في بناء صرح الحضارة والحضارة ونحن الآن أسسنا بناءه وألنا دعائمه في سالف الأزمان ، وتمد نهر المعرفة براد من أعذب روافده وأغزرها مادة وأسلسها أسلوبا وأفسسها بيانا ، لأنها معرفة علمية صيغت بلغة المضاد يقرؤها مائة مليون من الانفس هم قطان الوطن العربي نريد لهم وحدة قوية عزيزة ، محاطة بسياج من العلم ، سداها العلم ولحماتها العلم ولقنها العربية الفصحى *

والله ولي التوفيق والسلام ...

الاتصال بين التفكير والتعبير والأمراء في أن الدعوة إلى بناء المجتمع العربي تبقى ناقصة إذا أغفلت التركيز على اللغة العربية باعتبارها المقوم الرئيس للموجود العربي وليس معنى انشاد العربية لغة للتدريس في الجامعات والمعاهد عدم العناية باللغات الأجنبية بل على النقيض أن تلك ادعى بمضاعفة الجهد في سبيل تقوية أسلح في اللغات الأجنبية وذلك لثأمة الإخلال على المنجزات العلمية بلغاتها الأصلية *

وإذا كان قد غدا من العصور ملاحقة التقدم العلمي الهائل حيث ينشر أكثر من مليونين مسن أبحاث العلمية المبكرة سنويا في أربعين لغة فلا أقل من ملاحقة ما ينشر باللغات الأجنبية الأكثر شيوعا كالإنجليزية والفرنسية وأروسية والألمانية إلى جانب الوف الكتب العلمية التي تنشر بهذه اللغات ، وأما يكن ذلك بتقليد ما فعله الرشيد والأمين من انشاء ديوان للترجمة في بيت الحكمة في العصر الذهبي للحركة العلمية في العصر الإسلامي *

والآن وقد ثبتت قدرة اللغة العربية على التعبير العلمي فمبدا أن يوصى مؤثرنا بالآتي :

١) لأن تكون العربية لغة التدريس في جميع الجامعات والمعاهد العربية *

٢) الإصرار في إصدار معجم علمي عربي موحد *

..... قاله الذين يستفيدون من التعريب في السلم والفنون يقولون محضين أو مخادعين ، أن مستوانا العلمي والتقني سينحط إن عربنا التعليم العالي ، بعدما عسرنا جزءاً من التعليم الثانوي في العلوم والتكنولوجيا ، ولكن في الحقيقة إن أردنا أن تكون اللغة العربية ، يتكلم بها الشعب العربي ، واللغة رمز للسيادة القومية، فيجب أن يكون التعريب العام ناعماً لمستوى عال، مستوى التعريب العالي ، فيكون التعريب في اللغة ، وهكذا يكون التعريب في أسمى معانيه وفي أعلى مقاصده ، يكون ضماناً لمستوى اللغة العربية عند العامة ، ومستوى اللغة العربية في المدارس الثانوية ، وكذلك تكون متصلين بالتبليغ العالمي في الرقي العلمي والتعلم ، وفي الجامعة تنتقل العلوم من جميع البلدان وتعرب تعريباً واعياً ، والميزة الثانية للتعريب الجامعي هي أكبر بكثير للمستعمل ، بالتعريب تمكن الطالب الجراحي العربي من الابتكار ، هذه نقطة ثانية هامة جداً ، لا بد أن نلاحظها ونفكر عليها الدرس بالاحص أمامكم أيها الشباب ، والشباب أساس الابتكار وسلاحه الأكبر ، سلاح الاكتشاف وأساس الاختراع ، وأساس النهضة العميقة ، النهضة العلمية والأدبية والفنية ، فلا ابتكار والاختراع حسب نتائج الباحثين في هذا الميدان الهام ، من علم النفس والمنطق ، حسب العلماء الذين يدرسونه هذا الجانب بصفة مستعرة في جميع البلدان المتقدمة لأنهم يريدون أن يحصلوا الاختراع اختراعاً يكاد يكون صناعياً ، يمكن منه كثير من الناس لتكون الأمة متقدمة دوماً ، فيقول علماء النفس : أن الاختراع أنواع ، فمنه ما يأتي من تلاطم الأفكار ، وهذا منهج يعرف بالإنجليزية Brainstorming وترجم بالعربية « الزوينة الدماغية » ، فهذه الزوينة الدماغية تخلقها بين أعضائها جمعة من الناس فهو مجهود للاختراع الجماعي ، ففي المصانع الحديثة في جل البلدان من الغرب والشرق ، في أكثر المعاهد العالية المالية ، في المؤتمرات العلمية من الطراز العالي ، يأخذ هذا النهج للانتاج الفكري خطاً يزداد يوماً بعد يوم من العناية ، فنستعملها الجماعات لخلق أفكار جديدة ولتشجيع وتصرع .
فما هي هذه الطريقة ؟..

أن نكون أو لا نكون تلك هي المشكلة



د محمد عز الدين

مستشار في البحث العلمي
بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي

في المؤتمرات السابقة ، عرفت ، على
مسامعكم الوفرة ، تأملات عن « الإنسان والجميع »
وعن « الإنسان والرمزية » ، وعن « الإنسان
حيوان يتكلم » + سيرا على هذه السنة ، أقدم
اليوم بتأملات أخرى ، من نفس النوع ، شاكرًا
لكم مسبقًا ، الملاحظات التي ستفضلون بها .

١ : هي محاضرة أقيمت بجمع اللجنة العربية في دورة 1993

واحد ما = فعد لا تستعريون على استعمال اصطلاحات كـ «تكنولوجيا» (للدلالة عما اشتهر اليوم بـ «تكنولوجيا») وكذا ذلك الامر (نسبة الى ذات ، في مقابل موضوع)

ولكن هذه الالفاظ لا مجاله تفاجتكم كثيرا لو استعمالها ، مثلا ، استاذ كبير من المحاضرين (من اسرة) الاتباعية الكلاسيكية ، والمتحدث يصعب للمحيط المعنى الذي عاض فيه ، والمحيط المكتسب الذي يعيش فيه ، (نقابة ، ومعمل ، وشوارع) اذ لكل مناخ لغوي تكتله ، قليميه وطبقية: تمارس المتقنين ليست تميز الاميين ، عمالا وفلاحين ، ونحن هنا لا نغطي تقريبا ولا نفضل هذا الاسلوب او ذاك ، وإنما نكتفي بملاحظة واقع محسوس فقد يكون كلام فلاح ما اكثرت دقة واقل حشوا من كلام كثير من الجامعيين والصحافيين ، وذلك ان الكلام صدى خاص للحياة ، أى اسلوب شخصي لكل متكلم ، وتعتمد الاساليب القوية يعتمد المتكلمين ، في اللسان الواحد .

* * *

لكلام وطبعان : اسماء اعلامي « موضوعي » ، وتواصل ذاتي يحمل رنان وجدانية وفكرية وثقافية ، فالحديث تعرية للمتحدث : « نكدوا تعرفوا » ، ان الاناقة في التعبير ، كالاناقة في اللباس ، اشارات الى ما لا يظهر عيانا ، فينبطع النظر عن قوة او ضعف التمكن من المرفة اللغوية في حد ذاتها ، يمكن ان تتبين عدة مستويات في

ينطلق هذا العرض من ارضية تتصل مباشرة بارتضاع اللغة العربية بالتجارب التي يمانية المتكلمون والكاتبتون ، ربما تعانين في يوروا مهم . اني ، قبليا متيقن من تساعكم عما قد يجدد النص من تطرف في النقد الذاتي الذي تتسم به هذه الصفحات ، فاذا كان الهدف صالحا ، سهل تحاوز شكلية الوسائل .

والنوفيق من الله .

* * *

أيها السادة المحاللون .

عنوان هذا العرض شكسبيرى ، وقد أتى كذلك عن عمد وسبق اصرار ، لان وضع لغتنا وصنع درامى .

أكدنا ، في الموضوعات السابقة ، ان اللغة تعكس الواحدان والفكر ، وانها ايضا من صميم الحسد لكونها حركات لا تتصل بالاجهزة الصوتية وحسب . بل تحرك شخص التكلم بكليةه وتفاعل معه . اما نوعية التفاعل والانفعال فهي الى تميز اساليب الكلام بعضها عن بعض ، من فرد لآخر ، ومن طبقة لآخرى ، قسلا ، نحن هنا نستعمل جميعا نفس اللغة ، ولكننا نكلم مختلفين ، لا اقصد اختلاف اللهجات ، ولكن اختلاف النغافات ، وليانه كما يتجلى في اختيار الالفاظ والصيغ التركيبية والمحتوى ، حسب المحيط التربوي لكل

السقيم * فما اعطت قط أمة جنانة خاترة القوى
تفكيراً خصيباً *

نتيجة لذلك ، ان تجربة التأمل تؤكد ان فصل
المتنويات عن الماديات ، أي فصل « الروح » عن
الجسد ، ثنائية مثالية تخالف الواقع ، وتفسد
على الناس الالتزام التاريخي السقي تفرسه
الحياة *

جاء في القرآن (الذاريات الآية 23) : « قورب
السماء والارض انه لحق ، مثل ما انكم تتطون »
هناك معادلة بين حقيقة الواقع وبين النطق ،
فكما لا يمكن نكران ما هو واضح وبديهي ، مثل
غريزة الكلام في الانسان ، لا يمكن نكران
الطهارات الكونية ، بل يجب ان لا يرادنا ريب
في حقيقة وجود الارض وفي ما بها من آيات *

الثمة نوع خاص بين الفرائز : انها صنف
وحيد نوعه ، أي « جوهر معايد » ، كما سمناه
في مكان آخر (1) « فقوم اللفة ليس فقط معاني
(مجال الفكر) ، وليس مجرد مقاطيع صوتية
(مجال الحسد) ، ولكنه مزيج خاص يستلزم وجود
الكائن الكل ، أي وجود تكامل مصاغ في وحدة
مسيجة ، هي الشخص ، فكما لا أضع وجودي
لشخصي محل تساؤل (ما عدى في الشك المنهجي
المؤقت « كما عند ديكرت) لا أستطيع ان انكر
الكيان اللعوي لأى شخص »

*** وفي الارض آيات للنوقتي ، وقى
اتفسكم املا تصرون ؟ وفي اسماء رزقكم

التحت « فالمستعرب الذي يحتاج الى مترجم اذا
شاء اقتناء تذكارات من (خان الخليل) يمال اعجاب
الفيولوجيين المرموقين عند ما يحدتهم عن معاني
« اذ » وعن وجوه استعمال « اما » في العربية
الفصحى *

اذن ، هناك مستوى الادراك الحسي ، (أي
المعرفة المباشرة عن طريق الحواس ، وهو مستوى
الملاحظة والتقاط الانطباعات) وهناك مستوى
هم ما تحمله الدلالات وما يكتسبه الكلام حسب
لحيط المجتمع ، حيث « لكل مقام مقال » فهذا
'لستوى الاخر يوضح لمعاداة ولاعراف اصطلاحية
(كلمات حب ، وخسر ، وهناء ، عند ابن الفارض ،
لا تتل على نفس المعاني في قصص احسان عبيد
القدوس ، مثلا) *

— ماذا ثود قوله ؟

نريد ان نؤكد (خلافا للنظرية الفلسفية
التالية) انه لا يمكن التفكير ان يستقل عن
الجسد وعن المجتمع ، هذا أولا ، ثانيا ، ان اللفة
والجسد والعكر آفانيم متلاحمة في كينونة كل
شخص سوى *

فالتفكير السليم لا يحصل الا باللفة السليمة
والجسد السوي ، ان افكر يسير الجسد وان
اللفة ، يوصفها كيانا للفكر وطرقه وقواليه ، لا
تفصل عن حياة الجسد وتطور المجتمع - لئلا ،
يجوز القول بان ومن الاحساد ينعكس في التفكير

(2) محاضرات الفكر الاسلامي (الملتقى الخامس ، ص 200 ، الجزائر 1979)

شعوب باندثار لغاتها - فاني للمؤرخين أن يعلوا
من مها علة موت الأخرى !

إن أبحاث الأمم يكون باللغة ، واللغات تنهض
نهضة الأمم . ولتصرب مثلا على ذلك : توقعت
الحرية عن الحركة وقيمت في اسباب شبيهة بـوت
أبدي ، وذلك منذ بداية الشرد ، وها هي اليوم
قد انتعشت وأصبحت لغة التدريس والمعاملات
اليومية ، لغة أدب وعلم . لأن اصحابها نهضوا ،
وها هم يتقدمون لأن لهم لغة ناشئ التقدم . تلك
تجربة تسليزم الكثير من الامعان عالم العروبة
وهو يبحث عن نهضة حق ، وعن تعامل قوي مع
التاريخ الحديث .

* * *

إذا كان وضع اللغة من الانسان هو كذلك .
فهل من الصواب أن تصب كل اهتمامات مسؤولي
الدول العربية على القطاعات الاقتصادية والدفاعية
ليحسوها قطاعات في مستوى التصحيح الكبير
أو تعانات الميراج ، وبه 50 % ، في حين يتركون
اللسان العربي في مستوى الحرف اليدوية
والصناعات التقليدية ، وحروب السبب والرماع ؟
هذا سؤال أول ، وأنه لفهل لو فحصناه
بالقدر الكافي ، ونصيرنا لموضوعية على
الماطفة .

وما نوعدون . فورب السماء والارض انه لحق
مثل ما أنكم تنطقون .

يؤكد القرآن المصادلة بين تلك الحقيقة وبين
التكلم ، بالقسم وعلام التأكيد . فالكلام في
فلس المرجة من الوقع التي تنسوا الطاهرات
الكونية في سلم اليديهييات الماشية . فهو ليس
طبيعيا في الكيان البشري وحسب ، بل انه من
« جوهر » حقيقنا ومن « حقيقة » واقصنا ، لا
نستطيع أن نتجادل في ذلك أو نأزى . إن اللغة
قوام الفكر والتخاطب ، فلا مجال للعكر خارج
الكلام .

ب- البينة أم الحاجة ؟

اللغة والانسان « تبادلتان » وتعني
بـ « التبادات » أن علاقة اللغة بالانسان ليست
ذاتية ، وليست موضوعية : اللغة تصنع الكائن
البشري وتشخصه وهي « من جهتها » صنيسته
وصنعه أي أنه لا فراق بينها ، هذه وليدة
ذلك ، وهذا وليد تلك (2)

بم ، ولادة ، بل توالد ، ولكن لا نستطيع أن
نعرف من هو الأسبق . نحن أمام الأم التي تلدها
ابنتها ، أو بالأحرى ، أسا ليجل من هي الأم ومن
هي البنت : الممارقة في كون الفت أم والدتها
وطيلة لها ، في نفس الآن ، لنا كثيرا ما انجحت
اللغة باندثار قومها (اللغات الميتة) . كما اندثرت

(2) « التبادات » مفردة في نظري لا تفل والنية عن سواها ، مثل العمل والفعال والإضافة

ناطق دون لغة + للنتيجة هي أن اللغة معاناة
الإنسان لأصواته ، فيها وبها يمارس إنسانيته .
الغة جهاز طبيعي بشري بلا سحر ، وبلا قدسية .
الغة هي الحيز الذي يقع فيه الوعي بالأحداث .
* * *

بعد ما سبق ، يجب التساؤل عن اللغة العربية
في علاقاتها بالانتمية المعاصرة l'humanisme هل
اختلاف الصراعات والظواهر .

إن الامة العربية جائنة ، ومريضة ، وجاهلة .
فلا غرابة أن تكون لمتها مملكة العضلات هزيلة ،
وضبابه في التعبير .

فهل اللغة هي المسؤولة عن أوضاع العرب ،
أم العرب هم المسؤولون عن ضعف لغتهم ؟

نحن هنا أمام مشكل شبيه بالبيزنطيات
(على الأقل من حيث وضعه الصوري) : هل
البيضة ولدت الدجاجة ، أم الدجاجة هي التي
أعطت البيضة ؟ رغم المعنى العنسي الذي يصاحب
« البرنطية » والسفسطائية ، لا بد من الاعتراف
بأن في الحياة مواقف حاسمة لا نستطيع أن نفرق
فيها بين ما هو علة وما هو معلول . هناك تداوت
أي أن شيئاً من الموضوع — السبب وشيئاً من

إن نوعية علاقات الأحداث والظواهر
الوجدانية والطبيعية هي التي تحدد نوعية ارتباط
التاريخ بالتاريخ = (3)

عندما نتحدث ، من المتحدث ؟ كل كلام هو
عملية ، محادثة عن أحداث = الحديث ولغة الحديث
لا يفرقان ، كما أن المتحدث والمتحدث مهمم
ينتمون لتاريخية l'historicité (4) واحدة
موحدة (بكسر الحاء) . فمتى ما نتحدث ، إن
العالم الذي أحيل ملى هو الذي يحدث . نحن
هنا ، على مستوى التداوت = فغفر اللغة يتبع
عن تقصص ماضي ومضى على اختلاف الأنساق ،
كما أن حيوية اللغة تنمكس دينامية حصرية .
* * *

معارضة ؟ إن الكائنات الحية الإشجار والأحجار
كلها مصليات طبيعية ، ولكن تسميتها من إبداع
الإنسان . ومع ذلك أن اللغة لفسز ، فليست
مقاطع صوتية ، وليست ألفاظاً ، بل نسق يدعي
أنها جهاز مركز في وجدان الأفراد والجماعات
ويتصل بأشياء وكائنات الطبيعة . إذن : اللغة
ذات وموضوع في ذات وتفاعل مستمرين . وبالإضافة
إلى ذلك ، ويمجية ذلك ، بل وفوق ذلك ، أنها
في تداوت مع المتكلم : لا كلام بدون نطق ، ولا

(3) هناك فرق بين التاريخ l'historie والتاريخ l'histaire
فالمفهوم الأول يدل على :

أ - مصدر الأحوال المتغيرة التي يس بها كائن من الكائنات الحية أو العالم ، مثلاً : لكن انصاع تاريخ (سجل أو لم يسجل)
كما أن هناك تاريخ الأرض وتاريخ الصب

ب - نطق علم اللغة على الأصوات والأحوال الخاصة التي تدور بها التخصصات البشرية في تطوراتها
المفهوم الثاني (تاريخ) : مصدر من أرح ، أي دون أحداثاً تاريخية

(4) l'historicité التاريخية : تاريخ الوجود البشري ، أي إبراز سمات علاقة الإنسان بالتاريخ

أ - في المنى الاستمولوجي : خاصية كائن ما من حيث اتصاله بواقعه التاريخي
ب - عند الوجوديين : تدل الكلمة على وضعتا كينونتين يندمما الوجود إلى استخدام حريتنا في ترويح نحو المستقبل

الحياة في مدحا وجزرها ، من أثاره اليومى انقى
نمايه ، تصنعه ويصنعا .

لقد كثرت الممارك الكلامية حول صلاحية او
عدم صلاحية اللغة العربية لتدريس العلوم
الحديثة . هناك النافي ، وهناك المراتب . وهناك
الحائر . وانه لمشكل حاطي لو تدبرنا الامر على
اعتبار الواقع الموضوعى لا على الاحكام التى
تشمش فى ذهنة السواد الاعظم .

لغة العربية قابلة لتدريس كل العلوم والفنون
ولكنها تظهر قصورا وتقصيرا فى الحياة العادية .
فالحرارضى ، والبربرى ، وابن النفيس والرازى
والادريسي ... ألفوا بالعربية ، وتمتد تأليفهم
علمية ، بل مراجع فى بابها وحجة على ما وصل
اليه البحث فى عهدهم . فاللغة لم تقم عن ان
يصلوا الى القمة العربية ويكونوا أساندة عباقرة
عالمين . لغة العلوم ليست هى العقبة الاولى
والكبرى .

لقد اقامت العربية الحجة على قدرتها فى نشر
المعرفة بكل أنواعها ، من الحرف والصناعات ، الى
الفنك والرياضيات والفلسفة والطب والالساب
الفكرية . كالتشريع . ان انشكلا فى المواقف التى
ورثتها عن عصور غابرة ، ولما يندى اولك يتشجع
المحدثون لمصارعها بجديدة المكافح وموضوعية
الباحث . حقا ، لتنتا تتطور ، ولكن يطرأ يقبها
دون ما جريات الحياة المتسارعة . اللغة العربية
لم تمتد تتناوت مع التاريخ الحار ، فبينما وبين
صراعات الوان . صاوت كبير . لا يزيد الايام
الا شدة وعقا .

المرسوع - المسبب ، تماخلا ، بحيث يلمت الحدود
دون تحديد . لذلك يمكن القول بان الدجاجة
ذات (اى فاعل) والبيضة موضوع (اى نتيجة له)
كما يمكن ان نقول العكس .

* * *

فلنمده الى السؤال عن تعلقنا .

اذا سلما بالثالث الذى علما على ابراره
(الجسد - اللغة - التفكير) كان الجواب هو ان
المسؤولية مشتركة ، بلغة شبه ميتة تمكس شعوبا
متحفلة والتحلل الاقتصادى والنقائى يقضى على
اللغات بالسكون وبللة رتيبة .

طفت المدرجات على الاذاعات والاعانى والافلام
وحثى على الدروس الجامعية ، أحيانا . طفت
المدرجات المحسة فاصبحت اللغة العربية الحق
عة الابراج العاجية . انها لغة فصلى ، وقما
على قلة القلة من النخبة ، تستعمل فى صحافى
خاصة - وعدد ما ينزل من المرج الماحى احد
لثقتين له العصى ، ويضع رجليه على عتبة
سيارته . يحاطب السائق بالمدرجة ...

وما ادراك ما المدرجة ؟ خليط من تمايز عربية
محرفة ، والماط اعجية مشوكة .

* * *

... اننا امة بدون لغة :

سنبقى فى وضعنا القريب المصحح ، ما دامت
لغة مجامع اللغة والجامعات تترتب من لغة القاموس
المحيط أكثر منها من لغة الحياز والحرار ، ودونما
علاقة بالمطبخ وغرفة النوم ، والايزة ، اى من

تخلص من هذا الى وحوب إعادة التفسير في المفاهيم التي نكبرها عن الانسان وعن اللغة . لقد لاحظ المرحوم أحمد أمين اننا : « تعلم التلميذ والطالب في مدرسة والجامعة قراءة اثني عشر عاما ثم لا يستطيع بعد ذلك ان يقوم لسانه . وهذه هي العقبة الكبرى التي تقف امامنا الآن اذا اردنا ان نعمم التعليم بين طبقات الشعب ، من فلاحين وعمال » (5) . يلاحظ د. أحمد أمين الخفاق طرق التعليم عدنا ، وصرح منذ ربع قرن ، وقد لاحظ ذلك قبله عبد الرحمن ابن خلدون، وعرضته **المقدمة** بوضوح :

وحررت سنة قرون على السد الخلدوني وما زلنا نحتر الحمية خاضعين . لا ينقصنا المدارس الذين يتكون اللغة من حيث كنهها وخصائصها وتطوراتها . فهؤلاء كثيرون ، ولكن ، كما يؤكد د . ابراهيم أنيس . ان ابحاثهم ، تنفاسلها واسها بها : « تبقى جهودا مقصورة أو محصورة في مجال ضيق من المدارس المتخصصة في اللغات بالكليات والمعاهد وينتقل ميادة د . د . الى ابرار مدى الاثر العميق للغة في عقول الناس وفسهم ، والى « مدى استمساك الشعوب بلغاتهم ، واستعدادهم للتضحية في سبيلها بالانفس والاوضاع » (6) . من ذلك « المشاكل التي لا تنتهي بين شعوب الارض » (7)

ان مصير العرب في شفق انقول الذي يفترس اوقاتنا ، ويحول احيانا الى سلخافة تتربع فوق الادمسة ، وحيانا الى حلزون ديب فوق الاسنة انه الضفدع المهرج ابدا (ضوضاء ولا ابداع) ليس ذلكم القول المأرد ذو الرؤوس المتديدة الا بهجاتنا الكثيرة 1 لقد تفرقت امتنا في اللسان بهجات ، وتفرقت كل لهجة دارجات ، حتى اصبح لكل شعب عربي لهجات ودارجات ، ولكن مجموع الامة لا لغة تجمعه ، لغة يتكلم بها الجميع ، ويكتب بها الجميع ويقرأها الجميع .

في صافون (الجوري)

يسألني التونسي : كيف لك ؟

ويطلب مني المصري : انت عاوز ارب الكوبر خذ طاكسي اجرة جيز - - - بارود انفسم ؟ ويظهر على عدم الفهم ، فيصبح الجرائدي : روح دروك ، راء مخلوقة ترق عليك . ويضيف المصري ، أي خدم يا بيه ! وأجيب ، أنا المغربي ما بعيت حتا حج .

قد يسترسل حوار الاخوة العرب على هذا النمط ، يدارجات لا نصب لها ، ولا حسب ، ولا عرض وكانهم صم - بكم . اننا أمة جد غنية بالعمايات ، ومفتقرة الى لسان جامع .

(5) بصير جيسس الموتر 24 جيس اللغة العربية (1948) ، ص 474
كم اللغة بين القومية والعلمانية ، القاهرة ، دار المعارف ، 1970 ، ص 5
(6) انظر : الفصل الرابع نفس المرجع : « فشي عن اللغة » ص 113 الى 147

مما فطنا على اسقية ، التي ورتنا: عن عصور
لا سحاط ، ولا بعمل كل ما يجب ، وبالسكا
لنى يجب . على تسليحها وتصميم رسائل
لمعة لا ، تف اماننا الآن ، بن اقيمت وتمد
زعمان ***

ليس هناك ايها يصعب اسجلاؤه ، فبين نية
الاصلاح (أو الانقاذ) وبين ما نعتقه عمليا يون
شاسع ، وهذا مظهر آخر من مقاسم التخلف .

يخيل لما انه لم يسفر المسؤولون بعد على
خطة قاطعة ، فكثيرهم الذين طالبوا بتيسير اللغة
الفصحى لتعود لها شعبيتها ، وبالتالي صلاحيتها .
فالقوات التي تكبح التطور ، ولو بخطورة متواضعة
ما تزال تصول وتحول وتردع وتموق كل تفتح .
لقد التزم القوم بهمة واحدة : ان يرغموا العربية
على ان تفتتح بالتعبير عن دنيا الفكر والعلم والعن .
دون باقى ميادين الحياة ، اى ان تفتتح بان لا تكون
الا لغة المصطلحات ، بتداولها الاختصاصيون
وحدهم . قطيعي ان ينغمس اللسان العربي الى
لغة نصحي يستعملها الخاصة (فى حالات خاصة)
والى عاميات يستعملها الكافة والخاصة معا ، وفي
كل الحالات ، الا ما ندر .

لقد بلغ اليوم مدى هذا الانقسام حدا خطيرا ،
اذ الفصحى تختص بالسيادات ويصعب ما يكتب ،
اما الدارجات فتستوى على التخاطب ، بكل انواعه
ما يجعل التعامل مذهبيا ، كثير الانقسام ، لان
الدارجات لا تتوفر على اللوينات التعبيرية فى كل
المستويات . هناك ، اذن ، شقة خلاف بين لغة

خبة العربية ، انه لا اصحاء بين مشاعسر
المتادين الواعين والكافة ، لنتيجة ، قد تتفاعل بين
الطبعين سطحي وغامض . هذه فى جريرة مهمة
دوما بالميضانات ، والاخرى محصنة (او محاصرة)
فى بروج مغلقة . فلن تستحدث لانفسنا وسائل
التحسين والتآلف والتناغم اذا لم نزع من طريق
العربية الفصحى الموانع الى توقعها عن ان تكون
لغة شعبية .

بن خطورة هذا الوضع لا تعادلها اية كارثة :
شعوبنا تعيش فراغا ذهنيا ووجدانيا . لا بها تمنى
استلانا لعربا هو الفتح من نكية الغيضان أو الحريق
فالنحدة نظم للغارقين ، ويوجد علاج للمحروقين ،
لكن لا دواء لصدمة اليأس والحرمان اذا استأثرت
بوجدان العامة حيث تجد قلوبا خالية فتتمكن .
هواء ، ولغة ، واختناق . ينجم الم. الجوع
والعطش لضرورة ان عن ارادة (كالصوم التعبى
والإضراب عن الطعام احتجاجا) لكن لا حياة ،
ولو مؤقتا ، دون هواء ودون لغة .

* * *

هذه الصفحات لا تدعو الى حلف الهجات
والعاميات ، وانما تود ان يقع تقارب اكثر ما يمكن
بينها وبين الفصحى ، وذلك بالعمل على التوحيد
والتسهيل لتصبح الفصحى أداة معامل شامل
فى كل مرافق الحياة اليومية ، يشترك فى
استعمالها الخاصة والعامة .

فانضية ليست كما يقول د . احمد امين ،
فى « القصة التى تقوم امامنا الآن » ، بسلى فى

الكلمة والعبادة ولغة كل الناس ، في كسل الأوقات .

ومن الاخطار على الفصحى في وضعها الحالي ، ان لكل دارجه شعراء قصائده (المحزون) ومسرحين وسينمائيين ، مما يهددها على صعيد الكتابة ، في الميدان الادبي - الفني ، فاللاتينية بقيت لغة الكنيسة ولغة الكتابة الى ان ظهرت آثار أدبية بالدارجات المتفرعة عنها ، فاول مؤلف فلسفي لم يصدر باللاتينية ، هو « حديث المهج » لـ (روني ديكرات) سنة 1696 ، التي كتب باللغة الفرنسية ، وقد صدرت قبله « الكوميديا الالهية » لـ (اليفي دانتيه) الايطالي في (القرن الرابع عشر) و « دون كيشوط للاسمباني » سيرمانطيس ، في ارنل القرن 17 - يمثل هذه الراولم ، تحولت تلك اللهجات الى لغات قومية تفرض نفسها واضحت مساهم في لغات اللاتينية . فليحذر ، إذن ، المحبة التي تحتضن الحبيب أكثر من اللام فتقتله ! ..

* * *

لا ندعي ان وجود العاميات في العربية يدع في تاريخ وتطور اللغات - لكما تؤكد ان الفصحى اوت عظم - بيد انه ، وبالإلأسف ! مخطور على الورقة الشرعيين حتى التصرف فاستنادا على أي قانون عقل أو وضعي يحرم على الاجماد حق المنعة بما ترك الاجداد ؟

فلا سرر مقبول لهذا التصغير وتلك الحضانة - فحفاظا على الفصحى ، يجب ان « ندرجها » ، دون اطاحة بالميميات ، لتقويض أركان اللسان العربي جريئة ، كما يهد حرية تجديدها والإلقاء بها في الانحدار الفاتلة .

« نصصح » الدارجات ، بتيسير كلما جدار اليسير فلا يكفي ان ستمتد « ممتدا وخبر » به « مسند اليه ومسند » بل الامر للمحتاج هو حل مشكل « نون النسوة » ، و « العدد » والمتموع من الصرف ، وحروف العلة في الفعل الاجوف ، مع تسهيل قصبة الاعراب ، وتوحيد الحلووط ، ووضع الحركات على الحروف وتحت الحروف ، ، الى غير ذلك من المشاكل التي راجت منذ أيام زعاع وما زالت تروج دون حلول حاسمة ، ولا يدري ، أحد متى ستمتد الى الانتد (8) فالتشباب يفتن بالانغية الحديثة الدارجة ، وبالعالم العامي ، وبانقصة الفرامية العامة - الشقة تنمق واننا لتقرب من الحامة ، من الطلاق البائن بين الفصحى والدارجات ولا أحد يستطيع ان يمارض تيسار الحياة الجارف يعتف الرلفض اللطفي وباللغات ففى طبيعة العاميات الغرو السريع والمباغعات . فهل من مخرج قبل ان يغوت الاوان - والى الابد ؟

المنسابة معتوحة ، والمقابلة للمجدين « حقا ، الانتصار لن يكون سهلا ، ولكن على قدر أحصل المزم تأتي المزام »

(8) انظر : د . محمد كامل حسن ، « النحو المعول » ، مجلة « جميع اللغة العربية » ج 27 (1971) القاهرة ، الحياة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، ان في هذا البحث ما يشي غليل كل احموريين وينع عرف الاصلاح بمهج « معقول »

فواجب المسلمين التورين : والمسلم الحقيقي توري بطبيعة مبادته ، وواجب العرب (مسيحيين وإسلاميين) أن يفتحوا المجال للسان العربي ليسر عن مقتضيات الساعة .

وستحقق ذلك عندما يتبين أن أي لسان لا يكون ميبنا ومعبرا حقا إلا عندما يصبح شعبيا فالعلوم والتقنيات مكتسبات شعبية ، لأن التاريخ الشرى تصنعه الشعوب .

كان مجيء الإسلام ثورة خلعت معها لغتها ، فلا تمثر في المحاضرة على فكرولوجيات عربية ، ولا تقرأ فيها على حاجات استيعاب المتفتح على الترجمة والفلسف، والحق في العلوم الطبيعية. وأتى الإسلام ، فبدأت الثورة الجديدة في اللوق والدع ، واندفع المحتج الإسلامي بتفتح على الترجمات ويحك بالتفاعلات المختلفة ، فتقوى اند الفكرى والمصارى .

دترك إلى المؤرخين أن يعسروا كيف تم للإسلام أن يأتي بثورة لم تهينها لغة ، أنه مثل شاذ في التاريخ ، لكن توحيد القائل العربية في أمة متعجة على كل أساط التلاحق ومتوتة إلى الطبع المنوى والرقى الحضارى ، أتى معاصرا لتوحيد اللهجات المختلفة في لغة واحدة نموذجها القرآن .

تاريخيا أن الإسلام حدث توري ، جعل مسى القرآن حدثا لقوما توريا ففى القرآن نظرة كونية جديدة ، بالإضافة إلى توحيد أخلاقي يتناسق مع

القد وضع الشكل بكثير من الدقة 5 . محمد فريد أبو حديد ، هنا بهذا الجمع الموقر ، في 3 أسئلة :

1 - ألا يمكن أن نعمل في القصص غير ما صنع في لغة قريش ؟

2 - هل نحمل الأصل هو منع ما لم يستعمل في القصص من قبل ، أو نجعل الأصل إجازة كل ما يمكن إجازته ، ما دام قائما في لغة الحياة ؟

3 - ألا يمكن أن نتجرد من التحيز إلى أساليب القدماء في الكتابة والتعبير إذا كانت لا تعبر حقا عن احساساتنا وتفكيرنا ؟ (9) .

ـ العربية لغة التجديد ، لغة الثورة :

أتى الإسلام بثورة شاملة ، وكانت مجزته اللغة ، ولا نمتى بالاعجاز علم مقدرة فصحاء الجاهلية على أن يأتوا بمثل آيات القرآن ، وليسو كان بعضهم لبعض ظهورا ، بل تقصد أن المسجزة المحددة في كون الإسلام استطاع أن يكيف بين الأقوال والأفعال، وأن يتلاحم آمال القائل العربية. مع نماذج نسبية شمولية . جاء بنسأان عربى ميبين ، أى مفهوم من الجميع ، لسانا شعبيا موحدا موحدا ، فبعد أن كانت العربية لهجات يدوية قبيلية ، قمرت إلى لغة تصنع تاريخا مجتـ 1 - عاما ، هو تشريع ، وفق وعلم ، يتجاوز حدود العربية .

(9) محاسن المحسن ، المورة 73 و 7446 - 1947 ، ص 236 ، إلى 301 ، والذرة 24 (1947 - 1948) من ص 453 إلى 467 ، والتألفات من ص 468 إلى 477

وصم الحركات على المقدرات ليستنى تسهيل القراءة واعطه الكلمات كيانها الكامل - لا بد من حد مقول هيمنة الاسلوب الجاهل المعاصر ، اذا كنا نود ان نقف على النخلة ذهنية لوريسة ، والثورة في الفكر تم بالنسوة اللغوية ، انه توازن مطرد .

* * *

يريد منا المثبتون بالماضي في كليته ، بجره وشده ، يريدون منا لا يفكر الا بمقولات ذهنية وسيطية لم يعد يعتمدوا الفكر المحدث في دراسة الطبيعة والمجتمعات الحية ، لقد اكتشف المفكرون المعاصرون بعدا هاما في الطبيعة البشرية ، هو البعد الانساني المشترك بين جميع الافراد والشعوب لكن ، بينما الآخرون يصعدون الشعور بالانسانية ويصلونه طاقة في توتر خلاق ، لم نع نحن الانسانية بعد ، على مهادها الحقيقي ، وحتى الذين شعروا بها ، لا يحيونها الا على حدة ، ويحياد ، اما خوفا من مواجعتها مجتمعا ، واما لانهم لم يجدوا وسائل دقيقة للتعبير عنها ، او للسميخ معا - على كل حال ، الشعوب العربية لم تع بعد الانسانية ، لذا ما تزال تتخدر ، في القدر والاصال - ليل يا عيني - يا ليل - ويطلع العجر فيتنسأى مع الغروب في فضاء الصبح وبعث الايام الرتبة . وقدسوا قالوا بخرافة : التاريخ يعيد نفسه . ، واليوم ، نحن العرب نعيش على هامش التاريخ ، نحيا في تاريخ لا يفعل ولا يفعل ولا

تشرع موضوعي مجتمعي تتصور فيه العلاقات البشرية ، داخل اطار مقدس حول الله : ان الله رب الجميع ، بالتنسأى ، فلا قدسية للارثان ، او القوي ، ان المصيبات .

كانت الفصحى ، في صورتها الاولى مذهبية والا لما هم العرب القرآن الذي خاطب البرجوازية الملكية ، من اصحاب الرحلات التجارية ، وبقية القريشيين ، كما خاطب مجموع القبائل ، على اختلاف طبقاتها ، فكان المستضعفون من فقراء وارقاء ، هم اولئك المسلمين : « قالوا اسؤمّن لك وانك اردلون ؟ » (10) .

وبعد طفرة التيار الحيوى الواحدى ، تنبه المسلمون الى قيمة الكتابة واثرها في تركيز الدعوة القرآنية ، فحولوا الابدعية العربية اد حلوا نقطا فوق حروف واخرى تحت حروف . وهذا تجديد جذري تغلبوا به على الكتابة المقفوسة فغفروا للعربية الى رتبة لسان حضارة ، يصمم نقادها الهذلي والافريق ، وفارس ، بلا حرج ، مطبقا « اطلبوا العلم ولو بالصين » .

نعم ، تقل اللسان العربى الترجمات الكثيرة واستنساغها ، وخلق حولها ماقضات ، بلا ملل وكأنه يقول : « هل من مزيد ؟ » .

تقط على الحروف واخرى تحت الحروف : مثال على الشفص بالوضوح ، وعلى الضماعة اعطشاء ارائلنا ، فتركوا لنا حق الاجتهاد متوحسا . دائورة التي تستوجبها ظروفنا هي ان نعلم

(10) قرآن ، الفراء آية 11

يعيد شيئاً ، لأنه دون حركة ودون نفس ودون نفس ، أن مرجع هذه القطعة بيننا والتاريخ ، هو انفصال النخبة عن الشعب .

* * *

فلا يكفي أن ينتسب متقف للشعب ليكون منه نالنتخبة العربية ، مثلاً ، تسيطر على الوساطات المؤثرة في الرأي العام ، من مدرسة وصحافة واداعة وكتب وسينما ، وغير ذلك من أمتاف (Mass-media) . فماذا فعلت بها ؟ أن أمتنا في أشد الحاجة إلى بدافوخية منهجية جديدة ، وإلى دلسملة اعلامية جديدة لكي نفهم بدقة القوانين التي تتحكم في تطور المجتمعات البشرية . فالنقى يطلق في البحث بقبلديات ووقوقية ، عازماً على ألا ينير شيئاً ولا يقبل أية تضخمة ، أن يتحرك من مكانه ، أن لم يرجع التفوقى . فيدون لغة مبسطة ، نحواً وصرفاً ، وكتابة ، أى لغة عامة موحدة ، لا يمكن تأطير الجماهير ورفعها إلى مستوى وعى الاراضاع . ولن تلعب اللمة (آية لغة) هذا الدور إلا اذا خصمت لقانون التطور الذى يقضى تكيف دائم قصمد (سبحام الفكر بالصيغ التعبيرية وتسبحام النوات بالاحداث والموضوعات المتجددة) .

* * *

علينسا ألا نسى أن الحركات التى طاسحت بالاحداثلات الاجنبية للوطن الصربى ، حركات حصارية ، وأنه بمقاومتها حافظت على الكيان

التاريخى للامة العربية ، بما فيه اللغة . فلماذا تمتد النخبة الشعوب من مكتسباتها ؟

فيمجرد ما تفقد اللغة طابعها الشعبى تصاب بهبوط الضغط الحيوى . فالانتساب الى «العصحي» ليس فى مستطاع الشمينين ، لأن منهج كتاب سبويه والمية ابن مالك والشميقية لا يفهمه الا الخاصة والذين يتوفرون على الكثير من الوقت . أحوز أن يطالب من يريد الانتساب الى العصحي أن يحفظ الحلقات والمقامات ؟ هذا أيضاً ليس فى متناول الا اللغة من الناس . (II)

انى استعمل لفظ « انتساب » لأن النخبة تصبها فى غربة عن اللغة ، تعاملها كلفة ميتة ، اذ لا تسمح باى تغيير . ان الاستفراق الدائم على حال واحدة من خاصيات الموتى : الموت وحده عدد التحول .

لا بد من منهج علمى على ىرمى الى الدقة والايضاح والوضوح لىرقى بالعربية الى مستوى الواقع الشعبى الحى . فيتفتح لىدنا على الاصاله دون تناقص مع دينامية التاريخ العام الحاش . بذلك المنهج ، يمكن أمتنا أن تجتد مجموع طاقاتها الكمية وامكانياتها الابتكارية والىطورية ، تلبية لحاجات القطاعات الحياتية ، والا ستبقى على هامش التاريخ وصيرورته ، حافظاً على تخلف تعبر عنه لغة مكبوتة ومجمدة ، يتبرك يرانها الموسيقى بعضى المحظوظين . لقد موضوعها ، وصيربها

١١١. وحتى هؤلاء ، على قلتهم ، طالعون بان يصارعوا اين ما لك باره اللابية . أحاسى الا ان تبصل اللباس مثبوتة عند بعض الناس . وقد سيجر من يستوريهم هذا اللون من التاليف دون أن يتعلم بها أحد صواب الكلام . مصدر كمال صبيح، المرجع السابق ، ص ٢٥

مهامها على الوجه الاحسن الممكن . الحقيقة المرة
تبرق في كاس بلوري - فلتسحق جيرا « رجال
الفكر » و « رجال الثقافة » يا قوم ! اعطونا
لغة حية ، لتكون أمة غير متخلفة : **الزكونا تستقل**
لغة لاشي لبناء المستقبل . نريدها مجالا ديناميا
تتحرك فيحركنا ، نتذوق وإياه ! ان « **الصحي** »
تمثل في الواقع مجالا مستقلا عن الحياة ، وكأنها
(No mans land) بالنسبة لكل الشعوب
العربية . بما فيها الاجهزة التعليمية والادارية .
وتلك هي المأساة .

هل من سبيل ؟

نعم ، ان تفعل ما فعله غيرنا ، فالي جانب
خبرة العربة التي وثقت من الحود إلى المعاصرة
والعصرية، هناك مثال أمتهم وأوسع . لقد حورت
الصنّ الصعبة وبع مكان المعورة أو يزيه ،
والتعيت بينهم في أمة واحدة ونظام واحد ، وذلك
بفضل إعادة النظر في اللغة وتسهيل شواطها
وحصر المفردات اللازمة للاستعمال (اللغة الاساسية)

انطلقت المعاصرة من سيامة « المتي صلي
قمنين » ، أي أن السياسة التحريرية بالصين
كانت تركز على الثورة الصناعية والثورة الثقافية،
بعد ان من الكانفون بمرحلة « المسيرة الكبرى »
التي قام بها الفلاحون .

لعد اتخذت الحقيقة الجرائ خطة صائلة في
نطاق خاص بوضعياتها . يرمي التصميم الجرائي
إلى استكمال بلورة الشخصية الوطنية ، بتكثيف
الإسالة وتلويز البنات الذهبية والجسدية

وئا ، ولا يسمحون تنويتها وتداولتها . ان
حصرهم تطور اللغة يصلون ، وشويعيا ودون وهي
أحيانا ، على ان تبقى حراس مقابر - ان العربية
في صفة ، وصحتها آتية من الذين يحصنونها حتى
الاختناق ، « ومن الحب ما قتل » .

يجب ان نتعلم كيف نحب ، اعني كيف تعامل
المحبوب وكيف تنمي المحبة . فالركود يقتل الحب .
اذا لم يتجدد وجه الحبيب يبل ويقل تعلق المحبين .
فكثيرهم متفوقا الذين يفضنون التخطاطب بلغات
أجنبية ، لانها مرنة ، لانها تفي بحاجاتهم التعبيرية
الانجليزية والفرنسية والالمانية تلتصق بالانشطة
البشرية (لان أصحابها في صميم الواقع) كإداة
اتصال لا تنفصل عن تطور الإنسان وحاجاته .

تتجدد مشارب حياة اللغات في الحياة العملية
حيث تتلاقى الشلالات الدافقة من التاريخ الصام
في صيرورة لا منقطعة ، اللغة بنت السوق والمجيد،
بنت الحقول والمامل ، تلازم الاندية والملاعب
لرياضية ، انها وبيبة الشمس ومسامرة الليل .
قلماذا لا تبحث عنها الا حيث تصيبها الرطوبة
المرحة ، في عصر الكتب الصفراء ، ومناقشات
اصنف والمحتفي . والمحتفي على المحتفي ، والمحتفين
على المحتفين ؟ ارفعوا العربية إلى مستوى مقتنيات
النصر لتصبح كالت ، كانت له . لسوق
(وما ما شهر سوق عكاظ . . .) ، ولغة الواقع
كما تظهر في القرآن والحديث ومؤلفات التشريع
حيث الكلام يمتزج بالحس والفكر . يجب الا
نحلبها نحن على ظهور قوصها التحف وقرن من
النصف ، بل ان نجعلها مطوعة مطواع تؤدي

وأنه حتى مقال ثوري قد يكون قسحاً جديداً بالنسبة للسان العربي ، لو أخذناه بعين الاعتبار، ففيه الكثير من الحلول لمشاكل الأمويين ، والصرف (٢٣) يكفى أن نجرؤ ، فننجز من عبء الأغلال المنقولة التي تكبل الأساليب والتراكيب لتحل أمامنا الصواب ، فنطور الفصحى تطويراً يقترب من العامية ، أي من لهجات الشعوب العربية في تعاملها الصوري والمصري مع الجغرافيا والتاريخ يقينا أن ذلك لن يعود على الفصحى ، وعلى الأمة العربية إلا بكل خيروات الخطبة والنهوض ، ويكسبها شباباً وحاسة .

* * *

التمائم السابقة موحدة ، وفي مجملها وتصميمها قابلة للمناقشة ، فكلما احتد النقاش حول أمورنا الجوهرية أردداً تعمقاً للمشاكل ووعياً للمناهج الموصلة إلى حلها = فالهم هو أن نصل على ألا نسيء وضع المشاكل وتأويل بعض المحاولات خوفاً أو محملاً ، أو نقصاً في التقييم .

اللمعة صورة صادقة عن مدى تقدم أو تأخر لساطين بها = فالنمو العام في أمة مرتبط بنمو لغتها = وهذه الوحدة مسئلة أساسية يجب أن ينطلق منها كل بحث عن المأساة العربية الحالية .

والمجتمعية ، نعتى أن الجزائريين قد احتاروا السبر على ثلاثة أقدام ، سبراً مواءياً : الثروة الصناعية والثروة النفطية ، والثروة الزراعية = فقضية التعريب غير مسئلة عن التيار العام الذي جندت له الدولة كل الإمكانيات الإنسانية والمادية . فالعريب أساس الثروة الثقافية ، وهذه تنصهر في الثالث : صناعة = زراعه = ثقافة = ففي نظر المسؤولين ، لم تتم جزارة الاقتصاد إلا على كيان الأصالة ، أي إلا باللغة القومية التي تتجسد فيها شخصية الأمة ، كما لا يكتمل استرجاع الاستقلال إلا إذا كان في صالح مجموع الشعب ، بلغة شعبية ، لغة الجهاد اليومي . لذا لزم أن تعمل الجزائر على تبني كل الطاقات لاثبات أسس المجتمع الجديد (٢٤) أن النمو الاقتصادي ضروري لمحاربة التخلف الثقافي كما أن كلما ازدهرت اشغافة ازدهر معها الاقتصاد ، فالتقدم أفكار تجسده في أفعال ، والأفعال أعمال منظمة لا نظريات تجريدية محض : كل إنتاج تطوري يتطلب له تطور ، فبالنسبة لفكر الخلاق ، اللبنة هي المادة الأولى (كما في اصطلاح علم الاقتصاد) بها نمو ، وبها ينشأ ما حوله .

— خاتمة :

فيما تقدم ، أشرنا إلى دراسة للاستاذ الدكتور محمد كامل حسني تحت عنوان : « النحو المعقول ،

(٢٤) نسي حالاً لم يلهم نتائج المشاريع الجارية ، وإنما تحول إيراد الخطابة التي رستها الدولة للنضال على التخلف كما تحول اهتمام قيمة اللغة القومية في تلك المشاريع ، فالطريق مزال غير مبين ، والمرافق تتركز (٢٥) ص ٢٤ إلى ٥٩ (من المرجع السابق)

مُسْتَقْبَلُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى

الحديث عن موضوع اللغة العربية وما يتطلبه ذلك من بحث في كيفية العمل للوصول إلى تطويرها ليس باليسير ولا باليسير ، حتى على أولئك الذين لهم دراية واختصاص بعلم اللغات عامة ، وعلم اللغة العربية بنوع خاص ، فكيف يستطيع رجل مثلي لم يدع أبدا هذا التخصص وهذا الاقتدار أن يحدثكم في موضوع يعطّر من الصعوبة مكان ، وهو هذا الموضوع الذي اتطفل على مسامحتكم في شأنه هذا المساء ، ذلك أن الظروف وحدها - بحكم الوظيفة التي اضطلع بها كمدير لمعهد التعريب منذ ما يزيد على ثلاث سنوات هي التي دفعتني في الواقع إلى الاهتمام بهذا الموضوع الشائك وما يليه من مشاكل مختلفة الجوانب نحن نعمل بكل قوائنا على قهرها وإزالتها من الطريق .

محمد يحيى الدين الطرقي
الأبى الشام لوزان
السلامة والتمتع الأبدى
بالمغرب

القيام بأعمال لغوية بحتة ، ولعل هذا هو الذي جعل شبيبنا يرمون اللغة العربية بالعمق ويرون أنها ليست قادرة على مسايرة الحضارة المصرية ومما لا شك فيه أن الأمة الراقية لا تكون لغتها راقية في ناحية دون ناحية ، كأن تكون لغة الأدب والشعر والمدين ولا تكون لغسة باقي العلوم ، ولذلك قال علماء اللغة العربية النكار : « اللغة التي لا تعبر إلا عن بعض أحوال الأمة هي لغة عوراء تظل عرضة للزوال » .

ثانياً - اللغة العامية وهي أكثر انتشارا من الفصحى نظرا لسهولة تعابيرها وبساطة القواعد التي تختص بها هذه اللغة العامية التي تولدت - كما تعلمون - عن الفصحى ، وواكبتها نتيجة اتصال العرب الفاتحين بغيرهم من الشعوب الأخرى ، وعلى كل حال فالعامية دليل على أن الناس عندما لا يستطيعون تحمل ضوابط نحوية ثقيلة كالتي حملتها اللغة العربية الفصحى أو أية لغة أخرى كالكلاسيكية مثلا ، يتركون منها نسيجا ، ومن شمس نشأت العامية التي أصبحنا نتمتعها كلمة تخاطب ومعاملات نلصا للتصاقل الذي سمحنا به لأنفسنا فيما يرجع لتطبيق القواعد النحوية الفصيحة ، وهذا التصاقل هو الذي فعل فعله أيضا في اللغة اللاتينية مما أدى بالمتكلمين بها شيئا فشيئا إلى أحداث لغة أخرى بعيدة نوعا ما عن اللاتينية تعرف باللغة الرومانية ، التي أصبحت بعد قرنين معروفة باللغة الفرنسية .

هذا ونظرا لانتشار العامية بيننا ، وبسبب سهولة تعابيرها وفراغها بالنسبة للعلماء ، فإنه يسدوا لبعضهم أن اللغة الفصحى مرافقة للتعمد والتعجب والحدود ، ولا يدرون أن الجمود كامن في عقول المتكلمين بالفصحى ، أما اللغة العربية الفصحى

من جل هذا وذلك ، يصورنى جدا أن أقدم لزملائي المحترمين المجتمعين حول هذه المائدة الاستطية طائفة من الملاحظات توصلت إليها بعد مشقة وبحث طويلين ، فيما يرجع لمستقبل اللغة العربية في هذه البلاد وفي بقية بلدان المغرب العربي ، وما يمتحنى هذه اللغسة من عقبات وعراقيل تصدها صداس ، - - - - - سهمتها على الوجه الأكمل باعتبارها أداة تلقين وبحث في أن واحد .

والذي لا سبيل إلى إنكاره في هذا المقام هو أن هذه اللغة مع مالها من المزايا التي لا ينكرها إلا كاهن أو عديم لم تعد يقادرة في الوقت الحاضر على القيام بالدور الفعال الذي كانت تقوم به في الزمن الماضي أيام ازدهار الحضارة العربية الإسلامية ، والبرهان على هذا الضعف الذي أصاب المتكلمين باللغة العربية في هذا العصر هو الوضع اللغوي الذي تعيش عليه بلدان المغرب العربي جميعا ، وهو وضع يدل دلالة واضحة على تقلص نفوذ اللغة العربية الفصحى خلال سنوات الاحتلال على الأقل ، وتقهرها لفسادة لغات ولهجات أخرى شرعت في غزوها في كل مكان بصورة يتأكد بصمن لها انحاح - وإذا عينا إلى الواقع اللغوي الذي اشردنا إليه يوما مسلحت بلاد المغرب العربي الكبير حدة اعرام من حياتها في الاستقلال ، نلاحظ أن كل بلد من هذه البلدان يتحمل بصفة عامة أعباء ثلاث لغات :

أولا - اللغة العربية الفصحى التي نستعملها في حياتنا الدينية واليومية ، كما نستعملها أداة لتبليغ بعض السواد الدراسية كاللغة والتوحيد والجغرافية والتاريخ في كافة المدارس بوجه عام ، باستثناء المؤسسات العلمية التي تحول على اللغة الأجنبية خاصة في تدريس السواد العلمية ، أو

أينتها البرية ، وذلك ما عير عنه أحد فلاسفة اللغة بقوله : « عندما تتلاقى لغتان تحت سقف واحد ، أى على لسان شعب واحد ، لا يبقى هذا التلاقي بارداً ، بل تلتمح اللغتان في معركة حامية الوطيس » . وماذا يحصل بعد ذلك ؟ تقطن لغة المستعمر على لغة المستعمر حتى إذا اشتد وهى الأمة المستعمرة ، وانتفضت في سبيل حريتها عادت لغة المستعمر للقرمية الى سالف مجدها *** » وهذا هو الهدف الذى أصبحت اللغة العربية تتجه اليه فى بلادنا ، بما نشاهد من نشوء صميم عربى صار يفسر الأوساط وكافة مرافق الحياة ، ومما يلاحظ أن هذا المحيط اللغوى أو المناخ اللغوى هو الذى يديم عادة اللغة السائدة ويساعدها على التبرع والانتشار .

ماذا نستنتج من كل ما سبق ؟ أنه من العيث أن نعتد على لهجة من اللهجات ، أو لغة من اللغات الأجنبية لخلق ذلك التطور الذى تغفر اليه بلادنا بل إذا كنا نريد لشعوبنا الالتحاق بركب الدول المتقدمة مايا ، والإسهام فى عملية الخلق والإبتكار فلا بد من أن نقر اللغة العربية انصصى كإداة ثقافة وعمل فى المدرسة والإدارة والمجتمع ، واللغويون يعلمون حق العلم أن اللغة بنت الإلزام لا تتطور الا بتطويرنا إياها ، فإذا كنا لا نسرّج بانفسنا فى مثل هذه الحاجة ، كى نشعر بضرورة البحث عن الكلمات التى تنقصنا ، لا نرى كيف نستطيع أن نرود ألسنة العربية بمصطلحات نحن بأفس الحاجة إليها ، وأن كانت المصطلحات لا تكون وحدها ببيان اللغة العربية ، نعم هى جزء من هيكلها الضخم ، بل الذى يكون هيكل اللغة بالذات هى المفاهيم الحضارية ، والمفاهيم الحضارية لا ننشأ وتتفرع الا من مجتمع يصح

فانها ما زالت حية تترق فى بطون الكتب وعقول الذين روحوا عسى يتحدث بها على الأقل .

هذا ولا ننس أنه يزاء اللغة العامية توجد عدة لهجات بريرية لا يزال العمل جاريا بها وإن كانت اللغة العربية تغزوها شيئا فشيئا لعدة اعتبارات ، أهمها انتشار التعليم فى السور والجبال ، وتعدد المواصلات بين مختلف جهات هذه البلاد .

ثالثا - وهناك اللغة الفرنسية التى تستعملها طائفة من السكان فى أقطار بلدان المغرب العربى عموما ، باستثناء ليبيا التى عاشت فيها اللغة الإيطالية أيام الاحتلال ولتى استعادت عنها - على ما يظهر - بالانكليزية منذ الاستقلال . ويبدو أن طائفة من المواطنين ما زالوا يتحدثون بهذه اللغة الأجنبية أما لمعرفهم فى اللغة الأم ، أو لتفضيلهم إياها على لغتهم الأصلية ، لأنهم درجوا عليها منذ الصغر ، وقد يلجأون إليها لأنها تتوفر على المصطلحات التى تمكنهم من استيعاب عما تطفح به قلوبهم من مشاعر وإحاسيس ولم يتقبلوا أن استعمالهم لغة أجنبية عوضا عن لغتهم الأصلية يسوئ بهم شيئا فشيئا الى اضمحلال شخصيتهم وطمس معالم ذاتيتهم القومية . ومن ثم ضعفت اللغة العربية وانكمشت على نفسها ، لا تستفيد الا قليلا مما تعمله الحياة المصرية فى طيها من مفاهيم ، وتجده معها من مصطلحات صالحة للتعبير بدقة عن تلك المفاهيم .

ولقد اقتضت هذه الحالة الى صراع حثيف على أرض المغرب الأقصى حيله عشرات من السنين بين اللغة العربية واللغة الأجنبية أو اللهجات الأخرى ، فكانت معركة المصير التى غدتنا للدارس الحرة بروحها الوثابة ، معركة مصير لغة إصيلة استطاعت أن تبقى وتحيا وتقوم بفضل تضحية

وكما يجب أن نعلم على قرار اللغة العربية في المجتمع والإدارة يجب كذلك أن تحتل مكانها في كافة معاهد التعليم على اختلاف مستوياتها *

فبالنسبة للتعليم الابتدائي لا يعقل أن يحصل للأطفال على تعلم لغة أجنبية بالإضافة إلى لغتهم الأصلية ، خاصة في سن مبكرة من حياتهم ، لما يترتب عن ذلك من تحريف لشخصيتهم ، بل حملهم على تعلم لغتهم الأصلية وحدها في هذه المرحلة من حياتهم لما يعين على إيسر ان شخصيتهم والحفاظ على كيانهم الروحي ، وهذا معناه أن استعمال لغة أجنبية أو عدة لغات في المرحلة الابتدائية بالإضافة إلى اللغة الوطنية يضعف إمكانية من الصعوبات التي تعترض الطفل وما تضيفه من صعوبات لغوية إلى صعوبات فنية في حد ذاتها * ثم إن اللغة الأم لا تستطيع الحياة مع لغة أخرى تحت سقف واحد ، كما أسلفناه ، ولا بقي الطفل مسوزعاً بين عقليتين : عقلية يستمد منها من لغة الأم وعقلية يستمد منها من اللغة الأجنبية - ولا سبيل أن يستشهد في هذا المقام بما جرى في بعض البلدان أو المقاطعات التي يتحدث أهلها بأكثر من لغة واحدة كسويسرا وبلجيكا وكندا أو مقاطعة الأناضول وغيرها ، بل نعتقد أن في ذلك حجة على الذين يريدون أن يتقنوا كاهل الصغار يحملهم على تعلم أكثر من لغة في صغرهم ، فالجماعات التي يخشى إليها أنها تتكلم لغات كثيرة في تلك البلدان لا تستعمل في الواقع إلا لغة واحدة ، إنما هي تستعمل بالإضافة إلى اللغة المتكلمة منها لغة ثانية بصفة ثانوية لا تمكن تلك الجماعات من التمتع فيها إلى حد الابتكار والاختراع - في سويسرا مثلاً ثلاث مناطق يتحدث أصحابها الفرنسية والإنجليزية

والحياة النشيطة الحلاقة ، إذ المفروض في الذين يعملون داخل هذا المجتمع إلى أنهم يكتبون بحكم انقطاع الذي يزاولونه ، وعن طريق اللغة التي يتكلمون بها جملة من الأفكار والمفاهيم المتصلة بأعمالهم مهما كانت تلك الأعمال متنوعة معقدة ، ومكنت تخلق اللغة المبررة عما يمكن في النفوس بما يقتضيه ذلك المجتمع المتقدم من دقة في التعبير ووضوح في التفكير *

في يتعين علينا أن نوجه كامل اهتمامنا لهذه اللغة ، وتعتمد عليها في سائر مراحل الحياة ، وذلك يزوجها في الحياة الاجتماعية عن طريق حملات تعريبية منظمة بواسطة محاضرات ونشرات وملصقات ومظاهرات تستخدم فيها أيضاً أصوات الإذاعة والتلفزة ، وبذلك نستمكن من خلق المناخ الملائم لنشر الذي يساعد على انتشار اللغة وأخذ حظها من الذبوع وانرواج بحيث تأخذ بأغناء مكانها في المجتمع *

على أن هذه العملية لا تكفي وحدها لجعل اللغة العربية صالحة للاستعمال ، ذلك أنه لا بد من أساليب للإدارة ، ودخولها المؤسسات الإدارية بعيداً إلى الصيغة فطعت اعتبارها ، ويمكن الطرقات المتكلمة بها من أن تعرب عقلياً ، فيزداد الأفعال عليها يوماً بعد يوم ، وتصبح شيئاً عشنا أداء صالحة للمتاعل والاتصال ، على أن إقرار اللغة العربية في الإدارة لا يتطلب أكثر من استعمال طائفة من الصلحاحات يوجد مضطرباً في بلون القواميس والمعاجم ، ولا حاجة إلى الإثبات في هذا المقام أن العرب المختارين عرفوا هذا بعد اختلاطهم بالشعوب اليونانية والفارسية كيف يأخذون عنها عن طريق الاقتباس والتعريب ما تحتاج إليه العربية من كلمات وأسماء لسميات كانت جديدة بالنسبة لهم *

ويسرى مفعولها في المدارس الابتدائية بما يتكون في هذه المعاهد الثانوية من شأن قادرين على الانخراط في سلك مطمح المدارس الابتدائية ، إذ كل متخرج من مدرسة ثانوية يكن يحكم تكوينه العرس قاررا على تحمل أعباء التعليم في المدارس الابتدائية بلغة عربية سليمة مع المحافظة طبعها على المستوى اللائق .

وإذا كان من الواجب العمل من الآن على اعداد الاطفال لتلقي دراساتهم الثانوية بالعربية لانها الاصل ، ونسك هو الوضع السليم ، فإن نظاما كهذا لا يمنع مع ذلك من إعطاء التلاميذ فرصة تلمع عدة لغات اجنبية كالفرنسية والانكليزية والاسبانية والروسية او لغات شرقية يمكن ان تحل محل اللاتينية واليونانية عندما هي للفرنسية والتركية والعربية : و اعتقاد السائد عند علماء اللغة والربيين ان تعاطي هذه اللغات من شأنه ان يعين على تفقح اثنان المدرسين وتطعيم اللغة الاصلية بكثير من المفردات والمفاهيم التي تعوز العربية اليوم .

ولواقع ان العربية الفصحى لم تتمكن لحد الآن من ان تتبوا المقدم اللائق بها ، وذلك يعاد بحسب علماء اللغة والاستشراق ، اذ ينحسروا طويلا عن اسباب الانحطاط الذي اعترى بوجه عام احياة الاسلامية واللغة العربية خاصة ، ابتداء من النهضة الاوربية ، الى عوامل كثيرة من الممكن ان نعددها فيما يلي مع ما يقتضيه المقام من الاحتفظ والاحتياط في الحكم ، هذه العوامل هي عوامل لغوية وبيولوجية واجتماعية وسياسية وفنية .

ولا - يعتقد اولئك العلماء عن حق او بدون حق ان كمال اللغة العربية كما فصلت تفصيلا في

والانامية ، لكن هناك منطقة خاصة بصحن اسمائها الفرنسية اصلا وشيئا قليلا من الانامية ، كما ان المنطقة المجاورة لاثانيا يتكلم اصحابها الانامية بمخالقة في حين انهم يستعملون ايضا النحسة الفرنسية ، وما قيل في الفرنسية يقال كذلك في الايطالية بمعنى ان الذين يتحدثون سليمة باحدى اللغات الثلاث يستطيعون مع ذلك استخدام لغة بصورة تعينهم على قضاء حوائجهم العادية لا اكثر ولا اقل ، فهل تلك معناه انه من الخير ان يدرس الانسان اكثر من لغة في المرحلة الابتدائية ؟ بل نعتقد انه من المفيد ان تقتصر على تدريس لغة واحدة في المرحلة الابتدائية .

ان الوضوح الطبيعي للتعليم في كل مكان وبالنسبة لكل امة هو ان لا يكون الا لغة الام ، اذ هي شك تركيز لاستقلالها ، وتجسيم لشخصيتها حيث يجعلها ماهرة من كل تبعية للخير . يضاف الى ذلك ان تعريب التعليم العالي قيل غمره بمواده الادبسية والعلمسية والتكنولوجية على الخصوص واجب ، وضروري ان يسبق تعريب التعليم الثانوي والابتدائي .

التعريب في بلادنا لكي لا نتعرض معاهدنا على نوع من التدهور والاضطراب يجب ان يشروع فيه من اعلى ، ويصدر بالتدرج حسب مخطط واصح الى اسفل ، وذلك بحمل الصلاب عقب انتهاء دراساتهم العالية على تدريس ما درسوه باللغة العربية في امعاد الثانوية . ويكون تعريب التعليم الثانوي تصاعديا رعا لصعوبة المواد وتخصص الاساتذة ، فنبدا مثلا بتعريب الفلمسة والعلوم الاجتماعية ثم تعريب العلوم الطبيعية ، ومنها نمثل الى الكيمياء والفيزياء والرياضيات ، فبالا يعمى وقت هويل حتى تعريب المدارس الثانوية ،

التي كانوا يتمتعون بها كانوا يربحون اقواتهم من صنع يدهم كما أنهم كانوا يستخفون ما كان يدهم من اموال وآلات لصنـع عدد من الاشياء التي كانت تتوقف عليها حياتهم اليومية ، وذلك حسب أسلوب رتيب وروتين لم يكتروا ليقيموا عندهم بسهولة ، ولم تحدثهم انفسهم في يوم من الايام بالتفكير في وسيلة تمكنهم من احداث الة ارقى من التي كانوا يستخدمونها بحيث تعينهم على صنع ادوات اضمن واكثر عددا من التي كانوا يستخدمونها ، وكانت الجماعات الاوربية في ذلك العصر بالذات تعيش في الاخرى في وضع اجتماعي وجغرافي مماثل للوضع الذي كنا نعيش فيه ، بل ربما كانت تلك الجماعات متأخرة متخلفة بالنسبة للمجتمع الغربي كما كان يظهر في عواصمنا المتحضرة خلال القرون الوسطى ، الا ان الصانع الاوربي كان في ذلك الوقت يشعر بضرورة المايرة على العمل المقيد ، ويتوق الى سلوك احسن الطرق واقربها لتحصين المنتوجات الصناعية التي كانت تخرج من يده كما انه كان يشعر دائما بسعور من القصور ويستسلم لئساعات لا يستطيع ان يتخلص منها ، هي التي كانت تحوم في ذهنه حول ما يشاهده من احداث ومظاهر طبيعية تثير انتباهه احب ام كره ، والملاحظ انه كان يعمل فكره في كل ما يشاهده من حوله بغية معرفة الاسباب الداعمة الى حصول حوادث معينة ، ولا شك ان هذا القصور هو الذي حمل « دوتن يابان » على ان يركز انتباهه في ارتفاع غطاء القصر نتيجة تصاعد قوة البخار ، قد يكون الحادث الميكور بسيما في حد ذاته ، ولكنه على اي حال كان نقطة انطلاق ابتكار منها تطور العالم بأسره تطورا مدهشا ، فنحن لا ننكر ان مثل هذه الافاضات الشخصية من درجتها على وجه الارض سبق

القران الكريم والفصاحة التي طبعت آياته الكبرى كل ذلك من العوامل التي بهرت عقول العرب الاولين بما جاء به القران من مصر وبيان ، اعجزهم عن محاولة الاتيان بمثله ، وعاق بالتالي علماء اللغة عن اغشاء العربية بما يمكنها من الاستمرار في انتعش والتطور ، تطورا يجعلها لا تتحيف عن ركب اللغات الحية الاخرى ، بسمل يضيف علماء الاستشراق الى ذلك - ولا امرى الى اي حد يمكن الموافقة على ما يقرأون - ان المعجز الذي اسباب اللغويين كان ايضا من حظ الفقهاء والمكتسبين الذين لم ياتوا بالحسن مما جاء به القران والحديث من احكام وقوانين تشريعية تعتبر اية في الدقة .

ثانيا ، وهناك عامل اساسي كان له الدور الفعال في تقييد اللغة هو شك النوع من الاستسلام او الخضوع الذي يلاحظ في الجماعات الاسلامية تجاه حوادث معينة ، حملت المسلمين على الاعتقاد بانها نتيجة للفضاء والقدر ، ولا سبيل الى الفرار منها ، هذا النوع من الاستسلام ادى بطبيعة الحال الى نوع من التجمد الذهني تبعها للرضى بالامر الواقع الذي لا يرتفع ، ومنهم من البحث عما يغني اللغة العربية بشئ وساتل العمل والتفكير ، بل يزيد اولئك الذين يعيرون علينا هذه العقلية المنحجرة انه حتى عندما كانت المجتمعات الاسلامية تتمتع بنوع من التقدم من الوجهة الاقتصادية ، كان من نتيجة هذه العقلية الجامدة ان عاقت المشتغلين في ميدان الصناعة عن البحث عن وسائل جديدة ترقى بالمجتمع الذي كانوا يعيشون فيه - فأنظر مثلا الى الوضع الاقتصادي الذي كنت تعيش عليه المدن المغربية كداس مثلا تجد هناك مجموعة من الصناعات اوضح ما يوصفون به هو ذلك الرضى بالحالة الاقتصادية

الحياة والبقاء الا للالفاظ والكلمات التي يتقبلها الذوق الصليح ، لما الالفاظ التي تمجها الاسماع فانها تضمحل بسرعة وتتبدد مع الرياح الأربع .
يضاف الى ما تقدم ان من منافع النظام الديموقراطي انه يعطي الميزانيين فرصة توزيع الارزاق بالتساوي على اقراء الجماعات ، كسل يحصل ، قدرته على العمل والانتاج في وسط غنى بالمواد والمقومات الحضارية التي جاءت بها الحياة المصرية ، اول ، ن ، بحيث ، ان النظام الديموقراطي يساعد معظم المواطنين على التمتع بهذه المقومات الحضارية المتمثلة في الاشياء والادوات التي تستخدمها يوميا ، كما يعطهم فرصة استعمال الالفاظ والتركييب الدالة عليها ، فتروج اللغة تبعا لذلك وتصبح شائعة اكثر ماكثر بين الناس .

رابعا - يعتقد بعضهم - وهذا صحيح الى حد بعيد - ان انقسام المجتمع الاسلامي الى طبقتين ، طبقة الرجال وهم الذين يستأثرون بالاموال كلها على وجه التقريب مع تحمل جميع المسؤوليات ، وطبقة النساء اللواتي لا يظفرن الا بقدر قليل من تلك الاموال تدليل على تخلف هذا المجتمع الاسلامي وتحجيره ، وبالإضافة الى ان ابقاء للنساء بعيدات عن مراكز العمل والانتاج حكم في الواقع على ذلك المجتمع بالعمق والافلاس مسبقا . ان ظاهرة اجتماعية كهذه تعوق اللغة عن الانتشار بالسرعة اللازمة وذلك لان المتكلمين بها لا يزيد عددهم على نصف ذلك المجتمع المتخلف الذي يعتبر نصفه جامدا أشل .

خامسا - وهناك عوامل تقنية تعوق اللغة العربية في حائتها الراعية عن الذبوع والانتشار وهذه العوامل ترجع الى قواعد اللغة التي يعترف

لهم بالتكيد قبل « دوتى يلان » (ر) شاهدوا غطاء القمر يتحرك في حدود وهبوط ، ولكن من المؤكد ايضا انه لم يتنظن وأصد منهم من قبل الى استغلال تلك الظاهرة الطبيعية البسيطة حتى طلع علينا اقرب التاسع عشر ، فكان ذلك التحول العميق في سير المدنية المعاصرة من حظ عامل بسيط ، له ضمير حي متوقد ، واردة تستطيع ان تهز الجبال .

ان ثوى الضمائر الحية هم الذين يتصرفون ايضا يمسا يسمى بالعقلية الصناعية والعقلية الصناعية هي وحدها التي تستطيع ان تدفع بعجلة البلاد الى الامام ، وتصحها على قضيت انقذم السريع .

ثالثا - يقول المستشرقون الذين سبق لهم ان تعمقوا في دراسة اسباب التفرق الذي تشكلت منه اللغة العربية اليوم ، ان نوع النظام السياسي قد يكون له اثر في انتشار اللغة العربية واشعاعها ويعلنون ذلك بقولهم انه اذا كان النظام ارمستقراطيا فان الامة تكون ان ذاك تعيش داخل جماعات صغيرة مفصلة بعضها عن بعض يحكم الفوارق التي تفصلها من رغبة الشعب ، وتكون هذه الجماعات الصغيرة ، في مثل هذه الحالة ، تستعمل لغة خاصة قليلة الشيوع ، ومفردات وتراكيب لا تقوى بالتالي على الانتشار ، فتبقى اللغة محبوسة للانفاس ان صح هذا التعبير في حين ان النظام الديموقراطي يعين طليما على ذبوع لغة يحكم استعمالها من طرف السواد الاعظم من الامة ، وفي هذا ما يضمن حياتها وبقاءها ، وغنى ابرواج الذي يحدث داخل جماعات لا تفصلها جوارح عنصرية عن بعضها لا يضمن لسلم ليكنية الانتشار والذبوع فحسب ، ولكن بموهلة عميل الاستقرار في الانهزام ، وما يلاحظ في هذا المقام ان النظام الديموقراطي لا يصنع

والكلمات التي تنطق بمعالم الحياة المادية ، لأنه لا يجد فرصة لاستعمالها في البيت ولا في الشارع ، ومعلوم ان توفر الأدوات التي ترتكز عليها الحياة البيئية في مجتمع متقدم ، دليل قاطع على تقدم البلاد التي ينتسب اليها ذلك المجتمع من الوجهة الاقتصادية . بحيث كلما توفرت الأشياء والأدوات التي تشير اليها الكلمات الجديدة المتولدة من الحياة المصرية الا واصبحت هذه الكلمات حية وأتجة بحكم الضرورة والحاجة الى استخدامها . وهكذا نستطيع ان نقول ان الكلمة لا تروج وتعلم بالذمن الا اذا اقترنت استعمالها ، على الأقل في اول الامر ، بالظاهرة التي تشمل عليه ، ومن ثم تفهم قيمة النصيحة التي ننصح بها المعلمين المتدربين كي لا يقوموا بدرسها في الحائطة او الأشياء الا مقسورنا بالأشياء التي يتحدثون عنها للصغار ، فذلك ادعى لرسوخ الكلمات والمفاهيم التي تعبر عنها في عقولهم ، أما اذا كان الدرس عبارة عن مباحثة لفظية فان من المقطوع به ان الاطفال سيقفون غائبين بعقولهم عما يقول المعلم ، والتجارب عمقتا فيما يرجع لدرس الأشياء والمباحثة خاصة ان الكلمة اذا كانت مصعوبة بالظاهرة الذي تدل عليه تستقر في اذهان المتعلمين بصورة ان يحوها الزمن ، معنى هذا ان الوسط كلما كان غنيا من الناحية المادية اضطر اهله الى البحث عن الالفاظ والتراكيب التي تعبر عما اشتدل عليه ذلك الوسط من افوات والآلات والأشياء هي وليدة الحياة العصرية المادية نفسها .

ان تطور الفلسفة رهين بالتطور المادي الذي يتمتع به المتكلمون بذلك اللغة ، ومع ذلك يقول بعض اللغويين ان اللغة رهيبة بالارضاع السياسية

الكثيرون يصعوبتها كما تتكمن في تعدد اشكال الحروف العربية بحسب وقوعها من الكلمة ، بحيث يتحمل الصغار مشقة كبرى في التعرف عليها وبالتالي في الانطلاق وراء عملية القراءة ، ومما لا شك فيه ان تلك المصاعب تقف حجرة عثرة في نشر الكتاب بالسرعة المطلوبة وتحمل الناشئين ثمنا باعضا عند طبع كتبهم مما يسبب هرقلة في سبيل سير اللغة العربية وانتشارها .

ويصيف بعض المهتمين بمستقبل اللغة العربية ان الداء كله يكمن في عدم توفرنا على المفردات المصرية الدالة على المفاهيم التي جاءتنا بها الحضارة الغربية ، ويذهبون الى القول بانهم يكفي لايحاء تلك المفردات وخلقا خلقا عن طريق النحت والانتباس وغير ذلك من اساليب الاشتقاق الاخرى لتصبح اللغة العربية قادرة على النيع والانتشار ، وهذا قول مردود ، اذ لو كان الامر كذلك لكفى المتكلمين بالعربية وجود هذه المعاجم والكتب التي امتلات بطنى المفردات والتراكيب ليتكفوا من التعبير عن كل ما يدرج في خواطرم من الأفكار والمفاهيم تتصل بهذا المجتمع الحي المتطور الذي نحيا .

لكن القضية لا تتعلق بكيفية هذه المفردات قدر ما تتعلق بقدرةنا على استحضار هذه المفردات وقرويجها في الرسم اللغوي الذي نعيش فيه ، وبكلمة اخرى يمكن القول بأنه ما دام المحيط الذي يتقلب فيه الطفل المغربي كالييت مثلا يشكو فقرا في الأثاث والأدوات ومقومات الحياة المادية التي يزرعها هادة بيت الطفل الاوربي الذي ينتسب الى مجتمع متقدم راق ، فان هذا الطفل المصري او المغربي سيظل فقيرا كذلك من حيث الالفاظ

والذين يعودون إلى التاريخ يلمسون منه الأسباب التي دعت إلى انتشار اللغة العربية في الاقطار التي بسط المسلمون نفوذهم عليها ، يلاحظون أن هذا الانتشار كان دائما متمشيا جنبا إلى جنب مع التطور الاقتصادي في تلك البلاد ، بحيث كلما ازدهت الحياة الاقتصادية فيها إلا وراكبها تقدم لغوي وبالعكس ، وتربط عن ذلك زيادة في الدخل الفردي بالنسبة للسكان عموما . ولما دليل على ذلك في التقدم الاقتصادي الذي كانت تتمتع به بلاد المغرب العربي خلال القرون الوسطى ، أي عندما كانت الحياة مزدهرة فيها بوجه عام ، فقد كان الناس في دائرة تلك الحياة البسيطة يعودون عن مدركاتهم وأن كانت محدودة بكلمات وأسماء دقيقة واضحة ، فقل يعودهم المصطلح للتعبير عما كانوا يقومون به من أعمال وثقافات مختلفة في مجتمع متطور ، وليس من شك في أن ازدهار الصناعات المحلية في ذلك العصر كما يحدثنا عنها ابن خلدون في مقدمته في مدن المغرب المنخفضة كالقنيطرة وتلمسان وفاس مثلا كان يواكبه ازدهار في الثقافة أيضا ، فلما تدهورت الحالة في تلك المدن على الخصوص لأسباب لا سبيل إلى ذكرها في هذا المقدم لحق الحياة الفكرية نوع من التجمد والركود .

هذا ويلاحظ من جهة أخرى أن الدول التي سنقنت في طريق النمو والازدهار الاقتصادي كالولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وفرنسا تتمتع هي الأخرى بازدهار ملحوظ في حياتها الاجتماعية والفكرية ، والذي يدمو إلى الانتباه هو أن أثر ذلك التطور لم ينحصر في الحياة المادية بل انتقل مفعوله إلى اللغات التي تحدث

التي تعيشها الأمة ، فمتى كانت الأمة عظيمة متحدة زادت الأقبال على لغتها وآدابها ، فالمشكلة الأولى في نظرم مشكلة سياسية ، ويضربون على ذلك مثلا في أن اللغة العربية انحصرت على اللغة الفارسية لأن الله كتب الغلبة للمسلمين بعدما خضعت الدولة الفارسية لسلطانهم ، أجل أن في هذا القول نصيبا من الصحة ، فقد سبق لكل منا ممن عاشوا الحرب العالمية الثانية أن لا حظوا كيف تحولت رغبات معظم تلاميذ المدارس الثانوية ، سنة ١٩٤٥ بعد انهيار دول المحور أمام الجيوش الأميركية انظرة إلى دراسة اللغة الانكليزية عوضا عن اللغات الحية الأخرى ، لكن النظرية السابقة لا تعبر مع ذلك إلا على جانب من الحقيقة ، إذ لو كان الأمر كما قيل أن السياسة تتحكم وحدها في انتشار اللغة وازدهارها لاستطاعت بلدان المغرب العربي التي يهنا أمرها قبل غيرها من أن تركز اللغة العربية في كل مكان بعدما انجلي الحاكمين الأجانب عن أراضيها . لكن القضية ليست سياسية فقط ، بل لها علاقة وثيقة في أن واحد بالجو الاقتصادي وتقسيم المجتمع الذي يعتمد هذه اللغة أو تلك في حياته اليومية ، بل يرى بعض المتخصصين في علمي الاجتماع والاقتصاد ، وترى معهم ، أن التطور الاقتصادي في بلد ما شرط أساسي في التطور الاجتماعي والفكري في ذلك البلد . فهناك نمو وتقدم من الوجهة الاقتصادية والمادية كلما كانت الحياة الفكرية نامية مزدهرة ، كما يلاحظ أن تقدم الجماعات من الناحية الفكرية والعقلية في إحدى الجهات تعبر في الواقع عن تطور ملحوظ في أحوالها من الوجهة الاقتصادية والمعرفية .

كما يجمع غيرها من الوان النشاط الانساني الى عوامل الزمان والتطور والحاجة ، فنقول عندما تتقدم الصناعة والزراعة وتنتشر الصناعات ويزدهر من جهة اخرى العلم والثقافة والتربية بالاعتماد على اللغة العربية في التعليم والادارة معا ، اذ ذلك يرتفع مستوى المواطنين ماديا ومعنويا ، وتتضاعف حثا قدرة اللغة على التعبير ، فيتركز محصولها من الالفاظ واذا ذلك - واذا ذات فقط - يكون في مستطاع القطاعات الخلاقة التي يؤلفها الصناع والزارعون والفنيون وارياب الحرف والصنائع على اختلافها ان تصد اللغة بامدادات من اسماء الآلات والانوات وما تنصف به من حركات كما تمدما في نفس الوقت بكل الالفاظ المبررة عن الحضارة بما فيها من علوم وآداب وفنون وقدرة على الخلق والابتكار .

يستخلص من كسل ما سبق ان الاقبال بكل حيوية ونشاط على الحياة الصناعية هو الذي يورث العمال تلك العقلية الصناعية ، التي بدونها لا يستطيع بلد من البلدان ان يخطو خطوة الى الامام في طريق التقدم ، بكل ما في هذه الكلمة من مدلول وما ان وواج اللغة يتصل اتصالا وثيقا بالتطور الذي يمر به الحياة الاجتماعية في بلد ما ، وان هذا التطور الاجتماعي الذي هو في الواقع نتيجة لتقدم مادي ينعكس مفعولا على مجتمع معين ، فدخل الى انه بالامكان ابراز الشكل كله في شبه معادلة ثلاثية نستطيع ان نجسرها عنها بقولنا : الاقتصاد الناهض يفضي حتما الى تكوين مجتمع حي متطور والمجتمع المتطور الحي لا يستعمل امله اللغة حية طبيعة متطورة كذلك .

على ان ذلك كله لا يتم الا اذا تفرتها بالمصير والعمل المستمر ، والاكياب على ما نحن مطوقون به بكل جد وهمة ، اذ ذلك مستطاع ان نقفز الى مرحلة الخلق والابتكار .

بها تلك الدول ، وهكذا أصبحت لكل من تلك الدول لغة طيمة مرتبة استطاعت ان تستوعب مفاهيم الحضارة المصرية بدون حياء ، فكان اللغة ، والحالة هذه ، ثمرة بيولوجية لما يجري عادة في سائر المجتمعات التي طرأت على حياتها تمولات عميقة كانت في الواقع قاعدة لانطلاقها في طريق التقدم والرفق ، لا فرق في ذلك بين تقديما في الابدان المادي او الفكري ، وذلك معناه ان هذا التطور المادي والاقتصادي يتمشى مع التطور الفكري واللغوي جنبا الى جنب فتكون اللغة وهي وعاء كل حياة فكرية بالمطلع متقدمة واقية حتى كان المجتمع الذي تنسب اليه مجتمعا واقيا متقدما ، والحياة الاقتصادية فيه في نمو مستمر ، كما انها تكون متأخرة فقيرة كلما تفقر الوسط الاجتماعي الذي هو مبعث هذه اللغة .

واذا كان الامر كذلك فلينبه على المسؤولين في البلاد النامية عموما وفي بلاد المغرب العربي على الخصوص ان يطوروا الاسبقية لكل ما من شأنه ان يعين على تحقيق نهضة اقتصادية تدفع بعجلة التقدم في هذه البلاد الى الامام ، وذلك بتركيز وحدات صناعية في كل مكان لان ذلك لا يساعد فقط على بحث نهضة اقتصادية فيها تكون بمثابة نقطة انطلاق وتحرر من كل تبعية ، بل هي في نفس الوقت خير وسيلة لتنمية لمة الوطن واغنائها بما هي في حاجة اليه من مفردات ومصطلحات علمية وفنية ، من شأنها ان تجعل هذه اللغة قادرة على تلبيه حاجتنا اليها كوسيلة للتعبير عن مفاهيم الحضارة التي أصبحت من مميزات اللغات اوروبية الحية - ذلك ان اقحام اللغة العربية في العمل والصنع والورش والشارع وحمل الصناع والمزارعين على استخدامها يفتح لها لا محالة فرصة التكيف والنمو طبقا لمتطلبات الحياة الاجتماعية باعتبار ان اللغة ظاهرة اجتماعية وثمره بيولوجية لحياة الفرد تخضع

التحريب بين اللغة والفكر

تعرضت في مقال سابق إلى مشكله تدليس مادة الفلسفة بلقنين مختلفين ومن طرف استاذين مختلفين وما تحدثه هذه الوضعية من ذبذبة في التفكير وتقسيم للشخصية ، واشترت الى بعض الحلول ، ناذرة اختيار اصلحها للمعنيين بالامر - وتقرر أخيرا تحريب هذه المادة الهامة واننا اذ نشكر المسؤولين بوزارة التعليم التناوب على اتخاذ هذا القرار الثوري العظيم الذي سيساهم لا محالة في استرجاع احد العناصر الاساسية للشخصية الجزائرية الا وهو التفكير الوطني فاننا ندرك مدى أهمية هذا القرار ومدى خطورة ايضاده .

فتية بفايم

استاذة فلسفه
الجزائر

ولقد جاء القرار في اوانه بعد تجربة طويلة ووعى دم لوضعية اضعفت غير محتملة في فترة تخوض فيها البلاد ثورة ثقافية كبرى لبحث لاصالة الحداثية من جهة ولايقاط الوعي الفكري وتنشيطه من جهة أخرى *

هذه الثورة التي تستمد جنورها أساسا من اصلاح التعليم بجميع مراحله *

اصلاح في طرق تعليم اللغة العربية واصلاح في تحرير التفكير من دواشب الذهنية الاستعمارية ومن اهدافها العريضة لارساء أسس سليمة تقوم عليها مقومات شخصية امة ياكلها بما لديها من فكير ولغة ومناهج تسلكها في الحياة لتستدير مقتضاها ركب الحضارة الانسانية وان ما أردت الاشارة اليه في الموضوع السابق هو ان يوضح الطالب بعبء يدي استاذ واحد ينوئ تكوين تفكيره ملتزما بمسارح جزائرية تحدم اهداف المجتمع وحاجاته الاكيدة على ضوء المناصب الفكرية الكبرى وعلى ضوء مناهج التفكير العلمي والرباني *

تلك المناهج التي من واجب الاستاذ ان يسعى الى تحويلها الى حقائق واقعية حتى تصبح سلوكا عمليا وذخيرا يستهجه الطالب في حياته اليومية حاضرا ومستقبلا *

وان تحقيق ذلك يتطلب اعداد تحطيط دقيق واستعدادا ماديا وبشريا *

الاستعداد المادي :

يتمثل الاستعداد المادي في عادة النظر في البرامج واعتماد مراجع بسيطة في مشاغل الطالب بالاضافة الى المرجع الموسع الجزائري ؛ المرجع للسيد الفتحي العام محمود اليموني *

اما البرامج فهي تتطلب بعض التغيرات من حيث المحتوى ومن حيث التجزئية كانه يضاف مثلا الى المراجع المقررة بعض المواضيع الخاصة بالجانب التوجيهي والتربية الوطنية - وينقسم ذلك بدراسة مشاكل المجتمع الجزائري واجهاته السياسية مع اعداد مكانة بيئة للتطهف الاسلامية.

ويمتحن ان تقسم البرامج على المستنث النهائيين من التعليم الثانوي فيخصص للسنة السادسة من التعليم الثانوي :

x - قسم علم للنس وعلم الاجتماع *

z - قسم اساهج والبيانات والافلاقيات للسنة السابعة النهائية *

وينطبق هذا التقسيم على العرع الادبي والعلمي على السواء *

المراجع :

بالاضافة الى الاعتناء على المرجع الجزائري : « الوجيز في الفلسفة » والى المراجع العربية والاحمية الاخرى ينبغي العناية بالتاليف المشترك كان تطيح مثلا بعض المحاضرات لاساتذة الجامعة او الثانويات وتوضع تحت تصرف طلاب الاقسام الهانسة *

التاليف :

x - تشكل لجنة تحت شراف افتش العام تحتس بتبسيط أسلوب بعض مواضيع الفلسفة الاسلامية المتعلقة بالبرامج الخاصة بهذه المادة ووضعه في سلسلة مصطرة واضحة *

عرض خلالها أهم المشاكل التي تعترض الاساتذة في تدريس هذه المادة .

ويقع البحث عن حلول مشتركة من شأنها ان تساعد الجميع .

عرض دروس مثالية : من طرف اساتذة مختلفين اذا أمكن الامر ، كل حسب درجة نجاحه في جانب من جوانب مادة الفلسفة أو علم النفس أو علم الاجتماع أو المناهج ...

دروس تجريبية :

تخصص بعض دروس تجريبية للمبتدئين يشرح فيها المجال لمناقشات حرة بنامة من شأنها اشادة السبيل للجميع والكشف عما هو غامض كما تعطى لهم نماذج المذكرات في تدريس كل نوع من انواع مواضيع البرامج ترسم عليها :

- مراحل عرض درس في المنهجيات .
- مراحل عرض درس في علم النفس .
- مراحل عرض درسي علم الاجتماع .
- مراحل عرض درس في الميتافيزيقا .
- مراحل عرض درس في الاختلافات .

الدروس المتلفزة لمادة الفلسفة :

ساعت دروس متلفزة مساهمة فعالة في تكوين الاساتذة من جهة وفي مساعدة الطالب على مراعاة بعض الدروس والتمعن في فهمها غير انها لم تعرض كل الدروس المقررة كما ان وقت عرضها غير مناسب للتفكير والتأمل - كما ان عملية معاداة

2 - لغة نترجمه بعض المواضيع من وثائق اجنبية -

3 - تأليف قاموس لترجمة مصطلحات الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع التابعة للدروس المقررة في البرامج الجزئية .

الاستعداد البشري :

يستحسن ان يتقن استاذ الفلسفة لغة اجنبية الى جانب اللغة الاصيلة العربية كما يجب ان يخرج من المدرسة العليا للاساتذة او يتلقى تكوينا مهيئا عمليا في الجامعة يمكنه من الشروع في مهنة وهو يملك تحريرة مهنية ضرورية حتى ولو كانت ضئيلة بحيث يكون ملما عند مباشرته للعمل بمادة تعليمه ويميداه علم النفس عامة وبفسيمة المراحل خاصة واستعداداته وقدراته كما يلم بصياح تدريس هذه المادة وتقنياتها الاولى التي نعتمد من التمرن فيضيق وقتا طويلا نيميا لاكتساب هذه الخبرة الاولى وبالتالي تضييع اوقات الطلاب المقبلين على امتحانات بها يتحدد مصيرهم ومصير عائلاتهم في المستقبل وعليها يعتمدون .

2 - التكوين المهني بعد التخرج من الكلية :

ار من المدرسة العليا للاساتذة وكلنا نعلم ان مجهودات الخش العام في هذا الصدد كبيرة . هناك ندوات تربوية تعقد ودروس مثالية تعرض على الاساتذة ولو اضيفت بعض الندوات الشهرية

يقول أي تعبير ، بل هي تلك « الحادثة » التي تمتد بين يديها أعلى إمكانات الوجود الإنساني وتطور اللغة لا معنى شمعها ، بين حياتها ، وحتى لا تترك اختيار التطور السوي والمضاري لحرية التقدير وشعوذة هذا وذاك ، حسب معاملة كل منهما بين شتى المصادر ومختلف الاتجاهات ويجب إعادة النظر في أسس تدريس هذه اللغة حتى لا نقضى عليها بوسائنا وبذلك نخود عن الهدى الذي لا بد أن يرمى إليه تعليم أية لغة وهو إعداد الأجيال الصاعدة لحوض الحياة الثقافية المفضلة والقيام بمهامها الاجتماعية الحديثة وما تتطلبه من يقظة ووعي ودقة في التعبير والتفكير والإيجاز والوضوح حتى يخرج الطالب من المفردة وهو يمتلك زمام لغة عصرية دقيقة واضحة مرنة وتفكيراً سليماً منطقياً قابلاً للتطور والتضخم بعيداً عن التحجر والجمود والنقل والاطراء ، لأن الهدف الأساسي من تعليم اللغة هو دراستها كرسيله لتصير عن أفكارنا في هذا العصر لا عن أفكار أسلافنا تعبيراً دقيقاً منطقياً ، أي دراستها كمادة حية تؤدي وظيفتها في الاتصال والتفاهم من خلال وحدانيتها المتعددة الاتكاملة .

وإننا لا ندرسها لتتأمل وقتها ، بل ندرسها لإعادة اكتشاف عناصرها اكتشافاً جديداً كي نستشعر مكنوناتها استنشاقاً حياً - ونسألها كيف ملاحظة لا يقل عن انصاف الطبيعة الأخرى دفعه وتشخيصاً حيوية .

إن ملاحظة أشياء طبيعية ومقارنتها واستنتاج القواعد التي تنصص إليها مجموعة ما من الأشياء

المشكل الفلسفي المطروح كانت غير مضمونة لمشاهد ومحاولة حل الإشكال المطروح والتفاعل معه ومع جو القسم لا يمكن أن يحصل في هذا الصدد وبالتالي فإن تقويم تفكير الطالب المشاهد غير ممكن .

هذا علاوة على أن مستوى الطالب وضعيته كمشاهد لا تسمح له بأخذ ملاحظات كتابية - نرجو أن تصاف إلى مثل هذه الدروس عاضرات فلسفية عامة من نوع الثقافة للجميع متنوعة بمناقشة قصيرة حول الموضوع في نطاق برامج الغدسة المقررة لطلاب التعليم الثانوي .

هذا بالنسبة لتعريب مادة الفلسفة وما تطلبه من مجهودات ، ورغم أنها لا تمثل إلا جزءاً من عملية التعريب ككل إذا اعتبرنا اللغة كنطلق لكل تعريب .

ولتعريب كما تعلم قضية معروضة منها غير أن المشكل لا يحصر في حذف لغة أجنبية ووضع لغة وطنية مكانها وتدريسها بالوسائل القديمة بما فيها من صوص وأساليب وتفكير لا تسير التاريخ ولا تعبر عن أحداثه المختلفة ومياديسه المتنوعة في المجال الاقتصادي والعلمي والاجتماعي والفني والعائدي والعلمي والسياسي ، فبعيت تكون لغة عادة يكون عالم صغر متطور ايده عالم العمل والقرارات والمشروعات والخلق والإبداع ، وعالم الصخب والمطرب والتعثر كبله .

وحيث يكون عالم يكون تاريخ لأن اللغة ليست أداة جاهزة أو قرآناً مقدساً تركه الإحدااد ولا

دراسته حسب الاتجاه الذي أعطى له في الابتدائي وهذا على جميع مستويات التعليم ، من الابتدائي الى الخامس الامر الذي يجعلنا نلاحظ ان التعليم يسير وفق اتجاهين مختلفين : ويخرج طبقين متميزين : طبقة مصرية وطبقة مفرنسة ، وهما كانت أسس هذه التجارب منطقية ومنقولة هي فترة من الزمن ، فابها الآن تشكل خطرا جسيما على ديمقراطية التعليم وعلى وحدته الحضرية ان لم نقل انها تواصل حملة استعمارية طالما عملت على تارقة افراد الامة الواحدة لغويا وفكريا ومنهجيا ،

ان التعريب لا بد ان يشمل كل الموارد الدراسية وكل المستويات مع ادخال اللغات الحية الاخرى في جميع المدارس من الابتدائية الى الخامسة وهذا معمول به في عدة بلدان عربية متقدمة .

اما على مستوى الاطارات والتكوين المهني :

فرغم النجس الملحوظ ، وسير الاطارات نحو الجزالة التامة فانها لا زالت تشكو تنوع اتجاهات المدرسين ونوع طرقهم ولهجاتهم واختلاف تكوينهم مما يجعل مهمة الاطارات المشرفة على المراقبة والتكوين المهني أساسية وخطيرة في هس الوقت ، ان لم نؤد على اكمل وجه ، فنقدر ما يكون كدتمتشن العامرين والابتدائيين والمستشارين التربويين من كماعة ، ذجة وعلمية واداءة - حجرة قديمة واحتصاصات معينة يمكن ان تضمن تحسين اطارات المدرسين .

ثم الخروج بهذه القواعد الى القوانين لتطبيقها على خواص اخرى متشابهة ما هي الا ملاحظة التراكيب العنوية وتحليلها وفهمها وتركيبها ومقارنتها ثم استنتاج قواعد الوحدات اللغوية للخروج بها الى ميدان مشابهاة بغير بواصلها عن افكارنا تعبيرا قياسيا منهجيا صحيحا .

وكل ذلك يتطلب امسا صحيحا وتربوية ولغوية ونفسية واطارات كماتة لتحمل مسؤولية هذا الصير الحضاري الوطني .

ورغم ما حققه التعريب في مختلف مستويات التعليم من نجاح فانه لا زال يعاني ضعفا كبيرا ويلاقي عراقيل عديدة منها العراقيل اللغوية الناجمة عن جهل بعض المدرسين لاسس تدريس اللغة الحية ومنها العراقيل المديرة والمتصودة من طرف مناهضي التعريب والتي تهدف الى معارضة وتدمير أجل انتشاره بشقي الوسائل الفنية وادبيوماسية المحكة .

فالتعريب قضية تنفيذ على اكثر مما هو قضية تخطيط وزاوي ، والتنفيذ لا زال معهودا الى ذوق اللغة الاحسنه .

اما كيف يسير التعليم حاليا ؟ فيما لا جدال فيه هو ان اللغة العربية تدرس لجميع اللامبند وعلى جميع المستويات الابتدائية والثانوية والجامعية غير ان بعض الاقسام احضعت لتجربة التعريب الكامل بما فيه المواد العلمية والاخرى تدريس فيه هذه المواد باللغة الاجنبية بالاضافة الى تدريس اللغة العربية كنفة . ويواصل كل فريق

دور المعاهد التكنولوجية في عملية التكوين المهني:

إن المعاهد التكنولوجية من أروع الإنجازات التي حققتها القيادة الثورية والتي تعلق عليها آمالا كبيرة وقد ساهمت في إدخال بعض التحسين على الأطارات الحديثة من الشباب ولو أدخلت عليها بعض التمديلات ، على ضوء التجارب الأخيرة لتأنت في طليعة الاجهزة الحيوية للتكوين المهني الباج ، كان تحدد ادارة التكوين المهني مثلا :

١ () للمذهب *Doctine* التربوي التوجيهي العام وتنظيمه في وثائق رسمية ومراجع مدرسية يكون الغرض منها توحيد طريقة اعداد المدرس الحراري .

٢ () نوع الاطارات المسيرة والنشطة لهسته المعاهد السكولوجية .

٣ () التنسيق بين مختلف عناصر التكوين المهني من معتمدين الى اساتذة التربية والتي المعلمين المظفين - ونصل في النهاية الى دور التائب المدرس ودور المراجع المدرسية في عملية لتعريب عامة والتكوين المهني خاصة .

فلنلاحظ ان المراجع المدرسية والوسائل التربوية تكاد تكون في طليعة الادوات لستي ضمن لنا حاليا لتقبل على كل الناقض المذكورة سابقا - وهذا اذا ما تحسن محتواها ومهجها -

والدليل على ذلك ، ان التجربة التي اجريت في السنة الاولى والثانية من التعليم الابتدائي ادت الى نتائج مدهشة بنسبة 90 ٪ رغم قلة خبرة المعلمين ، وهذا دليل واضح على مدى اهمية هذه المراجع في تكوين المعلم والمادة التلميذ بمعلومات مدرسية مسبق ، ووعيت فيها الجواب التربوية والنفسية والعلمية - كيفا وكما - مما يجعلنا نعتقد ان التعريب يتوقف بالدرجة الاولى ، من لناحية العملية على هذه الوسائل التربوية والمراجع المدرسية « فاننا عند ما نعد كتابا يحتوي على صوص حية من واقع الطفل ، فيه تمارين عملية متنوعة تشمل كل فروع الفضة ومذكرات خاصة بكل نوع منها فالت حصل في هذا الطريق الى :

١ () ضمان اعداد الدروس اعدا كافيا .

٢ () احبار المعلم على استعمال هذه الوسائل الجاهزة وتطبيقها حسب التوجيهات التربوية التي ترافقها .

٣ () المادة التلاميذ بمعلومات مدرسية تتوفر فيها الشروط التربوية الضرورية .

وكل ما أضافه المعلم الى ذلك يعتبر من باب التوسع والابداع وهذه من الكمالات بالنسبة لواقعنا - في الوقت الراهن .

واقع اللغة العربيّة

في الصحافة الإصلاحية في الجزائر

تمهيد :

لعل المقاومة التي حاشتها الأمة الجزائرية من أجل الحفاظ على لغتها ضد طوفان «الغريب» لم تقل عنفا وضراوة عن مقاومتها من أجل الأرض * فإنه بقدر ما كانت زوايا التصرية والتجريد من طرف السلطات الاستعمارية موجاه عنيقة ، بقدر ما كانت فزعة التشبث بلغة القرآن من طرف المسلمين الجزائريين مصرة وعتيقة *

د. محمد ناصر
كعبة الآداب
جامعة المراور

فمنذ السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي ، راحت المخططات العسكرية تنفذ مخططا جهنميا تهدف من ورائه إلى القضاء على مميزات الشخصية الجزائرية وذلك بالقضاء على دينها لاسلامى ، ولغتها العربية ، حتى تسهل لها بعد ذلك عملية تزييب هذه الامة الصليبة *

فقد كتب الجنرال « فالن » سنة (١٨٢٤) بان كل العرب (الجزائريين) تقريباً يعرفون القراءة والكتابة حيث ان هناك مدرستان في كل قرية * وفى تقرير لثانيون الثالث ، كتب الجنرال « دومونثول » سنة ١٨٥٠ بان الدراسات الاسلامية كانت فى وضع مزدهر نسبيا عشية الاحتلال *

اما الاساتذة « ديميرى » الذى درس طويلا الحياة الجزائرية فى القرن التاسع عشر ، فقد اشار الى انه قد كان فى قسنطينة وحدها ، قبل الاحتلال خمسة وثلاثون معجدا تستعمل كمرآكز للتعليم ، كما كان هناك سبع مئذنة ابتدائية ثانوية يحضرها ما بين ستمائة وثمانمائة طالب ويدرس فيها اساتذة محترمون لهم أجور عالية (١) *

ان امثال هذه الاعترافات (١) * تصور لما مدى الازدهار الذى وصلت اليه اللغة العربية فى الجزائر وتبين لنا من جهة اخرى ، نتيجة انتصار الاسلحة الفرنسية التى قوضت المساحد التى كانت تزاوّل فيها هذه اللغة ، وشردت الشيوخ والطلبة فى مطاردة وحشية *

ويبدو ان الحكومة الفرنسية قد أدركت جيدا بانها بمحاولاتها تلك قد اسابت المسمين فى الصميم ، وفصحت سياستها اللاتينية السميعة باملوبيا العنصرية ذلك ، فراحات تتعايل على الاهالى باصدار اقوانين التى تزعم بانها ستفتح للغة العربية مكانا فى مدارسها *

ففى قانون لتعليم الاجياريى الصادر فى سنة (١٨٨٢) بفرنسا والنّى اصبح سارى المفعول بالجزائر فى سنة (١٨٨٢) احتوت مادته الثالثة والاربعون على ان التعليم فى مدارس الاهالى سيكون باللغتين العربية والفرنسية (٢) * * غير ان هذه المادة لم يكتب لها رؤية النور ابدا *

وحتى تلك المدارس الرسمية الثلاث المؤسسة منذ سنة (١٨٥٠) فى انحاء مختلفة من القطر فانها لم تدرس اللغة العربية الا لتفرض لها ما تحتاج اليه من موظفين فى ادارتها ، قضاء وترجمة ، وتدرسا بل ووعضا فى المساجد ايضا *

ولقد اوضح بعض غلاة «المصريين» انه من الافضل للحكومة الفرنسية ان تستمر على تدريس اللغة العربية فى هذه المدارس ، لان هذا يضعن لها توجيه ، المثقفين بها توجيهها سياسيا كما تريد ، ثم لتضرب بها «الزوايا» التى ما انفكت تتمسك بلغة القرآن بدافع التعصب الدينى (٣) *

والحق ان فضل بعض الزوايا * على الامة الجزائرية لا ينكسر ، فانها - حسب - شهادات

(١) ابو العباس سيد الله ، «حركة الوطنية الجزائرية ، ص 73

(٢) اطير ، All Maroc. Regards sur l'Enseignement, pp. 817-822.

(٣) انظر م - ص ، ص 617 - 610

(٤) اطير م - ص ، ص 168

متعددة (١) قامت في مسير عظيم في سبيل لحفاظ على لغة القرآن سيما معش شك الزوايا ، الكبيرة التي كانت تفضل العمل الجدى على الشطحات الصوبقة ، مثل معمد الهامل ، ومعمد الجلولى ، ومحمد سيدى منصور .

كما كن فضل الجرائد والمجلات العربية المخرقة التي كانت تمد الجزائريين بنفس النيلة في هذا المجال عظيميا . فانها هي التي لقت افكارهم بالهضة اطمية الرائعة التي كانت في هاتيك البلاد . وعلمتهم بان هيانة اللغة العربية لغة الدين والثقافة ولغة انقومية من احصن الاسلحة اصابة لخبية مساعى الاستعمار . فرادهم تلك التحقيق ايماننا وتشبينا وعزما وحرصا على الدراسات اللغوية وحثهم على العلوم لاسلامية اكثر من ذى قبل (٢) .

وعلى اعاب الحرب الكبرى اخذت بوانر ليطلة تفتح بمص الاشرين قناست في سنة (١٩١٢) بجهود بعض الفصلاء المخلصين في مدينة « تيسة » الجمعية الصديقية لاهياء اللغة العربية . فكان من اعلم نتائجها فتح مدرسة اهية على نظام عصري جديد ، اعدما لتكون اول مدرسة حرة نظامية اسمت باقطر الجزائري واستقدمت للقيام بشؤونها معلمين من علماء تونس ، ولكن الاستعمار الذي كان يلزعه شبح اللغة العربية وترعيه كلمة الاسلام ، اغلق بوابها وشرد اصحابها ، بعد ثلاثة اشهر فقط من انشائها (٣) .

ولنستعرب العرب العالسية الاولى عكاست للمة لحرية في النظر لجزائري حدا فاصلا بين ماض حالك متجهس ، ومستقبل مصطوب مضيب ، فانها « اثرت تأثيرا لا يقل نفوذا عن تأثير الاستيلاء الفرنسي ولو كانت نتائج الحرب اعالية الاولى مناقضة كل المناقصة لنتائج الحرب الاستعمارية الفرنسية ، اذا الحكم الفرنسي اوقف سير ومعو اللغة العربية بالجزائر بينما احرب العالية الاولى بعثت في المجتمع الجزائري احري تيارات اقتصادية وسياسية وثقافية طمرت باللغة العربية طفرة لا مثيل لها (٤) »

وتخصصت لحداتها الكبرى عن جيلين : شباب مثقف باللغة الفرنسية متخرج في مدارس الحكومة ، اكثره معجب بهذه اللغة وادابها . وشباب مثقف باللغة العربية متخرج في الزيتونة بتونس والازهر بمصر وغيرهما ، مؤمن بلغته وحضارته وببينا كان الفريق الاول يسمى لان يجهل من لغة المستمر اداة بحث ووسيلة حصول على الحقوق ، راح الفريق اثنان يكافح في استماتة عن لغة القرآن ، ويتخذ منها حجر الزاوية في بناء الشخصية العربية لاسلامية لجزائرية .

ولاستمر الصراع بين الفريقين على اشداه حتى انتصر الفريق الثاني وتجاوزت نتيجة جهاده في تأسيس (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) التي كانت تدوى من مدارسها هذه الضعافات « الاسلام ديننا ، العربية لغتنا ، الجزائر وطننا »

(١) انظر فريق اللغوي ، كتاب الجرائد ، ص 375 ، وسيد الدين ابي شبيب ، الهجة العربية في الجرائد ، مجلة كلية الآداب ، ع ١ - (1965) ص 38
(٢) م . س . ص 40
(٣) انظر تاريخ مشاة حنة القدسة بجريدة البريد الجزائري ع 3 و 1073/9 و جريدة المصديق ع 30 (1921/4)
(٤) ان شبيب الهمة العربية ، ص 33

المقالة الصحفية واللغة العربية

كانت الصحافة الوطنية في طليعة الصفوف تدافع باستماتة عن حرمة اللغة العربية ومكانتها في الجزائر ولم يتهور دافعها ذلك في المقالات الحارة التي فتحت لها صدرها ، وتدفتت على إثرها فحصب بل كانت هي نفسها عاملا من عوامل نموها ، واستثمارها في اتجاه القطر الجزائري بما منحته لهذه اللغة من تطور مع متطلبات العصر ، واستعمال اللسانيات البسيطة الهادفة التي خرجت باللغة من قوالب عصر الانحطاط المتصجرة .

ولقد نبهنا ابن باديس الى ما كان للصحافة من فضل كبير في جعل اللغة العربية في الجزائر لغة متداولة رغم الحواجز والعقبات : « والشعور بهذا الواجب يحزني الفضل فيه الى ما قام به نبغاء الجزائر ودماءها من الدعوة والارشاد فقلوا ينافحون عن اللغة والدين ، مطهرين ما لهما من الروعة والجلال ، والى ما قامت به الصحافة الجزائرية الفتنة من ضروب التعصيد والتأييد والاذاعة ، فتوصلت بعد جهاد طويل الى غرس ملكة الذوق العربي في النفوس ، متذوق المصوم من ثم حلاوة اللغة العربية وطلاوة اصليها الوشيفة (١) » .

ويبدو أن ابن باديس يمس بالصحافة الجزائرية الفتية ، تلك الصحف الوطنية الصادرة في العشرينيات على الاقل ، لان هذا الموضوع لم تعاجه امانة بصفحة جديفة متكاملة الا بعد الحرب الكبرى ، اما قبل ذلك فاما لا نجد غير مقالات قليلة جدا تمتد على الاصابع .

- ١ -

يجيء في طليعة المقالات التي تصمت لمعالجة قضية اللغة العربية في الجزائر ، مقال (٢) « قد صدر في سنة (١٩٠٤) جمع الى افضلية السبق » التركيز والموضوعية وتم عما يتمتع به كاتبه من عقل نير واطم واسع ، ونظرة صاعدة .

ويدلنا هزان المال « حياة الامه عبيدة » عنها « على الفكرة الجوهرية التي اتخذها الكاتب متطلعا ثم راج يجمع حولها اراءه في ثلاث حلقات » فجاءت قوية هزيرة تتدفق بالامثلة الواقعية والشواهد المصونة دون خضف او تسريد .

« هذه لمتنا العربية الشريفة التي انزل بها الكتاب ، لمة القرآن والدين الاسلامي » قد اصنعت منذ عهد مديد بعد اشراق انوارها على الحقيقة كسطينية في لمة البحر فتدهدها العواصف وتتجاذبها عوامل الحداث ، تكاد تذهب بها ربح الاوهام وعوامل الامل بمعناها الراسخة على دعائم البيان « ويمؤنا ان نرى من تلك الومال ، وامباب لتدلى واشداعي لبتائها اسواد الاعظم من بينها اثنين وصموا اعاريقها » وتغفروا بلينها فانصروا على تمسكها تمسك العارف بمقدارها « كيف لا وقد جاء الكتاب المبين بهذا اللسان الفصيح آية الاعجاز ومنتهى الملاحة » ولشك تسرى الشعوب الاسلامة على اختلاف لمحتوم وتعد صيغتهم يحتمون في لغة لقرآن العظيم لما يعلمون من انه الاس المثين بيكل الجامعة الاسلامية مهما بدت الدار ونائ الخزار .

١: الشهاب ، ج ٣ ، ١ ٢ ٣ سبتمبر ١٩٢٩ : م ، ص ٢٩

٢: مقال غون ابياد عنواله « حياة الامه عبيدة لغتها » للصباح : ج ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ (١٩٠٤/٩/٣٠) واشر بدنه مطبع مطبوع

١ : م ، ص ج : ٢٩

الشر لملامة والعمل على محور رسما من لوج
للوجود بترك لغة دينها وشريعتها وعلومها وآدابها
والإجهاد على قسوم وجودها وحياتها
الاجتماعية (١) ٠٠

مذ، مقال صدر في سنة ١٩٠٤ وقد عرضنا
أكثر فقراته ، هذا ، حتى نقف على ما يستوي
عليه من الأفكار هادفة تجمع بين البقة والشمول *
وكان تلك الأفكار الحية التي مرض الكاتب على
ضيوئها ما تلاقيه اللغة العربية من خصومها ،
واعداؤها ، تهديد مكثف يحرق على كل العناصر
الجهرية التي ستصادفنا في المقالات القادمة
بصفة متفرقة * وهو قبل هذا وإذك يربح
للمهم متبع سير حركة الفكر في الجزائر بأن
موقف الجزائريين من غتهم كان إبداء موقفا
رسميا ثابتا لا يتجزأ وهو يوضح بأن الحرص
على مصير اللغة العربية ، والتمسك بأعدادها
معناه حرص وتمسك بالدين الإسلامي بل هو
الحرص والتمسك بالجامعة الإسلامية هادفة ،
لأن لغة القرآن لا تجمع تحت لوائها العرب وحدهم
فقط ولكنها تحمض كل المؤمنين بشرية الإسلام *

كما يتبدد بفصوص اللغة العربية واعداؤها
سواء في ذلك ابتائما الذين جمدوا مضلها
ففضلوا عنها لغات دخيلة أخرى ، أو أعدائها
الاجانب الذين ما فتشوا يكيون لها بالدم
والتمايل لطامع سياسية أو أحقاد صليبية *

كتاب الحركة الإصلاحية واللغة العربية :
(١٩٢٥ - ١٩٢٦)

لقد كان من أهداف الحركة الإصلاحية
الاساسية نشر النقاة العربية في الأوساط

٠٠ وإن كان الفضل للغة العربية ومحاسنها
في عالم التراكيب الفكرية الأوروبية انصاسار
ينشرون مفاخرها ، ويتحدثون بذكرها ، ويمجدون
أنارها على صفحات النشر والأطراء فلها من
غيرهم حصوم وأعداء يصورون فضائلها ويغفونها
حقها ، فيقولون بصعوبة مناطتها وتنفذ الفاظها
٠٠ واستحالة الالمام بجمعها لمن استعرق
العمر في تدريسها وما ذلك لا لأحد أمرين أما
جهلا وتجاهلا بحقيقتها وإثباتا للمزائم وتكاسلا
عن مزاويلها أو لغاية في النفس ونسياسة تدس *

٠٠ وقد طما رأينا من الفريق الثاني أفرادا
تطفلوا على العربية فلم يشموا لملاغتها ريسة
الا بالامتلاك أو المخالطة ، ينكرون على العربية
فضلها ويقولون إنها لغة غير صالحة لتعليم العلوم
الوقتية مانعة عن تقم النشأة الإسلامية يعيب
الحول عنها في التقدم أما إلى البربرية العامة
أو إلى لغة أجنبية وربما تفتن بعضهم في الفانين
الاختراع فجامت فريمته الكاسدة بتمويضها بغة
عامية تكتب بحروف أجنبية وهو رأى الانساني
(ولهم سببا) المتوفي (١٨٨٢) وقامت الحرائد
الشرقية ممرما والمصرية خصوصا بتفريق سهام
التنديد والتفريق وتشديد الملام على المستريامور
المستشار بحكمة الاستئناف المصرية الذي ألف
كتبا ، دلاج « المؤيد الأغر » ترجمة مقدمته - في
جسل اللغة العامية المصرية في التعليم بدلا
من اللغة العربية الفصحى وحارل لقناع المصريين
بأن ذلك الاستبدال خير لهم وأولى ولا يخفى ما
في هذا الزعم الذي رده صحيفتنا « المؤيد »
وغيرها بردد أبكت وأصغت والجمت من قام
به التلاعب بالافتكار ومن السم في الدسم وأطهر

كانت تلك المقالات الصريحة عنيفة مع المخترعين والطريقة بقدر ما كانت حذرة ، متحايلة من السلطات الحاكمة *

لعل تعصب المترجمين للغة الفرنسية ، كان من اشد العقبات وقوما امام انتشار اللغة العربية بل ان المصلحين انفسهم كانوا يمانون في جلساتهم من وياء انتشار اللغة الفرنسية وهي تصوقل بانسواكلها سيرهم *

قائنا نحد في جريدة « المنتقد » مقالا (١) * يحدثنا فيه كاتبه عما عاناه المجتمعون في احدى الجيومات من تفرق لغتهم ، وصعوبة وسيلة التقام بينهم وكانت الحاجة الى شرح وجهات النظر جد اكيدة ، لانها جلمسة تأسيسية لانشاء احد النوادي *

« كان اكثرية الحضور بالجلسة العامة الفارطة تفهم العربية الكتابية وفهم عدد قادرين على الخصاصة بها ، وكثير منهم لا يعرفون انفرنسية وكانت الاقلية تفهم الفرنسية وتحطب بها ، ولا تصرف من العربية الا الدارجة ولكنها لا تستطيع ان تحير بها عن جميع افكارها ، ومن هؤلاء الذين قولوا تحرير قانون النادي لعرفتهم وتكاتفهم - فكثيره بالفرنسية التي يعرفونها دون العربية التي يجهلونها ، فلما اجتمع القوم جاء المشكل المحزن وهو عسر التقام بين اخوة دينهم واحد - ووطنهم واحد ، ولغتهم واحدة هم يتعاهمون ؟ ابالدارجة ؟ ام بالفرنسية ؟ ام بالفرنسية ؟ »

الجزائرية ، وقد صاحبها هذه الدعوة منذ بداية ظهورها على صفحات المنتقد والشهاب ، وما عاضدها بعد ذلك من صحف عربية اخرى « كالبحر » (١) « وادى ميزاب » (٢) « والاصلاح » (٣) *

ونظرت في المقالات المنشورة في هذه الفترة بعض الافكار الجديدة التي لم نعرفها من قبل فقد انقلب التشكي من الواقع المرير الى دراسة تحليلية جدية لمعالجة الموقف ، وتحولت النظريات الفردية ، الى شبه اجماع تلقى عنده نظرات المصلحين ، وكان هذا التوحد سبباً في اثاره اداء اللغة العربية بمختلف نواعاتهم وهوائهم ، وكان على الكتاب الاصلاحيين من جهة اخرى ان يتصدوا لكل هذه العناصر وهم : يناهجون من اللغة القومية كاداة لبناء الشخصية الجزائرية *

هنالك شباب مقترن بوجه بهرج اندفعية الغربية فتعصب للغة الفرنسية وتكر للغة القومية وهنالك المستعمرون الصائدون الذين يمعنون جاهدتين لاختاد انفاص كل ما من شأنه يمت الذاتية الجزائرية - وهنالك انطراقيون الاستغلايين الذين يرون في انتشار العربية الغصصى باساليبها المماينة وسيلة لفتح الا عين قتلح على اصول الامسلام الصحيحة ، فيخمسرون بذلك هذه الجماعات الهائلة التي كانوا يسفرون جملها ومذابحتها لجشعهم - واخيرا العنصرية البربرية التي اخذ المستعمر يروج لها ويغذيها ليصيب الوحدة الوطنية بالانحزاة والتفرق ، ويقدرها

(٢) البرق : صاحبها محمد السبيح الرامى صدرت بالغازي 1927
(٣) (ادى ميزاب : لابي البطان صدرت بالخاصة في سنة 1926
(٤) الاصلاح : لطيب البتي صدرت في بكرة في سنة 1927
(٥) بدون اصله (ولعله لابن باديس) لغات حول النادي ، لا نعلم بمر العربية ، لنتف : 9 (1945/8/27)

نرجاهم أن يلفحوا أنظارهم إلى الاقنق المشرق
ليشاهدوا ما هنالك من تقدم ورتقى لم تقف اللغة
العربية حجر عثرة في سبيله أبداً ، وأن أهلها
المعتزين بها قد يلعبوا من التفهضة شأواً بعيداً
وسجلوا في الميدان المثاقبي انتصارات رائدة *

بينما يجد الجزائريين المتفرنسين في الميدان
العلمي في مؤخوة القاطلة وفي الميدان الوطني
القسمي متبئين بين جنسيتهم وغيرها مسن
الجنسبات المخللة *

••• هذه المظاهر التي تراكم عليها في
هجران لغة قومكم ، واعتناق لغات أوروبا حتى
في العوائد الجارية والمخاضات الاعتيادية مما
يحملنا على الظن بأن العاقبة يكثر من الجزائريين
بعد حين من الدهر - ستكون نتيجتها استبدال
جنسية بجنسية لا سمح الله * ولست أقول بأن
نبأى على جمودنا بأن لا نتعلم اللغة الفرنسية
وغيرها - كلا والى كلا •• بل أقول يجب أن
نتعلم اللغة الفرنسية والعلوم الحديثة ، ويجب
أن نتعلم بجانب ذلك لغتنا العربية الفصحى
لنحتفظ على تعاليمنا الدينية ، ومزايانا التاريخية
وأدبنا القومي حتى نأمن من الانسلاخ من
جنسيتنا وشعارنا العربي •••

- ٣ -

ثم نجد أيا الليقتان (١) (١٨٨٨ - ١٩٧٢)
هو الآخر متألم النفس ، منكسر القلب ، حين
يحدثنا عن المستوى المنخفض الذي هوت إليه لغة
الحديث بين المسلمين في المجتمعات الجزائرية فقد

••• تكتب هذا والأسف على قلوبنا على
ضيق لفتنا حتى كاد يسد طريق التفاهم بيننا ،
ويكبل اخلاص نقول لأخواننا الذين يبرهوا في لغة
غيرهم حتى كانوا يفوقون أهلها : « يجب عليكم
أن تعتنوا شيئاً بلغتكم حتى لا يحرم اخوانكم من
جواهر معارفكم ولا تحرموا لأنتم مما عندهم فإنه
لا يحصل التفاهم بينكم إلا بها *

تلك هي المسألة الالية التي كانت تعيشها
لغة الضاد بين أهلها وتلك هي إحدى النتائج
القاسية التي سجلتها اللغة الفرنسية على أرض
يدين أهلها بالاسلام ، ولعمري أن الصورة
الحزينة التي وصفتها المنتقد في سنة ١٩٢٥ م
كانت نتيجة حتمية لما حصد منه كاتب مقال
« المصباح » في سنة (١٩٠٤ م) *

- ٢ -

ومن هذه الحالة الاسيعة يطالعنا ، للحافظي
الازهرى (١٨٩٥ - ١٩٤٨) هو الآخر بمقاله وقد
عاش الازهرى في مصر طويلا ، وأس عن قرب
ما للغة العربية في تلك الديار من الاجلال والتقدير
شم قارن بين حالها هناك وحالها في القطر
الجزائري فخاله ما رآه من هوان أصرها ، وما
سمعه من طغان الشباب المسلم ، واستكافه عن
الناطق بلغته القومية *

وكأنه أدرك عقدة النفس التي دفعت أولئك
الشباب إلى إساءة الظن بملتهم ، والنظر إليها
بنظرة فيها كثير من الزاوية والاحتقار فهم ما انفكوا
يصغرونها بالعجز عن معايرة التطور المعاصر ،

(١) المصطفى الأخرى : صوت العلم يتنادىكم فقول من يجب ٩ الشهر ٤ ١٩٥٥/٨/٢)

(٢) اللغة العربية غربة دأده ، دأدى مبراب ، ج ٥٥ (١٩٧٢/١١/٣)

لقاموا جميعا - وهم كلهم مسلمون وهي لغتهم جميعا - بخدمات جليلة نحوها تجعلها في الجزائر كما هي في تونس *.

غير أن أبا اليقطين رقم كل هذه المظاهر المزعنة يتعامل خيرا ببيادر النهوض المتمثلة في ظهور الجرائد العربية وتأسيس بعض النوادي كما يعتبر أن الضعور الساري بين الكتاب لواقع اللغة العربية المرير ، دليل تقدم وباعت على النهضة *.

- ٤ -

ويبدو أن تلك التيارات المعاكسة للغة العربية أحدثت تجمع مع مرور الأيام وتتصالي لمرورها الصاحبة مهددة بطوفان مسخ شامل ، فقد أردأت جبهة المستعمرين صلبة ، وكفشرت عن أليابها خلائية ، ونشرت مخططاتها العدوانية وهي تستعد لمزق فكرى مع مرور مئة عام للاحتلال اسكرى *.

رأية ذلك رد الفصل القوي ، الذي أخذ يصعب المقالات المكتوبة ما بين (١٩٢٩ - ١٩٣١) بصفة عامة ، والمعالجة لقضية اللغة العربية بصفة خاصة فقد تكلفت أفكارها في حرارة عارمة ، وكأنها صرخة استنجد أخيرة تصغر المسلمين الجزائريين من الوحش الثلاثي الصبيح الذي غرقها لا بتلاعهم *.

ويم تكن خطورة الموقف لقتل الكتاب من اتخاذ السيطرة ، ودراسة المعركة عن روية وتبصر ، فاقترحوا لها الحلول المناسبة وهيؤوا لها المناورة الذكية كما أن قوة المصمم بمختلف متاهة لم تسلمه للباس والقنوط ، وإنما راحوا يقاومونه في صبر وجلد حتى كتب لهم النقص (تتلمس) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين *.

أصبحت بحكم المصنخ العام « رطانة ضربية » وخليطا من اللغة لا هو عربي ولا بربري ، ولا فرنسي ، وإنما هو مزيج من اللغة المغربية والبربرية ، والفرنسية ، والمربية منه أقل الثلاثة مسخ ما هي عليه من التكسر - والاختزال - والاضرب من هذا ، أنه كثيرا ما يقع الإشكال بين المتخاطبين بالعربية وإذا التجؤوا إلى الفرنسية تفاقموا وزال الإشكال والكل عرب مسلمون *.

ولا تخفى ما في هذا التعليق الأخير من تهكم مرير ، وسخرية لأذعة حزينة لا يدانيها في الحرارة والصنن إلا العوامل التي يعتريها الكاتب سببا فلما وصلت إليه لغة القوم في هذه الديار *.

أولا : جهل المسلمين وأعراضهم من العلم الصحيح ، وضعف تمسكهم بالدين الحنيف ، فلو أنهم عصوا عليه بالتواجد وأقبلوا على العلم الصحيح ونفروا من الجهل تفورهم من العقر ، لكن لغة العربية بينهم مألها بين أخوانهم قسى المشرق من المكانة العليا والمزلة الرفيعة *.

ثانيا - عدم غبة الحكومة في وجودها ، والعمل على قتلها وإماتتها لإسراول تعلمها هي « فلسو تركتها وشأنها ولم تصبها في مفادتها بتقيد حرية نشرها أو أنها نشطت سيرها * وأنمشت روحها فجعلتها بجانب لغتها ، وسعيت في الإدارات والمدارس وغيرها كما يقتضيه الانصاف نصو اللغوية الساهرة ؟ لكن لها شأن وإي شأن *.

ثالث - ومن القومية العربية ، وانتماجها في القومية البربرية ، وعدم اعتبار هذه العربية لما يجب للإسلام من الاعتبار وللومسيلة حكم المصن ، فلن كانت للمعسرية العربية نعترا على أحياء لغتها ، وكان للمعسرية البربرية نحو اللغة العربية مألها نحو الدين من التقدير ، والاعتبار

على سنة (١٩٢٩) طالعنا جريدة «التجّاح» بمقار ببيصور فيه كتابه خطورة الموقف ويستنفر الأمة الجزائرية لتعمل يداً واحدة في سبيل إنقاذ لغتها . والفكرة في حقيقتها لا تختلف عما رأيناه عند الكتّاب الآخرين ، ولكنها تتخذ هنا طابع التوكيد والالحاح أكثر .

« هذه الاسمة الجزائرية يست ملأينها أصبحت خاملة الذكر لا شعور لها بمالها عن واجبات ولا علم بما يجري امامها من خسروب العير والعطاش » .

« اننا اذا لم نغن العلم واللم في احياء لغتنا ، والسهو على نشرها لا نرجع لنا حياة » ولا يبقى لا قدر الله لا مجدولا فخر والحال اننا كنا اسانديها وللأداة عن حماها » .

« ان لغتك العربية أصبحت غريبة لا يستقر لها قرار الا اذا نغضت عنك حيار الكسل وتقدمت لها بالمال لتؤسس المدارس وتشيد المكتاب فانفق لها ساعة من الزمن واحيي بنى ملكك مصاء لغتهم » .

— ٥ —

ما ابن باديس « (١) فقد حزن في قلبه ما رآه من تقهقر اللغة العربية في المدارس والقرى وهو ان حالها في المدن الكبيرة ، وهو يرى ان السبب في تقهقرها في المدارس والقرى — حيث يقبلون عليها — ما يستصمه مشائخها في التدرّس من اساليب عقيمة فالعناية في هذه المكتاتيب مصروفة الى الحفظ والاستظهار لمتون اللغة دون التفقه فيها وصقها بالادب لما وقر في النفوس من جس قواعد اللغة أداة صماء ، لفهم المسائل

الدينية فهما سطحيان لا غير وهو يريدان ان تكون أداة ناحية يعهم على صوبها الجليل الناشيء حينه فهما صحيحان ان ادراك المسائل الدينية اندراكا صحيحا يترقب على حق اللغة واحاليها الدقيقة بر ، وعلى حق العلوم الاجتماعية .

لكن المونشئ التي وقفت دون تحقيق هذا اغرض في رأى ابن باديس يشترك فيه طيفتان *

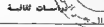
الاولى طبقة الاكفاء الذين في قدرتهم تدريس اللغة العربية بهذا الاسلوب ، انصبوا من اليدان وانزوا الى يمش المن حيث لا رواج لمضائع امثالهم فيها ، لان الجمهور من قطين المدن الكبرى عاد اليوم لا يصرف جزءا في الالف من عنايته بلغته بالنسبة الى عنايته بغيرها ، وقد انقلل بذلك تعليما المنفعة الراجعة » .

اما الطبقة الثانية فهم الذين استهوتهم اللغة الفرنسية ففصلوها على غيرها ، استجابة لمعطية الشهرة واللذة الزائفة فطفت تنقف النشء باحد اللسانين مقتصورة عليه ، وعاملة عن اللسان الاخر القومي » .

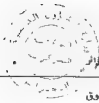
وينبه ابن باديس هو الآخر الى ما ينتظر الجزائريين من خطر ان استمروا على هذه الحالة من العفلة والبرود *

« الضر كل الخطر الذي يولاه الشعب الجزائري في خضم هذه الطبقة لحقوق لغة البلاد المالية ، ولعسل السبب في هذه التزعمة المرتكزة على غير العقل والوعى الصحيح هو اخفاق هذه الطبقة في مسعاها حيث انها لم تجد اية شرة مادية من اللغة العربية ، فشادت من ثم ان تقصر الابناء على تعلم اللغة اضماعا للعيش واليسر » .

(١) مستغل اللغة العربية بالجزائر الشهاب ، ج ٥ م ٥ (سبتمبر ١٩٢٩) ص ٢٥ — ٢٥



269



يضمن هذا بغير حق اللغة العربية وتتوق
اماليها واسرارها البيانية والبلغية *

٢) المتفكرتين الذين اغواهم بريق الحضارة
الاروروبية فحسبت انظارهم الى الامق الغربي
فمنكروا للفتح وحضارتهم ودينهم واعتقدوا في
اللغة الفرنسية التعمد ، وانتطور ، والرقي ، بينما
نسيوا للفتح ، التأخر ، والجمود ، والعجز *

وهكذا لم تعد الدعوة الى اللغة العربية
دعوة الى محو الامية او محافظة على القرآن
فحسب ولكنها اصبحت دعوة فيها فلسفة عميقة
وبعد نظر فالمصمى واجبة للجيل المساعد لا زمة
له ، لانها هي التي تفضله من كل التيارات المغفلة
والمنحرفة ، ثم هي الاداة التي تفهم بها الامة فينها
فهما صحيحا صافيا من كل خرافة او تدجيل *

وكان هنالك هذا التصور الفكري الذي اخذ
يضرِب الامطة بتونس ومصر والشام ، وكان هذه
النظرة من بعض الكتاب ، كالاسير خاند ،
والحافظي وابي انيقطان ، وابن ياديمس ، محاولة
منهم لربط الشباب انجرائي بالافق المشرق حيث
المروية الاصلية ، والحضارة الاسلامية الراهرة
تحويلا لانصارهم عن هذه الافق الغربي الذي بهر
انظار المثقفين المتفرنسين *

الاجنبية كاداة للثقافة المعاصرة (١) - - التي
لا يد منها لكل امة تريد الحياة وهذه انظورة
تتم عن سعة في الافق هنا *

ولكن الايام انضمت افكار كتاب الحركة
الاصلاحية ، وعلمتهم التجربة ان يمارسوا اماليب
جديدة اخرى تتسم بالاصالة والعق ، وبعد
انظر ، واذا بادعوة التي كانت تستوجب اللغة
اعربية بدافع ديني او قومي ، تصبح عقيدة وطنية
تهدف في تمسكها للغة العربية تحمسا للشخصية
العرية الاسلامية الجزائرية التي يجب ان تكون
مدينة من هذه العناصر حتى تقف امام كل سياسات
التجسيم والاسماج والفرنسة *

وكان لها لكي تتجس خطتها الجديدة هذه
ان تقاوم في اربع جبهات في سبيل الحفاظ على
اللغة اعربية *

١) تقاوم المستعمرين الذين كشفوا عن قواياهم
السيفة في محارلتهم ابقضاء على كل مقومات
الامة اجزائية لغة ودينا بغية اغاء هذا العنصر
الصلب -

٢) الطرفين الذين شوهوا الدين بالمشاركة
والتدجيل مستغلين بساطة العامة وجهلها
ومذاجتها ، وما من مسيل ينقذ هذه الامة من
برائتهم سوى فهم الاسلام فهما صحيحا ، ولن

(١) يقول ابن باديس عن هذا الموضوع ما يل : « يسمي المرأنا اننا لا زلنا نصرح في كل مناسبة ان التعليم العربي الفرنسي
صوريه حيوية لنجر تريي ، وان امة الجزائريين منه ولاهمهم هو في صاحب فرنسا ايضا ومصفها وضرف مستها ولما ترائنا دائما
مؤيدين لكل دعوة الى وسعي فيه حمسه للجانبي الشهابي ج ٣ ، ص ٥ (١٩٣٥) ص (٢٥٩)

ماهي قيمة اللغة العربية في تبادل المعلومات بين الناس ؟ الذي يطرح هذا السؤال كأنه يقول لنا : ما هي قيمة اللغة العربية بعد ذاتها: فائدة عربية - وكلامي هذا ليس كلام اختصاصي ، ولكنكم تعرفون ذلك من التقدم ، ولكني أحب لغة العربية - واللغات العامية هي معات تمدن ، هي في الحقيقة لغات متكاملة ، صفة من صفات تمدن اللغة هي أن تقبل الترجمة إلى غيرها من اللغات . فحين أجد أجدادنا بتكييف لغتهم للعالم المعاصر لهم ، أخذوا يترجمون عن الإغريق والفرس والهنود ترجموا من هذه اللغات كلها إلى لغة الصناد ، فمكتوبنا من ذلك العصر بالطرق التي تستلزمها الترجمة والعادات التي نلتزم على كل لغة تريد أن تكون لغة مدنية أن تمتلكها ، حينما ترجم العرب الأولون من اللغات الأجنبية الطبيعة ، والنطق ، والعلوم ، قاموا بدور تكوين لغة مدنية يمكن لها أن تستوعب كل المعلومات الموجودة عند الآخرين ، فحين نسمع سؤالاً مثل : ما هو اسماح اللغة العربية ؟ يكون الجواب : أن تعلمون أنه ليس للغات حقل محدود ، فاللغات التي أنتجت الطاقات الكبرى في الصلالم المعاصر تتقدم دوماً ، فجزة كبير من مفردات هذه اللغات المتقدمة في العصر الحاضر لا تعلمها إلا أقواميس الخاصة ، أو لا يعلمها إلا القليل النادر من الاختصاصيين من الطراز العالي ، وهذا لا يعتبر نقصاً في اللغة بعد ذاتها ، فالإطارات التي كونتها اللغة العربية في الماضي البعيد لدليل قاطع لإمكانات التعليم العالي بالعربية ، فحينما ننظر إلى العائرة الذين سلبتوا في المدنية العربية الإسلامية لا يسعنا إلا أن نقول أن هذه اللغة لجديرة أن تعتبر لغة جامعية أعلى مرتبة ، ما هو الحال بعد هذا العرض لحالة اللغة في الماضي ، ما هو الحال في بلادنا الجزائرية ؟ لقد تقدمنا بسرعة في بضع سنوات ، أن التعليم العالي باللغة العربية في بلادنا بدأ حياته في قسم الآداب وقسم القانون ولقسم أضحى هذه السنة قسم القانون دفعة تقرب من المسألة (١٠٠) من حاملي الليسانس باللغة العربية ، فهناك قسم في الآداب له انتاج معروف ، أما في القسم العلمي فانه إلى حد الآن تدرس المواد كلها بالفرنسية ، ولكنه أن لم تكن المواد العلمية معربة فالمعلمون - والحمد لله - في غالب الأحيان جزائريون ، خصوصاً في كلية الطب ، ولا ننسى أن المعلمين كانوا في ماض قريب جداً كلهم فرنسيين ، فلقد برهن اعكر العربي الجزائري في مدة قليلة نسبياً على إمكاناته في التعليم العالي وهذه مرحلة لها قيمتها في طريق التعريب ، هذا دليل أول على إمكانات التعريب في التعليم العالي ، أن لم نصرب الألسنة المدرسية ، فالمعلمون عرب ، فكل هذا يمكن أن يعتبر تابعا للضرورة التجمعية ، ضرورة تعريب التعليم العالي في جميع البلدان العربية ، كما نادى به السيد وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية في خطابه الافتتاحي .

في قضايا اللغة العربية ومستوى التعليم العربي

تمهيد :

كثر الكلام عن موضوع انخفاض المستوى في
الحلم العربي ، وأبدت فيه الآراء العديدة ، منها
ما هو نتيجة ملاحظات واقعية أو نظريات عامة ،
ومنها ما هو صادر عن عواطف صادقة أو الكار
سديفة ، إلا أن الباحث المتعمق في قضية انخفاض
مستوى تعليمنا يجد أن كل هذه الآراء مهما كان
مبعثها ، صحيحة لا ينبغي تبليها كلها أو اعتبار
بعضها دون بعضي .

أحمد محمد خير قرزالي
مدير معهد الدراسات
والأبحاث للعرب
والعراق -

جزءاً من هذه الاجزاء المذكورة بقصه اذ هناك مدارس في بلدان عربية تنمو نفسها الشروط السابقة وتخرج أجيالاً تمتاز بها صالحة من صليبين واساتذة واصياء ومهندسين ، ومع ذلك فسان الاحماع ما زال على ان المتكون بالعربية ناقص بالنسبة الى المتكون بلغة من لغات الامم الراعية . هذا هو الامر الواقع العام ، وفي كل امر بطبيعة الحال تفاوت نسبي ، مع ان المتكويين بالعربية اذ اكتسبوا لغة اجنبية امكنهم اتمام تكوينهم بها واصبحوا في مستوى لا بأس به .

بقى لنا النظر في رمي اللغة العربية بالنقص . وفملا فقد رماها بالنقص كثير ممن لهم تكوين اجنبي ورماها بالنقص كثير ممن لهم تكوين عربي . وهل هذا صحيح ؟ ان الجرائد والمجلات تزخر بقلات كثيرة في هذا الموضوع ، تناولتها افلام ممن يقولون بان العربية بغير واقلام من يتكرونها هذا ارأى ويؤمنون بان العربية ليست بخير اما نحن فقولنا هو ما يلي : صحة لغسا في يدنا وذالك نسبيا بطبيعة الحال لان زعم الامر في هذا الميدان منه قسم تتصرف فيه ومنه قسم ليس في ايدينا ولا سلطة لنا عليه لان الله ، وهي كائن حي ، لها ناموسها الخاص في حد ذاتها تخضع له - وله وحده ، في تطورها البدني ؟ وفي نفس الوقت تتملى بما يقديهها اهلها من مواد حسية وشعورية وفكرية وعملية وروحانية الخ ... فتلها مثل شجرة تنمو طبقا لنواميس حياتية وطبقا لما يورث لها من مواد غذائية . ولنفكر هذه المسألة

وبعبارة أخرى كل ما قيل في هذا الموضوع جائز بصفة عامة وكل رأى فيه مبني على اساس به تنصيب من الصحة ، اذ كل قول من هذه الاقوال يدل على وجه من وجوه الانخفاض . وهذه الآراء المختلفة اذا دلت على تعدد الوجوه فانها تضعرنا بان الموضوع خطير انه لا يجدر بنا ان نقلل من أهميته ونستغفره ، بل يجب ان نفتتح بعكس ذلك وان نقول : ما اننا لم نصل بعد الى حل المشكل فذاك لانه شكل مقدم عريض وان لم يكن كذلك في حد ذاته فهو كذلك في مكوناته ، ومكونات التعليم كثيرة بطبيعة الحال ، منها المياني والاثاث والسن والمدد واليعد . والقرب ، والصحة والمرض والفقر والغنى ، والتفتيش والمراقبة ، واوقات العمل وفراغها ، والتجهيز حسسه وسلسه ، والميزانية توفرها وفلتها ، وتحسين هيفه المعلم وعدم تحسينها ، ووجود اطر المعلم وعمهها ، وحصول التلامذ على الكتب والادوات التعليمية وعدم حصولهم عليها ، الى غير ذلك من الشروط الضرورية العامة العادية لكل تعميم كيفما كان نوعه وبلاده ولغته - واذا اختل جزء من هذه الاجزاء اثر ذلك الاختلال على صحة التعليم وكافه كائن حي هو الآخر ، كلما اشتكى منه عصر تألم له الجسم تكامله ، كل هذا نسبيا كما هو الشأن في جميع الامور .

ولكنني لا اظن ان جميع مدارسنا ناقصة في هذه الميادين ولا اظن ان العالم العربي يفتقر كله الى هذه الحاجيات - ولا اعتقد كذلك ان التلميذ العربي اذا شتكي من انخفاض المستوى فذلك لان

نقول : يجب ان يكون مضمون الكتاب المدرسي محتويا على نوعين اساسيين من المعلومات : نوع يتصل بمفاهيم العلوم الصورية المشتركة بين البلدان الراقية ، والتي تلبى حاجة المحققين بصف هذه البلدان ، ونوع يتصل بمفاهيم ليجنا الوطنية الخاصة التي تميز ان يكون متوفرا عليها مواطنوا الصالح . وبناء على هذا ينبغي ان يكون الكتاب الاداة الصالحة لمطويع هذه الغاية واحتوائه على القدر الطلي المشترك بين الدول الراقية .

وهذا الكتاب العربي الذي يوجد بين ايدي اساتذ ، والذي يصحهم دوما على ادراكها من حيث المعارف العلمية ومن حيث القيم الوطنية ؟ كتابنا هذا الذي به يتكون التسديد ونسجته الشهادات باعتبار ما حصل عليه في ذلك الكتاب من معارف ، ونسجته مملا فيما به ، ونسجته في مدرسة من مدارسنا ليعلم بدوره النشر الصاعد . هل هو في المستوى للحدس اعلاه بالنسبة الى المحوى العلمي عند الامم الراقية ؟

معاونة المعلومات بين الكتب العربية والكتب الاوروبية .

هاكم الجواب عن هذا السؤال بعد احصاءات عديدة ومتنوعة غابقتها مقارنة الكتب الاوروبية الرسمية (في اسبانيا وفرنسا واطاليا والمانيا ، وانكترا) بالكتب العربية كيفا كان بلحا . وما اثبتنا هنا من ارقام يعترض معملا بين الكتب الاوروبية وبين الكتب العربية . (ملاحظة : نسمح القاريء لفعل من اسم الكتاب ومؤلفه ويده)

مؤقتا لان سلتها موضوعنا صنة غير مباشرة * * سيبيا بطبيعة الحال ! سيعود اليها من بعد ان شاء الله .

لا يتعلم انناؤنا بالعربية ما يتعلمونه باللغة الاجنبية .

نقول - وصليب موضوعنا هو انخفاض المستوى - ان المستوى يحدد بالنسبة الى درجة معينة * وهذه الدرجة هي ، في الوقت الراهن درجة مستوى التعليم عند الامم الراقية التي نفتدى بها ونسعى في الالتحاق بركب حضارتها * وبما ان التكوين هو حصيلة معلومات ما ، في ميدان ما ، يتكسبها الشخص بواسطة تعليم ما ، بقى ان المستوى في هذا التكوين هو تلك الدرجة التي يجب على الشخص ان يحصل عليها بواسطة ذلك التعليم فاذا كان التعليم ناقصا كان التكوين ناقصا واذا كان التعليم في المستوى كان التكوين كذلك في المستوى * وقولنا بان المعلمين غير اكفاء معناه ان تكوينهم ناقص واذا كن تكوينهم ناقصا فذلك إما من ناحية المعلومات واما من ناحية الفلنلن - ولنترك ناحية التفتين (البيداغوجية) ولنسلط الاضواء على ناحية المعلومات -

ان وسائل التعليم الاساسية هي اللغة والرماع والكتاب المدرسي والجمع - وهذه لوسائل متداخلة متداخلا وثيقا ، ٧١ ان فيها يجد مادته الملموسة السهلة الحال في الكتاب المدرسي لانه مرآة اللغة والبرنامج وحتى المعلم كما سيتضح لنا ذلك فيما بعد .

دراسات لامية

الحيوانات :	الكتاب الاجنبي :	112 اسم —	الكتاب العربي :	44 اسم «
(2) الثدييات :	» » 55	— » »	» »	» 22
(3) جسم الإنسان :	» » 50	— » »	» »	» 11
(4) المحسوسات :	» » 370	— » »	» »	» 106
(5) الاوصاف :	» » 262	— » »	» »	» 94
(6) الانفصال :	» » 444	— » »	» »	» 250
المجموع :		333		527

والكم مثالا لقائمة الالفاظ المتعلقة بجسم الانسان :

في الكتاب الفرنسي :

19 index	— سبابة	1 bouche	— فم
20 jambe	— ساق	2 bosse	— حدة
22 langu	— لسان	3 bras	— ذراع
23 lèvre	— شفة	5 cicatrice	— ندبة
24 muscle	— عصلة	6 cœur	— قلب
25 main	— يد	7 cheveux	— شعر
26 mollet	— رولة	8 chevelure	— لفة
27 moustache	— شارب	9 corps	— جسم
28 nez	— انف	10 cou	— عنق
29 oreille	— اذن	11 crâne	— جمجمة
30 os	— عظم	12 doigt	— اصبع
31 œil	— عين	13 dos	— ظهر
32 ongle	— طغر	15 épaule	— عاتق
33 pied	— رطل	16 figure	— مראה وجه
34 profil	— منحن	17 front	— جبهة
35 pointe des pieds	— مقدم الرجل	18 genou	— ركبة

44 ventre	- بطن	36 poitrine	- صدر
45 dent	- سن	37 poignet	- مضم
46 joue	- خد	38 phalange	- سلاحي
47 menton	- ذقن	39 squelette	- هيكل عظمي
48 coude	- مرفق	40 talon	- عقب
49 cil	- هدب	41 tête	- رأس
50 sourcil	- حاجب	42 visage	- وجه
		43 voix	- صوت الحنج

في الكتاب العربي :

الحصة بكاملها تتعدى 40% أي أن التلميذ العربي لا يعرف إلا 40% مما يعرفه التلميذ الأوروبي في نفس المستوى ، واليكم نوعاً آخر من إحصائية لها مدلولها :

أخذنا أربعة كتب فرنسية مقررة في السنة التحضيرية وأربعة كتب عربية من مختلف الإقطار العربية المقررة في نفس السنة ، واحترنا موضوع « القسم » فأننا نجد في الكتب الفرنسية الكلمات الآتية مشتركة فمما بينها « ونجد في مقابيل الكلمات الفرنسية الكلمات العربية الآتية :

عين ، ناب ، كف ، فم ، ظفر ، عظم ، يد ، أصبع ، وجه ، رأس ، قدم .

ملاحظة 1 : الكتب الأجنبية المحددة خاصة بنصف السنة التحضيرية وسنة الإموه ، أما الكتب العربية المحددة فهي مقررة في السنة التحضيرية بكاملها .

2) كثير من المدارس عندما في المغرب لا يدرس الطفل فيها إلا نصف الحصة ، فيجب إذن اعتبار نسبة التحلف أخطر مما هي عليه في الحقيقة .

3) إذا اعتبرنا ما سبق ونسبة التحلف بين لتلميذ الأوروبي وبين التلميذ العربي الذي يدرس

الكتب العربية				الكتب الفرنسية
الأول	الثاني	الثالث	الرابع	
0	غرفة الدرس	فصل	غرفة الصف	classe
0	جدار	جانب	جدار	mur
0	0	0	ارض مغطاة بالخشب	plancher
0	0	0	سقف	plafond
0	باب	باب	باب	porte
0	شباك	نافذة	نافذة	fenêtre
طاولة	0	0	طاولة	table
0	مقعد	مقعد	مقعد	banc
0	0	0	0	pupitre
0	كرسي	0	0	chaise
0	0	0	0	bibliothèque
0	0	0	0	gravure
0	صورة	صورة	صورة	image
معلم	معلم	معلم	معلم	maitre
0	لوحة اسود	صورة سوداء	لوحة اسود	tableau noir
0	0	0	0	écolier
0	0	0	0	cartable
0	0	0	0	cahier
0	0	0	0	livre
0	0	0	0	ardoise
0	0	0	0	porte-plume
0	0	0	قلم رصاص	crayon
0	0	0	مسطرة	règle
0	0	0	0	plume
0	0	0	0	poêle et tuyau

A ce moment survient un jeune gargon. Avec une épuisette, il captura Puc sans effort. On mit la pauvre grenouille dans un bocal.

Depuis, Puc reste perché tout en haut de sa petite échelle !

واليكم قصا حول الصغدفة في مستوى السنة
اتحصيريه تكاملها :

★ ضفدعة ★

ذهب صالح الى حوش ، عسى حاجته شعاع
تفتق ، فضحك صالح من ديقها . سمعت
ضحكه ضفدعة ، فعاقت في حوشها وتحتها
اخواتها فسكتن .
وهذا نص فرنسي في مستوى السنة
الاحصيرية :

LE CHAT

Vous ne l'auriez jamais deviné :

Celui qui a bu tout le lait du grand pot blanc, c'est moi, le chat. Je me suis régalé : Tant pis pour vous ; il ne fallait pas le laisser sur la table de la cuisine.

Ensuite, étendu sur votre beau tapis, j'ai fait un bon somme.

C'est là que vous venez me caresser, me dire que je suis beau, mais en voilà assez ! Je ne suis pas un jouet. Je m'étire et à petits pas, je m'en vais. N'insistez pas, je vous prie, car si je commence à baisser mes oreilles et à découvrir mes dents pointues, pff ! gare à ma griffe : elle vous laissera sur la main une douloureuse marque rouge et, croez-moi, vous la garderez longtemps !

ملاحظة : في كل كتاب عربي العاط لا توجد في
الكتب العربية الاخرى وهي :

في الكتاب الاول : ورق ، املاء ، تلاوة ، قصة ،
في الكتاب الثاني : منبر ، خريطة ، مسحة ،
طاشير ،
في الكتاب الرابع : مبرالمعلم ، فناء .

مقارنة النصوص

1) المقالة

قبل استخلاص النتائج حول هذا الموضوع
يلبى ان نتم هذه المقارنة بمقارنة النصوص
لنكتمل الفكرة ونضع ، لان المواضيع ، كما
قلنا ، متداخلة بعضها مع بعض ولان كل موضوع
له اثره في غيره ، ففلة المفردات لها اثرها في
قيمة النصوص وفي اساليب التعبير وفي الحصيلة
التكوينية كما سيصبح ذلك فيما بعد . ودونكم
ذن النص الفرنسي في موضوع الصغدفة مثلا
وهو في مستوى نصف السنة التحضيرية كذلك .

LA GRENOUILLE

Puc était devenu une belle petite grenouille verte qui sautait dans l'herbe ; personne ne l'aurait reconnu. Les gracieuses libellules passaient près du pauvre Puc sans le voir.

Pour se nourrir, il devait maintenant dévorer ses amis les insectes. Le premier jour, il crut mourir asphyxié dans l'étang : il n'avait pas encore l'habitude de vivre dans l'eau ! « Quelle triste existence est la mienne ! se lamentait Puc. Ah ! si la fée Sylvie pouvait me voir ! ».

وعلى كفتي * وعلى صدري
فإذا لاقى * فأرا، يحري
يعدر حلا * خلف العار

وهذه قطعة أخرى :

★ قطبي ★

(في مستوى الابتدائي الأول !)

ل قطبة جميلة أحبها كثيرا * شعرها ناعم
وعيناها زرقاوان وانها صغير * تحرك ذيلها
عندما اتمسح بها وامر يدي على شعرها ، فتنطج
الى وتدخل رأسها بين ذراعي ، سميت قطاني :
كوكو - ماذا ناديت كوكو ! جاءت مسرعة وتمسحت
بي * واحتى أمتة نناديها : بش بش ولكن كوكو
تحبني أكثر من أختي أمتة -

أنا لا أصر ب كوكو ولا أعجبها ان كانت نائمة
لذلك أجدها في انتظارى بباب المنزل كلما رجعت
من المدرسة *

ان قطبي أليمة * ولكنها تدافع عن نفسها اذا
حصل لها ضرر ، فتخرج مجالها وتتمسك بحسم
من يعتدي عليها ،
اذا تجارى الخير بالخير والشر بالشر *

(2) دروس الاشياء :

العربي ج 2 والفرنسي ج 2

العصين

العصين اثنتي الحراس * هي نور الانسان به
يهتدي لقضاء حاجاته ، وبدون العن تصبح له
الدنيا ظلمة دامسة * ابداع الخالق التقدير العبي

Je n'aime pas le chien : il est brutal et
maladroit. Quand je le vois, mon poil se
hérisse et je fais le gros dos, Grr !!
Je voudrais bien croquer le serin qui
sautille dans sa cage

Mais elle est accrochée si haut, si haut !
que l'oiseau jaune ne craint rien ; sûr de
lui, il me nargue.

La nuit, le grenier m'appartient. Penda
nt des heures, je guette la souris qui gri
gnote dans son coin. Je l'entends sans la
voir, mais je sais où elle est, Gare, si
elle se risque hors de son trou ; hop ! je
ne la raterai pas !

En hiver, j'ai ma place à la chaleur,
sur mon coussin, près du radiateur. Qu'im
porte le vent ou la neige ! Moi, j'ai chaud,
je ronronne. Je m'étire et je batille en
montrant ma langue sèche et rose.

Puis, jusqu'à l'heure de ma tasse de ait,
je dors, je dors. Je suis bien !... je suis
le chat !

قطبي (في مستوى المتحضر)

لنير قطبة لطيفة * منير يقدم لها ليتا في كوب ،
يقبل منير قطبة ، قطبة منير هي رفيقته في دأوه ،
رسم لها منير صورة بقطبة *

وهذه قطعة أخرى :

★ هري ★

هري هري * حسن الشعر
وله وجه * مثل النسر
وله عين * مثل الثور
يمشي حول * حائى الطلوس
فأداعبه * فوق الحجر

ملاحظة :

١) يحتوي الجزء الاول العربي على ما يلي :
« وأعلم يا بني » اثنا عشر ما يحيط بنا بواسطة
حواسنا الخمس : البصر والسمع والشم والذوق
واللمس »

٢) ينقسم الدرس الفرنسي الى قسمين : قسم
للتلاوة وهو الذي ترجمناه وقسم خاص بالأسئلة
والملاحظات والتطبيقات الكل مصور من قسم
ترجمه »

٣) الدرس الفرنسي للسنة الثانية من التعليم
الابتدائي والدرس العربي للسنة الثالثة من
التعليم الابتدائي »

٤) عدد المصطلحات في الدرس الفرنسي ٢٤
وفي الدرس العربي ٤ »

٥) أرجو من القارئ أن يتحقق بنفسه من
الفرق العظيم الذي يوجد بين كتابين في دروس
الإشياء الاول بالفرنسية والثاني بالعربية »

٣) الهندسة :

المستوى الدروس حوالسة الاول من اثنائي
الدرس الفرنسي يتتبع أعمال تجريبية في ضغط
من قلم رصاص على ورقة وسؤال التلميذ عن
وصف اثر عمله وتثبيت النقطة تنقطة الوقف الخ
الشيء الذي لا يوجد في الكتاب العربي »

بحكمة مائة ، اجزاها دقيقة جدا ، وقد وضعت
للدفاع عنها الحواجب والحفون والاهداب » حامط
على ملامحة وصحة هذا الضمير الثمين بكل الوسائل
الممكنة » اذا اغتسلت بالصابون فلا تسعه يدخل
في عينيك ؛ لا تسمح عيناك بيد قذرة بل بمنديل
نظيف ولا تدع الذهب والخشرات تستقر عليها ،
لا تستعمل ما ، او مندلا استعمله قبلك آخر
منها للعدوى ، ولا تعرض عينيك للصور الضدية ،
ولا تقرأ في موضوع مظلم »

L'OEIL

Les yeux sont très fragiles, mais ils
sont bien protégés. Chaque oeil est logé
dans un renforcement des os de la tête
appelé orbitre.

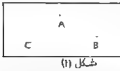
Devant les yeux, les paupières se fer-
ment au moindre danger et leurs cils
arrêtent les poussières. Les deux sourcils
empêchent la sueur du front de couler
dans les yeux.

Les yeux sont très mobiles. Chaque oeil
ressemble à une bille blanche sur laquelle
on voit de petits vaisseaux sanguins. Sur
le devant de l'oeil, une peau transparente
laisse voir à l'intérieur un anneau coloré,
nommé l'iris.

Au centre de l'iris, se trouve un petit
trou appelé pupille. Par ce trou, on voit
le fond de l'oeil ; il est tout noir. La
lumière pénètre dans l'oeil par la pupille.
Celle-ci s'élargit à l'obscurité et au
contraire, se rétrécit quand la lumière est
vive.

On désigne un point par une lettre (en général majuscule d'imprimerie) que l'on place au voisinage du point de façon qu'elle soit bien visible et qu'il n'y ait pas de doute sur le point qu'on veut désigner.

Ainsi la figure 1 représente trois points désignés par les lettres A, B, C.



شكل (1)

2 - Ligne :

Si l'on déplace la pointe du crayon ou de l'aiguille sur le papier, sur un mur, sur un rouleau ou sur une boule, on dessine une ligne (fig.2).

Nous exprimons ce fait de la façon suivante :

..... Un point qui se déplace engendre une ligne



شكل (2)

Souvent une ligne est désignée par une lettre majuscule placée entre parenthèses. Applications : etc...

وهذا كتاب عربي آخر في نفس الموضوع :

هندسة - النقطة = الابر التي يتركه سن قلم أو دبوس على قطعة من الورق يدل على وجه التقريب على النقطة .

الخط .



(جدار)

السلك المعدني مثلا ليس بخط ولكنه جسم ، ولكننا مهما بالما في سحب ذلك السلك حتى يصبح في غاية الدقة فالنتائج لا يكون خطا هندسيا بل يقرب جدا منه .

النقطة :

نرى في شكل الجدار انه اذا التقى خطان منه ، فانهما يلتقيان في نقطة والنقطة هي حد الخط وليس لها طول ولا عرض ولا ارتفاع . ويستنتج من ذلك ان :

« النقطة هي كل ما له وضع مجرد من الطول والعرض والارتفاع » .

من الممكن اعتبار نهاية كل خط او موضع تلاقي خطين كنقطة هندسية .

قول المدرس في الهندسة يا « النقطة هي حد الخط » بينما الخط لا نهاية له .

1 - Le point :

En appuyant la pointe d'un crayon bien taillé ou d'une aiguille fine sur une feuille de papier, en évitant tout glissement, on marque un point.

2 فالحظ انّ ينشأ عن تقاطع سطحين

وهو على نوعين :

(1) مستقيم الخ

(2) منح الخ

(3) الاثر الذي يتركه من قلمك عندما يتحرك على ورقة هو خط وعلى ذلك يمكننا اعتبار أيضا ان الخط مسار نقطة متحركة *

خلاصة مقارنة النصوص :

/ النص الفرنسي * حي بالعاط شعية ،
موج يفكار وعواطفه ، واصف بفتح
آفاق الخيال - مشبوق للمطالعة
والاشياء ، مثل بالطرف والتشخيص
ولن الاساطير الخ ...
النص العربي * قليل الالفاظ ، غير
موج ، واصف بالسرود الجاف ، غير
مطوق ، غير مثل ، بسيط الفكرة
ساذج الشعور الخ ...

في
المطالعة

النص الفرنسي * مصبوط ، مفصل ،
مشجع على الملاحظة - مرج بالتشبيه
بين الاشياء المحيطة بالتلميذ ، غني
بالمصطلحات الخ ...

النص العربي * غير مضبوط ، مجمل
ليس فيه مسا يحصر غسل النهر
والالفاظ مسوح بالقدرة الالاهية في
صنع الانسان ، قلصل المصطلحات
واعط الخ ...

دروس
الاشياء

فالنقطة وضع هنس مجرد عن البعد ، ليس
لها طول ولا عرض ولا سمك *

وتسمى انقطة باحد الحروف ، فنقول مثلا :
النقطة (ل) او النقطة (ب) (شكل 6)



(شكل 6)

(ثم ينتقل الى الجسم ثم يدرس اسطح ثم
يأتي في السد xx الى الخط فيقول) *

بنه 11 * سطوح الاجسام تتصل بعضها عن
بعض بفواصل تسميها خطوط وهذه الخطوط قد
تكون مستقيمة او منحنية ، تأمسل متساوي
لمستطيلات :

(شكل 12) ان له سطوح مستوية تتلاقى
متى متى في اثني عشر خطا تسمى احرافه وهي
خطوط مستقيمة *



(شكل 12)

(شكل 11)

اما المحروط فسطحه الجانبي سطح منحني
وقاعدته سطح مستوي ويتصل السطحان بخط
منحن على شكل محيط دائرة (شكل 12) *

في هذا الموضوع بالنسبة الى الامر الواقع في يومنا هذا وفي الظروف الحديثة التي نعيش فيها وجدنا ان اللغة هي الاداة الاساسية لكل تنمية كيفما كان نوعها والوسيلة الضرورية اللازمة لكل رتبي مهما كانت درجته * وسنعود الى هذه النقطة في عدل آخر ان شاء الله ا

العادة :

واذن فان المعلومات والعواطف والافكار التي توجد في الكتاب العربي ناقصة بالنسبة الى اسلومات والعواطف والافكار التي يحتوي عليها الكتاب العربي ، ولو كان هذا النص شئنا لنسبة فحسب لما اكرتتنا لذلك * ولكن هذه النسبة منخفضة انخفاضاً مدهشاً موجب علينا ان نبوح بالامر وان نقرع ناعوس الخطر ، لا سيما وان المستوى صوط بهذه النسبة ، ومع استواء التعليم مستوى التقدم ومع انخفاضه يحصل التأخر ،

وحقيقة الامر ليست في عدد الكلمات بل في اختيارها وقماليها بالنسبة الى الواقع والمفهوم والفكرة ، فان الطفل اول ما يتعلم يتعلم الحروف بواسطة اسماء ما يحيط به من الاشياء التي يعرفها * ومن المسلم به ان ما يحيط بالطفل في الوسط الحضري يختلف عما يحيط به في الوسط السوي * والاشياء التي يعرفها طفل الحضر في سن السادسة كثيرة ولكنها محسمة في دمه باللغة العامية * مثال ذلك في الاسماء حيزر (جزر) كرموس (بن) شطابة (مكسكة)

النص الفرنسي * مهيد للتنمية ، آخذ بيده لممارسة المرس * مشرك اياه في توسع الدرس ، منه اياه على الفروق ، مصبوط المنطق في تسهيل وتيسيط (من النقطة الى الخط الى السطر) الهندسة |
النص العربي * غير مهيد ، غير آخذ بيد التلميذ ، غير مصبوط ، غير منطقي (من الخط الى النقطة او الى الاشكال ثم الى السطر فالنقطة) *

فكرة اساسية :

ومن نامل جيداً معارضة انواع الكتب في الفتن لكشف اشياء اخرى غير هذه ولاصحت له ما هي عليه كتبنا بصفة عامة * من فراغ علمي وفقر فكري مما يفسر أزمة الثقافة العربية التي امتلأت صفحات مجلاتنا وجراندنا بالاسئلة عنها والتأسف عليها * والثقافة اما هي نتيجة اخمار المعلومات والتمور والاحاسيس والعواطف والافكار داخل النفس البشرية - فاذا كانت مواد الاحتمار قليلة بعض مصحح احتمارها وبالتالي بقيت فظرة * والثقافة تعبر عن ذلك الاحتمار فاذا قل احتمر قلست الثقافة * وبديهي ان المعلومات والعواطف والافكار لا يعبر عنها الا باللغة * واللغة الفاظ من اسم وفعل وحرف وتركيب تكتسب بالتعليم بعينه العام كما ان مادتها الخام تكتسب بالمشاهدة والتحليل والتأمل والتركيب والتحرية ، وبصورة اخرى فان اللغة معنى العقل والنفس والروح كما ان العقل والنفس والروح فني اللغة - ولكننا اذا تعمق

عن وسطيا في ذلك الزمن . وانذكر الى يومنا هذا ، اذ ما زالت راسخة في ذاكرتي ، تلك الصور بأسمائها المطبوعة باللون الأحمر التي كنت أراها على جدار القسم ، وفي الكتاب الفرنسي « من قطارات ومحطاتها » وأتت أوروبى مرتب حول المدخنة في « الصالون » ، والبيانو بارز في جانب اللوحة ، ومن بواش على أجنح ماحرة يتعال بغارها في السماء ، كما انذكر تلك الصور الخاصة بالديو ، رجالهم على أفراسهم والبتادق مرفوعة فوق رؤوسهم ، وسأؤهم جالسات امام الحمية في صف واحد ، كل واحدة مشتعلة بعمل من أعمال تحضير الغذاء ، هذه تمنح وتك تقتل « الكسكس » وأخرى عند الفرن تدفع بالحطب الى النار . كل هذا وأما قاطن في قصر مدينة فاس لم أكن رأيت من قبل لا قطارا ولا باحسرة ولا بيانو ولكن سئلتني الفتية كانت تتلق بي في ذلك العالم البعيد الذي كان يبدو لي غريبا وشده ما كان شوقى عظيما لرؤيته والنعرف عليه والسفر اليه على متن ذلك القطار أو تلك البانخرة والعرف على ذلك لبيانو والحصول على أتاك تلك المنازل احمية والركوب على الحين واطلاق نار الفرح من فرق صهواتها ثم الاستراحة داخل الحية والتمتع بطرافة حياة ليلية لان الطفل يستهدف الحركة والمعارفة ويصير الى المرشد من اعترف على كل شيء وبالخصوص على ما لا يحيط به من الغريب والجلد في كل ميدان »

والتعميم اذن مرحلتان مرحلة ادماج الطفل أولا في وسطه حتى لا يتلع عنه ويكون ذلك

ولي الاتصال : دار يدير (عمل يعمل) ناض يوض (نهض يهض) وشاف يشوف (رأى أويظر) ناض (لـ أركي) منين (ما أو عندما) لهيه (هناك) بعكس الطفل العربي الذي تكاد جل العاطة الشعوية تطابق العاطة المكتوبة .

وحتي نقوم لسائنه منذ الخطوات الاولى ، وتجعل لهجة العامية تتقابل مع اللغة الفصحى يجب ان سلم طقنا الاعاط الفصحى المقابلة للاسماء العامية التي في دمه والتي يماوسها كل يوم وذلك بالتمزيج مثل : غيز ولم وفراش وقسط (لا هـ) (رقية ردار وعين وسن لا) (ناب هـ) ولا هـ ضرس هـ ولا هـ قاطعة هـ (غزال لا وطبي هـ) وبلل (لا هـ هـزار هـ) .

ويجب ان تكون غائبا أولا : اعداد الطفل وسائل التمييز لصف ما حوله في مرحلة أولى . ثانيا : اطلعه على ما يوجد في بلاده خارج وسطه في مرحلة ثانية . ثالثا : اطلعه على ما يوجد عند غرب من البلدان الاخرى . وبعبارة أوضح سهر على تربية من حيث حاضر بلاده وحاجياتها (التكوين الوطني) ثم على تربية من حيث حاضر العالم لدى يعيش فيه والتكوين الانساني العالمي حتى يتلازم فكره الفتي مع حاجيات وطنه الصغير ، ويسجم فيما بعد مع مقصديات وطنه الكبير وهو الانسانية حقا .

وانذكر أنا في صبيانا ككسا في المدارس الفرنسية الإسلامية كما كانت تسمى آنذاك ، تعلمنا لغة اجنبية جميع اشياء الحضارة البعيدة

هؤلاء المسؤولين انفسهم قاصبحوا يرمونهم اليوم بالضعف *

في دروس الاشياء والعلوم :

أما في موضوع دروس الاشياء فنقول :

إن المستوى بالنسبة الى أوروبا يجب ان يحافظ عليه - وهذا المستوى ليس مراعى في كتبنا - فيجب ان نبوئه فيها أولا ثم ان نحافظ عليه فيها ثانيا - فلم لا يتعلم طفلنا بالعربية من العلوم ما يتعلمه بالفرنسية الطفل العربي أو الطفل الفرنسي ؟ اذلك لان بعض العلوم خاصة بالاروبيين وبعضها الآخر خاص بالعرب ؟ قد يمكن ان يكون ذلك صحيحا بالنسبة الى باب او بابين مثل باب الخنزير أو باب الحمر ولكنه غير صحيح بالنسبة الى الابواب الاخرى - ولما تفصل أجزاء العين للطفل الاروبي في الابتدائي لاول ولا تفصل بنفس الدقة للطفل العربي في نفس السنة وبإضافة معلومات أخرى ذاتلة لاسباب مرض الحفار (التراكوم) مثلا الذي يمتد بمنطقة الجنوب في بلدنا *

ولماذا يكاد درس العين حسنا الذي يتقن في الابتدائي الاول الفرنسي لا يساويه درس العين في المتوسط الثاني العربي ؟ وإذا أرحنا الى هذا القسم الاخير أضفنا ما ان الطفل الفرنسي سوف لا يتقدم في دراسة العين ويستطير ان يلحق به الطفل العربي حتى يصل الى الشهادة الثانوية أو البكالوريا في مستوى واحد ؟ ان لا انفسم ذلك *

بسميد لفته الفصحى منذ البعد وبت حيا في قلبه وإمداده بأداة الوصف مع تمرينه على ثروة لغته حتى يستطيع التعبير عما يخلج في نفسه ، ثم بعد ذلك الإخت ببدء ورفقه الى ادراك حقائق الامور التي تحيط به وإبراز سر تركيبها وقوانين حدوثها واسباب وجودها ليندرك ان من وراء المرء اشياء أخرى لم يكن يشعر بوجودها من قبل وإن الملاحظة والتأمل وإجادتهما كفييلان يجعله يتكسب عنصر العلم ألا وهو النظر الى العالم بمن حديقته مثقفة كاشفه شاكفة متسائلة في آن واحد *

وعاء العلم في التعليم هو الكتاب هنا من جهة ، ومن جهة أخرى ماننا بمتبر طفلنا في ذلكا اى طفل من اطفال العالم ، فاذا كان المستوى الذي يحصل عليه طفلنا باللغة الفرنسية لا باس به فلماذا لا يحصل على نفس المستوى بلغته الام ؟ وإذا كانت اللغة العربية تنحصر من حصة اللغة الفرنسية لماثدتها اليسيطيى ان يبقى المستوى هي نفس الدرجة التي كان عليها باللغة الفرنسية؟ وإذا اجمعنا المستوى فهناك سبب وهذا السبب هو اننا لا نعلم بلغتنا ما تتعلمه بلغة غيرها *

هذا هو القصد الاول الذي يجب على المشرفين على تعليم ان يقصدهوا ولا ينبغي بل ليس من الجد في شيء ان يرحوا للمعلمين بعدم الكفاءة - فلو كان هذا صحيحا لبرزت مدارس أو أقسام تعليم في المستوى اذ من المستحيل ان يكون جميع المعلمين بمدى الكفاءة دفعة واحدة في جميع مدارس البلاد لا سيما وان هؤلاء المعلمين كونهم

خطن من خطوط ذلك الجدار فيحت بهذا التعبير المدهش لعقل التلميد : « هو كل وضع مجرد عن الطول والعرض والارتفاع » فأى وضع ؟ وما هو الوضع ؟ وأى تجريد ؟ وما معنى التجريد ؟ ! ومعنى هذا كله في الحقيقة لا شيء ؟ ! انعدم ! وكل مثل ذلك في الكتاب الآخر الذى ينتقل من « بند » الى « بند » ويرجع ويستدرك الخ ... كل هذا مما يفسر لنا تلك الغرابة في التفكير التى بلاسطلها عند المكونين علميا بالعربية !

الخلاصة في موضوع الكتاب الفرنسي :

هذا هو الامر الواقع ! اضيف ان هذه المقارنة الموضوعية تتمناها حتى نهاية السنة الثالثة للثانوى أى سنة الشهادة الثانوية ، شعبة شعبة ومادة مادة وصنفا صنفا ثم بعد ذلك عكسا على طوائف الاعطاء من حيث المفهوم ومن حيث الدقة ومن حيث المبنية ومن حيث المسيرة والتدريج والدوران ، ولم نعرها اهتماما من حيث الغرابة اذا كانت الكلمة تؤدى معنى حديثا وتسد لسد فراغا في اللغة ، الى غير ذلك من عمليات البحث والاحصاء المتداولة ، متضمنين انواع الكتب المفردة فى سائر الاقطار العربية لفسرارة والمصوغات واسحق والرياضيات والعلوم والتقنيات الخ ... واما العارضة من حيث الاخراج والطباعة والتجليه والتقديم ، فنتبينها ان الفرق شاسع جدا بين الكتب العربية والكتب الفرنسية اد الكتاب العربي لا يلبس معقضى المبادئ التربوية الاساسية من وضوح الحروف وشكلها وتنوعها

ولقد قاومت غير ما مرة مستوى استاذ عربي حاصل على اجازة فى العلوم الطبيعية بالعربية (بسماعها الطبقي لا الفيزيائي) قارنته بمستوى استاذ فرنسي حاصل على نفس الاجازة فى نفس المادة فوجدت ان هذا يفوق ذلك اضعافا مضاعفة . وان كنتم فى ريب مما قلنا « ققارونا بانفسكم بينهما يتضح لنا جميعا خطر الداء !

الهندسة :

وفى الهندسة ، لماذا يرخر الكتاب الفرنسي بالتهييدات والتطبيقات والتواضيع البسيطة المفصلة والمنطقية مما ، فيقول بان النقطة هي عنصر الخط يبدأ هذا بها ، ثم اذا تحركت النقطة نتج عن اثر تحركها ما سمي بالخط الذى هو بدوره ، مها تغير اتجاهه ، اصبح عصر الزوايا التى هي بدورها عنصر المثلث . واذا تعددت الزوايا فتحت عن ذلك اشكال المربيع والمجس وبمسدس الخ . واذا تحرك هذا الخط فى اتجاه جابى نتج عن ذلك التحرك السطح ومركاته من هرم ومخروط ومكعب الخ . ولما بناه الكتاب العربي نحوها مخالفا يؤدى الى الابهام والغموض والتعقيد لا سيما وان الدرس الهندسي الذى مثلنا به خاص بتلاميذ السنة الاولى من الثانوى اى ياطلن عمرهم لا يتعدى اليوم اربع عشرة سنة على اكثر تقدير ، ويبدأ بالخط واى خط ؟ ذلك الخط الوهمى الذى يجب ان يفهمه التلميذ على حداد ويقدر ان اسمه هو العاقل بين لسانه ! ثم يقول الكتاب بان النقطة هي ملتقى

ومن ضبط الصور والرسوم ودقتها وتضاعفها وتوثيقها ومن ترتيب الصفحة وإبراز فصولها وقراءتها الخ ...

فتبين لنا علميا لا مجال لأي شك فيه أن هذا البناء العظيم بين محتوى الكتاب العربي وشكله وبين محتوى الكتاب الأوروبي وشكله ، هو أول الأساليب في انحصار المستوى وعدم تقدمنا في القضايا التعليمية والمشاكل اللغوية بصفة عامة .

اذ كيف نريد أن يكون تعليمنا في المستوى ومحتواه ناقص بالنسبة إلى هذا المستوى السبقي فريد ؟ كيف نريد أن يكون تعليمنا عالميا بما لا نعلمه أباه ؟ كيف نريده مصرا ولنحن لا نملكه يوسائل التصر ؟ ونريده واضحا ونحن لا نقدم له أداة التوصل ؟ كأننا نريده أن يحسب دون أن تعلمه احساب ! أو نود أن يدافع عن نفسه في معركة بينما تكفل يديه !

ما يعرف ابتائنا ، لا ما علمناهم ! وانهم نفي المستوى الذي أردناه لهم انهم يعبرون كما علمناهم أن يعبروا لا أقل ولا أكثر ويصنعون بما سمعنا لهم أن يصنعوا وعلماهم يحسون بالارتنام-اقليله التي علمناها أباهم ، وإجرا فانهم يدافعون كما تاتي لهم أن يدافعون بل هم صرورة وضعية لنا نحن عليه ، صورة وفيه محصلة .

الكتاب المدرسي والعلم :

وما قلناه في تمييزنا لنوله في معلمه حرفي بحر ، اذ اعلم إلا نبيد أي دراسته ، تلك

الدراسة التي وضعناها له بمستواها ومحتواها ، من جبريات وثباتات وأوصاف وأعمال ومعلومات وأشياء الخ ... فكوناه بلغة وكتب وأدوات تعليمية وبرنامج الكل ناقص وإذا كان تكوينه ناقصا فأنما نحن الذين قصرنا في تكوينه ! وإذا قصرنا في تكوينه فذلك لانه نقصنا الجهاز الفني الذي يبين لنا الدرجة التي يجب أن تنعكس بها في التكوين ويمدنا بالأدوات الصالحة لذلك التكوين . وهذا الجهاز الفني هو « المعهد السقيمي » Institut Pédagogique الذي يوجد عند كل الأمم الراقية ولا يوجد عندنا ! ووجوده حيوي بالنسبة إلى الأمم المختلفة غايته منع وفي شؤون التعليم عند سائر الأمم والسهر على أن تكون دوما في بلاده مسابقة لما هي عليه عند الأمم الرائدة حتى لا يحصل أي تأخر وبالتالي أي تحلب (اذا تكافأت الأوضاع) .

وإن قال قائل أن هذا المعهد موجود عندنا في البلاد العربية ومع ذلك لم تتحسن أوضاع التعليم ولا مستواه قلت : وجود الجهاز لا يكفي لإعده أي لم نوسع وهي اشارته العلاقات والوسائل الكفائة الكافية وإن لم يعمر المسؤولون ما يحضر به من اهتمام وما يبينق به هي انصاف .

ولتأمل ما جاء في لائحة 48 لوزارات التربية الوطنية المنسقة عن الدورة 22 لمنتدى الدول حول التربية الوطنية المنعقد في جنيف 1999 .

فمن اي باب طرقنا مسألة التعريب نجد ان ضرورة التكوين للتعريب في التعليم الثانوي وضرورة التعليم المسابر للعصر والرفي . كل هذا يظهر لنا ضرورة التعريب الجامعي والابتكر الذي هو علامة التقدم وسلاحها الأقوى ، هذا الاسكار يجبرنا على الرجوع الى الأصالة . فلقد اعطى السيد وزير التعليم العالي والبحث العلمي أهمية كبيرة للاختراع في ندوته الصحافية منذ يومين فهذا الابتكار الضروري للتعريب المحرر يحتاج الى طيبة يتعلمون وبهضمون ، فليس هناك همضا أن لم تعط قالك الخالاس لما تأكله . محين نقرا مجلة علمية بلغة من لغات العالم المتقدم ، نجد جل المراجع التي يبنى المؤلف مقالاته عليها ، مراجع من بني جلدته ولعنته . اذن فالألوم أن تنشر أولا الاختراعات الاصلية باللغة الاصلية . فان اكبر انتاج يحصل في بلد من اسلذان أن ياتي بطريق اللغة القومية . فالدلي ينشر اكتشاهه بلغته يزيد في رأس مال أمته في الميدان العلمي ، والدلي ينشر بلغة افير فقط يريد في مراجع الغير ويضاعفه .

ففي التاريخ الحديث استغل الاستعمار لمصلحته ومجده بطولة جنود حرب وتفصيحهم ، فهل تترك اكتشافات شياننا وعلمائنا في العلوم تفرق عليها راية الغير ، وان كان العلم عالميا فقيمة العالم يكون على قدر أصالته . لو كان ابن الهيثم ، لو كان الفارابي ، لو كان جابر بن حيان ، وجميع العلماء الذين تفتخر بهم المدنية العربية الاسلامية ، والذين بنت على آثارهم وزادت عليها الاجيال ابشيرة ، قد تعلموا باللغات الأجنبية وكتبوا باللغات الأجنبية ، ماذا كان يحصل في التراث العربي ، وهل كان ليبقى في هذه الميادين تراث ، والاطدار كلها متوفرة امامهم ، بالرغم من أن مؤلفات هؤلاء النضاء كانت بالعربية فالكثير منهم غربت اسمائهم .

كان الاجداد يتوجهون الى اعرابية المصلومات الموجودة في كتب غيرهم وكانوا يدرسونها بالعربية ، ثم في المرحلة الانشائية اخرجوا منتوجاتهم باعرابية فاعطوا للفتنا حكاية رفيعة بين اللغات طيبة قروب ، فكان عهد الترجمة مثالا للمجهود الفكري الضخم الذي ضمن الشخصبة العربية الاسلامية من الانتماج البطل في ثقافة الغير ، فاللغة التي حملت علم الثورة الثقافية بين الناس ، ما كانت لتقبل من ابتهاها العجز ولا الكسل ولا عدم الثقة بانفس فهذه الصفات تغلب الاجداد في عهد الترجمة وعهد التعريب الاول على صعوبات تقتصر صعوبات اليوم امامها ألعاب اطفال . فالاجداد ازرعوا انفسهم على البحث والتدبير وتعلم جميع ما تعلمه الغير ، ولستكنهم حينما يدخلون تلك المصوم الى الدار ، دار الامة يخرجون انتاجهم وعليه المالب الاصيل .

لغوى اللغة

صدر هذا الحديث بالمجلة الجزائرية:

Alger - Algérie - Algérie - Algérie :
« نشر » مؤخرًا

(Maison du Maroc) « نشر » مؤخرًا

بالدار البيضاء . تدخل لصدقتنا الاستاذ محمد
عزيز الجبابي الفاه في ملتقى حول « اذواجية
اللغة » ، انعقد بالرباط في 21 جانفي 1960 ،
شارك فيه ثمانون عضوا من رجال التعليم ،
أغلبهم فرنسيون .

ورغم مرور ثلاثة عشر عاما ، فإن ملاحظات
فيلسوفنا المغربي (المستشار حاليا) في البحث
العلمي بوزارة التعليم العالي بالجزائر (ما تزال
محظوظة بقيمتها . ولذا نقمها لقرائنا » .

محمد عزيز الجبابي
ترجمه
ناظره الجبابي

عدة أسابيع في الصين » فهل يكفي هذا لكي
أصبح نفسي بالمقارنة بين اللغة الصينية واللغة
العربية أو الفرنسية ؟ لكي تكون جديين ،
فليتكلم كل منا عما يجيد معرفته « إن الإقامة
في المغرب ، أو في أية دولة عربية ، بضعة شهور
لا تكفي ، أبداً لإصدار أحكام على اللغة العربية .
واجب اندرس لاية مرة أن يأخذ بعين الاعتبار
العامل الزمني ، ليتكمن من معرفتها في محيطها
اجتماعي وأنتاريخي والثقافي ، قبل أن يتصدى
لحكم عليها . كذلك لا يجوز أن تقل أحكامكم
بعض المتعمقين للمادية على اللسان العربي ، فهم
وأن تكلموا بالعربية إلا أنهم كانوا ضحايا لنظام
الحماية الفرنسية فافتروا لغة المستعمر ولم يتعلموا
إلا النزر اليسير من العربية .

إن تدخلنا هذا يرمي إل وضع نقطه عسلى
حروف ، لنلور بعض مشاكل نطقتها أساسية .

لى يخطر لنا ، أبداً ، أن نصبح الفرنسيين
بأن يبدلوا لغتهم الوطنية باللغة الإنجليزية ، كما
تفوق به الولايات المتحدة فرنسا من تقسيم
تكنولوجي وعسكري واقتصادي . ولن نتجراً ،
أبداً ، فخرض الفرنسيين على أن يوثروا اللغة
الروسية لكونها لغة الصراوخ ، على لغتهم الام .
فى حين يبدو انكم تذلون جهودا لاقتناصنا بأن
أحسن وسيلة تساعدنا لكي نخرج من التخلف .
تتمثل فى التخل عن ترميز ثقافتنا والعمل على
فرنسة عقليتنا ، وبعبارة أخرى « أن نكسر
لأنفسنا ، كاملها تاريخها وشخصيتها ، فنصبح
مجرد طفيليين على هامش ، ثقافه أجنبية » .

بها الزملاء ، نلاحظ أن المناقشات حادة
حول « اللغة العربية » وقابليتها على مسايرة
العصر بتقنياته وتحدده المسترسل . وحصول
صحتها ، تعلمنا وتعلمنا . ويتدخل من لهم
الام بالعربية ، ومن لا الام لهم بها ، وإنما
يسمعون عنها ، من قريب أو بعيد .



إن موقف المستعربين من اللسان العربى
واضح ، لأنهم تعلموا العربية بالطريقة التى
يصل بها آخرون اللغات الميتة ، فمعرفتهم بقواعد
النحو والصرف لا تنكر ، واتصالهم متين
بالنصوص الوسطية الكلاسيكية . بيد أنهم
لا يستخدمون أبداً ، هذه اللغة كوسيلة فى
المعاملات اليومية ، لذا يحملون تبعية هذا التصان
العربية ذاتها . لقد تعلموا الحديث «عنه» احربية
لا الحديث عنه العربية ، كما تعلموا الكتابة «عنه»
العربية ، لا عنه العربية (إلا أقلية ضئيلة منهم)
اذن ، تحرمتهم ليست حجة على اللسان (العربى)
ولكنها إرهاب على اخلاق منهجية بعض المستشرقين
المظلمين ، فرغم ممة اطلاعهم تفصهم البيداغوجية
والتطبيقات بالنسبة لتعليم اللسان العربى .

انصتنا ، فى هذه الدعوة ، الى كلمات بعض
الزملاء ، حول اللغة العربية وهم لا يتقنسون
الحديث بالعربية وليسوا مستعربين .

لا احد يستطيع أن يقاوم تمجيه منهم ، مع كل
الاحترام الذى تكنه لحن اراذلتهم . لقد قصيت

الزوم بكل قوة المناعة والحياة . دون احتياج الى
اى تجديد او اراء . فليس من المقبول ان تسامر
فى هذا الادعاء . بعض المعارضة من الذين فاتهم
الركب . ولم يبق لهم محل من الاعراب .

نعم . ان مشاركة بعض المتقنين المعارضة فى هذا
المتقى لدليل على تأييدهم لكل مبادرة تساعد على
مصارعة التخلف . سواء فى الميدان الثقافى او
فى الميدان التسييسى .

انما نصي . حق الوعى . كل ما ينقصنا . وكل
ما نحب ان نحققه . كما نرى ما يلزم ان نفكه وما
يلزم ان نركبه . واننا . كذلك . نقدر مساعدتك
التقنية لنا . حق قدرها . ولكنا نرفض المنول
الجاهزة مسبقا . كما نرفض القردية (التقليد
الاعمى) . ونرفض . بالاحص . كل ما يدخل اى
عطب على شخصيتنا الاصيلة .

لا شك ان اللغة العربية فى حاجة الى تحويرات
والى ووافد لتزداد نموا . طبقا لقانون تطور كل
ما هو اساسى . اننا نشترط بكل ذلك ونحاول
علاجه . فلا يرفض النقد الدانى الا متشكك
يائس . او يليد .

★ ★
★

اسمحوا لى ان انتهر فرصة ملتقى اليوم .
لاؤك تحصى من « أبويه » (Potemaltene) بعض
الرملاء : انهم بناشدونا . بالماح . الا تصحى
باللغة الفرنسية . خوفا علينا من ان نصبح
عصا بكسما .

اننا نقبل ضرورة اطلاق الثقافى وعصرنة
اللغات الاجنبية . فالأوساط العربية المتعممة
تردد منذ القديم . بيتا شعريا أصبح مثلا .
مؤكد ان كل لغة مكتسبة تمثل . عليا . شخصية
تنساف الى شخصية المرد الاساسية : « كل
لسان فى الحقيقة انسان » . ان كل شخص مزدوج
اللغة يعادل شخصين . شريطة ان ينطلق من
لاسالة . اى من لغته الام ومن ثقافته الوطنية
التي يتقن عليها كيانه . فاليا ياتيون والصينيون
مثلا . يكونون اثنين عظيمتين . والسرى هذا
اجد انهم استطاعوا المحافظة على مميزات
الشخصية .

ان روح المواطنة والشخصية القومية كلتاها
تجسد فى التاريخ (وجذور تاريخ الشعوب
هى اللغة . والمعتقدات . والاعراف)
لذا يجب علينا ان نناصر لغتنا القومية . وان لا
نجددنا حتى المواطنة حتى لا يجرنا الضياع .
علينا ان نختار . احد موقفين : اما ان نلتحم
وننصهر فى قومنا . واما ان نتألى فى الفجر .
لكن الملايين من المواطنين . الذين ضحوا بحياتهم
من اجل استقلال البلاد يبرون لنا سبيل الاختيار
ويلقوننا الواجب .

★ ★
★

نحن وان سلبنا بضرورة التمسك بالعربية
كلمة قومية فى كل مرادق الحياة . لانجيز لانفسنا
سياسة النعمة . فدعى ان اللسان العربى يتمتع

يها الزملاء ! ان لم اكن قد اسأت الفهم ،
ما اجتماعا اليوم هنا يصم لجنة تحكيم في مباراة
انتخاب ملكة جمال العرب ، من بين مرشحين :
الاولى خرجت من شاطئ نهر « السين » حيث
ما عتيء خالدو «الأكاديمية الشهيرة بباريز» ،
منذ ثلاثة قرون ، يلبسونها ويزيون ملامحها
وينمشون شبابها وحملها ، بكل ما وسعهم
من قدوات ووسائل « ما اجنلها رشافة »
واناقة ، دعابة ، وحة روح *** لقد حببست
بطلب ومواهب حمة ، منذ «كورتاي» و «باسكال»
و «ديبون» و «بودير» حتى السيدة
(دو بوقوار) والسيدة (صاغان) ، بالإضافة
الى المحظوظين الذين احرزوا على جوائز «عونكوره»
و « روندو » و «ميسياء» فلاحه اللغة الفرنسية
تتوالد وتجدد باستمرار ، كمياء « السين » .

ما ابرشة الثانية عيست الا « النجمة »
الصغيرة التي ذكرناها سالما ! فلا هي أنيقة
في لباسها ، ولا هي حاذقة في حركاتها « راعية
صغيرة أصلا ، غير انها على العكس من الراحية
الشعيرة (برديت) قدسية (اللورد) ، لم
نحط ، منذ عدة قرون ، لا بالهامات ولا برؤى ..
اذن ، لقد وقع الاختيار مسميا ، فلم يبق الا
ان يصغر الحكم قرارهم بالإجماع - لكن -
ويا لئلا ، لتشكيل لا ينحصر في اعتبارات
جمالية ولا في أوصاف جغرافية ، انه يجاوز
بكثير ، الاناقة والملاحة والجغرافيا (على ان لكل
نوع من الجمال جاذبيته) « الشك جدمعقد ، لا
يسكن ان ينحصر في اسطاهر »

لا خوف ايها السادة ! ان اللغة الفرنسية
اراء ثقافي لنا ، وستظل كذلك ما دامت تسهم
في تنظيم الوحدة القربية . دون ان تحارل
احتفاء شخصيتنا من تاريخها الأصلي .

امن اللان ان يتخذ بعض الزملاء موقفا
معاكسا لاختيارات المسؤولين الاكفاء في هذا
البلد ؟ اهم يجدوننا من « مغبة » تعريب
التعليم والاجهزة الادارية - انه لموقف تنقصه
للساقة والطرف ، وقد لا يخلو من مس بالكرامة
القومية المغربية ! ذلك ان الاستقلال الوطني
لا يتم الا باسترجاع الاصلة الشخصية
لتاريخية ، والواقع ان ما يطلبونه منا ينحصر
فيما يلي :

« قوموا انتم انفسكم بما لم ينتج المستعمرون
في تحقيقه : اي عملوا على فرنسة شعبيكم »



لقد اصحبت اللغة العربية نجمة سينمائية
يعتصمها البعض بشعب احتكاري (وبما ان
للمشاق مطلقا يخالف منطق الآخرين فمن
لصعب التفاهم معهم)

هناك زملاء آخرون يهتمون بنجمتنا « غير
انهم ياملونها وكأنها مراقة » فن كسرة
ما يحرسون على صيانتها واحتضانها جعلوها
الحيلة لديها غير محتملة الى حد الاختناق .

الذكور والاصواء - فموصا عن المصلات
والاصواب ، مستجدون تجاعيد واضاء مرتفعة
مشنولة »

جوابا على هذا ، يؤكد اننا لا نحاف من المد
الذاني : فيكل موضوعية ، نعرف بان العربية
لغة عريفة في القدم ، لكنها لم تمت ، ولهست
محتصرة . كل ما هناك انها متعبة ، لا اصابتها ،
الى حد ما ، من جمود وهمود »

فالراجب هو ان تلك الحصار من حوالها
لنقص على الجمود ، لا بد لهذه اللغة ان تتحمل
بعض التحويرات ، كما هو الشأن بالنسبة لكل
اللغات احية ، مثلها كمثل الشجرة المسنة التي
تتحلل لتخلي عن الاغصان الجافة المتصلبة كي
تسميد فتوتها ، هنا نذكر عبارة يتناولها
اعلاسون في المغرب : « لجودة الزيتون يجب
القضاء على ربايب الشجرة » ، ويمنون « الريايب »
الاغصان اليابسة والطويلة »

اذن ، من الواجب احصاء ربايب اللغة
العربية ، واخذ الفرار الجازم لازاحتها »
فما هي تلك الريايب ؟
مستخرج هذا السؤال في الصدد المقبل .
(يتبع)

سيفاتي سادتي - ليست اللغة العربية ،
بالنسبة للمغاربة ، مجرد أداة ثقافة وتبادل فكري
بل انها اساس التعبير عن كل ما هو اساسي في
حياتهم ، بصفتها وسيلة تواصل ، في كل
اللحظات ، بين امهات واطفالهن ، كما هي أداة
تواصل بين مفومات الحياة ، (اقتصاديا ، ودينيا ،
وسياسيا ، ومجتمعا) - فاللغة الام وحدها هي
التي تستطيع ايجال كل اللوينات العاطفية ، انها
روح الشعب وكل وشجاته الوجدانية ، الواضح
منهما والمفعم-اللغة الام هي ماضي الام الحاضر ،
انها ذكرياتنا العاطفية ووجداننا ومطقنا وقد
نشأت كلها من دم ولحم الاحيال التي توالدت على
هذا الوطن ، انها نحن اغنسنا ، مالدسين
لا يفهمون ذلك لا يمكنهم ان يتفاهموا ، وبالاخرى
ان يفهموا اللغة التي تعانها كل الشعوب الفتنة
وهي تحهد نصب لبعث تراثها الثقافي ، وحياء
ماضيها وشخصيتها عن طريق اللغة الام »



قد يرى البعض اننا نتعصب للمرشحة البلدية
واننا بالضا في الاعجاب بجمالها . وقد ينصمنا
آخرون : « انظروا عن قرب ستمشكم العربية ا
حردوما عن زينتها ، ستمدو لكم اقل شيابا معا
بطون ، كالمثمنة في مقصورتها وقد ابتعتت عن

لواءنا البلاستيكي
نقص وانصت

الزبيب

الخاز
نقص وانصت

تقني
المنشآت
البحاري

الكوم
طباعة الصحف

الخامس
المنشآت
النفط

الاصف
انصت

الاصف
الاصف



بلد الرشاش والخبرات

من صنف
المركبة تزيين

التعريب والازدواجية في تونس

أصدر مركز البحوث الاقتصادية والاجتماعية بتونس الكراس الثالث من السلسلة اللغوية في نوفمبر 1970 (213 ص) وهو خاص بدراسة بعض أوجه الازدواجية اللغوية في تونس (1) ، ويضم ثلاثة بحوث :

- 1 - رشاد الحمزاوي : تعريب ودراسة الداخلية ص 11 - 73 + ملحق ص 75 - 97 (يضم صورا لبعض الوثائق التي أمعتها الدراسة)
- 2 - زهرة الرياحي : استعمال تلامذة الثانوي للفرنسية والفرنسي ص 99 - 165 (يضم 19 جدولا) .

- 3 - الطيب العوني : لغة الطلبة - ص 167 - 213 (يضم 10 جداول) .

بعد مصادف ظهور هذه النشرة احتدام النقاش في موضوع التعريب والازدواجية ، فرأينا أن نلتم هذه البحوث ، لا للتعريف بها لحسب ، وإنما خاصة لتحليل ما تضمنته من وصف مجرد لبعض الظاهر اللغوية في تونس وما يمكن أن تثيره من مشاكل ونوحى به من انكار تعلق بظاهرة الازدواجية اللغوية وتعا لذلك ، بمشكلة التعريب . وما ذلك إلا لإيماننا بضرورة وصف الواقع اللغوي التونسي من جميع جوانبه بالطرق العلمية الحالية من كل عاقل أو تعصب حتى يمكن فهم هذا الوضع كما وكيفا لممكن بعد ذلك التأثير فيه ، ومعالجته بالتجذبات والوسائل واسلمها حتى نسم من خطرين الابتعاد من ناحية وعملية معصور الانعطاف من ناحية أخرى وأن إيجاد التوازن الضروري لإبطال هذين الخطرين أصبح أمرا حيويا ، وهو لا يتم إلا بالوضعية والنزاهة في معالجة المشاكل بعد فهمها وتحليلها تحليلًا مجردًا .

وإن هذه البحوث لترمي إلى هذا التحليل قبل كل شيء ، ولنتحقق فيما نعتقد أن توضع في هذا الإطار باعتبارها محاولة ومشاركته في تصوير واقع لغوي معقد ، يحررنا من الأحاساس الغامض بالحديث والتخمين ، إلى المعرفة الصحيحة بالاحصاء والأرقام .

تحليل البحوث

تعطيل البحث الأول :

يشير البحث الأول بأنه لا يصور واقعا لغويا قديما موروثا ، وإنما يصور واقعا جديدا ، ناتجا عن تجربة تتمثل في تعريب إحدى الإدارات التونسية في عطاق وزارة الداخلية ، وهي إدارة حرس المورور .

(1) Quelques aspects du bilinguisme en Tunisie. Cahiers du C.E.R.E.S., série linguistique 3 novembre 1970, 213 p.

وقد بدأ صاحبه بتدوين الشكل تاريخياً (9 ص) ، وذلك بالرجوع إلى عهد الحماية حيث كانت مسألة التعريب متدرجة في نطاق المطالب الوطنية عموماً ، ولكنها أحدث شيئاً عسيفاً تتميز بالروية والواقعية مراعاة للأوضاع والمصائب .

لم حدد بعد ذلك اختيارين في موضوع البحث (15 ص) ، معلا حصر الاختيار الأول في وزارة الداخلية بالعدم التقليد العصرية في عهد الوزارة قبل الاستقلال إذا ما هورت بوزارة العدل . أما الإختيار الثاني ، مت نجد به تحليلاً لخصائص إدارة الحرس الوطني أكثر مما نجد تعطلاً ولا سيما أنه كان يمكن زيادة أخبار ذلك بتعق بحرس المرور الذي هو موضوع البحث الأساسي .

ويخلل القسم الثالث (4 ص) وسائل التعريب البشرية وكذلك المصاحبة المختلفة في مدرسة الحرس الوطني والمكتب ، وفيه جدولان يبين أولهما مواد الدراسة وسماها وبسط ثانيهما مطالعات الحرس باللغتين العربية والفرنسية حسب المواد . وهما يستحقان تعليلاً استسجياً بين أهميتهما بالنسبة للبحث أي من حيث أهمية دورهما في التعريب .

ويعدد القسم الرابع - وهو يقع في صفتين - الوثائق المكتوبة التي اهتمت في البحث وهي « المتطلعات المالية » و « دوائر الضممة » و « دوائر التعريبات » و « المحاصر » و « متفرقات » مثيراً إلى أنها يجمع مختلف مراحل التعريب . وإن تعتد أن تحليل هذه المراحل من أهم ما يصح تخصيص به في المستوى اللغوي للمص قيمة هذه التجربة في التعريب بفهم اتجاهها وتطورها وتبين مدى نجاحها حتى تكون من المعايير في هذا المجال .

- أما القسم الخامس الأخير وهو أضخمها وأهمها (33 ص) فهو حاس بالوصف الشؤوي ويقسم إلى خمسة محاور رغم أن فقراته غير واضحة نعم الوشوح أحياناً :

تضمن المحور الأول (6 ص) مشكلة الرسم ، رسم الكلمات العربية ، الفصحى والعامية ، ورسم الكلمات الأجنبية بالأحرف العربية . وقد استعملت للتصريح عن هذا المفهوم الواحد ثلاثة مصطلحات فرنسية (2) حملت من المعاني مالا تجعله في الواقع ، ودون حاجة إلى ذلك ولا سيما أن الكلمة الثالثة مدت في التيوب متباعدة لأولى ، بينما قصد الكاتب فيما يبدو معابة الثانية الثالثة في نطاق محصور واحد غير عنه بالكلمة الأولى ، وكان يحسن في نظرنا - احتساباً لهذا العموض والإتياس - الاتصال على اللفظ الثالث مع أخفته إلى اللغة المعصودة

ثم أن الأمثلة العديدة التي قدمت في نطاق هذا المحور ، بأغلبها أعلاها رسميه ، تمثل مادة هامة جداً يمكن أن تحل تحليلاً لغوياً مفيداً ويمكن أن تثير ما ماله صلاحية الخط العربي التفسير في رسمه عه إدارية شديدة التأثير بأبعاصه حاصه وكذلك بالفرنسية . وإن الاضطراب الموجود في ذلك لعل بوضوح على الحيرة والتردد وعلى انشأه لغة مارالت تيمت عن نفسها حتى في الرسم - كما أن عدداً كبيراً من هذه الأمثلة لا يجمع للرسم وإنما يرجع إلى أسباب صوتية محضة ، تستحق تحليلاً وتعليلاً مستقلين ولأسماء ما خلقت منها بالحركات التي لا شيء يدل عليها في وثائق غير مثبوتة مما يجعل درسها عليها غير ممكن .

ويتعلق المحور الثاني (16 ص) **بالتسحية الصرفية**، إلا أنه ليس دراسة صرفية، وإنما هو شبه معجم يضم عددا كبيرا من الصيغ والكلمات الواردة في الوثائق موبة حسب استيهاا الصرفية وتضم مختلف مشتقات المجرى حسب الريب الألفبائي، متنوعة بمشتقات الأعمال المزبدة ولأسيما أسماء العامل والفعل والمصدر، ولانجد ذكرا للأسباب الدافعية إلى طرح الأعمال قصدا والانتصار على المشتقات التي تباوت في قيمتها الأسمية.

وينتهي هذا المحور بمص الملاحظات المتصقة باحكاكة اللغوية، ملعدة ماثلة من قانون الطرقات، والترادف، المتمثل في إعطاء الكلمة الأجنبية مذبيلن أو أكثر في العربية، وهذه الظاهرة في حاجة إلى تحليل، وأخيرا الشرح الذي هو حل المسئلة عندما لا يتوفر لفظ مابيل للمصطلح الأجنبي.

أما المحور الثالث (6 ص) فيتعلق **بالنحو** وتنبور الأمثلة المقدمة حول الإغلاط الأعرابية من ناحية والجملة من ناحية أخرى يتركز أمثلة الحمل على المحاكاة والقوابيل، وكل هذه الأمثلة في حاجة إلى توبيخ وتحليل.

ويتعلق المحور الرابع (صفحة واحدة) **بالفخيل**، ولانجد درسا للأغلاط الدجيلة وإنما نجد ملاحظات حول استعمال بعض المصطلحات الطبية المتصقة بالعصر من والتفاسير.

أما خامس هذه المأور وأخرها (صفحة ونصف) فيتعلق **بالخصائص اللهجة** في تقارير الشرطة ولانجد هنا أيضا بحثا في وفي اللهجة التونسية في عربية الشرطة في مستوى الانعاط والابنية والتركيب والتأثير، وهو ميدان فأخرى، وأما نجد خاصة الأارة لشكل هام يتمثل في تردد الشرطة بين تسجيل تعريض الناس بلمعهم التونسية وبين ترجيحها إلى العربية وما ينتج من ذلك من تأويل وتعريف قد يكون له تأثير في الأحكام الصادرة، وحتى عندما يسجل التعريضات بأمانة فإن الرسم العربي الذي حمل للغة مختلفة، لاؤدها كمال الأمانة أيضا.

وفي الخاتمة لأط الكاتب أن لغة الحرس تعمل تداخلا بين القصص والعامية. واستنتج من هذا وجود ثلاثة مستويات من العربية «القصص» - عربية الأدب وعربية الصحافة وعربية الإدارة المتأثرة بالصحافة، وقد اعتبر الكاتب لغة الإدارة حلا وسطا بين القصص والعامية وصحه بأنه لغة ثلاثة تمثل العربية الوسطى، الثلاثة.

نحن لا نوافق الكاتب على ذلك لأن لغة الإدارة لا تمثل إلا مستوى فنيا لا يمكن أن يكون شائعا أو أن يشغل نموذجا لغة عسرية، خلافا للغة الصحافة ذات الأثر العميق في تطوير اللغة لمالها من انتشار.

وكنا نود أن نفع الإشارة في الخاتمة إلى جوهر المشكل وهو التعريب، وما هي حدود هذه التجربة في التعريب الإداري، وما هي قيمتها الدافعية؟ ما هي أيضا فوائدها ومضارها أن وجدت؟ هل المهاج الذي أتبع في حاجة إلى المراسلة أم إلى التفسير أو التفتيح والتبسيط؟ وإلى أي حد يمكن لهذه التجربة أن تكون نموذجا لغيرها في سائر الإدارات؟

(2) a) Ecriture, l'orthographe,
b) transcription.

أن صعوبة تقييم هذه التجربة علمياً بالإجابة عن مختلف هذه الأسئلة التي تخامر ذهن قارئ البحث عند الانتهاء منه ، ترجع إلى ما لمع إليه الكاتب نفسه (ص 72) من أن لهه الحرس ، بما فيها من مستويات وتداخل بين الفصحى والعامية في حاحة إلى تحديد وتدفق وهو ما يحل قيمة هذا البحث تتمثل خاصة في مادته العزيرة المتنوعة وفي محاولة ترويضها ، فهذه المادة الثرية جذيرة بأن تكون موضوع بحث لتوى يحلل كنه هذه اللغة ويحدد أبعادها ، وأن لتناق الختام على الكاتب بعض المسأله الطفيفة المتعلقة بهيكل البحث فتحن نلاحظ من خلال أقسام البحث ومحاووه نقاوماً كثيراً بينها لا يبرره أهمية المحاور لعل بعض ذلك يرجع إلى أن الكتاب فقس الاختيار على الاستيعاب ما عمت بعض النواحي أكثر من البعض الآخر ، إلا أنه امرط في تحليل الاختيار التي هي نوع من التقديم إذ استقرت ربع البحث ، ثم إن أهمية الفقرات لا تين احتياطاً بوسوح اضطراب المتساوين وطريقة ترتيبها كما يظهر ذلك ص 31 (حيث « أولاً » بدون « ثانياً ») ، و 36 و 37 (حيث تتداخل الحروف والأرقام) ، وكذلك بين ص 41 و 44 . وقد تكون رداية الطباعة مسؤولة عن بعض ذلك ، ولئن كان الغاري، يتعنر أحياناً ، فإن ذلك لا ينقص كثيراً من الفائدة التي تحصل له وهو يتابع تفكير الكاتب ويشمل عديد الأمثلة التي يصرحها عليه .

أما الملحق الواقع في 22 صفحة والذي يضم تشريها عشرين وثيقة مصورة فانه يبدو كالزائد أو الحاصلي من الفائدة لا تقتصره إلى تعليق أو تقديم يبين الغاية منه أوأساس الاختيار ولا سيما أن بعض الوثائق لا يكاد يقرأ . ولعله كان من المفيد أن تقع الإحالة عليها أثناء المقدمة التاريخية لتكون مرجعاً بدم البحث ، إلا أنها رغم ذلك تدل على سخامة المجهود الذي بذله الكاتب لاستقراؤها .

تحليل البحث الثاني :

يعتمد هذا البحث المتعلق بلغة اللاملة الثاني ، تحفيها أجري في أواسط سنة 1968 بثلاثة معاهد ثانوية بالعاصمة ، إنسان لغتيات وواحد للبيان ، وقد تم استجواب مائة تلميذ (68 فتاة و 32 منى) من السنتين الخامسة والسادسة آداب عصرية وعلوم من شعبة « د » ، وهي أهم الشعب كما أنها تضم اللاملة الذين تتساوي قوتهم في الفئتين العربية والعروسة ميدلها وأن كان جانب الفرنسية فيها أوفر بكثير . فهي إذا شعبة الأزواجية للصورة المثلثي (خلافا لشعبة « هـ » العربية و « ج » الفرنسية) . وينقسم البحث إلى ثلاثة أقسام كبرى يمكن أرقامها إلى المحاور الأربعه التالية :

1 - اللغة التي يستعملها التلامذة في الوسط العائلي (12 ص) : في مستوى القول ، أي الحديث ، يستعمل أغلب التلامذة اللهجة التونسية إلا بالنسبة لمن يعيشون في وسط متنفذ ، فانه نطبع منذ ذلك الحظ بين الفئتين . غير أنه خلط لا يشتره الهياكل الصورية الخاصة باللغة التونسية حتى تعتبر هذا الخلط « لغة مزيجاً » من نوع « السبر » .

2 - الله من الغريب أن لك اللاملة يؤكدون أنهم يستعملون الفرنسية عندما يكونون في حالة غضب أو حالة أخرى من حالات الانفعال . ونحن نعتقد أن في هذا التأكيد متباعدة ترجع إلى طلي التلامذة في هذا المستوى : أنهم يتكلمون الفرنسية حين يستعملون بعض الكلمات في لغتهم اليومية . واللجوء إلى كلام أحسن في حالات البداة وما يتصل بها ، يرجع في ما يبدو لنا إلى ظاهرة الكتابة والتورية لغاية إنطليط وبدافع الإحسان

التعريب والإندواجة اللغوية في تونس

اللاصقوري ، نالكلام الاحني ليس له نفس الشحنة العاطفية التي تكون للغة الإنسان الاولي . وهذه طاهرة طريقة يكن أن تدرس من حيث علم النفس وعلم اللغة .

— أما في مستوى المكتوب ، أي التراسل مع أفراد الأسرة ، فإن الاحوية تسر على أنه إذا توفر الاختيار ، يميل التلامذة إلى استعمال الفرنسية . وهذه الطاهرة ليست هي السبب في ضعف نسبة الذين يرسلون أسرهم كما يبدو من استنتاج البحث وإنما يرجع ولاشك إلى الظروف الخاصة التي لم تمنع الإشارة إليها أيضا مطلقا ، فقد كان من الواجب النظر في نسبة من لا يعيشون وسط أسرهم لتبرير الحاجة إلى المراسلة .

وفد ركزت خاتمة هذا القسم على إبراز نوعة التلامذة التي تعضيل الفرنسية ولاسيما لدى الفتيات . ونحن نرى أن هذه الطاهرة ترجع إلى عاملين جوهريين :

— يتفق الأول بنزعة عامة ، تتمثل في الميل الطبيعي إلى استعمال لغة هي في نفس الوقت لغة دراسة ولغة عمل بالإضافة إلى أنها لغة تعامل . فلا يمكن أن نصاب على الشباب التونسي استعمال الفرنسية في الحديث لأن السياسة التبريرية قد محبت هذه اللغة اهمية تعوق اهمية اللغة القرية أصعبا وهو ما جعل التونسي يعيش في حوتطن عيه الفرنسية من كل جانب ولا يمكن أن يسلم من تأثير ذلك الجو .

— أما العامل الثاني فيتعلق بمرور هذه النزعة بصفة أقوى لدى الفتيات ، فإنه يتمثل في تعلق الفتيات عامة بكل ما هو مصري مميز ، والفرنسية مطهر من مظاهر المصرية في مجتمع كالحجم التونسي .

2 — اللغة المستعملة في الوسط المدرسي (23 ص) ،

إن الظروف المدرسية لما ساعد على استعمال الإندواجة . كانت العربية فوق الفرنسية في برامج السنوات الثلاث الأولى من التعليم الابتدائي فإن الفرنسية تأخذ في التنوي ابتداء من السنة الرابعة ، وتواصل ذلك تصاعدا في الثانوي والمالي حيث يصبح البنون شاعسا والهواة عميقة ،

ونظرا لدرجة قدرة التلاميذ على التعبير عن أفكارهم في كلتا اللغتين بنفس القدرة فإن أغنيهم يستعين بأحدى اللغتين على فهم الدروس المتصا بالأخرى . وبينهم من الإحصاء أن نسبة الذين يستخدمون بالفرنسية لفهم درس عربي تساوي ضعف نسبة الذين يستخدمون بالعربية لفهم درس فرنسي . ونلاحظ نفس النسبة لدى الذين يطعون صعوبة في مستوى فهم الألفاظ وهو تقريبا حصون في اللغة من المستجيبين ، ويبدل على ضعف فادح في فهمهم القصوي الأدنى وهو ما يلجئهم إلى الاستعانة بالفرنسية والمعامية . ونحن نرى أن ذلك يرجع إلى أن جل المفردات التي تفهموها ليست مما يستجوبون إليه في الحياة العملية أو للتعبير عن أفكارهم المصرية . ويرجع هذا ولاشك إلى خلل في الاختيارات الأدبية واتصاف أنشوص الملائمة إلى جانب عوامل أخرى أكثر تشعبا تفسر انعدام الحاضر . ويتبع عن كل ذلك سوء فهم للدروس ، وعجز عن التعبير في القول والمكتوب بزيادة التفرق بين المعصبي والمعامية استعمالا .

أما في حديث التلاميذ فيما بينهم خلال الدروس من ناحية ومع الإدارة من ناحية أخرى ، فإن الخلط اللغوي يسود . وأنه لجدير بأن يدرس من حيث تركيب الجمل . إلا أن الفرنسية تتفوق هنا أيضا لأسباب لغوية ومعنوية . فالمعصبي لغة كتابه ، والمعامية لغة الشعب والأهله ، بالإضافة إلى أنها قد تكشف عن طبائيا الشخص فتلعل على نسبته

المغرامية والإجتماعية - وهكذا فإن العامة تكسر الحدود القائمة بين التلميذ والمسؤول وتبدد الهالة التي يحيط بها المسؤولون أنفسهم - تليس « أسلم أذن من الفرنسية » ، والحال هذه لأنها « لغة الحياء » - وينتج عن كل هذه الامتناعات أن ثلاثة أرباع التلاميذ يعتبرون الفرنسية أجدي من العربية وأكثر ضرورة لكونهم العكري والقي توكينا عصبيا - وهكذا نرى أن المدرسة وسط ملائم جدا لانتشار الإردواجية ،

3 - في مستوى الإصطفاء (8 ص) نجد تقريبا نفس النسبة السابقة ، إلا أنه من الهام أن نلاحظ أن أكثر من ثمانين في المائة في هؤلاء التلامذة يعتبرون بأنهم يعبرون عن عواطفهم بالفرنسية في الكتابة - وأن صدوت النسبة بين العامية والفرنسية في الحديث - وتطول فناء من السنة الخامسة في ذلك « أي أستطيع أن أقول كل شيء بالفرنسية بدون احتشام وأحمر أنني اكرهية » - (3) .

4 - أما المحور الأخير (15 ص) فيتمثل بالاحتياجات القوية الذاتية ومواقف التلامذة تلقائيا ، ويستنتج من الإجابة أن ثلاثة أرباع التلاميذ يطامعون الجرائد الفرنسية وأن نسبة أربع طالع الكتب الفرنسية - وبعض هؤلاء يصف العربية بأنها لعمريته - ثم أن ثلثي التلامذة يغضون كتابة مذكراتهم والالهم بالفرنسية أن شعروا يوما بالقدرة على ذلك ، ولا يري ألا العشر أن العربية ساحة لكل ميدان ،

ويظهر من مختلف الإجابة أن التلاميذ يشعرون بضييق وتلق في المستوى اللغوي يرجع إلى إحساسهم بالضعف في كلتا اللغتين نسبيا - فالإردواجية إذا عصمت دون مراعاة اختلاف المستويات اللغوية واقفيت على تعادل اللغتين ولو نظريا فاتها نسبة أكثر مما تعيد وتؤدي في أغلب الأحيان إلى أحمر والرجح والاضطراب والتدليد - وكل هذا يفسر تردد التلامذة في تحديد الثقافة التي ينتمون إليها « فأكثر من الخمس أمسكوا من الإحاة » بينما التلك ذكر أنه تنتمي إلى الثقافة الفرنسية .

ولئن كانت نتائج هذا البحث غير قابلة للتعميم نظرا قلة المستجيبين وانعدام تعميم اجتماعيا وجغرافيا ، فإنها تعطي صورة صحيحة في خطوطها الكبرى عن واقع صنف من الشباب التونسي . فهذه الشباب لا يعارض الإردواجية ميدانيا ، لأنه مقسم بين شعوره القومي تجاه العربية ورغبتهم في استعمال أداة لغوية طيبة عصرية هي الفرنسية التي لم بعد التونسي يشعر إراءها بمركب القص المميز للمستعمر - لذلك يعبر التونسي من أمحابه بالفرنسية بدون تحفظ لأن عهد الاستعمار قد ولى ولم تعد ألفة نتيجة لذلك مطلبا قويا ووسيلة من وسائل مقاومة المستعمر .

وفد ركز البحث في الخاتمة (4 ص) على الثنائية المتمثلة في الفصحى والعامية والتي تزيد مشكل الإردواجية تعقيدا ولإسبام أن الفرق بين الفصحى والعامية كبير يحتاج إلى دراسة علمية تضبطه حتى لا تكون الأحكام ملقاة جواغا - وقد أدى هذا الموضوع إلى شيء من الأسهاب في إحديت من الموضوع الثقافي التونسي .

تحليل البحث الثالث :

أجري هذا البحث لمعرفة المسائل التي تعترض الطلبة في المستوى اللغوي والطرق التي يعالجونها بها ، والمواقف النظرية والعلمية التي يتخذونها إزاءها وذلك بفضل استجواب قدم باللغتين العربية والفرنسية ، وينقسم إلى قسمين كبيرين جعلا في البحث ثلاثة دونات ميسرة ظاهرة .

(3) من المدهش أن العربية التي تصمد بالتوازي تثار حسنا في الصلة بلذا الكلمات الماطقة تصح فيها تعبلة على اللسان لذلك يلجا للتكلم إلى لغة أجنبية بدو له الطب .

اولا - ظروف الطلبة اجتماعيا وثقافيا :

وهو قسم في الواقع تمهيدى ، يواصل المقدمة التي تحدد الموضوع وتضبط المهجية النامية في البحث (3 هي) .

لم يذكر الكاتب عدد الذين استجوبهم ولا تورعهم على الكليات وهو سهو مغل كما ان الجدول الاول الذي يصيط اللغات التي يستعملها الطلبة ودرجة اتقائهم لها يمي فيه الركن الحاسي بهذه اللغات فارغا نتيجة خلل مطيعي ولاشك ، مما يجعل هذا الجدول الهام عديم الفائدة وحده . وقد وقع بعد ذلك استعراض مختلف اللغات المستعملة في الدراسة حسب مختلف الكليات المدرسة وهي على التوالي مدرسة ترضيح الاساتذة المساعدين وكليات الاداب واشريعة والحقوق والعلوم ، وكذلك لغة مهنة المستعمل .

ثم وقع الانتقال الى « المواقف » تجاه كل صنف من الصنفات المستعملة وذلك باداء الرأي في المستوى الفردي وفي المستوى القومي ، فصر الطلبة عما يفضلون من اللغات (الفرنسية والعصبي والعامية والوسطى) وعما يبتزروه منها اسلح في الحياة فرددوا في التفضيل لوجود عدة اعتبارات تتجاذب بهم ، فالتفتح على اعالم المصري يدعمهم الى الفرنسية ، واتمسك بالاصول يشدهم الى الفصحي ، وامتنار الواقع القومي يغرس العامية ، والالتناء الى الفكر والثقافة يعيل بهم الى عربية وسطى .

لكن اعتبار الغالبة الماجلة في الحياة يفلب آخر الامر الفرنسية بنسبة تفوق المصنف وتلبها اعرابية الوسطى بسبة الثلث وتتاخر الفصحي من العامية طبقا لهذا الاعتبار .

اما في المستوى اقليمي فان الوسطى تصبح الاولى وتلبها الفصحي ثم الفرنسية والعامية . فالطلبة يشعرون ان حمل العامية لغة قومية يحتاج الى جهد كبير ووقت ضيق في جعل هذه اللغة الشعبية لغة ثقافية .

اما موقف الطلبة من الازدواجية والتعريب فهو جدير بالاهتمام وان دل احيانا على سوء فهم لجوهر القضية : فثلاثة ارباع يفضلون بقاء الازدواجية عموما مما يدل على اهم لا يفرقون بين انواع الازدواجية ولا يشعرون بان الازدواجية السلبية هي التي تكون متفحا واثرا لبلغة القومية لا التي تحل فيها لغة اجنبية محل لغة قومية . اما في مستوى التعلم فان النصف يميلون بقاء الازدواجية والنصف الآخر يشعر بما في ذلك من صياغ لوقت الذي يذهب في محاولة امتلاك لغتين فكتيرا ما يؤدي ذلك الى العجز في كتلتهم - الا ان جل الطلبة يفضلون تعريبا جزئيا في المواد غير العلمية وترك العلوم بالفرنسية لعددا ان العربية ماكان لها من دفعة ولاغفرها الى المصطلحات الحديثة التي تزيد كل يوم بسرعة تفوق سرعة تعريبها ، لان دور العرب في ذلك دور مستهلك لا مشاركي في الانتاج ، على ان المشكل في نظرهم ليس لغويا بل هو حضاري فطلما كانت العربية لغة علم يوم كان العلم عربيا فان هذه اللغة لن تكون لغة علم الا عندما يشارك العرب في الحركة العلمية حقا وانتكرا . وقد يبدو من العرب ان نسبة اطلبة الذين يتكروا على العربية انقصى القدرة المثلثة على التعريب عن الواقع الادبي بعنه تنوق لدى طلبة الاداب نسبة طلبة العلوم ، وما ذلك الا لان طلبة الاداب العربية يعرفون اكثر من غيرهم حدود الفصحي في التعريب عن الواقع البيومي المصري وهو ما يدفع بعض الادباء الى استعمال مستويات لغوية اخرى تصل احيانا الى العامية - على ان الطلبة يشعرون - اذا ما دعت الحاجة يوما الى استعمال العربية الفصحي - بضرورة تسيط

دراسات للغة

هذه اللغة وتنقيحها ولاسيما في مستوى نحوها ورسمها بالشكل وضرورة الحد من تنوع الحروف رسما وهو ما يذكر بمقتضيات السند الأخضر المغربي في هذا الصدد ، ولم ينسب إليه إلى غير ذلك الإشراف على الطلبة الذين شعروا بأن كل إصلاح جذري للخط يفود إلى قصم الروابط مع الماضي ويجعل التراث الضخم القديم في حاحة إلى نشر جديد يتطلب من الوقت والتكاليف والجهود ما يفوق المزايا .

وقد وقع تحليل نتائج هذا القسم الكبير الأول المتعلق بأراء الطلبة في المشاكل اللغوية (من 190 - 1) قبل الانتقال إلى تحليل القسم الكبير الثاني المتعلق بالسلوك اللغوي الذي يصور الواقع بصدق أكثر ويكون من المفيد أن يقرأ بالآراء .

وقد وقع الاعتناء في هذا القسم ، جانب الاستحواذ ، على تسجيل بعض المحاورات التي حثرت بين بعض الطلبة في موضوع اللغة .

وقد ركز هذا القسم الثاني على أربعة محاور تتعلق باللغة التي يستعملها الطلبة فيما بينهم ، ومع أساتذتهم ومع الإدارة ومع أفراد الأسرة .

1 - تحصيل لغة الطلبة فيما بينهم باختلاف الأوساط :

— ففي الجامعة — بما فيها القسم — نطلب استعمال لغة المدرس وأصح نسبة لغربية وفيها الخليط العربي الفرنسي الذي نأخذ نسبة في الارتداد كلما اتعد الطلبة عن جو القسم ، إلى أن يصبح في المرتبة الأولى إذا ما انتقلنا من مواضيع الدراسة إلى مواضيع الساعة ولاسيما خارج الجامعة . وهذا الخليط يعتمد العامية أكثر مما يعتمد الفرنسية ، وأن تحليل هذا الخليط لغويا لا يطسو من طرافة وبائدة في المستويين النفسي واللغوي . فالتحليل العلمي الدقيق لهذه الظاهرة يعكس ما أن تعرف مني يتقل التكلم من لغة إلى أخرى ولماذا ، وقد حاول الكاتب أن يطل بابجاز بعض النماذج من ذلك (من 199) . ويمكننا أن نستنتج بصغة عامة أن نزع الخليط يرجع إلى نزع المجهود الأدبي ، بالخط فزار من الصعوبة والبحث ، إذ يستعمل التكلم أول لغة ردي على لسانه ينطق النظر من لسانه وذلك لثوقته من فهم السامع . لكنه عندما يجد نفسه في ظرف يحتم عليه استعمال مستوى لغوي واحد ، فإنه يتعثر ويصبح كلامه أبطأ ومجهوده أكبر ، ولو تكرر الأمر لا أصبح الكلام بلغة واحدة دون حائط أمرا يسرا . لذا فمن السالمة في نظرنا اعتبار الخلط خطراً ، لأنه مرتبط بظروف صعبة ويسهل إثرائه بتغيير تلك الظروف . إلا أن هذه الظروف لا تتغير إلا بتغيير التعليم والإدارة .

2 — ونظراً إلى أن حظ الفرنسية في الدراسة أوثر من حظ العربية فإن الفرنسية تطفي كذلك في حديث الطلبة مع الأساتذة التوسين لا في القسم فحسب ولكن حتى في الراحة وكذلك خارج الجامعة وأن انخفضت نسبتها قليلاً في هذه الحالة الأخيرة لصالح الخليط (4) والعامية .

3 — ولا يختلف الأمر كثيراً مع الإدارة فطراً إلى أنها غير معربة ، فإن الفرنسية متفوقة حتى في حديث الطلبة مع المسؤولين الإداريين ، مع الملاحظة أن نسبة الفرنسية تنحصر تدريجياً كلما نزلنا في سلم المسؤوليات الإدارية . إلى أن تغلب العامية عليها مع العمال .

(4) تقدم مني لغة : الخليط : للتلاميذ على الخليط العربي الفرنسي .

4 - أما في نطاق الأسرة فإن العامية تعود إلى المرحلة الأولى بالأمناء متبوعة من بعيد بالخليط ثم بالفرنسية ويسين من خلال هذا القسم الثاني الكبير أن الطلبة أكثر من لغة . وتستعمل كل واحدة وحدها حيناً ومزوجة بغيرها حيناً آخر دون أن يكون الطالب الخيار في ذلك عادة وإنما يخضع لحكم الظروف كالكان والموضوع وأسامع وهكذا فإن استعمال العربية والعربية الفصحى مقيد بينما استعمال العامية والخليط مطلق تلقائي في الغالب .

وبستنح من خاتمة البحث أن الطلبة يعيشون وضعا لغويا حاداً هم به شامرون . وتمتلك حجة هذا الوضع في أنه لا توجد لديهم لغة واحدة قادرة على التمسك من جميع تجاربها لجميع محاطيهم في جميع الأوساط والمستويات ، مما يجعلهم يشعرون بتويع من التوفيق وعدم الرضى والأطمأن : فالعربية الفصحى أقلها استعمالاً رغم فداستها ورغم أنها اللغة الرسمية وذلك لأنها أبعدنا عن الحياة ، مما يجعلها لغة أجنبية لا يتقنها إلا النادر . والفرنسية أنسب لكل المستويات لكن جل الشعب لا يفهمها فهي له أجنبية يرفض الشعور القومي أحلالها محل اللغة الفصحى ، أما العامية فإنها قد لا تصالح إلا للشؤون اليومية لأنها ليست بعد لغة ثقافة .

ونظراً لتكامل هذه الملفات لدى الطالب التونسي ، فمن الطبيعي أن يلجأ إلى الحلط بينها في شيء من الاستسلام لوضع أردواحي غير طبيعي ولحل السموه أمام مشكل معقد . ولكن يبدو أن نزعة المزج اللغوي ، رغم استعمالها ، قد أخذت تراجيحاً نوعة أخرى تمثل في استعمال لغة عسمة وسطى مزيج من الفصحى والعامية : تطور عندما يتحدث اللغويون في مواضيع حديثة وهي شبيهة بلغة رجال السياسة حين يحيطون وهي لغة لم تدرس بعد علمياً ، إلا أنه يبدو لنا أنه تحصح أجمالاً للخصائص الآتية :

يحوها هو في الغالب نحو العامية وأبرز ما فيه استقاء الإعراب . وصرفها مزيج من الإبنية الصرفية العامية والعربية القديمة . وهذه الخاصية أحوها إلى الضبط العلمي لصعوبة الحكم فيها بدون أحصاء تواتري . أما معجمها فهو مزيج طريف يلا فيه التكلم كل شعور بأحسن ما تعود به كلنا اللغتين دون استكشاف من الدجيل قد الحاجة .

وقد حتم البحث ترسم مثالي يجعل من الفصحى والعامية والفرنسية قاعدة مثلث ، يسح به عن التقاء الفصحى بأطابية ، لغة عربية وسطى تماثل الخليط الناتج عن العامية والفرنسية . وهذان المستويان يتطوران ليكتفيا في « لغة القدا » التي مارألت في طور المخاض وهي ما يمكن تسميته باللغة العربية المعاصرة . وهي ثمة هذا الرسم وعابته . ولكننا لا نرى أي نضج الكاتب لغة أمحدادة مثلاً ؟ فهي بدون ريب مظهر من مظاهر العربية المصرية رغم أنها أقرب إلى الفصحى نحواً وصراً ؛ لا نتعمد عباً إلا في بعض أتراكس وفق جانب من معجمها .

على أننا نود في خاتمة هذا العرض التنبيه إلى أمرين يبدو أن لنا من قبل الحلط في هيكل البحث : أولهما انفرق بين القسمين الأولين من البحث بينما يمثلان قسمين من محور واحد يمكن أن يقال هيكلية المحور الأخير . وقد شعر الكاتب نفسه بذلك عندما حمل لهما خاتمة واحدة (ص 190) .

لأنهما مدم ذكر اللغة الحليط في انفسم الاول من البحث لمرة مو قف العلية مها ولاسيما ان مايقبها وهي اللغة العربية « الوسطي » قد ذكرت مما يقضي على البحث شيئا من التوجيه غير المقصود . لكن هذا البحث بمثابة رقم ذلك يميز بين كرتين : ألدنة في التزام الموضوع وأحكام الربط بين مختلف أجزاءه مهما دقة .

خاصة العصري

يتبين لنا من خلال هذا العرض ان لهذه النشرة مكانة خاصة نظرا الى ان ظهورها صادف كما اسفنا عودة قضية التعريب في تونس الى الطهور بشكل أشد حدة من ذي قبل . ثم أيا - اذ تصور بعض المظاهر من الواقع المعوي التونسي وتحال ظواهر عامة منه - تشير عددا من المشاكل التي لا تقل تعقدا عن هذا الوضع ذاته نظرا الى ان يعطي عليه من تصارع بين اللتين العربية والفرنسية وما بينهما من مستويات تمايل حينا وتلفتي لتتفرع حينا آخر . وان هذا الصراع لجسم احسن تجسيم التعرق الذي تعيشه البلاد بأكملها في جميع الميادين ، في مرحلة انتقالية دقيقة تحاول فيها المحافظة على توازن صعب يقدر ما هو ثري مفيد . هو توازن بين الأصالة (5) وما تقوم عليه من اوث حضاري عربي اسلامي لمة وثقافة ، وعائد وتشايد ، وبين العصرية (5) وما تفرضه من تفتح على العالم العربي المتحدن وتقبل لثقافة وتقنية وعلمه وأساليب تفكره وما تتبع ذلك من قيم روحية ومادية كثيرا ما تصطدم بالقيم التقليدية الموروثة هذا التوازن بفرسه وضع تونس الباربي والحفرا في . ويبدو لنا ان الخوف من تشتت هذا التوازن هو الذي حصل المسؤولين على المحافظة على الازدواجية الضوية في التعليم والادارة بشكل لا يخلط كثيرا عما كان عليه الوضع قبل الاستقلال . الا ان طروعا متعددة الجوانب جعلت هذا التوازن - الذي لم يكن له قبل بوضوح تدريجي ، عوض ان يتواصل حتى يبلغ التضيغ والاكتمال وان هذه البحوث التي حاولنا تحليلها لتدل بوضوح على ان الامتداد والتوازن متوازن وهو أمر يمدونا الى التفكير في الوضع المعوي الراهن بكل جد ورصانه لنا لفة من ابعاد نفسية واجتماعية وثقافية تجعلها آتصير الحضاري الأمثل .

الطيب الكوش

دار المعلمين العليا الجامعة التونسية

(5) هذان المصطلحان لا يمتثلان هنا لطري قديمي وانما يرتبطان بملانة طرم تحليلها لمصطلحين التمسما حركيا يعمل الواحد منهما لا معنى له بدون الآخر .

عبد الله بن المقفع

زعم التعريب في عصره

لقد أصبح موضوع التعريب يشغل بال الجميع في سائر الأقطار العربية. ويرجع ذلك ، قبل كل شيء ، إلى الجهود الجبارة التي تبذل فيها على مستوى السلطات المعنية ومختلف المؤسسات العلمية وأجهزة الإعلام وغير ذلك. وتهدف هذه الجهود إلى إحلال اللغة العربية المتزلة اللانقاة بها في الحضارة المصرية ، وجعلها قادرة على مواكبة التطور العلمي والاقتصادي والاجتماعي ، وذلك بانتماء زعيم اللغة القومية ، ووضع المصطلحات للتعبير على المفاهيم الجديدة ، وكل ما اخترعه الإنسان في عصرنا هذا .

عبد الحميد حاجيات

كلية الآداب
جامعة الجزائر

فتأثروا بها وأخذوا عنها مآثوراً من أنظمة وتقاليدها ، وأهم ما نتج عن تلك تعريب هراوين الدولة وما يتصل بها من مصطلحات *

والجدير بالملاحظة أن القرن الأول الهجري لم يشهد نشاطاً ملحوظاً في مجال استيعاب ثقافات الاقطار المفتوحة ، وتسلل ادبائها وعلمائها الى العربية ، والطاهر أن رجال العلم وجهوا عنايتهم آنذاك الى نشر الاسلام ، وتعميم أصول الشريعة من قرآن وحديث ، وإيضاح ما غمض من تلك ، فانحصرت الحياة الفكرية في تمكين نفوذ الدين الجديد ونصرتة على الأديان الأخرى *

والمحق ذلك إقبال الشعوب المختلفة على الاسلام ، ودخولها فيه أفواجا متتالية ، وانتشار تعاليمه المسيحية وتغلغلها في سائر الفسقات والأوساط ، مما يمر ذبوع اللغة العربية بين الأماجم والجرالى ، وقد أثقنها بعض هؤلاء ، فتبع من بينهم كتاب وشعراء وعلماء ، وأخذت اللمعة تصطبغ بصيغة جديدة من تأثير هؤلاء الجرالى ، اثنين أعرضوا عن استعمال الغريب الشاذ من المفردات ، وعمدوا الى السهل المألوف منها ، كما احتوا يستسيحون الاطناب في رسائلهم وخطبهم *

غير أن الثقافة العربية لم تزل أثناء ذلك منحصرة في الفنون المألوفة ، من شعر وخطب وأمثال وقصص ، ولم تتفتح آنذاك لعلوم اليونان والفلسف وأدبيهم ، وكانت الثقافات الفارسية واليونانية والهندية لا تزال تحظى بإقبال الأماجم من أمالي فارس والعراق والشام ومصر ، وأن كانت قد نسلت في مرحلة فتور وانحطاط ، وظلت بعض المراكز الثقافية القيمة ، في تلك الاقطار ، تمارس نشاطها العلمي الى العصر العباسي

وقد كثر الحديث حول مشاكل التعريب ، في وقتنا هذا ، الى حد أن كثيراً من المواطنين ، ممن ليس لهم اطلاع واسع على الحضارة الاسلامية ، أصبحوا يعتقدون أن العرب لم يواجهوا هذه المشاكل ولم يصطلحوا بقضايا التعريب الا أثناء القرن العشرين *

والحقيقة أن هذا النوع من النشاطات ليس خاصاً بلغة من اللغات أو عصر من العصور ، بل يمكن القول بأن التجديد في المجال اللغوي حركة دائمة ، تزدهر اللغة وتتم باستمرارها ، وتسقط في هوة الركود والانحطاط بانقطاعها ، وقد كان تاريخ العرب مسرحاً لحركات قوية من هذا القبيل ، امتدت عبر القرون الخالية ، وقطعت باللغة العربية أشواطاً بعيدة في طريق التحول والتطور *

وقد رأينا أن تعيد الى الأذهان بعض الحقائق التي تشهد بأهمية حركة التعريب في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، ونجاحها الباهر في سائر المجالات ، مما كن له أعظم الأثر في ازدهار الحضارة الاسلامية ، وبما أن هذا الموضوع واسع جداً ، وأنه يتعدى الحجم الذي يسمح به هذا المقال ، ذهبت الى الإقتصار على الدور الذي قام به عبد الله بن المقفع في حركة الترجمة ، والتركيز عليه لإظهار مدى أهميتها ونجاحها *

وقبل أن نتناول الحديث عن ابن المقفع ودوره هذا ، يجدر بنا أن نتبين الظروف العريضة للاوضاع الثقافية خلال القرن الأول للهجرة وأوائل القرن الثاني ، أي الى عصر ابن المقفع ، لقد كانت أول خسة في طريق التعريب ناتجة عن اختلاط العرب بمختلف الشعوب اثر حركة الفتح ، حيث أن العرب وجدوا بفارس والعراق والشام وغيرها من الاقطار ، ثقافات قديمة ،

وخطبهم وقسمهم وكثر تردده على المريد ، قرب لبصرة ، حيث كان ملحقاً بالشمراء والأنبياء والحملاء ، يفتخر كل بقومه وقبيلته ، وينافس الآخرين في مجال الفصاحة والبلاغة .

وكان ابن المقفع يسيب إلى انتهاج الطريق التي سلكها أبوه ، والدخول في سلك موظفي الدولة ، قد أصبح الكتاب آنذاك يحتلون منزلة سامية لدى الأمراء والولاة والصلال ، إذ كانوا يقيمون دوراً هاماً في المراسلات الرسمية ، بما يشهرونه في رسائلهم من براعة وفصاحة . وقد أدى به طموحه هذا إلى توجيه كل ما لديه من جد وعزم نحو إتقان اللغة العربية ، فلم يبال جهداً حتى ملك ناصيته، ونشبع بفصاحة العرب ، فأكتمت بذلك ثقافته ، من صان يفوق كثيراً من أبناء عصره ، بحصوله على الثقافتين الفارسية والعربية ، واتساع آفاقه الفكرية بما تحمله كل منهما من قيم وأداب وعلم .

وحيث أنه انصرف ابن المقفع إلى العمل في دواوين الأمراء والولاة ، فحين كان في كرخان لعمر بن هبيرة ، ثم في العراق ، لإبنة يزيد ، وذلك في عهد مروان بن محمد ، آخر خلفاء بني أمية .

ثم اندلعت الثورة العباسية في خراسان ، فاجتاحت بلاد فارس ، فالعراق ، وقضت على مقاومة عمر بن هبيرة وابنه يزيد ، فانهارت الدولة الأموية ، ودانت الاقطار لبني عباس ، وقد نتج عن هذا الانقلاب في الأوضاع السياسية أن قوى شأن الموالي الفرس في أجهزة الدولة الجديدة ، وانفصحت أمامهم المجال للعمل في دواوينها . أما ابن المقفع فانتقل يوالي الأيوأب عيسى بن علي ،

الأول ، واشتهرت من بينها الاسكندرية بعصر ، وحران في شمال الشام ، والرها وتبسيين في العراق ، وجنديسابور بفارس .

وهكذا أصبح العالم الإسلامي الجديد يحضن ثقافات مختلفة ، تنتمي كل واحدة منها إلى شعب عريق في حضارة ، وتتميز عن غيرها بما لها من خصائص .

وهي تلك الظروف طهر إلى الوجود رجل كان من أشهر مياطرة الأدب والفكر ، ألا وهو عبد الله ابن المقفع .

* * *

ولد ابن المقفع بفارس ، في قرية تدعى جور ، وهي فيروز آباد الحالية ، سنة ١٠٦ هـ - واسمه الفارسي روزبه بن دائويه - أما البيئة التي نشأ فيها فكانت فارسية ، إذ تربى في أحضان الديانة المجرسية ، وتثقف بثقافة أجداده ، واطلع على آثارهم التاريخية والأخلاقية والأدبية فحصل على شروة علمية وافرة ، وأدرك حكمة الهنود عن طريق ما ورد منها باللغة الفارسية .

ثم حدث لأبيه أن انتقل إلى العراق واستقر بالبصرة ، فآخذه معه ، وكانت البصرة قاعدة هامة للجنود العرب ، ومركز إشعاع للثقافة العربية في العراق ، وعندهذا ، وجد ابن المقفع نفسه في بيئة جديدة تختلف تماماً عن التي عرفها بفارس ، وتمتاز بقيمها الروحية التي جاء بها الإسلام ، وبلغت العرب وأدابعهم . وكان والده من أنوال المستعربين الذين شغلوا المناصب الإدارية ، وتمتعوا بحماية أئمة الدولة الأموية من العرب - فكان من الطبيعي أن ينصرف ابن المقفع إلى التطلع على الثقافة العربية ، والاجتهاد في استيعاب لغة العرب والتعرف على شعورهم

عم الحليقة العباسي ، فأعجب بمداميه الأدبية ، وغزارة علمه ، وعلومته ونبله ، فعيّنه كاتباً له ، وعهد إليه بتأليف أنباء أخيه اسماعيل .

وهنا تبدأ مرحلة حاسمة في حياة ابن المقفع ، ظهر فيها من إنتاجه الأدبي ما أثار إعجاب الأسياد والكتّاب ، فمنهم من أولاه محبة وتقديراً ، ومنهم من أبغضه بغيرة وحسد - وفي مقدمة هذه المرحلة ، هناك حادث بالغ الأهمية ، هو اعتناق ابن المقفع للإسلام ، على يد والي عيسى بن علي . فكان إسلامه دليلاً على انتمائه إلى التيار الفكري الجديد ، وعلى رغبته في الانتماء في الأمة الإسلامية انتماء كلياً ، وخدمة حضارتها الفتيّة الناشئة .

وقد وردت أخبار متضاربة عن إسلام ابن المقفع ، وقضية اتهامه بالزندقة . وقد تكون معظم هذه الأخبار قد اخترعت بعد وفاته ، لتبرير مقتله . وصرف الانتظار عن الأسباب السياسية وعلى كل ، فمناقشة هذه النزاع تخرج عن نطاق موضوعنا ، والتعرض إليها قد يبعثنا عن غرضنا وهو إبراز دور ابن المقفع في حركة التعريب .

فعلينا أن نرى أنّ ثلثت إلى إنتاج الأدبي ، وأن تلقى نظرة عابرة إلى ما وصل إلينا من تلك الإنتاج ، وخصوصاً ما يندرج في حركة الترجمة ، مكثفين ببيان خصائصه وقيمه .

ويحصر إنتاج ابن المقفع الأدبي في اتجاهين رئيسيين ، أحدهما سياسي محض ، وهو ما يتناول الواقع السياسي في عصره ، ويتمثل في « رسالة الصحابة » ، والآخر أدبي وتاريخي وأخلاقي ، ويشمل أغلب ما جادت به قريحته ، وهو الذي يهتما لأنه مترجم كله عن الفارسية .

فتضع جانباً « رسالة الصحابة » ولنستعرض هذا الإنتاج المترجم ، الذي يشمل مجالات عديدة ، من تاريخ وحكمة وأخلاق وقصة .

فمن كتب التاريخ التي نقلها ابن المقفع ، كتاب « أشاج » في سيرة كسرى أنو شروان ، وكتاب « خدای نامه » في سيرة ملوك الفرس ، وقد اعتمد على هذا التأليف الفريوسي في نظم ملحمة الشهيرة « شاهنامه » .

ومن كتب الدين والأخلاق ، كتاب « البردة البتية والجوهرة الثمينة » في أخبار الصالحين ، وكتاب « مرقه » ، وكتاب « آيين نامه » في عادات الفرس وآدابهم ، وقد خُصّصت كل هذه التأليف ونشرت ، ولم تصل إلينا إلا عناوينها .

ومن التأليف التربوية والأدبية « الأدب الكبير » و « الأدب الصغير » ، وهما كتابان في الحكمة والأخلاق ، نقل فيهما ابن المقفع الأقوال المأثورة عن الفرس ، في هذا المجال ، وقد وردت هذه الأقوال في غير ترتيب ، فتجد الحكم الأخلاقية تتخللها أقوال في السياسة ، وأخرى في آداب الصداقة ، ومعاملة الناس ، وغير ذلك .

غير أن أهم ما ترجمه ابن المقفع عن الفارسية ، كتاب « كلیلة ودمنة » ، وقد نقله الفرس بنورهم عن الهندية ، وأضافوا إليه مقدمات لشرح الأطراف التي رقت فيها ترجمته من الهندية إلى الفارسية ، وما يتصل بذلك من استطرادات أخلاقية وأدبية ، وزاد ابن المقفع على تلك المقدمات مقدمة أخرى ضمنها شرح غرض الكتاب ، ومغزاه الأخلاقي العميق ، وأرشاد القارئ إلى أنجع سبيل للاستفادة منه .

وقد جاء هذا الكتاب في صورة طريقة ، غير مألوفة لدى العرب آنذاك ، وهي تلقين الحكمة

له أثر محمود في اتساع الافق الثقافي ، وبعث الاجيال التالية الى التطلع على الثقافات القديمة ، والتعرف على ادابها وعلومها .

ثم ان الترجمة ، في حد ذاتها ، تتطلب وضع المصطلحات الجديدة ، وانتقاء المفردات الفاسدة على تائنية المعنى المطلوب ، ولا شك ان حركة الترجمة ، التي ازدهرت في اواخر القرن الثاني الهجري وطوال القرن الثالث ، وشملت مساهمات الفنون والعلوم ، قد ساهمت في وضع مصطلحات عديدة ، بأخذها عن اللغات الاخرى ، أو باستنباطها من اصول عربية .

فاصبحت اللغة العربية في عصر ازدهار الحضارة الاسلامية ، اللغة العلمية ، لا بالنسبة للعالم العربي فحسب ، بل بالنسبة للعالم الاسلامي اجمع ، وحتى بعض شعوب حوض البحر الابيض المتوسط المسيحية .

اما نوري الملقح ضمن حركة الترجمة هذه ، فانه كان عظيما ، ويمكننا ان نلمس اهميته باعتبار امينية ابن الملقح في هذا المجال - نعم ، لقد كان ابن الملقح اول من ترجم الى العربية ونقل اليها آثار الثقافات الفقهية ، وذلك ان انتج ، الذي يرجع الى السنوات العشر الاخيرة من حياته ، يقع بين سنة ١٢٢ هـ ، تاريخ الثقافة يروى الاوهان جيسي بن علي ، وسنة ١٤٢ هـ ، تاريخ وقاته ، أي قبل تخطيط بغداد بثلاث سنين ، أيام أبي جعفر المنصور ، وإذا اعتبرنا أن الترجمة لم تزدهر إلا ابتداء من عهد الرشيد وابنه المأمون ، وأنها كانت قليلة الانتاج في عهد المنصور ، تكاد تنحصر في علمي الطب والتنجيم ، ثم ان المنصور كان مثشلا ، قبل تخطيط بغداد ، بالتحليل من مناقصه في الحكم ، أمثال أبي مسلم الخراساني ،

للناس ، وخصوصا منهم الملوك والوزراء وسائر رجال السلطة ، عن طريق القصص ، وعلى السنة الحيوانات والطيور ، وكيفية وفرة ما آخران من نبات اوى ، ورد ذكرهما في باب الاسد والثور ، وفي باب الفصص على امر دمنة ، ثم اطلق اسمها على الكتاب اجمع ، ويمثل دمنة الممثل الخداح ، وكلية ، لصديق الوفي المخلص .

والغرض من هذا الكتاب تهذيب الاخلاق ، وتزويد القارئ بمختلف النصائح والحكم ، يقية تثقيفه وتوجيهه نحو سبل النجاح في الحياة ، والتغلب على ما يتعرض طريقه من عقبات وصعاب فالهدف الرئيسي لكتاب « كلية ودمنة » هو اصلاح المجتمع ، وحث المرء على التحلي بالاخلاق الفاضلة ، واجتناب الرذائل - وهو موسوعة تتضمن تجارب القدماء وامثالهم وحكمهم ، وردت في قالب تسلية وترفيه ، وفي أسلوب يمتاز بصلاصة العبارة ، ووضوح المعاني ، واجتذاب التصنع والتكلف .

ويظهر من هذه التاليف انها ترمى ، قبل كل شيء ، الى تكوين الانسان الكامل ، وذلك بتلقيته الاعتماد على العقل والارادة للتغلب على الاوهام والنزعات النفسية ، وقد يكون من اسباب انصراف ابن الملقح الى ترجمتها ، ما اسند اليه من مهمة تربوية وتأمينية ، ولا شك ان هذا الانتاج كان خير ما يقدم لابناء اسماعيل بن علي ، من كتب الحكمة والاخلاق والادب .

* * *

ويعد ، فان ما نقله ابن الملقح عن اللغة الفارسية قد اثرى الادب العربي بأسخال لغتين جديدة على ما كان مهودا من قبل ، مصفا كان

وقد يكون ما أحرز عليه كتاب «كلية وبمنة» وغيره مما ترجمه ابن المقفع، من شهرة عظيمة بين الناس، أكبر حافز على اعتناء الخلفاء والأمراء والوجهاء بالترجمة، وإزدهارها فيما يمد.

وبذا، فإننا لا نظن أننا ضالغ إذا أسلفنا إلى عبد الله بن المقفع دور الرائد الثلاثي في حركة الترجمة والنقل، وفي حركة التعريب بمسفة عامة، وهذا أجمل ما يحق الافتخار به في المجالات الثقافية.

وعنه عبد الله بن علي، وزعيم الشيعة محمد النفس الزكية، أدركنا أن ما ترجمه بأمر من المنصور كان حله بعد تأسيس بغداد، وبعد وفاة ابن المقفع.

وبناء على هذه الاعتبارات، يمكن لنا أن نستنتج أن نشاط ابن المقفع، في مجال التعريب، لا يندرج في إطار حركة أو مفرسة تتمتع بتأييد الخليفة وتشجيعه وتعمل وفق أولمده ورغباته، كما كان الأمر بالنسبة لمعلم ما ترجم بعد ذلك، وإنما كان نشاطاً تلقائياً لا يهدف إلا خدمة الثقافة والعسرة.



المراجع

- 1) ابن المقفع : كتيبة ومحنة بتقديم وتحقيق عبد الرهاب مزالم وطه حسين ، القاهرة ، دار المعارف ، 1941 *
- 2) ابن المقفع : الادب الصغير والادب الكبير ورسالة السجاسة ، تقديم وتحقيق يوسف أبو نخلة ، بيروت مكتبة البيان ، 1960 *
- 3) آثار ابن المقفع ، تقديم وتحقيق عمر أبو النصر ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، 1966 *
- 4) حنا الفاخوري ، ابن المقفع ، سلسلة نواحي الفكر العربي رقم 20 ، القاهرة ، دار المعارف ، بدون تاريخ *
- 5) خليل مردم ، ابن المقفع ، دمشق ، 1930 *
- 6) عبد اللطيف حمزة ، ابن المقفع ، القاهرة ، 1941 *
- 7) محمد سليم الجندى ، عبد الله بن المقفع ، دمشق ، 1355 هـ *
- 8) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، الجزء الاول ، القاهرة ، 1938 *
- 9) جرجي زيدان ، تاريخ المتدين الاسلامي ، الجزء الثالث ، القاهرة ، 1902 *
- 10) بطرس البستاني ، انباء العرب في العصر العباسية ، بيروت ، مكتبة صادر ، 1958 *
- 11) أحمد الاسكندر وغيره ، الفصل ، الجزء الاول ، مصر ، بدون تاريخ *
- 12) محمد كرد علي ، امراء البيان ، الجزء الاول ، ص 99 - 158 ، القاهرة ، 1937 *
- 13) طه حسين ، من حيث الضحى والنثر ، ص 24 - 79 ، القاهرة ، 1936 *
- 14) شوقي خفيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ص 44 - 52 ، القاهرة ، 1946 *
- 15) حنا الفاخوري ، تاريخ الادب العربي المطبعة الثالثة ، ص 434 - 471 ، حريصا ، 1960 *
- 16) عبد الرحمن بدوي ، التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ، القاهرة ، 1946 *
- 17) C. Brockelmann, Gerch. de arab. litér., I, p. 131.
- 18) Cl. Huart, Littérature arabe, p. 211-12 et 278-314, Paris, 1902
- 19) F. Gabrieli, l'opera di Ibn al-Muqaffa, dans Rivista degli studi orientali, XIII, 1932, p. 197-247.
- 20) P. Kraus, Zu Ibn al-Muqaffa, dans Rivista degli studi Orientali, XIV, 1934, p. 1-20.
- 21) G. Richter, über das Kleine Adabbuch des Ibn al-Muqaffa, dans Der Islam, XIX, 1931, p. 278-81.
- 22) D. Sourdel, la biographie d'Ibn al-Muqaffa d'après les sources syriennes, dans Arabica, I, 1954, p. 307-23.
- 23) P. Charles - Domergue, le système étique d'Ibn al-Muqaffa d'après ses deux épitres « al-sagîr » et « al-kabir » dans arabica, XII, 1965, p. 42-66.
- 24) F. Gabrieli, Ibn al-Muqaffa, dans Encyclopédie de l'Islam (nouvelle), III, p. 907-9.
- 25) C. Brockelmann, Esâls wa Dimas, dans Encyclopédie de l'Islam, II, p. 737-41.

قاموس فرنسي عربي للمفردات الكهربائية

صدر مؤخرا في باريس قاموس صغير يشتمل على المفردات الخاصة بعلم الكهرباء . ويشتمل على نحو اربصة آلاف لفظة عربية في مقابل مرادفها الفرنسي .

قال المؤلف « جان جاك شميت » في مقدمة الكتاب ان اللغة العربية على عكس ما يظن ، لها طلفه غير محصورة على الاستيعاب وعلى « هضم » المفردات الاجنبية . فان أسلوب « الفصح » او الاشتقاق يمكن اللغة العربية من امتصاص الالفاظ الدخيلة ومن تحويلها الى صيغة عربية اصية . فانا نعلمت في بعض الالفاظ التركية او اليونانية المتقولة قديما الى العربية ، رأيت ان لها رنة عربية تجعلك تتساؤل احياها عن اصلها الحقيقي ! وانك عبتا تحاول ان تجد لها اسسلا اعجيبا .

ولاحظ صاحب القاموس ان اللغة العربية ظلت حتى فجر القرن السادس عشر الاداة الاساسية في نقل المعارف العلمية الى الغرب ، سواء في الفيزياء او الرياضيات او الكيمياء ونسب مثلا على مقرة العربية على التعبير عن المفاهيم العلمية فقال ان عمر الخيام قد استعمل الفارسية لفتحه الاصيلة عندما اراد التعبير في السرباعيات عن مشاهد وشهوانه . وانما استعمل العربية عندما كتب في التكميلات والرياضيات

ويتوخى من هذا القاموس تسهيل المبادلات بين الفرنسيين والعرب في نطاق الملائل العلمية بين الشعبين
عنوان القاموس : « الحديقة الفرنسية - العربية
للمهندسين والتقني » .

التعريب قديماً وحديثاً

لا أريد أن أتحدث كلاماً عاطفياً في هذا الموضوع ، وإنما أود أن أسجل أفكاراً علمية ، فنحن نعيش في عصر العلم ومن الناهج التي لابد أن نتبعها في بحث هذه القضية أن نرجع إل التاريخ فننظر فيه لنستقي منه العبرة ... هذا من جهة ، ثم من جهة أخرى لابد أن ننظر في قضية التعريب هذه ما هي ، وما المقصود منها ، فإن للتعريب معاني كثيرة ، مفاهيم كثيرة .

د. أحمد غزدار الأدهواني

تمس الجامعة التي ولعنا بالمرحوم الدكتور أحمد غزدار الأدهواني بمركز الإعلام العربي . وكان المرحوم امتداداً لفلسفة بجاسة الجزائر قبل أن يرحل .

فمن أقدم العصور والعروبة والإسلام صنوان
لا يفترقان *** جاءت من كتاب الله الذي يتلى
فى كل مكان *** كتاب خالد على مدى العصور
والأزمان *

نقول ان الاسلام عندما ظهر ، فى جزيرة
العرب ، تم بدأ ينتشر ، فغزا الفرس والروم
اولا ، وكان الفرس يتحدثون بلغة فارسية وكان
اهل الشام أو ما يسمى بالروم يتحدثون بلغة
اخرى ، اما باللغة السريانية أو باللغة اليونانية
أو شئ ، من هذا القبيل *** ثم فى مصر لم يكن
اهل البلاد يتكلمون اللغة العربية بطبيعة الحال ،
وانما كانت اللغة القبطية المنحدرة من أصل
هiero غليعى *

ولا بأس من الاستطراد بعض الشئ فى قضية
تعريب الدواوين قديما نقول :

عندما دخل العرب فارس والشام ومصر
واحصوا تلك البلاد للإسلام منذ عهد الخليفة
الثانى عمر بن الخطاب ، أبقوا الدواوين على ما
هى عليه ، فإن كانت بالعربية بقيت بالعربية
وإن كانت بالرومية بقيت بالرومية ، وظل الحال
كذلك حتى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ،
فى أواخر المائة الاولى من الهجرة ، حيث تم نص
الدواوين فى عهد الى العربية *

لم يكن لعرب فى مواجهة هذه المشكلة سبيل
غير الانتظار هذه العترة الطويلة من الزمن الى ان
تنتشر اللغة العربية على الاسنة *

وقد بدأ من أعلى المستويات فى التعريب ***
ثم نهبط من هذه المستويات العليا الى المستويات
السفلى فى التعريب أو ترتفع مسن
أسفل المستويات ، ثم نصل مرة أخرى الى
أعلى المستويات ، قد نعلم من التعريب أنه تعريب
التعليم الابتدائي ثم الثانوى ثم الجامعى ، وقد
نعم من التعريب مستوى ثمافيا محصا ، وهذا
يختلف عن المستوى الخاص بالتعريب فى التعليم ،
وقد يفهم من التعريب أنه خاص بتعريب الإدارة
وقد يفهم من التعريب أنه خاص بأعلى مستوياته
فى وضع العلوم الحديثة فى تعريب عربى *
كل ذلك حق ، وأولئك الذين يقصرون التعريب
على ناحية واحدة فقط ، انما يلتفتون الى جانب
واحد من هذه القضية *

ومن أجل ذلك لا بد ان ننظر الى مسألة التعريب
ككل من شتى نواحيها ولم اتطرق الى قضية
التعريب الخاص بالتعليم الابتدائي مثلا أو الثانوى
أو غير ذلك *** أو تعريب الثقافة العادية لرجل
الشوارع أو تعريب الادارة فهنا شئ ، يمكن
ان يلمح اذا استعصما ان تصل بين حلقات
التعريب حلقة واحدة وإن تبدأ بأعلى المستويات
التي سأحدث عنها عما قريب *

ونبدأ أولا بان نربط بين التعريب حديثا
والتعريب قديما ، وإن احدثكم عن أشياء مرموقة
ولكن لصيق الوقت سأحدث عن نقاط جديدة كل
الجهد ، فالتعريب قديما كان مختلفا عن قضية
التعريب حديثا كل الاختلاف - ففي الوقت الذى
ظهر فيه الاسلام - والعروبة والإسلام لا يتصلان
وإذا أهنيء شعب الجزائر لاني سمعت هذه النغمة
هنا وهى عقيدي *

مستهم وزيد أن تصبها إليهم ولم يكن الحال كذلك في التعريب قديما *

وأذا كان هذا هو الفارق بين التعريب للشعوب قديما وحديثا ، فهناك نقطة يلتقي فيها التعريب بين القديم وبين الحديث ، عند ما ظهر الإسلام ولم يمر قرن من الزمان لم يكن عند العرب علوم ، لأن العلوم إنما جاءت من فلاسفة اليونانيين ، وقد نقلت عنه الفلسفة ونقلت هذه العلوم واتخذت الحفهاء المباسيون ابتداء من المأمون ، حركسة العرب هذه كانت أقسم من ذلك ، وإنما نشأت منظمه عند ما نشأ في بغداد ، أو انهر في بغداد بيت يسمى دار الحكمة ، وضع فيها الأكابسر النقلة ينقلون العلوم المختلفة التي نشأت وكتبت باللغة اليونانية ثم باللغة الهندية ونسخ ذلك ، ونقلت إلى اللغة العربية *

أن اللغة العربية اتسعت لجميع هذه العلوم ووجد بها جميع هذه المصطلحات ، فلا يمكن أن يقال أن اللغة العربية عاجزة عن أن تسير التطور العلمي ، وإذا كانوا في القدم قد انشأوا بطريقة منظمة بيت الحكمة لكي ينقل عنه العلوم ، فمن الممكن أن نستفيد من الماضي عبرة ننشئ قسي الوقت الحاضر ببناء للحكمة تقوم على نقل العلوم الحديثة السريعة التطور بسرعة سريعة جدا إلى اللغة العربية *

وقد كان في قديم الزمان لبلاد المغرب دور في نقل العلوم لم يكن المشرق وحده في يبدو هو الذي قام بنقل هذه العلوم ، بل أن المغرب العربي وفي الاندلس وفي صقلية وفي كثير من

لقد كان المسلمون الأوائل في شغل شاغل لنشر الإسلام ، وتعليم الدين ، وتحفيظ القرآن ، وبخاصة في البلاد التي لم تكن تدين بدين سماوي ، ويمتقنون النصرانية *

كان ذلك قديما قديما يحتمل بترتيب الدواوين ، أما حديثا فإن الدواوين كانت عربية ، والأصل فيها كذلك ، ثم جاءت اللغة الفرنسية فحسب أن تقطع الصلة بين عربية الدواوين وبين العصر الحاضر ، أن تعريب الدواوين لا يبدو أن يكون عودا على ما جرى عليه العمل هذه مائة عام *

وليس هذا النوع من التعريب مقبدا أو صميا ، لأن اللغة العربية واحدة في كل مكان ، ونعني هنا بالعربية الفصحى لا اللهجات المحلية الخاصة بكل قطر عربي -- ولنا أن نمثل بأقوال البيروني ، وهو عالم إسلامي هندي ، وصاحب الكتب المشهورة في الفلك ، فإنه يقول ما فحواه إعجابا باللغة العربية : والهجو بالعربية أحب إلي من المدح بالعربية -- كما قال أيضا ما فحواه : أن العربية لغة عاطفية ما دامت هي لغة الصلوة في المساجد ، ولغة الخطباء من لوقوف المنابر يوم الجمعة *

وما أريد أن أصل إليه هو أن الإسلام عند ما انتشر في أرجاء الأرض شرقا وغربا على مدى قرن من الزمان حتى عندما جاء إلى شمال إفريقيا وذهب إلى الاندلس لم يكن أهل تلك البلاد يتكلمون اللغة العربية -- وهذا فارق أساسي بين التعريب قديما ، والتعريب حديثا ، نحن الآن في البلاد العربية في الجزائر مثلا ، أملاها لا يزالون يتكلمون اللغة العربية ، فهمي

الى ادناها ، من طبعة العلماء والعلماء الى طبعة العامة ، ان صبح هذا القول ، لان الاسلام في طبيعته دين مساواة ، لا فرق بين عربي واعجمي الا بالتقوى ، والملم طريق مفتوح لكل طالب علم ، فقيرا كان ام غنيا .

وكما اتسمت اللغة العربية للملم والمحصرة قديما ، فانها لا شك صمغ حديثا ، وجدير بنا ان ننظر في قضية التعريب قديما كيف تمتعت فقد تستطيع الاستثناس بما فيه القصداء ، والاستعادة من تجاربهم ، لنحل مشكلة التعريب حديثا .

لقد مرت حركة تعريب العلوم في الزمن القديم في مراحل ثلاث ، الاولى مرحلة عفوية غير منظمة بدأت في القرن الاول للهجرة منذ اختلاط العرب باهل الشعوب التي خضعت للمتمسح الاسلامي . بل يمكن القول ان هذا النقل بدأ منذ الجاهلية . فقد استقرت الحضارة اليونانية بما فيها من علوم وفلسفة ، وبخاصة علم الطب في مدينة جند يسابور بايران منذ القرن الثالث بعد الميلاد ، واتسعت الحركة العلمية بجند يسابور بعد ان قرر الامبراطور اغلاق المدارس الفلسفية في اثينا سنة 529 ميلادية ، فهاجر فلاسفتها وعلمائها الى جند يسابور ، ونقلت هذه العلوم الى اللغة السريانية التي أصبحت لغة العلم ، وكادت ان تضيع بدلا من اللغة اليونانية ، لولا ظهور الاسلام وانتشار اللغة العربية فانتزعت الراهة وحملتها بدلا عنها ، وظلت اللغة السريانية الوسيط العلمي حتى القرن الثالث للهجرة .

الاماكن وحد بها نقله ، وكذلك العلوم المختلفة ، ويقال ويروى ان ملكا من ملوك الاندلس اراد ان ينقل كتابا في النبات يسمى كتاب الحشائش ، لندفور بدس ، وهو باليونانية مزين بالصور ، فطلب وهو في قرطبة من ملك بيزنطة ان يرسل اليه احدا ممن يعرف اللغة اليونانية لينقل هذا الكتاب الى اللغة العربية . وهذا كتاب في العلوم ، لانه يبحث في النبات وفي الاعشاب الخاصة بالصلاج .

اذكر هذه الواقعة لايين ان المغرب العربي كان له دوره في التعريب ، لا نريد ان نطيل فيه ، ولكن في الوقت الحاضر يستطيع ان يقوم بدور هذا الدور .

كان ذلك هو التعريب قديما ، وكانت تلك هي خيوطه الرئيسية بعد ان نقلت تلك العلوم تم استفاد منها العلماء وتطوروا بها واصبح هناك علماء من العرب انفسهم ، كما هو معروف من اطباء ومن فلكيين وغير ذلك من علماء وفلاسفة وصحت هذه الحركة وجمدت . فنحن الآن قد شرعنا نترك هذه النور من الجمود ، ولكن ما نستطيع ان نأخذ به وان نعترف به ، هو ان اللغة العربية قادرة على ان تستوعب الحركة العلمية الموجودة في الوقت الحاضر كما استطاعت في القديم ان تفعل ذلك .

فاللغة العربية لغة عالية ، كانت صالحة للتصوير والحديث بين العامة من الناس ، لانها لقصة الثقافة ، وبين طائفة العلماء لانها لغة العلم ، فهي اللغة التي كان يعبر بها من اعلى المستويات

والمرّة الثانية ، ويسمى الدل الثاني ، اصلحت الترجمة السابعة ، والمرّة الثالثة اصلحت الترجمتان السابقتان ، ومن الطبيعي ان ينظر العالم في هذه الترجمات ، وان يتأمل في معنى المصطلح ، وقد يتيقن كما هو باليونانية ، وقد يصح له معنى بالمرية يؤدي ما يقصد منه باليونانية .

وتضرب بعض الامثلة اليسيرة لتوضيح ما سبق :

قاطيقورياس : CATEGORIES اصصحت بالمرية المقولات

ب (سنخصوس SYLLOGISM اصصحت بالمرية القياس .

چ { انثليشيا : ENTELECHIE اصصحت بالمرية كمال اول .

وذلك في تعريف النفس بان النفس كمال اول لجسم طبيعي

د) شيبا - او سيبا ASYEMA واصصحت بالمرية هيثة .

* * *

استمرت هذه الحركة الثلاثية ما يقرب من قرن ونصف من الزمان الى ان ظهر عند العرب علماء لا مترجمون من امثال اس سينا والبيروني وابن رشد . وقد اشتهر المهد في القرن الرابع ، ثم الخامس الهجري عن الاصل اليوناني ابتعادا تاما ، فكان ابن سينا يجهل اليونانية ، وكذلك ابن رشد . واتف هؤلاء العلماء الكتب المشهورة في

وقد ألف الكندي فيلسوف العرب رسائل باللغة السريانية للرد على اطباء من الصادى .

ولقد ذهب بعض عرب الجاهلية الى حنسد يسابور يعلمون الطب معهم الحارث بن كلفة ، الذي تعلم هناك ، وعاد الى بلاد العرب ، وكان معاصرا للرسول عليه الصلاة والسلام بمدة البعة . وقد مرض احد المسلمين في ذلك الحين فأتى الرسول صلى الله عليه وسلم ومسانه ، فاجاب : « ايت الحارث من كلفة فانه شخص يتعطب » .

غير ان الحركة المنظمة لم تنشأ في الاسلام الا مع الدولة العباسية ، ذلك ان المنصور العباسي : مؤسس الدولة ، والذي بنى مدينة بغداد ، استقدم من جند يسابور جبريل بن بختيشوع وجعله رئيس اطباة . ومع استقرار الدولة العباسية انتقلت امرة بختيشوع الى بغداد ، وائل نجم جند يسابور ثم انشأ المأمون بيت الحكمة . وقام على حركة النقل من السريانية ومن اليونانية حين من اسحاق وتلامذته من بعده . وهنا بدأت الحركة الثنائية في النقل تسمى النقل المنظم . ولكن هذه الحركة لم تكن سيرة ، ووجد النقلة كثيرا من المشقة في ترجمة المصطلحات « فعربوها » اي وضعوها كما هي ولكن بحروف عربية . مثل لطة موسيقى ، وفلسفة ، وغيرها من آلاف المصطلحات التي بقيت كما هي حتى الآن بعد اكثر من ألف عام .

وقد نقلت الكتب العلمية والفلسفية اكثر من مرة . المرة الاولى كان النقل متوشا - عامصا .

شئى الفنون ، كالطب والهندسة ، والفلك وغير ذلك . وكانت أوروبا في غاية التأخر ، في الوقت الذي كان العالم الإسلامي في غاية التقدم . عند ما ازادت أوروبا أن تنفض عنها غبار التأخر والجمود قامت بنقل الكتب العربية ، فنقلت قانون ابن سينا في الطب ، وكذلك كليات ابن رشد وغيرهما من الكتب ، وطلت هي المراجع التي تدرس في الجامعات الأوروبية حتى القرن السابع عشر .

واليوم ، ليس عيباً أن تنقل المعلوم عن الغرب ، فهذه دورة التاريخ تأخذ اليوم كما كنا تأخذ قديماً وكما أخذت أوروبا عما .

نقرأ ، أن اللغة العربية كغيرها من اللغات ليست ، لغة مفردة ، بل هي لغة وسيطة للتعبير عن الفكر ، بل هي بايجاز رموز ، ههنا الرموز بها دلالات ، ثم هذه الدلالات تجري في سياق معين وفي بنية معينة ، فاللغة إذا قرأت في معجم لا يكون لها معنى ، وإنما إذا جرت هذه الألفاظ حديث بين الناس . تستخدم ، اتخذت من الحديث بها ومن التعامل بها ، ومن استعمالها ومن وجودها في داخل هذا الإطار وهذه البنية حياة جديدة ، ومن أجل ذلك فلا بد إذا شئنا لقضية التعريب أن نتبع السجاء المرجو المرغوب أن نحري هذه الألفاظ العربية في داخل المجتمع وأن يتصامم بها الناس وأن تجري في الاصطلاح ، وأن يستخدمها العلماء والمتفنون في كتبهم وفي أحاديثهم حتى تستطيع أن تستقر هذه الألفاظ وأن تتحدد معانيها ، أن تحديد المعاني في المساجم

لا يمكن أن يؤدي المقصود منه من دلالة بمقارن ما تدل به هذه المعاني عند ما يستخدمها الناس يفرض إلى ما بدأنا به فنقول أن قضية التعريب متصلة بالثقافة من أعلا إلى أسفل ولا بد إذا شئنا لهذه القضية أن نتبع لا في الجزائر وحدها بل في جميع أنحاء الوطن العربي هو أن تبدأ من أعلا هذه المستويات وهو أن تنقل بواسطة جماعة من أبرز العلماء العلوم الحديثة في شتى الميادين . وهذا ممكن أولاً في كل وطن عربي وثانياً في الجزائر نفسها باعتبار أننا نصبح بالذات دولة الجزائر . فإذا كانت البلاد العربية الأخرى تنقل أكثر ما تنقل عن اللغة الانجليزية لأن لغتها التعليم كانت اللغة الانجليزية وقد رأيت بعض المحققين يفتنون من اللغة الروسية فهناك كتاب مثلاً امره لأنه يتصل بأهلسنة ويتأديها الله مستشرق روسي مشهور اسمه كراتشوفسكي تحدث فيه عن تاريخ الجغرافيا عند العرب ، نقله بواسطة جامعة الدول العربية أحد من يرفضون اللغة الروسية ، أقول أن بلاد الجزائر يمكن أن تسهم في هذه . ولعلكم أدركتم الآن من أي لغة يستطيع العلماء الجزائريون أن ينقلوا العلوم ، أنها من اللغة الفرنسية ، فهم أقدم من غيرهم على النقل من هذه اللغة . وبذلك يمكن أن نضيف حصيلة جديدة إلى الوطن العربي يقدمها لنا أهل الجزائر . وأيضاً يمكن ما دنا نتحدث في هذا المستوى العالي من التعريب فلا يتم التعريب بمجرد نقل العلوم الحديثة في كتب فقط ، وإنما أيضاً لا بد من الاتفاق على الألفاظ العربية التي تضعها

موجودا ، وما دامت الإرادة ماضية حازمة • ولا يمكن للتاريخ أن يرجع إلى الوراء • وقد بدأت البلاد العربية في جميع أنحاء الوطن العربي أن تمضي في طريق التقدم وفي طريق الرقي ، وفي طريق استعادة ما كانت له من قديم الزمان • لا يمكن لهذه الانطلاقة أن تتوقف عند حد ، ولا بد أن تمضي قدما إلى الامام • قد يقوم في سبيلها بعض العقبات ، ولكن النهاية معروفة ، والمستقبل للامة العربية ، وستنهض بعون الله ، وتستعيد ما كان لها من عظمة وحضارة في قديم الزمان • وسيعود العرب بما تسوده الآن من مادية بغيضة ومن انحلال سيحود مرة أخرى إلى أحضان الهمة كما قديما بذلك كبر من الفلاسفة من أمثال شينجلر مثلا •

وتعود الحضارة ومشعلها في يد العرب - إن شاء الله - في التعريب العاجل •

صلوة القول :

إن الأفكار الأساسية في التعريب هي :

1 () التعريب متصل بالحقائق • يبدأ من أصل المستويات ويتصل إلى انائها •

2 () لا بد من إنشاء هيئة منظمة جزائرية لتعريب الكتب العلمية عن اللغة الفرنسية •

3 () إنشاء مجمع للغة العربية في الجزائر •

أما وقد أوضحنا هذه النقاط ، فإن مشكلة تعريب التعليم تصبح يسيرة يمكن حلها بإنشاء مدارس ابتدائية وثانوية تلم بالغة العربية وييسر وضع المعلمين بالعربية ، مع تزويدهم بالكتاب العربي • والسلام عليكم ورحمة الله

لعلوم الحديثة المتطورة ، هذا المطور في الوقت الحاضر في معظم البلاد العربية نجد جهات متخصصة للاتفاق على تعريب هذه المصطلحات تسمى مجمع اللغة ، فيوجد مجمع في العراق ، وآخر في سوريا ، وثالث في مصر وهكذا • ولكن يحسن أن ينشأ أيضا في الجزائر مجمع لوضع المصطلحات الحديثة باللغة العربية • ومن المقطوع به أن هناك اتصالا بين هذا المستوى الأربع من التعريب فيلتنقى شهرا من كل عام وفود من شتى الدول في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وممثل الجزائر هو الأستاذ توفيق المدي للاتفاق على وضع المصطلحات وإقرارها بحيث تكون موحدة ويعتد تكون هذه الانماط العربية ، التي توضح العاطا جارية في سائر أنحاء الوطن العربي ، أحسب أنه يهدين المقترحين يمكن أن تسهم بطريقة مجدية بهذا المستوى الراقي في التعريب بحيث إذا انتشرت هذه الكتب وهذه المصطلحات وجرت في التعامل بين الناس استطاعت معظم المستويات الأخرى الأقل من هذا المستوى ، سواء عمل المستوى الإداري أم على مستوى التعليم الثانوي أو الابتدائي ، أم على المستوى الثقافي العام ، استطاعت جميع هذه المستويات أن تأخذ دوافدها من هذا التسع الكبير العام • ليست قضية التعريب مشكلة إلا في رؤوس الذين لا يريدون للتعريب النجاح • أها مشكلة عند أولئك المستعصرين الذين يرغبون في قطع الصلة بين اللغة العربية التي هي أصل من أصول الشخصية العربية الإسلامية لكي يتمكنوا من العودة إلى ذلك الفزو الصليبي بين الشرق وبين الغرب • وليسست هذه المشكلة بالنسبة لنا قائمة ما دام الصرم

منشورات
وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية

صلو كتاب



الرصيد اللغوي المغربي

إن أقطار المقرب العربي الثلاثة تواجه اليوم مشكلة جد هامة مشكلة التعريب تلك التي لا مناص منها تاريخيا إذ تتوقف عليها معطيات التطور الثقافي والاجتماعي والاقتصادي ، تلك التي ستتحقق بفضلها الذات المغربية الاصيلية ضمن عالم متجدد متحرك .

ولئن مرت أقطارنا الثلاثة في هذا الميدان بمرحلة التفكير والتردد فانها اليوم ساعية سعيا حثيثا لا تتأخر سياسة لغوية مصممة المراحل منظمة الأهداف تعمم بها استعمال اللغة القومية العربية في ديارها ، هذا الى اوضاع تعدلات تدريجية ضرورية في تعليم اللغات الاجنبية من فرنسية - وهي الاولى - الى انكليزية وإيطالية وألمانية وامبانية وروسية *** باعتبارها أساسية للتفتح الحركي العالمي .

أعمالها بهـ

كلية الآداب
جلسة ترويس

وذلك بالانطلاق من المفهوم لا من الكلمة ومز
المفرد لا من أفعال وتجويد المكتوب والمقول *

(١) - **تجويد المكتوب** : تحصى كلمات المنسة
الأولى والثانية من التعليم الابتدائي مشكولة
حسب الحوار مرتبة ترتيباً ثنائياً مع نكر ضمية
تواترها ... والقصد من هذا الإحصاء هو معرفة
المفاهيم التي عبرت عنها أنماط مختلفة حتى يتم
اختيار كلمة واحدة تصبح مشتركة *

(٢) - **تجويد القول** : يسجل كلام الصبي الذي
يتراوح عمره ما بين الخامسة والتاسعة وهو في
محيطه الصغير أو الريفي (في البيئات الثلاث
بالمسجل بالدراسة وبغيرهما) لضبط المفاهيم
ولانتقاء اللفاظ والتراكيب العربية من لغانه *

وتيسر هذا الاجتماع منتقى آخر بين
المختصين في الرصد يتولى (جويلية ١٩٦٩)
ضبطت فيه المنهجية العلمية والعملية : المسجل
واسجل عنه وسرقة التسجيل (غير توجيهية
وشبيهة بالتوجيهية وتوجيهية) ووسائل التسجيل
وتجويد التسجيل وشرعت الاقطار الثلاثة - الغرب
والجزائر وتونس - في أعمالها - أما ليبيا فقد
اعتزلت عنا منذ خريف ١٩٦٩ - وشملت في
تونس التسجيلات ثمانى ولايات وإنجز العمل في
نوفمبر ١٩٦٩ في ظروف عسيرة جدا نظرا
للقااضات التي اجتاحت أغلب ولايات الجمهورية
ثم بحثت النصوص للسجلة الى الالة التراسية
Donatien * بمعهد العلوم اللسانية والصوتية
بالجزائر فكانت قائمتان :

وهكذا وجد اللسانيون المعاربة انفسهم في
هذا الطرف اللغوي احاسم امام ميدان لغوية
من الواجب البحث فيها :

- وصف شامل للواقع اللغوي بدون أي
تفريط في ظاهرة من ظواهره *

- تحليل علمي للغات المتعايشة في البلاد
ومقارنتها من زوايا المعجمية وعلوم
الاصوات والصرف والنحو *

- المشاركة في التعريب في شتى المواد في
مختلف المستويات *

- المشاركة مع زملائهم المربين في تأليف الكتب
الدرسية ذات الطابع القومي المختصر *
وقد كانت جهودهم لوضع رصيد لغوي
مفرب ضمن خلايا ثلاث :

معهد الدراسات والبحاث للتعريب بالرباط
ومعهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر وقسم
اللسانية بمركز الدراسات والبحاث الاقتصادية
والاجتماعية بتونس (١) وفعلنا أنجز هذا الرصيد
في شهر مارس ١٩٧٢ :

وذلك بفضل اتباع توصيات لجنة الرصيد
اللغوي المجتمعة بالجزائر في جانفي ١٩٦٩ هـ
تلك التي غيرت من طريقة العمل الاعتيادي - الذي
شرح فيه ابتداء من شهر فيفري ١٩٦٧ هـ وإنجز
على ضوئه مشروع رصيد على يد السيد محمود
شعبان ومساعدته (١) ووجهت العمل توجيهها
علميا عمليا :

(١) الباحثون الذين شاركوا في هذا العمل هم : الأستاذة زهرة الرياس والسادة الطرب الكوش وعقلم سكيك وحسن المايه
والسيد اعلى وصالح الرطاي وحسن المسوري

(٢) انظر النشرة التربوية للتعليم الابتدائي عدد 66 (ماي - جوان ١968)

- يبدأ عدم الالتباس بلغة أخرى *
- يبدأ عدم تنافر مخارج الحروف *
- يبدأ حلق الكلمات لهجينة المنلول في قطر من الاقطار *

هكذا أُنجز نهائيا الرصيد العربي الوظيفي للمرحلة الأولى من التعليم الابتدائي في مستوى المغرب العربي في :

- (١) قائمة الفاظ عربية فرنسية انكليزية وثبت ترتيبا الغابشيا اشتقاقيا
- (٢) قائمة افاظ فرنسية عربية
- (٣) قائمة الفاظ انكليزية عربية
- (٤) قائمة محورية عربية فرنسية انكليزية
- (٥) قائمة تكميلية عربية فرنسية
- (٦) قائمة تكميلية فرنسية عربية (٢) *

نرى ان هذه القائمة المشتركة المشتملة على الفاظ ضبطت ضبطا علميا وعمليا بالاعتماد على المريقة الاحصائية (كطريقة الفرنسية الاساسية *François fondamentale*)

لا على الطريقة المنطقية وعالمية للغة (كطريقة الانكليزية الاساسية *Basic English*) تناسب مشاعل اصبيان - وحتى الشبان والكهول من شتى البيئات ومن شتى المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وتساير الحضارة المعاصرة العربية والغربية *

- (١) - قائمة الرصيد اللغوي التونسي (١)
- (٢٦٦٦ لفظة وهي لغة الطفل ما بين الخامسة والتاسعة) *

(٢) - قائمة الفاظ المعركة المشتركة بين المغرب والجزائر وتونس (٦٧٧٧ لفظة) *

ثم كان متقى لجنة الرصيد اللغوي بالرباط (أكتوبر ١٩٧١) درس اثنائه الاساتذة أحمد الأحضر - غزال المصري - وعبد الرحمن الحاج صالح الجزائري وأحمد العايد التونسي هذه القائمة المغربية للمقر المشترك لفظة باعتبار مقاييس التواتر والتوزيع والكون والتفصل (« تواتر » اثناء ١٠ ثم مابين ذلك « توزيع » في قطرين على الاقل ، ابراز كلمات « كامة » عند الصبي وأن لم تظهر في القائمة « تفصل » لاداء مفاهيم حصارية متواترة في كتب بلدان متقدمة) *

وأخيرا كان متقى الجزائر (مارس ١٩٧٢) اصاف اثنائه الاساتذة المذكورين قائمة مفردات عربية او عربية تؤدي مفاهيم حصارية عصرية مسدا للمفراغات الموجودة في الكتب المدرسية المستعملة آن بالاقطار الثلاثة في المرحلة الأولى من التعليم الابتدائي وذلك :

- (١) - باجاء اللفظة العربية المناسبة ان وجدت مثلا « تماخين » *postoffice* *
- (٢) - يوضع لفظة - ان لم توجد - تؤدي نفس المفهوم صلا :
- بمراعاة قياس العربية مثلا : « مقطورة »

voies de train

(١) يستقر هذا الرصيد التونسي بـ ٦٧٧٧ لفظة (لغة الطفل ما بين الخامسة والرابعة عشرة) في قائمتي البداية ونوايرسة في كراسي مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية احصت اللفظة عدد ٤ (تحت الحلق)

* 4 in Cahiers du CEREES, Série Linguistique

(٢) متبني هذه اللغات الست قريبا في معهد العلوم للصابية والصنوية بالبرائر

الوحدة - التي حرص وزراء التربية والتعليم للمغرب العربي على بحثها لوجود منذ ١٩٦٧ - بالاستعمال البيداغوجي المناسب في نطاق التثقيف المدرسي - بالطريقة الحوارية أو غيرها - وفي نطاق التربية الشاملة في كل مجالات الحياة ولا شك أن نتائج هذا الرصيد الذي شُرع في إنجاز قسمه الثاني في مستوى الابتدائي - سوف تظهر على أسنة الصبيان المغاربة في آخر التعليم الابتدائي لا سيما أن وحدت البرامج أو اقتربت من بعضها بعضاً *

كذلك أن هذا الرصيد ستكون له - ولا شك - إبعاده الثقافية والاجتماعية والاقتصادية إذ سيوجه ويطور المغرب العربي من أساسه بفضل هذه العربية القريبة من السنة الصبية بنسبة مرموقة ، المقربة حتماً بين مستويين القول والمكتوب ، المتكاملة إذ تعبر أو تكاد عن أغلب مستويات حياة الطفل ، انصارحة فدا صراع اللد للفتين الاجنبيتين الفرنسية والاسبانية - الاسيئة دون افراط ، المتفتحة على عالم اليوم دون تقربط *

إن هذا الرصيد الذي نمتناه بالوطيفي :
(أ) - يحتوى على المقاطع الأساسية - يمتد أن تتقيد بها - بعيدة عن الإقليمية إذ رغم اعتبارنا ابداً التقريب قدر الامكان بين مستويين لغائتسا لفصيح والدارج فهو مفتوح على العالم العربي بأسره *

(ب) - يطعن المربين الميسرى لانه سدد فراغات القول (من مفاهيم معدومة ومن المقاطع مترادفة لا فائدة فيها) *

(ج) - هو مفتوح لكل زيادة ونقصان في قائمته التكاملية إذا اللمة حية متطورة ضرورية *

إن هذا الرصيد العبرسي الوحدة الفاظه الموحدة اغراضه حدث تاريخي إذ هو الأول من نوعه في البلاد العربية اتجز بفضل الاتصالات العضوية الدورية التي كانت بين نفس خبىراء الفخايا اللعربية المغربية الثلاث الذين تفاونا لتحقق حلم توحيد لغة التدريس التي متصارح حقاً اللهجات من جهة واللغة الاجنبية من جهة اخرى ، لكن النجاح سيكتب لهذه القائمة المشتركة



إنصاف لالتشريف

ان قرار الأمم المتحدة اعتراف اللغة العربية
لغة رسمية إن ينهض بمستواها - تلك مسؤوليتنا
وليس مسئولية المنظمات الدولية ، ومع ذلك
فسيكون من العار أن يتحدث الناس بلغة عربية
في قصر اليونسكو وفي ناطحة السحاب التي
تسكنها الأمم المتحدة ، وتعمل نحن في الرباط
أو الجزائر أو تونس الفرنسية لا في حيننا ، ولكن
كذلك في مدارسنا ومراسلاتنا *

عبد الكريم غلاب
رئيس اتحاد كتاب المغرب
ومدير جريدة
«العلم» المغربية

بعث اليينا الأستاذ عبد الكريم غلاب هذا المقال التام بعد قرار الأمم المتحدة اعتبار اللغة العربية
لغة رسمية - عده منا حزيل الشكر

وعن حريق هذا الكتاب استطاعت اللغة العربية أن تحتفظ بمكانتها العلمية والدينية والاسمية ، كما استطاعت أن تحتفظ بمكانتها الدنيوية الإدارية .

إن هناك قابلية هذه اللغة للحياة وقابليتها للتطور والنمو تفوق قابلية اللغة الصينية واليونانية مثلا ، وهما من اللغات التي عاشت عصور الحضارة القديمة رغم ما دخل عليهما من تعبير أساسي خلال عصور التاريخ .

وقابلية اللغة العربية ليست عملية ذاتية ، بحيث تكفى هذه القابلية لتطور اللغة العربية وتنمو وتساير العصر ، ولكنها عملية مرتبطة بأهلها ، كما أن حفظ هذه اللغة وسلامتها طيلة تاريخها الطويل لم يكونا عملية ذاتية ، وإنما كانا عملية مرتبطة بأهل اللغة من علماء وأدباء ورجال الدواوين والإدارة . هؤلاء جميعا هم الذين حافظوا على القرآن - بعد حفظ الله له - وحافظوا على التراث العربي الأدبي منه والعلمي واستمدوا منه القدرة على التعبير والأحياء وممارسة التفكير والتعبير العلمي والإداري والأدبي .

لم تكن إذن اللغة العربية في عصر ما عايزة عن استيعاب فلسفة اليونان ولا حكمة الصينيين وأبيد ، ولا من العلوم التجريبية والرياضية التي ابتدعها العرب أو أخذوا بعض أصولها من غيرهم وطوروها ونهضوا بها . وهذا ما يؤكد أنها غير عاجزة اليوم عن أن تنهض بهذه المهمة .

من الواضح أن التطورات العلمية والرياضية في العصر الحاضر قد تفوق في يوم من حياة العلم التفوق الذي حدث في قرن من حياة العلم في الماضي ، وهذا ما يعنى من مسؤولية اللغة أو قسلة اللغات جميعها ، ولكن هذه المسؤولية

قررت الأمم المتحدة اعتبار اللغة العربية لغة رسمية في المنظمة استعمالها كلمة للمناقشة والمعاملة والمراسلة في اجتماعات الجمعية العامة والمؤسسات التابعة لها ، وكانت منظمة العلوم والآداب والتربية (اليونيسكو) قد قررت منذ بضع سنوات استعمال اللغة العربية لغة رسمية .

ولا أقدر المقررين تشريفا بلغة العربية ، ولكي اعتبرهما انصافا ليس غير . فلك أن اللغة العربية لم تكن في حاجة إلى استعمالها في المنظمات الدولية لتحل مكانتها العلمية والدولية ، ولكنها كانت في حاجة فقط إلى انصاف من أهلها ، ومن الآخرين ، لحثل هذه المكانة .

في إحدى اللغات التي عاشت أكثر من أربعة عشر قرنا - على الأقل في وضعها الحالي ولهجاتها المتصورة - باستمرار وبدون توقف ولا تحول ، قائمة بمهمتها الفكرية والإدارية والسماسية على نطاق واسع في العالم العربي والإسلامي والدنيا التي كانت تتعامل مع العالم العربي والإسلامي .

وقد نهضت هذه اللغة مراسلتها الفكرية والدينية عن طريق القرآن الذي كان وما يزال أبليغ كتاب وأصح كتاب وأسلم كتاب عاش هذه الفكرة الطويلة من الزمان بنفس اللغة ، التي نزل بها ، فلم يكتبه الأجبار والرهباة ولم يضيفوا إليه ويتزودوا عليه ويقتصروا من أطرافه ويرووه حسب ما أتى إليهم من أخبار كما عمل الإخبار والرهباة ببعض الكتب السماوية التي كتبت بلغات ولهجات حتى لا يستطيع أحد أن يعرف اللغة التي نزلت بها ، ولكنه الكتاب الذي استطاع أن يحتفظ بلغته والفاظه وأسلوبه وترتيبه في هذه الفترة الطويلة من الزمان .

أم أنها مضطرة الى ترجمة الكلمات العلمية عن طريق الاقتباس من الماضي أو الاشتقاق والوصع ؟

هنا نقف امام مسؤولية اختيار - لو اخترنا الجواب عن السؤال الاول بالإيجاب - أصبحت معنا ، المعنية على الأقل ، بعد سنوات ، اجنبية لا تمت الى العربية بصلة ، ولأن تعود لنا من لغة العلم الا كلمات الربط لتكوين جملة عربية سليمة كبعض الافعال والحروف .

هذه وجهة نظر - ولكن ينقصها ان المصطلحات العلمية الحديثة لا تدعى لغة معينة ، فهي لغة علم مشترك بين الحضارات العلمية في العالم ، واستعمال هذه الالفاظ لا يضر العربية في شيء ، فقد اقتبست كلمات يونانية وفارسية في عصر الترجمة والوضع العلمي وهي يومئذ لغة قريبة لها مكانتها العلمية والادبية الدينية - فاذا اقتبست الآن من اللغات المتطورة علمياً مصطلحاتها فستكون جهداً ، وستدفع باللفة الى امام في طريق مساندة المجهود العلمي .

اماً اذا كان جوابنا على السؤال الثاني بالإيجاب فقد تعترض العربية مشكلتان او هما ثسلات :

اولها : البطء وعدم مسايرو التطور العلمي باسرة المطلوبة - فليس من السهولة في شيء ان نتابع ميدان العلم التحريبي والرياضي وميدان الحضارة الحديثة بالسرعة المطلوبة ونحن نهت وراءه لترجمة كل كلمة - ويصدر منها يومياً الآلاف .

وثانيها : اما قد لا نجد الكلمات الضرورية ذات الاصل العربي لان الكلمة الاجنبية اموضوعة

المشتركة ، التي يدعونها تمارد العلم الى تعبير عنه ، ليست مسؤولية النسخة بمقدار ما هي مسؤولية الفاعلين عليها . فكل اللغات سواء ازاء تطور العلوم ، وكل اكتشاف علمي او حضاري يخلق ويبتدع وهو لا يحمل اسمه ، ولكن الناطقين باللغة من علماء ومثقفين يشتقون له اسماً او يبتدعونه في الحال ثم يصبح جزء من اللغة ، وبالفه اهل اللغة من كاتبين وناطقين ولو كان ناعرا او ثقيل او غير مستصاغ في بداية الامر .

ولكن من الواضح كذلك ان اهل اللغة العربية لا يشاركون في هذه النهضة العلمية والفكرية كما تستطيع لنعم ان تسامر ركب اللغات الحية التي تسير في ركب العلم - فهذا التخلل العلمي والحضاري يعفيه ولا شك تخلف لغوي - ويزيد في تعقيد المشكلة ان هناك امرة لغوية عميقة مشتركة بين اللغات الاربعة على الأقل ، فالخروج العلمي في بلد ينطق بالانجليزية يوضع له اسم او مصطلح مأخوذ من منحوت او موضوع من اصل انجليزي او مقتبس من مثيل له اغريقي او لاتيني ، ولكنه يصبح مصطلحاً علمياً في سائر لغات العلم بأروياً ، لا تنفر منه الفرنسية ولا الاسبانية ولا الانمانية او الالمانية وربما لا تنفر منه الروسية او التشيكية او البولونية - اما في العربية ، فالمشكلة معقدة بعض الشيء اننا نرغب في تعريب المصطلحات حتى لا نطمح على لغتنا العجمة مع طعنان المفردات العلمية .

هل لا يضر اللغة العربية في شيء ان تبنى جميع المصطلحات العلمية الاجنبية التي تتوارد على الميدان العلمي والرياضي يومياً بالآلاف . وعند ذلك تصبح لغتنا العلمية مشتركة مع سائر اللغات ؟

الإحاسة ... - وما نزلها مستقصد إلا بعد أن يتجاوز العلم السماكين ، وقد تجاوزهما -

نحن إذن مدعوون أن نتنهد بلغتنا ، ومن المؤلف أن نصيف : مدعوون أن نستعمل لغتنا حتى في تعليم : ١ + ١ = ٢ وفي الإدارة التي لا تحتاج أكثر من لغة مبسطة لا هي علمية ولا تقنية . ومدعوون أن تمنح لغتنا مكانتها الحقيقية في بلادنا قبل أن تمنحها أيها الدول الأجنبية أو المنظمات الدولية .

وأحب أن أصيف أن قرار الأمم المتحدة اعتبار اللغة العربية لغة رسمية إذا كان ليس تشريفاً للغة العربية ، فهو لن ينهض بمصطفى اللقمة العربية - فكل مسؤوليتنا وليست مسؤولية المنظمات الدولية - ولكن مع ذلك سيكون من العار أن يتحدث الناس بلغة عربية في قصر اليونسكو بباريس ، وفي ناطحة السحاب التي تسكنها الأمم المتحدة في نيويورك وتستعمل نحن في الرباط أو الجرائر أو تونس الفرنسية لا في حديثنا لمصعب ، ولكن كذلك في مدارسنا ومراسلاتنا .

نفسها لم يكن لها أصل في الإنجليزية أو الفرنسية وعند ذلك تقع في المشكلة الأساسية ، مشكلة الفكر والبطم .

وثانها : إن لغتنا ستكون عملياً معزولة بحيث يصعب تبادل الفكر العلمي معها . وإذا مسح هذا الانعزال في الميدان الأدبي الذي يعتمد على المقررات الذاتية والقرمية والإحساس الفردية فلا ، فقد لا يصح في الميدان العلمي الذي هو حق مشترك بين البشر جميعهم .

إذا كنت أجل إلى الأخذ بوجهتي النظر - أي اجيب عن السؤالين معا بالإيجاب بمعنى أننا نحسب أن نترحم ما يمكن ترجمته وأن نقبض من اللغات الأجنبية ما يجب الاقتباس منه ، فليس معنى ذلك أنني اتخذ رأياً نهائياً في الموضوع . وكما أحب أن يشارك ذوق الرأي في هذا الموضوع بما يراه من إراء . وإن كان الخالفون من أعضاء لجامع العلمية قد لا يرضيه أن نتدخل نحن - غير الأعضاء - فيما لا يعنينا ، في انتظار مقرراتهم



خضوم العربية في المغرب العربي

عبد الله كتون

ابن عم رابعة عشاء الحرب

جهلوهما، ففنا صوبهما العشاء	ومن الجهل ما يكون بلا
ليت شعري ما يعلمون وإن كا	نوا ادعاء يشاولون السها
جهلوا حرفهم فكانوا يحكم	السل فيهم والأمين سواء
انهم اميون في لغة المر	ب يضاؤون المعجم و القراء
فصح في وطانة الروم و الاف	سرنج لا يخرمون منها بناء
يلتوى نطقهم بابنية الفا	د كملج فلم يسانى الهجاء
ويظنون احرفا كالهراوى	ليتها في رؤوسهم ء اشلاء

* * *

اتراهم من المقوق اصيبوا	ام دهبوا من بصيرة عبيد
ام نمتهم للاجنى صماء	فاغابوا لاصلهم و الفاء

* * *

لا تقولوا من هاشم نحن او من	عبد شمس صليبة لا ولا
ما اعتنم شأن العروبة الا	حين كنتم في يحرب اديعيا

* * *

رحم الله (طارقا) فهو اول	بقريش منكم و ادنى ائمة
لم تكن من كلامه ولقد	بدد بيها برا بها و اعتنسه
و (ابن تاشلين) اذ حماها من الفز	و فزادت عزها به و اعتل
و (المصايد) بعد اذ دعوا	فأفادت غنى بهم و ثماء
و (مريشا) و حز بها حين اعلا	رايسة بينتا لها و لسواء



عربا كان هؤلاء، و ناهيك بهم اريحية و ايساء
هم (كسلمان) (1) من اعراب جد الوحي نساء عليهم و ثنية
ما رضوا قط ان يكونوا ذيو لا
و رضيتم انتم بها ، في كلام لا عاديهم و لا لوييساء
فبيدتم شرع الاله و الفيرتم لنا به على الامانة (2)
و هجرتم كتابة واعرجتم سنة في يياته غراء
وانسلحتم من قومكم و انتمجتم دخلاء في طغمة دخلاء
و عهدتم اليهم ببشيتكم و اتخذتم منهم لكم نصحاء

* * *

غيل جيل تبنيه زعنفة (السقال) (3) واني ترى اللذاب الشا

* * *

فل شعب القى مقاليد ما بين ايدي خواوج عصلاء

* * *

ما عهدنا (ابا وغال) زعينا كيف صرتم في قومنا زعماء

* * *

تزعمون التهوض بالشعب هل ينهض بالشعب من يسير ورا

* * *

ان شعبا بغير خلق و نلق لا يساوى بين الشعوب هبة

المقرب - عبد الله كتون

(1) لا نزلت (هو الذي بعث في الامم رسولا منهم) الى قوله تعالى (واخرين منهم لما يلحقوا بهم) وضع النبي (ص) يده على سلمان وقال هذا منهم - وفي الحديث : ان العربية ليست منكم باب ذ لا أم . ولكن من تكلم لغتنا فهو منا .
(2) جمع هلاء والملا من الناس جماعتهم وشرائعهم .
(3) اجداد القرنيين .

حول التعريب

أطاس المشكل :

هناك ظاهرة غربية إذا اعتبرنا أنه في بلد عربي
تطرح مشكلة مثل هذه : أيجب اتخاذ اللقمة
العسوية كوسيلة للتبادلات الفكرية بيلنا ، أم
تركناها واستعمال لغة أجنبية عنا باعتبار أن هذه
اللغة (الفرنسية) لغة عصرية كاملة الشروط
يسهل استعمالها في المجالات العلمية ويصفه
عامة في ميادين البحث والتقني ؟

عبد الوهاب حسن
صطفى

هذه المشاكل واحدا واحدا لنرى اسمها ومواقفها وأهدافها ثم نتساءل هل لها نوعا من الواقعية ، هل هي تتمتع على اعتبارات صحيحة ولماذا ؟ بعد ذلك نقول رأينا في هذا الموضوع ممثليه .

التاريخ ، التاريخ :

بالنسبة لنجراش مشكلة التعريب خلفها ونماها الاستعمار الفرنسي ، فمن المعروف أن الاستعمار مهما حل بمكان جعل همه الأول محو اللغة التي تنتمي على اسمها الوحدة في البلاد ، وهذا أمر اشتركت فيه كل الحركات الاحتلالية مع خوارق منها أن هناك حركات عقائدية ترمي من وراء محو اللغة المحلية إلى تكوين وحدة كبيرة تكون هي مسيطرة فيها بطبيعة الحال لكن المحليين مدعوون بجميع الوسائل (بالنادر والحديد خاصة) إلى الالتحاق بالفكرة الوحدوية .

أما في ما يخص الاستعمار فهو يرمي من وراء قتل اللغة المحلية خلق فوارق كثيرة تعتمد على ما يسمى باللغة الكلاسيكية *Prestige* وهو يعمل جاهدا كي لا ينجم بلغته إلا عدد ضئيل جداً يستعمله في اتصال أرامو إلى مستعمريه أي يستعمل هذا العدد الضئيل كوسيلة للاتصال لغائته ولذلك يحطم الاستعمار وسائل التدريس للغة العربية ، وفي الجزائر هرقل الاستعمار الفرنسي المدارس العربية ومنعها ثم عمم الدراسة (لأبنائه وللأقلية المشار إليها) بالفرنسية وذلك لطمس العربية ثم منح كل من يريد الاستمرار في الدراسة إلى مستوى جامعي وشجع الأقليات على التنسب والتدين باللغة والدين المقيان إلى غير ذلك من الوسائل الجهنمية أي بمسارعة وجيزة نقول أن الاستعمار شن حربا بكل ما لهذه الكلمة من معاني

يؤينا قبل البدء في مناقشة هذه الآراء أن نستمر في طرح القضايا كما ألف مؤيدو هذه الآراء طرحها يقال أيضا من ناحية أخرى أن الفلسفة العربية مغرقة في أساليب عتيقة غير صالحة لاتخاذ الأشكال الحديثة والمعاني المستحدثة ، ويعتمد في البرهنة على ذلك بقولهم : انظروا الأسب العربي فليس فيه ما يستحق أن يوصف بالعالمى انظروا إلى موسيقانا فهي لا تبرج بأكية يمانتين وقصور انقراضت ، وبيت انقاما ناعسة ، وطوايعها لا تصور البتة الحياة التي نعيشها . أين هي الكتب العلمية في الرياضيات في الفيزياء في العلوم النظرية بصفة عامة ؟ فلا يستطيع طالب أن يباحث الاستغناء عن اللغات الحية كالفرنسية والانجليزية والروسية والألمانية ...

اضف إلى ذلك أن هناك من يقترح بعد أن يقتنع بأن الحجج السابقة التي ذكرناها ليس لها أساس من الصحة غير عواطف وأحاسيس غير جليلة وأنها أحكام عن غير دراية ، قلنا بعد كل هذا يقترح أن تكتب العربية بأحرف لاتينية (ولست أدرى لسم لا تكتب بأحرف معنوية مثل اللغة الصينية) ويضرب في هذا الصند بأمثلة مثل ما قام به مصطفى انتورك .

ونسأل نحن البسطاء ما الفائدة من هذا والعربية تتمتع بأحرف وإبجدية تكفيها شر هذا الجهد ، فيقال لتسهيل استعارة الألفاظ (تصويرها فوتوغرافيا ، نحن نفضل هذه الكلمة الصريحة) الجديدة مثلا وخطها (وكتابتها) في عربية (لغة عربية) لم يبق فيها ما يميحها عن ذلك .

بعد هذا العرض وقد تركنا جانبها كبيرا مسن التفاصيل وذلك حرصا منا على أن لا نثقل أكثر كاهل القارئ بهذه البراهين والعلل ، نعود فنأخذ

عليها من يتكلم عن التنمية وغير ذلك من الكلمات التي لا مضمون لها في ميدان تتصارع فيه قوى متعاضدة للفرز بالسيطرة *

قلنا إن الجزائر طلبت من هؤلاء المثقفين أن يمدروها بما ليس في مكتبة أعطاءه وذلك لأمس بسيط للماية وهو : **فائد الشيء لا يعطيه وظن** بعضهم أن الجرائد ستحتج أمامهم ضارعة لكي يسروها بضمائهم ورائتهم وثقافتهم وانتظر هذا البعض وطال انتظارهم - نعد بعد هذه الاعتبارات العامة إلى عين الموضوع - قال مثقفونا بصيد الاستقلال أن أكبر عدد من الجزائريين (لذين لهم مستوى ؟) لا يأس به من حيث التكوين الفكري (التكوين الفكري ؟) - مغرسين - (يفتح الذهن وكسرها) ولذلك يجب على الجزائر ولو من حيث اعتبارات اقتصادية أن تستمر في استعمال اللغة الفرنسية بالإضافة إلى أن هذه اللغة أحسن من اللغة العربية ونسك الحسن - لأن اللغة الانجليزية شقية ومملة - الاستعمال ولا سيما في اسواق العلمية وميادين البحث والاقتصاد واسياسية الدولية ... فإذا عدنا إلى لعبة الضاد (هذه التسمية يجهلها عسادة من يتلفظ بهذه الأشياء ، أعني بصفة واضحة يحكمون على لغة لا يعرفونها) ينصبر المستوى النقابي وغيره و... ، البلد يشعل وتأخر ، (وكانه الآن متقدم) *

وقد ارتفعت أصوات تندد بهذا الهتان أن كيف ليك قام بثورة هي من أعظم الثورات التي سجلت في القرون العشرين ضمن سلسلة الحركات التحريرية ، كيف له أن يسمح لتقاليد استعمارية وافكار أجنبية عن مفاهيمه بالاستمرار ؟ وما معنى الثورة ولغة الثورة التي قام بها يا ترى ؟

على اللغة العربية وهذه الحرب كانت أطول وأعمق وكلفته جهودا أكبر من الحروب التي قسام بها لاحتمال البلاد عسكريا *

نتائج هذه الحرب معروفة أيضا لدى الجميع اندماد المثقفين باللغة العربية اندمادها يكاد يكون تاما ووجود عدد قليل ضئيل من الذين أطلق عليهم عبارة (المثقفين) إشارة لكرتهم قرعهم في وسط ثقافي ليس لهم به شأن سوى علاقة العبد بسيده إذ أن الاستعمار لا يمجهم ولا ينقهم وهنا تأتي أن هذه الشلة كانت عربية في ثقافتها عن نفقة أفراد شعبها وأجنبية بأحاسيسها عن أفراد الثقافة التي تمكنوا منها *

وأي الاستقلال * والتفت الجزائر إلى مثقبيها ليهنوها بجهان وشكل بلغت من أجله مآت الآلاف بسل اللبون ونصف من إبنائها ، غير أن هؤلاء وقفوا يتساءلون وهم في بلبلة بل فر منهم من قرر من هذه المسؤولية وانكر الباقي أشياء واضحة بديهية مختلفين في ذلك أوهم صنعوا مناقشتها فيما يلي ونوضح كيف أنهم ساروا بذلك ضد التيار للارضي وكافروا معرقلين رغم أدعائهم أنهم غير رجعيين ولا انتهازيين *

واقع أم تظلف ؟

ويودنا لو كان يمكننا المجال أن نتحدث عن مفهوم التيار التاريخي ومفهوم التنمية والرجعية والانهازية لا بطريقة فلسفية إذ أننا لن نصل إلى نتيجة اللهم نتيجة لا تهمن لكونها ذات صيغة ميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) وهذا لا يميننا على التقسيم خطوة في توضيح الامور ولكننا سنقول كلمة كانت وجيزة في هذه المعاني ولتعمد في براميتنا على مقدار الفائدة التي يريد المحصول

أى أنت لوكتبنا برقية إلى جماعة من الناس لكان لهم *

ومن هذا كانت الإنجليزية في هذا المثال ذات الأكبر إمكانية من الجملة الفرنسية ، وإذا اعتبرنا أن العربية ممتاز حسب قراءهم بعلم الدقة فهي إذن يتفوق قاتون Wiener ذات إمكانات أكبر من لغات أخرى دقيقة الألفاظ - ونحن إذ نقول هذا لغتنا المراد فقط على هذه الشك من العازقين بآلات يجهلون إمكانياتها - أما مسألة ضبط الألفاظ وتحديدها فنحن نقول أن هذا ميدان الاصطلاح واللغة العربية معروفة بقوة ودقة اصطلاحاتها والباني* وإذا انبدان شاسعا فمن أراد السباحة فليعمل ومن لا يستطيع لا يلومن إلا نفسه - ولا يلقي مسؤولية ضعفه على اللغة *

نحن لا نقول أن اللغة العربية محتاجة إلى الاستكمال لكي تتطور وتأخذ اشكالا عصرية إذ أن هذا الكلام شيء بديهي ويمكن تميمه على جميع اللغات إذ من الواضح أن أي لغة أن بقيت بين طيات الكتب ولم تدر حتى المسنة الناس مكثت في المستوى الذي تركت فيه * ولكل هذه الاعتبارات لا ينبغي ذكر أشياء لا تنقص بها لغة عن أخرى وسردها وكأنها ميزة وعامة اللغة العربية وحدها فإن كان هناك بعض مجالات أيسرت اللغة العربية معقدة فمسا علينا ألا تبديها وتوسيعها * وهذه عملية مستمرة واضحة وكلما توقفت (هذه العملية) تأخرت بالتالي اللغة عن بقية اللغات التي تستمر فيها الحركة والبحث والعمل لتأخذ مثلا الفرنسية كل من درسها يعلم أن الإنجليزية تضيقها في مبادئ شتى (التجارية الاقتصادية وخاصة العلمية) ومن البائس التي أصبحت الفرنسية غير كافية فيها ميدان الفيزياء فجل الفظفورات Publications

ولذلك قررت الجزائر رغم هذه الاعتبارات الاقتصادية أن تسفل في اتجاه إعادة لغتها والآن يجب علينا أجوبة من الواقع :

أن نبذة الرد : أولا نحن نعتبر كشرط أساسى أنه لا حق لمن لا يعرف اللغة العربية أن يحكم عليها مهما كان ذلك الحكم الذي يتقوه به ، قد يقال أن هذا تطرفا ورد فعل عاطفى غير أننا نقول كيف يستطيع مثقف أن كان يستحق هذا الوصف (ومعناه بالنسبة لنا من له إمكانية ولا عاطفية ولا وشمية مدروسة غير افتراضية ولا عاطفية ولا دماغية ولا دعائية) أن يقارن بين لغة وأخرى وقد عرف عن ذلك حتى التخصص في اللغويات والمسانيات إذ أنهم رأوا أن كل لغة لها ميزاتها في إقصاء ما يحتويه الإنسان من رمزية *

(أنظر كتاب فرويد موسى والتوحيد) جاك دريدا كتاب Tel Quel رقم ٢٨ أسلاطون والفرمكولوجية كتاب * * وإذا طبقنا ميزان العالم الشهير في علم السيبرنيتيك نوربرت فينر Wiener الغالب بأن النتائج أو الموجه الاختيارية تكون أغنى (أي لها إمكانيات ترجمة أكبر) كلما ضعفت نسبتهما الينينية (ممكناها) Probabilities أي أن الجملة الكلامية مثلا تكون أغنى معنى كلما ارتفعت نسبة إمكانيات تأويلها لئلاخذ مثلا : إذا قرأنا على ورقة هذه العبارة : تعالى غدا ثم نفس العبارة ولكن بالفرنسية ثم بالإنجليزية *

نرى أن الجملة العربية تعنى أكثر إخطاب شخصا من الجنس اللطيف وأقل له أن يأتي يوم غد * بالفرنسية صورة العبارة لا تشمل أن الشخص من الجنس اللطيف قد يكون رجلا أو امرأة بالإنجليزية نفس الصورة أقل تحديد إذ أنها تخاطب أما رجلا أو أكثر وأما امرأة أو أكثر ،

حول التعريب

وغيرها من البلدان العربية يستفتح فهمها أكثر من فهمه لكلمتا Camus و Sartre وبارث وBarthes و... و... لماذا قيل :
الأولون بسطاء هؤلاء أقرباء اعتماداً على باطنية الآخرين و «سهولة» الأولين فنزل قد يكون الأمر كذلك ، وإن كان هذا في رأي هراء ودليل على نفسية *

الشكل - المحتوى :

مستعبد ، بيد أننا هنا ننقل من مجال المحتوى أي محتوى اللمة ونكون قد رفضنا اللمة لأنه لم نكتب فيها مواضيع هامة أو عميقة أو جديدة وأنز نحدد ثنائية إلى سوء النأ فنقول لماذا نحن نختار اللغة الفرنسية بالذات وهناك لغات كتب فيها ما هو أهم ولا سيما أن هذه اللغة مدينة لمعيرها (خاصة في مصرنا هذا) في جميع الميادين بدون استثناء وبدون مخالفة : في العلوم وهذا أمر واضح ، في العلوم الإنسانية بالفرنسية إلى أمريكا مثلاً (علم الاجتماع علم النفس واللسانيات) وفي الفلسفة إلى أمريكا وألمانيا خاصة... ونحن نقول هذا وإن كنا نعتقد أن عدا يعد حكماً جائراً على الفرنسية لأنها كما استقادت فهي تفقد ، وهذا أمر عام بالفرنسية لجميع لغات اسعالم حتى «الديابة» منها (إن صح هذا التعبير وهو غير صحيح) *

وإن ما هي القضية ؟ تجيب بلا تردد : القضية تتعلق كما قلنا بوضعية خاصة لمجتمعنا وهذه الوضعية تنمّت عن مصعورة من الأسباب منها الاجتماعية ومنها النفسية ومنها العقائدية ونحن نعتبر أن أهم شيء من بين هذه الأسباب يرجع إلى عامل استغلالي واقتصادي *

بالانجليزية والرومية والحياتة الفرنسيون مفروض عليهم إذا أرادوا أن يبقوا في مستوى البحث العلمي أن يتعلموا أو على الأقل يترجموا (إلى حد ما) عن الانجليزية والرومية. غير أن متفقين أن يحكموا على الفرنسية بما أنها مضطرة لاستعمال العده من الإلغاف والحيارات الانجليزية لن يحكموا عليها بأنها غير صالحة وذلك لتدعيمهم ولتقنهم التي وضعموها فيها ولسبب أكثر أهمية وهو أنهم لو فعلوا يكونون قد وضعموا أنفسهم والثقة التي يصنعونها بأنفسهم بالميزان وهذا بطبيعة الحال أمر لا يرتضيه الشخص لنفسه *

قبل أن ننقل إلى جوانب أخرى نختم أشارتنا إلى ما صيغ من «انهايات» متفقين : أكثرية الفرنسيين بالجزائر يعتقدون عبداً يدور الكلام حول اللغة العربية أن ليس هناك لغة إلا تلك التي استعملت في سوق عكاظ أي تلك اللغة التي لم تتحدث إلا على اليد والثرق. نعم هذه اللمة لا زالت مسجلة مثل ما زالت الفرنسية القديمة مسجلة. وهل منعت انجليزية شكسبير من قراءته وفهمه من طرف الانجليز المعاصرين ؟ لماذا لا يقال إن لغة فرانسوا فيلر Villon مثلاً غير صالحة للاستعمال اليوم والاعتماد بذلك لرفض الفرنسية الحديثة وبصفة عامة ؟ لماذا يذهب بعضهم إلى الحكم على العربية من خلال انكتب والمؤلفين القدماء ، ولا يشير للكتابات المعاصرين ؟ فسان كان ذلك عن جهل فالجامل لا حق به في الكلام ، إن توفيق الحكيم و لرافى وطه حسين والمقاد ، محمد كرم وأحمد أمين والجارم ووزار قبائس وخليل جبران وأحمد زكي ومحمد عبده والمئات غيرهم يتكثرون بلغة مفهومة أي هي على الأقل لغة يستطيع عاملنا وفلاحنا وعاملنا هذا بالجزائر

حقيقة المشكل

إذا تصفحنا للمجتمع الجزائري بعد سنوات من الاستقلال تشاهد أشياء عجيبة هذا إذا فتحنا أميننا ونظرنا للواقع كما هو لا كما نريده أن يكون *

نرى أن الطبقة المثقفة - وهنا فنية لئنا نقصد بهذه الكلمة ابتداء من هذا الفرنسيين والمغربيين - كما - هذه الطبقة إذا تحدثت عن التعريب وهي لا تفعل إلا نادرا - أول ما تظهره هو صعوبة الامر (بإنصبة سن ؟) وإذا أصعبت في الحديث فانما تتركز على الجوانب التي تفت جهر حشرة في سبيل ذلك والتي يجب دراستها دراسة «علمية» وإذا قلنا ما معنى عبارة «الدراسة العلمية» لتطبيقات التعريب بالجزائر أتبين يجب اعداد الظروف الايجابية والمادية المموسة لانجاح هذا ، وما هي الظروف أو الشروط ؟ دراسة الوضع كما هو. وبدئى أن هذا التفكير لم يزد على أنه قام بدائرة كلامية عاد على نهايتها إلى نقطة الابتداء ولكن لا علينا فمن الذى يدرس الوضع كما هو ؟ الجواب لجنة أو لجان من من ؟ من أناس مخلصين انقياء في اللغة العربية ؟ من يكونهم ؟ أناس آخرين «خلقوا» (للتعريب) قضية من قصايا ما وراء الطبيعة من لا شيء ؟ وهكذا يصير الامر وذلك من ضخامة التحويل فهو لا يضيفون ان لم تتراع هذه الشروط فسيقتع ما سيقتع ؟ وبالتحديد ولنبيهم على هذا النهج : سيتم نجاح التعريب أو عدم نجاحه ولكن ؟ فإن تم النجاح قال «علمائنا» (الهيوسيون) ثم ذلك لتوفر هذا السبب وهذا وهذا وهذا .. وإذا تم. «عدم النجاح» قبل أرايتكم لا تكسب لم ترأعوا هذا الشرط وهذا وهذا .. *

ونقول نحن : قبل ذلك لم يكن في مكتنتنا معرفة هذه الشروط بالتصديق والآن سنراها ونستمر في عملنا إلى ما لا نهاية *

لقد عجلنا عمدا وبطريقة موحجة ايشاح رأينا والآن نمسود إلى السبب الحقيقي الذي يجعل « المثقفين » ضد التعريب سواء كانوا على بينة من ذلك أو عن دون قصد *

إلى غاية هذا الحد تحدثنا عن قضية التعريب في الجزائر ولم نشر مرة واحدة أسى المدرسة ؟ وهذا قد يبدو غير وضحى سيما وأن جميع الآمال مركزة على المدرسة لمساعدة التعريب نحن عند كلائنا من التعريب لا نقصد تعلم اللغة العربية كما يتعلم طلابنا مثلاً الألمانية والإنجليزية والروسية وغيرها من اللغات - نحن نعتبر أن لا تعريب يتكر ما لم تدخل اللغة في الحياة اليومية ما لم تدخل العربية في التفكير العميق - أي يجب أن تكون اللغات الأخرى تستعمل للفتك لا العكس - نحن نقصد من التعريب إعادة الجدية في الكلام ونقل اللفظ من حيث المعنى الذي تتدبر به اللغة العربية - ونحن نقول هذا لأننا رأينا «المعربين» أي طلابنا الذين لم يتعلموا الفرنسية - رأيناهم يتوقون لذلك - لا لتوسيع معلوماتهم وبذلك يتم في نفس الوقت توسيع العربية «بل للمتلخص» من هذا العمل المشؤوم العالق بأنهم ؟ ولأنك ترى بالجزائر العربيين وقد تعلموا الفرنسية وأما الفرنسيون فلم (رأين ؟) يتعلموا العربية ؟

قد يتساءل متساءل : أين من أين أتى الصراع إن كان الجميع يتوقون إلى الفرنسية ؟ وهذا ننكر بما اكتناه بدون إرهان وهو الجانب الاستعماري. ففي المجتمع الجزائري إذا أراد شخص الحصول على عمل يدر عليه رأباً مرتفعاً يجب عليه معرفة

وإذا كان في الماضي لكل شعب جولة فائدة يجب علينا أن ندخل المسمة من جديد ونلصق نورا لم نفتأ نلعبه إلى على الأقل فرس للمقام به وهو المشاركة بتعريب في الجهود التي تبذل لرقى وتقدم الحضارة البشرية فيجب علينا أن نتجاوز مستوى الاستهلاك إلى مستوى الإنتاج والإبداع ولن نستطيع ذلك إلا في وبلغتنا *

وهذا ليس تعصبا بل واقعا * نحن نعتبر أننا لم وإن نتمكن من لغة مثل تمكن أصحابها بها * ولذلك فلن يكون لنا أجياء بالفرنسية مثل الأجيال الفرنسية والعربية ولكن يكون لنا علماء * ما معنا تحت هيمنة لغة أخرى *

وقد يتبادر للذهن بعض الاسماء من من تم لهم بعض النجاح في لغة غير لغتهم فنقول أن ذلك دليل على أن نجاحهم حده كونهم يستعملون لغة أخرى * ونسال لم لم ينجح كتاب جزائريون إلا بعد الحرب التحريرية ؟ فكاتب يس مثلا لم يستعمل العربية لنجح في ميدان على الأقل وهما تطوير لغة المسرح العربية إلى مستوى حديث ثم سد اللغة العربية بجمهرة تنفع بها غيرها * زد على ذلك أنه كان يثر على مولديه أكثر مما هو الحال الآن (رغم الترجم) * وهذا المثل يمكن أن يعمم وبعبارة أخرى يجب علينا في هذه الفترة الحاضرة خدمة اللغة لتخدم لغتنا ثانية * ولكن هناك مشكل وهو : هل يوجد رجال مستعرون للحديث ثم الحصد ؟ للأصاف كلنا مستهلكون أي فريد الحصد وكفى ؟ هو على الزيت نامت الصحراء كما يقول الشاعر وهذا هو الأمر الذي جعل منا أمما لم انقطع إمداد الأمم المنتجة عليها لبقيت في المستوى الذي هي فيه *

الفرنسية أما العربية فهي محصورة في بعض المهادين الضيقة * وكأنها شيء يخص من تبيانه فيتعيب في جلب العار على صاحبه أي أن هناك تياران : التيار الذي يسانده الشعب فون أن يتلوه بكلمة والتيار الذي يسانده «المثقفون» الجزائريون مع قهرهم وتكديهم بتأييد التعريب * وهكذا يصبح الطابع الديماغوجي واضحا * ولذلك أيضا كانت المدرسة تنوس لغة لا تستعمل إلا عند كتابة الواجب الدراسي أي أن المدرسة لم تستطع التأثير على الواقع خارجها وبقي عملها يذهب سدى * بل أصبح الواقع خارج المدرسة يلقف ضد المدرسة ويقاوم عملها في كل مكان بالمقهى بالسينما وعط حافلات النقل السومية في المنزل بالرائيو بالتلفزيون ..

أما الأسباب النفسية المعقبة فنحن لا نهتم بها كثيرا لأن ذلك قد درس منذ مئات السنين * ومن يريد أن يقرأ عنها ما عليه إلا أن يتصفح كتاب العالم الغد * ابن خلدون «المقدمة» إذ يتعرض لهذه الظاهرة حيث يشير إلى الناس الذين كانوا دائما يتصاقطون على لغة الغالب وذلك للتضحية به ومحاكاته * فبالنسبة للجزائري المنقلب والفرنسي هو الرجل الذي يمثل ذروة الفكر والذي يضرب به المثل في كل شأن ولا يعنيه كثيرا رأي الانجليز أو الألمان أو السوفيياتي أو الإيطالي أو الصيني ..

وبالنسبة للمصري الانجليز هو ذروة الفكر ولا يهتم برأي الألمان وغيره .. وهكذا *

ولكن الجميع يطمون أن الرجل الجاد العامل هو الذي يصل إلى ثرى وقم التفكير *

أخرى لم تبحث من قبل وذلك لأن كل حضارة تأتي معها حدود إدراكها وتناولها للأشياء * فإذا ما وصلت إلى الحدود التي لا تستطيع تجاوزها وجب الشروع في بحث اطارات وامكانيات أخرى موجودة ضمنياً * بالإضافة إلى الامكانيات الموجودة مادياً (الصناعة والزراعة والإدارة والتعليم) التي يمكن بتعريب أوقافها ومضروعاتها تسجيل نجاح كبير في ميدان التعريب *
«نوليس»

وإذا لم نتكلم عن الميادين العلمية بصفة خاصة فهذا راجع لكوننا نعتبر أن العلوم يمكن هضمها بصفة سريعة نسبياً ، أما الميادين الانسانية الفلسفية الادبية الفنية * * هذه الميادين يجب علينا أن نبدأ في العمل بجد لتحريرها والقاء أضواء جديدة واماليب حذرية أخرى عليها *

إن الامر ليس إيجاد طرق للبحث جديدة فقط بل وأكثر من ذلك خلق ميادين (اكتشاف) ميادين

المراجع

- Cambridge History of India, 6 vol. 1947. Sup. 1953.
- The Times of India Directory and yearbook, Bombay and London annual.
- Handbook of travellers in India etc., ed. by F. Rushbrook Williams, London 1962.
- Desai (A.R.), The Social Background of Indian Nationalism, Bombay, 1954.
- Griffiths (P.J.), The British impact on India, London, 1952.
- Kesavan (B.S.) and Kulkarwy (V.Y.) (ed.), The National Bibliography of Indian literature, New Delhi, 1963.
- Philips (C.H.), The Evolution of India and Pakistan, Selected Documents, London, 1963.
- Smith (V.E.), Oxford History of India, K 3 d ed., London, 1958.
- Yasdany, (C.) Early History of the Deccan, 2 vol. London, 1960.
- The Statesman Yearbook, 1970-71.

تجربة لغوية من العالم الثالث :

الوضع اللغوي في الهند

يبلغ تعداد النفوس الذي أجري في الهند في سنة 1971 ، على أن عدد سكان الهند يبلغ آنس 547 مليون نسمة ، وأن 474 مليون منهم ينتمون إلى اللغات الأربع عشرة التي وردت في ملحق خاص بـ دستور سنة 1950 . وهذا العدد ، يمثل 87٪ من سكان الهند . وأما بقية الهندو (13٪) فهم ينتمون إلى مائة وعشرين لغة أخرى . وبغض هذه اللغات ، واسمة الانتشار ، بحيث جعلت كثيرا أن يتجاوز عدد الناطقين بها عشرة ملايين نسمة . وأما نظم الحروف الهجائية التي يكتب بها الهندو هذه اللغات ، فهي تبلغ عشرة أو تزيد .

اسماعيل العربي
كاتب جرائدي

وخصوصا في لمة الاوردو ، وفي انتاج قطاع حل شعراء الهند وباكستان ، مثل طاغور وسحبه اقبال .

فاصله اذا ، بين العرب والهند ، ليست بعيدة كما قد تبدو . بل ان وقوع الهند تحت الاستعمار المغرب للحضارات والشخصيات القومية ، مثل البلدان العربية ، وفي نفس الفترة الزمنية ، تجربة من شأنها ان تترى الصلات القديمة وتقرب التوازي بيننا ، مشعر العرب وبين الهنود الذين يناضلون ، مثلنا ، ضد لون جديد من الاستعمار ، وهو الاستعمار والفيزو الثقافي .

ولكن المقارنة في مجال تنمية لغة قومية لتكون وسيلة فعالة للتفكير والتعبير ، تقف عند حده واضح . لانه في الوقت الذي يملك فيه العرب لغة حفظ متنها وقواعدها عبر القرون ، لغة حية متفاعلة وممتزجة بالثقافة الحاملة دوليا ، نجد ان الهند التي يمثل سكانها سبع سكان المعمورة ، لا تزال ، بعد ربح قرن من الاستقلال والسيادة القومية ، تبحث عن لغة قومية حقيقية تكون اداة للتفكير والتعاطف بين الهنود ، في مختلف انحاء الجمهورية .

والوضع اللغوي في الهند معقد بصورة لا مثيل لها في اي بلد متطور كبير او صغير . ويتجسّر شيئا ، حتى ولو اخذنا الى الاعتبار عناصر ليست ذات صلة مباشرة باللغة ، مثل اصول السكان وتعدد الاديان واللل والنحل ، واختلاف الاوضاع

الهند (بهارات باللغة الهندية) ، دولة تقع في آسيا الجنوبية ، تمتد اراضيها على مساحة 268 000 كيلو متر مربع ، وعاصمتها دلهي الجديدة . والجمهورية تتكون من سبع عشرة دولة ، وهي : أندورا برادش ، واسام ، والبنغال الغربي ، وبيهار ، وغوجرات ، وهرينا ، وجاو - الكشمير ، وكالا ، ومحمية برادش ، وثاميلناد ، ومهراشترا ، وميسور ، وتاجالند ، واوريسا ، والبنجاب ، وراجستان ، وارترا برادش ، وذلك بالإضافة الى عشرة اراضي (جزر أندمان ، واليكوتار ، وحدادا ، وتاجارهاثيل ، ودلهي ، وميماسال برادش ، وجزر اللاكديف ، ومهما ، مينيكوري وجزر آمينديني ، وماينيور ، وبانجيم ، وبونديشري ، وارياضي الحدود الشمالية الشرقية)

شهدت الهند منذ نحو 3500 سنة موجة من الفزاة الآتين من آسيا الوسطى والذين انتشروا في شبه القارة واستوطنوها وبثوا فيها ثقافتهم ولغاتهم وورثوها فيها دعائم حضارة من عرق واقيم حضارات العالم . وهم الحضارة سنسكريتية روادة معتبرة بالفتح الاسلامي وبتفاعله مع الحضارة العربية التي سيجعل مشعل ثقافتها في تلك البقاع علماء جهابذة من طراز ابي الريحان البيروني . بعد ان مهلت لها فتوحات محمود الغزنوي . وهذا التفاعل مع الثقافة العربية تظهر آثاره واضحة في الارقام العربية وفي العديد من الكتب العلمية والفلسفية والادبية التي اتجه العرب الى نقلها منذ اوائل عصر بني العباس ،

وأما اللغة الاوردية التي يعتقد الكثيرون انها لغة المسلمين في الهند (6٤ مليون) ، فهي نفس الحقيقة لا تعد ان تكون لغة نصمهم فقط (29 مليون) ، من المسلمين الذين يقيمون في المناطق الشمالية وفي وسط الهند ، هم وحدهم الذين يتكلمون بالاردية ،

واللغة البنجابية انى هي لغة طائفة السيخ (١0 ملايين) فلا يزيد عدد السكان الذين يتخلونها وسيلة للتعبير عن ٢5 مليون نسمة .

ومهما يكن من شئ ، فان هذه اللغات الثلاث التي تشملها كلمة « الهندستانية » ، تشكل ، هي ، والهجات التي تنفر عنها ، نواة لغوية لا يستهان بها ، حيث يبلغ عدد مجموع السكان الناطقين بها ما لا يقل عن 259 مليون نسمة ، (او ما يمثل 47٪ من مجموع سكان الاتحاد) .

وحول هذه المجموعة الصغيرة من اللغات التي تنتشر ، خصوصا ، في شمال البلد وفي الوسط ، وهي المناطق التي تدعى « هندستان » وتوزع مختلف اللغات الهندية الاكبرية الجائبة ، واصمها

— في الشرق البنغالية ، (45 مليون نسمة . وهذا الحساب لا يشمل بطبيعة الحال سكان بنغالديش الذين يبلغ عددهم ستين مليوناً) والاورية (20 مليون نسمة) ، والاسامية (9 ملايين نسمة) .

— في الغرب ، الإيرانية (42 مليون نسمة) ، والفوجراتية (26 مليون نسمة) ، والسندية

الاجتماعية ، ولو كانت لدى الهند ثلاث او اربع لغات قومية ، مثل بعض البلدان الاوروبية (تشيكوسلوفاكيا وسويسرا) لكان من الممكن الامل (بواسطة تشجيع تعليمها وتنميتها عن طريق اجهزة الاعلام والتبادل الثقافي) في ان تصبح الامة الهندية في نهاية الامر وتكون مجموعة ثقافية يتحد فيها التفكير ، وان اختلف التعبير . ولكن المسألة اخطر من ذلك كثيرا ، حيث ان مجموعة اللغات الهندية الآرية ، التي انبثقت منها اللغات الهندية الاوروبية ، وحدها يبلغ عددها اربع عشرة لغة . وكون الدستور الهندي يعترف بها جميعا ويعتبرها لغات رسمية نوعا ما ، وكون اكثر من اربعمائة مليون نسمة ينطقون بهذه اللغات ، لا يثير من حدة المشكلة في قبيل او كسب .

صحيح ان اللغة الهندية تحتل مركز الصدارة بين هذه اللغات ، وتعتبر من الناحية الشكلية اللغة الرسمية الاولى للاتحاد الهندي . ولكن عدد السكان الذين تشبههم وقمة هذه اللغة ، لا يزيد عن 262 مليون نسمة (اي حوالي ربع السكان) ، وبالتالي ، فهي لغة اقلية ، اضاف الى ذلك ان عدة لغات اخرى (الجيهادية والراجسمانية والفهرية والمهلية) يبلغ عدد السكان الناطقين بها 5٢ مليون نسمة ، تزامم هذه اللغة الكبيرة في الرقعة الجغرافية التي تنتشر فيها . بل ان نظام الحروف التي تكتب بها هذه اللغة يختلف عن النظام الذي تكتب به تلك اللغات !

خريطة الهند اللغوية



(2 مليون نسمة) . والكوتاكية (1.5 مليون نسمة) وفي الشمال الغربي ، الكشميرية (500 مليون نسمة) .

وأما جنوب الهند ، فهو موطن اللغات الدرايدية (228 مليون نسمة) . وهذه اللغات لا صلة لها بأية لغة أخرى في العالم . وأربع من هذه اللغات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمفاهيم الجغرافية ويرتبط من الأرض شبهات إنداهارا أدبيا يمتد على عدة أجيال . وهذه اللغات هي : التلوجوية (45 مليون نسمة) ، والطابولة TAMOUL

(34 مليون نسمة ، وذلك مع عدم اعتبار سيلان حيث تسود هذه اللغة) ، والمالايامية MALAYALAM (22 مليون نسمة) ، والكنادية KENNADA (22 مليون نسمة) . واللغات الأخرى المنتشرة في هذه المنطقة ، أقل أهمية من اللغات المتقدمة . فإن لغة التلوجوية TOULOU مثلا ، لا يتحدثها إلا مليون وربع المليون من السكان . ولغة الأراون ARAON ، لا ينطق بها أكثر من مليون وثلاثمائة ألف . والجندية GONDI مينيون وسبعمائه ألف نسمة .

— وفي الشمال الشرقي من إقليم دكان ، تنتشر مجموعة لغات مونا MOUNDA (200 مليون نسمة) . وهذه اللغات ترتبط بصفة بأقدم اللغات السانده في الجنوب الشرقي لآسيا (مثل لغة مون — MON وخيمر KHMER إلخ) . وفي سفوح جبال هذه المنطقة تسود اللغات التبتية والبرمانية القريبة الصلة باللغة الصينية (وأهمها : سانثالي SANTALI (3.4 مليون نسمة) ، وموندري MOONDARI (1 مليون نسمة) ، وكوركور KOURKOU وسافارا SAVARA إلخ . وهذه اللغات ، مثل بعض اللهجات السانده في وسط الهند (مثل بهيل BHIL في الغابات والاحراش ، تعتبر على هامش الحياة اللغوية في الهند ، وبالتالي ، دخيلة على الثقافة الهندية .

واحد للثود عن حدوده وللدفاع عن قيمه
الروحية والسياسية +

والواقع أن الهندوكانوا عبر المصور متناسكين
في إطار حضارة (أو أن شئت ، محصورة من
الحضارات) قومية، مثلبا تنماسك قطع العيسفبه
المختلفة الألوان لشكل صورة واحدة ، وهذه
الوضعية تذكرنا كثيرا بأوضعية التي كسانت
تسود في أوروبا في العصور الوسطى ، حينما
كانت مختلف شعوب القارة تشكل أمة واحدة
ستمد عناصر وحدتها من الثقافة والدين ،

صحيح أن في الهند اتجاهات انفصالية
تفذيها الثقافات الإقليمية ، كما توجد فيها
تيارات انتمائية قوية - ولكن الهندو (الأغلبية
الساحقة) يرمون أن عصر التكنولوجيا وعصر
التكتلات الاقتصادية الكبرى ، هو عصر الوحدة
بين القوميات ، وليس عصر التفتت القومي .

على أن بداية النزعة الانفصالية ليست وليدة
اليوم ، وإنما هي تعود إلى بداية الاستعمار
الانجليزي الذي حاول الإبقاء على وحدة الهند
بصورة مصطنعة ، يمد ما قضى على اقواعد التي
تقوم عليها هذه الوحدة ، وأصبحت اللغة الفارسية
التي ستحل محلها اللغة الانجليزية. وكذلك
أصبحت الهند أكبر مجموعة بشرية تحكم باللغة
الانجليزية التي ستطوّرنا من الزمن لغة
الفرانسين ولغة العلم والتي في شبه القارة
الهندية. ولكن فرض اللغة الانجليزية كان له رد
فعل في تمسك كثير من الاقليات بماداتها
وتقاليدها الثقافية ولغاتها ، مما يشكّل أساسا
وسجنا لدعاة الانفصال ، في مختلف الأقاليم .

ولكن هل يعني تعدد اللغات أن سكان الهند
ينتمون إلى قوميات متعددة وأنهم يشكلون أجناسا
واسما ، وليس أمة واحدة ؟

ذلك هو ما يتبادر لأول وهلة للملاحظ الاجتماعي
الذي يلاحظ أن الحقيقة البغوية تنكس فسواق
كبيرة بين ثقافات الهند . كما تنكس نمو مختلف
أقاليمها التاريخي ، وانقساماتها الدينية
والثقافية ، فإن هذه الاعتبارات كلها تمتثل
بالقوة ، اسميا لقوميات متعددة - غير أن الحركة
الوطنية التحريرية التي قادها غاندي وتليسه
نهر ، من بعده ، قد اتجهت منذ البداية إلى اتخاذ
وحدة الهند السياسية قاعدة لنضالها ضد
الاحتلال المحتل - وكذلك ورثت الهند الحديثة ،
فيما ورثته عن زعيمها العظيم هذا التقليد ،
وعززت هذه الحركة بؤسسات ديمقراطية حقيقية
تسمح لكل أقلية بالتمسك بلغتها وثقافتها
وعقائدها الدينية ، بكل حرية ، بعيدا عن الضغط
والإكراه - وهذه المؤسسات - وتثبت الهندو
بغيرتهم ، هي بدون شك من تناسك الهند
ومصدر نموذها الأدبي والسياسي في العالم
اليوم .

وأولئك المعجبين (خصوصا من الغربيين) الذين
كانوا يتشكلون في عبق شعور الهندو الوطني
ويرون في تضعب الولاء الثقافي والديني والعرق
عقبة في طريق الهند نحو الوحدة القومية ، لم
يلتروا أن اكتشفوا خطأهم حينما راوا هذا
البلد ، في أكثر من مناسبة ، يقف وقفة وجعل

وذلك لاسباب تقنية ، من جهة ، وبسبب قيام نزاعات خطيرة بين الاقليات الاثنوغرافية تستنكر الصورة التي نالتها اللغة الهندية . وهكذا استمر الحال على ما كان عليه .

ولكن مشكلة اللغات الاقليمية ، بدأت تتخذ ابعادا جديدة وتصبح موضوعا لمناقشات ، بل ولمراك حطير منذ اوائل العهد الخامس . حينما اتضح للبيان ان تقسيم الاستعمار البريطاني للولايات ذلك التقسيم الذي اعتمد دستور 1950 ، على اساس اثنوغرافية ، كان يقوم على التحكم والقوة اكثر مما يستجيب لحقائق ثقافية وجغرافية .

وقد بدأت حركة التحرر والثورة على هذا الوضع في الجنوب ، حينما طالبت الاقلية الناطقة باللغة التيلوگوية الانفصال عن دولة مدراس التي تتحدث اقلية السكان فيها باللغة التامولية . كما سبق ان اشرنا الى ذلك = وبعد عراك استغرق عدة اشهر ، اضطر شيرى نهرو الى تكوين دولة جديدة وهي دولة اندورا برادش في سنة 1953 .

وهذه البادرة قد شجعت اقاليم اخرى وراح كثير منها ياضل من اجل الاعتراف بلغتها . وكذلك تقترح إعادة النظر بصمة شاملة في مشكلة اللغات في سنة 1956 ، حينما وضعت خريطة ادلوية جديدة للمند على اساس اللغات الاقليمية الكبيرة .

وعلى غرار ما حدث في الجزائر حينما بسطت فرنسا سيطرتها السياسية والثقافية على هذه البلاد ، وتأثرت اللغة الفرنسية بالمحيط المغربي فامتزجت تماهيا واكتسبت لهجتها وثقافتها خاصة . فان اللغة الانجليزية قد تكيفت هي الاخرى ، واستأصحت من احتكاكها بالثقافة والمجتمع الهندي حتى ظهرت لغة تعرف بـ « الانجليزية الهندية » . ولكن اللغة الانجليزية اذا كانت لا تزال تحتل مركزا قويا في شبه القارة الهندية ، فهي كانت ولا تزال ، لغة النخبة المثقفة ، ولا تنس الا طبقة ضحلة من الشعب الهندي .

* * *

ينص دستور سنة 1950 على نظام متعدد اللغات في الهند ، بحيث يعترف بلغات القومية الرئيسية بوضع في المدارس والمحاكم والادارة . وقد منحه الدستور للمدليات التي تشكل الاتحاد الحق في أن تعتمد اللغة التي تختارها كل منها . وهذا الدستور ، لا يصف أية لغة باللغة القومية ، ولكن الأربع عشرة لغة الاقليمية (التي اضميقت اليها اللغة المندية في سنة 1966) وضعت في قائمة المقت بالدستور . ولكن الحكومة أعلنت ان اللغة الهندية هي « اللغة الرسمية للاتحاد » . وقد كان من المقرر أن تحمل هذه اللغة سجل اللغة الانجليزية في الادارة والاعمال ، في منتصف العقد الماضي .

ولكنه سرعان ما اتضح ان التخل عن اللغة الانجليزية على المستوى المبدائي ، أمر مستحيل

الوضع اللغوي في الهند

فإن المنتظر أن تستمر على وضعها الحالي ، بوصفها أراضى وقتنا طويلا نسبيا .

وهذه الوحدات الاقليمية الثلاثين ، تقوم كل منها ، ميدانياً ، على أساس لغة واحدة ، ومطابقاً ، يقوم أيضاً على عصر واحد أو مشعبه . وإذا استثنينا الآردو ، لغة المسلمين الهند وستانيين ، والسندية التي هي لغة اللابيين من باكستان والسنسكريتية ، فإن اللغات الخمس عشرة الواردة في الدستور أصبحت لكل منها الآن دولة تعتبرها لغتها الإقليمية .

وأما الأقليات الانثوغرافية الصغيرة ، فإن وجودها اللغوي يعمد بطريقه تختلف قوة وصفاً في هذا الإطار الدستوري . بين أقلية وأخرى . فإن بعضها مثل جو GOA والجماعات النبتية البورمية ، قد أعترف لها بأوضاع خاصة منذ الآن ، ولكن بعض الأقليات المنسية ، تقوم الآن بحركات وتطالب بالاعتراف لها بأوضاع الدولات . وهذه هي حالة بعض قبائل الجنوب ، مثل ميثيلا وجهاركند .

والمشكلة الأخرى التي يواجهها الاتحاد الهندي ، هي وجود أقليات متراسة تشيطة في بعض الولايات تبسجها روابط الفلسفة والعصر بسكان ولاية مجاورة . وكذلك ظهرت توترات حطرية في دولات متجانسة من الناحية المنصرفة في الطاهر ولكنها تهدد بالانتجار بسبب اختلاف اللغات . وهذا التوتر يتخذ اشكالا مختلفة . مثل الاضرابات وحركات المقاطعة والمظاهرات الخ .

وفي إطار هذه الحركة ، انشئت ثلاث دولات آخر ، وهي كيرالا ، وتاميل - نادر (دولة مدراس سابقا) وكرناتكة (ميسور سابقا) .

وعلى الرغم من أن الهند قد استطاعت المحافظة على التنظيم الجديد في مجموعته ، فإن عمداً من الحركات المحلية تمكنت من ادخال تعديلات عليه والحصول على ترضيات اللغات التي تنطق بها . وكذلك اختتمت الدولات ذات اللغات المزوجة ، مثل بومباي ، التي انقسمت في سنة 1960 الى مهاراشترا وغوجرات ، كما انفصلت دويسلة السجبا في سنة 1966 ، عن هاريان الناطقة باللغة الهندية .

وفي هذه الفترة أيضاً ، تكونت الأراضي الجبلية في الشمال الشرقي ومنحت استقلالاً ادوياً ولغوياً : نجالند في سنة 1966 ، وميزورام ، وميجالاي ، وأرومبال برادش في سنة 1972 - والجدير بالذكر أن الولاياتين الأولى قد انشقتا اثر قيام ثورة مسلحة ، بينما قامت الولاية الثالثة بحجب نزاع حاد ومضادات في البرلمان الفيدرالي .

وكذلك أصبح الاتحاد الآن يتكون من 21 دولة وتسعة أراضى تتمتع بالاستقلال الإداري . وهذه الأراضي سائرة في طريقها لأن تصبح هي الأخرى دولات ، وذلك فيما عدا شاندنيجارا التي ينتظر أن تندمج في البنجاب . ودلهي الجديدة التي تمنع بوضع خاص ، هي واراخيما ، بوصفها عاصمة للاتحاد الفيدرالي . وفيما يتعلق بجزر المحيط الهندي ، مثل أندمان ، ونيكوبار ، واللاكديف ،

مها بشخصيتها - جزءاً لا يتجزأ من الاقتصاد الهندي ، وكذلك فقدت حجج الانفصاليين - خصوصاً ، من المناطق بلغة التاميلية ، والسينغ والاباجا ، واليرو - كثيراً من جدتها بفضل النظام البرلماني الذي يضمن حرية الرأي والتعبير عنه ، في الوقت الذي يسمح للزعماء المحليين بممارسة السلطة وربط أطراف الحوار في نطاق حزب المؤتمر .

والزعة الانفصالية القوية الوحيدة في الهند ، هي التي يتحضر بها كشمير منذ سنين عديدة . والحق أن الهند قد خربت مثالا نادرا في العالم في التماسك والتضامن القومي و « الوحدة في التنوع » ، كما تقول الصيغة اليونانية القديمة .

والإرادة السياسية ، هي - بسدود شك - العامل الأساسي في هذا النجاح - ولكن سعة الصدر وتقبل « الأجنبي » بدون حرج والتنازل والتسامح ، وغير ذلك من الفضائل التي عاش من أجلها ومات من أجلها عاندي ، كانت عوامل أساسية فيما حققته الهند ستكون قاعدة أدبية متينة لما مستحقه في المستقبل من التقدم الثقافي والاجتماعي .

ويعتبره البعض دليلاً على ضعف السلطات المركزية التي تحرص عادة على ترك الحرية للسلطات المحلية لمعالجة شؤونها الداخلية ، ولكن الواقع أن السلطات الفيدرالية تنتظر إلى مشكلة اللغة باعتبارها من العوامل المفرقة بين لا تقل قلقاً عن نظرتها إلى مشكلة الطوائف والمثلي التي ارتكبت أن تدفعت بالبلد أكثر من مرة في تاريخها إلى حافة الهاوية .

ومع ذلك ، فإن المعقب ، لا يسمعه إلا أن يقف موقف الإعجاب للروح المدنية العالية التي تسود بين مختلف فئات الشعب الهندي . فإن تماسك هذا البلد خلال ربع قرن من الاستقلال يدل على أن النظام الديمقراطي البرلماني الذي اختاره ، قد نجح لا في الإبقاء على وحدة الأمة الهندية فقط. بل وأيضاً في تجنيد الطاقات الخلاقة للانطلاق في طريق التنمية الاقتصادية والاجتماعية نحو مستقبل أفضل .

فإن الهند قد غلبت الآن على العناصر التي كانت تهددها منذ سنة 1947 بالتفتت ، بل وزيادة على ذلك ، فقد ضمت إليها الأراضي التي كانت تشكل الممتلكات الفرنسية والممتلكات البرتغالية سابقاً ، وأصبحت - مع احتفاظ كل

من الاوشيف:

وفتاًماً .. لك ألف سلام ..

تسأزل ملح الاره في نعي الحباس البالسغ
الذي ميز الانتخابات الاشارة .. طهرت اجايته عل
اسحياه .. كأنها موطن يطلب مشروباً .. باللفة
العربية ! .. في احدى مقاهى العاصمة !

لو طرحت فكرة القيام بشوة مسلحة قتل
الصخرة في نوفمبر 1954 .. أى نسبة من جواهر
شعبنا ستقبل ان تعارب .. بالقوى والحسني
ويقايأ الحرب العالمية .. تعارب جيوش دولة
كبرى يدعمها الحلف الاطلسي ؟

م * ديف

هذا المقال كتبه م دين في مجلة الجليس وسمر في كتب : الطمعات التي ضم مجموعة من الانبياعات صيحت
بهاارة ودقة ، تفسر في هذا الممد احدى عدم الانبياعات لملانها الصنية برسوعنا رغم الفاصل الزمني

لقد قرّست الفرنسية لأنها جعلت **لغة للحياة اليومية** ، و**شرطا للوظيفة الحكومية** .. من الجارّد شميّط إلى طبيب المستشفى أو قاضي المحكمة .. ولن يكن بأي حال من الأحوال أن تعود العربية إلى مكانها الطبيعي إلا إذا أصبحت .. لغة للخبز وشرطا للحصول عليه .

* * *

شعارات .. شعارات .. مجرد شعارات .. ان أعداء التعريب يزعمون شعاراته ليحجروا بنا بعد ذلك متاهات الحطوات المدروسة والتدريج والبعد عن المفكرات .. حتى نسي الهدف الرئيسي

* * *

واعطيك مائة سق عزيزي الفارسي .. لو صرحت في وجهي .. لو طالبتني بأكثر من مجرد العناوين ولكنني أطلب منك ان تكون معي في كل خطوة فالطريق طويل .. وطوله يزداد ان عز الرفيق .. الخطوة الاولى لتحقيق التعريب هي **اعتباره قضية وطنية تناقش وتحل على مستوى الوطن كله** والداية المتعلقة تفرس **تكوين لجنة عليا حسن المنقّلين الثوريين** - وبدون مراعاة لسمعة الازدواج اللغوي - تتولى عمل الطليعة الثورية .

ولا يملك تكوين هذه اللجنة الا **أعلى مستويات الدولة** .. فالحمة تخلق هذه اللجنة وتبذل منها ابننا شرعيا لها فيه قرابة المادى واخوة النضال، وبهذا تكون اللجنة العليا للتعريب **فوق مستوى** أي ادارة حكومية ، وبهذا أيضا يتكامل لها عنصر النرد وامكانيات التنفيذ .

والاجابة هي نفسها مفتاح الحل في قضية التعريب ، وهي شرح للتناقض السطحي بين ما قلته في العدد الماضي من ان التعريب ضرورة قومية والتزام ثوري وبين ما رددته عثمان من ان التعريب .. مطلب شعبي وقومي ..

التعريب خطوة ثورية تبدل وجه التاريخ في هذه البلاد، والثورة لا تخضع للمظاهر الديمقراطية الكلاسيكية لأنها **وهي تتحرك طليعة ثورية** تؤمن بهدف سام ولا يفت في عضدها نقص امكانيات أو ضعف وسائل .

معنى هذا بكل بساطة .. بكل تجرد .. وبكل صراحة **ان التعريب ثورة .. والثورة تفرض ولا تستجلى** .

الثورة التزام عميري لطليلة مؤمنة تطرق باب التاريخ ، تحطه .. لتتبعها الجماهير .. ولتعيد باقدامها .. باجسادها .. طريق الخلود .

ولكن .. كيف ؟

* * *

هنا اسمح لنفسي بوضع الامام العامة .. ولن يكون لي فيما أقول فضل المخترع أو المكتشف .. فضل ان اتحدث عن التعريب .. وقيل ان يفرقنا الاخ التركي بقالاته ، والجباليل ببحرته ، ويشنون بحفاته ، وعثمان بحفاته .. سوى الاستثمار نفسه رسم الطريق .. الطريق المنطقي المحقول .

وختها لك الف سلام

في الجامعات ، وصنى هذا الا يكون تدريسا في
متم المرحلة تدريسا للغة اضافية يترك للطلاب
فيه الخيار بين أداء الامتحان وعدم أدائه (وهذا
يتطور بطريقة الحال بعد انتهاء مرحلة الست
سنوات الاولى ليصبح تدريبا كاملا للمرحلة
الثانوية) *

وفي هذه الفترة بالذات - تمثل اللغة العربية
(كلفة) الى الجامعة وتؤدي فيها الامتحانات
السبوتية - مثلها مثل أى مادة علمية - - تسم
تدرس بها بعض المواد كالمطالبي الشرعي في كلية
الطب والرياضيات في كلية العلوم والقانون
المدني في كلية الحقوق (٢) ويستمر زحف
التعريب في الجامعة الى ان يصل الى أقصى مدى
ممكن بعد ثلاثة عشر عاما *

« ف » - يصرخ وحل منطلق التفكير !
انه - لركة قلبه - يخاف على قلوبنا سرعة
السير ! وجل يزعم انه يريد لنا الخير !

* * *

« ق »

« ومن اين تأتي بدوسى العربية ونحن لمانى
عجزا قاضيا نهم » ؟
واعترض اخينا المنطقى *** مسلكه وخباع
وتضليله فتحن لمانى الحزن في مدرسى الفرنسية
اكثر مما تغنيها في مدرسى العربية وتسبب بسبب
- - لاننا لا نجعل من محاولة استيراد عشمرة
مدرسين لفرنسية مقابل كل مدرسو عربى تحتاج
اليه *

٢٠ في عام ١٩٧٥ كان قد تم تعريب السنوات الاولى وحلقت معها اللغة الاجنبية .

وتتولى هذه اللجنة بتوجيهات اللغة ، ووحى
الضرورة القومية الملحة وضع الخطة الكاملة لتحقيق
التعريب بحيث يسير تنفيذه في ثلاثة خطوط
متوازية *

- (١) تعريب التعليم
- (٢) تعريب الادارة
- (٣) تعريب الاعلام

وتوضح خطة السنوات الست (وهي مدة
المرحلة الابتدائية) لتحقيق التعريب على مستوى
الوطن كله - - وأقول ستسنوات وهي مدة كافية
لتعريب فرنسا وفرنسة بريطانيا عند الذين
يؤمنون بهدف وضعت امامهم امكانيات تحقيقه *

* * *

بالنسبة لتعريب التعليم (وبدون أن نغرق
نعمى في التفاصيل الدقيقة التى يملك وصفها
رجال التربية - - المؤمنون بهذا البلد - - بإشغيه
ومستقبله - - أقول) يجب أن يتركز العمل فى
ثلاث جهات *

الاولى : تعريب المرحلة الابتدائية (٢) تعريبا
كاعلا دون ارهاق للبراعم الصفيرة بمقتاعب
الازدواج اللغوى ودون خبطهم بين الكتابة من
اليمين الى اليسار ومن اليسار الى اليمين - ومعنى
هذا أن تلتفى سخافة التدريس بالترقية فى السنة
الاولى وبالفرنسية فى السنة الثانية *

الثانية : ادخال العربية كسادة اساسية فى
الدراسة الثانوية ومرفضا كشرط رئيسى للقبول
٢١ فى عام ١٩٧٥ كان قد تم تعريب السنوات الاولى وحلقت معها اللغة الاجنبية .
٢٢ فى العام اقبل لبدء السطور انشئت كلية الحقوق بالعربية .

يستطيعون أعدادها تشغلهم مسؤوليات الحياة اليومية ، وعدم إمكان التفرغ للتأليف .

وعلى هذا فليست أرى أى مانع شرعى يحول بيننا وبين استعمال نفس الكتب المستعملة فى الشرق العربى . فنحن وإياهم نؤمن بأن الأرض كروية ، وبأن الشمس شرقى من الشرق ، وأن الطاقة تساوى حاصل ضرب الكتلة فى مربع سرعة الضوء . وأن أمريكا الشمالية توجد فى الشمال بينما تمر أستراليا على أن تبقى فى الجنوب . . . وأن الفاعل مرفوع بالصمة . . . وأن كان ترغيع المبتدأ وتنصب الخبر .

ويمكننا - أراضا لوطنية أحيانا ذى المطلق السليم والعقل الراجح !! - إجراء بعض التعديلات التى تلائم مزاجنا . . . مثلا ٠٠ ؟ تنفى جملة « ضرب زيد عمرا » ، «ثالثة وتستبدل بجملة « ضرب مفران قلوبا » . . . ويمكننا أن نستبدل أهازيج الأطفال باغنية الحمام إلى ربيته !! الخ . . . إذن . . . فالخذ الأول لتعريب الدولة هو التعليم وهذا الخط يضمن تحقيق التعريب على المدى البعيد ولكن معاليه لن تتم إلا إذا صار معه رفى موارده خط تعريب الجهاز الإدارى للدولة .

ذلك فى حد ذاته أقوى حافز لتسليم الطالب فى المدرسة بلغة العربية ، وأكثر الدوافع فعالية لدفعه إلى تدعيم مدرسته - بوسائله الفردية - فيها .

وتعريب الجهاز الإدارى للدولة (وإيضاً . . . بدون أن نعرق فى التفاصيل) يجب أن يخصص فى اتجاهين :

ويراجع أخونا المنطقي ولكنه يستدرك محاولا الدخول عن طريق النافذة .

يقول « اننى اعنى بالذات مدرسى المراحل العليا الذين يشترط فيهم اعداد بيداغوجى خاص وخبرات قد يكون من الصير الحصول عليها »

ولن اقبله بالطبع الى عشرات الاسماء لجملة الشهادات العربية العليا ، الذى يمارس الكثير منهم - تنديدا لخطبة التشتيت - أعمالا تبعد عن اختصاصه . . . ولكنى أكتفى بالقول بأن هذا الاعتراض هو نفسه الجبهة الثالثة للتعريب التعليم .

ذلك ان خلق اربعة معاهد عليا يجب أن يكون ضمن برنامج خطة الست سنوات وهكذا يمكن اعداد مجموعة ضخمة - من الخريجين مثلا - لمثل فى المراحل الدرامية العليا . ولا يمكن الاحتياج بكثره التكاليف فالأهمية الصالحة موجودة فى كامل التراث الوطنى .

ولست أحب ان اعوص أكثر من هذا فى شؤون التربية والتعليم غير اسى قبل ان أغلق باب الحديث فى هذا الميدان أحب أن أقف لحظات أمام المشكلة المعتملة عن عدم وجود « الكتاب المدرسى »

وأنا على استعداد - رغم ما فى هذا من إجحاف وظلم - لتسليم بأننا لم نصل بعد الى المستوى الذى نستطيع معه خلق الكتب الدراميسية بالبرية . . . على الأقل . . . لأن الذين قسم

بالتزاماته .. إن يعود كل منهم إلى مقعد
النواصة .. أي أهانة لهم !! »

والإجابة يعرفها من يزعم التفكير المنطقي !
فإن الكثير ممن يحتويهم السؤال يعرفون العربية
.. ولعل بعضهم يعرف منها أكثر مما أعرف ..
بل إن مسؤولا كبيرا يعرف معنى عجلة التاريخ
قد اتخذ لنفسه مملا خاصا بالعربية خلال
العام الماضي وحصل على نتائج رائعة .

ومع ذلك .. يمكن على المستويات العليا تعيين
مترجمين فائزين ولن تزيد حاجتنا منهم في طول
البلاط وعرضها على خبسين مترجما .. وهو عدد
يوجد بصفه حتمية في أي بلد له مثل علاقاتنا
الخارجية .

تقيت تفاصيل لا يد من الحديث عنها لاستكمال
تدريب الجهاز الإداري .. مدونة الادارة مثلا ..
الفترات التدريبية للموظفين .. وأنا على عجلة من
أمرى .. لا املك مناقشتها وأفضل تركها -
بدلا من التحديق في الصعوبات - لمن يملك رسم
برنامج معصل لها ..

لقد تحدثت عن خط التدريب الأول وهو التعليم
وعن حله الثاني وهو الادارة وبقي أن أتحدث عن
أخطر حله الخطوط كلها .. الخط الذي يسير موازيا
لرؤيتي وإن دعت الحاجة الملحة إلى أن يسبقهما ..
هو خط تدريب الاعلام .

في ميدان الاعلام تطرح بوضوح الفكرة الواصفة
التي تشمل الوطن الجغرافي كله ، ولا تحفظها
اصوله الواجبات الزحاجة المتمثلة في العاصمة
والمدن الكبرى ،

الأول : تدريب الوثائق والمطبوعات الحكومية
من تذكرة النورثي إلى قرارات الضرائب وطلبات
التصين في الوظائف - وهذه العملية لو أسندت
للاكفاء لما زادت مدتها عن ستة اشهر - وهذا
في حد ذاته لا يفتي ضرورة استخدام الفرنسية مع
العربية في الإدارات ذات الصلة المباشرة بالإجانب
(كالضرائب ومصالحة جوازات السفر .. إلخ)

الاتجاه الثاني : لتدريب الجهاز الإداري بحيث
أن يتمكن في وضع معرفة اللغة العربية كشرط
أساسي لترقية الموظف (وليكن هذا بعد عاصي
من صدور القرار) ثم كمسوخ للتعيين في الوظيفة
الحكومية (ويمكن هذا بعد ستة سنوات من صدور
القرار) (2) .

وهنا تبدو أهمية المعاهد التي سبقت الإشارة
إليها بجانب المعاهد الخاصة (المعبر ندبة للدولة)
فهذه المعاهد بتخصيصها ساعات معينة في المساء
لدراسة اللغة تستطيع منح الامية العربية
بين الموظفين في فترة لن تزيد على ثلاث سنوات ..
ذلك أما أن تكون في حاجة إلى طه حسين أو محمد
الحداد لكي يملأ خانات يوعية في سجل الموايد
أو ليصدر مثاقفة لواطن تبرا ومتى على الخطوط
الصفراء أو لتسجيل استهلاك الغاز والكهرباء
في بيت أو مؤسسة .

وبنفس سؤال صرح ..

أعرف بالصبيط من الذي فجر ..

« انطلب من القاضي في شيخوخته .. حسن
الاستاذ الجامعي يوفده من المسؤول الكبير

(انظر قرار رئيسي مستعد اجتماعا عام 1971 .

بدخول بلادنا على أن تعطى الأولوية للكتب العربية (مع إعفائها من الضرائب أو تخفيض الضرائب عليها) .

وبهذه وأنا أتحدث عن الصحافة الأجنبية أو أشرح نقطة يفتلها شباب الادعاء ، فالفرنسي الذي يصور على قراءة **لوموند** دون **الفجارو** أو **لومانيتي** كالانجليزى الذى لا يقرأ الا **التيبس** . هي اتجاهات يفرضها واقع الحياة الحزبية فى كل منها ، وهو أمر لا يهتأ من قريب أو بعيد إذ أن معظم الصحف الأجنبية تكاد تنفق على اتجاه واحد فيما يتعلق بسياساتها ، ولهذا فإن تعدد الصحف الأجنبية التى تدخل الى بلادنا - والفرنسية منها بوجه خاص - لن يؤدي الا الى ربطنا باتجاهات ليس من مصلحتنا على الإطلاق أن نهتم بها .

وهذا لا يعنى إطلاقاً منع الصحف الفرنسية من الدخول ولكن تنظيم عملية دخولها بحسب أن ينضم لتخطيط دقيق وبحيث لا تتخذ صيغة الفسوق الثقافي على حساب الصحافة الوطنية (وهو ما تحدث عنه بوقاعة المدعو أيف كيوي فى حديثه الذى نشر فى الفجارو وبدأ فيه كمن يكتب عن الجزائر من خلال الواجهة الزجاجة لسيارة د . أس . 24) .

« وهنا أيضاً يجب أن لا ننظر بجديرة الى من يقول بأن الفكرة لا تعطلها الا فكرة أخرى أقوى منها » ولا مانع من أن تسمح بدخول كل شيء ما دام إيماننا قويا وعقيدتنا راسخة ! ! الخ » .

هذه البلاد هي ملك للفلاح الذى يملأ السراء ، لا غيباء هي ملك للعامل الذى يتكلم العربية لأنه لا يعرف غيرها وهي ملك للثقف الثورى الذى يؤمن بأن العزة القومية تتمثل أولا وقبل كل شيء « فى التمسك باللغة القومية » .

والاعلام « نذلج تكاليمه أنا وانت » . ومن حقنا عليه أن يقدم لنا ما نحن فى حاجة اليه . أما أن يكون مقصوراً على فئة ضيقة من سكان هذا البلد فهو ما يؤكد فشله .

ولعل المناسبة الأولى التى أثبتت فيها أجهزة الاعلام قسالتها « . . . » . وهي مناسبة الانتخابات البلدية « . . . » حيث كانت دليلاً يكاد يفتأ أعين الذين ما زالوا يؤمنون بأنه يمكن الحديث مع الشعب والتحدث اليه « . . . » بغير العربية .

وإذا « فلا بد من تعريب جهاز الاعلام بأسرع ما يمكن لأنه « . . . » الصلة الأولى بين الشعب وقيادته ويجب أن تكون تجربته الماضية تجربة توضح محل الدراسة وعلى الطبيعة لا داخل « أكباد » المكاتب » .

— فعلى مستوى الصحافة : يجب أن يوقف نهائياً هذا الطوفان من المجلات الأوروبية وعلى الاخص قصص الأطفال ومغامرات زورو وجيمس بوند والنمى تتسلل الى بلادنا وأى وؤوس شبابنا وملايس فتياتنا (2) .

وعلى هذا فاللجنة المختصة بالاعلام والمتفرعة من اللجنة العليا للتعريب تتولى وضع قائمة باسماء الكتب والمجلات الأجنبية التى يسمح لها (1) طبق القرار الذى سبق به على عدد كبير من المجلات الفرنسية .

حله - - ومع كل الارهاق الذي أشعر به تطوف
بذهني كلثت قالها ميكافيل :

« وإذا قدر لامكانياتي المتواضعة وتجساري
بمحدودة أن تجعل من جهودي غير كاملة فإن
هذه الجهود على كل حال سنمنح السبيل أمام
انسان آخر بإمكانيات أضخم لتحقيق ما عجزت
أنا عن الوصول إليه » *

ومعبرة عزيزي القاريء * * وختاما * * لك
ألف سلام *

من اختصاصها بحائب المراتبة * * المبادرة
بحملات محر الأمية على المستوى المحلي * * فسي
مزارع التسيير الذاتي وفي التجمعات الشعبية
وفي الطائرات المنظمة الوطنية *

* * *

وعند ما ألقى نظرة أخيرة على ما كتبت * *
أشعر بالضييق * * أشعر بانني لم أرف الموضوع



تحذير المسلمين من بدعت استخدام الحروف اللاتينية بدل العربية

القاهرة : عقد مجلس البحوث الإسلامية بالأزهر اجتماعاً برئاسة فضيلة الدكتور
- عبد الحليم محمود شيخ الأزهر بحث خلاله موضوع البدعة الاستعمارية
المدنية إلى استعمال الحروف العربية باللاتينية وأصدر بعد الاجتماع كتاباً
إلى جميع المسلمين في العالم حثهم فيه على تعلم اللغة العربية وذكرهم بأن
قيام الدين الإسلامي موكل على العلم بلغة كتابه لنزل - وسنة نبيه الرمل
سواء في ذلك هدايته الروحية ورباطته الاجتماعية وحلوا الجمع من البعثة
الاستعمارية وهي «علا الحروف اللاتينية لكتابة بعض اللغات التي يتحدثون

بها» كما يقول في أسيا وأفريقيا .
وقد حاول أعداء الإسلام ممن لديهم الترويج لهذه البدعة لاحتلالها
عمل الحروف العربية في اللغة العربية
ولكنهم انقلبوا في ذلك انقلاباً تاماً
والحروف اللاتينية مما أثبت علمياً
كافرة في تصوير الأصوات اللغوية
بغير اللغة التي نشأت لها .. ونهت
الجميع المسلمين أن لا يعرفهم بالحروف
العربية والله لها في قوائم القومية
يديم صلتهم بالتراث الإسلامي الذي
كتب بالعربية على مدى أربعة عشر
قرناً في جميع الأنظار الإسلامية
من شرق إلى غرب أفريقيا ..



مقابله

دور معهد اللسانيات في التعريب

• أمنيته أن يطلق اسم الخليل بن أحمد
على المعهد

اجريتنا هذا الحديث مع الاستاذ عبد الرحمن
الحاج صالح ، استاذ اللسانيات وعلم اللسان
العربي في الجامعة ، ومدير معهد العلوم
اللسانية والصوتية .

وقد رأينا أن نتصل بالاستاذ صالح لا لكونه
مديرا لهذا المعهد فقط ، بل لأنه زيادة على ذلك
متخصص في اللسانيات العامة ومنطق الرياضيات
المطبق على البحث اللغوي بصفة خاصة .



عبد الرحمان حاج صالح

أولية تبني عليها هذا التخطيط ، وما هنا لا مخلص من أن يتدخل البحث العلمي لا كتفكير وتامل ، بل كعمل اكتشافي ، تطلي يرمى إلى توضيح الأرخساع وبيان أسبابها من الناحية النظرية ، وضبط الوسائل التي يحتاج إليها الإدرايون والمخطرون ، ثم ضبط الوسائل البنيقة لإجراء عملية التعريب ، فالبحث العلمي اللغوي يكون دوره إذن في التعريب على الشكل الذي أحفه لكم في النشاطات التي يقيم بها هذا المعهد مع الأستاذ الحاج صالح ، مدير معهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لجامعة الجزائر *

دور المعهد في التعريب :

هذا المعهد له وجود من سنوات قليلة أنشئ رسميا في سنة ١٩٦٦ وخرج إلى الوجود المصموم منذ ١٩٦٩ فقط * وبما أنه مؤسسة اشئت مقل للبحث العلمي لا للتكوين ولا للتعليم فهو مركز على دراسة اللسان البشري يصفه عامسة كظاهرة يمكن تلخيصها بكيفية موضوعية وعلمية لأن هناك ظواهر عامة الوجود ينبغي أن تدرس على نفس الكيفية التي يجريها الباحثون في ميادين أخرى مثل طواهر الفيزياء والكيمياء والفلك وغيرها ، أي أننا نعتصد في ذلك على مشاهدة السلوك اللغوي ، تجمع ونستقرى ونحلل هذه المجموعات والوحدات من الظواهر والأحداث اللغوية تحليلا علميا مقيقا مادة وصورة نسيطر عليها مقاييس استدلالية عقلية ، وهذه المقاييس هي مقاييس العلم بعمته الكامل ، هذا العلم الذي يعيشه الجيل الجديد وهو لا يستند على المنطق الانسطي القديم بل على المنطق الذي بنيت عليه الرياضيات الحديثة فيما أن اللغة

ويقول الأستاذ الحاج صالح : أنه منذ أكثر من ١٢ سنة وهو يبعث في موضوع على غاية من الأهمية وهو ماهية الأبحاث اللغوية التي قام بها النحاة العرب في نفعهم الأولى * (أبو عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد وميمويه وأصحابه) لأنه اكتشف مقامهم عديده منذ هؤلاء ما إنتهى إليها الغربيون إلا في العصر الحاضر وربما يكون البعض منها لم ينته بعد إليها تماما ، فإراد أن يستخرج هذه المفاهيم التي لم يتفطن إليها أكثر المتفنيين ، لأنها لا توجد إلا في الكتب القديمة أو لأن المقارنة بينها وبين غيرها من المفاهيم الحديثة غير متممة *

ويقول في آخر حديثه : وأملتني هي أن يجعل هذا المعهد اسم أعظم رجل يفتخر به المغرب جميعا ، وهو الخليل بن أحمد انطراهدى الذي لا يعرف فصله إلا من أطال النظر فيما أننحه هذا الرجل العبقري وتمكن في نفس الوقت أن يقارن بين ما قاله وأثبته وبين ما أثبتته العلم الحديث *

أما فيما يتعلق بالتعريب :

فيقول الأستاذ الحاج صالح : التعريب من حيث هو مبدأ مل نعيش فيه لأنه أصل وليس فرعاً * ولذلك فإلسؤال الذي ينبغي أن يطرح هو : كيف تتم عملية التعريب ؟ وكيف تطبق هذا الأصل ؟

إننا نعتقد أن هذه العملية هي مثل جميع العمليات الثورية التي تقدم بها أسئلة ، مثل الثورة الصناعية والثورة الزراعية : لا فرق بين عملية التسميع وعمية التعريب فلا يد لكلا العاملين من تخطيط ، يشمل الإمكانات المادية والاطارات الكلفة - هذا من ناحية ولا يد قبل التخطيط من الحصول على عناصر ومعلومات

عامة هي الهدف الاخطر الذي جعله معهدنا نصب عينيه فأكثر البرامج التي تتعلق بالبحث اللغوي تخص هذه المشاكل ، وبما أن العلم الحديث ميال الى النظر في اشياء من جميع وجوهه والاعتداد بجميع ما يكتشفه العلماء في مختلف الجيادين اذ كانت ترتبط وتتداخل من حيث لا يشعر (فالعلم الحديث ميال اذا الى الشمولية وعدم الانحصار على جانب واحد) اردنا امتثالاً لهذه النزعة المتكيفة الفاتدة ان يجتمع في معهدنا عدد من الباحثين المختلفين الاهتمامات والاختصاصات لاثنا نرى ان هذا التداخل وهذا التشابك والتضامن من عمل البحث شسرت ضروري لتربيته - هذا مماذا حسنا ان نكن قد قمنا به حتى الآن ثم ما هي الاهداف التي لم نحققها بعد ؟

بناء على ما سبق ، فان هناك عدة مبادئ تهم البحث العلمي في اللغة العربية - نبينا مثلاً بالبحث عن الرصيد اللغوي وتضمنيه اسعد الامني والاقصى (في نفس الوقت) من المفردات ، (ثم من التراكيب) التي يجب ان يحصل عليها التلميذ في مستوى من المستويات وان لا يتجاوز هذا العدد في اثناء تعلمه لها والا يلقه نوره لان هناك مقاييس وحواجز تقللنا على ان كمية الاشياء الملقنة ينبغي ان لا تتجاوز حدا معلوما يستخرج بالتجربة * واحد مشاكل التعليم بانسية للغة العربية خاصة هو ان المادة الملقنة للاطفال وحتى للكبار والاميين مثلاً ليس لها حد انسي ولا حد اقصى معرفيين معينين تسم ليست هذه المادة في ذاتها مضطحة على الاطلاق وزد على ذلك ان مضمون هذا الغيرة المنلق يتصف بعيب كبير جداً هو اولا : كثرة الترادفات (خذ مثلاً بالنسبة الى مفهوم واحد : فرس ، جواد ، حصان

هي ظاهرة عظيمة الشأن لانه لا يمكن ان يوجد الانسان بدون لغة فهي صفة الانسان الذاتية لا تفارقه وذا غارته خرج من انسانيته العنابية الى البلاسة او الحيوانية البجعة وبما ان هذا المعهد يهتم بكل الظواهر اللغوية كان من المحتم علينا ان نعرض لجميع جوانب ابحت في اللسان البشري والواقع ان له جوانب عديدة جداً : الجانب الفيزيولوجي والجانب الفيزيائي والجانب الفلسفي ، والاجتماعي وغير ذلك مما له علاقة مباشرة اي غير مباشرة بظاهرة اللسان - وكس نعرف جمهور المثقفين محتوي هذا البحث ضرهنا في تحرير مفصل الى علم اللسان الحديث في مجلة اللسانيات حتى يعرف غرضنا والاهداف التي نرسى اليها ونرجو ان يكون الباحثون قد اطلعوا على ما صرح منه الى الآن ومسوف تستمر في المستقبل ان شاء الله رغم الصعوبات الجسمية (التي لا يمكن ان تصور ا) *

والآن نساائل ماذا عسى ان يحققه هذا المعهد في داخل هذا الاطار اي اطار البحث العلمي في الظواهر اللغوية وفي اهم مشكل عرقته البلدان العربية وهو مشكل شيوع للغة القومية للفصلي وصلاحيتها للتعبير عن جميع ما يخطر بالبال ومواكبتها للزفي العلمي والحضاري ؟

بما ان اللغة العربية هي كسائل اللغات تحتاج الى ان تحور وان تكيف حتى تساير التركيب الحضاري فان البحث الذي يقوم به المعهد من اجل التعريب هو بحث في نفس الوقت نظري وتطبيقي - وسبق لنا ان قلنا في موضع اخر انه مع اهم معتقداتنا ان البحث النظري لا يمكن ان يفصل عن ابحت انطبيقي ، والاجمدا كل واحد منهما ، ويجب ان تشير ان مشاكل اللغة العربية بصفة

لحاجة إليه وتسد مع ذلك الفراغات المفهرمية • وما نحن قد أنهينا هذا العمل منذ سنة وهذا انحصار حاصل بالرجلة الاولى من التعليم الابتدائي ، (وهي الآن تحت التجربة) •

وهناك أرصدة أخرى متهيئة بالنسبة للمراحل الأخرى وأرصدت نفس التراكمات أيضا ، ويسعد المفردات ينبغي أن تشير إلى أن المصطلحات مأخوذة على عاتقه المساهمة الفعالة في حصر وتبسيط المصطلحات العلمية • وقد شارك في أعمال اللجنة ائتمنة للتعبير الناجمة لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي وقدمت هذه اللجنة تخطيطا لخمس سنوات •

وهناك مبادئ أخرى في ميدان آخر سببها بهذا وهو المحاولة التي قمت بها منذ أكثر من سنة في حصر وإحصاء جميع المفردات التي جاءت في الأدب الجاهلي مثلا ، فالذي فريده من وراء ذلك هو أن تضع قوائم للمفردات مرتبة على حروف الهجاء نذل على العدد من المرات التي استعملت في نصوص من النصوص (تواترها) ثم في عصر من العصور ، أو بالنسبة إلى شاعر أو أنيب واحد (أو إلى مؤلف) ونذل أيضا على مراجعها وهذا لا يخص طبعا الأدب الجاهلي فإنه سيتجاوز هذا العصر إلى العصور التالية والقصد من ذلك هو أن تبتين أين ومتى وكما مرة وبأي معنى استعمل اللفظ العربي الغلاني حتى تكون هذه المعلومات مرجعا ضخما (لا مثيل له بالنسبة إلى العربية) ضروريا لكن من يريد وضع المصطلحات أو غير ذلك مما يهم اللغة •

هذا كله يخص اللغة أي المفردات ، ولكننا نهتم أيضا بشيء آخر وهو التراكمات أعني بذلك لتراكمات الأسنادية أي العمل ، لأنه أن كانت

الخ (كذلك الكلمات المشتركة البهمة الملهمة ثم الكلمات الغريبة الرحيمة التي يحتاج المعلم أحيانا إلى البحث عنها في كتب اللغة • هذا كله بالإضافة إلى الفقر العائش من حيث المفاهيم الحديثة ، فربما نجد فيما يتعلمه الطفل من المفاهيم التي يحتاج إليها أشد الاحتياج الشيء القليل جدا فالذي قمت به من هذه الناحية هو أننا بحثنا في الاقطار الثلاثة تونس والجزائر والمغرب عن الواقع اللغوي أي الوضع الذي هو عليه الآن أصالنا ، فأجرينا لذلك تحريات في هذه الاقطار الثلاث وحصلنا على مدونة من المحاورات التلقائية بلغت عشرات الآلاف من الكلمات وذلك في عدد كبير من المدن والقوى وهكذا اضطررنا إلى أن نستعمل الآلة الالكترونية التي نسميها بالرتابة حتى نحصى بكيفية لا تحتل الخطأ كل مفردة وتواترها فالشعر الذي اتضح لنا هو جد مهم • لاحظنا أن ٧٩٠ كلمة يستعملها بالفعل الطفل المغربي هي في نفس الوقت فصيحة حتى في النطق ، ثم رأينا أن ٦٦٦ كلمة مشتركة بين جميع اللهجات ، ولكن التي توضع لنا أكثر هي هذه الكارثة : أن من ٢٠٠٠ كلمة مختلفة استخرجناها من المدونة بالاحصاء لا يخالها إلا ٦٠٠ مفهوم ! فالذي يجب أن ننتبه إليه هو أن المفاهيم النشطة المبر عنها باللغة العربية من التي يقتضيها العصر الحاضر قليلة الوجود في الممارات التلقائية • فالعيب يوجد بالنسبة إلى ما يتعلمه اطفال في نفس الوقت في هذا الحظو اللغوي العائل ، وفي الفقر والعوز المفهومي •

فيما على هذا اتفق مع جماعة من الباحثين التونسيين والمغاربة على أن يحور هذا الرصيد أي أن يتحاشى كل الكلمات المترادفة الا التقليل

الوجوديين الآن في الجزائر يملكون الرضى أي يصلحون الميوس التعبيرية على أساس أن هؤلاء الأطفال يتكلمون بالفرنسية فالحاجة إذن مهيبة إلى تكوين اختصاصيين باللغة العربية لأن التعبير المتقاسم في الأوساط الشعبية هو باللغة العربية وكذلك الكثير من الأوساط المثقفة .

زد على ذلك أن البحث في الطب اللغوي يزهدنا علما فيما يخص اليات اللغة العامة الوجود وتعرف بذلك على الاسباب لأن غشاء التعبير قد يبين سبب صمته لحيانا كثيرة (زوال الشيء قد يدل على ارتباط بين هذا الشيء و شيء آخر) .

نتكلم الآن من جانب آخر وهو يخص ما نسميه بجمهرية اللغة . فمهام المعهد في هذا الميدان هو وضع اطلس لغوي للقطر الجزائري وتعنى بذلك عددا من الخرائط الجغرافية تصور لنا الوضع اللغوي المراهق بالنسبة مثلا إلى الفوسن أو ٣٠٠٠ كلمة وتركيب فكل خريطة تمثل لنا التوزع الجغرافي لكل واحد من هذه المفردات والتركيب وهذا له أهمية عظيمة جدا لأن جهلنا للموضع اللغوي في وقت من الاوقات قد يمنحنا عن إقامة الطرق الناجعة لتعليم اللغة من جهة ثم يمنحنا أيضا من الاستقرار في السمح اللغوي نفسه إذ أننا نريد أن نلم بكل ما هو موجود بل وما كان موجودا من قبل المام علميا تلقيا حتى تتمكن من تخطيط العسل والاصلاح والتحويل وتكون بذلك قد تطلعتنا إلى المستقبل بالاعتقاد على الماهض والماضى .

وتوجد عنينا مخاطر مقبلة تستحق بها لتكوين جماعات من الباحثين الشباب باللغة العربية كأصاا و لغة أجنبية أو لغتين أجنبيتين للاطلاع على ما ينتجه غيرنا .

المفردات كثيرة جدا فإن المركبات تكاد تكون غير متناهية ولذلك يجب أن تضبط بالالات الالكترونية أي الرتابات ونحن الآن نبحث عن أنجع طريقة (رياضية) لخصص المركبات وهذا سيجعلنا في المستقبل القريب على تحليل رياضي يمت لبنية الجملة للمصرية وميفضى بنا هذا البحث في المستقبل الذي عصاه أن يكون بعيدا إلى إمكانية الترجمة الالكترونية من اللغات الأجنبية إلى العربية وبالعكس .

الجانب القسريوى :

كان المشكل الذي حالجناه إلى الآن هو المادة اللغوية الملقنة التي كان يجب أن تحور وأن تكيف ، غير أن كيفية تلفينها لا يقل أهمية ولذلك شرعنا في البحث عن مناهج ناجعة لتعليم اللغة العربية بالاعتماد على المختصين بعلم النفس اللغوى ، والإحصاءات الرياضية ، وغير ذلك مما يتعلق بعلم اللسان القسريوى . ولا يزال هذا الميدان جديدا لأننا أردنا أن نقلب الأوضاع التقليدية ونتمرد من كل ما كان يجب صماغ الباحث إلى يوما هذا من الأفكار المانحة أو الإهمام الراسخة .

وهناك ميدان له علاقة وثيقة جدا بالمأكل القربوية وهو ميدان العلاج الطبي للذين أصيبوا بعلة في التعبير أو ما يسمى بالأمراض اللغوية وأمراض التعبير وكيفية علاجها هو من مهام اللغوى العربى ، وأعضاونا بهذا الجانب من البحث حافزه هو :

أولا : عدم وجود على الاطلاق في الجزائر أي اختصاصى في هذا النوع من الصلاا باللغة العسربية فإن العدد القليل من الاختصاصيين



الأخرى أو الدواليب الأخرى شريطة أن لا يستغل كل واحد منها أعمال الآخر من جانب واحد ، فلا بد من التبادل لأنه أساس التضامن * وعلى هذا الأساس يتحقق الاستقلال الإداري والمالي لأنه ما دامت إدارة المؤسسة ومجلسها قد خططت لأعمالها تخطيطاً دقيقاً جداً وافقت مع الإدارة العليا على جميع ما في هذا التخطيط فإنه لا تجد بعد هذا الاتفاق وقيل موعد مراقبة النتائج أى مبرر للتدخل في نشاط الياحث لأن ذلك مسوف يشغله عن الخطة التي رسمها لنفسه والتي وافق عليها جميع المسؤولين ، فحين المنطلق (وهو الوقت الذي توافق الإدارة العليا على التخطيط) والوقت الذي ينتهي فيه إنجاز هذا التخطيط يجب أن يكون الياحثون ومؤسساتهم أحراراً في داخل إطار التخطيط المذكور *

الا أننا نلاحظ الآن صعوبات كبيرة جداً وهذه الصعوبات راجعة في الغالب إلى سوء تفاهم بين الباحثين والإداريين والماليين * ونتمنى أن شاء الله أن نسير قدماً في هذا النهج الذي سطرناه ولكننا نعتقد أن القسمة القومية لا يمكن أن تكون ناجحة إلا بشرطين :

أن تدمج اندماجاً منطقياً ومادياً في نظام المؤسسات المالية ، أن تتمتع في نفس الوقت باستقلال مالي وإداري يضمن لها الميز السليم ، والانتاج النافع المسموع وكان هذين الشرطين متناقضين وليساً في الواقع متناقضين لأن الاندماج معناه عندنا التوثيق بين الأهداف الجزئية المتخالفة أحياناً وطرق تمصيلها ، وأن يكون كل جزء في المجموعة المنتظمة متضامناً بالاجزاء





دراسة سياسية

أوروبا والعالم العربي

من حرب السويد إلى حرب أكتوبر

لقد كشفت حرب أكتوبر، من عدد من الحقائق ظلت خفية حتى الآن عن الرأي العام، وعن عدد من الحكومات الأوروبية التي كانت تنامي حتى لا تضيق إلى استخلاص النتائج مما تراه، ومن بين الحقائق التي ظهرت نتيجة لاستخدام سلاح التلغف نستطيع أن نذكر طبيعة العلاقات التي تربط الدول الأوروبية بالدولتين الصلاحيين من جهة، وبالدول العربية وإسرائيل، من جهة أخرى. لقد تيقظت الدول الأوروبية لحاجة واصلت تزيّن الاضرار التي لحقت بمصالحها في البحر الأبيض المتوسط وفي العالم العربي، وتترك أهمية الخلافات التي تفصل بينها وبين الولايات المتحدة، في الوقت الذي اكتشفت فيه عجز الجماعة الاقتصادية الأوروبية عن القيام بدور حاسم في إيجاد حل لأزمة الشرق الأوسط.



بول بالغا

مراسل جريدة لومند
بالمزائر

عامة ، في القارة الافريقية « فان فرنسا وبريطانيا اللتان قامتتا بهذه المفاسرة ، قد ارتكبتا اخطاء في التقدير » لم تظهر خطورتها بوضوح إلا بعد مضي وقت من الزمن »

ففي المكان الاول ، اصبحت الحكومة الفرنسية والحكومة البريطانية في الحساب الضرر الاديسي الذي يلحق بمسمنها بسبب تحالفها مع اسرائيل ضد مصر ، في العالم العربي الذي تحتم عليها الظروف الجغرافية والتاريخية التعاون معه » وتانيا ، فقد قللت الحكومتان من اهمية رد الفعل العربي على الصعيد السياسي والاقتصادي » واذا كانت الدول العربية المنتجة للنفط والتي كانت الشركات الاجنبية تتمتع فيها بامتيازات ، لم تلجأ الى سلاح النفط في ذلك الحين ، فان بعض زعماء العرب قد استغلصوا المرة من هذا الدرس . كما لاحظنا ذلك خلال العدوان الاسرائيلي في سنة 1967 ، وبصفة اقوى واوسع ، في سنة 1973 »

ومعها يكن من شئ ، فان الغلبة الدول العربية قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية في ذلك الحين مع فرنسا وبريطانيا اللتين تعرضت مصالحهما الاقتصادية والثقافية في المنطقة لحظر كبير . وقد كان الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ، الى حد ما ، هما الدولتان اللتان استفادتا من هذه الوضعية بسبب الدور الذي قامتتا به في حل هذه الازمة ، ثم ألمانيا الغربية وإيطاليا واليابان ، لبقائهما على الحياد »

بل الاسوأ من كل ذلك . ان أوروبا الغربية قد تعرضت للوم الولايات المتحدة التي اتهمتها بتجاهل التضامن في نطاق الحلف الاطلسي « ولو ان أوروبا لم تسكت على هذا الاتهام » كما اتهمتها اسرائيل بالفتور والسلبية . وعلى نفس المثوال كشفت الضغوط التي اجرتها الدول العربية على هولندا ، والى حد ما على لاتفيا الغربية ، عن الضعف الذي يتسم به كتل الدول التسع ، ولكن تلك الضغوط اضطررت في نفس الوقت الى تعديل مواقفها ، بادخالها في الحساب حقائق عالم يمر بعملية تطور سريع »

لقد كان غياب أوروبا في حرب أكتوبر نتيجة للاحداث التي تتابعته منذ الحرب العالمية الثانية ، حتى استقلال الجزائر في سنة 1962 . بهدء ما كان نتيجة لميز الدول الست في المرحلة الاولى ، لم الدول التسع في المرحلة الثانية من تحديد مواقف واضحة تجاه الدول التي تتعاون معها . ونحن نعرف ان ظاهرة سمي المستعمرات لتخلص من الاستعمار ، كانت الظاهرة المتغلبة في تاريخ الجيل الماضي . وقد كان لبنان وسورية اللتان قاتتا استقلالهما في سنة 1949 أولى الدول العربية التي حصلت على استقلالها ، ولكن عددا من البلدان الافريقية لا تزال تترجح تحت الاستعمار حتى الوقت الراهن » واما حيلة العدوان الثلاثي على قناة السويس في سنة 1956 ، فقد كانت بداية انحلال السيطرة العسكرية والسياسية التي كانت تمارسها الدول الأوروبية الكبيرة على الضفة الجنوبية للبحر الابيض المتوسط ، وبصفة

أولا وقبل كل شيء بالأسراع في تنمية اقتصادها . هذا هي جهة ، ومن جهة أخرى ، فقد كان وزير خارجية أمريكا الأسبق يعتقد أن مصر لا تملك أية وسيلة للرد على الرفض الأمريكي .

وهذا الخطأ الفاحش في التقدير نبه إليه السيد بكوف دو مورفيل الذي كان سفيرا لفرنسا في واشنطن حينئذ ، واتفق وزير خارجية أمريكا بمواقفه « شأن الديبلوماسية الفرنسي السلي استشاره دالسي » والذي كان قبل ذلك سفيرا بلبله في القاهرة ، قد عبر عن رأيه بأن عهد الناصر قد يقوم بتأميم قناة السويس ، ولكن دالسي رد عليه بقوله أن هذا الاحتمال يستبعد الخبراء الأمريكيون الذين يرون أن مصر لا يمكنها أن تتخذ مثل هذا الإجراء وتقوم بفرضها بتأمين الملاحة في البروخ ، ونحن الآن نعرف ماذا حدث ، حيث أن عهد الناصر قد أعلن إجراء التأمين في 26 يوليو 1956 ، كما أعلن الدخل الذي ستحصل عليه الدولة من القناة ، سيخصص لتمويل بناء السد العالي، الذي سيساهم فيه الاتحاد السوفيتي مساهمة كبيرة .

وكذلك قدم فوستر دالسي بإجراء الرفض . ورقة تينة للاتحاد السوفيتي وفتح له باب مصر التي كانت مسموعة الكلمة في العالم العربي على مصرانيه . في الوقت الذي سمح لها بتنظيم الوجود الروسي في البحر الأبيض المتوسط . وهذا الخطأ الاستراتيجي ، يسير التوازن الذي

والعامل الثالث الذي قللت الدولتان من أهميته ، هو الإغراء الذي كان من المحتمل أن تشعر به موسكو وواشنطن للتدخل لوقف المدان الثلاثي ، صحيح أن جي مولي وانطوني إيدن كانا واثقين في ذلك الوقت من أن الولايات المتحدة التي كان موقفها الرسمي هو السبب في قيام الأزمة ، ستتربها ليقوما بتنفيذ مخططهما ، وأن من الطبيعي أن ينفذ الاحتساب السوفيتي نفس الموقف .

هذه صفات جديدة بالتذكير ، لأنها تلتقي ضوءا على الحاضر . فقد كان الرئيس الراحل ، عبد الناصر يسمى لتنفيذ مشروع ضروري للتنمية في بلد ، كان المصريون يحلمون به منذ بداية القرن : مشروع السد العالي في اسوان . وقد وافق البنك العالمي على القيام بموويل المشروع جزئيا ، كما اعتمدت للولايات المتحدة عن نيتها في المساهمة في هذا التمويل . ولكن السلطات الأمريكية غيرت رأيا فجأة لأسباب سياسية ، حيث كانت تريد بهذا الرفض أن تقدم انذارا لعبد الناصر الذي قبل شحنة من الأسلحة السوفيتية (عن طريق تشيكوسلوفاكيا) ، بعد ما رفضت الدول الغربية طلباته في عدة مناسبات (2) - وقد كان فوستر دالسي مقتنعا بأن الاتحاد السوفيتي لن يقوم بتحويل مشروع السد العالي ، الذي كان يبدو طموحا وباهظ التكاليف وفوق طاقة إمكانيات روسيا التي كانت تهتم

(1) رسا وقعت الولايات المتحدة تحت تأثير فرنسا . فان السيد بيتر الذي كان آنذاك وزيرا لمعارضة قد سرح في لحظة له في أغسطس 1956 ، بأنه قد طلب إلى فوستر دالسي أن يرفض تمويل السد العالي ، وأن الإيجر أصلي بمثابة آل رايه .

وفي سنة 1973، تركت هتان الدولتان أوروبا الغربية جانبا في محاولة إيجاد تسوية لمشكلة الشرق الأوسط، وذلك في الوقت الذي كانت فيه أوروبا ترغب في القيام بدور إيجابي ولكنها كانت مشغولة بسبب عجزها عن تحديد مواضعها.

وهذا الصبح له عدة أسباب، فإن الجماعة الأوروبية التي تتكون من دول لا تدين بنفس المبادئ في السياسة الخارجية، وجمعت نفسها تحت قبة اتجاهات مختلفة، وبدلا من أن تتفق على اختيار سياسة واحدة، فضلت التهرب من المشكلات تاركة للزمن أن يقرر في مكانها - وهو أسوأ موقف في السياسة - أو هي تصنع حلولا مؤقتا لم تثبت قيمتها، وكذلك نجد أنه على الرغم من أن الدول التسع قد أعلنت نيتها في بناء أوروبا الأوروبية، فإن تصميمها لم يبلغ بها إلى درجة أن تقرر موقفها تجاه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، صحيح أنها قد دلت على تماسكها في المفاوضات التي تتعلق بالشؤون الاقتصادية والفقدية تجاه واشنطن، ولكنها في هذه الحالة كانت مضطرة لكي تدافع عن المبدأ الأدنى من مصالحها التي لحقت بها أضرار جسيمة وكذلك وقعت الدول الأوروبية موقفا متماسكا منذ حوالي سنتين في الأمم المتحدة (وهذا باستثناء حالة أو حاليين) في المناقشات التي جرت بشأن الشرق الأوسط - ومع ذلك - فهي لم تتمكن من تحديد موقف موحد في أزمة الطاقة وفي النزاع العربي الإسرائيلي - فلو فعلت في الحالة الأولى لجألت بأنارة شركات النفط الأمريكية، وبالتالي

كان في مجموعة في صالح الدولة الغربية في المنطقة - ولما العدوان الثلاثي الذي اشتركت فيه إسرائيل على أمل إسقاط عبد الناصر، فإنه لم يزد كلمة الميزان إلا تارجحا في صالح الاتحاد السوفيتي - وهذا أيضا، ارتكبت حكومة الجمهورية السرايعة خطأ باعتقادها أن حرب التحرير الجزائرية التي بدأت في سنة 1954، لم تكن إلا ثورة خالية من كل تأييد في الداخل، وإنما هي توجّه وتغذى من القاهرة، وأن هذه الثورة ستنتهي بإلغاء نظام عبد الناصر - والمرة لا يستطيع إلا أن يدهش لأن يرى مثل هذا التحليل والتقييم يصدر بعد مؤتمر بانكوك، وفي الوقت الذي كان فيه نضال شعوب العالم الثالث لتحرير نفسها يتخذ كل يوم أبعادا جديدة.

وهما يكن من شيء، فإن وقف إطلاق النار الذي فرضته الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في 4 نوفمبر، قد وضع حدا للتدخل الثلاثي. وقد كانت الولايات المتحدة تعمل في تدخّلها تحت ضغط ثلاثة دوافع: محاولة إزالة الانطباع الذي أحدثه رفضها للمشاركة في تمويل البند المالي، وعدم ترك الاتحاد السوفيتي سيده الموقف، وزحمة المولتين الأوروبيتين الكبيرتين عن مواقعهما في الشرق الأوسط، وتقديم المصالح الأمريكية، وذلك في الوقت الذي تؤكد فيه زعامتها للعالم الغربي بصفة عملية - والواقع أن لنين وباريس قد ساهمتا في سنة 1956 في اضمحلال نفوذ أوروبا في البحر الأبيض المتوسط، وساعدتا على تقديم نفوذ المولتين السوفيتين.

أوروبا والصراع العربي

ولمّا يتعمق بالنفط ، تستورد أوروبا 80 ٪ من استهلاكها من الدول العربية . واما الغاز الطبيعي العربي ، فان حاجة أوروبا اليه تتزايد مع مرور الزمن ، ولو ان هذه الحاجة لا تزال محدودة . لكن مصالح أوروبا في البحر الابيض ، لا تنحصر في هذه المواش ، لانها تشمل ايضا المجالات الثقافية والسياسية والاستراتيجية .

لقد كان الجبرل دوجول اول رئيس دولة عربية يستخلص النتائج التي تفرس نفسها من هذا الوضع ، علانية ، ولكنه لم يسج في تحويل اهتمام الأوروبيين اليها الا جزئيا . فقد انطلق دوجول من فكرة مؤداها ان العالم العربي الذي اصبح مستقلا ، لا يمكن حائلته باحتقار ، خصوصا بعد ما تاكد مركزه في النفط وفي الخواص المالية ، ذلك المركز الذي سيسمح له بالوصول الى مرحلة الانطلاق في التنمية الاقتصادية قبل نهاية القرن الحالي . وما يزيد من اهمية هذا المركز ، موقع العالم العربي الاستراتيجي ، بين آسيا واروبا من جهة ، وبين افريقية الواحة جنوب الصحراء ، من جهة اخرى . وكذلك اقتنع دوجول ، بان الدول العربية ذات النظم التقدمية ، اذا كانت تقبل التاييد المادي السوقي ، فهي اشد ما تكون عن تقبل الايديولوجيا الشيوعية ، وان علاقات الدول العربية المحافظة بالولايات المتحدة الامريكية التي يوحى بها تحوف تلك الدول من الماركسية ، لا تطوى على اى ولاء غير مشروط . وفي جميع الحالات ، فان الدول العربية التقدمية والمحافظة ،

الولايات المتحدة نفسها - وفي الحالة النافثة ، لو اتحتت موقفا موحدا لاضطرت الى طرح بعض الاسئلة المحرجة على نفسها ، فيما يتعلق بملقاتها بالولايات المتحدة في إطار الحلف الاطلسي ، وبشان تاييدها لاسرائيل .

والواقع ان الدول الأوروبية فيما يتعلق بالبحر الابيض تتجاهلها عوامل متناقضة وبالتالي فهي محتارة بين الاستجابة لمواطنيها نحو اسرائيل ، ورعاية مصالحها في العالم العربي . فهي تشعر بالذنب نحو اليهود ، حيث ان شعور الصفاء للنصر السامي انما اتحد أعف إشكاله في عهد محاكم التحقيق وفي عهد النازية في أوروبا الغربية . وكذلك يشعر الأوروبيون بمسؤولية أدبية نحو اسرائيل التي ساهموا في خلقها . ولكن هل تستطيع أوروبا ان تستمر في تجاهل تقبل العالم العربي المتزايد في حوض البحر الابيض المتوسط الجنوبي الذي تربطها به علاقات متينة منذ اكثر من ألف سنة ؟

من الناحية الاقتصادية ، تبلغ قيمة واردات الجماعة الاقتصادية الأوروبية من اسرائيل ومن الدول العربية على التوالي 287 مليون و 5400 مليون دولار في سنة 1969 . وكذلك نرى ان الواردات الأوروبية من البلدان العربية هي أكبر بـ 28 مرة من الواردات الآتية من اسرائيل . واما صادراتها ، الى العالم العربي ، فهي تبلغ ست اضعاف صادراتها الى اسرائيل . ومنذ هذا التاريخ ، زادت هذه الاتجاهات قوة ووضوحا باستمرار .

إن نورتنا الحادثة قامت على أسس متينة عريقة لبناء مجتمع جزائري معزز بمبادئه العربية الإسلامية محور بنرائه العسى الساسع عبور على تاريخه الذي مه أبتنتحت قوى عريضة لاسترجاع سيادته وعزته وكرامته . وكيف تتمتع بهذه الشخصية ونعرض وجودنا كشعب متمسك بتعاليمه المستوحاة منها لموطنه الحبيب إن لم نتحرر من عادة التعبير باللغة الأجنبية تلك اللغة التي هيمنت على تفكيرنا هذا طويلا وتعرقل طموحنا الطبيعي إلى البروز إلى العالم بأبكارنا أصيلة وفي حنا الخاصة بما ونحن نعرف إن لكل شيء شكله ومحتواه الشكامل .

إن لغتنا العومية تحفظ لثمننا حامية من حاصيات استقلاله الوطني وتندأ عن شخصيته كل شائبة إذ إن الأمة لا يدمر وجدانها إلا بدوام لغتها التي هي لسان حالها للعبير حقيقة على جميع مقاصدها .

فإذا كان القضاء قد حرر نفسه بفضل الإصلاحات المتصلة في قوانين ١٩٦٦ تحررا محسوسا من العوامل والشوائب الأجنبية فانه لمن الواجب عليه أيضا أن يتسلخ من هذه الأداة القريبة منه ويتحلى بلغته الوطنية وإذ ذلك فقط ، عندما يكون بلغة الشعب ، باللغة القومية يكون قريبا من الشعب ويكون قضاء وطنيا شعبيا شكلا ومضمونا ، وجهاذا كاملا متكاملًا مع بقية أجهزة الثورة العتيدة .

ولما كان استرجاع اللغة العومية من أهداف نورتنا وجب حتما أن يواصل الجهود بدون توان للوصول إلى هذا الهدف المنشود في المجال الذي نحن بصدد ٢ إلا وهو تمرير القضاء تمريرا كليا ينمأش ورغبات الشعب المحافظ على تقاليده والمريض على عقوبات شخصيته ودأبته والمعتز بهذه الأداة المتوارثة أجيالا عن أسلاف .



ندوة التخصص

مشاكل اللغة العربيّة

المشاركين في الندوة :

- الاستاذ عبد المجيد عطية ، مدير المعهد التونسي لعلوم التربية
تونس .

- الاستاذ احمد صوة عطش التعليم الثانوي للتربية ، تونس

- الاستاذ محمد خليل عطش اول وزارة التربية بالمملكة المغربية

- الاستاذ عبد القادر بن الشيخ باحث بمعهد علوم التربية ،
تونس .

السيدة **مطوية** ، باحثة بمعهد علوم التربية ، واستاذة

الفلسفة وعلم النفس ، تونس .

- الاستاذ شرف الدين باحث بمعهد علوم التربية ، تونس .

- الاستاذ محمد بوشوش باحث بمعهد علوم التربية ، تونس .

أدار الندوة

مناوئيل

الآراء التي جاءت في هذه الندوة لا تعبر
بالضرورة عن آراء المجلة ، ونقشرها في إطار
حرية الرأي والإيمان بالحوار كاسلم طريق
للموصول الى الحقيقة .

ولهذا وقع الالتجاء الى الشكل ، وحتى الشكل كان وقع عن طريق النقط ، ثم ان هذه النقط ظهرت غير واضحة ، وغير كافية ، فوقع الالتجاء الى الشكل ، من سوء الحظ ، فيما بعد اصبح المتعلمون يدفرون من الشكل لانهم يرون فيه رميا بالقصور ويجهل اللغة ولهذا يغضلون ان يقرأوا ما كان غير مشكوك

اليوم اذا اردنا ان تصبح اللغة طيبة وان يقع الاقبال على اللغة لا بد من شكل كسمل ما يهيا للقراءة ، وحتى من ناحية التكوين الفكري فلا بد من ان يتم هذا الشكل لكي يتعود التلميذ ثم الشايب ثم الكهل اللغة في النصق بالاصوات في اللغة العربية . هنالك عدة محاولات كثيرة ولحل كثيرتها هي التي كانت مانعا اى عائقا من انتفاذ حل من الحلول . هذه الوسائل تتراوح بين تغيير الحروف العربية وتوضيها بالحروف اللاتينية ، وهو حل اقصى ويعتبر متطرفا ، والوساط العربية طبعاً بغضته . وهنالك حلول وسطى فيها ربما امكانيات النجاح ، مثلا الحل الذى يسهل الطباعة بكيفية ان الشكل يصبح لا يكلف وقتا اكثر ولا مصاريف اكثر . وقت محاولات مثل هذه فى الغرب بالنسبة للمحاولة التى قام بها الاستاذ الاحضر فى تونس كذلك البشير بن سلامة قسام بمحاولة من هذا النوع لكنها بقيت لحد الآن نظرية ولم تسفل حين التطبيق . واذا ما سفلت حين التطبيق حينئذى الفسة العربية تسفيد كثيرا . بالنسبة للتلاميذ يصعب ان نقبى على هذا الوضع اى لنا نطالبهم ان يقرأوا ما كان غير مشكوك

عفسان شيبوب : نعتقد هذه الندوة لمراسة اوضاع اللغة اعرابية ، والمشاكل التى تواجهها فى الوقت الحاضر ، سواء من حيث التدريس ، او من حيث الاتصال الثقافى العمام بالجماهير او باللغات والثقافات الانسانية الاخرى .

واللغة العربية - كما نعرف - تواجه مشاكل كثيرة ، هناك مشكل الشكل الذى تكلم عنه الاستاذ عبد المجيد فى هذا الصباح (١) ، وكذلك تقويم الاتهامات التى تتهم بها اللغة العربى : من انها لغة تجريدية لا تساعد الطفل على اكتسابها ، وعلى ادرك حقوقها - وهنالك ايضا مشكل المامية والفصحى وايهما ادى من حيث التعبير - وايضا الوسائل السمعية والبصرية وهل تساعد على انتشار اللغة العربية ام ان الكتاب هو الذى يتولى هذه المهمة ... الخ .

الاستاذ عبد المجيد عطية : ربما اذا اردنا ان نتحدث عن قضية الطباعة والشكل ، فهو من اقل المشاكل صلاوية . قضية الشكل هي قضية قديمة . نحن نعلم ان اللغة العربية فى القديم كانت تكتب برسائل بدائية ، حتى ان الانسان فى عهد الاسلام كان لا يستطيع ان يقرأ ، وانما يستطيع ذلك ، اذا كان يحفظ النص ، وهذا كان صالحا بالنسبة للقرآن . فانه يعتمد على حفظه لمعرفة النص ثم يستعين بالنص اذا ما خالته الصافطة . وهكذا يكون التعاون بين ما هو مكتوب وبين ما هو مخزون فى الذاكرة . وفيما بعد وقع الهجوم الى تحسين وضع القراءة ، وتحسين وضع الكتابة ، واستعملت النقط ، ثم ظهر ان النقط غير كافية

(١) نظمت هذه الندوة اثناء انعقاد الملتقى المغربى حول قضايا الكتاب والمطالعة بالعصامات بتونس من

٢١ الى ٢٥ نوفمبر ١٩٧٢ .

في باب الموقفة - في نفس العاصمة يوجد هذا الاختلاف فما بالك بالمقاطعات مثلا - من الجنوب الى الشمال او من قرية الى اخرى مجاورة فوجد فروقا احيانا واضحة في ضبط الكلمات ، ونفس تركيب الجمل ، ووجود جالية كبرى من الاجانب في تونس وفي المدن الكبرى في تونس ، ووجود قسم كبير من اليهود في المراكز الحساسة ليلالذ اثر في اللغة . جعلها خليطا ومزجيا من المفردات ومن التراكيب لا تتماشى مع العصر اللغوي للعربية . مثلا يقولون يباسر مريح ، نفس التراكيب الفرنسية ولبعض سهولة تعلم الفرنسية وسهولة انتقال الانسان في مراقي الحياة او المجتمع من طريق الفرنسية وانعدام هذه الصعوبات تقريبا او تكاد تنعدم في اللغة الفرنسية او في اللغة الانجليزية او في تغييرها ، جعل التلاميذ ينصرفون نوعا ما عن ذلك الذي يحركهم في الاول عن تلك الاساس الوطني او تلك الروح الوطنية التي حركتهم في الاول ايام الكفاح ضد المستعمر وشغلهم مطالب الحياة ومقتضيات الحياة عن هذا الزاوي او هذا الدافع فوجدوا انفسهم امام هذا للمشكل : هل اذا هم ارادوا ان يتعلموا العلوم وغيرها بالمربريسيتلون نجحوا اكثر مما لو تعلموها بالفرنسية ، والظروف الكثيرة اقتضت ان يغلب جانب الفرنسية ، ونفسية الشكل اعتقد انها عن الامور - كما قال الزميل عبد المجيد صطية - التي نلقت او ساهمت في تغيير او في ابتعاد الكثيرين عن التعلم وخاصة في المدن حيث الحياة مزدهرة وبين العائلات التي كانت تمثل نخبة البلاد ، لان نخبة البلاد كانت ثقافتها فرنسية وكذلك الذين تصدروا للحكم والادارة لشؤون الدولة في البلاد تحكم ثقافتهم زادوا الامر صعوبة وتعقيدا . . لذا اعتقد انه او توصلنا الى حل مشكلة الشكل في

وكتلك بالنسبة للاميين الذين تعلموا القراءة والكتابة فانهم لم يصلوا الى حد قراءة الجريدة غير مشكولة ، وهذا عائق ، كان تعلمهم العربية لم يستفيدوا منه - فلا بد من الاعتماد على الشكل لتصبح اللغة طيمة وتصبح القراءة ممكنة .

الاستاذ احمد صوة : لا شك ان ما قاله الزميل عبد المجيد صطية هو الواقع بعينه . وقد مررنا من خلال السنرات الماضية ومن خلال التمرين بتجارب صعبة ومؤلمة في نفس الوقت ، لقد كان الشاب يتخذ حماسا للرئاسة العربية ويؤمن بانها العنصر الاساسي للوطنية وان كل كلمة يتعلمها او كل كتاب يقرأه الا وكان محولا يهد الاستعمار سواء كان الاستعمار المادي او الثقافي ولبينة جديدة يضعها في بناء للمستقبل الذي يحلم به ، ويتمناه . وسعوية قراءة العربية بالاضافة الى ما يحيط بالعربية من ايقاع ناعقة انها لا تساير الحياة وانها لا تسردي الاغراض التي يحتاجها الانسان في حياته - كل هذه العوامل جعلت الفرنسية تطفئ في بلادنا على العربية يحكم الواقع الذي تميزه ، فالراكن الحيوية في المجتمع تستعمل الفرنسية ، والاتجاه العالمي في عصرنا هو اتجاه مادي والمسابقات طمعا تجعل الشبان او التلاميذ ينظرون الى المستقبل هذه النظرة ، حيث يرون مستقبلهم في تعلم كل اللغات الاخرى ما عدا العربية التي ان تقيدهم في الارتقاء في سلم المجتمع ، او للتمتع بضمائمات الحياة المعاصرة ، واعتقد ان مما يزيد في العقبات القائمة في تاريخ العربية هو الشكل - لان مجتمعنا في تونس يفتقد احيانا في ضبط الكلمات ، من حي الى آخر - ففي تونس العاصمة مثلا ، نجد ضبط الكلمات يفتقد من وسط المدينة مثلا من حي الفرجاني ومن حوالي جامع الزيتونة - يختلف عنه في رأس العرب او

اللغة لاستطعنا أن نتطوع خطوات شاسعة في سبيل إعادة الحياة إلى العربية أو إعادة العربية إلى الحياة *

الاستاذ محمد خليل : إن سؤالكم يحثني في واقع الامر على امثلة عدة ويؤدي أن اجيب عن كل سؤال أو أن اقول كلمة حول كل نقطة من النقاط التي اترجموها في سؤالكم الجامع ، ولكن ضيق الوقت ورغبة مختلف الزملاء الحاضرين معنا في مشاركتهم في هذه " ر - س " قد لا يسمح لي الترخي لكل ما سالهم عنه ، ولكنني سأقتصر على نقطة واحدة وهي المتعلقة بمشكل اللغة العربية ، مشكل الطباعة ، مشكل الشكل ، مشكل اللهجات المتعددة والطريقة التي ينهي ان تفكر فيها من أجل إعادة الوحدة بين الدول العربية في هذا الباب *

اللهجات كما نلاحظ تختلف من بلاد إلى أخرى ، فالمصري مثلا عندما يتكلم قد لا يفهمه المغربي الا بمسقة واحيانا قد لا يفهمه إيطالا ، اللبناني كذلك ولكن الترنسي ، والجزائري ، والمغربي ، قد تكون اللهجات الثلاث فيما بينها لهجة واحدة ، ولكن لا بد أن نلاحظ وأن نتعرف بأن هناك فوارق ، فاذن ما الحل ؟ الشيء الذي نحمد الله تعالى عليه هو وجود لغة موحدة وهي اللغة العربية الفصحى ، والحمد لله على وجود هذا العنصر الموحّد بين هذه الاقطار . هذه اللغة الموحدة والوحدة في أن واحد فيها بعض المشاكل ، من حيث الشكل ، ومن حيث الطبع . لقد تعرض لذلك زعملي الاستاذ عبد المجيد عطية وكذلك الاستاذ أحمد صوة * مشكل الطباعة مشكل صعب ، وعريض ، مشكل فني ، بالمقارنة إلى الطباعة في المبروف اللاتينية هناك فرق شاسع ، ففي الوقت الذي تجد فيه أن الحروف

اللاتينية قليلة العدد وبالعالي هذه اللغة لا تؤمى إلى الطبع المريح الذي لا يتطلب من الناحية الاقتصادية مصاريف كثيرة ، نجد الامر بالنسبة للحروف العربية يشكل مشكلا كبيرا جدا وكنت انكر بدقة عدد الحروف الموجودة في الطبعة العربية ، ولكن الشيء الذي انكره هو الفسق الشاسع الموجود اذا ما قارنا بينهما ، وقد اشار الاستاذ عبد المجيد عطية إلى أن المغرب في هذا الباب قد فكر كاللبنان العربية الأخرى وكترنس والجزائر في معالجة هذا المشكل ، والاستاذ أحمد الأخضر في المغرب منذ سنة ١٩٥٦ فيما انكسر قد صدق بهذه الفكرة ، ويثن من مجهود ما أدى إلى نتيجة مهمة وهي اظهار طباعة جديدة حافظت على الحروف من حيث الشكل ، ومن حيث جمال الحروف العربية ولكنها اختصرت - وأعطى مثلا على ذلك مثلا حرف "ح" يكتب على اشكال أربعة ، الحاء في الأول ، الحاء في الوسط ، الحاء في النهاية - في الوسط والنهاية فهناك جهد الصاء ترسم على اشكال أربعة ، بينما الامر يتعلق بحرف واحد ، فكر الاستاذ الأخضر في هذا وانمها على شكل واحد سواء كان الامر يتعلق بكتابتها في الوسط أو في الأول أو في الأخير أو في الوسط والأخير في آن واحد - وظهرت هذه الطبعة بالفعل وهي موجودة في المغرب والمغرب كتبت عدة كتب في هذه الطبعة ، بل أن كتبنا توجد في النيران الملوكي ، خطب جلالة الملك الحسن الثاني قد كتبت في أيضا بالطباعة الجديدة ، طبعة أحمد الأخضر ، وأمل المغرب وأملنا شتمسها الا تبقى هذه التجربة بين جدران المغرب وهذه ولكن أن تمدد حروف المغرب إلى مختلف البلدان العربية وأن تقتصر لانها تجزية نتجت عن

وامتسممكم إن أعود شيئاً ما إلى الوراء - إلى الأداة التونسية في حديث طريف في متبهي الأهمية يتعرض إلى مشكل اللغات ، استمعت إلى أن اليهود في العالم الذين تجمعوا في فلسطين المتقسية يتكلمون أكثر من شأن لغة - فهم في هذا الباب ليس لهم مطلقاً أي عنصر في التوحيد - كل يتكلم بلغة ، ولكنهم لجأوا إلى لغة ميتة لم يكن لها وجود مطلقاً وهي اللغة اليهودية واسمها إلى المدارس رغم ما تشتمل عليه من الصعوبات من حيث النحو ، ومن حيث القرايط ، ومن حيث كل شيء ، بل كانت ضمن اللغات الميتة - ومع ذلك واجهوا هذه الحقيقة بما يتطلب ذلك من العزم والقوية ، وكانت لغتهم الميتة عنصر التوحيد ، بالنسبة لهذه المجموعة المتشردة من البشر تجمعت حول أرض متقسية وبواسطة لغة ميتة توحدها . حقيقة عندما نستمع إلى كلام من هذا النوع ، وعندما نرى حقيقة من هذا النوع نأسف جداً لكون اليهودات التي نزلها في ميدان للنسبة العربية لا تذهب بها بعيداً للوصول إلى الغايات التي نتمناها جميعاً . ونقول أننا نعمل جميعاً من أجل الوصول إليها ولكن ترى دائماً أن المساقفة ما تزال بعيدة للوصول إلى هذه الغايات .

عبد القادر بن الشيخ ، هناك ثلاث مواقف من اللغة العربية : موقف الأدب ، واقتصر منه الشاعر ، وموقف الإنسان المغربي المنتسب إلى الجماهير الشعبية . وهناك مسوق شالك وهو موشومي ، أي هو موقف الباحث ، وأملني أحاول في حجة استعراض هذه المواقف ، ثم استعد منها بعض الملاحظات ، ولا يسمى إلا أن اختتم ببعض الانتقادات المتعلقة بالبحث خاصة

جهود متواصلة وكانت ثمرات هذه الجهود أن وصلت إلى هذه النتيجة فالأصل أن تعتبر تلك الجهود في الحقيقة هي جهود جميع النول للربية وبالأخص دول المغرب العربي ، نستفيد هذه الدول كلها من نتيجة هذه التجربة فيما يتعلق بالشكل ، جزء من هذا المشكل أيضاً ، قد حل من طريق الطباعة ، لأن حروف هذه الطبعة الجديدة تتوى في مظهرها على حركات ، ولكن يبقى عنك ما ينبغي تكمله بطريقة أو بأخرى ، ولكن الأمر هنا هو أن البداية موجودة .

عند ما ظهرت الرياضيات اسبسية في أوروبا وكانت عبارة عن ثورة جارية في ميدان التعليم ، هذه الرياضيات الحديثة لما ظهرت أخذت تصدر كتباً للأطفال بلأباء وأخذنا نساعد في المكتبات كتباً موجهة للأبناء مكتوباً عليها الرياضيات الحديثة للاب ، والرياضيات الحديثة للام ، والأمل معقود على أن الطفل - كما قلت سابقاً أيضاً - ينبغي أن يصبح بالنسبة لكل ما استغنياء في هذا الملتقى همزة وصل بين المدرسة وبين الأباء انفسهم بحيث المعلم يرسل إلى الطفل الذي يقوم به واجبه في المجتمع الصغير الذي يتجسم في المدرسة ، والأطفال الذين يمشون في هذا المجتمع الصغير يعودون إلى بيوتهم بالفراش ويؤثرون على الأباء والأمهات بحيث يكونون هم أيضاً همزة وصل بين المتعلمين ، بين الذين يفكرون ويهشرون المشاريع ، وبين الأباء والأمهات الذين ينبغي هم أيضاً أن يكونوا ضمن المستهلكين لما يهيا ولما يفكر فيه من أشياء في متنى الأهمية داخل المعاهد ومؤسسات البحث ، وأسف صممت أمس -

الموقف الأول :

كل منا يذكر قصيدة رائعة كتبها الشاعر العربي المصري المعروف (١) التي تنفي فيها بخاصة عن العربية ، وإشارته إلى عجز الناطقين بها ، مؤكداً عدم عجزها هي على أن تنتج وتصاير هذا العصر التقني المحقد المعير بالنسبة للبنا ولجماهيرنا . أنه موقف عاطفي هام لأنه مطلق لتربية أطفالنا في البيوت ، أكرأنا كانت أو مساكن محترمة . هو إذن المنطلق العاطفي الذي يهدف لتربية أولادنا . ثم هناك موقف الانسحاب المغربي المتخبط إلى الجماهير الشعبية وهو كله حثين إلى اللغة العربية التي يجهلها أو يصول الاستماع إليها ولعله يطمح إلى إدراكها لا عن طريقه هو ، بل عن طريق ولده وبيته ومن ثم تفسر لهفة الجماهير على إيداع أولادهم بالمدراس والكليات ، ثم هناك موقف ثالث وهو ما أسميه بالموقف الوضوعي ، وهو الذي اقتصر على تمثيله .

إن تطور اللغة العربية مرتبط بشديد الارتباط بمدى معرفتنا معرفة دقيقة للخصائص المفصلة الخاصة باللغة العربية ، هل يميها أطفالنا ؟ هل يحبوها مراهقونا ؟ ما هي الأسباب كل ذلك ؟ ماذا التي تمهيها ؟ وما هي أسباب كل ذلك ؟ ماذا يطالع أطفالنا باللغة العربية ؟ ولماذا يطالعون باللغة الفرنسية ؟ كيف تفسر — هذا ما أثبتته الدراسات المتواضعة في المجتمع التونسي — أن المراهق التونسي وقد لا يجسّر التصحيح — لأن الدراسات لم تعتمد بعد — كيف تفسر تحولاً جديراً

(١) هو الشاعر المرحوم حافظ إبراهيم .

في ميل الطفل إلى اللغة الفرنسية ابتداء من المرحلة الثامنة من التعليم الثانوي وهي مرحلة يقول فيها المراهق أن اللغة الفرنسية هي لغة التفنن على الصالون ، وعلى المضاربة التقنية ، والصناعة ، أي هو يفتح على ما هو مصور لهفته ، وتصلبه ، على كل ما تحقير الحياة اليومية التي تنتهي إليه بعض النماذج منها عن طريق الإذاعة والتلفزة ، إذا كان من المستعدين إليهما ، بحيث لن يربط قضية اللغة أولاً بوجوب معرفتنا لمشاكلها عن طريق البحث ، ويريد أن يضرب بعض الأمثلة : قضية المطالعة أو انطلقت مما أعلم — العلم النصي — فقلت إن الجرائد التي توجد بقوتس يومياً أروع جرائد ، العمل الصباح ، لا بريس ، لا كسيون ، ثم إن هناك جرائد ثانوية أخرى ، لعلني لا أبالسغ إن قلت إن منذ الاستقلال مع الملاحظ أن هناك تطوراً في عدد النسخ بالنسبة لجرائد اللغة العربية إن عدد المطالعين لهذه الجرائد هم من الذين يطالعون بالفرنسية ، لا سيما إذا أضفت إلى ذلك ما يستورد يومياً من كليات هامة جداً تضاف إلى الانتاج المحلي ، وهنا يجدرنا أن نقدم ملاحظة بين قوسين ، لست أعني إته علينا أن يفلح الباب وأن تقتصر على ما هو موجود هنا ، لنى من الذين يؤيدون تعدد اللغات وإذا حظيت شخصياً — مثل بقية اصنفائي الذين مرونا بالمصاديق — بتعلم لغتين فما أؤكد وجوب تعلم لغتين بل أصافه لغة ثالثة حتى يحتمل غداً في الفكر والعلى ، هذا مثال بسيط ، لقد عرضنا — مساً زلنا في البداية — في معصرة مكانة المطالعة ، مطالعة الكتاب ، بالنسبة لوسائل الإعلام الأخرى

تقنى ، ويمكنهم بدوره أن جابهوا هذه القضية ، إن عصرنا هو عصر العلم كما يقول نجيب محفوظ فى « الشمامسة » ، وتوفيق الحكيم فى « الطمسام لكل خم » ، أن اللغة العربية لا يتضمن لها أن تتطور إلا إذا ركزت معالجتها لها عن طريق البحث وعن طريق الكتابة وهما ميدانان متكاملان فى نظرى .
وشكراً

السيدة محفوظ :

En ce qui me concerne, mon intérêt à l'intérieur de l'équipe de mutation de lecture pour les problèmes de lecture porte surtout sur le contenu de la lecture. Je pense qu'une étude du contenu de lecture nous renvoie à deux domaines :

- D'abord un domaine pédagogique essentiellement : comment créer des habitudes de lecture chez l'enfant lettré ? et chez le lecteur tunisien d'une façon générale.
- Le deuxième objectif c'est de connaître à travers le contenu du livre, de la lecture la société tunisienne, maghrébine d'une façon générale et de connaître donc les structures de l'œuvre : comment elle est constituée ? et on peut évidemment déboucher sur une perspective pédagogique dans la mesure où on s'adapte des livres pour enfants écrits par les adultes aux enfants.

Donc on peut rejoindre de la lecture du point de vue donc de son contenu est une ouverture intéressante sur les problèmes de la société Arabo-musulmane d'une façon générale. Et je pense que nous sommes lorsqu'on analyse des contes tunisiens et plusieurs identités faites comme on l'a vu hier matin, l'étude porte tant si bien sur l'étude éducatrice, de l'étymologie (l'étude de la racine des mots) « علم النامى » nous permet de découvrir des symboles utilisés par l'écrivain, des symboles culturels, des symboles individuels pro par l'écrivain, rattachés à sa vie et à un contexte psychologique ; symboles universels valables pour la société maghrébine ou musulmane en général.

On retrouve ça notamment dans les contes et plus précisément dans ce qu'on appelle les petites

كالاتاعة والتلفزة . لنا نعلم أن هذه الوسائل إذا وجدت فى أوساط ما تحتل مكانة هامة . ولكن امتن المحسن وأكثرها وقفاً وتأثيراً فى القلب والنفس والعقل هى المحسن ذات اللسان الفرنسى . ثم هناك الكتاب ، ولا أريد أن أطيل . سأخرب مثلاً يميناً وهو كتاب المطالعة فى المرحلة الأولى من التعليم الثانوى وخاصة فى السنة الأولى ، أن الطلل المألوج اللغة مع المعلم إنه فى هذه المرحلة ، إمكاناته اللغوية باللمسة للعربية اعظم وأهم من إمكاناته بالفرنسية ، هو يجد بين يديه الكتاب الضيق الذى يطرق موضوعاً يتماشى تماماً وما يحلم به وما يطمح اليه وما تنتهيته نفسه ، ولقد عينه ، لأن القراءة عملية عينية أن صح التعبير ، فى حين أننا ونحن على علم بهذا ، أن الطلل لا يجد نفس ذلك اكتساب بلغته ، وإذا وجده فإنه يجد انما ، فيه مواضع كهول وإسليه اقرب الى أسلوب الكهول ، بمعنى يقدم اليه انتاج انبى هو أولى بالمكهل منه الى هذا المراقق الناشئ أو الطلل . أريدت بإيجاز ، مثال الجريدة ، والاتاعة ، والتلفزة ، والكتاب . ثم لعنى أضيف بعداً آخر وهو الفراغ الذى تتصف به الكتبة الطمية . من أين يستقى الطلل ، من أين يتعلم الطلل فى هذا الميدان ، أنه يتعلم عن طريق اللغة الاجنبية ، هببت هذه الامثلة لكى اعود من جديد الى ميكلين لثنين ، هيكل للكتابة وهيكل البحث ، هناك وظيفة هامة وهى وظيفة الكاتب ، وهناك وظيفة اخرى ثابية وهى وظيفة الباحث ، وأنا اعتقد اننا ما مينا لثنين وننشد عملية التطور فاننا لا نتطور ، لأن اللذين سيفرنا الى التطور بانهية مضبوطة ، ويتحليل نظرى دقيق ، ويرفع أسس علمية مكتنهم من تطوّر

anecdotes. اللوازم. Donc ce que nous étions à côté du but essentiellement pédagogique, des problèmes de la lecture, du contenu de la lecture et des livres. On peut viser un autre objectif qui est plus lointain qui est une sorte de psychanalyse du savoir, de la culture maghrébine, de la culture Arabe peut-être. Une psychanalyse donc à travers les symboles, à travers les problèmes qui se posent dans l'écriture ; parce qu'on sait très bien, nous le savons tous comme vient de le souligner "Ben Cheikh" que chaque écriture est un acte, écrit d'abord pour évoquer des problèmes personnels propres à lui, mais aussi des problèmes humains.

Il écrit pour transmettre une inquiétude, pour transmettre un message, pour dépasser sa solitude, donc plusieurs objectifs. Et aussi pour rendre compte des problèmes essentiellement sociaux. On peut se référer là au livre de Abd El Madjid Attia ou bien de celui de Monsieur Ben Cheikh, sur aussi les problèmes de l'écriture sociale notamment. Il y a d'autres problèmes ? Voilà ce que l'on peut tirer donc de l'étude linguistique et sociologique d'écritures maghrébines et tunisiennes. Je ne peux parler du problème de la langue parce que ce n'est pas, disons ma direction, mais adressant le contenu lui-même et déboucher sur une culture et une société données. Et nous savons très bien que si on prend un exemple d'écritures très connues comme Ibn Khaldoun nous voyons à travers ses œuvres, il rend aussi bien la dimension sociologique de la société que la dimension linguistique, culturelle notamment quand il parle de dichotomie entre la ville et la campagne. Et dans la langue courante, nous est rendue énormément d'expressions qui renvoient justement à cette grande influence qu'a eu Ibn Khaldoun et quand on dit par exemple je pense de ces expressions "أذا عربت خريت" « c'est des expressions qui sont passées dans la langue courante, qui auront une certaine conception de la lecture, qui ont rattaché aussi à une certaine conception de la sociologie.

La culture conçue par Ibn Khaldoun dans la ville, à la campagne. La ville est le centre de la civilisation et de la culture. La campagne est tributaire, elle est au

service de la ville. Et les gens qui viennent de la campagne ce sont des gens qui vont se rattacher des citadins, des gens "cultivés", des gens disons possesseurs de la culture, commencent par habiter d'abord dans les remparts de la ville pour ensuite se rapprocher petit à petit de la ville ; et aussi du symbole que représente la ville qui est la civilisation.

الإستقاة محفوظة شرقان اظن أن النظر إلى العربية من حيث الشكل والطباعة والقراءة يمثل في حد ذاته مشكلا ، إذ هو يدعم الموقف القائل بأن العربية لغة كتابة لا لغة كلام ، أهم مشكل في الوقت الحاضر بالنسبة للعربية هو المشكل المنطوق ، هل في العربية سجل منطوق أم لا ؟ نلاحظ أن الطفل عندما يتعلم في المدرسة هذه اللغة التي نسميها لغة عربية نلاحظ أنه إذا خرج من المدرسة لا يمكنه استعمالها ، فهذا يمثل في حد ذاته مشكلا ، إذا لم يستطع متعلم العربية ممارسة العربية فلا يمكن أن نسمي هذه اللغة لغة باتم معنى الكلمة ، وقعت محاولات عديدة للتقريب بين لغة الطفل ولغة المدرسة ، لكن هذه المحاولات بقيت محاولات بطيئة لم تات بالنتائج المرجوة كذلك الطرق التي استعملت أو التي ابتكرت لمعالجة هذا المشكل ، كثيرا ما تصادمت بالواقع ، أفكر تجربة الطريقة الحرارية التي تقوم بها في تونس ، لاحظنا مرارا أننا عندما نطالب الطفل بالتمهيد بالعربية أو بما نسميه بالعربية الفصحى يكتفه حسن التعبير ، إذن ماذا يكون موقفنا ؟ أقول أن موقفا كسوريا أو كياحيين أو كدريين من مشكل الاستمرار ، استعارة اللفظة من اللغة المنطوقة ، أو استعارة اللفظة من لغة أجنبية ، موقفنا هو موقف رفض ، واتسامل ، ألم يكن هذا الموقف ، أي موقف الرفض ، هو موقف قتل اللغة العربية ، لأن اللغة كائن حي يتطور ويتطور

أو فرضنا كيف تتطور هذه اللغة وحاولنا أن نستمد منها بعض الشيء لا تنهينا إلى بعض الملل.

والقطة الثانية ، أنا لا اعتقد أن قضية الشكل هي القضية الرئيسية لحصل المشكلة ولا قضية الرصيد اللغوي ومتدرج بعض الملاحظات في التقرير النهائي ، ثم أن قضية الشكل تحمل مستوى معيناً ، يصبح أن الطفل عندما يطالع يجد صعوبة لكنه لا يجد صعوبة عندما يسمع مثلاً السلسل التلفزيوني أو السلسل الأذاعي ، أن الكلمات التي وقع اختيارها وأن الطفل أصحها من محاولة اعتماد الأطفال إلا أنهم أعملوا مستوى عاماً هو مستوى اللغة اليومية التي تُرد في مستوى المكتوب ، أن المستوى المكتوب هو المستوى الذي يدل في نظري على مدى تطور لغة ما وتمازجها مع الحياة المصرية .

الأستاذ أحمد هوة أنا مع الأستاذ عبد المجيد عطية فيما ذهب إليه من أننا يجب أن نسمي إلى تحرير المستند كما سمينا لتحرير مقرناً ، وأذكر أنه في سنة ١٩٥٢ أثناء معركة الاستقلال في تونس قمت بمحاضرة في قصر الجمعيات الفرنسية واتخذت موضوعاً لها « الظاهر بهاء العين زهير » وأخترت هذا الضامر بالذات في ذلك الوقت لسهولة لنته ولأن اللغة التي كان يستعملها هي شعره يستطيع كل شخص أن يفهمها ، واتخذتها أيضاً دليلاً لكي أجدد عن العربية ، ومن جملة ما قلت أن المعجز ليس في اللغة العربية ولكنه في السنة من ينفرون من العربية ، وأذكر أن القاعة كانت مليئة بالمستمعين ولكن أكثرهم من الشرطة السرية الفرنسية وكان بجوارى زميل لي طلبت منه أن يبينني كلما رأيته توردت وتخلت في الموضوع ، وطبعاً كنت أعيش على أعصابي أثناء

الزمان ، أقول حتى التراكيب أن كان لا بد من تغييرها فلماذا لا نغير ، إذا قلنا أن اللغة كائن هي تتجدد فالمفردات والتراكيب نفسها لا بد أن تتغير وتتجدد ، وشكراً .

الأستاذ محمد خليل إن اللغة وحسب كوسيلة للتعبير عن الأفكار ، فالخاية هي الأفكار وليست اللغة ، وإذا كانت هي كوسيلة وهذا أضرب مثلاً عن راكب سيارة ، المهم أنه يصل إلى غاية سواء كانت حافلة أو سيارة أو حتى دراجة صغيرة هذا لا يهم ، المهم تجاوز هذه الوسيلة ، لا نقدها ونجعلها غاية في حد ذاتها ، لأن التفكير تصول من غاية إلى وسيلة وأصبحت الوسيلة هي غاية في حد ذاتها ، فاللغة خلف للتعبير عن الأفكار وأصبحت أيضاً عند ما نطلق بالكلمات نوصي بأفكار أخرى .

إن اللغة العربية في ميايبن عدة ، هناك يادسة التطور ، ولكن كثيراً ما نقف عند هذا التطور موقفاً سلبياً ، أنا اعتقد أن الذين يساهمون في هذا التطور هم الكتاب ، والكتاب عندي نوعان ، كتاب التكوير وكتاب الأطفال ، ثم هناك صنف آخر من الذين يطورون اللغة هم الذين يتكلمون اللغة الصامية ، أقول أنهم هم الذين يساهمون ، وأخذ مثلاً الله ، أجرينا تحقيقاً اجتماعياً في سيدي فتح الله في شواشي تونس ، وكان الخلفاء يهدف إلى معرفة حياة السكان الذين جاءوا من الوسط ومن الجنوب واستقروا بتلك المنطقة ويعملون في منطقة صناعية ، لما حلوا بذلك المكان كانوا يجهلون كل شيء عن مصطلحات المصانع ، ولكن ظروف المسجل فطمتهم إلى خلق كلمات واستعمالها استعمالاً عاماً ، اعتقد أن دراسة تماشي اللغة اليومية أو ما يسمى باللغة الدارجة ،

تجد امامك كلمة (كتب) هل تقرؤها كتب ، كتب ، كتب ، كتب ، كيف تقرؤها ؟ لا ننظر الى اشخاص منطلقا الذين قضوا سنوات طويلة في التعليم ، ولكن ذلك الطفل الصغير الذي تريد ان تصيب اليه اللغة وان تجعله يتقن من وراء تلك اللغة الى الافكار التي تحملها ، والى الثقافة التي تحملها ، فعندما توضح له الطريق ولا يشموح بسيطة لا تقي بالفرص المطلوب ليست كالانوار الكاشفة ولا غيرها ، لان الشموح تضىء له تلك الكلمة فلا يضيف الى صعوبات الحياة صعوبة اخرى في اجتياز الكلمة والجمله الى المعنى - هذا مما اردت ان اقول به بخصوص هذه النقطة ، وشكرا .

عبد المجيد عطية : اؤيد ما قاله الاستاذ احمد صرة - فنور النحو في الفهم ليس عظيم ، قام محمدا ، فاجابه الآخر لا ، يجب ان تقول : قام محمدا ، لان محمدا فاعل ، قال له اذا قلت قام محمدا هل معنى ذلك انه جلس ؟ بل بمعناه قام ، والليل على ان دور النحو ليس بهام في الفهم لاننا نصوب الانسان اذا ما اخطا ، عنينا يقول : قام محمدا ، تقول له لا ، ينبغي ان تقول قام محمدا لماذا استطعنا ان نصوبه لاننا فهمنا قصده ، اننا فالتحوي كان زائدا ، الصواب بالمعكس ، له دور في الفهم المعنى وفي التليخ ، فكما قال كتب ، كتب ، كتب - الخ - له دور هام في الفهم ، اما النحو فنوره في الفهم قليل ، ولهذا سقط من اغلب اللغات ، في اللغة الدارجة مثلا حذف الاعراب ، - الخ - ثم اذا عينا الى فصاحة اللسان بمعنى التعبير بوضوح ، فاذن اللسان الدارج ، ومعنى الدارج اصبح مفهوما ، فتصيح اللغة الدارجة هي اللغة الفصحى او ربما تصيح هي اللغة المتفصصة اما اللغة الفصحى هي الواضحة هي اللغة التي

القاء تلك المحاضرة - وعند الغاض قام احمد الزملاء وقال باتي لمحت في اربع او خمس جمل في تلك المحاضرة ، اؤكد لكم اني احمست فمسره بالاشفاق ، نحن الان نقول الازواج ونسبل الصام في الشوارع من اجل الاستقلال وقد استبحنا حرمة النفوس البشرية فلم لا نستبيح لانفسنا حتى اللغة لكي نعيش ، هذا جرى في احد الاجتماعات مع الزملاء المتفقيين عند الحديث عن الانشاء التدريجي وطريقة ممالجتها ، لانه اعتاد التلاميذ ضبط نفس الانشاء بالفصل فوقعت اعتراضات وقالوا التلميذ سيسقط في الامتحانات نتيجة لكثرة الاخطاء ومعنى كانت الانشاء اخطاء نحوية او صرفية ؟ ! واخذت اناقضهم الامر وقلت لهم ان الانشاء خلق ، وللخلق هو صورة ذهنية قبل ان يتحول الى صورة تعبيرية وشرع ذهني ، ولهذا فلنمنع التفكير الالهي الاولي ثم يتفاوت تقدير هذه الافكار ، مثلا تعطى علامة ١٢ على عشرون اذا قدرنا الانشاء على عشرين الخ ... وحتى الاستاذة تهيروا الامر في الاول ولكنهم بعد ذلك افترضوا بهذا الامر ، اننا لقد جانا لنا ان نتحور بعض الشيء من اعتبار الزلات اللسانية كمهم لمصرح العربية ان هذا المصرح قد تصطم من زمان ونحن نحاول ان تبنيه من جديد وان نرفع هيكله من جديد فلترفعه لافصاحة اللسان وقوة البيان وجواب الشكل في التتوين وغيرها ، فلترفعه اولا بالفكر ، الفكر الناضج ينتج عنه تعبير ناضج ، لكن فيما يتعلق بالشكل بين المكتوب والمسموع الذي تعرض اليه الزميل عبد القاهر بن الشيخ ، قضية الشكل انا اوافق الاخ عبد المجيد على انها تيسر وتسهل ، لا انصدد بالشكل اي آخر الكلمات بل بقية الكلمة ككل ، لانه

على جوهرها الاصلي الحقيقي لكي لا يشيع جمال الخط العربي ، ولكن تكون بعض التكميلات وبعض الاضافات حتى يستطيع الطفل أن يفرق بين (ب - ب - ب) مثلاً ولكن يبقى الباء هي الباء ، وشكراً .

الاستاذ محمد بشوش : قضية الشكل ليست هي كل قضية اللغة العربية ، ولكنها تمثل جزءاً هاماً وفي هذا الباب انكر مثاليين أو نكتتين أن شتم ، النكتة الاولى تعرفون كلكم حكاية ذلك المؤن الذي يقرأ فترجى رحمة وباء دائماً فأتت نياحة فوضعت نقطة على الحاء فأصبح يقرأها فترجى فأتاه رجل ذات يوم وقال له : لا تترجى ولا تترجى بل هي : ترجى ، وهنا في كلمة تترجى نلاحظ امرين ، الامر الاول بالنسبة للشكل أهمية النقطة على الحروف ، والنهاية الثانية هي أهمية الحركات لأن لا تترجى ، ولا تترجى ، ثم الناحية الثانية في الشكل هي كذلك اختلافه انقذ ، فاذا رجعنا الى النقد تجد مثلاً اسأذنتا وبعض مؤدبيننا يتقنون حرف (ف) من الاسفل و (ق) نقطة من فوقه ، بينما الامر هو تراخى واتفاق ، وكل هذه الامور هي في واد واحد وهو ما يسمى يعلم العلامات ، كما أن مثلاً في الطرقات فإن اللون الأخضر يدل على السلامة والاحمر على الخطر ، كذلك في الكتابة ، هذا جزء من قضية النقد والشكل ، فلا يمكن أن نفضل العربية على بقية اللغات أو اللهاجات لأن العربية تطورت كاللغات الاخرى ، وهذا التطور واضح من حيث الاستعمال لأن اللغة مرتبطة شجسد الارتباط بالاستعمال ، والاستعمال هو المعيار الاساسي في تطوير اللغة ، ونحن لنا موقف واضح من العربية ، كلنا نميل الى العربية التي نتميز بها والدليل على ذلك على

يفهمها الناس لأن كلمة فصاحة مأخوذة من الرضوح ، ففي الجامعة لم تكن هناك لفظة عربية ، إنما وجدت لغة موحدة هي اللغة التي كانت تستعمل في عكاظ فهذه اللغة الموحدة هي لغة لطريف والمستوى ، ما نستطيع أن نقول بأنها محاطة بعامل الزمان والمكان ، فهي لغة تستعمل في ظروف مما .

الاستاذ محمد خليل : تستغل الاستاذ جيد المجيد جعلني افكر في تعدد اللغات في العصر الحالي ، كما نعرف هذه الطريقة وجاءت لغة فريش وهي التي كانت موجودة ، واؤكد لكم انني عندما اشاهد الافلام المصرية لا افهم الكلام الذي يجري بين الممثلين ، بينما هي لغة عربية ولكن دارجة ، لهجة ، يكفي أن تلاحظنا نرغمهم بلغتين في السنوات الابتدائية ، وأخيراً بالذکر هنا المغرب وتونس ، العربية والفرنسية ، أن كل لغة شخص ، لغتان شخصان ، هناك دور يجب أن يقوم به الكتاب وهو أن الكلمات التي تخلق في المختبرات هذه الكلمات يجب ألا تبقى حبراً على الأوراق ولكن يجب أن يأخذها الناس للتعبير بوجوبها ومؤلام هم المؤلفون والقصاصون والمثيرون ، أما قضية الشكل فإن طريقة الكتابة تشكل مشكلاً في هذا الباب ، لانه عندما يكتب حرف (ب) مثلاً تضع فوقها شمة أو فتحة أو تنصه كسرة ، وصورتها الحقيقية بالنسبة للطفل الصغير لا تتغير ، هذه النقطة بالذات يجب أن تكون نقطة تفكير بالنسبة للاستاذ الباحثين في المعاهد وأوجه الكلام بصفة خاصة الى زميل الاستاذ ابن الشيخ ، وكذلك من جملة نقاط التفكير اضافة الى ما وقع ابتكاره في المغرب في الطبعة الموحدة أو يقع تكميل الصورة بحيث تختلف مع الحفاظ

احتلال هذه اللغة فهذا لانرضاء ، ونختصم هذه الندوة بمثال فقط ، في السنة الماضية في ألمانيا الغربية هناك طالبة رسمت في شهادة البكالوريا لانها اخذت مسالة ضعيف في اللغة الألمانية ، ورفعت القضية الى محكمة فرعية بفرانكفورت وحكمت لصالح لجنة الامتحان ، ثم رفعت القضية الى المحكمة الفدرالية في بون فعكست كذلك لصالح اللجنة . قالت المحكمة الفيدرالية لا يمكن أن يدجج في البكالوريا الالمانية ضعيف في اللغة الألمانية . ولنا وطيد الامل أن تثير هذه الافكار التي جاءت في هذه الندوة نقاشا موسوعيا من شأنه أن يثرى لغتنا ويمكنها من احتلال مكانتها الوظيفية في المجتمع . وشكرا .

سبيل المثال أنا لي أخت لم تتعلم قط في أي مدرسة ولكنني علمتها الحروف الابجدية وأصبحت الآن تحسن قراءة روايات نجيب محفوظ وغيرها ، هذا يدل على ماذا ؟ يدل على أن للمربية طاقة تعبر عن افكار وخواطر ، ولكنها تدل كذلك على أنها لا زالت مرتبطة باللهجة التي نستعملها ، فالاستعمال امر هام .

عظماء شعوب : أشكر جميع الاخوان الذين شاركوا في هذه الندوة . فيما يخص اللغة كلنا متفقون على المبدأ . ولكننا نسمى الآن الى كيفية اسغال هذه الاصلاحات الى اللغة العربية حتى تؤدي وظيفتها ، أما التسهل الذي يؤدي الى





اللغة العربية وكيف حلت محل اللغات القديمة

يعتبر كتاب « الإسلام في مجده الأول » أهم محاولة بذلت حتى الآن لدراسة الحضارة الإسلامية ولاستقصاء العناصر الثقافية التي تتكون منها ، على ضوء العوامل الاقتصادية والتفاعلات الاجتماعية التي شهدتها مختلف المجتمعات والدول الإسلامية ، خلال الفترة بين القرن الثامن والقرن الثاني عشر الميلادي (القرن الثاني والقرن السادس الهجري) ، أي في العصور الذهبية الإسلامية - وهذه الدراسة تتناول الفضاء والمحيط الجغرافي والامتداد الديموغرافي وعناصر الإجناس ، وعلاقات العالم الإسلامي بالغرب البربري ، والهند والصين ، وطرق التجارة البرية والبحرية (ولا سيما طرق الذهب والفضة والعبيد والتوابل) وشؤون النقد ، والتأثير الثقافي المتبادل بين الجزيرة العربية والبلدان العريقة في الحضارة التي فتحها الجيوش الإسلامية ،

تأليف :

موريس كوهيار

ترجمة وتعليق :

اسماعيل العربي

(1) قسم تاريخية جغرافيا الكتاب الذي اشترت الحركة الوطنية للدراس والتدريس حقوق نشره باللغة العربية من جامعة جاليليا ، وهو الآن تحت الطبع . (المبرمج)

كان الوضع قبل الفتح الإسلامي ، على وجهه التقريب ، كما يلي :

كان يوجد في مقابل مجموعة اللغات السامية ، اللغات الهندية - الأروبية ، واللغات التركية - المنغولية ، أو لغات المناطق التي تمتد بين جبال الأبال والبالطاي ، ولغات إفريقية السوداء ، ومنطقة اللغة القبطية ، ومنطقة اللغة النوبيرية .

وقد كان من نتائج التوسع الإسلامي في العالم القديم لانتشار اللغة العربية التي منقسمت على نفسها بوصفها لغة الحديث إلى فئتين أساسيتين من اللهجات : لهجات المشرق ولهجات المغرب ، وعلى أطراف العالم الإسلامي ، تسود لغات تجارية مركبة من عناصر متعددة : اللغة الصديقية في آسيا الوسطى ، والصوالمية على شواطئ إفريقيا الشرقية ، ولغة الأر في السودان ، وأخيرا ، لغات الأفرنج في منطقة البصر الأبيض المتوسط .

اللهجات العامية السامية :

يسود في المنطقة السامية غير العربية النظام التركيبي اللغوي الآرامي . فإن اللغة الآرامية قد ، ابتلعت ، في القرن الرابع قبل الميلاد ، على الأقل ، على مستوى اللغة العامية - جميع اللغات السامية السائدة في المنطقة ، وذلك فيما عدا اللغة العبرية .

وقد كانت اللغات الرسمية السائدة قبل الفتح الإسلامي في المنطقة ، هي : اللغة البيزنطية في سوريا ، واللغة الفهلوية في منطقة ما بين النهرين الخاصة للساسانيين ، ولكن الآرامية كانت لغة حية ويشهدتها الجميع .

مثل إيران ، ولكنها تركت بصمة خاصة على توضيح القواعد النحوية التي سمحت بإقامة المراكز الممرانية الكبيرة في الشرق والغرب ، وبامتداد السيطرة الاقتصادية والنقدية ، الإسلامية خصوصا على الغرب البربري ، والكتاب ، معتن زائد بالمعلومات والبيانات المستقاة من أقسام وأند الوثائق والتي صهرت في بوتقة من التفكير التحليلي واستخلصت منها نتائج ، لاشك في أنها ستكون لها أثر غير قليل في توجيه البحث ، متى عرفت ، توجيهها جيدا في الاستنتاجات ، ومما يزيد من هذه النتائج تلك الشعور - شعور التعاطف والمودة - الذي يفيض في كل فصل من فصول الكتاب ، نهر العالم الإسلامي والآثار التي ساهم بها في بناء الحضارة البشرية . والكتاب يحتاج إلى عرض خاص ، قد نتاج لنا الفرصة للعودة إليه ، وتقديمه لقراء ، الأصالة ، الخراء .

ولكننا في هذه المرة ، رأينا ، تمهيدا مع الخطوط التي حددتها مجلة الأصالة للمحدد الخاص بالتعريب ، أن نقتصر الفصل الرابع من الكتاب ، وهو يعكس تقاليد اللغة العربية (وتصارعها في بعض الحالات) مع لغات العالم القديمة التي انصهرت لغة الخاء على معطلمها ، قبل أن تصبغ لغة العلم الدولية .

(المترجم)

العامية والعربية الفصحى :

فلما أن العالم الإسلامي كان عبارة من بوتقة انصهرت فيها عناصر مختلفة ، كان بعضها أجنبية عن البعض الآخر ، وضعت جنبا إلى جنب ، ثم ، أصبحت ، وذلك في الوقت الذي استمر فيه تأثير تقاليد قديمة - ودرس الوضع اللغوي ، من طريق المشكلة اللغوية والحروف الهجائية ، سيسمع لنا بتحديد الجانب الأساسي لهذه الظاهرة .

اللهجة العربية وكيفية عمل اللغات القديمة

وجميع هذه اللغات متجاورة وحرفها الصامتة متشابهة - ومقاومة ميوعة لغة الحديث ، بذلت محاولات عديدة لوضع علامات صوتية ، بقصد تثبيت النصوص المقصدة في اللغة العبرية ، في مركز الدراسات اللغوية في طبرية الذي كان يوازي علماء النحو والصرف اليهود ، هؤلاء العلماء تدهروا بعيداً في بحثهم عن الوثائق ويلغوا بما بين الدهرين حيث تمسبوا في اختلاط لهجتين ظلت كل منهما متفصلة عن الأخرى ، حتى ذلك العهد : اللهجة الفلسطينية والآرامية الفريسية - وبذلك ظهرت لغة الحديث هي خليط بين لهجتين .

وهذا الاتجاه إلى الجمع والخلط والتركيب إنما سمح به توحيد العالم الإسلامي ، بل الأولى أن نقول أنه كان قوام هذه الوحدة .

وفي نفس الوقت ، وفي نفس الاتجاه ، وانفس الغرض ، حاول الكتاب السريانيون طرقاً لتثبيت نطق الكلمات في النصوص المقصدة ، فوضع اليمقوبيون (نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن الميلادي) حركات اغريقية تركيب فوق السطر أو تحته ، وبينما وضع التنطوريون (ابتداء من القرن الثامن) حركات هي عبارة عن فقط تركب فوق السطر أو تحته - وفي نفس الفترة أيضاً جرى عمل مغطى لمخبط وتشكيل حروف الأيات

واللهجة الآرامية لهجتان : اللهجة الآرامية السائدة في المناطق الغربية الواقعة تحت بيزنطة ، وهي لغة الحديث والكتابة ، وبها كتب التلمود في فلسطين خلال الفترة التي تمتد بين القرن الرابع والقرن السادس الميلادي واللهجة الآرامية السائدة في المناطق الشرقية في مملكة الماسانيين - وهي تشتمل على لهجتين فريجتين : اللهجة البابلية وهي لغة الحديث والكتابة ، وكان يستعملها اليهود ، وبها حرد تلمود بابل خلال الفترة بين القرن الخامس والقرن السادس الميلادي ، واللهجة السريانية الآرامية (١) التي كانت لغة الكتابة ومستصح ولغة الآداب الدينية لجميع الكنائس المسيحية ، اليمقوبية والتنطورية ، من فلسطين حتى ما بين النهرين والفرس - وقد كانت فترة ازدهار اللغة السريانية ، هي التي تمتد بين القرن الخامس والقرن الرابع عشر الميلادي .

وفي عهد الفرس الفريسي ، كانت الوجودية اللغوية كما يلي :

فان لهجات المدينة ومكة التي كان يستعملها الفاتحون ، قد أصبحت هي لغة القرآن (٢) واللهجة العربية المكتوبة - وأما الشعوب اللغوية على أمرها في مسوريا وما بين النهرين ، فقد كانت تتحدث اللهجة الآرامية - الفريسية والشرقية وكتبتها ، أو تكتب باللهجة السريانية - وحرفها التنطورية أو بحرفها اليمقوبية -

(١) نسبة إلى ادريس Edris ، مدينة ومملكة للفران في جنوب ما بين النهرين ، انتشرت المسيحية فيها في وقت مبكر ، كما أصبحت من أهم مراكز الصليبيين، بعد استيلائهم على مدينة القدس وقد استرجعها الترك في سنة ١١٤٤ ميلادية - (انظر ج ٢) الواقع انه اذا كانت لهجات مكة والنديفة هي الإسلامي الذي تفرع عليه لغة القرآن ، كما يقول استناداً للألف ، فإن نفس المعلوم ان اختلاف اللغات واللهجات العربية ، قد نجم عنه اختلاف القراءات في القرآن ، واللهجات ، أو الروايات ، الإسلامية مسيح ، وقد روي عن ابن عباس ، انه قال : « نزل القرآن على سبع لغات » منها خمس بلغة الصن من حواري ، وصر الدين وقال لهم عليها حرفان وصر خمس قبايل أو أربع ، منها مسند بن بكر ، وجنس بن بكر ، وصرين سارية وتقيف ، وليند لذلك ، قال قراءات القرآن ، كما يقول اسعد أمين ، يمكن دراستها من عدة الناحية ، ناحية كونها تمثل بعض لهجات القبائل العرب - (الترجم)

الغرامية ، فوضعت الفتحة والكسرة والضمة التي
تركب تحت الحروف أو فوقها (١) .

وأما اللهجة الآرامية العامية التي كانت لغة
الحديث في سوريا وبين النهرين ، فقد اختلفت في
حوالي سنة ٨٠٠ ميلادية على أقصى تقدير ، وقد
أخذت عناصرها وحلت محلها لغة سامية أخرى ؛
اللغة السريانية ، واللغة الآرامية والسريانية ،
أصبحتا لغتين منقسمتين ، لا تستعملان بعد الآن
إلا للكتابة .

واللغة العبرية بدورها لم تعد تدرس الا
بوصفها لغة ميتة ومقننة في محافل أجهار اليهود
في فلسطين ، وفيما بين النهرين - وهكذا تسم
رسم التلمود في شكله القديم - نصية الى مدينة
القدس ، والبابلي (نسبة الى بابل) ، وأما
التلمود نفسه ، فيقسم الى قسمين : للشرائع
« ميشنة » التي جرت باللغة العبرية وتم تحريرها
في القرن الثاني الميلادي ، والهوامش « جمارا »
التي وضعت على نصوص الشرائع ، وتم تحريرها
باللغة الآرامية الغربية أو الشرقية ، طبقا للمصنفين
المختلفين من التلمود .

وبذلك أصبح انكمنون والديانة اليهودية
منقسمين ، كما نرى ، ومضطرين الى الاندماج
اللغوي .

كان لسوريا في العالم الاغريقي/ اللاتيني ،
أربع لغات : لغة الحديث (العامية) الآرامية ،

ولغة مكتوبة يستعملها المسيحيون اليونانيون ،
السريانية ، ولغة أخرى مكتوبة ، العبرية التي
تدرس في مدارس فلسطين ، وأخيرا ، الاغريقية
التي تستعمل في الشؤون الادارية والخارجية .

ومن الناحية الاخرى ، كانت بلاد ما بين
النهرين التابعة للمسامنيين ، تستعمل نفس
اللغات ، مع تحفظ واحد ، هو ان الفهلوية لغة
الفرس ، هي التي تقوم بدور اللغة الاغريقية في
الشؤون الادارية الخارجية ، أضف الى ذلك ، ان
اللغة العبرية واللغة السريانية كان لكل منهما
هنا خصائص معينة . فان الثقافة اليهودية في
هذه المنطقة عرفت ازدهارا وانتشارا واسعا ،
وكان « رن جالوثا » (رئيس القسرة) حسن
الشخصيات التي تحتل مكان الصدارة في بلاط
العباسيين .

وأما اللغة السريانية ، فغطتها الكنيسة
التسبورية ، وهنا أيضا ، نجد ان رئيس الجماعة
التسبورية الكاثوليكية هي استيفون سيلعب
دورا لا يستهان به في بغداد .

وأهمية اللغة السريانية تتجاوز الاطار
الاقليمي ، حيث ان التأثير المتبادل بين التفكير
اليوناني والتفكير الفارسي ، ميقن من طريق
هذه اللغة ، واللغة السريانية ، وهي لغة مكتوبة
نبيلة ولغة الثقافة ، هي التي ستمتج باحتزاج
خطير الشأن بين الافكار واللفاظ ، ومن طريق

(١) يجدر بنا الاشارة هنا الى ان الكتابة في النصوص الاولى كانت « شبه علة القرآن » غير متعربة ولا مشكولة ، ومن هنا تحول
ما يسمى بالتصنيف الى اللغة في المراسم الحالية ، والتصنيف ، كما يقول السري ، هو ان ياط الرجل اللفظ مسن قرائه في
سجدة ، ولم يكن مسن من الرجال ، فيجده في الصواب ، وقد وقع في التصحيح ، كما قال صاحب الزمر ، « سبغة من الاقلام
من آتية اللغة والله اعلم » ، مثل خليل والاصمى ، وله طعن في الجليل الذي اورد في كتاب الدين « بقاء » (وهو يوم كان فيه
حرب الاسرى والجزع) بالتين المسجة ، وليس بقاء كما هو بالحق (المسجلة) انه يوم مشهور لا يصح ان يطلق فيه ، واخرف من
وترع التصنيف ، يأس لنا حرس الزلفي الاوائل على ذكر الخطط والحركات للكلمات التي هي مئة لاتينية ، فيقولون مثلا ،
خطاه المسجة وبالكسر ، الخ ، « لغويين »

واللهجة المانية ، هي لهجة الشواطيء الجنوبية الشرقية التي كانت هي الأخرى مركزاً مهماً للعلاقات البحرية ، حيث تسيطر على مضيق الخليج العربي . ويسمى هذا الموضع الجغرافى ، لا يستغرب من أن نجد هذه اللهجة مشربة باللغة الفارسية ومتأثرة بنغوذ الفرس الذين يقعون على الشواطيء المقابلة .

وأما اللهجة النبطية التي كانت لهجة الحبيش في اشمان ، فهي ترتبط بآثار البتر . (سليح) (١) حبيشة القوافل الكبيرة التي كانت مزدهرة في القرون الأولى التي أعقبت ميلاد المسيح . وهذه اللهجة ، وصلت إلينا نقوش منها يرجع تأريخها إلى الفترة التي تمتد بين القرن الأول والقرن السادس بعد الميلاد .

وأخيراً ، فإن وسط شبه الجزيرة العربية تسود فيه لهجة سكان المدن الحجازية ، ولا سيما مكة وهي مركز مهم لتجارة القوافل التي تسير بين المينئين في الجنوب واليمنيين في الشمال ، أي لهجات البئر الزحل في نجد ، وهم مشهورون بنشاط تربية الصمائل وهذه اللهجات غير مكتوبة . والشعر الجاهلى الذى نظم بها ، لم يسجل إلا بعد ظهور الاسلام ، وعلى أساس روايات شفوية . ومن اللغة الشعرية المشتركة بين مناطق ووسط شبه الجزيرة العربية ، تتكون لغة القرآن فى معظمها . وهذه هي لغة الآداب والقرآن العربى القديم وهي التي مستلهم على مختلف اللهجات ، وتنتشر في جميع أنحاء الجزيرة العربية .

المروانية مستندرك في هذه الوثيقة اللغوية حضارة من عناصر مختلفة تقوم خصوصاً على أساس الاتصالات بين الحضارات والقارات ، تلك الاتصالات التي تشكل إحدى الميزات الثقافية الواضحة لشعوب الشرق القديمة . وإذا حصلنا انصارنا الآن ، ونحن دائماً في المنطقة السامية ، إلى منطقة اللغة العربية ، فماذا نجد يا ترى ؟

تنقسم مجموع اللهجات السائدة بين السكان في شبه الجزيرة العربية إلى ثلاث فئات ، ستوحدها رسالة القرآن ابتداء من القرن السابع الميلادى .

أولاً ، توجد اللهجة السائدة في الجنوب العربى والتي تنقسم بدورها إلى حميرية ومينية ويمنية . وهذه اللهجة تغطي الجنوب الغربى من شبه الجزيرة ، وهو ما يعرف باليمن السعيدة ، مع ميناء عدن مصطفاً الذى يقع في منطقة ذات أهمية حيوية في العلاقات التجارية ، حيث يشكل ملتقى طرق التجارة البحرية في المحيط الهندي ، مع نظام طرق القوافل المنتشرة في غرب شبه الجزيرة ، والطرق التجارية المتجهة من مكة (المكرمة) إلى بلاد ما بين النهرين من جهة ، وإلى موطن البحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى . واللهجة العامية السائدة في هذه المنطقة نجسد نماذج متفرقة محفوظة منها تمثل الفترة التي تمتد بين القرن الثامن قبل الميلاد والقرن السادس الميلادى .

(١) موضع بالارد ، كان عاصمة لدولة لبط في العصر الهلنسى (القرن ٥ - ٣ ب . م) ينقل إليها من مدخل جبل طبرق يسمى « اشش » وقد شهدت المدينة ازدهاراً كبيراً بفضل موقعها على طرق القوافل بين شبه الجزيرة العربية والقوقاز السورية احتلتها تراجان سنة ١٠٥ ميلادية . ثم أصبحت مركزاً استراتيجياً مسيحية حتى النصف الاسلامى . وهي تحتوي على كنائس عفاها الدهر ، ودير بوسيلات ، وكنيسة . والمرفى .

تحتل لغة القبطية ، وهي لهجة وادي النيل ، من اللغة المصرية القديمة * وهي تسجل بأحرف اغريقية * لغة * وفي وادي النيل أيضا ، مستخفي اللغة القبطية واللغة الاغريقية ، وتصل محلها اللغة العربية ، وإن هذه العملية جرت بسرعة أقل مما شاعناه من اختفاء الآرامية في سوريا وبين النهرين * والتواريخ التالية منسجم لنا بتكوين فكرة دقيقة عن تقلص اللغة القبطية والاغريقية واختفائهما *

ثم فتح مصر خلال الفترة بين ٦٦٩ - ٦٤١ ميلادية * ونحن نلاحظ أن أول ورق بردي مكتوب بلغتين (العربية والاغريقية) يرجع تاريخه إلى سنة ٦٩٢ ، وآخر ورق بردي بالبلغتين ، بتاريخ ٧١٩ ميلادية * ومع ذلك فإن آخر ورق بردي باللغة الاغريقية يرجع إلى سنة ٧٠٠ م * ولكن أول ورق بردي مكتوب كله باللغة العربية ، مؤرخ في سنة ٧٠٩ ميلادية *

وكذلك يمكننا أن نستخلص دلالات أخرى من مصادر أمية ومنقوشة * فحين نقرأ أن البطريق ميشل * ٧٦٨ - ٧٥٢ ميلادية * لا يعرف اللغة العربية ، وأن الخليفة المأمون كان يرافقه مترجم أثناء زيارته لمصر في سنة ٨٢٧ ميلادية * وفي مقابل ذلك ، يوجد ما يجعل على الاعتقاد * بأن رجال الكنيسة كانوا يعرفون اللغة العربية في القرن التاسع الميلادي * لئلا نجد أن نسبنا تفكريا مسيحيا بتاريخ ٩٠٩ ميلادية * مكتوب باللفظة العربية *

صحيح أن شعرا شعبيا قبطيا كان لا يزال ينشد في أواخر القرن التاسع * ولكنه ابتداء من القرن العاشر كان رجال الكنيسة القبطية يكتبون باللغة العربية حينما يريدون أن يتكلموا من أن ما كتبه

وهكذا نجد أن العالم السامي يقوم على قرتين لغويتين : اللغة الآرامية * في سوريا وما بين النهرين ، واللغة العربية ، في شبه الجزيرة العربية * والعلاقات بين اللغتين ، من جهة أخرى وثيقة ، حيث أن لهما هياكل متشابهة ، ثلاثية الصولمت وتجمع بينهما أمالات صوتية غسيرة مسجلة ، وحروف أبجدية متحدة أساسيا ، مأخوذة من الحروف الهجائية الفينيقية *

ومن المجابهة التي وقعت بين اللغتين ، خرجت اللغة العربية منتصرة ، بفضل الفتوحات الإسلامية ومنذ وقت مبكر (في أوائل القرن التاسع الميلادي) تحول العالم الآرامي ، الذي وجد في التقارب بين اللغتين مينا ، إلى التحدث باللغة العربية في سوريا وما بين النهرين *

ولكن اللغة الآرامية * لم تكن الضحية الوحيدة التي طردتها اللغة العربية من مقلها * فإن تعريب النواوين الذي بدأ منذ القرن الثامن الميلادي ، قد طرد اللفظة الاغريقية والفهلوية أيضا * وأما اللفظة السريانية التي تجمعت وأصبحت لغة الكتابة والادب فقط ، فإنها لم تعد في نهاية القرن العاشر إلا لغة علمية ، يكتب للمؤمن المسيحيين بها وباللغة العربية ، بدون تمييز * ومع ذلك ، فإن اللغة السريانية لم تست كلية ؛ بل على العكس ، مستشهد بعض القومس والانتشار ، بفضل البعثات التبشيرية النسطورية التي كانت تجوب اسيا الوسطى والصين *

اللهجات العامية غير السامية :

والآن لنلق نظرة * ونحن دائما في سياق الفتح الاسلامي ، على المناطق اللغوية غير السامية *

الصامانية في خراسان ، وبهذا في عهد المبتلطين الغزنويين ، كانوا يمارسون عن طريق الفسة والثقافة المارسية ، ونحن نعرف أن واحدا من اعظم الآثار الادبية الفارسية ، شهنامة الفردوسي وضعت في هذا العهد : ٩٩٠ - ١٠٢٠ ميلادية .

وفيما يتعلق باللغة البربرية ، فقد كانت لغة الحديث في المناطق الخلفية التي تمتد من وادي النيل ويرقه حتى أقصى المغرب ، من جهة ، وإلى ساحل النهر (السودان) من جهة أخرى . فإن اللغة العربية في هذه المنطقة إنما توصلت أولا وقبل كل شيء في المدن ، وهذه اللغة التي هي لغة السنين والحضارة والحنية مستقيم يغطي بطيئة في الجبال والهضاب البربرية . وبالتالي ، فإن اللغة العربية إنما تغطي المناطق التي كانت تابعة لمقرطجنة . والفيلسوف البربري ، سانت أجستين (١) وبيروكوب (٢) أيضا (في القرن الرابع الميلادي) ، يخبرنا بأن اللغة الفينيقية كانت لا تزال شائعة في المناطق المجاورة للمراكز التي كانت تابعة لمقرطجنة ثم وقعت تحت سيطرة الرومان . وهذا قد يكون من العوامل التي تسرع لنا سرعة انتشار اللغة العربية في المدن الرومانية في أفريقية الشمالية : هذا ، على الأقل ، هو الغرض الذي اقترحه جزييل St. Gsell .

ومهما يكن من شيء ، فإن التغيير السريع الذي وقع من اللاتينية إلى العربية ، يمكن تلميله بحاجة المراكز المدنية إلى الاعتماد على لغة حقيقية للكتابة ، وهي لغة الإدارة والتبادل التجاري التي لا يمكن مقارنتها باللغة البربرية غير المكتوبة .

ومن جهة أخرى ، فقد لوحظ تورغل اللسان العربية في جبال بلاد البغال الصغرى (بلاد

يمكن فهمه . ومع ذلك ، فإن اللغة أفريقية ظلت وقتا طويلا أكثر من مجرد لغة مبنية . بل أننا نجد أن المثقفين من رجال الكنيسة القبطية في القرن الثالث عشر كانوا يعرفون هذه اللغة . وكذلك كان البطارقة في هذه الفترة يكتبون القبطية والعربية . وأخر القوش التي وصلت لنا باللغة القبطية ، يرجع تاريخها إلى القرن الثالث عشر . ولكن هذه القبطية كانت لغة الكتابة والعلم . وأما لهجة الحديث اليومي ، فقد أخذت بسرعة أكثر . وقد حلت اللغة العربية محل اللغة القبطية في القرن العاشر الميلادي . وهذا معناه أن اللغة القبطية عاشت نحو قرن من الزمن ، بعد ما اختفت اللغة الآرامية ، وأصبح العالم الآرامي عالما عربيا .

ولذا كانت الوضعية اللغوية قد شهدت ، بالطريقة التي وصفناها ، انتصار اللغة العربية في المناطق المركزية في الإمبراطورية الإسلامية ، وأن الأمر لم يجر على هذا النحو في طرفي العالم الإسلامي ، حيث استمرت ككتلتان من اللغات على قيد الحياة ، على الرغم من تورغل للتعريب في المدن والإدارات وفي أوساط المثقفين ، وتعني بذلك اللغة الفارسية في المشرق ، واللغة البربرية في المغرب .

ونحن هنا سنقتصر على الحديث على اللهجة الفارسية المتوسطة التي خرجت من لهجة قديمة . وهذه اللهجة المتوسطة هي الفهلوية التي تصدر منها مباشرة اللغة الإيرانية الحديثة والتي ظلت زمنة تستعمل ، إلى جانب اللغة العربية .

من المؤكد أن النفوذ الذي كان الفرس يتمتعون به في العصر الساساني ، كانوا يمارسونه عن طريق اللغة العربية . ولكن الفقه الذي مارسه الفرس في العالم الإسلامي في القرن العاشر والقرن الحادي عشر ، ولا سيما في عهد الدولة

الإسلامية وسكان المدن في المغرب ومالطة وصقلية (١) * وهذه العربية القبرية تعرف ، فيما يقال ، باسم « الغربية » التي حُرِّتْ باللغة الإسبانية إلى *Algarbe* ومنها اشتقت الكلمة الفرنسية *Algarbe* (٢) * وإلى جانب هذه اللهجة العامية ، توجد ، بطبيعة الحال ، اللغة العربية القيسية ، لخدمة الأدب والفلسفة في جميع أرجاء العالم الإسلامي * وهذه أيضا هي لغة الدين والإدارة والتجارة والمصارعة * وهي مستعربة في الأندلس نفس الدور الذي لعبته اللغة اللاتينية من قبل ، في العالم الغربي المسيحي * أو اللغة الأفرقية في العالم البيزنطي *

لغة التجارة :

ولكن اللغة العربية سوف لا تقف بتأمين تفوقها المطلق في داخل الإمبراطورية الإسلامية (٣) ، حيث أنها سوف تخترق الحدود مع التجار اليهود من ثربونه * أو مع التجار الذين يملكون في بلاد إفريقية الغربية (السودان) ، من إلى مناطق التبادل التجاري العربية/الفارسية على المحيط الهندي ، وفي اندونيسيا والهند الصينية ، والصين الجنوبية (والمعروف أن مدينة قانطون كانت تأتي مستعمرة كبيرة من التجار الذين ينتصرون إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي) * وكذلك انتشرت اللغة العربية في اتجاه الشمال ، حتى بلغت الانهيار الروسية الكبيرة ، وبخلت منها مثل أثل ، ويغار ، وكيف ، والقسطنطينية نفسها ،

كثافة (في غضون الفترة التي تمتد بين القرون التاسع والقرن الحادي عشر الميلادي ، ذلك ابتوغل الذي لا بد من ربطه بحركة الفاطميين ونشاطهم في تلك المنطقة * وكذلك أدى غزو بني هلال في القرن الحادي عشر للمغرب إلى انتشار اللغة العربية في إفريقية ثم في التتول المرتفعة في الجزائر في غضون الفترة التي تمتد بين القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر *

ولكن هذه العملية كانت بطيئة ، ولم تكن تشمل في الحقيقة سوى المدن والأراضي التي تحيط بالمدن مباشرة -

ما هي الوضعية اللغوية في إسبانيا وفي الطرف العربي للعالم الإسلامي ؟

كانت اللغة اللاتينية لا تزال تحتفظ بمكانتها ، وكانت تتطور إلى لغة رومانية مستصيح يدورها أصل لهجة الحديث في شبه جزيرة الأندلس * وكذلك نشاهد ، بعد الفتح الإسلامي تأثيرا لغويا للبربر ، ولا سيما في المناطق الجبلية التي تمتد من الجنوب إلى الشرق والتي تقطنها عناصر من البربر الذين هاجروا من إفريقية الشمالية * وفي نفس الوقت ، كانت الجماعة اليهودية التي تقيم في الأندلس تستعمل اللغة الآرامية ، ويضاف إلى كل ذلك العنصر الجديد ، اللغة العربية *

فلماذا يتسق باللهجة العربية العامية ، اقترح فرض يقول بوجود كتلة من اللهجات العامية الفرسية التي تشمل سكان المدن في إسبانيا

(١) Colla, «Un Document Nouveau sur l'Arche Diocésaine d'Occident au XIIème Siècle», *Hispania*, XII, 1911, PP. 1-32. (٢) راجع : (٣) معناه بالفارسية : لغة غربية * غير معروفة (فترجم)

(٣) ورد في كلام يهودي كان يكتب من مدينة القروان ، وكان قد تحول في العراق وفي الأندلس والريفية الشمالية ، قوله أنه يذهب لعمد كتابه باللغة الصربية ولاتجاهه إلى الكتابة بالعربية ، حيث أنه يستعمل وليس لديه وقت ، ولغة العربية أكثر ملائمة له . (راجع : I. Goldziner, *Mélanges Juifs - Arabes*, XXII, Revue des Etudes Juives, L, 1935, PP. 183-188.)

ـ اللغة الصغدية التي كانت لغة التجارة منذ عصر الساسانيين وهي لغة إيرانية تشوبت كثيراً من الألفاظ المأخوذة من اللغات المجاورة .

ـ لغة الفرنك التي كانت منتشرة على ضفاف البحر الأبيض الأروبية . وهي لغة عاشت طويلاً ، حيث أن آخر رجل كان يتحدثها مات في منتصف القرن التاسع عشر ، في راجرز *Reger* .

وكنلك لعبت لغة قريبة من اللغة الماليزية (كانت لهجة الحديث في مواليه جسر المحيط الهندي) دوراً يشبه الدور الذي لعبته لغة الفرنك ولكن في وقت متأخر .

فهذه اللغات التي نمت في أطراف العالم الإسلامي ، تبدو غير ذات يسال على الخريطة ، ولكنها في الحقيقة ذات أهمية بالغة - فهي تمثل بوتقات تتحول فيها المصطلحات التقنية - وتمايز البحريين والألفاظ المستعملة في التجارة ، ثم تنتقل إلى اللغات المجاورة - وأهمية هذه اللغات تستحق التنصويه حيث أنها ساهمت في نقل المصطلحات التقنية من العالم الإسلامي إلى اللغة الرومانية (١) .

ستشتمل على مسجد يضم جماعة المسلمين الذين يعيشون فيها .

بقى الآن ، أن نبين وضع اللغات التي تتكلم من عدة عناصر والتي نمت على هامش العالم الإسلامي . وهذه اللغات التي ولدت في نفس الفترة ولكنها ستتطور مع مرور الزمن ويكون لها خطرهما هي :

السواحلي التي كانت تستعمل في مراسي المحيط الهندي على شواطئ أفريقية الشرقية . وهي لغة أفريقية تحتوي على كثير من الألفاظ المأخوذة من اللغة العربية .

ـ لغة أزر *أزر* ، وهي لغة المناطق التجارية حيث كانت تجري المعاملات في الذهب والبيد ، على موانئ السودان (على المحيط الأطلسي) . وهي تشتمل على كثير من الألفاظ المأخوذة من اللغة العربية واللغة البربرية ، والنلهجات السودانية (خصوصاً ، الصونكي والصونقاي) .

(١) لغة صغدية من اللاتينية ، وتطورت تاريخياً إلى اللغة الفرنسية (المرحوم) .



تأثير العوامل الخارجية على اللغة

أجرى علماء اصماغ اللغة في ألمانيا أول تجربة من نوعها على حوالي نصف سكان قرية صغيرة تقع في منطقة الأينل لدراسة تأثير العوامل الخارجية على اللغة والتعبير التي يستخدمها الناس في حياتهم اليومية - ويبلغ عدد سكان القرية ٤٢٦ نسمة - وقد اختار العلماء منهم ٢٠٠ شخص يعادرون القرية يوميا للمص في أماكن أخرى خارج القرية - فلاحظوا تحول تعبير على لغة تحليطهم بسبب دخول تغير هام على مكان سكنتهم الجماعي - وقد قرر العلماء إجراء اختبارات أخرى لكي يتقوا على المواصلة التي تؤدي إلى خلال التعديلات على اللغة وما هو مدى سرعة تأثير اللغة الدارجة بالعوامل الخارجية - وسوف تقدم نتائج هذه الأبحاث للدارس الإسنادة بها في تعليم صغار التلاميذ الحديثي المعهد باللغة الفصحى .



سك

التعريب في الجزائر

تنشر فيما يلي
تقارير بعض الوزارات
التي اتصلنا بها
عن سير عملية
التعريب

وزارة التعليم الابتدائي والثانوي

التعريب في المرحلتين الابتدائية والثانوية

في أول دخول مدرسي للجزائر المستقلة أي في أكتوبر 1962 ، اتخذت وزارة التربية آنذاك قرارا يقضي بإدخال اللغة العربية في جميع المؤسسات التعليمية التابعة لها بنسبة سبع ساعات في الأسبوع . وكان هذا القرار بمثابة إعلان عن البنية الثابتة والعزم الأكيد لتسخير أوضاع المدرسة الموروثة عن العهد الاستعماري ، وأعمالها طابعها القومي كما نصت عليه مواثيق الثورة وذلك رغم المصاعب الكثيرة التي كانت تواجهها ورغم ما يستلزمه مثل هذا القرار من توفير المعلمين بالعربية وقد تم بالفعل توظيف 3452 معلما دربوا بسرعة واستندت إليهم مهمة تدريس اللغة العربية لا كلمة اجنبية ، ولكن كلمة وطنية لها من التوقيت الرسمي نسبة محترمة وذلك لأول مرة منذ أن وقعت البلاد تحت السيطرة الاستعمارية .

وإذا لم يكتب لهذه الإجراءات أن تنطبق في كل المدارس بصفة نظامية نظرا للتعاقب المدينة التي واجهتها البلاد أثناء هذه المرحلة الانتقالية ، فإن الدخول المدرسي الثاني بعد الاستقلال 1963 - 1964 قد شاهد حملة كبيرة لتنظيم تدريس العربية وتعميم الإجراءات المتخذة بهذا الشأن على جميع المدارس وتضمينها بالتسميات التطبيقية . ومع تبلور الأمور شيئا فشيئا في هذا الميدان ، بدأت عمليات التقييم لتنتج تلك الإجراءات الأولية قتيين يوضح أن اللغة العربية ينبغي أن يتطور وضعها من مرحلة تلقينها كلمة وطنية فحسب ، إلى مرحلة تعليم سائر المواد بها . وقد قام رجال التربية والمتقنون بشكل عام بحملة واسعة تدعو إلى تعريب السوات الأولى من الابتدائي تعريبا كاملا مستندين إلى ما يلقاه الطفل الجزائري من مناعب الأزدواجية اللغوية عند أول اتصال له بالمعركة ، إذ يطلب منه تعلم القراءة والكتابة بلغتين مختلفتين أشد الاختلاف من حيث القوالب والبنىات والمفاهيم

وهكذا تقرر تعريب السنة الأولى الابتدائية تعريبا كاملا في الدخول المدرسي الثالث بعد الاستقلال سنة 1964 - 1965 ، وأصبح التلاميذ في هذه السنة لا يتعلمون إلا العربية ، ويتعلمون بالعربية كل مواد البرنامج . وقرر في هذه السنة عدد المعلمين بالعربية إلى 10.961 معلما ، وشمل هذا الإجراء مجموع التلاميذ الذين التحقوا بالمدرسة لأول مرة في تلك السنة .

وقد استلزمت هذه الإجراءات مجهودات ضخمة لتوفير الأعداد اللازمة من المعلمين ، والمفتشين ، والمستشارين التربويين ؛ وبدأت في نفس الوقت اهتمامات اربين تنصب على وضع المناهج والبرامج والكتب الجزائرية للملائمة لروح الأطفال وواقع البلاد . وكأف قصة الكتب خاصة ان هذا التاريخ متروكة للكتبات الخصوصية التي تستورد اشنافا من الكتب التجارية التي لا تسائر الحط التربوي المطلوب ، لذلك تقرر أن تحرف المصالح التربوية على اختيار الكتب المستوردة ووضع قوائم الكتب المسموح باستعمالها في كل مستوى من المستويات .

ومرت سنتان أخريان 1965 و 1966 تركز العمل خلالهما على تدعيم هذه السة المعربة وتوسع نتائجها ، واكمال ما تستلزمه من الترتيبات البيداغوجية ، كما تواصلت عمليات التنظيم والتدعيم لباقي السنوات الأخرى في نطاق الساعات الأسبوعية ، وقد وافق كل ذلك جهد مستر شكوي لمطين بالعربية ورفع كفاءتهم عن طريق الدورات التربوية ، والمكتبات التكوينية التي تنعقد بصفة دورية تحت اشراف المفتشين الابتدائيين والمستشارين التربويين

وفي أكتوبر 1967 طبق القرار الفصلي تعريب السنة الثانية الابتدائية تعريبا كاملا ؛ أي بتدريس كل مواد البرنامج باللغة العربية وحدها ، وعدم تدريس أية لغة أجنبية في هذا المستوى . وقد ارتفع عدد المعلمين بالعربية في هذه السنة إلى 17.047 معلم .

في هذه الأثناء تفرزت قصة التعريب الى الصعد الأول من اهتمامات وحل التربية والثقافة والمسؤولين في مخيف المسويات ، وكان النقاش يدور في الخالب حول الطريقة التي ينبغي أن تتبع لتحقيق التعريب الشامل . قد كانت أغلب وجهات النظر متفقة على أن التعريب أمر حتمي لازم ، كما كانت متفقة على أنه سيطلب كبرا من الجهد والإرادة الوقت . ويمكن تلخيص الطرق المقترحة لبلوغ الهدف في النقاط التالية :

1 - تعريب راسي يطلق من السنة الأولى للتعليم الابتدائي ويأخذ مدة بمدة سنة في التوسع حتى يأتي على كل المرحلة الابتدائية ثم يستمر راسيا في التعليم المتوسط والتعليم الثانوي ليستقل في آخر الأمر الى العامة .

ويؤخذ على هذه الطريقة أنها تشتمل على أخطار كثيرة منها استحالة التمكن من توفير كل الأعداد التي يتطلبها التعريب من المعلمين والأساتذة باللغة العربية في كل سنة مما يجعل الهياكل التعليمية أمام أمر واقع لا مخرج لها منه إلا بإحدى اثنتين : تحلل الانتكاس في مرحلة ما من مراحل المد التعريبي بكل ما يترتب على ذلك من عواقب ، أو الاكتفاء بفتح أقسام مبررة ظاهرياً ، ولكنها في الحقيقة خالية من معلمي وأساتذة المواد الأساسية .

2 — تعريب محلي جغرافي يطلق من الجهات التي سلت إلى حد ما من تأثير الوحد الثقافي الفرنسي ، كمنطق الجنوب مثلا .

وأكرر ماخذ على هذه الطريقة أنها تعطي للتعريب صورة مشينة باقتصاره على الأرياف والوادي وتعرض وحدة تكوين الأجيال الصاعدة للخطر بفقر الهوية بينها .

3 — تعريب تقني يتناول مستوى من مستويات التعليم الابتدائي والثانوي أيما ما كان بنسبة محدودة ، ويشمل كل المواد التي تدرس في ذلك المستوى ، وينطبق في جميع البلاد

ويطر إلى هذه الطريقة على أنها أشد فعالية ، وأكثر مساهمة لمقتضيات التحصيل إذا أن تعريب تلك الأقسام مثلا في لمدى السنوات الابتدائية أو المتوسطة أو الثانوية على الصعيد الوطني يركز الجهود على أمر معقول يمكن تحقيقه ويوجب الوقوع في جمل التعريب مساويا لانعطال المستوى ، ويدعم عمليات التعريب في المستقبل كما يتيح المهلة اللازمة لتصحيح الانحراف وتقويم خط المسيرة على ضوء التجربة الميدانية .

وعلى كل حال ، فإن هذه الطريقة الأخيرة هي التي سيشهد المستقبل وضعها موضع لتنفيذ ، ابتداء من سنة 1971 على وجه الخصوص .

ولكن قبل الشروع في لحدث عن هذه الخطة وسجلاتها ابتداء من تاريخ المذكور ، فإنه يبقى أن نذكر أن الطريقة الأولى — أي التعريب الرأسي السنوي — قد استبعدت منذ البداية . ولعل استمرار المناقشات حول الطريقة التي يجب

اتباعها هي التي أجلت تاريخ الانطلاقة الحقيقية لسياسة التعريب القبطي الى سنة 1971 على أن توسع التعريب لم ينتظر البت في تلك الملاحظات ، لأن الدفقات الأولى التي التحقت بالتعليم الابتدائي في بداية الاستقلال قد بدأت تصل الى مرحلة التعليم المتوسط وفيها نسبة محترمة من التلاميذ الذين تعرفوا في المرحلة اما لأن يهتمهم المأثلية قد ساعدتهم على ذلك التعوق ، واما لأهم دروسا في المدارس الحرة التي كانت تديرها حمية الطماء المسلمين الجزائريين والتي أدمجت بقطاع التربية العمومية في مطلع الاستقلال وظلت تستع طيلة سنوات يوضعية منفردة اذ كانت شبه عربية بالإضافة الى عدة ساعات من تعليم اللغة الفرنسية .

وهما يكن من أمر فقد دعت الحاجة الى انشاء أقسام معربة في التعليم المتوسط في عدة مدارس متوسطة بحيث بلغ عدد التلاميذ في هذه الأقسام 5660 تلميذا في السنة المدرسية 68 — 1969 .

ويمكن تلخيص هذه المرحلة الأولى التي استمرت الى سنة 1970 بأنها أرسّت نهائيا مكانة اللغة العربية في النظام التعليمي واهتمت بتدعيمها في المرحلة الابتدائية حيث أصبحت لغة التعليم لكل المواد الأدبية . أما في التعليم الثانوي ، فقد شهدت انطلاقة تعريب مادة التاريخ نظرا الى أهميتها البالغة واتصالها اتصالا مباشرا بالجوانب الروحية والقومية والثورية وكل المقومات الأساسية للبلاد . ان أبرز ما تم انجازه في هذه المرحلة هو فتح ثلاث ثانويات ; واحدة للبنات (ثانوية عائشة) واثنتان للبنين (ابن باديس وابن خلدون) تستقبل كل منها على المرحلتين المتوسطة والثانوية ، ويتم فيها تدريس جميع المواد الأدبية والعلمية باللغة المعربة كما تدرس فيها اللغة الفرنسية لجميع التلاميذ ، وتدرس الى جنبها لغة أجنبية ثانية يختارها التلاميذ من بين الانكليزية والألمانية والروسية والاسبانية .

هذه الثانويات كان ينظر اليها حين فتحت على أنها تمثل بصمة علمية ، شكل ثانويات المستقبل حين يتم تعريب التعليم كله وهي قد شرعت في تخريج دفعات من حملة البكالوريا الروسية والعلمية والأدبية ، ابتداء من سنة 1968 ، وهي التي أمدت التعليم الثانوي بإدعمة الأولى من أساتذة المواد العلمية الجزائريين ، كما أمدت الأقسام العلمية المعربة في الجامعة بالدفعات الأولى من الطلاب المسجلين فيها .

جدول يلخص منحدرات التعريب في المنظم الإبتدائي
والتقوي في نهاية المرحلة الأولى (63 - 70)

المرحلة المتقدمة	المرحلة المتوسطة	المرحلة الإبتدائية
<p>المسئلة 1 يترافع تويت المربية من 5 الى 8 سبقت في الإبتدوع حسب اللمة التي تدرس بها مسئلة التسريح .</p> <p>المسئلة 2 المسئلة 3</p> <p>مسئلة : توجد 3 تدويات مربية تربية كدلا بالاشارة التي انقسم مفيدة مربية في معنى التسويكات المربوطة .</p>	<p>المسئلة 1 المراد الأديبه - بلسنته .</p> <p>المسئلة 2 الجسراية - تدرس بطرية والمراد الطمينة تدرس بالفرنسية ويتترافع تويت المراد المربية بالمربية يبين المراد 10 و 8 مسامات</p> <p>المسئلة 3 المسئلة 4</p> <p>مسئلة : توجد نحو 15 مرسلة مربية بالاشارة التي انقسم عدده مربية المراد في المتوسطات والتدويات المربوطة .</p>	<p>المسئلة 1 مرسلان مربية كدلا .</p> <p>المسئلة 2 لا تدرس ليمدا اية لغة اجنبية</p> <p>المسئلة 3 تدرس المراد الأديبه باللمه المربية والمراد الطمينة باللمه للرئيسية ويتترافع تويت المراد المربية بالمربية يبين 10 و 15 مسامات في الإبتدوع .</p> <p>المسئلة 4 المسئلة 5 المسئلة 6</p>

التعريب في الجزائر

يتبين مما سبق أن مسيرة التعريب في المرحله الأولى قد شهدت اجرائين أساسيين يؤرخ كل منهما للنقبة السائدة آنذاك ، وللمناخ السياسي - الثقافي - التربوي الذي كان يكتنف قضية التعريب .

• الاجراء الأول : ادماج حصص لتعليم اللغة العربية في التوقيت الرسمي منذ أول سنة للاستقلال ، وتدعيم التدابير المتصلة بذلك فيما بعد - كان بمثابة رفع الراية الوطنية على المدرسة حيث حورت لغة الشعب ، وأخرجت لهاثيا من المظومة التعليمية . لذلك كانت اعادتها ايها ، ولو بصفة نظرية ، منذ الشهور الأولى للاستقلال ، ترجمة لمنى من معاني السيادة الوطنية واستجابة لأحد المطالب الجماهيرية وتجييدا لأحد أبعاد الثورة التحريرية .

• والاجراء الثاني : تعريب القسمين الابتدائيين الأولين ، وتدريس بعض المواد باللغة العربية في باقي الأقسام - كان موقعا عمليا يرحم عن اربة الاكيدة في افصاح المجال أمام اللغة القوية لتحل مكانها الطبيعي في مدارس الجزائر المستقلة . وقد اتاح - ذلك الاجراء - انتقال اللغة العربية من مجرد لغة تدرس لحد ذاتها ، الى لغة تعليم تدرس بها مواد أخرى وتشمعل لتبليغ أنواع من المعلومات غير اللغوية .

على أن طبيعة هذه المهمة الجديدة ، ما لشت أن أثارت حولها كثيرا من الخلاف الذي عكست الصحافة الوطنية حاديا كبيرا مه .

لقد اعتبرت حتى مكسبا ضخما لفة الوطنية ، وانتصارا كبيرا لدعاة التعريب إلا أن هؤلاء كان يملؤهم الخوف الشديد على مستقبل العربية اذا هي قدر لها أن تنحصر مهمتها في نقل المعلومات الأدبية ولعل الذي كان يقوي هذا الخوف في نفوسهم ، ما يشهدونه من نتائج هذا الأسلوب في بعض الأقطار الشقيقة التي سلكت هذا السبل .

الواقع أن هذا الخوف لم يكن بلا أساس ، بل كان له ألف مبرر حياة اليوم هي حياة العلوم والتكنولوجيا ، والمختص الرقي هو الذي يملك أسباها ، والسلطة في البلاد ماضية بمزم في تحقيق ذلك الرقي عن طريق العلم والتكنولوجيا بالذات ، وانفذ فما مصير لغة ترسم لها دائرة لا تتجاوزها ، هي دائرة الأدب - شعرا وتترا ؟ فإذا اتسمت الدائرة فسلكت في أحسن الأحوال - ما يسمى بالعلوم الانسانية . كل هذا في الوقت الذي يترك فيه للغة الأجنبية مهمة نقل العلوم والتكنولوجيا .

إن هذه القصة الظالمية تعطي للغة الأجنبية عناصر النشاط والحيوية ، والتطور ، أي بكلمة واحدة لنجعلها مفتح المستقبل ، ونحرم للغة القومية من كل ذلك مما يبرزها أمام أشيية الطامحة في مطهر المعز والشيخوخة والجمود .

وهكذا نضجت الأفكار في هذا الميدان ، وأصبح الموقف واضحة ووصلت الأمور في هذه المرحلة من مسيرة التعريب إلى درجة من التطور لم يمد بالامكان معها الاستمرار في تجاهها .

فريق يرى أن التعريب الذي يقتص على المواد الأدبية يسيء إلى العربية أكثر مما يخدمها ، وأن اللغة التي نخوض غمار الحياة النشيطة هي التي يتجدد شبابها باستمرار وتبقى مسايرة للعصر وتطلماته ، وأن إبعاد العربية عن ذلك يساوي بالضبط التحكم عليها بالجمود بالدهور والفناء .

وفريق آخر يرى أن تخصيص العربية للمواد الأدبية والعلوم الإنسانية يعد الاعتبار للكرامة الوطنية ، أما العلوم والتكنولوجيا ، فإن العربية ليست صالحة بعد للتعبير عنها بالدقة المطلوبة ، وبما أن البلاد تشكو من حالة الخلف التي تركها عليها الاستعمار ، فإن المنطق يقتضي ربح الوقت ، واختصار الطريق ، مما يحتم استعمال اللغة الفرنسية الجاهرة لمثل هذا الاستعمال في انتظار أن تغلب اللغة العربية على قصوره ، وتصبح قادرة على أداء الوظيفة العلمية بجاح .

لقد بات واضحا أن الخلاف تجاوز الجوانب الشكلية للموضوع وتطرق إلى القضايا الجوهرية بالذات وأن هذا الخلاف يستحسبه التدابير العملية التي آن الأوان لاتخاذها كما تبين بصفة جلية أن هذه لعمامير سواء أدت إلى ترجيح هذا الرأي أو ذاك ، ستكون صعبة أخرى في ملف التعريب ومرحلة ثانية في مسيرته الطويلة وأنها ستكون — على الأخص — موقفا تاريخيا ترتب عليه — إلى حد بعيد — آفاق التعريب ، ومكانة العربية في الإجهزة المدرسية . وكذلك كان

فقد انعقد في ربيع سنة 1971 الندوة السنوية لاطارات التربية وضمت المسؤولين في المصالح المركزية لوزارة التعليم الابتدائي والثانوي ، وللمفتشين العاملين ، ومدراء التربية والثقافة في الولايات وكان موضوع التعريب إحدى النقاط البارزة في جدول الأعمال . وبعد النقاش الواسع ، وتبادل الرأي في الجلسات العامة وفي اجتماعات اللجان المنتبذة عن الندوة صادق لمحتصون على ثلاث

التدريب في الجزائر

اجراءات في نطاق الخطة المسماة بالتدريب التقني .

- 1 - تعريف السنتين الابتدائيتين الثالثة والرابعة بجعل كل مواد البرنامج تدريس بالعربية مع إبقاء تدريس اللغة الفرنسية كجهد لغة أجنبية .
- 2 - تعريف ثلث الأقسام المفتوحة في مستوى السنة الأولى المتوسطة ، في جميع مؤسسات التعليم العام المتوسطة والثانوية وذلك بتدريس كل مواد البرنامج باللغة العربية وحدها ، بالإضافة الى تدريس الفرنسية كلغة أجنبية
- 3 - تعريف ثلث الأقسام العلمية في مستوى اسنة الأولى الثانوية تعريبا كاملا ، أي بتدريس جميع مواد البرنامج - ومن بينها المواد العلمية من فيزياء ، وكيمياء ، ورياضيات ، وعلوم - بالعربية وحدها وتدرس اللغات الأخرى صفتها لغات أجنبية (الفرنسية + اللغة التي كان التلميذ قد اختارها في المرحلة المتوسطة) .

وبدا الأعداد لوضع هذه التدابير - التي اعترف لها بالطابع الثوري - موضع التنفيذ وتركزت الجهود حول قضيتين اثنتين كلتاها تحكمان الى حد بعيد في نجاح المشروع : تأليف الكتب العلمية الملائمة للبرنامج ، وتوفير أساندة المواد العلمية اللازمة .

وليس من نافلة القول الإشارة الى أن هاتين المهمتين مما يشوبهما كاهل الورادة لأهما في الحقيقة ترجمان الى مشكلة واحدة هي المنصر البشري العلمي المعرب بالإضافة الى أن المستوى المطلوب منه يزيد في صعوبة توفيره اذ أن كلتي المهمتين : تأليف الكتب العلمية المدرسية ، وتدريس المواد العلمية في المرحلة الثانوية ، تستلزمان تجربة واسعة ، وكفاءة عالية .

وبدأت الأعمال فوراً ، فشكلت النجان لتأليف الكتب العلمية وبدأت الاتصالات بالاقطار الشقيقة لاستمارة للمدرسين للاقسام العربية .

وقد وضع المسؤولون نصب أعينهم حقيقة ما كان باسكانهم تجاهلها هي أن العربية مستوضع منذ تطبيق الاجراءات الجديدة ، في حالة مناسبة لا مفر منها مع اللغة الفرنسية . ذلك أن المجتمع المدرسي خاصة ومحيط المدرسة بصفة عامة سيضطران اضطراراً - ذاتياً أو موضوعياً - لمقارنة بين هذه وتلك ، بين كتاب

الغيزياء - مثلاً - بالعربية ، ونفس الكتاب بالفرنسية ، بين أستاذ الرياضيات - مثلاً - بالعربية وأستاذ الرياضيات بالفرنسية . . . وأنه ينبغي أن يذل أقصى ما بالإمكان من الجهد لجعل اللغة القوية في وضع أن لم يسكنها من سبق ، يجنبها على الأقل أن تظهر في حياة المتأخر .

وإذا كان تجسيد هذا الطموح في ميدان توظيف المدرسين لا يوضع لمشية المسؤولين في وزارة التعليم الابتدائي والثانوي ، فقد كلت الجهود في حقل الكتب المدرسية بنجاح كبير وجأت انتاجا يبشر مضوءه وشكله بكل خير . ولعل من دواعي الفخر في هذا الميدان أن يتم هذا الإنجاز في فترة قياسية إذ تمكن أفراد قلائل من وضع سلاسل كاملة في الرياضيات والغيزياء والكيمياء والعلوم الطبيعية لكافة الأقسام المتوسطة والثانوية في ظرف زمني لا يتجاوز ثلاث سنوات .

ووضعت إجراءات التعريب موضع التنفيذ في الدخول المدرسي لسنة 71 - 72 وانطلقت المسيرة انطلاقاً لا رجوع فيها ، وانتقلت العربية إلى مرحلة التعبير عن المفاهيم العلمية والتقنية . وفي سنة 72 - 1973 أكملت خطة التعريب التقني بتوسيع الإحراء إلى السنة الخامسة الابتدائية ، فحوت ثمة الأقسام المموجة في هذا المستوى لتتمثل حلقات السلسلة بعضها ببعض فيتمثل الثلث المغرب من السنة الخامسة الابتدائية إلى قسم البكالوريا . كما تقرر من ناحية أخرى تدعيم الأقسام العلمية للمرة بالتحدايد التربوية التي تضمن لها النجاح ، ورعية في إخلاء سبيل التعريب العلمي من العراقيل التي قد تتعرض سبيله أو تلمي المسؤولين عن التصدي لمعالجته ، والاهتمام بمسائل أقل أهمية ، تقرر تعريب كل الشعب الأدبية المفتوحة في السنة الأولى الثانوية وبذلك تبقى الأقسام العلمية محط الانظار ويبقى الحديث عن التعريب منصبا على الأقسام العلمية كما تقرر في هذه السة أيضا تدريس مادة الفلسفة بالعربية في كل الشعب الأدبية من السنة النهائية الثانوية .

كانت هذه أهم التدابير التي اتخذت بصدد التعليم العام ، وقد اتخذت تدابير أقل أهمية منها في نطاق التعليم التقني وبدو الوضعية في الملقن ومؤسسات التعليم التقني كذا يلي : كل مواد التعليم العام في البرامج مغربة : الأدب ، التاريخ ، التربية الخلقة والدينية ، الجغرافيا إلى مستوى السنة الثالثة . أما العائف التخصصي من البرامج ، ولواد العلمية الملحقة به فتدرس بالفرنسية ، وقد كان يجري التفكير

في أنجع الطرق لتوسيع التعريب إلى ميدان التعليم التقني ، وبدأ بالفعل تعريب عدد من الأقسام التجارية والسكناتارية ، إلا أن إعادة النظر في هذا التعليم بصفة عامة ، وتبني مشروع اصلاحي واسع يتناول كل مراحل التعليم قد منح التعريب في هذا الميدان أبعاداً جديدة .

ذلك أن المخطط الرباعي القادم في 74 - 77 ، سيشهد اصلاحا جذريا يتناول شكل التعليم ومضمونه ويتلخص في إلغاء الحواجز المصطنعة بين ما يسمى بالتعليم التقني ، وما يسمى بالتعليم العام ، وإنشاء مدرسة أساسية تشتمل على تسع سنوات من التعليم الاجباري ، يبدأ في السنة السابعة منها « تعلم متعدد التقنيات » يشمل في الوقت نفسه المعارف العامة والمعارف التقنية . وقد تقرر في هذا الباب أن تكون للمرية لمة التدريس لحجج المواد ، وبذلك يسم التعريب ،

يتبين من كل ما تقدم أن التعريب في الجزائر قد أخذ طريقه الصحيح ، وأن مسوله لكل القطاع التعليمي يتوقف على توفير الأداة الكفء . لذلك اتخذت قرارات على جانب كبير من الاهية في ميدان تكوين المعلمين ، فبعد تعريب المعاهد التكنولوجية (دور للمعلمين) لتكوين المعلمين الابتدائيين ، تقرر تكيف الدروس التي يتلقاها طلبة معاهد التكوين لأستاذة التعليم المتوسط بحيث يخرجون في نهاية الدورة وهم قادرون على تدريس مادة اختصاصهم (كل المواد العلمية والتكنولوجية خاصة) باللغة العربية . وبذلك يصبح التوسع في التعريب مرتبطا بكميات الأنوحد المتفرحة مما سيؤدي إلى تجاوز نسبة الثلث بل إلى تحقيق التعريب الشامل ، لأن الثلث يصبح الحد الأدنى ، فإذا أماحت لومائل البشرية تجاوزته فذلك هو المطلوب .

ذلك هي صورة التعريب حري تتبعها بإيجاز من أول خطواتها حين كانت عبارة عن تخصيص عدد من الساعات الأسبوعية لتدريس اللغة المرية ، قيمتها الرمزية أكثر بكثير من جدواها العملية إلى أن شملت كل الجانب الأدبي من التعليم وأكثر من ذلك الجانب البني من . ولم تكن الطريق سهلة ولا ميسورة ، بل كانت شاقة ، وكانت مملوءة بالمصاعب من كل نوع ، إلا أن الإرادة الصلبة في بناء المدرسة الجزائرية على أساس الأصالة القومية ، والارتباط الوثيق بواقع الشعب ، وتطلعات البلاد نحو المستقبل المشرق قد أماحت التقلب على أكثر تلك للتأعب ، ومكنت من تحقيق هذه المنجزات .

المعرب في المرحلة الابتدائية
للمنطقة 1973 - 1974

المنطقة 1	معربة تعريباً كاملاً .
المنطقة 2	معربة تعريباً كاملاً .
المنطقة 3	معربة تعريباً كاملاً + تدريس الفرنسية كلمة أجنبية .
المنطقة 4	معربة تعريباً كاملاً + تدريس الفرنسية كلمة أجنبية .
المنطقة 5	$\frac{1}{3}$ الانقسام معربة - تعريباً كاملاً - مع تدريس الفرنسية كلمة أجنبية $\frac{2}{3}$ الانقسام مزدوجة تدريس فيها المواد الأربعة بالفرنسية - والمواد الطبيعية بالفرنسية . و
المنطقة 6	$\frac{1}{3}$ الانقسام معربة - تعريباً كاملاً - مع تدريس الفرنسية كلمة أجنبية . $\frac{2}{3}$ الانقسام مزدوجة تدريس فيها المواد الأربعة بالفرنسية - والمواد الطبيعية بالفرنسية . و

التعريب في المرحلة المتوسطة
سنة 1973 - 1974

السنة 1	في كل سنة من السنوات الثلاث :
السنة 2	$\frac{1}{3}$: الأقسام معربة تعريبيا كليا
السنة 3	وفي $\frac{2}{3}$ الباقين تدرس كل المواد بالفرنسية ما عدا مادة الرياضيات ، والعلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية
السنة 4	المواد التي تدرس بالعربية : كل المواد تدرس بالعربية ما عدا : الرياضيات - العلوم الطبيعية - الجغرافيا واللغات الأجنبية .
ملاحظة : مادة الجغرافية يتواصل تعريبها سنة بسنة ، وقد واصل تعريبها في هذا العام إلى السنة الثالثة المتوسطة	

التمرين في المرحلة الثانوية
سنة 1973 - 1974

شعبة العلوم	شعبة الرياضيات	شعبة الآداب	المسألة 1
$\frac{2}{3}$ - القسم عرب ترميزا كسلا و $\frac{1}{3}$ - القسم تدرس فيها المواد الأدبية بالترقية ، والمواد العلمية بالترقية	$\frac{2}{3}$ - القسم عرب ترميزا كسلا و $\frac{1}{3}$ - القسم تدرس فيها المواد الأدبية بالترقية ، والمواد العلمية بالترقية	$\frac{1}{3}$ - القسم عرب ترميزا كسلا .	المسألة 1
$\frac{2}{3}$ - القسم عرب ترميزا كسلا و $\frac{1}{3}$ - القسم تدرس فيها المواد الأدبية بالترقية ، والمواد العلمية بالترقية	$\frac{2}{3}$ - القسم عرب ترميزا كسلا و $\frac{1}{3}$ - القسم تدرس فيها المواد الأدبية بالترقية ، والمواد العلمية بالترقية	$\frac{1}{3}$ - القسم عرب ترميزا كسلا .	المسألة 2
$\frac{2}{3}$ - القسم عرب ترميزا كسلا و $\frac{1}{3}$ - القسم تدرس فيها المواد الأدبية بالترقية ، والمواد العلمية بالترقية	$\frac{2}{3}$ - القسم عرب ترميزا كسلا و $\frac{1}{3}$ - القسم تدرس فيها المواد الأدبية بالترقية ، والمواد العلمية بالترقية	$\frac{1}{3}$ - القسم عرب ترميزا كسلا .	المسألة 3
$\frac{2}{3}$ - القسم عرب ترميزا كسلا و $\frac{1}{3}$ - القسم تدرس فيها المواد الأدبية بالترقية ، والمواد العلمية بالترقية	$\frac{2}{3}$ - القسم عرب ترميزا كسلا و $\frac{1}{3}$ - القسم تدرس فيها المواد الأدبية بالترقية ، والمواد العلمية بالترقية	$\frac{1}{3}$ - القسم عرب ترميزا كسلا .	المسألة 4

(1) ملاحظة : سيرت هذا التمرين ترميزا كسلا في السنة السادسة 74 - 75 ؛ يعنى انشغال تلاميذ السنة الثانية إلى السنة الثالثة .

ملحقان احصائية

تطور التوزيعات السنوية للموارد المدرسية
بمئة بالمئة السنوية في مرحلة التعليم الابتدائي
(الزيت، والمخاضات، تدريسها، والساعات)

السنة 7	السنة 6	السنة 5	السنة 4	السنة 3	السنة 2	السنة 1	العام الدراسي
10	10	10	10	10	7	3	64 - 1963
10	10	10	10	10	15	15	65 - 1964
10	10	10	10	10	15	15	66 - 1965
10	10	10	10	10	15	15	67 - 1966
10	10	10	10	15	20	20	68 - 1967
10	10	10	10	15	20	20	69 - 1968
10	10	10	10	15	20	20	70 - 1969
10	10	10	15	20	20	20	71 - 1970
10	10	10	15	20	24	24	72 - 1971
10	12	2	14	14	24	24	73 - 1972

تطور التفرقت الامور عن الحدود المدرسية بالذات
العربية في المستويات والاعدا في العالمات ودراسة
الانسان في المفاصل تدل على حدود المفاصل

[illegible]

ملحق البيانات الإحصائية

إن النظر في هذه البيانات الإحصائية يتيح استخلاص الملاحظات التالية حول
الإنجازات في حقل التعريب :

1 - الأقسام :

في سنة 63 - 64 كانت الأقسام المربة تمثل نسبة 13% من المجموع العام .
وفي سنة 70 - 71 انتقلت هذه النسبة إلى 54% . أما في سنة 72 - 73 ، فإن
نسبة هذه الأقسام المربة قد أصبحت تمثل 32,2% من المجموع العام وذلك
بعد تطبيق سياسة « التعريب التقني » .

2 - التلاميذ في المتوسط والثانوي :

كان عدد التلاميذ الذين يدرسون في أقسام مربة من التنظيم المتوسط والثانوي
859 تلميذا سنة 63 - 64 . وبلغ عددهم 12 747 في سنة 70 - 71 . أما في عام
72 - 73 ، فقد بلغ العدد 106.916 تلميذا .

3 - المعلمون :

كانت نسبة التلاميذ المسجلين في أقسام مربة من معاهد تكوين المعلمين تبلغ
24,4% من المجموع العام في سنة 65 - 66 وارتفعت هذه النسبة إلى 54,4%
سنة 70 - 71 فكان العدد 3698 من مجموع 3698 وفي سنة 72 - 73 ارتفعت
النسبة إلى 84,3% فكان العدد 4130 من مجموع 4446 .

4 - الامتحانات :

(1) الشهادة الابتدائية : كان عدد التلاميذ الناجحين 4.247 سنة 63 - 64
وانتقل العدد إلى 54.956 سنة 70 - 71 . ووصل في 72 - 73 إلى 82.451
(2) شهادة الأهلية : كان عدد الناجحين 238 تلميذا سنة 63 - 64 من
مجموع 7.713 وانتقل العدد إلى 17.166 سنة 70 - 71 من مجموع 32.116
وفي سنة 72 - 73 كان عدد الناجحين 15.020 من مجموع 32.085 .

ويلاحظ أن المدد قد انخفض وذلك راجع إلى الناء شهادة الأهلية واستبدالها بشهادة لتعليم المتوسط .

(ج) **البكالوريا** : كان عدد الراجعين في امتحان البكالوريا سنة 67 - 68 قد بلغ 45 بنسبة قدرها 2,6 % من مجموع الناجحين ، ووصل المدد إلى 418 سنة 70 - 71 ، أي بنسبة 7,48 % ، وفي سنة 72 - 73 بلغ عدد الراجعين 1.198 تليها ، ووصلت النسبة إلى 17,73 % .

توقعات

يستخلص من الاحصائيات التوقعية التي وصفت اضادا على حساب الثلاثين المسجلين سنة 72 - 73 في السنة الأولى الثانوية ، (مع اسقاط حصة الرسوب 10 %) ، يستخلص ما يلي :

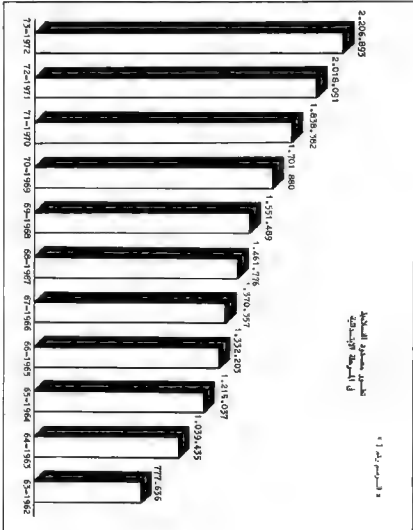
- 1 - يكون عدد الثلاثين المسجلين في الأقسام النهائية من التعليم الثانوي (وهم المرشحين إلى امتحان البكالوريا) سنة 72 - 73 ، قد بلغ 11.800 منهم 1.408 في الأقسام المعربة ، أي بنسبة 11,92 % .
- 2 - وفي سنة 73 - 74 ؛ سيبلغ عددهم 14.173 ، منهم 4 023 في الأقسام المعربة ، أي بنسبة 28,38 % .
- 3 - وفي سنة 74 - 75 ؛ سيبلغ عدد المسجلين في الأقسام المعربة وحدها : 10.266 بينما سيكون عدد المسجلين في الأقسام المزدوجة 8.095 تليها ؛ أي أن هذه السنة مشهدة تحولاً جذرياً في الوضعية ويصبح عدد المرشحين إلى الامتحان المزدوج يتألف من 44,08 % من المجموع .

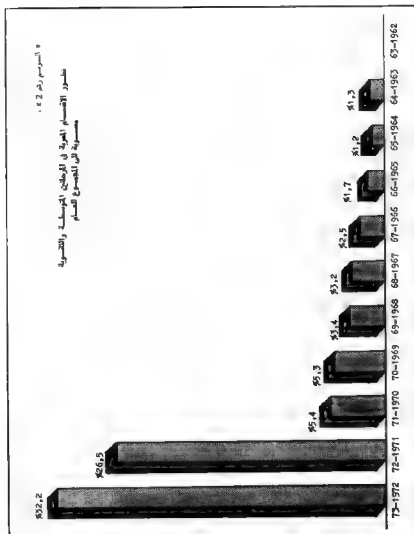
ونعطي نفس الاحصائيات التوقعية لهذه السنة 74 - 75 للتوزيع التالي :

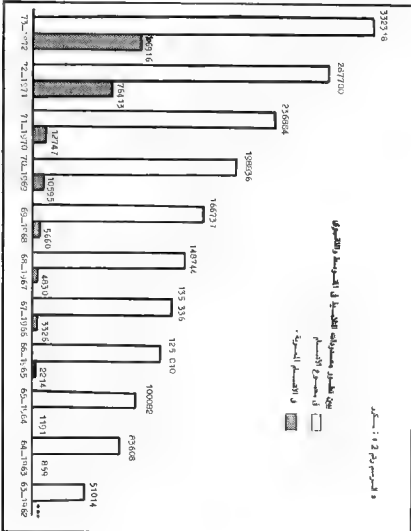
(أ) في الشعبة الأدبية : البكالوريا الأدبية تكون معربة كلها .

ب) وفي شعبة العلوم : يكون عدد المرشحين إلى الامتحان المعرب 3.369 ، مقابل 962 مترشح إلى الامتحان المزدوج .

ج) وفي شعبة الرياضيات : يكون عدد المرشحين إلى الامتحان المعرب 1.425 ، مقابل 3.133 مترشح إلى الامتحان المزدوج .







الجدول رقم : 3

تطور الوثائق المهمة للموارد البشرية بالسلطة العربية
في المراحل السابقة ونداء المرحلة القادمة التنفيذية .

(الانزياح في النتائج خلال هذه المراحل)

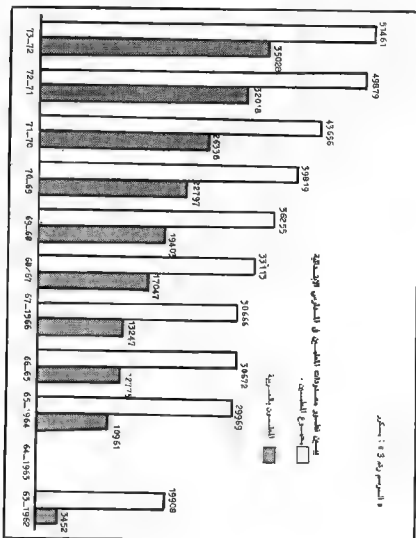
العام الرائع	مراحل التطوير السابقة			مراحل التطوير الحالية			المتوسطات السنوية	العام
	السنة 1	السنة 2	السنة 3	السنة 4	السنة 5	السنة 6		
64-1963	5	4	2	4	4	4	4	64-1963
65-1964	5	4	2	4	4	3	4	65-1964
66-1965	5	4	2	4	4	2	2	66-1965
67-1966	5	4	2	4	4	4	2	67-1966
68-1967	5	4	2	4	4	3	2	68-1967
69-1968	5	4	2	4	4	3	2	69-1968
70-1969	5	4	2	3	2	2	2	70-1969
71-1970	5	4	2	3	2	2	2	71-1970
72-1971	5	4	2	3	2	2	2	72-1971
73-1972								73-1972

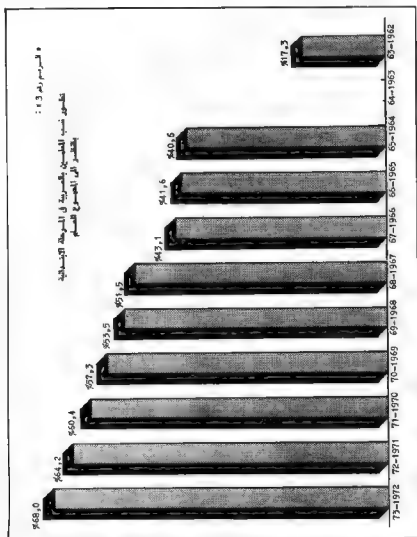
البريد رقم 3 : سكر

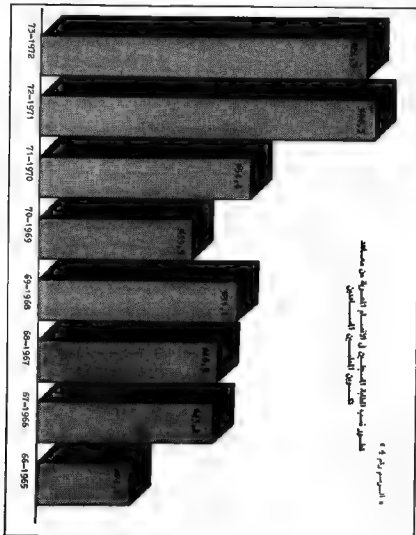
البيانات طبقاً لمعلومات المصلحة في التقارير السنوية

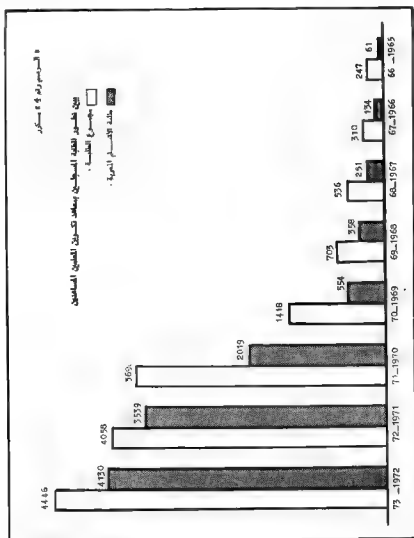
البيانات طبقاً للمصلحة

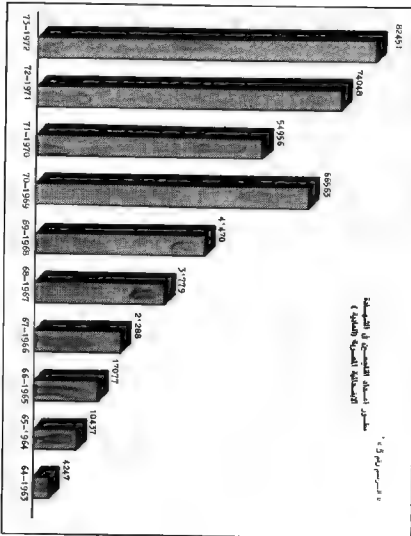
البيانات طبقاً للمصلحة



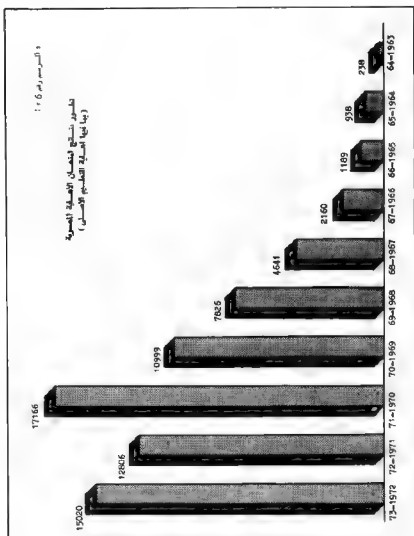


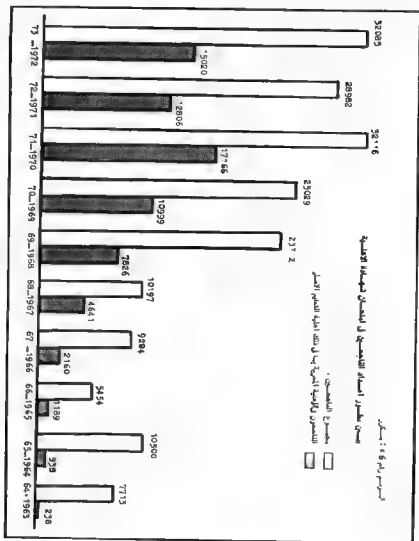


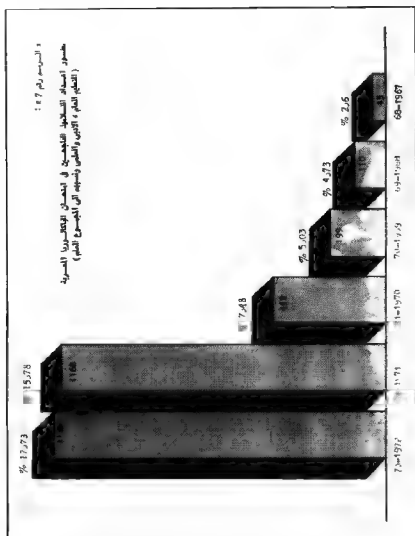


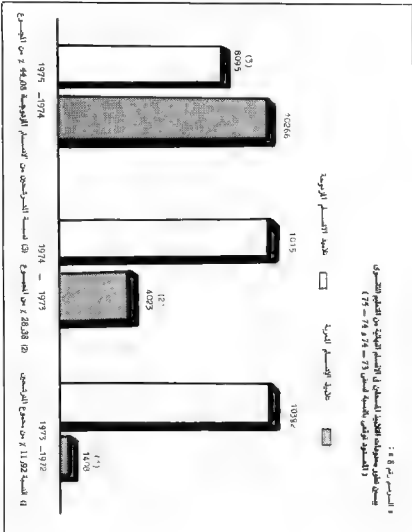


التدريب في الجزائر









تجربة الجيش الوطني الشعبي في ميدان التعريب وشر اللغة الوطنية

بالرغم من أن تجربة الجيش الوطني الشعبي في ميدان التعريب لم تستكمل ملامحها ، ولم يصب بعد أوان تقييمها واستخلاص نتائجها ، بالرغم من كل هذا فإن مظاهرها العامة ، والخطوات التي قطعتها والمراحل التي اجتازتها تعد الآن ، قد تركت انطبعا حسنا يدا يتولد عنه شعاع من الأمل يضيء مسالم نديها ويبلور اتجاهها الصحيح ، خاصة وهي في سيرها نحو النجاح ، لا توحى بأي شعار متطرف ، كما أن مقوماتها تستند على جذور عميقة مستمدة من الماضي لتأخذ منه ما يلائم واقع العمل اليومي وطبيعة الشخصية العسكرية ذات الفعالية الدائمة والنشاط المستمر .

في حد ذاتها ، بل هي وسيلة يتمتم عليها تماما ،
مُنَّ الوسائل الأخرى ، أن تتكيف مع متطلبات
الجيش الوطني الشعبي وتطور البلاد ، وبهذا
يأخذ محتوى التعريب بعين الاعتبار طبيعة الجهد
اليومي لكل مراتب الجيش الوطني الشعبي سواء
كان هذا الجهد عضليا أو فكريا *

بهذا المفهوم الواقعي للتعريب انطلق الجيش
الوطني الشعبي في تجربته ويخطو الخطوات
المرتبة الثابتة ، ويقطع المرحلة تلو الأخرى بمزيمة
وإيمان ، وكان سيره لتحقيق هدفه الواضح يمر
عبر محورين أساسيين هما :

١ - تعريب الاقصاد *

٢ - تعريب الادارة *

١ - تعريب الاقصاد :

مقدّر كان واضحا من أول وهلة أن مشكلة
محو الأمية لا بد أن تأخذ أولويتها ليس استفادة
مفيد إلى النظرة الانسانية وحدها ، ولا انسياقا
وراء النظرة انقليدية ، بل انطلاقا من نظرية
ثورية لا تعتبر الأمية مجرد حرمان ثقافي فحسب ،
ولما تعتبرها أيضا محورا للصراع الطبيعي ،
خاصةً والأمية على المستوى اثنوبوي - كما
مصرف جميعا - ما هي الا ظاهرة معقدة من
العوامل الاقتصادية والنفسية والسياسية
والاجتماعية ... هذه العوامل التي وصفت فئة
كبيرة من الأفراد في ساقية الركب الثقافي لامتهم
وليس بالامكان إلحاق هذه الفئة بتركيبه
اعطائها بعض الدروس الأولية ... أن عملا مثل
هذا سيؤدي ولا شك من غارق المسافة بين المؤخرة
وأركب ، وسيجعل استحقاقها بالركب امرا مقبولا
أن لم يكن مستحيلا ، ولكن لا تكون أخطاءنا

أن فهم هذه التجربة فهما صحيحا لا بد أن
يوازيه ويرافقه على الدوام - في رأينا - فهم
واقعي لطروف الحياة المعاشة داخل صفوف
الجيش الوطني الشعبي بكل ما تزخر به هذه
الظروف من قيم روحية ، وعمل يرمي جاد ،
ومضال مستمر ، وروح انضباطية عالية ، وتكاتف
في أداء الواجب ، وحس العمل * وبدون فهم
كامل لهذه المعطيات الواقعية بمنظور عاجزين عن
تحديد مدى الفرصة المتاحة للتطبيق والتنفيذ
للأدمن لهذه التجربة في ظروف تتسم بالجمية
والانفاج الثقافي لتنفيذ الواجبات اليومية في
إطار من الانضام والنزاهة والاخلاص ، وبكيفية
تتناسب تناسبا كليا مع ما لهذا اسيبش من تقاليد
ورثها الخلف عن السلف عبر تاريخه النضالي
الطويل *

لقد جعل كل هذا من الهدف المتوخى شيئا
أخر ليس هو تعليم فرد في الجيش الوطني الشعبي
ليصبح مخططا أو اثن شيء آخر ، كما قد يتبادر
إلى الذهن لأول وهلة بلقد ما هو محاولة لتمكين
هذا الفرد من استخدام معارفه العربية الأصلية
في عمه اليومي ، ومهما كان نوع هذا العمل
ومكانه ، فإن الخطوة ترتكز في الأساس على ربط
الدرسة بالواقع ، لأن ذلك معناه تشجيع وحماية
النمو الحيوي للجيش الوطني الشعبي في إطار
من الانسجام والتوازن بين مراتبه ، ومعناه
أيضا ، إخضاع التجربة للطروف الصائبة وما
توفرها هذه الظروف من إمكانيات ووسائل *

فريط المدرسة ببيئة الجفنية يعني إذن
تكيف بيئة التعليم مع ظروف وإمكانيات الجيش
الوطني الشعبي ، وعلى هذا الأساس تكون
المدرسة في الجيش الوطني الشعبي ليست ضاية

سبباً لاضرار قد تصاب بها هذه الفئة المحرومة من معرفة اللغة الوطنية ، عندما من أجل اعدادها تعليمياً وتربوياً وتوجيهياً في أن واحد ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لقد أثبتت التجارب العديدة نحو الامية أن الاعتبار الأول والهام هو ضرورة العمل على محو الامية في إطار الاهتمامات والمطامح السائدة ، ومحوها بمعزل عن هذا الاعتبار لن يؤدي الى نتيجة مرضية .

من هذا المنظور اللطيف والواضح انبثقت الاسماح والتصميم للقضاء على الامية داخل صفوف الجيش الوطني الشعبي في اسرع وقت ممكن رغم استمرارية دخول اقواق جديدة فيها أميين الى صفوف الجيش ... فجرى تنظيم عام وضعت بموجبه برامج غنية تناولت جميع جوانب محو الامية وفق الطرق التربوية الحديثة ، لتعليم الكبار ، وأحدثت لقسام دراسية تتوفر على جميع شروط الدراسة الناجحة ، كما حصص الوقت اللازم للتعليم ، وتم تجنيد جل العسكريين الذين لهم مستوى ثقافي معين في الفة الوطنية يسمح لهم باعطاء دروس محو الامية ، وانتداب بعض المعلمين المدنيين للقيام بنفس المهمة .

لم يخض وقت طويل حتى بدأت مجهوداتنا تؤتي ثمارها في هذا الميدان ، وبيت النتيجة واضحة تجلت فيها ارادة الجيش الجزائري في الفحول ، وقدرته على مواكبة ركب التطور العام الذي تشهده البلاد .

وبعض ما كانت هذه النتيجة محل رضا الجميع ، فقد أثارت بالغرض نفسه استفسارات وتساؤلات على كل المستويات المعنية ، ولعل من أهم ما طرح : هل تكفي بما حققنا أم نستمر ؟ وإذا قررنا الاستمرار ، فما هو الطريق الافضل ؟

لقد كان الجميع متفقين على أن فاجأنا في محو الامية يجب أن يكون بمثابة رأس جسر لتأمين العبور نحو مرحلة أكثر نقة وتنظيماً ، وكان عرض الوصول الى شسء أكثر ثباتاً واستقراراً يسيطر على الجميع ، وظهر جلياً أن الطريق الى هذا الهدف يمر عبر مرحلة أخرى اسطرح على تسميتها بمرحلة « الثبات المستويات » والتي اسطغت منذ عام ١٩٦٦ ، ولا زالت مستمرة نظراً للافواج الجديد - من شيايبا - التي تلتحق بصفوف الجيش الوطني الشعبي سنوياً ، ويمكن تحديد الناية من هذه الحملة كما يلي :

١ - معرفة مستوى كل مستجد في اللغة الوطنية ، ثم تثبيت هذا المستوى رسمياً في دفتر المعلم ، وفي شهادة تعطى للمستجد وتوضع نسخة منها في ملفه الشخصي لاستعمالها عند الحاجة ، ثم الحاقه بواسطة هذه الشهادة بالمستوى المعين لاستكمال تعلمه .

٢ - تهدف الى فرز عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة ثم تصنيفهم حسب المستويات الموجودة ، وبالتالي الحاق كل واحد منهم بالمستوى الذي تحصل عليه في امتحانات « اثبات المستوى » .

٣ - معرفة عدد الجنود في كل مستوى ، سواء في الوحدة أو المصلحة حتى يتسنى للمسؤولين توفير الامكانيات اللازمة والمطلوبة لضمان اسطلاقة حسنة في مستهل كل عام دراسي .

لقد كانت هذه العملية تبدي ضرورة للغاية - نظراً لاختلاف ظروف العمل والتكوين والتوزيع لدى رماكب ح - و - ش - عبر التراب الوطني - هذا من أجل بداية سليمة تستهده عملاً منظم في هذا ايدان لوضع أول لجنة في بناء مدرسة الجيش الوطني الشعبي الابتدائية ، وتكون بالسبب لها

الابتدائي إلى أربع سنوات فقط ، نظمنا لعدة اعتبارات ، لعل من أهمها غرق السن وعدم توفر العدد الكافي من المعلمين لدى بعض الأكاديميات الشبه التي جعل مدى الاستفادة من المساعدة القيمة التي تقدمها لنا في هذا المجال وزارة التعليم الابتدائي والثانوي محدودة في بعض الأحيان - ونتيجة لهذا حينا بعض المعلمين الذين لهم مستوى معين لممارسة هذه المهمة بعد المشاركة في دورات بيداغوجية تجسرو تحت اشراف اساتذة متخصصين من المعهد الوطني للتربوي ، ورغم هذه الاجراءات فلا زلنا نجا به السعاب للتغلب في مستهل كل سنة دراسية على النقص الواضح في عدد المعلمين ، ويعود هذا بالدرجة الاولى الى الزيادة المعتمدة في عدد المتعلمين سنويا (وكي نذكر مقدار هذه الزيادة السنوية ونسبتها فنذكر ان عدد الجنود المتعلمين كان في نهاية ١٩٧١ بلغ ١٤٢٨٢ متعلما بينما نجد هذا العدد يرتفع في السنة التالية الى ٢٧٠٢٤٧ أي زاد بنسبة النصف تقريبا) *

ان هذا الوضع جعلنا نفكر جديا في كيفية حل هذا المشكل الذي أخذ يزعج زعمنا نصوص التعميم الكامل للتعليم المنضم في الجيش الوطني الشعبي * وهناك عدة اقتراحات مطروحة على بساط البحث والمناقشة في هذا الموضوع ، نقوم اساسا على سيامة الاعتماد على النفس ، سواء بالعمل على دمج المعلمين الذين يلتحقون بالخدمة الوطنية في سلك معلمين مدارس ج.و.ش أو بمحاولة ترسيخ قاعدة المعلم العنصرى نفسه بحيث تصم أيضا بعض المتخصصين على الشهادة الابتدائية في مدارس ج.و.ش خاصة وأن عددهم قد بلغ في اخر هذه السنة ٣٥٠٠ متصل على

بمناية المعلم الذي يزودها بعدد كافه من الذين لهم مستويات معتدلة في اللغة الوطنية * ولحد المساعدة فقد استطعنا بواسطة هذه العملية - عملية اثبات المستوى - أن نعرف مستوى ما يقرب من ٧٠ ٪ من منقسمي ج.و.ش في اللغة الوطنية بصفة عامة *

وبتحقيق هذه النتيجة المعتمدة أمكننا تأمين الامكانيات البشرية المنظمة والضرورية التي تسمح لنا بفتح مدرسة الجيش الوطني الشعبي النظامية بصفة رسمية ، ولكن عملية الاعداد الطويلة كانت قد سبقت هذه المرحلة وتركزت حول :

١ - تأسيس الرضية فكرية لمدرسة ج.و.ش *
٢ - محاولة تطوير الاطر الفنية للمدرسة ، ونسجها بإجراء دورات بيداغوجية للمعلمين المحترفين ليستطيعوا القيام بواجبهم الجديد الذي يتعدى هو الامية ، ويعقد الاجتماعات على المستوى المركزي والجهوي لنقد المناهج وتقديم الاقتراحات لسد الثغرات وتطوير ثقافة الجنود النظامية *

٣ - اجراء دراسة ونقد ومقارنة لمناهجنا الابتدائية مع بعض المناهج الاخرى *
وبهذا تم اجتياز مرحلة مع الامية ، واكمل الاعداد المادي والفكري وتوفرت الشروط لمداية موقفة كانت سنة ١٩٦٩ بمناية خط الشروع فيها ، منذ ذلك الوقت ، وحتى اليوم ، أصبح التعليم في الجيش الوطني الشعبي يعتمد في برامجها ومناهجها على ما قرره وزارة التعليم الابتدائي والثانوي ، خاصة في عدد المواد المقررة والكتب المستعملة ، مع اختصار سنوات التعليم

٢ - تعريف الإدارة :

لقد كان من الممكن جدا الاقتصاد على هذه الجهود المرفقة لتدريب الاقراء والاكتفاء بها تمسكا بالمقاعدة المعروفة «لا تعريب بدون معربين» ولكن روح المبادرة لدى قيادة ج.و.ش جعلت التعريب ايضا يمتد ليشمل مجال الادارة حيث تقرر ان تصدر اللوائح والنصوص العامة باللغتين ، على اعتبار ان النصوص العبرية هي الرسمي ، كما تم تعريب جل الخواتم الرسمية قبل صدور الامر المنشور في الجريدة الرسمية بتاريخ ٩ أكتوبر ١٩٧٣ - هذا بالإضافة الى صدور بعض اللوائح الداخلية بلغة مزدوجة أو باللغة الوطنية في بعض المديرية بوزارة الدفاع الوطني ، وتعريب التدريب في كلية شرسا لمختلف الاسلحة ومدرسة صباط الصف بالبلدية وغيرها - وكل هذا انعكس بدوره على طريقة التسيير في الوحدات ، فتم تعريب التدريب فيها أيضا ، وأصبحت التعليمات والايعارات وتغيرها تصدر في الغالب باللغة الوطنية .

ولكي تكتمل العملية ويتم الوصول بين الاطراف في مجهودها العام من أجل تحقيق تعريب الادارة قررت وزارة الدفاع الوطني اعتماد برنامج خاص لتدريب موظفيها ، فكونت أربعة أقسام ، وخصصت من الوقت الرسمي للعمل ثلاث ساعات في الاسبوع قسمت الى حصتين ، لكل حصّة ساعة ونصف ساعة .

ان ما تحاوله قيادتنا اليوم هو تكوين قاعدة اساسية يمكن الانطلاق منها بخطوات واسعة ، ولكنها ثابتة نحو افاق جديدة للتدريب لتشمل كل النشاطات الموجودة وتستوعب كل الاهداف

الشهادة الابتدائية ، مما يتيح لنا فرصة اختيار المنصر اللائق وتغيير العدد المطلوب - - - الخ .

لقد كان واضحا من الاول انه لا بد من تخصيص وقت كاف للتعليم ، وان يكون هذا الوقت بقدر يحقق سيرا طبيعيا للتعليم ، فيستوعب كل المواد المقررة ، ويعطى فرصة التطبيق لجميع المستويات بطريقة مبسطة ، وبشرط الا يكون هذا الوقت على حساب العمل اليومي والواجبات الاخرى لند تعلم - - - وبعد التجربة والاختبار استقر الرأي على اعتماد ساعتين في اليوم ، وتقرر اعتبار التعريب كمادة من مواد التدريب ليومي ، مع اضافة بعض الوقت للمستعدين الرابع أي ان ساعات التعليم أصبحت تتجاوز اسبوعيا عشر ساعات في جميع مؤسسات الجيش - فاذا أضفنا ساعات المذاكرة الاسبوعية الاجبارية والاختيارية أمكننا ان نقول ان ساعات التعليم تصل يرميا الى أربع ساعات ، واسبوعيا الى عشرين ساعة تقريبا +

كان من الطبيعي « والحالة هذه » اعتماد فرع خاص بالتعليم في هيكل المحافظة السياسية في النواحي العسكرية مهمته المهر على ضمان السير العادي والنظم للتعليم ، بما فيه من تنفيذ للبرامج والمناقص وتوجيهها ومراقبة التنفيذ واتخاذ الاجراءات الضرورية على المستوى الجهوي لمشاركة منتسبي الجيش الوطني الشعبي في امتحانات الشهادة الابتدائية التي تشرف عليها وزارة التعليم الابتدائي والثاوي ، ووضع رزنامة خاصة بامتحانات الانتال ، ل - - - الخ .

يوم يجعل بناء صامت يعتبر ترجمة حقيقية لدى
إيمان الجيش الوطني الشعبي بالتهريب كهدف
استراتيجي وأساس من أهداف ثورتنا الشاملة *
اننا لا نريد أن نسبق الأحداث في تقييم
هذه التجربة المتواضعة ، ولكننا نستطيع التأكيد
بما يتوفر من صفة العزيمة ودلائل الإيمان ، وبما
تحقق من نتائج وما يمكن أن يتحقق في المستقبل
القريب ، أن التجربة ماضية في طريقها المرسوم
لها ، وستكون السنوات القادمة مليئة بالمشاريع
والآمال ، وثقافتنا متفائلة طموحة ***

اسمائدة * وبذلك يتحقق مزج ارادة التطور في
اتجاه الاصالة لدى الفرد في ج * و * ش بكيفية
تتلاءم مع استعمال البق الوسائل في العمل اليومي
سواء كانت هذه الوسائل ادارية أو فنية ، وما
يبشر بنجاح هذه المحاولة هو هذا الامل الذي
يتحلى به افراد الجيش الوطني الشعبي لبلوغ
الغاية المطلوبة ، فجميع الثبات جادة في اتجاهها
من أجل بلورة هذه التجربة واعطائها كل معاني
التحميد والعبادة * وإن يمضي وقت طويل حتى
يتحول العزم الى حقيقة *** حقيقة تتأكد كل



(ج)

التدريب

في

وزارة التعليم الاسلى والنسؤون الدينية

التعليم الأصلي

منذ أن نشأت مؤسسات التعليم الأصلي بعد الاستقلال - وكانت تسمى إلى سنة 1390 هـ/ 1970 م بالمعاهد الإسلامية للتعليم الديني - وهي تعمل كخليفة حية صادقة للنساء ، في حقل اللغة العربية ، إلا أنها في مراحلها الأولى كانت تسيطر ببطء نظرا إلى صحالة الامكانيات المادية وكثرة المتطلبات ، وغل التعليم في هذه المؤسسات فترة « عبقولا » يمشي على الامكانيات الخاصة الصعبة للوزارة من جهة ، والتشجيع النعيمي من جهة ثانية ، إلى أن جاءت انعاسة 19 جوان 1965 التي وصفت حدا لهذا الوضع الشاذ وأوجدت حلا حاسما للأزمة التي كان يعيش فيها هذا التعليم . الذي مع الفس الحقيقي ضمن المخطط الثلاثي والرباعي ، وأصبح قائم الذات كمنظائره من المؤسسات العامة ، بفصل ما أوله السلطة الثورية من رعاية وتشجيع . فخصمت مؤسسات التعليم الأصلي اعتمادات ضمن ميزانية الدولة ، وصدرت بشأته المراسم الرقمية للاعتراف شهادته ، وتوسيع نطاقه

لقد كان عدد مؤسسات التعليم الأصلي في السنوات الأولى من استرجاع الاستقلال سبعة (7) ، ثم تدرج تبعا للأقبال المتزايد عليه من طرف الشعب إلى أن بلغ الآن مجموع ثانويات وتكيبليات التعليم الأصلي بالنسبة للعام الدراسي 1394/93 هـ 1974/73 م ، 35 مؤسسة ، تحضن عدد 23.807 تلميذ .

التلاميذ الأفارقة وغيرهم :

ويوجد من بين هذا العدد من التلاميذ ، تلاميذ غير جزائريين وعددهم 200 تلميذ قدموا من مختلف البلدان الصديقة التالية : السنغال ، الداهومي ، سيراليون ، نيجيريا ، الصومال ، تشاد ، فولتا العليا ، ساحل العاج ، غامبيا ، غانا ، غينيا بيساو ، مالي ، موريتانيا ، تايلاند ، أرتيريا .

وهم الآن يدورون الى جانب الطلبة الجزائريين ويستعملون بالنظام الداخلي مع محنة شهيرة لكل طالب ، كما أن تكاليف السفر داخل التراب الجزائري والكتب المدرسية وثمان الملاج تسدده وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، وتشير الى أن الفوج الأول من هؤلاء الطلبة الأمازيغة قد حصلوا على شهادة البكالوريا للتعليم الأصلي وقتلوا واحمين الى بلدانهم ، كما أن هناك عددا آخر من التلاميذ الأمازيغة في طريقه الى مؤسسات لم يتحقق بعد .

خريجو مؤسسات التعليم الأصلي :

بالإضافة الى العدد الذي يعمل حاليا في ميدان التعليم من حملة الأهلية واليكالوريا وإبالتج عددهم نحو 4000 متخرج ، وحوالي 1000 متخرج يوجدون بالمعاهد التكنولوجية التابعة لمختلف الوزارات ، هناك عدد آخر من الطلبة التحقوا بالجامعات الجزائرية والأجنبية .

برنامج مؤسسات التعليم الأصلي :

إن التعليم الأصلي له منهج دراسي كامل ، مستمد من أحدث الطرق العلمية المعمول بها حاليا في الدول المتقدمة ، وقد روعي في اعداده مبدأ الأصالة والتفتح .

إن برنامجهم هو ضئ برنامج وزارة التسمم الابتدائي والثانوي مع برنامج اضافي يتشمل في العلوم الشرعية من تفسير ، وحديث ، وفرائض ، وأصول ، ومنطق ، وعلمة اسلامية ، وتاريخ الفلسفة المقارن ، وتاريخ الأديان المقارن .

وبعدا يكون المخرج من هذه المؤسسات مكتمل الشخصية ومتوفرة لديه كافة الامكانيات الثقافية التي تفتح له آفاق المستقبل ، وتكفه من التباينة في

مختلف الكليات الجامعية ، مع البقاء على أساسه التين الذي يضمن له جميع مكونات شخصيته ، وعناصر أصالته .

الجامعة النجبية :

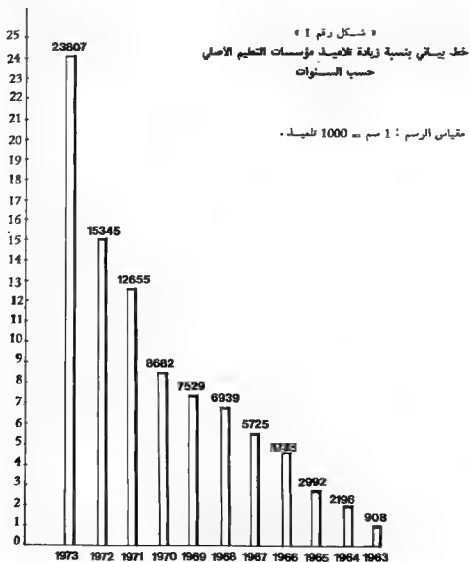
ونظرا للاقبال المتزايد على هذه المؤسسات التعليمية ، كما هو مبين ذلك في الرسم البياني رقم (1) الملحق بهذا ، ارتأينا من باب شمول الفائدة ، وتعميم التعليم فتح جامعة شعية على مستوى المؤسسات المذكورة ، لجميع المستويات الدراسية ، دون التزام بالشروط الضرورية للتلاميذ النظاميين .

وذلك تمكينا لمن فاته التعليم بسبب السن أو كانت له رغبة في اتمام معلوماته .

هذه الجامعة تفتح أبوابها لاستقبال الراغبين في التعليم ابتداء من الساعة السادسة مساء الى الساعة التاسعة ليلا ، ونفس البرنامج المعمول به لدى التلاميذ النظاميين ، يطبق برمته على تلاميذ الجامعة الشعية ، سواء بسواء ، وقد بلغ مجموع تلاميذ الجامعة الشعية خلال عام 1393/92 هـ - 1973/72 م 5402 طالب .

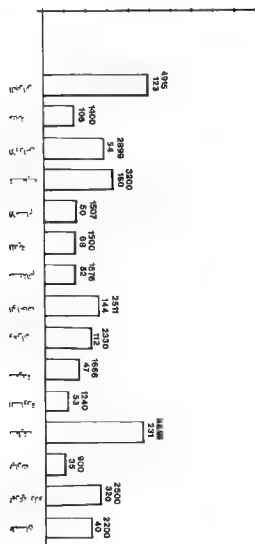
الإدارة والتصرف :

بناء على خطة التعليم المتبعة في مؤسسات التعليم الأصلي ، والتي منهاجها تدريس كل المواد باللغة التومية ، عدا اللغات الأجنبية ، فإن الإدارة بهذه المؤسسات تعتمد في تسيير شؤونها على اللغة العربية وذلك امتدادا للترب الذي شغل المصالح الخارجية التابعة لوزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، وإدارتها المركزية باستثناء القسم المالي الذي له ارتباطات مع إدارات مختلفة خارج الوزارة .



شكل رقم 2 : خط يقي لوجي كوي الأربعة وعدد الاستبيانات من طلبة الجامعة

الرقم المقياس : عدد الاستبيانات 35000
 الرقم المقياس : عدد الاستبيانات 1615
 مقياس الرسم : 1 سم = 1000 شخص



تعريب الموظفين

فئة وزارة الشبيبة والرياضة والمؤسسات التابعة لها

تشكلت سنة ٧٠ - ١٩٧١ لجنة داخل
الوزارة لتنظيم دروس في اللغة العربية لجميع
الموظفين التابعين لوزارتنا بمعدل خمس ساعات
في الأسبوع .

وفي حينها أرسلت كافة التعليمات اللازمة
لمسير عملية التعريب إلى جميع المديرات ومراكز
التكوين والمصالح التابعة لوزارة الشباب
والرياضة في كافة الولايات .

نوجههم يخصص البرنامج وتنظيم الأقسام وترتيب المعلمين واختيار المعلمين *

كما أننا في نصف السنة نرسل مجموعة من الاستلة إلى تلك المراكز والمؤسسات لاجابة عنها مما يسمح لنا بأخذ فكرة واضحة من مدير التدريب *

كما أننا في نهاية السنة الرسمية نطالب بأن يرسلوا إلينا النتائج النهائية وخلصا عن نشاط التدريب في كل ولاية *

وقد لا حظنا أن بعض المؤسسات تلتابعة لنا قد تتأخر أو تهمل الاجابة عن استلثنا ، لذلك فقد بدأنا منذ السنة الماضية بملاحظات مسير عمليات التدريب في عين المكان وذلك خلال جولات المراقبة التي تنظمها الوزارة عبر الولايات *

ومن الجدير بالملاحظة أن حوالي ٩٠ ٪ من العمال والموظفين التايحين لوزارتنا يتلقون دروس اللغة العربية *

كما أن عددا كبيرا منهم قد شارك في امتحانات الشهادة الابتدائية للكبار وأحرز عليها *

وبالنسبة لموظفي وزارتنا بالعاصمة فقد حصل أكثر من ٦٥ موظفا على الشهادة الابتدائية خلال هذه السنوات *

وختاما نشير الى أن عملية التدريب ما زالت في وزارتنا مستمرة ، وسنواصل نشاطها الى أن يصبح لدى موظفينا المستوى المطلوب في اللغة الوطنية *

ومن المميز بالذكر أن موظفينا الذين تحصلوا على الشهادة الابتدائية بالعربية أصبحوا يراسلون براسة برامج التعليم الاعدائي في اوقات فراغهم ، تطلما منهم الى ترقية مستواهم الثقافي *

ومنذ ذلك التاريخ بدأت عملية التدريب عنفا ، وقد صايفتها اول الامر بعض المشاكل نتيجة عدم اقتناع بعض الموظفين المستنين بجهودى تعليمهم ونتيجة عدم ايجاد المعلمين الكفاء في تعليم الكبار ونتيجة فقدان الكتاب المناصب ... ولكننا خلال السنة الاولى من بدء عملية التدريب استغلنا أن تتقلب على هذه المشاكل بالانتساح والمراقبة والاستفادة من خبرات للمعلمين التايحين لوزارة التعليم الابتدائي والثانوى واستعمال بعض الكتب المدرسية المناسبة والكتب المعدة من طرف المركز الوطنى لمحو الامية *

كما أننا قدنا بتحديد ساعات التعليم بما يوافق اوقات الموظفين والمعلمين مع العناية بمراقبة الغياب والحضور وعقد اجتماعات دورية مع المعلمين لاستعراض كل ما يلزم بخصوص سير عملية التدريب في أحسن الظروف *

وإننا في بداية كل سنة نجري اختبارات المستوى للموظفين ونقوم بترتيبهم على الأقسام حسب مستوايتهم وعلى التصنيف التالى :

١ - المستوى الاول : ويضم الذين يجهلون تماما القراءة والكتابة بالعربية *

٢ - المستوى الثانى : ويعادل السنة الاولى والثانية من التعليم الابتدائي *

٣ - المستوى الثالث : ويعادل السنة الثالثة والرابعة من التعليم الابتدائي *

٤ - المستوى الرابع : وهو مستوى الشهادة الابتدائية من التعليم الابتدائي *

وقد عملنا في بداية كل سنة دراسية أن نجري اتصالات بجميع المراكز والمؤسسات التابعة لنا لتحديد لهم تاريخ بدء عملية التدريب ، كما

- ٥ - إصدار مجلة « الفين » باللغة العربية *
 - ٦ - توجيه برنامج « افاق الشباب » من طريق الاذاعة الى الشباب بالعربية *
 - ٧ - طبع الاناشيد في اسطوانات ، وتعميمها *
 - ٨ - تعريب الانشطة الثقافية كالمسرح والعرائس والمسابقات الادبية في مختلف النوادي والراكز التابعة لنا *
 - ٩ - جلب الاساتذة المتعاونين من البلدان العربية للتدريس في مختلف مجالات الشباب والرياضة *
 - ١٠ - وكما اننا استقبلنا طلابا من السودان واليمن والعرب وتونس وموريتانيا للدراسة في مراكمتنا العربية ، كذلك نقوم بارسال طلاب من طرفنا للدراسة في بعض البلدان العربية *
 - ١١ - كما اننا نهتم كثيرا بإنشاء المكتبات العربية في مختلف مؤسساتنا ، واننا عن قريب سننشئ مطبعة كبرى بالعربية *
 - ١٢ - وكذلك فاننا نقوم بتبادل اللقائات والزيارات ، والمؤتمرات والندوات مع مختلف البلدان العربية *
- هذا بالإضافة الى ان لدينا مستشارا خاصا بشؤون التعريب ، واننا نلاحظ ان كل عام يمر الا وتتعمق فيه خطرات عامة في ميادين التعريب *

كما نلاحظ ان الذين كانوا يجهلون القراءة والكتابة بالعربية بمجرد ما يكتشفون القدرة على القراءة يتعمسون لواصله التعليم ويبتلون جهدهم من اجله *

وهنا لا يفوتني ان اؤكد على الضرورة توفير جو للتعريب بمختلف مؤسساتنا الوطنية وذلك باضخال اللغة العربية ضمن المراسلات والعلاقات والمخاطبات الادارية مما يشجع المتعلمين على استعمال لغتنا الوطنية عمليا ويساعد في اقتناعهم بان تعلمها لا يرجع الى دوافع دينية او لاجلرد حماس وطني يفرغ من الاستقلال فخط وانما تعلمها لانها هي اللغة التي منبهر بها في المستقبل عن كل ما يتعلق ياوجه حياتنا ماديا ومعنويا *

وبهذا الخصوص اشير الى اننا فعلا قد قمنا بخطوات لا بأس بها في مجالات التعريب ، لخصها في النقاط التالية :

- ١ - تعريب الدراسة في المعهد الوطني لتكوين اطارات الشباب بتيكسراين *
- ٢ - تعريب التعليم في مركز التربية البدنية بالسرائيى في عنابة *
- ٣ - تعريب البورت الخاصة بإعداد معلمي وممرات الخيمات الصيفية *
- ٤ - تعريب الجلسة الدورية التابعة لمكتب الخيمات الصيفية *



التعريب في وزارة الصحة

حد الآن الا ان البرنامج يحتوى على ساعة بالعربية في الاسبوع في مستوى الرابعة اثناسط.

ـ ومادة العربية مفروضة في امتحان الدخول ولا يقبل المترشح الذي لا يحصل على النقاط المطلوبة .

ـ وللوزارة في هذا الميدان مشروع يرمى الى تعليم المصطلحات الطبية او التعليم المزوج او انشاء اقسام كلها معربة .

ثانيا ـ فيما يخص الإدارة

ـ عريت مطبوعات وحررت رسائل نموذجية جعلت تمت تصريف المحررات قصد استعمالها عند الحاجة وعلق مبدأ الرد باللغة الوطنية على الرسائل الرسمية الواردة باللغة العربية .

فجوابا على كتابكم رقم ٧٣/٩٢/١٨٢ المؤرخ في ٢ رمضان ١٣٩٢ بخصوص سير عملية التعريب اخبركم بما يلي .

اولا ـ فيما يتعلق بالتعليم :

١ ـ مدرسة الكفورين يوجد بها نوعان من التعليم احدهما مزدوج من عربية وفرنسية والآخر كله معرب والبرنامج الملحق هو نفس برنامج التعليم العام .

ب ـ مدرسة الصبم واليكيم :

ـ سيتم قريبا تكوين معلمين جزائريين اختصاصيين ويستند اليهم تعليم الاطفال بالعربية .

ج ـ مدارس شيه طيبة :

ـ لا زالت الدروس تعطى بالفرنسية الى

وقد اضطررنا زما طويلا الى ملازمة الصمت او الحداث بلسان المستعمر ، لهذا اصبح من الواجب المقدس ان نمود الى لغتنا والى الكلمات التي ورثناها من آباؤنا وتعلمناها منذ صبا ورافقت طفولنا وآمالنا واملنا ، ان الكلام ازل وسيلة للتعبير عما يحيط بهم من عالم خارجي لوصفه واثرائه وللمسيطرة عليه والتحكم فيه .

ان أية ثقافة عبارة عن كل لم يات عفوا وانما وضع لبناته رجال متعاقبون وكان الكلام من بين الادوات التي شيدوا بها حياتهم حسب افكارهم ومشاعرهم ، وبالتالي فلا يمكن قطعهم عن لغتهم دون المس من توازن شخصيتهم بل النيل من وجودهم وكيانهم الممتد . لقد عرفنا هذا الانقطاع اللغوي بحيث بلغ بنا ان اضطرت بعض شعوبنا الى تبني لغة المستعمر والاستمساك بها عن لغتها التي هي صلتها الاولى بماضيها والقد الذي تندرج فيه مع الاسلاف والاجيال المقبلة وان لم تكن تلك الاستمساك اختيارية وانما فرضتها العلاقات بين الغالب والمغلوب .

وليس هناك مبدئيا لغة اقدم من الاخرى على شعب العلم والمعرفة .
فكل لغة مبررة بما يعيشه الناس ويساورهم ويخالف افكارهم .

ففي الوقت الذي توقف فيه نمونا واكثرت فيه ثقافتنا وحرم تعليمنا لغتنا كان يجب علينا ان نزيد من التمسك بها والحفاظ عليها ، كما يجب علينا اليوم مضاعفة جهودنا للحفاظ على لغتنا هذه ولنجعل منها أداة تاجعة في تطوير بلداننا وشعوبنا والتعجيل بتنميتها في جميع المجالات .

خاتمة - الرئيس عويد بن زيات المخرج المشرق الان في العراق
4362

تقرير حول سير عملية التعريب بوزارة الأشغال العمومية والبناء

بناءً على أحكام الأمر رقم ٩٢ - ٦٨ المؤرخ
٢٦ أبريل ١٩٦٨ الذي يلزم الموظفين ومن في
حكمهم بمعرفة اللغة الوطنية ، قامت وزارة
الأشغال العمومية والبناء بتنظيم حملة التعريب
على مستوى المصالح المركزية للوزارة والمصالح
الخارجية التابعة لها .

بمقتضاها من مستوى الى مستوى أعلى ، ومنهم من بقى فى نفس المستوى حتى يلم الماما أكثر بمبادئ اللغة *

ولا يخفى على المسؤولين الصواب الذى واجهتنا فى بداية المرحلة السابقة فظراً لاقيال انكثير من موظفى الوزارة والمصالح التابعة لها على تلقى الدروس ، فى الوقت الذى لم تكن هناك الاطارات الكافية للقيام بمهمة التدريس ، مما ترتب عليه مضاعفة جهد قدامى موظفى الوزارة للمعين باللغة العربية *

ثانياً - النتائج الأولية :

كانت للتجربة الحية لانقاء الدروس نتائج هامة ، وضعت أمام نظر المسؤولين بالوزارة ، وأول نتيجة تثيرها هنا هى قيام المعلمين (موظفى الوزارة) الى وضع نصوص تتفق من الناحية العملية مع طبيعة العمل بالوزارة * ونضرب لذلك بعض الأمثلة :

(١) دروس فى تنظيم الادارة المركزية للوزارة : أعد بشأنه ما يقرب من ثلاث نصوص حسول لادارات ومسمياتها والقائمين بالإشراف عليها *

(٢) بعض النصوص عن الانشغال العمومية وماهيتها والادوات المستعملة فى البناء (مع اعداد رسومات توضيحية) كوسائل ايضاح *

(٣) نصوص تتعلق ببيان حالة الموظف من حيث الاسم والسن والوظيفة ومحل السكن ومحل الاقامة ومستواه فى التعليم ورقم جواز السفر ... الخ البيانات التى يلزم أن يلم بها الموظف * وكان لهذا الاعداد والتفسير فى الدروس والبرامج اثر حسن فى نفس الموظفين *

وفى هذا الصدد استعانت اوزارته بفسرة موظفيها القدامى الملمين باللغة العربية وقواعدها من ناحية ، ومن ناحية أخرى استكملت جهاز التدريس من بين مدرسى اللغة العربية التابعين لملك التعليم *

وفى اوائل عام ١٩٧٠ بدأت الوزارة بإسارى خطوات تنفيذ الامر اشارة اليه انفا ، وأول خطوة كانت الاختيار الذى أجرى بصفة مبدئية للموظفين المعرفة مستواهم ومدى درايتهم * وبعد هذا الامتحان ، قسمت لمواقف الموظفين الى مستويات كل مستوى فى فصل دراسى * وحصلت المستويات ثلاث ، مع مراعاة المتهاج الذى حدده القرار الوزارى استشره المسؤرخ ١٢ فبراير ١٩٧٠ المتضمن تحديد مستويات معرفة اللغة العربية بالنسبة لموظفى ادارات الدولة والمصالح المحلية والمؤسسات والهيئات العمومية *

أولاً - تنظيم حملة التعريب :

نشير فى هذا المقام الى أن الدروس التى أقيمت على الموظفين كانت مستقاة - الى حد ما - من اكتاب الاول والثانى من « تعلم وتعلم » الصادر من المركز الوطنى لمكافحة الأمية ، علماً بأن القاء الدروس كان يحتم على المعلمين الاستعانة ببعض اكتب الخارجية فى النحر وقواعد اللغة - حتى تكون دروس اللغة العربية على أسس علمية سليمة *

ومرت المرحلة الاولى من القاء الدروس وأجرى امتحان عام - من طرف الوظيفة العمومية - وكان من بين المتسابقين موظفى وزارة الاشغال العمومية والبناء والمصالح الخارجية التابعة لها ، ونجح منهم عدد وغير فى هذا الامتحان * منهم من انتقل

ثالثا - الإستعدادات الحالية :

وتجدر الإشارة الى أنه بجانب لقاء دروس اللغة العربية على موظفي الادارة المركزية للوزارة هناك تحول ملموس في تعليم اللغة اضرابية بمدرسة مهندسي الاضغال العمومية بدار البيضاء فبجانب لقاء دروس اللغة العربية ، تلقى دروس في العلوم القانونية باللغة اضرابية وخاصة ما يتعلق بالذرائع الادارية والقوانين المتعلقة بعمل مهندسي الاضغال العمومية ومنها على سبيل المثال قانون الصفقات العامة ، ومرسوم تنظيم الادارة المركزية للوزارة ومسالمتها ، فانه يدرس باللغة العربية بجانب دراسته باللغة الفرنسية - وبالمصالح التابعة للوزارة في مختلف الولايات (المديرية العامة للمهاكل والتجهيزات) تلقى الدروس بانتظام مختلف المستويات .

ومن اجل تطوير البرامج حاليا - رؤى اعداد نصوص في اللغة العربية من واقع الاعمال اليومية التي يقوم بها الموظف وعلى سبيل المثال :

- ا - اعداد طلب العطلة .
- ب - الاذن بالغياب والسجود .
- ج - الامضاءات .
- د - تحرير الخطابات الصغيرة .

كما ان نهاية التكوين المهني بالوزارة قامت باعداد بعض النصوص باللغة العربية لائقائهم

في العام الدراسي الحالي بمرآكز التكوين المهني بمختلف الولايات ، وتدور هذه النصوص حول موضوعات الاضغال العمومية والبناء ، كما اعمت بعض الدروس القانونية في كل من القانون الاداري والتنظيم الاداري وتشريع المسبل وبعض المصطلحات المتعلقة بعلم المساحة العامة وقانون الصفقات العامة وتحرير العقود . (هذا فيما يتعلق بتكوين التقنيين المتخصصين وامرأه التقنيين) .

رابعا - التوصيات :

توصي الوزارة بتشكيل لجان تختص بوضع برامج علمية عملية تتفق وطبيعة عمل كل وزارة - ومن الممكن توحيد البرامج بين عدة وزارات كلما أمكن ذلك ، خاصة اذا تشابهت فيها طبيعة العمل . كما نرى ضرورة توفير الكتب العربية بين ايدي الموظفين - ويشتمل رخص - وبما هو جدير بالذكر ان الكتب العربية مرتفعة الثمن ، الامر الذي يؤدي الى احجام الكثير عن شرائها ، وقد يرجع ذلك الى قلة المطابع بالعربية - وفي هذا الشأن نوصي بتدارك الامر حتى يمكن مواجهة الصعوبات الصعبة وتذليلها .

هذا ويلزم مكاتب الوزارات والمؤسسات بالكتب التي تدور حول تفسير الاسور العامة ، كتب تتفق مع طبيعة عمل كل وزارة او مؤسسة او هيئة .



تقرير عن سير خطوات التعريب في وزارة البريد والمواصلات

الى السيد رئيس تحرير مجلة الاصاله .
الموضوع : تقرير عن سير خطوات التعريب في
وزارة البريد والمواصلات .
الاحالة : خطابكم رقم 73/93
بالاشارة الى خطابكم في الرقم والاحالة اعلاه .
يشرفني ان اطلعكم على سير خطوات التعريب في
وزارة البريد والمواصلات .

التي تستعمل اللغة العربية وسيلة تعبير واداة عمل *

ولقد بلغ من عناية السيد الوزير ان الحظيها بدرايه الخاص *

تعليم اللغة العربية :

تشرف ادارة البريد وواصلات على تدريس اللغة العربية في برنامج حافل لها يساعد مستخدميها على الاثام بمعلومات اللغة التي تهت عليها احكام الامر الاتف الذكر *

وقد شملت حركتها في هذه الناحية الميادين التالية :

1 - تنظيم دروس على نهجتها الخاصة كلما سمح عند الراغبين في تعاطيها بتكوين قسم تزاوّل فيه *

2 - وقد دعى المستخدمين في القرى الصغيرة الى قيد اسمائهم في الدروس المسائية التي تلتى في مؤسسات التعليم بالمنطقة *

3 - ويتابع اعوان وتلاميذ مراكز التكوين المهني التابعة للبريد والواصلات دورسا في اللغة العربية ساعة كل يوم *

فيما يلي تفصيل لهذه النشاطات وبيان للنتائج المحصن عليها *

لقد اتحدت ادارة البريد والواصلات منذ ان نشر الامر رقم 59 - 68 المؤرخ في 24 افريل 1968 القاضي بوجوب معرفة الوطنين لغة العربية * جميع التقادير اللازمة لاداء مهنتها على الوجه الذي ينبغي في هذا المطلق *

وتجدر الاشارة الى ان السيد الوزير يسوّل اهتماما بالما لقضية التعريب من ذلك امره بالحرص على ضرورة توظيف اعوان عربيين في شبائيك البريد من صوب ووجوب التضاظ بالمرية لاسيما في المكالمات الهاتفية من صوب آخر *

هذا وقد شمل التعريب بادى يندى جليل المطبوعات البريدية التي تستعملها الادارة في علاقاتها مع الجمهور : من صكوك ودفاتر وصيغ وقوانين داخلية وتقارير ومراسلات وبعثات وتعليمات ادارية وغيرها فضلا عن تعريب الاختام والعاوين *

ولعل خير شاهد على ما نقول اصدار طوايح بريدة باللغة العربية لتخليد اهم الاحداث التاريخية العربية الاسلامية والتعريف برواد النهضة الذين عملوا على احياء اللغة العربية كالامير عبد القادر وعبد الحميد بن باديس الخ ...

كل ذلك استلزم مصلحة خاصة للنهوض على تسقيت هذه الاعمال هي مصلحة التعريب والترجمة اى تساهد ايضا على تحرير وترجمة الوثائق الواردة او الموجهة الى الهيئات والمؤسسات الخارجية

- جدول 1 -

الدروس المفتوحة تحت إشراف إدارة البريد والمواصلات لتعليم اللغة العربية سنة 1973

المصالح	المستوى 1 :	المستوى 2 :	المستوى 3 :	المجموع
المصالح المركزية	182	241	90	513
المديرية الجهوية للجزائر	462	341	82	885
المديرية الجهوية لهران	238	281	36	555
المديرية الجهوية لقسنطينة	602	693	290	11585
المديرية الجهوية للأغواط	18	17	9	44
المجموع :	1502	1573	507	2582

- جدول ب -

امتحانات شهادة معرفة اللغة الوطنية

(1) امتحان 4 ديسمبر 1971

النتائج	عدد المشاركين	إلتصاف المترشحين
غير مقبولين	مقبولون	
415	482	897
119	117	236
444	681	1125
1068	847	1915
27	37	64
2073	2164	4237
		المجموع :

(2) امتحان 10 فبراير 1973

النتائج	عدد المشاركين	إلتصاف المترشحين
غير مقبولين	مقبولون	
		909
		1150
		1303
		1108
		204
		4674
		المجموع :

لم يعلن عنها بعد

في المؤتمر التفتيشي الثاني الاسكندرية 18
أغسطس 1973 *

احسب ان مجال القول في هذا الموضوع فسيح
جدا ولكني اقتصر على ما يلي :

أولاً - الا صيبل الى توحيد المصطلحات الا
باستعمال القصص فحسب *

ثانياً - يتوقف وضع التسميات العربية
المناسبة للمصطلحات الولية وتربيتها وفق ما
نص عليه القرار رقم 23 (ن) من اتفاقية بغداد .
على مدى استيعاب مفهوم المصطلح من صوب
وحسن الاختيار والانتقاء اللغوي من صوب آخر *

وليس من التعريب في شيء صوغ المصطلح
في قالب عربي بادخال لام التعريف عليه كأن
تقول المسح (ال Messing) وقد سمعنا تتردد
على لسان الكثير ، او بإضافة ياء النسبة أو تاء
التأنيث وما شابه ذلك * في حين يتفاخر عمن
بدله العربي الذي هو أقدم قبلا وأثبت دليلا -
والأمثلة التي أشرها على ذلك كثيرة استقيها من
كتاب المؤتمر مثلا مستند 4 حيث جاءت فيه
الكلمات التالية :

تراييزة
طرايزة
فوتل - دفاية (الصواب مغلاة)

أوبية اهرع (فروع) - بللور (بلور)

حامل أقلام به قلين جبر (به قلنا جبر)

براية - مبراة

قوائم - قائمت

مواضيع - موضوعات

جمع

هذا وتقدم عدد من الاعوان مترشحين لمراد
لامتحان الشهادة الابتدائية ويقدر عندهم بحوالى
150 *

3) أفاق المستقبل :

تشجيع السيد الوزير للحاصلين على شهادة
معرفة اللغة العربية بتخصيص مكافآت لهم لقاء
اجتهادهم ونجاحهم

- اجراء المسابقات والامتحانات باللغة العربية
أيضا *

- اعداد منجند في المصطلحات البريدية
باللغتين العربي والفرنسي وتعميمه على سائر
ادارات ومكاتب البريد *

- فتح دورس لتدريب المستفيدين على فهم
المصطلحات البريدية باللغة العربية واستعمالها في
تحرير التقارير والاعلانات وسائر الاتصالات
الادارية تهيدا لتعريب الادارة والمصالح البريدية
المختلفة ترميما شاملا *

- فتح اقسام عربية بالمدسة المركزية للبريد
والمواصلات بالجزائر *

- فتح اقسام عربية بالمعهد التكنولوجي
للرواصلات والالكترونية بهران *

- ملحق اول -

نص الكلمة التي اقهاها عضو وفد ادارة البريد
والمواصلات للجمهورية الجزائرية الديمقراطية
الشعبية خلال انعقاد الجلسة الخاصة بالمصطلحات

كامل : أصلها العربي - حبل -

الترسانة : من arsenal دار الصناعة

ولقد سلفت الإشارة في أكثر من مرة إلى أن 'الجزائر' تريد أن تستفيد من تجربة البلاد العربية لكن على غير هذا النحو .

ولهذا فمن حقنا أن نطلب باحترام العواهد العربية السوية منها والصلحية والقوية الخ ... غير على لغتنا العربية العزيزة وإيرادا لوجهها المشرق الوضاء على غرار ما كانت عليه منذ نشأتها الزاهرة وعهدها الذهبية من نحو 14 قرنا خاصة في حين لم يكن فيه وجود البتة للمديد من لغات اليوم التي أصابت عيجتها لساننا فلوثته ومسخته مع أبتنا وأصالتنا فربينا بعد خضبة أن نرمي بالقوقع والتعصب والعقم إلى المطالبة برفهها إلى مستوى علم اللغات . فمن كان هذا زعمه فهو مردود عليه وكبرت كلمة مخرج من فيه ، لا العقم منه آت لا من عروس الروض طرا وكأنى بها تقول : فهل سالوا الفواصي عن صدقاتي -

ولا جرم أننا أمام مسؤولية عظمى تجاه تاريخنا الحافل بالامجاد والبطولات وصنوف العلوم والتكسوف والفنون ، وتجاه انفسنا على النطاقين الوطني والقموي وعلى الصمدين الاسلامي واللدولي .

فلننصر أيها السادة المثقة والبراهمة العلمية والدوق السليم في انتخاب المصطلحات وترجمتها بما يفهمها العربي الاصيل لا بالدارجة أو البديل . ونود في هذه الصفحة أن نسوق اقتراحا وهو :

1 - أن تراعى قواميس المصطلحات المترجمة من الفرنسية والانجليزية في هذا الحقل من قبل لجنة مختصة يشرف الجزائر ان تكون احد أعضائها وذلك من أجل حصص الفث من السمين وضبط المترجمات وتنقيتها . وتقدم بعد ذلك في توبها المشيب الى المجس اللغوى للمصادقة عليها .

2 - القيام بانتقاء المصادر المعتمدة في الترجمة والتعريب وإعطاء الأولوية للعربي الصرف منها الخالص من اللبنة .

3 - العمل على توحيد المصطلحات والمترجمات بين المغرب والشرق تماشيا مع اهدافنا السامية المشتركة .

والله نسال التوفيق في مساعينا العلمية .

- ملحق ثاني -

نص الكلمة التي ساهم بها عضو وفد الجمهورية الجزائرية بخصوص المستند رقم 7 المتعلق باستعمال اللغة العربية في الاتحاد السوفيتي للمواصلات السلكية واللاسلكية .

السيد عقل محمد البشير الهاشمي :

بسم الله الرحمن الرحيم ، انه لا يسمع الوفد الجزائري الا ان يتوجه ببزبل الشكر وفائق الامتنان لما تعضل به الوفد الكروتي الموقر من مقرر نبيل بشأن استعمال اللغة العربية في الاتحاد الموالي للمواصلات السلكية واللاسلكية ولكم كانت هذه المسألة موضوع نقاش وبانتدون ان ننحذ حياها الى قرار إيجابي حاسم ونم الاممية

ميدان التعريب ، وثيدة فهي ثابتة وحديثة ومؤتية اكها لا محالة *

وانه ليشرف الوفد الجزائري ان يتقدم باقتراح يتمثل في القيام بدراسة استعمال اللغة العربية في الاتحاد ادولي للمواصلات السلطية واللاسلكية دراسة موضوعية وجادة كسائر الموضوعات الهامة التي ستدرس في المؤتمر القادم للمندوبين المعوضين للزم عقدہ باسمائنا في شهر سبتمبر *

هذا وما ان اللغة العربية المزيزة لها دلالتها القوية فضلا عن كونها مستعملة في محافل دولية كثيرة ، فانه يجب علينا ان نعمل جادين ما وسعنا ذلك على السمو بها الى مستوى اللغات الاجنبية الاخرى كالفرنسية والانجليزية وغيرها كما جاءت الاشارة الى ذلك في الاعاقية المولية يستترو 1965 المادة 17 2344 *

ان استعمال اللغة العربية بصورة رسمية يعرض نفسه بنفسه سيما انه معترف بها في اكثر من منظمة دولية (كالليونسكو ، والمنظمة الدولية لصحة ...) ولا مره في ذلك حاصة واننا في عصر عيسه المندالة السياسية والمساواة يسجن الانسان وانيه الانسان في غير ما تمرقة عصرية او لغوية او عرفية *

ولا نفس ايها الاخرة ان اللغة العربية وعاء حصاروتا الزاهرة ولسان مجدنا التليد ومرجع عزتنا فمن ثمة يترتب علينا ان نصاند وتزيد كلية المقترح النبيل الذي تفضل به الوفد الكويتي بناء على :

البالفة التي تكتسيها الفع الصبسم السذي تستلجيه للبلاد العربية في المحافل الدولية الهامة كما نتقدم بالشكر والتناء الى الامانة العامة للاتحاد العربي للمواصلات السلطية واللاسلكية لما اسدته من خدمات حل وبذلكه من مساعي حبيطة من أجل تحقيق مثل هذه الاهداف السامية التي ترونها جميعا متمنين نقلها سريعا الى حيز الفعل *

ولا حاجة لنا في ان نشير بهذا الخصوص الى الجهودات الفخمة التي تبذلها الحكومة الجزائرية في سبيل احياء اللغة العربية وتمتعاتها «الرائية» وبالتالي استرجاع مقومات شخصيتها الوطنية ارومة وذاتية انية واصالة ، بالرغم من المحلفات الاستعمارية التي اكتست طوال ما يربو على قرن ونصف طابع الوضعية والقسوة والانسانية اذ ان المستعمر المغيض لم يدر حيلة ولا مكية ولا اية وسيلة مكر الا استخلفها في طمس معالمها الحسابة وتقويه ما تبقي منها وتحطيم شخصيتها العربية والاسلامية التي تادي بها الامام عبد الحميد بن باديس رحمه الله واصبحت للباديه الاسامية للثورة الجزائرية الطافرة :

الاسلام ديني *

العربية لغتي *

الجزائر وطني *

هذا وان الجزائر لتواقة الى الاستفادة من تجربة البلاد العربية في هذا النطاق ... لذلك الفيتموها ايها السادة ، تنوخي في سياسيتها ككل التدرج والفريت والمرحلة ... ولتن كانت خطاطها فسي

- 3 - احترام المبادئ الأساسية للمساواة التي
أرسمها الإسعاد •
تواكب العصر وتستوعب كل ما يستجد فيه من
كتشفات علمية وفنية وغيرها •
- 2 - احترام المبادئ الأساسية للمساواة بين
الشموس •
وبهذا نكون قد حصلنا على كسب كبير من أجل
تميز موقفنا الموحد بهذا الصدد •
- 3 - رفض هيمنة لغة على لغة وسيطرة مجموعة
لغوية على أخرى وذويانها فيها •
والإضافة إلى تأييد الوفد الليبي الشقيق في
تعميقه الموفق من حيث تطوير اللغة العربية وجعلها
- وإنه ليسعدنا كثيرا أن ننوه بالساعي الحريصة
التي يبذلها السيد الأمين العام من أجل تحقيق
هذه الغاية السامية المرجوة •
ولكم منا سائب الشكر والتقدير •



فالمسألة واضحة ولا بد ان تتواصل الحركة حتى نهايتها المروسة
 وسبب كل محاولات اعداء التعريب بالفضل لذا فانه من الاحسن والافضل
 ان يبدل الجميع الجهود لتعلم لغة بلادهم لغة ماضيهم لغة حضارتهم وحتى
 تكون كلنا على موعد «١٩٧١» وذاكرتنا بالنسبة لهذا الموعد ذاكرة قوية *
 لقد حددنا موعد «١٩٧١» ليتحصل كل مولد على قسط ولو ادنى
 من التعليم بلغته وسنكون على استعداد لاتخاذ جميع الاجراءات والقرارات
 اللازمة في هذا الموعد *

واذا رجعنا الى القصة فاني اكرر ما ذكرته في السنة الماضية عندما
 قلت انه من المستحيل ان يضل فلاحان امام قاص ومحكم يتكلمان باللغة
 الفرنسية بينما هما ينتظران ان يبلغهما الحكم مترجم *

ورخطب للرئيس بومدين وأنتاح المستر الدكتور الفهاليز ١٩٦٩



من وراء البحار

من وراء البحار أفكار ومذاهب

د أوروبا القارية والنظم العربي - شقوق في
صرح سيكلوجية الطفل - مشروع قائمة عالية
للكتب - مسيحية الشمال ٠٠٠ أو ما بقي منها -
هل يواجه العالم أزمة في المواد الغذائية ؟ -

اعداد:
اسماعيل العربي

أوروبا الغربية والنفط العربي

الآن ، وبعد ما تبنت أهمية النفط ، بوصفه السلاح المطلق ، في معركة التحرير التي تخوضها البلدان العربية ، يحاول المخبرون في مختلف بلدان العالم إلقاء الضوء على العناصر الأساسية في ملف العلاقات النفطية بين العالم المصنّع ، وخصوصاً ، أوروبا الغربية ، والعالم العربي ، وفي هذا السياق ، تطرح نفسها على بساط البحث ثلاث أسئلة حيوية ، وهي :

1 - ما مدى اعتماد أوروبا الغربية على النفط العربي ؟

2 - ما وجه العدالة السياسية في المقاطعة العربية ؟

3 - ماذا كانت الحالة قبل « احتكار » الدول المنتجة للنفط المزعوم للذهب الأسود ؟

كشفت أزمة الطاقة التي تواجهها أوروبا الغربية موجة النقاب على عاملين جوهريين في الموقفين : السلبية السياسية من جهة ، وأخطأ الفادح في تقييم الإرادة السياسية العربية ، من جهة أخرى وبالنسبة إلى العامل الأول ، تدل الدلائل على أن أوروبا الغربية مستعدة للتضحية برعايتها ورفاهيتها المادية في استسلام عجيب للتضيق والتفقر ، دون أن تحاول تدارك الموقف قبل أن يفلت زمامه من يدها ، بانتفاضة ، تميد بها العلاقات بينها وبين إسرائيل والولايات المتحدة ، وبينها وبين الدول العربية إلى وضع من التوازن الطبيعي - وفيما

يتصل بإعادة النظر في تقييم تصميم العرب على الدفاع عن قنيتهم المادية ، فإن أغلبية الساسة الذين يشاهدون صناعة بلادهم تتعرض للانحياز لا يزالون يرفضون النظر إلى الحقائق ويتفادون عن بذل الجهود الدني الضرورية لهذه الغاية ومع ذلك فإن أوروبا الغربية مهما طال صمرها وتماذيا ، ستواجه الواقع حتماً ، وتراجع مواقفها .

وذلك لأن أوروبا الغربية ، هي أهم منطقة لاستهلاك النفط ، بعد الولايات المتحدة الأمريكية ، وهي ، خصوصاً ، أكثر مناطق العالم اعتماداً على الخارج لتموين نفسها بالنفط .

عاجلت دراسة أصدرتها الجماعة الاقتصادية الأوروبية عن الموقف ، قبل انفجار أزمة الطاقة الحالية بوقت قصير ، فسلطت الضوء على تزايد اعتماد الدول الأعضاء في المستقبل بسرعة ، على الموارد الخارجية للطاقة ، بسبب التوسع الذي يسر به اقتصادها ، وتدل التقديرات التي أوردها هذه الدراسة على أن استهلاك المنطقة للطاقة سيرتفع خلال الفترة بين سنة 1970 و 1985 ، مما يساوي 800 طن إلى 27.00 مليون من النفط ، وبشارة أخرى ، فإن حاجة أوروبا إلى النفط ستضاعف في طرف 25 سنة ، وفي غضون الفترة ، 1985 - 2000 ، ستضاعف هذه الحاجة من جديد .

وأما نصيب النفط في مجموع استهلاك الطاقة في أوروبا الغربية ، فهو سيرتفع أيضاً من 37 ٪ إلى 64 ٪ .

عليها التخليص بنسبة 5 ٪ ، والبلدان «المعادية» التي يطبق عليها القرار بنسبة مائة بالمائة ، فستتخصص نسبة المحر في مجموع أوروبا الغربية إلى 20 ٪ . وهذه نسبة محتملة إذا اتخذت الدول المعنية إجراءات اقتصادية أولية لمعالجة الموقف . ولكن الصناعات التي تتوقف على النفط مباشرة (مثل السيارات وتصنيع النفط والصناعات الكيميائية المتفرعة عن النفط ومثل اللسدان والحبوط للصناعية الخ) ، ستتعرض للاختناق حتماً ، وهو تطور ستكون له آثار اقتصادية واجتماعية (البطالة) خطيرة .

وهكذا نرى ، أن المشكلة ليست مشكلة منع تسير السيارات الخصوصية لنزعة يوم الاحد ، فقط ، بل أن المشكلة التي تواجهها أوروبا الغربية ، هي مشكلة تسيير عجلة الصناعة والتنظيم الاجتماعي والاقتصادي الذي سيتعرض للانهايار إذا لم تقم بانتعاضة صادقة قبل فوات الاوان .

* * *

إن استخدام الدول العربية للنفط بوصفه سلاحاً سياسياً في «جديد» ، بالنسبة إلى هذه البلدان ، ولكن الدول التي تشكل من هذا الإجراء وفي مقعدها الولايات المتحدة ، تعرف هذا النوع من الحظر جيداً حيث أنها مارسه ولا تزال تمارسه . فإن حظر تصدير المواد الاستراتيجية التي كثرته الدول الغربية ضد البلدان الاشتراكية في أوروبا الشرقية منذ عهد الحرب

كيف توفر أوروبا الغربية لصناعاتها ولتحتها هذه الموارد الهائلة من النفط ؟ أن آبار النفط المنتجة التي عمر عليها في بحر الشمال ، لن تتمكن من تغطية أكثر من 35 ٪ من حاجات أوروبا في سنة 2080 . ومن ثم ، فإن الاعتماد على نفط الشرق الأوسط وشمال افريقية ، سوف يتجاوز بطريقة متزايدة نسبة الاعتماد الحالية التي تبلغ 80٪ (1) . جاء في تصريح لمسؤول فرنسي كبير عمن شؤون الطاقة ، أبل به لصحيفة «لوموند» ، قبل إعلان القرار العربي بأكثر من شهرين (23 أغسطس) « لكي يمكن حل مشكلة توفير الطاقة للغرب في الثمانينات يجب أن نتجج المشكلة العربية السعودية أكثر من حياطين سنوياً من النفط الخام » . ويجب أن يزيد هذا البلد إنتاجه من الآن حتى نهاية العقد الحالي ، بمعدل 25٪ سنوياً . أنه لا يوجد حل بديل لهذا الحل » .

وأضاف الناطق قائلا : « يجب ، خصوصاً ، أن نتخذوا من إثارة غضب العرب » . ولكن المخدور وقع الآن - ويدها من أن يزيد العرب إنتاجهم ، أخذوا يخصصونه بطريقة مضمونة » .

نتيجة لهذا الإجراء ، فسيبلغ نقص العالم المصنع من النفط العربي في شهر ديسمبر 1973 نحو 20 ٪ . ويحسب المتوسط باعتبار الفريق بين البلدان «الصدقية» التي لا يتأثر تمويلها بالحظر العربي ، والبلدان «المعادية» التي يطبق

(1) هذه هي النسبة التي أوردتها Denis Beauchard في مقال نشره في «لوموند ديپلوماتيك» الصادر في 8 أغسطس 1973 تحت عنوان «أوروبا تبحث لإزمة الطاقة»

الصناعية ، فينبغي ان تذكر بان احتكار النفط لم يبدأ في اوائل العقد الماضي ، حينما قررت هذه الدول ممارسة حقوقها الشرعية في السيطرة على ثرواتها الطبيعية وانما هو بدأ منذ ان حصل وليام كنوت دارس من الشام نصر الدوين على ترخيص لاستكشاف النفط في جميع أنحاء إيران ، أي منذ أكثر من نصف قرن .

وفي غضون هذه الفترة ، كانت الشركات الاحتكارية الأمريكية والإوروبية ، هي التي تفرض قانونها على البلدان المنتجة والمستهلكة معا ، فكانت تجرد الاسعار أو ترفعها ، وتفضي الانتاج أو تزيد منه ، حسبما ما يتفق مع سياسيتها التي لا تستهدف الا زيادة الفوائد والارباح . وقد استمرت شركات النفط العالمية على سياسة احتساب ثروة النفط والتحكيم في ظروف الاستهلاك في العالم كله ، حتى ظهرت أزمة سنة 1970 - 1972 التي كانت نتيجة لنقص في العرض (بسبب اقفال سورية خطط الأديب تابلاين) وتخفيض ليبيا للانتاج) وزيادة الطلب زيادة كبيرة ، بسبب التوسع الصناعي الذي شهدته أوروبا الغربية والولايات المتحدة واليابان .

ونتيجة لهذا الوضع ، فقد كانت شركات النفط لا تترك لبلد المنتج لهذه المادة التي كان الرئيس الراحل عبد الناصر ، يسميها « دم الحضارة » والتقدم ، سوى الحد الأدنى من الدخل ، قبل الاتفاق الذي وقع في طهران في 24 فبراير 1971 .

وعند توقيع هذا الاتفاق ، كان السعر النهائي الذي يدفعه المستهلك للنفط ينقسم كما يلي :

البارد ، لا يزال قائما من الناحية المبدئية ، وذلك على الرغم من رفع الحظر مؤخرا على بعض المواد التي تشمل عليها الثانية ، ومقاطعة جنوب افريقية وروديسيا الجنوبية اقتصاديا بموجب قرارات للأمم المتحدة وافقت عليها الدول الغربية والتزمت بتطبيقها ، لممارسة ضغط لحل هاتين الدولتين على الملوك عن السياسة العنصرية التي تنتهجها ، مثال آخر لاستعمال الاسلحة الاقتصادية في معركة سياسية ،

ولكن الحركة العربية ضد إسرائيل مياضية وعسكرية في نفس الوقت . ونحن اذا استطعنا ان نفترض توفر حسن النية في الدول الغربية التي تستورد النفط العربي ، وافترضنا بانها لا تعوم بإعادة تصديره الى إسرائيل (والمراقبة أمر صعب) التي تستعمله لتسيير دباباتها وطائراتها فنحن لا يمكننا ان ننسى أبدا ان نسبة من النفط العربي تستعمل في أوروبا الغربية وأمريكا لصنع الاسلحة التي تزود بها إسرائيل ولننسى هذه الاسلحة . ومن ثم ، فنقطع النظر عن جميع الاعتبارات التاريخية والسياسية ، يمكن تبرير مبدأ الحظر الذي فرضته الدول العربية على تصدير النفط الى البلدان التي تتخذ موقفا عدائيا من قضيتنا ، بكل بساطة ، بان النفط مادة استراتيجية حيوية يستفيد منها العدو ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، لتعزيز امكانياته العسكرية .

* * *

وفيما يتعلق بدعوى ان الدول المنتجة للنفط تمارس احتكارا لهذه المادة الحيوية للبلدان

من مختلف البضوط والمؤامرات التي قد يقوم
الاستثمار الجديد بتدويرها -

وضع الكاتب الفرنسي « جان راسباي » مؤرخا
قصة طويلة بعنوان « حنجر القديسين » (1)
تخيل ثورة قام بها الجاثون في العالم الثالث
على العالم الصناعي المنهك في رفاهيته وإثباته.
موصف أسطولا تقوم قطعه من خليج البنغال
بنقل الملايين من الجائعين الهنود والباكستانيين
إلى الشواطئ الأوروبية « ذلك هو المظهر الذي
تتخذه الثورة على التخلف في اذعان كتاب العالم
الصناعي ... ولكن الدول العربية قد اوشدت »
بقرار حظر النفط ، الى طريقة أجدى واتشد فعالية
لثورة العالم الثالث : فبدلا من سفن تنقل
الجائعين ، مستحسن الدول المتطورة صنعا « اذا
اعادت ناقلات النفط والنفاس والطلاء وغير
ذلك من المواد الأولية ، فارغة الى شواطئ الدول
الصناعية » وهذا بطبيعة الحال ، لن يملح صنة
الصناعة فيها عن الفوائد ... ولكنها سوف
تدور في فراغ !

شقوق في صرح سيكلوجية الطفل :

يعتبر العلامة جان بياجى السويسرى « أكبر
أخصائى فى العالم فى ميكولوجية الاطفال »
وقد أقام بأثاره العديدة قاعدة متينة للابحاث
التي وضعت حتى الآن بمختلف اللغات عن نفسية
الطفل ونموه العقلى - ولكن النظريات التي تتعلق

- تكاليف الانتاج : 2,7 %
- ضرائب تحصل عليها الدول المنتجة : 7,9 %
- تكاليف النقل : 5,3 %
- التكرير : 3,3 %
- التوزيع : 5,5 %
- صامى ارباح الشركات : 5,3 %

- ضرائب تحصل عليها الدول المستهلكة :
47,5 %

ومن المعلوم ان الشركات الكبرى تملك شركات
تفرع عنها للقيام بأعمال التكرير والنقل
والتوزيع ، وبالتالي ، فقد كانت من الناحية الصلية
تتقاسم الدخل من النفط ، تقريبا ، مناصفة مع
الدول الصناعية التي تنتمى اليها هذه الشركات .
وهذه الحالة ، هي التي حاول الدكتور مصفق
فى سنة 1955 ، إدخال تعديل عليها بقيامه
بتأميم النفط الايرانى « على ان تحالف الشركات
الاحتكارية مع الاستثمار الجديد ، كان من نتائجها
معاملة النفط الايرانى وفرس ما يشبه الحصار
الاقتصادى على ايران »

ولكن الوضع الآن ، قد تغير تماما « أولا ، لان
الدول المنتجة قد اتفقت الاجراءات الكفيلة
بتحقيق ممارسة سيطرتها على ثرواتها النفطية ،
وثانيا لان التضامن الذي أبدته فى نطاق منظمة
البلدان المصدرة للنفط لتنفيذ مختلف الاجراءات
الفردية والجماعية ، اصبح عاملا رادعا ويحميها

(1) Jean Raspail, Le Camp des Saints. Ed. Robert Laffont, Paris, 1973.

والعمية الذهبية التي يدور الجدل حولها هي : هل يستطيع الطفل ان يستنتج من المقدمات التالية : « أ » أكبر من « ب » ، و « ب » أكبر من « ج » ، وبالتالي « أ » أكبر من « ج » ؟ وبالطبع فان المشكلة لا تطرح على الطفل بهذه الصيغة التجريدية ، بل بطريقة عملية محسوسة بقدر الامكان ، وبحيث يستطيع ادراكها بوضوح .

وعند هذه النقطة ، يفرق الملمان - بريان واطرياسو ، عن بياجى ، قائلين انه اذا كان من الصحيح ان الطفل فى كثير من الحالات (ولا سيما باستعمال نماذج الجوارب التي سار بياجى على استعمالها) لا يتجنى فى حل المشكلة التي يطلب اليه الاستنتاج غلها ، فان ذلك مرجعه ليس عدم توفر القدرة الذهنية ، بل ان السبب فى حصول العجز يعود بكل بساطة الى الذاكرة . لان الطفل ينسى المقدمات بحيث يختلط عليه الامر فى المثال المتقدم ، فلا يعرف ما اذا كان « أ » أكبر من « ب » : أم لا - وهو امر يعوقه بظيعة الحال عن الاستنتاج المطلوب . - فالحسالة اذا ، ليست مسألة توفر القدرة الذهنية على التفكير ، بل هي مسألة الذاكرة . واذا اتخذنا الاحتياطات الضرورية لتجنب دور الذاكرة السلبى فى التجارب ، سيكون فى وسعنا حمل الطفل على التفكير والاستنتاج منذ السنة الرابعة من عمره .

ولكن هذا المقد ، تعرض بدوره للفتن . فان عاين ، جيمس يولى ومانس فورت ، وكلاهما يعمل فى مركز البحوث عن التفكير واللغة فى الجامعة الكاثوليكية فى واشنطن ، قد استكرا

بنمو الطفل النفسى والتي اكتملت خصوصا ، فى فترة ما بعد الحرب المالية الثانية ، قد ظهرت فيها شقوق خطيرة ، وذلك على الرغم من ان الاسس التي تقوم عليها لا تزال سليمة . وكذلك أخذ بعض الباحثين يتهجمون على آراء الاستاذ بياجى وعلى النتائج التي استخلصها خلال مدة تزيد عن اربعين سنة من البحث والتجارب .

ومن بين النظريات الاساسية التي تقوم عليها سيكولوجية الطفل عند بياجى ، تلك التي تصبى بالنسب التي يكون عند بلوغها . قادرا على الاستنتاج المنطقي فى أبسط صورة . فبالاستاذ بياجى ، يقول ان الطفل يمر بمراحل فى نموه الذهني تتطابق مع مراحل زمنية فى تنفسه فى السن . وقد اثبت بتجاربه المديدة ان الطفل لا يمكنه القيام بأنواع معينة من الاستنتاج المنطقي قبل الرابعة والسابعة ، او الحادية عشرة من عمره . ولكن عددا من الباحثين يحاولون فى الوقت الحاضر ان يثبتوا ان الاستاذ بياجى يتألى فى تشاؤمه : لان الطفل ، فى راي هؤلاء ، قادر على تصورات منطقية قبل مرحلة السن التي يصفها الاستاذ السويسرى .

وكذلك يقدر كى من الاستاذ بريان ، من قسم علم النفس التجريبي فى جامعة أوكسفورد ، والاستاذ اطرياسو ، من قسم علم النفس بجامعة برينستون ، ان الطفل يفتتح منذ سن الرابعة على القدرة على التفكير والاستنتاج ، بينما هو ، حسب نظرية بياجى ، لا يملك هذه القدرة قبل سن السابعة .

يرون ، على العكس ، ان الطفل يستطيع ان يدرك هذه الفكرة في السابعة من العمر * واذا كانت تجارب بياجي قد حيزت عن الكشف على مقدرة الطفل على ادراك هذه الفكرة قبل المباشرة ، فان ذلك ليس دليلا على عجزه ، وانما هو نتيجة لاختيار بياجي كلمتي : بين - شمال - ونحن اذا وضعنا في التجربة بدلا منهما كلمتي : فوق - تحت ، مستبعد ان الطفل يدرك النسبة في وضع الاشياء قبل سن العاشر بكثير *

ومن جهة أخرى ، فان العالم جيمس راسل ، الأستاذ بجامعة جلاسجو ، بأنجلترا ، يرى ان كثيرا من تجارب بياجي فشلت في تحقيق غرضها ، لانها تتطلب معرفة بفردات لغوية لا يملكها معظم الاطفال الذين احرقت عليهم *

ومما يكتن من شيء فان من سبق الاوان الزعم بان صرح النظريات التي شيدت العلامة بياجي يتعرض للانهايار ، فان الانتقادات التي توجه اليه لا تقتل في معظم الحالات سوء التفصيل . وزيادة على ذلك ، فهي - كما رأينا - عرضة ، يدورها لانتقادات أخرى ، كما هي الحالة دائما في العلوم البشرية - ولكن الشيء الذي يدعو الى القلق هو كثرة عدد الذين يتجهون على الأستاذ بياجي وتجارب ونظرياته التي استخلصها منها *

مشروع قائمة عالية للكتب :

الحلم الذي يماور رجال المكتبات في جميع بلاد العالم ، هو ان يتمكنوا يوما ما من مصرفة اكثر ما يمكن من التعاصيل والحصاص السقي

تفسير براين واطراباسو وقالوا ان الاحتياطات التي اطلقت لزل دور الذاكرة وابطاؤه ، ليست كافية . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فان نسوع الاستنتاج (مستواه) المنطقي الذي استقرت عنه تجارب العالمين ليس من نفس النوع الذي يقصده بياجي . فان استعمال الطباشير الملونة لتمثيل الحروف الثلاثة المذكورة (وهي الوسيلة السقي التجا اليها العالمان في تجاربهما) ، سيحصل الطفل يقارن بينها بطريقة مباشرة ، دون ان يفسل في عملية من التفكير والاستنتاج . وبالتالي فان الطفل لا يزال في المرحلة السابقة للمنطق . على الرغم من تمكنه من حل مشكلة بطرق منطقية في ظاهر الامر . ولكن براين لا يسكت على هذا النقد ، لانه يرد ، بان تجارب أخرى استعمل فيها وسائل غير الطباشير الملون ، اكدت النتائج التي توصل اليها ، كما اكدت ضرورة عزل دور الذاكرة في عملية التفكير والاستنتاج عند الطفل *

والجدير بالذكر في هذا السياق ان براين ليس هو العالم الوحيد الذي يشكك في نظريات بياجي في سيكولوجية الطفل ، ويحاول ان يثبت ان تجاربه لم تكيف كلها بالقدر اللازم لموضوعها . فان بياجي مثلا يرى ان فكرة وضع شيء بالنسبة الى شيء آخر (كون الكتاب موضوعا على بين الصحن ، يستلزم ان يكون الصحن موضوعا على يسار الكتاب) ، لا يمكن ان تدخل في ذهن الطفل قبل ان يبلغ المباشرة من العمر . ولكن ثلاثة من كبار علماء سيكولوجية الاطفال من جامعة ولاية ميشيغان ،

تميز الكتب التي نشرت أو هي تحت الطبع في أي مكان من الكرة الأرضية ، ولكن ، هل يتحقق هذا الحلم في يوم من الأيام ؟ ذلك على الأقل هو السؤال الذي كان يتكرر في أذهان نحو ثمانمائة وخمسين من ممثل المكتبات في 75 بلدا الذين اشتركوا في مؤتمر عقد مؤخرا في جروتويل للاحتفال بمناسبة مرور 39 سنة على تكوين الاتحاد الدولي للمكتبات العمومية . وقد خرج هؤلاء من المؤتمر وهم مقنعون بأن تكوين قائمة عالمية للكتب قد أصبح حيفا ممكن التحقيق .

وطرح هذا المشروع ، يتضح لنا اذا عرفنا ان عدد الكتب التي تصدر في العالم سنويا يزيد عن 300,000 كتاب ، وذلك بالإضافة الى عسمة ملايين من الكتب والنشرات ، وظهور هذه الكتب في السوق - بعد انتهاء العمل في تأليفها - ثم الاعلان عنها في الصحف والمجلات ، وادراجها في قوائم المكتبات التي توزع في الخارج عملية تستغرق وقتا طويلا وتجعل مهمة محافظي المكتبات في المتابعة واقتناء الكتب الجديدة مهمة صعبة للغاية .

ومن هنا فكرة وضع قائمة عالمية للكتب الحديثة الصادر بحيث يتمكن العلماء والاختصاصيون من الاطلاع على عناوينها والاستفادة منها في أبحاثهم بسرعة نسبية .

ولكن المشكلة معقدة نوعا ما ، بسبب اختلاف التنظيم الدائل للنشر والسهولة أو الصعوبة في جمع معلومات عن الكتب في مختلف بلدان العالم .

فسمنا نرى ان بريطانيا والمانيا الغربية والولايات المتحدة تستعمل الإذاعة الإلكترونية في مكتباتها الصومية وتعالج بها بالسرعة المطلوبة مختلف الكتب والمطبوعات ، نجد ان بلدا أخرى ولا سيما البلدان المتطورة ، تعاني من بطء شديد في جمع المعلومات ومعالجتها وتسجيلها ، ونحن نعرف ان كثيرا من البلدان لا تلزم الناشر والمؤلف قانونيا بإيداع عدد من النسخ .

والمشكلة الأخرى التي تواجه المشروع تتعلق بتنوع لغات بلدان العالم ، بل وتمدد اللغات في البلد الواحد .

ونحن ندرك خطورة هذه المشكلة ، اذا تذكرنا ما صرح به مندوب الاتحاد السوفيتي في المؤتمر ، حين قال ان اللغات التي تصدر بها كتب في بلده ، تبلغ 86 لغة .

كيف يمكن ترجمة عناوين جميع هذه الكتب مع ذكر المعلومات الأساسية عنها ، مثل عدد الصفحات وفهارس الكتاب ومستوى القراء الذين يتجه اليهم الخ ؟ ... المهم ان هذه المعلومات ستكون قائمة ذات حجم كبير ولا بد وأن يستغرق طبعها وتوزيعها بعض الوقت ، لنتفلس على هذه العقبات ، اقترح انشاء مراكز وطنية للمكتبات الصومية لتتصل وتتعاون مع مكاتب الإيداع القانوني ، ثم وضع جهاز دولي ليكون حلقة اتصال ويساعد في مهمة الترجمة والتوزيع الخ . وقد بلغنا ان اتصالات تجري الآن بين اتحاد المكتبات العالمية واليونيسكو لهذه الغاية .

الميزانية التي خصصتها الحكومة الدانماركية لمساعدة العنوز الجميلة .

وأما المخرج الذي يقوم بإنتاج العلم وإخراجه ويتلقى هذه المساعدة ، فهو جان ثورسون الذي اشتهر بإخراج عدد من أفلام الدعارة التي منع عرضها في عدد من البلدان بما في ذلك باريس ، بسبب تركيزها على المسائل الجنسية يعون أي تهتر . ومن بين أفلامه التي اذاعت موجبة من الاحتجاجات ومنع عرضها ، أفلم الممنون ، الأيام الهادئة في كليبي ، * إن المخرج قد تعرض لمحاكمة البوليس حتى في البلدان السكاتيندينية التي تدعى ، وخصوصا بلسم الدانمارك ، بالاباحية الجنسية التي تجعل القانون عن كل تدخل فيها ، فيما عدا حالة الاعتداء .

وقبلا يتعلق بالفلم الذي يجري إخراجه ، فان ثورسون قد صرح في مؤتمر صحفي ، بأن هدفه هو « فضح حياة السيد المسيح الجنسية » وكشف التعاب الذي أسدل عنها في أوروبا منذ نحو ألفي سنة ، * وهو ينوي أن يمثل المسيح ، مستغرقا في الشراب وفي أعمال الخطف والسرقة ومضاجعة النساء من كل الأنواع ، *

وفي البرلمان الدانماركي ، تقدم الحزب الشعبي المسيحي الذي يمثله عدد من النواب ، باحتجاج مائع زاد من قلة جدواه ، فراغ القاعة عند ما تقدم به ...

وكذلك تعالت احتجاجات فردية في البلد ، لا لدفاع عن الدين وعن شخصية المسيح

ولكن هذا لا يعنى - مع الأسف - أننا سنجد غدا قائمة عالمية للكتب معروضة في واجهات بالنى صبعنا اليومية .

مسيحية الشمال - أو ما بقى منها :

نظمت مظاهرة دولية ضخمة في أعقاب الصيف الماضي في كايهاجن ، عاصمة الدانمارك ، اشترك فيها أكثر من عشرة آلاف شخص من المسيحيين الذين حضروا لهذه الغاية من مختلف أنحاء العالم ، وخصوصا ، من ألمانيا وإنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة واليابان وإسرائيل . * وقد عقد هذا المؤتمر الذي أطلق عليه اسم « مهرجان المسيح » لبحث وسائل نشر الديانة المسيحية خارج البلدان المسيحية ومقاومة نفوذ الديانات الأخرى ، وقد ولا سيما الاسلام في افريقية السوداء ، وقد صرح المطلق باسم المهرجان ، بأن الهدف من هذا التجمع الدولي ، هو إقناع العالم بأن المسيحية حقيقة حية ، وبضرورة اعتناق جميع الناس لها ، وبأن النصر سيكون للمسيح ولا ريب ، *

ومن بين المظاهرات التي اشتمل عليها برنامج المهرجان ، مظاهرة احتجاج في شوارع كوبنهاجن ، نظم فيه قرار اتخذه وزير الثقافة الدانماركي قبل ذلك بوقت قصير .

فان هذا الوزير قد خصص مساعدة مالية ، بآء على توصية من معهد السيسا الدانماركي ، قدرها 600 000 كورون (ما يزيد عن نصف مليون دينار جزائري) لمشروع فلم بمسوان «شؤون المسيح القرامية » * وهذا المبلغ يمثل وبسح

أفنيون في الموضوع ، جعل البلدية تبيد النظر في قرارها . فقد جاء في تصريح لرئيس كنيسة أفنيون « أن المسيحيين في أفنيون وفي فوكروز قد اثبتوا تعلقهم بحرية الفن والثقافة ، ولكنهم يرفضون ... هذا المشروع الذي يجرع شعور الايمان بالمسيح والتعلق بالكنيسة » .

وأخيراً ، تدخل قدامسة البايابا يول السادس بنفسه ليصف مشروع العلم بأنه « عدوان حقير على شخصية المسيح ، وكفر بكل ما جاء به » . وكذلك صدرت ردود فعل مماثلة من كبار رجال الكنيسة البروتستانتية .

ولكن ، هل اثرت هذه الاستنكارات على عزيمية المخرج او على المساعدين في الفيلم ؟ لا يبدو ان الامر كذلك ! بل على العكس ، فان الانجيلي تقول بان ثورسن قد وجد فيها تشجيماً كبيراً ، حيث يعتبرها خير دعاية للفيلم . والواقع ، ان هذه هي المرة الاولى في التاريخ التي يشترك فيها رئيس الكنيسة المسيحية في الدعاية لفيلم سينمائي . والمهم ، ان المخرج اصبح الآن متأكداً من ان فلم « شؤون المسيح الغرامية » سيفهم له وقماً قياسياً من المشاهدين ومن دخل شبك التذاكر !

واما تعليقنا نحن على هذه القصة فيمكننا ان نوجزه في كلمة واحدة . ليس هذه هي الطريقة التي يمكن بها للمسيحيين مقاومة الاسلام في القارة الافريقية وضمان انتصار المسيحية في العالم !

لقدسة ، بل لان تمويل الحكومة للفيلم ، سيؤدي حتماً الى زيادة الضرائب التي تنقل كاهل الشعب ، حيث ان ميزانية الدولة تشكو الآن من عجز مهم !

ولا سفل وزير الثقافة عن تصرفه ، اجاب بأنه حينما قرر منح المساعدة للفيلم لم يأخذ الى الاعتبار سوى الناحية الفنية للمشروع دون ان يهتم بالناحية الاخلاقية .

ولكنه بعد ما تقرر اخراج الفيلم ، بقي عسلي ثورسن ان يجمع المتلبن ويختار المكان الملائم لاجراجه ، اى مثل قادر ، مهما كانت درجة ايمانها او كفره بالمسيح ، يستطيع ان يفلو بشخصيته ومنه الى هذا الحضيض ؟ لم يجد المخرج مشكلة في ذلك على الاطلاق ، لانه بمجرد ما عرف مشروعه ، تلقى اكثر من مائتين من الطلبات من متلبن يعرضون انفسهم لتقص شخصية المسيح .

واما مكان الاجراج ، فقد تقرر ان يكون قرية « فوكروز » في عمالة أفنيون ، بفرنسا حيث يوجد « ديكور » طبيعي ملائم للاحداث التي تخيلها المخرج . والطريف ان معهد السينما الدانماركي الذي اوصى الحكومة بتقديم المساعدة لمشروع العلم ، رفض ان يمنح المخرج اذا ليقوم بتصوير المناظر في الدانمارك .

ولكنه بعد ما قبلت بلدية « فوكروز » فكرة القيام بالتصوير في بلدها ، طهر وكان المشكلة قد وجدت حلها ... غير ان تدخل رئيس اساقفة

وقد تأثرت أسعار الحبوب في اسواق الولايات المتحدة وبريطانيا (وهي بمثابة مقياس للضغط) تأثرا كبيرا بيوادر هذه الازمة ، فسجل سعر القمح رقما قياسيا في الولايات المتحدة حيث بلغ سعر « البراسو » (35.4 كيلو) أربع دولارات ، بينما كان هذا السعر قبل ذلك بضعمة اشهر 7 يجاوز 2 دولار .

وكذلك سجل سعر القمح في سوق لندن ارتفاعا في ظرف اسبوع واحد بنسبة 11 % ولكن هذا الارتفاع كان الى حد بعيد استجابة للظروف المحلية ، حيث اصبحت المحاصيل في بريطانيا باضرار كبيرة نتيجة لرداء الاحوال الجوية .

وبما استمرت أسعار القمح لوعا ما على مستوى مرتفع ، اخذ الصنف ينصب على النرة التي بلغ سعرها لأول مرة في التاريخ 3 دولارات للبراسو ، بل وزاد على ذلك ، قبل ان يستقر عند هذا الحد .

واما أزمة انتاج اللحوم التي شهد العالم انخفاضاً كبيراً في توسعته فقد كانت محور المناقشات في المؤتمر الذي اجتمع فيه 98 دولة والذي انعقد في اوائل أغسطس في مصر منظمة الاغذية والزراعة في روما . فان انتاج العالم من اللحوم لم يرتفع الا بنسبة 1 % بالقياس الى المستوى الذي كان عليه في سنة 1972 (بينما كانت نسبة الزيادة في تلك السنة بالقياس الى سنة 1971 ، تقرب من 4 %) وهذا النقص ، مرجعه خصوصا ، الى الركود الذي اصاب انتاج

هل يواجه العالم تهديداً بنقص في المواد الغذائية ؟

ساد الاوساط الدولية خلال الصيف وجزء من الخريف الماضي قلق شديد بشأن حالة الاغذية في العالم ، تلك الحالة التي نجمت عن عدد من العوامل أهمها سوء محاصيل الحبوب في الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية في الصام الماضي ، واضطرار البلدين الكبيرين الى شراء كميات هائلة من الحبوب من الولايات المتحدة الامريكية وكذلك . وكذلك كان لحالة القمح التي اصابت البلدان الافريقية الواقعة في جنوب الصحراء ، وتناقص العائض المخزون الأمريكي من القمح أثر في زيادة المتواف التي كانت تساور المسؤولين في أجهزة الأمم المتحدة المتخصصة ، وفي مندمتها منظمة الاغذية والزراعة ، ومجلس القمح الدولي .

وكذلك ادلى السيد بورمة المدير العام لمنظمة الاغذية والزراعة بعدد من التصريحات التي اعتبرت بمثابة انذارات يخطوونها الحالة ، ولا سيما تلك التي أصدرها عقب انتهاء اعمال مؤتمر الدول المصدرة للقمح الذي انعقد في مقر المنظمة في اواخر سبتمبر 1973 . فقد ذكر مدير منظمة الاغذية والزراعة ان العالم يواجه أزمة في المواد الغذائية ، ولا سيما من القمح ، الذي نقص الاحتياطي العالمي منه بصفة خطيرة ، وذلك على الرغم من تأكيد مندوبي الدول المصدرة بان الكميات التي ستتوفر لتصدير ، ستكون أكبر مما تتوقعه التهديرات الاولى .

التولى اللجنة ان المجلس يتوقع تحسنا كبيرا فيما يتعلق بانتاج القمح في العام المقبل ، حيث ان كل الدلائل تشير الى ان انتاج القمح في الولايات المتحدة وكندا ، سيسجل رقما قياسيا في هذه السنة ، ونتيجة لذلك ، فان الكميات التي ستتوفر للتصدير في هذين البلدين ستكون اكبر مما حددته التوقعات الاولى ، اي انها ستبلغ ما يراوح بين 63 و64 مليون طن ، بدلا من 59 و62 مليون طن ، المقدر سابقا .

ولما الطلب على الاستيراد ، فسيكون اقل من المتوقع ، حيث كان المقدر ان يبلغ رقما يتراوح بين 62 و 65 مليون طن ، في سنة 1974 .

توفي الاستاذ «ريجي بلاش» ، احد كبار المستعربين والمتخصصين في العلوم الاسلامية في المجلس الماضي عن سن تناهز الثالثة والسبعين بعد عمر قضاه في البحث العلمي والتدريس ، والتأليف ، وسيرة الفقيه غنية بمجلدة الجوانب ، بحيث ان الرجل يتميز عن الصورة التقليدية المرتسمة في اذهان الكثيرين عن حياة المستشرق بصفة امور .

ما يعرف بالعلم الاخر (جسم البقر والغنم والمخييل) .

على ان التطورات الاخيرة في مجال انتاج الحبوب تبحث على التعاؤل ، ولا سيما بسبب جودة المحاصيل في الاتحاد السوفيتي ، وهو عامل سرفع كثيرا من الضغط الذي تتعرض له الاسواق العالمية ، وكذلك لاحظ مندوبو 58 دولة الاعضاء في لجنة المنتجات النامية لمنظمة الاغذية والزراعة والتي عقدت اجتماعا خلال الفترة بين 8 و19 أكتوبر 1973 ، ان الطلب والاقبال على معظم الحواد الغذائية سيكون على المدى القريب ، متوازنا مع العرض ، ولو ان الاسعار ستعطل على مستوى مرتفع . وكذلك أعلنت اللجنة ان عددا من الدول قد اتخذت اجراءات فعالة لتشجيع الانتاج خلال الموسم القادم ، وان المتوقع ، تبعا لذلك ، ان يسجل الانتاج في الفترة الاخيرة من هذه السنة ، وفي الفترة الاولى من سنة 1974 ، زيادة مهمة بالقياس الى انتاج الفترة السالفة ، وعلى الرغم من المحزون لا يزال ضعيفا والاقبال شديدا ، فان المتظر ان يدخل تحسن معتبر على الموقف .

ومن جهة اخرى ، فقد ابلغ ممثل مجلس القمح

الإسلامية في باريس ، وشغل هذا المنصب قرابة
عشر سنوات (١965 - ١96٥) .

وفي هذا المجال ، يجب التنويه بأن الفضل
في إدخال اللغة العربية إلى المدارس الثانوية
في فرنسا ، باعتبارها لغة ثانية ، يرجع في
المكان الأول إلى جهود الأستاذ بلاشير المتواصلة
سنوات عديدة لهذه الغاية . ولو لم يقدم بلاشير
للمعلم العربي الا هذه الخدمة لاستحق نقاءها
وتقديرنا العميق . ولكن بلاشير إلى جانب ذلك ،
كان « هو وجاك بيرج » الأستاذ في الكوليج
دو فرانس ، داعيا وسعيًا لتقافتنا العربية في
بلده « ومن أجل تقريب الشقة بين ضفاف البحر
الابيض المتوسط الجنوبية والشمالية » كان بلاشير
كثير التردد على بلاد المغرب والقاهرة وينداه .

كس عدد الطلبة الذين تخرجوا على رجلي
بلاشير في البلاد العربية . ٩ المئات ؟ الآلاف ؟ لا
يمكننا الجزم في ذلك . ولكننا على كل حال ،
كثيرون ممن يدينون له بالفضل في التوجيه
والإرشاد إلى الآفاق المجهولة في ثقافتنا وتاريخنا .

ولكنه ، إذا كان بلاشير المعلم يقف على قمة ،
فإن بلاشير المؤلف يقف على قمة أخرى .

دخل بلاشير إلى العالم الأكاديمي بطروحاته
لنيل شهادة دكتوراه الدولة « عن الشعر العربي
وقد تناول بحثه استمق ، هذه الظاهرة التي تتحدى
الاجيال ، أبا الطيب المتنبي » . وسلم الرسالة
تحتبر فتحا في عالم الاستشراف ، لأن القصص

فهو في المكان الأول ، عالم متفلسح واسع
الإنق ، ويمكن اعتباره متخصصا في أكثر من
مجال واحد . ومن جهة أخرى ، لأن تفرغه
للتدريس (ثيفا ونصف قرن) والتأليف ، لم
يعزله عن تيار الأحداث السياسية ، بل أن بلاشير
كان في مقدمة رجال الجامعة المرتسبين الذين
دافعوا عن استقلال بلدان المغرب بالاستهيم
وأقلامهم . وقد تعدى الاستعمار ، وهو لرنس
عاش وعمل معظم حياته في المستعمرات . ثم
أن ريجي بلاشير . يمتاز في مساهمته لتلازمته
(وكاتب هذه السطور يمتاز بأن يكون واحدا
منهم) ، متى أحس فيهم روح الجند والمقدوة على
طلب العلم ، معاملة المد للند ، بعيدا عن الخيل إلى
الاستعلاء والتبني . ذلك الخيل الذي لا يزال ، مع
الأسف ، يسود العلاقات بين المستشرقين والطلبة
الشرقيين في أوروبا عموما ، إذا استثنينا
الجامعات البريطانية .

قضى بلاشير صباه في الدار البيضاء حيث أتم
دراسه الثانوية ، وفي الجزائر حيث تخرج من
كلية الآداب ونال إجازة التبريز وشهادة دكتوراه
الدولة في الآداب . وقد اشتغل أستاذا في
مدرسة مولاي يوسف الثانوية في الرباط
(١٩٢٩ - ١٩٣٠) ومديرا لمعهد الدراسات الإسلامية
المليا (١٩٣٥ - ١٩٣٥) ثم أستاذا في مدرسة
اللسن الشرقية (١٩٣٥ - ١٩٥٠) ، وأخيرا أستاذا
للآداب في جامعة باريس . وكذلك خلف بلاشير
ليعى بروفنصال في مركز مدير معهد الدراسات

العربي بأغنامه وقواميه البدوية، كان ولا يزال يعيش أفقا مغلقا على ادواق المستعربين . وكأننا أدرك الربيل أن ثغرة واحدة في حائط النسيان والأهمال لا تكفي لفتح آفاق الأدب العربي للناطقين باللغة الفرنسية ، فأردف هذه الأطروحة بكتابه عسن «تاريخ الأدب العربي ، حتى القرن الخامس عشر» .

والى جانب هذه الأهمال الأساسية في التاريخ والأدب العربي ، ألف بلاشير عددا كبيرا من الكتب المدرسية التي من بينها كتاب بصوات «عناصر النحو العربي» . وبعض هذه الكتب وقسمها يشترك مع بعض المستعربين ، مثل سيكالي ، وجودير، ودي ديومين . ويتوزع هذه الأعمال الطالبية قاموسه العربي - الفرنسي - الانجليزي الذي يجري طبعه الآن ، بمساعدة باحثين كبيرين والذي ينتظر أن يكون خطوة هامة في طريق سد الفراغ الذي تعاني منه في مجال التواص السامية .

• مهمة وضع التواص مهمة نعرف جميعا كم هي شاقة ، وهي تحتاج الى تمسك في العلوم اللغوية وفي آداب لغات القاموس ، ولكنها تحتاج خصوصا ، الى مداورة طويلة لترجمة . وهذه ناحية برز فيها بلاشير ، بحيث لا نعرف له فيها نظريا بين المستشرقين المعاصرين . فقد ترجم بلاشير في سنة 1937 مختارات مهمة الى اللغة الفرنسية من مقامات الهملاني ، ولكن الشهرة الدولية التي يمتنع بها ، تقوم على أساس ترجمته للقرآن الكريم .

بل إن بلاشير ترك للناطقين باللغة الفرنسية ترجمتين متميزتين للقرآن : تقوم احدهما على متابعة النص بدقة وإعانة ، مستمتعا في اختيار معاني الكلمات بأراء المفسرين ، وهي تنجسه للجمهور . والترجمة الثانية ، تقع في ثلاثة مجلدات (احدها عبارة عن مقدمة) ، ونتجه الى العلماء والمتخصصين في الشؤون الدينية وفي المشرقيات . وأهم ما يميز هذه الترجمة الأخيرة هو أن بلاشير ، حاول فيها إعادة ترتيب السور ، على أساس زمني . وهذه الطريقة في ولى المترجم « من شأنها أن تسهل على الناس خارج العالم الاسلامي ، فهم رسالة محمد » (الجزء الاول ، ص 277) .

والى جانب تأليفه الترم نذكرها كلها، والأعمال التي قام بترجمتها ، خلف لنا بلاشير ، عددا كبيرا من الأبحاث القيمة والمقالات التي كان ينشرها في المجلات المتخصصة في الشؤون العربية والشؤون الشرقية ، مثل « هيسيرس » ومجلة الدراسات الاسلامية ، و « آرابيكا » ، كما سرد عددا ميسر الأبراب في الانسيكلوبيديا الاسلامية .

وعلى الجبهة ، فإن حياة بلاشير كانت حياة مليئة وذات إبعاد واسعة . وإذا كان عالم الاستشراق قد فقد فيه واحدا من أعمدة القوة ، فإن العالم العربي ، خسر بوفاته هذا العالم مبشرا بثقافته وقيمه الادبية وسديقا يدافع عن قضاياهم ويرفع صوته بتشجاعة عند التضامله والملمات .



مع المجلات

مع المجلد

« الآراء التي نتقناها من هذه
المجلات ، لا تعبر بالضرورة
عن أفكار وإتجاه المحلّة ،
ولكننا ننشرها للاطلاع
والإشارة »

- « الجيش » الجزائرية :
الفروع العلمية المعربة بالجامعة
ومصاعب قلة الاطارات
- « البلاغ » البيروتية :
يريدون لغة لبنان فرنسية ازدواجية
وعامية و . . . لا تينية
- « الصباح » التونسية :
لا تفتحوا أبواب المدارس أمام
اللهجات العامية

اعداد :
محمّد ع .

التعليم

الفروع العلمية العربية بالجامعة ومصاعب قلّة الإطارات

ساحاول في هذه السطور التحدث عن تجربة تعريب بعض الفروع العلمية بجامعة الجزائر ، وأؤكد بالخصوص على تجربة تعريب فرعي العلوم البحتة ، (الطبيعات) وفرع الرياضيات بكلية العلوم وكذلك فرع الجغرافيا بكلية الآداب أو «عهد الجغرافيا» كما يسمونه . إنّ الذي لا يغفل فيه إثبات أنّ التعريب في الجزائر قد قطع أشواطاً معتبرة إلى الأمام خلال العقد الأول من الاستقلال الوطني في ميدان التعليم بمختلف «أرجاءه» إذا قسناه بالمحالة التي وجدت عليها الجزائر عشية الاستقلال الوطني ، ولست في حاجة أن أذكر في هذا الصدد أعداد التلاميذ الذين هم الآن في المدارس يتلقون يومياً قلداً

لا يأس به من العربية ، ولست كذلك في حاجة إلى ذكر مقتطف الفروع التي حيرت بكليات العلوم الإنسانية ، من كلية الآداب إلى الحقوق إلى مختلف المدارس العليا ، والمعاهد التكنولوجية وغيرها . لكنّ السؤال المطروح اليوم هو : هل أن النتائج التي تحصلنا عليها إلى الآن في ميدان التعريب كانت في مستوى طموحنا ، وهل هي أقصي ما كان في وسع بلادنا أن تقوم به في هذا المجال ؟ قد تصعب الإجابة لكنّ المؤكد هو أنّ النتائج التي حققتها في ميدان التعريب تعتبر أنجزاً! ضحفاً إذا قارناها بلا شيء ، إذا قورنت بسنة 77 إذا قورنت وضعية العربية صعبة الاستقلال بوضعيتها بعد 30 سنوات من الاستقلال .

أسأ إذاً قارنا ذلك بطموح الضمير وغيره من ملته وأصلته وتخصته الوطنية ، إذا قارنا ذلك بالخطوات التي نطعتها المدرسة لاختصاصه من النتائج سوف تبدو لنا دون شك جد ضئيلة ، ولا سمحت للمعلم العربي واستعمل امرئس باي سيلة من مراحل التعليم من المرفس حتى آخر سنة جامعية أو تقاسير من أعداد انخراط أو التلاميذ الذين يدرسون بالمرسية بالوليتك الذين يدرسون بالعربية ، أو تقاسير أعداد الطلاب انخراط بالمرسية خذاف الانخراط بالاعتماد العالي لتدريس تلك وسوى نتقى بمره إلى النتيجة .

ومع ذلك هناك من لا يزالون يصرّون على اشتب المزايا بما تحقق في ميدان التعريب . ويرسلون الخطبة التي يطرحها تعليمها التعريب على أنها عمل عظيم سمرين شك الخطوات التي نطعتها جليلة المراتبة بالمقابل . ويصرون في نفس الوقت بضرورة التّأني إلى تطبيق سياسة التعريب تيسرا ، كما لا قد يخرج من حمية الإصرار في التعريب من انكسار إلى حمية ضحايا ، ويتعاطفون انصبا التي تحبها سياسة العربية على المدي التمسك والتمسك لبلاد ككل ولتشيعة الاقتصادية بالتمسك . ومن هنا نهم سياسة انصار التعريب في التحريم الجاسي في بعض الفروع النظرية دون أن يمسك إلى الفروع

أطمية الاغربي : أو اشتراعي في استثمار بعض المبرور التي فكت ست سنوات .
بني سنة 1997 كان الطلبة حديثة فلسطيني طائرون بفتح فرع بكلية الحقوق والعلوم الاقتصادية بالمرسية وكانت بعض المناهج تطرح في ذلك ولكن في النهاية انصورت ارادة الامم ونج افرح بحدن انصوب جرد من السبة المهمة ، رغم أن الإضافة كانت متوازين والزيادة كانت موجهة ولكن انص كان مقفردا هو ارادة المير ، ونس نفس السنة فتح فرع بكلية العلوم بجمعة الجزائر والتمسك العهد من السلطة للميرين الذين درسوا بالانوارات العربية بهذا الفرع .

مع الجبال

ومعلوم أن التاويبات المغربية تدرس المواد العلمية مشكل بطنية التاويبات الأخرى وكان الطلبة الذين يحصلون على البكالوريا في المرحل العلمية بالمغرب يحددون أنفسهم خططين لتغيير لفة ادراسة عند دخولهم الى الجامعة حيث يدرسون بالفرنسية في المرحل العلمية مع حصول كسل مضاعف استبدال لفة الدراسة الإسلامية بلفة أخرى ثانية أو يغيروا المرحل الذي تأسسوا فيه جهادة البكالوريا الى المرحل الادبية الأخرى التي حرب بعضها مسخ جعل خصائر الاختصاص والفروية وأجزل ، والكثير منهم يغفل في دراسته بهه ذلك بسبب فقدان الرغبة في الدراسة .

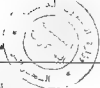
وعندما فتح المرحل للمرب بكلية العلوم تنفسي هؤلاء الطلاب المصداق والجائرا على مستقبلهم ، وسأولوا بالسبيل وكلهم ثقة في النجاح ، وتصرفوا كل مضاعف البداية بكل حزم وشات وحشوا في نهاية السنة الجامعية تنتج مقولة وهم مصاص يداهم التجربة كفتة الإخارات الكفؤ ، ولما الكتب الدراسية العلمية أن لم نقل قدسها تماما .

ودرسوا كذلك السنة الثانية واستعلكت السنة الأولى الطلاب لهذه لكن هذه السنة انتشرت أخبار مناداة أن السنة الثانية المربية هذه المرحل سون مختلف وما حل الطلاب إلا أن يغيروا إلى المرحل الفرنسي ليسوا سوا الدراسة أو يغيروا المرحل الدراسي والسبب في ذلك هو لفة الأخطاء التعليمية ، فبالإضافة المعاصرين لم يحدروا من المرحل العربي لأصايب لا يملها إلا الله وورادة التعلم الماني والبيت العلمي .

والسؤال المطروح هو ماذا وجدت الجامعة الإسلامية في السنة الأولى والسنة الثانية في السنة الثانية والسنة الثالثة ماذا المام ولم تجد ذلك لسنة الثانية في السنة الدراسية الحالية ؟ ثم لماذا لم يأت الإسلامية من المرحل العربي ؟

إن التسرع المرب بكلية العلوم قد حقق في السنة الجامعية انضاج نتائج مقبلة باعتراف المستويين علي في ادرارة الكلية والجامعة وست ادرى ماذا يتعرف جزم منه من الدراسة هذه السنة ولماذا لم تكن السردارة في مهكل لفة الإخار قبل فسح هذا المرحل في سنة 1997 ، وهل يغفل أ شيق جزم منه بس





— تكوين مجلسين جغرافيين .

وليس يتصلق من هذه الجهات إلا الهدف الأول وما زاد هو الآخر ينشر أمام شكل كل الامارات .

ويقول أحد الطلبة بالمعهد : أن الوسائل الفنية لكافة بالدراسة تكاد تكون مفرقة بالنقص العربي ، وحتى المراحل التي تنقل الطلبة للمعهد للقيام بدراساتهم من الطبيعة ، لا يستفيدون النقص العربي لا يتم بدرجته بالعربية لا تطول أن العلم يمثل هذه المراحل الدراسية 114

والخلاصة هي أن العربية وإن كانت قد لعبت بعض الأدوار في مجال التعليم الإبداعي والثانوي والمجتمعي بفروع العلوم الاجتماعية فأنها لا تزال دون المستوى المطلوب في مجال العلوم الطبيعية رغم أن المشروع العلمية بالتأثيرات العربية هي التي تصرف القوى حيوييات في السنوات الأخيرة سيّد أصبح الطلبة يتجهون لدراسات العلمية أكثر من انتمائهم إلى العلوم الاجتماعية وهذا يعكس الاختيار العلمي والتفني -

وليس هذا مقتصرًا على الفروع المهمة بل أن الفروع الفرنسية هي الأخرى تتجه إليها مزيدًا من المراحل الثانوية ، وإن كانت كفة الجوانب بالنسبة للدراسات الإنسانية واضحة ناحية العلوم الإنسانية ، لأن حوالي 60 ٪ من المصريين من الكليات المختلفة يسلمون جهودًا في العلوم الإنسانية .

وفي النهاية فإن المشاكل التي تتعرض لها اللغة العربية وهي تسويف وتسويف استيعابها لمكانتها اللغوية في الحياة اليومية لتصبح لا تكتفي طابعا لتسوية نقد وثائقها هي بالدرجة الأولى مشاكل سيادية واجتماعية وثقافية ، لا بد من أدب تبني بصورة عصرية وواضحة ، ولك حاول البعض إعطاء هذه المشاكل طابعا لغويا بحثا لإحياء القضية من مدارها الحقيقي .

١١٤ (المجلد)

استعدادا من الطلبة المصريين ، وبين استمرار بعض الفروع العلمية بالجامعة غير مبررة ، أو محاولة طاقا ما هو مقترح منها . وكان من حسن الحظ أن يكون هؤلاء الطلبة نواة لتكوين أطر علمية مبررة ذات تكوين جامعي عال عن طريق أطرهم دراسة جامعية أولية داخل الوسطين والسماعات لهم بمثابة الدراسات العليا خارج الوطن وقد سقنا دول شقيقة وطبقت هذه التجربة بنجاح ، وكثرت بعض الاطارات العلمية العربية استطلعت بعد ذلك بمهام تعريب العلوم الطبيعية .

لكن مع الأسف أن هذه العناصر ما تزال تعمل إلى الآن بعمق أن اللغة العربية التي تكون بها جذوة كنهه الاصطلاحات العلمية والفنية الحديثة ، وهذه مبررة موجودة لا يمكن تكرارها ولكنها ليست عتبة لا يمكن التغلب عليها .

ولمست مشكلة لغة الاطارات العلمية العربية مفرقة في كلية العلوم فقط ولكنها مفرقة أيضا في معهد الجغرافيا الذي لا تزال الدروس مختلفة به إلى الآن بسبب فقدان الكفاءات للباحثين في هذه المراكز . رغم أن القسم العربي لا يبرح به إلا الفروع العلمية أي الفروع التي يؤمل الطالب أن يكون آمدا في التقييم الثانوي والفرصة ، أما الفروع العلمية الأخرى فالدراسة بها مقصورة على التقييم الفرصة فقط لأسباب يقال أنها ترجع إلى ندرة الاطارات العربية 114 وإن كان بعض الفانوس القياسي بأشكال هذا المعز بعض على أن الفروع أربع مجالات هي :

— تكوين اطارات مبررة لمدحجات العلم .

— تكوين اطارات مبررة في مجال استخراج الاراضي .

— تكوين اطارات مبررة في مجال الاستصلاح الريفي .

إن استعنت التجربة - نعم إن الامتياز العلمي العربي مقفود في المراتب خاصة في التعليم العالي وهو أيضا ندرا في البلدان العربية بالفرق المصري ، رغم أنها ليست مستوطنا في مجال التعليم العلمي العربي ، ومع ذلك بإمكاننا أن نستفيد من بعض الخبرات التي قد ما .

ان بعض الاستعدادات العربية الذين استمروا من الاطارات العربية الصغيرة في إطار التعاون الثقافي للتدريس في لاهام العربية قد استطاعوا طروف محبة - وهذه حقيقة - إلى عدم تجديد تعاونهم مع المؤسسات الجامعية لاهام لم يلزموا التعريب الكافي لهم :

— قسم من لم يحصل برائة الا بعد ستة شهور من تاريخ استعانة العمل بصفة رسمية ، وتوصل بعض على ما يتعرض من مصادف وصعاب يكون ذلك لاه عرب من أهله وثقوبه ، بالإضافة إلى أنه بعض في التمسك بالمدى فأنما الجزاء فيها الامكان أولا وسرية ثانيا : ومنع من خلال الجرس ولم يحصل على كمن ياولي إليه .

— والبعض الآخر فسيفس الاثر بسبب سوء الحظ التي يتعرض لها من بعض الاستعداد في الإدارة بالجامعة والوزارة حيث يعانون من معاملة رب العمل لسفاه الاجراء ، لأنه لا يستعمل شهادة جامعية من باريس أو لندن ، وجاء سانه الجزاء في قضية وطنية ذات أهمية بالغة .

والخبرة أن الاضرار في سياسة التعريب لا يعود إلى شكل لغة الاطارات فقط كما يرى البعض ، وإنما يعود بالدرجة الأولى إلى فقدان حقة هائلة لتفدية التعريب في مختلف مراحل التعليم ، والدليل على ذلك تعثر التعريب في فروع العلوم الاجتماعية أيضا وليس في مجال العلوم الطبيعية فقط .

والخلاصة الأخيرة بالتسجيل هي : وجود تناقض بين استمرار التكوينات العربية في التعليم الثانوي في تسويس اراء العلمية بالعربية وتزجيج كل سنة

يريدون لغة لبنان فرنسية، ازدواجية، عامية و..لاتينية!



هاني « دى » طرية : بجامعة بيروت



شالو حلو : لغة الحال والطلب

رمة تتروى في هذا المقال ، واثبات التي
سحقه ، ما هو سوى محاولة أولية لرصد
التغيرات التي اصطفت على صعيد
« اللغويات » ، وهي لم تكن في مرحلة ظهور
واضح ، لم تتجسد من قبل .
جاءت اليوم نبار « لغوي » عاصف ، واهر
بسط من الفوق بانه الانسانية ، وكانت
يدعي « الحسنة » ، رابع بتسلح بصوات
« قربة » خشونة ، وعلف بتسح الصيغة
وبلغات اخرى كثيرة ، فتح لها الترحمة
الغوية اللغوية حاليا في المجتمع اللبناني ، ان
تسبح كلها في طائفة اللغوية ، باعتبارها
تلقا بتولمها لاختراع كل عمليات ومصنوعات
التركيب اللغوي انشيط ، الفهم من بواتية
ظهور التغيير اللغوي ، والفكر
الديناميكية ، في لبنان .

اصلاح التكوين من الترم الانسانية التي
سفرها اللغوية لاجلها . وهو يشكك من
لغت هذه اللغوية . ثم نضع اسبق على
حدة للظواهر تية لشجدة الصلح اللغوية



في ظروف المصا التي يعيشها العالم
العربي بعد حزيران ، ومع تصاعد
الاضرابات الاجتماعية والوظيفية في لبنان في
الاضرابات الحرة ، طحت ليز في الحوجة
الغوية دموات انشوائية جديدة لغوية متحول
استغلال هو الغوية فروع اللغوية ، وهي
تتعد لتسبح الشكلا متعددة ترمي كلها الى
هدف مزدوج ، يتلخص اولاً في ايجاد على
الشكك الداخلي في المجتمع اللبناني لصحة
بعض اللغويات واللغات المهيمنة ، وتلغص
ثانياً في التمسك الى خلق مزيد من التباين
بين لبنان ومجمله العربي ، الذي يعيش عمر
اضرابات كثيرة ، ويشكك بشك ، وبشكل
انساني ، لغوية لظنون ، ولتكتسبها على
كل الانسانية .

ربما بعد يوم ، تسوي لبنان
طواجر « انشوائية » جديدة
لجاول الان مد جذورها في
مخالب اللغويات الفكرية
والادبية واللغوية ، لاصطاء العكر
الانشوائي بعدا ايدولوجيا
جديدا ، يساعد على الصمود
صد كل موجات التفتاح والتغير
والطور ، والانتقال من لبنان
الى المزرعة الى لبنان - الوطن ،
لبنان للشباب ، لبنان العربي .
وسوم بحلول في هذا الحال ،
وفي سلسلة مقالات تليه ، ان
تحدد بوضوح ، بعض المظاهر
الانسانية اللغوية في الفكر
الانشوائي الذي يعيش الان عيده
الذهبي . وسوم بتطرق هذا
الحال الاول ، الى موضوع :
« التغيرات اللغوية في
اللغة » .

■ مدير معاهد الدراسات الشرقية ميسال



الدكتور سامي المصالح : لفتح الدوحة العلمية



سامير متا' اللامي



جيشال شيماء : الفرنسية لسته اليم

الفرنسية في لبنان « يتنقل بوجود عدد كبير من الكتاب اقصافيين بالغة الفرنسية كدورج شحادة « ومنداد لويي « ولغويول عساف « واخره شبيب « وصالح مشية الذي يعمود حكاوة في باريس منذ اسسهم « على ديوانه والفرنسية !

وهؤلاء جيمس « ويتنقل القاهرة فليبس الاستعمار الفرنسي وراءه ايتنا كان « ولكن بيتنا بضمير الكتاب الجزائري ملكه جدها انه « بلقي في اللغة الفرنسية « وبيضا جسد كتاب ياسين « الذي يمتد من كاع الكتاب الممارين بالغة الفرنسية لاهيا « يابا في حماره الاخرة الى استعمار التنص العربي « كما في لفر اصطفى الصربية بصوار « بسا محيد خط حريك وكريل « لبقا لا يمد في لبنان اية رغبة محالة لدى بلس « كتابيا « لعودة الى اصول اللغة اليم « لا بل بسد تشجيعا لفرير تحت سدار انتاج كتاب « الذي لا يستند الى شاسيفوقية كايلا اقم .

وقد لا يستغرب ببع ذلك « وجود « واحدة

كما قام دجرا « وزير التربية السلق هري « دي « طرية « برهة جبرلة الى باريس « حيث احدث بنسبة كتاب لرويس مجلة ادارة الوكالة التابعة لدول مضادة « لقي « التي نسف ٢٢ يادا « كان اخرها لبنان « وهي في لغتها العليا من المستعرات الفرنسية الصافية في افريقيا « وكلفت تد لبيت في طمة « بلس « عاصمة النيجر عام ١٩٦٠ « نعت اسم « وكالة اتمتون الثقافي والعلمي « واما حرسه في « بروخ « لتيونج « وسكر « لتفريب على حافل العالم الثالث « يجره حبيب بولريس وزير الثقافة الفرنسي السابق « وهذه التفتيات والتفتيات هذه « كما هم واعص « الى الترويج للثقافة الفرنسية « وين وراثيا فلسطين الفرنسية « في دول « بسا وردا الفهار « !

تدرسي للغة .. خجة عسكرية

وهالك كلسك وجه « لاني « لغوة

خلال فصل الصيف « وكنت نربي كلمة الى شرج القنطة واللقف مع الشاعرة الفرنسية في شلى « وهي انظار اخرى كيرة « كما كان الحال مع بربان « دير التير « القصري « والجرحى المسمتي الذي اقيم في بيت بوي ليدول الترويجية .

ويتنقل هذا الفوج « الشجي « لتشتل الناقة المصدرة « هناك ومع رسمي « مقاريس شارل هو عاد منذ خرة وجرة « بن زسكاره « كوريل « كرا « جيسك راس اجساما الطبيعية الفولية لبركتين اللطيفين بفرنسيه « ومعروف عن الرويس جاد انه من فلا المدين من اللغة الفرنسية في لبنان « تلك اخرها في احدى حده « لغة المال والكتب « « واضطر حرسا « كعاد يمشي ويضي في كارب الناس والتشعوب التي تعلى بن الصم والاخلاق « « يابس اول على ذلك ومن المحات المشرية اللبية والمخاضة التي يبرني لها ميالنا العرب في بلاد « القمل والكتب « المظنون !

ألا يعتبر أن التطور غير ممكن في لبنان دون اللغة العربية

التصديق الواحد « ويروج لكل التيارات الأوطانية والتأطيلية . ولا بد منه لك ، من التضاد على كل حال »
 البنية القومية للثقافة الإحصائية في لبنان :
 الأداة القومية ، والقانون القومسي ،
 والمصلحة القومية .. وكل الإيديولوجيات
 التي تتبع أسرار الاستعمار الثقافي .

أردواجية على طول الخط

أما الكليشيه القوي الذي المصير بين الدولة ، ولدي يصنع الصراع التصاعبي يصراع لدوي من ثقافته ونسبه ، هو عبار
 « الأردواجية القومية » التي يرفع أرواحها كآب
 اليسوعي سليم حيو . طالب حيو يعتبر أن
 الأردواجية اللغة العربية - القومية بشكل
 رئيسي ، وأردواجية اللغة القبطي هو التاريخي ،
 تشكل مبررات الأية القبطية التي لا جدال
 فيها ! ويطعن عليه يعني أننا نقاسمها لكي
 نكون « عيسوية » ، أو لا نكرن على الإطلاق
 ونتمسك هذه النظرة على الصعيد الإقليمي
 بتبريق الطائفية ، وعلى الصعيد السياسي
 بأردواجية الاتحاد إلى الشرق والغرب باعتباره
 « باعد » صريح - كالمسوق على الغرب ،
 و « بايا » متحرجا على صراعية للغرب
 على الشرق !

والأب هو صليب الطروحة عرجية حول
 هذا الموضوع . ضد كآب . د. صحنه جابر
 مها تيش « كسول القومية » لثقافة الأردواجية
 المستعرة « حسب اعتقاده ، « بنة أمم صيفيا
 وهو اليوم » ، وهي الآن تقوم على صفة
 بزعمها لكثير من لكية إلى الغرب القسائي !
 ومن الواضح أن هذه الشكوك أصبحت
 بحاجة إلى إعادة النظر ، أولا لأن التضار
 الأكلوية « أصبح يستلزم استعماله يعني
 المراتبات القومية المبررية القومية جديدة
 تستند على « الشكوك » المظن ، وثانيا في
 لعدم الاتجاه القومية القوت أنه « يوجد في
 القومية هو تدين بالغة من التطور العربية
 القومية التي لها طابعها الأصيل باعتبارها
 لدى اللغات القديمة » ، كما ورد في دراسة
 لشكوك صحنه الصافي : « ولأننا لا نوجد
 « كآب » يتلون سبع لغات » ، كما يؤكد

التكثيف باللغة الفرنسية « مكتوبة من بعض
 حرجي المعاهد الفرنسية » كما لا تستغرب أن
 تكون أروع « شاعرات » من أصل مسيحي
 لشتات « اخترن التبدل لبنان في « التطور
 النساء الشاعرات » ولكن مائدة الفرنسية
 .. كما أن مصغري أقرأ « أن بعض المشكلة
 الذين قروهم مرتسا للتدريس في معادها
 هذا « أيا يقرن ثقافة بعضهم المسكونة !
 .. فيما كما أن بعض أصحاب القومية العنصرية
 في الحقيقة العنصرية في بيروت ، هو من
 معزولي وزارة الدفاع ، ووكالة الاستخبارات
 الأجنبية !

هذه يشكك مأم « لتصور التي يظهر عليها
 حلقا غير اللغة الفرنسية في لبنان باعتبارها
 اتتم التغيرات الثقافية الحديثة المنتشرة عمدا
 مأم إيان التيارات الكثر - مسكونة تقوم
 الآن بإعداد نفسها لفرانسه ، وهو ساء زال
 هوسا برون !

ولعله من اللطيف الذكر هنا ، بأن أول حبل
 تم به الاستقلال كان تحصيل اللغة ١١ بين
 المصور التي كانت تصدر الفرنسية لغة
 رسمية (تحصيل ٩ نوفمبر ١٩٤٢) . ولذا كان
 نشيد في الآونة الأخيرة « اتحادا وأمسا
 وصفا « لقي جبل الشباب الذين حرصوا على
 إلهام القومية « يدعو إلى العودة لصفة
 العربية ، والالتزام من الجسم القبطي
 بمتون بأنه حيلة حيلهم « وجعلت اللغة
 أداة اتصال بينهم ، لا أداة اتحاد وإعداد
 عنه ، ولذا كانت تظهر هذا الاتجاه الجديد
 لتكثيف يوم بعد يوم ، كما حدث بكلا في
 « بينه بري » خلال مهرجان الاتحاد القومية
 بالقومية « حين أصدر المصنفون الشباب
 (وأغلبهم فوس أو يدرس في فرنسا) « بيان
 علميوا به الاتجاه الفرنسي في لبنان
 وأمنوا استخدام اللغة الوطنية بمتلا صغرا
 للتصغير الجديد « وأداة تعريب بطبيعي في
 المجمع .. ماذا كانت هذه الظواهر الصحية
 قروس يروج شرطه المستقل « مان جهدا
 كبرا يصر أن يتدل لثقافة مطلق تلك « هي
 مؤسسة الثقافة الجديدة والاستعمار الثقافي
 في بلاد « بجالة القومية الأولى بالأمم
 القومية . وهذا يصير السرطان الأساسي
 الذي يذكي القومية القومية والظلمة بين أيد

أبو سليم حيو : اردواجية

أبو استشاري - ليرة : القومية لغة الجبهة





سعيد عقل • • • اللاتيني ٧

■ **جولة الترامسي**

الكويبيكو للتجارة العامة

أمة عابرة قرون ؟

[illegible]

جريدة الصباح :

لا تقتحموا أبواب المدارس أمام اللهجات العامية

ستنادا الى التقرير الذي وضعه المركز وتحصلوا
بعد المناقشة الى عدة مقررات منها :

— الغاية من المشروع تربوية اكثر منها لغوية ،
اذ ان المقصود مصرفة ما هو كثير التردد
والاستعمال لغويا وما هو نادر واقل تردداً ليتاح
ايجاد تعليم متدرج ومتكامل يبدأ بما هو اكثر
شيوعاً وينتهي بما هو قليل الاستعمال فالمشروع
لا يهدف الى تبسيط اللغة ، بل تبسيط تعليمها
لتلازمة الصفوف الابتدائية .

— تنحصر فائدة المشروع ، بمرحلته الاولى ،
في الصفوف الابتدائية ، اذ يتضح من الاحصاءات
ان اكثرية التلامذة في لبنان وفي الدول العربية ،
يتوقفون عن دراستهم في نهاية المرحلة الابتدائية
ويعجزون بالتالي عن قراءة النصوص العربية
وفهمها ، فيجب اذا تمكين هؤلاء من القراءة والفهم
ليتم لهم الاتصال بعالمهم ولتمكنهم من المعرفة

التي يري في اللغة العربية الفصحى أساساً
للتعليم في كافة مراحله ، واليهي الآخر يتجه
الى اللغة العامية يحاول نشرها واستعمالها في
التعبير عن الفكر رغم حدودها المحلية الضيقة .

لذلك قام المؤتمر التربوي لدراسة مشروع
العربية الاساسية الذي نظمه المركز التربوي
للبحوث والائتمام ، بمقر جلساته في فنتسحق ،
« بيرتانيا بالاس » في برمانا استمرت من ١٤ الى
١٦ جوان ١٩٧٣ واشترك فيه مسؤولون من المركز
التربوي للبحوث والائتمام وممثلون من الجامعة
اللبنانية ومعهد الاداب للشرقية والجامعة
الامريكية والجامعة العربية ومؤسسة فرد وقسم
التربية في الاوبرا وصعد من المستشرقين
الاخصاصيين في الشؤون اللغوية من جامعات
سويسرا ، هولندا ، تونس ، الولايات المتحدة
الامريكية وانجلترا .

وقد تناقش المؤتمر في اهدافه المشروع ،



اليسوعية ووزارة التربية الوطنية لتبني الأخيرة المشروع ، وفي عام ١٩٧٠ تم الاتفاق الذي يحمل اسم مشروع ٢٨ ، وبوجود المركز التربوي للبحوث والانماء انتقلت مسؤولية إنجاز مشروع اليه لانه المؤسسة الحكومية الوحيدة التي تملك الامكانيات المادية اللازمة لمشروع كهذا ، وهي الوحيدة التي تقدر ان تحصل على المساعدين اللازمين لانجازه .

ولقد قام معهد الاداب الشرقية عام ١٩٧٢ بالندرس اللازمة لاكمال المشروع رقم ٢٨ جرى اجتماع في « اكس ان بروفانس » دام اسبوعا واستهدف اجراء الدراسة الاخيرة للدفعة الاولى ، اى انشغال التصميمات والتلفيط ، ولا نقاد الطريقة المتبعة حتى الآن واستخلاص العبر ودرس التعديلات الواجب اسغالها على الطريقة ومنهج العمل .

يبقى ان المقررات التي توصل اليها انقضى هي مراحل أولى تنبها مرحلة التطبيق في التعليم « وتنطوي على وضع المؤلفات ، وكتب القراءة ، وغير ذلك من الوسائل التربوية التي ستتمكن عبرها من تحقيق الاهداف التي وضعناها نصب اعيننا » ، كما ورد في كلمة رئيس المركز التربوي الدكتور وليع حداد .

اللغوية الواسعة لانهم يشكلون قسما كبيرا من المواطنين ولذا فان مشروع العربية الاساسية يدخل ضمن اطار تعميم التعليم وديمقراطيته وقد شهد رئيس مكتب اللغة العربية وادابها في المركز التربوي ، الدكتور محمد علي موسى ، على ان اعمال تاليف الكتب المدرسية وكتيب القراءة للصفوف الابتدائية تعترضها امور ترتبط بمنهجية اللغة الاساسية ، ان اثار كثيرة الكتب المتوفرة في الصفوف الابتدائية فادرا ما تعني بمستلزمات الاتصال والتفاهم بسبب فقدان الرؤية القروية الصميمة في اختيار مفرداتها وتركيبها .

« ان دراسة المفردات والتركيب المشتركة بين اللغة الفصحى واللهجات العامية ، واعتمادها في تدريس الاطفال ، تقدمان العون لهم على الانتقال من اللغة العامية الى العربية الفصحى دون غيرها » .

وقد بدأ العمل في مشروع اللغة العربية الاساسية في عام ١٩٦٨ ، وياشر به الباحثان الفرنسيان جاله بيول واندرى رومان ، ثم جرت الاتصالات بين معهد الاداب الشرقية في الجامعة



توصيات المؤتمر الثاني للتعريب

معايشة كاملة تساعد بعد ذلك على التصرف بها وتطويرها .

٤ - أن ما لحق اللغة العربية من قصور في المسور المتأخرة لا يعود الى العربية نفسها وإنما يريد الى ما فرضه الغزو اللغوي - على درجات متعارة - من مبادعة بينها وبين اصحابها ، ومن تشكيك فيها ، وهزل لها عن الحياة والمجتمع - والتعارب اللغوية المعاصرة في العالم تثبت ، على نحو لا يقل بالشك ، أن دؤوب اصحاب اللغة على الاخذ بها واشاعة استعمالها في كل الميادين لنظرية والعملية ، والدراسات العلمية والاساسية - كميل بتمكينها من الرفاه ساحات العصر المتطورة .

٥ - ان اللغة العربية قادرة - بحكم طبيعتها وخصائصها وتراثها ائدى اسهمت فيه في الحضارة الانسانية - على أن تكون لغة العلم الحديث : تدريساً وتالياً وبحثاً .

٦ - ان الدعوة الى تدريس العلوم باللغة العربية والنهاية بهذه اللغة لا تعني افعال الاهتمام بتدريس اللغات الاجنبية ولا تقتصد الله .
من هذه المبادئ التي انطلق منها المؤتمر انتهى الى تقرير إتجاهات التالية :

ان المؤتمر الثاني للتعريب الذي عقد في الجزائر من الثاني عشر حتى العشرين من شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٣ ، قد صدر في عمله الذي نهض به خلال ايام انعقاده عن المبادئ التالية التي تؤلف حمولة التجربة اللغوية العربية المعاصرة والتي تؤكدها التجارب اللغوية المختلفة في العالم :

١ - اللغة مقوم رئيسي من مقومات وجود الامة واستمرارها - وكل خطر يهدد اللغة هو خطر يهدد شخصية الامة واستمراريتها وارتباط ما بين لجيلها .

٢ - ان تاصيل التعليم وانتشار المعارف في امة من الامم لا يكون الا بـلغتها - ولذلك فسان لماق البلاد العربية باصنارة العلمية المعاصرة ومولكتها لها ، ثم مشاركتها فيها ، يجب ان ييما باستخدام اللغة العربية لغة للتدريس ، واعداد المصطلحات العلمية الموحدة لذلك .

٣ - ان تاصيل اللغة لا يقتصر على الاخسد بها في مرحلة من مرحلة ، وإنما يجب ان يمازج مراحل التعليم كلها منذ بدايتها ، حتى يتيسر لابناء هذه اللغة ان يعايشوها



توصيات المؤتمر الثاني للتعريب

ثانياً : الاتجاهات

إن المؤتمر ينمق في ظل غايصة رئيسية هي :
توحيد المصطلح العلمي .

١ - و لاعضاء الذين يشاركون فيه من البلاد
لعربية يصدرن عن ايمانهم بمصلحة
التطور العلمي ومصاحبة* ولكنهم يلاحظون
أن نقل المصطلح العلمي أو وضعه أو الاخذ
به تفاوت بين قطر وآخر تفاوتاً اضعى
يعتم عليهم توحيد هذا المصطلح تمهيدا
للملة علمية مشتركة .

وهم يدركون أن أسباب هذا التفاوت تعود الى
فقدان العمل المنظم في هذه السبيل فقد أسهمت
فيه مجامع وجامعات ، وهيئات وفراد ، وكسان
أكثر النقل فيه عن اللغتين الفرنسية والانجليزية ،
واتخذت في أصطناعه أساليب مختلفة من الوضع
والترجمة والنحت والتعريب . ولذا فإن توحيد
هذا المصطلح يرتبط بسلامتين من المسؤول ،
عوامل تتصل باللغة العربية والتعليم الحضري
والطباعة العربية ، وعوامل أخرى تتصل بالظروف
الاجتماعية والسياسية ، ولا بد ذلك من أن يتحد
العمل في المصطلحات وجهة تلتخص في دراسة
هاتين المسألتين دراسة علمية* ، وأصطفاء مما
يؤدي الى الالتقاء والتوحيد ، والابتعاد عما
يقود الى التفرق والتشتيت .

٢ - أن اختيار المصطلحات العلمية في هذا
المؤتمر لمخالبة المصطلحات العلمية الأجنبية
لا يؤلف غاية في ذاته بقدر ما يكون سبيلا
الى غايات أخرى هي تطبيق هذه المصطلحات
واستعمالها في كل مجالات الاداء والابلاغ :
في المدارس والافنية ، وفي وسائل الاعلام
وفي الدواشر والمكاتب ، وذلك في عمل

مشترك عام يمايش المجتمع في كل طبقاته
وفئاته وفي كل مراحله التعليمية ، حتى يتم
التفاعل بين اللغة والمجتمع على نحو يعيد
التطور المعكرو والتطور اللغوي في خطين
متكاملين ، يقطع الطريق على التفاوت أو
التناقض الذي نشهده أحيانا بين الحياة
واللغة وتطبيقاتها المختلفة .

٣ - أن اختيار المصطلح العلمي في نطاق التعريب
العام في المؤتمر الثاني للتعريب لا يعنى أن
المؤتمر يريد أن يقف باللغة العلمية عند
حدود التعريب الثأري* ولكنه يعتبر أن عمله
هذا تمهيد للخطوة التي يجب أن تلي بعد
ذلك ، أي نحو المصطلح العلمي في التعليم
لجامعي* ذلك لأن تدريس العلوم بالعربية
في المرحلة الثانوية وحدها نوع من العمل
الناقص لا يضمن تحقيق الغاية المرجوة*
ولهذا فإن المؤتمر يأخذ بالاتجاه الى تدريس
العلوم باللغة العربية في التعليم العالي
كأنه في الجامعات والمعاهد ، ويؤكد أن هذه
البيئات العالية تشكل ميدانا بالغ الأهمية
يجب أن تتولى فيه ارادة الأمة العربية في
ضياقة لغتها واعطائها الفرص الحقيقية
والمنتجة للتعبير عن المفاهيم الفكرية للعصر
ومنتجاته التطبيقية والتقنية ، ويرى المؤتمر
في التجربة التي قدمتها بعض الاقطار
العربية والتي أعطت لطيف ثمارها تأكيدا
لسلامة هذا الاتجاه ولضرورة الاخذ به .

٤ - أن النتائج التي انتهى اليها المؤتمر في هذه
المصطلحات التي تدارسها ، مقسمة
لاستخدامها في التعليم والتأليف ووضعها
موضع التجربة والممارسة* غير أن اختيار

ب - في جمع المصطلحات الحديثة *
وهي المصطلحات التي اقررتها الجامعات او
استعملتها الجامعات ، او تواضعت عليها الهيئات
او اخذت بها املاجم الجديدة او نشرها بعض
العلماء *

ج - استخدام وسائل التقنية وعلوم اللسانيات
الحديثة للمساعدة على انجاز هذا العمل
والامسراع في تحقيقه *

٢ - وفي الدراسة :

١ - لا بد من اللجوء الى نظام المراحل المتدرجة
فنتقدم مرحلة الجمع والاستقراء
والاستقصاء على اية مرحلة ، ثم تأتي مرحلة
للجان المتخصصة والنزوات للتحجيس
والتصفية قبل مرحلة المؤتمر العام ولجانه
للمصادقة ، وتأتي مرحلة العمل في المستوى
الحصص القطري قبل مرحلة العمل في المستوى
العربي القومي *

ب - وفي الدراسة كذلك وفي الاتجاه نحو الاقرار
لا بد من التراضي على طائفة من مبادئ
التريب وطرقه والاخذ بالاساليب المعتمدة
فيه ، ضمانا لحصول مشترك يحفظ الجهد
من التبدد ويقطع الطريق على الاختلاف

وفي ذلك يوصي المؤتمر اتحاد الجامعات ان
يقوم بجمع قرارات لجنة الأصول في مجمع اللغة
لعربية بالقاهرة والفوائد التي انتهى اليها
المحرم مصطفى انشاهي في مجمع اللغة العربية
بدمشق وما اقره المجمع العلمي العراقي ببغداد
وغير ذلك من جهود الهيئات والعلماء ، ويتولى
دراسة ذلك كله والتنسيق بينه وترجيده واصداره
ليكون دليل عمل بين العاملين في التريب

اصطلاح لا يعنى تجميده ، فالمصطلحات
العلمية بليغيتها عمل مستمر متصل *

وتطبيقا لهذه الاتجاهات انتهى المؤتمر الى
جمللة الترميمات التالية :

في التهجـ

يوصي المؤتمر باتباع منهجية للعمل في
مشروعات المصطلحات في المستقبل على ان تتناول
هذه المنهجية مراحل العمل كلها في الاعداد
والمراسلة والاقصاء *

١ - في الاعداد : لا بد من عمل اولى منظم
يتناول استقصاء المصطلحات القديمة وجمع
المصطلحات الحديثة *

١ - في استقصاء المصطلحات والتمايز القبيحة :
مطالعة هذه المصطلحات : الكتب المتخصصة
والجامع ، ولكن لا بد من تجاوزها بعد ذلك الى
الكتب الاخرى التي قد تستعمل هذه المصطلحات ،
من مثل : كتب الادب العامة والمناصير والجامع
وكتب العقيدة والعتاوي والنزاهة ، ولا بد كذلك من
ترتيب هذه المطالعات ترتيبا تاريخيا ، ومصحها ،
وجرد ما فيها ، وتقديره على انه جزء من الارث
العربي في الاقطار العربية كلها ، الحضارة
والياديسه *

ومثل هذا العمل يمين على احياء المصطلحات
العلمية ليثرت في كتب التراث العلمي العربي
وتدقيق مدلولاتها وريطلها بالتعبير العلمي العربي
والعالم المعاصر ، وكذلك يمكن ان يكون تمهيدا
لمجمع التاريخي اللغوي الذي تتطلع اليه وتامل
تحقيقه *



توصيات المؤتمر الثاني للتعريب

يكون الجهد في الاخذ بهذا المبدأ أقوى من الصعوبة وأن يكون التعارض بين الرغبة والامكان أمضى الى غلبة الرغبة على عوائق الامكان *

وهذا الالتزام يقود الى الاخذ بالتوصية التالية :

طبع هذه المصطلحات في معجم ، ومشر هذا المعجم وتزويد انجبت المختصة في البلاد العربية بنسخ منه لوضعه موضع التجربة في مدارسها ومؤسساتها * ثم تجميع الملاحظات حوله تمهيدا لمادة طبعه مدلا متقما *

في التأليف والبحث والتزجيم

١ - يوصى المؤتمر وزارات التربية في البلاد العربية ان تستعمل المصطلحات العلمية المقررة وذلك في كتبها الدراسية في مختلف مراحل التعليم العام *

٢ - يوصى المؤتمر أنظمة التربية للتربية والثقافة والعلوم ان تقدم للخبراء والمعنات الفنية اللازمة بتأليف كتب مدرسية لمواد العلمية في مراحل التعليم العام تستعمل فيها هذه المصطلحات العلمية المقررة وذلك للدول العربية التي تعلي ذلك *

٣ - يوصى المؤتمر بأن تخصص المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ووزارات التربية في البلاد العربية جوائز تشجيعية لمؤلف احسن الكتب في مختلف العلوم وفي مختلف سنوات التعليم العام *

٤ - يوصى المؤتمر ان تدرس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع اتحاد الجامعات العربية تأليف كتب في السواد العلمية المختلفة تستخدم فيها المصطلحات

والهتتين به من العلماء والباحثين واعضاء اللجان المحلية والقمية التي تدرس مشروعات المصطلحات *

٥ - وفي اقرار المصطلحات لا بد من استلها من هذه الاصول والقواعد والتقيدها بها لتتوافق للمصطلحات سلامة اللغة وسهولة الاداء ووضوح الفكر ونقطة التعبير *

في الالتزام

يرى المؤتمر ان قضية المصطلح العلمي لم تنل من العناية التي تتطلب قدر ما نالت من عناية في الاعداد والدراسة والاقراء ، وانه اذا كانت قضية المصطلح عمية مستمرة فان ذلك يقتضي الا يستمر الجدل النظري حولها الى ما لا نهاية له ، وانه لا بد من ان يخرج هذا النقاش النظري الى مرحلة التطبيق والتجربة العملية حتى يكون استخدام المصطلح هو الذي يحقق امتحانه وانحكم عليه *

ولذلك فان اعضاء المؤتمر يذهبون الى وجود الاخذ بمبدأ الالتزام بهذه المصطلحات يلتزمونها هم في مدارسهم وجامعاتهم وبحثهم ومجامعهم ومدعون انها حتى حين يكون تدريسهم باللغة الاجنبية ، ثم يهيئون بالسلطات المختصة ان تلتزم بها ، ما كان ذلك ممكنا ، في المدارس والادارات والمؤسسات ووسائل الاعلام والشركات حتى تكون جزءا حيا في الحياة العلمية والعملية والادارية ، وحتى يتحقق لها اكبر قدر من الشيع و لاستقرار *

والمؤتمر حين يؤكد هذا المبدأ يؤمن بأنه لا بد من اتاحة الفرصة امام الاقطار العربية - معجب قدرة كل قطر وظروفه - للاخذ بذلك ، املا ان

توصيات المؤتمر الثاني للتحريسية

أن تكون العربية السليمة - بعيداً عن اللهجات العامية - هي الأصل في ذلك .
٤ - يوصى المؤتمر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم واتحاد الجامعات العربية بالعمل على إعداد معلمين لتدريس المواد العلمية باللغة العربية في مراحل التعليم العام وعقد دورات تدريبية لهم ، تحليفاً لأفضل المنهجيات في تدريس العربية ، والتعليم العلمي في الأرقام والرموز والسوابق والوحدات
يوصى المؤتمر بمتابعة دراسة الموضوعات التالية :

- ١ - استعمال الأرقام العربية (١ - ٩ - ٣ - ٠) .
- ٢ - استعمال الرموز المتفق عليها عالمياً في مراحل التعليم العالي وكتابة المعادلات العلمية والرياضية بهذه الرموز ، مع الإبقاء على الرموز المستعملة مبدئياً .
- ٣ - كتابة صور بعض الأصوات الأجنبية غير الواردة في اللغة العربية .
- ٤ - ظاهرة السوابق والوحدات في المصطلح العلمي في اللغة العربية واللغات الأجنبية -

قسوى الشكر

يقدم المؤتمر للمسيد ورئيس مجلس الشورى والحكومة الجزائرية ولأعضاء الحكومة ورجال وزارة التربية والتعليم والمجلس الوطني لتخصير المؤتمر أصدى الشكر وأسمى التقدير لما كان من اهتمام الصّائرين بالمؤتمر ، بداية وإعدادا وإستضافة ، ويرى في ذلك مظهراً من مظاهر استمرار الحكومة الجزائرية في متابعة ثورتها الثقافية ، لاسيما -

المقدرة وبذلك للسنتين الأوليين من الدراسة الجامعية تمسيرا على الدول العربية التي لا تستطيع في هذه المرحلة النهوض بهذا العمل .

٥ - يوصى المؤتمر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالعمل على إصدار نشرات ومجلات باللغة العربية في مختلف العلوم تستعمل فيها المصطلحات المقررة وتحتوى على البحوث الأصلية والتطبيقية والمترجمات إضافة إلى بحوث مراجعة المصادر ، والمستقصات والخلاصات المهمة .

في الجامعات والجامعات

١ - يوصى المؤتمر بأن تقدم الحكومات العربية للجامعات واتحادها ، وكذلك للجان التعريب كل عون لتتابع عملها المهم حرصاً على المشاركة الكاملة بين الأقطار العربية في موضوع المصطلحات : دراسة وإقرارا واستعمالا .

٢ - يوصى المؤتمر اتحاد الجامعات العربية باستكمال كل وسائل التعاون بين ائكليات العلمية بالتحقيق الفلسفية ، مثل قنابوب الاجتماعات الدورية وإصدار النشرات والمجلات العلمية باللغة العربية .

٣ - يوصى المؤتمر اتحاد الجامعات العربية ، والجامعات العربية التي لم تبدأ تدريس العلوم باللغة العربية ، بالبادئة "ى" استعمال للعبودية في إلقاء الدروس والمحاضرات . كما يوصى أن يكون التدريس في ائكليات النظرية باللغة العربية . ويؤكد

ويرى في ذلك خطوة أساسية لا بد منها لتحقيق الوجود العربي المشترك الذي يسعى لكسب الحركة في ساحاتها كلها في المرحلة الحاضرة والمرآجل المقبلة *

وهو يهيب بالملك والرؤساء ان يسلكوا الى ذلك اقرب الطرق ، ويضع امكاناته كلها في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وفي الجامعات والجامعات وفي اتحاديهما رهن للمعاونة على استكمال اسباب النجاح لتحقيق هذه الامنية القومية *

ان المؤتمر - اذ يناشد الملك والرؤساء اجعل على تلك تحقيقا لتساوق خطى الشعب العربي في مختلف افكاره - وتاكيدا لاستمرار التاريخ وتوجيها نحو المستقبل واسجاما مع اعتبار اللغة العربية في المؤسسات الدولية احدى اللغات الست الرسمية - يثق انه يضع هذه الامانة الغالية في موضعها الامين *

تقرير لجنة الرياضيات

اجتمعت لجنة الرياضيات بتاريخ ١٢/١٣/١٩٧٣ الى يوم ١٩/١٢/١٩٧٣ وقد نقت مجمع الرياضيات وازادت اليه قائمة من الكلمات عددها ١٥٠ كلمة وتوصى اللجنة بما يلي :

- (١) ادماج الرياضيات المصرية والتقليدية *
- (٢) ايجاد موسوعة للرياضيات لكتابة الكلمة واعطاء معناها الرياضي *
- (٣) عقد مؤتمرات دورية للرياضيين العرب على ان تكون لغتها العربية *
- (٤) تكوين جمعية عربية للعلوم الرياضية *

كما يعبر المؤتمر عن صادق الشكر للمنظمة العربية للترسة والثقافة والعلوم ومكتبها لتنسيق التمرير على الجهد المبذول في الدعوة لهذا المؤتمر وتنظيمه واعداد وثائقه ومشروعات محاجمه ويرى في هذا العمل تنبيها ثريا للافاق الواسعة التي ترودها حركة تعريب التعليم *

توصية خاصة

ان المؤتمر الثاني للتعريب الذي ينعقد في الجزائر بين ١٢ - ٢٠ من ديسمبر كانون الاول سنة ١٩٧٣ *

اذ ينطلق من الايمان بان اللغة مقوم رئيسي من مقومات وجود الامة واستمرارها ، وان تاصيل اللغة لا يقتصر على الاخذ بها في مرحلة دون مرحلة او في نوع من انواع العلوم دون نوع *

وان اللغة العربية قادرة على ان تكون لغة العلم الحديث كما كانت من قبل ، وحرصا من على نجاح مهمته التي ترى ان المصطلح العلمي العربي الموحد اول الطريق الى اشاعة المعرفة العلمية في المجتمع العربي *

وان المعرفة العلمية هي الطريق الى مواكبة العصر *

وان مواكبة العصر هي طريق الحياة الفعالة والمنتجة *

فانه يردو الحكومات العربية جميعا ان تباشر بتطبيق برنامج مرحلي مرسوم لتعميم التدريس باللغة العربية في مراحل التعليم كلها للمواد العلمية والادبية بدء من العام الدراسي المقبل ٧٤ - ١٩٧٥ *

٢	تأليف شبيب	الترجمة
		تأليف بيهية
3	١ - التيقال موسى	ملاسلات عن ميقات بيهية واحسية موزعاً في مسحة التاريخ
13	٢ - ابراهيم حركات	دور بيهية في الحضارة
96	اسماعيل المصري	سياسة الناس في عظمى نيله يملك لهديه
31	عبد الرحمن الجليل	لغة عن زحف على من غابة النوراني على بيهية
30	٣ - في السيد مودو	بيهية -
47	وشيد لايمد	مضام بيهية ومنطقها ضد الاستعمار الفرنسي
61	وايبح يونكر	بيهية من خلال رمى الرحالة للسلف
71	اسماعيل المصري	بيهية من خلال النصوص العربية
85	البيدة حلكة	تأثير على تاريخ بيهية
89	وايبح يونكر	عقود عن بيهية بنحو لأول مرة : السكان الذي يرأسه
97	مولى بلفيسى	بيهية في حاشي الكتب
		الحياة الفكرية في بيهية
133	لهدي الجوزد	الحياة الفكرية بيهية في عهد الدولتين العثمانية والتركيا
149	الشيخ ابو عسوان	والكروما
133	٢ - عبد الله	الفيلسوف ريجون أول في بيهية
173	محمد بقصر	الحياة العلمية في بيهية
		تأثير في بداية في القرن السابع الهجري
		الحياة ايم حكوم في بيهية
188	٣ - عبد الله توفيق	اين حكوم في بيهية
198	عبد الفريد حبيب	اين حكوم في بيهية
205	٤ - محمد محمد	تأثير ايم حكوم في بيهية ودوره فيها
222	٣ - عبد الواحد وافي	دور ايم حكوم وعصرته في شؤون العلم والثقافة
233	٤ - وشيد بيروية	مؤثرته في الشؤون السياسية - طهران لهذه الثورة في
		مؤثرته في بيهية ولغاته مع بولندا
		تأثير ايم حكوم في بيهية وثقافة
		الحياة العلمية في بيهية
243	احمد حاتي	جائزته ترمي يوم مؤلفات الصنهاجية
259	وايبح يونكر	عدد نطق الانتساب الجائز مؤلفات القرن السادس عشر
		الحياة الدينية في بيهية
271	٣ - وشيد مصطفى	الحركة الدينية في بيهية
287	يحيى يوسف	يهود الجرائز في سوك الحضارة العربية الإسلامية
303	وايبح يونكر	عصره الثقافي العلمية في بيهية على عهدنا الإسلامي
		الزاهر
317	اسماعيل المصري	عدد الجائز من حاشي النصي شاعر في حاش
327		سند - تنو الزجوع عبد الكريم الطون
		الحياة الاقتصادية
331	اسماعيل المصري	العمارة والنشاط الاقتصادي في الجرائز في عصر ميقات
		كتاب الإنسانية
365	مولى : اسماعيل العربي	معد - شارل ميرو -
373		كتاب في بيهية

هــذا العدد

لقد افردنا هذا العدد الخاص من مجلة « الأصالة » لمدينة بجاية بمناسبة انعقاد الملتقى الثامن للفكر الاسلامى بها ، ونظرا لدورها الهام فى تاريخ الجزائر السياسى، والثقافى، والمضارى. ودعونا للمساهمة فيه عددا من المؤرخين والمفكرين من الجزائر ومن الاقطار العربية الاخرى •

ويلمس القارئ بمد اطلاعه على مختلف ابحاث ودراسات هذا العدد ذلك الدور الهام الذى قامت به الجزائر فى بنام مجد الحضارة العربية الاسلامية الى جانب المراكز الحضارية الاخرى فى العالم العربى الاسلامى. وأنها ، من خلال ما انتجيت من علماء ومفكرين فى شتى ضروب المعرفة السائدة آنذاك ، وما انطلق منها من حركات سياسية وفكرية ودينية كانت احد مصادر الاشعاع والالهام للفكر والحضارة الاسلامية فى كامل العالم الاسلامى •

ومجلة « الأصالة » الحريصة على طرح قضايانا المصرية بروح بناءة لا تكتفى - فى نطاق هذه الجهود المبذولة لاعادة النظر فيما كتب عن تاريخنا ومراجعتة ، وتفسيره من جديد وإزالة جميع ما ألصق به من تشويه ومسح - بالدفاع المطلق عن هذا التاريخ ، وإنما ترى ضرورة معارسة ما يسمى بالنقد الذاتى لازالة ما فيه من عناصر سلبية •
وأخيرا ننوه بجهود جميع الاساتذة الافاضل الذين لبوا دعوة « الأصالة » وساهموا فى هذا العدد مساهمة هامة ومشرقة •

عناوين



تاريخ بجاية

ميزات بجاية وأهمية دورها



في مسيرة

لقد تشابك البعض من المصطفى استمرار « البقاء » لاسم بجاية ، واختفاء أسمى صلاحي ، والتناصيرية ؟ ويبدو للظنرة الاولى ان ذلك ربما يرجع الى ان اسم بجاية الصق بالمدينة المحلية ، وأكثر اتساقاً ، أو تعبيراً عن المحتوى البشري ، لفظاً هام من وطننا الفصحى الأراءء ، بخلاف مركز « صلاحي الفتحى » ، واسم التناصيرية الحمادى * فالاول ارتبط لفترة ، بطيف هجرة اجنبية ، استقر بعض رجالها فى نقطة ما من ساحل بلادنا ، للراحة ، وللاتصال ، والثانى وهو اسم التناصيرية ، اخفى الا من يطون الكتب ، لانه ارتبط مؤقتاً بذكرى شخصية ، وأريد منه التعبير للاجبال عن مجد الباني ، أى لم يكن للسكان أى دخل فى هذه التسمية الاخيرة كما لم يكن لهم أى دور فى التسمية الاولى ايضاً .

لقبسال موسى

كلية الآداب - جامعة الجزائر

وهكذا نستنتج بان كل ما يرتبط بذكرى «الشعب» كله أو بعضه بدوم ويستمر ، دوام الشعب وتجده ، وما يرد به تخليد شيء آخر سرعان ما يمضى من ذاكرة الاجيال . أما لماذا كان اسم بجاية اقرب من غيره الى ضمير الشعب ؟لانه يذكر فرع هام هو فرع بجاية الذى ينتمى الى قبيلة عتيقة ، يل الى حلف كبير ذلك هو حلف صنهاجة الشمال ، وهم سكان قطاعات هامة من المغرب الاوسط فى المصور الوسطى فبجاية اذن - مجموعة صغيرة من حلف صنهاجة الكبير ، كان افرادها يضيرون فى المناطق الجبلية غرب وادى الصومام وحول مرسى صحرى قديم ، عسرف يمرسى بجاية وبذلك ورد عند ابن حوقل وهو من رحالة وجغرافى القرن الرابع الهجرى * ولم تستطع الأحداث المتوالية ان تمحوه على الالسنه أو من ذاكرة التاريخ ويطون الإسفار ، رغم ان الناس انصرفوا لفترة ما عن اسم بجاية ، بتأثير الحاكم الى استعمال اسم التناصيرية والى الفتحى به *

ومن مجموعة بجاية بنو وريكل (وريجال) - وكانت مشايرهم حول طلمية قرية تصوف
بجاية التي وردت ماضيا ما قرية عند بعض رحالة القرن السابع الهجري (13 م) -

وأما ملالة لا تبعد قط في قيمة من انتسب اليها من الطماء ، وإنما أيضا في أهمية
الاحداث واللمن التي تتكررت بها ، ومنها : اتصال عبد المؤمن بن علي الكومي القرومي بمحمد
ابن تومرت وما ترتب على ذلك من نتائج في مقدمتها ميلاد تيار الوحدة المغربية الشاملة في الجبال
الميليس وتيار الوضاعة والرجوع الى الأصول والتنشال لقرار الفضيلة والعدل والعرف في
للجاليين الدين والاجتماعي - وتتكررت ملالة أيضا بميدان كرم الضيافة وحماية السلاجمة
والمستجير الذين امتاز بهما سكان هذه الناحية وبقيّة سكان بلادنا مما هو ملحوظ حتى يوم الناس
هذا لتجاه وعاء الحركات التحررية واصحاب الدماء الشريفة - وبك لأن هذه القرية قزل بها
أول مرة مهدى الموحدين - محمد بن تومرت أو أمغار - بعد عودته من المشرق العربي فكان محل
تكريم ولجال من فريق بني وريكل ، الذين حموه من يملش السلطان المماليك العربي من لتصوير
بن الناصر بن علاس الذي يلغى بأن هذا التزييل العربي يحسب على الناس ويظهر تغيير الفكر
جهازا - ويعبر للخالقين أمام للا ، فون خوله أو تردد - ومن بني وريكل ، يوجد فريق في غير
محال ملالة - من أرض المغرب العربي الكبير -

ويظهر أيضا ، أن رهنا من فرع بجاية هاجروا الى افريقيه (تونس) - لانتا نلاحظ حتى الآن
بقاء اسم بجاية في شمال تونس ، ولتسلب كثير من التيهاء اليها في عسرتا ، والنسبة اليها
كالنسبة الى بجاية الجبل ، فإن صحت نسبة بجاية تونس الى بجاية الام في المغرب الأوسط ، تكن
هي واسم للبيئة المحلية ، آخر ما بقي من آثار هذا الفرع المستهاجي الهام - وبما يتبين التفكير به
في هذا الجبال استمرار تيار الهجرة الملخية ، بين مجالات المغرب العربي الكبير التي كانت تدفع
اليها لما عوامل محلية ، سياسية واقتصادية ، وديمية ، أو عوامل خارجية في مقدمتها : صف
الهجرات الخارجية التي انطلقت تباعا من المشرق منذ ما قبل الاسلام واستمرت قرية مؤثرة بعد
انتشار الحركة الاسلامية -

ولبجاية للبيئة - رغم أنها في مجال صنهاجة أهمية أخرى من حيث أنها لا تحضر مهادها
وحما لأن ابن خلدون يجعلها حدا غربيا لجال قبيلة اخرى عتيبة هي قبيلة كتامة ، كما أنها على
ملش مجال فرع عتد من هذه القبيلة الكبيرة - وهو فرع زواوة - أي أن بجاية كانت نقطة لتكامل
وتجمع قبلات صنهاجة وكتامة وزواوة في المصور الوسطى -

والجغرافيين العرب والسلمين الحق عندما جعلوا بجاية للنهاية المغربية لمصطلح اداري قديم
لستخدمة العرب للمسلمين بعد فتح بلاد المغرب - ذلك هو مصطلح - افريقية - فكأنها في هذه الملمية

وفي فترة ما باعتبار عدم دخولها في مدلول افريقية ، اشتهر بوضع بغداد بالتمسية لمصطلحى الحرب والشرق الاسلاميين في عرف بعض المؤرخين والجغرافيين المسلمين ، لان بغداد دار السلطان ومقر الخليفة كانت قلب العالم الاسلامي ، ولذلك لم تقتصب الى المغرب ولا الى الشرق من الفاهية الادارية .

وبكذلك غنت بجاية بعد تمصيرها سنة 460 هـ / 1067 - 1068 م - على يد الناصر بن علناس وبإشارة محمد بن البليغ ، رسول تميم بن المعزّ بالله ، دار السلطان الحمادي بل عشرين الدولة ، وقاعدة المغرب المتوسط ، أم إقطاره وعاصمة إحصاره ، على حد تعبير بعض المؤرخين .

ان إشارة محمد بن البليغ - بتشييد المدينة في موقعها الحالي - تحتاج الى وقفة قصيرة ، ذلك لأن من أهم مميزات هذا الموقع ، التفتح على التيارات الخارجية ، السياسية والاقتصادية ، والثقافية والاجتماعية - ثم الحصانة الطبيعية بسبب وجود المرتفعات ، ومن هذه المرتفعات جبل مسيرين (مسيون) الذي وصف بأنه صعب الارتفاع ، وبأن في اكتافه جملا من النبات المنتقع به في صناعة الطب - وهذه إشارة لطيفة تحتاج الى عناية بعض أطبائنا والمهتمين بصناعة الادوية في بلادنا . اما تهر الصومام - ويمتد على سهل واسع - فقد لعب دورا هاما في الملاحة ، اى في ربط السلاسل بين من يوجدون في مجال المدينة ، وبين من هم يعيشون عنها في مجال جرجرة ياتقها الجميع وفي نفس الوقت فصل بين السكان هنا وهناك باعتبارها حاجزا مائيا طبيعيا .

والميزة الاخرى لموقع المدينة ، هي التوسط التام بين مدن وأصوار افريقية والمغرب الأدنى وهذه الميزة لم تخف على بعض الجغرافيين المسلمين الذين لا حظوا بان المدينة « تلب لكثير من البلاد » ويتركزوا على المسامات انصورية التي تفصلها عن هذه المدن والحوضر الكبرى في افريقية والمغرب الأدنى .

اما أهمية تمصير المدينة في حد ذاته ، وبالنسبة للدولة الحمادية ، فتدو في ميزة الاتصال المباشر بمراكز الثقافة والاقتصاد والحضارة في النواحي الغربية من البحر الأبيض المتوسط . وهي الميزة التي لم تتوفر للدولة من قبل ، عندما كانت القلعة عاصمة وحيدة لها ، ولهذا السبب وصفت بجاية منذ العصر الوسيط ، بأنها « ساحل قمة ابي طويل » وهي التي عرفت بقلعة بني حماد ، اى منفذ لى اعلى البحر المتوسط .

وهنا لا بد ان نشير الى ظاهرة تعرض المبتسر كما تعرض للمدن والدول ، وهي ان ميلاد بجاية كحاضرة وقاعدة سياسية كان يعنى تدريجيا بداية تفساؤل أهمية القلعة في المجال السياسي ، ومعنى ذلك ان بجاية استغلت من التطورات الجديدة التي صيرت منها مركزا رئيسيا

للسياسة والمسلطان وللنشاط المتعدد الجوانب فتصدرت الاحداث بينما انحصر نفوذ القلعة ، فتخلت الى الابد ، عن دورها السياسى وقتعت بدور العاصمة (الروحية والثقافية والتاريخية للمغرب الاوسط فى عصر الحماديين) *

وهذا الوضع الذى صارت اليه القلعة بعد تمصير بجاية طبيعى ، اذ يوجد نظيره عسير تاريخ المغرب واشرق الاسلاميين فى العصور الوسطى ، ومن هذا القبيل ما صار اليه وتوسع قسنطينة وتلمسان بالنسبة لجزائريا ، وفاس ومراكش بالنسبة لرباط الفتح ، والقصور والمهنية بالنسبة لتونس ، والنسطاط والاسكندرية ، بالنسبة للفاخرة ، والكوفة والابزار والاشمية بالنسبة ببغداد *

وانذا اخذنا بما ورد فى مسائل البكرى - نقلا عن مصدره الرئيسى - وهو شيخه محمد بن يوسف الوراق يكون سكان منطقة بجاية فى عهد الاخير خاصة - وهم من قبيلة كتامة واحلافها شيعا اسماعيلية - اثر عنهم حسب رواية ابن الوراق ، انهم كانوا يبايعون فى الاحتفاء بكل من تمذهب بمذهبهم او تجاوب مع وجهة نظرهم *

والاقرب الى الصواب ، الا تفهم لشارة البكرى على اساس انها صادقة على عصره (ق 5 / 4 م) ، لان عصره يرافق سيادة السنة ، وعودة المغربين الادنى والوسط الى حظيرة مذهب الجماعة - كذلك فالملحوظ ان استمرار حركة انفصال الحماديين عن اقرابهم الزيريين ، لا ينفي ان تمصر فقط على اساس انها حركة سياسية او صراع شخصى او امرئى بل هي ايضا حركة مذهبية اى ثورة ضد المذهب الشيعى ، سبقت بزمان طويل ثورة المعز بن باديس ، التى رفعت شعارى التسنن واضطهاد التشيعيين *

وبجاية المدينة ، فضلا عن كونها احتلت لفترة طويلة مركزا سياسيا خصبيا باعتبارها عاصمة لدولة الحماديين ، ثم حاضرة كبرى تاتى فى المرتبة الثالثة بعد تونس وقسنطينة ، فى عهد المعصمين ، حيث الطبيعة ياقق لمسيح ، كانت تستغل اراضي وسهوله استغلالا جيدا فى الانتاج الزراعى وكان يصدر منه الفواكه والتين الى افاق بعيدة فى افريقية والمغرب العربى - والتين من بين المنتجات فى الفترة الطيبة ، وهبة الطبيعة اسحبه ابنى اريد لها ان تبقى اكلا شهيا وتحفة متجددة على طول الدهر - وكان حظ بجاية فى الميدانين التجارى والصناعى كبيرا ، فكانت تختلف ليها المتاجر برا وبحرا ويأتيها التجار من مختلف الافاق ، ، ولسفن اليها مقلعة وبها انقوال منحلة والامتعة اليها برا وبحرا مجلوبة والبضائع اليها ناعقة ، اما فى الميدان الصناعى فكانت كذلك مركزا صناعيا هاما باعتبارها ما جعلت به من صناعات مختلفة وصناع مهرة *

وقد ساعد على هذا النشاط الجم في التجارة والصناعة ماشى المدينة المريق ، ووفرة خيراتها وموادها الأولية ، ثم اخلاق سكانها ، وكانت تتمتع لجميع من يفتارها موطنا او مركزا لنشاطه البناء لا غربة فقد عبر الشريف الادرسي عن هذه الظاهرة بقوله : « وأهلها يجالسون تجار الغرب ، الاقصى ، وتجار الصحراء » وتجار المشرق » « وهي ملاحظة جديرة بالتصديق »
 وكان لا يد لهذا النشاط ألجم أن تنعكس آثاره الحسنة على السكان ، وعلى مجتمع المدينة ومن ثم لاحظ الشريف الادرسي نفسه بأن أهلها « مياسير وتجار » -

ومن هذا القبيل ، ما لاحظته البكري عن سميت مرسى بجاية في مواجهة أرض الاندلس ، لأن اثر ذلك ظهر في نشاط حركة التجارة ، والاتصال الفكري والهجرى بين البلدين ، فخلد استقرت في بجاية جالية اندلسية كبيرة ، ضمنها التجار والصناع ، والعلماء والطلاب ، ومع هذه الجالية المهاجرة ، انتقلت تيارات فكرية اندلسية الى بجاية ، كان لها تأثيرها الذي نلاحظه مظهره في الرقة والجمال ، ومعمو النوق ، والجسم الحضارى الذى يمتاز بها سكان المدينة +

وقد احتضنت بجاية منذ عصر الصمايين دارا من أهم دور صناعة وتعمير السفن التجارية والبحرية . وقد ساعدها على ذلك : وفرة المواد الأولية لبناء السفن ، ومنها الاحشاب والزفت الحيد والقطران ، والعميد ، والجبس ، والاخير يوجد بصفة خاصة في إحدى القرى القريبة منها وهي متوسة +

وتفرد صاحب الاستبصار برواية أن بجاية أوت في العصر الموحدى مركزين لبناء وتعمير السفن مما يشير الى اهتمام السلطة ، والسكان بسياسة تمتين خطوط الدفاع والهجوم ثم الى الرغبة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية -

ودار صناعة السفن في بجاية يبدو أنها كانت في وضع الصدارة بالنسبة للمركزين الآخرين الموجودين على ساحلنا الشرقى ، وهما : مرسى الخرز (الثالة) وبنسه (بلد العناب) + وفى الوقت الذى كان فيه أسطول المغرب الاوسط في بجاية منذ عصر الصمادين ، درعا وكى المنية من شر الغارات للتمرة ، وربطها بمراكز التجارة والصناعة والحضارة في الصور الوسطى ، أى تحقق يقض نشاطه الغرض الاقتصادى والغرض الحربى ايضا - عانى سكان مدن ومراسى مجاورة وبعيدة وهي مرسى القل ، ومرسى جبيل ، ومرسى النجاج (بين مستغانم وأرزو) من غارات الترومان المغرية منذ القرن الخامس الهجرى xx م حتى انهم كانوا يضطرون احيانا خاصة في فصلي الربيع والصيف ، بخادرة معنهم خوفا من الغارات المأجئة والمستمرة ، فى هذين الفصلين اللذين يعظم فيهما نشاط الاسطول التورمانى فى عرض البحر -

واشباع روح المغامرة ، وإرضاء النزعة انصليبية ، والرغبة في الصلب والذهب وفي تأليب الحماديين والزيريين بسبب تعاطفهم مع أخوانهم مسلمي صقلية ، ثم ملاحقة من استقر من هؤلاء الآخرين في المدن الساحلية هذا مع وجود نقد ضعيف في سياسة الدفاع بسبب طول الساحل كل هذه تعبر عن الاسباب الحقيقية للمفازات النورمانية .

وما قام به النورمان من نشاط ، مثله الاسميان والبرمانيون ، ضد مسلمي الاندلس والمغرب العربي منذ بداية حركة (الركونكستا) الى ما بعد سقوط غرناطة ، كما نقله الاروبيون الغربيون الى بلاد الشام ومصر ، فيما يسمى بالحركة الصليبية ، حيث كان القرن الثامن الهجري XI م عصر الحرب الصليبية الشاملة ضد العرب والمسلمين في المغرب وفي المشرق .

وقد تبين لهذه الحفيفة ، وريث النشاط الصليبي ضد اسلمين في بلاد المغرب والمشرق المؤرخ أن الاثر الذي ضمن حوادث سنة 491 هـ / 1097 - 1098 م - قوله الهام « وكان ابتداء ظهور دولة الفرنج ، واستبداد أمرهم وخروجهم الى الاسلام وبلادهم واستيلائهم على بعضها سنة 478 هـ فملكوا مدينة طليطلة وغيرها من بلاد الاندلس ثم قصروا سنة 484 هـ جزيرة صقلية وملكوها ... وتطرقوا الى اطراف افريقية مملوكاً منها شيئاً وأخذ منهم ، ثم ملكوا غيره ... فلما كانت سنة 490 هـ خرجوا الى بلاد الشام ... »

ومن يتأمل جيداً ما تضمنته تصوص المبكرى بصدد نشاط المجاهدين البحرين من مراكزهم في كل من بوته ومرسى الخرز ، وما قاله الادريسي بصدد دار صناعة السفن في بجاية ، فترسم أمامه صورة عصر أدهار البحرية الجزائرية ، ثم معالم وأسباب الحسب الصليبية التي كان يشنها النورمان وسكان جزر الحوض الغربي من البحر المتوسط ضد سواحلنا . بيد أن هذه الصورة تتغير بعد منتصف القرن السابع الهجري 13 م أي بعد تلك أمبراطورية الموحدين وعدة ساهرة التجزئة عاملاً مهيضاً على احياء السياسة في بلاد المغرب العربي . وقد عبر عن ساهرة التميز ، من عصر القوة الى عصر التدهور والاتلال وضعف الدفاع الرحالة المبيدري في قوله بعد ما شاهده من حيرة سكان مدينة نومة إزاء قلة من الفراصنة قرصوا اراتهم وشروطهم من زورقهم الصغير على سكان المدينة ونص ما قاله : « ثم وصلنا الى مدينة بوته فوجدناها ببلدة لطوارق العير مخبئة ، ميسولة البسيط لكنها يهجم النواشب سطوية مخبئة ، ومن اشرب المجموعات اثنا مصادفنا وقت المرور بها زويرقا للنصارى لا تبلغ صمارة عشوين شخصاً ، وقد حضروا اليك حتى قطعوا عنه الدخول والخروج وأسروا من البر اشخاصاً عامسكروهم للنداء بمرسى البلد وتركتاهم فاطرين في فدانهم » .

واستمرار النديم ، وتكرر عمليات التحرش بالسواحل المغربية والتحدى لشاعر سكانها من طرف قراصنة البحر الأروبيين في نهاية المصور الوسطى وبداية العصور الحديثة هما اللذان ساعدا على ظهور قوة جديدة في الميدان المغربي هي قوة المجاهدين السريين التي كانت مقدمة لامتداد نفوذ لاتراك العثمانيين في الأجزاء الشرقية والوسطى من المغرب العربي الكبير .

أما الحقيقة التي نريد أن ننهي بها هذه الملاحظات من أهمية مدينة بجاية فهي أن تاريخها كركن لسنهاجة أو بالأحرى تاريخ سنهاجة فيها قد خص بالتأليف من طسرف ابن حماد في : «البرقة» كما خص علماءها وأعيانها في القرنين السادس والسابع بالتأليف من طرف القاضي أبي العباس العبريني في : «عنوان الدراية» ، وحظت كحاضرة عامة في المغرب الأوسط بوصف بفتح في مسائله ابن حوقل والبكري ، وفي نزهة المشتاق للأريسي ، وفي الرحلة المغربية للعبدري ، وكلام الأخير عنها يلفت أنظار بسبب منهجه الخاص الذي أملى عليه تسليط الأضواء على العيوب وتجريد المدن التي مر بها من كسب ميزات حمسة كانت لها قبل عصره وفي رواية سابقة . ولقد حفلت المصادر التاريخية بالعديد من العلماء والتهباء الذين ولدوا فيها أو أنجبتهم بيئته الثقافية ، أغلهم عرف بلقب الزواوي وأقلهم عرف بسبب الجبائي .

وبينما من بين هؤلاء وأولئك : اثنان : أحدهما من مواليد المدينة وثنائهما ، ارتبطت حياتهما الوطنية والعلمية بها ، وإن لم يكن من مواليدها ، فلما الأول فهو أبو الحسن علي بن أبي نصر قنق بن عبد الله الجبائي الذي ولد ببجاية سنة 506 هـ 1112 - 1113 م ونشأ بها . فلما أصبح على درجة كبيرة من الأتراك ، التزم جانب الحياة الروحية الخالصة ، فعاش زاهدا منقطعاً عن مشاكل المادة ، مفسرفا إلى العبادة وإلى التدريس .

وميزته الكبرى أنه معتبر ثمرة طيبة امتزجت فيها الاتجاهات الفكرية في المغرب والأندلس بتلك التيارات التي كانت سائدة في بعض حواضر المشرق العربي فكان لأبي الحسن الجبائي في مصر وحدهما شيخان روى عنهما واستفاد من خبرتهما وهما : أبو محمد عبد الواحد بن إسماعيل ابن طاهر النجاشي ، ثم أبو القاسم الحسن بن عبد السلام الذي اجتمع به وأخذ عنه في شعر الإسكندرية ، وفي بيت المقدس ، اجتمع بأبن جبير الينسي وروى عنه ، ومع هؤلاء وغيرهم من العلماء والتهباء كانت لأبي الحسن الجبائي مجالس علمية ارتبطت بذكرات حمسة حفظها ورواها عنه تلاميذ العلم والمعرفة في حاضرة بجاية .

أما ثانيهما : فهو أبو العباس الغبريني الذي تبنى اسميته في أنه يعتبر حجة علماء المدينة ومحمد آثارهم أو شاعده عصرهم كما يقال الآن .

لا غرابة فقد وصفه ابن خلدون بكبير بجاية ، وقاضيه ، وصاحب شوراها ، وهو وصف لم يظفر به غيره من بين علماء المدينة ونهبائها ونكتفى من حياته العامة التي لها علاقة ببجاية بما جرى بينه وبين معاصره أبي محمد عبد الله بن الدليم قاضي قسنطينة ، لأن ذلك يؤيد قيمته الخاصة ، وعلو شأنه في أن يظفر قضاء بجاية ومركزها بمكانة سامية لا تقل عن قضاء حاضرة قسنطينة ومركزها .

وصورة ما جرى بين الرجلين : أبي العباس ، وأبي محمد ، أن الأخير -ظهر منه في مناسبات خاصة بحضرة الأمير العفسي أبي زكرياء يحيى ما يشير إلى شعور بالتفوق والامتياز على معاصره الغريزي قاضي بجاية ، بحكم أهمية مركز قسنطينة ، مقر الأمير ، إذ لم يقسح ابن الدليم المجلس لقاضي بجاية حتى يجلس بجانب الأمير ، ونافسه في ذلك مع أنه خفيف حتى بدأ التأثير على الغريزي وواجه ابن الدليم بقوله « أن أملككم لا يقدروشى » فلم يراجع ابن الدليم عن موقفه بل أجاب على الفور « أن قضاء بجاية محبثون » والهدف من وراء ذلك اشعار الغريزي ، بأنه أقل أهمية منه لأن بجاية في ذلك الوقت كانت تابعة سياسيا وقضاء لحاضرة قسنطينة مقر السيادة والسلطان .

والخلاصة :

أن مدينة بجاية وهي تعيش اليوم حاضرا مشرقا بالصناعة والتجارة والطاقة والمنشآت العمرانية يمكنها أن تحول من حاضرها في الميدان الثقافي أيضا فتجعل امتدادا لماضيها الحضاري الاصيل : قلعة حصينة للمقاوم ، ومركز أشعاع للتأثير ، ومهد برامات عربية اسلامية سليمة ، ونقطة جذب وتجميع للتأثيرات الفكرية ، وللمفكرين والعلماء والنبهاء - واحسب أن اختيارها لمعد مؤتمر الفكر الاسلامي ، عودة ذات معزى ولغة ذات ايجاء ، وتشريف لماضي يستحق كمال التشريف ، وتكليف لحاضر نريده مشرقا بالمرقة ملتزما بالاصالة .

بعض مصادر مراجع البحث

- ابن حوقل صورة الارض
- البكري المغرب في وصف بلاد افريقية والمغرب
- الإدريسي وصف افريقية الشمالية والصحراوية (قطعة من زمرة المشتاق)
- (الجهول) الاستبصار في عجائب الامصار
- العبدري الرحلة المغربية
- ياقوت معجم البلدان
- اليبسدي اختبار المهدي بن تومرت
- ابن الاثير الكامل في التاريخ
- الغبريني عنوان التراكيب
- ابن خلدون المعبر
- ابن غلبون التذكار
- ابن الانباري علاج السفينة في بحر قسنطينة (خ ٠ غ)
- دائرة المعارف الاسلامية
- لفيال الحصبة الذهبية
- جيد الوهاب بن منصور قبائل المغرب
- لجهول مفاتيح السير
- الاصمالة - مقال ابن حماد المنهاجي - جلول بدوي -



سارية القلعة

دور بجاية فى الحضارة

لم يكن تأسيس مدينة بجاية مجرد معاملة تاريخية ، فبذلك لم يكن المستنق وفتح تاريخ معظم المدن الرئيسية فى العالم يقوفاً الى أن ممكن هذه المدن كانت توجد مركز سليقة حملت نفس الاسم او تعيدت اسمها وشكلها ومحتواها مع تعلق العلم وتوالي الأحداث - فلا عيب والمالة هذه أن تيد أن بجاية العمادية ائشنت مكان مدينة - بنفست الرومانية - ومكة المكرمة لتشت حيث كانت مضارب جرحهم ، والفكرة لمعاد للفسطاط التي شاعها عمرو بن العاص وبغاية كانت قبل الاستيطان الفينيقي مجموعة مملش يقفها سكان مملش والاملة اكثر من أن تصغر -

وانا كانت بجاية قد عرفت فى القرون الوسطى كميناء رئيسى بالغرب المتوسط وكمرکز اقتصادى ذو أهمية كبيرة فى ميدان التبادل مع دول البحر المتوسط ، فهي أيضاً مركز ثقافى لامع شهد تنشلا واسعاً فى عصر بني حماد وبني مرين وغيرهم *

ولعل أحد أولئك من كتبوا عن بجاية هو عبد الله بن عبد العزيز البكرى الذى علمس مولد بجاية ومرحلة اولى من مراحل ازدهارها قال : « مدينة بجاية ازلية عاهرة بأهل الاندلس ، يشربها نهر كبير تنحله السفن محملة ، وهو مرسى ملون مشفى قد خرج عن محاذات جزيرة الاندلس »

د- ابراهيم حر كات

كلية فوفى

جامعة محمد الخامس

للمغرب

ولقد هودنا الجغرافيين والمؤرخون الاقدمون اذا شكروا ان مدينة من بناء الاراش او وصفوها بانها ازلية ان يقصدوا بطبيعة الحال انها اُسست قبل العهد الاسلامي ، ولذلك كان البكرى يشير هنا الى الاصل ابرومني للمدينة .

اما الانديسي فقد اشار الى اودهار حركة النقل البحري وصناعة السفن في حين المكان ووصف السكان بالمعق في العفون والحرف مما ساعد على ازدهار التجارة التي كانت في القرن السادس الهجري نشيطة مع كل من المغرب العربي والاصقاع الصحراوية وابلاذ الشرقية ، وقد انهضش الانديسي لما كانت تنوفر عليه بجاية من خصب ورفاء في المعيشة وكثرة المواشي ولا حظ بحق ان بجاية كانت مدينة صناعية ونقطة ارتكاز تجاري كبسرى .

ولقد التحق العديد من اهل الاندلس ببجاية لعدة اسباب ، فهناك العلاقة الطيبة التي تربط لمصنعايين باهل الاندلس ، حتى كان بين ملوك الطوائف من اسس اماراة صنهاجية ، وعدم استقرار الامور في الاندلس التي كانت لا تزال بيد ملوك الطوائف وقت بناء المدينة ، وميل كثير من سكان ضبه لاجورة الى اختيار الراهب ليستقروا بها وكانهم عس موعد مع المستقبل ليتولوا مقاومة العدو في جهاد بحري ارقى دول اوروبا لعدة قرون وشملت الانطلاقة مسراكر ساحلية كثيرة في شمالي افرشبا .

ومع شمس الدين الانصاري الممشقي المتوفي سنة 727 والمعروف بشيخ الربية وصفا لطيفا للمدينة حيث قال : « بجاية مدينة حصنة البناء صبية الماء ، ولها نهر بهيج تغسل المراكب من البحر الى البلد ، بناها بن الناصر بن علناس (كذا) احد بني حماد سنة سبع وخمسين وأربعمئة وبناحيها جبال الرحمن وهي جبال تمرها قبائل كتامة ، وبها معادن النحاس والازرود » .

واشتهرت بجاية الحمادية بقصورها الشامخة المنيرة ومبانيها التي استحدثت تنويه ابنسن الشطيب في احوال الاعلام ، فالناصر مؤسس بجاية بني قصر الملولة الذي وصفه الشعراء ، ومنهم ابن فكاك القيرواني الذي انشد :

قالت سعاد وقد زمت ركائنا	مهلا عليك فانت الرائح القادى
فقلت تالمه لا انقه ذا سقر	تجربى بى النكه او يحوبى الحادى
حتى اقبل تسرب العز منتصرا	بالناصر بن علناس بن حماد

وقد سلك مملكة في الاهتمام بالاعمال العمرانية كل من ابنه المنصور وحفيده الناصر بن المنصور .

وتحتل بجاية في الميدان الفكري مكانا رصدا في تاريخ الشمال الافريقي قاطبة ، فقد كانت مركزا ثقافيا حل به مدة كل من المهدي بن تومرت وعبد المؤمن بن علي وابن خلدون وعشرات من رجال الفكر الذي ذكرهم الفيريني في عنوان الدراية وغير الفيريني في مراجع لا حقة *

وكان ابن خلدون قد تعرف الى الامير ابي عبد الله الحفصي بالمغرب في بلاط ابي عثمان فاضل بينهما لغة ولطيفة وتعرض كل من الامير وابن خلدون الى الاذى بسبب هذه المودة حيث اتهم الاول بمحاولة العودة الى امارة بجاية والاستيلاء بها واتهم الثاني بكونه والاه حتى وعده الامير بتوليته حجابته * وفلا حصل ابن خلدون على امنيته ، واثبت هذه الحادثة بشيء من التتويه حيث قال في التصريف : « وكتب لسي الامير ابي عبد الله الحفصي بفسخه عهدا بولاية الحجابة حتى حصل على سلطانه » ويعني الحجابة في دولنا بالمغرب الاستقلال بال دولة ، والوساطة بين السلطان وبين أهل دولته لا يشاركه في ذلك احد » *

والحقبة ان منصب الحجابة كان في كل من افريقية والمغرب الاوسط شبيها في أهميته بمنصب الوزير الاول - وقد وجعنا هذه الميزة في بلاط الحفصيين ومملكة بني عبد الواد ، امسا في المغرب فكان الحاجب يطلق عليه المزار في غالب الاحيان ولكن دوره اقل على العموم من دور الحاجب في بجاية أو افريقية *

والواقع ان الامير ابا عبد الله رحب ترحيبا عظيما بمقدم ابن خلدون فقد اركب وجوه دولته لاستقباله وقال يصف هذا اللقاء « وثافت أهل البلاد على من كل أرب يمسحون أعطافهم ويقبلون يدي ، وكان يوما مشهورا » *

وينكرنا طموح ابن خلدون وثافته على المناصب شرقا وغربا بطموح المتنبي الفائق والذي لم يتحقق منه شيء على أي حال *

وفي أوائل القرن العاشر الهجري (16 م) كانت بجاية كما وصفها الحصن الوزان تتفرس على العديد من المساجد والمدارس والزوايا * وكانت حركة التعليم زاهرة بها كما دل على ذلك كثرة طلابها وإسانتها في وقت كانت مراكز ثقافية أخرى شتمة في العالم الإسلامي قد دخلت منذ زمن بعيد في ذمة التاريخ كإليصرة والكوفة والقروان - وبالإضافة الى ما تقدم كانت بجاية في القرن المذكور تتحرق على غمادق وحلجوى وأسواق منظمة وكانت لنقله المجاورة لها مزخرفة بالفسيفساء والنقوش الجبسية والخشبية * ويشير الوزان الى الدور الذي قامت به بجاية في الجهاد البحري على الشواطئ الإسبانية حيث أحدث ذلك رد فعل عنيف من الأسطول الإسباني - وكانت الضاحية تتوفر على سبائين غزيرة المياه والفواكه فضلا عن الغابات التي تكتنف الجبال - وبما ان بجاية تتوفر على عناصر انطلمية أثرت فيها حضارتها الإسبانية ففسد كان أهلها يتنقون اوسمى

ورفضون بعض قراهم في الاستماع اليها حتى ان كلا منهم كان موسيقيا حقيقيا . ومن ثم لمحت لثقافتهم وتحدثت طابعهم فكانوا الى مسألة للناس لئيل منهم الى مجابتهم بالحلل . ولكن هذا لم يمنع من قيام شجعتهم بممارسة الجهاد ضد الاسيان في عقر دارهم حتى ادى ذلك الى تفتل الكونت *Frans Munnix* واستقلته على بجالية التي نهبا وبنى بجوارها جملة من التعميمات .

والحق ان سكان البجينة تنفسوا الصعداء من الخلق الذي صوره الاسيان عليهم بتسلل القائد بريروس الذي هب لتجنيته كل السكان المجاورين غيرة وتشيجا والتواب السليب . وبالرغم من تضايع حدث في صفوف جيش بريروس فقد تربع التنقل المشئى للجزائري ضد الاحتلال الاسباني الى ان تم تخليص بيجية .

ولقد لكفى نظارو في شجكته الدفاعية بتحصيناته الخاصة كحصن موسى الذي تقلمه مكان قصر النجمة والتضمية وحصن عبد القادر على الساحل الذي رعمه ترميما شاملا - على ان الاسيان لم يكتفوا بذلك . بل نظروا ما خف حمله وغلا ثمنه سالكن به البحر الايش للتوسط الى بلادهم ولكن عاصفة موجاء جعلت سفنهم يبتلعها البحر بما فيها .

وبعض الشجكة الدفاعية القوية التي اقيمت حول البجينة تمكن الاسيان من القلم في بجالية انة كل عام الى ان طردهم الرئيس صالح سنة 555 هـ وهو قائد عسكري وسياسي قام بدور بالغ الاهمية في التلويح الضمانى بافريقيا الشمالية .

وتعزى الرواية الفرنسية الى الوجود التركي لا الاسباني خراب بجالية وخلقها من السكان . لكن معنا المغرب ايضا لم يدل بها الترافه ككسيلا والرائش اللتين كفتا تحت الاحتلال الابيريى ولا تم استرجاعهما في العصر الطوى لزم قتل الاف من سكان الريف لتسريحهما بعد لتفريما من اهل البلاد خلال الاحتلال .

غير ان بجالية مهما تضررت حالها الآن فقد احتفظت الآثار الباقية منها بطابع القفلة والبعة الذي تميز به البناء الصمدى الصنهاجى ، فكثيرا من اسوار الرابطين والوحديين تجد في اليزود يدل العمود والتمسك بالرغم من تطير القرون .

والكلمات الكوفية التي وجدت في التفرش الحمادية تتشبه بالطبع العربي الاسلامى للفسلفة ، والصلة قوية بين الشرق والمغرب حيث الاصل واحد ، لكن ظاهرة تسمير الحيوانات وحتى الانسان على الحزف من مميزات الفن الجملى الذي لا تكاد تجد له نظيرا في قسن دول اخرى بالتصوير .

وتأخذ العينات في القيصاني وعلى الحجر مكانا ملحوظا وفي من الاشكال التي كان
المسلمون سائقين اليها في العرب للعرب - اما تقفية الارض وتليطها فتأخذ اشكالا خاصة
ايضا ، فهناك مريمات مجوفة من جهات اربع وهناك اشكال متقاطعة متنوعة - والقرصات نجدها
تدخل لأول مرة في القصور والمساجد وتكرنا للكتابات والقرش الرخامية على قبور الحمانيين
يما نلاحظه بعد خمسمائة سنة في القصور السعيدة من حيث القوة *
وان تشير هذا الى المؤثرات الاسبانية والتركية التي طرأت بعد الحمانيين والحفصيين
فالشخصية الحمانية هي بعون جدال عنصر القوة والشمول في حضارة بجلية *





مصاييح من الأجر كانت تحمل فيها

سياسة الناصر بن عمار تجاه بلاط المهديّة

يمكننا تقسيم عهد بني حماد لفرض هذا البحث إلى ثلاث فترات أساسية متميزة :

شهدت الفترة الأولى التي تمتد بين سنتي 398 - 441 هـ (1007 - 1050 م) وهذا التاريخ الأخير هو تاريخ تأسيس القلعة) ، مولد قوة بني حماد وتموها في إطار القوميات المميزة للمغرب الأوسط وفي ظل تقاليد ومنتخات الرعي الأول من ملوك صنهاجة - والشخصية التي تطفئ على الأحداث العسكرية والسياسية وتوجهها خلال هذه الفترة ، هي شخصية حماد بن بلكين بن زيري ، بن مناد * وقد كانت أهم الخصائص المميزة للاتجاه السياسي في المغرب الأوسط في هذه الفترة ، هي العمل لتدعيم الدولة الجديد ، بحيث يصبح الانفصال عن القيروان شاملا ونهائيا * وعلى الرغم من اقدام حماد على خلق طاعة العبيدين وإعلان الدعوة (للعباسيين) فإن مشكلة العلاقات الخارجية لم تطرح نفسها بوضوح في هذه الفترة - وهذا الإجراء نفسه الذي قد يبدو خطوة في طريق اعتماد سياسة خارجية مستقلة ، إنما أوجت به في الحقيقة اعتبارات ابيولوجية تتصل بالدرجة الأولى بالسياسة الداخلية *

اسماعيل العربي
كاتب برابري

وفي غضون الفترة الثانية التي تمتد بين سنتي 441 - 481 هـ (1049 - 1050 م) شهدت دولة بني حماد استكمال نموها السياسي ، كما شهد المغرب الأوسط ازدهارا ثقافيا وعمرانيا لم يعرف له مثيل في تاريخه ؟

وفي هذه الفترة ظهرت القلعة التي خلفت القبريولان على المسرح العلوي ، عقب غزو بني هلال لآفريقية . وقد كان من نتائج هذا الغزو تدفق رؤوس الاموال والخبرات التقنية ، وللكفاءات العلمية مع سيل المهاجرين الى القلعة وغيرها من مدن المغرب الأوسط ، هربا من عبث المرينيين وتجهيم لآفريقية . وهناك اتسعت موارد المملكة المالية وامتد نطاق النشاط العلمي والادبي فيها ، ووجد الخلق والإبداع انفسهم في قصورها ومساجدها الدعامة الضرورية . ولكن هذه ايضا هي الفترة التي ولجبت فيها المملكة مشكلة زحف المرينيين واضطرت الى بناء «عاصمة جديدة» (بجاية) في سنة 437 - 458 هـ (1064 - 1065 م) للاستعاضة بها عن القلعة التي أصبحت مهددة بالاختناق الاقتصادي - وهذه الفترة هي التي تهتم في هذا البحث -

ولما الفترة الثالثة التي تمتد بين 487 - 558 هـ (1093 - 1163 م) ، فقد شهدت تقلص نفوذ بني حماد السياسي تدريجيا ، وأما الحضارة التي انماها معانمها في القلعة ، فستفتح لها بجانبة أبوابها وتحميها من حشود بني هلال المتوحشة بجبالها وتقضيها بعناصر جديدة نشيطة من البربر وغيرهم .

* * *

حيما تولى الحاكم بن عثمان الحكم في الطلمبة ، في سنة 454 هـ (1062 م) ، كان سلفه (وضحيته) «بلكين» بن حماد ، بن حماد ، قد مهد السهل والوعر ويوخ المغرب الأقصى كله وأهل مدينة فاس وصحق قوات زناتة وطرد جيوش يوسف بن تاشفين من مجالساسة ووقع بها في انجاء الصمراء . ولكن انصاع رقعة الامبراطورية للحماية بهذه الصمورة ، انما كان نتيجة لتوسع عسكري بشأن فتوحات كبرى المغرب الأقصى ولم تكن تعينه ادارة منطحة ولا يقوم على عناصر اتنوخرافية منسجمة (1) . ولذلك ، فان حدود بني حماد في الجنوب والجنوب للقبور « سوف لا يستطيع مقاومة ضغط الملتزمين ، على الرغم من ان سياستهم المتوسعة كانت تتجه الى الانكسار ، اكثر مما تتجه الى الشرق » وقد كان هذا من العوامل الاساسية التي قللت من اساليب الاستخدام بين بني حماد والرايطين - ولطامس الآخر المهم ايضا ، هو تقلص نفوذ زناتة الذين دفع بهم للمز بن يانيس في اواخر حياته الى الصمراء في الشرق . وشنت الملتزمون حملهم وتضوا على هويلاهم في المغرب . وبذلك توزعت عناصر هذه القبيلة الخطيرة الشان ولتمجعت في مختلف التيارات السياسية للسائدة في المغرب - بل ان فلول زناتة التي بقي لها شيء من التماسك سجدت في جوار احفاد حماد الصنهاجيين ، أعداء القبيلة التقليدية ، شجبتا من الولاة والاستناس - وقد وجد الناصون بن عثمان في منح بني واحاوا الذين يمتزقون بسلطانه توجعا من

الاستقلال الذاتي (2) ، شعباً مزدوجاً ، من حيث أن هذه الامارة تشكل حاجزاً بين مملكته وبين الرابطين على الحدود الغربية ، من جهة ومن حيث أن الاعتراف بوجود أدنى لاحكام زيرى من عطية ، عامل من شأنه أن يكسر شوكة هذه القبيلة التي طالما كانت مثاراً للفلاح في العرب - وقد انتهى الامر بالناصر انه تزوج إحدى بنات مأخوخ ، زعيم هذه القبيلة ، كما سيقبل ابنه ، المنصور بعده .

وكذلك يمكن القول ، بأن الوضع على الحدود الغربية يتسم بما يسمى في التعبير الحديث بتوازن القوى ، وهو وضع مرض لئلى حماد ، من حيث أنه يؤمن مؤخره مملكتهم ، ويصبح لهم بتوجيه اهتمامهم السياسى كلية لتلبية التطورات الخطيرة التى تجرى على حدودهم الشرقية ، فى افريقية .

ولكن ما هو الوضع فى افريقية ؟

كانت تونس منذ أواخر عهد المعز بن باديس مسرحاً لطاهرة لم يعرف العالم لها مثيلاً منذ انقضاء البرابرة (للقوط والوندال الخ -) على الامبراطورية الرومانية فى الغرب وتقويض دعائمها ، خلال الفترة بين القرن الثالث والقرن السادس الميلادى - وهذه الطاهرة تتمثل فى غزو قرة مسبية من الفايان التى نبذها العالم العربى فى الشرق منذ زمن بعدد وأيسرها الفاطميين الى مصر العليا (المسيد) ، بسبب الخطر الذى كانت تشكله على الأمن العام ، وخصوصاً على طرق الحجاج .

وهذه القوة تتكون من عدد من القبائل (من أمها بنو ملال وبنو سليم) التى أطلقها الخليفة الفاطمى ، صاحب مصر ، بقصد تخريب شمال افريقية والقضاء على معالم الحضارة التى أقامها فيها بنو زيرى ، للانتقام منهم بسبب تحول المنزعة عن دعوة الشيعة وعروته الى متعبد أهل السنة .

فبعد أن تآزم الموقف بين القاهرة والقيروان ، نتيجة لانعجار ثورة شعبية ضد الفاطميين الذين فرضوا عقبيتهم فى افريقية ، أعلن الحسن طاعة العباسيين فى عهد القائم بأمر الله ، وأمر بقطع الخطبة للعباسيين ولهم فى سنة 440 هـ (3) .

ولما أحكم اليازورى (فلاح من أهل الشام استورد المستنصر) خيوط مؤامرة الاستقام ، بث بحشود العربان اغواجا متوالية كامرأب الجواد وسخت تخرب للفن وتصد الزرع وتسيى ونقل السكان حتى وصلت الى حكان يقع على مسيرة ثلاثة أيام من القيروان حيث هزمت جيوش المدن فى معركة كانت نقطة تحول فى تاريخ صنهاجة التى استرخت للتجديم والرافاهية وفتحت روح النضال والحرب .

و بهذه الهزيمة انفتح الطريق أمام العربان لنهب القبروان والنصاء على العمارة المطيعة فيها « في ساعة واحدة » حسب تعبير ابن عذارى^{١٩} واضطر الممن رأى مملكته تتحول الى صحراء « الى الاعتصام بالمهنية في سنة ٤٤٩ هـ » والاحتصاء بأسوارها المنيعة »

* * *

وأما بنو حماد ، فقد استقبلوا الاحداث التي يتخبط فيها بنو عمومهم في افريقية يشعور الارتياح ، وقد استغل ولكن تلك الظروف التي آمن فيها جانبي الممن ليسط سيطرته على المغرب ، كما رأينا على حساب زينة والملشين - بل أن هذا الضعور سيتولوا الى التشفى والتكايبة خصوصا في عهد الناصر بن علناس « فان بنو حماد لم يكتفوا بالوقوف موقف الحياء في هذا الصراع الاسطوري بين قري الظلام الهداية وقوة المضارة التي اقامها اجدادهم ، بل سارعوا الى التحالف مع بعض عناصر العريان « على أمل التعجيل بسقوط الدولة الزيرية في افريقية »

ويعد ما وجد سادة المهنية انفسهم ومية في يد امراء العرب واصطروا الى التحالف مع رياح وزغية (بل والى مصاهرتهم ايضا) طلبا لحياتهم ، تعاقد سادة القلمة مع الاتيخ اعداء زغية ورياح « ورحبوا بهم في مملكتهم وتخلوا لهم من الأرياف لينهبوا فيها ويسطروا كما ضاموا » ولما طردت رياح زغية من افريقية ومسارح هؤلاء الى وضع انفسهم في خدمة القلمة ، استقبلهم بنو حماد بنفس الكرم والمنشاء « بحيث كانوا يرون فيهم حشودا من الجنود المرتقة لتوجيهها « متى شاعوا ، ضد اعدائهم الذين يضمرون شغائن واحقادا متوارثة لهم في افريقية (5) » وهذه القلمة في التقدير سيدفع الناصر ابن علناس ثمنها غاليا ، حيث كان أشبه بمرؤس الثعابين الذي لا يلبث أن يجد عنقه محاطا بالافعى التي يعتقد انها لا تزال في قبضته » وستكون النسخة الاولى لهذه السياسة المخطئة ، هي القلمة التي قطع العريان عنها شرايين الحياة الاقتصادية واضطروا بنو حماد الى التخلي عنها والاستعاضة عنها ببجاية »

ومع ذلك فان من الخطا الاعتقاد بأن معارضة عناصر من الهلاليين كانت نتائجها كلها سلبية لبني حماد في المرحلة الاولى « على العكس ، فان هذه السياسة قد آتت ببعض الثمار وكانت ايجابية من حيث انها سهلت امتداد سلطانهم الى المشرق ، حيث أخذ تغزلهم يملأ تدريجيا بعض الفراغ الذي تركه انحصار سلطان الزيريين ، حتى أصبحت مفاصل وسيطية « بل ترنس نفسها فيما بعد « تدوين بالولاء لبني حماد » ثم ان زحف العريان على المغرب الاوسط ، لم يكن له ذلك الطابع القهائى والمارم الذي شهته افريقية ، لان هجرتهم كانت في المرحلة الاولى محصورة في المناطق الجنوبية الشرقية ، وبالتالي ، لم يكن هناك مبرر للتحوف من اثارها على التل الذي كان على

كل حال ، في وضع يسمح لإنشائه ومنه ومرافقه الاجتماعية ، بأن تستوعب عناصر من العريان لينتسبوا فيها ، كما اندمجت فيها عناصر من سكان حراشر افريقية من الاعيان والعلماء والغنائين الخ ، وباختصار ، فقد كان الناصر بن عيسى يمثل لكبر قوة ، بل القوة الوحيدة في المغرب كله (6) ، وقد كان مما يتفق مع المنطق ومعطيات التحليل المتمم أن يلجأ الى أن يتمكن ، متى تمت له السيطرة على افريقية ، من إخضاع هذا العنصر المضطرب ، كما أخضع زناتة ، بل ومن اقربه وتميمية . ولكن مثل هذا الحساب ، يتجاهل طبيعة الحال ودود فعل الزيريين ويستخف بشكاه رجل مثل تميم بن الحر وحكته السياسية وممارسته الطويلة لـ « شئون العرب » .

ومهما يكن من شيء ، فقد كان من المألوف - أن لم نقل من الطبيعي - آراء تأرجح حيزان القوة بين الملكين بهذا الشكل ، أن يرشى الناصر لحالة ابن عمه ويفكر ، أو يتحدث في مجالسه الخاصة ، سواء اكان جادا أو هازلا ، عن نيته في محاصرة المهدي والقضاء على آخر ملوكة بني زيري فيها .

وموارد صدرت هذه التهديدات فضلا عن الناصر أم لم تصدر عنه (ونحن نشك في أن يكون الناصر جادا في مثل هذه الأقوال ، بسبب مناعة المهدي المشهورة والتي لم يكن من الممكن أخذا إلا من البحر ، ولأن بني حماد لم يكن لديهم اسطول حربي يذكر قبل عهد بهاية) ، فإن ما قاله الناصر في مجالسه بلغ الى تميم بن الحر - ويقول المؤرخون أنه تحقق منه ، بل وتحقق حتى من بعض تفاصيل الفطة التي عزيت الى الناصر بالهجوم على المهدي - وكذلك تحقق ملك المهدي من أن الناصر يهمله ويشتبهه ويحتمه بالضعف ، وأنه قد تحالف مع بعض عناصر زناتة وبني هلال ليعتوه على محاصرة عاصمته ومعلقة الوحيد .

واثر ذلك ، أرسل في طلب بني رباح ، فلما حضروا اليه قال لهم : « انتم تملكون أن المهدي حصن منيع في البحر ولا يقاتل منه في البر الا من أربعة أبراج يحميها أربعة رجال - وأننا جمع الناصر هذه المساكن (لتسير) اليكم وإلى بلادكم » ، فقال أمراء المصرب : « ان الذي يقرله السلطان حق ونحب منه المونة بالعدة » ، فأساطهم السلاح من الرماح والسيوف والحرق ، كما أمر لهم بمشرة الاف دينار ، لكل أمير منهم ألف دينار .

ولما خرجت أمراء العرب من عنده ، جمعوا اقرباءهم وتحالفوا وانلقوا على الناصر - ثم انلقوا شيخين سرا الى بني هلال الذين كانوا مع الناصر (7) يتشاورون عندهم مماعاتهم للناصر ابن عيسى ويخوفونهم منه أن قوي ، وأنه سيهلكهم بمن معه من صنهاجة وزناتة - ونكروهم بخبر جده حماد ابليس وغير من جاء بعده من بنيته . فاذا وطئ بلادنا يستنهاة وزناتة قاسدا تميم بن الحر ، وتميم في حصن منيع بالمهدي ، لا يقدر عليه - وعلمنا بملك بلاد افريقية يشرجننا وإياكم منها » (8) .

وأضاف للبربان نصيحة إلى أخوانهم قائلين إنه لما يستمر لهم المقام والاستيلاء على البلاد « إذا اشد الخلاف بين فرعي منهلجة وضعف سلطانهم » .

وقد فهم مشلتح بنى ملال في المغرب الأوسط هذا الخطأ البسيط الذي فات عبقرية الناصر وابن عمه تميم ، واعتزفوا بوجاهة تحليل أبناء عمرصتهم في افريقية للموقف ، فقالوا : « والله لقد صعدتم ! فإذا التقينا ، فاجعلوا أول حملة تحملونها علينا ، ونحن نتهزم بالناس ثم نرجع عليهم (على الناصر وجيشه) - فإن ملكنا رقابهم ، كان لنا من الغنيمة الثلث ، ولكم الثلثان » - وقال الشخان رضيتم ؟

كان ذلك هو الطرف الأول في المؤامرة ، ولما للطرف الآخر ، فقد تم بين تميم وعناصر زناتة الولائية للناصر بن علناس والتي كان يتزعمها المعز بن عطية بن زيري - وقد أرسل المعز رسالة إلى رجاله شرح لهم نفس الخطة وكلفهم بالقيام بنقض الدور ، فوعده أن ينهزموا في الوقت الملائم حينما يلتحم القتال وتشتد الحركة .

ولما خرج الناصر بن علناس على رأس جيش متجه إلى افريقية في سنة 457 ، كان من بين رجاله للفريقين الذين سافروا في وكيه - المعز بن عطية ، ورئيس زناتة وشيخوخ بنى ملال . وعندما وصلوا إلى سبيبة (9) ، لقيتهم رياح ورشة وسليم (10) ، والتصمت للمعركة : حملت رياح على بنى ملال ، فانهزموا ، كما وقع الاتفاق ، ثم هاجموا جيش الناصر غدرا - وكذلك فعلت زناتة - وكانت هزيمة الناصر منكورة ، بحيث لم يصل الا في شهر من الفرمان ، وتجا بفضل فضل خيه القاسم الذي أخذ الملح منه وتبنيهم للسور معتقدا أنه للناصر ، فقتله - وبذلك ، غذاه بنفسه .

ويروى ابن الأثير والتويرى أن القتلى من منهلجة وزناتة في هذه المعركة بلغ عددهم أربعة وعشرين ألفا (11) -

وقد غنمت للعرب جميع ما كان في معسكر الناصر من مال وسلاح وادوات واقتسموا ذلك بينهم طبقا للخطة الرسومة - ولما الطبول والبرقات والرايات ، فحملوها إلى تميم لتكون حصته للرمزية في اسلاب ابن عمه (12) .

ولكن بقية من عزة النفس ، حملت الأخير على ردما اليهم معتبرا « وفي نفسه ما فيها من الحزن ، لنتيجة هذه المعركة ، التي كان هو الدبر الأول لخطتها » .

كانت نتجة معركة سبيبة وبالا على افريقية والمغرب الأوسط من عدة وجوه - كانت شوا لان أموة بنى زيسوى قد انقسمت على نفسها وامتنزعت قوتها في عراك دموى داخلي لم يكن له سبب سوى الإحقاد والضغائن الشخصية فمرضت بذلك ما بقي من افريقية ، كما عرضت مملكة

القلعة للضربات القاصمة والاخيرة التي سيسدها العربان لحضارة بني زيرى ، في الوقت الذي شجعت فيه النورماندين في سقلية لاعداد الحدة للجهاز على المهديّة -

وكانت نتيجة سببية وبالا على الناصر بن علناس بصفة خاصة ، لانها جرفته من القوة التي ورث جزءا منها عن سلفه ، ولكن ، وبنا هو بنفسه الجزء الآخر بكثير من المشقة والتضحية .
وها هو الآن مضطر لان يسلم مدن الل ، بل والقلعة نفسها ، لعيت العربان ويضع نفسه تحت رحمة غزائهم الخربة -

ومن ذا الذي يستطيع ان يتكهن بمصير ملك الناصر واحفاده ، لو لم تقع معركة سبيعه * من الذي يستطيع ان يحسب حساب النتائج الايجابية التي مسجنتها من استمراره على سياسته البعيدة النظر التي تقوم على مجاملة المهديّة ومهامة العربان وتدعيم القواعد التي تدعج له بالولاء ، مثل تونس وصفاقس ؟

اغلب الظن ان نتيجة تلك ستكون انتشار سلطان الناصر على افريقية والسيطرة على تيارات العربان التي اخذت تعقد كثيرا من شوكتها باتصالها بالمراكز الحضارية من جهة ، وبانتمائها على نفسها ، من جهة اخرى * وبذلك تزداد قوة الناصر ويضمن احفاده اساسا مقاومة فعالة لنفسه الموحدين من الغرب والهجمات النورماندين من الشمال -

رايا ما كان الامر ، فقد اتجه الناصر بعد معركة سبيية التي بقرو فيها مصير افريقية والمغرب الاوسط ، الى قسنطينة ثم الى القلعة التي ضويت عليها قبيلة بني رياح التي كانت تلاحقه حصارا محكما ، ثم اخذوا يخربون يوايديها ، واستولوا على طينة والمسيلة ، فهد موهما ، وعطفوا على غيرهما من المنازل والقرى والاشباع والمين * فتركوها قاعا صفيفا اضر من بلاد الجن واورش من جوف العير ، وغرورا الياء واحتطبوا الشجر وظهروا في الارض الفساد * (12)

وبعد ما استقر القبار في سبيية ، واخذ كل من الطريقين يراجع قراراته ويحاسب نفسه على اخطائه ، ظهرت يوانر نبل على جنوب كل منهما الى المهامة والمسالمة * وبهما بلغ الناصر حزن ابن عمه واسمه لانتشار الحرب ، كلف وزيره ايا بكر باستعداد علاقته للشخصية ببلاط المهديّة بقصد اعداد جر ملائم لاستئناف العلاقات الدبلوماسية ولاهراء مفارشات الصلح مع تميم لمن لمر * فارسل ابو بكر بن الفتوح من عنده رسولا الى تميم يعتر ويترغب في اصلاح ذات البين * وكما نتوقع ، فقد وجد هذا الصعي سدى في نفس صاحب المهديّة ، واستشار اصحابه في اختيار سفير يمثلته ، فانفقوا على ان محمد بن ابيعبي الذي كان يتمتع بحظوة كبيرة لدى تميم ، هو اصلح من يقوم لهذه المهمة (13) *

وكنذك وجه تميم بن اليعجب الى بلاط القلعة مزوداً بتعليمات منه لاستعادة الملاقات مسح ابن عمه الى مجراها العادى *

ولما وصل ابن اليعجب الى قرية صيادى المملك الصغيرة (بجاية) تأمل موقعها وأدرك على الفور الامنية التى يكتسبها وفكر فى انه يصلح لاقامة مدينة ومرسى ودار لصناعة السفن *

ومضى ابن اليعجب حتى وصل الى القلعة وأدخل على الناصر الذى كان معه وزيره ابو بكر ، فسلمه رسالة تميم ثم قال له : لى وصية اليك وأحب ان تخلى المجلس (وكان يعبرف ميول ابنى القترح نحو تميم) - فقال له الناصر : اتا لا اخفى على وزيرى شيئاً - فقال ابن اليعجب : بهذا امرنى الامير فقام الوزير وانصرف - ولما خرج ، قال سفير المهدية للناصر : ان وزير مخامر عليك مع تميم وهو لا يخفى عنه من امورك شيئاً * وتميم مشغول مع عبيده النصارى وقد طرح سنهاجة وتلكاتة وجميع القبائل * فوالله لى وصلت بعسكر الى المهدية لما بت الا فيها * ولنا اظير عليك بما تملك به المهدية وغيرها من بلاد افريقية * ثم اشار عليه ببناء بجاية واتخاذها عاصمة لملكه * ومضى ، فعرض عليه ان ينتقل اليه باهله ويدير دولته (٢٤) *

وعلى الرغم من ان الاتجاه الذى يتضح منه بن اليعجب والذى لم تكن خطورته لتخفى على الناصر ، يتناقض مع مهمته الاساسية ومع نيات العاهلين الصنهاجيين فى احوال الوثام محل الخصام ، فقد اصرى اليه الملك الصنادى ، واصططب معه سفير المهدية الى موقع بجاية ، حيث رسم له ابن اليعجب موقع المعينة والميناء ومكان القصر ، وغير ذلك من المرافق ، وسر الناصر بهذه البادرة وشكر صاحبها وامر بالبدء فوراً فى بناء المدينة *

ولكن اختيار الشروع فى بناء عاصمة جديدة لبني حماد وقت وجود سفيره فى بلاط الناصر ، اثار شكوكه تميم فى نيات الناصر الذى يتهمه يانه يريد منافسة المهدية واسطولها ، وفى رسوله الذى يترجس ان يكون له ضلع فى القضية * ولكن الرسول انكر لما سئل لدى عودته الى المهدية ، ان يكون له علم بهذه التطورات - وتطبيقاً لمخطته ، كتب ابن اليعجب الى الناصر يعلق تميم لبناء بجاية وبمضمون الحديث الذى جرى بينه وبين الامير بهذا الشأن *

وبعد ما قرأ الناصر رسالة ابن اليعجب ، أوقف عليها وزيره ابا بكر الذى أظهر استسمانه لسلوك ابن اليعجب واثنى عليه ، ولكنه مع ذلك مضى الى داره وكتب تصفيطيق الاصل من كتاب الرسول وحفظها ، ثم بحث بنصر رسالة ابن اليعجب ، وهى بخطه ، الى تميم ومعها رسالة منه يشرح له فيها تطور الامور من البداية الى النهاية.

بيعة الناصر بن علناس

ولما وصل كتاب أبي بكر إلى تميم ، وجد فيه ما يلقي خوفاً شديداً على نشاط سفيره ، فوضع منزله تحت حراسة مشددة .

وإذاً يوم استدعاء لاستجوابه في الأمر بمحض بعض استفتاء السفير ، ومن بينهم الشريف الفهرى - ولما وصل ابن البيع إلى باب القصر ، لقيه رجل يحمل إليه كتاباً من الناصر بأمره فيه بالحضور عنده - وبينما كان يأخذ الكتاب ، خرج تميم بن المعز - ولما رآه ابن البيع اضطرب وسقط الكتاب من يده ، وإذا بعنوانه : من الناصر بن علناس إلى خليفه فلان .

قال تميم : من أين هذه الكتب ؟ ولكن الرسول أقرم الصمت ، فأخذها تميم وقراها . وقال له ابن البيع الغفري مولانا ! فقال تميم : لا عفا الله عنك - وأمر به قتل وأغرقت جثته .

وأش هذه الحوادث ، كان من الطبيعي أن تأخذ العلاقات بين القلعة والمدينة اتجاهاً غير الاتجاه الذي خطط لها - وبدلاً من الوثام والسلح ، عاد الطرفان إلى سابق عهدهما وصابت بينهما من جديد روح المنافسة والتشكك وأخذ كل منهما في إعداد العدة للهجوم أو للدفاع - وكذلك اعتماد تميم على حكمة تونس والقيروان وطرد منها ولاية الناصر - ابن خراسان وابن ميمون على التوالي ، في سنة 458 .

وبعد ذلك يستتب ، وكانت آثار سبيبة على قوة الناصر قد زالت الآن جزئياً ، كر الناصر بن علناس على الأبرس واستعابها ، ثم أسفول من جديد على مدينة القيروان .

ولكنه في السنة التالية ، عاد الملك الصامدي إلى القلعة خوفاً من جموع العرب الذين اشتدت شوكتهم ، كما يقول ابن حذاري (25) .

وهكذا استمرت العلاقات بين بيلاطي صنهاجة تتأرجح بين المد والجزر سنوات أخرى ، حتى حلت سنة 467 ، حينما وقعت معركة نموية بين رياح وزغبة ، انتهت بانتصار بني رياح على بناء عمر منهم وطردهم من إفريقيا إلى المغرب الأوسط - حينئذ وجد تميم نفسه محروماً حتى من المساعدة الملية التي كان يلقاها من تطلحن العريان أنفزة - وأصبح الآن وجهاً لوجه أمام قبيلة بني رياح اللتندية بانتصاراتها .

ومن جهته ، وجد الناصر نفسه أمام تضخم ميل هؤلاء الضيوف غير المرغوب فيهم بمقدم زغبة التي سرعان ما أصبحت سهول برنة موبوءة بهم ، بينما كان بنو عمويتهم ، مغل ، يترغلون تدريجياً من أطراف الصحراء الجنوبية الشرقية في اتجاه تطرى .

وكذلك وجد تميم بن المعز والناصر بن علناس في نهاية الأمر ، وبعد مضي ست عشرة سنة من تسلل كل منهما مقاليد الحكم في دولته ، أن الوقت قد حان لدفع خصومة شقي أمرة بني زيري

ومناقصتهما التي كانت مصدر خبط لكنتا المولتين وعجز عن مقاومة العريان الذين يقربون المولتين بينهما *

وفي سنة 470 - توصل الفريقان إلى اتفاق لا تعرف مضمونه ولكنه أعاد العلاقات بين اللكين إلى مجراها الطبيعي - وقد تمزج هذا الاتفاق ، بتوزيع تميم الناصر بإبنته بلاره التي زفها ومعهما هدية قيمتها 30,000 دينار من الذهب ، وفي رفقتها قوة عسكرية شريفة وعدد كبير من المصيلحات النافذة *

وقد أبى الناصر بن طئاس ، من جانيه ، ألا يكون أهل أسرافا وينضا من ابن عمه ، فيحت إليه بمبلغ 30,000 ألف دينار (صدقا) *

ولكن تميم لتقصير على تناول دينار ومضى واحد وأعاد الباقي إلى الناصر * وقد خجع هذا الزواج نجاحا نادر المثال ، ويبلغ من حب الناصر لبيلاره أنه بنى لها قصرا في الطلعة وقصرا آخر في بجاية وسما كلا القصرين باسم هذه الأميرة الساحرة * وقد ولدت لبيلاره للناصر عدة أولاد ، وفي مقدمتهم المنصور الذي سيقرب على عرش بجاية بعد أبيه *

مراجع للمبحث :

- لين الأخير ، للكمال في التاريخ ، تحقيق ونشر G. J. Torosberg ، لين ، 1891 (14 جزءا) *
- ابن خلدون (عبد الرحمن) كتاب للعبر ، طبع يولاق 1807 (7 أجزاء) *
- ابن الخطيب (لسان الدين) ، أعمال الاعلام ، طبع الدار البيضاء ، 1964 *
- ابن حوقل ، المسالك والممالك - تحقيق ونشر : T. III De Goese (B. G. A.) لين ، 1896 *
- ابن عثري - البيان للغرب في أخبار المغرب ، طبع بيروت ، 1950 *
- الاستبصار في عجائب الأمصار ، مؤلف مغربي مجهول ، نشر زعلول عبد الحميد ، الاسكندرية ، 1958 *
- أبو عبيد البكري - كتاب الغرب في فكر بلاد إفريقية والمغرب ، تحقيق : De Slane ، الجامعة الثانية باريس 1965 *
- النويري ، نص مقتبس من نهاية الأرب ، نشره وحققه مع ترجمة إسبانية : D. José Díaz - Martín de Cabrera Revista del Centro de Estudios Hispánicos de Granada y su Reino, 1971, Tomo VII.
- الرطول (محمد بن إبراهيم بن يحيى) مناهج الفكر ومناهج العبر (مخطوط محفوظ في مكتبة لفسفرد) تمت وقم 957 *
- ياقوت الحموي - معجم البلدان ، تحقيق Wuchefeld لينزيج ، 1866 *

مواضع :

- 1) قارن أعمال الاعلام ، ص 88 ، والجز 6 / 372 - 373 .
- 2) كان بنو ولدانو من أشد بطون زنطة شوكة ، وكانوا يحتلون الاراضي التي تمتد بين اسفل الشلف حتى قرب وهران - ولجج بشأن هذه المسامرة ، العير ، 6 / 374 .
- 3) اختلف المؤرخون اختلافا كبيرا بشأن تحديد تاريخ حلع المر طاعة الفاطميين - فقد ذكر ابن الاثير وابن خلكان ان الطائفة وقعت في سنة 437 هـ ، بينما يحدد ابن خلدون تاريخ هذا الحادث في سنة 437 - واما صاحب النجوم الزاهرة ، فيذكر القطيعة موث بتحديد تاريخ وقوعها - ولكن رواية ابن عثاري (2 / 397 و 399 و 343) تلقى بعض الضوء على مشروكة القضية - فقد اعلن لاسر ، حسب رواية هذا المؤلف ، طاعة العباسيين في سنة 433 (وفي رواية التويري سنة 435) ولكنه لم يلمر بقطع الخطة للعباسيين ولعنهم على التناثر ، الا في سنة 440 - وبعبارة اخرى ، فقد ظل الموقف دائما غامضا حتى سبغ ستولت موث ان يسفر رد عمل عن الفاطميين ضد هذا الفحول ، إذ كانوا يرون ، بدون شك ، في احتفاظ الزييريين باعلامهم واستمرار الدعوة لهم على التناثر وضما بحفظ الظاهر ، على الاقل - ولكن مرار المر ياحرق بنودهم ولعنهم في خطبة الجمعة ويقيمون عملهم بالقيطار المسما «التجزى» ، كان موقفا لارجحه منه ولذلك قرر سادة القاهرة ان الوقت قد حان لتسديد لضربة القاصمة .
- 4) البيان 2 / 321 - راجع في الصفحة التالية من نفس المصدر بشأن بعض اعمال الوحشية التي كان يرتكبها المرطان - نقلا عن شاهد عيان .
- 5) قارن الكامل ، 20 / 30 والتويري ، ص 393 .
- 6) يصرحنا ان تذكر في هذا السياق ان امير المؤمنين يوسف بن تاشفين الفتح سجل محصل الناصر بن عثمان في زعامة المغرب ، لم يبلغ بالملك ، الا في سنة 566 هـ - اثر وفاة أبي بكر بن عمر بالمسحورام .
- 7) هي تلج ويتوعدى - ولما القبائل المتحالفة لتبديد ، فقد كانت رياح وزغية وسلمي .
- 8) راجع التويري ، ص 396 قارن الكامل ، 20 / 31 .

(9) في الكامل ، غلطا : سبته * وسببيه ، من أعمال القيروان ، مدينة قيمة اشتهرت بكثرة المياه والينابيع وبجودة الزعفران في ارضها * ولكنها اشتهرت خصوصا بزراعة الكتان * وهي غير سببية التي ذكرها ذو الرمة في قوله

نظرت بعباءة السببية نظرة ضحى وسواد العين في الماء غامس

والى سببية القيروان ، ينتمي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم السببي الفقيه والخطيب (قارن الكامل 31 / 10 ، والبكري ، ص 146 ، وابن حوقل ، ص 58 ، ومعجم البلدان ، 3 / 186 وانظر الاقتباس الذي أورده FAGNAN من مناهج الفكر للوطواط ، في EXTRAITS INEDITS

(10) قارن الكامل 31 / 10 ، والنويري ، ص 237 ، والبيان ، 1 / 429 ، والعبر ، 6 / 173 .

(11) وقع مؤلف كتاب الاستبصار في اضطراب كبير في روايته لمعركة سببية ، إذ يقول : ان صاحب القلعة ، المنصور (كنا) بن حماد كان أشد شوكة من صاحب القيروان وأكثر جيشاً ، فخرج لنصرة ابن عمه وجيش جيشاً كبيراً فلقبته العرب بعبس سببية ، فكان يوما عظيما حتى هزم المنصور وقتل أخوه وأكثر صنهاته * الاستبصار ، ص 189 .

(12) العبر ، 6 / 219 - 220 .

(13) قارن النويري ، ص 339 والكامل ، 1 / 31 ، والعبر ، 6 / 173 .

(14) تعتبر رواية ابن الأثير عن سفارة ابن أبي عمير وأفي وأدق من غيرها (راجع تفاصيلها في الكامل ، 10 / 32 - 33) * وهي تنفق في حطوطها الرئيسية مع رواية يافرت الصموي (راجع معجم البلدان ، 1 / 495) * ومع رواية النويري (ص 338 - 339) .

(15) البيان ، 1 / 339 .

لمحة عن زحف علي بن غانية الميورقي على بجاية

580 هـ - 1184 م

انطلق ملك دولة المرابطين من اعماق الصحراء الكبرى ، وهم من قبيلة « لتونة » المتفرعة عن القبيلة العنيدة (صنهاجة) التي كان منها ملوك دولة بني زيري التي خلفت الدولة الفاطمية بالقيروان والمهنية ، ونقصت القطر الجزائري والاتلمسي بشجعائها البواسل وابطالها الجاهدين هم ملوك القلعة وبجاية وقرنطة ومالقة من بني حماد ، وكانت الرئاسة في عصر المرابطين (462 = 541 هـ / 1070 - 1147 م) لقبيلة لتونة الكبرى قبائل الملثمين بالصحراء الكبرى ، ولهذا يسمى بعض المؤرخين دولة المرابطين بالملثمين *

عبد الرحمن الجليل

مؤرخ جزائري

وهم كما قال ابن حوقل : اهل باس ومفخرة مطفرون على الفروسية سريعون الى اختراط السيوف وخوش غمار الحرب *** وفيهم من الجلد والقوة ما ليس بغيرهم ، وفيهم البسالة والجرأة والفروسية على الإبل ، ولم ير لصنهاجة منذ كانت من وجوههم غير صيوتهم ، وذلك انهم يلتمون وهم اطفال وينشأون على ذلك ، ومن اجل ذلك يسميهم كثير من المؤرخين بالملثمين ، أما تسميتهم بالمرابطين فذلك ان شيخهم عبد الله بن ياسين سماهم بذلك ليكونوا مؤمنين مجاهدين مستعدين للحرب والجهاد في كل وقت إشارة لقوله تعالى : « يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا وابطوا وانتوا الله لعلكم تفلحون » *

انتشر ملك هذه الدولة من المحيط الاطلسي يلقى الترحيب الى حدود مدينة الجزائر ، بل والى مدينة بجاية شرقا والى حدود بلاد النيجر جنوبا ، ثم مد عامل هذه الدولة الأكبر مؤسس مدينة مراكش يوسف بن تاشفين (430 - 500 هـ / 1039 - 1105 م) يصدره الى ما وراء هذا البحر الابيض المتوسط فاستولى على البلاد الافريقية أمام ملكوك الطوائف وكانت حينئذ تلك المنطقة الشهيرة موقعة (الزلاقة) الثالثة المصيت (479 هـ / 1086 م) انتمصر فيها ابن تاشفين ذلك الانتصار العظيم الذي كان ميبيا في تكوين امبراطورية المرابطين التي شملت مراكز الحصار بالمغرب والاندلس *

وكان علي بن يحيى السهمي - نسبة الى مسوفة - وهي قبيلة من قبائل اللثمين يصحواه فتوة ، مقربا لدى امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، فتزوج امسوات من حضايا القصر تدعى (غانية) اشجيت له ولتين هما محمد ويحيى وكلاهما فتى وتربى في بلاد المرابطين ، وكان يحيى اول من ولي الاندلس من بني عثية من طرف المرابطين ، هنأى لولا مدينة بلنسية في شرق الاندلس ثم قرطبة في غربه ، وولى اخاه محمدا على بعض اعماليه ، وخاض يحيى معارك مع الاقرع (530 - 536 هـ / 1136 - 1143 م) فحر فيها جيش الاتفوش ملك ارجسون (538 هـ / 1133 م) واسلم الله على يديه - كما يقول المراكشي - كثيرا من جزيرة الاندلس ووقع به عن المسلمين خير مرة مكاره قد كانت مزلت لهم ، وظل على ولائه المرابطين امام ظهور الموحدين (542 - 668 هـ / 1139 - 1269 م) ثم بعد وفاته (543 هـ / 1148 م) انصرف لشقوه محمد بن يحيى من امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين الى ولاية جربة (ميورقة) احدى الجزر الشرقية المعروفة في كتب الجغرافيا باسم (جزائر البلبار) *

وقد بذلت تحت حكم المرابطين منذ سنة 579 هـ / 1185 م غزوا بها محمد بن علي بن يحيى السهمي واحد معه اهل بيته واولاده وحشمه ، ثم استولى على الجزيرتين حولها (سورقوايس) وانشأ بها امارة مستقلة وجعل الدعاء فيها لبني العباس كما كان يفعل المرابطون ولشهرته تقيمه (مافورفي) ، ومن ذلك التاريخ وبني غانية يتوارثون امارة الجزائر الشرقية (البلبار) الى آخر القرن السادس الهجري (12 م) حين قضى عليهم الموحدون *

وكان الموحدين لما تم لهم الاستيلاء على هذا الشمال الافريقي واحتلوا معه الاندلس تركوا جزائر البلبار لبني غانية - خلفاء خصومهم المرابطين - فغاية انهم كانوا يريدون ان يسيطروا منهم انصارا لهم في عرض هذا البحر الابيض المتوسط ، فكانوا ينتظرون منهم ان يدخلوا في طاعتهم من دون قتال ، ولكن الامر كان يعكس ذلك ، فان بني غانية ثبتوا على مبادئهم وحلفوا على ولائهم وعائلتهم المرابطين ، وظلوا يترصدون الفرصة لاعادة مجد المرابطين *

ولما توفي محمد الميورقي (546 هـ / 1151 م) تولى بعده ولده اسحاق اماره الجزائر الشرقية - البايار - وجرى فيها على طريقة الملوك ، فانشأ جيشا واسطولا لغزو الروم ونجح قزاقهم ، وكانت له في كل سنة رحلتان الى ميارهم يخدم ويسبى ويعود ظافرا ، ويبلغ في مجاملة الموحدين بنى عبد المؤمن فكان يهابهم ببعض ما يقنع ليشغلهم عنه ، فكانوا يقولون منه ذلك ولكنهم كانوا لا يفترون عن دعوته الى الدخول في طاعتهم والدعاء لهم على المناير ، وقارة ذراهم يتوسعونه على ترك ذلك ، فكان يدهم ولا يفعل الى ان استشهد في بلاد الروم سنة 579 هـ / 1183 م ، وتولى بعده ابنه محمد فبث بطاعته اخليفة الموحدين يوسف بن عبد المؤمن فقبل منه ذلك ويحث اليه قائده علي بن الروبرتر ليختبر امره ويتأكد من بيعته ، وكان احمد هذا عدة اخوة يساهمونه في الرئاسة فلما انتهى اليهم خبر البليعة وعلما بالامر الذي قدم من اجله قائد الخليفة تنكسروا عن اخيهم لانه لم يكن املهم او اخبرهم بمكاتبة خليفة الموحدين يوسف بن عبد المؤمن فوصلوا على القائم القبض على اخيهم محمد ومعه قائد الموحدين علي بن الروبرتر ، وقدموا لمرثامة جزائر البايار اخاهم علي بن اسحاق وهو صاحب هذا الزحف على بجاية - بل وعلى المغرب العربي كله - كما سنوجزه في هذه الصفحات من مجلة الاسالة الغراء ، وفي ذلك نجد الغبريتي يقول :

« وكان اسحاق ابن غانية بجزيرة مبرقة وهو بقية الممتنعين فوجه له من مراكش من قبل خليفته من يطلبه بالبليعة والدخول تحت الطاعة فاستمع من ذلك ، وكان بين يديه ولده علي رعيي ، فقال للرسول : اننا لا اراهم ولا يرونني وهم يعصى الموحدين - ولكن قل للموحدين يهينون مسأ ينفقون على راس هذين ، وأشار الى راس ولديه ، فافصل الرسول عنه وتجهن الولدان بعد كبرهما في طرائد فيها يحضى الفرسان وصلا الى شاطئ بجاية يحمل بيع السبي منها - اى بحومة الخبيخ من جهة ريشية - وكانت البلدة شاغرة من الجيش ، فتلقاهم الناس على عاتق تلقيهم لاجل السبي ، فزالت الخيل معدة ، ولما وصلت له مستعدة ، والناس ما حدهم من شائهم خبر - فطلموا على جبل الخليفة وسخطوا من « باب اللز » الى قصبة البلد وتملكوا البلد ، ولم يكن فوق باب اللز مسود في ذلك الزمان وطالبوا الناس بالبليعة فيأبىهم »

ثم ان الموحدين تجهزوا برا وبحرا من غورهم ليستأصلوا من البعثة شافة اهرمهم ، فانفصل على بن غانية عن الحال وتبع الموحدين الناس بما ظهر منهم من مقال او قتال ٠٠٠ »

وكان الذي جرى على بن غانية هذا على هذا الزحف الذي اشار اليه الغبريتي وتكلم عنه المؤرخون مثل المراكشي عبد الواحد وابن خلدون وابن الاثير هو ما كان يتوقعه عندما سقط خليفة الموحدين ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن في وقعة (شترتين) غربي جزيرة الاندلس متأثرا بجراحه فمات (580 هـ / 1184 م) واتخذ الموحدون حينئذ في اخذ البليعة لانه يعقوب ، فتوقع فيمن

كان معه فشوب الخلافة بين أبناء عبد المؤمن لكثرتهم ، ولعلبه تصور أيضا انه قد يوجد في المساعدة وهم قبيل المهدى بن تومت من يدعو الى نفسه ؟ وذلك بالإضافة الى ما كانت تطلو عليه أحناء صدر الميورقي من حب الانتقام من هؤلاء الذين قصفوا على سولتهم دولة المرابطين ممن اترتة التي هي قبيلته وفيها اقاربه ، ولكنه رأى انه لا قبل له بالمقاومة بأرض الأندلس لضيق المجال هناك وعدم وجود العدة والحد فاختار الانتقال الى المغرب لعله يجد به من الاشراب والبربر الموالين للمرابطين والناقمين على الموحدين من يساعده على الانتصار على أعدائه ، ولربما انه لاحظ كذلك جانب العقيدة فيما جاء به الموحدين من عقائد الشيعة فيما يتعلق بنظرية الامام المهدى والمهدوية ومباحث الاشاعرة فيما يتعلق بأصول الدين مما يخالف ما كان عليه اهل المغرب من بساطة العقيدة على عهد المرابطين ، ولا سيما انه وجد الى ذلك ببجاية يومئذ من أعجابه من نصاة الى تملكها والاستيلاء عليها ، وقد وقعت بيد الموحدين منذ سنة 546 هـ / 1152 م ، ككل ذلك نراء سالحا لأن يكون سبيبا مباشرا وعاملا مشجعا للميورقي على هذا الزحف والمخاطرة بنفسه وبأتباعه في قدومه الى المغرب .

وقعلا نشط الميورقي للعمل على تقويض مملكة الموحدين بالأندلس والمغرب ثم أجمع اصهر واعتزم على شن غارته على المغرب أولا فظلم اسطولا يحتوي على 32 قطعة حربية وعدها ابن الأثير عشرين ؟ وحلها بجيش يبلغ عدده 4000 مشاة ، و 300 فارس ، وفي الكمال لابن الأثير قال نحو مائتي فارس ؟ وما كاد يحل يوم الاثنين لمست خلون من شعبان سنة 580 هـ / 1184 م حتى كانت جيوش ابن غانية بساحل بجاية ، وأخذت تنزل بنا حية المنهج في مكان بيع السبي من المدينة ، فقاتله بعض أهلها فتغيب الميورقي عليهم واحتل جبل الخليفة وشملت جيوشه المدينة من (باب اللوز) ولم يكن إذ ذلك مصورا ، وبما أن والي المدينة أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن كان متنبها في جيشه من المدينة ذاهبا في طريقه نحو المغرب الأقصى متفلا لثمان المدينة حيث تركها وهن الطوارق ، فانتهزها الميورقي فرصة وتقدم الى القصبة فاحتلها من غير قتال وركز علمه الأسود بها - وهو شعار العباسيين - ثم يعم المسجد الجامع والناس في صلاة الجمعة فاحاسهم بجنوده ، وما راح اهل بجاية الا ونطاق الحصار مضروب عليهم من كل جانب ، فارعوا عنقذ على مبايعة ابن غانية للميورقي باسم الخلافة للعباسية فكان من بايعه خلي سبيله ومن توقف من بيحه ضرب عنقه وكان فيمن امتنع عن البيعة قاضي بجاية العلامة الامسسام ايسو علي حسي السبيلي فأكرموه عليها ، فقال لا نبايع من لا نعرف هل هو رجس أو امرأة معرضا بزي الميورقي الذي كان عاثرا على عادة اسلافه الملتزمين من استعمال اللثام بحيث لا يبدون وجوههم لاهد وحينئذ كشف الميورقي منوجهه قال صاحب العنوان : وهذا هو منتهى ما بلغ توقفه ، وهو أمر كبير عند مطالبته بالبيعة لولا علو منصب الفقيه أبي علي رضى الله عنه

ما ساعده ، وتلقب الميورقي بأمرير المسلمين وهو لقب المرابطين وقد زالت دولتهم ، ووالفه على ذلك بقايا دولة بني حماد المنقرضين عن دعوة الموحدين وتأسست يومئذ إمارة إفريقية مستقلة .
ولقد كانت هذه المياغنة الحربية فيما يستقبل سبيا في غلّسق الناس لايسواب المدينة عند انقطاعهم لتأدية صلاة الجمعة في المساجد ويقيم فيهم سنة متعبة .

وصانف يومئذ أن كان وإلى القلعة موجودا بمتيجة فلما بلغه الخبر أسرع لمظاهرة وإلى بجاية وكانت هناك حرب وقتال شاركت فيه لحو الالف من سكان قبائل تلك الجهات واهرابها المنضمة الى ابن غانية فانتصر فيها على الموحدين وأخذت جفنده في الانتظار على مدن المغرب الأوسط فاحتلوا مدينة الجزائر ومليانة وثولاس مازونة وتلمسان وهران والقلعة النمامدية كما توجهوا الى ولاية قسنطينة فاحتلوا ما عدا مدينة قسنطينة فأنهم لم يقروا على فتحها .

وكان فيمن استعان بهم ابن غانية في حملته هذه وتماديه على الغزو واستمراره في توسيع اثر الموحدين بهاء الدين قراقوش القرقي الذي كان متوليا على طرابلس الغرب وهو أحد موالى السلطان صلاح الدين الأيوبي فاستعان به ثم انقلب عليه وأخذ منه طرابلس نفسها واستولى على بلاد الجريد وصفاس والقيروان والهدية وجزء من ولاية قسنطينة -

ثم وقع زعم خليفة الموحدين يعقوب المنصور على المغرب الأوسط فجاهد في عشرين الف فارس يسايده أسطول البحر الذي كان يقل معه عندا عظيما من الجند وكانت هناك معارك طاحنة ووقائع دامية انتصر فيها المنصور وفر علي بن غانية إلى الصحراء فلم يدر مكانه حتى وجد ميتا ضخمة عجزوا أعرابية كانت تسكن بنواحي تونز من بلاد الجريد التونسية (589 هـ / 1189 م) .

ثم بعد زهاب علي بن غانية ظهر في الميدان أخوه يحيى (597 هـ / 1200 م) بمظهر القوة والباس ، وشايحه في ثورته هذه طوائف من أعراب بني هلال وسليم ، إذ كانوا يرون فيه أنه من بيت ملك ورائسة صابغة فانتقدوا إليه ، فزحف بهم على الغار الجزائري مرة أخرى ، وقتلوه هذه المرة أبو الحسن وإلى بجاية وكان اللقاء بينهما بنواحي قسنطينة انهزم فيها جيش الموحدين ، ثم تقم يحيى إلى أرجاء الصحراء فاحتل مدينة بسكرة وتغل بأهلها وسجن عاملها أبا الحسن بن أبي يحيى ، واستولى على تيمنة وبونة - عنابة - وقصبة ويبلغ إلى تونس فاحتلها بعد أربعة أشهر من حصارها ثم عاد إلى قسنطينة فاجلده عنها الموحدين فارتحل إلى بجاية (599 هـ / 1202 م) وبسط عليها نفوذه نحو سنتين ، ويومئذ أخذ الموحدين في شس خرائطهم على جزائر الباليار فاجتروا وقتلوا صاحبها عبد الله بن أسحاق بن غانية وقضوا بذلك على ملك بني غانية بتلك الجزر . واستمر الكفاح بأرض الجزائر خمسد الثلاثين المايوريين حتى استرد الموحدون مدينة

بجاية من يحيى فنزل بها الخليفة الناصر الموحدي سنة 601 هـ / 1204 م والحقها بولاية تونس ونصب على هذه الولاية أبا محمد عبد الوليد بن أبي حفص جد الأسرة الحفصية المتملكة بعد ذلك بتونس *

وحينئذ احتفى يحيى بن غانية رؤسا استعاد بعض قوته فاعترض الخليفة الناصر بسهل شلف وهو في طريقه إلى المغرب الأقصى فكانت بينهما مقتلة عصفية (604 هـ / 1207 م) بتلك النواحي انهزم فيها يحيى شر هزيمة وقتر بعدها ذكر ابن غانية ربعا من الزمن ثم ظهر امره بنواحي تيجرت حيث نزل بها واحتلها وقضى على حامية الموحدين بها وقتل حاملها يومئذ أبا صر ابن موسى بن محمد حفيد عبد المؤمن (606 هـ / 1209 م) فكان ذلك آخر العهد بمران تيجرت القديمة *

ثم تصدى بعدها عامل افريقية الحفصي لقتال ابن غانية فقضى على شركته (608 هـ / 1211 م) وبقي في اثره حتى أدركه بأرض الزاب الجزائري فأجلاه عنه (602 هـ / 1225 م) فخرج يحيى في قلوبه متوجها نحو مدينة الجزائر فلقبه بمتيجة متدلي من عبد الرحمن المغراوي وكان في اخضاع اهالي لدية وواشريس فاقطل هناك الجيمان وقتل منديل فحملت جثته إلى الجزائر ونصبها يحيى للمايورقي على باب المدينة وبقي يحيى يعمل على اثباته الفتن بأرض الجزائر ودخل بجاية ولس مرة أخرى واخذ يتقلب في الملاد هنا وهناك إلى أن تجرد لقتاله أبو زكرياء الحفصي فأصلت عليه السيف ولاحقه حيث ما حل وارتحل فقتله ابن غانية في لطار المغرب الأوسط ودخل مدينة واركلة وتصرب منها إلى أرض الزاب واستمر على تشريده إلى أن أدركه حمامة يرادى شلف وقيل بأرض الزاب سنة 631 هـ / 1233 م وقيل بعد ذلك بسنتين ؟ ... وبموته كان انقراض ملك لثونة من الوجود وذهب ذكر بني غانية في الداهيين *

والخلاصة أن النصر في هذه الحرب كاد أن يكون في جانب بني غانية لولا أن الموحدين كانوا قد حكموا خطط حريهم ضد هؤلاء المايورقيين وعرفوا كيف يسوسون رعاياهم بالصمت حتى تمكنوا من ناصرة القبائل المنقطة عنهم وعادت أعقاب الثورة كلها بالموالي والفسدان على مثيريها من بني غانية بل لم يكن فيها لاحد من الطرفين أي مصلحة فكثر فيها القتل وانتشر فيها الفساد والنهب والحقت بالناس أضرارا كثيرة فقطعت الأشجار وهككت الأعراض وخربت الحصون والمدن والقرى ، وفيها كان خراب تيجرت ، ومتيجة ونواحي شلف والقلعة وحمة ومرسى البجاج وأرشقول بسيف هذا البحر وغيرها من المدن الجزائرية وأتوتسية ... وصمت الثورة كامل أرض المغرب الإسلامي مما فيه من البلاد الطرابلسية الليبية ، ولكنها كانت كلها أولا وبالذات وبالأعلى صاحبها ياضمحلال أمارة بني غانية بجزر البلياز * ثم أنها آلت بالهلاك على أهل المغرب قاطبة فيما أصيبوا به في أمثالهم وانتقمهم من العيث والعماد وعلى دولة الموحدين نفسها فانها خسرت

وحدثتها السياسية باضمحلال سلطتها الزمنية في كلا القطرين : الجزائري والتونسي ، فالاول كان من حظ الزيافيين (633 - 962 هـ / 1235 - 1554 م) والثاني كان من حظ الحفصيين (627 - 943 هـ / 1229 - 1536 م) ثم اخذ شأن الموحدين يتدهور منذ واقعة العذاب الشهيرة بالاتلس (609 هـ / 1212 م) وهكذا الى ان سقطت دولتهم بيد المرينيين سنة 668 هـ / 1269 م * وذلك الايام فداولها بين الناس وليعلم ابله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين * .

مصادر البحث :

- المعجب لعبد الواحد المراكشي طبع ليسبن 1881 م
تاريخ ابن خلدون ج 6 طبع ببولاق 1284 هـ
عنون الدراية لاحمد الغبريني طبع الجزائر 1910 م
المسالك لابن حوقل - المكتبة الجغرافية - طبع ليدن 1938 م
الكامل لابن الاثير ج 11 - 12 طبع بيروت 1966 م
وقيات الاعيان لابن خلكان ج 2 طبع بولاق 1299 هـ
الامتصاص لاحمد الناصري ج 2 طبع الدار البيضاء 1954 م
الاعلام لخير الدين الركابي المبعبة الثانية معلقا مرة 1954 - 59 م
موجز التاريخ العام للجزائر عثمان الكماك طبع تونس 1944 م
تاريخ الجزائر للمعالي ج 2 طبع قسنطينة 1932 م
تاريخ المغرب لاحمد بن عهود ج 1 طبع تطوان 1951 م
تاريخ الجزائر العام عبد الرحمن الجيلالي ج 2 الطبعة الثانية
(بيروت) 1965 م *



صحن فائلي بقصر زيسوي (المتسیر)

جِجَاية

لا شك أن بجاية العربية ، التي كانت في العصور الوسطى تحمل اسم « بوجيا » ، تمثل مكان « صالدي » الرومانية القديمة ، فقد توهم الاثريون السابقون « بناء على تشابه الاسماء » أن بجاية هي «واغا» أو «جاغا» القديمة ، وذهب مانير الى انها منجحة ضويبي « التي ورد ذكرها في خريطة الطرق » غير أن ليون زيتير قد برهن بواسطة نقشين ، عثر عليهما حديثا وحفظا في متحف « اللوفر » ، على أن رأى شون الذي اكتشف في بجاية مدينة صالدي القديمة « هو الصحيح »

وهناك آثار كثيرة « تعود الى العصور الغابرة » تدل على أن جميع الشعوب ، التي تمت لها « على التوالي ، السيطرة على هذه السواحل » كانت تعرف أهمية هذا الموقع - فقد بقيت آثار المصور الروماني ، الذي لا تزال دالوقه عن سبعة آلاف وخمسمائة ، هي عدة أماكن »

هايزي غون مالتسان

ترجمها باختصار .

د. أبو العيد دودو

كلية الآداب

جامعة الجزائر

ومن بين النقوش الرّومانية الهامة والجنيرة بالاعتبار نقش أو فيديوس هو نورا توس ، الذي عثر عليه هنا وحفظ في متحف الجزائر ، وتتمثل أهميته في أنه يمتدّ على تاريخين مختلفين في آن واحد ، التاريخ الروماني القتمسلي ، الذي سميت فيه السنة باسم القتمسل ، والتاريخ الاتليسي الموريتاني . وبفضل هذا التاريخ المزيج أصبح في الامكان تحديد سنة 40 بعد ميلاد المسيح على انها بداية التاريخ الموريتاني الذي كانت معرفتنا به ناقصة - وقد عثر هنا بالإضافة الى ذلك على عدد كبير من الطوب المحروق الروماني والاجر المجوف »

Togulan Hamatse وكان الكثير من تلك ذا نقوش متعددة ، مما جعل لها أهمية ما رغم تهايتها في حد ذاتها .

وكانت سالدي Saldac قبل العصر الروماني مستمرة فينيقية ويشتهر غيسنيوس Geseon في حوله Serec والكلمة تعني « الحجر الصلب » وسوف يبين هذا الاشتقاق معقولا لكل من يعلم أن سالدي كانت في العصور القديمة تدعى ساردى Sardia هكذا عند Strabo . وعلى هذا يكون اسمها مشتقا من نفس الاسم الذي اشتق منه اسم جزيرة سرينيا ، الذي أطلقه عليها الفينيقيون أيضا - ولا يزال كلمة صلد العربية حتى يومنا هذا تعني « الحجر الصلب » .

ويتولى بطليموس أن موقع سالدي على بعد خمس دقائق من بوليا القيصرية - وإذا قمنا هذه الدرجة إلى نصفين ، حصلنا على فارق الطول الحقيقي بين شرشال Caesarea وبجاية Saldac وجاء في خريطة الطرق أن المسافة بين بجاية وشرشال هي 278 ميلا ، وهذا العدد يتناسب تماما 305 كم . وهي المسافة بين المجهتين على امتداد الساحل .

ويطلق بلينيوس Plinius على القرية الرومانية، التي رفعها، فيما ذكر، القيصر اغسطس إلى مقام مستمرة ، اسم Colonus Julia Augusta Saldacium ويقول سترابو Strabo أن هذه كانت في العهد الاغوستي تكون نقطة الحدود بين ولايات ملك موريتانيا يوبا الثاني وبين إقليم نوميديا الروماني - وفيما عدا هذا فإن التاريخ لم يترك لنا كثيرا عن هذه المدينة ، ولكن بما أن سالدي كانت تمثل ملتقى للعديد من الطرق الرومانية ، فأننا نستطيع أن نستنتج من ذلك أن هذه المستعمرة الملكية كانت لها في القديم أهميتها . ومن الطبيعي أن سالدي كانت في الفترة المسيحية أسقفية ، وكان أسقفها يابكاروس Pancharius قد شارك في مؤتمر زعماء الكنيسة الذي انعقد سنة 484 في مدينة قرطاجنة .

ولا بد أن تكون سالدي قد فقدت وشيكا تلك الأهمية التي كانت لها أيام كان لرومة سلطانها العظيم وقوتها الكبيرة ، ذلك أن القبائل ، التي كانت تقبض حول المدينة ، وكان بعضها خاضعا جزئيا للرومان ، وبعضها الآخر لم يكن خاضعا لهم على الإطلاق ، قد بدأت بعد سقوط الامبراطورية تظهر حدودها للمدينة ، وكانت غالبا ما تحاصرها وتتلد حركتها .

واتخذ الفندال سالدي عاصمة لهم قبل أن يبنوا مدينة قرطاجنة ، وهذا ما أبقي على اسوارها ، في حين أن جميع الأمكنة الأفريقية الأخرى قد دمت من طرف أبناء عسرتنا البربرانيين نتيجة الفهم السياسي الخاطيء ، لقد أدرك هيزريك بنظريته الصادة أهمية موقعها فاختارها مقرا له ، وأمر هذا الملك الفندالي بتوسيع اسوارها ، وكان محيط السور الفندالي 25,000 أي أنه كان

ضحك السور الرومانى - ولا تزال بقايا هذا السور الى اليوم ، ولعله الاثر الحقيقى الوحيد فى افريقيا ، الذى يرجع الفضل فى نشأته الى تلك الشعب الذى لم يكن يعرف غير التعمير والتحصين . وعندما فتح غيزريك قرطاجنة ، أصبحت هذه عاصمة الامبراطورية الجرمانية الكبيرة فى افريقيا ، تعادت صالدى الى ما كانت عليه فى السابق من قلة الاممية .

ولم يرفع شأنها وتزدهر من جديد الا فى القرن العاشر عندما اسس بنو حماد ، وهم من قبيلة صنهاجة ، مملكتهم هنا ، حيث اتخذوها عاصمة لهم واطلقوا عليها اسم بجاية . وقد اثبت علماء الانثروبى الذى وصفها بعد مئتي قرنين ، فذكر ان تجارتها فى غاية الازدهار ، وان ميناءها ترسو به سفن كثيرة ، وان سكانها اغنياء وصناعها ماهرون ، وخاصة فى صنع الاسلحة والصنوعات الجلدية . ومما يدل على اهمية للدينة العربية وعظمتها دلالة واضحة ان السكان لم يلبثوا ان ضمروا بان الاسوار القيمة قد ضاقت بهم ، فصرحوا على بناء سور جديد يزيد محيطه عن سبعة كيلو مترات ، ولا يزال قسم من هذا السور الضيق قائما الى اليوم ، وتخلوه برج عديدة ، ويمتد من قمة جبل غرابية الى سفحه ولعل مدينة بجاية كانت فى ذلك الحين أهم مركز تجارى فى شمال افريقيا - وكانت القبائل ، التى لم يحاول بنو حماد اخضاعها بالقوة ، وانما حاولوا التأثير عليها بطرق سلمية ، كانت هذه القبائل صديقة لملك بجاية وأهاليها الذين كانوا يشترون منها منتجات اراضيها الخصبة .

وحين استولى عبد المؤمن الموحدى سنة 1152 على ممتلكات دولة بنى حماد ، وتمت تهما لذلك الوحدة بين بجاية ومملكة المغرب ، ثم عندما أصبحت بعد ذلك عام 1240 تابعة للمملكة التونسية ، بقيت التجارة فيها على الرغم مما حدث ، مزدهرة على سابق عهدها لمدة طويلة . وفى هذه الفترة بدأت العلاقات التجارية بين بنى وىجاية ، ثم بين هذه وبين البندقية وجنوة ، وبقيت هذه العلاقات التجارية قائمة الى ان استولى الاسمان على بجاية . وكانت للبنيانيين والجنوبيين فيها خاناتهم وحماماتهم وكنيستهم ومقبرتهم . وكانوا يتحركون فى هذه المدينة وفى البلاد كلها ايضا بحرية تامة ، وما ابعد الفرق بين هذه المعاملة الانسانية التى عرفها الاجانب فى ظل الحكم العربى وبين تصيب الاتراك وحشيتهم حين حرعوا فيما بعد ، على الارببيين ، خلال ثلاثة قرون ، الفخول الى هذه البلاد بسفحة قطعية تقريبا .

كان المسيحيون فى ايام الحكم العربى هم الذين يظهرون التصيب ويميلون الى الفسزاع . فقد اختلف الجنوبيون سنة 1390 مع سلطان بجاية فى ذلك الحين ، وهو ابو العباس باي قوض وقاموا بمسلة صليبية مثيرة للمسخرة ضد الساحل الافريقى ، وطلبوا من الملك شارل السادس ان يكون قائدهم فيها امير فرنسى يتمثل فى شخص دوق بوربون ، ولكن عجز هذا القائد جعل هذه

الحملة أكثر إثارة للمشيرة فيما كانت عليه هي في حد ذاتها ، فبعد إقامة قصيرة ، بمنطقة خالية على ساحل المهديّة ، لانفاضة منها ، تخلّت القوات الغزنوية ، وعلى رأسها الأمير ، عن الجنودين وعانت عاتلة التي فرنسا ، لما كان من الجنودين إلا أن أسرعوا إلى عقد الصلح مع ماي تونس أبي العباس ، الذي كان قد أزعج سلاح الجلفاء القوي ، ونالوا منه شسروطا كانت في صالحهم ، فأصبحت التجارة منذ ذلك الحين بيد الجنودين .

وفي القرن الخامس عشر بدأت سمعة بجاية تسوء عند هؤلاء التجار المسالمين فقد شسروع سكانها في القيام بأعمال القرصنة ، تلك العدوّة للدودة لكل حركة تجارية وملاحية - وبينما أن الأسبان هم أكثر من تضرر من قرصنة أهل بجاية ولوضع حد لها أرسل الكاردينال خيرمينس Ximenes سنة 1510 حملة إلى بجاية بقيادة الكونت بيد رودري فافارو Pedro de Navarro الذي استطاع بالفعل أن يستولى على المدينة بعد أن قضى على مقاومة الأمير التونسي عبد الرحمن التي لم تقسم طويلا وقد أتهج الكاثوليكيون المتضمون بهذا النصر انتهاجا عظيما فاقبعت الصلاة في رومة وأسيانيا أما أهالي جنوه والبنقية فانهم كانوا أقل ميورا بإستيلاء أكثر الدول المسيحية تعصبا على بجاية لأن هذا الاستيلاء قد قضى على الحركة التجارية دفعة واحدة - فأخرج الأسبان منها جميع المسلمين تقريبا ، وعينوا لها أسقفا ، مع أن سكانها ، يامقتنأه القليل منهم ، كانوا من الجنود ، وأرسلوا عددا من الرهبان ومفتشا للتصير لليهود وتتبع الزناينة فيها .

ولكن قلعة الكاردينال المتعصب السياسية لم يقدر لها أن تبقى طويلا ، فقد نشأت في إفريقيا قوة جديدة ، لم تليق أن طمعت واتسع سلطانها ، وتمثلت هذه القوة في الانتكاريين والقرصنة الاتراك ، وفي مقبعتهم الأخوان نو الحية الحمراء (كان كلاهما يدعى ذا الحية الحمراء) عروج وخير الدين ، اللذان حاربوا أسبانيا دون هوانة ، ولو لم يكن لهذا النصر في البداية دائما ، أن فقد بابا عروج ، أكبر الأخوين ذراعاه أمام بجاية ، التي حاول فتحها سنة 1529 ، ولكن خلفاءه لم يعرفوا الراحة إلى أن تمكتروا في النهاية من طرد الأسبان من هذا الموقع المهم ، ففي سنة 1555 استسلمت الدون الفونسودي بيرالتا Don Alfonso de Peralta آخر حاكم أسباني لبجاية ، فانتقلت إلى ملكية صلاح ريس ، باشا الجزائر ، أن الأسبان قد خدعتهم شجاعته هذه المرة - وكان الحاكم عاجزا عجزا كبيرا ، إلى درجة أنه لم يعرف كيف يفرض على قاهريه شروط الاستسلام التي تنتفع بالحامية ، شك أنه لم ينج في هذه الخاتمية إلا الحاكم نفسه وعشرون جنديا اختارهم بنفسه ، أما الباقون ، وعددهم يزيد عن الألف فقد أرسلوا عبيدا إلى الجزائر ، حيث استعملوا في الانشغال الحكومية ، ولم يتم بيرالتا بصياته التي اشتراها بالمال ، مدة طويلة ، فقد أتمته شارل الخامس بالغبانة بعد حين وأمر بإعدامه في الساحة ببلد الوليد ، ويروي أن هذه الحادثة ، التي لخصت

إسبانيا بالعار ، قد تركت أثرا مبيثا في نفس الملك شارل الخامس ، إلى درجة أن تلك الحفنة ، بالإضافة إلى ظهور ذلك الشهاب ، الذي فسّر تفسيراً أسامه الوهم ، كانا السبب المباشر في تنازله عن العرش .

وظلت بجاية في فترة الحكم التركي ، الذي يقف في مقابل الحكم الإسباني من حيث التعصب مصفظة بالمكانة الرخيمة التي أنزلها إليها الكارخينال خمينيس ، بل ازدادت مكانتها من تدهور وانحطاط .

وعندما استولى عليها الفرنسيون في 29 سبتمبر سنة 1833 ، كانت قد اتخذت طابع قريسة تحسة ، وبقيت المنطقة الفرنسية في هذا القسم من الساحل مقصورة على المدينة لدة طويلة ، فكان سادة الجزائر يعيشون فيها محاصرين تقريبا ، فقد كانت القبائل ، التي لم يتمكنوا من إخضاعها ، تحيط بهم من كل جانب ، وفي سنة 1836 عم الاستيلاء فرنسا كلها حين قتل الحاكم الفرنسي من طرف أحد زعماء القبائل، وهذه الحادثة لها دلالتها الخاصة في هذا المقام .

فقد حدث أن الشيخ سميد ، شيخ أولاد تامسالس ، كان قد تأخر مع مرابط عجز ، فاقترب هذا الأخير ، حين كانت العداوة لا تزال قائمة بين القبائل المميطين ببجاية والفرنسيين المقيمين فيها ، في المواقع الفرنسية ، فالتى عليه القبض واتهم بالجورسمة وأعدم . وما أن سمع الشيخ سميد بموت صديقه وأخيه ، حتى أقسم أن ينتقم له ، وبما أنه لم يستطع العثور على الجنود الذين ألغوا القبض على المرابط وأعدموه ، وكان بالإضافة إلى ذلك يمتزهم مجرد الات في أيدي غيرهم ، لا يستحقون منه أي اهتمام ، فقد قرر أن ينتقم من حاكم بجاية نفسه ، لأنه في اعتقاده هو الذي أمر بإعدام شخصية هي شخصية صديقه المرابط ، ولم يكن الحاكم طيعا يصر في شيئا عن قضية الأعدام هذه ، وقد كان الأعدام يتم بئاء على أمر عام ، لا يحتاج معه في مثل هذه الحالة الرجوع إلى الحاكم العسكري أو إخباره بذلك .

ولم يستطع الشيخ سميد أن ينفذ قراره بصراحة ، لأن الفرنسيين كانوا قد تحصنوا خلف أسوار مدينة بجاية ، واكتفوا بالمفاح من مراكزهم ، فانتظر فرصة خروجه للقيام بعمله ، ولكن هذه الفرصة لم تتم . ذلك أن الفرنسيين كانوا قد قتلوا الأوامر بعدم الهجوم على القبائل المجاورة مهما بلغ تعدد الشيخ سميد لهم ، فقام الشيخ سميد لذلك ، لأنه لم يستطع الانتقام لصديقه ، ولكنه لابد أن ينتقم له في يوم من الأيام ، فالعرف يعتم مثل هذا الانتقام والأفهم جيان ، وكانت القبائل الأخرى تحرضه على ذلك باستمرار ، وأهضى الخبرا إلى طريقة تمكنه من عبوه ، فاخذ يقترب إلى الحاكم العسكري ، ودعاها لأجراء حديث معه ، القصد منه توقيع اتفاق بينهما .

وفي اليوم التالي حضر الحاكم العسكري سلومون دي موى الى خيمة الشيخ سعيد ، يرافقه ترجمان وبعض الضباط ، فانتقم منهم جميعا ، الامر الذي أكل الفرنسيين كثيرا ، الا انه كان في امكانهم ان ينجسوا مثل هذه الحوادث لو انهم حاولوا التصرف على عادات اهل البلاد ، ولم يحتقروها احتقارا كبيرا ، كان هذا اقل ما يطلب منهم ، ولكن الفرنسيين كانوا ينظرون الى الامالى على اختلافهم على انهم « بنو تمساء » لا فرق بين هؤلاء وأولئك .

ولم تتمكن فرنسا من اخضاع القبائل كلها الا في سنة 1857 ، وكانت الحملات التي تمت قبل ذلك بدون نتيجة ، ومنذ ذلك الحين تخلت بجاية عن الحصار الذي كان مشروبا عليها من ناحية البر ، وقد بدأت الآن ، باعتبارها عاصمة ارض شاسعة خصبة ، تنهض من كبوتها وتستعيد الامية التي كانت لها - ولكن سكانها لا يزيدون في الوقت الراهن (1862) طيعا عن 1300 اوروبي و 900 حضري .

وليس لبجاية ميناء حقيقي ، ليس لها على الاقل ما هو جدير بهذا الاسم ، غير ان المراسي في مامن من المواصلات بصورة عامة ، وغير بعيد من بجاية يوجد بين رأس البر واق وقلمة عبد القادر ميناء سيدي يحيى ، الذي يحمي السفن في اى فصل من فصول السنة .

لم تقدم لي بجاية الا القليل من وسائل الراحة الحديثة ، ففي « فندق الامم الرابع » ، الذي نزلت فيه ، لم استطع حتى الحصول على غرفة مفردة ، فقد فرض على ان اقتسمها مع سائح آخر ، وكان هذا السائح من معارفي القمام ، ولكنه لم يكن من ذلك النوع الذي اوتاح اليه كان انجليزيا ، التفتيت به اثناء قيامي برحلة الى المغرب ، وكان يريد ان يدرس قرب سبته الجبيل المعروف باسم الاخوة السبعة ، غير ان القبائل المجاورة هاجمته واستولت على متاعه . وكنت لا اسميه الا بأخت الاخوة السبعة . وقد تمت رحلتى الى المغرب قبل رحلتى الى بلاد القبائل وبعد رحلتى الى كل من ولايتي الجزائر وهران .

وكان طعام الفندق رديئا ايضا ، ولم استطع الجلوس في المقهى ، لانها كانت تبيع بالجندو اللقرين ، الذين تتصاعد منهم الروائح الكريهة ، وهم يلعبون باستمرار ، ففضلت ان اقضى وقتي في الهواء الطلق ، وكانت المناظر الممتعة في انتظارى ، فقد صعدت الى الجبل ، الذى يشرف على تلين مقروطى الشكل ، تقع فوقهما بجاية ، وتمتد بينهما فوة سيدي تواتي يخترتها اللبنة وغابتها الكثيفة . ويدهى الجبل الذى كنت واقفا فوقه جبل غراية . وكان امامى منظر ساحلى رائع ، تزيد في جماله صفحة للبحر الاخانة . وكان هناك نهر صغير ، يشبه المساقية ، يتخلل المروج المعرعة ويتفرع عنه سواك ، تمتع الحقول ، والهساتين الخضرة والمياه .

وتتلو جبل غراية اليوم قلعة فرنسية ، يتالم لمنظرها كل مسلم ، لانها تحمل مكان ضريح يحمل اسم مرابط مشهور ، تعود المؤمنون على زيارته في جميع الانعام * فقد كان الفقراء والمرضى خلال القرون الماضية يحضرون اليه ، لمجزم عن الحج الى مكة ، ويعتبرونه مساويا لمكة ويفضل هذا الشريح اتخذت بجاية خلال فترة طويلة اسم مكة الصغيرة « ولكن القرطبيين لم يعرفوا شيئا لا عن الوالي ولا عن مكة الصغيرة ا فقد هدموا ضريح الوالي بوحشية ، ومنذ ذلك الحين اصبحت مكة الصغيرة مجرد مدينة عادية مهتلية »





منظر لشقریمت

نضال بجاية ومطقتها ضد الاستعمار الفرنسي

عندما وصلت أخبار احتلال الفرنسيين للجزائر (5 يوليو 1830) قام عدد من الأفراد الثمين لا ضئيل لهم مرحلة من بجاية إلى الجزائر لعرضوا على السلطات الفرنسية الوسائل التي تسمح لهم بالاستيلاء على المدينة .

ففي 3 أكتوبر 1830 نُزل اثنان من الكلوغليين ، واحدهما اسمه مراد ، من قارب في الجزائر قاصدين من بجاية وظلوا مقابلة بو بورمونت . وفي هذه المقابلة التي جرت بمحض عدد من الضباط ، قدموا اليهم معلومات عن المدينة والحا على التتوية بقوتها في بجاية ، وعرضا عليهم تقديم المدينة إلى الفرنسيين بمجرد ما يعربون عن رغبتهم في ذلك ، على شرط أن يعين احدهما قائدا على المدينة والاخر ضابطا للميناء . وسواء اكان الكونت بو بورمونت مقتنعا بأقوال هذين الشخصين ، أم أنه رأى أن العملية على كل حال لن تكلفه شيئا ، فقد وافق على طلبهما ورافق قاربهما بسفينة شرعية حتى ميناء بجاية .

وشيد شاييد
بكلية الآداب - جامعة الجزائر

ولم يكد الرجلان يغادران الشاطئ ، حتى وجدا في انتظارهما جمعا من الناس انقضوا عليهما وقتلوهما في عين المكان . وأما السفينة الفرنسية التي بقيت في عرض البحر ، فلأنها كانت ميسرا لعدة طلقات من المدافع اضطرتها إلى العودة أوراها .

وبعد ذلك ببضعة أيام ، اغتتم أحد الكلوغليين ، ويدعى بوسطه فرصة انتمساح الحامية التركية من المدينة وأعلن نفسه ، بمساعدة أصدقائه ، قائدا على المدينة - ولكن أحد أبناء البلد ، ويدعى

أما زيا ، نازحه في ذلك وعاربه ، ثم قصد إلى الجزائر وخلع على نفسه لقب القائد ومدير الميناء واتصل بالسلطات العسكرية الفرنسية بواسطة شخص يدعى جولي * وهناك عرض عليهم أن يمنحهم حرية الدخول إلى الميناء ومساعدته لاحتلال المدينة * ولكنه نظرا لفشل المحاولة الأولى أتى قاموا بها ، فانهم لم يعمروا أية أهمية *

من الصحيح أن القوات الفرنسية كانت منهكة في عمليات في جهات أخرى ، ولذلك ، فإن الاستيلاء على سفينة فرنسية وقعت عند ساحل بجاية وقتل ملاحها في سنة 1831 ، لم يكن به أي ره قتل من السلطات العسكرية الفرنسية وفي سنة 1839 ، اضطرت سفينة شراعية فرنسية رسمت في ميناء بجاية للقيام بعمليات مسح طبوغرافي ، إلى الرجوع ، بعدما كانت هدفا لطلقات مدفعية (1) ، وفي نفس السنة ، واجهت سفينة إنجليزية جاءت ، على الأرجح لنفس الغاية ، نفس المعاملة * وقد اتجهت الحكومة البريطانية على هذا العمل وطلبت ترخيصات من الحكومة الفرنسية ، قائلة انه « إذا لم تعرض فرنسا لاعتقار أعمال أسدقاتها على الشواطئ التي تعتبرها تابعة لها ، فإن الحكومة البريطانية ستضطر إلى استعمال وسائل أخرى لمنع تكرار هذه الأمانة » - - - ولما اعتكبت الحكومة الفرنسية أن بريطانيا إنما تبحث عن سائر للتدخل في هذه المنطقة ، فقد سارعت إلى إرسال حملة إلى بجاية *

وكانت الخطوة الأولى ، هي تجديد الاتصال بالشخص المسمى بوسطة عن طريق صاحبه جولي وقد حضر بوسطة بنفسه إلى الجزائر لأجراء اتصالات رسمية وللمطالبة بأعتمادات شخصية قبل كل شيء * - ولما حصل على ترخيصات عاد إلى بجاية على متن السفينة « لو زير » بمرافقة القبطان لامور سيير وعدد من الرجال * وقد نزلوا في مكان منزل غير بعيد من منزله *

ولكن بعض السكان لا حظوا العملية فقاموا بإشراق النار في المنزل ولم يمنح لامور سيير وبوسطة في الهرب إلى بشق الأنف وبعد ذلك عادوا إلى عرض البحر * وبعد يومين من الانتظار على أمل أن تقوم مظاهرة للترحيب بهم ، عادوا إلى الجزائر *

ولما وصل إلى الجزائر ، اتصل بوسطة بأربعة أشخاص ، أحدهم تركي يدعى علي قارة نجا بنفسه من عقاب أحمد باي يقسنطينة بعد ما جسر مؤامرة ضده ، والآخر سمي على عجز ، من سكان بجاية ، وثالث اسمه المني ، تاجر في الزيت من بجاية أيضا ، والرابع رايس فلوكه يدعى إبراهيم زوداب ، من بجاية كان يعمل تحت أوامر قائد سفينة «رايس» من مدينة الجزائر * وقد

(1) كانت توجد في حصن القصبة ثمنع قطع مدفعية ، وفي حصن موسى أربع قطع ، وفي حصن عبد القادر عشرين قذيفة ، وفي حصن براك سبع قطع ، وفي حصن لموس 4 قطع وهي ذات أبعاد وعتارات مختلفة *

تقدم هؤلاء ، وهم يعمنون رسالة مزودة بحمل خاتم قاض (2) وصانرة ، فيما ادعوا عن سكان بجاية الذين مطالبون بحماية الفرنسيين من تصف القبائل المجاورة ، ووضعوهم على رأسهم برسطة ، وطلبوا مقابلة السلطات الفرنسية . ولما عرضوا الامر على الجنرال فرارول ، السوالى امام ، الذى كان قد قرر ميذا ارمال حملة عسكرية ، وعدم بانه سيستجيب لطلبهم . وبعد ذلك ببضعة ايام كلف الجنرال تريزل ريفنسن اركان حارب جيش افريقية ، بالقيام بالعملية . وعلى الرغم من ان هذه الخطة كانت سماعة بالسرية التامة ، فى الامر قد اقتضح وانتشر اسخبر بسرعة فى المدينة ووصل الى بجاية . وكذلك استمد السكان الذين استولوا على حصون المدينة بعد رحيل الحماية التركية لمقاومة العدو .

سقوط بجاية :

وفى 29 سبتمبر 1832 ، دخلت سبع سفن عربية وثمان عشرة سفينة تجارية تحمل على متنها 2,800 جندي وصابط ، الى ميناء بجاية وقد قامت حصون عبد القادر وموسى وبرج ليلى وبوك باطلاق نيران المدافع على سفن العدو ، ولكنه نظرا لان مداها قصير ولان اطلاق الذر لم يكن ، فيما يرجع مضبوطا ، فانها لم تمنع نزول قوات العدو التى كانت تغطى عملياتها المدفعية البحرية . واث ذلك ، غادر معظم سكانها المدينة وحل محلهم المقاومون الذين جاءوا اليها من مزيا وبني وغليس ونا مزات واقنايا وتوجه . وقد تمكنت اسلحة المقاومة من وقف زحف العدو وقتا قصيرا ، ولكن الفرنسيين كانوا يملكون اسلحة اكثر قتالية ويتمتعون بنضام انفاسل ، ولذلك فقد كانوا يكسبون الارض تدريجيا . وكذلك احتل الغزاة على اتوالى حصن عبد القادر واعالى بريجا . قبل حلول الليل . وقد استمر اطلاق النار طوال الليل الذى تمكن الطبجية افريسيون تحصت سقاره من رضع قطعة مدفعية الى اعلى بريجة . وفى نفس الوقت كانت الزوارق تكمل بمدافعها العمليات التى كانت جارية فى ضواحي برج دامرس ، بينما كانت قطعة المدفعية التى وضعت فوق بريجة تقصف المدينة بدين تميز .

وقد قام المقاومون الذين اجتمعوا فى حي باب الينود يشن هجوم فى هذه مواقع فى وقت واحد على العدو . وكذلك سارح الجنرال تريزل والقبطان لامورسيير الى موقع المعركة التى كانت شديدة فان كلا الفريقين فقد هدا كبيرا من الموتى كما سقط عدد كبير من الجرحى . ولما تخطى المقاومون عن سبيل التواتى ، احتله العدو وراح يقصف منه المنازل المجاورة التى كان المقاومون متمسكين بها .

(2) سرق هذا الخاتم ابن القاصى ، رشاه بوسطه .

وفي ليلة 2 و 3 أكتوبر ، كان بوسطه يتجول في انقاض البيوت المهتمة للنصت عن التحف والاشياء الثمينة ، حينما أطلق عليه جندي فرنسي النار وأرداه قتيلا * هل كانت الطلقة غير مقصودة ، أم أن المندى قتله ليستحوذ هو على انطرف التي جمعا ؟ على كل حال ، فإن أحدا لم يبك على هذا الغامر ، وقد اعتبر الحادث عقابا من الله على خيائته وجشعه (3) *

وفي يوم 4 أكتوبر ، انصحب المقاومون من مراكزهم الأولى والتجئوا الى الحدائق المجاورة وهناك اضطر العدو الى استعمال الوسائل الكبيرة لعمل المقاومين للمحاصرين على الاستسلام * ولما انتهى إطلاق النار ، نزل الحنود الفرنسيون الذين تبغهم روح الانتقام والجشع الى المنازل وقتلوا كل من فيها بحرايمهم * ولما شاهد بعض الضباط هذه الاعمال الوحشية تدخلوا بمقت لانقاذ الباقين على قيد الحياة - سترن من الشيوخ والنساء والاطفال (4) *

ولما تم له احتلال المدينة ، عمل العنزال تزييل على اصلاح الخراب والزالة الانقاض وبناء بعض التحصينات الصغيرة *

وفي هذه الاثناء ، كان المقاومون يطلقون اعبرة نارية من الهضاب المجاورة ، ولكن هذه الاعمال لم يكن لها اثر يذكر في نشاط ابقوات المحتلة * ومع ذلك ، ولكي يضمن الامن التمسك ، ساعد الجنرال لـ مرسى اليهم وشن هجوما على مواقعهم على رأس قوة تتكون من 900 جندي من التعزيزات التي وصلت مؤخرا الى المدينة *

ولما عاد الهدوء الى المدينة ، قام الجنرال تريزل والقائد مدني (أحد رفقاء بوسطة) بمجهود لاعادة اعمار المدينة بالسكان باستدعاء العائلات القديمة ومزاي من المناطق المجاورة *

وكذلك عادت بعض العائلات الى المدينة والى منازلها ، أي الى ما بقي منها ، بينما عادت عائلات أخرى لفرض واحد ، وهو محاولة العثور في الانتقاض على بعض الامتعة التي كانوا يأملون في اماكن العثور عليها * وقد حاول القايدين ، عبثا اغراء مرايا التي هي قبيلته ، على العودة ، فعرض عليهم منازل جديدة كما عرض ان يمنهم تعويضات للخسائر التي لحقت بممتلكاتهم * وبدلا من عودة القبائل ، فرض على بحاية حصارا اقتصاديا اضطر معه الفرنسيين الى استئجاب القوميين الضروري للمدينة عن طريق البحر *

(3) بمجرد وصول الفرنسيين الى المدينة ، سارع بوسطه الى منزل للقايدين مناهسه * ولما لم يجده في البيت هجم على عائلته التي يبلغ عدد افرادها 27 شخصا وقتلهم عن آخرهم * وبعد ذلك اتجه الى الذين عارضوا في تعيينه في الايام الأولى وقتل منهم 28 شخصا *

(4) ومؤلا الشيوخ وضعوا في منزل صغير عند احصن الاسباني وفي شارع لا يزال يحمل اسمهم *

وبفضل الوعود والمخاض ، نجح المسؤول عن الشؤون الاقتصادية ، جنتي ، ومساعدته لومسي على اغراء بعض التجار من الجزائر كما أستجلب عددا من الصناع الإيطاليين واستقدم 70 من سكان العاصمة وضواحيها وفتح لهم مسجدا وعين للمسجد اماما *

المقاومة المحلية :

كانت الحماية الفرنسية في المدينة قوية حيث يبلغ عدد رجالها نحو 4000 رجل ، ولكنها مع ذلك لم تكن قادرة على منع هجمات المقاومين الذين تبلغ بهم الجراءة جسدا يتحدون معه المراكز الامامية ويستولون على قطمان الماشية التابعة للجيش * وقد حاول الجيش ابعاد خطر المقاومين ووجه اليهم حملة في مارس ويولي 1834 اصيبت بهزيمة منكرة *

وهذا النجاح شجع المواطنين للقيام بهجمات اكثر جراءة ، وفي ليلة 9 أغسطس ، قاموا بهجوم مفاجئ نجح منه انتشار الفرع والخوف بين السكان المحليين بحيث سارعوا جميعا الى الهرب وركبوا السفن واستمدوا للرحيل * وفي ليلة الأحد ، كرر المقاومون العملية من جهة باب فوكه * وبعد ما احتلوا المنازل المجاورة ، اشعلوا النار في حصن سالم ثم في منازل الجنى * ولكن اخذوا النيران ساعدت الفرنسيين على احكام طلقات مدافعهم ومنعهم من التقدم الى الامام - ولهذا ، فقد انسحبوا عند مطلع الفجر *

ولكي يحول دون وقوع مفاجئات من هذا القبيل ويضمن مزيدا من الامن ، أمر الكولونيل مو فيفيين بقطع جميع الاشجار الموجودة في المداخل العمومية *

وفي سنة 1835 ، حاول الوصول الى اتفاق مع قبائل بني ميمون ومزايا المستولين عن هذه الهجمات ، ولكن القايد مدني قام بمناورة عند الوائى المنكور ، بحيث يجرى الاتفاق مع أورابح * وكذلك قامت السلطات الفرنسية بمقابلة متوازيين ، ولكنه بينما كان اتفاق ذو غيى مبرورا ، ظل لاتفاق الآخر سرايا * ولما وصل وفد بني ميمون للاجتماع بياكولتيل مو فيفي ، وقع في كمين نصبه له انصار أورابح وقتل ثلاثة من رجاله *

اعتبر الوائى المسؤول الاول عن هذه المؤامرة ، ولذلك طلب اليه دو قبلى ترك بجاية * ولكن الوائى نجح في لفتان الوالى العام عنصا وحصل الى الجزائر بالفرائد التي يضمونها اختياره لأورابح *

وفي 8 أكتوبر وقع اتفاق بين الطرفين يقضى بوقف جميع اعمال العدوان بين الفرنسيين والمقاتلين ، وجميع الامالى مدعوون للاقامة في بجاية حيث تضمن لهم سلامتهم ويحترم دينهم ويتمتع

بالحماية الضرورية * وستفتح أسواق في المدينة وتفرض الحماية على عمليات البيع والشراء في تجارة الحبوب * وإذا حاركت بعض القبائل التردد في القيام بأعمال حربية ، فإن الشيخ أورايج يلتزم بأن ينضم إلى الفرنسيين لأعضائها * * * وبالمثل الخ - - وفي مقابل هذا الالتزام ، حصل أورايج على احتكار تموين الحامية الفرنسية كما حصل على لقب قايد *

والواقع أن سلطة أورايج لم تكن قوية على القبائل بحيث يجعلها على احترام نصوص هذا الاتفاق * وقد كان مضطرا إلى أن يأخذ إلى الاعتبار الرأي العام الذي كان معاديا للفرنسيين ويعارض في كل اتصال بالمسيحيين وكذلك تجاهل كلية بنى عينس عندما احتازوا أراضي للهجوم على مواقع الفرنسيين * ومن جهة أخرى ، فلكني ثبت للرأي العام أن مواطنه متناقضة للميول التي يعزوها إليه الفرنسيين ، كلف صغيته ، سيدي محمد أمقران ، بحمل رسالة منه إلى أحمد باي في قسنطينة يعلن إليه فيها ولاءه ويعرض عليه مساعدته لواصله النضال ضد المسيحيين - قد رد عليه باي قسنطينة برسالة بعد ذلك ببضعة أيام يهنئه فيها على موقفه ويشجعه على عمله ويطلب الحضور إليه شخصيا ، أو إرسال أحد أبنائه للاتفاق على طبيعة المساعدة التي ينسوى تقديمها وعلى طريقة تنسيق العمل ضد العدو * ولكن أورايج لم يرد على هذه الرسالة *

كان الماريشال كلوزيل يرى أن وضع حامية تتكون من أربعة آلاف رجل ، أمر لافتة منه بسبب قلة أهمية بجاية ومناطقها من الناحية الاستراتيجية - فهو يرى أن إرسال هذه القوة إلى المناطق الشرقية لمواجهة أحمد باي ، أولى الغرب لخارب الأمير عبد القادر أفضل كثيرا * وقد فكر في المرحلة الأولى ، أن يضع على بجاية حامية من الانتكشارية التركية ، ولكنه أدرك أن كثيرا من أفراد هذه القوة قد غادروا الجزائر * ولذلك اقترح على أورايج القيام بحراسة المدينة والحفاظة على أرواح الفرنسيين في مقابل منحه ثمانين قطع من المدافع وأسلحة وكميات من الذخيرة وعسا من الجمود والمدربين ليقيم بتدريب الحرس الأهلي وذلك بالأضاعة إلى مبلغ من المسال لمواجهة نفقاته العامة *

ولكنه بمجرد ما عرف مشروع جلاء الحامية الفرنسية غادر المدينة عدد كبير من السكان الفرنسيين والمسلمين في هجالة * فأما الأوروبيون ، فقد عادوا إلى الجزائر ، وأما الأهالي ، فقد اتجهوا إلى مدن أخرى أو التجأوا إلى الريف * ولذلك ، فإن المدينة فرغت من سكانها مرة أخرى ولم يبق فيها سوى عدد صغير من السكان الذين أمكنت جنودهم فيها *

وكتلك اقنع الكلوئيل ميريسى الماريشال كلوزيل بتعميل هذا المشروع الذى كان من نتائجه خراب المدينة قبل المشروع فى تنفيذده * وهكذا شيق نظام الدفاع عن المدينة بحيث يكفى لحمايتها الف رجل (5) *

اعتبر اورايح التخلى عن مشروع كلوزيل عملا يدل على عدم الثقة فيه * وأذلك حلل نفسه من التزاماته السابقة واستأنف أعمال العدوان بمناوشة المواقع الامامية للفرنسيين بواسطة رجاله * وبعد وفاته فى نفس السنة (1835) * مسار لخره * امزيان على نفس السياسة * وفى 7 نولمبر جرح امزيان اثناء هجوم كبير شنته بعض القبائل المتحالفة واشترك هو فيه * وهذا الهجوم الذى حطمه العدو * استؤنف فى 28 نوفمبر * وقد اشترك فى هذا الهجوم الاخير شيوخ افنايا ومزايا ومسى محمد امزيان * وهذا الهجوم تمكنت من هسده القوات الفرنسية التى كانت تتنصت بتقوى بفضل المنفعة على الاسلحة التى كان يحملها المقارمون والتى كانت قديمة فى معظم الاوقات *

وفى شهر اغسطس 1836 استؤنف القتال بعنف اكبر ، اثر قتل جندي فرنسى شخصيا يدعى الشيخ ابراهيم كان يتمتع بصاية اورايح * وفى غضون هذا الهجوم ، لقي حقه قائد السامية الفرنسية ، سالومون * والمترجم طابوى ، كما جرح القايد مدنى جرحا خفيفا وقد نجا من الموت ، بأعجوبة اثناء كمين وقع فيه ، واما الخيول التى اسقولى عليها المسلمون فى هذه المعركة ، فقد قمت اى احمد باى قسنطينة الذى شكر مزايا واورايح على هذه الهدية ، كما وجه الى الاخير بروتوسا أصغر رمزاً لتتبعه قائداً ووجه اليه دعوة للانضمام اليه - ولكن امزيان الذى استمرت العواث الحولية كل اهتمامه ، لم يتمكن من السفر الى قسنطينة *

وبعد هذا التاريخ ، انحصرت الحركة فى مناوشات بين الطرفين وقام بينهما اتفاق ضمنى ويهدد على تقسيم السهول بين انقبائل والفرنسيين *

وفى سنة 1839 ، حاول الامير عبد القادر كسب سكان هذه المنطقة الى صفه * وبعد ما قام بزيارة لابن سالم والمنطقة بتي يعلى ، نزل فى اقبير ثم هبط الى وادى الساحل وتوقف فى زاوية سيدى معمر ، على مقربة من بجاية * وهناك جاءه رسول من قائد حامية بجاية يطلب اليه استقبال

(5) وبذلك ضم سور قلب المدينة الى حصن موسى ، وهذا الحصن الى حصن عبد القادر ، بينما يقتصر متخفص ايزار ويوقر اعالي بويحه * وحسب هذا النظام ، يكفى للحامية الاعتصام بقطب الدفاع الخارجى للتحصينات دون ان تحتاج الى الخروج للزحف على القبايل او مشاربتها وراء النقطة المحصنة - وهذه النقاط ، هى حصن سالم الذى يقع على النحر ، وحصن دريا ، وحصن لومبريسين ، وحصن جورايا ، والمعسكر الداخلى * (راجع Shuterout, P. 3, 4, 1.

الامير له - لم يكن هذا الطلب ينطوي على ما يدعو الى الاستغراب في نظر الامير حيث انه وبما كانت المقاومة المطلوبة لجرم المجاملة ، حيث ان الامير كان يرتبط بمعاهدة مع فرنسا (معاهدة تافنا) (6) .

وفي سنة 1840 ، قام بنو سليمان ويقر ميعون بثورة جديدة * واثر ذلك زحف الجنرال دوسان والجنرال سانت ارنو على هذه القبائل وحطموا مقاومتها * على ان تصالفا قام بين قبائل بني سليمان ووجهان ويروشا كان اساسا لمقاومة اشترك فيها الرجال والنساء والاطفال وسمع لهذه المنطقة بتقليل الضخائر * ودفع العدو في طريق العودة الى بجاية *

وللانتقام منهم ، قام الجنرال سانت ارنو بحرق الغابات والحاصيل الزراعية ، كما امتقل عددا من الشخصيات وأمر بنفها * وفي مقبلة هذه الشخصيات التي كانت قد التجأت الى بجاية ، احمد او مهنا بن سعيد ابراهيم ، وسي محش ، قايد بجاية الذي اتهم بأن يكون له ضلع في الثورة * وفي غضون بضعة اشهر ، كانت تفتاح المنطقة موجة من الغضب والحقد على المحتل ، كما كان يسودها جو ثقيل من الرغبة في الانتفاض على العدو وتحطيم قيود الميودية . وكذلك كان حادث وقع في السوق واشترك فيه ضابط في المكتب العربي . في سنة 1890 ، كافيا لاشغال تار ثورة اتخذت ابعادا لم تكن متوقعة -

كان مولاي ابراهيم في المرحلة الاولى ، هو الذي يغذي هذه الثورة * ولكن الحركة الثورية سرعان ما اتسع نطاقها ، فتمثلت قبائل بني مليكش وبني يمل وبني غليس وتيفرات * وبعد ذلك انضم اليها محمد بن عبد الله ابو سيف (الذي عرف بابي بغلة) الذي ومع ابعادهما * وبعد ما قام بعدة هجمات ونصب كمينا اثر كمينه تراجع والتجأ الى بني مليكش * وعلى الرغم من وقوف القوات المساعدة (القوم) في وجهه ، فقد واصل حملاته المتعددة والفعالة * وكذلك كلفت السلطات الفرنسية المقراني وابن علي الشريف بتعزيز القوات المساعدة ويتوجيها لمقاومة ابي بغلة حيثما ظهر هو وانصاره * وقد كان انصار ابي بغلة يكتلون في جماعات تتكون من خمسة او ستة اشخاص ويتجولون في القرى حيث يلغون المواظ ويدعون الى الجهاد في المساجد ويبيعون للضعف الوطني ويحثون الناس على العمل للاستقلال الذي كان رغبة الجميع * وكذلك كانوا يرمون على اسماع الناس اسماء الرجال الذين سقطوا في ميدان الشرف من الاسماء والاعداد واستشهدوا في المعارك السابقة * وفي نفس الوقت يدمسون اقبالهم بالايات الكريمة

(6) ولكن السكان راوا في هذا المسمى ما يدعو الى الريبة والتشكك في الامير ، فاصاحوا استقباله ، بل وطاردوه في مرحلة قالية (الترجم) -

والاحاديث النبوية التي تثير حماس الناس ، وقد كانت النساء تستقبل هؤلاء الدعاة بالمزغاريد والاتاشيد التي تزداد المقاومة .

وتفلق جوا من الحماس الشعبي بحيث لا يجد الناس مهريا من الورق تحت تأثير ابي بعلة . وسرعان ما جمع جيشا كبيرا وسافنته زواوة وينو يجر . شسم صدفه وايمانين ويولة واسيف الحمام . وحصل على ضمان من للا قاطمة شومر التي كانت العدر الرتيمة لتغسل العفو في منطقة جرجا .

وفي شهر ديسمبر 1850 : قاد ابو بعلة حملة ضد قبيلة ايت اعمر المتخادلة وخرب قرية تيزي القرن ، على الرغم من تمسك القوات الفرنسية بقيادة مترجم الجيش احمد خاطري ، لحماية القبيلة . وقد اضطرت هذه القوة الفرنسية الى التراجع الى بجاية ولطلب تعزيزات .

وفي مارس 1851 : وصلت تعزيزات فرنسية من سطيف ومن سور القزلان وزعت بين منطقة البليان واعالي بني منصور ومرتفعات افبو . وعندئذ ركز بوبعلة اعماله في التوغل في وادي السرمم حيث يشجع انصاره ويهند التفاعلين والممارسين ويحث القيادة على الانضمام الى قواته . وقد اعلن ان الحماية التقليدية التي منحت ، مهما يكن السبب ، لم تمد لها قيمة .

وفي هذه الاثناء ، انضم اليه بلو وغليس ويثر ايمسانين ويثر يل في منطقة بجاية . وايت بجيا وايت مودرا في جرجا . وقد دفعت كل قرية من تلقاء نفسها مساهمتها في صندوق المقاومة واثرت ذلك اشجعت حركة المقاومة واتسع نطاقها وامتدت لبعادها .

ولما حاول سي محمد سعيد بن علي الشريف تخريب تنظيم الحركة بمناوراته ، رأى ضيعته (الزيب) طلعة للثيوان بينما تهب المقاومون قطعانه ، ولم ينج بحياته الا بتدخل بعض عناصر المقاومة . ولكنه عند ما قصد الى اراضى بني عباس ، اعتقل المقاومون ابنه واركبوه ظهر حمار وتبولوا به في مختلف القرى الماورة ليظهره للناس وليلقوا به اكثر ما يمكن من الاهانة . ولكن هذا العمل لم يكن من شأنه ان يرضى ايت بعلو وظلته زاوية بن علي شريف . ولذلك فقد خرجوا من حركة المقاومة ونصبوا كميناً لاى بعلة قتل فيه ثمانية من اتباعه .

وقد تم الصلح بين الطرفين باطلاق سراح الرهينة وتقديم تعويض لاهالى الضحايا . ولكي لا يتورط مع المقاومة او مع السلطات الفرنسية ، هاجر محمد سعيد بن علي الشريف اليك والتجأ الى السلطات العسكرية في سور القزلان التي كان تابعاً لها من الناحية الادارية . وفي مرحلة تالية ، انتقل الى الجزائر ، ثم الى باريس ، حيث سيشترك في حملة توزيع نابليون الثالث الايامسة في سنة 1852 .

تاريخ بجاية

وكذلك اضطر القايد الشريف بن المهوب الذي حاول انتدخل لتأييد الفرنسيين الى الهروب بدوره لينجو بنفسه من انتقام الشعب -

ولما عاد سي المني ، القايد السابق في بجاية والذي كان منفيًا في شرشاش منذ سنة 1849 ، انضم الى ابي بشة وتعاون معه لنشر اندعابة ولاحكام تنظيم الحركة - وعشيد ، اتسع نطاق المقاومة بحيث شملت جميع بلاد القبائل من اليايور حتى اخر قرى جرجور واشدما مناعة - واثر ذلك ، اخذ القايد واعوان انفرنسيين يهربون المولحد تلو الاخر ويتركون عائلاتهم ومستكاثهم لينحشوا عن ملحي لهم في بجاية -

وفي 8 مايو - اتجه الكومندان واجني على راس كتيبة من الجنود يرفقه بوزيد بن عنون قايد مزايا واحمد الكولي قاضي بجاية الى سوق القصر لاحت الناس على مقاومة «الشوار» - وفي الطريق ، قابلهم القايد بن الشريف بن المهوب ومعه ثلاثة من خدمه وهم جميعا في حالة يرثى لها من التعب والعرق يسير من خيريهم - وكانوا هاريين في طريقهم للالتجاء ببجاية - وبعد ما طمانهم قائد القوة الفرنسية دعاهم للانضمام اليه - ولما وصلوا الى السوق اغلقوا جميع المنافذ على الناس وارغموهم على الاستماع الى الخطب التي يلقيها عليهم هؤلاء الزوار - وكذلك ضلب كل من القايد بوزيد والقاضي الكولي ليحشوا الناس على احتسارم السلطة الفرنسية ومقاومة «الشوار» - ولما رأى القايد بوزيد علامات الهروب وقلة الاكثرا مترسمة على وجوه الناس ، استشاط غيضا وطلب الى قائد القوة الفرنسية ان يامر باطلاق الرصاص عليهم جميعا ويحرق منازلهم وقراهم - وبالطبع ، فان الرضة في العمل بهذه النصيحة لم تكن تنقص القايد الفرنسي ، ولكنه ادرك ان قوته متعرض للخطر اذا قام بمثل هذا العمل ، ولذلك كتم غيظه وعاد ادراجه -

وفي طريق عودته ، عندما وصل الى ثويريت الاربعةاء ، تصب له الثرار كميئا ، كان من الممكن ابادة جميع افراد قوته فيه ، لو لم يقتحل صادق اوزجار ومحمد وعلى بن مزايا على راس قوة من المساعدين لانقاذهم في الوقت الملائم -

وفي 9 مايو سار الكومندان واجي على راس قوة تتكون من 500 مقاتل وجماعة منتظمة يبلغ عدد رجالها 200 شخص ومدمعين جبليين و 25 من قناصة افريقية ، و 20 من الضيالة المصايص ، ونفذ لاختذ النار لما وقع له - وبينما كان الطرفان منهكمان في تعزيز مواقعهما العسكرية ، انضم الى القوة الفرنسية عدد من القيايد طبيا للمصايصة - وكان في مقدمة هؤلاء : ابراهيم بن مسيد وقيايد امدان وتوجة الذين طردوا من دواويرهم لانهم حاولوا منسح السكان من الارتباط بحركة المقاومة ، او لانهم رفضوا هم انفسهم القورط في الحركة -

وفى غضون تلك الليلة ، كان وادى الساحل والجبال المجاورة تلمع بأضواء عديدة بالنيران الموقدة هنا وهناك والإشارات اللاسلكية التى تصف تقدم المقاومين ومعسكرات القبائل العديدة * ولما رُئى الحدو أنه محاط به من جميع الجهات ، قرر استرجاع منذ فجر اليوم التالى ، ولكنه لم تكد تنق الساعة المباشرة ، حتى تلقى الجنود الذين عادوا الى ككناتهم أمراً بالاستعداد للقيام بعملية * فان الجماعات التى كانت تتمتع من قريب القوة الفرنسية المنصبة ، قد هبطت الى سهل بجاية من طريق بئر سالم ومضارب أيفيل أو عزوج ، قامت باحراق مزارع المعمرين والخونة ومنهم بيوتهم وتغريب محاصيلهم *

وقد رُحف المقاومون فى تشكيل يشبه هلالا يعتمد جناحاه على مرتفعات بئر سالم والمصفوح التى تشرف على حصن كلوزيل ، وأخذوا يتقدمون وهم يرمسون « الله أكبر » ، بينما قامت القوات الفرنسية والقوات المساعدة التابعة لمعشرين قائد بهجوم مضاد * وقد تمكن الموانطون من صد الهجمات الأولى دون أن يتخلو من شبر من الأرض * ولكن العدو حاول اختراق صفوفهم ثلاث مرات وردوه على أعقابهم * على أنه أعاد الكرة فى هجوم اشتركت فيه جميع قوات العدو وتؤديها اندفعية وفى هذه المرة ، تراجع صفراف الوطنيين الأولى * وقد أدى هذا الانسحاب الى اضطراب عظيم فى الصفوف الخلفية بحيث أحرز المدر على نجاح باهر * وقد فقد الثوار فى ذلك اليوم عددا كبيرا من الرجال ، لا بسبب تفوق العدو من حيث العدد والعدة فحسب ، بل خصوصا ، بسبب مطاردة القوات المساعدة للثوار فى غير هولة * وقد أبدى أحمد خامارنى ويشير أورابج ومحمد العربى أورابج ومصطفى التلمسانى ورجال مزايا كثيرا من الجرأة والشجاعة فى هذه المعركة * وقد اثنى عليهم الكومندان واجنى ثناء كبيرا على مسمع الناس ولفت الانتظار الى بطولتهم فى الدواشر العليسا (7) *

وبمعا عاد الهجوم الى المنطقة ، شرع الفرنسيون فى شق الطريق التى تنطلق من تيزى وزو وتخترق بلاد القبائل من الغرب الى الشرق ، موازية لودئى سبو مارة بالعكورين وانصر لتنتهى عند بجاية * وحتى لا تعرض القبائل التى كان ولاؤها مشكوكا فيه عملية بناء الطريق قام الكومندان واجنى الذى تلقى امدادات عسكرية جديدة من الجزائر بغزو قبيلة بنى ميمون وبنى مسمعود والجايرة * وبعد ذلك انضمت اليه القوات التى كانت تعمل فى منطقة جيجل ، فسار متوغلا فى وادى المساحل *

(7) وهذا السلوك كان من نتائجه أن أعادت السلطات الفرنسية انظر فى أمر جموع أمزيان أو رابح والس بشير أو رابح واحمد أو مهنا والد محمد العربى اللذين اعتقلهما بيجو وسانت ارشو على التالى وأرسلوا الى جزر سانت مرجريت *

وفي هذه المرحلة ، ظهر يو بقله من جديد على رأس قوات جمعها في وادي غير - هسك اولا في حين اثر - ثم قام بحركة في اتجاه الشمال في انتظار أن يصل اليه جميع المقطوعين الذين ينتظر عودتهم الى مراكزهم - ولما علم الجنرال كامو والجنرال يوسكي بهذه الحركة اتجهوا الى تلك المنطقة على رأس قوة يبلغ عددها 6000 مقاتل في اول يونيو 1851 - وقد نشبت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة ابي بقله وتشتيت جيشه - وعندئذ انصب هو الى جرجرة -

وعلى ذلك ، قدمت القوات الاستعمارية بانتشاء مراكز أمامية (8) وضعوا فيها حاميات عسكرية صغيرة ولكنها تتمتع بتأييد قوى من القوات المحلية التي يجمعها القايد -

وفي اوائل سنة 1852 ، نشب خلاف حاد - وهو عبارة عن منافسة بين بعض القري - بين بعض فروع قبيلة ايت عمر - فاما سكان تيزي القرن ، فكانوا يناصرون ابا مقلسة - وقد طلبوا مساعدته - ولما الفرع الآخر ، فقد التجأ الى القوات المساعدة للفرنسيين -

وفي 3 يناير قام يو بقله على رأس 400 من رجال زواوة وبني يجر ووصل يوم 6 الى تيفريت ، وفي يوم 14 وقع صدام بين فرعي القبيلة - وبعد هزيمة الفترات المساعدة ، امتلكت المنطقة كلها بهذا النصر في مرور وابتهاج - واث ذلك ، حامت القوات المساعدة من رجال القبائل لتنضم الى ابي بقله - وفي 20 يناير صارت هذه القوة لهاجمة قرية اوريد التي كانت تحت القايد الموهوب بن الحاج حميش - وقد كان تفوقهم من حيث العدد يسمح لهم بالمقبض على القايد نفسه بعد ما هزموا رجاله - ولكن الجنرال يوسكي انقض على مؤخرتهم ، ولم ينج يو بقله من يد العدو الا باعجوبة -

وفي 24 يناير بحث الجنرال يوسكي بفرقة تتكون من 3000 جندي وضابط لينقضوا على لري سيد موسى أو يدير وايت منصور وتيفرات - وهناك قاموا بأعمال وحشية فاحرقوا القري وقتلوا النساء واستولوا على المراء الغذائية وعلى جميع ما وقع في ايديهم - وبعد ما حول المنطقة الى خراب ورماد ، انصحب وطلب الى سكانها تشكيل قوة من الميليشيا للدفاع عن انفسهم تسمى تحت سلطة القايد -

وهذه الانتصارات التي كان من نتائجها ايمان الخضر من المدينة يستشجع المعمرين على شراء الارض في المناطق الخلعية في البلد - واحد هؤلاء المعمرين ويسمى جورج جرافيرس ، انتسب

(8) استثنى مكران في منطقة وادي اميزور ، احدهما في تويريت الايمان على الضفة الشرقية والاخر على الضفة الغربية وقد أصبح المركز الاحير تابعا للملكية برج اواربع -

مصنعا للزيت في قرية تنساوت ، على ضفاف وادي بوسلام - وقد فكر بعض المقاومين في الهجوم عليه ومفاجأته ليلا حينما يستغرق الجميع في النوم - ولكن هذا المشروع بلغ إلى علم الرجسول بواسطة خادمة له - وبذلك نجا بنفسه .

ولما امتدت شبكة اتصالات المستعمرين في البلد ، اخضعت السلطات الفرنسية في بناء طريق جديدة تربط بجاية بخيرها من المدن - وبينما كان الجنرال كامو يتولى حماية الاعمال في الطريق التي يربط تلمس وسور الغزلان عن طريق درج الميزان والبوبيرة ، كان الجنرال ميسيات يقوم بنفس المهمة على الطريق التي تمتد بين بجاية ومسطيف وخراطة - وقد حاول يحيى أو يحيى عرفة هذه الاعمال - ولكن حملة قامت بقيادة الجنرال يابور في سنة 1853 ، وضعت حدا لهذه الهجمات .

ولما فرغت المنطقة من العناصر الحية التي قضت عليها الحرب او هاجرت منها الى الخارج ، وقعت غنيمة سهلة لتدريجي في يد العدو . وانذا كان البعض يعتقد بان الوضع الاستعماري غير قابل للانهياء وان الجزائر قد ضاعت لغير رجعة ، فان البعض الاخر كان يعتقد غير ذلك - وهم لم يبالوا قط من ان يعود الحق الى تصابه - وكذلك بقى من يعتقد في قرارة نفسه ان ظروفه ملائمة ستدفع الشعب حتما في طريق الثورة .

وفي مايو 1854 ، ظهرت جماعة من الثوار في منطقة افنايا ثم في برياشة ، ثم ظهر عدد اكبر في سفوح جرجرة - وقد قاد الجنرال ماكماهون والجنرال رافنون اللذين كلفا بمهمة اعادة السلام بعمليات على راس قوات مهمة ، تؤيدها قوات « قوم » القايد لفضل المغربي ، قايد مجانة والمسئول عن هذا القطاع - وقد قادم الثوار تحت ضغط قوة عدد العدو بتصميم ولم يتخلوا عن مواقعهم الا تحت الضرورة القصوى - وقد قتلوا كلهم فيما عدا عدد صغير بقوا مع ابي بيلة الذي قاد هذه العملية وسقط فيها تحت رصاص العدو - دون ان يعرف احد بذلك حتى اللحظة الاخيرة من المعركة - وقبل ان ينسحب من هذه المنطقة ، قام الجنرال والتون ببناء تكتة في اقبسو واخرى في تويريت ايفيل .

وفي مايو 1857 ، بدأت عمليات موحدة تستهدف بسط السيطرة الفرنسية على قبائل مسيد في جرجرة - تلك القبائل التي كانت تتمتع بالاستقلال التام .

وكذلك ترغلت في هذه الجبال قوات خرجت من بجاية ومن تيزي وزو ومن سور الغزلان - ولكن الفرنسيين وجدوا مقاومة عنيفة عند كل شبر من الارض - على ان المقتولين كانوا يملكون موارد متفوقة من حيث عدد الرجال وقوة الاسلحة وذلك ، فقد اضطرر المقاومون الى التخلي عن مواقعهم لتدريجي وبذلك استقر الاستعمار الفرنسي في مناطق لم يرها هاتج من قبل او يضع فيها نفسه .

ولما قامت ثورة اولاد سيدي الشيخ في سنة 1864 في الجنوب ، تصيرت هذه الثورة الى منطقة البايور حيث قامت عناصر المقاومة في عدة مناسبات باعمال تستهدف منع اتمام شق الطرق - ومن هناك تسربت حركة المقاومة الى منطقة المواصلات الشرقية : الى بني حسين وبني مرعي وغير ذلك من مناطق اعموشة . وك عرف الكولنيل يونغالي خبر هذه الثورة ، جمع جيشا يتكون من 1800 جنديا وضابطا ورتبه على طول الطريق التي تمتد من سطيف .

وفي 12 ابريل 1865 ، هجم عليهم انوار واضطروهم الى مغادرة مواقعهم - وببشا كانوا يطاردونهم في الوادي قامت قوات «القوم» التابعة لاوراج وأحمد خايطي بالاحاطة بهم من الورا وحملوهم على الانسحاب على الهضاب التي تمتد على الضفة اليمنى لوادي جمعة ، وبعد ذلك ببضعة ايام زحف الكولنيل يونغالي الذي كان قد تلقى تعزيزات من بجاية ومن سطيف على المنطقة ، ووقعت معركة عنيفة بين الطرفين سقط فيها عدد كبير من القتلى والجرحى ، واستمر القتال بالسلح الابيض حتى اسفل الليل ستاره وانسحب الثوار تحت جنحه وتفرقوا في كل اتجاه .

وفي 2 يونيو ، قاد الجنرال بيريجو حملة للقمع وقامت بتطيف المنطقة بطريقة منظمة ، فاحترقت القرى ونهبت قطعان المواشي ، واخذت تطلق النار على الرجال والنساء بدون تمييز وقد استمرت هذه العملية ثمانية ايام .

وفي 7 يوليو 1865 ، قام الامبراطور نابوليون بزيارة قصيرة لبجاية التي نظمت له استقبالا رائعا . وفي هذا الاحتفالقيم استعراض للحلفاء للاغاوات واسقياد ، ببرانسهم الحمراء المنقطة بالذهب ، راكبين على جياذ عربية عسبية المزاج وعلى ظهورها سروج مزركشة بالذهب والفضة ، ووراءهم القوات المساعدة «الافواج» ببرانس بيضاء . وقد أعجب جلالة الامبراطور ، كما يقول فيرو ، بهذه المناظر الرائعة وبثراء هذا البلد الذي لا يمكن مقارنته . وكذلك كثر عدة مرات التعبير عن اعتباطه بان يفتنم ببجاية زياته لجزائر ويحمل معه شكريات شالية .

ويعد عودة السلام ، كانت المواصلات بين مختلف المناطق عادية ، وكذلك عاد النشاط التجاري الى الندية ، كما فتح الميناء الذي كان يعمل فيه على وشك الانتهاء ابوابه تدريجيا للمواشر التجارية .

ونظرا لان المناطق الجاورة تقدم جميع الموارد الضرورية لقيام مدسة مهمة ، ولان السكان مشهورون باجتهادهم ونشاطهم ، لم تلبث امدنية ان شاهدت قيام عسدد من المباني والوحدات الصناعية وحدائق وحدات غناء .

بجاية

من خلال بعض الرحالة المسلمين

لعل التعريف بتاريخ بجاية وحضارتها لا يكون كاملا حتى نضيف الى ذلك بعض الوثائق التي كتبها بعض الرحالة او المؤرخين عنها في مختلف عهودها .

ولذلك رايت ان اذكر هنا خصوصا كتبها كتاب مختلفون حول بجاية ، وساوردها حسب ترتيبها الزمني ليستطيع القارئ من خلال قراءته لها ، واستظهار ما جاء فيها ان يعرف لمحات عن تطور المدينة ، والاستفادة من ملاحظات كل كاتب عنها .

وقبل ان اذكر هذه النصوص اسجل بعض ملاحظات عنها .

وابح نوناز
مساعد بالكتبة الوطنية

ومن ذلك ان اليكزي في القرن الخامس ذكر ان بجاية كانت ساحلا لقلعة ابي طويل ، ويغريها قلعة بني حماد لانها كانت تسمى بهامما .

ويذكر الادريسي (548 هـ) ان بجاية قد ازدهرت حينما صارت عاصمة لبني حماد بدل القلعة فكانت تجارتها مزدهرة وصناعاتها رائجة .

وعادت قتلها لكثير من مدن المنطقة اشرقية ونجد فيما كتبه ياقوت الحموي (626 هـ) .
معلومات هامة عن بجاية منها ضبط اسمها ، وتحديد تاريخ تاسيسها بسنة 457 هـ على خلاف المشهور من انها اُسست حوالي سنة 460 .

ومن ذكر اسمها الثاني الملقب الناصر عليها وهو الناصرية وذكر سبب تاسيسها .

ونجد صاحب الاستبصار الذي عاش في القرن السابع هـ على ما يبدو يذكر أن بانيها هو
للنصور بن ولكن ، وقد انفرد وحده بهذه الرواية مع أن بانيها الحقيقي هو أبوه الناصر بن علناس
ويذكر أيضا المصائم التي اختص بها الحماديون ، واهتمامهم بتحسينها وتجديدها .

وأبو الغداء اسماعيل (738 هـ) يذكر معلومات عن اسم المدينة وما يقابلها من بلاد الأندلس
ويذكر محمد بن إبراهيم الكنتي المتوفى سنة (714 هـ) * معلومات عن طيب هوا بجاية وفوائد
نهرها الفسيح ، وهو إلى ذلك يذكر أن الناصر بن حماد بن بجاية سنة 457 هـ على خلاف
الرواية التي تذكر سنة أخرى .

ونجد فيما كتبه ابن خلدون معلومات عن اسم بجاية الذي يورد أصله إلى اسم القبيلة
التي كانت تسكن المكان - وعن قصر اللؤلؤة الذي بناه الحماديون ، وعن حث الناصر لمعوم
الناس على سكناها .

وهو يذكر أن الناصر قد انتقل إليها وسكنها سنة 461 هـ .

هذه خلاصة ما كتبه الرحالون والمؤرخون القدماء عن مدينة بجاية وقد الحقنا بها خلاصات
لما كتبه بعض الكتاب المعاصرين كالشيخ المهدى ، وصاحب أرض البطولة ، ودائرة المعارف
الإسلامية .

وبذلك نرجو أن نكون قد قمنا خصوصا بحية تساعد على دراسة تاريخ بجاية وحضارتها .

والله الموفق للصواب .

1) ما كتبه البكري في القرن الخامس هـ :

مرسى بجاية هو ساحل قلعة أبي طويل ، وعلى هذا المرسي من تلك الجبال قبائل كتامة ،
وهي شيعية يكرم من مال إلى مذهبهم ، ويبدون من وافق اعتقادهم وجيزة جوية ! قبل
مرسى بجاية (1) .

2) ما كتبه الشريف الإدريسي (548 هـ) :

مدينة بجاية في وقتنا هذا (حوالي سنة 548 هـ) مدينة الغرب الأوسط .

وعين بلاد بني حماد ، والسفن إليها مقلعة ، وبها القراغل منطلة ، والامتعة إليها يسرا
ويجرا مجلوبة ، وللصائغ نافقة وأهلها مياسير تجار ، وبها من الصناعات والصناعات ما ليس
يكتفي من البلاد ، وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء ، وتجار المشرق

(1) البكري أبو عبيد (487 هـ) . المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (وهو جزء من أسالك وأعمال
نيسر مودسلان الجزائر مطبعة الحكومة 1857 م) ص 82 .

وبها تمل الشدود ، وتباع البضائع بالاموال المنتطرة ولها بواد ومزارع ، والحفنة والشعير بها موجودان كثيرا ، والتين ، ومائر الفواكه بها منها ما يكفى لكثير من البلاد ، وبها دار صناعة لانشاء الاساطيل والراكب والحرابي ، لان الخشب في لوبيتها وجبالها كثير موجود ويطلب اليها من اقاليمها الزفت البالغ الجودة والقطران وبها معادن الحديد الطيب موجودة وممكنة ، وبها من الصناعات كل غريبة ولطيفة ، وعلى بعد ميل منها نهر ياتيها من جهة المغرب من نحو جبال جرجرة ، وهو نهر عظيم يجاز عند فم البحر بالراكب ، وكلما بعد عن البحر كان ماءه قليلا .

ويصور سن شاء في كل موضع منه *

ومدينة بجاية قطب لكثير من البلاد *** وأما هي في ذاتها فانها عمرت بخراب القلعة التي بناتها حماد بن بلكين ، وهي التي تنصب دولة بني حماد اليها (2) *

(3) ما كتبه ياقوت الرومي (626 هـ) :

بجاية بالكسر وتخفيف الجيم والفاء وياء وهاء ، مدينة على ساحل البحر بين افريقية والمغرب كن اول من اختطها الناصر بن علفاس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين في حدود سنة 497 هـ ، بينها وبين جزيرة بني مزغناي أربعة أيام . كانت قديما ميناء فقط ثم بنيت المدينة وهي لحق جبل شامق ، وفي قبتها جبال . كانت قاعدة ملك بني حماد ، وتسمى الاناصرية أيضا باسم بلتيوا ، وهي مفترقة الى جميع البلاد لا يقصها من المناقع شيء . انما هي دار مملكة تركب منها السفن وتساغر الى جميع الجهات وبينها وبين حيلة ثلاثة أيام وكان السبب في اختطاطها ان تميم بن امز بن باديس صاحب افريقية انفذ الى ابن عمه الناصر بن علفاس محمد بن البجع رسولا لاصلاح حال كانت بينهما فاسدة فخر ابن البجع بموضع بجاية ، وفيه آيات من البرور قليلة فتأملها حق التأمل ، فلما قدم على الناصر فسر بصاحبه واستغلى الناصر ودله على عورة تميم ، وقرر بينه وبين الناصر الهرب من تميم والرجوع اليه ، واشتار عليه ببناء بجاية ، واستركبه وازاه المصلحة في ذلك ، والفائدة التي تحصل له من الصناعة بها ، وكيد العدو فامر من وقته بوضع الاساس وبناها ونقلها بمصكره ، ونسى الخبر الى تميم فارتد لابن البجع العيون فلما اراد الهرب قبض عليه وقتله والحق به عاقبة الفسار (3) *

(2) الشريف الادريسي : بعد سنة 548 هـ ، وصف افريقيا الشمالية والصراوية . الماخوذ عن نزهة المشتاق - نشر هنري بيرييس - الجزائر 1376 هـ - 1957 م ، ص 63 *

(3) ياقوت الرومي 626 هـ معجم البلدان (مصر طبعة السعادة) ج 2 ، ص 62 *

4) ما كتبه صاحب الاستبصار في عجائب الامصار (1) :

مدينة بجاية هي مدينة عظيمة على ضفة البحر ، والبحر يضرب في سورها ، وهي محدثة بناها ملوك صنهاجة اصحاب قلعة ابي طويل *

وتعرف بقلعة حماد اليوم ، وكان سبب بنائها ان العرب لما دخلوا افريقية ، وافسدوا القيروان واكثر مدن افريقية ، وهرب منهم صاحب القيروان الصنهاجي ، وتمسك بمدينة المنية وكان ابن عمه صاحب القلعة المنصور بن بلكين بن حماد اشد شوكة من صاحب القيروان واكثر جيشا خرج لنصرة ابن عمه ، وجيش جيشا كثيرا ، فلقبته العسرب بجلتها بفحص سببية على مقرية من القيروان ، فكان بينهم يوم عظيم حتى هزم المنصور ، وقتل اخوه واكثر صنهاجة ... وكانت الملوك صنهاجة عمائم شوب مذهبة يخلون من اثانها ، تساوي العمامة خمسمائة دينار وستائة وازيد ، فكانوا يصيبونها باتفن سنعة ، فتاتي كانها تاج ، وكان ببلادهم صناع لذلك ، ياخذ الصانع على تعميم عمامة منها دينارين وازيد ، وكانت لهم قوالب من هرد في حوانيقهم يسمونها الرؤس يعممون عليها تلك العمائم للماتجا المنصور الى القلعة نزلت عليه جيوش العرب وضيقوا ببلاده فكدن يصنعهم حتى ضاق ذرعا بهم ، وكان لا يقدر على التصرف في بلاده فطلب موضعا يبني فيه مدينة ، ولا يلحقه فيه العرب قبل على موضع بجاية ، وكان مرسى ويقال انه كانت فيه آثار قديمة فيما سلف قبلها المنصور ، ومعاها « المنصورية » وانتقل ملكهم من القلعة الى بجاية واتخذوها دار ملكة (4) * * * وهي مدينة عظيمة ، ما بين حبال شامخة قد احاطت بها ، والبحر منها من ثلاث جهات في الشرق والغرب والجوف ، ولها طريق الى جهة العرب يسمى بالمطبق *

(5) ما كتبه ابو القدائ اسماعيل عماد الدين اسماعيل (732 هـ) :

بجاية هي كما يقول ابي سعيد : يكسر لباء الموحدة ، وفتح الجيم ثم ألف وباء مثناة من تمت وماء *

وبجاية هي قاعدة الغرب الاوسط ، ولها نهر على شاطئيه البساتين والمنازل في شرقي بجاية ، ويقال بجاية من الاندلس طرطوشة وعرض البحر بينهما ثلاثة مجار ، وغربي بجاية جزائر بني مزغان « الجزائر » وهي غرضة مشهورة من عمل بجاية * (5) .

(4) محمول : كان يعيش في القرن السادس الهجري على ما يبدو وعلى الاستبصار في عجائب الامصار - مخطوط المكتبة الوطنية رقم 2220 * الورقة 83 *

(5) ابو الفدا عماد الدين اسماعيل (732 هـ) تقرير البلدان باريس دار الطباعة السلطانية 2840 م ص 136 - 137 *

(6) ما كتبه محمد بن إبراهيم الكنتي (714 هـ) :

بجاية مدينة حسنة البناء ، مليحة العا ولها نهر فسيح ، تحده الراكب من* البحر الى البلد بناها الناصر بن عتاس أحد بني حماد سنة (457 هـ) وبنا حيتها جمال الرحمن ، وهي جبلت تمرها قبائل البربر كثامة ، بها معدن نحاس ولازورد* (6)

(7) ما كتبه ابن خلدون عبد الرحمن (808 هـ) :

يقول ابن خلدون متحدثا على الناصر بن عتاس : وفي سنة 460 هـ اختلج حمل بجاية ، وكان له قبيل من البربر يسمون بهذا الاسم ، الا أن الكاف فيهم يمتهم ليست كافا بل هي بين الجيم والكاف وهذا القبيل من صنهجة ياقوت لهذا العهد اوراما في البربر ، لما افتتح هذا اسجل لخط به الدنية وسماها « **التاهورية** » وتسمى عند الناس باسم القبيلة وهي بجاية ، وبني بها قصر اللؤلؤة وكان من اعجب قصور الدنيا ، ونقل اليها الناس ، واسقط الحراج من ساكنيها ، وانتقل اليها سنة احدى وستين (يعني سنة 461 هـ) (7)*

(8) ما كتبه سنيقتا الشيخ محمد المهدي القسطيني :

خلاصة مقوله : « بجاية من امهات المدن الافريقية العتيقة » ويقال انها كانت موحدة قبل العصر لقرطاجي ، وأن الفينيقيين قد عرفوها حين قدمهم الى هذه البلاد منذ أكثر من عشرة قرون قبل المسيح ، وازدهرت في العهد الروماني* .

وكان كثير من الجغرافيين القدماء يعتبرونها تابعة لارضى ترميديا* .

موقعها : وتقع بجاية في سفح جبل قوراية الشامخ الذي ، وعلى مسافة قريبة من شرقها يوجد وادي الصرمام أو وادي بو مسعود الذي يسب في البحر معاديا لبجاية* .

وكلمة بحاية هي تسمية حديثة لأن الرومان كانوا يسمونها صلدائي* .

وقد حدثت بها عدة ثورات في العصر الروماني افقدتها شيئا مما كان لها من البهجة والمعمران وبعد دخول المسيحية لشمال افريقية صارت بجاية قاعدة أخرى لها بعد بونسة وفي عهد الواندال (ق 5 - 6 م) كانت بجاية تابعة لهم ، واتخذها جسديق عاصمة له في اول الامر* . وفي عهد بني زيري كانت بجاية في اوج ازدهارها العلمي والاقتصادي ، وكانت من اعظم الموانئ وفي أيام الحفصيين كانت بجاية احدى مراكزهم المتبصرة ، وكانت مزدهرة بالعلوم ومن علمائها

(6) محمد بن إبراهيم الكنتي ، مباحث الفكر ومناهج العبر ، مخطوط المكتبة الوطنية الوراق 67 .

(7) ابن خلدون عبد الرحمن : كتاب العمر (بيروت ، دار الكتاب اللبناني 1999 ، ج 6 ، ص 387* .

الذين القوا بها دروسا بمسجدها الاعظم ابن خلدون * وفي اواخر عهد الحفسيين احتلها الاسبان ثم افككها منهم الاثراك ، ودأمت تحت حكمهم 330 سنة وحكمها منهم 82 باشا * ثم دخلت تحت الحكم الفرنسي في 29 سبتمبر عام 1833 م ، ووجد الفرنسيون أنفسهم بعد فتحها امام مشكلة حفظ الصحة ، لان موانع بحاية كان منذ القديم غير صحي ، وابن خلدون قارقها الى يسكرة لهذا السبب ! وقد فكت الأمراض بجنود الفرنسيين ، وقد نجح الفرنسيون في مكافحة هذه الامراض ولا سيما مرض حمى التقييد ، يرمم البرك ، والاكتار من غراسة الاشجار داخل المدينة وخارجها ثم غرضوا رقابة صارمة على اللحوم والقراكه حفظا للصحة العامة *

وفي عهد الحكم المدني في منتصف القرن التاسع عشر م كانت الامراض قد قلت وحينئذ تصدى الفرنسيون لتحسين المساكن والانهج والاراضي فيها حتى أصبحت عامرة مزدهرة ، وعادت من اجمل الحواضر البحرية في مناظرها الناضرة ، وشطوطها الزاخرة ، ولحياتها العامرة ، وعاد مرساها في الدرجة الثالثة بعد مرسى عنابة ومكيدة *

وهي الآن من اهم المراكز السياحية حيث يتوجه السراح منها من رأس اوقاس لمشاهدة المغارة البديعة La grotte merveilleuse أي يتوجهون منها الى جيجل والقل ومكيدة وسط الجبال الشاهقة والاحراج الكثيفة ، يرافقه هجيج البحر على طول المسافة المذكورة (8) *

ما كتبه صاحب أرض البطولة :

خلاصة ما كتبه : « بحاية يطلق الفرنسيون عليها اسم Bougie أي الضمّة ، ولعل هذا الاسم مشتق من شهرة أهلها بتجارة الشمع منذ عهد بعيد ، وهي ميناء هام في الوقت الحاضر وتابعة لمقاطعة قسنطينة اداليا . وتبعد عنها بمسافة 266 كلم »

وقد شيدت على شكل مدرجات فوق المنحدرات السفلية بجيب قوراية ، التي يبلغ ارتفاعه 660 م ، وتطل على خليج يسمى باسمها ، يحميه عدد كبير من الكتل الصخرية العالية ومناخها معتدل في الصيف لوقوعها في الجهة الشمالية الغربية من هذا الخليج ، وفي فصل الشتاء تسقط الامطار غزيرة في منطقتها مما يعين على وفرة محاصيلها الزراعية وهي غنية باشجار الزيتون والسرير ، والصنعايف وغيرها *

تاريخها : والمعلومات التي تتصل بها فيما يخص القرون الثلاثة لفتح الاسلامي غير معلومة ! وهي قائمة على مدينة رومانية قديمة اسمها صلدائ Saldae

(8) الشيخ محمد المهدي : خلاصة مقالته بحاية في القديم والحديث (الجزائر) مجلة هذا الجزائر عدد 74 سنة 1378 هـ - 1959 م *

ويذكر البكري في عهده على أنها بلدة قديمة يسكنها الاندلسيون ، ولها ميناء جيد ، ومشتى
جميع رابن خلدون يقول أن القبيلة التي تسكنها تدعى « بقاية » فسميت المدينة باسمها *

وفي عهد بني حماد بعد أن هاجمهم الهلاليون وشاققوا عاصمتهم « قلعة بني حماد » فكرر
الناصر بن علناس رابع سلاطينهم في تأسيس مدينة جديدة ، وتمكن من احتلال بجاية سنة 453 هـ
فضيد بها مدينة بجاية ، وأقام بها دارا للصناعة « ترسانة » لصناعة السفن ، وفي سنة 483 هـ
(1091 م) نقل المنصور بن الناصر عاصمته إليها ، ومن ذلك التاريخ صارت من أهم المدن
الجزرية *

وتمتد حولها السهول الخصبة التي تجود بالقمح والشعير والفاكهة بكميات وافرة ، وتنتج
منطقتها الاخشاب ومادتي الراتنج والقطران الجيد في عهد الموحدين : وفي عام 546 هـ ، استولى
عبد المؤمن مؤسس دولة الموحدين واحتلها ابن غنية سنة 579 هـ ثم استولى عليها الحفصيون عام
629 هـ وتوالى عليها الانقلابات ثم جعلها الحفصيون قاعدة اولاية مستقلة ، وعزاها بنو زيان جوالى
سنة 719 هـ وعزاها الرينيون وحكموها من سنة 748 هـ الى سنة 763 هـ *

وظلت كذلك تابعة لحكمهم حتى هاجمها الاسيان بقيادة بدر بن تافارو في فبراير سنة 915 هـ -
1509 م فاستولى عليها ، وجدد حصونها ثم خربها ونهبها وفي عام 919 هـ أغار عليها عروج التركي
وعجز عن فتحها *

وفي سنة 963 هـ (1555 م) غزاها صالح بكريك وبعد سنة اجبر حاكم المدينة الفونمو
دعي بيراقتا وكان ذلك في 28 سبتمبر من العام المذكور *

وحكمها الاتراك نحو 188 سنة ، ووضعوا بها حامية عسكرية ، ولكم لم يستطيعوا ان
يقهروا قبائلها المجاورة لها ، وفي اواخر عهدهم هجر المدينة سكانها حتى لم يبق فيها الا نحو
الف ساكن في اقرن 18 م - كان منهم الحامية التركية التي بلغ عددها 160 جنديا انكشاريا *
الاحتلال الفرنسي : واعنت فرنسا حملة هي ميناء ملونز وعهدت بقيادةها للقائد تريزيل
فوصلها في 19 سبتمبر عام 1833 م - 1249 هـ *

وبعد قتال عنيف قام به أهل المدينة من 30 سبتمبر الى 14 أكتوبر دخلها الفرنسيون ولم
يستقروا بها استقرارا حقيقيا الا بعد أن اخضعوا بلاد القبائل التي حملتهم التي استعرت ما بين
مقتى 1264 هـ - 1247 م = 1275 هـ - 1268 م (- أي أكثر من 11 عاما) *

وبعد ذلك أخذ الفرنسيون في استغلال المناجم العديدة بالمنطقة مع إنشاء الطرق ، ومد السكك
الحديدية التي تربط الميناء بمناطق القبائل ان يسهول سطيف المرتفعة ، وبها معاصر الزيتون
والدواب وغيرها *

وسكان بجاية الآن وتجل الاستقلال بقليل نحو 40 ألف نسمة .

10) ما كتبه الأستاذ توفيق المدني :

مدينة بجاية مدينة التاريخ الحافل ، وعاصمة دولة بني حماد الامجاد ، مرماها من احصن مراسى القطر الجزائري ، وحركتها للتصدير والتوريد قديمة ، وثقفتها لا يستهان بها ، وقد قضى الاحتلال الاسباني على اثارها الاسلامية (20) .

11) ما كتبه دائرة المعارف الاسلامية :

جاء فيها : بجاية مدينة بالجزائر على شاطئ البحر تابعة لانقليم قسنطينية وهي على خط طول 9 ° شرق جرينوتش ، وخط عرض 36 49 شمالا ويبلغ عدد سكانها وفقا لتعداد سنة 1906 م 5528 نسمة . وقد ببيت هذه المدينة على شكل مخرج فوق التجمعات السفلية لجبل جوراية (660 م) وهي تطل عن خليج تصب فيه من الرياح الماصفة عدة كتل عالية من الصخور ومناخ هذه المدينة معتدل جدا في الصيف ويكثر سقوط المطر العزير في تلك المنطقة ولهذا تكثر المزروعات مثل اشجار الزيتون والصنوبر والسنبوب وغير ذلك.

ولا نعرف الا القليل عن تاريخ بجاية خلال القرون الثلاثة الاولى التي اعقبت الفتح الاسلامي بل اننا لا نعرف ايضا العهد الذي اخفت فيه المدينة الرومانية سالدائ Saldai - التي كانت تشغل المكان الذي قامت عليه مدينة بجاية الحالية - ويظهر مع ذلك ان الملاحين لم ينقطعوا عن التردد على هذه الغرضة وان ضاحية من الضواحي قد ظلت باقية على سفح جبل جوراية .

ولم يكن لبجاية شأن هام في تاريخ البربر الا في عهد بني حماد ، وذلك عندما رأى سلاطين قلعته انهم مهددون بغزوات العرب الهلاليين فعزموا على ان يكونوا على مقربة من الشاطئ . ففي عام 453 هـ (1063 م) استولى الناصر بن عيسى وابيع سلاطين بني حماد على بجاية وابنتي هناك مدينة سماها الفاصرية ولكن الاهالي ظلوا يطلقون عليها اسم بجاية - واجتذب اليها عددا كبيرا من السكان اذ كان يعفى جميع السكان الجدد عن الضرائب ، وتذهب الروايات كذلك الى انه كان يجبر الاهالي على بناء المساكن كما كان يفرض على كل من يدخل هذه المدينة ان يجلب معه حجرا او يدفع قطعة من الذهب .

واستقر من نفسه في تلك المدينة عام 461 هـ وابنتي بها قصيرا اسماء اللؤلؤة كما ابتنى رصيفا ممتدا الى البحر ، ودارا لصناعة السفن ، وقنطرة مصفاة بجر المياه ، وسورا حول المدينة به ابراج ، ونقل ولده وخليفته المنصور عاصمة ملكه من القلعة الى بجاية وذلك عام 483 هـ

(20) الأستاذ توفيق المدني : جغرافية الجزائر (الجزائر) 1953 م ص 117 .

2091 م) وشيد هناك قصر أميون ، وأبنتى مسجداً تزيينه منارة ارتفاعها ستون قنبا وواجهها بها 17 بكية Porticoes كما جلب إليها المياه من جبل توجه بواسطة القناطر المعلقة . وغتت بجاية بذلك من أهم مدن المغرب ، وكانت هذه المدينة مقسمة إلى 21 حيا وتضم 72 مسجدا ، وقد أشاد الرحالة بغناها وعظمتها وبنائها طما انتجبارى ١٠٠٠ » .

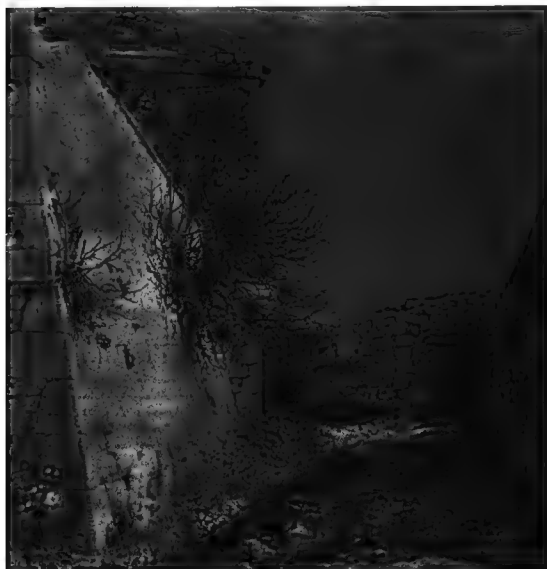
بجاية في آخر عهدها الإسلامي : « ولا اعترم الاميبايون الاستيلاء على بعض الاماكن فكروا في انتزاع بجاية من ايدي المسلمين فاستولى بدروناطرو = Pedro Navarro على هذه المدينة في شهر فبراير من عام 1599 م وجدد الاسبان حصونها . لما المدينة نفسها قنبت وحرب قصر بني حماد الذي كان لا يزال قائما ، وأغار عروج على بجاية عام 1553 ولكن الاسبان ألقوا في مقاومته واحتفظوا بالمدينة حتى عام 1555 م غير أن سلطانهم فيها كان مزعجا » .

وظل أهل القبائل يحاصرون هذه المدينة دون انقطاع في حين أن حاميتها من الاسبان لمسم يزوبوا بالمعونة الكافية من الرجال والذخائر ، وكانت أسوار هذه المدينة قد تخربت عندها جاء بكليك صالح رئيس ودائ الجزائر لحاصرتها فلم يمض ستة أيام حتى تم له الانصهر ولجبر الفونس دي بيرالنا حاكم المدينة على التسلم في الثامن والعشرين من سبتمبر عام 1555 م وعندما رجع هذا الحاكم إلى إسبانيا حوكم أمام مجلس عسكري وحكم عليه بالموت فقطعت رأسه » .

واحتفظ الترك بسلطانهم في هذه المدينة مدة 188 سنة ووضعوا هناك حامية ولكنهم لم يتمكنوا قط من استمالة القبائل المجاورة أو إعادة تلك المدينة إلى مبالغ مجددا ولم يكن في هذه المدينة حتى القرن الثامن عشر الا خمسمائة أو ستمائة نسمة عدا حاميتها ويبلغ عددها 360 جنديا من الأكشارية » .

وبعد استيلاء الفرنسيين على الجزائر « أعدوا حملة في طولون على رأسها القائد تريزل tresselt فوصلت إلى هذه المدينة في 39 سبتمبر عام 1833 م وبعد قتال عنيف فيما بين 30 سبتمبر و 12 أكتوبر استولى تريزل على المدينة ، وظل مركز الفرنسيين في بجاية متراجا بسبب مناورات أهل القبائل حتى أنهم فكروا في مناسبات مختلفة في التخلي عن هذه المدينة إذ شعروا أن احتلالها لهم غير مجد ولم يستتب لهم الأمن فيها الا بعد غزو أهل القبائل عام 1847 م إلى عام 1857 م ومنذ ذلك الوقت أخذ الفرنسيون في تحصين وادئ الصومام واستغلال المناجم العديدة الموجودة في تلك الاقاليم ولتشاء الطرق بعد السكك الحديدية التي تربط بجاية بأهل القبائل الكبرى من جهة ، وبسهول سطيف المرتفعة ومجانة من جهة أخرى وفي هذه العوالم كلها جعلت المدينة ترفل في حلل الرخاء كما أنها أعطت ميناها قيمة تجارية هامة (11) » .

(11) أيقير - مقال حول بجاية - دائرة المصارف الإسلامية ج 3 ص 250 - 252 »



حصن سورامة

مجلد

من خلال النصوص الغربية

هذه مجموعة من النصوص مقبسة من كتب ثلاثة من الرحالة الغربيين (عربي واسباني وإنجليزي) زاروا بلادنا وتجولوا فيها وسجلوا ملاحظات عن مشاهداتهم خلال رحلاتهم في أعمال تعتبر من أهم مصادر تاريخ أفريقيا • والمعلومات التي تقدمها لنا ، تعتبر مساهمة قيمة ولبن يغوت المؤرخين الذين يعنون ببحث الفترة بين الاحتلال الإسباني لبيجاية وتحريرها على يد الإنتراه أن يقدروا حق قدرها • وإذا كان مصنف الرحالين ، العربي والإسباني ، للمحاور التي رافقت الاحتلال الإسباني يتسم بالقصور ، حيث لا يعتمد إلا على الرواية الإسبانية ، وبالتالي فهو في حاجة إلى التفتيح والتكميل ، فإن ملاحظات « شاهد عيان » التي خلفها لنا ، ولا سيما ، ما يتعلق منها بالثأجية الاقتصادية ، وموارد منطقة بجاية ونقط الحياة اليومية ، وأثار المدينة وتحصيناتها التي كانت لا تزال قائمة في الوقت الذي زار فيه كل منهما المدينة ، تستحق كلها أن يأخذها الباحث بكل ما ينبغي من الجِد والاهتمام • وهذا التحديد الأخير ينبغي أيضاً على ملاحظات ثوماس شو ، الذي كان معتمداً من قبل حكومته في بلنسا •

ونحن نقدم هذه النصوص إلى قراء « الإصالة » القراء • مساهمة منا وتقديراً للمجهود الذي بذلته لتبسيط الإشواء على مدينة الناصرية ، مقتصرين في ذلك على ترجمتها بما ينبغي من الإمانة واليقظة • وممن إن تحاول تحليلها أو إتراعها بالهوامش والإضافات • حيث أن ذلك من شأنه أن يخرج بالموضوع عن النطاق المتعارف لحجم المقالة • وهذا ، على كل حال ، نوع من المقالة ، وليس برسالة أو أطروحة •

على أن رغبتنا في الإبقاء على أصالة هذه النصوص وعلى طابع تركيبتها اللغوي القديم واحترام وحدتها العضوية ، لا تمنعنا من تقديم كل واحد من الكتاب الثلاثة إلى القارئ العربي بكلمة وجيزة للتعريف بهم وإعماهم التي أخذت منها هذه النصوص •

جمهورية لها
وتوجه
إسماعيل العربي
كاتب جزائري

تاريخ بجاية

الحسن بن محمد الوزاني الفاسي Léon l'Africain

له عدة أسماء - والاسم الذي اشتهر به في أوروبا - هو الذي أطلقه عليه البابا ليو العاشر (وهو اسم البابا نفسه) ويأخذ باللاتينية الشكل التالي : Johannes de Africana وقد خلع عليه البابا اسمه بعد تقصيره ، تقديرًا لعمله ومعرفته وخبرته الواسعة -

ولد الحسن الوزاني في غرباطة في سنة 1494 - 1495 ميلادية - ولهذا الاعتبار ، فهو يسمى أيضا الغرطاطي ، كما ينسب إلى فاس ، حيث تربى وتعلم - وأما تسمية الافريقي ، فبشتقها من كتابته على أفريقية ورحلاته في هذه القارة -

وبعد مولده بوقت قصير ، انتقلت به عائلته إلى فاس حيث تربى وترعرع ، وبعد ما تقاسم بمهام ديبلوماسية كلفه بها يثر وطاس ، رحل إلى مكة في سنة 928 هـ ، ثم إلى أسطنبول ، وعند عودته من هذه الرحلة (وهي الثانية) وقع أسيرا في يد قراصنة من الصقليين ، فنفوه إلى روما وقد موه إلى البابا يوحنا ليو ، بعد ما عرفوا أنه من رجال العلم ، وقد أكرمه البابا وأثقله عنده وأعطاه برعايته ، وجعله يمتنق المسيحية على يده -

وفي روما ، قام الحسن الوزاني بتحرير عدد من الكتب ، لم يصل إلينا منها إلا اللغة العربية سوى معجم عربي - صيرى - لاتيني ألّفه في سنة 930 (توجد نسخة خطية منه في مكتبة الاسكوريال) - وأما كتابه ، وصف أفريقية الذي نقّص منه النص ايطالي ، فقد وضعه باللغة العربية ، ثم ترجمه إلى اللغة الإيطالية في سنة 1526 م - ولكن النص العربي تلف - وقد نشر راموزيو Romano النص الايطالي في سنة 1550 في البندقية ، ونشر براون R. Browne في لندن في سنة 1896 م النص الانجليزي (أي كان قد ترجمه بوري J. Pory في سنة 1600 م - وفيما يلي نقّص النص الذي يعلق ببجاية من النص الانجليزي الذي نشر بعنوان ' The History of Africa (الكتاب الخامس - ص 699 - 708) -

حينما هربت تاريخ البربر في الجزء الاول من كتابي هذا ، قررت ان اكتب عن بجاية باعتبارها مملكة مستقلة - (ولا وصلت إليها) ، عرفت انها كانت منذ سنوات غير بعيدة مملكة ، ولكنها كانت خاضعة لملوك تونس - وبعد وقوعها خلال وضع سنوات تحت حكم ملك تلمسان ، عادت المدينة إلى حكم ملك تونس الذي ولي عليها احد ابنائه ، وقد اتخذ هذا الاجراء لضعف هذه المدينة وأمنها ، من جهة ، ولكي يأمن من قيام نزاع (على الملك) ، بعد وفاته ، من جهة أخرى -

خلف ملك تونس ثلاثة اولاد ، اكبرهم سنا يسمى عبد العزيز * وهذا هو الذي ولاه على
بجاية ، ويسمى الثاني (أبا عمرو) عثمان Hameen ، وقد ترك له امراء مملكة تونس ، والثالث
يسمى عمر Hameen ، ولاه على منطقة القصور (الزباب) *

وهذا الولد الاخير ، لم يلبث ان شن حروبا ضد اخيه (ابر عمرو عثمان) الذي غلبه في
نهاية الامر في مدينة صفقس وفقا لهيبه ثم ارسله الى تونس حيث عاش عدة سنوات اخصى ، وقد
ظل لحوه عثمان ملكا على تونس اربعين سنة *

ولما امير بجاية الذي كان محبا لاديه مراعيًا لواجب معه ، فقد ظل على حكم المدينة عدة
سنوات هرب خلالها بجاية فترة من الهدوء والسلام ، وذلك قبل ان يطرده منها الملك فرديناند
(ملك اسبانيا) ، بواسطة احد ضباطه ، ميرو نفاار *

وصف بجاية :

بيت هذه المدينة القديمة التي يعتقد البعض انها شيدت في عهد الرومان ، على سفح
جبل مرتفع على مقربة من البحر الابيض المتوسط . والمدينة تحيط بها سور عال متهدم يشهد عظمتها
بجاية في العصور انخالية -

والقسم المعروف من المدينة حاليا ، يبلغ عدد سكانه نحو 8000 أسرة * ولكن المدينة تتسع
- لى اعيد بناء منازلها كلها - لاكثر من 24 ألف أسرة * لانها مدينة طويلة جدا *

ومباني المدينة ومعاييدها يسودها طابع من عظمتها الفن المعاصر ، وفي بجاية عدد كبير من
العلماء الذين يدرسون بعضهم علومها تتصل بالقانون ، والبعض الآخر العلوم الطبيعية والظلمة *
وفي المدينة كثير من المساجد والفنادق والمستشفيات * وفيها ايضا اسواق واسعة عامرة
وطرقها وشوارعها تصعد وتهب بصورة تجعل اصبر فيها شاقا على السكان الذين يقصدون
الى وسطها لممارسة اعمالهم اليومية *

وفي اعالي المدينة ، غير بعيد من قمة الجبل ، تقع قلعة تمتاز بينائها الشامخ والانيق
وياسوارها العالية (1) * وفي المدينة نقوش على انصيفساء (2) وعلى الخشب يعتقد ان تكاليف
اعمالها اكبر من تكاليف بناء المدينة نفسها *

(1) ربما كانت هذه القلعة التي بناها الناصر بن علناس وخربها الاسبان ، وكانت تسمى « البرج
الاحمر » *

(2) في الاصل : Planner-Work

وقد كان سكان المدينة يتمتعون بشراء كبير كما كانت سفنهم الحربية تحمل الخراب الى شواطئ اسبانيا باستمرار * وهذا هو السبب الذي حمل الاسبان على غزو بلادهم حين ارسلوا بيدرو نافارو على رأس أسطول يتكون من 24 سفينة حربية *

ونظرا لان سكان المدينة كانوا يمكفون على اللذات والمتعة ، وكانوا يرتفعون من الخوف للاشاعات التي تتمثل بالحرب ، حيث كانت الحرب لا تثير حماسهم ولم يكونوا مترتبين على اساليبها ، فقد هربوا مع ملكهم عند مقدم بيدرو نافارو ، وتركوا المدينة بكل ما فيها من الكنوز والثمنف التي رقت غنيمة في يد الاسبان * وقد استولى الاسبان على بجاية سنة 917 هجرية وبعدما استولى بيد رونافارو على المدينة ونهبها ، قام ببناء قلعة منيعة على شاطئ البحر ، كما قام باصلاح قلعة اخرى طلت مهيمة وقتا طويلا ، ووسع في القلعتين حاميات من الجنود وزودهما بالذخيرة والسؤن *

وبعد ذلك بسنت سنوات * استولى بربروس الذي كان يريد احتلال المدينة واخذها من المسيحيين ، على القلعة القديمة على رأس السف جندى * وقد تمكن ، من ذلك بمساعدة سكان الجيل المجاورة * ولكنه بعد منذ الجولة الأولى في المعركة مائة من جنوده الذين كان معظمهم من الأتراك كما خس 400 مقاتل من اتباعه من سكان انجيل الذين جاءوا لمساعدته * وعلى اثر ذلك اضطر باربروس الى الهروب الى قلعة جيجل التي سندها * (انظر الاقتباس).

هارمول : Corvayel Mamool

سائح ومؤرخ اسباني ، ولد في غرناطة وهاش في اقرن السادس عشر - اشتهر ضابطا في جيش الامبراطور شارل كينف واشترك في الحملة التي شنّها الاخير على تونس في سنة 1536 * وقد وقع اسيرا في يد العرب وبقي في شمال افريقية قرابة ثمان سنوات * وفي غضون هذه المدة ، اتاحت له فرصة للمساجاة والفزعة في رفقة امياده في مختلف اطراف البلاد - وكذلك استغل وقته بتعلم اللغة العربية التي تمكن بواسطتها من جمع معلومات تاريخية وجغرافية عن هذه البلاد * وبمجرد حصوله على حريته ، قام بتحرير كتاب كبير (معتمدا خصوصا على ملاحظات الحسن الوزاني) - وهذا الكتاب الذي وضعه في غرناطة في سنة 1573 بعنوان * وصف عام لافريقية * لا تزال له قيمته ، وهو الذي نقّس منه للنص الثاني * وقد قام بترجمته الى اللغة الفرنسية ونشره في ثلاثة اجزاء * باريس داليان كورت P. d'Aboucourt في سنة 1607 م *

والمعلومات التي يقدمها المؤلف تشتمل جميع مناطق افريقية الشمالية حتى النيجر - بما في ذلك الصحراء الكبرى - واثيربيا ومصر *

والكتاب يشتمل على سرد تاريخي مجمل للمعارك التي وقعت حتى سنة 1574 م *

وكذلك وضع كتابا تاريخيا آخر ضمنه وصفا للثورة التي قام بها المسلمون في غرناطة في عصر غليب الثاني والقصائد التي ارتكبتها هذا الملك المسيحي (2) - ورواية المؤلف لهذه الحوادث بوصفه شاهدا عيان - لا تزال تمثل المادة الاساسية والمراجع الاول لهذه الثورة -

ولاية بجاية في مملكة تلمسان :

هذه هي الولاية الاخيرة في موريطانيا القيصرية من جهة الشرق - وفي غربها تمتد ولاية الجزائر حيث تقع مدينة تونس - وعلى شرقها تقع مدينة القل ومنصقتها - ويحد ولاية بجاية من الشمال - البحر الابيض المتوسط - ومن الجنوب - نوميديا - او بلاد الجيطل - وبعض الكتاب يضعون ولاية بجاية ضمن مملكة تونس ، ولكن افضل الكتاب يسيرون على نهج يسلّمون ويعتبرونها ضمن مملكة تلمسان التي هي موريطانيا القيصرية ،

من الصحيح ان بجاية كانت تابعة خلال فترة من الزمان لمملكة تونس - بعد ان اخضع ملوكها تلمسان - حيث ان الملك قد نصب لدى عودته من تلمسان احد ابنائه على بجاية وحل عليه لقب الملك - وهذا الملك التونسي ، خلف ثلاثة اولاد ، منح اكبرهم سنا عرش تونس ، ونصب الثاني على ولاية الزاب ، في نوميديا ، او جيطلويا - ولكن الابن الاخير ثار على اخيه ، عقب وفاة ابيه ملك تونس ، واستولى على مدة من في مملكته ، بمساعدة بعض الزوميين والعرب - ولكن اخاه هربه في نهاية الامر ، وخيره بين احد الامرين : القتل ، او فقد بصره - ولما اختار العمى ، افقده اخوه بصره بواسطة صحن محرق من الخصاص ، فقد عاش مدة طويلة وهو اعمى ، وفيما بعد ، منح عثمان اخاه الثالث ، عبد العزيز مملكة بجاية ، حيث ظل ، هو وابناؤه ملوكا حتى استولى عليها بيدرو تاغاري - وفي هذه الفترة كانت بجاية مملكة ، ولكنها ضمت الى تونس -

وبجاية تحيط بها من جميع الجهات جبال مرتفعة تتنقف فيها صيرون ثرة - وفي هذه الجبال ، يقطن عدد من القبائل الزواقي Azagwe والبربر الشجعان الذين يفخرون بنسبهم وكرمهم - وهؤلاء يملكون ثروات من الحيوانات الصغيرة والكبيرة - ويوجد عدد كبير منهم ممن يحسنون الرماية ومن الفرسان -

وهذه الجبال ، لا تزل على طبيعتها الاصلية (3) ، وهي ذات مسالك وطرق وعرة ، بحيث ن سكانها يعيشون في حرية تامة ولا يخضعون للمسلطان ولا يعيثون بقرّة الملوك -

(1) Historia del Rebelion Y Castigo de los Moriscos del Reyno de Granada, Malaga, 1600 , Madrid, 1797, 2 vol

وفي السهول المجاورة (لبجاية) تعيش جماعات من العرب والزواك الذين يسميون على نمط واحد من الحياة ويتقنون بضيافهم في الاضياف ، انهم رجال شجعان ويملكون اسلحة خاوية ، ومعظمهم يمارسون مهنة نسج الاقمشة والسجاد المصنوع على الطريقة العربية ، وغداؤهم يصنعونه من دقيق الشمير ، كما يقتاتون باللحوم والخبز والحبوب التي يجعونه ويترتونه لسنة باكلها .

وفي هذه المنطقة يوجد عدد من مناجم الحديد التي يستخرجون الحديد الخام منها ويصنعون منه قطعاً صغيرة يستعملونها نقوداً - ولكنهم يملكون ايضاً نقوداً من اذهب والفضة ، كما يملكون كميات كبيرة من الصوف والقنب الذي يستعملونه لصنع الاقمشة .

ونساء هذه المنطقة يتمتعن بكثير من الجمال ورجالهن شديدي الفيرة هليهن ، والرجال في هذه المنطقة اشداء القوياء السراعد واحرار ، ولكنه ينقسم النظام ، وبأهم محاربة بعضهم البعض الآخر ، وهم يحصلون زرعهم في السهول المجاورة ، ونحن سنعرض للخصائص الاخرى التي تميز هذه المنطقة ، حينما نعرض لوصف جبال البلد ، بصفة خاصة . واما الآن ، فسنحدث عن المدن .

بجاية عاصمة الولاية :

انها مدينة عظيمة ، كان يسكنها في ايام عزها اكثر من عشرين الف اسرة .

بني الرومان بجاية على سفح جبل كبير مشرف على البحر ، على مسافة ثلاثين فرسفا في شرق الجزائر ، وعلى مسافة اثني عشر فرسفا من جيجل ، وطلعموس يحدد وضلع بجاية هذه درجة 22 درجة طولاً ، و 32 درجة عرضاً - وقد كانت المدينة محاطة بأسوار عالية ولكن الخليفة النشيمي (؟) خربها جزئياً عندما اخضعها - وبعد ذلك ، هاد اليها سكانها ، ولكنها لم تستعد عظمتها وقرتها . - والمدينة قائمة على سفح جبل وتمد حتى قمته ، حيث توجد قلعة مغلقة على نفسها ، وحدث ثقف قصور عربية شامخة ، تمتاز بالجمال اكثر مما تمتاز بمناة البنيان .

ومن جهة البحر ، تثقب قلعة اخرى تعلوها ثلاثة ابراج - ومنازل المدينة متينة البنيان - وفي المدينة عدة مساجد وعدد كبير من المدارس التي تدرس فيها مختلف العلوم .

والمدينة تحيط بها غياص واجنة تمتد خصوصاً في الناحية الشرقية ، وبعد ذلك تنتشر غابية كثيفة يعيش فيها عدد كبير من الاسود والغردة ، والبلد لا ينتج القمح بوفرة ، ولكن السكان ، مع ذلك في مجبوحة من العيش ، بسبب النشاط التجاري الذي يمارسونه مع اوروبا ، ونظراً لان الملك عبد العزيز كان رجلاً وديماً مسالماً وصديقاً للجميع ، فقد عاش سكان المدينة وقتاً طويلاً في ظل السلام ، على ان الرغبة في ازدياد من الثروة دفعت السكان الى تسليح ، ففهم ، والاطلاق في غزى

استولى المصبيحة ، ولما رأى الملك فرديناند ما يلحقه بهذه الضوابط من الاضرار ، وجه اليهم بيد رونافارو الذى استولى على المدينة ، كما سنرى ذلك .

استيلاء بيد رونافارو على بجاية :

فى سنة 1520 م ، ابصر بيد رونافارو على رأس اسطول يتكون من 17 سفينة حربية كبيرة تحمل على متنها جنودا ، وعلى الرغم من ان المدينة كان يسكنها أكثر من 8000 أسرة ، وهو عدد يكفى للدفاع عنها ، فإن السكان قد هجروا المدينة واعتصموا بالجبال ، بمجرد ملاح لهم الاسطول الاسباني ، وذلك لاعتقادهم بأنه بمجرد ما يقوم هذا الاسطول بنهب المدينة سيجهل عنها ويمسود دراجه ، ولكنه (بدلا من ذلك) ، أمر القائد الاسباني ببناء قلعة على الشاطئ ، فى المكان الذى يقع فيه مرسى المدينة الحصين ، وبينما كان متمكنا فى العمل على رأس خمسة عشر ألف رجل لتحسين الدية .

وبينما كان القائد الاسباني يفكر فى القيام بغزوات فى المنطقة ، نزل الى المدينة بكل هدوء فى يوم عيد الفصح امير عيسى ، هو ابن اخ الملك الذى هرب الى الجبال والذى كان قد استولى عليها من قبل بطريق الغدر والخيانة . وقد غدر بهذا الامير صه بالطريقة التى ساصفها :

فقد سار الامير لجباية الضرائب فى قرى ثائرة فى جوار بجاية وولى عمه حاكما على بجاية خلال فترة غيابيه . ولكن العم استعان بسكان المدينة وقام بشورة على ملكها ، ولما رجع ابن اخيه بعدما انتهى من مهمته ، اعتقله وفقا عيته . وقد ظل هذا الامير فى السجن بعد ذلك ، حتى مجيء بيد رونافارو .

ولما هرب الملك والسكان من المدينة ، اطلق سراحه وهرب هوايسا ، ولكنه بعد بضعة ايام ، سار على رأس عشرة فرسان ومثلهم ومثلهم من الرجالة ومعه شيخ من اصداقائه لا يتجاوز عمره ثمانية عشر عاما . (ولما كان يحمل معه علما ابخى طلبا للامسان فقد استقبله الكونت خير استقبالا ثم عهد به الى لحد الجراحين وكلفه بمعالجة عينيه- وقد اكتشف هذا الجراح ان عينى الامير لم تعفنا ، وان كل ما فى الامر هو انهما عنتما تعرضتا للنحاس اشديد الحرارة ذابت الحصص المحيطة بهما وانفلقتا . وما كان من الجراح الا ان قام بإزالة الحصص . واثرت ذلك عاد الى الامير بصوره . ولكي يرد الجميل بالجميل ، اخبر الاسبان بان عمه وسكان المدينة قد التجأوا الى مكان يقع بين الجبال وعرض عليهم ان يقوم هو بدور الدليل ليرشدهم الى المكان لمهاجمتهم .

وعقب ذلك مباشرة ، بحث الكونت الذى سر لهذا الخبر باثنين من رجاله ، ورافق بهما اثنين من العرب للمتعرف على المكان الذى التجأ اليه سكان بجاية . ولما عاد هؤلاء ابغوا الكونت ان

المكان لا يبعد عن المدينة الا بسبعة فراسخ ، وان هذا المكان ، عبارة عن مروج واسعة ، الاطراف تمتد بين الجبال ، وان من الممكن الوصول اليها باتباع طريق تعرفوا عليها .

واثر ذلك ، سار الكونت ليلا على رأس خمسة عشر ألف مقاتل مصطحبا مع الامير وحاشيته ولما اصبح الصباح ، وصلوا الى جوار المروج دون أن يفتأوا لحد في طريقهم ، ولما اقتربوا من المكان ، شامت الطليعة مجموعة من الاشجار توهمت انها خيام العرب وابلغت الكونت اكتشافها ولكن الكونت الذي ادراه خطايم ، زحف في الاتجاه الصحيح على خيام العرب التي كانت تقع على مسافة نصف فرسخ من موقعه .

على ان العرب الذين تنبهوا لزحف الاسبان كانوا قد شرعوا في الفرار - غير ان الاسبان طاردوهم حتى قمة الجبل وقتلوا واسروا منهم عددا كبيرا اثناء المطاردة - وفي نفس الوقت اشعلوا النار في مخيم العرب ، بعدما نهبوه وجمعوا كل ما حوله من القطمان - وقد غنموا في هذه العملية 900 جملا ومثل هذا العدد من البقر وعددا كبيرا من الخيول والبغال ودروس العنم ، كما استولوا على كثير من نقود الذهب والفضة والاقمشة وجميع خيول الملك وسروجه واحباره الكريمة .

وبعد ذلك ، انسحب الكونت بنظام وعاد ادرجه دون ان يتعرض لهزيمة على يد العرب الذين كانوا ، مع ذلك يناوشونه من جميع الجهات اثناء السير . بل انه قتل عددا منهم ولم يفقد جيشه سوى جندي واحد كان قد خرج من الصفوف

ولما اقترب الكونت من المدينة ، استقبله الاسقف الجليل على رأس جميع الكهان الذين رتلوا امامه اناشيد دينية ، ثم اقيمت حفلات سادها السرور والابتهاج ، على الرغم من ان الجنود كانوا متعبين ، فان الجيش ، زيادة عن اجتيازه نهري كان احدهما في حالة هيضان غير عادي مسبب الشوج التي كانت تنوب حينئذ وتغذيه بالياه ، فقد واجه قبل ان يقتحم السهل الذي خيم فيه العرب تحصينات وعراقيل ولخاذا عند كل خطوة ، وقد ذكر العرب الذين وقعوا في الاسر ، ان اللاجئين كانوا يمتدقون ان هذه العرائش كانت كافية لوقف زحف المسيحيين .

وبعد ذلك ، توالت هجمات العرب على بجاية ، وكانوا ينصبون للقرات الاسياحية كمينا اثر كمين ، وقع فيها عدد من القتلى والجرحى من الجانبين ، ولكنه لم يقع شيء يستحق التسجيل . وفي هذه الاثناء ، انتشر بالمدينة وباء ، لم يلبث ان اتسع نطاقه ، بحيث كان عدد الموتى يبلغ مائة في اليوم الواحد .

واثر ذلك ، غادر الكونت بجاية واتجه الى طرابلس للهجوم على هذه المدينة *
وفي هذا الوقت جاء بربروس وشرب حصارا على بجاية على رأس قوة تتكون من ألف مقاتل
تركى وعشرين ألف مقاتل من سكان الجبال المجاورة - وبعد ما اقتحم احد حصن المدينة ، هجم
على الحصن الآخر - وفي هذا الهجوم الاخير ، اصيب بطلقة ميفع قطعت ذراعاه - وعند ذلك
انسحب بربروس ، تاركا وراءه مائة قتيل من الاتراك واكثر من خمسمائة قتيل من العرب ، ومن
هناك رحل الى جيجل *

استيلاء الاتراك على بجاية :

طفت بجاية 35 سنة (٢) تمت حكم الاسبانين الذين كانوا يستقطنون بحماية في قلعتها
تتكون من 500 رجل - وانطلاقا من المدينة كانوا يقومون بغارات على المناطق المجاورة ، ولكنهم
قلما كانوا يتوقفون بعيدا في الداخل ، بسبب شدة شوكة السكان وصعوبة هذه الجبال *
وخيرا وفي سنة 1553 م ، ضرب صالح الراس ، حاكم الجزائر حصارا على بجاية من جهة
البر ، على رأس قوة يبلغ عدد افرادها اربعين ألف مقاتل من الرماة والجنود المسلمين بالهنادق ،
ومن جهة البحر بقوة تتكون من عشرين سفينة حربية - وبعدما استولى على حصن الاميراطور الذي
كان الاسبان قد تشوا عنه ، حيث لم يكن في استطاعتهم النفاذ عنه ، حاصر الحصن الواقع على
البحر والذي لم تكن حاميته تتجاوز 40 رجلا - وبعد ما سلب عليه ثيران المدافع خمسة ايام كاملة
تمكن من الاستيلاء عليه *

وعقب ذلك حاصر القصر الاكبر ، حيث كان القائد ، دوم الفونس دوبيرات متحصنا على
رأس بقية قواته - وبعد خضيه مدة 22 يوما ، ورأى القائد انه لم يعد في امكانه المقاومة ، استسلم
لكي يتمكن من انقاذ حياة النصارى والاطفال ، واشترط ان يسمح له ولان معه بالخروج من المدينة
احرارا وورضع سفن تحت تصرفهم لنقلهم الى اسبانيا *

ولكن التركي ، نفى وعده ، واسر جميع من كان في القصر ، ما عدا دوم الفونس وعشرين
من رجالة الذين ترك له حرية اختيارهم * (انتهى الاقتباس عن الجزء الثاني من 475 = 478)

توماس شو : Thomas Shaw

عاش توماس شو البريساني عدة سنوات في الجزائر ، حيث كان معتمدا يمثل بلده في اواخر
القرن الثامن عشر ، وقد تجول في مختلف اطراف البلد وسجل ملاحظات بعناية وبفصاحة عن

(٢) الصواب 45 سنة (المترجم) :

مشاهداته ، فترت لنا وصفاً ممتازاً ومفيداً للبلد ، تحت العثمانيين ، لا للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فحسب ، بل وايضاً للحيوانات والانهار والجيال والحدن الخ . وقد ساعد هذا الرحالة الجامعي في اداء هذه المهمة ، معرفته باللغة العربية التي قرأ بها بعض كتب التاريخ العسرية ، وانامه باللغة القبايلية ، وكذلك رجع شوقه الى وصف الحسن الوزاني الذي سبقه بنحو قرنين واستقى منه مادة لتكميل معلوماته ونشر الى ذلك بما ينفي من الامانة اطمينة ، والجدير بالذكر ان رحلة شوق قد اعتمدت به ايضاً الى تونس ومصر وفلسطين وسورية وقد وصف مشاهداته في هذه البلاد بنفس الحذية والدقة والامانة . ونحن نقفيس النص التالي من الطبعة الثانية من الرحلة التي نشرت في لندن في سنة 1738 : تحت عنوان :

The Show, Travels and Observations relating to several parts of Barbary and the Levant.

وعلى مسافة قصيرة من مزرعوب Netze Coube يقع ميناء بجاية التي يسميها استراليون Straben صاربو Sardo أوصلالديو Sald - وهذا الميناء اكبر كثيراً من ميناء وهران ومن ميناء ارضيو ، ولكنه يتكون على نفس النوال من لسان من اليابسة يتوغل في البحر وكان معظمه في الازمنة العابرة مغروشا باحجار منجولة . ويمتد على هذا اللسان من اليابسة ، أنبوب ينقل الماء العذب الى الميناء . ولكن حائط الميناء والانهرب والصهرج الذي يفرغ فيه الماء ، كلها اليوم مهتمة . بر أنه لم يبق في المنطقة قائما سوى ضريح السيد بوصفرى Bugaree ، أحد اولياء المدينة .

وبجاية (او Bougie كما يسميها الجغرافيون الحديثون) ، تترجم على انقاض مدينة كبيرة قديمة . وهي مبنية على نفس النوال وهي موقع مشابه لموقع مدينة دلس Delys ولر ان قطرها يبلغ ثلاثة اضعاف دلس .

والى جانب الحصن الذي يقف على قمة الجبل والذي يشرف على المدينة كلها يوجد حصنان اخران في اسفلها يحرسان الميناء . وفي اسوار هذا الحصن ، يمكن مشاهدة الثغرات التي احداثتها قبائل الخدافع التي اطلقها ضد هذا السير ادوارد اسبراج E. Sprag في سنة 1671 م . أثناء حملته المشهورة على هذه المدينة (X) .

وفي بجاية حامية تتكون من ثلاث سرايا من المشاة ، ولكنها ذات فعالية ضئيلة ، حيث انها لا تمتع قبائل جورايا وتوجه المواجهة من ضرب حصار شبه مستمر على المدينة .

وفي محل يوم تقام فيه السوق ، تعمل هذه القبايل منتجاتها إلى المدينة ، وما دامست المعاملات جارية ، يسود الهدوء في السوق ، ولكنه في نهاية المعاملات ، تنقلب الأمور رأساً على عقب ولا يكاد ينقضي النهار دون وقوع اضطرابات بين مختلف القبائل ودون حدوث أعمال السرقة . وسكان بجاية يمارسون تجارة واسعة ، خصوصاً في الحارث والفؤوس وغير ذلك من الأدوات التي تصنع من الحديد الذي يستخرج من المعادن الواقعة في الجبال المجاورة . هؤلاء التجار يشترون أيضاً كميات كبيرة من الزيت والشمع من القبائل المجاورة ويصدرونها إلى أوروبا وبلاد المشرق .

وبجاية تقع على مسافة 82 فرسخاً رومانيا (34 فرسخاً) من مدينة دلس ، أو روسكريم Ruschum الرومانية . وبجاية لا يد وأن تكون هي مدينة سندی Seldin التي يضمها بطليموس في موضع مقوغل إلى الجنوب ، كما أشوت ، حيث يحدد موقعها عند 38 درجة و 30 دقيقة ، عرض - أي حوالي أربع درجات أبعد مما ينبغي إلى الجنوب ، وأيو الغدا أقرب إلى الصواب حين يضمها عند درجة 34 ، إذ لا يبعد بها عن موقعها الحقيقي الاندرجتين و 48 دقيقة (2) .

والحقيقة أن بجاية هي المدينة الوحيدة التي يذكرها أبو الغدا في هذه المنطقة من بلاد البربر . وهو أمر يوحي بالاعتقاد بأن مدينة الجزائر لم تكن موجودة (كذا) في عصره ، أو أنها كانت مدينة غير ذات بلب .

ونهر بجاية الذي يسميه بطليموس مناسافا « Naxava » يتصب في البحر في شرقي المدينة . والنهر يتلقى عدة روافد عند مختلف الجهات التي يمر بها ، ولكنه لا يتلقى أية روافد عند المسيلة كما زعم بعض الجغرافيين الحديثين . وهذا النهر طويل ، وإذا استثنينا (سهول) سطيف وحمزة (البويرة حالياً) ، فإن جميع المناطق التي تمر بها فروعه تتكون من أرض جبلية صخرية ، الأمر الذي ينجم عنه فيضانات وسيول ، ولا سيما في فصل الشتاء ، وخسارات في الأرباح والممتلكات لسكان منطقة بجاية . وبني مسعود الذين يعيشون عند مصب نهر بجاية كثيراً ما يتسربون من فيضان النهر وعثوه .

(2) موقع بجاية الحقيقي هو : 36 درجة و 42 دقيقة ، عرض شمالي ، و 2 درجة و 50 دقيقة طول شرقي (المترجم) .



باب البُـرّ (بجاية)

نظرة على تاريخ بجاية

موقع جبيل :

تقع بجاية على مسافة 230 كيلو متر من الجزائر ، عند مصب وادي السوالم ، عند البحر
سلوح جبل جودايا ، وقد لعبت بجاية التي كانت عاصمة بني حماد دورا مهما في تاريخ
بلدنا . وللمدينة متحينة من الرياح بواسطة الجبال الصخرية المحيطة بها . واما الجون الذي
تقع على شواطئه فقد استلقت انظار الملاحين الذين يبحثون عن ملجأ مأمون منذ اقدم العصور .

المدينة عائلة

العصور القديمة

لا شك وان بجاية كانت مأهولة منذ العصور المنيولة في القدم وانما كانت مقصودة من الملاحين
بسبب الجون الذي تقع عليه . ومنذ العصور القديمة استلقت بجاية نظر البحريين الفينيقيين
والقرطاجيين الذين أنشأوا قواعد تجارية على شواطئ البحر الأبيض . تلك القواعد التي ورثها
النوميديون ، فيما بعد . وبعد سقوط قرطنة ، تحولت هذه القواعد التجارية واصبحت من ضمن
المستعمرات التي أسسها الرومان تحت الامبراطور أغسطس . وحينئذ أصبحت بجاية اسم « صالادي »
او « حسب القروش الاثرية التي عثر عليها ونقشت في بارييس حيث حفلت في متحف « اللوفر »
« صالدا تيوم » Saldonaus وقد كانت صالادي التي عرفت نشاطا تجاريا مهما ، تتمتع
بكثير من الرخاء ، ولم تلبث ان أصبحت مقسرا سقية « والمدينة تحتفظ حتى الآن ببعض الآثار
للصحر الروماني ، ومثلها في ذلك ، مثل غيرهما من المستعمرات الرومانية في هذه البلاد .

على ان هذا البلد الذي كان يتشبث بحريته واستقلاله ، لم يكن راضيا عن الحكم الروماني . وكذلك وقعت عدة ثورات على الرومان واستمرت الاضطرابات حتى وصول الوندال الذين حلوا معهم الحراب والدمار في كل مكان حلوا فيه .

جاء الوندال الى افريقية في القرن الخامس اسلادى . وتقول بعض الروايات ان ملكهم جسيوت قد احتار بجاية عاصمة للوندال . وقد اتخدت المدينة تحت الوندال اسم جورايا ، وهي كلمة تعنى « الجبل » بلغة هؤلاء القوم ، وهذا هو الاسم الذي سيحمله نيبا بعد ذلك الجبل الذي يشرف على المدينة . وقد استمر احتلال الوندال لافريقية وقتا طويلا يزيد عن القرن .

وبعد الوندال، سقطت بجاية في يد البيزنطيين الذين واصلوا عدة ثورات قام بها المدينة ومنطلقا . وقد استمر حكم البيزنطيين اكثر من قرن ، قبل ان يطردهم منها العرب الذين استطاعهم البند باعتبارهم محربين له بكثير من الخامس عن ان بجاية لم تقم بأي دور في بداية العصر الاسلامي .

من صالدي الى بجاية

لقد قضى الاسلام الذي انتشر ببطء في المغرب ابدا، من القرن السابع الميلادي ، على المسيحية والديانة اليهودية التي كان يعتنقها المرور في بضعة عقود . وادأ كان الدين الاسلامي قد انتشر من بداية الفتح الاسلامي ، فانه لم يستقر تماما الا في العصر الحادى .

وقبل ان يبادر الفاطميون المغرب الى مصر ، حاولوا بث عقائد الشيعة في اجبال وفي ارياف .

وبعد رحيل الفاطميين ، حلت محلهم دولتان سنهاجيتان : الزيرون في القيروان ، في المناطق الشرقية من المغرب ، وبنو حماد الذين انشأوا مدينة القنعة في سنة 397 هـ (1007 م) ، في معظم مناطق المغرب الاوسط . وكانوا في مدأ الامر يديون بالولا، للفاطميين ، ولكن الزيرون نبذوا طاعتهم فيما بعد ، الامر الذي اثار حنق الفاطميين واطلقوا المسان لتقابل بنى هلال ليمشروا مسادا في افريقية .

ولما شعر بنو حماد بتهديد العربان لحماصتهم - العلماء -ذكروا في نقل قاعدة ملكهم الى الشواطيء واشاءوا بجاية . وبجاية ، كما يقول ابن خلدون، هو اسم القسيلة البربرية التي كانت تسكن هذه المنطقة ، والجب في بجاية ، فيما يقول هذا المؤرخ، تنفط بين الجبم والكاف .

بجاية الحمادية

في سنة 460 هـ (1067 - 1068 م) احتل الناصر بن علياس « خليفة بولكين بن زيري ، مؤسس مدينة الجزائر وخليفة حماد ، جبل بجاية حيث بنى مدينة سماها باسمه « الناصرية » ولكن المدينة الجديدة سوف لا تعرف في التاريخ الا باسم بجاية . والاسراع في بناء المدينة التي قامت في وقت قصير ، قيل ان الناصر قد ألزم جميع رعاياه بان يقوم كل واحد منهم ببناء منزل ، وكل من دخل اليها بان يحمل معه حجرا للبناء ، او يدفع قطعة ذهبية . وقد عمل الناصر على اعمار المدينة الجديدة بتشجيع الناس للاستقرار فيها ، باعفاء السكان من الضرائب . وكذلك بنى في المدينة قصورا عظيمة يسمى احدها « قصر اللؤلؤة » . وقد استقر الماحل الحمادي في المدينة الجديدة في سنة 461 هـ (1068 - 1069 م) .

توفي الناصر بن علياس في سنة 481 هـ (1088 م) وتقول اسطورة محلية انه لما تنبأ الوالي سيدي لحواتي بان حباية ستصبح خرابا ويهجروها سكانها ، اثر ذلك على الناصر كثيرا واصيب بالحزن . وقد تحق عن الملك - حسب هسة الاسطورة - وتنازل على العرش لابنه المنصور ، ثم احتفى بعد ذلك بوقت قصير تحت ستار الليل وقد استمر البحث عنه خلال اربع سنوات دون ان يمكن العثور على اثر له . ولكن قارب صيد اقترب ذات يوم من جزيرة صغيرة تسمى حربية . في شمال جبل حورابا . وهناك عثر الصيادون على السلطان المابق في حالة يرثى لها . وتضيف الاسطورة انه كلما وضع الناصر يده في المساء حضر مملك وتلقى باصحابه . وبذلك استطاع الجيش خلال اربع سنوات ان يفتحو قاحلة هذا الاكتشاف ، سرعان ما بلغ خبره بجاية . وعندئذ قصد المنصور وحاشيته الى الجزيرة لاعادة السلطان المابق الى المدينة . ولكن لاخير ، صمم على البقاء في تلك الجزيرة حيث مات على إحدى صخورها .

وكما تنبأت الاسطورة ، فستعرف بجاية فترة طويلة من الانحطاط ، ولكن ذلك سيقتصر بعد انهيار دولة بني حماد .

مدينة مزدهرة :

بعد وفاة الناصر ، تولى ابنه المنصور نهائيا على مدينة النعمة وحول عاصمتها الى بجاية التي بنا فيها عدة قصور جديدة ومساجد وزيينها بالمحلات . وتقول بعض الروايات ان المدينة كانت تتشتمل على 21 حيا وعلى 72 مسجدا .

وقد أصبحت العاصمة الجديدة : مثل العلة ، مركزا ثقافيا هاما في الجزائر ، فولد فيها أو فصدما عجب كبير . من الشعراء والكتاب العلماء المتعلمين في جميع مجالات المعرفة - وفي بجاية أقام العالم الصوفي الإدريسي ميسقي بوعد بن الفوت المدفون في تلمسان ، وفيها درس العلوم وقتا طويلا - وأما ابن تومرت الذي نسترفحيه الإصلاحية ، فقد أقام في بجاية ساخطا على الحالة الإقطاعية السائدة بين سكان المدينة وقد تهجم على الجمهور ، ولكن تدخله بالصف في بعض الأحيان ، كانت له ردود فعل من سلطات المدينة - الأمر الذي اضطره إلى مغادرة بجاية ، ليستقر في ملانة تحت حماية القبائل القاطنة في المنطقة ، حيث كان يقوم بالتعليم والوعظ والإرشاد ، وهناك التقى شباب من ندرومة ، اسمه عبد المؤمن ، سيصبح خليفة على امبراطورية الموحدين .

وفي المجال الاقتصادي ، عرفت بجاية نشاطا تجاريا وصناعيا مهما . فقد ذكر الإدريسي أن السفن والقوافل تقصد بجاية وأن المدينة مستودع كبير للبضائع ، وأما سكانها ، فهم أغنياء ، ويحذرون كثيرا من العيون والحرف ، مما ساعد على ازدهار التجارة فيها - وتجار المدينة على صلة بتجار الصحراء ، والشرق وهم يقومون باستغلال مناجم الحديد الموجودة في جبالها - وبكمية واحدة ، فإن المدينة تسيطر للعلامة ، وهي مركز لتواصلات .

كانت بجاية متنقيا للفرق التجارية ومركزا لتبادل الأفكار في نفس الوقت . ولكن هذه المدينة الحماة ، لم يبق منها ، لسوء الحظ أية آثار تذكر .

بجاية تحت الموحدين :

وبعد بنى حماد الحقت بجاية بامبراطورية الموحدين التي اسمها ابن تومرت في القرن السادس الهجري (القرن الثاني عشر الميلادي) فبعدما قهر المرابطين في المغرب الأقصى وفي المغرب الأوسط ، تمكن عبد المؤمن ، خليفة ابن تومرت من قهر جيوش بنى حماد الذين حكموا جزرا من المغرب الأوسط زهاء قرن من الزمن ، واستولت جيوشه على بجاية والقلعة في سنة 546 (1153 م) . وبذلك أصبحت مملكة بنى حماد ولاية من ولايات دولة الموحدين التي اتسعت رقعتها . وبعد احتمال المدينة ، ولي عليها عبد المؤمن أحد إبنائه ثم اختص بيلا إلى مراکش .

استمرت حالة الرخاء التي كانت تتمتع بها المدينة في عهد الموحدين ، وكانت هذه الحالة تدور خصوصا إلى النشاط التجاري الذي كان سكان بجاية يمارسونه عن طريق موانئها مع البلدان الأوروبية والبلدان الشرقية - فقد كان النجار الأوروبيون يقصدون بجاية لشراء الصوف والزيت والخلود والرصاص ، وخصوصا ، شمع بجاية المشهور الذي اخذت منه الشمعة اسم بجاية بالفرنسية Bougie ، وشمع بجاية ظل عدة قرون أحسن وسائل الإضاءة ، وكانت المدينة تصدر كميات كبيرة منه إلى أوروبا لهذه الصاية .

وفي سنة 580 هـ (1186 م) غزا بنو غانية ، وهم من قبيل المرابطين بجاية من جزر البليار . واثري ذلك ، قاموا بتخريب جزء كبير من المقرب الأوسعد . ولكن الموحدين لم يلبثوا أن استعادوا سلطتهم ، على بجاية أولا ، ثم على مختلف مناطق المقرب الأوسط بعد ذلك .

تركسة الموحدين :

بعد سقوط دولة الموحدين ، أصبحت بجاية جزءا من مملكة الحفصيين الذين كانوا تونس عاصمتهم ولكن بجاية ستمستخ عن تونس وتصبح عاصمة دولة حفصية مستقلة .

وكذلك لفت ، تتمتع به بجاية من الرخاء ، انطرب إلى عبد الواد حكام تلمسان والمرينيين ملوك فاس ، ولكن جميع محاولات ملوك تلمسان لغزو بجاية باءت بالفشل . ولكن بقيت ارادته وتصميمه على انضاج بجاية ، قام ابن تاشفين أحد عظماء ملوك بني عبد الواد ، في سنة 719 هـ (1320 م) بساء مدينة محصنة ، غير بعيد من بجاية تسمى تامزدكت ، احتلت مجالها اليوم . ولكن المهمة التي لم يسجل فيها بنو عبد الواد سوى الفشل ، سينجح فيها بنو مرين ، ملوك فاس .

وكذلك تمكن ابو الحسن ، بعدما استولى على تلمسان وقضى على دولة بني عبد الواد مؤقتا من الاستيلاء على بجاية في سنة 745 هـ والاحتفاظ بها حتى سنة 762 هـ (1362 م) ، حينما استعادها الحفصيون إلى ملكهم .

الغزو الاسباني لبجاية :

بعد سقوط وهران في القرن العاشر (القرن الخامس عشر الميلادي) ، وقعت بجاية مع عدد من المدن الساطنة في يد الاسبان ، وقد بقيت بجاية لى احتلها بيدرو نافارر ، تحت

سلطة الإسباني من سنة 916 (1510 م) حتى سنة 963 (1555 م) ، وفي غضون هذه الفترة التي تمتد على خمس وأربعين سنة ، نهب الأسبان المدينة ودمروا قصورها ونصروا على نشاطها التجاري الذي كان قرويا منعاقبة سبب إزدهارها والمورد الرئيسي لنشاطها . وهذه الحالة هي التي حصلت السلطات التركية في الجزائر على التمثل لطرد الأسبان منها .

فان صايح الرايس ، باشا الجزائر قرر الاستيلاء على بجاية وشدد حصارا عليها في سنة 963 هـ (1555 م) - وسلم دون العونس بولطاً ، حاكم بجاية الأسباني ، واستسلمت بجاية وأصبحت تشكل منذ ذلك الحين جزءا من مملكة الجزائر التي أسسها الإخوان بابربروس .

وعقب احتلال الفرنسيين للجزائر في سنة 1830 ، منعت بجاية في أيديهم بعد مقاومته صيفة ولكن سكان بجاية وضواحيها لم يقبلوا الحكم الاستعماري الفرنسي . ولذلك فقد اشتبكوا في عدة ثورات متوالية ، ولا سيما ثورة 1871-1872 ، وبعدة ذلك ثورة التحرير الوطني 1954 - 1962 ، التي انتهت بطرد الغزاة المحتلين من بجاية ومن جميع التراب الوطني .



تاريخ بني حمّار لسان الدين الخطيب المتوفى سنة 776 هـ

إن هذه التبعة التاريخية حول بني حماد هي بعض أجزاء القسم الثالث من كتاب اعلام
الإسلام لابن الخطيب ، وهي لبنة كانت أهمية لانها تتناول تاريخ بني حماد الذي اعرض كثير من
المؤرخين عن تدوينه ، وتعتبر هذه التبعة جزءا مكملًا لما كتبه ابن خلدون عنها في كتابه
في الملوك السلاسل .

مقدم :
وأرجو أن

سألت بالأسئلة الوطنية وقد نجد فيها معلومات قيمة لا نجدها في تاريخ ابن خلدون نفسه . ومن هنا تأتي
أهمية هذه التبعة التاريخية . وتنتج قيمتها عندما يبحث المؤرخ تاريخ بني حماد وحضارتهم
في القرنين الخامس والسادس الهجريين

الحمد لله ، بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا معجده وسلم تسليما .
ذكرى لقدم الملوك صنهاجة من ذرية حماد بن يثكين بقعة حماد وبجاية وما إليها (1) .

وقد تقدم ما كان من تسليم حماد بن يثكين (الامر لاجية المنصور) وإن ولده باديس لما صار
إليه الامر صرف حماد إلى العرب فخرج من القيروان سنة 390 هـ (2) بعد أن اشترط عليه
ما شاء وجعل له كل ما يفتحه ، واعاد من الوصول إلى إفريقية بعد فتح بن حماد بالجهة
العربية ملك كبير .

(1) هذه التبعة من تاريخ بني حماد اقتطعت من كتاب لابن الخطيب لا تعرف ما هو ، وهو
يعد ضمن مخطوطة تحمل رقم 2568 - الورقة 206
(2) ابن خلدون كتاب العمر ، ج 6 ، ص 349 ، أن ذلك كان سنة 487 هـ ، ويذكر أنه قبل
طاعة العبيديين وقتل الرافضة .

1) دولة حماد بن بلكين بن زيري بن عناد :

وكان حماد نسيج وحده ، وفريد دهره ، وفحل قومه ملكا كبيرا وشجاعا نبيا ، وداهية حصيفا ، قد قرأ ، ألفقه بالقيروان فطرب في كتب الجدل واختاره مشهورة ، وهو الذي بنى القلعة المنسوبة إلى حماد بالحصرة الباقية الأثر على توالى الفير وتسمى عيائنا فالتحذ بها القصور العالية والقصبات المنيمة والمساحد الجامعة ، والبساتين اللينة ، ونقل إليها الناس من سائر البلاد ما بينه وبين باديس بن أخيه وتحرك كل متهمالى لقاء صاحبه فكان جيش حماد الذي خرج به من القصة آخر سنة 405 هـ ثلاثين ألف فارس واتيح عليه الظهور لابن أخيه باديس كما تقدم ذكره ونزل الفرج على حماد بوفاته ، واتصلت بعده أيام حماد إلى أن توفي في شهر رجب 429 هـ (2) وولي بعده ولده القائد أبو حماد .

2) دولة القائد بن حماد بن بلكين بن زيري

واستعالم الأمر للقائد بن حماد لاستقبال المغرب بابن باديس عنه ، لما دهمه من العرب وكان شديد الرأي ، عظيم القدر ، وتحرك إلى حرب حامة بن زيري المفاوي أمر مدينة فاس وخلع القائد بى عبيد كما فعل ابن عمه ، ودعا إلى بى العباس إلى أن هلك في ذي القعدة سنة 446 هـ فكان ملكه سبعا وعشرين سنة وولى بعده ولده محسن .

دولة محسن بن القائد بن حماد بن بلكين :

وكان القائد أوصى ابنه محسنا أن لا يخرج من القلعة إلى تمام ثلاث سنين فخالف وصيته ما نارهه يوسف بن حماد عمه بالحرب وخروج إليه فاعتاله ابن عمه بلكين من محمد بن حماد ، وكان واليا على بلاد الكريون . فقتله وعساده إلى القلعة فدخلها ليلا ومنكها . وكانت ولاية محسن ثمانية أشهر وثلاثة وعشرين يوما ووعاته في ربيع الأول سنة 447 هـ .

(2) عند ابن خلدون : كتاب العبر ج ، 6 - ص 332 أنه توفي سنة 429 هـ ، ولعل هذه الرواية هي الصواب .

(3) دولة بلقين بن محمد بن حماد بن بلقين :

وكان شجاعاً حربياً على المظالم سفاكاً للدماء ، وتحرك من القلعة لحرب زناتة في صفر سنة 494هـ وكان قد بلغه ظهور يوسف بن تاشفين ببلاد المصامبة فتحرك حتى دزل بهاس ففتحها وجاس بلاد المغرب ودوحها ، وبيع يوسف بن تاشفين خبره فتركوا لها إلى الصحراء خوفاً منه إلى أن قبض له من الباهر أحد بني عمه ، وأقدم عليه إعدام الأسد ففرق بين روحه والجسد .

وه حكاية مشهورة ، قال ابن بسام في كتاب الذخيرة ما نصه : وأذكر هذه القارة الصلحا ، والفنكة الشهيرة الترهاه ، إذا التقى يذكر مع من جاسه ، ويصم إلى ما التف به ، ولا يسه ما أتى في مثلها في ملك المداين المفاين إلى وقتنا هذا على طرف إفريقية الأدنى المسقرة رياستهم نقلتهم المسوية إلى خدمهم حماد ، وذلك أنه لما أنقض ملكهم إلى بلقين بن محمد آخر جبابة الإسلام المقاتلين على الأيام من رجل كان لا يملأ يده ، لا من لينة أسد ، ولا يسرح لسه إلا في عاب يند مضطهد ، ولا ينافع إلا ويحضر الموت بلنظم ، ولا يكلم إلا حين يبتسم ، قد تجاوز في شموذ (لعله شموذ) صميه وقهره فرعيته ، والإحافة لأقرانه ، والاستبداد على زمانه غاية من سلب من حيازة الأرض ، وسمح به من مراعاة الأسرام والنقص إلى شهرة آثاره ، وتطسارح أسفاره ، وما لا يحصى من عجائب أجناده .

حدث أنه آبد هجرة من بعض غزواته (3) فكانه ارتاح إلى ما يرتاح إليه الناس من إراحة نفسه ، وأخلو ولو ساعة يوجه أنسه فجلس لذلك مجلساً حشر له شهوراته ، وتقم في أحضار ما يصلح من آلاته وأدواته وأمر قيمة جواربه باستحضار عقيلة أقرانها يومئذ حلالة سلطان ، وحسن سماع وعيان إحدى بنات عمه دنيا لم ير بعد ما زعموا ولا قبها أمدع طرفاً ولا أقتل طرفاً ، فجامت ترد الثريا لو تكون نعلها ، والشمس تصور منها وقد حطرت بنفسه إحدى هنائه ، وبمثلت له بعض غزواته ، فأخذ يدبر ويدبر ، وطلق يورد البصير ، قالت قبيته وكان نظره إلى الكاس في يده ، وإلى أبنية قاضية على رأسه فاعتذر إليها ، وأمددناها وسناها ، وقام من حية فوضع الكاس ملائناً في طاق ، وطبع عليها ، وأمر بالركوب من حسه فعرأ غزواته المشهورة إلى غرب المدة وبيع فيها مدينة فاس فوطأ الدول ودوخ السهل والجبل .

(3) جملة مضموسة بالاصل .

وَمَا إِلَيْهَا
مِنْ شَيْءٍ وَبِئْسَ مَا يَكُونُ

وقد قطع من كل من ساج وادس
 بلعن الامرا بحية النمر وادس
 لمنا وادس امير من ساج وادس
 من ساج وادس وادس وادس
 اشترى من ساج وادس وادس
 ما يعطى وادس وادس وادس
 يقبض وادس وادس وادس
 الغريبة ملك وادس وادس
 وادس وادس وادس وادس
 وادس وادس وادس وادس

67,

وكان حياط فيسبح وحده، ومي يند
 جهده، فجعل عومه يتكلم برأيه
 فتأولامية حصفا في الآخرة
 بالقيروان فتكلم في مكتب العدل وإجازة
 مشورة وموالت في الآخرة
 المنسوبة إلى الواحد في الآخرة
 الأثر على توالي العز ونفسه غياثا
 حاشية بها القصور والعبادة والتضام
 المتبعة والمساعد في الآخرة والعبادة
 بزل الآخرة ونقل إليها السامر من إله
 السلام حاشية ويسر باد يسر حاشية
 وقر كمنها إلى إله، صاحبه
 فكل جيش هذه الخرج في من الآخرة
 أخرى في شحنة تلتها في الآخرة
 عليه القصور كإرضاء يسر كإرضاء
 تغفر وتكر، ونزل العز على حاشية في الآخرة
 وأصلك بعد، أيع جهاد إله في الآخرة
 ومنه رجا في شحنة وول حاشية في الآخرة

ثم ومع الى ذلك المجلس بعينه ، واستدعى كاسه بذلك ، رواية عنه فحلا نفسه ، وقضى وطره من لذة تصبه بمد ايام كثيرة وحروب ميرة .

وبا تناهي امره ، وتجاوز السوى ذكره ، ولفن ان الناس على حكمه ، وان البلاد تحببت خيمه في بعض أسفاره . . . (4) ابن عمه الفاضل اصغر خلق الله شيئا واحدا منهم عليه سرا (5) وهم من خبيث المسالك على الموت ، وهو ينظر لم يشاور الا الحسام ولا استصحب الا الاقدام ، وقد كان بعض نصحا ، ولكن خوفه منه لكنية أحدث يومئذ عنه فجعلها بلكين صلة وكابه وسمم اصحابه وكان قلما يركب الا دارعا حادعا يأخذه من روع القلوب ، ووتر القريب والبعيد ، وكان مولعا بالادلاج ، اذا ارتحل مؤثرا للانعقاد كلما ركب ، ونزل ، فاقسم تلك الليلة الا يبلج الا حاسرا وليقبل الناس اعزل (6) اذا نزل ولو كان اسدا خاضرا فاعجله عن الامر ولم يبد ضو ، الفخر حتى لقيه كأنه يسم عليه ، ويسير بين يديه ، فما واحسه التكلم الا وقد جلجله الحسام ، واراحه اله البلاد والانام .

ثم قام معاه ، واستظل اعلامه ، وامر برأسه فرفع على عصا رسير به امامه ، والاس يطولونه بلكين قد قتل بعض أتباعه المحتجين فهم يسألون من قبل ، ويحسمون الظن فيما فعل حتى طلعت الشمس ، وارتفع اللبس ، فامر برفع حضارته وحشر زعماء دولته وأقاربه فقال انتم تمررون ان بلكين قتل اخي وجعني في أكثر حربي ، وانما شغيت صدرى واحدا بوترى لا اتنى حدثت نفسى بسلطاتكم ، ولا أرى شيئا أهلا للدول في شيء من شأنكم فردوا عليه جيلا ، ورأوا أمهاله قليلا فظنوا انه يجسر على ما فعل ، ولا وله امتياح وحوله خول واتباع وكل واحد منهم قد ارتاب بمن يليه ، واحسه ما هو فيه وامر لحيه بفرائن بلكين فاتجهوا ديوان العرب وصغرة زنانة واستحل بذلك عيونهم ، واملأ اليه قلوبهم ، ورحل تحت ليلته فطوى المراحل واعتسف المجاهل فسبق الاخبار الى القلعة ، فطوى الحريم وكان دخوله القلعة يسوم الخميس للنصف من شعبان سنة 455 هـ .

(4) هنا نقص في الاصل وقد جاء في ابن خلدون ما يكمل هذا النقص فقال : وانهر من الباصر ابن عمه الفرصة في النار ياخذه وما لأقومه من صهاجة لما لحقهم من تكلف الشقة بإبعاد اعزوا فقتله بتسالة سنة 454 هـ .

(5) جملة مطبوعة في الاصل .

(6) في الاصل وردت الكلمة مطبوعة اصلحنا ما يناسب المقام .

4) حولة الناصر بن علناس بن حماد :

ولما استقام الامر لناصر بن علناس كسره مجاورة بني حماد بأكناف القنطرة المنسوبة اليهم اذ كان يسكنها من فرسان صنهاجة اثنى عشر ألف فارس بسى قريبا منها بالجبل مدينة وقصورا شامخة مسماة باسماء عديدة واحتل ببناء (7) اعمام الاعظم المذكور في تاريخ صنهاجة ، وكان الناصر حريشا على سفك الدماء شديد القيرة على النساء ، له في ذلك اخبار مشهورة ، وهو الذى بنى مدينة بجاية وسماها الباصرية وبني بها قصر النزلوة واتست مملكة الناصر ٢ الى ان تاهه اهل القروان سنة 460 هـ .

وتوفي الناصر يوم الجمعة السابع من جمادى الاولى عام 46٤ هـ ، واحتمل الى بجاية فدفن بها وولى بعده المنصور *

5) حولة المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد :

وللمنصور بن الناصر آثار عظيمة ، وقصور شامخة منبجة ، واخبار شهيرة وتحرك الى المغرب ، وقد صارت تلمسان الى ملك المرابطين في حيوش عظيمة اشتملت عشرة محلة في 494 هـ ، وتازل تلمسان تم اقلع عنها صلحا ، ولما قتل عن تلمسان توفي بعد سبعة اشهر في شهر ربيع الآخر 498 هـ وكان قائما على امره حيد الخلال ضابطا للامور بكتب ويشمر وينهب في اموره منهب ابنى جعري المنصور من وقع الثياب والحفظ على القليل من الاشياء ، وعليه قسم عن الدولة بن حماد لما فر من المرية امام المرابطين فاقطعه تدس (8) ونظرها ، سكنه بها حسيما هو معروف وولى بعده الامر ناديس بن المنصور بن الناصر *

6) حولة ياديس بن المنصور بن الناصر بن علناس :

يكفى ابا معد ، وكان شديد البأس عظيم السطوة سريع البطش فيحكى من جملة نصافته انه الذى رجلا صالحا الى الاسود فبات ليله معها واصبح لم تمت عليه ، وكانت وفاته ثالث عشر في ذى القعدة سنة 498 هـ *

(7) كلمة ساقطة من الاصل زدتها ليستقيم معنى الجملة *

(8) في الاصل كلمة مطبوعة واصلاحها بما جاء في كتاب العير ، م ، ج ، 6 - م ، 46٢ حيث قال ابن خلدون : قسم عليه من الدولة بن حماد من المرية فارا امام المرابطين ، ونزل على المنصور واقطعه تدلس ، دلس ، الحالية ، وانزله بها *

ويقال ان أمه سمته لأنه كان يهدمها ويتوعد هارقد ذكر مثل ذلك في الهدي من بني العباس ،
وولي بعده العزيز بن أخيه *

7) دولة العزيز بن المنصور بن علناس :

وهو الذي استوطن بجاية ومن بعد ولايته شرعت القلعة في الحراب ، وكان حسن الخلق ،
معتدل الطريقة كاتب ملوك زمانه وسالمهم فكانت أيامه أعيادا حسنها وجمالها ، وله في ملكه آثار
عظيمة ومبان رفيعة وكان يعرف بالمليون لولائه لئله وفات أمه - ولما توفي (9) ولي بعده ابنه
يحيى *

8) دولة يحيى بن العزيز بن المنصور بن الناصر :

وكان يحيى بن العزيز فاضلا حليبا فصيح اللسان والعلم مليح العبارة بديع الإشارة وكان
مولما بالصيد مفروما به كلما باللهي يحضر عندهم بهم نحو العشرين بين امراء (10) من شيوخ
وعجائز وحقق فكان يستلقي في بيته على الفرش الوثيرة والحشايا ، ويستمتع المضحكين وجوارح
الصيد فيحتبى هذا البأزى *

ويشقه هذا الكلب ويتنهض هذا المضحك في النوع الذي سلكه فيلهيه ويضحكه ، ويجلس ابدا
بين يديه اخواته تقسو - طلوا - ملال وشبهة في رى العرائس من الحلى واللباس فلا يزال
كذلك الى ان ينام ثم يهتدى الى الصيد فكيف انقضت أيامه الى ان توفي عام 546 هـ ، وكان قد
ولي به المنصور عهده فتوفي في حياته وعظم وحده عليه ولا اضطربت حاله بظهور دولة
لخوذة حتى بقسنطينة ثم نزل عنها للموحدين مستامنا لنفسه * وسكن بقصر ابن عشرة من صلا
وكانت وفاته بها * (11)

19) كانت وفاته كما يذكر ابن خلدون في كتاب المعراج ، 6 - ص 364 سنة 475 هـ .

20) هكذا وردت الجملة مختلفة في الاصل *

21) في ابن خلدون : كتاب المعراج ، 6 - ص 364 ان عبد المؤمن بايع له يحيى سنة 547 هـ .
ونقله عبد المؤمن الى مراکش فسكنها مدة ثم انتقل منها الى صلا سنة 558 هـ - وسكن قصر
بني عشرين (لا عشرة) الى ان هلك في هذه السنة 558 هـ .



جزء من صحيح البخاري (شاهد) من النسخة .
أجزاء الخط العربي الحديث من قبل خطاطي النسخة
(نسخة بجاية)

بجاية في حقائق الكتب

نصوص عربية وفرنسية
اختارها وعلق عليها

م. بلعيسى
كلية الآداب
جامعة الجزائر

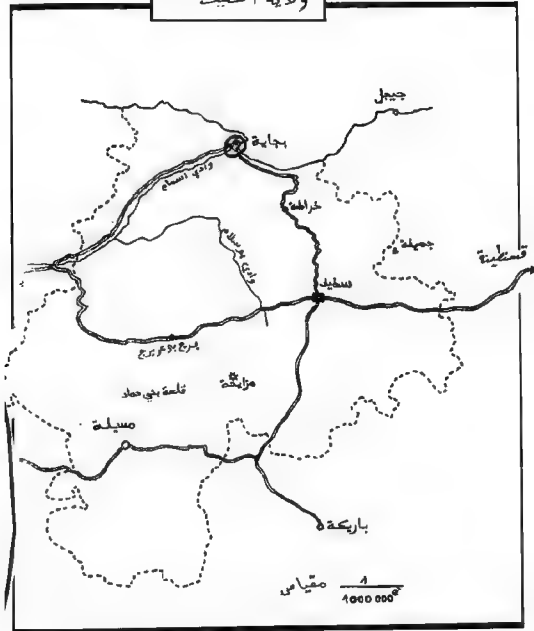
طبعة قديمها خطير وذكرها في كل زمن يظفر
خطابها من الملوك كثير ومجلها من النفوس أثير
(أبو النضر، خالد بن عيسى بن أحمد : الرحلة إلى بجاية)

باب

الوصف والرحلات

وجنت بجاية فجئت بمودا . يضيّق بوصفها حرف الروى
(ابن الفكون ، الرحلة من نسطية إلى مراكش)

ولاية سطيف



● قال أبو عبيد البكري : (من أعلام القرن ١١ م - ١٢ هـ)

« ... ثم هزم مديسة بجاية أزيلية أحلة عامرة بأهل الاندلس بشرقيها نهر كبير تسخه
لسفن محصنة ، وهو مرسى مأمون مشتهى ، وقد خرج عن معاذة جزيرة الاندلس »
(كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب)

● بجاية

« مدينة على ساحل البحر بين افريقية والمغرب كان أول من احتلها الناصر بن علناس بن حماد
ابن زيري بن مناد في حدود سنة 457 هـ - بينه وبين جرائر مزغناي أربعة أيام وهو على ساحل
البحر » وكان قديما مينا فقط ثم بنيت المدينة وهي في طرف جبل شاهق وفي قبلتها جبال كانت
قاعدة ملك بني حماد وتسمى الناصرية أيضا باسم يائها ، وهي مفتوحة الى جميع البلاد لا يخصصها
من المنافع شيء ، إنما هي دار مملكة تركب منها السفن وتسافر الى جميع الجهات » »
ياقوت : معجم البلدان

● قال الإدريسي

[هو أبو عبد الله محمد بن محمد الشهير بالكثيرف الإدريسي ولد بسبسة سنة 1099 م وتوفي
بصقلية حوالي 1180 م]

« ومدينة بجاية على البحر لكنها على حرف حجر ولها من جهة الشمال جبل يسمى مسيون وهو
جبل سامي الغلو صعب المرتقى وفي آكفانه جبل من النيات المنتفع به في صناعة الطب مثل شجر
الحضض والسقوروفندوريون والبرباريس والفنطوريون الكبير والراوانه والفسطون والافستنج
وغير ذلك من الحشائش »

وفي هذا الجبل كثير من المقارب صغر الألوان لكن ضررها قليل .

ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الاوسط وعين بلاد بني حماد والسفن اليها مفعمة وبها القوافل منعطة والامتعة اليها برا وبحرا محلوطة والبضائع بها نافعة ، واهلها مياسير نجار، وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد واهلها يحالسون تجار المغرب الاقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق ، وبها تحل السفود وتناع البضائع بالاموال المتقنطرة . ولها بسواد ومزارع ، والحطه والضمير بها موجودان كثيران والتين وسائر المواكه بها ، منها ما يكفي لكثير من البلاد ، وبها دار صناعة لانتشا الاساطيل والمراكب والسفن والخرابي لانه الخشب في اوديتها وجمالها كثير موجود ويجلب اليها من اقاليمها الزنت البالغ الجودة والقطران ، وبها معادن الحديد الطيب موجودة وممكنة ، وبها من الصناعات كل غريبه ولطيفه ، وعلى بعد ميل منها نهر ياتها من جهة المغرب من نحو جبال جرجرة وهو نهر عظيم يجار عنه فم البحر بالمراكب . . . ومدينة بجاية فعلم لكثير من البلاد . . .

واما مدينة بجاية في ذاتها فانها عمرت بخراب القنعة التي بناها حماد بن بقلقن وهي التي تنسب دولة بني حماد اليها . *

(ترجمة المشتاق . . . طبعة دوزي ص 90 - 92)

● بجاية

هذا النص مقتبس من كتاب الاستبصار . . المؤلف مجهول يقال انه من رجال القرن 6 هـ . - 12 م . * اعني ينشر الكتاب المستشرق كريمر سنة 1852 ثم نقله الى الفرنسية قانون سنة 1900 . * هي مدينة عظيمة على الضفة البحر تصرب في سورها وهي ممددة من بناء ملوك صنهاجة اصحاب قلعة ابي طويل . . . وكان مرسى . ويقال انه كانت فيه آثار قديمة وانها كانت مدينة فيما سلف ، فبناها المنصور وسماها المنصورية (1) وانتقل ملكهم من القنعة الى بجاية واتخذوا

(1) حقا : مؤسس بجاية هو الناصر واسم المدينة الاول هو الناصرية .

دار منكنهم » وبينها وبين قلعة بنى حماد مسيرة أربعة أيام . وهي مدينة عظيمة ما بين جبال شامخة قد احاطت بها والبحر منها في ثلاث جهات : في الشرق والغرب والجنوب . ولها طريق إلى جهة الغرب يسمى بالمضيق غسل صفة النهر المسى بالواى الكبير ، والطريق إلى قلعة بنى حماد على عقاب واوعار ، وكذلك طريقها إلى الشرق . وليس لها طريق سهلة إلا من جهة الغرب فلم يكن للغرب إليها سبيل ولا كان يصل من الغرب إلا من يبعث إلى الملك لمسانمة على بلاد القلعة وغيرها فيلحقها فارس أو فارسان دون عسكر . فبقى صاحب بجاية يضاهى في ملكه ملك صاحب مصر ، فإن بجاية على نظر كبير وقائد عظيم . وبجاية مملكة من جبل قد دخل في البحر يسمى «أمسيول» وعليها سور عظيم والبحر يضرب فيه . ولها داران لصناعة المراكب وأنشاء السفن ومنها تفزا بلاد الروم ، فانها ليس بينها وبين صقلية غير ثلاثة بحار . وهي مرسى عظيمة تعطل فيها سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم وسفن السليسي من الاسكندرية بطرف بلاد مصر وبلاد اليمن والهند والصين وغيرها . ومدينة بجاية كثيرة العواكك والاثار وجميع الحيرات وهي مشرفة بزيعة مطلة على البحر وعلى فحش قد احاطت به جبال دوره نحو عشرة أميال تسمى النهار وعيون ، وفيها اكثر بساتينهم . ولها نهر كبير يقرب منها بحو الخليل أو دونها وعليه كثير من جناتهم ، وقد صنمت عليه نواعير تسقى من نهر ، وله منزله عظيم . وفي بجاية موضع يعرف بالملولة وهو آنف من الجبل قد خرج في البحر متصل بالمدينة ، فيه قصور من بنى ساملوك صنهاجة ، ولم ير الراؤون احسن منها بناء ولا انزه موضعا ، فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبايك الحديد والابواب المخرمة . والحال المخرقة المبية حيطانها بالرحام الابيض من اعلاها إلى اسفلها قد نقشت احسن نقش وانزلت بالذهب والازورد . وقد كسبت فيها الكتابات المحسنة . . . وصورت فيها الصور الحسنة فجاءت من احسن القصور منزها وساملا . وهذا الجبل اسميون الذي فيه بجاية جبل عظيم عال قد ذهب إلى الجرد وقد خرج في البحر وفيه مياه سائجة وعيون كثيرة . . . وهو كثير القرقة ويكون فيه الحيوان المشوك المسى بالدرب . »

(كتاب الاستبصار في عجائب الامصار ص 29 - 20)

● مدينة بجاية

ثم وصلنا الى مدينة بجاية مداً الاتفاق والنهاية . وهي مدينة كبيرة حصينة مبيعة مشهورة بركة بحرية . سنية سرية . وثيقة البنيان عجيبه الاتقان ونسبه المباني ، غنية الماني . موضوعة في اسفل سفح جبل وعز . مقطوعة ينهر ويحمر مشرفة عليهما اشراق الطبيعة متحصنة بهما خبيطة . ملاطخ فيها المحارب ولا متسع فيها لطاعن وضارب . ولها جامع عجيب منفرد في حسنه غريب . من الجوامع المشهورة الوصمة المذكورة وهو مشرق على برها وبحرها وموضوع بين سحرها ونحرها . فهو غاية في الفرصة والانس . بنشر الصدر لرؤيته وترتاج النفس واهلها يواشيون على الصلاة فيه مواظبة رعاية . ولهم في القيام به تهم وعناية . فهو بهم ماهول عام يتخلل انسه سسلك الارواح ويتخامر . وهذا البلد بقية قواعد الاسلام ومحل حلة من العلماء الاعلام . وله مع حسن المنظر طيب المنبر . ومع المرائى الرائق المعنى العاتق . ومن الحسابة ووثاقة البنيان ما ارزى باوم وعماس . ولاهله من حسن الخلق والاحلاق ما انما عن طب الهواء والملا . والتربة والاعراق .

غير انه اعتراف من العرب ما شمل في همة الاوان البدو والحضر . وقد غاض بحر العلم الذي كان به حتى عاد وشالا . وعما رسمه حتى عاد طلا . وبه آحاد من طلبة العلم قد اقتصروا على الصنف والمقاتر وسلوكوا في ترك تصحيح الرواية طريقا لم يرضها اعلام الاكابر . ولم ار بها من اهل الشبهة الفضل والطريقة المشل امثل من الشين الفقيه الحطيب الصالح المستند الرواية ابي عبد الله محمد بن صالح بن احمد الكسائي حفظه الله .

محمد المبردي (x) : الرحلة المغربية :

● وقال القلقشندي (توفي سنة 821 - 1418)

وبجاية ... مدينة من مدن الغرب الاوسط واحة في اوائل الاقليم الرابع من الاقاليم السبعة . قال ابن سعيد : حيث الطول اثنتان وعشرون درجة والعرض اربع وثلاثون درجة

العلوي : محمد بن محمد بن علي ... صاحب الرحلة المغربية ، بدأ رحلته من المغرب الاقصى الى المشرق سنة 688 هـ - 1289 م .

وخمس وخمسون دقيقة - قال في تقديم البلدان هي قاعدة الغرب الأوسط وهي معابد طرطوشة من الإندلس ، وعرض البحر بينهما ثلاث مجاز ، قال في مسالك الإيصار : وهي مدينة قديمة مسورة أضيف إلى جانبها وبض أدير عليه سور ضام لطاق المدينة فصارا كالشيء الواحد - قال : والربض في وطاة ، والمدينة القديمة في صفح جبل يدعى إليها خور من البحر الرومي تدعى منه المركب إليها - قال في « تقويم البلدان » : ولها نهر في شرقها على شاطئه البساتين والمنازه قال في « مسالك الإيصار » : وبها هينان من الماء أحدهما كبيرة ، ومنها شرب أهلها ، ولها نهر حار على نهر ميلين منها تحف به البساتين والمناظر على شفتيه ممتدة نحو اثني عشر ميلا ، متصلا بعضها ببعض لا انفصال بينهما إلا ما يسلك عليه إلى البساتين إلى أن يصب في بحر الروم * وبضفتيه للسلطان بستانان متقابلان شرقا وغربا ، الشرقي منهما يسمى الربيع * صبح الاعشى ٥٥ ج ٥ ص 109

● بجاية في أواخر القرن السادس عشر

هي مرسى حصين في جون عظيم يمنع من كل ريح له مدخل ضيق في جبال شاهقة .. وبجاية مدينة عظيمة في القديم كانت دار علم وعمل ومستقر العلماء والصالحين منهم أولي الصالح .. أبو مدين شمعيل بن الحسن الأنصاري دفين تلمسان (1) .. كانت دار سكناء في حياته .. وكان ببجاية معاصرا لهذا الشيخ العالم أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الأشبيلي مؤلف العاقبة وغيرها وبها توفي وقبره بها يزور كذلك الشيخ أبو الحسن علي الأشبيلي التسوفي بها ..

وبجاية إلى الآن خراب عدها المصاري (2) لم يبق بها إلا ديار قلائل على طرف البحر. وقلعة صغيرة تسمى باللولوة (3) ينزل بها متولى تلك الناحية من الترك يمنع المرسى من العدو ...

- (1) ولد بأشبيلية سنة 520 هـ - 27 - 1126 م وتوفي بتلمسان سنة 594 هـ - 98 - 1197 م
- (2) احتلها الأسبان سنة 1570 م وأخرجهم منها صالح وأيس سنة 1555 *
- (3) قال ابن خلدون . هو قصر جميل بناء الناصر الحماوي سنة 460 هـ - 1068 م *

قال ابن عبد ربه : «مدينة عطية مستنقطة الى الجبال ومنايتها يركب بعضه بعضا وتسمى المقدمات ، وبناؤها اما هو بالجس وحسدها يسون بالتراب ... وعلى غرسها منها الوادي الكبير يركون فيه في السفن الصغار »
التفروتي (4) النسخة المسبكية في السفارة التركية صفحة : 15 - 16

● قال الحسين بن محمد الورثاني (1125 - 1193 هـ - 1710 - 1779)

« ... ذهبت معهم (الاصدقاء) الى زيارة بجاية لاني محب فيها عاية ، وذلك قبل بلوغي . وكنت كل عام اصوم فيها رمضان داويا للرباط مع تلميذي الطلبة واجبا ان يكون لي حظ وامر منهم وصيب كامل من عندهم ، حسن اللسرجاني بسه وكرمه »
فلما وصلت بئر الملام متسحرا على المدينة المذكورة توجهت الى زيارة الشيخ سيدي احمد ابن مصر الولي الكامل واليثة العاضل لما كنا سمعنا ان من وار بجاية ولم يزوره لم يذهب بشي منها ... »

دخلت بجاية وزرت الشيخ سيدي الصوفي ولم احفظ من امره شيئا ، الا ان اهل بجاية يعطونه غاية التعظيم ، وانه من اهل التصريف في بجاية ... وبعده زرت خلوة الشيخ سيدي ابي مدين الفوت وقد زرت قبره ... والحمد لله ... في تلمسان ... ثم بعد زيارة خلوته توجهت لزيارة خلوة الشيخ ابي محمد المرجاني ... ثم توجهت الى خلوة الشيخ عبد القادر وخلوة الشيخ ابي المباسم السبتي الكائنين ببرج اللؤلؤة ... وزرت الجامع الاعظم القديم القريب من تلك الخلوة ، ومن البرج المذكور الذي كان فيه تسعون مفتيا ... وبعد ذلك توجهت الى الشيخ

(4) التفروتي ابو الحسن علي ... عاش في ايام السلطان السعدي مولاي احمد المنصور الذي اوقفه الى القسطنطينية حاملا الهدايا لسلطانها وتوفي الممقروتي براكش سنة 1003 هـ - 1595 - ووالنسخة المسبكية : رحلته الى اصطنول بين 1589 - 1591 ، وقد مر بالجزائر وبجاية وبوثة .

عبد الحق الاشبيلى *** وهو الذى القى «العائقة» وقبره خارج باب المرمى القديم فى طريق أيسى زكريا الزواوى (x) - ثم دُفِنَ من دُفِنَ فى تلك المقبرة ، وانه دُفِنَ فيها ايضا قرب السوق الشيخ عبد الحق بن ربيعة ، وقد ذكره صاحب عنوان الدراية بما يحرك قلب الناظر اليه *** ثم توجهت لزيارة الشيخ أبى زكريا يحيى الزواوى وقد كان فى القرن السادس وقبره مشهور « (نزهة الانظار فى فضل التأريخ والاخبار طبعة الجزائر 1908)

(x) توفى فى رمضان 611 هـ - جانفى 1215

باب

الشعر و الادب

● بجاية الناصرية

دع المراق وبغداد وشامهما • فالناصرية ما ان مثلها يله
ير ويحمر وموج للبيون به • مسارج بان عنها الهم والكند
حيث الهوى والهوا. الطلق مجتم • حيث الفتى والمنى والعيشة الرغد
والنهر والبحر كالمرآة وهو به • والنهر والبحر كالمرآة وهو به
فحيثما نظرت راقى وكل نواحي الدار للفكر للإبصار ، تنقد • أو تنظر البحر بالأمواج تطرد
ان تنظر البحر فالأزهار يانع • قل : جنة الخلد فيها الإهل والولد
يا طائفا وصفها أن كنت ذا نصف

أبو عل الحسن بن الفكون من الأدياء الجزائريين البارزين فى القرن السابع الهجرى ، شاعرا بدمشقية فى أسرة عريقة فى العلم والمجد ، امتاز شعره بالرفقة والحسن وخاصة فى وصف الطبيعة ، وكان شديد الاعتزاز بوطنه ففترنا بهومن جيد شعره هذه القطوعة (التي يصف بها بجاية الناصرية)

● قال أبو علي حسن بن الفكون في جمال « قصر الربيع »

عشروا إلى نار الربيع وانما
ركننا جواديه حياض زوارق
وخضنا حشاه والإصيل كأنه
وسيدنا قد صار فيه لائه
فقلت وطرفي يجتلي كل عيرة
أيا عجبا للبحر عيه عيانه
ولما نزلنا ساحلة القصر واعنا
فما شئت من ظن وريف وجدول
وشادى مفاني الحسن في ثغائه
فياضن ذلك القصر لآلال أهلا
رتمنا به في روضة الأنس بعلمنا
ويضحكنا طبول الوصال وربنا
فتضحى موصولات الدموع هدالة
لمثلها من ممزه ونزاهة
فلله ساعات «صين» صوالج
حلنا عليها انسك إلا أقله

عشروا إلى نار المدى والمعلق
درلنا إليها عن خواصر سبق
صمغته تبدي مروق زنبق
سرورقه اسنان معللة أزرق
ورورقه يهوى به ثم يرتقى
تجمع حتى صار في بطن وورق
بكل جمال مبهج الطرف مرقق
وروش متى تلمس به الربيع يعين
يطارحه صدر الحمام المطوق
ويا طيب رما نغره المتشمق
عصرتا به غصن المسرة مورق
يمر على الإزهار تكسر التفريق
وتحن على طرف من الدهر أبلى
يجرد ذيل الديس كل موقفق
عسلهم من زى الصبا أي ووبق
وان عاودت ، تلح عليها الذي بقى

● قال ابن حمديس الصقلي يصف قصر المتصور الحمادي

واعبر بنصر الملك ناديسك الذي
اضحى بحدك بيته معمورا

أعسى لمباد إلى المقام يصيرا
فيكاد يحدث بالضمائم نشورا
رسما ففاق خورتقا وسديرا
ما كان شيئا عنه مذكورا
رفموا البناء وأحكوا التدبيرا
للوكتهم شيئا لله وتغبرا
غرفا رفعت بهاها وقصمورا
فرجوا بذلك جنة وحريرا
حسناهم لذويهم تكفيرا
حق البثور فاطلح المنصورا
ثم انتنيت بنأطرى مسجورا
لما رأيت الملك فيه كبرا
حلت ترحب بالفضة صريرا
فغرت بها أقوامها تكبرا
من لم يكن ينالها مامسورا
فيه فتكبو عن مداه قصورا
فرش لها وتوشح الكافورا
مسكا تفضوع نشره وعيسيرا
مسحا على غسق الطلام منيرا

قصر لوانك قد كحلت بفسوره
واشتق من معنى الجنان نسيه
نسى التسبيح مع المبيع يدكره
لو أن بالايوان قوبل حسنه
اعتت مصانته على القوس الاول
ومضت على الروم الدهور وما نوا
اذكرتها الفردوس حين اريتها
فالحسنون تزيينوا اعمالهم
والمدبون هدوا الصراط وكفرت
فلك من الاضلال الا انه
ابصرته فرأيت ابداع منظر
فظننت اني حالس في جنة
واذا الولاة فتحت أبوابه
غمت على حلقائهم ضرائعهم
فانها ابعدت لنهرهم عنهما
تجرى الخواطر مطلقات اعنة
مرغم الساحات تحسب انه
ومحسب بالدر تحسب تربيته
ستحلف الا يصلو منه اذا أتى

قال ابن حمديس الصقلي (1) يصف بركة :

(1) ابن حمديس الصقلي (توفي سنة 572 هـ - 1133 م) .

هو أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر . . . من أعظم شعراء صقلية ، ولد بسرفوسية 446 هـ
3154 م = غادر بلاده والتحق بالاندلس 472 هـ واتصل بآبى عباد ثم عاد إلى المغرب متنقلا بين
بونة وبجاية . وأقام ابن حمديس في بلاط المنصور الحمادي من 432 إلى 498 . *

تركت حريس الماء فيه زئبرا
 واداب في أنواهما البلورا
 في النمس لو وجدت هاله ميرا
 أقتت على أدمارها لتشيورا
 نارا وأنسها اللواحي ثورا
 دابت بلا نار فمدن غدبرا
 درعا فقدر مردها بتقديرا
 عيناي بحر عحائب مسجورا
 سحر يثؤثر في الهى نائرا
 قبعت بهن عن الفصاء طيورا
 ان تستقل بهصتها وتطيرا
 ما كسلال اللجين نميرا
 حملت تفرود بالمياه صميرا
 لانت فارسيل خيطها مجرورا
 فوق الزبرجد لؤلؤا منقورا
 جعلت لها زهر النجوم ثفورا
 بالنقش فوق شكله تنظسيرا
 تلك النهود من الحسان صدورا
 شمس تبرد الطرف عنه حسيرا
 أبهرت رؤفا في السماء نصيرا
 حامت لتبنى في ذراه وكسورا
 فارتك كمل طريقة تصويرا

وخرافم مكنت عرن وثاسا
 فكانما عنى النضار جومها
 أسد كان مكنوها متحرك
 وتذكرت فتكاتها فكانها
 وتخالها والشمس تحلو لونها
 فكانما سلت سيوف جداول
 وكانما نسج النسيم لائها
 وبديعة الثمرات تعير نوحها
 شجيرة ذهبية نسجت الى
 قد صوفت اغصانها فكانها
 وكانما تايى لوتج طيرها
 من كمل واقعة ترى منقارها
 خرس نعد من الصباح فان شت
 وكانما في كل غصن كفة
 وتريك في الصهريج موفج قطرها
 ضحكك محاسنه اليك كانها
 ومصلح الايواب تيرا نظروا
 تبدو مسامير النصار كما علت
 حمت عليه غلائل موشية
 واذا نظرت الى غسائلك منقفة
 وعجبت من خطاف مسجده التي
 وضعت به صناعها ائلاهمها

وكأما للشمس فيه لقصة
وكانما للآزورد مشرم
وكانما وشوا عليه مبللة
يا حالك الأرض الذي أخفى له
كم من قصور للبلوك تعددت
واستوجب لتصورك التأخر
ملكك السماء على العداة نصيرا
تركوا مكان وشاسها مقصورا
بالخط في ورق السماء سطورا
مشقوا بها النزويق والتشجيرا

نصوص تاريخية

● تأسيس بجاية

... ولم يزل هذا دأبهم (الأعراب) حتى لقد هجر الناصر بن عيسى سكنى القلعة (1) واختط بالساحل مدينة بجاية (2) ، ونقل إليها ذخيرته وأعد لها لزلته ... ونزلها المصور ابنه بمده فزارا من غنيم هذا الجبل وفسادهم بالفسواحى إلى منة الجبال وتوعد مسالكها على رواجلهم واستقروا بها بعد وتركوا القلعة ، (ابن خلدون ، كتاب البرج ج 5 ص 43)

● ذكر بناء مدينة بجاية

... لما كانت هذه الواقعة (3) بين بني حماد ، وقويت العرب ، فهدم تميم بن المعز لذلك ... فبلغ ذلك الناصر وكان له وزير اسمه أبو بكر ابن أبي المتوح ، وكان رجلا جليلا يحب الاتفاق

(1) قلعة بني حماد ،

(2) سنة 460 هـ - 1067 - 1068

(3) وقعة سيبيبة بين الناصر بن همناس ومن معه وبين رياح وزغبة ومسلم سنة 457 هـ 1065 م ، بين القبروان وتسعة -

بينهم ٠٠٠ فقال للناصر ٠٠٠ فانكما لو انتممنا لأخرجتما العرب (الاعراب) فقال الناصر لقد صدقت ٠٠٠ فاصلح ذات بيننا ، فأرسل الوزير رسولا من عنده الى تميم ٠٠٠ يرغب في الإصلاح فقبل تميم قوله وأرسل الى الناصر محمدا بن البجيع ٠٠٠ حتى وصل الى الناصر ٠٠٠ وقال اذا اضير عليك بما تملك به الهدية وغيرها وذكر له عبارة بحاية وأشار عليه أن يتخذها دار ملك ويقرب من بلاد إفريقية وقال له : ابا المنقل اليك بأمل وأدير دولتك ، فاحابه الناصر الى ذلك وارتاب بوزيه (2) وسار مع الرسول الى بجاية (3) وترك الوزير بالعلعة ، فلما وصل الناصر والرسول الى بجاية أراه موضع المنيا والبللسد والدار والسلطانية وغير ذلك ، قام الناصر من ساعته بالبناء والعمل ، وسر بذلك وشكروه وعاهده على وزارته إذا عاد اليه ورجعا الى القلعة . فقال الناصر لوزيره إن هذا الرسول محب لنا وقد أشار بيننا . بجاية . ويريد الانتقال اليها ٠٠٠

ابن الأثير : الكامل 8 ص 202 *

● دولة المنصور بن الناصر بن تلمسان بن حماد

وللمنصور بن الناصر آثار عظيمة وقصور شامخة منيعة وأخبار شهيرة . وتحرك الى المغرب وقد صارت تلمسان الى ملك المرابطين في جيوش عظيمة لتشملت على اثنتي عشر قنطرة وفي شوال سنة ست وتسعين وأربعمائة . ونازل تلمسان ثم أطلع عنها صلحا ولما قفل عن تلمسان توفي بعد سبعة اشهر في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وأربعمائة *

وكان قائما على أمره ، حميد الخلال ضابطا للأموال وكتب ويشعر ويذهب في أمور مذهب أبي جعفر المنصور من وقع الثياب والتحف على القليل من الاشياء . وعليه قدم عن الدولة بن صيادح لما فر من المربة أمام المرابطين فاقطعه تدلس (دلس) ونظرها ، واسكنه بها حسبما هو معروف *

ولي بعده الأمر بإدريس ابنه *

لسان الدين بن الخطيب : أعمال الاعلام ص 97

(2) أبو بكر بن أبي الفتح *

(3) كانت آنذاك «مزلا» تسكنه قبيلة بجاية *

● نهوض يحيى بن العزيز لمحصنة المهديّة

« وفي أيام الحسن قصد صاحب بجاية أحمد المهديّة لأنه سمح بالأمير الحسن أنه صالح للملك رجار الرومي صاحب صفقة ووقعت بينهما الهدنة وكان ذلك لأن الحسن أرسل إليه بهديّة وصار له متخاف من شره وتم الصلح وشرط اللعين عليه شروطا فقبلها فكانت أهل المهديّة يحيى بن العزيز الحادي صاحب بجاية وأطعموه بمسلم البلد فوثق بهم وبست إليها جيشا في البر ومراكب في البحر وبست مقدم الجيش الفقيه مطرفا فثأر لها برا وبحرا وجاءته المراكب من كل فج ولم يكن له أربل القتل لأطامع أهل البلد أياء وطال الحصار على أهل المهديّة واتصل الخبر برجار صاحب صفقة فبعث أسطولاً عظيماً لنصرة الحسن وأمر القنم على الأسطول أن يقف عند أمر الحسن ونهيه - فلما جاء أسطول اللعين وانتشر حول المهديّة طباح ما بين صاحب بجاية وأراد النصراني أن يمسك مراكب أهل بجاية فمنعه الحسن وأمره بالكف عن القتال لأنه كره مسك دماء المسلمين ... وذلك سنة تسع وعشرين وخمسة »

ابن أبي دينار القيرواني : المؤنس ص 92 - 93

● أبو زكريا يحيى بن العزيز آخر بني حماد (1)

ملك العزيز سنة خمس عشرة وأربعمائة فولّى من بعده ابنه يحيى وطالت أيامه مستضعفا معلبا للنساء مولدا بالصعيد على حين اقتراس التولية. وذهاب الأيام بقبائل منهجاة *

واستحدثت السكة (2) ولم يجدتها أحد من قومه أدبا مع خلفائهم العمدتين : وتقل ابن حماد (3) أن سكنه في الديار كانت ثلاثة بسطوود دائرة في كل وجه ، فدائرة «لوجه الواحد :

(1) 528 أو 547 هـ / 1134 أو 1158 ، وفي النص خطأ يتعلق بوقاة العزيز *
أه يحيى فإنه توفي في الثاني بسطوود سنة 537 هـ / 1161 - 62 *

(2) وذلك سنة 543 هـ / 1148 *

(3) ابن حماد (أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد) توفي سنة 628 هـ / 1231 م ، صاحب دكتاب البلد المحتاجة في أخبار ملوك منهجاة باغريقية وبجاية *

« واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » والمسطور :
 لا اله الا الله محمد رسول الله يتعظم بحسب الله يحيى بن الميزان بالله الامير المنصور - ودائرة
 الوجه الآخر : بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الديار بالناصرية سنة ثلاث وأربعمائة وخمسة
 وفق مسطوره : الامام ابو عبد الله المقتدى لامر الله امير المؤمنين العباسي »

ابن خلدون : العبر ج 6 من 352 - 363

● ابتداء أمر محمد بن تومرت وملك عبد المؤمن

« كان محمد بن عبد الله بن تومرت الملوي الحسن من قبيلة من الصاعدة : من اهل جبل
 السوس من بلاد المغرب » فرحل ابن تومرت الى بلاد الشرق في طلب العلم ، واتقن علم الاصول
 والعربية والفقه والحديث ، واجتمع بالفزالي والكيالهراسي في العراق واجتمع بابي بكر
 الطروشى بالاسكندرية ، وقيل انه لم يجتمع بالمرائي - ثم حج ابن تومرت وعاد الى المغرب،
 واخذ في الانكار على الناس ، والزامهم باقاصه الصلوات وغير ذلك من احكام الشريعة وتغيير
 المنكرات ، ولما وصل الى قرية اسمها ملالة بالقرب من بجاية اتصل به عبد المؤمن بن علي الكومي ،
 ونفوس ابن تومرت النجاسة في عبد المؤمن المذكور ، وسار معه وتلقب ابن تومرت بالهدى»
 ابو الفدا : كتاب المختصر في اخبار البشر ج 4 - ص 152 »

● اللقاء بين ابن تومرت وعبد المؤمن

خشي ابن تومرت العاقبة فغادر بجاية الى ناحية قرية تسمى ملالة . ونزل في كنف اصحابها
 وهم من اعيان صنهاجة فأورده واكرموه وطلب اليهم والى بجاية تسليته اليه فأبوا وليت بينهم
 حينما يدرس العلم وكان اذا فرغ يجلس على صخرة بفارعة الطريق قريبا من ملالة . ففي ذات يوم

وقد اليه كهل وفنى حسي الكوين رائع الجمال ولم يكن هذا الفتى الوسيم سوى عبد المؤمن بن علي - وكان قد قدم مع عمه من بلده التريب من تلمسان في طريقه الى المشرق ليطلب العلم ويبنى فريضة الحج — فدعاه الى معاونته فيما هو قائم به في امانة الفكر واحياء العلم واحماد السدح *

عبد الله هنان من ابن خلزون *

● استيلاء ابن غانية على بجاية

« ومن صفر سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة قدم علي بن اسحق بن محمد بن غانية المروني من مبرقة في البحر الى بجاية ومعه اخوته في اثنتين وثلاثين قطعة فنزلوا ببجاية على حين غفلة من واليها حينئذ ابي عبد الله محمد بن عبد المؤمن وكان خارجها في بعض مذهبته فاستولى عليها » *

الزوكاشي : تاريخ المولتين ، ص 10 *

● بجاية والغزو البحري

« ... وان بجاية كانت بلدة هزاة وكانت غزاة قطعها يدخلون الى دواخل الجزر الرومانية وغيرها ويسرقون النسي الكثير منها » وينزل الناس لشرائه بحومة « المذبح » من حبه وبصها وهناك يحبس ويقع الفصل فيه - ولم يزل الحال على ذلك وبلغ الحال من كثرة سبي الآدميين ان يباع ببخران من الروم بمودا. من الوحش *

وكانت احضان اسحاق بن غايبة تحمل ايضا من مبروقة كما تحمل به اجفان بجاية *
 أبو العباس احمد *** القبريني : عنوان الدواية ص 45 - 46 ط * 1969 *

● بجاية والغزو البخري

« تم قتل وبع الفرنجة واختل مركز دولتهم باخرسة امتقرت طوائف في اهل برشلونة وجوة والبنادقة وغيرهم من امم الفرنجة الصمرانية واصبحوا دولا متمدة فتنبهت عزائم كثير من المسلمين بسواحل افريقية لنزو بلادهم وشرع في ذلك اهل بجاية منذ ثلاثين سنة - فيجمع النعراء والطائفة من عزة البحر ويصنعون الاسطول ويتجهون له الابطال والرجال ثم يركبونه الى سواحل الفرنجة وجزائريهم على حين غفلة فينتحطون منها ما قدروا عليه ويصادمون ما يلتقون من اساطيل الكفرة فيظفرون بها غالباً ويعودون بالضايم والسبي والاسرى حتى امتلأت سواحل النفود العربية من بجاية بأسراهم تصبح طرق البند يصحب السلاسل والاغلال عندما ينتشرون في حاجاتهم ويغالون في فدايتهم بما تعذر فيه أو يكاد .

ففى ذلك على امم الفرنجة وبدا قلوبهم دلا وحسرة ، وعجزوا عن النار به وصرخوا على البعد بالشكوى الى السلطان بافرجة فقصم عن سماعها وتطاعروا بينهم وتكلمهم فيما بينهم وتداعروا لنزال المسلمين والاخذ بالنار منهم ،

ابن خلدون : كتاب البرج 6 ص 903 *

أهم المراجع

المراجع العربية

(Bibliographie arabe)

1) الرحلات :

- ابن حوقل : كتاب المسالك والممالك *
- البكري : المسالك والممالك *
- الإدريسي : نزهة المشتاق ***
- جيهول : كتاب الاستبصار في عجائب الانصار *
- الميبرى : الرحلة المغربية *
- البلوى (خالد بن عيسى) تاج الفرق في تحلية علماء المشرق *
- مجهول : النبعة المسكية في السعدرة التركية *
- اورتلای : نزهة الانظار في فضائل علم التاريخ والاخبار *

2) كتب التاريخ :

- ابن الاثير : الكامل في التاريخ *
- ابن خلدون : كتاب العبر ج 6 *
- لسان الدين بن الخطيب : أعمال الاعلام *
- الرزقي : تاريخ الدولتين *
- كتاب غزوات عروج وحير الدين *
- ابن أبي دینار القيرواني : المؤنس ***

3) التراجم :

- أبو العباس أحمد القبريني : عنوان الدراية ***
- المعناري : تعريف الخلف برجال السلف *

المقالات
(ARTICLES DE REVUES)

1) Revue africaine

Féraud : occupation espagnole (1858)
période Turque (1859)

Bodin : notes et questions sur sidi Ahmad b. Youcef (1925)

Brandel : Les Espagnols et l'Afrique du Nord de 1492 à 1577. (1928)

2) B. T. S. G. O.

Cazenave Pierre Navarro, conquérant de vélez, Oran, Bougie, Tripoli (1925).

3) B. S. G. A.

Paul Wintzer : Bougie, place forte Espagnole (1932).

4) Documents Algériens

G. Marçais : Bougie (1950).

5) Encyclopédie de l'Islam

Bidjaya : T. I - 1240-41 (G. Marçais)

Hafçides : T. III - 68-72 (H. Idriss)

Atrúdj - T. I - 698-699 (R. Letourneau)

6) Boletín de la Real academia de la historia

Cesaro Fernandez Duro : Perdida de la ciudad de Bugia en Africa ano 1555, referida por un clérigo Viscaino Testigo de Vista - T. XXIX, déc. 1896 - pp. 463-537.

7) Revue Tunisienne 1922

L. Bercher : Article sur les réalisations hammadides.

8) A. I. E. O. (1955).

G. Marçais : Les villes de la côte algérienne et la piraterie au Moyen-Age - pp. 118-155.

9) Bulletin de la section de géographie (1929)

P. Boissonnade : Les relations commerciales de la France méridionale avec l'Afrique du Nord au Maghreb du XII^e au XV^e siècle - pp. 1-37.

Lapene (Edouard) : Vingt six mois à Bougie ou collection de mémoires sur sa conquête. Paris 1838, XVI - 288 p.

Léon l'Africain : Description de l'Afrique. Edit. Epaillard - T.II - p. 360

Lieussou Etude sur les ports de l'Algérie. Paris 1850. Le commerce et la navigation de l'Algérie avant la conquête française, Paris 1861. 319 p.

La Prmandase (Elie de) . Documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique 1506-1574 , Alger 1875

Mélanges G. Marçais : Remarques sur le commerce maritime en Afrique du Nord au XI^e - T. II - 51-59.

Marçais (G.) : Les Arabes en Berbérie du XI^e au XIV^e siècle - Paris 1913

La Berbérie musulmane et l'Orient au Moyen-Age - 1946.

Les Poteries et faïences de Bougie ; Constantine 1916 ; 13 p

Mat-Laine : Traité de paix et de commerce... avec les Arabes de l'Afrique au Moyen-Age. Paris 1866 - suppl. Paris 1872.

Coap d'œil rapide sur Bougie par un administrateur qui a résidé longtemps en Afrique : 1843, 59 p

المراجع القوية
(BIBLIOGRAPHIE OCCIDENTALE)

(الكتب المطبوعة)
(Ouvrages imprimés)

- Berbrugger* : Les époques médianes de la Grande-Kabylie. Alger 1857.
- Brunschwig* (R.) : La Berbérie orientale sous les Hâfides. 2 V. Paris 1940-1947.
- Boutaja* : Le Djurdjura à travers l'histoire, depuis l'antiquité jusqu'à 1830. Alger 1935
- Boydé* : La Kalaâ des Béni Hammad. Paris 1909. Ch. IV.
- Cornuliet-Lucimière* (al comte de) : La prise de Bône et de Bougie d'après des documents inédits (1832-1833); Paris 1898. VIII - 377 p.
- Dufourq* Ch. E) : L'Espagne catalane et le Maghreb aux XIII et XIV^e siècles (Paris 1966). 664 p.
- Féraud* (Ch) : Histoire des villes de la province de Constantine. Bougie (Constantine 1869).
- Galland* Ch. A) : Bougie 1895.
- Golin* (L.) : Le Maghreb central à l'époque des zirides. Recherches d'Archéologie et d'Histoire. Paris 1957.
- Habsburg-Toskana* (*Ludwig Salvator Van*) : Bougie, die Perle Nord-Afrikas ; Prague 1889 ; VIII - 123 p
- Hoëdo* (Fray Diego) : Histoire des rois d'Alger, trad. de Grammont 1880-1881.
- Idriss* (R. H.) : La Berbérie orientale sous les zirides X - XIII^e siècle. 2 T. Paris 1962.
- Lambert* (Jacques Numa) : Saldæ Bougie et le christianisme ; Alger 1958. 28 p

Depuis quatre heures jusqu'à dix heures du matin, le canon ne cessa de retentir ; on compte qu'il fut tiré plus de deux mille coups.

Les Couloulis, les Maures et les Kabailles s'étaient déjà retirés dans la plaine, sur les collines qui entourent la ville, où se tenaient cachés dans les maisons et dans les rues. Le soir du 29 septembre tous les points principaux de la ville étaient au pouvoir des Français ; néanmoins les jours suivants les Kabailles attaquèrent avec un acharnement incroyable ; le général Trézel fut blessé le second jour, et il y eut un moment très critique lorsque des masses d'ennemis arrivèrent de toutes parts.

Le 1er octobre, les Kabailles revinrent avec autant de fureur que la veille. Les attaques des Arabes se renouvelèrent pendant plusieurs mois...

Coup d'œil., pp. 16-18

PRISE DE BOUGIE EN 1833

Des Maures et des Kabyles parmi lesquels le caïd Boucetta étaient entrés en relation avec les autorités françaises et se faisaient forts de leur livrer Bougie contre de substantiels avantages commerciaux. Le caïd se rendit à Alger pour solliciter l'intervention de l'armée. Sur ces entrefaites, un incident survenu à un bateau anglais dans le port fit craindre une intervention britannique. Lamoricière fut chargé, en juin 1833, d'une reconnaissance dans la ville pour s'informer de l'état d'esprit de la population et des ressources militaires. Il en ramena un rapport qui exagérât les facilités d'une occupation. Voïrol se montra moins enthousiaste que le fougueux capitaine mais le ministre, qui dirigeait l'affaire de Paris, confia au général Trézel un corps de 2.000 hommes qui s'empara, sans grandes difficultés, de la place (29 septembre 1833). La guerre de rues à laquelle il fallut ensuite se livrer, démentit l'optimisme de Lamoricière et Trézel dut demander des renforts. La ville souffrit beaucoup et ses habitants, loin d'accueillir les Français avec joie, la désertèrent. Duvivier qui n'était encore que chef de bataillon prit le 7 novembre, le commandement supérieur de Bougie et dut faire camper les troupes au milieu des ruines, dans des conditions d'hygiène déplorable, parfois sans ravitaillement et en butte aux attaques des Kabyles.

Ch. A. Julien ; Histoire de l'Algérie contemporaine , p 103

l'est, le Roi Mouléi Abd-Allah ne peut se refuser à l'accepter : le traité lui laisse le titre de roi et une grande partie de son royaume, ce qui lui permettra de vivre d'une manière convenable. De plus, s'il nous reste fidèle, comme nous comptons qu'il le sera, on pourra l'aider plus tard à agrandir son territoire dans l'intérieur des terres.

Le traité conclu, vous ferez en sorte que tous les Maures du royaume qui n'habitent pas les villages de la côte soient avertis qu'en se soumettant au dit Roi Mouléi Abd-Allah, ils pourront compter sur notre assistance, et qu'ils seront bien traités et partout accueillis honorablement ; mais qu'on fera la guerre aux autres, ajoutant tout ce que vous croyez utile pour les déterminer à se ranger à l'obéissance du roi. Nous espérons que de cette manière, Mouléi Abd-Allah étant maître de tout le royaume, moins le littoral, et demeurant notre allié fidèle et dévoué, la ville de Bougie se trouvera à l'abri de toute hostilité, et que les autres localités de la côte pourront être occupées et conservées sans beaucoup de peine. Le dit roi, gardant son autorité à part et les intérêts des deux populations n'étant plus confondus, pourra ainsi se maintenir plus facilement parmi les Maures.

J'ai retranché le chapitre du traité par lequel le roi demandait qu'on lui permit d'avoir une ou deux mosquées dans le faubourg de Bougie. Il n'est pas nécessaire que cette clause y soit insérée, puisqu'il est convenu que les Maures ne seront tolérés dans le dit faubourg, que jusqu'à ce que le roi puisse rétablir ailleurs en sûreté.

J'ai entretenu Miguel Cabrero de divers autres objets dont il vous parlera ; vous pouvez lui accorder toute votre confiance.

1833... LA RESISTANCE

Une frégate, *La Victoire*, six navires de moindre conséquence et dix huit bâtiments de commerce formèrent une petite escadre qui tourna le Cap Carbon, à quatre heures du matin le 29 septembre 1833.

Une fois entrée dans le golf de Bougie, la canonade se fit entendre de toute part ; les navires se divisèrent : la frégate s'embossa devant la Casbah et foudroya cette citadelle, les brèches tirèrent de leur côté sur Bougie et le fort Abd-elkader situé à l'est de la ville...

Et dans ce jour où le canon grondait avec tant de furcut, où les Turcs, derniers restes de cette garnison permanente de 60 hommes, la nouba, luttèrent en vain contre la valeur française et tiraient du haut des vieux forts les quelques canons qu'ils possédaient, tandis que les Kaballes, les Maures, les femmes et les enfants faisaient entendre des cris qu'on pourrait comparer aux rugissements des lions du désert, n'était-ce pas un tableau imposant et majestueux à la fois ?

nous maintenir en Afrique, nous devons occuper les villes d'Oran, de Bougie et de Tripoli (au cas qu'on prenne cette dernière et les repeupler entièrement de chrétiens). Autrement, comme les Maures sont maîtres de tout le reste du pays, si nous leurs permettions d'habiter les villes du littoral, il nous serait impossible de conserver longtemps ce que nous avons conquis. Les trois places dont il s'agit devront donc, en attendant mieux, être munies d'une bonne garnison de chrétiens, et aucun Maure ne pourra y être admis.

Pour les mêmes causes, le titre de Bougie se trouvait inscrit, comme à nous appartenant, dans le mémorial de l'église romaine, et ayant été joint à nos autres titres royaux, il nous paraît convenable que le dit Roi Mouléi Abd-Allah ne s'intitule plus roi de Bougie, mais qu'il se nomme, à son choix, roi de quelque autre terre, ville ou province du territoire qui fait partie du dit royaume, à l'exception toutefois de celles qui se trouvent sur le littoral. La ville de Bougie, avec toutes ses dépendances, ses revenus et sa juridiction, aussi que les autres villes, bourgs et villages situés sur la côte, doivent aussi nous appartenir entièrement, et le Roi Mouléi Abd-Allah ne pourra élever à leur sujet aucune prétention, que leurs habitants soient chrétiens ou maures.

Les dites villes et localités étant reconnues comme notre propriété, nous consentons d'ailleurs à ce que le Roi Mouléi Abd-Allah possède toutes les autres terres du dit royaume, avec leurs revenus et juridictions, nous réservant seulement la haute et supérieure distribution de la justice, spangage inséparable de la suprême couronne royale, et sauf la fidélité qui nous est due. En reconnaissance de notre droit de souverain, le roi devra aussi s'obliger à nous payer chaque année un certain tribut, et, comme vous devez savoir ce que rapportent les dites terres qui lui sont laissées, et conséquemment ce qu'il peut raisonnablement payer, vous fixerez vous-même le chiffre de ce tribut. Dans le cas où sa valeur serait telle qu'il n'y eût pas à en faire grand profit, vous demanderez seulement un certain nombre de chevaux chaque année, mais il est bien entendu que, si les revenus de ces terres le permettent, vous exigerez du roi qu'il acquitte le tribut en argent, afin de nous aider à couvrir les dépenses que nécessite l'occupation de Bougie.

La chose principale que vous surez à observer dans ce traité ou dans tout autre qui pourrait être conclu avec les Maures, c'est la question des approvisionnements. Il faut que nous puissions largement nous soutenir en Afrique, avec les seules ressources du pays, parce que nous y soutiendrons plus longtemps, en tirant tout d'Espagne, serait impossible, et que nous perdions bientôt le fruit de nos efforts actuels. Il importe donc que les choses soient organisées de manière que nous puissions toujours conserver les places que nous avons conquises et nous y maintenir, sans être obligés de les approvisionner du dehors, ainsi que nous l'avons fait jusqu'à ce jour. À l'avenir, nous ne devons pouvoir qu'aux dépenses qui pourraient être nécessitées par des secours en troupes ou en navires, suivant les cas qui se présenteront.

En conformité de ce qui est dit plus haut et d'après d'autres idées qui me sont venues, j'ai cru devoir faire quelques changements au traité. Je vous le renvoie, avec la présente lettre qui vous fera connaître de quelle manière j'entends qu'il soit exécuté. Dépoussé comme il

Az-Zarkachi (7) affirme que Bougie était administrée par un délégué d'Al 'Aziz... Le Madhi se tenait sur une roche de l'acotement de la route, proche des habitations de Mallâla et que l'on nommait encore de son nom du temps de l'auteur.

D'après Ibn Khaldûn il vit al 'Aziz b. al Mansûr vivant dans le luxe et lui adressa ainsi qu'à ses officiers de sévères remontrances. Ayant un jour été scandalisé par certains actes dont il fut témoin en parcourant les rues de la ville, il brisa les amphores de vin et les instruments de musique. Le Sultan outré, réunit le conseil des ministres. Ibn Tûmar se réfugia à Mallâla où il fut pris sous la protection de la puissante tribu sanhagienne des Banû Utiâgûl.

R. H. Idress : La Berbérie.

LETTRE DU ROI FERDINAND LE CATHOLIQUE, COMTE DON PÉDRO NAVARRO SON CAPITAINE GENERAL EN AFRIQUE (1)

MONZON, ...mai 1510.

(ARCH. de Simancas. - Estado, costa de Africa, Legajo 461)

Comte Don Pedro Navarro, notre capitaine général et notre conseiller, j'ai lu vos trois lettres du 3 mai que vous m'avez adressées par la voie de Valence, et celle du 5 du même mois que m'a remise Miguel Cabrero, contino (garde du corps) de ma maison.

A l'heure même, je donnai l'ordre d'écrire à Alonso Sanchez, pour qu'il fit moudre sans délai dans le royaume de Valence, mille sacs de blé qui y ont été apportés, et qu'il eût à vous les envoyer à Bougie. Vous recevrez en même temps du biscuit fabriqué avec une partie de cette farine, pour 15 jours au moins et pour 8.000 hommes. Comme en ce moment, à Valence, les provisions de bouche font défaut, j'ai écrit aussi à Malaga au trésorier Vargas ; en lui recommandant très particulièrement qu'au reçu de ma lettre, et avec la plus grande diligence, il vous expédât tous les vivres dont il pourrait disposer, afin que vous en soyez pourvu en temps utile et que vous puissiez partir. J'ai présent de même au dit trésorier de vous envoyer 10.000 ducats. S'il plaît à Dieu, en arrivant en Sicile, la flotte pourra y compléter ses approvisionnements, parce que le vice-roi de ce royaume m'a écrit que tout était prêt.

Quand on traité qu'il vous parût convenable de conclure avec le roi Moulâ Abd-Allah, comme dans ces sortes de choses, on doit avant tout penser à ce qui a été acquis, et que pour cela, il importe que le traité soit stable à perpétuité, et que des deux côtés on puisse l'observer fidèlement, je crois, ainsi que vous me l'avez écrit à diverses reprises, que si nous voulions

(7) Autour du XV^e, a laissé un livre à Târlîh ad-dawâ' talim.

2) On a plusieurs relations assez différentes du séjour du Mahdi dans la capitale hammadide... celle d'Al Baydaq (2)... celle d'Al Qattan (3).

D'après Al Baydaq, le Mahdi arrivé à Bougie, s'installa à la Mosquée du Myrte (Masjid ar Rayhâna) et se mit à interdire le port des sandales aux lanières dorées, des turbans de l'époque du paganisme ; il défendit aux hommes de se parer à la manière des femmes en revêtant des tuniques dites *farthiyyat*.

Pendant son séjour qui eut lieu en ramadhan (4), un certain nombre de juristes le fréquenterent. Le jour de la rupture du jeûne il dispersa en bâtonnant les hommes et les femmes qui se mêlaient sur l'esplanade située en dehors de la ville.

Un fils de l'Emir Al 'Aziz (5) le mit en garde contre les réactions du vulgaire, l'imam se rendait alors à Mallâla où les fils d'Al 'Aziz lui construisirent une mosquée et les étudiants d'affluer vers lui de partout. Quand le cours était terminé, il venait s'asseoir à la crouée des chemins, sous le caroubier de la vieille (Kharroube al 'Adjôza) et remuait les lèvres en récitant le nom d'Allah.

Un jour il entra à Bougie et, arrivé à Bab al Bahr, il répandit à terre le vin qu'en y vendait. Les esclaves de Sab' b. al 'Aziz le fils du Hammadide le frappèrent et il s'en retourna à sa mosquée. La suite du récit d'al Baydaq raconte l'entrevue de 'Abd al Mû'min et du Mahdi que la plupart des sources situent elles aussi à Mallâla...

D'après ibn al-Qattân, ibn Tûmart rencontra à Bougie des jeunes gens accoutrés comme des femmes (ils avaient des tresses postiches, *ad daffîn*, des anneaux aux oreilles, des vêtements ornés de soie et des bonnets de soie, *chawâdchî al Khazz* et contemplés par des gens dépravés) ; il abolit cette exhibition. Lors d'une fête, il vit des hommes mêlés aux femmes et aux garçons richement vêtus et les paupères enduites de fard d'antimoine ; il les molestait et une bagarre s'ensuivit aux cours de laquelle les femmes furent dépouillées de leurs bijoux. Al 'Aziz ordonna aux *Talbas* de discuter avec le "Juriste du Sous" qui était la cause de l'incident... ils envoyèrent chercher l'imam à la mosquée qu'il fréquentait. Comme il refusait de répondre à l'invite, ils lui dépêchèrent le secrétaire 'Umar b. Enfal qui réussit à le fléchir par la douceur et tâcha de le convaincre de renoncer à sa mission de censeur au cours d'une discussion où l'imam l'emporta sur ses contradicteurs.

Quelques témoignages sont encore à signaler :

Al *Marrâkuçî* (6) dit que les habitants de Bougie acceptèrent les remontrances d'Ibn Tûmart mais qu'il fût expulsé par l'émir.

نظم الجمان في أخبار الزمان

(2) Contemporain d'Ibn Tûmart ou de 'Abd al Mû'min ; auteur de "Mémoires".

(3) Oâd de Gâliennes, mort en 628/ 1230 - auteur du livre intitulé -

(4) Ramestin de l'année 573/ décembre 1180.

(5) Al-'Aziz ben al-Manîr ben Bâla, le Emir Hammadide - 400-506/ 1100-1201.

(6) 'Abd al Wahîd al Marrâkuçî auteur d'un important ouvrage intitulé *al Marjû' fi ahlâk* publié à Maghreb.

« Le Dieu tout puissant qui veut que tous les hommes soient sauvés et qu'aucun ne périsse, n'approuve en effet rien davantage chez nous que l'amour de nos semblables, après l'amour que nous Lui devons, et que l'observation de ce précepte : Faites aux autres ce que vous voudriez qu'il vous fût fait. Nous devons plus particulièrement que les autres peuples, pratiquer cette vertu de la charité, vous et nous, qui sous les formes différentes, adorons le même Dieu unique, et qui chaque jour louons et vénérons en Lui le Créateur des siècles et le Maître du monde.

* Les nobles de la ville de Rome ayant appris par nous l'acte que Dieu vous a inspiré, admirent l'élévation de votre cœur et publient vos louanges. Deux d'entre eux, nos commensaux les plus habituels, Albéric et Cencius, élevés avec nous dès leur adolescence dans les palais de Rome, désirent vivement se lier d'amitié et de services réciproques avec vous. Ils seraient heureux de pouvoir vous être agréables en ce pays. Ils vous envoient quelques uns de leurs hommes qui vous diront combien leurs maîtres ont de l'estime pour votre expérience et votre grandeur et combien ils seront satisfaits de vous servir ici. Nous les recommandons à votre magnificence et nous vous demandons pour eux cet amour et ce dévouement que nous aurons toujours pour vous et pour tout ce qui vous concerne. Dieu sait que l'honneur du Dieu tout puissant inspire l'amitié que nous vous avons vouée et combien nous souhaitons votre salut et votre gloire dans cette vie et dans l'autre. Nous le prions du fond du cœur de vous recevoir, après une longue vie dans le sein de la béatitude du très Saint Patriarche Abraham »

Jamais peut-être pontife romain n'a plus affectueusement marqué sa sympathie à un prince musulman, jamais surtout nous n'avons remarqué qu'un pape ait exprimé avec cette effusion intime et ces ménagements la croyance commune des Musulmans et des Chrétiens au même Dieu unique et immortel, servi et honoré par des cultes respectables quoique divers.

Mat-Latire : Traité p 23

IBN TUMART A BOUGIE

1) Embarqué à Almería, Ibn Tumart (1) s'arrêta à Mahdiya vers 501 de l'Hégire : 1108, sous Tamlûl. Il y revint en 505 : 1111-1112 sous Yahia. Après avoir passé une dizaine d'années en Orient, il regagna le Maghreb vers 510-511 : 1116-1118.

Son itinéraire paraît avoir été Tripoli, Mahdia, Monastir, Tunis, Constantine, Bougie 512 : 1118-1119). Mallala où il rencontra 'Abd al-Mû'min et séjourna plusieurs mois avant de rentrer au Maroc en longeant la côte jusqu'à Tlemcen.

(1) Né d'après Ibn Khaldûn en 484/ 1091. Mort en 524/- 1130

Pages d'histoire...

LA TOLERANCE RELIGIEUSE DES HAMMADIDES

La bonne entente existant entre ces princes et le Saint Siège donnait une entière sécurité à leurs sujets Chrétiens. Il y eut même pendant longtemps et jusqu'au XIII^e siècle, des chrétiens servant dans les armées des princes africains. Des facilités leurs étaient données pour la libre pratique de leur culte au milieu des troupes et des populations musulmanes : l'Eglise et les gouvernements chrétiens en permettaient le recrutement en Europe..

Conformément aux instructions de Grégoire VII, l'archevêque de Carthage et son collègue (de Bône) désignèrent un prêtre nommé Servand. Le roi En-Nâsir agréa ce choix et quand Servand partit pour Rome, il lui remit des lettres et des cadeaux destinés au Pape. Il fit plus : voulant témoigner à Grégoire VII le prix qu'il attachait à son amitié, et l'assurer de ses dispositions favorables pour ceux de ses sujets qui professaient la religion chrétienne, il fit racheter tous les prisonniers que l'on trouve dans ses états et les envoya au souverain pontife.

Cb. Féraud - Bougie pp. 70 - 71.

Lettre du Pape Grégoire VII à l'Emir Hammadide En-Nâsir - 1076

« Cette lettre d'un caractère plus expansif qu'aucune de celles qui ont été échangées entre les papes et les rois du Maghreb méritait d'être relue ».

Mar-Larrie : Traité de paix et de commerce, introduction p. 22.

« Grégoire, évêque serviteur des serviteurs (de Dieu), à Anzir (En-Nâsir) roi de la Mauritanie et de la province Satiennne, en Afrique, salut et bénédiction apostolique

« Votre noblesse nous a écrit cette année pour nous prier de consacrer évêque, suivant les constitutions chrétiennes, le prêtre Servand, ce que nous nous sommes empressé de faire, parce que votre demande était juste. Vous nous avez en même temps envoyé des présents ; vous avez, par déférence pour le bienheureux Pierre, prince des apôtres, et par amour pour nous, racheté les chrétiens qui étaient captifs chez vous et promis de racheter ceux que l'on trouverait encore. Dieu, le créateur de toutes choses, sans lequel nous ne pouvons absolument rien, vous a évidemment inspiré cette bonté et a disposé votre cœur à cet acte généreux.

BOUGIE AU XVIII^e SIECLE

Bougie est bâtie sur les ruines d'une grande ville, de la même manière et dans une position semblable à celle de Dellys à cela près qu'il est trois fois plus grand. Une partie assez considérable de ses anciennes murailles sont encore debout et, comme celles de Dellys, elles suivent les différentes sinuosités de la montagne sur laquelle se trouve la ville.

Outre un château fort qui la domine il y en a deux autres dans la partie basse pour la défense du port. On voit encore sur les murs de l'un de ces châteaux les marques de quelques-uns des boulets de canon Spragg, lors de son expédition, qu'il lança contre cette place.

Bougie a une garnison de trois compagnies d'infanterie ; ce qui n'empêche pas les tribus kabyles de la tenir presque continuellement bloquée. Chaque jour ce marché, ces tribus y portent leurs denrées et les choses se passent assez tranquillement tant qu'il dure..

Les habitants font un commerce assez considérable de socs de charrues, de bèches et autres instruments aratoires qu'ils forgent avec du fer provenant des mines environnantes. Ils achètent aussi aux Kabyles une grande quantité d'huile et de cire, que l'on exporte en Europe et dans le Levant.

Sbaw : Voyages.



cap ou promontoire d'où ils découvrent la mer de fort loin (1). Il y a un aga et soixante dix janissaires et trente quatre ou trente cinq pièces de canon sur les forteresses qui sont très irrégulières. Il y a bon mouillage et un petit réduit à mettre à couvert de la mer quatre ou cinq moyens vaisseaux ou six galères...».

Petit de la Croix : Mémoire sur le royaume d'Alger et son étendue et gouvernement, publié par M. Emerit A.I.E.O., 1939, p. 236.

DE LA VILLE DE BOUGIE

Cette ville est située sur le penchant d'une montagne qui est jointe à d'autres beaucoup plus hautes qui l'incommoderaient peu si elles étaient moins éloignées. Elle est presque ruinée. Ses maisons sont petites, basses, mauvaises mal bâties, éparées de côté et d'autre, séparées par des pièces de terres et de petits jardins. En un mot cette ville autrefois si considérable n'est plus qu'un misérable village.

Sa figure est à peu près celle d'une harpe dont l'angle aigu est au plus haut de la montagne et est terminé par une grosse tour. Toutes les murailles sont abattues et ruinées. On ne saurait pas qu'il y en a eu, si on n'en voyait pas quelques pans répandus de côté et d'autre.

On connaît aisément qu'elle a été fort grande : ses murailles du côté du Midi sont appuyées par un rocher taillé à plomb, au delà duquel est une plaine qui s'étend plus de deux lieues vers le Midi.

Elle n'est habitée que de cinq à six cents personnes et de 150 soldats qu'on y envoie d'Alger pour garder les châteaux. Ils n'oseraient sortir de leurs postes et sont obligés d'être continuellement sur leurs gardes à cause des Maures de la campagne, qui ne leur font jamais de quartier...

Il y a trois châteaux dans Bougie qui forment un triangle irrégulier. Celui de l'occident est presque au milieu de la ville. Il est nouveau. Ce n'est qu'une grosse maison carrée bâtie par les Turcs... Les deux autres sont sur le bord de la mer. Celui du Nord est bâti sur une langue de rochers qui commande un petit port où l'on peut retirer des bateaux... Il est ovale fort vieux et fort en désordre. Le troisième est au Midi. C'est le meilleur, le plus grand et le plus en état de défense. Il est carré, tout bâti de briques... C'est sans contredit ce qu'il y a de meilleur et de mieux conservé de toutes les antiquités de cette ville si ancienne et si célèbre.

...la rade est à l'orient, elle est grande, sûre et d'un fond excellent pour l'ancre.

Chevalier d'Arneux - Mémoires T. 3, pp 236 - 240

(1) Les 3 forts de la Merine sont la Kasba et la fort Abdalkader. Le fort le plus élevé est la fort Moussa (Berril). Il y avait le fort, si Ahmar et un autre situés sur le cap Bouak.

comblés de fruits : il existe autour de la ville une infinité de vergers remplis d'arbres fruitiers ; ces jardins sont surtout nombreux du côté de la porte qui donne vers l'Est.

Le pays est plein d'âpres montagnes couvertes de forêts où pillent les singes et les léopards.

Les Bougiotes sont des hommes agréables. Ils aiment passer joyeusement leur temps : chacun d'eux fait de la musique et fait danser, les seigneurs, en particulier qui n'ont jamais déclaré la guerre à personne. Ils se sont même montrés si peu courageux que, quand le comte Pierre Navarro est venu avec quelques navires de transport (3) toute la population le roi en tête, s'est enfuie dans la montagne, emportant tout ce qu'elle possédait et sans presque dévalner un seul sabre.

Le comte Pierre s'est emparé de la ville et l'a saccagée, puis a fait immédiatement bâtir une forteresse près de la mer, à un endroit où existe une bonne plage. Il a aussi fortifié une vieille citadelle, également voisine de la mer à côté de l'arsenal (4).

Six ans plus tard (5) le Turc Barberousse voulut enlever la ville des mains des Chrétiens. Il vint camper devant la ville avec mille soldats turcs et attaqua la vieille citadelle, qu'il prit et fortifia. Toutes les tribus des montagnes voisines étaient venues à l'aide de Barberousse, qui entreprit de s'emparer de l'autre forteresse, près de la plage.

Mais à la première attaque cent turcs, parmi les plus vaillants et cent montagnards furent tués, si bien que les troupes ne voulurent plus reprendre le combat et que Barberousse dut s'enfuir au château de Gegel, comme il a été dit plus haut (6).

Lon l'Africain : Description de l'Afrique. T. II, pp. 360 - 361.

BOUGIE AU XVII^e SIECLE

«... à douze lieues de Gégeli est la ville de Bougie, place qu'ils (les Turcs) estiment le plus à cause des bois qu'ils y font couper incessamment propres à bâtir des vaisseaux et galères et cinq forteresses qui y sont, desquelles il y en a deux raisonnables qui sont le fort de l'Aga et un autre au-dessus, deux le long de la Marine et un petit fort élevé sur un

(3) 14 navires transportant 8.000 hommes.

(4) Bougie a été prise le samedi 24 ramadan 915 Hégire - 3 janvier 1510.

(5) En rajab 921 / Août 1513.

(6) A la fin-septembre il y eut au surplus des pluies torrentielles et les paysans partirent en hâte labourer.

BOUGIE AU XV^e SIECLE

Durant toute la période hafside, Bougie a constitué une sorte de seconde capitale après Tunis ; elle s'est même trouvée parfois à la tête d'un état indépendant.

«...Bougie est capitale du royaume de ce nom que le roi de Tunis a donné à son fils ; Bougie est une très grande ville, très peuplée et entourée d'un bon rempart...».

Anseine Andorne (1) : Récits de voyage.

(1) Fléming, de Bruges, *Andorne* entreprit son voyage en 1470.

GRANDE VILLE DE BOUGIE

Bougie est une ville antique (1) bâtie, comme le pensent certains, par les Romains sur la pente d'une très haute montagne au bord de la Méditerranée. Cette ville entourée de hautes et fortes murailles, fait dans les 8 000 feux, j'entends dans sa partie habitée, car si elle était pleine de maisons elle en ferait plus de 24.000. Elle s'étend tellement en largeur sur le flanc de la montagne que c'est chose vraiment incroyable. Toutes ses maisons sont belles. Elle est bien pourvue de temples, de collèges où les étudiants sont nombreux ainsi que les professeurs de droit et de sciences. On y trouve aussi des monastères (2) pour les religieux mahométans, des étuves, des hôtelleries, des hospices, tous beaux édifices bien construits. Ses marchés sont également beaux et bien ordonnés. Il est vrai que la ville est toute en côte, si bien que l'on ne peut faire quelques pas sans être obligé de monter ou de descendre.

A côté de la montagne existe une grande forteresse aux murs solides. Elle est ornée de tant de mosaïques, de plâtres découpés, de bois sculptés rehaussés de merveilleuses peintures bleu-outremer que ces œuvres d'art valent plus que la construction elle-même.

Les Bougiotes ont été très riches. Ils armaient quantité de frustes et de galères qu'ils envoyaient piller les côtes d'Espagne. C'est de là que provint la déchéance de la ville parce que le comte Pierre Navarre y fut envoyé pour s'en emparer. Les gens vivent pauvrement car les terrains de culture sont trop maigres pour produire des céréales, mais ils sont

(1) En berbère, *Bogait*, nom de tribu, en arabe *Bejaia*, dans l'antiquité *Saldae*.

(2) *Zawaya*.

Enfin si la guerre était déclarée, par exemple avec l'Angleterre, une flotte française pourrait y mouiller avec toute sécurité, et de là, agir au besoin immédiatement sur Alger ou sur Bône et protéger la côte.

Ces raisons ne sont-elles pas assez fortes pour persuader que la conquête de Bougie ne fut très nécessaire si on voulait s'établir solidement sur la côte d'Afrique ?

(Coup d'œil rapide sur Bougie par un administrateur qui a résidé longtemps en Afrique pp. 11 - 12).

LA CAVERNE DE RAYMOND LULLE (1)

Au bout du cap de Bougie, on voit un grand trou ou une voûte qui traverse le cap N-S sous laquelle pourrait passer une galère mâtée et où les brigantins et les bâtiments à rames de Majorque viennent se cacher pour attendre les bâtiments turcs et les prendre. Quelques-uns appellent cette voûte, la caverne de Raymond Lulle, qui, cherchant la pierre philosophale, passa pour magicien. Les autres disent que la caverne de Raymond Lulle est une grotte à un grand quart de lieue de la ville, vers l'endroit où il y a un bon mouillage.

Sous cette voûte il y a une source d'eau et l'on y voit le restant d'une ancienne citadelle sur laquelle on a bâti un marabout ou oratoire et ermitage pour un saint turc.

Personnel : Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger, pp. 469 - 470

(1) Raymond Lulle, missionnaire franciscain de Majorque, vint, au XIV^e siècle, tenter d'imprimer le christianisme parmi les populations du Maghreb central et oriental.

Entre deux séjours à Tunis, il débarqua à Bougie, venant de Paris par Montpellier et Majorque en 1307.

Après une prédication sur la place publique, il fut arrêté, jeté en prison puis expulsé.

Le Site L'Importance de la ville

DESCRIPTION DE LA VILLE DE BOUGIE

Qu'on se représente trois contreforts à peu près parallèles, issus de la même chaîne et séparés l'un de l'autre par deux gorges débouchant à la mer. Que l'on applique sur la crête des deux contreforts extrêmes deux hautes murailles en briques, flanquées de tourelles percées de meurtrières, surmontées de clochetons, conformes enfin aux besoins et aux habitudes militaires du moyen-âge.

Que l'on couvre l'espace compris entre ces deux murailles de vingt mille petites habitations à un étage, s'élevant en escaliers sur les pentes de la montagne et orrées d'une galerie couverte, d'où la vue s'étendait sur la mer ; que l'on intercale dans l'intérieur de ce massif une foule de jardins où dominent l'oranger, le grenadier et la vigne arrondie en berceau ; enfin que l'on répartisse sur ce fond environ cinquante mosquées avec leurs coupoles et leurs minarets blancs ; on aura ainsi une idée de ce qu'à dû être Bougie, la capitale des Bédouins et l'une des principales cités berbères du Nord de l'Algérie.

Ch. Féraud : Bougie, p. 13.

IMPORTANCE DE BOUGIE

Quelques personnes ont peut-être trouvé que la prise de cette ville et son occupation ont été des choses de peu d'utilité et qui ne peuvent avoir aucune influence pour l'avenir de la colonie.

Ces personnes se trompent.

En effet Bougie, premièrement était le centre d'une population féroce et redoutable qui sans cesse nous attaquait à l'est d'Alger.

Secondement, entre Alger et Bône, cette ville est un point de relâche sûr pour les navires ; sa rade immense et parfaitement abritée, peut servir de station entre ces deux dernières villes.

Troisièmement, il était utile d'être maître du port de Bougie, afin qu'en cas de guerre, l'ennemi ne s'en emparât pas.

INTRODUCTION

Nous présentons dans ce recueil, un certain nombre de textes en français et en arabe sur Bougie à travers les grandes époques de son histoire.

Notre but est de mettre à la portée des curieux et de ceux qui s'intéressent au passé de cette grande cité un ensemble de textes choisis et peu accessibles parce que, publiés soit dans des revues spécialisées soit dans des ouvrages anciens et rares.

Notre choix est loin d'être exhaustif. Nous avons simplement tenté de faire connaître la variété et l'importance des travaux relatifs à Bidjaya, à sa région et à son rôle dans le Maghreb et la Méditerranée ainsi que tout le profit qu'ils offrent. De nombreux genres littéraires ont consacré une large place à la capitale des Hammadides : la poésie, l'histoire, les relations de voyages, les biographies de savants etc...

On ne saurait reprocher à ce recueil son caractère hétéroclite car il a pour seul but de montrer l'intérêt que portaient les savants et les princes, les hommes d'affaires ou les simples voyageurs à celle qui fut l'une des capitales du Maghreb central.

M. BELHAMISSI



الحياة الفكرية في بجاية

الحياة الفكرية ببجاية

في عهد الدولتين الحفصية والتركية وأثامها

إن مدينة بجاية التي أصبحت سنة ستين وأربعمئة على يد الملك الناصر بن علناس الحمادي وسميت إذ ذاك بالناصرية ، لم يعض عليها رؤس قرن حتى استحوطت إلى عاصمة ضاهت عواصم الدنيا الاقتصادية والعلمية وجاوز عدد سكانها مائة ألف نسمة وقبل التعرض لتصميم الموضوع ، نرجع إلى الحديث عن الدولة الحمادية التي ينتمي إليها مؤسس المدينة والظروف التي تكوَّنت فيها قبل تأسيس بجاية بنحو القرن .

كلنا نعلم الظروف التي اختار فيها الخليفة المعز لدين الله الفاطمي نقل عاصمة الدولة الفاطمية إلى القاهرة واختياره لعماله بلقين بن زيري خليفة للدولة الفاطمية بالمغرب العربي الحالي ، كان لبلقين هذا من جملة أولاده حماد ، ولما توفي بلقين حوالي سنة 372 هـ ، خلفه ولده المنصور الذي انتقل من العاصمة الثانية أشير - قاعدة بني زيري - إلى عاصمة المملكة المركزية القيروان كان من نتيجة هذا الانتقال قنصر أفراد عشيرة بني زيري على المنصور وثورتهم عليه ، فحينئذ انتصر حماد لإخيه المنصور وقسح النوار فاعترف له المنصور بمواقفه الحاسمة واقطع له أشير وما أحيط بها وصينه عاملا عليها .

المهدي البوعصب

عضو المجلس لاسلام

الاعمل - الجزائر

وبعد موت المنصور سنة 385 هـ ، خلفه ولده باديس وحينئذ ظهر في الافق زيري (2) بن عطية المغراوي فتصدى حماد لمحاربته وكانت الغلبة لزيري الذي حاصر اشير ، ففتنئذ ، عزز حماد ، بل فكر في تعزيز حصن اشير بحصن اخر ، فكان حصن كيانة الذي استحال الي « قلعة بني حماد » .

كان ابتداء بناء حصن كيانة (3) الذي استحال الي عاصمة « قلعة بني حماد » سنة 398 هـ وانتهى بناؤه بعد سنتين اي متم سنة 400 هـ . كان بناء هذا الحصن باعانة باديس ، الا ان الملائق توترت بين باديس وعمه حماد لاسباب كانت من نتائجها خلع حماد طاعة الفاطميين والبراءة من مذهبهم ومبايعة خلفاء بني العباس ببغداد ومبايلته الهدايا والرسائل معهم ، فتبينئذ اعلن عليه باديس الحرب ووقعت بينهما عدة معارك سقطت اثناءها مدينة اشير ، فتحصن حماد بالقلعة ، وكان على وشك الاستسلام لما بلغه بيا وفاة باديس ، وذلك سنة 406 هـ ، خلف باديس ولده المنز ، وكان عمره حين تولىته ثمان سنوات ، فاضطربت احوال المملكة ، وكان للمعز تحت كفالة والدته التي اعنته لتولية مهام الحكم احسن اعداد ، ولهذا لم يسع حماد وبقية افراد الاسرة المتبردين على والده باديس الا الاستسلام ، توفي حماد سنة 427 هـ ، وخلفه ولده القائد الذي جند للحرب مع المنز ابن باديس وانتهت باستسلام القائد بن حماد وفي تلك الاثناء تعرضت القلعة وسهولها لهجمات بني هلال ، ثم استأنفت الحرب بين القائد ابن حماد والمنز اعقبها صلح نهائي تعهد فيه القائد بالطاعة والولاء للمعز وجيد له المنز الاعتراف بالاقطاع والولاية على اشير والقلعة بل الجانب الغربي من المملكة الزيرية ، فكان هذا الاتفاق مينا انقسام مملكة بني زيري الى مملكتين : للدولة الشرقية التي كانت قاعدتها القيروان وكان على راسها المنز ابن باديس وصارت تعمل اسم « دولة بني زيري » والدولة الغربية وقاعدتها « اشير » ورئيسها القائد ابن حماد وصارت تعرف بدولة « بني حماد » وبمجرد ما اعترف المنز للقائد ابن حماد بولاية اشير والقاضية الغربية

(1) زيري بن عطية المغراوي من بقايا ملوك مغراوة الذين قضى على دولتهم بلقين سنة 360 هـ وكان ملوك مغراوة يرأون ملوك الأندلس فاقطعوا لزيري المغرب فقصده زيري بني زير لأخذه بالثار وذلك سنة 390 هـ .

(2) حصن كيانة ويعرف بجبل عجيصة بني علي انقاض حصن روماني وقد غلط بعض المؤرخين قسمه حصن كتامة وفي هذا الحصن لقي أبو يزيد الخارجي حتفه وقال ابن خلدون ان في مسحه كانت تسكن قبيلة عياض العربية ولا زالت هذه القبيلة تسكن الى زماننا هذا .

(3) طينة مدينة أثرية كانت مقرا للمكائنة ثم اقتضها المسلمون بعد الفتوحات قاعدة الزاب قال بعض الجغرافيين انها اعظم مدينة بين القيروان وسجلماسة وانجبت كثيرا من العلماء عرفت ببني الطنبجي في الأندلس .

نقل القاعدة من أشير إلى « قلعة بني حماد » التي مصرها والده ونقل إليها سكان طيننة (3) والمصلحة (4) وحمزة (5) *

ثم شاعت الاعتقاد أن تستطع انقيروان وصقاية فتستفيد القلعة من ذلك حيث التجا إليها جل علماء المرينيين وتجارها وصناعها « كما صارت القاعدة التجارية العظمى » وقد وصفها أول عهدنا أبو عبيد البركي في تأليفه « المسالك والممالك » فقال « قلعة كبيرة ذات متعة وحصانة » تمسرت عند خراب القيروان ، انتقل إليها أكثر أهل إفريقية وهي اليوم مقصود التجار ، وبها تجل الرجال من المراق والمجان وعصر والشام وسائر بلاد المغرب وهي اليوم مستقر مملكة صنهاجة الخ » *

هكذا تكونت دولة بني حماد « وقد ذكرنا هذه الفقرات توطئة ومبذلا للدراسة التي هي كما يدل عليها عنوانها » الحياة الفكرية ببجاية في عهد دولتي بني حفص والاتراك وإثراها » *

وقد علمنا أيضا أن دولة الموحدين هي التي قضت على دولة بني حماد ببجاية سنة 542 هـ وخلفتها « لم تكونت دولة بني حفص على أنقاض دولة الموحدين » إلا أنها في الميدان العقائدي كانت امتدادا لمذهب المهدي ابن ترمز رغم إعلان الخليفة المأمون ابن يعقوب المنصور الذي قال : « أيها الناس لا تدعوا المصوم وأعدوه المذموم الخ » وذلك في أواخر القرن السادس الهجري بماصمة الدولة المركزية بمراكش ولما أعلن أبو زكرياء الحفصية استقلاله بقونس التي كان عاملا عليها من قبل دولة الموحدين الحق ببجاية بترنص وعين ولده – ولي عهده – بها لمكانتها فصارته العاصمة الثانية للدولة الحفصية الناشئة وكثيرا ما تقاسمت تونس قاعدة الحكم *

سبق لنا أن بجاية بنيت سنة 60 هـ بناها لأناصر بن خلفان الملك الرابع لدولة بني حماد « ولما تولى الناصر هذا خلفه ولده المنصور ونقل مقر العاصمة من قلعة بني حماد – التي توالى عليها هجومات بني هلال – إلى بجاية ، ونظرا لموقعها « أمكنها أن تتجنب غارات بني هلال وتربط صلتها مع الدول التي كانت تتبادل معها التجارة على طريق أسطولها البحري » فحافظت على مكانتها الاقتصادية ، وقد وصفها ابن خلدون في « نزهة المشتاق » فقال « مدينة ببجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الأوسط ، وعين بلاد بني حماد ، والسفن إليها مقصدة ، وبها التوافل مخططة والامتعة إليها برا وبحرا مجلوبة ، واليهضائع بها نافقة ، وأهلها مياسير تجسار » وبها من

(4) المسيلة وتسمى أيضا المنصورية اسمها على ابن حمدون المشهور بالانفاس في عهد العيينيين وبها نشأ المرحوم لدين الله الفاطمي ويلقين وجعفر بن علي بن حمدون مدحود الشاعر ابن هاني الانفاسي *

(5) حمزة تحريف الآن بالبريرة بين الجزائر وسيفي اسمها الادارية في مدة حكمهم بطنلمسان والمغرب الأقصى *

الصناعات والصناعات ما ليس بكثير من البلاد ، وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى ، وتجار الصحراء ، وتجار المشرق ، وبها تنس الشهود ، وتباع البضائع بالأموال المنقشرة ، ولها يسود وزمار ، والمنطة والشمير بها موجودان كثيرا ، والتين وسانر الفواكه بها منها ما يكفي لكثير من البلاد ، وبها دار صناعة لانشاء الاساطيل والراكب وأسفن والحرابي لأن الخشب في أوديتها وجبالها كثير موجود ، وبها معادن الحديد الطيب موجودة ممكنة وبها من الصناعات كل غريبة ولطيفة الخ » *

كما أمكنها المحافظة على مركز القلعة الثقافي الممتاز إذ صلاوة على علماء القلعة الذين انتقلوا إليها ، وردت عليها نخبة من علماء الأندلس الذين شجعهم المنصور وسهل لهم سبل الإقامة ماليا وأدبيا ففي مدة قليلة صار علماء الأندلس يستلون أغلبية الطبقات المثقفة ببجاية وقد طمنا الثقافة الإسلامية بطابع خاص ، سنتحدث عنه في موضعه ، كان علماء الأندلس الذين وردوا على بجاية من بقايا أنصار الفقهاء المالكيين وبالطبع كانت وجهتهم السياسية تميل إلى دولة المرابطين التي قضى عليها المرابطون ، لم ينس الفقهاء الأندلسيون أنهم لم يشاهدوا عهد استقرار وتقدير وتأييد في كملهم الطويل الذي ابتدأ منذ ظهور الدولة الشيعية في إفريقيا ، مثل ما نالوه في عهد المرابطين ، خصوصا بالأندلس والمغرب ، ولهذا لم يطمئروا للانقلاب الذي أحدثته دولة المرابطين بل عدوه كارثة *

كان من جملة اللاجئين الأندلسيين أساطين من قادة الفكر إذ ذلك ، خصوصا الفلاسفة الذين لمحت تآليلهم وأراؤهم دويا في العالم لا زال يردد صدها الباحثون والعلماء من مختلف الاجناس والاديان ، ولما ذكرناه كان احتلال المرابطين لبجاية سنة 434 هـ لم يرض العلماء الذين لم يقسموا السكان استيشارهم وتقاولاتهم بالانقلاب ، ولم يكن ذلك راجعا إلى أزمة الحمانيين من الحكم ببجاية فحسب ، بل كان مرجع ذلك إلى القضاء على دولة المرابطين بالأندلس والمغرب ، ولهذا كان رد الفعل مساهمتهم المبكرة في المؤامرة التي دبوها لبني غانية ، بقايا دولة المرابطين يجرى سريوة وسهلوا لهم احتلال بجاية التي كانت منطلق شرارة هذه الثورة التي رغم ما لاقته من مقاومة كانت تنتجتها - تفكير عربى دولة المرابطين والاطاحة بها وقمع جنود الفكرة المرابدية من أساسها ، عند ملوكها ، حتى صاروا يتراوون منها ، ويلعنون مؤسسها من أهلى منابر مساجد العاصمة أسوة بما فعله ملوك بني زيري مع الفاطميين عندما صرح خبيب مسجد القيروان سنة 433 هـ في عهد المن ابن يانيس وقال « اللهم العن القسقة المكفار وأمارقين الفجار أعداء الدين وأنصار الشيطان » *

اطلنا في هذا التقديم أو المسهل الذي فرضه علينا سياق الحديث إذ لم يتمكن للعرض الجوهري الموضوع من دون شكر هذه التوطئة ، كما أن كثيرا من القراء لم تنح لهم دراسة تاريخ بيجاية عبر عصرها حتى نكتفي بالإحالة أو الإشارة إلى الوقائع .

هذا ملخص ما شاعته بيجاية العاصمة العلمية التي لعبت أدوارا في تاريخ البلاد الفكرية والسياسية ولترجع إلى موضوع الدراسة أي الحياة الفكرية في المهددين الحفصية والتركيبية بيزيد من التفصيل .

لا شك أن دولة الموحدين لما تشكلت أوصلها ، وتنازع ولاتها ، وتنازعوا أعمالها أو ولاياتها مما هو مشهور ، كانت مملكة بيجاية من نصيب الولاة الحفصيين ، الذين استقلوا عن الخلافة الموحدية بمرآكش في عهد أبي زكرياء الحفصية وإلى تونس المتمرد على حكومة الموحدين المركزية . كانت قاعدة للدولة الحفصية الأولى مدينة تونس ، والقاعدة الثانية بيجاية ، التي تولى عليها ولي عهد الملك أبي زكرياء الحفصية .

ثم شاعت الأقدار أن تكون دولة الحفصيين الناشئة هذه بلغت أوج العظمة ، وأمكنها أن تحظى ببياية الاندلسيين والحجازيين ، ونفس مزاعمها في ريادة دولة الموحدين المركزية كبني مرين ملوك المغرب ، وبني زيان ملوك تلمسان .

امتدت الدولة الحفصية في أول نشأتها بملوكها الذين كانوا من اكابر العلماء فحالت الثقافة في عهدهم ازدهارا ، ونفس بلاط ملوكها ببطاحل العلماء والمؤلفين ، الذين حلدوا العهد الحفصية وبوزده مكانة سجلها له التاريخ ، ولم تحط بها إلا أول قليلة .

في العهد الحفصية خصوصا في عهد مؤسس الدولة أبي زكرياء وولده المستنصر بالله ، ظهرت تأليف حازم القرطاجني ، وابن عصفور الكوي ، وابن الأتبار الاندلسي ، وأحمد الغبريني وابن المطرف الخزوي ، كما ظهرت بعدهما تأليف التجاني صاحب الرحلة وابن قنفذ القسنطيني صاحب السوفيات ، وديوان العبد لابن خلدون ، وظهرت في ميسدان الفلسفة تأليف ابن سمين (6) خصوصا رسالته التي أحدثت هزة عنيفة في الأوساط العلمية المسيحية الذين كانوا في بلاد الامبراطور فردريك الثاني ملك صقلية ، وتأليف محي الدين (7) ابن عربي الصامت

(6) عبد اسمعيل بن سمين (613 - 667 هـ) وقد اختلف فيه كثير من الباحثين فنعلم من كثره ومهم من جملة في أعالي مراتب الصلاح وقد نشرت رسائله بعدة لغات ولا زال الكتاب بخصونه بالتأليف .

(7) محي الدين بن عربي (560 - 638 هـ) لما يريد على 150 تأليفا وقد اختلف أيضا فيه معاصروه ومن بعدهم وخسره بتأليف قيمة منهم السيوطي .

والششتري (8) والحرالي وغيرهم إذ لا زالت هذه التأليف محل عناية الكتاب والباحثين إلى يومنا هذا ، وإن تتبج كل ما ظهر من الآثار الثقافية في العهد الحفصي يحتاج إلى سلسلة مقالات .

وقد احتفظ لنا التاريخ بأهم اثر لذلك العهد وهي كتاب « متوان الدراية في ذكر من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية » الذي ترجمه مؤلفه لخصمين ومائة عالم وقد كان هذا الكتاب من انفس المصادر وانفعها لتاريخ ببجاية الثقافي ، إذ لا يخلو تأليف من تأليف تراجم ذلك العهد من ذكره ، خصوصاً تاريخ تراجم علماء الاندلس ، وقد انفت كثير من الكتب الهامة في جميع فروع المعرفة ضاع الكثير منها ، ونظراً لما يتطلبه بحث كهذا من الاختصار تقتصر في هذا العرض على ذكر عالم ببجائي امكنه أن يحدث ما يسمى في زماننا هذا بثورة ثقافية في ميدان كانت له أهمية في ذلك العهد الا وهو ميدان الفقه المالكي ، والفقه المالكي ان ذلك كان هو دعامة الثقافة الإسلامية خصوصاً بالاندلس والمغرب العربي حيث كان الفقهاء قادة الفكر ، الا ان كثيراً منهم استغلوا الظروف التي اطلق لهم فيها قيادة وتوجيه الرأي العام ، فبالغوا ، واسرفوا ، حتى جر عليهم موقتهم وإيلا من النقد ، ومن جملة منتقبيهم ان ذلك أبو بكر ابن العربي الاندلسي الذي قال عنهم في كتابه « العواصم على الفواصم » قال صار التقليد ، بينهم والافتداء بغيرهم فكلماء جاء أحدهم يعلم حقراً امره ويغفوا في صدره ، الخ . هذا العالم البجائي هو ناصس الدين (9) المشدالي الذي اقام حدة في مصر ونقل إلى ببجاية ومنها إلى المغرب العربي الطريقة التي انتصر فيها اصحابها في ميدان الفقه المالكي هذه الطريقة التي انتهج فيها الفقه المالكي منهجاً جديداً حيث دخل في مفايز الاختيار والترجيح مقياس جديد هو مقياس القترى والعمل وقد اعتنى أخيراً احد (10) افاضل الباحثين فقال في الموضوع « كان د رسوا الفقه ان ذلك يطبقون الاحكام الشرعية على الوقائع يراعاة فرصت فيه تلك الاحكام من الظروف الزمانية والمكانية فاذا رآوا ان بعض تلك الظروف تبدل مالوا إلى العنول من القبول المشهور إلى قول غسيره اجتهدوا منهم واستحسنوا وامتاروا للمصالح الشرعية ، وهذا كله ناتج عن الطريقة التي احدثها مختصر ابن

(8) أبو الحسن الششتري ولد سنة 620 هـ وقد اعتنى به كثير من الكتاب مسلمين وأجانب ومن أهم البحوث اطروحة د . سامي للنشار استاذ جامعة الاسكندرية .

(9) ناصر الدين المشدالي (631 - 733 هـ) ذكره ابن خلدون ان هسو استاذ استاذ عمران المشدالي وصوره وأشاده بعمله وتحقيقه كما اشاده به تلميذه ابن مزيق الخطيب وغيرهما .

(10) محمد الفاخيل ابن عاشور مفتي الجمهورية التونسية سابقاً .

الحاجب الفقيه الذي جمع ستاوستين ألف مسألة وعظم به الاعجاب واقبل عليه دارسو الفقه وهو الذي قال فيه ابن خلدون انه جاء كالبرنامج للمذهب (11) *

« كان طريق اتصال مختصر ابن الحاجب ببلاد المغرب العربي على يد ناصر النعير المشغالي الذي تخرج على تلامذة ابن الحاجب ونشره في تلاميذه بيجاية ومن بيجاية انتقل الى عامة اقطار المغرب العربي » هذا ما قاله الفاضل ابن عاشور وقد ايده كثير من مؤرخي الفقه الاسلامي ومنهم محمد الحوي في تأليفه « الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي » قال في الموضوع : « ان ناصر الدين المشغالي البجائي هو اول من اسفل مختصر ابن الحاجب الفقيه للمغرب ورعيهم فيه » *

اقتصرتنا على اثر ناصر الدين المشغالي لانه امكنه ان يخفف من وطأة الخلافات داخل صفوف الفقهاء اذ رغم برادة ملوك الموحدين من مذهب امامهم تحت ضغط الرأي العام الذي كان يقوده الفقهاء ويوجهونه ، فقد بقيت طبقة تقتصر للمظاهرية والموحدية ، الا ان الخلافات حينئذ لم تتعد الاوساط العلمية ، بخلاف ما كانت عليه قبل ، فكان العلما والسامسة يتدخلون ، وان مسلك الحفصيين كانوا يتصرون لمذهب امامهم المهدي ابن تومرت الا انهم وقف الكثير منهم ، ان لم نقل جلهم ، مواقف نزيهة حيادية ، لم يستعملوا وسائل الضغط او الاغراء لنصر مذهبهم كما فعل تلك الخليقة يعقوب المنصور الذي حرق كتب مذهب مالك ، وفعله قبله الحاجب ابن ابي عاصر بالاندلس فحرق كتب الفلسفة في الشوارع العامة تحت تصفيق الجماهير ترحيبا للعلما واشباههم الذين كان تدافعهم في ايدان من الكوارث وعلاوة على التآليف التي خصها اصحابها الى تراجم ملوك الدولة الحفصية وما اظهروه من تشجيع للمحركة الفكرية ، ثم كتب تراجم علما ذلك العهد فاننا نجد بعض الرحالين زاروا بيجاية سواء زاروها عابري سبيل ، او طلاب علم ، وقد سجلوا انطباعاتهم عن بيجاية في القرون السابع والثامن والتاسع وذلك مثل المبرني صاحب الرحلة المغربية (12) الذي وصف بيجاية وصفا دقيقا وذكر من لقيه بها من علمائها - ومنهم ناصر الدين لشغالي - ووصف مسجدها الجامع وموقفها في اواخر القرن السابع اي حوالي سنة 680 هـ ثم أعقبه خالد البلوي الاندلسي الذي زار بيجاية حوالي سنة 730 وسجل انطباعاته في رحلته المشهورة وفكر كثيرا من علمائها ، وتعرض بالخصوص لآثارها ، وقصورها ، وقد زارها (13)

(11) من مقال قيم للرحم محمد الفاضل ابن عاشور مفتي النجار التونسية نشره قبل وفاته وناشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد 44 رجب 1389 اقتبسه فيما يظهر من « اثمار الرياض في أخبار القاض عياض » للمقري *

(12) الرحلة المغربية طبع منذ سنوات قليلة بتحقيق محمد القاسمي وزير الثقافة سابقا بالرياط ر ٥٠٠ ابن جدي استاذ جامعة الجزائر *

(13) رحلة خالد البلوي لا زالت مخطوطة في هذه خزائن - الجزائر - قرقس - الرياط ، الخ *

عبد الرحمن بن خلدون الذي استبقمه ملكها ابن عبد الله الخفسي وولاه الحجابة التي هي بمثابة (رئاسة الوزراء) فذهب إليها من المرة سنة ست وستين وسبعمائة (766 هـ) ولم يترخص ابن خلدون لوصف الحالة الثقافية ببجاية مدة إقامته إلا أننا استغفنا منه أنه أخذ من بعض كبار علمائها كإمام بن إدريس وقد كان في وقت اضطراب وخلقات بين أفراد أسرة ملوك بني حفص الذين تقاسموا ولايات تونس وبجاية وقسنطينة إلا أنه تقدم مدة إقامته لضيفة الجمعة بالجامع الأعظم - جامع القصبة - وفي ذلك قال عن الملك أبي عبد الله الخفسي الذي استبقمه « وقدمنى للضيفة بجامع القصبة لا انفك عن ذلك » *

وقال عن أحمد ابن إدريس في معرض حديثه عن القاهرة التي بهرتة إذ ذاك عندما وصلها قال « وسألت شيخنا أحمد بن إدريس ليا العباس كبير العلماء ببجاية » الخ *

أقام ابن خلدون ببجاية سنتين أي من سنة 766 إلى 768 هـ وغادرها في ظروف خطيرة إذ تغلب عليها ملك قسنطينة إذا ذاك ، ولولا حلاق أسرته مع الحفسيين من عهد جده الذي تولى شيه وزارة المال حوالي سنة 727 هـ وتواصلت العلاقات إلى عهده وإبنائه حتفه ، وهذا الجانب هو الذي ترمض إليه ابن خلدون مدة إقامته ببجاية ومن ضمن الحظ أننا وجدنا أحد طلاب العلم ورد على بجاية في نفس السنة التي كان فيها ابن خلدون أي سنة 766 هـ وذكر أنشطاته عن الوسط البجائي وهذا الطالب هو محمد بن عمر الهواري دفين وهران الشهير (المتوفى سنة 843 هـ) فقد ذكر مترجمه ابن صاعد (14) الانتصاري الاندلسي ما يلي : « وكان مبدا قراءته يعمد ببجاية بخلها بعد صومه بسنة ، فقرأ على أعلامها الجليلة ، عين منهم الإمامين سيدي عبد الرحمن الوغيمسي وسيدي أحمد بن إدريس ، وكلامه - أي الهواري - في منظوماته (15) مليئات بالثناء على أهل بجاية ، ونذكر محاسنهم في الأثر والصدقات ، واشتغالهم على الغريب ، وحبهم للفقراء ومحافظتهم في معاملتهم على الربا ، وصرح في كثير من كلامه أنه لقي بها جملة من العلماء أهل الصدق والورع أجازوه في جميع العلوم وفي نظمهم للسمي بالتسهيل قوله » *

لو وصفت لك ما ريت في بجاية وهي هيا بلد الورع والصلح وترايب حقيقيا الخ *

(14) ابن سعد الانصاري الاندلسي صاحب « روضة التصديق في التعريف بالإشياخ الأربعة المتأخرين » ألف في أواخر القرن التاسع لمخازنة المتكفل على الله الزياتي ملك تلمسان *

(15) منظومات الهواري كلها باللغة الدارجة أي الزجل ولهذا ظن كثير من مترجمين أنه لا يصحن العربية الخفسي مع أنه كان من أكابر العلماء فقد أخذ ببجاية ثم يقاس ثم ختم رحلته الطويلة بالمشرق *

ثم مقلها كطالب علم أيضا في تلك المدة ابن عبد الله الشريف التلمساني - أحد كبار مشايخ ابن خلدون الذين ترجمهم وأشاد بعلمهم وقسطهم فقال عنها : « أنه وجد العلم ينبع من صدور رجالها كالماء الذي ينبع من حيطانها »

ثم زارها بعد هذا طالب ثالث وهو عبد الرحمن ابن مخلوف الشامي بفين الجزائر (المتوفى حوالي سنة 875 هـ) فقال في فهرسته بعد أن عرف بنفسه وعثر ولاته ابتداء رحلته العلمية : « ... ثم تهاوت بي الرحلة الى بجاية فخلقتها عام اثنين وثمانمائة فلقيت بها الائمة المقتدى بهم في علمهم ودينهم وورعهم اصحاب الشيخ الفقيه الزاهد الورع ابي زيد عبيد الرحمن بن احمد الوغليسي واصحاب الشيخ ابي العباس احمد بن ادريس وهم يومئذ متوافرون اهل ورج ووقوف مع الحق لا يعرفون الامراء ولا يخاطبونهم وسلك اتباعهم وطريقهم مسلوكهم رضى الله عنهم اجمعين » ثم ذكر الشامي بعض مشايخه الذين اخذ عنهم ببجاية باسمائهم اذ طالت مدة اقامته بها :

والشاميين الذي اشاد بالعلماء الذين « كانوا لا يعرفون الامراء ولا يخاطبونهم » لا يتعدد مقاطعتهم للامراء بل كانوا قائمين بما موريتهم : نشر العلم ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والامتناع كل البعد عن مواقف التهم ، ملتزمين بما تمهدوا به لمشايقهم الذين كان شعبارهم - خصوصا علماء (26) الحديث - « اقتطعوا الياس مما في ايدي الناس تعيشوا احرى » وقد رأينا آثار ما تركته مقاومة الغاطيين ، فان الفقهاء السنيين قاطعوهم مقاطعة شملت من انتصر لهم من العلماء ، فقاطعوا تأليفهم ، ومن جملتهم البرادعي صاحب « تهذيب النبوة » وغيره فانما يلى الذي وصف ثلاثة ابن اعرس والوغلبيسي بانهم على سنفهم « لا يعرفون الامراء ولا يخاطبونهم يقصد انهم لم يكونوا دعاة لذهابهم ، ولا ايوافا لمسياستهم اذ كان من جملة ما تساهلوا فيه سلك الدماء لاسي تهمة ، فالاستنص بالله وولده قبله قتلا كثيرا من اساطين العلم ، وبلغ بهم الاستنثار والعثر ان حرقوا تأليف ضحاياهم - كابن الابار - وقائمة ضحايا العهد الحفصي من العلماء طويلة ولم تحصل مسؤوليتها الموك الحفصيين وحدهم ، وانما يشاركون في تحمل اوزارها كثير من العلماء الذين كانوا يستقلون تقربهم الى البلاطات ليوشوا يحصرهم لعدة اسباب ومعضلها يرجع الى العمد ثم ان كثيرا من العلماء كانوا لا يعطون قيمة لبعض اورداء المقربين اذهم اعسرف الناس بتقريبهم ويتحققون انهم لم ينالوا مناصبهم باستحقاق وانما كانوا يستعملون طرق التزلف والتقرب والشاميين الذي حصل على المخالطين للامراء كان ينتمى الى اكبر اماراة حكمت عاصمة الجزائر وسهول متيجة انتصر افرادها للمهدي ابن قمرمت عندما مر عليهم ، اشتهر علماء الدين في بجاية

(26) كان علماء الحديث عندما يجيزون الرواة عنهم الراقبين في سلمة السنن يصورهم كتابا ومضافا « اقتطعوا الياس مما في ايدي الناس تعيشوا احرى » فساتر شعارا لهم *

بالورع والنزاهة من زمان ومترجموهم متفقون على ذلك ، إذ امتازت الثقافة ببجاية من أول عهدها أي ابتداء من القرن السادس يطابع خاص بعيت اثاره ملازمة لها ، لا وهو التصوف ، وكان هذا النوع من التصوف يمثل طلبة لها ميول خاصة للزهد والورع ، لا ما يدعيه محقرو التصوف ، ولهذا لما ظهرت طائفة اصبحت الزهد والولاية واراقت ان تخلف الائمة الاولين وتتشبه بهم لاجراض دينوية مصحة تصدى لكثيف حقيقتها علماء التصوف انفسهم ، كما منطهر ذلك بوضوح في ختام هذه الدراسة والخلاصة في هذا الباب انه رغم الاضطرابات السياسية التي تعرضت لها بجاية في العهد الحفصى فان الحياة الثقافية كانت مزدهرة .

وفي اواخر العهد الحفصى أي أواخر القرن التاسع لما ضعفت الدولة ، وانسلخت عليها ثورات الاعراب ، ورؤساء الاقطاع ، استغل كثير من ملوك اورويا الوضع فحصلوا لجالياتهم على امتيازات خولت لهم الحرية التامة في تصرفاتهم ذكر المؤرخ الفرنسى (27) فيرو ان ملك فرنسا لويس الحادى عشر كاتب ملك بجاية سنة 1482 م (حوالى 887 هـ) ليجدد المعاهدة التجارية بين ولديهما ، فتمصنت المعاهدة التي التزم فيها ملك بجاية بضممان أمن الجالية الفرنسية المقيمة في بجاية ، وصيند عقد المؤرخ المذكور فصلا ذكر فيه بتفصيل حالة الجالية الفرنسية المقيمة ببجاية وبقيّة الجاليات الأوربية فقال « فالجاليات الاربيسة كانت تسكن بفنادق خاصة بها ، وكل جالية مخصص لها فندق يقيم فيه افرادها تحت نظر قنصلها الذي كان يسكن معها ، فالقندق كان مخصصا للمكثى والتجارة ، وكان عبارة عن قرية إذ يشتمل على كنيسة ومقبرة (وكان قسيس الكنيسة تابعها لاسقف جنوة) »

كانت شرطة الفندق تحت تصرف القنصل والحراس الذين كانت اكثريتهم من المسلمين وكان لهم الحق أن ينعوا أي احد كان مسلما أو مسيحيا من للدخول الى الفندق ، ان لم يظهر جوازاً للمقصول .

فالمضباط المسلمون ممنوعون من اقتحام حرم الفندق ادا دعته المصلحة الى تتبع منهم من الجاليات الاجنبية الا ياتن القنصل .

منه في حالة البلاد ابتداء من تدور الحكم الحفصى في اواخر القرن التاسع ، وقد وصف حالة بجاية اذا ذلك الفقيه احمد الشريف (28) البحاى الذي وجه سؤالا الى استاذة احمد بن الحاج

(27) تاريخ بجاية « لمخبرو المترجمان المسكوى ببجاية اثر الاحتلال الفرنسى والكتب المشهوره
(28) نشر صاحب « البستان في ذكر العلماء ولولاياء بتلمسان » هذا السؤال في ترجمته التي عقدها ل احمد بن الحاج البيهري المذكور (ص 140) (الترقى سنة 930) .

البيدرى التلمسانى بعد رجوعه من تلمسان ذلك السؤال الذى ضمنه وصف حالة بيجاية قال « ما جوابكم فى موضع كثر فيه الظلم والاضرار وانتشر فيه الياطل والسكر كل انتشار ، وذل فيه المسلمون وهن فيه الكفار ، وارتفع فيه الجور والظلم ، واتضع فيه اهل المعرفة والعلم ، تمكس فيه جل البيعات على الكفار ، واشكل الامر على المستضعفين الخ » وهكذا نرى انه رغم ما وصلت اليه بيجاية في اواخر القرن التاسع حيث امكن للمجاليات الاجنبية ان تتال امتيازات لرعاياها كان من نتائجها انتشار الفجور والفسور والاباحية مما ادى علماءها الى طرح استفتاءات (دائل الهلدة وخارجها) فى حكم الاقامة ببلاد اسلامية انقطع فيها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد ماجر بالفصل البلدة كثير من علمائها ، وانتقلوا الى القرى المجاورة ، ثم الى قسنطينة وتونس ، ستحدث عنها بتفصيل فى موضعها فى هذه الفقرة التى اجتازتها بيجاية ، ورد عليها احمد كجار علماء المغرب امكنه ان يحدث بحق ثورة فكرية كتب لها الانتشار والخلود طيلة ثلاثة قرون بل لا زالت اثارها الى زماننا هذا .

كان هذا العالم هو ابو العباس احمد زروق اليريسى الفاسى اذى اخذ بتلمسان عن لستوسى وغيره ، ثم من التمايلي بالجزائر وكون مدرسة بيجاية كان من ابرز تلامذته فيها احمد بن يوسف تافين مليانة واحمد بن حسنة الراشدى - احد اجداد الامير عبد القادر الجزائري - وصغير بن محمد الاخضرى - ولد المؤلف الشهير عبد الرحمن الاخضرى صاحب السلم والجهر المكنون - ومحمد بن هلى القرويين ففين الجزائر .

وقد كان انتشار مذهب زروق على طريق محمد الخروبى وعبد الرحمن الاخضرى *

كان احمد زروق عندما وصل الى بيجاية وجد كثيرا من اجتنبين تقصصوا اثراب المصالح والولاية وكثرنا طرقا منسرفة من تعاليم ائدين قتصدى لحاربهم ثم رأى انه امام الفوضى التى سادت اذ ذاك وتمتد السجالة والمبتدعين بعلم الحقيقة والتصوف والمرادة الزائفة رأى ان الوضع فى حاجة الى جعل حد لهذه الفوضى فالف كتابه الشهير « قواعد اصصوف » ثم اصصول الطريقة ونظم « عيوب النفس » للسلمى فيهذه التأليف ضببط علم التصوف وقطع فكرة ان الحقيقة تخالف الشريعة او يتباينها ثم الف كتابا اخرى قيمة فى الحديث والتفسير والفقه وما الى ذلك واذا ارجعنا تلميذه محمد بن على الشروبى نشر جل تأليف استاذة زروق التى تمهدا بالشرح والتعليق كأصول الطريقة « عيوب النفس » ثم الف « كفاية المريد » و « تفسير القرآن » و « الحكم » وشرحها . وقد ظن بعض مترجميه انها « حكم ابن عطاء الله » والحقيقة انها تأليف له مع شرحه (29) ، انتشرت

(29) وقد احتفظ معهد من معاهد قرى بيجاية بهذا التأليف النادر القيم بخط مؤلفه *

تأليف الخروبيز وقد وصفها حصن العجيسى أستاذ أبي سالم العياشي الرحالة فقال « ومن المعلوم أن تفاصيل السنة يطول ومن تنفع الكتب أن أراد الله له الجري على هذه الحصة » كفاية المريد « للشيخ الخروبيز »²⁰

ونذكر محمد بن علي السنوسي خفين جغريب (ليبيا) في بعض فهارسه أن تأليف الخروبيز شبيهة بتأليف الفزالي « فإن هذه التأليف لم تجاوز أوساط الخاصة » أما الذي خلدت تعاليم زروق ونشرها عند الخاصة والعامة فهو ولد تلميذه : عبد الرحمن الاخضرى مقيم بنطريوس بالأسراب (مسكرة فقد له منظومة ممها « القسسية » (20) « تحتوي على 357 بيتاً ضمنها كشف حالة المبتدعة والمجالين والمنحرفين المدعين للصلاح » وقارن بينهم وبين الصالحين الحقيقيين « فكان الاتهام على هذه المنظومة التي تناقلها طلبة العلم » وصار اصحاب المعاهد يلزمون طلبته معادهم بحفظها « وتحاكيها » كما اعتنى كثير من العلماء بشرحها « والتعليق عليها » قال الاخضرى في وصف المنحرفين الذين ادعوا التصوف في « القسسية »

والشروع قد تجنبوا سبيله

قد ادعوا مزالها جليسة

اي ان يقول :

فالقول ايليس لهم امام
اذ ختلوا الدنيا بالديانة
وسلكوا ممالك الخديعة

قد ملكت قلوبهم اوهام
كفكك من جميعهم خيانة
وهتكوا مزارم الشريرة

ثم بين ان المقياس الذي تقاس به اعمال الناس في هذا الميدان هو اتباع السنة والكتاب وان كل ما خالف تمايليهما فهو افاك وبهتان والى هذا اشار بقوله

وعن شريعة الرسول ناذا
وعقله مختلج مجنون
لان سيد السورى باب الهدى
مقالة جليسة صفة
او فوق ماء البحر قد يسير
فانه مستخرج او يدعى

من كان في نيل الاماني راجيا
فانه ملتبس مقتون
هذا محال لا يصح اهدا
وقال بعض السادة الصوفية
اذا رايت رجلا يطير
ولم يلقه عند حدود الشرع

²⁰ نشرتها « مجموعة الرسائل المنيرية » (الطبعة المنيرية 1346) الا انها ناقصة .

الى ان يقول :

والشروع ميزان الامور كلها

وشامعد لاصسلها وفرعها

ثم يقول :

وقال بعض اولياء الله

السالكين لصلراط الله

فألفقوه لنا الفتي جبال

ولسم يقف يادب الجلال

ثم صرح الاخضرى فى ختام منظومته : « الفسفة بان اسوته فى منهجه هذا امتان وانده زروق وفى ذلك يقول :

ومن يرد معرفة باليدع

وما اثبتا عليه اصيل المدع

فلى كتاب شيخنا الزروق

عجائب فائقة زروق

وقد كان نكر مقارنة بين ادمى لرتب الكمال والولاية الصحيحة فقال :

واعلم بان السولى الريانى

لتابع السنة والقران

والفرق بين الله والصواب

يعرف بالسنة والكتاب

ففى هذه المنظومة وضع الاخضرى بطريقة جاية لاليس فيها ولا غموس »

ثم يقتصر الاخضرى فى منظومته وفى دروسه على محاربة المبدعين وادبياتهم بل لميتخل ايضا بين مناهم « علماء السوء » وقد كثروا فى ذلك العهد فتراموا على ابواب قصور الامراء ورؤساء الاقطاع الذين صدق عبد الكريم بن الفكون القسطنطينى (988 - 1073) حيث كان يسميهم بالخصوص فخصمهم الاخضرى فى منظومته المشهورة باللامية (تحتوى على 250 بيتا) وهذه بعض ابيات منها :

واحرر « علماء السوء » فقد

خمسوا بالالفك وبالحطل

حفظوا الاقوال وما علموا

بالعلم هباء القوم قل

ما حرقهم الا لعب

ولموم للناس بلا قتل

ارباب قلوب قاسية

للمطاعة اصلا لم تمل

لا تطق لذكر الله لهم

الا باللهو وبالهزل

لا يكتبون العلم سموى

لرياء الناس وللجذل

لولا السوء دوى الخلل
من قبل اولى الاوثان قل
وخذ الاقوال ولا تمل
حفظ فى العلم وفى العمل
واظفر بمحبتهم تصل

طمس الاقوال تملقهم
يصلون دارا كصا وردا
فانسرك افعالهم ابدا
حاش « علماء الخير » اولى
فعليك اذى ! بمجالسهم

وإذا نظرنا إلى العصر الذى عاش فيه الاخضرى أى فى أوائل القرن العاشر الذى سقطت فيه بجاية واحتلها الاسبان ولم يبق من مملكتها الا عناية التى كان بها وإلى حفصى وكذلك قسنطينة التى استبد فيها الرالى الحفصى تبعاً للملك الحسن الحفصى الذى كان يتوس واستعان بالاسبان وسهل لظار لكان احتلال تونس بعد أن دخلها خير الدين باشا وكان سبباً فى تعصب رالى قسنطينة الحفصى الذى انقسم سكان بلدة قسنطينة فى عهده إلى قسمين تقاسموا احياء المدينة طيلة ستوات وكان قسم الموحدون للوالى شيخ الاسلام عبد المؤمن واتباعه والقسم المؤيد للترك عبد الكريم بن الفكون الجد - المتوفى سنة 988 اما الزاب مسقط رأس الاخضرى فقد قطعت صلتها ببجاية ويقسنطينة ويتنازع النوار ولهذا لم يبالغ الاخضرى عندما وصف عصره فى « نظم السلم » بفراسه :

ذى الجهل والفساد والفتون

لا سيما فى عاشور القرون

كما اشار الى تدهور ابلاد والمفوضى السائدة اذذاك فى عدة قصائد *

بعد احمد زروق خاتمة العلماء الجامعين بين الحقيقة والشرعية وقد حظى بتراجم قيمة تدل على الثقة التى كان يتمتع بها عند المعاصرين معا ، وقد أدى خدمة جليلة بتأليفه « قواعد التصوف » وبقية تأليفه التى ضبط فيها علم التصوف وغلط كل المناقض على المبتدعة ومن لا يقل قيمة عن « قواعد » محمد المقرئ الجد و « قواعد » احمد ابن يحيى الوثرىسي فى الفقه *

لم يصلنا من شروح « قواعد التصوف » لزروق الا شرح الأستاذ (21) لمبى ذكر فيه مقدمته عند شرحه لمقرئ زروق فى بيان منهجه فى التأليف وبعد فالقصد بهذا المختصر وهو انه تهديد قواعد التصوف واسوره على وجه يجمع بين الشرعية والحقيقة ويصل الاصول والفقه بالطريقة قال

(21) لم نطلع على اسمه وإنما ذكر أن استأذنه احمد ابن جابر نزيل مدينة طرابلس أمره بشرحه (ترجمه فى « تفحات التفسير والريحان » احمد النائب الانصارى وتحقيق على مصطفى المصراتى) مطبعة المكتب التجارى ببيروت 1963 *

في الشرح « وسبب الغربة ما نكره ابن خلدون أنه لما انقضت قرون السلف السالح من الصعابة والمتابعين وتابعهم تباينت الآراء وظهر الخروج عن طريق الاستقامة وأغفل الناس تفقد قلوبهم واشتغل الجمهور باصلاح اعمال ابدانهم من غير اهتمام باصلاح الباطن فاشتغل الفقهاء بما تم به البلوى من احكام المعاملات والعبادة للظاهرة حسبما طالبيهم بذلك منصوب الفتياء وهداية الجمهور واختفى ارباب القلوب باسم الزهاد والعباد وطلاب الآخرة منقطعين الى الله قاطبين على اديانهم كالقايض على الجمر حصيما وده ثم عرضت آفة البدع في المعتقدات وتدعى العبادة وانزهد معتزلي ورافضي وخارجي لا يتفقه اصلاح اعماله الظاهرة ولا الباطنة مع فساد المعتقد فاشتغل بالرد عليهم وتصفية الحق من باطلهم اهل اصول الدين وانفرد خواص اهل السنة بالمحافظة على افعال القلوب مع حفظ الاعمال الظاهرة فيظن الجاهل من اجل هذا افتراق المولمين والمسلمين واهلها وما هو الا دين واحد انتهى كلام ابن خلدون »

امتازت تعاليم زروق أنه صار حجة عند الفقهاء والمحدثين والمتصوفين كما انتشرت تعاليمه وانثاره وحافظت بجاية علاقة على تاليفه بمحافظتها على وظيفته التي لا زالت تصدر في مساجد بجاية وقراها هي ووظيفة استاذة يحيى العبدلي (29) كما لا زالت قرية من قرى بجاية تحتفظ باسمه ، اذ ترك زروق امرة ببجاية ، ثوارث افرادها العلم والفلس ، كما توارثوا - من تراثه - شرحه على الغزالي في الفقه بخطه وكان من جملة افعاله المرحوم الهادي الزروقي الذي كان له فضل في بحث الثقافة الاسلامية ببجاية وتناضل نضال الابطال في نشر الوحي الاسلامي وبلى في سبيل مهمته ، والبلوغ الى منه واطن ان القرية تسمى « ايزووي » .

كان في عهد زروق ببجاية عدة معاهد واصلت التدريس ببجاية ثم قرأها المجاورة خصوصا بعد احتلال الاسبان لبجاية ، لا ان مدرسة زروق امتازت عنها بان تاليفه التي اعتنى فيها بوضع قواعد للتصوف واشتغاله بمحاربة البدع التي كثرت في ذلك العهد كان لها صدى في الجزائر كلها وكل من تصدى لأكتساب الحاجلة والمبتدئين كانت حجة تاليف زروق كما ستنهي تلك بمزيد من الايضاح في القسم الثاني لهذه الدراسة التي تخصها للحياة الفكرية في العهد التركي وأشارها .

(29) يحيى العبدلي صاحب معهد تملقا الشهير تخرج من معهد كثير من العلماء واقام بمعهد احمد زروق واخذ عنه والف في معهد بعض تاليفه له وخليفة حافظ على مبادئه بعض سكان بجاية الى زماننا هذا .



باب البحر

الفيلسوف ريمون لول في بجاية⁽¹⁾ سنة 1307م

كانت بجاية عاصمة شهرة سياسيا وثقافيا وله انتشرت سمعته غربا وشرقا وتصدت ملاقاتها بالراكرز الثقافية العربية والأوروبية : فتردد عليها الرحالة والادباء والمفكرون واصبوا حضارتها واجتسموا بعلمائها ونقلها .

ومن جملة الشخصيات الأجنبية التي انتقلت الى بجاية والأتت بها عدة من الزمن نفس بالذكر الفيلسوف الإسباني ريمون لول (1233 - 1316 م) الذي كان يعتبر من الرجال الملهمين ؛ قد اشتغل بالتشجيع طيلة حياته محاولا تنصير المسلمين واليهود ولا سيما الذين كانوا يعيشون بجزر البليار (2) . ولهذا الغرض قام بعدة رحلات الى إفريقيا وآسيا وزار خاصة تونس وبجاية فهدد اذلال الافعال المسلمين في القرن المسيحي .

الشيخ بوعمران
كلية الآداب
جامعة الجزائر

ولد ريمون لول بجزيرة مايوركا سنة 1233 م وكانت أسرته قد قدمت من منطقة كاتالونيا (3) سنة 1236 م وترعرع الشاب هناك واختلط بالسكان العرب وخطط لنفسه هديف أساميين : أولا معارضة فلسفة ابن رشد والرد عليها بعدما انتشرت الرشدية في الإوساط المسيحية ولا سيما في جامعة باريس ، ثم تحويل المسلمين عن دينهم الى النصرانية في إسبانيا والمغرب ومصر وسوريا (4) .

(1) ريمون لول مؤلف Raymond: فكر إسباني اشتهر برسلاته ومؤلفاته في الفلسفة والنصرة ، اهتم خاصة بالتشجيع في البلاد الإسلامية فرار العرب والمشرق وكانت حياته كلها نشاطا وحركة ؛ قد أطلق اسمه لدينا على أحد شوارع الجزائر العاصمة (في حي القصبة) .

(2) جزر البليار Balera : خاصة منها مايوركا ومينوركا Majorque et Minorque

(3) كاتالونيا Catalogne : منطقة شرقية من إسبانيا ، مسقط برشلونة Barcelona

(4) اعتمدنا في هذا البحث على حياة ريمون Autobiographie التي نقلها عنه كاتبه الخامس وترجمها حديثا وعلق عليها السيد لويس ماله - مولييس Louis Sale-Molins وعرفنا سنة 1967 م بباريس عند Ausser-Montagne مع مقدمة ومجموعة من النصوص .

ريمون لول والثقافة العربية الإسلامية :

اتصل ريمون لول بالثقافة العربية منذ نشأته وتعمق اللغة العربية على يد أستاذ مسلم بجزيرة مايوركا (5) وكان الغرض من هذا التعلم التبشيري كما - فأجاد قراءة القرآن الكريم وتعرف على علوم الاسلام وعلى الفلسفة العربية ونقل الى لفته منطق الفزالي (6) واطلع على آراء الكندي وابن مينا وابن طفيل وابن رشد وألف بالعربية بعض كتبه منها : «كتاب الكافر والحكماء الثلاثة» (7) «فن العودة على الحق» و«كتاب التامل»^{١٠٠} واقترح على حاكم مايوركا مشروعاً يرمي الى بناء دير يتكون فيه عدد من المبشرين ويتعلمون اللغة العربية مرحب الحاكم بالمشروع ووافق عليه البابا ايضا سنة 1276 م^{١٠١} وبعد ذلك طلب ريمون من الكنيسة ان تجعل العربية مادة للتدريس في جامعات أوروبا. فتم هذا في باريس وأوكسفورد وبولونية ورومة وسالامنك (7) ولكن الفيلسوف لم يوفق في مشروع آخر تقدم به كان يحرض فيه على تنظيم حملات جديدة من الحروب الصليبية والسبب في ذلك يعود الى ان هذه الحروب قد انتهت باستيلاء جنود المسلمين على مدينة عكا سنة 1291 م وكانت هي آخر قلعة من الاراضي الفلسطينية التي احتلها المسيحيون (8) وقسم ريمون لول ملتسماً الى البابا غير انه لم يثقل رداً عليه .

فعي رآيه بعد هذا العثمل وقرر الاعتماد على مساعيه الفردية ؛ وقام برحلات الى عدة بلدان قصد تحقيق خطته التبشيرية ورأى ان يوجد بين اليهودية والاسلام والمسيحية بفضل الابرار بين الفلسمية فقط (9) وكان يعتقد ان هذا التوحيد لا بد ان يتم في صالح دينه - وألف كتاباً في هذا الموضوع وهو «كتاب الكافر والحكماء الثلاثة» وجعل النقاش يدور فيه بين كافر وعالم يهودي وعالم مسلم وعالم مسيحي ؛ وتناظر هؤلاء العلماء وحاول كل واحد منهم ان ينتصر لدينه ويعضله على غيره (10) .

(5) حياة ريمون لول - ص 24 - (6) لمحة التسم الاول من مقاصد الفلاسفة للفزالي ، قد اشهر هذا الكتاب في العصر الوسيط للمسيحي ونقل على اللاتينية

(7) Paris, Oxford, Bologne, Rome et Salamanque.

(8) حياة ريمون لول - ص 27

(9) لويس صالة - موليس - ص 100

(10) مقدمة « كتاب الكافرو العلماء الثلاثة » - ص 79

واختمد ريمون لول على خبرته الفلسفية وحاول ان يفتح الحوار مع العلماء المسلمين خاصة ولهذا الغرض اتجه الى المغرب واجرى هناك مناظرات حول مسألة «التثليث» (11) . ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل لان المسلمين لم يتعمهوا التثليث ، بل زعموا - على حد قوله - ان النصارى يؤمنون بثلاثة آله (12) .

ريمون لول في تونس وبجاية :

ثم توجه الفيلسوف الى تونس سنة 1894 م والتقى فيها ببعض العلماء ولكنه لم يذكر لنا اسماءهم ؛ وصرح لهم بأنه مستعد لاعتناق الاسلام اذا استطاعوا اقتناعه بالحجة القاطعة (13) . وكان موضوع المناظرة الصفات الالهية ولم يحصل على أى نتيجة . فواجه معارضة شديدة في مشروعه التثليثي ومطالب احد علماء تونس السلطة بقتله ، غير ان المستنصر بالله (1284م - 1295م) لم يوافق على ذلك واكتفى بوضع ريمون لول في السجن مدة ثم امر بإبعاده ، وعند خروجه من السجن تعرض الفيلسوف المباشر الى الشتم والضرب من طرف الجمهور في الشارع - فامسح الى مفارقة تونس على متن مركب كان متجها نحو جوة (14) .

لم يياس ريمون لول بعد فشله الفريع هذا وعقد المزم على محاولات أخرى للتبشير بدينه لدى المسلمين (15) . فانسح من جزيرة مايوركا قاصدا مدينة بجاية في ربيع سنة 1309 م ورغم تقدمه في السن اذ بلغ 74 عاما ، ولعله كان قنذارها سابقا غير انه لم يشر الى ذلك فيما لدينا من آثاره وكان العرض من رحلته هذه لا يختلف عن غرض رحلته الى تونس ولم تنقطع لما حدث له ولم يحترم شعور الناس - فتوجه الى ساحة في بجاية وتعدى الجمهور بكيفية مدعشة قائلا بالعربية . « ان شريعتنا غير صحيحة واني مستعد لايهمن على ذلك ؟ » كانه يريد المارزنة - فكان رد الفعل عنيفا وشتم الجمهور هذا الرجل الغريب ونزل عليه بالضرب (16) ؛ وسرع

(11) التثليث La Trinité الاثلاثية هذه المسيحية وهي الله والابن والروح القدس

(12) حياة ريمون لول - ص 28

(13) المصدر السابق - ص 31 ، ولويس صالة - موبيس - ص 123

(14) جنوة Gènes : ميناء معروف بإيطاليا

(15) شجرة الدلم - ص 133

(16) حياة ريمون لول - ص 38

مفتي المدينة بالمحدث فامر بعض الاعوان باقتضاده والاتيان به (x7) * وعندهما دخل ريمون تعجب المفتي من تصرفه وقال : « ما هذا الحق الذي ادى بك الى انتهمج على شريعة محمد الحقة ؟ الا تعلم ان من يتجرأ على مثل هذا يتعرض للقتل ؟ » فاجاب ريمون بانه لا يخشى الخطر في سبيل المسيح ؛ وسأله المفتي : « اذ كنت تعتقد ان شريعة المسيح هي الصحيحة * وان شريعة محمد غير صحيحة قبيح لنا ذلك بالادلة القاطمة » * فارتضى ريمون ذلك واقترح : « لتتفق على نقطة مشتركة (ارحمة الالهية) ثم ساقدم لك الدليل القاطع وبعد ما وافق المفتي على هذا الاقتراح تناول ريمون الكلمة وحاول ان يرضي عن صحة التثليث ولكن المفتي لم يرض بهذا الموضوع ؟ فرفض المناقشة وامر بوضع ريمون في السجن ؟ وفي طريقه الى السجن تعرض الفيلسوف الى شتم العامة التي احاطته - - - وبقي هناك سنة اشهر الى ان امر الملك بالافراج عنه وطرده فورا * فارتحل ريمون الى جنوة عبر ان مر كنه غرق قرب الساحل الايطالي ؛ فنحاه هو وبعض المسافرين وضاعا كتبه (x8) *

هكذا انتهت رحلة الفيلسوف الاسباني الى بجاية ولم يقتل فيها كما ردد ذلك بعض المؤلفين وما هذا الزعم الا اسطورة مختلفة ؛ والدليل على عدم وقوع القتل ان ريمون عاش تسع سنوات بعد رحلته الى بجاية اذ توفي سنة 1316 م بجزيرة ما يوركا ودفن هناك * ولم يترك لنا ريمون لول اي وصف لمدينة بجاية ولم يهتم يازدهارها الحضاري والثقافي ، وانما اقتصى فقط بالتشهير الذي كان شغله الشاغل وقشش في كل مساعيه لانه لم يراع عقائد الناس فتجاهم واصطلم بهم سواء في تونس او في بجاية * ويجدر بالباحثين ان يقدروا بين رواية ريمون هذه التي احتصرناها وبين ما دونه الرحالة والمؤرخون المسلمون في هذا الموضوع ذاته ليتمكن العرض على مدى صحة هذه الرواية لانا لا نستطيع حاليا ان نعتبرها صادقة في كل ما ذهب اليه صاحبها *

(x7) فطلق ريمون على المفتي اسم الاسقف évêque ولم يرفقا عليه من سوء انط ، انظر حياته - ص 38

(x8) حياة ريمون لول - ص 40

الحياة العقلية في بجاية الفلسفة والكلام والتصوف

د.عمار طالبي
كلية الآداب
جامعة الجزائر

تعتبر بجاية مركزاً من أهم المراكز الثقافية في الغرب الأوسط ، إذ هي مهد وحال
كلاسيك العلم ، ووجاهات الكلام والفلسفة والتصوف ، وعلماء اللغة والآداب ، والطبيب ،
والصناعات المختلفة ، فكان يابى إليها المشتغلون بعلوم الأوائل ، واصحاب السادة
الصوفية والطول المستقلة ، يقيمون فيها منة الإقامة (1) ، وراحة العقل ، وطمأنينة القلب ،
مما يتيح لهم أن يتعلموا وأن يؤلفوا ، وأن يلجوا من سطوة بعض الجائرين من السلاطين ،
وزائدها أهمية أنها مرسى ، وتفرج يسر به الحجاج ، وكلاسيك العلم ، الذين يفسدون آل الشرق ،
ويقيمون بها ، ياخذون عن علمائها ، لتتألف في مرآتها العيون المختلفة .

فقد أخذ بها عن صوفيها الكبير أبي محمد عبد الحق بن الخراط (510 - 584 هـ) علماء
ومعصوفون ومحدثون كثيرون ، أمثال محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الانصاري (ت 661هـ)
التي سمع عنه وإجازته مصروفة إلى الحج منة 567هـ) ، ومحمد بن عبد الرحمن بن علي التجيبي
مزيل فلسبان (2) (ت 610 هـ) ، فأخذ عنه علي بن محمد العبدوي ببجاية سنة 576 هـ وسمع
منه كتابه « تلقين الوليد » (3) ولفيه علي بن أحمد بن عبد الله البنسي (ت 634 هـ) حين
رحلته إلى المشرق سنة 578 هـ مارا ببجاية ، وتلميذ له في بجاية علي بن عتيق بن أحمد
الانصاري (ت 598 هـ) وهو من أشهر التكمليين والعقلاء والإطباء ، له معرفة بالرياضيات ، ونظم

(1) القرى - سمع الطب ، تحقيق إسماعيل عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1968 ، ج 7 - ص 247 ، حيث نص أبو مدين
على أن الحياة في بجاية تمنع عن الخلل ،
(2) محمد بن محمد المراكشي أبو عبد الله ، الذين والتكلمة للكتابي الموصول واصلة ، تحقيق إسماعيل عباس ، دار الثقافة
بيروت (2005) - ص 614
(3) المرجع نفسه - ص 324

في العقائد (4) ، ورحل إلى الشيخ عبد الحق ، تلميذ علي بن محمد الحافري (5) (ت 603 هـ) ، وعلى بن هشام بن حجاج النخعي (6) (ت 717 هـ) ، وعكث عنده خمسة أشهر ، وغر هؤلاء كثيرون ذكرهم أصحاب التراجم والمعارس والسير (7) ، ونظرا لأهمية هذه الشخصية من الناحية الإحلائية والمغلية ، فإننا نرغب أن نشر إلى مكانتها الممتازة التي احتلتها في المغرب والمشرق وإلى أثره في من جاء بعده من المتصوفين والعقلاء والمحدثين .

عبد الحق البجائي :

هو أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين الأزدى الأشبيلي ، رحل إلى بجاية وأقام بها ، معاصرا لأبي مدين شبيب (ت 594 هـ) درس عليه ، وحضر مجالسه كما أنه عاصر أبا علي المسبلي (ت 580 هـ) الفزالي النزعة . ولد عبد الحق سنة 510 هـ ونزل بجاية بعد سفرة 550 هـ وتوفي بها سنة 588 هـ بعد محنة نالت من السلطة السياسية في ذلك العهد (8) ، وكتب تاريخ وفاته على رخام وضع على قبره ، خاراج باب المرسى (9) .

ويذكر ابن فرحون (ت 779 هـ) أن سبب هجرته إلى بجاية هو ثورة الموحدين على الدولة المرابطية في الأندلس قال : « نزل بجاية عند الفتنة الواقعة بالأندلس عند انقراض الدولة المتوطينة فنشر بها علمه » (10) وبين أنه نهيت منه عدة مؤلفات أثناء ما ساء بالفتنة (11) .

له مؤلفات كثيرة لم يصل إلينا أغلبها منها كتاب « المعابة » وكتاب « التهجد » وكتاب « الرقائق والإنبس » في المواعظ والاعتمال والحكم والآداب ، وكتاب « التوبة » ومقالة في « الفقر والفقر » وكتاب « الواعي » في اللغة ، وديوان شعر ، والأحكام الكبرى ، والوسطى ، والصغرى

(4) المرجع نفسه - ص 257

(5) المرجع نفسه - ص 345

(6) المرجع نفسه - ص 417

(7) تجد ذلك في مواضع مختلفة من كتاب ابن الأثير «المجموع» في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصنعاء «مجموع» ، 1885 م - ص 139 ، 107 ، 117 ، وفي كتابه : التكملة لكتاب السنة ، القاهرة ، 1955 ، ج 1 - ص 262 و ج 2 - ص 583 ، 584 ، 634 ، 635 ، 683 ، 684 ، 690 - 717 - 883 - 898 - 903 - 924

(8) النعماني ، المعبر في حبين من عمر ، الكويت ، 1960 ، ج 1 - ص 243 - 244

(9) ابن أبي عمير ، المعبر في حبين من عمر ، بيروت ، 1969 - ص 43 - 44

(10) ابن فرحون ، الإنباس المصعب في إنباس المصعب ، القاهرة ، (دون تاريخ) - ص 176

(11) المرجع نفسه - ص 177

وكانت بينه وبين محدث الشام ابن عساكر أبي القاسم مراسلات (ت 571 هـ) . (12) ، وكان مؤلفاته اثر في المشرق والمغرب ، وبلغت شهرتها الافاق ، وعقب بعض المحدثين والفقهاء على كتابه « الاحكام » وردوا عليه كما فعل أبو عبد الله علي بن محمد القطان ، وقتل عنه ابن شاس أبو محمد عبد الله بن محمد (ت 616 هـ) . ولكن ما هو مصدر عبد الحق في مذهبه ومنهجه وطريقته . في كتابه الاحكام ؟ حدثنا ابن الأبار (ت 659 هـ) أن مصدره في ذلك كتاب احمد بن عبد الملك الانصاري (ت 549 هـ) إذ اعتمد (13) عليه ، وجعله مادة لكتابه ، ويعتبر الانصاري هذا فقها طاهريا ، ومحدثا على طريقة ابن حزم (ت 656 هـ) ويسمى كتاب الانصاري « المختضب المنتقى » جمع فيه ما تفرق في امهات المستندات من نوازل الشرح قال ابن الأبار (ت 658 هـ) : « وعليه بني كتابه أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيل في الاحكام » ومنه استفاد (14) وذكر ابن فرحون ايضا نه سبق الى ذلك ، سبقه أبو العباس بن أبي مروان الشهير ببليلة « سبقه الى مثل ذلك أبو العباس بن أبي مروان (...) تخطى هو دون أبي العباس » (15) ، ومن شرح كتاب « الاحكام الصغرى » عبد العزيز بن ابراهيم بن احمد القرشي المعروف بابن بزيعة (ت 664 هـ) وهو من كبار المتصوفة والمتكلمين ، شرح كتاب « الاوشاد » للجبوني (ت 478 هـ) رالف « شرح الاسماء الحسنى » وكتاب « منهاج المصائر الى روح الموارف » واختصرا له اسماء « منهاج السبيل الى مناهج التواويل » (16) . وانتصر لكتاب « الاحكام » واحد تلاميذ عبد الحق وهو أبو عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي (ت 628 هـ) وألف كتابا سماه « الاعلام بنوافذ الاحكام » بين نفسه قيمة كتاب استأذه (17) .

وانما يبعثنا من آثاره في هذا المجال كتاب « العافية » لما ترك من تأثير في المتصوفة الذين جاؤوا من بعده ، وخاصة انصوفي الجزائري الفاعل الصيت عبد الرحمن بن مخلوف الجزائري (ت 675 هـ) في كتابه « العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة » (18) ، بين في مقدمته انه اعتمد

(12) المرجع نفسه - ص 176

(13) ابن الأبار ، التكملة ج 2 - ص 58

(14) المرجع نفسه ، المصنفه نفسها

(15) ابن فرحون ، المصاح - ص 176

(16) الصغرى لنفسه ، ص 178 ، للمعاني ، العلوم الفاخرة الفاخرة ، 1317 هـ ج 2 - ص 332

(17) ابن الأبار التكملة لكتاب الصلة ج 2 - ص 698 ، المعبري ، عون الداية ، ص 390

(18) تولى طبعه السيد احمد بن مراد التركي ، بالعافية الجديدة الصغرى سنة 1347 هـ ، تحقيق الصلاة بالمسلم لتسيه الشيخ محمد عبد الاوحد الشيخ محمد بن مصطفى بن الخرجة المدرسي بطابع مغرب ، وساعد في التحقيق والمطابقة الشيخ لادور امام الاول بالجامع الاعظم ، وقوله الشيخ مصطفى بكلمة مؤرخة بالجزائر مرة شيخ سنة 1317 هـ ، يقع الكتاب في جرتين في مجلد واحد ، الاول به 272 ص ، والثاني به 158 ص .

في تأليفه على : « تصانيف جنيبة » ، كآبي حامد المرالي وإبي عبد الله محمد بن أحمد الفوطي وإبي محمد عبد الحق الأشبيلي والحامسي وغيرهم» (19) وبعد أن فحصنا هذا الكتاب وجدنا أن الثعالي يتنقل عنه تصويصا عديدة من كتابه « العاقبة » ، في مواضع مختلفة من « الملوسوم الفاخرة » بجزئية (20) .

ويبدو أن عبد الحق ينزع منزع الغزالي في كتابه « الاحياء » ويلهيه منهج اتباعه في المقرب لمثال أبي الحكم بن بركان (ت 530 هـ) « الذي اجتمع به ، وحادثه ، فقد ذكر الثعالي هذا اللقاء فقال : « قال عبد الحق حدثني الفقيه أبو الحكم بن بركان وكان من أهل العلم والعمل رحمه الله » (21) واثبت محمد بن محمد مخلوف أنه قتل على يد (22) « ويعتبر ابن بركان من اعلى متصوفة المغرب واشدهم ارتباطا بالمهج الغزالي وهو متكلم اشعري » له تفسير هام وكتاب « شرح اسماء الله الحسنى » (23) ، وثبت أن عبد الحق أخذ عن أبي مدين (ت 594 هـ) وصاحب إيا على المسيل (ت 580 هـ) وحسا يذهبان مذهب الطوسي في التصوف والدوق .

ونود أن نأتي ببعض الفقر من نص كتاب « العاقبة » حتى يتبين للقارئ بعض ملامح منهج عبد الحق ومشربه التصوفي الذي يتصل اتصالا وثيقا بمشرب الغزالي ، في تصوفه السني البري من الحلول والاتحاد ، وواحدية الوجود ، وما إلى ذلك من شطحات التصوف ، وخاصة أنهم ورموزهم ونموس كتاباتهم .

ويبدو لنا كذلك من هذه النصوص أسلوبه الواضح البسيط ، الرقيق رقة العواطف العميقة، والفقر المسجوعة ، سحجا خاليا من التكلف والتعسر . قال عبد الحق في العاقبة « أعلموا رحمكم الله تعالى أن الأساس في ذكر الموت على ضرور، فمنهم من همك في لقائه ، والمصيح فيها ما لا يرجع إليه من أوقاته ، لا يحظر له الموت على بال ، ولا يحدث نفسه بزوال ، قد طرح أخراه ، وأكب على دنياه ، وتجد إليه حواء ، فاصمه ذلك وأصماه ، أن ذكر له الموت نفر عنه وشرد ، وإن وعظ إنف وعبد ، قد

(19) المصدر نفسه ج 1 - ص 8

(20) أي ج 1 - ص 6 + 7 + 15 + 20 + 26 + 29 + 30 + 47 + 68 + 73 + 88 + 89 + 91 + 92 + 98 + 115 - 117 + 119 + 120 + 149 + 157 . وفي ج 2 - ص 35 + 49 + 82 + 100 + 157

(21)

الثعالي : الملوسوم الفاخرة ج 1 - ص 88

(22) مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، 1350 هـ - ص 39

(23) لديها منه نسخة مطبوعة

جاد عن سبيل تهيج ، ولكن عى طريق رشده ، مقبلا على عطيه وفرحه ، فثبت يسده ، وخسر
(مسماه ، كانه لم يسمع قول الله عن وحل : كل نفس ذائقة الموت) ،

« آخر قبيه مملئ بأندنيا ، وهيه فيها ، ونظرة مصروف اليها ، وهو مع ذلك من طلابها احرورى
وأينائها المكدوبى لم يتل منها خطا ، ولارقى منها مرقى ، ان ذكر له الموت تصامم عن ذكره ،
ولم يمكنه من فكره ، رجاء ، ان يبلغ ما امل او يدرك بعض ما تخيل ، فممره يفتش وحرصه يزيد ،
وحسمه يتلق واسمه جديد ، وحفته قريب ، ومطلبه بعد ، نموذ ياله من الخوفان ، ومن شماتة
المدو الشيطان ، فهذا والذى قلته ، ان لم تكن لهما عناية ازيلية ، وسابقة اولية ، فيسكن عليهما
الايمان ، ويحتم لهما بالاسلام ، والا فقد هلكا كل الهلاك ، فنعوذ بالله من سو. انفسا ، ودرك
الشقا ، وشماتة الاعداء ، فانظر رحمك الله كيف تفرعن عاقل فى هذه الدار ، مع وجود هذه
الاخمار ، ولله در القائل :

وكيف تسبم احب وهى قريسة ولم تسد فى أى المنازل تنزل

ورجل آخر - وقيل ما هم - من اذيل عن عينه قداما ، وابصر نفسه وهواها ، وزحرفها
ونهاما ، فليلى المداى ، واحباب الداعى ، وشعر لتلاعى ما فات ، ونظر فيما هو آت ، وتاهب حلول
الميات ، والانتقال الى محل الاموات ، ومع هذا فانه يكره الموت ان يشاهد وقائمه ، او يرى
ملائته ، وليس يكره موت لئانه ، ولا لانهم مادم لئانه لكنه يخاف ان يقطعه عن الاستعداد
ليوم الحساب ، والانتساب ليوم احساب ، ويكره ان تظوى صحبة عمله ، قبل بلوغ ائله وان
يبادر باجله قبل اصلاح خلقه ، وتذكر ذلك ، فهو يريد البقاء فى هذه الدار ، لقضاء هذه الاوطار
فهذا ان مات ، يا لله درد من ميم ، ما امصل حياته وطيب معاته ، واعظم سعاداته ، واكرم
وفادته ، واتم سروره ، واكمل حورره ، واعلم ان هذا لا يدخل تحت قوله صلى الله عليه وسلم
(من كره لقاء الله كره الله لقاءه) ، كما قد وقع مقصرا فى الحديث »

ورجل آخر - وهو من اقل القليل - قد عرف الله تعالى ناسياته الحسنى ، وصعابته العليا ،
وشامد ما شامد من كمال الربوبية ، وحصال الحضرة الالهيه ، فمالات عنه وقته واطاشت
عقبه ولبه ، فهو يحن الى ذلك المشهد ، ويستحيل ايجاز ذلك الموعد ، وقد علم ان الموت حجاب بينه
وبين محبوبه ، وسر مسدول بينه وبين مطو به ومعدات هذا وامثاله ، تدل على ما وراها ، من
لوصال والاتصال ، والانسى بذاك الجلال والجمال .

ورجل آخر قد شاهد ما شاهد ذلك ، وربما زاد عليه ، لكنه فوض الامر الى خالقه ، وسلم
الحكم لبارئه ، فلم يرض الا ما رضى له ، ولم يرد الا ما اريد به وما استار الا ما حكم فيه ، ان
افاء في هذه الدار ايفاء ، وان اخذه اخذه » (24)

فهذا النص صنف فيه عبد الحق من المحرط الجاني الناس في حياتهم الاخلاقية والروحية الى
درجات اعلامها حوجة المغنا ، فناء الكائن البشري عن الارادة البشرية ، والاخلاق الانسانية الصادرة
عنها ، وفوض امره كله الى الارادة الالهية ، وتليها درجة العارف ، صاحب الشهود الذي وصل ،
وانس يجلال الله وجماله .

وقال عبد الحق في قرة اخرى : « فابظر رحمك الله كيف تفر عين عاقل في هذه الدار ، وكيف
يستقر له فيها قرار ، مع هذه الحال ، وتوقع هذا المثال ، لكن حجاب الغمة الذي غطي على القلوب
كثف ، فلا ترى ما وراءه ، وانور السدى في الاذان علم فلا تسمع من ناصح دعاه ، وقد يكي
اولو الالباب عن هذا فاكثروا ، وسهروا من اجله الميالى الطويلة واسهروا » ورام عاذلوهم
كلهم عاصم فيه فلم يقدروا ، وذلك للعلم الذي لاح لهم ، واعتايد الذي شملهم ، والتوفيق الذي
يسر لهم ، وربما هبت عليهم نفحات الرحمة فاسبشروا ، وسكنوا من ذلك الهيجان وقروا ،
فتمسك رحمك الله على منهاج هؤلاء العقلاء ، ولتمش على آثار هؤلاء الفضلاء ، وادم حشرتك
وامزج بدم الفؤاد حيرتك ، وانك على نفسك ثم ابك ، البكاء بالبكاء ، والاسى بالاسى ، حتى تتكشف
لك هذه الماية (٠٠٠) وقد عصت وحكك الله اناس متعان صنع مقرب مصان ، وآحر
مبعد مهان ، صنف نصبت لهم الاسرة والحجال والارائك والكلال ، وجمعت لهم الرغائب والآمال
وأخروا اعنت لهم الاراقم والصلال ، والمقامع والاعلال ، وضروب الاحوال والانتكال ، وانت
لا تعلم من ايها انت ، ولا في اي الفريق كنت :

نزلوا بمكة في قاتل نوقل	ونزلت بالبيداء ابعيد منزل
وتقلبوا فرحين تحت ظلالها	وطرحوا بالصعتره اغي مظل
وسقوا من العاصي احتق وهم	وسقيت دمعته واه متلهم (25)

(24) الناصي ، الطرم القاضية ، ج ١ - ص 6 - 7 تلال من « النابية » لبند الحق الجاني

يشف من هذا البص ومن غيره من انفتحات التي اوردتها الثعالي ، ان عبد الحق قصد من كتابه « العاقبة » وعنف الناس وتذكيرهم ، وترقيق قلوبهم ، فلم يات كتبه على نبط الحلاج او ابن عربي او ابن مسكين ، وانما هو في روجه النعمة ، وسبب اسلوبه ، ذو نزعة زهدية سنية لا مشوبها شائبة الرموز والالغاز ، وما الى ذلك من سمات الباطنية او العرفانية الصوفية « الموعظة في الرمزية التي يستخدمها اولئك المتصوفون الذين اشرنا اليهم ، ولهذا ما اورد ابن تيمية القسطنطيني (ت 820 هـ) عنوان كتاب « العاقبة » اشارة الى سمته ومضمونه وهو : « في ابوغط والتذكير (26) ويؤيد مادحنا اليه ايضا انه محدث » فهو على طريقة ابن الحديث في الزهد ، ورقة القلب ، ولزوم السمة »

ومن تلاميذ عبد الحق ، الصوفي المؤرخ صاحب كتاب « السند المحتاجة في اخبار صنهاجة بافريقية وبجاية » ابو عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي (ت 628هـ) وهو قلمي درس بالقلعة التي وصفها الغبريني (ت 704هـ) بانها : « كانت حاضرة علمه (27) ووصفها ابن خلدون بانها من الموانئ التي : « رحل اليها من الثغور ، والناحية والبلد المعتمد طلاب العلوم ، وارباب الصنائع لتتمتع اسواق المعارف » والحرف ، والصنائع » (28) فيها تسم انتقى من بجاية ودرس فيها على الشيخ ابن مدين (ت 594 هـ) أخذ عنه كتاب المزالق الموسوم « بالمفصل الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى » معتزله ببجاية سنة 531 هـ ، كما أخذ عن عبد الحق « الموطأ » وغيره من المؤلفات ، ودرس على ابي علي المسيلي (ت 580 هـ) الملقب بابي حامد الصغير ، وعلى غيره من مصوفة وعلماء القلعة وبجاية والجرائد وتلمسان (29) « كان ذا ضلالة في الحديث والاصول وعلوم الرقائق ومن اهم تأليفه كتاب « الاعلام بفوائد الاحكام » وهو كتاب في خدمة كتاب شيبه . وفي الابانة عن قيمته في مجال الحديث والفقهاء (30) »

ومن المعاصرين لعبد الحق والنزائلي ببجاية ، بو نكر محمد بن الحسين بن احمد الانصاري الميورقي تلمذ الطرطوشي (ت 520 هـ) كان ذا نزعة زهدية وظاهرية هرب من سلطان المغرب الاقصى في عهد المرابطين ، بعد ان حمل اليه هو وابو العباس بن العريف (ت 538 هـ) وابو

(26) ابي قند ، الولايات ، تحقيق حمري بريس ، مصر ، (دون تاريخ)

(27) الغبريني ، عنوان الحرية - ص 218

(28) ابن خلدون ، ديوان لطيفه واخر ، دار الكتاب للنشر ، 1959 ج 6 - ص 190

(29) الغبريني ، عنوان الفداية - ص 230

(30) المرجع نفسه - ص 220 ، ابن الامار ، التكملة - ج 1 - ص 628

الحكمم بن بركان (ت 530 هـ) وهم جماعة عرفوا بالتصوف ، فخشيت منهم السلطة السياسية المراسطة بتحرير من العقاب ، وكانوا الفالسين في تسيير الاوضاع الاجتماعية والحياة التقنية ، مدعهم الى عاصتها لاسباب سياسية وايدولوجية ، وكما رصة التقهات للدرجة الصوفية ولنهج الغزالي في تحليله للملوم الدينية ، وتقدمه للذلل للفقهاء وعمومهم ، حيث محمد بن الحسن بجاية ودرس (31) بها سنة 537 هـ ثم ذهب الى المشرق ، ومن الاخذيين عليه في بجاية عبد الحق البجائي (32) .

وهو الآخذين على عبد الحق تلميذه محمد بن جعفر بن احمد الحزومي الاندلسي (ت 632 هـ) احازره في تأليفه ، ونشر كتابه المسمى بكتاب « التهجيد » في بدنه (33) وتقليد عليه ابن عربي (ت 538 هـ) .

ومن كبار المتصوفة والاصوليين على منهج الغزالي ، ابو العاصم يوسف بن محمد العلمي (ت 513 هـ) الذي فاضل الفقهاء الممارسين للغزالي ، وسخط عليهم احراقهم لكتاب « الاحياء » كان اهتمامه باصول الدين وباصول الفقه ، تحول في المغرب لافقي ، ثم عاد الى قلعته في حسان ، واخذ نفسه بالتشفي ، وصهر الفين من الثواب (34) بسلا الى النظر والاجتهاد وله تأليف (35) تومي بالقلمه ، وكان قره بها مشهورا يزار ، وبمسايؤيد مادسنا اليه من انه ذو ذوق غزالي ، ان أيا عبد الله بن علي بن حماد قال فيه : « كان ابحوالالفصل ببلاذناكالعراقي في العراق علما وعصا (36) ومن الادلة على انه غزالي المنهج ، انه انتصر للغزالي لما افتى فقهاء قرطبة ، وامر السلطان المموني على بن يوسف بن تاشفين (ت 537 هـ) باحراق كتب الغزالي ، وفي تقرير اندياج انه : « لما امتنى الفقهاء بحرق « الاحياء » فاحرق في صحن مراكن ووصل كتاب سلطان لتوة بذلك وتعليق الناس بسلطان الايمان ، ان ليس عندهم « الاحياء » انتصر وكتب للسلطان ، وافتى يميم لروم نك الايمان ، ونسج الاحياء ثلاثين جردا يقوم كل يوم في رمضان بتسخ جزء (37) قائلا :

(31) ابن الاثير ، التكملة ، ج 2 ، ص 440

(32) ابن الاثير ، المعجم ، سيرت ، 285 هـ - ص 439

(33) ابن الاثير التكملة ، ج 2 ، ص 694

(34) ابو جعفر يوسف التتالي ابن الريات ، النشوق الى رجال التصوف ، الرباط ، 1958 ، ص 75 - 76

(35) ابن عربي - الديباج - ص 349

(36) المرجع نفسه - ص 359

(37) كذا وفي المتن : لابي محمد ، تعيق منه بن شب ، الجزائر ، 1326 هـ - 1908 - ص 301 . « يقرأ مه كن يوم جزا في رمضان » ، وهو اصح .

وددت اني لم انظر في عصرى سواء» (38) وتنسب اليه قصيدة « المنفرجة » ، ولكن شك بعض الكاتبيين في هذا الموضوع ، في نسبها اليه .

ومن المصنوعة البجائية الذين تأثروا برسالة القشيري (ت 465 هـ) ابو عبد الله محمد بن علي القصري : « وكان اذا قرئت عليه رسالة القشيري ياتي عليها بما لم يسمي اليه ، وربما لو سمعه ابو القاسم القشيري ، لطم انه العالم بمعانيها ، المحكم لاسول مبنيها » (39) وله صريقة متمكنة ماصول الدين ، واصول الفقه . وهو من تلاميذ ابي الحسن الحرالي (ت 637 هـ) .

وهي كبار المصنوفة ومعلمي الفلسفة والمؤلفين فيها بجاية ابو الحسن علي بن احمد الحرالي (ت 637) صنف في علم الاصول « اصول الدين » وفي اصول الفقه ، وصنف في الفلسفة كتاباً في المنطق سماه : « المحولات الاول » وله معرفة بالطبيعات والالهييات (40) تأثر يابن سيناء (ت 428 هـ) ، لم يكن يدرس الفلسفة فحسب بل كان ينتقد الفلاسفة ، قال الفيريني : « اخبرني شيخنا ابو محمد عبد الحق رحمه الله قال لي : كما نقرأ عليه « السجاة » لابي علي بن سينا ، فكان يبتغى عراه نقضاء ، وذلك بعد ان يوضح منسماً يليق ، ويفرعه باحسن طريق ، ثم يبتغى به ويومنه » (41) وكان رياضياً بارعاً « واما علمه اقسام فكان اعلم الناس بها » (42) وصرح الفيريني انه اطلع على مؤلفاته في اصول الفقه ، واصول الدين ، والمنطق ، والتصوف ، وعلم الفرائض التي التفتيحاً كتاباً سماه « ديالوفا » (43) وله شعر في الرقائق وفي التصوف والفزل .

اتهم بالكفر وسارلوا قتله . وكان يقصد مسجد الامام المهدي بن تورث ، وله حزب يلزمه . ذكر الفيريني نفسه (44) . انتقل الى المشرق ، وتوفي بحداد من بلاد الشام سنة 637 هـ . وكان للذهبي (ت 748 هـ) موقف في ابي الحسن كما داته قس المصوفين ، اذ انه حاجه ووصف نفسه يانه تقصير عجيب ، وان كان شهد له بمعرفة اصول علم الكلام والمنطق (45) كما كان لابن عبد السلام

38 احمد بابا التتكي : تقرير الديباج ، القاهرة (دون تاريخ) - ص 359 ، ابي مريم ، البستان - ص 300

39 الفيريني ، عنوان الزمردية - ص 286

40 (المرجع نفسه ، مع الطيب - ج 2 - ص 287

41 الفيريني ، عنوان التوايد - ص 244

42 (المرجع نفسه - ص 245

43 (المرجع نفسه - ص 247

44 (المرجع نفسه - ص 249

45 الذهبي ، الفهر ، ج 5 - ص 157 ، المقرئ ، تلغ الطيب بطريق عبد الحميد يحيى الدين - القاهرة 1367 هـ 1949

ج 2 - ص 388 - 389

عز الدين (ت 660 هـ) موقف حين اطلع على تفسيره الاشاري الصوفي، فامر بطرده ممن بلاد (46) *

ومن المدونة الزاوية في بجاية نجد أشهر متصوفها على الإطلاق ، أبا مدين (امام الزهاد والعباد وشيخ الشيوخ * وهو شعيب بن الحسن) (ت 594 هـ) تأثر بالزوايا وأصبح به ، ويكتابه « الاحياء » ، ومما يدل على ذلك وصفه لكتساب الاحياء بأنه لا يغير له في التفكير ، قال : وطالمت كتب التفكير ، فما رأيت مثل كتاب الاحياء (47) فكان يلزمه ويمكث على قراءته ، وعلى تأمل مصاميته * (48) كان محاسرا لابي علي المسبلي (ت 580 هـ) ، ولابي محمد عبد الحق (ت 585 هـ) كما اشرفنا من قبل ، اذ حضرا مجالسه واجتمعا به واحتراه في تحفته بالمعرفة ، والحقيقة الصوفية ، فاجابهما باشانه صوفية ، ويرمز يشير الى مكانته في التصوف ، وهو : « بن قل وعلى دل فاننا الكل » (49) ، فما كان من عبد الحق الا ان اعترف له وقال عنه : « هذا وأدت على الحقيقة » (50) وكانت لابي مدين عناية (51) برسالة القشيري (ت 465 هـ) مثل القصري الجاني ، فكان يشرحها في محاضراته وتذكره ، كما كانت له عناية بكتاب « الرعاية لحقوق الله » للحعاسي الطارث بن اسد (ت 243 هـ) (52) درس على شيوخه ابي الحسن بن حرزهم (ت 559 هـ) الزوايا المهج في التصوف ، حج ابي مدين وزار المشرق ولقي الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت 561 هـ) البغدادي بمرافات ، فآخذ عنه الحديث في الحرم ، وألمسه الحرقه ، وعهد اليه بطريقته (53) ، ومن شيوخ ابي مدين المباشرين ابي الحسن بن غالب (ت 568 هـ) والدقاق ابي عبد الله ومن محاسره ابي زكرياء يحيى الراوي (ت 685 هـ) *

ومن أهم شيوخه الذين أخذ عنهم سندهم في التصوف : ابو عزى سنور بن مسون (ت 561 هـ) واتصل سنده (54) الى الحسن البصري (ت 120 هـ) وفي السلسلة من أهل التصوف ابو بكر بن

(46) القرطبي ، مع الطحاوي ج 2 - ص 387

(47) القرطبي عوائد البرية - ص 83

(48) أحمد بابا التتبيكي ، تلخيص الديباج - بهاشي القديحاج ، القاهرة (دون تاريخ) ص 127 - ابي حريم ، البستان - 108

(49) الميرسي ، عنوان الغاية - ص 25

(50) المرجع نفسه - ص 42

(51) أحمد بابا ، تلخيص الديباج - ص 128 وعوائد الغاية - ص 20

(52) ابن الريات ، القشوف - ص 321 وكان ابن حرزهم من الصغار الزاوي اشتغل ثم اتبع طريقه ، واتفق مع ابن مريد في عدم الزاوية الزاوية ،

(53) التتبيكي ، تلخيص الديباج - ص 127



العربي (ت 543 هـ) والفرزالي (ت 505 هـ) وابوالسعال الجويني (ت 389 هـ) ، الى أبي القاسم الجنيد (ت 297 هـ) ،

استوطن بجاية ومصلها على كثير من المحدثين يري انها ببجاية ، وارتفع شأنه في آفاقها ، بما كان يقدم من محاسن وفودا ، من مختلف الأماق ، موشى به بمصطفى الفقه. له (ت 595 هـ) ، وذكروا له انه يشبه الإمام المهدي بن تومرت

في مواطن كثيرة ، وانه اضحى خطرا على الدولة الموحدية ميباسيا ، فاستنقذه ، واوصى به ان يحل الى العاصمة مراكن خير محل ، فارسل به الى بجاية ، فشق على انبها فراقه ، وما لبث ان أدركه الموت في تلمسان ، فدفن في كدية العباد بها ، وذلك سنة 594 هـ (55) .

وتجد محيي الدين بن عربي (ت 638 هـ) حين يذكر ابا مدين يعبر عنه غالبا ، بشيخنا (56) مما يشير الى اتصاله الروحي به وسنجه ، وما يسيب الى ابي مدين من العبارات الصوفية يرى وجه الشبه بينه وبين ابن عربي في فلسفته الصوفية التي يرى كثير من الساحتين ان من أهم عناصرها الاساسية القول بوحدة الوجود ، ويبدو ذلك من هذه العبارات : يسر حياته ظهرت حياتي ، ويتر صفاته استنارت صفاتي ، ويديومته دامت ملكتي ، وفي توحيد اقيمت همتي ، قسر التوحيد في قوله : لا اله الا أنا ، والوجود بأسره حرف جاد لمحي ، وبالمنى ظهرت الحروف ، وبصفاته اتصف كل موصوف ، وباسمه اتلف كل مألوف ، فمصنوعاته له محكمة ، ومخلوقاته له مسلمة ، لاله خالقها ومظهرها ، وسمه مبدؤها ، واليه مرجعها ، كما اظهرها ذوا فقال : (اتصمت بربكم ؟ قالوا بلى) (57) ومن العبارات التي أوردها كذلك (ابن قنفذ القسنطيني (ت 820 هـ) قوله : « ان نظرت بالحقبة ثلاثت الحليقة » فوجود الله محمي ، وحقيقة ، ووجود الاشياء او الكائنات حروف معبرة عن هذه المنى والوجود بأسره حرف جاد لمحي ، لبالحمدى ظهرت الحروف (58) فوجود الموجودات الطبيعية صفة له ، وهي مظاهر لحقيقته التي تتبدى في كل موجود : (وباتصافه اتصف كل موصوف »

(56) المرجع نفسه - ص 138
(57) ابن الريات ، الشوف - ص 516 ، التكني ، تقرير الديناج - ص 129 محمد البعل الديال ، الحقيقة التاريخية للصورف الاسلامي - تونس 1965 - ص 206 ، ابن قنفذ ، أسس الفقه - ص 302
(58) ابن عربي ، المعراج المكية ط - بولاق ج 3 - ص 51 - 195
(59) ابن الريات ، الشوف - ص 384 - ابن قنفذ اسس الفقه - ص 96 مع اختلاف يسير بينهما .
(60) ابن قنفذ ، اسس الفقه - ص 96 وعلق على ذلك يقول : « اذا تأملت كلامه صا مع كلامه في ايته ، وجمعت اليك والحق واحدا لا شك في ذلك » .

ب مذهب الفناء ، فناء صفات المبتدئين وادادته ، كل حقيقة لا تمحو أثر الصد ورسمه
 سميت بحقيقة » (59) *

وعندما سئل عن خصائصه في مجال المعرفة والوصول والمقامات قال : « مقام العبودية ،
 وعلوم الانبياء ، وصعائتي مستمدة من الصفات الربانية ، ملأت علومه سرى ، وجهرى ، واضاء.
 نوره يرى ويحسى » (60) أى ظاهره وباطنه * ومن هنا يبدو لنا أنه وإن كان غزالياً فى وجهته
 العامة إلا أنه يميل إلى هذا اللون من التوحيدى واحدية الوجود ، فلا وجود على الحقيقة إلا لله
 ومن هنا يأتى وجه الشبه بيه وبين تلميذه ابن عربى .

ترك أبو مدين تلاميذ كثيرين ، واصحاباً يصرحونهم ، عند منهم ابن قنفذ (ت 807 هـ)
 جاعة (61) ومن مريديه فاطمة الاندلسية (62) وله اصحاب فى تونس ، لقيهم أثناء رحلته إلى
 المشرق ، واجتمع بهم فى جامع السكاكين الذى يسمى إلى اليوم بمسجد ابنى مدين (63) وزاره
 بعضهم فى بجاية ، قصدوا اليه لاستكمال تربيتهم الروحية ، وهؤلاء الجماعة هم : أبو يوسف
 الدهماني (ت 622 هـ) وعبد العزيز المهداوى (ت 621 هـ) وأبو سعيد الباجي (ت 628 هـ)
 وأبو علي النعطي (ت 610 هـ) وأبو محمد صالح بن محمد بن عبد الحقيق التونسي ، والظاهر
 المزوى (ت 646 هـ) وأبو عبد الله محمد الدباغ ومهرهم (64) ، وكان على رأس هؤلاء الزائرين أبو
 محمد عبد العزيز بن ابي بكر ، صاحب المجلد الصوفية فى قصر المنستر ، وكان شاعراً ، وجرى
 بينه وبين ابنى مدين مراسلات ، ومما كتب به إلى ابنى مدين قوله :

شعيب ولى الله سر عباده	أبو مدين معنى الانعام بغيره
فياجنة الماوى ويا علم الهوى	ويا ناشرا علم الاله يامرء
حضرت ولم تحضر وغبت وكسم تقب	وما كنت فى كبل بجانب طوره
فترك نور الله يهدي له وهل	الى احد فى الناس اطفالا نوره (65)

(59) ابن الزيات ، «التشوف - ص 324 ، المبرين تتوان الدرية - ص 33

(60) المقرئ ، «مع الطيب - ط . ج - ص 9 - ص 349

(61) فى كتابه اثنى الفين ريز الخضر

(62) ابن قنفذ ، اثنى الفين - ص 91

(63) البهل انبال ، الحقيقة (التاريخية - ص 206

(64) المرجع نفسه - ص 206 ، ابن قنفذ اثنى الفين - ص 97 ، «الدين داروه فى بجاية هم : النعطي ، والدهماني
 والظاهر المزوى ، وابن حلس ، وصحوف ابن جعفر ، ومسلم القنابس وأبو محمد عبد العزيز :

(65) ابن قنفذ اثنى الفين - ص 99

وكتب إليه أبو مدين رسالة وما جاء فيها : « أما بعد فانه من اهل الله سبحانه وقاه » ومن توكل عليه حتى التوكل كفاه ، ومن استعاض به نجاه ، ومن شكره وآلاه ، ومن اقرضه حازاه » واجمل القوى عداد قلبك ، وجلا بصره ، فانه لا عمل لمن لا نية له ولا اجر لمن لا خشية له » (66) .

ذكر المؤرخون انه تلمذ عليه وتخرج من مدرسته ما يزيد على ألف شيخ ، ومن هؤلاء كما اشارنا من قبل محيي الدين بن عربي (ت638هـ) قال محمد مخلوف : « وتخرج عليه اكثر من ألف شيخ منهم محيي الدين بن عربي (67) دخل محيي الدين بن عربي بجاية في رمضان (68) سنة 599هـ وكان ابو مدين قد توفي قبل ذلك بثلاث سنين (594 هـ) ويذكره انه لقيه ما اتبته محمد وجب حصى في كتابه « البرهان الاظهر » من انه اخذ عنه قال : « واخذ العلوم الباطنة عن حضرة العارف الشيخ أبي مدين المغربي » (69) وذهب الى هذا الرأي ايضا ، واكد انه لقي أبا مدين ، واخذ عنه الباحث الاسباني (أنخل جنثالت بالنثيا) حيث اشار الى ان محيى الدين ببائع في وصف رؤى أبي مدين ، وطريقته، وفضائله زكاته (70) وينقل بعض المؤرخين انه انا درس على بعض تلاميذه رسالة انقشيري ، ولقي اصحابه بتونس (71) .

اما عبد الرحمن بدوي فيذهب الى ترجيح انه لقي أبا مدين في بجاية (72) حين زار تونس سنة 990 هـ فمر على بجاية ، ولا يعقل ان يكون أبو مدين بهذه الثابة التي كانت له في ذلك العهد ، ولا يرسل اليه ابن عربي الطلمعة ، ومن جهة أخرى فاننا نجده خيرا باخبار واحوال أبي مدين ذاكرا له في كتبه بلطف « شيخنا » غالبا ، كما اشارنا الى ذلك من قبل ، ومن هذه الاحبار انه كان له ابن من امرأة سوداء ، ويرى بدوي ان ابن عربي يعتبر شيخه اما مدين قد بلغ « غاية الفانات » وانه يقول بالتوحيد أي ان الوجود واحد ، ولا موجود الا الله ، وانه اعترف له بالطبعية واحتفظ له بذكرى اثره لديه (73) وبسبب ما ذهب اليه أبو مدين من واحدية

(66) المرجع نفسه - ص 99

(67) محمد بن محمد مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، ص 164

(68) القرطبي ، فتح المقلب ، تحقيق اسمان عباسي ج 2 - ص 28 عنوان الدواية - ص 197

(69) محمد وجب حصى ، البرهان الاظهر في مناقب الشيخ الاكبر ، طبعة المسادة ، القاهرة ، 1326 هـ - ص 7 - أبو الوليد النعماني (اعرافة الاكرية) ، الكتابات الفقهية لشيخنا أبي مدين بن عربي ، القاهرة ، 1969 - ص 300

(70) أنخل بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة جاسم مؤنس ، القاهرة 1955 - ص 373

(71) محمد الجول النبال ، الحقيقة التاريخية - ص 372

(72) عبد الرحمن بدوي (أبو مدين وابن عربي) ، الكتابات التذكارية لشيخنا أبي مدين بن عربي في الذكرى المئوية الثالثة ليلاده انشر عليه وتتم له د . ابراهيم مذكور ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1969 - ص 141

(73) المرجع نفسه - ص 125

الوجود رماه الفقهاء بالزندقة (74) في بغاية ، وحرضوا عليه السلطان ، وسعروا به لدينه ، وظاهروه عليه .

وعندما نزل محيي الدين بن عربي مصر ، فقدمها لها ، وكادوا يقتلونه ، لو لا أن شفع له أبو الحسن بن فتح البجائي (ت 658 هـ) ودافع عنه ، وبذلك اتقته من تلك المحنة في عهد الملك العادل الأيوبي ، واعتذر ابن عربي له بعد نجاحه وقال : « يا سيدي تلك شطحات في محل سكر ، ولا عتب على سكران » (79)

لم يؤثر أبو مدين في الصوفية للمسلمين بحسب بل أن تأثيره بلغ متصوفة النصارى ، ويذهب عبد الرحمن بدوي إلى القول بأن فرانسيسكو الاميزي (1182 - 1226 م) وهو صوفي صهراني رحل إلى مصر ولقى متصوفيه وعلماءها بقصد المناظرة وكانت شهرة أبي مدين بلغت المشرق ، ومصر وغيرها من بلاد الاسلام ، فلا يبعد أن يكون قد عرف هذا الصوفي الصهراني أخبار أبي مدين في حاله وكراماته ، وفضائله ، فقدمه فيما ينسب إليه من كرامات ، فقد نسب النصارى كرامات إلى هذا الصوفي تشبه إلى حد بعيد ما ينسب إلى أبي مدين ، منها احضار الحيوانات ومنازعتها كما فعل أبو مدين مع الغزال ، ومع الاسد ، ومنها انه كانت يحوم حوله في مجاشع طيور تاسي بحديته ، وتستمتع إليه ، وربما مات بعضها حيا ، وشوقا ، فمن أين هذا التشابه إن لم تكن هناك صلة ما من الصلات ، وتأثير ما ؟

ومن التاثيرين بتصوف ابن عربي ممن دخل بجاية رامن لـ RAMON Llull أو RAYMONDO Llullo رايموند ولوليو (1235 - 1315 م) وهو متصوف صهراني وراهب مسيحي اعتمد على تصوف المسلمين كل الاعضاء ، وتوغل في مباحث المغرب الاسلامي ، فاطلع على احوال أبي مدين ، وعرف ابن سبعين ، والششتري ، والمصنف التلمساني ، وتأثر بأبن عربي تأثرا واضحا لا مجال للشك فيه ، فقال « بالبورين » وبالانقابات DIGNITATES وباسما الله الحسنى ائنة Les cent noms de Dieu وكان يعرف العربية يكتب بها ويجادل بها المسلمين ، واخذ معاني ابن عربي بحرقيتها وتقصوها (81) واستخدم الرمز بالحروف ، وبالاشكال الهندسية ، واستعمل مصطلحات ابن عربي الصوفية وذهب إلى الاتحاد ، وإلى القول بأن الذوق طريق المعرفة لا العقل (82) ، بالإضافة إلى تأثره بالفرازي الذي ترجم كتابه « نهضة الفلاسفة » Destructio philosophorum

(79) العربي : عنوان البداية - ص 158

(80) بدوي : (ابن عربي رايمون) الكتاب التذكاري - ص 119

(81) بالنبيا : تاريخ الفكر الاندلسي - ص 547

(82) Julian RIBERA, origines de la philosophie de Raymond Llull, in Disertaciones y opusculos (Madrid, 1928). Tomo 1, pp. 169-172

وعرفه آل ريمون من خلال ترجمة عبرية ، ومن خلال ترجمة « تهافت التهافت » (83) لابن رشد (ت 595 هـ) الذي أورد فيه كلام الغزالي ورد عليه ، كان ريمون آل قانبا بحلة تشبيرية في الأوساط الإسلامية ، فسافر إلى الشرق الأوسط ، والمغرب وخاصة الجهة الشرقية من شمال إفريقيا : تونس وبجاية ، فدخل تونس مرتين ، مرة في سنة 1298 م ولقى بها علماء الإسلام ، وأخبرى في أوت سنة 1314 إلى ديسمبر من سنة 1315 م ، وأصحه من جزائر البليار أما بجاية فقد أقام بها من الربيع إلى الخريف من سنة 1307 م وأعلن في ساحة عمومية أمام حلق المسلمين ببجاية قائلا : « أن شريعة النصارى حق ومقدسة ومقبولة عند الله ، وإما شريعة المسلمين فهي باطلة وضلوا أو ضلّال ، واني على استعداد للرحمة على هذا » (84) وأثر هذا الصنع ثارت عليه العامة ، ولكن معنى بجاية الذي سماه في كتابه : HAMAR

ولمعه « عمر » أو « عمار » حسب تعريفه لنطق الكلمة تبعا للجهة ، لطفه ، وأتقنه من الجمهور ودعا للمناظرة ، وقال له : برهن على ما تنهيه اليه واني على استعداد للاستماع اليك، ومناقشتك والجدلي بالذکر أن ريمون آل شاهد واق لهذا المعنى بالمعرفة الفلسفية وبانه ذائع الصيت فيها، ومشهور بها فقال : (85) *Ce Mufti avait une grande réputation de philosophe*.

« أن هذا المعنى كانت له شهرة فلسفية ، وأوكان مشهورا بالفلسفة ، ولمعه وصفه بهيكل الوصف ليبرهي على انه ذو قدرة فائقة على الجدل مع ذوي الامتياز في مجال الفلسفة نفسها ، ويحتل أن يكون هذا الفقيه = مستقلا بالكلام والفلسفة حقيقة » (86)

كان « لـ » يدعو لتناول ولدين المسيحي بأسلوب فلسفي ، وذكر المصادر الأجنبية ان الذي طرده هو حاكم الأول الذي كان وإثيا محلي قسنطينة، فقد أمر بإخراجه من البلاد بعد أن سجن وكان عمره إذ ذاك 72 عاما . وكان يسرى ان الإنسان في عهد الانبياء في حاجة الى المعجزات لكي يؤمن ، أما الآن فقد وجب أن يبين الإنسان للناس بأدلة فلسفية .

(83) Gilbert VARET, *manuel bibliographique philosophique*, presses universitaires de France, Paris, 1926, p. 166.

(84) A. LLINARES, "Le séjour de Raymond Lulle à Bougie" et la "disputatio Raimundi Christiani et HAMAR Saraceni" (1307), *Estudio Luliano*, 1960, Vol. IV, Fasc. I, pp. 63-72.

Raimundi Lullii, *opéra Latina*, Palma : *de Majorque*, 1939, Vol. I, pp. 14, note 31 et Vol. II, pp. 231-280 : *opéra Tuniciens*.

(85) *Ibid*, p. 66.

(86) *P. 36 vna coetanea* : P. 36 *vna coetanea* : « فيما أعلم ان هذا الحديث وذلك قد لا تعلم له الآن من هذا المعنى شيئا ولكن من عرف من البجائيين من رد على النصارى وهو أخوه بن عبد الصمد الخزرجي (ت 952 هـ) في كتابه : « مناقع الصلياني » (تقرير الديباج ليتيكي - ص 59)

هذا ما يمكن أن تشير إليه فيما يتعلق بتأثير ابن عربي في من جاء بعده مما يتناسب هذا المقال .
ونود أن نشير إلى أصول لفلسفة ابن عربي الصوفية ، استخلصها ابن تيمية (ت 728 هـ)
فهو يرجعها إلى عنصر جهشي ، ويعتبره من غلاة الجهمية (87) إذ أول من قال بوحدة الوجود في
الإسلام إنما هم الجهمية ، وعلى رأسهم جهم بن صفوان (ت 128 هـ) ويرى ابن تيمية - الذي
تتلمذ في أول أمره على كتب ابن عربي ثم تبين له غرضه بعد قراءته كتاب « الفصوص » (88) - أن
ابن عربي لا يفرق بين الوجود العلمي والوجود المعنوي الخارجي ، بفرقة واضحة ، حيث ذهب إلى
أن المعلوم شيء ثابت في العلم (89) ، وهو ما يقول به المعتزلة ، ومن تبعهم من الشيعة ، أما
أهل السنة فانهم يفرقون بين الوجود العلمي للأشياء أي وجودها في علم الله ، وبين الوجود
لعيني الخارجي ، بين وجود الأشياء قبل كونها ، وبين ثبوتها في الخارج (90) .

وتنقضي ابن تيمية في بصارة إلى مصباح التصوف المتأخرين أمثال ابن عربي ، وابن سبعين
والتقوي ، والتلمساني ، وأرجعها إلى عناصر ثلاثة : إلى سلب الجهمية وتعطيلهم ، وإلى عبارات
التصوف القديمة ، الفاضلة ، وعبارات الذين تكلموا في حال غيبوبة ، وإلى آراء الفلاسفة في القول
بالنفوس ، والوجوب ، والإمكان ، والنبوات (91) .

ويرى ابن تيمية أن القول بأن المصنوع شيء ثابت في العلم أدى بإصحابه إلى الاعتقاد بأن
الماهيات غير مخلوقة ، وبأن الوجود زائد على الماهية ، ففرقوا بين الوجود والماهية ، كما يزنهم
بأن إعيان الأشياء قديمة ، وبأن مادتها قديمة ، دون صورها (92) . أما أهل السنة فيرون أن
الماهيات مجسومة مخلوقة ، ويلهبون إلى أن الوجود والماهية شيء واحد ، فمأخوذة كل شيء وجوده ،
فالوجود الخارجي هو « الشيء » وهو عينه ، ونفسه ، وماهيته ، وحقيقته وليس وجوده وتبوئه في
الخارج زائداً على ذلك (93) .

(87) ابن تيمية ، مجموعة رسائل والمصالح ، ج 3 - ص 227

(88) المرجع نفسه ج 2 - ص 271

(89) أول من قال بهذا من المعتزلة أبو عثمان النحاشم شيخ أبي علي الجبالي المحدث المرجع نفسه ج 2 - ص 6

(90) المرجع نفسه ج 1 - ص 275

(91) المرجع نفسه ج 2 - ص 6

(92) المرجع نفسه ج 1 - ص 5

(93) المرجع نفسه - ص 1 ج 2 - ص 25

ومن المتصوفة الذين أماموا ملة بجاية عبدالحق بن سميع (ت 669هـ) ومن أجل هذا اعتبره لقريسي بجانياً فترجم له في 107 علم من أعلام بجاية ، الدين ترجم لهم في كتابه ، حيث نص على أن ابن سميع «مكن بحاية ملة» ولقيه من أصحابنا أناس ، وأحلوا عنه ، وانتقموا به ، في فنون خاصة ، له مشاركة في مقول العلوم ومقولها (94) كان ابن سميع ذا معرفة بالفلسفة اليونانية ، نافدا لها من خلال الفلاسفة الإسلاميين نقداً نفسانياً لما ، وعينفا ، في أغلبه تأثر بابن عربي تأثراً كبيراً وإن كان أكثر تمسكاً بالفلاسفة ، أما ابن عربي فهو أقرب إلى المتصوفة القمعا ، وإلى الجهمية (95) والإشاعرة ، منه إلى الفلاسفة ، ولذلك فصبه ابن تيمية على عره من متأخري المتصوفة كالصنف التلمساني ، والصمد الرومي ، والقونوي ، والششتري ، وجعله أقرب إلى الحقيقة الإسلامية (96) ، وبلاحد أنه يجلس الصنف التلمساني أعظمهم جميعاً ، وأكثرهم توغلاً في وحده الوجود ، إذ أنه لا يفرق بين الوجود والثبوت ، كما يفرق ابن عربي ، ولا يفرق بين المطلق والمعين ، كما يفصل الرومي ، ولكن عنده ما تم غير ولا سوى ، بوجه من الوجوه : (97)

ذكر المؤرخون أن ابن سميع اجتمع بتلميذه أبي الحسن علي الششتري (ت 668هـ) في بجاية عام 648هـ ، وكان الششتري يقول : «أنا غلام ابن سميع ، فظل ملازماً لحاجس ابن سميع في بجاية ، ولا بدا له يوماً أن يتجه إلى اصحاب أبي حنيفة قال له ابن سميع : «الزم طريقة واحدة» فان أردت الجنة فعليك يا بني عدين ، وإن أردت الله فتعال إلى (89) فتبع طريقة شيخه ابن سميع في المعرفة ولزمها ، وتفسى بوحشة الوجود في موشحاته ، التي ترم بها المتصوفة إلى حقائقهم ومجالاتهم ويتمنون بها إلى اليوم .

ومن ثم فقد حصت بحاية بين جناباتها الحلاية ، وجبالها الشامخة الجليلة ، أبا عدين ، وابن عربي وابن سميع ، والششتري ، وهم أقطاب التصوف في صورتهم : السنية والفلسفية .

(94) عنوان العناية - ص 237 ونقل عنه القري في فتح الطب - ج 5 - ص 317

(95) ابن تيمية الرسائل والمسائل - ج 2 - ص 26

(96) المرجع نفسه ج 5 - ص 176

(97) المرجع نفسه - ج 5 - ص 177

(98) البهل - الحقيقة التاريخية - ص 356

والثاني أبو الحسن الششتري بأحد زهاد بجاية وعادها إلا وهو أبو الحسن بن علال فأعجب بطريقة الششتري حين حضر مجالسه مع أهل المعرفة ، فكان في نظره جيد المحاضرة ، فأنقسا في مخاطبة القلوب .

وتنطوي فلسفة الششتري الصوفية على مزايا افلاطونية ، إذ استخدم مصطلحات افلاطون من « المثل » و « الصور » (99) ، بل أنه ذكر افلاطون نفسه فقال :

وجرد امثال اموالهم كلها وايد افلاطون في امثل الحسنى (100)

ومن المتصوفة الجزائريين الذين أقاموا ببجاية وأخذوا بها عن علمائها ومتصوفها الشيخ عبيد الرحمن بن مخلوف التمالبي (ت 875هـ) نص في رحلته على أنه أقام ببجاية فقال: «دوما وقع في بجاية في عام أربعة وثمانمائة وكنت إذ ذاك بها (101) ولكن بداية دخوله بجاية كانت في سنة 802 هـ كما ورد في نص من نصوص رحلته التي تنقل عنها صاحب «التعريض» قال التمالبي : « رحلت في طلب العلم من ناحية الجزائر في آخر القرن الثامن ، فدخلت بجاية عام اثنين وثمانمائة ، فلقمت بها الآية المختد في العلم ، والدئين والورع ، أصحاب الفقيه الزاهد الورع عبيد الرحمن الوعيسى (ت 786 هـ) وأصحاب الصيغ أبي العباس أحمد ادريس (ت 789 هـ) عتارافون يومئذ ، أصحاب ورع ، ووقوف مع الحسد ، لا يعرفون الامراء ولا يخالطوهم ، وسلك أكثر اتباعهم مصلحتهم ، كشيخنا أبي الحسن علي بن عثمان الكلابي ، وشيخنا الولي الفقيه المحقق أبي الربيع سليمان بن الحسن ، وأبي الحسن علي بن محمد البيليني ، وعلي بن موسى ، والإمام الصلاة أبي العباس النقاوسي ، حضرت مجالسهم ، وعقدت على الاولين ، ثم دخلت تونس عام تسعة أوائل عشرة » (102) »

ولعب الرحمان التمالبي تأليف وصلنا بعضها ، تدل على نزعة الزهدية الخزالية ، على طريقة أبي مدين لا على طريقة ابن سبعين وابن عربي ، من هذه المؤلفات « الانوار المحيطة الجامع بين الحقيقة

(99) الطاهر ، وعاصم المغربي ، « ترجمة فيدون » دار المعارف الإسكندرية ، 1905 - ص 222

(100) ديوان الششتري ، تحقيق « ، الطاهر ، الإسكندرية . 1960 - ص 74 - 75

(101) التمالبي ، « العلوم العائرية » ج 2 - ص 91

(102) الصيغ ، « تعريض الديباج » - ص 173

والضريبة « وكتاب « الفائق في الاذكار والدعوات » و « العلوم الفاعرة في اسوال الآخرة وكتاب « النصائح » وما الى ذلك من المؤلفات التي أوردتها في فهرسته (٢٥٣) »

ومن متصوفة بجاية في القرن التاسع الهجري الشيخ النواتي ، وله مؤلفات ، وشهرة عند أهل بجاية في عصره ، وكانت فتاواه لا ترد من بجاية الى توزر (٢٥٤) ومنهم الشيخ يحيى العبدل ، وصعيد الملسي ، ومنهم عبد الرحمن الصباغ .

وفي القرن العاشر والحادي عشر محمد امقران (٢٥٥) ، وفي الصور الاجيرة أصبحت بجاية واديتها الاكثر ، وما حوله من جبال بني غليس وغيرهم ، ماوى للطرق الصوفية وزواياها ، وخاصة الطريقة الرحمانية (٢٥٦) التي كان من اعلامها الشيخ ابن اعداد ، الذي « ألف رسالة في التصوف كما كتبنا عليها في عدد من هذه المجلة واشرنا الى الحياة الصوفية لهذه »

فلا غرو بعد هذا كله ان تكون بجاية مركزا للتفاقة وربة صالحة ثرية ، لاتباع ذوى الفطرة الفاتقة ، والمعرفة ، وتنتج السالكين سبيلا الحقيقة ، لذلك كله قال الشريف التلمساني (ت: ٧٧٢ هـ) « دخلت بجاية في القرن الثامن فوجدت العلم يتبع من صبور وجانها كالااء الذي يبيع من حيطانها (٠٠) » وقد سمعت ان بجاية فيها حسنة صبية يحفظن المدونة ، واما اللاتي يحفظن ابن الحاجب ، فلا يحصى عندهن الا الله » (٢٥٧)

ويعد فلسنا بهذا نزع اننا استوفينا الحديث عن اعلام المذهب الصوفي البجائين ، فهم كثير ، والقال لا يسمح لنا باكثر من هذا الذي تعرضنا له ، وسنعرض في قسم ثالث لهذا ، لتدوين كانت وجهتهم كلامية أو فلسفية ، او كانت هاتقان الوجهتان عليهم اغلب ، وبهم العمق ، واوثق ، باذن الكبير المتعال .

(٢٥٣) المرجع نفسه - ص ٢٧٤

(٢٥٤) الحسين بن محمد الويلاني « رحلة الاقطار في اطلال التاريخ والاحبار ، الجزائر ١٣٥٥ هـ ، ١٩٥٥ م - ص ٢٧

(٢٥٥) الويلاني ، الرحلة - ص ٢٧

(٢٥٦) تحتاج هذه المرسلة الى دراسة جادة مستعمدة من الوثائق والآثار .

(٢٥٧) المرجع نفسه - ص ٢٨

أعلام أقاموا بحاية في القرن السابع الهجري

توجد في كتيبه عنوان العوايه لكوايف شتى من مشاهير
الآلة السابعة من علماء بحاية الأصلاء أو الوديعين عليها من الله الجزائر نفسها
أو من الأندلس - ومن أشهر الإنجليبيين الذين جاءوا إلى بحاية والعوايه إليها ابن
الإبراهيم الغساني الأديب المحدث للزورج وابن سيجن الصوفي ومحيي الدين ابن عربي
للتصوف التلغص الصيت وغيرهم ، والحديث عن ابن عربي شبي ممتع ولكنه صعب وهشوح
وإبن عربي امام كبير من أئمة التصوف واللسنة الصوفية هو محيي الدين أبو بكر محمد بن
علي بن عربي الحافض الطائي وقد يبرسية سنة 560 وتعلم القرآن والحديث فيشبيلية وألم
بها نحو ثلاثين علما ثم رحل إلى الشرق .

محمد بنقراود

كلمة الأديب
جلسة الجزائر

قال صاحب عنوان العوايه : رحل إلى المدونة ودخل بحاية في شهر رمضان الحظ سنة
سبع وتسعين وخمسة مائة (596 هـ) . وكفى بها أياما مدين شبيب بن الحسن التتليل
دليل في العميد بشاخية للمسلان - أخذ ابن عربي الحديث عن ابن سكاكي وابن الجوزي وسأج
في بقاءه والكوسل وبكاد الزوم - وقد عاين حيلة التصوف مع شيخ كثيرين - وأخذ عنهم
الكثير من الرياضات الصوفية وكان يأخذ الحكمة حيثما وجدها ولا يزال آمنًا سعيدًا وطلا
أم امرأة .

وقد ألقا أن أخذ مرة من عبود لزمها خلصا ومريدا وشاهدا بنفسه ما كان يجري على
بها من ظواهر التنقيذ القرينة .

وذكر حكايتها التي جرت له في اشبيلية قال : وخدمت أنا نفسي امرأة من الخبيات البارقات *
فقال لها : فاطمة بنت المثنى القرطبي خدمتها سنتين * وكنت استحي أن الطمر إلى
وجوها وهي في هذه السن من حمرة خديها وحسن نعتها وجلالها ، وكانت تؤذني على من كان
يخدمها وتقول : « ما رأيت مثل فلان » إذا دخل على دخل يكله لا يترك منه خارجا حتى شيئا وإذا

خرج من عدى خرج بكه ، لا يترك عندي منه شيك « اه » وما زلت اخبرها بنفسى « وبنيت لها بيتا من نصب يبنى على قدر قائمتها ، فما زالت فيه حتى دوجت « وكانت تقول لى : « انا امسك الالهية » -

وفى سنة 998 هـ توجه الى مكة وجاور فيها ، وهناك توثقت علاقته بأسرة أمام مقام ابراهيم وتملى بابتة له تدعى نظام - وادعى اليه تطلقها ديوانه : « الرجمان الاشواق » وهو من ناحية طاهره مجبوعة من شمس المشق الذى قاله فى هذه الفتاة ، أما معانيه فصوفية ، المقصود بها الله والملا الاجل وحلاوة الفناء فى الخالى .

وقصد مكة مرة اخرى سنة 620 هـ وكتب فيها ذخائر الاعلاق « شرحا على ديوانه » ترجمسان الاشواق ، ليقص به على الاراحيف التى كان العقهاء واهل الدين يذيعونها حوله اذ استعظموا مما سبى المشق ابوارقة فى الرجمان وما تنطشعه عن عاطفة حسية مادية - وقد غابت عنهم المعاني الصوفية انبى ارادها .

وقد ظهرت على يديه كرامات وتسرب الى جمهور الناس قوله بوحدة الوجود . يريد بذلك ان الله والخالق شى واحد يختلفان فى الصورة فقط ولا يختلفان فى الحقيقة . وان رؤية الاشياء مختلفة كمنزل ورحل وشجرة ليس الا امر قضت به الضرورة . وليس الا خداعا من الحواس ومطابقة للعقل الانسانى العاصر . فهو يشبه ما يقول به الفلاسفة المحدثون من ان كل شى اساسه الذرة ، وانما تختلف الاشياء باختلاف اللواتى الذرية وكيفية شعاعاتها الكهربائية . والا فالحقيقة فى الكل واحدة وربما عبر عن هذا بقوله « سبحانه من خلق الاشياء وهو عينها » فهناك خالق ومخلوق فى الظاهر ولكنها فى الحقيقة شى واحد ، وهو شى . - كما يقول - لا يدرك بالعقل بل بالقلب ، وفى ذلك يقول :

يا خالق الاشياء فى نفسه انت لها تخلقه جامع
تخلق ما لا ينتهى كونه فيك ، فانت الضيق الواسع

ومن ناحية الظاهرة والحديث المألوف هناك خالق ومخلوق وظاهر وباطن ولول وآخر .

فليس العالم والله شئين منفصلين وليس الله فى السماء وحدها ولا فى الارض وحدها . بل هو فى كل شى ، بل هو كل شى ، وليس هناك محب ومحبوب وعاشق ومشتوق بل المحب

والحبيب واحد ، يختلفان في المظاهر والأحوال ويتحدان في الحقيقة . وكل شيء في العالم له مظهر فإن مظهر متقلب وله صخر دائم ياق لا يتغير ونفس الإنسان كذلك نفس ثابتة هانية ظاهرة، ونفس كاملة ياقية باطنة . والنفس الأولى تشق الطريق لتحقيق نفسها الثانية فتتحد بالحقيقة وتشربها وتغنى فيها ونفس الصوفي هذا المسلك طريقا ونفسه مسائله وسمى المسائل التي يقطعها فيقف عندها للاستجمام مقامات وسمى الغرض الذي يقصده من سلوكه اتحاد نفسه بالحقيقة .

وبعبارة أخرى اتحاد ذاته بآلله والفناء في الحق وسموا كل مقام باسم . فهو عند بعضهم مقام التوبة ثم مقام الورع ثم مقام الزهد ثم مقام الفقر ثم مقام الصبر ثم مقام التوكل ثم مقام الرضاء ثم ان السالك يشعر بمشاعر نفسية خاصة سموها أحوالا ، فحال الخوف وحال الرجاء وحال الشوق وحال الانس وحال الطمانينة وحال المشاهدة وحال اليقين ، فتلك مراحل يجب على السالك ان يجتازها حتى يصل في النهاية الى حالة اتحاده بالعالم وبآلله فيستحق بذلك ان يسمى عارضا ، ويحتاج السالك في هذه الطريق الوعرة المتتوية الى دليل يهديه في المسالك ويجنبه المهالك ، فهذا الدليل هو الشيخ .

وكان محيي الدين بن عربي مكثرًا من التأليف، وكتاباتة تتناول كل شيء من علوم وفقه وفلسفة وشرح وفلك وما الى ذلك . ونحن نلج عنه الاثر الذي خلفه في مؤلفاته اختلاط المذاهب للتشبيبة التي سمع بها اثنا، سياحاته الطويلة او حصنته لتتصل اتصاله بأفهام ذوي عقائد شتى يختلف بعضها من بعض اختلافًا عظيما . وهو يقول في ذلك انه لا يعرف طريقة من طرق الصوفية او فرقة من الفرق او عقيدة من العقائد لم يبق واحدا من السالكين فيها او ممن يعتقونها ويمارسون مذهبها قولًا وعملا . وان كل ما سطره في كتبه فمنه ما شاعده ومنه ما تعلمه من كتب مشهورة رواها سماعا او قراءة او كتابة (2) .

يقول آيس بالايوس : ان الاسلام في عصور بن عربي كان قد تمثل علوم اليونان جميعا وذلك بفضل الدراسات الفلسفية اللاهوتية التي قام بها ابن سينا والفرازي وابن حزم وابن رشد وظهرت مذاهب ذات طابع نظري غالب وهي في أساسها تنهج نحو القول بوحدة الوجود ، وتقوم كلها على محاولة التوفيق بين شتى المذاهب والآراء وهي محاولة متشعبة متجعة له .

هذا ويشيخ ابن عربي في علوم أهل الباطن بمدون بالمثلث والكتب التي يبدو انه قرأها وعرف ما فيها في التصوف وغيره لا تحصى ، وهذه الآراء كلها التي تجمعت لديه من مصادر مختلفة قد اختبرت في رأيه . وكان ذهنه بطيحه مضطربا بسبب مزاجه الصوفي البالغ القوة .

وقد تأثرت طائفة من الصوفية المسلمين كابن عربي وابن سبعين وغيرهما بمذهب وحدة الوجود لانه انجز اليهم من الافلاطونية الحديثة وهي مذهب فلسفي ظهر في الاسكندرية وبقي موجودا سن القرن الثالث حتى القرن السادس بعد الميلاد . فبعد استيلاء اسكندر الاكبر على الاسكندرية صارت هذه المدينة ملتقى المذاهب اليونانية والشرقية والتحت فلسفة فيثاغوراس وأرسطاطاليس وأفلاطون بمناصر فلسفية هندية وعبرية وصار كل ذلك المزاج يدعى بالافلاطونية الحديثة . وحاول اصحابها ان يبدوا في فلسفة افلاطون ما عسى ان يوجد بين شتى عناصرها ، ومن ثم تسميتها بالافلاطونية الجديدة وكان افلوطين من اشهر اصحابها . ويذهب هؤلاء الى ان مصدر كل كائن ما من في الوحدة المطلقة - وكل شيء يستمد وجوده من الله الاحد بواسطة الفيض ، والكائن الاول الذي استمد وجوده من الفيض هو اللوغوس وهو الكلمة والعقل الاول . واللوغوس عند النصارى هو كلمة الله او المسيح . ثم ان العقل في نظر الافلاطونية الحديثة تستمد الروح وجودها منه ، والروح في زعم هذه الفلسفة هي اصل الحركة والمادة . فالله الاحد والعقل والروح هي الاقانيم الثلاثة التي تركز عندها الافلاطونية الجديدة . والكائن المخلوق يتسامى الى الكمال بطريقة الفيض وذلك هو الارتداد الى الله ، وكل شيء مصبوغ الجبر ويمزج الى الجبر . ولا تتحد الروح بالصدر الاول الا اذا جاوزت الفكر ومنيت في الله واتحدت به وفقدت كل وعي بنفسها ، ويقول افلوطين انه توصل مرتين او ثلاث مرات في حياته الى هذا الاتحاد بأرقى الاقانيم .

ومذهب وحدة الوجود لم ينبع من فكر الصوفية والمسلمين بل هو مذهب عتيق ظهر أولا في مظهر ديني من عند الهنود في عصر التاريخ ، ويدعى عند الافرنج PANTHEISME وهذا اللفظ مركب من : ANE و معناه كل ومن : THEOS ومعناه إله .

ويراد بهذا اللفظ : الحلولية او الإحدية أو وحدة الوجود وهو المذهب القائل بأن الله والطبيعة شيء واحد وبأن الكون المادي والإنساني ليسا الا مظاهر لذات الإلهية . وصارت وحدة الوجود مذهبا فلسفيا عند الافريق وذلك في فلسفة زينون الرواقية .

ثم في الافلاطونية الحديثة التي يدافعها فلوطين PLOTINUS من مؤسسيها - وقد شرح أفلاطون فلسفته في كتابه التساعيات LES ENNEADES وهي فلسفة اصبحت فيها المذاهب الفلسفية القديمة وقد تأثرت الافلاطونية الحديثة بالمسيحية.

وقد صاغ سبينوزا وحدة الوجود صوغاً هندسياً - وهو الذي يقول بان ذات الله هي الذات الوحيدة الفريدة الواحدة الوجود السرمدي اللامتناهية وبان عدد الصفات الالهية لا ينتهي وباننا لا نعرف منها الا اثنتين هما الفكر والامتداد في الفضاء وحل. حينئذ منه وبان الله لا كان هو الذات الفريدة نشأ عن ذلك انه لا يكون شيء الا فيه والا به ، وبان الله هو الملة اللازمة لكل شيء. اتصف بالوجود ، والكائنات ما هي الا اشكال خاصة لصفات الذات الالهية التي تنمو طبقاً للثلاثين الحسية لطبيعتها - والمختبة الكونية هي نتيجة لوحدة الوجود هذه .

وتجد وحدة الوجود ايضا في فلسفة التشاؤم عند شوبنهاور وهي فلسفة هارتمان ، ولكن الكيسمة المسيحية ترفض وحدة الوجود وتماديها وتحرم على اتباعها الخوص فيها -

وقد وقع اختلاف كبير بين العلماء في ايسن عربي حنفاً وقتنا - فقد ورد في التفارقات ان له مؤلفات لا نهاية لها تدل على سمة باعه وتجبره في العلوم الطاهرة والباطنة وانه بلغ مبلغ الاجتهاد في الاجترار والاستنباط وتأسيس القواعد والمقاصد التي لا يحيط بها ولا يدركها الا من طالعها يحقها : وقد لوحظ انه وقع له في بعض تضاعيف تلك الكتب كلمات كثيرة اشكلت طواهرها وكأنت سبباً لاعراض كثيرين لسمي حسنوا الظن به ولم يقولوا كما قال غيرهم من الجبهة المحققين والعلماء العاملين والانيسة الزائرين ان ما اوهنته تلك الطواخر ليس هو المراد . وانما المراد امور اسطغلق عليها متأخروا هل الطريق غيرة عليها حتى لا يصعب الكنايون ماسطلموا على الكتابة عنها بتلك الالفاظ الموهمة لخلاف المراد غير حيائين بذلك لانه لا يمكن التعبير عنها بغيرها .

وقد استعرض ابن العماد المواقف المختلفة التي وقفها الناس من ابن عربي وذكر انهم تفرقوا في شأنه ، بيا وسلكوا في امره طرائق قسداً - فذهب طائفة الى انه زنديق لا صديق وقال قوم انه واسطة عقد الاولياء ورئيس الاصفياء وصالحون آخرون الى اعتقاد ولايته وتحرير البشر في كتبه وان جلال الدين السيوطي قال في مصنفه « تبينه الضمى بتيرة ابن عربي » ان القول الفصل في

ابن العربي اعتقاد ولايته وتحريم النظر في كتبه فقد نقل هو عن ابن عربي نفسه انه قال : نحن قوم يحرم النظر في كتبنا .

وقد مثل يوسف الصفدي عن قراءة الناس لكتب ابن عربي فقال : ان هذا العلم المنسوب الى ابن عربي ليس هو بسخترع له ، وانما هو كان مأخذا فيه ، وقد ادعى اهله انه لا يمكن معرفته الا بالكشف ، فاذا فهم المرید من ما هم فلا فائدة في تفسيره . لانه ان كان المقور والمقدر له عظمين على ذلك فالنقد فير حصول الحاصل ، وان كان المطلع احدهما فتقريره لا ينفع الاخر والا فهما يضيئان خيط عشواء . فسميل المعارف عدم البحث عن هذا العلم ، وعليه السلوك فيما يوصل الى الكشف عن الحقائق ، ومتى كشف له عن شيء علمه .

وكان ممن ناصر ابن عربي الفروزي ايسدي صاحب القاموس المحيط وشهاب الدين السهروردي وفخر الدين الرازي وابن السبكي . وكان من الناقمين عليه ابن الخياط والحافظ الذهبي وابن تيمية وابن اياس والتفتازاني وغيرهم .

ولما رحل ابن عربي الى المشرق واُلف تأليف فيها ما فيها نقد عليه اهل الديار المصرية وسعوا في اراقة دمه فخلصه الله تعالى على يد الشيخ أبي الحسن البجلي . قاله سمي في خلاصه وتاول كلامه . ولما وصل اليه بمد خلاصه قال له البجلي كيف يحبس من حل منه اللاهوت في الناسوت ؟ فقال له ابن عربي : يا سيدي تلك شططت في محل سكر ، ولا عتب على سكران .

واختلاف الناس في مثل هذه الظروف امر طبيعي فاناس عادة من طبيعتين مختلفتين ومزاجين متباينين فعلماء النفس يفسمون الناس الى هذين قسمين .

فقد نشب النزاع دائما بين الحسيني والمناويين بين اهل الظاهر والباطن . بين من مزجه ذوي ومن مزجه عقل . بين من يآخذه بالظواهر ومن لا تقصه الظواهر . بين اهل الكشف واهل العقل . بين المفاهيم والمتصوفة .

واذا اردنا ان نصل الى اقصى ما يمكن الوصول اليه من حقائق العالم يجب ان نستخدم كسبل ما نستطيع من مكانا وليست مكات الانسان متصورة عن القوة العقلية . فلهذه الشعور ولديه الازادة . فسادا يستخدم القوة العقلية وحدها وهي آلة العلم ولا يستخدم الشعور ايضا وهو وسيلة اخرى من وسائل المعرفة ؟ وقد انصبت المتصوفة فسورا نتيجة استخدام المنطق علما

وسموا نتيجة استخدام الشعور والفنوك والكشف معرفة وسموا من يمانى الاول عالما والثانى عاردا وقد دلت التجارب على ان الانسان لا يسيره عقله او علمه فقط . وانما يسيره كذلك شعوره ، فهو يدرك حقائق العالم بمقله وشعوره مما ، والناس مختلفون بحكم فطرتهم فمن قوى رأسه كان اقرب الى المهج الطلى ومن قوى قلبه كان اقرب الى المهج الشعورى والدينى والفنى . فليس ممن العقل ان يتطلب حقائق العالم بقوة العقل وحده ونشل سائر الملكات ، وانما العقل ان تستعمل كل ملكاتنا فى ادراك حقائقه ، فرجال العلم ان يستكشفوا ما شاربوا من حجة العالم ، والعنانون لهم ان يستكشفوا ما شاربوا من جمال العالم ، والانبياء ، والمتصوفة يبلغون ادراك محرك العالم وقيم منوياته ما يفوق مستكشفات العلم والهامات الفن .

ثم اعتمد صحة ابن عربى وزاد ما كان يبعوليه من مظاهر الجذب واضطراب العقل . وفى هذه الحالة من الاعتلال الجسدى والعقل كنب كتابه « الحكمة الالهامية » وهو رد على الفلاسفة ونقض لادائهم على طريقة الغزالي فى « التهافت » . ثم اخذار دمشق مستقرا له ومقاما من سنة 660 حتى وفاته . والى فيها ثلاثة كتب : « فصوص الحكم » ، « الفتوحات المكية » و « الديوان » .

وقد ادركته ميتته - رحمه الله ورشى عنه - ليلة الجمعة 28 ربيع الثانى 698 ، ودفن بسفح جبل قاسيون خارج دمشق بالتربة الصالحية .

وقد اعطى بلاغه فى القول ومهتا فى التفكير روعة فى الخيال . وكلما نزل بلدا اتصل بصنوفها . له النثر الكثير والشعر الكثير لا يعبأ ببال ولا جاه . وكان كثير الضمطع كتب التاويل ، وربما كانت له قصص كثيرة تبين معناه فى القول . فقد قال :

يا من يرانى ولا اراه كم دا اراه ولا يرانى
فاعترض عليه : كيف لا يراه الله ؟ فقال :
يا من يرانى مجرما ولا اراه آخرى
كم ذا اراه معصيا ولا يرانى لائمنا

وله كلام كثير ظاهره الاتحاد وباطنه الاسلام مع التاويل . وبلغت مؤلفات ابن عربى تعد 200 كتاب ذكر منها بىروكلمن 156 وذكر اماكن وجودها - واكثرها فى النصف - وبضها فى الجفرو اسرار الحروف.

من أهمها فصوص الحكم - ألفه سنة 626، وإلى هذا الكتاب يرجع الفصل فيما يتمتع به ابن عربي من شهرة كبيرة بين الصوفية كؤلفه لكساب المكاشفات التي ترفع الحجب عما وراء الغيب ، وفيه يمرض منهجه المناقض المتناقض في وحدة الوجود ، وقد نقل Tiras Burckhardt كتاب فصوص الحكم إلى الفرنسية بعنوان

La Sagesse des Prophetes

غير ان اعظم كتاب لابن عربي هو الفتوحات المكية *

ويمكن القول بان المؤلف جمع فيه كل ما ذكره في مؤلفاته الأخرى ، وضمنه ما فتح الله عليه به أثناء مقامه بمكة - وفي الكتاب ستة أقسام - المعارف - المعاملات - الأحوال - المنازل - المنازلات - المقامات *

وهو كتاب ضخم يقع في 4000 صفحة - وكانت ضخامته وما فيه من شطع والمناز سببا في قلته انتشاره ، ويذكر صاحب الشنرات أن الأصم الشمراني اختصر كتاب الفتوحات ، ولتفتوحات مكية شرح متعددة *

مصادر البحث ومراجعته

- 1) ابن سبعين - رسائل ابن سبعين ، القاهرة 1965
- 2) ابن العباد - شنرات النخب ، بيروت بلا تاريخ
- 3) ابن قعد - كتاب الوفيات تحقيق عادل قويدز بيروت 1971
- 4) أحمد أمين - ظهر الإسلام الجزء الثالث ، القاهرة 1953
- 5) أحمد أمين - فيض الحاطر الجز. الثالث الطبعة الرابعة ، القاهرة بلا تاريخ
- 6) أحمد أمين - فيض الحاطر الجزء الرابع ، القاهرة 1949
- 7) اصطل قوتلاند يالنتيا - تاريخ الفكر الاتنلسي نقله عن الاسيانية حسين مؤنس ، القاهرة 1955
- 8) جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية الجزء الثالث تحقيق د * شوقي شيف ، القاهرة 1957

* بقية مصادر البحث في صفحة بعد *



ابن خلدون في بجاية

ابن خلدون في بجاية

لعبت بجاية في تاريخ افريقية والمغرب الوسيط ادواراً سياسية وثقافية هامة - فقد كانت حاضرة لعدة ممالك متعاقبة ، وقد ابنت عصوراً مركز اشعاع علمي وابنى واسع المدى - وقد اضطلعت في ظل الدولة الحفصية بانوارها الثقافية ، فكانت غير مرة عاصمة لمملكة مستقلة ، تقوم تحت رياسة بعض امراء الاسرة الحفصية الموحدية ، وكانت بالانحصار عقب انهيار شرق الاندلس ، وسقوط قواعد المائدة بلنسية وشاملي وداثية ومرمية في ايدي النصارى ، في النصف الاول من القرن السابع الهجرى منزل رهط كبير من علماء الاندلس النازحين من القواعد الداهية ، وفي مقعدهم عدة من الطاب التفكير والاداب الاندلسية ، مثل ابن الاثير القضاى وابن عميرة المخزومي ، وابن عبد الله الجنان ، وابي بكر بن محرز ، وغيرهم هذا عدا النازحين اليها من القواعد الاخرى ، من اشبيلية وغيرها من قواعد الغرب - نزل اولئك العلماء الوافدون ببجاية ، وبنوا بها علومهم وفنونهم بين طوائف زاهرة من الطلاب ، وقدموا الى بجاية من مختلف الحواضر الافريقية والمغربية - وقامت في بجاية تلك المدرسة الاندلسية الزاهرة التي لبثت حتى اواخر القرن السابع الهجرى بمركز اشعاع عظيم للمعلوم والاداب -

عبد الله عثمان
مؤرخ مصرى

ولنذكر كذلك ، انه - حتى قبل انهيار شرق الاندلس ، ونزوح علمائه وانجائه الى بجاية - كانت بجاية دائماً محطة الانتظار ، ومنزل عماء الاندلس الوافدين الى افريقية او الداهيين الى المشرق لاداء فريضة الصح ، يرسون على علمائها ، او يقرئون الطلاب الوافدين عليها - ولننصرف

لذلك مثلاً يبرزنا بولس المغرب الكبير ، أبي مدين شعيب بن الحسين الاتساري الانطلسي ، أعظم علماء الدين والحديث في عصره فقد وفد من الانطلس الى المغرب ، وتجول في سبتة ومراكش وفاس يدرس على شيوخها - ثم رحل الى المشرق ، وعاد بعد أداء فريضة الحج ، فنزل في بجاية يسقيه صيته في اهل العلم والورع وازدهر ، فهدرت اليه الطلاب من كل سرب ، ودأبت شهرته في كل مكان ، وقصدته الناس بالأخص للتركه بورعه وكراماته ، وكان من صيت أبي مدين ، وذويوع علمه ونفوذه بين الكافة ، ان وثى به بعض شيوخ الموحدين عند الخليفة الموحدي يعقوب المنصور ، وحثوه من نفوذ الرجل ، وتأثيره الروحي الراسخ لدى « فاهتم المنصور بالأمر ايما اهتمام ، وبعث الى والي بجاية في استقدام أبي مدين اليه ليخبره ، بنفسه ، وأوصى بالاعتناء بشأنه ، وأن يعامل خلال رحلته بمنتهى الرفق والرعاية ، فلما علم بذلك أصحاب أبي مدين وتلاميذه شق عليهم ، وأبدوا اعتراضاتهم ، فهداهم أبو مدين ، وقال لهم انه شيخ كبير ، وانه مريض يشعر بدنو أجله ، وأن انله بعث اليه من يعمل يرفق ويسوقه احسن سوق وأنه لن يرى السلطان ولن يراه ، ثم ساروا به حتى وصلوا الى احوار تلمسان ، فلما وصل الى وادي يسر القريب ، اشفق به المرض ، وتولى في اولح سنة 594 هـ ، فعمله اصحابه الى رابطة العباد ، ودفن بها ، وما زال مزاره هناك مقصد الزوار من سائر الانحاء »

وقد ليثت بجاية تقوم بعد ذلك بدورها الثالث السياسي والعلمي ، وقد كان المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون ، خلال مختلف ادوار حياته بافريقية صلة وثيقة بمثلث الحواضر الثلاث ، قسنطينة ، ويسكرة ، وبجاية - ففي قلعة سلامة ، من اعمال توجين ، الواقعة بين يسكرة وقسنطينة ، عاش ابن خلدون مدى أربعة أعوام في عزلة وهناء ، بعد ان عاف حياة السياسة وفر من اعدائها ، وهناك كتب مقدمته الخالدة ، ومعلم اجزاء تاريخه العظيم ، وقد كانت تربطه بقسنطينة ووايط عائلية ، اذ كان احوال زوجته من قسنطينة ، وهي يقول لنا ، انه حينما اعتزم الرحلة الى الانطلس ، في سنة 762 هـ ، على اثر خلافه مع الوزير عمر بن عبد الله ، المنقلب على عرش المغرب واستقالته من وظائفه في بلاط فاس ، بعث بزوج واولاده الى احوالهم بقسنطينة ، وانه لما استقر بفرناطه ، وعمره سلطان الانطلس ، محمد الثاني باله بثقتة وعظمته ، واقطاعاته ، استأذن المظالم في استقدام امرته من قسنطينة ، فبعث السلطان في استقدامها ، وعاشت معه حينا في رعد وطعانية - ولما عن يسكرة غاز المسلمان أبا العباس ، سلطان قسنطينة وبجاية ، حينما سقط على ابن خلدون ، وكان ابن خلدون من بين وزرائه فر منه الى يسكرة ، وقد كان له بها كما ميجيء عهد سبق ، فقبض أبو العباس على اخيه الاصغر يحيى ، وأعتقله ببونه ، وفشش بيوتهم وصامر اموالهم ، وكان ذلك سنة 766 هـ .

هذا ، وأما عن بجاية ثالثة حواضر هذا امست التاريخي ، فقد كان لابن خلدون في بعض أحداثها دور هام ، وينقسم هذا الدور الى مرحلتين ، تمت الاولى منهما في سنة 753 هـ (1352 م) وقت أن كان ابن خلدون قتي لا يجاوز السابعة والعشرين من عمره ، يخطو خطواته الاولى في ميدان الحياة العامة - ويجدر بنا قبل أن نقص تلك الأحداث التي خاض ابن خلدون ضارعا في بجاية ، أن نشير بإيجاز الى ما كانت عليه أحوال الدول المغربية ، في تلك الفترة ، أعني في منتصف القرن الثامن الهجري - فقد كانت الثورات والانقلابات السياسية دائمة لا تنقطع ، والدول تتماق بين مختلف الفطيلين والاسر - وكانت تقوم امارات صغيرة متعاقبة في القواعد والقفور الوسطى - مثل بجاية وقسنطينة وبنو في الناحية الشرقية ، وتلمسان في الناحية الغربية ، وتضطرم حول امتلاكها معارك لا نهاية لها - وكان انحلال الدولة الحفصية وتلكها ، هو المسئول عن أحداث الناحية الشرقية - وأما تلمسان ، فقد ليثت حينما همسرح الكفاح بين امرائها الاصليين بن بني يفراسن او بني عبد الواد ، وبين دولة بني مرين القوية التي كانت تسير الى تلمسان صلاتها المتوالية - وهكذا كانت عروش المغرب كلها ، تهز في يد الفتر ، وكانت قصوره مهبط الاطماع والناصات ، وحكم النماش والمكايد ، ومطمع انظار المتغلبين والمتنافسين في طلب الرياسة والملك - وكانت العروش والامارات دائمة التقلب والتداول ، والحروب والمعارك الاعلية دائمة الضرام بين مختلف الاسر او فروع الاسرة الواحدة ، ومع ذلك فقد كانت هذه القصور المضطربة تسطع في فترات السلم القليلة ، وتتنافس في البهاء والبذخ ، وتجذب اليها رجال التفكير والانب - وكان منو حفص ، وبني مرين ، بالاخص ملاذ العلماء والادباء ، يلتفون حولهم ، ويستظلون برعايتهم ، ويولون لديهم مناصب النفوذ والثقة - ونلاحظ في تاريخ المغرب في هذه الحقبة ، أن الحركة الفكرية تزدهر وتستقر ، وتنقل ، طبقا لاهوال الدول وتقلباتها وانها كانت كالدول دائمة الاضطراب والتقلبات وانها لا تكاد تمتد حول قصر معين ، حتى تبرع الى غيره كلما انتابه الوهن والانحلال ، وكما أن الحركة الفكرية ، كانت يومتد في المغرب دائمة الاحتشاد والتنقل ، فكذا كانت دائمة التردد بين المغرب والاندلس ، وكانت غريضة لا تزال مهد حركة فكرية زاخرة ، ولكن الاندلس كانت تفتيق يومتد بملكانها وادبائها ، خصوصا عقب الانتهاء الذي ترتب عليه سقوط معظم القواعد الاندلسية الثالثة ، في الشرق والغرب - ولذا نرى كثيرا من علماء الاندلس وادبائها ينزحون الى المغرب باعتباره اوسع امانا ، وأرقى طمأنينة ، وايسر زقا - وقد كان بجاية - حسيما قديما من هذه الهجرة العلمية الاندلسية أوفر نصيب *

في معترك هذه الظروف والاحوال بدأ ابن خلدون حياته العامة - وكان بنو خلدون ، ينعمون برعاية الدولة الحفصية ، ويتدارلون في ظلها مراتب الجاه والنفوذ - وكان ابن خلدون يتطلع منذ

البداية الى اجتناء ثراث أسرته ، وسنحت له أول فرصة للنزول الى ميدان الحياة العامة حينما استدعاه أبو محمد بن تافراكين ، المتعطب على اندولة لكتاية العلامة عن محوره السلطان المفتي أبي اسحق ، وكتابه العلامة هي التوقيع باسم السلطان وشارته على المخاطبات والراسم الملكية . وكان المؤرخ يرمئذ حدثا دون العشرين .

على ان ابن خلدون لم يكن مع ذلك راضيا عن منصبه المتواضع . وكان ينظر الى خضف حكومة تونس واضطراب احوالها بعين التجوس والجزع . وكان ينو مرين قد غلبوا على تونس نحو عامين ، وشهد ابن خلدون قوتهم وضخامة سلطانهم . ولما غادر السلطان أبو الحسن ابريش تونس الى المغرب الأقصى ، غادرها في ركابه معظم المفكرين والادباء من شيوخ ابن خلدون واقرامه ، ايثارا للميش في ظل للدولة القوية الطاغرة ، وطموحا الى اجتناء الجاه والرزق ، بعد ان نفقت سوقهما في تونس . وكانت مثل هذه الاسمة تميش بنفس المؤرخ . فلما استدعى لكتاية العلامة ، أخذ يترقب الفرص للخروج الى المغرب الأقصى ، ليهيئ وراء طاعه ليعمل على تحقيق اطماعه حيثما يلوح آفق المعامرة أوسع والجدى .

ولم يمض سوى قليل حتى سمحت هذه الفرصة . ففي اوائل سنة 753 هـ رحل أمير قسنطينة أبو زيد ، حفيد السلطان أبي يعنى في قواته على تونس يريد الاستلاء عليها ، واسترداد ثراث أسرته من قبضة الوزير المتعصب ابن تافراكين . فصار ابن تافراكين في جندته الى لقائه . وصحب ابن خلدون في ركبه . ووقعت بين الفريقين عدة معارك كانت الدائرة فيها على جند تونس وعسكره انسبل ابن خلدون خلسة من المعسكر المهزوم ناجيا بنفسه . واقام حينما في أبة عند بعض الشيوخ المرابطين ، ثم قصد الى تيسة ، ثم ارتد الى قصبة حيث التقى ببعض فقهاء تونس ، وكان يحاصرها عندئذ أمير قسنطينة ، ومن هناك سار معهم الى بسكرة ، وقضى بها فصل الشتاء .

* * *

وفي ذلك الحين كان السلطان الكبير أبو الحسن المريني ، ملك المغرب الأقصى ، قد توفي في شهر ربيع الثاني سنة 752 هـ ، على اثر خروج والده السلطان أبي عثمان عليه ، واستيلائه على فاس حاضرة الملك . وكان أبو عثمان أميراً وافر الياش والعزم ، فما كاد يستقر على العرش ، حتى أخذ يهيئ له لانتحاح المغرب الاوسط لاستعادة تلمسان ، التي افتتها ايسره من يد بني عبد الواد ، ثم استدعاه لاعوام فلان . فزحف عليها في اوائل سنة 753 هـ واستولى عليها . ثم استولى على بجاية بشمول ساحلها السلطان أبي عبد الله محمد في طاعته . وكان ابن خلدون يرمئذ في بسكرة كما قلنا ، فعصى الى لقاء السلطان أبي عثمان اثناء مقامه بتلمسان ويقول لنا المؤرخ

ابن خلدون في بجاية

إن السلطان أكرمه بما لم يكن يحتمسب ، وردّه مع حاجبه ابن أبي عمرو إلى بجاية ، حيث شهد مراسم البيعة والتسليم . فلما عاد الحاجب إلى السلطان ، وهرعت معه الوفود إلى ركابه ، سار ابن خلدون معهم ، وحظي بلقاء السلطان مرة أخرى . ثم ارتد السلطان إلى فاس عاصمة ملكه . وأردت ابن خلدون مع ابن أبي عمرو إلى بجاية وأقام هناك تحت كنفه حتى أواخر سنة 754 هـ (1353 م) .

تلك هي المرحلة الأولى من اتصال ابن خلدون بأحداث بجاية . وكان قد تعرف خلال هذه الفترة بسلطانها المخلوع أبي عبد الله محمد بن السلطان أبي يحيى اللحياني . وكان السلطان أبو يحيى حينئذ تملب على تونس ، واستقر على عرشها ، قد أقطع الثغور لآلده ، فتولى إمارة بجاية ابنه الأمير أبو زكريا ، وليث في حكمها حتى وفاته سنة 746 هـ . وخلفه في حكمها ولده الأكبر الأمير أبو عبد الله محمد . ولما رُحف السلطان أبو الحسن المرنيني على إفريقية لافتتاحها ، خلع الأمير محمد فيمن خلع من أمراء الثغور . ونفاه إلى المغرب . ولما ثار السلطان أبو عثمان على أبيه أثناء غيبته في حملة إفريقية ، رد الأمراء الحارمين ، ومنهم الأمير محمد إلى ثغورهم ، لكي يفتروا أباه عند العودة . فاستقر محمد حينئذ في حكم بجاية . ولما ترفى السلطان أبو الحسن ، وتم الأمر لأبي عثمان ، عاد فلنترج بجاية من صاحبها وأرغمه على النزول عنها . ونفاه إلى المغرب مرة أخرى .

وفي تلك الأثناء كان ابن خلدون يسعى إلى الالتحاق ببصانة سلطان أبي عثمان ، حتى ظهر ببغيته . ويقول لنا ابن خلدون ، أن السلطان هو الذي استدعاه ، بعد أن جرى ذكره أمامه في مجلس عقد لاختيار خليفة العلم ، فقدم إلى فاس سنة خمس وخمسين ، وعينه السلطان حضرا في مجلسه العلمي ، وكلفه بشهود الصلوات معه ، وما زال يحبوه بعطفه . حتى عينه ضمن كتابه وموقعه . على أن ابن خلدون ، يقول لنا أنه قبل هذا المنصب على كره منه ، لأنه ليس من المناصب التي شغلها أسلافه ، أو بمبارة أخرى كان دونها إهمية ومقاما . وفي ذلك بما يدل على ما كان يجيش به المؤرخ رغم حداثة من الإطام الكبيرة على أنه استطاع أثناء مقامه بفاس أن يستأنف الدرس والقراءة على جماعة من أكابر العلماء الواقفين عليها من الأندلس . وبإقار المغرب وكانت فرصة طيبة ، استعاد فيها وتمت معارفه نورا كبيرا .

ومن ذلك الحين يقف ابن خلدون شخصية بارزة في تاريخ الدول المغربية في هذا العصر ، تأخذ بقسط ملحوظ في تطورات هذه الدول وتقلباتها . وكان ابن خلدون لا يزال عندئذ في نحو الثانية والعشرين من عمره . ولكن نكاهه وتوسد نفسه وعزمه ، ووفرة اطماعه واعتزازه بثورات أسرته ، كانت تحفزّه دائما إلى حلب المزيد من الجاه والسرّيق . وكانت أحوال الدول

والقصود المغربية في ذلك العصر ، مما يفسح مجال النهوض والتقدم للخامسين ذوي الكفاية والمزعم - وكانت صلة ابن خلدون بالسلطان أبي عنان ، وهو يومئذ أعظم سلاطين الغرب ، وانتظامه في سلك ذلك البلاط المريض أزاهر ، مفتح أفقه ، يبدد ذلك التشاؤم الزاخر الذي ليث مدى ثلث قرن يحمل بين دولة ودولة ، وبين قصر وقصر ، وبين الرغعة والسقوط ، والنعم والمحن ، مرارا وتكرارا .

بيد أنه كان من سوء الطالع أن يبدأ ابن خلدون تشاؤمه السياسي بمحاولة خطيرة - وبالرغم من أن سيده وحامييه السلطان أبا عنان - لم يدخر باعترافه رسما في اكرامه ورعايته ، وبالرغم من أنه ولاه ، على حدائقه منصب الكتابة واحتضنه بمجلسه للمناظرة والتوقيع عبه مانه لم يحجم عن التذمر عليه مع الأمير أبي عبد الله محمد صاحب بجاية المخلوع - وكان يومئذ معتقلا في فاس ، ويرى لنا ابن خلدون في « التعريف » قصة هذه المؤامرة في عبارات غامضة ، ويعترف بما وقع بينه وبين أمير بجاية المعتقل من التعامه أو « المداخله » وفقا لتعبيره ، وأنه خرج في ذلك التعامه عن حدود التحفظ - ولكنه يعتد لنا بأنه حمل على ذلك ، بما كان بين أسرته - وبين بني حقه الذين ينتمى إليهم الأمير المخلوع من الود القديم .

وكان السلطان أبو عنان يومئذ مريضا ، فتمنى إليه خير المؤامرة ، وأن ابن خلدون يعصل لفرار أمير بجاية واسترجاع ملكه ، على أن يولييه حجابته ، متى تم له الامر - ويصور لنا ابن خلدون هذا الحادث في عباراته على النحو الآتي :

« ولما قمت على السلطان أبي عنان سنة خمس وخمسين ، واستخلصني منه ، تبخت عروق السابق بين ملقي وسلف الأمير أبي عبد الله واستدعاني لصحايتيه ، فأسرعت - وكان السلطان أبو عنان شديد الغيرة من مثل ذلك - ثم كثر المناهضون ، ورفقوا إلى السلطان ، وقد طرقت موهن أرجف له الناس ، فرغوا له أن الأمير أبا عبد الله - اعترم على الفرار إلى بجاية وأني عاقبته على ذلك - على أن يولياني حجابته » .

وكانت النتيجة أمر السلطان أبي عنان بالقبض على ابن خلدون والقائه في غيابة السجن - ومع أنه أطلق أمير بجاية فيما بعد ، فإنه أبقى المؤرخ على اعتقاله - وفزلت بأبن خلدون تلك الحنة ، التي يسبها إلى سماية خصومه في أوائل سنة 758 هـ (1357 م) .

وقضى ابن خلدون في ظلام السجن زهاء عامين طويلين - وتضرع إلى السلطان أبي عنان مرارا أن يطلقه - ولكن السلطان أعرض في شأنه عن كل تضرع وشفاعه - وأكجرا رفع المؤرخ إليه قصيدة طويلة في نحو مائتي بيت ، يلتمس فيها عطفه وصفحه - ومما جاء فيها :

وأي مسروق للزمان أغاليب
وأي على دعوى شهوى غالب
تسطنى طورا وطورا تحارب

على أي حال للأيام أعاصيب
كفي حزنا أتى على القريب نازح
وأي على حكم الحوادث نازل

ويقول لنا ابن خلدون إن قصيدته وقعت من السلطان أحسن موقع . وكان أبو عنان يومئذ تلمسان فحمد بالافراج عنه . ولكن المرض اشتد به ، وتروى قبل تحقيق هذا الوعد في ذي الحجة سنة 799 هـ (أواخر سنة 1398 م) .

فعندئذ باشر الوزير الحسن بن عمر القائم بأمر الدولة بإطلاقه مع جماعة من المعتقلين الآخرين وردّه إلى سابق وظائفه وأغدق عليه عطفه ورعايته .

* * *

لما في حاجة لأن تتابع حياة ابن خلدون في بلاط فاس . وما وقع خلال ذلك من أحداث وتقلبات في مصائب الملك وتكتفى بالقول بأن ابن خلدون ليث في بلاط فاس ، يشهد الحوادث خلال حكم السلطان أبي سالم الذي غلب على العرش (سنة 760 هـ) . وما وقع من مصرعه بعد ذلك يعامين ، ثم تغلب الوزير عمر بن عبد الله على الدولة ، وما وقع بينه وبين ابن خلدون من خلاف ، بسبب عدم تحقيقه آمال المؤرخ ، في السفر بوظائف الدولة العليا ، واضطرار المؤرخ أن يغادر فاس ، وأن يعتزم الرحلة إلى الاندلس ، بعد أن حذر عليه الوزير أن يسافر في اتجاه الشرق إلى تونس ، خوفا من مشاريعه الخطرة شدة .

وجير ابن خلدون البحر فعلا إلى الاندلس في أوائل سنة 764 هـ . ولما بحاجة أيضا ، لأن تتابع حياة ابن خلدون في بلاط غرناطة . ونما تكتفى بالقول بأنه لقي من سلطان غرناطة السلطان محمد الغني بالله ووزيره ابن الخطيب كل ترحاب ورعاية ، وأغدق عليه السلطان عطفه وصلاته ، وأوفده سفيرا عنه إلى حاكم قشتالة فادى سفارته بنجاح . ثم تطورت الأحوال بعد ذلك ، وشعر ابن خلدون بتغير السلطان نحوه ، وشعر في نفس الوقت بأن ذلك يرجع إلى سعي الوزير أبي الخطيب في حقه ، فقرر معاندة الاندلس . ووصلته في نفس الوقت رسالة من صديقه الأمير أبي عبد الله محمد أمير بجاية ، بأنه استرد ملكه وأنه يرغب في قدومه لكي يولييه بجاية . وفقا لمعهوده . وكان قد كتب للمؤرخ بذلك عهدا خطه . واستأذن ابن خلدون السلطان في السفر فاذن له رزومه بصحبة ، وشيعة معززا مكثرا . فغادر الاندلس وركب البحر من المرية إلى بجاية . وكان ذلك في منتصف سنة 766 هـ (1364 م) .

وكان الأمير أبو عبد الله محمد ، قد سار عقب إطلاق «راحة من معتقل غاس إلى بجاية ، وما زال حتى استزعها من يد خصومه ومناقسيه (سنة 765 هـ) واستقرّ يحيى أخا ابن خلدون الأصغر ويحث إلى ابن خلدون يستدعيه لحولي حجابته ، وغاء منه بمعهده ، فاستجاب المؤرخ لدعوته جميعاً قدمنا ، ووصل إلى بجاية في منتصف سنة ست وستين - فاستقبله الأمير محمد ، وأهل المدينة أجمل استقبالاً ، ويصف لنا ابن خلدون يوم مقدمه في تلك العساة الزنافة : « فاحتفل السلطان بقريسي » وأركب للقائي ، وتهافت أهل البلد على من كل أوب يمسحون أعطافى ويلبلون يدي » وكان يوماً مشهوداً »

وقولى ابن خلدون في الحال منصب الحجابة لسلطان بجاية ، وقد كانت الحجابة يومئذ في الدول المغربية حسب تعريعه هي « الاستقلال بالدولة ، والوساطة بين السلطان وأهل مملكته ، لا يشاركه في ذلك أحد »

واستبد ابن خلدون بشؤون الدولة ، ومضى يدبر الأمور بعزم ، ويمالج الفتن العاتية بعزم وتكاه ، ويتجول بين القبائل الجبلية ، يستخلص منها الجباية قسراً بقوة دهائه ونفذه - ولكن الجصومة ما لبثت أن نشبت بين أمير بجاية ، وبين ابن عمه السلطان أبي العباس صاحب قسنطينة - وكان أبو العباس يتطلع إلى امتلاك بجاية ، ويشير على أميرها القبائل والبطون المجاورة - ويقول لنا ابن خلدون أيضاً أن الأمير محمد لم يحسن السيرة في أهل بجاية ، بل كان يرمقهم ، ويشدد الرقابة عليهم ، حتى انصرفوا عنه ، واعتزموا الخروج عن طاعته ، استجابة لتعريض أبي العباس ، وفي سنة سبع وستين ، قصد أبو العباس في جموعه إلى بجاية ، والتقى في ظاهرها بالأمير محمد وجموعه وهزمه وقتله ، ودخل بجاية ظافراً - وكان ابن خلدون أثناء ذلك يلزم القصر داخل المدينة ، فلما كانت الدائرة على محمد ، خاطبه بعض الزعماء في تولى الأمر ، والدعوة لأحد أبناء السلطان القليل ، غابى وخرج كعادته إلى تحية الظاهر ، والانضواء تحت لوائه - وسلم ابن خلدون المدينة إلى أبي العباس ، فأكرمه وأقره حيناً في وظيفته - ولكن ابن خلدون ما لبث أن شعر بانحرافه وتغيره ، فانصرف بالهذه إلى أحد الأحياء القريبة - ثم رأى أبو العباس بعد حين - أن يقبض عليه ، ففر ابن خلدون إلى بركة - فقبض أبو العباس على أخيه الأصغر يحيى ، واعتقله ببونة ، وقتل ببونته ، وصادر أموالهم »

وهكذا اختتمت تلك المعامرة المثيرة التي كان ابن خلدون نفسه مدبرها منذ البداية ، أيام أن كان معتقلاً بسجن غاس ، إلى جانب صديقه الأمير القليل محمد - وهكذا كانت المرحلة الثانية من صلة ابن خلدون بأحداث بجاية - وقد كانت المعامرة كلها من تفتات الجماعه - وكانت كسمايتها دليلاً على مة تجيش به نفسه من الاثرة وتكران الصنيعة ، وانتهاز الفرص السانحة مهما كان

انتهازها ينالها الوفاء والوفاء - كان ابن خلدون حسيبا قبل تصرفاته ومرآة حياته للمناقية ، يتطرق في خطبه وإصاليه عن اعتقاد عميق ، للمحافظة والأخلاق الرعية - ويحاول ابن خلدون أن يعرب لنا عن نفسه وأسلوبه لتطور المواقف على هذا النحو المزمع ، فيقول لنا في مكان آخر في حديثه عن أمير بجاية النص : « فلما استمعاني هذا الأمير أبو عبد الله باشرت إلى لمتثاليه ، ولو شاء ريك ما فعلوه » ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير » - ولكن الذي لا ريب فيه ، هو أن ابن خلدون كان يجهز في حوادث بجاية مغامرة من صنعه ، ويحاول اجتثاث ثمرة فرصة تربتها وهيأها منذ بعيد - ولا ريب أن مقتل حليفه ومسيده لم يضره ولم يحرزه ، وقد كان معقد آماله أن ينضوي تحت لواء الظاهر ، لولا أن الظاهر قد أنكره غير بعيد ، وأدرك بذلك خسران صفقته »

ولم تكن هذه آخر صلة لابن خلدون بأحداث بجاية - ذلك أن سلطان تلمسان - الأمير أبا حمو موسى بن يوسف ، وقد كان صهرا لأمير بجاية المقتول ، متزوجا بابنته ، اعتزم أن يحاول الزحف على بجاية وانتزاعها من يد أبي العباس ، ولكنه بالرغم من كثرة حشونه - أخفق في محاولته ، فاستدعى إليه ابن خلدون ، وأصدر إليه مرسوما يتولى حجابته ، ويطلب إليه أن يعمل لاصطناع أهل بجاية ، بما كان له بينهم من نفوذ ، واستمالتهم إلى جانبه ، فقام ابن خلدون بتلك المهمة واستطاع بسعيه ، وبراعة وساقله ، أن يؤيدهم على السلطان أبي العباس ، وأن يحملهم على الاستجابة إلى دعوة سلطان تلمسان - ولكن ابن خلدون لم يستجيب مع ذلك إلى المصلح أبي حمو في تولي حجابته ، وبعث إليه أخاه يحيى ، وكان قد تخلص من الاعتقال ، ليقيم مكانه - ويقول لنا ابن خلدون : « أن نفسه كانت قد منمت يومئذ محاطا بالمغامرة ، وأحوال الوظيفة ، وزهدت في غواية الرتب والمناجات إلى النرس ، بعد أن مجرته طويلا ، فحصل على استئناف النرس والقراءة ، والأعراض عن ميدان المياسة والخفحات السلطانية - بيد أنها لم تكن مستوى قوية مؤقتة ، ولم يلبث تيار المواقف أن حمله على خوض هذه الغمار مرة أخرى »

بقية مصادر البحث :

- (9) انركلى - الاعلام ، القاهرة 1954 - 1959
(10) شكيب أرسلان - الخلل السننسية الجز. الثالث ، القاهرة 1939
(11) القبريني - عنوان الدراية تحقيق الاستاذ رابع بناتر الجزائري 1970
(12) القبريني - عنوان الدراية تحقيق الاستاذ عادل نويهيض بيروت 1969
(13) د * محمد مصطفى - ابن الفارض والحب الالهى ، القاهرة 1971

14) Larousse du XX^e siècle, Paris 1952.

15) Léon Gauthier : La Pensée Musulmane à travers les âges, Alger, 1957

16) MUHYI-D-DIN IBN 'ARABI : « La Sagesse des Prophètes », (FUṢUḤ AL-HIKAM) traduction et notes par TITUS BURCKHARDT Ed. Albin Michel, Paris, 1955.

17) Dr SOUHEIL Idress et Dr JABBOUR Abdel-Nour AL-Manhal, Beyrouth, 1970.



ابن خلدون في بجاية

يمكن تقسيم حياة عبد الرحمن بن خلدون الى ثلاث مراحل ، لكسل منها مينة خاصة * فالاولى (732 - 753 هـ) مرحلة النشأة والتكوين ، قضاها في مسقط رأسه ، تونس والثانية (753 - 784 هـ) مرحلة التجول عبر اقطار المغرب الإسلامي ، أما الثالثة (784 - 808 هـ) فكانت مرحلة الاستقرار بالمشرق العربي ، في آخر حياته (1) *

ولا ريب أن اخصب هذه المراحل ، بالنسبة لتبلور نظريته حول العمران البشري ، هي الثانية * وذلك أن تنقل ابن خلدون في مختلف انحاء المغرب ، مكّنه من النطلع على اختلاف احوال المعيشة والعمران ، حسب المجتمعات والظروف الطبيعية والاقتصادية ، وغير ذلك *

ومن بين مناطق المغرب التي تجول فيها ابن خلدون ، ولاية بجاية * والغرض من حديثنا هذا محاولة لتسليط بعض الانوار على الفترة التي قضاها في بجاية ، والنطلع على الدور الذي قام به في تاريخها السياسي ، ثم على ما اكتسب فيها من تجربة في مجال دراسة المجتمع الإنساني وتطوره *

عبد الحميد حاجيات

كلية الآداب

جامعة الجزائر

* * *

كانت ولاية بجاية تمثل ، في مطلع القرن الثامن الهجري ، القسم الغربي من امارة افريقية ، الخاضعة آنذاك لحكم الدولة الحفصية وكان قد ضعف شأن انحفصيين منذ وفاة المستنصر (675) ،

(1) انظر إبراهيم حبكور ، ابن خلدون (مهرجان ابن خلدون ، القاهرة ، 1963) ، ص 568 *

نتيجة الاضطرابات السياسية ونهاقت الامراء الحفصيين على الحكم ، وما أدى اليه ذلك من حروب أهلية وتخريب وفوضى وقد يلج الضعف بالملوك الحفصيين ، في فترات عديدة ، الى حد أن نفوذهم أصبح لا يتجاوز عاصمتهم تونس وبعض المدن التابعة لها . أما نواحي قسنطينة وعقابة وبجاية ، وأراضي الجنوب كلها فكانت تحت سلطة غيرهم من الامراء ورؤساء القبائل .

فكانت بجاية والنواحي التابعة لها تكون إمارة مستقلة ، يحكمها في أغلب الأحيان أحد الامراء الحفصيين . وكان نفس الوضع سائدا في قسنطينة ، مما جعل بلاد المغرب تعيش آنذاك في جو سياسي يشبه شيئا ما حصل ملوك الطوائف في الأندلس . وإذا كان لهذا التشتت نتائج وخيمة في المجال السياسي ، فلا شك أنه ساهم في ازدهار الحياة الفكرية والأدبية ، بما أدى اليه من تنافس بين بلاطات الامراء ، في هذا الميدان .

وقد سجل التاريخ بعض المحاولات لتوحيد بلاد المغرب وجمع شتاتها تحت سلطة سياسية واحدة ، إلا أنها باءت بالفشل ، فمن بينها حركة السلطان أبي الحسن المريني ، الذي استولى على بجاية ، ثم على تونس ومراكز مدن افريقية ، سنة 748 هـ ، فسيطر النفوذ المريني على تلك الأقطار لأول مرة ، وحقق توحيد أجزاء المغرب لمدة وجيزة ، لم تتجاوز سنتين . وذلك لأنه لم يوفق في إخضاع قبائل العرب المتمركزة في جنوب افريقية ، فمضى بهزيمة شنعاء قرب القيروان ، في محرم 749 هـ ، ثم لم يجد بدا من مغادرة افريقية بخرأ في شوال 750 هـ .

والجدير بالملاحظة أن زحف أبي الحسن المريني هذا ، كان له أثر هام جدا في تكوين ابن خلدون ، وفي حياته السياسية والعلمية ، واتجاهه الفكري . وذلك أن عددا كبيرا من العلماء والأبناء الجلة قهقروا مع السلطان أبي الحسن الى تونس ، وأحدوا يبنون العلم فيها ، وكان ابن خلدون من بين الطلبة الذين انتفعوا بتعليمهم انتفاعا كبيرا وتأثروا بأرائهم تأثرا بالغا ، كان لسه نتيجة محمودة في النهوض بالحياة الفكرية في افريقية وتوجيه طليعة العلم بها نحو التجديد والإبداع .

ولا يمكن ، في حديثنا هذا ، أن نتطرق الى موضوع تكوين عبد الرحمن بن خلدون ، ومدى تأثيره بعلماء البلاط المريني ، مثل الأبله ، والسطي ، وعبد المهيمن الحضرمي ، وأبي عبد الله بن الصباغ ، وأبي عبد الله بن عبد النور ، وأبي القاسم بن رشوان ، وأبي العباس بن شعيب ، وغيرهم ممن ورد ذكرهم في كتاب « التعريف بإبن خلدون ورحلته غربا وشرقا » (2) .

(2) انظر : عبد الرحمن بن خلدون ، التعريف بإبن خلدون ، تحقيق ابن تاروس الطنجي ، ص ١٩ - 23 ، و 3٤ - 49 .

ويكفي أن تشير إلى التأثير العميق الذي تركه هؤلاء العلماء في نفس صاحبنا ، وما أدى إليه ذلك من رغبة ملحة في الالتحاق بهم بعد أن عادوا إلى المغرب الأقصى ، لينهل من ينبوع علمهم ، وكذلك ليحقق ما كان يصور إليه من مطامح وأمال .

ولم يتمكن ابن خلدون من تحقيق هذه الرغبة إلا في سنة 755 هـ ، حيث التمسق باليلاط المريني ، في عاصمة المغرب الأقصى آنذاك - وكان الذهاب إلى فاس يتطلب المرور ببجاية والاقامة بها برهة من الزمان ، فكانت هذه المواقف أول فرصة سنتحت مؤرخنا الشهير للتطلع على مدينة بجاية والتعريف عليها .

أما الظروف التي مهدت له مغادرة تونس والتوجه إلى بجاية ، فقد أشار إليها في « التعريف » ، وذكر أنه كان قد عين قبل ذلك بقليل في منصب كتابية العالمة للسلطان العفسي أبي اسحاق ، باستدعاء من الحاجب أبي محمد بن تافراكين .

وكانت الأحوال السياسية بأفريقية حرجاء آنذاك أزمة خطيرة ، حيث كان العرش العفسي مهددا من جراء ثورة أمير قسنطينة ، أبي زيد بن محمد ابن السلطان أبي يحيى العفسي ، الذي حشد العساكر وقصد به إلى تونس - فنهض الحاجب ابن تافراكين والسلطان أبو اسحاق لمداقته ، وصحبهما عبد الرحمن بن خلدون ، وكان اللقاء بين الفريقين في فمس مراحنة ، أول سنة 753 هـ ، فانهزم الحاجب ابن تافراكين ومن معه ، وتفرق شملهم .

أما ابن خلدون فلهذه لم يرد البقاء في خيمة الحاجب المفلول ، وانتهاز فرصة بعده عسّن تونس للتوجه نحو الجنوب الغربي من بلاد أفريقية - لنزل تيسة بإيالة ، ثم انتقل إلى قسنطينة حيث استقر مدة ، ليقترق سير الحوادث ، وهناك ضم محمد بن منصور بن مزني يأخيار بلعة ، فغادها ابن الأمير أبي زيد كان قد حاصر تونس ، ولكنه اضطر إلى رفع الحصار لظهور خطبى مرين من الناحية الغربية ، فالتقى بن تونس ، وأجبا إلى قسنطينة عن طريق الجنوب .

وكان أبو حنان المريني قد أرسل جيشا جرارا إلى المغرب الأوسط فاستولى على تلمسان ، في أواسط 753 هـ ، ثم توغل نحو الشرق إلى ناحية بجاية - ولم يفر أميرها أبي عبد الله محمد العفسي على مدافعة المريدين ، فسلم بجاية لأبي عثمان .

فكان من شأن هذه الأنباء أن أعادت إلى ذهن ابن خلدون ذكرى أشياخه الذين عادوا إلى المغرب الأقصى ، فقسم على الالتحاق باليلاط المريني ، وأجبا أن يتألف فيه ما كان يصور إليه من مواصلة الدرس ، والدخول في سلك رجال العلم ، والحصول على وظيفة سام في البلاط .

وكان محمد بن منصور بن مزني متوجها الى بفسكرة ، بقصد الالتحاق بأخيه يوسف ، سيد تلك الناحية ، فرافق ابن خلدون إليها . وكانت بين بني آل خلدون وبني مزني صداقة قديمة ، يرجع عهدا الى جد ابن خلدون .

لما قام ببفسكرة بعض الأشهر ، ينتظر أن يحين أوان متابعة سيره نحو المغرب الأقصى . وفي أول سنة 754 هـ ، قصد تلمسان حيث كان السلطان أبو عثمان ، ولما بلغ مدينة البطحاء (3) ، لدى الحاجب المريني أبا عبد الله محمد بن أبي عمرو ، على رأس جيش قوي ، وكان هذا الأخير متوجها الى بجاية لتعزيز النفوذ المريني بها ، وقطع دابر العناصر المناهضة للسلطة المرينية . ولم يترك ابن خلدون فرصة الاتصال بشخصية سامية مثل الحاجب ابن أبي عمرو كذهب سدى ، فانضم الى جماعته ، وسار معهم الى بجاية .

الإقامة الأولى في بجاية (754 - 755 هـ)

تلك هي الظروف التي أدت الى مسيرة ابن خلدون الى بجاية لأول مرة ، والتي تعرفه على تلك المدينة التي كانت آنذاك من أعظم أمصار المغرب الإسلامي ، بما أمتازت به من ازدهار اقتصادي وفنسي وعلمي .

وكانت بجاية من أهم القواعد السياسية في المغرب ، إذ كانت تشكل بالنسبة لبني مرين مرحلة حاسمة في طريق افتتاح بلاد إفريقية ، واحتلال تونس . فكان تحقيق مطامح المرينيين ، في فرض سلطتهم على سائر أقطار المغرب ، يتوقف على تدعيم نفوذهم في ولاية بجاية ، والقضاء على ما كان فيها من العناصر المعادية .

وقدما ، فإن الأوضاع السياسية في بجاية لم تكن حسنة آنذاك ، بل كانت الأحوال بها في غاية الاضطراب والتأزم . وذلك أن الحزب الموالي للمعصيين كان قد أعلن الثورة ضد بني مرين في ذي الحجة 753 هـ ، وكان يضم عناصر من قبيلة صنهاجة ، الذين التفوا حول فارح ، حاجب الأمير أبي عبد الله الحفصي ، فوثبوا على العامل المريني ، في قصر الإمارة ، وقتلوه (4) .

وكان الثامرون يظنون أن الأمر سيكون هينا بعد مقتل العاصم ، ولكن سرعان ما وجدوا أنفسهم في مأزق حرج . وذلك أنهم أعلنوا الطاعة لأمير قسنطينة أبي زيد الحفصي ، إلا أن هذا الأخير لم يترك ساكنا وتناقل عنهم . ولا شك أن موقفه هذا كان يعكس تخوفه من الخطر المريني وعزمه على اجتثاث كل حادث قد تجر غضب السلطان أبي عثمان .

(3) كانت البطحاء مدينة عامة ، آنذاك ، وكانت تقع على شاطئ نهر مينا ، قرب مدينة غيليزان

(4) انظر : كتاب العبر ، ج 6 ، ص 832 - 833 .

وعندئذ ضعف شأن الحرب الحفصى النثار ببجاية ، ولا سيما أن الصالطان الرينى لم يتقاعد عن تلقى الموقف ، فامر باعتقال الأمير أبى عبد الله محمد الحفصى الذى كان قد أخذ معه إلى تلمسان ، كما أمر باعتقال وفد من وجهاء بجاية .

ولم يدع خبره ببجاية الأمر يتفاقم ، إذ ادركوا ما ينجم حتما عن ذلك من اضطراب وأخطار ، من جراء بطش بنى مرين ، فاجتمعوا إليهم على جمع حد للثورة فأرح ورفضه ، قيل أن يرسل إليهم أبى عثمان عساكره لتقمع الثورة .

ومرعا ما نفذوا هذه الخطة ، ولقى فأرح مصرعه ، فلجأ من ساندته في ثورته إلى الفرار فخلا الجو من جديد للنفوذ الرينى ، ويحث وجهاء بجاية بطاعتهم لأبى عثمان ، الذى يامر بارسال حاجبه ابن أبى عمرو إلى بجاية ، مع جيش قري ، لضبط شؤونها (5) .

أما لقاء ابن خلدون بالحاجب الرينى ، بالبطحاء ، فإنه يمثل أول اتصال يأخذ رجالات الدولة الرينية ، بعد مغابرتهم لتونس . وقد تحدث في « التعريف » من حفاوة الحاجب وإكرامه ، ونكر أن ابن أبى عمرو رده معه إلى بجاية .

وهكذا كان نزول ابن خلدون مدينة بجاية لأول مرة تحت ظل السلطة الرينية ، ويرسم الرعية في خدمتها والصل من أجل تدعيم نفوذها .

ومكث في حاشية الحاجب الرينى حوالي سنة ، تمكن أثناءها من الاطلاع على الأوضاع السياسية في ولاية بجاية وعلى الجهود التي كان يبذلها بنى مرين لتدعيم نفوذهم بها ، وبفضل ذلك أقبل الدواودة على الحاجب ، يهرعون عن ولائهم للدولة الرينية واستعدادهم لمصرتها ، فثأروا من إكرامه وإحسانه ما أراضاهم وزاد في تملقهم ، كما وقد عليه يوسف بن مزنى ، صاحب بكرة فاجزل صلته وبألف في حفاوته .

والغرض من مصانعة الرينيين للدواودة واضح ، وذلك أن قبائل البدو القاطنة في المناطق الجنوبية كانت تشكل قوة يصب لها حسابها ، وكانت تساهم في معظم المعارك التي كانت تدور رحاها في شتى أنحاء المغرب ، حتى أن مصير الملوك أصبح متوقفا على من يسهبهم لتصريفهم من العسب البدو .

وكان عبد الرحمن بن خلدون لا يجهل ذلك ، وانصرافه إلى ناحية الجنوب كان راجعا ، بالدرجة الأولى ، إلى ادراكه لما كان يتمتع به العرب من نفوذ وسلطة مطلقة ، في تلك البلاد ، ورغبته في

(5) عن الظروف التي أدت إلى تعيين ابن أبى عمرو للقيام بهذه المهمة ، انظر كتاب العبد ، ج 7 ، ص 608 - 608 .

الابتعاد عن مناطق الفتن والحروب ، وانتظار تفسن الأوضاع السياسية في بيئة تمتاز بالهدوء والطمأنينة . ثم أن استعداده لملوك السبيل الذي مسار عليه الدواودة آنذاك في مشايعة بني مرين قد أدى الى تمكين عرى الصداقة بينه وبينهم

ولما توجه الحاجب ابن أبي عمرو الى تلمسان ، في أول جمادى الأولى 754 هـ ، بعد أن اعتقل جماعة ممن شاركوا في ثورة فارح ، وسيرهم الى المغرب الأقصى عن طريق البحر ، كان معه شيوخ الدواودة وبعض وجهاء بجاية ، مصحوبه ليعربوا عن تحفيهم بالدولة المرينية ، وولائهم لابي عثمان (6) . وكان عبد الرحمن بن خلدون من جملة الوافدين على السلطان المريني ، وقد أشار الى الاستقبال الحسن الذي خصصه لهم هذا الأخير ، وإلى ما ناله منه من جائزة سنية ، ووعد بتجديد الاقطاعات التي كانت لال خلدون بالبرقية (7) . وكان الرجوع الى بجاية ، مع ابن أبي عمرو ، في فاتح شعبان من السنة المذكورة (8) .

ومتواتر إقامة ابن خلدون ببجاية شهرا أخرى ، اثبت له أثناءها الفرصة لحضور المجالس العلمية ، والدرس على علمائها ، وعقد أرواس الصداقة مع أديانها ووجهائها ، ومع الراعيين عليها من أشراف العرب المرابطين ليني مرين . فكانت هذه الإقامة أول تجربة أحرز عليها في مجال دراسة المجتمعات الإنسانية والتعرف على تطورها ، بعد مغادرته لمسط رأسه .

وابن خلدون من صنف أولئك الرجال الذين لا يكتفون بما يجدونه في خزائن الكتب وما يلقونه من علماء مدينتهم ، بل يرون ضرورة الارتصال الى مختلف الاقطار المجاورة لبلدهم أو البعيدة عنه ، بغية التطلع على أحوالها السياسية والاجتماعية والثقافية ، وإثراء بضاعتهم العلمية والبحث عن وظيف سام يناسب مؤهلاتهم ومصاصهم .

وإذا ، فإنه لم يرتض البقاء في بجاية أمدا طويلا ، رغم ما ناله فيها من نعمة وإحسان ، بل أش مغادرتها خلال سنة 755 هـ ، والتوجه الى فاس ، عاصمة الدولة المرينية ، وأهم مملكها الثقافية ، وانتهى بذلك إقامة ابن خلدون الأولى في بجاية .

وكان السلطان أبي عثمان قد انتقل قبل ذلك ، من تلمسان ، الى عاصمة دولته . وقد جاء في التعريف ، أن السلطان المريني هو الذي كتب الى الحاجب ابن أبي عمرو يأمره بإرسال ابن

(6) انظر كتاب العبر ، ج 6 ، ص 833 - 834 ، ج 7 ، ص 605 .

(7) انظر الاستقصا للناسري السلاوي ، ج 3 ، ص 768 ، التعريف بابن خلدون ، ص 58 ، العبر ، ج 7 ، ص 605 .

(8) كذا في التعريف ، ص 58 ، وجاء في العبر ، ج 6 ، ص 834 ، أنه دخل بجاية في رجب ، وفي ج 7 ، ص 608 ، أنه دخلها في آخر شعبان .

خلدون ، وذلك بعد أن جرى فكره في مجلس السلطان ، وأشاد بقيمته العلماء الذين قتمسوا إلى تونس مع أبي الصمن المريني وكانوا يتربصون على منزل آل خلدون .

وكان يقيم بفاس أبو عبد الله الحفصي ، أمير بجاية سابقا ، نقله أبو عنان إلى المغرب الأقصى بعد أن استولى على أمارته . فاقصص به ابن خلدون وكثر تردده عليه .

ولما مرض أبو عنان ، في أواخر سنة 757 هـ ، وجهت التهمة للأمير أبي عبد الله بأنه كان يعين للفرار من فاس ، بقصد الالتحاق ببجاية وأحياء أمارته بها ، كما أنهم ابن خلدون بمواطاة على ذلك فالتقى القبض عليها في صفر 758 هـ ، ومكث صاحبنا في السجن مدة سنتين ، إلى وفاة أبي عنان . وكان خروجه من معتقله على يد الوزير الحسن بن عمر ، اثر ذلك بقليل .

ثم امتدت إقامة ابن خلدون بفاس إلى سنة 754 هـ ، حيث غادرها متوجها إلى اللندلس . وليس هنا مجال نكر إخماره خلال فترة إقامته بفاس ، التي دامت سبع سنوات كما لا يسمح هذا الحديث بالاشارة إلى مقامه بالندلس ، والتطلع على ما لقيه بها لدى أميرها ووزيرها لسان الدين بن الخطيب من إكرام وتقدير ، والذي يهمننا هو ما حدث بعد ذلك من هفادرة ابن خلدون للندلس وتوجهه مرة ثانية إلى بجاية ، في منتصف سنة 766 هـ .

*

* * *

الإقامة الثانية في بجاية (766 - 767 هـ)

كانت بجاية آنذاك قد عانت ، من جديد ، إلى حكم الأسرة الحفصية ، وكانت تخضع لمصلحة الأمير أبي عبد الله محمد ، الذي تمكن من مغادرة المغرب الأقصى في شعبان 764 هـ ، بموافقة السلطان أبي سالم المريني ، وأتجه إلى بلده ، إلا أنه لم يتمكن من الاستيلاء ، على بجاية . لا بعد أربع سنوات ، وبعد أن قام بمحاولات عديدة لاحتلالها ، باعته كلها بالفشل .

ولم يرافق عبد الرحمن بن خلدون صديقه الأمير أبي عبد الله في حركته هذه لاستعادة أمارته وقد فكر في « التعريف » أنه اتفق مع الأمير الحفصبي على أن يعينه حاجبا له متى تمكن من الاستيلاء على بجاية ، واكتفى بارسال أخيه يحيى معه ، ليكون « حافظا للرسم » (9) .

وكان دخول الأمير أبي عبد الله بجاية في رمضان 765 هـ ، استلمها من عمه السلطان أبي محمد صليحا (10) . فاستقدم عبد الرحمن بن خلدون ، وفاء بالاتفاق الذي تعادوا عليه من

(9) انظر : التعريف بابن خلدون ، ص 97 .

(10) انظر : كتاب العبر ، ج 6 ، ص 853 - 855 .

قيل « واستأذن ابن خلدون السلطان أبا عبد الله بن الأحمر في مغادرة الأندلس ، فلم يسعفه الا بعد أشهر » .

وفي منتصف سنة 766 هـ ، ركب البحر من الحيرة ، وتوجه رأسا إلى بجاية ، فزلها بعد سفر دام خمسة أيام . وقد وصف الاستقبال الحار الذي لقيه بها : فقال : « فاحتفل السلطان صاحب بجاية بقبوضي ، وركب أهل دولته للقائى ، وتهاجت أهل البلد على من كل أوب يمحسون إعطافى ، ويقبلون يدى ، وكان يوما مشهودا » . ثم وصلت إلى السلطان ، فعيا ولدى ، وخلع وحمل ، وأصبحت من الغد وفد أمر السلطان أهل الدولة بمباكرة بابى ، واستقبلت بحمل ملكه ، واستقرت جهدى فى سياسة أموره وتبدير سلطانه . وقدمنى للخطابة بجامع القصبة ، وأتباع ذلك عاكف ، بهسد انصرافى من تدبير الملك بقوة ، إلى تدريس العلم أثناء النهار بجامع القصبة لا أنك من ذلك » (ix)

فهذا الاستقبال ، لا محالة ، يشهد على ما ناله عبد الرحمن بن خلدون ، فى بجاية ، من حظرة وجاء ، كما أن المهام التى أمنتت إليه ، وهى الحجابة بقصر الأمانة ، والخطابة والتدريس بجامع القصبة ، أصبت دليل على سمو منزلته وعلى شأنه فيها .

الا أن الأوضاع السياسية التى كانت تصود أمانة بجاية عندما حل بها صاحبنا ، للمعرة الثانية ، أى أواسط سنة 766 هـ ، كانت تدعو للقلق والتخوف . وتلك أن الأمير أبا عبد الله نهج ، منذ استيلائه على بجاية ، سياسة توسعية أدت إلى قيام صراع عنيف بينه وبين ابن عمه أبى العباس أمير قسنطينة .

وكان الأمير أبى عبد الله يمتد على تأييد اللوادة ، فى ملوغ مطامحه الرامية إلى توسيع حدود أمارته . غير أن الاحتفاظ بهذه العناصر إلى جانبه كان يقتضى ارضاءهم بالكثير من الإقطاعات والأموال . فكان مضطرا إلى البحث عن وسائل تمكنه من الحصول على مبالغ مالية هامة ، مما دفعه إلى انتهاز سياسة الشدة والقهر تجاه أهالى بجاية والقبائل الخاضعة لحكمه ، والزامهم بدفع ما عليهم من الجباية ، وتقديم الرهائن لأرقامهم على الطاعة .

وقد تحدث عن ذلك عبد الرحمن بن خلدون فقال : « وجدت بينه وبين ابن عمه السلطان أبى العباس ، صاحب قسنطينة ، فتنة أحدثتها المشاحة فى حدود الاعمال من الزمايا والمسائل ، وشب نار هذه الفتنة عرب الوطنهم من اللوادة من رباح » . وكان فى كل سنة يجمع بعضهم لبعض ، فانتقوا منة ست وستين (وسبعمئة) فخرجوا ، وانقسم العرب عليهما ، وكان يعقوب

(ix) انظر : التعريف بابن خلدون ، ص 97 - 98

بن علي مع السلطان أبي العباس ، فانهزم السلطان أبو عبد الله ، ورجع إلى بجاية مغلولاً ، بعد أن كتبت جمعت له أموالاً كثيرة أنفق جميعها في المَسْرِب « (X2) »

وهنا يمكن لنا أن نتساءل هل كان عبد الرحمن بن خلدون مؤيداً لسياسة الحزم والشدة التي سلكها أبو عبد الله الحفصي ، ومقتنعاً بنجاحاتها وسدادها ، وهل لعب دوراً هاماً في الحوادث التي جرت بين أميري بجاية وقسنطينة ؟

والجواب على هذا التساؤل يتوقف ، بالدرجة الأولى ، على تصريحات صاحبنا في « كتاب العبر » وفي « التعريف » ، حول هذا الموضوع -

وأول ما يخطر بالبال ، هو الالتفات إلى ما كانت تشتمل عليه خطة الحجابة آنذاك من مهام ، وما كانت تخول لصاحبها من ممارسة للشرع السياسية في نطاق وظيفته . وقد حدد ابن خلدون نفسه مهمة الحاجب بقوله : « ومعنى الحجابة في دولنا بالمغرب - الاستقلال بالدولة ، والوساطة بين السلطان وبين أهل الدولة ، لا يشاركه في ذلك أحد » (X3) -

ويظهر من هذا التعديد ، وإن كان يتسم بشيء من المبالغة ، أن الحاجب كان يلعب آنذاك دوراً سياسياً هاماً ، في المغرب ، وتاريخ ذلك العصر يتضمن أمثلة عديدة تثبت أهمية نور الحاجب ، حتى إن بعضهم استصاح أن يستمرز على الحكم من دون السلطان ، كالحاجب أبي محمد بن تافركين مثلاً . وبصفة عامة ، كانت أهمية نور الحاجب تختلف حسب الظروف ، ولا شك أن شخصية السلطان كانت عاملاً يحمي له حصانه ، في ذلك .

وفي « التعريف » ما يدل على مشاركة ابن خلدون الفعالة في الاتجاه السياسي الذي مار عليه الأمير أبو عبد الله . وذلك أنه يقول فيه : « ولما رجع (الأمير أبو عبد الله ، من هزيمة فرججية) أعوزته النفقة ، فخرجت بنفس إلى قبائل البربر بجبال بجاية الممتنين من الخارم مَسَّة سنين ، فشغلت بلادهم ، واستباحت حماهم ، وأخضت وهنهم على الطاعة ، حتى استوفيت منهم الحجابة ، وكان لنا في ذلك مدد وأعانة » (X4) »

وهذا التصريح ، إن دل على شيء ، فإنما يدل على مطاوعة ابن خلدون لمولاه الأمير ، في سياسته الشديدة ، وإقدامه على ما تقتضيه هذه السياسة من عمليات تصفية ضد الأهلالي ، من

(X2) التعريف بابن خلدون ، ص 97

(X3) التعريف بابن خلدون ، ص 98

(X4) التعريف بابن خلدون ، ص 97

أجل جمع الأموال لمواصلة الحرب ضد أمير قسنطينة ، مما تتطلبه وظيفته الهامة في جهاز الدولة *

ولا يستبعد أن يكون ابن خلدون ممن أيد هذا الاتجاه وحث على شن الحرب ضد أمير قسنطينة ، بغية بسط نفوذ إمارة بجاية في المناطق الشرقية ، وتوسيع مساحتها * والراجح لدينا أن الصداقة المتينة التي جمعت بينه وبين الأمير أبي عبد الله حوالي عشر سنوات ، كانت منبعثة من تناسب في مزاج كلا الرجلين ، وبخاصة من طموح مفرط ، وترام إلى أعلى الرتب وأسمى الدرجات * والأغلب على الظن أن السياسة التي سلكها أمير بجاية وحاجبه كانت إيمدها ترمي إلى الاستيلاء على إمارة قسنطينة ، ثم إمارة تونس ، وبذلك يتمنى للأمير أبي عبد الله أن يقتل مرأس الملك الحفص ، ويتنصب على عرش أجداده الحفصيين ، ويتمكن حاجبه من بلوغ ما كان يصبو إليه من ملطنة كبرى وجاء عريض (25) *

ولذا ، فلم يتأخر الأمير أبو عبد الله عن معاملة رعاياه بغسارة نائرة ، وتصرف شديد فكان ذلك اقوى عامل على صرف أنظارهم عنه ، وتخليق آمالهم على انتصار ابن عمه ، أمير قسنطينة * وقد وصف ابن خلدون سياسة الأمير أبي عبد الله ، فقال : « وكان شديد الوطأة على أهل بلده ، مرهف الحد لهم بالمعاقب الشديد ، حتى لقد شرب اعناق خمسين منهم قبل أن يستكمل سنتين في ملكه ، فاستحكمت النفرة ، وسامت الملكة ، واضل الداء » (26) *

إلا أن مال هذه السياسة كان على عكس ما أرجاه أصحابها ، فاضطرت الدوايرة من حول الأمير أبي عبد الله ، وانضموا إلى صفوف عيريه ، كما انصرف عنه أهالي بجاية ، ووافدوا الأمير أبا العباس على تسليم المدينة إليه * ولما نهض أمير قسنطينة لغزو إمارة بجاية ، فرى شعبان 769 هـ ، لم يلقه من أنصار أبي عبد الله إلا شر ذمة لا يعتد بها ، وانتهى الأمر بمقتل أمير بجاية ، وانحياز أهل بجاية ومعظم رجال الدولة إلى جانب الأمير أبي العباس (27) * فاضطر عبد الرحمن

(25) ومما يؤكد مثل هذا الطموح عند عبد الرحمن ما حكاه عن نفسه ، حينما شغل منصب كتابة السر لأبي عنان المريني ، وهو أخط من منصب الحاجب ، فقال : « ثم استعصمني (أبو عنان) في كتابته ، واستوقع بين يديه ، على كره مني ، إذ كنت لم أجد مثله أسلفي » * انظر : التعريف بإبن خلدون ، ص 59 *

(26) انظر : كتاب العبر ، ج 7 ، ص 268 *

(27) انظر : كتاب العبر ، ج 6 ، ص 857 - 859 *

بن خلدون ، الذي كان قد اعتصم في القصبية ، إلى تسليم المدينة للعدو المنتصر ، والانضمام إلى حاشيته (٢٨) *

ولم يطمئن على نفسه ، بعد ذلك ، فاستأذن في مغادرة بجاية * وبعد مدة ، اذن له الامير ابو العباس بالانصراف ، فترجعه نحو الجنوب ، ونزل على شيخ الدواودة يعقوب بن علي *

ثم يما للامير ابي العباس ان يصادر اموال ابن خلدون ومنازله في بجاية ، وأمر باعتقال اخيه يحيى ببغاية ، فتحول إلى مملكة ، والتجأ عند ابن مزني ، فأكرم مشاء * وانتهت بذلك صفحة هامة من حياة عبد الرحمن بن خلدون ، الذي حول انظاره ، بعدها ، إلى افاق اخرى *

* * *

خاتمة :

وبعد ، فإن إقامة ابن خلدون في بجاية ، التي حاولنا عرضها بما يسمح به هذا المقام من لتفصيل والتتقيق ، تكتسب أهمية كبرى بالنسبة لحياته ولانتقائه الفكري *

ويمكن اعتبار سنة ٧68 هـ بداية مرحلة جديدة في حياة ابن خلدون في المغرب ، وتاريخا فاصلا بين عهدين ، أولهما عهد حياة البلاط مع المسمى الحثيث وراء المناصب السامية ، والاحاح في طلبها والتقلب في عواصم الملوك والامراء ، ومصانعة كبار الشخصيات قصد الوصول إلى بيئته ، وثانيهما عهد تحول عن حياة البلاط إلى الإقامة في أحياء الدواودة وغيرهم من صرب رباح وزخية القاطنين بالمغرب الأوسط ، الا فترات قصيرة قضاها بتلمسان وفاس وتونس *

ويظهر ذلك جليا من خلال كتاب « التعريف » ، فيما ورد من أخبار ابن خلدون بعد مغادرته لبجاية ، فمن ذلك أنه لما مرض عليه أبو حمو موسى الزياضي ، سلطان تلمسان ، أن يتولى حجابته في رجب ٧6٦ هـ ، لم يجب داعيه بأكثر من حث الدواودة على مشايعته والتخلي عن تسرة الامير ابي العباس المغمسي * وقد تحدث عن ذلك ، فقال : « وكان أخي يحيى قد خلص من اعتقاله ببرونة ، وتقدم علي بمسكرة ، فبعثته إلى السلطان أبي حمو كالمناقب عني في الوظيفة ، متفاديا عني تجشم اموالها ، بما كنت نذعت عن غواية الرتب ، وطال علي اغفال العلم ، فاعرضت عن الخوض في احوال الملوك ، وبعثت الهمة على المطامعة والتدريس » (٢٩) *

(٢٨) لا شك أن انضمام العرب الدواودة إلى الامير ابي العباس ، وتخليهم عن أبي عبد الله المسمى المغمسي ، كان اكبر عامل لمزيمته ومقتله ، وقد يكون ذلك من جملة أسباب تشدد ابن خلدون تجاه العرب في بعض فصول « المقدمة » *

(٢٩) التعريف بابن خلدون ، ص ٢٥٣ *

والذي يهمننا ، في هذا التصريح ، هو التحول العميق الذي جرى في اتجاه ابن خلدون بعد مغادرتة لبجاية ، من ناحية علاقته بالامراء والملوك ، انه لا يمرض تماماً عن خدمتهم ، ولكن الخدمة التي يريتبها ويقدم عليها ، هي التي لا تحرمه من حريته ، إذ هي تنحصر غالباً في الاتصال برؤساء قبائل العرب ، ومداخلتهم في تأييد أمير أو سلطان دون غيره ، كما كان الأمر ، أيضاً ، أيام السلطان عبد العزيز المريني (20) .

ثم فراد ، بعد ذلك يقادر تلمسان ، سنة 776 هـ ، برسم السفارة للسلطان أبي حمو موسى الزياني إلى الدواودة ، في شأن استئنافهم وكسب نصرتهم للعرش الجديد الوادي ، ولكنه سرعان ما تغير اتجاهه ، مؤثراً الانقطاع للملم والعزلة في أحياء أولاد عريف من قبيلة سويد ، بقلعة بني سلامة ، فينصرف هناك إلى تأليف سقمتة الخالصة (21) .

ومكثاً يوضح لنا أن التجربة السياسية التي حصلت لعبد الرحمن بن خلدون في بجاية ، وما أسفرت عنه من فشل وخيبة ، قد كانت السبب الرئيسي في إقلاعه عن طلب الرتب السامية في بلاطات الامراء ، ومن الحرص الحثيث للحصول عليها ، واقتضاره على حضور المجالس العلوية والتدريس ، والإقامة في أحياء العرب ، ولا شك أن هذا الاتجاه كان اسلم له ، إذ كان يحميه من خطر أعدائه ، وسعاية حشاده .

ولا يخفى على أحد ما أدى إليه هذا الاتجاه الجديد من نتائج في مجال إنتاج ابن خلدون الفكري . فالتردد على أحياء الدواودة وسويد وغيرهم من العرب البدو ، كان بمثابة نقطة الانطلاق لنظرياته الاجتماعية ، إذ كان يمكنه من الاطلاع عن كثب على المجتمع البدوي ، كما كان يعمل في طياته عناصر أساسية لدراسة تطور العمران البشري .

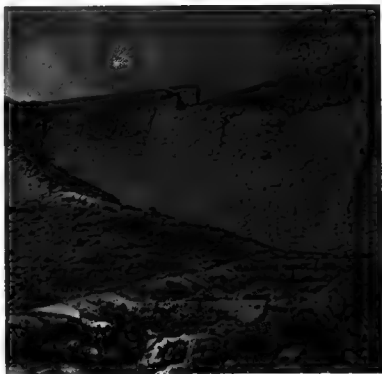
ولذا ، فإن كان كثير من الباحثين يرون في فخلى عبد الرحمن بن خلدون عن خدمة الامراء والملوك ، وانتقاله من بلاط إلى آخر ، وعدم استقراره في منصب من المناصب ، فرعاً من قلقه الوفاء والاخلاص ، فإن الالتفات إلى الظروف التي تحيط بذلك ، والتي تفسر ما حدث من تغير وتقلب في اتجاهاته قد يخفف الكثير من هذه الاتهامات ، ويجعلنا لا نلومه على تصرفاته ، ما يمننا نعتقد أنه كان يهدف ، من وراء ذلك ، الخلاص مما كان يهدد أمثاله من الاخطار ، والتفرغ لخدمة العلم والاخلاص له .

(20) انظر : كتاب العبر ، ج 7 ، ص 276 - 277 و 683 - 685 .

(21) انظر : التعريف بابن خلدون ، ص 244 - 245 .

المراجع :

- ١ - المسخوي ، الضوء اللامع ، ج 4 ، ص 145 - 147 .
- ٢ - المقرئ ، فصح الطيب ، ج 8 ، ص 277 - 297 .
- ٣ - احمد بابا التنيكتي ، نيل الالتهاج ، ص 170 - 176 .
- ٤ - ابن القاضي ، جنة الاقتباس ، ص 263 - 265 .
- ٥ - ابن القاضي ، درة المجال ، ج 2 ، ص 357 - 358 .
- ٦ - الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ، ج 2 ، ص 213 .
- ٧ - عبد السلام بن سودة ، دليل مؤرخ المغرب ، ج 1 ، ص 169 - 170 .
- ٨ - الزكي ، الاعلام ، ج 4 ، ص 106 - 107 .
- ٩ - كحالة ، معجم المؤلفين ، ج 5 ، ص 188 ، ج 13 ، ص 396 .
- ١٠ - عبد الله عثمان ، ابن خلدون حياته وفرائضه الفكرية ، القاهرة ، 1933 .
- ١١ - ساطع المصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، جز 1 ، القاهرة ، 1953 .
- ١٢ - عبد الرحمن بنوي ، مؤلفات ابن خلدون ، القاهرة ، 1962 .
- ١٣ - محمد الفاسي ، ابن خلدون والسياسة (مهرجان ابن خلدون ، الرباط ، 1962) ص 67 - 77 .
- ١٤ - احمد توفيق المدني ، ابن خلدون والجزائر (مهرجان ابن خلدون ، القاهرة 1962) ص 535 - 543 .
- ١٥ - ابراهيم ميكور ، ابن خلدون (مهرجان ابن خلدون ، القاهرة ، 1962) ص 567 - 582 .
- ١٦ - عبد الرحمن بن خلدون ، كتاب العبر ، 7 ج ، بيروت ، 1937 .
- ١٧ - عبد الرحمن بن خلدون ، التعريف بابن خلدون ، تحقيق ابن تاروت الطنجي ، القاهرة ، 1931 .
- 18 - C. Brockelmann, G. A. L., II, pp. 314-17, sup. II, pp. 342-44.
- 19 - R. Brunschwig et H. Pérès, Ibn Khaldoun, sa vie et son oeuvre, dans Bulletin d'Etudes Arabes, 1943, x, pp. 55-60 et 145-60.
- 20 - S. Zamedl, La vie et les oeuvres d'Ibn Khaldoun, dans Revue Tunisienne, 1911, IV, 532-36.
- 21 - Ali Mîrad, l'Autobiographie d'Ibn Khaldoun, dans I.B.L.A., 1956, pp. 53-64.
- 22 - M. Talbi, Art. Ibn Khaldoun, dans E.I., II, III, pp. 849-53.



مضيق فورايا - والهرج المزدني اليه

إقامة ابن خلدون في بجاية ودوره فيها

لا يحتاج مؤلفنا الكبير عبد الرحمن بن محمد الشهير بابن خلدون إلى تعريف لأنه كالي
غيره مؤونة هذا العمل يعرف نفسه بنفسه أحسن تعريف (1) وكثيرون كتبوا عن حياته من
جوانب كثيرة ، منهم من جعله في حقة العلماء وضمهم وقسمه في مكان الصدارة بسن
الأوّلين إذا لم يكن بين الثلاثة المتفهمين ، ولا مرد في كل ذلك فقد جمع ابن خلدون في
كتابه « العير » سواء في مقمته أو في تعريفه أو في تعريفه جميع ما يحتاجه الكاتب من
قوله التي تؤهل مؤلفنا الجليل « بدون شك ، لأن يتبوا أهل درجات الطهارة في التاريخ »

د . محمد سعيد زاهد
كلية الآداب
جامعة الجزائر

فإذا أراد الكاتب إجراء دراسة عن شخصية ابن خلدون فيسوف لا يجد مشقة في قراءة ما كتبه
هو نفسه في « التعريف » فتكلم عن تشاكر ومشيبته وساله وعن رحلاته وأتصالاته الكثيرة
وما جرى له من حوادث وما أطلع ورأي من أحداث وقد ذكر ناشر هذا « التعريف » بأن ما ذكره عن
عنه هو من أهم « الوان المعرفة وأركانها » : أما إذا رغب القارئ في مطالعة التاريخ فيسوف لا يجد (2)
أحسن مما كتب ابن خلدون عن تاريخ المغرب فهو أحسن مرجع تاريخي وأوثقه لا سيما في الفترة
التي أقام فيها في المغرب الأوسط ، فقد وجد في هذه البلاد متسما للقيام بدراسات علمية وتاريخية
عن كتب فاستطاع أن يصل على ضوء مطالعته التاريخية وما لإسطه أثناء رحلاته الكثيرة مادة
مكنه من وضع كتاب يعتبر حجة في دراسات المجتمع الانساني ويطوره .

(1) التعريف بابن خلدون - محمد تاريت العلجي ط ١٩٧٠/١٩٩٠ القاهرة .

(2) التعريف بابن خلدون - للعلجي - التقديم ص ٥ .

التعريف ببجاية : تمهيد عام *

ومن بين المدن المغربية والأندلسية التي زارها ابن خلدون خلال رحلاته الكثيرة فقد تألفت « بجاية » حاضرة المغرب الأوسط، بسط كبير من اهتمامه وإذا جمعت كتاباته عن هذه المدينة في مناسبات كثيرة وفي مواضيع منفردة في كتابه « العير » فإنها تصبح « تمريعا » لا يقل عن « تمريعه » عن نفسه وهذا مما يدل على أن المغرب الأوسط وحاضرت بجاية ، نال حظوة كبيرة عند مؤلف « العير » ولم يخصها بهذا القدر من الاهتمام إلا ولديه أسباب جعلته يدرس تاريخ هذه المنطقة والادوار الحاصرية التي مرت فيها وتظهر من خلال هذه الدراسات مدى الاستفادة التي حاز عليها ابن خلدون أثناء إقامته في بجاية والمنطقة التابعة لها ولاستيفاء هذا الموضوع حق من البحث ، والاستقصاء فلا بد من متابعة ذكر المناسبات التاريخية أولا ثم جمع ما كتبه ابن خلدون في هذه المواضيع التاريخية السبعي جعلها مادة صمغ منها منهاج « العمراني » وبني عليه « نظريته العمرانية » التي كانت الأساس « لملحة الجديد » عم العمران » .

ولا بد ونحن في مقدمة الحديث عن ابن خلدون أن نتساءل عن الفرض الكبير الذي كان يسعى لتحقيقه من وراء نشاطه الواسع في مجال الفكر وميدان السياسة فقد اطلع بحكم مركزه كعالم متبحر في العلوم المروفة في زمانه وكسياسي عرف السياسة حق معرفتها وقضى سنوات طويلة من عمره في نشاط دائب في كلا المجالين المذكورين ولا بد أن نتعرف أيضا على الدور المحلل الذي قام به في تاريخ المغرب بصورة عامة والمغرب الأوسط بصورة خاصة ولماذا كان يدعو إليه ، فهل كان يدعو إلى مذهب من المذاهب الاجتماعية أو أنه كان يريد من وراء نشاطه هذا أحداث حركة سياسية خاصة ولا سيما وأن العصر الذي عاش فيه كان مغصا بالأحداث التي غيرت مجرى التاريخ في العالم ، كل ذلك يحتاج إلى تفصيلات لا يتسع لها هذا المقال ، ولا سيما وأن ابن خلدون رغم تعريفه بنفسه وتعريفه بتاريخ ميلاده وعصره فإنه لم يتركنا صراحة عن أغراضه العلمية أو السياسية ، فلا هو وضع عنوانا لكتابه الأول ليستشق الباحث عن مغزى الكتاب ولا هو شرح حلول إبعاده الكثيرة في كتابه « العير » منهجا محمدا فترك للباحثين المجال لمعرفة ذلك من خلال السطور . وفي هذه الحالة وجدنا من الفائدات الرجوع إلى أقوال العلماء الذين درسوا إراد ابن خلدون بصورة شاملة وفي مقدمتهم العلماء المذكورين في أدناه لنرى ما توصلوا إليه من أحكام بالنسبة لهذا الموضوع :

١ - الدكتور علي عبد الواحد وافي (١) *

ذكر الدكتور وافي في كتابه القيم من مقدمة ابن خلدون ان « عبقرية ابن خلدون تبدو .. في نواحي كثيرة ايمها انه المنشر الاول لعلم الاجتماع وحجته في ذلك ان المؤلف عالج في « المقدمة » ما يسمى الآن « بالظواهر الاجتماعية » وبسميها المؤلف المذكور « بواقعات العمران البشري أو احوال الاجتماع الانساني » *

٢ - الدكتور طه حسين (٢) *

وفي جملة الاسماء التي اجراها الدكتور طه حسين في « المقدمة » البحث عن طبيعة « علم العمران » الذي يدعى ابن خلدون انه علم جديد اسنبطه من دراساته الطويلة فقال ان هذا العلم ليس باسم للتاريخ بل هو علم مستقل يتناول المجتمع البشري في احواله وتطوراته ويتركز على ابن خلدون ان يكون مسمى علم الاجتماع وما حوالا عالم اجتماعي وعذره في ذلك ان الابحاث في كتاب « العصر » لا تصلح ان تكون في جيلتها موضوعا خاصا يعلم الاجتماع وهو اضيق من ان يكون دراسة لعلوم خاص للاجتماع أو السياسة أو الاقتصاد أو أي علم آخر قائم بذاته ويتابع الدكتور طه حسين مناقشته للموضوع بأنه من الخطأ القول ان ابن خلدون عالم اجتماعي بالمعنى الحديث وذلك بسبب انه اتفقه المجتمع موضوعا لبحثه فقد يكون المجتمع احيانا موضوعا للتاريخ أو ان يكون للاخلاق أو للفلسفة (٢) وقد اتسمت دراسات المجتمع في الوقت الحاضر حتى اصبح موضوعا لعلوم كثيرة ولا يكفى ان يدرس الانسان المجتمع من جهة معينة كعلم ليقال عنه انه يدرس علم الاجتماع ، اد يفقد عندئذ هذا العلم صفة هذه ولا يصلح الا ان يكون بحثا في العلوم الاجتماعية ولا شك كما يقرر الدكتور طه حسين ان ابن خلدون اورد في مناسبات كثيرة آراء اجتماعية بالغة الصبغ والاهمية وعميته وطريقة واذا قبل ان ابن خلدون ليس بعالم اجتماعي فان

(١) الدكتور علي عبد الواحد وافي - مقدمة ابن خلدون - تحقيق وشرح وتعليق - ط - القاهرة ١٩٥٥ - ص ٢٢٧ *

(٢) الدكتور طه حسين - فلسفة ابن خلدون الاجتماعية - نقد وتحليل - ص ٦٥ ترجمة عبد الله عان - ط - القاهرة *

(٣) راجع د محمد مهدي في كتابه فلسفة التاريخ في ابن خلدون كاساس لعلم الثقافة Ibn Khaldun in philosophy of history ed. U.S.A. 1964 باللغة الانكليزية *

هذا لا يعتبر انتقاصا لفقده لانه كان يتلمس حقا مبادئ صحيحة في علم الاجتماع وعلوم اخرى . ويبدو من قول الدكتور طه حسين وتحليله لاراء ابن خلدون في « مقننته » انه شعر بحيرة لتبيين طبيعة « علم العمران » وانتهى من مناقشته لهذا الموضوع الى ان حسن الاعتدال الى تحديد ابتعاد « علم العمران » وماهيته كان منه الا ان يطلق على دراسته لمقننته ابن خلدون اسم « فلسفة ابن خلدون الاجتماعية » ولعله اراد بذلك ان يدع باب المناقشة للموضوع مفتوحا وقد احسن ما فصل .

الكاتب الروسي باشيفا (2)

يقول الكاتب المذكور ان التخصص الاجتماعي أو العرض الرئيسي الذي كتب ابن خلدون كتابه من اجله عن « طبائع العمران » وهويته عن الاجتماع الانساني « البشري » لا يزال قيد البحث والكشف عنه في الدراسات الحديثة حول هذا المؤلف العربي الكبير (3) حتى الآن وأردف قائلا في مقالته ان الفلسفة الماركسية - اللينينية تفيد في تحليلها لطبيعة المجتمع البشري ان هناك اتقسام في الطبقات ولهذا تبدو الآراء الاجتماعية في دراسة هذا المجتمع وكأنها « آراء طبقية حزبية » وعلى هذا الاساس فان نظرية ابن خلدون التاريخية الاجتماعية لا توضح الا من هذه الزاوية - أي دراسة ماهيتها الاجتماعية التاريخية ودورها في مجال التفكير الطبقي . (2)

ولا كانت الغاية الرئيسية لهذا المقال التعريف بابن خلدون أولا والتعريف بالدراسة التي قام به رينلن جهوده لانجازها ثانيا في مجال العلم والسياسة وعلى صعيد المغرب مستقلا بين تونس وبجاية والمنطقة المجاورة في ذلك الاقليم وبالتالي التعريف ثالثا بالاحداث التاريخية التي باسنت هسمة المنطقة والتي اشترك ابن خلدون في ملاساتها ومناسبتها واطلع على تاريخها وتبع اسباب حدوثها وذلك بغية معرفة ما كان يسعى للوصول اليه كهدف رئيسي ؛ فاننا لا نغالي في القول اذا قلنا بان أصبحت في تاريخ ابن خلدون مجدهم الناحية التاريخية العلمية لانه استطاع ان يقدم لنا علما مستنبطا سواء « علم العمران » وهو علم جديد بناء على اساس الاستقراء من الاحداث

(2) المصدر السابق - ص 121

(3) BACHIEVA (S.M.) Les bases sociales de la doctrine historico-philosophique d'Ibn Khaldoun, in A. La mémoire de l'Académie des L.J. Kretchikovskii Leningrad, 1958, pp. 192-201 (en russe).

S.M. BATSEVA - translate from 'Iche Russian by jet, W. Werybo - the Islamic Quarterly vol. XV, N° 283 London April-September 1971

الامة ابن خلدون في بجاية وهدية فيها

التاريخية في المغرب وفي غيره من البلاد وعين موضع هذا العلم وذكر بعض مسائله وترك العلماء الذين سيخفون استكمال دراسة ما بدأ به (3) - وكما قال ابن خلدون فأننا تكفي بالإشارة الى هذا العلم الذي لم يزل من جانب المختصين بدراسات ابن خلدون ما يحدد ماهيته ويصن طبيعته ؟ ولعل السبب يرجع الى التصق بالنسبة لهم من قصص جذور العلوم التي اشار اليها ابن خلدون بضرورة علاقتها لعلم العمران ولكنها الى الحقيقة ليست ضرورية لان علم العمران الذي استنبطه واضح في تعريفه وبسيط في شرحه وتعين أبعاده وأكثر مسائله موضوعة بشكل سهل موجز *

ولما كان هذا الاثر العلمي الفكري الكبير وعودك العلم الجديد « علم العمران » الذي استنبطه على أساس « نظريته العمرانية » التي مستمد تعريفها لها قويا بعد « لم يكن ليظهر لدى ابن خلدون الا حين اقلم في بجاية وما حولها من الوطن المغربي ، فاصبح لا بد من ان نستمر بالتحريف ببجاية والمنطقة التي حولها وما حدث في ربوعها من الاحداث التاريخية التي عرفها ابن خلدون حق المعرفة وكرس جزءا من تاريخه في « المير » لحوادثها لانه هو في الحقيقة قد عاش فيها وتأثر بها وعرى أسبابها واستقر نتائجها وربما برزت لنفسه مقدراتها ، وكان لا بد كذلك من ان نتابع ما قام به ابن خلدون من فضايل في هذه المنطقة المغربية الهامة سواء عن طريق السياسة أو عن طريق الخواصة الصيفية ، وهذه الوسيلة يظهر لنا الدور الذي قام به ابن خلدون في بجاية وما حولها من المغرب الأوسط بأجل مظاهره فمعلم آرائه وملاحظاتاته جاءت مستقاة من التاريخ الكبير الذي احتوى كتابه عليه وتابعة من البيئة التي عاش فيها وتابع أحداثها وهو يمثل تلك الاحداث بما يسانلها في التاريخ الوسيط من حيث أهميتها مثلا كسقوط بغداد والحرب الصليبية وبه، فزوح العرب من الاندلس وبقعة أوروبا وحركة المدن في إيطاليا *

(1) ابن خلدون المقدمة - ط * بيروت والتجارية - ص 558 *

« ... وقد كدنا ان نخرج عن الغرض وغرضنا ان بعض الضمايف عن القول في هذا الكتاب الاول الذي هو طبيعة العمران وما يعرض فيه » وقد استوفينا من مسائله ما حسناه كفاية ولعل من يأتي بعدنا ممن يؤيده الله بفكر صحيح وعلم متين ينوص من مسائله على أكثر ... » *

مدينة بجاية

بجاية مدينة بالقطر الجزائري على شاطئ البحر تامة لأقليم قسنطينية وهي تقع على خط طول 9°5 شرقى جريدوتش وخط عرض 36°49 شمالا ، فهي واقعة في المنطقة المحتلة ومناخها معتدل صيفا وشتاء مساعد على وفرة محاصيل المنطقة الزراعية التي تحيط بها ،

وقد بنيت فوق منحدرات تطل على البحر وعلى خليج يحميها من الغزو سواء من ناحية البر أو البحر ويجعلها ميناء صالحا لارساء السفن ومقلاصينا له موقع استراتيجي عظيم متوسط بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب ؛ وقد اذللها المرابطون ذلك فانشأوا لتجارهم مركزا سمي « صلدای » وهو المكان نفسه الذي انشئت عليه مدينة بجاية (1) ، ثم خضعت بجاية للسيطرة الرومانية والاندالية والبيزنطية حتى جاء الفتح الاسلامي (2) ، فدخلت تحت الحكم الاسلامي حوالي سنة 708 م بعد ان فتح المسلمون المغرب ، إلا ان المعلومات التاريخية التي تتصل بهذه المدينة في الفرون الثلاثة الاولى للفتح الاسلامي قليلة ، وبعد وصفها ابو عبيدة عبد الله البكري في كتابه المسالك والممالك في القرن الخامس الهجري (3) ، وفي منتصف القرن السادس الهجري يصف المدينة الشريف الادريسي (4) ، فيقول أنها قاعدة بني حماد اتخذوها حاضرة لمسكنهم بدلا من « القلعة » ثم يتابع قوله ان بجاية في وقته (8هـ هـ) مدينة المغرب الاوسط وعين بلاد بني حماد فتأتي اليها السفن من الشمال وتحط فيها القوافل فتصبح محطة ومخزنا للامتعة المحبوبة برا وبحرا وبها

(1) د ، شارل فيرو - بجاية - ص 45 ط 1869 قسنطينة .

« ان مطابقة بجاية بصلدای (ثابت بلليل وجود نقش لاتيني مخطوط في المتحف الجزائري - اللوفر - باريس .

(2) الجيلالي عبد الرحمن بن محمد - تاريخ الجزائر ، ج 1 - مؤسس (حسين) - فتح العرب للمغرب - ط 1947 ، القاهرة .

(3) اطر : فيرو (شارل) - بجاية - ص 122 انها ازلية (قديمة) أهلة عامرة بإهل الاندلس ومرسى مأمون (هذا يدل على ان كثيرا من التجار الاندلسيين كانوا يسكنونها عقب تأسيسها كما كانوا يسكنون مدنا ساحلية أخرى بالمغرب الاوسط .

(4) الادريسي - وصف الرقبة الشمالية والصحراوية المأخوذ عن كتاب رحلة الخساق - ط 1957 الجزائر - ص 62 .

من الصناعات ما ليس بكثير من البلاد « وأهلها يجالسون تجار المغرب الاتصى وتجار الصحراء وتجار المشرق » - فأصبحت قطبا لكثير من البلاد ولها علاقات واسعة مع أوروبا (5) *
 ويذكر ابن خلدون في تاريخه 332 - 1404 أن موقع مدينة بجاية كان قرية تسكنها قبيلة بربرية تسمى بجاية أو جماية (بقاف مفعولة) فاطلق هذا الاسم عن المدينة وسميت به *

بجاية في عصر دولة بني حماد

كانت دولة بني حماد دولة ملوكية ، يتولى ملوكها الحكم بالوراثة ويتخذون أمراء (عاملين) ووزراء وحجاب محاباة للزريين ، بنى عمومهم للزريين الصنهاجيين الذين كانوا يحكمون افريقية (تونس) والمغرب الأوسط ثيابة عن الصنهاجيين الذين كانوا قد تغلبوا مقر ملكهم الى مصر *
 وكان حماد بن يلكين أول مؤسس لهذه الدولة سنة (405 هـ) وكان ولاؤها السياسي مسرة للمعاطين ومرة للعباسيين تبعا لمصالحهم السياسية وكثيرا ما كان الملوك الحشاديين يستقنون بأمورهم ولا سيما في عهد الملك الحشادي الناصر بن علناس (454 - 481 هـ) الذي بنى عاصمة جديدهم لملكهم « بجاية » وسماها « الناصرية » نسبة له سنة 460 هـ بدلا من « الغلعة » حاضرة البلاد الأولى التي تعرضت لهجمة العرب الهلالية *

وكان حماد وهو مؤسس الدولة يجه في تدعيم مملكته (1)

وهو الذي اختط مدينة العلمة بجبل كتامة سنة 398 هـ (2)، وكان عهده كما قاله لسان الدين بن الخطيب عهد بناء وتقسيد لاسس الدولة وأما الناصر بن علناس (454 - 481 هـ) وهو خامس ملك حشادي فكان أعظمهم ملكا وهو الذي بنى بجاية (3) *

(3) المصدر السابق *

(1) ابن خلدون : العبر ، ج 6 - ص 250 *

(2) تاريخ الجزائر للنجيل ، ج 2 - ص 296 *

أعمال الإعلام لسان الدين بن الخطيب - نشر إند فورت مختار الساعدي ومحمد إبراهيم الكتاني ص 86 * هو تسييج وحده وقريد دهمرو فحل قومه * ملكا كبيرا وشجاعا ثبنا وداهية صحيفا * قد قرأ الفقه بالتيروان ونظر في كتب الجمل * أغفر يونا رابع - المنسرب العربي ص 208 *

(2) انظر المصدر السابق قسم 2 من أعمال الإعلام لابن الخطيب *

وقال عنه ابن خلدون : « بلغت جسوده إلى دركازن واخضع بسكرة ونواحيها » ، وامس بجاية سنة 650 هـ وبنى بها قصر اللؤلؤة وكان حسن عجب قصور الدنيا ، ونقل الناس إلى بجاية واسقط الخراج عنهم ، ثم قال « وفي أيام الناصر هذا كان استعجال ملكهم وشغوفه عسى ملك ابن ياديس اخوانهم بالمهدية لما اضرع منه الدهر بفتنة العرب ، الهلايين وبتنة الزمان حتى اضرب عليهم امرهم » ، وكثر التوار منهم عنهم ، فاعتز آل حماد هؤلاء أيام الناصر جدا وعظم شأنه ، فبنى المباني المولقة ، وشيد الدلائل العظيمة وردا للغزوات إلى المغرب ، وتوغل فيه إلى أن هلك سنة 682 هـ وكان نموده واصما وحده مملكته تشمل صفاقس وتسنطية والقروان وتونس وغيرها (4) ولما تتوفى الناصر من ثورة الاعراب وهجارتهم الساسعة على عاصمته « القلعة » سعى في اختطاط بجاية وبنائها على انقاض مسلداي أو مسلداي ، الفينقية والرومانية سنة 686 هـ كما سبق وذكر ، اذ كانت من أهم مدن توميديا في القديم ، ثم انتقل إليها حماد واتخذها عاصمة دولته وقصدها الناس من مختلف النواحي ، فلم تلبث أن استبحر عمرانها وكثر سكانها ، واصبحت مركزا هاما لاوريا والشرق فاصبحت من ذلك التاريخ من اعظم مدن القطر الجزائري وقد ازدهرت المملكة في عهده وفي أيام ابنه المنصور فاعتبر عصره عصرا ذهبيا لكثرة المعلوم وانتشار الثقافة وتشجيع المساجد والمدارس والمستشفيات والقصور الفاخرة (5) .

وعلى ذكر ابن خلدون مؤلف كتاب العبر الذي كرس قسما كبيرا من تاريخه لبلاد المغرب بصورة عامة وقطر الجزائر بصورة خاصة ولا سيما الادوار التاريخية التي مرت بها حاضرة المغرب الاوسط بجاية والمنطقة الموجودة حولها « فكثر ابن خلدون من سرد الوقائع واسماء الرجال والقبائل وغيرها من الفئات التي اراد ابن خلدون من وراء تسجيلها استنتاج عبر تاريخية تكون دعامة لنظريته المعرفية » ، فخص بالذكر القدرات التاريخية التالية :

- 1 - 335 هـ / 946 م وهو الزمن الذي نشأت فيه الامورة الزيرية (ذري بن مناد) الصنهاجية .
- 2 - 350 هـ وهو الزمن الذي ظهرت فيه الدولة الحمادية في عصر حماد بن علقاس بصورة خاصة (460 هـ / 1067 م) .

(1) ابن خلدون : العبر ج 6 .

(2) ابن خلدون - العبر ج 3 - ص 257 - 258 والقسم الثالث من اعمال الاعلام للسان الدين الخطيب - ص 97 (راجع بنو زنا - المغرب العربي ص 212) .

3 - ١٢٥٩/١٢٥٨م وهي الفترة التي ظهر فيها عبد المؤمن ، ملك الموحدين الذي استولى على بجاية ١٢٥٩/١٢٥٨م واسقط فيها الدولة الحشادية *

4 - ثم يأتي عهد الحفصيين ١٢٥٨/١٢٥٩م عندما جاء أبو زكريا الأول الحفصي وتأسست الامبراطورية الحفصية واحتفظت بجاية أثناءها بمرکزها الأول حيث كان يوب فيها عن الملك ابنه أو ولي عهده *

5 - ثم جاء فترة القرن الرابع عشر ميلادي وهي الفترة التي قام ابن خلدون بدوره الرئيسي وبصورة فعليه وفضلا عن تسجيله حوادث هذا العصر التي اعتاد بالمعارفات بين أسر ثلاث *

(أ) بنى مرين في فاس *

(ب) وبنى زيان في تلمسان *

(ج) والحفصيين في تونس *

تلك المنازعات التي عاش فيها ابن خلدون واشترك في أحداثها وكانت نتيجةها وقسوف التقدم العمراني في الاقطار المغربية وكانت بجاية في هذه الاثناء معرضة لآثار كبيرة تاريخية ولكنها ظلت تحتفظ بمرکزها ولما هاجمها الاسانيون في عام ١٢٥٩م وجنوا فيها مقاومة كبيرة *

وبهذه المناسبة فاننا نجد اكثر الروايات التاريخية عن هذه الفترة في تاريخ العبر لابن خلدون وقال المؤلف الفرنسي الذي كتب مؤلفا عن « بجاية » ان ذلك العمل العظيم الذي قام به ابن خلدون بكتابة العبر ليمتد حقا ذو فائدة ومصدقاتنا لادريقية التسالية عامة وتاريخ هذه المنطقة بصورة خاصة وانه ليشعر بالاسف ان يقف تاريخ ابن خلدون بما ضمنه من ملاحظات صغيرة تاريخية عن سنة ١٢٥٩م وهو الوقت الذي كان قد ترك فيه المغرب (١٢٥٩م) وبهذا يسكن القاهرة (٢) *

ويتبين من ذلك الدور التاريخي الذي قام به هذا المؤلف (ابن خلدون) بمثابة تسجيل أحداث هذه المنطقة المغربية ولا سيما بجاية وماركها وقد كتب فيها أبو السباس أحمد بن أحمد

(٢) فيرود (شارل) بجاية - ط ١ - قسنطينة ١٨٦٩ - ص ١٢٧ *

الميريتي في عنوان الدراية وقد جعله في نطاق تاريخ « من عرف من العلماء في المائة السابقة بجاية » (2) ولكن يظل تاريخ ابن خلدون المرجع الاول لتاريخ هذه المنطقة المغربية .

وما يجعل لهذا التاريخ أهمية أن كثيرا من الحوادث التي حوت فيه والتي يس عليها المؤلف الى حد كبير أراءه بالنسبة للعلماء هي مستمدة من هذا التاريخ ؛ ومن جملة هذه الأحداث لاحظ ابن خلدون ظاهرة كبيرة ، ربما كانت هي التي دفعت الى كتابة تاريخه الكبير « البر » وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والمجم والبربر وهذه الظاهرة كانت تبدو له كلما تعمق في دراسة تاريخ هذه الاقوام الثلاثة ، فقد لاحظ حركة نزوح « مكانية كبيرة من مكان الى آخر تبعا لحوادث كثيرة لا تقع تحت حصر ، ولأجل مثابسة إيمانه لهذه الظاهرة ولتطوّر أخرى تابعة لها تساعد على تسبق أحداثها في تاريخ هذه الشعوب المذكورة في المصور السابقة لخصره والموازنة بينها وبين ما يماثلها من التطوّر الانسانيّة جميعها والتأمل في مختلف شؤونها للوقوف على طبيعتها ثم الانتهاء من هذه الأمور الى استخلاص ما تخضع له هذه التطوّر من قوانين ؛ فان ابن خلدون وضع لنفسه منهاجا قوامه : **اولا** - بمصم ملاحظاته الحسية والتاريخية لهذه التطوّر وما شاهده في بطون التاريخ عنها بشكل مواد أولية وهذا ما قام به في تاريخه للمغرب وغيره وسماه **البر** - **ثانيا** - والطريقة الثانية في منهاجه هذا هي عرض جميع القوانين التي كان لها أثر في تحريك هذه الظاهرة والتطوّر بشكل يدخل في عمليات عقلية يجريها المؤلف على هذه المواد الأولية المجموعة في تاريخه والتي جعلها أساسا لاستخلاص « علمه الجديد » الذي انشأه ابن خلدون منذ أكثر من خمسة قرون وهو منقطع النظر : يحوم عنه العلماء حوله ، ولكن يسمون أن يستطيعوا الاتيان بمثله في شؤله واستيعابه لمجم طواهر الاجتماع الانساني ، وسلامه منهجه ودقة إغراضه ووحدة بنيانه » (1)

نك الظاهرة في تزوج أهل الإندلس الى مغرب المغرب وخاصة « بجاية » وما جارها من ثشور لغت انظار ابن خلدون وقد كانت شديدة التأثير على عملياته ، اذا استرعت هذه الظاهرة - ظاهرة الهجرة انتصاه وأيده في ذلك كثيرون ومن جعلهم المؤرخ الكبير « المقرئ » صاحب كتاب نفع الطيب

(1) الفريسي (أبو العباس أحمد ابن أحمد) - عنوان الدراية - تحقيق وإيضاح بونار ، ط . الجزائر .
(2) د . علي عبد الواحد وأبي - تحقيق مقدمة ابن خلدون ج ١ ، ط ١ ، ص 264 - ط ٢ ، 1965 .

إذ قال : « إن حصر أهل الارتحال لا يمكن يرجعولا حال » وكان ذكر في كتابه جماعة كثيرة من هاجر إلى المغرب والمشرق . وهناك مؤلف آخر صاحب كتاب « عيون الدراية » الذي ذكر كثيرا من تراجم العلماء ببجاية في المائة السابقة للهجرة وهم من علماء بجاية الإصلاح أو الوالدين عليها وهم كثيرون . (2)

وإذا أعدنا نظرة العلماء الأندلسيين إلى حواضر المغرب وإفريقية وتغوروا وخاصة بجاية لأسباب فمنها التمهيد السياسي الذي أصاب الأندلس عقب سقوط الدولة الأموية (430 هـ) وقيام ملوك الطوائف (430 - 480 هـ) واستفحال « الله أو الردة المسيحية » التي أسماها الأسانيون بالركونيكريتا وكانوا يقصدون بهذه الحركة « استرداد » البلاد ، وهؤلاء العلماء هم أول من يضرع بحافز للهجرة من الأندلس إلى المغرب الأقصى وإفريقية وخاصة المغرب الأوسط لقرب تغوره للهجرة الأندلسية وحسن استقبالها لهم ، وذلك دغمة منهم في الاستفراغ واستئناسا بالوضع السياسي الذي تكون فيه السلطة الإسلامية قوية مهيبة . (3)

ومن الأسباب التي جعلت كثيرا من اعلام الأندلس يهاجرون إلى حواضر المغرب ولا ميمصا ببجاية بالذات هو ما حكاه صاحب المعجب في أخبار المغرب عندما قال إن سقوط الأندلس في يد المرابطين (488 هـ - 530 هـ) على يد يوسف بن تاشفين كان فاتحة خير وبركة على النهضة الثقافية والحضارية في المغرب ، حيث هاجر كثير من اعلام الأندلس إلى المغرب مقر السلطة الحاكمة وتلقوا منهم حضارتهم وعلومهم وآدابهم وفنونهم . (4)

(2) عنوان الدراية - لأبي العباس أحمد بن أحمد بن علي الغريسي - تحقيق رابع بونار ، ط 1 - الجزائر ، ص 26 - 29 .
(3) عنوان الدراية - تحقيق رابع بونار - ص 27 ، أنه يروي عن ابن رشيق المسيل القرواني أنه قال :

مما يزعمه في أرض الأندلس أسماء متصم فيها ومعتصم كالهر يحيى انتصا صولة الأسد وهذا يصير عن رأي كثير من علماء الأندلس أنفسهم ممن عاينوا الأندلس في هذه الفترة ويعلمها . (4) المراكشي عبد الواحد - المعجب في أخبار المغرب - ص 86 ، إذ قال : « فانقطع إلى أسير المسلمين يوسف بن تاشفين من الجزيرة من أهل كل علم فحواله حتى أشبهت حضرة خضر بنى المباس في صدر دولتهم واجتمع له ولايته من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يفتق في عصر من الأعاصير » فصارت مراكشي تستمدى الأدباء والشعراء .

ولاشك أن بجاية كانت في أيام الدولة الحشادية وبضعها تنافس مراکش في ازدهارها العلمي والأدبي وقد وفد عليها كثيرون من الأندلس والقيروان ولم يكن عهد الموحدين بأقل نصيباً من المرايطين فقد كثر اتصال الأندلسيين بحواضر المغرب وصارت الإمبراطورية الموحدية تستهوي وتستقبل اعلام الادب والفلسفة وقد استقر ببجاية وتلمسان وغيرها نخبة من اعلام الفقه والادب والتصوف والمفسرة فأعادوا احياها واستفادوا منهم وعلى سبيل المثال نذكر الصوفي الكبير ابي مدين الذي استقر ببجاية في منتصف القرن الخامس مئة طويلة ثم انتقل الى تلمسان سنة 596 هـ وكذلك عبد الحق الاشعيل المحدث الكبير الذي نزل ببجاية وتوفي فيها في آخر القرن السادس للهجرة وكثيرون غيرهم حتى ان ابا علي المسيلي اشار الى كثيرين منهم (1) جاءوا الى بجاية .

وإذا تحدثنا عن المرايطين والموحدين الزعمى احتوائهم لهذا التراث المنقول من الأندلس الى المغرب عن طريق الهجرة ، فيجب أن لا نغفل عن دور المحصنين الذين كانوا من احد الناس التصاقاً بمد المومن زعيم الموحدين و « كان الشيخ ابو حفص كبير هتفانة زعيم دولتهم وولوه (الموحدين) على اشبيلية وغرب الأندلس مرارا ثم ولوا انه عبد الواحد عليها في ايامهم ، لم اية ذكرها حيث كان لابن خلدون باشبيلية اتصال بهم » (2)

ثم يتابع ابن خلدون في كتابه « التعريف » ان الامير ابو زكريا انتقل الى ولاية افريقية في سنة 620 هـ ودعا لنفسه وجعل دعوة بنى عبد المؤمن سنة 625 هـ واستبد بافريقية وانتفض حكم الموحدين بالاندلس فاضطربت البلاد وازداد الضغط المسيحي وقوى مدغم وازدادت الهجرة وكان بنو خلدون من جملة الذين ساءت عاقبتهم مع الطاغية وارتحلوا من اشبيلية الى المدوة ونزلوا سبتة وجاء احد اجداده (الحسن بن محمد) الى ابي زكريا لما كان بين سلفه وبنى خلدون من سوابق فأكرمه وفرس له الارزاق وكان احد السلاطين المحصنين (ابي اسحق) جعل ابنه (ابا قارم) نائبا عنه في بجاية فجعل محمد جد ابن خلدون حاجبا له ؛ وهكذا نشأ ابن خلدون في المغرب حيث ولد في تونس عام 732 هـ وبينة زوين آل حفص الحاكمين في هذه المنطقة من الصلات

(1) المغرب العربي تاريخه وثقافته - لرايح بونار - ص 28 ، فقال : ابو علي المسيلي انه « ادركت مسيحيين او تسعين عتقيا ما منهم الا وله اطلاع كبير » - ولا شك أن من هؤلاء الختفين جماعة ممن الاندلسيين اختاروا بجاية محل اقامة وتعليم »

(2) التعريف بابن خلدون - ص 9 .

الطبية ما جعله يقوم بنشاط سياسي ملحوظ في هذه الفترة التي عاشها في تلك البلاد وكانت سببة 749 هـ وهي التي انتشر فيها الطاعون والسلي ذهب بوالده وبكثير من مشايخه واساتذته الذين اخذ عنهم العلم *

وبقيت الدولة الحفصية منذ 625 هـ - 722م الى 915م/725م عندما دخلت العساكر الاسبانية الى بجاية واسموت عليها *

تاريخ ابن خلدون في بجاية وما حولها والدور الذي قام به في هذه الفترة :

يبدأ تاريخ ابن خلدون بالذات عندما استولى الموحدون (ix) ، على الاندلس وملكوها من يد المرابطين ، وكان ملوكهم : عبد المؤمن وبنيه وكان الشيع ابر حصص زعيم دولتهم وولوه على اشبيلية وغيرها وكان لسلف ابن خلدون باشبيلية اصال بهم(89) فلما اضطربت الامور في الاندلس وخشي مو خلدون كثيرهم سوء العاقبة ارتحلوا من اشبيلية الى المعصرة ولزلوا سميت ولما كان لجد ابن خلدون (الحسن بن محمد) سوابق من سلفه عبد الامير ابي زكريا ، الذي كان انتقل الى ولاية افريقية سنة 620 هـ ودعي لنفسه بها وخلع دعوة بني عبد المؤمن واستبد بافريقية فانه قصده وقدم اليه فاكرم قنومه (3) *

وكما يذكر ابن خلدون نفسه في كتابه « التعريف » فانه ولد في تونس سنة 738 هـ ونشأ فيها ولا يعد الامر غريبا اذا تهافت له الظروف كلها لتجهد له الطريق ليتعلم ويدرس على اساتذة العلوم العقلية والنقلية وان يأخذ كثيرا من هذه العلوم وهو في مقتبل العمر وعن مشايخ اشتقروا بالادب والفقه وعلوم الدين ؛ وحدث في زمانه حادثان عاقدان عن متابعة دراسته وكان لها اثر بليغ الاول حادث الطاعون الذي انتشر سنة 749 هـ والحادث الثاني هلاك والده في هذا الوباء وهو لا يزال في النامسة عشرة من عمره وهلاك الكثيرين من اساتذته * ولهذا كان لا بد له

(1) تيمى دولة الموحدين بالقرب سنة 645 على يد جهدي الموحدين محمد بن تومرت وتنتهى سنة 668 هـ وامتد سلطانها الى الاندلس من سنة 540 هـ - 609 هـ *

(2) ابر حصص عمر بن يحيى بن محمد الهنتاني اول النابيين لجهدي الموحدين من بين قومه ، والمختص بصحافته ، وكان يسمى بن الموحدين بالشيع والى هذا تنسب الدولة الحفصية بافريقية اسطر (التعريف بابن خلدون - ص 9) *

(3) التعريف بابن خلدون - ص 11 *

من جراء ذلك أن ينطلق الى قول الوظائف العامة والاشترك في شؤون السياسة ويسير في الطريق الذي سار فيه اجداده .

غير انه يبدو ان نفسه كانت توافة الى وكوب الاخطار للوصول الى ما لم يصنه أحد قبله ، وكيف الوصول الى ذلك والوسائل غير ميسرة له كلها بتونس لمناخه دراسه والتبحر في العلوم ، وكان يتعين العرس التي كانت تتاح له في اثناء رحلاته سواء في تونس أو بجاية أو قاص أو غرناطة ، فابتدأ سار كان يجد متسعا لاشباع رغباته الكامنة في نفسه وهي رغبات عميقة امتازت بها شخصيته الحقيقية ، فافاد بها التراث الانساني أيضا فانه ؛ ولا غرابة في ذلك ديبته عريق بالحسب والنسب وسبق لحدوده ان تقلعوا أعلى المناصب في الدول التي هيمنت وسيطرت على مناطق كثيرة وفي ادوار مختلفة سواء في الاندلس أو في إفريقيا .

ليس المقصود في هذا المقال سرد تفاصيل حياة ابن خلدون لانه ذكر في أوله انه هو قام بتعريف نفسه والى ، الذي نسعى لاجاده في حياة ابن خلدون هو الدور الذي قام به في حياته الخالفة بجميع الاحداث في تاريخ المغرب وفي فترة خطيرة جدا وثيرة مجرى التاريخ ، فحل ذو عقلية قاتمة ونظرة في الامور حادة كاتبة وتوفرت له جميع السبل للوصول الى اعلى المراتب ، فلا بد وان يكون له دور في التاريخ ، والحق يقال ، فانه لم يقصر في هذا الحقل فقد ترك مائة خالصة بكتابة البلاد التي عاش في احداثها فكان تاريخه الاول والاخير وكثيرون يأسفون لانه لم يطل عمره وقد عاش عمرا مديدا لانه توقف عند حوادث 739 م فحرت احداث كبيرة بعد ذلك ولكن لم يكن هناك وجل كاي خلدون يكتب عن تاريخ بجاية والمغرب ودوله واقوامه وما تقلب عليهم من تطورات سواء في السياسة أو غيرها ، هذا دور سجل فيه ابن خلدون ما جرى على بجاية وشقيقتها من تطور المغرب وانه لدور عظيم جدا .

يتوارد السؤال الآتي بصدد الكلام عن ابن خلدون والدور الرئيسي الذي قام به ؛ فهل ترك مائة خاصة في السياسة وهو الذي تقلب في ادوارها وعرك جميع احوالها فهو لم يتجرأ ملكا ولا ادار حكومة فيختلف ذكرا خالدا من اصلاحات أو انجاز مشاريع حيوية لبلاده أو انه قام بفتوحات تسجل له في التاريخ كشأن الملوك والقادة العظماء ؟ ان ابن خلدون قام بعمل لا يستطيع غيره القيام به فما هو هذا العمل ؟

وأنه ليهم من مطالعة ما كتبه ابن خلدون سواهي النواحي التاريخية أو السياسية أو العلمية أنه كان دائما يحل في نفسه رغبة ملحة شغلت عليه نفسه طيلة حياته وفي جميع الادوار التي اشترك في أحداثها - ولنفهم ما كانت تنطوي نفسه عليه من رغبات وما يدور في رأسه حسن آراء ، فلا بد ان نشير الى الظاهرة الكبيرة التي اشترنا اليها سابقا وهي « حركة نزوح » كبيرة من ارض الى ارض ومن قطر الى قطر ، حركة مستمرة في التاريخ ، لغت اساطره فجلس يفكر ويخصي لعله يجد اسبابا حقيقة لهذه الظاهرة الكبيرة ، وهذا واقع مؤثر ترك في حياته اثرا بالغا فقد رأى ارض اجداده تنهب ويذهب معها المجد وبه كل شيء ؛ كانت الاندلس جنة نسم واستبدلت النعمة طويلا فأخذت تزول تدرجيا وهو بالطبع أخشى من هذه الحركة وهي تنطوي وتنقل الهجرة الى امريكا والمغرب بطريقه وقد سار معها فانتقل ابن خلدون من مكان الى آخر في رحلات واستغفار كان احيانا يساق اليها سوقا وعاد الى الاندلس وزارها واطلع على آثار سلعه وتحدث مع أفاض كثيرين وهو بالطبع انتاد ذلك يعالج الموضوع الكبير ويحاول الجواب على السؤال ، ماذا يجري في هذا الجزء من العالم وحل هناك قانون أو قوانين تسيير الكائنات وماذا لا يمد المجتمع بملوكه وطوائفه وعلمائه مخرجا من ذلك المازق الذي دخل فيه الناس في الاندلس والمغرب وفي غيرها من البلاد . هذا هو الموضوع الذي كان يقبله في ذهنه ، وعندما اعتكف السياسة وقد تاهز الاربعين أو أكثر من عمره ورأى في سبيله في الحياة عقبات لم يستطع التعلب عليها فانه تفرغ للتأليف في قلمه « ابن سلامة » فشمع ان الانكار اخذت تأتيه كشائب الغيث لهمهم وبقي من سنة 776 هـ الى 780 هـ اتم فيها كتابة « العبر » وانحز وضع ما كان يفكر به من آراء حول العلم الذي استنبطه وهو المعراج اشهره فقط . فخرج من بين يديه مؤلف فريد في بابيه .

ولتايد ما جرى لابن خلدون في حياته من تصرفات في ميادين السياسة أو غيرها ، يلزم علينا سرد تاريخ شخص لاهماله نذكر فيه كسل حادثة أو مناسبة جرت له وعلينا ونقلها من وجوه معدة ، لا سيما وان المؤلف لم يترك لنا بابا نوله أو طريقا نسلكه بهذا الشأن ؛ فهو لا شك لم يتزل الحياة العملية السياسية ليتفرغ للكتابة لجرد ذلك لأن الاثر العميق الذي تركته احوال بلاده استأثر عليه كل افكاره واعماله ولم يعرف عنه أنه سعى لمجد مؤل أو ثروة طائلة أو صليت ذائع أو الجلوس على ادراك وثيرة لأن الاسفار التي قام بها والمهمات التي اضطلع بها تكاد تؤدي بجاية اشد الناس عزيمة واقوامهم حسبا ، فهو في الحقيقة يطل بسمه نفسه وكان يصل في

سبيل تحقيق هدف واتجاز عمل يكون من وراثته اثر كبير للعالم وليس هو بالفيلسوف المثل ولا بالمستبد يراثه وقوله وفي تنفيذ قراراته ، مع العلم انه اينما حل واستقر كان يحتل مركز الاهتمام والاحرام لعلمه وفلسفه الجم وهذا ما سجله له التاريخ في جميع المناسبات وهي كثيرة ومنها :

اعمال ابن خلدون

اولا : انه قبل الوظيفة في ديوان السلطان الفضلي بن السلطان يحيى الحفصي واستوزر بن تافراين الذي ولي ابن خلدون في سنة 730هـ / 1330م وظيفة كاتبه العلامة ومع ان هذا لا يقتضي الكثير من العمل ولكن قبول ابن خلدون بهذه الوظيفة لأول مرة فتحت له الباب لمجالسة اهل الدولة والاطلاع على خفايا الامور الادارية وغيرها من شؤون الحياة العامة ، والمعروف ان بين آل خلدون والحفصيين من المودة والصلات الطيبة ما جعل المؤلف يقل هذه الوظيفة وكلهم في النكبة سهوا .

ثانيا : انه اتصل بالسلطان ابن عنان فاكرم وقادته واخذ يظهر ولاده ، فعينه السلطان عموا في مجلسه العلني بفاس حيث افام هناك عام 755 هـ واقسمت له هذه المناسبة لطبع على احوال المغرب الاقصى بعد ان عرف المغرب الادنى والوسط وفي اثناء ذلك كله لا يتصرف من الدرس والندريس ومتابعة قراءة الكتاب ومحادثة العلماء ورجال الدولة ويحتنف الى مكتبات فاس التي كانت من اغنى المكتبات الاسلامية فاتسع اطلاعه . وكان لزيارته لفاس اثر طيب في نفسه اذ قال :

« وعكمت على النظر والقراءة ولقا للشيخة من اهل المغرب واهل الاندلس الوافدين في غرض السفارة (أي السفارة بين امرائهم وسلطان المغرب الأقصى) وحصلت من الافادة منهم على البيئة » (E) ويبدو من كلامه انه اثناء هذه الإقامة في فاس اخذت تتكشف له المطريات التي كانت تشغل باله عن احوال البلاد في الاندلس والآن في المغرب الأقصى وقبل ذلك في المغرب الاوسط .

ثالثا : انه بعد اقامته نحو سنتين في فاس شعر انه يستطيع التحرك سياسيا ليتم بنية لم يفتح عنها فقد اتفق مع الامير الحفصي ابو عبد الله محمد الحفصي صاحب بجاية اسحوق ، وكان اسرا في فاس وجرى بينهما التفاهم على ان يوليه منصب الحجابة (وهو ارقى منصب في الدولة) ويسمى

لتحريره واسترداد ملكه (2) = ولم يفعل ابن خلدون ذلك الا وهو يعلم نتائج عمله وبعد ان كتب كتابه الكبير « العبر » يظهر من آرائه هدف جديد شعر انه قد يتحقق اذا عاد الامير المختلوع الى بجاية وهي المنطقة التي يمت كحاضرة لعالم جديد حتى ان مدينة بجاية أصبحت كلمة الرواد من جميع الاممات وظهر عليها من العمران ما جعل المؤلف يفكر بان يضعها محوراً لمشروعه العلمي او بالاحرى « نظرية العمرانية » ويعرفها بينه وبين الدولة الحفصية من العلاقات الطيبة فاذن زج العمران عن قرطبة لماذا لا يكون مستقره في بجاية وفيها جميع اسباب الازدهار والعمران حسبما كان يفكر ابن خلدون بالطرق التي اوجزها في كتابه الاول من كتاب « العبر » =

واقعا ؟ انه لم يكف عن السعي لتحقيق بقية وبعده ان رأى مشروعه الاول مسح الامبراطورية الحفصية فمادام لا يجادل مع الدولة المرينية وراى ان الفرصة كانت تسمح له وذلك ان ابا سالم بن ابي الحسن كان يسعى لاسترداد العرش فغير من الاندلس حيث كان احوه ابو عسان قد نفاه الى المغرب وارسل الى ابن خلدون يقسم ببيت دعوته والتعهد لاستلانه على السلطان ومن ثم ينزله اعظم منزلة وحلس ابو سالم على العرش بفضل جهود ابن خلدون سنة 760 هـ وعين ابن خلدون في كتابة سره وجعله موضع ثقته وعظه (3) وظل ابن خلدون عامين في كتابة السر والانتشاء والبراسيم للسلطان ابي سالم وقد غير ابن خلدون في طرق الكتابة ولعله بدأ يحط مشروعه كتابه « العبر » ويبس لنظريته العمرانية الاسس لتطبيقها او الاعلان عنها شيئا فشيئا ولكن اخيرا قام رجال الدولة واولو الراى بتورة على السلطان ابي سالم وانتهت الثورة بخلع السلطان وتولية اخيه لخطاب فمن ابن خلدون ثالثة وقرر الرحيل عن فاس ؟ وكأنه اراد اجراء محاولة ثالثة في ابن حمو من بنى عبد الواد في تلمسان والآن وقد فشل مع الحفصيين والمرينيين وهنا ايضا لم تنجح خطته لمنع المرور بطريقه على ابي حمو في تلمسان وذهب الى غرناطة بالاندلس في عام 764 هـ بعد ان قصا ابن خلدون بالقرب الاقصى نحو تلمسان سنين وفي غرناطة جرت له سفارة بين ملكك غرناطة ومالك شتالة « اطهره بن الهنشة بن اذقوش » = (1)

(2) كان ذلك في سنة 758 هـ واطلع ابو عسان على هذا التدبير فسجن الامير وابن خلدون واطلق سراح الاول وبقي الثاني في السجن مدة عامين واطلق سراحه بعد وفاة السلطان ابن عسان عام 759 هـ .

(1) التعريف - 760 .

(2) تحقيق المتقدمة لمذكور عن عبد الواحد وافي - ص 78 .

خلاصا : لا شك ان ابن خلدون اثنا اقامته في غرناطة وذلك في سنة 766 هـ كان يكمل من كتابه ما كان ينقصه من اطلاع وتثبيت لما شاهده في الاندلس ولا سيما في اشبيلية موطن اجداده ولا يملنا الزلف ماذا كان يدور بين الشيخين الجليليين ابن خلدون وابن الخطيب وهما يملكان قدرة عملية هائلة ولا يد اهما تناقشا في شؤون البلاد كلها ومستعبلها والاحطار التي كانت تحدث بها وهما اعلم بيوطن الامور وفي هتم الانشاء وافق وقت وجوده بخرناطة ان ابا عبد الله محمد الحفصى - امير بجاية - وفيها الحبيب والمحبوبة لدى قلب ابن خلدون واليهما يستطيع ذلك الفكر المتوقد والعالم المتبحر وزاد المزية القصاء التي لا تعرف الوجيل والكلل لان الامر هام وخطير والمصر قصير وكان لابد ان يتحضر ابن خلدون مرة ثانية وقد سئحت له الفرصة فقد عاد ذلك الرجل الى ملكه واستولى على عرش بجاية من سنة 765 هـ ولم ينس هذا الامر ابن خلدون ولم ينس الوعد الذي كان قد قطعه به بان يوليه الحجابة اذا تم له استرداد عرشه .

ولما كتب الامير الحفصى الى ابن خلدون قـرر السفر في سنة 766 هـ وركب البحر من المرية الى بجاية ليتمتعف سنة 6 هـ وقصلى الاندلس نحو مستين ونصف سنة ، وهما في بجاية بدت الامور تسير حسينا كان يشتهي ويفكر فاستقبله الامير والناس ولاء الحجابة وصار صاحب السلطة الاولى بعد الامير ويقول ابن خلدون انه رغم قيامه بتصريف الامور كان لا ينفك عن المطالعة والتدريس بجامع القصبة (2) واستفاد من اقامته هنا انه اتصل بالناس وحالط القبائل وعرف نزعاتها واهوائها ولكي الامور تسير على غير ما هو واد فتشعب الحصومة بين الامير ابي عبد الله امير بجاية وابن عمه السلطان ابي العباس احمد صاحب قسنطينة الذي كان يرغب في امتلاك بجاية لاهميتها فقام بمساعدة القبائل وهاجم اسدينة سنة 767 هـ وقتل ابا عبد الله ! اما ابن خلدون فقد خاطبه الناس لاستلام زمام الامـر والليمة لبض ابناء السلطان الصغار ولكنه رفض مسابقة القوم في بجاية وفضل الخروج الى السلطان القادم الجديد ابي العباس الذي اقره في منصب الحجابة واخيرا وجد ابن خلدون خوفا من بطش السلطان به ان يخرج من بجاية وينزوى في « يسكرة » وحاول « ابي حمو » في تلمسان استمالة ابن خلدون واستغلهه ولكن الاخير علم ان بشيئه التي تدور في نفسه لم تتحقق فمزف عن قبول الوظيفة لدى « ابي حمو » وفضل كتابة

ما كان يفكر به في كتاب يرضى بذلك نفسه واكتفى بالرد على من حو بان ايجابية لبث العناية بسن القبايل من اجل استلانه على بجاية التي اصبحت في ذلك العصر حضرة المغرب كله لما حاد اليها من العمران وتوادم عليها الناس من الاندلس فماذا اودعها في شهادته في ايام الدولة الحماوية واكثر فازدادت صلاتها مع العالم ولا سيما أوروبا وازدادت تجارتها فاصبح المغرب الاوسط وكأنه اندلسيا ثانية من ناحية العمران والسكان أما ابن خلدون فقد انعكس في قلعة بني سلام لتأليف كتابه مرة اربع سنوات واربع اخرى راجع كتابته في تونس وذلك قبيل الرحلة للشرق

التعريف « بعلم العمران »

عرفنا ابن خلدون ببجاية حاضرة المغرب من خلال قراءات تاريخه وسنعرّفهما الآن عن طريق معرفة علمه الجديد الذي استنبطه وسماه « علم العمران » وقد اشتهر ابن خلدون بتاريخه الذي لا يقل أهمية بالنسبة للمغرب عن علمه « ولنعرف الآن ماذا اراد المؤلف بوضع هذا العلم الذي استخرج الاسس الهامة فيه من تاريخه الذي ضمه كتابه المشهور بالعبر فانه يحلو بنا العودة الى موضوع « حركة نزوح » الاندلسيين الى المشرق واسيطانهم في المغرب وقد لاحظ ابن خلدون هذه الظاهرة المحيية وتابع تطوراتها وكانت نتيجة دراسته علمه في « نظرية عمرانها » وضع فيها خلاصة أفكاره وما توصل اليه من آراء تساعد على فهم سيرها لا في المغرب فقط بل في العالم كله « فما هي هذه النظرية وما هو هذا العلم - علم العمران - وما هي أهميته ؟

قال ابن خلدون في تعريفه للممران بما يلي :

« انه هو الساكن والتنازل في مصر او حلة للانس البشر واقتضاء الحاجات » وسمى هذه العملية « عمرا » لان الآية الكريمة تنول :

« ... يا قوم ابعثوا الله ما لكم من الله فخره هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها » (1)

واطلاقا من هذا المعنى اتخذ ابن خلدون يدرس التاريخ « تاريخ بلاد اوله وخصه بالاهتمام لانه استطاع ان يطلع على حوادثه ووضع لنفسه منهجا لدراسته فاخذ يجمع انشا رحلاته في البلاد لملاحظاته الحسية وما شاعده من آثار هذه الظاهرة كمادة اولية ثم اخذ يستخرج منها مسائل

(1) لقرآن الكريم سورة هود ، 61/xx .

كثيرة انتهى من دراستها الى اكتشاف قوانين عامة تتحكم بسير هذه الظاهرة التي يدت له انها ازالة وهي باقية ما في في الوجود اجتماع بشري ووجد ابن خلدون ان هذه الظاهرة احيانا تأخذ اشكالا مختلفة على حسب البيئة والعصر الذي تأخذ سيرها فيه فاحوالها من احوال البشر في عاصمتهم وصناعاتهم واعمالهم الاخرى التي تظفر في جوهرها واحدة وهذا ما دعى بشر المؤرخين ان يقولوا ان التاريخ يعيد نفسه والحقيقة ان الحركة العمرانية واحدة ولكن العادات والنظم تختلف بحسب الظروف التي يحيط بها فشبها ابن خلدون ذلك بالاحداث الماضية وهي تماثل ما يحدث الآن وسيحدثه غدا بالما، دائما يشبه لما، ولما يختلف الانا، وما كانت وظيفة التاريخ دائما الا انه كالجرب يستوعب ما جرى من حكمة أو عبرة عبر العصور كلها .

وعلى ذكر الحركة العمرانية هذه التي لاحظها ابن خلدون في الاندلس والمغرب وجد انها قد تكبر وتصغر وتوسع وتبطل وفقا لظروف أو ظروف الدهر واحواله فالانسان المدني أو الحضري أو البدوي سواء فهو سائر في حركة عمرانية والاختلاف بين الاثنين لسمي تماما فما اندفع المسلمون من جزيرتهم العربية الا انهم شعروا بحركة خفية تدفعهم وربما كانت الحاجة أو الدعوة الاسلامية التي زادت في سرعة سر هذه الظاهرة ولكن ابن خلدون يقول بان الحركة العمرانية تسير بطوائف اخرى غير دينية بدليل وجود العمران من الازل . وعلى هذا الاساس فان « نزوح » الاندلسيين امر طبيعي لان الغواصين الى تتحكم بالحركة العمرانية طبيعية ازالة مصاحا ابن خلدون « بطوائف العمران » . وتنازلهم وتساكنهم في المغرب الاقصى وعلى سواحل المغرب الاوسط وفي غيره من المناطق امر طبيعي وقد ثبت هذا الامر بشكل واضح في ازدهار مدن المغرب الاوسط وخاصة بجاية التي شاهد ابن خلدون مظاهر هذه الحركة العمرانية باجلى مظاهرها .

وعلى سبيل المثال والتأكيد فلم يكن الفتح العربي الا امتداد لحركة عمرانية واسعة لان البوائع لها كثيرة وقوية واقرى شى، فيها الدعوة الاسلامية . وقد تقتصر الحركة العمرانية على نطاق ضيق فتظهر في حياة مدينة ملهى وتزدهر ثم تندثر أو كانت احيانا تنبسط وتكسر فيقل عمرانها الى ان ياتيها الرشد من السكان وتصيب سبلها لها يتولى ملكها فتعود تتحرك وتواكب ركب « الحضارة » والامر بالنسبة لابن خلدون عبارة عن معرفة وعمل وادراك ما هو حسن واحسن وفاضل وافضل . ونتيجة لهذه النظرية العمرانية فكلسا تبحر الانسان في العمران وقارب الحضارة واصبح عمله لا للعمل خالصا بل للعمل للترف والترف كان سيرة معاكسا لحركة العمران الملكية

وهو قد لا يجد نفسه مسترخياً متدهوراً ولكن يجد نفسه امام كوارث لا يفهمها وهو كان من ناحية السبب في وجودها لانه لم يساير ولم يتقدم مع شروط سير هذه الحركة فيجد نفسه في اوضاع ارضه وحضارة غير حضارته وعصر غير عصره فلا يعلم ماذا يفعل ويشعر بنفسه تأثرة حاضرة وهذا ما حدث للشعوب وحضارات ابدت وحلت مكانها شعوب وحضارات جديدة *

قلنا قبل ان ابن خلدون لم يميز العمران الحضري عن العمران البدوي الا باختلاف طبيعة العمل بالنسبة للمعاش فالياداة بهذا العمل حضارة ولكنها تختلف في سيرها بالنسبة للحركة العمرانية ولم يكن المنتج العربي للمغرب والاندلس طمعا بارض أو مال وانما تهيات الظروف سواء من ناحية بلاد او من ناحية البلاد المفتوحة التي ساعدت على هذا المد الاسلامي العربي وبعد ثلاثة قرون تهربا من المنتج احل سكان الاندلس ينعمون بترف زائف ولم يجد عمل الناس يصرف من اجل العمل الذي هو الضمان الوحيد لحفظ النوع كما هو الامر في لكائنات الاخرى فشعروا بتقاعسهم وتخاذلوا امام مد حديد من طرف الاسبان فتحركوا نحو الناحية الضعيفة بالنسبة لهم ووراءهم «دعوة» أو عصمة كما يسميها ابن خلدون ولم يكن الله لاسباني موحها للشرق بل اجتاز البحر الى مجاهل افريقيا وامريكا ويقال ان «كورتز» فاتح المكسيك عرض على ملك الاسبان معاودة فتح الجزائر بعد ان فشل شارل الخامس في فتحها 1509م على شرط ان يتركوا الحكم له فيها فرفض طلبه ولا نقالي ونحن يصعد هذه الحركة العمرانية اذا قلنا ان الله الحديدي في المغرب وخاصة في الجزائر يشير بمستقل زاهر لان الهمم اخذت تشجع لمحاولة العمل المتحرر والعمل لاجل العمل الذي هو هدف قومات العمران حسب نظرية ابن خلدون العمرانية ولا يبعد بنا الزمن الا ونرى ان البلاد الجزائرية بما فيها من مدن وقرى ومؤسسات تسير وفقا لطبائع الحركة العمرانية التي وضع لها ابن خلدون «علم العمران» وهو علم جديد ووضع كل وسائله فيه *

نصيرات النظرية العمرانية :

وتوصل ابن خلدون الى تحقيق ابحاث علمية بالاضافة الى «علم العمران» الذي استنبطه وكان من ثمرات دراسه لهذا العلم انه اكتشف معنى للتاريخ ارتفع بموجبه الى مرتبة العلوم او الفنون، اذ ان العمران مفهوم ابن خلدون لا يتم الا بجمعها توصل اليه الانسان منذ القديم من حصيله

عمراوية سواء كانت بطريقة الجسج أو الانعاط إنها على سبيل « المبرة » فالعمران بحوادثه هو المبتدأ وما التدريج الا وهو « الخبر » .

وكذلك ظهرت ثمرة ثالثة على هامش « علم العمران » أخذ يول العناية اهتمامهم بها حديثا وهي « الثقافة » وهي مجموعة ما يتوصل اليه الانسان من نظم ومعرفة واصول وعادات وغيرها فتصبح على مر العصور « حصيلة » لما قام به الانسان منذ القديم فيودعها تاريخه الذي المنها اليه ويهم الوسميلة وبطريقة العمران يستطيع الانسان ان يتعرف على وضع بلاده في « المسيرة العمرانية » بواسطة اجراء دراسات ثلاثة متلاحقة متلانة دراسة عمرانه وتاريخ عمرانه والثقافة التي تربط بين الانبيى فاذا كانت البلاد والضعوب التي يعيش فيها تسير وفقا لطبائع العمران العامة فانها ولا بد باقية وخالدة ايضا »



دقة ابن خلدون وصراته

• إن شذون لميل والتميز
• رويته لشذون السيرة
• مظهراته هذه المرونة
• وف تولى أمور مجالية وقد
• لسانه مع تيمورلنك

من أهم صفات ابن خلدون أنه كان يُلبيس لكل حال لبوسها اللائق بها ، ويَقِفُ حيالها الموقف الموائم لمثلثونها :

ففي ميادين البحث الاجتماعي كان يجري نفسه من جميع الانكسار المسبقة ، وينظر من الظواهر الاجتماعية دراسة موضوعية ناقرا إليها على أنها أشياء ، ويجري مباحث البحث العلمي على مصطلحاتها للموقوف على حقيقتها وظائفها وطرائق تطورها وما تخضع له في مختلف أوضاعها من قولتين بالمعنى العلمي لكلمة قانون * فاستحدث بذلك في دراسة هذه الظواهر علما جديدا لم يسبقه إليه أحد من الباحثين من قبله وهو ما تسميه الآن علم الاجتماع أو الديموسينولوجيا لأن قوام هذا العلم هو دراسة هذه الظواهر بهذا المنهج ولهذا الافتراض *

وفي هذا يقول هو نفسه : « وأعلم أن الكلام في هذا القرض مستحدث الصنعة غريب النوعة ، غزير الفائدة ، أكثر عليه البحث ، وأدى إليه الغوص *** وكأنه علم مستنبط الفشاة ، ولعصرى لم اقبل على الكلام في منحاء لأحد من الخليقة » (1) *

د. علي عبد الواحد وافي

كعبة الأدب
حاسة بحسبه الخامس
للحرب

وكان في بحوثه التاريخية يمحس ما يصل اليه وما يطلع عليه في بطون الكتب من الاختيار تمميما دقيقا ، ليميز بين غثها وسمينها وفاسدها وصحيحها ، فيستبعد منها ما تحوم حوله شبهة

(1) المقدمة تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي ، الجزء الأول صفحة 474 *

الكتب المتعمد الذي تدفع اليه عوامل كثيرة منها التزلف والتملق للملوك والوزراء ونزوى الجساء أو شبهة الكذب غير المتصد الذي يحدث نتيجة للتشجيع للاراء والمذاهب ، ويستبعد كذلك ما تحكم قوانين الطبيعة أو قوانين علم النفس أو قوانين الاجتماع أو الماديات المألوفة باستحالة وقومه ، وقد ضرب لذلك كله أمثلة كثيرة من مغالط المؤرخين في فاتحة مقدمته (2) ولا يأخذ مما يبقى بسعد استبعاد هذا كله ما يدعمه تراثر موثوق به أو يؤيده سند قسوى *

»

وفي ميادين القضاء الذي تولى شؤنه في مصر (عين أكثر من مرة قاضيا لقضاء المالكية في مصر) كان مثلاً أعلى في توحى العدالة في أدق معانيها ، والحرص على المساواة بين جميع الناس أمام القانون ، والمزوف عن طرائق الحيل والالتواء والمحاباة ، والصرامة في توقيف العقوبات على مستحقيها - وقد شهد له بذلك كله حتى الخصومة أنفسهم ، وكان هذا سبباً في إثارة السخط عليه من كل ناحية ، ولكنه لم يابه لمضى من ذلك ، وسار في جاسته لا يخشى لومة لائم ولا يلقى بالإلحاحي أن يناله من جراء ذلك من أدنى ، وقد حلت به بالفعل بسبب هذا المسلك كوارث جمة يدر أن تقرى على زحزحته شروى فقير عن منهجه ، ويصف هو نفسه مواقف هذه إذ يقول : « فمقت بما دفع السلطان الي (يقصد الظاهر يرقوق سلطان مصر حينئذ » من ذلك المقام المحدود (يقصد منصب قاضي قضاء المالكية الذي ولاه السلطان آياه بمصر) ووقيت جهدي بما امتنى عليه من أحكام الله ، لا تأخذني في الحق لومة ، ولا يزعني منه جاء ولا مطرة ، مسويا في ذلك بين الخصمين ، أخذاً بحق الضعيف من الحكيم ، معرضاً عن الشفاعات والوسائل من أنجانيين ، جاتماً إلى التثبت في سماع البيئات ، والنظر في عدالة المنتصمين لتجمل الشهادات » وكيجت اعنة أهل الجهل والهوى ، وريختهم على اعقابهم *** فارغمهم تلك منى ، وملام حقدًا وحسداً على *** وانطلقوا يدرسون إلى السلطان التظلم منى *** وأنا في ذلك محتسب عند الله ما مبيت به من هذا الامر ، ومعرض عن الجاهلين ، وماض على سبيل سواء من الصرامة وقوة الشككية ، وتحري المعدلة ، وخلص الحقوقي ، والتتكب من خلة الباطل متى دميت إليها ، وصلابة الصود عن الجاه والأغراض متى غمزني لاسمها *** ولم يكن ذلك شأن من رافقته من القضاة *** فكش الشغب على من كل جانب ، وأنظم الجوبييني وبين أهل التولة و (3) *

(1) المرجع السابق صفحات 359 - 443

(2) انظر : على ميد الواحد والقي : « حيقريات ابن خلدون » صعات 81 - 84 ، وانظر كتاب « التعريف بابن خلدون » وهو الكتاب الذي ترجم فيه ابن خلدون عن نفسه ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة 1953 ، تحقيق محمد ناويط الطنجي ، صفحات 254 - 260 *

ولكنه في ميادين العلم والقضاء * وذلك انه لما كانت السياسة في عهده - بسبب لعبها كذلك في جميع الميادين - تقتضى البرونة والتلون والالتواء ، فقد ليس لها ايوسها ، فتلون والتوى حينما دتمته الى تلك مقتضياتها *

وفيما يلي موقفان ليس في كليهما للسياسة هذا اللبوس : احدهما موقفه حينما تولى شؤون بجاية ، والآخر موقفه في لقائه مع تيمورلنك *

اما فيما يتعلق بموضوع بجاية فان اميرها ابي عبد الله محمد اللطفي قد كتب الى ابن خلدون سنة 766 هـ يستدعيه من غرناطة ، ليشركه في امره ، ويولييه حجابته (وكان منصب الحجابة حينئذ ارقى منصب في الدولة بعد منصب السلطان ، ويشبه منصب رئيس الوزراء في عصرنا الحاضر) ، فيأمر ابن خلدون بتلبية هذا العرض الكريم * ولما وصل الى بجاية في منتصف سنة 766 استقبله اميرها نفسه واستقبله اهلهما استقبالا حافيا يصفه ابن خلدون اذ يقول : « فاحتفل السلطان صاحب بجاية بقديومي ، وارتكب اهل دولته للقاءني ، وتهاافت اهل البلد علي من كل ارب يعسجون اصفاي ، ويقبلون يدى ، وكان يوما مشهورا » (1) ويصف المنصب الذي تولاه في بجاية وهو منصب الحاجب فيقول انه يمنح صاحبه « الاستقلال في الدولة والوساطة بين السلطان واهل دولته ، لا يشركه في ذلك احد » (2) ، ويصفى ابن خلدون في وصف ما قام به في هذه الفترة فيقول : « فاصبحت من الغد » وقد امن السلطان اهل الدولة بمباكرة بايى ، واستقلت بحمل ملكه ، واستفرغت جهدى في سياسة اموره وتجيير ملهاته وقسمتى للخطابة بجامع القصبة ، وانا مع ذلك ماكف - بعد انصرافى من تدبير الملك غنوت الى تدريس العلم اثناء النهار بجامع القصبة لا انكف عن ذلك » (3) *

وهكذا جمع ابن خلدون في هذه الفترة بين ارقى مناصب الدولة وارقى مناصب العلم ، ومحت له فرصة طيبة لاشياع مصالحه الطمية العميقة من جهة وارضاء ما كان يظف على سطحها من تيارات تنفد به نحو السياسة من جهة اخرى * ومضى يدبر الامور بحزم ، ويمالج الفتن الغائمة ، ويتجول بين القبائل البدوية يجنى منها الضرب بدماثة وسراحتة (4) *

1. التعريف 97 - 98 *

2. التعريف 97 *

3. التعريف 98 *

4. التعريف 98 *

ولكن الخصومة ما لبثت أن نشبت بين الأمير أبي حيد الله أمير بجاية وابن عمه السلطان أبي العباس أحمد صاحب قسنطينة ، وكان أبو العباس يتطلع إلى امتلاك بجاية ، فأخذ يشير على أميرها القبائل والبطون المجاورة * وفي سنة 757 هـ قصدوا بجموعه فهزم أبا حيد الله وقتله وسفل بجاية ظافراً^٩

وكان ابن خلدون حينئذ يلزم القصر في بجاية * وقد طلب إليه بعض الزعماء أن يدعو لصبي من أبناء السلطان القليل ويقوم هو بالامر باسم هذا الصبي ويدفع عن البلاد ويدفع عنها المعتدين ، وكان الوفاء للسلطان القليل الذي أسدى إليه أكبر فضل وولاء أرقى وطيقة في دولته ، والبر بالبلاد التي أكرمتها ، كان كل ذلك يقتضيه أن يدعن لما ظليه إليه هؤلاء الزعماء ، ويدافع عن البلاد ويحاول أن يرد عنها الاعتداء ، ويحفظ العرش للأسرة المالكة ، ولكنه لم يدعن لهذه المثمل العليا وما تتطلبه من غلب وتضحية وأقدام ، وأحسن لقتضات السياسة والقواء أنها ، فأحسّر العامة ، وأبى أن ينقذ ما أشار به عليه هؤلاء الزعماء ، ولم يتخذ موقفاً سليباً فحسب ، بل خرج إلى تحية الظاهر ، والاتصاف تحت لوائه ، وسلمه المنية ، ويصف ابن خلدون هذا الموقف فيقول : « وجاءني الخبر بذلك ، وأنا مقبم بقصبة السلطان وقصوره ، وطلب مني جماعة من أهل البلد القيام بالامر ، والبيعة لبعض الصبيان من أبناء السلطان ، فتأديت من ذلك ، وخرجت إلى السلطان أبي العباس ، وأمكنته من البلد »^{١٠}

فأكرمته أبو العباس في ميثا حكمه ، وأقره في منصب المجابة حياً ، ثم ما لبث أن لكتاب منه ، فتنكر له ، ورغب عن خدمته ، فتوجس ابن خلدون خيفة منه ، واستأذن في الانصراف إلى أحد الأحياء القريبة ، فآذن له ، ولكن عن له بعد ذلك أن يقبض عليه ، ففر ابن خلدون إلى يسكرة وهكذا كانت نتيجة الرتبة والتلون والالتواء *

وأما فيما يتعلق بلفاقه مع تيمورلنك فإن ابن خلدون نفسه يصفه وصفاً دقيقاً إذ يقول : « فلما وقفت بالباب خرج الآنن باجلامسي في خيمة هناك تجاور خيمة جلوسه ، ثم زيد في التعريف باسمي إلى القاضي المالكي انغريبي (كان ابن خلدون حينئذ مقيماً بمصر وكان قد تولى فيها منصب قاضي قضاة المالكية ، ولكنه وقت وفاته مع تيمورلنك لم يكن في هذا المنصب) فاستدعاني ودخلت عليه بخيمة جلوسه متكئاً على مرقفه ، وصحاف الطعام تمر بين يديه * * * فلما دخلت عليه فاحتضت بالسلام ، وأوميت إيماة الخضوع فرقع رأسه ومد يده إلى قبليتها ، وأشار بالجنوس مجلسيت حيث انتهيت ، ثم استدعني من طائنته الفقيه عبد الجبار بن النعمان من فقهاء الصنفاة بخوارزم ، فأفاده يترجم بيننا »^{١١}

(٩) التعريف ٩٩ *

وبعد أن ذكر ابن خلدون ما دار بينهما من حديث يتعلق بتاريخ ابن خلدون وحياته في مصر ، وحياته أسرته في المغرب ، وما استطرد إليه هذا الحديث من الكلام على بلاد المغرب الأدنى والأوسط والاقصى ، ومسؤول تيمورلنك عن مواقف هذه البلاد ، قال أن تيمورلنك لم يكتب بما قتله له شلويا وقال له : « أحب أن تكتب لي عن بلاد المغرب كلها اقصاها وادانيها وجباله وانهاره وقراه وأصواره حتى كأي أشاهده » فقلت يحصل ذلك لسماعتك * وكتبت له بعد انصرافي من المجلس ما طلب من ذلك وأصبحت الغرض فيه في مختصر وجيز يكون قدرتي عطرة من الكرايس المنصفة (x) * - ويظهر أن تيمورلنك كان يقصد غزو المغرب ، فأراد أن يقف على تفاصيل بلاده ومواقعها وجغرافيتها * ولم يجد ابن خلدون غضاضة في أن يعينه على غزو موطنه الأصلي وسقط رأسه *

ويظهر أن ابن خلدون قد عاوده حينئذ دأؤه القديم ، ومساوره الحنين إلى المقامرات السياسية ، فكان يعلق على صلته بتيمورلنك أمالا كبيرة ، ولعله كان يأمل الانتماء في طائفة هذا الفاتح والظفرة لديه * وإنك أخذ يطنب في محبه وينكر له أنه كان عظيم الشوق إلى لقائه منذ أحد طويل ، ويتنبأ له في مستقبله بملك عظيم مستقلا على صحة تنبؤاته بحقائق علم الاجتماع وأقوال النجميين والمذنبين بالعيب ، ويظهر كذلك أن ابن خلدون قد أنس سذاجة في هذا الغامض وحباً في المديح ، فأخذ ينفخ في كبريائه بهذه التنبؤات * ويروى ابن خلدون ما ذكره لتيمورلنك بكون أن يصرح بما سماه إلى ذلك فيقول : « ففاحتته وقلت له : أياك الله إلى اليوم ثلاثون أو أربعين سنة أتمنى لقاءك - فقال لي انترجمان عبد الجبار : وما سبب ذلك ؟ فقلت إمران : الأول أنك سلطان العالم ، وملك الدنيا ، وما اعتقد أنه ظهر في الخليقة منذ أتم لهذا العهد ملك - ولست ممن يقول في الأمور بالجزأف » فأنى من أهل العلم ... (ث أخذ يؤيد قوله بنظريات اجتماعية عن قوة العصبية وأثرها في الملك) - وأما الأمر الثاني مما يعملني على تسني لغائه فهو ما كنت أسمعه من أهل الحنطان (وهم النجميون والمهمون بالعيب من حوارج العالم من طوائف النفتيين) بالمغرب والأولياء * وأختلق له طائفة من أقوال هؤلاء تنبئانه بملك عظيم (2) *

غير أن ابن خلدون لم يوفق إلى تحقيق ما كان يأمله من تيمورلنك ، فلم تمش أسابيع قليلة حتى سئم البقاء في دمشق ، واستأنف تيمورلنك في العودة إلى مصر فأنه لـ *

(x) التعريف 370 *

(2) التعريف 372 - 373 *

ونُسيلا عن اخفاق ابن خلدون في الوصول الى ما كان يامله من تيمورلنك فان هذه الرحلة كانت مغرما كبيرا له ، فقد تجشم في ثنائها هجيتين قدمهما لتيمورلنك ، وفقد في طريق عودته منها جميع ما كان معه من مال ومتاع *

وكانت الهدية الاولى تشتمل على « مصحف رائع حسن في جزء محض ، وسجادة انيقة ، ونسمة من قصيدة البردة الشهيرة للبوصيري في مدح النبي صلى الله عليه وسلم واربع علب من حلالة مصر الفاخرة » (1) *

ويصف ابن خلدون الهدية الثانية فيقول : « ولما قرب سفرى ، واعتزم على الرحيل من الشام ، دخلت عليه ذات يوم ، فلما قضينا المعتاد ، التفت الى ، وقال : اهنك بغلة هنا ؟ قلت نعم - قال حسنة ؟ قلت نعم - قال وتبعها ، فاننا اشتريها منك ؟ فقلت اينك الله ! مثلى لا يبيع من مثلك - انما انا اخدمك بها وبامثالها لو كانت لي - فقال انما اردت ان اكافئك عنها يا احسان ، فقلت وهل بقي احسان وراء ما احسنت به : اصطنعتني واحللتني من مجلسك محسبى ضواك ، وقابلتني من الكرامة والخير بما ارجو الله ان يقابلك بمثله ، وسكت وسكت ، وحملت البغلة وانما معه في المجلس اليه ، ولم ارها بعد » (2) - وهكذا اراد ان يضحك على تيمورلنك ويغتر به ، فضحك عليه تيمورلنك ، واستقبله اعز ما كان معه *

ويصف ابن خلدون ما اصابه في اثناء عودته من ضياع ماله ومتاعه فيقول : « وسافرت في جمع من اصحابى ، فاعترضتنا جماعة من العشير ، قطعوا علينا الطريق ، ونهبوا ما معنا ، ونهبونا الى قرية هناك عن ايام » (3) - وهكذا كانت النتيجة لما دعته اليه حقنضيات السياسة وامالها من مرونة ومدانة والقوام *

(1) التعريف 377 *

(2) التعريف 387 *

(3) التعريف 379 *

إقامة ابن تومرت ببجاية وملاّلة

بمناسبة إصدار عدد خاص من مجلة الأناضول يتعلق بمدينة بجاية ظهر لنا من القيد أن لذكر حدثا هاما وقع ببجاية البغدادي في عهد الخليفة بن المنصور الأمير الحافظ النعمان وهو : إقامة ابن تومرت ببجاية وملاّلة ، أن ابن تومرت عند مجيئه من الشرق زاد بالتوالي طرابلس والهدية والتنتير وتونس ولستينة ثم وصل إلى بجاية .

فاختلف المؤرخون فيما يخص تاريخ إقامة ابن تومرت ببجاية متى حمله قتال إسماعيل الظاهر (1) أنه وصل إليها سنة 511 / 1117 - 1118 وذكر ابن خلدون (2) أنه راها في سنة 512 / 1118 - 1119 وأعلينا البليق (3) بأنه اقام بها في شهر رمضان وعيد الفطر يكون أن يبعد لنا السنة .

لأننا بينا في مقال صدر في مجلة « تاريخ وحضارة المغرب » (4) أن أصبح القول في نظرنا هو ما جاء في كتاب ابن الظاهر .

وهما كان الحال نزل ابن تومرت ، عند وصوله إلى بجاية « مسجد الرينطانية وكان إذ ذاك مصحوبا بيوسف الدكّال والحاج عبد الرحمن وأبي بكر بن علي الصنهاجي الكشي بالبليق ، صاحب كتاب هام عنوانه « كتاب أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين » . ولهم القية السوسى ، كما كانوا يسمونه وقتئذ « الله الخاصة ببجاية بالتدريس والامر بالعرف والهي عن الفكر .

دوشيه بوروية

كلية الآداب
بسة الجزائر

لما يحسن التدريس ذكر المراكشي (5) أنه « ظهر بها تدريس العلم والوعظ » واجتمع عليه الناس ومالت إليه القلوب « وإمدادنا البليق (6) باسماء العلماء الذين كانوا يحضرون إلى دروسه : محرز وإبراهيم الزيفرى وإبراهيم بن محمد الخليل ويوسف بن الجزيري الحراوى وعبد الرحمن بن الحاج الصنهاجي القاضي .

اما فيما يتعلق بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال ابن القطان (7) : « لما دخل ابن تومرت بجاية لقي بها الصبيان في رى النساء بالصفاث والاضراس والزينة وشواشي الخزواقي الاردال قد نسوا بذلك وانهمكوا فغير للنكر جده وازال ذلك الازى مستطاعه » ثم حصر عبداً فرأى فيه من اختلاط الرجال بالنساء والصبيان المتزينين المتكلمين ما لا يحل ، فزجرهم وغير ذلك عليهم فوقعت لاجل ذلك نفرة استتال فيها القسر ، وسلب النساء حليها وقام الهرج »

وذكر البيهقي من جهة (8) : « كان ابن تومرت ينهى الناس عن الامراق الزرارية وعمائم المجاهلية ولباس الفتحشيات للرجال ويقول لا تنزينوا بزي النساء ، لانه حرام وكان يبيع الطيب للرجال والنساء »

ولاحظ ابن خلدون (9) اخيراً : « ولا دخل ابن تومرت بجاية وبها يؤمّن ابن المرزوق بن المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد بن امراء صنهاجية وكان من المترفين فاغلظ له ولاتباعه بالنكر » وتعرض يوماً لتعير بعض المكراة في الطريق فوقعت سمسها حمة »

كما نظونه هذه الهيمة لم ترغب الامير المرزوق -

فذكر ابن القطان في هذا الصدد (10) : « فسأل المرزوق عن سبب ذلك » فعرف بانسه لا سبب له الا القبحه السوسى وكثلك كان - ورضي الله تعالى عنه - يعرف بالشرق - ووجد المشتعون سبيلا الى القول فيه » وقالوا واوغروا عليه قلب المرزوق ، فامر بجمع الطلبة لمناظرة في جرائنه على الملوك « فاجتمعوا في دار احدهم واحتملوا في اعداد المطاعم واشارب وجوها عن الاسام - رضى الله تعالى عنه - الى المسجد الذي كان يحل فيه ، فامتنع من الوصول اليهم ، فوجهوا اليه الكتب عمر بن فلغل - فلامصقه واقدم عليه ورغبه وتصرع اليه حتى اسمعته ، فوصل اليهم » فتناظروه وساملوه ، فاجابهم ما اسكتهم ، ثم سألهم فما اجادوا حوانا - ولطفه ابن فلغل - عند ذلك يرادوه على ترك ما هو بسبيله من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر »

وقال المراكشي (11) في نفس الموضوع : « فامر صاحب بجاية بالخروج عنها حين خاف عن عاديه »

اذن اضطر ابن تومرت الى مغادرة بجاية والى السير الى قرية ملالة التي تقع على نحو 7 كم من العاصمة الحمادية على الطريق التي تؤدي الى الجزائر العاصمة .

ولكن ذكر البيهقي انه رجع اليها في يوم من الايام وعنه وصوله الى باب البحر احرق الغمر وقال : « المؤمن تمار والكافر غمار فرمى فيه اليه سمع ابن الامير العزيز وقالوا له من امسرك بالحقية - فقال الله ورسوله » (25) ثم رجع الى ملالة واستقر بها .

فوجد ملالة بنى اورياكل وهم على قول ابن خلدون (23) قبيلة سنهاجية ذات « اعتزاز ومنعة » تأووه واحاروه . « فقال لهم الامير العزيز ياسلامه اليه ولكنهم «ابوا واسخطوه» وطمنا البيهقي(24) من جهة « ان ابننا العزيز ، لما راوا ابن تومرت وملالة قالوا له : يا فقيه نريد ان نبني لك مسجدا هنا » فقال لهم - رضى الله عنه - ان شئتم ! فبنوا له مسجدا بها واقتل الطلبة يصلون اليه من كل مكان » .

اذن نرى ان السبب الاول الذى دفع ابن تومرت الى اختيار قرية ملالة لانقاء دروسه هو انه وجد بها حماية بنى اورياكل وعانة ابنه الامير الحماوى .

هناك سبب ثان وهو ان العقبة السوسى كان يجده قلبه ان ، وملالة يقع حدث يؤثر تأثرا كبيرا فى حياته . فذكر المراكشى (25) فى هذا الصدد ان ابن تومرت لما نزل ملالة « سمع وهو يقول ملالة ! ملالة ! يكرها على لسانه يتسائل احرفها ، وذلك لما كان يراه ان امره يقوم فى موضع فى اسمه ميم ولامان ؛ فكان - كما ذكرنا اذا كررها يقول : ليست هي ! » وقال البيهقي من جهة (26) : « فكان الطلبة يقرؤون العلم عليه دأبا فرعوا جلس بين الطرق تحت حروبة المجوز وهو امدا يطر لطرق ويحرك شفتيه بالذكر وذلك الموضع يعرف بحروبة المجوز بينما هو ذات يوم قاعد اد سمعناه يقول الحمد لله الذى انجز وعده ونصر عهده واقعد امرء واقبل نحو المسجد روكم ركعتين ثم قال الحمد لله على كل حال قد بلغ وقت العصر » .

وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم يصلحكم غدا طالبي طوبى لمن عرفه وويل لمن انكره » - اما ابن خلدون (27) فذكر ان ابن تومرت « كان قد اطعم على كتاب يسمى الجهر من علوم احمسبيل السمث وانه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الاقصى يسكن السوسى . وهو من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يدعو الى الله ، يكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب يسمى باسم هجاء حروفه تاي ن م له ورأى فيه ايضا ان ستقامته ذلك الامر واستتلاه وتكنى يكون على يد رجل من اصحابه محام اسمع ب د م و م ن »

والحدث الهام الذي كان ينتظره ابن تومرت هو اتصال عبد المؤمن به لأن جميع المؤرخين ما عدا ابن أبي ذرع (28) والمراكشي (29) انفقوا على إن هذا الاتصال وقع بملاة .
ولكنهم اتفقا أو كادوا على المكان الذي وقع اتصال عبد المؤمن بابن تومرت فاحتسبوا في السبب الذي دفع عبد المؤمن إلى السير إلى ملالة .

مذكر ابن القطان (30) : « أن بعد موت التونسي برباط تلمسان اتفق أصحابه المواليون لجلسه أن يجلبوا إلى مكانه ابن تومرت » فوجهوا إليه عبد المؤمن .

ونجد في « كتاب الصر روايتين عن السبب الذي دفع عبد المؤمن إلى الاتصال بابن تومرت أن الرواية الأولى « الموجودة في تاريخ قبيلة تومية (31) تؤيد رايه أمن القطان » فجاء فيها أن طلبه تلمسان بعد موت شيخهم عبد السلام التونسي « يلهمه خبر وصول ابن تومرت ببجاية » فتشرفوا « إلى الأخذ عنه وتفاوضوا في ذلك ولرب بعضهم بعضا إلى الرحلة إليه لاستجلابه وإن يكون له السبق يا تحاف القطر بعلومة » فاستدب لها عبد المؤمن على مكانه من صفر السن بنشاطه للسفر لبدأوته فدخل إلى حاية للقاء وترغبه في نزول تلمسان » .

وجاء في الرواية الثانية التي توجد في تاريخ دولة الموحدين أن عبد المؤمن عند اتصاله بالعقبة السوسى كان حاسا مع عمه (32) .

ولما أفرأ المراكشي (33) وصاحبه « الحلل الموشية (34) والبيهقي (35) فذكروا أن عبد المؤمن كان يريد السفر إلى المشرق لطلب العلم . فأتجه نحو بجاية لصحية عمه يعلو . فلما وصل إليها سمع الناس يندمون عن ابن تومرت فطلب من عمه أن يأذن له بالاتصال به .

هذا فيما يخص الظروف التي وقع فيها لقاء عبد المؤمن لابن تومرت . أما فيما يتعلق بالاتصال نفسه فلما روايات عديدة .

فقال البيهقي في هذا المصنف (36) : « أعلم يا أخي أنه لما حدد السير نحو الإمام اجتمع مع الطائفة في طريقه فاستطاع منهم حتى بلغ باب المسجد فرفع المصوم رشفه رأسه فوافق (أما) فعال له ادخل يا شاب فدخل فاراد أن يقعد في جلسة الناس فقال له الإمام المصوم رشفه اذن يا شاب فلم يرل يدنو من الإمام والمصوم يقر به حتى دنا منه فقال له المصوم ما أسكت يا فتى فقال عبد المؤمن فقال له المصوم وياوك على فقال نعم فتعجب الناس من ذلك فقال له يا شاب

من أين أقبالك قال له من نظر تلمسان من ساحل كومية فقال له المصوم تاجر أم لا فقال له نعم، فزاد الناس تمجدا فقال له المصوم رضى أين تريد يا فتى فقال يا سيدي نحو المشرق النص فيه العلم فقال له المصوم رضى العلم الذى تريد اقتباسه بالمشرق قد وجدته بالمغرب فلما اصرف الناس من القراءة اراد الخليفة أن ينصرف فقال له المصوم رضى تبيت عندنا يا شاب فقال له نعم يا فقيه فبات عندنا فلما جن الليل أخذ الامام المصوم بيد الخليفة وضعا وسارا فلما نسمعا لليل نادانى المصوم يا ابا بكر ادفع لى الكتاب الذى فى الوعاء الاحمر فندمته له وقال لى اسرج لنا سراجا فكان يقرأ على الخليفة من بعده وانا يومئذ ماسك السراج اسمعه يقول لا يقوم الامر الذى فيه حياة الدين الا يعيد المؤمن بين على سراج الموحدين فيكى الخليفة عند سماع هذا القول وقال يا فقيه ما كنت فى شيء من هذا انما انا وجل اريد ما يظهرنى من ذنوبى فقال له المصوم انما تطهيرك من ذنوبك صلاح الدنيا على يلك *

ثم دفع له الكتاب وقال ملوئى لاقوام كنت انت مقدمهم ودين لقوم خالفوك اولهم وآخرهم اكثر من ذكر الله يبارك الله لك فى عرك ويهديك ويصصك مما تخاف وتحذر *

وجاء فى « الحلل الموشية (27) » ان عبد المؤمن الذى كان اراد السفر الى المشرق لطلب العلم من بلالة واتصل بابن تومرت * وجلس معه فسأله عن اسمه فقال له عبد المؤمن بن على رساله على بلاده فقال له قطر تلمسان فقال تكون من تاجر اقال نعم وانا اريد الرحلة لى طلب العلم لبلاد المشرق فقال له الهدي العلم الذى تطليه بالمشرق قد وجدته بالمغرب الى ان اقرأ عليه لهدي كتابا يقول فيه لا يقوم الامر الذى فيه حياة الدين الا يعيد المؤمن سراج الموحدين * فبقي معه يقرأ عليه برباط ملالة *

وعلى قول ابن خلدون كان ابن تومرت « مؤمنا خلافته لما ظهر عليه من الشواهد المؤيدة بذلك (28) » وذكر ابن الاثير من جهة ان ابن تومرت سأل عبد المؤمن عن اسمه وقبيلته « فاجابه انه من قبيل عيلان ثم من بني سليم فقال ابن تومرت هذا الذى بشر به النبي صلى الله عليه وسلم ، حين قال ان الله ينصر هذا الدين فى آخر الزمان برجل من قبيل من اى قبيل فقال من بني سليم فاستبشر بعبد المؤمن وسر بنقائه *

وقال المراكشي اخيرا ان ابن تومرت « استدعى عبد المؤمن وحلا به رساله عن اسمه واسم ابيه ونسبه * فقتسى له وانتسب ! وسأله عمن مناصده فاجابه انه راحل فى طلب العلم الى

المشرق : فقال له ابن تومرت : أو خير من ذلك ؟ قال وما هو ؟ قاله شرف الدنيا والآخرة ،
صحبتي وتبعيني على ما أنا بصدده ، من إمارة للملك وأحيا ، العلم وأخاد البدع ، فأجابه عنه
المؤمن إلى ما أراه « (29) » .

هذا ما جاء في كتب المؤرخين عن اتصال عبد المؤمن بابن تومرت .
هناك أحداث أخرى وقعت أثناء إقامة الفقيه السوسي ببجاية وملاة .

فذكر ابن الخطيب (30) أن والد ابن تومرت لحقه ببجاية قافلا ، فأكد عليه في القول شوقا
إليه .

وأحسب أني قد قدروا بحدوث آخرين هامين أولها هو أن يوما من الأيام « أقبل
رجلان يريهان المشرق اسم أحدهما عبد الله بن عبد العزيز والآخر عبد الصمد بن عبد الحليم
فقال لهما الإمام رصه من أبي أقبليهما أيها الرجلان قالا من بلاد المغرب ... » من درن من تيممل .
فما لهما في قولهما ودعا لهما « والحمت الثاني هو أن أحد ابنا ملاة اسمه يزرجن من هجر اخذ
عن ابن تومرت وأراد أن يصحبه في رحلته إلى المغرب الأقصى . فدعا الفقيه السوسي « براسل
والدة يزرجن بن عمر المكسي بعبد الواحد الشرقي وقال لها يا راسل تتركين ابنيك عبد الواحد يسير
معنا فعالت له يا فقيه هو منك إذا أراد أن يسير فتدل لها يا أمي أسير معهم »

واعلموا المراكشي (32) أن ابن تومرت عند رجوعه من فتح إفريقية من بجاية « فسأل
عن بياض بها سمع باسمه : فأخبره أهل السوية بوفاته فقال : هل حلف عسا ؟ قالوا : نعم ؛
فامر بشراء جميع الدكاكين التي بتلك السوية وأوقفها عليهم ، وأمر لهم بماله كثير ، ثم انفت
إلى بعض خواصه وقال له : أتيت إلى هذا البياض وللإمام - يعني ابن تومرت - ولجماعة مسن
أصحابنا من الطلبة أيام لم نطعم فيها ، وما معي إلا سكين الفواة - فأنشئت منه خبزاً وأداما ، ثم
وضعت عنده السكين وهنا على ذلك ، فأبى قبوله وقال لي : « أمي توسمت فيك الخير ، فمتي أعوزك
شئ فلهم الذكك فهو بين يديك وبحكمك ! فحقه عليك أكثر من هذا » .

هذه هي الأحداث الهامة التي وقعت أثناء إقامة ابن تومرت ببجاية وملاة . مفاد الفقيه السوسي
هذه الفرية الأخيرة بمد أيام على قوك إيسن خلدون (33) وأشهر حسب البيهقي (34)
والمراكشي (35) . فكانت هذه الإقامة كما قد رأينا متممة إلى أقصى حد فقام ابن تومرت أثناءها
بالتدريس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستقبل أمامه وشيخين من المغرب الأقصى اتصل

يتزوج ابن عمر المكنى بعبد الواحد الشرقي الذي أصبح من احصى صحبته وعبد المؤمن الذي خلعه على رأس الدولة الموحدية .

التعليق :

- (1) ابن الطلائع ، نظم الجبال - ص 92
- (2) ابن خلدون ، كتاب البر ، ج 6 - ص 382
- (3) البيهقي ، كتاب اخبار المهدي - ص 52
- (4) د . بوربرية ، Chronologie d'Ibn Tamar, Revue d'histoire et civilisation du Maghreb, pp. 39-47.
- (5) المراكشي ، المسجب - ص 179 - 180
- (6) البيهقي ، كتاب اخبار المهدي - ص 52
- (7) ابن الطلائع ، نظم الجبال - ص 42
- (8) البيهقي ، كتاب اخبار المهدي - ص 52
- (9) ابن خلدون ، كتاب المعبر ، ج 6 - ص 467
- (10) ابن الطلائع ، نظم الجبال - ص 41 - 42
- (11) المراكشي ، المسجب - ص 180
- (12) البيهقي ، كتاب اخبار المهدي - ص 52
- (13) ابن خلدون ، كتاب المعبر ، ج 6 - ص 467
- (14) البيهقي ، كتاب اخبار المهدي - ص 53
- (15) المراكشي ، المسجب - ص 183
- (16) البيهقي ، كتاب اخبار المهدي - ص 53
- (17) ابن خلدون ، وفيات الاميان ، ج 4 - ص 138
- (18) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص 120 يذكر ان عبد المؤمن انفصل باين تومرت بنابر
- (19) المراكشي ، المسجب - ص 182 ذكر ان اتصال عبد المؤمن باين تومرت كان بضرورة او بملالة
- (20) ابن الطلائع ، نظم الجبال - ص 42 - 43
- (21) ابن خلدون ، كتاب البر ، ج 6 - ص 250
- (22) ابن خلدون ، كتاب المعبر ، ج 6 - ص 467

23) المراكشي ، المصيب - ص 182

24) الخليل الخوصية - ص 86

25) البيهقي ، كتاب اختيار المهدي - ص 33

26) البيهقي ، كتاب اختيار المهدي - ص 55 - 56

27) الخليل الخوصية - ص 86

28) ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج 6 ، ص 259 - 260

29) المراكشي ، المصيب - ص 182

30) في الغلال ، لفظ الجمان - ص 35

31) البيهقي ، كتاب اختيار المهدي - ص 57 - 58

32) المراكشي ، المصيب - ص 231

33) ابن خلدون ، كتاب العبر - ج 6 ، ص 469

34) السفي ، كتاب اختيار المهدي - ص 54

35) المراكشي ، المصيب - ص 181





المساحة الفوقية في بجاية

عباقرّة من جبالنا تزدهر بهم عواصمنا الصنهاجية

كان لصنهاجة بالمغرب الأوسط - أثناء إمارتهم أو ملكهم - تسلاط عواصم ، حكموا منها ، واستقر كرسيهم بها ، ولزدهرت حضارتهم فيها : الأولى « أشير » عاصمة مؤسس بيت الحكم فيهم زيري بن مناد بن منقوش ، كانت له عاصمة ولاية ، كما كانت كذلك لابنه بن يعده بلكين بن زيري إلى أن استخلف على إفريقيا والمغرب كافة فانتقل إلى القيروان وبقيت أشير عاصمة ولاة إلى أن أسس حماد القلعة - وهي العاصمة الثانية - بناها سنة 398 هـ وسكنها سنة 400 لتكون عاصمة ملكه وملك ابنائه من بعده حتى الزحف الهلاكي سنة 457 وتشتهر باسم « قلعة بني حماد » ، أما الثالثة فهي الناصرية أو بجاية التي أسسها المنصور بن علفاس على عقربة من خرائب « صلدای » الرمي الفينيقي ، ليقي عاصمة ملكه مالا شبيها بمال القيروان التي لقي عليها الخراب سنة 449 . وكان بناء بجاية سنة 460 وانتقل إليها بعد سنة واحدة ، فأصبحت عاصمة ملوك الحماديين ثم ولاة الموحدين على المغرب الأوسط ، ثم ولاة الحفصيين ، إلى أن سقطت بيد الأسبانيين سنة 910 هـ .

أحمد حساني
رئيس المجلس الاسلامي
للقوى - الجزائر

وكان لكل هذه العواصم حضارة وعمران ومجد تليد ، وصيت بعيد ، وتاريخ مجيد . وقد عرفت الجزائر في حكم الحماديين عهدا جديدا لم يسبق أن عرفته من قبل من الأمن والرخاء ، وازدهار العمران ، وكثرة من نبغ فيها من فحول العلماء والاشباء والشعراء والفنانين .

وأذا كان الصنهاجيون قد أمتازوا بشدة الألباس في الحرب ، والشيرة بفنون القتال ، وبالمهارة في فن الميامة والحكم - فقد اشتهروا - بجانب ذلك بحبهم المعسوران ، وبيناء الحضارة ، رشفهم بالعلوم والفنون وأكرامهم لآمالها ، وسفائهم بالاموال والنفاش من أجلها - فحيثما سموا ملكا ، أو ياشروا حكما ، ازدهر العمران - وارتقت الفنون والصنائع ، وشاعت المعرفة والثقافة وعم انرخاء واسترف - واقوال المؤرخين الثقات ، والآثار الباقيات ، حقير شاهد بأعمالهم فقد مصر يكنين بن زيري - بأمر من أبيه - مدن مليانة ، ولدية والجزائر ، وما تزال شاهدة بمة الأب والأين ، ناطقة بفضل حكمهما ، ولما أجتاز إلى الاندلس رأى بن زيري - لحو ولكن - وأسس الإمارة الصنهاجية سنة 403 بكرة البيرة مصر مدينة غرناطة لتخلف البيرة التي أتت عليها الخراب ، فمرت وازدهر عمرانها ، وشيكا ثم كانت من بعد عاصمة الاندلس قال ابن الحلي : « واتحازت صنهاجة مع رئيسها المذكور إلى غرناطة فأبوا إليها واتخذوها ملجا ، وحماها زوى وأقام بها منكا وأحل بها سلطانا لثويه فهو أول من مدن غرناطة وبنائها وزادها تشييدا ومنعة ، واتصل ملكه بها (1) ، وقال عن ابن أخيه وحليفه من بعده حبوس بن مكنس بن زيري « وكان رئيسا يبعث طاقية جبارا ، شجاعا ذاهية جلدا شديد الأصبر شديد السراي بعيد الهمة » - خفمت به الدولة ونهت الألقاب ، وأمنت حمايته الرعايا ، ولم تحت جناحه سيف المران (2) » - ولم تلبث غرناطة أن أصبحت مزدهرة بالعلوم والفنون ، قبلة أعظم الرجال ومنبتهم ، إلى أن غرقت شمس الاسلام عن الاندلس - وما تزال آثارها المكتوبة والروية والفائسة شاهدة بأعجاد بني قومنا »

ومن حكم الصنهاجيين ومهدم بإفريقيا يقول ابن دينا :

« صنهاجة وإن كانوا في الحقيقة صالا لبني عبيد فقد بلغوا درجة الملك وكانت لهم خصامة وصيت وغاب أهل تونس لا يحققون لهم ولاية ، وأتا - استغفر الله - أقول : أن أيام دولتهم أقرى من دولة بني حفص ، إلا أن بني حفص خطب لهم يامير المؤمنين ولم يخطب لصنهاجة بهذا الاسم (3) » - ويقول من مهدم الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب « هو عصر إفريقيا الذهبية فقد بلغت فيه البلاد ثروة حضارتها بالثروة والعلم والفنون الجميلة وتيسر السكان في العيش وركنوا إلى الكسب والترف ففتشت الأموال على طبقات الشعب فمالوا إلى اقتناء الكماليات النفسانية ونهروا إلى الآداب الرفيعة فزها الأدب وسار الشعر في مدارج الارتقاء وراجت سوق الامكان أيما رواج

(1) الأحاطة ج 1 ص 405 -

(2) الأحاطة ج 1 ص 443 -

(3) أمّس ص 73 الطبعة الثالثة -

« ولقد سهل آل يلكى الصنهاجيون — وخصوصا الحسن بن باديس وابنساءه من بعده — على العلماء النزوح اليهم فقرأوا منزلتهم منهم واجروا الارزاق عليهم وبالغوا في اكرامهم وعولوا على آرائهم (4) » . وكانت القيروان عاصمة الدولة الصنهاجية الموحدة ، فكان علمائها يمثلون انحاء هذه الدولة اذ هي عاصمتهم جميعا قبل أن تفصل عنها الدولة الحمادية ، وقد « بلغت القيروان في العصر الصنهاجي منتهى ممراتها الاسلامى الذى لم تزاحمها فيه اى مدينة من مدن المغرب » . تقاطر الناس عليها افراجا من كل حذب وصوب للارتزاق بالتجارة والصناعة أو العلم والادب أو ياسيب الملامى والطرب (5) » .

عبقران جزائريان فى اعلام القيروان :

ولم تكن الجزائر خالية من مدن العلم ومعاهده فقد كان لتبهرت معاهد ورجال والمجتمعية علماء افذاذ ، ولكن القيروان عاصمة الدولة كانت تتمتع بالمعريات ، وتجذب اليها اعظم الكفاءات ، وكان فيمن اجتذبتهم اليها فى هذا العصر مهاجروا اليها واستوطنوها وانتمسبوا الى علمها عبقران بلغا القمة فى المحدث والشهرة والانتاج ، وهما عبد الكريم بن ابراهيم المشلى ، وابو الحسن على بن رشيق ، كلاهما نشأ بالمحمدية (المسيلة) وأخذ عن شيخها وكان له فكر قبل ان يهاجر الى القيروان فالمعلوم عن النهشلى — وهو استاذ بن رشيق — أنه نشأ بالمحمدية يقول الدكتور عبد الرحمن باغى « وقد علمنا أن منشأه بالمحمدية (6) » ، وكان عبد الكريم شاعرا مقبدا عارفا باللغة خبيرا بايام العرب وأشعارها « مؤلفا جليلا (7) » . شهد له عارفوه بالقوة فى الشعر والخبرة بفضه وبأهله وألف فيه كتابا فيما هو « كتاب المتع فى علم الشعر وعمله ... » وقد ارتاد عبد الكريم بالمتع افقا من آفاق النقد ، وهما لميره الميسل لى يمسى فيه بـ « أساليب النقد ومناحيه (8) » . وسلك سبيله من بعده تلميذه أبى رشيق فى كتابه الممددة والعتمد عليه ، وانتفع به قلما بخل باب من ابواب الممددة من ذكره والنقل عنه وشرح آرائه ومناقشتها . وقد يأخذ برأيه ويصدح « وقد يناقضه ويصححه » وقد يرفضه ويرد عليه « ومع ذلك فقد كان وقيا له » ويحبه ويقدركفاءته ويدافع عنه « فقد اشتهك فى خصومة مع أحد فحول شعرا لـ « القيروان واسماها ذات يوم لطلعت فى كفاءة عبد الكريم الشعرية وقال فى ترجمته له فى كتابه الا نموذج

(4) المنتخب المدرسى من الادب التونسي من 50 اسطمة الثانية .

(5) لمنتخب المدرسى من الادب التونسي من 52 .

(6) حياة القيروان 245 .

(7) المنتخب من الادب التونسي 35 .

(8) حياة القيروان 242 .

« اجتمعت مرة وأنا حديث السن ولم أكن قلبها رأيته فآخذ في ذكر الشعراء ، وغض من عبد الكريم وقال هو مؤلف كلام غير مخترع فاعظمت له في الجواب فالتفت الي منكرها وقال : وانت ما فعلك بين الشيوخ يا بني ؟ (9) »

وأما ابن رشيق فاشهر من أن يعرف ، ولد بالمحمدية (المسيلة) سنة 390 هـ وفيصل 370 هـ وصمم الأستاذ حسن حمسي عبد الوهاب لأنه ولد سنة 385 هـ * وأجمع مترجموه على أنه تآلف بالمسيلة ثم ارتحل عنها إلى القيروان وإن سنة 406 هـ * بعد أن قال الشعر وحلب العلم والأدب فآخذته عن علماء ببلنته الحمديّة * وحينما أنس من نفسه قدرة على التفوق في الشعر والأدب أثر أن يتوجه إلى افق أوسع فتوجه إلى القيروان دار العلم والأدب في تلك الحين (10) »

وهذا يرجح ما سحبه الأستاذ حسن حمسي من أنه ولد قبل عام 390 ممتضهداً بأن ابن رشيق قال وهو يترجم لشاعر أندلسي « اجتمعت به بالمحمدية سنة 40x *** وأنه لا يعقل أن تكون من ابن رشيق إذ ذاك عشرة أعوام وهو يجالس الانبياء المشاهير (11) » - وكانت القيروان يومها من غاصة يقومون الرجال من علماء الشريعة والأدب والتاريخ والرياضيات فكان فيمن أخذ عنهم من علماء الشريعة أبو عمران الفاسي موسى بن عيسى بن أبي الحاج الذي قال فيه أبو بكر الباقلائي يخاطبه « لو اجتمعت في مدرستي أنت وعبد الوهاب بن نصر - وكان إذ ذاك بالموصل - لاجتمع فيها علم مالك : أنت تحفظه وهو ينصره ولو رأ كما مالك لسر بكما (12) » وآخذ الغلبة والأدب عن امام اللغة في عصره أبي عبد الله محمد بن جعفر التميمي القزّاز ، وعن عبد الكريم النهشلي وغيرهما وتأثر كثيراً بإمام الكتابة والانشاء والأدب أبي الحسن علي بن أبي الرجال ، وله السلف كتاب السدة متروها به بعد المقدمة في أغلب الابواب راوياً اشعاره مبيّناً حماسيتها * عاش ابن رشيق - بعد الحمديّة - بالقيروان طالبا مجدا - ثم متشكّنا ، ومؤلفا يارعا مدة 43 سنة عانت القيروان في السنوات الأخيرة منها من العذاب إذ حاصرها الاعراب المسلطون عليها من خليفة العبيديين بمصر من 446 إلى 449 ثم شربوا * في هم الحصون والقصور وقلع الثمار وخربوا الانهار ، وأقام المعز بها إلى سنة 449 فمئذئها انتقل إلى المهديّة في شعبان (13) » وانتقل معه ابن رشيق ، وبكى القيروان وسور محتتها أبلى تصوير في قصيدة رائعة شهيرة جاء فيها :

(9) حياة القيروان 113 *

(10) حياة القيروان 116 *

(11) حياة القيروان

(12) ترتيب المدارك للقاضي عياض ج 4 ص 704 وترى أبو عمران سنة 430 *

(13) حياة القيروان للدكتور عبد الرحمن باغي ص 160 *

أيدي العصاة بذلة وهوان
من خوفهم ومصائب الهوان
ويكيل أرملة وكل حصان
غروب المعاطن مظلم الأركان

والمسلمون مقسمون قتالهم
خرجوا حقاة عاتنين يريهم
هرموا بكل وليدة وخطيمة
والمسجد المعمور جامع عقبة

ولم يستقر بالمهنية اذ وقعت بينه وبين المعز جفوة فغادرها الى صقلية حيث مات - رحمه الله يماززة سنة 496 والاصح انه مات سنة 463 وترك تراثا ادبيا حافلا بضعمة عشر كتابا او رسالة اعطياها واخذوها كتاب والعمدة في صنعة اشهر قال فيه ابن خلدون في مقدمته « لم يكتب فيها احد قبله ولا بعده مثله » - وشملت كتبه ورسائله الادب والنقد والتاريخ والفقه والحديث - نكر صاحب كشف الظنون ان ابن رشيقي « ممن شروحو الرملا » وروى حمدن حسني ان له مقتصر الموطأ *

قلعة حماد نفاش القيروان ثم تغلبها :

ولنفاشة القيروان في امجادها السياسية والعلمية والعمرانية أسس حماد بن يلكين عاصمته الجديدة : « قلعة أبي طويل » التي اشتهرت فيما بعد بـ « قلعة حماد » * ، انشأها في مكان يفوق أشير حربيا واقتصاديا يقية شر هجمات زناتة ، وبأس بائيس أن اراده بضر متاثرا بيساس يلاطه . تم انشاؤها والتحول اليها في مدة قصيرة (398-400) وسرعان ما « أستهجر عمرانها ورحل اليها أهل البلاد الثانية من التجار وارياب الصنائع وأهسل العلم (24) » وتحولت في بضع سنين من عاصمة ولاية الى عاصمة دولة وما زالت في نمو مطرد حتى أصبحت « مقصد التجار وبها تحل الرحال من العراق والحمائر ومصر والشام ومئات بلاد المغرب (25) » - والتجا اليها بعد خراب القيروان وانهار دولتها جموع من اللاجئين ، وغشت بالعلماء ، وكانت في أوج عزها لما غاجها زحف اعراب بني ملال واحتلالهم بساطلها بعد هزيمة ملكها الناصر في معركة سددهم بسببية سنة 459 فأسس الناصر بجاية سنة 460 فراراً منهم ، وانتقل اليها 46٤ وأخذ الضمف يتسرب الى القلعة وإن بقيت عمارتها الى أن حرق جيش الموحدين مساكنها سنة 547 واستولى الأعراب على جبلها فخربت *

والى القلعة ينتسب علماء اعلام ، وابناء عظام ممن انتبتهم تربتها ، أو آتوهم واكرمت وفائتهم فاستوطنوها ، أو ثبت بهم لغربها عنها ، وعطروا بما أكرم نكرها -

(24) تاريخ الجزائر للمليح ج 2 ص 203 و 204 .
(25) تاريخ الجزائر ج 2 ص 204 نقلا عن البكري

من هؤلاء الاعلام ابو الفضل يوسف بن محمد المعروف بامير النحوي ، اصله من توزر ، ولكنه كان ثاوريا في اهلها ، اخذ عن شيوخها ثم بث علومه بها وبمن في قرينها * شرق في طلب العلم فالتصل بامام المالكية علي بن محمد الربيعي اللخمي الفيرواني تزيل صفاقس فاخذ عنه اتفه وصحيح البخاري وما جاء * سألته : ما جاء بك ؟ قال : جئت اليك تسبح ثألك التبصرة فقال : انما تريد ان تحملني في كفك الى اهل المغرب * * يشير الى ان علمه كله في هذا الكتاب (16) « واخذ بالقلعة عن شيوخ جلة اعظمهم ابو عبد الله محمد بن الفرغ المازري المعروف بالذكي ، وكان هذا اية من آيات الله ، واصله من صقلية ولكنه سكن القلعة وبت فيها علومه « ولقي حلة شيوخ الفيروان قشيدرا بحفظه ونكاته - وكان زعيمهم ابو القاسم عبد الحق الميبري يقول عنه « ابن الفرغ احفظ من رايث فليل له : تقرر هذا وقد رايث ايا بكر بن عبد الرحمن وابا عمران العاسي ؟ فقال : هو احفظ من رايث - وكان القاضي ابو حيد الله بن داود يقول : شيخنا الذكي ، اتفه من ابي عمران ومن كل مالكي ، حتى فضله على اسماعيل بن اسحاق القاضي » - فهذا النايبة من علمائنا جعل عه ابي كثير وعلم جم والذ في علوم القرآن كتابا كبيرا * * * وله تعليق كبير في المذهب مستحسن وخرج على انه الف مآل (17) « فكان نجما ساطعا بالقلعة فلما ارتحل الى المشرق ووصل بغداد وجد مذهب مالك قد درس وكل طالبه فدرس في النحو وعلم لسان العرب واستصحبه * * * الملك العادل الى اصبهان لتدريس بقية الالاف مذهب علمه بالسياسة هناك ضياعا * * * وتوفي باصبهيا بعد الخمس (18) « * وقد كان ابو الفضل بن النحوي « عارفا باصول الدين والفقه يميل الى النظر والاجتهاد « حريصا على بث العلم ونشر الهداية شجاعا لا يهاب اعدا مؤثرا في اتباعه متفكفا زاهدا في الدنيا ارتحل الى المغرب الاقصى فدخل سجلماسة ، وفاس ، وكان حينما حصل يقرئ اسون العقه واصول الدين ، ويغير لطيفته مذهب الاشعرين ، ولم يكن انذاك مقبولا عند الرسميين ففى سجلماسة « وفي فاس ، كما في القلعة تصرخ - من اجل تدريسه علم الكلام للاذن ، ومنع فكانت عاقبة معه خسرأ على الاعداء « دخل قاضي الجماعة برما الجامع وابو الفضل ليقرئ الطبية علم الكلام مسال القاضي من الحلقة فاخبر فامر بايديل للدرس فقال ابو الفضل : اللهم كما تسبب في امانة مجملنا او في امانة العلم فارنا فيه العلامة - وخرج ، فنتيه وكه القاضي ، وكان له اعتقاد في ابن الفصل فقال له : ارجع الى والدك لتوازيه التراب فخرج اولد فوجد ايساء قتل سيرا (19) « * وسجللماسة اقرا الاصليين « فقال ابن يسام لحد رؤساء البلد يريد هذا ان يدخل

(16) قبل الابتهاج ص 349 - اليمستان ص 300 *

(17) ترتيب الداراك للقاضي عياض ج 4 ص 796 *

(18) المصدر اسابق 793 *

(19) قبل اليمستان ص 306 *

عليها علوما لا تعرفها فامر بطرده من المسجد فقال : أمت العلم أمتك الله هنا فجلس ثلثي اليوم لعقد نكاح سحرا فقتلته سنهاجة (20) - وجرى له يفس مع قاضيه ابن دبوس شبيه بهذا فقال : اللهم عليك بابن دبوس ، فأجيب بداء رهيب ومات وشيكا (21) « أياك موت خصومه قضاء وقدر اأم يكون نتيجة عملية فدائية من مريديه ؟ لا شك أن موت ابن نجوس كان بداء رهيب ، أما مسوت القاضي وابن مسمام فقد يكون نتيجة عملية فدائية قام بها من يغار لدين الله » وقد كان الصراع العقائدي عسى ائسده ببلدنا بين آراء الهاطية ، والسلفية ، والاشعرية ، وكانت الدعوة الاشعرية ما تزال تختصر ، وصاحبنا ابو الفضل شديد الاعجاب بالفزاس ويكتابه احياء علوم الدين ، ينسبته بيده ، ويتحدى قوى السلطان من اجله ، فلا عجب اذا كوتت هذه الدعوة لإنصارا فدائيين ، ومثل ابي الفضل في لكائه وشدة ايمانه لا يخفى عليه أن من ظلمه من أجل عقيدته ويشأ فدما عليه أمام الناس انما قد تلجأ حكما بأعدائه ، فلا عجب اذا رأينا مولنا بموته .

وقد انتهى ابو الفضل من تجواله بالمغرب وعاد من فاس الى القلعة سنة 394 وأخذ نفسه بالتفتيش فترك اللين من اللباس والاكل ، وأيس جبة صوف الى ركبته ، وكان تقشفه ذهب بحدته وسرعة دعوته على خصومه ، بل صار يقابلهم باللين والمسامحة والفران « كانت جبته الى ركبته عمر يوما بالفقيه ابي عبد الله بن عصمة المقتي فلم يسلم عليه لشغل باله فعظم ذلك عليه فلما رجع ناداه محقرا له : يا يوسف قلباه رجاءه فقال له : يا توزري صغرت وجهك ورفقت ساقيك وصغرت تمر ولا تسلم ؟ فاعتذر له فلم يقبل وأغلظ له في القول فقال : غفر الله لك يا فقيه يا أبا محمد وأنصرف (22) » + وهكذا خراء عفا عنه ولم يسلم عليه سلاحه الرهيب ، وهو الدعاء ، فقد اشتهر انه مجاب الدعوة ، حتى كان يقا نوح باله من دعوة بن النحرى « اكان هذا من اثر صغره الجديد ؟ أم أنه كان في الحالات الأخرى يرى أن الحق اليه فمن تعرض له عوقب » وفي هذه الحالة الحق حقه الشخصى فلم ير الانتقام لنفسه .

« أخذ عنه جماعة من الاثمة الاعلام النظار كالفقيه ابي عبد الله محمد بن الزرامة ورئيس المفتين يعاس ، والاخوان اللقيبين ابي بكر ومحمد ابني مخلوف بن خلف الله ، والفقيه ابي عمران موسى بن حماد السنهائجي (23) » - وتوفي بالقلعة سنة 513 وتدل عنه القاضي ابو عبد الله محمد

(20) قيل : الانهاج ص 330 .

(21) قيل : الانهاج ص 350 - 351 - الستان ص 302 .

(22) قيل : الانهاج ص 351 - الستان ص 303 .

(23) قيل : الانهاج ص 351 - الستان ص 303 .

بن علي بن حماد هو في بلادنا كالمزالي في العراق. علما وعلا * تركه تأليف ، وأشهر إنتاج مما بقي له القصيدة المنفرجة ، وما تزار إلى اليوم ببلاندا يحفظها الصغار والكبار ، وأكثر ما تنشد في احتفالات المولد النبوي - وهي :

قد أدن ليلته باليلج
حتى يغشاء إيو السرج
فإذا جاء الإنسان تجي

اشدئ ازمة تنفرجي
وظلام الليل له سرج
وسحاب القمر لها ممر
ومنها

تزدان لسدى الخلق السمج
أنوار صباح منبلج

ومعاصي الله سماجتها
ولطاعته وهباحتها
ومنها

وسواهم من همج الهمج
تجزع في الحرب من الهمج

وخيار الخلق هداتهم
وإذا كننت المقدام قلا

وقد أوجع الناس بهذه القصيدة ، ورووها بالاصايد المنسلة ، شرحها كثير ، وخمسمها ابو محمد هيد الله بن نعيم الخضرمي القرطبي الناشئ بتونس والترقي بقسنطينة سنة 636 قال الغبريلي « وما زالت هذه القصيدة معلومة الاقادة ظاهرة الزيادة (24) »

بجاية حاملة مشعل النور لمدة أربعة قرون ونصف :

وكانت بجاية امجد عواصم الحمانيين ، وأخلدهم نكرا ، وإثبتهم على عواصف الزمن . فمعد تأسسها أصبحت عاصمة الدولة القوية المتينة البنيان وانتقلت إليها دواوينها ، ورغب الناس في سكنها ، ونضجت الحركة التي كان للحمانيين الفضل في شرحها وتمهدها « وظهر بالجزائر يسه الحمادية العلماء والشعراء والكتّاب والمؤرخون والأطباء والرياضيون ظهروا لا عهد للجزائر يسه من قبل (25) » * وساعد على سرعة ازدهار الممران والحضارة الحمادية « فرار الناس من افريقيا إلى الحمانيين أمام الهجوم انهلاكي ، ومن صقلية أمام استيلاء الفرمان ، ومن الاندلس أمام استيلاء المرابطين (26) » * وهكذا لم يمر على تأسيس بجاية سوى زمن يسير حتى أصبحت موئل

(24) عنوان الدراية 336 ط بيروت *

(25) تاريخ الجزائر في القديم والحديث للميلي ج 2 ص 195 *

(26) تاريخ الجزائر في القديم والحديث للميلي ج 2 ص 188 -

حركة علمية ونهضة فكرية يقوم بها أفاضل من العلماء والاباء والكتاب ، وأصبحت مدارسها تخرج اعظم انكشافات لشغل اسمى المناصب العلمية والادارية . يقول الفبريني بعد أن ترجم لعبد يسير من علماء المائة السادسة «وقد بقي خلق كثير من أهل المائة السادسة ممن لهم جلال وكمال ولكن شرط الكتاب منع من ذكرهم ، وقد مضى من قول الشيخ ابن علي المسيلي ... أدركت ببجاية حشا ينق على تسمين مفتيا ما منهم من يعرف أبا علي الحسن بن علي المسيلي من يكون ؟ » وإذا كان من المفتين تسعون فكم يكون من المحققين ومن النحاة والإدباء وغيرهم ممن تقدم عصره ولم يدركه . كان الناس على اجتهد وكان الامراء لاهل العلم على ما ينق ويراد (27) »

والعصر الذي سبق المسيلي حمادى صسرف ، والذي تكلم عنه متصل بالحماديين إذ ان هذا الحشد العظيم من المفتين تخرج من مدارسهم . فهذه الفقرة تبين ما كانت عليه ببجاية من وفرة العلماء ورجال الفكر ، وما كان عليه الامراء والملوك من الاعتناء بهم والاهتمام بحركتهم »

ولم تكن ببجاية خامدة الحركة ، خالية من ارباب الفكر ايام ابن علي المسيلي أو ايام الفبريني فان مشعل النور ما زال يضيء الافاق من ببجاية منذ نشأتها ، واستمر ينير السبل للسالكين بعد سقرط العماديين في عهد الموحدين ، ثم في عهد الحفصيين ، الى أن سقطت في يد اعداء العلم والحضارة من الاسبانين اواخر القرن اعاشر (1100 هـ) ثم اخرجهم منها الاتراك « فمستغلت لتوالي الاحداث عليها ولولا امنيته البحرية لكان سبيلها سبيل القلعة (28) » . لقد كانت اثناء هذا العصر اذى تكلم عنه المسيلي مقصد طلاب المعرفة من الاوروبيين فيها تعلم الهندس الايطالي والرياضي الشهير ليونارد فيبوناتشيو FIBENACCIO

فيها تعلم الحساب والجبر والهندسة ... ولقد بمدينة بيزا حوالي 571 (1175 م) وقام باعمال رياضية جليلة ، وهو أول من طبق عمليات الجبر على الهندسة (29) « ونذكر في بعض كتبه شيعة الذي لقته العربية والحساب من عباد ببجاية »

وكانت المرأة تأخذ بنصيبها وقد تنطق على الرجل فقد ذكر الفبريني في ترجمة القاضي الاديب الشاعر ابن الطاهر صمارة بن يحيى أنه كانت له بنت « تسمى عائشة كانت أدبية فصيحة لبيبة وكان لها حظ حسن رأيت كتاب النعالي يخطها في ثمانية عشر جزء ... وهي نسخة عتيقة ما رأيت أحسن منها ولا أصح وقد رأيت منها نسخا كثيرة متقدمة الا هذه النسخة ولقد يجب أن تكون

(27) هوان الدراية ص 55

(28) تاريخ الجزائر ج 3 ص 206

(29) تاريخ الجزائر ج 2 ص 206

هذه النسخة أصلاً لهذا الكتاب حيث كان يقع التصحيح منها (30) « ولا يكان الانتقار في النقل لا لئى ملكة راسخة فيما ينقل وقوم جيد له » ولها طرائف أخبار ومستحسنات اشعار ضمن علينا بنقلها الغبريتى لان المقصود من مؤلفه كما قال «التعريف بأبرجال (30) » *

كانت المدرسة البجائية تؤهل متخرجيها لشغل أخطر المناصب ، ففى عهد الموحدين كانت كاتب سر أمير المؤمنين فدخل عليه فى خلوته أمير من أمراء المسرب كان معتاداً لتلك « فوجده مفتاحاً ، وقد طهر التغير فى وجهه » فسأله عما به فآخيره أن كاتب سره قد مات وأنه لا يجد من يقيمه مقامه لأحتياجه الى صفات « صفة فقال : « بشراك يا سيدينا يا أمير المؤمنين أن هذا الرجل ببجاية ؛ أبو الفضل بن محطرة ووصف له من صفاته ما وقع منه مواقع القبول (31) » ولم يتردد فى استدعائه الى عاصمة الخلافة مراكش معزراً مكرماً فلما حضر بين يديه لم يمتنع الى اختياره لمظهر فضله « فأكرم نزله ورفع منزلته وحمله ولما وقع الأصلاح على ما عنده من فنون العلم علم أن الكتابة التى وقع الاستدعاء بسببها إنما هى بعض صفاته واحدى الآتة « وبين محطرة وأبو الفضل بن محمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسى ، من أهل بجاية ، وكان أبوه قاضيها و « له علم متسع المدى ... كان متمكن المعرفة (32) » أخذ العلم عن شيوخ بجاية وعن الانطلسيين أمثال السهيلي صاحب « الروض الأنف » فى شرح السيرة النبوية « وعبد الحق الاشبيلي ولد سنة 540 وتوفى 598 »

فقد استدعى أبو الفضل لشغل هذا المنصب الخطير لدى رئيس الدولة أمير المؤمنين والدولة فى أعز أيام مجدها وقوتها « ولم يكن طامحاً لمثل هذا المنصب متهاكاً عليه بل « ارتحل من بجاية وهو كاره لارتحاله مع علمه أنه استدعاء (العليفة) لمنصب يسمو به على أمثاله ، ولكن عزة العلم امتته عن الناس ، وحصلت له من المزية فى الانتفىز أزيد مما يقاس (32) » ولما باشرو أعماله عرف قدره وقدر من فضله ونزل كلا منزلته فلما كاد له حساده تجا من المكيدة بفضل إخلاصه وسعة علمه بالسنة وحسن فهمه وبأويله *

ومن أفاض علماء بجاية وعظمائهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفهرى الشهير بالاصولى صديق الفيلسوف العظيم أبى الوليد محمد بن رشد القاضي ورفيقه فى المحفة قال عنه الغبريتى « ... الفقيه الأصولى المتكلم العالم المجتهد النبيل العاقل الجليل أبو عبد الله ... من أهل بجاية رحل الى المشرق ولقى العلية والجنة من أهل العلم « ولى تقسيم المدن بسجيرة الانطلس ،

(30) عنوان الدراية 47 - 48 *

(31) عنوان الدراية 54 *

(32) عنوان الدراية 53 *

واستخلف بمراكش وولي قضاء بجاية ثلاث مرات وصرب عن اخرها سنة ثمان وستمئة وتوفي بجاية بين عيد الاضحى والقطر سنة 628 هـ (33) - وأصل عائلته من اشبيلة - ولما كان بالاندلس اتصل بيته وبين القاضي ابي الوليد بن رشد حبل المودة وكان بينهما اخاء وصفاء ، وكان يدرس معه علوم الاولاد ، ثم كان سبب تجاته في « ما وقعت الواقعة التي تكلم فيها ابي الوليد في كتاب الميران له حيث قال : « رايت الزرافة عند ملك البربر » وهم امير المؤمنين بالفنك به لم يكن سبب نجاته غيره (34) » وقد جادل عنه بوجهين الاول انه كان قد جرى بمجلس الخليفة منع العمل بالشهادة على الخط فلما نزلت هذه القضية هم الخليفة ان يمس بالشهادة على الخط فقال الاصولي للخليفة : « مفتحم الشهادة على الخط في الدرهم والدينار ، وتجزئونها في قتل المسلم (35) » - وابوجه الثاني انه قال ان العبارة مصرفة وانه « انما الكتب رايت الزرافة عند ملك البربر ، وانما جاء فيه زيادة ونقص وهذا الحسن (36) » - واذ كان ابن رشد قد تميا بفضل سفاع صديقه فقد تابعها الاذي مما ، واخرجا من قرطبة وكتب فيهما الى الافاق وكانت للحنة سنة 993 ثم عفى عنهما وكهما لم يكن عالما هذا يهاب الخليفة ولا غيره فقد كان الخليفة اذا حضر مجلسه ووقعت المذاكرة سمعه الحاضرون من الطلبة (العلماء) في المذاكرة « وكان هو لا يصاحبه في شيء وكان امير المؤمنين يجد منه في مجلسه ويعرف له مع ذلك فضيلا فلا يقصه شيئا من حقه (36) » - هذه فضيلة في هذا العالم الرياني ، وفي هذا الخليفة العالم العظيم « وهكذا تكون الحرية مكسولة في عطاء الرجال ايام عز الامة وسؤدها - افا سيرته في ولايته القضاء فقد كان « شديدا على ولاية الامر الذين يكرهون معه ببلد قضائه لا يسامحهم في شيء من امورهم ويجاهدهم بما يكرهون في حق الله وفي حقوق المسلمين ، وقد جرى بيته وبين والي بجاية كلام كانت فيه غلظة فقال له البرالي : والله لقد اصاب سيدنا امير المؤمنين المنصور فيكم فقال له : ان كان اصاب امير المؤمنين المنصور افاخطا فينا امير المؤمنين الناصر ؟ فاجبه ورجع فاسترضاه (36) » -

وكان المنصور قد كتب فيه وفي ابن رشد الى الافاق ثم جاء من يعده الدوسر فاقصن اليه وعطف عنه « هذه الشدة على الولاة ، ورياسة الحاش امامهم « ومجاداتهم تقصر لنا كثرة البلدان والارات التي ترى فيها القضاء ثم صرف عنه « لقد اوتي جدلا « فقد حاول والي بجاية ان يورطه في لفتح في تصرف الخليفة سابق هو المنصور ، فذا به يقلب عليه الامر ويلزمه ان يفتح في تصرف الخليفة العالي ، فلم يسمه الا الاعتذار والاسترضاء »

(33) عنوان الدراية 208

(34) عنوان الدراية 209

(35) عنوان الدراية 209 - 210

(36) عنوان الدراية 210 - 211

ومما يدل على شدة ذكائه ، وحسن تصرفه ، وبراعته في انتقائهم ، ما روي أنه حضرت إلى مجلس أمير المؤمنين لآلئ تسمية في سيق وعرضت على الحاضرين في المجلس فعمت وفقت منها واحدة فهم أمير المؤمنين يتفتش الحاضرين فأشار عليه بسوق قلة ماء مملوءة وينخل فيها كل إنسان يده سترًا على الغافل - فسبقت القلة ابتداء من يمين أمير المؤمنين وكان هو على يساره فلما انتهت إليه امتنع من أمضال يده وقال : صبوها فإن وجدتم حاجتكم والا فهي هندی فصبوها فوجدوها فخلص من الشك فيه وهذا من نيله وكياسته (37) .

وكان الفهرى عالما بالفقه والخلافيات والجمال وعلوم الأرائل ، والاصلي ، قد برز في علم الكلام (أصول الدين) وأصول الفقه ، وكان علم وقته في هذا الميدان حتى اشتهر بالاصولي . رحل إلى الاندلس فتولى فيها القضاء وأقرأ وإلى مراكش فاستخلف - كما تقدم - في القضاء ، ومات في بجاية سنة 612 هـ وهو مصروف عنه . رحمه الله .

ومن أبناء بجاية الذين رفعوا رأس أمنهم عاليًا ، وحلوا بها ذكرا حسنا أبو الروح هيسى بن مسعود *** بن يونس ، المتكلم في الحميرى الزواوى المالكي ، عاش حماته العلمية خارج وطنه ، وتولى المناصب العلية فزاعها ، وألف التاليف القيمة فأتقنها « كان فقيها عالما متقنا فقه في بجاية عسى أبي يوسف يعقبه (38) » وشيخه هذا فقيه « أصروى مشرك في علم المعائد ، قرأ ببجاية وأقرأ بها ، وتوفي 690 هـ » أما المتكلم فاته زواوى ، الأصل بجائي الطلب ، ارتحل نحو الشرق وتفقه بالاسكندرية وعاد إلى قايس فتولى القضاء بها مدة ثم رجع إلى الاسكندرية ، ثم ارتحل نحو القاهرة فـ « أقام بها يشرف الناس بالمعوم بالجامع الأزهر ، وسمع كتب الحديث من شرف الدين المساطي (38) » واشتغل عالمنا بالقضاء في دمشق في القاهرة قبل أن يعزل المناصب الإدارية ويتخصص للتدريس والتأليف .

« ولي نيابة القضاء بدمشق نحو سنتين ثم رجع إلى الديار المصرية فولى نيابة القضاء بها عن قاضى القضاء زين الدين بن مخلوف ثم من بعده عن قاضى القضاء تقي الدين الأحناسي ، ثم ولي تدريس المالكية بمصر بزاوية المالكية وترك ولاية الحكم (38) » . واجدير بالشكر أن مجلة شيخ الإسلام ابن تيمية وبخوله السجن ومصر وقعت أثناء هذه الفترة فقاضى القضاة زين الدين بن مخلوف هو الذى وجه إليه التهمة أنه « يقول : أن الله فرق عرشه حقيقه وإن الله يتكلم بصرف وصوت ، فأخذ الشيخ في جمد الله وأثناء عليه قليل له : أجيب ولا تخطب *** فقال من الحاكم

(37) عنوان الدراية 209 - 210 .

(38) الجديج المذهب لابن فرحون ص 183 .

مقالة ترمي بهم مواصفنا الصهاينة

هي ؟ ميل له القاضي المالكي فقال له : كيف تحكم في وأنت خصمي قعصب غصبا شديداً وانزعج وحسن الشئخ (39) « كان ذلك سنة 705 وخرج من السجن ثم عادوا لحاكمته من جديد، ولم يحضر ابن مخلوف ، ومثل القضاء المالكي قاضيان ترمسى وجزائري ، هو الزواوي ، وطلب من القضاة أن يحكموا بحمسه لأن المصلحة تقتضي ذلك » طلب من الترنسي أن يحكم بهذا فقال : ما ثبت عليه شيء ، فطلب هذا من الزواوي أيضاً فتوقف فقال ابن تيمية : « أنا أمضى إلى الحبس وأتبع ما تقتضيه المصلحة فقال الزواوي يكون في موضع يصنع لثله » كان هذا في شوال 707 وهكذا فرى تريندا وتوقفا محمودا ، ثم نجد شاهداً من تاريخ قضائنا على الحكم بالمسمن السياسي ، وهذا ما لم تبلغ إليه أوروبا الا حديثاً .

بعد أن ترك المالكي الحكم اشتغل بالتدريس والتأليف ، وكان يملك مقسرة فائقة وعلماً غزيراً وإطلاعا واسعا ، وحذقا ومهارة مما مكّنه أن يؤلف في الحديث والفقه والاصول والساحة والجدل والمير والتاريخ .

« شرح صحيح مسلم في اثني عشر مجلداً وسماه اكمال الاكمال جمع فيه اقوال ائمة الزواوي ، والقاضي عياض ، والنووي وآثر فيه فوائد جليلة من كلام ابن عبد البر والماضي وغيرهما » وشرح مختصر ابن الحاجب في سبع مجلدات وحل الى كتاب الصيد ، واقتصر جامع ابن يونس شرح الدرنة ، وصنف في الوثائق والمناسك ، ورد على ابن تيمية في مسألة الطلاق ، والفتاوى مناقب مالك ، وقاريفاً في عشر مجلدات ، وكانت له اليد الطولى في علم الفقه والاصول ، والعسرية والفرائض (40) ، حفظ مواعيد مالك ، ومختصر ابن الحاجب في مدة يسيرة ، مثل هذا الانتاج الضخم والنشاط الجب يدل على مكانة سامية بلغ إليها هذا الامام من علمائنا .

وقد « كان اماماً في الفقه واليه انتهت رئاسة الفتوى في منتهى مالك بالديار المصرية » ولد سنة 666 وتوفي بالمعاصرة سنة 743 رحمه الله ورثي هنس .

علمائنا والاجتهاد :

ويستطيع ان يلاحظ من يدرس تراجم علمائنا ، ويقرأ تاريخهم واثارهم ان يعرف مقدار ما كانوا عليه من استقلال في الرأي ، واستعمال للنظر ، وجراءة وشجاعة في الحق ، ولأنه والاجتهاد

(39) ابن تيمية لابي زهرة ص 56 .

(40) الديباج المذهب ص 183 .

فقد جاء في ترجمة ابن الفضل ابن النحوي أنه « كان عارفا بأصول الدين والفقه يعمل إلى النظر والاجتهاد (41) » * وجاء في ترجمة أبي علي حسن بن علي المسيلي أنه « المحقق الثقل المحصل المجتهد (42) » وفي ترجمة أبي عبد الله محمد أبي إبراهيم القهري الاصولي أنه « الفقيه الاصولي المتكلم العالم المجتهد الذليل الغاضل للجليل (43) » فالاجتهاد أن منك وسائله مشروع إلى ذلك حين فقد علمنا من أحوالنا علماء المشرق أن باب الاجتهاد قد أغلق منذ القرن الرابع الهجري وأنهم يصمون هذا الأخلاق وينصرون من فعله ويدفعون ذلك بحجج منها الخوف من حنطة الطغاة من الملوك والأمراء والحكام على الدين ، والخشية من مطاوعة علماء سوء كرهياتهم ، واستجابتهم لنزواتهم بدعوى الاجتهاد * وقد جاء من بعد القرن الرابع عشر غزوات الصليبيين وتغلب التتار * واستبد بالمسلمين كثير من الطغاة وبولا أن باب الاجتهاد كان مغلقا لسمت البلوى ، وربما أحسوا الحرام ، وحرّموا الحلال وانتهكت أحكام الشريعة بدعوى الاجتهاد في الدين * ولم فر هذا الاجماع على إغلاق باب الاجتهاد من عمائنا المغاربة ، فما زالوا يتكلمون به ويدللون على بقاءه مفتوحا إلى يوم الدين ، ويصمون من ملك أدواته بالمجتهد فهذا أبي الفضل ابن النحوي يعمل عنه أنه كان عارفا *** يعمل إلى النظر والاجتهاد فمعرفة أهله للاجتهاد وقد توفي في القرن السادس (513) وعاش المسيلي حتى سنة 580 ، وتوفي الاصولي سنة 612 وفار المرقى عن العالمين الجيوشيين العظيمين أبي يزيد عبد الرحمن بن الإمام وأخيه أبي موسى عيسى « كان أبو يزيد وأخوه أبو موسى يذهبان إلى الاجتهاد ، ويتركان التقليد لما صار لهما من انصيت بالمشرق (44) » * وقد عاشا حتى تصف المائة الثامنة ولقيا في رحلتها شيخ الاسلام ابن تيمية وناظره في أسقائد * وقان الخطيب ابن موزوق عن شجرة أبي علي الزواوي الشهير بتناصر الدين المقدالي « ووصل شيخنا أبو علي درجة الاجتهاد مسمعة من جماعة من أصحابه (45) » توفي علي سنة 731 *

هذه النزعة الاستقلالية في البحث والنظر والاجتهاد والتي لا تتطور المعارف الانسانية ارتقاء إلا بفصلها - انتقلت من النيوخ لثمان ابن النحوي ، والنكي ، والمسيلي ، والاصولي إلى تلاميذهم الذين جاءوا من بعدهم وخلفهم في مهمتهم في بجاية ، وتلمسان ، وشرقها وغربا مقسمين بها * فهذا ناصر الدين وريث ثقافة أسلافه وشيوخه يتوجه طلبته إلى الإنفاق لتدبئة الرسالة فقد أخذ عنه

(41) البستان ص 300 *

(42) عنوان الدراية ص 33 *

(43) عنوان الدراية ص 208 *

(44) نيل الابتهاج ، والبستان ص 124 *

(45) في الابتهاج ص 343 *

قيم اخذوا ابو علي منصور بن علي نزيل تلمسان واجتاز الى الاندلس فكان من جلسة علماء غرناطة « فلقني رحبا وعرف قدره فتقدم مقرنا بالمدرسة تحت جارية ثيبيه وحلق لسانا متكلمنا على الفروع الفقهية والتفسير وتصدر للافتاء وحضرته وصحبته فقلت منه (46) « وكان له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقلية والنقلية واطلاع وتقيد ونظر في الاصول والمنطق ويد طولى في الحساب والهندسة » « واستمر في التدريس والافتاء بغرناطة مدة ٢٨ سنة (753 = 765) ثم خرج منها لاصطدامه في الفتن بجماعة الفقهاء « وتكفيه شهادة ابن الخطيب انه حضره وقال منه وانه كان ذا تقيد ونظر « ومن أخذ منه الامام ابو اسحاق الشاطبي (47) صاحب كتاب «المرافقات» ابداع « وكتاب الاعتصام » كما أخذ الشاطبي أيضا على ابي عبد الله محمد بن احمد الشريف المعروف بـ «الشريف التلمساني» « وكان الشريف رحمه الله قد « اختص بالولاء الامام وتفق عليه في لفقه والاصول والكلام ولزم الاسلي وتلح في معارفه فاستبهر وتفجرت ينابيع العلوم من مداركه (48) « وكان عبد الرحمن ابن خلدون المؤرخ الشهير من تلاميذ الشريف شكره ونوه به « وقال عنه ابن مرقق الحفيد « هو شيخ شيوخنا « واثنى عليه معاصره ابن مرقق الخطيب وذكر انه وصل درج « الاجتهاد في المذهب « ولم يكن علمائنا ممن يشيرون حلقة الاجتهاد ويحصرونها في لمة قليل عددهم ثم يجعلون كل تلميذهم ومن اخذوا عنهم مقدمين قال المقرئ « شهدت مجلس ابي تاشفين صاحب تلمسان فكر فيه ابوزيد ابن الامام ان ابن القاسم مقلد لما لك « وفازعه ابو موسى عمران (بن موسى الخذالي البجائي نزيل تلمسان « صهر ناصر الدين) المذكور وادعى انه مطلق الاجتهاد واحتج بمخالفته لما لك في كثير وذكر منه نظائر « لول قلده لم يخالفه « واحتج ابوزيد بتصرفه الشريف التلمساني (في جواب له على سؤال من الاندلس فرق فيه بين المجتهد المطلق ومجتهد المذهب) انه مثل مجتهد المذهب باين القاسم في مذهب مالك « وامرني في مذهب الشافعي ومحمد بن الحسن في مذهب ابي حنيفة فاجابه عمران بانه مثال « والمثال لا يلزم صحته « « واستدل ابن عبد السلام شيخ ابن مرة على احتداد ابن القاسم المطلق بدمو ما استدل به عمران بن موسى البجائي « وتعبه ابن مرة بانه مزجي البضاعة في الحديث « وكتبت ابن غازي على تعاقبه بانه : كيف يثبت الاجتهاد لشيوخه كابن عبد السلام وغيره وينفيه عن شيخه هداية المالكية بمبارة فليحة ؟ (49) « « ولا ريب في امامة ابن القاسم في الحديث وناهيك بثناء

(46) البستان 299 - 293 - نيل الاجتهاد 345 - 346 - والتكلم هو ابن الخطيب في الاحاسنة «

(47) البستان 294 - نيل الاجتهاد 346 «

(48) نيل الاجتهاد «

(49) نيل الاجتهاد 286 «

النسائي عليه كما تقدم والمجيب من الامام ابن عرفة كيف يثبت الاجتهاد لابن دقيق العيد ونظرائه ثم يقول : وفي المازري نظر هل لحقه ام لا . ومعلوم ان ابن عبد السلام وابن دقيق العيد لا يبلغان درجة المازري في تفقيهه وامامته . - والمستفاد من هذه المناقشة ان ابن عرفة قد اُستند الاجتهاد المطلق لجماعة من العلماء من ابن القاسم . وكلهم متأخرون عن القرن الرابع . ولا نفى هذه الدرجة عن ابن القاسم على ذلك ينقص في اداة من ادواته ، ولم يسلم ذلك له علماؤنا بل ناقضوه الحساب . وحتى القرن التاسع كان الاجتهاد يدعى ممن يرى نفسه اهلية له ، ويرسم به من يراه العلماء قد بلغ درجته ، ويتواضع عن ادعائه يعضي الراسخين في العلم « فهذا قاسم المعين والسناوي ، والبيهقي من اهل المائة التاسعة يصرحون ببلوغ درجة الاجتهاد - والامام الشافعي ، والمفيد ابن مرزوق ينفون ذلك عن اتفهما ومعلوم انهما اقرب علما واوسع باعا من الذين ادمروا (50) » قال القضاة في ترجمة العقباني « شيخنا وبركتنا الفقيه الامام ملحق الاصاغر بالاكابر العديم النضير والاقرب مرتقى درجة الاجتهاد بالدليل والبرهان (51) » مات العقباني سنة 898 هـ وقد برهن الشافعي تلميذ الماشدالي والتلمساني في كتابه الموافقات على بقاء باب الاجتهاد المطلق محتقنا الى يوم الدين .

وهكذا ترى ان علماءنا لا يقولون ببقاء باب الاجتهاد المطلق مقترحا امام من استكمل وسائله فحسب ولكنهم يعينون افرادا بلغوا هذه الدرجة ، ويتجادلون بالصحيح والاضحى ، وقد يدعيها من يرى في نفسه الكفاءة لتتضمنها فتسلم له دعواه وقد ينادر ويناقش الحساب .

وقد كان علماؤنا اوفياء لديمهم قائمين بامر ربهم ، مخلصين له الدين ، لا يرهبون احدا ولا يخافون في الله لومة لا ثم فلم يجلوا حراما لاحد ، ولم يحرّموا حلالا على احد ، يتحرون في الفتوى اشد الملوك قوة ، واعظمهم پاسا ، اذا رآوا في تصرفهم انحرافا . فهذا ابو الفضل ابن التومر يتجدي اوامر امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، لما افترى الفقهاء باحراق كتاب الاحياء للغزالي في صحن مرلكش ووصل كتاب على بن يوسف الممتري بذلك وتحليف الناس بالايمان المغلطة ان ليس عندهم الاحياء فالتصير له « وكتب الى السلطان بذلك واقتى بعدم لزوم تلك الايمان وانتسخ الاحياء في ثلاثين جزء يقرأ في كل يوم جزء في رمضان ، وقال وعدت اني لم انتظر عمري سواء (52) » فاي تحد اشد من هذا وأصرح ؟ ولما نخل الموارقة مميّنة بعبية واكروهوا على البيعة اهلها ، قصدوا قاضيا ايا علي المسيلي ليكرهه على البيعة وكانوا ملثمين على سامتهم

(50) نيل الانتهاج 217 .

(51) نيل الانتهاج 223 - 224 .

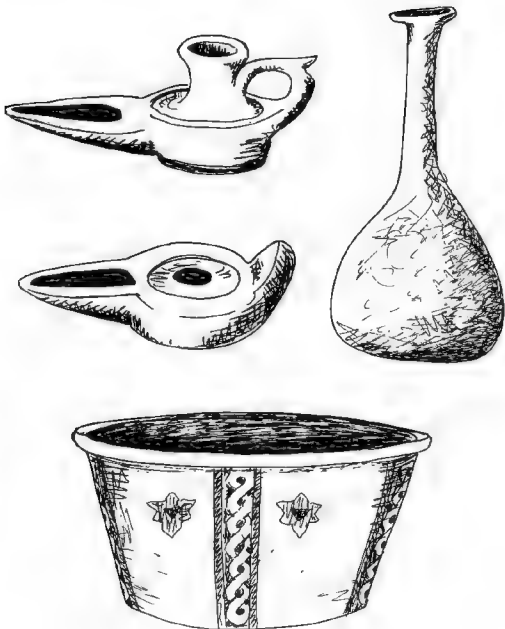
(52) البستان 899 .

فامتنع من البيعة وقال : لا تبائع من لا تعرف هل هو رجل أم امرأة فكشف له الميرقي عن وجهه وهذا ملتهى ما بلغ توقفه وهو أمر كبير عند مطالته بالبيعة ، ولولا علو منصب الفقيه إبي علي ما ساعده عليه (53) * « وأرسل اليه والي بجاية - وكان النالي أحد أبناء عبد المؤمن بن علي - يستدعيه بتحرير من القاضي ليمنه من النشاط الثقافي ويأمره أن يستقل بشأنه ويقتصر على خاصة أمره » فوصله رسوله وهو جالس بالجامع الأعظم يحمل تدريسه منه فأخبره عن حديث السيد وكان من جملة القراء بين يديه حفيد له فقال له : أفسرنا عليه وأم يأمره بما يقرأ فاستفتح متعوذا فقال : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وأتل عليهم ثبا توح أذ قال لقومه يا قوم إن كان كبير عليكم مقامى وتذكروى آيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم وشركاكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم أقصوا إلى ولا تنظروا » فافصل الرسول وقد امتنع لونه وهو ترتعد فرائصه ونا حصل الثناء الطويل وصله رسول السيد يسترجعه ويقول : لا تحدث الشيخ عن شيء *** ثم رده اليه ليمتنر له ، ووصله *** فقبل عثره ورد الصلة (54) * « وقد تقمعت مجابهة الاسولى للخلية الموحدى ومجادلته فى أمر ابن رشد »

فمثل هؤلاء الأعلام لا يخشى أن يبرغوا الكتم عن مواضعه ويؤثروا الحياة الدنيا على الآخرة وفى علماء المشرق انطال فى هذا الميدان ممن عاصروهم ، مثل المز ابن عبد السلام ، وشيخ الاسلام ابن تيمية وابن دقيق العيد * وقد شهد لهم علماءنا ببلوغ درجة الاجتهاد * أن ديننا صالح لكل زمان ومكان ، والتهمان يتقدم ، والاقضية تحدث ، وعلى علماء الاسلام أن يمشوا به الاحداث ويحلوا المشاكل الجديدة على قواعد وقواعدهم وأن يمدوا أصلا برجعون اليه * هذه مزية كان يتسم بها علماءنا ويميلون بمقتضاها وهم اشد الناس اخلاصا ولاء للاسلام *

(53) عنوان الدراية 34 - 35 *

(54) عنوان الدراية ص 35 *



مصباح حادي من الآجر ، وعاء للبلسم من الزجاج وأنية من الفيشاني ، من عهد بني حاد .

عبدالحق الإسماعيلي البجائي



تمهد . لقد شهد المغرب العربي كله والاندلس في مطلع القرن السادس الهجري ثورة كبيرة في مجال التفكير العلمي ، والبحث النظري على يد المهدي ابن تومرت الذي دعا عقب عونه من المشرق سنة 514 هـ الى الرجوع الى الكتاب والسنة ، وتصحيح بعض مقاميم الاعتقاد (1) وحارب جمود الفقهاء الذين عكفوا على كتب الفروع ، وأهملوا النظر في كتب الحديث والقوانين .

وساعد على ايجاد جو جديد تنطلق منه للدراسات الفقهية والكلامية ، ومحاولة الاجتهاد والاستنباط من القرآن والسنة مباشرة .

ولعل هذا الاتجاه النقدي الذي عاب جمود الفقهاء والمتكلمين تجده قبل ابن تومرت عند الإمام المحدث الكبير ابن عبد البر الذي انتقد الفقهاء في القرن الخامس الهجري ، وعاب عنهم جمودهم وعكوفهم على اقوال فقهاء المالكية مع اغفال طريق الاستدلال وفي ذلك يقول : « يتركزون طريق الاستدلال ، والفروع لاحد لها ومن رام ان يحيط باقوال الرجال فقد رام مالا سبيلا اليه ، والآيام تضطره الى الاستنباط مع جهله بالاصول » (2) .

وكان مندر بن سعيد البلوطي (ت 335 هـ) قبل ابن عبد البر ينتقد جمود الفقهاء باقتضائهم على اقوال الائمة دون العناية بدراسة القرآن والحديث ، ومحاولة الاستنباط منها فيقول :

عذيري من قوم يقولون كلمات طلبت دليلا هكذا قال مالك فان عبت قالوا هكذا قال اشهب وقد كان لا يخفى عليه المسالك فان ثبت قالوا قال سحنون مثله ومن لم يقل ما قاله فهو اقله فان قلت قال الله ضجوا واكثروا وقالوا جميعا انت قرن مما حله وان قلت قد قال الرسول فتولهم انت مالكا في ترك ذلك المسالك (3)

رابح بونار

باعت بالكتابة الوطنية

(1) المراكشي ، عبد الواحد : المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص 278 - 280 .

(2) ابن عبد البر ، يوسف : جامع البيان العلم ونفسه ج 3 ص 170 - 171 .

(3) المرجع السابق ج 2 ص 172 .

وأن والدعوة التي دعا إليها المهدي ابن تومرت من العودة إلى الكتاب والسنة نجد لها سندا عند من سبقه من المحدثين والمتكلمين ، وإنما اشتهرت به ، ونسبته إليه ، لمناصبته لها بمؤلفاته ، ودعمها بنفذه ، ونفوذ خلفائه من بعده وقد كان لهذه الدعوة اثرها الفعال في توجيه الانتباه إلى الدراسات القرآنية ، ودراسات الحديث ، وعلومه وإن لم تحقق الغرض الذي كان يستهدفه ابن تومرت وهو القضاء على المذهب المالكي .

ونجد من نتائج هذه الدعوة إلى الحديث والقرآن نبوغ جماعة كبيرة من المحدثين في العصر الموحدي وما بعده ، ومن هؤلاء المحدثين الكبير : أبو محمد عبد الحق الأشبيلي البجائي الذي ولد سنة 510 هـ وقضى نشأته الأولى ، وهو يسمع في مجالس شيوخه صدى لهذا الاتجاه الجديد في دراسة الفقه والأحكام من منابعها الأولى ، فاعجب به ، ومال إليه وترك مؤلفات كثيرة فيه .

حجائه : ولد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين بن سعيد بن إبراهيم الأندلسي الأشبيلي بأشبيلية سنة 510 هـ ونشأ بها ، وأخذ من شيوخها ، ثم انتقل إلى لبلبة من مدن الأندلس وأخذ بها عن أبي الحسن خليل بن اسماعيل ، وتفقه عليه ، وأقام لبلبة حتى غمرتها الفتن السياسية فانتقل منها إلى بجاية (4) . وهذه الفترة التي قضاها عبد الحق بالأندلس فترة يكتنفها الغموض الشديد ، وقد أشار إليها من ترجموا له بكلمات متضاربة لا تقيمتا كثيرا في لقاء الغموض على هذه الفترة الهامة من حياة عبد الحق الأشبيلي ونهض ينمي ما أن نطق عند هذه الفترة قليلا لا يوضح بعض الغموض الذي يسودها لأنها تساعدنا على دراسة شخصية عبد الحق وعوامل التحاقه ببجاية .

أما ولادة عبد الحق الأشبيلي فقد كانت سنة 510 هـ كما ذهب إلى ذلك أبو العباس الفيريني (5) والذهبي في تذكرة الحفاظ (6) وابن فرحون في الديباج المذهب (7) .

وذهب ابن الزبير في صلة الصلة إلى أن ولادته كانت سنة 514 هـ (8) وهي رواية انفرد بها عن أصحاب التراجم الآخرين .

وأما مدة إقامة عبد الحق بأشبيلية ولبلبة قبل هجرته إلى بجاية فقد أشار إليها أصحاب التراجم إشارة غامضة قالوا فيها أن هجرته إلى بجاية كانت وقت حدوث الفتنة التي انقضت فيها الدولة الموحدية (9) .

(4) راجع : أبا جعفر أحمد بن الزبير : بقية المنقوس (مطبوع مطبعة رومس 1884) ص 378 - أنذهبي : تذكرة الحفاظ (بيروت : دار إحياء التراث) ج 6 ص 735 .
- أنفريسي أحمد : عنوان الدراية نشر ابن أبي شنبه ص 20 - 23 - ابن فرحون : الديباج المذهب ص 75 - ابن شاكركتبي : فوات الوفيات (مسمى سنة 1951 م) ج 1 ص 518 - بروكلمان : تاريخ الأدب العربية ج 1 ص 458 .

(5) عنوان الدراية ص 20 - 23 (6) تذكرة الحفاظ ج 4 ص 350 (7) الديباج المذهب ص 175 (8) صلة الصلة ص 4 - 5 (9) راجع : الديباج ص 75 - وتذكرة الحفاظ ج 4 ص 350 وقررات الوفيات ج 1 ص 518 .

وهذه الفتنة التي كانت عاملا من عوامل هجرة عبد الصق الشيبلي الى بجاية قد ذكرها المؤرخون ، وفصلوا أحداثها ونحن بسوقنا لأحداث اشبيلية وليلة وما يتصل بها من أخبار الأندلس في منتصف القرن السادس الهجري نصل الى تصوير هذه الفتنة العارمة *

يذكر الناصري في الاستقصا : أن الموحدين زحفوا الى ليلة وكان بها من الثوار يوسف بن أحمد البطروجي فأساعهم ، وسلم اليهم المدينة ثم زحفوا الى اشبيلية وفتحوها في شعبان سنة 543 هـ . وفر المرابطون الذين كانوا محصنين بها ، وقتل في جملتهم عبد الله ولد القاضي أبي بكر بن العربي وهو من شيوخ عبد الحق الاشبيلي وهناك حادث خطير تعرضت له مدينة ليلة وكان ذلك عقب ثورتها على الموحدين ، وزحف اليها هؤلا بقيادة يحيى بن يسمور والى قرطبة واشبيلية وفتحوها سنة 599 هـ (10) *

وقد ارتكب هذا القائد الموحدي فظائع وحشية بعد أن فتح المدينة (عوة وقبض على أهلها وخرج بهم الى طائفة المدينة وصفهم في صعيد واحد ، ثم عرضهم على السيف اجمعين حتى خلس القتل منهم الى الفقيه المحدث أبي الحكام بن بسطامال *

والفقيه الصالح أبي عامر بن الجدي ، وكان عدد من قتل من أهل الليلة في تلك الحادثة ثمانية آلاف منهم ، وقتل ياحوازمها منهم اربعة آلاف ، ثم بيعت نساءهم وابنائهم وامتنعتهم واسلابهم ، فعل ذلك اقتياتا على عبد المؤمن ، وبلغه الخبر يملأه غصبا *** ولم يصرف الى أهل ليلة شيئا مما أخذ لهم ** (11) *

ولا شك أن هذه الحادثة الفظيعة التي شاهدها عبد الصق الاشبيلي ، ونجا من ويلاتها وشاهد بعض شيوخه يذهبون ضحيتها قد تركت آثارها السيئة في نفسه ، وجعلت ميله الى المرابطين الذين كانوا يمزقون شيوخه ويقدرتهم ميلا أصيلا في نفسه *

ولعل هذه الفتنة الحاصلة هي التي دفعته دفعا الى الهجرة من بلاده الى اتجاه الأماكن المضمرة ، ولم يذكر من ترجموا له تاريخ مغابرتة للأندلس بالتحديد ، ولكن أبا القباس الفيريني خايل أن يحدد تاريخ هجرته فقال أن عبد الحق غاب عن الأندلس الى بجاية بعد الخمسين وخمسائة (550 هـ) بعد أن قام بالأندلس من سنة 510 هـ الى سنة 550 هـ أي بعد أن أقام فيها نحو 40 سنة -

(10) الناصري : الاستقصا (الدار البيضاء : دار الكتاب ، 1954 م) ج 2 ص 117 *

(11) المرجع السابق ج 2 ص 125 *

وهذا التاريخ يرافقه تاريخ الفترة الأخيرة ببلجة ، وقد وقعت سنة 549 هـ ، ولا يبعد أن يكون عبد الحق قد قارب الاندلس أثناء هذه الفترة أو بعدها بقليل ، واستقر ببيجاية حوالي سنة 550 هـ أو بعدها بقليل (12) *

وكانت نيته عند معادته للاندلس أن يرتحل إلى الأماكن المقدسة لاداء فريضة الحج ، ولكنه عندما وصل إلى بيجاية أقام بها واختارها وطنا له كما يقول الغبريني *

وقد أقام ببيجاية نحو إحدى وثلاثين سنة من سنة 550 هـ إلى سنة 582 هـ ينعم بالطمأنينة والاستقرار ، ومال في هذه الفترة الطويلة من حياته إلى الزهد والتدريس والمطابقة في الجامع الأعظم بها (13) *

ولم يتول القضاء بها إلا في عهد بني غانية لفترة هائلة وهذا ما لاحظته الغبريني في عنوانه (14) *

وكان عبد الحق الاشبيسي يعتمد من المناصب السياسية بحكم اتجاهه الزهدي ، ولذلك لم يل القضاء إلا في عهد بني غانية ولدة قليلة وقد امتنع عنه في العهد الموحدى تحت حكم السادة من بني عبد المؤمن واستغرب ذلك منه ، وفي ذلك يقول ابن الزبير : ودعى بيجاية إلى خطي القضاء والمطابقة للموحدين فامتنع عن ذلك ، ودعى لذلك حين دخلها المورقي (ابن غانية) فاجاب (15) *

ولقد استطاع عبد الحق أن يتفرغ للمعلم والافادة ، وإن يراجع ما درسه على اشياخه بالاندلس ، وإن يأخذ من كبار العلماء الذين كانوا يمررون ببيجاية ، وإن يفيدهم ، ولا غرابة أن ينبع بعد ذلك في الحديث وعلومه وفي الآداب ايضا *

وكان عبد الحق يفتخر بالمشيخة التي أخذ منها بالاندلس وغيرها ، وكانت من رجال الفقه والحديث والفقه والادب وغيرها ، ومنهم أبو الحسن خليل بن اسماعيل ، وأبو الحسن شريح ، وأبو بكر عبد العزيز بن خلف ، وابن بركان ، وأبو حفص عمر بن أيوب وأبو بكر بن حديد ، وأبو الحسن طارقي ، وطاهر بن عطية وأبو بكر ابن العربي الشهير ، وأجازته من المشرق أبو القاسم ابن عساكر محدث دمشق وغيره * وهكذا اشتهر عبد الحق الاشبيلي البجائي بالحديث وعلومه ، واعتبره ابن

(12) عنوان الدراية ص 23 *

(13) الجياح المذهب ص 175 - تنكرة الحفاظ للمذهب ج 4 ص 1350 - عنوان الدراية ص 21 - صلة الصلة ص 5 - فرائد الوفيات ج 1 ص 528 (14) عنوان الدراية ص 20 (15) صلة الصلة ص 5 ،

عسكرو من اكبر المحققين المعاصرين له بالمغرب ، ولا غشاية ان يكون عبد الحق في هذا المستوى العلمي الذي اشتهر به في المغرب والشرق ، فقد كان كما يقول ابن فرحون وابن شاكرو « فقيها حافظا عالما بالحديث وعلمه عارفا بالرجال » (26)

ولم يكن عبد الحق جماعا للحديث لا غير ، وانما كان دراسا له ، واعيا لما فيه من احكام واداب ، وقد تبخ فيه ، وترك مؤلفات كثيرة في مختلف علومه *

وكان الى جانب ذلك انبيا واعيا ، وشاعرا مطبوعا « يزاحم حول الشعراء » ولم يطلق عنانه في نظم بل اقتصر على باب الزهد وما يرجع اليه « كما يقول ابن الزبير (27) »

والواقع ان مؤلفات عبد الحق الاشبيلي تشهد له بهذا التحصيل الواسع ، وبهذه العمق الفذة في دراسة الحديث وعلومه *

ومؤلفاته حسيما نكروها من ترجموا له على اختلاف بينهم في ذلك هي في الحديث وعلومه *

1) الاحكام الكبرى 2) والاحكام الصغرى 3) وهناك احكام كبرى اعظم من الاولى وذكر الغبريني لنها ضاعت *

وهذه انكتب في الاحكام جرت عادة المؤلفين فيها ان ينوّنوا الاحاديث وآراء الصحابة والآيات القرآنية حسب أبواب الفقه ، حتى يسهل استنباط الاحكام منها ، وقد سبق عبد الصق الى هذا النوع من المؤلفات في الانفلس ابو العباس بن ابي مسروان الشهيد عند هجوم الفاند الموحدي عليها سنة 549 هـ وحظي ما كتبه عبد الحق بالقبول والبقاء دون ما كتبه ابو العباس بن ابي مروان - ويلاحظ الغبريني ان الاحكام الكبرى والصغرى قد اشتهرتا في عصره في مجالس العلم شرقا وغربا وكتبت عليهما شروح ومن ذلك ما كتبه ابن القطان تحت عنوان « الوهم والايهام الواقعان في كتاب الاحكام وان كان لا يقل من تصف » (28) *

3) وله كتاب الرشيد في الحديث ، وقد تضمن حديث مسلم وما زاد البخاري على مسلم ، و اضاف الى ذلك احاديث حسنة وصحيحة من سنن ابي داود ، وكتاب النسائي والترمذي وحسا وقع في الموطا مما ليس في مسلم والبخاري ، وهذا الكتاب اكبر من صحيح مسلم *

26) الديباج المذهب من 175 - فوات الوفيات ج 1 ص 58 *

27) صلة الصلة ص 3 *

28) ابن القطان : نظم الجمان (تطوان المطبعة المهدية) مقدمة للكتاب ، والملاحظ ان مخطوحت الكبرى والصغرى موجودة في الخزنة العامة بالرباط وغيرها من المكتبات كما يوجد فيها كتاب العاقبة لعبد المسق ايضا *

- (4) وله الجمع بين الصحيحين في سفر *
- (5) وله كتاب « الجامع الكبير » في الحديث جمع فيه بين المصنفات الستة مع إضافة ما جاء في مسند الزوار إليه ، وتكلم فيه علي علل الاحاديث ، وقد نهب منه هذا الكتاب عند الهجوم على بجاية *
- (6) وكتاب في المعتل من الحديث *
- (7) وكتاب تلقين الوليد في الحديث في سفر صغير *
- (8) ومختصر كفاية الكفاية ، في علم الرواية *
- (9) وكتاب بيان الحديث في قدر صحيح مسلم ونهب منه *
- وله مؤلفات في الزهد والتذكير وهي :**
- (10) كتاب الرقائق *
- (11) وكتاب العاقبة في التذكير *
- (12) وكتاب الزهد وقد ذكره ابن شاذان (19) *
- (13) وكتاب فضل الحج والزيارة *
- (14) وكتاب التوبة في سفرين *
- (15) ومجموعات الرسول (ص) في سفر *
- (16) ومقالة في الفقر والغنى *
- (17) وكتاب الصلاة والتجديد في سفر *
- (18) وكتاب الرقائق في الامثال والمواعظ والحكم والآداب من كلام النبي (ص) والصالحين *
- وله في اللغة والشعر والانساب :**
- (19) كتاب الواع في اللغة ، وقد حاكم به كتاب التعريبيين للمهروي ، وهو في نحو 38 مقرا عند الغريبي ، وفي نحو 25 مقرا عند ابن قريون
- (20) ومختصر كتاب الرشاش في سفرين في الانساب والقبائل والبلاد وهو احسن من الاصل

كما يقول الغريبي (20) *

(19) فوات الرقيات ج 1 ص 518 *

(20) عنوان الفرياسة ص 22 - الميياج ص 175 *

(21) وميوان شعر في الزهد وشؤون الآخرة اشار اليه العبريني (21) *
اللامعة : اخذ عن المترجم جماعة من المحققين منهم :

ومن ذلك ما حكاه الغبريشي من أن عبد الحق كان يجتمع مع صديقه أبي علي المسيلي ، وأبي عبد الله محمد بن عمر القرشي « بالحانوت الذي هو يطرف حارة المقدسي ، وهو المقابل للطالع للحارة المذكورة ، وكان الحانوت يسمى مدينة العلم لاجتماع هؤلاء الثلاثة فيه ، وكان القرشي هذا من أهل النظر في المفولات » (27) .

وكان عبد الحق صديقا حميما لأبي علي المسيلي ، وذكر الغبريشي عنه أنه كثيرا ما كان يجلس معه .

ولما اشتهر أبو مدين في بجاية ، وانتشرت عنه غرائبه عزم عبد الحق ، وأبو علي المسيلي علي الذهاب اليه لاحتباره ، وسارا اليه وملاؤه فأحابهما عن أمثلتهما ثم خاطبهما بإشارة صوفية ملتفتا عن يمينه ويساره قائلا : «ي هل ، وعلي دل قايما الكل ، (28) فبهرهما وانصرفا عنه معجبين به مقدرين فضله ، وكان سلوكه مع عائلته سلوكا حسنا يتسم بالسماحة والكرم ، فكان إذا أتته النوصيفة من المنزل تطلب منه قضاء حاجات لاهله - يعطيها أكثر مما تطلب ، ويقول لا أجمع على أمر أنزل ثلاث شيفات : شيخ ، وأشبيلي ، وشحيح بل يكفي ثلثان ، وهذا من حفة روحه ، وكرم طبيعه كما يقول الغبريشي (29) » .

موقفه من ثورة بني غانية ببجاية : كان بنو غانية الذين استبدوا بأمر جزائر ميورقة ومنورقة ولم يذعنوا لحكامه الموحدين ينتظرون الفرصة ليثوروا على الموحدين ، ويستردوا أملاك الدولة المرابطية التي انتزعوها منها ، وقد اختاروا الهجوم على بجاية عقب وفاة الخليفة يوسف ، وهاجموا يوم الجمعة ، والناس في صلاتهم ، وكان والي البلد السيد أبو الربيع بن عبد المؤمن خارج المدينة ، فدخلوها ، ولم يمانعهم أهلها (30) .

وكان ذلك في سفر سنة 581 هـ على ما ذهب إليه ابن خلدون واعتقل بنو غانية السيد أبي موسى بن عبد المؤمن الذي كان في طريقه من الحرقية إلى مراكش ، واحتلوا مدينة الجزائر وما رونة ، وملانة ، وأجهزتهم قسنطينة .

وساق ابن أبي زرع خير احتلال بنو غانية لمدينة بجاية بتفصيل أوسع فقال دخل على بنو اسحاق مدينة بجاية يوم الجمعة في 6 شعبان سنة 580 هـ والناس في صلاة الجمعة فانتظر يحيى

(27) عنوان الدراية ص 16 - 17 .

(28) المرجع السابق ص 6 .

(29) المرجع السابق ص 22 .

(30) أبي خلدون ، عبد الرحمن : كتاب المعبر ج 6 ص 388 .

ابن اسحاق حتى أحرم الناس بالصلاة ، واقتحم عليهم المدينة ، وعمد الى الجامع الاعظم وادار عليه فرسانه ورجاله « فمن بايعه خلى سبيله ، ومن توقف عن بيعته ضرب عنقه » (34) * وجاء فى مجموعة رسائل الموحدين ما يشعر بوجود تواطؤ بين بعض سكان المدينة ويحيى ابن اسحاق الميورقي *

واجبر يحيى هذا عامة السكان على بيعته ومن اجبره على ذلك ابو على المسيلي الذى لم يقدم بيعته حتى كشف له عن وجهه فبايعه حيثئذ (35) * ويبدو ان ابا على المسيلي سأل بنى غانية مدة حكمهم لبجاية ، وترك منصوب القضاء الذى كان يشغله من قبل لبنى الخسيب الذين تولوه بعده

اما صديقه عبد الحق الاشبيلى فقد كان على العكس من ذلك يناصر ثورة بنى غانية نفروا من الموحدين الذين نكلوا بشيوخه واصحقائه فى عهد شهابه . ويأمل فى اعادة النبوة الرابلية على ايديهم ، وكان الموحدون قبل هجوم بنى غانية على بجاية سنة 582 هـ قد طلبوا منه ان يتولى خطفى القضاء والخطابة فامتنع من ذلك ، ولما اقبل بنو غامية ، وطلبوه للقضاء والخطابة لجابههم اليهما وهذا ما جعل معاصريه من الفقهاء يستغفرون ذلك منه ، وحكى ذلك ابن الزبير فى صلة الصلة ولكن ارفغ ذلك بقوله قال : « ان جهات الاعتذار فى مثله متصمة » (33) * واقام عبد الحق فى قضائه سيلة حكم بنى غانية لبجاية وهى كما يذكر ابن ابي ذرع سبعة اشهر (34) *

ونجد بعض علماء بجاية قد انتأزوا - مثل عبد الحق الاشبيلى - الى بنى غانية ، واسيغروا على حكمهم شرعية وتمجيذا ، ومنهم ابو الطاهر عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف العنسى الشاعر . وقد امتدح بنى غانية بقصائده شعرية (35) وكان منهم من خطب فى تمجيدهم وقال : الحمد لله الذى اعاد الامر الى نصابه ، وازاله من ايدى شصابه » (36) *

(31) الناصرى : الاستقصا (الدار البيضاء) دار الكتاب 1954 م ج 2 ص 39 *

(32) عنوان البراية ص 26 *

(33) صلة الصلة ص 6 *

(34) الناصرى : الاستقصا ج 2 ص 39

(30) عنوان البراية ص 23 *

(36) المرجع السابق ص 23 *

وكان ذلك باعثاً للموحدين بعد استماعتهم لمدينة بجاية على أن ينكلوا بكل من شايع بني غانية ومنهم عمارة بن يحيى الشاهر ، وحيد الحق الاشبيلى ، وغيرهما ممن لم ينكسروهم الغبريني تقصيصاً ، وإنما أشار إليهم بجملة في قوله : اشتدت وعائتهم ، أى الموحدين ، على أصل العلم ، واعتقلا أناساً منهم ، وكان في جملة من اعتقل للشرىف أبو الطاهر عمارة * .

وكان قد تولى القضاء لبني غانية « فوجه إليه وجيء به مصفداً في الحديد ، وبقي معتقلاً مع صحابه مدة » (37) * .

ولا يبعد أن يكون الاعتقال قد شمل عبد الحق ، وصديقه إيا على المصلى وأبا عبد الله محمد بن عمر القرشي وغيرهم وإما أبو مدين الصوفى فله تجا من الاعتقال * .

خاتمة عبد الحق الاشبيلى : لما عاد الموحدين إلى بجاية تتبعوا انصرام على بن اسحاق الخوريقي بالتككيل ، ووقع عبد الحق في الاعتقال ، ولا ندرى هل خرج من معتقله قبل وفاته أم بقي فيه حتى توفى سنة 582 هـ * .

أما مترجموه فأنهم يجمعون على أنه توفى بعد مصنة ثالث من الموحدين على عهد يعقوب المنصور (38) * .

ولكنهم لا يتكبرون هل توفى في المعتقل أو بعد خروجه منه كما أنهم لم يذكرهوا فوجية هذا الاعتقال ، ولم يتفقوا على تاريخ وفاته ولا تاريخ احتلال بني غانية لمجاية * .

هاتين خلتون يذكر أن على بن اسحاق شمل بجاية في صفر سنة 582 هـ ، ويوافقه على ذلك صاحب الاستقصا (39) * .

وكان ذلك بعد أن توفى أبو يعقوب يوسف ، وإتم على بن اسحاق استعداده الحربي * .
ما ابن أبي ذرع فانه يقول : أن علي بن اسحاق هاجم بجاية وبخلها في 6 شعبان سنة 680 (40) * .

واخذ بهذه الرواية ابن قنفذ القسنطيني في القارسية (41) * .

(37) المرجع السابق ص 23 - 24 * .

(38) صلة الصلة ص 6 - خواتم الوفيات ج 1 ص 518 - تحفة الحفاظ ج 4 ص 1351 - الديباج ص 185 * .

(39) ابن خلتون : كتاب العبر - ج 6 ص 388 - ج 6 ص 507 الناصري : الاستقصا ج 2 ص 159 - 160 * .

(40) المرجع السابق ص 165 (41) ابن قنفذ : القارسية في مبادئ الدولة المصيرية (السدار التونسية للنشر 1968 م) ص 208 - وجاء فيها أن المنصور تحرك لمحاربة ابن غانية سنة 683 هـ بعد أن مر على ثورته ثلاث سنوات * .

وأذا أخذنا برواية ابن خلدون فإن ابن غانية يكون قد حكم ببجاية في شهر (صفر ، ربيع الاول ، ربيع الآخر ، جمادى الاولى ، جمادى الآخرة ، رجب ، شعبان ، من سنة 58٤ هـ) وهي كمال سبعة أشهر ، ثم خرج منها وبشغلها الموحدين
اما اذا أخذنا برواية ابن زرع فإن علي بن اسحاق الميرقي يكون قد حكمها من شهر شعبان سنة 58٥ هـ الى صفر من سنة 58٦ هـ *

وفيما يخص وفاة عبد الحق الاشيبلي تجسد فيها اختلافا بين اصحاب التراجم ، فالغريشي وابن الزبير وابن قنفذ القسنطيني يذهبون الى ان المترجم توفي سنة 58٥ هـ (42) *
وابن فرحون وابن شاكر والذهبي ائتمروا أن وفاته كانت سنة 58٦ هـ (43) *
والرواية التي يمكن ترجيحها هي رواية الغريشي ، لانه كان قريب عهد بالمترجم ، وقد أخذ تاريخ وفاته عن اشيخه الذين عاصروه *

واذا أخذنا بهذه الرواية الراجحة ، واعتبرنا وفاته كانت سنة 58٥ هـ فإن تاريخ دخول ابن غانية يكون في صفر سنة 58٦ هـ كما ذهب الى ذلك ابن خلدون وناصردي (44) *
وقد اقامنا في بجاية من صفر سنة 58٦ هـ الى شعبان من هذه السنة ويكون عبد الحق قد اعتقل بعد دخول الموحدين الى بجاية خلال فترة تمتد من رمضان سنة 58٦ هـ الى ان توفي في سنة 58٦ هـ *

ولم يذكر ابن الزبير ، ولا الغريشي الشهر الذي توفي فيه في سنة 58٥ هـ ، اما ابن فرحون الذي ذكر ان وفاته كانت سنة 58٦ هـ فقد حدد وفاته بشهر ربيع الاول *

ولا يبعد ان يكون عبد الحق قد توفي في اول سنة 58٥ هـ بعد حجة الاعتقال والمضايقة التي ابتلى بها من قبل ولادة الموحدين ، وكانت سنة عند وفاته 7٨ سنة *

وقد استطاع عبد الحق ان يجعل من حياته ببجاية فترة نشاط علمي متواصل ، ومرحلة اعتكاف للتدريس والتأليف حتى ادركه اجله راضيا مرضيا *

انبه : كان كثير من علماء المغرب في العصر الاسلامي الذهبي يجمعون بين علوم الشريعة وعلوم الانب فلم يكن الفقيه يزور عن الدراسات الادبية من نثر وشعر ، ولم يكن يمتدح لراستها

(42) عنوان البداية من ٢3 - صلة السلسلة من ٥ - الوفيات من 45 *

(43) الديباج من 175 - فوات الوفيات ج ١ ص 518 - تذكرة الحفاظ ج 4 ص 35٢ *

(44) العبر ج 6 ص 388 - الاستقصا ج ١ ص 165 *

لغوا وحيثا بل كان يعدمها طوعا إمامية تصاعده على فهم بلاغة القرآن والسنة ، وتمكنه من استنباط الأحكام منهما ، وتجد كثيرا من الفقهاء كانوا أديبا منهم القاضي عياض وابن عبد البر ، وابن العربي وغيرهم - ومنهم بالتالي عبد الحق الاشبيلي ، وقد كان عبد الحق أدبيا شاعرا استطاع أن يزاخم النعمان بضميره كما يقول ابن الزبير في صلة الصلة ، غير أنه ألزم نفسه بموضوع واحد هو الزهد وما يتصل به (45) .

وقد جمعت قصائده الزهدية في ديوان أشار إليه الغبريني في عنوانه (46) .

وتشهد للمترجم المقطوعات التي رواها من ترجموا له أو التي أدرجها في كتابه « كتاب الحاقية » بالفعولة الشعرية ، وبالطبع الموهوب ، ونجد في قصائده الزهدية قبسا من روح المعري في لزومياته ، ومن أسلوب أبي العتاهية في زهدياته ، ومن ذلك قوله من قصيدة في الزهد :

واها لنديا وتغروها	كم شابت الصنفى بتكثيرها
أي أمريء آمن في سريه	ولم يثله سوء مقبورها
وكان في عافية من جسمه	من مس بلواها وتغييرها
وعنده يلقه يوم فقد	حيزت إليه بحدافيرها (47)

يدوي له النفس في بشة المثلث قصيدة دعا فيها إلى القناعة والزهد في سنيات الحياة والاحتراز من مفاجاة الموت قبل التوبة وأعداد الزاد ليوم الرحيل :

واكلا كل الذي يشتهي	كأله في أكله لسور
وناهضا أن يدع داعي الهوى	كأله من خفة طير
أن كؤوس الموت بين السورى	هائبة قد حنطها المعير
وقد تيقنت وأن أبطأت	أن سوف يأتيك بها السور
ومن يك في سيرة جائرا	يأله ما في سيرها جور (48)

(45) صلة الصلة ص 7 .

(46) عنوان الدراسة ص 21 - وتوجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة الترويين بناس .

(47) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 6 ص 335 .

(48) بغية المخلص ص 378 .

روى له ابن الزبير قصيدة حال فيها الشاعر فلسفته في الحياة والموت والمصير ، وأبان أن الحياة ظل زائل ، وحلم خادع ، وإلخلكه ينبغي للإنسان أن يكون على حذر من الموت الذي يتربص به ، وأن يكون متزوذاً ليوم رحيله ، وفيها يقول :

يا أمن الساحة لا يذهب	بين يديك الفزع الأكبر
والمرء منصوب له حتفه	لو أنه من عمه يصبر
وهذه النفس لها حاجة	والمرء عن تحصيلها يقصر
وكلما تزجر عن مطلب	كانت به أهيأ تزجر
وربما ألت معانيها	لو أنها بأوجها تصبر
ونافس لها تاتصر	لو أنها تنتظر إذ ينظر
ورائد الموت له ظلمة	يصبرها الأكمة والبصر
وروعة الموت لها سكرة	ومثلها من روعة يسكر
وبين أطباق الثرى منزل	ينزله الأعظم والاحقر
يتوك بهذو الفخر فضوه	وصاحب الكبر به يصغر
قد ملأت أرجاءه روعة	تكبره المعروف والتكر
ويعد ما بعد ؟ وأعظم به	من مشهد ما قهره يقهر

وسار عبد الحق الاشبيلي في قصائده الأخرى على أسسويه الزمردى هذا مثكراً واعظاً ، ومخوض الزهد وأن كان مشروحاً جافاً بالنبية لأن لم تكن تجربة شعورية فإن عبد الحق قد استنصاح أن يصبغ على قصائده الزمردية نقضات أدبية ، ونبضات شعورية قوية جعلت منها قصائد خفيفة الروح ، رفاقة التعمير ، وهكذا كان عبد الصق شيخاً جليلاً في علوم الفقه والحديث ، وكان أدبياً مطبوهاً يرأحم الشعراء في مجال الأدب والشعر .

صور حيوانات على لبشاني من عهد الحماديين .





الحركة الأدبية في بجاية

الحركة الأدبية في بجاية بني حماد

من يطالع كتاب الفيريتي « عنوان النراية » يترك أهمية بجاية في
مجالي العلم والأدب *

ان يكن المؤلف خصص كتابه لن « عرف من العلماء في المائة السابعة
فان مساهمة عاصمة الحمانيين في نشر الثقافة العربية الإسلامية بدأت منذ
تأسيسها سنة 460 هـ لانها ورثت من القلعة التي كانت حاضرة بني حماد
تقدمها الحضارى ان كانت محط رجال العلماء وقد انتجا اليها كثير من
علماء القيروان بعد الحملة الهلالية وقد ذكر الفيريتي عددا من المتتبعين
اليها كعبد الله بن محمد بن عمر القلعي وعلى بن شكر بن عمر القلعي
ومحمد بن حسن بن ميمون القلعي ومحمد بن عبد الله بن محمد المعافري
القلعي وغيرهم وقد قال عنها صاحب عنوان النراية في معرض كلامه على
ابى عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن ابي بكر الصنهاجى :
« وهو من اهل قلعة بنى حماد من كبار الائمة وفضلتهم قرا ببلده بالقلعة
وكانت حاضرة علم » (4)

د . رشيد مصطفى

كلية الآداب
جامعة الجزائر

ولذلك ما حدث في بجاية من ازدهار حضارى انما هو امتداد لما كانت عليه القلعة يقول ابن
خلدون عن المنصور بن الناصر بن علناس : « فاتخذ بجاية هذه مقعلا وصيرها دارا للملك وجدد
قصرها وشيد جامعها وكان المنصور هذا جماعة مولنا بالبناء وهو الذى حضر ملك بنى حماد
وتأق في اختطاط المباني وتشييد المصانع واتخاذ القصور واجراء المياه في الرياض والبساتين

(1) عنوان النراية ص 228 ط الجزائر سنة 1328 / 1910

فيبقى في القلعة قصر الملك والمنازل والكوكب وقصر السلام وفي بجاية قصر اللؤلؤة وقصر
أميمون » (2) *

أما الأندلسي الذي زار بجاية فهو يصفها وصفا دقيقا يلخص عظمتها في العهد الحمادي إذ
يقول : « ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الأوسط وعين البلاد بين حماد والسفن إليها
مقلعة وبها القواصل منقطة والامتعة إليها برا وبحرا مجلوبة والبضائع بها تافقة وأهلها ميامير
تجار وبها من الصناعات والصناعات ما ليس بكثير من البلاد وأهلها يجالسون تمار المغرب الأقصى
وتحار الصحراء وتجار المشرق وبها تحل الصدود وتباح البضائع بالأموال المقنطرة ولها يسود
وعزارح والحنطة والقمح بها موجودان كثيران والتين وسائر الفواكه بها ومنها ما يكفي لكثير
من البلاد وبها دار صناعة لانشاء الاساطيل والمراكب والسفن والحراش لأن الخشب في أوطانها
وجبالها كثير موحود ويحلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة والفسران وبها معادن الحديد
الطيب موجودة وبها من الصناعات كل غريبة وعلى بعد ميل منها نهر يأتيها من جهة المغرب
من نحو جبال جرجرة ومن نهر هلميم يجاز عند فم النهر بالمراكب وكلما بعد عن البحر كان ماءه
قيلا ويجوز من شاء في كل موضع منه »

« ومدينة بجاية قطب لكثير من البلاد »

هذا الازدهار الشامل لميادين الحياة كلها يجعل الحمانيين وشبههم يشعرون بفخر واعتزاز
صيرام يناسون أهل الأندلس وأهل المشرق في ميدان الحضارة المادية والمعنوية حتى تبدو
بجاية أحسن حضرة عرفها الناس لقد زارها ابن حنيس الصقلي الشاعر الكبير فمدح فيها
النصور الحمادي ووصف قصورا من قصوره البديعة وأبدى إعجابا كبيرا بها قال :

وأعمر بقصر الملك نايك الذي أضمسى بجسك بيقه معمورا
لثركنا الغروبوس حسين أرمقنا غرغا رفعت بناءها وقصورا

أما ابن لمكون الشاعر القسنطيني المشهور الذي حل بها بعد ابن حنيس فلم يتسلك أن عبر
عن إعجابه الكبير بقوله :

دع العراق ويقعداد وشامهما قالناصرية ما أن مظهر أحمد

(2) كتاب المعبر لابن خلدون ج 4 ص 358 ط دار الكتاب اللبناني سنة 1968 *

وخدم قصيدته قائلًا :

يا طاليا وصفها إن كنت ذا نصف قل جنة الخلد فيها الأصل والولد

ومن يمنح النظر في قصيدتي ابن لفيكون وابن حمديس يلمس هذه النزعة إلى التناقض حيث فضلا بجاية وتصورها على سائر ما بنى الفرس والروم والمغرب *
وكذلك يبدو هذا التناقض جليا في مجال الأدب إذ كان الناس يباهون بإنجازهم أدباء المشرق ويفضلونهم عليهم وقد روى لنا الفريفي شيئا عن هذا الإعجاب عندما ذكر حمارة الشريف قائلا :
« كان متقدما في علم العربية والأدب وله تأليف في علم الغرائب منظوم وتراشيحه في نهاية الحمن وبه يضرب المثل وكثيرا ما يقول الناس عندما يشعظ الإنسان على الإنسان في الطلب فيجأويه وأغني لك موشعا لعمارة » *

وهذا الإعجاب يشمل مجال العلم كذلك إذ يقول الفريفي متحدثا عن الإمام ابن علي المسيلي الذي كان يسمى أبا حامد : « وله كتاب التفكير فيما يشتمل عليه المسور والآيات من الكباديه والإنفايات وهو كتاب جليل سلك فيه مسلك أبي حامد في كتاب الأحياء وبه سمى أبا حامد الصغير وكلامه فيه أحسن من كلام أبي حامد وأسلم ودل كلامه فيه على إحاطته بعلم العقول والمنقول وعلم الظاهر والباطن ومن تأمل كلامه أدرك ذلك بالعلم اليقين ولم يفتقر فيه إلى تبيين وهو كثير الوجود بين أيدي الناس وكثرة وجود الكتاب دليل على اعتناء الناس به وإيثارهم له » *

إن هذين المثالين يدلان على اهتمام الناس بإنتاج أدبياتهم وعلمائهم وقول الفريفي : « ومن تأمل كلامه أدرك ذلك بالعلم اليقين » يرشد إلى أن هذا الإعجاب عند أهل بجاية لم يكن مبنيا على الفلو والإفراط في تقدير مؤلفهم *

ولاعجب إذ كانت بجاية من العواصم الثقافية في العالم العربي والإسلامي وكان يقصدها الأجانب من غير المسلمين للتعلم بها وقد تخرج من معاهدها ليونار دو فيبوناتشي العالم الإيطالي الرياضي الشهير *

بجاية والثقافة اللبينية :

ونحن في هذه المجالة نعرض القبول على الأدب في بجاية إذ كان مزدهرا بها منذ تأسيسها * ومن مظاهر هذا الازدهار نهضة الشعراء الناصب الصادي بحاصمته الجديدة ورياسة ابن حمديس الصقلي الشاعر الكبير لها ومدحه المنصور الحمادي ووصف قصره وصفا جيدا *

ثم نجد فى خريدة القصر للمعاد الاصفهائى ما نقله عن ابن يشرى من آثار أبيه لجماعة من الشعراء الذين عاشوا فى مجاية فى عهد يحيى بن العزيز الحمادى فمنهم الفقيه ابو حفص عمر بن فللول الذى كان « كاتب السلطان بلك البلاد يحيى بن العزيز الحمادى وخالصة وصاحب سره » ومن شعره قوله :

وقالوا نأى عنك الحبيب فما الذى	قراء اذا بان الحبيب المواسل
فان انت احببت التصير بعده	ولم تستطع صيرا فما انت فاعل
فان الهوى مهما تمكن فى المشى	وحل شفاف القلب ليس يزائل
فكم رام اهل الحب قيله مسلو	وزادهم عنها هوى متواصل
فللت الا للصير مفرح عاشق	وللصير اخرى بى وان غال غائل
ساصير حتى يفتح الله فى الهوى	يوصل حبيب طلال فيه الطوائل

ومنهم على بن الزيتونى الذى يعد « شاعر المغرب الاوسط والنبى والميه وأبيه وهو صاحب توشيح وتوشيع وتصيد وتطليع وقد ساد شعره غناء »

ومن نظمته قوله من قصيدة فى مدح بعض القضاة :

نهاه عن محارمه نهاه	وتسويه لخالقه تقاه
وقال الله ليس مساوي رب	ولا لشريعتى احد سواه
هو البر العطوف على البرايا	ويا لايقام يرحم من اتاه
وقد به عرى الاسلام حتى	راينا للنجاح وانفقت عراه
امين عليه غمر البرايا	لما يخشى على احد قضاه

ومنهم يوسف بن المبارك أحد « مؤسسى بني حماد وله من مدائحهم من الشعر ما انصح عليه ذيل حماد ومن قريضه قوله :

هناكم النصر ونيل النجاح	فى يومكم هذا بسم الرماح
فانتم الصيد الكرام الاولى	شنادوا العلى بالثائل المستماح
ما ملككم الامام حوى	منابجا جلى ومجيدا هراح
لا ترهبون الدهر اعداكم	وتمنعون العرض من ان يساح
وتبذلون الرفد يوم القمص	وتسعون الحرب يوم الكفاح

ومنهم ابن أبي الليث الطيب الماهر والكاتب الشاعر وقد اشتهر بالطب « وله مقطعات جالية للمحب سالية ثلث وله من قصيدة عينية في الأمير عبد الله بن العزيز الحمادي يصصف جثائه وقضاه حق العيد وراجيه » :

وجاليت به جرد المذاكي كاتيه	عذارى ولكن تظنهن تجمعهم
يصفراء كالقبر العتيق صقيلة	ودعاهم يظفوها كميث وأدهم
واشقر لو يجرى وللبرق جهده	لكان له يوم الزمان التقدم
وقام لواء النصير يتبع رايته	بها الصرّ معقود عليها حنم
فلما قضى حق الصلاة معظما	لني والهدى في وجهه يتوهم
فسلا زال بقضى نكته وفروشه	ويسرد غلله بالمدائح معلم (3)

هؤلاء الشعراء عاشوا في النوبة الحمادية قبيل سقوطها على يد الموحدين أن تقديم العماد الاسفهاى لهم يدل - على قصره - على براعتهم في الشعر التي لا تقل عن براعة غيره من شعراء الاقطار الاسلامية الاخرى في عصرهم *

ولما في النثر الفني فقد برع فيه زيادة على الشعر أبو حفص عمر بن لفل الذي « له اليد الطولى في الانتشاء الدال اعجازه فيه على البلاغة الوجيه يسعده في نثره » *

ونذكر كذلك أبا عبد الله محمد الكاتب المعروف بابن دقير الذي يعد « أحد كتاب الدولة الحمادية المتصرفين في الكتابة السلطانية » واورد له ابن بشرون رسالة كتبها عن سلطانها يحيى ابن اعزير الحمادي وقد فر من مدينة بجاية أمام عسكري حيد الزمن يستجد بعض امراء العرب بتلك الولاية :

« كتابنا ونحن نحمد الله على ما ساء وسر رضى بالقسم وتسليما للقدر وتصويلا على جزائه الذي يجزى به من شكر ونصلي على النبي محمد خير البشر وعلى اله وصحبه مالا ح نهم بسمير وبعد : فانه لما أراد الله أن يقع ما وقع بلجج آثار من خان في دولتنا وصبح استقر أهل موالاتنا الشيطان وأخرى من امصطيناء واتمنا عليه الكران قاترا من حيث لا يحذرون ورموا من حيث لا يتصورون فكنا في الاستعانة بهم والتمويل عليهم كمن يستشفى من داء بداء ويفر من حل خبيث الى حية سماء حتى يفت مكرهم وأجل من التلاقي امرهم ورد وبال امرهم اليهم فمنسد تلك اعتزلنا محلة الفتنة وملنا الى مظنة الامة وبعثنا في احياء هلال نستجد منهم أهل النجدة ونستفر من كنا نراه للمهم عدة وانتم في هذا الامر أول من يليهم الخاسر ويثني عليه الناصر (4) »

(3) الخريدة ص 217 *

(4) الخريدة ص 211 -

هذه الرسالة تذكرنا برسالة كتبها عبد الحميد الكاتب المتوفى سنة 328 هـ إلى أهله وهو
مفهرم مع مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ومن الطريف أن يقابن بينهما القارئ الكريم
ومن كتاب الدولة الحمادية البارعين أبو القاسم عبد الرحمن الكاتب المعروف بابن المالئ
له من رسالته :

« ولما كنت في مضمار سلفك جاريًا ولنا مرأيا وفي قضاء طاعتنا متباهيا رأيتنا أن نثبت
مباينك وتؤكد أواخيك ونوجب لك ولخلفك ما أوجبه سلفنا لمنطق تمييزا لهم من الكفاء ومجازاة
لهم على محض الصفاء والولاء فاستندم هذه الثمرة العظمى خطرنا بالشكر فالت به جدير ومن
يقترب حسنة فزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور » (5) *

أنه من العسير إصدار حكم في هذا الأدب لقلة النماذج التي بين أيدينا غير أنها تكلل
— على رغم قلتها — على ثقافة أدبية متينة عند أصحابها وأن مستواهم الأدبي لا يقل عن مستواهم
غيرهم من أبناء الاقطار الإسلامية المعاصرين لهم *

وأما الغبريني في كتابه « عنوان الدراية » فقد ذكر جملة من العلماء والأدباء عاشوا ببجاية
في القرن السابع الهجري وفي العهد الموحد فكانت عاصمة الحماديين تزدهر بهم سواء تشاورا
بها أو أتوها من الخارج واستوطنوها أو زاروها لمدة ثم ارتحلوا عنها كل ذلك يدل على شهرتها
وقيمتها في مجالى العلم والأدب *

أما النماذج الشعرية التي أوردها الغبريني فهي تشمل كل اتجاهات الشعراء في عصره
فمنها الشعر المادى والشعر الصوفى والمدايح النبوية *

الشعر المادى :

نشكر من هذا النوع أبا الطاهر حمارة بن يحيى بن حمارة الشيريف الصننى الذى « كان
متفردا في علم العربية والأدب وله تأليف في علم الفرائض منظوم وتواشيحه في نهاية الحسن » *
من شعره قوله من قصيدة كتبها للموالى الموحدى :

والأكماهف النسيم على الزهر
تعبير فوق الخد عن كامن السر
كما أبشم الزنجى عن بهج النقر
ولا نار إلا نور يرقى له يسرى

سلام كعرق الخيل الرطب في الجمر
فلله در مقلتين بهجورة
وقد راعنى إيماض برق يذى القضا
يدأبى أن الليل أورى زئامه

(5) الخريدة ص 212 *

وقلب سليم قلب في لظى جمر
كمن بات مقصوص الجناحين في وكر
وأصغرم يجري وأنعمه تجسرى
وجدى شفع الناس في موقف المشى

وتار باكيادى اكاييد حرما
وما طائر فوق القصور مصرح
فلم أفسد لونيح الينين مصفا
أيازيد أنى بالحسين وسيلتى

« وكانت له رحمه الله آية تسمى حائشة كانت أدبية » (6) وكانت معاصرة للشاعر القسنطيني ابن لغتون الذي تقدم ذكره والذي زار بجاية ووصفها وصفا شبيها فكانت آية عمارة تعرض عليه شعره وتماثل معارضته (7) وقد عرفه الغبريني بقوله : « وهو من الفضلاء النبهاء وكان مرفوع المقدر ومن له الحظوة والاعتبار وكان الألب له من باب الرينة والكمال ولم يكن يعترف به لأقامة أود أن اصلاح حال وأمله من قسنطينة عن نوى بيوتاتها ومن كسريم أرومتها وتواشيحه مستحسنة (8) » *

ومن شعره قوله يصف قصر الربيع لبعض مآدات بنى عيد المؤمن :

يكل جمال مبهج الطرف مرتق
وروش متى تلمس به الريح يعبق
يطارحه هجر الحمام الطوق
وبأ طيب ريا تشربه الخنثوق
هصرنا به ضمن المسرة موقق (9)

ولما قلنا ساحة القصور راعنا
فما شئت من غيل وريف وجول
وشادى مقاني الحسن في نعماته
فيا حسن ذلك القصر لا زال أصلا
رغمنا به في روضة الانس بحما

ونذكر كذلك أبنا عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الأريسي المعروف بالجزائري يقول فيه الغبريني : « كان من أدباء الكتاب وهو من نظراء شيخنا أبي عبد الله التميمي في علم النظم والقريض ومن أصحابه كان حسن النظم والفنر مابح الكتابة حسن الورقة في البطاقة وكان سهل الشعر وكان كثير التجنيس يأتيه عفوا من غير تكلف ولأجل ذلك حسن نظمه وكان مليح الفواشيش أن طال في شعره أعرب و ن اقتصر واقتصد أعجب وكان شيخ كتبة الديوان ببجاية وله شعر كثير في كل فن من فنون الشعر » (10) *

(6) عنوان الدراية ص 25 ط الجزائر *

(7) عنوان الدراية ص 26 ط الجزائر *

(8) عنوان الدراية ص 202 ط الجزائر *

(9) عنوان الدراية ص 203 ط الجزائر *

(10) عنوان الدراية ص 205 ط الجزائر *

ومن نظمته قوله :

أدوما فقد هببت تسيمة دارين
وقام خطيب الورق يدعو هبيله
ونكسر أيام الصباية والصبا
فطار كمين الوجد من مستقوره
فيا ساكني لجد الطرق حيكم
ويا ساكني الجرعاء ان كان عنكم

وقوله :

ولا أنس يسوما للمسروور وبيننا
ولا كأس إلا ما سقاني به اللمى
تقول وقد مالت بمصطفها الطلا

وقوله :

تقول والحسن يطفيها فتظلمنى
دع الحسام وضع حمل السلاح فما
ما للمهند حكم في محلتنا
ولنظفأ فتكات يمين أرحلنا
لسان طمعت بلين في لوأحلنا
وان حلت لك الفاظ نريدنا
أنا لنجرح من الصاظ مبسوتا
فأرحم شيايك وأرحل دون مقلية

ونم يسر الروض تشر الرياحين
وعنى لاعتنى عن شروب التلاحين
ولذا عيش كان لي غير ممنون
ويحت يسر بين جنبي مخزون
وأرجع مقلوبا بصفتة مقبون
نصيب من الصير الجميل فواسوني

عقاب كبر الماء لكتبه الجمور
ولا نقل إلا ما حياتي به الصبر
وخفت لأن تخطو غائقتها السكر (11)

ولا مواز إلا صبارم نكسو
في كل وقت يفد الصرم والحفر
بل للمشهد فيها الحكم والنظر
تروى وتعفو الظبي المضروبة البثر
فحن أهل قلوب مثله الحمر
ما بيننا فهناك الصواب والصبر
لكننا من سواد القلوب نتحصن
وأقبل من الحصن ما أعطاكه النظر (11)

وتختتم هذا الباب بابي عبد الله محمد بن يعقوب بن عبد السلام « أصله من تدلس وسكن بجاية ولقى مشايخ وبرع في الأدب وله علم بالتاريخ وله حظ من الفقه رأي القصاص ببعض أكرار بجاية » يجب أن ينسب إلى « الفقهاء ولكن الغالب عليه إنما هو الأدب » (12) *

(11) عنوان الدراية ص 207 ط الجزائر *

(12) عنوان الدراية ص 208 ط الجزائر *

ومن شعره :

جلست يافق علي بن سيد الناس
تخال بين كوكب أخراس
وهم الأسود لدى احتدام الناس
ولدى القرى يتكون بالانقياس (13)

شمس السعادة لاسنى النيراس
ويطائر اليمين ارتقت لسمائه
من معشر بذل اللوال شعاعهم
يتكون نيران الوقي بأسفة

الشعر الصوفي :

ومن اصحاب الشعر الصوفي أبو زكرياء بن محجوبة الفرشي السطيفي الذي توفي ببجاية عام 516هـ وسبعين ومئة * ومن شعره قوله :

طريقا وابدت لمة من جمالها
وفيهاك الانساع يبرد ظلالها
ضياء وابدت وارقامن دلالها
ولم تزل وقتنا من منال ومسالها
وكانت كتحقيقا فعلت لجالها

جلت لك ليلى من مفتى نقابها
ضطرت بها عيشا وتهبت لذالمة
وكيف ترى ليلى اذا هي اسفوت
وكيف بها ان لم يقب عته شخصها
وكيف يكون الامر ان انت كنتها

وقوله :

تعود مسهدا وطب الجراح
فقلت المسود يذهب بالجراح
وواجز على لاعجال الصباح

انت والليل مفعود الجراح
فقلت كيف انت ولاجنح
فوا لهفي على الشكوى لسان

ومتهم أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالي التجيبي الذي تزل ببجاية واستوطنها مدة ثم توفي بجماع من بلاد الشام سنة 516هـ وثلاثين ومئة يتسول الخبريني في معرض كلامه عليه : « له التأليف الحميمة وله الشعر المائق الرائق غزلا وتصوفا وله في علم الفرائض ما لم يسبق له وأما علم التصوف فهو فيه الإمام » (14) « كان ابن محجوبة الفرشي السطيفي باطنة شيخ شيخنا الشيخ أبي الحسن الحرالي (ضر) واستفاد منه علم الظاهر والباطن » *

(13) عنوان الدراية ص 213 *

(14) عنوان الدراية ص 62 ط الجزائر *

ومن شعره رحمه الله في التحقق قوله :

ومدّ عنه غيتاً تلك الهمام اتكأ
وشمس على المعنى تطالع افئفا
ومست يدانا جوهراً منه ركبت
فما المر والمعنى وما الشمس قل لنا
حللتنا وجوداً اسمه عتينا القفا
تركنا الجوار الزاحرات وراعنا
وقوله :

ما لنا منا سوى الحال العدم
نحن بئيان يتكته حكمه
نحن ككسي الله ما يقرأها
أصرف الكتب الذي أيدعه
أشرفت أنفسنا من توره
فترقى النفس عن عالمها
ليس يدري من أنا إلا أنا
عجبا لكل فيما يدعى
كلما رمت بذاتي وصلة
يقطعاني بغيالات النفا

وأجربنا وجود وقدم
وخليق بالبنيا أن ينهمم
غير من يعرف ما معنى القلم
كلما لاحت معانيه انعمم
فوجود الكل عن فيض الكرم
باختيار ليس تنيه الهمم
ما هنا الهمم عن المائل انهم
وتأتى الكل إلا ما حكم
صار لي العقل مع العلم جلم
عن وجود لم يقيد بعدم (16)

المدائح النبوية :

أما المدائح النبوية فقد نظم فيها ابو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القليعي
« من قلعة بني حماد - كان جده ميمون قاضيا بها - نشبا بالجزائر وقرأ بها وانتقل إلى بجاية
مستوطنا وبها قرأ وبرع » (17) « وكان يسلك في شعره على طريق حبيب بن أوس وكان صاحبها

(15) عنوان الدراية ص 96 ط الجزائر -

(16) عنوان الدراية ص 97 ط الجزائر -

(17) عنوان الدراية ص 39 ط الجزائر -

أبو عبد الله الجزائري يمسك في شعره مملوك المتنبي وكانا يتراسلان الأشعار يجارب كل واحد منهما الآخر على طريقته » (18) *

« وهو أكثر الناس شعرا وقد شرع في تدوين شعره في عام ثلاثين وستمائة وهو في كل عام يقول منه ما يكتب في ديوان وعاش بعد شروجه في تدوين شعره ثلاثا وأربعين سنة ولو تم له تدوينه لكان في مجلدات كثيرة ولكن بأيدي الناس منه كثير وترشيحه حسنة جدا وتوفي رحمه الله ببجاية عام ثلاثة وسبعين وستمائة (ض) » *

ومن شعره قوله في مدح النبي (صعالم) :

عسى أنقل البيت العتيق والثم
ويأشدد ما يلقي الفؤاد ويكتم
وتكسر ذنبي كيف لا أتوهم
فهل تائب مثلي يصيح ويفهم
وما لم إلا جنة أو جهنم
فأنت شيخ الخلق والخلق هيم

وإني لأدعو الله دعوة متئب
لأبطل شوقي للنبي وصحبه
توهمت من طول الحساب وهو له
وقد قلت حقا فاستمع لخالتي
وذلك في القرآن أوضح حجة
إليك وسسول الله أرفع حاجتي

وقوله من قصيدة أخرى في الزهد :

شهد العثر ليس العثر كالأثر
فكل شيء على حد إلى قدر
إن الزمان إذا فكرت ذو عثر
وعبرة لأولى الأبواب والعبر
وشيدوا أرضا خروفا من القبر
ولم تفد أرم للحادث النكر
ما أوضح الرشد لولا سيء النظر
إن المقام بها كاللمح بالبصر
وهو غروب هراق أنه لحق (19)

الخبر أصح في المسأى من الخبر
وأعمل لأخرى ولا تبخل بمكرمة
يخل عن زمن تخشى عواقبه
انظر إن ياه تنظر أية عجبا
أين الإلى جنوا خيلا مسومة
لم تغهم خيلهم يوما وإن كثر
أبدا فعدوا حديثا إن ذا عجب
تناهس الناس في الدنيا وقد علموا
أودى يدارا وأودى بأين ذى ير

(18) عنوان الدراية ص 43 ط الجزائر *

(19) عنوان الدراية ص 44 ط الجزائر *

قيمة هذا الأدب :

من يمعن النظر في هذه النماذج التي عرضناها يجد أن أصحابها ذوو ثقافة أدبية متينة وكثيرة في تناول أمثلتهم يكون وجوههم شطر الاندلس وشطر المشرق *

أخذوا من الاندلس موشحات أهلها فغزلوها على موالها موشحات كان معاصروهم يستعملونها ولكن تأسف من خلى عنوان الدراية من نماذج منها تمكنا من توثيقها والمقارنة بينها وبين ما نظم الاندلسيون من الموشح *

أما الموشح فنرجع فضائه إلى أوائل القرن الرابع ولكن ما أخذ ينتشر ويژهمر إلا في القرن الخامس بفضل عبادة بن ماء السماء المتوفي سنة 422 هـ فراح أهل المغرب والمشرق ينسجون على منواله ويثلك كان شعراء الجزائر أثناء حصرهم *

وكان شعرائنا كذلك يتأثرون بقول الشعراء في المشرق ولا سيما أبي تمام والبحتري والمتنبي والمعرى أما الثلاثة الأولون فقد أصبحت لهم شهرة لاتداني إذ صاروا المثل الأعلى في نظم الشعر. نجد صدى هذه الشهرة عند شعرائنا إذ يرى الغبريني متحدثا عن ابن ميمون القليبي أنه كان يملك في شعره طريق أبي تمام وكان صاحبه ابن عبد الله الجزائري يذهب مذهب المتنبي وأنهما يتراسلان الأشعار ويجاربان كل واحد منهما الآخر على طريقته وقد قرأ الغبريني على ابن ميمون قصائد متخبرات من شعر حبيب ومن شعر المتنبي *

يقول ابن الاثير الذي كان معاصرا لشعرائنا متحدثا عن شهرة أبي تمام والبحتري والمتنبي : « أن من الشعراء المتأخرين من فاق الأولين والذي أداني إليه نظر الاجتهاد دون التقليد أن جريدا والغزدي والأخطل أشعر ممن تقدم من شعراء الجاهلية وبينهم وبين أولئك فرق بعيد وإذا استفتيت قلت أن أبا تمام والبحتري والمتنبي أشعر من الثلاثة المذكورين وليس عندي أشعر منهم في جاهلية ولا اسلام (20) » *

ويقول صاحب الصبح المنبي عن حيثة المتنبي : « قد أجمع اعلام العلم وفرعان النثر والنظم على أن هؤلاء الثلاثة (يعني أبا تمام والبحتري والمتنبي) ظلوا جموع الاداب وشموسها والطلوعا اقتارما وشموسها وهم اصول الادب وفروعه ومعينه ويليوعه وإلى كلامهم تميل الطياح وعلى أبياتهم تكف الخواطر والاسماع وشركات الادب منهم تجنى وفخاشر البراعة من غرابهم نقسي » (21) *

(20) الصبح المنبي ص 420 ط دار المعارف بمصر سنة 1963 *

(21) الصبح المنبي ص 177 *

وإذا علمنا أن الشيخ يوسف البديعي صاحب الصحيح المثنى توفي في القرن الحادي عشر الهجري أسكننا أن شهرة هؤلاء الفحول قد تخطت الأزمنة والامكنة إذ نجد أهل الاندلس لا يقلون أعجاباً بهم من أهل المشرق يروى لنا في ذلك لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة قصة شاعر أندلسي كان ناقماً على أهل عصره أعجابهم الشديد بهم فقال يوماً لجماعة منهم : « تقيمون القيامة بحبيب والبختري والمثنى وفي عصركم من يهتدى إلى ما لم يهتد إليه المتقدمون ولا المتأخرون فأنبرى له شخص له همة وأدلم فقال يا أبا جعفر : أين برهان ذلك فما أظنه تمنى إلا نفسه فقال ما أعنى إلا نفسي ولم لا وأنا الذي أقول » ثم يسرد أبياتاً لم تعجب الحاضرين فسبحوا منه وقال ابن الخطيب : « فلم ينصفوه في الاستحسان وردوه في العيب كما كان » *

وهذه القصة يرويها ابن سعيد في القدر المأخوذ من الخطيب والشاعر المعنسي هو أحمد بن محمد بن طلحة من أهل جزيرة شقل التوفى في سنة إحدى وثلاثين وستمائة فكان معاصراً لشعراء بجاية في القرن السابع ورواية ابن الخطيب لهذه القصة تدل أن هذا الإعجاب امتد إلى القرن الثامن *

غير أنه يبدو لنا من مطالعة عنوان الدالية أن شعراءنا يؤثرون أبا تمام على صاحبيه إذ نجد الدارسين للأدب في عصر الفخريسي يسطونه أكبر اهتمامهم وفي قصيدة ابن ميمون التي مطلعها :

الخبر اهدق في المرائي من الخير شهد العثر ليس العين كالأنثى

وهذا المطلع ينكرنا بقصيدة مشهورة لأبي تمام مطلعها :

السيف أصمق ابتداء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

وكان ابن ميمون معاصراً لشرف الدين محمد بن سعيد البوصيري التوفى في سنة 596 والمشهدور بيردته وهرزيته في مدح النبي (صلم) وهذا يدل أن المداشغ النبوية كانت شائعة في هذا العصر شرقاً وغرباً وهي من ميزاته *

يكذلك الشعر للصوفي فقد انتشر في كل الاقطار الإسلامية والجزائر قد ساهمت فيه مساهمة ذات بال *

وهذا الشعر على نوعين : أحدهما زهدى كالذي ورد في قصيدة ابن ميمون الرائية والثاني صولي حفاً لأنه يحتوي على معان فلسفية كالتي اشتهر بها ابن الفارض (576 — 638) وهو معاصر لشعرائنا ولابن ربيع الانصاري الذي « ولد ببجاية وأقرأ بها ولقى مشايخه والمتوفى سنة خمس وخمسين وستمائة قصيدة فيها نغمة من نغمات شعر ابن الفارض يقول فيها :

سفرت على وجه الجميل فأسفروا
ومنت فكشفت القلوب ببسرها
ورأيتها في كل شيء أبصرت
وسمعت تطبق الناطقين فكلهم
وبها ركبت زواجرها من جبهها
وبها فنتت عن الغناء وقصمت في
ماء الحياة مسرعدا ومدفرا (22)

سفرت على وجه الجميل فأسفروا
ومنت فكشفت القلوب ببسرها
ورأيتها في كل شيء أبصرت
وسمعت تطبق الناطقين فكلهم
وبها ركبت زواجرها من جبهها
وبها فنتت عن الغناء وقصمت في
ماء الحياة مسرعدا ومدفرا (22)

وكان شعراؤنا الصوفيون معاصرين كذلك لابن سبعين الأنطلسي (613 - 669) وتلميذه أبي الحسن المششترقي المتوفى سنة 669 ومحي الدين بن عربي (560 - 638) ومؤلاء كلهم زاروا بجاية واستوطنوا مدة *

في الختام كان شعراؤنا يسايرون انباء عصرهم في انراقتهم واتجاهاتهم ومذاهبهم وإذا تصفعا المصبرات التي نقلت إلينا شعر معاصريهم في الشرق والاندلس لا نجد فرقا في المستوى بل نجد عند كثير من شعرائنا - رغم قلة نماذج شعرهم - أهالة وبراعة تجعلهم في مستوى شعراء عصرهم في كل الاقطار الاسلامية *

ولا عجب في ذلك إذا علمنا أن بجاية كانت تحتضن الفقهاء والادباء والنصوفة والفلاسفة هؤلاء كلهم في ومعهم ان يمكنوا المتلف بها من ثقافة واسعة عميقة تؤهلهم أن يساهموا مساهمة في بناء صرح الثقافة العربية الاسلامية التي كان اهل الجزائر عامة يمتزون بها ايما اعتزاز *

(22) عنوان الدراية ص 34 ط الجزائر *

جهد الجزائر الفكرية في موكب الحضارة العربية

عندما طلب مني أن أشارك بمقال عن بجاية
انصرف ذهني إلى موضوع عام اعتبره شخصيا هاما وجديرا بالعناية
هو : (دور الجزائر الفكرية في موكب الحضارة العربية) - ذلك أن جهود
الجزائر في هذا الميدان رغم كونها ضخمة إلا أنها مجهولة ولا يعرف العالم
الخارجي عنها ، بل ولا تعرف نحن عنها ايضا ، الا الشيء القليل والثرث
اليسير حتى اصبح يكاد يكون من الشائع أن الجزائر لا تراث لها فكري
وحضاري - ويعود ذلك في نظري إلى أن الجزائر بليت منذ فجر تاريخها
بمحن القزو الاجنبي والاستعمار الخليل فانصرف شعبها بكل طاقاته إلى
مقاومة هذا القزو الاجنبي المادي والعنوي ، وغفت بطولاته المجيدة في هذا
الميدان عما شارك به من جهد في الميدان الفكري زيادة على أن فرصا في
الفترة المعاصرة بذلت الاستحصال لتفصل الجزائر عن ماضيها وامجادها
التاريخية والفكرية والحضارية .

يحيى بوعزيز
كلية الآداب
جامعة وهران

وفي اعتقادي أنه أصبح من اؤكد واجباتنا اليوم بعد تحقيق التصور السياسي أن نزيل هذا
الحيف على بلاننا ونكتب على احياء ويمت امجادنا الفكرية والحضارية وابرازها لتكون قاعدة
متينة للانطلاق الفكرية الخلاقة التي ننشد تحقيقها ، وهي صميم الثورة الثقافية التي نسمع
ونسمي بتحقيقها . وعملية احياء التراث من أجل انتطوّر تجربة حية قامت بها وطنيتها شعوب
اخرى ونجحت في مساهما . فشعوب أوروبا التي كانت تعيش في العصور الوسطى حياة الظلم
والاستبداد السياسي ، والجهل والجمود الفكري ، والتخلف الاخلاقي ، والفقر والمرضى
الاجتماعي ، بسبب استبداد الملوك وتجبر الإقطاع ، وتحكم الكنيسة ومنع الذهن الأوروبي من

الانتماء ، وسيطرة الاقطاع على الارض وكل مصادر الثروة الأخرى - هذه الشعوب عندما استيقظت أوائل العصر الحديث وأخذت طريق النهضة أولت اهتمامها ببحث وإحياء الفكر والفنات الأفرقي الروماني فيما دعي ، بالحركة الانسانية ، واستعانت حتى بجهود المسلمين في ذلك ، ومنها انطلقت في نهضتها الكبرى التي تعتبر مفخرة العصر الحديث وانتهت الى تفجير « الثورة التجارية » في القرنين 16 و 17 و « الثورة الصناعية » في القرنين 18 و 19 و « الثورة التكنولوجية » في القرن العشرين التي ما تزال تزحف وتتطور بشكل يؤثر الاعجاب بالنسبة اليها والخوف والرعب بالنسبة اليها لانها تهددنا بالنار والخراب مما توصلت اليه من وسائل وأساليب واختراعات فتأكدت * والشعوب العربية عندما استيقظت في القرن الماضي أولت اهتمامها بحركة إحياء والبحث للتراث الفكري والحضاري العربي خاصة في منطقة بلاد الشام ومصر ، ومنها اخذت تنطلق الى الامام وتنتشر وتتسع الى جهات أخرى *

وهكذا رأيت من المناسب ان يكون مقالتي في هذا الموضوع بالذات لاثير الاهتمام على الأقل وأسلط بعض الاضواء بقدر الامكان ومصيما يسمح به الوقت على دور الجزائر وإبراز جهوده شعبها في العمل الفلاني في اطار الحضارة العربية التي يمتد تأثيرها من الاندلس غربا الى مشارف الصين شرقا *

أهمية موقع الجزائر عبر التاريخ :

وسأخذ لقارئه ممي في رحلة طويلة عبر التاريخ لنستعرض مما وثق على بعض الامثلة الحية التي تحدد دور اجدادنا في هذا الميدان * وسيكون تحديد أهمية موقع بلادنا هو المفتاح انذى يساعدنا على اقتحام هذا الطريق الطويل دون خوف ، والوصول عبره الى مناطق تلك الامجاد الفكرية والحضارية وتلقيها ووضعها في اطارها الصحيح *

ان الجزائر تحتل موقعا هاما في شمال قارة افريقيا بصورة عامة وبين اقاليم المغرب العربي بصورة خاصة وهذا الموقع الهام هو الذي اهلها لتلعب تلك الاموار للوجبة على امتداد تاريخها الطويل وتشارك في بناء صرح الحضارة العربية خاصة والانسانية عامة بجهود هائل وخلق * وقد كانت الجزائر وما تزال صلة الوصل بين اقاليم المشرق العربي وبلدان المغرب الأخرى المطة على شواطئ الاطلس التي امتد تأثيرها بعد ذلك الى الاندلس او « فردوس المسلمين المقتضب » لمدة تزيد على ثمانية قرون - وهي صلة الوصل كذلك بين بلدان البحر المتوسط واوربيا شمالا وبلدان ما وراء الصحراء الكبرى جنوبا الى اصقاف القارة السوداء التي تعتبر البوابة الحقيقية لها الى عالم البحر المتوسط واوربيا *

فهي بهذا عقدة عواصلات عامة - وما تزال طرق القوافل القديمة عبرها حتى اليوم ، تؤكد هذه الأهمية بمراكزها واسواقها التجارية المزدخرة أمثال : تيندراف ، وتوات ، وعين صالح ، وتقرت ، ورقلة ، التي تربط مجملها وشنقيط غربيا بقفصة وغدامس والقيروان وطرابلس شرقا إلى القاهرة والشام . وهي الأهمية التي استلزمت اليوم تشييد طريق للوحدة الأفريقية « أي عابر الصحراء » بسواعد شباب الخدمة الوطنية - على أن هذه الأهمية من جهة أخرى هي التي جلبت على الجزائر الاضطراب الخارجية وأطماع دول أوروبا التي تكالبت على احتلالها واستعمارها عبر التاريخ كما فعل الرومان والوندال والبيزنطيون قديما ، والاسبان والفرنسيون حديثا ، وذلك لغناها زراعيًا حتى اعتبرها الرومان مطمور رومًا للحبوب والخلل ، ولأهمية مواشيها البحرية كقواعد عسكرية للاعتدال والتوسع الاستعماري .

فالرومان تكالبوا على احتلال هذه البلاد وسحروا كل إمكاناتها المائية والبشرية واستعملوا حتى رمائل المكر والخداع لتحقيق أطماعهم والتغلب على كفاح ومقاومة يوغورطه ، وماسينيه ، ويوبا الثاني ، والقضاء على مملكة سرتة ، ويول (شوشان) .

والاسبان والفرنسيون في العصر الحديث والمعاصر فعلوا مثلهم ولنفس الغاية والأهداف . ولكن إبطال الجزائر تصدروا بشجاعة لمقاومة أطماع ابرويمان قديما بزعماء بيداس وتاكاريناس وغيرهما وأطماع الاسبان والفرنسيين حديثا بزعماء أبطال آخرين أدبهم حميما وأعطوهم دروسا في البزائم لا تنسى تذكر منها على سبيل المثال فقط : هزيمة القرصان أندري دوريا أمام شوشان عام 1531 والامبرطور الاسباني شارلوكان أمام الجزائر العاصمة عام 1547 ، ولويس الرابع عشر أمام جيجل 1664 - 1665 ، والجزائر العاصمة 1682 - 1683 ، وهزيمة الاستعمار الفرنسي في معركة 1954 - 1962 . وقد فرضت الجزائر على أوروبا وشعلا لا تصمد عليه وأرغمتها على شراء السلام بالأموال لاساطيلها البحرية في المحوض الغربي للبحر المتوسط مما اضطرها إلى عقد مؤتمرات فولية في فيينا عام 1815 واكس لا شابيل عام 1818 لبحث ما أضعته أخطبوط البحرية الجزائرية التي حاولت أن تلصق بها ما دمت « انقر صنة البحرية - زورق وبهتاننا لأن البصرية الجزائرية لم تقم بأعمال القرصنة وإنما كانت ترد العدوان وتدافع عن البلاد ضد « القرصنة الأوروبية » التي كانت حكومات أوروبا « تباركها » خاصة إنجلترا .

المراكز الحضارية بالجزائر العربية المسلمة :

وعنما ظهر الإسلام وبشبه الجزيرة العربية ووصل إلى بلاد المغرب آمن به شعب الجزائر بيمر وسهولة واستقل مبادئه السمحة بصدر رجب وبفرجة ، ولم تكن معارضة الكاهنة دهميا بالاورس ، وكسيلة بجبال تيارت والونشريس « تعبر عن رأي الأغلبية التي امتدت بالدين الجديد

لأنها كانت لاغراض شخصية أكثر منها معارضة للإسلام الوافد ثم أن مبادئ هذا الدين الجديد كانت ثورة حقيقية في ميدان العقيدة الروحية والتعامل الاجتماعي حيث خلصت الناس من عبادة الأشخاص والظواهر الطبيعية وسوت بينهم في الحرق والراجمات وأكثر من هذا أعادت للملح مكانته وسمح ذلك لعامة الناس أن يميزوا بين الضلالة الوثنية والرشد الإلهي المستمد من شريعة الإسلام السماوية السمحة *

ومن الانقياد التي استغاد منها الجزائريون في ظل الإسلام الجديد هو حصول ذلك التفاعل الكبير بين مختلف طوائف السكان وأدى إلى بروز شعب متكامل الصفات موحد الأهداف انغمس على التو بكل طاقاته لعمل الخلق والإبداع في إطار الحضارة العربية وعلى طريق التطور الطويل الذي يباه الأجداد من غابر العصور ، ونتج عن ذلك قيام مراكز حضارية هائلة لا تقل ضخامة وأهمية عن مثيلاتها في المشرق العربي مثل : تاهرت الرسمية ، تيارت ، وسفدراته المزابية ، والقلمة وبجاية الحماديين ، وتلمسان الزياتية ، وطبنة وأششير *

القلمة وبجاية الحماديان :

بعد أن انشق الحماديون عن الدولة الصنهاجية التي خلفت الفاطميين في حكم المغرب العربي من مدينة المهيبة بتونس ، قام حماد بن يلكين بن زيري الصنهاجي بتأسيس مدينة القلمة في جبال عياص بالحضنة عام 1007 م (398 هـ) واتخذها عاصمة لدولته الجديدة فتحوّلت بسرعة إلى مركز مائل للعلم والثقافة والعمران ، وبرز بها عدد من لمحات الفكر والأدب أمثال الطبيب والفيلسوف بن عبد الله محمد بن علي بن الزمامة ، ومحمد بن حماد الصنهاجي ، ولم تفقد أهميتها إلا بعد أن قام الناصر الحمادي بتأسيس مدينة الناصرية عام 1067 م (460 هـ) قرب ميناء صلدائي الفنيقي على شعبة تدعى « بجاية » وهو الاسم الذي اشتهرت به بجاية بعد ذلك حتى اليوم *

وقد شهدت بجاية فترة هائلة في ميدان العمران والثقافة وأصبحت مأوى وملقى لرجال العلم والأدب على غرار عواصم العلم الأخرى بالشرق الإسلامي والاندلس أمثال قرطبة ، وأشبيلية والقيروان ، والقاهرة ، وبداد ، ويكفي العودة إلى كتاب : « عنوان اندراية قيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية » للعلامة الفبريني للتأكد مما وصلت إليه هذه المدينة من رقي ومكانة في الثقافة والعمران ، ويكتفيها فخر أنها احتضنت مفكر العصر ومفكرته إسلامة ابن خلدون الذي ولي بها خطة الكتابة والحجابة للأمير أبي عبد الله الحفصي *

رمز الشعار ابن حميس السقلى في وصف قصر المنصور قوله :

تصور لو انه قد كحلت بنوره
أعنى لعاد الى المقام بصيرا
وأشوق من معنى الحياة نسيه
فيكاد يحدث للعظام تنسورا
نسى الصبيح مع المصبح بذكره
وسما ففاق خورنقا وسديرا
أعيت مصانمه على الفرس الأولى
ولمعو البقاء واحكموا التميزا
ومضت على الروم الدهور وما بنو
للوهم شبيها له وتقليدا
أشكرنا القردوس حين أريتنا
غرفا رفعت بناهما وقصورا
اما ابو علي الحسن بن المكون القسنطيني فقد قال في وصفها :

دع العراق ويفداه وشاماها
فالناصرية ما ان مثلها بكده
بن وجر ومروج للحيون له
مسارح بان عنها الهم والنكد
حيث الهوى والهواء الطلق مجتمع
حيث الغنى والفنى والعيشة الرغد
ان تنتظر البر فالانهار يائنة
او تنتظر البحر فالامواج تطود
يا طالبا وصفها ان كنت ذا نصف
قل جنة الخلد فيها الامل والولد
تلمسان الزانية :

وفي الوقت الذي تالق فيه نجم بجاية يوزن نجم تلمسان كمركز حضارى لحر هام ومائل *
فلقد كانت ثروة هذه المدينة قرية (اقادير) التي اسمها منو يفرن الزناتيون في عصور قديمة حين
ظهور الاسلام بكثير وتوسع السكان حولها اساطير كثيرة يحكونها عبر العصور من ضمنها انها
ازلية لوجود وان الجدار الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في قصة الضفر مع موسى عليهما
السلام يوجد بالقرب منها - وقد اورد ابن خلدون هذه الاسطورة واستشهدا باستهجان مؤكدا
ان موسى لم يغادر المشرق الى المغرب وان بني اسرائيل لم يصل مغربهم الى افريقيا وانما ذلك من
قبيل انتحسب الذي جبل عليه الناس في تقديس اوطانهم وبلدانهم وكما تعتبر هذه القصة خيالية
فكذلك لا يصح القول بان مؤسس اقادييرهم الرومان لانها اقدم منهم بكثير ، وكذلك الامر بالنسبة
لمن وثرى اسرارهم الاخرى ، ذلك ان الشائع في الكتب الاجنبية والفرنسية على الخصوص بان
كان مدن الجزائر من تاسيس الرومان فهل كانت الجزائر قبل تقدم الرومان خالية من السكان حتى
لا توجد بها مدن قديم ؟ وهل الرومان تواجدوا على هذه البلاد باعداد كبيرة حتى يقوموا بتأسيس
مراكز العمران التي تاويهم على هذا الشكل ؟ ان ابسط تفسير لهذا الادعاء هو ان هذه الكتب

الاجتبية تحاول أن تخدم الفكرة الاستعمارية ، وأستهدف الفرنسيون من وراء ذلك تقرير عولتهم على هذه البلاد واستعمارها ومن المؤسف حقا أن نجد مثل هذه الامكان ما تزال تدرس لاجيالنا في مدارسنا فقد وقع بيدي كراس لجغرافية الجزائر الاقلصة لطالب في السنة قبل الاخيرة بليكالوريا من املاء امستاذ فرنسي تسبب فيه كل قرى ومدن الجزائر الى الرومان القدماء *

ولقد تما عمران اقادير الزناتية بمرور الزمن وترجع * وعندما سيطرت الدولة الرايلية على البلاد اسس محمد بن تينعمر المصوي حملة (تكرارت) الى جانبها مع فصلها بصور ، ثم بعد عدة من الزمن ازيل هذا الصور واسميت اقادير وتكرارت مع بعضهما وتآلفت منها « مدينة تلمسان » الحالية التي اهتم عبد المؤمن الموحدي بامرها بعد ان تعرضت للتخريب من طرف جيوشه الغازية ، فاستجلب اليها الناس من كل الجهات لترميم ما تصدع منها وتخرب « وصسرف ولاية الموحدين بعده نظروهم واهتماماتهم بشأنها الى تحصينها وتشيد اسوارها وحشد الناس الى تميرها حتى اصيحت كما قال ابن خلدون « من امن معالي المغرب واحصن امصاره خاصة خلال عهد بن زيان الذين اختطوا بها القصور المنيقة والمنازل الجميلة واغترسوا الرياض والبساتين ووصل اليها الناس من القاصية ونفقت بها اسواق العلوم والصنائع فنشأ بها العلماء واشتهر الاعلام وشاهدت امصار الدول الاسلامية والقواعد الخلاقية » وتبارى كبار الكتاب والمؤرخين في وصفها وتكر عفاخرها امثال البكري ، والعبدي ، وابن خلدون ، واخييه يحيى ، ولسان الدين يمين الخطيب ، مما يدس على الشاؤ الكبير الذي وصلت اليه * ومن مدح شاعرها الفحل محمد ابن خميس فيها قوله :

تلمسان لو ان الزمان بها يستقر على النفس لا هار سلام ولا الكرخ

ويكنى تصفح كتاب البستان لابن مريم للمتعرف على ما وصلت اليه من تطور في ميدان الفكر والثقافة وما انجبت من رجال العلم الاقذاذ وما احتضنته من قادة الفكر الكبار *

ما شاركت به الجزائر في اخصاب الفكر العربي :

ان هذه الرناك الحضارية التي اشرنا الى البعض منها ، توضح الدور الهام والبارز الذي لعبته الجزائر في بناء وتشيد سرح الحضارة العربية والذي لا يقل اهمية عن دور المراكز الحضارية الاخرى في بلدان المشرق العربي ، والمؤؤل المطروح الذي يفرض نفسه هنا هو : ما هي جهود الجزائر في اخصاب الفكر العربي الثقافي والسياسي والاجتماعي وما هو مقدار رصيدها في هذا الميدان ؟ والجواب على هذا السؤال يتطلب العودة الى الماضي الموقوف على الامثلة المحددة والمقتعة في نفس الوقت فقد انجبت الجزائر مفكرين كبارا امدت تأثيرهم الى اصقاع كثيرة من بلدان المشرق والمغرب الاسلاميين ، وانطلقت منها حركات فكرية وفنية وسياسية

لها دور موجه في هذه الاصقاع وكانت إحدى مصادر الانهام للفكر والحضارة العربية قديما وحديثا *

ففي ميدان الشعر والادب : يعتبر الحسن بن رشيق المسيلي مقبرة ادياء المغرب والمشرق في القرن المادى عشر الميلادى * وقد ولد في مدينة « المسيلة » التي كانت تسمى « المسفدية » بجبال احمصنة عام 995 م (385 هـ) وانتقل منذ صغر شبابه الى عاصمة الاغالبة مدينة القيروان على عهد انفاصمين وعاش هناك حتى لقب بالقيرواني وتصدى للتدريس والتأليف حتى صار من اعلام الانبياء ومن اشهر مؤلفاته التي تجاوزت تأثيرها حدود المغرب الى كافة بلدان المشرق والانصلم كتاب : « للعمدة » في صناعة الشعر وتقدمه وتبيان عيوبه وفنونه الذي قال عنه ابن خلدون انه اول من اهتم بمثل هذه الصناعة الادبية والشهرة ابن رشيق في العلم اصطفا المزم بين مانيس ليكون ضمن خاصته وحاشيته من العنماء والادباء في قصره وكذلك فعل ابنته من بعده وقد بقي ابن رشيق يتصدر مجمع الادباء واشهراء بالقيروان والمغرب حتى حصل زحف عرب بنى هلال على المغرب فانتقل الى صقلية الاسلامية واستقرطن مدينة « مازره » حتى توفي بها وخلف نفا من ورائه تراشا فكريا وتاريخيا هائلا يمثل رصيذا هائلا في الحضارة العربية ضمنه عدا من الكتب هالي جانب العمدة حلف لنا ايضا :

- نموذج الزمان في شعراء القيروان

- قراضة الذهب في نقد اشعار العرب

- الروضة الخوشية في شعراء المهديّة

- تاريخ القيروان

- شرح على موطا مالك

- نبوان شعبر

وفي ميدان النحو وقواعد اللغة : برز يعنى ابن عبد المولى النحوى وهو من قسرى جبال جرجرة * وقد رحل الى المشرق وولاه الملك المعظم شؤون جامع دمشق ثم طيب منه الملك الكامل بمصر ليقيم بالتدريس هناك فالتحق بها واعتكف على الفاء اندرس وتخرج على يديه عدد من رجال الثقافة ويشتهر بمؤلفاته الكثيرة اشهرها «الفيته في النحو» وقواعد اللغة التي شرحها عدد من املماء - وله الى جانبها عدد من الكتب والشروح مثل : الفصول والعقود والقوانين في النحو * وحواشى على اصول ابن السراج في النحو * وشرح على كتاب الجمل للزجاجى في النحو * ومنظومات اخرى في اللغة والعروض والصحىث * كلها تعتبر ذخرا ورسيدا في التمرات *

الفكرى الخريبي وقد توفي ابن معطي عام 1231 م (628 هـ) ، وعلى غرار فعل ابن مالك النحوي الاندلسي تقليدا له فوضع الفقه في النحو . نالت شهرة كبيرة في هذا الميدان شرقا وغربا وأصبح لاغنى لدارس اللغة من حفظها ودراستها ولا تكفى مبادئ الاجرومية وقطر القدي لسن يريد التطلع في قواعد اللغة وما تزال حتى اليوم مصدرا هاما للدراسة في المعاهد والجامعات العربية ذات الثقافة التقليدية كالآزهر ، الزيتونة ، والقرويين .

وفي ميدان **الفقه والحديث** : يعتبر ابن مرزوق الخطيب الجد الرئيس ، وابن مرزوق الحفيد على رأس قائمة فقهاء إقليم المغرب الذين طيقت شهرتهما الافاق ورايتهما في الفقه على مذهب مالك يرجع الكثير من الآراء . مثل مصنفون وابن عرفة في تونس ، والقاضي عياض بالمغرب ، وقد ولد ابن مرزوق بتلمسان عام 1310 وتوجّل في هواسم المشرق والمغرب ودرس في بجاية ، وغسان ، وتونس ، وقام بصفراء عديدة ديبلوماسية بين السلطان المريني ابي عثمان يقاس ومملك قشتالة البرتغالي ايشيبية كلتر بالندجاج والحد . الى عقد الصلح بينهما عام 1347 وتولى الخطبة والامامة في جامع قرطبة عام 1351 ورحّل الى تونس في مهمة ديبلوماسية قبل ان يرحل الى القاهرة ليتوفى بها عام 1379 .

اما ابن مرزوق الحفيد فيشتهر كذلك بمولاته الدراسية في هواسم المشرق والمغرب وتدرّسه بتلمسان ومن تلميذه الاجلاء عبد الرحمن ابن خلدون بمصر ومن تلاميذه بتونس الشيخ عبد الرحمن الثامني الذي يشتهر بتألفه العديدة وهو انثى تشتهر به مدينة الجزائر حاليا ومنذ عدة قرون مثلما تمثّل هراّن بالشيخ سيدي الهراي ، وقد ولد الثامني عام 1385 م (787 هـ) في إحدى قرى منطقة يسر قرب تيزي وزو ومدرس ببجاية وتونس ومصر وتوفى عام 1470 م (885 هـ) . وتأتي أهمية ابن مرزوق الخطيب والحفيد في كونهما زودا مادة الفقه الاسلامي بفكار ونظريات جديدة اخضعت الفكر الفقهي بصورة عامة وأعطته بطاقة جديدة ذات أهمية في حركة التنوير التي بدأها قبلهما الفقيه السوسي محمد ابن تومرت ، وحلم بها ذلك الجمود الذي طغى على فكر الفقهاء خلال المرابطين الذين تمنّهم بالمجسدين ، والمظلمين والمثمين .

وفي ميدان **علم المنطق** : لنجبت الجزائر عبد الرحمن الاخضرى 1546 م (953 هـ) صاحب المؤلفات العديدة في المنطق والبلاغة والحساب والفرائض والتي تعتبر مراجع أساسية للدراسة في المعاهد الاسلامية شرقا وغربا ومنها : السلم المروتن في المنطق ، والجواهر المكنون في البلاغة والدرة البيضاء في علم الحساب والفرائض ، وشرح السراج في علم الفلك وهي كتبها نشر ورصيد في الفكر والحضارة العربية .

ولا يمكن ان نقف في هذا الميدان نذكر ابي عمران المازوني * 1478 م - 883 هـ ، صاحب كتاب : « الدرر المكنونة في توارث مازونة » والشريف التلمساني الاديب اللامع لما لهما من دور في اثراء الثقافة العربية بنشاطاتهما المختلفة وافكارهما وارائهما الفكرية .

اما المقرئ التلمساني * 1632 م - 1042 هـ ، فهو أشهر من ان يعرف اذا استمع ان يحكي للمشاركة قصة تاريخ امجاد المغرب والاندلس بطريقة حية فيبعد ان ننقل بين تلمسان وفاس ومراكش وتولى خلسة الامامة والخطابة بجامعة القرويين من طرف احمد المنصور رحل الى المشرق وتولى التدريس بالازهر في مصر ، وبالمسجد الأقصى في القدس مدة من الزمن واقترح عليه علماء الشام ان يؤلف لهم كتابا عن الاندلس فلبى رغبته ووضع كتاب : « نقش الطيب بخصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرا لسان الدين ابن الخطيب » = الذي يعتبر من المؤلفات المشهورة في التاريخ والادب مما هن هذه المنطقة الغربية من العالم الاسلامي التي كانت عربية أكثر من ثمانية قرون وجاء ذخرا حيا ورصيذا فاشرا في صرح الحضارة العربية ، وقد بقي المقرئ بمصر حتى توفي عام 1662 م وله أكثر من عشرين كتابا في مختلف العلوم ومن أشهرها في الشرق والجنين الى بلده الجزائر قولسه :

يلد الجزائر ما أمر تواما كلف الفؤاد حبها وهواها
يا عاتلي في حبها عن عاشري يكفيه منها ماؤها وهواها

ولا ننسى في هذا الميدان ابا العباس احمد حسين بن علي بن الخطيب ابن القنفذ القسنطيني (1339 - 1407) الذي عاصر ابن خلدون وشي في مدينة قسنطينة ودرس العلم على اجلة علمائها ، مثل حسن بن خلف بن باديس ، وابن عبد الرزاق الجزولي ، والشريف التلمساني ، وابن مزيق والغريبي ، ورحل الى تلمسان وفاس لطلب العلم وخلف لنا وراه مكتبة هائلة من مؤلفاته القيمة في مختلف فروع الثقافة بعضها مطبوع وبعضها ما يزال مخطوطا وتزيد مؤلفاته على عشرين كتابا ومن أشهرها :

- الفارسية في مبادئ الدولة المصغية ، وارجورة في الطب ، وطبقات علماء قسنطينة ، وارض الجويب عند عجز الطبيب ، ويغية الفارض في الحساب والفاضل ، والفنانية في ابطال الدلالة الفلكية ، وخط التقارب على وجوه اعمال الحساب ، وتسهيل الطالب في تعديل الكواكب ، وكذلك الحال بالنسبة لابن ابي مريم المليتي صاحب كتاب « البستان في فكر الاولياء والعلماء بتلمسان » والورتاني صاحب كتاب « الرحلة الورتانية » والبريني صاحب « عنوان الدراية » الذين خلفوا لنا اثارا فكرية جليلة تمثل رصيذا في الفكر العربي .

ابن خلدون : « وفي قمة هؤلاء جميعا سفرة العصر ورأى الفكر في العصور الوسطى والحديث عبد الرحمن ابن خلدون الذي هو غنى عن التعريف ان ابن خلدون لم يكن جزائري الاصل ولكن خلاصة افكاره وعبقريته التي أحدثت ثورة في الفكر البشري كانت إنتاجا جزائريا محظا وقصة حياته هو في هذه البلاد تعتبر من القصص الشيقة والمثيرة حيث تقلب في احضان السلك وتقلد مناصب رفيعة في تونس وبجاية وتلمسان وقاس ومعمر »

فلقد هاجر اجداده الاولون من عرب وائل بن حجر بلاد حضرموت باليمن الى بلاد الاندلس في صدر الفتح الاسلامي واستقروا بغض الوقت في قرمونة ثم استقروا بإشبيلية وشاركوا في احداث تلك البلاد طوال العهد الاسلامي بالاندلس وفي القرن ١2 الميلادي (منتصف السابغ الهجري) انتقل فرع منهم الى سبتة ثم الى تونس حيث ولد هناك مؤرخنا عبد الرحمن ابن خلدون عام ١332 (غرة رمضان 732) ونسب على التعلم واعتكف على التحصيل يجد على اجلة الشيوخ والعلماء ابرزهم الشيخ ابو عبد الله الايلي التلمساني الذي حكى عنه بأنه كان يلقب آنذاك بعالم الدنيا في زمانه »

وقد امتاز ابن خلدون منذ صغره بتكاد العقل وسعة الاطلاع وبقة الملاحظة ، وسعت به همته حتى وصل الى المراتب العليا فعينه ابن تافراكين الوصي على عرش تونس والامير ابو اسماعيل ابراهيم في منصب الكتاية العامة الذي هو بمثابة الامين العام للحكومة وبعد مدة انتقل الى تلمسان عبر قصعة وبسكرة ثم الى قاس حيث عينه السلطان الريني ابو عنان في منصب الكتاية والحجاية عام 790 هـ وهو منصب رفيع شريحه هو بقوله : « ومعنى الحجاية في دولنا بالمغرب الاستقلال بالدولة والى ساطة بين السلطان وبين اهل دولته لا يشاركه في ذلك احد » مما يدل على رفعة مكانته ويسبب وشاية حساده استغله السلطان المسن وبقي به حتى قرى ابو عنان فاطاق مراحله السلطان ابو سالم واعاده الى منصبه ككتائب للمس والانشاء وخطة المظالم ثم طلب الاتن وانتقل الى الاندلس ارض اجداده واستقبله سلطان غرناطة ابو عبد الله ابن الاحمر بحفاوة بالغة وتوطدت صلاته بوزيره لسان الدين ابن الخطيب حتى اصبحا مثل الاخوين ، ولوفده سلطان غرناطة الى ملك قشتالة بإشبيلية ليقاوصه في عقد الصلح وحكى ابن خلدون بمسرة والم كيف شاهد حاسمة اجداده اشبيلية تتحول الى مدينة نصرانية كما ذكر بان ملك قشتالة عرض عليه ان يبقى عنده بصورة دائمة فرفض »

ومن غرناطة انتقل ابن خلدون الى بجاية عبر سبتة ليتولى هناك منصب الحجاية وكتاية السر للامير الحفصي ابي عبد الله بعد ان اعظم الجو بينه وبين صديقه ابي الخطيب الذي على ما يظهر كان يغار منه كثيرا : وشايع السلطان ابا احمد الزياتي بتلمسان بغض الوقت ثم تحول عنه

الى السلطان المريضي جيد العزيز الذي قرأ تلمسان وسيطر عليها فانتقل الى فاس وتركز بها بعض الوقت وعندما كثرت الوشاة ضده طلب الانتن بمفادرتها الى الانطلس مرة ثانية ولادة قصيرة ثم عاد الى تلمسان وجوامل الاسى تحزني نفسه من جراء الصعاب والعقبات والحزن التي تنكبها واعتقدت طموحه فحزم على الانتزاع والاعتكاف للدراسة والتأليف *

وأغتنم فرصة قيام السلطان ابي احمد الزياتي بتكليفه بالخروج لاستماتة الروادة اليه وانخالفهم تحت طاعته فتطاهروا بالقبول وغابر تلمسان غير انه عندما وصل الى البطحاء عدل ذوات ايمين الى سنداس والتمق باحياء اولاد عريف قبيلة جبل كزول واستقبله السكان بخفاوة وتكفوا باستقدام اهله من تلمسان وبلاستقار لسلطانها عن عجزه عن اداء ما كلفه به وانزله بقلعة سلامة في قصر مهف من بلاد بني توجين وانقطع هناك اربع سنوات كاملة متخليا عن الشواغل متفرعا للتأليف وقال هو نفسه « وشرعت في تأليف هذا الكتاب واما مقيم بها واكملت المقدمة على ذلك النحو الغريب الذي اهتمت اليه في تلك الخلوة فصالت شاييب المعاني على الفكر حتى امتضت زبدتها وتالت نتائجها » وكان من بعد ذلك الاوبة الى تونس لرغبة المزيد من الاطلاع وهو ما عناه بقوله وعندما فرغت من مقمته الى اخبار الحرب والبربر وزناته وتشوقت اسي مطالعة الكتير والدواوين التي لا توجد الا في الامصار بعد ان املت الكير من حفظي واربت التفتيح فقصت عندي ميل الى مراجعة السلطان ابي العباس والرحلة الى تونس حيث قرار اباي ومساكنهم واثارهم وقبورهم فبادرت الى خطاب السلطان بالفتة الى طاعته * وهناك انكب حتى اكمل كتابه : « المبرر وديوان المبتدا والخير في ايام العرب والحجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر » واهدى نسخة منه الى مكتبة السلطان *

ومثلما تعرض ابن خلدون لحمد وغيره كبار شخصيات العلماء الكبار في تلمسان وفاس وغرناطة أمثال لسان الدين ابن الخطيب تعرض كذلك بترنس لمسند وغيره الفقيه ابن عرفة الذي اكثر من السعاية والوشاية ضده لدى السلطان ولذلك طلب مفادرة ترنس الى الشرق لاداء فريضة الحج عام 784 هـ فاجته الى مصر وعينه السلطان اظاهر بريق في المملوكي في منصب قضاء المالكية بالبرسة الصلاحية وثاربت ضده الاحتاد كذلك شيرة وحسدا فطلب من السلطان اعفاء من نكس فاعاه حج عام 790 هـ ثم تدرغ لتتدريس وقام بسفيرة الى بلاد الشام كرسل لمفاوضة تيمورلنك المغولي ويقي يتولى منصب القضاء حوالي سبع مرات الى ان توفي عام 806 م (808 هـ) *

ان كتاب البر لابن خلدون يمثل ثروة هائلة في الفكر العربي يتألف من ثلاثة كتب في سبع مجلدات وتعتبر المقدمة اعظمها شرح فيها قضية العمران البشري وضمنها فلسفة التاريخ والاجتماع وترسل الى حقائق هامة في هذا الميدان ما تزال حتى اليوم تحتل الصدارة وتعتبر مرجعا لكل المهتمين

والتخصصين بهذا الميدان شرقا وغربا فقد نقد الذين سبقوه في تكوين التاريخ وتفسير هقائقه وبين عيوبهم ثم وصف تطور الامم من البداوة الى الحضارة وترفى المنسوب في الاجتماع والدين والسياسة والاقتصاد والعلوم والفنون وتكون الدول ونموها وانهارها وطوائع اهل البدو والحضر . وقد تنمذ عنه المفكرون الحديثون امثال هريبرت سبنسر وكانت * والجزائر تعترف بانها كانت مصدر هذه الفلسفة الجديدة وهذا الفكر ثلثيد الخلاق الذي اتى به ابن خلدون في قلعة سلامة بعد ان شحذ فكره وصقل كل تجاربه ومعارفه فهاه كذا قال هو نفسه « على تلك النحو الغريب بعد ان سالت شآبيب الكلام والمعاني على الفكر وامتدخت زبدتها وتآلفت نتائجها » * ولا غرابة ان تكون منطقة قلعة سلامة بفرنسة قر- تيارات منبع بهذا الفكر الخلاق لان التحضر لم يكن عنها غريبا فقد كانت مركزا لحضارة عريقة فكرية وعمرانية على عهد الامارة الرستمية في القرنين 2 و 3 الهجريين * ما شاركت به الجزائر في اخصاب الفكر السياسي والاجتماعي :

ذلك هو الجزء البسيط من العمل الكبير الذي شاركت به الجزائر في اخصاب الفكر العربي بمختلف فروعه وهو جهد هام وبارز في بناء تلك الحضارة العربية الشامخة عبر التاريخ - على ان الجزائر لم ينف دورها عند هذا الحد فقد شاركت ايضا في اخصاب الفكر السياسي والعسكري لهذه الحضارة بفضل تلك البطولات التي جمعها اجدادنا ، واولئك الابطال الذين ثقتن اسمائهم بعظماء الرجال في كل العصور والاحيال والذين اتمت تأثيرهم الى اصقاع اخرى من الوطن العربي المغرب والشرق والانكس *

وللحقبة والتاريخ فان للبطولة العظيمة التي اطهرها شعب الجزائر في حرب التحرير الاخيرة (1954 - 1962) لم تكن بالشيء الجديد والغريب عليه لانه اعتاد تحقيق مثلها عبر تاريخه الطويل وقد اشرنا الى الاعمال البطولية التي حققها بيداس وتاكفار يناس ضد الغزاة الرومان في رقعة المغرب ونذكر هنا بان ابطال الجزائر كانوا يكتلون نخبة الضباط في جيش اسديريال وحنبعل اللذين سيطرا على بلاد اسبانية وعبر جبال الالب في العصور القديمة ودقا ابراب روما وهداما باللقاء لولا حدوث تطورات سريعة في الموقف - وتزخر كتب الرومان في الحديث عنهم وعن بطولهم - وفي العصور الوسطى برز جعفر ابن فلاح الكتامي ليلعب دوره الكبير الى جانب جواهر الصقلي في فتح بلاد مصر وضمها الى الدولة الفاطمية وليقوم وحده بعد ذلك بانتزاع فلسطين والشام من الاغبيديين وضمها الى الحكم الفاطمي عام 969 م ولما انه قتل على يدى القرامطة غدرا عام 978 * ومن الصنف ان جعفر وجواهر مما اذنان اسما مدينة القاهرة والازهر الشريف الذين قدر لهما ان يتحولا الى قلعة للحضارة العربية : ومن اقوال الشاعر الاندلسي ابن هاني في مدح جعفر ابن فلاح قوله :

كانت مساهمة الركبمان تخيرتي عن جعفر ابن فلاح اطيب الانس
حتى التفتنا فلا والله ما سمعت انفي يا حسن مما قد رأى يصبر
ان احمال هذا الرجل وامثاله تمثل جزءا من تراث البطولات والمفاخر العربية التي تعتبر
احدى ايقونة الفكر العربي السياسي^١

وإذا كان جعفر بن فلاح ومن قبله حمفورين بعض الشيء فان عبد المؤمن بن علي بن مخلوف
بن بعلى الكرمي الزناتى الموحدي أشهر من أن يعرف وهو من أبرز قادة العصور الوسطى في
الحروب والإدارة والسياسة ومن مواليد قرية تاجرة قرب مرسى وشكول بمنطقة جبال ندرومة
شمال تلمسان عام ١٠٩٥ م (487 هـ) وتأتى اعميته في كونه استطاع ان ينجح اصلا جيلة تمثل
نخرا هائلا في البطولات العسكرية العربية لا تقل اعمية عن منجزات صلاح الدين الايوبي ، وندر
الدين محمود بن زنكي ، بالشرق ، فقد قضى على الامارات الاقطاعية التي كانت تمزق وحدة
الاقاليم المغربية العربية كالأرانيين براكش والحمايين ببجاية وقضى على حكم التورمان
بالمهدية في تونس وقضى على طموح عرب بن هلال الذين زحفوا على المنطقة واقتنوها منها
وهدروها وسببوا لها كثيرا من الاضطرابات والفنن واعاد لهذا الاقليم وحدته من طرابلس الى
المحيط الاطلسي التي كانت له في صدر الفتح الاسلامي واقتدها بعد ذلك ثم تفرغ عبد المؤمن
للتصدي لاطماع النصارى الاسبان بالاندلس الذين استسلموا ضد الامارات العربية الاسلامية التي
تشكلت وحدتها وانهكتها الخلافات العصبية فادبهم واوقفهم عند حدهم مثلما قضى صلاح الدين
بالندرق على الصليبيين وطهرهم منهم^٢

ولم تتوقف جهود عبد المؤمن وتقتصر على البطولات العسكرية فقط بل انه اضمأف الى
الفكر العربي خطة الربيع الموحدي في ميدان الفسط العسكرية ، والمسح الجغرافي للمغرب في
ميدان الجغرافيا الاقتصادية والتشريعات العسكرية والمدنية في ميدان الادارة وهو الذي نفس
الينا كتاب « ١٤٠٠ ما يطلب » لشيخه وامامه محمد ابن تومرت الذي احدث ثورة في ميدان الفكر
الفنهي وكان ام سلاح له في تعليم دولة المرابطين المثلثين والمجسمين والميطلين^٣ . وهكذا رود عبد
المؤمن التاجري النوروي الجزائري الفكر والحضارة العربية بزان ونخر هائل يمثل احدي مفخر
الجزائر واحبابها ، والي جانب هذين البطالين : جعفر بن فلاح وعبد المؤمن هناك امثلة أخرى لا بد
من تذكرها والاشارة اليها لتكتمل الصورة على جهد اجدادنا في اثناء الحضارة العربية^٤

فاي محمد عبد الله الاثيري : من مدينة اشير الحماحية جنوب جبال التيطري - ٢٠٠٥ م -
كان فقها محدثا وليبيا كبيرا انتقل الى المشرق وسكن حلب في عهد نور الدين محمود بن زنكي
وكسب شهرة واسعة بسعة علمه وثقافته وتسايق الكتاب والوزراء والاعيان لجالسه العلمية وهو

الأمر الذي دعا الوزير العياشي أبا المظفر عوين النجني يحيى أن يستدعيه إلى بغداد ليجرس بها الحديث ويدفع بالحركة الفكرية إلى الأمام هناك *

— وأبو عبد الله محمد بن علي : المشهور بابن الرمامة من مواليد قلعة بني حماد عام 1085 م* نطلع في دراسة الطب والفلسفة بهذه المدينة ثم رحل إلى الأندلس ليتلمذ على الفيلسوف أبي الوليد بن رشد بقرطبة وتولى خطة قاضي الجماعة بفاس عام 1144 م وكان أحد الاعلام البارزين وخلف وراءه ثروة هائلة من المؤلفات العلمية منها :

— تسهيل المطلب في تحصيل المذهب ، والتبيين في شرح النطقين ، والتقصي في فوائد التقصي *

— ومحمد بن حماد الصنهاجي : من مواليد برج حمزة قرب البويرة ودرس بمدينة قلعة بني حماد ومجاية وتولى نقطة القضاء في الجزيرة الخضراء عام 1216 م ولحق المغرب بعد ذلك حتى توفي عام 1230 م وتخلّف لنا من وراثته ثروة هائلة من المؤلفات منها : أخبار ملوك بني عبيد ، والديباجة في أخبار صنهاجة ، وهو الكتاب الذي اعتمده ابن خلدون كثيرا في كتابه المعبر ، واهتم لستشرق ليقي يروغانسال به : ومن شعره في رثاء قلعة بني حماد قوله :

ان العرويين لاسم ولا طلل	فانظر ترى ليس الا السهل والجبل
وقصر بكرة اودى الزمان بسه	قأين ما شهاد منها السادة الاول
قصر الخلافة أين القصر من خوب	غير اللجين وفي ارحابها زهل
وقد عفى قصر حماد فليس له	رسم ولا اثر ياق ولا طلل

ومكذا انجبت الجزائر ابطالا شاركوا ببطلاتهم العسكرية وجهودهم الفكرية في اشراء الحضارة العربية ، ولم يقتصر الامر على العصر الوسيط فقط بل ان العصر الحديث شهد بروز ابطال لميراث ناس الدور وسجلوا صفحات مشرفة في تاريخ العسكرية الجزائرية وبالتالي العربية . ويكفي النودة الى كتاب هايدن « ملوك الجزائر » وكتاب دوقرامون « الجزائر تحت حكم الاتراك » للاطلاع على مقدار الخسران الكبير الذي وقرته الجزائر للامجاد العسكرية العربية لا في امصار المغرب فقط وانما في كل حوض البحر المتوسط الغربي والشرقي *

ولا تكتمل لصورة الا اذا اشرنا الى الحركة السوسية المدنية والقيومية التي لعبت دورا هاما في نشر الاسلام وحضارته الى شعوب السودان واقرقيا السوداء وتصمت للاطماع الاستعمارية الايطالية والانهليزية في ليبيا وصحراء مصر الغربية في الوقت الذي اشدت فيه نكالب اوربا على الاستعمار والتهام بلدان المغرب والمشرق الاسلاميين *

فزعيم ومؤسس الحركة السنوسية محمد بن علي السنوسي من بلدة بولقراط بمستغانم ودرس بالشرق وأسس زوايا دينية في الطائف وأحواز المدينة المنورة بالحجاز للإصلاح الديني على غرار الحركة الوهابية ثم انتقل إلى المغرب واستقر بليبيا بعد أن منع من الدخول إلى الجزائر ، والذي يهمنها هو أن هذه الحركة السنوسية الإصلاحية قدمتها الجزائر كهدية للبلاد اللبية لندافع عن كيائها وتكافح عن مستقبلها وهو الدور الذي أدته يامان وحالت دون مسح القرصية اللبية التي حاول الإيطاليون جهدهم لحوها ، وتعتبر من الروافد الفكرية التي ثرت في الفكر العربي المعاصر ويكفي تصفح كتاب : السنوسية بين ودولة للمكتور محمد فؤاد شكرى ، وكتاب : حاصر العالم الاسلامي للسيد متودان لورثوب وتعليق شكيب أرسلان للتعرف على فضل هذه الحركة في اثراء الفكر والحضارة العربية بصافة المقاومة . وقد خلف محمد بن علي السنوسي ما يقرب من عشرين كتاب في مختلف الفنون ، وحتى البلاد التونسية قدمت لها الجزائر المجاهد عبد العزيز الثعالبي ليتزعم حركتها الوطنية كرائد لطلبة التحرير ويثرى الفكر السياسي هناك .

أما ثورة نوفمبر 1954 الكبرى ، في لثراء الفكر الثوري العربي فام لا يحتاج إلى تأكيد أو تعريف وهي التي أعادت للعرب الثقة بانفسهم وكانت مصدر الهام للاقلال والافتكار وما تزال كذلك . وتأثيرها الفكري اجتاز حدود المنطقة العربية إلى افريقيا وآسيا وبعض بلدان أوروبا وأمريكا وهو مصدر عظمتها .

هذه لحة وعجالة بسيطة حسبما سمح به الوقت عن امجاد الجزائر الفكرية وهي تحتل مركزا هائلا في عالم الفكر والثقافة وفي اثراء وأخصاب الحضارة العربية ولكنها تحتاج إلى بحث وأحياء من جديد بعد أن كاد الغبار يطمسها والتسيان يطويها وهذا البحث والاحياء اثرائها جهود حتى اذا ما أردنا لانطلاقتنا الحاضرة أن نتجج وترسخ ، وهو صمم الثورة الثقافية التي أصبحت شعار البلاد كلها . اننا نتمتع اليوم بسمعة هائلة من رصيد ثورة نوفمبر الكبرى ولكن عظمنا يتقاعد الزمن وتقدم الثورة يتلاشى كل شيء اذا لم نبحث ماضينا ولم ننظفه مما علق به من تعريف ومسخ وتشويه وفي شعبنا طاقة هائلة لتحقيق الامجاد في ميدان البنساء الحضاري كما بينته تجارب التاريخ .

وقد أصلى الدليل القاطع في الثورة الصناعية والزراعية اللتين تتقيمان بخطرات عملاقة اثرات اصحاب الاعداء فضلا عن الاصطفاء لما حققناه من تغيير جذري في بنية الاقتصاد الوطني ووجه الريف القديم . أما الثورة الثقافية فما تزال شعائر نتغنى به وسيظل رَحفنا يتمثر مالم نهتم باحياء تراث الاجداد وتسميره من نسخ والتقويه .



برج في القصبة يمتد على المدينة وعلى مصب الصومام

عبقريّة المشذليين العلميّة في بجماية

على عهدهما الإسلامي الزاهر

لقد حظيت بجماية بازدهان علمي ملحوظ في القرن السادس الهجري ، ولج في هذا القرن من اعلام الفكر والادب والعلوم الشرعية والعقلية جماعه كبيره من اشهرهم عبد الحق الاشبيلي ، وابو علي المسيلي ، والقزويني ، وابو مدين الصوفي وعمارة الشريف ، وابنته عائشة وغيرهم ونشطت دراسات علوم الحديث والفقه والكلام والتصوف والاسب على يد هؤلاء الاعلام .

اما في القرن السابع الهجري فان هذه الدراسات المتنوعة ، قد اتسعت افاقها ، وتحدثت فروعها ، وكثر النيقاء فيها ، ولكن الظاهرة التي كانت تلاحظ في اساليب التعليم ومناهجه حينئذ بيجاية وتسطيعة وتلمسان والجزائري هي عقم الطرق القريسية التي كان يتتبعها الاشياخ في محاضراتهم ودروسهم على الرغم من ان هذه الفترة كانت تقسم بالحبيوية والافعال على الدراسة ، والرغبة في استيعاب العلوم الشرعية والادبية والعقلية .

ولذلك فقد كانت هذه الاساليب التعليمية في حاجة اكيدة الى ثورة منهجية تعيد للتفكير الشخصي اعترافه ، وللسروح المنطقية في تساؤل الباحث اثرها الإيجابي الفعّال . وهذا ما قامت به الاسرة الحضالية في اواخر القرن السابع الهجري وما بعده وهو ما تجلت فيه عبقريتهم العلمية رائدة خلافة .

وقد حاولنا في هذه الدراسة ان نعرف بمشاهير هذه الاسرة ، وبالعبقرية العلمية التي امتاز بها كل واحد منهم .

وابج يونان
باحث بالكتابة الوطنية

وهؤلاء المشذاليون ينتسبون إلى قبيلة مشذالة وهي كما ينكر السخاوي قبيلة من زواوة وقد ضيعها بفتح الميم وتشديد الدال (2) وهي عند التنبكتي بفتح الميم وتشديد الدال المهمة (3) *

والواقع أن هذين الوجهين في كلمة مشذالة مستعملان معا ، وهذا هو ما نص عليه ابن قنفذ في الوفيات (3) ومشذالة الآن تفرج في منطقة ما بين البويرة وبني منصور ، وهي تقع في سفح جبل جرجرة من جهته الشرقية الجنوبية ، وتتمرها ضايات الزياتين الجميلة التي تسبح عليها بوعة خلابة ، وفي زمن الشتاء تفسر سفوحها الجميلة ، للبلوح البيضاء *

ومن أشهر القرى التي يشملها اسم مشذالة : قرية الشرفاء ، وقرية أولاد إبراهيم ، وقرية بني وبيان ، وقرية يوحرب ، وغيرها من القرى وقد سألت بعض اصينقائي من مشذالة عن قرية ملالة التي ينسب إليها الشيخ الجنيل ناصر الدين منصور المشذالي ، والتي زارها فيها الرحالة العنبري (4) فقال لي أن هذا الاسم غير معروف الآن ، وقرية ملالة تمل على اسم مشتق يطلق على ما فيه بياض ، ولعل هذا الإطلاق قنوس وحل محله إطلاق آخر ، وهل يمكن أن تكون قرية ملالة هي بعض القرى التي ذكرناها من قبل لم هي قرية أخرى عفت ؟ وكلا الاحتمالين لا يمكن الجزم بهما أن أحدهما ، والذي يهمننا هنا هو أن نذكر أن طائفة من العلماء المشاهير في العصر الاسلامي ببجاية نبهوا في هذه القبيلة ، وأشهر من نبغ منهم في القرن السابع الهجري وما بعده :

- 1 - منصور بن أحمد بن عبد الحق المشذالي ناصر الدين (733 هـ) *
- 2 - وعمران بن موسى المشذالي فزيل تلمسان وصهر ناصر الدين (توفي سنة 745 هـ) *
- 3 - منصور بن علي بن عبد الله المشذالي فزيل تلمسان (توفي بعد سنة 770 هـ) *
- 4 - ومحمد بن أبي القاسم بن عبد الصمد المشذالي (866 هـ)
- 5 - وولده أبو الفضل محمد بن محمد بن أبي القاسم المشذالي (865 هـ) *
- 6 - وأخوه محمد بن محمد بن أبي القاسم المشذالي (899 هـ) *

وهؤلاء الاعلام المشذاليون قد ساهموا في الحركة العلمية ، وتطوير اساليب التنظيم مساهمة فعالة على اختلاف بينهم في مدى تأثير كل واحد منهم في الوسط العلمي الذي عاش فيه ولذلك نرى

- (1) السخاوي محمد : الضوء اللامع (بيروت) منشورات مكتبة (الحياة ج 9 ص 180) *
- (2) أحمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج ص 345 *
- (3) ابن قنفذ القسنطيني : الوفيات تصحيح إدريس ص 54 *
- (4) المجدري محمد : رحلته تحقيق محمد القاضي (الرباط 1968 م) 277 *

من الضروري ان نخص كل واحد منهم بترجمة تكلف عن عقريته فيما برع فيه من علوم ، ويمكن من اعتراف على اثاره وقيمه العلمية وبذلك نصطليح ان نلم بمدى المساهمة التي قدمت هذه الاسرة المشدالية *

(1) منصور بن احمد بن عبد الحق المشدالي ناهض الدين (731 هـ)

وهو يعد قلب هذه الاسرة المشدالية ، واول نايبة فيها ، وقد كان تبوؤه فيها منطلق حركة علمية مباركة انتشرت بين ابناء هذه القبيلة * والامام منصور المشدالي ترجم له الغبريني في عنوانه (5) *

وابن قنفذ القسطليني في رفايته (6) والتبكي في نيل ابتهاجه (7) *

وابن خلدون في مقبته (8) والميدري في رحلته (9) *

والسيوطي في بغية الوعاة (10) *

وقد ولد المترجم في مطدالة سنة 631 هـ او سنة 632 هـ واخذ من شيوخ بلده ببجاية وغيرها ثم ارتحل الى المشرق واستكمل تحصيله هناك ثم عاد الى بجاية عالما جليلا كما ذكر التجيبي في رحلته ونقله التبكي عنه (11) وينكر الغبريني : ان ناصر الدين المشدالي اخذ بالمشرك عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام وصبر الدين سليمان الحنفي ، وشسرف الدين السبكي وشمس الدين الاصفهاني وغيرهم *

وحصل الفقه واصول الدين ، واصولا للفقه والمنطق والعربية والتفسير والحديث ، وامتاز بطريقته الجيدة في التدريس والبحث وبفساحة اللسان في الالتقاء ، وشغل منصب الشورى والافتاء ببجاية (12) *

اما الميدري فانه يقول في ترجمته له وقد مر عليه بقرينة سائلة في آخر القرن السابق الهجري انه درس الاصول والعروج دراسة تفقه وله منها حظ وافر ، ولكنه لا يقتنى بالرواية وليس له حظ فيها (13) *

(5) الغبريني : عنوان الدراية ص 34 (6) ابن قنفذ : الوفيات ص 54 (7) التبكي : نيل الابتهاج ص 345 (8) ابن خلدون : المقدمة (مصر : المطبعة البهية) ص 309 (9) الميدري : محمد : رحلته ص 277 (10) السيوطي : عبد الرحمن : بغية الوعاة (مصر : مطبعة السعادة) (326 هـ) ص 398 (11) التبكي : نيل الابتهاج ص 345 *

(12) عنوان الدراية 34 - 35 *

(13) الميدري : رحلته ص 277 *

أما الرحالة التجيبى الذى مر ببجاية فى هذه الفترة فإنه يذكر عن المترجم معلومات قيمة فيقول أنه رحل مع أبيه صغيرا إلى المشرق ، وسمع بالمشام ومصر على شيوخهما ، ولزم استاذاه العز بن عبد السلام كثيرا ، وانتفع به ، واعتنى بهديه ، واخذ عن الطبري المرمى ، والروى الواسطى المجتهد وغيرهم ، ودامت رحلته العلمية نيفا وعشرين سنة ، ثم عاد إلى بلده عالما جليلا واستحق لدى الفقهاء بأن يعد آخر رجالات الكمال بالمغربية والمغرب الأقصى ممن جمع بين معرفة الفقه وأصوله ، وحكم حضا وإقرأ من العربية ، وحصل المنطق والجدل وغيرها ، وتفوق في علوم كثيرة (استبحر فيها وتكلم في أنواعها ، وناظر في جميعها ، وتفطن في المعارف) (24) *

ولا حظ للتجيبى نون غيره ممن ترجم له أن الشيخ ناصر الدين المشدالي لم يقتصر في دراسته للفقه على مذهب الإمام مالك ، بل درس مذاهب الأئمة الآخرين ، واختصر بمذهب مالك وتبسيحه وإيضاحه ، والدفاع عنه ، مسح ما كان يمتدح به من جودة الذهن ، وصحة الاستنباط والمهيم (25) *

وأما ابن مرزوق الخطيب فإنه نقل عن شيوخه من تلامذة المترجم كالمصطفى وعمران المشدالي أن المترجم وصل إلى درجة الاجتهاد في الفقه (26) ويذكر الشيخ منصور الزواوي الشاذلي مواطنه أن المترجم كان اماما مجتهدا ، وكان دعوة النظار ، وأمام الأمصار ، ملا أقطار بجاية بالمعلوم النظرية ، والفهم العقلية والعقلية (27) ويشهد لما ذكره منصور الزواوي كثرة الشيوخ الذين أخذوا عنه ، وتخرجوا على يده ، ومنهم الشيخ أحمد بن عمران البجائي شارح ابن الحاج في ثلاثة أمتار (28) وأبو موسى عمران المشدالي صهره وكان فقيها علامة (29) والإمام منصور بن علي الزواوي المشدالي (20) وابن المصطفى محمد بن يحيى الباهلي البجائي العلامة (32) وغيرهم *

والواقع أن شيوخ بجاية الذين أمروا القرن الثامن كانوا من تلامذته أو تلامذة تلامذته وكانوا يتأمنون بالنساسة عليه ، والاستفادة منه ، وقد أجبوا بأسلوبه في الفريسي ، وتناولوا الأبحاث الفقهية والأصولية والنحوية والمنطقية وكانوا - بتأثيره - يميلون إلى الاجتهاد في انشراح مثله *

(24) التنبكتي : نيل الإبتهاج ص 344 - 345 *

(25) المرجع السابق ص 345 *

(26) المرجع السابق ص 343 - 345 *

(27) المرجع السابق ص 346 *

(28) المرجع السابق ص 69 *

(29) المقرئ أحمد : نفع الطيب ج 7 ص 148 *

(20) التنبكتي : نيل الإبتهاج ص 345 *

(32) المرجع السابق ص 340 *

وإذا كان العربي قد أشار إلى ما امتاز به ناهض الدين المشدالي من طريقة علمية ذات فعالية في التدريس والبحث بإقتضاب فإن ابن خلدون رفع من قيمة المترجم من ذلك وأعتبره "قائداً" لثورة فكرية في أساليب التعليم وهنق التدريس ، وفي ذلك يقول في الفصل الذي عقده للمحدث عن التعليم وصناعاته : ثم أوتعل من زواره في آخر المائة السابعة أبو علي ناصر الدين المشدالي ، وأدرك تلاميذ أبي عمر وابن الحاجب ، وأخذ عنهم ، ولحق تعليمهم ، وقرأ مع شهاب الدين القرافي في مجالس واحدة ، وحقق في العقليات والنظريات ، ورجع إلى المغرب يعلم كثير ، وتعليم مفيد ، ونزل بجاية ، وأصل سند تعليمه في طلبته ، وربما انتقل إلى تلمسان مسج حمران المشدالي من تلاميذه ، وأولها ، ويث طريقته فيها (22) *

والواقع أن ما لاحظ ابن خلدون كان حقاً وقد ترك ذلك أثراً فعالة في دراسة العلوم الشرعية ، والعقلية في بجاية ، وأحدث ثورة في فن التدريس *

وتمتاز هذه الطريقة للتدريسية باعتمادها على الحوار والمناقشة ، والتعمق في البحث والتحليل في أصول الفقه وأصول الدين واستغلال الجدول في البحث والمناظرات *

وقد انتشرت هذه الطريقة التي تنصب إلى الفقه المراسي في بجاية ، مزاحمة للطريقة التقليدية التي كانت تنسب لأبي المنالي وفزوز عن ذلك ، ولكن هذه الطريقة كانت لا تهتم كثيراً بالرواية والنقل ، وإنما كانت تولى اهتمامها الكبير لمجانب للدراسة والبحث ومحاولة الاستنباط *

وقد انتشرت هذه الطريقة في تونس على يد أبي عبد الله بن شعيب الدكالي ، ويتلمسان على يدي أبي الإمام ، وتلاميذ ناصر الدين المشدالي *

ولتج من انتشارها في أواخر القرن السابع والقرنين الثامن والتاسع (هـ) أن نشطت الأبحاث الفقهية النظرية ، والدراسات العقلية المنطقية ، وأخذ الفقهاء تحت تأثير هذا الاتجاه يميلون إلى الاجتهاد في الفروع وتخريج المسائل *

ولعل الفضل الأكبر في هذه البقطة الفكرية إنما أحدثها المترجم بمعبريته التدريسية ومناظراته الرائعة ، وبتلاميذه الكثيرين الذين سلكوا نهجه في الدراسة والتحليل ، ومن المناظرات التي أثرت من ناصر الدين المشدالي ، مناظرته لأبي موسى ابن الإمام التلمساني حول البيع وشروعية دفع الثمن فيه وقد حاول ابن موسى ابن الإمام أن يجيب عن الإشكالات التي وجهها إليه ناصر الدين (23) *

(22) ابن خلدون : المقدمة : (المطبعة البهية) ص 495 *

(23) المغيلي ، أبو زكرياء يحيى : الدرر المكنونة ، مخطوط المكتبة الوطنية ج 5 ورقة 478 *

ـ الوفترسي أحمد : المعيار المغرب ط هاس ج 5 ص 290 *

وهناك فتاوى ومناظرات أخرى تندرج فيها عبقرية ناصر الدين المشذالي وأهم ما يؤخذ عليه أنه كان يتمتع باختصار ابن الحاجب الفرعي والاصلي ، وقد نقلها إلى بجاية واختص بتدريسها وكان يعجب كثيرا بشرح التوضيح لخليل بن اسحاق على المختصر الفرعي لابن الحاجب ، وكان يقول عند التعارض بين خليل وغيره « نحن خليليون أن ضل ضللنا مبالغة منه في اتباعه » (24) *
ولما مختصر خليل نفسه فلم تنتشر دراسته في المغربية والمغرب الأوسط إلا في أواخر القرن الثامن الهجري بعد وفاة خليل بن اسحاق سنة 776 هـ *

مؤلفاته :

ولم يكن تأسد الدين المشذالي بمعنى كثيرا بالتأليف بل كان يفرغ جهوده للتدريس والتعليم *
ولذلك لم يترك من المؤلفات الا شرحا غير تام على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (25) *
وإذا كان المترجم قد قصر في ميدان التأليف فإنه لم يقصر في ميدان التدريس وتحرير الفتاوى والباحثين الذين نشروا علمه بعد وفاته *

وفاته :

وقد توفي ناصر الدين هـ بإجماع اصحاب التراجم - سنة 731 هـ بعد أن عسر نحو مائة سنة ، ويعد أن ملا أقطار بجاية علما ونشاطا فكريا (26) *
(2) عمران المشذالي (745 هـ) *

وهو كما يقول اصحاب التراجم : عمران بن موسى المشذالي البجائي نزيل تلمسان ، وقد ولد المترجم سنة 690 هـ ودرس على تأسد الدين المشذالي ، وصاحبه في ابنته ولحقه عن غيره من علماء بجاية ، ونجح في الحديث والفقه والاصولين ، والنحو والمطوق ، والجنل والفرائض ، وكان كثير الاتصاف في الفقه والجنل ، منيد الباع فيما مسواهما ، (27) كما يقول المغربي للجد ، ويقول التنبكتي في ترجمته أنه كان حافظا حلالة محققا كبيرا (28) وأرحل إلى تلمسان بعد حصار بجاية حوالي سنة 727 هـ ، واستقبله أبو تاشفين الزياني أحسن استقبال ، وأسلم الله اليه التدريس بمدرسته انشاشيتية التي أسسها في هذه الفترة لينافس بها مدرسة ابن الامام هـ ودرس

(24) التنبكتي : نيل الابتهاج ص 334 *

(25) المرجع السابق ص 344 *

(26) المرجع السابق ص 345 - الفهريني : عقرون المرابية ص 135 - أ بن قنفذ : الوفيات ص 39 *

(27) المغربي أحمد : نفع الطيب ج 7 ص 248 *

(28) التنبكتي : نيل الابتهاج ص 315 *

بها عمران المشدالي الحديث والفقه والاصولين والبحر والمنطق والجهد والفرائض» (29) وقد أخذ منه يتلمسان كثير من شيوخها منهم العلامة المقرئ الجدي وغيره *

وروى المقرئ الجدي انه شهد مجلس أبي تاشفين سلطان بني زيان (718 - 737 هـ) الذي عقده لعلماء حضرته ، وكان فيمن حضره أبنا الإمام ، وعمران المشدالي ، وأبو عبد الله بن عمر والمقرئ الجدي ، وكان لا يزال في عهد الطلب ، وذكر أبو زيد ابن الإمام أن أبي انقاص مقلد لسانك ، ولم يمس إلى درجة الاجتهاد ، وخالفه عمران المشدالي في ذلك ، وادعى انه مطلق الاجتهاد واستدل على ذلك بمخالفته لملك في كثير من المسائل (30) وأخذ أبو زيد يحاجه في الموضوع ويتلمس الحجج لدهم رايه ، فوجه نظره وتدخل المقرئ على صغر سنه عن سن شيخيه المتناظرين ، وأيد وجهه نظر عمران المشدالي *

ويلاحظ التتبعي أن الاجتهاد المذهبي مرتبة واسعة تتفاوت بقوة التمكن وضعفه ، ولذلك يمكن اعتبار ابن القاسم مجتهداً بهذا المعنى وكان ابن عبد السلام التونسي يذهب إلى ما ذهب اليه عمران المشدالي من اعتبار ابن القاسم مجتهداً مذهبياً *

مؤلفاته :

ولم يكن عمران مقتنياً بالتأليف مثل شيخه ناصر الدين المشدالي وإنما كان متفرقا للتدريس والتعليم والفتوى ، ورويت عنه فتاوى ومناظرات تدل على مفراته العلمية الصامية * ومن ذلك فتياه التي أفتى بها السلطان أبا الحسن المريني حينما وجه سؤالا إلى علماء فاس وتلمسان عن حكم اتخاذ الركاب من الفضة أو الذهب ، وأجاب عمران عن المسألة وكان جوابه هو الفصل في الموضوع (31) *

ودل عمران في نشاطه التدريسي يتلمسان حتى توفي بها سنة (745 هـ) (32) *

(3) منصور بن علي المشدالي ابن علي ذريل تلمسان يد سنة (770هـ) *

وقد ولد بمشذالة حوالي سنة 720 هـ كما يقول المراج في فهرسته (33) وابن مخلوف في شجرة النور الزكية (34) ودرس على والده * وعلى ابن علي ناصر الدين المشدالي ، وعلى أبي

(29) المقرئ لصد نفع الطيب ج 7 ص 198 *

(30) التتبعي : نيل الابتهاج ص 215 *

(31) المغيلي يحيى : الدرر المكتوبة مخطوط المكتبة الوطنية ، 12 الورقة 444 *

(32) التتبعي : نيل الابتهاج ص 215 *

(33) المرجع السابق ص 345 *

(34) ابن مخلوف : شجرة النور الزكية ج 2 ص 234 *

عبد الله الزواوي وعبد المهيمن الحضرمي ، وأبي عبد الله المسغر ، وابن النجار ، ولازم هذا الأخير وإجازته ، وأخذ عن الشريف السبيعي أيضاً ، وغيره . ويقول ابن الخطيب في الإحاطة : أنه درس على منصور المشدالي أرباع ابن الحاجب ، وأخذ عن أبي حصين البجائي جملة من كتاب الماحصل ، وكتب على الماحل الدينية ، والآيات البيئات ، والجمال في المنطق للخنوجي وأخذ عن قاضي بجاية أبي عبد الله بن يوسف الزواوي ، وأبي العباس بن عمران ، وانتقل إلى تلمسان والمغرب وأخذ بهما من عبد المهيمن الحضرمي ، وأبي العباس بن يريوح والقاضي ابن اسحاق بن يحيى والشريف السبيعي وغيرهم (35) .

أما السراج تلميذ المترجم فإنه يقول فيه :

الفقيه المدرس الأصولي النحوي أبو علي منصور ، كان شيخاً فاضلاً نظاراً مشاركاً في العلوم الظلية والنقلية ، وكان حريصاً على الإفادة والاستفادة ، وقد وصفه ابن الخطيب بامتقانة الخلق وحسن العهد ، والطهارة والعفة والاقتصاد والصراحة والانقباض عن الناس والانصاف في المذاكرة ، والمثابرة على الإفادة والتواضع .

وقال في تصحيحه العلمي : أنه صدر من الصدور له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقلية والنقلية والمطالع وتقييد ، ونظر في الأصول والمنطق والكلام ودعوى في الحساب والهندسة والآلات . وكان أديباً يجيد الكتابة ويقترض الشعر (36)

وقد فكر ابن الخطيب أن المترجم قدم الاندلس عام 753 هـ ، واستقبل فيها استقبالاً حسناً ، واستقر بفرناطة مدرساً بمدرستها تحت جارية نبيلة والقي فيها دروساً في الفقه والنفسـير وغيرهما ، وبأشر الاقتناء ، ونالته محبة حين توقف في الحكم على عقيدة رجل قال من جانب الله ورسوله ، وكفرد الفقهاء وتوقف المترجم عن تكفيره فأنهم الجماعة ، واضطر إلى مغادرة الاندلس سنة 765 هـ ولعله عاد إلى المغرب الأسوط ، وانتقل في حواضره حتى ترقاه إليه بعد سنة 770 هـ . ومن تلاميذه الذين أخذوا عنه ، واستعانوا من علمه الإمام إبراهيم الشاطبي المتوفى سنة 790 هـ ويحيى السراج وغيرهما (37) .

ومن أرائه الطريفة قوله إن العالم لا يسمى عالماً حتى تتوفر فيه أربعة شروط وهي :

(35) التتبعي : نيل الإبتهاج ص 345 .

(36) المرجع السابق ص 345 .

(37) ابن خلدون يحيى : بغية الرواد ، ع القرديل ج ٤ ص 74 .

— نيل الإبتهاج ص 343 .

1) أن يكون عالما بمعرفة أصول ذلك العلم على الكمال -

2) وأن يكون قاسرا على التعبير عن ذلك العلم -

3) وأن يكون عارفا بما يلزم عنه -

4) وأن يكون قاسرا على رفع الإشكالات الواردة عليه (38) *

ولا يبعد أن يكون المترجم قد حقق هذه الشروط في كل علم كان ينتلحه ويتعدى للتدريس فيه .

4) العلامة الفقيه محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد المشدالي البجائي المتوفى سنة 866 هـ *

وقد درس المترجم ببجاية على أبيه أبي القاسم ، وشاركه في بعض شيوخه ، إلى أن بلغ درجة كبيرة في تحصيله للمعلوم الشرعية ، وكان كما يقول التنبكتي فيه : فقيه بجاية وخطيبها ومفتيها وصالحها ، ومحققها ، وكان علامة محققا نظارا مقدما على أهل عصره في الفقه وغيره (39) *

وكان المترجم مقيما ببجاية ، وكثير التردد على تونس ، وقد نال وجاهة عند السلطان العفسي بترنس ، وتولى الخطابة بالجامع الأعظم ببجاية ، ودرس فيه ، وفي غيره من المساجد ، وتولى الافتاء ببجاية ، واشتهر بين الناس بالتحصيل الواسع حتى كان يضرب به المثل فيقال : اتريد أن تكون مثل أبي عبد الله المشدالي (40) *

وقد اشتهر المترجم بالتأليف والإجابة في التصنيف والتحقيق وترك من المؤلفات التي تشهد له بالتحصيل والتحقيق ما يلي :

1) تكملة حاشية أبي مهدي هيمس الوائزفي على الدرنة في مجلد واحد ، وهي كما يقول التنبكتي = في غاية الحسن والتحقيق مثل على امامته في العلوم وقد فرغ من تأليفها سنة 836

2) - ومختصر البيان لابن رشد ، وقد رتبته على مسائل ابن الحاجب الفرعي (مقتصره) وجعله شرحا له ، بعد أن اسقط منه التكرار ورد كل مسألة إلى موضعها من الاحالات في الكتاب ،

(38) قيل الإبتهاج ص 345 - الحفناوي : تعريف الخلف ج 2 ص 570 *

(39) وأجمع في ترجمته « المسخاوي : الضوء اللامع ج 1 ص 290 التنبكتي : نيل الإبتهاج ص 314

- الزركلي : الأعلام ج 7 ص 222 - الحفناوي : تعريف الخلف ج 2 ص 305 *

(40) المسخاوي : الضوء اللامع ج 8 ص 290 *

فحاء مختصره في غاية الاتقان والتميز ، وتسرك من مسائله ما لا تعلق له أصلا بكلام ابن الحاجب وهو في أربعة أسفار ، وفي نحو 90 كراسا ويقول التنيكتي : انني وقفت على هذه الكرايس ما عدا الثاني منها *

3 - ولتحصار إبحاث ابن عرفة من مختصره المتعلقة بـسلام ابن شاس ، وابن الحاجب وشرحه مع زيادة شيء يسير في بعض المواضع لما لم يطلع عليه ابن عرفة ، وهو يقع في مجلد *

4 - وفتاوى نقلها صاحب الدرر وصاحب المعيار *

تلاميذه : أخذ عن المترجم تلاميذ كثيرون منهم والده أبو الفضل وأخوه أبو الربيع المسنوي ، وأبو مهدى عيسى بن الشاط ، وابن مرزوق اللخيف وميرهم *

وفاته : وتوفي المترجم كما يقول التنيكتي نقلا عن الوندريس في وفاته سنة (866 هـ) (42) *

أما المسنوي فإنه لم يحدد تاريخ وفاته بمناسبة معينة بل ذكر أنه توفي في بصع ومستين وتمائماته هـ *

5 - محمد بن محمد بن أبي القاسم الشذالي (899 هـ) *

وقد ذكر التنيكتي أنه درس على أبيه واشتهر بالفقه وتوفي سنة 899 هـ (42) *

6 - أبو الفضل محمد بن محمد بن أبي القاسم الشذالي العلامة الشهير (865 هـ) *

كان المترجم أحد ولدي العلامة الفقيه محمد بن أبي القاسم بن عبد الصمد الشذالي صاحب تكملة حاشية الموائش وغيرها من مؤلفاته وقد سميت ترجمته -

وقد نبه أبو الفضل ، واكتسب شهرة واسعة في المشرق والمغرب (43) *

والمترجم كما يقول السيوطي : هو أحد أنبياء العالم ، وقد درس بالمغرب على والده وغيره ثم ارتحل إلى مصر ، وأبان عن تفنن في العلوم فقها وأصولا وكلاما ونحوا وغير ذلك وأخذ عنه طلبة العصر (44) *

(41) التنيكتي : نيل الإبتهاج ص 314 *

(42) التنيكتي : نيل الإبتهاج ص 315 *

(43) ترجم له المسنوي محمد ، الضوء اللامع ج 9 ص 186 - 187 السيوطي ، نظم العقيان ص

180 - السيوطي : بغية الوعاة ص 373 - التنيكتي : نيل الإبتهاج ص 315 *

(44) السيوطي : بغية الوعاة ص 373 *

وترجم له التتكي ترجمة متوسطة ذكر فيها خلاصة ما ذكره السيوطي والمصاوي (45) *
واهم ترجمة له هي ترجمة الضوء اللامع للمصاوي وهي التي نعتد عليها للتوسع في
تفصيل أخبار أبي الفضل ، وتحليل عبقريته العلمية وقد جاء فيها أن المترجم يعرف في الشرق بأبي
الفضل ، وفي المغرب بأبي القاسم (46) *

وذكر المصاوي أنه ولد ليلة النصف من رجب سنة 821 هـ أو 822 هـ ببجاية وجرم ابن أبي
عقبة بانه ولد سنة 820 هـ ونقل المصاوي عن ألقامه أن المترجم بدأ قرائته بقراءة القرآن وعمره
خمس سنوات ، وحفظه في سنتين ونصف وقرأه بالمصباح على أبيه ، وعلى أبي عبد الله محمد بن
رفاع ، وحفظ الشاطبتين ، ورجز الخوازم في الرسم ، والكافية الشافية ، ولامية الاعمال لابن مالك ،
والتسهيل والالفة في النحو لابن مالك وأبي الحاجب الغري ، والرسالة لابن أبي زيد القيرواني
وأربعة التلمساني في الفرائض ، ونحو الزيج من مدونة سمعون ، وطرايع الانوار في أصول
الدين للبيضاوي ، ومختصر ابن الحاجب الاصل ، وجمل الخوارج في المنطق والفخرية في
العروض ، وتلخيص ابن الهيثم في الحساب ، وتلخيص المفتاح في البلاغة ودواوين الجامعيين
واقبل على التدريس والتحقيق ، ثم ارتحل إلى تلمسان أول سنة 840 هـ وعمره لا يتجاوز العشرين ،
ودرس بها على الطيفي ابن مزيق الشهير بالتفسير والحديث والفقه والاصليين والادب والمنطق
والجمل والفلسفات والطب والهندسة *

ولمّا أخذ عن أبي القاسم محمد بن سعيد العقياني الفقه واصول الدين ، وأخذ عن أبي الفضل
ابن الامام التفسير والحديث والطب والهندسة والعلوم القديمة والنسوف ، وأخذ عن أبي العباس
أحمد بن زاعي اصول الفقه والمأني والبيان ، ودرس عليه مختصر ابن الحاجب الاصل الذي كان
مرجع الناس في دراسة الاصول بتمسكان وأخذ عن أبي عبد الله محمد النجار المعروف لشدة معرفته
بالمقاييس بباطور المقاييس ، وأخذ عن أبي يعقوب يوسف بن اسماعيل الحساب والفرائض *

وأخذ عن أبي الحسن علي بن قاسم الحساب والجبر والمقابلة والهيئة وجر الاتقال وأخذ
عن أبي عبد الله محمد البوري التقاويم والمقات بأنواعه من فنون الاسطرلاب والمنافع
والجيب والهيئة والارتباطي والموسيقى والطلسمات وما شاكلها ، وعلم المرايا والمناظرة
والاوقاف وأخذ عن الطبيب العلامة أبي افشوش الطب *

(45) التتكي : نيل الإتيهاج ص 315 *

(46) الضوء اللامع ج 9 ص 180 *

وانتهى أبو الفضل من دراسته بتلمسان في أربع سنوات * وعاد إلى بجاية سنة 448 هـ وقد برح في العلوم التي درسها ببجاية سابقا ، وتلمسان ، وبرز على أقرانه وسمي بعض شيوخه فيها *

والواقع أن أبا الفضل قد درس دراسة معمّلة مما كان يقرأ بتلمسان وبجاية من الدراسات المالية ، وقائمة الكتب التي ذكرناها في ترجمته تدل على ازدهار دراسات جميع فروع المعرفة من ثقافية وعقلية ولذلك لا غرابة أن يصل أبو الفضل إلى درجة علمية تثير الإعجاب في المشرق والمغرب وقد ذكر السحراوي نقلا عن البقاعي الذي حكى عن بعض المغاربة أن الامام العلامة أبي سريوق الحفيد كان يقول : ما عرفت العلم حتى قدم على هذا الشاب « يعني أبا الفضل » فقيل له كيف ذلك ، قال لاني كنت أقول فيسلم كلامي ، فلما جاء هذا الشاب شرع ينازعني فأخذت أتحرّز * وانفتحت لي أبواب من المعارف » (47) *

ونقل القصادي البسطي = وكان زميلا لأبي الفضل في الدراسة بتلمسان - عن أبي مرزوق أنه قال في المترجم «أن عاش ليكون عالم المسلمين»

وقد اشتهر أبو الفضل بالمنافرة والجدل مع زملائه من طلبة العلامة ابن مرزوق في مجلسه وغيره ، وكان يناهسه في ذلك الشريف أحمد بن أبي يحيى *

وبعد عودته إلى بجاية انتصب للتدريس بها مدة ثم رحل عنها معاضدا لابيه ، وبغير رضا إلى تونس التي أقام بها مدة ثم وأصل سيره إلى المشرق وسار في سفينة جنوبية أرمست به في قبرص فنزل إليها ونظر لساقتها وأفصحهم ثم انتقل منها إلى بيروت ، وطوف في بلاد الشام وشاع ذكره هناك -

وحج عام 849 هـ وقصد بعد الحج إلى مصر حيث أقام بها ، ونال حفاوة عند رجال الدولة فيها ، ودرس فيها عدة فنون فبهر العقول ، وادهش الألباب *

وكانت طريقة شريسه كما يصورها السخاوي هي : أن يقرأ القارئ « بين يديه ورقة أو أكثر ثم يسرد ما تتضمنه من المسائل بأسلوب فصيح وتحليق تام ، وكان الطلبة يجوزون عن متابعتها في لججائه فلعلوا منه أن يتنازل لهم في بحثه وأسلوبه ، فقال لهم لا تتزولوني اليكم ، ودعوني أرتقيكم إلى *

وبعد مدة (حدها لهم) تسيرون إلى فهم كلامي ، وكان الأمر كما قال لهم - على ما يذكر السخاوي ، ويذكر البقاعي أنه حضر أحد دروسه بجامعة الأزهر في ذي القعدة من عام 852 هـ

لما عجب به كثير ، وقال في درسه رغم ما فيه من مخالفة : « ان من لم يحضر درسه لم يحضر العلم ولا سمع كلام العرب ، ولا رأى الناس ولا خرج الى الوجود » قال ومن سمع كلامه في العلم علم انه يخبر عن مشاهدة « وان خبره يخبر عن غيبة » وليس الخبر عن مشاهدة كالخبر عن معاينة « ثم يقول : « انني لم ار اعظم تحريكا للهمم من حاله ، ولا اشد فعلا للقلوب من مقاله » (45) -

سلوكه : ورغم ما كان عليه ابو الفضل المشدالي من عبقريه علمية ، وتحسسيل فائق فان اخلاقه لم تكن مرتقية ولا مناسبة لجلاله العلمي ، فكان كما ينكر بعض مرتجميه : كثير الترفع على اصحابه ، ولا سيما في الملا عظيم التهاون بهم ، عديم النفع لهم مداها لخصومه واعدائه -

وكانت بينه وبين ابن حجر الفتح الكبير نفرة ، ومرض ابن حجر فعالجه المشدالي وشكره على ذلك -

وقال ابن الهمام فيه : « هذا الرجل لا يتفجع بكلامه وينبغي ان لا يحضر دروسه الا حذاق العلماء » وسئل عن التسمية بينه وبين ابي القاسم النويري ، فقال جهد ابي القاسم ان يفهم عنه ، (46)

وينكر ابن الهمام انه سأل مرة عن مسألة في اخر الاصول فاجابه عنها باجوبة لا يجيب عنها غيره ولو اقام في تدوير جوابها ثلاثة اشهر -

اما السخاوي فانه رغم عدم تقديره كثيرا لابي الفضل المشدالي نظرا لما كان بينه وبين شيخه ابي حجر من نفرة فانه قال فيه : « كان ابو الفضل غاية في جودة اذنه وسرعة الادراك ، وقوة الحافظة ، الا انه كان سريع النسيان » قليل الاستحضار ، ولهذا لم يكن يتكلم في المعالي الا اندرا خوفا من الاستظهار عليه بالنقول ، واذا طالع محلا اثنى فيه بما يبرر السامع » (47) -

ومضى ما ذكره السخاوي ان المترجم كان من علماء الدراية ولم يهتم كثيرا بالرواية وحفظ النصوص ، وهذا الاتجاه الذي سار عليه ابو الفضل هو الذي كان يسير عليه ابو علي ناصر الدين المشدالي شيخ المشداليين في القرن السابع واول المشامخ -

منهج تدريسي : وهو كما يصفه البلاعي يعتمد على اعمال العقل في فهم النصوص ولم يكن يطالع من الشروح عند اعداد موعود لدرس شيئا وانما كان يعتمد على قراءة المتن وحده ، ثم يستقل على فقهه ويستغرق في تأمل حقيق فيأتي بصراخ لا ينهض بها غيره ، وانه كان يفهم ذلك في كل علم يقرأه او يقرئه ، لا يزيد على نظراته (48) -

وهذا يدل على عبقرية فذة كان يمتاز بها أبو الفضل ، وعلى نكاه خارق كان يساعده على التحليل العميق ، والاستنباط البديع ، حتى كان معاصروه يصغفونه معجبين بأنه « نادرة العصر وأعجوبة الزمان » .

تلاميذه : وقد أخذ عن المترجم صائفة مسن العلماء منهم أحمد بن زكريا يتلمسان وقد كان يأخذ عنه وهو لا يزال طالبا يحضر حلقات العلامة ابن مرزوق الحفيد وغيره .

وأخذ عنه بمكة البرهان بن ظهيرة ، وبالشام ابن قاضي عجلون ، وبالقنس الكامل بن أبي شريف وبالقاهرة الشهاب البيهقي والشمس بن الخرز وغيرهم .

وفاته : اختلف أصحاب التراجم حول تاريخ وفاة أبي الفضل ، فالمسيوطي يقول في نظم العقيان أنه توفي سنة 865 (49) .

ويقول في بنية الوعاة أنه توفي بحلب حوالي سنة 863 هـ (50) .

والمسقاوي يذكر أن وفاته كانت في عيتاب أواخر سنة 864 هـ (51) .

ونقل الفينيكسي عن المسقاوي أنه ولد في 25 رجب سنة 821 هـ وأنه توفي سنة 865 هـ ولعل هذه الرواية نقلها من بعض نسخ الضوء اللامع .

ولا يبعد أن تكون سنة وفاة أبي الفضل المذكورة هي سنة 865 هـ .

مؤلفاته : لم يترك أبو الفضل من المؤلفات الاكتايا وأجدا هو شرح جمل الفوتوس في المنطق ، وهذا غريب بالنسبة إلى رجل عبقرى مثله ، ولكن أبا الفضل على ما يبدو كان مثل شيخ مشذلة أبي علي ناصر الدين لا يميل إلى التأليف ، وإنما كان يميل إلى التدريس ونشر العلم بواسطة المتحاضرين واللقاء ولهذا لم ينشط للتأليف والتصنيف .

وكان أبو الفضل رغم تفرغه للعلوم الشرعية ، والدراسات العقلية يميل إلى الآداب ، ويتنقذ الشعر وقد رويت له مقطوعة شعرية شكا فيها من ألم الفراق ، ووحشة الأمل والأقارب لما كان يتلمسان ، وقد ذكر المسقاوي منها بيتين هما :

فتضيق أركاننا لبعوده
والدين شقق قلوبنا ببعوده

1) برق الفراق بنا يافق بعبادنا
2) كيف الفراق وقد تبتد شملنا

- المرجع السابق ج 9 ص 185
- المرجع السابق ج 9 ص 188
- المرجع السابق ج 9 ص 185
- نظم العقيان ص 160
- بنية الوعاة ص 373
- الضوء اللامع ج 9 ص 288

عبد الجبار بن حمديس الصقلي شاعر بني حمّاد

ولد ابن حمديس في سرقوسة التي تقع على الشاطئ الشرقي في جزيرة صقلية في سنة 447 هـ (1055 م) من أب عربي أزدى ، وهو أبو بكر بن محمد - وقد مات كل من أبيه وجده في سرقوسة -

ومنذ المراحل الأولى من حياته ، رأى ابن حمديس ، بعض اقاربه ، وفي مقدمتهم عمته وأبناؤها ، يهاجرون إلى الشاطئ الإفريقي - سفاقس - حيث ستقيم اليهم أخته فيما بعد وتتزوج بإحد أبناء عمته - وأما هو ، فعلى الرغم من الحاج اقاربه المستمر عليه بالانحياز بهم ، فإنه لن يستقر به المقام في هذه الديار إلا في منتصف حياته -

في سرقوسة ، إذا ، ترى الشاعر ولعم بصره بجمال هذه المدينة الخلاب وتغذى بلبان الثقافات السائدة فيها كما أغترف من مختلف منابع المعرفة التي تزخر بها جزيرة صقلية في عهودها العربية الأخيرة -

اسماعيل العربي
كاتب بزازي

وفي هذه المدينة التي لا تخرج عن النموذج التقليدي الذي نعرفه للمدن الاسلامية المهمة والتي تتعايش فيها جنباً إلى جنب الفضيلة في أسس مبادئها والرفعة في أقبص صورها ، وتقف إلى جانب المساجد ومعاد الملم ، الأديرة والشمارات ومنازل البور ، أغترف ابن حمديس من ضاحل العلماء ، ولكنه لم يبدل على نفسه بالهلل وأخذ حظ الشباب من الذات ، فكان يتردد على الأديرة التي تارى حابر السبيل وتقدم للرواد الخمور المعضلة ، وتنتج فرصا ، فلما توجد في اساكين أخرى لالوان من التسلية البريئة وغير البريئة -

وفي هذا الجو اختمرت شاعرية ابن حمديس وتفتحت عبقريته وتمتصت مواهبه ، وفي سرقة قال قصائده الأولى *

ولكن ماذا يصنع شاب يمويه الشعر في مدينة كانت مدينة صقلية الأولى ولكنها طلعت عليها بارم وأصبحت مدينة صغيرة ، بل ماذا يصنع في هذه الجزيرة التي تحيط بها من كل جانب أساطيل الروم ، التي فرضت سيدها على البحر الأبيض ، لم القام في صقلية التي أصبح مصير العرب فيها مرهونا بتطور المارك ، في الوقت الذي كانت فيه سوق الأدب رائجة في عدد من المسكن الإسلامية في المغرب والمشرق ، وفي مقدمتها إشبيلية والقلمة والمهديّة والقاهرة ؟ *

قلت ، بدون شك ، أسئلة كانت تتردد في ذهن ابن حمديس ، كما كانت تتردد في ذهن زميله أبي العرب الذي سبقه في شد الرحال إلى الأندلس *

وهما يكن من أمر ، فإن الشاعر قرر مغادرة مسقط رأسه وسافر في سنة 472 هـ ، إلى إشبيلية ، قاصداً يلاط المعتد بن عباد ، ذلك الشاعر الملك الذي طبق صيته الإفاق وأصبحت قصوره منتديات للديباج والفنائين *

ولكن أجلام الشاعر سرعان ما تصطبغ بالحقيقة العنيدة في إشبيلية حيث كان التماس على مركز الشاعر المقرب من الملك على أشدها يكون بين حاملي بضاعة الشعر والمقترفين * ومما يزيد الأمر تعقيدا أن ابن عباد نفسه شاعر حساس وإنه يقول شعرا ولو صدر مثله عن رجل الشعر صناعة واتخذ بضاعة على حد تعبير ابن بسام « لكان رائقا محضا ونادرا مستغنيا » *

وإذا ، فقد استقبل شاعرنا في الأوساط الأدبية في إشبيلية ببرود يقرب من الأعمال ، ولم ينجح حتى في الدخول في الامتحان العسير الذي سيقدر مصيره : مقابلة المعتد بن عباد * ولما أوشك شعور الخيبة أن يتحول إلى قنوط ، أراد الخروج من الأندلس * ولكنه رأى أن من الملائم ، قبل أن يقدم على هذه الخطوة ، أن يعبر عن شعور الجريح في قصيدة لأبد وأن تصل إلى الملك بطريقة أو أخرى * وفي هذه القصيدة يقول :

الفرد بالمرمات من كل عاطل تطبوق من نعمائه ثم توشح

ويضم القصيدة بقوله : « فوقع ممسكا أو مسرعا » ولكن المعتد انتبح له قبل ذلك أن يدرك منزلة الرجل بين شعرائه ويقيم قريضة ، ولذلك ، فهو لم يتأخر في إجابته بالامسك ، ثم وصله يمانية دينار ، لا بدوان الشاعر كان في أشد الحاجة إليها ليصلح أموره *

ولهم أن هذه كانت نقطة انطلاق في حياة الشاعر لمتفتح عبقريته وتكتمل موهبته الفنية كما كان قرأ الملك قاعدة لفتح أبواب المجتمع ، والمجتمع الأدبي بصفة خاصة لقبوله * فخذ الآن

وبعدما وطد قواعد وجوده المادى ، سيقفز إنتاجه ويرتفع إبداعه ، وستستغرقه الاتدلى بمباهجها وقصورها وانباتها وخماراتها ومراقصها ، وسيستغرق هو فى هذه الحياة الزاخرة بالمتناقضات والتي سيكون شعره مرآة صادقة تعكس كل جوانبها *

إن المعتمد بن عباد ، لم يحقق حلم ابن حديدى فى ذبوح الصبوت ويفرضه على بلاطه فحسب بل ونزله أيضا أسامى من المال والثروة ومكانة مرموقة فى الأوساط الأريستوقراطية *

وفى هذه الأثناء ، أخذت الوشائج التي تربطه بصقلية وبمصر رأسه ، سرقوسة انبى لم يفارقه العنين إليها طيلة مدة التي أماتها بالاندلس ، تنتطح الوليدة تلى الأخرى :

على الصعيد الوطنى ، سقطت سرقوسة نهائيا ، بعد بدم فى يد النورمان (478 هـ - 1085 م) * وهذا معناه الغربة الدائمة للشاعر - وعلى الصعيد العائلى ، فجع بموت والده الذى سيبيكه بدموع غزيرة فى شعر مؤثر ، كما احتفى لقاريه واصداؤه فى هذه الحرب الضروس ، واحدا بعد واحد *

وكم حمى التريب دونى من نوى رحمى

ومأ عقلت ليعبدى منهم أحدا

ولم يسرنى من منوالك موت أبى

وقد يلقى صوت الوالد الولدا

(من قصيدة فى مدح المعتمد)

وإزاء هذا الوضع الذى يشعر فيه بالحرمان من كل أمل فى الرجوع الى وطنه ولقاء أهله واصفاًه ، روض أشاعر نفسه لحملها على قبول اشبيلية مقراً وموطناً ثانياً ، فى ظل هذا الملك العظيم الذى جمع الى احساس الشاعر أبهة الملك وسخاء النيس *

لأنى لى يفتأ السير عن بلدى ففتى وضيت بجمى فاعده بلدا
ولكن هل يكفى قرار شاعر وتصميمه لوقف عجلة التاريخ التي تدور وتدوس بغير رحمة كل ما تلقاه فى طريقها * إن الرجل يقرر ، والاقدار تدبر !

فبعد سرقوسة ، جاء محور اشبيلية * وبعد ما فقد الشاعر وطنه وأهله ، سيبرى حاميه وولسى تعمت يفقد يدور ملكه وحريته *

(: حمص = اشبيلية - وكانت من المدن التي أطلق عليها برنامجية أسماء مدن الشام (بافوت ،

معجم البلدان 2 / 304) *

وهنا لا بد من فتح قوس لتعرض بإيجاز مصير المعتمد بن عباد ونحن نتمتع في ذلك على رواية بن خلكان (2) *

فإن أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين الذي عبر المضيق لشدة المسلمين ، وعلى رأسهم المعتمد بن عباد ، ضد المسيحيين ، والذي كان العامل الأول في النصر التاريخي الذي حققته الجيوش العربية والبربرية في معركة الزلاقة المشهورة (439 هـ - 1080 م) ، سيضع بأغرام خاص ، بعد عودته إلى المغرب الأقصى ، نحو ما شاهده من حسن بلاد الأندلس وبهجتها ... وتكرزها ، ويقرر في السنة التالية العودة إليها ، لمصاهرة حليفه السابق المعتمد بن عباد في اشبيلية . وبعد ما استولى على مملكته ، أرسل هذا الملك العاشر الحظ مقيدا بالاضلال إلى المغرب الأقصى حيث أودع المسجون في أعماق حتى مات فيها ، في سنة 88 هـ (1095 م) . وبذلك فقد ابن حمديس موطنه الجديد كما فقد الملك الذي كان يحظى برعايته وبياد له صداقة ومعية *

ولكن المصائب متى حلت لاتأتي فرادي * فإن الشاعر عند مغادرته الأندلس ، سافر على متن سفينة في البحر متجها (على الأرجح) إلى إفريقية * وفي الصريق ، غرقت السفينة التي تقله وغرقت معها جاريته (جوهرة) التي سيرتها يمدح صاخنة ، وأوشك هو على الغرق ، ولم يتخذ إلا في اللحظة الأخيرة بعد الاستمالة يرفع يده *

ما هي الشواطيء الإفريقية التي نزل فيها ؟ لا تعرف شيئا هن ذلك * وكل ما نعرفه ، هو أنه كان يتنقل بين حد من مدن الشمال الإفريقي ، بين سلا وسبتة والمهدية وبجاية (وربما القلعة أيضا) وبوطة وسفاس * بل وبين هذه الشواطيء وجزيرة ميموققة أيضا * وكذلك نعرف أنه أقام في أعماق وقتا من الزمن بجانب المعتمد بن عباد ابن سيديالده القريض ويرثيه عنه وفاته *

وفي المغرب ، اتصل ابن حمديس بأمرأ وملوك هذه البلاد ، ولكنه لم يتصل بالراباطين (3) الذين كانوا السبب الأول فيما لحق بحياته من الاضطراب *

متى بدأت علاقات ابن حمديس بيني حماد ؟ وكيف دخل إلى بلاط بجاية ؟ ذلك موضوع لا تسعنا المصادر التي بين أيدينا لاستجلائه ، ولو أننا نعرف أن سلسلة ابن حمديس بالنصوري (481 هـ - 1098 م) بن الناصر بن علناس (4) الذي خلف والده على عرش بجاية ، كانت علاقات وثيقة ، كما تشهد بذلك قصائد الشاعر التي تفيض بالحب والاعجاب بهذا الملك الذي سار على

(2) ونيات الاعيان ، (5 / 28 - 29) *

(3) مقدمة النيران ، ص 33 *

(4) راجع مقالنا في مكان آخر من هذا العدد عن الناصر بن علناس *

عبد الجبار بن حمديس الصقلي شاعر بني حماد

تهج والده ، ولا سيما فيما يتعلق بتخطيط المرافق وتشبيد المباني العظيمة والقصور الشاسعة وأنشاء الرياض والبساتين (5) . التي يشيد بها ابن حمديس في أبيات نادرة المثال في الشعر العربي في بلاعتها ورقعتها وبنقة وصفها . وقد كان من ضمن المنجزات المعمارية التي أنشأها أو تمها المنصور والقدر استرعت انتباه المؤرخين ، قصر الملك (6) وقصر القنار ، وقصر الكوكب ، وقصر السلام (7) في القلعة ، كما بني في بجاية قصر اميرون ، وقصر اللؤلؤة ، وقصر النجم . أين تقع قصور بجاية الحمادية ؟ لا نستطيع أن نجزم بشيء في ذلك أيضا - ولكنه يبدو أن قصر النجم ، كان يقيم على الربرة التي بتوحيها حصن برال الحالي والذي كان يدعى حصن مرمي . ونحن نعرف أن بيدرو نافارو ، الغازي الإسباني الذي تغلب على سبور المدينة الحمادي وخيخ رقعتها حتى يتمكن من الدفاع عنها بقواته الصغيرة نسبيا ، هو الذي أقام هذا الحصن ، وبالتالي ، فإن المرجح أن يكون هو الذي هدم القصر (8) .

وهذا القصر ، على كل حال ، هو الذي يصفه ابن حمديس الصقلي حين يقول ، موجها الخطاب للمنصور بن الناصر بن علناس (9) :

قصورا بناء من السعادة بان
وسما يقتنه على الإيوان
وبنت اليه شواهد البرهان
وعملت عن كمبرى أنو شروان
عن وصفه في الحصن والإحسان
فغننى العيون بشدة اللعنان
الأ بمعراج من الحظان
شرف المكان وقبرة الامكان
محفوظة بالسروح والريسان
فكانتبا خلقت من أثيران

أعلست بين النجم والديران
فصنع الخورنق والسدير حصنه
فاذا تفلست الى مراثي ملكه
أو جيت للمنصور سائقة العلى
قصور يقصر ، وهو غير مقصر
وكانتبه من ليرة شغافه
لا يرتقى السراقى الى شرفاته
عرج بارض الناصرية كي ترى
في جنبه غنشاء فردوسية
وتولدت بالخمر من دارنجه

(5) المين ، 6 / 275 .

(6) ليس من شك في أن هذا القصر هو الذي يسميه بعض المؤرخين ، قصر الخليفة .

(7) ورد في العبر مصرفا باسم قصر الشام .

(8) راجع مجلة الثقافة - « بجاية عاصمة بني حماد الثانية » ، العدد 18 سنة 1973 ، ص 31 .

(9) الديوان ، القصيدة 314 .

وكانهن كبريات تبرز أحمر
إن فاضح الأبرج قال له : أزدجر
لي قصة المحبوب حين يشعني
متى المصباح حين يبسط كله
والماء منه سبائك فضية
وكانما سيف هناك مشطوب
كم شاخص فيه يطيل تعجيبا
عجبا لها تسقى الرياض بناجعا
خسعت بظائره على فتر لها
فمن الطيور الخاضعات بلاغة
فاذا اتيج لها الكلام تكلمت
وكان صانعها استبد بصنعة
أولت على حوش لها فكانها
فكانها قلنت حلاوة ماها
وزأفة في الجوف من أنبويها
مركزة كالرمح حيث ترى له
وكانها ترمي السماء ببندق
لو عاد ذلك الماء نفضا أخرقت
في بركة قامت على حافاتها
تزعّت الي ظلم النفوس نفوسها
وكان يرد الماء منها مطلقا
وكانما الحيات من الفواها
وكانما الحيات إذ لم تحشها
كم مجلس يجري السور مسابقا
يجلو دماء على الخنود ملاحه
فسماءه في سمكها علوية

ويقول ابن حديد في وصف قصر آخر ، وهو قصر الملك (٢٥) ما يلي :

جعلت مصالحتها من القضبان
حتى تصور طلائع الإيمان
عليها ، ولون الصب حين يراني
فبتان كل خريدة كينائي
ذابت على درجات شائوران
القه يوم الحرب كف جيان
من دوحه ثبنت من العقبان
نبتت من الثمرات والأصنان
حسنت فافرد حسنها من فان
ولصاحبة من منطق وبيان
يخرب ماء دائم الهملان
فخر الجماء بها على الحيوان
منها ألى العجب العجائب روائى
شهدا فذاقته بكل لسان
ماء يريك الجرى في الطيران
من طعنة الحلق انصاف سنان
مستتب من أولى وجمان
في الجومنة قبض كل عنان
أسد تذل لمصره السلطان
فلذلك انتزع من الإبدان
نارا مضمرمة من العدوان
يطرحن أنفسهن في العدوان
أخذت من المتصور عقد أمان
منه فيقول اللهو في ميدان
فكانه المصراپ من حصدان
وقايه فكيسة البتيان

(٣٥) الديوان : القصيدة رقم 349 *

واعمر بقصر الملك ثاديك الذى
قصر لو انه قد كحلت بنوره
واشتق من معنى الحياة تسيمة
تسمى الصبيح مع المليح ينكسره
ولو ان بالالوان قويل حسنه
اعيت مصانمه على الفرس الاولى
ومضت على الروم الدهور وما بنوا
انكرتنا الفريوس حين اريتنا
فالمحسنون تزيدوا اعمالهم
والذنبون هموا الصراط وكفرت
فك من الافلاك الا انه
ابصرته فرايت ابدع منظر
وظننت انى حاله فى جنة
واذا المولائد قمت ابوابه
عصفت على حلقا هن ضراغم
فكانها كبرت لتصهر عندها
تجرى الخواطر مطلقا اعنة
يمرغم السامحات تحسب انه
ومحصب بالدر تحسب قربه
يستخلف الاصباح منه اذا انقضى
وضراغم سكنت عرين رئاسة
فكانما غشى النضار جسيمها
اسد كان سكونها متحرك
وتكررت فتكاتها فكانما
وتخالها والشمس تجلو لونها
فكانما سلت سيوف جدول
وكانما شمع التسييم لائه
وبنيمة الثمرات تجر لهما
شجرية ذهبيية تزعت الى

اضى بمجدهك بيته معمورا
اعنى لعماد الى المقام بصيرا
فيكاد يحدث للعظام نشورا
وسما ففراق شورتقا وسيرا
ما كان شىء عنده منكورا
رفصوا البناء واحكموا التديرا
للوكم له شبيها ونظيرا
غرقا رفعت بناءها وقصورا
ورجسوا بذلك جنبه وحيرا
حسناتهم للذنوبهم تكفيرا
حقر الببور فاطلع المنصورا
ثم اثنت بنظرى محسورا
لما رايت الملك فيه كيبيرا
جعلت ترحب بالعفاة صريرا
فقشرت بها اقوامها تكشيرا
من لم يكن بدخولها مامورا
فيه فتكبر عن مداء قصورا
فرش لها وتوشح الكافورا
مسكا تضوع نشره وعيريرا
صبجا على غسق الظلام منيرا
تركبت خير الماء فيه زليورا
واذاب فى اقوامها البلورا
فى النفس لو وجدت هناك مثيرا
اقصت على انبارها لفتورا
نارا والسنا اللولمس نسورا
ذابت بلا نار فعدت تسيرا
درعا قدر سردها تقديرا
عيناي بصر عجائب مسجورا
سحر يؤثر فى النهى تالسييرا

قنصت لهم من الفضاء طيوراً
أن تستقل بنهبها وتطيرا
ماء كسلسال اللجين ثميرا
جعلت تغرد بالياه صفيرا
لانت فارسيل خطبها مجرورا
فوق الزبرجد لؤلؤا مثورا
جعلت لها زهر النجوم ثقورا
بالنقش بين شكوله لتظفيرا
فلك النهود من الحسان صنورا
شمس ترد الطرف عنه حميرا
أبصرت روضا في السماء نظيرا
حامت لتبني في ذراه وكورا
فارتك كل طريدة تمسورا
مشقوا بها التزيين والتشجيرا
بالخط في ورق السماء سطور
تركوا مكان وشاحها مقصورا
له ملك السماء على العداة نصيرا
واستوجبت للقصورك التأخير
منها وبمرت العدا تدمير

قد صولجت أغصانها فكانما
وكانما قابسى لواقع طيرها
من كل واقعة ترى متقارها
خوس تعد من الصباح فان شئت
وكانما في كل قصص فضة
وتريك في الصبريج موقع قطرها
ضحكت مجاسنه اليك كأنما
ومصفيح الإسواب تيرا نظفروا
تبدو مسامير النضار كما علت
خلعت عليه غلاتلا ورسية
وإذا نظرت الى غرائب سقفه
وصيبت من خطاف عسجده التي
وضعت به صناعة أقلامها
وكانما للشمس فيه لقية
وكانما للآزود مخرم
وكانما وثمسوا عليه مسلاة
يا مالك الأرض الذي أضحي
كم من قصور للملوك تقيمت
قصرتها وملكت كل رياسة

ومن أجمل قصائد ابن جندب : قصيدة مدح بها المنصور وينكر فيها خصوصا حلمه وكرمه
ويشيد بعظمته وقوته (IX) القصيدة طويلة ونكتفي باقتباس الأبيات التالية منها :

أم عقيق فوقه در نظم
أم ينجيم الأفق شيطان رجم
أم على الكافور بالمسك ختم
صار في أعين صور لم تتم
نحره الإشقر في القيم الإجم

اصدام عن حباب تبسم
أعلى الهم بعنا كاسنا
انضلام لضياع طبع
الدى في الزهر أم ماء الهوى
اعنود الصبح في القهب أم

من سواد القار في قمص ظلم
جين (12) يتتا وسرورا النفس أم
ويد المتصور مفتاح الكرم
يدىء الجسد به ثم ختم
وهلال وسحاب وعلم
واذا عاقب في الله انتقم
عادة ، اسبح باليدل النعم
واذا ما عبس الدهر بسم
قريت من عنده صارت ختم
شفة يمتشي اليه لا قدم
مصعب الصرب اذا هم اعتزم
حمي الروح وشب المقطم
صرب للهدم تصريف القم
بلهام للأعداء ملتهم
ويعد الظهور بالتقمع عثم
تكلم الحساد منها بالكم
حاولوا تحصيلها فهي حكم
أسم في المدح من بعد أسم
أيضا ببيانته لا ينهدم

وكان الشمس في تاجودها
قاص للروح أخفا والمسررا
فهي مفتاح اللذات لنا
حل قصير المجيد منه ملك
يحتفي في الدسست منه أسد
يترك النقمة في جانبته
واذا قال : نعم ، وهي له
واذا ما يضل الغيم سخيا
تنتهي العادات عزرا فاذا
يذعر الجبار منه فعلى
فالق الهام اذا كرسطا
كلما اوطأ حريا سبكا
واذا حياوله في طعن الكلي
يطأ الهام التي فلقها
يرجع الليل نهار بالظبا
وعروس لك أهديتها
في تقاصير من السمر اذا
يشرب الأمثال فيها يكس
اسكنت ذكرك حكما خالدا

وكتبه مدح ابن حمديس عنده من بني حمدون الذين قرأوا الوزارة بقيادة الجيش في دولة
بني حماد ، وفي مقدمتهم ميمون بن حمدون ومطرف وعلى ، والجسر بالفكر أن آخر تسمية قالها
الشاعر كانت في رثاء على ، وهذا قد يتفق دليلا لترجيح رواية وفاته في بجاية (13) ، وفي هذه
القصيدة (14) يقول :

وقال لحسن الصبر : بين الحشائم
كما قل عن حروب الظلي حد مخم
الى دار أخرى من غني ومعبد

رمى الموت في عين التصير بالدم
على القائد الأعلى الذي قل عزمه
أوى ومن الدنيا ينقل أهلها

(12) الزراجين : جمع زرجون وهو قنصيب العنكب *

(13) هذا أحد القرائن ، وهو الأرجح ، والقرن الآخر ، أنه مات ودفن في جزيرة ما بوفرة *

(14) الكويران : القصيدة 301 *

على حفظ أسرار الجلال المكتم
على أنها في القرب كالكبد للمكتم
ولا نافذات الطعنين من كل لهدم
ياقدم يحمي حماه ويصتمي
تحدث عن أبطال عاد وجرحهم
ترفع منه همه التكلم
وكم عمرت من يأسه بالتقدم
رأت منه في الإقسام سين تبسم
إلى حفرة في جوف لحد مستم
يقفل جناح بين شبراء مظلم
وليد أتى عمران شيخ التقدم
يافضال ذي فضل ولتعام منعم
لما زال في هذا الجبابر المعظم
وان كنت لم ترد سلام المسلم
فمن عاظم منهم ومن متعلم
فوارسهم في الحرب من كل ضيقهم
عن الحق ما يشقى به كل مسلم
لحكم قضاء في الجرايا محكم
وقد كان لا يرقى إليه مسلم
وايمانكم فيهما نوات تختم
جبال حلوم بل طوالع انجم
وشعلل الإغادي منه غير منظم

وخان أمين الملك فيما انطوى له
لما دلفعت عنه جتسود جلوده
ولم يفن عنها الضرب من كل مرهف
بايدي كساة منهم كل مقسوم
ويقبل في خضفاضة فارسية
علي بن حميدون الذي كان حمده
جلت منه يوم الروح كل كتيبة
مضى تعيس الهيجا له في لقائيه
لنقل من سرح النكمي يحقته
فظللت منه في توحش غربة
وار ضمعي تدمي أنسى فكانتي
ومما أيت عن جدواه الا مشيعا
فيا سيدا زناء حيا وميتا
تسود تسليمك عليك محبة
ومرسية ابنائها فقهاؤها
ضراغم في الجيش اللهبام وانما
وان كان في نصر الشريعة مشرعا
أرى قائد القواد اعطى مقاده
واسلم للمنتف المنقر نفسه
وانتم سيوف للسيف مولضيا
عزاء جميل في (المصاب) فانكم
فسدام لكم في العز شمل منظم

تلك لحظة قصيرة من حياة ابن حمديس الصقلي وثبته من شعره والثغاة إلى سلته بيتي حماد
الذين عاش في قصورهم وخالف طوكهم وصادق وزراءهم وقوادهم * والحديث عن بجاية لأحياء
تكرها ونكرى مؤسسيها ، لا يمكن أن يتم إذا اعملنا الإشارة إلى شاعرنا الأول . فان شعر ابن
حمديس الذي كان ينزل على مسامح الملوك والأمراء في قصورهم ، لا بد وأن تكون جبال الناصرية
ومضاهبا قد ردتته أحيالا طويلة بمدهم *



بجاية

من أئرشيف

”بجاية“

١ - جيسة الشمسور :

ولد الشاعر عبد الكريم في 18 مارس عام 1918 ببلدة بروج العدير ، ثانوية بروج بوسريج ولاية سطيف وتوفي في 13 ماي 1999 بمدينة تويرة .

بعد دراسته الابتدائية في سطيف راسه حيث تعلم القرآن عن أبيه الحاج المسعود كما أخذ بعض الدروس عن الشيخ موسى الاحمدى ثم انتقل الى قسنطينة وبقى فيها حوالى ثلاث سنوات (1933 - 1936) ثم لجأ خلالها عن الشيخ عبد الحميد بن باديس وبمساعدة فليسة تولى حيث تعلم في جامع الزيتونة ، واذى حصوله على شهادة التتصيل عاد الى الجزائر الشمسور (الفعاسة) واشتغل عندما مدة 15 سنة ونتيجة لجرأه في الدروس التي كان يلقنها على التواليفين في جامع لادروت (الرائدة حاليا) أراد المستعمرون التفتلص منه ، فكان أن اخذوه من بيته وسألوه الى السجن ثم قتلوه .

للشاعر الأرحوم قصائد عديدة نشر منها عددا لا بأس به في جريدة البصائر الأسبوعية .

ملاحظة :

هذه المعلومات استقيتها من أمهات ومن بعض الأساتذة الذين عاصروه .

٢ - قصيدة بجاية :

نظم هذه القصيدة بمناسبة زيارته لها مع بعض رفاقه وأصدقاءه الى الاستلا الأدب حمز بوكوشة الذي انتج قصوده الأدبية بما قيل في وصف بجاية . ونشرها في العدد 295 السنة السابعة من السلسلة الثانية من جريدة البصائر وسأله هذا العدد بتاريخ يوم الجمعة 7 ربيع الثاني 1374 هـ الموافق لـ 3 ديسمبر 1954 م والقصيدة مضممة الى ثلاث طبعات للقصائد الأولى من منها يشتمل على 11 بيتا والأخرى على 14 بيتا وبذلك يكون المجموع 34 بيتا .

شعر المرحوم
عبد الكريم العلقون

بجاية ١٠٠

« بجاية » نبع العلا والعظم
 أتيتك تهدي بي الذكريات
 أغر جميل البروى خالدا
 مائر شاخصة للعيسان
 تبعت لعيني على الفضا
 يمانها من رقيق القمام
 وعزمها من دواي الجبال
 . تومنت السلف في عزة
 ومن بينها قد بدأ ساخرا
 « وملاية » ملقى الأسد من
 بها دفن الثلج جيش العدا

« بجاية » كم شاعر مبدع
 وهام « بواديك » مستلهمسا
 بجنا هائما بين تلك الربا
 تدفق لهفان في نسوة
 عمل شغفه غصون الكروم
 غدا يتدفق في مسره
 وقد انمت الغاب في لهفة
 واسرع للبحر في وكفه
 دنيا نحوه خاشعا مفرقا

ومثوى جدوى هدأة الأمام
 لأمس مجيد تحدى العمام
 يلوح لنا كالكنا في الظلم
 مدى الدهر بقي ولا تنعم
 ملامح من عزها المنصرم
 وشاح موثى به تلتئم
 كل رفيع الندى والقمم
 يطوقها كل طود اشقم
 « قرابة » من كل خطب السم
 رجال العروبة اهل اللهم
 وفاق صنوف السردى والأكم

تغنى بصنك عسلب الكلم
 خريرا كترتيل شعير نظم
 ينفذ أحراجها من أمم
 طوى السهل في مسرة فزدهم
 تداعبه في حفيف النسم
 حدثه الطيسور بأحل النقم
 يهدمه نغم مشجج
 يصفح منه الجباب الحضم
 ليظلي شوقا به يضطرم

وعانقه البحر جم الخصال
فاجب به منظروا وانما
هنا قد ذكرت اليهود التي
هنا كان « حماد » ذا صولة
هنا كان « حماد » في عزة
هنا كان « حماد » يهوى الملا
قد اكسر التثنية من نبيها
« احباد » عصرت دهرها في
فكم من « اساتذة » قد علوا
وكانوا مصاييح وهاجرة
وكم من « فتاة » كبر الدجى
بلت آية العصر في عصرها
وتحمو ابهالة عن امة
وقلت بارحانها سامعها
فقلت - وفي كبرى كسوة
فهلى عاثرهم شاهدا

عناق اخ لاح قد قلم
يكاوى الكلوم ويشفى السقم
بها كان « حماد » ثيت الاجم
بني مجده بالقتا والقلم
ينافع عن غيله من ظلم
ويبنى المعاهد مثل العلم
علوما تج كمزن الديهم
وغيثا به كل يد اتم
قوافل في غيب مد لهم
بهم يهتلى في ليل القلم
ثيت المعلوم بها والحكم
تعد « شباب » الملا والشيم
فكانت لابنائها خير ام
اراجع عهدا في كمالهم
لادفع بها بصلتي جنم - :
بأى الخلود ومعنى القلم

الجزائر

عبد الكريم المقون

عناصر الزخرفة اكتشفت في قلعة بني حاد .





العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر

في عصر
بني حماد

ما هو الأساس المادي لحضارة بني حماد ؟ ومن أين جاءت المملكة تلك الموارد التي أتاحت لقصور القلعة التي خلفت القيروان ، ولقصور بجاية التي حلت محل القلعة والمدينة ، ذلك اليدخ والترف الذي لم تعرف له مثيلا سوى قصور بغداد وغرناطة ؟ القاعدة المادية لحضارة بني حماد هي وفرة الانتاج الزراعي وزدهان الصناعة والتجارة ، ولا سيما تجارة القوافل التي تحمل العبيد والذهب ، عبر الصحراء ، من بلاد السودان *

اسماعيل العربي
كاتب جرائدي

1 - الزراعة :

تشكل المعونات الغنية المتوفرة لجنيثا (وهي مستقاة كلها تقريبا من الجغرافيين العرب) على أن اقتصاد مملكة بني حماد كان يقوم أساسيا على الزراعة ، وأما الصناعة والملاحة وصيد السمك فقد كانت قطاعات ثانوية - والانتاج الزراعي الرئيس في المغرب الارمسط في عهد بني حماد ، هو الحبوب وخصوصها القمح والشعير (2) الذي كان يشكل الانتاج الامم في المناطق الريفية المختلفة - حيث يمثل الغذاء الشعبي الاساسي *

وقد كانت توجد قسنطينة وسهل المسيلة وسطيف وميلنة ، كما هي الحال الآن ، تعد البلد بكميات كبيرة من انتاج القمح - ولكن زراعة القنرة والحمص والفول والقطن كانت منتشرة أيضا في ذلك العهد في هذه المناطق وفي مناطق أخرى *

(2) G. Mareau. La Berbérie Musulmane, P. 177-178

ومنذ أقدم العصور ، كانت غابات الخليل تغطي المناطق التي تمتد جغوب قسطنطينة حتى بوسكرة وطولجة - وكان تمر هذه المنطقة يتمتع بشهرة خاصة ولا سيما النوع الذي كان يصرف بالمكسبا ، أو الصيحاتي ، والنوع الذي يسمى بالملياري ، (أبيض المس) * وقد كان عبيد اللسه الخيشي يأمر عماله بمنع بيعه وبارمال ما تُنتجه المنطقة منه إلى قصوره (2) *

وعلى الرغم من أن منطقة بوسكرة قد عرفت أيضا بما فيها من غابات الزيتون ، فإن منطقة يلاذ القبائل هي التي يصلح فيها الزيتون أكثر من غيرها . وكان لكل قرية فيها معاصرهما التي تصير الزيتون وتحمله إلى زيت بالطريقة التي ورثتها أفريقية من الرومان ولا تزال متبعة إلى الآن . وقد اشتهرت منطقة بجاية خصوصا بإنتاج التين الذي يجفف ويصدر إلى الخارج (3) *

والتين هو الإنتاج الذي اشتهرت به أيضا منطقة تنس ومرسى البجاج (4) * وفي مجال إنتاج الفواكه ، ضمنت تنس وشرشال والمسيلة بمكانة خاصة ، ولا سيما فيما يتعلق بإنتاج السفرجل ، كما اشتهرت نقاوس وتسمة بوقرة ما تشجه من الجوز الطيب الذي يصدر منها إلى الخارج *

وكذلك اشتهرت كل من جيجل والمسيلة ومرسى الخرز في عهد بني حماد بكثرة ما يتوفر فيها من السمك وبجودة أنواعه * والشريف الأيوبي يقدم إلينا معلومات قيمة عن السمك الذي يصعد في نهر المسيلة (سهر) والذي تباح كميات كبيرة منه في القلعة (4) *

وكذلك يتحدث ابن حوقل الذي زار مرسى الخرز عن إنتاج هذه المدينة من السمك قائلا أنه وافي فيها ما لم ير « أسمن منه ولا أمتع جانبا في أي بلد آخر من بلدان العالم (5) » *

ولكن الطريقة المثلى فيما يبدو للتعرف على إنتاج مختلف مناطق المملكة هي أن نستعرض مراكز السمران الكبرى المشهورة (فيما عدا العراصم) ونقدم المعلومات التي نقلها إلينا الجغرافيون والمؤرخون العرب الذين عاشوا في عصر بني حماد ، أو بعده أو قبله بقليل *

ولهذه الغاية نقدم فيما يلي قائمة تشتمل على اثنتي عشرة مدينة (ما عدا المراسم التي وضعنا لها قائمة خاصة) كانت أهم مدن بني حماد الداخلية من الناحية الممرانية ، والاقتصادية *

(2) البكري ، ص 32 *

(3) الأديسي ، ص 90 *

(4) نفس المصدر ، ص 73 * وابن حوقل ص 51 - 52 *

(4) نفس المصدر ، ص 98 *

(5) ابن حوقل ، ص 50 *

ومسئدة هذا العرض من سجماسمة التي كانت تابعة لبني حماد في العهد الاول من الناحية الشكالية ولم أنها كانت تتمتع باستقلال اداري واسع * متجهين الى الشرق حتى تبسة التي تقع غير بعيد من حدود المملكة الحقيقية في الشرق *

سجماسمة :

كانت مدينة سجماسمة (ثاقيلالت حاليا) التي بناها بني مدرار (204 هـ) مركزا هنيئا للتجارة عبر الصحراء ، وتقعن في المناطق المجاورة لها قبائل مسوفة الرحل - من سنهاجة * ولكن هذه المدينة التي كان لها اثنا عشر بابا ، كانت ايضا محاطة بارض زراعية فادرة المثال في الصحراء اشتهرت بكثرة النخيل والاعناب ومختلف انواع الفواكه *

وتقع سجماسمة على نهر عظيم وهو نهر زيز الذي ينحدر من موضع يسمى اكلف * وقد بنيت عليه خزانات وتفرع عنه قنوات ، مما سمح بتوفير الري لمنطقة واسعة * ويقول ابن حوقل ان هذا النهر يفيض في الصيف ، كما يفيض نهر النيل فيزرع بمائه حسيما يزرع قلاحو مصر *

وقد اشتهرت منطقة سجماسمة خصوصا بنظام غريب لزراعة الحنطة لا تعرف له مثيلا * فان الادريسي يروي ان السكان يزرعون الحنطة سنة ويحصدون تلك البثرة سبع سنوات متوالية * ولكن الحنطة التي تنبت من غير بشر تتغير تدريجيا حتى تتخذ شكلا بين الحنطة والشعير * وهذا الانتاج هو الذي يسمونه بالبربرية « يردن تيزواو » * وحسب هذه المنطقة سبب انكسر لخيد الطعم *

وهذه المظاهرة تعرض لنكرها كل من ابن حوقل والادريسي دون ان يقسم اي منهما تعليلا لها * ولكن البكري الذي يقول ان البثرة الواحدة يحصد منها ثلاثة اعوام (فقط) ، يفسر ذلك بقوله ان البلد مفرط احمر شديد القيط * فاذا ييس زرعهم تذاثر عند الحصاد ومسط في شقوق الارض * فاذا كان العام الثاني حارث فلا يذر * وكذلك في العام الثالث *

وكانت تمتد في اراضي سجماسمة غابات كثيفة من النخيل الذي ينتج انواعا مختلفة من اللتمر وكذلك تنتج ارض المدينة غلات من القطن والكمون والكرويا والحناء التي تصدر من سجماسمة الى مختلف بلاد المغرب وغيرها (6) *

(6) قارن الاستبصار ، ص 202 - 204 والبكري ص 151 - والادريسي ، ص 60 - 61 ، ومعجم البلدان 3 / 45 ، ومراصد الاطلاع 2 / 14 ، وابن حوقل ص 65 ، والمقهي 231 ، وابن سمييد المغربي (كتاب الجغرافيا) 324 واليعقوبي (وصف افريقية) ، ص 17 - 18 *

تلمسان :

تلمسان مدينة قديمة وفيها آثار تدل على أنها كانت مدينة مهمة في العصور الفايضة . وتقع المدينة سفح جبل يذكر الكتاب أن أكثر شجره الجوز . وقد وصفها اليعاقبة بـ « المدينة العظيمة » وقال أن عليها سوراً من حجارة وخنفه سور آخر من حجارة ، وفيها خلج عظيم وقصور ومنازل مشيدة : وحول هذه المدينة قوم من البربر يقال لهم مكناسة .

والمدينة فيما يقول صاحب مرآصد الاطلاع « مدينتان أحدهما القديمة والاخرى حديثة اختلطتا للملثون (المرابطون) » .

وفي جنوب المدينة « يمر نهر سطيف الذي ينصب في بركة كبيرة من الصخر ثم يخرج من تلك الصخور فيسقى سهولاً ومزارع واسعة وينصب في نهر تافنا ، الذي ينصب بنوره في البحر الأبيض ، عند أرشعول » .

ويقول ابن حوقل في وصفها « فيها مدينة لطيفة قديمة ولها أنهار جارية وعليها أرحبه وفراكه كثيرة ، وزرعها سقى وغلاتها عظيمة ومزارعها كثيرة » .

وقد كانت تلمسان في عهد بني حماد واحدة من قواعد المغرب الأوسط الرئيسية كما كانت في معظم الاوقات تمثل أقصى ثغور المملكة في الغرب . ولم تستزل تلمسان داراً للعلماء والحنثين وحمله الرأي على مذهب ملك بن أنس رضي الله عنه .

وعلى عكس بجاية والقلعة ، احتلكت تلمسان مكانتها في القرن اسابع الهجري . يسلم وعزنتها حينما أصبحت قاعدة بني عيد أبواد من زنانة . وقد تعرض ابن سعيد المغربي لوصف بعض جرائب اقتصاد تلمسان في هذه الفترة من حياتها ، فقال : « ومنها تحمل ثياب الصوف المفصلة على جنسها المصنوع في سائر بلاد المغرب » وتعمل منها أجمل الخيل والسرور وما يتبع ذلك . والاندلسيون يقولون كانوا من مدن الاندلس ، لها بها وبماتيتها وكثرة صناعاتها . وعلى الرغم من أن الكتاب لا يتعرضون لذكر صناعة الجلد في تلمسان في عهد بني حماد ، فإن من الممكن الاعتقاد بأن هذه الصناعة كانت معروفة في ذلك الوقت (7) .

(7) قازن الاستبصار ، ص 176 ، واليكري ، ص 76 - 77 ، والادريسي ص 8 ، ومعجم البلدان 87 / 1 ، ومرآصد الاطلاع ، 19 / 1 وابن سعيد المغربي (كتاب اسجرافيا) ، ص 140 ، وأعلام ، ص 61 - 62 .

تِهَرت (تاهرت) :

كانت تِهَرت عاصمة الدولة الرشمية وقد بناها مؤسس هذه الدولة الذي كان على رأس الابضية في منتصف القرن الثاني الهجري ... وكانت تعرف بتِهَرت الجديدة ، أو السفلى ، تميزا لها عن تِهَرت القديمة ، أو العليا ، التي تبعد عنها بنحو خمسة أميال ، وقد ازدهرت حضارة تِهَرت في القرنين الثاني والثالث الهجري ، وكانت لها شهرة علمية واسعة في مختلف أطراف العالم الاسلامي حتى سميت يمرق المغرب *

وحول هذه المدينة تقع مدينة تيارت الحالية على مسافة نحو 5 كيلو مترات منها *

وقد لعبت تِهَرت (كما تسمى أيضا) دورا كبيرا في عهد بني حماد حين كانت لها قيمة استراتيجية خاصة ، باعتبارها من الثغور التي تفصل منهاجة وزانة - وكذلك كانت هدفا لعمليات عسكرية قام بها زيري بن عطية الذي هزم جيوش القيروان ههنا *

والمدينة القديمة تقع على سفح جبل يسمى جزول ، وعلى نهر ياتيها من جهة القبلة يسمى مينة ونهر آخر ياتي من ميون يسمى تانتش * ومن هذا النهر تروى اراضي تِهَرت وبساتينها الكثيرة التي وصفها الهمري بأن فيها جميع الثمار ، وسفجلها يفرق سفجل الافاق حسنا وطعما وخمعا وسفجلها يسمى بالفارس *

ويقول الانريسي أن في اراضي تِهَرت مزارع وضياع جمة اشتهرت بتربية البقر والغنم وخصيصا بانتاج البرائق والخيل ، ويضيف أن المدينة ومضيقها وفيرة الفسل والسمن (8) *

مِلَانَة :

مدينة قديمة تشرف من الشرق والجنوب على وادي شلف بناها الروم وجدها زيري بن -

مستاد *

وتقع مِلَانَة في سفح جبل زكار الغروي على ارتفاع 720 مترا فوق سطح البحر ، والجبل تغطيه غابة كثيفة وتنزل منه مياه غزيرة - وقد وصف صاحب الاستبصار منطقة مِلَانَة قائلا أنها من اخصب بلاد افريقية واخصها اسعارا - وهي ذات بساتين تنتج جميع اشواغ الفواكه - والمدينة تشرف على فحوص واسعة وقرى كثيرة عامرة ومزارع واسعة - ويطلق ثلث الفحوص نهر شلف ، وهو نهر كبير مشهور *

(8) قارن ، مرصد الاطلاع 7 / 960 ، ونجم البلدان 92 : 43 و الاستبصار ، ص 178 ، والانريسي 87 ، والمقدسي ، ص 338 ، والبيكري ، ص 66 - 67 *

وقال البكري أنها مدينة « ذات اشجار وأنهار تملحن عليها الأرجاء وهي عامرة »
ولما تحدث الشريف الانريسي عن مليانة ، قال انها حصنة البقعة كريمة المزارع وتقع على نهر
يسقى أكثر مزارعها وحدائقها وجناتها ولها أرجاء على نهرها *
ومليانة تقع غير بعيدة من الشير * وبين المدينتين تقع قرية كزناية ذات المزارع الواسعة ، وقرية
ريفة ذات العيون الفياضة والأراضي الزراعية الواسعة وابساتين التي تنتج كثيراً من الفولake .
وهي أيضا موق كان سكان المنطقة يقصدونها يوم الجمعة (9) *

المسيلة :

تقع المسيلة التي أسست في عهد أبي القاسم عبيد الله سنة 323 على نهر سهر * وقد تولى
بناؤها علي بن حمعون بن سماك بن مسعود بن منصور الحروف يابن الاندلسي * والبلدية في بساط
من الأرض كان عليها سوران بينهما جمول ماء جار يستفيد بالمدينة * وكان للمدينة أسواق
وحمامات وحولها بساتين كثيرة وكانت سهورن امسيلة مشهورة خصوصاً بانتاج القطن والقمح
والشعير والفواكه وتربية الحيوانات * ولا سيما البقر والفنم والضيل ومن هنا كثرة اللحوم فيها
ورخص أسعارها في عهد بني حماد * ولكن الحمضية ، كما تسمى أيضا * كانت تثير باعجاب
زوارها وتفخر خصوصاً بنوح من السمك الصغير المزين بخطوط حمراء والذي يقل الانريسي
انه لم يد في بلاد الأرض المعروفة منك على صفته * وهذا السمك الذي لا يتجاوز طوله الشبر *
كان يصطاد بكثرة وينقل الى قلعة بني حماد حيث كان يزين مولد الملوك والأمراء * والمسيلة
لا تبعد على القلعة الا بميل واحد (10) *

طينة :

عاصمة كسيلة التي اغتنتها موسى بن نصير ومدينة الزاب العظمى (11) كما يسميها اليعقوبي
وكانت طينة في عهد هذا المؤرخ مأهولة بأخلاق من العرب والعجم والروم والبربر * وقد وصفها

(9) قارن البكري ، ص 61 ، والانريسي ، ص 85 ، والامتيصار ، ص 180 ، وابن حوقل ، ص 64 ،
ومراصد الاطلاع ، ص 3 / 147 *
(10) قارن البكري ، ص 39 ، 61 ، وابن حوقل ، ص 60 ، والانريسي ، ص 86 ، وابن سعيد المغربي
(كتاب الجغرافيا) ، ص 126 *
(11) الزاب اسم لانهار بالعراق ، منها الزاب الاعلى (بين الموصل واربيل) والزاب الاصغر ،
وكذلك يطلق اسم الزاب على المنطقة التي تقع فيها يسكرة وطولقة وتوزر وقفصة وغيرها كما يطلق
اسم الزاب على نهر كان يجري بين سجلماسة وتلمسان (راجع مراصد الاطلاع ، 2 / 653) *

ابكرى بانها مدينة عظيمة كثيرة انبياء واليساتين والزرع والقطن والحنطة والكتان وغير ذلك من الحبوب * وكذلك كانت باقية طينة تلك ثروة عظيمة من البقر والغنم *

على ان المدينة عرفت عهدا من الاتساع والضيق في عهد ابن حوقل فتحوّلت « عزتها الى مثلة » واصبح أهلها « مشردين مطرحين بكل واحد » وكان ذلك بسبب الفتن والطماعين بين مختلف سكانها *

ولكن مدينة طينة استعادت مكانتها السابقة في عهد بني حماد وكان بها قيسر وأرباض ودخل القصر جامع وسهرج كبير يقع فيه نهرها ومنه تسقى بساتينها * حسيما يقول البكري *

وكان بالمدينة أسواق كثيرة ، وليس من القريوان الى سجلماسة مدينة أكبر منها *

ينتسب الى طينة من العلماء علي بن منصور الطنبي ، الذي روى عن محمد بن مخارق وأبو محمد القاسم بن علي بن معاوية بن الوليد الطنبي الشاعر وأبو مروان عبد الملك بن زيادة الطنبي الشاعر القوي الذي عاش بالأندلس *

والمدينة تقع على نهر اسمه بيطام ، تسقى به جميع بساتينها وقصورها * وكان يحلوا لاهل المدينة ان يرددوا قولهم « بيطام بيت الطعام » لخصب أرضها وجودة زرعها *

وقد استمرت للمدينة تقوم بمرور عاصمة الزاب وتتمتع برخائتها في عهد الشريف الأيرسي الذي وصفها بانها « مدينة عظيمة من جميع النواحي » *

وكانت طينة تنقسم بجميع الخصائص التي تميز المدن الإسلامية الثانوية « مركزا تجاريا مهما وتلوى كثيرا من الصناعات المعروفة في العصور الوسطى » *

وفي مجال الزراعة ، اشتهرت طينة بقسط واسع من المنتجات ، في مقدمتها القطن واللحمة والشعير والكتان ومختلف انواع الفولكه (12) *

مسطيف :

كانت مسطيف مدينة كبيرة حسنة وجامعة متصلة مطامة بكثير من قرى كتامة ، ويصفها البكري بانها مدينة كبيرة جليلة جامعة كثيرة الاسواق رخيصة الاسعار وهذا الوصف

(12) قارن البكري ، ص 50 ، ومجم البلدان 3 / 515 * والأندلسي ، ص 93 ، والأستيسار ، ص 172 وابن حوقل ، ص 59 ، واليعقوبي ، ص 11 *

يشبه ما ذكره صاحب الاستبصار الذي بنوه بفزارة مياهها وسعة يسانياتها ووفرة الفواكه والثمار فيها (23) *

يسكرة (أو يسكرة) :

مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون ومختلف الثمار ، وكانت في عهد بني حماد مسورة عليها خندق وبها مساجد كثيرة وحمامات وحولها يساتين كثيرة ، وهي في غابة من النخيل تمتد على ستة أميال وكانت حول يسكرة أرياض تقع خارج الخندق المذكور ، وكانت تقيم حولها قبائل من البربر من أهلها سدراثة وبنو معراوة التيجن كان على رأسهم بيت يشي خزرجن وبنو يزمتي ، ويشي غابة يسكرة نهر كبير ينحدر من جبل أوراس ، يسقى يسانياتها ونخيلها *

وكتلك يشيد الكوري خصوصا بأبار يسكرة بكثيرة والمنبة المياه (24) *

نقاوس Nidivus القنينة :

مدينة جميلة كثيرة الأنهار والثمار * وقد اشتهرت أرضها-خصوصا بوفرة ما تنتجه من الجوز واللوز والعنب والقطن والحبوب * وكان جور نقاوس في عهد بني حماد ، يعمل إلى القلعة ومجاية حيث يشتد الإقبال عليه في قصور الملوك والأمراء (25) *

قسنطينة :

تقع قسنطينة الهواء ، كما يسميها القماماء ، على قمة كتلة صخرية هائلة العلو تضرب من ثلاث جهات على هامة وعلى وادي الرمال الذي تبدو مياهه من المغينة وكأنها ثمان يسير ملتويا ، بينما تتمثل جهتها الرابعة بالأرض *

وقسنطينة مدينة قديمة أسسها الغينيقيون، وكانت تتمثل في البداية اسم مدنته (أي المغينة أو القرية) -

وفي عهد الرومان ، تحصن فيها الزعيم الوطني ماسيناس الذي حاول الاستقلال بالمغرب الأوسط ولكنه فشل ، وبعد ما حاربها البربر في ثورات دامية ، قام الامبرطور قسطنطين البيزنطي بإعادة بنائها اثر احتلال لبيزنطيين لها ومنذ ذلك التاريخ والمدينة تحمل اسمه *

(23) قارن الاستبصار ، ص 206 والبكري 76 ، والأندلسي ، ص 98 ، وابن حوقل ، ص 68 ، البلدان 3 / 99 *

(24) قارن الاستبصار ، ص 273 ، السكري ص 53 ، معجم البلدان 2 / 625 وابن حوقل ص 68 ، والقنسي ، ص 230 والأندلسي ، ص 94 *

(25) قارن الأندلسي ، ص 93 والبكري ، ص 50 والاستبصار ص 78 وابن حوقل ، ص 66 والقنسي ، ص 230 *

وفي العصر الحمادي ، كانت قسنطينة تقوم بدور « عسكري ولكنها لم تكن لها قيمة سياسية تذكر » وقد وصفها البكري بأنها « ليس يعرف أحصن منها » (والمدينة التي تسكنها قبائل متفرقة عن كتامة ، تقع « على ثلاثة أنهار عظام تجري فيها السمـن »

وكانت في قسنطينة أسواق عامرة وتجارة رابحة ، وقد وصف الإدريسي مكانها بأنهم « مياصير نوى مال وأحوال »

وقد اشتهرت قسنطينة منذ القدم بطمايرها التي كانت تستعمل لاختبار الحنطة ، وبعضها متقور في المسخر وكانت المنطقة تقيم في هذه الطماير ، حسب ما يذكر الإدريسي ، مائة عام ولا تقصد لبرودتها واعتدال هوائها .

وفيما يتعلق بالإنتاج الزراعي ، اشتهرت قسنطينة خصوصا بوفرة العسل والسمن الذي كان يصدر منها إلى مختلف الاقطار (26) .

باغايا :

كانت باغايا في عهد بني حماد ، وقيلهم ، مدينة مهمة من الناحية العسكرية والسياسية والاقتصادية معا . وهي مدينة قديمة وحصن ميني بالصخر وريش يحيط به سور تعلد فيه الأسواق . وفي ريشها فنادق المدينة وحماماتها والمدينة تقع على نهر يأتيها من القبلة يزودها بمياه الشرب ويسقى بساتينها وأرضها الزراعية الواسعة التي اشتهرت خصوصا بإنتاج الحنطة والشعير .

وأما القبائل التي تسكن فمحص باغايا ، فاهمها مزاته وضريرة ، وكلتاها باغاية . وكذلك كان سكان المدينة كنهم في عهد بني حماد على مذهب الاياضية .

وقد تعرضت باغايا لأهوال الصروب عدة مرات ولكنها كانت دائما تنهض من كيوته . حتى وحل اليها بني هلال الذين قضوا على صلالة براديهي بحيث تضاملت حيراتها في عصر الإدريسي لذي يقول عنها : « أن كل ما فيها الآن قليل » (27) .

(26) قارن البكري ، ص 63 والاستقصار ، ص 265 و الإدريسي ، ص 64 ومعجم البلدان 4 / 98 ومراسد الاطلاع 3 / 423 وابن سعيد المغربي (كتاب أسجرافيا) ، ص 243 .
(27) قارن الإدريسي ص 103 ، والبكري ص 244 — 245 ومعجم البلدان 1 / 473 مراسد الاطلاع 3 / 54 والمقدمي ص 227 وابن حوقل ص 59 .

تيسسه « أو تيسسا » :

مدينة قديمة كبيرة مبنية بالصخر وفيها آثار قديمة يقول صاحب الاستبصار انه لا يوجد في افريقية اعظم من آثارها باستثناء قرطجنة * ويصف هذا المؤرخ بنيان ملعب فيها بقوله « انك لو غرست الايرة بين حجرين من احجار البنايا ما وجدت لها مثلاً » * والجدير بالذكر ان صاحب الاستبصار قد زار تيسسة واخذ منها تذكراً (طلسم) ويعتبر وصفه لآثار تيسسة أدق وصعب لهذه الآثار التي اندثرت وغفت خلال القرون التالية *

وقد يتعلق بالانتاج الزراعي فقد اشتهرت تيسسة ، خصوصاً ، بكثرة الفواكه ولا سيما الجوز الذي يضرب المثل بجلالته وكبره وطيبه حسب تعبير البكري (18) *

2 - الصناعة والحياض :

كانت صناعة القزل والنسيج صناعة قديمة متكاملة في مملكة بني حماد * وكانت اهم المواد المستعملة في هذه الصناعة التي تمارسها النساء عادة هي الصوف والقطن الذي تنتجه حقول لسيطة وتقاروس وطيبة بكثرة ، والكثبان الذي كانت زراعته منتشرة في منطقة بونه * وكان انتاج صناعة القطن رائجا بحيث اشتق من هذه المادة اسم للتجار الذين يتعاملون فيها (القطنان) *

وأما صناعة نسيج الحرير فيبدو انها كانت تمارس في نطاق مطود في المغرب الأوسط ، حيث ان هذه الصناعة قد تركزت خصوصا في القيروان وقاس *

وكانت منسوجات القلعة تتمتع بشهرة خاصة في المغرب والمشرق ، اشداد بها ياقوت الحموي في معجم ابلدان حين يقول : « وبها الاكسية القلعية للصنيفة النسيج الحسنة المطرزة بالذهب * ولصوفها من النعومة والنعيم » بحيث ينزل يميزه الأبرسيم » *

وقد تعرض صاحب الاستبصار لصناعة العمامة التي اشتهر بها ملوك صنهاجة ، فقال انهم يطرزونها بالذهب ويغالون في اثمانها بحيث تسامى العمامة 500 و 600 دينار ، وأزيد - وكافوا يعمونها بقتان وكانها قيجان (19) - بل ان تصميم العمامة انما يقوم به صناع متخصصون في ذلك ، ويتقاضون على عمامة واحدة دينارين وأزيد * وكانت لهم قوالب من حديد في حوانينهم

18 قارن الاستبصار ، ص 162 ، والبكري ص 145 والابريسي ص 119 ، وابن حوقل ، ص 58 ومعجم البلدان ، 4 / 502 ، ومراسد الاطلاع 3 / 83 *

19 معجم البلدان ، 4 / 163 - 164 *
الاستبصار ، ص 137 *

يسمونها «الرؤس» ويمسحون عليها تلك العماثم* وإلى جانب الصناعات الغذائية التقليدية ، مثل هصر انزيتون وطحن المقيق ، عرفت مملكة بني حماد صناعة السفن في بونه وبجاية ، حيث يتوفر الخشب والسمك الذي يستعمل للحم الخشب ، وصناعة الجاد والديباغة التي يبدو أنها كانت مزدهرة في القلعة .

كانوا يستعملون الجلد المنق بالذهب ، خصوصا في صناعة المسروج وتجنيد الكتب وصناعة التجليد التي كانت معروفة في افريقية منذ عهد الاعابية ، بلغت شأوا بعيدا في أواخر عهد بني زيرو في امريقية والعرب الأوسط .

ونحن نعرف ان صناعة الورق (الكاهن) الذي كان يصنع من الكتان ، قد انتشرت في عهد الاغالبة خصوصا في القيروان وتونس وأن هذه الصناعة قد نسبت وترعرعت في عهد الزييريين وانتشرت من افريقية الى صقلية وإيطاليا اسبانية (20) ويبدو أن من البديهي أن نفترض أنها كانت منتشرة في ولايات بني حماد ، ولا سيما في عهد بجاية .

وقد عرفت صناعة الفخار والخزف تقعا كبيرا خصوصا في مدينة القلعة وبجاية ، كما تشهد بذلك القطع التي اكتشفت في آثار المدينتين والتي يستفظ بها متحف الجزائر* واللون القلبي في خزاف هذه البقايا هو اللون البني والاحمر* وأما اللون الاصفر فقيل بالظهور ، بينما لا يظهر الازرق الا في القطع التي يعود تاريخها الى فترات متأخرة نسبيا (21) .

وأما المعاجم ، فإن الجغرافيين العرب يذكرون منها عددا ، وكانت تستخرج منها مختلف المعادن ، فقد كانت مجاعة تسمى أيضا مجاعة المعادن ، حيث كانت أهم مركز لاستخراج الحديد ، وإلى جاسب معدن الحديد ، ينسك البلاندي وأبن حوقل ، وجود معدن للفضة غير بعيد من مجاعة (22) التي تجلب من جهتها أيضا ، احجار المطاسن* .

(20) أرجع روجي امريس الذي ينقل عن المرحوم حسن حسيني عبد الوهاب

La Berbérie Orientale sous les Zirides, II/637
G. Marcus et L. Fournet, Objets Kairouanais, Notes et Documents, XI, Fasc. 1, Tunis, 1948.

(21) أرجع تفاصيل في

(22) تجدر الإشارة الى أن الامريسي وصاحب الاستبصار ، وكلاهما كان يكتب بعد الفتح الهلالي لا يذكر شيئا عن معادن مجاعة ، وإنما يقتصر على ذكر احجار المطاسن . وهنا يمكن أن نشأت من إذا كانت قبائل بني هلال قد وضعت حدا لنشاط هذه المعاجم ، كما وضعت حدا لاختلاف ألوان النشاط الاقتصادي في البلد .

وبعد هذين الكائنين ، بقرن من الزمن ، يشير البكري هو الآخر الى وجود عدد من المعادن في منطقة مجانة اذ يقول : « وبها معادن كثيرة » منها معدن فضه بلواته يسمى الوريطسي ، وتعرف بمجانة المعادن » (23) *

وكذلك يذكر الادريسي معادن الحديد الموجودة في عهده في الارس ، ويونه ، ويجاية ، والتي كانت بدون شك تستعمل في عهد بني حماد ، بينما يتعرض البكري لذكر منجم للحديد وارتيق في الجبل الذي يقع غير بعيد من ارزاو (ارزير) ، وفيما يتعلق بالذهب ، فقد ذكر كل من البيعقوي (24) والاصطخري (25) والعمسي (26) وجود منجم له قريبا من سجلماسة . ويقول الاصطخري انه « لا يعرف معدن للذهب اوسع ذهباً منه ولا اصفى منه » . بل ان الحمسي والبيعقوي « يتحدثان عن معادن الفضة والذهب » *

على ان البكري الذي سجل ملاحظات مستعينة عن سجلماسة لم يذكر وجود اثر للمناجم الذهب والفضة في منطقها *

ولكن هذا الجغرافي اكبر يستغرب من جهة اخرى لكثرة وجود الذهب في سجلماسة « بحيث يتبايعونه وزنا لامدا (27) وربما رأى البعض في هذه الانشابة ذاتها تأكيدا للروايات التي أوردها اسلافه والتي تقول بوجود مناجم الذهب والفضة في سجلماسة » *

ولكن الشريف الادريسي الذي جاء بعد البكري ، واذى خصص فقرة مهمة في كتابه لوصف سجلماسة (28) لا يذكر هو الآخر وجود منجم للفضة او الذهب قرب سجلماسة * وكذلك نجد ان ابن سعيد المغربي الذي كان يكتب بعد الادريسي بحوالي قرن ، لا يشير الى وجود اي معدن في سجلماسة (29) *

والفرض الذي يتبادر الى الذهن ، هو ان تكون مناجم المعادن الثمينة في سجلماسة قدس تقلت في عهد بني حماد * ولكنه نظرا لانقطاع الطرق الشرقية التي كانت تسلكها القوافل الى المغرب الاوسط ، تحول طريق الذهب الذي يستخرج في بلاد السودان ، واصبح يمر بسجلماسة *

(23) البكري ، ص 145 *

(24) كتاب البلدان ، ص 17 - 18 *

(25) الاصطخري ، ص 39 *

(26) الحمسي ، ص 232 *

(27) البكري ، ص 134 *

(28) الادريسي ، ص 60 *

(29) ابن سعيد (كتاب الجغرافيا) ، ص 124 *

ومن هناك ينقل إلى المغرب الأوسط في ظروف صعبة ، نتيجة لاضطراب الأمن ومن هنا وجود الذهب بكثرة في عهد البكرى ، ولكن انفتاح طرق القوافل الشرقية من جديد ، وعودة الأحوال إلى محارها المادي باستقرار البدو الهلاليين في عهد الأريسي جعل سجلماسة مدينة كغيرها من المدن حيث لم تعد تنتج الذهب ، ولا تقوم بدور الوسيط (الترانزيت) في مروره .

وعلى كل حال ، فإن أهمية مناجم سجلماسة نظرية ، حيث أن هذه المدينة استلخت من ملك بني حماد في وقت مبكر نسبيا ، بعد ما استولى عليها المرابطون في عهد بولكين بن محمد بن حماد في سنة 453 ، وأصبحت العلاقات التي تربطها بالمغرب الأقصى والاندلس ، أقوى من علاقاتها مع ولايات بني حماد في الشرق .

التجارة الخارجية :

كانت في مملكة بني حماد (أي على الأقل في الامتداد الذي حددناه لهذه المملكة على الشواطئ) نيف وستة وعشرون مرسى - ومجم هذه المراسي تقابلها مرامسى على ساحل الاندلس ، أي في جرد اليليار ، مما يجعل الملاحة بين الشاطئين تسيير في خط مستقيم - وكثرة المراسي وتقارب المسافات بينهما في المملكة يدل دالة واضحة على قوة تيار التبادل التجاري بين المملكة وبر الاندلس - ولكن المملكة كانت تتاجر أيضا مع شواطئ إيطاليا .

فعلى الرغم من الغارات التي كانت تقوم بها السفن العربية من يون والمهنية وبجاية ، على المدن الإيطالية وشواطئها يبرزت في شرق البحر الأبيض المتوسط ، وعلى الرغم من أن كثيرا من المدن الإيطالية البحرية مثل البندقية ، وباري ، وسلون ، ومالط ، ونابلي ، كانت تابعة لاسميا لسلطان بيزنطة ، فإن شيئا من ذلك لم يجعل من قيام علاقات تجارية وثيقة مع المدن والموانئ الإسلامية في المغرب في أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر .

والى جانب هذين التيارين التجاريين ، كانت مملكة بني حماد ترتبط بالشرق من طريق طرابلس ، وبالسودان ، وما نسميه الآن بأفريقية العربية ، عن طريق سجلماسة ، بعدد من طرق القوافل التي تنقل إلى المغرب الأوسط منتجات تلك البلدان وتورد مملكة البشائر التي تنتجها وتصدرها مختلف مدن المملكة - وقد كانت القلعة حتى عهد المنصور بن الناصر بن غلباس ، قبل أن يقطع العرب طرق المواصلات إليها ، المركز للتجارة الرئيسي الذي تشد إليه الرحال وتتصدده اقوافل من مختلف أنحاء العالم الإسلامي . ولكنه لما تحول بنو حماد عنها واتخذوا بجاية عاصمة لهم ، ركزوا على تنمية التجارة البحرية ، مما سمح للبلد بتجنب الاختناق الاقتصادي ، بعد ما أصبحت طرق اقوافل مهجورة .

وتحدث نحد ملاحظات هنا وهناك ، فيما كتبه الشريف الإدريسي ، والبكري ، عن تيارات التبادل التجاري في هذا العصر ، بين تونس وبجاية ومليلة وسبتة وطنجة ومسند الشراطي³⁰ الأروبية ، كما تظهر آثار هذا التبادل في بعض الوثائق الغربية التي وصلت إلينا (30) - وكلها تشير إلى أنه ، على الرغم من الحروب الداخلية والخارجية التي كانت المملكة تخوضها بين الحين والحين ، فإن التبادل التجاري مع الخارج ، ولا سيما مع الاندلس كان قويا ، ومرجع ذلك ، أن المملكة قد جمعت كثيرا مما تسميه اليوم بالاحتياطي ، ولا سيما من الذهب ، وقد كان ذلك نتيجة لما عرفته خلال فترات طويلة من الاستقرار ، وخصوصا لهجرة رؤوس الأموال إلى القلعة ، عقب تخريب القيروان وحقن العرب الهلاليين لشرايين الحياة الاقتصادية في إفريقية .

وهذه الظاهرة هي التي اتاحت للملكة فترة جديدة امتارت بحياة اليثخ التي عرفت بها بجاية وبعض المدن الشاطئية في وقت يعانى فيه الإنتاج الزراعى وطرق المواصلات الداخلية كثيرا من الاضطراب والتخريب .

كانت حاجات المغرب الأوسط بصفة عامة إلى مختلف انسواع اشخب اذى يستعمل لادوات الطبخ والنسيج والبنائيات وثأثيت المنازل ولصناعة السفن حاجات كبيرة - وأما غابات البلد (وتحس لا تعرف منها سوى تلك التي تمتد في جنوب وهران وغابة الزان التي تقع قريبا من بونة ، وغابة جبال القبائل الصغرى) ، فهي اقل من أن تفى بمختلف الاغراض ، ولا سيما اذا اغتبرنا المسافات البعيدة التي تفصل بينها وبين مراكز العمران . وفى نفس الوقت ، كانت أرض البندقية تغطيها مساحات شامعة من الغابات - ولذلك كانت البندقية تمد المغرب بالخشب اسام والالواح والخشب المنسوج .

(30) اعتمدنا في تحرير هذه الفقرة على الملاحظات التي أوردها ما كل من البكري ، والإدريسي ، والمقدسي ، وصاحب معجم البلدان ، وعلى الوثائق والمعلومات التي وصلت إلينا عن طريق بعض الكتاب الأوروبيين ، وفي مقدمتهم :
De Mas Latrie

ولنفس المؤلف Aperçu des relations commerciales de l'Italie Septentrionale avec l'Algérie au Moyen-Age
Traité de paix et de commerce *
Histoire du commerce entre le Levant et l'Europe T. I

والمعلم والباحث
Memoir Lombard, l'Islam dans sa premiere grandeurs
R. H. Idris, la Berbérie Orientale sous les Zirides, T. II وكذلك

L. Golvin et A. Louis, Etude technique et sociale, sur l'artisanat tunisien, Bulletin de l'Institut des Belles Lettres Arabes, Tunis, 1946.

وكذلك كانت صناعة الدروع والخوذات والحرايب مزدهرة في النوميديا ، وفي ألمانيا وكان الأمراء يعتمدون في تسليح جيوشهم بهذه الأسلحة ، بل وبالمسيوف أيضا ، إلى حد كبير ، على هذين البلدين وقد كانت تجارة الأسلحة في العصور الوسطى بين الغرب والشرق ، كما هي الحال الآن مجالا واسعا للمضاربات ، لأن ما كان يصل منها إلى البلاد الإسلامية كان يصل عن طريق التهريب والتدعي لقرار اباطرة بيزنطة والكنيسة الذي يحرم تصدير المواد الاستراتيجية إلى هذه البلاد ، التي من بينها المغرب .

وإذا استثنينا منجم الذهب وبحث الإشارة إليه في بعض كتب الجغرافيين العرب في منطقة سجلماسة ، كما أسلفنا ، فمن لا تعرف منجم المعادن الثمينة في أراضي مملكة بني حماد ، ولتأمين المشتغلين بصناعة الحلوى وبيوت ضرب سكة النبل في بجاية وتونس ، كان لا بد من الاعتماد على ما يرد إليها من أوروبا . وكان ملوك إفريقية قد جروا على منح تخفيض كبير في الثغرة الجمركية على المعادن الثمينة تشجيعا لاستيرادها . وكان ما يرد منها إلى قصور الأمراء لاستهلاكهم الخصوصي ، أو لبيوت ضرب السكة ، يعني كلية من الضرائب الجمركية .

والى جانب المعادن الخام ، كانت تستوجب من إيطاليا أسلاك الحديد والأوراق النحاسية والأواني المصنوعة من مختلف المعادن . وكذلك كانت قصور الملوك والطبقة الثرية تستورد من أوروبا الأحجار الكريمة ، والعقيق ، والياقوت ، والمرجان المصنوع ، ومختلف أنواع المجوهرات .

وأما عقاقير الهند ، مثل جوز الطيب والقرنفل والراوند والزنجبيل والقرصة وغيرها ، فقد كانت تصل إلى المغرب عن ثلاث طرق مختلفة - أولا ، من الموانئ الأروبية حيث كانت تسويد معثريعات للقناطر الهندية وتمملها السفن الأروبية إلى موانئ المغرب وثانيا عن طريق الإسكندرية وغيرها من الموانئ الشرقية - ومن هناك تصلها السفن المصرية والأروبية ، وثالثا عن طريق مصر التي تصلها عبرها القوافل من مصر ، مرة بطرابلس والقبرون ، إلى القلعة وتلمسان وغيرها من المدن الداخلية . وهذه أيضا هي الحالة فيما يتعلق بالروائح العطرية والبخور ، مثل البان والعود الجاوي والمسك والعنبر وغيرها .

وقد كان المغرب الأوسط أجيالا مركزا لتجارة مرور (الترافزيت) العبيد ، فمن جهة ، كانت أوروبا الوسطى والشرقية وأرض الصقالية تقع بالفلمان والجوارى الذين يسوقهم النخاسون من إسبانيا إلى المغرب ، حيث يوزعون بضاعتهم البشرية ويحملون تسما منها إلى مصر وغيرها من بلاد الشرق ، بينما يبيعون الباقي ممليا .

ومن جهة أخرى ، كانت الأراضي التي يطلق عليها بلاد السودان (أي جنوب المغرب) تعد قصور المغرب ومصر بالعبيد السود والفضيان وهذا عدا من يقع في الأمر في الحرب وما يصيبه السفن المغيرة على الشواطئ الأروبية .

وأما الاتفاقيات التي عقدت بين المغاربة والمسيحيين والتي تنص على منع بيع الأسرى وتوجب إعادتهم إلى بلادهم بمجرد ما تعرف جنسياتهم فهي إنما عقدت في القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري) ولم يكن مصمونها معروفا في عهد بني حماد .

وفي مقابل المنتجات التي يثقلها المغرب ، كانت هذه البلاد تصدر كثيرا من الخيول العربية والبربرية والسكك المقدد والجلود المدبوغة والمصبوغة والمواد التي تستعمل للديباغة ، مثل القشور المعروفة بالقشور الجبائية . ونحن نعرف الشهرة الواسعة التي كان يتمتع بها الجلد المغربي المصبوغ في أوروبا في العصور الوسطى ، وأن أوروبا لم تعرف صناعة أنواع من الجلد إلا في القرن الرابع عشر الميلادي .

ولقد كانت صناعة الجلود في فاس وتلمسان وبجاية وتونس وطرابلس تشمل جلود عدد من الحيوانات ، مثل البقر والغنم والماعز والفيل والجمال وهذا يدل أيضا على وفرة هذه الحيوانات في المغرب .

ووفرة مادة الشمع في إفريقيا الشمالية خصوصا ، والمغرب الأوسط خصوصا شيء معروف منذ العصور القديمة . ولقد كانت بلاد المغرب الأقصى والمغرب الأوسط وإفريقية ، ولا سيما مدينة يوتنة ومدينة بجاية ، هي التي تمد أوروبا في العصور الوسطى بكثير من هذه المادة لعدد حاجاتها . ويكفي أن نذكر أن بجاية هي التي منحت اسمها الفرنسي لشمعة الاستحمام Bougie لكي نذكر إلى أية درجة كانت أوروبا تعتمد على هذا البلد للحصول على الشمع للاستضاءة ولتفسير ذلك من الأندلس .

ولما زيد الزيتون الذي لا يزال إلى اليوم من أهم عناصر الثروة المغربية فقد كان كذلك منذ عهد الرومان . وكان زيت مراكش وبلاد الفناشيل الصغيرى (منطقة بجاية) وتونس وقابس وصفاقس وجزيرة جربة وطرابلس ، يتمتع بشهرة واسعة في العصور الوسطى كما هي الحال اليوم .

وكذلك كانت إفريقيا الشمالية ، والمغرب الأوسط بصفة خاصة تحتفظ في العصور الوسطى بالمكانة التي كانت لها في عهد الرومان حينما كانت تسمى « هري روما » فيما يتعلق بانتاج الفخ والحجر وغيرهما من الحبوب . والوثائق التي بين أيدينا لا تسمح لنا بمعرفة ما كانت

تصدره مملكة بني حماد إلى أوروبا وشواطئ الاندلس من زيت الزيتون والحبوب - ولكن الاتفاقيات التجارية التي عقدت بين حكام المغرب والبنديين والجنوبيين في أوائل القرن الثالث عشر ، لا تدع مجالاً للشك في أهمية التجارة في هذه المواد بين هذه البلاد وشواطئ أوروبا *

وكان التمر والقسطق واللوز والتين المجفف من أجود ما تنتجه افريقية الشمالية ويحمل إلى أوروبا ، والزبيب الجيد الذي كان يحصل من بجاية وبوالة لا يزال يحتفظ باسمه العربي في اللغة الإيطالية إلى اليوم *

وقد كانت زراعة القطن كثيرة الانتشار في افريقية الشمالية منذ القرن العاشر الميلادي * وكانت مناطق المسيلة وبسكرة ومستغانم مشهورة بجرده أنواع القطن التي تنتجها * وكذلك كان القطن يزرع في طينة وأرض الزاب *

وقد ظل القطن يعتبر من المحصولات الرئيسية في المغرب حتى القرن السادس عشر حينما كان البنديون يستوردون من بلاد البربر ، ولا سيما من هسيران ، كميات كبيرة * وكذلك كانت بجاية وجزيرة جربة تصدر كل منهما كميات كبيرة من الصوف إلى فرنسا وإيطاليا مما يدل على أهمية تربية المواشي في المنطقتين *

ويذكر ابن حوقل أن الرصاص والحديد كانا يصدران في القرن العاشر باستمرار إلى الشرق العربي من المغرب *

وكان ريش النعام والرجان الذي يستخرج من تس وخصوصا من مرمى الفخر ، مما يحمل إلى ليبيا وإلى شواطئ البحر الأحمر والمحيط الهندي بكميات واسعة *

3 - التلصايط البصري والرماسي :

كانت الشواطئ المغربية حملة تسميا ولا مستخدم إلا بصورة عرضية حتى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجري - قرن البربر ، على عكس سكان بقية شواطئ البحر الأبيض المتوسط كانوا متمسكين باليايسة ولا يتمولوا عنها إلا عند الضرورة القصوى *

وهذه الظاهرة تبرز غريبة ، خصوصا إذا تذكرنا أن معظم الغزاة والفاتحين لبلاد البربر إنما جاءوا إليها عن طريق البحر * وقد كان المتوقع أن يتخذ هذا الشعب عدته يتحصين الشواطئ وبناء السفن واكتساب المهارة في فن الملاحة البحرية التي تمكنه من حماية هذه الشواطئ ومن لدفاع عن بلده بكفاءة *

ولكنه بدلا من ذلك ، فقد اختار البربر أمهل الأمور ، وفضلوا الاعتماد عن الشواطئ وتركها للغزاة ليمتصروا بالجيال حيث يبتون قرى على قممها لا سبيل للغزاة إليها ولا فائدة من إخضاعها . ولما وصل العرب إلى المغرب لم يبقوا ميلا أكبر من ميرا البربر إلى استغلال الامكانيات التي تتوفر عليها شواطئ هذه البلاد .

وكذلك نجد أن عقبة بن نافع لما فتح إفريقية جعل مقر الولاية في القيروان وليس في ترنس التي كانت مع ذلك مركزا بحريا في عهد الفتيقيين . وكذلك ساروا على أعمال الشواطئ لما امتد سلطانهم إلى المغرب الأقصى .

وفي المغرب الأقصى ، فضل الإدارة إقامة عاصمتهم ، فاس في داخل البلاد ، بعيدا عن المحيط الأطلسي ، ولم تحفل مينة ومليلة وطنجة مكانة في البلاد ، إلا لأنها كانت تستقبل السفن الآتية من الأندلس وتقلع منها السفن الموجهة إلى تلك البلاد ، عن طريق مضيق جبل طارق .

وكذلك نرى أن جميع المدن التي ازدهرت وكانت مراكز للعمران والحضارة في الصصور الوسطى (قبل بجاية) ، مثل تيفرت ، وصيقلامة ، واشير ، والقلة ، وتلمسان ، وطبنة ، كانت كلها مدنا داخلية بعيدة عن البحر ، على أن إفريقية شهدت اهتماما بالمنشآت البحرية منذ عهد الأغالبة . فإن معظم الجزر المقابلة لشواطئ إفريقية ، مثل صقلية ، إنما قُتحت بقوات بحرية قامت من هذه الشواطئ .

ولما استقر الأمر للمعبيين في إفريقية ، كان من جملة الأعمال الأساسية التي قاموا بها بناء المهدية التي تقع بعيدا عن القيروان والتي مستصحب من أهم موانئ البحر الأبيض المتوسط تحت خلفاء المهدي وفي عهد بني زيري .

ولكن المعز لدين الله المعبيدي ، اضطرب معه ، حينما غادر إفريقية إلى مصر ، معظم قطع الأسطول الفاطمي . وهذا الأسطول كان مهما ، حيث قيل أنه يتكون مما يناهز 600 قسعة (31) وقد زادت أهمية الأسطول الزيري حينما تركز موقع المهدية البحري وأصبحت عاصمة إفريقية . وكان الأسطول وسيلة لتنمية التجارة ولحماية شواطئ المملكة من الغزاة المسيحية ، وخصوصا لواجهة أسطول التورمانديين الذي كانت خطورته تزداد مع مرور الزمن .

ويخبرنا ابن الأثير أن التورمانديين خرجوا في سنة 426 (1025) في جمسح كبير وملكو تورية (Touareg) المجاورة لصقلية وهدروا في بناء المساكن يفتخرون مراكبهم وجموعهم . ولما بلغ ذلك المعز بن باديس ، جهر أسطولاً كبيراً يتكون من أربعين قسعة حشد فيها خلقاً كثيراً من

(31) راجع روجي ادريس وراجحة في المصدر المذكور. Le Barbare Orientale sous les Zirides, II/236-38.

المتطوعين للجهاد ومن الجند المرتزقة * فسار الاسطول (في كانون الثاني) في اتجاههم ولما اقترب من جزيرة قوصره ، غير بعيد من الشواطئ الافريقية ، هبت على الاسطول الزيرى ريح عاصفة * فهاج البحر وغرقت أكثر قطع الاسطول ولم ينج الا اليسير منها (32) *

ونحن نعرف ان المسيحيين كانوا يعملون على قدم وساق منذ أواخر القرن التاسع الميلادي لبناء قوات بحرية لتتفقد في طريق القوافل البحرية الاسلامية التي كانت تقوم بشن غارات جريئة على المدن الواقعة على ساحل البحر الابيض * وكانت لايطاليا في هذا المجال قضية السبق حيث كان لها بحارون مخربون على مسالك البحار وكانت صناعة السفن ذات أهمية كبرى في النشاط الاقتصادي القومي *

ولكن خطر الاساطيل المسيحية استغل في القرن الحادي عشر * وبهذا كانت دول المغرب منهكة في الحروب فيما بينها أو في قمع الثورات الداخلية ازدهت ثقة الاوروبيين بانفسهم ولم تعد احلامهم تقتصر على إقامة الحصون وبناء الاساطيل لحماية اراضيهم ولتأبئة المسسفن الاسلامية * لان منهم أصبح الآن هو القضاء على سيطرة المسلمين في المناطق المغربية من البحر الابيض والتجهز على اراضي ومدن افريقية اشمالية *

ومع ذلك ، فان سيطرة الاسطول العربي كانت أكثر من اسمية في الربع الاول من القرن الحادي عشر * ونحن نجد قليلا على ذلك فيما تذكره الوثائق الغربية من ان اسطول المهدية خرج في سنة 1020 / 422 م وشن هجوما على ايطاليا الوسطى ونشر في اصقاعها الخراب والدمار *

وفي سنة 34 هـ (436 م) شن اسطول بيزنطا بتأييد من اسطول جنوه هجوما على مدينة يوتة الحمادية التي كانت قاعدة بحرية مهمة غربها واحتلتها مدة قصيرة (34) وكذلك وقعت في نفس الصفة محاولة لنهب سفينة تابعة لاسطول المهدية كانت في طريقها من الاسكندرية الى افريقية * ولكن سفن صقلية سارعت لتنجدها وخلصتها *

(32) اكامل 9 / 245 - 246 * وفي سنة 427 (1035 م) وجه المعز بن باديس حملة تتكون من ستة آلاف مقاتل من العرب والبربر لحماية ثغور جزيرة صقلية ، ولكن هذه الاجراء اثار مسخط الامراء العرب في الجزيرة حيث رآوا فيه محاولة لضم الجزيرة التي ملكه صنهاجة * ولتجنب الوقوع تحت حكم المهدية * استنجدوا بالنورمانيين الذين استغلوا الفرصة لاحتلال مراكز الجزيرة قبل ان يستولوا على يلم في سنة 465 (1072 م) *

(33) راجع : De Mas Latrie, 'Relations commerciales de l'Italie Septentrionale' المصدر المذكور

(34) نفس المصدر *

وأكدت هذه العمليات البحرية لا يبدو أنها أثرت على العلاقات الديبلوماسية بين دول هذه المنطقة ، وبصفة خاصة بين المعز بن باديس والأمير السورية أميرة - فان ابن عذاري يخبرنا أن المعز تلقى في هذه السنة نفسها (425) هدية من ملك الروم ولم ير مثلاً في كثرة ما اشتملت عليه من امتعة اللباس الفاخرة وغير ذلك (35) .

وفي سنة 428 هـ (1036 م) تسجل وثائق من جنوة غزوا المدينة بجاية دون أن تتعرض لمصيب هذا العدوان ولا نظريته - وتقول الرواية أن قوة تتكون من اثنتي عشرة سفينة ، قامت في هذه السنة من جنوة ، فغزت بجاية وغنعت سفينة كبيرة وأسرت عددا كبيرا من العرب ، وقد نالت كسل سفينة من السفن المشتركة في الحملة أربعاً طائفة من حصيد بيع السفينة العربية (36) .

وفي سنة 436 هـ (1049 م) بعث المعز أسطولاً إلى جزر القسطنطينية للغزو فقامت سفنه مثقلة بالأسلاب وفي نفس السنة جدد خليفة لمعاوية وأمير طور بيزنطة الهدنة التي كانت قائمة بينهما وتبادلا هدايا فاخرة .

ونحن نشكر أن هذه السنة شهدت هدنة التوتير في العلاقات بين القاهرة والمهدي نتيجة لقطع الزبيريين الخطبة على المنابر للمسيحيين . ولذلك يمكننا أن نتساءل عما إذا كان التطور في العلاقات بين الميزنطينيين والمسيحيين حدثاً مستقلاً ، أم هو يرتبط بالحدثين المشار إليهما .

ويرى ابن الخطيب أن أهل جنوة وبغية (بزا - Pise) غزلوا تميم ابن المعز في ثلاثمائة مركب تحمل ثلاثين ألف مقاتل فحاصروا المهدي في سنة 480 هـ ونخلوا زويلة فاحرقوا الديار وعملوا في القتل والدمار ، وأما تميم ، فقد لجأ إلى قصوه واعتصم به حتى وقع الصلح بينه وبين الروم على أن يدفع لهم مائة ألف (دينار) من الذهب .

ولما دفع ذلك الخلع ، وبعضه بأواني الذهب والفضة ، ألقوا به وبأموال الناس وبسائرهم التي نهبت (37) .

ونذكر ابن الأثير ضمن حوادث سنة 482 أن الروم فتحوا مدينة زويلة بأفريقية في هذه السنة - وبمسبب ذلك ، فيما يروي المؤلف ، أن تميم ، أكثر في غزو بلادهم من البحر فخر بها وشتت أهلها ، فاجتمعوا من كل جهة ، وانتفخوا على إنشاء المواليد - لفسد المهدي ، ونقل معهم الجنود والباشاين (البينطينيون) ، فاقاموا أربع سنوات في جزيرة قوصرة يجهزون أسطولاً

(35) البيان 3 / 396 .

(36) راجع المصدر المذكور ، De Mas Latrie, Traité de paix et de commerce, E. 35

(37) أعمال الاعلام ص 87 .

يتكون من 400 قطعة ، فكتب أهل قوصرة على جناح طائر كتابا يذكرون فيه عددهم ووقت وصولهم وحكمهم على الجزيرة - فأراد تميم أن يسير اليهم فعمان بن سعيد المعروف بالهجر مقسم (قائد) اسطوله ليمنعهم من النزول ، فتمتعه من ذلك أحد قواده ، واسمه عبد الله بن مكنون ، لمدارة بينه وبين البحر ، فجمعت الروم وأرسوا وطلعوا إلى البحر ونهروا واحرقوا وفتحوا زويلة ونهبوها ، وكانت عساكر تميم غائبة في قتال الحارثيين عن طاعته ، ثم صالح تميم الروم على ثلاثين ألف دينار ورد جميع ما أخذوه من السبي (38) وكذلك جرى أن التوازن قد اختل بصفة حاسمة في أواخر عهد تميم بن المعز في البحر الأبيض بين أسطول الزيريين الذي كان يمثل القوة العسكرية الوحيدة في هذه المنطقة وأساطيل بيزا وجنوة التي كانت تجد تاييدا من أسطول القسطنطينية *

وهذه الحالة مستمرة في استدهور في عهد أبناء تميم حتى تنتهي بسلامة سقوط المهدي في يد النورمانيين في سنة 547 (39) *

ولما أصاب ضعف قوة الزيريين البحرية فحس متعددة - وربما كان أهمها تضاعف صوارد الدولة نتيجة للغوص والخراب الذي نشره الهلاليين في المملكة - هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن خشب بلاد القناتل في المغرب الأوسط لم يعد يصل إلى المهدي بسبب لنقص طرق المواصلات واضطراب العلاقات التجارية ، الأمر الذي أصبح همه من الصعب بناء قطع جديدة لتحل محل قطع الأسطول المستهلكة (40) *

ولما استيراد الخشب من البلدان المسيحية الرائعة على الجوش الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ، فقد كان غير ميسر بسبب الخطر الذي فرضته البندقية في سنة 991 كما اثرتا إلى ذلك ، بناء على طلب بيزنطة على تصدير البضائع ذات القيمة الاستراتيجية ، مثل الأسلحة والخشب الذي يستعمل لبناء السفن إلى البلدان الإسلامية (41) *

ويضاف إلى هذه الاعتبارات كلها أن الدولة كانت تخصص كثيرا من السفن لاستيراد القمح بعد تحريم ثورة البلاد الزراعية ، ولا سيما في سنوات القحط - وهذا معناه تحويل نسبة مهمة من السفن الحربية واستخدامها لأغراض مدنية ولكنه في هذه الفترة ، اختلت بجاية ، سدار صناعتها وبما يتوقر لديها من الخشب والحديد والزفت - ويمرغها أيضا ، تحمل محصول المهدي

(38) الكامل 10 / 109 - 110 *

(39) أرجع تفاصيل غزو النورمانيين للمهدي واحتلالهم لها *

(40) راجع في الكامل 1 / 83 84 *

Maurice Lombard, la Carte de Bois dans la Méditerranée Orientale, Annales, Avril 1939, P. 234-234.

(41) راجع - R. H. Idra, la Berbérie Orientale sous les Zérides, I/124 *

تدرجيا وتشمل الفراغ الذي تركته عاصمة بني زيري على الشواطئ الجنوبية الغربية للبحر الأبيض المتوسط ، والدلائل القليلة التي بين أيدينا تشير إلى أن نشاط أسطول بني حماد كان سلميا ، أي تجاريا ، إلى حد بعيد .

وتحت فيما يلي نورد قائمة باسماء المراسي التي كانت موجودة ، إلى جانب بجاية في عصر بني حماد ، من الغرب إلى الشرق ، ابتداء من مرسى أرشغول وذلك طبقا للترتيب الذي أوردها به أبو سعيد الله البكري الذي كان يكتب في تلك العصر .

وسنذكر ما ذكره البكري (42) بملاحظات الشريف الأبريسي الذي جاء بعده ، وبملاحظات ابن حوقل الذي كان يكتب قبله (397 هـ) مع ذكر المرسى المقابل على شواطئ الأندلس لمرسى بني حماد .

أرشغول :

(أرشغول عند ابن حوقل ، أرشغول عند ابن سعيد المغربي) مدينة قديمة فيها آثار للرومان ومرسى : يقع عند مصب نهر تافنا وهي نهر تدخل السفن فيه .

وأرشغوب هي مرسى نلمسان وتقابلها من البحر جزيرة أرشغول وهي مستطيلة عالية ، ومن ير الأندلس مدينة المرية (43) .

سوسى اصلن : (أسلى عند صاحب الاستبصار)

مدينة حصينة لها سور عظيم وقبها مياه وبساتين كثيرة ولها مرسى هامون . وأهم مرسى فيها هي الماشية (44) .

مرسى الماء الحفون :

يقع مرسى الماء الحفون على مسافة 33 ميلا من أسلمن - وحول هذا المرسى منازل وقبىه عيون شره . ويقابله من ير الأندلس مرسى الراهب (45) وبينهما مجريان وثلاث (46) .

(42) راجع البكري ، ص 81 - 83 .

(43) الرية Almorcia بالاسبانية . قارن البكري ، ص 77 - 78 والاستبصار ، ص 34 و P. 456 Fagnan, Extraits inédits, وابن حوقل ، ص 53 والانسكلوبيديا الإسلامية ، الطبعة الثانية (الانجليزية) 60x / x وابن سعيد المغربي (كتاب الجغرافيا) ص 240 .

(44) قارن البكري ص 81 و ابن حوقل ، ص 52 و Fagnan, Extraits inédits, P. 45 .

(45) بالاسبانية : Puerto de Los Freixas

مرسى وهران :

مرسى كبير ومشقى مصنوع من الرياح * يقول ابن حوقل « ما اذن له مثيلا في جميع فواحي البربر » * ويحيط بالمدينة سور مني بالطوب المكسوى *

ويقول الانريسي عنه « وبه ترسو المراكب الكبار والصغير السفينة » وهذا المرسى يستقر من كل ربح وليس له مثل في مراسي بلاد البربر * وعلى مقربة من المدينة نهر عليه يساتين وجنات وبها فواكه ، واهلها غي خصب * والصنل بها موجود وكذلك الصنعن والزبد * والبقر والغنم بها رخيصة بالثمن اليسير * ومراكب الاندلس اليها مقلقة (46) *

ويقابل وهران من بر الاندلس مرسى اشكويرش (47) *

مرسى عين قسروج :

هو مرسى شتوي مأمون فيه آبار حوله مساكن ، وبينه وبين وهران في اثير اربعون ميلا * ويقابله من بر الاندلس مرسى اقلة (48) *

مرسى قصر الفلوس :

وهي مدينة على البحر ومرساها خير مأمون* ويقابلها من بر الاندلس ، مرسى قرطجنة (49)

مرسى مقيلة :

ومرسى مقيلة بني هاشم * مرسى صيفي معرض للرياح ، وهو يقع على مسافة 35 ميلا من قصر الفلوس (50) *

46 / ارجع ابن حوقل ص 53 ، والانريسي ص 73 وتقويم البلدان ص 224 ومراسد الاطلاح 3 / 299 ، والاستبصار ص 133 *
47 كذا عند البكري * ومقابلها عند الانريسي ، مدينة الريف * وفيما يتعلق بالتحريف على اشكويرش راجع الهامش الذي وضعه دوسلان للترجمة الفرنسية لكتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 163 . هامش رقم 1 ، ص 133 *
48 البكري ص 81 * وهذا المرسى يقع على منتصف الطريق بين اوزيو ومستغانم التي ذكرها البكري ووصفها ضمن المدن الواقعة على الشاطئ ولكن لم يدرجها ضمن قائمة المراسي التي اوردتها ، مما يمكن تفسيره بانها لم تكن تستخدم للحط والاتلاج * على أن ابن سعيد يقول أن مستغانم هي فرصة مغراوة التي تقابلها على ساحل الاندلس دائية (كتاب الجغرافيا ص 144) ومرسى عين قسروج غير مرسى الحاج كما سماه غلطا دوسلان ، مترجم البكري ، واما مرسى اقلة فهو Acta des Agastae بالاسبانية *
49 البكري ص 81 قرطجنة * Carthage
50 البكري ، ص 81 *

مرسى صفيّة تونس :

وهو مرسى صفيّ وبين المدينة والبحر ميلان * وكانت المدينة في عهد بني حماد مسورة محصنة داخلها قمة صغيرة ينزل بها الولاة * ويقول ابن حوقل انها من اكبر المدن التي يقصدها الاندلسيون بمراكبهم وهي كثيرة التجارة وينهب منها الى ما سواها من المدن والموانئ * ويضيف الشريف الاندلسي ان بها قراكه وخشب واقلاع وحط وبها النخلة وسائر الحبوب موجبة وتخرج (تصدر) منها الى كل الاقاليم في المراكب * وبها من القراكه كل طريفة ومن المعرّجل العيب المعلق ما يفوق الوصف في صفته وكبره وجمّته *

ويذكر البكري ان تونس الحبيّة بناها الجيرون من اهل الاندلس سنة 262 هـ *

ولكنه على الرغم من كل ما اشتهر به تونس من الثراء والقراكه والخيرات ، فقد وجد شاعر * وهو سعيد بن واشك التيهري ، تضيق منها وخصص لئنها قصيدة ، بعض أبياتها من اذعن ما قيل في ذم المدن * وفيها يقول :

فأي النوم عني واضمحلت عرى الصبر	واصبحت عن دار الإحبة في أسر
واصبحت من تهرت في دار معزل	واسلمني من القضاء إلى القدر
إلى تنس دار النصوص فأنها	يساق إليها كل منتقى العصر
يلاد بها البرقوث يعمل وأجلا	ويأوى إليها الخشب في زمر الحشر
تسرى أهلها صرعى دوى أم ملحم	يروحون في سكر ويقعون في سكر

ويقابل مرسى تونس من بر الاندلس شنت بول (52) *

مرسى جزيرة وقور (52) :

يقع مرسى جزيرة وقور الذي يذكر البكري على مسافة ضارين ميلا في شرق تونس والجزيرة قريبة من البر * ويقابلها من بر الاندلس مرسى نقتت (53) *

(52) راجع الاندلسي ص 83 * وابن حوقل ص 52 والبكري ص 61 - 62 و 81 والاستبصار ص 132 * مرصد الاطلاح 477 / 2 و Fajuan, Extraits inédits, p 45

و بن سعيد (كتاب الجغرافيا) ص 424 شنت بول Cherch Poi بالاسبانية * (53) لم اتسكن من التعرف على موقع هذا اليناء * ولكن المرجح انه يقع غير بعيد من مدينة الاصنام *

Aliamane لفتت (53)

مرسى شرشال :

مرسى ومدينة قديمة *Courte* رومانية كانت فى عهد بنى حماد غير مأهولة - ويقول البكري أنه كان لشرشال فى الماضى ميناء ارتدم - ولكن الانديسى يقول أنها كانت فى عهده « مدينة صغيرة القدر لكنها متحضرة » وبها مياه جارية وإبار معينة حنية وقواكه حسنة كثيرة ومفرجل كبير الجرم ذو أعناق كاعناق القرع الصغار - وبها كروم وبعض اشجار التين ، ويقابل شرشال على ساحل الاندلس مرسى منيره (54) *

مرسى البطال :

لم يكن هذا المرسى الذى كان فى قرب جبل شنرة مأمولا فى عهد بنى حماد - ويقابله على ساحل الاندلس ، جبل قرون (55) *

مرسى هشور :

وهذا المرسى يقع فى المكان المعروف حاليا باسم مينى فروح غير بعيد من مدينة الجزائر (56) مرسى الثيسان (57) :

وهذا المرسى يقع فى المكان الذى كان يصل فى عهد الاحتلال الفرنسى اسم *Le Port de Pescade* مرسى جناية :

وهذا المرسى يقع عند جزيرة فيها اثار قديمة ويقابل هذا المرسى على ساحل الاندلس ، مرسى دائية (58) *

مرسى جزائر بنى مَغَنَّة :

مدينة قديمة كانت تسمى فى عهد الرومان ايقوسيوم *Icosium* ومرسى مأمون * وقد بنيت للجزائر الحديثة فى عهد زيرى بن حماد (بعد سنة 349 هـ) ويذكر البكري أن مرسى الجزائر

(54) راجع - للبكري ص 81 والانديسى ص 98 ، والاستقصاء ص 132 وابسن حوقل ص 52 و *Pomel, Etude sur la Conquête de l'Afrique par les Arabes, I/51.*

ومعبرة هو الاسم الذى أورده البكري ، واقترح دوسلان مترجمه قراءته مريز - *Muriz*

(55) البكري ، ص 72 جبل قرون *Cap St. Martin*

(56) البكري ، ص 72 *

(57) البكري ، ص 72 *

(58) البكري ص 84 - وللتعرف على موقع هذا المرسى الذى اختفت محاله الان راجع ترجمته دوسلان للبكري ص 166: للهامش 1 *

مرسى النجاج تنتج من القمح والشعير والابلان والفواكه ما يزيد عن حاجتها - ومن ثم رخص الاسعار فيها - ولكن انتاجها الرئيسي هو القطن الذي يصدر منها الى البلاد النافية - ويقابل مرسى النجاج في البحر جزيرة ميوزقة (61) .

مرسى تلبس (تلبس) :

يبدو ان تلبس التي اهل البكري ذكرها ، لم تكن مرسى عاملا في عهد بني حماد - ولما ذكرها الادريسي قال انها بلدة صميئة ومتمتعات اشتهرت برخص الفواكه وبجودة الطعام والشرايب مما لا يوجد بغيرها مثله ، وبكثرة ما فيها من الخنم واليقر ، ولكنه لم يشأ الى انها مرسى - ولما ابن سعيد المغربي فيقول ان تلبس فرضة مشهورة (62) .

مرسى مينة بجاية :

لم يضمن البكري الذي كان يكتب قبل بناء الناصر بجاية لهذه المدينة سوى سطرين ، وقد ذكر انها مدينة اهلة عامرة باهل الانطلس ويشرقها نهر تسخلة السفن محملة - وهو مرسى مأمون مشتمس قد خرج عن محاذاة جزيرة الانطلس - ولكن مرسى بجاية ممتصو بعد ذلك بفضل موقع المدينة ودار صناعتها وما يتوفر لديها من المواد الاولية ، بحيث يصبح أهم مرسى على هذه الشواطئ .

مرسى جيجل - مغل - القنينة :

مدينة رومانية قامت على انقاض مدينة قنينة - وهو مرسيان مرسى في جهة الجنوب ، وهو مرسى وعر ويصعب الدخول اليه ما لم تستعين بدليل حاذق - ولما مرسى الشمال ، فهو ساكنين لبحرنة كالخوض ، حسن الارضاء فيه ولكنه صغيف -

وقد كانت المدينة التي على شفة البحر المدينة الوحيدة - ولكن غارات النورمانيين عليها من ساحل صقلية في اواخر عهد بني حماد اضطر السكان الى بناء مدينة حصينة في الجبل على مصافة ميل من الساحل - ولذا كان الفصل شتاء مستكرا مدينة المرسى المأمون من غائلة اسطول روجر

(61) راجع البكري ، ص 82 والادريسي ، ص 89 وابن حوقل ، ص 51 - 52 وتقويم البلدان ص 186 ، والاستقصاء ص 186 .
(62) قارن الادريسي ، ص 90 وابن سعيد (كتاب الجغرافيا) ، ص 148 .
(63) قارن الادريسي ، ص 98 ، وابن سعيد (كتاب الجغرافيا) ، ص 142 والاستقصاء ص 128 .
والبكري ص 64 .

الصقل * ولكنه متى حل فصل الصيف تقوا أمتعتهم وبضائعهم إلى المدينة الحصينة ولا يبقى منهم على الساحل إلا عدد صغير من البحارة * وجبيل مدينة قديمة يرجع تاريخها إلى عهد الفينيقيين *

مرسى القل :

مدينة قديمة ومرسى يبعد عن جبيل نحو 70 ميلا * وقد كانت أقل مدينة صغيرة في عهد بني حماد (54) *

مرسى اسقورة :

وهو مرسى مدينة قاسدة القديمة سكة عند ياقوت - صكيكة (55) *

مرسى السروم :

وهو مشي مأمون يقع على ممافة صغيرة من رأس الحديد Cap de Fer (66)

مرسى تكوش :

وهو مرسى مأمون يتصل بقرى كثيرة ويحبل كثيرا الفاكهة (67) *

مرسى ابن الألبيري (68) :

وهو مرسى يؤتى إليه عن طريق رأس الحمراء * ويأتي بعد هذا المرسى إلى الشرق مرسى الخروبة *

مرسى يوتس :

مرسى مدينة تقع في نحر من الأرض مليح * ويقول ابن حوقل أنها (في عهده) ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة وتمتد على رقعة قريبة من رقعة الأرض * وهي مبيتان أحدهما قديمة * وهي موطن الفيلسوف المسيحي سانت إسمان ، والأخرى حديثة ، ويقول اليركي أن مدينة بونه كانت في زمنه كثيرة اللحم واللبن والحوت والعسل * وينكر ابن حوقل أن المدينة ذات أسواق حصنة وتجارة مقصودة ، ولكنها لا تحقق إلا أرباحا متوسطة * ويدعى فيقول أن البوادي التي

(64) راجع الانريسي ، ص 98 ، وابن معيد (كتساب الجرافيا) ص 142 ، والبكري ص 83 والاستعمار ص 128 *

(65) البكري ، ص 83 وفي مرصد الاطلاع سكة بالفتح ثم السكان (2 / 722) *

(66) نفس المصدر ، ومعجم البلدان 3 / 206 *

(67) نفس المصدر *

(68) نفس المصدر رأس الحمراء هو الذي يمتد في شمال بونه *

تحيط ببونه ذات تربة خصبة تنتج القمح والشعير والكتان والفواكه والصل بكثرة * وهذه الرقعة كانت مبنيا في رخص اسعار تلك المنتجات * وقد ذكر هذا الكاتب ايضا أن في ضواحي بونسه معادن كثيرة للحديد وقد كان مرسى بونه القاعدة التي تنطلق منها العرصة البحرية في عهد بني حماد شن الغزوات على سواحل البحر الأبيض الشرقية والجزر التابعة للتصاري ، مثل سردينيا وكورسيكا (69) *

مرسى الخزف :

مدينة ومرسى يحيط بها البحر فيما عدا مملك واحد ربما قطعه البحر في الشتاء * ويقول البكري انه تبني فيها السفن والراكب الحربية التي تفرى بها بلاد الروم * ويمضي فيقول : « وإلى هذه المدينة يقصد الغزاة من كل اقل لأن مقطمها يقرب من جزيرة سردينيا وبينهما حراوين » *

مرسى الخزف كانت اذا ، في عهد بني حماد ، دارا مهمة لصناعة السفن والراكب الحربية ، كما كانت قاعدة للقراصنة والغزو * ولكنها كانت مهمة ، خصوصا بسبب ما كان يستخرج منها من المرجان * وهو شجرة في البحر متحجر يخرج أبيض اللون ليثا ، فإذا خربه للهواء اصغر وصلب * * ويقول المقدسي في وصف طريقة استخراج المرجان من مرسى الخزف أن العمال يخرجون الى جمعة في قرارب ومعهم صلبان من خشب قد لقوا عليها شيت من الكتان المحلول ، وريطوا في كل صليب حبلين يأخذهما رجلان فيرميان بالصليب ويدبر النواتي القارب ، فيتعلق بالقرن * ثم يجنبونه ، فمنهم من يخرج عشرة آلاف (درهم) الى عشرة دراهم ثم يجلى في اسواق لهم ويباع جزافا رخيصا ولا اشراق له قيل جليه ولا لسوت *

ويقول ابن حوقل الذي زار مرسى الخزف : أن تجارة المرجان في مرسى الخزف تجارة واسعة يمارسها ممارسة وتستثمر فيها أموال طائلة * وقال انه يعمل في استخراج هذا المعدن في اكثر الاوقات محسرين قاربا أو أكثر ، يعمل في كل منها ما يقارب العشرين رجلا *

ومرسى القز مدينة عربية لانه على الأرض من أن انفتيحين والرومان عرفوا هذه الشواطئ جيد فهم لم يتركوا اثرا للممران في هذا المواقع (70) *

(69) تارن ابن حوقل من 51 والبكري ، ص 54 - 55 و 83 ، وابن سعيد المغربي (كتاب الجغرافيا) ص 162 ومراسد الاطلاع 3 / 231 والاستبصار ، ص 227 ومجموع البلدان 1 / 764 والمقدسي ص 226 *
ويجب عدم الخلط بين بونه وبون ، وهي مدينة بالمين قيل انها هي ذات الشر المظلمة والقصر المشيد *
(70) راجع ابن حوقل ، ص 50 ، وابن سعيد (كتاب الجغرافيا) ، ص 143 ، والمقدسي ، ص 239 *

المراجع العربية

- البكري « أبو عبيد » ، كتاب المغرب في ذكر افريقية المغرب ، تحقيق البارون دوسلان - المطبعة الثانية - باريس 1965 .
- ابن الأثير الكامل في التاريخ ، نشر وتحقيق طودنبرج ، ليود ، 1876 - 1891 .
- ابن حوقل كتاب المسالك والممالك ، صبح دوحوية ، ليدن ، 1872 .
- ابن الخطيب (لسان الدين) تاريخ المغرب في العصر الوسيط ، وهو الجزء الثالث من كتاب اعمال الاعلام ، تحقيق العبادي وابراهيم الكتاني ، طبع دار الكتب ، الدار البيضاء 1963 .
- الادريسي (الشريف) صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ، نشر دوزي وموحوية ، ليدن ، 1872 .
- كتاب الاستيعار في عجائب الامصار ، مؤلف مجهول من كتاب القرن السادس الهجري ، نشر زغول عبد الحميد 1958 .
- ابن سعيد المغربي (على بن موسى) كتاب الجغرافيا ، نشر وتحقيق اسماعيل العربي ، بيروت 1970 .
- الاصطخاري كتاب المسالك والممالك ، نشر دوحوية ، ليدن 1871 .
- هفي الدين (بن عبد المؤمن) مرصد الاطلاع ، تحقيق محمد أبو النجار ، القاهرة 1954 .
- ابن عذاري البيان المغرب في اخبار المغرب - نشر بيسروت ، 1950 .
- المقدسي (محمد بن احمد) احسن التقاميم في معرفة الاقاليم ، نشر دوحوية 1872 .
- المؤيد (الملك) تقويم البلدان ، تحقيق دوسلان ، باريس ، 1840 .

المراجع الأجنبية

- E. Fagnan, Extraits inédits relatifs au Maghreb Alger, 1924.
- H. Fournel, Les Berbères, études sur la conquête de l'Afrique par les Arabes, en 2 vol. Paris, 1877.
- L. Goleis et A. Louis, Etude technique sur l'arabisme tunisien, bulletin de l'Institut des Belles Lettres Arabes, Tunis, 1946
- R. H. Idris, La Berbérie Orientale sous les Zirides en 2 vol. Paris, 1939.
- De Mas Latrie, Traité de paix et de commerce concernant les relations des Chrétiens avec les Arabes de l'Afrique du Nord, Paris, 1866.
- De Mas Latrie, Aperçus des relations commerciales de l'Italie Septentrionale avec l'Algérie au Moyen-Âge Paris, 1843
- G. Marçais, La Berbérie Musulmane au Moyen Âge, Alger, 1946
- G. Marçais et Poissot, Objets Kalousnais, notes et documents, XI, Fasc. 1, Tunis, 1948
- Maurice Lombard, L'Islam dans sa Première Grandeur, (VII-XI^e siècle), Paris, 1971
- Maurice Lombard, Une carte de bois dans la Méditerranée Orientale, annales, économie, société, civilisation Avril, 1946
- The Ency. of Islam, New Edition.



مندوق قديم في المنطقة



يبدأ المؤلف بتحديد وضع بجاية الجغرافي والطبوغرافي ، فيقول
انها تقع على جون يبلغ عرضه 28 ميلا وعمقه 7 او 8 اميال ، وتمتد منازلها
وشوارعها في قلال وهضاب مرتفعة وتحيط بها حواجز من الجبال الشامخة
التي تظلها قممها . واهم هذه القمم واعلاما ، قمة ملا (السيدة) قورايا ،
التي تتطرق في الغضاء وراها ، وعلى يمينها ، وهي مقبلة على البحر ،
قمة توجّه ، وفي مقابلها ، محاذية للشاطئ ، جبال بوعداس ذات
التضاريس العديدة ، وجبال البايور التي تغطي طبقات الثلوج شهورا
عديدة في السنة - وجميع هذه الجبال تكتسى حلا من الالوان الخلابة
التي تتغير وتتجدد بتغير الفصول وتجدها .

وعلى مد البصر ، ينشر البحر وداؤه الاثرق اللذان من مياهه
الصافية التي تعلوها في الصباح وعند الاصيل طبقة من الضباب الخفيف ،
وتضيء اشعة الشمس الذهبية سماها معظم ساعات النهار .

تأليف : شاول فيرو
عرض وتعد
اسماعيل العربي

وتقع بجاية عند درجة اثنتين وخمس واربعين دقيقة على طول خط العرض الشرقي ، ودرجة
ست وثلاثين وخمس واربعين دقيقة ، على طول خط العرض الشمالي . وتتمتع المدينة بجو معتدل
تسلف مواده جبالها ونسماط البحر المليلة - ومع ذلك ، فقد يحدث ان ترتفع درجة الحرارة في
المدينة بحيث تبلغ في موسم الصيف ما يتراوح بين 30 و 40 درجة سنجراد . وذلك ، لان جبالها

Charles Fernand : Bougie, Constantine, 1869.

ولا سيما جبل جورايا ، تحجب المدينة تماما وترد عنها الرياح الشمالية في الوقت الذي تطل فيه عارية وعرضة للرياح الجنوبية *

بجاية قبل الإسلام :

المعلومات التي يوردها المؤلف عن بجاية التاريخية معلومات ذات طابع عام وتنطبق على جميع القواعد والمراسم التجارية التابعة لقرطاجنة في افريقية الشمالية - ووصفه لبجاية يبدأ بالتعرف على هذه المدينة في «صناديق» (Salds) الرومانية ، ذلك الاسم الذي عثر عليه منقوشا على حجر من آثار المدينة ويوجد حاليا في متحف اللوفر ، في باريس * وحتى المعلومات التي يفكرها من هذه الفترة ، إنما تتصل في الحقيقة بوضع بجاية بوصفها قاعدة لميلايك الرومان التي كانت تقسم بعمليات عسكرية باستمرار لأخضاع المناطق المجاورة من بلاد القبائل الواقعة على شفاف وادي الساحل *

وأما تاريخ بجاية تحت الوندال ، فهو قصة جميع المدن الافريقية التي كانت مسرحا للحروب والارهاب الذي نشره جينسريك وحشوده الفتحشة في هذه البحار * ومع ذلك ، فإن بجاية غازت - حسب رواية - بحظ لا شك وإن غيرها من المدن العائرة الحظ كانت تصدها عليه حيث اقتنفوها عاصمة لهم * على أن هذه الرواية يرجع أصلها إلى جرمائ (Germay) والتي نقلها المؤرخون من بعده ، لا تقوم على أساس من التواتر ولا تؤيدها دلائل حافية * والكاتب * على كل حال يميل إلى الرأي بأن عناية تقسم مزايا الفضل تؤهلها لأن تكون عاصمة للوندال الذين احتلوها بعد حصار دام 14 شهرا في سنة 430 ميلادية *

وبوصول جيوش بيزنطة إلى الشواطئ الافريقية في سنة 544 م * ساء شعور لم تلبثت الحوادث أن كثرته بأن جوستانيان تصوره رغبة صامقة في العمل لمصم الجراح ولتمجير ما خربه الوندال * وهذا الشعور أوجت به الأعمال الأولى التي قام بها البيزنطيون في إعادة بناء بعض المدن وإصلاح بعض الموانئ في البلد * ولكن أشعب ادرك في فترة لاحقة أن الاستعمار البيزنطي أشد وها وأن معاملة حكام القسطنطينية قسى وأفسح من معاملة الوندال * ومسرة أخرى ، مستبيل الدماء غزيرة في ثورات شعبية متوالية قامت لمحاولة طرد الغزاة المحتلين *

ومهما يكن من شيء ، فإن بجاية كانت تحفظ بقعة آثار للبيزنطيين * ومن أهمها بعض المعابد والملاهي ومسور المدينة الذي يقول المؤلف أنه كان من الممكن التعرف عليه بعد بضع سنوات من نزول الفرنسيين في المدينة *

المصور الإسلامية :

خصص المؤلف مكانا بارزا لمرض حوادث الفتح العربي لأفريقية (وهي حوادث لا بد من الاعتراف بأنها بعيدة عن موضوعه) . قيل أن يمرض رواية استقامها - فيما يقول - من بعض سكان بلاد القبائل عن غزو العرب لبجاية ، ثم ينقل ما ذكره ابن خلدون من أن بجاية اسم للمنطقة التي تطلها قبيلة تحمل نفس الاسم * وبعد هذا مباشرة ، يذكر في إيجاز مغل أن الناصر ابن علاص بنى بجاية سنة 360 هـ - (1067 - 1068 م) *

وفي الصفحات التالية ، يمرض المؤلف مقطوعات تاريخية مصطربة تختلط فيها أسماء القائم المعبدى ومناد الصنهاجى ، وأبو يزيد الخارجى * * * وحوادث مهلهلة لا ترتبط ببجاية وينقصها الارتباط حتى بالسباق التاريخى *

والحق أن هذا المترجم الذى أراد أن يتحول إلى مستشرق وباحث ، ليمرض لنا صورة يرضى لها وتدمر إلى الشفقة عن ريب الحوادث والأخبار التي ينقلها عن ترجمة ابن خلدون الفرنسية فضلا عن محاولة تحقيق النصوص التي يعتمد عليها وتخصيصها *

وبعد ذلك ، يستطرد المؤلف ، في غير مناسبة ظاهرة - ويضيع عدة صفحات لينكر بالمولد العربية التي تماقت على بجاية حتى نزل الأسبان فيها ، ثم يعود إلى مناد وينكرنا بتأسيس القلعة ويشير إلى ما عرفته من الأندلس ويكرر للمرة الرابعة أن الناصر قد أسس حجة بجاية * * * من أن يخيف إلى هذا الخبر شيئا سوى قوله أنه بنى فيها قصورا ودارا للصناعة *

ويخفى فيشير إلى مراسلة البابا جريجوار السابع والناصر بن علاص ، وينكر بما هو معروف من وجود أقلية مسيحية محتبرة في المغرب الأوسط ، حيث كانت لهم أمغية في بورتة وأخرى في القلعة *

وفي عصر المنصور ، الذى يتمتع بمقدرة خلاقة مثل أبيه ، أصبحت بجاية مركز الامبراطورية وقلب العمران فيها * وفي عهد هذا الملك ، ثم بناء مرصد « شوف الرياض » الذى يستعمل لإرسال الاشارات بواسطة عدد من الرايا وعدد من القصور التي من بينها قصر « اميون » وقصر « النجم » وقصر « اللؤلؤ » *

ويخفى الكاتب فينقل معلومات عن مقطوع شرى كان في حوزة أحد الألبانيين وأوصافا ومعية لبعض قصور بجاية * وهذا المخطوط الذى حاولنا تتبع أثره بدون جدوى ، لا يمكن أن

تأخذ ما يقله عنه فرو من العهد الحمادي إلا ياتقصى ما يمكن من انتحط ، بل والتشكك ، حيث أن المعلومات التي يوردها عن أحد مساجد بجاية ، هي نفسها التي أوردها البكري لمسجد القيروان (1) وفي سياق شكر ما كانت تزخر به بجاية من النشاط العلمي والأدبي ، يشير فرو إلى كتاب الغريزي عن علماء بجاية في المائة السابعة (ذلك الكتاب الذي كان شارينو Charbonneau قد ترجمه إلى اللغة الفرنسية قبل ذلك بوضع سنرات) ، ولكنه على عكس ما قد ينتظره منه المقارئ فهو لم يستفد من الطومات التي يَثرِيها هذا أكتاب في قليل ولا كثير .

وقد تعرض المؤلف لتاريخ بجاية في عصر المنصور من جديد في سياق مشروعي مضمرين ، وأشار إلى مختلف الثروات التي قامت في عهده ونهض لقسمها من بجاية والتي من أهمها « ثروة عمه بلبار الذي كان قد ولاء على قسنطينة »

وكذلك خصص فقرة لخلفه المنصور الذي مات في سنة 498 هـ (4 - 1105 م) ولأخيه العزيز الذي مات في سنة 512 هـ (4 - 1125 م) ، ولإبنه الخنث يحيى الذي كان آخر ملوك بجاية الصمانيين .

وعلى الجملة ، فإن المعلومات التي يقدمها المؤلف عن العصر الحمادي - مهما كانت الزاوية التي ننظر إليها منها - لا تشكل مساهمة علمية ، وذلك حتى لو أخذنا إلى الاعتبار التقدم الضئيل الذي سجله الاستشراف وقت كتابة الكتاب « والواقع أن طريقة سرد الحوادث ومحاولة - أو على الأصح عدم محاولة - ربطها ، تدل على أن المؤلف لم يستوعب من تاريخ بجاية الحمادية سوى أسماء بعض الملوك الذين تمايقوا على عرشها »

ويعد سقوط تلمسان وفاس وغيرها من مدن المغرب تحت سيطرة المرصين ، جاء نور القلعة التي خربوها ثم دخلت بجاية في سلطان عبد المؤمن الذي ولي عليها أحد أبنائه ، أباً محمد .

وكذلك خلف بغي حماد الموحدين على بجاية التي انحدر وضعها إلى قاعدة ولاية ، ثم جاء إليها بنو عاتية ومن بعدهم الحفصيون الذين سيطرولوا على تونس في عهد أبي زكرياء الأول (625 هـ - 1228 م) ويعلنون استقلالهم عن أحماد عبد المؤمن . والمؤلف يسرد الحوادث التي

(1) راجع ، اسماعيل العربي «بجاية عاصمة بني حماد الثاني» مجلة الثقافة ، السنة الثالثة ، العدد 28 ، ص 33 . أن تشككي بشأن هذا المخطوط إنما ينصب على القسم الذي يعالج العصر الحمادي . وأما القسم الذي يتناول الاحتلال الإسباني ، فهو يستحق اهتمامنا ، حيث أن مؤلفه المخطوط يسرد حوادث عاشها وشارك فيها ، بينما هو يفتل عن غيره الحوادث التي وقعت في العصور السابقة (الماقد) .

وقعت منذ نزول بني غانية في بجاية في سنة (1183 م) ، حتى مقتل أبي غارس في سنة 680 هـ .
(اى فترة قرن كامل) في عجالة بحيث لا يتجاوز المكان المخصص لها ٥ صفحات من الكتاب .

وفي مقابى ذلك ، على الكاتبة صافية حسنة بإبراز عهد الامير ابي زكرياء الثاني « أخى ابي غارس » ولا سيما محاولات ابي حمو وابنه ابي تاشفين الاستيلاء على بجاية وضمها الى مملكة تلمسان .

ولكن العيب الاساسى في رواية الحوادث التى وقعت في هذه الفترة ، وفي غضون القرن القالى ، هو أن المؤلف يقتصر فيها على مصدر واحد ، وهو ابن خلدون الذى يقف بيسره لتاريخ افريقية الشمالية عند سنة 139٥ * وإذا تذكرنا أن المؤلف يستعمل الترجمة الفرنسية التى وضعها دوملان لتاريخ البربر ، التى وإن كانت جيدة الا انها لا تخلو من اغلاط (وهى على كل حال لا تقوم مقام الاصل العربى) ، وعرفنا أن المؤلف المغربى يقع أحيانا في سهو واغلاط ، لا بد للباحث من تصحيحها بمراجع أخرى ، لذلك يسهولة فلة جبرى هذا العرض ، وبالتالى شتالة قيمته العلمية .

وفي مقابل ذلك ، عرف المؤلف كيف يستغل المعلومات التى استقها من مرامس لا تسمى De Maheville وأبلى دولا بريموى Le Brissot. كما يتعلّق بالملاقات التجارية التى قامت بين بجاية في عهد الحفصيين وبين جمهورية بين Plac من جهة ، وفيما يتصل بالمنتجات التى كانت تصدرها بحامة في هذه الفترة من السلع الى الموانئ الأروبية ، من جهة أخرى .

الاحتمالات الأسبانية :

تفسر المصادر الأروبية الغزو الأسباني للشواطىء الأفريقية لا يانه مجرد امتداد واستمرار للحروب السليبية (الفريية) ، كما هى الحقيقة ، ولكن بأن المسلمين الذين طردهم الملك فرديناند من أسبانيا في أواخر القرن الرابع عشر والتجهوا الى مختلف السهول الأفريقية ، كانوا يحملون شعورا قويا ببعض المسيحيين الذين أخرجوهم من ديارهم ، ولكنهم كانوا في نفس الوقت عاجزين عن أخذ الثار ومن تحرير أوطانهم المقتضية * وقد أخذت رغبتهم في الانتقام شكل تنظيم قرصنة وهجمات بحرية بقصد تخريب تجارة الأسبان * ولكي تضع أسبانيا حدا لهذه القرصنة ، قامت بعروضها للمغرب ، فاستولى النون فرناند القرطبي في سنة 1505 م على المرمى الكبير ، ثم استولى الكرد يقال اكسيمنس (Ximenes) على مدينة وهران ، بعد ذلك بأربع سنوات (15٠8 م) .

تلك هي الرواية المسيحية التى نقلها ابلى مويريموى واعتمدها مؤلفنا *

ومهما يكن من امر ، فإن بجاية التي كانت قد سمحت الامتيازات التي كان الخشار القطلانيون يتمتعون بها منذ أكثر من قرن سارعت لاتجاه وهران باسطولها وقوات عسكرية أرسلتها عن طريق البحر ، وهذه القوات ، ولا سيما ، الاسطول الذي كان يحمل الخراب والضرار الى الشواطئ الاسبانية سنوات طوال ، ستلعب دورا مهما في تعزيز مقاومة مدينة وهران ، وكذلك تجد أن المدينة نفسها لم تثبت ان أصبحت هدفا للعنوان الاسباني *

فإن اكسيمينس ، بعد ما استولى على وهران ، كلف بيير دونافاري في سنة 1509 بحسب عدد من المدن الشاطئية ومن بينها بجاية التي وصل اليها في 5 يناير 1510 على رأس 25 سفينة حربية (1) ، وخمسة الاف من البحريين * وبعد مقاومة عنيفة استمرت حتى 25 مايو ، استولى الإسبان على المينة ونهبوا ما في بيوتها وقصورها ومساجدها من الكونز والتحف وشجنت هذه الفنائم على متن 30 سفينة * ولكنه بعد خروج هذه السفن من الميناء ، هبت عليها حواصف شديدة فغرق معظمها في البحر *

وبعد ما يستعرض كاتبنا رواية الكتاب الاربين ويعقد مقارنة غسيرة متعمقة بينها وبين الرواية التي نقها مخطوط البجاوي الذي سبقنا الاشارة اليه ، يورد ترجمة نص رسالة لملك فريناند الى بيدرو دونافار تمتد على تعليمات من الملك الى قائده بشأن السياسة التي ينتهجها في المناطق المحتلة *

ويمضي الكاتب فيعرض تفاصيل وافية للنزاعات التي ظهرت عقب استقرار الاحتلال ، بين بعض الامراء ، وفي مقدمتهم السلطان السابق عبد العزيز واخوه ابو بكر ، امير قسنطينة ، وابن اخيه العباس الذي التحا الى قلعة ونوغة وراح يساورم الاسبان طمعا في اعادته الى عرش ابيه (عبد العزيز) ومحاولات ابي بكر لاختضاع القلعة وللقبض على العباس ، ثم يتنكر حصار ابي بكر لبجاية على رأس قوة كبيرة - ذلك الحصار الذي دام 51 يوما وتراجع عن المدينة ليجلب الى تحصينات بناها غير بعيد من المدينة حيث اقام يناوش الاسبان ويبيع بمراياء التي تبلغ بها الجراة احيانا ان تتجول في شوارع المدينة ، بل وان تصولي في ليلة من الليالي على حي باب البندو بأكمله وتسيطر عليه *

ولكن الامير ابا بكر تب في نهاية الامر من المقاومة وعاد الى قسنطينة تاركا قيادة النضال للامير الموفق *

(1) تقول مصادر اخرى ، ومنها محمد حسن الرزاس ، ان الاسطول الاسباني الذي غزا بجاية يتكون من 14 سفينة حربية كبيرة (الماقد) *

وازام المارات والبهجمات المتوالية التي كانت تتعرض لها الحامية الاسبانية في بجاية اضطر الاسبان الى التخلي عن سورها اقدم الذي بناه ابو حماد والذي يتطلب المعام عنه جيش كبيرا ، وبنا سوراً جديداً ضيقوا به وقعة المدينة ، يمر بحصن بارييل (حيث نتعرف على قصر النجم الحمادي) ويصعد الى باب فوكة حتى يبلغ القسمة ، ويتصه من جهة اخرى من حصن بارييل نازلا الى مسجد سيدي عبد الله الشريف ، بين بويجة ولعيير الخمس ، مارا بموقع قصر اللؤلؤة (عند لشكنة والمستشفى العسكري) ثم يستمر نازلا الى البحر عند حصن عبد الغادر *

وفي سنة 1512 م ، اتصل الأمير أبو بكر بعروج وخير الدين ، البهريين ، التركيين الذين أخذ سبيتهما يدفع على الشواطئ الاطريفة للبحر ودخل معهما في ترتيبات ليقوما بهجوم بحري على بجاية ، وفي نفس الوقت ، صدر امر الى الأمير لوفق بأن يقوم بحملة بهموم برى ، وتقول الرواية التركية ان لبحريين مصفا بجاية بالمداغ خلال ثمانية ايام * وفي هذه المعارك ، شتت عروج احد ذراعيه *

واثر ذلك ، نزل الطلائن الاسطوريان الى المر واحرقا سفنهم ثم اتجها عن طريق البر الى جيجر حتى اتخذها قاعدة لنشاطهما العسكري البحري فيما بعد *

وفي هذه الاثناء اتجه السلطان أبو بكر الى حصن بكر ، على مقربة من بطانة ولتجأ اليه ولما علم الاسبان بوجوده هناك ، رحفوا عليه ، ولكن الأمير الموفق جمع جيشا من القبائل ، كما قام اخوه ، صالح ، على رأس قوة من المهاجرين الاندلسيين وحملوا على المسيحيين في معركة انتهت بهزيمتهم وتراجعهم *

وبعد الكارثة التي وقعت لاسطول شارل كيبط في مياه الجزائر في سنة 1541 م ، حيث غرقت معظم قطع هذا الاسطول بمن عليها ، اتجه الامبراطور الى بجاية التي وصل اليها في اواخر نوفمبر من تلك السنة ، بشهد جراح قوائمه ، وللانقراض في صلوات لا طائل وراءها ، خصوصا ، وانهب جاءت بعد غوث الاوان !

والرواية الاسبانية لا تخبر بما اذا كان الامبراطور قد قام بامية عمليات عسكرية ضد العرب اثناء اقامته في بجاية ، ولكننا نعرف ، على كل حال ، ان شارل كيبط قد اعتمد فرصة وجوده في هذه المدينة لتسببته حشابه مع اليهود للمرة الثانية بالاعتذيب واحراق كتبهم ومصاديقهم ، ثم سم بطردهم جميعا منها ، وذلك بعد ما طردهم فرديناند من الاندلس في سنة 1492 ، مثل لعرب *

ونحن نعرف كذلك ان جماعات من نخبة المثقفين اليهود ، كانت قد استارت للاستيطان بجاية التي زادت حياتها الثقافية والعلمية ثراء ، وقد صاغت هذه الجماعات في أمن ودمية في المدينة

الحمادية قبل أن يتعقبهم الأسبان ، وكان على رأس الطائفة اليهودية الساخام ابن يمينه الذي كان يتمتع قبل طرد اليهود من الأندلس بصيغ بائع لخصله في العلوم والآداب العربية والعبرية .
ابن ذهب اليهود ، بعدما طردهم الأسبان من موطنهم الثاني ؟

انتمحووا في بلاد القبائل التي أوتهم واحسنت أمهم ، وكانوا يسكنون في مختلف القسوى في الجبال ومارسون ، خصوصا ، صناعة الصياغة التي اشتهرت بها بعض الاعراض مثل بني ايروان .

ولكن لنعد الى شارل كينز والى كتابنا .

في 16 نوفمبر 1542 ، عادت بقايا الاسطول الاسباني الى وطنها ، يتبعها الامبراطور العاشر الحظ ، تاركا وراءه في بجاية نحو 35 ألف من الخزانة الاربوين .

وبعد هذا التاريخ بوقت قصير (1555 م) ، استولى اسحرى التركى ، صالح ايرايى على بجاية التي استرجعها من الأسبان ، بعد معركة خاضها على رأس 22 سفينة حربية مسلحة بالمدافع
العصر التوسكى :

كان الاحتلال الاسباني قد قضى حزنيا على عظمة بجاية الثقافية حيث نهب الأسبان كل ما فيها من التحف والكتب والحقوا بمنزلها وقصورها ومساجدها كثيرا من الخراب . وكذلك تموت المدينة ، بعد ما فقدت نشاطها البحرى التجارى الذي كانت تمارسه خلال عدة قرون ، الى قرية صودما أفقر وانقلب حالة سكانها من يمر الى عسر .

ربما كان تدهور وضع بجاية الثقافى والتجارى ، هو الذى جعل الاتراك يفضلون عليها الجزائر لجعلها عاصمة لهم .

وقد زاد من تدهور المدينة تضيق الأسبان لرقمتها بالسور الجديد الذى بنوه والمذى ترك خارج المدينة احياء كاملة لم يلبث سكانها ان هجروا منها الى الداخل حينما أصبحوا لا يتمتعون بالحماية الضرورية ولا يجدون فيها مجالا لنشاط الفحار والصابغى .

وفي اوائل القرن الثامن عشر ، اى بعد مئى نحو قرن ونصف من الاحتلال التركى زاد تدهور الحياة العمرانية في بجاية بل حدا وصنع معها اسائح الفرنسى بيسرنيل . (Peyronnel) بانها « قد تحولت الى خرائب لان الاتراك لا يصلحون شيئا من مائتها » .

ومع ذلك ، فان بجاية قد احتفظت في عهد الاتراك بعدد من سفن الخشن (نحو عشرين سفينة) ، كانت تمارس الملاحة الشاطئية وتنقل منتجات بلاد القبائل الى موانئ عابدة وتونس

والجزائر وهران ، وكانت تشحن زيت الزيتون والخشب والشمع واللتين المجفف والجلود الخ * وتعود مصممة بالمجبوب واونى الفغار والاقمشة التي توزع من بجاية إلى مختلف بلاد انقبائل * على ان هذه السفن كانت ممنوعة من حمل الاسلحة والقيام بأعمال القرصنة - تلك الأعمال التي كان يحتكرها اسطول الجزائر !

وقد حاول الاتراك مد نفوذهم من بجاية إلى داخل بلاد انقبائل المجاورة ، ولكن اعتزاز هذه المنطقة بمرزيتها واستقلالها كان يشكل عقبة في طريقهم ، ولذلك اعتسروا ، وألبا لهم عليها منذ واجر القرن السادس عشر ، وهو مسندى محمد امقران ، جد عائشة المقراني التي اقامت مملكة في مدينة قلعة بنى عباس والتي تدخلت في العراك المشهور ضد الفرنسيين في اوائل النصف الثاني من القرن الماضي *

القسم الرابع :

يقدم المؤلف في هذا القسم ملاحظات تاريخية عامة عن بعض القبائل التي تقيم في الجبال المحيطة ببجاية ، وهذه القبائل على الضفة اليسرى لنهر المسومدم هي مزاية - توجه - اولاد مكران - يونددا - بنو همران - بنو كسيلة - بنو شععة - تسلمت - تاردام - ايريس - ايت احمد غاريت - ايت سعيد - الطرفة - ايت اعمر - ايت اوعالك - بنو حصين - أنفانيا - بنو غليس اوزلجن *

وعلى الضفة اليمينية لنهر : بنو مسعود - اولاد عبيد - بنو يمل - اولاد تامزالت - اولاد عمر او بعقوب - زناجة - حلاحة - بنو جليل مميتسيا - بنو حطاب زرياشه - جيفسار - بنو هروس ايت واريث - او على - بنو محمد - بنو حسين - بنو سيحوال *

والملاحظات التي سجلها المؤلف عن هذه القبائل ، ليست - مع الاسف - ذات قيمة تفكر حيث انها لا تساعدا على فهم اصل هؤلاء السكان ولا تضع امامنا معالم عن تطورهم او الانوار التي لمبوها في التاريخ ، او حتى الدور الذي لعبوه في مقاومة الاحتلال الفرنسي للمنطقة *

ويختتم المؤلف بعرض تاريخ الاحتلال الفرنسي بابجاز ، منذ استيلائهم على بجاية في 29 سبتمبر ، 1833 ، حتى سبتمبر 1863 ، ويرد قائمة بأسماء الحكام العسكريين الفرنسيين الذين تعاقبوا على بجاية في غضون هذه الفترة *

ولا كانت هذه الفترة - فترة الاحتلال الفرنسي - قد درست بتوسع وبطريقة او في - واقع أيضا - من عدد من المؤرخين الفرنسيين المحدثين ، فان عرض المعلومات التي تتصل بها ليس بئى قائدة ، حيث تجارته الاحداث وتضاءلت قيمته اعلمية *

وخلصه القول ان كتاب بحاية الذى كان المؤلف قد نشر معظم قصصه فى شكل مقالات متسلسلة فى المجلة الافريقية *Revue Africaine*, T II P. 458 ابتداء من لعدد الثانى من هذه المجلة، فى سنة 1899 م * يعقل نظرة تركيبيية للحدث التاريخيية اثنى لتصل بيناية من قريب او من بعيد ويقدم فكرة ، لا يد وان تكون مفيدة فى ذلك العهد ، للجمهور الفرنسى الذى كان يحمل كل شئ من تاريخنا * والميرة الاساسية للكاتب هى روح الاعتدال التى تسمى فى صفحاته وعدم محاولة المؤلف تفسير هذا المجهود - فى وقت كانت فيه خيمة السياسة هذا لخدمة العلم - لتمجيد الاستعمار ومما يزيد من تقديرنا لقيمة هذا الموقف ان تصرف ان المؤلف كان مترجما فى الجيش الفرنسى وهى مهنة كثيرا ما اقصت بالمصححين ممن يمارسونها الى مراكز انفراد ، متى عرفوا كيف يستغلون مواهبهم *

ولكن الكتاب ، مع ذلك ، يقصر مؤن منه الاساسى ، وهو وضع تاريخ لبحاية عبر العصور وهذا القصور مرجعه عدة اسباب :

1 - قصور المؤلف وعدم تعمقه فى البحث المرحوع الى المصادر الاجنبية المتوفرة فى شكل مخطوطات او مطبوعات (ولا سيما الوثائق الاسبانية والتركية) *

2 - عدم استغلاله بطريقة وافية لكثير من المعلومات التى تقدمها المراجع التى التجا اليها *

3 - ضعف ملكة النقد والتحصيص للنصوص التى ينقلها وعدم مقاربتها بنصوص اخرى لاستخلاص افصح الروايات *

4 - ضعف استعمال المؤلف للمخطوطات العربية من كتب التاريخ والجغرافيا التى كانت المكتبة الوطنية (الملكية حينئذ) تحتوى على نسخ لكثير منها *

5 - أسلوب فرنسى مهلهل هو المنيب - بالاضافة الى عدم اعتماد منهج علمى دقيق - فى كثير مما يتناول عليه سرد الاحداث من التشويش والعموض والتكرار *

6 - عدم اعتماد طريقة منهجية لكتابة الاسماء العربية والبربرية بالحروف اللاتينية *

كتب عن بجاية ببليوغرافيا أعدتها السيدة عالمة

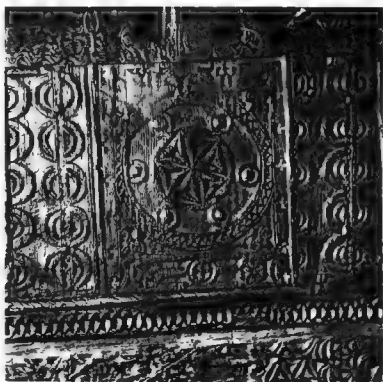
ذكرنا فيما قبل اهتماما للكتابة في هذا المندخصص بجاية ، أهم المصادر والمراجع باللغة العربية وباللغة الفرنسية التي تناولت تاريخ المدينة .

1 - المصادر والمراجع العربية

- (1) ابن لاثير (محمد) - الكمل في التاريخ - بيروت ، 1967 .
- (2) ابن حوقل (محمد) - صورة الارض - بيروت ، بدون تاريخ .
- (3) ابن خلدون (عبد الرحمن) - كتاب المعر - بيروت ، 1956 - 1959
- (4) ابن خلدون (يحيى) - بنية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد - الجزائر، 1903 - 1913
- (5) ابن الصنف (القسنطس) (أحمد) - الفارسية في تاريخ الموية الحفصية - تونس، 1968
- (6) الإدريسي (محمد الشريف) - زجة لكشاك في احتراق الألق - ليدن ، 1866 .
- (7) ازركشي (محمد الحزازي) - تاريخ المؤلفين لموحدة ، والمحفصة - تونس ، 1289 .
- (8) الغبريس (أحمد) - مدن الداريا في تاريخ علماء بجاية - الجزائر ، 1369 هـ - 1970 .
- (9) بويهي (عادل) - اعلام الجزائر - بيروت ، 1972 .
- (10) الفريز المراح (عفيف) - دليل المسحضية في الاخير التونسية - تونس، 1970 - 1973

2 - المصادر والمراجع باللغة الفرنسية :

- 1) EL-BEKRI (Abd-Allah) : Description de l'Afrique Septentrionale, trad. de Slaam. Alger, 1913.
- 2) BRAUDEL (Fernand) : Les Espagnols de l'Afrique du Nord de 1492 à 1577, in *Revue Africaine*, 1928.
- 3) BRUNSCHWIG (Robert) : La Berbérie orientale sous les Hafsides. Paris, 1940-1947.
- 4) CHERBONNEAU (Auguste) : Notes et extraits du «Unwan ad-Daraya fi tarikh Macha'ikh Bidjaya», in revue algérienne et coloniale, Juin 1859.
- 5) DE BEYLIE (Gul L. de) : La Kalâ'a des Beni-Hammud. Paris, 1909.
- 6) DE GALLAND (Charles) : Bougie. Alger, 1895.
- 7) FERAUD (L. Charles) : Histoire des villes de la province de CONSTANTINE, in *Recueil des Notices et Mémoires de la Société Archéologique de la province de Constantine*, 3ème volume de la 2ème série, 1869.
- 8) GOLVIN (Lucien) : Le Maghreb central à l'époque des Zirides. Paris, 1957.
- 9) IBN AL-ATHIR (Mohamed) : Annales du Maghreb et de l'Espagne, trad. Fagnan. Alger, 1898.
- 10) IBN HAWKAL (Mohamed) : Configuration de la terre (Kitab Surat al-Ard), trad. J.H. Kramers et G. Wiet. Beyrouth - Paris, 1964.
- 11) IBN KHALDOUN (Abderrahmane) : Histoire des Berbères, trad. de Slaam. Paris, 1927.
- 12) IBN KHALDOUN (Yahia) : Histoire des Abdelwadites, trad. A. Bel. Alger, 1903-1913.
- 13) EL-IDRISSI (Mohamed Ach-Charif) : Description de l'Afrique et de l'Espagne, ed. et trad. Dany et de Goye. Leide, 1886.
- 14) LAPENE (Edouard) : Vingt-sept mois à Bougie. S.l.n.d.
- 15) MARÇAIS (Georges) : Les Arabes en Berbérie. Constantine - Paris, 1913.
- 16) MARÇAIS (Georges) : Les poteries et faïences de Bougie. Constantine, 1918.
- 17) MARÇAIS (Georges) : Bougie, in *Encyclopédie de l'Islam*, nouvelle édition, tome I, pp. 1240-1241.
- 18) MAS LATRIE (Comte de) : Traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des Chrétiens avec les Arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen-Age. Paris, 1866.
- 19) NUMA LAMBERT (Jacques) : Saldie-Bougie et le Christianisme. Alger, 1958.
- 20) YVER (Georges) : Bougie, in *Encyclopédie de l'Islam*, ancienne édition, tome I, pp. 785-786.
- 21) ZARKACHII (Mohamed) : Tarikh ad-Dawlatayn (histoire des Almohades et des Hafsides). Constantine 1895.



منقطع من صندوق خشبي قديم في المنطقة



فهرس المد

صفحة	المحتوى
2	افتتاحية
3	كلمة افتتاح للمنتقى الثامن للفكر الاسلامى.....مولود قاسم
	الفتحة الأولى من جدول أعمال المنتقى
7	وضع الاكثليات والجالليات عموما والاسلامية خصوصا فى كثير من بلدان القنارات الحسنى ، وواجب العلماء والعكرين ، ورجال الاعلام نرحمها.....فرنسيس مناهيم
17	وضع الاكثليات والجالليات عموما والاسلامية خصوصا فى كثير من بلدان القنارات الحسنى ، وواجب العلماء والعكرين ، ورجال الاعلام نرحمها.....د. عبد الكريم صابو
	الفتحة الثانية من جدول أعمال المنتقى
31	دور الفكر اليوم وعلى من الصبور فى امته وتحمه الانسانية فى كل من قضايا الساعة واناك للمستقبل.....د. محمد عزيز الحبابي
	الفتحة الرابعة من جدول أعمال المنتقى
41	مصنف مصرى لطلب الله من القرن السادس الهجرى : مرشد الكمالين د. سعيد شيبان
57	بين الحسب والاسلامية او الاسلام من حال بصيرالتصحيبات فى العالم الميحد د. ميغال دى ايبالزا
65	الحضارة الاسلامية ولزعة الانسانية د. احسان عباس
	للتفتة مقصدة من جدول أعمال المنتقى
79	الاية والاصالة مع الصنيع والمالية عبد الله بن بيه
87	التاريخ كلفنى ميثاق للاصالة والمالية د. ايلسون تورين
101	ببب الاصالة والحاصرة..... د. زكى نبيب محمود
113	حداية فلسفة التشريع الاسلاميه..... د. الحاج عبد الكريم بولوس
117	اصحاده لتكلم ؟ ملحة تاريخية من بياية د. طيسلى زكريا
127	توصيات المنتقى الثامن للفكر الاسلامى.....
143	كلمة احتتام للمنتقى الثامن للفكر الاسلامى.....مولود قاسم
	فى ذكرى الاربين تولاة الاستاذ على الناسى
151	محمد هلال الناسى الفكر المجتهد.....احمد عصاني
	مسابقات
191	الاسلام نظام شامل والنسب فيها.....مولود قاسم
200	حوار مع الدكتور عبد الكريم صابو.....
204	وشهد شاهد من غير اهلها.....
207	الاكثليات الاسلامية فى اسبانيا.....
214	لقد مع د - عبد الكريم صابو.....
217	استجواب مع د - ايون تورين.....
	اصفد للمنتقى
221	موضوع الاصالة والفتن يسود مناقشات المنتقى 8 لفكر الاسلامى.....بول بالفا
	المسابقة الثقافية
223	سوار حول كتاب 80 سنة على الجرد العنصرية احمد توفيق المدنى
241	سياسة ثقافية فى خدمة السلم.....محمد عزيز الحبابي
248	الاسبروع القتالى التوتسى.....
249	مرض الكباب المصري.....
253	تأسيس اللجنة الدولية لتشجيع البحوث التاريخية العربية.....

افتتاحية

محاضرات من الملتقى

ريثما يصدر كتاب الملتقى الثامن للفكر الاسلامي سننشر في كل عدد من « الأصالة » كمادتنا في الملتقيات السابقة مجموعة من المحاضرات .

والملتقى كما يعلم القارئ ، وكما أشارت صحف عربية وأوروبية منبر حر مفتوح للجميع ، ومن هنا فالآراء التي عرضت في الملتقى لا تمير كلها بالضرورة عن آرائنا .

ومن هنا فالزيادة على المناقشات المفتوحة الطويلة المريضة التي فسح لها المجال في الملتقى ننتظر من القارئ أن يشرى هذه المناقشات على صفحات هذه المجلة .

هذا وملبقاً لما جاء في الحلقة التي أعلننا في افتتاحية العدد الأول : « . . كما سيكون جزء منها باللغة الفرنسية كما هو شأن بعض المجلات في بلدان شقيقة ، لتخاطب بعض الناس لدينا بما يفهمون » والتي سرنا عليها برهة ثم توقفنا لأسباب عديدة ، واستجابة لرغبات ملحة من جزائريين ومسلمين عموماً وخاصة من أوروبا ومن غير المسلمين من عدة جهات من العالم ، نستأنف خطتنا المذكورة بإصدار جزء من المجلة بالفرنسية أيضاً زيادة عن أصله بالعربية أو ترجمته إليها .

« الأصالة »



كلمة افتتاح
الملتقى الثامن للفكر الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
حضرات الأساتذة الأفاضل ،
حضرات السادة والسيدات ،

أود أن أبدا هذه الكلمة بما انتهت به كلمة
افتتاح الملحق السابع ، وأرجو بكم باسم
الرئيس بومدين وإجرائي كلها في هذا الجو
القبلي الرائع ، والأظفار التاريخي المجيد ،
« في العاصمة ، عاصمة ناصر بن عبد الله
الخاصة ، مدينة النور قبل باريس بقرون ،
التي جابت البحار بأساطيلها ، وبهجرت
الإسبانة ببلاراتها ولأنها التي كان يتجسس
فيها الحكماء بالعلماء ، بضوء الجواهر ، وتعرفها
بعلومها وفنونها ، وقاصاتها أوروبا والعالم
بجامعاتها وشوارعها » بعبارة : -

مولود حاسم فايت بنقاسم
وزير التعليم لاصل واشوون الدينيه

حضرات الاساتذة .

اخوتي الطلبة والطالبات .

نجمع لايام وليال كندرسى نقاط خمس تراها في غاية الأهمية لا بالنسبة للجزائر والعالم الاسلامي الأوسع فحسب ، بل وللإنسانية كلها، وهي التي تمر بازمة طاعية تهدد القيم ، وتعرض لعواصف عاتية تتلذذ باكتساح الحضارة وأثارها!

1) نود أن نستعرض معا ما نأثته جالساتنا والقات من حسن معاملة ، أو عاتيه وتعاميه اليوم من عنت وعذاب ، في محفل انحصا العالم ، ونرى فيما اذا كان يليق بالمجلس ، والمفكرين عموما ، ورجال الاعلام ان يبقوا سلبين اذا ما ، ويكفوا في احسن الاحوال بالخوف والاسنتكار في التواضع المقلقة ، او يجب عليهم ان يصرخوا في وجه الظلم حينما وقع ، وينحدوا بمختلف انواع التمييز ، ويعرضوا بسلبتهم المعنوية احترام كرامة الانسان كإنسان!

2) كما يبدو لنا من الضروري أن نتفحص التاريخ ، ونلقى نظرة خاصة على عالم اليوم لنذكر ونسجل دور الفكر الآن وعلى مر العصور في امته ونجلاء الاساية في كل من فصايا الساعة واطلاق المستقبل . وهل الفكر الذي وصفه اليونان وينعمه عالم اليوم بالخشية - وميزه ابن رشد في تصنيف الناس الى صفوة ودهماء ، أو الجاهل ، كما يقال اليوم ، أقول هل يتماز هذا الفكر عن دجل الشارع بالوعي الدقيق بمفهوم المسؤولية ، وبشمولية النظرة ، وسعة الصدر ، والضحكة في العمل على فرض احترام كرامة إنسان والشعوب . ام ان كل ميزاته هي الشهادات، والوظائف ، والشريف ، والالقاء ؟

اذا كان الإنسان ، أي إنسان ، حيوانا ناقضا حسب تعريف ارسطو ، فانه لا يمتاز عن بقية الحيوانات الا بالنطق ، أي التفكير لنفسه ، وامته ، والانسانية ، وعلى الفكر بالذات يلقى عبء خاص، وبه نشاط مسؤولية استثنائية ، هي اسمها نتيجة تفكيره ، والمناذاة بصوت ضميره !

3) وكيف لا نشير ونحن في بجاية الى الدور البارز الذي ساهمت به الدولة الحمادية في بناء الحضارة والفكر الاسلاميين ، وبالتالي في الحضارة العالمية - ويكفي أن نذكر ، كرمز الى ما قامت به الدولة الحمادية في اليانين الحضاري والفكري ، ان اسم التجمع القوي لأوروبا والعالم قبل اكتشاف الكهرباء ، يقرؤن مستقى من اسم بجاية ، BOUGIE ، وتدل على ذلك بطون التاريخ ،

ويذكر به القاموس الفرنسي لاروس ، وإن عبده الرحمن بن خلدون ، مؤسس علم الاجتماع . كان يدرس بها بجامع القسبة وهو فيها حاجب - أديبيس وژرا ، وإن المهلب بن تومرت كان يدرس بجامعها الرينة « وإن جامعتها كان يرتادها رجال علم وفكر من بقية المغرب ، ومن الإنجليس ، والشرق ، ومن أوروبا الغربية إذ ذاك في ظلمات قرونها الوسطى ، وإن علما من اعلام هذه القرون الوسطى الأوروبية ، وهو ريمون لول ، السمي «الدكتور الملم» ومؤلف كتاب «الفن الكبير» في المتاح . جا. إلى بداية للدرس والمنافسة - وسحدثنا عن هذا كله بتوسع واختصاص الاساتذة الكبار في هذا المتاح .

٤) والخسارة والفكر الاسلاميان اللذان كانا منطلق أوروبا نحو نهضتها وتقدمها . يتطلبان هنا أن ندرس أسباب ازدهارهما وانهيارهما ، وعوامل انبعثهما ، لأن التاريخ بعد نفسه ، وإذا كانت براش قد جنت على نفسها . فنهضتها من كبوتها لا تتوقف الا عليها أن صبح العزم ، وقويت الارادة . واستخلصت عبر السارخ ، واستلهمت تجارب الأمم .

إن الخسارة والفكر أدت مشتركة ، بقدمهما على عمل جماعي . والتاريخ يسجل لكل امة لبنتها ، ويؤخذها على كسلها وتفصيرها « ومن تعاون هان ، وخسر الرهان !

٥) وهل صحيح ما يبدو لنا من أن طريق الخلاص الوحيد للامة الاسلامية ، ولاية ائمة من الامم في وضعها . هي الكد في تداركها غلات ، والسعي لكسب بركب النافعين . مع المحافظة على روحها وخصائصها ، وتعديم الجسور على الاعراض ، وعدم الاستغناء بالتقصور عن المياد ، وضرورة الاقلاع عن العلل بسلبها اخصارها الحديثة للاقتصاد على ايجاباتها . وهذا كله هو ما تقصده بالانسة والاصالة ، مع التفتح والعالمية .

وهنا أود أن أذكر بما سبق أن أشرت اليه بايجاز في المتاح السادس « وهو أننا امام فرقتين نرى أن كلا منهما مقال وواقع في التسلط .

أحدهما فريق الموقفين ، المترهين ، المتزوين ، المتكسبين ، الراكدين ، المتخلين « الجامعين . الذين يدعوننا باسم المحافظة على التقاليد إلى عدم الاكتفاء . بأفعال الأبواب ، بل يطالبون مننا أيضا سد النوافذ ، حتى لا يسرب اليها بصر من نور ، أو نسمة من هوا . وتبقى في الظلمات . ونعرض للاختناق !

والفرق الآخر يلحون علينا باسم التقليدية ، والتوراة ، والنطور ، والتمتع ، وسعة الأفق ، والفتح ، والمالية ، الى عدم الاكتفا . بفتح النواخذ واسعة ، والابواب على مصارعها ، يسلم يسمون آذاننا بالمناداة بضرورة نزع السقوف ايضا ، وهم المقامرون ، السطحيون ، المسوخون ! ونحن نجيب اولئك وهؤلاء . باننا لا نريد ان نلعم أنفسنا من الأكسجين والفضو . اللذين هما اكبر الهياة ، ولا ان نعرض أنفسنا للزوايسع الجارفة المطعة بالاشنية . المخلفة للأوناد ، المهلهلة للعمداد !

اننا ندعو الى فتح النواخذ ، بل والابواب عند اللزوم ، ولكن مع الاحتفاظ بالسقوف والرفوف ، ونقف بأقدام ثابتة على أديمنا الراسخ ، لثربنا ، معلمين ، واقفين بانفسنا ، الى عوالم اخرى نستقي من تجارها الناجحة ، ونعطف باخطائها ، وهو ما يدعونا اليه الاسلام ، وما نجح به السلف اولم يسمروا في الأرض ، أفلا ينظرون !

اما ان نبقي معلقين في الهواء ، ونشرّب من خلال السفف للتزوع الى عالم الجھول ، فلن تكون النتيجة الا الوقوع في الدرك الأسفل والانهدار !

هذا ما قصدها بالجمع بين الالية والأصالة مع الفتح والعالية ، الذي يفتح النواخذ والابواب ، ولكنه يحفظ بالسقوف والرفوف ، والذي يبدلنا المخرج الوحيد للانسانية التي تعاني اليوم لزمة حضارية حادة ، تهدد الينا ، الشمسى بالتصدع والانهيار .

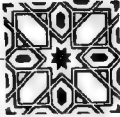
حضرات الاساتذة الافاضل ،

اخوتي الطلبة والطالبات

هذه هي المواضيع التي نريد النظر فيها معا ، ونفتح باب مناقشتها واسعا ، ونرجو ان نخرج من ذلك كله بشائج تكون هي نفسها خطوات تمهيدية في مسيرة ينبغي ان تستمر لتستقي الحضارة ، وتصون كرامة الانسان .

واخيرا أمني لأعمالنا النوفيق والنجاح ، وللاساتذة والطلبة الفضيف طيب المقام في بيجاة والجزائر .

والسلام عليكم ورحمة الله



النقطة الأولى من جدول أعمال المنتدى

وضع الأقليات والجماليات عمومًا والإسلامية خصوصًا في كثير من بلدان القارانت الخمس وواجب العلماء والمفكرين، ورجال الإعلام نحوها

ان عنوان النقطة الأولى المتقى العكسر
الإسلامي الثامن وأسع جدا ويسمح بالمخول في
مشاكل وحالات متنوعة جدا - فالنقطة الأولى انن
المعتونه « وضمنح الأقليات والجماليات عموما
والإسلامية خصوصا في كثير من بلدان القبارات
الخمس وواجب العلماء والمفكرين ورجال الإعلام
نحوها » *

ان هذا العنوان يفرض طريقتين : وصف
حالة موضوعية وبما انها مسألة « وأجيب »
اصدار اقتراحات نظام اخلاقي *

اقترححت في النعرض الذي اقدمه لكم ان
اصف حالة موضوعية جدا : وهي حالة الأقليسة
الإسلامية التي تعيش في بلادى بلجيكا وبالاخص
امير عائلة واوحدها : الجالية الجزائرية *

الاستاذ فرنسيس منهايم

كاتب ورئيس
الجمعية البلجيكية العربية
بروكسيل - بلجيكا

اما الواجبات التي تعود الى فئات معينة من الاشخاص والتي تواجه مشاكل التي تطرحها هذه الاقليات فهي اقل تدنسي تقبدا في اطار مهنتي ككاتب وصحفي اي كضام عيان *
فهذه اذن ان تصنف المشاكل الاخلاقية والتنافية للالوية الاسلامية في بلجيكا وحاصلة في المجموعة الحزائية *

ولكن تفهم هذه المشاكل من الضروري تحديد هذه الاقنية وهذه المجموعة على المستوى الديمغرافي والاقتصادي وغيره *

1 - يعيش في بلجيكا 20 ملايين نسمة من المواطنين بينما هناك 700000 اجنسي تقريبا يعيشون في البلد - وتحدد الاشارة الى ان هذا العدد ما هو الا تقريبي لسبب بسيط هو انه لم توجد احصائيات كاملة لهؤلاء الاجانب - ان الارقام المخطئة من طرف الشرطة تخص الاشخاص الذين يزيد عددهم على 12 نسمة - اما تلك التي تعيها وزارة الشغل والعمل فتخص المستغلين وتلك التي تعطيها الادارة فهي عسير كاملة - واحيرا فان العناصر القصلية هي قرب الى الصواب من غيرها - وعن هذه المعلومات تصرفاته يوحد 597X جزائري فيهم 225 رجس اكثر من 25 سنة و 573 امرأة اكثر من 21 سنو 2783 شابا وشابة *

ان الحالية الجزائرية قليلة نسبيا بينما تجد الجالية العربية تنوعا ثمانية اشعاف والجالية التركية اربعة اشعاف - اما التومسيون فان عددهم لا يتجاوز الفين - وفي المجموع من الجالية الاسلامية تمثل 10 ٪ من مجموع الانسب - ويبدو بنا ان هذه النسبة لا تحتوي على بعض المائات من الالمانيين واليوغسلافيين ومواطنين لبعض بلدان اوربا الشرقية الذين يسمون هم ايضا بالدين الاسلامي *

2 - الهجرة الاسلامية في بلجيكا حديث عهد نسبيا - وعرف هذا البلد الصغير المصنع حيدا اوعلا اخرى من العتريين : ايطاليون ويوساويون في بداية القرن ثم بولونيون وتشيكويون وقسمت استغلال الموارد القومية نصفه قوية ثم اسانويون وقت حرب اسبانيا سنة 1936 - وما دس عمل افريقي الشمالية الى بلجيكا الا بعد الحرب العالمية وخصوصا بين 1955 و 1967 - وتحدد الاشارة ايضا الى مشاركة بعض الجزائريين كعمال في مناجم في معركة الفحم الكبرى التي خاضتها بلجيكا غداة استقلالها في سنة 1944 على اصل انقاذ لقتصاد ارقه العازي الساري بكيفية خطيرة *

3 - وهذا يفسر ظاهرة تاللة للجالية الجزائرية في بلجيكا - بينما هذه الجالية شابنة جدا اذ 80 ٪ من امصائها لا يتجاوزون 40 سنة فان 3/3X الرجاا الجزائريين الذين يعيشون في بلجيكا هم عمال مناجم متقاعدون يواصلون مسؤلك نشاطات اخف في نفس القطاع *

وضع اللاجئين والمهاجرين ..

وحارج هذا النطاق المجمع نحد اعلى صيغ عمال افريقيا الشمالية فى قطاع البناء والحديد - ونجد بمعهم فى قطاع المواصلات الذى يفرمونه الشبان البلجيكويون اكثر فاكثرا لانه يحسنوى على اعمال ليلية وفي يوم الاحد *

وفي الحملة يمكننا القول بان اقلية عمال افريقيا الشمالية يشتغلون فى مناصب خطيرة وسخة وشاقة - يتقاضون اجرا حمتا نسبيا كرفتمهم ابلجيكويين - وهذا لا يعنى ان وظيفتهم مرغوب فيها وسنرى لماذا *

4 - ن الوضعية المائتية لعمال افريقيا الشمالية غالبا ما هي صعبة - نصفهم عزاب وزيادة على ذلك فان نصفهم تقريبا متزوج هاجر بدون عائلة واصبح وحيدا *

5 - يجد عمال افريقيا الشمالية صعوبات جمّة فى الحصول على سكن لائق وخاصة اذا كانوا نرى عمال - وهذا راجع نسبيا الى عنصرية ارباب المنازل والشقق تلك العنصرية التى ستحدث عنها ايضا - وهو راجع ايضا الى نقصان السكن الاجتماعى الذى تعاني منه بلجيكا - ان شركات عديدة تبني دورا بائتمان بسيطة وتخصصها للمواطنين او لمواطني بلدان المجموعة الأوروبية - وفي بروكسال بالخاص فان أزمة السكن حداثا والاف عمال افريقيا الشمالية يعيشون فى اكواخ خفية *

وبصفة عامة فان لحرب الاحياء (والمعينة للهدم من قريب) هي الوحيدة التى تسمح بايواء هؤلاء العمال *

6 - ان تجمع عمال افريقيا الشمالية الكثيف فى بعض الاحياء له نتيجة مباشرة فى المجتمع الدراسي لهذه الاحياء - هي بعض مدارس ضاحية بروكسال او المنطقة المجاورة بهينو Heinaut اغلبية التلاميذ هم أبناء عمال افريقيا الشمالية - ونظرا لحالة الحاسنة فان التشريع المدرسي ابلجيكا لا يسمح بمواجهة هذه الحالة الشاذة - وهكذا فانه لا توجد وسائل تعليمية تساعد ابناء عمال افريقيا الشمالية بالكيف بصفة حديثة على التعليم الأوروبي - كما انه ليس لاولياء الطلبة ان يقرضوا تعلم الدين الاسلامي لابنائهم وبينما يسمح القانون بذلك لاولياء التلاميذ المسيحيين او النرومسطيين او اليهود *

7 - وان كانت السلطات البلجيكية تتسدد بالمظاهر العنصرية وتريد ان تتبع سياسة ايجابية تجاه البلدان العربية عامة وبلدان افريقيا الشمالية خاصة فان العمال المسلمين - غالبا ما يتعرضون الى المشاكل الادارية او عدم التفهم او معارضة بعض المواطنين البلجيكويين فى الادارات المختصة او الشرطة *

8 - وهذا يؤدي بنا الى ان نتكلم على احزابنا فى ومغنا : وهو جو اللامقاومة والعنصرية المتأججة التى غالبا ما تحوط مغتربي افريقيا الشمالية *

والن كنه اسام جمعفة كهذه لا بد من انشجاعة للصعود الى العناصر والنظر فى المشكل فى انقها التاريخى ؟

ان المعارضة الثقافية للمعالم العربى المسيحى تجاه المعالم العربى والاسلامى لقفمة منذ ظهور لاسلام * وهى توجد كذلك نصفة مستمرة ككتبا التاريخية والمرفسة * فقد تعلمت دائما ان الديانة الاسلامفة ديانة غاصبة لا تسامح وان الحصار العربفة قد اصمحت وتلاشت بعد فترة قليلة من الزمن - وقد تعلمها افس من قبل وحدى فىلسموكتك ابوه وجده من قبل *

ومن الصمير الا نعلم ولكنه من الطريف الاعتراف بهذا الاتجاه الصلبى تجاه الاسلام * ومن الصمير ان معارض الضمائر التى احدثتها *

كما هو من الصمير ايضا الا نقرق بان كتابا كثر من حاليا من بينهم مسيحيون كثيرون يتخذون مواقف تاريخفة اكثر ملائمة للحقائق ويتحدثون عن الاسلام باحترام الشئ الذى كان بنفس العربفة كثرة اولئك الذين كانوا برعمومعرفته *

ولكن ان كان التاريخ ومن يكتبوه يحدرون اليوم من العهد الارابى فهذا لا ينزع شيئا من المرض الذى وقع وهو عظيم ومنتهى بصفصعمفه فى المقلبات الاوروبفة *

ان هذا المرض لكبير جدا سيما وانه كان يهيم العقول بدون شعور الى ان تسيطر هاجمه افسة اخرى واعنى بذلك الدعاية الصهيونية الموحدة فى العرب منذ جيلين وقد وجدت فى تلالى وغيره ابواقا قوية ومصرة * وليست يهتفى كلامى هذا التحدث عن المشكل الفلسطينى الالىم وانما التحدث من الاقلبة الاسلامفة التى تميش فى فلسطين وعن المشاكل التى تواجهها - ولا بد لى ان الالحظ ان مواضع الدعاية الصهيونية التى تشكل حديثا مؤقتا اضيفت الى عدم تفهم اقدم يمكننا ان نقره تصميما من طرفه الرأى المعام العربى تجاه كل ما هو عربى ومسلم *

ويضاف الى ذلك رمود الفصل الانانسة للحمهور تجاه بعض الاحداث السياسية والاقتصادية بصورة عامة فان الرأى اعلم اليلجى قد تعاطف مع الكفاح الذى خاضته الشعوب المستعمرة بعمية انتزاع استقلالها السياسى * الا ان الرأى العام هذا نفسه اكثر تحسسا وحفده حين تجاول هذه الشعوب انتزاع حقوقها الاسامفة فى الميدان الاقتصادى *

وان تصدر الحكومات العربفة والحكومة الجزائرفة خاصة - معركة شعوب افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية التى تخوضها الا لعرض توزيع اعسب للثروات والموارد المعالمفة - ان هذا التصدر اثار رمود فعل عصفرة من نزع جديد لانتجو منها بلادى مع الانفص - ومما لاشك فيه ان بعض اصاول فى فرنسا وبلجكا الانتقام من العمال العرب الماترين وان حائنا من البرابى

لعام أكثر استعدادا لسماع مثل هذه النداءات يجب انه لم يحط لحاطة كاهية بإسهام اليسـد لعامة الاجنبية فى الاقتصاد الغربى الذى لمسيكن لميستقيم الاستثناء عنها فى فترة مارس 1945 - 1970 على الأقل تلك هى الحمولط الكبرى لوضعية عمال شمال افريقيا فى بلجيكا * وكما قلتم هان الوجه لا يضيظ عليها ولكنها تشتمل علىجاب ظلمابها انوارا - واكن ظللا لو لم يبرزها خاصة ان مضى هذه الانوار تيرهن ان شيئا اخذيتحول فى الغرب وفى بلجيكا بوجه اذق *

اما النقاط الايجابية فسانكرها مبعثرة فى غير ترتيب منطقى - واولد قبل كل شيء التاكيد على دور ودائية الجزائيين فى بلجيكا والمصالح القنصلية وسط الصالية لجزائرية *

1 - على خلاف رعايا بلدان اخرى (وانكر رعايا المغرب وتركيا) هان العمل الجزائريين فى بلجيكا لاشعرون بعزلة وليسوا معزولين بالفعل وان الرئيس بومدين قد ذكر مرارا فى خطبه ان العالمة الجزائرية جزء لا يتجزأ من التراث وأنه يتعين بناء على ذلك بدل كل الجهود بغية اعادتها الى البلاد * والاحظ - فيما يتعلق ببلجيكا على الاقل - ان اودانية تصطبغ تماما بدور الوساطة بين الامة الجزائرية وبين العالمة الجزائرية المختربة سوامنظر اى الودانية باعتبارها ملقنى ومحمما ، او حلية دفاع او اداة تربية للشباب حيث تفضم دروسا للمربية والدين الاسلامى ومعسكرات صيفية فى ارض الجزائر نفسها ، وكذلك تربية الكحول حيث تعرض العمال على استكمال معلوماتهم المهنية والنظر الى هذا الاستكمال تعالجات الاقتصاد الجزائرى المستقلة ، ومعنى هذا بعبارة اخرى تبعا لاعادة انخراط هؤلاء العمال فى هذا الاقتصاد *

2 - النقطة الثانية البالغة الايجابية . الروح الجديدة التى تسيطر على جانب من الرأى العام البلجيكي وخاصة وسط الشباب - فهؤلاء الشباب ابد ما يكونون عن كل فكرة عنصرية ، وان وجود عمال شمال افريقيا بجانهم قد ايد ايمانهم هذا بالمساواة الاساسية وحرمة وكرامة كل ايشسر مهما يكن اصلها وماضيها الثقافى ووطيقتها الاجتماعية * وهذا التضامن النشط بين الشباب البلجيكي وعمال شمال افريقيا يتجلى فى - عدة ابنىة كالمظاهرات النقابية ولجان الاحياء وحركات الجامعة واليادرات الثقافية بل والرياضية *

وهذا التضامن يسهم فى استيعاب الاحراءات الظالمة التى قد تتخذ ضد العمال العرب من طرف السلطات الرجعية ولكنها تسهر على علاقات مودة اساسها التقدير المتبادل والتعارف * وعلى قدر نمو التعارف يتمسو الاحترام ويقدر ما يتمو الاحترام يتمو التعارف *

3 - ان هذا التضامن من صنع المسيحيين وبعض النسيبيين - ولما كانت العالمة الاسلامية فى بلجيكا تملك بعض المساجد - وان كانت غير كاهية - معد وخم عدة قسيسين كاثوليكيين رعاة

بروستانتسكي من تلقاء انفسهم كاثوليك تحت تصرف العمال المسلمين ، ان عهد التبشير المسيحي قد ولى الى الابد .

ن الناس مختلفون - وهم متساوون - وفي نفس الوقت مختلفون . ليس طبعيا ان يخاطبوا الله في مبات وطقس مختلفة - ليس حقا علي من يصلي لله ان يحترم الآخرين الذين يصلون .
4 - ان السلطات العمومية نفسها - لها دور في بحث هذا التضامن حتى ولو احدا عليها حاجتها الى الجراء في المبادرات التي تتخذها خاصة في ميدان التقنين لصالح العرياء .

وهكذا فان آخر وزير للشغل والعمل ارادت قلين وهو احد اصفاككم منذ امد طويل قد اتخذ عدة اجراءات لمنع معتدات ان يتكلمون بما يسمى « الكفر » الروحي والثقافي للعمال العرب - وهذا فان عددا من البلديات التي انشأت مجلسا شوريا للعمال المهاجرين تود ان تشارك هؤلاء اعمال في اتخاذ القرارات البلدية بصفة اكثر مباشرة .

وهكذا فان عددا من النواب المتزايد عددهم يصلون ان يمارس للعمال الاحاب حقوقا سياسية زيادة على الحقوق الاقتصادية بشرط ان تكون هذه الحقوق ملائمة وسيادة الدولة .

5 - وآخر نقطة من الامتنع ملاصقتها هناعي : ان رجال السياسة ورجال الكنيسة والجمعيتين الذين يعيشون مع مشاكل الهجرة قد تراجعوا عن فكرة الاندماج - قد من زمن كانت انقرض الطيبة تريد ان تساعد القادمين الجدد ان يشابهوا قدر الامكان مواطني البلد المضيف - ومن الممكن ان تحد هذه الرادة تيريراضحين كانت تستضيف لواعدين من نفس الثقافة اذ كانت رغبتهم الاستيطان النهائي في هذا البلد - وهكذا فان الانا من الاسانيين او الايطاليين قد استوطنوا في بلجيكا دون امل العودة وجسرا اولادهم بلجيكيين - ولكن فكرة الاندماج تصبح سخيفة فيما يخص العمال العرب ، المسلمين والذين يعيشون هناك امين في العودة الى الجزائر او الى المغرب يوما ما - فان هؤلاء الممان من لضروري ان نعتريهم في شخصيتهم لميقية وفي اختلافهم - وما يطلبون الاندماج مؤقنا في مجموعة اقتصادية في حاجة اليهم وهم في حاجة اليهم .

وقفة الاندماج اؤمت هي التي طغست اخيرا - اعرف انها تناسب لرايتهم التي عبرت عنها مرارا السلطات الجزائرية - ومن الممكن ان اقول انها تسوقى نهائيا السياسة التي ترى سلطات بلادى اتباعها تجاه اليد العاملة الوافدة من البلاد الصديقة وبلاد المغرب - اود ان اتحدث عن النقطة الاخيرة الموجودة في الموضوع الاول لاشعالكم - اعنى واجبات رجال الاعلام وعصال مواصلة المحامير امام الارضاح التي سوزناها امامكم بانحاز .

الكل يكسب من المهنة التي امارسها وهي الصحافة وحسب رأيي ، رأي صحافي بلجيكي تجاه هجرة العمال العرب المسلمين الى بلادي *

كنت دائما اعتبر ان مهنة الصحافة مهنة شاقة مني كانت تحتوي على الشهادة - كلمة شهد تحتوي اولا على الاطلاع ثم الادلاء بمسانعرف - هكنا الطريقتين تحتوي على عدة عقبات من الصعب جدا تجاوزها *

كثيرا ما يقال ان الواجب الاول للصحافي ان يكون موضوعيا * وبعد ان مارمت هذه المهنة عشرين سنة استطعت ان اقول ان هذا ليس صعبا كله لسبب بسيط وهو ان الموضوعية تظهر نسي مستبيلة - ان الصحافي ليس مؤرخا فهو في الحق يتمتع في التاريخ الصائر - شمله الاول ان يعيش في الواقع ان يخذى رجلا احياء ان يفعل كرجل حي يعيش وضعيات ملموسة - ولو اراد ان يكون موضوعيا قول يستطيع ؟ بالعكس عليه ان يكون بريها - بالدراسة هي عمله الاول - فانه لا يستطيع ان يقدح لا من متكلم عنهم ولا من يكلم - كما انه لا يستطيع ان يقدح نفسه ويسقط في افخاخ الكتابة *

واظن ايضا ان هذا الواجب الاساسي ان النزاهة يرافقه هناك - حق الاشترازان وحق الائتلاف - واطن انني استعملت هذين الحقيقتين في مادة ثلاثهما - فكم في الارشاع التي وسقناها من مواضيع الاشترازان والائتلاف كم ظلما مغلطا على العمال المهاجرين في شخصيتهم وهم مقلدون هذه الحياة السفلية - كما نيتج حين نرى تلك الصامن الذي يلقى يوما بعد يوم بين هؤلاء العمال ومواطني البلد المضيف *

اظن ان واجبتا كصحافيين يستطيع ان يمحصر في نقاط محسرة قابلة لتغيير عليه الرأي اعلم تجاه المهاجرين تغييرا جديرا انه هو الهم في النهاية - لا بد ان نذكر الى الرأي الصام هذا ان اقتصادنا العربي يحتاج الى اليد العاملة الخارجية - لم يجد هذا الاقتصاد ما يحتاجه من عمال في عين المكان لذا اصر ان يطلبها من اسواق العمل الاخرى وجلب هذه القوى الانشائية التي هي في حاجة اليها - طبعاً فان العائدين متلائمين ان العمال الوافدين عسفا ما يعطون برضى منهم منهم وجدو مزايا مادية - ومسن الجدير بالذكر فيما يخص هجرة عمال افريقيا الشمالية انها نتيجة مباشرة للاقتصاد الاستعماري - لم تصنع غربنا الحراش ابدا لم يبعها اسدا ان توفر العمل للجميع - انها حولة اناسا كثيرين وحدوا انفسهم في مناطق لم يبدوا فيها وسائل العيش كافية - من هنا نشأت الهجرة اي من اضطراب الانسان ان يعيش وان يحش ذوب - من الامن تنكير هذا للرائ العام ولو لم يكن هو اسؤول - كما هو الامر للرأي اعلم للبلجيكي مباشرة ولا حلف السياسة انني طفت هذا زمنا طويلا - ومهما كانت اسباب الهجرة فمن واجبتا

ان تذكر ابرأى العام ان العمال الوافدين عندهم رجال ، رجال ليست عليهم واجبات فقط ولكن لهم حقوقا ايضا - رجال ليس مهمهم التوحيد كسب المال ولكن لهم اشتغالات عائلية وحماسية وثقافية ، رجال ليس مهمهم الواحد الحصول على سكن لائق (وقد رأينا انه غالبا ما لا يجدونه) ولكن يجدون الى محيط يشرى ليساعدهم على ان يتكفروا على النطاق الخفى والثقافى .

لاند ان يكون ذوى شجاعة حتى نقول انى الرأى العام ان العمال لحرار بين المقيمين فى بلادنا لهم الحق المطلق فى ان يرددوا مع ايسر جاديس الشعارات الثلاثة : « الاسلام ديننا والعربية لغتنا واجرائنا بلدينا » . وفى نظرى فانه لا يوجد اى تناقض بين ارادة تطبيق هذا الشعار وضرورة الانسجام المؤقت فى مجموعة عمل اجنبية .

ولا بد علينا كلما قصصت الحاحة ان نذكر قيم احضارة الحرية الاسلامية وان نضع الاسلام فى وجهه الحقيقى - طبعاً فانه ليس على الصحفيين ان يعيدوا كتابة التاريخ ولا نظريات العسكرة - ولكنه فى استطاعتهم ان يدلوا بوضوح ان هذا التاريخ قد كتب جيدا وان هذه النظريات غالبا ما كانت خاطئة - اذكر خاصة ما تلمتحن عن عمق الاسلام من الناجحة العممية وعن التناقض الواحد بين هذا الدين الموحى وتطور المعرفة - وفهم بعينهم ان ادوا ايهاى كما خدعوا احيالا من التلاميذ فى اعرب - فهمت ان الاسلام يمكنه ان يكون قوة تحريرية وشه ما قتيه كذلك - وما فهمت على استماعتى اوهامه لغيرى ان لدى فرصة الكتابة وان مهتم الشهادة .

وحين يعلم الرأى العام فى البلد المضيف القيم الثقافية والحلقية للعمال المهاجرين جيدا فانه سترى عدة عوام سنية وسيقوى التضامن بين الرجال الذين تهتم عليهم الاوضاع الاقتصادية ان يمشوا معا .

على الصحفيين ايضا وعلى كل من يعمل فى اجهزة الاعلام ان يكشفوا عن اضطهاد العمال المهاجرين سواء من طرف ارباب العمل او من طرف السلطات العامة - ان الحرية لتبين ان الاتهامات العامة لهذا الظلم لاجدى ومضى كان لرأى العام محندا فان السلطات المعنة لاند وان تتسرع .

فمثل هذه الحملات يستطيع الصحفي ان يساعد العمال المهاجرين على ان يتقبلوا على عدة الخوف التى غالبا ما تتلهم .

وهكذا سيقطعون الصمت الذى يتجذونه امام الاضطهادات وسيرفضون طريقة الاستغلال الذى يحاول ان يطبق عليهم وبكيفية موجز مسيطرون ويعرضون كرامتهم الانسانية - الكرامة - اود ان اتم بهذه الكلمة - ان هذه الكلمة كثيرا ما كانت معنونة فى مفردات الهجرة

وضع الآليات والعمليات ...

– لاند من استرجاعها • اعنى كرامة الصمدال المهاجرين وعائلاتهم كما اعنى ايضاً كرامتنا –
ان كرامة حضارة ما تقاس بمدى ما تفعله للخير – كرامة مجتمع ما تقاس باحترام من تستقبلهم
عندها – ان كرامة الانسان تقاس بالصورة التي يسيدها على غيره – اعتبر العمال العرب الذين
هاجروا الى بلادى كاخوانى كما اعتر انه من واجبي كصمغى ان اكتبه – هذا ما وجدت ان اقرله
كصمغى ان اكتبه – هذا ما وجدت ان اقرله بكل بساطة •



برقية تعزية

بمناسبة وفاة العالم

الجليل

محمد أبي زهرة

بعث السيد

مولود قاسم نايت بلقاسم

نص البرقية التالية :



بلغنا بمزيد الاسى والحزن نبأ وفاة الشيخ أبي زهرة المعروف
باستماتته فيما يراه حقا ، واحد أساطين الشريعة الاسلامية على مر
العصور ، والذي غادرنا في الوقت الذي كنا ننتظره والسيدة حرمه
في الجزائر بناء على دموعنا اياه التي كان قبلها في آخر الملتقى السابع
للفكر الاسلامي الذي شارك فيه في السنة الماضية في تيزي وزو .
تغمد الله الفقيد برحمته واسكنه فسيح جناته ، وورزقكم وأسرته
وايانا جميعا الصبر والسلوان .

مولود قاسم

وضع الأقليات والأجاليات عمومًا والإسلامية خصوصًا

في كثير من بلدان القارات الخمس
وواجب العلماء والفكرين، ورجال الإعلام نحوها

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

امداد الإسلام نحو الشرق :

منذ بدء دعوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام - دين الله - في ربوع مكة - وقد مر على ذلك ألف وأربعمائة سنة تقريباً - والإسلام ينتشر في جميع أنحاء الأرض ، بالطبع ، لقد تركزت غالبية المسلمين أولاً في الجزيرة العربية باعتبارها المكان الأصلي للدعوة . ثم انتشر بعد ذلك في جميع البلاد العربية ، ثم في بلاد المغرب وإيران والترك والافغانستان والباكستان والهند وإيرما وتايلاند واندونيسيا ومليزيا وسيلان ، تلك البلاد التي تكون العالم الإسلامي ، وكذلك انصهرت بلاد السوفييت حيث يوجد عدد كبير من المسلمين .

د. عبد الكريم سايو

استاذ الاقتصاد
جامعة طوكيو - اليابان

في آسيا - احدى قارات العالم الخمس سيكتف جمهور المسلمين في العرب ، والقليل منهم في الشرق ، ثم اقل القليل في الشرق الاقصى ، وحين اذكر الشرق الاقصى انما اريد مثلا الفلبين والصين بما في ذلك هنج كنج وفورموزا وكوريا واليابان * لانه من الاهمية بمكان ان اقول : ان الاسلام هو دين المساواة بين جميع الطيقات جميع الاجناس في العالم * وادس * لم يكن انتشاره وامتداده في جميع انحاء الارض بالقوة والسيف كما يقول اعداء الاسلام * وانما بالاخاء والسلام والمساواة ، وبخاصة كان تلك المبادئ اشرها امجيب في الاجزاء الشرقية من اسيا * فلم تكن هناك جيوش ارسلت الى الصينيين او الروسيا ١

هل كانت هناك معثات بحرية او سياسية تفرض دفع الناس الى الاعتقاد في الاسلام وتفرض على الناس النحول فيه في منازيا او سومطرة او جارة انه من الواضح جدا - مليا لتأريخ العالم الحديث - ان التجار العرب في شواطئ الهند العربية مثل حضر موت وامن وعمان وغيرها قد امتدت تجارتهم - تدريجيا - في سلاسلهم اطمئنان وامان عبر شواطئ البحار الشرقية حتى وصلوا الى ميناء اثنى ، ثم الى الشمال الغربي من سومطرة ، واثم استقروا هناك ثم تزوجوا من اهل تلك البلاد ، وبنا منازلهم وعاشوا مسح عائلاتهم هناك ، وكان اعتقادهم الراسخ في الاسلام ومبادئه سببا في جعل المواطنين يثأرون بعقبتهم ويقتلون طريقهم في الحياة -

حينئذ اتساع الاسلام بالتدريج الى كسب اجزاء الجزيرة ، ثم الى جارة وسابيس وسوبو ثم الى منداناو (الفلبين) وهكذا *

الفصل الثاني

انتشار الاسلام في الشرق الاقصى :

١ - الطريق الشمالي .

بدا الاسلام في مكة بدعوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم انتشر بعد ذلك في كل الانحاء ، وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بسنوات قليلة وصل الاسلام الى العراق وايران (فارس) وازدهرت بالاسلام في ايام الدولة الاموية والعباسية والساسانية * وقد ذكر ايضا انه قد اعت بعة وصلت في عاصمة الصين في دولة تانج بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بعشرين سنة فقط * وفي سنة 7٤١ وصل محمد بن القاسم السند (الباكستان) وفي سنة 75٤ هزم مسلمو اسيا الوسطى الجيش الصيني وقتضوا الطريق الى الصين ، زمن ثم انتشرت التعاليم والحضارة الاسلامية في الشرق عن طريق الاجزاء الشمالية من اسيا * وفي القرن التاسع صارت

كل منطقة التركستان فولا اسلامية * وبعد القرن العاشر وجدت كثير من الدول الاسلامية مثل الفاطمية والغزنوية (خوارزم شاه الغزنوي) والسلجوقية (سلجوق) والايوبية والسلطان محمد العرفي الافغاني ، وعط الدين ايبك وكذلك الامبراطورية المانشية وكثير ، وكذلك كل المنطقة بين المهرين والانشاؤل والكرستان وازريجان وفارس وخراسان وخارى وكبفا وسمرقند وطشقد وفرغانة وكشمير وبلوخستان وافغانستان والهندس والبجواب وبكا وبنجالا وكشمير ، وانتشر في قلب آسيا عبر جبال قنچ-شمان وطريق تكارا (كشمير وپرقند وخوتان) ومحمدرام جويي وسغوليا ومنشوريا ثم الى العواصم الصينية خاصة .
2 - الطريق الجنوبي :

في خلال وقت قصير من فجر التاريخ لاسلامى انتشر هذا الدين الحنيف في جميع الجزيرة العربية كما ذكر من قبل * ثم ان التجار المسلمين من الضواطيه العربية مثل اليمن وحضرموت ومسقط وعمان ذهبوا الى ايران وبلوخستان والسند والشاطيء الغربى لقارة الهند ثم الى قمة هذه القارة ثم الى سيلان او جزر مالديف * ثم استمرت رحلاتهم فيما وراء المحيط الهندي الى برما ومليزيا وسومطرة وجاوة وبورنيو وسلبس وسولو ثم الى الملاين (حداثاوا) وقد ذكر ايضا انهم وصلوا كانتون (شمال الصين) في فجر التاريخ الاسلامى .
3 - انتشار الاسلام في الصين :

لقد ورد في تقرير صينى قديم في عصر (دولة تانج) سنة 650 ان اول بعثة جاءت الى الصين كانت من الدولة الاسلامية (تاجيك) واستقرت في المكان الذى هو شمال افغانستان الآن * ومنذ هذه الزيارة ارسلت الى هناك ستون ثلاثون مفتحن الدول الاسلامية * وقد حضرت هذه البعثات عن طريق الشمال ، واستقر بعضهم في العاصمة تشانجن ، وبعضهم استقر في يوانج تشو وموانج تشو او جزيرة هاى تشو .

وكان عملهم في الغالب هو للتجارة و رسم يكن للتشهير الاسلامى على عكس ما تقوم بسبه المسيحية المانجورية .

وفي دولة (سنج) من القرن العاشر الى القرن الثالث عشر نشطت حركة المرور والاتصالات بين الصين وبين المسلمين من الشمال والمنسوب وكان هؤلاء المسلمون من التجار الذين استقروا في مدن : موانج تشو وكابنق ومانج تشو - الخ تلك المدن التي كانت في الغالب موانج او مراكز تجارية .

وقد حافظ هؤلاء التجار المسلمون على التبادل التجارى العام بين الشرق والغرب ، واتصلوا بالاندلس في هذه الاماكن ، واروهم طرق حياتهم الاسلامية ، وعلموهم الاسلام - ذلك الدين السالم لكل زمان ومكان .

وفي عصر دولة (يوتن) من القرن الثالث عشر إلى القرن الرابع عشر ، غزا المغولون كثيرا من احوال الاسلامية في غروب آسيا وخرى وها تريبا عيفا ، ولكن - بدل ذلك - اتحت الحدود والقيود والعادات في امبراطورية واحدة وتجمع ذلك حضارة اسلامية عظيمة تحت حكم الدولة المنغولية (يوتن) ، وكان هناك اختلاط كثير واتصال عظيم بينهم ، واستمدى كثير من منسلى غرب آسيا وروقا الى مناصب هامة في الصين وفي ميادين التعليم والصناعة والتجارة والرياضة والفلسفة والتكنولوجيا والجغرافيا والطبوغرافيا - الخ ، ولا يستثنى من ذلك تعاليم الاسلام وطابع الحياة الاسلامية ، فقد سرت الى الناس من خلال ذلك ، حتى انه - بعد حوالي المئين - قد اهدى الى الاسلام اعداد كثيرة من الصينيين ، وقسدرجوا استولوا الصينيون أن الاسلام خير مساعد على الادارة والميامة ، ولذلك لم يسطهوه ، وقد ظلت كل الاراضي التي احتلها المغولون على اسلامها ، بل أن كثيرا من المسلمين انتشروا انتشارا واسعا وعميقا في الصين .

وقد اعتنق الاسلام الملك اتاندا وجنوده - وعددهم مائة وخمسة وخمسون الفا - كما صارت محافظات كيانج سي ومو تشوانج وطرفان في دائرة الحكم الاسلامي .

ولقد رقى السيد شمعون الدين احد مضمي - فسار (1212 - 1279) كمؤسس اداري في منصب صيني ملازم ، وكان كثير من المهنيين للاسلام - خاصة - من محافظات : آنان وسوتشوانج وكيانج سي . وفي عصر عائلة سنج (1368 - 1543) تغيرت السياسة والادارة ، وعاش المسلمون من اضطهاد هذه الحكومة ، وواجهوا كثيرا من الصعوبات ، ولكم ظنوا محافظين على دينهم تحت ضغط هذه الظروف ، ولقد حرم عليهم الزواج من الجنسيات المختلفة واحدروا على أن يلبسوا ملابس على انماز الصيني وأن يغيروا أسماءهم على الطريقة الصينية - على الرغم من هذه الفترة الصعبة قانهم لم يغيروا دينهم ولم يتركوا اسلامهم وظلوا محفطين بتعاليم الاسلام وعقيدته وطريقة حياتهم ، ولقد اiment حكومة منح المسلمين الى سمرقند وهامى وطرفان في الشمال الغربي والى اماكن أخرى وسكنوا غيرهم في اماكنهم التي اخرجوا منها ، ولكن المسلمين الذين هم من اصل تركي أو ابراسي أو مغولي اختلطوا مع الطوائف الصينية على السورغم من الصوفييت والعقبات الجنسية واللغوية ، وكونوا طوائف اسلامية متعاونة تحت فكرة الاسلام .

وقد أدى هذا الاضطهاد الحكومي الى اتحاد المسلمين وثباتهم ، كما تزوج بعضهم من بعض على اختلاف جنسياتهم حتى من الصينيين ، وكانوا يتكلمون اللغة الصينية في حياتهم اليومية ويلبسون الملابس الصينية ولكن كانت طريقة حياتهم اسلامية محصنة ووجهة نظرهم في الاسلام لم تتغير أبدا . ولا صارت الصين في حكم عائلة (تشنج) 642 زالت الطوائف الاسلامية بالتدريج في الصين وانتشرت بالرغم من اختلاف الجنسيات ، ولكن حدث في هذا الوقت مشكلة أخرى في القبال

بين لجماعات الإسلامية وجماعة هان القومية (مؤسسة صينية قومية) - هذا القتال انتشر في معارك مسلحة - ولقد انتهى حكم عائلة تشينج في 1911 (الإمبراطور موان) .
 لقد ورد في التقارير أن جمهور المسلمين في ذلك الوقت كان 35,400,000 مسلما .
 وفي سنة 1961 أعلن التقرير الذي نشر في بينج تانج عنوان (مجلة القوميات في الصين) أن جماعة المسلمين يبلغ بينهم كالاتي :

اسم الدولة	في سنة 1953	في سنة 1957
هوي هوي (صينية)	300 و 559	335 و 934
هيجولس	100 و 640	205 و 901
كاناكس	300 و 509	160 و 533
تونجانس	700 و 155	345 و 159
كرغيس	900 و 70	862 و 68
سراسس	600 و 30	923 و 31
تاجكس	499 و 14	014 و 15
أريزيكس	600 و 13	557 و 11
بورالسس	900 و 4	516 و 5
ترانسارس	900 و 6	371 و 4
المجموع الكلي	299 و 005	288 و 605

4 - انتشار الإسلام في القبلين :

كانت هناك موجات اسلامية عن انطريز، الجنوبي عبر الموانئ الساحلية للهند وسيلان وجزيرة مالديف وسو مطرة ثم مرت بمالكا فاصتدأ إلى الشاطيء الشمالي ابورنيو اومارة خلال بحر جاوة وبحر مكامر الى المستقر الاخوسر وهو القبلين في ذلك الوقت .

تتكون القبلين من كثير من الجزائر ، ولقد نزل الاسلام أول ما نزل في جزيرة سولو وجزيرة مندانا ثم إلى لوزون في النهاية ثم انتشر في تلك المنطقة من الشرق الاتصى - لقد ورد في تقرير ان الشيخ مقدم - وهو من مالكا - كان عالما مشهورا ومفتيا وقد بذل كثيرا من الجهود لنشر الاسلام في مالكا حوالي سنة 1380 ، وكان هؤلاء الذين قاموا بالدور الهام في نشر الاسلام

في الفلبين - في العال - تجارا مسلمين مثلهم في ذلك مثل احوالهم في الصين وبخاصة هؤلاء التجار العرب الذين جاءوا من مكان بعيد - حضر موت عن طريق البحر - وقد تركوا اوطانهم ليستقروا في هذا المكان يعلمون الاسلام ، ويلبهم الحكام الوطنيين في مناطق بحر الشمال في شرق اسيا الذين اهتموا للاسلام مع رعيتهم وقومهم جميعا ، ولقد جعلت قوة اراتهم ذلك امرا سهلا وسريعا ، وثالثا كان العلماء والعلماء وعلى الاسلام قد حضروا لزيارة هذه الاماكن وقاموا بالتدريج بين الكفار -

ولقد قيل ان بعثات سوفية ايضا ارسلت من ايران في ذلك الوقت - ثم وجه هذا التقديم الاسلامي السالم في الفلبين بهجوم عنيف اسباني في القرن السادس عشر - بعد هذا الهجوم - روى الاسباني عدات ثلاثة قرون كلها حرب لحماية الاسلام والامة ضد الاستعمار الاسباني - وفي اثناء هذه الفترة الطويلة تحمل المسلمون وغيرهم عتاء شديدا ولكنهم قاوا ببسالة - ولقد هزم السلطان سليمان في لوزون بسرعة قوتت الجزيرة في ايدي الاعداء ، واخيرا حدثت معارك عنيفة لانهية لها هي الاجراء الجنوبية من منداناو وسولو ، وكان من بين المقاتلين الذين اشتركوا في هذا الجهاد السلطان بنجيان سلطان سولو والسلطان ديباتيان قوتى سلطان سبا جنداناو وداتو افاينر سلطان راناو - وبالرغم من الفارات الاسبانية اليائسة المتتالية لم يستقيموا ان يهزموا المسلمين الفلبينيين - واخيرا واجه الاسبان بوسوء العصور الذي حملهم على التخلي عن طرمهم الوحش نتيجة لتأثرهم بالهزيمة في المصرب الاسبانية الامريكية سنة 1898 - لانه لم يكن هناك قتال اكثر عنفا وتعاسة في تاريخ الفلبين من هذه الحرب التي كانت بينهم وبين الاسبانين ، وحقا انهم صموا ببضة الاسلام حماية تامة من الاعداء - انه ليس قحرا لهم فحسب ولكنه فخر كل المسلمين في العالم من غير شك - ان نور الاسلام وحضارتهم ازدهرت وانتشر عبيرها في الفلبين لولا لم تكن هذه الحرب الاسبانية -

لم يكن المسلمون الفلبينيون سعداء ليمتقلوا الامريكان بعد الاسبانين ، ولكنهم كانوا متبين تماما في ذلك الوقت - وفي اثناء التسلط الامريكي ابدى المسلمون الفلبينيون مقاومة عنيفة لهذا التسلط ايضا ، ولكنهم لم يستطيعوا ان يكسبوا بسبب العدد الكثير من الامريكان وبجانب الاسلحة الفائقة الانريكية - وكان الفواد الذين ماتوا في هذه الفترة : داتو علي في سنة 1905 وبيكرى في 1909 وداتو اميتابا ريد في 1909 وداتو ابوانجوس في 1911 ونجيب امير في 1913 ومايول بونجولوسيف الدين في 1914 - وحينئذ سابع المسلمون تمت الادارة الانريكية والتأثير الكاثوليكي ، ثم قسدت حال المسلمين شيئا عتينا ، وفي سنة 1945 حصل الفلبينيون على الاستقلال بعد الحرب العالمية الثانية فاتصل المسلمون الفلبينيون مباشرة بمسلمي العالم ، وبدوا

يستيقظون . وفي سنة 1950 زار الفلبين جماعة التبليغ الباكستانيون ثم الشيخ شلوث شيخ الصامح الازهر وغيرهم ، وجاءتهم المساعدات المالية والروحية من القاهرة ومكة وجاكرتا وليبيا وكوريا وغيرها ، وكذلك أيضا اختلطوا بانفونيسيا ومليزيا وهنغ كنج واليابان وكوريا وغيرها ، ويدأ أن مستقبل المسلمين في الفلبين في تحسن ولكن لمصوء الحظ نقول ان هناك في هذه الايام تصامبا مستمرا بين اخواننا المسلمين وبين الجماعات المسيحية المعادين بوساطة الاداريين الحاليين *

لقد بلغت الضحايا هي تصادم سنة 1971 كما ورد في تقرير حكومة الفلبين أكثر من ألف ، وأن ست مدن في جنوب سان موانجا أصبحت اشباح مدن في سنة 1972 ، وأن عدد اللاجئين بلغ 135 و 213 شخصا ، وقد صدر هذا التقرير في الاسبوعين الاولين من مارس سنة 1973 ، وكان مسبب هذا التصادم كما جاء في التقرير هو سوء المعاملة بما في ذلك مصادرة الأسلحة أو الأرض التي اعدها المسلمون في المناطق الإسلامية - وقاطع طاح الطسرق المسيحيين المدعورين (ابراج) بمهاجمة المسلمين ، وقام المسلمون بتنظيم جماعة مسلحة لحماية أنفسهم ، لقد كان تسنة الجيش والبريس لاجب هذا العرمس داعما الى جنية هذا الصدام - ولقد ذكر أن قائد جماعة المسلمين المسلمين هو الاستاد نور مسوالى من جامسة الفلبين ، وامتدت مناطق القتال في كوتابانو وسان بوانجا ولنجان وباسيلان وهولو شمس بعض الاماكن في جزيرة سولو *

ولاجل حالة المسلمين المؤسفة في الفلبين اهتم مسلمو العالم بهذا الامر - ففي يونيو 1973 ارسلت بعثة الى الفلبين لبحث هذا الامر تضمنت اشخاصا من الامعان والسنبجال والصومال ومن المعوقية العربية . ولكن لم يقل الضغط يد ، ولا يزال المسلمون هناك يمانون من اراقة الدماء ما لا يقل عن نظيره في فلسطين - ولقد أعلن الرئيس ماركوس نفسه أن هناك مليونيا من اللاجئين المشردين في هذه المناطق - انه كشيء محزن وليس لهم فقط بل لكل جميع اخوانهم من المسلمين ولكن المشورة على هذه الأرض - يجب الا نهمل هذا الامر وتنضم بجانبنا ، بل يجب أن نتألم بحق الانتمانية لأخواننا المسلمين في الفلبين - ولاجل ذلك نرحو من حكومة الفلبين :

- 1 - أن توقف الاعمال الهجومية التي يقوم بها الجيش والبريس .
- 2 - أن تقوم بعمل مهامة بين الفريقين -
- 3 - أن تقوم بانغاء الامتيازات التي تميز الآخرين على المسلمين .
- 4 - أن تنشئ قانونا يبيع للمسلمين حق تملك الأرض -
- 5 - أن تقوم بتحسين النظام التعليمي لأبناء المسلمين -

- 6 - أن نقصد المتعطلين ومن لا عمل لهم من المسلمين *
- 7 - أن تنشره المستشفيات والعيادات المنظمة في المناقح الاسلاميه *
- 8 - أن تتيح لهم الاختلاط بأحبابهم في الخارج *

أنا يجب أن نعد إينديا الى هؤلاء الاخوة المسمين الفلسطينيين الذين يبلغ عددهم ثلاثة ملايين على وجه السرعة *

5 - انتشار الإسلام في كوريا *

إن ابتكر الإسلام في كوريا لم يص في لوقت الحالي الى الدرجة المطلوبة شأنها في ذلك شأن اليابان التي ستتكرر فيما بعد ، لا عن الطريق الشمالي ولا عن الطريق الجنوبي * قد يكون من المحتمل انه قد حدثت اتصالات معينة بواسطة الطرق الشمالية في زمن دولة يوتن الصنينة عندما حصل هذا الاختلاط العنيم بين الصين والاقطار الاسلامية ، ولكننا لا نمتنع أن نذكر على وجه التحديد متى كان ذلك *

قبل الآن في سنة 1950 تبعاً نتيجة الحرب الكورية قد إستقر هناك جنود اترك من القوات الدولية للأمم المتحدة ، هؤلاء الجنود كانوا مسلمين يتصرفون في حياتهم تصرفاً اسلامياً ، فكان ذلك تلميها للإسلام غير مقصود ، وكانت هذه فرصة عظيمة ليعرف الكوريون عظمة الاسلام وإن يتأثروا بذلك فبدخلوا الاسلام واحداً بعد الآخر ، وبعد الاثراك جاء كثير من الاحوة المسلمين اسلمين من الباكستان وماليزيا والسعودية العربية وسنغافورة والافغان الى هؤلاء المسلمين *

الجدد البالغ عددهم الالف قليلة في النصف الجنوبي لجريدة كوريا * وسيبقى اسم الصح صبرى سوه رئيس اتحاد مسلمي كوريا في تاريخ انتشار الاسلام في كوريا كواحد من عظماء الرجال * وأول مسجد الآن في سبيله الى الاكتفاء في سيون ، وهو المسجد الذي في مسيه بيل داتر ابراهيم السقايف (من سنغافورة) ومولانا السيدجيميل (من باكستان) كثيرا من الجهود والوقت ، وما أتيله غرضاً حقياً ، وأنا لنوقع كثيراً من لتقدم لجيراننا الجوبيين في المستقبل * ليس حدثنا أخبار في الوقت الحالي عن المسلمين في النصف الشمالي لمؤثرة *

6 - الاسلام في هنج كنج (حنف)

7 - الاسلام في فورموزا (حنف) *

8 - الاسلام في اليابان :

إن الاتصال بين اليابان والصين وحد غملا من عصر (تانج 618 - 957) عندما طهرت اول بعثة اسلامية في الصين ، ولكن لم يأت شئ من شخص من الاسلام من الصين الى اليابان ، وكذلك لم يحضر الزائرون المسلمون عبر البحر الى اليابان *

• توسع العلاقات واليابانية •

منذ ذلك الوقت إلى القرن السادس عشر لم تكن العلاقة بين البلدين مثيية بسبب انعزاق الطبيعة أو عورة البحر والتصرف غير الودي من دولة يوتن تجاه المسلمين .

وفي القرن السادس عشر بدأت رحلة البشارة الأوروبية إلى الشرق ، ولكن سياسة الحكومة اليابانية نحو إغلاق الحدود تماماً منذ سنة 1639 إلى سنة 1853 أوصدت جميع أبواب البلاد . ولهذا لم تنهيا الفرصة لتقديم الإسلام إلى هذه البلاد ولا للاتصال من ابك إلى الخارج والعكس . في سنة 1868 وهو عصر الامبراطور مييجي أريدت هذه المعايير وفتحت الأسراب على مصراعها ودخلت الحضارة الغربية البلاد ودخل معها الإسلام بواسطة الأوروبيين غير المسلمين ممن خلال كتبهم بالاختصار . وفي سنة 1879 مفسر كتاب مخرج من الانجليزية إلى اليابانية اسمه (سيرة النبي محمد) وربما كان هذا أول كتاب في اليابان حول الإسلام . وفي سنة 1894 رار اليابان بطة صداقة من الامبراطور العثماني ، وكان هذا أول احتلاط بنظر اسلامي .

وفي سنة 1895 بعد الصرب الصينية اليابانية مباشرة ، عتق الإسلام (ب - أيضا) وكان أول مسلم في اليابان . وفي سنة 1909 حج البيت الحرام (٥٠ ياماؤكا) مع الحاج عبيد الرشيد ابراهيم الفكري ونشر كتاب (الحج إلى مكة) . وفي سنة 1917 أدى امج (ا - نانكا) واحصر معه ثلاثة عشر مسلمين إلى مكة . وفي سنة 1909 لجأ إلى منشوريا ثم إلى اليابان مئات من مسلمي الترك الروسين بعد الثورة . وقبضت لهم النابان كلاً من جعلتهم يستقروا في اليابان . وقد باثروا حياتهم الإسلامية في اليابان بحرية تامة مؤثري في اليابانيين كما استمروا في حفاظهم على الدين لمدة طويلة . وقد سجلت كتبهم المنشورة عن الإسلام إلى الآن مثل (يامي جايون محمد) .

وهناك كتب نشرت عن الإسلام باللغة اليابانية مثل (قوة الإسلام) مؤلفه ياماؤكا - و نشاط المسلمين ومستقبل آسيا) مؤلفه واتاديو (حياة محمد) ومؤلفه ساكاموتو ، و (تاريخ الإسلام الحديث) ومؤلفه كاواس ، و (دراسة على المسلمين في الصين) ومؤلفه دزاي ولكن لم يهتد إلى الإسلام إلا لعيل جيداً لأن مؤلفي هذه الكتب المذكورة لم يكونوا من المسلمين في العالب . وفي هذا الوقت كان كثير من البلاد الإسلامية يروح تحت نير الاستعمار الأوروبي ، ولكن استرل وأيران والافغانستان تبادلوا التمثيل الدبلوماسي مع اليابان . وفي سنة 1932 أسست (جمعية التمدن الاسلامي) في طوكيو .

وفي سنة 1939 بنى أول مسجد في كوبي ياباني النجار المسلمين الاجانب ، كما ذهب بعض الشباب الياباني للصغ (سوزوكي ، هوساكو ، كوري ، ياماموتو) - وفي سنة 1938 في 12 مايو افتتح مسجد طوكيو وحضر الافتتاح الامير سيف الاسلام حسين من اليمن وعند الوهاب داود بك

من مصر والشيخ حافظ وهبه من السعودية العربية وكثير من الصيوف من العالم العربي و"الاسلامي"، وأخذ الامام المفتي عبد الرزق عبد ابراهيم من صيرفيثيس الشرف في حفل الافتتاح *

ويعد هذا الافتتاح الرسمي يثلاث سنوات وقعت الحرب الامريكية اليابانية في المحيط الهادئ ونتيجة لهذه الحرب استقلت كثير من البلاد الاسيوية، وفي اثناء تلك الحرب اعتنق الاسلام كثير من الجنود والبحارة والمدينين الذين عملوا في الخارج من اليابانيين حيث اتصلوا بالمسلمين وصاروا حقا مسلمين، ولكن بعضا منهم كان قد اعتنق الاسلام لاسباب حربية او سياسية ولكنهم اختفوا بعد الحرب - لقد بدأت الحركة الاسلامية في اليابان حقا بعد هزيمة الامبراطورية اليابانية مباشرة من غير مساعدة أو تشجيع من أي سلطة اللهم الا من المسلمين - في سنة 1952 انتشبت جمعية للمسلمين الموحدين في طوكيو وانتخب السيد صادق امايزومي كرئيس لها، وقد أطلق على هذه الجمعية اسم (جمعية مسلمي اليابان) وبعد ذلك سجلت هذه الجمعية في الحكومة كمصحة قانونية مسجلة في سنة 1968 *

- 1 - مركز الاسلام الحالي في اليابان (سيشرح في اثناء الحديث)
- 2 - النشاط الحالي للجمعية (سيشرح في اثناء الحديث)
- 3 - غربة الدين بالنسبة لليابانيين (سيشرح في اثناء الحديث)

الفصل الثالث

انتشار الاسلام في مناطق الاقليات المسلمة والفكرين الاسلاميين :

أريد أن اتحدث عن انتشار الاسلام وتعميده والاتحاد بين الجماعات الاسلامية في بلاد الاقليات المسلمة وبخاصة في اليابان اندي يعتبر بلدا لا آمن لشدة الدعوة الاسلامية فيه *

1 - موضوع بحث الدعوة الاسلامية :

كل مسلم مسئول عن تبليغ الدعوة الاسلامية في أي مكان - استاذ التبليغ هو المسلم نفسه بصرف النظر عن حسنيته وسنه ومركزه وترهبه نكرا أو انثى - وتعليمه وعقله وقدرته المالية الى آخر هذه الاعتبارات - أي انسان ياباني أو غير ياباني يجب أن يخصص وقتا قل أو كثر، طاق أو قصر لهذا الغرض - كل واحد قائد تبليغ، ويستطيع أن يعمل بنفسه أو مع غيره من الناس قمتلا : اثنان أو جماعة قليلة أو كثر كمنظمة أو جمعية أو اتحاد، مسلم كشاف رحالة - ذكرنا أو انثى -، جماعة النساء، منظمة للشباب، اتحاد العمال، اتحاد المدرسين، جمعية الطلبة وهكذا وهكذا - على أي حال، فإن موضوع الدعوة وتبليغها يجب أن يكون مسئولية كل مسلم أمام الله *

2 - المبدأ الإسلامي الواضح الموصول الاساسي يجب أن يكون شعار التبليغ للدعوة ، وكل مبلغ يجب أن يعمل باعتقاد ثابت أنه لا شيء غير الاسلام يستطيع أن يحل مشاكل العالم وأن ينشر السلام الحقيقي تحت علم (الله اكبر) وهو الخالق القادر ، ولا يقرب الأمور غير الاسامية بالتفصيل ، ولا اكراه في الدين * وأن يجعل نفسه مثلاً صالحاً وقوة حسنة ، وأن يشروح الاسلام بالحق والعدل وحب الانسانية ، وأن يكون حريصاً في حديثه وكتابته ، وأن يدرس ويتبصّر طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم في كل عمله ، وأن يأخذ المثل المناسبة من الحديث ويستخدمها في التبليغ للدعوة الاسلامية بين غير المسلمين -

3 - معرض التبليغ :

جمهور الناس وبخاصة الفقراء والمحتاجين والمرضى والشباب والتلاميذ والبيئة وبخاصة فرائس اللغات الشرقية والتاريخ والارامل والاقراب والمعارف الشخصية للداوي ،

4 - طريقة التبليغ :

أ - الحديث والحوار : أنه مألوف ومؤثر ، تستطيع أن تزور من تسريد تبليغه شخصياً في بيته أو في مكان عمله أو في أي مكان ، وتحاطبها بوجه لوجه ويفعل أن يكون الحديث في مكان هادئ وتستطيع أن تستدعيه الى بيتك لتحديثه وتجاره معه .

ب - محاضرة أو اجتماع للشرح والتفسير : يجب أن تعد مثل هذه الاحتماعات وأن يحضر اليها من يريد التلمذ ويتمتد وشرح للمستمعين ويستطيع أن يستدعي الشخص الى مكان معين كصالة عامة أو مدرسة أو نادي أو شركة أو مستشفى أو معبد * والمساعد أفضل كل هذه الاماكن .

ج - الزاوية والظهيون والسنداء *

د - الطيعة : يطعم المطلوب تبليغه في كتيبات أو صحف أو مجلات اسنوعة أو منشورات دورية أو كتيب أو يدخل ضمن البرامج في الكتب المدرسية *

هـ - الخطابة في الشوارع *

و - تعاون الاجانب المسلمين في اليابان : العلماء الاجانب والديبلوماسيين ورجال الاعمال والطلبة الذين ارسلوا من البلاد الاسلامية لمساعدة الحركة الاسلامية في اليابان يجب ان يشتركوا في رحلات في جماعات لغرض تنشيط حركة انبليغ خلال البلاد *

ز - ارسال الطلبة المسلمين الى الاقطار الاسلامية ليبرسوا الاسلام : في الوقت الحالي هناك عدد من الطلبة اليابانيين يدرسون في مصر (الأزهر ، جامعة القاهرة ، جامعة عين شمس)

وفي أندونيسيا والسعودية العميرة وليبيا والباكستان وإيران * وإذا أمكن هي الجزائر والمغرب وتونس وفي البلاد الأخرى ، وهذه البلاد الأخيرة طلبت فعلا إرسال بعض الطلبة *
ج - الانتماع بالطبقة التي يشرعون بعد عودتهم من البلاد الأجنبية :

يوجد الآن فعلا مجموعة من الطلبة اليابانيين الشباب المسلمين الذين درسوا في الانتماء الاسلامي ثم رحلوا الى اليابان يملكون في حقل التعليم والاعمال الأخرى * هؤلاء يريد أن يترشحهم في النشاط الكلي أو الجزئي لحركة الاسلامية *

ط - مبنى للنشاط الاسلامي : انه من الضروري أن يكون هناك مبنى اسلامي لهذه الحركة وللبشرة كل الاعمال الاسلامية بوساطة المسلمين وأيضا لاجل أن يساعد على وحدة المسلمين *

ع - افتتاح مركز اسلامي في عاصمة اليابان : المركز هو المكان الاساسي لاجتماع المسلمين ويمكن أن يؤدي فيه الصلاة والتبليغ والاصالات المختلفة واجتماعات والافتاحات والتفكير والحاضرة والاطلاع على الكتب في مكتبته ، ويمكن أن يضم غرضا يستعملها المحليون أو الضيوف الذين يحضرون من مختلف البلاد ، والخدمات العامة للمسلمين وغير المسلمين حديثا لهم ، ويمكن أن يستقر المسلمون حول هذا المركز ويكونوا دولة اسلامية صغيرة أو مجتمعا اسلاميا تتمثل فيه وحدتهم وقوتهم *

هـ - افتتاح معسلي : لاجل راحة المسلمين واجتماع المسلمين الذين يعيشون بعيدا عن مسجد بوكيو أو كرس أو المركز الاسلامي المتوقع بناؤه في بعض الاماكن ، يجب أن تبني معسليات صغيرة في أماكن متعددة مثل توكوشيما وسنذاي وفوكوكا *

ل - فتح مدرسة : فتح مدرسة يكون من الوسائل المريحة لتعليم الدين الاسلامي للاولاد والبنات المسلمين والمسلمات المحليين والاحابى اليابان ، وليدرس فيها المسلمون الحدس طريقة الاسلام دراسة عملية والبروس الضرورية للغوية والثقافية *

م - افتتاح قسم اللغة العربية : اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ، ولهذا فان فتح قسم للغة العربية مهم جدا ، ولكن في المركز الاسلامي أو في المعسلي أو في حجرة لهذا الغرض *

ن - العبادات الطيبة الخيرية : وهذا العمل ايضا يجب أن يتصل بالمركز أو في أي معسلي آخر ، ويخدم المرضى واليتامى والأرامل *** انج

6 - ميزانية نشر الدعوة :

في بلاد الاقليات الاسلامية غير استثناء يواجه المسلمون عجزا كبيرا في ميزانية الدعوة والمسلمون عادة ليسوا أغنياء في مثل هذه المواقف ، مع أن اليابان في درجة عالية من التقدم الصناعي *

٦ - يجب أن تساعد الأشخاص المسلمين أو الفكريات الإسلامية لتقريب نشاطها في ميدان التجارة والمال ، وأن تنفتح شركات ومكاتب أعمال في الخارج ليزداد التفارب وتقوى العلاقات وليضمن عمل المسلمين وحملهم ، ومبرمهم يمكن بسهولة أن يساهموا في ميزانية نشر الدعوة الإسلامية .

ب - المساعدات المالية من البلاد الإسلامية

ج - قبول الفرعات الاختيارية من الشركات غير المسلمة اليابانية أو الانضمام اليها مع اعتناء للمسلمين أو يعملون للإسلام بدرجة معقولة مع التعاون .

د - أننا نقوم بدور الوساطة بين الشركات العاملة والتجارية اليابانية والاقتصاد الإسلامية وذلك على أساس الصولة .

٧ - المقسم :

كما بدأت من قبل ، لقد أعلقت الجزر اليابانية حوالي ثلاثة قرون لتتمتع البعثات المسيحية وذلك لأن اليابان قد علمت اتفاق أن المسيحيين يعفون مرضا آخر هو الانقلابات السياسية

ولو أن الإسلام دخل اليابان في ذلك الوقت لم معفته اليابان لانهم يعلمون أن الإسلام ليس له طموح سياسي لتسيطر على البلاد ، وتوجد الآن حرية الدين في الدستور الياباني ، ولهذا فليس هناك أي عقبة أو صعوبة في نشر أي دين ، وبالرغم من ذلك فإنه توجد بعض التحيزات ضد الإسلام ، فمثلا (الإسلام دين الصحارى) أو (المسلمون يتزوجون أربع زوجات) أو (الإسلام معنى أقران في يد والسيف في اليد الأخرى) ، وربما كانت هذه من عمل بعض الشياطين ذوي المقصد المبيت للإسلام . ويجب على أحوالنا في الاقمار الإسلامية أن يكونوا حذرين من هذه الإشاعات ، ويجب أن نعمل جميعا على إزاحة هذا التحيز من قلوب اليابانيين كما نعرف كيف نصد هجمات الأعداء العديدة ، ولهذا الغرض يجب أن يشأ معهد للدراسات الإسلامية بواسطة المسؤولين المتخصصين من الاقمار الإسلامية ومسمى اليابان وأصدقائهم من العلماء . أنه يلاحظ أن بعض العلماء المسلمين الذين يعملون في الجامعات الأوروبية أو كندا يقولون حاجيات عن الإسلام ليس مفروض نشر الإسلام والدعاية له حقيقة وإنما على العكس من ذلك وأما في اليابان فإن العلماء غير المسلمين من علماء التاريخ واللغات الشرقية ليس لهم قصد من تصو الإسلام . ولذلك يجب أن نحافظ على أملاقة بيننا وبين هؤلاء العلماء ، وأن نزيح سوء الفهم ويقدم صورة حقيقية للإسلام ، فإن خيرة العقول اليابانية على العموم تدل على أن قبولها للإسلام من الأمور السهلة الممكنة أكثر من تقبل العقول المسيحية الأوروبية له .

فإذا حاولنا أن نحل مشاكلهم وعرفنا كيف نفوق بين طرق لحياة الإسلامية وطرق حياتهم فإن ذلك يجعلهم يتقبلون فكرة الإسلام بسهولة ، ويصبح من المتوقع زيادة عدد المهتمين إلى الإسلام من اليابانيين - أننا لنزحوا أن ندعو العلماء والفكرين غير المسلمين أولاً بمشاهدة ومعرفة وتعليمهم يهتمون فهم جيداً ونثير حماسهم ونجعلهم يقفون بجانب الإسلام ويصبحون مسلمين حقيقيين أخيراً *

أمر هام آخر من كيف نحافظ على جعل المسلمين ثابتين على عقيدتهم وتزويد هذه العقيدة رسوخاً - في بلاد الاقليات الإسلامية مثل اليابان تكون جماعة المسلمين غير قوية والتسهيلات الإسلامية قليلة ، وهم أيضاً محافظون بغير المسلمين وهناك كثير من المحرمات في الشوارع والمسارح ولذلك تمت ضغط هذه الظروف كلها فإن الحاجة تفتتد إلى وجود المركز الإسلامي ليحصرهم من الحرام ويكون اتحاداً قوياً من العائلات الإسلامية حولها ، ويجب أن نحاول جعل كل الأفراد في العائلة مسلمين ، وأن تعد نصفاً صالحاً (زوجاً) لكل مسلم مفرد ليكن كل الأطفال شرعيين ولتكتسب زيادة المسلمين في العدد والقوة *





النقطة الثانية من جدول أعمال الملتقى

دور المفكر اليوم ودعى مر العصور في أمته وتجاه الإنسانية في كل من قضايا الساعة وأفاق المستقبل

أيها الاخوة

السلام عليكم :

١ - من يشرب الريح لا تشبعه الشمس

ان خريطة العالم الثالث ، والعالم الاسلامي
خاصة ، خريطة اطارها الشمس ، بقنا وضياء .
ولكن الشربيات الشمسية قد تؤدي الى الموت اذا
لم يكن داخل الدماغ سوى الفراغ - الشمس
تنفض من يحسن التكيف معها ، وتنفض على
الاخرين ، اصحاب التكال ، واللامبالاة .

د. عزيز الجبالي

(المغرب)

مستشار وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي - المراتش

والناس رجالان . واحد يفتح بضرورة التكيف ويلتزم به ، وثان لا يفتح شيئاً ويعيش في غيبة عن ذلك . ولكنهما معاً مسؤولان ، لأن حياة الإنسان ، هي أصلها : مسئولية . ان انفسه يحاسب عى افعاله ونتائجها ، امام ضميره . **إمام المجتمع** ، وأمام القانون (اشرع) ، والفرق بين الافراد ، خلقياً ومحتجباً ، يرجع الى مقدار الوعي بتلك مسئولية والاخلاص في تحملها .

فالمبارزة « انعامه والعامة » تبيان لتلك القطرقة : لجميع مسؤول ، الا ان لصاحبة قدرة على فهم المسؤولية وعلى تفهيمها وتنفيذها ، وعلى مراقبة التنفيذ ، وأما العامة فهم مسؤولون ولكن لا قدرة لهم على مراقبة سير المسؤوليات وتنفيذ لانهم ليسوا من « أهل الحل والعقد » ، أى انهم لا يعرفون الراجبات بكامل الوضوح ، وبالصيغ لا يستطيعون تحملها على الوجه الاكبر .

يخلف على فظناً أن « مسؤولية » بهذا المعنى هي ما سماه القرآن بـ « امانة » . اما عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال ، فليبين يحملنها وأشعقن منها ، وحملها الانسان (١) .

اولا قبول لاسان تحمل « الامانة » لما استحق حلقة الله في الارض . فماله قد اجتنب الانسان وحمل الارض تحد جسديته ، مع حق التصرف فيها (٢) .

« الامانة » عظيمة ، ونتاجها خطيرة . لذا يجب ان يتسلح الانسان لها بكل مكناته وقدراته .

هنا يتدخل التفكير ليعين على بلورة المعطيات الطبيعية والبشرية ، قصد استثمارها كما يجب ان تستثمر . فالتفكير يعطى المعنى والضمون للمكتسبات . وهي عمليات تاتي على اشكال وبمراحل .

أولاً : يخصص الامراض ويظهر ما في مكتسبات من مساوي ، ويتحصن : ثانياً : ما هو الموروث من علامات الشبيخة ليعلم عن المبادرات اللازمة للتعلم على الموائم . اذن ، مهمة الفكر الاساسية هي ان يوضح المشاكل الموضوعة ويوصي بالحلول المستعملة والخطط الرئيسية لواجهة أحداث المستقبل . اما الثقافة ، فهي مجموع الوسائل المعرفية والتقنية التي يبنى عليها الإطار الذهني والاداري التاريخي لكل مكتسب محتمل او علمي . تقدم الثقافة المعطيات التي تمكن التفكير من فهم الظروف الانتقالية وتوصيها بخطط عن حلول مؤقتة . في انتظار حالات اكثر التصاقاً بالتمتية . فالسابق وللأحق ، ما هو موجود وما هو في طور الوقوع . أي يتوقع حصوله ، كل ذلك اشكال من لمركبة في نموها وهي تنغير ، رامية الى الاكتمال . مما هو قسار يكون دائماً جامداً ، والحدود معادى ثواس الحياة . ان الثقافات تعدى الحصار الانسانية .

(١) الاحزاب ، ٧٢ .

(٢) استخلاف الله الانسان على الارض ، انظر في القسرات : ٢٤ ، ٥٣ ، ٢ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٢٥ .

(٣) ١٤ ، ٦٩ ، ٧ .

والحصارة مبرورة عبر التاريخ ، زاحلة إلى الأمام أو مترلحة إلى الوراء ، ولكنها أبداً ، لا تعرف الوقوف والاستقرار . وعنصر الصبرورة الأساسى هو التفسير فى كل مرامق الحياة الانتاجية والاستهلاكية ، فى تفاعل مع ما يحصل عن ذلك من تحولات فى أنماط التفكير والسلوك .

لذلك ، لا يمكن أن نقول أن لنا ثقافة حقيقية تغذى تفكيراً صلباً يتجذر فى ما جريات المجتمع ، من مياسة واقتصاد وأخلاق *** فالثقافة حضور حال فى المجتمع ، أنها مجموع أنشوا الكماح الذى يوم به مجموع الأفراد ابتداء تمييزى كفيات الحياة إلى أحيان ، وابتقاء أذاعة المكتسبات العلمية والتقنية والمعنوية بين الجميع ، بالتساوى - فالغاية من الاكتشافات والاعتراعات العلمية والتقنية هي تحقيق الكفاءة والعبر للجميع .

أستناداً إلى هذا المفهوم لـ « ثقافة » يمكن التأكيد بأن التفكير يعتمد على التاريخ ، ولكنه لا يغب عن الماضى لداته ، انه يبحث ، فى الماضى عما يمين على ترقية الحاضر . أو مبدارة أوضح . يرمى التفكير إلى ترجمة القدرات والامكانيات ، لدى مجتمع ما نحو مستقبل أفضل . تختلف ثقافة الفكر عن المعرفة التاريخية ، بأنها لا تصرف فى الماضى ، بل فى ، المضارع ، (خلقاً لاصطلاح الحويين ، أى فى الحاضر والمستقبل) ، صبح استاكيد بأن الثقافة والتاريخ للماضى لا يتناقضان . فذاً كان التاريخ يبحث عما فى ماضى الأمم من ثورة للاعتراف بالأمجاد والتعاظم فإن الثقافة الصبق تبحث عما فى الحاضر والمستقبل من عناصر الثروة فى سبيل تنمية الطاقات البشرية واستثمارها للصالح العام . مسواء تقبست الثقافة على تحول محتضى وهياته ، ومسواء صاحبته ونفخت فيه من روحها أو أقتت بعد ملو بوجعه ولتلولور . فإن وجودها ضرورى فى كل الحالات . أن مجتمعا بدون ثقافة مجتمع متجمد ، أى ميت ، أر فى سبيل الموت . وثقافة بدون تفكير يصلها ويوسع لها الأفاق ، ثقافة تخريف وتخدير إلى ، لاقى ثقافة ترويس .

2 - « لا » الخافية للصديق

السؤال الآن هو :

هل الثقافة بالمفهوم السابق ، تنطبق ، حاصراً ، على الثقافة العربوية الإسلامية ؟ إذا نحن نصفنا الواقع ، جاء الجواب مجابلاً ، مؤلاً : « لا » حقاً ، لنا مثقفون يصرون مسؤوليتهم ويتحملونها بصديق وذن جدارة ، ولكنهم قلبية القليل ومحاصرون مدعاء مثقفين آخرين ينسبون لهم الفناخ ، حسداً ونفساً - ومؤلاء المثقفون المناولون الحاسدون ينزعون إلى أصناف ثلاثة : الصنف الأول يتكون من « عمالي الثقافة » ، مثلهم كمثل جمال الأسفار *** يتكسب من ذاكرتهم كشكول من المعلومات ، لها أحياناً نكهة أمورية أو برمكية أو اندلسية ، ولكنها غريبة

عن القرن العشرين * لها طرافة ، ولكن تنقصها الفاعلية والمزامنة * فهم كالذي يسير وبصبره
مركز على الخلف متجاهلا الاتجاه الامامي * هذه الفئسة من المثقفين ، في تعاملها الارستقراطية
المتسلط عن الزمان والمكان ، تذكرنا ببعض الصوفية * يقول احد مؤلاء ، وهو السهل بن عبد
الله : مخالطة الوالى للناس قل ، وتقديره منهم عز ، وقلما رايت وليا لله عز وجل ، الا مففردا
ويمكن من صرقي آخر ، هو ابراهيم بن اد ، انه كان يخلق دابة من خارج فيجيبه الناس مبحديه
مغلغا فيرجعون على الاعقاب *

هذا اختيار للعزلة ، ميسر وتطبيقا ، مع تفضيلها على العمل ولعل والصلحة العامة * وهو
مخالف لما جاء في القرآن الكريم : « والعصر ، ان الانسان لفي خسر » الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات » *

فالانسان مصحوب بالعمل ، والصالحات هنا غير مقيدة بتعب ، بل تشمل كل نشاط يتوسم
فيه خيبر *

ظل اختار كل افراد مجتمع ما الانعزال والعزلة ، لتوقف سير الحياة ، في كل مرافقها ، وكان
اول ضحايا هذا الوضع هم الحاملون للتفلفين ، مهما كثرت ادعيتهم وصلواتهم ، لان ، الصلاة
تهي عن الفحشاء والمنكر * ، كما يؤكد القرآن (3) * وهل من عمل اذك من التخلي عن الواجبات
شحو الذات والاقربين والمجتمع ؟ لقد « فضل الله المجاهدين على القاعدین اجرا عظيما » (4) *

لم يحتفظ التاريخ باسم مصلح غير مجرى أحداث عصره بالتصاييح في الخلوات ، والتفرد
بالدعوات ... بل على العكس ... فكما يؤكد ابو حامد الغزالي ، لو ان الناس زهدوا في الدنيا :
« لسلطت المايش ، ولو بطلت لهلكوا وهلك الزهاد ايضا » (5) *

الصنف الثاني ، « المثقفون المرتقة » يعيشون من النقاعة ، او مما يظنون انه نقاعة * من
فيهم المدرس ، والناشر ، وخطيب الحافل المتنوعة ، والمصحف المصاب بالاسهال الذي يكتب في
كل شيء ، والخبز الذي يتحدث فيما يرمف وفيما يجهل ... اننا نعيش حياة كثر فيها الزيف
والتزييف ، ومن كثرة ما مارسنا هذا النمط من السلوك ، صرنا لا نسيه ، فاصبح عادة فيها وتطبعما
لا تزيد الايام الا تاصلا * فلا غرابة ان يذهب استاذ الى قاعة التدريس ليفرغ ما تجمع عنده *
ثم يرجع الى بيته ، مثل ما يفعله بائع الخضار والبقال ، وغيرهما من التجار في مسود
الاستهلاك الأولية - نعم ، تحولت الثقافة السيضاعة ، الا انها بضاعة لا يقدر على استهلاكها

(3) 29 ، 45 *

(4) قرآن : 4 ، 95 *

(5) الاحياء ، كتاب ذم الدنيا ص 1754 *

يحتوى صنف + المتفنين المرتقة + على تماذج كثيرة عرفها أجدادنا - ومن جملة من عدها
 ووصفها + محمدا نافدا + عبد الرحمن بن خلدون وابو حامد الغزالي + يقول صاحب احياء علوم
 الدين :

« * * * وجماعة يلتزمونها أو إفعالاً ، يتجنب الناس منها ، حتى تنبسط قلوبهم عند مشاعبتها ، فيصغروا برفع اليد عن قليل من المال في حال تعجب ، قد ينضم بعد زوال التعجب ، ولا يتنفع بالدم ، وذلك قد يكون بالتصغير ، والمحاكاة والشبهة ، والإعمال الصالحة * * * وقد يكون بالإعلام أغفريه ، أو الكلام القوي المسجع ، معجزة الصوت ، والشعر الموزون اشد تأثيراً في النفس ، لا سيما إذا كان في تحسب يتلوه بأهله ، كالأشعار المصنفة للصناعة وفضائل أهل البيت ، أو الذي يحرك داعية العشق من أهل الجانية ، كصناعة الطبايع في الأسواق ، وصناعة ما يشبه العرض وليس بعرض ، كبيع التفرجات والوشاح التي يخلل بأتمه أنها أدوية ، فيضغ بذلك العبيات والمحال ، والأشعار المرقعة والغالب من المتجعين * * * ويغضب من هذا الجنس الوعظ ، والكثير على رؤوس المناير ، إذا لم يكن ورائه طائش علمي ، وكان عرضاً استمالة القلوب العوام ، وأخذوا أموالهم بأرواح الكذبة (* * *) وكسل الناس استنبطه بديق القدرة لأجل المعصية » (6)

أما الصنف الثالث فيمكن من « **المخلفين الأثانيين** » يجدون في الثقافة ومساكن التسليية فيلجاناً ألبانيا، وهذا الحاجة بمثل ما يلجأون إلى السناجرات أو إلى لعب الورق ارضاء لنشوة خاصة بالثقافة عندهم بدون فهم مجيئهم، نسوح من الورقة، مثلها كمثل الدوابل التي تضاف إلى الغذاء، انتمعون، من هذا النوع، لمطعمين على التجمع - لديهم لا يسمعون في تغيير الرأى النفس وتشاط الحياة - لا مفاصلة وسلمهم ولاتمتنعون في ارضاعهم لجيل الجوما - هذا أيضاً نفس المقارنة بنوع من العبوسة - يقول أحدهم : من أراد أن يسلّم له لديه ويسترجع بدنه وقليه ، لا يلقى للباس ، فان هذا زمان وحشة ، والمخلفين اختار فيه السرملة ودية .

ان لكل الارمنة « وحشة » ، كما لكل زمان انتماليين لا يتفقون احدا ، ولكن مجموع الضرب يتفقهم ، فما كان لحولقاتهم واستغفارهم ولا لوعيدهم ولو عودهم من تأثير على سير الامور .

(6) احياء علوم الدين ، كتاب ذم الدنيا ،

هل يكفي أن يقال « لا ، لا » وحشة العالم لتدمع ؟
ليست « لا » عصا سحرية ، فتقضي العزلة ، رفضاً للعالم يغمس أصحابه في غطيط مستديم
أن محاولة طرد المشاكل من حسياننا ، يتناسبها أو باعكار وجودها جملة وتفصيلاً ، لا يصدر
إلا عن درويش مغفل ، أو عن خداع نفس « وفي كلتا الحالتين ، ينبثق عن رفض العالم ومشاكله
تمرد سلبي ويؤكد أن الانعزالي غير كفء للخلافة على هذه الأرض ، غير قادر على تحمل الأمانة ،
لأنه دون مستوى التضحيات من أجل المسؤولية »

وبما أن المسؤولية هي أكرم ميراث الأسمان ، يمكن أن نتساءل ،
ما هو وضع أولئك المنعزلين الراضين للمسؤولية التي تتحدد انسانية الإنسان ؟
فلنفرض أن النبي نوح اعتصم بالعزلة وردد في العالم ، أياها الطوفان « هل يكون عمله إلا
حيانة كبيرة للأمانة العظمى ؟ فلو أن الله أراد لنا العزلة لتركنا في بطون الأمهات ، ين لما أوجد
أرحاماً وأمهات »^١

قال مثل أولئك الزهاد « لا - متقنين ، يوحه القرآن هذا السؤال .
« أقلم يسبوا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو أذان يسمعون بها ؟ فإنها
لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » (7)

تلك هي الأصناف الثلاثة لتقنيننا « إنما لم تفصل صنفاً منها على أحر ، ولم نحاكمها »
وإنما حاولنا اقتناص نتائج غايليتها في المجتمع العربي الاسلامي « صلباً وإيجاباً » ولم نرد لخص
هذا الصنف أي الآخر ، فهي موجودة بالمفصل ، ولها الحرية والحق في الدفاح عن كيامها ، كما
لنا الحق والحرية ، نحن الشعوب . في أن نرفضها نراه موظفاً سيئاً للتفكير ولتسيير التفكير -
إن النقاثة أربح حي مشترك ، والوقت سرقت ، لن ينتظر الوقت حتى تفرج « ثعاة الجمالين » من
فوضاها ، و « ثقافة المرتزة » من الاستثمار الخاص ، و « ثقافة الطفيليين » من الانانية »

3 - الإسلام ليس استسلاماً -

تلك أصناف من متقنيننا ، تتواجد وتتآمر ، عفوياً ، على عالمنا العربي الاسلامي ، لأنها تمثّل
وتركي ، موضوعياً ، الزيف - فلنا حماهم ، ولنا آلاف وآلاف من « العلماء » و « الاساتذة »
و « الأشراف » وما لا عد له من الأبداء والمحققين ومع تلك : أين نحن مما يجب أن نكون ؟

(7) الحج ، 46 .

أما اتنا غير وامين ، لا نحسن التفكير في اوضاعنا واستخلاص العبر مما كنا ومما نحن عليه ، ولا نقبر على مقارنة احوالنا بأحوال اممنا أخرى ، شرقا وغربا ، وأما ان الاشتغال الفرديانية قد ألهم المفكرين عن واجباتهم - فالثقافة المترمة في وحدها التي تستطيع ان تعزى التفكير التقدمي أما الثقافات الاخري هيضاعات للقرت ، أوللتلية ، أو للتياهي ، تضعع لقانون أسواق المرض والطلب ، كقصة سواد الاستهلاك ، في أنظمة الاقتصاد الحر - فإذا جاز لنا ان نفتس تشبيها جريئا من أبي حامد العراقي ، قلنا : ان الثقافة الـ لا - مترمة مثل الطعام : - ولا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين احراره من البطن - في ان كل واحد منهما ضرورة الدين ، ومن ممتة ما يدخل بطنه (فط) ويصنه هو وحده لا غير (فقيمته ما يخرج منها » (8) .

من اللجازات ان ندعي ان العالم العربي الاسلامي لا يتوفر على مثقفين واعين - انهم موجودون ، ومنهم مثقفون ، حسب اعرف ، معتررون ، ولكن وجودهم حضور في حين مكاني ، دون نقل زمني ، بمعنى انه وجود لا يتحرك مثل بعض الاواني الفضية الفريدة التي تعلق فوق الحدار ، لا تصلح للمادة ولا للميادة ، فالاحتياج اليها منعدم ، بقدر ما اتعدمت فيها الحركة انى تكنها الصلاحية والاستعمال .

فعلى قلة المثليين المسلمين (بالنسبة لمبيع مائة مليون أو بريد) يختار جلم الصومعة الصالحة ، ولسان حالهم يردد الآية القرآنية : « ذهب أنت وربك فقاتلا ، انا ها هنا قاعدون » ، بل ان في مواقفهم ما يمكن ان يعبروا عنه بقولهم . « يا شعوبنا ! جاهدا ، اعملوا ، فانا نسطرون انفائنا لنفاسكم ايها ، اذا لم نستطع الاستناد بها كايها ، وكذلك يعملون » .

اسى اى شى يرجع هذا ؟

ان « الفكر » عنفنا تنفسه الشجاعة . كما تنقصه خصال أخرى ، نود ان نعرضها بإيجاز راجيا ان يتسع لها صدركم .

قنا ، للانسان ، من بين بنية المخلوقات ، ميرة أولى ، هي المسؤولية . « الامامة والعظمى ، وكلنا نعلم ان المسؤولية التزام ، ومن يقبل الالتزام يقبل ، خمتيا ، التخصيمات . انها ، مصاطرة دائبة برأحه ومصالحه - ويتعبير أسلاميا : الثقافة جهاد ، وكما جاء في حديث نوى : « العمل جهاد كلمة حق عند حاكم ظالم » - من هم المفكرون المسلمون المترمون بسطع هذا : الجهاد ؟ ... فيدون ان تصبح الثقافة نقدا بناء يعسى سبيل الحياة اليومية ، جذورا في مجتمع الحاضر وأعضانا تشق أجواء المستقبل .

(8) الاحياء ، كتاب ثم الدنيا .

المفكر عندما يخاف أن ينتقد ، مغضلا الجمالة على الجاهلية ، ويخاف أن ينتقد لانه لا يريد أن يرى نفسه كما يراه الغير ، وكما هو في واقعه - اننا أعداء للثقافة الذات -
نقطة الضعف الثانية في طبيعة متقينا كونهم يرتاحون الى الصمت مسع الضخوع ، والى الصمت مع الامانات ، عوضا عن المواقف التي يفرضها عليهم مركزهم في المجتمع ومواقف التوجيه والتنبه والتحفيز ، دور « الرائد » و « المحاسب » *

ليس في إمكان كل الناس أن يقوموا بدور الرقيب العام ، بدور المصلح ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر - فالدعوة الى المروءة أو الى الابتعاد عن المنكر فرض عين على كل مسلم ، لكنه لفرض تتغير كثافة المسؤولية فيه حسب مقدار وضوح وعمق المعرفة بما هو حسن وخير ، وبما هو سوء وببوح وشر ، وبما هو ممكن وبما هو محال ، بما المنطق والعقل - فالفكر خاصة ، والثقافة عامة ، هو طبيعي وعقلاني ، وبما هو غير علمي وبخالفه من يحسن التفرقة بين المناقشات ويوصل الى المهارة المنهجية لتفطيم جانب الفائدة على جانب الضرر ، ولذا في الانبياء أسوة حسنة : ثبت تاريخ الاسلام أن مئة محمد (صلم) مرحلتين ، الأولى أنه تأمل في معنى الرسالة ، قبل أن يقتض نفسه بوجوب القيام بالدعوة اليها ، المرحلة الثانية اخذ يقنع من حوله بضرورة الالتزام معه على نصرته الهادي التي وصل الى صحتها ، المرحلة الثالثة ، تجاوز دعوة أهله وعشيرته الاقربين الى كافة الناس أجمعين ، بشيرا ونذيرا وسراجا مثيرا تجاه الإنسانية في كل قضايا الصناعة وإتقان المستقبل * ولم يكن الرسول الكريم الى أن في الزمان وحشة ، و « جمالية » ، فالنبوة لا تنصب على الماضي - أنها تنبيه وتنبه بالحال واستقبال ، وكأنها نظرية مستقبلية جامعة تشمل كل اشئلة الانسان ، وتخطط لمسيرته المادية والمعنوية والفكرية والروحية ، ان النبوة انزمام كلي يرمى الى استثمار مجموع الامكانيات البشرية لصالح مجموع الناس ، وبما أن « العلماء وروثة الانبياء » ، لزم تحديد مفهوم « عالم مسالم » مفكر مسلم ، يستحق هذه التسمية أو تلك ، أو هما معا ، من يركز حياته على الالتزام بفهم الارشاع والناس ، وتقييمهم بديان العقل وبميزان القسط ، فالاصلاح الجيد ينبغي على علم وعلى تفكير صديد ينطلق من قيم تنصب على الاعمال ، لا على المشيآت ، وتنصب ، بالخصوص ، على ما نفعله بالمشيآت - فلا يسد للمفكر المصلح الاميل أن يكون عارفا بأوضاع المجتمع الذي يرمى الى اصلاحه ، وفاسدا على بلورة الشروط والطرق التي تفعل الافراد وجودا انسانيا - أن الثقافة ، وقد نحلها ، التفكير ، هي وحدهما التي تجعلنا قادرين على التفرقة بين « الحياة النباتية » (حياة تنحصر في التفتيش والقوم والجسد) وبين حياة الاشخاص الخاصة بخلقهم ومعيديهم شمولية - فكل فرد عمر بعد بالسنوات وعمر يتطور كيفيا ، فمن هو احسن استكمال واستعمال العمر الكيفي ، سامم في تغيير نوعية التاريخ المشرى *

معنى هذا أن الثقافة تشمل كل أوجه الأعمال الإنسانية في الميامة ، والاقتصاد ،
والتربية ، والاختيار ، والخلق .

4 - « يصلب الانبياء من أجل رأى فلماذا لا يصلب الشعراء ؟ » (9) .

الفكر المنظم حيوان مجتمعي وسياسي بالطبع ، والالتزام يلزم قبول التضحيات يروي
القرآن قصص الانبياء وانهم التزموا باظهار الحقيقة والدفاع عنها ، فعرفوا الاحراق (ابراهيم)
والحكم بالصلب والقتل (عيسى) أو النقي (موسى) ، واللهجرة (محمد) . فلتتأمل التزام
ابراهيم :

« واذ قال ابراهيم لابيه آزر : اتخذوا صنما لآلهة ؟ انى أراك وقومك في ضلال مبين ! وكذلك
ترى ابراهيم ملكوت السموات والارض ، وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل ، رأى كوكبا ،
قال : هذا ربى ! فلما اهل ، قال : لا احب الافلين . فلما رأى القمر بازغا ، قال : هذا ربى . فلما اقل
قال : لئن لم يهدنى ربى لاكون من الضالين فلما رأى الشمس بازغة ، قال : هذا ربى ، هذا
أكبر . فلما اقلت ، قال : يا قوم ، انى يرى مما تشركون ! انى وجهى وجهى للذى فطر السموات
والارض حنيقا ، وما أنا من المشركين » (20) .

فلكى يبتعد ابراهيم عن الشرك ، « يوجه » وجهه الى الذى « فطر السموات والارض » ، الى
الله لكونه حلة العدل ، الى المبدع للسموات ، بما فيها من مرقى ومجهول ،خالق الارض ، أى الكون
انئذى والكائنات الحية ، ومن بينهما الانسان الحيوان المجتمعى بالفطرة . فبعد أن تأمل ابراهيم
فيما عليه قومه ، لم يخف أن يصرح لابيه آزر : « انى أراك وقومك في ضلال مبين » .

هذا حكم من محاباة : ابراهيم يجب آياه ، ولكنه يفصل الحقيقة ، فندعه التزامه نحو الحقيقة
الى أن يخاطر براحته ومركزه بين أهله وفى محيطه ، فسفه رأى النصارى ، قبل أن يعلن عسو
موقفه ، وهو موقف ناتج من نفس وتأمل فى الواقع .

مكذا يجعل الاسلام العمل مرتبطا دائما بالنية التى هى توتر يجعل وعيا يقظا ، وضربا
مقربا لسبر العمل وإستأجه .

أيسها الإضوة :

كل ثقافة لا تنم معها ليست ثقافة ولا فائدة فى أصحابها . « الثقافة للثقافة » لنما تجرد
الواقع من ألغيت ، وتجعل « التفكير » تخريفا أو تصجيلا . ان الفكر ماطر متاريخ معين ، فيه

(9) مزار قباني .

(20) قرآن : الانعام ، 174 - 179 .

تفاعل مع جماعات بشرية في مسيرة النمو المادي نحو الاكتفاء ، والنمو النعساني نحو الاكتمال .
فالثقافة ، والعلم ، والفكر ، وسائل لا غايات في ذاتها . ان التاريخ الانساني تسجيج تأمل
مواصل ، بحثا عن وسائل انصنة الانسان ، كل انسان . ذلك هو المثل الاعلى الذي يفشد تحقيقه
كل تعبير سليم يقول القرآن

« والعصر ، ان الانسان لفي خسر ، الا الذين امنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر »

فالتواصي بالحق هو تجنيد عام لكل الطاقات البشرية على مختلف مستويات المجتمع ، من
اجل المصالح المشتركة . والذي يتواصى بالحق ، أي يلزم به غيره ، لا بد أن يكون على بصيرة
من هذه المسؤولية ، فمسير ويصابر . لان الحياة معارك دائمة ، ولا يتغلب عليها الا كل ملتزم ،
متزن ، صابر .





النقطة الرابعة من جدول أعمال المنتدى

مَصْنَف عَصْرِي لَطَبِّ الْعَيْنِ

من القرن السادس الهجري

مرشد الكمالين، محمد بن أسلم الفافقي

— معالي وزير التعليم الأصلي والشؤون

الدينية *

— ساداتي العلماء ، سيداتي ساداتي *

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما

معناه : (ليس الشاهد كالسامع رحم الله أخي

موسى فإنه حينما سمع أن قومه غصب ، ولا

رأى وشهد — كسر الألواح) * أو كما قال *

وتقول الحكومة الصينية : (إن رسماً واحداً

بشاهد خير من ألف كلمة تسمع) *

د. سعيد شيبان

استاذ طب البصر
جامعة الجزائر

فأولما تأثرت بهذين المثلين ، اذ اخترت موضوعا اقيمته لنتأمل فيه مما - في هذه النقطة الرابعة من هذا الملتقى الكريم - دراسة حول مخطوط طس عربي *
 بفضل الله تعالى حصلت على نسخة كاملة لمخطوط طس فريد من نوعه فيما نعلم ، وموضوعه يتعلق بتخصصي في طب العين *
 وأن اغتباطي بتصفحه ودراسته جعلني على تقديمه لكم ، املا أن تشاطروني هذه الفائدة وهذا الاغتيال *

سيداتي ساداتي ،

1) لا يمكن أن يكون هذا درساً في تاريخ الطب وإنما هو محاولة للفت أنظار شبيبتنا المتعلمة لهذا ابيدان المهم وهو تاريخ العلوم الذي يندرج في تاريخ الفكر البشري *
 2) وغنى عن الإصاح ان عنوان هذا الحديث يجب ألا يشكل أي التباس *
 3) وليس باطراداً لشخصية معينة ، في تاريخ الطب اذ نقصدنا معلومات كثيرة حول ما سبقه وما لحقه لكي نعطى تقريماً صادقاً وموضوعياً لما قدمته هذه الشخصية أو تلك كمجهود خاص للتقدم العلمي في زمانه *

4) وبالأحرى لا يمكن أن نقدم هذا الكتاب كنموذج يحتذى في الممارسة الطبية في هذا الربع الأخير من القرن الـ 20 ، أي بعد ثمانية قرون من تأليفه ، فإن فعلنا هذا نكون غير صالحين لفسرنا هذا التراث ، وفي المقدمة التي كتبها العافقي يذكر ان السبب الرئيسي في تأليف كتابه هو اختلافه مع من سبقه * ومن هم سابقوه ؟ ابهما ابن سينا ، وأبو القاسم الزهراوي وما أدرك من هما *

ولم يصدر رأيه عن نظرية مجردة بل عن ملاحظة سريرية أو محاولة تجريبية *
 والجدير بالملاحظة أن العافقي سمي كتابه « المرشد في طب العين » لا المرشد لطبيب العين ، فإنه يترأس لدراسة أمراض العين * وهنا نرى من المفيد أن نسوق اليكم وصية الرازي التي صممتها كتابه ، لاسمى بأبوصول حيث ينصح المعنيين بالطب بالتأليف فيقول ،

« إذا كنت معنيا بالصناعة وأحببت أن لا يفوتك ولا يشذ عليك منها شيء فاكثر جمع الكتب في الطب ، ثم اعمل لنفسك كتاباً فيكون كذلك كذا عطيما وحرارة عامرة » *
 فهذه الوصية نفسها عمل العافقي *

وفي الوقت الحاضر كل كتاب في الطب يصدى قديماً بعد 20 سنوات بسبب اختراع طريقة جديدة للتشخيص أو للعلاج تصبح خطتنا سابقا أو تصبح مشكلة كانت عويصة *

- فلماذا أثنى استعمالنا كلمة مصنف مصري في عنوان هذا الطبع ؟
- ١ - ذلك أن الشار التي نعتبرها الآن صحيحة للتجربة البشرية لا تزال مصرية ما دامت غير منقوضة وهذا الكتاب للمعاني يشتمل على عدد كبير من هذه النتائج .
- ٢ (طريقة تصنيفية وتعليمية لا زالت ذات قيمة .
- ب (استعراض وتحليل للأمراض والأعراض لا زالت منطقية .
- ج (أخطاء كثيرة ولكنها كلها نتيجة لسير حر للفكر ، وبهذا الحاشي يعتبر تقدما ، وهو مساهمة من الحضارة الإسلامية للفكر البشري .
- د (فكر يتصف بالدقة والإمامة العلمية ، إذ نرى هذا المؤلف ينتقد تشخيصه وتنبؤه لمصير المريض بمناسبة علاج رضيع عمره شهر ، ونرى كذلك كيف يعطي كل التعاميم اللازمة لصنع آلات الجراحة ولتطبيق الطرق الجراحية تطبيقا ناجحا .
- هـ (يتسم هذا المؤلف بالطهارة النفاثة فهو ينسحب على تجربة الأقدمين وأفضلهم كأنه يطبق تلك الوصية المهمة من الفيلسوف الروماني Cicéron الذي كان يطالب بدراسة كل شيء في أفضل مراجعه ولدى أكبر مؤلفيه .
- فإن المكتبة الطبية لمؤلفنا تشتمل على كتب ملكية مثل كتاب المسائل المشهور لحنين بن إسحاق ، والقانون في الطب لابن سينا ، وعلى من عيسى ، وكتب أبي القاسم الزهرائى .
- وهو يدرسها على ضوء تجربته الشخصية ومقله الرواى .
- ٢ (وكفى هذا الكتاب قدرا أن يكون عسريا في زمانه ، ولقد رأينا سابقا على أى أساس بني هذا الكتاب بعدما درس مؤلفه الحسن ما كان موجودا في عصره ، ومنزى على الرغم من ذلك وليس يعيب فيما نفهم أن مرجعا مهما قد فاته سميت تشمت المسلمين في زمانه ، فكتسب الحسن بن الهيثم يظهر أنها لم تكن من مطالعته ، ويحتمل أن المعاني كان في كتابه ممارسا أكثر منه فيلسوفا حكيما .
- ٣ (وأن الذى يضفى الصبغة العصرية لمشيء ما بالنسبة لنا هو أن يكون ذلك الشيء مفيدا في الوقت الذى نعيش فيه . ولما أن نستفيد استفادة كبيرة من دراسة هذا الكتاب حيث نجد فيه المصطلح العلمى الأصيل ، الذى يمكننا من النصح على متوالهم من حيث تركوه بعدما انتزعت القوة العاشقة للإسلام من أيديهم ، إذ رأينا في السبعينات من القرن الـ 20 أن مؤلف كتابا في طب العين بالعربية ، فيكون كتاب المعاني أغزر مرجع علمى من الطب العربى الإسلامى فيلزم

علينا أن نسد هذا الفراغ وأن نتعرف لنقطة الانطلاق لا نعرفه من اتصال بين دمشق والاندلس ، ان نرى آخر وأعظم كتاب من الطب العربي القديم في الاندلس ، وأول كتاب في الطب العربي الحديث ان من دمشق فليس لنا الا الفائر أمام هذا الجسر الملاقى الذى يثنيه القدر بين طور وطور من حياة الحضارات *

فهل يمكن أن نريد أن الطب الذى يسمى ياطب اسمعى أو الطب العربى فى البلدان الاسلامية فى وقتنا العاشر لو تمكن من استعمال كتب ذات قيمة معادلة لقيمة كتساب المعافى عوض تلك الكتب المتوفرة له كأمزجة من وصايا أغلبها مخيفة وبعيدة عن العقل والمعروفة « بالهارونيات » لكانت صحة المسلمين أحسن بكثير مما هى عليه الآن *

هذا فيما يتعلق بالمعاشى أو التعاريف التى أردنا أن نمطها لكلمة « عسرى » فى عنوان حديثنا *

فنحن واعر أن دراسة المخطوطات من أعمال مؤرخى العلوم بمشاركة للترجمين والمفويين والفقيين المتخصصين فى المادة المدروسة فى المخطوط ، ولكن لا بد من بداية لكل عمل ، أن نعلم الماضى من الضرورى أن يتقنوا كل جيل لنضمن التسلسل والرقى ، فكل جيل يجب عليه أن يحقق ما تروثه منه الاجيال اللاحقة *

من التحليل لهذا المخطوط يرينا بصفة جلية

بعض الاسباب فى الازدهار العلمى ، وأسباباً أخرى فى الانحطاط ، ولربما يتبين للدارسين جزء من شروط الانعاش فى هذا الميدان على الاقل

« ان هذا المخطوط الطبى بقى ثمانية قرون مجهولا عند المسلمين ، وله امثال عديدة تنتظر فى مكتبات العالم من يتمه اليها ويصطب لها حفا من العناية والدرس »

فبعد هذه الاعتبارات - وكان لا بد أن نتعرض لها أمام شباب سيكون سنة أربعين سنة فى بداية القرن 21 - الذى يضطر ليستعد له كس يسوم *

فلنتعرض على التوالى ان اردتم المصليات حول تاريخ هذا المخطوط ، ثم حول مؤلفه ، ثم تحليلا سريعاً للنص من حيث التوثيق والمحتوى والاسلوب ، بمقارنة مع ما نعرفه الآن - ثم نستخرج بعض النتائج العامة من هذا التحليل لكي نجيب عن بعض الاسئلة المطروحة فى النقطة الرابعة - فى مكتبة المستشفى الجامعى قسم المينين بكية الطب « بستر امبورج » منذ ما يريد عن 20 سنة * تحلث لأول مرة باسم المعافى ومكتابه ، من بين المؤلفات العديدة بالانامية والانجليزيه والفرنسية ، كان هناك كتاب تحيطه هبة كبيرة وهو ترجمة جزئية للدليل فى طب العين ، فمهما

ذلك الطبيب الشهير مؤرخ الطب العربى - ماكس مايرهوف - الذى عاش فى القاهرة وسبست هذا الكتاب معامل سيدلية باسبانيا ، فكتبت مسروراً بالنظر الى صورة طبق الاصل لصفحة من المخطوط الذى زين به المترجم ترجمته لقد تصفحت هذه الترجمة متمجياً من المصطلحات ومردداً فى نفسى ان شرفنا العربى فى الناحية الحضارية ما يزال بخير وان للغة العربية فى هذه المكتبة معقلاً فليست غائبة ، وموت اسنوتون ...

وفى سنة 1972م شاركت فى مؤتمر دولى حول تاريخ الطب الاسلامى نظمته بميلانو الجمعية الايطالية لتاريخ الطب ، فقصيت عملتى الصيفية فى اعداد مساهمتى لهذا المؤتمر وقرأت حينذاك كتاب « ما يعرف » اذى وجدت نسخة منه فى مكتبة مصلحة العينين بالمستشفى الجامعى بالجزائر ثم افانن فى الطب لابن سينا ، ثم كتاب الجراحة لابي القاسم الرازى بترجمة « لوكير » - ورايت انه من المفيد ان اقرن هذه المعلومات بكتب طبية عامية شعبية مثل كتاب الرحمة فى الطب والحكمة والقصيدة الدرعية اما فى التاريخ فتصفت كتاب طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ، ونفع طب فى ضمن الادلس الرطبى فى اخبار لسان الدين الخطيب للمقبرى - والحلل السنفسية لأمير شكيب رحمه الله .

هل تسمعون لي ان انكر كثرة زيارات لطيفة ومؤثرة قمت بها فى بعض مساجد « جرجرة » و « تاجزيت » باحثاً عن مخطوطات عسما تكون مفيدة لهذا اموضوع - فقدمت نتيجة عسى فى المؤتمر ، ولقد نشر من طرف مؤسسة « لورائيتى » وعقدت العزم على ان اتم هذه الدراسة ان شاء الله حينما احصل على المخطوط كله .

بعصل الله حصلت على صورة شمسية (ميكروفيلم) من هذا المخطوط من مكتبة الاسكوال ، من طريق المكتبة الحامية ، فالمخطوط كله لما ينشر بعد ، ورايت فى سجل المخطوطات المصورة ، الذى ملنا عليه الدكتور عمار طالبي ، ان مخطوطاً مصوراً موجوداً بدار الكتب المصرية بالقاهرة وتنص الفقرة التقديمية لهذا المخطوط انه من سنة 960 هـ .

فبمنااسبة مؤتمر علمى عقد فى شهر فبراير الماضى بالقاهرة ، تمكنت من تصفح المخطوط المصور المشار اليه بمساعدة ابن ائشيخ طيفش من غرداية -

وهذا المخطوط يبدأ من المقالة السابعة - فبعد المقارنة اتضح ان هذه الصورة مماثلة للصورة الشمسية التى حصلنا عليها من مكتبة الاسكوال ، ويعلم الطن ان هذه الصورة - التى قدمها « مايرهوف » لدار الكتب المصرية .

هذا فيما يتعلق بتاريخ النسخة ، وقد سقته انيكم كمثل لما يحتاجه تاريخ الطب من فرص واهتمام ومساعدة .

فماذا بالمخطوط نفسه ؟ أن مخطوط الاسكريال هو كتاب مسجل تحت رقم 835 من حجم الثمن ، يضم 202 ورقة ، أحرق جزء منها ، فإن الأوراق الأولى تتضمن كتابة بحروف لاتينية تصعب قراءتها .

وهناك كتابة بالعربية بحروف تختلف عن حروف المصنف ، ويقول أن هذا كتاب جليل القدر أن الكتابة اتيقة جدا فهي تقرا بكل سهولة ، إلا في المواضع المحروقة أن تقسيم النظم تقسيم منتظم بتوسيمات مشجعة ، فيلاحظ داخل النص تشطيطات يجدر ذكرها ، فيعد جملته بالمعلمات جملة « وصلى الله على سيدنا محمد » تظهر مشطوبة عليها إلا في حالة واحدة حده كانت غير ظاهرة للمتصفح المسرع . وهذا مما يشير إلى أن هذه التشطيطات لم تكن من دارس وإنما من شخص اجنبى من الدرس ، أما تاجر وأما من حاكم متمصّب من الكنيسة في مرحلة الغزو الإسباني أو كل قارئ نصراني أو يهودي أن مسلم أجبر على أن يكتب دينه ، ففي الكتاب كذلك صور عديدة لآلات جراحة العين .

أن هذا المخطوط قد قيمت خلاصة عنه في كتاب « لوكلر » عن تاريخ الطب العربى في 1876 ، وتحدث عنه « هرشبرق » المؤرخ الكبير لطب العين في ألمانيا ثم « ماكس مايرهوف » في 1933 .
— فلنتظر الآن ماذا تعرفه من مؤلف هذا الكتاب ؟

حسب « لوكلر » و « هرشبرق » ، أن أحمد بن قسوم بن أسلم الغافقى طبيب متخصص في طب العين عاش في القرن الـ 18 الميلادى .

وتتميز النسخة الموجودة في سجل المخطوطات بدار الكتب المصرية أن المؤلف توفي في سنة 660 هجرية أى 1180 ميلادية . وأن نسخة منه كتبت في « مالانكا » . أن المراجع الذى قدمها الغافقى تظهر أنه مارس طب العين في وقت ما بقرطبة ، وأنه حرر كتابه لفائدة ولده ، بعد مجربة كبرى في الصناعة . أن مايرهوف يلاحظ أن اسم الغافقى منسوب إلى غافق ، ومن قلعة بشارى قرطبة .

إننا بحثنا في بعض الكتب المهمة لتاريخ الهيئة الإسلامية بالاندلس ، مثل : فتح الطبيب ، اللحل السندسية ، طبقات الأطباء . فلم نجد أثرا لهذا المؤلف ، بالرغم أن عددا كبيرا من العلماء من أصل غافق من ولاية قرطبة ، تتحدث عنهم هذه المؤلفات التاريخية .

فأين أبى أصيبعة مثلا ، الذى كان هو نفسه طبيبا متخصصا في طب العين بروى لنا تاريخ حياة أحمد الغافقى الذى تركه كتابا حول النيات .

فبينما يعتبر البعض أحمد الغافقي ابناً لمؤلف المرشد في طب العين فإنه من الغريب أن يكون ابن أبى أصيبعة يجهل هذا ، أو لا يتحدث عن مثل هذا الكتاب ، مع أنه زميله في الاختصاص .
فحينما نقرأ هذا الكتاب نتساءل هل هو النص الاصلى أم نسخة منه ؟ بما أنها النسخة القليلة المعروفة حالياً ، هل أحرق جميع النسخ الأخرى مثمناً كانت تحرق هذه النسخة بالذات ؟

محبب بعض الجمل يغلب الظن أنها نسخة •

ويبقى هذا التأليف مجهولاً في المغرب والمشرق بسبب انقطاع الصلة بين الانتساب وباقى العالم الإسلامى حيثذاك •

فلنخصص الآن النص نفسه ، وقبل كل شيء عناصره وتصميمه ، أن الكتاب يبدأ بمقدمة فنية غزيرة المعاني ويشتمل على 6 مقالات هي بالتوالى :

الاب الطبى وتعاليم الفاضل أبو قراط ، وهو المرجع اليونانى الوحيد الذى تجده في هذا الكتاب ، ثم تشريح الرأس ، ثم ما نسميه بعلم الفرائز ، ثم يعلم الامراض العام ، ثم بالادوية •
والصيلة الطبية • ثم تفصيل دقيق وشامل لامراض العين من اعراضها الى تشخيصها الى علاجها بالعصب او باليد والحديد ، وهو الذى يسمى بصل اليد : CHERURGE وكسل مقالة تفحصها الیسلة •
والصلاة والسلام على رسول الله المخطوبة في هذه النسخة في جل المواضع مثلاً اشرنا اليه •

ان المقالات الست • مقسمة بحروف ابجدية سمكية بعيدة عن الالتباس ، ان تصميم الموضوع معلن عنه في بدء كل مقالة وكل باب ، ان هذا الجانب التعليمى البيداغوجى له قيمة ثابتة في عصرنا الحاضر في اى درجة من درجات التعليم ان التصميم الواضح له اهمية كبيرة •

ان ماكس مايرهوف في دراسته لاول كتاب علمى في طب العين وهو كتاب حنين إبسن اسبق العشر مقالات في العين في القرن الثانى الهجرى ، عـصـر المأمون • يقول ان المؤلفين اليونانيين والكتاب العرب الاولين يركزون الحديث عن المرض الواحد 3 مرات • المرة في كتاب التشخيص في كتاب الاعراض ثم في كتاب العلاج • أما بعد تلك الفترة فان اساطين الطب العربى الاسلامى توصلوا الى تصميم منطقي أكثر وتعليمى أكثر الا وهو التصميم الحديث لدراسة وتعليم الامراض ككل ، فيدرس بصفة كاملة كل مرض في مختلف جوانبه • فهذا كان تقدم كبير اخرزه الطب في المدرسة الطبية العربية الاسلامية • فان الغافقي في كتابه يدرس كل مرض دراسة تامة ، فالفهم ميسر والمفرد كذلك •

ففي دراسة الامراض يستعمل لعافى تصميمات تشريعية حصريا فانه يبدأ بالاجناب ثم المنتحمة ثم القرينة ثم البت الامامى للمعين ثم القرحة ثم انعمسست ثم القسم الخلفى ، ثم المادة الزجاجية ثم الشبكية ، ثم اعصب ابصرى ، ثم الجهاز الدمعى وأخيرا العضلات التابعة للعين . لهذا تصميم يجده القارئ في كل المصنفات الحديثة .

هو تصميم عصري تماما ، وقد لاحظ المؤرخ الايطالى الحكيم « سارينيلى » فى دائرة المعارف الاسلامية ياه فى الحكم على الكتاب من وجهتنا احديثة لا يمكن الا ان تتفيل فى تصميم التاليف واعاد المادة نوعا من تنوؤ للفكرة الحديثة عن امراض العين مرتبطة بالصمم كله ورتابة له بالضرورة .

هذا فيما يتعلق بتصميم الكتاب وعرض المعلومات فاماذا بمحتوى الكتاب ؟ فللمقارنة مع الطب الاوروبى اشفتنا كمرجع كتابى « دولارى » الذى نشر فى باريس سنة 1820 وكتاب « سكاريا » الذى نشر فى « يافيا » بايطاليا فى 1881 ، ولقد اخترنا نهاية الربع الاول للقرن التاسع عشر الميلادى لانها المرحلة السابقة لاختراع المنظار العينى ، الذى مكن الطبيب من فحص الاجزاء الخلفية للعين اى الطبقة الشبكية وحليمة العصب البصرى وهذا الاختراع الذى محسسل على ايدى « هيلمهولتز » بالمانيا أحدث ثورة حذرية فى طب العين بعد سنة 1890 .

ان مقبلة الكتاب ناقصة ، ان احرقنا الصفحة او الصفحات الاولى كما قلنا ذلك من قبل فانذى يفي منها له قيمة كبيرة ، ان الكلمات الاولى التى بقيت لنا من حديث العافى هي : ابتداء الزرع لا ابتداء العشب ! ! ويعتبر طالب الطب من الغلو فى ابتغاء الاجرة التى تعفد النماء . فيقول لولده انه لما بدأ دراسة هذه الصناعة لم يجد كتابا جامعاً لاحتاجه طبيب العين ويتحدث عن المؤلفين الكبار السابقين معصيا رايه فى كل واحد منهم ، بفكر منتقد واضح . فهذه المقدمة تشير الى المراجع العربية الاسلامية وحدها لانها هي التى كانت لها القيمة بعدما هضمت القراء اليونانى والهندي والمصري ولغارسى القديم ولكن العافى يسطى مكانة كبيرة لابي قراط فى سباب الارب الطبى ، ويتحدث عن الفاضل ابي قراط فقرائين الطب التى تمصلها المقالة الاولى بوضوح وبدقة هو كتمان لاسر المريض ، مجانية العلاج للمفقر ، واحترام الاساندة . فان التعبير عنها يبلغ جدا ، وسيكون لها اثر لا محالة فى تحرير قوانين الطب فى بلداننا .

ان هذا الكتاب يشرح طريقة معقولة لتكوين طبيب العين ، ان يطلب منه معلومات واسعة فى الطب وامراض العين .

ان التشريح على ما يظهر فى هذا الكتاب لم يتقدم كثيرا ، فنلاحظ هنا كذلك ثغرة كبيرة ، ان ما يسمى برسم ابن الهيثم غير موجود فى هذا الكتاب ، وما تجدر الاشارة الى ان فى مكتبة

كلية الطب بالقاهرة يوجد مخطوط مصور في تشريح العين ، لشمس الدين بن محمد بن الحسن
ابن كمال المعروف « ببورد » .

ولا اعلم ان كانت هناك دراسة له ، لمشكلة التشريح مشكلة عويصة في كل البلدان تستلزم
دراسة وإقية - فهي مشكلة لم تحل بعد في كثير من بلدان العالم .

ولكننا نعتبر التشريح كمادة أساسية في تقدم الطب ورغم تقدم الوسائل التعليمية الصناعية .

أما علم العرائز فإن النظرة للمقالة تربنا أن هناك ثغرة كبيرة في تطور العلوم في البلدان
الاسلامية ، إذ يتبين أن العافى لم يحصل أو لم يستعد بذلك الشرح الذي قدمه مثنا عام قبله
العالم الحسن بن الهيثم بالقاهرة ، إذ أوضح أن الرؤية نتيجة للآثار الحسية الذي يتركه النور
في أعين ، ومعلوم أن أهل العلم قبل ابن الهيثم كانوا يسمون الرؤية لقاء بين روح يخرج من
الماغ ومن العينين متجهة نحو الأشياء ، وبين الأشياء نفسها ، فقال ابن الهيثم ان الآلة التي
تحس به في الصباح حينما تنظر الى الشمس تدل على أن عملية الإبصار تتحقق بدخول
الضوء في العين .

وكذلك هناك ثغرة ثانية على ما يظهر في مخطوط العافى ، وهو الجزء المتعلق بالنظير
بالعينين . إذ اخترع ابن الهيثم جهازا لفحص البصر بالعينين ، وهذا الجهاز يرسمه العالم الكبير
جانال في أحد كتبه في 1896 .

أما من المفيد جدا أن نتعرف لأسباب هذه الثغرات ، فإليك قائمة من الأسباب لذلك :

- 1 - قطع العلاقات العلمية بين مصر والاندلس في هذه المرحلة المضطربة من تاريخ المسلمين .
 - 2 - أن ابن الهيثم اضطر أن يتصنع استحثون ، بعدما غضبت عليه السلطة المالكية في
القاهرة ، حسب بعض المؤرخين ، فإن صبح هذا يكون مفهوما أن تبقى كتبه مهمة ولم تنشر .
 - 3 - عدم الاطلاع من طرف عامة الأطباء على العلوم الأساسية ، مثل الرياضيات والبصريات
ويكون الاعتناء بهذا النوع من المؤلفات قاصرا على عدد معين من عباقرة الطب ، الذين كانوا
يهتمون بجميع أنواع المعرفة وجميع فنون العلم .
 - 4 - رابعا وأخيرا أن تكون هذه المؤلفات قد وصلت للاندلس ، ولكن الإحراق الإجرامى مثل
الذي قصى على ما يقرب من 200 ألف كتاب في قرطبة ، لم يترك أثرا لهذه الكتب .
- هذا فيما يتعلق بالمقالة الثالثة ، أما الامانة الرابعة :

أن مفاهيم علم الأمراض العام متأثرة بالتعليم الطبي فنجدها فيها تلك الشواorch الواضحة لطب الامزجة والطبائع ، وكان هذا التصنيف اليوناني الاصل يسيطر على علاج الامراض التي ليس لها سبب ظاهر حينذاك *

اما المقالة الخامسة :

اما الصبيلة فهي متنوعة ، وتشتمل على الانوية والمقاقير التي جربها القدماء مع ملاحظة ان نوعا من التمييز تتصف به قائمة العقاقير التي يقدمها الفافسي ، فلتأريخ الصبيلة ان يظهر هذا التمييز *

اما المقالة السادسة وهي اكبرها في المخطوط ، فانها ترجمت باكثريتها من طرف « ماكس مايرهوف » ، تدور امراض بصفة وافية ، سنكتفي في اطار هذا الحديث على بعض الملاحظات التي تظهر لنا مهمة *

ان تخصص هذا الكتاب يربنا أن الفافسي يعطي أهمية خاصة لطب العينين عند الاطفال ، وهذا التخصص لم يرق الا مؤخرا في العصر الحديث *

ان للتراخ ما موصوف في انواع عدة حسب الظواهر السريرية ، وحسب درجة خطورته ، ان العلاج الذي يوصى به الفافسي هو اشراك الانوية المنقحة مع حك الحبوب بالآلة لاصمة تسمى « الوردة » ، وهذا علاج مقبول في الحالات المتطورة *

ان التهاب اللتخمة المعروف بالرمد صنف وقسم الى حاد ومزمن ، والحال ان يعد مرور سنة ثرون على وصية الفافسي يتطور الانوية المنقحة في حالة الرمد يشير استاذ طب العيشتن في باويس بشق اللتخمة ، وهذه طريقة غير ناجحة بل خطيرة *

ان الاستاذ « سكارفا SCARPA » من بافي في 1881 ، ويحتسب بانؤلفين العرب حسب تمييزه في التقسيم السريري لامراض اللتخمة ولعلاجها *

ان الكتابين الغربيين من فرنسا وايطاليا يتبعان تصنيف الفافسي ، وقائمة الامراض التي وصفها الفافسي *

واننا نجد بعض الاخطاء في العلاج عند المؤلفين ما كان يرقم بها الفافسي *

ان « دولري » كان في سنة 1880 يباريس يحذر من لمرء عملية على الشعرة الا في الحالات القصوى ، والمعروف ان العلاج الناجح الوحيد هو عمل اليد أي الجراحة - والفافسي يومس بعمليتين لهذا المرض حسب تطوره مع ارشادات دقيقة *

إن علاج الكياس عبر منطقتي في القرن التاسع عشر إذا قارناه بالعلاج الذي يوصى به العافقي انذى يشير الى قطع الجفن من الخارج للكياس السطحية مع خيط الجرح يفيط حريري أو بشعر امرأة ، وهذا النوع من الخيط الاحياى يوصى به ويستعمله بعض الجراحين في العصر الحديث لنموته ورقته لجراحة القرنية *

إن السبل وهو غشاء ذو عروق يعطى القرنية يعتبره العافقي كمرض معدى والمعروف الآن أن التراخوما الذى يسبب هذا السبل وهو عرض من أعراضه ، معد للغةية * ومحاربة التراخوما تركز على الحيلولة بين المرض والعين السليمة *

إن علاج الظفر في العين بتدعيه العادى والنوع اللتحم مشروح بغاية البقة ، ويميز بين الظفر الحقيقى وشبه اظفر الذى يؤدى علاجه الى خطر ، إن لم يتخذ الجراح بعض الاحتياطات *

ويوصى العافقي بعلاج خاص بعد العملية لكي يمنع الالتصاق بين الجفن والعين ، هذا الالتصاق الذى يحدث بعد العمليات الحديثة إن لم يراقب المريض بصقة جيدة *

إن العافقي يعطى لنا وعلى ما يظهر لأول مرة بابا كاملا يشمل الرصوخ وهي الحوادث التى تطرأ على العين ، ويعمى لنا رسائل استخراج الاجسام اسفارجية التى تاتى الى العين *

إن العافقي يصف بدقة الاعراض لامراض القرنية وتحذر الملاحظة أن هذا الوصف بالعين المجردة شيء غير سهل وهو يصف بصفة صحيحة المرض الاساسى لاختراق القرنية والذي نعلمه في العصر الحاضر بنفس الاسلوب وهو اللطخة السوداء تحيطها مساحة بيضاء مع تغيير شكل الحديقة *

إن تشخيص الرصى المسابين بالساد وهو « الكاتاركت » يمتسـر تقمما كبيرا بالنسبة للتشخيص الذى يشرحه ابن سينا في مقائون *

إن التنبيه بمسبب المرض بعد العملية يستنبطه العافقي من انعكاسات وتفاصيل العدسة للضوء الموجه نحو العين ، ويعتبر عدم تحرك الحديقة عرضا ينشئ بعدم يرد المريض *

لنه يوصى بفتح الساد ، ولكن الطريقة الموضحة والآلات المستعملة تستدعي الاحترام بعد قرون من عرضها *

إن العلاج ما بعد العملية على الطريقة التى يوصى بها العافقي تستدعي هذا الاحترام والاعجاب اكثر فاكتر *

نعم ان اللغافى يطبق شمددا على العينين ، ويلزم مريضه بالراحة اقامة مدة ثلاثة ايام بدون تحرك ، مع استعمال مرهم احيائى وهو صفرة البيض وهو مادة عقيمة بدون جراثيم ، حينما تستعمل مباشرة وهي كذلك تحتوى على فيتامينات صالحة للالتحام الجرح « فيتامين ١ »

من ناحية جراحة الاجفان ، ان هذا فى الكتاب تقدما ملموسا بالنسبة الى اشهر كتاب فى الجراحة فى ذلك العصر ، وهو كتاب ابو القاسم الرهاوى *

ان استعمال بعض الازهار من نوع « البيلادون » كان معروفا لديه لتوسيع اسحققة وتغيير وقتى اللون العين من الازرق الى اسود *

ان اللغافى يوصى كذلك بوضم العين فى بعض الحالات كي يتحسن مطهرها ، وهي خطوة فى جراحة التجميل *

تلك هي بعض العناصر التى اقتبسناها اثناء قراءتنا للمخطوط وبصفة خاصة للجزء الاخير منه ، الذى ترجمه ماكس ما يرهوف ، فلا شك ان تحقيق المخطوط كله سيأتى بمعلومات صافية *

بعبارة لاحقا محتوى هذا النص ، فليتنظر الآن الى لغته ووسائل التعبير فيه ، ان اللغويين والادباء يستعملون بدون شك ان يقولوا اكثر مما افوله انا فى هذا الموضوع ، اما فيما يخص كطبيب يقوم بمجهود لتحسين لغته العربية ، فإن الرضوح والبساطة والايجاز ودقة اللفظ هي الصفات التى لاحظتها واعجبت بها *

الطريق الذى ملكته اللغة الطبية الحوية من زمان الماسون والمترجمون الاولين صديق صويل ، ان دراسة مقارنة لكتاب حنين ابن اسحق وكتاب اللغافى اللذان تفسلهما اربعة قرون لا بد ان تظهر هذا التقدم الذى حصلت عليه اللغة العربية فى التعبير العلمى عن انتقام الذى حققته المدارس الطبية العربية فى هذه المدة من الزمن ، وهذا طبعى جدا *

ان قائمة المفردات والمصطلحات العلمية مهمة ، فليس فيها تلك الترادفات الصارة للتعبير اعلمى *

فى هذا الكتاب مثلاً اشرنا اليه يستعمل الرسم كاداة تعليمية بطريقة حسنة ، ويقدم المؤلف التفاصيل اللازمة لصنع الآلات الرسومة رسماً مناسباً لحجمها *

وبعبارة عرشنا محتوى هذا الكتاب وبعض امتيازات لغته ، وتعرفنا الى ما هو معروف من مؤلفه *

فهل يمكن أن نستخلص بعض الأفكار لنطرح فى ميدان المناقشة حلول عوامل الإزدهار ، وأسباب الانحطاط وشروط النهضة للعلب كجزء من مقومات الحضارة عند العرب والمسلمين .

أما أسباب الإزدهار فإنها ملخصة فى الاعتبارات التى حملتنا لتسمية هذا المصنف مصنف عصرى هو الذى نعتبره عصرى فى زمننا ؟ ما الذى يثير ميلاد الطب الحديث فى هذا المخطوط نرى أولا : التنظيم المنطقي للمعارف - ثانيا : التعبير بأسلوب واضح وبسيط - ثالثا : دراسة متقدمة للمراجع العلمية المهمة - رابعا : اهتمام كبير بالملاحظة الدقيقة - خامسا : التجربة الشخصية التى تمكن صاحبها من رفض الخطأ أيا كان منشؤه . وهناك أخيرا تنبؤ بما سوف يكون فى القرن 21 فى هذا الكرم الذى يتصف به العاقل ومن معه ، بإيصال العلم الى من يليه مع إعطائهم كل التفاصيل الفنية الناجحة أى قلما يعطيها كثير من العلماء فى القرن العشرين .

إن الطب يتطلب الملاحظة والتطبيق والمثل فالمكتب وحدها لا تكفى ، ولابد من شيخ يريه شخصيا ، ويظهر أن الركود ثم الانحطاط آتيا من هنا ، فبعد هدم المدارس الطبية العربية الإسلامية فى بغداد وزوال الأندلس بيعت الكتب فى الموالد الرميذة فى التكوين الطبى فهل مكتبة الآن تكون كتبا أخرى ونسما ؟ أيتحدث شيئا فشيئا عن حقائق لأمراض الى أن وصل الطبيب الى استعمال رسوم معدنية وطلائيم لكى يعالج ؟

فى كتاب العاقل لاتوجد بالطبيعة أية رسوم أو خطوط من هذا النوع الخرافى . إذ يركز العلاج على الدواء مثلما أوصى به الرسول صلوات الله عليه وسلامه فى حديث عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رجلا قام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أبتغى الدواء من القدر ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (أدواء من القدر وهو ينفع من يشاء بما يشاء) .

ولقد سقت هذا الحديث لأنه يفقد كل الادعاءات حول ما يسمى بالأسباب اعتقادية لركود المسلمين .

أما المصيب الثانى للانحطاط أو عدم النمو هو ما لاحظناه أن هذا الكتاب فى الطب لم يستعد من العلوم الجديدة المجاورة له ، مثل البصريات لمصنف العين ، فإن أعمال ابن الهيثم انتشرت « نيوتن » و « كبلر » لكى تستعمل لمائدة المعرفة البشرية .

وهذا يجدر أن نؤكد أن أكبر التقدّمات فى السبب حصلت بحلف العلوم الأساسية من المعامل والعلوم السريرية من المستشفيات .

فمثلا فى طب العين انظرات والمنظار العيني حققت تقدما عظيما فى معرفة العين وطبها .

فإذا اردنا أن نلخص عوامل الانحطاط أو الركود عند المسلمين بصفة عامة على صسوء ما وجنتاه أثناء هذه الدراسة ، فسندج سببين أساسيين :

- السبب الأول : القطع العمودي ، بين الاجيال الذي يحصل بينهم ما بناء الاولون أو جيله .
- وعذا الذي يدل أن قاتن ابن سينا صار منسيا وترك المجال للهارونيات .
- والسبب الثاني : هو القطع الافقي بانعدام التبادل في جيل واحد .

وان مثل ما حصل لتراث ابن الهيثم يجمع هذين السببين ، القطع في الزمان وفي المكان .

أما عوامل النهضة ، فهناك عوامل معروفة مجربة في تاريخ كثير من المدنيات والعماس الاول هو ما قام به العرب في بغداد بين القرن الاول والثاني للهجرة في بغداد ثم ما قام به الغرب بعد 3 قرون حيث انتهى كل ما عند غيره من كفرن واخذ الاسباب لاستيعابها ، والاستفادة منها .

في النصف الاول من القرن 12 نظم كبير الاساقفة Raymond Jauvelin ورشة للترجمة في طليطلة ، وفي نفس الوقت اشرف « جيرار دو كرىمون » على 86 ترجمة من الكتب العربية ، وطب Pierre vénérable بترجمة القرآن العظيم .

ينبغي أن نلاحظ هنا أن الغرب ما قضى بترجم ويصمم الترجمات جيلا بعد جيل لكي يستعيد من تراث غيره .

واربعا كان هذا سرا من أسرار نهضته المستمرة .

وتزيد أن الغربيين قاموا بعمل مشترك ، إذ كان مثلا في الاندلس علماء مترجمون أتوا من البلدان المختلفة الأوروبية ، ولكنهم استأفوا من هذا ، وكانت نهضتهم تتبر مع نوع من الانسجام ، إذ استمرت المراسلات بين علماءهم وتبادلوا تجاربهم ، اى وقتنا هذا ، رغم كل ما يمكن أن يحدث بينهم من حروب وانقسامات .

فإذا اهتمنا في دراسة التاريخ بالبحث عن الاحطاء التي يجب أن لا نقوم بها حاليا فإن تصورائنا للقرن 12 هي التي يجب أن نقود تفكيرنا ونوجه عقولنا لانه اذا كان ممكنا أن يعاكي الماضي ، فهل يمكن محاكاة المستقبل ؟

إن النهجين بالتخطيط والنظريات المطلقة بالمستقبل يتحدثون عن مجتمع تنتجه هذه المرحلة الصناعية التي يجتازها العالم ، ويكون هذا المجتمع ما بعد الصناعي حسب أحد هؤلاء العلماء البارزين مجتمعا يكون فيه العامل الأساسي للتقدم هو التنظيم والميطرة على أنظمة العلم النظري وتكون فيها المؤسسات الفكرية مركز الهيكل الاجتماعي .

ومن هنا يتضح أن تقدم العلم وهو شرط النجاة يتطلب من كل جماعة بشرية أن تصاهم باكير عند ممكن في ترقية العلم .

وهذه المساهمة تتطلب لغة مشتركة لا كبر عدد ممكن من الناس - وتكون هذه اللغة همزة وصل بين الناس عن طريق المترجمين -

فإن المسلمين تتلمذوا بحكم التاريخ فرادى ثم جماعات وجماعات على مدرسة الغرب في هذا النصف الثاني من القرن 20 ، ولهذه الظاهرة ابعاد استثنائية ، نعم ان المسلمين يجب عليهم في هذه الظروف ان لا يكتفوا باتباع الخطوات بل يجب عليهم ان يسيطروا في كل مرحلة على نقل التكنولوجيا ، وتطور المنطق العلمى -

فيظهر من هذا ان التبادل المستمر والاتصال الدائم بين مسلمي العالم امر ضرورى لكي يكونوا اصحاب انتاج في الحضارة بدلا من ان يبقوا مستهلكين فقط -

ومن اجل هذه المبادلات النوعية فان اللغة العربية التى هي لغة القرآن التى اثراها علماء المسلمين عبر التاريخ قد اتاحت للشعوب الاسلامية على اختلاف اجناسها ان تتقدم بسرعة في العلوم وتبنى بناء علميا وثقافيا جعل البشرية تترقى -

ان هذه اللغة قادرة - بفضل جودها الروحية ان تسهم في الحاضر والمستقبل في تقدم الحضارة وتصبح اللغة العربية مرة اخرى وسيلة لسعادة البشر -

هذان العاملان : انفتاح ايجابي نشيط بالترجمة في الاتجاهين ، والوحدة في البحث والعمل - هذان عاملان سيضمنان ان شاء الله انبعثا جديدا للاسلام والمسلمين -

قبل ان اختم حديثي ، اسمعوا لي ان اثير فكري غالية منذ 36 سنة نظم ابي رحمه الله لمناقشتي في هذه المدينة « بجاية » في مدرسة حرة تابعة لجمعية العلماء بعد اول سنة دراسية قضيتها في ثانوية فرنسية بالجزائر فترة تدريجية في اللغة العربية وفي التراث الاسلامي - عوض العلة الصيفية حتى لا يفقدني التعليم في المدرسة الغربية اعز رأس مال الانسان الا وهو وجهه - فشكرا لكم اماتنتي -

ورحمة الله عليه ياربى ، فليد امنيت الامانة -

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وفاة المجاهد
الاسلامي
الكبير
الامين الحسيني



فقدت الامة الاسلامية مجاهدا ظل أكثر من نصف قرن
يعمل من أجل قضية فلسطين وسائر قضايا الاسلام
والمسلمين . وهو سماحة الأستاذ محمد أمين الحسيني
مفتي فلسطين ، ورئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين .

وقد شارك الفقيد في كل الحركات الاسلامية في الوطن
الاسلامي الكبير باخلاص وايمان .

وقد أجمعت جميع الاوساط العربية والاسلامية عموما
وعلى رأسها الفلسطينية على الاشادة بكفاحه بمناسبة وفاته .

تفعلده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته .

بين التعصب والإسلامية

أو الإسلام من خلال بعض الشخصيات في العالم المسيحي

- معالي سيادة وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية ،

- أيها السادة الأفاضل ،

- أيها الزملاء الأعزاء ،

قبل كل شيء أريد أن اعتذر لكم لسوء تنقلي في اللغة العربية * أنا أجنبي وكالبعض منكم اني لا أتكلم جيداً هذه اللغة القيمة * ولربما يوجد هنا من يتكلمون لغتي أحسن كأنها لغتهم * وإلى هؤلاء جميعاً اعتذاراً اني أسأت الى هذه اللغة ، واثمني أن نستطيع التفاهم عند الكلام عن المواضيع التاريخية التي تمس في أن واحد بلكم ويدي *

د. ميسال دي إيسلزا

(إسبانيا)

مترجمة من الإسبانية
إلى العربية

وبالقول سوف انكلم من فترة من التاريخ المشترك لمدينة بجاية وجريدة مايورك ، تلك الجزيرة التي تليق فيها تربية - وان سألنا سكانها يوما عما يعرفونه عن مدينة بجاية فيجبوا كلهم أن يرمون يول سات هناك - أما المُرّخون فانهم لا يعرفون عنه أن تولى في مدينة بجاية أم في أجدر ، ولكن المايوركيين يظنون أنه مات في هذه المدينة التي أصبحت مشهورة في مايوركة ومدينة بجاية قديمة جدا وما زالت قائمة حتى الآن ، فالمسافة بين المنطقتين 160 ميلا ولكن العلاقات التاريخية كثيرة بينهما ، فلنتذكر أيها السادة البعض منها :

— في المصور القديمة كانت السفن الفينيقية تعبر البحر الابيض المتوسط من بجاية والجزائر متجهة الى امبانيا فتتوقف بجزر مايورك وابيزة *

— عندما استقر الاسلام في الاندلس توجه عدد كبير من المسلمين الى القبايع المقدسة لاداء فريضة الحج عن طريق البحر فتوقفوا بمايوركة وبجاية كممثل عصام الجولاني الذي فتح الجزيرة لامراء قرطبة في اواخر القرن الثاني للهجرة *

— خلال الصراع السياسي الذي نشب بين فاطمي افريقيا واموي الاندلس في القرن الثالث الهجري ، كانت بجاية ومايوركة متاهين عنوين بعضهما البعض واستعلا للحروب البحرية بين الدولتين *

— وبعد وقت طويل أي خلال الحروب التي نشبت بين المرابطين والموحدين هيا بنو غانية امراء مايوركة المرابطون جيشا للكفاح ضد الموحدين في المغرب وقد نزل هذا الجيش مدينة بجاية ومنها ابتداء حربه ضد الموحدين في كل المغرب الشرقي *

— وبعد وقت مضى عقد ملوك اراغون ومايوركة عهودا واصلافا سياسية وتجارية — مع الامراء المغاربة ، تسمح لهم بالتجارة مع هذه البلدان ، وقد انشأت قسيلية ل مايوركة في بجاية - أما التجارة فقد كانت مزدهرة كما كنت ، عليه منذ قرون وقرون *

— وفي القرن الثامن لجا الى بحارة يهود مايوركة هربا من اضطهاد المسيحيين لهم ، ومكثوا بها تحت حماية الدين الاسلامي الذي هي ليسن تسماع *

— وخلال القرن التاسع والعاشر حاولت القسوات الامبريانية لفرناد المسيحي الازعوتي والامبراطور شارل الخامس والمائيا ، اخذ لنيئة فارسلوا عدة حملات من مايورك ، وقد يصرف فشل هذه الحملات المعسكية *

— خلال العصر الحديث أي ما بين القرن العاشر والثاني عشر كان عدد كبير من سكان مايورك في بجاية منهم المسافرين والامري كما وجد عدد كبير من امسرى ومسافري بجاية في

مايورك والجذر المجاورة - وهذه هي الفترة المؤسفة والمؤلمة في علاقات بلديا - حيث عرفت بالحرب المستمرة التي دامت ثلاث مائة سنة بين الجزائر واسبانيا *

- اما الآن ومع استرجاع الاستقلال كثر عدد الجزائريين الذين يزورون أو يجبرون مايورك كما أن المايوركيين الذين يأتون لزيارة بلدكم وهذه المحنة الجميلة هم دائما في أرياد ملحوظ -

- وأخيرا، اني اتكلم لكم اليوم باسم مواطني مايورك جيرانكم الشماليين مع ذكر المسلام والاخوة الساندة بين البلدين المجاورين - هذا السلام الذي يعد آخر رباط لتواريخ عريضة مشتركة والتي تراوح سيرها نحو المستقبل مع أجمل التمانى *

فلنترك ايها المستمعون الحاضر والمستقبل ونعيد نظرة الى الماضي وبالأحرى الى رامون بول ووقتته ونحو رحلاته وإقامته في بجاية حتى وفاته في البحر بين بجاية ومايورك - انها تواريخ الماضي ولكن يجب التعرف عنها لانها جزء من تواريخ تظهر تارة مؤسفة وتارة مسرة - وهي تراث مشترك للبلدين الجارين *

ان رامون بول رجل ديني من مايورك كان فيلسوفا ، رياضيا وشاعرا ويعد من كبار وعظماء الادباء الاسبان في اللغة الكاتالانية ، وكان رامون يسول اول هيلموف أوروبي لم يكتب باللغة اللاتينية ، ولكنه كتب باللغة الكاتالانية تلك اللغة الشعبية - جال كثيرا في أوروبا ومصر وتونس وفي كل المغرب ، وتعرف رامون بول بأهم الشخصيات لعصره في أوروبا - وقد يلاحظ تأثر بعض المفكرين الأوروبيين بأفكاره الفلسفة - كان يحسن اللغة العربية ومثلا بها في مؤلفاته - وهكذا أثر رامون بول أكثر من غيره من الفلاسفة الأوروبيين في التيار الاسلامي للمفكر الأوروبي في القرون الوسطى *

وقد كان أيضا رجلا دينيا تابعا لنظام فرانيسكو - وان مثل حياته الدينية وتبشيره يرينا كيف كان يريد نشر الدين المسيحي في كل انحاء أوروبا وشمال إفريقيا - فقد بشر رامون يسول وكتب بالمنة اللاتينية والكاتالانية في أوروبا وتعلم العربية من أجل التبشير والكتابة بها في المغرب وأنشأ في تلك الفترة فرانيسكو دى اميس النظام التبشيري من أجل نشر الدين المسيحي في أوروبا والعالم كله *

ان رجال الدين المسيحيين فرانيسكانيين فسيح الى فرانيسكو بشروا في كل أوروبا يزهد وتعبد - ولكنهم كانوا يريدون التبشير وسط المسلمين الذين لم يعرفوا الدين المسيحي - فابتدأت هذه الحملة التبشيرية بمشاركة سان فرانيسكو نفسه وقد كان دائما ضد الحروب الصليبية لأنه كان يظن أنها عسكريّة وليست دينية - ولهذا الغرض سافر الى المشرق للاعتاد عن الحروب الصليبية

ومن أجل التبشير هناك - وهكذا فقد استقبل استقبالاً حاراً من طرف السلطان صلاح الدين الايوبي في مصر - فاستمع اليه السلطان باهتمام ومراعاة ورجع فرانسيسكو الى اوروبا مسروراً بالاهتمام الذي تظاهرت به شخصية كصلاح الدين الايوبي - ولكنه لم يستطع اقناعه وأما تبشيره فقد كان معتدلاً ومحترماً بدون مهاجمة رسول الاسلام ولهذا فقد احترمه المسلمون لانهم رأوا فيه رجلاً نبيا يؤمن بدينه ومن أولئك الذين يطلب القرآن احترامهم .

ولكن رجال الدين الفرنسيين لم يكونوا كلهم محترمين كمؤسسيهم وفي نفس الوقت است إلى العرب جماعة من رجال الدين ليشيروا بالمسيح ولكنهم هاجموا الرسول والدين الاسلامي .

في 1219 انتقلت جماعة تضم 6 من رجال الدين الفرنسيين من ايطاليا الى العرب لتدعوا الناس الى الإيمان بالمسيح - فعبثوا ايطاليا وجنوب فرنسا ثم اسبانيا والبرتغال ووصلوا أخيراً الى شيبيلية التي كانت تحت حكم الموحدين - كانت المدينة إسلامية ولكن المسيحيين كثيرون فيها وكان الحاكم يقيم علاقات دبلوماسية حسنة مع مسيحي الشمال وخاصة مع التجار الذين يرون المدينة ويشركون في تميمها بتجارته .

وعندما سكن هؤلاء - رجال الدين السنة - عند تاجر مسيحي ، وقفا أمام باب مسجد وبدأوا التبشير - فلم يرض المسلمون بهذا وأرغموهم على السكوت فلجأوا الى الحاكم وطلب منهم ما هو هدفهم فاجابوا : أنهم اتوا للتبشير بالامان وكذلك بسلامة الدين الاسلامي فسجنوا في برج الذهب بجانب الوادي الكبير وبعد محاكمتهم سالهم السي آين يريدون أن يطردهم - فحسبوا لشمل في البلدان المسيحية أم الى الجنوب - اى الى المغرب فاختاروا الذهاب الى المغرب - وهكذا طردوا الى المغرب كمشوشين ومن الحاكم لم يرد تسنين حكم الاعداء رغم اهم شتموا النبي وذلك لانه ظن انهم مجانين لان هذه الحادثة لم يسبق لها مثيل في الاندلس .

في الحقيقة يلزم التكلم عن تعصب هؤلاء رجال الدين الذين لم يحترموا العقائد المسماة - وعندما وصلوا الى المغرب خرجوا ثلاث مرات من السجن أو مطروحين فرجعوا الى عاصمة الموحدين للتبشير علانية - وان مسيحيين مراكش خاصة منهم دان بيدرو البرتغالي الذي كان يعيش هناك الخليفة المستنصر بالله كانوا يريدون اقتناع المسلمين أن المبشرين كانوا سريين في تبشيرهم ومحترمين للدين الاسلامي - ولكن المسيحيين والسلطات الاسلامية كانت تخشى ثورة الشعب وأخيراً وفي 1220 جابى من قطع الحليفة نفسه رؤوس هؤلاء رجال الدين - فجمع دان بيدرو البرتغالي اصحابهم وأخذوا الى اوروبا عند رجل من الغرب ليتم اياهم في جزيرة مايورك .

وهنا نرى في هذه التواريخ المزسفة نتيجة عدم احترام هؤلاء الرجال اميدلسن للاسلام وذلك اتهم كانوا لا يرمون الدين الاسلامي واللغة العربية - ورغم هذا ارادوا التثوير في بلد مسلم - فحللوا اضطرابات وحاصروا المسلمين بمهاجمتهم للاسلام وشتمهم للبي - كانوا يحملون بيمان ولكن تعصبيهم الديني لم يؤدي الى اية نتيجة .

ولكن وصمية وحالة رجل دين فرانسسكي آخر تختلف تماما عن وضعية الرجال الست الاولين وهو انسالام تورميديا الذي ذهب الى تونس حوالي 1390 ، وسفل الاسلام تحت اسم عبد الله الترجمان - ان هذه التواريخ مهمة في العلاقات بين مايورك والمغرب في العصور الوسطى ، لقد ولد انسالام تورميديا في مدينة مايورك وهو رجل ديني فرانسسكاني أيضا درس في مايورك وليردا ويولونيا بايطاليا وبعد الثلاثيات من عمره اتجه الى تونس ليلضل الاسلام ، وكان ذلك امام السلطان التونسي واحد منصب ترجمان في جمارك ميناء تونس ومنه وصل الى منصب قائد الجمارك وشغل مناصب هامة في الادارة المالية في مملكة الحفصيين الذين كانوا في قمة مجدهم وشهرتهم وقد وصلت قنوجانهم حتى بجاية .

ان انسالام تورميديا رجل مياييسي ديني وكذلك كاتب ذو مكانة عظيمة لانه كتب من تونس عدة مؤلفات باللغة الكائناتانية ومنها الى بلاده عن طريق التصار - وكان لهذه المؤلفات اهتماما كبيرا واثرا عظيما - ويعتبر في هذه اللغة كاتبا كلاسيكيا - وفي آخر حياته كتب كتابا باللغة امريكية وهو : تحفة الانبياء في الرد على اهل الصليب ، وفيه يذكر حياته ودخوله الى الاسلام والامراء التونسيين الذين خدمهم ونقضه العرض للمسيحية على الخصوص هذا الدين الذي كان يعرفه جيدا لانه كان قسيسا ورجلا دينيا مسيحيا .

وكان لهذا الكتاب صدى كبيرا في العالم العربي والاسلامي - وقد وحدث لنا 66 مخطوطة يدوية بالعربية والتركية بين الرباط وبغداد وثلاث منشورات بالمرية وثلاثة أخرى بالتركية - الاخيرة منها وحديثها سنة 1970 ، انا اظن انه المؤلف الوحيد الذي كتب بالعربية ولمعة اوروبية واستمع ان يكون في اللاتين - ولهذا فان حياء هذا الرجل الديني مهمة - فرانسسكاني من مايورك استسلم وكتب بالعربية ولكنه لم يترجع عن ثقافته امايوريكية وحافظ على علاقته الاخوية مع شخصيات من حريته وكتب بلغته كما كتب بالعربية وعلى نفس المستوى

ان الفترة التي جاء فيها رامون يول الى بجاية تتراوح بين تعصب لفرانسسكانيين المراكشيين واستسلام لفرانسسكاني التونسي .

ولد رامون يول حوالي 1232 في مايورك مستين او ثلاثة بعد ان احتلت الجزيرة من طرف ملك اراغون وقد كان صاحب وسام وملأما باب الملك الى ان اهدى الى الايمان وعمره 33

منة - فترك عائلته وأشقائه وراح يبشّر الجهودات في شتّى ديه في أوروبا بكتابته وتبشيره -
وبما أنه عاش وسط المسلمين أراد أيضا أن يدفع المسلمين إلى الإيمان بالمعقيدة المسيحية - فتعلم
العربية وأرغم البابا وبعض الأمراء المسيحيين على إنشاء مدارس تعلم اللغة العربية لكي يتعلموا
المبشرين فيتعرفون على الدين الاسلامي والثقافة العربية -

ورغم أنه ادعى نشر المسيحية قبل كل شيء فرامون يول هو واحد من الذين أثروا في الثقافة
الأوروبية بقيم عربية من خلال كتابته ومجاد هاته القربوية وهكذا ألف كتاب التامل الذي حرره
بالعربية أولا ثم بالكاتالانية - ودرس في مختلف جامعات أوروبا -

ولكنه فكر أيضا في نشر العقيدة المسيحية بين المسلمين فرحل حوالي 1280 إلى المشرق عامة
والى الاماكن والنقاع ، المقسمة المسيحية في فلسطين ، وبعد اثنتي عشرة سنة اتجه إلى قرص
رتحات أياما وأيام مع العلماء المسلمين متفعلا في إيمانه أمامهم ومساولا تهمهم برامهم ، وأن
تأثره بهذه الحادثات لا استطاع نفيها في كتبه أنشئ تلبست الحادثات ، فتكلم دائما عن الإيمان
الاسلامي وصفات الله ، ولا مبتدا بالعقائد المسيحية ، كما كان يعرض معلوم اللاهوتية الأوروبية
وكانت هذه الحادثات خطيرة من جانب آخر لرامون يول - لأنه أتهم أمام السلطان أنه آمن
وبالبح في التكلم عن دينه ، ولمحسن حظه اقنعت إحدى الشخصيات الاسماية الملك بأن لا يؤخذ
أمر في شأن رامون يول وإنما يلزم أوجاعه التي أرضه وكانت حجة هي التالية : ان قتلنا هذا
الرجل الذي جاء هنا للتبشير فإن المسيحيين لن يقللوا المسلمين الذين يريدون شتّى العقيدة
الاسلامية في أراضيهم - أنها حجة غريبة ولكنها كانت فعالة واستطاعت أن تنقذ رامون يول من
الهلاك في قرص ، فرجع إلى إيطاليا وحث أنابا والشخصيات الكنائسية على الاهتمام بالتبشير
عامة وبين المسلمين خاصة -

ويعد أن واصل يكتب ويسافر في كل انحاء أوروبا لقم في اسخامة والصعيين من عسره
على القيام برحلة من جزيرة مايورك إلى المغرب وإلى مدينة بجاية قبدأ تبشيره العلبي ومهاجمته
للدين الاسلامي فألقى القاصي الحكم عليه وقال له : أي جنون مسيح لك مهاجمة ديننا الحنيف
علبة ، فسمحته ولكنه انتظر مجيء العلماء المسلمين لتحدث معه واقناعه عن حقيقة الدين الاسلامي
فاستجاب له وراح يكتب ليلا ليجمع ثمار هذه الحادثات والاكار وهكذا ألف في بجاية كتاب
مبدلة رامون يقول المسيحي مع ...

وأخيرا يمته أمير أو حاكم بجاية في باخرة متجهة إلى مدينة بيزة بإيطاليا ، وهكذا واصل
هذا العجوز الذي لا يخضع لشئ كتابا ومرتبلا عبر كل أوروبا وكان جنيرا بحقيقة ادعيت
المسيحي وكان دائما في استنداد لنشر هذا الدين حتى عند البابا والأمراء المسيحيين - ولكنه لن

ينسى المسلمين في 1314 رجع مرة أخرى إلى بجاية وهو في الثانية والثمانين من عمره ومنها افقل إلى تونس حيث طلب من ملك أراغون أن يرسل له ترجمانا وكاتباً يساعداه في أعماله ، ورجع مرة أخرى إلى بجاية حيث مات في السفينة التي كانت تنقله إلى مايورك .

وجاء في بعض الأساطير أن رامون يول اضطهد في بجاية وفي الحقيقة نحن لا نعلم شيئاً عن آخر أيامه التي قضاها في بجاية ، وأن سكان مايورك يكتنون له احتراماً والكراماً عظيمين إذ أنه في يوم الاحتفال بذكرى وفاته توضع صورته على مقعد بلدية بالة ولقد رأيتها أنا عندما كنت ولداً وهكذا نرى بين نمص بعض من زملائه الفرانسمكانيين ودخول الاصلام من طرف آخرين شخصية رامون يول العظيمة . ورغم أنه دافع في بعض الأحيان عن الحروب الصليبية ككثير من رجال القرن الوسطى - فقد اشتغل خاصة بالتبشير الديني بكلامه ومؤلفاته متعلماً للغة العبرية والحضارة الاسلامية - وهو رجل وكّر تبشيره على الحسوار اعظم هكذا ومريداً أن يؤثر في المسلمين كان المعلم اللاهوتي المسيحي الذي تأثر أكثر من غيره من المسلمين - وهذا مثل لتأثير الحضارة العربية الاسلامية في أوروبا خلال القرن الوسطى كلها .

وأنا أظن أن اهتمام رامون يول بالمسلمين وتأثيرهم فيه كان من أسبابها أنه عاش في جزيرة وسط البحر الأبيض المتوسط قابلاً لجميع تيارات هذا البحر المشترك . ولهذا الغرض نصب تمثال رامون يول في ميناء بالة مايورك رمز للضيافة والانزاس والاعتناح العقلي لجميع التيارات الفكرية في اوقات رامون يول .

وفيما يتعلق بانفتاح رامون يول دعوى إليها الاخوة اختم كلامي بهذه الحكاية من هذا التمثال المشهور لميناء بالما .

لقد أقاموه منذ سبعة سنوات وخطر لشخصية مايوركية أن توضع جملة في كل اللعاب كتب بها رامون يول أي باللاتينية والكاتالانية والعربية - هذه اللغات التي كانت لعاب ثقافية في عصره ولاختبار الجملة العربية اتصلوا بي عندما كنت استاذاً بجامعة ليون بفرنسا ففكرت أنه من الحسن أن يجتارها عربي مسلم وعلى الخصوص جرائري لأن رامون يول عاش في الجزائر وتوفي في بجاية . ولهذا الغرض عرضت الفكرة على زميلي الاستاذ الدكتور علي مراد الذي كان له السع في اختيار جملة شائعة لرامون يول وهي « لا محبة بدون ارادة ولا ارادة بدون محبة » وأرسلها لي مايورك .

ولكن للجملة كانت كلها في سطر واحد الخفي أما قاعدته التمثال كانت عمودية وضعت القاعدة غير كافية لكتابة الجملة في سطر واحد فغلبا زملائي المايوركيون إلى قطع الجملة من اليسار إلى اليمين أي ابتدأوا من الأخير فوضعوا آخرها في السطر الأول ومسطها في السطر

لثاني إما أول الجملة فوضعوه في آخر سطر من البلاطة . وهكذا أصبحت الحملة غير مفهومة رغمضة في أعين الناس .

أما أنا فقد كنت في جامعة ليون ولم أطلع عن هذا الحادث . فاشتكت الناس في مايورك قائلة أن ما كتب غامض جداً وغير مفهوم . فقسام الشخص وأتى بالفكرة بسده مجادلات في الصحافة قائلاً أنه استشار أستاذة جامعات حذيرين بما يعملون وأنه عرض البلاطة على بعض العرب وأنهم فهموا المعنى العام للجملة إلا أنهم قالوا أنها تظهر غريبة شيئاً ما . واستنتج أننا ترجمنا نص الجملة إلى عربية العصور الوسطى ولهذا لم تنههم جيداً واستطاع بهذه الوسيلة أن يضمني على احتجاجات الناس .

وبعد مدة من الزمن مرت بمايورك قرأيت التمثال وما فعلوه بها . عثلت إلى السيد الجليل وقلت له أن هناك غلطة عظيمة ذات أهمية . فتعجب قائلاً . أنت كذلك تشكو الآن يمما أقصت الناس جميعاً أن اسم الجملة مفهومة . ولكن الغلطة أصلحت ونستطلع اليوم رأي تمثال رامون بول وهو فنان ذراعيه في ميناء بالما . ذراعان مفتوحتان إلى العالم وموجهة إلى بجاية حصيصاً هذه الأرض التي ترفي فيها .

كل هذه الأحداث هي تواريخ العصور الوسطى . أما الآن فقد طرأ تغيير شامل بين بلدي وبلدكم بين الدين الإسلامي والمسيحي وتكن جملة رامون بول التي اختارها زميلي الجزائري علي مراد ما زالت صالحة ولها شأن في علاقات المايوركيين مع جيرانهم سكان بجاية . وأختم كلامي أيها الاخوة المستمعون قائلاً : « لا محبة بدون ارادة ولا ارادة بدون محبة » .

والسلام عليكم .

مراجع عربية

- البكري (أبو عبيد الله) كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب - طبعة دى مسلمان - باريس 1965 .
- الأديبسي (الشريف) كتاب نعمة المشتاق في اختراق الافاق . (كتاب الاستفسار في عجائب الاجسام) - ط دى كريمير غيانا 1852 .
- الغريني (أبو انيساس أحمد بن أحمد - - -)
- « عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية » طبعة الجزائر 1970 .
- ابن خلدون (عبد الرحمن) كتاب المسر - - - ج 6

الحضارة الإسلامية والنزعة الإنسانية

يذهب هانز هينرش شبيجر (1) إلى أن التراث اليوناني كان هو العامل الأقوى في تكوين الحضارة الإسلامية ، وأن قبول تلك التراث إنما تم بدافع النفقة العملية وحدها أي ليكون وسيلة للدفاع عن الطابع البني لتلك الحضارة ، ومن ثم وقعت الحضارة الإسلامية أسيرة لتقاليد اليوناني ، ولم تستطع أن تتجه نحو النزعة الإنسانية ، تلك النزعة التي كانت سر تطور الحضارة الأوروبية المتأثرة - كالحضارة الإسلامية - بالتراث اليوناني نفسه .

د. احسان عباس

استاذ الادب العربي
بالمجلس الاعلى
ببيروت - لبنان

(2) الإشارة إلى بحث له بعنوان (الشرق والتراث اليوناني) وقد نشر بالعربية تحت عنوان « روح الحضارة العربية » ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي - بيروت 1949 .

ان هذه الآراء التي تبدو مترابطة معا ترايط السبب والنتيجة ، انما تمثل في حقيقتها احكاما مرعلة تعوزها الدراسة الدقيقة المتأنية لطبيعة الحضارة الاسلامية في وجوها وظواهرها المتعددة على نحو شمولي لا يسمح بالتعميم الجارف ، ولو رددنا هذه الاحكام الى الغرض الاولي التي منها انبثقت لتبين لنا مقدار الخطأ فيها . فقد افترض الكاتب اول ما افترض ان جميع الاقطار التي انتشر فيها الاسلام كالسند وما وراء النهر وفارس والعراق والشام وشمالى افريقية والاندلس كانت قبل الفتح الاسلامي وبعد حملة الاسكندر قد انتقلت الطبع الهيليني الحضارى وتخلت عن حضارتها الخاصة ، او على الاقل ان الثقافة الهيلينية كانت هي العنصر الاقوى السائد في تلك الاقطار ، وذلك اثر لاستدته الحقائق التاريخية . ثم ان الكاتب حين تحدث عن الحضارة الاسلامية قصر نظره على جانب صغير من الحياة الفكرية ، اعنى به جانب الدراسات المنطقية والفلسفية ونسى الجوانب الفكرية الاخرى التي قدمت فيها الحضارة الاسلامية صورة نامية من ذاتها وطبيعتها مثل الحديث والتشريع والحقوق المعتمدة على التجارب الانسانية كاشيات والجغرافيا ... الخ ، كما نسي الجوانب المادية من الحضارة والتقدم العمراني ، بل انه لو شاء التخلي عن نصبه ليوثان لوحده في الفلسفة الاسلامية نفسها سمات عارقة تمد في حقيقتها مميّزه لشخصية الفكر الاسلامي نفسه .

ولعل اكبر خطأ يقع فيه الفكر الغربي حين يحكم على الحضارة الاسلامية انه يحاول رؤيتها من خلال ما ألفه من حضارة ، ويدرسها وهو ما يرال اسير لدائرة الحضارة التي ينتمي اليها . ان الحكم على أية حضارة يجب ان يتم - وان كان هذا امرا صعبا - بالتحلي الموضوعي عن أي انتماء حضارى سابق ، والحكم على الحضارة المدروسة حسب ما تقتضيه منطلقاتها وعناصر تكوينها وضروب اسهاماتها ومظاهر قوتها وضعفها في ذاتها ، قبل القفز الى مقاسها بالحضارة التي افها لادرس (2) . وهنا يكمن خطأ آخر من أخطاء شيدر وهو رؤيته للحضارة الاسلامية من خلال الاطار الهيليني المسيحي وابعانه الراسخ بأن الدين المحدد بنظام دقيق لا يستطيع ان بطور من داخله « فرعة أساسية » .

ومع ان تمبير « الفرعة الأساسية » يستلزم خصائص تجريدية يصعب تحديدها واخضاعها لمقاييس عقلية واضحة المعالم ، فان أهم ما يميز هذه الفرعة انها ترفض ان تقلل من قيمة الانسان

(2) كان شيدر على وجهي بذلك حين قال : « هكل من نشأ ونشئ في داخل نطاق الحضارة الغربية لا يستطيع ان يفهم الحضارات الاجنبية الا من وجهة نظره هو الخاصة ، سواء ذلك او لم يشأ » (روح الحضارة 330 - 34) وفي هذا الاصناف يمكن الجور كله لدى الممارسة والحكم ، لان الكاتب لم يحاول ان يبدي أية تحفظات في احكامه .

ومن قيمة همه الفردي والجماعي كما ترفض ان ترى اسباب الضعيف - وحده - في الطبيعة الانسانية ، ين هي تمجد عظمة الفكر الانساني وقوة ابداعاته في العلوم و لغنون والحياه الاخلاقية وتقر هذه النزعة الى نظرية اخلاقية عن الفعل ، فهي تنفع الانسان اى بذل كل الجهود المترابطة لتحقيق الكمال الاسمي للمخلوقات الانسانية (3) ومن تأمل في هذه الصورة التي تمثلها هذه النزعة وجدما تقتصر في امرين هامين : (1) الاكبار من قيمة الانسان والفعل الانساني ، (2) اعداده لخلق والابداع ضمن قيم اخلاقية انسانية ، وهذان البعدان يقولان ضمنا : ان الحضارة المبنية على امس ديني لا تستطيع ان تحققهما ، لان الدين يقيم تمارضا اساسيا بين عجز الانسان وقدره الله بين الفعل الانساني والفعل الالهي ، والله يصنع قيما اخلاقية مستمدة من خارج حركة التطور الاساسي ولذلك كله فان مثل هذه الحضارة عاجزة بطبيعتها عن دفع الانسان الى الحلق والابتكار لانها ترده دائما - بقوة العامل الديني - الى التمسك باسنة والتقاليد - لهذا لا يمكن ان يتم لديه التقدم الروحي الا في التفسير والتكيف مع الاوضاع الجديدة لا في التحويل والصياغة من جديد لما ورثه وتلقاه (4) .

لا أحد ينكر ان الحضارة الاسلامية قد تأسست وتطورت في نطاق الدين ، ولكن الى ابي حد كان التمازج بين عجز الانسان وقدره الله مانعا من اكبار القمة الانسانية ؟ والى ابي حد كان التمازج بين الفعل الانساني والفعل الالهي معوقا للتقدم الحضاري ؟ لا مراه في ان الكشف عن طبيعة ذلك والتمازج - ضروري لتحديد الاجابة الصحيحة عن هذين السؤالين - فالعزم الانساني شرس نسبي ، لا وجود له في طبيعة الانسان نفسه ، ولكنه موجود بالقياس الى صسورة الكمال المطلق ، الى الله ، وهذا لا يعني ان الانسان يقف مكتوف اليدين ازاء ما يجده في اكون من عقبات وصعوبات ، بل هو دائما مدعو الى اظهار قدرة الله - فكرا وعما - من خلال قدرته - وعلى هذا الاساس يصبح العمل الانساني في الكون صورة للفعل الالهي ، وليس في هذا ابي تهيؤ من قيمة الفعل الانساني ، ونما هناك حذر مستمر من ان يتعاطف الشعور لدى الانسان بقيمة ما يخلقه ويبدعه حتى ليطن نفسه « الها » في هذا الكون ، وبك هو ما ادى اليه الشعور بالقدرة في الحضارة الاوروبية التي نمت النزعة الانسانية الى اقصاها ، وذلك ما ادى بالتالي الى ظهور فكر يؤمن بتفوق جنس او عرق على سائر الاجناس ، ويتفوق الاوروبي عامة على سائر البشر ، ان اول ما يوحى به مصطلح « النزعة الانسانية » هو تعميم النظرة التقديرية الى الانسان حيثما

(3) يقتصر بسمير عن « تاريخ الحضارة الاوروبية » ص 111 (تاليف كلود ليكلان وترجمة كريست حبيب - دمشق - الطبعة الاولى ، دون تاريخ) .

(4) روح الحضارة العربية 83 .

كان ، والى اى عرق انتمى ، وبنفعه - على أساس هذا المدأ - الى الحق والإبداع فى نطاق ظروفه وإمكاناته ، ومن هذه الرؤية نجد أن النزعة الانسانية التى قامت الحضارة العربية على أساسها قد استنزفت على نحو لا انساني ووقعت - ضمن أخلاقيتها - عاجزة عن تحقيق انكماش الاسمى للعلاقات الانسانية ، إذ أصبحت ، وخاصة بعد الثورة الصناعية ، حضارة المنتج - المستغل - التلوث على كل من عداه - وليس هذا شجبا للجوانب الإيجابية فى منجزات الحضارة الغربية ، وإنما هو محاولة لإظهار مدى الخطورة فى إطلاق « النزعة الانسانية » فيها الى نهايتها القصوى .

ولم يكن ذلك هو شأن الحضارة الاسلامية ، فإن مفهوم النزعة الانسانية فيها يستمد وجوده قبل كل شيء من المساواة النظرية بين بنى الإنسان ، تلك المساواة التى قد تغفل أحيان على المستوى التطبيقي ، ولكن هذا الاختلال يمكن اصلاحه بالعودة دائما الى البنى النظرية ، وفى الكيان الحضارى انكلى كانت تلك المساواة تعنى «ثاحة الفرص للإسهام فى البناء الحضارى بنصيب حتى انما لو نظرنا الى الصورة العامة لهذه الحضارة لوجدناها « تعاونية أسهمية » - ان صح التعبير ، تشترك فيها جميع الاحساس كل حسب طاقاته ومكائنه ، فى ظل دين موحد جامع ، دون أن يفضى ذلك الى نوع من التفرقة العرقية او من الشهوة الى استئصال والاستغلال » وحسبنا هنا لتأكيد مثالة الانتماء الدينى وقوته ، من بين جميع روابط العصية - حسب تعبير ابن خلدون - أن نورد مثالا واحدا ، ذلك هو ظهور الشعوبية ، فى سياق تلك الحضارة ، فهذه النزعة التى لم تعمر طويلا ، حين كانت الحضارة الاسلامية فى طور ازدهارها ، انما وجدت من يدينها ويرفض محتواها فى أناس لم يكونوا دائما ممن ينتمون الى العرب ، ولم تستطع الشعوبية - رغم كل ادماستها - أن توهن من ذلك التجانس أمام فى الكيان الحضارى الاسلامي ، ولكنها حين انبثقت من جديد على أساس جديدة - فيما بعد - أدت بالحضارة الاسلامية الى نوع من الجمود ، كما سابين ذلك فى موضعه .

ورغم الانقسامات السياسية الكثيرة ، ورغم الاخطار الخارجية المتعددة ، ظلت عناصر التوحيد - أو التجانس على الأقل - فى الحضارة الاسلامية أقوى من عوامل التجزئة ، ولم يكن الدين وحده هو العامل الحاسم فى تلك الوحدة أو ذلك التجانس ، وإنما كانت هناك عوامل أخرى كبيرة منها اللغة وحرية التجارة ولتقاء الثقافى المستمر وقام تقسيم موجد الأسس - ولست أستطع أن أفي كل عنصر من هذه العناصر حقه من الشرح والتوضيح وإبراز مدى أثره - فى هذا المقام - ولكن حسنى أن أقول : أن الشريعة القائمة على أسس كبرى مشتركة قد حفظت البطام الاحتداعى ثابتا وبذلك أشعرت الفرد بالعمانية فى تمارن الثقافات السياسية الكثيرة ،

المقدمة الإسلامية والتزعة الإسلامية

وجعلت انضمامه في موقف الفناء أن وجدوا حاكما يحاول أن يتحول على حقوق الأفراد (5) . أما التفاعل الثقافي فربما كان من أبرز المظاهر الحضارية حينئذ ، وكانت الرحلة في طلب العلم ومجرة الكتب باستمرار من قطر إلى آخر ، مما يؤكد الوحدة الحضارية ويمنحها صبغة ثقافية متميزة ، ولم يكن المؤلف يجد أمامه حواجز سياسية أو اقليمية ، بل كان يجد الطمأنينة حيثما ذهب ، في ظل مجتمع متجانس العادات والتشريعات متوحد إلى حد كبير في لغة التفاهم . ولكن هذه الحركة ادخنا منكباً لقوة من التفاعل الثقافي لم تستطع أن تحلّقس أمرين هاميين في الحياة الثقافية حينئذ :

أولهما : إيجاد جسر قوي محكم بين منهجين علميين متباينين ، نسم بذلت محاولات كثيرة للتوفيق بين الشريعة والعلمفة لدى الفلاسفة المسلمين ، وحاول كل من ابن حزم والمغزالي استقرار أمثلة المنطق الأرسطوطاليسي من الشريعة الإسلامية ، وكثيراً ما كان المتنّج يجمع بين علوم الأرائ والمعلوم الإسلامية ، (مثل الغزالي وكمال الدين بن يوسف وميرهما) أو يجمع بين علم الحديث وعلم النبات - ومن ثم المعرفة بالمقابر - لقيام العلمين على انزلة (مثل ابن الرومية الاندلسي) ولكن ظل هنالك منهجان علميان متباينان لحصهما ابن انقيس السبب بقوله : « ليس الأذهان : مذهب ابن الحديث أو مذهب الفلاسفة » (6) . يعنى المتنّج المتمد على اسخير والمنهج اعتمد على الاستقراء العقلي ومع أن للصراع بين المنهجين نتائج فكرية جديدة بالتقدير ، فإن هذا الانفصال بينهما جعل النتائج السلبية أشد ظهوراً ، حين تعرضت الحياة الثقافية عامة إلى جمود .

وثانيهما : ردم اهوة القائمة بين المثقفين وحماهير الشعب ، حتى ظهر في هذه الناحية ما يمكن أن يسمى « الاستقراطية الفكرية » التي يعتملها المثقفون ، ومع أن لفظة « العامة » متعددة الدلالة يصعب القرينة التي تقع فيها ، فإنها كانت تطلق أحياناً للتمييز بين المثقفين ومسائر جماهير الشعب أو بين فئة معينة من المثقفين - كالمعتزلة مثلاً - وبين كل من عداهم ، وهي تحصل معنى من الزيادة بقف في مقابله نوع من الاستعلاء ، وإذا كان هذا الوضع قد عزل العامة عن مجرى التيار الثقافي ، فإنه قد جعل الثقافة نفسها في موضع النائي المنعزل ، وأصبحت صبة العامة بالثقافة - في المصور الأولى - تتم عن طريق الواسط أو القصاص ، وكلاهما يزود الجماهير بالتحريف من الموت والعذاب أو بالزاد الأسطوري جملة ، وفي المصور المتأخرة حل محل مدّين

(5) أنظر W.M. Watt *Islam and the Integration of Society* - PP. 206-207 (London, 1961)

(6) لقتسه ابن تيمية في *درء القعارض بين العقل والقل* : ٢ : ٢٥٣ ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، (دار الكتب - القاهرة 197٤) .

أو انشرف اليهما « الرواي » أو « المنشد » الذي يقم مجالس الاسمار ويملؤها بقصص البطولة والحب الرومنطيقى ، ولهذا وجدت الجماهير ملجأها فى حلقات الصسوفية ، وفى تلك الحلقات وجدت غذاءها الثقافى والروحى معا .

من كل ما تقدم يمكننا الانطلاق الى القرن وإن الحصاره الاسلاميه كانت جماعيه (٧) فى مقوماتها وغاياتها ، اعنى انها كانت فى مجموع منجزاتها تستند الى قاعدة منهجيه تنظيميه ، ولهذا كان من الخطا أن ترصد من زاويه « النزعة الانسانيه » التى اعطت للحضاره الغربيه صيغتها ، ذلك ان النزعة الانسانيه تنمى الروح الفرديه الى اقصى الحدود ، أما الحصاره المنهجيه التنظيميه فانهما إذ تصف الطاقات العربيه الى الابداع ، لاتسمح لتلك الطاقات أن تبلغ الى حيث تجور على المصلحه العامه ، كما لا تسمح لها أن تصطم العلاقه المنظمه بين الله والانسان ، أى انها — بعبارة اخرى — تبقى فينظاميه الخلق والابداع ضمن اطر معينه ، وقله الاطر تتمثل فى الاستناد الى مفهومات اخلاقيه و مسبقه ، تحدد فيها المقاييس وتبورت الى حد كبير ، بعبارة الحكمة الالهيه أو « بالملطف » الالاهى ، وتتفاوت القدره على الابداع تقدا وترامعا ، انطلاقا وانكاسا ، بحسب التعاوت بين الطمانيئيه الجماعيه والخوف على وحده الجماعه وتماسكها ، ومع أن الميل الى التضدد فى الاحد بالمقاييس ، وسيطره روح المحافظه والركون الى التقليد ، هي التى تسيطر فى الحاله الثانيه ، فإن الايمان بمبدأ التجدد لا ينعدم بجملة ، ولهذا نشأ عند بعض المذاهب الاعتقاد بأن الله يبعث عسى رأس كل مائه من يجدد هذا النون ، وتتفاوت الميادين الانسانيه المختلفه من حيث مدى انصاعها وصيغها فى تقبل روح الابداع ، ان تستطيع القوه الإبداعيه أن تحقق حريهها الكامله — مثلا — فى ابيانين الماديه والتجريبية عامه — كميدان الصناعه والزراعه والفنون المصاريه ، وتستطيع أن تخلق طريقها الخاص بها وتنشأ لها سمات فارقه فى فن التصوير والموسيقى والفنون الادبيه عامه ، كما تستطيع أن تتنطق حرة فى مياسير الرياضيات والطبيعه والكيمياء والفلك ، حتى اذا بلغت الدأرة اتمانيزقيه كان عليها أن تخط فى حذر ، وأن تظل متنبهه أى انها لا تستطيع أن تتخطى المقاييس الثابته ، ولهذا كان مبدأ التوفيق بين الدين والفلسفه هو اقرب منطلق فى تاريخ الفلسفه الاسلاميه ، سواء اكانت المحاوله مخفقه أو ناجحه .

وتتحدد علاقه الانسان بهذه المقاييس فى نزعتين — بينهما درجاب — وهما — نزعة القبول والنزوع الى التحدى ، وليست منجزات نزعة القبول اقل ابداعا من منجزات النزوع الى التحدى

(٧) كل حضاره فهى جماعيه لانها فى خدمه المجموع وتمويره ، ولكن ما اریده هنا هو أن المنجزات الحضاريه — بقره اراديه أو عفويه — كانت فى خدمه التجانس الجماعى ، سواء من حيث التنظيم أو القيس .

كلاستجابة لبحت على طلب العلم والضرب في الارض (التجارة ، والجغرافيا) وإبراز قدرة الله في الكون (علم الحيوان ، النبات ، المعادن) الخ (أما التحدي فيجب أن نميز فيه بين وجهتين : وجهة عملية ووجهة نظرية فكرية ، فقد يعد تطوير صناعة النسيج والتفنت في البناء تمهيدا لدرج التقى البسيطة ولكنه تعد لا يلبث أن يتصوّر في نطاق انتفير الحضاري المحتّم ، لأن مجال المباح متسع كثيرا ، وقد يكون شرب الخمر تمهيدا للنهي عنها ، كما أن صرامة منع الدرب قد تلجأت الناس الى التحيل على هذا الجنب بالجوء الى الهيئة وغيرها من صور المراقبة ، الى غير ذلك من الامور التي تقع في دائرة التحريم ، ولكن هذا التحدي كان دائما يعامل على أساس غربي ، ويحصر في نطاقه ، ولا يشكل خطرا كبيرا ما دام يميده عن أن يصبح قاعدة للمملوك الجماعي ، وهذا هو معنى الحديث الشريف : « من أصاب من هذه القانورات شيئا فليستتر يستر الله » (8) .

أما التحدي الفكري فقد كان أخطر أنواع التحدي لأنه كان - في الغالب - يمس - أو يحاول أن يمس - الفؤاد الصلبة في تلك انقياس ، اعنى مبدأ التوحيد والتزنيه ، وذلك ما عسرت عنه الفرق العالية حين مالت الى تاليه الفرد ، أو ما عبر عنه المفكرين الذين وصفوا بالاحلاد : كايبن الراوندى وأبى عيسى الوراق والرازي الطبيب . ولا ريب في أن غايات كثيرين من هؤلاء لم تكن فكرية خالصة ، وإنما كانوا مدفوعين الى ذلك بغايات سياسية أو مادية ، وقد نظر اليهم في نطاق الكيد للجماعة ومحاولة خربها من الداخل . وحين نفثت الى ضحايا هذا التحدي الفكري بدهم قلة - على ما الزمن - إذ بعد عهد قصير من تعقب الزنقة ومعاقبة اصحابها بالموت ، حل الحوار الفكري محل أداة العقاب ، مما قد يشير الى أن الصورة عن الاضطهاد الفكري ميالت فيها ، كما أننا يجب أن لا نبرئ الذين مارسوا تلك الاضطهاد من غايات لا علاقة لها أحيانا بحماية الدين والذب عن الانقياس الثابتة .

ويجب أن نغرد ظاهرة التصوف هنا بنظر مستقل ، لأنها تمثل أنواعا من التحدي ، فهي من حيث طلب النجاة الفردية والتملة عن المجتمع تعد للعمل من خلال الجماعة والعرض على التجانس الجماعي ، وهي من حيث تجاوز التشريع وسقوط ضروب التكليف تعد للرابطة التنظيمية ، وهي في معرض الاتحاد والعلول تعد لمبدأ التنزيه المطلق وإذا درست مس حيث التنازل بدت وكأنها تحاول الثورة على المفهومات العامة التي تيسرها اللغة ، وبكل ذلك يعد التصوف أشد اترواح الانطلاق الفردي الذي يتجاوز الآخر والانقياس ، متخذاً من الاحساس « بالفردية » منطلقه الى تلك الافهام . وقد يكون الاحساس بالفردية نتيجة أوضاع اجتماعية واقتصادية وسياسية ، ولكن لا ريب في أن الوضوح البساطع الذي يتميز به التشريع يقوى من اثر تلك الاوضاع ، ولهذا حلت النضوة

(8) الموطأ ، باب الحدود : 22 .

الصوفية محل ذلك الوضوح ، كما حل الاتصال المباشر بين الله والصوفي لتجاوز العلاقات الاجتماعية جملة ، ولكن أدراك المصير الذي أنتهى اليه التصوف (خلا عند أفراد محدودين) خير ما يصور لنا روح المضارة الاسلامية ، فقد امتطاع الغزالي أن يصيق الفجوة القائمة بينه وبين الله ، كما أن تنظيم التصوف في طرق أعاد اليهم الانتماء الاجتماعي ، وحين أصبحت تلك الطرق في العصور المتأخرة صورة من الانتماء النقابي بين أهل الحرف والصناعات ، أو من نظام (الاخي) لاهنة المتقطعين واستقبال الضيوف ، أصبح التصوف ملاذا اجتماعيا ، يعوض على الناس كثيرا مما سلبتهم آباء الثقليات السياسية والاقتصادية ، وبهذه الصور أصبح التصوف نظاما مقبولا ، لأنه أصبح شيئا ذا قيمة في خلسق التجانس الجماعي ، كما لم يعد غريبا على الرابطة التشريعية التنظيمية .

وفي التصوف معنى آخر يستحق أن أشير اليه في هذا المقام ، ذلك أن الاتصال بالله تعالى - في هذه الحياة - يشير إلى قهر الموت ، أو على الأقل : إلى تخليه ، والحصول على حال الكمال وعلى المعادة في هذا الكون ، وهو أمر يوميء إلى أهمية مشكلة الموت في ذلك المنفى النفسي المعكرو ، ولكنه لا يمثل إلا حلا خاصا لتلك المشكلة التي كان لها أثرها القوي في تكيف الحضارات وتوجيه القدرة الإبداعية لدى الإنسان . ومن الجلي أن النظرة الاسلامية الفالصة ترى في الموت مغريات هذا العالم فإن هذا قد يشجع على الزهد في هذه الدنيا وعلى الاندفاع إلى طلب الشهادة ولما كن الزهد مظهرا يتعاوت بين الأخذ بكل المباحات وقتل النفس جوعا وظما (وهو أمر يتكرره الدين) بدا وكأن السعي إلى الموت ، أو الاستشهاد ، عمل إرادي تجمعت فيه كل تمهيدات الفرد المزمع لحريات هذه الحياة ولرهبة الموت ، وجاء ما هو باق خالد . حتى إذا انصهرت موجسة الاستشهاد بعد انتشار الدين يبرز إلى الوجود اتجاه صوفي يحاول قهر الموت بنسج جديد من المسمى ، كما كان الاتجاه اللذي المعاصر له ولابد الخوف من الموت أيضا . وحين لم تكن هذه الحلول شافية عاد البعض إلى مثل الأعلى ، وهو ربط الموت بالذكر المحسوس (أي في الفلارد الفارضي) وإلى هذا أحنى يشير المنفى حين يحس الموت مقياسا للمفاضل الإنسانية حيث يقول :

وصبري انقي أولا لقاء شعوب

ولا أفضل فيها للشجاعة والندى

غير أن هذه الحلول المقترحة ، وربما غيرها مما لم أت على ذكره ، لم تستطع أن تصبغ في النفوس حب الحياة ، بل زادت قوة ، ومن اللافت للنظر أن يتفق في التعبير عن مدى ذلك الحب الزاهد والمحن والحكيم المتفلسف ، فعمران ابن حطان مدش الزهد المتشدد بقول :

التي جرى دمع من العين غاسق

أن ثموت والنبأ حي

(يعنى : أليست هذه مصيبة عندك أن نموت والدنيا ما تزال حية ؟)

إذا ما تكثر الحيساة وطيبها
وابن قرمان الزجال الاندلسى لماجن يقول .

ليس ذى عتلك مصيبة

والننبي الحكيم المتعسف يقول :

حريصا عليها مستلهما بها صيبا

أرى كلنا يبقى الحياة لنفسه

وعندما نحس عمق الحب للحياة فى هذا الادب نستطيع أن نتصور أن الموت - وأن كان ما يزال حسب المفهوم الدينى العام مجازا الى عالم آخر - أصبح أيضا حسما رهيبا أما أن يفسر المرء من وجهه نالما أن يقف فى وجهه متصليا ، وفى كلتا المالتين كان لمشكلة الموت أثر عميق فى الحضارة الإسلامية يمتد من جزئيات المظاهر بحيث يشمل أحيانا كلياتها . فالنشوة فى الموسيقى الشعرية التى تدور على نحو مستقر كاللوار ملاذ من الموت ، والصياغ فى خطوط الرسم المتشابهة المنقرعة ملاذ آخر ، والدأب فى البحث عن النباتات اسطوية وتقدم علم الطب وغيره من العلوم تعد للموت ، وهكذا - ولو أننا عينا بالنظر الى ما حدث بعد اكتشاف المسوجة التتوية للشريق الإسلامى فى القرن السابع ، ثم ما حدث بعد الماعون الذى اكتمع العالم الإسلامى كله فى منتصف القرن الثامن ، أقول لو عينا الى ما حدث من ظواهر حضارية كالامعان فى كتابة التاريخ منذ يده والشيقة حتى عصر المؤلف ، وحشد المعارف العامة فى موسوعات ضخمة ، والاعتناء بجمع كتب تحفل بالتراجم وتحدث عن الوفيات ، لوجدنا أن الاهتمام الى كيف « انتحيد » قرأوا من الضعور بالموت الجماعى هو الماعز لذلك كله ، ويكفى أن يتذكر المرء هنا مرة الزمان لسيط ابن الجوزى وتاريخ الإسلام للذهبي والوافى بالوقيات للصفدى وعبون التواريخ لابن شاكر النكتي ومسالله الإبصار للمعري ، وغيرها من أمثاله كثير ، أن استمرار هذه الحضارة فى قدرتها على الصفاء أثناء تلك المن الكبرى وبعدها لبذل دلالة قاطمة على أنها كانت تمنح الإنسان تقديرا كبيرا ، وعلى أن تلك الإنسان المسهم فى تلك الحضارة قد استطاع أن يحقق جانبى تلك المصاندة المصعبة « اعص لنيناك كانت تعيش أبدا » وأعمل لأخركه كانت تموت غدا » دين أن يقع فى تناقض.

عند هذا الحد يمكن للمرء أن يسأل : ترى لماذا توقفت تلك الحضارة عن العطاء ؟ وألما استعمل هذا التعبير « توقفت عن العطاء » عامدا لا تجنب تعبيرات أخرى مثل لماذا تخلت ؟ أو لماذا انصرفت ؟ أو لماذا انركها الموت ؟ وأنا أعلم أن كثيرا من دارسى الحضارة مثل ليشينجر وتويتين يرون الحضارة كأنها عضويا ينمو كالإنسان ويرى فى ابوار أو فصول ، وأن تحلل

لحضارة وانهارها أمر حتمى لأسباب خارجية وداخلية - إن قولنا « تفرقت عن العطاء » لا ينقذها من موت العناصر الحية فيها ولكنه يجعل الشواهد الكبيرة على منجزاتها قائمة غير مندثرة ، ولعل من الصفحات السابقة ما يوحى ببعض الأسباب التي أدت الى ذلك التوقف ، وفى سبيل استقصاء صورة أشمل من تلك الأسباب لابد من العودة الى تصور المراحل التي مرت بها تلك الحضارة ، ففى تبيان تلك المراحل ما يؤكد طبيعة العطاء ، وما قد يحدد الأسباب الجوهرية للتوقف عن العطاء ورغبة فى تحاشي التعقيد الذى قد ينشأ عن التداخل فى الأدوار ، يمكن القول - على نحو من التبسيط - أن تلك الحضارة مرت فى ثلاث مراحل كبيرة :

الأولى : مرحلة تمثل الحضارات المختلفة بعد استيعابها ، وهى مرحلة قد تسمى بها أسمى حضارة أخرى ، ولكن مما يميز الحضارة الإسلامية فى هذه المرحلة اتصال افقها لتلقى جميع المؤثرات وصهرها فى نطاق منسجم ، وتتبدل التفاعل الحضارى بثقة نفسية شديدة - ولتصوير هذه المرحلة لا بأس أن نقبس ما يقوله فيها أحد من تميزوا فى دراسة تاريخ العلم فى هذا العصر ، أعنى الأستاذ جورج سارتون « وابتغاء الحصر فنقول أن الحضارة الإسلامية الحديدة كانت ثمرة لتطعيم القلعة العربية ذات العفوان والفرح مع جذع الشجرة الإيرانية القديمة ، وهذا من شأنه أن يزيدنا لأول وهلة بما يحل عنقوانها المذهل وصفاتها التطورية ، فى ظل هذا الدافع الذى استحدثته تلك القوتان الموهولتان - الحماية الإسلامية والغضول الفارسية - وبمناية سلسلة منظومة من خلفاء بنى العباس الذين تملكهم حب المعرفة - ومنهم المنصور وهارون الرشيد والمأمون ، تطورت الحضارة المعينة بسرعة كبيرة وقدرة فائقة ، لقد ارتفعت جذورها فى أعماق الماضي ، ففقد غذاها النقي بالوحدانية والمعنويات ، كما أمدّها أهل فارس ومعلومهم بالموارد الذى تنهل بنهم من ينابيعه المسنكرية واليونانية ، فمن السند نقلت أحساب والجبر وحساب المثلثات والكيمياء القديمة ، كما نقلت عن اليونان المنطق والهندسة والفلك والطب ... » ان القينة الكبرى لثقافة الاسلام انما تقوم على حقيقة أنها وصلت فسى النهاية بين الينبوعين العظيمين اللذين خلا بتدفقن منفصلين فى الازمان القديمة (9) .

غير أن المعجزة الكبرى فى هذه المرحلة هي ما جرى على اللغة العربية نفسها حين استطاعت فى فترة قصيرة أن تتطور وتنسج لكل الثقافات الجديدة المختلفة أن تلك الحيوية الخارقة - فسند استطاعت أن تنفك كقوا لتحدى تلك السيول المتدفقة من أنواع الثقافات المادية والفكرية ، على نحو قلما تجد له نظيراً فى تاريخ الحضارات الأخرى ، حتى أن المفترقان الحضارى المذهل الذى تصدت

(9) جورج سارتون : تاريخ العلم والآسية الجديدة ص 257 - 258 (ترجمة وتقديم اسماعيل مطهر ، القاهرة 1968) .

منه مبارتين لا يوازيه في نظره الا تلك السيطرة الشاملة للغة العربية نفسها (٢٥) * ولهذا كان الصراع حول المفاهيم الجديدة - وخاصة في الحقل المنطقي والفلسفي والكلاسي - صراعا حول طبيعة ما جرى على اللغة ، فاما المتبن كانوا يريدون ايعاد الفكر الديني عما تمثله هذه المصطلحات من معان ، فابهم أنكروها من حيث انها لم تحمل تلك الدلالات في الاستعمال العربي القديم ، بينما ذهب خصومهم الى عدم التوقف عند تلك الدلالات ، وقد استمر هذا الصراع قرونا طويلة ، وخير ما يصوره قول ابن تيمية « وأرباب المقالات نقلوا عن اسلامهم مقالات بالفاظ لهم ، منها ما كان اعجميا فعرّبوا ، كما عرّبت الفاظ اليونان والهند والفرس وغيرهم ، وقد يكون المترجم منهم صحيح الترجمة ، وقد لا يكون صحيح الترجمة ، ومنها ما هو عربي ، ونحن انما نخطب الاسم بلستنا العربية فانما نقلوا عن اسلامهم لفه العبري والصورة والمادة والعقل والنفس والصفات الذاتية والعرضية والمجرد والتركيب والتأليف والجسم والجوهر والعرض والماهية والجزء ونحو ذلك ، بين ما تحتمل هذه الالفاظ من المعاني ... فان جميع هذه الالفاظ فيها اشتراك واستباس واجمال (٢٦) ولست أورد هذا الاقتباس لأقرر أي الفريقين كان على حق وإيهم كان على خطأ ، وإنما لأبين ما تعرض له اللغة من توسع شعولي ، بحيوية يصورها بقلّة ذلك الصراع بين الفريقين .

والثانية : هي مرحلة النوازي في الابداع الفكري والمادى وهي المرحلة التي تمت فيها اكبر الميزات الحضارية في العلوم والفنون والحياة الصناعية والزراعية ومناثر صور العمران ، وقد نتصور إمتدادها في تفاوت - قوة وضعفا - حتى منتصف القرن السابع الهجري ، وفي القرنين الاخيرين منها يأخذ الابداع الفكري بالتراجع التدريجي ولكنه يحاول الاستيقاظ على بعض حيويته السابقة بقوة التجديد المستمدة من المكوف على المنجزات الفكرية التي تمت في قسرة الازدهار الفكري ، ورغم الانقسامات اسياسية والاختلاف الخارجية كان هذا الفكر ينبع من الشعور بوحدة كبرى تمثلها اللغة والشريعة أو كما يقال أحيانا « دار الاسلام »

والثالثة : مرحلة عدم التوازن بين الابداع المادى والفكرى ، بحيث ظل الاول يتنامى ، بينما ظل الثاني يتربد بين تقدم يسير وتراجع ، اكبر ، وقد بدا لأول وهلة أن افغزو المغولي قد حصر عطاء الحضارة في مصر والشام وأنه قضى على حضارة الشرق الاسلامى ، ولكن بعد فترة مناس استعادت الحضارة الايرانية حيويتها في ظل المغول انفسهم ، وكان هذا ايذاننا بانقسام دار الاسلام ، وبدء استقلال الاجناس التي كانت تكون الوحدة للعوية الكبرى فننشأ

(٢٥) للمصدر السابق ١٦٣

(٢٦) مراد تعارض العقل والنقل I : ٢٥٩

حضارة تركية في تركستان ، ومغولية في الهند ، شمس تركية عثمانية في الاناضول وصغرية تخلف المغول في فارس ، وقد كانت الظاهرة المشتركة بين هذه القوى الجيدة ترقية الصناعة والتجارة والعلوم ذات القيمة المعنوية كالمطب والفلك والاهتمام بالطرق المعمارية وإصلاح المدن وعمارتها ، وفنون الحرب وخاصة لدى العثمانيين الذين تعلموا استخدام الأسلحة النارية عن أوروبا وأشادوا اسحقولا على الطراز الأوربي ، يقول مارتوك « ولا ينبغي أن يظن أن العالم الإسلامي قد ملى بعد القرن التاسع الهجري بانحطاط وأنه لم يستطع أن يقدم للحضارة شيئا جديدا فكريا لم تكتف بشهرتها العسكرية في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين بل صارت استانبول إحدى مراكز الحضارة الكبرى للعالم الإسلامي ... وأبرز (الأتراك) أسلوبا جديدا في العمارة يخالف العمارة الإيرانية ... وفي طر الصوفيون في إيران بقيت آثار مصارية في أصفهان العاصمة ... وكانت الدولة العلية في الهند لا تزال إمبراطورية قوية في القرن السابع عشر ، وتشكل من العمارة الإيرانية هنا بشكل جديد متأثر بالهند ... كل هذا يدل على أن القول بأن العالم الإسلامي كان في نسوم عميق قبل أن يأخذ في النهوض بتأثير أوروبا في القرن التاسع عشر مبالغ فيه كثيرا (12) ويجب أن ننسبه إلى أمور مختلفة حدثت في هذه المرحلة منها انتصار ظلال السيادة الإسلامية نهائيا من الأدلس واستعواء الأتراك للمناطق التي كانت ثقافتها عربية إسلامية ، واستعواء الحدود الفاصلة بين مراكز هذه الحضارات الإسلامية المتعددة . ولهذا أصبح الإبداع الفكري غير مشترك بينهما جميعا لأن وميلته الأولى وهي اللغة لم تمت موحدة ، كما أن تزايد العناية بالجوانب المادية من الحضارة قد جعل الإبداع الفكري التماعات هنا وهناك وطفعت « المدرسية » على الفكر عامة ، فأصبح أشعل الشاغل هو إعادة الفكر السابق بأشكال جديدة من الشرح أو الاختصار وأحيانا الترجمة .

إن التأمل في هذه المراحل يثير الطريق للأجابة على ذلك السؤال « ماذا توفعت تلك الحضارة عن المعطاء ؟ فقد طور جلنا أن روح تلك الحضارة القائمة على وحدة أمة إسلامية قد احتلت ، بقيام وحدات سياسية متعاعدة ، وكانت رابطة اللغة الموحدة أول العرى انفصاما ، وكان في مقبور الدين أن يظل عنصرا هاما في خلق التجانس الذي حرصت عليه تلك الحضارة ، ولكن تحول الدين إلى غاية طائفية (وخاصة في الصراع بين الصوفيون والعمانيين) قد عمق الانفصام بدلا من اتجانس . وكان تراجع الإبداع الفكري يستعمل

(12) ق - مارتوك - تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص 115 - 117 يتصرف بسمير (ترجمة حمزة طاهر ، دار المعارف بمصر 1954 الطبعة الثانية) .

بالحصارة إلى نقطة جمود ، وذلك لأنه قد طأن على تلك أحضارة إعادة العطر في تغيير لون القيم الموروث ورضعه في شكل جديدة نون تنبير في طبيعته ودون لون استقراق للأطلاق به إلى مرحلة مغايرة ، بحيث أتى عليه حين من الدهر وقد جفت فيه الحيوية الداخلية وأصبحت أعلته في شكل جديد أمرا غير مصططاع وهكذا اعترات بعض المؤسسات والنظم الفكرية - وبعض المادية - ولم تعد تصلح لانتماء حضارى - ويبدو أن الكيان الحضارى قد أصيب بالشعور بالانكفاء والرضى عن الذات ، وهو شعور قاتل للقدرة على الاقتباس من الحضارات الأخرى والمثل تلك المقننات .

وجاء هذا العجز عن الاقتباس والمثل في مواجهة حضارة جديدة معاصرة في روحها ، لاعتمادها الكبير على العلم ، أعنى الحضارة العربية - وبحسب أن نقر هنا بأن هذه الحضارة كانت مؤيدة بالقوة العربية ، وكان أئب اقتباس منها لا يعنى تمثلا لها بمقدار ما يعنى محاكاة للعالم القوي بوقد عرفنا في تاريخنا الحضارى كيف كان التمثل للحضارات الأخرى سهلا في ظل منسق السيادة الذى كان يتمتع به الإسلام ، على مر الزمن ، فلما تضائل مطلق السيادة وأنهارت القوى السياسية التي كانت مسئولة عن حماية التطور الحضارى أصبح اقتباسا من الحضارة الأوروبية هو اقتباس الملوك من العالم وكان الاقتباس يعنى فقدان « الهوية » ، الميزة تفرجا ، ولم يكن في الرضخ خيار ، ولهذا كان الرد على التوبان في القمار الحديد مزيدا من التصخيم للرضى عن الذات والاحتمال بالتحركات الإنسانية ، وهي موقف طبيعي وإن كنت نتيجته مريدا من التحلف عن حضارة تبدو كاسحة لا تتوقف . ولم يكن صاحب الحضارة القوي ليرضى عن الأحد ، والبناء الدائى القائم على أسوة المادية (تحربة محمد على في مصر) واستنح أن يجوص جميع الحركات الثورية التي رمت إلى تجديد الإسلام والسيادة الإسلامية وأن يفرغ مفهوم الجهاد الإسلامى من محواه . وأمعن في تعقيد دار الإسلام ، إلى وحدات صغيرة ، وكاد يقضى في بعض المناطق على الرابطة اللعوية . وعمق النزعات القلبيية ليزداد الهوة اتساعا بين كل أقليم وأقليم

أنا حين نؤرخ للحضارة الإسلامية إنما بمعد منظور كبيرا يمتد على رقعة واسعة ، ويشمل أسماء أمم كثيرة ، وهذا هو الذى يجعلنا أحيانا نحس أن التلخف مرة سميقة لاننا ننظر إلى حالنا في صورة أقليميات خيفة ، ومتى استطاعت هذه الأقليميات أن تتخطى هذا الوجود الضيق إلى وحدة في المبادئ المختلفة ، وفي طبيعتها وحدة اللغة ، كان لمنطق السيادة حكمه في انتطير الحضارى ، وقد ننه الفكر الحزائرى مالك بن بى - رحمه الله - إلى نقطة مهمة في هذا السدد وهي أن الحضارة لا يمكن أن تببعا روحها وأكارها وشرائها أداتية وأتواها كما أننا من ناحية

الكم لا يمكننا أن نأخذ كل منجزاتها والا انتهينا الى تكليس « حضارة شيئية » دون أن نتمكن من بناء حضارة صحيحة (٢٣) وهذا التكليس يتمارض مع عملية التمثل التي كانت حضارتنا قادرة عليها ، ولكنى أرى أن هذا التكليس لا يمكن أن يتحول الى تمثيل الا في ظل نوع من المبادأة يصعق النفوس الى عدم فقدان الشخصية العامة ، وإذا كان العالم الاسلامي لا يزال واقعا تحت وطأة الانقسامات التي تمت بعد الغزو المغولي (بل زادت الانقسامات كما وكيفا) فما أحسرى العالم العربي ، في ضوء إمكاناته الكبيرة ، أن يسعى الى بناء حضارى متكامل ، أما كيف يتم ذلك ، وما هي العوامل الداعمة والاخرى المقاومة التي تكشف ذلك كله ، فشىء لا يتسع له هذا البحث الموجز.

(٢٣) مالك بن نبي ، شروط النهضة ومشكلات الحضارة ص ٤٦ (ترجمة عبد المصبور شاهين وعمر مصقاوى ، القاهرة ١٩٥٧)





النقطة الخامسة من جدول أعمال المنتدى

الإنية والأصالة مع التفتح والعالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الاخ وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية
حضرات السادة المحاضرين

اخواني الطلبة

اخى الوزير

يطيب لى بين يدى هذا البحث ان اشكركم
على الفرصة التى ائتموها لى للاشتراك فى هذا
المنتدى الهام الذى اصبغ بفخسسل وسع افقكم
والمستوى العالى من التنظيم والعناية التى يحاط
بها من طرفكم - يشكل سندا حقيقيا للضرورة
الشاملة والفعلية لبلد شقيق نعتز بامجاده فى
الماضى ومميزاته فى الحاضر وتتمنى له اطراد
النجاح والنصر تحت قيادته الثورية الحكيمة *

السيد عبد الله بن بيه

وزير العدل

فى الجمهورية الاسلامية الموريتانية

لقد اريدت ان اتطرق لموضوع مهم من المواضيع للدرجة في جدول اعمال ملتقانا له علاقة بتوجيه مجتمعنا وبمسئلة مباشرة الجدل الثقافي الدائر في مختلف نواحي الفكرية منذ اكثر من قرن وعلى وجه التحديد منذ حلول الامتصاص في الاراضي العربية الاسلامية وبدا التساؤل المعروف كيف أصبحوا اقوياء واصبحنا ضعفاء وكيف استطالوا علينا باساليبهم وبقلائهم وارائهم ان ماساقتنا - وحتى بعد ان رحلوا عنا مايبا ومزناهم مسكينا في اجزاء من الارض العربية الاسلامية - لم تجد اسجواب على هذا السؤال او لم نوفق ان نضع الاجوبة والحلول التي تقترح هنا وهناك موضع التنفيذ *

اننا بحاجة الى مثل هذا الجواب في وقت تبدو فيه معالم نهضة سياسية واقتصادية في الامة العربية والاسلامية والعالم الثالث بصفة عامة تلوح في الافق بعد الاحداث العسكرية والسياسية والتحضر للاستيلاء على الثروات الطبيعية التي شهدها هذه المناطق . وما هذه الاحداث في الحقيقة الا محاولات لاستغلال الدات والتعرف على القدرة الحقيقية لها *

ان هذه النهضة اذا لم يجد سندا ثقافيا ورضية فكرية صلبة تصمد لها اليع الاجتماعي لا يمكن ان تحقق اهدافها *

وامتلافا مما تقدم فاني لا اريد ان اتعرض لهذا الموضوع من زاوية الموقلات الفلسفية بعيدا عن الممارسات العملية بمعايير مفرقة في المنطقة والتجريد ، ولكني ساهاول فقط ان اعبر من شعور من يرى ذاته ويحاول تبين ملامح شخصيته بالنمىة لشخصية العبر حتى يكون في النهاية منسجما مع ذاته لانه وعاما ومع غيره لانه عرفه *

ولهذا فساتكم عن موضوع « الاصاله والعالمة » *

ان الاصاله هي كلمة عربية وهي مصدر من اصل الشيء لصاله فهو اصيل اذا كان يرجع الى اصول محروفة ولهذا يقول العرب مال اصيل وقرس اصيل ويقابله مال طريف أي مستحدث والاصالة تشير الى الكرم ، ان الفرص الذي يحرص صاحبه على اصله وبجانبه كل الشواش عادة يكون كريما ودا خصائص وميزات معينة ويرالعه التليد وهو الذي ولسد عند ماله ، الا ان التعريف سيكون صعبا اذا كان الامر يتعلق بانسان او ينسب من الشمسوب أو مجتمع من المجتمعات هل يمكن ان نعتبر شعبا ما اصيلا لثبوته على مجموعة من القيم الحضارية واتصافه بميزات شخصية ودما من الزمن وتمسكه بها وهل يعتبر اصيلا اذا كان يصدر في ارائه وتفكيره عن عقرياته الخاصة ، وهل يمكن في ميدان الفكر والثقافة ان نعرف ما هو لنا وما هو لغيرنا بصفة محددة او ليست ثقافة مجتمعنا الا مزيجا من الثقافات اصبح فيه لثقافة الفسير « الثقافة

العربية « نصيب لا يمكن عزله واعتباره سطحياً وأقامة الحواجز بصفة مؤفة بينه وبين ما نملك أو ما يجب أن يكون لما »

ومن لا يبقى في ثقافتنا الاصيله اذا وجفنا عازلا يعزلها عن المحيط العصري للتفكير الاحثين الى الماضي ويكاه على الدين والاطلال « فما هي الدعوات الاصيله »

وما هو الاصيل في تاريخنا العربي الاسلامي

الم يلبس هذا التاريخ ثيابا عمدة وقبعات مختلفة الم يلبس الحيلسان الفارسي والقبعة التركية وغيرها واي الدعوات التي برزت في الاق اعربى اصيلة في القرون الاحيرة فهل نعتبر حينئذ دعوة الرهابيين اصيلة لانها تطلب بالرجوع الى اصول الدين في العقيدة والتشريع وهل دعوة القوميين العرب في القرن التاسع عشر بقيادة اليازجي والكواكبي وغيرها اصيلة »

وهل دعوة الاصلاح والمسلمين كجمال الدين الافغاني والشيخ عبده وابسن ياديس وغيرهم اصيلة »

وهل ما يقوله نحن انما هو ترحيل للاصداء واعادة للتاريخ »

لعله من الضروري قبل الوصول الى تعريف الاصاله ان نجيب على بعض هذه التساؤلات باختصار »

اولا نقول ان كل هذه الدعوات تعتبر كلها محاولة يمكن ان تكون جزئية لاستجلاء الذات والروية عن طريقها اذا فهي اصيلة وحقا لقد لبس تاريخنا اصنافا من الثياب وكان مترعها من البيوتانية الا ان في ملكه الوقت كان يابينا حولجان الملك والفكر »

انه في رأيي لا يمكن تقديم تعريف شامل لمفهوم الاصاله ما لم نحاول ان نشير الى الوضع الفكري الذي يقم الاصاله كحل ممكن لمشكلته واذا لم نقابل مفهوم الاصاله بمفهوم آخر هو مفهوم الاستلاب وكما يقولون بمعرفة الاشياء تتبين اضدادها »

وبهذا فقط يمكن ان نعرف الاصاله بانها موقف شعوري ايجابي من طرف شعب من الشعوب فقد حريته وسيادته مع ما يرافق ذلك في عصر تقلصت فيه المسافات واغرت وسائل الاعلام وما يصاحبها من ضجيج وضباب البشريه ومن الطبيعي ان صوت الغالب كان هو المسموع .. من سلب القدرة على التفكير والتكيف بصفة مستقلة وشخصية ان تشبه هذا الشعب بذاتيته ومحاولته الروية عن طريقها ورقضه المسبق لفرض امسلوب معين تفرضه وتستلزمه الاستلاب هو الاصاله اذا فالاصالة هي الحرية والثقة بالنفس في مواجهة الشخص لذاته وفي مواجهته لغيره وبهذا التحديد يمكن ان تعتبر الاصاله بعدا من ابعاد عدم الانحياز الذي وقع الاتفاق في مؤتمر الجزائر

٧٣ على تسييره بالرفض فإذا كان رفض الميطرة الميامية والاقتصادية والعسكرية يعتبر المفهوم الجديد الذي يعطى فكرة عدم الانحياز الحيوية الضرورية فإن الرفض المسبق للاراء والافكار التي سميت في بيئة وطبق أو ضاح أخرى هي أو ضاح الغير يعتبر المفهوم الحقيقي للصالة ويجبها الجمود الذي قد طالما اعترض عليها البعض به بصفتها دعة الى الماضي الى الرجوع الى الماضي وفلسفة الماضي التي تعتبر الكون هو ما قد كان *

إنها فلسفة الماضي ، الحاضر متجه الى الماضي ليستلهم منه في بناء المستقبل في تكيف حيوي تجاه الذات وتجاه الأشياء *

إن هذا الرفض هو رفض التقليد الأعمى أو ما سماه ابن خلدون في المقدمة « تقليد المغلوب للغالب » فنحن مدعون لاتخاذ موقف صديد طبقاً لما تمليه شخصيتنا وبصالحنا في كل قضية *

فالرفض لئى نتحدث عنه ليس رفضاً سلبياً ولكنه رفض ايجابي ولا يعنى « التفرق » وإنما يعنى المساواة بين أبناء البشر الذين يجب أن يفكروا جميعاً وأن لا تضاع لبعضهم قوالب يجد نفسه عاجزاً امامها عن التفكير وذلك هو الاستلاب ولا بأس اذا امتنعنا من ماركس الذي لم يعرف مشاكلنا على الحالة التي هي عليها ولم يرصد لها بالضرورة حلولاً - رايه في الاستلاب لا نوافقه عليه لأن هذا لا يعنى موضوعنا ولكن لندال على مفهوم الاستلاب قد يستشف منه ما نصـبـد يصده بعد مرصه للمظاهر الثلاثة للاستلاب كما يراها ، الاستلاب الدينى والسياسى والاقتصادى يصل الى هذا الاخير فيرى ان نشاط العامل مستلزم فهو يشعر بأن عمله ليس عملاً ارادياً بل هو عمل ارغاضى ، أنه حكم عليه بالاشغال الشاقة فهو ليس تلبية لحاجة بل هو وسيلة لتلبية حاجيات خارجية *

الا يمكن ان نلاحظ ان الايتية الفكرية والثقافية للغير تمارس نوعاً من الضغط والارغام على شخصيتنا وتوجيهنا توجيهها لا يلى حاجاتنا وإنما يلى حاجات خارجية تضغط على زوايا نفوسنا وأرواحنا وتمنعنا من تنسم هوائنا العليل ، تحسنت ستار كثيف ومضلل من دعوى تمدين الشعوب المتوحشة وتحضرها وانهاضها ، وتارة تمت ستار العالمية المزعومة *

وفي بداية هذا القرن لوح بعض المستشرقين بعدم قدرتنا على الحلق والإبداع واعتبارنا أننا متخلفون أو باعتبار أن عقليتنا سامية لا تستطيع بازاء العقلية الآرية الا أن تكون اخذة غير معطلة ومقلدة غير مجتهدة وتابعة غير رائدة *

إن التشبث بالآنا اذا وملامة الواقع عن طريقه ورفض اقوال المصاغة مسبقة ، والثقة بالشخصية الميزة يمكن أن تمتد عن عناصر الصالة ولكنك تهبط دائماً هذه العناصر أو بعضها في أفوال وسواك المفكرين والقادة السياسيين في شعوب الأمة العربية وشعوب العالم الثالث *

وسأوفر عليكم الوقت بعدم التعرض لآراء الكتاب العرب منذ القرن التاسع عشر ومنذ بدأت الأمة العربية يمشي ناظرها شعاع الحضارة الأوروبية الجديدة وبدأت التفسيرات تتباين بين مدارس الإصلاح الاسلامي والمدارس القومية وغيرهما من المدارس - المعروفة لحكم وسأخذ امثلة من العالم آخر محتجيا الموقع في هوة التفرقة بين أولئك الذين كانت لهم ثقافة كلاسيكية وغيرهم - لاني اعتبر أن كل الشعوب ذات ثقافة مهما كانت درجة تطورها ومهما كانت بدائيتها ، مبتدئا بالمهاجرة غائدي الذي لو بقي ولغيا للروح الشريفة التي طبعته بها الثقافة الانكليزية ولم يرجعهم الى اصلاته الهندية ويستمد منها وسائل كفافه لما هزم الامبراطورية البريطانية في اوج عزها .
(ان الرعش كان واضحا في سلوكه كما كان واضحا في شعر ابن بايس ضد سياسة اذلية الشخصية التي تنتهجها السلطة الفرنسية)

وفي شعوب افريقيا نلاحظ نفس الرعش عند نكرومة عندما يقول في فلسفة الشمسية : « ان فلسفتنا يجب أن تجد رجالها في امكنة وظروف حياة الشعب الافريقي »
ويعرف الصومرية بانها مجموعة تنظيم القوي التي تسمح للمجتمع الافريقي أن يهضم العناصر الثقافية الاجنبية عن افقارة والتي توجد فيها وتحويها بطريقة تجعلها تنصهر في الشخصية الافريقية . انتهى .

ان محاولة كرامى نيكرومة أن يهضم العناصر الثقافية عن حريق الشخصية الافريقية هي اعتراف بضرورة الرؤية طريق الانا ورفض لغالب المصاعبة مسبقا .

اما سينغور فيذهب الى ابعد من هذا حيث يقول « هناك حساسية افريقية وطريقة افريقية لفهم الاشياء ونظرة افريقية للعالم فهذا هو الافريقية » .

ومع ذلك على القارة الافريقية تجربة الزائر حيث قام سكان هذا البلد البالغ عددهم 28 مليونا بتغيير كل اسماء المدن والاشخاص التي كانت من آثار الاحتلال الاجنبي الى آخر كل الاصلاحات التي وقعت في هذا البلد بما فيها الاستيلاء على الثروات الطبيعية باسم الاصالة ومهما يكن من تفاوت في الوعي بين المتسمكين بهذه الفكرة وهذا التفاوت وأرد فعلا بين أولئك الذين تشكّل الاصالة بالنسبة لهم رد فعل وبين أولئك الذين أصبحت بالنسبة اليهم اديولوجية ثقافية ثابتة فان القسمات المشتركة بين الجميع هي للرخص والتنشيط بالانسا .

والاصالة تدفع هؤلاء وأولئك للعمل والابداع إذ أن تحقيق الشخصية من مطالباته الاساسية أن تكون هذه الشخصية قوية ومسلحة بكل اسباب المناعة التي تضمن لها النمو والاستمرار في وقت يهدد فيه الضعيف بالاضمحلال بسنة ثقافية زيادة على المؤامرات التي تحاك ضد المتخلفين لا بقائهم متخلفين وعدم السماح لهم بمسايرة مكتبرى النظم الصناعي في موكب التقدم والرفق .

فبالإضافة يمكن أن تعتبر من العوامل التي كانت من وراء الحركة التي قامت هنا وهناك للمطالبة بالاستقلال ذلك أن المستعمر يفتح المم يرفض أن يكون امتداداً لشخصية وإراضى المستعمر هذا ما يرفضه السكان في المستعمرات البرتغالية في أفريقيا وهذا ما رفضته الجزائر والشعوب العربية والأفريقية بالأمس ، وإياها كان سبب هذا الرمس الذي يعلله البعض بسوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وهي فعلاً سيئة التي يحكم في ظلها المستعمر ، وهذا تحليل صحيح إلا أنه من الصحيح أيضاً أن حرص الشعوب المستعمرة على شخصيتها وثقافتها كان مسن وراء هذا لرفض .

وهذه الاشارة نفسها تعتبر اليوم عاملاً قوياً في الإصرار على الاستقلال الاقتصادي وبناء الصناعة .

وباختصار فإن الاشارة موقف ايجابي من الحياة ومبدأ هي له تأثيره في مسيرتنا اليومية وما هي بالماضي ولا بالحنين على الماضي إنما الحاضر والمستقبل الغنيان بثرات الماضي وتجاربه

إن العالمية تعني أن فكرة ما أو أمر يتعلق بعالم البشرية الكبير وليس بعالم من العوالم الأخرى التي اصطلح على تسميتها بذلك كالعلم العربي مثلاً لم يكن العالم في المصطلح العربي معنى نوعاً من الشعور يزد في محتواه على البشرية أو الإنسانية وقد كانت ترانف أكون أو حسب تعبير الفلاسفة القيام كل أنواع الجواهر والأعراض ولترك جانباً مفهوم الكلمة من حيث علاقتها بالمقولات ولنتعرض لما يتبادر إلى ذهن المرء عند ما يوصف شيء ما بأنه عالمي أنه ثرات البشرية كلها ولكن كيف يكون الشيء عالمياً أن الإنسان عالمي مثلاً لأنه في كل مكان هو هوله مشاغل ومشاكل متشابهة ذلك قدرته التي فسر عليها ولكن هل هناك خصائص حضارة عالمية انطلاقاً من وحدة الإنسان في القسمات الأساسية عن طريق الفطرة وإذا كانت الحضارة هي عمل الإنسان وإبداعه الواعي فترا وعمرنا وفنا وأبنا إلى آخره فهل بالإمكان أن نؤكد أن البشرية اجتمعت عن رعي على تكوين حضارة لها انطلاقاً من مواصفات ومعايير وقع اختياراً من طرف الجميع .

إن هذا ما لم يحصل في عصرنا الراهن على الرغم من تقلص المسافات والتحام المصالح ووفرة وسائل التبادل والتعامم والأعلام .

إنه بالإمكان التأكيد على أنه في بعض المجالات المعينة من الحضارة الراهنة يتفرج العالم إلى ملوك طرق قد تكون متشابهة تتقاطع في كثير من النقط بدون أن تكون تماماً متفقة ، ففي مجال العلم والصناعة مثلاً يمكن أن نتحدث عن شبه عالمية إلا أن آثار هذا التصنيع لم تحول العالم وحتى المصنع إلى مجتمع واحد .

فنحن امام مجتمع تصنيع متشابه في أوروبا الغربية وأمريك وامام مجتمعات مصنعة في أوروبا الشرقية وحتى هذه التي تقوم فلسفتها على أساس أيديولوجي واحد لم تستطع التخلص نهائيا من خصائصها القومية أي من اصالتها *

إن الآلات متشابهة لأن أصول العلم والمعرفة البشرية واحدة إلا أن خصائص المجتمعات وعقليتها وفلسفتها في العمياء ليست بالتأكيد واحدة فإذا كانت الصناعة لا يمكنها أن تكون حضارة عالمية وحيدة فيجب لنا أن نتساءل هل هناك مجال آخر يمكن ادعاء العالمية فيه *

إن الترويج للعالمية كان في وقت من الأوقات وسيلة لحمل الشباب المثقف على إدارة الظهر للمقيم والخصائص التي تلعب شخصيته القومية إلى قيم « العالمية » المزعومة لأوروبا الغربية التي هي مركز العالم والتي استطاعت أن تبنى حضارة على حد هذا الزعم - عقلانية أساسها العلم وقوامها الانسانية حتى أن بعض الكتاب الأوروبيين لا يتحاشى من أن يقول أن الثقافة العالمية الوحيدة كانت من عمل البرجوازية الغربية وما عداها من الثقافات بالنسبة لها هي شبه ثقافات سواء تعلقت ببيئات اجتماعية أو مجموعات قومية *

وإن هذه الثقافة قد انفصلت نهائيا عن الطبقة التي كانت تمثل سندا لها تاريخيا * إلا أن أوروبا هذه نفسها بقيت شعوبها متباينة من حيث الخصائص والميزات كل التباين على الرغم من تقارب مستوى المعيشة ويشهد لهذا ما يقوله الكتاب الأوروبيون أنفسهم وخصوصا ليفي مقرو حيث أوضح التباين الموجود بين الدول الأوروبية وخصوصا تلك المجاورة وعدم امكانية عالمية تجعل الناس كأعواد الكبريت *

وحتى الماركسية رغمًا من كونها تقوم على التفسير المادي للتاريخ ، وبالتالي ترفض انقسام العالم إلى قوميات وإنما أسى طبقات فقد ورد عن لنين في تعرضه « للمساءلة الوطنية » *

إن الماركسية لا تؤيد إطلاقا أية قوميات مستقلة وثابتة وعلى العكس فإنها تؤمن فقط بكل ما يؤدي إلى التكاثر للميزات والفروق القومية بما يؤدي إلى إزالة الحواجز *

إلا أن خلفاء لينين وفي مقدمتهم أستالين يتجهون اتجاهها آخر ، فاستالين يعترف « بأن الامة جماعة مستقرة من البشر تكونت تاريخيا على أساس جامعة اللغة والارض والعياة الاقتصادية والخصائص النفسية » *

ولقد أصبح معتق الماركسية اليوم يكونون عولم عدده وانتصرت الاصالة على الجايد والفلسفية الرسمية *

ولذلك فإنه يجب البحث عن عائلة جديدة تساهم فيها الشعوب التي كانت بالاس قاصرة ، شعوب العالم الثالث ويكون محتوى هذه العالمية متفق فيه بمسئفة اخثيارية عن طريق الرؤية الخاصة لكل شعب *

ان احترام خصائص كل شعب وشخصيته ومساهمته الفعلية في بنساء عالم مبنى على المساواة والحرية تخلص من عقد الاستعمار الحضارى واستماع فيه امير الامس ان يضع قديمه على أرضه ويفكر بعقله *

هي التي يمكن ان تضمن لأي عائلة ان تقدم على أساس مقبول *

ان كل حضارة عظيمة سواء كانت مبنية على ديانة سماوية أو على فلسفات انسانية هي ذات نزعة عالمية ، الا ان الحضارة العالمية العظيمة حقاً هي تلك التي اعترفت بتلك الخصائص والخواص واقامت من فوقها جسوراً لحبة الانسانية والتعارف ايماناً بالعدالة المطلقة وبالاله الواحد وذلك ما اشتملت عليه الآية الكريمة :

« ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » *

تلك هي العالمية التي تتخذ الاصلية كاساس من امسها وعصرها من عناصرها فهي تعتمد على مجهود كل شعب في مساواة تامة وتعارف *

خلاصة القول :

ان الاصلية المتكيفة لا تتناهى والعالمية الحقيقية التي ان تكون جديدة بهذا الاسم الا ان ساهمت في حلها امالة كل الشعوب واصبحت انكاساً اميناً للامح وميزات الشخصيات المتباينة في مساواة وحرية تضمنان لها الانسجام وتجيبانها كل العقد التي تسببها هيمنة القومية المسيطرة وبذلك فقط نصل الى عالمية انسانية وانسانية عالمية *

التاريخ كملتقى ممتاز للأصالة والعالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن موضوع « الهوية والأصالة في الانفتاح على العالمية » ، وهي النقطة الخامسة من البرنامج المسطر في اسبوع لقائنا للتعرف على الفكر الإسلامي « من الملائكة بالتاريخ ما يكاد يجعلنا على القول بأنه سابق له » ونتيجة له •

فليس في الواقع لفكرة الهوية والأصالة من ناحية ، والعالمية من ناحية ثانية ، أي معنى ينطبق على أي مجموعة بشرية إلا في مجتمع يرى لنفسه جدوى ومنفعة في الوعي التاريخي ، بل ويستند لهذا الوعي المجهز الناشئ دورا نشيطا ، إن لم نقل مسؤولية خلافة في كثير من الأحيان أنه استلهم ناشئ ، متقني ومهيا كذلك ، لا لأنه معاد البثا. فحسب ، بل ولأن الهوية والأصالة ، بل وحتى العالمية « ليست في الواقع مستوى مفاهيم نسبية تتحدد وتتعرف بالقياس إلى شيء ما ، أو بالمقارنة إلى إنسان ما ، أي علاقة ما على وجه التحديد •

د • ايفون تورين

استشارة
بجامعة أمزازي

فليس لأحد أن يكون مطابقاً لداته ، أو أصيلاً من ذاته ، ولكن بالقياس إلى شخص آخر وليس لأحد أن يكون عالياً بالفهم المطلق لهذه الكلمة ، وإنما يكون كذلك إلى مقابل شيء ما ، لا يتصف بهذه الصفة ، وما من مفهوم من هذه المفاهيم هو قائم بذاته ، وإنما تنتسب هذه المفاهيم وتمدد فعالة ، حين يبرز تاريخ فيشحنها بالوقائع ، بما يعمد إليه من وصف لهذه المفاهيم. وربما يسمه أياها هي مضمون *

يمكن إذن أن تتساءل : إلى أي حد يمد التاريخ الأصالة لقاعدة وأساس ؟ وذلك بالتشديد على نقطة الاستفهام هذه وهو ما سيشكل الجزء الأول من عرصنا هذا ، ثم كيف يتطلب تاريخ العالمية كذلك ليكسب بعده الكامل وهو ما سيمثل الجزء الثاني من العرض ، بعد أنه ، وقبل الشروع في هذه الدراسة ذات الوجهين ، نود أن نبدي بعض الملاحظات حول استعمال المفاهيم المذكورة وللمنى الذى نطمح إياها !

التفكير حول عبارات : الهوية والأصالة ، من ناحية ، والانفتاح والعالمية من ناحية ثانية

إن المسألة التى تمثينا وهى مطروحة بهذه الشكل تقيم تعارضاً بل تكاد تبرز تناقضاً بين هاتين الثنائيتين من الكلمات وهى فى نفس الوقت توحي بتجاور وتواء بين عبارات كل من المجموعتين المزدوجتين ، بيد أن هذا التعارض والتجاور لا يأخذان مهيبة مما بدون بعض الغموض والابهام *

لذاذنا نمضى فى الواقع بكلمة وأصالة إن أى لوحة زينية ، وأى عملة تكونان أصيبتين إذا سمينا من التزييف ، وأى محاكاة أو تقليد هياصد الأصالة ، انهما ترورير - فالأصالة إذن ، هى تقيض التزوير بالتقيد هى الشيء الصحيح بصورة ما أنها تشير إلى ما لا يقلل المحاكاة والى الشيء غير المقلد فهى إذن تعنى الشيء الخاص والذاتى لكل واحد ، لكن ترى ، أفيكون ذلك مردداً أم على مستوى المجموعة ؟ هنا نقطة الاشكال *

إن الشيء المطابق لداته ليتمثل إذن على طرفي نقيض مع الاصيل ، ذلك لأنه يثبت التشابه والتماثل ، وبصورة ما ، النسخة للنقولة ، وبالتالي إعادة البناء والإنتاج ، وهو يعتمد بكيته على التقليد - وفى اتجاه مآكس لفكرة الأصالة التى تبرز معنى الوحيد أو الفريد ، والسعى لا يقلل المقارنه ، تميل المطابقة للذات إلى التطابق والاندماج فى مجموعته - بحيث أن ما يمنح الممارتين من موازاة يستمدى فأرقاً دقيقاً ، وبعض الخيطه ، ويستوجب لدى استعمال العبارتين بعض الدقة *

وكذلك ينبغي أن يوضع التماثل المستشف بين كلمتي « الأصالة » و « المثالية » فإذا كان المزور ، كما رأينا ، والمثالي يشككان مما نقض الأصل كما يوحى النص ، فإن ذلك قد يعني أن المزور والمثالي صنوان وديقان فقد يتحول المثالي ، بهذه الصورة إلى عدل للزور ، ولنفسه عديم الأصل ، فنحن لا نرى إذن كيف يمكن لهذا المفهوم أن يأمل حتى في إعادة الاعتبار إليه . إذ كل محاولة للاتصاف بصفة المثالية قد تنهم بتزييف الذات ، ولن تكون الأصالة إلا ذلك الامتزاج الضروري الذي يكاد يلتبس بالسجن . وبذلك تكون قد انهينا النقاش قبل الضرور فيه .

اعتقد أنه ينبغي مقاومة أثر التماثل هذا . والاعتراف بأن الأصالة العالمية ليست في الواقع طرفين في جدلية « فالمثالية لا يحاور النسخة المقلدة أو الخطأ ، وإنما يحاور فكرة الخاص والاختلاف ، والتاريخ شاهد هنا بملاحظة هذا الحوار »

وبهذا تفلق القوس ولعود إلى موضوعنا . غير أن هذا التحليل الوحيد كان مفيدا لتوضيح لغتنا ما وسعنا هذا التوضيح .

دعوة الأصالة والمثالية في التاريخ

إن التاريخ إذن ليبدو لنا كما لو كان قاعدة للأصالة ، ثم هو ، على قدر ما يكون مصروفا ، يتحد مرجعا ، ويمد نقطة الإشارة أو علامة على (الهوية) . هل هذا الكلام صحيح ؟ وهل للتاريخ ذاته تاريخ ؟ قبل الإجابة على السؤال الأول ، يجدر بنا أن نبحث السؤال الثاني الذي سيؤد بنا طمعا إلى السؤال الأول .

إن فكرة التاريخ ، وفكرة الأصالة القومية أو القارية أو غير ذلك مما تجرعه وراها ليست بمفاهيم مطلقة ، ولا هي بالتالي ذلك الشيء الثابت الذي لا يتبدل التفسير ، فالتاريخ ومفهوم الماضي التاريخي المثل بشيء آخر غير سلسلة من الفتوحات الحربية التي ترجع في قليل أو كثير إلى الأساطير في أوروبا ، وبالأغاني والحركات ، هي مفاهيم حديثة وأحدث منها ذلك التصور التاريخي الذي ولد تصور الأمة الراجع في الواقع ، بالنسبة لأوروبا ، إلى القرن التاسع عشر فهل هذا يعني أن المقب المجردة من هذا الفلسفي الحساسية التاريخية كانت محرومة من الأصالة بحكم أنها لا ترجع إلى أي ماض ؟

انها لتتشدد أصالتها في مكان آخر * انبعاثها ، منقط ، تثبت نفسها بأسلوب آخر .
ونورد بعض الامثلة لتوضيح فكرتنا ، وليان كيف ان المفهوم الاصالة في حد ذاته تاريخيا .
ان (لويس) الرابع عشر كان من الاعتزاز والعصر بملكه لفرنسا مما نعت به من انه (الملك
الشمس) كان لا يترأى له امرا مبالغا فيه ، لكننا فرنسا هذه التي يربح على عرشها ؟ ولي
صورة لفرنسا تلك التي تتخطر على بال همة الملك حين يتحدث عنها ؟

انما يصمت عنه (لويس) الرابع عشر ليس فرنسا ، وانما هو مملكة فرنسا ، والذي يؤكده
بذلك ، انما هو بعد اقليسي ومك ، فهو عبارة عن تأكيد المالك ، انه لا يقصد على الاطلاق ارضا
يعطيها طرار من الناس ، بل واكاد افول : انه ينطلق من فكرة تقويم للارض ، ويشير الى حيز
مكاني يحتويها السجل التوثيقي الذي تشملها المعاهدات المبرمة من قبل اسلافه ، الميز المكاني
الذي عهد اليه بادارته والحفاظ على تسميته كما خله اياه اجداه ، اللهم الا ان يتوسع فيه .
ان فرنسا ، وقد جعل منها ممكنة ، كانت بهذه الصورة شيئا غير سداس الاشلاخ تماما لكنه
الشيء الذي ليس له ، على كل حال ، الا علاقة ثانوية بالفرنسيين .

فلاهتمام اقل ما يكون باصل هؤلاء الفرنسيين الذين تتحدد (اصالتهم) بالقياس الى مك
فرنسا وليس العنصر فرنسا من جهة علاقته بارض ما . ولكن حسب شبهة ومطابقة لصاحب
العرش . وهذا صحيح ايضا بالنسبة الى المسالك الاوروبية الاخرى ، وصادق على غيرها من
الماناك . بحث ان الفرنسيين الذين لا يقتنعون بمشايبتهم للملك ، كانوا يطردون من الملكية
من فرنسا ، وكانوا يدعون الى الانضواء تحت هذا العرش او ذاك مما يتماشى واصالتهم
لذاتية .

لكن اما كان الملك ذاته يعتبر نفسه كما لو كان مسجلا في ماض تاريخي طويل تجه معرفته
من اجل اثبات ذاته ؟ فكم من سيد ، وكمن من شعب عمل على جمع هذه الاراضي التي يبسط
عليها سيطرته ! ولكن ما من شيء من ذلك قد تحققت .

لفرض حاجبا سليم الطوية ، يسمى للخصوص على بعض الروايات او السنن يا ، يحيى الملك
ادا اصبح وحين يسمى (الحجة المخطوطة) يشهدون تروم وتيام الملك ، ويبدأ انتماسه بالشكل
التالي : « ملوى ، ان الاجداد العاليين لجلالتكم ... الدوق ... او البارون » فان التمسيس

المسكين لا يأمن أن يزع به في السجن لبضعة شهور . فأي جرى، يسمح لنفسه هكذا بأن يسب الأمير وينتهه بالانحدار من قوم هم ضريمن المتوحشين ؟ فأنتم ترون مدى الاختلاف عما صار يحري بعد ذلك بسحو 200 عام . ذلك لأن كل واحد يعلم أن أي كتاب للتاريخ شبه رسمي ، في عهد الجمهورية الثالثة ، كان يلقي كل طفل فرنسي بأن (الفاليتين إبيداه) وما ذلك لأن الأمير قد زال واختفى عن الأنظار ، ولكن لأن الإجداد قد انبثقوا من التاريخ من أجل ضرب من الحياة الجديدة . أفيمكن هذا نوعاً من التغير في التصور التاريخي ؟ كلا ! إنما هو اكتشاف للتاريخ . وإذا نحن أمعنا في المفارقة التي يمثلها هذا التحليل ، استطعنا أن ندرك بأن «الملك الشمس» وقد قبل الملاحظة الواردة في مثل القول التالي : «مولاي ، إن جدكم الملك «كوفيس» »

ذلك لأن «كوفيس» جعل من الفرنج القضاة مسيحيين ، أو هو على الأقل فتح السبب في وجه المسيحية ، لكن الذي لا نشك فيه هو أن ملجأ المتبر الحاذق كان يوابه لويس الرابع عشر بمثل هذا الخطاب : «مولاي ...» أن إجدادكم الرومان ...» والواقع أن ملك فرنسا هنا كان يؤثر الطهور للأجيال اللاحقة ركباً على جواد بالطريقة الرومانية ومتعلها بحلة قبصر المنتصر على هؤلاء الفاليتين ، تماماً كما يبدو القائد الفاتح على رأس مركب يقود مهزوميه لي السجن . أن أربع كتاب عصره كانوا يعللون مشاعر «تيتوس» إمبراطور الرومان و «باريتيس» قريبته ، ويصرون الامتثال لمعاصيرهم بشجاعة أمثال «هوراس» اللذان عن روما ، ولكنهم لا يصرحون الامتثال على الإطلاق بشجاعة «فيلسان جينوريكس» المنافع عن الحال . وقتل ذلك بسنين ، كان كبار السادة المتحدون على ملكهم ، هم الذين يصعدون إلى تقليد أبطال «بنوطارد» القسيسين أيضاً من التاريخ القديم . وهكذا نرى أن القرن السابع عشر المعمود كما لو كان فرنسياً بالإصالة ، ومسيحياً كان يترسوم لنفسه مثال الرومان الأجانب ومثال الكثرة المشركين . فأنتم تشعرون إذن مدى اختلاف مفهوم الإصالة ، وهو أدنى ارتباط بماض تاريخي بالنسبة إلى هذا العصر ، مما يمكن أن يكونه بالنسبة لفرنسي يعيش في القرن العشرين ، وكيف أن لهذه الإصالة ذاتها تاريخاً .

وكل ذلك يعني أن «لويس» الرابع عشر ومعاصروه كانوا يتوهمون أن ليس بينهم وبين الرومان أحد ، ويدهي أن الأمر على خلاف ذلك غير أن هذا يبين أن الذين صنعوا مملكة فرنسا لم يكونوا يجهلون في شيء . هنا يمكن نوعاً من التصور الماضي التاريخي الذي هو بسلطة ،

ليس ماضيا . ومثال آخر اخذ من الطرف الآخر للعالم ، ومن عهد آخر ، هو عهدنا الحالي ، يكشف عن نفس النسبية ونفس اطباع التاريخي لمفهوم الماضي التاريخي . والاسر يتعلق ، في هذه المرة بالصين الشعبية . ويشير هذا المثال ، كسابقه الى اختيار من بين اجزاء الماضي ، وهو اختيار واضح هذه المرة ، مراد ، ومدرك تمام الإدراك . وهو ما لم يكن عليه حال المسائل السابق . فمنذ عام 1949 ، كنا نقرا في مجلة «الصينية الجديدة» للحزب الشيوعي الصيني هذه التوصية : «ان رسالة الجيل الجديد ، هي محاربة لكونفوشوسية ، السنة القديمة للفضائل والسمات ، او بمباراة اوضح . ينبغي تمزيق شبك تاريخ الماضي ، وعدم سحق الافكار القديمة» (1) بحيث ان تاريخ تصور الماضي التاريخي يؤدي هنا الى تقويض حزلي مقصود ، ومصدور كما لو كان ضروريا . لهذا الماضي الذي غدا هو نفسه عبثا تقبلا . وبعد ان اكتشف التاريخ ، صار يمثل كما لو كان «شباك» او «سجنا» اي كما لو كان حاجزا يترعى سبيل الحياة الراضة . لذلك يجب ان يمحي ويحول «حين يمرق التاريخ تنفلق الحلقة ، ويعود الشعب الى ما يشبه وضع شعب لا تاريخ له . وكمنساي ينبغي ان نعرفه هو ما اذا كان الامر ما يزال اليوم في حدود الامكان ، او انه ، على الاصح لا يبدو ان يكون تاريخا مماكسا .

وعل كل ، فالتدلى ترمي اليه هذه الامثلة هو بيان كيف ان مفهوم الماضي التاريخي وما يرتبط به من فكرتي الاصاله او الهوية هو على حسم الازمان ، اكثر تعقدا وتنوعا ، واشد اختلافا ما يمكن ان نتصوره مسبقا .

وفي الوقت ذاته ، أجبنا على السؤال الاول الذي طرحناه في مطلع القسم الاول من عرضنا هذا ، فيما يتعلق باستعمال التاريخ كمرجع ، واكتشفنا بأن كيفية الرجوع اليه ، لم تتغير فحسب ، بل وما تزال في تغيير مستمر .

وعن كل حال ، فان القرن التاسع عشر هو الذي شهد تمحور التاريخ في حياة الناس باوروبا . ثم شيئا فشيئا عى غيرها من الاقاليم ان اطفال المدرسة بالتقريب ، لم يوضع بين ايديهم كتاب للتاريخ لا يقتصر على معلومات التواريخ القديم او «التاريخ المقدس» وحده الا قبل ما يتفد قليلا عن مائة عام واذا ذاك فقط ، واج كل واحد يكشف احاديده ، محاولا معرفتهم ما أمكنته تلك

(1) صحيفة لوموند ، مطلع فبراير 1974 .

المعرفة ، وساعيا على نحو ما الى بحث حقيقي . وهكذا اخذت تتوالى اقوام وشعوب مثل الصند والجريمان ، والنوميديين ، والقوط ، والفونسييس والعرب وغير ذلك على اذهان الانبياء التي غدت بذلك بمثابة ذاكرة للتاريخ ، وعلى نفس الوقت اخذ دور المؤرخ يتعالم ، ومسؤوليته تتضخم غير ان هذا الموضوع من الالىق ان تتضمنه دراسة اخرى .

بحيث اننا لو طرحنا اليوم السؤال التالي : من هو الانكليزي الاصيل ؟ او الفرنسي الاصيل ؟ او الجزائري الاصيل ؟ لقد الجواب اصعب وتيجلى بصورة خاصة اقل بداهة . ولعل السؤال يكون اسهل لو تسامنا عما هو المسيحي الاصيل ، او المسلم الحق ؟ ثم ان الفرد لا يكون مسيحيا على النحو نفسه فى القرن العشرين وفى العصر الوسيط .

ولعل من قبيل التجربة الهامة ان يطلب الى كل واحد منكم تحرير خبسة او ستة اسطىور فى موضوع الكيفية الى يتصور بها العرسى الاصيل . وانا متأكدة ان اى فرنسى يستعلم الكثير منها ، وسيجد من خلالها انه على خلاف ما كان يتصوره عن نفسه بل وحتى لو صالتصوني السا ذاتى عن «اصالتي» لا عرفت كيف اصيل ؟ اللهم الا ان اقول انا (المنت) الروحية «لديكارت» ، «ليوسى» ، «لويبر سبيير» ، «ليودون» ، «اولواس» اذا ما كنت انظر قريبا منى . ترى من المسيطر من بين آباءى واجدادى ، ام العقلايون ، ام اللاهوتيون ، ام الثوريون المصمون على الدفاع مما كان الخمن عن الثورة والوطن الذى يجسمها . ام ترى هو ذلك النظرى الاشتراكي الذى يمارسه الشعب المتساك بوطية جذرية ، والمنطوى على ذاته .

وفىما ذكر بعض التيارات المبتقة عن الماضي ، غير ان هناك تيارات اخرى ، هل الاصالة مقدار ، ام هى على العكس من ذلك اختيار ، ام هى ساطة ، وحى والهام ، ام هى مثال امتقى لقصيدة اخرى ضرورية ؟ انى اطرح عليكم السؤال ، نحن نعلم الآن ان الاصيل نتاج التاريخ ، اما الصلة بين التاريخ والعالمى الذى يقود الى الانفتاح ، فلنن كانت ليست اقل عظلة . الا انها كذلك غسيع بديهة .

للاحظ بادية ذى يد ، ان التاريخ الاينى لا يعرف الا الخاص نقيض العالمى ، العام ، فليس فى التاريخ الا الدائى الخاص ، فهو ليس فيسبملا مملكة ، ولكن ممالك ، ولا يتحدث عن جمهورية بل عن جمهوريات ، ولا حتى عن امة بل امم لاعر . وما للعامة من حد تقف عنده . والامور صادق كذلك على معاهيم الحرب والثورة . فليس يعرف التاريخ الا حروبا وثورات .

لكن اذا ما كان التاريخ عاجزا عن السمو الى تصور يسبح بتحديد مفهوم الجمهورية انطلاقا من الجمهوريات ، وتحديد المعنى المجرد للحرب انطلاقا من الحروب ، فقد كشف على الأقل ، عن ماض طغى غامضا ومبهما « فانزوخ يتبع عليه ان يستعمل لدى تفكير » ، الاطار المادي لفصل الذكاء ، لكنه من اجل ممارسة مهنة ، ينسحق صورا حديثة للعلاقة التي باحائها مسحة من المغولية والوضوح على التاريخ ، تعمل على زيادة فهمه ، وتقريبه من ، لادراك « وبالتالي على تنمية قيمته العالمية » بل نقول : ان المؤرخ يتسرى مفهوم العالمى بالنحو الذى يستعمل به السببية ، وفكره الزمان وغير ذلك ، ولنوضح ما نقول :

فلاخبار التاريخية تسرد الاحداث وتقدمها ، وكل ما فعله انها تقص الآنى الراهن ، تسامحا كما تروى البرابة (الحاجية) ما شهدته فى التمازج ، والتاريخ يبحث عن الروابط والعلاقات ، ويقسم اوجه الشبه والاختلاف « انه يشي ويتكرر ، ويستعمل السببية التى لاهيتها ، تكساد تمدد التاريخ ذاته ، اسباب آتية واسباب اخرى سببته على وجه الخصوص ، تليس الاحداث والوقائع رداء ، يميلها ذات معنى ، وبذلك تنشأ صورة جدارية كبرى يفرس التاريخ العالمى - ونسولا ذلك لما كان ثمة الا تواريخ صغيرة - وتمكن من الوصول بوضوح الى فكرة الانسانية ، وهى نص المنل الاعلى لمفهوم العالمية - لذلك قيل : انه يمان التاريخ خاص ، فهو لا يمد نفسه ابدا ، ولكن بما انه عالمى ، فهو متجدد باستمرار »

غير ان المؤرخ يستخدم فى مهنته ايضا مفاهيم اخرى يشترك فيها الخاص والعالم من جديد ، ويعد الى هذا الاستخدام من اجل ابراز طواهر كلية ، مثل مفاهيم المدى القصير والطويل « وكمثل ملموس على ذلك - هذه الظاهرة التاريخية الطويلة المدى المتمثلة فى تطور العالم التقليدى الذى تجرله عجلة التعبير « وضمن هذه الحركة العامة حركات اقصر مدى ، واقل اهمية ، واكثر محدودية ، تتمثل فى نهضة اوروبا وضمن هذه الاشارة ذاتها ظاهرة النهضة الإيطالية مثلا - فكل تطور اقليمى بدلا من ان يتكشف فريدا على الاطلاق ، يجد نفسه ، من وجهة هذا المنظور ، وهو يصدد التكون داخل حركة عامة لا تسليه اصاله ، ولكن تسمح له بالانفلات والخروج من عزله » وذلك بما تتعرفه لدى الغير حاضرا وماضيا ، من صعوبات ومتاعب مماثلة « فسا لا يسع المؤرخ الا ان يقوم به من ترددات على الزمان ولكن هو عينه هو وجه من وجوه اصبه التاريخ »

وفى الطرف الاقصى من هذه العلولة يؤجل التاريخ الممارن الذى ينتهى احياناً الى تقليلص
النسبج التاريخى ، وحصره فقط فى الاعبارات العلالة ، كما هو الحال مثلاً فى مؤلف «توينبى» (2)
فالاريخ المقارن انحصار للعلالة .

ثم ان المؤرخ اخيراً ، ما دما يصد تطليل المناهج الخاصة بالتاريخ ، يرجع ضتبنا وعل الدوام ،
الى مفهوم الانسان الذى هو التصير ذاته عن العلالة . ان التاريخ برمته ليقوم عل حوار بين
الذاتى والتطابق مع الذات ، والمختلف او المفاير ، بين ذات الشئ وغيره . وهذا فعل يدل عل
نفة اسامية فى وجود علاقة ممكنة بين الذاتى والمفاير . وبالتالى ، فى الاعتقاد بعلالة السلوك
الانسانى ، وبامكان المفاهم المتبادل . ولا يمكن للقاء المير ان تحصل دون التاكيد من وجود
حد اذنى من الفضايله يسمح به المفاهم . فما للالفة ، اذا كمت اذلى القرن العشرين ، من
الاهتمام بالصينى المثقة اذا ما كمت انظر الى الصينى المنتسب الى عصر آخر كما لو كان عديم
الشبه اطلاقاً ؟ وما للعائدة ، بالنسبة الى افريقى من محاوله استجلاء اوروبا ، اذا لم يكن ثمة صفة
او طبيعة مشتركة بين الواحد والآخر ؟ ومسا لعائدة بالنسبة الى وانا اوروبية ، من التحدث
لى مستمعين ليسوا باوروبيين ، اذا كنا لا نفاهم عل الاطلاق ؟ ، ذلك لان الفرق الذى جى اليه
الزمن ، هو نفس الفرق الذى تخلفه المسافرة والمهى الى عصر بعينه . عل انه ليس من المؤكد
ان اكون اقرب الى فرنسى القرن الثالث عشر ، بل وحتى الى فرنسى القرن السابع عشر منه الى
افريقى اليوم . هكذا لرى ان التاريخ يدور عل الدوام الى اقل قدر مشترك ، ويؤمن بامكانية
التبادل ، وبالعلقات الانسانية ووجود التاريخ فى حد ذاته يكر الانعزال المطلق الذى يلعب
البعض الى اعتباره هائفاً لا يمكن اجتيازاه . (ولست هنا بصدد القيام بتطليل فلسفى ، بل
فقط ، بصدد وصف اسلوب عل) . ان التاريخ ليؤمن بالعلالة .

لكن التاريخ لا يبلغ ولا يماشر العلالة ، بمسا حجه فقط ، بل هو الذى يعطياها ، كذلك ، وجها
معيناً ، ويكب عن ان يجعل منها مجرد تيسار هوامى ، وهو الذى ، من ناحية ، يعطى هلم
العموميات محتوى . ومن ناحية ثانية ، فان التاريخ ، بكاشفته كل واحد ، بعبارة وعوايد
وكرب المفرد ، يكشف لكل انسان عن وجود اشيا موطان له . بل وربما كشف له عن وجود قريب

(2) التوينبى مؤرخ انجليزى معاصر .

له ، مهما باعد بينهما الزمن والحيز المكاني . انه يكشف عن تضامات مجهولة وجديدة في بعض الاحيان ، ويلقن بان الحالة التاريخية ليست ذاتنا واحدة ، او بان عالميات جديدة قد تظهر على كل حال . وهكذا يدعو التاريخ الى الانفتاح وما من شيء هو اكثر مفاجاة من مؤرخ ليس اهلا للانفتاح ، او حتى ليس متمطشا للاختصاصات والتأثير ، انه بذلك ، سيكون كمن ولي ظهوره لذاته .

ولنعد الى النقطتين الاجرتين ، ولنقول بايدي ذي بد ، ان العالي ينشط ويحيي بفضل التاريخ ، ويبرز ويتشدد ، ونحن نستمع كل يوم عبارات عامة تفسر الى اوقات من الزمن ، او الى اجزاء من المكان ، او الى مؤسسات والوان من الثقافة .

فها هي ذي تتوارد على الذهن ، بلا تظام : الشعوب البدائية ، النهضة ، الفرس ، القبايل او الحشائر ، الكلاسيكية ، الدولة ، المسيحية ، الاوروبيون ، العرب . ان الذي يتشعبه ويتمنه كل واحد منا حين نلتقط بأي كلمات ، هو رهن على وجه التحديد ، بمعلوماته التاريخية ، وبقدار ما يبدو التاريخ اكثر دقة ووضوحا بالنسبة للجميع المؤرخ أو غير المؤرخ ، يبدو التشخيص أو لتمثيل أكثر حياة واحسن معنى وما اريد ان اقول كناصحة لكم بتعلم التاريخ لكن ذلك ، وان لم يصرح به ، هو بالضبط لا اريد ان افعله . فليس تة وسيلة أخرى للاقتلا من فراغ كل لفظة عامة ، بل واحيانا ، لمعرفة ما نتحدث عنه .

وهذا يقودنا بطبيعة الامر الى نقطتنا الثانية - فالتاريخ باعطائه الكلمات معناها الدقيق والكامل ، انما يكشف عن عالمية الحياة . فهو تحت مسور اشكال خاصة للغاية ، يروي لنا قصة او واقعة واحدة تتألف من دس العناصر : فمن تنظيم الجماعات او الزمر الى الاسر ، والقبايل ، والى الدول وتذكر بان الناس انما عاشوا جميعا على جماعات ، ولا تجردوا من خاصية الانسانية ، وانهم جميعا . كذلك احتسروا لنقل معلوماتهم وتبينها ، وكلهم سموا الى ان يجدوا معرفة العالم الذي يعيشون فيه ، وهكذا ، فكلل المجموعات البشرية تاريخ فكري . لكن درجة تجاههم تختلف ، فالبعض قد برز في الهندسة ، والبعض الآخر قد برع في الطباعة ، وقد استفاد البعض مما سبق ان ابتدعه الآخرون . فكمما يتسحر الصينيون بالآرود ، لكن الاوروبيون استغنوا ، واضاف العرب الى علومهم علوم اليونان فاستقى منها الاوروبيون وازادوا عليها ، واقام باسور الدليل على وجود الجراثيم ، فاستولى العالم اجمع على معلوماته ... الخ .

ويرى التاريخ ايضا بان كل الناس، منذ بداخلية ، اجتهدوا لمبادلة منتوجاتهم ، ومن خلال ذلك ، لتحسين الشروط المادية لحياتهم ، ثم ان الناس في كل زمان ومكان ، تساموا عن اصلهم وعن مصيرهم . فكانت الاجابات مختلفة ، لكن التلق كان عالميا شاملا .

ويكشف التاريخ ايضا ان التضامن بين الناس كان كبيرا في السراء والضراء على السواء .

فقد عرفت كل المجتمعات الحرب وكل مصور التحكم والسيطرة ، وعرفت كلها كذلك كتب الانسان على اخيه الانسان .

بحيث ان المؤرخ يجب على كل من يتعامل اليوم مع الادا كان الانسان موجودا على الاملاق ، بانه الخلق بكائن كان له في كل مكان ، وعمل الدوام ادنى حد من السلوك المائل لسلوك الاسنان .

ويدهي ان بعض صور هذا التضامن قد تشتت وزداد في بعض الاحيان ، وانها تحتل باختلاف الازمان . والتاريخ يؤكد لنا ، وبطلما بسلطان الاشياء تنحصر ، وان ميولا او اتجاهات جديدة تظهر ، فالمدينة الحديثة مثلا كانت وحدة قائمة بذاتها . اي دولة صغيرة ، سفلة تماما على نفسها . وواجه التضامن ضمن هذه المدينة كانت داخلية اولا ، وان المالية تبدأ حيا يتبادل داخل . بيد ان المدن الاخرية ، حين لا تدخل في حرب بينها . تتجمع في مباراة ، هي الالعاب الاولمبية . وهذه صورة من صور التضامن تمثل في الاعتراف بالقواعد المشتركة ، قواعد قوانين اللعب ، لكن سرعان ما تتحل صور جديدة من التضامن تعبر التواء الرئيسية ، وتنش في تضامن الاغبياد داخل وخارج الحدود . وتضامن العميد كذلك ، وهو ما نسميه اليوم بالتضامن الطبقي ، ضد تضامن الدول - وفي العصر الوسيط نجد نفس اللعبة بين العلاقات الرأسمية ، والعلاقات الإقطاعية، فالامانة القوية تحافظ على الروابط الرأسمية، والامانة الضعيفة تقرب الوجوديين من كثير من طبقات السادة ، او السادة من كثير من المالكين فالعز الثامن عشر يفتح الى تضامن الحدود ، انه طيب الخطر ، مص لجميع البلدان، ولأهل هذه البلدان . والناس والافكار تنتقل بسهولة لى اوروبا على الاقل ، وهذه التهيئة تفسر الاختصار الاستثنائي لنفكر - ففي ذلك العهد ، كتب «مونتسكيو» يقول : ما ان انسان اولا ، وفرنسي بالصفة، فهو بذلك يؤكد لنفسه اولوية العالم على الخصوصي، وفي نفس الوقت ، يفكر في علاقات هابن العبارين ، وسرعان ما اتحد اولئك الذين يخلطون خصوصيتهم بالعالمى ، او يعتقدون ان هذه الخصوصية خصوصيتهم . ستزول حتما الى

العالمى ، فكيف يمكن لأحد أن يكون فارصياً ؟ ذلك لأنه يوجد فارسيون بالفعل ! ... أى الآخرون - إن هذا الأسلوب السافر فى طرح السؤال لينقد السائل بتحويله إلى مسخرة *

لكن البرعة الجموعية والمفتحة على جميع البلدان تنبج من جديد فى القرن القامع عشر ، وتضرب الاسم على نفسها الحواجز ، كما لم تفعل ذلك من قبل ، وهما تولد تضامناً أخرى تزعزع اليهود مرة ثانية ، أو على الأقل ، تنادى بذلك - أيها العمال اتحدوا - ، وأيها الفلاحون اتحدوا - ، لكن ما من أحد يدعو للورجوازيين إلى الاتحاد ، لأن المعتقد هو أن الاتحاد أو التكتل مسا يسهم قد تم بهه *

وفى واهن الاحداث ، تبتدى نزعة أخرى ، فهى لا تنهم حدود الدول وحدها وتسمى إلى نقضها ، بل حدود المجتمع أيضاً ، فباسم خصوصية منطقة صطت إلى مستوى الأنا وسده ، وباسم أصالة منطقة لأنا لمفرد ، يرفض الإطار الاجتماعى ، لإنشاء تضامن لا اقراء فيه ، يكون آخر الامر ، على ما يعتقد ، كامل الانسانية ، أو انسانياً تماماً ، فالاصالة حينئذ ، لم تفهم الا بالنسبة إلى الذات *

والخلاصة ، أن التاريخ لا وحده له الا بالانقضاء الحصوصى والعالمى ، وكذلك الحياة ، أن الحصوصى وحده هو الذى يقود إلى العلة ، وإلى الانفلاق ، وإلى النهاية ، إلى الصمت ، فهو وقد اقحم نفسه فى دوامة التكرار ، فى الحوار مع ذاته ، ينظمى - انه عالم - سارتر - المنحدر إلى لامقولية التوحد ، وانتصار العالمى انتصار فقير كذلك - فالمشائل ، نالفا ، الحوار والتبادل ، ينبج بدوره عالماً إيكم ، وحينئذ يصمت التاريخ ، أى صخب الجيـساة البشرية (x) - بيد أن الأساس ، حسب المصور ، مضلوا الالتفات إلى المسهم أولا ، والاعتكاف أو الانفلاق ، على اختلاف نظرة الناس إلى هذا الموقف بين محبب ومنكر ، أو هم آثروا ، هم المكس من ذلك ، أن تنجبه انظارهم إلى الآخرين أولا ، وإن يوثروا الانفتاح *

وسلمنا التاريخ أيضاً انه لا وجود للحياة وللتنمو الا بفضل الحوار بين الذات والغير ، بين المتطابق مع ذاته ، والعالمى ، أن الانطواء على الذات إنما هو منعكس من الخوف ، ومن الانشئة على ذلك اسبانيا فى عام 1898 ، فرنسا فى عام 1870 ، والعالم العربى المستعمر ، أن فرنسا القرن

(x) أننا لم نعالج مشكل وسائل الاعلام الجماهيرية فهو حليق بمحاضرة على حدة *

القامى عشر ، وانكليتراً القرن التاسع عشر ، وامريكا القرن العشرين لا تبدو - وهى واقفة من نفسها - انها تمست ما يكفى من غيرها .

لكن التاريخ يؤكد كذلك شيئاً آخر ، فهو باعتماده على قوته ، وسخريته من الحسابات البشرية يصرح بجرة قلم واحدة ، ان العقل لا وجود له . ران الانسان غير قادر على التسل ، مهما اراد ذلك ، وان الاصيل وحده هو الموجود بالنسبة اليه . وانه لا وجود الا لانساصيين اى مشابهين لقواتهم ، فلا وجود لرجلين متماثلين حتى ولو كان احدهما ابا والاخر ابنا له ، واخرى ان يكون ثمة تطابق بين شعبين . ان الانسان ليس عاب البحر هكذا سيد امره ، وبصورة لا نهائية ، ضرورة - مهما كانت الصالحات المسداة، او المخاوف المبداء ، بين الحصوصى ، والعالى .



شعارات سادت المتلقي



من تهاون هان
ومن يهين يسهل الهوان عليه!

بين الأصالة والمعاصرة

لست أتردد لحظة حين أقرر بأن أم المشكلات في هذا المجال بكلمات تحرك بها شفافنا دون أن عن صيغة لمحاتنا الفكرية والعملية ، تجمع لنا في طيها طرفين ، إذ تحافظ لنا على خصائصنا العربية الأصيلة ، وفي الوقت نفسه تفتح لنا الأبواب على مصاريحها ، لمستقبل - في رحابة صدر - أسس الحضارة العصرية كما يحياها اليوم روادها -

ولن نجلى من الحق شيئا ، إذا نحن اكتفينا في حياتنا الثقافية الزاهية هي محاولة الكشف تكون صائرة منا عن اقتناع وإيمان ، إذ ما أبس على المتكلم أن يدعى لنفسه الصفتين معا :

د. زكي نجيب محمود

استاذ المنطق الوضعي

جلسة المعاصرة (ع م ع)

صفة العروبة الاصيلية وصفة للتخضر بحضارة الحبيب ، فإذا ما تناولنا حياته الفعالية بالتحليل الموضوعي الدقيق ، الفيتاء واحد من ثلاثة : غاما هو قد خلا من الاسس الاصيلية في الثقافة العربية ، مكتفيا في حياته بمتاع متناقرة جميعا لنفسه من هنا وهناك من طواهر الثقافة الغربية ، او هو قد ملأ نفسه بثقافة عربية صرف ، حتى انشبت نونه ابراب العصر فلا يدري من امر هذا العصر شيئا ، او هو قد اخرج وفاضه خاليا من الثقافتين جميعا ، فلا هو الى اولئك ولا الى هؤلاء ، تلك صور ثلاث اراها تستند الكثرة الكثيرة من أبناء الامة العربية ، وأما الصورة الرابعة التي هي صورة العربي وقد جمع في كيانه وحدة عضوية متسعة متماسكة ، قوامها اصول رئيسية من التراث العربي ، واصول رئيسية أخرى من مقومات عصرنا الحاضر ، فلن نجدها متظلة الا في نفر قليل ، تكاد تشير الى الفرادة في ارجاء الوطن العربي ، لانهم بهذا انجمح الحقيقي بين الثقافتين في حياة واحدة ، قد برزوا عن غمار الناس بروزا لا يبطئه العصر .

- 2 -

إن الموقف الحضاري لامة العربية اليوم ، يتركز في سؤالين ، لو احسنا الاحاطة عنهما ، تجدت لنا حقيقة ذلك الموقف جليلة لا يشوبها غموض السؤال الاول هو

ما هي اهم العناصر التي نعتنيها حين نتحدث عن « الشخصية العربية الاصيلية » ؟ وأما السؤال الثاني فهو : ما هي اهم العناصر التي تتألف منها بنية الثقافة العصرية ؟ فبعد الاجابة عن هذين السؤالين ، تكون أمامنا صورتان وقد يسهل علينا بعد ذلك ان نلتمس السبيل الى خلق المركب الواحد ، الذي يضم ما يمكن ضمه من اجزاء الصورتين ، دون ان تضيق من ايها صفة جوهرية فينتفى بذلك وجودها -

ولقد يسألنا الاول : من نحن على الاصاله ؟ ما هي مقوماتنا التي اذا تحققت في فرد او في مجموع ، قلنا عنه انه عربي اصول من الناحية الثقافية ؟ لست اجمع في ان تجرء الاجابة شاملة لكل هذه المقومات ، بحيث لا يفلت مناشيء منها ، وحسبنا ان نقع على طائفة من المقومات الاساسية فننتدى فيما نحن بسبيله .

والاول ما يرد الى خاطري من الخصائص المميزة للموقف العربية ، المعقدة الراسخة بمستويين من الوجود ، بحيث يستحيل علينا استمالة قاطعة ، ان نملأ بينها في التصور : فهناك الذات الالهية الخالقة ، ثم هناك عالم الكائنات المخلوقة خلقه الذات ، وبين هذه الكائنات المخلوقة ، كان اراد له خالقه ان يثمين ليحلم الى الدنيا امانة اؤتمن على حملها ونشرها ، وذلك هو الانسان ، في هذا الاطار العام ، تتحدد وجهة النظر العربية الاصيلية ، وعن هذا الاصل الاول تتفرع فروع :

منها أن الإنسان كائن خلقي ، بمعنى انه مكلف بأن يهتق في سلوكه قيما أخلاقية مصددة معينة ، أمليت عليه ولم تكن من اختياره ، فليس من حقه أن ينسج بعضها ، أو أن يضيف إليها ما ينقضها ، ولما كان هذا التكليف الأخلاقي لا يكتمل معناه إلا إذا كان العرد الانساني مسؤولا عما يفعل ، فإن هذه المسؤولية الأخلاقية بالنسبة لكل فرد على حدة ، تسمح امرأ لا مفر منه ، فضلا يجوز أن يصلها فرد من فرد آخر ، قد تجد في الثقافات الأخرى انماطا أخرى ، بل أن في عصرنا هذا نمطين آخرين لا ينتميان مع الوقفة العربية التي ذكرناها ، أحدهما يقول أن القرائن الأخلاقية كغيرها من القوانين ، هي وليدة الحياة الواقعة ، فما قد ثبت على التاريخ انه تأسع جعلناه قانونا خلفيا ننظم به سلوكنا ، وما قد تبين على التاريخ انه ضسار ، حلفناه من قائمة الأفعال المقبولة ، ولما كان النفع والضرر يتغير أن يتغير العرف ، وجب علينا أن ننظر الى مبادئ الأخلاق على انها نسبية لا مطلقة ، بحيث تكون على استعداد لأن تفسر منها ما لابد من تغييره لتلائق عافية في سبيل التقدم مع ما يقتضيه الزمن وحضارته .

ذلك أحد النمطين الآخرين ، وأما النمط الآخر فيقول أصحابه أن المسألة هنا ليست مرموية يتقدم أو تأخر في طريق الحضارة ، ولكنها مسألة الإنسان وحريته المطلقة في أن يتخذ لنفسه ما شاء من قرار ، بشرط أن يكون مسؤولا عن قراره ذلك ، فليس هنالك أحد يقره أو يلبى عليه ما يجب وما يجوز ، بل هو البادئ بقراره بدءا غير مسبوق بمبدأ صاغه سواء .

وراضع أن الوقفة العربية الأصيلة مختلفة عن كلا النمطين من حيث المبدأ والاساس ، حتى وإن اتفقت معها في النتيجة ، فهي مختلفة عن النمط الأول الذي يجعل المول في السلوك الانساني الصحيح على التجارب ، على حين أن الوقفة العربية تفرض اسبقية المبدأ الخلقى على التجارب ، فالصواب صواب ، والخطأ خطأ بعض النظر عن النجاح أو الفشل في تجارب الحياة العملية ، وليست حدود الصواب والخطأ من صنع الإنسان ، ولكنها حدود شاءها الله للإنسان .

والوقفة العربية مختلفة عن النمط الثاني كذلك ، الذي يجعل القرار الانساني غير مسبوق بمبدأ ، ولكنه لأن وجهة النظر العربية — كما ذكرنا — تقترض اسبقية المعيار الذي يقاس به القرار في صوابه أو خطئه ، ومسؤولنا — في حدود هذه النقطة الأولى — هل يمكن اتوفيق بين أن يكون الإنسان عربيا يجعل هذه الوجهة من النظر ، وأن يكون في الوقت نفسه معاصرا يتطور مع الزمن وتغيراته السريعة ؟ لست ادعي هاهنا بأن مشكلة التوفيق — في هذا الجانب — بين الاسالة والماصرة هنة مينة ، ولكنها على كل حال مشكلة تستحق منا التنظر الطويل والعبيق لأنا لو أمسكنا بالمقيم الثابتة الموسوعة لنا ، تعرضنا لخطر الجمود ، ولو سيجنا أحرارا مع تيار التغير تعرضنا لزوال الشخصية وانحلالها ؟ وغاية ما أستطيع قوله في هذا الصبند ، هو أن قيمنا

الاخلاقية الموروثة ، فيها من السعة ما يمكننا من التصرف في اطارها بدرجة من الحرية تكفي للحركة مع سرعة الايقاع في عصرنا وليكن الامر في هذا شبيها بالامر في تكوين الفاظ اللغة من حروف الابدسية فالحروف محدودة العدد ، ومع ذلك ففي مستطاعنا ان نبني بها الفاظا تعد بملايين الملايين اذا اردنا ، فلماذا لا نقول ان مبادئنا الخلقية الموروثة هي اساس يمكن ان نبني عليها ما لا حصر له من ضرور لممل ؟ ان هذه القيم الموروثة ماثلة في اسماء الله الحماني لان هذه الاسماء - كما يقول الامام الغزالي - هي صفات تكون مطلقة بالنسبة لله تعالى ، وهي نفسها تكون نسبية محدودة بالنسبة للانسان ، فاقرا هذه الاسماء تعلم ماذا يطلب منك ان تكون : يطلب منك - مثلا - ان تكون عليما ، بصيرا ، سميعا ، قابرا ؟ صبورا ، الي احر هذه الصفات العليا ، فما الذي يمنع من مسايرة العصر بهذه الصفات ؟ ما الذي يمنع ان اكون عليما وبصيرا وسميعا بحقائق عصرى وما تتطلبه الحياة فيه ؟ وان اكون قادرا وحكيما وصبورا وقويا وخيبرا ، وكلها صفات من تلك الصفات المطلوبة متى تحكم عقيدتي كل الذي يطلب مني في هذا المجال ، هو ان اقيم من كل صفة جوانبها التي تكون اقرب الى المعصم - فاكون عليما بعلم العصر ، قادرا بقدرة العصر ، وقويا بقوة ، وحكيما بحكمته ، وعلما جرا .

- 3 -

ومن مميزات الثقافة العربية كذلك ، تلك الرغبة الشديدة عند الانسان في ان يتسامى على دنيا الحوادث المتغيرة ، لياخذ بما هو ثابت ودائم ان كل ما في الارض والسماء فان وزائل ، متغير ابدا متحول ابدا ، فقيم التمسك به هو عاجز عن التمسك بذاته ، ليس ثمة مرفا يمان من اماصر الفناء والمسيرورة والتغير الدائب من حال الى حال ، لنحتمى بمثل هذا المرفا فسلم ؟ نعم ، هنالك مثل هذا المرفا الامن ، فستطيع ان تلتصم به حتى ومن لم نزل احياء في هذه الحياة الدنيا ، الا وهو الذات الباطنية التي بها تكون هويتنا ، هو الانا ، التي تظل قائمة صامدة مهما حدث التحول لها حولها ، ثم هناك مش هذا المرفا الامن بمعنى آخر ، وهو مرفا لحياة الآخرة التي هي غاية المنشودة .

خلل كل نشاط نمشط به في هذه الحياة الدنيا . هذا هو العرس في نظرتي ، يشهد الخلود عن طريق الظواهر الزائلة ، يريد ان يقهر الزمن وان يقهر الموت ، اما الزمن المتقلب باحداثه ، يقهر يقهره بالخروج منه الى ما ليس زمنا بطبيعته ، فيلجأ الى ذاته التي هي كائن لازمي ، كما يامل في حياة آخرة لا تخضع في الاخرى لحواسل ابرمن ؟ ولو كانت الحقيقة كل حقيقة هي هذه التغيرات المتبدلات الغائيات اراثالت ، التي نراها في الاشياء المحيطة بنا ، لكان الكون - من وجهة نظر العرس - عيشا في حيث .

وليس هذه النظرة هي ما يأخذ به عصرنا الحاضر ؟ فتكاد المذاهب الفلسفية المعاصرة كلها ، تجمع على تحليل كل شيء إلى ظواهره المتغيرة ، دون أن تزعم وجوداً لا يتغير ثابت وراء تلك الظواهر ، فهذه المنهضة أمامنا ليست إلا مجموعة ظواهرها البادية لحواسنا من بصر وأسماع ، وكذلك قل في كل شيء مما في ذلك الإنسان نفسه ، فالكائن البشري بدوره ليس إلا مجموعة ظواهر يرآها فيه الآخرون أو يحسها هو في باطنه ، دون أن يكون وراء هذه الظواهر التنفذة « ذات » ثابتة تدوم على الزمن ، بل كل هذا نفسه في الوجود كله جملة واحدة ، فما هذا الكون إلا خضم من ظواهر ، ما تنفك متصلة بعضها ببعض أو منفصلة ، دون أن يكون وراءها شيء »

مثل هذه النظرة إلى العالم ، إنما تجيء محقة بالنظرة العلمية الصارمة التي هي من خصائص عصرنا ، فمؤالنا هذه المرة من هذا : كيف التزم النظرية العلمية إحصاراً لأماني عصرنا ، وأن أكل مع تلك توالفاً إلى غيب وراء إشهادنا ، يتحقق إلى منه الخلود والوفاة ، لأشغل محتفظاً بهذه السمة العربية في نظرتي ؟ مرة أخرى أقول : انتهى لا أدعي أن مشكلة التوفيق هنا هي من الهنات الهينات ، بل هي كرميلتها انسابية مشكلة تتطلب منا التفكير الطويل والعميق ، وأني لأرج أن يكون الحل في أن نعيش في عالمين متكاملين ولا يتمازجان ، بشرط ألا نسمح لأحدهما أن يتدخل في مجال الآخر ، في أحدهما نحض حياتنا المصيركي ما تقتضيه ، ولكننا بلل أن نقول : أن هذه الحياة العلمية حصينا في دنياها ، يجب أن نقول : أو إلى جانب هذه الحياة العلمية ، حياة أخرى فيها الأمان وفيها النبل العليا وفيها الرفق واللاد ، فإذا كنت في الساعات العلمية من حياتي أحصر النظر في الظواهر وحدها ، لا أستخرج قوانينها برغم تغير تلك الظواهر ، فأنني في الساعات الوجدانية من حياتي أخلع عن نفسي عباءة العلم ، وأسلم نفسي ملتصقاً بالرجاء ، وبغير هذا انفصل الحائنين العالمين ، يستحيل علينا لتفريق بين علمية العصر وصوفيته الأصل الموروث .

ولقد أحس الغرب نفسه بمثل هذه المشكلة ، فالتمس مخرجاً منها ، بأن أقام حداً خاصاً بين العلم من جهة والعن من جهة أخرى ، فإذا كان محترماً على الإنسان في حياته العملية أن يتقيد بالواقع كما هو واقع ، وبالظواهر كما هي ظاهرة لحواسه ، فله في الفن متسع يجول فيه ويسير ، لأنه في الفن يستطيع ألا يتقيد بواقع ، وأن يخلق لنفسه طبيعة أخرى غير الطبيعية التي تصنعها ظواهرها ، ومن هنا نشأت مدارس للفن الحديث ، التي تتفق كلها على نقطة مشتركة ، هي أن الفنان لا يطلب منه أن يصور الواقع ، من حلقه أن يبدع لنفسه ما شاء له خياله أن يبدع ، فهذا التحرر من قيود الواقع المرصومي ، يموضه عما في حياته العلمية من قيود لا تحقق له ما يشبع الأمان والأفهام .

فقال عن ثقافة أوروبا وأمريكا اليوم ، أنها ثقافة يسودها معقول العلم ، تكن على صواب ، أو قل عنها أن الذي يسودها هو لا معقول الأدب والفن ، تكن أيضا على صواب ، لأن المعقول واللا معقول يتجاوزان لبعضهما نفس الآخر . وإذا كان هذا هكذا ، فما الذي نتخرج له إذا نحن اخترنا أن نتجاوز بين معقول العلم والإنسان بالغيب في حياة واحدة ؟ اننا إذا قلنا ذلك ، عاصرنا زماننا بالشرق الأول ، ووصلنا وشيخة القريبي بيننا وبين تراثنا بالشرق الثاني .

- 4 -

على أن العرس الاصيل في رغبته أن يتجاوز الواقع المتغير الى ما وراء الواقع في ابديته وخلوده ، يظل مرتبعا بالمكان الأرض ارتباطا عصبيا ، فهو مع المكان المحيط به في حوار لا ينقطع . هناك حركة جدلية موصولة ، طرفاها الانسان العربي ومكانه الا انها جدلية لا تقتنى بدمج الطرفين في مركب واحد ، بل هي جدلية تمتثل للذات الانسانية بالميصرة على موضوعها ، الطبيعة كلها عند العربي مسرح للفعل والحركة ، هي عنده حلقة للقتال والنزال ، هي ميدان لغروسيته وبطولته ، كانت الصحراء حول العربي مصدر روح له وروعة في أن معا ، فهو يرتاح لجهامتها ومجهولاتها ، ولكنه في الوقت نفسه يكاد يخضع لهيبتها خشوع العابدين ، ومن ثم كانت الصحراء له مسرح قتال ومغامرة ، كما كانت له مصدر حب وشعر وغناء ، انه يتخلص كل ما حوله من مكان - أرضا وسما - بجمع حواسه ، يتفحصه بالبصر والسمع واللمس والشم والذوق ، لا يترك منه شيئا ، من جردان الأرض الى انجم السماء ، لكنه يتفحص هذا كله لستخدمة ويسيطر عليه ، لم يكن العربي مستقدا في عمله بالطبيعة من حوله ، الى كتب تركها له لسبقون ، بل استند الى كتاب الطبيعة نفسه ، ينظر في صنعته ويقرأ ثم يبي ، ولم يكن علم العربي بالطبيعة للمتعة وازياء الخراف ، بل كان مسألة حياة وبقاء ، يقول أبو حيان التوحيدي في كتابه « الإمتاع والمؤانسة » : ان العرب ليس لها أول تؤم ، ولا كتاب يدلها ، اهل بك قفرة وحشة من الامس ، احتاج كل واحد منهم في وحدته الى فكره ، ونظيره وعقله ، وعلموا ان معاشهم من نبات الأرض ، فوسعوا كل شيء بسمعه ، ونسبوه الى جيشه ، وعرفوا مصلحة ذلك في رطب وبأيسه ، وأوقاته وأزمته ، وما يصلح منه في الشاة والبعير ، ثم نظسروا الى الزمان ، واختلافه ، فجلوه ربيما وصيفيا ، وقيظيا وشتويا - ثم علموا أن شربهم من السماء ، فوضعوا ذلك الانواء ، وعرفوا تغير الزمان ، فجعلوا له منازل من السنة ، واحتاجوا الى الانتشار في الأرض ، فجعلوا نجوم السماء انلة على اطراف الأرض والقطارها ، فسلكوا بها البلاد ، وجعلوا بينهم شيئا يتوهمون به من الفكر ، ويرغبهم في الجمير . حتى ان الرجل منهم هو في فج من الأرض يصف الكارم فما يبقى من نعمتها شيئا ، يستزف في ذم المساويء فلا يقصر

من ذلك ترى صورة للعربي ، جوايا في أرجاء الأرض ، جوالا يبصره في السماء ، ممسكا خلال ذلك بقم ترجه نحو الفاصل والجميل ، فإين تتفق هذه الصورة العربية ، وإين تختلف ، إذا ما اصطدمت بوقف الحضارة المعاصرة من الطيبة ومن القيم التي توجه الإنسان في سيره ؟ أما الاتفاق فهو الاهتمام بالكون وما فيه اهتماما لا يقفه عند حدود الكيف عن الحقائق لذاتها ، بل هو اهتمام يستهدف النفع وأجتناب الأذى ، وأما الاختلاف العميق فهو في أن العربي لم يرد من الطيبة إلا أن تكون مسرح فعل وإرادة ، على حين أن انسان الحضارة الغربية بصفة عامة يضيف إلى ذلك ما قد يكون أهم منه ، وهو أن تكون الطيبة مجالا لمفاعلية العقل تحليليا وتركيبيا ، ولذلك لم يكن مصانفة أن وجدنا في فلسفات الغرب الحديث نظريات للمعرفة (إبنمولوجيا) تحدد العلاقة النظرية بين الإنسان المعارف والموضوعات المعروفة ، على حين أننا لا نكاد نعثق في التراث العربي الفلسفي كله على نظرية للمعرفة من هذا القبيل ، عني المفكر العربي بالارادة وتحليلها لانها اداة العمل والحركة ، أكثر جدا مما عني بالعقل وتحليله لانه رآه اداة لمفاعلية ذهنية تتم صاحبها وهو جالس على مقعده .

فماذا نحن صانعون - نحن العرب المعاصرون - للتوفيق في هذا المجال بين أصيل موروث وجديد معاصر ؟ احسب ان الطريق أمامنا واضح ، وهو طريق تديوي من الأساس ، فما علينا إلا أن نربى ناشئتنا على أن يحتفظوا بميراثهم في تدريب الإرادة الماضية ، وفي التطلع والمغامرة ، ثم يضيفون إلى ذلك تدرييا آخر على النظر العقلي والبحث النظري .

ان عصرنا هذا ان تميز بسمه بترزه من سائر العصور التي سلفت ، فهذه السمة هي إيضاه في دنيا العقل - ودنيا العقل هي نفسها دنيا العلوم على اختلافها - ايضالا لم يترك جانبها واحدا من جوانب الحياة ، ولا ركنا واحدا من اركان الارض - وكنت اقول : واجواز السماء - الا وقد تناوله بتأثيره ، على أن العقل العلمي في زماننا لا يكفيه اليوم ما كان يكفي بالأمس ، وهو ان يقق عند الحدود النظرية الرياضية ، بل انه ليصر على أن يتحدد في أحجرة ، وعلى أن ينتشر هذه الاجهزة على بقاع الارض لينهل حياة الناس حالا بعد حال ، فلم يعد لما فاض من السمع على هذا التيار العلمي التقني ، ماذا كنا اصحاب فعل وحركة وإرادة من جهة الاصالة ، فلا بد من اضافة هذه الصفحة الجديدة الى كيانتنا ، ولذلك - كما قلت - انما بتحقيق عن طريق التربية ابتداء ، لنخلق النظرة التي لا تترك الفعل والحركة والارادة سائبة كما اتفق ، بل تجميها لاجما تسيرها على امسريق الزمنية الى تكوين علم وعلماء بهذا المعنى المعصري اجنيد .

- 5 -

وأخيرا - وكان ينبغي أن يكون أولا ، لكنني أرجأت ذكره لدأبته ، وهو أن اصالة العربي تبدأ من كونه يتكلم لغة عربية ، وأن فلا بد من أماننا إلا أن نرعى هذه اللغة على الصيانة أمانها

واقلام كتابها ، فهي بذقة الهوية التي جعل من العربي -عربيا ، هذه بنية لا اهلها مثيرة لجدال ، لكننى انتقل الى ما يترتب عليها لانه لايدى للناس بهذه الهداية كلها ، وهو اننا اذا اردنا الحياة فى عصرنا ، فلا بد من صد هذا العصر بكل ما فيه من علم وادب فى وعاء اللغة العربية ، اعنى انه لا بد من ترجمة العلوم العصرية كلها ، وكذلك ادب العصر وفلسفته ، وبقدر ما نستطيع ان نكسب مادة العصر فى ابحاثنا العربى يكون نصيبا من المعاصرة *

ان العصر لا يقصر على شعب واحد ، ولا على قطر واحد ، فالعصر هو امريكا وانجلترا وفرنسا والمانيا وروسيا واليابان وغيرها مما يسير معها فى شوطها ؟ لكن هذا العصر الواحد ليس فى كل قطر من هذه الاقطار ثوبا منسج له ذلك القطر ليحمله واحدا من امله ، دون أن يكون تبديل الاثواب سببا فى تغيير شيء من ملامح العصر ، وما هذه الاثواب المختلفة باختلاف البلدان المسكة بيزمام الحضارة فى عصرنا ، الا اللغات المختلفة ، فقد صبب الفرنسى - مثلا - نتاج العصر فى لغته الفرنسية فبات الفرنسى بذلك معاصرا لزمانه ، وكذلك فعل الالمانى والروسى واليابانى وغيرهم *

ومع ذلك فلد صدقات فى اممنا افرادا تعارض ترجمة العلوم ، على ظن منهم بأن هذه العلوم لا يليق لها الا الثوب الانجليزى او الفرنسى او غيرهما من لغات الامم المتقدمة ، ولا يسمعون فى هذا الصدد سوى أن اكبر القول بأنه على قديمنا نخل الى الثوب العربى من نتاج العصر ، يكون نصيبا من العصر - فالأصانة فى هذا المجال هي اللغة العربية التي هي لغتنا لا لغة أحد سوانا ، والتي هي كذلك ميراث تسلمناه من أسلافنا ، وأما المعاصرة فهي أن نصب عصرنا فى وعائها *

ان التاريخ العربى هو كالمهر دقائق المياه ، وتظل للنهر هويته منذ ألوف السنين ، يرسم جريان مائه وتبدله ، يوما بعد يوم ، بل لحظة فى اثـر لحظة ، والذي يحفظ للنهر هويته هو التزامه مجرى واحدا ، وهكذا ترد لحباتنا أن تكون : نحتفظ لها الاحار الاساسى العام ، ووجهة النظر الرئيسية ، ثم نجدد الصمون الذى يملأ ذلك الاطار ، أو الذى يشغل تلك الواجهة من النظر . كما جاءت العصور المتوالية محضارات متعاقبة ، لكل حضارة منها مضمونها الجديد *

- 6 -

هذه - إذن - نقاط أربع ، ان أن شئت فقل انها مجالات اربعة ذكرناها ، فى كل مجال منها موقف لما اصيل ضارب بجذوره فى اعماق تراثنا ، يقابله موقف مضاد للحضارة التي نعاصرها ولقد جاراما أن نبين فى كل حالة من الحالات الأربع كيف يمكن أن تحدث المصالحة بين الصديين : قارلا - كانت لنا رقة معينة ياراء الله والكون والانس ، استكثمت وجهة نظر معينة فى المبادئ الخلفية ، ليست هي وجهة نظر الحضارة القائمة فبينما كيف يمكن أن تسد الفجوة بين الوجهتين ،

بين الأصالة والمعاصرة

وثانيا كانت لنا وفعة بازاء الواقع المادى ، استتبعت منا ان نجاوزه الى غيب وراء ، وليس ذلك مما تأخذ به الحضارة المعاصرة ، فاقترحنا طريقة نخلص بها من هذا التناقض ، وثالثا - كانت لنا سبل معينة فى التعامل مع الطبيعة المكنية من حولنا ، ليست هي السبل المأخوذة بها فى حضارة اليوم ، فالتمسنا لانفسنا وسيلة للتقريب بين الطريقتين ، ورابعا واخيرا - لنا لمة لا يد من الحفاظ عليها ، وهي التى تحمل ميراثنا فى اوعيتها ، قلنا انه لا مناص لنا من صب نتاج عصرنا فى تلك الارعية ليمتزج الجديد بالقديم فى اناء واحد - وهكذا وسمنا ما يشبه الخريطة لما يمكن علمه ، توفيقا بين الاصالة والمعاصرة .

فتمالوا معى الآن فى جولة خاطفة ، ننظر خلالها الى ما قد حدث بالفعل فى حياتنا الثقافية ، لنرى الى اي حد انصابتنا التوفيق فى هذا المصع الحضارى المطلوب : فاما بالنسبة للمجال الاول ، الخاص بوجهة نظرنا الى اله والكون والاسمان ، فعلا اظننا قد ظفرنا بتوفيق كبير فى ان نوسع من معنى قيمنا الاخلاقية بحيث تتطابق مع ما هو مستحدث فى عصرنا ، فقد ترى اصحاب القول والكتاية بين قادة الفكر منا متقسمين قسمين : احدهما يضرب على الوتر القديم وحده ، والثانى يضرب على الوتر المديد وحده ، ونفشلنا حتى الآن فى ان نجوء النعمة المعروفة شاملة للجديد والقديم معا ، فاذا قلت - مثلا - كلمة « علم » انصرفت اذهان بعضنا الى الفزياء والكيمياء وما اليهما ، وانصرفت اذهان الاخرين الى حفظ المنوعات القديمة ، وبقينا فى مصكرين لا يكاد يلتقى احدهما بالآخر ، اللهم الا فى اوجه النشاط التى لا تتصل بالحياة الفكرية من قريب ، وهكذا قل فى كثير جدا من المعانى الرئيسية التى هي محاور الفكر والثقافة -

واما بالنسبة الى المجال الثانى ، الخاص بمجازرة الواقع الى ما وراءه ، فغلاصب الشديد : اراتنا نحفظ بهذه السمة ، ولكننا نتعرف بها عما خيفت من اجله ، فقد كان الاصل فيها هو ان نتحرر بانفسنا من دنيا الاعداد المتغيرة الزائلة ، لنلوذ بما هو ثابت وبخاله ، لكما جعلنا مجازرة الواقع الى ما وراءه فى عصرنا هذا ، قرارا من نظرة العلم اى سماوير الخرافة ، فصاع منا الواقع وما وراءه دفعة واحدة .

واما بالنسبة الى المجال الثالث ، الذى هو علاقة العرسى بالمكان ، وهي عسلاقة - كما اسلفنا - قوامها العقل والحركة والبطولة والسيطرة على البيئة بكل تفصيلاتها ، فقد انطويوا على انفسنا اثر ما ابتلينا به من قهر ومهزمية خلال الترون الثلاثة الاخيرة ، وبهذا الانطواء الذليل ، لا نحن عالجنا طبيعيا كما كان اسلافنا يعالجونها ، ولا نحن تناولناها كما يتناولها ابناء الحضارة الغربية الحديثة ، وتركتنا ما تحت اقدامنا من رقعة الارض ، وما فوق رؤوسنا من جو السماء ، للارومى وحده اى الأمريكى وحده يفعل فيها ما شاء ان يفعل ، لولا اننا - والحمد لله - قصد

أخذتُنا آخر الأسر نقطة واعية ، نحاول بها النهوض من كبوتنا التي كانت ، والأمل معقود بجيل جديد يتناول أرجاء الوطن العربي بنظرة فيها تقاليد التراث وفيها تجديد الحضارة معا .

وأما المجال الرابع والآخر ، من المجالات الأريمة التي جعلناها مدار الحديث ، وهو مجال اللغة ، فلا شك أننا قد مضينا في شوط أحيائها يصبغون الحضارة المصرية مسافة بعيدة ، وبكثنا مع ذلك ما زلنا يبعدين بعدا شديدا عن الهدف النهائي ، الذي هو - كما أراه - أن نكسب كل مقومات العلم والادب والفلسفة الشائخة في دنيا العصر ، أن نكسبها كلها في لغة عربية ، وإن يحق لنا الحديث عن وجودنا في عصرنا قبل أن نجد هذا العصر قد نطق بلسان عربي مبين .



رسالة من د . جرمانوس الى الملتقى

رغم علمنا بكبر مسن الاستاذ المستشرق الجري الكبير الحاج الدكتور عبد الكريم بولبوس جرمانوس استاذ انا تاريخ الحديث بجامعة بوردو ايمت ، فقد دعونا هذه المرة كما كنا ندعوه منذ الملقى الرابع ، وكان يمتد كل مرة ، ويوسل مقالات ننشرها في الاصاله .
وهذه المرة ايضا قد اعتذر برسالة ننشرها فيما يلي ، ارفقها بدراسة قيمة بعنوان : « حماية فلسفة التشريع الاسلامي »



الى سعادة الوزير للتعليم الاصلي والشؤون الدينية
الاستاذ الكريم مولود قاسم نايت بلقاسم
حفظه الله

سيدي المحترم :

بعد تعباتي القلبية واجلالي اخبر صبايتكم انني تصلمت بمزيد الشكر دعوتكم الموقرة ،
لاشتراك بالملقى الثامن في الفكر الاسلامي .

ابني اعز بالتشريف الذي اكرمتوني بهذه الدعوة المجيدة ، كما افخر واتشكر باستلام مجلة
الاصاله الغراء التي اقراها باستعانة كبيرة ، فانتى لقلت دعوتكم يسرور وغبطة ، لكن تقدم سنس
لى تسعة وثماني عاما ، وعرضى الشهد فى الاشهر الماضية . بمنع وصولى الى الجزائر
شخصيا ، وسوف احضر هنا لك روحيا مسجعا لان اكرأى عن حماية فلسفة التشريع الاسلامي
فانتى كتبت هذه الدراسة اسميرة باعقادي العميق ، أن الدين الاسلامي ومزاياه الثقافية
هى الوحيدة التي تستطيع أن تنقذ العالم اثناء هذه الاوقات الثقيلة من الورطة اعظيمة . اعنى
فساد الاخلاق ، الفجور والدعارة فى الحياة الجنسية ، السرقة والدناءة الخفية . المجمع
العلمى الجري ينشر اثناء هذه السنة ، فراستى الطويلة عن الشريعة الاسلامية وفلسفتها المفيدة
باللغة الالمانية : داس اسلامشه ريليفيو شمرغت نذارا ، باخطر الذى تهدد ثبات المجتمع الانسانى

انى أمل جدا أن افكارى سوف تؤدى حصتها الى ثغوية ثيقظ المسلمين فى دينهم ويحفظهم
من تأثيرات مشرة

الحق انى خطاينى ترجمتى عن بعض اشعار شعراء فلسطين الدامية ، لابقاظ الناس لضميرهم
رواجهم نحو المظومين فى الشرق والغرب *

ارحو سنانكم ان تتفضلوا بقول احترامى الفائق واجلالى ، وبقيت مخلصكم دائما *

الحاج الدكتور عبد الكريم جرمانوس

بودابست المجر 13 مارس 1974

بىريقة

الى الحاج الدكتور عبد الكريم يوليوس جرمانوس

بودابست - المجر -

تشكركم على رسالتكم الاخوية الصابقة التى وصلتنا صباح اليوم ،
والتي ثلوناها فى احدى الجلسات فتأثر بها المتلقون وتجاوبوا معها تجاوبا
عميقا ، كما تشكركم على مقالاتكم الممتازة التى ثلونا الجزء الاخير منها
فى نفس الجلسة ، وهلل لها الجميع ونشرهما فى جميع الصحف والمجلات
الوطنية *

ويعنى لكم الملتقى تحسن صحفكم وامداد عمركم الخصيب فى سبيل
خدمة الاسلام الذى هو دين العلم والرقى والتقدم للبشرية جمعاء *

والسلام

الملتقى الثامن للفكر الإسلامى
بجاية

حماية فلسفة التشريع الإسلامية

الكثير من الاهتمام والانتباه ، والمخاوف
للأحداث الاجتماعية التي تحدث في أيامنا هذه ،
قد يلاحظ أداة الإنذار بالخطر ، خطر التفسخ
والانحلال الذي يحتاج أوروبا وأمريكا - الكتب ،
واليهتان ، والسرقه ، والمطو على المنازل الآمنة
ليلا ، والقتل العمد والاستمتاع بلذة - المواد
الممنوعة التي تجمعت وتحد بالفساد والفسوق
الجسدي - وكلها أشياء فوضت مجتمع الشعوب
والأمم - أن فلسفة التشريع التي ظهرت لتقصد
المستقبل في العالم الإسلامي كالتضاء والنور ،
والتي جاءت لتصون وتحفظ سلامة العقل
وإستقرار المجتمع الإنساني قد سقطت في السم
وحزن لأنها عجزت عن أن تتجزأ وأجابتها - ففي
نول كثيرة قامت فكرة تخفيف الإلم بالفسقة
نفسية وعنف الهواية الإنسانية ، قامت للقانونيين
الى نسيان تعاليم القانون الروماني التي تقول
« العقاب ينفذ ليس من أجل الجريمة ، لكنه من
أجل ألا تقرب جرائم أخرى » *

د. الحاج عبد الكريم يوليوس
جرمانوس

استاذ التاريخ الحديث
جامعة بومبيست - المجر

ان فكرة الانذار والتخدير ، وفكرة انقاية انما تكمن في كل شريعة وفرة معتلة * ان تخفيف الائم والاذى قد اصبحت رعية العقول والمفكرين عند القانونيين الغربيين في ايامنا هذه *
ان الجريمة والاجرام في العالم الغربى قد فاقت كل حد ممكن للمسلطة * وقد تنصرف على السبب بسهولة اذا ربطنا بين علاقة ارتفاع نسبة الجريمة والتفكك والانحلال بصفة عامة يظهر اللاتينية المادية او للرندقة للماتريالية *

قدرة تأملية فكرية قد ابدعت اعاجيب في حقل الابتكارات التقنية والفنية * لكنها مع ذلك لا تستطيع ان تخالف حدود العقل او الفكر ، كما اثبت ذلك وبرهته في جينه هيريت سبسر في فصل كتابه (فوق معرفة البشر) *

فه لم دواعي الاسف ان النتائج المذهلة في العلم الخالص واستمالاتها وتطبيقاتها في الحياة العملية قد جردت بطريقة او باخرى الرجولة من الابرار * وليس هذا قهص ، بل انها عرتها من الاعتراف والتسليم بالمقائيق الدينية والروحية للكون والجسد البشرى ، ومن الجوهر الذى يهدى قوة الاخلاق * والاخلاق -- مرة اخرى -- لا تستطيع يابة حال من الاحوال ان تنفصل من الايمان لطوى باحكام الدين *

ان الكلمة اللاتينية نفسها تعنى « عبد وقيق » ، حيث الانسان منتصق باحكام للاعتراف بقوة عليا تنظم كل ظاهرة في الكون * ان المفكرين المسلمين قد يلجوا مرتبة امنى يعلنهم الضمور الفلسفى وبعلمهم القدرة الكلية للالهية ، التى جربت اثارها في كل عالم من عوالم الكسوف الخلقى * لقد ثبت بالتفكير المنطقي والخبرة العملية التقنية ان المجتمع يقوم اساساته على الاخلاق كما علم بذلك الالهام السماوى *

ان فلسفة التشريع الغربى قد اقامت عقيدتها ومعتقداتها على فكر انساني مائل باعنيارات مبداسية فقط ، بينما الشريعة الاسلامية قد اثبتت من الايمان والافتناع بان الكون ما هو الا خلق منمق منتظم للروحانيات الاخلاقية * اساس العقيدة هو الروحى ، وتنفذها معنى على اساس قانون استدلالات واستنتاجات منطقية التفكير ، وعلى شرح وتفسير مجتمع دنوى رائل واحوال مادية *
وانا كطالب في جامع الازهر الشريف منذ اربعين عاما ، كنت تواقا بقشرب تلم الشريعة *

لقد لتجمعت في الروح المنطقية للتفكير ، وفي للتصور الانسانى في واجبات امره ، تجاه خالقه ، وفي القدرة الكلية لهذا الكون ، وفي واجبات الانسان نحو احبه الانسان * كل للمناظر والسيماات قعقت على اساس من الاخلاق * احساس للعرفان بالجميل ، واحساس الحب ، واحساس العهد والالتزام كاساس اجتماعى * ان للتصور المادى لحياة الجلية والمصحب من اجل العدل

والانصاف - سواء استحضرت الحياة ذلك أم لم تستعفه - فإن الرؤية الدينية تلود الى تحقيق **الواجبات** - ذلك هو الفرق الرئيسى الاساسى بين الزهر والخيلاء وبين عقيدة تبجيل وتوقير * **الاسلام** - كما هو مسجل فى القرآن - هو وحى مملوء شدة فكرة عدم استئثار الوجود * **والحديث** الذى يسلّم نظماً وقوانين الى الجنس البشرى للحياة العملية هو دليل كاف وواح خلال هذه الحياة ، حتى يكون التصرف على اساس من الروحيات الاخلاقية للكون والدنيا *

ان **الشريعة الإسلامية** تركز على الاخلاق - ولقد تطورت فى مطابقة وانسجام باسباب انسانية وخبرات عملية - انها تنظم سلوك الفرد من اسمى وجهة نظر لصون المجتمع - وحمايته بسلامة العقل والطمأنينة والاستقرار ، بدون انتهاك الحرمات عبر الحصول على حقوق شخصية ذاتية - اياها تنشئ انصافاً تاماً بين الحقوق والواجبات عند انفراد وعلاقته بحكامه ، كلاهما موضوع لنسبوت اخلاقي * ان شريعة الغرب الحديثة تميل الى تخفيف الامم الاثام والجرائم الى مدى اللغا أو ابطال العقاب - بعض مشرعى القانون يتكروّن الانتهاز الصارم لجزاء جريمة السرقة ، وعلى سبيل المثال القضاء على اليد الآتمة - اننى فى خبرتى وتجوالى أثناء حياتى المبكرة فى عدد من الدول الإسلامية لم اقابل احداً ممن قطعت ايديهم ، كما اننى لم اسمع عن حادثة سرقة ارتكبت فى المتاجر أو الاسواق الفسقة - وانما شاهد عيان فى تركيا ، ومصر وسوريا ، والعراق ، والعرب ، على ان اصحاب المتاجر والحواليت تركوا اكشاكهم مفتوحة أثناء اوقسات تامة فريضة الصلاة ، فقط كانوا يتكروّن لافتة تقول ان صاحب المتجر غير موجود - ان العقاب العادل المنصف الذى كان ملحقاً بواسطة القاضى كان كافياً لحول دون مجرم جديد لجريمة من مثل هذه الاعمال *

ومن وجهة النظر الاخلاقية على الاحكام فى الشريعة قد قعدت بالنسبة للاند بتعدد الزوجات لكن هذه الاحكام كانت تكتسب حفا وشريعتها بنفة بالاشتراسات الشرعية التى نظمت العلاقات السائدة ، والنسبة للحياة الاسرية فى مغفولية اجتماعية * ان امكانية الزواج بأربع مع التساوى فى الحقوق ليست رأياً ففسل ، لكنها اعتراف وتسلم بالحقيقة والواقع الفاضى عن الطبيعة الانسانية - ان الشريعة بهذا انما تحافظ وتراقب طهارة ونقاء حياة الاسرة ، بينما نجد الاختلاط والاتصال بجنس غير الشرعى واللاحدود للشهوة الجنسية الان ينتشر فى وضع النهار فى الدول الغربية ، ويقود الى هلاك المجتمعات *

ان **تحريم الخمرات** - من امثال الخمر وأنواع اخرى من وسائسل التغير والتغير والتغير ذات القدرات المؤثرة على العقل والذهن ، يدعو الى الاحترام والتهليل ، ان هو تحذير للاختلافات التى

تفسد مجتمع الغرب الذى يتميز نفسه قانراً على حماية نفسه بنفسه ضد قطاع الطريق انعام واللموس والفرصنة السياسية الزلثقة .

ان الشريعة - اذا ادركت بحق وعمل ، واذا انتفع بها وبتماليمها - فانها تظل المحرك والدليل الذى يقود الى تنظيم سلوك الانسان روحياً ومادياً . فاذا ما اخطانا المرمى بتجارب خطرة واسلمناها وعزوناها الى البيئة المسملة ، فان المسئولية لا تقع على عاتق الشريعة ، بل انها تكون لخطاء هؤلاء المسلمين الذين ارتكبوها ، والذين تخلوا عن الطريق اقوم عبر احلامهم بالافتتان والهبام وراء كل شيء عصرى او غربى ، فسقطوا ضحايا لكل الرذائل والتفائس المهلكة التى تمثل الحياة المعاصرة .

لننى اكتب هذه المصطور من قلب المدينة الغربية ، محاماً بآلاف الكتب والمجلدات الغربية والشرقية ، ومزجدا بحياة طولها تسعة وثمانون عاماً بين الخبرة الغربية والشرقية - لننى انشرب المعلومات والاسرفة المفيدة ، كما انشرب الاحداث المؤدية فى الكيان الانسانى فى كرتنا الارضية -

لننى يحكم كوتى المجرى المسلم الوحيد والهاج - احسب بجسارة وشجاعة كل اخوانى المسلمين للحفاظ على الاخلاق ، التى هى عقائدهم الروحية فى ديننا الاسلامى .



أبجداتنا تتكلم

ملاحمة تاريخية عن بجاية

ملحمة تاريخية عن بجاية للشاعر مهدي زكريا ، بمناسبة الملتقى الثامن للفكر
الإسلامي المتعدد ببجاية من 1 - 12 ربيع الأول 1394 هـ - 25 مارس ال 5 أبريل 1974

اسطورة - حوضك « أم كولر ؟	يا أبها ذا النشاط ، الأخضر ؟
أم قصة الأبعاد ... تشدو بها	في قسرك - الأيام والأعصر ؟
أم موكب التاريخ في حفل	دوائج الأكرى به تزخر ؟
أم في شفاء الموج ، بلادة (1)	ينكسر الموج ، ولا تكسر ؟
لم بلسة من سحر هذا الحصى	يفرف من الهامها عبقو ؟
أم لوحة أبسدهج السوانها	من حسنه - صانها الأكبر ؟
أم مهبط الشعير و أحلامه ؟	أم معبد النساك ، والمتعمر ؟
يا بهجة الدنيا ، و يا جنة	يحنو عليها ، (برجها الأحمر (2)

(1) بلادة - من المترجمات على الحكم في قلعة بني حباد ، وسبأتي الكلام عنها في تاليف لاحقة .

(2) البرج الأحمر - أحد الأبراج الثلاثة التي وضعت لحراسة مدينة بجاية ومنها أطلق بربروس
طرط الإسبان .

و الزورق الولهان ، في لحرها
و المستحصات ... ولولا النهى
فواحك ، يبقن رجع المدي
عوايت يرتمن في مهجستي
يرونها النسل لا ياتل
الهنه جيا ، وما فن دوى
وفقا (اميمون) (3) لك لشتكى
كمت مثل السر - طول المدي
وفي حنايك العجب الذي
قد بعث بالغب ، فبج بالذي
وانشر (باب اللوز) (4) اسراده
وقل (لباب البحر) (5) يبك الذي
اسطورة حوزك ام كوتر ؟
(توجة) (6) يا انشودتي الحاله
ما نعت الأيام عن دوعة الذكرى ، وما ان كنت بالثامه
ترضمن (يا توجة) طول الذي
براءة الاطفال في قمرها
وفائق الاصباح ، اضلي عمل

يتوب للعيب « و يستغفر
ككت - رغم السن - استغر
فيسكر القيتار و المزهر
اشكو ، فلا تصفى ، ولا تبصر
يلعب بالنار . ولا يضر
ان المادي عالم مظهر
فانت من يرثي و من يجبر
وفي حشاك ، التبر والجوهر
يلهج بالجد ، و لا يتر
لازلت في جوف النرى تمتر
تردد الأيام ما ينشر
لا يعرف الحاكون و السمر !
يا ايها ذا الشاطئ. الاخضر ؟
و القرية المسخورة الهامه
ما نعت الأيام عن دوعة الذكرى ، وما ان كنت بالثامه
ترضمن (يا توجة) طول الذي
براءة الاطفال في قمرها
وفائق الاصباح ، اضلي عمل

3 و 4) يعتقد الجياتيون ان معظم الاحياء القديمة ولا سيما باب اللوز - وحشة اميون عبارة
عن متاحف أثرية لا تنتظر الا من يقوم بالكشف عن كنوزها الدلينة .
5) ملامح باب البحر تذكرنا بآ عرفتة عاصمة بني حداد من عز وسيادة .
6) ثوحة تقع على مسافة 25 كيلو متر من بحاية تحتوي على مناظر خلابة مغرية لسواح .

لفتحته الأدمع الساجسه ؟
 تجعل فيه النظرة المائله
 فان احساننا مائله
 لما تزل لمجادها قائمه
 والصيد في احراشه الجاهمه
 يهزا من اطواره المغمسه
 سكرى على اجفانه السامه
 من قيلات الصانع الخائمه
 والحسن ، اشراقاته العارمه
 لمسته العلوية الناعمه
 للكون ، من آفاته القائله
 اطيافها ذاهبه قادمه
 ما عقرت نائمه الواجه

هل كان (نوريوس) (7) بها هائما
 (نوريوس دانوس) غريب الحمي
 و خادم الانسان مهما يكن
 سل (وادي الساحل) (8) عن قمة
 و اسال (أدكار) (9) و غابات
 والجؤذو الملتاع ، يطوى السدى
 يسابق الشمس التي لم تزل
 و الشمس في هذه الحمى قبله
 و التسمه للقطار ، انفاسه
 والقصر المشبوب في أفقه
 يغشى (اعقود) (10) تباشرها
 و الرمل في شعثانها كالرؤى
 لو عاش في داراتها (صالح) (11)

(7) يقال ان المهندس الروماني «نوريوس دانوس» كان مفرقا بها ففجر فيها المياه في قنوات ومن يشاهد تساقط المياه على هضباتها الساحرة وخصوصا بقابة (أينوحيون) يقال انه يرتع في جنته فوق الارض .

(8) وادي الساحل مهبط الشعر والاحلام في سوح جبل اعقود .

(9) أدكار - غابة قاهرة فارغة يقصدها صوادة الصيد .

(10) هي اعقود على مقربة من جبل القروذ تنبه الشواطئ . لناعمة التي تمتد بين رأس كاريون وتاملاحت . وقد كانت السفن في الماضي تنحأ الى هذه المنطقة للترود بالما ، العذب من منبع لا يزال فياضا حتى اليوم يلجأ اليها المستحمون في البحر في أيام القيط للاغتراف به . والاسبان غزوا بجاية منها .

(11) صالح الرئيس حاكم الجزائر آنذاك .

لذ (سیدی یحیی) (12) «بتیش» (13) تجد
ان یفش (زغواط) (14) اتحادیها
توجة ، یا اشودتی الحاله
(بیایة) المجد ، ونبح الجمال
(یا ابن علقاس) (16) صمت البقا
قالوا : بناعا الروم ... هبهم بنوا
اثن البلی شملت مالم یسزل
لسولا (بولیمات) (17) وما ارجفوا...
قم (یا ابن حمیدس) (19) وساجل بها
اثن البلی صورت الواحیها

- (12) مرسی سیدی یحیی من اجمل المراسی وخذعلقت الآن وابدلت (بحرم السائح) .
(13) بتیش : ذات الحمامات المعدنية وهي المركز السياحي الذي يتقاطر عليه الناس من كل الجهات
ويمتاز فوق ذا بالبحر والشمس والهوى والشباب
(14) زغواط أجمل شاطئ في ضواحي بیایة .
(15) سیجل منطقة ساحرة يتصفها سيادو السكف ، يتصفها كل عام عدد كبير من المصطافین
مناجاة الطبيعة .
(16) ابن علقاس (الناصر بن علقاس الحماصی) الملك الذي اسس مدينة بیایة سنة ١٢٥٠ هـ بحرية ،
وكانت تسمى آنذاك بالناسرية . وكان قد فكر حماد في تعزيز حصن آتش بضمین آخر فكان قلعة
سی حماد ، وذلك عند ما غلبه زیری بن عطیة المخراری سنة 390 . وزیری هذا من بقایا ملوك
مراوة الذي غلبهم بلغین .
(17) بولیمات : الجزيرة الصغيرة الساحرة التي تقع على مسافة ثلاثمائة مترا من البحر .
(18) التواتی : دقيه مشهور بالعرفاة وتقول الاسطورة ان الناصر بن علقاس قد التحا اليها می
اواخر ايامه وما فيها كما تنبأ بذلك سیدی التواتی .
(19) الشاعر الفحل عبد الجبار بن حمیدس الصقلی شاعر بلاط الملك المنصور بن الناصر بن علقاس

تسمو بذكرى علميا. الرجال
فلم ادع للاحقين المجال
جمعت فيها بالجنوب الشمال
فبادرت (بجاية) الاممال
مجنح الفكر ، عزيز المثال
ما كنت في فاس ، وهين اممال
ما انك يهوى بالجدوع الطوال
ثعالب ، واخترت عيش الحلال
فرغت دنياك ، وما لن تزال
من حبه عاد ، وحط الرحان
ولم تنل من اصغريه التبال
في روعة العلم ، و نيل افعال
يزرى نداء بالسحاب الثقال
شكواى في ضراعة و انهال

و صفت من الهامها قصصة
و امتزت الدنيا لالاذتي (20)
و يا ابن (خلدون) (21) التت التي
(يسكرة) (22) مدت (لسننا) يندا
و كنت في اقدارها (حاجبا)
لولا (ابن عباس) و احقادها
ما احبون السجن طموح السلى
لكن سئمت العيش مع مضسر
فصلت للدرس ، و غت السورى
جند لنا ذكرى (ابي مدين) (23)
فاختلعت بجاية لبسه
فازجاده (يعقوب) به خيسرة
اكرمه (يعقوب) و هو السلى
(يا قرية العباد) (24) بشي له

(20) الباذة المزائر التي تقع في الف بيت وبيت .

(21) ابن خلدون المزيح الجزائري المشهور كان اولاه ابو عبد الله محمد الحفصى حجابته وهو ارقى منصب اذ ذاك واشترك في مزاهرة ضمه مع ابي العباس ومن نتائج ذلك سجن بياس بحانب الامير محمد ومن اراد الريادة فليراجع كتب التاريخ .

(22) وكر ابن خلدون في ايام ازدهاره ببجايةصلة وثيقة بما يسمى (مثلث الخواضر) بسكرة وقسنطينة وبجاية ولعب في تدعيم هذه الوحدةدورا هاما . وجاية ابن خلدون سواء في بجاية او في غيرها مدينة بالمعارف وفي آخر المطاف شملت نفسه اخطار المغامرة ومال الى الدرس عرضا عن الوظيف والسياسة .

(23) تولد ابو مدين شبيب بن الحسين بجايةفي طريق عودته من الحج وتمرش لوشاية عمه يعقوب بن المحصور حيفة الموحدين ولكن يعقوباحتبره فاعجب به وصم اذنه عن الوضائات فيه فاكرمه وقربه وارضى بالاعتناء به .

(24) قرية العباد وبرة تشرف على تلمسان بهاسجد وضريح يزار لابي مدين الشاعر المنصوف

بجاية الجدة ، و نبع الجمال
(بجاية) يا قصتي الخالده
ان يغفر الشعب بامجاده
او كان يحتاج الى شاهد
الم يكن يهر منك السنه
فروشنا الملقود (25) الهواجه
تغترف العرفان من موطن
و حرمة الدين به قسمة
و مبل الثموى به سرعة
يعتز دين الله في رحيه
و تزخر الحيرات في ارضه
و يفتح اليسر على اهله
مصدر اشماع على مغرب
لد (بالتمالي) (27) في خلفه
(و باين سبعين) (28) ومن جادلوا

و متبدي الفكر و مهد الجلال
كفيت شر الاعين الحاسده
فانت فيه الحكمة الرائده
فانت (يا بجاية) الشاهده
انفلسا ، في النكبة الخاسده
مثل الحصى ، صائدة واردة
محافل العلم به حاشده
و حلية الفضل به قاعده
كأنه (بيت بنى ساعده) (26)
بالتقية الراكمة الساجده
بالاضلع الكادحة الجاهده
بالانفس الخائضة الخاسده
حق فيهِ الاله الواحدده
ينبئك عن بجاية الحاجده
فافتحوا ، بالحجة الراشده

(25) لمبت بجاية ادوارا هامة في تاريخ المغرب وكانت مصدر اشماع على راى عدة عصور
تكانت غير ما مرة عاصمة لدول مستقلة واشطلمت ناعانها في عهد الدول الفصية ونزع الهيسا
القطاب العلم والادب من الاندلس فدنوا علومهم وثقافتهم وكونوا ما يسمى بالمدرسة الاندلسية
الزاهرة .

(26) اعنى سقيفة بنى ساعدة التى كانت دار شورى للصحابه عند الملمات .

(27) عبد الرحمن بن مخلوف التمالى دفين الجزائر - المتوفى - حول سنة 875 * انظر ما قاله
في فهرسته ، والتمالى اشاد بالعلماء الذين كانوا لا يعرفون الامراء ولا بحالوتهم .

(28) احد علماء بجاية الاعلام عبد الحق بن سبعين جادل النصارى فافهمهم .

(و باين تومرت) (29) وامراره
 يفرزو خرافات الالى حرفوا
 من شوهوا الدين باهوانهم
 و زهدوا في الدين اتبعاه
 قالوا : اجتهد العقل من ضلة
 لولا احتكام العقل ، ما في الدنيا
 بعباية يا قصتي الحالده
 في كبريا. القلمة العاليه
 استوقف التاريخ في افقها
 و اين من اغرامهم حسنهما
 (آشير) ما زال بها شاخصا
 (و قصر بلارة) لا تزال
 يحنو (آيمون) على (نجمها)
 قل (لاين حمديس) امن وقه البلار « صاغ البحر و القافيه ؟
 ام من دهاما - صاغ الحانه
 بعباية - تكبر متهاجبة
 في ثورة جامحة صامه
 دين الهدي ، بالبدع الفاسده
 و النظرة الضيقة الجامده
 فاصبحت اكبادهم شاره
 فاعلقوا ابوابه القاصده
 منعة ترجي . ولا فائده !
 كلفت شر الاعين الحاسده
 اشكو بني حماد الحايه
 اساله : اين (بنو غايه) ؟ (30)
 فانحدروا منها الى الهاويه
 كانها قبله التايه
 بلارة ، عن سحره حايه
 فرعتي (اللؤلؤة) الصايه
 صاغ البحر و القافيه ؟
 ام تكن بلارة ، تايهه ؟
 في لحمة قديسه سامه

(29) الهسي بن تومرت كان يقشن حملة ضارية على من عبروا ومسغوا معاهم الاسلام بالنوايلات
 المفرضة ويدعو للرجوع الى جوهر العراق والسنة ترك باب الاحتاد مفتوحا للضالين .
 (30) من راجع مصادر التاريخ فلم يتعادل (حد بن غايه على بحاية سنة 980 .

تصاهر الحسن بها و الحجي
 واسال بها (جيطان) (31) هل عمروا
 عن (بروس) (32) استقص اخبارهم
 يا (برجهما الاحمر) هل هذه
 قنصخ الارجسا اناسهما
 و كم لهذا الشعب ، شرب الفلما
 قل للأساطيل التي أصبحت ،
 من اجبر الدنيا على حبنا
 ونحن قوم عهدنا ذممة
 هل ينكر (الحاخام) (33) اكرامنا
 ليت الاكس مائلوا باقدارنا
 في كيريا القلمة العاليه
 في الوحيدة المبصرة التباله
 لم اخذتهم اخلة واييسه
 يا ليتها ، قد كانت القنايه
 فيك دعانا لم نزل قانيه ؟
 من عطر (حطين) و (انطاكيا) ؟
 من مهج صارخة داميته
 في بحرنا الأميرة النافيه
 فاستسلمت طيمسه ، وانفسه ؟
 ما لم نخننا الفة البانجه
 و صدقنا في العهد (للجانله) ؟
 نذكروا (الفاشيست) و (النازيه) !
 اشلو بنى حماد الحانيه

(31) حيطان او حيطان الامبيان • وكان الامبراطور كسيسي بعد ان استولى على وهران كلف (بروس دو تافرو) سنة 1902 م بمزد عدد من المدن الناطقية ومن بينها نعايه التي وصل اليها في 5 يناير 1910 واستعمل احتلال اهلها لاحتلالها •

(32) سنة 1912 اتصل الامير ابو بكر بمرجوح واحيه بروس ملكي البحر وافق منها على القيام بهجوم طاريء لانتفاذ المدينة فعلا وانتصرا ثم نزلوا الى البر واحرقا سبعها ثم اسحوا على طريق البر الى حبل التي اتحداعا قاعدة لتشاطها العسكري الحرى فيها بعد •

(33) امبراطور امبانيا كان قد اعتم فرسه وحده في بجاية لتصفية حبايه مع اليهود للدره الثانيه بالتعذيب واحراق كتبهم ومساكنهم ثم بطردهم جميعا منها وذلك بما طردهم من الاندلس سنة 1492 كما طرد العرب ، وقبل الاسبان كانت حبايات من نحمه المتقنين اليهود اختارت الاستيطان بجاية لا يسودها من خير وامن وكانت هذه الحباية تعيش في امن ودعة تحت حباية الحمايين ، وكان على رأس الحباية اليهودية الحاخام ابن ريمه الذي كان يتمتع في الاندلس بصيته دائم لتصله في الآداب العربية والعبرية ولقد ذهب اليهود حين طردهم الاسبان الى بلاد الشمال التي اوتهم واحسنت اليهم وكانوا متعجبين في مختلف القرى والجمال ويارسون خصوصا صناعة الصباغة التي اشتهرت بها بعض الاعراض مثل بنى ينى •

أمنّ بالشاعر (34) « و الشاعر (35) و بالآل قد وحسوا مفريها و باين ياديس ، و اجسداده بجاية انت عروس السدنا منك ، اصطفى الصائم ارقامنا (نديق) (37) اسرى فيك للمنتهى و ناصر الدين) (بمشذالة) و ابن ابي القاسم) من صرحه (منصور) و ابن الفضل) لم يمجزا و اذكر (ابا محمد) تنبعت و الشاعر الفحل (ابا طاهر) تهجو بلويد اصلماء ، خاطبا دقت عل (بالوخه) صفعة من خطفت (لؤلؤة) (38) لبها و من رات في القصر اقتداوها قصر اذا ما شئت بوصافه

و الموج و (المغارة الساحره) (36) و دعموا اللحمة و الاصبره من صنموا (جوهرو الفاهره) و الجنة الفواحة الناظوره و لم تزل - طول المدى - سائره و لم تزل آتاه بساهره عم حياه البيد و الحاضره لما تزل انبؤه طانسه (عمران) في افكاره الفامره (احكامه الكبرى) مع الذكوره و ابتته (عائشة) الماكوره نلت به اقتداه العائره و برقعا للجهة الصاعره لم تكثر بالأوجه الباسره بات اسمها (عائشة القادره) لابن حمديس الرؤى الناديه (39)

34 - 35) الشاعر ابو الطاهر عباد وابتته عائشة وهجرها المشهور .

(36) المغارة الساحرة تقع في اعكاس وهي محراب الخيال .

(37) جميع اسماء الاعلام ما هم اقطاب العكروحيلة الرسالة * فراجع كتاب عنوان الدراية

(38) اللؤلؤة إحدى القصور الثلاثة قصر أميون ، الحج ، اللؤلؤة .

(39) الايات التالية كلها مراضة لقصيدة اسحمديس التي طالعها :
قصر لو أنك قد كحلّت بنوره - أعمى لصاد إلى القمام بصيرا

لو كحلل الاعمي بانوايه
او نفحوا من عطره ميستا
لم يمنح الفرس شبيها له
(خورنق) يچئو خشوعا عل
مل (السدير) النيه في كبره
حبساؤه الحد ، ولولا المها
ما اشتقت حود العين في جنتي
تراه المسك ، امين خلقها
لو خطرت فيه (ريكية)
او كان في الفردوس قلل له
(بجاية) قصرت في وصفها
امجادها كون ، تفيق اللقي
وقفت فيها اغمر المنسقي
و اكبر الفكر ، و شمعايه
آمنت بالاسلام ، مهما يكن
يسرا منا وبه نختفي
و لعودة الاسلام لا نطقي
و دمنسا اللواو لها يسزل
آمنت بالنسب . و ذراعسه
و الارض ، مثل العرض ... في حاجة
اليك يا شعب صدي اضلعي

اجعانه . لاصبحت ناظيره
عادت اليه السوية الفائره
مهما تكن قصورهم فاخسره
القدامه ، في ذلته عساغره
و تاب من شهرته الكافره
يفرئنه ، بالعين الفائره
و لم اكن اطمع في الآخره ؟
انفسه العافنة العاظره ؟
يوما ، لعاشت دهرها شاكه
لبت من اخطائي القاعره
فصفت فيها اللمحة العايره
عن حصرها . و الهمم النسايره
مشاعرا ، جياشة هادره
(و ملها) قد قام بالبيادره
ايماننا اكلوبية سافيره
و كم علنا دات السنايره
لهيها في الامه التائره
يصرخ في اكبادنا الفائره
في الارض ، او في الانفس الحنايره
للاعين الكشافة الساهره
يا وطني ... يا أمتي التائره !

سجايه في 25 مارس 974

مفدي وكريا



توصيات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

اللجنة الأولى

النقطة الأولى :

موضوعها : وضع الاقتليات والجماليات عمومًا والإسلامية خصوصًا في كثير من بلدان الفارات الخمس وواجب العلماء والفكرين ، ورجال السلام نحوها .
الرئيس : د. ليلى الصباغ

المقرر : الاستاذ خليفة المحفوظي

الأعضاء : د. عبد الكريم سايث

د. سلفا فوري بونو

د. محمد نجات الله الصنيتي

د. محمد هشام سلطان

د. محمد علي صيرى

الاستاذ سلفانور غومين ثوغاليس

الاستاذ اميليو خاليندو اتيلاز

الاستاذ احمد بيودة

الاستاذ الشاذلي مكسي

الاستاذ موسى بوزريس

الاستاذ رشيد بن عيسى

الاستاذ احمد البرقي

التوصيات

أن اللجنة الأولى المنيقة عن الملتقى الثامن للفكر الاسلامي ، والمنعقد ببجاية فيما بين فاتح ربيع الاول و 12 منه لعام 1394 هـ الموافق لـ : 25 مارس الى : 5 أبريل سنة 1974 م . وبعد الاستماع الى محاضرات الاساتذة : الدكتور ليلي الصباغ (موريسا) ودكتور محمد نجاة الله الصديقي (الهند) والامتاذ فرنسيس مونهايم (بلجيكا) و الدكتور سلفاتورى يونر (ايطاليا) والدكتور عبد الكريم مانيو (اليابان) والاستماع الى المناقشات والملاحظات والملاحظات واستكملت الطليعة وأرد عليها *

ونظرا لما تبدى من تعرض الجاليات الاسلامية في المهجر ، لارضاغ اقتصادية واجتماعية وثقافية سيئة ، وما يمكن أن تؤدي هذه الاوضاع اليه من عرلة وانفصام عن الوطن ، واندماج في المجتمعات المقيمة بها *

ونظرا لاشتداد مجابهة لخطار الدعايات المعادية ، نتيجة لانشط العنصرية والاستعمار والصهيونية ، ككثافات مارسيليا ، والاقتيالات الموجهة ضد العرب والمسلمين ، وما تتعرض له الاقليات الاسلامية من أخطار العنصرية كما هو الحال في الفلبين وأيرتريا *

ونظرا لضرورة العمل على حماية حقوقها الانسانية وحرية ممارسة شعائرها الدينية *

وتكملة لما صدر من توصيات عن الملتقى السابع لفكر الاسلامي ، فإن الملتقى الثامن فيما يتعلق بالجاليات الاسلامية يوصى بما يلي :

1 - ضرورة مواصلة اسمي بصورة منسقة على مستوى دول المغرب العربي من أجل استرجاع مسجد باريس *

2 - تهيئة فرص العمل في البلدان الاسلامية لاعادة المتربين للاسهام في تنميتها الاقتصادية *

3 - تنسيق جهود السفارات الاسلامية ، وتوحيد خطتها عملها لحماية هذه الجاليات من الاستهلاجات ، وتوفير المناخ الثقافي الاسلامي للحيلولة دون انسلاخها عن شخصيتها الاسلامية ، وتعليم ابنائها اللغة العربية لفهم ادين الاسلامي *

4 - ارسال مرشدين للتوعية الاسلامية في اوساط لحوافنا بالمدان المقيمين بها ، وفتح مفتشيات ومراكز للشؤون الدينية للجاليات (المغرب الاسلامي) *

5 - مطالبة الحكومات الاسلامية بتعيين موقرين بسفاراتها لباشرة قضايا الاحوال الشخصية.

6 - ضرورة التعاون بين مختلف الهيئات الاسلامية في المهجر ، والسعى لتنسيق العمل بينها *

- 7 - الاهتمام بالخدمات الصحية الخاصة باستقبال أبناء المغتربين في الوطن الاصل ، وتوعيتهم بالثقافة الوطنية والاسلامية *
- 8 - التعريف بقيمة الاسلام وحضارته في البلاد المقيم بها المغتربون ، تمتيناً للعلاقات وحسن التقاهم والاحترام المتبادل ، ونشر اللغة العربية في هذه البلدان *
- وفيما يتعلق بالاقليات الاسلامية ، يطالب الملحق الثامن بما يأتي :
- 1 - أن تعترف حكومات البلاد التي بها اقليات اسلامية ، ميثاق الأمم المتحدة ، وميثاق حقوق الانسان ، حماية لشخصية هذه الاقليات الجسمية والعنوية *
- 2 - ويطالب الحكومات الاسلامية بالقيام بواجب الاخوة الاسلامية تجاه هذه الاقليات المستضعفة *
- 3 - العمل من طرف الحكومات الاسلامية على انشاء اذاعات موجهة الى الاقليات والجاليات الاسلامية *
- وأما الجاليات غير المسلمة المقيمة في دار الاسلام ، فإن الملحق الثامن بعد التقرير وانها تتمتع بحقوقها الكاملة ، يوصي :
- بالاستمرار على هذه المعاملة الحسنة التي تمتت بها هذه الجاليات في ظل الحكم الاسلامي وانني نصت عليها احكام اشريعة الاسلامية *

بسم الله الرحمن الرحيم
اللجنة الثانية

النقطة الثانية :

موضوعها : دور المكر اليوم وعلى مر العصور في أمنه وتجاه الاساسية في كل من قضايا الساعة
وآفاق المستقبل .

الرئيس : د - ابراهيم مكى ابراهيم
المقرر : د - عمار طالبي
الاعضاء : د - صلاح المصاوي
د - هورست غريكة
د - محمد الرنيير
د - محمد مريز الحيايبي
د - راشد الراجح
د - محمد علي صبري
الاستاذ احمد انور الجندي
الاستاذ عبد الرحمن شيبان
الاستاذ محمد بن عبد الله
الشيخ يوسف اليملاوي

التسمييات

تناولت اللجنة الثانية بالبحث والمناقشة موضوع النقطة الثانية من نقاط الملتي الثامن للفكر الاسلامي - المنعقد ببجاية من X - 22 ربيع الاول 1394 هـ الموافق لـ 25 مارس 5 افريل 1974 م - على ضوء الابحاث والمناقشات التي جرت في الملتي وعلى ضوء ما طرحه اعضاء اللجنة من آراء تبين لهم ما يلي :

- اعتبارا للحرر الاساسي الذي يجب أن يقوم به الاسلام في توجيه ثقافتنا *
- ونظرا لما للمصراع الفكري المعاصر من اثر بالغ في توجيه المجتمعات *
- ونظرا لتكالب الاستعمار الثقافي من جميع الجهات على اشعوب المختلفة قصد اخضاعها لتبعية فكرية ، وبالتالي لتبعية سياسية واقتصادية *
- ونظرا لتفتح كل هذه النيات الاستعمارية للبيئة يتقاع العالمية ،العصرية ، وشر الحضارة *
- يرى الملتي الثامن للفكر الاسلامي المنعقد ببجاية من X - 22 ربيع الاول 1394 هـ الموافق لـ 25 مارس - 5 افريل 1974 م) ما يلي :
- 1) أن الفكر هو الملززم بقضايا مجتمعه تحليلا ، ونقدا ، واتراء ، وريادة ، انطلاقا من مفهوم الاسلام الصحيح *
- 2) ضرورة ارتباط الفكر بالمجتمع ومشاكله حتى يتم تفكيره بالواقعية والالتزام ، وحتى يكون انتاجه ذا اثر فعال في التقدم المستمر لمجتمعه *
- ونظرا لما تقدم يوصي الملتي الثامن للفكر الاسلامي بما يلي :
- 1) العمل على تحليل تراثنا الثقافي ، ودراسته ، ونقده ، ونقي الجوانب السلبية عنه ، وتوضيح العناصر الحية في صورة مناسبة للمصر ، مع تنشيط حركة احياء التراث *
- 2) العناية بكتابة تاريخنا كتابية منهجية تحرره من كل الوران القزيف الاستعماري والتحريف المفرض ، وذلك لتزويد اجيالنا المساعدة بروية موضوعية سليمة لتاريخنا في سائر مجالاته ، ولبناء نهضتنا المستقبلية على بصيرة من ماضينا الذي شوهت بعض مماله كثير من كتب التاريخ *
- 3) تؤكد توصيات الملتي السابع للفكر الاسلامي وخاصة وحرب ممارسة الاجتهاد مسمن توفرت فيه شروطه *
- 4) أن يكون للمفكر المسلم اطلاق دقيق على التفكير العالي المعاصر بدوح نقدية حتى يستفيد من العناصر الايجابية منه ، ويرفص كل ما يتنافى ومقوماتنا الاساسية *

- 5) الاستفادة من العلوم والتكنولوجيا ومن العناصر لبناء في تجارب الامم الاوسرى تحقيقا لكل ما يمكن مجتمعا الاسلامى من تقدم حضارى ، ومقاومة كل ما يتعارض والمقيدة الاسلامة والاخلاق .
- 6) التزام وسائل الاعلام المختلفة بالمسير فى خط متواز مع مبدا الاسلام ، واننا لنؤكد مرة اخرى توصيات المنتدى السابع الخاصة بوسائل الاعلام . ونذكر لراعاتها *
- 7) نظرا لما للتربية والتعليم من أهمية بالغة فى تكوين الفكر فان المنتدى يوصى بضرورة وضع فلسفة تربوية ترسم فيها الاهداف الاساسية الصالحة لاعداد المواطن المسلم * وتوضيح بمقتضاها المناهج والبرامج الكفيلة بتحقيق تلك الاهداف ، ويعقد لهذا الغرض ملتقى خاص *
- 8) العناية بتدريس الثقافة الاسلامية فى جميع المستويات التعليمية *
- 9) احدث جامعة اسلامية نموذجية من حيث التجهيز والاطر فى كل قطر اسلامى لاعطاء التعليم العالى صبغة اسلامية بالاضافة الى تدريس جميع العلوم والتخصصات *
- 10) التحرر من التبعية الفكرية الاجنبية فى ميدان الدراسات الاجتماعية والانسانية عامة تلك التبعية التى اسبغت بها الجامعات فى البلاد الاسلامية ، وتوجيه هذه الدراسات الطرية منها والتطبيقية الى صميم التغيرات الاجتماعية التى يمر بها مجتمعا اليوم *
- 11) العمل على كتابة دائرة معارف اسلامية موسوعية عصرية بمشاركة سائر المتخصصين فى مختلف المعارف والفنون *
- 12) مقاومة كل مظهر من مظاهر الجور ، واقتلاع جذور كل الوان الشعوذة والدجل وكل رواسم الانحطاط وعوامل التخلف وكل انواع الانحرافات عن السلفية القويمة *
- 13) العمل على تحقيق التحريب الكامل فى البلاد العربية باعتبار اللغة العربية مقوما اساسيا من مقومات كياننا الوطنى ، والعمل على نشرها فى مختلف البلاد الاسلامية لما لها من صلة وثيقة بالمعقبة والفكر الاسلاميين ، وتؤكد توصيات المنتدى السابع فيما يتصل بالعناية بالعربية فى البلاد الاسلامية باعتبارها الاداة الضرورية لفهم الاسلام فهما صحيحا *
- 14) تشجيع الفكر الجاد الفعال بمكافآت تقديرية - لانتاجه الفكرى *
- 15) العمل على ان يشارك الفكر الاسلامى فى اعطاء الفكر الاساسى ببذل الجهد من اجل تحقيق التفوق فى سائر مجالات الفكر والفن والعلم استمرارا من ان الفكر الاسلامى فى اصوله فكر عالمى لا يفرق بين بين بلى البشر الا على اساس الخير والعمل الصالح قال تعالى :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله إتقاكم » *

(16) تضامن الفكر الإسلامي الفعال مع الشعب الفلسطيني وسائر الشعوب العربية المجاهدة للصهيونية لتحرير فلسطين والقدس الإسلامية *

(17) مساهمة الفكر الإسلامي في بناء النضال الحاضر بدعم حركات التحرر للشعوب والدموع لتصفية الاستعمار ومناصرة المضطهدين وإجراة السلم والاحترام المتبادل بين سائر الأمم ومناصرة كل القضايا العابلة في العالم *

(18) اصطلاح الفكر بدوره الثلاثي الفعال في أمته وعلى مستوى الانسانية كلها كموجه لها ، معزز لاتجاهاتها المسيحية ، ناقد لأوضاعها الباطلة ، ومشاركته الفعالة في العمل على النهوض بمحتسبه في مختلف المجالات المعنوية ، والثقافية ، والاقتصادية ، والسياسية ، بغية تحقيق العدالة الاجتماعية وتمكين المواطن المسلم من حياة الحرية والكرامة الانسانية *

بسم الله الرحمن الرحيم
اللجنة الثالثة

النقطة الثالثة :

موضوعها : مساهمة بجاية الحمادية في الحضارة والفكر الاسلاميين والعالميين اسباب وانثار
انحطاطها *

الرئيس : الاستاذ عثمان الكعاك
انفسر : الاستاذ احمد حماني
الاعضاء : الاستاذ محمد القامسي
الدكتور رشيد بوجويبة
الدكتور محمد سميد رعد
الدكتور مولاي بلحميمسي
الدكتور نبية عاقل
الاستاذ المهدي بوعبلي
الاستاذ اسماعيل العريبي
الاستاذ سليمان داود بن يوسف
الاستاذ يحيى بوعزيز

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على محمد النبي الكريم
التوصيات

تناولت اللجنة الثالثة والبحث والمناقشة مشروع النقطة الثالثة من نقاط الملتقى الثامن للفكر الاسلامي - انخفضت بجاية من 2 - 32 ربيع الاول 1394 هـ الموافق 25 مارس 5 ابريل 1974 م * وعلى ضوء الانحاش والمناقشات التي جرت في الملتقى *

ـ وعلى ضوء ما طرحه اعضاء اللجنة من آراء تبين لهم ما يلي :

ـ ان عوامل ازدهار الحضارة بجاية ومشاركتها في الفكر الاسلامي والمالي تعود الى ما يأتي :

- (1) موقعها الجغرافي المتميز وما نجم عنه من اثار في النهضة الاقتصادية *
- (2) ما يتمتع به السكان من امتداد فطري حسن ومقدرة على تمتل عمليات الحضارة العالمية *
- (3) ما كان للاسلام من فصل في توحيد صفوفهم وتربيتهم ومثل نفوسهم والمساواة بينهم في الحقوق والواجبات *
- (4) ما تحقق من انسجام بين السلطة الحاكمة والشعب واتضح من حرص السلطة على احقاق العدالة بين الناس والشواهد على ذلك كثيرة في التاريخ *
- (5) ما اتصف به نظام الحكم من حرص على تحقيق التسامح اللبني في سندان التعايش * والتعاية وجبر مثال على ذلك وجود المسجد كجامعة علمية للمسلمين وبعانيه * بيت الحكمة * يؤدى نفس المهمة العلمية للمسلمين ولغيرهم ممن كانوا في بجاية او واقدن عليها لطلب العلم والثقافة *
- (6) اجتذاب بجاية اقطاب العلم والفكر من الاندلس والمغرب وقبام اكاديميات للبحث والدرس والمناظرة والاستنتاج *
- (7) احتضانها لكبار المفكرين ذوي المبادئ البناءة التي ساعدت على انشاء حضارات انسانية ففيها اتفق ابن تومرت مع تلميذه عبد المدين بن على على تخطيط ادى الى تأسيس دولة الموحدين التي قامت على انقلاب جنوى *
- (8) المساهمة البارزة من علماء الفري في منطقة بجاية وما نجم عنها من مساهمة فعالة في النهضة الفكرية والحضارية داخلا وخارجا *

(٩) النهضة العمرانية المتمثلة في الاهتمام بالري ، واتصالات من إنشاء الطرق وتعميدها ، وتنظيم القرائن ، وتغيير الاسن لسيرها والانتفاع بها .

(١٠) التكامل في ميدان الانتاج : الزراعة والصناعة والمعادن والتجارة وما تبعه من مركب يحري كامل يقوم على حيوان البحر والبناء والاسطول والمعدات التجارية والعمليات المصرفية والتجارية .

(١١) الاصلة في الفن المعماري والزخرفي في بجاية وانتقاله الى مراكز الحضارة في حوض البحر الابيض المتوسط الغربي وخصوصا صقلية ومردانية .
و اما عوامل انحطاطها فقد راوا انها تعود الى ما ياتي :

(١) ما تعرضت اليه من غزوات نصرانية من النورمان ، والاسبان ، وفرنسان مألطة وغيرها من اخوانيات الفرنسان ، ومن هجمات الاساطيل لجمهوريات كيبشا ، وجنوة ، والبندقية ، واخيرا هاجمها اسطول شركان واحتلها وشرده جند سكانها وخرب معاملها ، وقضى على نشاطها في ميدان الفكر .

(٢) ما اصابها من فتن او حروب ناشبة بين المسلمين ، كهجمات بني هانية ، وفتكاكها من ايبيهم ، ومن قتلهم استيلاء الموحدين عليها واسقاطهم لدولتها واعتبارهم اياها عاصمة ولاية بعد ان كانت عاصمة دولة . ثم هجمات المرينيين ، والحصبين ، والريانين ، وغير ذلك من قسطن الثورات والانقلابات بين الولاة .

(٣) ما تعرضت له من افساد الاعراب وتخريبهم لمبانيها وقطع طرق المواصلات ، واقساد نظام الري والقوافل ، وتخريب القرى والمنشآت الزراعية .

(٤) نقل حكام الترك عاصمة الدولة منها الى الجزائر . فكانت عاقبة ذلك فقدانها لدورها التاريخي في الحضارة والاقتصاد والعلم .

(٥) هجرة سكانها واعيان رجالها من علماء وتجار واداريين بحلول جيش الاسبان بها منذ سنة ٩٢٥ هـ - ١٥٥٩ م . وانتقال مركز الحكم والمقاومة ودور العلم الى داخل البلاد .

(٦) انهيار الاخلاق وتفشي الفساد والاقبال على اللهو واللعب والترفيه على ذلك قيام ابن تومرت بتحصين آلات الطرب ، وتكثير اواني الضمر وخيانة بعض قادة الجيش والوزراء الذين قفصوا الباب لعبد المؤمن واسموا بعملم دولة الحماديين .

- ١) اللجة بعد أن عرضت دور بجاية المشرق أيام عمرها ، ونوعى انحطاطها وما لت اليه مستخرجة من التاريخ المعبر والعظات فود ان ترى بجاية تعود الى عزها السابق وتلمع دورا في خدمة امك والحضارة حقيقا بسمعتها التاريخية ولهذا فانها توصى بما ياتى :
- ٢) بالعمل على كتابة تاريخ كامل لبجاية فى مختلف عصور تاريخها *
- ٣) باعداد « بيبليوغرافيا » أى ثبت مستوعب لمصادر بحاة الحضارية مستمد من الكتب واوراق الخرائن والآثار وغيرها *
- ٤) باعداد ديوان (كريبوس) لآثار بجاية من قصور ومساجد وقلاع وشواهد قبور ، ونقوش الخ ... *
- ٥) باعداد ديوان لرجال بجاية فى شتى الميادين ، وديوان للمكانة الجغرافية يستفاد منه *
- ٦) باعداد ديوان للمخطوطات البجائية والبحث عنها ، والكشف عن طلوها * ما يرجع منها فى مكتبات اوروبا وامريكا واسيا *
- ٧) تكوين معهد للدراسات البجائية *
- ٨) اعداد ديوان (كريبوس) عن النقود واسياخسة واللباس والاسلحة والفولكلور وايجاد متاحف لذلك *
- ٩) ضبط مجموعات الفن التطريزى والرسم والموسيقى *
- ١٠) اقامة لوحات تذكارية تعين الاماكن التاريخية وتشرح دورها الماضى التاريخى *
- ١١) تنظيم مواسم ثقافية لاحياء فكري بعض اعلام بحاة فى ميادين الفكر والجهاد *
- ١٢) العمل على انشاء كلية علمية تابعة للمعامة الاسلامية فى بجاية احياء للمهمة التى كان يضطلع بها (بيت الحكمة) *

بسم الله الرحمن الرحيم
اللجنة الراية

النقطة الرابعة :

موضوعها : مساهمة الحضارة والفكر الاسلاميين في مختلف مجالات العلوم ، والفنون والتراث
الانسانى على العموم *

عوامل ازدهارها : اسباب انحطاطهما وشروط انبعاثهما *

الرئيس : د- عثمان أمين

القصر : د- محمد وصفي ابو مفلح

الاعضاء : القاضي عبد الله الشماحي

د- الحير يوسف نور الداي

د- هشام الصفدي

د- سعيد شيبان

د- احسان عباس

د- مانفريد فلايشهايم

د- ميغال دي ابيالزا

الاستاذ مصطفى عبد الله يحيى

الاستاذ محمد المنتصر الكتاني

الاستاذ محمود منصور

1 - تمهيد

بلغت الحضارة الاسلامية مرتبة رفيعة في التاريخ - وتميزت بالاصالة والرحابة - ولكن اسبابا كثيرة - اخلاقية واجتماعية - قد أثرت في هذه الحضارة فالت الى تأخرها ، في مختلف المجالات - ويرى اعضاء اللجنة ان ذلك التأخر يعود الى عدة اسباب ، اهمها :

2 - اسباب الانحطاط

- 1 - الابتعاد عن روح الدين ، والقعود عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر * وانتكاس للاجتهد ، والانصراف عن التشريع الاسلامي * ويضاف الى ذلك مفاجأة روح العلم والانحرف عنها انحرفا انتج تشاؤنا عقليا واخلاقيا ، تلمس آثاره في المجتمع الاسلامي المعاصر *
- 2 - فقدان الحرية الفكرية ، وتهافت الروح المعنوية ، واماسب ذلك من تفكك في الوحدة الاسلامية عامة *

3 - شروط الانعاش

ولمعت الفكر والحضارة الاسلاميين - ترى اللجنة ان تتقدم بالتوصيات الآتية :

- 1 - احياء التراث الاسلامي بين اهلنا ، والعمل على نقله الى غيرهم *
 - 2 - وضع فهرس جديدة للمخطوطات الاسلامية الموجودة في مختلف دور الكتب في العالم وتبذل ما يستطاع نشره من هذا التراث *
 - 3 - الحرص على تشجيع نشر الكتب العلمية باللغة العربية ، لغة كبار المفكرين في الاسلام والقضاء على المعوقات المالية التي تعرقل انتشارها *
 - 4 - العناية بالتربية الاسلامية في مراحل التعليم المختلفة لتجديد شعبيته الانسان المسلم ، وابرار قيمه الاخلاقية *
 - 5 - الحرص على تدريس مبادئ « الحضارة الاسلامية » وتاريخ العلوم في الحضارة العربية الاسلامية في الجامعات والمدارس الثانوية الاسلامية *
 - 6 - العمل على تهيئة الاستقرار النفسي والمادي للمفكرين والعلماء في العالم الاسلامي ، حتى يفرغوا للانتاج الفكري ، للفضاء على اسباب الحقيقة الداعية الى هجرة العقول الاسلامية * مع بذل الجهد لاسترجاع اكبر عدد ممن هجروا بيار الاسلام *
 - 7 - تزكية التعليم العالي في العالم الاسلامي والعربي ، لكي يستجيب لطالب النهضة *
 - 8 - تنسيق الجهود في جميع الميادين مع تيسار نوى الكفايات والامكانيات الضرورية لانعاشهم وسماحتهم في مركب الحضارة الانسانية *
- ويعين الملتقى بالتنازل بمرام الوحي الجديد الذي يبات تتجلى مظاهره في العالم الاسلامي *

بسم الله الرحمن الرحيم
اللجنة الخامسة

اللمعة الخامسة :

موضوعها : الاتية والامالة مع التفتح والعالية * معنى هذه المعاهيم - مدى امكانية التوفيق بينها - درجة اهمية هذا التوفيق في عالم اليوم بالنسبة للفرد ، والمجتمع ، ومصير الانسانية كلها *

الرئيس الشرفي : معالي السيد عبد الله بن بيه

الرئيس : د. هكتور نجيب محمود

المقرر : د. محمد الفلاح البيدي

الاعضاء : د. ابراهيم فصار

الاستاذ صبري ابو المجد

الاستاذ عبد القادر ديدى

الاستاذ مغدى زكرياء

الاستاذ رشيد بن عيسى

الاستاذ عبد الوهاب حموده

السائس

الاستاذ المقيب حموده هاشوري

الاستاذ سعيد الحاج عيسى *

الاستاذ محمد الاخضر عبد القادر

الاستاذ عبد الرحمن بلعقون

الاستاذ مصطفى صلاوى

الاستاذ معروك العواوي



التوصيات

اجتمعت اللجنة الخامسة يوم الأحد 7 ربيع الأول 1394 هـ الموافق لـ 19/3/1974 م وانتخبت معالي السيد عبد الله بن به ، وزير العدل في الجمهورية الإسلامية الميرتانية ، رئيساً شريفاً ، والدكتور زكي نجيب محمود ، أستاذة المنطق بالجامعة القاهرة ، رئيساً فعلياً .

وبعد دراسة الموضوع ومناقشته تقرر للجنة ما يلي :

1- تحديد مفاهيم الأئمة والإصالة والتفتح والعالمية .

2- الأئمة : هي وهي الذات لنفسها وتركيداً كذات مملعة .

3- الإصالة : هي تنمية الذات بالزمام القيم الإسلامية والتعبير عن هذه القيم في مختلف مجالات الحياة .

4- التفتح : هو تبليغ رسائلنا المروحية إلى العالم في ممارسة الأخذ والعطاء . وهي اقتباس كل ما تتأكد الحاجة إليه مما هو لدى غير المسلمين في حدر الإصالة .

5- العالمية : بعد التأكيد أن ما يدهى بالمعاصرة هو تعبير عن الحضارة الغربية في طور سيطرتها وأنه لا ينبغي لها ادعاء تمثيل البشرية جمعاء فإن اللجنة ترى أن العالمية هي تلك الجوانب التي تلتقي فيها مجموعة الثقافات على تنوعها .

وبناء على هذه التعريفات الأولية ترى اللجنة ألا تناقض بين هذه المفاهيم التي يمكن أن تتعايش في حياة إسلامية موحدة - ويعبارة جامعة فعلى المسلم أن ينظر إلى المعاصرة من منظور الإسلام ولا ينظر إلى الإسلام من منظور المعاصرة .

ثانياً : التوصيات :

ولذلك كله ترضى اللجنة بما يلي :

1 - في ميدان التربية

1) بأن تبث إشعائيم الإسلامية الصحيحة للناشئة في مراحل التعليم كلها بحيث ينتهي المدارس وهو متمسك بالتعاليم وملزم بها .

2) ترضى اللجنة بتصميم القورس على جميع مستويات التعليم باللغة العربية حرصاً على تبليغ الإسلام وتعاليمه باللغة الأصلية ، لغة القرآن .

ثانيا : في ميدان وسائل الاعلام :

أ) توصى اللجنة بأن تعمل وسائل الاعلام المكتوبة والمصورة والمنطوقة على نشر الثقافة والمفاهيم الاسلامية الصحيحة *

ب) كما توصى بمراقبة جميع ما تستورده وسائل الاعلام ، في ميدان المينما والتلفزيون وغيرهما للمبولة دون نشر وانتاج كل ما يتنافى مع الاسلام *

ثالثا : في ميدان الفكر والادب والفن

أ) توصى اللجنة بأن يضطلع رجال الفكر والادب والفن - كل بوسيلته الخاصة - بمهمة ترسيخ صورة الحياة الاسلامية كما ينبغي لها أن تكون حتى تضمن للجماهير الاسلامية غذاء فكريا وادبيا وفنيا ناسما من الروح الاسلامية ومعبرا عنها *

ب) بدعوة المسؤولين السياسيين ورجال الادب والفن والعكر الى أن يواجهوا خطر القسوة الفكرى بما يدفعه عن الامة الاسلامية التي يشكك في مقوماتها *

رابعا : في ميدان نقل العلوم

توصى اللجنة بنقل العلوم الطبيعية والتحريرية والتكنولوجيا الى الشعوب الاسلامية بلغاتها الوطنية للاستفادة منها على اوسع نطاق وليكون ذلك وسيلة في أيدي المسلمين تمكنهم من التحكم في عصرهم اثباتا لوجودهم *



كلمة اختتام

الملتقى الثامن للفكر الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم ،
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ،
حضرات الأساتذة الأفاضل ،
حضرات السادة والسيدات ،
أخوتي الطلبة والطالبات

إذا كان لكل شيء إذا ما تم نقصان ، فإن
ملتقاكم نهايته بدائته واسمه كنا نبداً توصياته
بواص بالحق والعمل ، وعدم الإسراف عيها
بالهمي و لأمل . ومن هنا فأخاطبه انطلاقه
ونتيجة لا بددها الغرافه .

فتحن على موعد صدق ، يعادل فيه ما حي فيه
الأوراق بما يقدم في الاطلاق ، وبقي فيه نظيرة
فاحصة ، ناقمة لا حاكمة ، على مدى الجسدة
والحرص في وصل القول بالفعل . لهيئة الايتار
ويخلق المناخ ، والاعتماد للغير ت الجيرة سكن
حرص والتسزام !

مولود قاسم نايت بلقاسم

وزير التعليم الاسلي والشؤون الدينية

حضرات الاساتذة الافاضل ،

اخوتي الطلبة والطالبات ،

1) لقد تدارستم اوضاعا شاذة ، تعاني منها جاليات واقلية في كثير من جهات العالم . من تمييز عنصري ، وتعصب ديني ، يتخذان عديدا من الصور والاشكال ، وينعكسان في التجليات الثقافية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، على هذه الصحايا . وينتجان احيانا حد الاغتيل والابادة الجماعية ، وفترت العمل ومضاعفة اليهود والاستعجال فيها . تنوعت الدول والجماعات بضرورة تصحيح هذه الاوضاع وابتعاد حلول تضمن كرامة هذه الجاليات والاقليات ، وتحفظ ماء وجه تلك الدول والمجتمعات .

2) واستعرضتم دود الفكر ، اي مفكر « في زمان او مكان » نحو ابنه وتجاه الانسانية كلها ، في كل من قضايا الساعة واتفاق المستقبل ، ورايم انه قد حان الوقت للمفكر ليخرج من برجسه العاجي « والا يبقى مكسوف البدين سلبيا ، يوافق دائما وصفت « وينواري وينق ، ويصح ويؤرق ، عوض ان يحقق وينطق ، ويصدق براهيه ويخلق ، ويوجه ويؤثر ، ويخلص قبل ان يؤثر ، ويجاهر ويغاهر . ويصرح ولا يلجج ، كؤدى امانته ، ويبلغ رسالته ، ويفضح بمسؤولياته كاملة ، وهو الذي ينبغي ان يكون اكثر من غيره على الحق احرص ، وقدرى في الحديث ان الساكت عن الحق شيطان اخرص ،

3) وتصفحت سجل بجابة على مر عصورها ، وخاصة في عهدها الحمادي المجيد ، وما فاحت به بعد قلعة بني حماد من دور مشرق عظيم في اثره . اخضرة الفكر الاسلاميين والعالميين ، ودرستم اسباب ازدهار هذه الكوفة ، وانعطافها ، واتضح لنا جميعا انه الى جانب الجلبات الصليبية المتوالة ، والاعمال التخريبية الناشئة عن تصورات بدائية فسقة لدى اغلب الدول الاسلامية في تلك العصور ، نجد الانقطاع الى حياة السرف والبلذخ ، والكيل الى اللهو والمتعة ، وشيوع الانحلال اخفي ، وذوبان البادي . والقيسم ، فتختل الرجال ، واسترجلت النساء . فانكمست العاهيم ، وانقلبت الاوضاع ؛

كل هذا الانحلال قد نجم عنه الاختلال ، مصاعده لانتهاء الاحتلال ، وتلك كانت حبال المرابطين قبلها ، والوحدين بعدها ، كما يخلصهنا ابن خلدون ، وذلك كان مصير الحضارات ،

وتلك كانت سنة الله في المول على مر التاريخ ، « واذا اردنا ان نهلك قرية افسرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ، فتحق عليها القول » فنعزلها عنكم ! « صلى الله العظيم !

٤) وفصل النظر والقول في الحضارة والفكر الاسلاميين ، وما قلناه من مساهمة فاصلة في مختلف مجالات العلوم ، والفنون ، والتسمرات الانسانية على العموم . وتناولتم بالدرس عوامل ازدهارها ، واسباب انحطاطها ، وشيروا انبعاثها .

وتبين لنا هنا ايضا ان ما قيل عن بجاية والقلعة ينطبق في الجملة على الحضارة والفكر الاسلاميين في مجموعهما ، من قيام فن . واشتداد منازعات ، واحتدام صراعات خربت بها الامة الاسلامية بيوتها بايديها ، ومن هجمات وحملات حاقلة استهدفتها ، وكانت تزوم منذ زمان محوها والقضا عليها ، ومصادف ذلك كله ركود ، وجود ، وظيفان ، وهي كلها آفات نجم عنها الانهيار والحسرات

بلك هي عصارة تجارب الامة منذ ما قبل بابل ويونان ، وفرس ورومان ، واندلس وثمان ، ومن راجع نفسه ، واستخلص دروس التاريخ ، وتخلص مما به من جمود وركود ، انتمش وامكنه النهوض ان اسرع وعجل ، او هذه الموت والاندثار ان سوف واجل !

على انه اذا كانت معرفة الماضي وما كان من ملك ومن ملك ضرورية لنا . الحاضر وتخطيط للمستقبل ، فلن يغفينا اجترار الماضي والامجاد . ولن يجعلنا التقي متراك شينا للاحفاد !

فعلينا ان اردنا اللحاق بالركب ان نتجاوز المراحل عوض الاكتفاء . باجتيازها ، وذلك ان الهوة التي تفصلنا عن العالم المتقدم لسجقة . وجراح تغلفنا وركودنا لواسمة عمقه . والى ما يصلنا من ماضينا من هوة وجفوة ، أضفنا في صيرورتنا الحديثة كم من كربة وهلوة !

٥) وعالجنا بكل من الحماس والموضوعية مشكلة الاصابة والتفتح ، وتسالنا مع المتسالين عما اذا كان ينبغي باسم الاصالة والمحافظة على التقاليد اسدال حجاب كثيف على الاعين ، ووضع القطن في الاذان . واعلاق جميع الابواب والنوافذ « أمانه » باسم التطور والتفتح . يستحسن خسرر الحشمة والنوافذ « وعدم الاكتفاء . بفتح النوافذ والابواب ، بل يلزم نزع السقوف والرفوف ؟

وانهزم الى ضرورة الجمع بين مزاي الطرفين النقيضين ، اللذين لا يتمان الا متكاملين ، لقضان الوضع الطبيعي في الدار ، وقسم بفتح الابواب والنوافذ . مع الاحتفاظ بالسقوف والرفوف واكتمت به لا بد من الاصالة مع الجمع ، واسه يتحم التوفيق بين الانية والعالية ، واسعدت

بالله من كل اعشى غاسق ، من النور والاكسجين آتق . يسد علينا منغلظ الضياء . والهواء ، ناصعا باختيار الظلمة والاختناق . ومن كل اھوج فاسق . يدعونا الى هناك الستر ، وما يسميه التحرر والانفتاح ، يريد لابوابنا الانشقاق . وكشفونا الانفتاح !

وقرؤتم بعد درس واستقصا : فاما انيتسألو متيتنا ، ولتم : اصالتنا هي حصانتسما ، وعملنا شرطه علمنا ، واطلاعتنا يقتضيه تطلعتنا .

ايها الشباب ، كن علما لساهم في العالمية ، ولا تكن امة من قوم تبع فتتظلم ونهضم . او تلغظ وترفض !

كن قطعة باردة في اللوحة تكن لك ذايتك . وتميز تحفظ لك انيتك ، ولا تكن شاحبا باهتا والا انطعت وشطبت ، ولا كينا طيعا والا كصسرت واذبت ، ولا لقمة سائفة والا استمرت وترقت . وعملنا شرطه علمنا ، واطلاعتنا يقتضيه تطلعتنا !

كن انسان عسرك ، ولكن لا نسخة غيرك ، اجابيا متفاعلا لا سلبيا متفعلا . متفعلا لا متفعلا ، متطورا لا متورا ، ومؤثرا ايضا لا فقط متاثرا ، فالحياة تعامل وتبادل ، والحوار من الحسراف متساوية ، والا كنت مجرد سائل متسول ، ناقصا في نفسك ، عاريا على امك ، وعالة على الانسانية !

حضرات الاساتذة الافاضل ،

لقد آن لنا ان نشكركم على كل ما بللتسوه من جهد ، وتجسنتوه من تعب ، ولكم فيهما استفدتوه بعقكم من يضى ، وفيما اهدتم به الطلبة وايانا جميعا من علم يتلق به دائم الاجر وجر الجزاء .

واتم اخوتي الطلبة والطالبات ، فلكم امتثلنم لنظام صارم ، وركزتم الانتباه ، ولانتم مساهمتكم بشاة فصالة .

وثناؤنا على سلطات الولاية لا فاست به من عمل دائم ، وبذلته مما من جهد منواصل منذ شهور ، ولسكانها لا اولوه المتلقى من كرم وترحسب . وهيتا لسكان الناصرة باللات ، زيادة على ذلك كله ، بلوام حرصهم على تنسيع المحاضرات والناشقات . وما يشوه في المتلقين من روح متفلسة وسباق . وشكرا لجميع من ساهموا في انجاز وتيسير ، من جميع الادارات والمؤسسات ، على مختلف المستويات .

ودعا بجاية ، عين الناصي والقصود ، ومدينة النار والنور ، وعاصمة المنظوم والمنشود ،
ذات البحر الصاعد ، ومصب النهر الحساسك ، الصومام ذي المعجذ الطريف والتأله ؟
واللقاء للجميع في الملتقى التاسع في مدينة الورود والشقائق ، والجنان والحدائق ، في
مدينة الميرون والفنون ، شوى العباد والزهاد ، ومقل بني عبد الواد ، في عاصمة إفريقيا من
زبان ، في تلمسان !

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته !



شعارات سادت الملتقى



التوكل والإهمال قضايا على الفكر والحضارة!

برقية تعزية
بعث بها الاخ مولود قاسم
وزير التعليم الاصيل والشؤون الدينية
الى عائلة الاستاذ علال الفاسي
ورابطة علمام المغرب

لقد كان لنبا وفاة المفكر الاسلامي الكبير الاستاذ علال الفاسي اكبر الواقع في نفوسنا ،
وبهذه المناسبة الالية نقدم اليكم بكل تعازينا ، سائلين العلى القدير ان يتفهم فقيد العروبة
والاسلام برحمته الواسعة ويسكنه مسج جناحه . وان يلهمكم الصبر الجميل في هذا الصائب
الجلل الذى حل بآسرتكم الكريمة .

ولا يفوتنا في هذه الظروف الالية ان ننوه بالاعمال الجليلة التى قام بها الفقيه عـلـال
نضاله الخافل بالفضجات الجسام من اجل الحرية والاستقلال وتعزيز العروبة والاسلام ، ولا نلنا
نذكر فضاله في سبيل تحقق الاهداف النبيلة الشريفة التى اتسمت بها حياته على جميع
المستويات ، نذكر من بينها ، بغشوع ، عملسه القيم في لجنة تحرير المغرب العربى بالقاهرة
في اواخر الاربعينات وبداية الخمسينات ، كما نذكر الدور الفعال الذى قام به خلال المنفى الخامس
للتعرف على الفكر الاسلامي الذى انعقد بمدينة وهران .

واننا لنجدد لكم تعازينا القلبية ونشساطركم الاحزان واجبين من الله جل جلاله ان
يرزقكم الصبر والسلوان ، رحم الله الاستاذ الكبير علال الفاسي .

رد اللجنة التنفيذية

معالي السيد مولود قاسم المحترم ، وزير التعليم الاصل والشؤون الدينية - الجزائر ،

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته »

وبعد ، تشرف عائلة المفقود له المجاهد الرئيس علال الفاسي واللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال بأن تتقدم الى معاليكم باصابتكم تعيبتها وجزيل شكرها على مشاركتكم لها في المصاب الجلل الذي حل بالشعب المغربي وبشعوب المغرب العربي والامة العربية والاسلامية في قصد الزعيم الكبير علال الفاسي رحمه الله .

وقد كان لواساة معاليكم اثر عميق في شعور الشعب المغربي ، بتعاطفكم معه في عسااته ، وتقديركم لجهاد زعيم تحرير من اجل حرية المغرب الكبير ووحدته ، وفي سبيل اعلام كلمة الله ونصرة الاسلام والمسلمين .

ان تعازيكم المؤثرة الصادقة كانت عوننا لنا

على تحمل آثار المأساة * وتفضلوا = معاليكم - بقبول فائق احترامنا وتقديرنا *

عن العائلة واللجنة التنفيذية

لمحب الاستقلال

الكاتب العام : محمد بوسنة

هذا وقد قام بعد الملتقى برحلة دراسية خلال البلاد ، واستقبل خلالها من طرف الرئيس بومدين ، كما تلقى عدة احاديث ومحاضرات في مختلف المدن ، ونشر بعد رجوعه الى المغرب في جريدة العلم سلسلة من المقالات عن مشاهداته .
وقد دعونه الى المشاركة في الملتقيات التالية ، ولكن ظروفه الصحية حالت دون ذلك ، وان لم تمنعه من ارسال دراسات الى الملتقى وزعت على الحاضرين وهي بصدد النشر في كتب الملتقيات .

وفي حفل الاربعين لوفاته اقامت وزارة التعليم الاصل والشؤون الدينية حفل تابين في المركز الثقافي الاسلامي بالعاصمة التي فيه الاستاذ احمد حماني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى محاضرة بعنوان : الاستاذ غلال العاسي الفكر المجتهد . وذلك يوم السبت 2 جمادى الثانية 1394 هـ الموافق 28 يونيو 1974 م حضرها جمهور غفير من المتقربين .

الاستاذ العلامة المرحوم غلال العاسي جالساً سبب عملية حراصة احمرت له ليل مبعينه الى الجزائر مباشرة للمشاركة في الملتقى الخامس للعكر الاسلامي في مدينة وهران سنة 1391 هـ - 1971 م .

ويرى هنا وهو يستمع لشروح مهندس مصبح تبيح العاز في ارزيو في زيارة ادرجحت في برنامج الملتقى ، ومن اليمين الى اليسار السادة .

1) د . عبد الرحمن الصابوني ، عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق . 2) محمد بلشير ، مدير التعليم الاصل بالمغرب . 3) د . محود ابراهيم . استاذ بجامعة عمان . 4) مولود فاسم وزير التعليم الاصل والشؤون الدينية . 5) عبداللطيف مولين ، المستشار النفاضي في سفارة المغرب في الجزائر مراقباً للاستاذ غلال العاسي . 6) احمد اسماعيل ، مدير البحوث الإسلامية والملتقيات بالوزارة . 7) الشيخ عبد العادر الزبير ، مفتش الوزارة في ولاية وهران .

(الصورة في ظهر الصفحة)

1925

1925



معمد هلال القاسي المجدد المجتهد

حياته في سطور - 1328 - 1394 هـ (1910 - 1974 م)
ر ب يسر وأعن

أحمد حمدي (رئيس المجلس الإسلامي الأعلى)

- ولد معمّد هلال بن عبد الواحد القاسي بطرية قاس في يناير 1918 م (نصرم 1528 هـ أو ذي الحجة 1277 هـ) ،
كان أبوه من أكبر علماء القرويين وبه سمي للعلماء من مختلف مدن المغرب ، دخل جامعة القرويين وتخرج منها
وعمره عشرون سنة (1930) .

- شَرع يلقى دروسا بالجامعة ويسأل فيه التاريخ لثالث حول الطلبة .

- أعمال لأول مرة سنة 1930 لم يرجعه عنه فنامع شبيخته السياسي ومنع سنة 1939 من نشاطه العلمي فقرر الصام
بجولة في الشمال ، ولعل رجوعه علم بمكيدة دبرت لإحباطه فدخل إسبانيا ثم فرنسا فسويسرا ، ولا شك أنه أصبح
نالاع شكيب أرسلان .

- عاد سنة 1934 إلى المغرب ونظم التظاهرات ، واستترك في تنظيم حركة سلمية صربية .

- في عهد الواجهة الشعبية سنة 1936 أعلن عن حزب « كتلة العمل الوطني » بزعامة وعبد مو الحزب أمضى سنة
1937 الحزب الوطني ، ودرى المستعمرون حوادث دامية بالمخيمات وعكاسي في سبتمبر وأكتوبر أسطورت عن عشوات حسن
القتل والجرحي وجباوه مسزونية جرائمهم فاعتقلوه وعهدوا إلى التعاون في نوفمبر 1937 ، وبعد هزيمة فرنسا اضطلت به
الحركة الديمقراطية ، والاضطيل ونقن إلى إيرايزيل ووجدوا منه المطالبة بحق للمغرب في الحرية والاستقلال فاقن في التخلي
والاعتقال ، وانتخب رئيسا لحزب الاستقلال وهو ما يراد في التخلي .

- لم يرجع عنه إلا سنة 1946 فسافر إلى باريس في شهر اوت واتصل برجال الجامعة الفرنسية والسياسيين
الحزب ، وبعد ثلاثة أشهر في قسمة سافر إلى القاهرة في 25 مايو 1947 واتصل فيها رجال تونس والجزائر وعملوا في
لجنة تحرير المغرب ، إلى تكوت في ديسمبر 1947 .

- كانت هذه الفترة من الحبيب فتر حياته التي معارفات وأخرج كتبا منها « حركات الاستقلال في المغرب » و « النقد
الذاتي » و « معاديت المغرب في الشرق » ، وراى عنه بلدان في آسيا وإفريقيا وأمريكا وما عاد إلى المغرب إلا سنة 1956
بعد إعلان الاستقلال التي تشوب ثورة عاربه في الرب ، وفي معلم جبال الأطلس متصلة بنوود الجزائر .

- في سنة 1967 عين وزيرا للدولة مكلفا بالشؤون الإسلامية وعلى في هذا المنصب حتى 1962 لمرلة الوزاره ورجع
إلى المغرب .

- انتخب في البرلمان سنة 1963 ، ونحالف حزبه سنة 1970 مع « الاتحاد الوطني للقرويين الشعبية » وهو الذي كان
قد اشق من حزب الاستقلال ، فكانوا جهة ، الكتلة الوطنية » وانحلت في يوليو سنة 1972 .

- كان الفهد إلى جانب أعماله السياسية يقوم بأعمال ثقافية جليلة فقد كان اسنادا بجامعة القرويين ، وكتليسي الحقوق
بجامعة محمد الخامس بالرباط ولفي ، وطبعت له كتب جليلة منها « مفهصد الشريعة الإسلامية ومكتابها » و « دلائع عن
الشريعة » و « النقد الذاتي » و « التمسيس في مراكش من الوجهة التاريخية والثقافية » و « حجاب إسبانيا في مراكش
من الوجهة التاريخية والقانونية » و « كراس عن الفلسفة العربية » و « مداء من المعصر » و « الحوار الصحيح »
ويكلم له عن الشهور القبرية والباها ، زيادة على ما ذكره قبل .

- انتخب عضوا برابطة العالم الإسلامي بصفة دسمر في أترز وادسظ وجالها .

- توفي رحمه الله يوم الاثنين 21 ربيع الآخر 1394 الموافق 13 مايو 1974 بمدينة بوجارست عاصمة رومانيا
وبال حتمته إلى موطه حيث احتفى بدفنه احتفالا عظيما من طرف الحكومة والنسب

محمد علاء القاسم المفكر المجتهد (١)

رب يسر وأعن

صل الله على محمد النبي الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام

السلام عليكم ورحمة الله

سبحان ما هذا المساء. بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاة أحد رجال النهضة الإسلامية الحديثة ، والقومية العربية ، والنووية المغربية ، أحد الأحرار الماضيين ، والتابئين الصابرين المصابرين ، والعلماء المحققين المحادين ، وهو الأستاذ محمد علاء القاسم رحمه الله الذي اختير إلى الرفيق الأعلى يوم الاثنين 22 من ربيع الآخر 1394 هـ الموافق 23 مايو 1974 م في مدينة بوجاديسست عاصمة جمهورية رومانيا بينما كان في سفارة بعوض رئيس الجمهورية فيما يهم المسلمين .

وان الكلام على حياة الفقيه واستيعاب جميع جوانبها بما يستحق من عناية ، ودراسة لائقة لما يستغرق الوقت الطويل ، والمجهود الكبير ، والكفاءة التامة للقيام بها ، وكل ذلك لا يتوفر لي في هذه المجلة . ولهذا اخترت أن أتناول بعض جوانب حياة الفقيه الفكرية والعلمية ، ولم ألتزم بها إلا المأما . وعسى أن أكون قد قمت بتقليص الواجب الثقيل علينا نحو هذا الرجل العظيم فإن أحسنت وحررت رضاكم فذلك توفيق من الله ، وإن أسأت وقصرت فقد بينت العذر ، والتقصير من شأن الإنسان .

(١) محاضرة ألقى بالمركز الثقافي الإسلامي بمناسبة الذكرى الأربعين التي ألقاها وزارة التسليم الإسلامي وشؤون المدينة يوم السبت 2 جمادى الثانية 1394 هـ الموافق 22 يونيو 1474 م

وقبل الدخول في الموضوع الذي يشير إليه العنوان رأيت ان اذكر جملة مختصرة ، عن عائلته ومولده ونشأته وتكوينه .

مولده - عائلته :

ولد محمد علاء ابن الشيخ عبد الواحد العباسي بمدينة فاس عاصمة الادارة الجيدة ، وعاصمة المغرب التاريخية والروحية والثقافية ، وذلك في النصف الاول من شهر المحرم 1328 هـ او في النصف الاخير من ذي الحجة 1327 هـ ، وله ولد في شهر يناير 1920 وابتداء السنة الهجرية لعام 1328 هو 15 يناير 1910) . وينحدر الشيخ علاء من عائلة عربية ماجدة قرشية صريحة النسب ، دخلت الاندلس لاول المفتح ثم خرجت منها مع آثر المهاجرين حيث استقرت بمدينة فاس .

يقول الامير شكيب ارسلان رحمه الله : « وفي فاس اندلوميون كثيرون اشهرهم آل العباسي ، وهم من بني الجد الفهريين الذين كانوا في قرطبة ثم في اشبيلية ثم في مالقة الى ان ارتحلوا الى فاس عندما لم يبق ديار اسلام بالاندلس ، وفي كل من المدن التي سقطت هذه الاسرة محمدا وسراوتها ورثاستها ومهم اشباب الناهض السيد علاء العباسي ، والشاب العاضل محمد العباسي وقتله الله وهو من نخبة شيبان المغاربة واحم العرب الذين امنوا بحصيلهم في نابريس (1) » .

ويقول الاستاذ عمر بها ، الدين الاميري - في مجلة انشهاد اللبنانية - « ذكر لي العقيد بنفسه ان اصل أسرته من طليطلة وكانت لها بها امارة (2) » .

والفهيرون هم القرشيون عند الساميين ، نسبة الى نهر بن غالب بن النصر بن كنانة كما في لسان العرب ، وقرش كلهم ينسبون اليه ويصفى هذا قول حسان رضى الله عنه في اباية الزبرقان ابن مدر شاعر وقد تميم عن المهاجرين واعلمهم من قرش :

ان الذوائب من فهر واحوتهم قد ببسوا سعة للناس تنبع

(1) سامر العالم الاسلامي - نعلين شكيب ارسلان ، المجلد الثاني - ص 48 ط القاهرة 1352

(2) ص 24 من السنة السادسة 7 جلد 1 الاولى 1394 هـ - 1 مارس 1974

وجو عبد الله هشام « مهر بن مالك بن النصر بن كنانة » وبعض الساميين يجعلون نهرًا هو
فرش، والاصح ان قريشا هو جده النصر بن كنانة ومن لم يكن من ولده فليس بقريشي هذا
شيء. قد ادى عليه ابن هشام وصاحب اللسان. ولكن اختص بالنسب الى مهر بن القريشيين بنو
الحارث بن فهر. واجلهم مكانة واعظمهم درجة هو ابو عبيدة عامر بن الجراح امير هذه الامة
واحد المشرة، وفتح الشام ومطهرها من الروم وقد وضيء ابو بكر وعمر خليفة من بعد رسول
الله لو قل « ومن قادة القهريين النظام في الحرب والسلام الصالح بن قيس الساعد، امير لحاوية
بن ابي سعيان. ومنهم الفاتح العظيم عتبة بن ناعم بن عبد القيس القهري، كان في اركسان
حرب عمرو بن العاص في فوجاته وله المقام المحمود في غزو الفريقات والتعلم في الصحراء.
والسودان قبل ان يكون صاحب الفتح الميسر لاقطار المغرب كلها حتى وصل الى المحيط الاطلسي
ثم كتب له الله الشهادة بأرض الزاب من بلادنا تاهودا حيث يتولى الى الآن مع اكثر من ثلاثمائة
من كرام الصحابة والتابعين في مدينة « سيدي عتبة » يقول الباصري : « ولا استشهد بالزاب
بقي بنو به (يعني بالزاب) فكانت لهم وجاهة معروفة بين اهله لكاتب ابيهم عتبة من جهاد العدو
وما فتح الله على يده من الاقطار واخطاطه مدينة القيروان التي هي كرم الامارة فكان ما منح الله
اهل المغرب من الاسلام والدين كله في صحفته هائلوا بذلك شرما خاصا زيادة على شرف العرشية
وعز القهرية فكان يكون لهم الشرف في بعض الاحيان على الزلافة فضلا عن غيرهم (1) « - على ان
القهرين اول من دخل الاندلس فاتحين في بعض الروايات، وكانوا في آخر من خرج منها وداث
لهم بالسيادة في بعض القنارات »

يقول ابن عذاري المراكشي : « اما دخول المسلمين اليها فذكر فيها اربعة اقوال احدها ان
الاندلس دخلها عبد الله بن تافع بن عبد القيس وعبد الله بن الحصين القهريان من جهة البحر من
زمن عثمان رضى الله عنه قال الطبري اترها من برها ورجعها ففتحها الله تعالى على المسلمين من
واحدة وازداد في سلطان المسلمين مثل امريقة (2) « ثم يقول ، وان ذلك كان سنة
27 من الهجرة الكريمة (2) »

(1) الاستبصار في اشهر المغرب الاقصى ج 2 - ص 226 ط. المطبع الشفاء 1394

(2) البيان المغرب ج 2 - ص 3 ط بيروت 1950

ثم ذكر بقية الافول * ولعل هذا كان في غزوات موقعة سبقت فتح موسى بن صير وطارق بن زياد للاندلس ، وعلى كل فان المهريين كانوا ايضا في الذروة من رجال موسى في الحسب والسياسة يدل على ذلك ما رواه المراكشي عن ولاية عبد العزيز بن موسى اذ قال : « واستحلف موسى على الاندلس انه عبد العزيز وترك معه حبيب بن ابي عبيد بن عتبة بن نافع وزيراً له ومعيماً ، واقام معها بالاندلس من ارادسكها (2) » - فكان حبيب الرجل الثاني بالاندلس * وقد اعتمد عليه الخليفة سنيان يسر عبد الملك ليتخلص من عبد العزيز بن موسى بعد ان تكب اياه واجاء والى افريقيا وخشى ان يجمع طاعته ، فقد اتصل بحبيب ورؤسا، الجيش وامرهم بقتله بعد ما يقرب من سنتين من ولايته فاطاعوا الخليفة وأخذ حبيب رأسه ، ونا اشتعلت العتس بين امراء الامويين بالشرق ، وادنت شمس دولتهم بالمعيب استنقل المهريون بالحكم في افريقيا والمغرب ، فاستولى عبد الرحمن بن حبيب على كامل ارض المغرب سنة 127 هـ ثم استولى ابنه يوسف بن الفهرى على الاندلس وادانت له سنة 129 هـ حتى اذا جاءت حلول الامور لقيت منهما عنتا ومقاومة ولم يترقبوا بحكم العباسيين - وقادم الامير يوسف الفهرى عبد الرحمن الداخل مقاومة شديدة كال الظهور في مراكها للداحل حتى قتل باسطة طنسطة سنة 142 هـ ولكن بسبه لم يستكوا عن الطيب فكان الامير عبد الرحمن يحارب الثائرين منهم ، وكثرا ما سعو عن طفر به مهم ففي 169 ثاب محمد بن يوسف بن عبد الرحمن وتحرك من طليطلة وجهة الشرق بالحشود وقتل في السنة التالية وقام بالامر بعده اخوه عبد الرحمن بن يوسف ثم اد عن بطاعته (2) - ولقد ثبت الفهريون في هذه البلاد المغربية والاندلسية ، التي سبقت ارضها الطبية يدعا الشهداء ، من اسلافهم ، وكانوا اوفيا ، للإسلام ، فانهم لم يرتحلوا عن الاندلس الا بعد ان لم يبق دار للإسلام ، يقول العبيد :

« اني واحد من احد الاسر الي عاشت سبعة قرون في الاندلس المسلمة ، وهاجرت منها حينما تملت النصرانية عليها ، ومنعت اسلافنا من اعلان ديانتهم واقامة شعائرهم (3) - وكما وجدنا اسما الفهريين في مراك الاندلس الاولى المشرقة نعد اسماهم اللامية في معاركهم الاخيرة البئيسة فقد روى الامير شكيب ملخصا عن واشنطون ارثي لفتح غرناطة يذكر فيها بعض هذه المراك اليانسة التي كانت تدفع حملات النصر وعبدان فرديان الكاتوليكي قال

(1) اسفل الحرب ج 2 - ص 30

(2) انظر المختصر المذكور

(3) دفاع عن التريفة - ص 47

« اجتمع منهم نحو من ثمانمائة فارس وساروا الى قرى المغاربة يحربون ويسبونوا فاعتصم المغاربة بالجبال ، وانتشرت الفتنة (الثورة) في الجبال كلها لكن وسطها كان في جبل «برميحة» المصائب للبحر فلما اتصل الجبر بالملك فرديناند اصعدوا لمره يقتل المسلمين الساكنين في جهات الثورة الى قسالة واعطى الامر سرا بان من يفتل منهم في النصرانية يبقى في وطنه ثم دمي الامة بالقائد المشهور « ألونزو دو اغيلار » وعنه جيش وهو الذي قصي معظم شبابه في قتال المغاربة فلما قرب من بلادهم حتى هرع جملة وافرة منهم الى دنة للدخول في النصرانية وسهر الماقون تحت قيادة فارس منهم اسمه الفهرى الى حيث يتخذ السلوك ... فتلقى الجمعان وانتشب القتال (x) وكانت الدائرة في اول الامر على المسلمين لسمه كر عليهم الفهرى بجماعة من ابطاله وعلت الصرخة فارتجت لها حوالب الوديسة ودعس الاسانيون فتداعوا الى الفرار وثبت ألونزو في مكانه يحرضهم ويهم من شئت شملهم فصبهم جماعة وولى الاكثرون ودخل السلام وخيم الفسق ... وجرح بطرة بن الورور فامره ابو عبد الرحمن ناصر على اللقاء بحانب ابيه ... وتحصن الدون بين صخرتين يبقى بهما فنصر به الفهرى فقصده واستنجر الصراخ واللع الفهرى وطمع في قرنه وكانا متماثلين في ثبات الجنان مع قسوة الاضلاع وتوثق الحنو فصاح ألونزو بخصمه « لا تحسن نفسك وقمت على صيد هين فانا الدون ألونزو دو اغيلار » فاحابه الفهرى : ان كنت أنت الدون ألونزو فاعلم انى انا الفهرى ثم كسوره صريحا ... وانتفع المغاربة ذلك الليل بطوله يطاردون الاسبينول ... حتى لاح الصباح فاضل المترك عن قتل « الدون فرانسيسكو دو رامير » المجريطى الذى كان قائد المدفعية الاكبر (x) »

وقد لا تكون بين هذا البطل الاسلامى العظيم من آل فهر « وبين علا صلة نسب ، ولكن الوفا ، للاسلام والنبات عبيده ، والاستماتة في الدفاع عنه ، والجهاد في سبيل اعلا كلمة الله قد تكون قدرا مشتركا بين الفهرين الصامى منهم والمحدثين ، حتى اذا زال عن الارض وصف داور اسلام ، ولم يبق - في النظر السديد - متبوا للابان واحه ، وجبت منها الهجرة الى دار الاسلام وهذا ما يفسر تدرجهم في الهجرة من طينيلة الى قرطبة ثم من قرطبة الى اشبيلية ثم من اشبيلية الى مالقة والى الحمال المصاغة للمحر ثم الى المغرب ويقر العقيده :

(1) حاشية هامش الاسلامى ج ١ ، الثاني - ص 19 - 20

« وما هي ذى قرون أخرى مضت عليهما نحن في المغرب نحس فيها بنوع من الشوق الى ذلك الماضي الزاهر في الاندلس ، ونتمنى بكل إحساس لو أنفذ الله تلك الديار مما أصابها ، ولكننا لا نعتبر الاندلس وطناً لنا وأما تعتبر المغرب وطننا كما لم نعتبر إليه من غيره لأنه هو الذي حقق لنا مدلول الآية القرآنية « **وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدِّينَ وَالْإِيمَانَ** » « مني المغرب فقط نجد مشواً لنا في الأرض والإيمان (1) » قال هذا الكلام رداً على من يرمي أن التراب هو الجامع بين المواطنين ويقول : إن الوطن أرض وشعب وعقيدة وشرايع ومناخ للحياة »

نشأته وتكوينه :

في مدينته فاس - حيث ولد - توجد أقدم جامعات الدنيا وإدرة ثقافة الاندلس والمصنوع الإسلامية الزاهرة ، ومنذ عهد المرينيين لم تخل من فطاحل الرجال الذين برهنوا على كفاءة في فهم الشريعة وعلومها وبيان مقاصدها ، وحفظ العربية ونشرها - وقد كن لهم المواقف الرائعة في بيان الحق ونصرة أهله من ذوي الأفكار الإصلاحية والسعوى السلفية والإمثلة على ذلك لا تحصى السات - وقد كان أبوه الشيخ عبد الواحد العاسي من جلة علماء عصره - ترك مجموعة قيمة من الفتاوى والإحكام تدل على علو كفه في هذا الشأن (2) ، وكانت داره جميع نحة علماء من الإعلام - فغسب في بيئة علمية رفيعة ، وأخذ يتأهب ليكون رائداً من الرواد ، ولما أدرك وتأهل للدراسة العالية انخرط في سلك طلبة جامعة القرويين حيث كان بها « نحة كبيرة من علماء الفقه المثار اليهم بالبيان ، والمثني عليهم بكل لسان » مثل علامة المغرب سيدي أحمد بن الحياط الذي له المزايا الجيدة في العلوم الإسلامية ، وسيدي أحمد بن الحلال الإفطاري الذي كانت دروسه الفقهية تمتاز بالتدقيق وشدّة الملاحظة ومعنى اغرب سيدي المهدي الوائاني صاحب المشيار الجديد وغيره من الكتب الفقهية المماثلة ، والسيد عبد الله العاسي ... وسيدي أحمد بن المأمون البليغي - وسيدي أحمد بن المسوازي ، وسيدي محمد بن العربي العلوي ، وغيرهم كثير كلهم امتازوا باتقان الدرس وإجادة الفتوى والفهم في القضاء (3) - وكل هؤلاء الذين ذكرهم - في معرض التذليل على وجود علماء مقتدرين على صياغة الفقه الإسلامي في مجلة قصائية - وشهد

(1) دفاع عن الشريعة لعلاء الدين - ص 47

(2) دفاع عن الشريعة لعلاء الدين - ص 300

(3) عن المصدر والصفحة

لهم بما علم اتصافهم به - يعترفون من شيوعه الذين سمع منهم ، وانتفع بهم وشاركوا في تكوينه بدروسهم وتأليفهم « وقد اشتهر من بينهم العلامة الامام محمد بن العربي الطلسوى سزعتة السلفية ، واكباره الاصلاحية ، واتصاله برجال النهضة الاسلامية وتأثيره في طلابه وكل من اتصل به من شيان المغرب فكان في المغرب بمثابة محمد عبده ورشيد رضا في مصر ، وابن عاشور والخل في تونس ، وابن باديس واصحابه في الجزائر « وكان على اهل اهل يلماء الجزائر ورجال نهضتها وانتخب عضوا شرفيا بجمعية اهل... ولقد كان كثير من علماء المغرب يشاركون في تحرير مجلة الشهاب في مطلع حياتهم ويكتبون المقالات الرائعة والاساحات العجيبة ويمنون الحرب الشعواء على الحرافات والتدجيل والشمسة والاباطيل ويملون لتحرير الفكر من الجمود وتصحيح المغالاة - وكونت حركة الشهاب مقالاته تأثرا عظيما في الازمات العربية لانها كانت متففسا للحرار والفكرين وقد شهد الفقيه في تصريح بفضل الشهاب عليه وعلى الحركة في المغرب « ومن يراجع مجموعة الشهاب يفتنع ان معاول الهدم لاركان الصلال والاستعمار وتحرير الفكر بياها هؤلاء العلماء الذين كانوا يكتبون مقالاتهم تحت اسماء - ومزية - وكان علا آنذاك في مطلع شبابه « ومع ذلك فانه شارك في هذه النهضة بالنشر والشعر ولا يتجاوز 17 عاما . ولم يكن انتاحه دون مستوى النحول من حيث الافلام من حيث الافكار والمبادئ ، ففي 13 من شعبان 1345 هـ (17 - 2 - 1927 م) نشرت مجلة الشهاب له ايضا ، «محمد علا المامي» قصيدة عروبا « واحسرتاه » هذا نصها

... الى كم يعيش بدون حياة
فواحسرتاه على حالنا
عرانا النحول و يا ليتنا
انقضى بلا عل سافح
حبايك يا وطني ما اعتبرا
اصابع بنوك عمولهم
الا يطرون الى شمسهم
لقد ضلوا بسفاسهم

وكم ذا نسام عن الصالحات
وماذا استعدنا من الحسرات ؟
عرانا النحول عن المهلكات
و نرعى جميعا بهذا النبات ؟
ك . كم ذا اصابتك من موجبات
وحادوا الى القوم باصحبكات
اما عدهم له ادنى التفات ؟
و ليس عليهم اذا قبل مات

و قائلية لم لا تقبلي
البيت نراهم فعيشتهم
اتحزن انت على حالهم
مطورا يقولون دو غرض
و أنا جهول و كم مرة
لأنك سفتت أحلامهم
فدعهم رشاهم و اتحد
فقلت و قد فطرت كيدي
هو الحر يفتحهم الهللكا
وليست يراصبة نفسه
ولو أن نفسي تطاوى
ولكن نفسي تنعني
أ أرض يبدل و مقصدة
ساجد و مكنا في السها
وئي، أمة فقيدت محدها
وانسج في نفسها بهضبة
والقى على شاهها نظره
فتبلغ ما أبتغيه لها
فلي مبدأ سوف أحدهم
وليس على اذا عجبوا
بيكم في الله شريهم

سيبهم ان أردت الحياة ؟
هي، و هم أروع المدرجات ؟
و هم يسمون لك الموبقات ؟
و أونه ما له من حصاة
يريدون غيك كاس الحراب
و عمي قولهم المرحمات
لنفسك غير سبل العذاب
و سألت على خدي الممرات
ت اما الى البر او الميمس
معاما على مثل هذي الحياة
أرضي ضميري و طيت السكات
وذلك شان نفوس الأنة
وعندي لسان من الرهنا
فان لم أحده من الرهنا
سأخدمها بسا خدمات
تروق على سائر البهائم
سرى السرى و عمل النيات
وما يرتجيه جميع الطماة
وأنعه وغم ألب العداة
وكانوا أبوثة و أودي الشوابة
وعل ملهم سرور العراة

وامى على مبدئي سائلر ناما حيااة واما ممسات (2)
والقا، نظرة على هذه القصيدة « الشابة » تقع هارنها ان الشاعر. قد فكر بعد في شأن
أمنه ، واستنكر ما عليه قومه من رعود وخمول. وأنكر اهمال شأن الضعف من الطبقات الرقيقة
المتربة . وأعلن أن معه الزمه ان يفهم في سبيل خدمة امته المهلكات فقبل والنزم وعاهد
ان يخدمها بسند الخدمات وان يهض بها الى صابيتقى ويرتبيه كل الحماة ويرقى البيتى ويصل
الساة . وهذا ما قضى ليه حياته حتى الساة وبذل ليه كل المجهودات فيبلغ ابعاد الغايات . ومى
20 رمضان 1345 هـ (1927/3/24) نشرت له قصيدة أخرى ، قيل عنها من بعد انها أول انتاجه
تحت عنوان « سيمر فنى قومي » .

أبعد مرور اشمس عشرة الم
ولى نظير عال ونفس ابيبة
وعدى آمال أريد بلوغها
وان أمة منكوده الحط لم تجد
نصيب عليها زهو عمر نحرا
ولا راقى نوم وان تم ساعة
وصرت عربا بين أهل ومعتري
بصرتى همد نحمولى وما درت
ويقول فيها :

عديرى من قوم انوا بسامف
بذلت لهم نصحي وقلبت معلمو
ولا تركبوا متن الرواية والردى
وحوهم بين البرية صليب
وكسل ذوى اراى السقيم تجنبوا
ومش اعلا والحد والمزم فاركبوا

دعوتهم للصالحات فأعرضوا
تحرب ضدى كل أصوح طامع
وما سارنى فى القوم الا عقولهم
وكنيت ارى تحت العمام حاحية
بلوت بسى امى سمين عديده
ولكن : اين الشر، فهو مولده
ويحتم بفعله :

سيعرفى قومي اذا جد جدهم
كنا عرفوني اليوم اذ قممت اخطي
فما القد الا مسن يصارح قومه
وما القد الا مسن يقول قيمرب (1)

وقد استحق يمثل قوله فى القصيدة الاولى : «وانى عل ميدنى سائر - فاما حياة واما ممات»
وقوله فى هذه « سيعرفى قومي اذا جد جدهم » لقب الشاعر الحاسى من الاستاد ابن بادى رحمه
الله - وكان لهذه القصيدة وامثالها دور فى الجرائد فقد روت التساهل عددها 126 قول احد آرائنا
« اذكر اننا كنا قرأنا ببسكرة قصيدة تطفيح عاطفه وشعرا نشرها الشهاب الكريم لاختينا شاعر
فاس النايبة العبرى ، لشاب السيد محمد علا الفاسي طالما «ايام مرور الخمس عشرة الع» ؟
فهاديناها بشارة يبشر بعضا بعضا ، وفرحنا بهذا الشاعر الجديد فرحا شديدا » ثم ذكر
الكاتب انهم اقاموا حفلة تكميلية رمزية للشاعر لم يحضرها ، وتراسها الاديب الكاتب الشاعر
محمد الامين العمودى رحمه الله « وسب هذا الاحتفاء انهم علموا بوجود شهاب ناصع وعصبة
مؤمنة وناشئة مباركة زكية يجد فى تحطيم الخرافات وتطهير العقائد وتدعو الى سبيل المؤمنين
ناحكة والموعظة الحسنة (2) » كانت هذه الحركة السلفية بالمغرب مسعة لحركة الجزائر ، منزلة
لأركان الجيود، مهدمة لاساطير الاستعمار بالتطيرين موحدة لجهود العنما ، وكان للشهاب ومقالات

(1) الشهاب العدد 89

(2) صدر فى 20 جمادى الآخرة 1346 هـ (1927/2/15)

علماء العرب فيه فصل في يقطعة الرأي المصامخ يرمي وتطلعه وحسن توجيهه وتخلصه من آثار الدجل والخرافة والجمود . وقد أحس المستعمرون بشدة وطائها وخطرهما على مشاريعهم الاستعمارية والتنصيرية وعلى أحبابهم ومصالح عملاتهم فمضوا ودخلوها بقرار من المقيم العام الفرنسي م . سنيق ، صدر في 29 جوان 1927 وقبل هذا الميعاد كان م . كسا حار في مراسله من العرب : « تحت مراقبة إدارة الاستعمارات التي لا تسوغ تفرقتها وبينها قتل مطلة جميع فصولها وبسبب ذلك صارت ربما تتأخر في الإدارة أياما معدودات » والحامل للسادة الحكام على ذلك هي الحيلة التي أفاقت بها المرائد الفرنسية ضدها وصعد حرية البرق مهمة لهما بضدية الحكومة الفرنسية (1) . أما مجلة الشهاب فقد علقت على هذا المنع بقولها

« الشهاب خلق به أن يتوقع هذا الضمحل على الصحافة والمكرين (2) » ثم يقول

« والتجهر الحائق ما يصاعب للشهاب الشرف وعلو السمعة وقد تعودنا مثل هذه التشريعات منذ استشهاد المنتفد (3) » ثم يحتمل عليه « وما علينا إلا أن نقابل هذه البساطة الجاهلية بالبرعمة الفولاذية والنسبات الراسخ اللذين هما الحامل الأقوى في جميع انتصاراتنا المشهودة » :

ولأسا على الأعقاب تدمي كلونا
ونكن على أقدامنا تقصير الدما
لا يقع الطعن إلا في تحويرهم
وما لهم عن حياض الموت تهويل
لا يصرحون إذا نالت رماحهم
فرما ليسوا مجاربا إذا بيلوا (3)

وشارك غلال - في الشهاب - يقال نرى أننا هذه الفترة موضوعه الاخلاق ، بين فيه وجهة نظره والعرب عن بعض آرائه في الإصلاح ، هذه الفترة من حياته كانت حافلة بالاجادات المسافرة للهمم العالية وانفاضية على النفوس الخواصة - لقد فتح عينيه على ثورة وطنية عبيمه وكفاح حري غير متكافئ ، بين دولتي اسبانيا وفرنسا من جهة ، وطلانه مؤمنة من المعارضة بقيادة الامر

(1) عدد 114 من مجلة الشهاب 1/7/1927 ، هـ - 1427/7/7 م
(2) عدد 115 من مجلة الشهاب 1/21/1927 ، هـ - 1427/7/21 م

عند الكريم رحمه الله هو هذا الكفاح عـالم الاسلام هرة عبيدة ، وادافه طعم النصر ثم مرارة الهزيمة امام القوى المتجمعة والتحيز الصليبي الاستعماري ، ولقد شارك علان في معارك فكرية لأول مرة في حياته وبرزت شخصيته فيها بجعل قلب الشاعر الحاسي . والشباب المكثر ثم ها هو الاستعمار يندس ويمسح من ارتياح هذه الساحة وقرأة الشهاب أو الكتابة فيه . لابد لكل هذا ان يترك اثرا في نفس الطالب الشاب ، وما ان انتهى من دراسته بالقرويين ، وحصل على إجازتها العليا عام 1930 م حتى وجد نفسه وجها لوجه امام اكبر تحد للاسلام بالمغرب ، ففي 26 مارس 1930 م اصدر لعرسيون الطهر الريزي ليمعواالربير من ارتياح المحاكم الشرعية والحكام الى القضاء الاسلامي وبحرهم على النحاكم الى الاعراف المحلية في بعض احوالهم والى النحاكم والوامين الفرنسية في الاعلى تمهدا بعصلهم التام عن الاسلام وتنصيرهم . بعد كان علان آنذاك في عنوان سى الرجولة المعتزة بقوة الشباب السكوى بالامجاد : مجد عائلي ، ومجد عسى ، ومجد قوحي ديبى فصعد الى رتبة الرعاية وقياده الجماهير وتوجيهها وباليها ضد ارادة المستعمر الكائن فتجست عشرات الألوف تردد اسمهم اللطيف في المساجد مشبعة

يا لطيف والطف بما فيما حرت به المصدر ولا تفرق بيننا وبين احوالنا المراسر

وهبط اليه من جبالهم الى اساحيد يشدون باسم اللطيف مع احوالهم ويعكرون معهم في وسائل الخلاص ويدبرون له دينا الصراع وفوجئت القوى الاستعمارية بما لم يكن لها من الحسنان وثنا احد الصحابيين الرسميين للقيادتهم اذا كتبوا على المقاومة قد يصلون الى الاستقلال ولكم ان يتوصلوا الى ان تحو فرنسا الطهر الريزي . وهذا ما كان ، فقد كان حادث اصدار الطهر الريزي من اكبر عوامل تنظيم المقاومة المسلحة التي قادها علان عائلتي عمه النص عام 1930 م افرج عنه واحد يذوق مرارة الصعق والاضطهاد والمطاردة والاعتقال والى ولكن كل ذلك لم يصده ولم يشه عن عزمه لانه كان مؤمنا طرما

ول أمة فقلت معدمها	سأخدها بسببها المعدمات
وانصح في نصها نصيبه	تروق على سائر النضال
والتي على نشتها نظيرة	نرفق النفي وتصلب الشات
فيلج ما ابتغيه لها	وما يرتجيه جميع الحماة

قل بدأ سوف اخذكم وابلقه رعم ألف العدة
واي على ميمتي مائس فاما حيلة وامامات

ونظم المال في نقابات ، والشعب في تشكيلات سياسية ، وثورية ، وأنشأ المدارس المصرية ، وعلم فيها بنفسه وعمل للاقتصاد وأبعدى الوطن معقلا في أقصى الظروف الزمنية والمكانية ما يربو عن 9 سنوات ، وعجز لمصلحة وطنه وجل في انحاء العالم وبلغ شمه ما يرتجيه من نهضة رائحة ، وطرد المستعمر من البلاد ولم يسمع الطير الا بعد الاستقلال ، ولم يرض علاء ولكنه بقي يعمل لما يبتغيه لامتة الاسلامية من عز واستقلال في جميع مناحي الحياة وارتقاء وظهور حتى مات غريبا وهو يعمل ، رحمه الله .

علاء المكي المكي :

لقد كان علاء فريدا في زعماء السياسة ، فذا في رجال الكفاح الوطني ، ينحلي بمجموع صفات قل ان اجتمعت في غيره : فهو عالم فقيه ، وكاتب قدير ، وشاعر فحل ، وخطيب مصقع ، ومدون محاضر مقتدر ، وباحث مدقق ، ومحلل اجتماعي موفق ، ومؤلف ناجح . هذه الخصال مجتمعة فيه تدل على كفاءة نادرة ، وعقيدة ، ونبوغ ، وجودة فكر ودقة فهم ، واداء كان مع ذلك الرتبة العلوذية ، والانساني ، والصلابة والمثابرة بلغ صاحبها اعلى مكن .

والفكر كما صرح به احد حكماء الغرب « هو مبدأ ارتقاء البشر ويقدر جودته يكون تعاضلهم فيه ! » . ولقد كان علاء مذكرا ، ولعل أول من رسم فقيدا بلقب « الفكر » هو استاذنا محمد الحميد بن باديس . وكان اسن باديس ذا فراسة قل ان تخطي ، ضميما بالانقلاب على غير اهله سحيا بها لمن استحقها تشجيحا منه له وتوجيها ، واخذوا بايدي الصبيان وتكونوا لهم . أطلق على الفاسي لقب « الشاب المفكر والشاعر الحاسي » ولما يبلغ العشرين ، وقد برهن علاء بمد على صحة فراسه فيه .

والفكر اسم ماعل من فكر مضيق فكر بمعنى تفكر ، والفكر - بالفتح والكسر - أعمال الخاطر في الشيء ، والتفكير القائل والنظر العقلي ، والتدبر ، هذه اعظم وظائف العقل ، والعقل فضل الانسان على جميع نواع الجنس الحي . واداء كانت بعض التقاليد الدينية قد حجرت حرية التفكير واستغلال العقل على البشر فان الاسلام ابطل هذا الحرج واعتق الانسان من هذا الرق بتجييد العقل والدعاء ، الى استعماله بالتفكير واكتشاف الحقائق والمعارف به . ومن المسلمين

تمتعت أمم الغرب هذه الحرية الفكرية فسمعت برقي احارف واذهار الحضارة واستبحار العمران
ثم تكس المسلمين على رزوسهم وحرموها على انفسهم واصبحوا مقلدين في كل شي، حتى في الحرية
الفكرية طعنوا بنت الغرب وهي وليمة ميساى الاسلام .

ذكر القتل باسمه او افعاله او ما يراد به كاولى الابواب واول النهى اكثر من خمسين مسرة في
القرآن الكريم ، وفي آيات كثيرة تدعو الى النظر والعكر والتفكير و « من تأملها علم ان اهل هذا
الدين هم اهل الطر والفكر والعقل والتدبير . وان الفاعلين الذين يعيشون كالانعام لا حظ لهم
منه الا الظواهر التفيدية التي لا تركى النفس ولا تصعد بها الى مارج الكمال (2) » ومن هذه الآيات
قوله تعالى « قل انما اعظكم بوحدة ان تقوموا لله عثني وفراى ثم تفكروا » وقوله «اولم يتفكروا
في انفسهم ما خلق الله السماوات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى » وقوله « ان في
خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولى الابواب الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا » ذلك ان
استعمال العمل بالنظر والتأمل وانتمك هو طريق الفهم الصحيح والفقه الصحيح والوصول الى العلم
والعرفان . فهو خليق بارتقا البشر وتفاضلهم بحدوده . وقد صرح من سيرة رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه كان كثير الصمت قليل الكلام وانما يفعل ذلك ليذكر ويتفكر في خلق
السماوات والارض ويعلم امته فعل ذلك . وحار عن الامام مالك رحمه الله انه لم يكن يسرع في
الحواب اذا سئل بل كان يفكر كثيرا قبل الحواب حتى يصل الى الصواب سئل عن ذلك فقال
« ربما وردت على المسألة تمنعني الطعام والشراب والنوم (2) » وقال مرة : « ربما وردت على
المسألة فافكر فيها ليالى » وكان اذا سئل عن المسألة قال للسائل : « انصرف حتى انظر
فيها (2) »

وحى بمن يفكر في المشاكل المطروحة ويتوقع المشاكل المحتملة ، ويتمسك في المسائل
العارضة تأملا . متديرا لها الحلول الصالحة ، مستبسط لدفعها الوسط المعولة ان يصل الى
راى صحيح ويسعد بنتيجة سارة .

1 تصحيح الفارج 11

2 . الفرجان لاسى اسحاق السامى ج 4 - ص 285

هذا التثنت والتريث في الطر ، وانتهل والتثبت في استنباط الحلول المقولة للمشاكل ،
الطائرة أو التوقفة هو مذهب عل ، يسلكه ويدعوا اليه ، ويستنكر على امته ان تسرع والارتجال
يدعو الى التوقفة على هذا الاسلوب الارتجالي فسي التفكير والميل ويقول

دا. الارتجال :

« ان اخطر الاحوال التي يشتكى منها العرب اليوم والتي لها نصيب كبير في فشل كثير من
شؤنهم انهم لا يحدون للاسعدته ولا يخططون له قبل حيله . ولكيهم يعملون في تعامل وفي تردد
ثم يرتجلون الابتكار على نحو الحاضر السريع ويرتجلون بعدها العمل على حبه فيما تقتضيه
الظروف (1) » . ويتألم من شمول هذا الارتجال حتى عم كتابنا وشعراؤنا فيقول

« ان كتابنا تكاد تكون كلها ارتجالا وفي لغة الرقيات ودون ان تصن ما كانت تحتوي عليه
من الكلام الجوامع في العهد الاول للسان العربي . أما شعراؤنا فانهم لا يجدون من الوقت ما يصلحون
به العروض والنحو فضلا عن الاتيان بما يسهل السمع من حكمة وبيان ، وكان البحار كلها تفيض
عليهم دمة واحدة ويلتفتون بسرعة الى قافية يصممون بها ولو كانت من قصب الشاطئ . او
من هلال النياز » اين نحن من عصر الحضارة العربية يوم كان الحافظ ينام في دكاكين الوراقين
ليستخدما مما عندهم . وكان ابن المقفع سهر على نقل الحكمة العاصية ، بينما يغيب الباقلاوي واصرايه
انفسهم على سهر الليل ذوات اعمد وعبية في التوقيف بين العقل والدين ؟ (2) . ولهذا يقول
« لنثر على الأرجال ، ولكن أهدر على الاعضاء والتهجم حتى تستطيع ان تدرس في اسامة
وتعمل في سمة » ونجح في الآبان (3) .

وجوب تعليم الشعب التفكير :

وكان من عظيم اهتمام علاء بالتفكير وتمييزه ووجوب تعليمه ن يرى على ذلك كتابا كاملا من
أهم كتبه : « النقد الذاتي » وجعل مداره كله على التفكير . لقد اقتنع ان التفكير مدأ ارتقاء.

(1) النقد الذاتي لعلاء القاسم - دراسة - بغداد - ص 13

(2) النقد الذاتي لعلاء القاسم - دراسة - بغداد - ص 25

(3) النقد الذاتي لعلاء القاسم - دراسة - بغداد - ص 26

الشعوب ولذا فهو يرى وجوب تميمه والطلاق الحرة للمعكر ، ويرى عن فولتر قوله : « ادركت أباهض شعب فعلية كيف يفكر ! » ونسبه ويرهن عن صحته بالهوس اسرع لام اوروب وامريكا نتيجة تميمه والحرة فيه ، ويسهب حتى النازية في الموضوع ويستفتح قول هبيل زعيمها في كتابه « كفاي » : « يحب ان تسمى الشعوب عادة التفكير وبتركوا المرءا ، ورجسا » الحكم ان يفكروا لهم ، وان حير وسيلة لذلك هي فرض الرقابة عن الصحف وانطواع (1) ثم يعلق على قول ازمع النازي : « وهكذا تكوّن الطبع الياري التي رأينا تيجها في اسسداد هتلر بقيادة الشعب الالاني نحو مصر بانتهاء مؤبة ١٩٠٠ » ، والحصار الاسلامي كان في اوج عزها واردهاها يوم كانت تعاليم القرآن حتمية في اعطاء الفكر حرية الانطلاق وحرية الاستنتاج والعمل ، ثم آل الامر الى الانهيار يوم انصهر دعاة الجور والفساد القليل ومحكرو الفكر والمعرفة هؤلاء الذين ثارت على حدودهم الحركة السلفية التي يقولونها

« من الحق ان اعترف بان للحركة السلفية التي عملت نحو ههتها فصلا عسيميا في الراحة كثير من هذه الحجب وفي توجيه العقول الى الصواب والحق وفي الثورة على عدد من الخرافات ورجحانها ، ولكن ما وصلنا اليه من حب التطرليس الا جزا ، ما ينظله الفكر الحر ما (2) » وهذه الحركة السلفية التي اشار اليها هي التي ارتبطت بدمرة الشهاب واتصل فيها عسما ، المغرب بعسما ، الجزائر وخصوصا اثنا ، السنوات 25 - 26 - 1927 وكتبت ادعاء شريفة من حله علما ، مصلحين سلفيين وكان من فصلها تكوين شخصية امثال علاء الدين ، الرحال ،

وعلاء الدين لم يكن - مع - رسم به هذا القلب - يفكر في مشاكل فرد ، او عائلة ، او مسانة خاصة انما كان يحاول في تفكيره معالجة مشاكل أمة حل على حها ونشأ على الاحلال لها ، وعاهد الله ان يفلحها ما هو به ، وصلة كان ياتعا بدأ يهتم بمشاكلها ويمس النظر فيها ويحاول ان يشخص ادواها ليصف ادوينها ويهدي الى النافع منها ، ففي أول مقال نشره له في الشهاب تحت عنوان « حاجتنا الى الاحلاق » بحث عن عوامل النهضة ، واعصه الاحلاق والمص وصورها بلمة امته من سر ، واحتطاط في الاحلاق من ، عبادته ونسب وساعى بشتين - وحدا

(1) الفتحة العاشرة - ص ١٦

(2) الفتحة العاشرة - ص ١٧

« كذب وسقوط همه ودنائة نفوس (1) » و يقتنعان من هذه الاخلاق الفاسدة ما لم يكن فينا ولكننا تسرب اليها من المدنية الغربية التي اندفع الناس في تقليدها دون تمحيص بين المافع والمضار ، ثم يصل الى الرأي الشديد ويعلن عنه »

« واذا كان من الرأي الحبيب ان نقف من الغربين ما لهم من مكارم وبأخذ عنهم كل ما يرقنا في مترك الحياة ويحمننا في المصاف الالهية للامم الحية فيس من الحكمة ان نقلدهم مقلدا ونجدد على امكدهم جيودا والا ضيعنا تلك الموهبة العقلية التي وهبناها واصبحتنا من الخاسرين (2) » لقد صدر منه هذا القول لوضعية امته . والوصف لادوائها وعيها « والصبح لعلاج حالها واصلاح امرها وعمره دون العفرى » وتقدمت به السن ، وداق الحزن والدمع والسحن ولكن كل ذلك لم يصده عن التفكير فيها والكشف عن امراضها والوصف لدوائها ، فهو يفكر فيها شانا وكهلا وشحنا ويحسها في الشبط والمكره وذلك شأن المجاهدين « فاستمع اليه وهو يقول :

« يجب ان نسأل انفسنا في كل صباح ماذا سنفعله اليوم لامتنا ؟ ثم نضي وكل همتنا في اعدائنا الخاصة والعممة ادا الواحد « » ثم مني عمدا في الليل الى فراشا يجب ان تلقى نصيرة على ماذا فعلنا مستعرضين اعمالنا اليومية نحاسب انفسنا « » متساندين ماذا فعلناه اليوم لامتنا ؟ (2) »

ترى لو فكر كل مسلم تفكر علاء كيف يكون حال المسلمين ؟

المفكر كالمصمم

يرى علاء ان العسايا التي يعلنها المفكر لامته ويعرضها عليها يجب ان يكون قد عرفها جيدا وفي واضحة لديه ويدبرها ويتصورها اكمل تصور وبذلك يحس قاديته

« ان لكل قصية صورة كاملة » وان المفكر بمثابة الرسام انذى يجليها امام نفسه اولا ثم امام الجمهور ثانيا ، وادا لم ينجح الرسام في تمثيل الصورة التي يريد تسجيلها تشبها كاملا بما فيها من نور وما يكتشفها من ظلال فانه لن يستطيع ان يمرر للناس الا رسما ناقصا او

(1) مجلة الشهاب العدد 92 الصادر في 12 شوال 1349 هـ - 14 ابريل 1927 م

(2) المفكر المداوي - ص 90

اسطورنا لاسم لغزات التي يريد ابرازها بصفة- وهكذا شأن الفكر فانه اذا لم يفسح كل اجزاء الموضوع الذي يتناوله بالنظر ولم يحط بكل جوانبه فانه لا تسنى له الا ان يعرضه للناس ميتورا مشوها (2) .

الثورة في التفكير :

وهو يدعو الى تفكير ثوري يحرر قومه من شيق. الاقوي السدي كونه طقة المانقين (3) يحب ان نأخذ أنفسنا على تفكير غير رجمي ، بل تفكير ثوري يخرج بنا من شيق الاق الذي كونه في الانسانية طقة المانقين (4) ، ولا يريـد كما صرح - بالنورة الهدم والتخريب والمخروج عن العدل والاحسان عدلك من الغرضي « ولكن يريد الانتقاء من تقاليد البيئة الاجتماعية التي جعلتنا لا نحس الا بوجودنا الخاص . ونريد ثورة في التفكير تفر من عقليتنا وتعمل على تعديل ذهبيتنا حتى نستطيع ان نعالج مشاكلنا وفقا لما يقتضيه هذا العصر الذي اصبحت فيه المادة والآلة في المقام الاول يجب ان نكيف انفسنا بما يقتضيه العدل والاحسان كما يفهمها الانسانيون في هذا العصر لا كما فهمها اسلافنا في عصر الانحطاط. الاجر ، سم ان تنحصر من ذهنية الطبقة الحاكمة (البرحوازية) التي تختل من كل جديد (3) . » .

الانانية الطاغية

وما تعرض له في مسائل الفكر الانانية وصعوبة تحرد الانسان عنها ، وقد ابرز ردائلها فقال : « ان طغيان الانانية هو الذي يجعل مشاعرنا لا يشعرون الا بما يلبس وحدهم الخاص ولا يتحسسون بانكارهم الا نحو ما يعود عليهم بالحاج » هذا الطغيان الاناني هو مصدر كل التناقض الاجتماعي التي نحس بها في وسطنا ولمسها في بلاد غير بلادنا . هو الذي يحصل الحاكم على ظم وعيته رغبة في اطمان حاجته للمال من طريق الرشوة والاستبداد من طريق الشهرة . وهو الذي يمتنع العالم من ان يؤدي واجب النصيح والارشاد حرصا على جاء كاذب يستهوي أو منصف زائف يفويه . هو الذي يجمع الفنى من التفكير قيسا بهلج حال احواله البائسين أو يعمل

(1) المصدر السابق - ص 18

(2) المقاد هو السهم الخريف ويرى المؤلف استعمال هذا اللفظ عوضا لـ « كورونى »

(3) البلد الداني - ص 11

على التخليق من الأهم ، ويحصل الطبيب والمهندس والمطام على حياة الإمامة التي تحميهم ، حتى يتمكنوا من تحقيق رغباتهم في العلي وأطباءهم بالملق للرؤساء. الحاكمين . وهذا الطمان الإنساني هو الذي يملك بعوس الملوك والرومانيين حتى يكون في أعينهم شعورا محظنا باستمرار بلادهم ، أو تفرق عنصرهم فيحلمهم ذلك على الاعتقاد ، على ممتلكات العرب وأوطانهم ، وهو مصدر كل الحروب الاستعمارية وآثارها (1) . « وهو بعد هذا التشخيص يرى أن العلاج أن نوحه هذه الانانية فينا التوجيه الصحيح من حب لذات مضر جدا بالآخرين إلى حب للذات يعنيها في صالح المجموع بحيث « تصبح نردبنا وهي تنشدها نانيتنا عن طريق الامعاء ، في المجموع والانضمام في صائله والانتزاع بحاجياته فلا نحس لصقلانية إلا إذا كان من ورائه نفع عام ولا لهودنا فخرا إلا بقدر ما فيه من اثر في جلب الخير للناس ودفع الشر عنهم (2) » وهو مفتش ان هذه عاصه الرسل من اداء رسالتهم . وما المطولات التي شهدت الاراضي وضحي فيها اصحابها بانفسهم في سبيل الدفاع عن امهم وقومهم إلا من هذا النوع وقد عر عن ذلك الشاعر بقوله

« تأخرت استقى الحبة فلم احصد لعمى حنانه متسل ان اتقصدما (3)

ويشبه الى وجوب العناية بالآخرين والتفكير بالشر ويسمى هذا « اشعر اجنباعا » ويقول :

« لا يمكن لامة ان تنهض من هذه السقوط التي وقعت فيها إلا ان تدرب ان تفكر اجتماعا ومودت ان لا ترى في مسائل الافراد أو الطبقات الاخرى شؤوننا بعيدة عنها (4) »

المساواة في الاقل الحيوي :

وقد اعلن انه لا يجوز بحال احوال شأن المستضعفين والمساكين امرأة جاعا مرضى وكفى في امرهم بالاحسان لهم « ان الله الذي خلق الانسان يوم ولادته عاريا وخلق اديبا يسوم رزقها كاسية ما وال يجرحنا من بطون امهاتنا متساوين في العري لكي تتساوى في الاستعانة

(1) المصدر السابق - ص 9 و 4

(2) المصدر السابق - ص 8

(3) المصدر السابق - ص 7

من كساء الارض (٤) « - « منى نمسك عسى احقار عرق العامل الذى يكسح لسنريج .
والعلاج الذى يهوج لطمم ؟ والصانع السدى يستيقظ لثام (٤) » .
« ليس احد احقر بالثراء من احد ولا جماعة أولى بالخدمة الوطنية من غيرها ومن لكل
حجب ان يتساوى فى الافل الجوى (٤) » .

« لننى نظرة عامة على احواسنا ولنتفعل بظورتنا الى اعماق الؤس الذى هم فيه ولشاهد آلاف
المساكين الذين انقدهم الجوع ولعزى اهل شىء فى الوجود هو الصحة ولعاود النظر فى ملايين
المكسبين الذين لا يجدون مأوى ولا يحسبون بالمطبخ من احد ، ولتالم مهم (٤) » .

« ولكى لا ينبغي ان نقف عند مجرد الألم... بل يجب ان نتجاوز الشعور الى التفكير فى
الاشياء واسانها... وادأ فكرنا فلا ينبغي ان نطل محصورين فيها وورثه لنا الاحياء من عاطفة
الصدق الاحيائية البسيرة... ان واجبنا جميعا ان نبحث لهم عن الوسائل التى يستطيعون بها
حياة شريفة يحسون فيها اهم يكسبون كسانكسب ويربحون كما نربح ، وانه ليس لاحد
عليهم فضل الا فصل النماون المتبادل والصمان المشترك (٤) » . ثم يوضح ان الثورة هذه لا تصى
الهدم ولكن تصى معالجة القضايا بروح المصرى دائرة العدل والاحسان »

ومن هذا التحديد فى التفكير والثورة على القديم ان يكون التفكير شسوليا « بحيث مسعصر
اثنا اهتمامنا بعمل ما جميع اجزاء البلاد وبمناصر الامة وان نلظر الى طمنا ككل لا يقبل التصور
الا كاملا ، والى الجمع كغير لا يمسك تحقيقه الانشاملا ، وان اصناما ينبغي ان لا يخصص طبعة
دون طبعة بل يجب ان نعمل على اصلاح شامل وتجسس كامل لحال الطبقات الاجتماعية باسمها
تحقيقا للتغارب بينها او العساء الكلى على ما بينها من فودرف (٤) »

واثنا التفكير فى اصلاح الامة « يجب الاخطاة بكل القضايا الوطنية... وانه من
حائل الرأى ان يطى عليها جانب منها دون الآخر (٤) » ويرى انه يجب ان تمتد الرعامات

(٤) المصدر السابق - ص ٩

(٤) المصدر السابق - ص ٨ و ٩

(٤) المصدر السابق - ص ١٤

لوطنية لا وإن يكون للوطنيين قاداتهم الاجتماعيون والاقتصاديون والروحيون إلى جانب قاداتهم السياسيين (2) .

ويعين استهجانها الجلود الفكرى وإنه لا نعمة إلا بالنضج العقلى والتفكير الصحيح :

« أننا نريد أن تنضج العقول المغربية ونعلمها يصبو اليه من حرية واستقلال ، ونرى نظرى أن ذلك ليس فى مجرد تكثير حملته الشهاديات الذين يملأون الإطار الحكومى ولكن فى تويسر أذهان الأمة وتمسكها وسائل النهوض الصحيحة والاحد بيدها إلى شاطئ السلامة المنشودة (3) » .

لقد عرضنا أمثلة من أفكاره ، وبإذخ من آرائه فى الإصلاح ، وقد كتب كثيرا ، وعالج قضايا الفكر والادارة ، واللائحة الحزبية ، والاقتصاد ، والاجتماع ، والدين ، تعرض للمائلة وما يهددها من آفات ، وتعرض للتربية والتعليم ، والصحة العام ، ولكل شؤون حياة الأمة وشخصى الدار ، ووصف النداء . « وبعض آرائه تحتاج إلى تحجيس وبعضها إلى مناقشة ، وأخرى إلى رد ورفض ، وقد أعلن رحمه الله فى أول كتابه الذى اشتمل على أغلب قضايا الفكر أنه يمرض إنكاره ولا يفرقها على قسراته أو يلزمهم بانتحالها ، وإنه مستعد لاعادة النظر فى كل رأى منها مع أى واحد من يهيمهم الدرس والبحث عن الحقيقة ، وهذا منه غاية التواضع والفصل والدلالة على كمال الادب وحسن الحلق وسلامة التفكير » .

علاء الفقيه أو المجتهد :

لقد أثرت أن اسمه بالفقيه لأن هذا القبول الشريف هو المرفوف لامتاله زمن السلب الصالح من جهة ، ولأن المغرب قد حافظ على استعمال هذا اللقب فى مناء السلفى ، واحتفظ لامله بكامل النجعة والاحترام من جهة أخرى .

والفقه - فى أصل الوضع - عبارة عن الفهم والعلم ، يقال فقه كعلم وفهم وزنا ومعنى . وقالوا فقه فقه ففهم وكرم ففاهة أى صار الفقه وصفا له وسجية فيه فهو فقيه - قال المرزالي : « يقال - هان يفته الحبر والشرى أى يطمع ويهيمه (3) » . وظل عن الرأغب أنه « التوصل لمعلم

(1) مصدر السابق - ص 17

(2) مصدر السابق - ص 21

(3) التلمصى للرمال ج 1 - ص 3

شاهد الى علم غائب (2) . و عن الحكميم الترمذی « الفقه بالشيء هو معرفة بطله والوصول الى اعاقه فمن لا يعرف من الامور الا طواها حصارا لا يسمى فقيها (2) » . ذكر الفقه ومصادره في القرآن كثيرا وحقق العلامة محمد رشيد رضا ان المراد منه في الاعم الاعلى « نوع من دقة الفهم والتمعن في العلم الذي يترتب عليه الاتماع به (2) »

واما الفقه اصطلاحاً فقد « صار يهرف العلماء عبارة عن اعلم بالاحكام اشرعة الثانية لاعمال المكلفين خاصة حتى لا يطلق بحكم المادة اسم الفقيه على متكلم وفيلسوف ونحو ومحدث ومفسر ، بل يختص بالعلماء بالاحكام الشرعية الثانية للاعمال الانسانية كالرجوب والمطرر والاباحة والسب والكراهة وكون هذا المقصد صحيحا او فاسدا ماهلا وكون العبادة قصرا وادا، وامثاله) . وقريب من تعريف العزالي هذا قول ابن خلدون « الفقه معرفة احكام الله تعالى في اعمال المكلفين بالحروب والمطرر والسب والكراهة و لا باحة وهي متلعة من الكتاب والسنة وما صبه الشارع لمعرفتها من الادلة فاذا استخرجت الاحكام من تلك الادلة قيل لها فقه (3) » . فالفقيه هو العالم بالاحكام الشرعية الثانية لاعمال المكلفين المستخرج لها من الكتاب والسنة وما نصه الشارع من الادلة ، فهو الحكمي الذي واستنبط ، واعتق . وذلك يسراده المجتهد في عرف الاصوليين . فالعقل له الدرجة السامية لانه قسم منقسم التي في الامنة مفهم المبي (4) . لقوله صل الله عليه وسلم : « العلماء ورثة الانبياء » . وقوله « يتبعوا عني » ثم قال « ان لعني شارع من وجه لان ما يبلغه من الشريعة اما معقول عن صاحبها وما مستنبط من المنقول ، فالاول يكون فيه منفا ، والثاني يكون فيه قائما مقامه في اشياء الاحكام وانشاء الاحكام انما هو للشارع فاذا كان للمجتهد انشاء الاحكام بحسب نظره واجتهاده فهو من هذا الوجه شارع واجب اماعه والعمل على وفق ما قاله وهذا هو الخلاصة على التحقيق » .

وليست هذه بالهمة اليسيرة التي يستطيع كل واحد ان يقوم بها بل لا بد لها من موهبة ومهارة منها انذاك ، وصحة الفهم ، وكمال الخلق والديانة وكثرة العلم ، ولم يكن كل اصحابا مجتهدين

1- مجمع البدر ج 10 - ص 477

2- مجمع البدر - ص 421

3- مقدمة ابن خلدون الفصل الثامن عشر اربعة اقسام

4- الحاشية على الفقه ج 4 - ص 244 و 245

صحاب دوى ، وإنما كن ذلك مختصاً بالعلماء للفران لما رغب في أسسه ومنسوخه . ومتشابهه
ومجكبه ومدثر دلائله بما تنقلوه من النسخ أو من سمعته منهم ومن عليهم وكانوا يسمون لذلك
الفران أن الناس يقرأون الكتاب (x) ثم أتبع الفصح وأزدهرت أحصارة الإسلامية ، عظم
أصناف الإسلام ، دعيت الأمية من العرب بممارسة الكتاب وتبكي الاستنباط وكل اللغة وأصبح
صناعه وعلماء فبدلوا باسم العلماء والعلماء من اسم العرب ، وأصبح اللغة إلى طريقتين صريحة
أهل الرأي والقياس وهم أهل العراق ، وطريقة أهل الحديث وهم أهل الحجاز (x) . وعند مقدم أهل
الرأي في القرن الثاني أبو حنيفة . ومقدم أهل الحديث مالك والشافعي . فكلية أعقبه - كما نرى -
كانت عندهم فهم المجتهد المستنطق بلغة عند السلف ، لا يكون المجتهد إلا فيها .

والاجتهاد لفظة ، ينزل الجهد واستفراغ الوسع في فعل من الأعمال ولا يقال إلا فيما فيه
تفعة وجه فبما اجتهد في حمل حجر الرخا ولا يقال اجتهد في حمل حردة (2) ، ثم خصص
العرف له صار في حرف العلماء مخصوصاً بفعل المجتهد وسعى في طلب العلم بأحكام الشريعة
والاجتهاد اليوم بفعل الوسع في الطلب يبحث شخص من عباده البحر عن مزيد الطلب (2) .

ونفس كل من ادعى بنوع درجة الاجتهاد قبل منه ادعائه وسلم له في اجتهاده بل لا بد
فيه من شرطين ، أحدهما أن يكون محيطاً بمقدار الشرح متبهما من استنارة الظن بالنظر فيها
وعندهم ما يجب نقده ، تأخيرها يجب تأخيرها ، و لشرط الثاني أن يكون عدلاً محبياً للعلماء
المادة في العدالة (2) . - وذكرهم أو اسحق الشاطبي بكيفية أخرى ، إنما تحصل درجة
الاجتهاد بوصفهم اسماً فيهم مقاصد الشريعة على كمالها ، والثاني التمكن من الاستنباط بناء
على فهمه فيها (3) . - وقد فصل المصنف ذكر العلوم التي لا بد منها للمجتهد وذكر الدرجة
الواجب بوعدها فيها وحصرها في ثمانية الكتب والسنة والإجماع والقياس ، ودمعه نصب الأدلة
وسروطها ، ومعرفة الثقة والمجرب ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ . ومعرفة الرواية والمحدث ثم قال :
« فهذه العلوم السانعة التي يستعان بها مصنف الاجتهاد ، ومعلم ذلك يشتمل على ثلاثة فنون

11 : اللغة لا ن جدول 446

المصنف للفران ج 2 - ص 201

12 : الخواص للشافعي ج 4 - ص 209 - 210

علم الحديث وعلم الفقه ، وعلم أصول الفقه (٢) «وحتم ذلك بقوله : «اجتماع هذه الثمانية إما يشترك في حق المجتهد المطلق الذي يفتي في جميع الشرع . وليس لاجتهاد عتدى منصباً لا بنحراً بل يجوز أن يقال للمالم بمنصب الاجتهاد في بعض الاحكام دون بعض *** وليس من شرط المفتي ان يجيب عن كل مسألة فمد سفل ماك رحمه الله عن أربعين مسألة فقال في ست وثلاثين منها لا أدري » ، وكتم توقف الشافعي ، بل الصحابة في المسائل . فإذا لا يشترط الا ان تكون على بصيرة فيما يفتي (٣) » .

وبلغ هذه الدوحة ليس يستحيل في أي زمان ولا أي مكان - يقتضي هذه الشروط ، وما هو مبسوط في كتب الأصول - على كل من سمعته ، ودعه بحسه قبل كل جهد في التوصل وبلغ القمة في هذه العلوم . وليس لباس التقوى بهيئة من لئه ، وعاهده ان يجاهد في سبيله بسلاح العلم لسر دنة والدفاع عنه واعلا، كلمته وحمايته من محوم المراجعة ، وكيد الكائس ودسائس المغترين وجناية الحمديين * وقد زعم قوم ان باب الاجتهاد قد اغلق منذ الرابع الهجري وأن تقليد احد الائمة السابقين واجب ولا يجوز ان جأ . بعدهم الا ان يعني لما ادنوا فكان في هذا القول تحجير على القول ان تفكر وتندبر وتستبسط مع ان الزمن ينقدم ، والاقضية تحت كل يوم * وعريد آخرون امام باب الاجتهاد يرشدون ان يلحوا منه - عبر مستكملين ادوايه ليهدموا قواعد الشريعة وينسجوا احكامها ويصرفوا المسلمين عنها * وفي كلا الحاحين اسراف وفساد ، كان علل وامتاله من السلفيين والمكرين لهم بالمرصاد .

خصاصة المسلمين بالأعراض عن الاجتهاد :

فالغفيد يرى ان اودحار الحضارة الاسلاميه ورمي السوثر الفكرية أول عهدنا كونها الاجتهاد وأن لا يحطاط والمجود سببه اغلاق بابيه ، ان الذي يتعمق التورم العلمية المطيبة التي كونها الاجتهاد في فهم القرآن والسنة واستنباط الاحكام مهتافي عصر الحضارة الاسلامية الزاهرة ثم يطر الى الحالة التي وصل اليها المسلمون منذ القرن الخامس حيث احدثوا بمسكون عن الاجتهاد ولمسكون

(١) المستعصي ج ٢ - ص ١٥٩

التعبد. يعرف مقدار الحسارة التي تصيب المسلمين كلما اعرضوا عن النظر والدرس وحرموا غسل أنفسهم أعظم مميزاتهم ومميزات دينهم وهي الاجتهاد وعدم التقليد في الدين فاحرى في غيره من الشؤون (1) »

القبول النهائي للاجتهاد فيما استجد :

وبشرح عملية الاجتهاد وضرورة بقائها فيقول : « نحن نقطع ان كل ما وصل اليه البرهان وغالاه ظاهري الشرع ان ذلك الطاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي » ومطع نظر العلماء، فاطلة هو استعمال ميراث العقل لاستنباط الاحكام من الكتاب والسنة المبينة له وهذا ما سماه علماء المسلمين بالاجتهاد وهو طريق سلوك دائما يتمكن به أهله من تطبيق الكليات القرآنية على جزئيات الاحكام المستعمدة . واذا كان الجمود قد قضى زمانا على مبدأ الاجتهاد فأوقف بذلك نمو الفقه الاسلامي فان النهضة الاسلامية الحديثة قد بدأت بقبول نهائي لفكرة الاجتهاد والعمل به لمسايرة العصر ومعرفة احكام القرآن والسنة فيما استجد من اقصيته واسواله (2) »

ابتكار مدارس فقهية تضمنان دوام التسلسل الاجتهادي :

وقد برهني فقيدا وحده الله على ان اعداء الاسلام من المستعمرين لا يهاجمون العقيدة والصادات في الامم التي خضعت لسيطرتهم بقدرما يحاولون محو الشريعة الاسلامية من المحاكم والمعاملات . ومحو الفقه والاحكام من حيازة المسلمين ، لان الفقه هو « المادة الوحيدة التي تربط مسلمي العصر بالفكر المسلمين المنسلطين عهد السوء الى اليوم ، ولانه المجموعة التي نازرت دراستها والعمل بها وتطبيقها بأفكار الناس وسوقهم ، ويوشك الفقه الاسلامي اذا استمر ان يدفع بدارسيه والمتقاضين لديه والحائلي به الى ابتكار مدارس فقهية عصرية مبنية على صميم المصادر الاسلامية وضامنة دوام التسلسل الاجتهاد الفقه (3) »

ضرورة وجود المجتهدين واستمراره :

وعلا كفضي . وسعني مصلح يرى ضرورة وجود المجتهدين واستمراره - كما هو الحق من مذاهب علماء الامور - لان الشريعة عامة تشمل كل الشعوب والقائل ، وابدية صالحة لكل

(1) مقدمة الشريعة الاسلامية ومكازمها - ص 10

(2) دفاع عن الشريعة - ص 182

(3) دفاع عن الشريعة - ص 187

المصور والىجال ، واعمال الشرح - فى كسل الازمنة والامكنة - متنوعة فلم تنزل الشريعة على شكل واحد من التعميل ، ولكن اوشد الشارع الى كثير من مسائلها على طريق كلمات واصول ومقاصد تمل عليها امارات ويدركها المجتهدون :

« دعى ها يعلم ضرورة وجود المجتهدين الذين يقومون على استنباط الاحكام غير المعلوما (2) » . . . وضرورة استمرار ذلك الوجود فى كل الازمنة والىقاع ، ويعلم ذلك الضرر الذى يحدثه انقطاع الاجتهاد او اضعافه عنه بصحود الفكر وضعف العلم (2) » .

ثورة الجامدين وجنايتهم :

ويؤتم الامة اذا انقطع منها الاجتهاد ورشيت بالتقليد حمودا ، وينسى على هؤلاء الجامدين المقلدين الذين لم يحسنوا خدمة الكتاب والسنة فطنوا ان من الوفا ترك النظر فيها وتحريم الاستنباط منها اكتفاء بما استنبط السلف مع تقسم الزمن وتجدد الحيات والاحداث والقضايا ، فيذكر موقف هؤلاء اذا ، من يجهز بقا الاجتهاد : « واما من يدعى الاجتهاد ولو فى جرئية ما فهو الماوق من الدين السالك غير سبيل المؤتمين وذلك ما فتح الباب لقلب الاحكام الشرعية واطهار الشريعة بمظهر الشريعة التى لا تقبل التطورولا تصلح لكل المصور (2) » . ثم ذكر ان « من حسن الخط ان ينتبه بعض العلماء لهذه العاحصة ويتحرروا على النظر والاجتهاد فيعيدوا للشرع الشريف اعتبارا وتلتظرر والمسم الصحيح مكانتهما (2) » .

الفرق بين الاجتهاد وبين اتباع الهوى :

والاستاذ علائ رحمه الله كماله مسلم يحتي الله يفرق بين الاجتهاد الشرعى الذى يؤجر فيه المجتهد ، اساب ام اخطا وبين اتباع الهوى وتعريف الكلم على مواضعه بمحاولة نكص احكام القرآن وابطال قواعد الاسلام ، وانتكار ما عسى من الدين بالضرورة قال :

« لا يعتبر اجتهادا شرعيا ويعتد فى نتائجها اذا صدر من اهله الذين يضطلون بمعرفة ما يشفر اليه الاجتهاد » . واما اذا صدر عن ليس بمعارف فكن يعتد ويعمل بالاحكام التى تستنبط

(1) مقاصد الفرية الاسلامة ومكارمها - ص 160

منه لأنه بعد من تسل انتشبه والاغراض وسطه على غاية واتباع للهوى ، ومناف للهوى تعالى
 « وإن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم » وقوله « يا داود أنا جعلناك خليفة في الأرض
 فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله (2) » . وقد ذكر من أمثلة اتباع
 الهوى في الفتوى وإن سماء الدجالون ممن يعرّون الكلم عن مواضعه اجتهادا .

١٠ اسقاط الصيام عن الاغتيا . قال : التفرقة بين الإحتياج وبين الهوى ضرورة الاعتدال
 خاصة في هذا المص الذي ظهر فيه دجالون من يعرفون الكلم عن مواضعه ، كالذين يريدون
 اسقاط الصيام على الاغتيا . ويقولون خاصا بالفقراء . يسعى لاستنباط من قوله تعالى

« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين (١) » .

ب « اسقاط الصيام بدعى اضلاله الانتاج : ومثل هؤلاء ، من شر منهم - الذين يريدون
 اسقاط الصيام عن المال : « بدعى ان الصوم يضعف الانتاج ، ونحن في جهاد ضد التحلف ،
 قياسا على ما أدب فيه صلى الله عليه وسلم من افطار زمن الحرب (2) » . وقد رد على هذا
 الاستنباط المصحف بأن « الإفطار في رمضان ليس شرعى يوجب القضاء في الأشهر الأخرى
 وأى فرق بين شهر رمضان وغيره في ضرورة الانتاج (2) » ثم قال : « ليس الخبر لليلة في
 صومهم على الإفطار في رمضان من غير موجب شرعى . ولكن في الأيام بحاجتهم وبحسب
 حالهم واجورهم وحاجتهم من السهر وبما طي الحمر واحتياجات التي تقلل الانتاج وتهلك
 المجتمع (2) » .

ج « منع تعدد الزوجات على الفقراء . دون الاغتيا . ومثل هؤلاء ، في سر ، اتاويل واتباع
 الهوى « اعتاد بعض المحدثين منع تعدد الزوجات على غير الاغتيا ، الذين ثبتت قدرتهم على النفقة
 على النساء . الكثرات وهذا ما يجعل الشريعة الإسلامية تدبر بالشفقات وتعطي لكل طائفة
 حكمها الخاص بها وهو ما يتنافى مع مقصد الشريعة في المساواة بين الناس في الاحكام (2) »

١ مقاصد التدرية ومكارها - ص 163

٢ المصدر السابق - ص 163 - 164

هل ادعى علل الاجتهاد ؟

لقد كان علل فقيها عاباً بالشريعة واحكامها اصوليا متمكناً عارفاً باصول الدين ، ويعلمون القرآن والحديث ، خبيراً باللغة وآدابها وفنونها ، عدلاً مرصياً ، فاهياً بمقاصد الشريعة ، فلو شاء ، ان يدعى بلوغ درجة الاجتهاد لبرهن على توفّر شروطه فيه واحكام اوصافه ، فهل ادعى الاجتهاد ؟

انما نجدّه يستعمل التقليد ، ويهجر الحدود التي أدّى الى ابطال الاجتهاد في استنباط الاحكام من القرآن والسنة ، ويذكر ان « من حسن المعدن يتشبه بعض العلماء ، لهدم الفاحشه ويتجرأ على النظر والاجتهاد ولكن ذلك بالاسف في عصر على السليم في الفكر الاجمبي والعالمون الاجمبيون - عصر على الفاتحين بدعوة الاسلام الحاخ(1) » . ثم يقول : « ان في قلبه اعقاباً ، المحوذين - عمل قلوبهم - صمماً لا يسير بانفعه الاسلامي الى شاطئ النجاة (2) » .

فهل كان علل يعتبر نفسه في هذه الفئة المحروقة الضائعة لسير مالفقه الى شاطئ النجاة ؟ والجواب نعم ، فقد جاء في كلامه ما يدل على ذلك صراحة . وما يرشد اليه ضمناً ومن ذلك انه استنبط قاعدة أصلية وتمكن من استنباط احكامها ، على فهمه فيها قال تحت عنوان :

« قاعدة أصلية لم أر من تبعها علماء الاصول »

« ان المتتبع لمناهج الترقّد والسنة في عرض الاحكام الشرعية يجدها تلك طرق كثيرة لتطبيق اهدافها فتارة بالوجوب أو المنع الصريحين ، وتارة بالدرج في التشريع مع استكمالها في حياة الرسول ، وتارة بمقتضى الحكم في بعض صوره والسماع في اهور الاجرى مع اعطاء الامر عن طريق الارشاد باستكمالها اذا تمت اسباب استكمالها الشرعي وهذا ما ينبغي ان نسيه » .

« أم الارشاد » وما مقترنه اصلاً من اصول التشريع دل عليه بمصدر شرعي ، والمقاصد التشريعية كلها دلالات على اصول الاحكام ومساكنها عليها ، محرم الحرام عنه الاسكان ، والدلالة عليها ان الله وصف الحرام والمسر بانهما رجس من عمل الشيطان وقال تعالى : « انما يريد الله

(1) مقاصد الشريعة الاسلامية وتكرارها - ص 101

(2) المصدر السابق - ص 103

الشيطن ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء. في احر واليسر ويسدكم عن ذكر الله وعن الصلاة
فهل انتم مهتوون ؟ فكل هذا على ان قصد الشارع هو الابتعاد عن كل ما يحدث العداوة والبغضاء.
ويسد عن ذكر الله وعن الصلاة فكل ما تحفظ فيه شي. من ذلك فقد دل المصدر الشرعي في عدم
وقوعه على تحريره ، وسحره ليس من سبيل انقياس فقط ولكنه عن طريق امر الارشاد (3) .
وفي تفسير آية من القرآن خالف غيره من المفسرين السابقين وجعل المستبطلين ثم قال :
« وقد ذهبنا على ان في الآية امر ارشاد للمسلمين (2) » . فكلنا منه صريح باستنباطه وان
له مذهب في هذا الاستنباط يحالف فيه من تقدمه ، وهذا فعل المجتهدين »

وكثيرا ما قرر آيات من القرآن تفسيراً لم يمسس اليه ، ويصرح بذلك التأويل وأنه الاول
الذي قال به . وفي كلامه على الحرية التي هي حق كل انسان منذ ميلاده صرح بانها في رأيه :
الاعتناق من عبودية التقاليد والطبيعة ومس من الخوف من آثار الطبيعة من شجر أو حصر أو
انسان أو حان فلا عبودية لاحد من المخلوقات على احد من الناس فاذا بلغ الانسان درجة « ان
يفعل ما يعتقد انه عبودية به وما فيه الخير لصالح البشر اجمعين وأمن بذلك فقد احتار الحرية (3) »
ثم استدلل على مذهبه بقوله تعالى : « لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منافكين حتى
تاتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفة مطهرة » ثم قال

« والصحيح ان المفسرين قاطبة لم يدركوا حقيقة هذه الآية لانهم لم يهتموا للبراء بالانفكاك
فيها . مع ان اقرب دلالاته النوعية هي التحرير ، فلم يكن التكلم متمكين اي متحررين مما عبدتهم
لغير الله الا بعد ان جاءتهم البينة المحبة الغاطمة التي هي ليست غير رسول الله يتلو صحف
مطهرة فيها كتب قصة تحاطب الفعل وتدعو الى التفكير وتادي بالحرية (3) » .

وهذه الحرية التي يصلها الانسان لها ميزتها ولها تكاليفها : « ارفع الانسان بالتكليف من
درجة الحيوان الى ما فوق درجة الملائكة ، لان الانسان في استطاعته ان يفعل الخير والشر وهو
محيي بينهما ، ومسؤول عنهما ، وبذلك فهو حرو على نفسه بصيرة (3) » . ومن اجتهاده في

(1) المصدر السابق - ص 240

(2) مقاصد الفريفة - ص 164

(3) مقاصد الشريعة - ص 246

اسمى . واستنباطه في التاويل تفسيره للعطرة في مثل قوله تعالى : « فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها » والحديث : « يولد الولد على الفطرة » والمشتهر « الاسلام دين الفطرة » فقد فسر العطرة العلامة محمد وشيخه بقوله : « فطرة الله التي فطر الناس عليها هي الحيلة الانسانية الجامعة بين الحياتين الحسماوية الحيوانية والروحانية الملكية والاستعداد لمعرفة عالم الميب وعلم الشهادة فيهما » وما اردع الله فيهما من عريضة الدين المطلق الذي هو الشعور الوجداني بسطوان غيبي فوق قوى الكون والسنن والاسباب التي قام بها نظام كل شئ . في العالم ، رب هذا السطوان هو ناصر السماوات والارض وما فيهما ، والمصدر الذي للنع والصرائحين لشعور التمسد الفطري (1) « وقسر ان من مينا العطرة - « القوة التي تسمى عقلا على اساس ان الانسان لو نجرد عن مملو به ومرثياته ومسوغاته ثم سأل نفسه الحكم عن مسألة ما فان وجدشكا فيها فاعطرة لا تشهد بها . وان لم يجد شكاً فذلك ما شهد به العطرة وتفرضه ، وليس كل ما تفرضه العطرة بصادق وانما البعيرة بمفصرة العقل (2) » . اما الاستاد علل فقد فسر كون الاسلام دين العطرة - « انه الذي المنع معهما حمل عليه الانسان بصعده انسانا من حمتيه العقل والاستعداد للحضارة والقدرة على اكتساب المعرفة وارونه والطاعة والذي يساعده على تسمية معارفه وسد حاجه فيما يخص العادات والمبادئ (3) » . ثم يقول : « فادنا قلنا الاسلام دين العطرة فكاننا نقول ان الاسلام دين الحضارة التي تشدتها العطرة الانسانية والتي اعتمدت لبعض مظاهرها - - - فلا يد من ان يكون الاسلام فيما حار به ضامنا لشد الحاحات التي يتوقف عليها الانسان لتكوين هديته كائنات ، ولذلك فكل تحد في الشرع الاسلامي شيئا ماضيا للعطرة الانسانية (4) » .

أمية الشريعة والنبي الامي :

ناشئ السطلي في فهمه لهذه الامية ، فقد فهمها ابو اسحاق « باعتبار انها مرحلة للاميين ، وهم في نظره الذين لا يعرفون القراءة ولا كتابتها » يقول العاسي في هذا اتفسير انه

(1) تفسير التورج 11 - ص 244 - 245

(2) مقصد الشريعة : 24 في كتاب الجلاء لا ص 58

(3) مقاصد الشريعة - ص 66

(4) مقاصد الشريعة - ص 27

« موضع نظر فحسب من الضروري أن تكون المقصود بالأمين في قوله تعالى « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » الذين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة كما أنه ليس من الضروري أن يكون وصف النبي بالأمين بهذا المعنى ، أما كون النبي لم يقرأ ولم يكتب فهو معروف وما تدل عليه الآية الكرسيه « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون » راما النبي، الأمي والأمين في الآية السالفة فليست نسبة إلى الأمي الذين ما زالوا على جهاتهم الأولى لم يعلموا شيئا ، وإنما هي نسبة في مطرا إلى الأئمة دفا لأميون هم الأمم الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منهم لأنه إنسان ، وهو أمي لأنه من الأمم أي شعي ، والحكمة في كون الله اختار النسبة إلى الأئمة كسبب أن الخطباء الإلهي موجه للأمة عامة لا تختص به أمة دون أخرى (2) » . وقد ساق على فهمه الجديد الذي اجتهد فيه وحاجب به عمره أدلة وشواهد من احتمالات القرآن ومن فهم المعاد في كتابه حقائق الإسلام » .

اشتغال المرأة بشؤون الدولة :

استدل على شرعية اشتغال المرأة بسياسة الدولة وما يصون بيضة الأمة بقوله تعالى « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يعرفون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ويطيعون أولئك سيخرجهم الله » فهذه الآية كما مر مرها تدل على رغبة الإسلام في قيام سلام عام تمتنع فيه كل واحد من المواطنين بحقوقه ويمسوم بواجباته ، وإن « هذه الآية تبين مشاركة المرأة للرجل في ولاية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أي حقها في الاشتغال بسياسة الدولة وكل ما يصون بيضة الأمة (3) » . ويدل لصحة الفهم ما جاءت به المرأة في صدر لاسلام من مشاركة للنفس والرأي ، وقصة المرأة مع عمر في تعدد شهرتها » .

مسؤولية الدولة والمجتمع عن العائلة :

وقد استنبط من قوله تعالى « ولا تقنطوا لآلائكم من أطلاق نحن نرزقكم وإياهم » وقوله « ولا تقتلوا أولادكم خشية أطلاق نحن نرزقهم وإياكم » أن الدولة مسؤولة — مثل المجتمع —

(1) مقاصد الشريعة — ص 27

(2) مقاصد الشريعة — ص 217

حفظ العائلة ووجوب حفظ الحياة . فاستسبب في قتل بعض العرب انتابهم خضعة الاملاق ، والله فادر ان يزرق كل مخلوق متكامل به فلا يجوز قتل الارواح الصغار وبحري الكبار سواء مس لمصر ، هذا من جهة المبدأ الروحي ، وأما من جهة المبدأ الشرعي فان الدولة مسؤولة عن تهينة اسباب المعاش لكل واحد *** لا يجوز في الاسلام ان يبقى جائع لا يطعم أو عار لا يلبس ، أو مريض لا يهد ما يحتاجه أو جاهل لا يهد ان يتعلم .

الواد والاجهاضي وتعدد النسل من انواع القتل :

وهذه الآفة يرمي على ان التداير التي تحدث ضد نمو الامه وزيادتها غير مشروعة بل بحسب منها « اذا كان واحدا على الاب والام تحاولا دما (عبياته ابائهما) وكان الواد مسوعا - ومن من المجتمع بل من واحده ان يصرب على الرايين ان فعلاه - فان العولة وذوى السلطة في الامه مسوعون من اتحاذا المداير لقتل افراد لامة خوف الفقر وذلك كواد الاحقة في بطون امهاتهم حتى لا تنمو الامه فلا تحد برعهم ما سيمونه بالاكل الحوى أو الحال الحوى ليس احد احق بالحياة من الآخر وليس لاحد ان يمنع حدا من الخروج للوجود أو التمتع بالغا . لسه ن حرح ، واعمد ان الله بما ائزل في القرآن من مع الواد ، وبما يلقه لنا (من) حينما وصف عزرا الرجل - - - يانه الواد الحوى ارشديا الى ان تقاوم كل ما من شأنه ان يمس بحياة الافراد واصباغات تحت سنار من الاسباب الاجتماعية المصلحة (1) » .

وقد ذكر ما احمى به العوسيون من قتل كل غير منيع ، أو كن مريض وما حاوله عبر من زيادة الاحساس المتخلفة ثم حتم بمحاولة تعدد النسل في أم الشرق والغرب « ان دعوات حامله اخرى تنتشر في اوساط العالم ولا سيما في الشعوب الكثيرة العدد مثل الصين والهند وهددها في ذلك بعض دول العرب المسلمين تحت شعرا واحد من النسل ، وتبيح للأفراد بل يشجعهم على جهاض الجبين بعد تكوينه بدعوى توافق عدد السكان مع مستوى الاساح والاحتياط من الفقر ومن البطالة ، وفي نفس الدعوى التي تملكت بها الماهله الاولى في واد الثبات *** لقد خلق الله لنا عوالم هذه الدنيا وما فوقها وما تحها وحد لا لى لم ييس الانسان في استراف حرانها الا القليل (2) » .

(1) مقاصد الشريعة - ص 219 - 220
(2) مقاصد الشريعة - ص 220

العمل بالحساب العنكي في الصوم والافطار :

ومن لمصاي التي اجتهد فيها استنباطاً منصوصاً بالشرعة ، مسألة الأخذ بالحساب العنكي في دخول الشهر ، القمري الشرعي والعمل به في الصوم والافطار ، فانه بعد ان بحثت الموضوع واستعرض المذاهب الفقهية وذكر ان المشهور في كل مذهب هو القول بعدم العمل بالحساب قال :

الاستنباط من الحديث :

« وأبى اعتقده ان الحديث ان أمة أمية لا تقرأ ولا تحسب ، خرج مخروخ الكلام المثل وهو ان العرب - بل الذين كانوا في عصر النبي، (ص) من أمم العالم لم يكونوا على درجة من العلم يجعل نتائج حساباتهم قطعية بل كانت «معدلات الحساب لعنكي لا ثبات الشهر قبل الاسلام رآى حسنة النبي، (ص) طنية غير متيقنة الانتاج ، كما يدل على ذلك بقاياصوص الفلكيين القديمة اما اليوم فقد تطورت حال معرفة المسلمين للعنك ومنذ عصر العباسي وعنادنا يتعاطون هذا العنسي واصبحت اليه الدراسات المصرية فلم يمد من الممكن القول بان النتائج الحسابية طنية بل هي قطعية بقدر ما تكون الرياضيات حسية . وعليه ما دام الحكم قد خرج ممكلاً وما دامت العلة قد نضت أي انما لم بعد أمة أمية بل اصبحنا نقرأ ونحسب بها ارضنا الحديث الى العمل بالحساب طبقاً للامعة الاصولية التي تقول : « العلة تدور مع المعلول وجوداً وعدمًا » ثم قال

« نعم يجب ان يحسن الحاط طبعاً لا فعلية العلامة اي دقيق العيد فعول » ، الحساب الذي يعينه هو الذي يدل على ان الهلال قد طلع من الاق على وجه يرى لو لا وجود المانع فهذا يقتضي الوجوب لوجود السبب الشرعي ولا تعسر حقيقة الرؤبة مشروطة (1) » .

وما اشار اليه علا من وجوب تحقيق المناظر وبقية المحتد ، وهو تحقيق العلة المتفق عليها في الفرع واقامة الدليل على وجودها فيسبب مثل الاتفاق على ان العلة في الربا هي الاتيات والنجت هل توجد هذه العلة في النج ؟ فهذا النوع من الاحتجاج لا ينقطع قائل اشاطي . « لا يمكن ان ينقطع حتى ينقطع أصل التكليف وذلك عند قيام اساعه (2) » وقول علا بان قول

(1) الجواب الصحيح والصحيح الخالص للموقف - ص 31 - 32

(2) المواضع ج 4 - ص 49

النبي، (ص) أما أمه أميه يصى العرب وكل أمم العالم متى على ما فسر به الآية من انه نسبته الى الامم لصوم الشريعة سائر الامم كما مر في مناقشة الشافعي ، وليس ينسب الى الامم . وقوله : « ارشدنا الحديث الى العمل بالحساب وفيه إشارة الى قاعدة التي أصلها وهي « أمر الإرشاد »

تعهد الزوجات :

ومما اجتهد فيه على هذه القاعدة الجديدة التي لم ير احد من الاصوليين به عليها منع تعدد الزوجات بالآية الاولى التي شرعتها اذ يقول : « ومن الامتنع لامر الإرشاد في نظرنا قوله تعالى في تعدد الزوجات بعد ان حصره في أربع فإن خفتم ان لا تعدلوا فواحدة » فقد ارشد الشارع الى الاكتفاء بالواحدة عند الخوف من عدم العدل، وهو على ما نرى أمر للامة جمعا، ليستكملوا ما قصد اليه الشارع من ابطال التعدد مطلقا (1) « وقد اجتهد في البحث عن علة منع التعدد . والزيادة على الواحدة فوجد قول عائشة رضي الله عنها « انها تزلت في الوصية بحفظ حق يمامي النساء في اموالهن وانفسهن » « وقول ابن عباس « قصر الرجال على أربع من أجل موال اليتامي » وقهم ان معنى الآية : « ان خفتم على اموال اليتامى ان تنفقوها فلا تعدلوا فيها من أجل حاجتكم اليها لا يلزمكم من مؤن سائرهم فلا تنجسوا ووافيما تنفقون من عند النساء اربعا » وان خفتم ايضا من الأربع ان لا تعدلوا في اموالهن واموال غيرهن يسمين ماقتصروا على الواحدة او عمل ما ملكتم ايمانكم (2) . « واستنبط ان النص نفسه يمنع الزوج ما فوق الواحدة اذا خيف ان يكون سببا في غصب اموال اليتامي ، بل الواحدة تمنع ويثقل الامر الى ملك اليتامي » وقد وجد ان جميع المتأهبات الاسلامية مجمعة على منع التعدد مطلقا عند الخوف من الظلم واناحه حتى الاربعة عند تبين العدل لكن الذي حصى عليه عمل المسلمين هو ترك هذا الامر لوحدان الرجل الذي يحكم على نفسه هل يقدر على العدل أو لا (3) .

ثم انهم في بيان المقاسد التي تنجر - وهي محررة فعلا - من التعدد لم يكن مصدرها غير الصمت باستعمال الرجال لفكرة التعدد فكما ثلاث خدمت وكم ورتة حرموا . وكم اولاد سموا

(1) مقاصد الشريعة ومكارمها - ص 242 - 243

(2) المغد الماتى - ص 219

من عطف آياتهم مراعاة للروحة الثالثة ، وكسهم حوادث قتل وتسميم وفعت ، وكم انواع مسر
الزور ارتكبت لتعذب منه من الاناء ، على اخوانهم ، وكم من اولاد زمر حارج ديار آياتهم (2) ، ٠٠٠
« ان الاعليه الساحة من الدين يمدحون كلهم من الفقرا ، والمهوزين وصعفا ، الاحسام وان كل
سبب من هذه الاسماء يوازي السبب الصريح في القرآن وهو خوف من اكل اموال اليتامى
فإذا كان المعدد مبعوعا خوفا من ان يؤدي لفحص حق اليتيم دس به ان يكون مبعوعا اذا كان يؤدي
لفضيب اولاد الصب نفسهم جعهم او الى اراة الوحدة التي وضعها الله رحمة للعائلة ورابطة بين
الاب وابنه واقرب الناس اليه ، ولذلك ارى ان تعدد الزوجات يجب ان يسمع في العصر الحاضر
منعا ياتا عن طريق الحكومه لان الواحدان وحده لا يكفي اليوم لشع الناس منه (2) » ، وذكر في
الميزات ان هذا المعدد اصبح سببا لطعم الاسلام نفسه ، « مدخلا لكثير من اعداء الاسلام يتحدرته
حجة على دسائه بل يتجاوزهم ان داخل الاوساط لاسلامية نفسها فيصبح المسلمون والمسلمات
عرضة للشك في سلامة الدين الذي سيج المحدثي بطرهم وليس كل الناس فيها . ٠٠٠ فاذرين
على ادراك الاصلاح المرآئي في شأن المرأة نفسها لصلحة لدعوة الاسلام تقضي بجمع التعدد
في هذا العصر (3) » .

هذا اجتراح منه دعه اليه حرصه على سلامة العائلة الاسلامية ، وسلامة الدين وصلحته
ارجو ان يؤثر عليه ، وان كنت لا انتك الله محطلي ، فيه لان المسلمين مجمعون على فهم غير م
بهمه ، والمجهدين مطعون على ان الآية دلت على هذا الصريح والاباحة ، ولا يمكن ان تأتي آية
« احدة تشرع التعدد وتبيحه ونفها هي نفس الوقت » امر الارشاد « لئله » وما المانع من اعلان
منته من اول مرة دون تدريج او بتدريج - كس فعل في الحمر - والمسلمون حنبا برئت آية لم
يكونوا كلهم ذوي زوجات كثيرة ، بل كان الغليل منهم من له اكثر من واحد ، واغلبهم ذو وحده
فلو كان مقصد الشارع مع الزيادة على الواحدة بالسبية الى كل رجل وفي كل حالة لجا ، المسع
قاطعا ياتا ، وكان الامتنال السريع الصريح من المسلمين في عصر السوء ، ثم من بعده ، وقد
وانبهم فعلوا ذلك في الحمر ، وكان السديدن صاغرونها ويحولونها فيهم اكثر بكثير من معدود

(١) الحمر السابق ونسب الصفة

(2) نفس الحمر ونسب الصفة

(3) نفس الحمر - ص 270

الزوجات ، كانت أحب الى عوسهم وامكن . زوجة ثانية لا يحل امرها من ادراج . تم حاسب الآية الثانية « **ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تفصلوا كل اليسر** » بين الميل القى بأخذ عليه ، والذي رخصه ، وقد وضع ذلك علاناً .

أما الحاسد الخطرة التي ذكرها الاستاذاعاها توحيد حقا بين أخوة احتلف الامهات ولكنها قد توحيد مع الزوجه الواحدة ، كما اذاعات الاولى بروح الثانية ، او طبق الاولى لعدد العشرة الزوجية تم تزوج . وولدت كلتاعيا « **هل يمنح من التزوج ثانية اذا كن له من الاولى اولاد خوفا من هذه الحاسد ؟** » وكم من زوجة انصرفت زوجها عن العطف على صغارها من زوجة سابقة وظاوعها ، وقد توحيد هذه الحاسد بين الاشقاء انفسهم ، ومن اب نحو واحد انسا امرأه واحدة . **هل يسمح الزواج احتياطاً ؟**

صحيح ما قرره الاستاذ في ان خوف عدم العدل بين الزوجات المانع من التعدد موكول الى وجدان الرجل ولكن الجوهر في المحافظة والظلم موكول ادائهم الى الحاكم فالحكومة تسمح بالمر ، والفاسق يصرب على يد الروح التي لم يعدل ويصعب المظلم ويعرض عليه اقامه العدل ، فان حار القاضي دل على فساد في الحكم لا على فساد في الشريعة ، فالتعدد قد ايج في الاسلام مجرد اباحة وليس يوجب ولا مندوب . والحكمة واضحة فلا يبارع احدى وجود مصلحة شرعية في هذا التعدد قد ترجع الى الزوجة نفسها ، وقد تعود على الاولاد . او على المصمم ، او على الامة . فلا مانع من ان يدرس الحاكم فصلا التعدد قبل وقوعها وبسر المصلحة يباذن او يمنع تنفيذا لما نصت عليه الآية .

اما ما يصمم الاسلام من ضرر ادعيات الحاسد الى تنها مصالح الشخير . ويؤثر على الناس فتصريفهم عن الاسلام او على اناسا فتشككهم في سلامته فلا يبرر ذلك ابطال حكم كان وما يزال رجة لكثير من الناس كما يشهد المصلحون الاجتماعيون من الأوروبيين انفسهم الذين ينادى بعضهم في الرجال والنساء . بالاذن بعدد الزوجات - ولم نحرمة المسيحية واما حرمة الكنيسة - رجة بالنساء . بالانكسار الوافعات في شرك الرجال المروجين ورجة بالانكسار عبر الشرعيين الذين هم شاج هذا الاتصال . وتبريجا لامة السمات ، والزوجات الشواب المسافعات أزواجهن . وليس غرضي دراسة للموضوع . ولكني لم أشأ ان اذكره دون ان انبه على الخطأ في هذا ،

الاجتهاد وان كان قد استنبطه ولم يظن مصادقه للنصوص ورفضه لا صرح به، وتسجل الحكومات في مثل هذا بالتحريم يفتح باب التحليل والتحريم بالهوى في غيرها من المسائل *

عدم امثلة قليلة من اجتهاداته ، وفي كتبه امثلة كثيرة تدل على فهم وغيره على الاسلام واهله ورحبه الله وعمر له *

والسلام عليكم *

تصحيح خطأ وقع سهواً

في الممد الخامس « بجاية عبر الصور »
وفي مقال المصوب بـ « عياصرة من وجالتا »
جا، في صفحة 243 في الكلام عسر ابن
رشيق في السطر 13 واو الحسن علي بن رشيق،
وذلك مجرد سهو ، والصواب « ابو علي
الحسن بن رشيق » *

احمد حماني



مقابلات

الاسلام نظام شامل و النقص فينا

حوار صريح مع السيد مولود قاسم نايت بلقاسم
وزير التسليم الاصيل والشؤون الدينية

رأيت لأول مرة في الملتقى السابع للمفكرين
الإسلامي ، وازدبت معرفة به في الملتقى الثامن ،
الذي انعقد مؤخرا بمدينة بجاية ... شباب في
أوج الشباب ... ديناميكي لا يركن إلى السكون
... يتحدث في الدين ومسائل الفقه ، فتنظفه
لا يعرف إلا العربية والثقافة الإسلامية ... ولكنك
سرعان ما تتفاجأ به يخوض في شتى مجالات
المعرفة العصرية بثلاث لغات ذلكم هو الأخ مولود
قاسم وزير التعليم الاصيل والشؤون الدينية .

وقبل الدخول في « مين وجيم » مع الأخ
الوزير ... نعتزف بأن الأسئلة التي وجهنا إليه ،
لا تخلو من الرغبة في الاثارة والتلفزة : ومع
ذلك فإن شائنا معه لم يكن الفضل من شأن ذلك
الشاعر الاغرابي مع الأمير اليميني معن بن زائدة !
مقد استقبلنا الرجل - رغم اطلاعه المسبق على
قائمة « المخرجات » - بعد نقاش قبلة مسن
وصولنا مقر الوزارة ، ببشاشة وترحاب .

اجرى الحوار

عاطف يوس

عندما دخلنا البيت الهادئ النظيف ، الذي جمع الى البساطة سلامة انوار ودقة التنظيم ، طالعتنا على جدران الممرات ملصقات ملونة صغيرة ، حملت شعارات اسلامية ، قليلة الالفاظ واسعة المعاني ، دقيقة الانتقاء ... وفي غرفة الانتظار جذبت انتظارنا لوحات غنية ، تصور احداثا خالدة ، وشخصيات رائدة ، من التاريخ النبالي والمصاري للشعب الجرائز والامة العربية الاسلامية . وهذه الرسوم المعيرة ، البالغة الاتقان ليست لبعض اعلام هذا الفن ، كما يتوهم اصاغر لأول مرة ... بل هي من ابداع المواهب الشابة ، التي تمهدا وتزعاها وزارة التعليم الاصلي في معاهدا وثانوياتها .

اما مكتب الوزير ، فاول ما تقع عليه عيناك لدى دخوله ... مكتب مقوسط الحجم ، ينسرد تحت حمل ثقيل من الصحف والمجلات العربية والاجيبية . وعند من الملفات والاوراق الرسمية ... واما به بالضيف يردد ركن صغير ، فيه طاولة وضيعة مقاعد جلدية ، تحيط بها اللوحات الريتية ذات الموضوعات التاريخية - كمعركة هطين - ورفرف الكتب والمجلات السمينة ... وباختصار فان هذا الركن من مكتب الوزير اشبه ما يكون بمعرض فني - فكري صغير ! وما كدنا نتحدث جلسنا فيه حتى حيرنا السيد مولود قاسم بين « الزعتر » و « ماء سميدة » ويصعوبة احييت دفشتي من هذا المعرض : فكلما زعتر في قاعوس المشرقى تشبل ضمن المأكولات الشعبية ، لا المشروبات الوزارية ! وكان طبعنا ان ينعني الفضول الى اكتشاف هذا المشروب « الاصالي » اما الزميل تركي رمولى شيخ مصورى امجاد ، فقد طلب « كازيزة » لكن الوزير اكد ان الاحتياز من هذين المشروبين ! فبهس رمولى في اذني لمست ضمنا عاشرب الماء ، ولا مريضاً عاجز الزعتر ! وقد حمم الامر مطلب الاخير اذى اكتشفت به معش ولذيذ بالفعل ! وبعد مقدمات قصيرة ، تصمنت حساييا وعتايا على بعض ما كنتنا عن ملقى بجاية ! سحب القلم وراح يجرى على الورق بسرعة مشرين حملة مولودية في الدقيقة

لجاهد : ما هو الانتطاع الذي عبت به من جولتك الاخيرة مع الرئيس هواوى يومين في عبد من الدول الاشتراكية والاسلامية ؟

... : مخصص الدور الاشتراكية اولا ... مدانا - كما تملكون - بالصين الشعبية ، ثم كوريا ، ثم فيتنام ... والشئ الذي استطيع ان افوله بالنسبة للصين وكوريا هو اسى اعجبت - واطله انتضاع الجميع - بالانجازات التي تحققت في ظرف قصير جدا نسبيا ... وبالحرص والحد في العمل ، ودرجة الانضباط في المواعيد ، ودقة التنظيم في كل شئ . يضاف الى ذلك ما لاحظناه من أقصى حدود النطاعة لا في الثياب فقط ، بل حتى في الشوارع والاسطبلات ! وقد

أعجبنا أكثر يحرصهم على تحقيق سياسة الاكتفاء الذاتي ، وتجاههم فيها كل النجاح في مختلف القطاعات ، حسب الانطباعات التي سمعنا بها زيارتنا القصيرة * ولاحظنا أيضا حماس الشباب وثقته بنفسه ، وتعلقه بأصالة تجربته ، وبمكونات شخصيته وذاتيته ! وإلى جانب ذلك كله ، فقد لاحظنا ازدهارا اقتصاديا وصناعيا في شتى المجالات بهتئين البلدين العظميين ، مع وفرة جميع المواد * ولا يفوتنا أن نشير إلى البشر الذي كان يطالعنا على الوجوه ، وبصفة أخص في كوريا الديمقراطية *

أما فيما يتعلق بـ «فيتنام» فكيف يمكننا أن نصف ما تركته حرب دامت أكثر من ربع قرن ، من خراب ويؤس ويتم وترمل ، وكآبة بادية على أوجوه ؟ على أن ما لاحظناه من آثار الأيدي الهمجية ، لا يعادله إلا عزم هذا الشعب وأصراره على وضع حد نهائي للامبريالية والاستعمار وكل نفوذ أجنبي مهما كلفه ذلك من تضحيات ، وهو المعروف بتضحياته الجسام * وأنا متأكدون بكل التأكيد من أنه سيتنصر في النهاية * ويحقق استقلاله الكامل ، ويسترجع وحدته *

أما بخصوص المؤتمر الإسلامي الثاني ، الذي انعقد في لاهور ، والذي شاركت فيه قبل زيارة البلدان الاشتراكية ، فلا يسعنا إلا أن نعبر عن سرورنا لمجرد انعقاده * لأن انعقاده في حد ذاته نجاح * * والنتيجة لا يمكن أن تكون هامة * وإن كنا نستطيع أن نحدد بعضها * * مثل تحسين الجو بين بعض البلدان الشقيقة * بالتلاقى مناسك على مستوى القمة * * وحل وصعق الأسس الحقيقية لحل النزاع ، وتحقيق التآخي بين باكستان وبنغلاديش * * وأكثر من هذا كله الصدى الذي وجدته القضية الفلسطينية ، والترحاب الذي تلقاه وفد فلسطين المناضلة ، والاتصالات الخاصة التي أجراها مع مختلف الرفود *

وذا أضفنا إلى كل هذه الإيجابيات ما ننتظره من تحقيق الفكرة التي نادى بها الجوائز هناك ، المتمثلة بضرورة مساعدة الدول الإسلامية الغنية لشقيقاتها الفقيرة ، لصالح مجموع الأمة الإسلامية ، بإعطاء التضامن الإسلامي مصموما حقيقيا * * فإن المؤتمر سيكون خطوة عملاقة في حياة الأمة الإسلامية في العصر الحديث ، على طريق استرجاع تماسكها ووحدتها ومجدها ! هذا ما يحضرتي الآن في الإجابة على هذا السؤال الذي قد تعود إليه فيما بعد * * هات سؤالك الثاني !

المجاهد : أليس غريبا أن تكون مواقف الإصغاء من قضايانا أكثر إيجابية من مواقف بعض أئمتنا في الإسلام ؟

— : هذا غريب فعلا ، وأن كان تأييد الإصغاء أيضا فيه تفاوت ، وفيه ما فيه ! فحسنا عن كونه تمسبا جدا ! وذا كان بعض الآخره يخذلون ، أو يفرقون موقفا سلبيا على الأقل * * فكيف

يمكن أن ننتشر من غيرهم - مهما كانت مداخلتهم لنا - أن يكونوا أقرب إلينا ، وأكثر تصامنا معنا ومساعدة لنا ، خاصة في قضية الأمة الإسلامية الأولى حاليا ً فلسطين ؟ ! وقد صدق الشاعر العربي القديم حيث قال :

وظلم ثرى القريش أشد مصاضة ٠٠ الخ ! ولكن ٠٠ لتعامل ، ولستبشر خيرا بمؤتمر لاهور ، وانتظر منه - على الأقل تحسنا ملحوظا في مواقف بعض الدول الإسلامية نحو قتلها الأولى -

المجاهد : هناك من يعتبر تعدد الطوائف والمذاهب ضرورة للإسلام ٠٠ فما موقفكم من هذه القضية ؟

- : هناك عبارة مشهورة في أوساط الفقهاء تقول : اختلاف العلماء رحمة ! وأنا شخصيا لا أومن كثيرا بفوائد الاختلاف ، ولكنه حقيقة مستقلة عنا ٠٠٠ ثم إنها ظاهرة لا ينكر بها الإسلام ، فجميع الأديان تتوافر فيها هذه ، لاختلافات وأنه ليجود في بعضها تقسيمات وتنوعات وبلغات أكثر مما يوحد في الإسلام بما لا يدع مجالاً لأية مقارنة !

ومع ذلك فستطيع أن تقول - وقد لاحظتم معنا ذلك في الملتقى السابع بتبزيرو - بأن هناك اتجاهات أوليا في أوساط المختصين من بين المسلمين للاستجابة لرغبات الجمهور ، وإبرازها وإعياها لضرورة الساعة وحتمية تحقيق الوحدة *

وحسب أن نذكر بالروح الصائقة ، التي برزت في الملتقى السابع ، من خلال الجهر العام الذي ساد الملتقى ، والتوصيات التي أسفر عنها ٠٠ وهو الذي اجتمعت فيه المذاهب الإسلامية الثمانية المعروفة - لأول مرة منذ نشوء المذاهب في القرن الرابع الهجري ! وكل هذا يبحث على التنازل أيضا ، بشرط استمرارية العمل ، وعدم التواكل والتأكل ٠٠ وهو ما قرأناه معاً ، وما نحن مصممون على أحسن فيه ، على الأقل فيما يخصنا *

المجاهد : ما رأيكم في المذاهب وطرق التدريس ، المطبقة حاليا ، فيما يخص مادة الدين ؟

- : هذه المذاهب غير مرهبة ٠٠ وهناك جهود تبذل من وزارتي التعليم الابتدائي والثانوي ، والتعليم الأولى ٠٠ كما أن هناك خطة متفقا عليها للتعاون بينهما ، وما دمتا حاليا لا تتوفر على أساتذة متخصصين في هذه المادة بكفاءة وكفاية ٠٠ فالمشكل يبقى معلقا ، إذ أن أغلب المعلمين والمدرسين الذين يقومون بتدريس هذه المادة الآن ، في التعليم الابتدائي والثانوي غير متخصصين فيها - وطبقا للخطة المشار إليها ، فيسجل المشكل بالتدريج ، عندما تبدأ كلية الشريعة والدراسات

الإسلامية في قسنطينة ، بتخريج دفعاتها . . . وكذلك حين تلم كلية أصول الدين التي تعتزم إنشاءها في عاصمة الجزائر إن شاء الله . . . فهناك - فضلا عن الحاجة المحلية - مطالب ملحّة علينا من افرقيا الشقيقة في ارسال هؤلاء الاساتذة الذين لا تتوفر عليهم حاليا ، حتى لاستهلاكنا المحلي ، اذا سمح التمييز !

المجاهد : ما هو تصوركم لصماية الشباب مما وصفوه بالغزو الفكري ؟

- . تصورنا لكيفية حماية الشباب هو أن يقوم هناك عمل متسق ومتكامل بين الأسرة ومختلف أجهزة الدولة من مؤسسات تربوية وأجهزة اعلام - ويبدو أن يساهم في هذا رجل الشارع وكل مواطن ، عملا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر - وفيما يخص هذه الوزرة فانها ستعمل قدر طاقتها سواء بالإذاعات التي تقدمها من خلال الاناعة والتلفزة ، او عن طريق مجلة الاصاله ، وفي اطار المحاضرات التي تنظمها على امتداد السنة ، في العاصمة ، ومختلف أنحاء القطر . . . إضافة الى ما يقوم به لائمة في المساجد لمث الأياء على العناية بابتنائهم . . . وبصفة اخص ، في اطار ملتقيات الفكر الاسلامي التي تتمتع سنويا ، ومن خلال هذا كله نحرس على أن نقدم للشباب امكانية المقارنة بين ثقافتنا ومكونات اصلتنا من جهة والثقافات المستوردة بما فيها من صالح وطالح ، من جهة أخرى ، ونعنت على أن يستخلص النتيجة بنفسه ، وبذلك نربى فيه ملكة الحكم وروح النقد . وقد رأيت مثلا في الملتقات . . . اننا ندهو أساتذة من مختلف أنحاء اعالم الاسلام ، وكذلك من بلدان اوروبية غربية وشرقية ، من مسيحيين بمختلف طوائفهم ، وشيوعيين بعديد اتجاهاتهم ، وغيرهم وغيرهم ، من ممثلي التيارات الأخرى ! ولكن هذا كله يشترط أن تتوفر لدى أبنائنا احصانة الفكرية ، والناعة الروحية ، ليميزوا ويقارنوا بانفسهم ، ويكونوا بمنأى عنس التاترات السلبية ؟

المجاهد : كنا ندخر للمحدث عن الملتقيات مجالا آخر . . . ولكن ما دعمت قد ذكرتموها ، فهل الحاجة الى هذه الملتقيات وقف على الجزائر ؟ لماذا لا تتعاقب الدول الإسلامية على استضافتها ، والاقداة بها ؟

- : يكفي في هذا أن اقول : ان الملتقى السادس الذي انعقد بالعاصمة سنة 1972 ، قد اكد في احدى توصيات على الاكثر من هذه الملتقيات في مختلف البلاد الإسلامية ، مع ضرورة التنسيق حتى لا تنمذ مؤتمرات عديدة في نفس الوقت !! - - . فله أن هذه الملتقيات لا ينبغي أن يستفيد منها الاساتذة والطلبة فقط ، بل عليها أن تنفتح على الجمهور أيضا ، كما نعمل في ملتقيات

الجزائر .. ومن هنا تأتي ضرورة انعقادها في مختلف البلدان الإسلامية .. ليتمكن رجل الشارع من الاستفادة منها بالحضور ، أو عن طريق أجهزة الإعلام ، والكتب التي تجمع ما يدور في تلك الملتقيات *

المجاهد : طاليتم غير ما مرة بأن يتصلح المسلمون باليقظة والحدس في التعامل مع الأجانب ، وتكرتم مرارا بما فعله « ليون روش » الذي استغل طيبة الأمير عبد القادر ... ومع ذلك فإن ثمة من يأخذ على بعض الملتقيات عدم الثقة في النقاء الدعويين ، ويرى أن بعض هؤلاء ليس فوق مستوى الضبهة ... فما رأيكم ؟ !

— : فعلا نؤكد في كل مناسبة على ضرورة الحدس واليقظة والحيطه ، إزاء كل من يريد أن يتبني ناسطنا ويتسرب الى صفوفنا ... وهذا لا يمسح إطلاقا من التفتيح والمناقشة والمعارنة والجدال الحسن (وجادلوا أهل الكتاب بالتي هي أحسن) ... أما بخصوص بعض الأساتذة الذين ندعومهم — ولا شك أنكم تقصصون الذين ندعومهم من غير الميلاد الإسلامية — فهم إما أساتذة حامين أو كتاب معروفين بمزاعمهم ... ونرى من الأحسن أن نعرف طليتنا عليهم عن كتب ، قيناقتنوم ويجادلونهم ويتعرفوا على مناهجهم وطرق تفكيرهم ... ويمرغوم بمناهنا وطريق تفكيرنا ومواقفنا مما كتبوا ويكتبون ... وحيث أن هذه الملتقيات مفتوحة للجميع ، وتنصيب على مواضيع حضارية فكرية ، فليس فيها أسرار دول تفشي ، ولا مناقذ للتخريب من الداخل ؟ وقد ظهرت نتائج هذه اللقاءات فعلا في تعديل الكثير من مواقف هؤلاء الدعويين ... فضلا عما يفيروننا به من طرق ومناهج حديثة ، نحن في حاجة اليها ، ونخذ العلم من أي كان ، حتى من الشيطان ! مسح القصص بروحانيته وأصالتك ... ثم أن هذه الاتصالات متوفرة في عصرنا عن طريق الكتاب والصحافة ومناش أجهزة الإعلام ، ومن خلال الاتصال المباشر أيضا ، مسسواء في أنشائيات والجامعات ، أو الأسفار ... فالأحسن أن تكون هذه الاتصالات في إطار منظم كما هو الشأن في هذه الملتقيات !

المجاهد : في نهاية الحديث عن الملتقيات .. ما هو تقييمكم للملتي بجاية ؟ وهل هناك تعديلات تتورن أسغالها على الملتقيات مستقبلا ؟

— : أظن أن ملتي بجاية قد نجح .. وحكمي للملتي — كمشرف عليه — يؤخذ طمعا بصطة وجرس ! لأنه ربما قل أو لنعدم فيه عنصر المصيرية !

ولكن إذا ما أخذنا بما قاله الجميع تقريبا من أساتذة اشرق والغرب — وأطهم لم يكونوا جميعا مصاصين — ناكطنا من صمة ما ذهبنا اليه ... على أن كل شيء سبعا تسبي ، وكل شيء ..

قابل للتحسن ويستندى المراجعة والتعديل . وهذا أيضا شأن هذه الملتقيات التي تتحسن وتتطور كل سنة .. ونحن إن هذا سينطبق على الملتقى المقبل ، فالمفروض في الانتماء أن يستخلص الدروس من كل تجربة ، وأن يتدرج دائما من حسن إلى أحسن . وإذا لم يبد لنا شيء من حيث الجوهر ، يستحق التعديل ، فإن بعض الجزئيات والتفاصيل سينتارها التعبير قعلا .. وسنقولها لكم قبيل ملتقى تلمسان المقبل ، عندما نكون قد جمعنا كل عناصر الموضوع ، ويدلنا في الأعداد الفعلية للملتقى التمع .

المجاهد : كيف ننظرون إلى المدارس الخاصة ؟ القائمة للرساليات التبشيرية ، وما هي الإجراءات التي ترونها ضرورية لحماية الفشء من خطرهما ؟ وفي المقابل .. ما رأيكم في أن كثيرا من المدارس الخاصة التي تتبع « أسعيا » لوزارة التعليم ، لاصلى ، تستغل ثقة الوزارة لأغراض تجارية ؟

— مدارس الرساليات التبشيرية خطر بالفعل ، لانها قلما تلتزم بمجرى التعليم ، وينبى أن نعرف بأنه يصعب عليها هذا الالتزام ، لان التعليم مرتبط بكل الارتباط بالتربية كما نعلم جميعا .. حتى أن كثيرا من وزارات التربية تسمى « وزارة التربية والتعليم » ... ثم أن هدفها من رسالتها هو اكتساب عناصر تضمها إلى صفوفها ، وهذا شيء مشروع من وجهة نظرها ! ولا نلوم إلا أنفسنا إذا لم ننسلج باليقظة والحدز ! وأرى أن الحل الوحيد في هذا ، هو أن تقتصر مهمة هذه المدارس التبشيرية على إبقاء دينها ، وسماحة الإسلام لقبيل بذلك .. أما أن نبعث إليها باينائنا قلا تلوم في ذلك إلا أنفسنا ! وأفضل وسيلة لحماية الفشء من خطرهما هو الانعرضهم لهذا الخطر ، مع الحيلة من نشاطها خارج المدارس أيضا ، وذلك بتحصين شبابنا أولا مسد جميع الثيارات ، ثانيا باتخاذ التدابير اللازمة لمنع أي نشاط يحاول استقلال أصول الضيافة !

إن النشاط التبشيري إذ يبلبل الشخص ، يبت الفتنة في الأسرة ، ويخرب الأمة بالتالي ، إذا ما استغشى واستنرى ! وكلنا نذكر ما كتبه المستشرق المشر « زومر » من أن مهمة المشر ليست اكتساب أبناء المسلمين للمسيحية ، ولكن جعلهم غير مسلمين ! أي يذبذبهم بحيث يحصرهم الاسلام ولو لم تكتسبهم المسيحية .

أما فيما يخص الشق الثاني من السؤال ، وهو ما يتعلق بالمدارس الخاصة الاسلامية ، فانكم تعلمون أن هذه المدارس تحتاج إلى رخصة من إحدى وزارتي التعليم ، وهما وزارتا التعليم الابتدائي والثانوي ، والتعليم الاصلى ، والرحص التي تمنحها كلتا الوزارتين ، تتضمن اشرافا معنويا من بعيد والمراقبة من حين لآخر . وينبى أن نعرف بأن بعض هذه المدارس الخاصة تؤدي مهمتها بنزاهة

واخلص ، وانها انقذت كثيرا من الشباب وارستهم الى البكالوريا .. على ان يعضها اذخر يستغل هذه المهمة ليستعلا فاهشا من الناحية المادية ، فيما تفرضه على السلبية من مساهمة مائة باهظة ، ترقى الاوساط الفقيرة التي ينتمى اليها كثير من هؤلاء الطلاب . وقد سمعنا وخسنا من كثير من هذه المدارس ، بعد الاملاء على شيء من هذا السلوك السيء ، ان عدم تصديق البرنامج .. واصبحتنا نتشدد اكثر في الرخص الجديدة ، مع مراقبة صارمة للمدارس التي اعطيناها رخصا من قبل ، اما الجوانب الاخرى كالظروف الصحية مثل هذه المدارس ، فالحقيقة اننا لا نتشدد كثيرا في هذا الجانب ونعلم ان كثيرا من اقسامها يقتصر الى لشروط الصحية ، حيث تسمسود الرطوبة والظلمة ، وسبب تسامحا هنا هو اننا نؤثر ان ينلقى الطفل تعليمه ولو في مثل هذه الظروف الصعبة ، على ان يظل مهمل في الشارع .

المجاهد : وأخيرا ، تميل فئة كثيرة من الشباب المتقف الى الاعتقاد بان الاسلام لا يملك اجابة كافية على الاسئلة الاجتماعية والاقتصادية ، التي يطرحها العصر .. فما قولكم ؟

ـ : الاسلام ليس ديننا فقط .. بل هو ايضا نظام اجتماعي وحضاري ، وعلى هذا الاساس فقد عرف مثل غيره عصور الركود والجمود ، بسبل والانحطاط !

لكن تأخر البلاد الاسلامية ـ كما كتب للملتقى اخيرا المستشرق المجري المعروف عبد الكريم بولويس جيرمانوس اسلم الوحيد في المجر ، والبالغ من العمر تسعين عاما ـ ليس ميبا في الاسلام بل في المسلمين .. ذلك ان الاسلام الذي اعطانا والنشوية بالامس تلك الحضارة المدهمة .. تلك النخبة من العلماء الافاد ، الذين جعلوا انبشورية كلها تقفز من سوابب اقرون الوسطى الاوروبية طفرة الى العصر الحديث .. امثال الفارابي ، وابن سينا ، وابن رشد ، والخوارزمي ، والبيروني وابن القاسم ، والرازي ، وابن الجوزي ، وابن خلدون ، وابن حمر الجزائري ، وغيرهم كثيرون .. هو الذي نستطيع ان يفعل ذلك اليوم وعدا .

ومن الادلة القوية الكثيرة على شمولية الاسلام ومنطقيته ان ذكر الدنيا في القرآن الكريم يتقدم ذكر الآخرة ! وعمليا فان الاسلام هو الذي اوجد اول مؤسسة للضمان الاجتماعي ! فصلاح الدين هو صاحب « قنطرة الحليب لكل طفل » ، قيل منديس فرانس بعدة قرون ! وعمر بن الخطاب وهو الذي اتسنا الضمان الاجتماعي للعجزة ولو كانوا ثمينين ، والنفحة العائلية للاطفال ولو كانوا ابناء سفاح !

وفي عهد عمر بن عبد العزيز عم الرخاء والازدهار حتى لم يجدوا قراء يأخذون الزكاة ! وحتى الحيوانات الالفة وجدت لها مؤسسات اجتماعية في بعض عصور الاسلام ، لتعتبها ومعالجتها .

الاسلام اذن نظام كامل شامل ، فهو دين وهو لم يتغير قط ، ولكن المسلمين هم الذين تغيروا ، « ان الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما ياتفسهم » ، وقد حصل ذلك شكيب ارسلان في كتاب حاشي اسماء ، لماذا تآخر المسلمون وتقدم غيرهم » ، فنرجع الى الاسلام الصحيح الذي هو ضد كل تخلف وضد كل استعلاء وكل تمييز ، ففيه حلول لجميع المشاكل على تغير الزمان والمكان . . . وباب الاجتهاد ما يزال مفتوحا كما قرره كثير من العلماء ، واحصت عليه المذاهب الثمانية في اللتقى السابق . فنرجع الى هذا الدين اذا كنا نريد اسعاده عزتنا ومكانتنا بين الامم . فهو التقدم بذاته مع المحافظة على القيم .

واسمحوا لي هنا ، ان اعود الى كوريا والصين (حاول ان تسرع في الكتابة اكثر !!) فقد اعجبني هناك نقا رأيتا من البشر يعدد حيات الرمل ، قدب الى العمل في سير منتظم ديبب التمل ؟ ولم نشاهد في شوارعها في اوقات العمل جموعا تتزاحم وتشتائم ، ولا متمكمين ومتسكعات ، ولا في الليل مترجمين ومترصات ولا احلاسا قصيرة ، ومخيمات لكل سخذ اسيرة . ولا انذالا وابندالا : وان كتابها وفنانيها ليسوا مخريشين وغريانا مرضى ، يحومون حول الجيف ، ويدعون الى الكسل ، والاتحلال ، والفوضى ؟

اعجبني في الصين وكوريا ان القياس فيهما للشورية والتقدم ، بالمستاع لا بالمقاي ، وبالمزارع لا بالملاهي ، وبالغنايح لا بالمزاهي ؟ وان العيرة فيهما بالعلم ، والعمل ، والسيرة . . لا بالرقص ، والقمار ، والبيرة ؟

لقد يتحسر البعض ويتساءل : اين شغاف القديمة ؟ لقد ذهبت مع الافيون والنفيف ، ولم يبق فيها مـ ذلك كثير ولا طفيف . . واخذت عن السلايل التبيكر والزقزقة ، وفركت المضطاد تخيط الليل والنقطة ؟

وقد تقول ايها القارئ المسلم الكريم : ولكتم شيوعيون ! واجيبك : نعم شيوعيون ، ولكتم مسيئين وكوريين ، ولو شهدوا لكانوا هم المسلمون الحقيقيون ! ومجتمعهم هو ذلك المجتمع المثالي ، الذي طامنا حلم به الفارابي والفلاسفة الطوياريون ؟

ايه ايها المسلمون ؟ حطين ام طين ؟ وعلى كل فهذا هو انتطاعى عن كوريا والصين ! وانتطاع كل عقل حصين رصين !

مسلم و مفكر ياباني يتحدث الى الشعب

حوار مع الدكتور عبد الكريم سايتو

استاذ الاقتصاد بجامعة طوكيو (اليابان)

مسلم من مسلمى اليابان - وهم فئة قليلة في تلك البلاد الوجودية في أقصى شرق المعمورة - جا.
ليشترك في الملقى الثامن للفكر الاسلامي الذي عقد في الشهر المنصرم بمدينة بجاية العريضة
وهذا الشخص المتواضع هو الحاج عبد الكريم سايتو رجل الاقتصاد ومدير الجمعية الاسلامية
اليابانية وهو كذلك استاذ بجامعة تاكو شوكو في طوكيو *

وجدت بنا ان نلاحظ هنا ان الاساذ عبد الكريم قد التى محاضرة في ملهى بجاية تعرض
فيها الى وضع الاقليات والحاليات عموما والاسلامه خصوصا في كثير من بلدان العارات الخمس وواحد
العلماء والمفكرين ورجال الاعلام نحوها *

وقد خصنا الاستاذ عبد الكريم سايتو قبل محادثته الرض الجرائر بحديث استعرض لنا فيه
بعض افكاره وبيد على نص الحديث

« اننى انتهت هذه الفرصة لاشكر جريسة الشعب » . واننى مسرور بهذا اللقاء . واسى
اشكر ممان السيد مولود قاسم وزير التعليم الاصل والشؤون الدينية الذى تمكننا من حصول جهود
من القدوم الى الجرائر لحضور الملقى » *

سؤال : سماعة الأستاذ عبد الكريم هل لكم أن تدلوا لنا بآرائكم عن فكرة عقد مؤتمر سنوي للتعرف على الفكر الإسلامي ؟

جواب : « ان هذا المؤتمر ندوة هامة جدا ليس بالنسبة للحرائر فحسب بل بالنسبة للعالم الإسلامي ، وان مثل هذه المؤتمرات التي تعقد بالحرائر نهم شعوب الامة الإسلامية بأسرها بما فيها الجاليات الإسلامية في العالم ، وهذا المؤتمر بمثابة تشجيع للجاليات الإسلامية وسند لها ، بحيث انها لا تشعر انها مهملة »

ان مثل هذه المؤتمرات ستتمحل موحدة العالم الإسلامي اننى اشكر الحكومة الجزائرية واطلب منها ان تواصل تنظيم ندوات الفكر الإسلامي »

ففى نظرى يبقى لخل هذه المتفتيات ان تكون منفرا من منابر الإسلام للتعريف بالديانة المحمدية السبحة ، ويداهاها ، وذلك خدمة لمستقبل العالم الإسلامي بشامه وكبالة وفى الواقع من اجل توحيد كل البلدان الإسلامية ، وكما قلت آها لتشجيع الاقليات الإسلامية فى عدد كبير من البلدان : ففى البامان على سبيل المثال توجد قلة قليلة من المسلمين اذا قارناها بالعدد الهائل للسكان فى جزيرتنا ، وقد دخل الدين الإسلامي اليابان منذ وقت قصير جدا « فى بداية القرن العشرين » على امدى بعض العلماء الرزة كالحاج عمر ميتاى « الذى ترجم القرآن الكريم من العربية الى اللغة اليابانية وقد طبعت الترجمة فى المملكة العربية السعودية » والحاج عمر ميتاى من اقدم المسلمين فى اليابان ، وانا - اسلمت منذ 17 عاما ، الا ان اسما وامس المسلمين فى اليابان ان يرفع الشبان مشمسلى الديانة السبحة ، بعدنا نحن ويحافظون على اسلامهم »

سؤال : استاذ عبد الكريم لقد زرت خلال اشغال الملتقى الثامن بعض المنجزات الاقتصادية فى منطقة بجاية وسطيف واطلعم على بعض المشاريع فهل لكم من كلمة تقولونها لنا عن سياسة التنمية الجزائرية ؟

جواب : « اننى زرت الجزائر منذ ثمانى سنوات اول مرة وعندما طعننا مؤحرا لزيارة المشاريع الاقتصادية الجزائرية كنت سعيدا بأن لاحظت انه حصل تغير كبير جدا ، وامس لم آكن من قبل اتوقع مثل هذا التغير - فقلت كنت سعيدا جدا بملاحظة المشاريع الاقتصادية المحزة ، ولما قدمت الى الجزائر منذ سنوات لم آكن صناعة تذكر أما الآن فهد منحت لى فرصة حضور الملتقى الثامن للفكر الإسلامي لرؤية مصانع كبيرة تعمل وعدة مشاريع بصدد الاسجاز ، وهذا ان دل على شىء

مانما يخصص لدعمه الفرنسية التي كانت تقول لمسا متى ان الجزائر سوف تؤول الى السوول
عندما تستقل *

والآن والحمد لله أرادت مشيئة الله ان تحجز مشاريعها وان من حان على دينه تقدم لا محالة
وباذن الله ، والجزائر يدعى فقد كانت تنتج في عهد الاستعمار 26 مليون طن من البترول ، أما الآن
مهي تنتج 50 مليون طن ، والجزائر بلاد حيرات يتوفر فيها كل ما يحتاجه الانسان *

لقد رأيت في أسواق الجزائر كل أنواع الحصر لعراكة وهي قليلا ما تكون متوفرة في أسواق
بلدان العالم المصنع وانني لاحظت ان الدنيا كلها حصرا في الجزائر، والحضرة والرهود نكسو الارض
ما بين بحاة والحرائر *

ان الحكومة الجزائرية تسلك سياسة يستفح منها لشعب الجزائري كنه وليس فله وأسدنيه ، وهذا
ما يدعو اليه الاسلام ، ان الجزائر تنمي الاشتراكية على اساس اسلامي وهذا هو احسن البيل
لاقتصادية للتقدم والازدهار *

سؤال : استاذ عبد الكريم لو سمحتم بسؤال آخر ، ان الرئيس يومدين سيشارك في الثورة
الطائرة للجمعية العامة للأمم المتحدة للنواصة قضايا المواد الأولية ، فما هو رأيكم عن هذا المؤتمر
الاقتصادي الذي لم يسبق له مثيل ؟

جواب : « يجب ان تم الحاصرة الاسانية كل بلدان العالم ولا يبغي ان تقتصر على أمريكا او
أروبا ، متى انما كانت البلدان المصنعة تسيطر بواسطة الشركات البترولية الكبرى على مصادر
الطاقة في بلدان العالم الثالث ، ولكي الآن ومن حسب الخط اصيحت البلدان النامية وخاصة متبا
النتيجة للترول تتحكم في قضايا الطاقة في العالم ، فسياسة الرئيس هواري يومدين في هذا
المجال عامة جدا لانها مستعمل بحصول عسدة تصرات عا قريب وانني متيقن من ان أمريكا
ستدرك كل مشاكلنا في هذا الاسوع ، وهذا امر هام جدا، اما بشأن الاقتراح الامريكي بشأن
اقاعة مجموعة موحدة للبلدان المستهلكة للطاقة بقصد مواجة اسلطان المشجة فهو قد يبيد
ابلدان الصناعية ، ولكن توجد خلافات كبرى احيانا بين هذه البلدان ، ان تيكسون التي صدر
عنه هذا الاقتراح يعكر تفكيرنا خاطئا ، وهو نطعمه الحال يريد افادة مصالحه لا غير ، يمكن الرئيس
يومدين الذي يعتقد انه يفكر في الجميع ويريد افادة الجميع في أجل تحسين علاقات السادل بين
الدول غيبة كانت أم فقيرة ، دون تمييز - ان الرئيس يومدين لا يعمل لمصلحة الجزائر بل كملك

لعائلة بندان العالم الثالث ، واني اسمى ان يتوصل الرئيس بومدين الى حل المشكلات ، ولا اظن ان الرئيس نيكسون سيجعلها » .

وبعد على وشك انهاء هذا الحديث اهتم الينا الاستاذ الهادي خسرو شاهيان الاستاذ بالجامعة الاسلامية في قم بايران ورئيس تحرير مجلة « الهادي » والحاخ الشريف احمد البرقي المغربي مدير المركز الثقافي الاسلامي بمدينة ارض في الدانمارك ، فاني الاستاذ خسرو شاهيان الا ان يقول لنا الكلمة التالية :

« اني اشكر وزارة التعليم الاصيل والسؤر الدينية على الجهود الجسدة التي بذلتها ولدعوة كل العلماء والمفكرين من كل اقطار العالم للاشتراك في ندوة عالمية اسلامية وليبحث المشكلات الموجودة في العالم الاسلامي ، وطرق حل الامرات ، وهذا ليس بعيد في بلد اسلامي كالجائر التي تسكت بالسلام عند القديم كاحسن ما يكون التصبك ، وقد وقت الجزائر بعهدا للإسلام بعد انشورة الكبرى لانها تعلم حمدا ان الاسلام كان عيسا والنوريتها ، ونحن نشكر معالي الوزير موبو تاسم الذي قام بنشاط واسع في هذا السبيل ويقسم الملتقى الذي يلتم في المسلم الشيعي من ايران وليبان مع اخيه المسلم المسمى في كل مكان ، وتسال الله تعالى ان يوفقا جميعا في هذا السبيل ان الشعب المسلم في ايران والجامعة الاسلامية في « قم » التي بدرس فيها سبعة آلاف طالب مس شتى الاقطار الاسلامية لعل صوته روحية باخوانهم الجزائريين » .

ثم صرح لنا الحاخ الشريف احمد البرقي بما يلي :

« باسم المركز الثقافي الاسلامي اشكر الحكومة والشعب الجزائري ووزير التعليم الاصيل والشؤون الدينية والرئيس هواري بومدين وهذه اول زيارة أقوم بها للجزائر واني ضرور جدا لحداح للمنتقى الذي حضرته انني لاحظت ان للحكومة الجزائرية نظام تحطيط دقيق لم أشهد مثله في اي بلد عربي آخر والبرنامج الذي افضل في الجزائر هو البرنامج الخاص بالقرية النبودجية في الريف ، التي تساعد سكان الريف في اوجه نشاطهم وحياتهم اليومية وان القرية تخفف عن العاصمة مشاكلا ، واني انتظر ان يطرر لتحديات الاسلاميه في ارض » .

بنا نطلب المساعدة من الحكومات العربية لانشاء مدرسة ومكتبة عربية ، لا لخدمة حالية معينة ولكن لخدمة كل الحاليات الاسلامية » .

وشهد شهاد من غير اهلها

حواد مع الدكتور مانفريد فلايشهامر

نائب رئيس قسم علوم الشرق والعصور العديدة
بجامعة هاله (الجمهورية الديمقراطية الألمانية)

اجرى الحديث : عاطف يونس

الدكتور مانفريد فلايشهامر مستشرق ألماني ، شارك أكثر من مرة في ملتقيات الفكر الاسلامي التي تنفذ سنوياً في الجزائر - وهو من مواليد مدينة ماكنبرغ لعام 1928 - وفيها تلقى علومه الابتدائية والثانوية - ثم تابع دراساته العليا في قسم علوم الشرق والعصور القديمة بجامعة هاله (ألمانيا الديمقراطية) حيث تتلمذ على المستشرقين المعروفين بروكلمان وجوها نفوك ، وحصل على الماجستير باطروحة حول مخطوط مشاهير علماء الإنصار لابن حبان البستي ، وقد طبعت أطروحته هذه في القاهرة عام 1955 . ثم نال الدكتوراه العليا عام 1966 ، وكان موضوع الأطروحة مصادر كتاب الأغاني لابي الفرج الأصفهاني - وإضافة الى هذين البعثين ، فقد حقق الدكتور مانفريد كتاباً حول قواعد اللغة العربية لأستاذ بروكلمان - وله الى جانب ذلك عدة مقالات وترجمات لطلاب العسري الحديث ، في المجالات العلمية -

وهو يشغل اليوم منصب نائب رئيس قسم علوم الشرق والعصور القديمة بجامعة هاله .
وقد اتضح لنا من خلال مشاركته في ملتقى بجاية انه متمكن الى حد ما من العربية ، الى جانب إتقانه للانجليزية والفرنسية .

وفي لقائنا السريع معه أثرتا جملة من المسائل الفكرية ، مما يهيم القارئ العربي ، ولم نكن نتوقع ان يكون المستشرق الألماني لشاب على هذا القدر من الحيلة والتحفظ في الرد على أسئلة بيست بذات طابع سياسي :

المجاهد : ياي دافع اتجهتم الى اللغة العربية ، وما هو تقييمكم لها على ضوء ما تعرفونه من لغات أخرى ؟

- : الحقيقة انه لم يكن لدى دافع معين ، وربما كان لقائي بالعربية من باب الصدفة ! وقد بدأت صلاتي باللغات السامية بتعلم اللغة لصرية لقراءة التوراة !

مقاطعة : هل أنت مسيحي أم يهودي ؟

— (بشيء من الارتباك) أنا مسيحي ! أما بخصوص العربية ، فقد اتجهت إليها بعد الدراسة الثانوية ، وهي لغة غنية بمفرداتها ومعانيها ، ومموم أنها كانت في العصور الوسطى لغة عمية ، تعبر عن كل لتصورات والأفكار العلمية الموجودة في ذلك الوقت . عرفت هذا من خلال حلاقتي واشتغالي بهذه اللغة . . . أما الآن ، فقد وجدت من خلال الكتب والمصحف العربية أن اللغة العربية يمكن أن تكون في الوقت الحاضر لغة علمية ، تستوعب كل الاحتياجات العلمية والتقنية الحديثة ، وبكفي أعتقد أن هناك بعض المشكلات ، كتوحيد المصطلحات العلمية ، وهذا مطلب واحتياج أساسي في كل علم ، وأرى ما يراه الكثيرون من علمائكم أن العربية تقتضي توحيد وتثبيبات الجهاز الاصطلاحي ، لسد الاحتياجات العلمية - فمن نلاحظ أن اللغات العالمية تتوفر على ثروة من المصطلحات الموحدة والثابتة - اللغة أداة تفاهم في الدرجة الأولى ، ومن واجب أصحاب العربية أن يتعاملوا بصورة دقيقة ! وأرى أن العربية قادرة على أن تستعيد مكانتها في الحضارة والعلوم .

المجاهد : بوصفكم مستشرقاً . . كيف تنظرون إلى دور المستشرقين بالنسبة إلى التراث العربي عامة ، والتاريخ بصفة خاصة ؟

— تختلف ذرائع العلماء في الدراسة والبحث في شتى العلوم ، ومنها العلوم الاجتماعية ، ولا أستطيع أن أتحدث في هذا الموضوع بصفة عامة ، ولكن فيما يخص أهداف المستشرقين في بلادنا فهي علمية محضة . . فنحن نحاول دراسة تراث العرب وتاريخهم لفهم وضعهم الراهن ، ونستشرف معالم مستقبلهم !

المجاهد : وما الذي توصلتم إليه في هذا السبيل ؟

— كلما أتيت لي فرصة زيارة بعض الدول العربية ، لست أقدم في مختلف مجالات الحياة ، والى محاورات جادة للعرض في كل مجالات العلمية والفنية ، وعلى سبيل المثال ، فقد زرت الجزائر مرتين وكانت الأولى في بداية الثورة الزراعية ، وما أنا اليوم من حلال التهمة والمساعدة - لاحظ أن الشعب الجزائري يواصل السير بكل جد ونشاط في هذا الاتجاه ، وأحسب أن أؤكد لكم أن الشعب في أعيننا الديمقراطية - لا المماه وحدهم - يتابع ما يحدث في الجزائر بكل اهتمام وأعجاب . . . وهذا يؤكد أن العرب يتقدمون حثيثاً في سبيل ازدهار جديد لحضارتهم وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

المجاهد : شكراً ، وأرجو ألا يكون قولكم هذا من باب المجاملة :

— (ضحك) لا ، لا ، أنا لا أصانكم ، وما قلته هو ما اعتقده فعلاً .

فالملقى مثلاً ، أكد لنا أن العرب يعرفون مشاكلهم ويرضون في حلها . . . وقد لا يأتي الصل سريعاً ، ولكن المهم أنكم تعاون مشاكلكم وتستمدون لحلاً .

المجاهد : تعرفون بلا ريب أن مقداراً واسعاً من المخطوطات العربية موزع بين متاحف أوروبا ومكتباتها العامة والخاصة . . فما هي تقديركم إلى هذه القضية ؟

— : لا نستطيع أن نقاوس ما إذا كان من اللازم إعادة هذه الذخائر الموجودة في مكتبات العالم كله ، علماً بأن طرق ووسائل الحصول على هذه المخطوطات مختلفة جداً . . فبعضها تم عن طريق الشراء أو الهبة ، وهي في بعض المكتبات موجودة منذ زمن قديم ، وكان المستشرقون في أوروبا والعالم يشتغلون بها منذ زمن بعيد ، فيدرسونها ويفهرسونها ويحفظونها وينشرونها ، ويعتبر هؤلاء العلماء أن المخطوطات العربية التي في حوزتهم جزء من تراثهم القيمة . . وأنسأ لا أرى في ذلك مشكلة ! فقد حوت العادة على السماح لكل باحث أن يستعين بما شاء من هذه المخطوطات ، كما يسمح أيضاً بتصويرها وجمعها عن طريق ميكروفيلم . . وأنكر لكم عن سببيل المثال أن مكتبة « جوت » بألمانيا الديمقراطية ، قد قامت بإرسال صشرات للكثير من المخطوطات التي طلب العلماء العرب الاستعانة بها .

المجاهد : ولكن يا دكتور . . ما الذي يضمن لنا أن لا تمتد يد التغيير أو التثوية إلى هذه المخطوطات ، خاصة وأن مواقف الأوروبيين من العرب ليست في كل الحالات مطمئة ؟

— : لا أستطيع الانتفاء في هذه المشكلة ! ولكن ثقتي بأن لا خطورة على مخطوطاتكم في بلدي ، أما البلاد الأخرى فآله أعلم !

المجاهد : وأخيراً . . ما هو الانطباع الذي ستعودون به إلى بلادكم ؟

— : لهما شخص المثقف ، فقد اشتكت قبل هذه المرة ، في الملتقى السادس ، والاحظ أن ملتقى بحاية يمنار بالانفتاح على مختلف الآراء والاتجاهات الإسلامية وغير الإسلامية ، ولذلك لمانتي أرى أن هذه الملتقيات تلعب دوراً هاماً في شرح المشكلات المطروحة . . أما بالمسبة إلى الجزائر ، فقلد استقبلنا في المرتين بكل جفاوة وكرم ، ونحن نشكر الحكومة الجزائرية على هذا الاستقبال الذي منحه إياه شعباً بكل اعتزاز .

الاقليات الاسلامية في اسبانيا

حواد مع الدكتور ميثال دى ايبالزا «اسبانيا»

قام السيد ميثال دى ايبالزا يبحث معصّل يعثر بداية ناقوس خطر عن الوضعية الحالية للشغل وطريقة العيش التى يوجد عليها 100٠000 مسلم فى اسبانيا ، متوصل الى نتائج بناءة اذا انه لا يوجد فى اسبانيا غير المسلمين السواح ، بل هناك كذلك العمال اليبوسين والطلبة يعيشون فى ظروف تسببت فيها بعض الاوساط الاسبانية .

دراسة :

يعيش 100٠000 مسلم فى «اسبانيا» فما هى وضعيتهم الحالية من حيث الشغل وطريقة العيش؟

الاقليات الاسلامية في اسبانيا :

كانت وضعية الاقليات الاسلامية من بين المعاط الحسنة لبرنامج الملتقى الثامن للمعسكر الاسلامي الذي انعقد مؤخرا في بحارة تحت اشراف وزارة التعليم الاصيل والشؤون الدينية ، وكان من بين المتحدثين والشخصيات المدعوة ثلاثة اسبانيين وهم :

- السيد سالعدور غوميز نوغالييس استاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة مادريد ،
- وارييس الكاتب العام لجمعية الصداقة الاسلامية المسيحية الاسبانية ،
- والسيد ميبيل دو ايبالرا استاذ التصاريح الاسلامي بجامعة الخرائز .

ومن جهة اخرى تشير لي ان السيد مولود قاسم وزير التعليم الاصيل والشؤون الدينية قد استدعى بصورة رسمية للمشاركة في استعراض الطائ الاسلامي المسمي الذي صينعت في مدينة قرطبة في شهر سبتمبر المقبل . وفي هذا الصدد قدنا يبحث عصر عن حالة المسلمين في اسبانيا .

اربعة انواع من المسلمين :

لا توجد اية علاقة بين المسلمين الذين يسكنون حاليا في اسبانيا والذين كانوا في الاندلس في اسبانيا لقديمة المسئلة اذ ترض هؤلاء في بداية القرن السابع عشر والقرن الحادي عشر الى الطرد الجماعي والكني تقريبا . واما في يوسا هذا فلا يمكن ان تميز بين جملة العرب الذين انضموا في الشعب الاسباني وغيرهم من الاسبان .

وسكن القول بأن كل المسلمين الذي يعيشون حاليا في اسبانيا هم من اصل اجنبي باستثناء عدد قليل من الاسبان الذين اعتنقوا الاسلام او على الاصل ينتمون الى مذاهب او طوائف دينية من اصل اسلامي كاليهاثيين والاحمديين مثلا ويمكن تقسيمهم الى اربعة طبقات :

اولا - طبقة العمال اليوتيين

وهؤلاء تقريبا كلهم من اصل مغربي فنقصدهم اسفر بعضهم في اسبانيا منذ الحماية شعير ان اعلنتهم نزحت في السنوات الخمسة الاخيرة الى اسبانيا ادواجا افواجا .

فولذين عاشوا في اسبانيا منذ الخمسينيات يعرفون اللغة الاسبانية كما ان لهم معرفة بالحياة الاسبانية .

أما الباقون منهم وبالعكس فهم محرومون من كل سند تقدي لثوى ، مالى شرعى او نقابى الخ وهم فى حالة يرثى لها ولا يمكن احصائهم .

ويكن القول بان عدد 'المسيحيين منهم فسى لفنصبة المغربية وله رخصة اقامة لا يبلغ الواحد فى المائة . ويبلغ مجموعهم على التقريب 600 000 رجل .

ويوجد كذلك بعض الآث من الجزائريين فسى بعض الوضعية وعلى الخصوص فى المناطق الشمالية وجما بعد ان انصوا الى الحدود الفرنسية نظرا لان اوراقهم لم تكن مضبوطة .

الطلبة :

وهم فى الغالب طلبة الطب والصيدلة آتوا من الشرق الاوسط (مسجلين - موريا - الاردن - لبنان - مصر الخ . ومن اخرب مع اقلية من بلدان اخرى منهم الصحراويون (الساقية الحمراء - وادى الذهب) ، وهكذا يوجد حوالى 7 000 حامى عربى اقلييتهم من المسلمين فمنهم من يأتى لتحضير الطرحة الدكتورا فى التاريخ او فى اللغة الاسبانية او فى مواضع اسبانية عربية . وهالك كذلك تقنيون فى السباحة والهندسة والى او الحفريات الخ .

محترفون ديبلوماسيون او ثوى حرف حرة :

وهم شخصيات استقرت على مختلف الصور ولاسباب مختلفة فى البلدان التى لها تشريع اقتصاد حر لتقبل الاجاب وعلى الاخص اذا كانت لهم احوال لاستثمارها .

زوار المرور

يوجد من بين الملايين الزوار او السواح الذين يصدون على اسبانيا عدد لا يستهان به من العرب والمسلمين وواقع زيادتهم الى اسبانيا وخصوصا المسلمين منهم يعمه غيرهم اد انهم يأتون لزيارة الامتلىس المسلمة ليتنصوا بالآثار التاريخية للآمن الاسباني العربى .

ومن بين زوار المرور يوجد أكثر من مليون مغربى وحز ثوى يسبرون اسبانيا للرجوع الى بلادهم ، وعلى هذا الاساس يحصلون من اسبانيا مع البلدان اليلقانية احد اوائل البلاد ان لم تكن اول البلدان فى العالم التى تنقو زوار الدار مع مشاكلهم الخاصة .

فالاشخاص الذين لهم وضعية مالية حسنة والسواح لا يضمنون مشاكل كثيرة وانما وضعية العمال البديين والطلبة هى التى تحتاج الى عناية خاصة .

- المشاكل المزمنة التي يعيش عليها العمال اليهوديون *

يعدّ مشكل العمال اليهوديين بدون ادنى مقارنة أكبر مشاكل الأقليات الإسلامية في إسبانيا ، فهو مشكل سياسي واجتماعي خطير ، مشكل انساني حديد في إسبانيا لم نستمد له الاستعداد الكافي .

وفي الواقع فإن إسبانيا بلد اعتاد منذ سنة 1950 تهجير ابنائه الى أمريكا ، ثم بعد ذلك الى أوروبا ، غير ان حاجياته الاقتصادية ومصلحة المؤسسات العامة والحاجة للحصول على يد عاملة رخيصة بالنسبة ليد العاملة الوطنية شجعت في السنوات الأخيرة استيطان العمال المغاربة بصورة حفية وفي ظروف مزمنة .

فليست لهؤلاء العمال وصعية قانونية لا بالنسبة لسلطات المخربة ولا اتجاه الامميين . فعالميا ما يجهلون اللغة وكتابتها كما انهم مستغلون من طرف الجميع يستغلهم المغاربة المايرون لامبانيا كما يستغلهم الاسبان والمؤسسات التي تشغفهم تسكهم في قسرات وتقصيهم عن العمل لاثله الاسباب كما يدفعون لهم أجورا على حسب هواهم . ويضاف الى كل هذا ان هؤلاء العمال ليست لهم اية وسيلة للدفاع عن حقوقهم ومساندتهم . فان ارتكبوا بعض الأخطاء وكانوا معروفين من طرف البوليس يطردون صريحا من البلاد . فلا يمكن حل هذه الرضعية اللانسانية الا بابرام معاهدة على مستوى الدولتين ، غير انه رغم العلاقات الحسنة بين النطامين فليس هناك ما يدل على تقرب حلول لهذا المشكل وبما في المنازعات الاخرى حاليا ، مثلا تحديد الميلاء الاقليلية ، الصيد ، نزع ملكية الاراضي التي يمتلكها الاسبان بالمغرب ، مشاكل الاقلايم الصحراوية المحلة من طرف اسبانيا الخ . فما دامت الدبلوماسية الاسبانية لم تستطع الخروج من هذه المشاكل فانه يصعب التكهّن بايجسادوية على مشكل العمال المغاربة في اسبانيا ، غير ان وضعيتهم الخطيرة بدأت تشغل بال عدد من الشخصيات والجمعيات على اختلاف انواعها وكذلك الادارات المعنية ، كما نلاحظ تدخل اصحفيين في الامر .

وزيادة على ذلك يخشى حدوث مجازيات خطيرة بين المستوطنين مع الطبقات الشعبية الاسبانية . وبالفعل فإن العمال الاسبان يدركون جيدا بان هؤلاء العمال المغاربة يكونون اداة صاف الى الادوات التي تنومر عليها الطبقة الحاكمة لاستغلال العمال لتغيير قاموس العرس والطيب . ولهذا

مرى فقام عصرية شعبية حقیقة ستكون لهاسانئان خطیرة بالنسبة لمستقبل العلاقات الاسبانیة
المغربیة .

• مشاكلك الطبیة :

لطبنة العرب مسلمین كانوا أم مسیحیین الآئین من الشرق الاوسط نفس المشاكلك وأهها
مشكلك البعة باستثناء المغاربة ، ففی بعض الاحیان لا يعرفون اللغة ، ولهذا یصبح من اللازم علیهم
معرفة هذه اللغة لكى یمكن لهم متابعة المحاضرات بالجامعة . یضاف الى ذلك مشاكلك قولهم فسی
كلمة الطب Rn فی المائة منهم ینفقون دروسا فی الطب او فی التموین الطبیة او المساعدة الطبیة
مع العلم ان الطلبة یمهسون على هذه الكلیات بكثره مما یجعلهم یمتثلون الاسبان یصعوبة .
وغالبا ما یصنمون لسة ینمون منحة منحة منحة صیوبات هذه الوضعة وكان بإمكانهم التظلم
على هذه الصعوبات بسهولة بالاتصال مع زملائهم الاسبان ، الا انهم یمتثلون ویجتصمون
بینهم ، وهذا عامل یساعدهم من الناحیة العاطفیة الا انه لا یحل مشاكلك البعویة التى هی المصدر
الاساسى لصعوباتهم الأكادیمیة . وتجب الإشارة الى ان هناك عددا قلیلا من الجامعات والجمعیات
الاسبانیة تحاول بقدر المستطاع مساعدتهم فی حل هذا النوع من المشاكلك .

وبالإضافة الى كل هذا فانهم غالبا ما یتجلبون فی مشاكلك اقتصادیة وعلى الخصوص منهم
الاردنیون والفلسطینیون وهم الاكثر عددا ، وعلى العموم فانهم لا یجدون صعوبات فی الاسكان .

عبر انهم یشعرون رغم الحفاوة العامة للشعب الاسبانى والرحیم بهم انه یوجد لدى هذا
الشعب نوع من عدم اللامالة بالنسبة لفصنهم العربیة على الخصوص ومشاكلك العالم الثالث
على العموم ، وهذا ینحلی فی جهل وعدم تفهم عدد كثیر من الاوساط الاسبانیة للصیلة
الفلسطینیة التى الذى یؤلمهم على الخصوص ، ورغم الجو السیاسى الذى یمسود فیما بینهم فان
الطلبة یحدون صعوبات مع سلطات بلدهم من حیث طلب الإعفاء الموقت من الخدمة العسكرية
او تحدید جواز السفر الخ . الذى الذى لا یسهل دخولهم الى البلد ولا یسهل كذلك علاقاتهم مع
السلطات الاسبانیة .

عمى غالب الاحیان تكون اقامتهم قصیرة وهذا شی طبیعى فی حیاة الطلبة الاجانب ، وعندما
یرجعون الى اوطانهم یحتفظون بعلاقات حمیمة مع اصقاعهم الاسبان ، وبهذا یكونون رابطة

متينة بين مواطنهم واسبانيا على المستوى الثقافي والعلامات الشخصية * فوجودهم في جامعة اسبانيا يكون بمثابة ثروة للند من الناحية الإنسانية والثقافية والفائدة * وهو كذلك ساس التمتع الحقيقي للشعب الاسباني على ثقافة غير اوروبية وبالتالي يجعل هذا الشعب على معرفة بثقافة العالم الثالث ، ذلك ان عددا كبيرا من الطلبة الوافدين من جنوب امريكا يقتربون اكثر من الانسان بواسطة اللغة والثقافة لإمكانية التمتع * والتحرية التي يحملها هؤلاء تعادل تلك التي يحملها معهم الطلبة المسلمون في اسبانيا *

بعض المشاكل الدينية :

ان مشاكل الاقليات في اسبانيا قبل كل شيء ليست بأشاكل الدينية بل هي صعوبات اجتماعية غالبا ما تكون خطيرة للغاية *

وبالعمل فرغم ان اسبانيا بلد كاثوليكي رسميا انه يسمح للاقليات الغير الكاثوليكية بالوجود وليس للمسلمين مشاكل سوى تلك التي تتعلق بأماكن العبادة والزواج المختلط *

ورغم اعتزاز الاسلام بنظام الاقليات بسلطانه وقوانينه فانه يصعب تصوره في اسبانيا واوروبا ، ولهذا يتكيف المسلمون على المصوم مع النظام القانوني الخاص بالأجانب التي هو نظامهم في هذه الديار *

والجدير بالملاحظة انه يوجد عدد قليل من المساجد في اسبانيا غير انه لا توجد معارضة رسمية لبتائها كما هو الحال بالنسبة لندويات غير الكاثوليكية ، ولهذا نجد أماكن العبادة تكثر في المدن * وهناك إشاعات تقول ببناء مسجد كبير بمدينة غير انه لا توجد مبادرة ولا تمويل لتحقيق هذه الإشاعات *

اما الآن تقوم إحدى قاعات معهد الدراسات الإسلامية وهي مؤسسة ثقافية تابعة للحكومة المصرية تقوم بدور مسجد العاصمة *

وتتعدد المآيد في المدن خصوصا في شهر رمضان اد وضع كادو ديتال برشلوة عدة أماكن بمقاطعاته تحت تصرف المسلمين * ويسكن ان تشارك كذلك بعض الجمعيات اذا كان هناك طلب من المسلمين في هذا الصدد *

ويوجد جند مسمر يملأ يتنثال مسجد قرطبة القديم وهو المسجد الذي تحول السي كاتدرائية ، هذا الجند لا يهتم بالناحية الدينية وإنما ينصب على الناحية التاريخية والفنية والتعافية ، غير انه يجب تحسين كيفية استقبال المسلمين والاسمرار في الساج لهم ان ارادوا بالقيام بالصلاة امام المحراب الرائع لهذا المسجد.

اما فيما يتعلق بالزواج المختلط بين المسلمين والمسيحيين فانه تكثر ، ففي السنوات الخمس الاخيرة يسكن ان تحدث عن 400 زواج من هذا النوع في مدريد فقط .

ونلاحظ ان مشاكله بدأت تقل بفصل التدخل الحاد الذي قامت به جمعية الصداقة الاسلامية المسيحية لدى السلطات الدينية ، الا انه غالباً ما تتعرض الاسر الجديدة الى معارضة الاباء لاسباب دينية واجتماعية . وتتصاعف هذه الصعوبات عند ما تستقر الاسرة في البلد الاسلامي للزوج حيث المجتمع يختلف عن حياة الاسبان .

ويضاف الى هذه المشاكل الدينية بالنسبة للمسلمين ان الرأي العام لا يحب العرب وهذا مانع عن جهل وليس عن معارضة واعية منه ، وهذا بصاعف صعوبات التفاهم التي يتلقاها كل اجنبي خارج محيطه وبلده ، داخل المجتمع الذي يعيش فيه .

غير ان هذه الاعكام العامة المسقة لا تغطي عادة على العلاقات الشخصية الطيبة الموحودة بين هؤلاء والاسبان ، هذه العلاقات السهلة النال داخل كل الاوساط مع وجود العامل اللغوي والجدير بالقول ان هنالك دعيات متصلة وحركات تسعى جاهدة لتطوير الرأي العام الاسباني وتفتحهم اكثر لياقة للحقائق التربوية الاسلامية في الحاضر والماضي .

ومن الواضح ان النتائج تختلف بالنسبة للإقامة عبر الطويلة للسواح والاستمرار النهائي لبعض المسلمين فهي تختلف بالنسبة للطلبة الذين تطول او تقصر اقامتهم والعمال اليدويين التي تكون اقامتهم غير محددة .

وبعد الاشارة الى ان مشكل العمال هو الذي يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار من طرف الجميع مسلمين كانوا او مسيحيين او رجال لهم اواحدة حسنة ، نظرا لكونه مشكل انساني يتميز بخطورته الخاصة .

ولهذا يجب على الكل وبالاخص الاسبانيين ان يشعروا هؤلاء بانهم المسمون بالاسر قبل غيرهم .

لقاء مع د. عبد الكريم سايتو

أستاذ الاقتصاد بجامعة طوكيو (اليابان)

محمد بليدي

أخرى الحديث

قام الدكتور الياباني عبد الكريم سايتو بصفته مستدعي كمحاضر ناقلاً، محاضرة في ملتقى الفكر الإسلامي عنوانها : « وضع الانقلابات الإسلامية والطوائف المهاجرة في اليابان » مكن المحاضرين من تكوين فكرة واضحة على هذه الاليات بالشرق *

والدكتور عبد الكريم سايتو استاذ مادة الاقتصاد بجامعة تاكوشوكو في طوكيو هذه الجامعة التي تضم 23 كلية ويشغل كذلك منصب مدير الجامعة الإسلامية اليابانية وهو مسلم مفتتح شارك في نشر الفكر الإسلامي والعربيف بمصاوتنا عن طريق نشر مقالات في عدة مجلات وحرارة أدبية في طوكيو *

وفي هذا الصدد قام بنشر عدة بحوث عن الإسلام ومساهمته في الحضارة العالمية *

والدكتور عبد الكريم سايتو مختص في الاقتصاد المعاصر *

سؤال :

الدكتور سايتو : لقد العيم محاضرة تتعلق بشكل الاليات الإسلامية في الشرق ووصفتهم حالتهم واثرتهم كذلك دور وواجب المفكرين تجاههم *

هل يمكن ان نتحدثوا لنا عن بعض النقاط التي ربما كنتم ترغبون التوسع فيها *

جواب :

نعم ، تكلمت عن هذه الطوائف التي اعرفها حق المعرفة ذلك لانني مسلم يعيش في بلاد تشمل فيها صائغتنا الانفلية ، غير انني اريد ان اوضح بان المسلمين في اليابان يكونون اقلية بالنسبة للديسين فقط ، معنى ذلك اننا لم نسجل اى عدا. حسن الطوائف الاخرى (اليهوديون والمسيحيون الح) لطائفنا . كما ان نظرة الحكومة اليها هي نظرة حياد هم لا يضايقونا ولا يشجعونا كذلك . كل ما في الامر ان هناك نوعا من اللامبالاة خلافا لما هو عليه الحال في بعض بلدان الشرق الاقصى وعلى الخصوص في الهند .

قام الاسلام ولا زال يقوم بدور هام في هذا الماطق واريد ان انبه كذلك الى ان الاسلام لا يمانل المشووعة ولا الراسمالية ولا يمانل اية نظريه اخرى ، وفي اننا. النقاش طرح على احد التلاميذ سؤالا يتعلق بالعلاقة بين الاسلام وغيره ويظهر لي ان هذا السؤال امر صحيح ذلك لانه اذا كانت الشيوعية او الراسمالية نظريات مؤلفة فان الاسلام دين خالد . ويجب ان نفهم العلماء والمفكرين حسب هذا المعنى اذا اردنا ان نصل الى نتيجة ايجابية .

سؤال :

لقد شاركنم في اشغال الملتقى وتحضير توصياته النهائية . هل يمكن لكم ان تتحدثوا لنا عن الحصيلة والاثار الذي لا تخلو من حمه هذه التوصيات للامة الاسلامية .

جواب :

ه اول النتائج التي سجلناها وهي نتائج هامة لنا تمكنا من جمع مفكرى عدد كبير من البلاد الاسلامية والمسيحية وحتى الشيوعية في قاعة واحدة لمناقشة مشاكل انسانية داخل حوضين الصراحة والجديية والنظام واشير كذلك الى ايجابية التي تميز بها الملتقى . وقد اثار انتباهي كذلك الكرم والسباحة اللذان سادا اشغال الملتقى اذ اشتركت في همة لفادات ومؤتمرات وملتقيات في اساء العالم شيئا مني لم اصادف قط حوا اوفقي ولا اهتماما جماعيا اكبر من احسن خلاص الاسد .

والجدير بالملاحظة اننا نحسنا في تركيز اهتمام الجميع على اشغالنا وتشهد على ذلك الرسائل والرققيات العديدة التي تلقيناها في هذا الصدد .

أن اشغالنا سيكون لها اثر ليس فقط بالنسبة للصالح الإسلامي ولكن كذلك بالسبب
للإنسانية جمعاء . هذه هي حسيمة المناقشات المثيرة في « من الموضوعية والصراحة اللذين مكنا
من الوصول الى اتفاق حاسم »

وظاهرة اشتراك الشباب الطلاب قبل « اذا كما في-حاجة الى دليل - على مدى ادراكه وفهمه
الا انه ينبغي له أن « ترث الاسلام ، للمحافظة على تراثنا الثقافي وتنميته » وانه متيقن مسن
خلال المناقشات التي احرقتها مع الشباب بان الجزائر ستصل الى مبتغاها ولا يمكن للصالح
الاسلامي ان يساندتها »

سؤال :

اذا كنتو ساجو ، لقد وقعت مناقشات حادة بالنسبة للنقطة الخامسة التي تتعلق بالفتح
الاسلامي على العالم ، هل يمكن لكم ان تقولوا لبايرايكم في هذا الموضوع ؟

الاجابة :

قبل الاجابة على سؤالكم اريد قبل كل شيء ، ان ارجع الى ما صرحت به هنا الصدد انما ، المناقشات
وحتى لا اعيد الكلام ساقول مرة اخرى ان الاسلام لا هو الراسماله ولا هو التسوعة ولا هو دين
عرض بل هو دين خلود وبهذا فهو عالمي وله سدا يجب ان يفتح للعالم ولا يبقى منطويا على نفسه .
لقد علمنا التاريخ بان الاسلام تلمح على ثقافات اخرى - اذ ترجم العرب مؤلفات اليونان والرومان
والفرس واليهود والصينيين الخ -

لقد بحثنا في هذا الملتقى كيف فعلوا واشرفا الى مشاركتنا في الحضارة العالمية في جميع
الميادين العلمية والفنية وفي التراث الانساني .

ورغم ان الاشياء ، لا تتكرر بنفس الطريقة فان الاسلام دين حيوي دين ثقافة وتقدم لهذا يحب
ان يسرع في السير ، مع المحافظة على روحه ، ذلك لان قيم الاسلام حائلة -

هذا ما ننسبه انفتح على العالم مع المحافظة على الاصل .

ويمكن القول باننا وعبا شخصيتنا وقوتنا منذ مؤتمر القمة الرابع للدرول الصغير المتحارة
وال مؤتمر الاسلامي الذي انعقد ببلهور والمهم الان ان تقدم .

ملتقى بجاية استجواب مع د. ايفون توران

استاذة بجامعة الجزائر

احمد اليوسفي
أخرى الحديث

شاركت الدكتورة ايفون توران استاذة التاريخ بجامعة الجزائر في الملتقى الخامس للعصر الاسلامي الذي انعقد بمدينة بجاية ما بين 25 مارس و 30 ابريل 1974 بالقاء محاضرة تحت عنوان :
« التاريخ ، لقاء الاصالاة والعالية »

ولقد عالجت هذا الموضوع بوصفها مؤرخة في اطار النقطه الخامسة للبرنامج « الايبنة والاصالاة مع التمتع والعالية » .

« ما هو المقصود بهذه المفاهيم ؟ هل هي متكاملة ؟ » فعلى هذا الصدد شرحت المحاضرة على الخصوص بان التاريخ يقوم اليوم بدور الصداقة في التعريف الحالى لفكرة الاصالاة .

هذا الموضوع القيم هو الذى طلبنا من الدكتورة ايفون توران وهي صاحبة اطروحة تتعلق بالتاريخ الاساسي المعاصر متممة بعدة بحوث تنعق بتاريخ المغرب ان تشرحه لنا بسوع من التفصيل .

ومن جهة اخرى فقد نشر الدكتور ايفون توران سنة 1971 (عندما سببر) كتابا يحمل
عنوان :

« المحاولات لتقايمة في الجزائر المستعمرة مدارس ، طب ، دين 1830 - 1880 » .

وتشارك الدكتور إيفون توراي في مجلة الاتصال كما شاركت في اللتقي السادس الذي اُقيم بالجائز العاصمة سنة 1972 م *

سؤال :

الدكتور إيفون توراي

تحدثت في محاضرك عن لغا، عر التاريخ بين الاتصال والعالية : هل يمكن لك أن تحدد لنا هذه العلاقة وما هو رأيك فيها ؟

جواب :

أردت أن أقول على الخصوص بأن التاريخ يتكون من حدث خاص يتصف دائما بالاتصال مثلا اكتشاف علمي أو حدث سياسي في بلاد ما وفي عصر ما فهو لا يتحول إلى علم إلا بعد ما يصح قادرا على النهوض لكي يصل إلى مستوى عالمي مثلا نظرية تاريخ العلوم ونظرية التاريخ السياسي ويعلمنا التاريخ كذلك بأن الحياة ذاتها - التي يصفها - لا يمكن أن تكون سوى هذا البناء ، بمعنى أنه إذا توقفا وانكسنا على انفسنا وإذا مكنا ذلك الباحث أو تلك المجموعة السياسية المتميزة بدون أية علاقة مع مجموعة الباحثين أو الحياة السياسية فإن هذا يمكن أن يقودنا إلى الصمت والتفتت *

ومن جهة أخرى يبيننا التاريخ الذي هو المعبر عن نتيجته التعرّبه الإنسانية أن كل فكرة اجتماعية لميوها إلى الاحتكاك بأفكار أخرى كما يلمننا كذلك أن البشر لهم تصرف واحد لا يعنى التصرف الخاص بكل شعب بل يؤكد أن هناك إمكانية التفاهم والتبادل بينهم * ولذلك قلت « أن التاريخ يتي منذ بدايته اجتهد الناس كلهم في تبادل متوجاتهم من أجل تحسين الشروط الحادية لمعيشتهم » *

ولقد نسأل الناس في كل زمان ومكان عن أصلهم ونهائهم وكانت الأجوبة مختلفة غير أن القلق عام *

واكد التاريخ كذلك بأن التضامن كان شديدا سواء في السرا، أو الصرا * فبعد عرفت ككل المحتمات الحرب وكل أنواع الرقابة والاستعداد وكل الأذيت الناس بعضهم على البعض حتى أن

الدين يتساءلون الآن عن وجود الانسان يحجهم التاريخ بأنه صادف كائنا في كل مكان يشابهه في تصرفاته بصورة نسبية .

واضيف وأؤكد بأنه لو لم يوجد هذا التشابه لما كان القول ببساطة بعدم وجود الانسان وبالتالي عدم وجود الانسانية جمعا . وهذا ما يعبر عنه بعض العالمة حاليا فيبحثون في وجود الانسان . من كل هذا علم انه لكي ينكى الكلام عن الانسانية فلا بد من استنبال مفهوم العالمية . ان هذا المفهوم ضروري ولا مناص عنه .

سؤال :

الدكتورة ايغون توران

هل يمكن لك ان توضحى لنا تصريحك المتعلق بالاصالة والى وصفت بأنها نتاج للتاريخ ؟

جواب :

إذا نظرنا الى الماضى نكتشف باهتمام ان الاقدمين كانوا لا يعيرون أهمية لا لاجدادهم المؤرخين ولا لاصالته .

وفى هذا المصنف نجد لويس الرابع عشر الذى اتيت به كمثال . لا يقتصر على تجاهل اجداده « الماليتين » كما نقول منذ القرن التاسع عشر ، بل انه — لو نسب اليهم — لاعتبر ذلك بدون شك اهانة . اذ كان يعتبر انتسابه الى الرومان أشرف مع ان الرومان هم الذين فتحوا بلاد الملال وكانوا ملحدين .

ارايتم كيف ان طريقة اصالته تختلف عن طريفتنا — اذا امكن تسمية هذين الموقفين بكلمة واحدة طعنا — مع ما بينهما من تمايز . اما هو فلم يكن يعبر الامر الى اهتمام !

لم يظهر مبدأ الاصالة الا فى القرن التاسع عشر . فى نفس الوقت الذى بدأ يتقوى فيه مبدأ الجنسية ، وهذه حقيقة حتى ان كلتي (قومية) و (جنسية) لم تظهرا فى الناموس الفرنسى الا نحو سنة 1875 اذ لم تكونا مستعملتين من قبل . ويتقدم علم التاريخ تاكملت نظرية الماضى التاريخى .

لنتدريس التاريخ اتسمت الشعوب وعرفت أجدادها الذين دعوا إلى حياة ثانية ، وفي نفس الوقت أن أردتم ارتكز هؤلاء الأجداد في ذاكرة التلاميذ هذه الذاكرة التي أصبحت تقفراً للذاكرة التاريخية ، الشيء الذي لم يكن من قبيل نظراً لتفقد المعلومات التاريخية »

سؤال :

الدكتورة ابعون توران تكلمت عن وجود علاقة بين لشعوب هل يمكن لك أن ترجعي إلى هذا السحت فربما نريد أن نشرح أكثر ؟

جواب :

يوجد بيننا جميعاً رصيد مشترك نسميه العالمية وهذا الرصيد يرطنا ، ولقد أبانت التجربة بأنه يمكن تعاضد الناس فيما بينهم وأكد التاريخ ذلك كما أعطى الدليل على عكسه ذلك العكس الذي يتجلى في قتال الأخوة ولكن حتى في القتال يجب أن تكون هناك نسبة معينة من التشابه بين المتقاتلين وعلى هذا يجب علينا أن نسمى التبادل ونقرى الحوار ولا نكتش على أنفسنا وخصوصيتنا إذا أردنا أن نتشارك في الحياة ونمنحها في نفس الوقت إلى الغير .

سؤال :

الدكتورة ابعون توران

لقد شاركت في أشغال المنتدى هل يمكن لك أن تتحدثي لنا عن انطاعاتك ؟

جواب :

لقد شاركت بسرور في هذا المنتدى لتلبية دعوة السيد وزير التعليم الأصل والشؤون الدينية ، وشاركت كذلك لأن هذا اللقاء بالنسبة لي يعتبر مناسبة للخروج من « خصوصيتي » ، وأنهما لأولئك فرصة لكل هذا القول ، فهي تجريب فعلي للعالمية .

ويصفني مؤرخة عدى ذوق لمعرفة واكتشاف ما يسميه التاريخ « الغير » ، « المحال » ، أما في الزمان أو المكان .

لقد كان المنتدى الثامن بالنسبة إلى مناسلة للتعرف على « الغير » وفي المنتدى السادس كان الأمر كذلك ، وأتمنى أن تكون مشاركتي مساهمة في الخروج من « خصوصيتي » ولن اشتغل معهم إن يتصرفوا بدورهم على عالم آخر بمعنى أن هذا اللقاء كان بالنسبة للجميع وسيلة لتجربة التمتع مع المحاطة على الإصالة المتبادلة .



موضوع الاصاله والفتح يسود مناقشات الملتقى الثامن للفكر الاسلامى

لقد اتخذ الملتقى الثامن للفكر الاسلامى الذى
نظمه بيجاية السيد مولود قاسم الوزير الجزائرى
للتعليم الاصلى والشؤون الدينية حسب راي عدد
كبير من المشاركين منعطفا بالنسبة للملتقيات
السابقة .

ذلك ان ملتقى الجزائر العاصمة لسنة 1972
اكتسب صبغة سياسية ، تجعل ذلك فى العناية
الواسعة التى خص بها . اما ملتقى تيزى وزو
لسنة الماضية فقد فقد يشهد البعثات الدينية
المسيحية ، كما انه احيط بنوع من السرية .

بول بالغا

مراسل جريدة « لوند »
فى الجزائر

غير أن الملتقى الذي انعقد مؤخرا في بجاية اختلف بالنسبة والهدف. وهذا اكتسب صبغة أكثر علمية . وبنهجه هذا الطريق ستحتل جلساته بما تنوق اليه من التقدير العالمي . ولقد توفقت في هذا الملتقى خمسة مواضيع حصيللة أربعة وثلاثين بحثا في مدة 22 يوما من طرف ألف تلميذ 2008 استاذ من بينهم المؤرخون وعلماء الاجتماع والكتابات والفلسفة العرب والعربون واليابانيون .

ممثلون عن مختلف التيارات :

كان أحد هذه المواضيع هو « دور المعكر غير المصور » ركز طبيعة الحال على المسؤوليات التي يتحملها أو لا يتحملها في أيامنا هذه المعكر المسلم لكي يهيئ، مجتمعه إلى المعاصرة .

ولقد استوعبتنا على الخصوصي الحكم السفي اصدرة الفيلسوف المغربي محمد عزيز الحاي على كثير من زملائه المقيمين الى ثلاثة طوائف : « حملة الثقافة » وهم الذين يجمعون المعرفة بفنون تمييز . و « تحار الثقافة » و « المنهرون الامانيون » الذين يرفضون كل التزام .

وعد وجه المحاضر لكل من هذه الطوائف اللوم لعدم قيامهم بدورهم كما قام به علماء ومفكرو العصر الذهبي الذين جعلوا من الاسلام واحدة من ألح الحصار مدة 3 قرون .

وهكذا طمس على الملتقى كله السؤال السفي يشغل العالم الإسلامي والمربي بأكمله بمسودة وأخرة وهو كالاتي : كيف يمكن الانتقال إلى المعاصرة مع المحافظة على الأصالة ؟ !

هذا وإن أول تناقص لهذا الملتقى كان هو العنصر على تمايز مثل التيارات الأكثر احتلافا أيضا . من المحافظين « ما قبل التاريخ » على حد قول السيد الحبابي « والتناظرين إلى القرن الواحد والعشرين ماريين بالتقليديين والأحرار والماركسيين .

والتناقض الثاني كان يتجلى في السباح « من حيث الآخر » لانقاذ النقاش ، وإحلاله محصل سلسلة من المناجيات الذاتية « أن هذا النقاش لم يفتأ يجابه « القدامى » و « المعاصرين » . ومع قلة المعاصرين فانهم استطاعوا رغم بعض التداخلات التي يمكن أن نأسف على تمايزها وصيبتها الديماغوجية أن يوضحوا استحالة تحقيق النهضة إذا اقتصر الاسلام على معارضة النفس الحديثة دون ادماجها في كيانه قبحه الأصلية .

ويمكن القول بأنهم استطاعوا اقناع فئة من التقليديين . وهذا حدث له أهميته البالغة ، وهذا تجد العالم الإسلامي أصبح يتحرك أكثر مما تصور يمد ركود طويل .



حوار حول كتاب 80 سنة على الجزائر العثمانية

طلعت المسية بقلعة أولاف بالعاصمة تناولت كتاب 80 سنة على الجزائر العثمانية للإله
الاستاذ أحمد توفيق المدني . وذلك بحضوره . وهذا نص ما دار فيها

سيداتي سادتي أخواني اساتذتي الفضلاء اهلا
وسهلا بكم في أول امسية من أمانينا لهذه
الموسم ولنا الشرف العظيم والكبير للحركة الادبية
لهذا العام ان يفتتحها شيخ من شيوخنا واستاذ
من اساتذتنا ولحد يقية الرعيل الصالح الذين
علمونا وعودونا على كل فضل وخاصة على العربية
السليمة العوية . طيبا هذا هو شيخنا واستاذنا
أحمد توفيق المدني وهو اعرف من ان يعرف ،
فاسب الذين عاشوا الحركة الوطنية في المغرب
العربي يعرفون كاتب القطرين ويعرفون ذلك
الرجل الذي رأى النور في نهاية القرن التاسع عشر
وحاء الى الجراف ليبدأ نصلا جديدا هو نصال

الاسماء
أحمد توفيق المدني

من أجل الحركة الإصلاحية ومن أجل الثورة على أسسها السلبية - طبعاً قبل أن يحيل له الكلمة واعتبر أن تدقيقه لأمسيتها الأدبية في هذا الموسم هو شرف المناشئة الجديدة وللمدينين سيحقق به من تلامذته وتلامذة تلامذته الذين سيتكلمون فوق هذا المنبر : أمسيتها في هذا العام تأخذ شكلاً جديداً ، بإذن الله وبمساعدتكم جميعاً لا تقتصر على الشعر كما كانت في بدايتها معروفة لأن يبقى مجرد أمسيات شعرية أو أمسيات قصصية كما كانت في السنة الماضية ، ولعل هذه البداية التي قدمها لنا استاذنا وشيخنا برهان قاصح ودليل محسوس على ما دخل على هذه الأمسيات من تجديد ، وهو أنها ستتطرق إلى أنواع المعرفة ، وإلى مختلف الفنون الأدبية ، فكما نلتقي اليوم حول أمسية أدبية يحدث لنا فيها شيخيها عن كتابه الذي سيصدر بعد أشهر أو بعد أسابيع على الشركة الوطنية للنشر والتوزيع كما تعرفون هذه الشركة لنا معها تاريخ طويل من الفصح والعراقين وغير ذلك ، لكن بركة شيخيها ولقوة أكثر من عراقيلها ومشاكلها ، وهي في الكتاب ، بعد أسابيع قليلة ، هذا الكتاب هو 80 سنة من تاريخ الجزائر العنصرية ، وشيخيها سيحدث فقط عن هذا الكتاب ، ولكن سيفتح المجال فيما بعد لبعض الاساتذة المختصين بأسئلة معينة كما أننا نمودنا أن نفتح الحوار مع اساتذتنا ومع الذين يأتون هنا حتى الذين يأتون معط لائلاً ، الشعر ، فننظرهم يهرون بسلام بل نتحدث معهم في أشياء ، قد تكون بعيدة عن الشعر ، اعتقد أيضاً أنه من واجبي أن أذكر بعض إخواني وأذكر نفسي على الأقل بالمؤلفات التي يعرفها أشيخيها ويعرفها الرعيل الأول لاستاذنا فاستاذنا له من الكتب ما يزيد عن العشرات ، فله أولاً ، الطرسه ثورة الجهاد ، الذي صدر عام 1921 وله ، تونس وجبهة الامم ، صدر في نفس السنة 1921 ، وأكثر الذين اعتمدوا الحركة يعرفون الاجزاء الخمسة من تقويم المصور الذي ابتداء يصدر من 1921 إلى غاية 1927 ، كما يعرفون الكتاب العظيم فرطاجبة ، تاريخ المغرب العربي قبل الاسلام هذا الكتاب الذي كان يحدث الآن شيخيها هو بداية المقاومة الجزائرية للرومانية التي تحولت فيما بعد إلى الجزائر الفرنسية التي اصحنا والمسدله قد ألفها كل هذه الايدياديات واصبحت الجزائر ، الجزائر معط بدون اضافات ، نعسم الجزائر تبقى دائماً عربية اسلامية وبدون تشك ، بعد هذا يأتي الكتاب العظيم وهو كتاب الجزائر 1931 ولعل هذا الكتاب له أهمية ، لأنه صادف شيخيها عظيم وهو سنة التأسيس لجمعية العلماء وشيخيها يعتبر احد المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين مع الرعيل الاول بن مونس والبراهمي والملي وغيرهم وحسبهم الله ، كذلك شيخيها لم يقتصر على هذا الجانب ، فقد كان واحده في جمعية العلماء ، طالما في الاعيان ، الكثرة التي

كانت تفرضها عليه اجرام الصحافية ، فقد كاد يهيم بالجوانب التعليمية ولهذا، اصدر حفرافية انظر الجزائرى سنة 1945 واصدر فى الماريسج « محمد عثمان باشا وتاريخ الجرائد العشائية » واصدر اخرا « حرب الثلاثائة سنة بين الجزائر واسبانيا » الكتاب الموجود والذي طبع فى الجزائر قبل هذا كان لشيخنا مجهود جبار اثنا، الثورة المسلحة المظفرة ثورة نوفمبر واعتمد ان اهم عمل رغم كل المجهودات التى قام بها هو كتابه « هذه هى الجرائد » الذى كان تعريفا وكان جوابا لكثير من الاسئلة التى كانت تلقى فى مختلف اتحاد العالم احيا لشيخنا مشاركات فى منون اخرى ، فممن يمل التمثيلية المعروفة التى كتبها كاساسة تاريخه ثم « القضاء الفرنسى و عملية الجرائد » واخيرا حتى لا اطيل عليكم اترك له الكلمة ليتكلم عن الكتاب الاخر وباسمكم جميعا اشكره لانه لى دعوتنا وقتل ان يفتح هذه الاسميات .

سادنى الفصل : احونى انكرام « اسائى الاعراء »

اتنى والله لجد مفتيت وسعيد ، حين الفاكم اليوم فى هذا الجمع الزاهر ، لاربط معكم مسن جديد ، جبل اتصال (قطع منذ سبعة اعشوام ، بحكم ابتعادى عن الوطن . سميرا لبلادى فى العراق ، فى تركيا ، فى ايران ، فى باكستان ، وارحو صادقا ان يكون لهذا النفا. السعيد ما بعده من لقاء آخر ، فى ميادين العلم والثقافة .

ثم انى لاشكر الشكر الجليل ، السيد الاستاذ الفاضل الاديب الكبير الجيدى خليفة الذى تفصل برعاية وتنظم هذه الندوات الاسبوعية الحية ، التى اعادت للجزائر الحديثة الماشنة وجهها الادبى الشرق ، كما اقدم له شكرى على ما تفعل بصوغه من عبارات التمجيد وانه لعقد لم يوضع لهذا الجيد ، فما هذا العجز اسائل امامكم الآن ، الا ذلك الجندى المجهول الذى لا يريد فى حياته الدنيا الا ان يقوم بواجبه ، وان يرضى عنه ضميره وان يقدم عملا صالحا لامته ودينه ووطنه .

حديثى معكم الثلبة ، ايها السادة ، موضوعه كتاب جديد ، تسلمته منى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، اسمه : مذكرات الحاج احمد الشريف الزاهر ، او 80 سنة من تاريخ الجزائر العشائية يشمل المدة التى مرت على امزائر من سنة 1790 الى سنة 1830 . وقبل حديثى عن الكتاب ، اود ان اقدم لذلك الحديث ، بكل احتصار ، نسفة عن سبب الوجود العشائى بارض احزائر ، وكب

اصبحت بلاد المغرب الاوسط دولة ذات حدود وصوره تحت اسم « الدولة الحارثية » منذ حوالي خمسة قرون خلت .

عندما رجعنا الى التاريخ القديم ، عند نهاية القرون الوسطى ، ونزوح العصر الحديث ، رأينا عجا ، رأينا في الشرق الاسلامي ارتفاع نجم الدولة العثمانية ، التي رسمت لنفسها خطية فتح أوروبا الجنوبية ، وحمل البحر المتوسط بعيرة اسلامية لا يشارك الاسلام فيها احد . وقد بسطت سلطانها على كامل الشرق الادنى ، حتى حدود طرابلس ، وعلى كامل بلاد البلقان والجنوب الشرقي من أوروبا ، وتناول سلطانها سليم الثاني شعار الخلافة من آخر حكام بني العباس بالفا حيرة وحطب باسمه على ماير العالم الاسلامي ، ثم رأينا في الغرب الأوروبي ، في اسبانيا بالما ، اشراق سس دولة قوية ، عيفة ، قاسية ، قامت باسم المسيحية ، وتحت شعار اصيل ، نفوس اوكان الحكم الاسلامي الزاهر في بلاد الاندلس التي هشمته وقضت عليه الفضا . الاخير ، لا يفضل قولها فحسب ، بل بفضل ما اصاب المسلمين في مغرب بلاد الاسلام ، من تحاذل وشقاق ونزاع كلمته .

لهذا ، كان الماطر الى التاريخ يرى انه لا بد لها من القوتين الششتين ان تصادما ، وتغالا قتالا عنفا ، وان يكون ميدان التصادم والصراع هذا البحر ، العربي الذي كان - وليس - الخط - ارضا حالية الا من الشعب ، عزلا . الا من سلاح الايمان ، لا هم للموكة ، وما اكثر ملوكها يومئذ . الا الشقاق من اجل سلطان مريف وجاه أجوف ، ومن شر لم تكن له في الحقيقة قيمة الحصر الحصر ، كان ملك تونس الحفص ، ساني سكرات الموت ، في نشوة المحتصر ، وكان ملك بجاية الحفص ، وملك قسنطينة الحفص ، يكتفي كل منها بانزله لعب السلطان ، وقصر الحكم ، وكأنهما كانا مصداق قول الرماهي :

لنا مملك وليس له رعايا واطمان وليس لهذا حدود ،

اما مملكة تونس ، التي اسسها ياغمر الحسن العظيم ، والتي سمى سموا لا بداني بها كان لها من عزة الملك ، وكثرة العلماء ، ووفرة المخترعين ، وقد انطقت الى اسوا دركات الانحلال ، واشرفت على الاضمحلال ، بما صوره الجهل والغرور لما نلتها لالكة من تقابل على العرش ، وبما في سبيل السلطة ، حتى كاد التاريخ ان يقف مشدوها ، لا يستطيع ان يسجل الحادث والمؤامرات والممارات الاب صد ابته ، والعم ضد ابن اخيه والاين ضد والده ، فكانوا ويا لاسف ، مصداق قول ابن حنبل الصلي :

ولم ترحم الاحرام منهم اثار
تسرى سموت من دماء الاذرب

واما مملكة بني مرين بالتراب الاقصى ، فقد استحدثت الى مهابي الهلاك والتفتك ، بعد ضربة
سهم مصب في النهضة المغربية . لعلي ، وتالترفة وسجدا واقتدارا ، بناء السلف الصالح ،
ولم يحاط عليه الخلب الطالع .

نك كانت حالة المغرب العربي عامة ، عند ما وجهت اسنانا نظرة الفهر والطمع ، والتسلط
الاستعماري وابغى الصليبي ، الى هذه الاقطار ، لكي تسقط عليها سلطان المسيحية من جهة ،
ولكي تامن غثله وسوقها مددا لبقايا اهل الاندلس من جهة اخرى .

في سنة 1505 ، فاجأ الاسبانيون بلمسة المرس الكثير ، بحملة كبيرة رصه ، جهزها من
ماله الخاص ، ومن مال الكنيسة ، انكارديتال جيبيشي ، عدوخ للمدينة وحطما ، وجعل اعزة
اهلها اذلة ، ثم قعى على آثار ذلك لمدينة وهران سنة 1509 فازتكوا مجررة من اقطع مجازا لالازيخ
وقتلوا باسم المسح الآلاف من الناس ، وهدموا الديار وخربوا المعالم ، وكان ذلك الارعب الاحوج
الذي هو وحش في صورة اسان ، يرى دليك ويمتع به ناظره ، الى ان حاله الامر ، ونكى ،
حسما يروى التاريخ .

ثم توجهت ابطار الطمع والشمع الى بحاية العظيمة الزاهرة ، التي لمت اواخر التسرون
الوسطى لمكانا غربا ، انما ملك بني حاد الزاهر وكان لها الاتر العظيم في بث انوار المدينة والعلم
والثنا للتحاري مع بلاد البحر المتوسط ، وبلاذما وراء الصحرا ، الافريقية ، جدهت العمارة
الاسبانية ، يركها اشاوس من الامساك والامان يحملون الصنم في اليمن ، وينهرون السيف
باليسار والحدزون سلا حارنا على المدينة التي كان شعبها حيا عاملا ، وكان ملكها ميت الخلب
والضمير ، فوم غرة حادي 1511 ، وتوا عليها ، وحطوا حصونها وهدموا ابطالها ، وثلوا رجاها
وتسارها واصغارها ، وحطوا قصورها ومساجدها وكان فيها من العلماء ، كما يؤكد المؤرخون ، ما
صاهي عند عمدا ، جامع الربوة بونس ، كان عدد المتولين يحاوز الارسة الاف وتشره الاجسام
في العباقي وانفرد ولم يبق بثلث المدينة التي كانت عبة واهرة ، الا نحو الاربعة آلاف مسكين
مطرب على امره .

وما هو الا امد وجيز حتى تمكن الاسبانيون من عاياه « وحيجل ومستغانم وصخرة مدينة الجزائر وتكنوا من كامل الساحل الجزائري » واخذوا يستمدون للانصاض على داخل البلاد .

رأى السلطان ابو بكر الحمفي « سلطان قسطنطينة » الذي لجأ اليه عدد من نقابا سكان بجاية ، بعد حراب الديار وفضيحة الساء وتعظيم كل وسائل الحياة ، رأى ان لا ملجا من الله الا اليه وقرر الاستعداد برجلين عظيمين « تركبن باسكين جاهدا في سبيل الله جهادا محودا » وانصروا من مسلمي الاندلس المتكويين الانفا عديدة « واتخذوا من مرسى « خلق ابواد » يتونس مقرا لهما « هما الصلادن : عروج وشقيقه حير الدين » وكانا قرصابين من قرصاة الدولة العثمانية ، يصادمان على رأس اسطولهما الاسلامي ، عمارات العدوان الصليبي الاستعماري ، ويقارعانها القراع الضيف .

وما اسرع الرحن لتلبية النداء فجارت المعادة الاسلامية التركية « واملت غراتها الاضاروس على مقربة من مدينة بجاية » والتحم معها التعام اعصويا اسلاميا متينا رجال تلك الجهة المكتوبة ، فتألف جند اسلامي عظيم ، من آلاف مؤلفة ، بعد الحصار على بجاية ، وشددوا عليها ، والمصوا الكثير من حصونها وقلاعها ، وطال عليهم الامد ، وعدوم ملتصق بالحصون كانه قطعة منها فارسلوا فارسلوا للسلطان الحمفي يتونس يستمدونه وباقصى سرعة كميات من البارود تمكنهم من الانتصار ، لكن صاحب الجلالة « رأى بسمي حكمته ان انتصار العثمانيين ببجاية ربما اضعف سلطانه ولأى ملكه « فلم يمد لهم يده . مما كان موجودا عنده وهكذا اخفقت صلبة افتاد بجاية بفضل ما اسميته في كتابي « بده العرشية » انما احل الوطن تعرفوا بالاتراك « وشاهدوا سالتهم في القتال » وحسينهم في الجهاد « فاصم الى رجال عروج وحير الدين » خيرة رجال بجاية « وزراوة القبائل الكبرى » وجادهم الاستعداد من سالم التومي « حاكم الجزائر الذي ضيق عليه الاسبانون الحناق فسلخوا اليه برا وبحرا » محادين مسلمين صادقين « فالتقوا المدينة « واسترحوا « صخرة برج الغفار » ، واستقروا بالحصرة الجزائرية « وأسسوا بها ملكا شامحا ، منظما « ووضع خير الدين كل عقريته في تنظيم ذلك السلطان الجديد « فلم ينالك المؤرخ الفرنسي « دو قرامون » ان يقول عنه في كتابه التمهيد . انه لا يعرف خلال القرن السادس عشر رجلا استطاع ان ينظم دولة « وان يؤلف شعبا وان يعجز منه حيوشا . مثلا فعل خير الدين في الجزائر .

يومئذ ، ويومئذ فقط ، وجدت اسبانيا ، سمها في بلاد الجزائر ، من يقاومها ، ومن يسفها احلامها ومن يدفن مقامها الى الابد مطامع شابت لهولها النواصي « وسالت فيها عزيرة ، عزيزة دمها . اشهداء الابطال ، واستبسل فيها الاميمان » والحق يقال كما استبسل فيها الجزائريون .

ما عثمت اسبانيا حتى ارسلت جيشا لجبا تحمله ثلاثمائة سعيّة ، خط انقاله على محاسل باب الواد قرب الحضرة الجزائرية ، واراد تقويض هذه السلطة الجديدة التي كانت امتدادا للامبراطورية العثمانية ، قبل ان تتوطد ويستقر نظامها . لكن الجزائريين الصناديد فتحوا ابواب قلاعهم فيما يلي « باب الوادي » في الساعة المقرة « واندفروا في عمرة اسلامية عارمة اتركا وعربا ، وحالا وشيوخا » فستوا شمل الاسبان واحدا ، سلاحهم ، وغمر ، متاعهم ، واسروا اكثر رجالهم ، وحطوا اسفلهم ، وضربت بهيمة المعركة الامثال :

عندئذ ، وتمت قيادة العثمانيين « اظهروا الجزائريون ما تنطوى عليه نفوسهم العظيمة من بطولة واحلام للدين وللوطن ، وتغرت اوصمية راسا على عقب ، اصبح الجزائريون مهاجمين ، ثابتين واصبح الاسبان يودعون مدافعهم ، مستسلمين .

وعادت اسبانيا الى الميدان ، تحت قيادة امبراطورها الشهير شارلكان ، فجاء على رأس عمارة ربما لم يشهد البحر المتوسط اعظم واقوى منها ، بجند جيشا من اكر رجال المسيحية ، من اسبان ، والمال ، وهولانديين ، وغيرهم ، وقد عقدوا العزم على تحطيم الجزائر ، وتقويض نظامها العثماني ، وتمت ذلك انشمل الذي وحده الاسلام ، وجمعه الجهاد . انما كانت النتيجة ايها السادة هي ان الجاهدين الابرار ، برزوا تلك الفترة الطاغية وكان المسلمون يومئذ كمنهمى الثورة الجزائرية الكبرى ، لا يعرفون الا كلمة « لا اله الا الله محمد رسول الله » ولا تحذروهم الا فكرة الجهاد في سبيل الله والعداء للوطي ، فمن لم يسمع منهم دعوة اي شهيدا ، خلفه ايوه او انجوه او ابنه في المعركة ، حتى تحقق اكبر نصر عرفته البلاد ، وهرم المؤمنون اكبر قوة غازية ودحروا شارلكان ، وشنتوا جيشه واسطولوه .

هكذا تأسست في مدينة الجزائر ، ايها السادة دولة جديدة قوية عسدية ، لا تخضع لاي اقطاعية ، ولا تنتمي لقبيلة بني فلان ، او بني فلان ، اسامي دولة تمثل وطنا محمدا ، يقع بين تونس شرقا ، والحرب غربا ، والبحر المتوسط شمالا ، والصحراء الكبرى جنوبا ، السلطة العليا فيه

المقدمة التمهيدية

لنباشا ممثل دولة الخلافة ، وحوله الوزراء. وكبار الحيد ، والمعلماء والإعوان ، وبحث نظموه باى قسطنطين ، وباى المدينة ، وباى ماربرية ثم وهران. وبحث هؤلاء البايات كانت الادارة لمحتلبيه الجزائرية مؤذعة من شيوخ اهل البلاد ، بسبب بربر ، وعرب ، فكن حية بحث نظر شيوخها ، يحكمونها حكما شعبيا صحيحا .

فهل كانت الدولة الجزائرية ، وهذه صورتها دولة حاضمه تمام المصوغ للدولة العثمانية ؟ كلا ، لقد كان القطر الجزائري . دولة تامة الاركان ظاهرة المعالم ، ثمر حزا منارا من الخلافة العثمانية ، اشبه شي . بـدول ، الكومنوالث «الانكليزية» .

كانت مدينة الجزائر ، من يوم اتحادها عاصمة لهذه الدولة الناشئة ، الى يوم سقوطها الريميم تحت غائلة الاستعمار الفرنسي ، تدعى رسميا : « الجزائر دار الجهاد » فهذه الدولة ، سست عمل قاعدة الجهادية . المسيحية الحانية المعتدية . وكانت القاعدة الغربية لكل اعمال الجهاد الاسلامي ، طيلة ثلاثة قرون ، ثم انها بعد حين ، استرحمت مدينة تونس من يد العراة الوحشيين الاسبان ، الذين تسلموها بواسطة سلطانها المفضي . لنقل ، الذي اياها لهم ، لعمد الله واحراء ، مدة ثلاثة ايام فنهوها ، واقتلوا ثروتها ، وقصصوا نساءها وانكارها ، واركبوا فيها من الموبقات ما لا عين رأت ، ولا ادن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وادخلوا تونس ، ولاية متناورة ، ضمن العائلة الاسلامية العثمانية الموحدة .

فهل حانا الاتراك محتلين ؟ هل جاونا مسغرين ؟ هل جاونا مسعطين ؟ كلا ، وهل يمكن لثمانائه رجل تركي ، ان يحتلوا قطر الجزائر الذي لم تستطع فرنسا ان تعاطف عليه بحسمانة ان التاريخ يشهد ان عدم الاتراك لم يزد في ان اى الف رجل ، مع كل سلاح الخلف الاطلسي ؟ ثم الاف رجل ، ولم تكن الجزائر حصصا لالتقاراك ، وقت من الاوقات في القطر الجزائري ، على ثلاثة انما كانت الجزائر خاضعة للخلافة العثمانية الجامعة ، ايام كان المسمم يخرج من تلمسان الى بغداد ، والى اليمن ، والى بحر القرم ، مزارايتونس وطرابلس ومصر ، وهو يشم بلوا، التوحدة الاسلامية التي يرعاها الخليفة في استانبول وكانت الدولة الجزائرية تحارب الملوك ، وبعد المعاهدات : ترم الصبح ، بغاية الاستقلال بعينها السلطات . وتعين اسلطات ، ولها ، تحت رعاية السلطان ، سيادتها بواسطة المريضة فوق اديم ارضها .

في شهر جوان من سنة 1925 م ، حكمت السلطة الفرنسية بإبعادى عن تونس العريضة . وحشت الجزائر مهد أبائى واجدادى ، من مغائلى ومسن شهداء ، مبارك سيدى فرج واستقلالى ، وكفت اناء صباى لا اسمح فى احاديث السمر بين رجال عائلتى ، الا ذكر الطوائع والاصوال التى ارتكبتها الفرنسيون فى الجزائر والمؤنات التى اقدموا عليها ، لكننى ما كنت اعتقد ان ارض الجزائر قد اهيئت واستميتحت الى الدوجة التى وجدناها عليها تلك السنة . لقد كنت فى تونس من مؤسسى حزبها الحى الدستورى ، ومسن نخبة رجاله المجاهدين ، الا انى عندما رايت ما حل بالجزائر سياسيا ، ودينيا ، واجتماعيا ، واقتصاديا ، قلت يستحيل ان ارجع لتونس ، وهنا وحب المهجاد وهنا لك الاستشهاد ، « هنا يموت قاسى وهما يدفنوني » فاما ان اتمكن من قلع جذور الشجرة الطيبة الفرنسية من ارض ابائى واجدادى ، واما ان ارقد الى جانبهم شهيدا تحت الثرى ، واستمرت الحرب بينى وبينهم عنيفة قسية ، وكانت لى نهار الحيد لله موافق ارجو الله ان يكتبها فى سجل الحسنات .

كان أول ما رأيت فى الجزائر ، ايام محنتها ان الوال العام يستقبل كبار الزائرين من حكام فرنسا ، عند قصر الامارة البحرية العثمانى ، ويقول هذه الكلمات التقليدية « فى هذا المكان ، حيث كانت العرشه تسرق اموالنا وتنتهك بلادنا - هنا حيث كانت العوضى ، وكان الاستعداد والطغيان ، هنا يستقبلك ايها السيد ، وانت ممثل الدولة العظيمة التى جات تحمل لهذه البلاد المدنية والور والطعام ، لى - »

عندئذ رجعت الى التاريخ اسأله الحقيقة ، فوجدت التاريخ يحالف ذلك على خط مستقيم . ولم ارجع الى تاريخ عربى او تركى ، لان الفرنسيين اعلموا منذ اوائل الاحتلال كل ما رسموه من كتب التاريخ ، سرقوه او حرقوه - وساحتكم بعد لحظة عن آخر سرقاتهم ولقد كان الجزائريون امام ما لا يورم من ظلم وارهاق وتنكس ، ولصومعية واضحة المعالم ، يرجعون الى ديارهم فيسجلون تلك الاحبار ، تقريجا عن انفسهم ، وطالا وضمت هذه الكتب ، فى حرائن المساحه ، فعدا عليها الفرنسيون سرقة ونهباً واغلافا ، فماذا بقى لسان مصاد التاريخ ؟ بقيت لديها الكتب الاستعمارية الفرنسية ، انى تافع على الاستعمار واطمسه واكاذبه ، على نسبة 95٪ ومنها ما لا يتجاوز الخمسة بالمائة . فيها انصاف ، او شئ من الاصفاف ، واخذت اقبال من هات المصاد السباية فاذا نى اخروح بحقيقة نصمة ، ساطمة ، لا غار عليها ، تلك الحقيقة هى ان تلك المولة الخائرة ، كاس

دولة حقيقية ، كاملة النظام ، محكمة الدواوين ، كانت دولة اسلامية حقيقية ، لا اسلما اسميا مزيقا ، بل اسلام حقيقي ، يحكم الشرع فيمساحشجر بين الناس من خلاف ، ويصدر القاضي احكامه وفقا للقرآن والسنة . ولها محاكم شرعية عبيدا لاعادة النعم في المشاكل والمصعوبات ، ثم تمتعت احاديث « القرصان » والمجاهدين في البحر . اولئك الذين يصورونهم وكانهم الشياطين المردة ، فوحدت بهم كانوا من اشرف المجاهدين ، واطهر المذمومين في سبيل الله يدافعون عن راية الاسلام ، وعمن حرمة الاسلام ، وعن وطن الاسلام . وجندت ائ القراصنة كانت موجودة قبل قيام الدولة العثمانية وقبل تأسيس الدولة الجزائرية ، وبقيت القراصنة موجودة ، والى عهد بعيد ، بعد انتهاء الدولة الجزائرية . وهل اتاكم حديث القراصن الفرنسي سر كوف SURCOUF الذي يحدوده في تاريخهم هو وامثاله يصنعون عليه صفات البطولة واشهامة والله انه لم يكن الا من لصوص البحر ، ينصبوا يتكلمون عن الرايس حميدو ، والرايس محمد ، ورايس الخوا ، كانهم شري الخلق وخيانة اللصوص . كلا ، هذا امر لا يحتمله بشر ، فاخذت قلبي وتركت على الله في كتاب بشرته على الناس ، هو كتاب « محمد عثمان باشا داي الجزائر » لعل بعضكم قد اطلع عليه في حيد ، وصفه فيسبب انتاريخ العثماني بالجزائر بأنه تاريخ مظلموم ، وامطت فيه اللثام عن الاكاذيب والترفاهات الفرنسية وفضحتها فضيحة عريضة . وكب احابه الفرنسيين الكاذبين ، باقوال مشاهير كتابهم ومؤرخيهم ، وتراجم في البرلمان ، واحتمتهم بحجج لم يستطع الجدل عمها احد . لقد جادلوني كثيرا ، لكنهم لم ينالوا من حائلي هنالا . وقلت لهم في ختام حديثي . قال نائيكم بمجلس الولاية ، سنة 1835 : اننا قد ارتكبتنا في ارض الجزائر من المظالم ، والمذابيح والعصائع خلال ثلاثة اشهر ، اكثر مما نسيبناه للاتراك خلال ثلاثمائة سنة . اصدرت ذلك الكتاب بلهجة الصادقة ، ووضعت راسي فوق كفي حينما قدمته للناس ، ولم اكن ارى ماذا تعمل فرنساي ، لكنها لم تفعل شيئا ، ففتحت بذلك الكتاب ثغرة هائلة في حجة الاكاذيب الفرنسية ، وقلوب الناس من اهل الجزائر : ان تناولوا اقتسروا تاريخكم ولا تصدقوا اكاذيب وترهات الفرنسيين . وقد كنت احد ، ابتاني واحواني ، ولسوء الحظ عن الجزائر بين اعصابيين يالصفه التي يتكلم بها الفرنسيون . وما ذلك الا نتيجة للمدرسة الفرنسية التي علمتهم ان حدثهم الكبري هي جان دارك ، وان يظلم القومي هو بابليون ، وان الجزائر بمسيلة ووما ، قد سقطت ، وتلاشت ، وغابت عنها المدينة الى ان جاءها الاتحاد على يد اهل الحضر من الفرنسيين .

لم انسى بعد الاستقلال ، اصدت كتاباً صغيراً هو « حرب الثلاثمائة سنة » بين « جزائريين واصبانين »
 بسنت فيه مرة أخرى نظرتي للوجود العثماني ، ولا اقول للاحتلال والاستعمار العثماني كما يقول
 المحرصون على التواريخ ، واكتفى فيه بـ « اهدان التاريخ » ان الذين قاموا بتلك الحروب الهائلة
 لم يكونوا انراكا ، وانما كانوا جزائريين من اهل البلاد ، تحت قيادة تركية ، فلا تراك لم يكونوا
 اكثر من ثلاثة آلاف رجل ، منهم نحو الف رجل في الحكومة وحتف الموانئ الحكومية ، في كل
 مدن الدولة وبقي منهم نحو الف رجل ، يختلطون بنحو الخمسين الف رجل من كامل سكان الوطن
 الجزائري فيهم العربي ، والزاوي ، والاوازي ، والميزابي ، وغيرهم ، اشتركوا في هذا ، وهذا
 انكساح الاسلامي العظيم ، بحمية وايمان وشرف ، لم يكونوا يقولون : هذا تركي ، وهذا عربي ، وهذا
 قبائلي ، لا بل كانوا يقولون : من قال لا اله الا الله محمد رسول الله ، فهو منا ، من جاهد معنا ضد
 الفرنج فهو منا ، هكذا كانت عقيدة الجزائريين ، وبهذا انتصرت طيبة ثلاثمائة وعشرين سنة .

واجرا ايها السادة ، وبعد هذا التمهيد الذي اردته بسطاً ، فطال دعم ارادتي ، احدثكم عن
 الكتاب الذي قدمته احباً للطيف ، وهو موضوع الحديث ، فاقول : لقد قبل لي ، بعد حلولي بمدينة
 الجزائر ، انه يوجد مخطوط تاريخي مفيد جداً ، عند عقيب اشرايها الشيخ محمود الشريف كنه
 حده المجاهد الابي الشيخ الحاج احمد الشريف الرها ، وهو يحفظ به « للبركة » وكان السيد
 محمود الشريف من اهل رجال الجزائر وحسب وفاقه ، كان شجاعاً ابيض اللون ، ازرق الفيس ،
 زار فرنسا يوماً برأيه الجزائرية ، فكان الصبيان يلعبون حوله ويصيحون : بابا نويل
 بابا نويل ، قلت له يوماً ، وكان في ملائم الناس : هل تديرني الكتاب الذي كتبه جدك لأطلع عليه ،
 قال : والله لقد أتج علي في طنبه ميسيو ميرانت ، ووعدني بعد ما ينتهي من مطالعته اعيرك اياه ،
 وكان ميسيو ميرانت هذا مديراً للامور الاهلية بالولاية العامة ، وكان مستغرباً ، حافظاً للسنن
 من القرآن ، وقد اشتهر بسرقة البقية النافية من الكتب الجزائرية ، قلت للشيخ محمد الشريف :
 ان ميسيو ميرانت رجل كثير الشغل واسمع المسؤوليات ، فاذا تناول الكتاب فانه سيقضي
 اشهرًا عديدة في مطالعته ، بينما انا ساطلع عليه وارحبه بعد ايام قليلة ، وايد طلي جماعة من
 الفضلاء ، فاستجاب لي ، واتاني بالكاتب ، فاطلعت عليه ، ودرسته ، ووجدت به من المعلومات
 السياسية والادارية ما لم اره قبل ذلك في كتاب آخر ، وهو - كتر حقه من التاريخ بصفتة صادقة ،
 يقول ما لها ويقول ما عليها ، وعلمت ان ميرانت ان احد الكتاب ، فلن يرجمه اصلاً ، فادعيت

الكتب ، وسكت ، وقال في الشيخ محمود النمر فريوما وهو يصحك . لقد اعاد على ميراث طلب
الكتب ، فقلت له اني امرته لتسجد توبس المديني وسأنتك به عند ما يرجعه ، فقال لي :
انك اعطيت الكتاب لوفيق الذي فني ترى انت هذا الكتاب ، ولي اراه انا . قلت لتشيخ الشريف
هل هذه هي لرة الوجبة التي صدق فيها مسمو ميراث ، فهذا الكتاب امانه ممدسة
تركها لك جدك ، فلا تفرط فيه ، وانت تعلم ان ميراثك ان اخذ الكتاب فني يرجعه ، اما امانا
فاعنيك عنها امام الله اني ساشره ، وساعني عليه وسابنيخ امانه عندك لتسجد الحساشري
باسره . وسأوه يشابه ، واذكر جهاده وجهوده . كما اذكرك انت بحر . كما رأيت قال وقد هداه
الله وتعلب على عقدة نقص الموطعين : ان تعهد بهذا فابق الكتاب عندك وأنشره على الناس .
نصعق الحاضرون . وانتوا عليه التنا الخربل .

اما الحاج احمد الشريف الرهاز صاحب الكتاب ، فقد كان من الملح المجاهدين الجزائريين ، وقد ولد
سنة 1788 ، وشاكر في الدفاع عن مدينة الجزائر مشاركه تذكر فيشكر ، وكان من حملة الـ
حبلو . القتائل من الحرث لبرج مولاي الحسي ، ثم عملا ما تم الاحتلال المقت ، بعد فرنسا من
مدينة الجزائر ، قام الحصرة التونسية ، ثم انقل الى تسيطية وتولى الكتابة لدى المجاهد الكبير
احمد باي ، ثم انحاز الى جانب الامر عبد المادر البطل القومي . بعد انهيار مقاومة قسطنطينه
الرائعة ، فتولى الكتابة عنده ، وكان من حاصلة الخاصة لديه الى ان قضي الله عن هذه المقاومة
الضمنية الخالدة بالانهار ، فذهب الى بلاد المغرب الأقصى ، وسكن مدينة فاس سمين . ثم
رجع الى الجزائر بعد ذلك ، وتولى بعدئذ نقابة الاشراف ، المنصب الذي كان لاسه وحده .

وكتابه هذا عبارة عن مسودة لم تيص . فهو يكتف بفقر . هذه توسع في مكانها عنسبه
البحريج . وهذه توضع بعد الحديث القلاي . وهكذا . ولهذا الكتاب الذي بشره الآن ، كتاب
آخر قبله ، يتعلق بدحول الصمانيين للحسراول . ويسمح الخدم الى حكم على ناشا لتسييس ، لهذا
لجزء من الكتاب اخذه مسمو لوساني مدمر الامور الاخلة قس ميراث ، ولا ادري هل اعمده
ام لا يزال موضوعا في مكتبة حاسه . وقد نعتبه سدي . وللكتاب جز . ثالث ، هو ارم الاجزاء
لا محالة ، فيه ذكر عمدا . وادبا . وشعرا . الجزائر . وعادات مدينة الجزائر ، واحلاق أهلها ، وخاصة
ما فعله الفرنسيون بها لي احداثهم ، من قتل وانهاك حرمات ، ولصومعية ، وبش قسود ،
وتحطمت معالم ، وهذا الجزء الذي قد اجمعى ايضا وصاغ اثره ، ونعتت طولا عنه فلم احد شفا .

فالكاتب الذي انشره اليوم فيه سيرة عشرين من ولاية الجزائر ، ابدأ ، من سنة 1668 ، الى سنة 1848 ، وبعض علينا الكتاب وقائع غريبه جدا ، ذات اهمية فائقة ، ثم ارضا في اي كتاب غيره ، عرسا كان ام فرنسيا ، ولعلها توجد في بعض حرائر استانبول ، مثلا وقائع الحرب بين باشا الجزائر وباشا تونس ، وكيف كان الجزائريون يتأمرن كيلا ينال جندهم مثلا عسى تونس ، وينجذب باشاه على اعمال الرايس العرشان البحرى حميد ، ويصف معارك ابهرية المالمعة الصيت ، وكيف استشهد ، ثنا ، الحركة ضد اسطول الولايات المتحدة الاميركية امام عيسى باشا ، ثم يقص القصص الرائعة عن الحروب الاسبانية اللاحرة وكيف وضحت اسبانيا ، وسلمت وهران ، ودقت للحزائر غرامة حرب ذات قيمة عالية جدا ، »

ويقول : رأت بمضى مائة مدفع تركها الاسبان على ساحل البحر ، كان المسلمون يحملونها للباشا تباعا ، بيتا يقول الاسبان والاروييون ان اسبانيا سحبت جميع قواها واسلمتها ولم تترك شيئا ، واكفى بهذا ، لاسي ان ذكرت لكم كل ما في الكتاب فاسفيكم عن قرائته ، لذلك اكفى بهذا المقادير ، وثالته لو ددت ان اتحدث اليكم الساعات الطويلة ، فالى فرصة اخرى ، تكون تريبه بحول الله »

كلمة الاستاذ محفوظ قداش :

Nous voulons d'abord rendre hommage au cheikh Tefik El Madani pour le travail qu'il est fait parce que la période turque est je crois une période qui n'est pas très connue. Il y a trois siècles d'histoire mais pour lesquelles nous n'avons pas beaucoup de sources tout au moins les sources qui existent ne sont pas exploitées. La plupart, la grande majorité des sources était à Istanbul et nous vivons sur un certain nombre d'écrits, d'historiens Français ou d'historiens Espagnols et peu d'écrivains, peu de sources arabes qui ont été jusqu'ici explorées et par conséquent le travail qu'a fait le cheikh Tefik El Madani en publiant le témoignage de cet historien, je crois à beaucoup de valeur parce qu'il permet d'apporter des sources nouvelles. Maintenant sur la présentation de la période qui a été faite, je fais part d'abord sur certaines appréciations que je crois sont beaucoup plus cher Mr. Tefik El Madani, des appréciations de militant, beaucoup plus de l'historien que je suis n'oubliez pas.

Quoique dans la première période du 16^e siècle vous avez parlé du contexte que les historiens situent dans la lutte entre les deux pays, entre les deux mondes, le monde musulman et le monde chrétien, le contexte de croisades, c'est la réalité, c'est le problème fondamental, mais je crois qu'il y a et qu'il faut faire des travaux pour voir également la part des facteurs d'ordre économiques, des facteurs d'ordre politiques également qui ont certainement joué et en ne peut pas, sur une longue période, on ne peut pas je crois négliger ces facteurs d'ordre économiques et ces facteurs d'ordre politiques et même stratégiques.

Une autre remarque lorsque vous parlez des historiens Espagnols, je crois qu'il n'y a pas seulement chez ces derniers, qu'il y a eu chez les autres mais il y a également d'autres facteurs de renouveau d'histoire, de foi également qui ont joué du côté Espagnol (il y a également une période de décadence qui existait chez

es notes au XV^e et à la fin du XV^e siècle qui explique également le fait que nous avons subi des effets. Une autre remarque en ce qui concerne le gouvernement Algérien, le gouvernement Turc et la question de ces rapports entre les Turcs et les Algériens.

En ce qui concerne le gouvernement je crois que vous avez été trop catégorique en disant toute la période je crois que c'est impossible que méritait d'être avancé. Il y a eu des périodes où l'Algérie l'est comprise comme une province ottomane et une province ottomane qui était fidèle et beaucoup plus fidèle on peut citer des exemples beaucoup plus fidèles qu'aux intérêts supérieurs de la communauté musulmane et qui est présentée en l'occurrence par le gouvernement ottoman qu'à ces intérêts spécifiques à ces intérêts algériens en reconnaissant le fait que la flotte qui s'était préparée pour aller délivrer Oran et bien elle a rebrousse chemin lorsqu'elle a senti que l'empire Turc était en danger.

Il y a une période à partir de laquelle il y a eu une tendance à l'autonomie et une tendance à l'indépendance. Des recherches pourraient la situer, c'était une période de transition, d'une façon plus précise, un autre problème c'est celui des rapports entre les Turcs et les Algériens. Ce n'est pas aussi simple que cela, que de dire puisqu'on était des musulmans il n'y avait aucune différence entre les éléments, les différents éléments de la population.

Je crois que le facteur Islam a joué énormément. C'est le facteur qui a permis, qui a fait appeler les Turcs, qui a permis de les accepter et qui a permis que l'Algérie puisse rester pendant de longues années, certes, sous domination avec l'empire ottoman. Mais il y a quand même un certain nombre de différences, il y a un certain nombre de privilèges qu'avait le Turc, il y a un certain nombre de privilèges aussi bien sur le plan du pouvoir donc le privilège politique que des privilèges sur le plan économique et il y a une période qui a une assimilation des familles, d'un certain nombre de familles turques tout au moins à l'échelle des familles qui étaient au pouvoir qu'on peut noter, qui s'est fait bien avant pour la Tunisie mais s'est fait avec plus de retard pour l'Algérie et qu'on peut dater au 19^e siècle dont l'annonce c'était au 18^e et au milieu du 19^e siècle et qui politiquement également se faisait et c'est un mouvement qui aboutissait à une assimilation totale de cet enrou par le jeu des mariages, des liaisons entre les familles turques et des hauts pouvoirs et un mouvement qui se précipitait et qui par la suite masqué par 1830 et par la tempête d'occupation française.

Par conséquent je crois qu'il y a un certain nombre de nuances à apporter et de recherches à faire pour voir de quelle façon s'est faite l'assimilation, quelle est la différenciation sociale entre Turcs et dans quelle mesure, dans quel domaine la puissance apparaît comme occupants et dans quel domaine culturel considéré comme étant parfaitement assimilé par l'Algérie.

Et bien c'est un domaine de recherches et il y a des questions, je pose des questions plus que j'en apporte des recherches.

De même en ce qui concerne la course. La course, il y a des périodes où le corsaire a été le capitaine glorieux qui défendait l'Alain. Il y a des périodes où le corsaire a été un pirate, par conséquent le terme corsaire ne peut pas lui être appliqué, et cela est un fait général non pas seulement pour les musulmans mais pour tout le monde méditerranéen.

Il y a un fait de recherches économiques intéressantes par une équipe d'historiens pour montrer que c'est dans la dernière partie c'est-à-dire la partie où la course a été la moins gênante, les Algériens ont été poussés vers une forme de guerre économique plus ou moins voisine de la piraterie, c'est parce que la piraterie européenne leur interdisait de commercer sur les bateaux algériens, il était interdit à la flotte algérienne d'avoir des activités pacifiques, des activités économiques et c'est une des raisons qui a poussé les gens qui avaient des bateaux, par conséquent à délaisser une autre activité et je crois qu'il y a un certain nombre de questions qui se posent encore durant cette période.

C'est une période qui est riche en questions et en possibilités de recherches. Le seul souhait qu'on puisse faire c'est que les historiens puissent avoir à leur disposition les sources et en particulier les énormes sources, les immenses registres qui sont à Istanbul pour que je dis à Istanbul qui malheureusement ne sont pas encore entièrement inconnus et qui seraient une mine pour l'histoire algérienne.

Avec la remarque suivante et qui est intéressante à faire aussi c'est que l'Algérie durant la période turque ce n'est pas uniquement l'Algérie où il y avait les points, les Noubas, comme on disait à l'époque, les garnisons turques et par conséquent les ports mais il y a tout l'intérieur du pays qui n'est pas étudié et c'est ça la véritable Algérie.

Ce n'est pas tellement le dialogue ou le neurvaisme qui étaient en contact permanent avec l'administration turque parce que l'Algérie s'élevait en quoi pourrait dire l'Algérie indépendante à l'époque, c'est la réalité algérienne de l'intérieur.

Voilà quelques remarques que je voulais et je m'excuse d'avoir été trop long.

جواب الاستاذ د. توفيق المدني :

شكرا جزيلاً للأخ محفوظ قنداش للملاحظة القيمة جدا . البعض منها مسم لا شك ولا ريب فيه . والبعض منه موجود خلاف بيننا . أسألك قبل كل شيء : هل قرأت كتابي حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا ؟ ، نعم . إذن لا شك يا سيدي ولا ريب أنك رأيت أنني متفق معك في أن هذه الحرب كانت صليبية قبل كل شيء كما أوافق حصرتك على أنها كانت أيضا سياسية وكانت اقتصادية . وكانت استراتيجية . بينت كل ذلك تفصيلا وذكر تأسيس الشركات الكبرى الاقتصادية في أوروبا وما كان لها من تأثير على العالم . ثم كيف بدأ الاستعمار القديم وكيف استولى على بلاد الشرق وتطورت من ذلك إلى أن أوروبا عندما أيلت المسيحية في الاستيلاء على الجزائر كانت ، قد أبدت من قبل تلك الحملات الصليبية الهوجاء عندما وجه بودوان وحرشه على الشرق الإسلامي الرأرأ ، لا لاجل انقاذ تسمر المسيح ، بل لاجل انقاذ الخزان التي أخذت تنهار في إسبانيا وفي فرنسا وفي ألمانيا وفي غيرها . فهذه الظاهرة المسيحية التي يستترون بها إنما هي ظاهرة منافقة يخدعون بها الشعب لجره إلى الكفاح . إنما الحقيقة التي تستثمر بمه ذلك هي الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية ، قلت في أول حديثي ، وقلت في كتابي الثلاثة محمد عثمان باشا ، كتاب الجزائر ، حرب الثلاثمائة سنة وهذا الكتاب الذي سيصدر . قلت أن تاريخ الوجود العثماني في الجزائر مظلوم ولم يدرس إطلاقا . لم يدرس فعلا ، لأننا من سوء حظنا في الجزائر إلى الآن وبعد اثني عشر سنة من الاستقلال عندما والحمد لله من تكلم الانجليزية والفرنسية والإيطالية والإسبانية والكثفولية كمان ، إنما ليس لنا من يتكلم أو يقرأ اللغة التركية ، والحق أن في تركيا في خزانين أمطبول ، في خزان السلطان الفاتح في خزان الباب العالي في خزان الخارجية . وفائق عظيمة جدا ، عندي منها وأضمنها تحت تصرفكم هادعتعاملين ، فهو ثلاثمائة وثيقة مصورة وما أحسدت إلا الجز . السيج . الوثائق الجزائرية الموجودة في تركيا والتي تخدم التاريخ الجزائري نحو خمس

آلاف وثيقة على أقل تقدير ، ما فتحت على الخارجية الجزائرية واقترحت على كل مفكر جزائري أن يساهم
لاشياء هيئة لدراسة التاريخ الجزائري أيام الوجود العثماني في البلاد الجزائرية ، وعندئذ بعد حلول
لكل قضية تترسها أثناء هذه الدراسة ما وأيك يا أخى لو قلت لك أن عدى وثيقة هنا تبين أن
أورويبين اشتكوا للسultan وقالوا له :

لما مركز تجارى اخذه الجزائريون هلمنا دون مقابل ، ونحى من يده متعاهد مع الجزائر ، انتهى
أن المراسلات اخذت تحرى بين الباب العالي حكومة السultan ، وبين قصر الدانبات ، الى أن برهنت
بالعمل ويصحح لا تقبل الرفض ، وبيانه سلطانى أن القوة التى استولت على تلك البضائع كانت
على حق ، وأن الدولة انتهى اخذ لها ذلك المركز الذى الذى اندتد الاعتداء ، فالفرصة يا أخى
العزيز لم تكن لصووية في الجزائر ، هذا ما أؤكد ، وأنا خاصص للوثائق ولا يوجد رجل يحصل للوثائق
مثل خضوعي ، لاننى اذا رابت ما ثبت خلاف فكرى فدا انقاد الى لواقع ولست ممن الذين
يتمسبون لرأيهم ، اطلاقا ، اننى أؤكد انسى الى الآن وقد قضيت نحو خمسين سنة وأنا ادرس
تاريخ الجزائر لعثمانية أؤكد يا أخى انه لم تكن عندنا PIRATERIE كانت عندنا قرصة منظمة
الجزائريين فانيا أن هؤلاء القراصنة CORSAIRES لم يكونوا اتراكيا ، وهذا تعرفه يا سيمى حق
الامة - كانت فيهم 20 ٪ من الانراك - كانتوا جزائريين - ومن حملة ما يحكى عنهم الحاج احمد
التشريف : أن الجزائريين ، عندما تنجهن مراكب القراصنة ، يأمرهم الباشا ويقول لهم : دولة
مالطة مثلا محاربة لنا فغزوا سفنها فيحرق القراصنة يتزاحدون ويتصارعون ، على المراكب
فلا يستطيع الانسان أن يصل الى المركب الا بالصرع ، رغبة في الجهاد ، وقتل ان يهاجر
المركب ، ماذا كان يقع " يقف المسلمون على الرمي ، ويصلون على الغزاة الخارجيين صلاتة
الجنائز ، يعنى انهم اباس اعوا ارواحهم في سبيل الله - خارجين للجهاد ولا يمردون - يصلون عليهم
صلوة الجباة ويقراون عليهم سورة (يس) ثم تخرج السفن للجهاد - ما كانوا يخرجون للسلب
ولا للذبح ولا للسرقة ، كانوا حاضمين لمكسب المتاعدهات ، حاضمين للسلطة وما قلته هو الحق
والجزائر جزء من الخلافة العثمانية ، ثم ان وهران أصبحت قرصة مزمنة في جسم الجزائر فخرج
الاسطول لتي يصرع وهران ، أثناء حرب اسميرتة ثلثانة سنة انما جاء أمر من السلطان بأن
الخلافة في خطر وان انوار اليونانيين اغلقوا الطريق بين جزر اليونان وبين اسطنبول واصبح
الاسطول العثماني لا يستطيع ان يمر ، فلا اسطول جزائري غير طريقه ، وبدل ان يخرج الى وهران ،

ذهب إلى المشرق وكان وحده المنتصر على الشوادراليون ، لا الاسطول التركي ولا الاسطول المصري . والاسطول الجزائري وحده وعدده خمس مراكب احرق السفن اليونانية وانقلعها ، وشتمت ضلعهم واستولى على خيراتهم . وذهب بها وقدمها هدية للسلطان ومن اجل ذلك والى يومنا هذا ، وكنت حضرتك في تركيا ورأيت ذلك بدون شك ، عندما تقول في تركيا انا جزائري كانت قلت انا انتم جئت من الأخرة الشهداء الاولين والاتراك حلالا لا يعدل لكم يا سادتي من حيث الدين والشعب التركي فيه 80 مليون رجس ، اقسام بالله لكم ما رأيت اسلما كاسلامهم ولا رأيت صلاة كصلاتهم ولا رأيت دينا متينا كدينهم - اشهد بها امام الله وامامكم ثم قلت يا اخي العزيز ان الاتراك كانت لهم امتيازات اقتصادية في الجزائر ، هنا لم اعثر عليه اطلاقا ، ولم أراه اطلاقا فشلتا آلاف تركي كابوا بالبلاد الجزائرية . فمن كان منهم في القصة او في قصر الجنية في ساحة الشهداء كما هي الآن ، هؤلاء لهم عوائد ياحووبها من البايات ، كل ما يحيى ، ناي يعمل « دنوسر » يدفع لوكيل المخرج وللاغا ، وللخزنجي وللكتاب ولغيرهم من الموظفين كل موظف له شيء معلوم ، اما الامتيازات الاقتصادية لا اعرف تركيا ملكة ارضا في الجزائر ، ان الجند التركي كان ينسح من الزواج في الجزائر لكي يبقى دائما مجاهدا مستعما لا يتزوج ، فكانت العوائد التي تعطى لهم ، تتجمع لديهم ولا يفقون الا قليلا ، فكانوا على الاعلى يقدمون ذلك الى الاوقاف ، فاعلم الاوقاف التي كانت بالجزائر ، على نسبة 80٪ كانت اوقافا تركية على مكة ، على المدينة ، على العفرات على المساكن على البيئات على الاموال ، يوجد حتى وصف سنير على المصايف ، هن سمعت من حيائكم انسانا يوقف دارا على المصايف ؟ توجد دار وقف موجودة يشترون يربحها حوبا يضعونها في الخبايا لكي تاكل منها المصايف التي تمر في الجزائر وترجم على الاوقاف ، اما من ناحية اخرى والشعب يا سيدي لم يدرس خلال هذه الفترة ، الشعب أثناء 320 سنة من الوجود العثماني في الجزائر ، كان شعبا مسلحا ، متين الاسلام ، شعبا صادقا ، من اصنف الشعوب ومن اكثرها استعدادا لعس الحير ومن اكثرها استجابة لكل داء الى الحير ، انما كان هذا الشعب المستنير من الضلال الى الجيوب تحت حكم البايات الثلاثة ، والبايات الثلاثة كانوا يشرفون على الضووع وانتم تعرفون هذا ، فشيوخ العرب هم الذين كانوا يحكمون العرب ، كيف كانوا يحكمونهم ؟ هذا لم دره في كتاب اطلاقا ، وبنا في كتاب الشيخ بوراس ، وكتاب الشيخ بوراس كتاب فيه ما فيه انما هذه الواسي يا سيدي يجب ان تدرس وهذا وقت دراستها ، ففي السنوات الاولى من الاستقلال

كما مشتغلين بأشياء أخرى كثيرة جداً وهمة جداً إنما الآن ، وبعد الآن، يجب علينا أن نخصص
انفسنا لكل هذه البحوث حتى نفحص ذلك التاريخ ، وحتى نقدمه للنفاشة الآتية كتاريخ
صحيح موجود، ولعلكم لا تتسبون شيئاً ولا تجهلونه أيضاً : كيف كان الشعب الفرنسي ، فرنسا
لتي حكمتنا ٢3 سنة ، كيف كان شعبها تحت ملوك ما قبل الثورة الفرنسية الكبرى ، قرأت
هذا وقرأت كثيراً عن الثورة الفرنسية ، سكان الشعب الفرنسي اتهم شعوب العالم كافة +
لا يوجد شعب قاسى من الظلم والهول والفضائح والندس والقمع مثل ما قاسى الشعب الفرنسي
قبل ١789 فتورة ١789 غيرت جذريا الأوضاع فى فرنسا ، وحطمت الملكية ، وأصبح الشعب
سائدا حتى فى أيام نابليون ، حتى اننا حكمنا الطغيان ، ومتى وقعت الثورة الفرنسية ؟ وقعت
الثورة الفرنسية اربعين سنة فقط قبل ان تاتي فرنسا الى الجزائر = اذن سنة عاشر الشعب
الجزائرى قبل الثورة الفرنسية فلو درسنا كيف كان الشعب الجزائرى يعيش لما رأينا البسبون
شاسما جدا بين فرنسا والجزائر تلك العضائى وتلك الاحوال وتلك الحساب حتى ان احدهم قال :
كنت أرى الاشجار مائلة تحت ثقل المستوقفين تحت انصافها فهنا التاريخ يا اخوتى وابائى ،
ويا سيدى الغاضل ، يجب ان يدرس بكل موضوع ، بكل تحرد ، الدولة العثمانية طواها
التاريخ بما لها وما عليها ، وانا شخصيا أقول ان الدولة العثمانية كانت من اشرف وامهر الدول
الاسلامية التى اخرجت للعالم ، أقول هذا وأؤكد، ولي عليهم الدلائل والحجج والبراهين القاطعة،
والى فرصة أخرى ، والى حديث آخر يكون أكثر تركيزا وأكثر اتساعا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

سياسة ثقافية في خدمة السلم (١)

محمد عزيز الحبابي

محلته الى الحرية : فاطمة الجامعي الحبابي

لغة « ثقافة » مشتقة من « تعب » يقال تعب الرمح أو العود إذا أسوأ وأقام موجه تم اتسم هذا المعنى الاصل ليشمل دلالات « مهالتهذيب » والتربية « والتعليم » والخلق والفضلة التي يكتسب بها العود أساليب التفكير والعمل بما يلائم الزمان والمكان في تطورها .

فالثقافة « إذن » مجموع الجهود التي تبذلها جماعة من الناس كي تصل الى توحيد خبراتها وتكييفها مع الوسط الذي تعيش فيه « يعطى عن الانسجام في الاعمال » فهي تشمل كل أسواق الانتماء المادية ، والفكرية والروحية .

وبمعنى آخر : تكون ثقافة فرد « أو جماعة من الامكانيات المكتسبة والفترات وهي تستثمر لتصبح مهارات فكرية وبدنية » في كل انماط الحياة اليومية .

من جملة المبادئ التي يتجلى فيها هذا الاستنساخ والفن (بما فيها الفنون المرئية « وفي المطبخ » كما يتجلى في المواقف التي يتخذها الافراد من أوضاع الحياة وفي الامكار التي يكونونها عن انفسهم وعن الانسان عامة « وعن المجتمع » وعن الطبيعة وعما فوق الطبيعة « اد كل ثقافة تعتمد على شبكة من المعتقدات (دينية ناليهية أو وثنية،أو الحادية ...) »

حسب هذا التعريف التقريبي « نؤكد ان الثقافة مرتبطة دائماً بمكرولوجيا « معتقدات وعادات ... » انه التزام يعطى لكل مجتمع ميزات خاصة « وهذا لا يتعارض في شيء مع الشمولية . بل على العكس ، فلا شمولية من غير خصوصيات ، ان ما هو خاص يجسد في الثقافة القومية (ثقافة شعب ، أو قسمة « ... ») ، أما الشمولية فهو التراث المشترك ، أو الحضارة الانسانية . فليس هناك انتقال من « ذهنية التفديسي الى ذهنية التاريخ » (2) « حسب تعبير عزيز على الاستاد

(١) من المجلات التي أعلاه م. ع. ل. في عدده نظماً جديد قوله في 74/2/28 بمشاركة الاستاد Wern Rief وهد سره والمجلد « في ملحقه الثقافي 74/2/1 » .

(2) Le Passage du Sacral à l'Historique

(حاز بك) - منو لنا إنه ليس هناك إلا تعلمن LACISATION لبعض البيئات الاجتماعية ، التي ، الذي يفقدها ، في بعض الأحوال ، عبقة الفداصة والثقافة العربية الإسلامية ، مثلاً ، حتى في فترة ركودها . لم تكن أبداً خارج التاريخ ، فلا يتصور وجود مجتمع إنساني يستطيع الحياة على هامش التاريخ دون أن يخضع من قبة الروافد المذبذبة - **فكل الشعوب من التاريخ وفي التاريخ** ، رغم أنها لا تسهم جميعها في سيرة - بنسب العالوية - التي يريد أن يعبر تصيراً أكثر ملامة وأكثر واقعية عن وضع الثقافة بالعالم الثالث ، يمكنه أن يؤكد أن ما حصل هو : الانتقال من تاريخه فرضته علينا حول الاستعمار ، إلى تاريخ نصنعه نحن اليوم .

ولكن يرداد مفهوم « ثقافة » دقة ووضوحاً ، نفتس من دراسة لتأقدية ، الترميز الثالث (3) : « الثقافة صفوف القيم ومجموع أساليب الحياة المادية والفنية والروحية التي يشتركها ويهيئها شعب من الشعوب ، في غضون تاريخه » .

وبما أن التاريخ ، كما هو موجود ، ليس تاريخ انشياهم ، بل تاريخ كائنات بشرية مجتمعة بالطبع فالإنسان أصلاً ، مدفوع إلى تأليف مجتمعات في مناطق تتم فيها مبادلات عاطفية ومبادلات اقتصادية وتبعاً لذلك ، يقع امتزاج بين الأقوام بالمصاهرات والمشاركة في القيسم ، فلا يمكن أي مجتمع بشري أن يعيا ويساير محرو التاريخ إلا بالفتح على المجتمعات الأخرى - فهي الثقافة تلتقي المعايير الأخلاقية والوسائل المادية لتحقيق أهداف معينة يرجى من ورائها الوصول بالإنسان إلى مستوى أعلى مما هو عليه . **فالثقافة غائية** ، لأنها ترمي إلى هدف .

إن كيان كل بيئة في احتكاكها ببيئات أخرى ، وعن هذا الاحتكاك ، تنتج تارة قوة جاذبه ، وطورا ، قوة دافعة . هذه الحركة المزدوجة هي المحور العمال لحضارة الذي يسر بالإنسانية إلى الأمام حيث يكشف كل شعب أنه داخل داته ، وفي آن واحد ، أنه خارج عنها ، بفضل احتكاك البيئات البشرية ، كذلك ، يشعر كل شعب أن له كياناً موحداً خاصاً به ، وأنه أيضاً جزء من لكل الذي هو الإنسانية .

لذا ، كلما إدركت ثقافة قومية أصالتها (أي خاصياتها) شعرت شعوراً قويا بضرورة فتحها على الثقافات الأخرى التي ليست أقل أصالة منها ، فمن كثرة الأصناف ونوعية كل صنف ،

بدرك الشفيع ان ثقافته انعمية لا يحيا الا بالتكامل مع الثقافات الاخرى - فكل مراحل التاريخ الانساني تتطابق تمام المطابق مع تاريخ هذا التكامل - ويحصل مختلف انواع التبادل بين الثقافات في فترات الحرب ، كما يحصل امان السلم .

* * *

لنضع الان ، مستوى الثقافات العومية ، يسمي مستوى الخصوصيات لوحاه المستوى الشمولي ، مستوى الحضارة الانسانية .

الحضارة تراث انساني تاريخي مشترك - انها اعلم حضارة في تاريخ الانسانية خلال فترات المد والجزر . حقا ، ن الثقافات نبوت اما الحضارة فلا يصيبها الموت .

ان الحضارة تعيش وتنمو بالمتاخر الثلاثية وبالمتاخر استشارية التي تمدها بها الثقافات الحية والحية - فالحضارة هي المستقبل التاريخي المتصل في حياه الانسان المادية والجسمانية والاحلائية والعكرية - اذا كانت الثقافات القومية تعكس ، كل وحده باشكالها الخاصة ، المعطيات المحلية والرمائية التي تعرضها عليها الارشاح الجغرافية والتاريخية ، فان الحضارة تعصبه للمستقبل التاريخي لتسامل لمجوع الشعوب .

ان ما يدور ما يبدله ، هنا الآن ، من جهود لتعريب « حضارة » هو ان هذه اللفظة لم تحتج ، حتى اليوم بمفهوم محدود مدقق فلفسه حاد ، في الموسوعة الفرنسية (4) .

« لفظ حضارة معنى واسع ، ومن الصعب ان نعطيها تحديدا جيدا » .

بما انه ليس للحضارة أي « تحديد جيد » نسمح لنفسنا ، فاقترح تعريفا آخر يصاب الى لائحة التعاريف السابقة ، فان استعملناه ، جاز لنا ان نستخلص جميعا المائج الآتية

لقد كان تاريخ الانسانية ، وما يزال ، صفة كل الشعوب ومن ثمة الحضارة ليست ملكا خاصا لاي شعب . لانها مجموعة محاصيل ثقافية عبرالمصور - انها مزيج المختلفات في الواحد ، في حين ان الثقافات هي مختلف المتنوع انتفكت في توتر نحو الوحدة .

(4) La Grande Encyclopédie (Paris, Ed. Larin au t. VII, XI, P 3131)

يقودنا هذا الى قنص بعض الافات التي كانت وما زالت تخلفها وتحبسها القوات المستغلة في الاستثمار الاجنبي والاحتكاريين في الداخل*

لقد كان المستعمرون يستجدهون الثقافة المستغلة على الشعوب الاجنبية ، كما يحصل المحتكرون وما يزالون ، من الثقافة غنيمة محروسة للتعاطف، وبشاعة يرضونها على ذوي الامتيازات. فقامم الثقافة والتعدين، يبرر الافوا، استثمارهم لبلادك ايها الضعيف، فينتاحك من جذور مجتمعتك ومن تعاليدك ، ويسرقون بلادك اعراقا وعادات وخرافات واذواقا اجنبية ، ويفككون لغتك ولوجانك متصيح مثل حيوان الخرافة الذي كان يتسائل هل هو طائر ام فار ، ... يستخون شخصيتك فلا انت أنت ولا أنت الآخر اذاك تكفي بتقليد قردى للقرى الذي فرض عليك (بالرغم منك ودرن ان يهي، لك الظروف المحتمية والمادية اللازمة) فرض عليك ان تستود من ثقافته وتقنياته العدر الذي يسمح به ووجهه توجيهه يطغى فيه السلب على الايجاب *

كما بلاسد ، انه حتى القرن الثامن عشر ، كانت كلمة « حضارة » تستعمل في معنيين خاصين ،

- مجموع الميزات المشتركة بين الدول الأوروبية (لانها كانت تمد ثقافتها هي وحدها « الثقافة »
 - حركة تمدن وتصدير الثقافات القريبة للشعوب الاخرى (الشعوب غير المتقدمة) *
- ومن الملاحظ ، أيضا ان ظهور هذين المعنيين زامن عصر الحضارة وامتداد الامبريالية الأوروبية الحديثة *

حقا ، ان الغرب متقدم ، ثقافيا ، على الصالمة الثالث - لكن النوبة سادت ، منذ البداية طوى مخطط محرف - فلو كان القصد سليما لأمكن الثقافات العربية ان تقوى وتسمى الثقافات القومية لبلدان « ما وراء البحار » ولاثرى الغرب ثقافته هو ايضا * لكن ، ويا للأسف ، لم يخطط الغرب قط سياسة ثقافية مجردة عن المناجزة والمصالح، فبدل ان يفتح سياسة ثقافية اختار تقاضية صليبة *

والآن ، في هذا العصر ، عصر التحرر من الاستثمار ، ماذا يفرض الواجب ؟ لابد من خلق جو تسوده الثقة المتبادلة كيما تتعامل الثقافات تعاملًا نزيها رغبة في تحقيق تعاون انساني ، دوليا اغراض سياسية * وبهذا الشرط ، سيتم التواصل المجسدي بين مختلف ثقافات العالم ، وينتج من هذا التعاون والتلاقح الحضارة الانسانية والسلم اجمالي *

بعد أن أوضحنا ما نقصده بـ « ثقافة » وبـ « حضارة » ، من منظور الرغبة في تحقيق السلم العالمي ، سيكون من النافع أن نحدد بتدقيق معنى « أوماني » ، « السلم العالمي » .

السلم العالمي هو ، قبل كل شيء ، المساواة بين كل الأشخاص وبين كل الشعوب ، (على كل المستويات وحتى في « مجلس الأمن » الشهير حيث الدول الكبرى ، ذات القنابل الذرية ، تتمتع وحدها ، بأصوات أكثر كثافة وغنى من أصوات ممثلي شعوب العالم اجمع) .

يقصد بـ « السلم العالمي » ، كذلك الانتصار على الأمراض المعدية ، وعلى الأمية وبالأخص القضاء على الفقر بتوزيع الإنتاج العالمي ، توزيعاً عادلاً محكماً . يطلق « السلم العالمي » من سلم القلوب ، والسلم بين القلوب ، أنه حرب شعواء على مختلف أشكال التخلف . أمن اللائق بالكرامة الإنسانية ما أراه ممن يؤس ينخر عالم اليوم ؟ ففي نفس البلد ، يتواجد عذاب الجوع والجوع مع البذخ المكشوف في التلويح ، وتكتسح المجاعات والأوباء ، الكثرين ، في حين يتوفر لأحرين أكثر مما يستهلكون ويضطرون إلى « تنظير » التنوير .

فماذا نريد ؟

نريد ثقافات قومية تتعارف دون ائكار مسبقة ، ودون آراء خلفية مسطحة ، تتمسك عن تعاطفها وتكاملها ، حضارة أقل ضراوة وجبروت وأفراسانية : حضارة سلم وتسامح .

إن السلم المنشود ليس مرادفاً لهذه التواجد السلمي « الذي راج في السياسة العالمية » ، خلال السنوات الأخيرة ، بعد أن صنع وطبخ في عواصم الدول الكبرى لاستعمالاتها الخاصة . السلم الحق ، إن لم يكن عالمياً شاملاً ، لن يكون شيئاً . كذلك السلم الذي يتخضع عن قرارات « جمعية الأمم » و « مجلس الأمن » ليس إلا سلماً أطلاوياً محضاً . أنه مجرد متمنيات إن لم يكن مراوعات ديمقراطية ونفاق ، فالذين يصوتون على تلك القرارات أنفسهم يتفقون أن « سلم مجلس الأمن » و « سلم » جمعية الأمم « سلم محكوم عليه » مسبقاً ، بأن يبقى حراً على ورق .

سينتق السلم الحق عن إرادة الشعوب ، بعد أن تعرض الثقافات القومية وعلى أراء العام على ما ينسج من أخطاء حول الإنسانية « إن عملية التخرى تلك ، هي عطش مهام المثقفين المنزعين والالزام الصادق الحقني هو ما يكون التزاماً من أجل تجنب الشوب في سبل التعامم والتماون . موصفاً عن « التواجد السلمي » الذي يخدم مصالح الدول الأكثر قوة ، ويضمن لها درام

اسفوق الاقتصادي والمستكرى ، يحب الدعوة إلى مبادئ التواجد المتعادل ، تواجد المساوى . وهذا لن يتحقق الا بالاعتراف بأن لكل فرد نفس الكرامة ونفس حقوق التي لاى فرد آخر . وبالتالى تساوى مصالح وحقوق جميع الشعوب ، كغيرها وصغيرها انها أهداف تستلزم ، مسبقا ، ان يتخلص المستضعفون من رتبة استغلال الاقوياء ، حتى يتسنى للجميع ان يسهموا فى تحرير مستقبل الانسانية وفى ضمان السلم العالمى .

• • •

لكى يصبح مبدأ تساوى شاملا على مستوى العالم . تساوى فى الشكل والمضمون لابد من تحويل عالم الإنتاج الصناعى تحويلا عاما ، ولا يدمج القضا على مركب المعطية والفرور المحدود التى يسود ذهنية الغرب ، لقد حازت قوى الرخاء الوفرة . معالم التصنيع الكثير فى حاحه منحه الى التحرر مما يعاينه من ازمات مرعبة ، كما تفسد الإنتاج الذى يخلق اجهزته الاقتصادية والعديد .

فمن سيدرك لغرب الغنى المترفع ان سلامة اعصابه وهدو . مراجه العمل ابدا من تأثير الخوف والمديانته . متى سيدرك ان ذلك الهدو وتلك السلامة مرتبطان بالامى العالمى ؟

على الغرب ان يغير اوضاعه ون يغير عاداته واعرافه ، خصوصا وقد اصبح للعالم الثالث داعلية وتقل على مسيرة التاريخ العام . فيقدر ما تزداد بفضه الوعي المجتمعى فى اعالم الثالث بعدو ما يتقوى الاحاح بضرورة تحول الغرب عما هو عليه .

من الامارات والعوامل المزججة التى تدفع بكل استعجال الى هذا التحول الحاسم . يمكن ان يذكر : مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز الذى عقد بالجزائر فى صيف 1973 ، « وحرب البترول » و « أزمة الطاقة » والإخلال المزعم الذى يعانيه التقدم العالمى (التضخم المالى وتعميم لعملات) .

العالم الثالث لا يدعى ، فى اوضاعه الراحة ، انه « حامل رسالة » ، وانما يقف امام السبيل الضيق وقت المشاهد المنهم . فالنقطة السوداء فى التفكير العربى هي انه تعود على ان يتصامم عن سماح أية شهادة تصدر عن شهود ليسوا غربيين . ويبدل كل جهد ليتجاهل أية قيمة للممر ولا للغير .

مصدرا آخر للارادة المعنوية التي يحازها هذا العصر هو ان المسؤولين ، ثقافيا وسياسيا وافصاحيا ، غير قادرين على ان يخلصوا الايمان بالاستهلاك النهم ، الجامع لمختلف القرارات ليس الا انواعا من الهدايا والمخدرات التي لم تعط ايدا الاطشتان المنشود .

والثقافة ، أية ثقافة لا تنبث تحت وطأة أحباطها وتقائسها ، ولكنها تضمج عندما تنقصها الحراة الاحلاقية للاعتراف سنك الإحباط ، وللقائص ، انها صمجل لتسهيلها المعرفة والتماظم على التقصد السدائي .

ان القرب في حاجة ملحة الى كثير من الشجاعة ليتقبل ما يجب من الطر المتضمن لما قد . ذلك هو الشرط الاول لكل محاولة اصلاح عام شامل لتحقيق سلم عالمي صادق .

فلا محرج لنحصاره من الروطات ومن سوالي الخيبات الا بتحقيق السلم العالمي ان انعدام الامل حصل الانتظار لتفلق الحائر .

صاك ، ايضا ، عدم القدرة على مصارعة التصمم الممام ، السدى برزع القسم ، القيم الاخلاقية والقيم البدنية على السواء ، ان ما يقدم لنا من وجبات للتغذية المعنوية واستجمعه لا يحتوى الا على الفرز اغليان من الطراوة ، والغن ، ومن هذه الاخوة الانسانية فالدمومة البروقراطية تنبع الاجهزة الجنسية ونحملها تصطك ، لعمدا اختلط الحيز والحدود وطلت علاقات الانفراد والعلاقات الدولية بلا مشروعية ، لم يبق شي . ما تلا بداته ، لا شي . في مكانه ؟ ...

هل نستطيع وعود العلم والتكنولوجيا ان تصل استقلا ، الى تصير الوضعية ؟

بمع تستطيع ذلك شريطة ان يعدل العرب افعاله لتصبح مطابقة لاقواله ولللساني ، الشى يدعو لها ، فتسى لها رته صلت في ضمير العالم الثالث . وعلى شرط ان يحل في انقلوب روح التعاون محل الانانية العيا .

هكذا ، سنجد الضموب اوتباطها بالفكر السديد لرصين ، وتصوغ ثقافتها القومية صياغة متكاملة الاهداف تساعد على انبثاق حضارة حديثة تحقق بها الامنيات المشتركة ،

هذا ذاتى الجواب واضحا على سؤالنا الاول كيف تكون سياسة ثقافية تخدم السلم العالمي ، ان كل سياسة ثقافية ترمي الى خدمة السلم العالمي مطالبة بان تناسس على توفر نفس الشروط التي تهيء تعامل العرض امام آمال كل انسان ،

الاسبوع الثقافي التونسي

عرف الاسبوع الثقافي التونسي الثاني نجاحا كبيرا واقبالا متزايدا من طرف الجمهور الجزائري الذي نالت اعجابه مختلف اللسوان العنية والثقافية التي يقدمها الفنانون والمفكرون الموسيرون في أهم المدن الحضرية *

وفي إطار الاسبوع الثقافي التونسي الثاني وقع الدكتور أحمد طالب الابرمي وزير الاعلام والثقافة امحازري اتفاقية للتعاون الثقافي بين الجزائر وتونس *

ويصن الاتفاق البرم بين البلدين على ترسيم التعاون في ميدان المسرح وتبادل زيارات الفرق المسرحية وعقد اجتماع في شهر أوت المقبل لاعادة برامج لتنفيذ هذه الاتفاقية *

وتنص هذه الاتفاقية ايضا على تبادل الخبرات في ميدان الموسيقى والغناء والفن الشعبي ويتعاون الجانبان على جمع التراث الموسيقي والتعاون على اصدار نشرة سنوية في هذا المجال ومشاركة البلدين في المهرجانات والمقتنيات التي تنظم في البلدين وتشجيع نشاطات الشباب في ميدان الموسيقى بواسطة هذه المقتنيات

ويصن الاتفاق كذلك على مراعاة حقوق المؤلفين والأدباء والفنون الجميلة والآثار والمخالفات والسيمياء وتبادل الافلام وتنظيم اسابيع لها في البلدين كما اتفق الجانبان على تنسيق الجهود لجلب الافلام الاجنبية ومواجهة احتكارات شركات التوزيع الاجنبية وضمت الاتفاقية بتنظيم الاسابيع الثقافية السنوية وانشاء لجنة مشتركة لرابطة تنفيذ هذا الاتفاق اما في مجال الكتب فيعمل الطرفان على التعريف بالكتاب الجزائري والترسي في الخارج عن طريق المنشورات الثقافية الدولية كالمعارض وغيرها *

النشر المشترك وتدعيم السحقيق العلمي لتصل بالتراث المشترك ولنتاج كتب للاطفال الصغار ابتداء من شهر جويلية 1975 *

معرض الكتاب العربي ندوة عن التأليف والتداول والترجمة

محمد انصار

نظمت الشركة الوطنية للنشر والتوزيع في إطار معرض الكتاب العربي بالمكتبة الوطنية ندوة متنوعة بمناقشات حول قضية النشر والتوزيع في البلدان العربية وقد ضمت هذه الندوة ممثلين من المصالح المركزية بوزارة الاعلام والثقافة والمكتبة الوطنية والشركة الوطنية للنشر والتوزيع واتحاد اصحاب اسكتاب الجزائريين ووزارة التعليم الابتدائي والثانوي ووزارة التعليم الاصيلي والشؤون البيئية ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي ووزارة المالية (البنوك والجمارك) ووزارة التجارة بالإضافة الى ممثلين عن دور النشر في الشرق العربي وتونس والمغرب الخ ..

وقد درس هؤلاء الممثلون جميعا بمناسبة هذه الندوة ثلاثة مواضيع هامة باللغة العربية تلتها مناقشات بالعربية والفرنسية وهذه المواضيع الثلاثة هي :

- 1 - صبيحة الجمعة الماضي تداول الكتاب العرس *
- 2 - مساء الجمعة امضى ضائلة التأليف في البلدان العربية *
- 3 - صبيحة السبت الماضي الترجمة والتعميم *

وقد استهل هذه ائندوة السيد محمود بوعيا مدير المكتبة الوطنية بكلمة القاها بهذه المناسبة قدم فيها شكره وامتنانه للضيوف الوافدين من البلدان الشقيقة من كتاب وناشرين وكتبيين الذين لبوا دعوة المنظمين لشرافهم وشفورا . للمكتبة الوطنية في نفس الوقت ، بحضورهم معرض الكتاب العربي بالامس ويشرفونا اليوم بحضورهم الملتقى كما شكر كل الوزارات وكل الهيئات التي انايت ممثلين عنها وشكر أيضا الشركة الوطنية للنشر والتوزيع التي فكرت في عقد هذا الملتقى ودعت اليه ، وهذا برهان على انها تترك محتى المسؤولية للمقاة على عاتقها لنشر الكتاب الذي هو اساس كل معرفة واماس كسل ثقافة ، وامستطرد يقول وما دعنا لتتبادل الآراء وتناقش حول موضوع الكتاب العربي الا لانها اشرت أن هناك مشكلة وهذا مما يشرفها من ناحية ويشرنا من ناحية أخرى بايجاد الحلول لا محالة ، وأن تظهر مشاكل في مسيرة شعب

المجلة الثقافية

نمو النمو والرفق وأن تصدر انتقادات من هذا الشعب لدليل على حياته ، وأن يعترف المسؤولون بوجود تلك المشاكل وأن يدعو الاختصاصيين وكل من يهمهم الأمر لدراساتها لدليل على نصحهم ونصح شعبهم .

وفي ميدان انكباب يشتكى أكثرنا من الغير أن الكاتب يشتكى من الناشر والناشر يشتكى من الكاتب المنتج والمستورد من الجمارك أو البنوك والكتبي وأمين المكتبة من المزود وهكذا - غير أن هناك شخصاً واحداً يشتكى من كل السابقين وهو المستهلك .

واختتم قائلاً : ولهذا أرحم من كل أشاركين في هذا النقاش ، لا ينسوا ، حينما يتناولون الكلمة ذلك العنصر الذي تولاه لنا كاتب ولا ناشر ولا موزع ولا أمين مكتبة ذلك العنصر انتمعتن الى المعرفة والمتشوق الى توافر الكتب والدوريات لديه حتى يصبح خلة حبة من حليات هذا المجتمع الجديد الذي نحن بصدد بناؤه .

ومن جملة المشاكل التي طرحها موضوع تداول الكتاب العربي من حيث اختيار الكتب والذي قدمه السيد محمد الشريف من قسم الكتاب العربي بالشركة الوطنية للنشر والتوزيع :

عدم وجود قوائم للمطبعات التي بالعرض الذي وصفت من أجله وعدم وجود عمل منسق بين مختلف دور النشر العربية والافتقار الى مجلة ترضي شؤون لكتاب بالأضامة الى عدم احترام بعض دور النشر لحقوق الآخرين في النشر والتوزيع .

وبخصوص استيراد انكباب هناك مشاكل اختيار الكتاب وشروط تنفيذ الطلبات وعدم احترام بعض دور النشر للاتفاقيات وتعاملها في تنفيذ الطلبات ، زيادة على عدم وجود وسائل شحن منتظمة ومشاكل استلام الرسائل وتوزيع للكتاب .

أما فيما يتعلق بتسديد مستحقات الناشرين والموزعين فهناك طول المدة التي تستغرقها عمليات التحويل في البنوك وقلة التعامل المباشر بين البنوك العربية وزد على ذلك كله مشاكل التعامل بالدرولار الصايف .

مشكل قتالة التاليف :

ومن جملة المشاكل التي طرحها الموضوع الثاني الخاص بضالة التاليف في البلدان العربية والذي قدمه السيد عبد الستار القليلي عدم التنسيق بين المؤلف والناشر والمطبعة والموزع بالإضافة الى طبيعة جمهور القراء هل هو واع أم لا ؟ وتجاهة الوسائل السمعية البصرية ولا ننسى أيضاً

سياسة الحكومات في مجال الانتاج الأدبي وفي العرض الذي يقيمه السيد عبد الستار التليلى أشار الى المكونات الاساسية للكتاب من ناحية الشكل ومن ناحية المضمون فمن ناحية اشكل تحدث عن الأوراق والمداد والحروف الرساسية « المطباعة » وعن مكونات مضمون الكتاب ألا وهي العلاقات الثنائية بين الحروف والكلمات من جهة وبين ما يمكن أن نسميه بكنه هذه الحروف والكلمات وجوهرها من جهة أخرى سواء اكانت تطبيقات موسيقية أم غنائية مبنوية ولاشياء جميع هذه العلاقات كلها لابد من مؤلف ، وفي محاولته لتعريف الكتاب قسم السيد التليلى مميزات الكتاب الى ناحيتين :

أولا مميزات الكتاب الذي هي عبارة عن شيء أو هو مجرد سلعة * ثانيا : مميزات الكتاب الوظيفي *

وبخصوص مميزات اكتاب الاول هناك حسب رأى السيد التليلى عدة خصائص يتميز بها هذا النوع من الكتب *

1 - كتاب يشتري على اساس انه تحفة من حيث المطباعة والتقديم وموعية الورق الخ *

2 - كتاب يشتري على اساس انه سلعة ليس ألا *

3 - كتاب يقتنى على اساس كونه رمز مقام اجتماعي معين وهذا النوع أيضا يمتاز بمضمون الاخراج ورويق المطهر وجودة الورق الخ *

أما مميزات الكتاب الوظيفي *

1 - هو كتاب واضح الغاية والهدف *

2 - وهو كتاب يستجيب أولا وقبل كل شيء لغرض تقنى وأصبح المعالم *

وكان لابد اذن القيام بمثل هذا العمل من اشتراك عدة عناصر تتحون على ايسرأز الكتاب وبستطيع تعديدها كما يلي

1 - المؤلف 2 الطابع 3 البائع 4 الناشر والناشر هو الذي يمثل طبعة الحال المكانة الاولى غير ان الناشر والطابع والبائع يأتون تباعا بعد المؤلف الذي يعتبر العنصر الحيوى في هذه العملية لذا وجب الوقوف عند المؤلف اذ هو المسؤول الاب عن صالة التأليف أو كفافته غالاغلبية المساحة من هذا الصنف تكون مدفوعة الى التأليف أما بحثا عن الارتزاق وإما لملء اوقات الفراغ فالمؤلفون من لا يفرغون الى التأليف ففرغا تاما يحملهم بتقوى المادة التي يريدون لتأليف فيها بحثا وتغنيا

وتعقيباً لذلك لا نجد المؤلف الحكيم الذى لا يسهى ابلاغ فكرة هادعة والمؤلف المتفرغ وحده لا يكفى لسد فراغ المكتبات بل هناك عوامل أخرى يمكن التحكم فيها وحتى خلقها ان لم توجد وعلى سبيل المثال نذكر :

البيئة التى تخلق المؤلف وهي تلك الكتلة من المثقفين ذات التأثير اسياىى والتى تشتمل القدرة الشرائية من الوجهة الاقتصادية فان هذه الكتلة لا يمكن تشكيلها الا اذا توافرت عوامل عدة يرد على رأسها النظام السياسى ولتركيب الاجتماعى اذ يركز عليهما معا فه رباط الجمود الاجتماعى وبعت التطور الفكرى والثقافى *

والجمهور ونقد به الجمهور الراعى الذى لا يمكن تشكيله الا بتوافر الاسباب المالية لتوجيه الوجهة الصحيحة ومن هذه الاسباب المكتبات سواء كانت عامة او متخصصة *

ثم انه لا يجب ان ننسى رباب الكتاب من الوسائل الاعلامية لآخرى جرائد ، مجلات اذاعة تلفزة ، سينما ومسرح هذه كلها من الاسباب التى افقدت الكتاب مكانته الاسلية لدى الجمهور *

الا ان هذا لم يمنع من وجود كتب كثيرة تتزايد باستمرار اما الكتب الممتازة فهي دائما قليلة ونادرة بالرغم من تنوع المواضيع ومن اسباب ضالة التأليف ايضا قلة اهتمام الحكومية ومسوء توزيع المساعدات الحكومية وعدم احضاعها لقوانين والرعاية المفروضة على المؤلف فى البلد الواحد او بين هذا البلد او ذلك بصورة تتحكم فيها الاهواء الشخصية والميولات الايديولوجية *

قضية الترجمة والتعميم فى الوطن العربى

وكان الموضوع الاخير الذى تطرقت اليه النشرة يتعلق بقضية الترجمة والتعميم فى الوطن العربى وهكذا ناقش الحاضرون هذا الموضوع على ضيسوء العرض الذى قدمه السيد مصطفى مصدرة فى البداية الذى بين فيه باختصار وضميمة الترجمة والتعميم فى الوطن العربى مذكرا بان الترجمة قد فرضت نفسها بعد ضالة التأليف كما انها تساعسد على استيعاب المفاهيم العلمية والتكنولوجيا السائدة فى البلدان المتقدمة صناعيا وحضاريا ثم نذكر بدور الترجمة الى العربية « التريب » من التاريخ ولا سيما فى العصر العباسى وفى عصر النهضة ومن ثمة تطرق الى المشاكل التى تعاني منها الترجمة ووسائل النهوض بحركة النقل الى اللغة العربية ومن جملة هذه المشاكل نقص البيانات واعداد المترجم اعدادا يعول عليه عدم وجود تخطيط وتنسيق سسواء على النطاق الوطنى المحلى او على الصعيد القومى العربى زد على ذلك كله نقص المعاجم والمصطلحات العلمية « ان كانت محدودة » بالاسافة الى اختيار الكتب المترجمة « ما هي الكتب

الاجنبية التي يجب ترجمتها الى العربية ؟ ، وهناك أيضا مشكلات توزيع الكتب المترجمة بغض النظر عن نشرها زد على ذلك كله وضعية المترجم التي هي وضعية غير قارة في معظم البلدان العربية وفي هذا الصدد شكر السيد مهيج عثمان أحد الناضحين اللبنانيين أن الترجمة تنقسم في أغلب الأحيان بمجرد الصدفة من ثمة كثرة الترجمة في لادبيات وندرة الكتب العلمية والتكنولوجية المترجمة والسبب في ذلك كله يرجع الى عدم وجود لجنة رسمية تخطط في ميدان الترجمة وتختار الكتب الاجنبية التي يجب ترجمتها كما ذكر أيضا مثال اللغة الوطنية ، اللبنانية ، المنبثقة عن لينوسكو المكلفة بترجمة روائع الفكر الانساني الى العربية والتي ترجمت 23 كتابا غير انها لم تجد ناشرين لانهم يعتقدون انه ليس هناك قراء مثل هذه الكتب ؟ ١

واستطرد السيد مهيج عثمان يقول : وفيما يتعلق بترجمة امهات الكتب وتأليف القواميس والمعاجم فلا بد من تدخل الحكومات لان تأليف القواميس والمعاجم وترجمة الموسوعات وامهات الكتب تقتضي احيانا سنوات من العمل الجاد ورجالا متخصصين ، اصصساب كفاءة معترف بها عاليا في ميده .

ومعلوم ان الشركة الوطنية للنشر والتوزيع قد استوردت خسبمن هذا المعرض ستة الاف عنوان ن بموجب مائة نسخة لكل عنوان اي ، ستمائة ألف كتاب في المجموع .

• • •

تأسيس اللجنة الدولية

لتشجيع البحوث التاريخية العربية

نظم « المركز الوطني للبحث العلمي » (بقرتسا) من 9 الى 11 ابريل 1974 « بكوليج دي فرانس » بباريس ملتقى عن « المحفوظات والمصادر المخطوطة الخاصة بتاريخ البلاد العربية من القرن 15 م الى القرن 20 م » وقد ضم الاجتماع حوالي 40 مؤرخا من الشرق العربي والغرب يذكر منهم عمل المحصوي السيد العامي رئيس حملات محمد الخامس بالرباط والسيد احمد عبد السلام أستاذ بجامعة تونس والسيد محمد امينى استاذ بجامعة القاهرة والاستاذ محمد حور فارس نائب رئيس جامعة دمشق والاساذ ماكسيم رودنسون والاستاذ جاك بيرك من قرنسا والاساذ ايموند يورك من الولايات المتحدة .

وقد دارت الأبحاث التي قدمت بالمعنى والعصيات التي أثارها حول القطر الثلاث التالية

- (1) سائج الأبحاث عن المحفوظات والمصادر غير المنشورة العربية ، وآفاق المستقبل .
- (2) المشاريع الحالية واساليب البحث للاسعاة من المصادر العربية .
- (3) تاريخ العرب وعم التاريخ المعاصر .

وقد بينت الأبحاث التي قدمت والمداوات التي تنها غنى المحفوظات الخاصة بالبلاد العربية التي لم تفرس بعد كما أبت ضرورة تعاون الباحثين فيما بينهم وتعاون الجامعات ومراكز البحث فيما بينها لتشجيع البحوث التاريخية العربية وتقديمها مع مراعاة إرادة العرب في اسرجاع تاريخهم من ناحية والاساليب الحديثة لجمع المعلومات والمستندات ولكتابة التاريخ من ناحية ثانية .

وقد صادق المشاركون في المنفى على عدد من المناسبات ابدوا فيها على الخصوص رغبتهم في الحصول على أقصى التسهيلات للاستعانة من الوثائق المحفوظة بالصورة النكية بالحرب الأقصى ومن المحفوظات الخاصة بالعالم العربي اوجوده بتركيا كما ابدى سرورهم لعدم المعاداة الجزائرية العرسية المتعلقة بأرجاع المحفوظات الجزائرية التي نقلت الى فرنسا قبيل استقلال الجزائر .

وكان تأسيس اللجنة الدولية لتشجيع البحوث التاريخية العربية أهم قرار اتخذه المشاركون. وانهدف من تأسيس هذه اللجنة هو تسهيل أعمال الباحثين واستعادتهم من المحفوظات وتنظيم التعاون فيما بينهم وتشجيع كل ما من شأنه أن يقدم بحوث المؤرخين المهتمين بتاريخ العرب .

وجعل المشاركون امانة عامة على رأس هذه اللجنة الدولية وقد عينوا السيد محمود يوعيا مدير المكتبة الوطنية الجزائرية ايميا عاما كما سبدوا الاستناد الفاسي الرئاسة الشرفية للجنة وسيكون مركز هذه الامانة العامة بالعاصمة الجزائرية .

وتتكون اللجنة التي ربطت بالفرع العربي للمجلس الدولي للمحفوظات من 12 عضوا من مختلف الجسيات منهم 7 عرب .

نوفمبر



مجاهد
الأمس
واليوم

20 أوت : اليوم الوطني للمجاهد

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



جائفي

1974



ALLOCUTION

Monsieur Mouloud-Kassim NAIT BELKACEM
Ministre de l'Enseignement Originel
et des Affaires Religieuses

à l'ouverture du 8^{ème} Séminaire sur la Pensée Islamique

« Au Nom de Dieu, le Clément, le Miséricordieux.

Messieurs les distingués Professeurs,

Mesdames et Messieurs,

Je voudrais que les premières paroles de cette allocution soient celles-là mêmes avec lesquelles j'avais clos mon discours de clôture du 7^{ème} Séminaire, et vous souhaite donc la bienvenue — au nom du Président Houari BOUMEDIENE et de l'Algérie toute entière —, dans cette atmosphère ravissante et ce cadre historique glorieux, « Annacira, capitale d'An-Nacir Ibn Illinas le Hammadite, cette cité qui, bien des siècles avant Paris, a été la Ville Lumière, sillonnée les mers avec ses flottes, forcé l'admiration de l'Humanité par ses palais Ballars et Lou' Loua, où se réunissaient rois et savants en présence du peuple, inondé cette Humanité de ses sciences et arts et éclairé l'Europe et le monde grâce à ses Universités et à ses bougies : Bidjeia ! ».

Messieurs les distingués Professeurs.

Frères et Sœurs Étudiants et Étudiantes,

Nous voilà réunis pour des jours et des nuits, dans le but d'étudier en commun cinq points qui nous semblent d'une extrême importance, non seulement pour l'Algérie et le monde islamique plus vaste, mais aussi pour l'humanité entière, laquelle traverse une crise tyrannique, qui met en danger les valeurs, et s'expose à des tourments capables de submerger la civilisation universelle !

1°) Nous voudrions évoquer ensemble tout à la fois l'excellent accueil dont ont bénéficié des communautés d'émigration et des minorités, et les peines et souffrances que d'autres ont endurées et continuent d'endurer à travers les diverses parties du monde, pour voir s'il convient aux savants et penseurs en général, et aux hommes des mass-média, de demeurer passifs devant cet état de choses, en se contentant, dans le meilleur des cas, d'exprimer leur regret et leur réprobation dans les cercles fermés ; ou s'ils doivent, au contraire, clamer leur indignation à la face de l'injustice où qu'elle se produise, de stigmatiser toutes les formes de la discrimination et d'imposer partout, grâce à leur autorité morale, le respect de la dignité de l'homme, en tant qu'homme !

2°) Il nous paraît également nécessaire de consulter l'Histoire et de jeter un regard investigateur sur le monde actuel, afin de rappeler et de situer le rôle du penseur aujourd'hui et toujours, dans sa nation et à l'égard de l'humanité, en ce qui concerne aussi bien les grands problèmes de l'heure que les perspectives d'avenir.

Nous aurons à vérifier si le penseur, que les Grecs désignaient et que le monde d'aujourd'hui désigne encore par le qualificatif d'élite, et auquel Ibnou Rochd avait assigné une place à part dans sa classification des gens en groupes "distingués et supérieurs", d'une part, et en "masses", d'autre part, pour employer un mot à la mode, si le penseur, dis-je, se différencie de l'homme de la rue par une conscience précise de la grave responsabilité qui lui incombe, par la vision globale, la largeur d'esprit, le sacrifice dans l'action en vue d'imposer le respect de la dignité de l'homme et des peuples, ou bien si toute sa distinction n'est qu'une affaire de diplômes, de fonctions, de titres et d'honneurs ?

Si l'homme, quel qu'il soit, est bien un "zoon politikon", un animal pensant, selon la définition d'Aristote, il ne diffère donc des autres animaux que par la pensée, c'est-à-dire la faculté de réfléchir pour lui-même, pour sa nation et pour l'Humanité. C'est précisément au penseur, nanti ou plutôt chargé d'un fardeau particulier, qu'est dévolue la responsabilité exceptionnelle qui est de faire entendre le résultat de sa réflexion et de clamer la voix de sa conscience !

3°) Comment ne pas évoquer, alors que nous nous trouvons à Bidjaia, le rôle éminent de l'Etat hammadite dans l'édification de la civilisation et de la pensée islamiques, et, donc, de la civilisation universelle ? Qu'il nous suffise de citer, comme simples symboles de l'apport de l'Etat hammadite dans les domaines de la civilisation et de la pensée,

a) que le mot même de "bougie", dont s'éclairaient l'Europe et le monde bien des siècles avant la découverte de l'électricité, tire son origine du nom de Bougie (Bidjaia), comme l'atteste l'Histoire et comme le rappelle le dictionnaire français Larousse,

b) que Abderrahmane ibnou Khaldoun, père de la sociologie, y enseignait dans la mosquée de la Casbah, tout en y étant président du Conseil des ministres,

c) qu'Al Mahdi ibnou Toudert donnait des cours dans sa mosquée Ar-Raïhanah et que son Université était le pôle vers où convergèrent les hommes de savoir et de pensée venus du reste du Maghrib, d'Andalousie, d'Orient et d'Europe alors plongée dans l'obscurité de son moyen-âge,

d) qu'un Raymond Lulle, l'un des maîtres à penser de l'époque en Europe, auteur de *Ars Magna* (*Le Grand Art*, en logique) et surnommé "le docteur illuminé", y était venu étudier et discuter.

De tout cela, d'éminents professeurs nous entretiendront pendant ce Séminaire.

4°) La civilisation et la pensée islamiques qui furent le point de départ de l'Europe vers sa renaissance et son progrès requièrent que nous examinons les causes de leur épanouissement et de leur effondrement ainsi que les facteurs de leur renouveau. Car l'Histoire se répète, et, si des gens versatiles ont conduit la Nation islamique à la décadence, il demeure que la renaissance de cette civilisation et de cette pensée en sommeil ne dépendent que d'elle-même, à condition que soit authentique la détermination, et forte la volonté, et qu'elle médite les leçons de l'Histoire et s'inspire des expériences des nations.

La civilisation et la pensée sont autant un héritage commun que le fruit d'un effort collectif, et, si l'Histoire coregistre pour chaque peuple la pierre de son apport, elle sanctionne, le cas échéant, sa paresse et sa négligence, tant il est vrai que quiconque se néglige est négligé et perd son pari !

5°) Est-il vrai, comme nous le pensons, que l'unique voie de salut pour la nation islamique et pour toute autre nation dans son cas consiste dans l'effort inlassable pour résorber le retard et pour joindre le concert des peuples avancés, tout en préservant son âme et sa spécificité, dans le fait d'accorder la primauté à l'essence sur les contingences et de ne pas se satisfaire de l'accessoire au détriment de l'essentiel, et de ne pas adopter de la civilisation que ses aspects négatifs, ce que, en d'autres termes, nous entendons par identité et authenticité dans l'ouverture et l'universalité ?

Je rappellerai ici, si vous le voulez bien, ce que j'évoquais brièvement au cours du 6° Séminaire, à savoir que nous nous trouvons devant deux clans qui nous paraissent uniment

ultras et sectaires. Il y a, d'un côté, les conservateurs invétérés, renfermés, repliés sur eux-mêmes, léthargiques, stagnants, qui, au nom de la sauvegarde des traditions, voudraient que l'on ne se contente pas seulement de verrouiller les portes, mais aussi les fenêtres, voulant nous priver ainsi de toute infiltration de lumière, de toute brise d'air, et que nous croupissions dans l'obscurité et nous exposions à l'étouffement.

L'autre parti nous exhorte, au nom du modernisme, de l'émancipation, du progressisme, du révolutionnarisme, de la largeur de vue, de l'ouverture sur le monde, de l'universalisme, etc., à ne pas nous contenter d'ouvrir toutes grandes à la fois portes et fenêtres. Il mène un vacarme assourdissant pour que l'on enlève également les toitures par la même occasion : ce sont les aventuriers, les superficiels, les dépersonnalisés.

Nous répondons aux uns et aux autres que nous ne voulons ni nous priver d'oxygène et de lumière qui sont l'air et la vie, ni, non plus, nous offrir aux tourmentes qui ébranlent les fondements et les piliers, avant d'emporter l'édifice.

Nous voulons bien et devons même ouvrir toutes grandes les fenêtres et jusqu'aux portes s'il le faut, mais devons sceller hermétiquement les toitures et garder les pieds sur notre sol ferme. Ainsi, sûrs de nous-mêmes, nous serons en mesure d'avoir une vue sur d'autres mondes, afin de puiser dans leurs expériences concluantes et de tirer la leçon de leurs erreurs, ce à quoi nous invite l'Islam et grâce à quoi se sont illustrés nos devanciers "Que ne vont-ils pas par (les chemins de) la terre ! Pénisieront-ils à ne pas voir ?". (Le Coran incitant à réfléchir, à connaître autrui et à en tirer des leçons).

Quant à demeurer suspendus en l'air et à loger, à travers la toiture que nous aurons dégainée, l'inconnu et à nous livrer à des acrobaties pour l'atteindre, cela ne nous mène qu'au fond du précipice !

C'est cela que nous entendons par la conjonction harmonieuse entre l'identité et l'authenticité, d'une part, et l'ouverture et l'universalité, d'autre part ; car cette conjonction, tout en nous ouvrant portes et fenêtres, nous conserve les toits et les piliers. Elle nous paraît, en tout cas, comme l'unique voie de sursis pour l'Humanité qui traverse aujourd'hui une crise de civilisation aiguë, menaçant l'édifice humain de fissures et d'effondrement.

Messieurs les distingués Professeurs,

Frères étudiants, Sœurs étudiantes,

Tels sont les questions que nous aurons à examiner ensemble et à propos desquelles nous ouvrons un large débat.

Il nous reste à espérer que les conclusions qui s'en dégageront soient autant d'étapes préliminaires à franchir dans une marche appelée à se poursuivre, afin de protéger la civilisation et de sauvegarder la dignité de l'homme.

Je souhaite, enfin, à nos travaux à tous, plein succès, et à Messieurs les Professeurs et aux étudiants hôtes un agréable séjour à Bidjaia et en Algérie.

**LA SITUATION DES MINORITES ET DES COMMUNAUTES
D'EMIGRATION EN GENERAL ET MUSULMANES
EN PARTICULIER DANS LES DIVERS PAYS DES CINQ
CONTINENTS ET LE DEVOIR DES SAVANTS, PENSEURS,
ET HOMMES DES MASS-MEDIA A LEUR EGARD**

Conférence de M. Francis MONHEIM
Ecrivain - Président
de l'Association Arabo-Belge - BRUXELLES

L'intitulé du premier point de ce huitième Séminaire est extrêmement vaste et permet d'aborder des problèmes et des situations très variées. Ce premier point s'intitule en effet, « la situation des minorités et des communautés d'émigration en général et musulmanes en particulier dans les divers pays des cinq continents et le devoir des savants, penseurs et hommes des mass-média à leur égard ».

Cet intitulé appelle une double démarche : la description d'une situation objective et, puisqu'il est question de « devoir », la formulation de propositions d'ordre éthique.

Dans l'exposé que je vais vous présenter, j'ai choisi de vous décrire une situation très concrète : celle de la minorité musulmane qui vit dans mon pays — la Belgique — et, plus particulièrement encore, celle de la famille la plus homogène et la plus unie de cette minorité : la communauté Algérienne.

Quant aux devoirs qui incombent à certaines catégories de personnes, confrontées avec les problèmes que posent ces minorités, je me tiendrai strictement dans le cadre de ma profession : celle d'écrivain et de journaliste c'est-à-dire, celle de témoin.

Notre but est donc de décrire les problèmes moraux et culturels de la minorité musulmane de Belgique et, en particulier, de la communauté algérienne. Mais, pour bien comprendre ces problèmes, il est indispensable de situer cette minorité et cette communauté sur le plan démographique, historique, économique etc...

1. La Belgique compte dix millions de nationaux, tandis que 700.000 étrangers environ vivent sur son territoire. Il faut noter au passage que ce chiffre est approximatif, tout simplement parce qu'il n'existe pas de statistiques complètes sur cette population étrangère. Les chiffres fournis par la police des étrangers ne concernent que les personnes de plus de 12 ans d'âge ; les chiffres fournis par le Ministère de l'Emploi et du Travail ne concernent que la population active et les chiffres fournis par les Administrations Communales sont incomplets. Finalement, les sources consulaires sont encore les plus sûres.

Et c'est par ces sources que nous apprenons qu'il y a, en Belgique, 5.571 Algériens, soit 2.215 hommes de plus de 21 ans, 573 femmes de plus de 21 ans et 2.783 mineurs des deux sexes.

Cette communauté algérienne est relativement peu nombreuse quand on sait qu'il y a, en Belgique, huit fois plus de Marocains que d'Algériens, et quatre fois plus de Turcs. Quant aux Tunisiens, leur nombre n'excède pas 2.000. Au total, la communauté musulmane représente environ 15 % de la totalité de la population étrangère (mais il faut signaler que ne sont pas compris dans ce pourcentage quelques centaines d'Albanais, de Yougoslaves et de ressortissants d'autres pays de l'Europe orientale qui, eux aussi, sont de confession islamique).

2. L'immigration musulmane en Belgique est relativement récente. Avant elle, ce petit pays hautement industrialisé a connu d'autres vagues d'immigrants : italiens et grecs au début de ce siècle, polonais et tchèques au moment de l'exploitation intensive des ressources charbonnières, espagnols lors de la guerre d'Espagne en 1936. Les travailleurs nord-africains ne sont arrivés en Belgique qu'après la deuxième guerre mondiale et, plus particulièrement, entre 1955 et 1967. Il faut signaler cependant que quelques dizaines d'Algériens ont participé, comme mineurs de fond, à la grande bataille du charbon que la Belgique a livrée au lendemain de sa libération en 1944, dans l'espoir de sauver une économie que l'occupation nazie avait gravement affaibli.

3. Ceci explique une troisième caractéristique de la communauté algérienne de Belgique. Alors que cette communauté est très jeune puisque 80 % de ses membres ont moins de 40 ans, un tiers des hommes algériens vivant en Belgique sont des mineurs pensionnés, qui continuent cependant d'exercer à temps partiel des activités plus légères dans le même secteur.

En dehors de ce secteur minier, on retrouve la grande majorité des travailleurs nord-africains de Belgique dans le secteur de la construction ou de la métallurgie. On en retrouve également dans le secteur des transports publics que les jeunes Belges boudent de plus en plus parce qu'il comporte des prestations nocturnes ou dominicales.

Au total, on peut affirmer que la plupart des travailleurs nord-africains occupent des postes de travail dangereux, insalubres ou pénibles. Ils y sont relativement bien payés — au même tarif que leurs camarades belges — mais cela ne signifie nullement que leur statut soit enviable. Nous allons voir pourquoi.

4. La situation familiale des travailleurs nord-africains est souvent difficile. La moitié d'entre eux sont célibataires ; de plus la moitié environ des travailleurs mariés ont émigré sans leur famille, et se retrouvent donc seuls, eux aussi.

5. Les travailleurs nord-africains éprouvent de très grandes difficultés à trouver un logement décent, surtout lorsqu'ils ont plusieurs enfants. Cela tient d'une part au manque plus ou moins avoué des propriétaires de maisons et d'appartements — racisme dont nous reparlons — et au manque de logements sociaux dont souffre la Belgique. De nombreuses sociétés construisent des habitations à bon marché réservent d'ailleurs celles-ci aux nationaux ou aux autres ressortissants de la communauté européenne. A Bruxelles surtout, cette crise

de logement se fait cruellement ressentir et des milliers de travailleurs nord-africains y vivent dans de véritables taudis. En général, les quartiers les plus vétustes — promis la plupart du temps à une démolition prochaine — sont seuls accessibles à ces travailleurs.

6. La forte concentration de travailleurs nord-africains dans certains quartiers a une conséquence directe sur la composition de la population scolaire de ces quartiers. Dans certaines écoles de la périphérie bruxelloise ou de la région minière du Hainaut, il y a une majorité d'élèves nord-africains. Or, dans l'état actuel des choses, la législation scolaire de la Belgique ne permet pas de faire face à cette situation d'exception. C'est ainsi qu'il n'existe pas de matériel didactique qui permette aux enfants nord-africains de s'adapter efficacement à l'enseignement européen. De même, les parents musulmans n'ont pas le droit d'exiger que l'Islam soit enseigné à leurs enfants, alors que la loi reconnaît explicitement ce droit aux parents de confession catholique, protestante ou hébraïque.

7. Même si les autorités belges condamnent toute manifestation de racisme et entendent mener une politique positive à l'égard des pays arabes en général et des Etats d'Afrique du Nord en particulier, les travailleurs nord-africains se heurtent souvent aux tracasseries administratives, à l'incompréhension et même à l'hostilité de fonctionnaires belges de rang inférieur — appartenant aux administrations locales ou à la police.

8. Et ceci nous amène à aborder le dernier point de notre description : le climat d'incompréhension et de racisme larvé qui entoure souvent les immigrés nord-africains.

Je crois que devant une assemblée comme celle-ci, il faut avoir le courage de remonter aux sources et de voir le problème dans sa perspective historique.

L'hostilité culturelle du monde occidental chrétien à l'égard du monde arabe et islamique est aussi ancienne que l'écllosion de l'Islam elle-même. Cette hostilité se retrouve de manière permanente dans nos livres d'histoire et dans nos manuels scolaires.

On m'a toujours appris que l'Islam était une religion agressive et intolérante et que la civilisation arabe, après un bref et libre essor, avait sombré dans la confusion et la décadence. On avait déjà enseigné la même chose à mon père et à mon grand-père, la même chose aussi au père et au grand-père de mon grand-père.

Sans doute ne faut-il jamais généraliser, mais il serait absurde de nier l'existence de cette tendance négative à l'égard de l'Islam ; il serait absurde de contester les ravages qu'elle fit.

Tout comme il serait absurde de ne pas reconnaître que beaucoup d'auteurs, aujourd'hui, — et parmi eux, il faut le souligner, de nombreux chrétiens — adoptent des perspectives historiques plus conformes aux réalités et abordent l'Islam avec ce qui avait le plus manqué aux Occidentaux qui prétendaient le connaître, je veux dire : avec respect.

Mais que l'histoire — et que ce qui l'écrit — n'affranchissent aujourd'hui de préjugés séculaires, cela n'enlève rien au mal qui a été fait. Et qui est énorme. Et qui est enfoui profondément dans les mentalités occidentales.

Ce mal est d'autant plus grand qu'il préparait les cerveaux — sans le vouloir, sans doute à subir un autre fléau. Je veux parler de la propagande sioniste qui sévit en Occident depuis deux générations et qui a trouvé, dans mon pays comme ailleurs, des porte-paroles aussi puissants qu'insidieux.

Mon propos n'est pas, faut-il le dire, d'aborder ici le douloureux problème palestinien. Mon propos est de parler de la minorité musulmane vivant en Belgique et des problèmes auxquels elle se heurte. Or, il me faut constater que les thèmes exploités par la propagande sioniste qui constituent un phénomène, disons, conjoncturel — sont venus se greffer sur une incompréhension plus ancienne — qu'on pourrait qualifier de structurelle, celle-là — de l'opinion occidentale à l'égard de tout ce qui est arabe et musulman.

À cela, il faut ajouter encore la réactions égoïstes du public à certains événements politiques ou économiques. De manière générale, l'opinion publique belge a réagi favorablement à la lutte menée par les peuples colonisés en vue d'arracher leur indépendance politique. Par contre, cette opinion publique se montre plus sensible et plus mesquine lorsque ces mêmes peuples entendent défendre leurs droits les plus élémentaires en matière économique.

La présence des gouvernements arabes — et du gouvernement algérien en particulier — à la pointe du combat que les peuples d'Afrique, d'Asie et d'Amérique Latine livrent actuellement pour imposer une répartition plus équitable des richesses et des ressources mondiales, cette présence a suscité des réactions racistes d'un type nouveau auxquelles mon pays hélas, n'échappe pas. Que certains — en Belgique comme en France — veuillent se venger sur les travailleurs arabes immigrés, cela constitue une évidence, écœurante sans doute mais incontestable. Une partie de l'opinion est d'autant plus disposée à entendre les appels de ce genre, qu'elle a toujours été mal informée sur les bienfaits que la main-d'œuvre étrangère a apportés à l'économie occidentale qui, de 1945 à 1970 tout au moins, n'aurait pu se passer d'elle.

Telle est, dans ses grands traits, la situation des travailleurs nord-africains en Belgique. Je vous l'avais dit : ce n'est pas une situation enviable et pourtant, à côté de tant d'ombres, le tableau comporte des lumières. Je m'en voudrais de ne pas les mettre en valeur, d'autant plus que certaines d'entre elles démontrent que, malgré tout, « quelque chose est en train de changer » en occident et, notamment en Belgique.

Ces points positifs, je les citerai pêle-mêle, sans ordre logique. Mais je m'en voudrais de ne pas souligner avant tout, en ce qui concerne la communauté algérienne, le travail remarquable accompli par l'Amicale des Algériens en Belgique et par les services consulaires algériens.

1. Contrairement aux nationaux d'autres pays (et je pense notamment aux émigrés venant de Turquie ou du Maroc), les travailleurs algériens de Belgique ne se sentent pas isolés et ne le sont d'ailleurs pas. Le Président Boumediène a souvent dit, dans ses discours, que l'émigration algérienne n'avait jamais cessé de faire partie de l'Algérie et qu'il fallait tout mettre en œuvre pour qu'elle puisse, un jour, revenir au pays.

Je puis constater — pour ce qui est de la Belgique en tout cas — que ce rôle de lien entre la nation algérienne et l'émigration algérienne est assumé parfaitement par l'Amicale. L'Amicale comme lieu de rencontre, comme cellule de défense mais aussi comme instrument d'éducation ; éducation des jeunes, dans la mesure où l'Amicale organise des cours d'arabe et de religion islamique (qui sont suivis avec beaucoup d'assiduité) ainsi que des camps de vacances en Algérie même ; éducation des adultes, dans la mesure où elle incite les travailleurs à perfectionner leurs connaissances professionnelles et à concevoir ce perfectionnement en fonction des besoins futurs de l'économie algérienne ce qui veut dire, en d'autres mots, en fonction de la réinsertion de ces travailleurs dans cette économie.

2. Deuxième point très positif : l'esprit nouveau qui règne dans une partie de l'opinion belge et, notamment, parmi les jeunes. Ces jeunes sont absolument allergiques à toute idée de racisme et la présence, à leur côté, de travailleurs nord-africains les a confirmés dans cette foi profonde en l'égalité fondamentale et la respectabilité de toute personne humaine, quelle que soit son origine, son passé culturel, sa fonction sociale.

Cette solidarité active entre jeunes belges et travailleurs nord-africains se manifeste dans les structures les plus diverses : organisations syndicales, comités de quartiers, mouvements universitaires, initiatives, culturelles et même, sportives.

Cette solidarité permet de neutraliser les mesures injustes qui seraient prises contre les travailleurs arabes par des autorités réactionnaires mais, surtout, elle forge des liens d'amitié basés sur une estime réciproque et une connaissance mutuelle. Plus on se connaît et plus on se respecte ; plus on se respecte et plus on veut se connaître.

3. Cette solidarité, j'aime à le souligner ici, est le fait — notamment — des chrétiens et de plusieurs prêtres. Si la communauté islamique de Belgique dispose de quelques mosquées — en nombre très insuffisant toutefois — plusieurs prêtres catholiques et plusieurs pasteurs protestants ont mis, spontanément, leurs églises à la disposition des travailleurs musulmans. Le temps du prosélytisme chrétien est définitivement révolu. Puisque les hommes sont différents — égaux, mais différents — n'est-il pas normal qu'ils s'adressent à Dieu dans les langages et selon des rites différents ? Celui qui s'adresse à Dieu par la prière ne doit-il pas de façon absolue, respecter les autres qui prient ?

4. Les autorités publiques elles-mêmes ont leur part dans cette solidarité même si on peut leur reprocher quelques fois un manque de hardiesse, dans les initiatives qu'elles prennent — notamment en matière juridique — au bénéfice des étrangers.

C'est ainsi que le dernier ministre de l'Emploi et du Travail (Ernest Glinne, qui est un de vos amis de longue date) a pris une série de mesures en vue d'attribuer des subides à ceux qui assument ce qu'il est convenu d'appeler « l'accompagnement » spirituel et culturel des travailleurs arabes.

C'est ainsi que plusieurs communes, qui ont créé déjà un conseil consultatif des travailleurs immigrés, voudraient associer ceux-ci de façon plus directe encore à la prise des décisions communales.

C'est ainsi que des parlementaires, de plus en plus nombreux, demandent qu'en plus des droits économiques, les travailleurs immigrés puissent disposer des droits politiques pour autant, bien entendu, que l'exercice de ceux-ci par des étrangers soit compatible avec la souveraineté des états.

5. Dernier point de lumière, qu'il est bon de souligner ici : les hommes politiques, les hommes d'église, les universitaires qui sont confrontés avec les problèmes de l'immigration semblent avoir renoncé enfin à toute velléité d'assimilation. Il fut un temps où les bonnes âmes voulaient aider les nouveaux venus à ressembler le mieux et le plus possible aux nationaux du pays d'accueil.

Il est possible que cette volonté trouve des justifications lorsqu'il s'agissait d'accueillir des immigrés d'une même culture et dont le désir était d'ailleurs de se fixer définitivement dans leur pays d'élection. C'est ainsi que des milliers d'Espagnols et d'Italiens se sont établis en Belgique sans espoir de retour et obtinrent d'ailleurs la nationalité belge pour leur enfants.

Mais cette idée d'assimilation devenait absurde dès qu'il s'agissait de travailleurs arabes, pratiquant la religion islamique et vivant dans l'espoir de retourner un jour au Maroc ou en Algérie. Ces travailleurs-là, nous devions les respecter dans leur personnalité propre, dans leur différence ; et ce qu'ils nous demandaient ce n'était rien de plus qu'une intégration temporaire dans une communauté économique qui avait besoin d'eux et dont ils avaient besoin.

C'est, finalement, cette idée d'intégration temporaire qui a prévalu. Elle est conforme, je le sais, à la volonté exprimée maintes fois par les autorités algériennes. Et je crois pouvoir dire qu'elle inspire désormais la politique que les autorités de mon pays comptent mener à l'égard de la main d'œuvre en provenance de pays amis comme les pays du Maghreb.

Je voudrais aborder enfin le dernier point contenu dans l'intitulé de ce premier grand thème de vos travaux. Il s'agit des devoirs qui incombent aux hommes des mass-média, aux artisans des communications de masse, devant les situations que nous venons d'évoquer brièvement.

Je vous parlerai du métier que est le mien — le journalisme et du point de vue qui est le mien — celui d'un journaliste belge face à l'immigration, dans son pays, de travailleurs arabes musulmans.

J'ai toujours pensé que le journalisme était un métier difficile dans la mesure où il consiste à témoigner ; témoigner, cela implique d'abord de connaître et ensuite d'exprimer ce que l'on connaît. Or, chacune de ces deux démarches implique un certain nombre d'écueils qu'il est souvent difficile d'éviter.

On dit généralement que le premier devoir du journaliste est d'être objectif. Après avoir exercé ce métier pendant vingt ans, je crois pouvoir dire que ce n'est pas tout à fait exact. Tout simplement parce que l'objectivité me paraît impossible. Le journaliste n'est pas un historien, ou plutôt, il est plongé dans l'histoire immédiate ; sa première tâche est de vivre dans le concret ; de côtoyer des hommes vivants ; de réagir en homme vivant à des situations concrètes. Même s'il *Voulait* être objectif, le *pourrait-il* ? Je ne crois pas.

Par contre, il doit être honnête. L'honnêteté, voilà sa première tâche. Il ne peut pas trahir, ni ceux dont il parle, ni ceux auxquels il s'adresse ; il ne peut se trahir lui-même en tombant dans les pièges de l'écriture.

Mais je pense aussi que ce devoir fondamental — celui de l'honnêteté — s'accompagne d'un double droit. Le droit à l'indignation et le droit à l'enthousiasme.

Je crois avoir usé de ce double droit dans une matière qui, par ailleurs, s'y prêtait. Car, que de sujets d'indignation et que de sujets d'enthousiasme dans la situation que nous venons de décrire ; dans les injustices faites aux travailleurs immigrés, dans la dignité avec laquelle ces travailleurs acceptent une vie ingrate, dans cette solidarité qui se renforce de jour en jour entre ces travailleurs et des nationaux du pays que les accueille.

Je crois que notre devoir de journalistes peut et doit porter sur quelques points concrets, susceptibles de modifier profondément la mentalité de l'ensemble de l'opinion à l'égard des immigrés, car, finalement, c'est cela qui compte.

Il faut rappeler à cette opinion que c'est notre économie occidentale qui a ressenti le besoin d'un apport de main-d'œuvre extérieure. Cette économie de croissance n'a pas toujours trouvé, sur place, les travailleurs dont elle avait besoin, elle s'est donc adressée à d'autres marchés de travail et y a puisé les forces supplémentaires dont elle avait besoin.

Bien entendu, les intérêts coïncidaient ; les travailleurs qui viennent s'installer chez nous le font de plein gré et parce qu'ils y trouvent des avantages matériels.

Encre faut-il préciser à cet égard, lorsque il s'agit des pays d'Afrique du Nord, que l'émigration est une conséquence directe de l'économie coloniale. La France n'a jamais industrialisé l'Algérie ; elle ne s'est jamais préoccupée d'y assurer le plein emploi ; elle y est déplacée des populations entières qui se sont retrouvées dans des régions où elles n'avaient plus les moyens de subsister. L'émigration est née de là ; de cette nécessité de survivre malgré tout et de faire survivre les siens. Il est bon, sans doute, de rappeler cela

à l'opinion publique, même si — et c'est le cas de l'opinion belge — elle n'est pas directement responsable ni même complice de la politique qui fut menée ici, pendant si longtemps

Et puis, quels que soient les motifs de l'émigration, nous avons le devoir de rappeler à l'opinion que les travailleurs qui arrivent chez nous sont des *hommes*. Des hommes qui n'ont pas seulement des devoirs mais aussi des droits ; des hommes qui n'ont pas seulement le souci de gagner de l'argent mais qui ont aussi des préoccupations familiales, sociales, intellectuelles ; des hommes qui n'ont pas seulement besoin d'un logement décent (et nous avons vu que la plupart du temps ils ne l'ont pas) mais qui ont aussi besoin d'un environnement humain qui leur permet de se réaliser sur le plan moral et culturel.

Il faut que nous ayons le courage de dire à l'opinion que les travailleurs algériens séjournant dans notre pays, ont le droit le plus strict de répéter pour eux-mêmes la triple profession de foi formulée par Ibn Badis : « L'Islam est ma religion, l'arabe est ma langue, l'Algérie est ma patrie ». A mon sens, il ne peut y avoir aucune contradiction, aucune incompatibilité entre la volonté d'appliquer cette profession de foi et la nécessité de s'intégrer temporairement dans une communauté de travail étrangère.

Il nous faut aussi, chaque fois que nous en avons l'occasion, rappeler les valeurs de la civilisation arabo-islamique, placer l'Islam sous son jour véritable. Bien entendu ce ne sont pas les journalistes qui peuvent faire l'histoire, ni refaire les traités de philosophie. Mais ils peuvent affirmer clairement que cette histoire a été mal écrite et dire ce que ces traités, trop souvent, avaient de fallacieux.

Je me souviens notamment de ce qui me fut enseigné au sujet de la stérilité de l'Islam en matière scientifique ; au sujet de la contradiction qui aurait existé entre cette religion révélée et le progrès de la connaissance ; au sujet de son obscurantisme même. J'ai compris, depuis lors, qu'on avait essayé de me tromper comme on a voulu tromper des générations d'élèves, en Occident. J'ai compris que l'Islam pouvait être une force libératrice et qu'elle n'a d'ailleurs cessé de l'être. Et ce que j'ai compris, je puis le faire comprendre à d'autres puisque j'ai l'occasion d'écrire et que je fais profession de porter témoignage.

Lorsque l'opinion publique du pays d'accueil comprendra mieux les valeurs culturelles et morales des travailleurs immigrés, beaucoup de malentendus auront disparu et la solidarité entre les hommes, que les nécessités économiques forcent à vivre ensemble, sera évidemment renforcée.

Il appartient encore aux journalistes et à tous ceux qui ont accès aux communications de masse, de dénoncer les abus dont les travailleurs immigrés pourraient être les victimes soit de la part de leurs employeurs, soit de la part des autorités publiques. L'expérience démontre que la dénonciation publique de ces abus est toujours efficace et que, l'opinion publique étant mobilisée, les autorités responsables lui emboîtent le pas. C'est d'ailleurs par des campagnes de ce genre que le journaliste peut aider les travailleurs immigrés à vaincre

le complexe de peur qui les paralyse trop souvent, à rompre le silence qu'ils s'imposent devant les injustices subies, à refuser le système d'exploitation qu'on tente de leur imposer, bref à revendiquer et affirmer leur dignité d'hommes.

La dignité. Je voudrais terminer par ce mot. Ce mot fut trop souvent et trop longtemps absent du vocabulaire de l'immigration. Il faut donc que nous l'y rétablissions. Il s'agit de la dignité des travailleurs immigrés et de leurs familles mais il s'agit aussi de notre dignité.

La dignité d'une civilisation se mesure au sort qu'elle réserve aux autres. La dignité d'une société se mesure au respect, dont elle entoure ceux qu'elle accueille en son sein. La dignité de l'homme se mesure à l'image qu'il se fait d'autrui.

Je considère comme mes frères les travailleurs arabes, immigrés dans mon pays ; et je considère qu'il est de mon devoir de journaliste de l'écrire. Voilà, en toute simplicité, ce que je tenais à vous dire.



**LA SITUATION DES MINORITES ET DES COMMUNAUTES
D'EMIGRATION EN GENERAL ET MUSULMANES
EN PARTICULIER DANS LES DIVERS PAYS DES CINQ
CONTINENTS ET LE DEVOIR DES SAVANTS, PENSEURS
ET HOMMES DES MASS-MEDIA A LEUR EGARD**

Conférence du Dr Abdelkrim SAITO
Professeur d'Economie à l'Université
de Tokyo (Japon)

CHAPITRE I

Prolongement de l'Islam à l'Est

Au Nom de Dieu, Clément et Miséricordieux.

L'Islam n'a pas cessé de se propager à travers le monde depuis sa révélation au Prophète Mohammed que le salut de Dieu soit sur Lui. De la presqu'île arabe qui fut son berceau, il s'étendit à tous les pays arabes, ensuite au Maghreb, Iran, Turquie, Afghanistan, Pakistan, Inde, Birmanie, Thaïlande, Indonésie, Malaisie, Ceylan qui constituent aujourd'hui le monde musulman et enfin en Chine, et en Union Soviétique où il existe un grand nombre de musulmans. En Asie il y a une grande concentration de musulmans à l'ouest, une partie à l'est et une minorité à l'extrême Orient. Il faut entendre par extrême Orient, les Philippines et la Chine y compris Hong Kong, Formose, la Corée et le Japon.

Il n'est pas superflu d'affirmer que l'Islam est la religion de l'égalité entre toutes les classes et toutes les races du monde. Aussi sa propagation et son extension ne se sont pas effectuées partout à travers le monde par la force et l'épée, comme le disent les détracteurs de l'Islam. Au contraire, il a pu rayonner grâce aux principes de fraternité, de paix et d'égalité, qui ont rencontré un écho favorable dans les parties orientales de l'Asie. Il n'y a pas d'armées dépêchées en Chine ou en Russie. Y a-t-il des missions militaires ou politiques qui ont été envoyées en Malaisie, à Sumatra ou à Java pour contraindre ces pays à embrasser l'Islam ?

Il est clair, que les commerçants arabes des pays côtiers comme Hadramaut, le Yémen, Oman etc... ont étendu progressivement et pacifiquement leur négoce jusqu'au Fort « d'Asi » et au nord-ouest de Sumatra. Ils s'y établirent et prirent épouses du pays. Ils construisirent leurs demeures et vécurent avec leurs familles. Leur attachement profond à l'Islam et à ses principes a fait que les autochtones imitèrent leur exemple et embrassèrent leur religion. Alors, l'Islam s'étendit petit à petit à travers l'île, ensuite à Java, à Saïres, à Solo, à Mandana, aux Philippines etc...

CHAPITRE II

Propagation de l'Islam en extrême Orient :

1°) La voie Nord

Le message du Prophète que le salut de Dieu soit sur Lui, a commencé à La Mecque pour se propager ensuite. Quelques années à peine après la mort du Prophète, l'Islam était parvenu en Irak et en Iran (Perse) qui rayonnèrent sous le règne de la dynastie omeyyade, Abbasside et Sassanide. On dit aussi que vingt ans après la mort du Prophète, une mission fut dépêchée à la capitale chinoise. En 711, Mohammed Ibn IBN EL-KASSIM parvint au Suid (Pakistan). En 751 les musulmans d'Asie mineure remportèrent la victoire sur l'armée chinoise et ouvrirent le chemin de la Chine. De là, l'Islam et la civilisation musulmane se propagèrent en Orient par le nord Asiatique. Au 9^{ème} siècle, toute la région du Turkestan était transformée en états musulmans.

Après le 10^{ème} siècle pointèrent de nouveaux états musulmans : Fatimides, Ghaznawides (Khwarezm Shah Ghaznawi) Seldjoukides, Ayoubides, le sultan Mohammed El Gher, en Afghanistan, Kotb Eddine Aybek, l'empire Ottoman et autres. L'Islam se propagea ensuite dans toute la région de la Macédoine et de l'Anatolie en Kurdistan, Adirajan, Perse, Khorassan, Boukhara, Keïfa, Samarcande, Tachkent, Fargana, « Kashgjer » Bloukhistan, Afghanistan, l'Inde, le Bayed, Dacca, Bengale et Cachemire. Il se propagea dans les profondeurs de l'Asie par les montagnes de Tong Chan, le Sahara de Gobi de Mongolie de Mandchourie ensuite aux capitales chinoises.

2°) La voie Sud.

En un laps de temps très court l'Islam se répandit dans toute la presqu'île arabe comme nous l'avons déjà signalé. Ensuite les négociants musulmans des côtes arabes comme le Yémen, Hadramaut, Mascate et Oman se rendirent en Iran au Bloukhistan, au

Sind et à la côte occidentale du sous-continent indien puis se dirigèrent au sommet de ce continent c'est-à-dire Ceylan et les îles Maldives. Ensuite leur commerce s'étendit au delà de l'Océan Indien en Birmanie, Malaisie, Sumatra, Java, Bornéo, Salibès, Solo et enfin aux Philippines (Mandana) ont dit qu'ils sont parvenus jusqu'au Nord de la Chine (Canton)

3°) Propagation de l'Islam en Chine

Il est dit dans un ancien rapport chinois du temps de la dynastie de Tong (651) que la première mission parvenue en Chine est une mission musulmane (Ta'ik) et s'établit au Nord de l'Afghanistan actuel

Plus tard, 36 autres missions furent envoyées des pays musulmans. Elles y arrivèrent par le Nord. Certaines se fixèrent à la capitale « Tchenyen » d'autres à Youang Chou, à Haang Tong ou l'île de Hai Tang. Ces missions s'occupaient généralement de commerce et non de la propagation de la religion à l'instar des missions catholiques. Dans l'état de (Sing) la circulation et les contacts prospéraient entre la Chine et les musulmans par le Nord et le Sud et ce du 10^{ème} au 13^{ème} siècle. Ces musulmans sont les commerçants qui se sont fixés dans les villes suivantes : Haang Tong, « Kayten » et Hong Chou etc... qui étaient généralement des ports ou des comptoirs. Ces négociants musulmans ont entretenu un échange commercial important entre l'Est et l'Ouest, ils prirent contact avec les gens du pays, leurs montrèrent leur mode de vie et leurs enseignèrent l'Islam, cette religion qui est valable en tous temps et en tous lieux

Du temps de « Youen » du 13^{ème} au 14^{ème} siècle les mongols entreprirent plusieurs conquêtes contre les pays musulmans à l'Ouest Asiatique et semèrent la ruine et la désolation. Cependant les conquérants ne tardèrent pas à constituer un empire musulman qui donna lieu à une grande civilisation musulmane. Un grand nombre de musulmans accédèrent aux postes clés en Chine. Avec le temps, un grand nombre de chinois embrassèrent l'Islam. Les gouvernants chinois ont constaté que l'Islam était le moyen privilégié de l'administration et de la politique, c'est la raison pour laquelle, ils adoptèrent à son égard une position tolérante. Toutes les régions occupées par les mongols demeurèrent musulmanes, mais encore, un grand nombre de musulmans se propagèrent à travers la Chine. Le roi Ananda et ses armées embrassèrent l'Islam (leur nombre était de 155 000 soldats).

Sous la dynastie de Mong (1368 - 1643) l'administration et la politique changèrent. Les musulmans subirent l'oppression de cette dynastie et rencontrèrent beaucoup de difficultés. Ils conservèrent néanmoins leur religion en dépit des pressions et des circonstances. Il leur fut interdit d'épouser les femmes des autres nationalités, et obligés de porter la tenue chinoise et de changer leur nom. Malgré cette période difficile ils gardèrent jalousement leur religion, leur foi et leur mode de vie.

Le gouvernement Mong déporta les musulmans vers Samarcande, Hami et Tariaf dans le nord-ouest et dans d'autres régions et étala d'autres populations à leur place. Les musulmans d'origine Turque, Iranienne ou mongole s'intégrèrent dans les communautés

chinoises en dépit des difficultés raciales et linguistiques et constituaient des communautés musulmanes coopérant sous la bannière de l'Islam. Cette oppression gouvernementale n'a fait que renforcer l'unité et la détermination des musulmans. Ils épousèrent des femmes d'autres nationalités et même des chinoises, ils parlèrent le chinois dans la vie quotidienne et portèrent l'habit chinois mais leur mode de vie était purement musulman et leur position à l'égard de l'Islam ne changea point.

Quant vint le règne de la dynastie (Tchang - 641) le nombre des communautés musulmanes augmenta progressivement. A ce moment surgit un autre problème. Il s'agit de l'affrontement des communautés musulmanes avec la communauté nationaliste Hann (institution nationaliste chinoise) qui dégénéra en combats meurtriers. Le règne de la dynastie de Tchang prit fin en 1911 (empereur Hsiaoouan).

Les rapports précisent que le nombre des musulmans atteignait à l'époque 35400 000

En 1961 le rapport public à Babong sous le titre (La revue des communautés en Chine) donne les précisions suivantes sur les communautés musulmanes.

Nom de l'Etat	Année 1953	Année 1957
(Hoi Hoi ? Chinoise)	3.559.300	3.934.335
Vigole ?	3.640.100	3.901.205
Cassagues	509.300	533.160
Toungares	155.700	159.345
Corguis	70.900	68.862
Sarahas	30.600	31.923
Tajakes	14.499	15 014
Ouzdeks	13 600	11 537
Pornels	4.900	5.516
Tartares	6.900	4.371
Total	8.005.799	8.665.288

4^e) Propagation de l'Islam aux Philippines.

Il y eut des vagues musulmanes passant le Sud via les ports côtiers de l'Inde, de Ceylan, de l'île de Maldiv et Sumatra passant ensuite par Malacca en direction de la rive nord de Bornéo ou par Java pour s'établir enfin aux Philippines. Le pays des Philippines est un archipel. L'Islam s'est introduit par l'île de Solo et celle de Mandanao pour se propager finalement dans toute cette région de l'extrême Orient.

Il est dit dans un rapport que Cheikh Makdoud (de Malacca) était un savant et un maître de grande renommée qui a déployé des efforts considérables pour propager l'Islam à Malacca aux environs de 1380. Les plus grands artisans de la propagation de l'Islam aux Philippines furent généralement les commerçants musulmans à l'instar de leurs frères en Chine, viennent ensuite les gouvernants nationaux dans les régions de la mer du nord à l'Est Asiatique qui ont embrassé l'Islam avec leurs peuples, viennent enfin les savants qui se sont déplacés dans ces lieux pour transmettre le message aux infidèles. Il semble que des missions sophistes y furent également envoyées d'Iran.

Cette progression pacifique de l'Islam aux Philippines s'est heurté aux attaques violentes des espagnols au 16^{ème} siècle. Ce fut le commencement d'une guerre de trois cents ans contre le colonialisme espagnol et pour la défense de l'Islam. Durant cette longue période, les musulmans et les non-musulmans subirent de lourdes pertes et combattirent avec courage et héroïsme. Le sultan Soleiman fut rapidement défait par les Espagnols et l'île de Losone tomba entre les mains de l'ennemi. Des combats violents et interminables se déroulèrent dans la partie Sud de Mandanao et de Solo auxquels prirent part le sultan de Solo Benjane, le sultan de Majandana. Débatiane Koudratu, et le sultan de Ramo Wedano Akadir.

Malgré leurs assauts successifs les Espagnols ne réussirent pas à défaire les musulmans philippins. Finalement les Espagnols durent renoncer à leurs ambitions après leur défaite dans la guerre hispano-américaine en 1898. Il n'y eut pas de guerre plus violente et plus atroce dans l'histoire des Philippines que celle engagée contre les Espagnols. Ces hauts faits ne font pas la gloire du seul peuple Philippiin mais celle de tous les musulmans dans le monde. La lumière de l'Islam et de sa civilisation aurait connu des dimensions plus grandes sans cette guerre espagnole.

Les musulmans philippins n'étaient du tout heureux de recevoir les américains après les espagnols, mais ils étaient à bout de force. Pendant la domination américaine les philippins musulmans n'en montrèrent pas une résistance acharnée. Cependant ils durent succomber devant la supériorité numérique et technique des américains. Parmi les chefs qui trouvèrent la mort durant cette période, citons Dato Ali en 1903, Djikiri en 1909, Dato Amila Bardid en 1909, Dato Ambos Najus en 1911, Neguis Emir en 1913 et Saipol Bengala Sir en 1914. C'est alors que les musulmans tombèrent sous l'administration américaine et sous l'influence catholique après leur situation se dégradait petit à petit.

En 1945 les Philippines accédèrent à l'indépendance à l'issue de la seconde guerre mondiale. Les musulmans Philippines prirent aussitôt contact avec leurs frères musulmans dans le monde et commencèrent à s'éveiller.

En 1950 un groupe de messagers pakistanais visitaient les Philippines ainsi que Cheikh Chelout Cheikh de la Mosquée El-Azhar et bien d'autres. Les Philippines reçurent l'assistance financière et spirituelle du Caire, de La Mecque, de Djakarta, de Libye, de Corée etc... Ils fréquentèrent également l'Indonésie, la Malaisie, Hong Kong, le Japon, la Corée etc... L'avenir des musulmans Philippines s'annonce très bien. Nous assistons malheureusement aujourd'hui à des affrontements sanglants entre nos frères musulmans et les communautés chrétiennes assistées par les autorités administratives actuelles. Le nombre des victimes des affrontements de 1971 s'élève à plus de 1 000 selon le rapport du gouvernement Philippin.

De six villes à l'Est de San Bwanga il ne reste que des décombres. Le nombre des réfugiés a atteint 213 135. Ce rapport a été établi durant les deux premières semaines de mars 1973. La raison de cet affrontement citée dans ce rapport, est le mauvais traitement y compris la saisie des armes et des terres que les musulmans ont prises dans les régions musulmanes. Les bandits chrétiens nommés (Iraja) attaquèrent les musulmans, ces derniers s'organisèrent en groupes d'auto-défense. Les groupes musulmans étaient dirigés par le professeur Nour Meswali de l'Université des Philippines. Les combats s'étendirent à Koutabatu, San Bwanga, Libenjane, Basilane, Hulu et à d'autres localités de l'île de Solo.

Cette situation dramatique des musulmans Philippines ne manqua pas de soulever la réaction des musulmans dans le monde. En janvier 1973 une mission a été dépêchée aux Philippines composée des représentants de l'Afghanistan, du Bengale, de la Somalie et de l'Arabie Séoudite. Mais la tension et la pression persistent, et les musulmans sont soumis au massacre à l'instar de leurs frères en Palestine. Le président Marcos a reconnu lui-même qu'il y avait plus d'un million de réfugiés.

C'est une honte pour l'humanité, C'est là un problème sur lequel nous ne devons pas transiger. Nous devons exiger que soient reconnus les droits humanitaires pour nos frères Philippines.

- 1°) - Cesse les opérations de l'armée et de la police
- 2°) - Instaure le calme entre les deux parties
- 3°) - Abolisse les privilèges accordés exclusivement aux non-musulmans.
- 4°) - Accorde le droit de la propriété de la terre aux musulmans.
- 5°) - Améliore le système de l'enseignement dispensé aux enfants musulmans
- 6°) - Assiste les chômeurs et les sans emploi musulmans.
- 7°) - Installe des hôpitaux et des dispensaires dans les régions musulmanes
- 8°) - Permette aux musulmans Philippines les contacts avec leur frères à l'étranger

Nous devons tendre la main au plus tôt à nos frères musulmans Philippins qui sont au nombre de trois millions.

5°) Propagation de l'Islam en Corée

La propagation de l'Islam en Corée n'a pas encore atteint le niveau souhaité comme c'est le cas au Japon. Nous ne pouvons dire exactement comment l'Islam s'est-il introduit en Corée. Il est fort possible que le contact eut lieu par les routes du Nord sous la dynastie chinoise de Youen.

En 1950, à la suite de la guerre de Corée, il y eut des soldats turcs des forces des Nations-unies, ces soldats musulmans se comportaient comme tels et ne manquèrent pas d'influencer et d'attirer à l'Islam bon nombre de Coréens. Après les Turcs ce furent, les Pakistanaï, les Malaisiens, les Séoudiens, et les Afghans qui vinrent rejoindre les quelques milliers de Coréens nouvellement convertis à l'Islam au Sud de la Corée. Le nom de Hadj Sabri Sos président de l'Union des musulmans Coréens demeure dans l'histoire de la propagation de l'Islam en Corée, comme une illustre figure. Une première mosquée est en voie d'achèvement à Séoul grâce aux efforts de Dato Ibrahim Sakaf (Singapour) et Moulana Seid Djemil (Pakistan). Nous ne possédons aucune information à l'heure actuelle sur les musulmans de la Corée du Nord.

6°) L'Islam à Hong Kong (supprimé).

7°) L'Islam à Formose (supprimé)

L'Islam au Japon

La liaison entre le Japon et la Chine a effectivement existé depuis le siècle cie (Tang 618-957) lorsque apparut la première mission islamique en Chine. Mais aucune introduction de l'Islam au Japon ne s'est faite à partir de la Chine, ni par la mer. Depuis cette époque jusqu'au 16^{me} siècle les relations entre les deux pays n'étaient guère étroites en raison des obstacles naturels et du comportement inamical de la dynastie de Youen à l'égard des musulmans. Au 16^{me} siècle, les navigateurs européens s'orientèrent vers l'Orient. Mais la politique du gouvernement japonais qui a consisté à former les frontières de 1639 à 1853 n'a pas permis à l'Islam de s'introduire dans ce pays.

En 1688 sous le règne de l'empereur Miiji, les frontières s'ouvrirent et la civilisation occidentale pénétra le pays et avec l'Islam à travers les œuvres des européens non musulmans. En 1875 fut éditée une œuvre traduite de l'anglais vers le japonais et ayant pour titre : « La vie du Prophète Mohammed ». Ce fut être là la première œuvre parue au Japon sur l'Islam. En 1890 arriva au Japon une délégation d'amitié de l'empire Ottoman. Ce fut là également le premier contact avec un pays musulman. En 1895 après la guerre

sino-japonaise, B. Arija embrassa l'Islam, ce fut le premier musulman japonais. En 1909 K. Yamaoka effectua le pèlerinage aux lieux saints avec Hadj Abderrachid Ibrahim Turki et éditait son œuvre : « Le pèlerinage à La Mecque ». En 1917 A. Tanaka effectuait le pèlerinage et ramena trois musulmans turcs avec lui. En 1909 des milliers de musulmans Turcs de Russie se réfugièrent en Mandchourie puis au Japon où ils bénéficièrent du statut de réfugiés. Ils exercèrent leur culte en toute liberté. Leurs œuvres sur l'Islam ont été conservées. Des œuvres ont également été publiées en japonais telles que « La force de l'Islam » de Yamaoka et « L'action des musulmans et l'avenir de l'Asie » de Atanab et « La vie de Mohammed » de Sakamoto, « L'histoire de l'Islam contemporain » de Kuwa et « Etudes sur les musulmans de Chine » de Dazai. Mais seule une minorité infime embrassa l'Islam parce que les auteurs de ces œuvres étaient dans la plupart des cas des non musulmans.

Pendant que beaucoup de pays musulmans se trouvaient encore sous le joug colonial européen, des pays comme la Turquie, l'Iran, l'Afghanistan échangeaient la représentation diplomatique avec le Japon. En 1933 fut fondée l'association de la civilisation musulmane à Tokyo. En 1935 fut édifée la première mosquée à « Konbi » par les commerçants musulmans étrangers. De même que certains jeunes japonais se rendirent en pèlerinage.

Le 12 mai 1938 la mosquée de Tokyo fut inaugurée et assistèrent à la cérémonie, l'Emir Seif El-Islam Hussein du Yémen, Abdelwahab Daoud d'Egypte, Cheikh Wahba de l'Arabie Saoudite et beaucoup d'autres invités du monde arabo-musulman. La présidence honorifique de cette inauguration fut confiée à l'Imam Mufti Abderrachid Ibrahim. Trois ans après cette cérémonie, ce fut la guerre américano-japonaise dans le Pacifique. Suite à cette guerre beaucoup de pays asiatiques accédèrent à l'indépendance. Durant cette guerre un grand nombre de soldats japonais embrassèrent l'Islam de peux leurs contacts avec les musulmans. Certains l'ont fait par conviction et sont demeurés musulmans, d'autres l'ont fait pour des raisons militaires ou politiques et qui ont disparu après la guerre. Le mouvement islamique a commencé au Japon après la défaite de l'empire nippon sans aide ni encouragement d'aucune autorité sinon par l'action des musulmans eux-mêmes.

En 1952 fut créée l'association des musulmans de Tokyo avec à sa présidence Monsieur Sadek AMAIZOUNI. Cette association est dénommée « Association des Musulmans Japonais ». Le statut légal d'association lui a été reconnu en 1968.

1°) Position actuelle de l'Islam au Japon (sera développé plus loin).

2°) Activités actuelles de l'association (idem).

3°) Les Japonais et leur attitude vis à vis de la religion (idem).

CHAPITRE III

Propagation de l'Islam dans les régions à minorités musulmanes et rôle des penseurs islamistes.

Je voudrais parler de la propension de l'Islam, de son renforcement et de l'Union entre les communautés musulmanes dans les pays à minorités musulmanes et plus particulièrement au Japon où tout espoir de propagation est exclu.

1) De la propagation du message islamique :

Chaque musulman est tenu de communiquer partout le message islamique. Cette communication est le devoir de chaque musulman quelque soit sa nationalité, son âge, sa position, son sexe et sa capacité intellectuelle et financière. Il peut agir seul ou en groupes, par le biais d'associations, d'organisations, d'unions, organisations de femmes, de jeunesse, de travailleurs, d'enseignants, d'étudiants etc...

En un mot chaque musulman est responsable devant Dieu de la communication du message islamique.

2) Le principe islamique doit être la devise de la communication du message. Chaque messageur devra œuvrer avec une foi inébranlable en l'Islam qu'est la seule religion capable de résoudre les problèmes de notre monde et d'instaurer la paix véritable. Il doit servir d'exemple dans son comportement et dans ses actes et s'inspirer dans toutes ses actions de la vie du Prophète.

3) De l'objet de la communication :

La communication doit s'adresser à tous et spécialement aux pauvres, aux déshérités, aux malades, à la jeunesse, aux élèves, aux étudiants et surtout aux étudiants des langues orientales et de l'histoire, aux veuves, aux proches, aux connaissances personnelles.

4) Méthodes de communication :

a) *Par le dialogue :* C'est une méthode familière et influente, on peut rendre visite au récepteur du message, chez lui, ou dans son lieu de travail, comme on peut l'inviter chez soi.

b) *Par les conférences ou les réunions d'explication :* De telles conférences et réunions doivent être organisées et auxquelles seront conviées les personnes pour lesquelles

la communication est destinée. Ces personnes peuvent être invitées dans une salle publique, dans une école, cercle, société, hôpital ou dans un lieu de prière. La mosquée est le lieu le mieux indiqué.

c) *Par la radio, la T.V. et le cinéma.*

d) *Par l'édition :* Edition de livrets, de journaux, de revues hebdomadaires et périodiques ou des manuels scolaires.

e) *Meetings populaires*

f) *Coopération des musulmans étrangers au Japon .*

Les savants étrangers, les diplomates, les hommes d'affaires, les étudiants, doivent participer à des voyages de groupes pour activer le mouvement de communication à travers le pays.

g) L'envoi d'étudiants musulmans dans les pays musulmans pour étudier l'Islam. Il y a actuellement des étudiants japonais qui étudient en Egypte (El-Azhar - Université du Caire Université Ain Chems) en Indonésie, en Arabie Saoudite, en Libye, au Pakistan et en Iran, et peut être prochainement en Algérie, au Maroc et en Tunisie, ce dernier pays a effectivement demandé à recevoir des étudiants japonais.

h) La mise à profit des étudiants qui sortent des universités des pays musulmans. Il existe actuellement un bon nombre de jeunes étudiants japonais musulmans qui ont étudié dans les pays musulmans et après leur retour au Japon travaillent dans l'enseignement et autres secteurs. Ce sont ces jeunes que nous voulons mobiliser partiellement ou totalement dans le mouvement islamique.

i) *Bâtiment pour les activités islamiques :* Il est indispensable de posséder un bâtiment ou un siège pour le mouvement islamique pour y entreprendre ses actions et aider à l'Union des musulmans.

j) *Ouverture d'un centre islamique dans la capitale japonaise :* Le centre est le siège essentiel pour la réunion des musulmans. Il peut également servir pour un lieu de prière et de contacts divers (réunions - conférences - lecture). Il peut même comporter des chambres d'invités. En un mot le siège constituera un état islamique en miniature.

k) *Ouverture d'un lieu de prière :* Pour le repos des fidèles et la réunion des musulmans qui habitent loin de la mosquée de Tokyo, de Kondi ou du centre islamique envisagé. Ces lieux de prière doivent être édifiés un peu partout comme Tokushima, Sanda et Fokoka.

l) *Ouverture d'une médersa* : Pour l'enseignement de la religion musulmane et autres disciplines linguistiques et culturelles.

m) *Ouverture d'une classe de langue arabe* : La langue arabe est la langue du Coran, aussi une telle classe est indispensable, qu'elle soit dans le centre, dans le lieu de prière ou dans une autre salle appropriée.

n) *Ouverture d'un dispensaire* : A l'usage des malades, des orphelins et des veuves etc.

o) *Budget de cette entreprise* : Dans les pays à minorités musulmanes, les musulmans connaissent un grand déficit dans le budget consacré à la communication du message islamique. Les musulmans ne sont généralement pas riches, même au Japon qui a atteint un grand progrès industriel.

a) Nous devons aider les musulmans ou les sociétés musulmanes pour accroître leurs activités dans le domaine commercial et financier, et à installer des sociétés et des bureaux d'affaires à l'étranger. De la sorte, elles pourront aisément contribuer au budget.

b) Contribution financière des pays musulmans.

c) Acceptation des dons volontaires provenant des sociétés japonaises non musulmanes ou des personnes sympathisantes.

d) Nous pouvons jouer le rôle d'intermédiaires et de courtiers entre les sociétés commerciales japonaises et les pays musulmans moyennant une commission.

7*) CONCLUSION.

Comme je l'ai signalé plus haut, le Japon avait fermé ses frontières pendant environ 3 siècles pour empêcher les missions catholiques d'y pénétrer, sachant pertinemment que ces missions avaient un autre but que celui de provoquer les troubles politiques. Si l'Islam s'était introduit au Japon à l'époque, il aurait été reçu à bras ouvert, car les japonais savent que l'Islam n'a aucune ambition politique ou d'hégémonie. La liberté du culte est reconnue dans la constitution japonaise. Il n'y a donc aucun préjugé à l'égard d'aucune religion. Malgré cela nous constatons un certain parti pris en défaveur de l'Islam que l'on traite comme étant la religion des déserts, ou que les musulmans pratiquent la polygamie. C'est certes l'œuvre des détracteurs mal intentionnés. Nos frères des pays musulmans doivent faire montre de vigilance à l'égard de ces colonnies. Nous devons œuvrer ensemble pour éliminer ce parti pris des cœurs des japonais, et pour faire face à toutes les attaques dirigées contre l'Islam. A cet effet nous devons créer un institut d'études islamiques avec les spécialistes des pays musulmans et les musulmans japonais.

Certains savants musulmans qui enseignent dans les universités européennes et au Canada donnent des conférences sur l'Islam non dans le but de la répandre ni de lui faire la publicité

Par contre, au Japon, les professeurs qui enseignent l'histoire ou les langues orientales ne nourrissent aucune mauvaise foi à l'encontre de l'Islam. Aussi devons-nous conserver de bons rapports avec ces savants et ces professeurs. L'esprit japonais est beaucoup réceptif à l'Islam que l'esprit catholique européen.

Si nous tentons de résoudre leurs problèmes, et de concilier entre le mode de vie musulman et leur propre mode de vie, ils admettront facilement l'Islam.

Un autre problème se pose à savoir comment faire pour permettre aux musulmans de demeurer fermement attachés à leurs croyances dans les pays à majorités musulmanes comme le Japon, où la communauté musulmane est faible et ne dispose pas de tous les moyens. De plus, ils vivent dans un milieu non musulman où les interdits sont commis dans la voie publique et dans les foyers. Devant cette pression et dans ces conditions, la nécessité d'un centre islamique se fait sentir avec acuité en vue de préserver les musulmans et de donner une éducation islamique à tous les membres de la famille de façon à préparer des épouses honnêtes et fidèles aux musulmans et afin que leurs enfants soient légitimes. Ainsi les musulmans acquerront le nombre et la force.



**ROLE DU PENSEUR A TRAVERS LES AGES,
ET PARTICULIEREMENT AUJOURD'HUI, DANS SA NATION
ET A L'EGARD DE L'HUMANITE, DE SES PROBLEMES
DE L'HEURE ET SES PERSPECTIVES D'AVENIR**

Conférence du Dr Mohammed Aziz LAHBABI (Maroc)
Philosophe, Conseiller au Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la recherche Scientifique

1. Qui boit le vent, le soleil ne le rassasie point.

La carte du Tiers Monde, et en particulier celle du monde arabo-musulman, est une carte encadrée par la luminosité et la douce chaleur du soleil. Mais les coups de soleil peuvent provoquer la mort si le crâne ne protège que le vide. Le soleil vivifie ceux qui savent s'adapter à lui et détruit les autres, les fainéants, les indifférents. Il y a deux sortes d'hommes, le premier est convaincu de la nécessité de s'adapter au monde et, engage tous ses efforts en vue de cette adaptation ; le second, lui, reste hors-jeu et se réfugie dans le laisser-aller ; mais les deux sont également responsables, car la vie de l'homme est, par essence, responsabilité. L'individu doit rendre compte de ses actes et des résultats de chacun de ses actes, devant sa conscience, devant la société, et devant la loi. La différence entre les individus moralement et socialement vient du niveau de la prise de conscience qu'ils ont de cette responsabilité et du degré de dévouement en l'assumant.

L'expression arabe « al-khâssa wal-âmma » (= l'élite et la masse) explicite bien la différence précédente : tout le monde est responsable, néanmoins l'élite est plus apte à comprendre la responsabilité, à la faire comprendre et à en assumer et exercer le contrôle des applications. Quant à ceux qui font partie de la masse, ils sont, eux aussi, responsables, mais avec cette restriction : ils ne disposent point de possibilité intellectuelle qui leurs permettrait de contrôler la marche des responsabilités et son exécution, c'est-à-dire qu'ils n'ont pas les moyens nécessaires de prendre conscience, en connaissance de cause, et avec la lucidité requise. Dès lors, ils sont incapables de jouer pleinement le rôle de censeurs et transformateurs, de la société.

Il nous semble que responsabilité ainsi comprise correspond à ce que le Coran appelle « amîna » :

« Nous avons proposé la confiance aux cieux, à la terre et aux montagnes. Ils ont refusé de s'en charger et s'en sont effrayés, alors que l'homme s'en est chargé » (1).

(1) Coran 53, 72

Si l'homme n'avait pas accepté de porter « al-amîna », il n'aurait pas mérité d'être choisi par Dieu comme son Lieutenant sur cette terre qu'il a soumise à sa tutelle et où il lui a donné le droit de la transformer, de la faire évoluer (2).

Al-amîna est exaltante cependant ses conséquences ne sont de tout repos. C'est pourquoi il est nécessaire que l'homme s'arme de tous les possibles dont il peut disposer et de toute son énergie.

C'est ici qu'intervient le penseur pour aider à illucider les données naturelles et les données humaines en vue de les investir pour en tirer le meilleur rendement. La pensée, c'est ce qui donne sens et contenu aux acquisitions. Ce sont des opérations qui s'accomplissent sous diverses formes et passent par différentes phases. D'abord, le penseur commence par diagnostiquer les situations en mettant en relief les inconvénients que comportent les acquisitions nouvelles ; il se met ensuite à l'écoute de tout ce qui, dans l'héritage nationale et l'héritage humain, sent la vieillesse.

En deuxième phase, le penseur s'efforce à inciter aux initiatives qui s'imposent pour surmonter les obstacles. Aussi, le rôle primordial du penseur est-il d'expliquer les problèmes et d'aider à trouver les solutions urgentes qui s'imposent, participant ainsi de façon effective à préparer l'affrontement des problèmes que pose la construction de l'avenir.

En ce qui concerne la culture, on peut la définir comme étant l'ensemble des moyens scientifiques et techniques par lesquels se forme l'outillage, mental et le cadre historique pour toute acquisition sociale ou toute connaissance. La culture fournit les données qui permettent à la pensée de saisir et d'interpréter des événements, à comprendre les moments de transitions et à les orienter en s'efforçant de leur trouver des solutions provisoires dans l'attente des états qui adhèrent mieux au déterminisme. Ce qui précède et ce qui suit, ce qui est et ce qui est prévisible, ce qui est entrain de s'effectuer, tout cela, ce sont des formes du mouvement dans son développement et ses changements, visant au perfectionnement. L'immobilité, la stabilité, contrarient les phénomènes de la vie. Les cultures nationales alimentent la civilisation humaine, et celle-ci est le devenir dont se tisse l'histoire dans ses bonds vers l'avant ou ses marches à reculons. En effet, jamais, l'histoire ne connaît de position couchée ou assise, voire de stabilité même debout. L'élément vital du devenir, c'est bien le changement dans tous les domaines de la vie, de production et de consommation et leurs influences sur les modalités de la pensée et du comportement des individus et des peuples.

C'est pourquoi nous ne pouvons prétendre avoir une véritable culture que si elle alimente une pensée agissante qui s'enracine dans la vie sociale, autant politique qu'économique ou morale... La culture est une présence qui s'actualise sans cesse dans la société. C'est l'ensemble des différentes luttes qu'engage l'ensemble des personnes en vue de changer en mieux les qualités de la vie, et en vue de diffuser équitablement les acquisitions

(2) En ce qui concerne cette hegemonie de l'homme dans le monde, voir le Livre : 24, 25-2, 26-36, 29-10, 14-23, 77

morales, scientifiques et techniques parmi tous les peuples et toutes les couches sociales. Le but des invasions et des découvertes est de réaliser pour chacun la satisfaction de ses besoins essentiels, de justice, de liberté et de vie matérielle décente.

A partir de « culture » ainsi définie nous pouvons affirmer que la pensée s'appuie sur l'histoire mais le penseur ne fait pas d'investigations dans le passé, pour le passé en soi. Il cherche dans le passé ce qui pourrait aider à promouvoir de nouveaux aspects de la civilisation. En d'autres termes : le penseur cherche à orienter toutes les facultés et les potentialités d'une société vers un meilleur lendemain. C'est pourquoi la culture d'un penseur ne s'identifie pas intégralement à sa connaissance historique.

Le penseur « ne conjugue pas » sa culture dans le « passé » mais dans le « mudâti » (3). Précisons, toutefois, que culture et histoire n'entrent pas en conflit, au contraire. Seulement, si l'histoire cherche les richesses qu'il y a dans le passé d'une nation pour gloire nationale, la vraie culture cherche, elle, les aspects révolutionnaires qu'il y a dans le présent et l'avenir afin de mobiliser toutes les énergies humaines et de les faire fructifier au profit commun. Que la culture précède et prépare une transformation sociale, ou l'accompagne et l'inspire, ou vient après pour l'explicitier et la rendre claire. Dans tous les cas la culture est toujours nécessaire. Une société sans culture est une société figée, morte, ou moribonde ; de même une culture sans pensée pour l'inspirer et lui ouvrir de nouveaux horizons et lui donner de nouveaux souffles, devient culture de mythes, mystifications de toutes sortes de drogues mentales.

2. Le « Non » qui instaura l'inauthenticité

La question qui se pose pour nous maintenant est la suivante :

Est-ce que « culture », dans le sens précédent, s'applique à la culture arabo-musulmane d'aujourd'hui ?

Par respect pour le réel la réponse, bien que douloureuse, est : *Non*.

Certes, nous avons des hommes de grande culture, conscients de leur responsabilité, malheureusement ils ne représentent d'une infime minorité et, malgré leur nombre si réduit, ils se trouvent entourés par l'incompréhension et même par l'hostilité d'autres hommes de culture. Chez certains, cette hostilité se transforme parfois en jalousie et en sournoise agressivité au point de dresser des pièges aux minoritaires.

Ces milieux hostiles sont de trois sortes :

Il y a d'abord ceux qu'on peut appeler les « portefaix de la culture » qui font penser à cet animal auquel fait allusion le Coran (4).

(3) La modélité verbale qui exprime, en grammaire arabe, à la fois le présent et le futur.

(4) Coran, 5, 10.

Ils ont une mémoire surchargée par de cocktails de connaissances variées et mêlées pêle-mêle et ayant parfois une certaine odeur omeïade, ou barboite ou andalouse... Mais rien n'y rappelle le XX^e siècle. Ils ne manquent pas d'un certain attrait mais cependant ce qui les caractérise le plus c'est leur inefficacité et incontemporanéité. Les intellectuels de ce premier genre semblent en ignorer le sens-avant, leur regard est toujours fixé sur l'arrière. Dans l'idée « transcendantale » qu'elle se fait d'elle-même, cette caste aristocratique, détachée du temps et du lieu, rappelle la situation de certains soufis (mystiques). L'un d'eux, Assah Ibn Abdellah affirme : « La fréquentation de l'homme sain aux autres hommes est un déshonneur et son éloignement d'eux est un bien, j'ai rarement vu un Saint qui ne vit pas seul ». On rapporte un autre soufi Ibrahim Ibn Adh, fermait sa porte de l'extérieur de manière que personne ne pût lui rendre visite.

C'est là un choix prémédité de la solitude en tant que principe et pratique. Bien entendu, ce choix est fait au détriment de l'action, de la raison, des intérêts publics et de la solidarité sociale, ce qui est contraire à l'esprit coranique :

« Par l'instant ! Oui l'homme est en perdition, à l'exception de ceux qui croient et accomplissent des œuvres bonnes » (5).

La foi est donc associée intimement à l'action et « les œuvres bonnes », ici n'est pas nécessairement du seul point de vue culturel et rituel, mais englobe toute activité qui vise à l'accomplissement du bien.

Si, dans une société toutes les gens choisissent l'isolement et la solitude, la vie dans tous les domaines s'arrêterait, et les premiers victimes de la situation qui en résulterait, seraient les non-actifs, les parasites sociaux, quelques soient la qualité et la quantité de leurs prières et de leurs invocations. En effet, si comme dit le Coran :

« La prière éloigne l'homme de la turpitude et des actions blâmables » (6). Y-a-t-il acte plus blâmable que de s'abstenir à accomplir les devoirs envers soi, le prochain est la société ? L'histoire n'a gardé le nom d'aucun réformateur qui ait transformé le cours des événements de son époque en égrenant son chapelet dans la solitude ou par la contemplation à l'ombre des alcôves... Au contraire, si tous les citoyens prenaient la décision de pratiquer l'ascétisme, « La vie pratique cesserait, et par là tout le monde périrait, y compris les ascètes... » (7).

Le deuxième genre d'intellectuels consiste ce qu'on pourrait appeler « Les mercenaires de la culture ». Ils vivent de la culture, ou du moins de ce qu'ils croient être une culture. Parmi eux on trouve l'enseignant, l'éditeur, l'ondateur des diverses circonstances, le journaliste prodigue qui écrit sur tout, le speaker des radios et télévisions qui parle de ce qu'il sait mais souvent de ce qu'il ignore...

(5) Coran 103. 1.

(6) 28. 42.

(7) Abû-Hamid El-Ghazali, 1198.

Nous menons hélas, une vie falsifiée, de mauvaise foi. A force de nous comporter ainsi, nous sommes devenus incapables d'y voir clair en nous, l'inauthentique s'est installé parmi nous comme une nouvelle nature. Il n'est donc point surprenant qu'un professeur entre dans une salle de cours, « décharge » une partie de son bagage « culturel » et rentre chez lui comme un quidsam qui se rend au marché exposer ses bottes de navets ou de carottes, ou tous autres produits usuels. D'ailleurs, la culture s'est bien transformée en « marchandise », seulement c'est une marchandise à l'usage des privilégiés matériellement. Souvent cette marchandise est exploitée au profit des groupes de pressions en vigueur, qui font des « mercenaires » de haut-parleurs dont ils se servent et méprisent à la fois.

Dans cette catégorie de mercenaires de la culture, il y a plusieurs modèles que nos frères ont connus, nombrés et décrits. Parmi ceux qui en ont parlé en termes critiques et lucides, il y a Ibn Khaldoun des *Prolegomènes* et Abou Hamid Al Ghazali dans son *Ibda*.

Nous en arrivons maintenant à la troisième catégorie des intellectuels. Ils forment ce que nous sommes tentés d'appeler « les intellectuels égoïstes ». Ils trouvent dans la culture, des distractions et s'y attachent comme ils s'attachent à leurs cigarettes ou aux jeux de cartes. Pour eux, la culture satisfait un penchant individuel ; elle n'a aucune dimension sociale et ressemble aux épices qu'on ajoute aux aliments. Ces intellectuels-là vivent dans la société en « pique-assiettes », au lieu de participer à la transformation du travail et des modes de vie, de coexister avec leur milieu et d'essayer d'en diagnostiquer les maux pour l'en guérir.

Ici aussi une comparaison avec certains soufis pourrait se faire. Nous lisons chez l'un d'eux : « Celui qui veut sauver ses croyances et épargner son corps et son cœur ne doit pas fréquenter les gens, car cette époque est une époque d'ennuis et de terreurs. L'homme raisonnable est celui qui choisit la solitude ».

Toutes les époques connaissent des ennuis et des moments terrifiants, elles connaissent aussi des gens qui apprécient mieux l'oisiveté et la solitude que l'action ; ces gens ne sont utiles à personne, mais tout le monde est à leur service.

Suffit-il de dire « non » aux ennuis du monde pour qu'ils disparaissent ? Le « non » n'est point une baguette magique ! Préférer la solitude c'est refuser le monde, et ce refus plonge les épris dans un renfermement continu.

Vouloir échapper aux problèmes par leur oubli ou en les niant vient toujours d'un derviche fiouardi ou d'un tartuffe, peu doué. Dans les deux cas c'est une révolte négative qui se dégage du refus du monde et de ses problèmes. Cette révolte signifie que le « révolté passif » est incapable d'assumer la « amāna », qu'il n'est pas digne d'être un « khalif » de Dieu, car la dignité s'incarne dans la responsabilité et dans les sacrifices qu'on consent à accepter pour s'acquitter de ses devoirs.

Puisque la responsabilité est la caractéristique foncière de l'homme ; celle qui lui assure la noble dignité parmi les autres êtres, nous nous demandons ce que seront la position

sociale et le statut ontologique de ceux qui refusent le monde et ses problèmes ? Si le jour du déluge, Noé s'était réfugié dans la solitude, il aurait été un traître envers les espèces vivantes et envers Dieu qui lui en a confié la charge. De même, si la solitude était normale, Dieu nous aurait laissés dans les ventres des mamans. Il aurait même supprimé les matrices et les mères. C'est à ceux qui prêchent la solitude que le Coran semble s'adresser dans le verset suivant : « Ne parcourent-ils pas la terre ? N'ont-ils pas des cœurs qui comprennent et des oreilles qui entendent ? Non, ce ne sont pas les yeux qui sont aveugles, mais ce sont les cœurs dans les poitrines qui sont aveugles » (8).

Ce sont là trois catégories de nos hommes de culture. Nous ne les jugeons pas, nous cherchons tout simplement, à déduire les résultats, négatifs et positifs, de leurs actions dans la cité arabo-musulmane. Nous n'avons pas refusé l'une ou l'autre catégorie ; elles existent en fait et jouissent du droit et de la liberté de défendre leurs points de vue. Mais nous, les peuples, avons choisi le même droit et la même liberté de refuser ce qui nous semble un mauvais investissement de la pensée. La culture est un patrimoine vivant, commun, et le temps nous échappe, le temps n'attend pas que la culture des « portatifs » sorte de son anarchie, que la « culture » des mercenaires abandonne son exploitation privée, et la culture des parasites son égocentrisme.

3 *Islam n'est pas fuite du monde.*

Les trois catégories de culture coexistent et conspirent spontanément, inconsciemment contre le monde arabo-musulman, parce qu'elles représentent et questionnent la falsification du réel. Nous avons des universités, des milliers et milliers de savants, de professeurs, de médecins, nous avons un nombre incalculable d'hommes de lettres et de journalistes... Et, malgré tout cela, où en sommes-nous par rapport à ce que nous aurions dû être ?

Où bien, nous sommes des inconscients incapables de bien réfléchir et analyser nos situations, de dégager des lignes de force de ce que nous avons été et de ce que nous sommes aujourd'hui, incapables de nous comparer à d'autres nations, d'Orient et d'Occident ; ou bien des préoccupations individualistes distraient nos penseurs de leurs devoirs. Seule une culture engagée peut alimenter utilement une pensée progressiste. Les autres espèces de culture ne sont que des marchandises pour la consommation élémentaire, pour les loisirs (remplir le vide et tuer le temps), ou pour l'ostentation. Ce sont des marchandises soumises à la loi du marché de l'offre et de la demande, comme n'importe quelle autre matière de consommation courante dans les régimes de la libre entreprise. S'il nous était permis d'emprunter une comparaison assez audacieuse à Abou Hâmid El-Ghazali, nous dirions : La culture non engagée ressemble à la nourriture : « Il n'y a pas de différence entre l'absorption de la nourriture dans le ventre et le fait de la sortir du ventre. Ce sont deux opérations nécessaires au corps. Celui dont toutes les préoccupations sont centrées sur ce qui entre dans son ventre, sa valeur intrinsèque équivaut à ce qui en sort » (*El-Ibâd*)

(8) Coran, 21, 46.

Il serait exagérément inexact de soutenir que le monde arabo-musulman n'a pas d'intellectuels conscients. Ils existent, et parmi eux, il y a des gens bien cultivés, remarquables. Toutefois, leur existence est une présence dans un réceptacle spatial, sans poids ni consistance temporels. Cela veut dire qu'il s'agit d'une existence sans mouvement, comme certains ustensiles en métal précieux qu'on accroche sur le mur et qui, en dehors de l'intérêt ornemental ne représentent aucun intérêt pratique. L'immobilité engendre l'insularité. Malgré le nombre restreint de nos intellectuels, par rapport à plus de sept cent millions de musulmans dans le monde, ils choisissent, en majorité, la Tour d'ivoire.

A quoi donc attribuer cette attitude ? Notre intellectuel manque de courage, comme il manque de biens d'autres vertus que nous aimerions bien signaler brièvement ici.

Nous avons déjà vu que ce qui caractérise l'homme parmi les autres créatures c'est, d'abord et avant tout, le sens de la responsabilité, la suprême « amâna ». Et nous savons tous que répondre de ses actes c'est s'engager, et qu'accepter un engagement c'est, implicitement et explicitement, les sacrifices qu'implique. C'est une aventure continue qui met en jeu notre tranquillité et nos intérêts. En un terme islamique, nous dirions que la culture est un « djihad », c'est-à-dire des efforts orientés vers des buts qui nous dépassent : un combat pour des fins supérieures. Dans un hadith, le Prophète de l'Islam déclare que « le meilleur des djihad c'est de dire la vérité devant un tyran ». Quels sont les penseurs musulmans qui s'engagent aujourd'hui selon la logique d'un tel djihad ?

Sans un tel djihad, la culture ne saurait devenir une critique constructive, éclairant les chemins de la vie quotidienne, les racines dans la société actuelle et les branches tendues vers l'avenir.

L'intellectuel chez nous a peur de faire les critiques préférant la complaisance à l'affrontement ; il a ainsi peur d'être critiqué parce qu'il ne veut se voir comme le voient les autres et comme il est en fait. Nous sommes hostiles à l'auto-critique.

Le deuxième point faible chez nos hommes de culture, c'est qu'ils s'accrochent au silence et de la soumission au lieu de prendre les positions que leur imposent leurs rangs dans la cité, et leur rôle d'orientateurs, de conseillers, de censeurs, de « muhtasib ».

Bien sûr, on ne saurait exiger de tout le monde d'assumer le rôle de réformateur à l'échelle de toute la communauté. Bien sûr tout le monde est tenu d'accomplir « le امر بالمعروف... » (La commanderie du bien et l'interdiction du mal). C'est un devoir absolu pour chaque musulman ou chaque musulmane, cependant, c'est un devoir dont l'intensité est relative au degré de clarté que chacun de nous s'en fait. Nous ne pouvons pas discerner tous, avec autant de profondeur, entre le bien et le mal, entre le bon et le mauvais, entre ce qui est possible et ce qui est impossible, ce qui est naturel et rationnel et ce qui est contre la nature, la logique et la raison. Le penseur, l'homme de culture en général, est celui qui saute les contradictions et arrive à les surmonter de façon méthodique, faisant triompher l'utile sur l'inutile, le bon sur le mauvais.

L'Islam nous fournit des modèles exemplaires à suivre. Ce sont les Prophètes. Ainsi, la mission de Mohamed a connu trois étapes. Il a commencé par réfléchir sur le sens du Message avant de militer pour ce Message. La seconde étape a consisté à convaincre son entourage de la nécessité de s'engager avec lui pour le triomphe des principes auxquels il a cru. Enfin, à la troisième étape, il a élargi son rayon d'action en s'efforçant de répandre ces principes à travers le monde, à vouloir transformer le présent de tous en un meilleur avenir humain. Aussi, « a-t-il affronté les ennuis, et les problèmes du monde en les supportant avant de les dépasser. La prophétie ne concerne pas le passé ; elle est dévouement, prévoyance. Elle délaie le présent pour la construction de l'avenir. Elle est si l'on peut dire, « prospective » et « demainiste » : elle englobe tous les actes de l'homme et lui « programme » les chemins à suivre pour son accomplissement matériel, moral, intellectuel et spirituel.

En Islam, comme l'affirme un hadith, les « Oulamas » (hommes de culture, savants...) « sont les héritiers du Prophète ». Dès lors, nous nous demandons : qu'est-ce qu'un « alim » musulman, un penseur musulman ? Mérite l'une ou l'autre de ces appellations (ou les deux à la fois) celui qui s'efforce à comprendre l'histoire se faisant et les hommes, et évalue la vie et les êtres par la raison et le sens de l'équité. Toute réforme, dans quelque domaine humain que ce soit, ne réussit que si elle part d'une connaissance claire et d'une pensée lucide. Une pensée généreuse envisage les valeurs en rapport avec l'action qu'avec l'avoir, et surtout en rapport avec ce que nous faisons de nos savoirs. Il est donc nécessaire qu'un penseur réformateur connaisse bien la situation de la société qu'il veut réformer, et qu'il soit capable de définir les conditions et les moyens qui permettent aux personnes d'avoir une existence humaine. Le rôle de la culture est précisément de nous rendre apte à distinguer la « végétative » (vie concentrée dans le manger, le boire, et le commerce charnel), de la vie des personnes soumises à des valeurs et critères universels.

Chaque individu a un âge qui se développe chronologiquement et un autre qui évolue qualitativement. Celui qui réussit à parfaire l'âge qualitatif et à le bien développer et le généraliser patrai les autres, participe effectivement au changement de l'histoire humaine. Cela veut dire que la culture englobe tous les actes humains, politiques, économiques, éducatifs, informatifs et moraux.

4. « On crucifie les Prophètes pour leurs opinions, pourquoi en ne crucifierait pas des poètes...? » (9).

Le penseur engagé est un animal social de par sa nature, et l'engagement impose des sacrifices. Le Coran fait les portraits des Prophètes qui se sont engagés pour la vérité au risque de leur vie : Abraham a été condamné à périr par le feu, Moïse à s'ordier, Jésus-Christ à la mort sur une croix et Mohammed à quitter sa ville natale, « Médina ». Méditons le cas d'Abraham : Abraham dit à son père Azar : « Prendras-tu des idoles pour divinités ? Je

(9) Le poète Nizâmî Gablânî.

te vois, toi et ton peuple, dans un égarement manifeste » . Ainsi avons-nous montré à Abraham le royaume des cieux et de la terre pour qu'il soit au nombre de ceux qui croient fermement. Lorsque la nuit l'enveloppa, il vit une étoile et il dit : « Voici mon Seigneur ! » Mais il dit, lorsqu'elle eu disparu : « Je n'aime pas ceux qui disparaissent ». Lorsqu'il vit la lune qui se levait, il dit : « Voici mon Seigneur ! ». Mais il dit, lorsqu'elle eut disparu : « Si mon Seigneur ne me dirige pas, je serai au nombre des égarés » (10).

Ainsi Abraham témoigne pour la vérité, témoignage contre son père et, contre toute la société, mais entre le vrai et le faux, il a choisi le parti le plus difficile : il a combattu le faux.

Ainsi, l'Islam lie intimement l'action à l'intention qui est une tension qui tient notre conscience en éveil et notre sens moral toujours ouvert sur nos actes et sur leurs résultats.

Chers frères,

Toute culture qui ne fait pas progresser n'est pas une vraie culture. "La culture pour la culture" abstrait le réel de sa réalité et fait de la pensée une force de mythisation et du penseur un simple charlatan. La pensée est toujours encadrée dans une histoire précise où co-vivent des groupements humains. La culture, la science de la pensée, sont des moyens et non des fins en elles-mêmes. L'histoire humaine est une réflexion qui se tisse continuellement à la recherche des moyens aptes à mieux humaniser l'homme, tout l'homme. C'est l'idéal vers lequel tend toute pensée. Nous lisons dans le Coran : "Par l'instant ! Oui, l'homme est en perdition, à l'exception de ceux qui croient; de ceux qui accomplissent des œuvres bonnes; de ceux qui s'encouragent mutuellement à rechercher la Vérité; de ceux qui s'encouragent mutuellement à la patience", (11).

L'encouragement pour la recherche de la vérité est un appel mutuel à la mobilisation générale de toutes les énergies humaines, à différents niveaux. Celui qui prend un tel engagement et incite les autres à en faire autant, est nécessairement conscient de sa responsabilité, c'est-à-dire de ce qui fait qu'il est être humain.

(10) Coran, R. 74 à 79

(11) Coran, 103, 1 à 5

**OUVRAGE MODERNE D'OPHTALMOLOGIE DATANT
DU VI^{ème} SIECLE DE L'HEGIRE (XII^{ème} siècle) :
« GUIDE DES OPHTALMOLOGUES »
DE MOHAMED IBN ASLAM EL-GHAFIQI**

Par le Dr Saïd Chibane
Professeur d'Ophtalmologie
à l'Université d'Alger

Le Prophète de Dieu que le salut de Dieu soit sur lui a dit que Dieu ait mon frère Moïse en sa miséricorde ; lorsqu'il a appris le changement de son peuple il s'est mis en colère, mais lorsqu'il a constaté de ses yeux, il a brisé les planches

La sagesse chinoise dit aussi qu'un dessin vaut 1.000 mots. C'est sans doute à cause de ces deux enseignements que j'ai choisi comme thème à vous proposer pour notre réflexion commune sur le point quatre de ce séminaire un manuscrit de médecine arabe.

La grâce de Dieu a voulu que je parvienne à obtenir une copie intégrale d'un manuscrit de médecine arabe, unique au monde - à notre connaissance - et qui a trait à ma spécialité. Comme j'ai eu un grand plaisir à le feuilleter et à l'analyser, ceci m'a poussé à vous le proposer dans l'espoir que vous partagerez cet intérêt.

Cette présentation ne peut être un cours sur l'histoire de la médecine ou de l'une de ses spécialités, c'est beaucoup plus modestement un essai d'attirer l'attention de la jeunesse algérienne vers le domaine important, très utile qu'est l'histoire des Sciences qui s'intègre avec l'histoire de la pensée humaine.

Il est d'autre part bien évident que le titre de ce sujet ne doit pas entraîner un malentendu.

Il ne s'agit pas de faire le panégyrique de telle ou telle personnalité de l'histoire de la médecine étant donné que tous les tenants et les aboutissants nous manquent pour nous permettre une appréciation exacte, objective de l'apport original de chaque auteur et en particulier de celui de notre sujet d'étude.

Il s'agit encore moins de proposer cet ouvrage à la pratique médicale au dernier quart du XX^e siècle c'est-à-dire à huit siècles d'intervalle. Ce serait démentir de cet illustre prédecesseur lui qui légitime et justifie la rédaction de son ouvrage par le fait que son avis est différent d'ailleurs (Sina et Abulkassim Ezzaïrou) et vous savez de quelles autorités médicales et chirurgicales universelles il s'agit - et son avis n'est pas basé sur une quelconque théorie mais bien sur l'observation clinique et l'essai thérapeutique. Et à ce propos il est utile de rappeler le conseil du grand Etrazi que l'on trouve dans son livre *El-Fossul* dans lequel recommande ce qui suit : Actuellement un ouvrage de médecine cesse d'être moderne tous les 10 ans à peu près et bien entendu pour la simple raison que telle ou telle nouveauté diagnostique et thérapeutique est venue corriger une erreur ou résoudre un problème antérieurement insoluble.

Mais pourquoi alors le terme "Ouvrage moderne" ?

1^o - D'abord ; les résultats actuellement vrais de l'expérience humaine et de l'esprit humain sont modernes tant qu'ils ne sont pas contredits. Cet ouvrage renferme un grand nombre de ces résultats :

a) une méthode d'exposition, d'enseignement qui peut être considérée comme très valable ;

b) une approche des problèmes cliniques encore tout à fait raisonnable ;

c) des erreurs nombreuses mais qui sont le fruit d'une démarche de l'esprit libre et par cet aspect qui tranche avec le passé relativement à notre auteur il s'agit d'un apport de la civilisation musulmane au progrès humain ;

d) des qualités de rigueur, d'honnêteté scientifique ; puisque nous le voyons critiquer son diagnostic à propos d'un nourrisson de 30 jours et nous lisons comment il donne tous les détails nécessaires à la réalisation des instruments, au succès des techniques chirurgicales ;

e) des qualités de constructeur puisqu'il bâtit sur l'expérience des Anciens (les meilleurs selon le grand conseil de Cicéron qui demandait d'apprendre sur les meilleurs exemplaires des meilleurs auteurs à notre disposition). La bibliothèque médicale de notre auteur ne contient que les livres royaux :

— Hussein Ibn Ishaq

— Ali Ibn Aïssa

— Ibn Sina

— Abulkassim Ezzaïrou

en l'analysant avec l'expérience personnelle et son libre examen.

2° - Il suffit - comme gloire à un ouvrage d'être moderne et à jour en son temps - et on vient de voir comment cet auteur a rédigé son livre en étudiant ce qu'il y avait de mieux dans ce qui était disponible.

Mais on verra que rien n'est parfait et que la conjoncture historique fera qu'il aura manqué une référence par la faute sans doute de la division du monde de l'Islam en son temps déjà. Les Livres d'Alhassan Ibn El-Haythém ne semble pas lui avoir été familiers, mais peut-être était-il plus praticien que philosophe savant.

3° - Ce qui donne le caractère moderne c'est ce qui est encore profitable au moment où l'on vit. Et nous pourrions retirer un grand profit d'étudier cet ouvrage.

- Pour retrouver la terminologie scientifique originale et reprendre le tissage de la toile à l'endroit où les maîtres de la langue arabe scientifique ont eu la plume ou l'outil arraché des mains. Lorsque l'auteur arabo-Islamique de 1970 veut rédiger un ouvrage d'ophtalmologie la dernière référence scientifique authentiquement arabo-islamique est bien l'ouvrage d'El-ghafiqi. Il s'agit de combler le hiatus et donc de reconnaître le point de départ. Il y a sans doute une signification au niveau de la philosophie de l'histoire : le dernier grand fleuron de l'ophtalmologie arabe scientifique est andalous et le premier ouvrage d'ophtalmologie arabe scientifique au 20^e siècle est de Damas. L'on ne peut qu'être ému devant ce gigantesque point de l'Histoire puis-je ajouter que si la médecine dite populaire des pays musulmans avait pu utiliser ces ouvrages de cette qualité au lieu des compilations de recettes plus ou moins magiques la santé des musulmans serait bien meilleure...

Voilà pour les définitions ou mieux pour les acceptations que nous avons voulu donner ou faire porter par le terme "moderne" associé à l'ouvrage de Elghafiqi.

Ajoutons pour terminer que nous sommes conscients que l'exposé sur un manuscrit devrait être le résultat d'un travail collectif d'historiens des sciences, de linguistes et de spécialistes. Mais peut-être doit-il y avoir un commencement à tout et mon souhait que des vocations naissent pour que les fruits du passé puissent être goûtés par chaque génération qui doit à son tour préparer son propre legs, l'héritage qu'elle laissera aux suivantes.

L'étude de ce texte nous montrera clairement certains facteurs de la grandeur de la civilisation musulmane, certaines causes de sa régression et peut être quelques conditions de sa renaissance dans ce domaine tout au moins.

Le manuscrit est resté ignoré du monde musulman pendant 8 siècles — d'autres le sont encore. Ils entendent des vocations de premiers de cordée.

Ces considérations étant faites et il fallait qu'elles le soient, pour les générations qui auront la quarantaine au 21^e siècle en l'an 2000 et qui doivent s'y préparer chaque jour examinons successivement si vous le voulez bien les données relatives à l'histoire du manuscrit, à l'auteur de l'ouvrage original dont le manuscrit semble n'être qu'une copie, à l'analyse rapide du texte :

son plan, son contenu, son expression en la comparant aux données actuelles et en 4^e lieu dégager des déductions et commentaires généraux de cette analyse dans le cadre du point quatre du programme de ce séminaire. C'est dans la bibliothèque de la clinique ophtalmologique de la faculté de médecine de Strasbourg voici plus de 20 ans que j'ai fait connaissance avec le nom d'Elghafiqi et de son livre.

Parmi les trésors de cette bibliothèque en français, allemand, anglais, espagnol, il y avait un livre respectueusement conservé une traduction en français d'une partie du guide de l'oculiste présentée par le grand ophtalmologiste historien de la médecine arabe Max Meyerhoff et édité par les laboratoires du Nord de l'Espagne. J'étais heureux de contempler le fac simile de une page et ai parcouru les feuillets, admiré les termes en me disant « l'honneur est sauf, parmi toute cette science la langue arabe est malgré tout représentée »

En 1972, on m'a demandé de participer à une réunion internationale sur l'histoire de la médecine organisée à Milan par la Société Italienne d'histoire de la médecine. J'ai passé mes vacances de l'été à lire le livre de Meyerhoff que j'ai trouvé à la bibliothèque de la clinique ophtalmologique d'Alger, la partie ophtalmologique du canon d'Avicenne, la chirurgie d'Abulkassim Ezzahraoui, dans la tradition, la Rahma fittib et le poème Eddiry Elatiba, Nafih Ettib Elhouhel Essoundoussia consacré aux maladies oculaires et que m'a gracieusement offert Cheikh Saïd Boudaoud

J'ai cherché dans les mosquées de Grande Kabylie vers Tizirt, Dellys, dans les coins les plus reculés à trouver trace d'autres sources... Cela a été passionnant et m'a permis d'augmenter mon intérêt pour le livre d'Elghafiqi

J'ai présenté le résultat de cette étude à Milan, étude publiée par la Fondation Giovanni Lorenzi et me suis promis de compléter l'étude dès que j'aurais eu accès à tout le manuscrit

Grace à la bibliothèque universitaire d'Alger j'ai pu acquérir un microfilm de l'ensemble du manuscrit d'Elghafiqi déposé à l'Escorial de Madrid. Grace au Docteur Amer Talbi j'ai pu qu'il existait une photocopie d'un manuscrit au Dar Elkoutoub au Caïre.

En février dernier lors d'un congrès, j'ai pu obtenir la photographie de dix pages de la photocopie du manuscrit étant donné que pour avoir le microfilm en entier il fallait qu'il y ait échange inter-bibliothèques. C'est le fils du regretté Cheikh Tofalch illustre savant de Ghardaïa qui m'a aidé dans cette tâche.

J'ai rapporté ces photos que j'ai choisies assez significatives pour les comparer à mon microfilm de l'Escorial. Il s'agit du même manuscrit.

La copie du Dar Elkoutoub est sans doute celle de Meyerhoff. Voilà pour l'histoire de ces copies que je vous rapporte comme peut exemple des besoins de l'histoire de la médecine

Qu'en est-il du manuscrit lui-même ?

Le manuscrit de l'Escorial est conservé sous le N° 835. Il s'agit d'un volume en octavo de 292 feuilles assez sérieusement endommagé par le feu.

Les premières pages contiennent des inscriptions en caractères latins et en langue latine difficilement lisibles, on y lit une date 691. Une autre inscription en arabe mais en caractères différents de ceux du manuscrit nous indique qu'il s'agit d'un ouvrage de grande valeur et indique l'année 991 de l'Hégire.

La typographie du manuscrit est superbe. Elle est d'une très grande lisibilité sauf bien entendu dans les parties des feuilles endommagées par le feu.

La distribution du texte est régulière avec des espacements très harmonieux.

Dans le corps du texte on remarque des ratures assez intéressantes. Après la plupart des invocations au Nom de Dieu le Clément et le Miséricordieux, la phrase que le salut de Dieu soit sur le Prophète est raturée sauf dans un cas qui n'est pas très apparent, ce qui laisse supposer que les ratures n'ont pas été le fait du lecteur mais d'une personne étrangère à l'étude puisqu'elle laisse échapper une formule, soit inquisiteur, soit commerçant, la Reconquête, soit toute autre hypothèse : lecteur chrétien ou israélite, musulman forcé à cacher sa foi.

Des illustrations nombreuses représentent des instruments de chirurgie oculaire.

Cet ouvrage a été présenté dans l'histoire de la médecine arabe par Leclerc en 1876 et par Hirschberg dans son histoire de l'ophtalmologie Max Meyerhoff en 1933.

Voyons maintenant ce que nous savons de l'auteur de ce manuscrit.

Selon Leclerc et Hirschberg, Mouhamed Ibn Kassoum Ibn Aslam Elghafiqi a vécu au 12^e siècle de l'ère chrétienne.

La notice du recueil des catalogues de manuscrits de Dar Elkoutoub Elmisria indique que l'auteur serait décédé en 560 de l'hégire soit 1180 de l'ère chrétienne et que la copie a été faite à Malaga.

Les références que donne Elghafiqi montrent qu'il a exercé l'ophtalmologie à un moment à Cordoue, qu'il a rédigé son ouvrage à l'intention de son fils après une grande expérience du métier, Meyerhoff fait remarquer que le nom de Elghafiqi se rapporte à la tour Gnaifi qui se trouverait aux environs de Cordoue.

Nous avons recherché dans certains livres importants de l'histoire de la civilisation musulmane en Andalousie :

1) La partie consacrée au Maghreb et l'Andalousie dans les classes de médecine de Ibn Abi Oussaïbia qui date du 6^e siècle de l'hégire.

2) Le livre de Nafh Ettih ou le Ratneau odorant de l'Andalousie du grand écrivain et poète tlemcenien El Maqqary.

3) Les belles parures de Hollal Soundoussia de l'Enzir Cheikh Arslan dont les livres doivent être étudiés par tout jeune musulman

Je n'ai pas pu consulter d'autres ouvrages originaux mais, n'ai pas trouvé trace de cet auteur bien que de nombreux savants originaires de Ghafiq soient cités. Par exemple Ibn Abi Oussaïbia qui était lui-même ophtalmologiste nous donne une biographie qui a laissé un ouvrage de Botanique dont j'ai vu une photocopie au Caire.

Certains considèrent Ahmed Elghafiqi comme le fils de l'ophtalmologiste sujet de notre exposé. Il serait étranger que Ibn Abi Oussaïbia ait été ignorant de cela ou qu'il n'en ait pas parlé alors qu'il s'agit d'un collègue de sa spécialité. A la lecture du texte il se pose la question : s'agit-il là du texte original ou d'une copie. Ce livre aurait échappé de justesse au feu.

Il semble d'après le contexte qu'il s'agit d'une copie seule à avoir été conservée.

Elle serait ainsi restée ignorée du Maghreb et de l'Orient parce que la coupure s'est établie entre l'Andalousie et le reste de l'Islam.

Examinons le texte et d'abord sa structure, son plan. L'ouvrage comprend une introduction très riche d'enseignements en 6 livres.

Le 1^{er} concerne la déontologie, avec l'enseignement du vertueux Hippocrate

Le 2^{ème} traite de l'anatomie de la tête.

Le 3^{ème} développe la physiologie.

Le 4^{ème} expose la pathologie en général

Le 5^{ème} livre est consacré à la pharmacologie.

Le 6^{ème} et dernier livre traite en détail des maladies des yeux, de leurs symptômes, du diagnostic, du pronostic et du traitement médical et chirurgical.

Chaque livre est précédé de la Basmala avec le salut sur le Prophète (raturé la plupart du temps comme nous l'avons indiqué).

Les différents chapitres sont annoncés très clairement et séparés par des lectures de l'alphabet A. BA. DJA. D lettres choisies par leur distinction et leur rapide repérage.

Le plan est annoncé en tête de chaque chapitre

Cet aspect didactique est valeur toujours sûre en pédagogie. L'importance du plan d'exposition est à souligner comme le fait Max Meyerhoff dans sa magnifique étude du premier traité d'ophtalmologie scientifique au monde.

Les 10 traités de l'œil de Houssein Ibn Ishaq de la fin du 9^e siècle de l'Hégire, les auteurs grecs et les premiers auteurs arabes reprennent le même sujet, étudient chaque maladie dans 3 livres différents au livre des diagnostics puis au livre des symptômes enfin au livre des traitements. Mais par la suite les grands médecins arabes et islamiques adopteront un plan beaucoup plus rationnel est plus didactique, le plus moderne d'étude et d'exposition des maladies comme une entité : traiter à fond chaque maladie sous ses différents aspects.

Ceci constitue un progrès considérable à l'école médicale arabo-musulmane :

Le plan de Elghafiqi est un plan tout à fait logique et tout à fait moderne. Il traite chaque maladie à fond sous tous ses aspects. La compréhension en est facilitée et le progrès possible.

Le plan anatomique est suivi dans l'exposé de maladies oculaires et les paupières, la conjonctive, la cornée, l'iris, le cristallin, la vitré, le nerf optique.

C'est un plan moderne. Il est suivi encore dans tous les manuels d'ophtalmologie.

L'historien, oculiste italien Sarnelli a remarqué dans l'Encyclopédie de l'Islam à l'article Elghafiqi

« En jugeant cet ouvrage du point de vue actuel, on ne peut qu'entrevoir précisément dans le plan de l'œuvre et la disposition de la matière une sorte d'anticipation de la conception moderne de la pathologie oculaire nécessairement liée et suivant un corollaire celle de l'organisme entier ».

Voilà pour le plan de l'ouvrage exposé des connaissances.

Qu'en est-il du contenu du livre, du fond de l'ouvrage ? Et d'abord par rapport à quels éléments de référence avons nous fait cette analyse.

Pour cette étude du texte nous sommes éclairé par la consultation de l'ophtalmologie du canon de Ibn Sina de la chirurgie d'Abulkassin Ezzahraoui des 10 traités de l'œil de Houssein Ibn Ishaq, d'autre part des ouvrages de médecine populaire et se sont les seules actuellement mis à la disposition des populations de culture exclusivement arabe c'est-à-dire Errahma avec Elhikam fitib du 16^e siècle celle d'une palme didactique composée par Eddiri en 1685 enfin pour la partie européenne avec deux manuels d'ophtalmologie publiés en Europe l'un par Delaue en 1820 à Paris le second par Scarpa en 1821 à Pavie en Italie.

Nous avons choisi cette limite puisque ces ouvrages font tous partie de la période préophtalmoscopique. En effet, l'ophtalmoscope inventé par Herman Helmholtz révolutionnera l'ophtalmologie à partir de 1850 en ouvrant à l'œil humain la moitié restée cachée de l'œil vivant, sa rétine et la tête du nerf optique.

I - L'introduction est malheureusement incomplète. Il manque la ou les premières feuilles. Ce qu'il en reste est de grande valeur. Les premiers mots sont « la recherche du grain et le nom de la paille des choses » ils forment la mise en garde contre l'appât du gain en médecine puisqu'il fait perdre le respect. Il s'adresse à son fils pour lui dire que lorsqu'il a entrepris l'étude de l'ophtalmologie il n'existait pas de somme suffisante et efficace.

Il cite les grands auteurs en définissant leur apport particulier avec un esprit critique très net. L'introduction renferme les références uniquement arabo-islamiques puisqu'elles sont celles qui comptent. L'apport greco-indou a été assimilé et arabisé pour la simple raison que les arabes et les musulmans sont devenus les continuateurs de la médecine antique. Il y a toutefois référence au vertueux, honorable Hippocrate pour les règles de l'éthique médicale, qui sont dans le premier chapitre très clairement et très précisément énoncées : respect du secret professionnel, gratuité aux pauvres en leur fournissant les remèdes nécessaires, honorer ses maîtres.

La formulation est très élégante et ne manquera pas d'influencer les rédacteurs de Codes de déontologie.

La conception générale des obligations de l'ophtalmologiste et le programme de formation qu'il propose sont encore valables.

Il demande au spécialiste une formation très étendue de médecine et d'ophtalmologie.

II - L'anatomie dans cet ouvrage ne semble avoir fait de progrès. Il n'y a pas de référence au schéma d'Ibn Elhaythem. A ce propos il convient de signaler qu'à la bibliothèque de la Faculté de Médecine du Caire existe une photocopie du manuscrit sur l'anatomie de l'œil de Etchems Eadme Ibn Mohamed Ibn Elhassan l'oculiste connu sous le nom de Basoud. Je ne sais si une étude en a été faite. L'anatomie pour le problème de la discussion. Problème difficile dans tous les pays.

III - Quant à la physiologie, l'étude de l'article nous montre un grand hiatus dans l'évolution de la science en pays d'Islam.

Il apparaît en effet, qu'Elghafiqi n'a pas eu connaissance ou n'a pas profité de l'explication apportée 20 ans auparavant par le savant Alhassan Ibn Elhaythem qui a montré que la vision était possible grâce à l'action objective de la lumière sur l'œil.

L'on sait qu'avant Ibn Elhaythem la vision était considérée comme le résultat de la rencontre à travers les nerfs optiques, l'œil et l'air... d'un fluide émanant du cerveau avec

les objets du monde extérieur. Ibn Elhaythem a déclaré que la sensation douloureuse éprouvée au matin en regardant le soleil est la preuve, l'action de voir se réaliser par la pénétration de la lumière dans l'œil.

Il existe également une lacune dans ce chapitre de physiologie c'est celui de la vision binoculaire telle qu'elle était déjà conçue par Ibn Elhaythem qui a inventé un appareil pour examiner la vision binoculaire, appareil dont le grand savant Javal rapporte le dessin dans un de ses livres en 1896.

Cette analyse nous impose de réfléchir aux causes qui ont fait ou pu faire que ces lacunes aient existé

Voici une liste des possibles :

1) Coupures des relations scientifiques entre le Caire et l'Andalousie dans cette période trouble de l'histoire de l'époque où :

2) Ibn Elhaythem a dû simuler la folie pour échapper à la colère du pouvoir du Caire

3) Ces livres ont pu souffrir de cela et n'avoir pas connu de diffusion.

4) La possibilité que les médecins en général n'avaient pas à étudier les sciences fondamentales comme les mathématiques, l'optique et il est possible que ce genre d'ouvrage était en quelque sorte réservé à un nombre limité de grands savants s'occupant et de la médecine et de toutes les autres branches de sa connaissance.

5) Il est possible que ces livres étaient connus en Andalousie mais les incendies tels que celui des livres de Cordoue (on parle de 200.000 volumes détruits) n'ait pas laissé de trace de ces œuvres.

6) Les notions de pathologie générale se ressentaient bien entendu dans l'enseignement d'alors en médecine générale et ce sont les grandes avenues de la médecine humorale et des tempéraments qui semblent classer les affections et donc les indications des maladies à étiologie inconnue alors.

V - La pharmacopée est très variée et comporte l'arsenal des médicaments, drogues, préparations préconisées par les anciens mais un certain eclectisme est manifeste. L'étude de l'histoire de la pharmacie est à même de percevoir des différences qu'il ne m'a pas été possible de déceler.

VI - Quant au 6^e livre est certainement la partie la plus importante et qui a pratiquement été traduite entièrement par Max Meyerhoff, il montre selon le plan de description que nous avons indiqué, une très grande richesse dans la description des maladies quelques observations suffiront pour l'esprit de cet exposé.

Elghafiqi accorde une grande importance à l'ophtalmologie spéciale des enfants. C'est une spécialisation qui est toute récente dans les temps modernes, l'ophtalmo-pédiatrie moderne date de quelques dizaines d'années.

Le trachome est décrit en plusieurs formes cliniques et selon le degré de gravité, il préconise le traitement par instillation d'antiseptiques avec la frotte des granulations avec un instrument moussé la « ouerda ». Ce traitement, dans son principe est encore utilisé pour les cas graves. Les conjonctivites sont classées en aiguës et chroniques et le fait est que 6 siècles après qu'Elghafiqi ait conseillé d'instiller des collyres antiseptiques, le Professeur d'ophtalmologie à Paris préconisait de couper la conjonctive dans le cas de (*conjunctivite*) ce qui n'est pas efficace et est même dangereux.

Scarpe à Pavie en 1821 se réfère notamment aux auteurs arabes dans sa classification des formes des conjonctivites et de leur traitement.

Les deux manuels européens que nous avons signalés utilisent dans ses grandes lignes le plan d'étude, le catalogue des affections oculaires tels qu'on les trouve chez Elghafiqi.

Nous trouvons par contre des erreurs dans le traitement que ne commettait pas l'ophtalmologie arabe en Andalousie au 11^e et 12^e siècle.

Delarue recommandait en 1820 de n'opérer le *trachias* que dans les formes extrêmes et de les traiter médicalement, alors que le seul traitement efficace est chirurgical et Elghafiqi, décrit deux techniques différentes accompagnées d'indications précises.

Le traitement des Kystes des paupières n'est pas efficace tel qu'il est indiqué dans les 2 manuels d'Europe au 19^e siècle. Elghafiqi préconise d'opérer par voie externe les gros kystes externes et de suturer la peau de la paupière avec un fin cheveu de femme. Il est curieux de signaler que dans cette 2^e moitié du 20^e siècle qu'un grand ophtalmologiste chirurgien européen réputé a critiqué des sutures de cornée avec des cheveux de femme comme suture biologique résorbable.

Le pannus qui est un voile sur la cornée est décrit comme contagieux et l'on comprendra l'intérêt de cette notion lorsqu'on sait que le pannus est un signe du trachome qui est lui-même une maladie contagieuse. Il recommande d'éviter la contagion en protégeant l'œil sain.

Le traitement du ptérygion est bien codifié avec des améliorations par Cappre aux anciens. Il distingue le vrai ptérygion du faux ptérygion dont le traitement présente un danger — c'est pourquoi il donne des conseils de prudence opératoire valables. Il recommande des soins après l'intervention pour éviter l'adhérence de la paupière au globe oculaire qui continue de se voir encore maintenant lorsque les suites opératoires ne sont pas bien contrôlées.

Elghafiqi donne et cela semble être le premier, un chapitre de traumatologie oculaire avec les moyens de diagnostic et de traitement des corps étrangers. Ce manuscrit est de traitement des corps étrangers. Ce manuscrit décrit la pathologie de la cornée et décrit avec exactitude le signe de la perforation de la cornée qui est encore enseignée, tâche noire entourée d'une zone blanchâtre avec déformation de la pupille.

L'observation des malades porteurs de cataractes constitue un progrès par rapport à Ibn Sina. Le pronostic opératoire est tiré de l'état des réactions pupillaires à la lumière, la rigidité de la pupille étant considérée comme un élément de fâcheux pronostic. L'intervention préconisée est l'abaissement de la cataracte mais de la technique présentée et les instruments utilisés méritent à des siècles de distance d'être respectés. Les soins post-opératoires le méritent encore plus. En effet, Elghafiqi applique un pansement binoculaire et impose le repos total pendant 3 jours comme le commandait déjà Hussein Ibn Isحاق, et fait appliquer une pommade biologique à savoir le jaune d'œuf qui est produit originellement stérile et cicatrisant avec la vitamine A qu'il contient.

Du point de vue de la chirurgie palpébrale cet ouvrage est en progrès sur celui de Abulqassim Erzahraoui. L'utilisation de certaines plantes à fleurs comme la belladone lui permettrait de rendre noir un œil bleu en dilatant la pupille.

Elghafiqi recommandait aussi de tatouer les taches de la cornée à titre d'opération esthétique.

Tels sont quelques éléments recueillis à la lecture de ce manuscrit, principalement pour cette dernière partie dans sa traduction française par Max Meyerhoff. Certainement que la publication de ce manuscrit nous donnera des renseignements complémentaires.

Après avoir analysé sommairement le fond, voyons maintenant comment se caractérise l'expression dans ce manuscrit, examinons sa forme d'expression.

Les linguistes et les hommes de lettres, auront certainement beaucoup mieux à dire. Mais pour ce qui nous concerne comme médecin, la clarté, la simplicité, la concision et le mot juste sont les qualités que j'y remarque. Il s'agit réellement de la langue arabe scientifique sans fioritures.

Le chemin parcouru par la langue arabe médicale depuis les premières traductions de l'époque d'El-Manon est considérable.

Une étude comparée de premier texte de Hussein Ibn Isحاق et de celui d'Elghafiqi séparé par 4 siècles doit relever ces progrès et c'est tout à fait normal. La liste des mots clés et des termes techniques est importante et écarte les synonymes souvent préjudiciables à l'expression scientifique.

Dans ce livre, avons-nous dit, le dessin est utilisé de bonne manière pour les schémas d'instruments avec les précisions nécessaires à leur fabrication. Dans ce traité l'auteur nous donne des précisions détaillées pour la fabrication des instruments

De cette étude comparée rapide, que retirons-nous en somme ? Qu'est-ce qui est moderne ou mieux qu'est-ce qui ne nous semble pas dépassé dans notre temps, qu'est-ce qui annonce la venue de la médecine moderne et par conséquent a contribué au progrès.

Quant aux causes du progrès, elle nous semblent résumer :

- 1) Il y a l'organisation des connaissances selon un plan rationnel et logique.
 - 2) l'expression en un style clair et précis ;
 - 3) une bibliographie critique ;
 - 4) le souci de l'observation rigoureuse ;
 - 5) l'expérience personnelle ;
 - 6) la générosité dans la communication, la transmission des détails des techniques qui réussissent.
- La médecine nécessite l'observation et l'exercice pour être apprise, il est nécessaire d'avoir un maître qui en montre les caractères, les livres ne peuvent suffire.
- 7) Le rejet de l'argument d'autorité qui a tant fait de tort au développement des connaissances.
 - 8) Il a en dernier lieu, cette générosité qui qualifie et ses semblables, et qui nous annonce le XXI^e siècle

Il semble que le premier facteur de la stagnation puis la décadence vienne de la perte de ce facteur de progrès. Après la destruction ou la perte des écoles de médecine arabo-islamique à Bagdad, en Andalousie les livres ont été les seuls éléments de formation médicale ils n'ont pu produire que des écritures et des copies de plus en plus éloignées des réalités de la clinique et cela a abouti à l'utilisation d'inscriptions magiques pour guérir. Aucune inscription magique n'est préconisée par Mohamed Ibn Kassoum Ibn Aslam Elghafiqi qui accorde la seule importance au médicament selon la tradition du Prophète telle qu'elle ressort du Hadith d'Ibn Abbas. Ibn Abbas rapporte qu'un homme a demandé au Prophète de Dieu que le Salut de Dieu soit sur lui :

« Est-ce que le médicament peut être utile devant ce qui est écrit ? ».

Le Prophète que le Salut de Dieu soit sur lui a dit :

« Le médicament fait partie de ce qui a été décidé par Dieu qui fait bénéficier qui il veut par ce qu'il veut ».

Je vous ai cité ce Hadith comme argument décisif contre ceux qui font croire que ce sont les dogmes de l'Islam qui ont fait stagner les musulmans

Mais la 2^e cause de la décadence ou de la stagnation c'est ce que nous avons remarqué dans ce livre de médecine qui n'a pas bénéficié des sciences fondamentales voisines comme l'optique pour l'ophtalmologie.

Les travaux de Ibn Elhaythém ont dû attendre Newton et Kepler pour être utilisés au profit du savoir humain

Il convient ici de souligner que les plus grands progrès en médecine ont été acquis grâce à l'alliance entre les sciences fondamentales de laboratoires, les sciences cliniques des hôpitaux. Par exemple, en ophtalmologie, les lunettes et l'ophtalmoscope ont permis de faire des progrès considérables à l'étude de l'œil et de ses malades.

Voici pour le médecin. Pouvons-nous généraliser !

Si nous voulions résumer les facteurs de la décadence ou de la stagnation en général à la lumière de ce que nous avons trouvé au cours de cette étude nous trouvons deux causes principales :

— La première cause est la coupure verticale entre les générations, coupure qui se produit par la destruction de l'acquis des Anciens ou de la méconnaissance ce qui explique que le Canon d'Ibn Sina est resté oublié et a laissé la place aux compendia de Harouniète.

— La deuxième cause est la coupure horizontale par le manque d'échanges dans la même génération.

Ce qui est survenu à l'héritage d'Ibn Elhaythém rassemble ces deux causes, la coupure dans le temps et dans l'espace

Quant au facteur de renouveau il existe des conditions connues, éprouvées dans l'histoire de nombreuses civilisations.

Le premier est celui qui a été utilisé par les Arabes à Bagdad entre le 1^{er} et le 2^{ème} siècle de l'Hégire, puis celui utilisé par l'Occident trois siècles plus tard, lorsque chacun s'est intéressé à ce que l'autre avait de trésors scientifiques et a pris les mesures nécessaires pour les assimiler et en profiter

Dans la première moitié du 12^{ème} siècle de l'ère chrétienne l'archevêque Raymond de Sauzetat a organisé un atelier de traduction à Tolède. Au même moment Gérard de Crémone a dirigé 86 traductions à partir des livres arabes.

Pierre le Vénérable demandait une traduction du Saint Coran. Mais ce que nous devons remarquer ici c'est que l'Occident a continué de traduire et d'améliorer de génération en génération les traductions pour profiter de l'héritage des autres nations. Peut-être est-ce là que réside un secret de son développement continu.

Ajoutons que les occidentaux ont accompli un travail communautaire puisqu'il y avait exemple en Andalousie des savants traducteurs venus de pays différents d'Europe et les relations entre leurs savants se sont développées avec l'échange de leurs expériences jusqu'à nos jours malgré tout ce qui a pu les séparer dans les conflits.

Mais le second est nouveau dans ses applications et ses dimensions. Si dans l'étude de l'histoire, il convient de rechercher les erreurs qu'il nous faut ne pas répéter, il est bien entendu que ce sont les perspectives du 21ème siècle qui doivent guider notre réflexion, et d'orienter nos esprits, car s'il est possible d'imiter le passé est-il possible d'imiter l'avenir ? Ceux qui s'occupent des plans et des perspectives parlent d'une société nouvelle qui sera le résultat de l'époque industrielle que connaît une grande partie du monde et cette société dite post-industrielle sera selon l'un des spécialistes les plus éminents. Une société dans laquelle "le facteur le plus important d'innovation sera l'organisation de la connaissance théorique et où les institutions intellectuelles deviendront le centre de la structure sociale.

Il apparaît ainsi que le progrès de la science, qui est la condition du salut réclame de toute communauté humaine qu'elle participe par le plus grand nombre dans le développement de la science et cette participation demande l'usage d'une langue commune au plus grand nombre d'hommes qui l'utilisent dans leur vie et l'aiment.

Ces langues deviennent le trait d'union entre les différentes grandes communautés par l'intermédiaire des traducteurs savants.

Les musulmans se sont mis par la force des choses, individuellement, puis massivement à l'école de l'Occident dans cette 2ème moitié du 20ème siècle.

Ce phénomène est porteur des conséquences exceptionnelles.

Les musulmans ne doivent pas se contenter de suivre les démarches d'autrui ils doivent maîtriser à chaque étape le transfert technologique et le développement de la logique scientifique au bénéfice des masses populaires garantes du progrès.

Il apparaît ainsi que l'échange constant des impératifs pour être capables de produire au lieu de rester seulement des consommateurs.

Pour ces échanges spécifiques la langue arabe, la langue du Coran qui a été enrichie par les savants musulmans de toute l'histoire a permis aux peuples musulmans de différentes races de progresser rapidement dans les sciences, de construire un édifice scientifique et culturel qui a fait avancer l'humanité est capable grâce à ses racines spirituelles de participer dans le présent et l'avenir au progrès de la civilisation.

Comme la science est bien de tous ceux qui s'efforcent de l'assimiler et de la développer, la langue arabe scientifique formée par des générations de savants de tous les pays d'Islam sera une nouvelle fois un moyen pour le bonheur des hommes.

Ces deux facteurs : ouverture active par la traduction dans les deux sens, unité dans l'Etude et l'Action assureront à l'Islam un renouveau.

Avant de terminer mon propos, permettez-moi d'évoquer un souvenir riche de signification. Il y a 36 ans, mon père, que Dieu l'ait en sa miséricorde, a tenu à faire suivre à la fin de l'année scolaire dans cette ville de Béjaïa dans une médersa libre, au petit élève du lycée d'Alger que j'étais devenu, un stage de langue arabe et d'étude islamique à la place de vacances scolaires pour faire en sorte que l'enseignement reçu à l'école française ne me fasse pas perdre le capital le plus précieux celui de mon âme de musulman.

Miséricorde de Dieu sur toi O mon père qui a accompli ta mission et merci renouvelé aux maîtres de cette école dont l'un d'eux et mon cher maître cheikh Ali auquel je demande de pardonner mes fautes de langue arabe, elle ne sont dûes qu'à moi-même.

ENTRE LE FANATISME ET L'ISLAMISATION : L'ATTITUDE DE RAMON LLULL A BIDJAIA

du Dr Miguel de EPALZA (Espagne)
Professeur de Lettres à l'Université d'Alger

Excellence, chers collègues et amis.

En tout premier lieu, je vous prie de bien vouloir m'excuser de ma mauvaise prononciation en arabe. Je suis étranger et je parle mal votre belle langue. Certains d'entre vous connaissent peut-être mieux la mienne que moi la vôtre. Je vous présente mes excuses. Mais je préfère parler l'arabe avec difficulté que le français avec facilité, car cette langue, ici, m'est seulement une langue étrangère ; c'est aussi la langue de la colonisation culturelle, conséquence de la colonisation politique.

J'espère, néanmoins, que malgré les difficultés linguistiques, nous pourrions nous comprendre, en parlant de ces sujets historiques qui concernent autant votre pays que le mien.

En effet, je vais vous présenter un épisode de l'histoire commune de la ville de Bougie et de l'île de Majorque, où j'ai été élevé : les séjours de mon compatriote Ramon Llull à Bougie.

A Majorque, si vous demandez ce que connaissent les gens sur Bidjaïa, on vous dira : c'est là que Ramon Llull est mort. Les historiens ne savent pas très bien s'il est mort dans la ville elle-même ou en mer, mais les gens le croient ainsi. Bidjaïa est très connue à Majorque à cause de Ramon Llull.

Mais les relations entre l'île de Majorque et la ville de Bidjaïa sont beaucoup plus anciennes et elles se poursuivent jusqu'à nos jours. Il y a entre les deux 160 milles et de très nombreuses relations historiques. Je ne vais citer que quelques-unes :

- dès la plus lointaine antiquité, des navires de tout origine (phéniciens, carthaginois, romains, byzantins...) ont traversé la Méditerranée, à partir de Bidjaïa ou d'Alger, en s'arrêtant à Majorque ou Ibiza.
- Lorsque l'Islam s'est installé à Al-Andalus, de très nombreux musulmans accomplissaient le Pèlerinage en bateau, comme le fameux Isam al-Jawani, qui a conquis l'île pour les émirs de Cordoue, à la fin du 11^e siècle de l'Hégire.

- Pendant les luttes politiques du III^e siècle entre les Fatimides d'Ifrîqiya et les Oméyades d'Al-Andalus, Majorque et Bidjaja ont été des ports ennemis, qui servaient pour la guerre maritime des deux états.
- Quant à leurs relations au temps des Hammadites, vous avez écouté la magnifique conférence de mon cher collègue et ami le professeur Moulay Belhamied. Majorque appartenait alors au souverain de Denis, qui voulait déjà faire un empire commercial et maritime en Méditerranée, avec de nombreuses relations avec les Andalous installés ici.
- Plus tard, pendant les luttes entre almoravides et almohades, ce furent les Banu Ghazis, souverains almoravides de Majorque, qui ont débarqué avec leur armée à Bidjaja. C'est d'ici qu'ils ont commencé à entreprendre leurs attaques contre les almohades, tout au long des côtes et de l'intérieur du Maghreb oriental.
- Plus tard aussi, les rois d'Aragon et de Majorque ont établi des traités et des alliances politiques et commerciales avec les souverains du Maghreb, pour faire du commerce avec ces pays. Il y avait un consulat majorquin à Bidjaja et le commerce entre les deux pays a été très fructueux, pendant des siècles.
- C'est à Bidjaja aussi que se sont réfugié, au VIII^e siècle, des juifs majorquains, persécutés par les chrétiens. Ils s'y sont installés, protégés par la tolérance musulmane.
- Tout au long du IX^e et X^e siècles, les efforts impérialistes de Ferdinand le Catholique d'Aragon et de l'Empereur Charles Quint d'Espagne et d'Allemagne, ont voulu s'emparer de la ville. Ils y ont fait diverses expéditions à partir de Majorque. On connaît l'échec de ces expéditions militaires.
- A l'époque moderne (X^e-XII^e siècles), il y a d'innombrables voyageurs ou prisonniers majorquains à Bidjaja, comme il y a d'innombrables habitants de Bidjaja voyageurs ou prisonniers à Majorque et dans ses voisines. C'est une période triste des relations entre nos deux pays, cette guerre continuelle de 300 ans entre l'Algérie et l'Espagne.
- Actuellement, avec l'indépendance, les Algériens sont nombreux à passer par Majorque et les Majorquains sont de plus en plus nombreux à visiter votre pays et cette belle ville, leurs voisins du sud.
- Finalement, moi-même, aujourd'hui, j'ai le plaisir de vous parler au nom de mes compatriotes Majorquains, vos voisins du Nord, avec un message de paix et d'amitié, entre nos deux pays voisins. C'est le dernier en date des liens d'une histoire commune très longue, qui regarde vers l'avenir, plein d'espoir.

Mais laissons le présent et le futur, pour tourner les yeux vers le passé, vers Ramon Llull et son temps, vers ses voyages et ses séjours à Badajoz ; jusqu'à sa mort en mer, entre Badajoz et Majorque. Ce sont des histoires du passé, mais il est utile de les connaître. Cela fait partie d'une histoire commune, parfois triste parfois heureuse, qui est le propre de pays voisins.

Ramon Llull fut un religieux majorquin ; de l'ordre des franciscains. Il était philosophe, mathématicien, poète, théologien, un des plus importants écrivains espagnols en langue catalane. Il a été le premier philosophe européen qui n'a pas écrit en latin, mais en langue populaire, en catalan. Il a voyagé beaucoup, en Europe, en Egypte, à Tunis, à Badajoz. Il a connu les principaux personnages de son temps en Europe et son influence philosophique sur de nombreux penseurs européens est remarquable. Il savait l'arabe et on remarque beaucoup l'influence arabe dans ses écrits. Il est le seul philosophe européen au moyen-âge à avoir connu directement l'arabe. Il a influencé ainsi, plus que d'autres philosophes européens, le courant islamique de la pensée européenne médiévale.

Mais il était aussi un homme religieux, qui appartenait à l'ordre des franciscains. Avec l'exemple de sa vie pieuse et la prédication de l'Evangile, il voulait proclamer partout la religion chrétienne, en Europe et en Afrique du Nord. Il prêchait et écrivait en latin et en catalan en Europe et il a appris l'arabe pour prêcher et écrire en arabe en Afrique du Nord.

Je ne vais pas parler ou juger ici les missionnaires. Ce sujet a été très bien traité à Tizi-Ouzou, dans le cadre du VII^e Séminaire de la pensée islamique. Comme historien, je me limite à constater ce fait, qui est important pour comprendre l'action de Ramon Llull dans son temps.

En effet, à cette époque, Saint François d'Assise, fondateur de l'ordre des franciscains, l'avait créé pour diffuser la religion chrétienne en Europe et dans le monde entier. Les religieux ; appelés franciscains, prêchaient dans toute l'Europe, en pauvreté et pitié. Mais ils voulaient aussi étendre leur croyance auprès des musulmans.

Cette prédication avait commencé avec Saint François lui-même. Il s'était opposé toujours aux croisades. Il pensait que ce n'étaient pas des guerres religieuses, mais plutôt militaires et impérialistes. C'est pour cela qu'il a voulu aller en Orient, pour prêcher les musulmans. C'est ainsi qu'il a été à Damiette, en Egypte, et il a été reçu très respectueusement par le sultan Salah al-Din al-Ayoubi. Le sultan l'écouta très respectueusement et il est revenu très content en Europe, satisfait d'avoir été écouté par une si haute personnalité musulmane, bien que sa prédication ne l'avait évidemment pas convaincu d'embrasser le Christianisme. Il avait été respecté, parce que sa prédication avait été, elle aussi, respectueuse et modérée. C'est pour cela qu'il fut respecté aussi par les musulmans, qui avaient vu en lui un homme pieux, qui croyait en sa religion et que le Coran ordonne de respecter.

Mais tous les religieux franciscains n'étaient pas aussi respectueux que leur fondateur. A la même époque, six religieux franciscains venaient au Maroc, pour prêcher l'Evangile,

mais aussi pour insulter le Prophète et la religion musulmane. A Marrakech, en 1220, ils prêchaient en public, malgré les avertissements des autorités musulmanes et des chrétiens qui habitaient dans la ville, dont le prince Pedro de Portugal. Ils furent mis à mort par le calife, qui craignait un soulèvement populaire. Leurs corps furent emportés en Europe, lorsque le prince Don Pedro de Portugal se retira du Maroc, pour finir ses jours à Majorque.

Une attitude très différente fut celle d'un autre religieux franciscain de Majorque, Anselm Turmeda, qui vint à Tunis vers 1390 et se fit musulman sous le nom d'Abdallah al-Tarjuman. C'est une histoire très curieuse, dans l'ensemble des relations historiques entre Majorque et le Maghreb, au moyen âge.

Anselm Turmeda était né à Majorque, la Cité de Majorque. Religieux franciscain, lui-aussi, il avait fait ses études à Majorque, à Lérida et à Bologne, en Italie. A l'âge de 30 ans, il se dirigea à Tunis pour se faire musulman. Il fit sa profession de foi en présence du sultan de Tunis et il fut nommé traducteur de la douane du port de Tunis. Plus tard, il réussit à être chef de la douane et à occuper divers postes très importants dans l'administration financière du royaume hafside, qui était alors au sommet de sa gloire et dont les possessions arrivaient jusqu'à Bidjaya.

Anselm Turmeda n'est pas seulement un personnage politique et religieux très important. Il est aussi un écrivain remarquable. A Tunis, il écrivait en langue catalane beaucoup d'ouvrages, qu'il envoyait par des commerçants à son pays natal et qui obtenaient beaucoup de succès. Mais il écrivait aussi en arabe, à la fin de sa vie, un livre original : « Le Présent de l'homme lettré contre les partisans de la Croix ». Il y raconte sa vie et sa conversion à l'Islam, l'histoire des souverains tunisiens qu'il avait servi et, surtout, il fait une vaste refutation du Christianisme, qu'il connaissait assez bien, puisqu'il avait été prêtre et religieux chrétien. Ce livre a eu aussi beaucoup de succès dans le monde arabe et islamique. J'en ai trouvé 46 manuscrits, en arabe et en turc, de Rabat à Bagdad. Il y a eu trois éditions en arabe et trois en turc, dont la dernière en 1970.

Je crois qu'Abdallah al-Tarjuman est le seul écrivain qui ait écrit en arabe et dans une langue européenne et qui ait eu une renommée littéraire dans les deux langues. C'est aussi pour cela que la vie de ce religieux franciscain de Majorque est si intéressante. Il se fit musulman et écrivit en arabe, mais il n'oublia pas pour autant sa culture majorquine et il maintint des relations amicales avec des personnages de son île natale et écrivit dans sa langue comme en arabe.

Entre le fanatisme des franciscains de Marrakech et l'islamisation du franciscain de Tunis, il faut situer Ramon Llull, lorsqu'il vient à Bougie.

Ramon Llull naît vers 1232 à Majorque, quelques années après la conquête de l'île par le roi d'Aragon. Il fut un chevalier courtois et galant, jusqu'à sa conversion à la piété ; à 33 ans. Ils se convertit alors, abandonne sa famille et ses occupations, et se consacre entiè-

vement à diffuser la religion dans toute l'Europe, par ses écrits et sa prédication. Comme il avait vécu près des musulmans, il voulait aussi prêcher la foi chrétienne parmi eux. Pour cela il apprend la langue arabe et tâche de convaincre le Pape et les princes chrétiens pour qu'ils fondent des écoles de langue arabe, pour que les prédicateurs puissent connaître la langue, la religion et la culture arabe. Bien qu'il avait surtout un but religieux, la diffusion du Christianisme, Ramon Llull est un de ceux qui ont le plus influencé la culture européenne avec des valeurs arabes, grâce à ses écrits et ses initiatives pédagogiques.

C'est ainsi qu'il a écrit de très nombreux ouvrages, entre autre le « livre de contemplation », qu'il rédige en premier lieu en arabe, puis en catalan. Il enseigne dans diverses universités européennes. Mais il songe aussi à prêcher la foi chrétienne aux musulmans. Vers 1280 il fait un voyage en Orient ; spécialement aux lieux saints des chrétiens, en Palestine. Deux ans plus tard, il va à Tunis et a des entretiens journaliers, avec des savants musulmans, en raisonnant sa foi et en tâchant de comprendre mieux leurs raisons ; L'influence des ses longues conversations est décelable dans ses écrits ultérieurs : il raisonne toujours à partir de la foi musulmane et des attributs de Dieu et non pas à partir des dogmes chrétiens, comme les autres théologiens européens.

Il retourna en Italie, en tâchant de convaincre le Pape et les personnages ecclésiastiques qu'il fallait consacrer plus d'efforts à la prédication en général et à celle des musulmans en particulier.

Après, il continue à prêcher et à voyager par toute l'Europe et, à 75 ans, il reprend le chemin du Maghreb, à partir de son île natale. Il vient à Bidjaïa. Il commence à y prêcher et à discuter sur la religion musulmane. Le cadî le fait emprisonner et lui dit : « quelle folie te permet d'attaquer ainsi en public notre sainte religion ? » Il le fit emprisonner, mais il permettait que des ulemas musulmans viennent lui rendre visite, pour discuter avec lui et le persuader de la vérité de la religion musulmane. Il leur répondait et, de nuit, il écrivait le résultat de ces discussions et de ses réflexions faites en commun. C'est ainsi que vit le jour le livre « Discussion de Ramon, chrétien et Hamar sarrazin », écrit à Bidjaïa. Finalement, le souverain ou gouverneur de Bidjaïa l'envoya par un navire à Pise, en Italie.

Il continua ses écrits et ses voyages en Europe, cet indomptable vieillard qui était si persuadé de sa vérité et toujours disposé à prêcher sa religion, même au Pape et aux princes chrétiens. Mais il n'oubliait pas les musulmans et, finalement, vieillard de plus de 82 ans, il retourne encore une fois à Bidjaïa, en 1314. Puis il passe à Tunis, où nous le voyons demander au roi d'Aragon de lui envoyer un interprète et secrétaire, car il n'arrive pas à venir à bout dans son travail d'écrivain.

Il revient de nouveau à Bidjaïa et il meurt sur le bateau qui le ramène à Majorque. La légende veut qu'il ait été maltraité à Bidjaïa, mais en fait on ne sait rien sur ses derniers séjours au Maghreb. Les majorquins le vénèrent beaucoup, jusqu'à nos jours, et le jour de l'anniversaire de sa mort, on met son portrait sur la façade de la Municipalité (l'Hôtel de Ville) de Palma de Majorque. Je l'ai vu moi-même, lorsque j'étais un garçon.

Nous voyons ainsi, entre le fanatisme de certains de ses collègues français et l'acceptation de la religion musulmane par d'autres, cette gigantesque personnalité de Ramon Llull. Bien qu'il a soutenu parfois les croisades militaires, comme de nombreux chrétiens au moyen-âge, il s'est consacré surtout à la prédication religieuse, par ses paroles et ses écrits, en apprenant la langue et la culture arabe et musulmane. C'est un homme qui se base, dans sa prédication, surtout dans le dialogue rationnel. Et c'est ainsi que, en voulant influencer les musulmans, c'est lui le théologien chrétien qui a été le plus influencé par l'Islam.

C'est un exemple de la culture arabo-musulmane en Europe, tout au long du moyen-âge. Il pose aussi un problème complexe d'acclimatation : comment l'opposition religieuse n'exclut pas une importante interaction culturelle, dans le bas moyen-âge, lorsqu'il y a des conditions d'estime et de connaissance, de contact personnel, entre chrétiens et musulmans.

Je crois que si Ramon Llull s'est occupé des musulmans, il s'est intéressé avant à eux et a été si influencé par leur culture, c'est précisément parce qu'il vivait dans une île, au milieu de la Méditerranée, ouverte à tous les courants de cette mer commune. C'est pour ça qu'on a fait récemment une statue de Ramon Llull à l'entrée du port de Majorque, avec les bras ouverts. C'est un symbole de l'hospitalité. C'est aussi un symbole de l'ouverture d'esprit à tous les courants de la pensée de son temps.

A propos de cette ouverture de Ramon Llull, permettez-moi de finir mon intervention avec une anecdote sur cette statue du port de Palma de Mallorca.

On l'a faite il y a 7 ans. Une personnalité majorquine eut l'idée de mettre à la base de la statue une phrase sculptée extraite d'un texte de Ramon Llull, dans les trois langues qu'avait utilisé l'écrivain : le latin, le catalan et l'arabe, c'est-à-dire, les trois langues de culture de son temps.

Pour choisir la phrase arabe, on m'a demandé de la faire moi-même, et j'étais alors professeur à l'Université de Lyon, en France. J'ai trouvé l'idée excellente mais j'ai pensé qu'il serait mieux que ce soit un musulman, un arabe et, encore mieux, un algérien celui qui aurait à choisir le texte, puisque Ramon Llull avait écrit en arabe pour les musulmans et puisqu'il était mort à Bidjaïa, en Algérie. J'ai donc demandé ce service à mon collègue et ami le Dr Ali Mered, qui a eu la gentillesse de choisir la phrase suivante : « Il n'y a pas d'amour sans volonté efficace, mais il n'y a pas de volonté efficace sans amour ». Puis je l'ai envoyé à Palma de Mallorca.

Mais la phrase était écrite sur une seule ligne horizontale et la base de la colonne était verticale. Il fallait couper la phrase et mes collègues majorquins oublièrent que l'arabe s'écrit de droite à gauche. Ils coupèrent la phrase de gauche à droite, c'est-à-dire, en commençant par la fin. Ils mirent donc la fin de la phrase dans la première ligne, le milieu dans la seconde et le début dans la troisième. La phrase devenait alors parfaitement inintelligible.

J'étais à Lyon et je n'ai rien su de cela, mais à Majorque, il y eut des gens qui protestèrent, en disant que c'était incompréhensible. Le personnage qui avait eu l'idée, fit une polémique dans la presse ; en disant qu'il avait consulté des professeurs d'Université très compétents et qu'il avait montré l'inscription à des arabes, qui avaient compris le sens général, tout en disant que c'était très étrange et que nous avions peut-être écrit en arabe médiéval. Ainsi les gens se tirent.

Mais au bout d'un certain temps, j'ai visité de nouveau Majorque et j'ai vu la statue et ce qu'on avait fait avec l'inscription en arabe. J'ai téléphoné à l'illustre personnalité et je lui ai dit qu'il y avait une erreur très importante. Il s'est exclamé : « Vous aussi ! Maintenant que je les avais convaincu tous que c'était très bien... » Mais il fit corriger l'erreur et vous pouvez voir maintenant la statue de Ramon Llull, avec les bras ouverts, à l'entrée du port de Palma, les bras ouverts au monde entier, mais curieusement dirigés vers Bidjaïa, la terre où il était mort.

Tout cela, ce sont des histoires du moyen-âge. Maintenant tout a changé entre mon pays et le vôtre, entre la religion musulmane et la religion chrétienne. Mais aujourd'hui aussi, il y a une phrase de Ramon Llull, qui est valable entre vosans de Majorque et de Bidjaïa, celle qui est gravée à la base de la statue de Ramon Llull

« Il n'y a pas d'amour sans volonté efficace, mais il n'y a pas de volonté efficace sans amour ».

LA CIVILISATION MUSULMANE ET LA TENDANCE HUMANISTE

CONTRIBUTION DE LA PENSEE ET DE LA CIVILISATION ISLAMQUES DANS LES DIVERS DOMAINES DES SCIENCES ET DES ARTS ET DU PATRIMOINE HUMAIN EN GENERAL. FACTEURS DE LEUR EPANOUISSEMENT. CAUSES DE LEUR DECADENCE ET CONDITION DE LEUR RENAISSANCE

Conférence du Dr Ihsan Abbas (Liban)
Professeur d'Histoire
à l'Université Américaine de Beyrouth

Hans Heinrich Schneider (1) soutient que l'héritage hellénique a été le facteur déterminant dans l'orientation (l'adaptation) de la civilisation musulmane, et que l'adoption de cet héritage a eu pour unique motivation l'intérêt pratique ; il devait constituer un moyen de défense du cachet religieux de cette civilisation. De là provient que la civilisation musulmane est demeurée prisonnière du "moule" Grec et qu'elle n'a pas été en mesure de s'orienter vers la tendance humaniste, cette même tendance qui a été le secret du développement de la civilisation européenne influencée pourtant - tout comme la civilisation musulmane - par le même apport hellénique.

Ces opinions qui semblent liées entre elles comme "les causes le sont aux effets", ne sont, en fait, que des jugements gratuits dénués de tout examen tant soit peu approfondi de la nature de la civilisation musulmane, dans ses formes comme dans ses aspects multiples, et de tout étude globale qui n'autorise pas les généralisations hâtives.

Si nous renvoyons ces jugements aux hypothèses premières dont ils sont issus, nous n'aurons aucune peine à démontrer leur erreur : l'écrivain a posé comme première hypothèse que tous les pays où l'Islam s'est implanté, tels le Sind, les pays au delà du fleuve, la Perse, l'Irak, la Syrie, le nord de l'Afrique, l'Andalousie, avaient adopté la civilisation

(1) Allusion à une étude de cet auteur parue sous le titre "L'Orient et l'Héritage hellénique", et traduite en arabe sous le titre "L'apport de la civilisation arabe" par le Dr Abderrahmane Belkacem - Beyrouth 1958.

hellénique, bien avant la conquête musulmane et à la suite de l'expédition d'Alexandre le Grand. Ils s'étaient donc détournés de leur civilisation propre, ou du moins la culture grecque avait acquis droit de cité dans ces pays...

Cette assertion n'est pas du tout corroborée par les faits historiques, sans compter que l'écrivain, en évoquant la civilisation musulmane, s'est cantonné dans un domaine restreint de cette civilisation, à savoir les spéculations logiques et philosophiques, et a négligé les autres aspects culturels où la civilisation musulmane a donné une image de sa nature propre et de son authenticité, tels que les hadiths, la législation, les sciences expérimentales (botanique, géographie, etc...). Comme il a « oublié » les aspects matériels de cette civilisation, au nombre desquels le développement de l'urbanisme, par exemple.

Qui plus est, il aurait été loisible à cet auteur — s'il avait pu se libérer de son sectarisme en faveur de l'hellénisme — de découvrir dans la philosophie islamique même, les traits distinctifs de la personnalité de la pensée islamique.

La plus grande erreur dans laquelle puisse tomber le penseur occidental en portant des jugements sur la civilisation musulmane, serait de la regarder à travers le « prisme de la civilisation » à laquelle il est habitué, et de l'étudier alors qu'il est encore sous l'emprise du milieu culturel auquel il appartient. Formuler une opinion sur une civilisation quelle qu'elle soit implique — même si cela est difficile — de faire au préalable — et objectivement — abstraction de toute appartenance culturelle antérieure, et de tenir compte des impératifs, des éléments constitutifs, des formes de contribution, des aspects de force et de faiblesse de cette civilisation, avant d'en arriver à la mettre en parallèle avec celle dont le chercheur est imprégné (2).

Ici réside encore une autre erreur de Schneider, celle qui lui fait voir la civilisation musulmane à travers le cadre helléno-chrétien, et sa conviction intime qu'une religion définie par une organisation minutieuse est incapable de développer, de son intérieur, une « tendance humaniste ».

Malgré que l'expression « tendance humaniste » implique toute une gamme de particularités abstraites qu'il n'est pas aisé de définir et qui demandent à être soumises à des critères pratiques et clairs, nous pouvons dire que ce qui distingue le plus cette tendance, c'est qu'elle refuse de minimiser la valeur de l'homme et l'importance de son travail individuel et collectif, comme elle refuse de considérer le seul « côté faible » de la nature humaine. Elle glorifie, au contraire, la grandeur de la pensée humaine, sa force créatrice

(2) Schneider doit reconnaître de cela lorsqu'il écrit : "Quiconque est né et a grandi dans le contexte de la civilisation occidentale, est incapable de comprendre les civilisations étrangères autrement qu'à travers une optique positiviste, qu'il le veuille ou non". ("L'esprit de la civilisation", 22-24). C'est cette décadence qui donne tout son sens à l'objection dans la pratique et la jugement que l'auteur n'a fait aucun effort pour observer certaines réponses dans l'évolution de son opinion.

dans les domaines des sciences, des arts et de la vie morale, et elle tend — de ce fait — vers une théorie morale sur l'action, en incitant l'homme à déployer des efforts continus afin de réaliser la perfection suprême des relations humaines (3).

En examinant de plus près cette forme que revêt la tendance humaniste, l'on se rend compte qu'elle se résume à deux supports essentiels :

1°) L'exaltation de la valeur de l'homme et du travail humain.

2°) Sa préparation pour la création et l'innovation dans le cadre de valeurs morales humaines. Ces deux supports — ou ces deux principes si l'on veut — supposent implicitement que la civilisation fondée sur une base religieuse n'est pas capable de les assurer, du fait que la religion élève un obstacle essentiel entre la faiblesse de l'homme et la puissance de Dieu, entre le travail humain et le travail divin, et qu'elle implique, en outre, des valeurs morales puisées en dehors du mouvement de l'évolution humaine.

C'est pourquoi, une telle civilisation s'avère incapable, par nature, de pousser l'homme à la création et à l'innovation, parce qu'elle le ramène à tout instant, par la force du facteur confessionnel, au respect de la tradition et des coutumes. Aussi n'est-il pas possible qu'elle réalise un progrès spirituel, s'il n'y a pas mutation et adaptation aux situations nouvelles et non pas seulement dans le transfert et la nouvelle formulation de ce qu'elle a hérité et reçu (4).

Il n'est personne pour nier que la civilisation musulmane a été bâtie et s'est développée dans le cadre de la religion. Mais jusqu'à quel point l'opposition entre la faiblesse de l'homme et la puissance de Dieu a-t-elle été un obstacle dans l'exaltation de la valeur humaine ? Jusqu'à quel point l'action humaine et l'action divine ont constitué un antagonisme empêchant le progrès de la civilisation ? Il ne fait pas de doute que l'éclaircissement de cet « antagonisme » est indispensable pour définir une réponse exacte à ces deux questions.

La faiblesse humaine — ou l'incapacité de l'homme — est une chose relative qui n'existe pas dans la nature même de l'homme, mais seulement en comparaison avec l'image de la perfection absolue, avec Dieu. Cela ne veut pas dire que l'homme demeure les « bras entravés » devant les obstacles et les difficultés qu'il rencontre dans l'Univers. Il est, au contraire constamment appelé à manifester la puissance divine — par la pensée et l'action — à travers sa propre puissance. Sur cette base, l'action humaine au sein de l'Univers, devient une forme de l'action divine. Il n'y a là rien que qui minimise le travail humain, mais il s'agit d'une prudence constante pour que la conscience de la valeur de ce qu'il crée ne prenne pas chez l'homme des proportions telles qu'il se croit « un dieu dans cet univers ».

(3) Echel avec de légères retouches, de "Métaphores de la civilisation européenne", p. 111 (de Claude Gellner, introduction de Colette Jaubert - Paris - 1ère édition, non corrigée).

(4) "L'Esprit de la civilisation arabe", p. 25.

C'est effectivement à cela qu'a conduit la sensation de puissance dans la civilisation européenne, laquelle a développé la tendance humaniste à l'extrême, ce qui a engendré, par voie de conséquence, les concepts de supériorité, d'une race ou d'une ethnie sur les autres, et de la suprématie européenne à l'égard du reste du monde. La première recommandation de la dialectique humaniste consiste à généraliser la vision de considération à l'égard de l'homme où qu'il se trouve, à quelque race qu'il appartient, et à inciter celui-ci — sur la base de ce principe — à créer dans le cadre de ses conditions propres et de ses possibilités.

De ce point de vue, nous constatons que la tendance humaniste sur laquelle s'est édifiée la civilisation occidentale s'est épuisée de façon inhumaine et qu'elle a été incapable — par sa morale — de « réaliser la perfection supérieure des rapports humains », puisqu'elle est devenue — surtout à la suite de la révolution industrielle — la civilisation du producteur-exploiteur « supérieur à tous les autres ». Ceci ne veut pas dire que nous condamnons les aspects positifs des réalisations à l'actif de la civilisation occidentale, mais il s'agit d'une tentative pour mettre en relief tout le danger qu'il y a, à accorder — dans cette civilisation — une ampleur sans limites à la « tendance humaniste ».

Tel n'a pas été le cas de la civilisation musulmane. Le concept de « tendance humaniste » qui la caractérise puise, en effet, son existence avant tout de l'égalité théorique entre tous les hommes, égalité qui subit certes, des perturbations, de temps à autre, sur le plan pratique, mais des perturbations auxquelles il est possible de remédier par un retour constant à l'idéal théorique. Dans le contexte universel, cette égalité signifiait la dispense de chances égales de contribution à l'édifice de progrès et de civilisation, au point que si nous recherchons une image générale pour cette civilisation, nous dirions qu'elle est une civilisation « de coopération et de participation », où collaborent toutes les races, chacune selon ses potentialités et ses possibilités, à l'ombre d'une religion unificatrice et universelle, et sans que cela dégenère en quelque discrimination raciale que ce soit ou bien en une soif de domination et d'exploitation.

Il nous suffira ici, pour souligner la solidarité de l'appartenance religieuse et sa force, parmi tous les autres liens de fanatisme — selon l'expression d'Ibn Khaldoun — de citer un seul exemple, celui de l'apparition de la « chouhûdiah » dans le sillage de cette civilisation. Cette tendance qui a eu une existence éphémère à l'époque où la civilisation musulmane avait atteint son apogée, a trouvé pour la stigmatiser et pour refuser son contenu des gens qui n'étaient pas toujours d'appartenance arabe.

Elle n'est pas arrivée — en dépit de toutes ses prétentions — à affaiblir cette inter-pénétration générale des races dans la structure de la civilisation musulmane. Mais, lorsqu'elle réapparut plus tard sur de nouvelles bases, elle ne manqua pas de conduire la civilisation musulmane à une certaine stagnation, comme je me propose de le montrer en temps voulu.

En dépit des multiples vengeances politiques et des dangers extérieurs, les éléments unificateurs — ou du moins l'interpénétration raciale — sont demeurés plus forts, dans

la civilisation musulmane, que les facteurs de division. La religion n'a pas été le seul facteur capital dans le maintien de cette unité ou de cette interpénétration, mais il y eut aussi d'autres facteurs importants tels que la langue, les libres échanges commerciaux, l'incessante interaction culturelle, l'existence d'une législation aux fondements uniques.

Il ne m'est pas possible d'expliquer et de clarifier chacun de ces facteurs et de mettre en évidence l'étendue de son influence, dans la limite de ce propos, mais je me contenterai de dire ceci : la loi fondée sur de grandes bases communes a préservé l'ordre social et donné à chaque individu un sentiment de sérénité au milieu des bouleversements politiques, elle a placé les magistrats dans une position de force lorsqu'ils avaient affaire à quiconque essayait d'attenter aux libertés individuelles (5).

Quant à l'interaction culturelle, elle a été peut-être parmi les témoignages de civilisation les plus en vogue à cette époque. Les déplacements à la recherche du savoir et la circulation des livres entre un pays et un autre se poursuivaient sans arrêt, ce qui confirme, si besoin est, l'unicité de civilisation et lui confère un cachet culturel particulier. L'homme de culture n'affrontait aucune difficulté d'ordre politique ou régional, il était assuré de rencontrer la tranquillité partout où il allait, dans une société aux traditions et aux législations interraciales, une société unifiée dans une très large mesure quant à la langue de compréhension. Toutefois, ce puissant et dynamique mouvement d'interaction culturelle s'est avéré impuissant à assurer deux choses importantes dans la vie culturelle de cette époque, à savoir :

1°) Elever une barrière solide et à toute épreuve entre deux voies scientifiques divergentes. Certes, des tentatives ont été faites, nombreuses, pour concilier loi islamique et philosophie chez les philosophes musulmans. Ibnou Hazm et Al Ghazali ont essayé d'interroger tous les modèles de la logique aristotélicienne en comparaison avec la législation islamique, et il n'était pas rare que l'homme cultivé réussisse entre les sciences des anciens et le savoir musulman, (comme c'était le cas d'Al Ghazali et de Kamal ad-Dine Ibn Younès et d'autres), ou bien entre la science des hadiths et la botanique — y compris la connaissance des vertus des plantes et des drogues médicinales — pour la raison que les deux sciences reposaient sur les voyages et les expéditions (ex : Ibnou ar-Roumyah al Andaloussi).

Mais il est demeuré tout de même deux voies scientifiques divergentes auxquelles a fait allusion le médecin Ibnou an-Nafis en disant : « Il n'existe que deux doctrines : celle des mouhaddithines et celles des philosophes » (6).

Il entendait dire par là le système basé sur l'assertorique et celui fondé sur la spéculation mentale. Malgré le fait que cet affrontement entre les deux systèmes ait eu des

(5) W. Fl. Warr : *Islam and the Integration of Society*, pp. 200-207 (London 1961).

(6) C'est Ibnou Tushayh, dans "l'antagonisme entre la raison et la transmission" pp. 270, Tome 1, revu par le Dr Mohamed Rached Salem (Maison des Livres - Le Caire 1971).

résultats intellectuels dignes d'être pris en considération, ce clivage a fait pencher la balance du côté des effets négatifs, du fait que la vie culturelle en général s'est trouvée exposée à la stagnation.

2^o) Comblant le fossé qui existait alors entre les hommes de culture et les masses populaires, à tel point qu'était apparu — dans ce domaine — ce que l'on peut appeler une « aristocratie intellectuelle », représentée par les hommes de culture. Quoique le terme de « masse » ait plusieurs désignations, selon les cas d'emploi, il était utilisé assez souvent pour distinguer les intellectuels des autres couches populaires, ou bien un clan particulier d'intellectuels, tel celui des *mo'tazilâh*, par exemple, et tous ceux qui n'étaient pas de leur bord. Le mot contient également un sens péjoratif qui dénote un certain complexe de supériorité.

Si cette situation a écarté les masses du courant culturel, elle a placé la culture elle-même dans une position isolée et lointaine, à telle enseigne que les rapports entre les masses et la culture avaient lieu — durant les premiers siècles — par les biais du prédicateur ou du conteur, les deux entretenant chez les masses la crainte de la mort et de l'enfer et les alimentant en général de légendes. Durant les siècles de décadence ces deux personnages ont été remplacés par le « récitant » et le « chanteur » qui animaient les veillées avec des récits épiques et des histoires d'amour romantique. Voilà pourquoi les masses ont cherché refuge auprès des danses extatiques coïstes où, du moins, elles satisfaisaient comme elles pouvaient leur besoin de nourritures culturelles autant que spirituelles.

Partant de là, nous pouvons dire que la civilisation musulmane a été une civilisation collective (7), aussi bien dans ses composantes que dans ses objectifs. Elle reposait, en d'autres termes, sur une méthodologie et sur une organisation. Aussi est-il erroné de la regarder à travers la « tendance humaniste » qui a donné à la civilisation occidentale son cachet particulier.

La tendance humaniste développe, en effet, l'individualisme jusqu'à l'extrême, tandis que la civilisation méthodique est organisée incite les énergies individuelles à la création, sans pour autant leur permettre d'atteindre une puissance telle qu'elles devraient entraîner un danger pour l'intérêt général. Elle ne leur permet également pas de détruire les liens organisés entre Dieu et l'homme, ou bien, en d'autres termes, cette civilisation maintient la dynamique de la création et de l'innovation dans un cadre défini, celui où les critères sont des concepts moraux « préétablis », longuement éprouvés, et où la puissance de création, son développement et sa régression, son essor et son repli sur elle-même suivent la couche de la sérénité collective ou de la crainte d'un danger menaçant la communauté dans sa cohésion. Malgré le fait que la propension à l'intransigeance en ce qui concerne l'attachement

(7) Chaque civilisation est collective car elle est au service de la collectivité et de son épanouissement. Ce que j'ai voulu montrer, c'est que les réalisations enregistrées par la civilisation musulmane — qu'il s'agisse volontaires ou forcées — ont été aussi bien du point de vue de l'organisation que de la conception, au service de tous.

à ces critères, la tyrannie de l'esprit conservateur et la tendance à l'imitation soient les dominantes dans ce deuxième cas, la croyance à l'idéal de renouvellement ne disparaît pas totalement. De là provient que certaines doctrines professent que « Dieu envoie à la tête de chaque nation un homme qui renouvellera sa religion ».

Les différents domaines humains se caractérisent par une capacité plus ou moins grande de perméabilité à l'esprit d'innovation, puisque la force créatrice peut réaliser sa liberté totale, par exemple, dans les domaines matériels et expérimentaux : tels l'industrie, l'agriculture et le commerce, les arts architecturaux ; elle peut se frayer un chemin particulier et prendre des traits distinctifs dans la peinture et la sculpture décoratives, la musique et les belles-lettres d'une manière générale, comme elle peut prendre son essor en toute liberté dans les domaines des mathématiques, de la physique, de la chimie, de l'astronomie, jusqu'au moment où, ayant atteint la frontière de la métaphysique, il lui est recommandé d'avancer avec prudence et de rester convaincus de son incapacité à formuler des critères fermes dans ce dernier domaine. C'est pourquoi le principe de conciliation entre la religion et la philosophie a été le point de départ le plus constant dans l'histoire de la philosophie islamique, que l'essai ait été concluant ou non.

Les rapports de l'homme avec ces critères se définissent en deux tendances — graduées : — l'acceptation et la propension au défi.

Les réalisations de la tendance réceptive ne sont pas moins innovatrices que celles de la propension au défi, comme c'est le cas pour l'acceptation de l'appel concernant la recherche du savoir et les voyages (commerce, géographie), la mise en relief de la puissance de Dieu dans l'Univers (zoologie, botanique, géologie, etc...).

Pour ce qui est du défi, nous devons distinguer deux points de vue : le point de vue pratique et le point de vue théorique et intellectuel. Il se peut que le développement de l'industrie textile et la technologie dans le bâtiment soient considérés comme un défi à l'esprit de déviation simpliste. Mais c'est un défi qui ne tarde pas à triompher dans le contexte de la mutation civilisatrice inéluctable, car le champ d'application du licite est très vaste. Il se peut que le fait de boire du vin soit également un défi à l'interdiction, comme l'intemperance dans la prohibition de l'intérêt a conduit les gens à ruser avec ce principe en ayant recours au crédit ou à d'autres modes de rapport de l'argent, comme c'est d'ailleurs le cas pour d'autres prohibitions. Mais ce défi a toujours été traité sur une base individuelle et maintenu dans son cadre restreint, au point qu'il ne représente pas un grand danger tant qu'il n'a pas tendance à devenir une base de comportement collectif. C'est d'ailleurs là le sens du hadith sacré : « Que celui qui aura touché à l'une de ces « saletés » se cache sous le voile de Dieu » (8).

81 Al-Muassatrah, Bab El-Houdoud : 12

Le défi intellectuel, par contre, a été le genre de défi le plus dangereux parce qu'il portait ou tentait de porter atteinte à la substance même de ces critères, c'est-à-dire au principe du monothéisme et de la Distinction absolue de Dieu. C'est ce qui est apparu avec les sectes ultras qui en sont arrivées à diviniser l'individu, ou bien avec les agnostiques qui ont été considérés comme hérétiques, tels que Ibnou ar-Rawandi, Ibnou Aïssa al-Warrâq, le médecin Ar-Razi (Razès).

Il n'est pas douteux que les buts de beaucoup d'entre eux n'étaient pas purement intellectuels, mais politiques et matérialistes et qu'ils ont été considérés sous l'angle du complot contre la communauté, dans le but de la torpiller de l'intérieur. Si l'on jette un coup d'œil sur les victimes de ce défi intellectuel, on constate qu'elles ont été très peu nombreuses à travers les siècles, étant donné qu'après une courte période où les libres-penseurs furent traqués et, condamnés à la peine de mort, le dialogue intellectuel avait pris la place du châtiment, ce qui peut indiquer que la tendance perverse à la répression intellectuelle est une notion exagérée. Comme nous ne devons pas absoudre totalement ceux qui ont appliqué cette répression, car ils poursuivaient parfois des buts qui n'avaient rien à voir avec la sauvegarde de la religion et la préservation des critères.

Il nous faut accorder ici un regard spécial au phénomène plusieurs genres de défis. C'est du point de vue de la recherche du salut individuel, l'isolement par rapport à la société, un défi à l'effort collectif et à l'interpénétration sociale. Du point de vue des dépassements de la loi religieuse et de l'anti-ritualisme c'est également un défi aux liens organisationnels. Il en est de même en ce qui concerne l'indénification ou panthéisme, qui est un défi au principe de la Distinction de Dieu. Si l'on essaie de l'examiner du point de vue de l'interprétation, le ghoufisme apparaît comme une tentative de révolution contre les concepts généraux édifiés par la langue.

C'est pour toutes ces raisons que le ghoufisme est considéré comme le phototype des liens individuels dépassant les cadres et les critères, et s'appuyant sur le sentiment d'être « étranger » pour atteindre les dimensions auxquelles il prétend. Il arrive que ce sentiment d'« étranger » résulte de certaines situations sociales, économiques et politiques. Il est certain cependant, que la clarté lumineuse qui caractérise la loi religieuse accroît l'effet que souvenent peut avoir ces situations. Aussi voyons-nous l'extase ghoufie s'installer à la place de cette clarté, et le contact direct entre Dieu et le ghoufiste transcender les relations sociales dans leur ensemble.

Mais la perception de la destinée à laquelle « atteint » le ghoufisme (mis à part quelques individualités limitées) nous donne la meilleure image de l'esprit de la civilisation islamique. En effet, Al Ghazali a pu résumer le fossé qui le séparait du droit canon comme le fait pour les ghoufistes de s'organiser en confrères, leur a restitué l'appartenance à une collectivité, au point que ces confrères ont été, pendant les siècles de décadence, une sorte d'affiliation syndicale, en plus de ce que le nist « frère » implique d'aide aux personnes en détresse et d'hospitalité.

Le gôufisme était ainsi devenu un refuge social, restituant aux hommes une grande partie de ce dont ils étaient privés du fait des bouleversements politico-économiques. C'est pourquoi le gôufisme était apparu comme un système acceptable, parce qu'il était devenu important au point de vue de l'interpénétration sociale, et qu'il cessait d'être étranger à l'union religieuse organique.

Le gôufisme comporte une autre signification qui mérite d'être signalée ici, à savoir le fait que le contact avec Dieu le très haut — dans cette vie — indique une transcendance de la mort, ou tout au moins son dépassement et l'accession à un état de perfection et au bonheur dans ce monde.

C'est là un aspect du gôufisme qui évoque l'importance du problème de la mort dans cette voie spirituelle et intellectuelle, mais il ne représente qu'une solution particulière à ce problème qui a eu une forte influence sur la détermination des civilisations et l'orientation de la force créatrice chez l'homme.

Il est clair, par ailleurs, que l'opinion de l'Islam à l'égard de la mort est qu'il s'agit d'un passage entre deux mondes. Étant donné que les forces d'attraction de l'autre monde, et en premier lieu l'immortalité, sont plus fortes que les séductions de ce bas-monde, cela constitue un encouragement à l'ascétisme et au renoncement, ainsi qu'un élan vers le martyre.

L'ascétisme étant une attitude qui se situe entre la jouissance de tout ce qui est licite et la domination de l'instinct par la faim et la soif (ce que la religion n'admet pas), il est apparu que la recherche de la mort ou du martyre est un acte volontaire où sont réunis tous les défis du croyant aux séductions de la vie et à la terreur de la mort, dans l'espérance de ce qui est durable et éternel. Lorsque la vague du martyre se sera apaisée une fois la religion répandue, une tendance gôufiste se fera jour qui tentera de transcender la mort par une nouvelle démarche, comme l'indéisme qui lui était d'ailleurs contemporain, était né aussi de la crainte de la mort. Lorsque ces solutions s'avéraient insuffisantes, certaines retournaient vers l'idéal supérieur de la « djahila », à savoir le fait de lier la mort à la célébrité, au bon souvenir (c'est-à-dire à l'immortalité historique).

C'est à ce sens que fait allusion Al Moutanebbi lorsqu'il fait de la mort un critère pour les qualités humaines, en disant : « Il n'y a aucun mérite pour le courage, la générosité et l'endurance de l'homme, sans la rencontre des peuples ».

Mais les solutions qui étaient proposées et peut-être d'autres encore que je n'ai pu citer, ont été impuissantes à affaiblir chez les hommes l'amour de la vie ; elles ont eu tendance, au contraire, à l'exciter davantage.

Un fait qui attire l'attention, c'est l'accord réalisé entre l'ascète, le libertin et le sage philosophe en ce qui concerne l'expression de l'étendue de cet amour de la vie. Ainsi Imrûn ibnû Hattâb, qui représente l'ascétisme dure, déclare : « Quand je me rappelle les douceurs de la vie, je ne puis empêcher mes larmes de couler ».

— De son côté, Ibnou Guzman, le poète du *zawal andalou*, dit : « N'est-ce pas un malheur que nous mourrions, alors que le monde est toujours vivant ? ».

— Al Moutanebbi, le sage philosophe, dit pour sa part : « Je pense que chacun de nous aime la vie pour lui-même, et qu'il s'efforce de l'atteindre en l'aimant sans réserve ».

Lorsque nous connaissons la profondeur de l'amour de la vie dans cette littérature, il nous est possible de nous représenter que la mort, même si elle reste, selon la conception religieuse, un passage pour l'au-delà, est devenue un ennemi redoutable devant lequel il faut fuir, ou qu'il faut au contraire défier, et, dans les deux attitudes le problème de la mort a eu une profonde influence dans la civilisation musulmane, atteignant souvent non seulement ses détails mais jusqu'à ses généralités : l'ivresse de la musique poétique qui tourne selon un rythme lancinant tel un vertige, est un refuge contre la mort.

L'arabesque, c'est aussi un refuge dans cette fuite de la mort. La poursuite continue des recherches botaniques et physiques, les progrès de la médecine et d'autres sciences, sont également un défi à la mort, etc... Si nous revenons par la pensée à ce qui s'est passé après que la vague tartare eut submergé l'Orient arabe au 7^e siècle, puis à ce qui a suivi l'épidémie de peste qui a ravagé l'ensemble du monde musulman au milieu du 8^e siècle, si nous examinons donc les nouveaux aspects, de la civilisation d'après ces catastrophes, tels que l'approfondissement de l'écriture de l'histoire depuis la genèse du monde jusqu'à l'époque de l'auteur, la concentration des connaissances générales dans des encyclopédies considérables, la recherche et le regroupement d'ouvrages biographiques et bibliographiques, nous constaterons qu'il s'agissait là aussi, de « se mettre sous la protection de l'immortalité » ; en fuyant la mort collective.

— Il n'est que de se rappeler ici « le miroir du temps » de Sabt ibn al Djouzi ; « l'histoire de l'Islam » de Ad-Dhahbi, « Le parfait biographe » d'As-Safdi, « Les yeux des histoires », d'Ibn Chakir al Koutbi, « Les voies des regards » d'Al Amri et d'autres ouvrages biographiques.

En demeurant assez forte pour continuer à « donner » pendant et après ces grandes épreuves, la civilisation musulmane aura administré la preuve qu'elle accordait à l'homme une considération rare, et que cet homme qui participait à cette civilisation avait réussi à réaliser les deux termes de l'équation difficile : « Agis pour la vie comme si tu vivais toujours, et pour l'au-delà comme si tu mourrais demain », sans tomber dans la contradiction.

— Au terme de ce qui précède, il est permis de se demander : « Pour quelle raison cette civilisation s'est arrêtée de « donner » ? ».

L'emploi à dessein l'expression : « s'est arrêtée de donner », afin d'éviter d'autres expressions, comme par exemple : « Pourquoi s'est-elle diluée ? », ou « Pourquoi s'est-elle effondrée ? » ou « Pourquoi s'est-elle éteinte ? » Je sais que beaucoup d'historiens, comme Spengler et Toynbee, considèrent la civilisation comme un être organique qui grandit com

me l'homme, traverse des phases ou des cycles ; que la durée de la civilisation et son effondrement sont une chose inéluctable pour des raisons externes et internes à la fois.

En disant, pour notre part « s'est arrêté de donner », nous ne la sauvons pas de ses éléments de vie, de la mort mais nous laissons debout et non effondrés les témoignages de ses réalisations. Les pages que précèdent peuvent nous inspirer certaines des causes qui ont conduit à cet arrêt. Pour en avoir une idée plus globale, il faut passer en revue les étapes de cette civilisation, car en faisant ressortir ces étapes on souligne la nature du « don » et on découvre en même temps les causes essentielles de son arrêt.

— Afin d'éviter la confusion qui peut résulter de l'interférence des rôles, il est possible de dire, avec une certaine simplification, que cette civilisation a traversé trois grandes étapes :

1) Une étape de reproduction des civilisations diverses après les avoir assimilées ; Il s'agit là d'une étape que toute civilisation peut traverser mais ce qui y distingue la civilisation musulmane c'est l'élargissement de ses horizons pour recevoir les influences et les fonder dans un cadre harmonieux, l'acceptation de l'interaction civilisatrice, d'une âme sereine. Pour donner une image de cette étape, nous pouvons citer l'un des auteurs qui se sont distingués dans l'histoire de la science de cette époque à savoir le professeur Georges Sarton :

« Pour nous résumer nous dirions que la nouvelle civilisation musulmane a été le fruit de la greffe arabe débordante de vitalité et de force sur le vieil arbre vianien, ce qui nous renseigne de prime abord sur les causes de son étonnante fougue et sur les caractéristiques de son développement, sous la poussée de ces deux forces gigantesques. Le « fanatisme » musulman et le sang-froid persan et grâce à la sollicitude d'une chaîne ininterrompue de khalifes abbassides possédés par l'amour de savoir, tels El Mansour Haroun ar-Rachid, Al Ma'moun. La nouvelle civilisation s'est développée avec une grande rapidité et une force supérieure. Ses racines s'étaient dédoublées dans les profondeurs du passé ; puisque le Prophète l'avait dotée du monothéisme et des valeurs morales, et que les Perses et leurs professeurs lui avaient permis de s'abreuver aux sources sanskritiques et hellénistiques.

Du Sind, en effet, elle a pris l'arithmétique, l'algèbre, la trigonométrie et l'ancienne chimie. Comme elle a pris des grecs la logique, la géométrie, l'astronomie, la médecine. La valeur suprême de la civilisation de l'Islam repose sur le fait qu'elle a en fin de compte relié entre eux les deux grandes sources intellectuelles qui avaient continué à couler pendant toute l'antiquité — chacune de son côté » (9).

— Mais le miracle suprême révélé au cours de cette étape, c'est ce qui est arrivé à la langue arabe elle-même, puisqu'elle a été à même dans un laps de temps de se développer et de s'élargir à toutes les cultures nouvelles.

(9) Georges Sarton : "Histoire de la science et des nouveaux rapports", pp. 157-158 (traduction et présentation d'Ismail - La Cairo 1981).

Cette vitalité extraordinaire a pu être un digne partenaire devant le défi de ces torrents qui se déversaient des différentes civilisations matérielles ou intellectuelles, d'une façon telle qu'il est rare d'en trouver des exemples dans l'histoire des autres civilisations. Même cette fougue civilisatrice confondante dont parle Sarton ne peut être comparée, selon lui, qu'à cette supériorité de la langue arabe elle-même (10). C'est pourquoi l'affrontement autour des nouveaux concepts — particulièrement ceux de la logique, de la philosophie et de la théologie — a été aussi un affrontement autour des bouleversements qui avait surgi devant la langue.

Ceux qui voulaient éloigner la pensée religieuse des significations que comportaient ces conventions, ils lui ont dévié la capacité de traduire ces significations dans l'usage arabe précis, tandis que leurs adversaires professaient qu'il ne fallait pas s'arrêter à ces significations. Cet affrontement s'est poursuivi pendant des siècles et la meilleure image qui puisse l'exprimer est celle de Ibn Timiyah lorsqu'il dit : « Les auteurs d'écrits ont copié de leurs devanciers ces mêmes écrits avec un vocabulaire à eux. Il y eut des écrits étrangers traduits, comme ont été traduits les termes grecs, hindous, persans et autres. Il se pouvait que le traducteur rendait le mot juste, comme il se pouvait qu'il ne le fit pas. Il y eut également des écrits et des termes arabes.

De toute façon nous ne nous adressons aux autres nations qu'en notre langue arabe et, lorsqu'ils empruntent aux autres et utilisent des termes de « pendant », « forme », « matière », « intellect », « âme », « attributs personnels ou acquis », « abstrait », « synthèse », « composition », « corps », « substance », « accident », « quiddité », « partie », etc les sens de ces mots apparaissent dans le contexte... Même si tous ces mots comportent une association, une confusion et une généralisation qui leur sont commune » (11).

Je ne cite pas cet extrait pour décider lequel des deux parties avait raison et lequel avait tort, mais pour montrer l'élargissement de la langue à tous les concepts nouveaux, avec une vitalité que démontre avec précision cet affrontement entre les deux tendances.

2) L'étape du parallélisme entre les créations intellectuelle et matérielle émane au cours de laquelle furent enregistrées les plus grandes réalisations dans les domaines des sciences, des arts, de l'industrie, de l'agriculture et de toutes les formes d'urbanisme. Nous pouvons imaginer le prolongement de cette civilisation en force et en faiblesse jusqu'au milieu du 7^e siècle hégirien. Au cours des deux siècles suivants la création intellectuelle commence à régresser progressivement, tout en essayant de conserver une partie de sa vitalité, par la force de renouvellement tirée de l'étude ininterrompue des réalisations intellectuelles enregistrées au cours de l'époque d'épanouissement intellectuel.

(10) *Précédents* sources p. 152.

(11) L'opposition entre l'abstract et l'essentialisme - T. 1 - p. 208.

En dépit des divisions politiques et des menaces extérieures, cette pensée jaillissait du sentiment d'une unité plus grande représentée par la langue et la loi islamique, ou bien par ce que l'on appelle parfois « Dar al Islam ».

3) L'étape de déséquilibre entre la création matérielle et la création intellectuelle, au cours de laquelle la première a continué à se développer, tandis que la seconde hésitait entre un léger progrès et, un recul plus grand. Il apparut au début que la conquête mongole avait concentré les « dons » de la civilisation en Egypte et en Syrie, et qu'elle avait liquidé la civilisation de l'Orient musulman. Mais après une période de gestation, la civilisation islamique avait récupéré sa vitalité sous les mongoles eux-mêmes, ce qui annonçait la division de « Dar al Islam » et l'avènement d'une ère d'indépendance pour les races qui constituaient la grande unité linguistique. Et c'est ainsi que naquirent une civilisation turque au Turkestan, mongole en Inde, turco-ottomane en Anatolie, séfide remplaçant les mongols en Perse.

La particularité commune à ses nouvelles forces était le développement de l'industrie et du commerce, des sciences d'intérêt pratique comme la médecine, l'astronomie, l'architecture, l'urbanisme, les arts de la guerre, surtout chez les Ottomans qui avaient importé l'emploi des armes à feu d'Europe et créé une flotte de guerre sur le modèle européen.

Bartol dit à ce propos : « Il ne faut pas croire que le monde musulman a subi une décadence après le 9^e siècle de l'hégire, et qu'il n'a pas été en mesure de faire un nouvel apport à la civilisation. La Turquie, en effet, ne s'était pas contentée de sa réputation militaire aux X^e et XI^e siècles hégrico, car Ispahoul était devenue l'un des grands centres de la civilisation musulmane.

Les Turcs ont révélé un nouveau style architectural différent du style iranien... Sous les Séfides, en Perse, des vestiges architecturaux ont été conservés à Ispahan, la capitale... L'Etat mongol en Inde était encore un Empire puissant au 17^e siècle et son style architectural avait influencé l'architecture perse.

Ceci démontre que l'assertion selon laquelle le monde musulman était plongé dans un profond sommeil avant de s'éveiller sous l'influence de l'Europe au 19^e siècle, est très exagérée » (12).

Il nous faut prêter attention à des événements qui sont intervenus au cours de cette étape, comme la fin de la souveraineté musulmane en Espagne, l'hégémonie turque sur les zones où la culture était arabo-islamique et le renforcement des frontières séparant les centres de ces multiples civilisations islamiques. C'est pourquoi la création intellectuelle a cessé d'être commune entre ces civilisations parce que son instrument primordial, c'est-à-dire

(12) F. Bartol, « Histoire de la civilisation », pp. 115-117 avec une légère adaptation. (traduction HAMZA Tabir Egypte 1951 (seconde édition).

la langue, n'était plus unifié. De même que l'attention portée aux aspects matériels de cette civilisation, tels que l'architecture et l'urbanisme, a fait que la création intellectuelle n'a plus été qu'éclairs sporadiques ici et là.

Ce fut le règne des "écoles intellectuelles" sur la pensée en général où la principale préoccupation était la remise sur pied de la pensée ancienne habillée de nouvelles exégèses, ou bien résumée et souvent traduite.

La méditation sur ces étapes permet de répondre à la question : "Pourquoi cette civilisation s'est arrêtée de "donner" ? Car il est apparu clairement que l'esprit de cette civilisation qui reposait sur l'unité d'une seule nation islamique s'est trouvé perturbé par l'apparition d'unités politiques éloignées les unes des autres. Le bien de la langue unificatrice fut le premier pilier de cette unité à se rompre.

Il était possible à la religion de demeurer un élément important de l'interpénétration raciale que cette civilisation s'était efforcée de réaliser, mais son orientation vers un but sectariste (particulièrement dans l'affrontement entre les Séfvides et les Ottomans) a approfondi au contraire la scission des races. La régression de la création intellectuelle a conduit cette civilisation à un point de stagnation, car elle attendit trop longtemps pour revoir le changement de collaboration donné à l'ancienne civilisation et son habillage d'ornements nouveaux sans changer sa nature et sans chercher à brûler au contraire les étapes en propulsant vers une étape nouvelle différente. Un long moment s'écoula donc, pendant lequel la vitalité interne avait tari et il devient impossible de la renouveler sous une autre forme. Et c'est ainsi que se refroidirent certaines institutions et organisations intellectuelles - certaines matérielles - et devinrent incapables d'un renouveau.

Il apparaît que la civilisation elle-même a été atteinte du sentiment d'autosatisfaction et de contentement de soi, sentiment mortel pour la capacité d'emprunter aux autres civilisations et de reproduire ces emprunts.

Cette incapacité d'assimiler et de reproduire est apparue précisément au moment où il fallait affronter une nouvelle civilisation, différente par son esprit, parce que s'appuyant surtout sur la science, c'est-à-dire la civilisation occidentale.

Il faut reconnaître ici que cette civilisation se fonda sur la force des armes, et tout emprunt ne signifiait pas assimilation et reproduction autant qu'il signifiait imitation du vainqueur. Nous avons vu dans l'histoire de notre civilisation comment l'imprégnation par d'autres civilisations était chose facile sous la logique de souveraineté qui était celle de l'Islam, dans tous les temps. Quand cette logique fut perdue et que se furent effondrées les forces politiques qui protégeaient le développement de la civilisation, notre emprunt à la civilisation européenne est devenu celui du vaincu au vainqueur.

Il a pris une autre signification qui est la perte progressive de l'identité distinctive.

La situation n'offrait pas de choix ; c'est pourquoi la réaction contre l'assimilation par les courants nouveaux a été plutôt un accroissement du sentiment d'auto-satisfaction et en même temps qu'une "jubilation" à l'égard des réalisations du passé. C'est là une attitude naturelle, même si son résultat ne peut-être qu'un sous-développement plus grand par rapport à une civilisation qui apparaît comme un flot ininterrompu. Les représentants puissants de cette civilisation ne pouvaient évidemment pas accepter que des emprunts soient faits en vue d'une édification autonome fondée sur la force maternelle. (expérience de Mohammed Ali en Egypte). Ils ont pu essouffier tous les mouvements révolutionnaires qui visaient à renouveler l'Islam et la souveraineté islamique, ils ont vidé le djihad islamique de son contenu, divisé "dar al Islam" en petites unités, et ils ont failli liquider dans certaines zones les liens linguistiques. Ils ont encouragé et approfondi les tendances régionalistes afin d'aggraver le clivage entre les régions.

En traitant de l'histoire de la civilisation musulmane, nous nous appuyons sur un panorama s'étendant sur une large surface de la terre et englobant la participation de nombreuses nations. C'est la raison pour laquelle nous sommes souvent amenés à penser que le sous-développement constitue un profond abîme, parce que nous représentons notre situation à travers l'image d'entités régionales étroites.

Lorsque ces entités régionales seront en mesure de dépasser cette existence étreinte vers une unité dans les différents domaines, et en premier lieu la langue, alors la logique de souveraineté prendra tout son sens dans le développement et le progrès de la civilisation. Le penseur algérien Malek Bennabi, que Dieu ait son âme, a attiré l'attention sur un point important de ce contexte, à savoir que la civilisation ne peut pas nous tendre son âme, ses idées, ses richesses propres et ses goûts, comme nous ne pouvons pas quantitativement prendre tous ses "miracles", sinon ce serait accumuler une "civilisation d'imitation" au lieu de bâtir une civilisation authentique (13). Cette accumulation va à l'encontre de la reproduction dont notre civilisation a été capable. Il me semble pourtant que cette accumulation ne peut se transformer en reproduction que sous l'aide d'une certaine souveraineté qui tranquillise les esprits sur la conservation de la personnalité générale. Si le monde musulman est toujours sous le coup des divisions qui ont vu le jour à la suite de la conquête mongole (ces divisions se sont même accentuées quantitativement et qualitativement depuis), le monde arabe est combattu digne grâce à ses grandes potentialités, d'ouvrir pour l'édification d'une civilisation complémentaire et cohérente. Quant à savoir comment cela se fera, et quelles sont les facteurs favorables ou contraires qui encadrent cette entreprise, c'est là un problème que ne permet pas cette brève étude".

(13) Malek Bennabi : "Les conditions de la renaissance et les problèmes de civilisation" p. 48 (traduction Abdelkader Chahine et Omar Mestari - Le Centre 1987).

IDENTITE ET AUTHENTICITE DANS L'OUVERTURE DE L'UNIVERSALITE

de son Excellence Abdallah BEN BIH
Ministre de la Justice
MAURITANIE

Louange à Dieu Clément et Miséricordieux.

Excellence et frère, Ministre de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses.

Messieurs les Conférenciers

Mes frères Etudiants

Frère Ministre,

Il m'est agréable, avant de commencer cet exposé, de vous remercier, de m'avoir donné l'occasion de participer à cet important Séminaire, devenu, grâce à votre envergure personnelle, à la haute qualité de son organisation et aux soins que vous lui accordez, une référence sûre pour la Révolution générale et effective de ce pays frère dont les hauts faits du passé et les réalisations du présent sont pour nous un sujet de gloire que nous souhaitons se perpétuer à travers d'autres succès et d'autres victoires sous la clairvoyance du commandement de la Révolution.

J'ai choisi de traiter ici, parmi les sujets inscrits au programme de ce séminaire, un sujet important qui touche à l'orientation dans notre société et qui intervient directement dans le débat culturel qui se déroule actuellement dans nos différents cercles intellectuels depuis plus d'un siècle, ou plus précisément depuis l'intervention du colonialisme dans nos territoires arabo-musulmans, et le jour où s'est mis à poser la fameuse question « Comment sont-ils devenus forts et sommes-nous devenus faibles ? Comment nous ont-ils dominés par leurs flottes, par leurs plumes et par leurs idées ?

Notre drame est que, après même qu'ils nous aient quitté physiquement et que nous les ayons battus militairement dans certaines parties du territoire arabo-islamiques, nous n'arrivons pas encore à trouver de réponse à cette question ou que nous n'avons pas réussi à trouver ces réponses ou les solutions qu'on proposerait comme bonnes à mettre partout en application.

Nous avons tant besoin d'une réponse de ce genre, surtout à un moment où les signes précurseurs d'une renaissance politique et économique de la nation arabo-islamique et du tiers monde d'une manière générale, commencent à apparaître depuis les événements militaires et politiques intervenus dans ces régions et que l'on a procédé à récupérer avec détermination ses ressources naturelles.

Ces événements ne sont, en vérité, que des tentatives pour se reconnaître soi-même et reconnaître sa véritable révolution.

Si cette renaissance, n'arrive pas à s'appuyer sur un fonds culturel et ne trouve pas une base intellectuelle solide qui lui donnerait toute sa dimension sociale, elle ne peut réaliser ses objectifs.

Ceci dit, je n'aborderai pas ce sujet par le biais des formulations philosophiques qui ne tiendraient compte d'aucune expérience pratique, ni à partir de critères qui trouveraient leur fondement dans la science de la logique et de l'abstraction. J'essayerai au contraire d'exprimer simplement les sentiments de quelqu'un qui s'observe, qui essaie de reconnaître les indices de soi par rapport à eux des autres afin qu'il puisse être en accord avec ce soi-même dont il est le contenant et avec autrui puisqu'il vient de le reconnaître.

Je parlerai donc de l'authenticité et de l'universalité.

« Al-Aqala » (authenticité) est un mot arabe tiré du verbe Aqala. On dit aqala as-say (être original, authentique) c'est-à-dire avoir des origines connues. C'est pourquoi les Arabes disent : *Mâl-acil* (fortune originelle) *Paras acil* (jurement de race) par opposition à fortune récente. Et comme al-aqala révèle une notion de noblesse, le cheval de race ou noble est celui qui est dans ce cas capable de préserver l'être de celui qui le possède. Dans ce cas en synonyme est talid (né dans les écuries du propriétaire).

Mais la définition de Aqala est beaucoup plus difficile quand il s'agit d'un homme, d'un peuple ou d'une société. En effet, peut-on considérer un peuple comme original (acil) dès l'instant qu'il a conservé une certaine norme culturelle ou certaine qualité personnelle en s'y conformant pendant un certain temps ? Ou est-ce que être original consiste à s'adresser uniquement à son génie personnel quand il s'agit de penser ou de réfléchir ?

Dans le domaine de la pensée et de la culture est-il possible de distinguer ce qui est à soi et ce qui est aux autres d'une manière précise ? La culture de notre société n'est-elle pas un mélange de cultures où la part de l'autre (l'Occident) n'est qu'une partie impossible à dissocier ou à considérer comme marginale pour pouvoir le séparer provisoirement de ce qui nous est propre ou qui devait nous être propre ? N'est-il pas resté de notre culture authentique — si on arrivait un jour à l'isoler de la culture contemporaine qu'une nostalgie pour un passé révolu ? Quelles sont les idéologies qui ont été authentiques ? Quel est l'authentique dans notre histoire arabo-musulmane ? Notre histoire n'a-t-elle pris différents habits ? et différentes coiffures ? N'a-t-elle pas porté la tunique persane et la calotte turque et autres.

Qu'elle est parmi les idéologies parues récemment dans le monde arabe celle qui est authentique ? Peut-on considérer la doctrine Wahabite originelle ? Parce qu'elle réclamait « retour aux sources dans le domaine de la religion et du droit ? Ou est-ce que c'est

la doctrine des nationalistes (qawmiyyin) propagée au XIX^e siècle par Al-Yaziji et El-Kawakibi qui est originelle ? Est-ce que le réformisme lancé par les Jamal ed-Dine al-Afghani, les Mohamed abdoh et les Ben Badis est originel ?

Enfin, est-ce que ce que nous disons nous ici n'est pas autre chose qu'une répétition de ce qu'a été déjà dit ?

Ferions-nous peut être mieux avant de définir ce que c'est qu'al-Aqala, de répondre brièvement à certaines de ces questions.

Nous dirions alors que toutes ces doctrines sont à considérer comme des tentatives partielles dont le but est de mettre en évidence soi-même et d'avoir une vision par soi-même. Donc elles sont toutes originelles. En effet, votre histoire a comme plusieurs formes de civilisation puisqu'elle a été l'interprète de la civilisation grecque, mais à cette époque nous avions en mains le pouvoir temporel et spirituel.

A mon avis, on ne peut donner une définition exhaustive au mot al-aqala tant qu'on a pas essayé de décrire l'état intellectuel qui a procédé l'état d'al-aqala et qu'on n'a pas comparé le concept al-aqala par le concept aliénation. Ainsi en opposant les deux concepts on arrive à les définir. C'est ainsi qu'on peut seulement définir al-aqala comme étant une attitude sentimentale et positive d'un peuple qui ayant perdu sa liberté et sa dignité avec tout ce qui s'en suit à une époque où les distances ont retrecies et où les moyens d'information avec ce qu'ils entraînent comme vacarme et aveuglement couvrissant tout, ne résiste pas devant un vainqueur qui lui aliène toutes aptitudes de pensée et d'adaptation libres et personnelles. L'attachement d'un peuple à sa personnalité, son désir de voir le monde à travers soi-même et son refus systématique de se soumettre à un style qui lui a été imposé est bien al-aqala (authenticité).

Al-Aqala donc c'est la liberté, c'est la confiance en soi-même comme étant capable de s'imposer à soi-même et à autrui. Par cette définition, on peut considérer al-aqala comme une des dimensions du non alignement tel qu'il a été défini par la conférence d'Alger de 1973, puisque il s'agissait d'un refus systématique devant la domination politique, économique et militaire. Ce qui est considéré comme une nouvelle définition du concept non alignement et qui lui a donné une vitalité nécessaire à son existence. Refus au départ les idées et les opinions qu'ont étaient façonnées dans le milieu et dans des conditions qui ne sont pas les nôtres est donc la véritable définition du concept al-aqala. Cette définition nous permet d'éviter de tomber dans la stagnation dont on nous accuse souvent et qui est due au fait que l'Aqala prêche le retour au passé avec sa philosophie qui définit l'univers comme étant le passé, le présent comme produit du passé et qui s'en inspire pour construire l'avenir.

Le refus est celui qui rejette l'imitation servile ou comme le nomme Ibn Khaldoun « L'imitation du vainqueur par le vaincu ». Nous sommes appelés à prendre position précise conformément aux impératifs que vous dictent votre personnalité et par nos intérêts.

Le refus que nous désignons ici n'est pas un refus négatif mais un refus positif. Il ne signifie pas sclérose mais égalité entre tous les hommes qui doivent tous avoir la possibilité de penser sans que certains ne soient obligés de suivre les modes de penser que d'autres ont façonné pour eux et qui constitue la véritable aliénation.

Il n'y a aucun mal à emprunter ici à Marx son opinion. Marx qui, d'ailleurs n'a pas connu nos problèmes et leurs particularités pour pouvoir leur envisager des solutions. Nous le citons non pour l'approuver car tel n'est pas notre dessein ici mais pour saisir au des sens du mot aliénation que nous voulons expliquer. En effet après avoir exposé les trois aspects de l'aliénation : l'aliénation religieuse, l'aliénation politique et l'aliénation économique, il aborde l'économique et dit que le travail de l'ouvrier est aliéné car celui-ci sent que son travail n'est pas volontaire mais fait sous la contrainte. Il est condamné aux travaux forcés. Ce travail est accompli non pour satisfaire un besoin mais un moyen pour satisfaire un autre besoin.

Ne peut-on pas voir dans les structures intellectuelles et culturelles des autres exercer sur nous une certaine pression et sur notre personnalité une certaine contrainte, puisqu'elles nous orientent dans des sens qui ne répondent pas à nos besoins mais au contraire elles exercent une pression sur le fond de nos esprits et de nos âmes et nous empêchent de respirer l'air pur, le tout sous le couvert d'une prétendue action civilisatrice destinée à des peuples sauvages, ou bien au nom de l'universalisme.

Au début de ce siècle, certains orientalistes ont répandu l'idée que consiste à dire que nous étions incapables de créer ou d'inventer parce que nous étions sous-développés ou parce que notre esprit sémitique à côté de l'esprit arabe ne peut être que débiteur, ou imitateur.

S'attacher à son Moi, essayer de voir sa réalité à travers soi-même, refuser les clichés préparés à l'avance et avoir confiance à sa personnalité propre, peut constituer des composantes d'al-ajala. C'est pour cette raison qu'on les retrouve toutes ou en partie dans les discours et les attitudes des penseurs et des dirigeants politiques des pays arabes et des pays du tiers monde.

Je vous épargne le temps en évitant d'étaler devant vous les opinions des auteurs arabes depuis le XIX^e siècle et depuis que la nation arabe est ébloui par la lumière de la civilisation européenne et aussi depuis que les écoles du réformisme musulman et du nationalisme arabe ont commencé à diverger. Je prendrai donc des exemples dans le tiers monde essayant de ne pas tomber dans le cercle vicieux qui consiste à distinguer ceux qui possèdent une culture classique des autres. Car nous pensions que tous les peuples possèdent leur culture quelque soit le degré de son évolution et quelque soit son caractère primitif.

Je cite ici al-Mahatma Gandhi qui, s'il était resté fidèle à l'âme occidentale tel qu'il a été éduqué par la culture anglaise, et s'il n'était pas retourné à son originalité pour en tirer ce dont il a besoin dans son comportement, n'aurait jamais pu vaincre l'empire britannique qui avait atteint l'apogée.

Le refus était net dans son comportement comme il était net dans le poème d'Ibn Badis face à la politique française qui tendait à l'assimilation

Chez les peuples africains nous constatons le même refus ainsi Nkrumah disait dans sa philosophie du Moi.

« Notre philosophie doit trouver ses hommes dans le lieu et le temps que vit le peuple africain ».

Il a défini sa philosophie comme étant l'ensemble organisateur des forces qui permettraient à la société africaine d'assimiler les éléments culturels étrangers et autochtones en les transformant de manière à les confondre avec la personnalité africaine.

La méthode de Kwame Nkrumah qui consiste à assimiler les éléments culturels par le biais de la personnalité africaine est une façon d'insister sur la nécessité de voir à travers le Moi et de refuser les modèles préparés à l'avance.

Quant à Saatchi, il va plus loin quand il dit : « Il existe une sensibilité africaine, une manière africaine de comprendre les choses. La vision qu'ont les africains du monde, c'est ça l'africanité ».

Il y a aussi pour le continent africain l'expérience algérienne (comme exemple) Puisque les habitants de ce pays dont le nombre a atteint 12 millions ont procédé au changement de tous les noms des villes et des personnes que l'occupation étrangère leur a laissés. Il en est de même pour les autres réformes entreprises ici parmi lesquelles nous citons la récupération des richesses naturelles et qui ont été faites au nom d'*al-çadâ*. Et quelques soient les divergences qui existent entre ceux qui sont attachés à cette idée et dont certains en font même une idéologie culturelle et ceux qui en sont contre et qui la considèrent comme une attitude réactionnaire. Le dénominateur commun entre ceux-ci et ceux-là reste toujours le refus et l'attachement au Moi.

Al-Azâla invite les uns et les autres à travailler et à créer, car réhabiliter sa personnalité exige que cette personnalité soit forte et munie de tous les moyens de protection qui lui assurent le développement et la continuité, surtout à une époque où le faible est menacé de disparition systématique sans compter les complots qui se trament contre les sous-développés pour les maintenir dans leur état et les empêcher d'être au même niveau que les détenteurs des monopoles industriels.

Al-Azâla peut être considérée comme un des facteurs qui ont toujours été à l'origine des mouvements de libération qui ont éclaté ici et là. Car le colonisé refuse d'être considéré comme une continuation de la personnalité morale et physique du colonisateur.

C'est ce que refusent les habitants des colonies portugaises en Afrique. C'est ce qu'ont refusé l'Algérie, les Arabes et les Africains fiers. Que l'origine de ce refus soient les structures économiques et sociales déplorable — et elles sont réellement déplorables sous la domination. Il n'en demeure pas moins que l'attachement des peuples colonisés à leur personnalité et à leur culture est aussi dernière ce refus.

C'est cette al-ʿaṣala même qu'on retrouve comme facteur important dans les initiatives de récupération économique et industrielle.

En un mot, al-ʿaṣala est une attitude positive et un principe vivant, qui influence notre comportement quotidien. Il ne s'agit pas d'un retour au passé, ni d'une nostalgie du passé. Il s'agit du présent et de l'avenir riches du patrimoine et de l'expérience du passé.

L'universalisme signifie qu'une idée ou un fait quelconque se rattache à l'humanité et non à un monde donné qu'on a convenu d'appeler ainsi, tel que le monde arabe par exemple.

Le terme « monde » en arabe ne signifiait autre chose qu'« universalité et humanité ». C'était un synonyme d'univers ou selon les expressions des anciens philosophes toutes sortes de substances et de contingences.

Laissons de côté le sens de ce terme du point de vue conceptuel et voyons ce qu'il nous vient à l'esprit, quand on dit de quelque chose qu'elle est universelle. Il s'agit de ce qui appartient à l'humanité entière mais comment une chose peut-elle appartenir à l'humanité ? L'homme est universel parce qu'il est le même en tout lieu. Il a des problèmes et des préoccupations semblables. Telle est sa nature. Mais existe-t-il une civilisation universelle dont les particularités de l'unité de l'homme dans les attributs essentiels de sa nature. Si on considère que la civilisation est tout ce qui est œuvre et création consciente de l'homme, quelles soient intellectuelle, matérielle, artistique ou littéraire, est-il possible pour autant d'affirmer, que l'humanité a convenu consciemment de fonder une civilisation à partir de schémas et de critères librement choisis par tous ce qui n'a pas été réalisé à notre époque, malgré la réduction des distances, l'enchevêtrement des intérêts, l'abondance des moyens d'échange de communications et d'informations.

On peut affirmer que dans certains domaines de la civilisation actuelle, le monde emprunte des voies pouvant être identiques et se répandant en plusieurs points sans pour autant se confondre. Dans le domaine scientifique et technique par exemple, on peut parler d'un quasi universalisme, bien que le résultat de la technologie n'ait pas transformé le monde, même celui industrialisé en un monde unique.

Nous sommes en présence d'une société industrialisée qui se retrouve en Europe Occidentale et en Amérique et de plusieurs sociétés industrialisées en Europe Orientale. Et même ces dernières dont l'idéologie est commune, n'arrivent pas à se détacher de leurs

particularités nationales, c'est dire de leur « Apala » (authenticité) les moyens techniques sont certes identiques, car les sources de la science et de la connaissance humaines sont les mêmes. Néanmoins les spécificités, les mentalités et les philosophies des sociétés ne sont pas nécessairement analogues.

S'il n'est pas possible à la technologie de s'ériger en une civilisation mondiale unique, nous sommes en droit de nous demander, s'il existe un autre domaine où on peut prétendre à l'universalité. La publicité faite autour de l'universalisme a été à un moment donné, un moyen pour amener la jeunesse cultivée à se détourner des valeurs et des traits spécifiques, qui distinguent sa personnalité nationale, en faveur des prétendues valeurs universelles de l'Occident, lequel constituerait le centre de l'univers, et qui a pu fonder une civilisation nationale, dont les bases seraient la science et l'humanisme, au bien que certains auteurs européens, ne se gênent pas pour dire que la seule culture universelle est l'œuvre de la bourgeoisie occidentale et qu'en dehors d'elle, il n'y a que de pseudo-cultures qui se rattachent à des organisations sociales ou à des groupements nationaux.

Ils ajoutent que cette culture s'est complètement détachée de la classe pour laquelle elle a été créée. Cependant nous constatons que cette Europe même n'a pas échappé à la règle puisque ses peuples sont restés différents les uns des autres du point de vue particularisme malgré le rapprochement dans le niveau de vie ce qui était pour les dires des auteurs européens eux-mêmes, en particulier Lévi Strauss qui a démontré les divergences qui existent entre les Etats européens surtout voisins et l'impossibilité d'une universalisation qui alignerait les gens comme jeterons.

Cela est applicable même au Marxisme qui est fondé sur l'application matérialiste de l'histoire et qui refuse par conséquent, la division du monde nationaliste. Les classes étant les seules à être prises en considération ici, Lénine en abordant la question des nationalités a déclaré que le Marxisme n'approuve guère le système des nationalités indépendantes par contre il croit simplement à tout ce qui conduit aux particularismes nationaux et aide à briser les obstacles.

Les successeurs de Lénine avec à leur tête Staline ont cependant pris une orientation. Ce dernier reconnaît que (la nation est un groupement d'individus stable constitué au cours de l'histoire à partir d'éléments convergents tels que la langue, la terre, la vie économique et les particularités psychiques).

Les adeptes du Marxisme forment aujourd'hui des mondes multiples ; et authenticité a pris le pas sur les principes philosophiques officiels.

Pour tout cela ne faudrait-il pas chercher alors une universalité nouvelle : où participent les peuples qui étaient mineurs : les peuples du tiers-monde, son contenu sera choisi librement et d'un commun accord en tenant compte de la vision particulière de chaque peuple.

Le respect des particularités et la personnalité de chaque peuple constitue une contribution effective à la construction d'un monde bâti sur l'égalité et la liberté, libère certains du complexe de supériorité et permet au prisonnier d'hier de mettre les pieds sur sa terre et de réfléchir par son propre esprit.

C'est à ces conditions seulement que l'universalisme peut être fondé sur des bases acceptables.

Toute grande civilisation qu'elle soit basée sur la religion ou sur la philosophie tend toujours à l'universalisme. Mais la vraie civilisation universelle est celle qui reconnaît l'existence des particularités et des différences et qui les utilise pour construire le pont sur lequel elle placera l'humanisme et la reconnaissance mutuelle ; tout cela parce qu'elle croit à la justice absolue et au Dieu unique et qui se trouve énoncée dans le saint verset : « O homme ! Nous vous avons créé d'un mâle et d'une femelle. Nous avons fait de vous des peuples et des tribus afin que vous vous reconnaissiez, les plus nobles pour Dieu sont les plus pieux ! ».

Telle est l'universalité qui contient et égale comme l'une de ses bases et le considère comme l'une de ses sources. Cette universalité là s'appuie sur les efforts de chaque peuple avec une égalité parfaite et une reconnaissance mutuelle.

Conclusion.

L'authenticité adoptable ne se contredit pas avec la vraie universalité qui ne peut être digne de ce nom que si elle est faite avec la participation de tous les peuples et qu'elle reflète fidèlement l'ombre et les caractéristiques des personnes le tout dans un esprit d'égalité et de liberté. Ce qui lui assurera l'harmonie et lui évite tous complexes résultant de la pression d'une nationalité dominante.

A ce moment seulement nous atteindrons une universalité humaine et un humanisme universel.

S. E. Abdallah BEN BIH
Ministre de la Justice
MAURITANIE

L'HISTOIRE, RENCONTRE DE L'AUTHENTIQUE ET DE L'UNIVERSEL

Conférence du Dr. Yvonne TURIN
Professeur à la Faculté des Lettres
Université d'Alger

Le cinquième point du programme de la huitième semaine de la Pensée Islamique : « Identité et authenticité dans l'ouverture et l'universalité », a tant de rapports à l'histoire qu'on pourrait presque dire qu'il en procède et qu'il en résulte. Les notions d'identité, d'authenticité d'une part, d'universel d'autre part n'ont, en effet, de sens appliqué à un groupe humain, que dans une société qui a fait sienne l'utilité de la conscience historique et qui confie même à cette inspiration élaborée un rôle actif, pour ne pas dire quelquefois même une responsabilité créatrice. Inspiration élaborée, choisie, préparée peut-on dire, parce qu'elle est reconstruite, mais aussi parce que l'identité, l'authenticité et même l'universel sont des notions relatives, qui se définissent par rapport à quelque chose ou par comparaison à quelqu'un, en tout cas dans une relation. On n'est pas identique ou authentique en soi, mais par rapport à quelqu'un, en n'est pas universel dans l'absolu, mais face à quelque chose qui ne l'est pas. Aucun de ces concepts ne se suffit à lui-même. Ils s'animent dans la mesure où l'histoire apparaît et les charge de réalité en les décrivant et en leur fournissant un contenu.

On peut donc se demander : premièrement dans quelle mesure l'histoire fournit une base à l'authentique ? — en insistant sur le point d'interrogation, ce qui sera la première partie de cet exposé, puis comment l'histoire exige aussi l'universel pour acquérir sa dimension plurière. Et ce sera la seconde partie.

Cependant, avant d'entreprendre cette double étude, nous voudrions faire quelques remarques sur l'emploi et le sens des notions qui sont ici proposées à notre réflexion.

1) - *Réflexion sur les mots.*

Identité et authenticité d'un côté, ouverture et universalité de l'autre. Posée ainsi la question qui nous occupe, établit d'abord un contraste et presque une contradiction entre ces deux couples de mots en même temps, elle suggère un voisinage, un parallélisme entre les termes de chacun de ces ensembles. Contraste et voisinage ne vont pas, cependant, sans une certaine ambiguïté.

Qu'appelle-t-on, en effet, authentique ? Un tableau, une monnaie sont authentiques s'ils ne sont pas falsifiés. Une copie, une imitation sont le contraire de l'authenticité. Ils sont des faux. L'authenticité est donc le contraire du faux par imitation ; le vrai, d'une certaine manière. Il évoque l'imitable et l'imité, donc le particulier et le propre à chacun. Individuellement ? ou en groupe ? Là est le problème.

L'identique apparaît alors en contradiction avec l'authentique puisqu'il affirme au contraire la ressemblance, la similitude et d'une certaine manière : la copie, donc la reproduction. Il s'appuie tout entier sur l'imitation. Dans un mouvement inverse de la notion d'authenticité qui met en relief l'unique et l'incomparable, l'identité tend au contraire à la conformité et à la fusion dans un ensemble. De sorte que le parallélisme établi entre les deux termes exige quelques nuances et quelques précautions, et dans l'emploi des termes quelques précisions.

De même, l'opposition suggérée entre l'authentique et l'universel, doit être également éclairée. Si le faux, comme nous venons de le voir, et l'universel sont ensemble le contraire de l'authentique comme le texte le laisse entendre, cela pourrait vouloir dire que faux et universel sont synonymes : l'universel deviendrait, de cette manière, l'équivalent d'une contre-façon et d'une copie sans origine. On ne voit guère, alors, comment il pourrait, ne serait-ce qu'espérer, sa réhabilitation. Toute tentative d'accéder à l'universel pourrait alors être accusée de falsification de soi-même, et l'authentique ne serait plus que l'isolement indispensable se confondrait presque avec la prison. La discussion serait close avant de commencer.

Je crois qu'il faut résister à cet effet de contraste et convenir que l'authentique et l'universel ne sont pas, en fait, des termes dialectiques. L'universel ne dialogue pas avec la copie et l'erreur, mais bien avec la notion de particulier, de différence, et l'histoire est là pour observer cette conversation.

C'est ainsi qu'ayant clos cette parenthèse, nous retrouvons notre sujet. Cette brève analyse était, cependant, utile pour préciser, dans la mesure du possible, notre vocabulaire.

II) - *Etude de l'authenticité et de l'universalité en histoire.*

L'histoire, donc, me semble apparaître comme la base de l'authentique. Puis, dans la mesure où elle est connue, elle est ensuite appréhendée comme norme de référence et sert

désormais de point de repère à « l'identité ». Cette proposition est-elle vraie ? A-t-elle elle-même une histoire ?

Avant de répondre à la première question, étudions la seconde qui nous ramène naturellement à la première.

A) La notion d'histoire et celle d'authenticité nationale, continentale ou autre, qu'elle véhicule ne sont pas des données absolues et, pour autant, immuables. L'histoire et la notion de passé historique représenté autrement que comme une série d'exploits guerriers plus ou moins légendaires du genre, en Europe, des chansons de gestes, sont des notions récentes. Plus récent encore le concept historique qui a donné naissance à celui de nation, lequel, en Europe également, appartient, en fait, au XIX^e siècle. Cela veut-il dire que les époques dépourvues de cette hypersensibilité historique étaient privées du sens de l'authenticité parce qu'elles ne se référaient pas à un passé ? Leur authenticité était ailleurs. Simplement, elles s'affirmaient autrement.

Quelques exemples pour éclairer notre pensée, et montrer comment la notion d'authenticité a, elle-même, une histoire.

Louis XIV se considérait comme si glorieusement roi de France que l'attribut de Roi-Soleil ne lui semblait pas excessif. Mais roi de quelle France ? Quelle pouvait être, dans cet esprit royal, l'image de la France quand il en parlait ?

Eh bien ! tout d'abord, Louis XIV ne parlait pas de la France, mais du royaume de France, et ce qu'il affirmait ainsi, c'était une dimension territoriale, une propriété, une confirmation de propriétaire. Il ne désignait absolument pas un espace habité par une certaine sorte de gens, je dirais presque qu'il se référait à une notion cadastrale, à un espace inscrit sur le registre notarial que représentaient les traités signés par ses prédécesseurs, espace qu'il avait été chargé de gérer et de conserver — quitte à l'agrandir — tel qu'il avait été légué par ses ancêtres. La France, faite royaume, était ainsi une chose qui n'était point encore tout à fait hexagonale, mais qui, en tout cas, n'avait qu'un lien secondaire avec les Français.

Aussi se souciait-on peu de l'origine de ces Français dont « l'authenticité » se définissait par rapport au roi de France : on n'était pas Français en fonction de sa relation avec un passé, mais selon sa ressemblance, son identité au souverain du royaume. Cela était vrai de tous les autres royaumes d'Europe et de bien d'autres encore. De sorte que ceux — les Français — dont la ressemblance n'était pas jugée satisfaisante, étaient expulsés de ce royaume — de France, et invités à adhérer à quelques royaumes mieux en conformité avec leur authenticité propre.

Mais le roi lui-même ne considérait-il pas sa personne comme inscrite dans un long passé historique dont la connaissance aurait été indispensable à sa propre affirmation ? Tant de seigneurs et tant de peuples avaient travaillé à rassembler ces terres sur lesquelles ils régnaient ! Il n'en était rien.

Supposons un courtisan bien intentionné, à la recherche de quelques prébendes, saluant le souverain à son petit lever ou à son grand coucher (les courtisans chanceux assistaient au lever et au coucher du roi) et commençant ainsi sa requête : « Sire, les ancêtres gaulois de votre majesté... ». Duc ou baron, le malheureux risquait fort d'en être quitte pour quelques mois de forteresse. Quel audacieux pouvait s'autoriser à insulter le prince et l'accuser de descendre d'une sorte de barbares.

Vous voyez quelle différence avec ce qui se passe 200 ans plus tard. Car chacun sait que, sous la III^e République un manuel d'histoire presque officiel enseignait alors à chaque petit Français qu'il avait « les gaulois pour ancêtres », et cela non parce que le prince avait disparu mais parce que les ancêtres avaient émergé de l'histoire pour une sorte de seconde vie. Changement de perspective historique ? Non pas, mais découverte de l'histoire.

Si l'on pousse plus loin encore le paradoxe de cette analyse, on peut concevoir le Roi-Soleil acceptant la remarque : « Sire, votre ancêtre le roi Clovis... », car Clovis avait fait des Français des chrétiens, ce du moins avait ouvert la porte au Christianisme, mais à n'en pas douter la courtisan bien inspiré aurait dit à Louis XIV « Sire, vos ancêtres les romains... ». Et, en effet, ce roi de France choisissait pour passer à la postérité d'apparaître dressé sur un cheval, à la manière romaine, et revêtu du costume de César, vainqueur de ces mêmes gaulois, et tel que le général conquérant figure à la tête du cortège les conduisant en prison.

Les meilleurs écrivains de son temps analysaient les sentiments de Titus, impéreur et de Bérénice, et citaient en exemple à leurs contemporains le courage des Horace, défenseurs de Rome, et point du tout celui de Vercingétorix défenseur des gaulois. Quelques années auparavant, ce sont les grands seigneurs, en révolte contre leur souverain, qui s'inspiraient à copier les héros de Plutarque, tirés également de l'histoire antique (1).

Ainsi, ce XVII^e siècle considéré comme si authentiquement français et si chrétien se donnait-il pour modèle à la fois des romains étrangers et des païens... Vous sentez combien la notion d'authenticité, de lien à un passé historique était pour lui différente de ce qu'elle peut être pour un Français du XX^e siècle, et combien cette authenticité a, elle aussi, une histoire.

Tout cela veut-il dire que Louis XIV et ses contemporains s'imaginaient qu'entre les romains et eux, il n'y avait personne. Evidemment non, mais cela montre que ceux qui, cependant, avait fait le royaume de France, ne les intéressaient pas. C'est là une certaine conception du passé historique qui, simplement, n'est plus la nôtre.

(1) Les "Vies" parallèles de Plutarque sont les vies de héros antiques écrites à titre exemplaire.

Un autre exemple, pris à un autre bout du monde et à une autre extrémité du temps, le pèbre, révèle la même relativité, la même historicité de la notion de passé historique : il s'agit cette fois de la Chine Populaire. Comme le précédent, cet exemple montre un choix parmi les tranches du passé, choix clair et élaboré cette fois, voulu et parfaitement conscient ce qui n'était pas le cas dans l'exemple précédent. Dès 1915, on lit dans la revue « Nouvelle Jeunesse » du Parti Communiste chinois cette recommandation : « La tâche de la nouvelle génération est de combattre le confucianisme, la vieille tradition de vertus et de rites » ou bien plus clairement encore, il faut déchirer le filet de l'histoire passée et détruire la prison des idées anciennes » (2).

De sorte que l'histoire de la conception du passé historique aboutit ici à une destruction partielle, voulue et considérée comme indispensable de ce passé devenu, lui-même, encombrant. Découverte, l'histoire est représentée comme un « file », comme une « prison », c'est-à-dire comme un obstacle à la vie présente. Elle doit, alors, s'effacer. L'histoire « déchirée », la boucle est en quelque sorte fermée qui retournait à un peuple sans histoire. Le tout est de savoir, si, aujourd'hui, la chose est encore possible. Ou bien s'il ne s'agit pas plutôt d'une contre histoire.

Ces exemples avaient pour but, en tout cas, de montrer que la notion de passé historique, celles d'authenticité ou d'identité qui s'y rattachent, sont plus complexes, plus variées, plus différentes selon les temps, qu'on aurait pu a priori le penser.

En même temps, nous avons répondu à la première question que nous posions au début de cette première partie de notre exposé : à savoir que l'histoire est bien utilisée comme manière de référence, et nous avons découvert que la façon de s'y référer non seulement avait changé, mais continu de le faire.

En tout cas, c'est au XIX^e siècle que l'histoire a explosé en quelque sorte dans la vie des hommes, en Europe, mais aussi peu à peu partout ailleurs. C'est, il y a un peu plus de 100 ans que les enfants ont eu, à l'école, entre les mains, en Occident, un livre d'histoire qui ne soit seulement celui de l'antiquité ou bien de « l'histoire sainte ». C'est alors que chacun est allé à la découverte de ses ancêtres, essayant de les connaître le mieux possible, et procédant en quelque sorte à une véritable résurrection. Alors, Celtes, Germains, Numides, Wisigoths, Francs, Arabes etc... ont défilé dans la mémoire des élèves qui est devenue, par là, une mémoire historique. En même temps, grandissant le rôle, mais aussi la responsabilité, de l'historien. Mais cela serait une toute autre étude.

De sorte que si nous posons maintenant la question : Qu'est-ce qu'un Anglais authentique, un Français authentique, un Algérien authentique, la réponse devient plus difficile et surtout moins évidente. Elle serait peut-être plus commode si nous nous demandions qu'est-ce qu'un chrétien authentique, un musulman authentique. Encore n'est-on pas chrétien de la même façon au XX^e siècle ou au moyen-âge.

(2) Le Monde, 6 août février 1974

Une expérience très intéressante serait de demander à chacun d'entre vous de rédiger 5 ou 6 lignes sur la façon dont il conçoit le Français authentique. Je suis sûr qu'un Français y apprendrait beaucoup et s'y découvrirait bien différent de ce qu'il s'imaginerait être lui-même. Mais même si vous m'interrogez moi-même sur mon « authenticité », que vous répondrais-je ? Suis-je la fille spirituelle de Descartes, de Bossuet ou de Robespierre, de Proudhon ou de Maurras, si je regarde plus près de moi. Parmi mes ascendants est-ce le rationaliste qui domine, le théologien, le révolutionnaire décidé à défendre coûte que coûte la révolution et la patrie qui l'incarne, ou bien le théoricien socialiste auquel s'oppose le doctrinaire d'un nationalisme ombrageux et replié sur lui-même. Ce sont là quelques courants issus du passé, mais il y en a tant d'autres. L'authenticité est-elle un dosage ou bien au contraire un choix, ou simplement, une inspiration, un exemple puisé pour un ailleurs nécessaire ? Je vous pose la question.

B) Nous savons, maintenant, que l'authentique est un produit de l'histoire. Le lien entre l'histoire et l'universel qui conduit à l'ouverture — n'est pas moins grand, mais il n'est pas, non plus, évident.

Constatons, d'abord, que l'histoire immédiate ne connaît que le particulier, le contraire de l'universel. Il n'y a, en histoire, que du particulier. Par exemple, il n'y a pas de Monarchie, il n'y a que DES monarchies, pas de République, mais DES républiques et même pas de Nation, mais uniquement DES nations. La liste est indéfinie. De même les notions de guerre, de révolution : l'histoire ne connaît que DES guerres et DES révolutions.

Mais, si l'histoire était incapable de s'élever au concept qui à partir des républiques permet de définir la notion de république, à partir des guerres cette abstraction qu'est : la guerre, et ainsi de suite, elle révélerait un passé resté atomisé et sans aucune intelligibilité. L'historien doit, dans sa réflexion, utiliser le cadre habituel du travail de l'intelligence. Mais il crée aussi, pour exercer son métier, des formes nouvelles de relation qui, en accroissant l'intelligibilité de l'histoire en développe la compréhension et par conséquent la valeur universelle. Nous dirons que l'historien enrichit le concept d'universel par la façon dont il utilise la causalité, la notion de temps et d'autres encore. Expliquons-nous.

La Chronique récite des faits, elle énumère, tout au plus raconte-elle l'immédiat, comme la concierge raconte sa rue. L'histoire recherche les liens, les rapports, elle établit des ressemblances, des différences : elle crée et elle utilise la notion de cause, si importante que celle-ci devient presque l'histoire elle-même. Causes immédiates, causes lointaines surtout, qui enveloppent les faits d'une trame qui leur donne un sens. Par là, se constitue une grande fresque qui dessine l'histoire universelle — sinon il n'y aurait que de petites histoires — et qui permet d'accéder clairement à la notion d'humanité, exemple même du concept d'universalité. Ainsi dit-on que dans la mesure où l'histoire n'est que particulière, elle ne se renouvelle jamais, mais que dans la mesure où elle est l'universel, elle est un perpétuel recommencement.

Mais l'historien utilise encore dans son métier d'autres concepts où le particulier et l'universel s'associent à nouveau et toujours avec l'intention de dégager des phénomènes d'ensemble : par exemple les notions de courte et de longue durée ; un exemple concret, un phénomène historique de longue durée : l'évolution des mondes traditionnels hapés par la roue du changement. A l'intérieur de ce mouvement général des mouvements plus courts, plus réduits, plus circonscrits : la Renaissance en Europe, et à l'intérieur même de celle-ci, le phénomène de la Renaissance Italienne par exemple. Dans cette perspective chaque évolution régionale au lieu de se découvrir absolument singulière, s'aperçoit qu'elle s'accomplit à l'intérieur d'un mouvement d'ensemble, lequel ne lui enlève pas son originalité, mais lui permet, en regardant ailleurs, d'échapper à sa solitude en reconnaissant chez d'autres, au présent comme au passé, des difficultés comparables. Ces allées et venues dans le temps et l'espace, que l'historien ne manque pas de faire, sont justement une des formes d'intérêts de l'histoire.

C'est ailleurs, à l'extrémité de ce processus que se situe l'histoire comparée, qui finit même, quelquefois, par réduire la trame historique aux seules considérations universelles, comme c'est le cas, par exemple, dans l'œuvre de Toyobée (3). L'histoire comparée est le triomphe de l'universel.

Enfin, toujours dans cette analyse des méthodes propres à l'histoire, l'historien se réfère implicitement et constamment à la notion d'homme, expression même de l'universalité. L'histoire est toute entière fondée sur un dialogue entre le même et le différent, entre le Même et l'Autre. C'est là un acte de confiance fondamentale dans l'existence d'une relation possible entre ce même et cet autre et, donc, dans la croyance en l'universalité du comportement humain, en la possibilité d'une compréhension réciproque.

La rencontre de l'autre ne peut avoir lieu sans la certitude d'un minimum de ressemblance qui permet de se comprendre. A quoi bon si je suis un allemand du XX^e siècle m'intéresser à la Chine antique, si je considère de Chinois d'un autre âge comme absolument dissemblable. A quoi bon, pour un Africain, essayer de déchiffrer l'Europe, s'il n'existe aucun lien, aucune nature commune entre l'un et l'autre. A quoi bon pour moi, européenne, parler devant un auditoire que ne l'est pas, si nous ne devons absolument pas nous comprendre. Car la différence introduite par le temps est de même sorte que celle créée par la distance et l'espace à une même époque.

Il n'est pas sûr d'ailleurs que je sois plus proche d'un Français du XIII^e siècle et peut être même du XVII^e, que d'un Africain d'aujourd'hui. Ainsi, l'histoire fait-elle constamment appelle à un minimum commun, elle croit à des échanges possibles, aux relations humaines, elle nie, par son existence même, l'isolement absolu que certains considèrent comme infranchissable. (Je ne cherche pas ici à présenter une analyse philosophique mais simplement à décrire un procédé). Elle croit à l'universel.

(3) *Historien Anglais contemporain.*

Mais ce n'est pas seulement par ses méthodes que l'histoire atteint et pratique l'universel. C'est elle, aussi, qui lui donne un visage et qui cesse d'en faire un courant d'air. D'une part, elle donne, à ces généralités, un contenu. D'autre part, en révélant à chacun la vie, les habitudes, les angoisses des autres, l'historien découvre à chaque homme, l'existence de ses semblables, celle d'un prochain peut-on dire, si éloigné soit-il dans le temps et l'espace. Elle découvre des solidarités ignorées et quelquefois nerveuses. Elle apprend que l'universalité historique n'est pas toujours la même, ou, en tout cas, que des universalités nouvelles peuvent apparaître. Ainsi appelle-t-elle à l'ouverture. Rien ne serait plus surprenant qu'un historien incapable à s'ouvrir et même qui ne serait pas avide de différence ; il aurait l'air de se tourner le dos à lui-même.

Reprenons ces deux derniers points. Et d'abord, grâce à l'histoire l'universel s'anime. Il prend forme et visage. Chaque jour nous employons des termes généraux qui désignent des moments du temps, soit des morceaux de l'espace, soit encore des institutions ou des formes de la culture. Voici pêle-mêle : les peuples primitifs, la Renaissance, les Perses, les tribus, le classicisme, l'état, les chrétiens, les Européens, les Arabes. Ce que chacun de nous se représente en prononçant des mots dépend très exactement de ses connaissances historiques et c'est au fur et à mesure que l'histoire devient plus précise que, pour tous, historien ou non, la représentation en devient plus vivante et plus chargée de sens. Je ne voudrais pas avoir l'air de vous conseiller d'apprendre l'histoire, mais sans le dire, c'est bien ce que je voudrais faire. Il n'y a pas d'autre moyen pour échapper au vide de tout un vocabulaire général, et, quelquefois, pour savoir de quoi l'on parle.

Cela nous conduit tout naturellement à notre second point : en donnant aux mots leur sens exact et leur sens plein, l'histoire révèle l'universalité de la vie. Sous des formes indéfiniment particulières, elle raconte une seule et même histoire, composée des mêmes éléments : organisation des groupes, des familles, des tribus, des états. Elle dit ainsi que tous les hommes ont vécu en société. Si non, ils ne sont point hommes. Tous aussi se sont efforcés de transmettre leurs connaissances, tous ont cherché à mieux connaître le monde qu'ils habitaient.

Ainsi, tous les groupes humains ont une histoire de la pensée. Leur réussite est variable. Les uns ont perfectionné la géométrie et les autres l'imprimerie. Certains ont tiré parti de ce que d'autres avaient déjà découvert : les Chinois ont inventé la poudre, mais les Européens s'en sont servis. Les Arabes ajoutaient à leurs sciences celles des Grecs. Les Européens y ont puisé et ont continué. Pasteur a prouvé l'existence des microbes, le monde entier s'est emparé de ses connaissances, etc...

L'histoire dit que tous les hommes, et cela dès le début, se sont efforcés d'échanger leurs produits et, par là, d'améliorer les conditions matérielles de leur vie. Enfin, dans tous les temps et tous les lieux, les hommes se sont posés la question de leur origine et de leur fin : les réponses ont été différentes, mais l'inquiétude universelle.

L'histoire révèle encore que la solidarité a été aussi grande dans le mal que dans le bien : toutes les sociétés ont connu la guerre, toutes les formes de surveillance et de domination, tous les mensonges des hommes à d'autres hommes. De sorte qu'à ceux qui, aujourd'hui, se demandent : l'homme a-t-il jamais existé ? L'historien répond qu'il a rencontré un être qui, partout, a toujours eu un minimum de comportement comparable.

Evidemment, certaines de ces solidarités peuvent être plus accentuées à certains moments et leurs formes variées avec le temps. L'histoire souligne et apprend que les similitudes changent et que de nouvelles convergences apparaissent. Par exemple la cité antique est une unité autarcique, c'est-à-dire un petit état étroitement fermé sur lui-même. Les solidarités y sont internes d'abord. L'universel commence là par un échange intérieur. Cependant, quand elles ne se font pas la guerre, les cités grecques se rassemblent dans la compétition : ce sont les Jeux Olympiques. Ceux-ci sont une forme de solidarité, la reconnaissance de règles communes, celles des lois du jeu. Mais déjà apparaissent des solidarités nouvelles qui font éclater le noyau principal : la solidarité des nantis de part et d'autre des frontières, celle aussi des esclaves. Solidarité de classes, disons-nous aujourd'hui contre la solidarité d'états.

Au moyen-âge, on retrouve ce même jeu entre les relations verticales et horizontales : la féodalité puissante maintient les liens verticaux, la féodalité affaiblie rapproche les bourgeois de plusieurs seigneuries ou les seigneurs de plusieurs royaumes. Le XVIII^e siècle a tendance à faire éclater les frontières, il est volontier cosmopolite, du moins en Europe.

Les hommes, les idées circulent facilement et cette aération explique la fermentation exceptionnelle de la pensée. C'est alors que Montesquieu écrit « Je suis bonnet d'abord et Français par hasard ». Il affirme ainsi, pour lui, la priorité de l'universel sur le particulier. Il réfléchit en même temps sur rapport de ces deux termes et, déjà, il critique ceux qui confondent LEUR particulier avec l'universel, ou qui croient que ce particulier là ; le leur, doit nécessairement devenir l'universel. « Comment peut-on être Persan ? » Car, en effet, il y a des Persans !... C'est-à-dire les AUTRES. Cette manière ironique de poser la question critique, en tournant en ridicule, le questionneur.

Mais au XIX^e siècle la tendance communautaire et cosmopolite éclate à nouveau et les nations se disloquent comme, sans doute, elles ne l'avaient jamais été. D'autres solidarités naissent alors : bousculent une fois encore les frontières, ou du moins le proclament : « Travailleurs unissez-vous », « Paysans unissez-vous ». On ne criait pas « Bourgeois unissez-vous » parce qu'on pense que l'union est déjà faite...

Dans l'actualité, une autre tendance apparaît. Ce ne sont plus seulement les frontières des états qui sont mises en cause, mais celles de la société. Au nom d'un particulier absolu, réduit au moi unique, au nom d'une authenticité absolue du moi seul, on refuse le cadre social, pour créer une solidarité sans contraintes qui serait, enfin, au-delà, pensée-on parfaitement humaine. L'authenticité n'est plus alors comprise que par rapport à soi-même.

Le conclus : l'histoire n'existe que par la rencontre du particulier et de l'universel, et de même la vie. Seul, le particulier conduit à l'isolement, au cloisonnement et finalement au silence. Acculé à la répétition, le dialogue avec soi-même s'éteint. C'est le monde de Sartre réduit à l'absurde de la solitude.

La victoire de l'universel est également pauvre : l'uniformité, en supprimant le dialogue et l'échange, engendre, elle aussi, un monde muet. L'histoire alors se tait — c'est à dire le bourdonnement de la vie humaine (4). Cependant, suivant les époques, les hommes ont préféré se tourner, d'abord, vers eux-mêmes, se recueillir ou se fermer selon qu'on prend cette attitude en bonne ou en mauvaise part, ou bien, au contraire, regarder les autres d'abord et donner la préférence à l'ouverture.

L'histoire nous apprend aussi que la vie, la croissance, n'existent que par le dialogue entre le même et l'autre, entre l'identique et l'universel. Le repli sur soi est un réflexe de peur : l'Espagne en 1898, la France en 1870, le monde Arabe colonisé. Sûres d'elles mêmes, la France du XVIII^e siècle, l'Angleterre du XIX^e siècle, l'Amérique du XX^e siècle ne semblent jamais avoir assez appris des autres.

Mais l'histoire affirme autre chose encore : se fiant à sa puissance et se moquant des calculs humains, elle déclare tout d'un trait que la copie n'existe pas, que l'homme est incapable de copier, le voudrait-il absolument, et que seul l'authentique existe pour lui, qu'il n'y a que des hommes authentiques, c'est-à-dire ressemblant à eux-mêmes. Deux hommes identiques, fussent-ils père et fils, mais à plus forte deux peuples identiques n'existent pas. L'homme navigue ainsi souverainement, indéfiniment, nécessairement et quel que soient les conseils reçus ou les craintes émanées, entre le particulier et l'universel.

Professeur à la Faculté des Lettres
Université d'Alger
Dr Y. TURIN

(4) Nous n'avons pas abordé le problème des hommes-médias qui aurait pu faire l'objet d'une autre communication.

ENTRE L'AUTHENTICITE ET LA CONTEMPORANEITE

Conférence du Dr Zaki Nadjib Mahmoud
Professeur de logistique (philos.)
à l'Université du Caire

Je n'hésite pas un seul instant à décider que le plus important des problèmes dans notre vie culturelle actuelle c'est la tentative de découvrir, pour notre vie spirituelle et pratique, une formule qui unirait entre elles deux parties : elle préserverait nos caractéristiques arabes authentiques et, en même temps, nous ouvrirait les portes grandes ouvertes afin que nous puissions accueillir largement les fondements de la civilisation moderne telle qu'elle est vécue aujourd'hui par ses pionniers.

Nous n'aurons rien gagné de la vérité si nous devons nous contenter, sur ce plan, de prononcer du bout des lèvres, quelques mots qui n'émaneraient pas de nous par conviction et par foi. Il est très facile, en effet, pour celui qui parle, de prétendre réunir les deux qualifiés à la fois ; l'appartenance à l'arabisme authentique et l'appartenance à la civilisation de l'époque. En procédant à une analyse objective et précise de sa vie effective, on constate, en ce qui le concerne, trois états : ou il est dépourvu des bases authentiques de la culture arabe se contentant, dans sa vie, d'éléments épars qu'il a réunis ici-déjà parmi les formes apparentes de la culture occidentale, ou il s'est ingénué d'une culture arabe pure au point que les portes de l'époque se sont fermées à lui et qu'il ne sait rien de cette époque, ou alors il a présenté un autre vide des deux cultures à la fois, et il n'appartient donc ni à l'une ni à l'autre.

Ces trois aspects qualifient, à mon sens, la grande majorité des fils de la nation arabe. Quant au quatrième aspect qui est celui de l'arabe qui a réuni en son entier une unité organique ordonnée qui se tient dont les composantes sont constituées par des bases essentielles du patrimoine arabe et par d'autres bases essentielles de notre époque actuelle, on ne le rencontre que chez un petit nombre que l'on peut presque compter, dans l'ensemble de la patrie arabe car, en réalisant cette véritable réunion des deux cultures dans une même vie, ils se sont distingués de la masse d'une manière visible.

La position de la nation arabe d'aujourd'hui dans la civilisation se concentre en deux questions qui, si on y répond correctement, font apparaître la réalité de cette position d'une façon nette sans aucune ambiguïté.

La première question est la suivante : « Quels sont les éléments les plus importants auxquels nous faisons allusion lorsque nous parlons de la « personnalité arabe authentique ? » Quant à la deuxième question c'est celle-ci : « Quels sont les éléments les plus importants qui composent la structure de la culture moderne ? ».

Après avoir répondu à ces deux questions, nous aurons en face de nous deux situations. Il nous sera mis par la suite, de rechercher le moyen de former un composé qui réunirait ce qu'il serait possible d'intégrer parmi les éléments des deux situations sans qu'aucune d'elles perde quelque qualité essentielle qui mettrait en cause son existence même.

Commençons par notre première question : Que sommes-nous par rapport à l'authenticité ? Quelles sont nos composantes qui, si elles se concrétisent en un individu ou en un groupe, nous permettent d'affirmer qu'il est authentiquement arabe sur le plan culturel ? Je ne compte pas que la réponse soit exhaustive, concernant ces composantes, de sorte qu'aucune d'elles ne soit oubliée.

Contentons-nous d'une partie seulement des composantes fondamentales et nous aurons pris la bonne voie dans nos recherches.

La première des caractéristiques de l'attitude arabe qui me vient à l'esprit c'est la ferme croyance en deux niveaux de l'existence, de sorte qu'il nous est absolument impossible de les confondre dans nos réflexions : il y a d'une part l'essence divine créatrice et, de l'autre, l'univers des êtres, créatures de cette essence divine, parmi lesquelles il existe un être que son Créateur a décidé de distinguer pour transmettre au monde un message qu'il a été chargé de porter et de répandre. Cet être c'est l'homme.

C'est dans ce cadre général que se définit le point de vue arabe authentique et, de ce principe de base découlent des conséquences.

On peut dire que l'homme est un être moral, c'est-à-dire qu'il est chargé d'affirmer, dans son comportement, des valeurs morales déterminées qui lui ont été *inscrites* et qu'il n'a pas choisies de lui-même. Il n'a pas le droit d'en éliminer une partie ou d'y ajouter quoi que ce soit qui lui soit inconnue.

Etant donné que cette mission morale n'aura sa pleine signification que si l'individu est responsable de ses actes, cette responsabilité morale, par rapport à chaque individu pris séparément devient pour lui une chose obligatoire à laquelle il ne peut échapper et il n'est pas permis à un individu de l'assumer à la place d'un autre.

On peut trouver d'autres systèmes dans les autres cultures. Il y a même, à notre époque, deux autres systèmes qui ne concordent pas avec l'attitude arabe que nous avons indiquée. L'un d'eux affirme que les lois morales, comme les autres, sont engendrées par la vie réelle. Ce qui est confirmé par l'histoire comme étant utile, nous en faisons une loi morale à partir de laquelle nous organisons notre comportement, et ce qui apparaît nuisible, nous le rayons de la liste des actes agréés. Mais étant donné que l'utile et le nuisible changent avec les circonstances, nous devons considérer les principes moraux comme étant relatifs et non point absolus de telle sorte que nous soyons prêts à en changer ce qui doit l'être afin qu'il ne fasse pas obstacle à la progression avec les exigences de l'époque et de sa civilisation.

Tel est l'un des deux autres systèmes quant au second, ses adeptes affirment que la question, ici, n'est pas subordonnée à une avance ou à un recul dans la voie de la civilisation mais qu'il s'agit de l'homme et de sa liberté absolue de prendre la décision qu'il veut à condition qu'il soit responsable de cette décision. Personne, ni au-dessus, ni à côté de lui, ne lui dicte ce qui est obligatoire et ce qui est permis. C'est à lui que revient l'initiative de sa décision, initiative non précédée par un principe formulé par un autre que lui.

Il est évident que l'attitude arabe authentique est différente des deux systèmes à la fois sur le plan du principe et de la base ; même si elle s'accorde avec eux sur le résultat, elle diffère du premier système qui met le bon comportement humain sur le compte des expériences cependant que l'attitude arabe affirme la priorité du principe moral sur les expériences. Ce qui est juste est juste et ce qui est faux est faux, compte non tenu du succès ou de l'échec des expériences de la vie pratique. Les limites du juste et du faux ne sont pas l'œuvre de l'homme, se sont celles que Dieu a voulues pour l'homme.

L'attitude arabe est différente aussi du deuxième système qui fait que la décision humaine n'est pas précédée par un critère, car le point de vue arabe — comme nous l'avons déjà dit — affirme la priorité du critère sur lequel est jugée la justesse ou la fausseté de la décision.

Notre question, sur ce premier point, est la suivante : « Peut-on concilier le fait que l'homme soit arabe avec ce point de vue et le fait qu'il soit, en même temps, un contemporain qui évolue avec le temps et ses changements rapides ? » Je ne prétends pas ici que le problème de la conciliation — sur ce plan entre l'authenticité et la contemporanéité est chose aisée, c'est tout de même un problème qui mérite, de notre part, un long et profond examen. Car, si nous nous en tenons aux valeurs fixes établies pour nous, nous nous exposons au danger de la stagnation, et si nous vivons à notre gré avec le courant de mutation nous nous exposons au déclin de la personnalité et à sa déliquescence.

Tout ce que je puis dire à ce sujet, c'est que nos valeurs morales héréditaires sont d'une ampleur telle qu'il nous est permis d'agir dans leur cadre avec un degré de liberté suffisant pour se mouvoir au rythme rapide de notre époque. L'affaire, dans ce domaine,

doit être analogue à celle de la formation des mots avec les lettres de l'alphabet. Les lettres sont déterminées et leur nombre connu. Et pourtant, il nous est possible de construire avec ces lettres des mots par millions de millions si nous le voulons. Pourquoi ne pourrions-nous pas affirmer que nos principes moraux héréditaires sont des bases sur lesquelles nous pouvons édifier un nombre incalculable de façon d'agir ?

Ces valeurs héréditaires se retrouvent dans les noms sublimes de Dieu, car ces noms, comme le dit l'Imam Al-Ghazali, forment des attributs qui sont absolus pour Dieu le Très Haut et qui, par ailleurs, sont relatifs et limités en ce qui concerne l'homme. En lisant ces noms vous saurez ce qu'on exige que vous soyez : on exige par exemple que vous soyez très savant, très clairvoyant, doué d'une bonne ouïe, que vous soyez capable, très patient, que vous possédiez enfin toutes les qualités suprêmes.

Qu'est-ce qui peut donc empêcher de suivre son temps avec toutes ces qualités ? Qu'est-ce qui peut m'empêcher d'être au courant, par le savoir, la clairvoyance et l'ouïe, des réalités de mon époque et des exigences de la vie ? d'être capable, sage, patient, fort et bien instruit ? Alors que ces qualités font partie de celles qui sont exigées de moi en vertu de ma foi ? Tout ce qui m'est demandé dans ce domaine c'est de saisir, pour chaque qualité, les sens qui se rapprochent le plus de l'époque aux fins de posséder le savoir de cette époque, sa capacité, sa puissance, sa sagesse, etc...

Parmi les caractéristiques de la culture arabe, il y a aussi ce ferme désir, chez l'homme, de s'élever au-dessus du monde des événements variables pour recouvrir à ce qui est stable et permanent.

Toute chose sur terre et dans le ciel est éphémère et passagère, en perpétuel changement, en perpétuelle mutation. Pourquoi s'attache-t-on à elle alors qu'elle est incapable de se maintenir par elle-même ? N'y a-t-il donc aucun havre sûr, à l'abri des tempêtes de l'enfouissement, de la transformation et du changement perpétuel d'un état à un autre, pour nous y abriter et avoir le salut ? Si, ce genre de havre sûr existe et nous pouvons le rechercher, tant que nous serons vivants ici-bas ; c'est l'être qui constitue notre identité, c'est le « moi » qui demeure ferme quelque soit la mutation qui s'accomplit autour de lui. Ce havre sûr existe également sous un autre aspect : c'est celui de la vie future qui est le but recherché à travers toute activité que nous exerçons dans ce monde.

Tel est l'arabe qui, à son point de vue, recherche la pérennité par l'intermédiaire des phénomènes passagers et qui veut dompter le temps et dompter la mort. Quant au temps qui varie avec ses événements, il le dompte en le quittant pour ce qui est intemporel par sa nature et pour recouvrir à son essence qui est intemporelle, de même qu'il espère en une vie future qui n'est pas soumise non plus aux facteurs du temps. Si la réalité, toute la réalité, résidait dans ces choses variables, changeantes, éphémères et passagères que nous voyons dans ce qui nous entoure, l'univers serait — du point de vue de l'arabe — une vanité totale.

Ce point de vue n'est pas celui de notre époque actuelle. Les doctrines philosophiques contemporaines sont presque toutes d'accord pour tout analyser selon les phénomènes variables sans croire à une existence pour aucun être stable au-delà de ces phénomènes. Cette table devant nous n'est qu'un ensemble de phénomènes apparents à nos sens de la vue et du toucher. On peut dire ainsi de toute chose y compris l'homme lui-même.

L'être humain de son côté n'est qu'un ensemble des phénomènes que les autres voient en lui ou que sent lui-même dans son intimité sans qu'il n'y ait au-delà de ces phénomènes abondants une essence stable qui dure avec le temps. On peut même dire ainsi de tout l'univers d'un seul bloc. Cet univers n'est qu'un océan de phénomènes en perpétuelle liaison ou séparation entre eux sans qu'il n'y ait rien au-delà.

Une telle vue du monde vient seulement à la suite de la vue scientifique rigoureuse qui fait partie des caractéristiques de notre époque. Notre question, cette fois, est la suivante : « Comment puis-je admettre la vue scientifique rigoureuse pour suivre mon époque et demeurer en même temps attiré par l'inconnu au-delà de la vision où m'est assurée l'éternité et la pérennité pour garder cette marque arabe à mon point de vue ? » Je dirais encore une fois : Je ne prétends pas que le problème de la conciliation, ici, est chose aisée c'est comme le précédent, un problème qui exige de nous une longue et profonde réflexion.

Je préfère que la solution soit que nous vivions dans deux mondes qui se complètent et ne s'opposent pas à condition de ne pas permettre à l'un d'intervenir dans le domaine de l'autre. Nous vivrions dans l'un d'eux, notre vie scientifique avec tout ce qu'elle implique, mais au lieu de dire que cette vie scientifique nous suffit pour notre monde, nous devons dire qu'à côté de cette vie scientifique, il y en a existe une autre où il y a les espérances, les idéaux, le havre et l'habit. Si dans les moments scientifiques de ma vie, je concentre ma vue sur les seuls phénomènes pour en dégager les lois en dépit des variations de ces apparences, je ne manquerais pas, dans les moments spirituels de ma vie, de me débarrasser de l'habit de la science pour me consacrer à la jouissance et à l'espérance. Sans cette séparation rigoureuse entre les deux mondes, il nous est impossible de concilier le scientifique de l'époque et le mysticisme de l'origine héritée.

L'occident lui-même a perçu ce genre de problème et y a cherché une issue en dressant une frontière séparant la science d'un côté et l'art de l'autre. Si l'homme est contraint, dans sa vie scientifique, de se lier par la réalité telle qu'elle est par les phénomènes tels qu'ils se présentent à ses sens, il a, dans l'art, un vaste domaine où il lui est loisible d'agir pleinement à son gré, car dans l'art, il peut ne pas se lier par une réalité et se créer une nature autre que celle qui le heurte par ses phénomènes.

C'est à partir de là que sont nées les écoles de l'art moderne qui s'accordent toutes sur un point commun, à savoir qu'il n'est pas demandé à l'artiste de peindre la réalité mais qu'il doit créer pour lui-même ce que son imagination le pousse à créer. Le fait de s'affran-

chir des liens de la réalité objective compensers pour lui, dans sa vie scientifique, les liens qui ne lui assurent pas ce qui doit répondre à ses vœux et à ses espoirs.

En disant de la culture de l'Europe et de l'Amérique actuelle que c'est une culture dominée par le rationnel de la science, vous aurez vu juste et, en disant que ce qui la domine c'est l'irrationnel des belles lettres et de l'art, vous aurez également vu juste. Car le rationnel et l'irrationnel se côtoient pour compenser leurs insuffisances mutuelles. Et si tel est le cas, à quoi aboutirions-nous si nous devions choisir de faire côtoyer le rationnel de la science et la croyance métaphysique dans une même vie ? Nous aurions, ce faisant, suivi notre temps par le premier côté et nous le lien de parenté entre notre patrimoine et nous par le second côté.

Cependant, dans son désir de dépasser le réel variable pour ce qui est au-delà du réel dans son immortalité et son éternité, l'arabe authentique reste étonnamment attaché à l'espace immuable. Il est, avec l'espace environnant, dans un dialogue ininterrompu. Il y a un mouvement dialectique lié dont les deux parties sont l'homme arabe et son espace. Toutefois, c'est une dialectique qui n'aboutit pas à l'intégration des deux parties dans un même composé, c'est au contraire, une dialectique qui maintient à l'être humain la maîtrise de son thème.

Toute la nature, pour l'arabe, est le théâtre de l'action et du mouvement. Elle est pour lui le champ de bataille et de lutte, l'arène de sa chevalerie et de son héroïsme. Le désert qui entourait, l'arabe était pour lui une source de frayeur et de beauté à la fois. Il craint sa sévérité et ses inconnues mais, en même temps il se recueille presque devant sa grandeur avec la ferveur des adorateurs. Et de là, le désert a été pour lui un champ de lutte et d'aventure de même qu'il a été une source d'amour, de poésie et de chant. Il scrute tout ce qui l'entoure comme espace — terre et ciel — avec tout ses sens.

Il le scrute par la vue, par l'ouïe, le toucher, l'odorat et le goût sans rien omettre, depuis les rats de la terre jusqu'aux étoiles du ciel. Mais il scrute tout cela pour s'en servir et le dominer. L'arabe ne se réfère pas pour son action dans la nature environnante à des ouvrages légués par des prédécesseurs. Il se réfère au contraire au livre même de la nature, parcourant ses pages, lisant puis comprenant. La science de la nature n'était pas faite pour en jouer et remplir les loisirs. C'était une question de vie et de pérennité. Abou Hayyan At-Tawhidy affirme dans son livre « *Al-imtâ oul mou'înassa* ».

« Les arabes n'ont pas de prédécesseurs auxquels ils s'adressent ni de livre qui Les guide. Ceux sont des habitants d'un : contrée désertique, dépeuplée. Chacun d'eux a eu besoin, dans sa solitude, de son esprit, de sa vue et de sa raison. Ils ont su que leur nourriture devait leur venir des végétaux de la terre. Ils ont donné à chaque chose son signe, l'ont attribué à son espèce et ont appris à connaître l'utilité des plantes vertes et des plantes sèches, leurs périodes et leurs époques et ce qui est utile parmi les ovins et les camélins. Puis ils ont observé le temps et ses variations, et l'ont divisé en printemps, été, automne et hiver.

Ils ont ensuite vu que leur boisson venait du ciel. Ils ont donc déterminé les pluies. Ils ont connu les variations du temps et ont défini leurs places dans l'année. Ils ont eu besoin d'expansion sur terre et ont fait des étoiles du ciel des signes pour les parties de la terre et ses contrées. Et grâce à elles, ils ont parcouru les territoires et ont établi entre eux une chose par laquelle ils s'abstenaient des actes blâmables et qui, par ailleurs, les incite à désirer le beau... De telle sorte que l'un d'eux qui se trouve dans la plus vilaine des terres décrit les vertus sans rien omettre dans les attributs qu'il leur donne et ne laisse pas dans le dédaignement des défauts.

Cela nous dépeint l'arabe parcourant les contrées de la terre et, avec son regard, le ciel, attaché à travers cela, à des valeurs qui l'orientent vers le vertueux et le beau. Or cette image arabe s'accorde-t-elle et où se désaccorde-t-elle au moment où elle se heurte à la position de la civilisation moderne à l'égard de la nature et des valeurs qui orientent l'homme dans sa marche ? L'accord vient de l'intérêt pour l'univers et ce qu'il contient, intérêt qui ne se borne pas aux limites de la découverte des réalités pour elles-mêmes. C'est un intérêt qui vise l'utile et veut éviter le mal. Quant au profond désaccord, c'est que l'arabe ne veut de la nature que le fait d'être un champ d'action et de volonté.

Cependant que l'homme de civilisation occidentale, en général, ajoute à cela ce qui peut être plus important à savoir que la nature soit un domaine pour l'efficacité de la raison d'analyse et de synthèse. Ce n'est donc pas un hasard si nous avons trouvé dans les philosophies de l'Occident moderne des théories de la connaissance (épistémologie) qui définissent le rapport théorique entre l'homme connaissant et les thèmes connus alors que nous ne trouvons presque pas, dans tout le patrimoine arabe philosophique, de théorie de la connaissance de ce genre. La pensée arabe s'est préoccupée de la volonté et de son analyse parce que c'est un instrument d'action et de mouvement beaucoup plus que de la raison et de son analyse parce qu'il y a vu un moyen d'efficacité spirituelle pour l'homme alors qu'il est assis sur son siège.

Que devons-nous faire, nous les arabes contemporains, pour concilier, dans ce domaine, l'authentique hérité et le nouveau contemporain ? Je pense que le chemin, devant nous, est clair : c'est un chemin éducatif dans son fondement. Nous n'avons qu'à initier nos jeunes à préserver leur héritage dans l'entraînement de la volonté ferme et dans l'ambition et l'aventure pour y ajouter par la suite un autre entraînement au raisonnement et à l'examen théorique.

Si notre époque se distingue des autres époques précédentes par une marque, cette marque de distinction c'est sa pénétration dans le monde du rationnel — lequel constitue le monde des sciences de tous genres — d'une façon qui ne laisse aucun des aspects de la vie ni aucun des coins de la terre — j'allais dire : et des contrées du ciel — sans y apporter son influence, en partant du fait que l'esprit scientifique contemporain ne se contente pas, de nos jours, de ce qui lui était suffisant hier, c'est-à-dire de se cantonner

aux limites de la théorie mathématique. Au contraire, il s'obstine à se concrétiser dans des appareils et à répandre ces derniers dans toutes les contrées de la terre pour transformer la vie des hommes d'un état à un autre.

Nous n'avons plus d'autre issue que de suivre ce courant scientifico-technique. Si nous sommes des gens d'action, de mouvement et de volonté du côté de l'authenticité, nous devons ajouter cette nouvelle page à notre entité. Et, comme je l'ai dit, cela ne peut se réaliser que par la voie de l'éducation d'abord pour que nous puissions créer la vue qui ne laissera pas l'action, le mouvement et la volonté abandonnés au hasard, mais en tiendra fermement les rênes pour les conduire sur la voie qui mène à la formation d'une science et d'hommes de science dans ce sens moderne et nouveau.

En dernier lieu — cela aurait dû être dit en premier lieu, mais je l'ai reporté par suite de son évidence même — l'authenticité de l'arabe part du fait qu'il parle une langue arabe. Nous n'avons donc pas d'autre alternative que de préserver cette langue par la bouche de ses fils et la plume de ses écrivains. Elle est la carte d'identité qui fait de l'arabe un arabe. C'est une évidence qui, je pense, ne suscite aucune controverse. Mais je passe à ce qui doit s'en suivre car elle n'apparaît pas à tous avec toute cette évidence. C'est-à-dire que si nous devons vivre avec notre époque, nous devons verser cette époque avec tout ce qu'elle renferme de sciences et de belles lettres dans le creuset de la langue arabe. Je veux dire qu'il faut traduire toutes les sciences modernes, de même que la littérature et la philosophie de l'époque. Ainsi, autant nous pouvons jeter de matières de l'époque dans le moule de notre langue, autant nous aurons pris une part de contemporanéité.

L'époque ne se limite ni à un seul peuple ni à un seul territoire. L'époque c'est l'Amérique, c'est l'Angleterre, c'est la France, l'Allemagne, la Russie, le Japon et tous les autres pays qui marchent dans leur sillage. Mais cette même époque revêt dans chacun de ces pays un habit confectionné par ce pays lui-même pour qu'il en fasse un membre sans que le changement de l'habit constitue une raison de modifier quoi que ce soit des signes du temps. Des habits qui diffèrent selon les pays qui tiennent les rênes de la civilisation à notre époque, ne sont que les différentes langues. Le Français par exemple a versé le produit de l'époque dans sa langue française et est devenu par là-même contemporain de son époque. De même ont agi l'Allemand, le Russe, le Japonais etc...

Pourtant, il m'a été donné de trouver dans notre nation des personnes qui s'opposent à la traduction des sciences, croyant que seul convient à ces sciences l'habit anglais, français ou autre parmi les langues des nations développées. Je ne peux, à ce sujet, que répéter qu'autant que nous aurons apporté à l'habit arabe du produit de l'époque, autant sera notre part de la contemporanéité. L'authenticité dans ce domaine c'est la langue arabe qui est la notre et pas celle d'autre que nous et qui est aussi un héritage reçu de nos ancêtres, et la contemporanéité, c'est de jeter notre époque dans son moule.

L'histoire arabe est comme un fleuve abondant, qui conserve son identité depuis des millénaires malgré la course de ses eaux et sa transformation, jour après jour ou plutôt d'un instant à l'autre. Ce qui préserve au fleuve son identité c'est son maintien dans un même cours. Et c'est ainsi que nous voulons que soit notre vie : lui conserver le cadre fondamental général et le point de vue essentiel, puis renouveler le contenu qui remplit ce cadre ou préoccupe ce point de vue toutes les fois que les époques successives amènent des civilisations successives avec, pour chacune, un contenu nouveau.

Ce sont donc quatre points où, si vous le préférez, quatre domaines que nous avons cités. Dans chacun de ces domaines, nous avons une position authentique profondément enracinée dans notre patrimoine et à laquelle s'oppose une position contre la civilisation contemporaine.

Nous avons essayé de montrer comment, dans chacune des quatre situations, la conciliation peut se faire entre deux contraires. Premièrement, nous avions une attitude déterminée à l'égard de Dieu, de l'univers et de l'homme, qui a entraîné un point de vue déterminé sur les principes moraux le quel point de vue n'est pas celui de la civilisation en cours. Nous avons montré comment on peut colmater la brèche entre les deux points de vue. Deuxièmement, nous avions une attitude à l'égard de la réalité matérialiste qui a entraîné de notre part son dépassement vers un inconnu métaphysique et cela n'est pas admis par la civilisation actuelle. Nous avons suggéré une méthode pour sortir de cette contradiction. Troisièmement, nous avions des systèmes déterminés dans nos rapports avec la nature environnante qui ne sont pas les systèmes admis dans notre civilisation d'aujourd'hui.

Nous avons cherché pour nous le moyen de rapprocher les deux systèmes. Enfin quatrièmement, nous possédons une langue qu'il faut préserver et qui garde notre patrimoine dans ces moules. Nous avons dit que nous n'avions d'autre issue que de verser le produit de notre époque dans ces moules afin que le nouveau se mélange avec l'ancien dans un même moule. Ainsi nous avons établi une sorte de plan de ce qu'il est possible de faire pour concilier l'authenticité et la contemporanéité.

Faisons à présent, ensemble, un rapide tour d'horizon et voyons ce qui s'est effectivement passé dans notre vie culturelle pour nous rendre compte jusqu'à quel point nous avons réussi dans cette intégration recherchée des civilisations. Dans le premier domaine concernant notre point de vue sur Dieu, l'univers et l'homme je ne pense pas que nous ayons obtenu un grand succès dans l'élargissement du sens de nos valeurs morales pour qu'elles s'adaptent aux innovations de notre époque.

Nous voyons que les parleurs et les écrivains parmi nos directeurs de pensée sont divisés en deux groupes dont l'un se borne à jouer de l'ancienne corde seulement et l'autre de la corde moderne uniquement. Et nous avons échoué jusqu'à présent à obtenir que la mélodie englobe à la fois le moderne et l'ancien.

Si je prononçais par exemple le mot « science », les esprits de certains d'entre nous iraient à la physique, à la chimie, etc... Et les autres à la connaissance des ouvrages et nous demeurerions ainsi dans deux camps presque totalement séparés, sauf dans les champs d'activité qui n'ont pas de lien proche avec la vie spirituelle. Et on peut dire ainsi de beaucoup de notions essentielles qui constituent les axes de la pensée et de la culture.

Dans le deuxième domaine qui concerne le dépassement du réel pour le métaphysique, hélas, je constate que nous gardons cette marque mais nous la faisons dévier de ce pour-quoi elle a été créée. L'origine était pour nous de nous délivrer du monde des événements variables, changeants et éphémères pour avoir recours à ce qui est solide et éternel. Mais nous avons fait du dépassement du réel pour le métaphysique à notre époque si une fuite du point de vue de la science vers les fausses apparences du mythe. Nous avons alors perdu du réel et le métaphysique d'un seul coup.

Dans le troisième domaine, qui est celui du rapport de l'arabe avec l'espace, rapport dont les composantes sont comme déjà dit — l'action, le mouvement, l'hécatisme et la domination du milieu dans tous ses détails, nous nous sommes repliés sur nous-mêmes par suite des violences et des défaites que nous avons subies au cours des trois derniers siècles. Par ce repli avilissant, nous n'avons traité la nature ni comme le faisaient nos ancêtres ni comme le font les fils de la civilisation occidentale moderne. Nous avons laissé le territoire qui est sous nos pieds et le ciel qui est au-dessus de nos têtes au seul européen et au seul américain pour y faire ce que bon leur semble.

Toutefois, Dieu soit loué, nous avons pris un réveil conscient par lequel nous essayons de nous relever de notre chute. Et l'espoir est placé en une nouvelle génération qui embrasse les contrées de la patrie arabe d'un regard empreint à la fois de la tradition du patrimoine et du renouveau de la civilisation.

Quant au quatrième et dernier des domaines que nous avons pris comme base de discussion, et qui est celui de la langue, il ne fait pas de doute que nous avons déjà accompli un long parcours sur le chemin de sa résurrection avec le contenu de la civilisation moderne. Cependant, nous sommes encore bien loin du but final qui doit être, comme je le crois — de verser toutes les composantes de la science, de la littérature et de la philosophie répandues dans le monde moderne dans la langue arabe. Et nous n'aurons pas le droit de parler de notre existence dans notre époque avant de voir cette époque parler dans une langue arabe claire, éloquente.

« NOS GLOIRES PARLENT »

Poème épique sur Bijala par le poète du Grand Maghreb

Moufdi ZAKARIA

à l'occasion du 8ème Séminaire de la Pensée Islamique
tenu à Bijala du 25 mars au 5 avril 1974.

Traduction en vers
de
Tahar BOUCHOUCHI

I

Ton lac est-il légende ou fleuve paradisiaque,
rivage de verdure ?

Es-tu chanson de gloire que chante ce rivage
le long des siècles ?

Est-ce ici le cortège glorieux de l'histoire
empli de faits illustres ?

Cependant que se brisent les flots, Bellara,
insuète, entre leurs lèvres, demeure, coupe
de cristal.

Le charme de ces lieux a enchanté les vagues
le djinn Abkar moissonne leurs sortilèges

Est-ce le Créateur suprême
qui peignit : ce paysage
reflet de sa Beauté ?

Est-ce ici la demeure de la poésie
et des rêves ?

Est-ce le temple des anachorètes
est-ce un lieu sacré ?

O magnificence du monde !
Paradis sur quoi veille le bordj d'Al-Ahmar !

Le bateau amoureux demande, dans ton sein,
pardon d'avoir aimé et dit son repentir.

Mais que dire des baigneuses ?
Car malgré ma raison et nonobstant mon âge,
j'eusse glissé vers la débauche ! ..

Rieuses elles s'en vont, en devançant l'écho,
plongent dans l'ivresse la guitare et la lyre.

Moqueuses, elles piétinent mon âme,
et lorsque je me plains
elles sont sourdes et aveugles.

Séduites, elles le furent par le torrent.

C'est ainsi qu'inconscient, l'on joue avec le feu !
monde de jeunes filles plein de jeux dangereux !

Doucement, ô colline Amalimoun, n'es-tu pas
celle qui s'attendrit, celle qui s'apitoie.

Comme moi tu gardas trop longtemps le silence
alors que dans tes profondeurs
dorment de fabuleux trésors.

Il y a, cachées en toi, des choses merveilleuses
qui, inlassablement, magnifient la grandeur.

Moi, j'ai proclamé mon amour
Révèle donc à ton tour
Ce que tu cèdes dans les entrailles terrestres.

Et répands tes secrets à travers Bab-El'ouz !
pour qu'ensuite le temps en fasse le récit.

Ordonne à Bab el-Bahr de nous faire savoir,
ce que ni narrateurs ni conteurs de veillées,
ne savent !

Ton lac est-il légende ou fleuve paradisiaque,
rivage de verdure ?

II

Toudja, douce chanson du rêve de mon âme,
village de l'amour et de la féerie.

Le temps a conservé ton mémorable charme
et toi, de ton amour, tu ne fus point guérie.

Pure et souriante, ô Toudja, tu offris
de ton sein le doux lait aux cimes montagneuses
dont le rite exprimait la candeur rieuse,
des enfants te couvrant d'un regard attendri.

Mais voici le matin éclatant qui caresse
d'un sourire éternel, ô Toudja, tes versants.

Norius Datus en fut-il amoureux
au point d'y faire surgir des torrents abondants ?

Datus, cet étranger, pour nous, est respectable.
Au service de l'homme, toute œuvre est honorable.

Interroge Oued Saher et son pic où se dresse
l'image imperissable de notre grandeur,

Interroge Adekkar et ses maquis touffus
si propices à la chasse.

Et le petit de la gazelle qui bondit,
amoureux dédaignant les oiseaux qui gazouillent ?

Il court plus rapide que le soleil qui verac,
dans ses yeux alanguis l'ivresse lumineuse

Le soleil en ces lieux, est un baiser céleste,
que le Créateur donne.

Le zéphyr embaumé est un souffle de Dieu,
la beauté est, ici, rayonnement divin.

La lune incandescente, au ciel, est tendresse
de la main douce et irrésistible du Seigneur.

Du haut de ses sommets brumeux le mont A'koud
répand sur l'univers l'annonce du bonheur.

S'il eût vécu ici, Salah n'eût jamais vu
sa craintive chancelle égorgée sous ses yeux !

O Sidi Yahia, vient donc rendre visite
à Tichl, tu verras les nymphes s'y baigner.

Les rives de Zaghouat ont livré leurs secrets,
mais à Sidi les sables sont restés muets.

III

Glorieuse Bjaia, ô source de beauté,
lieu où souffle l'esprit, berceau de ma,esté !

Et toi, Ibn Illinas, bâtisseur immortel
d'une gloire impérissable, grande, inconcevable.

On a dit : « Les Romains en sont les fondateurs »
Mais les Romains ont-ils fondé rien de durable ?

C'est toi qui égeas ce que l'on voit encore
narguant tout l'univers et défiant le sort.

Car n'était Boulmar et bien d'autres rumeurs
sur Touati, tu aurais atteint la perfection.

Viens donc, Ibn Hamd.s et réplique à mes vers
tant je suis passionné des vers qui se répondent.

Car c'est toi qui peigns de Bjaia, la grâce
et sus nous en fixer la beauté si profonde.

C'est toi qui, t'inspirant de sa gloire, retrace
la vie de ses grands hommes pour l'éternité

Quant à moi, j'ai fermé, composant mon *Iliade*
la route à tous ceux qui prétendaient m'égal.

Et toi, Ibn Khaldoun, n'as-tu pas sillonné
Jadis, ces provinces du Sud jusqu'au Nord,
unissant de Biskra et de Ciria le sort,
pendant que Bijala bénissait l'hyménée ?

Tu fus dans ce destun l'illustre chambellan
exemple rare, esprit étincelant.

Car sans Ibn Abbas et son cœur rancunier
tu n'aurais point vécu, à Fez, prisonnier

Mais le cachot n'a pas freiné ton ambition,
tant tu aimais abattre les arbres géants.

Puis, bientôt tu sentis une grande lassitude
à côtoyer des loups et tu choisis de vivre
une vie exemplaire, consacrée aux livres.

Tu délaissas le monde et le monde ravi
mesura ta grandeur !

Conte-nous donc comment, revenant de la Mecque,
Abou Madiane, un jour, débarquant à Bougie,
fut conquis par cette cité, où tant de flèches
véhémentes se sont efforcées de l'attristader.

Mais Yacoub l'honora, Yacoub le magnifique
dont la munificence est plus riche en bienfaits,
que ne le sont les lourds nuages bénéfiques.

O cité d'El Oubad, transmets à Bou Madiane
cet écho de ma plainte en toute humilité !

Glorieuse Bijala ô source de beauté,
lieu où souffle l'esprit, berceau de majesté !

Bijala, toi qui es mon récit merveilleux
Dieu éloigne de toi les funestes regards !

Car si le peuple tire orgueil de tant de gloire
c'est en toi que réside l'esprit qui le guide

Et si un jour il a besoin de témoignage
tu es, ô Eijaz, témoin de son courage
N'as-tu pas de ton jour, illuminé le ciel
de l'Andalousie, dans les durs jours de malheur
où tant de gens allaient et revenaient sans cesse,
foibles innombrables, couvrant ton territoire ?

Ils venaient s'abreuver aux sources du savoir
en un lieu où la science rassemblait les hommes,
unis, solidaires, dans la foi et l'estime,
ayant pour seul principe la concentration
comme au temps où l'Islam jeta ses fondations.

Le religion de Dieu était alors si fière
de voir ces fidèles, unis dans la prière,

La terre, répandant ses biens, à profusion
récompensait l'effort constant de la nation.

Et partout l'on voyait le bonheur et l'aisance
fruit d'un si grand effort et de tant de constance.

Et tu fus le foyer de ce rayonnement
rassemblant le Maghreb en un seul élément.

Mais pour savoir quel fut le rôle de Bougie,
voici Taïlîbi, hôte du paradis.

Et Ibn Sab'in qui sut à toute polémique,
opposer fermement l'argument véridique

Voici Ibnou Toumert dont l'opiniâtreté
affirma la vraie foi contre la fausseté,
contre les faux dévôts et les tristes passions
qui affaiblissaient la foi de leurs superstitions,
et imposaient les vues de leur esprit étroit
en faisant fuir les fidèles de la vraie foi

Ils disaient : pas d'effort rationnel à fournir
et condamnaient les gens tentés de réfléchir.

Or, quel avantage, quel bien, en vérité
vaudraient, sans la raison, pour cette humanité ?

Bijaia, toi qui es mon récit merveilleux,
Dieu éloigne de toi, les regards envieux.

Dans l'enceinte superbe, de la haute Kalsâ
je chante mes chansons pour les Banu Hammad

IV

Car du haut, de la tour, en acrétoir le temps,
j'ai demandé : "Où sont les fils de Ghaniâ

ceux qui t'ont convoitée, ravis par ta beauté
et puis voici Achir, qui regarde, debout,
comme s'il marquait la kibla des prières

et voici Bellara, le palais enchanteur
refletant la beauté de sa princesse altière,

et le mont "Amalmsoun" qui, penché sur Nedjma
fait frissonner d'amour la fièvre "Loulous".

Dis-moi, Ibn Hammad, sont-ce les reflets
de ce pur cristal qui, tes vers, inspirèrent
ou bien de Bellara, un esprit si parfait
revit-il dans tes chants, pareil à sa lumière ?

Bijaia admirait de Sanhadja le rang
et s'attacha à lui par les hauts liens du sang ;
et ce fut là, l'esprit s'altérant à la beauté,
l'union de la puissance et de la majesté.

Demande aux Espagnols : vécurent-ils longtemps
ou disparurent-ils, bientôt, dans le néant ?

Demande à Barberousse comment il a vaincu
les Gitanes ! Plût au Ciel que pour toujours ce fût.

Dis-moi, Bordj el Ahmur, si ces couleurs vermeilles
sont, de notre sang, les traces éternelles ?



Et cet encens, partout, de lutte et de combat
souffle-t-il de Hirtin ou de Anâkia ?

Ah ! Combien de torrents de sang, furent versés
par ce peuple mourant pour la patrie blessée !
Pendant que sur la mer qui est là, notre mer,
viennent nous dominer les flottes étrangères !

Qui a pu, ici-bas, à l'aimer, nous forcer ?
Et quand nous sommes-nous soumis ou abaissé ?

Nous sommes un peuple d'honneur et de foi
tant que notre ennemi n'a pas trahi la loi.
Le grand rabbin a-t-il donc oublié comment
nous avons protégé les Juifs en ce moment ?

On les voit aujourd'hui, hrisant notre existence !
Ah ! S'ils se rappelaient naguère leur souffrance
à l'heure du Fascisme ou celle des Nazis !

Dans l'enceinte superbe de la haute Kalââ
je chante mes chansons pour les Banu Hammud.

V

Je crois en les poètes et en la poésie.

Je crois aux flots ! A la Grotte Merveilleuse

Je crois en ceux qui ont uni notre Maghreb,
et tissé de leurs mains la trame consanguine !

Je crois en Ibn Badis, en ses aïeux
qui ont produit Jawhar et érigé le Caire.
Mais toi, ô Bijala, fiancée de l'univers
tu es le Paradis aux parfums délicieux !
Si le monde a choisi le chiffre numéraire
en toi, ô Bijala, c'est toujours par ton chiffre
qu'il continue, depuis, à compter et à vivre.

C'est ici que Zerrouk, jadis, a pris l'essor
et ses œuvres sont là, témoins de sa pensée.

C'est ici que Nasser Eddin, de Mechdella
a conquis l'univers par son intelligence,
énervant ainsi campagnes et cités.

C'est ainsi qu'Ibn Abi Kacim a pu atteindre
les degrés les plus hauts de la célébrité

Ni Mausour, ni Abul Tadj n'ont pu monter
si haut, à ce niveau de la pensée d'Amran,
"Les grandes sentences" de Abou Mohammed
seront toujours gravées, dans toutes les mémoires,
à côté de Abu Tahir, le grand poète,
de sa fille Aïcha, marquoise et caustique,
nous faisant le portrait d'un chauve, esprit simplet
qui vint un jour la demander en mariage.

Sur son crâne, elle vida sa verve satirique
en lui recommandant de voiler son visage.

Le palais Loulou, bien loin de la séduire
la détourna de tous ses courtisans futiles.

C'est pourquoi l'on peut dire "Aïcha la subtile"
de cette poétesse aux palais fastueux.

Mais s'il l'on veut décrire "Loulou", il faudrait
emprunter la vision rare d'Ibn Haradiz.

Car si de ce palais l'on capta, la splendeur
pour en soigner les yeux d'un aveugle, il verrait.

Que si l'on parfumait un mort de ses senteurs,
ce défunct brutalement à la vie reviendrait.

Les Perses n'ont en jamais construit d'aussi beaux,
bien que leurs demeures fussent magnifiques.

Le château "Khawarnak" n'est rien à ses côtés
et le "Sadir" renonce à sa célébrité.

Son sol est parsemé de perles, non de pierres,
revêtu par les yeux langoureux des gazelles,
à tel point que mon cœur, pressé de les revoir
aspire au Paradis d'Allah et aux houri.

Sa terre se compose de musc éalé,
doux parfum des gazelles, tiède et enivrant.

Si la Romeydia visitait ce palais
elle y vivrait, le cœur débordant de lousanges

Ou si, au Paradis, l'on trouvait son pendant,
je prierais le seigneur d'oublier mes péchés.
(afin de me permettre, un jour, de l'habiter).

Bijala, tout ce que j'ai dit pour te chanter,
est loin d'être digne de ta grande beauté

Car ta gloire elle-même est un vaste univers.
Les mots pour la décrire ne peuvent satisfaire.
Me voici exprimant, devant ce séminaire,
des sentiments fougueux que je ne puis freiner,
glorifiant la pensée, les hommes de génie
dont l'action a été d'une action initiale.

Et je crois en l'Islam, bien que dans nos âmes
nous nourrissons une foi qui n'est guère sincère.

Cet Islam nous rend mais nous nous en servons,
pour cacher aux regards notre réalité,
pendant que sur nos fronts tombe l'adversité.

La vraie Révolution de l'Islam est un feu
éternel dans l'âme du peuple valeureux,
et ce sang, notre sang qui coule dans nos veines
ne cesse de trier dans nos âmes en peine.

Oui ! Je crois en ce peuple et en tous les semeurs
cui sèment dans la terre ou sèment dans les cœurs
Car la terre et l'honneur se valent, tous les deux
ils ont besoin de nous, de nos soins, de nos yeux.

Et c'est à toi, ô peuple, que je dédie
l'écho de ma pensée, c'est à toi ma patrie,
à toi, ô ma nation révolutionnaire,
que je dédis mon chant.

Bijala, le 1 rabia al awal 1394
Correspondant au 25 mars 1974

LES RECOMMANDATIONS
DU 8^{me} SEMINAIRE SUR LA PENSEE ISLAMIQUE

RECOMMANDATIONS DE LA 1^{re} COMMISSION

« LA SITUATION DES MINORITES ET DES COMMUNAUTES
D'EMIGRATION EN GENERAL ET MUSULMANE EN PARTICULIER
DANS LES DIVERS PAYS DES CINQ CONTINENTS
ET LE DEVOIR DES SAVANTS, PENSEURS ET HOMMES DES MASS-MEDIA
A LEUR EGARD »

COMPOSITION DE LA COMMISSION

1 ^{er}) Dr Lafie ASSABBAGH	Présidente
2 ^e) Monsieur Khelifa EL-MAHFOUDI	Rapporteur
3 ^e) Dr Abdelkrim SAITO	Membre
4 ^e) Dr Salvatori BONO	»
5 ^e) Dr Mohammed Nadjat Allah ESSEDDIQUI	»
6 ^e) Dr Mohamed Hicham SOLTANE	»
7 ^e) Dr Mohammed Ali SABRI	»
8 ^e) Professeur Salvador Gomez NOGALEZ	»
9 ^e) Professeur Emilio Galendo AGUILAR	»
10 ^e) Professeur Rachid BENAÏSSA	»
11 ^e) Monsieur Ahmed BOUDA	»
12 ^e) Monsieur Chadly MEKKI	»
13 ^e) Monsieur Moussa BOUKHRIS	»
14 ^e) Monsieur Ahmed EL-BORQI	»

La 1^{re} Commission issue du 8^{me} Séminaire de la Pensée Islamique réuni à Bldjaia du 1^{er} au 12 rabia al awwal 1394 — 25 mars - 5 avril 1974, après avoir entendu les conférences données par les Docteurs : Leila ASSABBAGH (Syrie) ; Mohammed Nadjat ESSEDDIQI (Inde) ; Mr Francis MONHEIM (Belgique) ; les Docteurs Salvatori BONO (Italie) ; Abdelkrim SAITO (Japon) ; ainsi que les discussions, les remarques et les réponses aux questions posées par les étudiants.

— Considérant la situation économique, sociale, culturelle déplorable dont souffrent les communautés musulmanes émigrées, et les dangers d'isolement et de rupture avec leur pays d'origine et d'intégration dans les sociétés d'accueil.

— Considérant la recrudescence des campagnes hostiles orchestrées par les racistes, les colonialistes et les sionistes, illustrées par les événements de Marseille, et les agressions dirigées contre les Arabes et les musulmans ; ainsi que les exactions racistes auxquelles sont exposées les minorités musulmanes comme c'est le cas aux Philippines et en Erythrée.

— Considérant la nécessité d'œuvrer en vue de faire respecter leurs droits humains élémentaires et leur droit inaliénable à pratiquer librement leur culte.

— Suite aux résolutions du 7^{me} Séminaire de la Pensée Islamique.

Le 8^{me} Séminaire de la Pensée Islamique recommande :

1) - Les communautés émigrées :

1^o) La nécessité de poursuivre et de coordonner les démarches entreprises par les pays du Maghreb arabe en vue de récupérer la mosquée de Paris.

2^o) La création de nouveaux domaines d'emploi dans les pays musulmans pour assurer le retour des émigrés et les réinsérer dans le processus du développement économique.

3^o) La coordination des efforts des Ambassades islamiques, et l'unification de leur plan d'action en vue de protéger ces communautés contre les persécutions dont elles sont l'objet, et la création d'un climat culturel islamique de nature à empêcher leur dépersonnalisation, et ce en focalisant à leurs enfants la langue arabe qui leur permet d'accéder à la compréhension de la religion musulmane.

4^o) Envoi de prédicateurs musulmans en vue de sensibiliser nos frères émigrés à l'Islam dans les pays où ils vivent ; ainsi que l'ouverture d'antennes et de centres culturels religieux.

5^o) Demande aux gouvernements musulmans l'affectation de juges de statut personnel auprès de leurs camarades en vue de traiter les affaires relatives à ce domaine.

6°) La nécessité de consolider la coopération entre les différentes organisations islamiques qui se trouvent dans les pays d'accueil, et d'œuvrer pour une meilleure coordination de leurs efforts.

7°) La nécessité d'accorder un intérêt particulier aux camps de vacances organisés à l'intention des enfants émigrés en leur dispensant la culture nationale islamique.

8°) Faire connaître les valeurs et la civilisation islamiques et diffuser la langue arabe dans les pays d'accueil en vue de renforcer les relations et instaurer une meilleure entente et un respect mutuel.

II) - Les minorités islamiques :

Le 8^{me} Séminaire de la Pensée Islamique exige :

1°) Des gouvernements des pays dans lesquels vivent des minorités musulmanes le respect de la charte des Nations-Unies, celle des droits de l'homme afin d'assurer aux minorités la protection physique et morale.

2°) Les gouvernements islamiques doivent œuvrer pour la création d'émissions radio-phoniques qui s'adressent à ces minorités ainsi qu'aux communautés islamiques émigrées.

Quant aux communautés non-musulmanes qui vivent en terre d'Islam, le 8^{me} Séminaire de la Pensée Islamique, en prenant acte du fait que ces minorités jouissent de leurs pleins droits nationaux et religieux, recommande :

— de persévérer dans ce bon traitement à leur égard, traitement dont elles jouissaient sous le règne du pouvoir islamique et que nous dicte la législation islamique par ailleurs.

RECOMMANDATIONS DE LA 2^{me} COMMISSION

« ROLE DU PENSEUR A TRAVERS LES AGES,
ET PARTICULIEREMENT AUJOURD'HUI, DANS SA NATION
ET A L'EGARD DE L'HUMANITE, DE SES PROBLEMES DE L'HEURE
ET DE SES PERSPECTIVES D'AVENIR »

COMPOSITION DE LA COMMISSION

1 ^{er}) Dr Ibrahim MEKKI IBRAHIM	Président
2 ^{er}) Dr Ammar TALBI	Rapporteur
3 ^{er}) Dr Salah ASSAOUI	Membre
4 ^{er}) Dr Horst GERICKE	»
5 ^{er}) Dr Mohammed ZNIBER	»
6 ^{er}) Dr Mohammed Aziz LAHBABI	»
7 ^{er}) Dr Rachid RAJAH	»
8 ^{er}) Dr Mohammed Ali SABRI	»
9 ^{er}) Professeur Ahmed Anouar EL-DJOUNDI	»
10 ^{er}) Professeur Abderrahmane CHIBANE	»
11 ^{er}) Monsieur Mohammed BEN ABDALLAH	»
12 ^{er}) Cheikh Youcef EL-YALAOUI	»

Au Nom d'Allah Clément et Miséricordieux

— Considérant l'importance essentielle du rôle que doit remplir l'Islam dans l'orientation de notre culture.

— Considérant l'influence considérable qu'exerce la lutte idéologique dans l'orientation des sociétés.

— Considérant l'acharnement avec lequel le colonialisme culturel prétend assujettir les peuples à sa pensée, c'est-à-dire à son *leadership* politico-économique

— Considérant les arrières-pensées colonialistes que masquent les principes de l'universalisme, de la modernité et de la mission civilisatrice.

Le 8^{me} Séminaire sur la Pensée Islamique réuni à Bidjaja du 1^{er} au 12 rabia al awwal 1394 (25 mars - 5 avril 1974) émet les considérations suivantes :

1^o) Le penseur se trouve engagé à l'égard des problèmes que pose sa société tant sur le plan de l'analyse et de la critique que sur celui de l'enrichissement et de l'accroissement, étant bien entendu que le point de départ se trouve dans l'Islam bien compris.

2^o) Il est nécessaire que le penseur soit lié à la société et aux problèmes qu'il affronte, afin que son activité spéculative soit réaliste, engagée et que l'influence de son œuvre s'exerce efficacement selon les progrès continus de son milieu social.

Compte tenu de ce qui précède, le 8^{me} Séminaire sur la Pensée Islamique recommande :

1^o) L'analyse et l'étude de notre patrimoine culturel, l'élimination de ses aspects négatifs ; la mise en valeur de ses éléments les plus vivants selon une méthode moderne ; l'activation des efforts entrepris pour le faire revivre.

2^o) Une mise en œuvre historiographique digne de libérer méthodiquement notre histoire de toutes les falsifications colonialistes, altérations et tendances à la partialité. De tels efforts sont dignes de fournir à nos générations montantes une optique saine et objective des différents aspects de notre existence historique. Ils permettraient notre renaissance future à la lumière de notre vie passée qui, trop souvent, fut retracée d'une manière caricaturale dans les livres d'histoire.

3^o) Confirme les recommandations du 7^{me} Séminaire, notamment celles qui ont trait au nécessaire exercice de l'effort personnel (*ijtihad*), dès lors que les conditions de cet effort sont réunies.

4°) La nécessité, pour un esprit musulman, d'avoir une connaissance précise et critique de la pensée universelle contemporaine, pour être à même de tirer profit des éléments positifs qu'elle recèle et rejeter tout ce qui, en elle, se trouve en contradiction avec nos structures essentielles.

5°) L'utilisation des sciences, de la technologie et de tous les facteurs constructifs dans les expériences des nations étrangères, afin que notre société islamique puisse progresser dans le domaine de la civilisation et combattre les éléments contraires au dogme et à l'éthique islamique.

6°) Engagement des mass-média de suivre une voie parallèle au principe de l'Islam. Nous insistons une nouvelle fois sur les recommandations du 7^{ème} Séminaire, relatives aux mass-média et nous invitons à leur application.

7°) Etant donné la grande importance de l'éducation et de l'instruction dans la formation du Penseur, le 8^{ème} Séminaire recommande la nécessité d'établir une philosophie de l'éducation où s'inscrivent les objectifs fondamentaux qui seront à la base de la formation du compatriote musulman. A partir de ces objectifs seront conçus les méthodes et les programmes susceptibles de les réaliser, et un séminaire serait réuni pour examiner spécialement ces questions.

8°) Prendre soin d'enseigner la culture islamique à tous les niveaux d'enseignement.

9°) La création d'une université musulmane modèle, tant du point de vue équipement que du point de vue cadres, et ce, dans chaque pays musulman. Une telle initiative ne manquera pas de conférer au cycle supérieur un caractère islamique complémentaire à un enseignement de toutes les disciplines scientifiques et spécialités.

10°) Vis-à-vis de l'étranger, mettre fin à toute dépendance intellectuelle dans le domaine des études sociologiques et sciences humaines en général. Une telle suggestion est devenue l'image de marque des universités appartenant aux pays musulmans. Il convient d'orienter ces études, tant théoriques qu'appliquées, vers les mutations sociologiques que traverse notre milieu contemporain.

11°) De composer une encyclopédie des connaissances islamiques, à la fois objective et moderne, en collaboration avec tous les spécialistes des diverses disciplines intellectuelles et artistiques.

12°) La lutte contre les différentes sortes de sclérose. L'extirpation de tous les germes de charlatanisme, superstition, séquelles de régression, de décadence et toutes sortes de déviations qui détournent de la voie du vrai et premier Islam « Salafyya ».

13°) Réalisation totale de l'arabisation dans les pays arabes en prenant comme base la langue arabe, pilier essentiel sur lequel repose notre entité nationale. Diffusion de cette

langue dans les différents pays musulmans, étant donné le rapport étroit qu'il y a entre elle et le dogme et la pensée islamiques. Confirmation des recommandations du 7^{me} Séminaire sur la Pensée Islamique, se rapportant à l'intérêt que l'on doit nécessairement porter à la langue arabe dans les pays musulmans, cette langue étant indispensable à une compréhension correcte de l'Islam.

14^e) Encouragements décernés aux penseurs sérieux et efficaces par l'octroi de certaines rétributions destinées à honorer leurs travaux intellectuels.

15^e) Faire en sorte que le penseur musulman, s'efforce d'atteindre le niveau le plus haut dans tous les domaines intellectuels, artistiques, scientifiques, et participe ainsi à l'enrichissement de la pensée humaine. Il doit notamment tenir compte du fait que la pensée islamique est, par nature, universelle. Elle n'établit aucune différence entre les hommes, ses seuls critères étant le bien et l'action qui tend vers lui. Dieu, le Très Haut a dit : « Gens, nous vous avons créés à partir d'un homme et d'une femme. Au regard d'Allah, celui qui parmi vous croîtra le plus Dieu, celui-là sera le plus généreux ».

16^e) Solidarité du penseur musulman efficace avec le peuple palestinien et avec tous les peuples arabes qui combattent pour libérer la Palestine et Jérusalem musulman.

17^e) Rôle revendiqué par le penseur efficace, tant sur le plan national que sur celui de l'humanité en général, en tant qu'il est capable de les orienter vers la bonne voie et en qualité de critique de leurs structures mauvaises.

18^e) Participation du penseur à l'œuvre de promotion de la société dans les différents secteurs idéologiques, culturels, politiques et économiques, avec la volonté de réaliser la justice sociale et d'assurer au citoyen musulman la liberté et la dignité humaine.

RECOMMANDATIONS DE LA 3^{ème} COMMISSION

« LA CONTRIBUTION DE BIDJAIA LA HAMMADITE
A LA CIVILISATION ET A LA PENSEE MUSULMANES ET UNIVERSELLES.
CAUSES ET CONSEQUENCES DE SA DECADENCE »

COMPOSITION DE LA COMMISSION

1 ^{er}) Othmane AL-KAAK	Président
2 ^{er}) Ahmed HAMMAM	Secrétaire-rapporteur
3 ^{er}) El-Mahdi BOUARDALLI	Adjoint
4 ^{er}) Yahya BOUAZIZ	Membre
5 ^{er}) Nabih AKIL	»
6 ^{er}) Souleiman Daoud Ben Youcef	»
7 ^{er}) Ismaïl ARABI	»
8 ^{er}) Mohammed EL-FASSI	»
9 ^{er}) Saïd Mohammed RAAD	»
10 ^{er}) Moulay BELHEMISSI	»
11 ^{er}) Rachid BOUROULBA	»

a procédé à l'étude et à la discussion du troisième point du programme du 8^{ème} Séminaire sur la Pensée Islamique, tenu à Bidjaia.

Au nom d'Allah, Clément et Miséricordieux,

Prière et Bénédiction sur Mohamamad, le Généreux Prophète,

À la lecture des analyses et des débats qui ont eu lieu pendant les assises du Séminaire et compte tenu des avis émis par les membres de la commission, il est apparu à ces derniers que les facteurs de l'épanouissement de la civilisation à Bidjaia ainsi que les éléments qui ont déterminé la participation de cette cité à la civilisation et à la pensée islamiques et universelles, peuvent se ramener aux points suivants :

1^o) La position géographique de Bidjaia et tout ce qui en résulte sur le plan de l'essor économique

2^o) Les prédispositions naturelles des habitants ainsi que leur aptitude à saisir les données de la civilisation universelle.

3^o) L'Islam qui a eu le mérite de les avoir unis, éduqués et rendus égaux quant aux droits et aux devoirs de chacun.

4^o) L'harmonie des relations entre le pouvoir et le peuple, ainsi que le souci du gouvernement à établir la justice. Nombreux sont les exemples tirés de l'histoire qui peuvent corroborer ces faits.

5^o) L'esprit de tolérance religieuse animant l'Etat. La meilleure manifestation en est la coexistence de la Mosquée, en tant qu'institut scientifique ouvert aux Musulmans, avec le « Beit Al Hikma » ou « Maison de la Sagesse » jouant le même rôle intellectuel à la fois à l'égard des Musulmans et des non-musulmans résidant à Bidjaia ou y venant de l'étranger, en quête de savoir et de culture.

6^o) L'assurance exercée par Bidjaia sur les célébrités scientifiques et intellectuelles de l'Andalousie et du Maghreb ainsi que la création d'académies scientifiques qui furent des lieux propices à l'étude, à la confrontation et à l'exercice du raisonnement.

7^o) L'accueil réservé par Bidjaia aux grands penseurs, dont les théories positives contribuèrent à l'éducation de civilisations humaines. C'est en effet dans cette capitale qu'Ibn Tournert dressa avec son disciple Abdel Moumen Ibn Ali, un plan dont la réalisation aboutit à la création de la dynastie Almohade et à la destruction des anciennes structures.

8^o) La participation vigoureuse des ulémas appartenant aux localités de la région, qui eut pour conséquence l'apport positif de Bidjaia à la renaissance de la civilisation et de la pensée aussi bien à l'intérieur du pays qu'à l'extérieur.

9^o) L'essor constructif symbolisé par l'importance accordée à l'irrigation, aux voies de communication (création de routes, entretien de ces dernières, organisation de convois dans les meilleures conditions de sécurité publique leur permettant de fonctionner et de remplir utilement leur rôle

10°) La complémentarité des secteurs économiques (agriculture, industrie, mines, commerce) et de l'ensemble du complexe maritime, comprenant l'administration de la mer, du port, de la flotte, ainsi que les conventions commerciales et les opérations commerciales et des finances extérieures.

11°) L'originalité de l'art architectural et décoratif qui, de Bidjaïa, s'est répandue dans les principaux pays de civilisation en méditerranée occidentale, notamment en Sicile et en Sardaigne.

Quant aux causes de décadence, les membres de la commission ont estimé que l'on peut les énumérer comme suit :

1°) Les attaques chrétiennes des Normands, Espagnols, Chevaliers de Malte et autres « ordres de templiers », ainsi que les agressions des flottes pisane, génoise, vénitienne et en dernier lieu l'attaque de la flotte de Charles Quint occupant Bidjaïa. C'est alors que les soldats espagnols chassèrent les habitants de cette ville, dont ils détruisirent les monuments et palais et abolirent l'activité intellectuelle.

2°) Les guerres civiles et les luttes intestines entre musulmans. C'est ainsi que les Banu Ghania ont envahi Bidjaïa attachée à ses gouvernants. Avant eux, les Almohades l'avait annexée, après avoir renversé les Hammadites et réduit cette capitale au simple rang de chef-lieu de wilaya. Vinrent ensuite les invasions des Mérénides, des Hafrides, des Zianites, et autres bouleversements et guerres intestines entre gouverneurs de provinces.

3°) Les dégâts et déprédations des bédouins qui ont sacagé les campagnes, coupé les routes, perturbé le système d'irrigation et de circulation des convois, détruit les villages et établissements agricoles.

4°) Le transfert du siège du gouvernement de Bidjaïa, à Alger, par les chefs turcs. Il en résulta que cette cité perdit son rôle historique sur le plan de la civilisation, de l'économie et de la science.

5°) L'exode de ses habitants (notables, hommes d'affaires, de science ou d'administration) devant l'arrivée des Espagnols en 910 h ≈ 1509. C'est alors que le siège de la résistance et de l'activité intellectuelle déplaça vers l'intérieur du pays.

6°) Le relâchement des mœurs et l'extension de la débauche ainsi que l'amour des distractions, des raffinements et du luxe.

Citons comme exemple Ibn Tounart brisant les instruments de musique et les flacons de vin. Mentionnons également, parmi ces causes de décadence, la trahison de certains chefs militaires et de certains ministres qui ont ouvert la voie du pouvoir à Abdel Moumen, portant ainsi le coup de grâce aux Hammadites.

La troisième commission, après avoir exposé le rôle éclatant de Bidjaia à son heure de gloire et les causes de son déclin et du sort qu'elle subit ensuite, s'est efforcée de tirer les enseignements de l'histoire. C'est pourquoi elle souhaite voir Bidjaia recouvrer sa splendeur passée et jouer un rôle au service de l'esprit et de la civilisation, digne de sa renommée historique. Pour atteindre ce but, la Troisième Commission recommande :

1°) D'écrire une histoire complète de Bidjaia à travers les différents âges de son existence.

2°) D'établir une bibliographie des sources concernant la civilisation de Bidjaia d'après les ouvrages, les fonds de bibliothèques, les monuments etc...

3°) De créer un corpus des monuments de Bidjaia (palais, mosquées, forts, stèles funéraires, inscriptions etc...).

4°) De constituer un recueil mentionnant les personnages de Bidjaia qui se sont distingués dans les différents domaines et un autre pour les lieux géographiques. Un tel travail serait utile.

5°) D'établir un troisième recueil des manuscrits concernant Bidjaia, de rechercher ces documents, d'identifier ceux qui existent dans les bibliothèques en Europe, en Amérique et en Asie, enfin de les déchiffrer.

6°) De créer un institut des études consacrées à Bidjaia.

7°) De rassembler un corpus des monnaies, bijoux, costumes, armes, activités folkloriques ; et d'ouvrir des musées pour tous ces objets d'art.

8°) De recenser les collections de broderies, art figuratif et musique.

9°) De dresser des plaques commémoratives indiquant les lieux historiques, l'importance de leur rôle dans le passé.

10°) D'organiser des festivals culturels pour célébrer le souvenir de certains personnages de Bidjaia qui se sont illustrés dans le domaine de la pensée ou de la lutte.

11°) D'ouvrir pour instituer une faculté des sciences, rattachée à l'université islamique de Bidjaia, afin de faire revivre la mission qu'assumait « Beït al Hikma », dans le passé.

RECOMMANDATIONS DE LA 4^{me} COMMISSION

« CONTRIBUTION DE LA CIVILISATION ET DE LA PENSEE ISLAMIQUE
DANS LES DIFFERENTS DOMAINES DES SCIENCES ET DES ARTS
ET DU PATRIMOINE HUMAIN EN GENERAL.
FACTEUR DE LEUR EPANOUISSEMENT.
CAUSES DE LEUR DECADENCE.
CONDITIONS DE LEUR RENAISSANCE »

COMPOSITION DE LA 4^{me} COMMISSION

1 ^{er}) Dr Osman AMIM	Président
2 ^{er}) Dr Wasfi ABOU MOUGHLI	Rapporteur
3 ^{er}) Le Cadi Abdallah CHEMMAHI	Membre
4 ^{er}) Dr Manfred FLEISCHHAMMER	»
5 ^{er}) Dr Elhabr Youcef Nour Addayem	»
6 ^{er}) Dr Hicham ES-SAFADI	»
7 ^{er}) Dr Miguel de EPALZA	»
8 ^{er}) Dr Saïd CHIBANE	»
9 ^{er}) Dr Ihsan ABBAS	»
10 ^{er}) Professeur Mustapha Abdallah BAAYOU	»
11 ^{er}) Professeur Mohammed El-Mountasser EL-KETTANI	»
12 ^{er}) Professeur Mahmoud MANÇOUR	»

A) Introduction.

La civilisation islamique a atteint un degré élevé dans l'histoire. Elle se caractérisait par l'originalité et l'ouverture, mais de nombreuses causes, tant morales que sociales ont affecté cette civilisation et ont entraîné sa régression dans les différents domaines.

Les membres de la Commission considèrent que cette régression est imputable, entre autres, à : (le plus important)

1°) L'éloignement par rapport à l'esprit de la religion, l'abandon de l'incitation au bien et de l'interdiction du mal — le refus de l'effort — la méconnaissance du principe — l'éloignement par rapport aux principes de la législation musulmane — la perte de valeur de l'esprit de la science — une déviation par rapport à cet esprit qui a conduit à un effacement de la Raison et de la Morale dont les effets continuent de s'observer dans la Société musulmane moderne.

2°) La perte de la liberté de penser et l'abaissement du moral et ce qui accompagne cela dans le relâchement (de l'Unité) musulman en général.

Les conditions de la renaissance

Pour le renouveau de la civilisation et de la pensée islamiques, la Commission avance les recommandations suivantes :

Renouveau du patrimoine islamique par les liens et action de le transmettre à autrui.

Etablissement de catalogues mis à jour et unifiés pour les manuscrits islamiques se trouvant dans les différentes bibliothèques du monde et leur diffusion le plus possible.

Encourager l'édition et la diffusion du livre scientifique en langue arabe, langue des grands savants et la suppression des nombreux obstacles actuels à leur diffusion dans les pays musulmans.

4°) Accorder la grande importance à l'éducation islamique authentique dans les différentes étapes de la formation et renouveler la personnalité de l'homme musulman et permettre l'émergence de ces grandes valeurs morales.

5°) Enseignement de la civilisation islamique et de l'histoire des sciences arabes dans les lycées et institutions musulmans.

6*) Réaliser les conditions nécessaires à la stabilité tant morale que matérielle des penseurs et savants dans le monde musulman pour se consacrer à la production intellectuelle et mettre fin aux causes de la fuite des cerveaux islamiques, avec une action soutenue pour récupérer le plus grand nombre de ceux qui ont quitté les terres d'Islam.

7*) Développement de l'enseignement scientifique dans le monde musulman pour répondre aux exigences de la renaissance.

8*) Echange des compétences scientifiques entre les pays du monde musulman et coordination des efforts dans tous les domaines de la science. Coordination des efforts entre les pays musulmans dans tous les domaines et échange des compétences et des moyens nécessaires au renouveau et à leur participation au développement de la civilisation musulmane.

Le Séminaire salue avec optimisme les signes évidents de renouveau et la nouvelle prise de conscience dans les pays islamiques dans le cadre du Tiers-monde.

RECOMMANDATIONS DE LA 5^{me} COMMISSION

« IDENTITE ET AUTHENTICITE DANS L'OUVERTURE
ET L'UNIVERSALITE
QUE SIGNIFIENT CES CONCEPTS ? SONT-ILS CONCILIALES ?
DEGRE D'IMPORTANCE DE CETTE CONCILIATION
DANS LE MONDE D'AUJOURD'HUI POUR L'INDIVIDU ET LA SOCIETE
ET POUR LE SORT DE L'HUMANITE TOUTE ENTIERE »

COMPOSITION DE LA 5^{me} COMMISSION

1 ^{er} Son Excellence, Monsieur Abdallah Ben Bih, Ministre de la Justice (Mauritanie)	Président d'honneur
2 ^e Dr Zaki Nadjib MAHMOUD (Egypte)	Président effectif
3 ^e Dr Ibrahim FAKHAR (Algérie)	Rapporteur
4 ^e Dr Abdelfattah DIDI (Egypte)	Rapporteur
5 ^e Monsieur Abdelkader DIDI (Mauritanie)	Membre
6 ^e Monsieur Moudi ZAKARIA (Poète algérien)	»
7 ^e Monsieur Abderrahmane BELAGGOUNE (Algérie)	»
8 ^e Monsieur Mohamed Lakhdir B. Abdelkader ES-SAYHI (Algérie)	»
9 ^e Monsieur Rachid BENAÏSSA (Algérie)	»
10 ^e Monsieur Abdelouahab HAMMOUDA (Algérie)	»
11 ^e Monsieur Hamamouda ACHOURI (Algérie)	»
12 ^e Dr Abou-Majd SABRI (Egypte)	»
13 ^e Monsieur Mabrouk AL-AWADI (Algérie)	»
14 ^e Monsieur Murtapha AL-ASLAOUÏ (Algérie)	»
15 ^e Dr Khayr Allah ASSAR (Syrie)	»
16 ^e Monsieur Al-Hadj AÏSSA (Algérie)	»

La Commission réunit le dimanche 7-03-1394 H., correspondant au 31-03-1974 a été comme président d'honneur Son Excellence Monsieur Abdallah Ben Bah, Ministre de la Justice de la République Islamique de Mauritanie, et le Dr Zaki Nadjib MAHMOUD, Professeur de Logistique à l'Université du Caire, comme président effectif.

Après étude et discussion du sujet la Commission a défini les concepts d'identité, authenticité, ouverture et universalité, comme suit :

1°) - L'IDENTITE : C'est la prise de conscience de soi, en tant qu'entité musulmane. Elle répond à la question qui suis-je ?

2°) - L'AUTHENTICITE : Consiste à se réaliser en assumant les valeurs islamiques et en les reproduisant dans tous les domaines de la vie.

3°) - L'OUVERTURE : Consiste à transmettre notre MISSION SPIRITUELLE au monde dans la pratique du donner et du recevoir, et à emprunter aux non-musulmans tout ce qui s'avère être un besoin utile qui ne soit pas incompatible avec notre authenticité.

4°) - L'UNIVERSALITE : Considérant que la modernité constitue l'expression dominante et qu'elle ne peut de ce fait prétendre représenter l'humanité dans son ensemble, la commission définit l'Universalité comme le domaine de convergence de toutes les cultures dans leur diversité.

Sur la base de ces définitions préliminaires, la Commission estime qu'il n'y a pas de contradiction entre ces concepts, et que leur coexistence dans la vie est chose possible.

Il s'agit — en somme — pour le musulman d'envisager la modernité dans la perspective de l'Islam, et non l'Islam dans la perspective de la modernité pour reprendre une formule beutouse.

LES RECOMMANDATIONS

A cette fin, la Commission recommande :

1) - Dans le domaine de l'Education :

a) La diffusion des enseignements authentiques de l'Islam au sein de la jeunesse, dans tous les cycles de l'enseignement, de sorte que l'étudiant, au terme de ses études, soit un musulman authentique, engagé, et vivant dans la pratique des valeurs de l'Islam.

b) La généralisation de l'enseignement en langue arabe, à tous les niveaux, afin de permettre la transmission du message de l'Islam et ses enseignements dans la langue originelle, la langue du Coran.

II) - *Dans le domaine des mass-média :*

La Commission recommande aux mass-média (Presse écrite et parlée - radio et télévision etc...) d'œuvrer pour la diffusion de la culture et des idées islamiques authentiques.

De même qu'elle recommande le contrôle de tout ce qu'importent les organes d'information, aussi bien dans le domaine du cinéma et de la télévision qu'ailleurs, afin d'empêcher la diffusion et la reproduction de tout ce qui est contraire à l'Islam.

III) - *Dans le domaine de la Pensée, des Lettres et des Arts*

a) La Commission recommande aux penseurs, artistes et hommes de lettres, chacun avec ses moyens propres, de prendre en charge la mission consistant à former et à ancrer dans les esprits le modèle de vie islamique tel qu'il devrait être, afin de procurer et d'assurer aux masses musulmanes cette nourriture intellectuelle, artistique, littéraire, qui jaillisse de l'âme même de l'Islam et l'exprime.

b) La Commission exhorte les penseurs, artistes et hommes de lettres à faire face aux dangers de l'invasion idéologique pour en prémunir la nation islamique dont elle vise à saper les fondements.

IV) - *Dans le domaine des sciences :*

La Commission recommande la traduction des sciences de la nature, des sciences expérimentales et de la technologie, dans les langues nationales des peuples musulmans afin d'en tirer profit au maximum.

Allocution de clôture du 8ème Séminaire de la Pensée Islamique,

prononcée par Monsieur Mouloud Kassim NAIT BELKACEM

Ministre de l'Enseignement Originel

et des Affaires Religieuses

"Au nom de Dieu, le Clément et le Miséricordieux,

Messieurs les distingués Professeurs,

Mesdames et Messieurs,

Frères étudiants, sœurs étudiantes,

S'il est vrai que toute chose, fut-elle supposée parfaite, reste cependant incomplète, la fin de votre présent Séminaire en est le début, son nom en est la représentation puisque ses recommandations sont une exhortation mutuelle à l'accomplissement et au travail, dont ne sauraient dispenser le souhait et l'espérance. De là provient que sa clôture en est le point de départ et que ses résultats ne disparaîtront pas avec sa séparation.

Nous avons maintenant un rendez-vous avec la sincérité, où sera comparé ce qui aura été couché sur le papier avec ce qui sera déposé dans les papiers, et où sera jeté un regard scrutateur et critique, mais non rancunier, sur l'ampleur du sérieux et l'ardent désir de lier la parole aux actes, dans le but de préparer les esprits, de créer le climat et de s'approprier aux transformations radicales avec engagement et détermination.

Messieurs les distingués Professeurs,

Frères étudiants, sœurs étudiantes,

1°) Vous avez étudié en commun les situations d'exception dont souffrent des communautés d'émigrés et des minorités dans de nombreuses parties du monde, telles que la discrimination raciale et le fanatisme religieux aux caractères et aux formes multiples, qui se reflètent pour ces victimes sur les plans culturel, social et économique, et vont souvent jusqu'à l'agression et à l'extermination collective, et vous avez décidé d'agir et de redoubler d'effort et de diligence afin de faire prendre conscience aux Etats et aux masses de la nécessité de redresser ces situations et de dégager les solutions susceptibles de sauvegarder la dignité de ces communautés et de ces minorités, tout en sauvant la face de ces Etats et de ces sociétés.

2°) Vous avez évoqué le rôle du penseur, quel qu'il soit, quels que soient le temps et le lieu où il se situe, à l'égard de sa nation et envers l'humanité entière, en ce qui a trait aux problèmes de l'heure comme aux perspectives d'avenir, et vous vous êtes rendu compte qu'il était temps pour lui de quitter sa tour d'ivoire et de ne pas rester les bras croisés, enfermé dans une attitude négative, acquiesçant et applaudissant à l'envie, se dissimulant et polissant, louant et enjolivant, au lieu de écrier son opinion, d'agir, d'orienter et d'infléchir, d'examiner avant d'entériner, de proclamer publiquement, de prêter le dire franc à l'allusion, afin de s'acquitter de la charge dont il est dépositaire, de transmettre son message et d'assumer pleinement ses responsabilités, lui qui devrait être le plus engagé dans la défense du droit : le Prophète ne disait-il pas : "Quiconque garde le silence devant l'injustice n'est qu'un diable muet" ?

3°) Vous avez parcouru les annales de Bidjaia à travers les siècles, particulièrement pendant sa glorieuse époque hammadite, et vous avez pu voir l'importance et la noblesse du rôle joué par la Kalaa des Béné Hammad dans l'enrichissement de la civilisation et de la pensée aussi bien islamiques qu'universelles. Vous avez étudié les causes de la splendeur puis de la décadence de cet Etat, et il nous est apparu clairement à tous que, parallèlement aux campagnes successives prolongeant les croisades dont il fut l'objet, à l'entreprise de dégradation née d'une représentation primaire et bornée des choses, en honneur auprès de la plupart des Etats musulmans à cette époque, le fait de s'adonner à une vie de plaisirs et de luxe, de rechercher la tranquillité et la jouissance, a conduit à la dissolution des mœurs et à la dilution des valeurs. Les hommes s'étaient efféminés et les femmes virilisées, renversant les rôles et bouleversant les situations.

Ce relâchement a engendré la perturbation et préparé la voie à l'effondrement et à l'occupation. Telle fut la situation des Mousabittine auparavant et des Mouyahidine plus tard, comme le décrit en détail Ibnou Khaldoun. Telle est la destinée des civilisations, la voie de Dieu à l'égard de Sa création. « Lorsque nous voulons détruire une cité, nous ordonnons aux riches d'entraîner ses habitants de se livrer à la débauche et nous l'anéantissons inéluctablement ». Irréversible est la parole de Dieu !

4°) Vous avez tenu des conférences et mené des débats détaillés au sujet de la civilisation et de la pensée islamiques, de leur apport décisif dans les différents domaines des sciences, des arts et du patrimoine humain en général, et vous avez évoqué les facteurs de leur épanouissement, les causes de leur décadence et les conditions de leur renouveau. Il nous est apparu — là aussi — que ce qui a été dit à propos de Bidjaia et de la Kalaa s'applique en général à la civilisation et à la pensée islamiques dans leur ensemble, aussi bien les troubles, les luttes pour le pouvoir, les affrontements avec lesquels la nation islamique s'est détruite de ses propres mains, que les attaques et les campagnes haineuses dont elle a été l'objet et qui visaient depuis longtemps son élimination et son anéantissement. Tout cela coïncidant avec la léthargie, la stagnation et la tyrannie qui prévalaient alors, tous maux n'engendrant qu'effondrement et perte.

Telle est la voie de Dieu dans sa Création, bien avant Babylone et les Grecs, les Perses et les Romains, les Andalous et les Normands. Telle est la quaiatessence de l'expérience des nations. Celui qui se reprend et qui tire les leçons de l'Histoire, qui se délivre de sa stagnation et de son immobilisme, reprend souffle et peut renaitre à la vie s'il agit avec promptitude et rapidité, mais il s'expose à la mort et à la disparition totale s'il tarde ou tergiverse.

Si la connaissance du passé, des rois et des royaumes qui furent est nécessaire à l'édification du présent et à la préparation de l'avenir, chanter ce passé et ces gloires ne nous avancera, par contre, à rien à lui seul et ne nous permettra pas de léguer quelque chose à ceux qui nous succéderont.

Pour joindre le cortège, il nous faut « brûler » les étapes au lieu de les traverser, tellement est profond le gouffre qui nous sépare du monde avancé, et tellement sont larges et profondes les blessures qui nous immobilisent. Car au gouffre profond qui nous sépare de notre passé, combien n'avons-nous pas, dans notre démarche moderne, ajouté d'erreurs et de faux pas !

5^o) Vous avez enfin traité avec enthousiasme et objectivité le problème de l'authenticité et de l'ouverture sur le monde, et vous vous êtes demandé avec d'autres s'il convient, au nom de l'authenticité et de la préservation des traditions, d'abaisser un voile épais sur les yeux, de se boucher les oreilles et de fermer toutes les portes, voire les fenêtres, ou bien s'il est seyant, au nom de l'émancipation et de l'ouverture, de passer outre à la pudeur et au respect, puis, insatisfait d'ouvrir à la fois portes et fenêtres, d'enlever les toits et les piliers.

Vous avez conclu à la nécessité de réunir tous les avantages et tous les mérites des deux attitudes contradictoires, et vous avez dit qu'il fallait l'authenticité dans l'ouverture, et qu'il était impératif de concilier l'identité et l'universalité. Vous avez repoussé le mythe qui, tel un gnome, refuse la lumière du jour et l'oxygène, veut nous priver ainsi de clarté et d'air pur et nous « conseille » de choisir l'obscurité et l'étouffement. Comme vous avez rejeté tout ténébreux débauché qui nous invite à l'indécence et à ce qu'il appelle « libération et émancipation », et qui, ne se contentant pas d'ouvrir portes et fenêtres, nous appelle à faire sauter les toitures.

Vous avez décidé, après un examen attentif, que pour nous le choix est clair : il s'agit de préserver notre identité ou de mourir. Et vous avez ajouté : Notre authenticité est notre sauvegarde, notre action est conditionnée par notre savoir, et notre désir de connaître est une exigence de notre ambition.

O jeunesse, illustre-toi pour participer à l'universalité, et ne sois pas simple imitatrice parmi d'autres « suivistes », sinon tu seras brimée et piétinée, ou, dans le meilleur des cas, écartée et repoussée !

Sois un détail en relief dans un tableau, et tu auras ton entité propre, distingue-toi et ton identité te sera conservée. Ne sois pas muette et pâle, sinon tu t'éteindras et échoueras, malléable et flexible, sinon tu seras pressée et fondue. Ne sois pas, enfin, une proie facile, sinon tu seras prise et avalée et prends garde au torrent, sinon tu seras entraînée et érodée !

Sois, ô jeune, l'homme de ton siècle, mais non pas une copie d'autrui : positif et réactif mais non négatif et émotif ; ouvert mais non ouvrable, évolué mais non « évoluable », influençant et pas seulement influencé, car la vie est rapport et échange et le dialogue suppose l'égalité de partenaires, sinon tu ne seras qu'un quémandeur, incomplet en toi-même, honte pour ta nation et charge pour l'humanité !

Messieurs les distingués Professeurs,

Il est temps de vous remercier pour tous les efforts que vous avez déployés et pour toutes les fatigues que vous avez acceptées. Votre meilleure récompense sera ce dont vous aurez profité les uns des autres et fait profiter les étudiants et nous-mêmes.

Quant à vous, sœurs étudiantes et frères étudiants, vous vous êtes prêtés à une discipline rigoureuse, vous avez concentré votre attention et apporté à cette rencontre une contribution constructive.

Nous ne manquerons pas de remercier les autorités de la wilaya pour l'action menée et les efforts accomplis avec nous depuis des mois, et ses habitants pour la générosité et l'hospitalité dont ils nous entourés, et nous félicitons les habitants de Bidjaia, en plus de tout cela, pour l'assiduité avec laquelle ils ont suivi les conférences et les débats, et pour l'esprit d'émulation qu'ils ont insufflé aux Séminaristes. Nos remerciements vont enfin à tous ceux — des différents organismes et administrations, à tous les niveaux — qui ont contribué à la bonne tenue et au succès de ce Séminaire.

Au revoir Bidjaia, entre d'En-Nacir et d'El-Mansour, haut-lieu de résistance et Ville-Lumière, capitale des lettres, des arts et des sciences, maîtresse des mers et terroir du fleuve éternel, la Soummam, à la gloire ancienne et nouvelle ; Bidjaia !

Et nous donnons rendez-vous à tous au 9^{ème} Séminaire, dans la ville des roses et des coquelicots, la cité des jardins, des sources et des arts, le hâvre des « Eubbad » et des ascètes, la cité des Beni Abdelouad, dans la capitale de Yaghmouracen ibn Ziane, dans Tlemcen !

UN ENTRETIEN AVEC LE DOCTEUR ABDUL-KARIM SAÏTOH

Invité en qualité de conférencier, le Dr Abdul Karim Saïtoh (Japon) a fait un exposé sur « la situation des minorités musulmanes et des communautés d'émigration » qui a permis aux séminaristes d'avoir une vue juste de ces minorités en Orient.

Professeur d'économie à l'université de Takushoku à Tokyo où il existe 23 universités, le Dr Abdul Karim Saïtoh est directeur de l'association islamique de son pays. Musulman convaincu, il participe activement à la diffusion de la pensée islamique et à la connaissance de notre civilisation, par la publication d'articles dans plusieurs revues et journaux littéraires de Tokyo. A ce titre, il a déjà publié beaucoup d'études sur l'Islam et son apport à la civilisation universelle.

Le Dr Abdul Karim Saïtoh est spécialiste en économie contemporaine.

Q. : *Dr Saïtoh, vous avez donné une conférence sur le problème des minorités musulmanes en Orient et vous avez décrit leurs situations. Vous avez également évoqué le rôle et le devoir des penseurs à leur égard. Voulez-vous revenir pour nous sur certains points que vous aimeriez, peut-être, développer ?*

R. : « Oui, j'ai parlé de ces minorités que je connais bien puisque je suis moi-même un musulman et que je vis dans un pays où notre communauté constitue une minorité. Seulement, je voudrais préciser qu'au Japon, les musulmans ne sont effectivement une minorité que sur le plan religieux. Autrement dit, nous n'enregistrons aucune hostilité d'autres communautés (bouddhiste, chrétienne, etc...) à notre égard, et l'attitude du gouvernement à notre égard est une position neutre. On ne nous accable pas, et bien sûr on ne nous encourage pas non plus. C'est tout simplement un climat d'indifférence, ce qui n'est pas le cas dans d'autres pays de l'Extrême-Orient, et plus particulièrement en Inde.

« L'Islam a joué et continue de jouer un rôle important dans ces régions. J'aimerais aussi souligner que l'Islam ne peut s'identifier ni au communisme, ni au capitalisme, ni à aucune autre doctrine. Au cours des débats, un étudiant m'a posé la question sur le rapport entre l'Islam et les autres. Il me semble que la question est mal posée, car si le communisme ou le capitalisme sont des doctrines conjoncturelles, par contre l'Islam est éternel. C'est dans ce contexte que les savants et penseurs doivent le comprendre si l'on veut arriver à un résultat positif ».

Q. : *Vous avez participé aux travaux du Séminaire et à l'élaboration des résolutions finales. Voulez-vous nous dire quelques mots sur l'apport et l'impact que ne manqueront pas d'apporter ces résolutions pour la nation islamique ?*

R. : « Les premiers résultats que nous avons enregistrés — et ce sont là des résultats concluants — sont d'avoir réussi à rassembler les penseurs de beaucoup de pays musulmans, chrétiens et même communistes qui se sont réunis dans la même salle pour discuter dans la franchise, le sérieux et l'ordre des problèmes humains. Aussi je signale le dynamisme qui a caractérisé le Séminaire, et une chose m'a frappé : la générosité et la tolérance qui ont animé les travaux. J'ai participé à plusieurs rencontres, congrès et séminaires à travers le monde, et je dois évoquer que je n'ai jamais rencontré un climat aussi favorable ni une préoccupation commune de la sauvegarde de l'homme. Du reste, nous avons réussi à concentrer l'attention de tout le monde sur nos travaux : en témoignent les nombreux messages et télégrammes reçus.

« L'apport de nos travaux sera très positif aussi bien pour le monde musulman que pour le reste de l'humanité. C'est là le résultat des discussions passionnées dans l'objectivité et la sincérité qui nous ont permis de parvenir à des conclusions unanimes. Le caractère spécifique de la participation des jeunes étudiants montre si besoin est que la jeunesse a compris. Il reste à souhaiter que celle-ci prenne conscience de l'héritage de l'Islam pour sauvegarder et enrichir notre patrimoine culturel. Je suis convaincu par les débats que j'ai eus avec votre jeunesse, que l'Algérie obtiendra ce qu'elle recherche, et le monde musulman ne peut que la soutenir ».

Q. : *Dr Saïdob, le 5^{ème} point qui concerne « l'ouverture de l'Islam à l'universel » a suscité des débats passionnants. Voulez-vous nous donner votre point de vue sur ce sujet ?*

R. : « Avant de répondre à votre question, je voudrais d'abord revenir sur ce que j'ai déclaré à ce propos au cours des débats. Au risque de me répéter, je redis encore une fois que l'Islam n'est ni le capitalisme ni le communisme. L'Islam n'est pas conjoncturel. Il est éternel. C'est pourquoi il est l'universalité même. À ce titre, il doit s'ouvrir au monde et non pas rester figé sur lui-même. Du reste, l'Histoire nous apprend que l'Islam s'est déjà ouvert à d'autres cultures. Les Arabes ont traduit les ouvrages des Grecs, des Romains, Perses, Indous, Chinois, etc... Nous avons étudié dans ce séminaire comment ils ont procédé, et souligné notre contribution à la civilisation universelle dans les divers domaines des sciences, des arts et du patrimoine humain.

« Bien que les choses ne se répètent pas de la même façon, l'Islam est une religion dynamique, une religion de culture et de progrès. La cadence de sa marche doit être accélérée tout en sauvegardant son essence, car les valeurs de l'Islam sont permanentes.

« C'est ce que j'entends par être ouvert au monde tout en restant soi-même.

« Enfin, je voudrais ajouter que l'Islam a amorcé un renouveau. Nous avons pris conscience de notre identité et de notre force depuis le 4^{ème} Sommet des non-alignés et la Conférence Islamique de Lahore. Le tout, c'est maintenant d'avancer ».

LES MINORITES MUSULMANES EN ESPAGNE

100.000 musulmans vivent en Espagne. Quelles sont aujourd'hui leurs conditions de travail et d'existence. M. Miguel de Epalza consacre à ce problème une étude détaillée. Ses conclusions sont édifiantes : il n'y a pas que des touristes. Des musulmans, travailleurs manuels et étudiants, y vivent dans des conditions que mettent en cause certains milieux en Espagne. L'étude de M. de Epalza en constitue un écho.

La situation des minorités musulmanes a été un des cinq points du VIII^e Séminaire de la Pensée Islamique, qui a eu lieu récemment à Bejaia, organisé par le Ministère de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses. Parmi les spécialistes et les personnalités invités officiellement, il y avait trois espagnols : le président et le secrétaire général des Amitiés Islamo-Chrétiennes, espagnoles, Salvador Gomez-Nogales, professeur de philosophie musulmane à l'Université de Madrid et Emilio Galindo, directeur d'un centre d'accueil pour étudiants, et Miguel de Epalza, professeur d'histoire espagnole à l'Université d'Alger. Par ailleurs M. Mouloud Kassim, ministre de l'Enseignement Originel, a été invité officiellement à participer au Congrès International Islamo-Chrétien, qui aura lieu à Cordoue en septembre prochain. Dans ce contexte, nous avons fait une petite enquête sur la situation des musulmans en Espagne.

Quatre sortes de musulmans.

Les musulmans qui habitent actuellement en Espagne n'ont rien à voir avec les musulmans d'Al-Andalous, l'ancienne Espagne musulmane. Ceux-ci firent l'objet d'une expulsion massive et presque totale, au début du XVII^e/XI^e siècle. Les descendants de ceux qui s'étaient assimilés à la population espagnole ne se distinguent nullement des autres espagnols actuellement. Les musulmans en Espagne sont maintenant tous d'origine étrangère, sauf un très petit nombre d'Espagnols convertis à l'Islam ou plutôt à des religions ou des sectes d'origine islamique (Bahais, Ahmadiya...). On peut les classer en quatre groupes, avec leurs problèmes spécifiques :

1^o) - Les travailleurs manuels

Ils sont presque tous d'origine marocaine. Certains d'entre eux s'étaient installés en Espagne au temps du protectorat, mais la plupart sont venus en vagues de plus en plus nombreuses, ces dernières années. Les premiers connaissent l'espagnol et avaient des points de chute. Ces derniers, par contre, se trouvent démunis de tout appui culturel, lin-

gustique, financier, légal, syndical, etc... Leur situation est généralement tragique. Leur nombre est incalculable, car il n'y avait même pas un pour cent d'inscrit aux consulats du Maroc ou ayant un permis de séjour. On avance le chiffre de 70.000. Quelques centaines d'Algériens se trouvent dans la même situation de clandestinité, surtout dans les régions du Nord, après avoir été refoulés à la frontière française, leurs papiers n'étant pas en règle.

2°) - Les étudiants

Ce sont généralement des étudiants en médecine ou en pharmacie, originaires du Proche-Orient (Palestine, Jordanie, Syrie, Liban, Egypte...) et du Maroc, avec des minorités d'autres pays dont des Sahraouis (Saquiet El-Hamra, Qued El-Dahab). Il y a ainsi environ 7.000 universitaires arabes, pour la plupart des musulmans. Certains viennent préparer des thèses de doctorat en histoire ou langue espagnole ou sur des sujets hispano-arabes. Il y a aussi des techniciens (ingénierie, architecture, art ou archéologie, etc.).

3°) - Des professionnels, diplomates ou autres professions libérales

Ce sont des personnes qui, à diverses époques et pour diverses raisons, se sont installés dans le pays, qui à une législation assez libérale pour l'accueil des étrangers, surtout s'ils ont des capitaux à investir.

4°) - Des visiteurs de passage

Parmi les millions de visiteurs ou de touristes qui viennent en Espagne, il y a de nombreux arabes et musulmans. Ces touristes musulmans ont une raison de plus que les autres pour venir en Espagne, Al-Andalous musulmane : admirer les superbes monuments de l'art hispano-arabe (Zaragoza, Tolédo, Grenade, Séville, Almería, Malaga, Cordoba, etc...). Mais aussi, parmi ces voyageurs de passage, il y a plus d'un million de Marocains et Algériens d'Europe, qui traversent l'Espagne vers leurs pays. Ils font de l'Espagne, avec les pays balkaniques, un des premiers sinon le premier pays au monde d'une émigration de transit, avec ses problèmes spécifiques.

Les personnes aux situations sèches et les touristes ne posent pas trop de problèmes. C'est la situation des travailleurs manuels et des étudiants qui exige une attention particulière.

Les tragiques problèmes des travailleurs manuels

C'est, sans la moindre comparaison, le plus gros problème des minorités musulmanes en Espagne. C'est un problème politique et social très grave, un problème humanitaire, qui est tout à fait nouveau en Espagne et pour lequel on est très mal préparé.

En effet, l'Espagne est traditionnellement un pays qui fournit des émigrants (vers l'Amérique, avant 1950 ; vers l'Europe, par la suite). Mais ses besoins économiques et l'intérêt des entreprises publiques et privées d'avoir une main-d'œuvre encore meilleur marché que la main-d'œuvre nationale, ont provoqué, ces dernières années une immigration clandestine des travailleurs maghrébins, dans des conditions épouvantables.

Ils n'ont pas de statut légal, ni auprès des autorités marocaines, ni auprès des Espagnols. Ils ignorent souvent la langue et son écriture et ils sont exploités par tous, depuis les passeurs marocains, aux espagnols jusqu'aux entreprises qui les emploient, qui les logent dans des casemates, les congédient à la moindre difficulté et les payent de la façon la plus arbitraire. Avec cela, aucune possibilité de se défendre ou d'être appuyé : s'ils font problème et sont connus de la police, ils se font immédiatement expulser du pays.

Cette situation inhumaine ne pourrait être solutionnée que par des accords d'Etat à Etat. Or, malgré les bonnes relations entre les deux régimes, rien ne semble indiquer que des solutions soient en vue de ce problème, ainsi que de l'ensemble des litiges actuellement en cours : limites des eaux territoriales, pêches, expropriation des terres des espagnols au Maroc, problèmes des territoires africains occupés par l'Espagne, etc... Tant que la diplomatie espagnole n'aura pas réussi à « s'en sortir » de ces problèmes, on voit mal comment le problème des travailleurs marocains en Espagne trouverait un début de solution.

En attendant, leur situation est particulièrement grave et commence à préoccuper de nombreuses personnalités et associations de toutes sortes, ainsi que des administrations concernées. Des journalistes s'en mêlent, d'autant plus que des affrontements graves entre immigrants et classes populaires espagnoles risquent de se produire. En effet, les ouvriers espagnols savent bien que ces travailleurs corvéables sont un instrument de plus dans les mains de la classe dirigeante pour l'exploitation des travailleurs, en faussant même la loi de l'offre et de la demande — pour une fois en faveur de la main-d'œuvre espagnole — et en augmentant les possibilités de chômage et de licenciement. On voit naître ainsi un authentique racisme populaire, phénomène nouveau en Espagne, mais lourd de conséquences pour l'avenir des relations hispano-arabes.

Les problèmes des étudiants.

Les étudiants arabes, musulmans ou chrétiens du Proche-Orient, ont tous les mêmes problèmes, dont le plus important est celui de la langue. Seul les marocains parfois, ils ne connaissent pas l'espagnol et doivent donc s'atteler avant tout à maîtriser la langue, pour pouvoir suivre les cours à l'Université.

Ensuite, c'est le problème de leur admission à la faculté de médecine — 80 pour cent suivent des cours de médecine ou de sciences médicales ou para-médicales —. Ce sont des facultés où les effectifs sont déjà surabondants, et la concurrence avec les espagnols ne joue généralement pas en leur faveur. Ils redoublent souvent les cours, avec les incidences

que cela comporte pour les bourses. Ils frayaient assez facilement avec leurs compagnons espagnols, mais ils ont tendance à se rencontrer entre eux, ce qui les aide du point de vue affectif, mais ne leur facilite pas l'apprentissage de la langue, source principale de leurs difficultés académiques. Quelques groupes ou associations espagnoles, peu nombreuses essayent de leur venir en aide dans ce genre de problème.

En outre, ils ont souvent des problèmes économiques, surtout les Jordano-Palestiniens, de loin les plus nombreux. On ne leur fait pas généralement de difficultés particulières pour le logement. Malgré la gentillesse générale des Espagnols à leur égard, ils ressentent comme un rejet l'incompréhension générale de la société espagnole envers leurs problèmes arabes en particulier et du Tiers-Monde en général. L'ignorance et l'incompréhension de très nombreux secteurs espagnols envers le problème palestinien, auquel les étudiants sont très sensibles, les touchent particulièrement. Très politisés entre eux, ils ont parfois des difficultés avec les autorités de leurs pays (murs scolaire, renouvellement de passe-port, etc...), ce qui ne facilite pas non plus leur insertion dans le pays ni leurs relations avec les autorités espagnoles.

Leur séjour est plus ou moins bref, comme il est normal dans la vie des étudiants à l'étranger. Une fois revenus dans leurs pays ils gardent généralement d'excellentes relations avec leurs amis espagnols et sont un lien très cordial entre leurs pays et l'Espagne, au niveau de la culture et des relations personnelles. Leur présence à l'université espagnole est un réel enrichissement pour le pays, du point de vue humain, culturel et religieux. C'est en réalité, la principale ouverture de la société espagnole à une culture extra-européenne et du Tiers Monde, car les très nombreux étudiants Sud-Américains sont trop proches des espagnols par la langue et la culture pour constituer une ouverture ou un dépaysement équivalent à celui que portent avec eux les étudiants musulmans en Espagne.

Quelques problèmes religieux

Les problèmes des minorités musulmanes en Espagne ne sont pas d'ordre religieux avant tout. Ce sont des difficultés sociales, souvent très graves.

En effet, du point de vue religieux, bien que l'Espagne soit officiellement catholique et ne fait que tolérer les minorités non catholiques, les musulmans n'ont d'autres problèmes religieux concrets que les lieux de prière et les mariages mixtes. Bien que le statut de minorité reconnu, cher à l'Islam, avec ses autorités et ses lois internes, soit difficilement imaginable en Espagne, comme en Europe, les musulmans s'accommodent généralement bien du statut légal d'étrangers, qui est le leur dans le pays.

Il y a très peu de mosquées en Espagne, mais il n'y a pas non plus d'opposition officielle pour en construire, comme pour les autres confessions non-catholiques, donc les lieux de culte pullulent, surtout dans les villes. On parle souvent de construire une grande

mosquée à Madrid, mais aucune initiative — ni aucun financement — ne vient en fait la réaliser. En attendant, une salle de l'Institut d'études islamiques, institution culturelle qui dépend du gouvernement égyptien, fait les fonctions de mosquée de la capitale. Les orateurs musulmans, surtout à l'occasion du mois de Ramadhan, se multiplient dans les villes. Le Cardinal de Barcelone a mis à la disposition des musulmans divers locaux de son diocèse et d'autres associations y collaboreraient s'il y avait une demande de la part des musulmans.

Le statut de l'ancienne mosquée de Cordoue, transformée depuis longtemps en cathédrale, soulève régulièrement des polémiques, pour des raisons qui ne sont pas toujours religieuses, mais historiques, artistiques et culturelles. Néanmoins, il faudrait améliorer l'accueil des musulmans et continuer à leur permettre, s'ils le veulent, de faire leur prière devant le mihrab magnifique de la mosquée.

Quant aux mariages mixtes entre musulmans et chrétiennes, ils sont de plus en plus nombreux (par exemple, plus de 400 à Madrid, ces cinq dernières années). Ils posent de moins en moins de problèmes juridiques, grâce à l'action efficace des Amitiés islamo-chrétiennes auprès des autorités religieuses. Mais souvent les jeunes couples rencontrent l'opposition de leurs parents, pour des raisons religieuses et sociales. Ces difficultés augmentent lorsque le mariage s'installe dans le pays musulman d'origine du mari, où la société est très différente de l'espagnol.

A ces problèmes religieux concrets, il faut ajouter pour les musulmans une certaine opinion publique qui n'est pas favorable aux Arabes — plus par ignorance que par une opposition systématique. Ceci peut augmenter les difficultés d'adaptation que tout étranger a en dehors de son milieu et de son pays. Mais, parmi les espagnols, les préjugés généraux ne donnent généralement pas les mauvaises relations personnelles qui sont très faciles à créer dans tous les milieux, même en tenant compte des problèmes linguistiques. Diverses publications et mouvements tâchent de faire évoluer l'opinion publique espagnole et l'ouvrir à une compréhension plus sympathique des réalités arabo-islamiques du présent et du passé.

Evidemment, les conclusions sont très différentes selon qu'il s'agisse du bref séjour des touristes ou de l'établissement définitif de certains musulmans, en passant par le passage plus ou moins long des étudiants et l'insertion indéterminée des travailleurs manuels.

Il faut dire, néanmoins, que c'est ce dernier problème qui devait faire l'objet de l'intérêt tout particulier de tous, musulmans, chrétiens et hommes de bonne volonté. C'est un problème humain particulièrement grave et où tous, mais les Espagnols en premier lieu, doivent se sentir concernés.

UN ENTRETIEN AVEC LE DOCTEUR YVONNE TURIN

Le Dr Yvonne Turin, professeur d'histoire à l'Université d'Alger, a participé au 8^{me} Séminaire de la Pensée Islamique, lequel s'est déroulé à Bejaia du 25 mars au 5 avril 1974.

Elle a donné une conférence, intitulée : « L'histoire, rencontre de l'authentique et de l'universel ». En sa qualité d'historienne, elle a traité le sujet dans le cadre du cinquième point de l'ordre du jour : « Identité et authenticité dans l'ouverture et l'universalité. Que signifient ces concepts ? Sont-ils conciliables ? ». A cet effet, la conférencière a surtout démontré que l'histoire joue un rôle de premier plan dans la définition actuelle de la notion d'authenticité, de même qu'elle éveille les hommes à celle d'universalité.

C'est, en particulier, ce thème, fort bien développé, que nous avons demandé au Dr Yvonne Turin — auteur d'une thèse sur l'histoire espagnole moderne, complétée par une série de recherches sur l'histoire du Maghreb — de nous expliciter.

Le Dr Yvonne Turin a, d'autre part, publié, en 1971, chez Maspero, un ouvrage qui a pour titre « Affrontements culturels, dans l'Algérie coloniale, Ecoles, médecines, religions 1830-1880 ». Elle collabore à la revue « Al-Aqala » et a déjà participé au VI^{me} Séminaire tenu en 1972, à Alger.

Q. : Dr Yvonne Turin, vous avez parlé dans votre conférence d'une rencontre à travers l'histoire, entre l'authentique et l'universel. Voulez-vous préciser pour nous ce rapport et nous définir votre pensée en ce sens ?

R. : « Ce que j'ai voulu dire surtout, c'est que l'histoire est faite d'abord de la connaissance d'un particulier, qui est toujours authentique, par exemple : telle découverte scientifique, tel acte politique, dans tel pays, à telle époque, mais qu'elle ne devient une science qu'à partir du moment où elle est capable de s'élever et d'atteindre une perspective universelle, par exemple : la notion d'histoire des sciences ou celle d'histoire politique.

« L'histoire nous apprend aussi que la vie elle-même — qu'elle reproduit — ne peut être que le résultat de cette rencontre. Autrement dit si on s'arrête et qu'on s'enferme dans le particulier, si l'on reste le chercheur ou le groupe politique isolé, sans aucun lien avec l'ensemble des chercheurs ou de la vie politique, on risque d'aboutir au silence et à l'effrètement.

« D'autre part, l'histoire qui exprime le résultat de l'expérience humaine nous apprend que, pour s'enrichir, toute pensée a eu besoin de rencontrer d'autres pensées. Elle nous enseigne, également, qu'il y a un comportement commun à tous les hommes

qui loin de supprimer le comportement particulier de chaque peuple fait qu'il y a une possibilité de compréhension et d'échange entre eux. C'est pourquoi, je disais que « l'histoire montre que tous les hommes, et cela dès le début, se sont efforcés d'échanger leurs produits et, par-là, d'améliorer les conditions matérielles de leur vie ». Dans tous les temps et tous les lieux, les hommes se sont posés la question de leur origine et de leur fin : les réponses ont été différentes, mais l'inquiétude universelle.

« L'histoire révèle encore que la solidarité a été aussi grande dans le mal que dans le bien : toutes les sociétés ont connu la guerre, toutes les formes de surveillance et de domination, tous les mensonges des hommes à d'autres hommes. De sorte qu'à ceux qui, aujourd'hui, se demandent : l'homme a-t-il jamais existé ? L'historien répond qu'il a rencontré un être qui, partout, a toujours eu un minimum de comportement comparable. « J'ajouterais, et je tiens à le souligner, que si ce fond commun n'existait pas, on pourrait tout simplement dire que l'homme lui-même, et par-là l'humanité, n'existent pas. C'est ce que certaines philosophies expriment actuellement en doutant de l'existence de l'homme. C'est dire que pour pouvoir parler d'humanité, il faut absolument utiliser la notion d'universel. Celle-ci nous est donc indispensable ».

Q. : *Dr Yvonne Turin, voulez-vous illustrer pour nous votre déclaration à propos de l'authenticité que vous avez qualifiée de produit de l'histoire ?*

R. : « Si nous regardons vers le passé l'on découvre curieusement que les anciens n'accordaient d'importance ni à leurs ancêtres historiques, ni à leur « authenticité ».

« C'est dans ce contexte que Louis XIV, dont j'ai cité l'exemple, non seulement ignorait « ses ancêtres les gaulois », comme nous disons depuis le XIX^e siècle, mais encore qu'il aurait sans doute considéré comme une injure d'être regardé comme leur descendant. Par contre, c'était pour lui un compliment que d'être comparé aux romains, lesquels avaient cependant, conquis la Gaule et qui, de plus, étaient Païens. Vous voyez combien sa manière d'être authentique était différente de la nôtre (si tant est que l'on puisse appeler du même mot des attitudes aussi dissemblables). Il s'en souciait d'ailleurs fort peu.

« Le principe d'authenticité n'est apparu qu'au XIX^e siècle en même temps que se renforçait celui de nationalité. C'est tellement vrai que les mots « nationalisme » et « nationalité » ne font leur apparition dans les dictionnaires français que vers 1875. Ces termes n'étaient pas enregistrés avant. C'est avec le développement de la science historique que la notion de passé historique s'est affirmée. Avec l'enseignement de l'histoire, les peuples ont alors découvert et connu leurs ancêtres, appelés à une sorte de seconde vie, à une sorte de réurrection si vous voulez, en même temps qu'ils déferlaient ces ancêtres, dans la mémoire des élèves, devenue de ce fait aussi une mémoire historique, ce qu'elle n'était pas auparavant faute de connaissances historiques.

Q. : *Dr Yvonne Turin, vous avez parlé de l'existence d'une relation entre les peuples. Voulez-vous revenir sur ce thème que vous aimeriez peut-être expliciter ?*

R. : « Il y a, entre nous tous, un fond commun que nous appelons l'universel et qui nous relie. L'expérience montre que les hommes peuvent se comprendre. L'histoire nous en fournit la preuve. Elle nous fournit aussi la preuve du contraire, c'est-à-dire, de la lutte fratricide. Mais même pour se battre, il faut aux combattants un minimum de ressemblance. Nous devons donc développer les échanges, intensifier le dialogue, et ne pas nous enfermer dans notre « particulier », si nous voulons participer à la vie, mais aussi la donner aux autres.

Q. : *Dr Yvonne Turin, vous avez participé aux travaux du Séminaire. Voulez-vous nous dire quelles ont été vos impressions ?*

R. : « J'ai participé avec plaisir à ce Séminaire pour répondre à l'invitation de Monsieur le ministre de l'Enseignement Originel et des Affaires religieuses, mais aussi parce que cette rencontre est pour moi une occasion de sortir de mon « particulier », c'est bien le cas de le dire, pour expérimenter l'universel.

« En ma qualité d'historienne, j'ai le goût de connaître, de découvrir ce que l'histoire appelle l'autre, le différent, soit dans le temps, soit dans l'espace.

« Le VIII^{ème} Séminaire sur La pensée Islamique a été, pour moi, une occasion de cette découverte de l'autre dans le VI^{ème} d'ailleurs. J'espère aussi que ma participation a permis à ceux qui m'ont écouté et avec qui j'ai travaillé de prendre contact, de leur côté, avec un monde différent. Autrement dit, cette rencontre a été pour tous un moyen d'expérimenter l'ouverture dans l'authenticité réciproque.

LE DEBAT SUR LA MODERNITE ET L'AUTHEENTICITE A DOMINE LE HUITIEME SEMINAIRE SUR LA PENSEE ISLAMIQUE

par Paul BALTA

Le huitième séminaire sur la pensée islamique, organisé à Bejaia par M. Mouloud Kassim, ministre algérien de l'enseignement originel et des affaires religieuses, a, de l'avis de plusieurs des participants, marqué un tournant par rapport aux précédentes rencontres.

En 1972, le séminaire d'Alger avait été très politique et avait bénéficié de ce fait d'une large publicité. Celui de Tizi-Ouzou, l'an dernier, fortement critique à l'égard des missions religieuses chrétiennes, avait été, en revanche, entouré de discrétion. Celui qui vient de se tenir à Bejaia a été à la fois ouvert et serin. Il a, par là même, revêtu un caractère plus scientifique. En poursuivant dans cette voie, ces assises ne manqueront pas d'acquiescer l'audience internationale à laquelle elles aspirent.

Douze jours durant, devant un millier d'étudiants, quelques deux cents professeurs, historiens, sociologues, écrivains et philosophes arabes, occidentaux et japonais, ont discuté de cinq thèmes à partir de trente-quatre communications.

Des représentants des courants les plus divers.

L'un de ces thèmes, le « rôle du penseur à travers les âges », a été naturellement axé sur les responsabilités qu'assume ou non de nos jours le penseur musulman pour faire accéder sa société à la modernité. On a retenu, en particulier, le procès que le philosophe marocain Mohamed Aziz Lahbabi a fait de beaucoup de ses pairs, divisés en trois catégories : « les portefaix de la culture », qui accumulent les connaissances sans discernement, « les mercenaires de la culture » et « les intellectuels égoïstes », qui refusent tout engagement.

Il a notamment reproché aux uns et aux autres de ne pas assumer leur époque comme l'avaient pourtant fait les savants et les penseurs de l'âge d'or, qui, pendant cinq siècles, ont fait de l'Islam l'une des plus brillantes civilisations.

Tout le séminaire a été ainsi dominé par l'interrogation qui préoccupe d'une façon lancinante l'ensemble du monde arabe et musulman : comment accéder à la modernité sans perdre son authenticité ? Le premier paradoxe de cette rencontre fut de faire coexister les représentants des courants les plus divers, allant des traditionalistes « préhistoriques », selon le mot de M. Lahbabi, aux visionnaires du vingt et unième siècle, en passant par les conservateurs classiques, les intégristes, les libéraux et les marxistes. Le second paradoxe aura été de permettre, par moment, au dialogue de se nouer et de se substituer à une suite de monologues. Dans ce débat, qui n'a cessé d'opposer les « anciens » et les « modernes », ces derniers, bien que minoritaires, se sont efforcés de montrer, face à certaines interventions dont on pouvait déplorer l'indigence ou le caractère démagogique, que la renaissance ne se fera pas si l'Islam se contente de juxtaposer, sans l'intégrer, la technique moderne aux valeurs traditionnelles. Qu'ils aient réussi à se faire entendre d'une partie des traditionalistes est un signe qu'on aurait tort de négliger. Longtemps figé, le monde musulman est en train de bouger plus qu'on ne l'imagine.

Le Monde 18-04-1974

انتظروا

ستمصدر قريباً :

- الطبعة الفرنسية للملتقى السادس للفكر الاسلامي المنعقد بالمعاصرة بتاريخ 13 جمادى الثانية الى 1 رجب 1392 هـ الموافق لـ 24 يوليو الى 10 أغسطس 1972 .
- وكتاب الملتقى الثامن للفكر الاسلامي بالعربية مؤقفاً وكتاب الملتقى الثامن بالعربية والفرنسية .
- والطبعة المصحوبة برسوم زيتية وصور تاريخية وطبعية لاليادة الجزائر بالعربية والفرنسية .

- بعد اربعة عشر قرنا من نزول انرا ، أمة أمية لا تحسب
 السيد مولود قاسم نايت بلقاسم
- 3
 فتوى لجنة الافتاء المركزية الصادرة في 29 صفر 1392 هـ 13 أبريل 1972
- 11
 اعتبار التقويم في ثبوت شهر الصوم الطاهر بن عاشور
- 23
 الحساب الهجري على اساس الرؤية الطلعية احمد حناني
- 29
 حوار مع الاخ مولود قاسم نايت بلقاسم وزير التعليم الاصيل والشؤون الدينية
- 45
 راي الاستاذ احمد حسن البافوري
- 53
 دراسة حول تغييرات سرعة دوران الارض حول نفسها - عبد الكريم غزلون -
- 57
 تعقيب السيد مولود قاسم نايت بلقاسم في الملتقى السابع للفكر الاسلامي حول :
 العمل بالتقويم القمري القار
- 59
 اثبات شهر رمضان وبحث العمل فيه وفي غيره بالحساب للامام المرحوم رشيد رضا
- 63
 نصيحة دينية تقدمها جمعية العلماء للامة الجزائرية الاسلامية
- 69
 ماذا يجب على قضاة الاهلة في العالم الاسلامي - داي الشيخ بختيت مفتي الديار
 المصرية
- 72
 راي الاستاذ المرحوم علل العاسي في العمل بالحساب الفلكي في الصوم والافطار
- 73
 تحديد وتوحيد العمل بالشهور وايام المناسبات الاسلامية - الشيخ حسن خالـد
- 79
 مفتي الجمهورية اللبنانية
- 86
 راي الامام موسى الصدر
- 87
 الهلال - راي القاضي عبد الله الشماخي
- تقويم اسلامي موحد يجمع بين الحكم الشرعي والحساب الفلكي
- 89
 - الاساذ مبروك عواد
- 93
 توحيد المواسم والاعياد الاسلامية - احمد حناني
- 95
 قرارات وتوصيات المؤتمر الاسلامي العالمي المنعقد في نواكشوط - ماليزيا -
- 105
 من مقررات وتوصيات مؤتمر وزراء الاوقاف والشؤون الاسلامية والدينية
- 106
 المراصد الفلكية وتوحيد اوائل الشهور العربية د. محمد محمد الفحام
- 107
 اول رمضان 28 سبتمبر بالحساب الفلكي
- 110
 حول توحيد التقويم الهجري
- 111
 انشاء مرصد فلكي اسلامي بالسعودية
- 115
 راي الشيخ اسماعيل بن موسى الجبالي الاباضي
- 118
 الحاجة الى تقويم موحد يكون عليه عمل المسلمين في الارض جميعا
- 119
 د. محمد عبد الرؤوف
- 128
 تقويم المرحه الفلكي لسنة 1395 هـ
- 130
 من وراء البحار - افكار ومناهب

هذا العدد

توحيد الأعياد والمواسم الدينية من أهم مظاهر الوحدة الإسلامية

التقويم القمري الملزم للأمة الإسلامية

هذه مجموعة حافلة من أراء وتحقيقات وأبحاث ، ومقالات ، وتصريحات ، وقرارات ، كلها تتصل بالجناب الملكي العلمي الصحيح ، وشرعية استعماله والاعتماد عليه في تعيين أوقات الشهور القمرية وتعيين مواقيت المواسم والأعياد الإسلامية والمبارك ومنها الصيام والافطار ، تقديمها مجلة « الأصالة » لغيرائها الكرام بكل أمانة ، راجية أن يدرسوا ما فيها بكل ما تستحقه من عناية وتأن ونزاهة ، واهتمام ، فتيها أبحاث علمية جلية من أئمة في الشريعة وقفاو شرعية مدعمة بأدلة من الكتاب ، والسنة ، والقواعد ، وتصريحات واضحة جريئة ، وقرارات حكيمة حازمة من وزراء ، أو من مؤتمرات إسلامية حضرها علماء مختصون . راجية قيمة ، وأراء سديدة من شخصيات إسلامية تستحق كل تجلة واحترام يمثلون المذاهب الإسلامية جميعا : المالكية ، والحنفية ، والشافعية ، والحنابلة ، والامامية ، والزيدية ، والاباضية ، والظاهرية ، كل بما كتب وأبى مؤيدا ، أو معارضا .

وقد اتفق الجميع على وجوب الاسراع بوجود حل عاجل يمنع الاختلاف ويسرع بالاتفاق ، ورأى أغلبهم أن هذا يحققه العمل بالحساب العلمي اليقيني وذلك لا يعارضه الكتاب ولا السنة ، بل يحثان عليه ويقرضانه ، ويطابق الشريعة السماع ومقاصدها .

« الأصالة »

بَعْدَ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا مِنْ نَزُولِ «إِقْرَأْ» !

« أمة أمية »

لا تكتب ولا تحسب « !!! »

أصحاب المال
حضرات السادة

باسم الوفد الجزائري أشكر الكويت
الكريم المضياف أميرا وحكومة وشعبا ،
وخاتمة صاحب المال السيد راشد الفرحان
على هذه المبادرة الطيبة التي جمعتنا هنا
لندارس بعض الجوانب التي تهم حياة
ومصير الأمة الإسلامية

مولود قاسم

رئيس التعليم العالي والشؤون الدينية

فخصوص تحديد وتوحيد العمل
بالشهور وأيام المناسبات الإسلامية أظن
أن موقف الجزائر معروف فقد أعلنوا عنه
عمليا بعد اليأس من اتخاذ أية خطوة
إيجابية فاصلة في هذه المسألة على مستوى
الأمة الإسلامية .

تمت الكتابة التي ألقاها السيد مولود قاسم وزير التعليم والشؤون الدينية في تونس ودارا انشودة لهيمسة
والإسلامية والأولاد في البلاد العربية المتعددة بالكويت

وعلقتنا ما دما اليه الامام رشيد رضا والاستاذ غلال الفاسي ، وما أوصى به مؤتمر ماليزيا وانتهت اليه لجنة الانقسام الجرائرية من ضرورة اتخاذ تقويم قمري اسلامي على مدار السنة على اساس امكانية الرؤية بالحساب الفلكي .

وفعلنا فقد بدأنا العمل بهذه الطريقة التي تجمع بين الرؤية وثمان صدق هذه الرؤية ، وهي استعمال الوسائل العلمية التي تنيد القطع الذي هو من مقاصد الشريعة الاسلامية ، وأصدرنا يومية تبين لنا بدقة ووضوح وتعدد ايام المناسبات الدينية ، وذلك منذ رمضان الماضي حتى عيد الفطر المقبل ، وبها عرفنا متى سيكون اليوم الاول لرمضان المنصرم ، وعيد الفطر وعيد الأضحي اللذين تلياه ، وعرفنا مقدما بشهور ميلاد السنة الهجرية الجديدة ويوم عاشوراء ، وعرفنا متى سيكون اليوم الاول لرمضان المقبل ، ومتى سيكون عيد الفطر وعيد الأضحي لعام 1393 هـ (1973-1974م) . وهذه اليومية ، يومية الجيب والمكتب ، هي الآن لديكم وزعتها هنا على حضراتكم .

طبعنا وجدنا امامنا بعض من ظل أياما يردد ذلك الحديث : «انا أمة أمية لا تقرا ولا تحسب ، الشهر هكذا وهكذا وهكذا ، أو هكذا وهكذا وهكذا وهكذا وهكذا ، أي 30 أو 29 يوما ! ولكننا ذكرنا لهم ما أفتى به الامام محمد رشيد رضا من جواز العمل بل ضرورة استعمال الحساب الفلكي في المبادئ وبالتالي اتخاذ تقويم قمري ثابت على الحساب استنادا الى روح الشريعة الاسلامية ومقاصدها التي تدعو الى اليقين الذي يقوده العلم بوسائله الحديثة ، مما يمكننا من التثبت من امكانية رؤية الهلال يوم مولده ، علميا ، سواء رؤى أم لم يرب بالعين المجردة حيث أن رؤيته ليست تعبدية وغاية في ذاتها ، وانما هي وسيلة وأداة مفتى تحققت امكانية رؤيته ثبتت لنا شرعا وصح العمل بها ، بل وجب أي ان الرؤية الحكمية تقضى عن الرؤية الفعلية غير المضمونة .

وأضاف رشيد رضا يائنا نعمل به في الصيام ، وذلك اننا تعلم جميعا ان مؤدنتنا وأئمتنا ساجدهم الله يؤدنون ويصلون بالاستناد الى ساعات صنعها ، نصارى ،

ويهودا وجوس هنا وهناك، ولا يتحققون إطلاقاً أو غالباً من غروب الشمس ومن
الفسق ولا من تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود !

وذكرناهم أيضاً بفتوى أصدرها الاستاذ علل الفاسى وهو من علماء القرويين
ومجتهدى هذا العصر إذ قال أن ذلك الحديث « صوروا لرؤيته واظفروا لرؤيته ، أنا أمة
أمية لا تقرأ ولا تحسب ، الشهر هكذا الخ ، قد خرج تخريج الكلام الملل ، وهو جهل
العرب إذ ذاك ، أما وقد زال ذلك الجهل فتنتلق عليه القاعدة الأصولية المعروفة
القائلة بأن الملول يدور مع العلة وجوداً وعدماً » أى أنه ما دامت الأمية قد زالت أى
أصبحنا نقرأ ونحسب ، سقط علينا الالتزام بالعمل بالرؤية بالعين المجردة ، بل وجب
علينا العمل بالوسائل التى تفيد القطع وهى الوسائل العلمية .

واسمحوا لى أن أخيف الى هذا أنه من العجب العجيب - مهما كانت آسائيد الحديث
المذكور - أن نضل نتمسك بظاهره يصدر أربعة عشر قرناً من نزول « اقرأ » الذى
فرض علينا العلم بعدد السنين والحساب ، فى أمة كانت حقا أمية ومن أكثر الأمم أمية
وجعلاً ، وتأخراً ، ولكنها أصبحت بذلك « اقرأ باسم ربك » معلمة البشرية ، إذ
زودتها بالجبر والمثلثات ، وأنجبت جابر بن حيان ، والخوارزمى ، وابن الهيثم ،
والبيرونى ، وابن سينا ، والادريسي ، والرازى ، وابن الجزار ، وأبا القاسم ،
وابن النفيس ، وأبا حمزة ، وغيرهم كثيرون !

وانه لمن الأعجب - ولكن ليس التناقض الوحيد فى حياتنا - أقول أنه لمن الأعجب
أن يستعمل هؤلاء الناس اليوم التظارات ليحققوا مخطوطات الفقه والحديث ،
ومكبرات الصوت الكهربائية للأذان أو سماعة ، ويستعملون آلات التصوير لأخذ
نسخ من أمهات كتب الشريعة ، ويركضون الى الأذان من الإذاعة ، ويستعملون القرآن
أو يستمعون اليه مسجلاً فى اسطوانات أو يرسلوا من إذاعات ، ويركضون السيارات الى
صلاة الجمعة ، والطائرات الى بيت الله الحرام ، يسلم ويعتمدون على المراسد

والساعات في تحديد أوقات الصلوات ، بل وحتى في الصوم يعتمدون على هذه المراسد والساعات في تحديد الاسماك والافطار من بداية اليوم الأول حتى نهاية اليوم الأخير ، أى مدة ثمانية وعشرين أو سبعة وعشرين يوما ، الا في تحديد ميلاد اليوم الأول وانتهاء اليوم الأخير من رمضان ، فلا يصدّقون المراسد والساعات ، هذه الأجهزة الشيطانية الممنونة !

أصحاب المال ، حصرات الاخوان

على ضوء هذه المعلومات الحديثة التي ذكرناها ، على أساس مقاصد الشريعة التي وضعا أحلام من علمائنا وسجدهنا في العصر الحديث واستنادا الى تجاربنا الخاصة ، والنسوة الأخضر الذي أمدتنا به لجنة الامتياز ، قررت الجزائر الملل بقوله تعالى: «ولتعلموا عدد السنين والحساب» واستفينا نهائيا عن العمل بالرؤية وبالعين المجردة في اثبات الهلال ، ووضعنا تقوينا قمريا اسلاميا على مدار السنة ، وأصبحت الأعياد الاسلامية والأيام الكبرى مثل بداية رمضان وبقية شهر التقويم الهجرى معروفة مقدما ، يعمل بها ، وتحترم على المستوى الشعبي والرسمى ، وانتهى الأمر السني كانوا فيه يستفتون ، ويتجادلون ، ويتخاصمون ، ويتسايون ، ويضعفون ، به على أنفسهم وعلينا العالم !

بقى ان هذا السني تم في الجزائر ، لا يكون له مخزاة كاملا الا اذا تم على مستوى العالم الاسلامي وتوحدت الأعياد والأيام الكبرى ، وكان هناك تقويم ثابت عام ، كما هو الشأن بالنسبة ليهود والمسيحيين في جميع أنحاء العالم أو أغلبها ، وهذا ما يجب علينا ان تحققه هنا :

والجزائر رغبة منها في هذا التوحيد مستعدة طبعاً لأن تضرب صفحا عن تقويمها هذا اذا تم الاتفاق هنا على تقويم آخر على مدار السنة وبصفة نهائية ، على أساس على واضح ثابت ، ايا كان البلد الذي سيكون مرصده هو المرجع والمنطلق لهذا



- (١) « هو الذي جعل الشمس ضياءً والليل بوراً وقدره ما زل لتعلموا عدد السنين
واحساب . ما حاق الله ذلك الا بالحق . يفصل الآيات لقوم يعلمون »
« صدق الله العظيم »
- (٢) « . . . امة امية لا تكتب ولا تحسب ... »
« ولكنه قال ايضاً . « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة »
« حديث شريف »

التقويم القمري الاسلامي الموحد ، الشامل لسائر أو أغلب انحاء العالم الاسلامي
والمعروف مقدما على مدار السنة .

إذا لم يتم هذا ، فإننا سنبقى هامسين بتقويمنا ، ولن نمثل بأية رؤية بمجرد
العين ، كما كان الأمر حتى هذه السنة حيث تتضارب الشهادات ، وتتناقض من
بلد إلى آخر ، وأغلب الأحيان في نفس البلد وفي نفس الحى من طرف شهود ثقة ، ثقة ،
يكذب بعضهم بعضا ، وكثيرا ما يتبادلون التهم ويتفضل بعضهم على الآخر بغاية السهولة
والسخام واليسامة بكفارة الستين يوما كاملا غير مقوص ، مما يحاول أعياد
المسلمين من مناسبات أفراح ، وتآلف ، وتآخ ، وتراور ، ومظهر وحدة
 واتحاد ، الى تناقض وتبادل تكفير وسباب ، واحن ، وبمضام ، أو على الأقل الى خلاف
 وجدال يمرضنا لسخرية العالم .

حضرات السادة

موضوع المراكز الاسلامية هام جدا في داخل العالم نفسه حيث يتعرض شيائنا
للنشاط الهدام الذي تقوم به مراكز ثقافية ومنظمات عديدة الاتجاهات والألوان من
تشيوعية وصهيونية ، والحادية ، وغيرها ، ولكن متشابهة الطرق ، وموحدة الأهداف ،
تتمثل طرقها في الكتب والمجلات ، والنوادي ، والشرات ، والأفلام التي تعرضها أجهزة
معنى الدول الاسلامية مع الأسد ، وأهدافها كلها خلخلة عقيدة شيائنا ،
وذئبة شخصيته ، وزعزعة أصالته الاسلامية وتشكيكه في أصله وتوجيهه نحو
مختلف مظاهر الاختلال والاحتلال ، التي تهيبه كلها للاحتلال !

وأهمية هذه المراكز بالنسبة لأنام الجاليات الاسلامية في الخارج ليست دون الأولى ، إذ
هم معرضون هناك للذوبان ، والاندماج ، والامساخ الذي يعقبه الانسلاخ حيث تركز
عليهم مديد من وسائل الاغرام ، وأحيانا حتى التهديد في المباشرة من حيث فرص
العمل ، والتوظيف ، والتجارة ، وغيرها من سبل المعيش ، وحيث تعلن بعض الدول
جهارا عن عزمها من تلك التية وتبدأ في تطبيقها

فإذا كانت وسيلتنا الوحيدة لتحسين شبابنا هنا هي أحياء جامعاتنا الإسلامية المهلهلة أو الذئبة ، يجعلها جامعات كاملة تشمل الدنيا والدين ، كما يقال ، والسلام كما نعلم دين ودولة ، وتميز هذا التعليم ونشره من رياض الأطفال حتى الابتدائي والثانوي ، فإن ملاذنا الوحيد بالنسبة لأبنائنا في الهجرة (في الوقت الحاضر على الأقل) هي هذه المراكز الثقافية وما يمكن أن تنشئه من مدارس لتغذية أبنائنا هناك بلبان ثقافتهم ، ودينهم واعطائهم صورا عن تراثهم وعن مجد أمتهم . وواتمها الأليم وأناقها الباسمة ان أرادت !

وبهذه المناسبة أود أن أخبر الاخوان هنا أن منتقى للهجرة قد انعقد أخيرا في الجزائر ، وإن موضوع أبنام جالياتنا مع موضوع التبشير بمختلف أنواعه هو إحدى نقاط جدول أعمال الملتقى السابع للتعريف على الفكر الإسلامي الذي سينعقد في الجزائر في الصيف القادم بين نخبة مسن الأساتذة من سائر أنحاء للعالم الإسلامي وطلبة الجامعات والمنتخبين النهائيين من الثانوي ، الذين يبلغ عدد المشاركين منهم أحيانا حوالي الألفين من الجزائر وغيرها

وأخيرا إذ أشكر مرة أخرى الكويت الشقيقة على هذه الخطوة المباركة ، أود أن أقترح عليكم جميعا أن نجعل مؤتمرنا هذا دوريا ، ينعقد كل سنة ، أو كل سنتين . وإن نوسع ليشمل البلدان الإسلامية كلها ، لا العربية وحدها ، وإني لأدعوكم إلى عقد المؤتمر القادم في الجزائر ، وربما كان أحسن الأوقات له بمناسبة إحدى هذه المناسبات التي تنعقد سنويا ، قبيل الافتتاح أو الاختتام مباشرة ليحضره الجميع .

إن مهمة المسؤولين على هذا القطاع الروحي التربوي مهمة شاقة ، فعلى أن نقوم بها بروح هذه المسؤولية ، ونحن كلنا عاير وسيل ، بل علينا أن نكون الصمير الواعي لأمتنا الإسلامية ، وإن نبصرها بما لها وما عليها ، والا يبقى سلبيين ، خجلين وجلين ، ونكتفي بالاستعانة والحوقة في حالات الاستنكار .

وفقنا الله جميعا إلى القيام بالرسالة ، وإدام الأمانة ، والسلام عليكم .

فتوى

رأى لجنة الانقياء

فى

العمل بالحساب الفلكي
لتعيين مواعيت العبادات
ومنها :

الصوم

و

الصلوة

وفى

اخراج تقم قمري
اسلامى موحد

ان لجنة الانقياء المركزية المجتمع مساء
الخميس 29 صفر 1392 هـ الموافق لـ 23 أبريل
1972 م استجابة لادارة الشؤون الدينية بوزارة
التعليم الاصل ولشؤون الدينية ، درست - فى
جلسة ما درست - مسألة الاعتماد على الحساب
الفلكي فى تحديد مواعيت العبادات ، ومهما
الصيام من ابتداء الشهر ، والاعطار فى مهائنه
وكان قمسا استعرضته معاهب المحترمين
وأقوال العلماء المسلمين قديما وحديثا :

التيات أول الشهر ونهايته : لقد أوجب
الله صيام شهر رمضان كاملا ، كما أوجب الفطار
أول يوم من شوال ، قال سبحانه . (شهر
رمضان الذى أنزل فيه القرآن عهد للناس وبيات
من الهدى والفرقان . فمن شهد منكم الشهر
فليصمه ...) (2) قال القرطبي : ه فرض الله

(1) من سورة البقرة من الآية 185

صام شهر رمضان أى مئة حلاله . ويسمى الهلال
اشهر كما جاء فى الحديث : (فان غنى عنيكم
اشهر) أى الهلال . وقال الشاعر :

واخوان من نجد على نقة
والشهر مثل قلادة الظفر
حتى تسكامل فى استدازته
فى أربع زادت على عشر (2)

وقال ابن رشد : (ان العلماء اجمعوا على
ان الشهر العربى يكون تسعا وعشرين ويكون
ثلاثين) (3) . والاصل فى هذا الاصاع قوله
(ص) فى الحديث المتفق عليه ان اثنى عشر وهى
الله عنهما : (انا امة امية لا تكتب ولا تحسب
الشهر هكذا وهكذا بوجهكنا - وعقد الايهام فى
الثالثة - والشهر هكذا وهكذا بوجهكنا بضم
الثلاثين) وأشار (ص) بعقد الايهام الى انه يكون
سبعة وعشرين يوما .

ويثبت دخول الشهر برؤية الهلال . كما
ثبت طلوع الفجر وانتهاء النهار برؤية الضوء
للفجر المستطير من جهة المشرق . واما انقضاء
لشوارع دخول شهر الصوم وانتهاء بها يسول
العلم به على الجسد والخضر تيسرا على الامة
ودعسا لخرج خصوصا وقد كانت الفواصلات
عسيرة . وانتقال الاحبار بطيئا . وكل قريسة
لكاد تكون مسئلة فقال (ص) : (لا تصوموا حتى
تروا الهلال ولا تطهروا حتى تروه فان غنى عنيكم
فاقدروا له) (4) .

وقد اجمع الاولون من العلماء والمحدثين
على ان المدة فى اثبات الشهر - عند إمكان
الرؤية وانقضاء المانع - هو الرؤية ان لم يت
بشرطها . والا اكملت المدة ثلاثين .

واختلفوا ان تصدرت الرؤية مانع كوجود
سحاب ابرق (غار) او اعتراض جبل الخ
لاحتلامهم فى تأويل النص فى الحديث : (فان
اغنى عنيكم فاقدروا له) فما معنى افقدوا له ؟

يقال عربية - كما فى اللسان - : (قدرت
لامر كذا اقدر قدرا اذا نظرت فيه ودرت به
وقايسته ... وقدر القوم امرهم يقسمونه
ديره . وقدر عليه الشيء يقدره فقدرنا وقدرنا
شيءه ... (فظن ان لم تقدر عليه) ان لم نصيق
عليه .. (ففقد عليه وزقه) ضيق ويقال - قدرت
اشي - اقدره واقدره قدرا من التدبير وفى الحديث
فى رؤية الهلال .. (فان غنى عنيكم فاقدروا له)
وفى حديث آخر (فان غنى عنيكم فاكملوا المدة)
قوله فاقدروا له : (أى قدروا له عدد الشهر
حتى تكملوه ثلاثين يوما) .

وقد اخذ جمهور العلماء والمحدثين بأن
حصاء اكملوا المدة ثلاثين يوما . كما جاء مصرا فى
حديث ابي هريرة اى البى (ص) قال : (صوموا
لرؤيته فان غنى عنيكم فاكملوا العدد) (5) وفى
رواية (فعدوا ثلاثين) (5) . وعلى اثنى عشر
تاويل الجمهور بان الحديث الاول حاقدروا له
ه مجمل . والحديث الثانى فاكملوا المدة صبر

(2) بداية البيهقي ج 1 ص 294
(3) متن عليه واللفظ ليس فى الرواية

(4) الجامع لاحكام القرآن ج 2 ص 279
(5) متن عليه واللفظ ليس فى الرواية

(فوجب أن يحمل الجدل على القسر . وهي طريقة لا خلاف فيها بين الأصوليين بأنه ليس عندهم بن الجمل والفسر ، تدرؤ أصلاً) (6) .

وحمله بعضهم على التضييق (ضيقوا له وقدروه تحت السحاب . ومن قال بهذا أحمد بن حنبل وغيره ممن يجوز صوم يوم ليلة القيم من رمضان) (7) . وهذا مذهب ابن عمر وأبي الحديث فقد ذهب إلى تأويل (أقدموا له) بمعنى ذلك أن يصح المرء صائماً . وفيه بعد في اللفظ (8) .

الرجوع إلى الحساب وذهب جماعة من السلف إلى أن قضاء الرجوع إلى الحساب بتقدير مسائل القمر قال ابن رجب : (روى عن بعض السلف أنه إذا غشى الهلال رجع إلى الحساب بسير القمر والشمس . وهذا مذهب طريف من عدائنه بن الشخير وهو من كبار التابعين . وحكى ابن شريح عن الشافعي أنه قال : (من كان مذهبه الاستئصال باليوم ومما زال القمر لم يبين له من جهة الاستئصال أن الهلال مرى - وقد غم - ما لم أن يستفد الصوم ويبرأه) (8) .

وسكى النووي في شرح مسلم هذا المذهب باختصار فقال : (وقال ابن شريح وجماعة منهم مطرف بن عبد الله وابن قتيبة وأحمد بن حنبل فدرؤه بحساب المنازل) . وقد فصل القرطبي هذا النقل في الجامع لأحكام القرآن مقالاً (وقد ذهب مطرف بن عبد الله بن الصخير وهو من كبار

التابعين ، وابن قتيبة من التابعين قد لا يعلو على الحساب عند القيم بتقدير مسائل القمر واعتبار حسابه في صوم رمضان حتى أنه لو كان صحو لرؤي لقوله (من) : (فإن غم عليكم فأقدموا له .. أي استدلوأ عليه بمشأله وقدروا انصام القمر) (9) وروى عن ابن شريح بنقل ابن أبي عمير - كما أشار إليه الشوكاني - العرقعة بين ذوي العلم بالحساب والعامه وصى كلامه حسبما نقله ابن منظور صاحب اللسان (روى عن ابن شريح أنه عسر قوله فأقدموا له أي قدروا له مسائل القمر فانها بتلك وتبين لكم أن الشهر تسع وعشرون أو ثلاثون قال وهذا خطاب لمن حسه الله بهذا العلم قال وقوله : فأكلوا الأمة .. خطاب العامة التي لا تحسن تقدير مسائل - وهذا مظهر النازلة تنزل بالمعالم التي أم بالاجتهاد فيها ، والا يقتل العلماء أشكال النازلة به ، حتى يتبين له الصواب كما بان لهم ، وأما العامة التي لا اجتهاد لها فلها تقليد أهل العلم (10) وقسم رد ابن الصيرفي - كما نقل الشوكاني - قوله بأنه (يستنزل اختلاف وجوب رمضان فيجب عسل قوم بحساب الشمس والقمر وهل آخرين بحساب العدد ، وهذا بعيد عن الصلاح) (11) .

وقال البيهقي في شرح الخطوط (ذكر الداودي أنه قيل في معنى قوله (فأقدموا له) أي قدروا المنازل ، وهذا لا يعلم أحسداً قال به إلا بعض

(6) الجامع لأحكام القرآن ج 2 ص 271
(10) اللسان عند الضرر
(11) إيل الاوتار ج 4 ص 213

(6) بداية التجهيز ج 1 ص 194
(7) شرح النووي على مسلم ج 7 ص 189

اصحاب الشافعي انه يعتبر في ذلك بقول المحققين،
والاجماع حجة عليه (28) ،

وقد تصدى الجمهور للسرد على من حالف
مذهبهم في تأويل الحديث ، فردوا على الذين حملوه
على التضييق وصاموا يوم الشك . ولهم احاديث
صحيحة تؤيد مذهبهم هي التي عن صوم يوم
الشك . كما نسوا العادة على الفالئين باستعمال
الحساب والتضييق . فقد نقل الياحي في المحتقى .
والقرطبي في الاحكام رواية عن مالك « روى ان
نابغ عن مالك عن الامام لا يصوم لرؤية الهلال ولا
يعطر لرؤيته » وانما يصوم ويعطر على الحساب
انه لا يقتدى به ولا ينسج « (29) . وقال النووي
في شرح مسلم - نقلنا عن المازري - حمل جمهور
العلماء قوله (ص) فاقدروا له على ان المراد اكمال
العدة ثلاثين كما فسره في حديث آخر قالوا ولا
يحوز ان يكون المراد حساب اسمعيل لان الناس
لو كلفوا به ضائق عليهم لانه لا يعرفه الا افراد
والشرع اسمعيل يعرف الناساس يسا يعرفه
حاجيرهم (30) .

ونقل الشوكاني عن أبي عبد الله انه انكر
حجة المفل عن مطرف اذا قبال (لا يصح عن
مطرف ، وأما ابن قتيبة فليس ممن يرجع عليه
في مثل هذا) (31) . ونقل صاحبه المساور في
مجله عن ابن حجر في شرح الحديث المتفق عليه
(ان امة امية ...) انه قال « المراد هنا حساب
النجوم وتسميها ولم يكونوا يعرفون من ذلك

ايضا الا الرز اليسر معى احكم بالصوم وغيره
بالرؤية لدفع الحرج عنهم في معاناة حساب اليسير
واستمر الحكم في الصوم ولو حدث بعدهم من
يعرف ذلك . بل ظاهر السياق يشعر بغير تعليل
الحكم بالحساب أصلا ويوضحه قوله (ص) في
الحديث (فان غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين)
ولم يقل فاكملوا أهل الحساب ؟ ولم يسلم له هذا
الظاهر علامة العصر الشيخ رشيد رضا . بسبل
استعصر العكس . من صطرق الحديث : (ان امة
امية لا تكتب ولا يحسب ..) فالصوم منه امه
لو وجد الحاسبون لصح الرجوع اليهم لقوله
(ص) ان امة امية لا تكتب ولا تحسب بيان لا
كانت عليه الامة . وقد جاء (ص) مبنيا لآخرها
من ظلمات الجهالة (من الذي يمت في الاميين
رسولا منهم يملو عليهم آياته ويريكم ويعلمهم
الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال
حين) وهي دعوة ابراهيم (ربنا وابنت فيهم
رسولا منهم يملو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويريكمهم ...) -

وهكذا نرى جمهور القدماء من المتعديين
والعلماء يتمسكون باكمال العدة عند تعدد الرؤية
تمسكا بتأويلهم للحديث وحملهم المحمل منه على
المبين .

لأنه لم يعطوا بالحساب ؟ نقل الصلاة
محمدا رشيد رضا في تفسير المنار (ان الذين لم
يسعوا العمل بالحساب علوه بانه ظن وتخييل ،

(14) شرح مسلم ج 7 ص 279
(15) تيل الاكابر ج 4 ص 214

(2) التفتي ج 38
(3) التفتي ج 2 ص 38 والنجي ج 2 ص 279

لا يعيد علينا ولا هنا (٢٥) وقد حللهم على ذلك سوء فهم بالبحر، وأهم كادون ولو صدقوا -
الحساب الفلكي يلبد القطع وهو غير النتيجة :
 وليس الحساب المراد هنا حساب النتيجة التي
 على الرغم من القسب ، ولكن المراد هنا الحساب
 الفلكي الفلكي ، حساب البروج ، بروج ومنازل
 القمر . وقد ثبتت شرعيته بخرع آيات القرآن
 الكريم في قوله تعالى : (والشمس والقمر بحسبان)
 قل الفاضل البيضاوي - وهو سني شافعي -
 (يجريان بحسبان معلوم مفسر في بروجهما
 ومنازلهما وتنسب بذلك أمور الكائنات السفلية ،
 ويختص القسول والاقوات ويعلم السوون
 والحساب) وفي قوله تعالى : (هو الذي جعل
 الشمس شيبا . والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا
 عدد السنين والحساب) قال البيضاوي (قدر
 مسير كل واحد منها منازل أو قمره ذا منازل ،
 أو للقمر وحده ، وتخصيصه بالذكر لسرعه
 سره ومعاملة منازلها وإباطة أحكام الشرع به
 ولذا ثبت عليه بمسولة : (**تعلموا عدد السنين
 والحساب** ، حساب الاوقات من الاشهر والايام) .
 وفي قوله سبحانه (وحسبان الليل والنهار ،
 آتينا فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة
 لتعلموا فضلا من رحمكم ولتعلنوا عهدهم السنين
 والحساب) .

فالقرآن صريح في إثبات هذا النوع من
 الحساب وإدراكه العلم بصيد عند السنين
 والشهور ، داغ لمسلمي لتحصيل هذه العلم

٤٤ تفسير المازج ٢ ص ١٥٧ ط ٢

والاستماع به . ولهذا وأيا بمعنى علم ، السلف
 من كبار السابقين والعلماء السابقين معروون
 أحدث (قدقروا له) . ه قدروه بحساب المنازل
 للقمر والشمس ، ونسب هذا القول لشافعي
 ويعني اصحابه .

ويقول محمد رشيد رضا : (والحساب
 المعروف في عصرنا هذا عهده العلم انقضى (٢٦)
 ويقول : (ولا يجد الحاسون عمل بعولهم لانه
 عدم يقيني قصي وان لم يوجدوا أكلت عمدة
 الشهر ثلاثين بشرطه) .

ولقد مات محمد رشيد رضا رحمه الله
 - وقد حكم بأن هذا الحساب قطعي - قبل أن
 تتم الرحلة البعيرة إلى القمر وينزل الانسان على
 سطحه ، ويسير فوق اديمه . وقد تم الذهاب إليه
 والرجوع منه بحساب مضبوط بالدقائق والثواني
 فكيف يسوغ لماعقل أن يحل مثل هذا الحساب
 من باب التسليم والرجح بالغيب !

مغيبية البيان الشهر بالحساب : يقول
 العلامة محمد رشيد رضا :

« ينتهون (الحاسون) وقت ولادة الهلال
 أي مفارقتة للشمس في أوج الشهر بالساعات
 والدقائق - ومنه يعلم إمكان رؤيته لمتدلل البصر
 أو عدم إمكانها ، فإذا كان من الدقة بحيث لا يرى
 لا ينتهون الشهر بولاده وإذا كان بحيث يرى
 فلما عند انتهاء المانع من غيب أو نحو ذلك ينتهون
 الشهر ... ويقال : أن الشهر قد ثبت **برؤية**

٤٥ تفسير المازج ٢ ص ١٥٧ ط ٢

الهلال حقة أو حكما فلا يكون اثاب . وحوب الصيام بقول الفقيه الجاسسي بل بوجود الهلال وانما يتناول الناس حتى يرى .

الصوم كالصلاة والطح : ولقد وضح الشيخ رشيد رضا رحمه الله مسألة محمد بن موقت المأذون بيمان وجرح واضعة في مال فشره في مجلة المشار بالمرح. الاول من المجلد الثامن والعشرين ثم نقل خلاصته في الجزء الثاني من التفسير ، وذلك في خمس مسائل هذا معوها :

١ - ان اثبات اول رمضان واول شوال كانت اوقات السنوات الخمس ، وقد باطسب الشارح كلها من سهل العلم به على اليسر والحصر . وغرض اشارة العلم بهذه الاوقات لا التصيد برؤية الهلال . ولا بتبين المحيط الابيض من المحيط الاسود من الفجر . ولا برؤية ظل الروال . ورؤية ظل كل شيء مثله . ولا برؤية غروب الشمس . ولا برؤية طيب الشفق . اذ غرض الشارح معرفتها وحصول العلم بها

رما ذكره صلى الله عليه وسلم من تسوط اثبات الشهر برؤية الهلال أو اكمال العدة بشرطه قد علمه يكون الامه كانت امية في عهده . ومن مقاصد مبتنة ابراهيم من الامية لا انظارها فيها . قال تعالى : (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة واني كانوا من قبل لفي ضلال مبين) وفي معناه دعوة ابراهيم في صورة النقرة . ويؤخذ من هذا ان العلم الكتاب والحكمة حكما غير حكم الامية .

٢ - من مقاصد الشريعة تصديق الامة في عبادتها ما أمكن الاتفاق وسيله ومقصدا . وهذا اذا يكون

١ - باعقادها كلها - أو أهل قطر منها - على العمل بظواهر الشريعة وبمصوصها وعمل النبي (ص) واصحابه في المصدر الاول من موافقت الصلاة والصيام واعج . من رؤية الفجر والطل . والغروب والشفق والهلال عند الامكان وبلمدير أو رؤية الملامت عند عدم الامكان .

وفي هذه الحالة لا يجوز المؤبد الفجر - من أي يوم من الايام - أن يؤد إلا إذا رأى صومه معمرها في حجة المشرق . وهو يختلف باختلاف الليالي . وباختلاف الصحو والقيم . وهكذا في مقية الامام انما تصمد الرؤية البصرية فقط .

٣ - العمل بالحساب والمراصد عند ثبوت انادها للعلم العلمي بهذه الاوقات التي جرى عليها العمل في جميع بلاد الحضارة الاسلامية في الصلاة « ولو » مع المحافظة على الاستهلال ورؤية الهلال في حال عدم الامع من رؤيته . لتجوع بين طاهر النص والمراد منه . ومن المعلوم من الدين بالضرورة ان الصلاة عماد الدين فهي افضل من الصوم وأهم . وفي غير حالة الصحو وعدم الامع من رؤيه الهلال يكون اثبات الشهر باكمال العدة ثلاثين طبا أو دون الطمى . ومن قواعد الفقه المشع عليها ان العلم مقدم على الظن . فلا يعمل بالظن مع امكان العلم . فس امكنه رؤية الكعبة لا يجوز له ان يجهد في التوجه اليها ويعمل

شبه الذي يودبه إليه اجتاده بل يجب ان نشتر
بها اذناه

3 (اذا قيل : اعادة الحساب لتعلم القطعي
بوجود الهلال وامكان رؤيته خاص بالعلم بالحاسب
وقد اختلف العلماء في العلم بما ذكرتم . ولا
يكون عليهم حجة على غيرهم . قلنا ان الذين لم
يسحوا العمل بالحساب قد غفلوا بانه ظن
وسمح لا بعيد علب ولا طسا ... والحساب
المعروف في عصرنا هذا ضد العلم القطعي كما
يعد . ويمكن لانه المستلزم وانهم ان يصعدوا
حكما والعمل به فيصير حجة على الجمهور ، وهذا
يصح من انحكم ثواب الشهر ياكتمال عبده
شعبت ثلاثي يوما معتمد رؤيه الهلال ليسه
لثلاثي والسبب صحو ليس فيها عتر ولا محاب
منع الرؤية .

4 (يؤيد هذا الوجه الاخير لقوله الكلت
للإمام أحمد نسا يجب العمل به اذا تم على الناس
رؤية الهلال وهو ان يرجعوا الى رأى الأمام (أى
السلطان ولي الامر الشرعى) في الصوم والنحر .

5 (اذا تردد لدى أولى الامر العمل
بالتعارض الفلكي من موافقة شهرى الصيام
والهجر كموافقة الصلاة وصيام كل يوم من
التحجر الى الليل اصبح لعمري ولاخلاف بين
المسلمين في كل عصر أو في البلاد التى تسمى
مطالعبا . واما ان لا يسبق فيها المطالع فلا ضرر

في لاختلاف في صياها كما لا ضرر في الاختلاف
في الصلوات .

وحجة انقول أننا بين أمرين اما ان نعمل
بالرؤية في جميع موافقت العمادات أحدا بظواهر
انتصوص وحسبها تعبدية وحيتند يجب على كل
مؤذن الا يؤذن لاي وقت الا اعتمادا على الرؤية
البحرية . واما ان نعمل بالحساب المخطوع به
لانه اهرق الى مصادد التبريمه : وهو احسب
القطعي بالوافقت وعدم لاختلاف فيها . وحسنة
يمكن وضع تقويم عام تبين فيه الإوقات انى
يرى فيها هلال كل شهر في كل قطر عدد عدم
المانع من الرؤية ، وتوزع على العالم - فادا زاد
عليها استهلال جماعة في كل مكان فان رآه
كان ذلك نورا على نور .

واما هذا لاختلاف وترك الصوص في
جميع ابواقيت عملا بالحساب ما عدا مسألة الهلال
فلا وجه له ولا دليل عنه . ولم يدل به امام
محدث بل هو من قبل (امؤمنون ببعض الكتاب
وتكفرون ببعض) (18) .

مؤيد علماء ماليزيا : ولاند ايد مؤيدى
علماء المسلمين المنتمد في ماليزيا - مدنيا -
الاعتماد على الحساب الفلكي . واثير الشهر به
عند مصدر الرؤية اذ قال في توصياته :

يرعى الزمر بما على
1 - تنفر بدانة شهرى رمضان وشوال

(18) انظر تفسير الشرح ج 2 اثر تفسير آيات الصيام

اساسا بالرؤية القياسية الجمعية ليلايل .

ب - وإذا عُدَّت الرؤية لشيء من الأسباب في بلد معين وحدها ان يصحح اساسا لتجديد تقريران للرؤية الثانية الجمعية في سنة آخر يشترك مع البلد الذي عُدَّت قيسه الرؤية في الليل نفسه او في حيز منه .

ج - وإذا عُدَّت الرؤية للسبب السالفي وكان الحساب السلكي يثبت امكان رؤية الهلال

يُباح الاعتماد على الحساب العلكي .

د - على حكومات الاقطار الاسلامية المحتمة ان تقيم حياة من الخبراء لتجديد بنائه شهري وعصا وشوال بما يتفق والمبادئ السابقة . ويوصى المؤتمر ايضا باقامة جهات خاصة تتألف من علماء لدين وعلماء الكون المختصين تستهم الحكومات المشاركة في المؤتمر لعمل على اخراج تقرير قسري اسلامي موحد .

وهكذا ترى ان هذا المؤتمر - مع كونه يقرر اساسا - الثبات الشهور اعتمادا على الرؤية القياسية - يسبح الاعصاد على الحساب العلكي عند سدره .

- وهذا مما اعتصار الحساب العلكي مفيدا لنعمه - ويعدو الى اقامة جهات خاصة تتألف من علماء الذين وعلماء الكون المختصين لعمل على اخراج تقرير قسري قسري موحد .

فهذه التوصيات - المؤكدة باقتراح اخراج تقرير موحد - ترجح للمعجب القائلين باعتماد الحساب العلكي واستعماله عند تعدد الرؤية .

وهكذا انقضى راسم ودعويهم مع رأي ودعوه الشيخ محمد رشيد رضا في سبب مؤسسهم نحو نصف قرن .

التقويم القسري الاسلامي وعلاقته بالعصر

العلكي : وقد استعملت لجهة الاشارة الى مسايات دقيقة معدده من عمل هيئة المرصد العلكي ب - آهي زرجة ، تم ترسمها باسم من سنة من (دراسة حول التقويم القسري الاسلامي وعلاقته بالعصر العلكي) حررها السيد قزويني عبد الكريم وحلاصة هذه الدراسة القيمة .

- ان اشهر القسري يساري 539588 ، 29 يوما

- وان السنة القمرية تتساوى 539588 / 29 = 367096 . 354 يوما . وان العلكي - الميكانيكي وحدها ان هذا الكسر سلح في مسافة ثلاثين سنة 21 يوما تقريبا الى : 367096 / 30 = 01164 . 22 يوما .

فافترحوا ان تكون في كل ثلاثين سنة قمرية 21 سنة كبيسة - اي ذات 355 يوما - و 14 سنة بسيطة - اي ذات 354 يوما - وحددوا بداية للدورات الثلاثينية السنة الاولى من الهجرة وبداية لاول شهورها روية خلالها الاول في مكة او المدينة

والسنوتات الكسبة في كل دورة ثلاثينية هي السنوات :

2 . 5 . 9 . 10 . 13 . 16 . 18 . 21 . 24 . 26 . والسنوت البسيطة هي ما عداها من السنوات .

اضاعه سنة كنيسة ثابئة عشرة كلنا مطب 8٩
دورة ثلاثيه تقريبا .

وقد اقترح الفلكيون المسلمون لوضع
التقويم القمري الاسلامي ان يقسوا شهور السنة
القمريه بالنساي الى قسمين . 6 شهور ذات
3٠ يوما و 6 شهور ذات 29 يوما بحيث تكون
الشهور العريضة المرتبة ذات 30 يوما ، والشهور
ارضيبة المرتبة ذات 29 يوما فما هذا شهر ذى
الحجة فانه يكون فى السنة البيضة ذات 29
يوما وفى الكنيسة دا 30 يوما هكذا .

ومنذ نداه اساربع الهجرى تمت ٤٥٠ دور
تلاتمه ونحن الآن فى الدورة ال 47 والىالديق
فى اسنه ١2 منها فستشتا هذه 23٥2 سنه بسيطه
ذات 354 يوما اما السنة المقبله 23٥3 هـ . فى
حسب هذا التفرزم = سنة كنيسة اى ذات
355 يوما .

واما داهى الكبر وهو 61168 ، ٥ من اليوم
فى كل ثلاثين سنة . فانه سيكون يوما كاملا بعد
مضى 2٥6٩ سنة محبرة قمريه ونكفى للملاجه

12	11	10	٩	8	7	6	5	4	3	2	1
دى الحجه	شوال دى القعدة	شعبان	رمضان	رجب	جمادى 2	جمادى 1	ربيع 2	ربيع 1	صفر	ذو القعدة	محرم
3١	29	30	29	30	29	30	29	30	29	30	30
٢٠	٢١										
٢٢	٢٣										

سنة رحال الحساب الفلكي والمراصد للإمام
الاسلامية بحيث يدققون لها ان هذه الرؤية
ممكنه فى الاحوال العادية فى هذا قطر من الانقطار
الاسلامى لعمرى الانصار العادية . وفى ذلك او
غير ممكنه او يمكن فى بعضها دون بعض .

فحينما أمكنت الرؤية = عادة لو خلت من
اوتابع = يمكن الاعلان فيها عن نبوت الشهر
بحسب الفلكى وهى الرؤية حكما كما اشار الى
ذلك العلامة رشيد رضا ، ويكون نبوت الشهر

ولقد دأبت اللجنة فى هذا التفرزم وتيسير
براهه علماء المسلمين الاولين الذين توصلوا الى
وضعه منذ قرون ويبلغ من بدعيه انه لا يحتاج الى
زيادة يوم الا بعد اكثر من الفين وخمسماية قرن .
والعد توقفت اللجنة عند قوله فى لدراسه
(ان رؤية الهلال لعمرى فانها تتوقف على
الموقع الجغرافى الذى يحتله الملاحظ والملاحظ
موقعه العرضى) .
ان هذا الجزء من لدراسه هو ما يهسا ان

بوجود انهلال فعلا ، وقد ايدى في ذلك مؤنسر علماء ماليزيا .

أما إذا نص الحاسيون على استحالة أن يرى في أي قطر من الإقطار فإن الشهر لا يثبت لأن من التواعد تكذيب شئ فاحت المراهن على استحالة وقوعه .

وأما العمل بالقامة التي أمر بها العلكيون المسلمون لوضع التقويم الفري - والتي تقدم بناها - فلا يمكن أن تكون بها في العبادات دون أي احتراز أو تحفظ ، بحيث تعد حسب الجدول السابق لثنتهور . فالتدلي نلاحظه فيلجنة أن التقويم يحمل شهر شعبان دائما دا 29 يوما وشهر رمضان دائما دا 30 يوما - وشهر ذي الحجة في البسيطة دا 29 يوما وفي الكبيسة دا 30 يوما .

وهذا يخالف نص الحديث الصحيح الذي حرجه مسلم وغيره عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : (ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رمضان فقال : (الشهر تسع وعشرون) وفي رواية (الشهر تسع وعشرون ليلة)

وقد قدم أنه حرمه أنه قد يكون دا ثلاثين وقد يكون دا تسع وعشرين ، بالقول بالإشارة الحسية وهذا ما أجمع عليه المسلمون منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليوم . نعم كاترا يصحون تارة ثلاثين يوما ، وأخرى تسعة وعشرين . بل ورد أن أغلب ضياعهم على عهد رسول الله (ص) كان تسعة وعشرين يوما .

ولا يمكن لنا مع هذا يحمل شعبان دائما دا تسعة وعشرين يوما ورمضان دا ثلاثين يوما دائما . إذ أن هذا قد يجعل المسلمين يصومون يوم العيد . ويعطرون يوما من رمضان والنسج لا يقع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما الناسج هو الله سبحانه ، (ما نسج من آية أو تنسها تاب بحير منها أو منها) فليكن الفري منسجا على الحساب لكل شهر ، في كل عام . إذ ليكن تقويم خاص تراعى فيه العبادات بخاصة .

وساء على جميع ما تقدم فإن لجنة الإساءة نعل رأيا في هذا الموضوع ، وتذيع ما يأتي : أن لجنة الإفتاء اجتمعت مساء 29 محرم 1392 هـ الموافق 13 أبريل 1972 م بعد دراستها بخصوص الترخيص ، واستعراضها لأقوال العلماء المسلمين ، المتقدمين منهم والمتأخرين ، الفائقين باعتبار الحساب العلكي واستعماله في إثبات دخول الشهر الفري عنه تقرر الرؤية والمبارخين وحسوبا بحث الصلاة محمد العصر السيد محمد رشيد رضا في تفسير المنار ونوحيات مؤنسر العلماء المسلمين المسند بماليزيا في 27-28 أبريل 1969 .

ترى أن العمل بالحساب العلكي والمراصد ، جائز يباح الاعتماد عليه في كل عبادات المسلمين منها اثبات شهر رمضان ، وشوال للصوم والعطر ، ولأول الأمر من المسلمين أن يستأنوا في ذلك ما يروه من إجراءات موافقة للقواعد الشرعية وخصوصا ، وذلك

لان من مقاصد الترخيع المفساق، الامة في عبادتها ما امكن الاعيان وسيلة وتمتصدا ، ولا يحصل هذا الاعيان الا بالمثل بهذا الحساب .

ولان المثل به اقرب الى مقاصد الشريعة ، وهو العلم الظني باوقافيت وعدم الاحلاف فيها فان غرض الشرع من اثبات اوقات المسادات والرؤية - تيسيرا على الامة الامية - العلم بهذه الاوقات ومعرفتها وليس التصد برؤية الهلال ورؤية غره من الامارات .

ولان الحساب اعلمك وحساب المراتب . الشروعه في عصرنا بعد العلم الظني . وعرضا العلم مطلوب لنا ، وغاية من غايات شريتنا . دلنا على انه علم القرآن الكريم ان قل : « هو اندي جعل الشمس صياء والقمر بورا وقدره مارل لتعلموا عدد السنين والحساب » (29) « قدر صغير لكل واحد منهما منازل او قدره دا منازل ، او لغير وحده وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومدته مازله وانفاة اسكان الشرع به ولذلك عليه ببوله ولتعدوا عدد السنين والحساب حساب الارقات من الاشهر والامام » (30) .

وقال : « الشمس والقمر يحسبان » (31) . « يحسبان بحساب معلوم مقدر في بروجهمسا وهما لهما ونسب بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف العصور والاقوات وسلم السنين والحساب » (32) وقال في آية اخرى ، في آتة الليل والنهار : (. . . لتنفوا فصلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب) (33) .

(19) سورة يوسف من الآية 3
(20) تفسير البشيراني

في حاله كليم - ملا - يحصل للملكي احاسب المم نان اهلل موجود ورا . لسحاب - تكن رؤيته او لا تكن - ارعر موجود . ييسا في يحصل غره الا على المثل . ومن قواعد الشريعة اشقق عليها ان العلم بعدم على الظن . وانه لا يصل بالظن مع امكان العلم . فان قل مان اقاده لحساب العلم لقطعي . . . حاس بالملي الحساب بعد احاب السيد محمد رشيد رسا ياه (يمكن لانه المسلمين وامرائهم الذين تمت عدهم ان صدروا حكما بالمثل به فصير سعة على الجمهور) وعمر موله يسا عله من قول ثالث للامام احمد فيما يجب الصن به ادا تم على الناس رؤيته الهلال « ان يرجعوا الى راي الامام » (اي السلطات ولي الامر الشرعي) في الصوم والمطر .

ولان هذا الحساب اعلمك محسوب به في اوقات الصلوات . والمسلمين مجمعون على استعماله من قرون . وعمول به في الصوم حصا فانهم يستكوث عليه حسابا ويفطرون عليه مساء . والصلاة عباد الدين . وهي اعم من الصوم وافضل منه بالجماعهم .

وبوصي اللحة يسا اوصي به السيد محمد رشيد رسا رحمه الله وبسا اوصي به مؤسس الطماء المسلمين المتفقد في عالميا من السني لوفتح تقويم عام تتيه فيه الاوقات التي يرى فيها الهلال من كل شهر في كل قطر عند عدم المانع من الرؤية وتوزع في العالم . فاذا زادوا عليها استهلال جماعة في كل مكان جان واوه كان ذلك تورا على تور . وبالمثل بهذا التقويم السري الاسلامي الموحد يحصل الاعيان يبع السلب وسنح الاحلاف

والله الهادي الى سواء السبيل .

(21) سورة الرحي من الآية 3
(22) سورة الاسراء من الآية 12

اعتبار التقويم في ثبوت شهر الصوم وصحة العمل بالحساب الفلكي في دخول الشهر القمري

نشرت مجلة « الهدى الاسلامي » التي تصدرها ادارة الشعائر الدينية بنزول السليقة حديثنا للشيخ الكبير الشيخ
عبد الطاهر بن عاشور حول العمل بالتقويم القمري بالاعتدال بالحساب الفلكي وقالت الزميلة المذكورة في تعليقها ان
هذا الحديث كان جوابا عن سؤال : وارد عن المجلس الاسلامي الاعلى بالمقصود الجزائية المبرمطة الضمنية . .
وتلاحظ على تعليقها شيئا :

اولا : المجلس الاسلامي الاعلى بالجزائر لم يكن هو الذي وجه هذا السؤال لانه كان ياتصون مع اللجنة الوكيلة للافتاء
له اصدر قبل ذلك بكتير كما سيذكر الفقيه بنفسه من ذلك ان كان آخر من هذا الصدد .

ثانيا : ان الحديث الذي نشرته الزميلة جرى بطلب من مجلة « الاصل » اقل فقيدنا الكبير الشيخ الطاهر بن عرويس
يحدثه من هذا الامر ، ولا يطلب من الزميلة المذكورة ، كما ان نفس هذا الحديث سبق ان وزعه وله الجزائر في الإجماع
الذي عقدته لجنة التقويم القمري المنبثقة عن المؤتمر الاول لوزراء الشؤون الدينية والاسلامية والاولاد والمغتربين بنسب اليه
تاريخ محرم عام 1393 هـ الموافق شهر فبراير (شباط) عام 1973 م .

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعاله وصحبه

هذا جواب عن سؤال من اسئلة ضائية
اوردها الاديب السيد عثمان شويب موقع الاختيار
على اقتصار الجواب عنه فون بقية الاسئلة .

نص السؤال : اتخذت الجزائر في نطاق
الحرص على وحدة المواسم الدينية في العالم
الاسلامي الى تقويم قمرى يعتمد الحساب الفلكي .
فما هو رأيكم في ذلك ؟

آخر حديث لعبد الاسلام
الاستاذ محمد الطاهر بن عاشور
يخص به « الاصل »

الجواب : قال الله تعالى « يسألك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس »^١

هذا تعريف عرف الله به المسلمون ببعض حكمه في خلق نظام الشمس والقمر ، لذلك صرف اثنين سألوا عن السبب لظهور الهلال دقيقاً ثم أخذ صوته في - التزايد حتى يصير بسرا - ثم أخذه يتناقص صوته الى المحاق ، وارشدهم الله الى ما هو اولى لهم ان يعرفوه في حكمة احوال الهلال مما معرفته تنفعهم لانها التي تفيدهم تقدير تحول الهلال الى احوال ، فكان هذا الجواب حارياً على ما يسمى في علم الملاحة بالاسلوب الحكيم (وهو اجابة الطالب بغير ما يتطلب تبنيها له على ان ما اجيب به اولى له بالقصد) فالمعنى في هذه الآية ان الاولى بهم ان يعلموا ان احوال الأهلة مواقيت للناس اي مواقيت لجميع الناس لان جميع الناس يشكون من التوقيت بها ، يحلف - احوال الشمس فان حلولها في بروج السماء غير واضح للإبصار - وقد علم ان - الأهلة مواقيت للصيام من سابق قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام - ثم قال - شهر رمضان - ثم قال - فمن شهد منكم الشهر فليصمه » فان شهر رمضان معروف ببديءه بولل وينتهي بولل -

وان حق تقليل الاختلاف بين احوال المسلمين يقضى بان لا يفعل عن تقرير الإصوال عما كانت عليه في القرون الماضية حين كان اتصال أخبار البلدان وتعرفهم لاحوالهم - بسيطاً جداً ومبسّطاً لذلك والتمسك لضبط ما قات من أيام وساعات وذلك يضطرهم الى مبادرة كل بلد بأخذ ما يحصل لديه من ثبوت الشهر الشرعي .

ثم ان تبين ان ثبوته في بعض البلاد سابق على ثبوته عند أهل بلد آخر فإبلة السنة وأقوال المذاهب الأربعة جرت على ان لا عبرة باختلافه المطالع أي مطالع الأهلة (أعني وجود الاستهلال) فلو صام أهل بلد تسعة وعشرين يوماً برؤية للهلال في بلدهم وصام أهل بلد آخر ثلاثين يوماً بالرؤية فان الذين صاموا تسعة وعشرين يوماً يجب عليهم قضاء صيام يوم : قال - الحنفية هذا قول أكثر المشائخ (٢) وقال المالكية هذا هو المشهور - وقال الشافعية في المسألة قولان مسموحان - وقال الحنابلة لاخلاف في ان رؤية أهمل بلد تلزم بقية البلدان - وبهذا يعلم ان ما ادعاه الحنفية ابن رشد في كتابه بدياة المجتهد ، وابن جزري في كتابه القوانين الفقهية ، من الاجماع على اعتبار اختلاف المطالع بين البلاد المائية جدا مثل الاندلس من الحجاز - ادعاء غير صحيح لان الخلاف وقع في اعتبار المطالع بين البلدان المائية والراحم عن اعتبار اختلاف المطالع فيها فكيف يدعى الاجماع على اعتبار اختلاف المطالع بين البلدان المائية جدا .

(١) كذا قال الزيلعي في شرح كنز الدقائق .

وبهذا تأصل أصل للنظر في هذه المسألة فرح عليه قواعد :

أحداها النظر في كيفية ثبوت الشهر

ولاشك أن الصوم عبادة مقصودة لذاتها وإن له حكمة عظيمة إطلعنا الله على شيء منها
وهو أعلم بما لم نطلع عليه + وجعل الله لهذه العبادة وقتا تقع فيه وهو الشهر المسمى برمضان
من الأشهر للشرعية التي قدر الله نظامها يوم خلق السماوات والأرض فقال تعالى « يا أيها الذين
آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون إياما محدودات - ثم قال -
شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن - ثم قال - وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض
من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل » فحصل بمجموع ذلك تعيين العبادة
لغرضة وتحديدها وتعيين زمانها وبهذا كان شهر رمضان وقتا لأن تصام إيامه من مبدأ الشهر
إلى نهايته + فوجب على الناس تعيين هذا الشهر مبدأ وبهاية وكان الناس يوم نزول القرآن
يعرفون الشهر بتجدد ضوء الهلال عقب محاقه *

وحقيقة الهلال أنه حالة انعكاس ضوء الشمس على جانب من كرة القمر وهو الجانب الذي
ينعكس عليه ضوء الشمس أي هو الجانب المقابل للكرة الأرضية وذلك الانعكاس يسمى عند
علماء الفلك تولدا + ويسمونه اقترانا + ويسمى عند عموم العرب محاقا ولعرفتنا وجود الهلال
عقب المحاق في علم الله طرق :

أولها رؤيته بالعين رؤية لا ريبه تتطرقها وهذا الطريق حسى ضرورى ولا خلاف في العمل به
وثانيها مرور ثلاثين ليلة في وقت استهلال الهلال الذي سبقه وهذا الطريق قطعى تجريبي
إذا رصد الناس في جميع الأرض وفي كل العصور أحوال ظهور الهلال فوجدوه لا يتأخر عن ذلك
التقدير من الأيام وتحقق ذلك لديهم واشتهر قصار قطعيًا وهذا لاخلاف فيه بين الأئمة *

وثالثها دلالة الحساب الذي يسطيه المتبحرون اعني العالمين يسير - النجوم علما لا يخطئ
قواعده شك + وحسابا تحققت سلامته من الغلط + وذلك هو ما يسمى بالغويم - فإذا ضبط الحساب
في وقت وجود الهلال باليوم - والساعة حصل لا محالة العلم بهذا الشهر القمري إذا جرب التقويم
في حساب السنة الشمسية عند الأمم قديما وحديثا في القرون المديدة فلم يثر له على غلط
وأتمه المسلمون في أوقات الصلوات وفي أوقات الامساك والافطار في رمضان + وجرب عن
العرب في حساب السنة القمرية كذلك + لكن منفع فقهاء المذاهب الأربعة العمل في اثبات الشهر
الشرعي بحساب المتبحرين وأهل التقويم *

وإن علم الناس بوجود انهلال لم يكن له طريق في العصور الماضية سوى الرؤية فذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم « صوموا لرؤيته وإفطروا لرؤيته فإن هم عليكم فاقبلوا له » *

وليس في لفظ الحديث صيغة قصر الصوم على حالة رؤية الهلال - بقياس حساب المنجمين على رؤية الهلال قياس جلي - وإن كانت الرؤية بأعين وحدها لا تمكن إلا بعد مضي ساعات من تكون الهلال وبعد خروجه من بقايا شمع الشمس عند الغروب كان حساب التقويم أولى من الرؤية لأن تأخر ظهور الهلال للإبصار بعد وجوده بساعات ، حالة طرية لا أثر لها في اعتبار القياس ، كما أن تفاوت الأعين في رؤيته لا عيرة بتفاوتاته فالتفاوت إذا وصف طري - وقد يتمكن ضعف البصر من رؤية الهلال بوضع نظارات غير الشيء الذي لم يره قبل وضع النظارات ، والنظارات أيضا متفاوتة في تقريب المرئي ، فشتان ما بين النظارات الاعتيادية التي اعتاد بها أهل الإحصار الضعيفة - وبين النظائر المكبر المسمى (مرءة الهند) به أنماطور المضخم الذي ترصد به النجوم المسمى (تيلسكوب) - فالتقويم طريق علمي يكسب العلم الفريب من القطع بثبوت الهلال - وقد اعتبر الشرع التقويم في أوقات الصلاة فلا وجه لتزك قياص وقت ثبوت شهر الصوم على وقت الصلاة إذ لا فرق بينهما إلا بأوصاف طرية وهي لا تؤثر في الإجراء الشرعي .

وحاول شهاب الدين القرافي التفرقة بينهما في الفرق الثاني والمائة فلم يأت بطائل ودال كلامه الى أن حديث صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته لا يشمل العمل بالحساب - ويرد عليه أن الحديث ليس فيه صيغة حصر كما قلنا فلا وجه لتعطيل قياص التقويم على الرؤية بجامع تحصيل الظن قياسا جليا فهذا يفسده قول طرف من عيد الله بن الشيخين من فقهاء التابعين وقول ابن سريج من أئمة الشافعية ونسبه الى الشافعي كما في الإكمال لحياص - وقد صرح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أنا أمة لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا » وهكذا - وأشار بيديه مطلقا الأصابع - ثم أعاد وعقد أحد إبهامي في المرة الرابعة فكان قوله أنا أمة ألغ من قبيل مسلك الإيحاء الى علة قياس حساب المنجمين المضبوط على رؤية الهلال بالبصر والحكم يتدور مع العلة وجردا وعمدا .

ولنا في التحويل على منظار المرصد الفلكي في أشهر بلاد الإسلام مثل البلاد المصرية « غنية » من اعتبار الحساب النجومى - فعلى قصافة المسلمين والمفتيين والقائمين مقامهم في الشؤون الدينية من علمائهم أن يرمضوا - بأنفسهم أو يمن يتلون به ظهور الهلال بنظارات المرصد - والذي يثبت عنده منهم ظهور الهلال بذلك يعلم به جميع بلاد الإسلام بواقعة الاناعة الدولية لقاعدة الثنائية ويجب التنبه الى أن الأشهر الشرعية قسرية وأن الأشهر القمرية تتبدى باللباس عايتداء الشهر الشرعى يكون من وقت غروب الشمس فغروب الشمس في آخر مساء يوم الخميس مثلا يعتبر ميذا ليلة الجمعة ولم جرا - بحيث إذا طلع الفجر لا يعتبر الوقت الذي بعد طلوعه ميذا ليوم الشرعى ، ولذلك فإذا رأى الهلال في جزء من أجزاء الليل في بلد

اسلامى وجب الصوم على اهل ذلك البلد وكل بلد هو فى حالة لكل فى تلك الساعة * وذا رى عند طلوع الفجر او عقب طلوع الفجر فى بلد لم يجب على اهل ذلك البلد الصوم * وكذا القول فى الفطر سواء * وحكم تلك الحالة مشمول لقول فقهاء المذاهب الاربعة انه * ان رى الهلال بهاراً فهو لليلة القابلة * بدون تفصيل *

وفى هذه الحالة يظهر اختلاف بين بعض المسلمين فى الصوم او الفطر وفى اقامة صلاة العيدين وذلك خطب سهل *

القاعدة الثالثة : مسألة ما ادّعى خالف التقويم شهادة من يشهدون بانهم راوا الهلال * هل تكون مخالفتهم التقويم موجبة استبعاد شهادتهم برؤيته فيجب ردها بالاستبعاد العادى * فهذا انما يتصور بالنسبة للشهادة برؤية الهلال بمجرد النظر * وقد نكل الفقهاء بالملكية ان مخالفة التقويم للشهادة فى غير شهادة رؤية هلال الشهر الشرعى يوجب رد انشهادة وان لا يجب رد شهادة رؤية هلال الصوم وهلال الفطر ، وللشافعية فيه قولان الاختار السبكي قول رد شهادته الرؤية بذلك المخالفة (2) *

وكلام فقهاء الحنفية غير صريح ولم اقص على قول الصائبة والوجه الشرعى فى نفي ادعاء ترد بذلك لاستبعاد العادى لان الشهادة ترد لاستبعادها عادة (كما فى «مقتصر خليل») واصل ذلك قول النسي صلى الله عليه وسلم « لا يشهد حصري على يدى » ولا شك انه لو ادعى شاهداً انهما رايا الهلال فى مكان ثم الغيم سمعه ان تقبل شهادتهما *

فاما ما يتعلق باثبات شهر الحج فقد ظنّها كثير من الناس مسألة معقدة ولكنها عند التامل لا اشكال فيها لان وقت رؤية هلال ذى الحجة برأسه المرصد يتبر بصالة مكة وما حولها * فاذا كان حالها ايلاً حينئذ فهو ابتداء شهر ذى الحجة * وان كان حالها حينئذ بعد طلوع الفجر فابتداء ذى الحجة فى الليلة المقبلة ، لان اهل الحج كلهم يأتون مكة * والحج عبادة يقوم بها الذين يحلون بمكة فمبدأ تلك العبادة هو الشهر الذى كان مبدء مكة على نحو ما قربناه انما من ان ابتداء الشهر الشرعى يعتبر بالنسبة الى الليل والنهار *

(2) نقله عنه ابن عابدين من ١٤٣ جزء 2 من كتاب رد اختار محمد الطاهر بن عاشور فى ١0 جمادى الثانية سنة 1393 *

الحساب الهجري على أساس الرقبة العلمية

مشكلة الاضطراب في البات دخول الشهر
القمري ، وما تسببه من خلل في حياة الامة
الدينية والاجتماعية ، ومن تفرقة في صفوف
المسلمين - حتى في القطر الواحد - مشكلة
قديمة ، وكانت الادارة الاستعمارية المهينة
على مقدرات بلادنا تنهضها فرصة لتزيد في

احمد حماني

د. في الفقه الاسلامي
مؤلف كتاب



شمة الخلاف ، وتمييز الهوية ، وتوليد أسباب الإحتم والاشتقاق . وسعد زوال الكاينوس الاستعماري عن بلادنا ، وعن أغلب الاقطار الاسلامية ، التي أصبحت تملك ارضها - احسن اسمولون - في جميع اقطارهم ، وعلى اخلاف مفاهيمهم - بضرورة معالجة حسنة الاضطراب ، وإزالة هذا الحل الذي أصبح يمتد الى حياتهم الادارية ، والسياسية . والاقتصادية ، بن أصبح يهدد نفس الباربع الهجرى والتتويج العبرى بزواله والاعراض من استعداده . ومن انكر هذا فقد قال : ان الصبح ليس !

لقد أصبحت الحكومات الاسلامية تبدي تساؤلها : وتلج ان تجد لها مخرجاً ، واعتمد اسطاء بالامر ، واخذ كل في نطاق اختصاصه يحاول ان يساهم في إيجاد حل لنصبة . وعلاج شاف لهذا الداء . اما بالنسبة اليها فقد كان الامر يحتاج الى دراسة مقنة ، وبرائة حازمة ، ونظرة حاسنة . وهذا ما اقدمت عليه وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية .

ولقد كان استؤلولون يعلمون ان ما اتخلوه من احراء في الموضوع لا بد ان يثير عواطف بعض الناس . من الذين حسنت نيتهم . وركت تعوسهم . ولكهم فظروا على القلبية الاعلى : فهم لا يريدون به بديلة او من الذين هم اميون لا يعلمون الكتاب الا امانى

وان هم الا يظنون ، فمنهم الجاهلون للمؤورون ومنهم الماعنون المرمسون المنفوسون بالارباب في المدينة . ولقد كان الامر كما احتسب فالجمهور المسلم الختج بما قل اليه ، ورعى بما عرض عليه ، واطمان لاجراء اتخذه من حلهم الامانة التفتية فحسوها معاهدين الله ان يشيوا ويعمروا ، والا ينهم عن الخدمة الصادقة لامة المسلة والدين الحنيف والشرية اظهرة ارجاف من مرجب في المدينة ، ولا شتم عليه . ولا قلته يدي ولا خرشة مغرض . ولا ارعاد مرعد .

لقد ارتاح العلواء والمقلاد لروال عهد الاضطراب واقبال عهد الثبات والاستقرار ، وهم يرحون ان يتم هذا الامر جميع بلاد المسلمين ويتحدوا في عبادتهم واعبادهم ، ولعن هذا يكون بداية لوحدة تتم جميع شؤونهم .

اما بعض المتعالمين فقد ظن ان هذا القرار خرق لاصحاح سابق من علماء المسلمين وبدعه جديدة في الدين ، وان من جاء به قد جاء شيئاً ادا ، يكاد السماوات تنفطر منه ، وتشتق الارض وسفر له الحال هذا .

ولم يلم هؤلاء ان القول بالعمل بالحساب العلكي النحوى واعتماده - ادا غم الهل - قول قديم معروف ، حكته كتب جميع المذاهب لاسلامية القديمة وذكرته . ولم تبدع اصحابه ولا كثرتهم . وعادة ما ذكره ان المشهور خلاه ، اما السوء

المحدثون فانهم يبحثوا الامر من جديد ، وآثروا فيه حقا بالجديد المفيد . وهذا ما منتهضرى اليه في كلتتا الآتيين :

علماء التابئين :

لمل أول من عرف به هذا القول والفتوى به مطرف بن عبيد الله بن الشخير وهو من كبار التابعين وكل من تكلم في الموضوع أشار الى ملحيه وقوله . وعن نقل موله من المالكية القرطبي ، وانما ابن رشد ، وعرضا ، ومن الشافعية النووي في شرح مسلم ، ومن الريدية الشوكاني . ومن الإباضية الاستاذ الامام ابو طاهر اسماعيل بن موسى الميظال الاباسي في كتابه القواعد اذ قال : « يورى من مطرف ابن الصمري وكان من التابعين انه اذا غم الهلال اعتبر الحساب بسير الشمس والقمر ومثله روى عن الشافعي ١ » . (X)

التابعي :

ولقد اشتهر بهذا القول المذهب الشافعي ، لانه احد الأقوال المنسوبة الى الامام الشافعي نفسه ، وان شهر علماء الشافعية خلافه . ونقل هذا القول عن الشافعي أصحابه واصحاب المذاهب الأخرى . ومن السابقين له الامام ابي حنبل الاباسي في كتابه المذكور آنفا اذ قال عقبه نقل مذهب مطرف : « موثله روى عن الشافعي انه قال : من كان مذهبه الاستدلال بالحجج ومماثل الفرس ثم تبيّن له من قبل ذلك ان الهلال مرئي وقد غم فإنه يستفد الصوم ويحرمه » (X)

وقد إقتبسنا فيما نشر في عدد ماضي من الاسالة نقول العلماء الآخرين وتبليقاتهم .

هذا القول من الشافعي ، وان شهر للتابعين حلافة ، فان فيهم علماء محققين انما لا يتطرق اليك الى ديانتهم وامانتهم وكفاءتهم العلمية تصروا هذا المذهب ودعوهوا بالحجج الواضحة .

عنده المالكية :

وهو قول موجود في الفقه المالكي ، مصروف لمعلمائه ، حكاه شهاب الدين القرافي - وهو ثقة في روايته وعلمه - لا يحوم اليك حول امانته وديانته - وان شهر المالكية خلافه ، قال القرافي في كتابه الحليل « الفروق » :

« الفرق الثاني والثالثة بين قاعدة أوقات الصلوات يجوز اثباتها بالحساب والآلات وبين قاعدة الإحالة في أرمصانات لا يجوز اثباتها بالحساب . وفيه قولان عندنا ، وعند الشافعية وحكم الله تعالى ، والشهور في المذهب عدم اعتبار الحساب » (2) . والشاهد في قوله وفيه قولان عندنا وعند الشافعية . ولا يفتح في القول عدم شهرته فيمن المصوم ان المشهور ما كثر فائده ، وقد يكون القول مشهورا ومقابلته هو الصحيح ، فان الصحيح ما قرى دليله . ولا نفى ذلك هنا ، وانما نبيه السافل المذكر لوجود القول بالحساب . اما ما ذكره القرافي من فرق بين القاعدتين فانه إباء الشيخ محمد رشيد رضا

(1) كتاب القواعد بمطبعة (الشيخ ابي عبيد الله محمد بن موسى الورجاني على كتاب القواعد تأليف الامام الشيخ سنان بن موسى الميظالي الاناسي وقد طبع سنة 1395 هـ . ولعل من نسخة خطية من الهامش من 215

(2) الفروق ج 3 ص 199 - 200

اذ جعل ان الرؤية للأهلة كالرؤية لعلامات أوقات الصلوات من رؤية لقوة الصبح ، والزوال ، وظل الظامة ، والغروب للشمس والشفق ، انها كلها وسائل لحصول لعمم يستدل الوقت . فلماذا من تصبب الشاوخ لها حصول العلم وليس التمييز بالرؤية .

هل يجوز العمل به ؟

شئنا ذكر هذا القول في اللغة الشامي، ويعتبر فيه ، ومنهم من اعتمد وصحح العمل به ، ومنهم من اياه . وقد سطر مذهبهم القسطلاني في شرح البحاري فقال : وقال الشافعية ولا عبرة بقول المنجم فلا يجب به الصوم ولا يجوز . والمراد بالآية هو المنجم هم يعتقدون الاعتناء في أدلة القصة . ولكن له أن يعمل بحسابه كالصلاة ولظاهر الآية . وقيل ليس له وصح في الجوع أن له ذلك ولكن لا يجزئه عن فرضه . وصح في الكفاية أنه إذا جاز أحزام ، وقلنا عن الأصحاب ، وهو به الركني فيما لم يبيح وصرح به في الروضة (2) .

وتوضيح هذا الكلام أن الحاسب والمنجم إذا دلها الحساب على وجود الهلال ومكان رؤيته لهما أن يعمل بهما في انفسهما لظاهر الآية . وبالنجم هم يعتقدون ، وقاساً على الصلاة . ومن صام صوماً يرت ثمنه وأراحه صومه عن الفرس كما صومه السبكي وتبعه الزركشي ، وقيل يصوم ولكن لا تيرا

ذمه ولا يحرقه صومه ، وأما قوله ولا عبرة بقول المنجم فإن مراده في الحكم بإيجاب الصوم على العامة وإعلان الصوم والإفتار لهم .

من هو الحاسب ومن هو المنجم ؟

عرفها المستلاني وشرح بينهما فقال : « والحاسب وهو من يشتد تناول هفتير وتقدير سره في معنى المحرم وهو من يرى أول الشهر طلوع النجم الفلاني وقد صرح بهما في الجوع » (1) .

وأما نفر العلماء من المشيخ لا بهم يتجهونهم بانقول بالحسد والنسب ، ومن قبل كان مذهبهم مرفوضاً معروفاً قال ابن بزيطة وهو مذهب ياتل (معنى الرجوع إلى قول المشيخ) فقد نهت الشريعة عن علم النجوم لأنها حسد وتخبث ليس فيها نفع ولا ظن غائب » (2) .

والمفسرون من علماء الشريعة يفرقون بين المنجم والنجيم ، وبين علم الملك والتنجيم والحساب ويكفون أن هذا العلم مبد القطع واليقين لا الظن والحسد والتخبث ، وعلماء أوربا يشهدون أن علماء العرب بلغوا فيه شأواً سبيحاً .

قال شهاب الدين القرامى :

« ان حساب الأهلّة والكسوفات والخسوفات تطمي ذات الله أخرى عادته بأن حركات الأهلّة وانقلابات الكواكب السمعة السيادة على نظام واحد طول ، لدعى بتقدير العزيز العليم قال تعالى : « والقمر

(1) نقل عن دفع المل المالك ، « تاروى الصبح عيني ج 2 ص 269
(2) « القسطلاني في فتح الباري » نقل هذا الناس في كتابه أجواب الصبح - ص 52 .

تدريداً سارل حتى عاد كالمحزون لتقديمه ، وقال
صالح : الشمس والقمر بحسبان ، أي هما ذوا حساب
فلا يحرم ذلك أبداً وكذلك الأصول الأربعة لا ينخرم
حسابها بالموارد إذا استشرت أمانات القطع كما إذا
رأينا شيئاً نحموم بأنه لم يولد كذلك بل طعنا لأجل
عادة الله بذلك ، إلا فالمغل يجوز ولادته كذلك ،
والقطع الخاص فيه إنما هو لأجل المادة وإذا حصل
القطع بالحساب ينبغي أن يعتمد عليه كإثباتات
الصلوات فانه لا غاية بعد حصول القطع ، (2) .

فهذا البيان الساطع مبين لشباب الذين يوضح
بطلان اتهام عدم الفلك وحسابه بأنه ظن وتحيين ،
وليسرى أن هذا القول من هذا الإمام المجلل يرين
علماءنا ويرفع عنهم وصفاً بطلهم أن يوسوا به ،
كما رسم به علماء الكنيسة أمثال الذين كانوا
يحكمون العلماء الفلكيين فيكونون عليهم بالإعدام
حرقاً جزاء يحولهم واكتشافاتهم العلمية .

وكما ورد ذكر الخلاف في استعمال الحساب
في كتب المالكية والشافعية ، ورد في كتب غيرهم
عقد جاء في « النيل » وهو عصمة المذهب الإباضي
قوله : وإن لم تصدرت الرؤية وجب الأكمال وعليه
الأكثر (3) ، وقوله وعليه الأكثر يلهم أن كثيراً على
غيره وفي آخره الثاني من شرح النيل صفحة 287 ما
نصه : وتصدرت الرؤية وجب الأكمال بأن يعد للشهر
ثلاثون وعليه الأكثر وهو قول أسماينا ، وحكى في
« ملك المدر » في نظم النيل صفحة 273 - 274 هذا

القول المخالف بقوله :

وقال بل حسابه يعتبر
سريان الشمس حين تغير
وذا هو المعروف بالتقويم
لهي اصطلاح علم النجوم
لايس صريح الشافعي لنفسه
ومطرف عن علماء من خلا

وزعم صاحب النظم انه مذنب الزوائف وانهم
مجموعون عليه فقال :

وحكما طبقت الروافض
ايضا على الأحمد به ونالوا

الى ان يقول .

قالوا فكل من يكسوف حاسبا
بالحساب الصوم صار واجبا

وقال صاحب « حى على الفلاح حاشية الإيضاح »
ما نصه :

« ... وما الصوم والافطار بحسب الفلك فخطا
وكثر وسدالة للنسبة ... » وفي هذه الكلمة « كفر »
من العتق ما تنزهت عنه أفلام الفحول المتفحصين .
وقد مر في حكاية الجبالي ما يدل على العلم والأدب
الجم والدين الخيين . وسفى أن نموت امتثال هذه
الكلمة من أفواه أفلام الكاتين ، فلقد أجمع جميع
الافانين على أن القول بامسب بالحساب النجومى

(1) المورد ج 2 ص 200
(2) النيل ج 1 ص 165

فهذا تصريح واضح بين ان حقيقة الرؤية غير مشروطة في الثبوت ، وان الصيام واجب لوجوب السبب الشرعي وهو وجود الهلال الممكن رؤيته في الاحوال العادية .

وهذا المذهب الصحيح للنصوص الشرعية، والتاويل المبني الصحيح للأحاديث الصحيحة فهو صرح به أمثال ابن دقيق العيد في المتقنين ، ومحمد رشيد رضا وعلاء الدين في المختارين ، وأذاعوا ما علموه بناية البيان .

وبما ان مذهب هؤلاء الثلاثة - هي الحقيقة - مذهب واحد ، مانعاً فذكرهم متتابعين وان اختلفت ازماهم ، فقد قسم كلام الاول ، وهاكم مذهب الآخرين :

محمد رشيد رضا :

ولقد الضيق رشيد رضا في بحثه الفرق بين اثبات اول الرضاعات ، والشهور بالاحنة ورؤيتها ، وبين اثبات أوقات الصلوات برؤية علامات الفجر والروال ، والطلل والقاعة ، والفروب للشمس والشمق ، وحمل غرض الشروع في كلها معرفتها وحصول العلم بها لا التصديق برؤيتها ، وما ذكره (ص) من توسط اثبات الشهر برؤية الهلال او كمال السنة عنه يكون الامة كانت أمية في عهد ، ومن مقاصد شرعته اخراجها من الأمية لا اعتبارها فيها ، هـ هو الذي بحث في الامين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان

مذهب مطرف ، ووسموه بانه من كبار التابعين واجمع الناس على انه قول الشافعي في رواية عنه سلم سمعها اليه إسماعيل الشيخ عيسى في المزمع وإسماعيل ابن رشد في المقدمات فكيف يكفر من أخذ بتاويل صحيح النسبة الى امام مجتهد مثل الشافعي.

جده زلة قلم ينفي سترها .
لقد عرج بحوازل الصل بالحساب الملكي علماء اعلام أمثال الوركشي ، واس السككي، ولكن أصرحهم قولاً ، وإبين حجة هو ابن دقيق العيد .

ابن دقيق العيد :

هنا الإمام من اعلم علماء الحديث والسنة والفق الشافعي ، حرم الاسلام خدمات جليلة ، قال في شرح صفة الأحكام : نقل الاستاذ علاء الدين :

« والذي اقول به ان الحساب لا يجوز ان يعتمد عليه في الصوم بدمارقة القمر للشمس على ما يراه المحرمون من تقدم الشهر بالحساب على الشهر بالرؤية يوم او يومين فان ذلك احداث لسبب لم يشرعه الله تعالى ،

واما داخل الحساب على ان الهلال قد طلع من الافق على وجه يرى لولا وجود المانع كالقيم مثلا فهذا يقتضي الوجوب ، لوجوب السبب الشرعي ، وليس حقيقة الرؤية بمشروطة في اللزوم لان الاطلاق على ان المحرم في المظنونة اذا علم بالحساب باكمال العدة او بالاجتهاد بامارات وحسب عليه الصوم وان لم ير الهلال ولا آخره من رآه » (1) .

(المرجع الصحيح - ص 30)

كانوا من قبل لمي ضلال مبين » وفي معناه دعوة ابراهيم في سورة البقرة « ربنا وابست فيهم رسولاً منهم ينزل عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويرزقهم » ، ويؤخذ من هذا ان لعلم الكتابة والحكمة عكسا غير حكم الانبياء .

ومن مقاصد التسمية اتفاق الامة في عبادتها ما أمكن الاتباع وسيلة ومقصدا « ولا ميبيل الى هذا الاتفاق الا باجمل بالحساب والمراصد عند كموت » فادتها للعلم القضي بهذه الاوقات التي جرى بها العمل في جميع بلاد الحضارة الاسلامية في الصلاة و دلوه مع المحافظة على الاستهلال ورؤيته الهلال في حال عدم المانع من رؤيته لتجس بين ظاهر النص والمراد به ، والصلاة اهم واعظم من الصوم .

فمنحه صريح في الاعتماد على الحساب واستماله وانه المراد من النص . وقد بين كيفية اثبات الشهر بالحساب بما يوضح كلام ابن دقيق العيد فقال : **كيفية اثبات الشهر بالحساب ؟**

«ينبتون (الحاسيون) وقت ولادة الهلال ، أي معارضة الشمس في آخر اشهر بالساعات والدقائق ومنه يعلم مكان رؤيته لحتمل البصر أو عدم إمكانها ، فاذا كان من اندقة بحيث لا يرى لاينبتون الشهر بولادته ، ولا كان بحيث يرى قطعا عند انتفاء ما من غيم أو نحو ذلك ينبتون الشهر .

ويقال ان الشهر تمت برؤية الهلال حقيقة و حكما فلا يكون اثبات وجوب الصوم بقول الفلكيين

الحاسين « بل يوجد الهلال وانما يبينون للناس متى يرى » (2) .

وكلام الشيخ محمد وشيد بيان لكلام ابن دقيق العيد ، وكل منهما يرفض ان يمتدح على المنجسين القائلين بتقديم الشهر بالحساب على الشهر بالرؤية ، ولكنه نقل قول الحاسين واستحسن للميد لقطع بأن الهلال موجود يتحلف محييه عن محييب الشمس تكن رؤيته في الاحوال المادية لدوى الايام المادية او انه يقبب قتلها أو معها أو بمفعا بقليل بحيث لا تكن رؤيته . وفي الحالة الاولى يثبت الشهر ، وفي الحالة الثانية لا يثبت .

الشيخ علاء القاسي :

بعد انب العلامة الجليل الاستاذ علاء القاسي في مسألة طرق الاثبات الشرعية للامة والظوابط المحظفة لعلماء المذاهب الاسلامية رسالة جديلة ، او كتب اخرى تشرح رأى الشريعة الاسلامية وما نسخ ان يكون العمل بمقتضاها ، وعنوانها «الحوارب الصحيح والنصح الخالص عن نزلة فاس وما يتفق بسدا الشهور الاسلامية العربية» . وقد طمعت هذه الرسالة التي تم تأليفها في رمضان 1385 هـ ، برعى السيد القاسي على علم حمزير ، وفهم دقيقت ورأي صائب ، وشجاعه يتجلى بها الراسخون .

ولا وصل الاستاذ القاسي الى الحواب عن السؤال هل يعمل بالحساب قال :

«ان المشهور في كل مذهب هو المول يعلم العمل بالحساب في الصوم والافطار وغيرهما من المواسم والاعباد ، والسبب في انتشار القول بذلك أمور : (1) فهم الحديث ان المصود به المنع مطلقا عن الحساب ، وان الرؤية هي الامارة الشرعية الواحدة حتى لو تمتلئ الاحول .

(2) الخوف من الردع مما وقع فيه المالكيون وقدمه الامم الذين خالفوا التحريم ، والحظ وإن عبادة النجوم والسحر بها ، وبين استعمال الحساب وارصد لعائلة المعرفة وتدريب السمتين والحساب ،

(3) كون الاعلية السابعة في الصور الاولى بل جميع الامم فما قبل العصر العباسي كانت بعيدة عن افان الفلكيات حتى تستعيد منها .

وقد تطورت الاحوال وبقي معظم علمائها على القول بما قاله بل الاولون الا انه يسيرة ممن عملوا رأيهم من العلماء في كل عصر ومن بينهم العلامة ابن دقيق العيد .. ومن بينهم الشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي اعلمت ... » (2) .

ثم ذكر الاستاذ الفاسي بعض الفائلين بالحساب : مطرف ، والشافعي في إحدى الفتاوى عنه ومحمد بن عفايل الرازي وبعض المالكية وابن طاووس من الامامية وساعة منهم (3) والماضي وابن اخذه وابن الهيثم ، ومن المتأخرين الشيخ أحمد شاكر ، والشيخ أحمد بن الصديق الفشاري في المصارفة ، (و لعلهم انه لم يطلق على بحث الشيخ رشيد رضا).

ثم بين الاستاذ الفاسي رأيه الخاص فقال : «والذي اعتمدته ان الحديث - انا امة امة لا تقرا ولا تحسب - خرج صخر الكلام للعلم ، وهو ان العرب ، بل الذين كانوا في عصر النبي (ص) عن اعم العالم لم يكونوا على درجة من العلم يميل نتائج حساباتهم قطعية ، بل كانت مقدمات الحساب العلمي لايات الظهور قبل الاسلام والى حياة النبي (ص) طيبة غير متفتة الانتاج كما عدل على ذلك بقايا صروس الفلكيين القديمة ، اما اليوم فقد تطورت حال معرفة المسلمين للفلك ، ومنه العصر العباسي وعلمائنا يتعاملون هذا الفن . وانضمت اليه الدراسات المعاصرة ، فلم يند من الممكن القول بأن النتائج الحسابية طيبة بل هي قطعية بقدر ما تكون الرياضيات قطعية ، وعليه ، فما دام الحكم قد خرج محلا ، وما دامت الحلة قد انتفت أي اننا لم نعد امة امة بل اصبحنا نقرا ونحسب فقد ارتسبنا الحديث الى العمل بالحساب طبقا للقاعدة الاصولية التي تقول : «العلم تدور مع المعلوم وحودا وعرضا .

ولا غير بادعاء ان الحكم يبقى مستمرا حتى يبعد تغير الاحوال لانه لا دليل عليه . وايضا فانه (ص) قال في حديث : «فان غم عليكم فاقعدوا له» ، وقد فسره الشراح بمعنى جدوا له التقدير الحسابي . وقال عليه السلام في الرواية الاخرى : « فاكثروا العدة فلانكم جميع (ص) بين حال من يعرف الحساب

(1) الخراف الصحيح - ص 30

(2) مشهور عن الامامة ابي بصير القول بالحساب الفلكي لفضلاء السادة من تلامذه ، وقد راينا في مجلة ايرانية تباه على من اعتمد بالطريقة من الاخوان المارونية ، ثم علمنا ان ساحة الامام موسى الصدر (امام الشيعة بعلمائهم من من الفقهاء البارزة الجبرائية الفقهية بالنسب بالحساب الفلكي - وانها ستكون مثلا يحمي جميع البلاد الاسلامية طال الزمن او قصير

وحال من لا يعرف . فالإمام في حال قصوره العلمي
تعتمد الرؤية الحسنة تسهيلا على الناس ، فإذا كانوا
قد تعلموا وأصبح في مقدور المتخصصين منهم أن
يهيئوا لهم وسائل التقدير الحسابي لمعلمهم أن
عملوا بالصواب في الصوم كما عملوا به في الصلاة
تخفيفا لفعله تعالى : « والقمر قدرناه منازل . . »
لتعلموا عدد السنين والحساب » .

معم يجب أن نتحقق المناط طبقا لما فعله العلامة
ابن دقيق العيد فيقول : « إن الحساب الذي لعمري
هو الذي يدل على أن الهلال قد طلع من الأفق على
وجه يرى أولا وجود المانع مثلا فهذا يقتضي الوجوب
لوجود السبب المفسري ولا تعتبر حقيقة الرؤية
مشروطة » ، أما الحساب بمفارقة القمر للشمس على
ما يراه السجود من تقدم الشهر بالحساب على الشهر
بأرؤية بيوم أو يومين فهذا ما لا أقول به لأنه أحداث
لسبب شرعي لم يشترعه الله ، فأنا متفق تماما مع
رأي الإمام ابن دقيق العيد رحمه الله (١) .

وعدا الذي اتفق عليه رأي مؤيد العلماء الصلابة
هو الذي أحدث به لجنة الفتوى وأصدرته وزارة
التعليم الأصل والشؤون الدينية في قرارها »

أثناء القرن الماضي :

وقد يظن أن القول بالحساب العتيق في الثبات
الصوم والاعطار والعمل به فضلا - لا نقلا فقط -
من مشتركات هذا العصر . ولكن الصحيح أن في علماء
المسلمين من كان يستند ويصل به ، ويقتضيه ولا

يسر . ويقطد فيه من حواصه واصحابه ولا يتكرر
عليه .

ولقد روى لنا الشيخ عيسى حادثة عالم شافعي
معاصر في سؤال ورد عليه أوردته في كتابه وفتح
المعلل لذلك ، في اختاره على مذهب الإمام مالك ،
وأجاب عنه ، ونص السؤال :

« ما قولكم فيما وقع من بعض الشافعية ، مشهورا
بالعلم والديانة ، من اعتداه في ثبوت رمضان وشوال
على حسابه سير القمر وعدم اعتدائه لرؤية الهلال
بالنصر والتحقق له ههنا صومه قبل صوم الناس
بيوم وفطره قبهم كذلك . ويظهر ذلك لخواصه
واجابه ويقولونه فيه » وربما تعدى الامر لغيرهم
فقطده احصا وكاد ان يسمع هذا الخرق واهل العلم
ساكنون عليه » (٢) .

والذي يلفت النظر ما جاء من وصفه بالصالح
والديانة ، ومن اعتماده على الحساب وعدم اعتدائه
لرؤية الهلال ، وانه يفتد من احبائه وخواصه ، وان
اهل العلم ساكنون عنه .

أما الشيخ عيسى - وهو مالكي غير شافعي -
فلم يسكت عنه ، بل أثار السؤال أعصابه فاتهمه
بعدم الدين ، وبالحول الركب ، وعدم الديانة ،
واختلال العدالة ، ودعاة الهمة ، وعدم المروءة . وما
كان ينظر من الشيخ عيسى غير ذلك ، فقد كفر بما
هو أهون من هذا ، كفر محمد بن علي السنوسي ،
ورفع المصا على الشيخ محمد عبده . ولكن ههنا

١ : اجواب الصحيح - ص 31 - 32

٢ : فتح الملقك - ص 168

الرؤية التي لا يتطرق اشك الى صحتها تثبت صرار بعض اهل العلم من الشافعية على القول بالحساب والمثل به لا في خاصة الفهم ، ولكن لهم ولغيرهم . وكان ذملاهم ومعارضهم يرون ذلك منهم ولا يذكرون .

في هذا العصر :

اما في هذا العصر فقد تعالت اصوات المسلمين من كل قطر وعصر تطالب بالخروج من هذا الاضطراب ، وتلح في وجوب الوصول الى حل يزيل عن صدور المسلمين هذا الحرج ، واهتم بالامر العلماء فرادا وجماعات ، وخرجوا بفتاوى او بحوث او توصيات وقرارات . ولم يعالج الموضوع ، في رأينا ، وحسبنا المظنة عليه باحسن مما عالجته الملائسة السيد محمد رفيع رضا في مجلة المنار ، والسيد علان الفاسي ، وكل منهما اعلن رأيه بصراحة في انه ينبغي العمل بالحساب الفلكي لانه حساب يليق القطع ، ولان الشارع الحكيم ارشدنا الى العمل به فهو المراد من النص ، اذ عمل العمل بالرؤية والاكمال باننا امة امية لا نقرا ولا نحسب ، وعنده الملة قد انتفت ، وهما يتفقان في ان ذكر الاممية في الحديث علة لنوط اثبات الشهر بالرؤية البصرية او اكمال المدة . وان من مقاصد سنة محمد (ص) ابراحها من الاممية .

ولقد جاء في توصيات مؤتمر العلماء المسلمين بالمغرب بإليزيا :

« اذا تطورت الرؤية لسبب من الاسباب .. وكان الحساب الفلكي يثبت إمكان رؤية الهلال يساج الاعتماد على الحساب الفلكي » .

وجاء في قرارات المؤتمر السنوي لجمع البحوث الاسلامية ما نصه :

« يعتمد على الحساب في اثبات دخول الشهر اذا لم تتحقق الرؤية ، ولم يتيسر الوصول الى انصاف الشهر السابق للثلاثين يوما » .

ولقد جاء في توصيات مؤتمر ماليزيا :

« ان على الاقنار الاسلامية للفتنة ان تقيم هيئة من الخبراء لتحديد بداية شهري رمضان وشوال بما يتفق والمبادئ السابقة والمطالبة بالعمل على اخراج فتاوى فقهية اسلامية موحدة » .

ففي توصيات مؤتمر العلماء بإليزيا ، وقرارات مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية ترجيح للحسب مطرّف وقول الشافعي ، ومذهب الذين جاءوا من بينهم وسلكوا طريقهم . بل فيه شيء جديد وهو ان مطرما والشافعي - فيما نسب لهما - يقولان بان الحاسب يعمل بعمله في خاصة نفسه ، ولا يلزم غيره . اما التوصيات والقرارات فان مفهومها ان للحكومات ان تعلن ذلك للناس وتلتزمهم به . ولقد سبق لنا نشر توصيات مؤتمر العلماء بإليزيا ، واليوم نششر كامل نص قرارات مجمع البحوث الاسلامية حسبما جاء في مجلة دمير الاسلام برواية فصيحة شريخ الجامع الاخر .

شيخ الازهر يجيب :

سؤال : ورد في الحديث : سموا لرؤيته واقطروا لرؤيته الخ » . والرؤية هنا شاهر من الحديث حسية وتلق بالعين المردة او بواسطة آلات الرصد ، فهل يمكن ان تفسر هنا بمعنى تحكم لنفس والعلم واستخدام الحساب الفلكي دون للاعتماد على الرؤية البصرية الا في

حالات الإمكان ٢٠ ودون أى يكسونه هناك تعارض بين الدين والسلم وذلك حتى يكون فى الإمكان توحيد أرائنا الشهور العربية ليتمكن الاحتفال بالتمسائر الدينية فى الوطن الإسلامى ؟

« عند كبر من القراء »

الجواب :

إن مشروع توحيد مبدأ الصيام وبالثنائى توحيد العيد فى البلاد الإسلامية موضوع مناقشة الفقهاء فى القرون الأولى ، كما ناقشه علماء جميع المذاهب الإسلامية فى السنوات الأخيرة . وهم جميعا متفقون على أنه لا تعارض بين الدين والعلم أبدا ، فالدين نفسه هو الذى يدعو إلى العلم ، وفى مسائلنا هذه علق الحديث الصوم والافطار على رؤية الهلال فإن لم تكن الرؤية بالعين لجاءا إلى العلم . وما الإرشاد إلى اكتمال شيمان ثلاثين يوما إلا توجيهه لاحترام الحساب الذى هو مظهر من مظاهر العلم . والراصدون للهلال يستعينون بالمناظير وهى أدوات علمية ، كما يستعينون بصلحه الارصاد فى أجهزةها ومكائباتها الأخرى .

رقد إلى فصيلة الاستاذ الشيخ محمد عبد المائى عضو مجمع البحوث الإسلامية بحثا مستفيض فى هذا الموضوع امام المؤتمر السنوى وانتهى المؤتمر إلى إصدار القرارات الآتية :

١ - ان الرؤية هى الأصل فى صرفة دخول أى شهر فصرى كما يدل عليه الحديث الشريف ،

فالرؤية هى الأساس . لكن لا يعتمد عليها اذا تكتفت فيها التهم ثمتنا قويا .

٢ - تكون ثبوت رؤية الهلال بالتواضع والاستغاضة كما يكون بغير الواحد ذكرًا كان أو انثى اذا لم تتمكن البصيرة فى احباره بسبب من الاسباب ، ومن هذه الاسباب مخالفة الحساب الفلكى الموثوق به الصادر من يرقى به .

٣ - حصر الواحد ملزم له ولأن يثق به ، اما الزام الكافة فلا يكون الا بعد ثبوت الرؤية عند من حصته الدولة ، الإسلامية للنظر فى ذلك .

٤ - يعتمد على الحساب فى اثبات دخول الشهر اذا لم تتحقق الرؤية ولم يتيسر الوصول إلى اتمام الشهر السابق ثلاثين يوما .

٥ - يرى المؤتمر انه لا مبرر باختلاف المطالع وإن تباعدت الاقاليم حتى كانت حاضرة فى جزء من ليلة الرؤية وإن قل ، ويكون اختلاف المطالع معتبرا بين الاقاليم التى لا تشترك فى جزء من هذه الليلة .

٦ - يهيب المؤتمر بالشعوب والحكومات الإسلامية ان يكون فى كل اقليم اسلامى هيئة اسلامية يناط بها اثبات الشهور القمرية مع مراعاة اتصال بعضها بعضها بعض والاتصال بالمراسد والمكئين الموثوق بهم (١) .

ومن تضمن فى هذه القرارات الموقفة جيدا يجد انها تتجاوز حقا قول مطرف وابن الشنفرى ، وقول الشامى الى انقول بالرام الصوم بعلوم الحساب

(١) مجلة مير الإسلام عدد رجبى ١٩٦٤ هـ

سجنا قيما في الموضوع ، أقبس منه فقرات مفيدة الأستاذ علاء العاصي في كتابه النيس « الجواب الصحيح » - - - وقد اترح الأستاذ أبو العلا على الحكومات الإسلامية أن تجتمع وتتناقش « الجدل الكائن » أي الدوران ليوم الضمير حلا لمشاكلهم الاجتماعية الدينية كما اتفقت الدول حلا لمشاكلهم الاجتماعية المدنية » (2) .

تم اقتراح أيضا -

« أن ينشأ جهاز حسابي فلكي يعمل على ضوء الشريعة الإسلامية لتلوم بحساب جداول عامة بجميع المسلمين في بقاع الأرض لاوقات الصلوات الخمس وضبط احوال رؤية الهلال في جميع البلاد المهمة التي يسكن رؤيته فيها وعمل جداول عامة أيضا لتعبيّن القبة ، وأن نمنع النتائج (البوميات) التي لم يؤخذ حسابها من هذه الجداول العامة والتي لم تستقر الوضع الهلال في حساب أول الشهر القمري وأن تراعى حدود الرؤية لبدء الأمتان والوجوب في إبداء حكومة إسلامية نصر الغرب وهي مراكز في النتائج (البوميات) التي تنشر حتى تكون هلاكية عالمية » (2) .

وهذان علم المستنة :

وتقتل صحيفة « العلم » الشهرية عن مجلة «مير الإسلام» التي يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بحثا نفيسا في الموضوع ، تعرض فيلخصه لرمضان في هذه السنة . ونشر قبل الإعلان عن

والاعتماد عليه ، ولقد ذهبوا إبداء من ذلك . آل رد الرؤية إذا تمكنت فيها التهمة تمكنا قويا - ومن الأسباب لرد الأخبار معالجة الحساب الفلكي الموقوف به المصادر من يترك به . وفي الفراد الرئيس التصريح بالاعتماد على الحساب في إثبات دخول الشهر إذا لم تتحقق الرؤية **ولم يتيسر الوصول إلى تمام الشهر السابق للاثين يوما** ، ومتى لا يتيسر الوصول إلى تمام الشهر السابق للاثين يوما ؟ ألا يكون ذلك إذا قرر العلماء المسلمون المتفون الحاسيون أن الهلال موجود تمكن رؤيته عادة لو زالت الأسباب للامانة ؟ ومتى يتيسر الوصول إلى الثلاثين ؟ ألا يكون ذلك عندما يقرر علماء الحساب الفلكي أن الهلال يغيب قبل الشمس أو معها أو بعدها بفترة لا تتيسر رؤيته ؟ ليس هذا هو نفس ما قرره ابن دقيق العيد ، ومحمد زعيمه رضا ، وعلاء العاصي بضميخ العبارة وبيان لا ليس فيه ؟

نما أهل الاختصاص من علماء الحساب الفلكي والمراصد من المسلمين الاتقياء الميورين على شريعتهم العالمين حقا أهل صلاحة لكل زمان ومكان - فانهم يحاولون نشر معارفهم المتطورة ، ويبلغ علمهم في الموضوع لانة أفكار علماء الشريعة المختصة ، وجهور المسلمين وذلك في الكتب المفيدة ، أو في المجالات والتشريعات الموقرة بها .

ومن هؤلاء العلماء السيد محمد أبو العلا البنا اسامد الفلك بكلية الشريعة بالجامعة الأزهرية ، كتب

(1) الجواب الصحيح

(2) الجواب الصحيح ، ص 32

يدريته . وفه كنهه المالك الجليلان الدكتور ذكي عبيد والاستاذ احمد حسن احمد . تحت اشراف الدكتور جمال الدين القنصى .

ولقد قدموا للموضوع بمقدمة هذا نصها :

« ليس من المجيب في شيء ان يعد المسلمون الى الاستمارة بالحساب الفلكي في شأن ضبط التقويم الهجرى فقد سبقنا الى ذلك القرعة ايام قسامة جريجورى الثالث عشر باصلاح التقويم اليقلى » لهذا نتقدم للعالم الاسلامى بمسلسلة من البحوث تشرح فيها وجهة نظر العلم اطلع ان يهتم بها علماء المسلمين ...

... ولا يد لكى تقوم بذلك ان تؤمن بالحساب الفلكى فاعند للوصول الى ما نريد »

وسعد شرح واف لدوران الارض حول الشمس . والقمر حول الارض وسيره قاعوا . ان الحساب الفلكى يتطلب فقط تحديد لحظة الساعات القمر عن الشمس **فذا وقع ذلك قبل غروب الشمس - وغروب الهلال** بعد غروب الشمس . بدأ الشهر فى اليوم التالى . ثم اعدوا اهم قاعوا بحساب لحظة دخول شهر رمضان لسنة 1399 هـ فى المنطقة التى تقع فيها البلاد لاسلامية .

« من قرب موريتانيا غربا » حتى شرق اندونيسيا شرقا . ومن شمال تركيا شمالا حتى جزيرة مدغشقر جنوبا (لا بدري لماذا جعلوا الحد الشمالى للمنطقة شمال تركيا . مع ان المسلمين يتوغلون الى ابعد من ذلك فى بلاد رومانيا وهم مستوطنون بوسكو ، وفلاندا كاستيطانهم مدغشقر وتزانيا) وذلك

على الحاسب الالكترونى ، وتسمنا حسنة المنطقة فى الرسم الى مربعات طول ضلع كل منها خمس درجات ودونا فى بعض اركانها وعلى مواقع المدن الهامة الفترات التى يمكنها الهلال فى الافق الغربى بعد غروب الشمس ، وبذلك انقسمت الخريطة الى ثلاث مناطق مميزة .

1) فى المنطقة السفلى المظلمة بحلين متساطين يرى الهلال يوم السبت الموافق 7 أكتوبر .

2) وفى المنطقة الوسطى المظلمة بخط واحد مائل يرى الهلال فى يوم الاحد الموافق 8 أكتوبر **ولا يمكن رؤيته فى هذه المنطقة فى يوم 7**

3) اما فى المنطقة العليا غير المظلمة فلا يرى الهلال قبل يوم الاثنين الموافق 9 أكتوبر .

وحدير بالذكر ان المنطقة السفلى تضم بعض بلاد المسلمين مثل دار السلام وجزيرة مدغشقر . وغاما ، وغينيا ، وليبيريا . ويكت الهلال فى كوناغريف عاصمة مدغشقر لمدة ايمان دقائق . اما المنطقة الوسطى فهى تضم اغلب بلاد المسلمين يعنى : (2) .

فهذا البحث الجيد يقدم رأى علمائنا الفلكيين الناعدين لارصد برصد . أى ذرية . والفلكيين الحاسبين الذين اعدوا ان هلال رمضان 1399 هـ يستحيل ان يرى فى كامل مماء المراتى مساء السبت 7 أكتوبر . ولما يرى مساء الاحد . وهذا ما قرره الباحثون المصريون . لان كل بلاد العرب . واغلب بلاد المسلمين واقعة فى المنطقة الوسطى حسب رسمهم وتقسيمهم وقد قالوا « ولا يمكن رؤيته فى هذه

(1) جريدة العلم عدد 8230 فى 14 شعبان 1399 هـ - 3 اكتوبر 1974 م

المنطقة يوم 7 أكتوبر (2) *

وإذا كان هذا حكم العلماء المختصين - وقولهم بعيد العلم والقطع - فإن كل شهادة برؤيته في الاقطار التي حكموا باستحالة رؤيته فيها متهمسة، معرضة لتكذيب العلم *

وقد رأينا أن مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية جعل من أسباب ود الأضرار بالرؤية مخالفة الحساب العلكي الموثوق به - ولقفلنا الأقدمين قولان في الموضوع * سأل الشيخ عليش عن شهادة عدلين برؤية الهلال مع قول أهل الحساب أنه لا تمكن رؤيته قطعا فادعى بأنه « يعمل بشهادة العدلين وي طرح كلام أهل الحساب (2) » ونهله عن الخطاب قوله « الذي يظهر من كلام اصحابنا أنه لا يلتصق لقول أهل الحساب (2) » * ونقل عن السيكي وغيره من الشافعية « أنه لا تقبل الشهادة لأن الحساب أمر قطعي والشهادة ظنية ، والنظري لا يمارس القطع (2) » ونازع في قول ابن السكي بعض الشافعية وردده المتأخرون منهم « كما يدل عيش »

وقد كانت الشهادة المتهمسة - ضد القديم - شهادة سوء كما وسماها مالك بن انس . ومستحسن ، وحكم عميانا الاقدمين عليها حكم صارم كحكم المتأخرين من علماء « مجمع البحوث الإسلامية » *

جاء في « تبصرة الحاكم » لابن فرحون في فصل احكم بالمرأى والامرأ ما نصه :

« قال اصحابنا اذا شهد شاهدان في الصبح في المصر الكبر على هلال رمضان ولم يره غيرهما : قال مستحسن : هما شاهدا سوء فاذا قبلنا بعد ثلاثون يوما فلم ير الهلال والنساء مصحبة قال مالك هما شاهدا سوء لأن ذلك قرينة ظاهرة في كذبهما (3) »

هذا احتياط علمائنا الاقدمين - في اتهام شهادة الضاحدين برأيه وجهما في المصر الكبير ، وكانت ظروف تلك الازمنة لا تسمح بنشر الاتياد بسرعة اليوم . ويكاد كل مصر يكون مستغلا ، فكيف لا يتم السوم شاهدان يشهدان برؤيته وجهما دون أن يراه غيرهما لا في قطر واحد أو مصر بل في اقطار واسعة وقد شهد العلم باستحالة رؤيته *

فان كان الذين أعلنوا اثبات رمضان يوم الأحد 8 أكتوبر قد اعتقدوا رؤية ما ، في بلاد تقع في هذه المنطقة « فقد صاموا وإلى الفلكيين الحاسبيين المقيدين للعلم وإن كانوا قد اعتقدوا رؤية فعلية في الاقطار الجنوبية ، أو رؤية « حكيمة » فيها ، كما تطلع به الحاسبون وإن الهلال مرئي لا محالة في هذه الاقطار الواقعة في المنطقة الأولى حسب تقسيمهم ، وجعلوها ملازمة للكاهن في جميع أنحاء بلاد الإسلام - فقد ساروا خطوة واسعة نحو توحيد عمل للعالم الإسلامي في هذه العبادة ، وانه حل يلبي رغبة جميع المسلمين ، وينال صدورهم » انفسا لتأمل ان يكون هذا ما وقع فيكون عالم المسلمين الشرقي لند صام

(1) جريدة العالم - عدد 232 في 24 شبان 1398 - 3 اكتوبر 1978 م

(2) تلخ المل لكات - ص 279

(3) تبصرة الحاكم في امور الاقضية ودمشق الاحكام ج 2 ص 99 نسخة النية (القاهرة) سنة 1308

وخراسان - واعتبر السافعية اختلاف المطالع ، وقالوا لكل الاقليم رؤيته « وكان آتأخرون يصمون على الماء احتلاب المطالع واصطلحت مجتمعاتهم ومؤثراتهم على اعتبار الاشتراك في ليلة الرؤية ولو بجزء يسير »

وان هذا مما يسهل اجتماع المسلمين وتوحيد كلمتهم ، ولكن التوحيد الحقيقي انما يتم يوم تتفق الحكومات الاسلامية على العسل والحساب اليقيني العظمى كما قال السيد محمد رشيد رضا وجه الله « اذا تقرر لدى اولى الامر الميل بالتقاويم الفلكية من عواقبت شهرى الصيام والحج كمواقيت الصلاة وصيام كل يوم من الفجر الى الليل امتنع التعرّيق والاختلاف بين المسلمين في كل قطر او في البلاد التي تتفق مطالعها » -

على رؤيته واعمه فعلا ، ممكنة علما ، ولا يكون هذا الا في المنطقة التي قال العلم عنها ان ذلك ممكن فيها ، اما ان كان الصيام عن رؤية « فعلية » دُعيت في مطلة قال العلم فيها « لا يمكن ان يرى الهلال فيها » فان ذلك قد يجزنا لوقت يكون فيه ديفسا عرصة للهم ، وعماؤنا عرصة للسخرية « فليقرر علماءنا ان رؤية مدغشقر او دار السلام ، او كوناكري سواء كانت فعلية او ممكنة ملزمة لجميع المسلمين المشتركين في جزء من الدليل مع بلد الرؤية تستجب جموع المسلمين ، وتطئن قلوبهم ، ويقبلوا على عبادتهم او اعيادهم حادين فرحين مستشعرين ان اختلاف المطالع هلبي عنه فقهاء المالكية ، ومعنى تست الشهر في اقليم وحسب الصوم على بقية الاقاليم ، ما لم يكن بين الاقليمين بعد فاحش ، قالوا كالاندلس



حوار مع الاخ مولود قاسم نايت بلقاسم وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية

حديث لسيد مولود قاسم ، وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية في التلفزة الجزائرية
حول موضوع توحيد الاملة وما قرره مؤتمر الكويت بخصوص وضع تعليم لغوي موحد على مدار
العالم وملزم لسانن الدول الاسلامية ، مع تكليف حكومة الديار القنصة بتبليغ القرار الى جميعها

عثمان شيبوب :

يسرنا أن تستأنف من جديد برنامج « حوار
مفتوح » للعرض بعض المشاكل الثقافية وخاصة
فى هذه المرحلة حيث تمثل الثقافة أو ينبغي أن
تمثل روح مختلف النشاطات التي تقوم بها
هى البلاد *

وأول من نستضيفه في هذا البرنامج هو الأستاذ مولود قاسم - وزير التعليم الأسلي والشؤون الدينية - لتتحدث معه حول المؤتمر الذي انعقد أخيراً بالكوييت لوزراء الشؤون الدينية والإسلامية والأوقاف ، وحيث أن هذا المؤتمر حلج البعض من المشاكل التي تهم المجتمع الإسلامي وهي على غاية من الأهمية

– الموضوع الأول هو توحيد الصوم والاعياد والمواسم الدينية بمسفة عامة في العالم الإسلامي

– الموضوع الثاني هو تأسيس المراكز الثقافية داخل وخارج العالم - وخاصة في أوروبا وأمريكا -

– الموضوع الثالث هو الدعوة الإسلامية *

ونظراً لأهمية هذه الموضوعات فأننا نطلب من الأستاذ مولود قاسم أن يوضح لنا هذه المسائل بقدر الإمكان *

سؤال :

في المسألة الأولى نريد أن نسال السيد الوزير ، ماذا تم في توحيد الصوم والاعياد والمواسم الدينية ؟

جواب للسيد الوزير :

من اعلوم أن قرارات عدة قد اتخذت في مؤتمرات سابقة ، كمؤتمر ماليزيا ، ومجمع البحوث الإسلامية ، بخصوص توحيد المواسم والاعياد الدينية في العالم الإسلامي . وكما نعلم جميعا لم يتفق شيء من هذا في الميدان العملي ، حيث تختلف مواعيد الاعياد والمواسم من بلد الى آخر اختلافاً كبيراً . وبالنسبة ارد أن أبدأ بهذه النقطة التي حكاها رئيس الوفد الليبي . فقد قال انه في إحدى المنارات سافر من ليبيا متوجها الى المغرب ، يوم 29 رمضان ، وكانت تلك الليلة ليلة عيد الفطر في ليبيا ، ولما وصل الى المغرب وجدهم يحتفلون بليلة الفطر - لماذا كان ذلك ؟ لأنه كان هنالك فرق زمني يمد بثلاثة أيام بين ليبيا والمغرب فليبيا تصوم في يوم وتونس تصوم بعدها بيوم ، والجزائر بعد ليبيا بيومين ، والمغرب بعدها بثلاثة أيام ، وهكذا يصبح الفرق ثلاثة أيام - اننا نعلم جميعا أن هذا قد وقع مرارا ، ويقع كل سنة تقريبا - وإن هذا من القضايا - والمخازي التي يعاني منها العالم الإسلامي ، ومن بقايا عهود التركود والجهود والمرت ، وهو أمر ينبغي أن نزيل *

هذا ما قلناه في مؤتمر الكويت * لقد قلنا أنه ينبغي لنا أن نفكر جدياً هذه المرة لنصرج من هذه الهزلة ، هذه المسحورة ، هذا الخزي وهذا اعمار ، قاتلنا كل من يسخر منا ويتفرد علينا * وقد كان أول سؤال وجهه من أمير الكويت إلى الوزراء المؤتمرين عند استقباله لهم هو : ماذا قررتم في موضوع توحيد الأعياد الإسلامية ؟ مضيقاً قوله بأننا « نسال دائماً في الغرب عن هذا الموضوع » *

وفعلنا فإن الأجانب يقولون عنا بأننا لم نتفلسق حتى في المسائل الشكلية ، فكيف يمكننا الاتفاق في المسائل الجوهرية ؟

لقد ثبتنا إلى خطورة هذا الموضوع وأكدنا عليه ، وشرحنا موقف الجزائر من ذلك ، فقلنا أن الجزائر - بعد انتظار طويل - اضطرت أن تقوم بمبادرة العمل بالتقويم القمري القائم على الحساب الفلكي الذي يجمع بين روح الشريعة ومقصدنا الذي هو اليقين ، وفي هذه الحان : بخصوص إمكانية رؤية الهلال ، فإذا علم بالحساب بأن الهلال يمكن أن يرى ، كان ذلك محتملاً ولو لم ير الهلال فعلاً *

وقد أصدر الشيخ محمد رشيد رضا فتوى في هذا الموضوع ، يقول فيها أن هناك رؤياً فعلية ورؤياً حكمية ، أما الرؤيا الفعلية فهي عندما نرى الهلال بالعين المجردة ، وأما الرؤيا الحكمية فهي إمكانية رؤية الهلال ولو لم ير فعلاً ، لأن رؤية الهلال - كما يقول الشيخ رضا - ماعدة شرعية وليست تعبدية يعني أننا لا نرى الهلال من أجل الهلال ، وإنما رؤيته علامة فقط على بداية الشهر *

وقد شرحنا هذا ، وقلنا أننا يدان العمل بالتقويم القمري الذي يجمع بين روح الشريعة ومقاصدها من جهة ، وتطور العلوم ، من جهة أخرى *

ولمّا فقد كان البعض يرددون القول بأن هناك الحديث القائل : « أنا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب » ويعني أنك أمة جاهلة ، ولذا يجب أن نرى الهلال بأعيننا ، أي بالعين المجردة لكسي نصوم أو نقطر *

وقد قلنا لهم أن هذا لا يصح ، لأن الحديث المذكور ورد في وقت كانت فيه الأمة الإسلامية - فعلاً - جاهلة وأمّية لا تكتب ولا تحسب ، وهذا كان منذ أربعة عشر قرناً ، حيث نزلت الآية الكريمة التي تدعو إلى العلم : « اقرأ باسم ربك » « والذي علم بالقلم » وهناك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم المشهور الذي يجعل طلب العلم فريضة على المسلمين : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » *

كما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » فقد جعل القمر نورا ومنازل لكي نقيس عليه ونحسب حسي أساسه ، ونستشير بضموته ، ليس فقط لرؤية الطريق في الليل ، ولكن في حسابنا وفي أعمالنا وفي تاريخ الحوادث كلها « وفي الاحتفال بأعيادنا ومواسمنا الخ » وهذا على مستوى الأمة الإسلامية ، وليس فقط على أساس دولة من الدول ، أو شعب من الشعوب ، أو قرية من القرى لقد قلنا لا يجوز لنا أبدا أن نستمر في القول - بعد أربعة عشر قرنا من نزول « اقرا » - « اننا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب » هذه الأمة التي أعطت للعالم علماء كبارا مثل الخوارزمي ، والبيروني ، والاندلسي ، والراري ، وابن سيناء ، وأمدت العالم بالأرقام التي يحسب بها علماء النثرة وعلماء الفلك ويحسب بها لعام أجمع ، كيف يصح أن يقال في حقها انها أمة أمية بعد كل ابدي فمئذ في الماضي « قلنا كذلك انما نعمل بالتطور العلمي في مجالات أخرى ، فنحن نسافر الى الصح بالمطائرة ، ولم تكن الطائرة موجودة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل كان الناس مسافرون على الجمال ، كما اننا ننقل بالسيارة لمسلة الجمعة ، ولم تكن السيارة هي الاخرى موجودة في ذلك العصر » ومواقف أصلا نضربها تحسب بالساعة ، وتعرف بجهاز الارسان الاذاعي ، والناس يسكنون ويغطرون على أساس المواقف والادان الذي يسمونه في الاذاعة « ومن صنع الساعة والجهاز ؟ لقد صنعهم مسيحيون ويهود في أوروبا وغيرها »

والذي يقرأ القرآن في المصحف ، والحديث في كتب الحديث ، والذي يحقق مخطوطا من أمهات الكتب الإسلامية ، قد لا يستطيع القراءة بدون نظارات « ومن صنع النظارات ؟ صنعها أوروبيون »

كذلك المراسد الفلكية التي بها تعرف مواقيب الصلاة ، صنعت في أوروبا ، ومعلوم أن الصلاة هي حناد الدين .

وفي رمضان ، من المعلوم ، أننا لا نتمسك برؤية الهلال الا في اليومين الاول والاخير منه اما في اثناء شهر رمضان فاننا نعتد على الساعة وحسبها .

وهكذا ، فاننا نتمد على العلم في هذه المجالات كلها . ونقيد أنفسنا ، ونختلف فيما بيننا في موضوع رؤية الهلال .

قد يرى الهلال شخص أمش ! ! فهل نثق في هذه أبصيا ؟ كفاية من هذه المسيرة . لقد حان الوقت لكي ترعد الأعياد في العالم الإسلامي ، وهذه ضرورة ليست من الشكليات ، بل هي من المسائل الجوهرية .

لقد قلنا للاخوان في مؤتمر الكويت امس اذا وجدنا الحساب ، تكون قد ثبتنا الشهر الهجري الذي يختلف بين دولة واخرى ، فاعتماد الحساب الفلكي تحسب اليوم متى يكون رمضان في العام القادم - امنا الآن نقول ، مثلا ، سنلتقي في الرباط أو لقاهرة أو واشنطن أو بكين في يوم 23 يناير القادم . فلماذا لا نقول في يوم 23 شعبان القادم ؟ لماذا لا نحص بالمقاريخ الهجري ؟ ذلك لان الشهر الهجري ليس ثابتا عندنا ، وكل دولة تحمل بتاريخ هجري مختلف وحتى في هذا المؤتمر لم نعتد على موافقة التاريخ الهجري للتاريخ الميلادي وهو يوم 23 مارس ، لما اتفقا على موعد مضبوط ، ولو اعتمدنا الحساب الهجري وحده لحصر بعضنا في يوم والبعض الآخر في اليوم الذي بعده ، كل هذا لان التاريخ الهجري غير موحد في البلدان الاسلامية .

انها لفصيحة أن يجتمع وزراء الشؤون الدينية على اساس التاريخ الميلادي !

ومحمل القول اننا متعاثلون جدا ، عهد انتهى المؤتمر الى اتخاذ قرار بهذا الصدد ، وهو اعداد تقويم قمرى موحد من طرف علماء الفلك وعلماء الشريعة في العالم الاسلامي . وتكونت لجنة من خمس بلدان من بينها الجزائر ، وتتمنى أن يتم هذا في السنة القادمة بإذن الله على مستوى العالم الاسلامي كله .

سؤال :

ان انصار النظرة للتقليدية - الرؤية بالعين المجردة - يقولون ان العمل بالحساب ، اذا كان هدفه هو توحيد العالم الاسلامي والقضاء على الشائعات داخله ، فانه لم يحقق هذه الوحدة باعتبار أن كلا من الجزائر وتونس تعتمدان الحساب الفلكي ، ولكلهما اختلفتا في بداية شهر رمضان الاخير . فكيف ترون ذلك ؟

جواب :

صحيح ، يمكن أن يحدث التباس ، لان الجزائر وتونس تعملان بالحساب ، ومع ذلك فهما تختلفان في يوم . والسبب في ذلك هو أن طريقة الحساب ذاتها تختلف . فالحساب في تونس يعتبر دخول الشهر بمجرد ميلاد الهلال ، وهكذا ينطلق الحساب عندهم على هذا الاساس .

اما عندنا في الجزائر فنعمل على اساس امكانية رؤية الهلال ، سواء رأيناه ام لم نره ، فنحن اذا جمع بين مقصد التشريعية الذي هو العلم ، اي اليقين ، ونص الشريعة الذي هو رؤية الهلال . وهذا هو سبب الاختلاف بيننا . والفريق بين الحسابين هو تقريبا بين ست ساعات واثنى عشرة ساعة . ويصل حتى الى يوم كامل . ولكن الامم ولطيد في أن تتفق الآن ، خاصة بعد أن يتسم

وضع تقويم قمرى متفق عليه يكون على مستوى العالم الاسلامى ، حيث سيقام مرصد فلكى واحد فى أحد البلدان الاسلامية ، وهو الذى سيعيد لنا هذا التقويم القائم على الحساب الفلكى ، فتأخذ به الامّة الاسلامية كلها ، وبهذا يزول الخلاف نهائيا بذن الله ، ويعرف الشهر الهجرى مقبلاً ، ويمس به ، وبذلك يرجع للتاريخ الهجرى اعشاره وتعود قسمته العملية فى الحياة اليومية والقومية للمسلمين افراداً ، ومجتمعات ، وامة واحدة *

سؤال :

النقطة الثانية التى كانت فى جدول الاعمال هي مسألة المراكز الثقافية داخل العالم الاسلامى وخارجه - فكثير من الناس يتساءلون عن دور هذه المراكز ويقولون مثلاً لماذا يقيم مركز ثقافى فى امريكا او فى فرنسا او فى بريطانيا ؟ وما هو دور هذه المراكز ؟

جواب :

فى الواقع هذه المراكز ذات أهمية كبرى ، وقد ركز الوفد الجزائرى على هذه الأهمية ، وهي لا تكمن فحسب فى تعريف العالم بالاسلام بل فى تدوير ابحاثنا المغتربين ، وعلى سبيل المثال يوجد فى فرنسا وحدها مايريو عن مليونى مسلم ، من الجزائر وتونس والمغرب والصينغال ومالى وهكذا كل نفس اشياء بالتمسية لبريطانيا . وهذه المراكز عندما تنشأ ستكون منتدى للقاء محتمل بين الثقافة الاسلامية وغيرها من الثقافات وفى نفس الوقت لتعريف ابحاثنا المهاجرين - أساساً - بالثقافة الاسلامية ، وتعنيهم بها حتى تقدمهم من شمس الضياع ، والنوبان ، والاندماج ، والاندماج من امتهم ، ودينهم ، ولغتهم "

سؤال :

البطلة الثالثة فى جدول اعمال هذا المؤتمر هي قضية الدعوة الاسلامية ويرجع فى هذه النقطة التباس من حيث تحدد مفهومها ، فهل المقصود اكتساب مسلمين جدد أم تمكين العقيدة فى نفوس المسلمين الموجودين ؟

جواب :

توجد نظريتان اثنتان تقول الاولى بوجود انخراط غير المسلمين الى الاسلام مثلاً من ألمانيا وسجلترا وأفريقيا والصين وغيرها من الامم *

بينما يقول الآخرون بضرورة التركيز على ابنائنا بالدرجة الأولى داخل الأمة الإسلامية وخارجها ، ونحن من هؤلاء ، نطالب بوجود منافسة التبشير المسيحي في إفريقيا الذي ما انك يحدث الخلاعات والعن ويدخل لمقاصد استعمارية واستغلالية أبصا ، لكن شريطة أن نركبـز بالدرجة الأولى على ابنائنا في الداخل والخارج ، المعرضين لهزات وتيارات مختلفة فلا بد من التركيز على هذا بصورة أكثر .

ولهذا الغرض انرجنا موضوع التنشيط ماضيا وحاضرا في الملتقى السابـع للتعريف على الفكر الإسلامي وهو موضوع موجود وقد أشاره الكثير في مؤتمر الكويت وكثيرا ما يثار منـ مختلف الاتجاهات الإسلامية والمسيحية *

شـيـوب :

وحتى في إسرائيل يثار هذا الموضوع بشكل حاد ، وهناك جمعيات دينية اسرائيلية تقاوم التبشير بالعنف كاحراق الكتائب ومراكز التبشير وما الى ذلك ...

جـواب :

نحن لا نتعامل وسائل العنف ولكن نتمد دائما الى وسائل الاقتناع وتحاول أن نفهمهم أن أي نشاط تبشيري ليس في مصلحتهم ، وأكثرا لرجال الدين المسيحيين الكبار الذين قدموا الى الحزائر من مختلف البلدان ضرورة الاكتفاء بالتركيز على ابنائهم وعدم ادخال البلبلة على (العائلات وانه لا فائدة ترجى من ارسال البشريين ليقنوا ابواب الناس والمدارس ويضلوا عندهم *

ورضعنا هذه النقطة في جدول اشغال الملتقى السابـع للفكر الاسلامي في تيرى وزو لندرسها بكل موضوعية وهنوء وريانة لانها موجودة فعلا في مختلف البلدان الاسلامية ويتجلى هذا من الصحف وممعناه في الكويت ايشا ، والذي نرجوه هو أن نتوصل الى طريق سوى في هذا الحال مع رجال الدين المسيحيين الذين يجب أن يطمروا أن الاسلام متسامح ولكنه لا يجمع في نفسه ، ويرفض أن ينيش في دأره *

شـيـوب :

السيد الوزير ، أن الوقت لا يسمح لنا بالتوسع في هذه النقطة بالذات ، ولكن يوجد لدى سؤاـل اخر يخص الدعوة الاسلامية أو الفكر الاسلامي فهناك خطر خارجي من المبشرين يتهددهما ولكن هل نقابله نثمتنا بما ينهضه ويرده ؟

جواب :

فملا قان للطريقة التي يستعملها المسمون مرحال الدين عننما طريقة حامدة وميتة جدا . فييقون في الجومع ويرددون اشياء تقليدية معروغة ، ويقتنعون بالمسنيين الذين ياتون اليهم الى المسجد ، وقد طلبنا اليهم أن يركزوا نشاطهم على الشباب وان يذهبوا اليه حيثما هو في المقاهي في النوادي وفي كل مكان ، وان يستمعوا معه طرقا حديثة وقد امددناهم بكثير من هذه الطرق الحديثة التي ينبغي أن تقوم على أسس اجتماعية واقتصادية حتى تكفح كل هذه التيارات الأجنبية التي تخرب جسم الامة ، ولكن رجال الدين عندنا في الجزائر بصفة خاصة مقصورون في هذا الميدان ، ولنا أمل في تغير الوضع عندما تفتح المدرسة العليا لتكوين الاطارات الدينية في مفتاح من حيث سيمر جميع الامة ويبدؤون بالمراعاة من الاول ، ونتمنى أن تتميز طرقهم وتكون النتيجة احسن ، ان شاء الله .

شيوپ :

شكرا السيد الورير على هذه التوضيحات القيمة وكما قلت في اول هذه الكلمة ان كل نقطة من هذه النقاط تحتاج الى عدة حصص وليس الى حصة واحدة ولكن بصيبي الوقت نكتفي بهذا العذر ، وقد سمعنا بما فيه الكثير في هذه النقاط ومشارككم جزيل الشكر . وبهذا ايها السادة والسيدات ننهي هذه الحصة والسلام عليكم .



رأى الأستاذ أحمد حسن الباقورى

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ المحضال الأستاذ إبراهيم موهوبى

سفير الجمهورية الجزائرية

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد :

لقد تلقيت اليوم رسالتكم الكريمة الخاصة
بالمظنوى التشريعية الصادرة عن وزارة التعليم
الأصلى والشؤون الدينية بالجزائر .

وأبداً الى الاعتذار عن التأخر فى الرد ،
لأننى كنت غائبا عن القاهرة فلم أقبل الرسالة
الامهنة ثلاثة أيام - فمعتذرة وشكراً .

نص رسالة وجهها الشيخ أحمد حسن الباقورى الى سفيرنا بالقاهرة ضمنها رايه فى فتوى لجنة الافتاء
المرتكزة التابعة لوزراء التعليم الاصلى والشؤون الدينية حول العمل بالحساب الفلكي .

وأرجو أن يتفصل الأخ الصغير المفصل بقبول حالص الشكر لشخصه العزيز من أجل جميل ثقته بي وحنن ظنه لي - ضارعا إلى الله عز وجل أن يجعل من إتياء وبنات الشعب الجزائري المحاهد روادا إلى الحضارة الإسلامية التي لا ينتصها إلا الرواد الصانقون المستنبطون .

وقد استعرضت في نظرة سريعة الفتوى المذكورة فاستنتي ، وودت من أعماق نفسي لو أن امتنا أخذت بها ، حماية لها من شين الفرقة وصلال الجهالة وسوء الظن بقصور الاسلام عن بلوغ أبعد الغايات في مجال العلم الحديث . والخصم رأى في مجال هذه الفتوى قيما يلي :

أولا : كنت - وأنا مدير جامعة الأزهر - على وشك أن أخرج كتابا في هذا الموضوع بعينه - كتبه للناس استاذنا الجليل الشيخ أبو العلا ألينا رحمه الله - غير أنني تركت الجامعة دون أن أتمكن من تحقيق هذه الأمنية التي يحتاج إليها المسلمون أشد احتياج . فعيدا لوصي الأخ الصغير عند الأزهر والأزهريين المحصول على هذا البحث وأخراجه للناس ، فقد كان مؤلفه عالما مقبلا وربما مالكي المذهب ، وكان يدرس لنا في القسم العالي بالأزهر على الحصري علم الهيئة والحيات ، وحظله في تقواه ومعة اطلاعه واعتنايه بهذا البحث يجعلنا نؤمن أنه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة تتعلق بهذا الموضوع الا احصاها . وقد توفي الشيخ المذكور ودفن في مكة المكرمة هذا العام . وكان يعمل معه بحثه هذا في صندوق . كان يؤثر فيما أخبرني أن يستعين على أخراجه للناس ، جلالة الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية .

ثانيا : هنا حديث نبوي شريف يتناوله أسلمون بغير حقه تناولا يناقش القرآن العظيم ريعارض الرسالة النبوية ، وهو الحديث الشريف : (أنا أمة لا تكتب ولا تحسب ، الشهر هكذا ، وهكذا ، وهكذا ... وعند الإبهام في الثالثة -) وقد أحب كثير من أهل العلم أن يفهم الحديث فهما يصف الأمة العربية في حاضرها ومستقبلها بأنها أمة أمية لا تكتب ولا تحسب ، ومعنى ذلك أنها أمة لم تتعلم وأن تتعلم ، والواقع يكتب هذا الفهم فإن امتنا نقلت حضارة الهند والروم وفارس إلى بغداد ، وكانت لها مقاييسها الخاصة التي تتفق مع مقاييس الدمشقي وروح الاسلام وحين فتحت امتنا الاندلس ، أخذت أوروبا علومها ومعارفها عن أولئك الفاتحين المسامح من أيام محمد سيد الناس ، كما يشهد بذلك منصفه المستشرقين من أهل أوروبا ، وفي ذروتهم الاستاذ الدكتور جوستاف لويون الفرنسي والاستاذ الدكتور سيفريد هوك الألمانية .

فالأمة التي علمت أوروبا وكان رأى زعماء أوروبا العلميين فيها هذا الرأي ، لا يمكن أن تكون هي الأمة الأمية التي لا تكتب ولا تحسب .

ثالثا : أن قيم الحديث الشريف على هذا المعنى إشامل للأمة العربية المتحضرة للرسالة والتي جاءت بعد عصر الرسالة ، يناقش القرآن في آيتين من كتاب الله تدعوان إلى دراسة التنبات

والحيوان وطبقات الأرض ، (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا
الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلفه الوانها وغرايبب مسود * ومن الناس والنواب
والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء) فهاتان الايتان تضمنتا دعوة
الامة العربية التي كانت لا تكتب ولا تصيب الى النظر في ملكوت السموات والارض بما اشتمل
عليه من علم النبات وعلم طبقات الارض وعلم الحيوان ثم دلت الايتين كلمة (انما يخشى الله
من عباده العلماء) وهذا التثنييل يعنى ان الذى يخشى الله حق خشيته هو الذى يتجلى لاسمه
اسرار صنعة اله فى كونه العظيم عن طريق المعلوم المعلمة * فذا جاءت جمهورية الجزائر
المعتزة بالاسلام لكي تخرج للناس هذه المعاني وتفسر اسديث الشريف على هذا النحو فى التقويم
الذى تفضلتم بارساله الى فان ذلك شرفه عظيم تسبق اليه جمهورية الاحرار المجاهدين *

اننى اؤيد كل التاييد الاعتماد على المسايات اطلاقية فى تمديد اوائل الشهور المسريية
واولخرها حتى يتاح لامتنا أن تتوحد كلمتها فى احوج شؤونها الدينية الى التوحد وهو الصيام
والحج *

والسلام عليكم ورحمة الله *



دراسة حول تغيرات سرعة دوران الأرض حول نفسها

عبد الكريم غزلون

من الثابت أن دوران الأرض حول نفسها ليس موحدًا ، وأنه يجب مراعاة تغيرات ثلاث
نظراً على هذه الحركة وهي :

(1) إبطاء قري (كل مائة سنة) ، يترتب عنه تحديد في مدة اليوم بقدر $0,0001$ ثانية وذلك ناتج عن امتلاك حركات المد والجزر التي تمتد في المخور ، وبالأخص المخور الصيفية والمقليلة العمق .

(2) تقلبات غير منتظمة ، استحصت لحد الآن عن التحليل وبالطبع عن التقديرات الهتية .
(3) تغير فصلي قد يعزى سببه إلى اعتبارات قصية ، وهذا التغير يكاد يكون دورياً بالنسبة للمنة الاستوائية ، سوف لا نراعى في هذه الدراسة الا تغير سرعة دوران الأرض الناتج عن الإبطاء العرضي ، ومعنى هذا أننا سنهمل التقلبات غير المنتظمة لأنها غير ممكنة التقدير المسبق ، وكذلك استغيرات المورية الحولية لأنها تلغى بعضها بعضها تقريباً .

— أن الدورة الوسطى للقمر حول الأرض إذا قوِيل مع الإمام الموحّد (المعيار) الزمن (وهو زمن التواريخ اليومية أو الزمن الذري) لا تنقسم بالتغيرات غير منتظمة التي نلاحظها في دوران الأرض ، بل بالعكس ، فإن ترقيات القمر الجارية بواسطة غُـسُوف ماركوفس ، تستعمل لتحديد اُزمنة التواريخ الفلكية T.E التي تعبر عن زمن موحّد يصلح لتحديد الثانية تحديداً فلكياً .

— أما الزمن العالمي T.U المرتبط بدوران الأرض فهو زمن غير موحّد ، لأنه يتأخّر باستمرار بالنسبة إلى زمن التواريخ الفلكية T.E

وبما أن التقويمات (الشمسية والقمرية) مرتبطة بالزمن العالمي ، فإنه يترتب على هذا بعض التباين بين التقويم — التقويم القري مثلاً — وحركة القمر في مداره .

لقد لاحظنا في الدراسة السابقة ، أن التقويم الهجري يتعرض لتباين قدره $0,00168$ يوماً في كل ثلاثين سنة قمرية — غير أن هذا التباين يعرض نوصلاً ما بالتأخر المستمر الذي يسجله الزمن العالمي بالنسبة لزمن التواريخ الفلكية .

فتقدير أن المدة المتوسطة للدورة القمرية تقرب من الاستعداد ، أي ننسب أي زمن يكسده
 يكون موحدا ، وبما يلي ستقدر عدد السفين القمرية اللازمة ليرتد من جمع التباينين المذكورين
 أعلاه تعديل قدره يوم واحد .

(أ) أن التباين الناتج عن الدورة الثلاثينية بمساوى 0.01168 يوما في كل ثلاثين سنة قمرية
 ويبلغ هذا التباين بالنسبة لسنة قمرية واحده .

تباين : 0.01168 : 30 — 6 — 10 : 389 يوما لكل سنة قمرية *

(ب) أن التأخر الفزائكي لمصالح الزمن العالي يساوى 10 — 10 : 380 يوما لكل سنة قمرية —
 وقد ثبت من جهة أخرى أن هذا التأخر يتناسب مع مربع عدد السنوات الفارطة ، وبمحصيه فإن
 التأخر المتراكم في عدد من السنوات يرمز إليه بحرف ن يكون :

ت ، 10 ، 10² ، 380² = ن . 2 *

(ج) ونفرض المعادلة التالية :

6 — 10² ، 380² ، ن — 10 — 380² = ن . 2 * X يوم

والحرف المربع الأصغر لهذه المعادلة الثانية يصلينا : ن — 2720 سنة قمرية تقريبا *

ملاحظة :

(1) فاقنى أن أراعى في الدراسة السابقة تغير سرعة دوران الأرض ، ووجدت تباينا قدره
 يوم واحد كل 2,500 سنة قمرية تقريبا — والواقع أن هذا العدد يجب أن يعوض بالذي تم حسابه
 آنفا ، وهكذا فإن تباين التقويم الهجري بالنسبة لحركة القمر المتوسطة هو يوم (2) واحد في كل
 2,720 سنة قمرية تقريبا *

(2) لقد بين الحساب أسبق أن التقويم الهجري يساير عن قرب أكبر حركة القمر المتوسطة
 بالنسبة للزمن العالي ، وأننا نعتبر أن هذا التقويم ميبقى صالحا على الأقل لمدة 2,500 سنة
 قمرية أمقبلة ، دون أن يدخل عليه أي تعديل *

حرر بالجزائر يوم 1972/4/24

عبد الكريم غزلون

لمرصد الملكي ببربرية — الجزائر —

تعقيب السيد مولود قاسم نايت بلقاسم
وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية
فى الملتقى السابع بقرى وزو

اخوانى اردت ان اهنس شيئا فى الصباح
عندما تكلمت بانسفاع عن العمام وان ما حدث
لايبر دليل على ما قلته ولئن كان لا يتطبق
على الجميع فعلى الكثير ، اذ منهم الشباب
العاقل المتحمس مثل عبد الله الشماخي ، الذى
يضم حكمة الشيوخ المحنكين وانسفاع الشباب
المجدين وحماسهم وكل ما يتصل بالشباب من
ايجابيات ، وهذا لا ينطبق على الكثير جدا من
الشباب * وعندما تكلمت عن « العمام » وكثير
من اكابر علمائنا هنا الذين تحملوا الصعاب من
بعيد حرصا على الافادة كالشيخ ابي زهرة
وعبد الله الشماخي ، والامام الصير ، ويوض ،
والبيصار ، وسراج ، وصالحى ، ويوعيدلى ،
انما كان قلته لسان فقط اذن ما ذكرته عن العمام *

ولكن ما كنت أود أن أقوله هو أن يبذلوا جهودا أكثر للتقرب من الشباب حتى لا يتقروهم بالمحرمات والموانع فقط ، هذا حرام ، هذا ممنوع ، بأن يحافظوا على الجوهر ولكن أن يجتهدوا في الجزئيات والتفاصيل التي تكسب لنا الشباب وتجذبه حتى لا ينفر ويبتعد من الإسلام ، وحتى لا يجد هناك منافذ ومزلقات تجذبهم إليها ، هذا ما كنت أود أن أشير إليه *

ويختصص الكلمة الرائعة التي جاءت في قصيدة « الشيخ عبد الله الشماخي » من الجزائر *** إلى الجسر * يختصص بإدارة الهلال ، فأقول انني سبق لي أن قلت كل شيء بكل وضوح بقدر الإمكان في الكلمة التي ألقيتها في مؤتمر الكويت لأن المبادرة التي انتخبتها الجزائر مؤقته وقد وضعت تقويما قريبا يفيت العبد والصوم *** الخ وضممت في هذا التقويم فتوى مسطرة من المجلس الإسلامي الأعلى ولكن هذا من حيث الشكل أما من حيث المبدأ فهذا شيء لا يمكن التراجع عنه إطلاقا ، ومهما كانت الأمور فلا يمكن أن ندع الحق وقد قلت لكم ما أرسله إلينا في هذا الباب الشيخ ببوض عن رأي المذهب الإباضي ، كما سمعتم ما ذكره الدكتور جعفر شهيدى وهو من الجعفرية الإمامية المشهورين *

واقيدكم هنا بأن الإمام موسى الصدر يؤيد هذه المبادرة بكل تأكيد ، من وجهة نظر الإمامية الجعفرية ، والمجلس الإسلامي الأعلى الذي أصدر هذه الفتوى كان فيه من الإباضيين والشاعبيين ، والحنابلة والمالكية *** الخ * من المذاهب الإسلامية المعروفة ، وكذا الشيخ مبروك عوادى الجزائرى الظاهرى الوحيد فى العالم الإسلامى ، يؤيد هذا كذلك ، ولا يتقصدنا من المذاهب الإسلامية كلها سوى المذهب الزيدى والشـيخ عبد الله منه ، وهو يؤيد رأينا ثابيدا وأضحا كما سمعتموه منذ حين *

كما قلت أيضا في مؤتمر الكويت بأن هذه المبادرة من الناحية الشرعية واضحة أما من حيث التجارب وانفاقها مع الواقع فقد ظهر أحد الأدلة لذلك في اتفاق نتائج مرصدى بورريعة وحلسوان فى القاهرة ، كما جاء ذلك واضحا فى مجلة منبر الإسلام التى يصدرها الأزهر ، ولقد أريفت قائلا فى مؤتمر الكويت ، أن الجزائر مستعدة لتضع تقويها هذا القائم على أساس مرصد الجزائر العاصمة جانبا إذا ما انفق الجميع هنا على مرصد إسلامى أيا كان فليكن فى زنجبار ، أو فى جدة ، أو القاهرة ، أو سوريا ، أو بغداد ، أو تونس ، أو الرباط ، أو أو أو أية عاصمة إسلامية أخرى فيها سلطة إسلامية ، ويكون ملزما للجميع *

وهذا ما قرره مؤتمر الكويت بوضوح وقال أن هذا التقويم القررى الذى سيصدره ويعدده كما قلت فى الصباح السادة المعينون فى البلاد التى ذكرتها وهي : قطر ، ومصر ، وتونس ، والكويت والجزائر) بمساعدة أو بالعمل المباشر والفعال بل الرئيسى ، لعلماء الفلك ، والحدود القطرى

شخصية دينية وعالم فلكي مشهور ، وهو الشيخ عبد الله الانصاري * هذا ما تم في المؤتمر وهو موجود في عدد من مجلة الاصاله ، وفي نشرة اصبرتها وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت وعدة مجلات اسلامية أخرى *

والتوصيات تقول بأن هذا التقويم القمري المسلم للعالم الإسلامي بعد أن تخبرهم بذلك ونعمهم عليهم المملكة العربية السعودية بصفتها حامية الحرمين القول يكون هذا التقويم ملزماً وهذا التقويم سيعرض قبل المؤتمر الثاني لوزراء الشؤون الدينية والإسلامية والأوقاف ، الذي سيعقد هنا في الجزائر وسيكون ذلك قبل رمضان المقبل أن كنا جميعاً جادين ، والوقد الجزائري سجل بالحرف هذه التوصية بتحفظه المؤقت مع احتفاظه بالتقويم القمري الذي أصدرته لجنة الافتاء والمجلس الإسلامي الاعلى بالتعاون مع المرصد ريشما يصدر هذا التقويم القمري الملزم لجميع البلدان الإسلامية ، عند ذلك نعمل بالتقويم العام للأمة الإسلامية كلها * هذا ما قسم في الكويت *

ونرجو أن يتم هذا إن شاء الله فعلا قبل المؤتمر المذكور الذي سيكون قبل الملتقى الثامن مباشرة في الربيع *

لأن بعض الإخوان من وزراء الشؤون الدينية والإسلامية ، والأوقاف ، عبروا عن رغبتهم في المشاركة في الملتقى ، لذا حاولنا الجمع بين الاثنين ، فلا يساء التأويل عندما تكلمت عن العمائم وتعميم المراصد ، فلا بد من مرصد واحد ، والعمائم ندين لها بالكثير ونحترمها ، واكبر دليل على ذلك حرصنا على وجودها معنا ، ولولاها لا تدر الجزء الأكبر من تراثنا الإسلامي لتسرحي الذي نحن به نحيا ويؤونه لا تكون أمسة *

وشكراً *



اثبات شهر رمضان ويبحث العمل فيه وفي غيره بالحساب

ما زلنا منذ بلغنا من الرشد الى أن امركنا
سمسن الشيخوخة نسمع المسلمين يتالمون من
الاضطراب والاختلاف الذى يحدث فى اثبات أول
شهر رمضان لأجل الصيام الواجب ، واثبات أول
شوال لأجل الفطر الواجب فى يوم العيد ، وكذا
ملال ذى الحجة لأجل وقوف عرفة *

وقد اطلب الاستاذ محمد رشيد فى هذا البحث
الدقيق ، وبين اسباب الاختلافات الواقعة فى ذلك
اذ قال : تقرأ فى الجوائد كل عام أن اصل الشام
صاموا يوم كذا ، واهل مصر يوم كذا ، واهل مكة
يوم كذا ، وقد يفتقون تارة ، ويختلفون اخرى *

الامام المرحوم
رشيد رضا

(1) مجلة المنار اصادرة بالقاهرة الجزء الاول رمضان 1345 هـ 1927 م - ثم نقله واربعه فى
تفسير المنار الجزء الثانى ، الطبعة الثانية، فانظره

ثم قال : والشهادة برؤية الهلال إذا انحصرت في واحد أو اثنين أو ثلاثة لا تعد إلا الظن
لكثرة ما يقع فيها من الاشتباه

وأتى بحكاية واقعية في الموضوع وهي :

« قد وقع لي في بعض المنين وأنا في سوريا ، أن رأيت الشمس غرست كسفة في اليوم
التاسع والعشرين شعبان ، ثم شهد شاهدان ذوا عدل بعد غروبها بساعة رمائية انهما رايا الهلال
فحكم القاضي الشرعي بإثبات الشهر بالرؤية ، ومن المعلوم باليقين أن رؤية الهلال كانت من
المحل ، لأنه غرب مع الشمس ، فلا يمكن أن يكون عاد ورأياه ، وأنا اعتقد أن فحكم الشاهدين لم
يتممدا الكتب ، فهما من أهل التقوى والعلم ، ولكنهما تخيلا الهلال تخيلا »

ولأجل مثل هذا الاشتباه قال المحققون من الفقهاء في هذه المسألة : إن الشهادة برؤية الهلال
في أيام الصوم لا تثبت إلا برؤية جمع كبير ، وينبغي تقييد هذا بما إذا رأى أهلال كثيرون كما
هي العادة ، وذلك أن العبرة في الرؤية بمقتل البصر ، لا أمثال زرقاء اليمامة في حدة البصر »

ثم قال في موضع آخر :

« أن حكمة نوط الشارع أوقات العبادة من صلاة وصيام وحج بالرؤية معروفة لا تنكر ، وحسنها
لا يحد ، وذلك أن الاسلام دين عام للنشر ، من يدو وحصر ليس فيه رياسة دينية تنيد العبادات
برجالها ، وتخضع الدهماء لأراقتهم (أو هو دين ديمقراطي كما يقال في عرف هذا العصر) »

وناهيك بانه ظهر أولا في أمة أمية كما ورد في الحديث الصحيح ، فمن اليسر والاستقلال
الشخصي فيه وعدم الاختلاف أن تكون أوقات العبادات فيه مما يسهل على كل فرد من أهله »

ثم انتقل الى صميم الموضوع تحت عنوان :

مباحث العمل بالحساب في مواقيت العبادة :

قال الحافظ (ولعله ابن حجر) في شرح الحديث اسبق عليه (أنا أمة أمية لا تكتب ولا
نصيب الشهر هكذا وهكذا ...) يعني مسرة تسعة وحشرين ومرة ثلاثين من عتج اليازي ما
نصه . والراد هنا حساب النجوم وتسميرها ، ولم يكونوا يعرفون من ذلك أيضا (أي الكتابة)
إلا النبي اليسير . فعلق الحكم بالصوم وغيره بالرؤية أدفع انخرج عنهم في معاناة حساب
التسمير ، واستمر الحكم في الصوم ولو حدث بعدهم من يعرف ذلك ، بل ظاهر المساق يشعر بنفي
تطبيق الحكم بالحساب أصلا ، ويوضحه قوله صلى الله عليه وسلم (فإن ثم عليكم فاعلموا لعدة
ثلاثين) ولم يقل فاسألوا أهل الحساب انتهى »

وعلق السيد رشيد رضا على هذا بقوله :

« ان نكره من حكمة التشريع صحيح الاصل ، فالإتفاق مطلوب شرعاً ، وكون أوقات عبادة منوعة بما يعرفه كل الناس ، والحساب الفلكي لا يعرفه الا القليل منهم صحيح» ايضاً .
وقوله : - اي الحافظ - ان طاهر الصباغ يشعر بنفى تعليق الحكم بالحساب اصلاً *** الخ غلط ظاهر ، وما ذكر من توضيحه بالامر من اكمال العدة دون الاسر بمسؤال اهل احصاء غير واضح بل خلاف المتبادر من منطق الحديث وهو : ان الامة لا تعرف الحساب ، وهذا بيان لما كانت عليه ، وقد بحث لخراجها منه - اي من ضلالت الجهل - بنص العراني فكيف تقرر بما لا تعرف ؟
وكمفهومه الطاهر انه لو وجد الحمايون لصح انرجوع اليهم *

اما الحساب الذي معنيه فهو حساب البروج والمنازل لشمس والممر الثابتة باليقين القطعي والمشروع العمل بها بقوله تعالى : (الشمس والقمر بحسبان) مع قوله : (هو الذي جعل الشمس صياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) وقوله : (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب) فهو صريح في اثبات هذا النوع من الحساب ، واعانتة للعلم بصيد السمك والشهور ، ولهذا قال بعض العلماء في حديث : فان غم عليكم فاقبروا له (اي فاقبروه بحساب المنازل) *

وزاد قائلاً في هذا الموضوع : « فاذا وجد الحمايون عمل يقولهم لانه عام يقيني قطعي وان لم يوجدوا اكملت عدة الشهر ثلاثين بشرطه ، اذ لا يمكن الاتفاق على غيره » ***

اما الحساب فيعبر عنه لم يكن في عهد الصلف الذين اجمعوا على ما ذكر ، قد وصل الى الدرجة المعهودة عندنا في هذا العصر من العلم اليقيني ، والصورة التي اجمعوا عليها لا يمكن ان تخالف الحساب ، امضى لا يمكن ان لا يرى الهلال في مساء اليوم الذي يثبت الفلكيون الحاسيون امكان رؤيته فيه عند انقضاء المانع ، مهم يبينون وقت ولادة الهلال - اي مغارقتها للشمس في آخر الشهر بالساعات والدقائق - ومنه يعلم امكان رؤيته لتمتدلي للنسر او عدم امكانها *

فاذا كان من الدقة بحيث لا يرى لا يثبتون الشهر الشرعي برأفته ، واذا كان بحيث يرى قطعاً عند انقضاء المانع من غيم او نحو ذلك يثبتون الشهر ***

فها هنا يقال : ان الشهر قد يثبت برؤية الهلال حقيقة او حكماً ، فلا يكون اثبات وجوب الصيام بقول الفلكيين انحاصيين ، بل بوجود الهلال ، وانما يبينون الناس متى يرى *

وقد ظهر باختيار السنين صفقهم بكل من يرى تقاويمهم ، ونحن في اشد الحاجة الى علمهم في حال وجود المانع من رؤية الهلال لانه علم يقيني ، كروية الهلال او اكمال عدة الشهر كثيرا

ما تكون خطأ كما تقدم بيانه ، وهي نبئني في كل شهر على رؤية هلاله ، والا كانت مسانة حسابية وقد تمر في بعض الاقصار التي تكثر فيها الامطار عدة شهر لا يرى فيها هلال *
 فكيف يمكن العمل فيها باكمال عدة الشهر ثلاثين - من المعلوم حسابا وشروعا ان الشهر يكون قارة ثلاثين وقارة تسعة وعشرون ؟
 اذا تمهد هذا فسنح - اي السيد رشيد رضا - نلخص الكلام في هذا الموضوع في مسائل :

المسألة :

(١) ان اثبات اول شهر رمضان ، واول شهر شوال ، هو كاشف ، اوقات الصلوات الخمس ، قد ناطها الشارع كلها بما يسهل العلم به على البدو والصفر . - ما تقدم من بين حكمة ذلك ، وغرض الشارع من ذلك العلم بهذه الاوقات ، لا التعبد برؤية الهلال ، ولا بتبيين الخيط الابيض من الخيط الاسود من القمر - اي انفصال كل من الآخر برؤية ضوء الفجر المستطير من جهة المشرق - ولا التعبد برؤية ظل الزوال وقت الطهر ، وسيورة طل الشيء مثله وقت العصر ، ولا برؤية غروب الشمس وغيبه الشفق لوقتي العشاءين .

فغرض الشارع من مواقيت العبادة معرفتها ، وما ذكر صلى الله عليه وسلم من نوط اثبات الشهر برؤية الهلال او اكمان العدة يشترطه قد علله بكون الامة في عهده كانت امية ، ومن مقاصد بعثته اخراجها من الامية لا ايقاؤها بها ، قال تعالى : (هو الذي يمشي في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) *

(٢) ان من مقاصد الشارع اتفاق الامة في عبادتها ما امكن الاتفاق - وسهيلة ومقصدا - فاما ان تتفق كلها او اهل كل قطر منها على العمل بطواهر نصوص الشرع وعمل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في الصدر الاول في مواقيت الصلاة والسيام ، والحج من رؤية الفجر والظل والغروب والشفق والهلال عند الامكان وبالتقدير او رؤية العلامات عند عدم الامكان ، وفي هذه الحالة لا يجوز لمؤذن الفجر ان يؤذن الا اذا رأى ضوءه ممترضا في جهة الشرق وهو يختلف باختلاف التلالي واما ان تشمل بالنسب والمراصد عند ثبوت انابتها العلم القطعي بهذه الواقيت التي جرى عليها العمل في جميع بلاد الحضارة الاسلامية في الصلاة ، مع المحافظة على الاستقلال ورؤية الهلال في حال عدم المنافع من رؤيته للجمع بين طاهر النص والمراد منه *

ومن المعلوم من الدين بالضرورة ان الصلاة عماد الدين ، فهي افصل من الصوم وأعم ، وفي غير حالة الصوم ، وعدم المنافع من رؤية الهلال يكون اثبات الشهر باكمال العدة ثلاثين ظنيا او بدنيا الظني *

ومن قواعد الشيعة المتفق عليها أن العلم مقدم على الظن ، فلا يعمل بالظن مع إمكان العلم .

فمن أمكنه رؤية الكعبة لا يجوز له أن يجتهد في التوجه إليها ، ويعمل بظنه الذي يؤدبه إليه الاجتهاد .

(3) إذا قيل : إن إفاة الحساب للعلم القطعي بوجود الهلال وإمكان رؤيته خاص بالفلكي الحاسب . فقد اختلف العلماء في العلم به *** ولا يكون علمهم حجة على غيرهم .

قلنا : إن الذين لم يبحوا العمل بالحساب قد عللوه بأنه ظن وتخمين ، لا يفيد علما ولا علنا . كما نقلناه من شرح البخاري للحافظ ابن حجر . والحساب المعروف في عصرنا هذا يفيد العلم القطعي كما تقدم ***

ويمكن لأئمة المسلمين وأمرائهم الذين ثبتت نكث عندهم أن يصدروا حكما بالعمل به فيصير حجة على الجمهور .

(4) يؤيد هذا الوجه الأخير قول الإمام أحمد فيما يجب العمل به إذا غم على الناس رؤيته الهلال ، وهو أن يرجعوا إلى رأي الإمام (أي السلطان ولي الأمر الشرعي) في الصوم والفطر .

(5) إذا تقرر لدى الأمر بالعمل بالتقاويم الفلكية في مواقيت شهرى الصيام والحج كمواقيت الصلاة والصيام كل يوم من الفجر إلى الليل امتنع التفرق والاختلاف بين المسلمين في كسل قطر ، أو في البلاد التي تتفق مطالعها ، وهذه لا ضرر في الاختلاف في صيامها ، كما أنه لا ضرر في الاختلاف في صلواتها . *

تلخيص واستنتاج :

ينتهي العلامة المرحوم رشيد رضا بحته بقوله : وجملة القول : أننا بين امرين : إما أن نعمل بالرؤية في جميع مواقيت العبادة اخذاً بظواهر النصوص وحسبانها تعريفة وحينئذ يجب على كل مؤمن أن لا يؤذن حتى يرى نور الفجر الصادق مستطيراً منتشراً في الأفق وحتى يرى السزوال والعروب *** الخ وإما أن نعمل بالحساب المخطوط به ، لأنه أقرب إلى مقصد الشارع وهو أعلم القطعي بالمواقيت وعدم الاختلاف فيها ، وحينئذ يمكن وضع تقويم عام تبيين فيه الأوقات متى يرى فيها هلال كل شهر في كل قطر عند عدم المانع من الرؤية ، وتوزع في العالم ، فإذا رادوا عليها استهلال جماعة في كل مكان ، فإن رآه كان ذلك نوراً على نور وإما هذا الاختلاف وتسررك النصوص في جميع المواقيت عملاً بالحساب — ما عدا مسألة الهلال — فلا وجه ولا دليل عليه ولم يقل نه إمام مجتهد ، بل هو نور من قبيل (أفئذمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟) والله أعلم وأحكم .

نصيحة دينية تقدمها جمعية العلماء للأمة الجزائرية الإسلامية

أيها الأمة :

إن التفرق شر كله ، وشر أنواع التفرق ما كان في الدين ، واشنع أنواع التفرق في الدين ما كان منشؤه الهوى والعرض ، ونتيجته التعادى والبغض وأثره في نفوس الأجانب السفوية من الدين واستنقص له وإثناذ أعمال أهليه حصة عليه ، وما أعظم جناية المسلم الذي يقيم من أعماله الفاسدة حجة على دينه الصحيح ، وما أشتنع جريمة المسلم الذي يعرض - بسوء عمله - دينه الطاهر النقي للزراية والاحتقار *

أيها المسلمون الجزائريون :

في كل علم تفتنون في دينكم مرتين ، تفتخلون في الصوم احتلافا شنيعا وتفترون في الأسيار تفرقا أشنع ، وكما جاء شهر رمضان الذي تصفد فيه الشياطين - انملقت من بينكم شياطين تدعوكم إلى التفرق في شعيرة لم تشروع إلا للحمص ، وتزين لكم الاختلاف في الدين باسم الفقه في الدين *

ولم كان تفرقكم في الصوم والافطار مبنيا على اعتبار صحيح وعلى أسباب ضرورية - كعدم العلم بالرؤية مثلا - لئان الأمر وإن كان لكم بعض العذر ، ولكنه ، في الأغلب مبنى على حمود ، وعناد مقصود ، وتمحلات فقهية لا ترجع إلى مستند صحيح من نص ، ولا إلى برهان صريح من علم ، ثم انتهى بكم العناد واللجاج إلى شر ما تقع عليه العين من تفرق واختلاف وهو أن البيت الواحد يضم صائمين ومفطرين فضلا عن القرية الواحدة ، والصائم يرعى المفطر بالمونقات والمفطر يرعى الصائم بالشناعات ويبين هذين ضاعفت احمرمة الحقيقية والحكمة الحقيقية ، وبين المبطلون الخصاص والمبطان تتكافئ المعاني العالية التي هوأها الإسلام فيما شروح من صوم وشرع من افطار ويضعف احساس الرحمة والاحسان وتطفئ بشاشة العبد ويهتجه وأشراقه ، ويجف ما يقبض به على المسلمين من خير وانس وتسامح وحب فانطروا - رحمة الله - إلى ما يبقى ذلك الخلاف في نفوسكم من جزازات وعداوات وتقسيع لما أمر الله به أن يوحد من أخوة الإسلام *

إن التفرق في الصوم يذهب بجلال الصوم وحكمته *

وإن التفرق في العيد يذهب بجمال العيد وبهجته *

وإن الله تعالى ما شرع هذه الشعائر عيلاً وإنما شرعها لحكمة جليلة أعلاها جمع الأمة على لبنين : لتحتج في شؤونها الدنيوية ، وتوحيدها في عبادة الله ، لتتربى على الاتحاد في مصالحها العامة المشتركة *

يا لمحب أيكون الشهر الذي جعله الله مقبياً للكرادات ، ومشهداً للنعائم ومحطراً للأرواح ومبهاً لنفحات الخير والرحمة والمحبة - سبياً للفسور والمصنف ومؤيداً للمغصاء والداوة ؟
اتجعلون من هذا الشهر أذى جعله الله جامعاً بلقوب على الأحرار والأرواح على أظهر والمشاعر على الأحسان - وسيلة إلى التعريق والتشتيت ؟

أيها المسلمون :

هذا شهر رمضان على الأبواب فاحيوا في نفوسكم جميع معانيه الدينية والاجتماعية وابتدؤا لتحقيق ذلك بالاتحاد في صومه والاتحاد في الخروج منه وأظهروا في هذين اليومين بالمظهر الشريف لدينكم ولجامعتكم ، واجتمعوا على اسرور بعقده وعلى الإبتهاج بوداعه ، واعلموا أن للاتحاد هبة ، وإن في الاجتماع قوة وسطوة فاستجلوا هذه المعاني في مظاهر دينكم ، واستغلوا ثمراتها في ظواهر دنياكم *

لا عذر لكم في الاختلاف في هذا الزمن الذي قارب بين أجزاء الأرض وقرب بين أفسران البشر وسهل نقل الأخبار وصحح مقاييس العلم وضبط موازين الأشياء وأحكم الاتصال بين الناس وأعان على مهم الحفاظ الدينية *

لا تجعلوا الحدود الإقليمية التي وضعها المخلوق ، حدوداً فارقة في الشعائر التي وضعها الخالق ، ولا ترتابوا في أخبار التليفزيون إذا عرفت الصوت وتمتد المناقل ، ولا ترتابوا في أخبار الإذاعة فأنها تمنع من أن يتطرق إليها الخلل في هذا الباب وأنها لا تنزع إلا ما تقدمه لها الهيئات الشرعية *

لا تلتفتوا إلى شبهة تباعد الأضراس فكثيراً ما يكون يوم عييد الأصمى يعني هو يوم عيد الأصمى معنا يشهاده الصحاح منكم وبينكم وبين مني آلاف الأميال صوموا وافطروا على الأخبار التليفزيونية من الثقافات المعروفة إلى الثقافات المعروفة من جميع أجزاء الشمال الأفريقي *

صوموا وافطروا على أخبار إذاعة ترانس ، فما ترفض إلا جارة قسنطينة وعلى أخبار إذاعة الرباط فما الرباط إلا جارة وهران ، وعلى أخبار إذاعة الجزائر فما الجزائر إلا قلب هذا الشمال الإسلامي العربي *

لا تتراخوا في أداء الشهادة برؤية الهلال وتعميمها بجميع الوسائل واقواها واسرعها التليغون *

لا تسمعوا كلام الجاهلين انذين يسولون لكم لخلاف في الدين باسم الدين ويطعنون في رؤية تونس أو فاس أو قسنطينة ويضيفون عليكم ما وسع الله ، لا تقلدوا بعض الفقهاء الجامدين الذين يريدون أن يحتكروا التصرف في المصوم والافطار ويفرقوا كلمة الامنة بجمودهم وجهلهم واعلموا ان الله تعالى لم يكل هذا الامر اليهم في كتاب ولا سنة ولا ورثه هن ساف وانما الشأن كله لجماعة المسلمين ولكن جماعة المسلمين اضعوا هذا الحق من أيديهم فتسد . عليه قوم لسم يجعل الله لهم الحكم فيه ففعلوا لانفسهم التحكم عليه *

ان جمعية العلماء ستقوم برأبها كالعادة فتتلقى الاخبار وتعممها بما تملك من وسائل التعميم ، وتعاون مع جميع الهيئات في القيام بهذا الواجب *



ماذا يجب على (قضاة الاهلة) في العالم الاسلامي الشيخ بخيت مفتي الديار المصرية الاسبق

حاء في كتاب (ارشاد اهل المنة ، الى اثبات الاهلة) لصاحب الفصيلة العلامة الشيخ بخيت
مفتي الديار المصرية السابق ما يأتي :

« ... الواجب على القاضي انظر في حال الشهود بعد تحقق عد التهم وتيقظهم ويراهم
من الريبة والبهمة ، وسلامة حواسهم وحدة نظرم ، وسلامة الافق ومحل الهلال مما يشوش
الرؤية ، ومعرفة منزلة الهلال التي يطلع فيها ، وما يقتضيه الحساب من امكان رؤيته وعدمها
(فان الشهود به شرطه الامكان) فإذا دل الحساب على عدم امكان الرؤية واخير مخير برؤيتها ،
فالخبر يحتدل الصدق والكتب ، والكتب يحتمس التعمد والغلط ، ولكل منهما أسباب لا تنحصر .
« فليس من الرشده قبول الخبر المحتمل لذلك ، أو الشهادة به مع عدم الامكان ، لان اشرع
لا يأتي بالمستحيلات . وهذه المسألة لم نخدمها مسطورة فتعقبتنا فيها وراينا فيها عدم قبول الشهادة ،
وانما سكت الفقهاء عنها لانها نادرة الوقوع . ولما وقعت في هذا الزمان احتجتنا الى الكلام فيها ،
وقد راينا من يرتق بفعله ودينه يغلط في رؤية الهلال كثيرا . (وسمعنا عن بعض الجهال) انه يقصد
التبين بالشهادة بذلك ، ويعتقد ان له بذلك اجر من صام بفعله . (وسمعنا عن بعض السفهاء)
انه يقصد بذلك ترويج تزكياته وثبوت عدالته ، ولئلا أغراض مختلفة !

« فإذا سلمت البيئة من هذه الامور كلها ، وسلم موضع الهلال من المرائع وخاصة بان
احلتها يدلين قام عندها ، لم نقبل تلك الشهادة وحملناها على الغلط أو الكذب ، ولم تكن بذلك
خارجين عن القانون الشرعي ، لان دلالة الحساب القطعي أو القريب من القطعي على عدم الامكان
اقوى من الريبة ، والريبة موجبة لرد الشهادة ، فاعتقاد عدم الامكان كذلك أو اقوى ، ومقصودنا
بذلك القطع بردما .

« ويبيى لقاضى أن يكون له حظ في معرفة علم الهيئة أو يقلد من يشق به في ذلك ليكون
على بصيرة مما يقبل في ذلك أو يرد ، ولا يتصرع ... » انتهى كلام العلامة لارجوم الشيخ بخيت
مفتي الديار المصرية السابق (1) .

(2) نقلا عن جريدة النهضة التونسية بقلم الشيخ محمد الطيبى التونسي الازهرى .

رأى المرحوم الأستاذ علال الفاسي في العمل بالحساب الفلكي في الصوم والافطار

يقول الأستاذ علال الفاسي في كتابه « الجواب الصحيح والنصح الخالص عن نازلة فاس وما يتعلق بمبدأ التهجور الإسلامية العربية » :

هل يعمل بالحساب ؟

لا نحب أن نطيل بحكاية آراء فقهاءنا في الموضوع فقد عرف مما ذكره القرافي في الفروق في الفرق الثاني بعد المائة أن في الموضوع قولين عند المالكية وعند الشافعية وأن المشهور في الملهين عدم اعتبار الحساب فإذا دل حساب تسيير الكواكب على خروج الهلال من الشعاع من جهة علم الهيئة لا يجب الصوم • قال سنده من اصحابنا :

ولو كان الامام يرى الحساب قائمت الهلال به لم ينتج لاحكام السلف على خلافه مع ان حساب
الاحلة والكسوفات والحسوفات قطعي --- والفروق ان الله نصب زول الشمس سببا لوجوب الطهر
وكذلك بقية الاوقات ، ولم ينصب نفس غروب الهلال من شماع الشمس سببا للصوم *

وقول الشيخ خليل لا يقول منجم وتعليق الشراح عليه ، شهر لا يطيل بجله ، والخلاصة
ان المشهور الاكثر في كل مذهب من مذاهب الفقهاء هو القول بعدم العمل بالحساب ، وهم
يستنبطون قولهم هذا من فهمهم للحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله
بن عمر رضي الله عنهما « انا امة امية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا ، وعقد
الايام في الثالثة يعني تسما وعشرين يسوما ، » والشهر هكذا وهكذا وهكذا ، » ولم يمتد
تمام الثلاثين ، » والقصود ان الشهر لا يخرج من هذين الامرين ، اما ان يكون تسعة وعشرين
واما ان يكون ثلاثين ، وليس كما يقول اهل الحساب والحجج لان الشهر دائما عندهم تسعة
وعشرون يوما وكفى ، فاذا نحن قسمنا ايام السنة القمرية وهي 354 وخمسة يوم وسدسه على عدد
الشهور 12 ، كان كل شهر 29 وشيئا وبما ان الشهر يحتج مع الشمس في كل شهر مرة فاذا
فارقتها فهو اول اشهر عندهم الى ان ينتهي الى مثل تلك الحانة ، وقد يكون ذلك في اثنا النهار ،
وقد يكون في اثنا الليل ، فابطل النبي اعتياد ذلك ، وجعل ما بعد مفارقتها الشمس الى تمام
29 من الشهر القديم ان روى اثر الى تمام الثلاثين ان لم ير ، قاله تقي الدين السبكي في العلم
المشور *

والحديث يقرر حالة واقعة على ان العرب لم تكن في معظمها تعرف من القراءة والحساب ما
يؤهلها لاتخاذ نظام مبني عليهما في مرفسة الاشهر - فائق الضارح التيسير بان جعل الشهر
متوطا بالثبوت واعتبر الفقهاء العمل بقتضى هذا الملة الى عدم العلم بالحساب حتى لو زالت حالة
الامية عن الامة الاسلامية ، قال في الفتح : « ولم يكونوا يعرفون من ذلك ايضا الا النزول اليسير
تعلق الحكم بالصوم وغيره بالثبوت برفع المرجع عنهم في معاناة حساب التيسير واستمر الحكم
في الصوم ولو حدث بعدهم من يعرف ذلك بل طاهر السياق يعني تعلق الحكم بالحساب اصلا
بوضعه قوله في الحديث السابق فان غم عليكم فاكلوا المنة ثلاثين ، ولم يقل فاكلوا اهل
الحساب ، والمثلة فيه كون العدد عند الاعساء يستوفيه المكملون لثلاثين فيرفع الخلاف والنزاع عنهم ،
وقد ذهب قوم الى الرجوع الى اهل التيسير في ذلك وهم الروافض *

وبدل عن بعض المعها، موافقهم قال الباكي : واجماع السلف الصالحين عليهم قال ابن يزيرة
وهو مذهب باطل فقد نهت الشريعة عن الخوض في علم الجيوم لأنها حدىس وتحين ليس فيها قطع
ولا ظن غائب مع انه لو ارتبط بها الامر لضاق اذلا يعرفها الا القليل » .

النتيجة

والنتيجة ان المشهور في كل مذهب هو القول بعدم العمل بالحساب في الصوم والافطسار
وغيرهما من المواسم والاعياد . والسبب في انتشار القول بذلك امور :

1) فهم الحديث على ان المقصود به المسح مطلقا من العمل بالحساب في الصوم ، وان الرؤية
هى الامارة الشرعية الواحدة حتى ولو تعدلت الاحوال .

2) الخوف من الوقوع فيما وقع فيه البابليون وقدماء الامم الذين خالطوا التهم والخلط
بين عبادة الجيوم والسحر بها ، وبين استعمال الحساب والرصد لفائدة المعرفة وتدقيق السنين
والحساب .

3) كون الاغلبية الساحقة في العصور الاولى ، بل جميع الامم فيما قبل العصر العباسي
كانت بعيدة عن إتقان العلكيات . حتى تستفيد منها .

وقد تطورت الاحوال وبقي معظم علمائنا على القول بما قاله به الاولون الا فئة يسيرة ممن
أعملوا رأيهم من العلماء في كل عصر ، من بينهم العلامة ابن دقيق العيد فقد قال في شرح عمدة
الاسكاف : « والذى أقول به ان الحساب لا يجوز ان يحدد عليه بمسابقة القمر للشمس على ما يراه
المجوس من تقدم الشهر بالحساب على الشهر بالرؤية بيوم أو يومين فان ذلك احدث لسبب
لم يشعره الله تعالى ، واما اذا دل الحساب على ان الهلال قد طلع من الاتفاق على وجه يرى لو لا
وجود المانع كالغيوم مثلا فهذا يقتضى الوجوب لوجود الحساب الشرعى ، وليس حقيقة الرؤية
بمشروطة في الزوم لان الاتفاق على ان المحسوس في المظنورة اذا علم بالحساب باكمال الصفة
او بالاجتهاد بالامارات وجب عليه الصوم وان لم ير الهلال ولا احببه من رآه » .

ومن بينهم الشيخ الاكبر محيى الدين بن عربى الحنفي فقد قال في الفتوحات المكية واختلف
العلماء اذا غم الهلال فقال الاكثرون تكمل المدة ثلاثين فان كان النى عم هلال اول الشهر عسب
الشهر الذى قبله ثلاثين وكان اول رمضان الحادى والثلاثين . وان كان النى عم هلال آخر الشهر

أصغر شهر رمضان صام الناس ثلاثين يوماً * ومن قائل إن كان الخضر حلال أول الشهر صام اليوم الثاني وهو يوم الشك * ومن عائل إن ذلك يرجع إلى الحساب بتسيير القمر والشمس وهو مذهب ابن السكيت ، وبه أقول *

وأذن فالقول باعتبار الحساب هو مذهب مطرف بن عبد الله بن الشخير من أعيان التابعين وابن سريج ، والشامي في إحدى المقولات عنه * ومحمد بن مقاتل الرازي وقال به بعض المالكية * وهو مذهب ابن طائوس من الإمامية ، وحكوه عن جماعة منهم كما يؤخذ من كتاب « مسرج المهوم في نهج الحلال والحرام من علم النجوم » لابن طائوس وكذلك العامل في الحل المتين ، وإليه ما إن ابن أبي الحديد في نهج البلاغة *

وقد رأيت أن ابن عربي الحاملي نقله عن ابن الشخير وقال به ، ونفع مناخه واختاره العلامة ابن دقيق العيد * وقد ألف من العلماء المتأخرين الأستاذ العلامة المرحوم صديق الشيخ أحمد شاذي رسالة في إنبات العمل بالحساب مستنداً بنصوص الأئمة الذين قالوا به من قبل * وكتب أحمد بن الصديق الفخاري من المعارضة رسالة سماها « توجيه الأنظار لتوجيه المسلمين في الصوم والافطار » قال فيها بالعمل بالحساب بشرطين :

١) أن يكون الخضر يترك من أهل الحساب جماعة متعددة يؤمن منهم الخطأ ويحصل العلم أو العقل القوي من آهاتهم على عدم الخطأ في الحساب *

٢) والثاني أن يكون ذلك في حالة القيم لا في حالة الصحو *

واختار السيد أبو العلا أئمة أن يشأ جهاز حسابي فلكي يعمل على ضوء الشريعة الإسلامية لمعوم بحساب جداول عامة لجميع المسلمين في بقاع الأرض لأوقات الصلوات الخمس وضبط أحوال رؤية الهلال في جميع البلاد المهمة التي لم تأخذ حسابها من هذه الجداول العامة والتي لم تسخر الوضع القبلية ، وإن تبعد النتائج التي لم تأخذ حسابها من هذه الجداول العامة والتي لم تسخر الوضع الهلال في حساب أول الشهر القمري * وإن تراعى حدود الرؤية لدى أي الامكان والتوجب في إبعاد حكومة إسلامية تحسو العرب وهي مراكز في النتائج التي تنشر حتى تكون هلالية عالمية بحيث إذا بين الحساب حالة إمكان الرؤية وعدم وقوعها يرجى تعيين أول الشهر بيوم الاثنين أو الثلاثاء مثلاً ويترك الأمر لنفس الرؤية العملية ويترك على ذلك في أول الصفحة الموافقة لأول الشهر من النتيجة *

واجب الخصاص

الذي اعتقده ان الحديث « انا لمة امية لا تقرأ ولا تحسب » « خرج مخرج الكلام المثل وهو ان العرب بل الذين كانوا في عصر النبي (ص) من ام العالم لم يكونوا على درجة من العلم يجعل نتائج حساباتهم قطعية بل كانت مقدمات الحساب الملکی لاثبات الشهور قبل الاسلام والى حيازة النبي (ص) ظنية غير متقة الاحتاج كما تدل على ذلك بقايا خصوص العنکبن القديمة اما اليوم فقد تطورت حال معرفة المسلم للعلم ، ومنذ العصر العباسي وعلماؤنا يعاطون هذا العلم ، وانضمت اليه الدراسات المصرية - فلم يعد من الممكن القول بان النتائج الحسابية ظنية - بل هي قطعية. بقدر ما تكون الرياضيات قطعية .

وعليه فما دام الحكم قد خرج معللا ، ومادامت العلة قد انتفت أي اسأ لم تعد امة ميسة بل اصحنا نقرأ ونحسب فقد ارشدنا الحديث الى العمل بالحساب طبقا للقاعدة الاصولية التي تقول : العلة تدور مع المعلوم وجودا وعمدا ، ولا عبرة بادعاء ان الحكم يبقى مستمرا حتى بعد تغير الاحوال لانه لا دليل عليه - وايضا فانه (ص) قال في الحديث « فان غم عليكم فافقدوا له ، وقد فسره الشراح بمعنى حذروا له التقدير الحسابي ، وقال عليه السلام في الرواية الاخرى « فاكلوا الامة ثلاثين فحسب صلى الله عليه وسلم بين حال من يعرف الحساب وحال من لا يعرف - فالاية في حال قصورها العلى تعتمد الرؤية المضي تسهيلات الناس - فاذا كانوا قد تعلموا واصبح في مقدور المختصين منهم ان يثبتوا لهم وسائيل التقدير الحسابي فليعلم ان يصلوا بالحساب في الصوم كما عملوا به في الصلاة تحقيقا لقوله تعالى : « والذين كفروا متنازل » « « تعلموا عند الستين والحساب » .

نعم يجب ان نحقق المناط طبقا لما فصله العلامة اس دقيق العيد فنقول : ان الحساب الذي نعتمد هو الذي يدل على ان الهلال قد طلع من الافق على وجه يرى لو لا وجود المانع كالقيام مثلا فهذا يقتضي الوجود السبب الشرعي ولا تعتبر حقيقة الرؤية مشروطة اما الحساب بفسارقة القمر للشمس على ما يراء المنجوق من تقدم الشهر بالحساب على الشهر بالرؤية يسوم او يومين فهذا ما لا اقول به لانه احداث لسبب لم يشره الله تعالى فانا متفق تماما مع رأي الامام ابن دقيق العيد رحمه الله .

وقد اثبت البحث الحديث صحة هذه النظرية التي نظرها هذا العالم السلفي رحمه الله لانه بين اختصاص كل قوم او دولة بنوع من انواع الحساب الفلكي مكان اهل ما وراء النهرين وبعض اليهود ماهرين في الحساب العنكي لكرتي الشمس والقمر الظاهرية الحقيقية وهو ما يسمى بالحساب الفلكي للاجتماع الحقيقي + وكان بعض الفلكيون بالحساب للاجتماع الوسطي والهلان الوسطي - وكان العرب يكتفون برؤية الهلال نفسه او مراقبة النجوم دون معرفة اى حساب + وبعضهم كان يعرفه بالحساب الوسطي دون جبر الكسر فيكون الشهر 29 يوما وكسرا دائما من الاجتماع الى الاجتماع دون مبالاة بساعة اليد. من ليل او نهار وبعضهم كان يجبر الكسر ويجعل احرم 30 يوما وصفر 29 يوما وهكذا + قال الاستاذ البيا : ولما جاء الاسلام امر النبي (ص) اليد بالوضع الهلال الحقيقي وبطل البلد + بالوضع الاجتماعي الحقيقي والوسطي + كما ابطل + البلد بالوضع الهلال الوسطي + اذ امر اصحابه بالتباس الرؤية وقال + صوموا لرؤيته الحديث + ويكون بذلك ايضا التي اعتماد معرفة الشهر بمراقبة النجوم لما فيه من التقريب كما ان معرفة بحساب الاجتماع الحقيقي او الوسطي لانه يقدم الشهر على الرؤية يوما او يومين في الاقل + قال : + وقوله (ص) انا امة امية لا تكتب ولا تحسب اشارة الى ما ثبت من ان الحساب لوقت الرؤية كان غير معروف في العالم كله كما دلت الآثار والاحاديث على انه لم يتقن مع تحديده مكان الرؤية وزمانها ومعرفة حالاتها من امكان مع خدا + او مير بيان ووضوح الا في العصر المباسي + (2)

(1) كتاب + الحواب الصحيح من صفحة 28 الى صفحة 33 +

تحديد وتوحيد العمل بالشهور
وأيام المناسبات الإسلامية
مثل أيام الصوم والفطر والحج والأعياد وغيرها

انه لما يبعث على الحيرة حقاً أن موضوع
« تحديد وتوحيد العمل بالشهور وأيام المناسبات
الإسلامية مثل أيام الصوم والفطر والحج والأعياد
وبغيرها » * أصبح موضوعاً تقليدياً يطرح في
أغلب المؤتمرات الإسلامية ، ويتناوله الباحثون
الإجلاء بعمق وإيمان ، إلا أنهم لم يستطيعوا منذ
عشرات السنين التي مرت على هذه المؤتمرات أن
يتوصلوا إلى حل يشائنه ، يوفقون من خذله بين
رأى الشرع ورأى العلم بهذا الصدد * ولعل
السبب في ذلك أن القراء السديدة حول هذا
الموضوع تكثر من مؤتمر إلى آخر ، في الوقت
الذي لا يكون فيه هذا الموضوع هو وحده المخرج
على جدول الأعمال ، بل تكون هناك موضوعات
كثيرة ، ومع هذه الكثرة في الموضوعات ، إلى
جانب الكثرة في القراء *

الشيخ حسن خالد
مفتي الجمهورية اللبنانية

بقي هذا الموضوع عبر سنوات طويلة بلا حل ولا نتيجة ، مما ساعد على الاختلاف ، والتحيز في تقرير الموقف عند كل مناسبة اسلامية تعتمد على تحديد اواصل الشهور العربية .

الا ان اذى يجعلنا نتعامل بالوصول الى نتيجة نهائية في هذا المؤتمر بالذات هو ان هذا المؤتمر الكريم ، لم يدرج على جدول اعماله من الموضوعات الشرعية سوى هذا الموضوع وحده ، اما الموضوعان الاخران فهما موضوعان تطبيقيان ، وهذا يشكل فرصة صيبة لنا لتفكر في هذا الموضوع وحده ، لنصل فيه الى نتيجة تحرح المسلمين مما يقعون فيه اليوم من حيرة في حتمياتهم الاسلامية المختلفة .

ان مشأ هذه الحيرة هو عدم وضوح قدرتنا على اتخويز من رأى الشرع في تحديد اواصل الشهور ورأى العلم بهذا الشأن .

ان المسألة ما زالت تطرح بهذا الشكل كأن هناك انفصالا بين الشريعة والعلم ، كأن هذه القوانين العلمية الثابتة ليست من حق الله جس ، وعلا .

انه لا بد لنا ان نقرر في مطلع هذه الكلمة ان كل ما هو شرعى قطعى هو علمى ، وان كل ما هو علمى قطعى هو شرعى .

لنا كثيرا ما نرد ان الاسلام هو دين العقل ، ولكن او ليس العقل هو هذه القرة التي خلقها الله لنا لسان به على وحاب الحياة نفيدها بما نجمعه لانفسنا من معارف ، وما نصيبه من اساليب ونظمة فكرية وعلمية .

ان في القرآن انى ادعرات لسلاخذ ياسباب العلم ، يقول تعالى ، « وفي الارض آيات للمؤمنين ، وفي اسكنم اعلا تيصرون » .

انها دعوة صريحة من الله سبحانه وتعالى لناخذ ما في الارض وما حولها منطقا لمعرفة بيقينية ، ولناخذ من نفوسنا وعقولنا وسيلة فتوصلها لمل هذا اليقين .

وقال تعالى : « هل يستوى الذين ينمون والذين لا يعلمون » وقال جل شانه « وما يستوى الاعشى والبصير » ولا الطلمات ولا البرر ، ولا لطل ولا الحرور .

فانما كان الله سبحانه وتعالى قد حشا على العلم في اماكن كثيرة ، واذا كانت احاديث اعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم هي كثيرة ايضا فقد اصبح اعلم من صلب الشريعة الاسلامية المراد ، لدرجة يخشى منها ان يصبح رفض العلم شكلا من اشكال رفض الشريعة .

اننا قل ان نستلرد في هذه التامية نرى لزاما علينا ان نذكر موقف الشرع من تحديد اواصل الشهور تما للذاهب الاسلامية .

يرى الاحناف في ظاهر مذهبهم ان اختلاف المطالع لا يؤثر ولا يعتبر ، هذا ثبت في مصر لرم الناس جميعا ، وذلك لعموم الخطاب في قوله صلى الله عليه وسلم ، « صوموا » معلقا بمطلق الرؤية في قوله « لرؤيته » وبرؤية قوم اياه يصدق اسم الرؤية فيثبت ما تعلق به من عموم الحكم فيجمع الوجوب .

ويرى كثير من المالكية ايضا (ان رؤية الهلال في بلد من البلدان سبب لوجوب الصوم على جميع اقسام الارض) .

واما الحنابلة فمذهبهم ان الصالح غير معتبرة ، قال ابن قدامة في المعنى (ج 3 صفحة 7) « وان رأى الهلال اهل بلد لمزم جميع البلاد للصوم وهو قول الليث وبعض اصحاب الشافعي كالقاضي ابي الطيب » .

وهكذا مان في المذاهب الاربعة مندوحة للاخذ بهذا الرأي ، وان كان ثمة مخالفون لهم . وذلك لان المصلحة الانية هي في ان يشترك المسلمون كافة في جميع اقطارهم في عبادة الصوم والحج ، وفي جميع اعيادهم ومواسمهم الدينية نظرا لما يترتب على هذا التوافق من معاني المشتركة ومساير النعائر التي يشتد اعتقاد المسلمين لحي في هذه الايام الحسنية . يضاف الى ذلك ان العالم كله متفق على وحدة الحساب الشمسي للاشهر وغسبم اختلاف مطالع الشمس ومسايقها واختلاف التوقيت اليومي بين كثير من البلدان ، والله تعالى قد جمع بين الشمس والقمر في الحكم حيث اثبت له ما اثبت لها ، وذلك في قوله « الشمس والقمر يحسبان » لهذا كله فاما نمى الى الاخذ بالرأى القائل بعدم اعتبار المطالع .

الا ان الاختلاف الاساسي في تمديد اوائل الشهور يعود الى الجدل القائم حول اعتماد الرؤية في ذلك او اعتماد علم الحساب عرضا عن الرؤية .

قد صرح الاحناف بوجوب التماس الهلال ليلة الثلاثين من شعبان فان رآه صاموا ، والا كملوا العدة ، فاعيدوا الرؤية او اكمل العدة اتباعا للاحاديث الامرة بذلك دين الحساب . وقد اتفقت عبارات ائمة اهل السنة على قولهم : يثبت رمضان برؤية هلاله وبعد شعبان ثلاثين ، ومقاهيم الكتب معتبرة . فيفهم منها انه لا يثبت بخير هذين .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « صوموا لرؤيته ، وافطروا لرؤيته » ، وقال ، « وان غم عليكم فاعيدوا العدة » وقال : « من امة امية لا تكتب ولا تحسب وفي الدر المختار : « ولا عبسة بقول المؤقتين ولو عدولا » ١ - هـ (رسائل ابن عابدين 244 - 245) ومن الرسائل ايضا 253 : ان المول عليه والواجب الرجوع الى في مذاهب الائمة الاربعة المجتهدين كما هو لحرر في كتب اتباعهم المعتمدين :

٢ - ان اثبات هلال رمضان لا يكون الا بالرؤية ليلا او باكمال عدة شعبان * وانه لا تعتبر رؤيته في النهار حق ووقيل الروال على المختار *

2 - وان لا يعتمد على ما يخبر به اهل الحياض والحساب والتعظيم لمصلحته شريعة نبينا عليه السلام *

3 - وانه لا عبرة باختلاف المطابع في الاقطار الا عند الشافعي *

ويرى اشافعية ان من عرف منازل القمر لا يلزمه الصوم به في اصبح الوجهين * وقال في التهذيب لا يجوز تقليد المنجم في حساب له في الصوم ولا في الاقطار * وذكر ان الحواش اختار ابن شريح والفتال *

وقال ابن دقيق العيد : الذي اقره ان الحساب لا يجوز ان يعتمد عليه في الصوم لمقارنة لعمر للشمس على ما يراه النجوم ، هاهم قد يقسمون الشهر بالحساب على الرؤية بيوم او يومين - وفي اعتبار ذلك أحداث شرع لم يأت به الله - واما اذا دل الحساب على ان الهلال قد طلع على وجه يرى - لكن وجد مانع من رؤيته كالغيمة ، فهذا يقتضي الوجوب لوجود السبب الشرعي * قلت لكن يتوقف قبول ذلك على مسدق المحير به ، ولا نجزم بصدقه الا لو شاهد * والحال انه لم يشاهد فلا اعتبار بقوله * (الوجيز للغزالي على هامش المجموع ج 6 صفحة 266) *

وقال المبكي وغيره من الشافعية : لو شهد عدلان برؤية الهلال وقال اهل الحساب لا يمكن رؤيته مطلقا لا تقبل الشهادة لان الحساب امر قطعي ، والشهادة ظنية * والطن لا يعارضه انقطع * ونازع في ذلك بعض الشافعية (الخطاب على مختصر الخليل ج 2 صفحة 387 - 388) *

اما الملكية فلا يلتفتون لقول اهل الحساب في هذه الصورة وقد روى ابن نافع عن مالك في الامام الذي يعتمد على الحساب انه لا يقتدى به ولا يتبع (1) *

ومن ادلتهم ان صاحب الشرع لم ينصب خروج الامة من الشعاع سببا للصوم ، وان كان قد نصب زوال الشمس سببا لوجوب الظهور وكذلك بقية الاقواف لقوله تعالى : (اقم الصلاة لملوك الشمس) اي لاجله وكذلك قوله تعالى : (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) وله الحمد في السماوات والارض وعشيا وحين تظهرون * قال المفسرون : هذا خير معناه الامر بانصلوات في هذه الاوقات *

بل ان صاحب الشرع نصب رؤية الهلال خارجا من شعاع الشمس سببا فانما لم تحصل الرؤية ، لم يحصل السبب الشرعي ، فلا يثبت الحكم بذليل قوله صلى الله عليه وسلم : * صوموا

(1) ثم دل الفراهي ان المالكية تولى مذهبهم كالصلاة وهو ثقة حسن فيما نقل *

لرؤيته وانظروا لرؤيته ، ولم يقل لخروج الهلال عن شعاع الشمس . كما هاله تعالى اقسام الصلاة لدنوك الشمس ، ثم قال : « فان غم عليكم » اي خايت عيكم رؤيته « فاقدموا له » وفي رواية « فاكملوا العدة ثلاثين » . فنصب رؤيته لهلال او اكمل العدة ثلاثين . ولم يعمرس لخروج الهلال عن الشعاع واما قوله تعالى « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » فلا دلالة فيه على هذا المطلب .

قال ابو علي ان (شهد) لها ثلاث « مان » : شهد بمعنى حضر او بمعنى عم او بمعنى اشير وهي هنا في الآية بمعنى حضر . وادا كان المعنى هذا ، لم يكن فيه دلالة على اعتبار الرؤية ولا على اعتبار الحساب . ولهذا قال الفقهاء : ان كان هذا الحساب غير مضبوط فلا عبرة فيه ، وان كان منضبطا لكن لم ينصبه صاحب اشرع سيما فلم يجب به الصوم .

واما المناهضة فقد نقل في (كشف القناع على متن الاقتراح ح ٣ صفحة 392) من ابن عقيل « البعد مانع كالغيم فيجب على كل حنثلي يصوم مع الغيم ان يصوم مع البعد لاحتماله » قال ابن قندس « البعد الذي يحول بينه وبين رؤية الهلال كالظلم والسمج ومن بينه وبين المطلع شيء يحول كالجبل ونحوه » . ون نواه اي صوم الثلاثين من شعبان (بلا مستند شرعي) من رؤية هلاله او اكمل شعبان او يحول غيم او قتر او نحوه ، كان صامه لحساب ، وتجوم ولو كثرت اصابتها او مع صوم فيان منه لم يجزئ صومه لعدم استناده لما يحول عليه شرعا .

الا اننا بالرغم من هذه الآراء الجنبلة ينبغي ان نمالج موضوع الاحد بالحساب على ضوء ما حققه هذا العلم من انجازات رائعة في « عصورنا الحديثة » انطلاقا مما جاء في كتاب الله الكريم من آيات بينات في هذا المعنى .

يقول تعالى : « هو الذي جعل الشمس ضياء ، والقمر نورا ، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » ما خلق الله ذلك الا بالحق . فنصل الآيات لقوم يعلمون .

لقد قال تعالى « وقدره منازل » ليبين ان هذا التقدير ، انما هو قدر معلوم من الله ، وقياس للزمان يجري بقوانين خلقها الله ، وما هذه وتلك الا موضوع للمعلم .

وقال : « لتعلموا عدد السنين والحساب » ليعرفنا بأنه بقدرنا ان نستفيد من هذا التقدير بالمنازل عدد السنين والحساب مما يشعروا بان الحساب امر خافض وجدير باهتمامنا ، وانذا كان الحساب قد اصبح في عصرنا يمثل ما يقرب عنه من الضبط وادقة فلم لا يكون معتقدا لاسر شرعي ؟ .

واذا اضعنا الى ذلك الحديث الشريف الغائل « انما امة امية لا تكتب ولا تحسب فصوروا لرؤيته وانظروا لرؤيته فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » . وايضا في هذا الحديث

الشريف تصميماً للمعنى الذي يقرب أن الأمة التي تكتب وتحسب يمكنها أن تعتمد الكتابة والحساب في تحديد أوائل الشهور *

إن العلم ليس من خلق الإنسان ، وإن كان الإنسان هو الذي يعلم ، إن العلم هو عبارة عن جملة هذه القوانين الثابتة التي خلقها الله في هذا الكون ، وبور الإنسان هو في اكتشاف هذه القوانين وليس في خلقها ، إن العلم أنشأ هو في هذا التوجه الانساني ، إلى هذه الظواهر الالهية في هذا الكون للانفعال بها وتفسيرها لمصلحته ومن هنا قلنا إن كل ما هو علمي هو شرعي وإن كل ما هو شرعي هو علمي *

إننا إذا كنا نأخذ بالحساب العلوم الحديثة في أدق دقائق حياتنا ، في الطب ، وفي التربية ، وفي الاجتماع ، وفي الاقتصاد وما إلى ذلك ، فإن هذه العلوم التي تأخذ بها هي أقل دقة من علم الحساب ، أن منطق العلوم يجعل الحساب هو أعلم الأكثر دقة بين العلوم جميعاً ، وهو العلم الذي تمتد عليه باقي العلوم *

ومن المعلوم أن شريعتنا انفراد تقوم في أكثرها على الحساب تأخذ به كعلم شرعي نعتق به في عبادتنا ومعاملتنا ، فآوقات الصلاة تعتمد في سبيل تحديدها على علم الحساب ، وآليات الميراث وتوزيع الحصص الارثية تعتمد في سبيل قرارها على الحساب *

وبعد فلماذا نعرض الرؤية حتى اليوم على أنها رؤية بالعين ، أو نفس كلفة شاهد بمعنى حصر *

لقد قال ابن علي كما أشرنا أن (شاهد) في قوله « من شهد منكم الشهر فليصمه » لها ثلاث معانٍ من منها أنها بمعنى علم ... فلماذا لا يكون لحلم هو المعنى الذي تأخذ به طالباً هو المعنى الذي يوحّد ما بيننا ويجعلنا يحقّ أمّة واحدة مصداقاً لقوله تعالى « أن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » *

إن هناك أسباباً كثيرة تلزمنا بأن تأخذ بالسبب الذي يجعل موقفاً واحداً في هذا الموضوع على رأسه يأتي السبب الشرعي الذي يأمرنا لله تعالى من خلاله أن نكون أمة واحدة -
إن التقلّد الذي وصلنا إليه ، يتغيّر إن يدعونا إلى كثير من التماس والتحرّك بتخطي هذا الواقع المختلف *

لكنني أريد أن أقولها صريحة ، إننا في لبنان نعتد على الرؤية في إثبات الهلال إلا أن ذلك حمل فئة من المسلمين يبدؤون صومهم في يوم وقته من مذهب آخر يبدؤون صومهم في يوم آخر إن هذا يحدث في بلد واحد ، وبين أبناء شعب واحد ولدى أتباع دين واحد *

واننى اقترح للخروج من هذا الاحراج ان يصار الى انشاء مركز اسلامى علمى تديره جامعة
القول العريمة ، وليكن هذا المركز فى مكة المكرمة نظرا لمكانتها الاسلامية الكبرى ، على ان ياحسد
هذا المركز على عاتقه امر تحديد وتوحيد العمل بالشهور وايام المناسبات الاسلامية ، بالطرق
الشرعية العلمية ، على ان يلتزم بهذا التحديد العالم العربى والاسلامى كله .

- والله الموفق على كل حال
- والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



رأى الامام موسى الصدر رئيس المجلس الشيعي الاعلى يلبنا

«...المحاضرة القيمة النقية المتزمنة أوضحتجانيا مجهولا من جوانب ثلاث كنا بحاجة الى توضيحها ، فبعد ان اتفق المحاضرون جميعا ان واقع الشريعة الاسلامية يختلف عن واقع التشريع اليوم ، وبعد ان اتفق الجميع على امكانية توجيه الاسلام لأوضاعنا المعاصرة وتلبية حاجتنا المتزايدة المتطورة ، وبعد ان اتفقوا على ان الحلحى التطوير أو ما يسمى بالاجتهاد ، بقي الاستلة الثالثة ، من يجتهد ؟ كيف يجتهد ؟ متى يجتهد ؟

مولانا المحاضر اجاب بوصوح على السؤال الاول فحدد المجتهد بقي سؤالان ، متى ، وكيف ؟ مع العلم اننا نريد بقاء الاسلام فاذا قلنا ان هناك حاجات متزايدة متجددة ليس لها حلا ضمن الشريعة فحسبنا للمصالح العامة عند ذلك ما انفرق بين التشريع الوضعي وبين الاجتهاد في الشريعة ، الاجتهاد في الشريعة ان تحتفظ بفيضة الوسالة وقداسة الحكم ونظور النص حتى يبقى متجددا مليا ويبقى محتفظا بقداسته واطلاقه وغيبته والا فلا دين ، الذين ان يبقى الحكم غيبى الصفة ، ثم ما الفرق بيننا وبين الكنيسة التي تخضع للتطور ، نحن تطور ولا نتطور ، ارحسوا الانتباه ، التطوير الذي يحصل يميز عن القيادة الفكرية الاسلامية ليس الاسلام مسؤولا عنها ، الاسلام عليه - وقد التزم بذلك رب العالمين - ان يلبي حاجات الانسان في كل زمان ومكان ، اما اذا خط الانسان لنفسه خطا منحرفا فمادنا يفرض على الاسلام وعلى المسلمين ان يتراجعوا ويسايروا - كما غير استاذنا العلم - فالاسلام تطور لا محالة ، والاسلام لا يتراجع امام الحاجات - بسبل يحتملها - ويتطورا بناء على الوسائل المسمية في ثبوت العيد وثبوت الهلال وثبوت اوائل الشهور بشكل علمي ، وقد اتفق العلماء مؤخرا على جواز اعتماد الثبوت في منطقة لجميع المناطق في العالم ، ولذلك العلماء والعقهاء امرأ واجهم بقي على الفتيين من المسلمين ان يضعوا جداول استرونية أو مرصد أو وسائل أخرى لتطبيق هذه الفتوى ، فالعلماء افترا يجوز الاعتماد على الوسائل ويجوز الاعتماد على ثبوت أى نقطة من النقاط في العالم لذلك ملخص هذه المحاضرات تؤكد امكانية التطبيق وضرورة الاجتهاد وتبين من يجتهد ، فالرجاء من المحاضرين في الموضوع ومن اللجنة المكلفة بوضع القرارات ان يحدد ايضا متى ؟ وكيف تطور ؟ »

وليتأكد الشباب والمثاقين في هذا العصر تلبية الاسلام الفعالية لحاجاتهم لا تلبية تراجعية انهزامية ، والسلام عليكم .

ابن الامام موسى الصدر هذا الراى في الملحق اسباح عنك الاسلامى المعتقد بعبودية تبرى وزو حلال احدى الجلسات .

الهلال

رأي الاستاذ القاضي عبد الله الشماخي وزير سابق ومستشار
بوزارة العدل حاليا - منعماء الجمهورية العربية اليمنية - وقد
صاحه في أبيات شعرية في الملتقى السابع للفكر الاسلامي الذي
انعقد في تيزي وزو *

بسم الله الرحمن الرحيم

اقف وقفة ثانية مع الشعر حتى لا يطبق على شاعر وأنا لست بشاعر للشعر ، يا أبناء
عمالقه الذين يشهد هذا الملتقى منهم عمالقة ، كعلاق الشورة الجزائرية « مفدى زكرياء » ،
والآخر الدكتور صالح جويت ، وهناك عمالقة من الشباب ، سيناحون أولئك الاعلام الذين
عرفهم تاريخ الامة العربية من الجانب الشعري كالقنبي ، في المشرق ، وابن هاني في المغرب *

يانا بجد قد بدانا نفكر
نسير بإيمان به سوف نتصور
وبعضى اماما ثم نتقهقر
بما يمتنى المسلمون سيصغر
فانعم به من مورد عنه تصدق
له غاية اسمى من البذل ابدى
بها يربط التاريخ ما هو اكبر
بها الرحمة الكبرى تشد وتوتر
هرى تاج كبرى وامتلئ الغر قيصر
سواه فيها سود وبهض واصفر
هنا عربى أو هنالك يوبر
وكنهم في الشرح اهل ومغتر

هنا يا لقرم بالجزائر مظهر
لانا بدانا نحو شرعة احمد
فنزغ للاسلام اعلام شرعه
فانى ارى في ذا القضاء هلاله
يوحدتنا الكبرى للتي الشرع تبعها
وليس مجال البحث فيه يتأفه
فان صغيرات الامور روافد
وما وحدة الاوقات الا عناصر
ونحن بها في الامس تحت قراعنا
وشاد بها الفاروق للعدل دولة
لهم نسب الاسلام وحد ما بهم
فكلهم الفيران ولد فكرهم

تقويم اسلامى موحد
يجمع بين
الحكم الشرعى والحساب الفلكى

يقول الله جل شانہ : ﴿ هو الذى جعل الشمس شمسا ، والقمر نورا ، وقدره منازل ، لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك الا بالحق ، نفعل الايات لقوم يعلمون ﴾ (يونس آية ٥)

ويقول عز من قائل : ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ، فمحونا آية الليل ، وجعلنا آية النهار مبصرة ، لتنبهوا فضلا من ربكم ، وتعلموا عدد السنين والحساب ، وكل شي فصلناه تفصيلا ﴾ (الاسراء آية 12)

الاستاذ مبروك عوادى

خريج دار العلوم فى القاهرة
وعضو لجنة الافتاء المركزية
بالحراثر

ويقول سبحانه وتعالى : (والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم - لا الشمس يبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون) (يس آيات 38-39-40) .

ويقول عظمى قدرته : (الشمس والقمر بحسبان) (الرحمن آية 5) .

وحيث أن القمر مقدر بمنازل ، وأن الشمس والقمر والليل والنهار من الآيات الكونية ، وأن الشمس والقمر يسبحان في الفلك ويجريان في منازلهما بحسب منظم دقيق ، بتقدير العزيز العليم ، وأنه سبحانه ما فصل تلك الآيات الكونية تفصيلا ، وما كان ذلك التفصيل إلا لتفسيها وإعلامنا والعمل والاستفادة بما حصل لنا من ذلك التعليم والإعلام . بيد أن التفصيل على ذلك التعليم والوصول إلى ذلك العلم لا يتعاطاه كمال الناس ولا يزاوله كل الأفراد ، إذ له طائفة خاصة مختصة به اختصاصية فيه ، كاختصاص غيرها في غيره من فروع العلم والمعلومات والمعارف .

وعليه فالفرد الذي حصل على ذلك العلم - أو بالأحرى علم الفلك - ومنه حركات القمر وسيره واستهلاكه واختفاؤه - هو مكلف شرعا بالبحث فيه والعلم به وبحسابه وتفصيلاته ، لأن العمل التقدير الذي أحاط بكل شيء علما كلف كل نفس بما في وسعها ، كما نص عليه في تنزيهه : لا يكلف الله نفسا إلا وسعها (البقرة آية 286) - وكلام التنزيل شريعة تتبع ، ومتناهج بسلك - وهو مكلف أيضا ومأمور بالأعلام به والتبليغ إلى غيره ، لأن كاتم العلم يلجج بلجام من نار ، كما ورد في الخبر : « من كتم علما ألجبه الله بلجام من نار » - واستداده صحيح - فنسج التقدير ج 6 ص 212 .

ويجب عليه هو نفسه الصيام ، وعلى من علمه إذا ما صدقه ، وعلى من بلغه الخبر إذا ما صدق الخبر .

هذا وإن من الفقهاء من يقبلون شهادة الطبيب في الميول والجراحات - وقد قيل هذا قديما قبل أن يصل الطب إلى ما وصل إليه الآن - يقبلون شهادة الطبيب ولا يشترطون التصديق ولا حتى الإسلام - ويقولون رأى الطبيب - ولو كان غير مسلم - في المريض إذا ما نهاء عن الصوم ومنعه منه لأنه يضر به ، سم أن الطبيب يتردد أحيانا في المرض ولا يكاد يتبينه من أول

وحلة ولا يتجمعه من أول مرة ، ثم هم أيضا يقبلون المقوم ، والتقوم مبس على الحس والتحمين ، وفي هذين أى في قبول الطبيب والمقوم مفاطع حقوق بشرية ، وقبوله في الصوم قبول في عبادة بل في ركن من أركان الاسلام ، وإنما قبل الفقهاء الطبيب لاختصاصه بطم ورفن الطب ، قبلوه فيما هو من اختصاصه .

ثم ان الامام أبنا محمد بن حوم يقبل في اثبات رؤية الهلال الواحد اذا ما صدقه ، ولا يشترط التعدد ، ولا الذكورية ، ولا الحسرية ، ولا حتى الاسلام ، ويرد على من يشترط ذلك ، وجوب الصيام على الرائي ، وعلى من اعلمه الرائي ، وعلى من بلنه الحس ، اذا ما صدق العلم الرائي ، والمخير الخبير .

على ان اثبات الهلال من المالكين المختصين ، المحققين ، المتثبتين ، الاثبات ، الثقات ، لا غير فيه ، بل هم مكلعون بذلك كما ذكرنا آنفا . بل هذا واجب عليهم ، وراغب علينا ان نعلمهم - ولو كان القلند فردا واحدا - اذا ما وثقا به وبعلمه - وذلك بناء على ما يقول به أبو محمد بن حزم في الرؤية -

وأيسا فان في التثبت من استهلال الهلال وانتهاه واثبات ذلك ليس فيه العاء لرمضان ولا ابطال لهذا الركن ولا تقديمه عن وقته - مثلا - لضعفان ولا تأخير عن وقته - مثلا - لضوأل ، ولا نقله لفصل من فصول السنة ثم الحكم عليه بالسجن والإقامة في ذلك الفصل المنقول اليه ، لم يقع فيه تقديم ولا تأخير ، كما كانت تقوله المجاهلية في الاشهر الحرام اذا اراحت ان تنتهكها بالقتال فيها والمعدان - (ذلك قولهم بأفواههم) - فالأهلة لا تنفي ولا تنحول بإكاديبهم وامتراءاتهم

ولا يلزم من اثبات الأهلة بالحساب زيادة في أيامها ولا نقص منها ، فلم يقل احد ان الشهر ثمانية وعشرون كبعض الشهور العجمية ، ولا واحد وثلاثون كبعض آخر .

وما يلزنا ان احدا من افلكيين قال : ان الشهر ينقص عن تسع وعشرين او يزيد على الثلاثين او يتقدم في سيره الزمني او يتأخر .

ان كل ما هناك في اثبات الهلال بالحساب من المختصين الاثبات الثقات هو ما لا بحث عن لحضة وجوده ، واحتجانه ، وامكان رؤيته ، واستحالتها ، والتثبت منها ، والملم بها ، والاعلان عنهما .

ولا يقال في هذا اهم طوروا حكما شرعيا بل ركننا وقاعدة من قواعد الاسلام ، كما يتردد كثيرا على الالواء (تطور الاسلام ، تطور الدين ... الخ) لان الشريعة شرعية الله ليست من امكنارنا ولا من عقولنا ولا من علومنا ، ولا من صناعتنا ولا من صياغتنا الخ .

وغاية ما في هذا انه نعلم وفهم ، ثم استجلاء واكتشاف لحقيقة ثابتة بتقدير العزيز العظيم ، فلا تصرف لاحد في تلك الحقيقة كأننا من كان ولا تطوير ، ولا هو من قبيل البحث الفيبببات التي استأثر الخالق بها .

انه الكشف عن واقع موجود مادي محسوس ، عن كائن في الطبيعة .

ولا حجة لمن يحتج بقول الصادق والذي يمزح ولا يقول في مزاحه الا حقا : حيث ورد عنه صلى الله عليه وسلم : « نحن امة امية لا نكتب ولا نحسب » الشهر هكذا وهكذا وهكذا . وفتح اصابعه ومدها في المرتين ومى الثالثة قبض اصبعه - يعنى - ان الشهر تسع وعشرون - وفي حديث آخر : « الشهر تسع وعشرون وثلاثون » لان هذا اخبار بالواقع : بواقع امة العرب في تلك الحقة من تاريخها ، اد كانوا كذلك ، ولم يقل صلى الله عليه وسلم : لا تكتبوا ولا تحسبوا ، بل من المعلوم المشهور انه صلى الله عليه وسلم طلب من امة ان غزوة بدر تعليم الكتابة لصبيان في مقابل اطلاقهم من الاسر ، وكما كان له كتاب ايضا كما هو ثابت .

على انه صلى الله عليه وسلم وهو النبي الامي : « الدين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يبدونه مكتوبا عليهم في التوراة والانجيل ... الآية » « فاسموا بالله ورسوله النبي الامي ... الآية » (الاعراف آيتى 157 - 158) وهو ايضا من امة امية لا تكتب ولا تحسب ولم يكن عالما حكما ولا مرصدا له ، ثم هو بعد الشهر يتسع وعشرين لا نقص ، وثلثين لا يزيد .

الست ترى ان هذا من دلائل النبوة ومجراتها ، فهو احمر في اول الحديث بالواقع : واقع الامة العربية في تلك الحقة ، وفي آخر الحديث مع الحديث الاخر بطريق الرضى الطامع الجارم عن عدد ايام الشهر التي لم تنقص عن تسع وعشرين ولم تزد على ثلاثين هذا ان حتى آله الهلال ولن تنقص ولن تزيد الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

توحيد المواسم والاعياد الاسلامية من أهم مظاهر الوحدة الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المسلمون أمة واحدة بنص القرآن الكريم ،
وكل مظاهر الوحدة الفعلية فيهم من دلائل قوتهم
ويقتضتهم ، وأهليتهم للحياة - وكل اختلاف بينهم ،
ونفك في صفوفهم من دلائل ضعفهم وغفلتهم ،
وتعرضهم لخطر الانهيار والموت + ولذا كان
هذا الافتراق في الدين ، وفي شعائره وقضاياها ،
أصبح نكبة على الاسلام والمسلمين *

للاستاذين *
أحمد حماني
رئيس المجلس الاسلامي الاعلى
عبد الكريم زعمسون
نائب مدير المجمع الفلكي

ولاشك أن توجد أعياد المسلمين ورماسهم ، وأبتداء صومهم وأطوارهم ونحول شهرهم
تقويمهم الهجري ولنتهاؤها ، وأبتداء سنتهم الهجرية وانتهاؤها من أهم مظاهر هذه الوحدة
واجبها ، وإن اختلفهم في ذلك يعطى عنهم وعن دينهم صورة من أقيح الصور وأشدها إيلاما
للقوس المؤمنة ، وينخل الاضطراب واللبلة على حياتهم الدينية والسياسية والاجتماعية
والادارية ، وهذا ما دفع نوى العقول الفيرة ، والرؤوس المعكرة المدبرة ، والارادة الحازمة منهم
للعمل الميثيث المشر للخروج بهم من مثل هذه الحالة المؤسفة .

تقويم اسلامي موحد يجمع بين الحكم الشرعي والمصالح الفلكي

هذا ما توصل اليه الباحثون المختصون ، واجمع على أنه الوسيلة الوحيدة المثلى لتحقيق
هذا التوحيد في هذه القضية الفكرية ، والساسة الراشدون ، وعلماء الشريعة الراسخون ،
وعلماء الفلك الموثوق بعلمهم وديانتهم المسلمين ، وهذا ما قرره مؤتمر وزراء الشؤون الدينية
والاسلامية والارواقف للدول العربية المنعقد بانبكوت في 23 - 28 من المحرم 1393 هـ ، (26 فبراير
- 3 مارس 1973 م) ، ثم اجتمعت من أجل تنفيذه : لجنة التقويم الاسلامي « المنبثقة عن هذا
المؤتمر »

التزام الحكومات الاسلامية بالعمل بالتقويم :

وقد جاء في قرارات مؤتمر الوزراء المذكور فيما يخص للتقويم ما نصه : « وجوب عمل
تقويم قمرى بمعرفة لجنة ممتدة من فقهاء الشريعة الاسلامية وعلماء الفلك تلزم به الحكومات
الاسلامية في صومها وقطرها ، وفي تحديد مواسمها الدينية وفي تاريخها »
وقرر المؤتمر أن تشكل هذه اللجنة من ممثلين عن الدول العربية الآتية : الجزائر ، تونس
مصر ، الكويت ، قطر ، وعينوا لرؤاستها الاستاذ عبد الله الانصاري مديوب قطر لكونه فقيها
وفلكيا ، وقرروا أن تعرض أعمال اللجنة - فور انتهاؤها - للمصادقة عنها - على مؤتمر
الوزراء الثاني الذي تمهتت الجزائر أن تدعو اليه جميع الدول الاسلامية ليعقد في عاصمتها .

اجتماع اللجنة بالكويت :

وباستدعاء من السيد راشد عبد الله الفرحان وزير الاوقاف والشؤون الدينية الكويتي
اجتمعت هذه اللجنة يوم السبت والاحد 5 - 7 ربيع الآخر 1394 الموافق لـ 27 - 28 من ابريل
1974 م ، وحضر ممثلون عن جميع الدول امعينة لمثل :

— الجرائر : السيدان عبد الكريم غزلوي ، نائب مدير المرصد الفلكي ، وأحمد حماني
رئيس المجلس الاسلامي الاصيل *
— وتونس : الشيخ مصطفى كمال التازوي ، مدير ادارة الشعائر الدينية *

— ومصر : الشيخ محمد حاصر مفتي مصر ، والاستاذ عبد الحميد سماعة ، مدير معهد
الارصاد واستاد الفلك بعلوم القاهرة سابقا *

— والكويت : الشيخ عطية صقر ، مساعد رئيس قسم الثقافة الاسلامية ، والسيد صالح
المجبري استاذ ملكي ، والاستاذ عبد الله العقيل (ككاتب) *

— وقطر : الشيخ عبد الله بن ابراهيم الانصاري ، وهو الذي كان قد حسين من الوزراء
رئيسا لهذه اللجنة *

وقد افتتحت الاعمال بحضور سيادة وزير الاوقاف والخطوب الدينية بالوزارة ثم دارت
المنافسات — بعد مفادرة الرئيس — تحت اشراف الرئيس المعين ، وقدم الوفد الجزائري مشروعه
يحتوي على مقترحات كان قد وضع بعناية ، ودرس برامه عميقة بدقة مع السيد وزير التعليم
الاصيل واشتروا الدينية ، فقال هذا المشروع استحسن ورضى جميع الممثلين ، ثم قدم كل وفد
مشروعه واقتراحاته *

وبعد برامه مستقبضة ، ومناقشات مثمرة مفيدة أجمع الحاضرون على ان تكون الاسس
التي يبنى عليها التقويم الاسلامي الذي يجمع بين الحكم الفلكرى ، والحساب الفلكي ما يأتي :

أولا : ان يبدأ الشهر من الليلة التالية لاجتماع النيرين (مولد القمر) *

ثانيا : ان لا يقل بعد القمر الزاوي عن الشمس سبع درجات وهو الحد الأدنى لامكان رؤية
الهلال *

ثالثا : ان يكون للقمر مكث بعد غروب الشمس بحيث تمكن رؤيته *

رابعا : ان تكون مكة المكرمة المبدأ المكاني لحساب الهلال الشرعي *

وبعد هذا الاتفاق على هذه الاسس وكل الى السيد صالح المجبري (فلكي كويتي) وضع
مشروع التقويم المطلوب ، على ان يعرض — كما تقدم ذكره — على المؤتمر الثاني للوراء
الختصين الذي سينعقد بالجزائر للمصالحة عليه *

مرحلة نهائية :

ان وضع هذا التقويم — بالفعل — هو المرحلة النهائية ان شاء الله لمعهد طويل من الدراسات
العميقة ، والاقتراحات المختلفة ، والتقصيات ، والمقررات لمعنا ما يقرب من خمسين سنة أعلن

الاستاذ العلامة مجتهد العصر الشيخ محمد رشيد رضا شرعية العمل بالحساب الفلكي في قصيه اثبات دخول الشهر القمري وجواز استعماله في الصرم والفطر * وأعلن ان الحساب في عصرنا يفيد العلم القطعي وأنه اذا وجد الحاسيون عسر بقولهم لانه علم يقيني قطعي * وان العمل بالحساب القطعي به أقرب الى مقاصد الشريعة * وقرح وضع تقويم عام تبين فيه الاوقات التي يرى فيها هلال كل شهر في كل قطر عند عدم امانه *

ثم قال : * وبالمعمل بهذا التقويم القمري الاسلامي الموحد يحصل الاتفاق بين المسلمين ويمتدح الاختلاف * *

وقد برهن - رحمه الله - على شرعية استعمال الحساب في الصوم والافطار كاستعماله في اوقات الصلوات والامساك والافطار عند المغرب مما اجمع على استعماله المسلمون ولم يكن معروفا وقت النبي صلى الله عليه وسلم ، ووقت السلف الاولين * وبرهن على نفي وجود مصالحة بين استعمال الحساب والنصوص الشرعية ، اذ لا يمكن ان تصادم شريعتنا قواعد العلم وتناقضها * وبمثل هذا اجاب فضيلة الاستاذ الامام الدكتور محمد الفحام عن سؤال في الموضوع ، ونشر جوابه في مجلة منبر الاسلام ، لاهرية ان قال :

ان هذا الموضوع ناقشه لفقهاء في القرون الاولى ، كما ناقشه علماء مجمع البحوث الاسلامية في السنوات الاخيرة ، وهم جميعا متفقون على انه لا تعارض بين الدين والعلم ابدا ، فالدين هو الذي يدعو الى العلم * * * *

وقد قرر مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية الذي اشار اليه فضيلته - مجتئيا - الاعتماد على الحساب في اثبات دخول الشهر ، وان جعل الرؤية هي الاصل ، ولكنه رفض الرؤية اذا تمكنت منها التهمة ، ومن ذلك ان تخالف الحساب الفلكي الموثوق به ، الصادر من يثري به * وطلب هذا المؤتمر من الحكومات والشعوب الاسلامية ان يكون في كل منها هيئة يناط بها اثبات الشهر القمري مع مراعاة اتصال بعضها ببعض والاتصال بالمراسد والنسكين الموثوق بهم * وخبر فضيلته انه بناء على هذه القرارات سار العمل في مصر على اعلان ميدان الصيام ونهايته بعد الاتصال *

وجاء بعد ذلك مؤتمر العلماء المسلمين المنعقد في ماليزيا فأصدر توصيات أكد فيها ضرورة اخراج تقويم شمسي إسلامي موحد وطلب من الحكومات الاسلامية ان تؤلف لهذه الغاية هيئة من علماء الدين وعلماء الفلك المختصين *

وجاء في تحقيق علمي للاستاذ الامام محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله : « ان حقيق نقليل الاختلاف بين احوال المسلمين يقضى بان لا يغفل من تمييز الاحوال عما كانت عليه في القرون الماضية » .

وقال عن قطعية الحساب الفلكي والتقويم : « ان دلالة الحساب الذي يضبطه انهمون ، اعنى العالمين سبيل النجوم علما لا يتطرق الى قواعده شك ، وحسابا تحققت سلامته من الغلط وذلك ما يسمى بالتقويم فاذا ضبط الحساب وقت وجرد انهلال باليوم والساعة حصل العلم لا محالة بهذا الشهر » .

لماذا وجب وضع هذا التقويم ؟

ان هذه الدعوات المختلفة ، والقرارات والتوصيات ، والدراسات ، والفتاوى تفتى عنها وصلت اليه حالة المسؤولين والفكرين وجمهور المسلمين من التوتر والخرج من الاختلاف في هذا الموضوع . فان ما يقع بصورهم ويصور بينهم بصورة غامضة مؤلة . ولا مخرج من ذلك الا بواسطة علمية قطعية موافقة للحكم الشرعي ، غير مصادمة لنصومه . ان الوقائع المؤلة المحزنة كثيرة . متكررة في كل سنة ، يتناوب بها العامة ويروها الثقاة ، ويعيشنها الملايين من المسلمين .

بين ليبيا والمغرب فرق ثلاثة ايام :

هذا ما وقع بالفعل منذ اعوام ، والراي له من الاستاذ محمد المهدى طاهر ابو حامد رئيس وفد ليبيا في مؤتمر الوزراء بالكويت ونقله عنه الاخ الاستاذ مولود قاسم وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية في حديث له قال : « انه في احدى السنوات مسافر من ليبيا متوجها الى المغرب يوم التاسع والعشرين من رمضان » وكانت الليلة ليلة عيد الفطر في ليبيا ، ولما توقف في مطار تونس وجد انه كان الثامن والعشرين ، أي ليلة التاسع والعشرين ، وتوقف في مطار الجزائر فوجدنا في يومنا السابع والعشرين ، أي ليلة الثامن والعشرين ، فكانت ليلة 28 ولما وصل الى الرباط وجد المغرب يستقل بليلة القدر ، أي اليوم السادس والعشرين وليلة السابع والعشرين ! لماذا كان ذلك ؟ لانه كان هناك فرق زمني بعد بثلاثة ايام بين ليبيا والمغرب ، فليبيا تصوم في يوم ، وتونس تصوم بعدد يومين ، والجزائر بعد ليبييا بيومين ، والمغرب بعدا بثلاثة ايام ، وهكذا يصبح الفرق ثلاثة ايام - وقد وقع هذا مرارا ، واصبح يكاد يقع كل سنة .

فهل يقر النعم واحساب الصحيح صحة هذا الفرق الزمني بين جناحي
الدين ويرضاه ؟ كلا والله ، بل ان فيه ما يحزن وما يؤلم ، وما يشقى وما يخذل
رمضان 27 يوما : ويرى الأستاذ عبد الحميد سماحة ، منبر معهد الآراء
بعلوم القاهرة ، هي بحث له منشور ، ان هذا ما حدث في المغرب منذ نحو عشرين
بالحرف الواحد .

« ملئت السماء بالسحب والغيام وقت التماس هلال رجب فأتوا جمادى
وتنابت الأيام وكانت السحب والغيوم تملأ السماء أيضا عند التماس شهر
هاتما رجب ثلاثين يوما ، واستمرت السماء ملبدة بالغيوم فأتوا شعبان ،
يروا هلال رمضان : وتنابت أيام رمضان يوما بعد يوم وما زالت السماء
جاء يوم السابع والعشرين من رمضان على حجابهم وكانوا يتهيئون للاحتفال بـ
السحب وصفا الجو فأروا هلال شوال في اليوم السابع والعشرين فاعتبروا الي
أحد الشهور العربية 31 يوما :

وروى أيضا في نفس البحث أن هذا « حدث أيضا عام 1999 م أن أعلن
رؤية الهلال في أي بلد من البلاد العربية يوم 6 يوليئ لأن الحساب الدقيق دل
الهلال فوق أفق أي من أقاليمها في ذلك اليوم إذ يعرب فيها جميعا قتل خسرو
بالمملكة العربية السعودية تمن رؤية هلال رمضان في ذلك اليوم مما أوجب عل
مبكرين يوما ، ثم توالت أيام شهر الصيام وقربست الاستعدادات للاحتفال بعيد
المعجزة عندما أعلنت السعودية رؤية هلال شوال قبل موعده ولادته بيومين مما
شهر شوال في ذلك العام 31 يوما « هذا نس ما رواه الأستاذ سماحة . ولعله ،
شهر يونيو ، والصواب شهر مارس ، لأن عيد الاضحي في ذلك العام كان يه
وسين يوم الاضحي وأول يوم من رمضان ثلاثة أشهر وعشرا . وعلى كل حال
تلك السنة تكرر هذا العام فقد أعلن عن رؤية هلال رمضان قبل موعده يوم
هلال شوال قبل ميلاده بيومين وصرح بذلك العلماء المؤثوق بنفهم للتدريسة وه
شكر لاستاذ سماحة ان دار الافتاء بالقاهرة كثيرا ما يحدث ان تحدث اول الش
ضوء ما يتجمع لديها من بيانات « ثم نعلم بان أحد الامطار العربية قد حدد م
آخر . وفي معظم الاحوال لا يكون هذا الاختلاف للمسبب الذي شرحناه آنفا وهو
ان يبل الحساب العقيق على ان القمر لا يكون في افق هذا القطر يقينا « وقد
لستين الاخيرة لاختلاف في مواسم العيادات في بلاد المسلمين ، فيله صا

منح ويك بصوم أهله يوم عرفة ولم يكن لمعهد الارصاد حيلة في هذا الشأن إذ ان رايه كان ولا يزال استشاريا يحث تأخذ به دار الافتاء أو لا تأخذ ، والامثلة على ذلك كثيرة ومحزنة *
ولقد رفضت دار الافتاء أن تأخذ برأي مرشد حلوان في شأن دخول رمضان لسنة 1393 هـ رغم اتصاليها به *

مبادرة الجزائر واترها :

هذه الحالة الحزينة كان لا بد من مبادرة للمخرج منها ، وعلاجها العلاج الصحيح ، وكان للجزائر فضل السبق الى وضع تقويم قمرى اسلامي يجمع بين الحساب الفلكي الموثوق به ، من العلماء للوثوق بهم ، وبين الحكم لشرعي * ولم يكن ذلك طرفة ، وإنما كان بعد دراسة دقيقة وترقيق بين النصوص الشرعية وقواعد ميلاد الهلال وامكان رؤيته ، وكان لهذه المبادرة من الجزائر هزة عنيفة أيقظت الكثيرين ، ولغقت انتباههم ، وصحلتهم بهتسون بالموضوع وبطرحونه للتنفيذ *

صحة حساب الجزائر وثقته :

بعد برهنت الايام والمراسد والحاسبون على دقة حساب الجزائر وصحته منذ أول سنة وضعت فيه تقويمها القمري ، وعملت به في الصوم والافطار والاعوام والاعباد فقد جاء في أول تقويم أصدرته أن أول يوم من رمضان لسنة 1392 هـ سيكون يوم الاثنين 9 أكتوبر 1972 م ، لأن الهلال لا يمكن أن يرى في سماءها مساء السبت 7 أكتوبر ، فلا يجوز أن يكون أول رمضان يوم الأحد 8 أكتوبر * وفي شهر شعبان 1394 هـ نشر ثلاثة من أعظم علماء المصنوس المصريين المختصين في الفلك في مجلة أهربية بحثا لهم نقلته جريدة العلم العربية أعلنوا فيه ما يوافق حساب علماء ومرشد الجزائر من أن هلال رمضان لا تمكن رؤيته في جميع أفاق المنطقة التي يقع فيها معظم بلاد المسلمين - بما في ذلك البلدان العربية - مساء يوم السبت 7 أكتوبر ، ويمكن أن يرى فيها مساء يوم الأحد 8 أكتوبر * مثل هذا اطلعت عليه دار الافتاء في القاهرة بلا شك ومسح ذلك فقد اعتدت عن بداية شهر رمضان يوم الأحد 8 أكتوبر بناء على رؤية يحيل الحساب الفلكي الموثوق به وصحتها *

وفي السنة الماضية أعلن تقويمنا أن بداية شهر رمضان ستكون يوم الجمعة 28 سبتمبر 1393 هـ بأعلن علماءنا الموثوق بعلمهم وحسابهم وديانتهم أن الهلال لا يمكن أن يرى مساء يوم الأربعاء 26 سبتمبر 1973 م لأنه يغيب قبل مغيب الشمس ، فلا يرى إلا مساء الخميس 27 سبتمبر وعليه يكون أول الشهر يوم الجمعة *

وفي 20 من سبتمبر نُشر مرصد حلوان بالقاهرة ما يصدق هذا في بلاغ مدقق هذا نصه :
أول رمضان 28 سبتمبر بالنسبة الفلكي

تشير الحسابات الفلكية في مرصد حلوان إلى أن هلال رمضان سوف يولد في الساعة الرابعة والدقيقة 54 من بعد ظهر يوم الأربعاء القادم الموافق لـ 26 سبتمبر ويغروب في جميع البلاد العربية والإسلامية التي تقع شمال خط عرض 20 جنوباً قبل غروب شمس ذلك اليوم بمدة تتراوح بين 3 و 27 دقيقة * ، ثم قال : « وفي اليوم التالي الخميس 27 سبتمبر ستغرب الشمس قبل غروب الهلال في القاهرة بحوالي 15 دقيقة وعلى ذلك يكون أول أيام شهر رمضان يوم الجمعة 28 سبتمبر * »

وتشير الحسابات الفلكية إلى أنه في يوم الأربعاء سيغرب القمر قبل الشمس في القاهرة بمدة 21 دقيقة وفي مراكش 17 دقيقة وفي طرابلس 20 دقيقة وفي دمشق 22 دقيقة وفي بغداد 23 دقيقة وفي مكة 18 دقيقة أما يوم الخميس فإن مدة مكوث الهلال بعد غروب الشمس في القاهرة تبلغ 15 دقيقة وفي طرابلس 15 دقيقة وفي دمشق 12 دقيقة وفي بغداد 10 دقائق وفي الجزائر 11 دقيقة وفي الخرطوم 27 دقيقة * ويقوم مرصد حلوان اليوم بإرسال تقرير عن ظروف رؤيه الهلال إلى فضيلة مفتي الديار المصرية »

ويقول تقرير مرصد الجزائر أن الهلال يمحط في آفاق الحواش بعد غروب الشمس مساء يوم أسفيس هكذا 9 دقائق في العاصمة ، 12 دقيقة في بسكرة ، 16 دقيقة في غرداية وبشار ، 19 دقيقة في تينوف ، 23 دقيقة في تمنراست * ويمقتضى هذا البيان يكون أول رمضان لعام 1393 هـ في يوم الجمعة 28 سبتمبر 1973 م * ، وأما يوم الأربعاء فلا يمكن أن يرى لأنه يخيب قبل الشمس بمدد أقلها 10 دقيقة في تمنراست ، وأطولها في الجزائر 22 دقيقة ، فلا يكون أول رمضان يوم الخميس 29 سبتمبر بحال لاستحالة رؤية الهلال إذا غاب قبل الشمس !

وما توصل إليه العلماء الحاسبون بمرصد حلوان بالقاهرة ، وبمرصد بي ربيعة بالجزائر هو نفس ما توصل إليه أسلمون القيمون بأمريكا الشمالية المقتدون على الحساب اليقيني الدقيق * يقول الدكتور محمد عبد لرؤوف في مجلة الوحي الإسلامي الكويتية عدد يناير 1974 م ما نصه :

« لقد ورد بالتقويم الذي أعده لنا حاسبون قديرون على أسس صحيحة وبيانات دقيقة أن أول شهر رمضان 1393 هـ سيكون يوم الجمعة 28 سبتمبر 1973 م وأن عيد الفطر سيكون يوم الأحد 28 أكتوبر من لعام نفسه ، وقد رتب المسلمون أمرهم على أساس هذه التوقعات ... »
وخجاء أذاع راديو القاهرة وسمعه بعض المسلمين أن الرؤية شئت وأن اليوم الخميس 29

سبتمبر أول شهر رمضان فضح الكثيرون واضطربوا ، ومع تلك تنقطع الكلمات التبليغونية لورادة من جميع أنحاء أمريكا استفساراً *** وحدث مثل ذلك وأكثر منه لما سمع البعض إعلان رؤية شوال في مساء الخميس 25 أكتوبر وإن العيد يوم الجمعة التالى أي قبل ما حدد بتقويمنا ببومين ، حق لهؤلاء المسلمين المتغربين - ولغيرهم وهم في أرض الاسلام - أن يضجروا وأن يضطربوا ويحتجوا ويعضبوا ، فإن هذه الرؤية لا يمكن اعتمادها ، ولا التمويل عليها ، لأنها قد تمكنت منها التهمة . وقد قرر مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية في القاهرة أن الرؤية لا تقبل إذا تمكنت منها التهمة ، وإن من أسباب تمكن التهمة في الاضمار بها مخالفة الحساب الفلكي الموثوق به الصائري ممن يوثق به .

وقد رد العلماء قديما حديثا الرؤية المتهمة ، قال مالك : ومحتون في الشاعدين يربان وحدهما الهلال بالمصر الكبير في حالة الصحو ويشهدان بالرؤية : انهما شاهدا سوء ، وحكم ابن السبكي برد الرؤية اذا خالفت الحساب الصحيح ، وقال الاستاذ الامام الشيخ محمد بحيث الطيبي مفتي الديار المصرية في كتابه : « ارشاد أهل امة اس اثبات الامة » في أسباب رد الرؤية ما نصه : « اذا دل الحساب على عدم إمكان الرؤية واخسبر محير برؤية فالخير يحتمل الصدق والكذب ، والكذب يحتمل لتعمد الخلط ولكن منهما أسباب لا تحصر فليس من ارشيد قبول الخير المحتمل بذلك أو الشهادة به مع عدم الامكان لأن الشرح لا يأتي بالمستحيلات *** » وما تقدم يتبين أن حسابنا دقيق مرافق للمشرع ، وللواقع وأعلن العلامة الاستاذ عبد الله ابن ابراهيم الانصاري رئيس لجنة التوفيق الاسلامي ، وهو فقيه ، وفلكي حاسب ان رؤية هلال رمضان لسنة 1433 هـ المزعومة باطلة ، مستحيلة علميا ، غير مقبولة وانه اخبر بذلك المسؤولين ، وادى ما عليه من امانة .

وقد لاحظنا كثير من المتعربين على استعمال احساب الفلكي في الصوم والافطار ان هذا الحساب لم يرفع الخلاف ، ودليل ذلك ان الجزائر وتونس كلتيهما تستعمل احساب وتعتقد ، ولكن لم يجمع ذلك من وقوع الاختلاف في موعد الصيام والافطار بينهما .

والجواب على ذلك ان تونس تعتبر الشهر الفلكي وتمتده ، وهو ينشئ معارقة القمصر للشمس ، وهو مقدم على الشهر بالرؤية بيوم أو يومين واعتمد تونس ذلك بقرار مستند على استشارة لعلماء ، واخذوا ما قاله بعض الفقهاء كما صرح بذلك الاستاذ العلامة مصطفى كمال القازري وبعد لى شرعية صادرة من مفتي انديار التونسية العلامة محمد العاضل بن عاشور رحمه لله ، ومن والده الاستاذ الامام محمد الناهر بن عاشور ، وهذا الامام يقيس العلم باللهلال بواسطة الحساب الفلكي القطعي على العلم به بواسطة الرؤية الحسية المتفقة قياسا جليا ، ومضى

بحث علمي له نص على أن العلم بوجود الهلال له مسروق ثلاثة : الرؤية الحسية ، وهي تفيد العلم وإتمام الحدة ثلاثين يوماً إذ لم يحدث ، ولا يمكن أن يحدث أن يزيد الشهر على ثلاثين ، والحساب الفلكي المقنن به المبني على قواعد صحيحة * وأن الرؤية كانت قديماً هي الطريق الوحيد للعلم وإذا قال (ص) (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته) * فغلبا دل انصاف على علم يقيني بوجوده فلا مانع من قياسه قياساً جليلاً على الرؤية

أما الجزائر فلها جنتح الى ما حلقه ايسن دقيق العيد ومن بعده أمثال الأستاذ الامام محمد رشيد رضا ، والرحوم الأستاذ علل العاسي من أن الحساب الذي نتمده هو الذي يدل على أن الهلال قد طلع من الاتفاق على وجه يرى لولا وجود المانع مثلاً * ولا تعتبر حقيقة الرؤية مشروطة * وبهذا وقع الجمع بين أعمال النص : (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته) والعمل بالحساب الفلكي * وفي الحقيقة. والواقع لا يمكن بهذه الطريقة الا يرى اذا ترمسد للقطع بوجوده وامكان رؤيته ، فإذا لم ير في مكان رءى في غيره * بخلاف الاعتماد على الرؤية وحدها والاعراض انقام عن مراعاة ما يقرره الحساب فانه يوفسح في مزالق ، وفصائح ، ومتاهات ، والواقع شاهد بذلك *

فلقد حدثنا فضيلة الشيخ محمد خابر مفتي مصر اثناء اجتماعنا بالكويت انه أعلن ابتداء شهر رمضان لسنة 1393 هـ بيوم الخميس 27 سبتمبر 1973 م اعتماداً على رؤية في السعودية ، ورؤية في الكويت ، ورؤية مسهبة في سوريا ارفع هذه الاستفاضة فان مقصدي ما قرره مؤتمر مجمع الصوت الاسلامي ، وما صرح به فسياسة الأستاذ الدكتور محمد الفحام شيخ الازهر سابقاً الا يعلن ما يحالف العلم قال مؤتمر مجمع البحوث في القسور الاول * ... قارئية هي الاساس لكن لا يعتمد عليه اذا تمكنت فيها التهم تمكنا قويا * وقال في القرار الثاني في اسباب رد الخبر *

و ... ومن هذه الاسباب معالجة الحساب الفلكي الموثوق به الناصر ممن يوثق به * وقال الدكتور التهام : * بناء على هذه القرارات صار العمل في مصر على اعلان ميذا اصيصام ونهايته بعد الاتصال * يعني الاتصال بالمرصد والفلكيين الموثوق بهم كما في نص انقرار السادس من قرارات المؤتمر * ومجمع البحوث يعتبر عند كثير مجمع المجتهدين *

ولقد اتصل مرصد حلوان بدار الافتاء ، كما أعلن بلاغته النشور في الاصرام بتاريخ 20/9/1973 م *

قد يذكر بعض الناس رد الضميدة ، وخصوصاً اذا استفاشت * ولكن قبول شهادة دل العلم على كذبها اعلم واكبر ، كيف اذا شهدت جماعة بوقوع مستحيل عادي : انهم رأوا ما لا وجود له يقيناً ، رأي ، في الاتفاق هلالاً قد ضيع * نوما ! * وغاب منذ أكثر من نصف ساعة *

الشيخ وخيت مفتى الديار المصرية يبرر ردها :

يقول الشيخ محمد بخيت الطبعي مفتى الديار المصرية واحداً اعلام الإسلام : « ان شرط المشهود به الامكان ، فإذا دل الحساب على عدم امكان الرؤية واخبر مخبر برؤيتها فالخير يحتمل الصدق والكذب ، والكذب يحتمل التعمد ولعل ولكن منهما أسباب لا تقتصر ، فليس من الرشد قبول الخبر المحتمل لذلك أو الشهادة به مع عدم الامكان لأن الشرع لا يأتي بالاستحيلات وهذه المسألة لم نجدنا مسطورة فنفتقها فيها ورأينا فيها عدم قبول اشهادها » وإنما سكوت الفقهاء عنها لأنها نادرة اذفوق ، ولما وقعت في هذا الزمان احتجنا الى الكلام فيها وقد رأينا من يوثق بفعله ردينه يملط في رؤية الهلال كثيراً » وسمعت من بعض الجهال انه يقصده التدين بالشهادة بذلك ويعتقد ان له بذلك اجر من صام بقوله - وسمعنا من بعض اسفهاء انه يقصد بذلك ترويح تركيته وثبوت عدالته ، وللناس اغراض مختلفة ، فإذا سلمت البيئة من هذه الامور كلها ، وسلم مريضع الهلال من الموانع ، واصناها بدليل قام حينئذ لم تقبل تلك الشهادة ، ومملناها على الفلأط أو الكتب ولم تكن خارجين عن القانون الشرعي ، لأن دلالة الحساب القطعي أو القريب من القطعي على عدم الامكان اهوى من الريبة ، والريبة موجبة لرد اشهادها » فاعتقادنا لعدم الامكان كذلك أو اقوى » ومقصودنا القطع بردها »

هذا كلام واضح جدا ، صدر من امام عظيم من أئمة المسلمين ، رضي عن سيرته وشهده بنزاهته ، وطر مكانته العنمية والدينية المتزمتين من الإزهييين ، المحافظون والسليعون المسلمون امثال محمد عبيد ، ورشيد رضا ، وابن باديس وغيرهم ، وقد أعلن أنه لما لم يجدنا مسطورة تقفه فيها ، ولكن اننا قد تاحرنا بدس ان نقدم ، ونفتقارتنا عوص ان مثب » وزاد اختلافنا بعد ان تاكدت الدواهي لانتادنا »

اما الاتفاق على جعل مكة المكرمة هي المبدأ المكاني أي الدوران لليوم الشرعي - كما عبر عنه ابو العلا - أو للهلال الشرعي كما عبرت عنه لجنة التقويم فقد راعينا فيه ان مكة تتوسط البلاد التي أغلب سكانها مسلمون يقول الامتأاد عبد الحميد سماحة في محله : « التقويم الهجري » ما نصح »

« ويلاحظ ان البلاد التي يزيد عدد سكانها من المسلمين عن 50 ٪ تقع في مستطيل يصدح خفا عرش 40 شمالا و 20 جنوبا ، وخطا طول 20 درجة غربا و 12 شرقا وتقع مكة في وسط هذا المستطيل - ولهذا اقترح البعض ان تقدر ظروف رؤية الهلال لمكة وحدها وتقترض النتائج على بقية الاقطار الاسلامية »

104

قرارات وتوصيات المؤتمر الاسلامى العالمى

المتعقد فى كوالالمبور - ماليزيا -

من 21 الى 27 - ابريل عام 1969 م

اولا بداية شهرى رمضان وشوال :

ان المؤتمر اذ يضع فى اعتباره اهمية متنامية الحرف الجارى خلال العالم الاسلامى بالنسبة لتحديد بداية شهرى رمضان وشوال *

وان يضع تحت بصيرة احكام القرآن والسنة فى هذا الشأن *

كما يضع تحت بسره اراء الفقهاء اقدمى والحديثى فى مد جواز استخدام الحساب العلكى لاجل تقرير بداية هذين الشهرين *

يرضى المؤتمر بما يلى :

١ - تتقرر بداية شهرى رمضان وشوال اساسا بالرؤية المعاينة الحقيقية للهِلال *

ب : واذا تعذرت الرؤية لصيبب من الاسباب فى بلد معين وجب ان يتخذ اساسا للتحديد تقريرات للرؤية المعاينة الحقيقية فى بلد آخر يشترك مع البلد الذى تعذرت فيه الرؤية فى الليل نفسه أو فى جزء منه *

ج : اذا تعذرت الرؤية للمسيبين الساعدين وكان الحساب العلكى يثبت امكان رؤية الهلال يباح الاعتماد على الحساب العلكى *

د - على حكومات الانصار الاسلامية المحتاجة ان تقيم هيئة من الخبراء لتحديد بداية شهرى رمضان وشوال بما يتفق والمبادئ السابقة *

ويرضى المؤتمر ايضا باقامة جهات خاصة تتألف من علماء الدين وعلماء الكون المحققين تعيهم الحكومات المشاركة فى المؤتمر ؛ للعلن على اخراج تقويم قمرى اسلامى موحد *

من مقررات وتوصيات مؤتمر وزراء
الاعواق والشؤون الاسلامية والدينية
فى البلاد العربية حول العمل بالحساب الفلكى

الذى انعقد بتاريخ محرم عام 1393 هـ
الموافق شهر فبراير (شباط) عام 1973 م

4 - وجوب عمل تقويم قمرى بمعرفة لجنة معتمدة من الشرية الاسلامية
وعلمام الفلك تلتزم به الحكومات الاسلامية فى صومها وفطرها وفى
تجديد مواسمها الدينية وفى تاريخها .



المراصد الفلكية وتحديد أوائل الشهور العربية وتوحيد مبدأ الصيام ونهايته والاعياد في البلاد الاسلامية

نشرت مجلة (منبر الاسلام) التي يصدرها المجلس الاعلى للمشؤون الاسلامية في مصر بعددها الممتاز شهر رمضان 1398 هـ - اكتوبر 1972 م - اسئلة متنوعة وجهت الى فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد محمد الفحام شيخ الجامع الازهر ليجب عنها * ومن بينها سؤالان فلكيان يتعلق أحدهما بتحديد أوائل الشهور العربية ، وثانيهما بتوحيد مبدأ الصيام والاعياد في البلاد الاسلامية ، وقد احاب فضيلته بما يلي :

السؤال الاول : لماذا لا تستطلع مصلحة الارصاد الجوية ، الفلكية ، هلال كل شهر هجرى مثل ما تفعل في رمضان لان هناك مواسم دينية في الشهور الاخرى كما شواء والمولد النبوى والاسراء ونصف شعبان والعيدى ؟
اطالب عبد المنعم مختار حامد زليخة
من نقما مركز طنطا

الجواب : في الشهور ذات المراسم الدينية يصدر اعلان رسمى يحدد أوائل الشهور * *
وعليك ان تتابع الاطلاع على الصحف لترى هذه الاعلانات * * *

السؤال الثانى : ورد في الحديث (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته) ابخ * * والرؤية - كما يتبادر من الحديث - حسية وتقع بالعين المجردة او بواسطة آلات الرصد * * فهل يمكن ان تفسر الرؤية هنا بمعنى تحكم العقل والعلم واستخدام الحساب الفكى بون الاعتماد على الرؤية البصرية الا فى حالات الامكان * * ولون ان يكون هناك تعارض بين الدين والعلم وذلك حتى يكون فى الامكان توحيد أوائل الشهور العربية لممكن الاحتفال بالمشعائر الدينية فى السوطن لاسلامى ؟

جـ - الشيخ الازهر السابق د . محمد محمد الفحام نشرته مجلة منبر الاسلام في عددها الممتاز رمضان 1398 هـ اكتوبر 1972 .

عدد كبير من القراء ..

الجواب : ان موضوع توحيد هذا الصيام وبالتالي توحيد العيد في اسلاف الاسلامية مرغوب مناقشة الفقهاء في القرون الاولى ، كما ناقشه علماء مجمع البحوث الاسلامية في السنوات الاخيرة ، وهم جميعا متفقون على انه لا تمارض بين الدين والعلم ابدا ، فالدين نفسه هو الذي يدعو الى العلم - وفي مسالمتنا هذه علق حديث الصوم والافطار على رؤية الهلال ، مان لم تمكن الرؤية بالابصر لجأنا الى العلم ، وما الارشاد الى اكمال عدة شعبان ثلاثين يوما لا توجيه لاحترام الحساب الذي هو مظهر من مظاهر العلم .. والراصدون للهلال يستنبطون بمصلحة الارصاد في اجهزتها وامكانياتها لآخرى .

وقد انقى فضيلة الاساذ الشيخ محمد على اساسي عضو مجمع البحوث الاسلامية بحثا مستفيضاً في هذا الموضوع امام اعضاء المؤتمر السنوي وانتهى المؤتمر اى اصدار القرارات الاتية :

١ - ان الرؤية هي الاصل في معرفة دخول اى شهر قمرى ، كما يدل عليه الحديث الشريف فالرؤية هي الأساس لكن لا يعتمد عليها اذا تمكنت فيها التهم تمكنا قسويا .

٢ - يكون ثبوت رؤية الهلال بالتواتر والاستقاضة كما يكون خبر الواحد ذكرنا كان او انى اذا لم تتمكن التهمة في اخباره بسبب من الاسباب ، ومن هذه الاسباب مخالفة الحساب الفلكي الموثوق به الصابر عن يوثق به .

3 - خبر الواحد ملزم له وان يثق به ، اما الرم الكفة فلا يكون الا بعد ثبوت الرؤية عند من خصصته الدولة الاسلامية للنظر في ذلك .

4 - يعتمد على الحساب في اثبات دخول الشهر اذا لم تتحقق الرؤية ولم يتيسر الوصول الى اتمام الشهر السابق ثلاثين يوما .

5 - يرى المؤتمر انه لا عبرة باختلاف المطالع وان تباعدت الاقاليم متى كانت مشتركة في جزء من هذه الليلة .

6 - يهيب المؤتمر بالشعوب والحكومات الاسلامية ان يكون في كل اقليم اسلامي هيئة اسلامية يناط بها اثبات الشهور القمرية مع مراعاة اتصال بعضها ببعض والاتصال بالمرصد واشفكيين الموثوق بهم .

وبناء على هذه القرارات سار العمل في مصر على إعلان هذا الصيام ونهايته بعد الاتصال بالاول الاخرى .

هذا وأود أن يثني المسلمون إلى أن هناك عوامل أخرى لها أهميتها البالغة ولها أثرها القوي في وحدة الأمة الإسلامية ، من أهمها توحيد التشريع والقضاء والنظم الدستورية والاقتصادية والثقافية على أساس من الدين الذي يدينون به جميعا ، فإن عدم توحيد هذه الأمور وغيرها هو الذي ياعد بين المسلمين وجعلهم نهيا لغيرهم من الدول وجعل رابطة مفككة • وحسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبيهيلي عنه اذ يقول : (•••) ولا نقصوا عهد الله وعهد رسوله الا سلبت عليهم عذر من غيرهم فاخذ بعض ما في ايديهم وما لم يحكم الله انتمهم بكتاب الله الا جعل باسمهم بينهم) •



أول ومضمان 28 سبتمبر بالحساب الفلكي

تشير الحسابات الفلكية في مرصد حلوان إلى أن هلال رمضان سوف يولد في الساعة الرابعة والدقيقة 54 من بعد ظهر يوم الأربعاء القادم الموافق 26 سبتمبر ويغرب في جميع البلاد العربية والإسلامية التي تقع شمال خط عرض 20 درجة جنوباً قبل غروب شمس ذلك اليوم بمدة تتراوح بين 5 و 27 دقيقة أما البلاد التي تقع جنوب ذلك الخط مثل مدغشقر وجنوب أفريقيا فسوف يغرب الهلال بعد غروب الشمس بحوالي 15 دقيقة *

وفي اليوم التالي الخميس 27 سبتمبر - ستغرب الشمس قبل غروب الهلال في القاهرة بحوالي 15 دقيقة وعلى ذلك يكون أول أيام شهر رمضان هو يوم الجمعة 27 سبتمبر *

وتشير الحسابات الفلكية إلى أنه في يوم الأربعاء سيغرب القمر قبل الشمس في القاهرة بمدة 21 دقيقة ، وفي مراكش 17 دقيقة ، وفي طرابلس 20 دقيقة ، وفي دمشق 22 دقيقة ، وفي بغداد 23 دقيقة * وهي مكة 18 دقيقة *

أما يوم الخميس فإن مدة مكوث القمر بعد غروب الشمس في القاهرة فتبلغ 15 دقيقة وفي طرابلس 15 دقيقة وفي دمشق 12 دقيقة وفي بغداد 10 دقائق وفي الجزائر 11 دقيقة وفي الخرطوم 27 دقيقة *

ويقوم مرصد حلوان اليوم بإرسال تقرير عن ظروف رؤية الهلال إلى فضيلة مفتي الديار المصرية *

حررته الأهرام عدد 31595 يوم الخميس 23 شعبان 1393 هـ - 1973/7/20

حول توحيد التقويم الهجرى تعيد بداية شهر رمضان لعام 1392 هـ

تقابلنا دائما مشكلة تحديد اواكل الشهور
الهجرية وتشتد هذه المشكلة باقتراب شهر
رمضان المعظم والاعیاد .

والى الان لم تجتمع كلمة المسلمين على
طريقة ثابتة نستطيع على سؤلها توحيد التقويم
الهجرى والوصول الى نهاية تلك الاختلاف
غير المقصود فى بداية الشهور العربية .

ولا بد لنا ان نقوم بذلك ان نؤمن بالحساب
الفلكى قاعدة للوصول الى ما نريد وان نضع
له الشروط الشرعية الواجب اتباعها والتي يجب
ان نلتزم بها .

بحث لثلاثة من الاساتذة الفلكيين
للصريحى ، مطروحة مجلة صبر الاسلام
الامرنية وشكله جريدة المسم
الحريرية فى شباط 1392 هـ

وود يصير البعض على مجرد المشاهدة بالمعين اساسا لتحديد بداية الشهر وعندئذ يمتد ان هذا الاصرار لا توجيه ولا تفره كلمة (رؤية) فالرؤية تتم عن طريق الحواس واحكام العقل والعلم . ويكفى ان مجرد الرؤية بالمعين لا تؤدي الى توحيد التقويم بأية حال كما انه يتعذر عمل اى تقويم فى بداية العام . وهذه مشكلة يحبان نتظف عليها فى عصر العلم ما دمنا نسلك طريقا غريبا اقرب الدين ،

ولنا ان نستعين بالمساعدة للتأكد متى كان ذلك ممكنا . ولكن كثيرا ما لا نستطيع تحقيق الرؤية بالمساعدة فى الامم الغربى لعدة اسباب .

وللق الآن نظرة سريعة حول حركة القمر والارض حتى نتعرف على كيفية بداية الشهر العربى :

من المعروف ان الارض تدور حول الشمس فى مدار بيضاوى ، وتكمل دورتها فى عام ميلادى طوله 365 ، 245 يوما بينما يدور القمر حول الارض مرة كل 27 ، 32 يوما . ولا كانت الارض تدور حول نفسها مرة كل يوم وتسير فى مكانها حول الشمس فان على القمر ان يدور فترة اضافية تدور بحوالى 28 ، يوما حتى يصل الى فوق نفس المكان من الكرة الارضية . وعلى ذلك يبلغ طول الشهر القمري 53 ، 29 يوما . ومعنى ذلك انه اذا اعتبرنا طول الشهر 29 يوما فسوف تتراكم الكسور المتبقية حتى تبلغ يوما كاملا فيكون هناك شهر طوله ثلاثون يوما . . . وهكذا .

ونرى القمر دائما دوراه حول الارض ، نتيجة لانعكاس ضوء الشمس عليه اى ان رؤينا للقمر ممكنة الا اذا لم يصلنا ضوء الانعكاس اما لوقوع القمر فى منطقة ظل الارض كلية فى انما ، الحسوف ، او لوقوعه بيننا وبين الشمس . وفى الوضع الاخر تنتج الاشعة المنعكسة على القمر الى اتجاه مضاد لاتجاهنا وهذا يحدث فى مرحلة اللحاق ، والزحزحة البسيطة للقمر عن هذا الوضع يعرف الانسلاخ او ميلاد القمر وتعتمد بعد ذلك رؤينا للهِلال الوليد على عوامل كثيرة اهمها :

1- المسافة الزاوية بين الشمس والقمر عند الارض ، وذلك تحدد مساحة الجزء المضي من سطح الارض وبالتالي شدة الضوء الذى يصلنا منه وطواره المنحنية وتعتمد هذه الزاوية على عمر القمر اساسا اى الفترة المتقصية بعد انسلاخه عن الشمس وقد يصل هذا الزمن الى 24 ساعة ذا ولد الهِلال مباشرة بعد غروب شمس اليوم السابق وهى عادة اقل من ذلك .

2) الفترة الزمنية التي يمكنها القمر فوق الأفق بعد غروب الشمس وتعتمد هذه الفترة على الزاوية بين مداري القمر والارض والتي يتراوح بين حوالى خمس درجات بالسالب والموجب أى علم تاريخ اليوم . وكذلك تعتمد على خطي عرض وطول مكان المشاهد .

3) شدة انضاءة الاقنق الذرى بالسببة للجزء المصى من القمر وهذا يعتمد على تاريخ اليوم من السنة الميلادية وعلى خطي عرض وطول مكان المشاهد .

4) خلو الاقنق الغربى مما يمنع الرؤية من السحب والضوائب البالقة فى الجو .

ولعل العامل الاخير وهو عامل السحب ليس اصعبها فمن الممكن هذه الايام باستخدام الطائرات للارتفاع الى ما فوق منطقة السحب .

تلخص من ذلك ان الحساب العلكى يتطلب فقط تحديد لحظة اتسلاح القمر عن الشمس فاذا وقع ذلك قبل غروب الشمس وغرب الهلال بعد غروب اشمس يد الشهر العربى فى اليوم التالى .

ومن مستلزمات الرصد المسلم اكساب القاتنين به خبرة معينة من استعمال الآلات وتحديد المواقع وتمييز الهلال حتى يؤدوا عليهم على اتوجهه " ونحن بصدد اجراء بعض البحوث عن الطرول المحاسبة لرؤية الهلال فى جامعة القاهرة حتى يقف فقهاء المسلمين على الحقائق العلمية من هذا .

ونظرا لقرب حلول شهر رمضان فقد قمنا بحساب اليوم ، بعد الاسلاخ الذى يفر فيه القمر بعد غروب الشمس والفرق الرسمى بين غروبيهما وذلك للمنطقة التى تقع فيها البلاد الاسلامية من غرب موريطانيا غربا حتى شرق اندونيسيا شرقا ومن شمال تركيا شمالا حتى جزيرة مدغشقر جنوبا وذلك على الحساب الالكترونى وقسمنا هذه المنطقة فى الرسم الى مربعات طول ضلع كل منها خمس درجات ودونا فى بعض اركانها وعلى مواقع المدن الهامة الفترات التى يمكنها الهلال فى الاقنق الغربى بعد غروب الشمس . وبذلك انقسمت المنطقة الى ثلاث مناطق مميزة فى المنطقة السفلى المسئلة بخطى متقاطعين يبرى الهلال يوم السبت 7 أكتوبر وفى المنطقة الوسطى المسئلة بخط واحد مائل يبرى الهلال فى يوم الاحد الموافق 8 أكتوبر ولا يمكن رؤيته فى هذه المنطقة فى يوم 9 أكتوبر أما فى المنطقة العليا غير المسئلة فلا يبرى الهلال قبل يوم الاثنين الموافق 9 أكتوبر .

وحذير بالذكر ان المنطقة السلي تصم بعض بلاد المسلمين مثل دار السلام وجريرة مدغشقر
وغانا وغينيا وليبيريا - ويكت الهلال في مدينة تاناناريفه عاصمة مدغشقر لمدة ثمان دقائق »

بعد غروب شمس يوم 7 أكتوبر وفي جنوب الجزيرة يكت عشر دقائق - 10 المنطقة الوسطى
فهى تضم أغلب بلاد المسلمين بحق ونظرا لأنه تساوى بلاد المسلمين فى شأن الرؤيه يصبح
من المحروم به أن أول رمضان المكرم هو يوم الاحد الموافق الثامن من أكتوبر ما لم يتفق العمما على
ضرورة اعتبار بلد معين أو منطقة معينة أو ظروف معينة تقتصر عليها الحساب »

وربما كان اجتماع رأى الفقهاء على تحديد مكان أو منطقة معينة أو مواصفات معينة للمشاهد
من حيث القوة البصرية مفرحا له وحامته ودعائمه من حيث نمادى المشاكل التى تنجم عن التفسيرات
التصارفة عن رؤية الهلال وعن بداية رمضان وأيام الاعياد مما سبب مشاكل دينية واقتصادية
 واجتماعية ما اعنى الاسلام والمسلمين عمها »



انشاء مرصد فلكي اسلامي بالسعودية
لضبط التوقيت علميا ، واعتماده من الشعوب الاسلامية
اجتماع علماء مختصين للدراسة الموضوع

كان مؤتمر وزراء الاوقاف والشؤون الدينية
المنعقد بالكويت في فترة 23 - 28 محرم من هذه
السنة (26 فيفري 3 مارس 1973 م) قد قرر
« وجوب عمل تقويم قمري بمعرفة لجنة معتمدة
من فقهاء الشريعة وعلماء الفلك تلتزم به
الحكومات الاسلامية في صومها وخطرها » ، وانه
« توطئة لاعتماد الحساب الفلكي الموثوق به في
تحديد اوائل الشهور القمرية يقرر المؤتمر تسميم
المرصد الفلكية في البلاد العربية والاسلامية » .^١

ويظهر ان السعودية ستكون أول دولة اسلامية تنفذ قرار تعميم المراسد فقد دعت رابطة اسعالم الاسلامى الى عقد اجتماعات بمكة يحضرها علماء الفلسف من المسلمين وبعض علماء الشريعة من اعضاءها يعد ان تلقت من جلالة الملك فيصل موافقة على ملتصها به « للمعاج لها بالمبحث فى امكانية انشاء مرصد اسلامى فى الملكة يتولى ضبط التوقيت علميا ويكرن محتدا من جميع اسعوب الاسلامى بدلا من خط غرينتش باعتبار ان مكة هي رمز التوجيه الروحى للمسلمين وقبلتهم اينما كانوا » *

وقد اتصلنا بالندوة لحضور هذه الاجتماعات اواخر شعبان ، وانعقدت فى الفترة ما بين 2٩ - 2٧ من رمضان بمقر الامانة العامة للرابطة بمكة ، وحضرها ممثلون عن السعودية (جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، جامعة الرياض « كلية ابنترول والمعادن بالظهران) وعن الجزائر ، وعن اندونيسيا ، وعن تركيا (وهذه دول اسلامية تمك مراصد فلكية) واعتذر عن الحضور ممثلوا جامعة الازهر والقاهرة ، وجامعة دمشق بسبب ظروف الحسروب . كما حضرها من علماء الشريعة اعضاء فى رابطة العالم الاسلامى : ونقيب لرئاستها الدكتور محمد عبده يماى مدير جامعة الملك عبد العزيز بمكة وللنيابة الدكتور ويكر مدير كلية ابنترول والمعادن بالظهران *

والقى تقرير الامانة العامة الاستاذ الشيخ محمد صالح اقزاز ، واعرب فيه عن حيرة المسلمين امام الصعوبات التى ما يرالون يجدونها فى توحيد وتحرير تواريخ مناسباتهم الدينية التى تتوقف عليها ممارسة عبادتهم كالصيام والافطار . وان على العلماء ان يجدوا لملك حلا * وان الامر يتطلب انشاء مرصد اسلامى يساهم بالموسائل العلمية الحديثة على تحري رؤية الهلال * وان الرابطة - اهتماما منها بذلك - استأذنت جلالة الملك ان يسمح لها بانشاء هذا المرصد فاذن ولهذا اتصلنا بعلماء الفلك واهل المراسد المسلمين لنشرح فى التنفيذ ** وانشاء كاملا فضيلة الاستاذ القزاز ساق ايات قرآنية تدل بفجوها على اعتماد حساب القمر والشمس كقوله تعالى « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتعلموا عند المنين والهمباب *** وفى تقرير كلية البترول والمعادن الذى القاه الدكتور اسامة يرهى على ان الحاجة ماسة لتوحيد طريق التاريخ القمري بين الدول الاسلامية فى عصرنا * ** وحيث ان تقويمنا القمري يعتمد على حركات الشمس والقمر الظاهرية بالنسبة للأرض فانه من السهل استخدام ما هو ثابت ومعروف من القوانين والمعادلات التى تعرف حركات هذه النجوم السماوية *

ثم ذكر ان هذا لمس يحدد على الاسلام والمسلمين مقد استعملوه فى تعيين القبلة ، وتحقيق الزوال وأول الاشهر القمرية *** وهكذا كانت تراعى فيه انفاذة العلمية المطلقة بالحياة أو بالشؤون الدينية ، من تغيير الوقت أو مراعاة السير فى البحار وقطع العيافى ، وأن المسلم

احتكروا هذا النشاط العلمي لمدة تسعة قرون متواصلة * ولم يشعر المسلمون الاثر بل بغضاضة في استخدام الحسابات الرياضية لتأييد المشاهدات الفلكية لانهم كانوا مهتمين بهدي القرآن الذي من آياته قوله سبحانه « فالحق الاصباح وجاع اسهل سكتا والشمس واقمر حسبانا » وقولسه « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق لنصل الآيات لقوم يعلمون » * ثم ذكر مقدار انصراف المسلمين وتخليقهم اليوم عن الامم المتقدمة من امم القرن فقال : « في العالم اليوم 360 مرصدا فلكيا عاملا كلها تابعة غير المسلمين ما عدا ستة فقط تتبع دول اسلامية هي : تركيا ، مصر ، الجزائر ، اندونيسيا *** فما اهو جتنا كمسلمين الى التقدم في هذا المجال » *

وفي هذا التقرير بين الدكتور اصامة الفرق بين حساب الهلال الملكي الجديد * وبين تحديد الهلال الشرعي تبعا لشروط وجوده في الافق بعد الغروب وعمره من الناحية الفلكية *

ثم بين ان انساب الاماكن لعمليات الرصد يوجد قرب الطائف لتوفر الشروط وقربها من مكة * واثرت الجلسة الاولى شكلت لجنة فنية من المختصين لمعقدت اجتماعات وبحثت الموضوع من جميع اطرافه - وانتهت الاجتماعات بقرارات اهمها تشكيل لجنة فنية دائمة لانشاء هذا المرصد الاسلامي بالمكة يشارك فيها علماء مختصون من اطراف العالم الاسلامي عرفوا بكفاءتهم ولاختيار مكان لاقامته على ضسوء الدراسات الفقية بالتعاون بين رابطة العالم الاسلامي وكلية البترول والمعادن ، والدعوة الى ايجاد وتوفير لقاءات مماثلة بين علماء الفلك المسلمين لتبادل الخبرات والاستشارات * وشكر رابطة العالم الاسلامي على مجهوداتها في الموضوع وجلالة الملك فيصل على اننه ورعايته والسماح لها باقامته *



رأى الشيخ اسماعيل بن موسى الجبلي

من حاشية الورجلاني على كتاب « القواعد » للشيخ اسماعيل بن موسى الجبلي الإباضي

«... والمعمول به عند أصحابنا في يوم الشك الإمساك عن الطعام حتى ينتشر الناس وترجع ابرعة فان صح انه من رمضان اتموهوا لا افطروا وعلى الجميع الاعادة من افطر» ومن صامه لانه صامه على غير نية والله اعلم»

الفصل الاول : في أحد سببي موجب الصيام وهو الرؤية للهلال لقوله عليه السلام « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان هم عليكم فاقصروا له » فاجمع العلماء على أن الشهر الحريبي يكون تسعا وعشرين يوما ويكون ثلاثين لثبوت ذلك في الحديث « وأجمعوا على أن الاعتبار في تحديد طرفي رمضان إنما هو الرؤية للحديث المتقدم وأعني بالرؤية أول شهر القمر بعد السراة » واختفوا في الحكم اذا غم الشهر ولم تكن الرؤية في وقتها المعتبر لها فذهب جمهور العلماء إلى أن الحكم في ذلك اكمال العدد ثلاثين يوما - فان كان الذي غم هلال أول الشهر عد الشهر انضى قبله ثلاثين وكان أول رمضان الحادي والثلاثين - وان كان الذي غم هلال آخر الشهر صام الناس ثلاثين يوما - الا ما روي عن ابن عمر انه ذهب الى انه ان كان المسمى هلال أول الشهر صام الناس اليوم المعروف بيوم الشك والله اعلم - وروي عن مطرف بن الشجرى (الصواب بن الشجرى) وكان من التابعين انه اذا غم الهلال اعتبر الحساب بمنسب الشمس والقمر « ومثله روي عن الشافعي انه قال : من كان مذهبه الاستدلال بالنجوم ومنازل القمر ثم تبين له من قبل ذلك أن الهلال مرئي وقد غم فانه يعتد الصوم ويحزه » وسبب الاختلاف الاحتمال الذي في قوله عليه السلام فان غم عليكم فاقصروا فذهب أكثر العلماء إلى أن تأويله اكمال العدد ثلاثين يوما ، وذهب آخرون إلى أن معناه التعديل بالحساب التجسسي ، ومنهم من رأى أن معناه أن يصيب المرء سائما وهو مذهب ابن عمر كما قصنا فيما روي عنه والله اعلم - وكان حابر بن زيد والحسن اذا غم اصبحا مفطرين»

الحاجة الى تقويم هجرى موجه يكون عليه عمل المسلمين فى الارض جميعا (1)

فى اليوم الذى يطل فيه هلال المحرم ، يشر
بميلاد العام الهجرى الجديد ، ندعو البارى تعالى
الذى قدر لنا فى شهر رمضان من العام المنصرم
انتصارات تاريخية على اخيبت عدو عرفه الناس ،
ان يبشرنا فى هذا العام الجديد بمزيد من النصر
والتأييد والامن والفسلاح والرخاء ، ونسأله
سبيلنا ان يبارك وحشة غروبنا الاسلامية
ويجعلها بداية لمولد دولة اسلامية موحدة يفتى
باسها ويحسب حسابها .

د . محمد عبد الرؤوف

(1) من مجلة الرسمى الاسلامى - السنة المباشرة ، العدد 109 - المصادرة لى شهر 96 هـ - 25 يناير 74 م

انتبهت هذه المناسبة لأشرف لاجواننا في الشرق الاسلامي عن طريق هذه المجلة المباركة مدى حاجة اخوانهم الذين يعيشون في العالم العربي لتقويم هجري موحد ، بعد ونشر لأعوام سابقة كي يرتبوا حياتهم واعمالهم ونشاطهم الاسلامي على ضوئه دون شك واضطراب ، ودون انتظار حتى آخر لحظة كي يسمحوا بالحكم بثبوت الرؤية في بلد آخر - ثم يقال لهم ان شهر الصوم قد بدأ ، او ان عيد الفطر يحتفل به بعد سويتمات ما لا يتفق مع نظام الحياة في هذه البلاد التي لا يراد الاسلام فيها غريباً *

تفضل الادارة العامة للحساب المساحي والارصاد بالقاهرة تعتمد التقويم الاسلامي لكل عام وبعنه للمراكز الاسلامية الكبرى ، وفي مقدمتها المركز الاسلامي بواشنطن ، وذلك على حسب التوقيت الرسمي للمدينة التي يوجد بها المركز الاسلامي ، ويبين في هذا التقويم التواريخ والاعياد الاسلامية على طسول العام بالمقارنة للتواريخ الشمسية ، كما يشتمل على قوائم لواعيد الصلوات اليومية ، والمسلمون يدينون بالعقس والشكر الجزيل للسيد مدير الادارة المذكورة ومعاونيه الكرام ، فان اعداد هذه القوائم يتطلب عمليات حسابية ومجهودات مضنية ومراجعات دقيقة *

وفور وصول التقويم اليها يقوم المركز بنقل هذه القوائم الى اللغة الانجليزية واعدادها لطبع بكيفية تتناسب مع الحاجة المحلية ثم يطبع آلاف النسخ من التقويم ويوزعها قبل عيد الفطر على المسلمين في شتى النواحي بأمريكا الشمالية *

ويواصل التقويم ليد المسلمين ، يفتون على تواريخ اعيادهم ومواسمهم الدينية ، فيقيدها في مفكراتهم ، ويرتبون على اساسها مواعيد اجازاتهم ، وقد يتقدم من يحتاج منهم الى رئيس الشركة او المصلحة التي يعمل بها بطلب اجازة او اجازات من العمل في هذه التواريخ ليتيسر لهم ولعائلاتهم الاشتراك في المناسبات الاسلامية في هذه الايام *

وليس من المستحسن ان ينظر الموظف في شئ الى آخر لحظة متلقيا الاخبار حتى يسمح في احدى الاسمييات ان شهر رمضان يبدأ الليلة فتبني الصيام - او ان عيد الفطر سيكون قسداً فيختلف عن عده في صباح اليوم التالي ليكون مع اخوانه المسلمين ثم يمتدز لرؤسائه في العمل في اليوم الذي يليه ، فمثل هذا يؤثر على علاقته مع الشركة او المصلحة التي يعمل بها ، وقد يؤدي

الى طرده وحرمانه من مورد رزقه ، كما انه لا شك ان ذلك ليس في صالحه اعمل نفسه - وفوق هذا فقد لا يتيسر لكثير من اعضاء الجالية الاسلامية سماع النشرة من راديو خارخي او من مدير او زميل مسلم ، وبالتالي يعوتهم صوم البسوم او الاشتراك في يوم العيد .

والعطلات الرسمية هنا في أمريكا منها ما هو مناسبات دينية مسيحية ومنها ما هو مناسبات وطنية ، وقد نشط اليهود وأصرروا على المطالبة بحق احتازاتهم أيام أعيادهم ومواسمهم ، بالإضافة الى العطلات العامة ، دون خصم شيء من ذواتهم ، وقد حصلوا على ذلك ، بل ان بعض الولايات الأمريكية مثل ولاية نيويورك تحتفل بالمناسبات الدينية اليهودية وتعمل فيها المصالح ودور الحكومة ، لذلك نشط بعض المسلمين من طلاب وموظفين وطلّابوا السنولين بأغاثهم من العمل أو الدراسة أيام المواسم الدينية الإسلامية وقد طفر بعضهم بهذا الحق ، وبدأ بعض حينه المصالح والجامعات تكتب لنا تطلب قوائم بالمواسم الإسلامية لمدد من السنين مقبلا ، وقد طلبت منا حامية هارفر ، المشهورة ان أبحث لها بتقويم إسلامي للسنوات العشرة القادمة كما ان عددا من دور النشر التي تعنى بنشر التقاويم لاحتكام الأديان طلبت منا ترويديها بهذه التقاويم ، وهذا لديهم شيء مألوف فان للمسيحيين واليهود تقاويم جاهرة لعدد كثير من السنوات المقبلة لا يتطرق لتواريخها الشك ولا تتعرض للاختلاف ، وينظم رجال الاعمال رحلاتهم واجازاتهم على أساس هذه التقاويم في وقت مبكر ، ويتطلع المسلمون الذين يعيشون في بلاد الغرب ليتيسر لهم مثل ذلك .

وهنا يذكر بهذه المناسبة أيضا ان الكثير من الجمعيات والهيئات الإسلامية ليس لديها مسجد يتسع للعدد الكثير الذي يشترك في المناسبات الكبرى مثل الميدين ، لذلك يضطرون لاستئجار صالات كبرى لهذا الغرض ، ولا يتيسر لهم هذا الاستئجار والتعاقد عليه الا اذا علوا بتواريخ هذه المناسبات مقدما بوقت كاف ، وتجد بعض هذه المؤسسات صعوبات جمة في الحصول على اتفاق لجلس قاعة مناسبة . نظرنا لان هذه القاعات تحجز لأغراض أخرى في مواعيد مبكرة جدا . ومن ناحية أخرى يتخلف النفوذ الصهيوني من الثائمين على منه القاعات ففي مدينة نيويورك مثلا يباحد المركز الاسلامي نور وسول التفويض المديد اليه ويسلم ميكرا على حجز قاعة كبيرة مناسبة ، ويلقى في سبيل الحصول على ذلك عنتا كبيرا ، ولأصرب على ذلك مثلا ما حدث في عيد الفطر عام 1388 هـ ، وتصادف ان كان أيضا أول شهر يناير سنة 1968 ، وكان اليهود لا يزالون

في نشوة العرج بالصبر الذي أحرروه في يوبوعام 1967 ، وبصوبة شديدة استغننا أن نوقع
المتدحرج قاعة في إحدى الفنادق الكبرى بالمروة قبل عيد العطر بضمه شهر ، ودعنا
جزءاً من الأجر مقدماً ، وإبلفنا كالعادة أعضاء الجالية الإسلامية بالمنطقة عن مكان صلاة العيد
وموعدها عن طريق آلاف المكاتب الدورية التي ترسلها من وقت لآخر ، ويترك أخرى ، ولكن
قبل العيد بيومين قد اتصل المسئول بالمعوق تلغرافياً بكاتب هذه السطور ليقول أن القاعة
تُلزَمهم لشيء آخر في اليوم نفسه وأنه لذلك سوف لا يمكننا استعمالها فاستطع في يدي حيث
لم يكن يتيسر بعد في هذا الوقت المتأخر أن تحصل على قاعة أخرى ، وحتى لو استطعنا
الحصول على مكان آخر ، وهو أمر بعيد الاحتمال ، لم يكن لدينا من الوسائل ما نستطيع به
إعادة الألاف من أعضاء الجالية عن هذا الصبر ، ولو رفعا الأمر إلى القضاء - وأكثر قصاة الحاكم
من الصبر الحادي - فلمس يكن يعبداً شيئاً ، والمحكمة تستغرق طويلاً ولم يبق على العيد إلا
يومان ! ولا نرى مضمناً لسرد ما حدث بعد ذلك من تفاصيل مؤلمة !

والانتظار حتى يحكم بالرؤية في بلد آخر في شأنه أن يشير الخلاصات ويسودى إلى
الارباب كات ، خذ مثلاً على ذلك ما حدث في شهر رمضان من العام المصري 1393 هـ فقد ورد
بالتقويم الذي أعده لنا حاسبون قد يرون على أمس صحيحة ، وبيانات دقيقة ، أن أول شهر
رمضان 1393 سيكون يوم الجمعة 28 سبتمبر 1973 ، وأن عيد العطر سيكون يوم الاحد 28
أكتوبر من العام نفسه ، وقد ترسب المسئولون أنهم على أساس هذه المعلومات حيث وُعدنا
التعزيم عليهم ، ثم ذكرناهم قرب معلم الشهر وبعثنا لهم بالساكنات وناهب الجميع للصوم
في اليوم المذكور ، وفجأة أذاع راديو القاهرة وصحه بعض المسلمين - أن الرؤية تثبت وأن
اليوم - الخميس 26 سبتمبر أول شهر رمضان ، فضج الكثيرون واضطربوا ولم تكذب تنقطع
المكالمات التلغرافية الواردة من جميع أنحاء أمريكا استصاها أو لوما أو احتجاجاً ، وحدث مثل ذلك
وأكثر منه لما سمح البعض إعلان رؤية شوال في مساء الخميس 25 أكتوبر وأن العيد لذلك يوم
الجمعة التالي أي قبل ما حدد في تقويمنا بيومين ، فتمثلت بعض الهيئات الإسلامية بما سمع مؤخرًا
فغيرت وبدلت ، وأبقى البعض الآخر على المواعيد السابقة لأسباب يصعب التغلب عليها ، والبعض
صام وأعطى على حسب ما سمع من الخارج ، وظل البعض على ما تولى أول الأمر ولكن قلوب الجميع
غير مطمئنة وبألم غير مستريح .

ولما كان عيد الاضحى في العاشر من ذي الحجة وتاريخه يعرف عند حلال الشهر فقد قرنا
منذ عامين ان نؤجل اعلان تاريخ عرفة وعيد الاضحى حتى يرد لنا تاريخهما من المملكة العربية
السعودية ليتفق عيدنا مع يوم الاضحية هناك ولا يفرض اذا حدث اختلاف بين تقويمنا وما تنبته
الرؤية بالبلد الحرام ، وشقينا ان نصل الصد يوم يقب الحصح بعرفة ، فادا وقعا على تاريخ يوم العيد
اول الشهر يكون لدينا أكثر من اسبوع لايصلاح أعضاء الجاليات الاسلامية وعمل الترتيبات الاخرى
من صرب الخيام وترتيب تلمنتها وثبيت آلات الصوت بها لتلقى المصلين من البرد وادى الامطار
والثلوج المحنة ، وكتيبا لشخصية اسلامية كبيرة مسنولة في مكة المكرمة للتفصيل بافادنا
- برقيا - فور الحكم بشأن رؤية حلال شوال ايجابا أو نفيا ، موعدا خيرا .

وقبيل شهر ذي الحجة اعدنا آلات المكانيب واعلمتها ، وابقينا فراغا سيرا بالمكانيب لتثبيت به
اسم يوم العيد وتاريخه فور وصول البرقية اليها ، وكنا قدونا ان تصلنا في الثلاثين من ذي
القعدة الذي يحتمل ان يكون اول ذي الحجة ، ولكن لم يصلنا شيء في اليوم الاول ولا في اليوم
الثاني او الثالث ، وظللنا نلتقي الاستفسارات من كل جانب ونحن عاجزون عن الجواب حتى مساء
اليوم الرابع !

ونظرا لما سبب لنا هذا من الحرج قرنا في العام التالي ان نتصل بتقونيا في مساء التاسع
والعشرين من ذي القعدة بالشخصية الاسلامية المسؤولة بمكة المكرمة لتستفسر عما تم بشأن تحديد
اول شهر ذي الحجة ، ولما كانت أمريكا تتأخر زمنا عن مكة بأكبر من سبع ساعات حسبنا اننا
دا انصلنا بسيادته بعد المغرب هنا سيكون الامر بدته فيه هناك وعلم اول الشهر ويوم عرفة وعيد
الاضحى على التاكيد ، ولكن الاسباب عسلة لم يتيسر لنا الاتصال بسيادته الا في اليوم الثالث
من ذي الحجة حساييا ، وكان سيادته كريما نبيلالخير ، ولكن كم كانت دهشتي عندما ذكر اهم
لا يزالون في انتظار الحكم بشأن الرؤية ، وانسابالنالي لا يعلم اول الشهر ولا يوم عرفة ولا يوم
لعيد ! ولكنه تقبل ووعده بافادتي برقيا عنمنا تقرر الامر .

★ ★ ★

اسوق هذا كله لأشرح لك أيها القاري الكريم مدى الاضطرابات والمتاعب التي يعانيها
انوارك المظلومين في هذه الديار ، التي لا يزال الاسلام فيها غريبا - من جراء عدم الاتفاق على
تقويم اسلامي موحد نخطط على ضموئه نضابطنا اعمالنا في أمن واطمئنان ، فهل يرضى السادة

العلماء، والمسئولون - وهم آخرون الساس بالروح الاسلاميه - أن يكون هذا حال المسلمين بين حيران من أهل الكتاب والصهيونيين والملاحدة ، وبهم من تريض بنا الفوائر للظن على ديننا واتهامه بالتأخر وعدم الملائة بمصالح الفرد وغطام الجماعة أمن ذي الوجهة حسابيا ، فكان سيادته كريما فيبلا رديتنا هو دين التوحيد - توحيد الاله وتوحيد الكلمة وتوحيد الأمة - - ؟

لقد صدرت في السنوات الاحرة فتاوى مقتضاها انه اذا حكم بثبوت الرؤية في بلد وجب لأصوم على من علم بذلك في السلس في سائر الاقطار وهذا انحاء طيب نحو الوحدة ومنتق مع ما جرى عليه كثر من المذاهب ، لكسني أقول مع جليل التقدير ان هذا لا يكفي ، فان توقع الامر على حدوث الرؤية العينية والحكم بها أو اعلانها لا يدفع عنا المرح ويحقق ما نرسم من تيسير ولا يعطينا لمرسه للمحيط والاعداد المتني على حكم مؤكسدائق لا تردد فيه ، فالتوقف على ثبوت الرؤية يعني العلم بالحال انه بعد تحول الوقت ويحصل السلم في حيرة من امره حتى آخر لحظة .

مع خاطب الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه بأن نصوم لرؤيته - وقد انشد بهذا سرهيه عندما كانت الامه حياجه تبشر على السعيه والمطره ولم ترق بعد وسائل مواصلات الانسنيكية والحسابات العلكيه كما هي عليه في عصرها الحاضر عصر الدرء والعصا، ولكن كلام المصطفى صلوات الله عليه خالده وصالح للعمل والتطبيق في كل حال وكل زمان تطبيقا لا يؤدي الى المرح والمشفة ، ولذلك قد يتسائل سائل فيقول : هل حصر الرسول طريق العلم بشهر على رؤية الهلال نشاهد أو شاهدين ؟ وهل يسنع ان يكون هناك طرق أخرى يعلم بها دخول الشهر كان يشت بالحساب المنصسط ، انما لا يمكن رؤية الهلال حيث لا يقرب القمر الا بعد غروب الشمس بصنع دقائق " وعلى قوله صلوات الله عليه : " فان عم عليكم فاكملوا عند شعبان ثلاثين يوما " قرآنية حتمية على ان الرؤية هي لسبيل الشرعي الوحيد للعلم ببداية شهر الصوم ونهايته ؟ أم ان الرسول لما ذكر طريقا من طرق العلم ببده الشهر وهو الرؤية نصحننا بهذا نصيح اذا كانت هي طريقا الوحيد فمن ندر شأنها بمسبب الحساب ؟ ألا يجوز ان يكون ذلك خلا من امثلة لعجز عن العلم ببده الشهر وبيان الحكم وهو اكمال لشهر ثلاثين في حالات العجز كلها كاحتجاب القمر وعدم معرفة الحساب ؟ واذا كان هذا حصرنا نوكد كيف قال السادة الشافعية قبل عصرنا عما نقرون طويلة بأن على المنعم ومن صدقه ان يعمل بحسابه ؟ وكيف تردد في تصديق الحاسنين احصائين وقد تمكنوا من تنظيم رحلات باحثة الى العصر مسية على حساباتهم الدقيقة ومرتتهم الثامة

بحركات القمر وهنازله ؟ ولو حدث أى خلل فى عدياتهم الحسابية لأودى بحياة رواد الفضاء ، ولترتب عليها خسائر فادحة .

إن أعالم النى يحسب ويحفظ لرحلات الفضاء ، وبحسب لأوقات المد والجزر ليرشد السفن التى تسير عبر المحيطات لايسر أن يحسب ليعلم متى تكون رؤية الهلال الجديد فى أول كل شهر ، بين لعل حسابيه المتعبط أقوى دلاله من شهادة فقه قد تخطئ، عنه . فبحسب السراب ماء ، والخطأ فى الرؤية محتمل جدا نظرا للبعد الشاسع بين الراى والمرئى .

إننا نحتر المستولن عن العمل فى الحقل الإسلامى بالبلاد الأمريكية شعرنا بإعاجه الماسه لعمل تقويم موحد ، وتوعية المسلمين من أعضاء الجالية بالحاجة الى هذه الوحدة ، وتهديد النفوس لعدم الفرع أو الاضطراب إذا ما سمعوا آخر لحظة أن المسلمين فى قطر ما قد خالفوا لتبنيوت الرؤية عنهم على غير ما أعلن فى تقويمنا ، ولذلك لأسباب أخرى حادة منها الحاجة الى تسييق الجهود والخدمات الإسلامية ، كوننا فى العام الماضى بحسبنا يضم رؤساء المراكز الإسلامية من يحملون مؤهلات عليه من جامعات إسلامية معتبرة مثل جامعة الأزهر والحبف . وسبقنا هذا المجلس : « مجلس الأئمة الأمريكية الشمالية » ونأمل أن يحقق هذا المجلس ان شاء الله التوفيق إن شاء الله أعظم الخدمات لمصالح الإسلام والمسلمين - وقد عقد المجلس عدة اجتماعات ، وكان مما آتاه بفضل الله تنظيم برامج الحفقات الدراسية التى تعقد للمسلمين خاصة الناشئة وحديثى الديند بالإسلام، كما عى المجلس بدراسة موضوع توحيد التواريخ الإسلامية ، وقد نظر فيه مرارا ودام بانتصالات مع السادة المسئولن بالبلاد الإسلامية بهذا الشأن ، وأخيرا اتخذ قرار بحس مؤقت وذلك بمعمل تقويم خاص للمسلمين فى أمريكا الشمالية تحدد فيه تواريخ الأعياد والمناسبات وبمسء الصوم ونهايته على حسب مطلع أحد البلاد الأمريكية والإسلامية . وذلك حتى عمل عمل تقويم حسابى تجمع عليه الأمة ويكون عليه عملها فيما اختلفت مصالح بلادهم .

ولنمد الى موضوع الرؤية : فقد يظهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « صوموا لرؤيته » قد دلنا على النقطة الزمنية مبدأ صا لشهر الإسلامى ، ألا وهى عندما تتأق رؤية الهلال الجديد ، فليست هى منتصف الليل كما هو الحال فى بداية اليوم الشمس والشمس

الشمسي وليست مطلع الفجر ولا وقت شروق الشمس أو زوالها ، ولكنها اللحظة التي تمتد عروب الشمس في الليلة التي يتخلل فيها غروب الفجر الجديد لأول مرة عن مفيد الشمس ويمكننا معرفة ذلك ، أما برؤية الهلال الجديد فعلا وأما بالحساب الصحيح المعتمد ، وعليه هل يمكن أن يحتفل قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « صوموا لرؤيته » وجوب الصوم عند العلم بالحساب الصحيح المؤكد أمكان الرؤية مطلقا ؟ *

والذي نقترحه ونرجو السادة العلماء المسؤولين النظر فيه هو ما يلي :

أولا : النظر في إمكان اعتبار الحساب الختومق به لضبطه وأمانته أساسا للتقويم دون انتظار لثبوت الرؤية طالما أكد حساب المؤكد أن الرؤية ممكنة إذا ارمعت المراجع لتحلف غروب القمر الجديد عن غروب الشمس *

ثانيا : اختيار بند إسلامي عريق كبذل الله الحرام يكون مطلعه أساسا لهذا التقويم الموحد *

ثالثا : العمل على جمع كلمة المسلمين حول هذا التقويم والاختذ به مهما تباعدت ديارهم أو تعددت مصالح أملاكهم *

والله على ما نقول وكيل ، وهو نعم المؤتمن والصبر *



تقويم المرصد الفلكي الجزائري

(الجزائر)

المرصد الفلكي الجزائري

(بوذرعية - الجزائر)

تاريخ	ميلاد	استهلال	الجزائر		بسكرية		غرداية		بشاور	
سنة 1975	ساعات دقائق	ساعات دقائق	غروب		غروب		غروب		غروب	
			شمس	هلال	شمس	هلال	شمس	هلال	شمس	هلال
			ث. ق.	ث. ق.	ث. ق.	ث. ق.	ث. ق.	ث. ق.	ث. ق.	ث. ق.
75/01/12	20 و 10	02 و 23	12 و 15	12 و 17	05 و 17	05 و 17	18 و 17	25 و 17	43 و 17	38 و 18
75/01/13	—	—	23 و 15	09 و 18	01 و 18	01 و 18	13 و 18	26 و 17	31 و 17	31 و 17
75/02/11	17 و 05	16 و 16	23 و 17	33 و 17	15 و 17	43 و 17	26 و 17	36 و 17	51 و 17	20 و 18
75/02/12	—	—	24 و 17	50 و 18	16 و 17	40 و 18	27 و 17	49 و 18	52 و 17	13 و 19
75/03/12	47 و 23	—	32 و 17	40 و 17	42 و 17	29 و 17	30 و 17	38 و 17	15 و 18	01 و 18
75/03/13	—	44 و 11	33 و 17	36 و 18	43 و 17	24 و 18	31 و 17	32 و 18	16 و 18	54 و 18
75/04/11	39 و 10	—	19 و 18	23 و 18	06 و 18	09 و 18	12 و 18	16 و 18	35 و 18	37 و 18
75/04/12	—	14 و 06	20 و 18	21 و 19	07 و 18	07 و 19	13 و 18	13 و 19	36 و 18	34 و 19
75/05/11	05 و 07	12 و 21	43 و 18	11 و 19	30 و 18	35 و 18	34 و 18	00 و 19	36 و 18	21 و 19
75/05/12	—	—	46 و 18	10 و 20	31 و 18	34 و 19	35 و 18	58 و 19	37 و 18	18 و 20
75/06/ 9	49 و 18	—	06 و 19	56 و 12	30 و 18	40 و 18	53 و 18	44 و 18	16 و 19	04 و 19
75/06/10	—	27 و 07	06 و 19	50 و 19	30 و 18	33 و 19	53 و 18	39 و 19	14 و 19	59 و 19
75/07/ 9	10 و 04	21 و 14	10 و 19	19 و 19	34 و 18	04 و 19	57 و 18	09 و 19	18 و 19	30 و 19
75/07/10	—	—	10 و 19	01 و 20	34 و 18	07 و 19	57 و 18	34 و 19	18 و 19	13 و 20
75/08/ 7	37 و 11	24 و 20	30 و 18	30 و 18	35 و 18	23 و 18	40 و 18	28 و 18	01 و 19	50 و 18
75/08/ 8	—	—	49 و 18	13 و 19	34 و 18	01 و 19	39 و 18	09 و 19	00 و 19	31 و 19
75/09/ 5	19 و 19	—	12 و 18	46 و 17	00 و 18	32 و 17	06 و 18	41 و 17	28 و 18	03 و 18
75/09/ 6	—	07 و 04	10 و 18	39 و 17	39 و 17	11 و 18	05 و 18	21 و 18	27 و 18	44 و 18
75/10/ 5	23 و 03	09 و 14	27 و 17	31 و 17	17 و 17	22 و 17	26 و 17	33 و 17	49 و 17	38 و 17
75/10/ 6	—	—	25 و 17	14 و 18	13 و 17	06 و 18	25 و 17	18 و 18	48 و 17	43 و 18
75/11/ 3	05 و 13	—	30 و 16	47 و 16	42 و 16	40 و 16	34 و 16	53 و 16	17 و 17	18 و 17
75/11/ 4	—	19 و 01	49 و 16	37 و 17	41 و 16	30 و 17	53 و 16	44 و 17	18 و 17	09 و 18
75/12/ 3	50 و 00	—	32 و 16	11 و 17	26 و 16	05 و 17	40 و 16	39 و 17	05 و 17	44 و 17
75/12/ 4	—	—	31 و 16	11 و 12	26 و 16	04 و 18	40 و 16	38 و 18	05 و 17	43 و 18
76/01/ 1	40 و 14	—	42 و 16	55 و 16	36 و 16	48 و 16	30 و 16	02 و 17	16 و 17	27 و 17
76/02/ 2	—	25 و 01	43 و 16	56 و 17	37 و 16	49 و 17	31 و 16	02 و 18	17 و 17	27 و 18

ملاحظة : هذه المواقف معتمدة بتوقيت غرينتش (G.M.T)

سنة 1395 هـ - 76 - 1975 م

(مكة)

تقويم				تقويمات		مكة المكرمة		شروق الشمس	غرب الشمس	ارتفاع الشمس	لشهور العربية وموافيقها للمناخ الإقريطي وعدد أيام كل شهر لعام 1395 هـ - سنة 1975 م							
				أشهر	أيام													
شمس	حلال	غروب		شمس	حلال	غروب		شمس	حلال	غروب								
		ت. ق.	ح. ق.			ت. ق.	ح. ق.			ت. ق.	ح. ق.							
17	56	18	14	17	11	17	27	12	يناير	01	4	57	14	07	15	29	14	يناير
17	57	19	08	17	12	17	19	13	يناير	01	4	58	14	58	15	30	29	يناير
18	20	18	47	17	31	17	33	11	فبراير	33	3	16	13	34	13	30	32	فبراير
18	21	18	38	17	32	17	44	12	فبراير	34	3	17	13	23	16	31	30	فبراير
18	39	18	25	17	45	17	30	13	مارس	33	3	25	13	07	15	31	14	مارس
18	40	18	16	17	46	17	19	13	مارس	32	3	30	13	97	15	30	30	مارس
18	55	18	37	17	37	17	37	11	أبريل	16	3	39	15	32	15	30	30	أبريل
18	56	18	53	17	58	17	50	12	أبريل	15	3	39	15	25	16	31	30	أبريل
19	12	19	37	18	09	18	32	11	مايو	45	2	30	13	07	16	30	29	مايو
19	13	19	34	18	10	18	29	12	مايو	44	2	31	13	03	17	31	29	مايو
19	26	19	20	18	22	18	15	9	يونيو	39	2	02	16	49	15	30	29	يونيو
19	28	19	15	18	22	18	10	10	يونيو	38	2	02	16	45	16	31	29	يونيو
19	32	19	47	18	27	18	44	9	يوليو	45	2	07	16	19	16	30	29	يوليو
19	32	19	34	18	27	18	33	10	يوليو	45	2	07	16	09	17	31	29	يوليو
19	18	19	10	18	15	18	11	7	أغسطس	36	2	15	15	46	15	30	29	أغسطس
19	18	19	53	18	16	18	56	8	أغسطس	36	2	15	15	34	16	31	29	أغسطس
18	50	18	26	17	32	17	30	3	سبتمبر	03	3	33	13	07	15	30	29	سبتمبر
18	49	17	13	17	31	17	13	6	سبتمبر	03	3	34	13	34	15	31	29	سبتمبر
17	15	18	26	17	23	17	35	5	أكتوبر	14	3	06	13	15	15	30	29	أكتوبر
17	16	18	13	17	22	17	25	6	أكتوبر	14	3	05	13	04	16	31	29	أكتوبر
17	49	17	48	17	00	17	01	3	نوفمبر	25	3	44	14	40	14	30	29	نوفمبر
17	49	17	41	16	35	16	35	4	نوفمبر	26	3	44	14	34	15	31	29	نوفمبر
17	37	17	16	16	32	16	31	3	ديسمبر	43	3	37	16	10	15	30	29	ديسمبر
17	38	17	15	16	52	16	30	4	ديسمبر	44	3	37	14	08	16	31	29	ديسمبر
17	46	17	39	17	04	17	12	1	يناير	39	3	30	14	32	14	30	29	يناير
17	49	17	37	18	05	17	10	2	يناير	39	3	30	14	49	15	31	29	يناير

من وراء البحار

أفكار ومذاهب

- إصلاح نظام التعليم في الديمقراطيات الشعبية والديمقراطيات الأخرى .
- ثلاث وعشرون دولة في افريقية السوداء تدريس بمساعدة اليونسكو ، قمر صناعي للتربية والتعليم .
- نافذة على العالم .

معداد
اسماعيل العربي

اصلاح نظم التعليم في الديمقراطيات الشعبية والديمقراطيات الاخرى

شهد العقد الماضي تطورات كبيرة في الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الدول الصناعية المتقدمة ، في أوروبا الغربية وفي البلدان الاشتراكية في أوروبا الشرقية وآسيا . وهذه التطورات اقتضت إعادة النظر في برامج التعليم حتى تتكيف مع التقدم الذي طرأ على مختلف المرافق والمؤسسات ، وتستجيب لمخارج البلد ، ويبحث لتنتج جيلا ذا شخصيات تتفاعل مع محيطها وتنمى في تيار الحياة القومية العامة . ونحن قد سبق ان شاعنا ذلك الاصلاح الجذري الذي ادخلته فرنسا على نظام التعليم فيها ، في بداية هذا العقد وهو اصلاح لم يمس الوقت الضروري لكي يأتي بنتائجه ، وبالتالي فمن سبق الاوان محاولة تعميمه .

وفي السطور التالية ، سنستعرض الخطوط الرئيسية بتجربتين مهمتين تعزز القيام بهما كل من بولندا و ألمانيا الغربية .

١ - بولندا

قدمت لجنة تتكون من خبراء ، واساتذة في مختلف فروع العلم والمعرفة تقريرا الى « الدييت » (البرلمان) البولندي في اوائل السنة الماضية وجرت مناقشته في شهر اكتوبر . وقد وافق البرلمان عقب هذه المناقشة على مبدأ ادخال اصلاح شامل لنظام التعليم البولندي ، وفيما يلي الخطوط الرئيسية لهذا التقرير الذي يشتمل على حوالي 500 صفحة :

تأثرت حالة التربية والتعليم كثيرا في بولندا بالحرب العالمية الثانية التي كان من نتائجها تدمير عدد كبير من المدارس وموت المعلمين أو تشتيتهم . ولكن بولندا استعادت في غضون ربيع القرن الماضي من اعادة بناء نظام التعليم القومي ، بل ومن توسيعه بحيث أصبحت نسبة الاطفال الذين يترددون على المدارس من هم في سن الدراسة ، تبلغ 99.5٪ (وهي من اعلى النسب في العالم) ، ونحن نذكر أهمية هذه النسبة ، خصوصا ، اذا عرفنا ان الالامنة يمثلون 25٪ من سكان بولندا .

ولكى هذه السجدة الرأفة ، ترافقها نواحي نقص خطير ، يشعر به البولنديون شعورا قويا .

يبلغ عدد الناجين في بولندا 22ر3 مليون ناخب (من مجموع 33 مليون نسمة) ، وهذا العدد لا يشتت الا على 670.000 شخصا ممن يهتمون بالتعليم العالي و 350.000 شخصا اثنى عشر يتابعون التعليم العالي حاليا ، وهو يشتمل أيضا على 4ر3 ملايين من مستوى التعليم الثانوي و 72.000 تلميذ يواصلون التعليم الثانوي حاليا ، وكذلك يضم هذا العدد 8ر9 ملايين من ذوي النكوتين الابتدائي أو التكوين المهني .

وهنا مئة ألف 8 ملايين من الناجين لا يتمتعون حتى بمستوى التعليم الابتدائي .

ويعمل في مختلف القطاعات الاقتصادية عمال 38٪ منهم لا يتمتعون بأي تكوين مهني ، كما جاء في التقرير المذكور .

ومن جهة أخرى ، يبرز التقرير أن نسبة الخبراء الذين يتمتعون بتكوين عال ، لم يكن يتجاوز 2٪ من مجموع السكان في سنة 1970 ، بينما ترتفع هذه النسبة لتبلغ ما يقرب من 5٪ في الاتحاد السوفيتي .

وكذلك يلاحظ واضعو التقرير أن التلاميذ في سنة 1966 لم يكن يتجاوز 86 في كل عشرة آلاف من السكان ، بينما تبلغ النسبة 100 في تشيكوسلوفاكيا و 103 في بلغاريا و 176 في الاتحاد السوفيتي . ولكي هذه النسبة البولندية تظهر ضآلتها ، خصوصا ، اذا عرفنا أن مثيلتها في الولايات المتحدة تبلغ أربعة أضعافها .

وبالإضافة الى هذه النواحي ، يلاحظ التقرير ظاهرة تدعو الى القلق في مجتمع اشتراكي . وهي أن نسبة أبناء العمال في التعليم العالي ، بل وفي التعليم الثانوي أيضا ، تميل الى الانخفاض باستمرار في غضون السنوات الأخيرة . فان نسبة أبناء العمال في الجامعات والمعاهد العليا والثانوية في السنة الدراسية 1970 - 1971 ، لم تكن 3٪ ، بينما تبلغ نسبة أبناء الطبقة المتقصة 63ر5٪ ، والاسوء من ذلك أن نسبة أبناء سكان الأرياف الذين يتفوقون التعليم الثانوي لا تتجاوز 20٪ .

ولمعالجة هذه المشكلة يقترح التقرير عددا من الإجراءات العادلة ، وأهمها :

١ - إلغاء الحواجز بين التعليم الإجماعي والتعليم الثانوي وهذا الإجراء، سيسمح لنسبة 65% من تلامذة المدارس الابتدائية من إتمام الدراسة الثانوية في سنة 1980 ؛ وذلك في مقابل 34٪ فقط في سنة 1970)

2 - تحقيق التّـمـاـج - فإنّ المحتر أن يرفع تلامذة المدارس الابتدائية ، سمارسون في المستقبل منها غير موجودة حالياً ، وبرامج التعليم المحشوة بمعلومات لا فائدة منها ، يجب أن تفرغ مما فيها من الحشو ، وفي مقابل ذلك يركز نظام التعليم على تكوين الشخصية وعلى تمويد التعليم على القراءة واكتساب العلم بنفسه .

3 - إصلاح المحيط الاجتماعي الذي يؤثر على عملية التربية والتعليم وعلى شخصية التلميذ ولهذا الغاية يقرح التقرير ، إدخال إصلاحات جذرية على حياة العائلة وعلى وسائل اللهو والتسليه والرياضة والمسرح إلخ ، وهي كلها عوامل لها تأثير كبير على شخصية الطفل وتوسيعه .

والى جانب هذه الإصلاحات الأساسية ، يقترح التقرير إصلاحات ثانوية كثيرة ، مثل إنشاء مدارس في الأرياف يتردد عليها أبناء عدد من القرى ، وتطعم جماعات من التلامذة للدراسة خارج المدرسة ، وحتى فصول للتدريس لمساعدة التلامذة المختلفين للتعبير عما فانهم ، وتنمية النشاط الثقافي والرياضي ، ومصناعة الجهد لرفع مستوى تكوين المعلمين إلخ .

★ ★ ★

ب - ألمانيا الاتحادية

لأول مرة في تاريخها ، اعتمدت ألمانيا الغربية « نظاماً علماً » للتربية والتعليم . وهذا الإجراء يشكل ثورة حقيقية على تقاليد هذا البلد الثقافية العريقة ، حيث كانت شؤون التربية والتعليم دائماً من اختصاص الدويلات Länder التي تشكل الاتحاد ، ولم يعرف البلد أبداً سياسة موحدة للتعليم .

وإدخال هذا التعديل الجذري في حياة البلد اقتضى الأمر إدخال تعديل (في 16 مايو 1969) على نصوص الدستور . وهذه النصوص الجديدة ، هي التي سمحت للحكومة (يتعاون مع سلطات الدويلات) بوضع نظام قومي للتربية والتعليم

ولكن هذه استلزم ، اذا كانت هي الاول ، فقد كانت مع ذلك جسارة ، حيث انها تنطوي على تخطيط سياسة ألمانيا الاتحادية في مجال التعليم من الآن حتى سنة 1985 ، مع توقعات تمتد عملياً إلى قريب وآفاق أبعد طويل . ومع تقدير تحقيق للوارد المالية التي يتطلبها تحويل السلطة و 67 من الاقاليم وتركيزها في يد الحكومة الاتحادية . وهذه العملية ، تترجم الأولوية المطلقة التي توليها حكومة ولي براندت لتسوية التربية والتعليم .

ومع ذلك ، فإن الحكومة الاتحادية لم تنتزع هذه السلطة من الولايات اتزانها ، حيث ان اللجنة القومية التي عكفت على اصلاح نظام التعليم منذ سنة 1970 ، كانت تضم الى ممثلي الوزارات الاتحادية (التربية والصحة ، والشباب ، والعمل والمالية) ممثلين لحكومات الولايات أيضاً . ثم ان توصيات اللجنة كان من المفرد الا تصبح نهائية الا اذا تم الاتفاق عليها بأغلبية الثلثين ، وبعد ما تصفق عليها جميع حكومات الولايات التي يبلغ عددها إحدى عشرة دولة .

والاهتمام الاساسي الذي يمسود مقترحات لجنة التخطيط التربوية (وهذا هو اسمها) ، هو الرغبة في تحقيق الديمقراطية في التعليم في اطار قومي . وتتلخص بعترحات اللجنة التي سيقيم عليها النظام الاتحادي الجديد ، في الخطوات التالية :

1 - ضمان دخول جميع الاطفال الذين هم في سن الخامسة الى المدارس في سنة 1985 (وقد كانت نسبة هذه الفئة من الاطفال تبلغ 54٪ في سنة 1970) ، وادخال الاطفال الذين هم في سن الرابعة والثالثة بنسبة 70٪ (بدلاً من 67٪ حالياً) الى المدارس .

2 - تخصيص عدد الاطفال الذين يوكل امرهم الى مدرس واحد ، من 37 تلميذ الى ما يتراوح بين 19 - 23 تلميذ .

3 - جعل التعليم في السنتين الاوليتين من التعليم الثانوي ، توجيهياً (ونظام التعليم الحالي يقوم على اساس 4 سنوات في المدرسة الابتدائية يتجه للتفصيل بعدها ، اما الى المدرسة الابتدائية النهائية Haupt Schule حيث تمتد الدراسة على مرحلة خمس سنوات ، واما الى الكوليج Realschule حيث يواصل الدراسة لمدة ست سنوات ، واما الى المدرسة الثانوية Gymnasium لمدة تسع سنوات) .

4 - العمل لرفع نسبة التلاميذ الذين يلتحقون بالتعليم الثانوي من 15 ٪ في سنة 1970 لتصبح 23 ٪ في سنة 1985 وزيادة نسبة طلبة المهادنة التقنية الذين يلتحقون بالتعليم العالي من 3 ٪ في سنة 1970 ، الى 12 ٪ في سنة 1985 .

5 - تكوين جميع المعلمين في المدارس الابتدائية والثانوية في الجامعات (تكوين المعلمين في المدارس الابتدائية) يجرى في الوقت الحاضر في معاهد المعلمين التي أصبح عليها القاتون صفة معاهد التعليم العالي Pädagogische Hochschule

6 - ترقية مستوى التكوين والتدريب القصير الاجل للمعلمين (3 سنوات) ، ولا سيما في مجال التقنية والمجال الاقتصادي والمجال الاجتماعي والتربوي .

7 - زيادة عدد الطلبة الذين يتلقون التعليم الجامعي من نصف مليون في سنة 1970 ، الى مليون طالب في سنة 1985 .

8 - توحيد جميع مؤسسات التعليم العالي مثل معاهد ائربية والمدارس التقنية العليا في نظام للتعليم العالي يسمى « الجامعة المدمجة » Casanthoschulen

وكذلك يشتمل مخطط « نظام التعليم العام » على عدد من المقترحات تتعلق بالبحث العلمي والتوجيه والمكتبات العمومية واستمرار التطعيم للكبار ، والتحديد في طرق التعليم .

واما تكاليف هذه الإصلاحات فانها تقدر بـ 57,2 مليون مارك في سنة 1975 وحده . وهي بترش زيادة في مصصات الميزانية العمومية لاغراض التربية والتعليم من 16,9 ٪ في سنة 1970 لتبلغ 19,1 ٪ في سنة 1975 ثم 22,2 ٪ في سنة 1980 ، وأخيرا 22 ٪ في سنة 1985 (وهذه النسبة تمثل 4,8 ٪ في سنة 1970 و 7,6 ٪ في سنة 1985 من الناتج القومي الإجمالي في ألمانيا الاتحادية) .

ثلاث وعشرون دولة في افريقية السوداء تدرس بمساعدة اليونسكو مشروع قمر صناعي للتربية والتعليم

قام خبراء في الاتصالات اللاسلكية وفي شؤون التربية والتعليم والتخطيط ممثلون 23 دولة في افريقية السوداء ، مؤخرا ، في اديس ابابا بدراسة مشروع لاستخدام الاقمار الصناعية

لاداعة برامج تربية بالتليفزيون في البلدان الواقعة جنوب الصحراء ، وقد تقدم هؤلاء الخبراء الى حكوماتها بعدد من التوصيات التي من بينها اقتراح بنفى « بتشكيل مجالس قومية تسمى بالمسائل التي تتعلق باذاعة برامج بواسطة الاقمار الصناعية » .

ونحن نعرف ان مشروعات مماثلة تجري دراستها في مناطق أخرى من العالم منذ بضع سنوات وأقدم هذه المشروعات ، هو الذي يجري تنفيذه في الهند ، والذي ينتظر ان يدخل في حيز قومي يجري تنفيذه في البرازيل ، وفي مشروع متقدم لغويات هم الدول العربية وسريهم دول أمريكا الجنوبية .

واهمام الدول المتطورة في القارات الثلاث مشروعات لاطلاق أقمار صناعية ، ليس بمجرد نزوة لاقتنا، التكنولوجيا الحديثة ، ولا يشعل اتجاهها بالاشتراك في سبيل الدول الصناعية التي تعمل كل منها للتغلب على غيرها في السعة العلمية ، لان اتجاه دول أمريكا اللاتينية وإفريقية وآسيا الى استقلال الامكانيات التي ينطوي عليها القضاء ، إنما يستجيب لحاجة ولعابة واقعية .

فان هذه البلدان تنعى ، في بعض الحالات ما لا يقل عن ثلث الميزانية القومية لنشر التعليم ومع ذلك ، فهي تجد ان هذا المجهود الضخم غير كاف ، وأنه كثيراً ما يقل عدد الاطفال الذين يترددون على المدارس فيها عن نصف الاطفال الذين هم في حسن الدراسة ، وإذا اعتبرنا عامل الانضجار الديموغرافي الذي تعاني منه هذه البلدان والبطء الذي تنمو به مواردها الاقتصادية فيمكننا ان نتنبأ بأن مرور الزمن من شأنه ان يأتى بحس لهذه المشكلة المويضة ، بل كل العكس سيزيدها تعقيداً .

ومن ثم ، فلا غرو أن تبحث دول العالم الثالث عن طريق أقصر وتستعين بالتضم التي سجلته ابحاث القضاء في لسنوات الاخيرة لمحاولة القضاء على واحد من الافاق الثلاث المرمومة التي تشكلونها ، وتمنى بذلك الجهل .

والمشكلة الاساسية التي واجهتها لجنة الخبراء ، التي اشرنا اليها ، والتي كانت تسئل تحت رعاية اليونسكو ، تتصل بمكانة الاذاعة والاذاعة المرئية ، بما تنطوي عليه من الامكانيات ، في نظام التعليم القومي . وقد اوضح فيما بعد ان الدول الافريقية الواقعة جنوب الصحراء تنظر كلها بعين الاعتبار الى منح الاذاعة المرئية مكاناً متزايد الأهمية في نظمها التربوية - ولكن الخبراء يوصون

حكوماتهم ينتج اولوية قومية عالية لهذه المسألة وذلك لان نظام التعليم بواسطة الاداعة الرئيسية ينطوى ، في رأيهم ، على مزيتين اساسيتين :

1 - يمكن بواسطة توسيل التعليم الى المناطق البعيد عن مراكز العمران والمحرومة من امكانيات الاتصال والتعليم .

2 - يسمح بوضع برامج لعدد من بلدان المنطقة ، الامر الذى يمكن منه تخفيض تكاليف لانتاج .

والواقع ان خطة ارسلتها اليونسكو فى سنة 1972 الى عدد من البلدان الافريقية الواقعة عبر الصحراء لدرس المشروع ، قد ذكرت فى تقريرها ان من الممكن وضع برامج فى سنة 1990 تغطى ما لا يقل عن 5% بدا فى المنطقة ، وذلك بتكاليف اقل كثيرا من التكاليف التى يتكبدها كل بلد لاستعمال وسائل التربية والتعليم التقليدية .

استغلال الطاقة المتولدة من الشمس

يتوقع المشروع النموذجى الذى وضعه خبراء اليونسكو لنظام ايرى للثغرة بواسطة الانمار الصناعية ، تحقيق هذا النظام على مراحل - وتقسم المشروع زمانيا توصى به اعتبارات سياسية اكثر منها الاقتصادية - وتروى الرغبة فى تحقيق تماون على مستوى اقليمى بين كنى الدول الافريقية (مثل افريقية الوسطى و افريقية الشرقية و افريقية الغربية) - وعلى كل حال ، فان جماعة الخبراء المذكورة ، رفضت ان يقوم المشروع على اساس لغوية (اللغة الرئيسية و اللغة الانجليزية) ومن ثم ، فان الثغرة بواسطة كنى صناعى ذى كسوة متوسطة ، سسعى فى المرحلة الاولى الثغرة لمجموعة البلدان التى تتمكن من تسويق برامجها وتستخدمه بسرعة . ولكن وضع نظام شامل للثغرة بواسطة الاقمار الصناعية لا يمكن ان يتم قبل سنة 1990 .

وتتوقع بعثة اليونسكو ان يقوم هذا النظام على اساس محطة مركزية للارسال تكون مزودة بست قنوات لارسال الصور وتمتد على قرين صناعيين + ولماية التلقى + تشأ 800,000 قاعة لاستقبال البرامج الجماعية ، وذلك بالاضافة الى 700,000 مبرسة و 100,000 مركز عمومى لفكار وقاعات الصور المتحركة الموجودة فى هذه المنطقة

وهذا النظام سيسمح بتغطية حاجات مجوع التلامذة والمدرسين (80 مليون شخص) في سنة 1990 . والمقدر ان يخصص ربع الحصص المخصصة للمدارس الابتدائية والربيع الآخر للمدارس الثانوية والمعاهد العليا ، والثالث للتكوين المهني للكبار ، والباقي للبرامج الثقافية والرياضية .

وأما الاستثمارات التي يتطلبها تنفيذ المشروع ، فهي تقدر بـ مليار دولار . « حوالى 6 مليار دينار جزائري » . ويتنوع عشر هذا المبلغ على بناء الأعمار الصناعية نفسها .

ولكن المشكلة الأساسية في المشروع ، تتمثل بالصيانة التي تتطلب عددا كبيرا من الخبراء وتقدير تأليها بما لا يقل عن 100 مليون دولار سنويا . ومن جهة أخرى ، فإن تزويد هذا النظام بالطاقة لأجهزة الاستقبال في مناطق بعيدة عن شبكة الطاقة الكهربائية القومية ، يشكل مشكلة اقترح حلها بالالتجاء الى استخدام الطاقة المتولدة من الشمس . ولكن هذا الحل يبدو خياليا اذا نظرنا اليه على ضوء الأبحاث الجارية لإيجاد مصادر جديدة للطاقة .

وأما مشكلة تمتد للغات في إفريقية (يوجد حوالى ألف لغة في القارة) ، فقد تبدو أقل تصفا مما يعتقد . فإن القسم الصناعي سيسمح بطفرة البرامج الدراسية بشأن لغات ، والبرامج المرجحة لتكبار (الثقافة والرياضة الخ) بأربعين لغة . ونحن نذكر ان من الممكن التظلم جزئيا على هذه المشكلة إذا عرفنا ان بعثة اليونسكو ، قدرت ان نصف السكان في البلاد الواقعة عبر الصحراء ، يمكن الاتصال بهم بواسطة برامج تستعمل ثمان لغات . فإن 125 مليون من سكان هذه المنطقة يتحدثون ، أو يفهمون السواهي (25 مليون في إفريقيا الشرقية) والهوزا (20 مليون في نيجيريا) ، واليزروبا (15 مليون في نيجيريا) والبولار (12 مليون في منطقة الصحراء) ، والامهرى (15 مليون في أنغويلا) ، والأنجليزية (15 مليون) ، والأيبو (16 مليون في نيجيريا) ، واللينجالي (11 مليون في غربي الكونغو) .

ولكن نظام التلفزة بالأقمار الصناعية الذي يذيع بثانية وإربعين لغة ، سيكون من توصيل البرامج الى نحو ثلث سكان القارة .

أين يخرجون من الجامعة الفرنسية ؟

الى اين يتجه خريجو الجامعات في فرنسا ؟ وما هي الظروف التي يدخلون فيها الى مهنة حياة الاعمال ؟

تلك هي الاسئلة التي طرحها معهد الدراسات والبحوث بشأن التعليم والمؤهلات (CREQ) في فرنسا واجرى تحقيقا واسع النطاق بشأنها شمل جميع خريجي الجامعات الفرنسية في سنة 1970 ، وخرج منها باتجاهات ، قد تليدنا نحن الذين لا يزال نظام التعليم العالي وتوظيف الخريجين عندها مرتبطا الى حد بعيد ، بتحكم الاوضاع التاريخية ، بالنظام المتبع في ذلك البلد . وجه المركز اسئلة الى جميع الخريجين في سنة 1970 ، ولكنه لم يرد عن اسئلته سوى نصفهم . وبذل هذا التحقيق على ان اكثر من نصف الطلبة يتأدرون الجامعة في المرحلة الدراسية الاولى ، بينما تخرج نسبة 40٪ في المرحلة الثانية حاملين لشهادات الجامعة . ولما المرحلة الثالثة فلا يخرج منها بشهادات سوى نسبة 3٪ .

والطلبة الذين ينتهون الى طبقة اجتماعية متواضعة لا يقل مستوى التعليم الذي وصلوا اليه عن زملائهم الذين ينتهون الى طبقة ميسورة ، وذلك لان عملية الفرز تتم قبل الدخول الى الجامعة ، حيث تقل نسبة الطبقة الاولى عن الطبقة الثانية بصورة ملحوظة في التعليم العالي .

وعند التخرج من الجامعة ، يبدأ الطلبة (بنسبة 60 - 70٪) في البحث عن عمل . ولكن نسبة 20٪ من الخريجين لا يدخلون في الحياة العملية بعد تخرجهم مباشرة ، وذلك اما لانهم يسمون لزيادته التحصيل خارج الجامعة ، او لاسباب عائلية (وعنده خصوصا ، هي حالة الفتيات) ، واما النسبة الاخرى (20 - 30٪) ، فهم يستمرون على ممارسة عمل كانوا يزاولونه اثناء الدراسة .

وعلى كل حال ، فان نسبة 65 - 70٪ ، قد انفتحت ما لا يقل عن 6 اشهر في البحث عن عمل . ودرجة التعليم التي وصل اليها الطالب ليس لها تأثير في تطويل هذه المدة او تقصيرها .

والحالات الاساسيان اللذان يستوعبان الخريجين : التعليم والبحث (50٪) من جهة ، والادارة الحكومية (20٪) ، من جهة اخرى .

واما قطاعات التجارة والخدمات والبنوك والتأمين ، فهي لا تستوعب سوى نسبة 15٪ ، والصناعة (10٪) ، والزراعة 5٪ من خريجي الجامعات الفرنسية وخريجو كليات الآداب يتشكلون

نسبة عالية في قطاع التعلم (65 - 70 ٪) ، ولكن هذه النسبة تنخفض بين حامل شهادات في علم النفس وعلم الاجتماع (55 - 60 ٪) ، حيث نجد هذه الفئة من الخريجين فرصا للتعبير في مجالات غير التعليم ، ولا سيما في قطاع التجارة والخدمات (35 ٪) ، حيث تشغلهم مكاتب الدراسات والبحوث ، أو يعملون بوصفهم مستشارين وخبراء في المؤسسات الصناعية والاجتماعية

وخارجو كليات الحقوق يجدون الوظائف خصوصا في الإدارة الحكومية (حوالي 30 ٪) ، ولكن ثلاث قطاعات أخرى يستوعب كل منها نسبيا معتبرة من الخريجين (تتراوح بين 15 ٪ و 20 ٪) وهي التجارة والخدمات والبنوك والتأمين .

وحامو الشهادات الجامعية في العلوم الاقتصادية يعملون في قطاعات التجارة (20 ٪) والخدمات (15 ٪) والصناعة (10 - 15 ٪) .

وأخيرا ، فإن خريجي كليات العلوم ، يتجهون - مثل خريجي كليات الآداب - انجاءا قويا الى التعميم والبحث العلمي (50 ٪) ثم الى الإدارة الحكومية (15 ٪ - 20 ٪) ، ولا تستوعب منهم الصناعة نسبة 10 ٪ .

وفيما يتعلق بتصنيف الخريجين الى فئات حسب المرتبات التي يتقاضونها ، فقد دلت نتيجة هذه الدراسة على أن التصنيف يتخذ النمط التالي :

- أقل من 15 ٪ يتقاضون مرتبات تقل عن 10000 فرنك جديد شهريا .
- 15 ٪ - 20 ٪ تتراوح مرتباتهم بين 10000 فرنك (وهذا فيما عدا منطقة باريس ، حيث لا تشكل هذه الفئة سوى 10 ٪) .

- 15 ٪ يتقاضون مرتبات تتراوح بين 10000 فرنك .
- 20 ٪ يتقاضون مرتبات تتراوح بين 15000 فرنك و 20000 فرنك .
- 10 ٪ - 12 ٪ يتقاضون مرتبات تتراوح بين 20000 فرنك و 30000 فرنك .
- 15 ٪ يتقاضون مرتبات تزيد عن 30000 فرنك .

وكذلك تدل هذه الدراسة على أن أكثر من نصف الحريجين في سنة 1970 ، يتقاضون مرتبات تقن عن 2000 فرنك شهريا .

ولكن ثلاثة أرباع الحريجات يتقاضون مرتبات أقل من 2000 فرنك ، ونصفهن لا تزيد مرتباتهن عن 1300 فرنك جديد .

نافذة على العالم

بناء مسجد في مدينة روما

اعداد : ذ . شويجي

سحب الفاتيكان مؤخرا اعترافه على بناء مسجد في روما غير انه بالمقابل وضع شروطا على الاربعين ألف مسلم المقيمين في ايطاليا . وينص الشرط الرئيسى بأنه يتوجب على المسلمين عند اختيار موقع مسجدهم أن يأخذوا بعين الاعتبار طابع روما الخاص باعتبارها مركز العقيدة المسيحية الكاثوليكية ، وقد جاء ذلك في تصريح أدلى به فيلديركو المساندوى ، اللاطق بإمام الفاتيكان . وعلى هذا ينبغي تجنب إقامة المسجد على جبل ماريو القريب من الفاتيكان ، لأن المسجد سيظل عندئذ فوق قمة كاتيدرالية القديس بطرس - غير أن المسلمين لم يمتثلوا بعد على موقع أكثر لمسجدهم أما اقتراح الحكومة الإيطالية ببناء المسجد في الأرض الواقعة قرب مطار فيوميسينو - أي على بعدة 20 كيلو مترا من مدينة روما - فقد رفضه الملك فيصل أثناء زيارته السنة الفائتة لعاصمة الإيطالية . ومع ذلك يمتدح رئيس المركز الثقافي الاسلامى فى روما (الامير أمينى) الايرانى الجسمية - يمتدح ليوثة الفاتيكان : « بأن اقامه مركز اسلامى للمادة سوف يشجع على فتح اسوار بين لادنان » .

علم الاجتماع

معالم الشخصية الجزائرية

يحثل المجتمع الجزائرى السائر بحظى حثيثة فى طريق التنمية والتطور اعتماد المرافقين فى العالم . وفى مقابلة اجراها السيد كامبهاورر محرر مجلة « افريقيا اليوم الالمانية مع الاستاد

شابو عميد كلية الآداب في جامعة الجزائر ، حرص المحرر على استيعاب عدة معاطف هامة تتعلق بـ
« الشخصية الجزائرية » والامس التي يركز عليها هذا المصطلح .

المحرر : كلما دار الحديث حول الثورات الجزائرية الثلاثة : الصناعية والزراعية والثقافية
وجد الحديث يتطرق الى « الشخصية الجزائرية » . هل تتكرم استاذ شابو بايضاح ما يتضمنه هذا
المصطلح ؟

شابو : تشكل الشخصية الجزائرية بالسيرة لنا مفهومها اساسيا لتطورنا الثقافي ويعني ذلك
استعادة اصلنا بعد تلك الفترة الطويلة من استعمار دام 132 سنة . ولقد حاولت السلطة
الاستعمارية جهدا عينا خلال هذه الفترة لتفعل جدران شعبنا الثقافية ، وعلى كل اسفرت هذه
المحاولات في بعض النماذج ، وخاصة في المدن « عن ضياع ثقافي ، يفسره البعض تفسيراً ايجابيا .
اما بالنسبة لي فاني اقيمه تقيما سلبيا . ولكن لماذا ؟

على سبيل المثال ، تعرضت لغتنا الوطنية الى الخطر ، وهي التي تتكلم بها غالبية شعبنا ،
والآن يتركز الاهتمام حول جعل هذه اللغة اداة على كافة المستويات - للاستعمال اليومي -
واليوم نلاحظ ان اختصاصنا وغبنا « الذين دخلوا المدرسة في العصر الاستعماري ، يستخدمون بناء
على ذلك اللغة الفرنسية غالبا . هؤلاء الناس يتوجب عليهم ايضا ان يعودوا من جديد الى الطريق
المؤدي الى لغتهم الوطنية ، مثلما يتوجب عليهم ان يحولوها الى اداة للاستعمال اليومي . وذلك لكي
تتحكم جميع مؤلفاتنا ، وانجازاتنا من المعبر عن نفسها باللغة الوطنية . وقد يتعرض البعض
على امتيننا في اسعاده لغتنا الوطنية ، لان ذلك قد سنى بلسية لهم فقدان اللغة الفرنسية
 باعتبارها نافذة على العالم ، وان تفقد للغة الفرنسية مكانتها كلفة مفصلة . وهذه الامكانية
الاخيرة يحتمل تحقيقها تماما ، إذ توجد لغات اخرى ذات اشعاع دولي اكبر ، يمكن ان تحل محل
الفرنسية كلفة اجبية ، وتخدمنا بالمثل كواسطة اتصال مع العالم .

المحرر : ما الذي مدونه في قطاع التعليم لترقية ودفع عملية التعريب التي تطالبون بها ؟
واذا كان يقيى للامور صحيحا يلاحظ ان اطر التعليم العالي تميل حاليا الى البقاء كل شيء على ما
كان عليه . الا ينتج عن ذلك نوع من الغريبة والتباعد بين الشعب وبين النخبة الفنية وهذا ما
اخشاه ؟

شايو : فيما يخص التدريس في كلية الآداب ، ثم منذ شهر سبتمبر 1971 تعريب دبلومات التعليم ، وهذا أمر يدهى نظرا ، إلى أن هذه المواد يتم تدريسها من قبل باللغة الوطنية في المدارس العليا والمدارس المختصة ، وهذا الشيء ، يشمل مواد دراسية كعلم النفس ، وعلم الاجتماع ، والتربية . ونحن نتمنى لعملية تغير جذرية ، تسمى لتعريب كل مواد الدراسة في كلية الآداب ولهذا لا ننسى خطر القرية والاعتماد الذين اشروم اليه في سؤالكم ، ين على العكس ، نحن نسر على الطريق الصحيح المؤدى الى العتود على شخصيتنا من جديد .

المحرر : ما هي القسم الاخرى الى جانب اللغة العربية التي يشكل مجموعها الشخصية الجزائرية التي تسعون لتطور عليها من جديد ؟

شايو : لا يمكن ان يتكلم عن الشخصية الجزائرية ، دون ان يضع اللغة الوطنية في نقطة المركز . هناك قيم اخرى ، ذات طابع غير لغوي ، وكلنا نعلم ذلك وثيقة الاتصال باللغة : كالتراث الثقافي العربي الاسلامي . ونحن نهتم بالدرجة الاولى بهذه القيم باعتبارها كلا ، وهي قيم تمسك بها كلية الآداب وتحرس على اتصالها الى الاجيال التالية . في الحقيقة نحن نمنى بالدرجة الاولى بكافة القيم الحية لدى شعبنا ، والتي تشكل جزءا من الشخصية الجزائرية : سواء في الميادين الاجتماعية والاخلاقية او الثقافية .

المحرر : يجري الحديث غالبا عن العودة الى الاصول ، كيف يمكن تجنب هذه العودة من التحول الى تفكير نحو الورا ، وتوجيهها نحو الامام نحو المصور الحديث الجديدة ؟

شايو : مشكلة تجنبها كافة الثقافات ، وعندما نتكلم عن الثقافة لابد ، بالضرورة من الكلام عن الماضي ايضا . فعندما نتحدث عن العودة الى الاصول ، نسند في ذلك على تراثنا العربي الاسلامي ، ونحرص على انتقاء قيم اكيمة لتكون اساسا للشخصية الجزائرية . هذا الاختيار يفتح على المستقبل ، وعلى الثورة الثقافية ، وعلى الطابع المصري ، فالعودة الى التمسك بالماضي والانفتاح على مستقبل ، عمليتان لا تناقض بينهما . وهناك ثقافات اخرى حظت هذه الخطوات ، وانجزتها بنجاح ، اما بالنسبة للثقافة العربية ككل ، فاننا من الضروري ربط قيم الماضي بقيم الحاضر ، ونحن نرى يوما بعدى التأثير الكبير الذي يمارسه العلم والتكنيك على المجتمعات المارة في طريق التطور غير أننا نلاحظ مع قيم العلم والتكنيك توغل كافة التفرقة الاحسنة Kulturkontext . ونحن هذا التعريب ينتج خطر التعزيب بالنسبة لنا نحن الندان المتطورة . فبدلا من تطبيق امكانيات العلم

والتكيف ، واستعادة وإحياء ، تعاليدا ، أصبح رأى بعض الناس ان القصيدة تدور حول ماضى ميت مدفون ، ينبغي استبداله كلية « بالحضارة » بكل ما لها وما عيها « ويلوح لى ان مثل هذا التصور نتج عن التفرغ ، « انه لا يضع القدرة الذاتية الخلفة عدما « فى حين اننا نؤكد دوما على طاقنا الذاتية الخلاقة كلما دار الحديث حول الشخصية الجزائرية « ونحن نريد ان تكون لنا فعاليات خلاقة تنهل من احسن المعارف العصرية مثلما تنهل من الثقافة الجزائرية العنية « فى محتعنا حضارة تسير فى طريق انشؤ ، « تتلائم مع قيمنا وماضيها وتندمسا الى الاصنام « سواء فى الحاضر أم فى المستقبل »

الصحة والاعمار :

جزيرة المعمرين

تمثل وديان القوقاز الثالثة « وحمال الأندلس ومنطقه كازاكوروم برحال هرميسى يتمتعون بنية قوية ، وقد قام الروسور الكسمندر ليكاستاد علم الاعمار Gérontologie فى جامعة هافارد بمعالجة وجل من هؤلاء المعمرين الذين لم يحتاجوا فى حياتهم العويلة الى طبيب على الاطلاق وبدعى الرجل ميحويل كاربو ، « وه من العمر 223 عاما ، وبذلك يعتبر ثانى اقدم المعمرين فى قرية قسكاميا الواقعة فى الاكوادور (أمريكا اللاتينية) »

ومن ضمن الدراسة التى أجراها العالم ليف ، محاولته ان يتعرف على السبب الذى يجعل مرء آخر من سكان الجبال « هو سليكا بوتيا ، « والبالح من العمر 221 سنة ، يدور لمساعدة جاره فى أعمال بناء المنزل ، والمعمر سليكا يسكن قرية جبلية فى جمهورية جورجيا السوفياتية « « فاجاب قائلا - « لقد ساعدته لان ينساء اغسل لا يمكن ان يتم بدونى « ! ! وفى القصصى الضال من دوة الباكستان « عثر الاستاد ليف على مرء يعيش مفصلا عن روحه المطفة ، وهو اصغر المعمرين الذين قابلهم سنا « فله 95 سنة من العمر « اما المعمر اباكسانى اكباخان يجمع اعشوب لقطيعه من منطق جببية مرتفعة - ولعشبة الاستاد ليف « كان اكبا خان يتسلق شمع الجبل عبر مرتقى يزيد عن ثلاثين درجه « حاملا حزمة كبيرة من العشب على ظهره « ومع وانه ماعسر حبل »

بالقابل لاحظ الاستاد ليف ان غالبية المعمرين القلائل الذين يبقون على قيد الحياة الى ما بعد الثمانين ، ويعيشون فى المدن الكبرى « فى البلدان الصناعية ينصفون بكونهم ضعفاء وسريى المطب .

بينما يتميز أفرادهم معمر المولد الجبلية بصحة جيدة وبحياة كبيرة * ويأمل الباحث ليف ان يتوصل الى نتائج عامة على ضوء الدراسات التي أجراها على المعمرين من يتجاوزون المائة من العمر * وذلك للتعرف على مظاهر جديدة للعوامل الرئيسية التي تسبب في تدهار الجسم في مرحلة مبكرة * ولا بد من التذكير هنا بأنه منصرا على علماء الإعمار أن ينفقوا حول العوامل المسببة للهرم - وقد ظهر الاختلاف مؤخرا ، خلال لقاء تم بين الأطباء الأمريكيين في ولاية كاليفورنيا - فقد رأى بعضهم أن الجهد Stress الحاد يشكل العامل الرئيسي في الهرم المبكر ، بينما اتجه الآخرون الى أن تشويشا يطرأ على تركيب البروتين ، أو نقصا في الانزيمات أو عدم مثيل الجسم للعناصر الدسمة الناتج عن نقص في العناصر هي السببات الرئيسية لهرم الجسم الشري .

لقد سارت حياة أولئك المعمرين دونما حاجة لتناول افراس الغيتامينات ، وحتى دون الحاجة الى وجود رعاية طبية ، وحالفا لما هو الحال من المجمعات العربية الصناعية لم تكن كلمة «الهرم» مقترنة بالضرورة « بمرض » بين المعمرين *

لذلك لا توجد لديهم وصفة محددة يتبعونها لضمان حياة طويلة غير ان العالم ليف استطاع ان يستخلص من دراسته في عين المكان ، أن بيئة المعمرين وطريقتهم في العيش تتسجم مع بعضها الى حد كبير - ويورد من خلال الملاحظات الميدانية التي توصل اليها النقاط التالية :

1 - تقع مناطق سكنى المعمرين غالبا على ارتفاع 1500 متر فوق سطح البحر ، أو تزيد في الارتفاع ، وهي تقوم بين كتل الجبال التي تعزلها عن العالم الخارجي * وهناك على سبيل المثال قرية فيليكابا وعدد سكانها 819 مواطبا ، تشمل تسعة مصريين * في حين لا يتجاوز عدد المعمرين في الولايات المتحدة الثلاثة أشخاص من مثه الضخاوطن * وتمثل هذه القرية عن العالم الخارجي جبال الالدين الاكواحدوية ، أما غالبية الـ 4500 معمر من تجاوزوا اثنه عاما ، واثنتين تسم احصاؤهم عام 1970 في مناطق جورجيا ، وأذربيجان وأرمينيا ، فانهم يعيشون في وديان الفوقاز المرتفعة *

2 - يكاد معمر قرية فيليكابا ، وأهوازنا (سفنه كاراكوم النائية) يشتركسون في اتباعهم تقريبا صارما في الاطعمة ، ويتناولون من الطعام ما يكفي لسد جوعهم فقط * وتختلف وجبة الطعام اليومية عند أهالي قرية فيليكابا من 1400 حريرة ، وتكاد هذه الوجبة تكون قاعدة متبعة

لدى المعمرين هنا وهناك * اما مواد البروتينات والدهن فانهم يستمدونها غالبا من مصدر نباتي .
ويضاف ممرق القوقاز يومية بحلولي 1900 حريرة وياكل نصف نصفهم اللحم يومية * ومع ذلك
يلاحظ ان 70٪ من الحريرات التي يقاتونها يومية يستمدونها من اعدية نباتية *

3 - لاحظ العالم ليف ان المعمرين في كل من المناطق الثلاثة التي درسها يعيشون ضمن
عائلات كبيرة ، ويتمتعون باحترام كبير * كما يسود بينهم شعور قوي بالترابط * ويكاد معمروا
الهنوزا يارسون سلطنة دكتاتورية هي اداة شؤون مجتمعهم * وتكاد كلمتهم تكون لها قوة
القانون *

4 - لا يصر سكان مناطق المعمرين حدا ميعنا للتقاعد عن العمل * اذ يقوم المعمرون حتى
الدين بجازوا سنة بممارسة الاعمال العامة ، طالما وجدوا في انفسهم القدرة على ذلك *

فيطلقون أوراق اشياء ، ويطلقون المواجن ، أو يسهرون على تربية ورعاية احفادهم *
ومما ادهش العالم ليف اكتشافه ان المعمرين لا يقلون عن زملائهم سكان المناطق المتحضرة في
الاستمتاع بتدخين التبغ * وعلى سبيل المثال يفتن معمرو قرية الشيكاسا 40 - 60 لفافية
تبغ يومية ، ولكنهم يتجنبون ابتلاع الدخان الى رئتيهم * ويمسكون الى لف التبغ الذي تنتجه
مزارعهم بورق اكواز القرفة ، ولكنهم يحصلون لف ، لتبغ عادة الورق الرقيق المستعمل في
المراحيض الحديثة اذا توفر لهم ذلك *

باستثناء معمري الهونزا يمكن القول بأن بقية المعمرين الآخرين يعاطون الخمر بشكل محاذي
اما معمروا العيلكاسا فيشربون يومية ثلاثة الى اربعة فناجين من شراب الروم القوي رغم تجاوزهم
سبع المئة * كذلك يكاد شراب الكحول يكون محاذ بين معمري منطقة العفاز * فيشربون كاسين الى
ثلاثة كؤوس من الخمر الطازج القوي ، وهي كمية تعتبر التصاب الطبيعي لما يتناوله الهرم يومية *
كذلك يشربون شراب الفودكا والبراندي الصنوع في جورجيا * والملاحظ ان كؤوس المعمرين تكون
عادة اصغر حجما نوعا ما من كؤوس زملائهم الشباب الذين يملكون السبعين او الثمانين من
العمر *

ومما يدهش الطبيب الذي يحضر مرضاهم دوما وأبدا : * بأن سممة الجسم تسبب كآرمة
الانسان * ان الطبيب عثر على عدد من الاشخاص البدينين * وخاصة بين النسوة القوقازيات اللواتي

يجاوزون المئة من العمر . والسيدة سويا البالغة 107 سنة من العمر تمثل، شحما ولها عقب ولادة طفلها الأخير . وتصرح بأنها اعتبارا من ذلك اليوم أصبحت تضية البرميل في بدايتها الا انها تضيف قائلة بأن : « أيتها كانت أكثر بداية منها » - ولم تتوف والدتها الا قبل سنوات قليلة .

يريد العالم أن يحدد خطوطا عامة لنظريته عن الاسباب التي تجعل المصريين من المناطق الثلاثة التي شملها دراسته ، يحافظون بنجاح على قدرة الاستمرار في احياء « ويدخل العالم في حساباته عامل الإنشاء، في الهرم لدى المصريين ، وهو عامل يتأثر بالوراثة أيضا . كذلك يدخل في الاعتبار وضعية المصريين النفسية المتوازنة عبر مراحل الحياة ، والحالية من المعايير Neurosen . ومن الرعدة في الهرم « وفي الحقيقة انحدار معظم المصريين الذين قام العالم ليد بدراسة أحوالهم ، من ابوين تمتعا بعمر طويل أيضا فلما ملئ من العمر أو حتى تجاوزها - وبما أن أسلافهم بدورهم كانوا يعيشون في عزلة مغلقة في رحاب الوحدة السائدة في المناطق الجبلية ، فمصر القروية - حسب رى العالم لسف - أن لا يورث قدر الامكان - الا عنصر الوراثة الخاص « بالمجاعة الطويلة » وهذا الاستنتاج يشمل على الخصوص جماعة الهوزا والفيلكيا حيث ما زال التزاوج هناك مع جماعات عربية عنهم أمرا يندر حدوثه .

اما بالنسبة للقوقازيين فإن نظرية « وراثة عنصر الحياة » لا تجد الصدى المرغوب ، لأن عناصر السكان القاطنين بين بحر غزوين والبحر الاسود تتألف من عناصر بشرية متنوعة كالجورجيين ، والازربيجانيين والروس ، واليهود ، والارمن الذين حدث في صفوفهم منذ مئات السنين اختلاط طعوى في عناصر الوراثة .

وعلى كل حال يعتبر العالم الجورجي ييشيلوري أن المتزوجين الذين يتنجبون الكثير من الاولاد يعيشون على ما يبدو مدة أطول - في حين ينسهر تعمير « العرب » مدة طويلة ، وأن حدث ذلك فإنه يكون استثناء طعيفا .

وقد يرى العالم المذكور استنتاجاته عن شوء الاسئلة التي طرحها على حوالي 15000 اسمان تجاوزوا سن الثمانين « فوجد أن كل فرد من بين مئة من افرانه قد أتجب سمعة الى تسعة اطفال ، وواحد بين اثنين احب أربعة الى ستة اطفال .

ويعتقد اغرفاويون بان سن الشباب ينتهي عند انقطاع جذرة ، اليلسدو ، أى الدفع الجنسي لديهم ، وقد تحقق العالم ليف من أن هذا السن يقابل ما أجاب به المعمر جبرائيل شابنجان البالغ 117 سنة من العمر ، وبأن جذوة الدفع الجنسي تستمر حتى الثمانين من العمر ، ويتذكر شابنجان أنه كان ما يزال شابا آنذاك ، أما جاره فى القرية المسمى كارادا أبونا سيجان البالغ 110 سنة ، فانه يدعى بان قوة حيويته الجنسية لم تحب الا قبل حوالى اثني عشر عام .

بالاضافة الى قوة احمرين الجنسية ، تبين الامتاذ ليف بمزيد من العجب ، ان معظم الذين تباحث معهم من المعمرين ، والذين أجرى عليهم فصوصا طبية ، تبين له وجود كل انواع امراض القلب المعروفة لديهم ، كما تثبت مرارا من اصابة بعضهم سابقا بحلطات قلبية ، ويعتبر من وجود كل من الاستاذ ليف وزميله العالم السوفياتى دافيد كاكيا شفىل أن حلطات القلب التى حدثت لهؤلاء المعمرين كانت حلطات من النوع الهادى ، التى لا يشعر المصابون بها ، ويبدو أن كفاءة جهاز الدورة الدموية لدى المعمرين سكانى الجبال ونظام قلبهم وواعيهم الدموية مردها الحركة الجسمانية اليومية التى يمارسونها صعودا وهبوطا على منحدرات الجبال ، فتساعدهم على مقاومة الكوارث المبينة التى يتعرض لها زملاؤهم ممررو المدن الكبيرة ، أخيرا يأسف العالم ليف اد انه لم يتمكن من زيارة شيخ المعمرين المسمى الشينخ على هيسليو ، الذى يعال بان عمره يقارب 167 عاما .

الساروخ :

« من أسرار الحرب العالمية الثانية »

كتشف أحد الكتاب الإبتاليين مؤخرا ملاحظات نهاية موسولينى زعيم الحزب الفاشستى الإبتالى ، وزعيم الكاتب بان لويجي لوتجو L. Longo ، قام بتنفيذ حكم الاعدام بالزعيم موسولينى ، ويصف الكاتب المشهد الاخير من حياة الديكتاتور ، بان لويجي لوتجو رفع مسدسه الرشاش وصفظ الزناد غير أن الرصاص لم يهزم ، فأعاد العملية مرة ثانية ، وثالثة ، ولكن دون جدوى لوجود خلل فى الجهاز . فبادر لآخره مسدسه الصغير من جيبه ، غير أن المسدس أيضا لم يطفى .

أخيراً انتزع لونغو سلاح مرافقه وأطلق عشر رصاصات على الشيعيين الذين كانوا يسطرون
بهايتهما قرب أحد الحدائق ، وهما موسيليني وصديقه كلارابياتشي .

منذ الحرب العالمية الثانية كان الوصف التاريخي الشائع للدقائق الأخيرة من حياة موسوليني
معايراً لذلك ، إذ يذكر أن كلا الشخصيتين وضعا يوم 28 إبريل ، 1945 على الساعة 10 ، 16 أمام بوابة
« فيلا بيلمونت » الواقعة قرب بحيرة كومو ، ثم قام الإصدار بإطلاق النار عليها ، ومن الغريب أن
أحدًا من المؤرخين لم يخافه الشك بعد في فعالية قصة الإعدام هذه ، رغم ما يلابسها من نغزات
عربية .

ومن العجيب أن المصص الذي أجرى على جدار الفيلا المذكورة حيث تم تنفيذ الإعدام - لم
يظهر أى أثر لطلقات رصاص ، كما أن الأرض التي علتت فوقها الجثتان لم تترك أى أثر لدماء .
كذلك يلاحظ اجتماع معلم شهود حادث تنفيذ الإعدام قريبا .

هذه الثغرات في القصة التاريخية استرعت انتباه الناشر فرانكو بانديني F. Bandini الذي
كان قد نشر كتابين عن موسيليني ، ويعتبر خبيراً في هذا الميدان ، فدفعته لأن يتحرى بدقة موضوع
الساعات الأخيرة من حياة موسيليني ، فشر مؤخرًا الصادرة في ميلانو ، نتيجة Epoca في مجلة
التحقيق الذي أحراه ، ومفاده أن مشهد الإعدام الذي جرى أمام فيلا بيلمونت لم يكن إلا تمثيلية
لأن الإعدام الحقيقي كان قد تم قبل ذلك بساعات ، وفي مكان آخر .

تبدأ القصة من 27 إبريل عام 1945 ، عندما تم القبض على موسيليني الهارب وذلك من قبل
جنود فرقة جاريبالدي التي تضم فئات مختلفة من الأحزاب المادية للعاشية ، وقد تم القبض عليه في
مدينة دونجو Dongo فقل موسوليني أولاً إلى دار بلدية المدينة حيث اعتقل هناك ، وفيما بعد
اقتيد إلى بيت الفلاح جياكومو دومازيا الواقع في قرية بونزانيفو Bonzanigo . وسمح
لكلارابياتشي أن ترافق موسوليني بقاء على رغبته الخاصة .

عندما أعلن نبأ القبض على موسوليني في ميلانو ليلة 27 إبريل احتجعت هناك لجنة التحرير
وهي هيئة قادة رجال المقاومة ، وكانت اللجنة قد قررت ، قبل ذلك بيومين أن تمتد حكم الإعدام
في موسوليني في حالة القبض عليه ، ولكن معروض خاص بتنفيذ حكم الإعدام في عين المكان
الذي يترتب عليه على الزعيم الهارب ، وقد وقع الاختيار لتنفيذ هذه المهمة على والتر أوديسيو .

المعروف بين أفراد المقاومة باسمه الحركي « النقيب فاليريو » ، وفي باكورة صباح الـ 28 من أبريل سافر فاليريو الى بحيرة كومو ، ولكنه لاقى صعوبات حددت مهمته بالعمل . وذلك بان رجال المقاومة كانوا يخشون صبيهم الثمين ولم يرغبوا بتسليم صبيهم الى رجل مقاومة غريب عند ذلك اعتقد كل من جينو وريكاردو مراقبا النقيب فاليريو وعالبا عن المكان في الفترة الواقعة بين الساعة 9:30 ، 14:20 وحتى الآن لم يصوف بعد ما الذي فعله خلال هذه الفترة . غير ان المؤلف بانديني يزعم الآن انه توصل لمعرفة ذلك : فقد انطلق الرجلان الى المكتب الاقليمي للحزب الشيوعي في كومو والتفقا هناك بأحد التنفيذيين من الحزب الذي يعمل في نفس الوقت عضوا في هيئة قيادة رجال المقاومة في ميلانو . هذا الرجل ما زال حتى اليوم يتمتع بمرکز مرموق في مدينة ميلانو ، ويطلق عليه الكاتب بانديني تحفظا اسم السيد « س » . وقد سافر السيد « س » في نفس النهار وبدون أن يتصل بالـنقيب فاليريو - الى منطقة كومو وعرة كل من ريكاردو وجينو وعدد من رجال المقاومة ممن يعرفون المنطقة ، وتصدروا مباشرة منزل الملاح دوماريا ، الذي كان موسوليني معتقلا فيه .

واخرج موسوليني وصديقه من المنزل ، واقتيدا مسافة 200 متر حيث قام ريكاردو والسيد « س » بإطلاق النار عليها من مسدسات رشاشة لعاد السيد « س » فورا الى ميلانو . أما الآخرون فسافروا الى مدينة دونيجو واعلموا النقيب فاليريو بما تم اجراؤه .

كان على النقيب فاليريو ان ينقذ الدور المرسوم له حتى النهاية نظرا لان تدخل السيد « س » واعداد كاثرا يياتني القرمبر ، لم يكن ينبغي اداعتها . خاصة ان فاليريو فعل بعمل التعويض الذي يطى لعملية اعدام مطهرا ولو سطحيا على الاقل من الشرعية لذلك سافر فاليريو الى منزل دوماريا ، لكي يعيد كوميديا غريبة ويروي المؤلف بانديني بأن النقيب فاليريو جعل إحدى أعضاء المقاومة المسماة جينا توبسي لكي ينظروا أمام الناس شيئين بالمختصين . وهكذا تم اقتياد الشخصين المتكررين أمام الحرس من المنزل الى سيارة النقيب فاليريو . وفي مدينة جيلنويدي ميزاجرا التعوا بسيارة قادمة يركبها النقيب فيرى الذي قام يجلب الجثتين في سيارته . ثم انزلت الجثتان أمام فيلا بيلمونت واستندتا الى الجدار ، ثم قام النقيب فاليريو بتمثيل عملية اعدام . غير انه لم يطلق النار على الجثتين ، بل في القضاة . وهذا ما يفسر اختفا. آثار الوساخ في الجدار الواقع خلفها . وفيما بعد تم كتمان تدمير و آثار العملية ، ولم يشأ تفاصيل ما حدث ، إذ ان كلا من النقيب

فدى وعضوة المقاومة حينا توى وصديقتها انجيليايتشى واحد حراس موسوليتى فى منزل الفلاح
دوماريا لقوا مصرعهم بعد عام 1945 من ظروف مازالت غامضة

اما السيد « س » الفاض الذى يزعم المؤلف بانديس مسؤوليته عملية الاعدام ، فيعطى
باندينى اشارة هامة عن شخصيته فى المقال الآنف الذكر المنشور فى مجلة « ايوكا » فيدعى
بان السيد لويجى لونجو شوعد فى ساعة الظهيرة من يوم 28 أبريل 1945 فى ساحة مدينة دونجو .

ولا يشك باندينى فى أن السيد لويجى لونجو هو الذى قسام باعدام موسوليسى وصديقه
فعلا . فبرغم بان ثلاثة قادة من قواد المقاومة اتفأك شهردا له بذلك - واذا صحت شكوك المؤلف
باندينى حول عملية الاعدام الرسمية - هل يمكن القول بان موسوليتى اعدم مرتين ؟



صدر أخيراً :

المجلة التونسية المرفوعة
عدد 2 وقسم الدراسات التالية :
فهرس الموضوعات
1 - مستوى القسم المصري

البحوث :

الصفحة

- 83 - الامام ، رشاد - سياسة حمودة باشا الحسيني في المجال التجاري
- 89 - التميمي ، عبد الجليل - العلم الفسطيني أثناء حكم الحاج أحمد ، آخر بايات قسطنطينة
- 93 - حول باب : « وثائق وملاحظات »
- 94 - يوغريز ، يحيى - من تاريخ كفاح الحرائر في القرن التاسع عشر : أربعة أحداث في ثلاث وثلاثين
- 103 - التميمي ، عبد الجليل - « تقرير عن الاحداث السياسية بونس خلال العشرين سنة التالية : 1898 - 1858 »
- 118 - الجمللي ، محمد فاضل - المغرب العربي ومؤتمر باندونغ
- 125 - الساحلي ، خليل - تقليد صالح باشا ولاية جزائر الغرب سنة 1552
- عصاف عن تاريخ المغرب المصري :
- 134 - التميمي ، عبد الجليل - مبرس الفخائر العربية والتركية بالجزائر
- 151 - موجز الدراسات التي نشرت باللغتين الفرنسية والانجليزية
- 152 - سعد الله ، أبو القاسم - العلماء الجزائريون (1919 - 1931)
- 153 - صموت ، كرمال - حركة الشباب التونسي ، مولد الشعور الوطني التونسي
- 156 - كانون ، بارون د - اصلاح القعد التونسي والاتحاد القدي اللاتيني
- 158 - كريم ، مصطفى - مع أصول الحزب الشيوعي التونسي (1919 - 1929)

2 - محتوى القسم الفرنسي والانجليزي

البصوت :

الصيغة

- 107 - **كانون** , **بارون** د - اصلاح النقد التونسي والاتحاد النقدي اللاتيني
- 116 - **كريم** , **مصطفى** - مع اصول الحزب الشيوعي التونسي (1919 - 1929)
- 138 - **سعد الله** , **ابي القاسم** - الطعام الجزائريون (1919 - 1931)
- 151 - **صموت** , **كرومال** - حركة الشباب التونسي ؛ مولد الشعور الوطني التونسي
- 169 - **حول باب** « **وثائق وملاحظات** » ؛
- 171 - **امري** , **مرسال** - الجزائر في سنة 1800 من خلال مذكرات دولاماي المحفوظة
- 177 - **الجمالي** , **محمد فاضل** - المغرب العربي ومؤتمر بالموغ
- 181 - **جوليان** , **شارل أندري** - رسالة من الحبيب بورقيبة الى أندري فيوليس
- 185 - **كريم** , **مصطفى** - تقرير عن حياة اظاهر خير الدين وعلاقاته مع الامة الفرنسية العامة بتونس

مصادر عن تاريخ المغرب العربي :

- 192 - **بوتو** , **سلفاتور** - مصادر ايطالية عن تاريخ المغرب العربي
- 195 - **موجز الدراسات العربية**

نقد الكتب :

- 99 - **كارسيا فيكوراسي** , **طوماس ويوديكي جوييا سان سير** , **كارولس** - العراش خلال القرن السابع عشر (**ميكال في ابلزا**)

الاستراكات ومراسلات التحرير بالعنوان التالي :

عبد الحليل التميمي 9 , تهج خير الدين - تونس

العالم العربي 9 دولار

لمغرب العربي 3 د 3

بالنسبة للمؤلفين الجزائريين والفرنسيين في الاشتراك في المجلة والمفصول عليها ، عليهم مرسله « قسم الاشتراكات بالخدمة الجزائرية للنشر والتوزيع التي عن طريقها يتم تسجيل الاشتراكات » بالمجلة التأسيسية العربية .

ALLOCATION PRONONCEE PAR M. MOULOUD KASSIM NAIT BELKACEM

*Ministre de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses
au Congrès du Koweït*

*réunissant les Ministres des Affaires Religieuses des pays arabes
(26 février - 3 mars 1973)*

QUATORZE SIECLES APRES LA REVELATION
DE LA SOURATE « IQRA I » (LIS I)
NOUS DEMEURONS UNE NATION ANALPHABETE,
NE SACHANT NI ECRIRE NI COMPTER

Excellences,

Messieurs,

Au nom de la délégation algérienne, j'exprime au généreux Koweït qui nous reçoit, mes remerciements qui s'adressent tant à son Emir qu'aux membres du gouvernement et au peuple koweïtien. Je remercie plus particulièrement son Excellence Rachid Al Farhane qui, en prenant cette heureuse initiative, nous permet de nous réunir ici et d'étudier certains aspects des choses qui intéressent la nation islamique, dans sa vie et dans son devenir.

En ce qui concerne la définition et l'unification d'un calendrier des mois lunaires comportant les dates des festivités islamiques, je pense que la position de l'Algérie est connue. Nous l'avons fait connaître en pratique, après avoir perdu tout espoir de voir apparaître une assemblée de solution positive au niveau de la nation islamique.

Nous avons donc appliqué ce qui avait été préconisé par l'Imam Rachid Ruda et le professeur Allal Al Fassi, c'est-à-dire ce qui avait été recommandé par le Congrès de Malaisie et ce à quoi avait conclu la Commission algérienne du Ifta, je veux dire l'adoption d'un calendrier islamique de l'année lunaire basé sur la possibilité de la détermination de la lunaison par le calcul astronomique.

Nous avons donc effectivement entrepris d'appliquer cette méthode basée à la fois sur la visibilité de la nouvelle lune et la garantie que cette vue est exacte, en utilisant les moyens scientifiques. Ceux-ci permettent d'arriver à cette certitude qui est l'un des buts de la Loi islamique. Nous avons fait paraître un agenda qui mentionne avec netteté et précision les fêtes religieuses de l'Islam, depuis le dernier Ramadhan jusqu'au prochain 'Id Al Fitr (Id Esseghir). Ainsi savons-nous à l'avance la date du commencement de la nouvelle année hégirienne, celle de l'Achours, celle du prochain Ramadhan, celles des deux Aïd ('Id Al Fitr et 'Id Al Adha) de l'année 1393 de l'hégire, correspondant à 1973-1974 de l'ère chrétienne.

Ce calendrier présenté sous forme d'agenda de poche ou de bureau, se trouve entre vos mains. Nous l'avons ici distribué à vos excellences. Bien sûr ! nous avons trouvé devant nous des gens qui pendant des jours sont restés à répéter le hadith suivant, plus ou moins sténotypé : « Nous sommes une nation qui ne sait ni écrire ni compter ; la lunaison se détermine à l'œil nu, et les débuts et fins des mois se fixent en conséquence de cette vue à l'œil nu », puis d'affirmer, en comptant sur leurs doigts, « tandis qu'on libérant le ponce, que le mois lunaire était de 30 ou de 29 jours ». Mais nous leur avons cité la fetwa de l'Imam Rachid Rida affirmant qu'il était non seulement permis mais nécessaire d'avoir recours au calcul astronomique dans l'accomplissement des actes de dévotion ('iddat) et, par voie de conséquence, nécessaire d'adopter un calendrier de l'année lunaire déterminé par le calcul, conformément à la Loi islamique et à ses profondes motivations et ultimes desseins. Car cette dernière appelle les gens à la certitude et à l'exactitude qui résultent de la science dotée de tous les moyens modernes. Ceci nous permet d'être sûrs de la possibilité de voir la nouvelle lune, scientifiquement, au jour de sa naissance. Que la vue à l'œil nu ait lieu ou pas, cela ne change rien, puisque la vue elle-même n'est pas acte de dévotion mais seulement moyen et instrument. Dès que nous sommes certains de la possibilité de voir la nouvelle lune, la Loi reconnaît cette vue. Elle devient valable, obligatoire.

Cette visibilité a la même valeur juridique que la vue effective, et la première « en plus le mérit d'être fixée bien à l'avance. Ce qui revient à dire que la vue « théorique » dispense de la vue réelle surtout lorsque celle-ci n'est pas assurée, qu'elle est l'objet de témoignages contradictoires prêtant à la confusion et incitant à de violentes controverses et parfois même à des conflits.

Une telle méthode, continue Rachid Rida, nous est déjà familière lorsque nous observons le jeûne. Car nous savons tous que nos muezzins et nos imams (Dieu leur pardonne !) annoncent les prières et les font en se basant sur des montres fabriquées un peu partout par des Chrétiens, des Juifs ou même des athées sinon athéistes. Si ces moyens scientifiques sont valables pour la prière qui est le principal pilier de l'Islam, (ômdat), ils doivent l'être également sinon à fortiori, pour le Ramadhan ou tout autre pilier de l'Islam.

Nous avons rappelé à nos corréligionnaires une autre fetwa du professeur 'Allal Al Fassi, un des savants de l'Université Qarawiyine et penseurs de l'Islam contemporain, à propos du hadith suivant « Observer le jeûne à la vue de la nouvelle lune, rompez le jeûne à la vue de la nouvelle lune. Nous sommes une nation analphabète qui ne sait ni écrire ni compter. La lunaison est ainsi... ».

Ce propos, eût Allal Al Fassi, a été prononcé dans certaines circonstances, c'est-à-dire en l'état d'ignorance où se trouvaient alors les Arabes. Cette ignorance ayant disparu, nous devons appliquer la règle des Usul (sources du droit) qui dit que l'effet (ma'lûl) doit disparaître lorsque la cause ('illa) n'existe plus. Ce qui revient à dire que puisque nous ne sommes plus des analphabètes, puisque désormais nous écrivons et comptons, nous n'avons plus à tenir compte de l'obligation qui nous était faite de voir la nouvelle lune à l'œil nu. Au contraire, notre devoir est d'adopter les moyens les plus sûrs, c'est-à-dire les moyens scientifiques.

Permettez-moi d'ajouter qu'il est vraiment étrange que nous demeurions attachés à la lettre de ce hadith, quelle que soit son authenticité, quatorze siècles après la révélation de « Iqra' ! » (impératif de lire), qui est le premier verset du premier chapitre de ce Coran qui fait obligation de « savoir calculer les années et mesurer le temps » à une nation qui était une des plus enfoncées dans l'analphabétisme, l'ignorance et l'arriération. Eh bien ! cette même nation, grâce au verset « Lis par la grâce de Dieu » est devenue celle qui enseigne le monde, le pourvut des sciences algébriques et trigonométriques et engendra Jabir Ibn Hayyan, Khawarizmi, Ibn Al Haltham, Al Biruni, Ibn Rochd, Ibn Sina, Al Idrissi, Ar-Razi, Ibn Al Jazari, Abulkacim, Ibn An Nafis, Abu Hamza et d'autres plus nombreux et non moins valeureux.

Il est encore plus étrange — mais cela n'est pas la seule contradiction dans notre vie — de voir ces gens utiliser les lunettes pour déchiffrer, de nos jours, les manuscrits de droit et de hadith, de les voir utiliser les instruments de photographie pour prendre des copies de nos livres de loi ; se baser sur la radio pour l'appel à la prière ; enregistrer la lecture du Coran ou écouter cette dernière diffusée par les disques ou par la radio ; prendre la voiture automobile pour aller faire la prière du vendredi ou l'avion pour accomplir le pèlerinage aux Lieux-Saints ; se fier aux observatoires et aux horloges pour déterminer le moment de la prière et celui même du jeûne (imsak) ou de sa rupture (iftar), depuis le premier jusqu'au dernier jour du mois du Ramadhan, c'est-à-dire pendant 28 ou 27 jours, exception faite de la naissance du premier et de la fin du dernier jour de ce mois, et voilà que, soudain, pour ces deux journées, ils n'ont aucune foi en ces maudites machines diaboliques que sont les observatoires et les horloges ! Haroun Errachid devient Charlemagne ! Que l'histoire de l'Islam est riche de paradoxes par le fait de certains Musulmans !

Excellences, messieurs et chers frères,

A la lumière de ces connaissances récentes que nous venons de mentionner, et nous basant sur les intentions et motivations profondes de notre Loi telles qu'elles ont été clairement exposées par nos savants et penseurs contemporains les plus illustres, puis nous fiant à notre expérience personnelle et compte tenu de feu vert qui nous a été accordé par la Commission algérienne de l'Ifra réunie à notre initiative, l'Algérie a résolu de mettre en pratique le verset suivant d'Allah le Très Haut : « Et que vous sachiez compter le nombre des années et le calcul ».

C'est ainsi que, finalement, nous avons renoncé à nous baser sur la vue à l'œil nu pour déterminer la nouvelle lune (néoménie) ; nous avons établi un calendrier islamique de l'année lunaire. Désormais, nous connaissons à l'avance la date des fêtes musulmanes et des solennités religieuses comme le commencement du mois de Ramadhan et des autres mois hégiriens. Ainsi pourrions-nous régler notre vie pratique d'après ces dates, et être à même de leur vouer notre respect populaire et officiel. Ainsi prit fin cette affaire controversée, contestée, où nos cheikhs, imams et autres muftis ne cessaient de discuter, de s'insulter et de faire rire tout l'univers à leurs dépens et aux nôtres surtout au début de chaque Ramadhan et à sa fin.

Il reste que ce qui a été réalisé en Algérie n'aura atteint sa signification complète que s'il est généralisé sur le plan de l'univers islamique. Il n'aura son vrai sens que lorsque les grandes dates et fêtes seront unifiées, c'est-à-dire si nous établissons un calendrier fixe et universel, comme c'est le cas pour les Juifs et les Chrétiens, dans toutes les contrées du monde ou presque. Telle est l'œuvre que nous devons accomplir ici-même.

Naturellement, dans un souci d'unification, l'Algérie est disposée à abandonner son calendrier si l'on tombe d'accord ici sur un autre calendrier annuel et définitif, basé sur la science, quel que soit le pays dont l'observatoire aura servi à l'établissement d'un tel calendrier islamique unifié portant sur l'année lunaire, embrassant toutes les contrées du monde islamique ou presque toutes et donnant à l'avance les dates de l'année entière.

Si nous n'arrivons pas à réaliser cette œuvre, l'Algérie conservera son propre calendrier et ne se fera jamais plus à la vue à l'œil nu, comme cela s'est passé cette année même, où les témoignages se sont affrontés, se contredisant d'une région à l'autre, et s'opposant dans la même ville, dans le même quartier. L'on a vu alors des témoins sûrs, pieux et vertueux se traitant les uns les autres de menteurs, s'accusant réciproquement des pires forfaits et indulgent parfois, les uns aux autres, en toute simplicité et « générosité », des jédnes expiatoires de soixante jours (kaffara). C'est ainsi que les fêtes musulmanes, au lieu de demeurer des occasions de se réjouir, de fraterniser, de communier, de se rendre visite et d'offrir un aspect d'union et de solidarité, dégénèrent en manifestations de mépris, d'offense, d'anathème, de rancœur et de rancune, ou, pour le moins, en actes de division et de conflit qui font de nous la risée du monde !

Messieurs,

Un autre sujet important mériterait que l'on s'y arrêtât : il s'agit des centres islamiques à l'intérieur même du monde musulman. En effet, notre jeunesse se trouve exposée à l'influence néfaste des centres culturels et autres organismes dont les tendances et les aspects sont multiples (propagande religieuse, sioniste ou athée etc...) mais dont les méthodes et les objectifs sont les mêmes. Nous pouvons déceler leur façon d'agir dans les livres, revues, cercles de réunion, publications, films (qui, hélas ! sont projetés par les appareils de certains Etats musulmans). Quant à leurs objectifs, ils visent à ébranler la foi de notre jeunesse, à jeter le trouble dans sa personnalité, à perturber ses sentiments d'authenticité islamique, en sorte que nos jeunes se mettent à douter de leur origine et deviennent une proie au déséquilibre mental et à la corruption morale qui, tous deux, ouvrent la voie à l'occupant étranger.

Lorsque nous considérons le cas des Musulmans qui vivent à l'étranger, nous constatons que le rôle joué par ces centres que nous préconisons de créer à leur intention n'est guère moins important. En effet, nos frères à l'étranger sont exposés à la dissolution et à l'assimilation. Leur personnalité risque d'y être défigurée et ce, à cause de leur éloignement. Nous les voyons subir toutes sortes de pressions, depuis la corruption jusqu'au chantage à la suppression de l'emploi, du poste administratif, du commerce et autres moyens d'existence. Certains Etats ont même proclamé ces intentions et sont passés à l'action.

Certes, à l'intérieur de nos frontières, (des pays musulmans), notre meilleur moyen de conforter notre jeunesse c'est de faire revivre nos universités islamiques chancelantes ou disparues, en en faisant des établissements parfaits embrassant à la fois le temporel et le spirituel (l'Islam n'est-il pas est à la fois religion et Etat ?) et en développant cet enseignement depuis l'école maternelle jusqu'à la fin des études universitaires.

Mais en ce qui concerne nos enfants émigrés, notre seul recours, du moins à l'heure actuelle, ce sont ces centres culturels et toutes les écoles que nous pourrions créer pour leur apporter les aliments de leur culture et de leur religion. Ainsi pourrions-ils avoir une idée de leur glorieux passé, prendre conscience de la situation douloureuse où se trouve leur nation et de l'avenir heureux qui l'attend, si elle en a la volonté...

A cette occasion, je voudrais faire savoir aux frères ici présents, qu'un congrès de l'émigration s'est tenu récemment à Alger. Je voudrais leur dire également que la situation de nos enfants vivant à l'étranger, ainsi que la question du prosélytisme « missionnaire » sous toutes ses formes, figurent parmi les points inscrits à l'ordre du jour du 7^{ème} Séminaire pour la Connaissance de la Pensée Islamique, dont les assises se tiendront en Algérie, l'été prochain. Un certain nombre de professeurs d'élite appartenant à tous les pays du monde musulman et environ deux mille élèves et étudiants d'origine algérienne ou étrangère, participeront à ce symposium.

Enfin, avant de renouer avec le Koweït, pays frère qui nous permet de faire ce nouveau pas, mes sincères remerciements, je suggère que la tenue de notre congrès devienne périodique et qu'il puisse se réunir tous les ans ou tous les deux ans ; qu'il soit ouvert à tous les pays musulmans et non pas seulement aux pays arabes. Je vous invite à tenir la prochaine réunion à Alger. Le moment le plus favorable serait peut-être celui de la tenue du Séminaire sur la Pensée Islamique, avant son ouverture ou avant sa clôture, afin qu'il soit permis à tous d'y assister, comme certains en ont exprimé le désir.

Certes, la tâche de ceux qui veillent à la formation des êtres et à leur éducation est une des plus ingrates. Nous devons donc l'accomplir en ayant pleine conscience de notre responsabilité. Nous tous, nous ne faisons que passer notre chemin. Mais il est de notre devoir de demeurer la conscience vigilante de notre nation islamique, de lui montrer quels sont ses droits et quelles sont ses obligations. Nous ne devons jamais faire preuve d'esprit négatif, de timidité ou de faiblesse. Nous ne devons jamais nous contenter d'invoquer Dieu ou de maudire Satan dans les cas où il faut crier notre réprobation.

Puisse Dieu nous assister dans l'accomplissement de notre mission et que le Salut soit sur vous.

L'UNIFICATION DU CALENDRIER CONCERNANT
LES SOLENNITES ET FETES RELIGIEUSES
CONSTITUE L'UN DES ASPECTS LES PLUS IMPORTANTS
ET LES PLUS NOBLES DE L'UNITE ISLAMIQUE

TEXTE DES PROFESSEURS : Ahmed HAMMANI,
PRESIDENT DU CONSEIL SUPERIEUR ISLAMIQUE,
et Abdelkrim GHAZLOUN,
SOUS-DIRECTEUR DE L'OBSERVATOIRE

Comme l'atteste le Coran, les musulmans forment une seule et même nation. Toutes les composantes de leur unité effective sont autant de témoignages de leur force, de leur vigilance et de leur droit à la vie. Tout désaccord entre eux, toute dispersion dans leurs rangs indiquent leur faiblesse et leur négligence et les exposent aux dangers d'effondrement et de mort. Si cette désunion porte sur la religion, sur ces pratiques et sur les causes qui s'y rapportent, elle devient une catastrophe pour l'Islam et les musulmans.

Il est donc certain que l'unification des époques au cours desquelles sont célébrées les fêtes et les solennités religieuses des musulmans, l'uniformisation des dates marquant le commencement et la rupture de leur jeûne (ramadhan), ainsi que le début et la fin des mois et des années de leur calendrier hégirien, constituent des aspects parmi les plus importants et les plus beaux de cette unité. Comme il n'est pas douteux que leur méconnaissance à ce sujet donne d'eux-mêmes et de leur religion une image combien déplaisante et pénible pour les croyants, en même temps qu'elle introduit la perturbation et la perplexité dans leur vie religieuse, politique, sociale et administrative. C'est ce qui a incité des esprits éclairés, réfléchis et volontaires à œuvrer efficacement et sans tarder en vue de les affranchir de cette situation déplorable.

CALENDRIER ISLAMIQUE UNIQUE, REpondant
A LA FOIS A LA REGLE RELIGIEUSE ET AU CALCUL
ASTRONOMIQUE

C'est à le résultat auquel sont parvenus es chercheurs compétents, et dont les penseurs, les dirigeants lucides, les savants versés dans a loi musulmane, les astronomes musulmans dont le savoir aussi bien que la loi offrent toutes les garanties de crédibilité, sont unanimes à reconnaître qu'il constitue le seul moyen idéal de réaliser l'unité dans ce domaine. C'est également en qui a été décidé par la conférence des Ministres des Affaires religieuses, islamiques et des Wakfs des Etats arabes, qui s'est tenue à Koweït du 23 au 28 mouharram 1393 h. (26 février - 3 mars 1974), et qui a fait l'objet de la réunion aux fins d'exécution, de la "commission du calendrier islamique" issue de la dite conférence.

Engagement des gouvernements islamiques
à mettre en pratique ce calendrier

Les résolutions de la conférence ministérielle déjà citée portent notamment : "obligation d'élaboration d'un calendrier lunaire par une commission désignée à cet effet et comprenant des docteurs de la loi islamique et des astronomes, et engagement des gouvernements islamiques à s'y conformer dans leur jeûne et dans sa rupture (ramadhan), ainsi que dans la fixation de leurs fêtes solennelles et dans leur datation".

La conférence a de même décidé que cette commission soit composée de représentants des Etats arabes suivants : Algérie, Tunisie, Egypte, Koweït et Katar. Le professeur Abdallah AL-ANSARI, délégué du Koweït, a été désigné à sa présidence parce que juriste-consulte et astronome en même temps. Il a été convenu que dès leur achèvement, les travaux de la commission ad hoc seront soumis pour approbation à la seconde conférence ministérielle que l'Algérie s'est engagée à organiser dans sa capitale en y invitant tous les Etats musulmans.

Réunion de la commission ad hoc à Koweït

Sur invitation de Mr Rachid Abdallah AL FARHAN, ministre des Wakfs et des Affaires Religieuses de Koweït, la commission ad hoc s'est réunie à Koweït les samedi et dimanche 6 et 7 rabia 2 1394 h., correspondant aux 27-28 avril 1974, en présence des délégués de tous les Etats concernés. Ont représenté :

- L'Algérie* : M.M. Abdelkrim GHAZLOUN, Sous-Directeur de l'Observatoire, Ahmed HAMMANI, Président du Conseil Supérieur Islamique.
- La Tunisie* : Cheikh Mustapha Kamel AL-TARZI, Directeur des Affaires Religieuses.
- L'Egypte* : Cheikh Mohammed KHATIR, Mufti d'Egypte, Professeur Abdelhamid SAMAHA, Directeur de l'Institut d'observations astronomiques et ancien professeur d'astronomie à Dar al Ouloum du Caire.
- Le Koweït* : Cheikh Atiah SAKR, vice-président du département de la culture islamique, Mr. Salah AL-OUJJEIRI, professeur d'astronomie, Professeur Abdallah AL-OKELI, écrivain et directeur des affaires religieuses.
- Katar* : Cheikh Abdallah Ibnou Ibrahim AL-ANSARI, désigné par la conférence ministérielle à la présidence de la commission.

Les travaux ont été ouverts en présence de Monsieur le ministre des Wakfs et des affaires religieuses et ont eu pour cadre le siège du ministère koweïtien. Après le départ du Ministre, les débats ont commencé sous la direction du président désigné. La délégation algérienne a présenté un projet comprenant un ensemble de suggestions qui avaient fait l'objet d'une étude approfondie et minutieuse avec Monsieur le Ministre de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses. Ce projet a été apprécié et agréé par tous les délégués présents. Chaque délégation a présenté ensuite ses projets et suggestions.

Après une ample étude et des débats utiles et fructueux, les délégués ont convenu à l'unanimité que les bases devant servir à l'élaboration du calendrier islamique qui répondent à la règle religieuse et au calcul astronomique doivent être les suivantes :

1^o) Le mois doit commencer à partir de la nuit qui suit la conjonction des astres du jour et de la nuit (naissance de la nouvelle lune)

2^o) La distance angulaire de la lune par rapport au soleil ne doit pas être inférieure à sept (7) degrés, qui est la limite minimum pour qu'il y ait possibilité d'observer la nouvelle lune.

3°) La nouvelle lune doit avoir un stationnement suffisant, après le coucher du soleil, pour être visible à l'œil nu.

4°) La Mecque doit être le point géocentrique pour le calcul de la lune légale. L'accord étant réalisé sur ces points, Mr. Salah AL OUDJEIRI (astronome kuwaitien) fut chargé de mettre au point le projet de calendrier demandé, qui doit être soumis comme indiqué précédemment à l'approbation de la seconde conférence ministérielle dont la tenue est prévue à Alger.

PHASE FINALE :

L'élaboration de ce calendrier représente effectivement - s'il plaît à Dieu - la phase finale d'une longue période d'études approfondies, de suggestions diverses, de recommandations et de résolutions. Car il y a environ cinquante ans que le savant professeur et "moudjtahid" du siècle, le cheikh Mohammed Rachid Ridha a proclamé la légalité de la mise en pratique du calcul astronomique en ce qui concerne la certification de la naissance de la nouvelle lune, et la faculté de son utilisation pour la détermination du début et de la fin du jeûne de ramadhan. Il a également énoncé que le calcul astronomique est utile à notre époque aux sciences exactes, ajoutant qu'il convenait de prendre en considération les résultats des astronomes, lorsqu'ils existent, car ils représentent une science exacte et sûre, et parce que l'application du calcul exact est plus proche des desaccords de la religion. Il a également préconisé l'établissement d'un calendrier général où seraient dressés les temps au cours desquels sera visible la nouvelle lune de chaque mois, dans chaque pays, à moins d'empêchement.

Le cheikh Rachid Ridha a dit encore à ce propos : "Grâce à la mise en pratique de ce calendrier lunaire islamique unifié, la concorde sera réalisée entre les musulmans et le désaccord leur sera épargné".

Il a de même prouvé, que Dieu ait son âme, la légalité de l'utilisation du calcul astronomique dans le jeûne et sa rupture, étant donné qu'il détermine aussi bien les horaires de la prière, de l'abstinence et de la rupture du carême au coucher du soleil, ce qui fait d'eux l'unanimité des musulmans, sans pour autant qu'il ait été d'usage à l'époque du Prophète, - que le salut et la Bénédiction de Dieu soient sur lui, - ni à celle des premiers "salafs". Le cheikh Rachid Ridha a prouvé la négation d'une contradiction entre l'utilisation du calcul et les textes religieux, étant donné qu'il n'est pas possible que notre religion soit en confrontation avec les bases scientifiques ou les contredise. C'est également la réponse qui a été donnée par l'Imam Docteur Mohamed AL FAHAM à une question sur ce sujet, réponse qui a été publiée dans la "Revue d'Al-Azhar" et que nous citons :

"Cette question a été débattue par les juristes des premiers siècles, comme elle l'a été par l'Académie des recherches islamiques au cours des dernières années. Tous sont d'accord pour affirmer qu'il n'y a point contradiction entre la religion et la science, car c'est la religion elle-même qui invite au savoir".

Le congrès de l'Académie des recherches islamiques auquel fait allusion le cheikh AL FAHAM avait retenu le principe de la prise en considération du calcul astronomique pour la détermination de la nouvelle lune, même s'il s'agit de l'observation oculaire la base de cet

re détermination, en la rejetant toutefois si elle était entachée de doute. C'est le cas, par exemple, lorsque l'observation visuelle contredit le calcul astronomique sûr, émanant de spécialistes dignes de foi.

Ce congrès a demandé aux gouvernements et aux peuples islamiques de désigner chacun un comité qui aura la charge de déterminer les mois lunaires, en liaisons inter-comités d'une part, et avec les observatoires et les astronomes de confiance, d'autre part. Le cheik Al Fahham a enfin annoncé que c'est en vertu de ces décisions, et après contact, qu'à lieu en Egypte la pratique de la fixation du commencement et de la fin du jeûne de ramadhan.

Il y eut ensuite le congrès des savants musulmans tenu en Malaisie, lequel a adopté des recommandations soulignant la nécessité de mettre au point un calendrier lunaire islamique unifié, et demandant aux gouvernements islamiques de constituer à cette fin un organisme qui sera composé de savants dans les sciences religieuses et d'astronomes. Dans une déclaration du regretté cheikh Tahar ben Achour, que Dieu ait son âme, nous relevons ce qui suit : "Le droit de réduire le désaccord dans les affaires des musulmans exige de ne pas négliger de changer les situations par rapport à ce qu'elles étaient dans les siècles passés".

A propos de la certitude relative au calcul astronomique et au calendrier, le cheikh Tahar ben Achour a ajouté :

"Il faut entendre par calendrier les résultats des calculs opérés par les astronomes c'est-à-dire ceux qui ont une connaissance astronomique dont les fondements ne donnent aucune prise au doute et dont les évaluations excluent avec certitude tout risque d'erreur. Si le calcul précise le moment de la présence de la nouvelle lune, jour et heure, il y a sans aucun doute connaissance certaine du mois".

Pourquoi est-il impérieux d'établir ce calendrier ?

Ces multiples réunions, ces résolutions et recommandations, ces études et fetwas donnent une idée de l'état de tension et d'embarras auquel leur mécontente à ce sujet a conduit les responsables, les penseurs et les masses musulmanes. Cet état de choses offre, en effet, d'eux-mêmes et de leur religion, une image indigne et affligeante, et il n'y a pas d'autre issue à cela que la voie scientifique exacte qui soit conforme au principe religieux et ne contredise par ses textes.

Les faits douloureux et tristes sont là, nombreux : ils se répètent d'année en année, commentés malicieusement par l'humour populaire, rapportés par des témoins irréprochables et vécus par des millions de musulmans.

Entre la Libye et le Maroc, un écart de trois jours.

C'est ce qui est arrivé effectivement il y a quelques années. Le témoin qui rapporte ce fait est le professeur Mohammed al Mahdi Tahar Abou Hâmid, chef de la délégation libyenne à la conférence ministérielle de Koweït et il a été cité, dans l'une de ses conférences, par Monsieur Mouloud KASSIM, Ministre de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses, qui a noté à ce propos :

"Au cours de l'une des années passées, il (le professeur Mohammed al Mahdi) a quitté la Libye pour se rendre au Maroc, le 29^e jour de ramadhan, donc la veille de l'Aïd al Fitr en Libye. Au cours de son escale à l'aéroport de Tanis, il constata qu'en Tunisie, c'était le 28^e jour, c'est-à-dire la veille du 29^e jour de ramadhan. — A l'aéroport d'Alger il apprit que nous en étions au 27^e jour, autrement dit la veille du 28^e jour. Arrivée à Rabat, il trouva les Marocains célébrant la "Nuit du Destin", car ils étaient, eux au 26^e jour et à la veille du 27^e. Pourquoi cela ? Parce qu'il y avait un décalage de temps de 3 jours entre la Libye et le Maroc, la Libye commençant le jeûne un tel jour, la Tunisie un jour plus tard, l'Algérie deux jours plus tard et le Maroc trois jours. Ceci s'est répété assez souvent et il se répète quasiment tous les ans.

Est-ce que la science et le calcul astronomique admettent un pareil décalage entre les deux aïes du Maghreb ? La religion l'accepte-t-elle ? Certainement pas, Bien au contraire. il y a là de quoi être triste, malade, honteux, deshonore.

Un ramadhan de 27 jours

Le professeur Abdelhamid Samaha, Directeur de l'Institut d'observation astronomique et professeur d'astronomie à Dar el ouloum du Caire signale dans une étude publiée par la presse que ce fait a véritablement eu lieu au Maroc il y a à peu près vingt ans. Il note textuellement : "Les nuages et le brouillard couvraient le ciel lorsqu'ils voulurent observer la nouvelle lune de radjeb, et ils terminèrent le mois de djumada 2 à trente jours pleins. Les jours se suivirent et le ciel était toujours couvert quand il leur fallut observer la nouvelle lune de chaabane : ils ne purent la voir et complétèrent donc radjeb à trente jours pleins également.

Le temps demeura stationnaire et ils n'eurent d'autre ressource que de compter de même trente jours pour chaabane, faute d'avoir pu observer le croissant de ramadhan. Les journées de ramadhan se suivirent, alors que le ciel était toujours couvert, et ils atteignirent ainsi la journée du 27 ramadhan, selon leur décompte. Ils se préparèrent à célébrer le "Nuit du Destin", et voilà que les nuages disparaissent que le ciel s'éclaircit, et c'est ainsi qu'ils virent la nouvelle lune de cheuval le 27 de ramadhan et qu'ils considérèrent le jour suivant comme le 1^{er} de l'Aïd Al Fitr."

L'un des mois arabes comporte 31 jours

Le professeur Samaha rapporte dans la même étude : "Il est arrivé encore en 1959, que l'observatoire annonce l'impossibilité d'observer la nouvelle lune dans n'importe quel pays arabe le 6 juin, étant donné que le calcul précis atteste l'inexistence du croissant à l'horizon de ces pays, au cours de cette journée, puisqu'il se couche avant le coucher du soleil. C'est alors que le royaume d'Arabie Séoudite annonce l'observation de la nouvelle lune de ramadhan le même jour, ce qui oblige les musulmans à commencer le jeûne le lendemain.

Puis les jours de ramadhan se suivirent et les préparatifs de l'Aïd Al Fitr s'approchèrent. La surprise vint encore de l'Arabie Séoudite lorsqu'elle signala la vision de la nouvelle lune de cheuval, deux jours avant la date prévue pour sa naissance, d'où il résultait que le mois de

chawâl en cette année là 31 jours". Ceci est la version du professeur Samaha. Il a sans doute cité le mois de juin par erreur, car il s'agit en réalité du mois de mars puisque l'Aïd Al Adha a été célébré cette année là le 16 juin, et que le décalage entre cette fête et le premier ramadhan est de 3 mois et 10 jours.

Quoi qu'il en soit, le fait qu'il a relaté pour l'année 1959, s'est répété cette année, puisque la nouvelle lune de ramadhan a été annoncée un jour avant sa naissance, et celle de chawâl deux jours avant. C'est ce qu'il ressort des déclarations faites par des savants dignes de foi en ce qui concerne aussi bien leur connaissance de la loi islamique que leur savoir astronomique. Le Professeur Samaha cite encore que "Dar al Ifrâ" du Caire fixe souvent les débuts de mois essentiels à la lumière des rapports qui lui parviennent. Il ajoute :

"Nous apprenons par la suite que l'un des pays arabes a fixé à un autre jour le début du même mois. Dans la plupart des cas, le désaccord n'a pas pour origine les raisons que nous avons exposées précédemment, c'est-à-dire la non-concordance dans l'apparition du croissant, étant donné que le calcul minutieux prouve l'existence formelle de la nouvelle lune à l'horizon de ce pays

Il est résulté de tout cela, au cours des dernières années, une absence d'harmonisation dans la célébration des fêtes et solennités religieuses dans les pays musulmans : l'un observait encore le jeûne, tandis que l'autre l'avait déjà rompu, un pays célébrait le rite du sacrifice, alors qu'un autre jeûnait le jour de Arafât. L'institut d'observation astronomique était impuissant devant cet état de choses, car les avis qu'il émettait étaient et sont encore purement consultatifs, "Dar al Ifrâ étant libre de les prendre ou non en considération. Les exemples, dans ce domaine, sont nombreux et tristants".

Dar al Ifrâ a, entre autres refusé de suivre l'avis de l'observatoire de Halouan concernant le début de ramadhan pour l'année 1993, malgré les contacts entretenus par les deux organismes.

L'initiative algérienne et son effet

Il était devenu impérieux de prendre une initiative tendant à mettre fin à cette déplorable situation, et à lui dégager la solution authentique.

L'Algérie a eu le mérite d'avoir réalisé, la première, un calendrier lunaire islamique réunissant à la fois le calcul astronomique digne de foi et la règle religieuse. Ce ne fut pas, de sa part, le résultat d'une action précipitée, mais bien d'une étude approfondie, d'une conciliation entre les textes légaux et les règles de la naissance de la nouvelle lune, et les possibilités prévisibles de son observation. Cette initiative algérienne a exercé une forte secousse qui a réveillé nombre de gens et attiré leur attention, au point qu'ils se sont préoccupés de la question et l'ont soumise à exécution.

Justesse et précision du calcul algérien

Au fil des jours, les observatoires et les calculateurs ont démontré la précision du calcul de l'Algérie et sa justesse depuis la première année où notre pays a établi son calendrier usuaire et l'a mis en pratique en ce qui concerne le commencement et la fin du jeûne, les fêtes et les solennités religieuses.

Le premier calendrier élaboré par l'Algérie a précisé que le premier ramadhan 1392 h. tombera le lundi 9 octobre 1972, étant donné que la nouvelle lune ne serait pas visible dans son ciel le soir du 7 octobre. Le premier jour de ramadhan ne pouvait donc être le dimanche 8 octobre.

Au mois de chaabane 1392 h (la même année donc), trois spécialistes égyptiens en astronomie, parmi les plus réputés, ont publié dans la revue d'Al Azhar une étude reproduite par le journal marocain "Al Alam", d'où il ressortait, en concordance avec le calcul des astronomes de l'observatoire d'Alger, que la nouvelle lune de ramadhan ne pouvait être observée le soir du 7 octobre dans le ciel de l'ensemble de la zone où se situent la plupart des pays musulmans, y compris les pays arabes. Il était possible, par contre, de l'observer le soir du dimanche 8 octobre. Une pareille prévision rigoureuse a été portée certainement à la connaissance de "Dar al Iftâ" du Caire, et celle-ci n'a pas hésité à annoncer le début de ramadhan pour le dimanche 8 octobre, en se fondant sur une "observation" que le calcul astronomique digne de foi certifie impossible.

Notre calendrier avait indiqué, l'année dernière, que le commencement de ramadhan aurait lieu le vendredi 28 septembre 1973, et nos savants dont le savoir, autant que la foi, sont "fiabes", avaient déclaré de leur côté que la nouvelle lune ne pouvait être observée le mercredi 26 septembre 1973 parce qu'elle se couchait avant le coucher du soleil. Elle n'était donc visible que le soir du jeudi 27 septembre, ce qui impliquait que le début du mois serait le lendemain, soit le vendredi 28.

Le 20 septembre, l'observatoire du Caire publiait la confirmation de ce résultat dans un communiqué dont voici le texte : "Le 1^{er} ramadhan sera le 28 septembre, selon le calcul astronomique".

"Les calculs astronomiques faits par l'observatoire de Halouân indiquent que la nouvelle lune de ramadhan naîtra à 16 h. 54 minutes l'après-midi de mercredi prochain, correspondant au 26 septembre, et qu'elle se couchera dans tous les pays arabes et islamiques situés au nord de 20 degrés de latitude sud, avant le coucher du soleil, dans un temps allant de 5 à 27 minutes, selon les pays".

Le communiqué de l'observatoire du Caire indiquait ensuite : "Le jour qui suivra, soit le jeudi 27 septembre, le soleil se couchera au Caire environ 15 minutes avant le coucher de la nouvelle lune ; en conséquence, le 1^{er} ramadhan sera le vendredi 28 septembre.

"Les calculs astronomiques prévoient également que le mercredi, la lune se couchera au Caire, 21 minutes avant le soleil, à Marrakech 17 minutes, à Tripoli 20 minutes, à Damas

22 minutes, à Bagdad 23 minutes, à la Mecque 18 minutes. Quant à la journée du jeudi, le temps de stationnement du croissant après le coucher du soleil sera de 15 mn au Caire, de 15 minutes à Tripoli, de 12 minutes à Damas, de 10 minutes à Bagdad, de 11 minutes à Alger et de 27 minutes à Khartoum. L'observatoire de Halouân envoie ce jour un rapport sur les conditions de visibilité de la nouvelle lune à son Eminence le Muphti d'Egypte¹.

Le rapport de l'observatoire d'Alger annonçait, pour sa part, que la nouvelle lune resterait visible dans le ciel algérien après le coucher du soleil jeudi soir, selon le tableau suivant : 9 minutes à Alger, 12 à Biskra, 16 à Ghardaïa et Béchar, 19 à Tindouf, 23 à Tamanrasset. En conséquence, le commencement de ramadhan 1393 h, sera le vendredi 28 septembre. Quant à la journée du mercredi, il sera impossible d'y observer la nouvelle lune, car elle disparaîtra avant le soleil dans des temps allant de 16 minutes minimum à Tamanrasset, à 22 minutes maximum à Alger. Ce qui fait que le début de ramadhan ne peut absolument pas être le jeudi 27 septembre, étant donné l'impossibilité d'observer le croissant s'il se couche avant le soleil !

Les résultats auxquels étaient parvenus les astronomes de Halouân au Caire et de Bouzarrah à Alger étaient d'ailleurs identiques à ceux des Musulmans résidant en Amérique du Nord, lesquels s'appuient sur le calcul exact et précis. Le Dr Mohammed Abdou ar-Raouf écrit, en effet, dans la revue "Al Oual al Islami" de Koweït, numéro de janvier 1974, ce qui suit :

"Il avait été établi, grâce aux calculs effectués par des astronomes compétents, sur des bases sûres et des rapports précis, que le 1^{er} ramadhan 1393 h. coïnciderait avec le vendredi 28 septembre 1973, et que la fête de l'Aïd al Fitr serait le dimanche 28 octobre suivant. Les Musulmans avaient donc pris leurs dispositions sur la base de ces données... quand la radio du Caire annonça subitement — et fut entendue par quelques musulmans — que l'observation de la nouvelle lune avait été confirmée et que le jeudi 27 septembre serait le début de ramadhan. Le tumulte et l'agitation furent à leur comble, il y eut d'interminables communications téléphoniques de toutes les régions d'Amérique, demandant des précisions... La même situation, en plus pire, se répéta lorsqu'on apprit l'observation de la nouvelle lune de chowâl le soir du 25 octobre, et l'annonce que l'Aïd al Fitr commencerait le vendredi suivant, c'est-à-dire deux jours avant la date déterminée par nos astronomes"

Il est permis à ces musulmans émigrés et à d'autres se trouvant en terre d'Islam, de s'agiter et de marquer leur réprobation et leur mécontentement, car cette "observation" n'était pas digne d'être prise en considération et de constituer en fondement, étant donné qu'elle était entachée de doute. Le Congrès de l'Académie des recherches islamiques du Caire n'avait pas décidé que l'observation serait inacceptable si elle était entachée de doute, et que l'une des raisons qui font naître le doute dans la déclaration d'observation et dans son annonce au public était précisément le fait d'être en contradiction avec le calcul astronomique digne de foi, émanant de personnes dignes de foi ?

De tout temps, les savants ont rejeté l'observation douteuse. Malik et Sahnoun déclarent à propos de deux témoins observant seuls la nouvelle lune, dans une vaste contrée, par

temps clair et témoignant de cette observation : "Ce sont deux faux témoins". Ibnou as Sakki considère pour sa part que l'observation doit être rejetée si elle contredit le calcul exact.

L'Imam Cheikh Mohamed Dakhit al Moutfi, mufti d'Egypte écrit dans son livre intitulé : "Inchad ahlal millah ila libbat al hilla", dans le contexte du rejet de l'observation, ce qui suit : "Si le calcul indique l'impossibilité de l'observation de la nouvelle lune et si un informateur annonce l'avoir observée, cette information admet la sincérité et le mensonge. Le mensonge admet la préméditation et l'erreur, l'une et l'autre pouvant avoir d'innombrables motifs. Il n'est donc pas judicieux d'accepter l'information admettant cela ni d'en porter témoignage alors que cela est impossible, car la loi (islamique) n'apporte point d'impossibilité..".

Il résulte de ce qui précède que notre calcul est judicieux et qu'il correspond à la fois à la religion et à la réalité. Le grand savant Abdullah Ibnou Ibrahim al Ansari, président de la commission du calendrier musulman, qui est en même temps jurisconsulte et astronome, a déclaré que la soit disant observation de la nouvelle lune de ramadhan 1393 h était sans fondement, impossible scientifiquement et inacceptable. Il a ajouté qu'il avait informé de cela les responsables et qu'il avait, en conséquence, rempli sa mission.

Beaucoup de ceux qui s'opposent à l'utilisation du calcul astronomique en ce qui concerne le jeûne et sa rupture, nous ont fait remarquer que cette méthode n'a pas pour autant éliminé le désaccord, puisque l'Algérie comme la Tunisie se basent sur le calcul, ce qui n'empêche pas les divergences entre elles en ce qui concerne le début et la fin du jeûne.

La réponse à cette remarque, c'est que la Tunisie se fonde sur le mois astronomique, lequel commence lorsque la lune se sépare du soleil et ce mois est en avance d'un ou de deux jours sur le mois déterminé par l'observation.

La Tunisie a adopté cette méthode en vertu d'une décision basée sur la consultation de savants et sur les opinions de certains jurisconsultes, ainsi que le déclare le grand professeur Kamal at Tarzi, décision qui a été prise à la suite d'une lettre légale émanant du grand mufti de Tunisie, le regretté savant Mohammed Fadhel Ben Achour, et de son père, l'Imam Mohammed Tahar Ben Achour. Celui-ci compare clairement la connaissance de l'existence de la nouvelle lune par le moyen du calcul astronomique exact, à la connaissance par le moyen de l'observation sensorielle certaine. Il remarque dans l'une de ses déclarations que la connaissance de la présence de la nouvelle lune peut se réaliser à partir de l'une des trois voies suivantes : la vision sensorielle qui est utile à la science ; le complètement du décompte du mois (de chaabane) à trente jours pleins si elle (la vision) n'a pas lieu, (et il n'est pas possible que le mois puisse dépasser 30 jours) ; et enfin le calcul astronomique certain, basé sur des données authentiques. La vision était jadis la voie unique, et c'est la raison pour laquelle le Prophète a dit : "Jeduez à son observation (la nouvelle lune) et rompez le jeûne à son observation également". Lorsque le calcul fondé sur une science exacte atteste cette présence, il n'y a pas d'empêchement à son assimilation, de façon claire, à l'observation".

L'Algérie, quant à elle, a adopté la voie confirmée par Ibn Dakik al Aïd et les savants qui sont venus après lui, tels l'Imam Mohammed Rachid Ridha, que Dieu l'ait en sa miséricorde.

corde, et le professeur Allal al Fassi. Cette méthode adoptée par notre pays repose sur le calcul indiquant que la nouvelle lune s'est levée dans le ciel de façon telle qu'elle est visible s'il n'y a pas, par exemple, empêchement. Nous ne considérons pas comme une condition formelle la vision réelle. Ainsi se trouvent conciliés l'application du texte (Jeûnez à son observation et rompez le jeûne à son observation également) et la mise en pratique du calcul exact.

En réalité et dans la pratique, il n'est pas possible que la nouvelle lune ne soit pas observée, selon cette méthode, si elle est attendue et guettée dans le but de confirmer son existence et la possibilité de son apparition. Si elle l'est pas observée dans un endroit, elle l'est dans un autre, contrairement à la méthode basée uniquement sur la vision et faisant fi des résultats obtenus par le calcul astronomique. Cette dernière conduit à des erreurs et à des scandales, comme en témoignent les faits vécus.

Le cheikh Mohammed khâur, grand mufti d'Egypte, nous disait lors de notre réunion à Koweït qu'il avait annoncé le début de ramadhan 1393 h, pour le jeudi 27 septembre 1973, en se basant sur une observation effectuée en Arabie Saoudite, sur une autre enregistrée au Koweït et enfin sur une observation "largement répandue" en Syrie ! Malgré cette "observation large", le contenu de la décision qui a été prise par le congrès de l'Académie des recherches islamiques et la déclaration du docteur Mohammed al Fahham, précédemment doyen d'Al Azhar, impliquent l'interdiction d'annoncer ce qui contredit la science. Le congrès de l'Académie des recherches islamiques déclare en effet : "L'observation constitue la base, mais elle n'est pas considérée si elle est fortement entachée de doute". Il déclare aussi dans la seconde décision concernant les causes de rejet d'une information annonçant l'observation : "... Parmi ces causes, il y a le fait d'être en contradiction avec le calcul astronomique digne de foi, émanant de personnes dignes de foi également". Le Dr Al Fahham dit à ce propos : "C'est sur la base de ces décisions qu'a lieu en Egypte la pratique de la proclamation du commencement et de la fin du jeûne, après contact", c'est-à-dire après contact avec l'observatoire et les astronomes dignes de confiance, comme le stipule la sixième décision adoptée par le Congrès. Il est à noter que l'Académie des recherches est considérée par beaucoup comme l'Académie des "moudjtahidines".

Il est donc établi que l'observatoire de Hakoula a pris contact avec "Dar al Ifiâ", comme en témoigne son communiqué publié par "Al Ahram" en date du 20-9-1973.

Il se peut que certains trouvent "énorme" le fait de prétendre rejeter un témoignage, particulièrement s'il est "largement répandu", mais l'acceptation d'un témoignage dont la science atteste le caractère mensonger est plus "énorme" encore, si l'on considère que cela revient à dire qu'un groupe témoigne avoir vu ce qui est habituellement impossible, ce qui n'a, de manière absolument formelle, aucune existence, que ce groupe a donc vu dans le ciel un croissant lunaire disparu depuis plus d'une demi-heure !

Le cheikh Bakht, mufti d'Egypte, justifie le rejet d'un tel témoignage

Le cheikh Mohammed Bakht al Moutil, mufti d'Egypte et l'un des éminents savants de l'Islam déclare : "La condition qui s'attache à l'objet d'un témoignage est la possibilité

(d'existence). Si le calcul prouve l'impossibilité d'observation et qu'un informateur annonce l'avoir observée (la nouvelle lune), son information peut être vraie ou mensongère, le mensonge peut être voulu ou découler d'une erreur, les deux cas pouvant avoir des causes sans nombre. Il n'est donc pas sage d'accepter l'information admettant cela ou en témoignant, tout en sachant qu'il y a impossibilité d'observation, car la religion n'apporte pas ce qui est impossible. C'est là une question que nous n'avons pas trouvée écrite, mais à propos de laquelle nous avons fait un effort de réflexion approfondie dont la conclusion est l'acceptation d'un tel témoignage. Si les juristes se sont tus sur cette question, c'est parce qu'il est rare qu'elle se produise, et, puisqu'elle s'est produite de notre temps, nous avons eu besoin d'en parler. Il nous est arrivé de constater que des personnes dont les actes et la religion sont dignes de confiance, commettent souvent des erreurs.

Comme nous avons entendu certains ignorants déclarer qu'ils avaient en vue — par de tels témoignages — la piété, et croire qu'ils avaient droit, ainsi, à la récompense due à ceux qui jurent en se basant sur leurs dires. Nous avons même appris que certaines personnes sans moralité ambitionnaient, en témoignant (avoir observé la nouvelle lune), d'acquiescer de la considération et d'accréditer leur moralité. Les gens ont des desseins tellement variés !

Même dans le cas où le témoignage se trouve dégagé de tous ces aspects et où la position ou croissant ne souffre aucun empêchement, mais où cependant, l'existence de la nouvelle lune est prouvée impossible, nous rejetons ce témoignage et nous le portons sur le compte de l'erreur ou du mensonge, sans pour cela enfreindre la loi religieuse. Car la preuve administrée par le calcul exact ou presque exact, est plus forte que le doute, étant entendu que le doute fait obligation de rejeter le témoignage. Notre conviction en ce qui concerne l'impossibilité d'existence (de la nouvelle lune) est identique à celle plus forte, et nous sommes, en conséquence, pour le rejet catégorique d'un tel témoignage.

C'est là un langage très clair, prononcé par l'un des plus illustres imams de l'Islam, dont la conduite est au dessus de tout éloge, et dont le dévouement, la position scientifique et religieuse éminente sont reconnus aussi bien par les Ashariens les plus conservateurs que par les salafites réformateurs tels Mohammed Abdouh, Rachid Ridha, Ibnou Badis et autres. Il précise bien que, n'ayant pas trouvé pareille question écrite, il s'est efforcé de lui trouver une solution par la réflexion et l'adaptation. Aurions-nous régressé au lieu de progresser et battu en retraite au lieu de demeurer fermes ?

Notre désaccord s'est-il accru alors que les motifs de notre unité se sont au contraire confirmés ?

Pour ce qui est de l'accord intervenu à propos du choix de la Mecque en tant que point géocentrique du "jour légal", pour reprendre une expression d'Abou al Oula, ou du "croissant légal", selon l'expression de la Commission du calendrier, il a été considéré que la Mecque se situe au centre des pays dont la majeure partie de la population est musulmane. Le professeur Abdoul Hamid Samaha écrit dans son étude intitulée "le calendrier légirien", ce qui suit :

"Il est à remarquer que les pays dont la proportion de la population musulmane dépasse 50 % se situent dans un rectangle délimité par les deux latitudes, nord 40° et sud 20°, et par les deux longitudes, 20° ouest et 12° est, la Mecque étant au centre de ce rectangle. C'est pourquoi certains ont proposé que soient calculées les conditions d'apparition de la nouvelle lune pour la Mecque seule, et que les résultats soient imposés au reste des pays musulmans".

Il est de fait que, située au cœur du monde habité par une majorité de population musulmane, la Mecque est à ce point "centrale" que lorsque la nouvelle lune apparaît dans son ciel et lorsqu'elle est observée par ceux qui guettent et attendent son apparition, celle-ci est obligatoirement visible pour ceux des Musulmans qui se trouvent à l'ouest de ce point géographique. Il est rare que la nouvelle lune soit observée dans les pays situés à l'est de la Mecque sans qu'elle le soit dans cette cité également. Dans pareil cas, les savants peuvent attirer l'attention sur cette "anomalie" afin d'en prévenir les conséquences.

Il y a aussi le fait que La Mecque est la "mère des cités", la "Kibla" des Musulmans dans leur prière, le lieu de leur rituel du pèlerinage. Ajoutons à cela que cette métropole sera dotée bientôt d'un observatoire ultra moderne qui bénéficiera d'un équipement perfectionné et où travailleront les plus grands mathématiciens et astronomes musulmans. Cet observatoire comblera les espoirs de tous les Musulmans, en ce sens qu'il aura les moyens de réaliser certaines de leurs décisions et recommandations antérieures.

Pontion de l'Algérie, hier et aujourd'hui

La conférence des Ministres des Affaires Religieuses, Islamiques et des Wakfs tenue à Koweït a décidé "la généralisation de l'installation des observatoires astronomiques dans les pays arabes et musulmans, en tant que préliminaire à l'adoption du calcul astronomique digne de foi pour la détermination des commencements des mois lunaires".

Elle a décidé également "la constitution, dans les meilleurs délais, de la commission créée dans l'article quatre, de sorte que cette commission ait terminée sa tâche avant la réunion de la seconde conférence ministérielle".

L'Algérie — par la voix de son Ministre, le frère Mouloud KASSIM — a annoncé qu'elle se chargera d'organiser ces secondes assises au niveau du monde musulman, en y invitant les Ministres des Affaires Religieuses, Islamiques et des Wakfs de tous les Etats islamiques, auxquelles sera soumis le travail de la commission, aux fins d'approbation et d'exécution.

Nous sommes — en Algérie — avec les Musulmans s'ils sont d'accord sur un calendrier lunaire unifié et stable, engageant tout le monde. Dans ce cas, nous sommes disposés à délaissier notre calendrier propre et à mettre en pratique ce que le consensus aura décidé

Dans le cas où la situation resterait dans l'état de confusion et de perturbation engendré par la prise en considération — uniquement — de l'observation à l'œil nu, même si celle-ci contredit la science exacte et va à l'encontre des faits, nous conserverons notre calendrier et continuerons à le mettre en pratique, parce qu'il répond à la fois à la règle religieuse et au calcul astronomique digne de foi, sans compter que le temps a démontré sa "fiabilité" et sa précision. Puisse Dieu nous guider vers le droit chemin.



فهرس المحتل

2	موتود قسم نايت بالقاسم	للأسم ايعها
4	عثمان شوبوب	بعض دروس ثورة فاتح نوفمبر
8	عبد الحميد مهري	احداث مهدي لمانح نوفمبر 1954
19	المقيد معبد الصالح يعاوي	الثورة والاصالة الواعية
24	احمد توفيق المديني	من سجل الجهاد الجزائري في الحادج
38	عبد الله وكيبي	دراسة مقاربة للتيارات العسكرية قبل الثورة واثامها
50	معهد ابراهيمي النيل	المعد الريفي في الثورة الجزائرية
60	عبد المجيد مقراني	الثورة الثقافية : كيف ولماذا ؟
79	الشيخ بوعمارن	جان سرفيه وثورة اول نوفمبر 1954
82	يوسف يعلاوي	الجاب الروحي لثورة فاتح نوفمبر
91	علي بلحاتم	طرح القضية الجزائرية على المسرح النولي
103	عثمان الكماك	ملحة منتصف الليل
113	ميشال كوني	مقاومة العالين لملية الاستيلاء على الارض خلال حرب التحرير
117	حسن السيد	نشأة الاتحاد العام لطلبة المسلمين الجزائريين ودوره في معركة التحرير
138	يحيى بوغزير	مكانة ثورة اول نوفمبر بين الثورات العالمية ودورها في تحرير الجزائر وافريقيا
151	زموود ونيسي	جواب من مساهمة المرأة في صنع النصر
160	احمد بن نصان	دور الشيوعية الجزائرية
170	عبد الحميد بن شنهو	تطور الاستعمار في الجزائر وفي سائر المستعمرات
181	محمد فضيل عمرو	الجنود ضد انفسهم
184	خير الله عصار	نومير الضرون المنطلق لتحرر متجدد
192	ع . مصطفى	شهداء بني يعلا
194	چروه علاوه ومبي	المسرح بدأ مع جيش التحرير
203	مفلى زكرياء	الاياة

للأمم أيامها

لحقب التاريخ الأمها وأمالها ، وللأمم فيها
أيامها ولياليها ، هي الغاسيات والإعياء الكبرى
التي تمتلئ بها وتميها ، وينعكس فيها كما في
المرآة محياها ، تستعرض فيها ماضيها ، وتشاهد
مجسما حاضرها ، وتتصور مائلا فيها مستقبلها !

وإذا تاملت الجزائر بالذكرى العشرين لبدء
المرحلة الأخيرة من كفاحها التحريري ، الذي
استعانت به لاستقلالها وسيادتها بين الأمم ،
فإنما تتصفح سجل مقاومتها عبر العصور ، تلك
المقاومة التي شملتها كلها ، وتجاوزت في المرحلة
الأخيرة هذه عبر البحار حدودها ، وامتدت إلى
قلب العاصمة التي كانت خصمها ولودها ،
وخرقت أخدودها وسودها !

مولود قاسم ثابت بلقاسم
وزير التعليم الأساسي
والشؤون الدينية

تحيات صادقة الى تلك المقاهى الثنية والفنادق الممتعة ، فى تلك الانزلة الضيقة والكهوف
المفتحة ، التى كانت المنطلق القطنى لحركتنا التحريرية فى مرحلتها الفاصلة القاصمة ، شامت قوى
النشر فى تلك الانزلة ذلك ام كانت الواصمة ، ومهما رأت تلك القوى فى تلك بداية حقها ، فما اظننا
الا فتورة به رغم انفا ، وما اظننا الا معجبة بما تفجر عن عماها وسخفا !

سلام عليك ابنتا الهجرة الحديثة فى الخالدين ، وما اشبهك بهجرة الامس البعيد ! وما اشبه
دورك فى كفاحنا التحريرى بذلك الدور الذى ارتد من تضاريس الجبهة الى بطحاء ام القرى ، دل
الاسلام ! ام لم يطلع « النجم » من غربه ؟ والم يجد « الشعب » متفصفا فى اعماقه ؟ والم ينطلق
« الائتصار » معه ؟ والم تتوسع « الجبهة » لديك وتزودى الثورة بالعون المديد والنفس الجديد ؟
والم تكن زمجرة 17 اكتوبر الصدى القريب لذلك النداء المجيد ؟ عودى بقايا الهجرة والعودة
احمد ، وظلم الاستعمار والعنصرية احمد ، والبحر بعد عودتك اكثر ما يكون احمد !

وايه تغامير ، لقد غطيت على يوليوس واكتوير ! فبركت من شهر اهل ، ان بك الشعب حريته
استامل ، وفيك وجد لعودة حياته المنطق والمنهل !

وايه متاهلى وجنود المقاومة والتحرير من احياء الدارين ، ذكروا فى كل فانسح نظامير
الاسلاف يان بلادهم قد وضعت حدا لاستعبادها واستغلالها ، باستعادة صريتها واستقلالها ،
واسترجاع مكانتها بين الامم وسيادتها ، وحرية التصرف فى شؤونها وقيادتها ! ودورا يجهورى
صوتكم فى المحافل الدولية بعد ان كنتم تقعدون اجسادكم سسرا وفى الزنازن ، وفى اعماق
المخابىء وكهوف المخازن ، جاهدوا بها واخبروا عن استقلال الجزائر بالجزم بعد ان تم وذهب
عليه الخوف ، واستعملوا قد وثروا السين وسوف !

وانتم شباب اليوم ، ممن لم يعاصر تلك الايام معاصرة معاناة ودرية ، ولم يسمع عنها الا
حكاية ورواية - وما اقصرت تلك الروايات عما تستحقه المرويات من كل اهتمام وعناية ! ، حاولوا
ان تتنبهوا بروح تلك الايام ، وتستخلصوا منها ما به الدوام والقيام ، ويدون ان تفنحوا قلوبكم
للأحزن ، فلا تنسوا الآلام والحنن ، وكونوا جيلا يعفو ولا يغفر ، يسمع ولا يسمع ، يتسلح حتى
لا يتحلس ، ويصعد بالحق نكلا بلس ، ويقار على الشرف من ان يندس ، وعلى الحقيقة من ان
تختس ، ويصمى نفسه حتى لا يحتاج الى حماة ، ويرى فى الحصانة والاصالة اصعب قنات وانفذ
رماة !

ابنوا وحققوا الاهداف ، وميزوا بين الجواهر والاصداغ ، وبهذا تفون لتانسكم وللمشهدام
بالمهد ، وتكونون مع التاريخ والعصر على وعد ، ويرتقى انجازكم الى المستوى ، دواما ،
وشكلا ، ومحتوى !

بعض دروس ثورة فاتح نوفمبر

هناك أحداث وإيام تبقى مواظبت معلومة خالصة في حياة الأمم والشعوب ، تسجل فترات حاسمة في تاريخها ، كيوم الهجرة الذي أصبح بداية التقويم الإسلامي ، وعام 1453 الذي يؤرخ سقوط الإمبراطورية الرومانية وانتهت العصر القديم .

عنهان شيوب

ويوم الفاتح من نوفمبر 1954 في الجزائر يمثل أحد الأحداث البارزة في تاريخ كلاً من التحرري التواصل عبر العصور ، يجب تقييمه وتحليل طبيعته ، واستخلاص نتائجه ورصد أفاق مستقبله .

ومقالات هذا العدد فيها الكثير من الضوء على أبعاد هذه الثورة ، وكلمتي هذه عنها ليست موضوعاً معيَّداً بقدر ما هي انطباعات أو موضوع انطباعي عن بعض دروسها الكثيرة ، القليلة مسوحي من بعض ما يقال، أو يكتب، أو يتردد .

القلمة على استشفاف المستقبل

كانت الظروف الداخلية والخارجية التي ميّقت إعلان الكفاح المسلح واستمرت أثناءه ، موضوعياً - عوامل ملائمة - فداخلياً شهدت فترة ما قبل 1954 نموا ملحوظا في العمل التنظيمي والوعي السياسي ، واستفحال المناقصات بين الشعب وبين الاستعماريين مما جعل إعلان الكفاح المسلح تفجيرا لا يد منه لذلك الثقلان الشعبي الكامن . وخارجيا شهدت نفس الفترة - وخاصة بعد هزيمة ديان بيان فو - بداية انهيار العلاج الاستعماري في عدد من بلدان العالم والنمو المتعاظم للمسكن الاشتراكي .

بالرغم من توفر هذه العوامل ، فقد وجد في صفوف الوطنيين ، وفي بعض قطاعات الشعب من أنهم عملية الثورة بالخيال ، والمعادمة ، وأحيانا بالجنون ! كيف عسر هذا الموقف ؟ إن هذه المواقف يكشف عن ظاهرة نفسية وفكرية واجتماعية عرفت لها كل الحركات الثورية وهي الاختلاف في القدرة على رؤية المستقبل واستشفافه من خلال طواهر الحاضر المعاش .

ويترتب على ادراك هذه الظاهرة - التي هي كما قلت ، ؟ تشكل اكتشافاً جديداً - ان احداث التاريخ ، ليست جثثاً مختلة ، ولا مواقف عقلية وبالتالي فانه لا يمكن الاستغناء عن الخيال في صناعة المستقبل ، الثورة حلم ، قبل ان تكون واقعاً يعيشه الناس .

اذن ، ليس في التاريخ ما هو ثابت ، والتاريخ يتقدم ، ولكن ليس بألية ذاتية ، وانما يدفع من خارجه . صحيح ان تقدم التاريخ لا يسير في خط بياني غير منعرج ، خط الماديع تصاعدي يغمز طورا ، وينحدر طورا ، ولكنه يصمد دائما .

وهذا ما لم تتركه تلك المناصر ، ولا اليوم أيضا .

من هو جيل الثورة ؟

الانطباع الثاني بهذه المناسبة ما يتردد حول ما يسمى بجيل الثورة البعض من الشباب يريد ان يزين بعمرة فلم فترة كامله من حياة الامة هي فترة ما قبل 1954 ، وبالتالي يرى في رجالها كائنات اثرية يجب ان تتقاعد الآن ، والحسن الآخر يرى ان ما قبل 1954 هو الثورة في احلاسها وراصها وان رجال تلك الفترة هم المؤهلون قبل غيرهم لتولي مسؤولية التسورة فيما ياتي من مراحلها .

ورأيي الخاص ، ان جيل الثورة ليس فقط ذلك الذي تفتتح في طلسل الثورة ، بقيمها ، ومقاصدها ، واهدافها .

وجيل ما قبل الثورة ، ليس بالضمط ذلك الذي تما ، وعمل ، وادى دوره في ظروفه ما قبل الثورة ، فهناك من اكمل نضجه قبل هذه الفترة ولكن احتفظ بشبابه النفسي ، وحيويته الفكرية حتى بعد الثورة .

فجيل الثورة بهذا المعنى هو ذلك الذي استيقظ وعيه ، وعاش الثورة بمقنه ووجدانه بكل ابعادها ، قبل ان يراها واقعا حيا يتحمس ، وسامع اثمائها وبعدها بنفس السروح وبنفس الحماس ، مهما حققت من احلامه ، او خيبت مهابا ، فهو يعتر بهذه الفترات جميعها ، وتعيش في مسمه ، ويراه متصلة المفعات ، متطورة متجددة باستمرار .

الاحتكاك الايديولوجي للثورة :

اثبت التجربة الثورية الجزائرية ، انه لا يوجد احتكاك مذهبي للكفاح ، فالثورة ليست هكذا لمذهب سياسي ، او اجتماعي واحد ، فكل الثورات الحقيقية انت باسلوب خاص في الكفاح ينشأ وطرورها الاجتماعية والفكرية والاقتصادية .

ولعل من افدح اخطاء بعض المهتمين بتاريخ الثورات ، في العالم العربي ، محاولتهم استخدام انقياس كوسيلة للهم التاريخي ، ولتنقد الثوري .

فالثورة العيتانية التي يحلو لآخواننا ذاتها نأخذها كقياس ، لم تطبيق التجارب الثورية
الصينية ، أو السوفياتية - وإن استعادت منها مع مراعاة واقع بلادها الخاص .

فالثورة الجزائرية - وهذا من أبرز ما يستخلص منها من دروس - لم تقل هذه التجربة
الثورية أو تلك من التجارب الثورية العالمية ، وتحاول غرسها في قلب الواقع الجزائري ، بالرغم
من وجود سمات مشتركة بين جميع ثورات العالم .

اعتمدت الثورة الجزائرية أولا على عناصر منها :

التركيز على القوة الذاتية كعامل رئيسي في تحقيق النصر ، ويتمثل هذا في تنظيم قوى
الثورة واستغلال امكانياتها مهما بدت بسيطة ، لأنها تؤمن بأنه لا توجد قوة تكنولوجية تستطيع
عدم الإنسان ، إلا إذا فرط هذا الإنسان في معتقده ، وتنظيمه ، وعزمه على الكفاح .

وفي مقابل التقنية المضادة ، تقنية الجيش الفرنسي والحلف الأطلسي ، استطاعت الثورة
الجزائرية أن تطور أسلوبا في الكفاح ، وتخلق تكنولوجية من نوع جديد ، تعتمد أساسا على
الإنسان ، فالوسائل البسيطة التي استعملها المحاصرون في الثورة ، لمقاومة الجيش الفرنسي
المردود باحت الأسلحة وأتمت بنتائج إيجابية يعني أن تدرس لذاتها أولا كأحد دروس الثورة
ولاستخلاص العبر منها لعملية البناء ، فهذه التكنولوجية البسيطة استطاع الفلاح الجزائري
أن يكسبها بمرونة مذهشة خلال كفاحه لأنها تابعة من داخله ، وليست مروضة آليا عليه من
الخارج .

دور الدين في الثورة :

هذا العنصر ، يمثل في الواقع ، تكنولوجيا - إن صح التعبير - الثورة الجزائرية الاسامي
عبر تاريخها الطويل ، فهو روح وحرك مختلف مراحل الكفاح الوطني ، ومقص قوى الشعب .
ولذلك كان رجال الثورة يسمون بالمجاهدين ، وجريدتهم تسمى بالمجاهد ، وكلية «الجهاد»
لدى الشعب - لها رنين خاص وطابع تعسوي - كما يقال - وهذا ما يفسر استبدال كلية «مقاومة»
بكلمة : جهاد .

وقد كانت جريدة الثورة في السنوات الأولى تسمى « المقاومة الجزائرية » ثم استبدلت
بـ : «المجاهد» وهذا التعبير له دلالة روحية وفكرية في رأيي - فكلمة « المقاومة » نوحى بالضعف ،
ويقابها كلمة القوة - وسنرى الدخول في التحليلات اللفظية للكلمة ومقابلها أقول : أن المقاومة
إذا كان نوعها لا تمثل فعلا من الأفعال ، بل هي مجرد رد فعل ، فالمقاوم بهذا المعنى يقوم فقط
بصد العمل .

إما كلية «الجهاد» فتعني باختصار « الهجوم، والفعل » والمستمر هو الذي يقاوم « ويرد الهجوم » وشتان ما بين المعنيين في التحليل وفي الأثر النفسي « وعن طريق هذا التفسير »
المنيف بين الجهاد والمقاومة المضادة ، تتسولد شحنة ذات طبيعة روحية تملأ حركات الثورة
صلابة ، ونفسا جديدا .

هل الثورة الجزائرية خالية من الأخطاء ؟

لم يسبق أبدا أن وحشت حركة ثورية خالية من الأخطاء، وتقاطل الضعف . ولا أظن أن
الثورة الجزائرية مستغناة من هذا القانون العام للثورات .

ومع إقرارنا جميعا بهذا المبدأ ، فسيانء الباقي « لم ينحصر صد عن البحث في تاريخ
الثورة ، وكان قدسية القضية قد انسحبت كذلك على أخطائها - فباتت الأخطاء كذلك مفهومة .
لا تجرؤ عين الناقد على كشفها « وإن كشفها عجز لسانه عن ترادها وتسجيلها .

ولست أدعي « أن تعد الثورة الجزائرية هو بالامر الهين ، لكن مع ذلك لا يد من التصدي
لدراستها - بما أمكن - من الموضوعية ، حيث لا تبقى قضية تميدية لا يجوز الخوض فيها ،
ولأن بناء المستقبل ، يتوقف على فهم الماضي ، إذ كثير من ظواهر اليوم هي امتداد متطوّر
لظواهر ست خلال حرب التحرير .

تحويل الثورة الى نظام :

كذلك الرئيس يومدين في تصريح لـ « الطليعة » المصرية - أن بناء الثورة من
فوق عملية فاشلة من أساسها .

والثورة الجزائرية حافلة بـ « العديد من الشواهد المؤكدة لهذا القول - فتصنة الجماهير وتوعيتها
إثناء الثورة جعلت كل واحد من المواطنين داخلا في « النظام » أي الثورة - وأصبح يقوم بواجبه
في عملية الإمداد ، والتعبين ، والأخلا ، والإسعاف ، والاستخبارات : بجميع المعلومات عن العدو ،
ونقلها إلى المجاهدين » وتطبيق المبدأ الثوري : « لم اسمح ، لم أشاهد ، لا أعرف » .

هذا البناء الناعدي السليم هو الذي حوّل الثورة من الفشل ، رغم المشاكل التي حدثت
في بعض المراحل ورغم استشهاد العديد من قادة الثورة .

وبلادنا اليوم قد أقبلت على مجموعة من التناحيث الثورية ، ووضعت الكثير من شعارات
الثورة موضع التنفيذ ، وضمان كل ذلك « هو الاستفادة من ذلك الدرس التاريخي الذي علمتنا
أيام الثورة وهو : النظام .. تحويل الثورة إلى نظام . يزول الأشخاص ، وتبقى الثورة
مستمرة »

أحداث مهدت لفتح نوفمبر 1954

إن الكتابة عن أحداث مر عليها أكثر من 20 عاماً مهمة دقيقة وغير مأمونة العواقب إذا اعتمدت فقط على ما بقي عالقاً بالذاكرة ، وإن مجرد الشهادة يتطلب مراجعة للأحداث وتسلسلها ويحتج مؤيها عن المعلومات اللازمة لإستكمال الصور وربط الأحداث * وأود أن أعترف في بدء هذا المقال بأنني لم أوفق أبداً هذا الجهد بالغير الذي أرياه وأطمئن إليه فقد حالت دون ذلك صعاب جمّة : فئة الوثائق المكتوبة أو إنعدامها بالمرّة ، وصعوبة الإتصال بالاشخاص القليلين الذين عاشروا هذه الأحداث ، والتردد الكبير في تناول أحداث فترة زاهرة بالدروس ولكنها محفوظة بأثر الق موضوعية الذاتية ، ومثقلة بالإحكام المسبقة ، ومحاطة بكثير من الغموض والتستر *

عبد الحميد مهنى
الأمين العام لوزارة
التعليم الابتدائي والثانوي

وهذه الفترة التي اعنيها هي الفترة التي سبقت اول نوفمبر 1954 وخاصة الستاتان الاخيرتان منها - واختيارى لهذه الفترة بالذات هو رد فعل لقراءة مثالية قريبة لبعض الكتب التي صدرت في فرنسا عن فترة الكفاح المسلح في الجزائر ولاننا لا نفسره الا الاهتمام الذي تحظى به الجزائر وثورتها لدى جمهور غير من القراء في الخارج - وقد راجت معها مع الاسف صورة ناقصة ومضوغة لفترة هامة من فترات الكفاح التحريري -

اننا لا يمكن ان نأخذ الكتاب الاجانب بجهل بعض الاحداث أو الحقائق التي كانت وما زالت محاطة بالكتمان ولا يمكن ان نطالبهم بان ينظروا الى احداث تاريخنا القريب بنفس نظرتنا ، ولكن تعمدنا لكتابة تاريخ منقوص لاحداث هو ما نؤاخذهم عليه بل انهم استغلوا هذا النقص استغلالا سيئا مقصودا ادى بهم الى ان « يتخللوا » احداثا « يسطعوا » اجواء للربط بين الوقائع الثابتة المروية وبالتالي تشويهها بطريقة تروج بسهولة حتى على القارئ الذكي - واضطر ما في هذه الكتب هي اننا نشوه جيلا كاملا من المناضلين لان القارئ يخرج منها بانطباع قوى بان البرافع الذاتية ، والمناورات الوضيعة والافكار الضيقة ، والطامع المختلفة كانت هي المحرك القوي ان لم يكن المحرك الوحيد لكل هذا الجيل من المناضلين ، كل المناضلين - فليس هناك ايمان بقضية وليس هناك فكر سياسي وليس هناك سحر نصالي - وليس هناك حتى اخطاء سياسية هامة تبعث على التفكير - ليس هناك باختصار حاشي يبعث على الفخر ولا تجربة قاسية وجديرة بالدرس والتعصيص -

واعترافا ان التاريخ الجزائري المعاصر سيظل عرضة للتشويه اذا لم يبادر الجزائريون انفسهم بإزالة الغموض الذي يكتنف احواله - وان العملة القائمة الآن لجميع الوثائق واقتار التي تتصل بهذا التاريخ يجب ان تعزز بجمع الشهادات من بعض القسرات التي فقدت كثيرا من الحساسيات المتصلة بها واصبح من الممكن نظرا للاستقرار الذي تتمتع به البلاد والعمق الذي اصبحت تنسم به مفاهيم الثورة الجزائرية - مناقشتها مناقشة موضوعية هامة - لان الشهادات بطبيعتها ناقصة وصورة الاحداث لا تكتمل الا بتعددها ومناقشتها ومقارنتها ببعضها -

اعود بعد هذا الى موضوع هذا المقال بمحاولة تبين العوامل التي ساعدت على الغموض الذي يكتنف الفترة التي اشترت اليها ، هذا الغموض الذي اصبحت عند الاجيال الناشئة جهلا ، او شيئا قريبا من الجهل ، لاحداث هذه الفترة كلها واهم هذه العوامل في نظري هي :

اولا - الاعتقاد بان هذه الفترة هي فترة ركود عام وانه لم يحدث فيها شيء يستحق الاهتمام مما يربط بفترة الكفاح المسلح الى ان حدث الانقسام المعروف في صفوف حزب الشعب الجزائري الذي كان يسمى حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، الامر الذي جعل الكثيرين ممن حاولوا

الكتابة من فترة الكفاح المسلح يفتقرون طويلا عند الاحداث التي ولكبت هذا الانقسام او جاءت لاحقة به ولكنهم لم يحاولوا الربط بين هذه الاحداث وبين الماضي الغريب اندي كان يعملها في طياته ، ولا شك ان السرية التي اكتنفت كثيرا من الاحداث حالت دون تقديرها وتبين تسلسلها والملاقات التي تربطها ببعضها وليس هذا صحيحا فقط بالنسبة ان حاولوا التعرف على هذه الاحداث من الخارج بل حتى الذين واكبوا هذه الاحداث من الداخل شتتلت معرفتهم لها باختلاف موقعهم في سلم المسؤولية وموقعهم من زمن الحادث ومكانه .

ثانيا - الخطا الذهني الذي وقع فيه كثير من المناضلين الجزائريين الذين كتبوا من فترة الكفاح المسلح بالانطلاق من شعار ثوري سليم رفع بعد فاتح توفيقير (ضرورة اشتراك جميع الجزائريين ضمن جبهة واحدة في الكفاح المسلح من أجل الاستقلال) لمعالجة تفسير الفاتح من توقيع نفسه والتاريخ للفترة التي سبقتة وسهت له . " وقد ادى هذا الخطا في كثير من الاحيان الى اعطاء صورة غامضة او مضوغة عن الحقيقة التاريخية . فالحقول مثلا بأن مرحلة الكفاح المسلح جاءت نتيجة لجهود جميع الهيئات والاحزاب الجزائرية غير صحيح " لان بعض هذه الهيئات والاحزاب لم يعمل لتهيئة الكفاح المسلح ولم يكن يؤمن بإمكانية أصلا . والسحيح ان الوعي السياسي هو الذي جاء نتيجة لجهود جميع الهيئات ، اما قضية الكفاح المسلح فلم تطرح في مستوى النظرية والتطبيق الا داخل حزب الشعب الجزائري الذي مهد للفكرة وحاول تطبيقها وسط صعوبات وازمات ونجاحات واخطاء يطول تفصيلها . وليس هذا القبول مفاضلة بين احزاب وهيئات اصبحت الآن كلها في حكم التاريخ ولكنه تحديد لا بد منه لمجال البحث التاريخي الذي نرجو ان نتسلط باعبائه الاجيال الناشئة .

ثالثا - التزام كل المسؤولين والمناضلين الواعين في صفوف جبهة التحرير الوطني بمسئولهم للفوضى في احداث هذه الفترة تجنباً لتغذية الحساسيات التي كانت ما تزال حية بين مختلف التيارات التي ضمتها الجبهة وحتى بين مناضلي الحزب الواحد . يضافه الى هذا ان حدث الفاتح من توقيع كل الاحداث الضمنية في التاريخ قد تها في اكثر من فكر وكيف مخاضه سلوك مجرمات متعددة من المناضلين الذين هياوا له اسباب النجاح وكان بمثابة السيل العموم الذي تتجمع فيه كثير من السواقي ، وقد جرت محاولات تحديد دور الافراد والجماعات في تهيئة فاتح توقيع الى منشا الفكرة الخاطئة التي بدأت تدعو في بعض فترات الكفاح المسلح لتقييم المناضلين والمسؤولين على اساس تاريخي وجعلت بعض المناضلين ملقة وعيهم بحقائسق التاريخ يتوهمون ، عندما التقرو بالحدث الكبير ، انهم هم الذين صنعوه ، وان هذا يبرر تصنيفهم تصنيفا خاصا في سلك المناضلين . وكرد فعل سليم على هذا الانحراف ، الغريب من فكرة السلطة الوراثةية : اصجم

كثير من المناضلين عن الخوض في هذا الموضوع وسرما يعرفونه عن أحداث فترة حديرية باهتمام المؤرخين والمناضلين على السواء * ولكن الى متى يجوز التزام الصمت دون أن يساعد ذلك كل الذين يحاولون تشويه تاريخ ثورتنا المجيدة ومن أن تزيد الصعوبات التي يلقاها الباحثون في تاريخ الجزائر وفي فتراته الحاسمة بالذات ؟

إن كثيرا من الوقائع والاحداث في فترات الكفاح السري لم تكون ولم تسجل وبقيت محفوظة في صدور المناضلين الذين يرحلون عن هذه الحياة الواحد بعد الآخر حاملين معهم اسرارهم وتكرياتهم فنتجر معهم أجزاء من تاريخ هذا الشعب الذي تعرض لأكثر من محاولة لطمس تاريخه القريب والبعيد *

ومن هذه الاحداث التي عشتها من قرب والتي أعتقد أن لها بعض الأهمية لفهم الفاتح من نوفمبر وربيته بالاحداث التي سبقتها ، الخطوات الأولى للتنظيم الذي كان نسوة الجبهة التحرير الوطني والمبادرة الأولى على ما أعلم التي مكنت حركة التحرير الوطني في الجزائر من الانطلاق نحو افاق جديدة *

وانني لا أستطيع مع الاسف أن أحد بالضبط التاريخ الذي تقرر فيه اقامة هذا التنظيم من طرف مجموعة صغيرة من مناضلي حزب الشعب ومن أعضاء منظمته المسلحة على وجه الخصوص ، ولكنني انكر جيدا تفاصيل الظروف التي ساعدت على ابرازه ومن ثم التراجع بان ذلك كان في ربيع سنة 1954 حيث كانت المناقشات بين مجموعات المناضلين تدور حول بؤر الكفاح المسلح التي بدأت تظهر في تونس الشقيقة ومحاولة فهمها وتقييمها والتنبؤ بما قد يكون لها من تأثيرات على تطور الكفاح التحريري في المغرب العربي كله *

كنت قد رجعت من تونس الى الجزائر في مستهل تلك السنة 1954 وكنت كثيرا ما أسأل عن الاحداث الجارية في تونس وما عرفها عنها - وكنت أحمل إذ ذلك صورة متناقضة نسبيا حسن امكانيات تطور كفاح الشعب التونسي ، فالرئيس بورقيبة كان أعد قتل اشتداد الأزمة مع سلطات الحماية بعض التشكيلات الصغيرة وهياما للقيام بتنفيذ برنامج مصود من أعمال التخريب والمقاومة المسلحة ولكنه كان يظن الى الكفاح المسلح كمفصل مساعد في عملية يحتل فيها العمل السياسي المكانة الأولى ، وكان يعتقد أن ثلاثة أشهر من هذا النشاط « التحريري » تكفي لإشراج القضية التونسية من النطاق الثنائي الفرنسي - التونسي الى نطاق أوسع تتدخل فيه عناصر وقوى خارجية أخرى ترجع ميزان الحركة لفائدة الشعب التونسي ولكنه كان يوجد بجانب هذا الاستعداد تشكيلات أخرى من الشباب التونسي كانت قد استعدت لعمل المسلح متأثرة ببعض أفكار الأمير عبد الكريم الخطابي ولكن دون أن تخرج نهائيا عن الدائرة الواسعة التي كان يعمد عليها حزب

الدستور تأثيره السياسي وكانت أفكار هذه الفئة عن الكفاح المسلح أكثر جثوية والصبر بما تقتضيه بلورة استراتيجية موحدة للكفاح التحريري في مستوى المغرب العربي كله، وهذه التشكيلة هي التي بدأت - في حدود معلوماتي - المقاومة المسلحة منذ شهر ديسمبر 1954 * ولكنها لم تلبث أن التفت مع التشكيلات الرسمية للحزب في صعيد واحد *

كان من بين نقاط الاستفهام التي أثارها هذه المناقشات نقطة أساسية بالنسبة للمناضلين الجزائريين ، ما الذي ينبغي عمله حتى يرقى الكفاح التحريري في الجزائر إلى مستوى الأحداث التي أخذت تتجمع وتبشر بتطورات حاسمة في هذا الصراع ؟ - ولم يكن بالطبع من السهل الإجابة على هذا السؤال فالتحليل الموضعي للحالة السياسية العامة إذ ذلك كان يكشف عن لوحة قاتمة الظلال ولكنها - عند القائل - تتطوى على مصادر خافتة من النور يمكن أن تتسحح ليلاذ فجر جديد *

كان هذا التحليل يتلخص في النقاط التالية :

1 - ابتداء المعركة الحاسمة مع الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي دون أن تستطیع الأحزاب الوطنية الثلاثة (الاستقلال والستور وحزب الشعب) - رغم وجود ميثاق سبتمبر 1945 - إقامة جبهة موحدة حقيقية فيما بينها ، بل أن تسلسل الأحداث يظهر بما لا يدع مجالا للشك بأن اختلافا أساسيا في تصور المعركة مع الاستعمار الفرنسي كان قائما بين هذه الأحزاب منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فبينما كان حزب الاستقلال وحزب السنقر يعتمدان أساسا على العمل السياسي في الداخل والخارج وخاصة باتجاه الرأي العام الفرنسي ويميلان إلى صيغة مرنة من الوحدة بين الأحزاب الوطنية في المغرب العربي تتجلى في مستوى الأهداف البعيدة أكثر مما تتجلى في مجال الاستراتيجية العامة للمعركة ، كان حزب الشعب الجزائري يخطط للكفاح المسلح باعتباره العمود الفقري في معركة التحرير ويسعى لاقتناع الحزبين الشقيقين بهذه النظرة ويحاول إقامة جبهة بين الأحزاب المغربية تتعدى وحدة الأهداف إلى التزام التنسيق فيما بينها في جميع مراحل المعركة * وقد فشل حزب الشعب الجزائري في إقناع بقية الأحزاب المغربية برؤية نظره ، هذه بل أن مساعيه المتكررة قد تكون عنت بعض الشيء ثوبا من الحذر تجاه الحزب ومشاريعه ، وهذا الفشل وضع الحرب في موقف حرج وحكم عليه بنوع من الجمود والانتظار لأنه يني كل استراتيجيته على هذا الأساس ولم يهيئ بديلا لهذه الاستراتيجية * ولتقلب هذا الجمود بعد اكتشاف المنظمة العسكرية سنة 1950 إلى عجز تام عن استغلال الفرص التي كانت قد تسنح من خلال تطور الكفاح في تونس والمغرب لتطبيق الاستراتيجية التي كان يدعو إليها *

٢ - عجز الحزب عن مواجهة الحالة التي نشأت في داخله عن موجات القمع التي تعرض لها وتورطه في سياسة الاشتراك في الانتخابات وقصر نشاطه على ميادين هامشية كانت لها أهمية رمزية عندما كانت تشكل غطاء ومشراً للعمل الرئيسي وهو التهيئة للكفاح المسلح فأحدث كل هذا بليلة في صفوف المناضلين الذين كانوا يشعرون بيزيف هذه الوضعية وبدأت العلاقات تتوتر بين القاعدة والقيادة واختت تظهر على السطح كثير من السبلات التي أخففتها سنوات الصعاب *

3 - عجز الحزب عن استغلال فشل سياسة الحلول الجزئية والإصلاحية وعدم قيامه في الوقت المناسب بمبادرات تحمل دماء هذه الحلول لاستخلاص نتائج هذا الفشل وتفتح الباب لتجمع جماهيري حول شعارات تكون في مستوى الأحداث وتشكل قاعدة لتوحيد جميع القوى لخص معركة التحرير *

لكن هذا الجانب القاتم من الصورة كان ملطفاً بجانب آخر مشرق أن يصرف كيف يتيقن مصادر النور في اللبالي الدمام * وكانت النقاط التي تيمت على التفاؤل تتلخص فيما يلي :

1 - أن جمهرة المناضلين والجماهير القريبة من الفضال كانت تتطلع الى خوض مصارك جديدة وتنادي بالانتقال الى مستوى أعلى من الكفاح * وقد كانت أصمداً هذا الغليان تأتي من جميع أنحاء البلاد بحيث لم يكن أبداً من التبصر أهمها أن عدم إقامة وزن لها *

2 - أن الظروف كانت مهية لبعث حركة جماهيرية واسعة يمد أن يساعد النظام الاستعماري نفسه على التجميع بفشل السياسات الإصلاحية وإقامة الحجة على بطلانها *

3 - كانت هناك إمكانيات هامة لإقامة جبهة مغربية من خلال تطور الكفاح على مستوى المغرب العربي كله * خاصة وأن الاستعمار الفرنسي كان يواجه حرباً منهكة في الهند الصينية تشغل قسماً كبيراً من قواه العسكرية *

كانت هذه هي النقاط الأساسية لهذا التحليل الذي استمر عسدة أسابيع في لقاءات هفوية ومتكررة بين عدد محدود من المناضلين وهي ملخصة - بطبعاً - مما بقي عالقا في ذهني عن هذه المناقشات مما أطمئن إليه أطمئناناً كاملاً *

أما الاستنتاجات العملية التي أفضى إليها هذا التحليل فيمكن أن الخصها في النقاط التالية :

1 - إعادة تشكيل المنظمة المسلحة في الحال في سرية كاملة وبمعزل عن تشكيلات الحزب وقياداته ، وذلك كسبى للوقت وحرساً على تأمين قاعدة محدودة للعمل المسلح ولكنها قابلة للتوسع متى دعت الحاجة الى ذلك *

- 2 - تتحمل المنظمة مسؤولية الشروع في الكفاح المسلح في حالة تصور الاحداث في الجزائر
واسفوف العربي وعجز الحزب عن مراجعة مسؤوليته التاريخية *
- 3 - القيام بحملة منظمة وهادئة لاقتناع المناضلين وخاصة الاعضاء السابقين في المنظمة
المسلحة بضرورة الكف عن المواقف الفردية السلبية والعمل على تقوية الحزب والنضال داخل
المنظمات الرسمية لتحقيق الاهداف التالية *
- 1 - اتخاذ قرار رسمي من طرف السلطات العليا باعادة تشكيل المنظمة العسكرية *
- ب - الكف عن سياسة المشاركة في الانتخابات *
- ج - القيام بمبادرة جديدة لتحقيق اتحاد بين الاحزاب يمكن من تجفيد الجماهير الواسعة
لمجابهة الاحداث *
- 5 - السعي لربط الاتصال مع المقاومة المسلحة في تونس ومع العناصر التي يمكن ان تتجاوب
مع المقاومة المسلحة في المغرب *
- 6 - الاتصال بالاعضاء السابقين في المنظمة المسلحة على مراحل ومجموعات حسب تطور
العمل داخل التنظيم وحسب تطور الاحداث *
- وقد تولى مصطفى بن بو العيد العمل على تنشيط المنظمة العسكرية في الاوراس والاتصال
عندما يحين الوقت بباقى اعضاء المنظمة العسكرية في عمالة قسنطينة وكان عدد منهم مقيما في
منطقة الاوراس *
- وتولى مراد جديوش نفس المهام في عمالة الجزائر *
- وكلف عبد المالك بن رمضان بنفس المهام بالنسبة لعمالة وهران *
- وكان محمد برشاياف يتولى عمليا التنسيق بين مختلف الجهات واعتقد انه تولى الاتصال
بأعضاء المنظمة في بلاد القبائل لانه كان دائم البحث على طريقة تمكنه من هذا الاتصال دون ان
يشعر المسؤولون في الحزب بذلك * واظن انه لم يوفق الى ذلك الا بعد ظهور الانقسام في
صفوف الحزب *
- كما كلف مصطفى بن بو العيد مهمة تشكيل وحدة لصنع القنابل المحلية وحزنت الاسلحة
والمفجرات التي يقع جميعها لتوزع في وقت لاحق على مختلف جهات القطر * كما كلف بربط
الاتصال برجال المقاومة المسلحة في تونس والقيام برحلة استطلاعية الى طرابلس لدراس امكانيات
شراء الاسلحة المختلفة * وقد قام بالفعل بهذه الرحلة في تاريخ لا أستطيع تحديده *

وفي المجال السياسي تركّز اهتمام هؤلاء المناضلين في الأشهر الأولى من سنة 1953 حول حدثين يختلفان من حيث الأهمية ولكنهما شكلا معا أرضية للممثل على بسورة بعض الأفكار الأساسية *

أول هذين الحدثين هو الاستفتاء الذي نظمته جريدة « الحار » حول قضية الاتحاد والذي وقع تشجيعه بصفة غير مباشرة وكان له صدى كبير في جميع الأوساط * وعندما فرجع الآن الى الآراء التي طرحت أثناء هذا الاستفتاء نلمح بوضوح بعض الخطوط التي كشفت النظرة الى قضية الاتحاد وصاعدت على ميلاد وتقبل الصيغة التي برزت فيها جبهة التحرير الوطني *

وثاني هذين الحدثين هو مؤتمر الحزب الذي انعقد في شهر أفريل 1953 * فقد كان تمثييره وإنعاده فرصة عامة للعمل على تجميع بعض المواقف السياسية ودفع الحزب لتبنيها بصفة رسمية * وقد أرسلت التعليمات للاتصال بالمناضلين الذين يعينون لحضور المؤتمر لتنسيق مواقفهم وتركيز مطالبهم حول النقاط الآتية :

1 - اتخاذ قرار بإعادة تشكيل المنظمة المسلحة *

2 - وضع حد لممارسة المشاركة في الانتخابات *

3 - وضع حد لممارسة الجود والانتظار واتخاذ مبادرات جدية لتدويل القضية الجزائرية *

وتقبل انعقاد المؤتمر بمعنى الآخر محمد بوشيف مع الأخوين مصطفى بن بولعيد وصعيد أمالك بن رمضان وطلب منا تنسيق الحملة داخل المؤتمر الذي لم يدع لحضوره الأعضاء السابقون في المنظمة المسلحة الذين كانوا ملاحقين من طرف السلطات الفرنسية *

وقد لاقت الأفكار الأساسية التي اتفق على إندوة لها صدى كبيرا في المؤتمر لا تقتصره فقط الجهود التي بذلت لنشرها بل إنها كانت في الواقع تنسجم على الآراء التي كانت تتبناها جبهة المناضلين * وانتهى هذا المؤتمر باتخاذ جملة من القرارات السليمة كان أهمها القرار الخاص بـ « البركة » وهو الاسم الاصطلاحي الذي أطلق على المنظمة المسلحة في جدول الأعمال وكان هذا القرار يدعو قيادة الحزب لاعادة تشكيلها في اقرب وقت ممكن * والقرار الذي اتخذ توجيه الدعوة الى مؤتمر وطني عام للحزب والهيئات الجزائرية * وأريد أن أضيف هذا الى أن الاستفتاء الذي نظمته جريدة « الحار » جاء من باب الصنفة سابقا لهذه الدعوة التي لم يكن يعلم أحد من أسرة الجريدة ولا من بقية المناضلين أي شيء عنها * وقد فهم بعض الناس إذ ذاك أن الاستفتاء كان مديرا من طرف الحزب للتهيئة للمؤتمر الذي دعا اليه *

وفوجئت بعد أيام من انتهاء المؤتمر بتعييني عضواً في اللجنة المركزية فترددت أول الأمر في القبول ثم قبلت هذه المهمة بعد استشارة بعض الأخوان ومحمد بوضياف * وعند ذلك الوقت وجدت نفسي مع الأخ مصطفى بن بو العيد الذي كان هو عضواً في اللجنة المركزية قبلي في وضع يمكننا من الدفاع عن بعض المواقف وربط بعض الصلات ولكنه كان وضعاً مرجحاً لا يمكننا من شرح كل مواقفنا لبعض إخواننا المناضلين وخاصة بعد تطور الخلاف بين مصالي واللجنة المركزية *

وتركز العمل بعد المؤتمر على تكوين مخزون القابيل والمتجبرات في منطقة الأوراس ولكن جمع المواد الأولية كان يجري في جهات مختلفة وكان يرشياف كثيراً ما يحثني على الصعوبات التي يلاقها في تأمين بعض هذه المواد وأرسالها لمصطفى بن بو العيد * ثم بدأت الصعوبات المالية تشتد مع تصور المصاريف اللازمة للاعداد ، فقرر محمد بوضياف وديوش مراد الاستقرار بفرنسا لتنظيم جمع الاموار من الجالية الجزائرية بالترافق مع بعض المناضلين الذين كانوا يملكون في صفوف الحزب هناك * وطلب من المسؤولين في الحزب نقلهما للمعمل بجامعة فرنسا قبل طلبهما وقيل سفرهما بقليل في آخر شهر ماي الى أوائل جوان حالياً متى أن اتولى تنظيم الاتصال بينهما وبين بقية الجماعة فقدم لي محمد بوضياف عبد المالك بن رمضان بسفته المسؤول عن القطاع الوهراني وقدم لي مراد ديوش الزبير يوعجاج على أنه المسؤول عن القطاع الجزائري أما مصطفى بن بو العيد فقد كنت على اتصال سابق معه *

وقبل هذه الفترة بقليل - واعتقد أن هذا كان خلال شهر ماي - اتصل بي في يوم من الأيام شابان مغربيان قديماً من تونس من طريق السلسلة التي كان يستعملها الحزب في اتصالاته وكانت مهمتهما الظاهرة أنهما يريدان الذهاب الى المغرب مصطحبين راسهما * للقيام ببعض المهم الوطنية *

ولكنهما جاءا في الواقع يطليان مني أن أتمكنهما من الاتصال بإحمد مزعنة لتنظيم حركة المقاومة المسلحة في الجزائر والاسهام في تشييق حركة مسلحة في المغرب العربي كله ، ولم يكن معهما من علامات التعارف الا علامة واحدة كانت خاصة بيبي وبين الأخ الطاهر قيحه الذي أرسلهما الي *

رصد الحديث معهما تعرفت الى حقيقة هويتهم * كان هذان الشابان هما الهاشمي الطود وحصادي الرقي (الذي وقع بعد اندلاع الثورة في أسر القوات الفرنسية بالولاية الثالثة سنة 1955 على ما أذكر) ولهمت منهما أنهما على اتصال وثيق بجهات ثلاث : الامير عبد الكريم الخطابي من جهة ومصالح المخابرات المصرية من جهة ثانية وبعض ممثلي حزب الشعب في مكتب

المغرب العربي من جهة ثالثة وأتتهما اتصلا بعدد من المسؤولين في الدوائر السياسية يتونس قبس
مجيئتهما إلى الجزائر، ويتويان القيام بسلسلة أخرى من الاتصالات في المغرب لنفس الغرض *

فيئات بتأمين إقامتهما وقصتهما لبعض المسؤولين بمهمتهما الطاهرة حتى يتولى جهاز
الحزب تسهيل سفرهما إلى المغرب وجوعهما منه ، وتشاورت مع ضياف في شأنهما وانقضا على
أن أجمعهما به إذا وافقهما على ذلك - وأخيرلسألتهما عما يهمنهما بالذات هل هو اللقاء مع
أحد مزغنه أم الاتصال بمن يستطيع القيام بمسؤولية الكفاح المسلح ؟ فأجابا بدون تردد بأن
اشخص لا يهمنهما بقدر ما تهمنهما المهمة ذاتها فجتمعتما حينئذ بمحمد بوضياف وانقضا معهما
على استكمال البعث بعد وجوعهما من المغرب وأعطانا صورة عن الوضع هناك لمتناقض نهائيا على
خطة تضمن تنسيق الكفاح في المغرب العربي - وقد تم هذا فعلا بعد وجوعهما وأعتقد أنهما حصلتا
معهما صورة مشجعة عن الوضع في الجزائر وكان سفرهما نقطة انطلاق للاتصال بعدة جهات
كما كانت الانتباه التي حملهاها اليئا من العوامل التي جعلت الإخوان يضاعفون الجهود للاستعداد
لخريف 1993 الذي كنا نتنظر فيه أحداثا عامة *

سافر بوضياف وليدش مراد إلى فرنسا وتركنا لبقية الإخوان مهمة أسامية هي صنع الكمية
الكافية من القنابل وتوزيعها على مختلف الجهات استعدادا لجميع الاحتمالات وأنجز مصطفى بن
بو العيد ما أوكل اليه من هذه المهمة مع مناضلي جهة الأوراس * وفي أواخر شهر جويلت جاء
مصطفى بن بو العيد إلى العاصمة من غير موعد سابق وبعد لقائنا بقليل أخرج من جيبه قصاصة
صغيرة من جريدة « لانيبيش » التي كانت تصدر بقسنطينة ومسلمها إلى واليتبما لا تفارق وجهه
الذي كان مع هذا لا يخلو من تأثير ممزوج بطمائية غريبة ! *

وقرات القصاصة فصعقت ! لقد انفجر عدد من القنابل في متجر بيبانتسة وهي في طريقها إلى
التوزيع على بقية المناطق وأحدث هذا الانقيار مريا هائلا في المدينة وهرعت جميع السط إلى
مكان الحادث وأجرت عدة اعتقالات وفتح التحقيق ... إلى آخره *

وقفزت إلى ذهني في الحين صورة الكارثة التي وقعت للمنظمة سنة 1990 وتصورت أن
الآمال الواسعة للريضة قد انهارت مرة أخرى *

وسألت مصطفى بن بو العيد « والآن ما العمل ؟ » فقال ببساطة حصبتها مزأها في أول
الامر : « لقد رأيت أن أهم بعض الهدايا الثمينة لبعض المسؤولين الفرنسيين الذين يستطيعون على
الأقل الحد من الضعائر » *

قلت : « هل أنت تمزج » قال : « اننى لا أمزج وقد جئيت لأتلمس من المسؤولين فى الحزب بعض المال أضيفه لما عندى لتنشيط النفقات » قلت : « لكن كيف تبرر أمامهم هذا الانتعاش ؟ » قال : لقد فكرت فى الأمر وسأقول لهم انها مخزونات قيمة من المنظمة المسلحة القيمة »

فاتفطنا على هذا الأمر وذهب بن يو العيد الى الاخ يوسف بن خده وقص عليه الرواية المخلوطة وأخذ منه المال اللازم لتفديم الهدايا - ووصعت أنا القصاصة نفسها فى ظرف وارسلتها لسلاخ محمد بوضياف فى فرنسا فجاء بعد أيام بحرق تفاصيل القضية -

ومرت الايام ثقالا ونحن ننتظر العواقب الوخيمة لهذه الحادثة فاذا الايام و « الهدايا » تطويعها رويدا الى ان تصبح خبرا صغيرا مطويا فى صفحات لادبيش الداخلية - ويتعب الذين يزعمون انهم يعرفون الكثير عن الثورة الجزائرية ويتصدون للكتابة عنها - انفسهم ومخيلاتهم فى البحث عن ارماسات فأتاح نوفمبر 1954 -

لكن انفجارا آخر كان له اثر اكبر فى توجيه الاحداث وجهة غير متوقعة ومن الخلاف الذى نشب بين مصالى واللجنة المركزية وادى الى انتقام حزب الشعب وما نجم عنه من هزيمة وما افرزه من سلبيات كانت تؤدى الى كارثة ممققة - واعتقد ان هذا فصل آخر قد لا يتسع له هذا المقال وقد لا يكون الوقت قد حان للخوض فى تفاصيله - لكن من الواضح ان كثيرا من الاحداث التى واكبت هذا الانتقام ان جاءت لاحقة به قد فسرست تفسيراً خاطئاً لعدم ربطها بالاحداث التى سبقتها ، وان تاسيس لجنة « لجنة الوحدة والعمل » لم يكن ابداً هو المنطلق الاول للاعداد للعمل المسلح ولكنه كان مرحلة من مراحل التوسع فى هذا الاعداد -

الثورة والأصالة الواعية

تحت ضغط الحاح مشكود وعادف في نفس الوقت من اسرة تحرير مجلة الأصالة بان أسهم بكلمة في العدد الخاص بالذكرى العشرين لانطلاق ثورة نوفمبر الحالية ، ورغم اعتقادي أن المساهمة مهما كانت متواضعة في تسجيل كلمة للجلسة الأصالة القراء يشعروني بالاعتزاز والشرف لكن للناسبة وروعتها تجعل مهمتي صعبة ومستعصية لأن من قدر له مثل أن يعيش الثورة بكل مراحلها ويعاصر تطوراتها ويسهم بالقدر المتاح فإنه يمكن له فيها ، فإن مجرد ذكرى الثورة يفقره بسيل

المعيد ، محمد الصالح يحيى
عضو مجلس الثورة
ومدير الكلية العسكرية بمرشمال

من القواطر التي لا تستطيع كلمة في مجلسيهما طالت أن تسجلها كلها وتعطيها طابع الثورة المستوفاة والكاملة عن الثورة مما يجعل تسجيل كل هذه القواطر في كلمة لمجلة أكثر من متعذر ومستحيل . وقد اعتديت في النهاية إلى مخرج فإننا لم يطر برضاء القراء، وأسرة المجلة فإنه خير من الاحجام الكل . وانطلاقا من المناسبة ومن اهمامات مجلة الاصاله نفسها خرت أن يكون موضوع كلمتي : « الثورة والأصاله الواعية » مع تأكيدى سلفا بأن مساهمتى لا تعنى مجرد اثاره هذا الموضوع والاشارة اليه وهو موضوع العلاقة والترابط بين أصالة وقيم شعبنا وتقاليدنا النبيلة السامية ؛

والثورة الجزائرية الكبرى ، وهو موضوع يحتاج لاهميته إلى دراسة وافية مناسبة تجعل المتفرقات كلها متصلة العناصر ، مرتبطة الحلقات مما يساعد على ادراك هذه العلاقة بشئ من العمق والوضوح مما لأن الموضوع لازال يشغل بين جوانبه الكثير من المسائل التي يكتنفها الغموض على الاقل بالنسبة للأجيال التي لم يقدر لها أن تعيش الثورة بكل ظروفها وملاساتها في مرحلة النضال المسلح والدموى ، كما أن الغموض نفسه لازال يكتنف لدى البعض مفهوم الاصاله نفسها ، بحيث لازال هذا المفهوم لم يتحدد لدى الجميع بالدقة المطلوبة والقدر الامثل . بهذه الاعتبارات وغيرها أرى ان مساهمتى في طرح الموضوع قد لا تتصدى معالجة بعض جوانبه من زاوية أو من أخرى مع رجائي الحار بأن يطر هذا الموضوع نفسه اليوم وغدا من رحال الفكر والقلم عندنا شئ من العناية حتى يمال دراسة تسوفيه حقه بشئ من العمق والقسول لنصن لأجيال القند فهما كاملا متناسقا للثورة في كل مراحلها وأروع انصاراتها -

وهذا دين للشهداء علينا وناديتهم بأمان من صميم الحماط على أسبالتنا الحقه وثراننا النضالي الثمين .

وهكذا اذا نحن حصرنا مهمة كلمتنا هذه من مجرد الاشارة والتذكير ببعض جوانب هذا الموضوع الهام واذا نحن اطلقنا من اعتبار ان الذين يشهدون هذه السنة الذكرى العشرين للثورة قد عاصر معظمهم تطوراتها من قرب أو عاش في عظم هذه التطورات ذاتها ، فان هؤلاء جميعا ليس من المستحسن عليهم والمعتذر ايذا تمس العلاقة الوثيقة والترابط المستمر والتميز بين القيم الاصيلة لشعبنا بيومها وروحها وبين الثورة من خلال مسيرة 20 سنة التي مضت ومن خلال دروب النضال الصعبة التي سلكتها ، ومن خلال القضايا التي تصدرت اهتماماتنا طوال

هذه المدة كلها - وهي اهتمامات ومطامح لم تفتأ تتحرك كل يوم الى واقع ماضى وإلى اجارات تتحقق أو هي في طريق التحقيق المثل « ومن تأخذ القول التذكير بأن وجود وزارة للتصميم الاصيل والشؤون الدينية من جزائر الثورة والمجاهم الكبيرة التي أسست لها والتي تحقق الكثير منها لدى الدلائل العملية والحقائق المباشرة التي تبرهن علينا عن اهتمام الثورة باستمرار على الحفاظ على التراث وصيانة القيم والمثل الاصيلية لشعبنا والسعي الى ترسيخ وتعميق هذه الاصلة باعتبارها المفهوم الامثل والانسب والبعد الاعنى والاكثر استجابة لمطالبات التطور ومواكبة ركب الحضارة الزاخر » بحيث ان هذه الدلائل كلها يمكن من تلمس العلاقة بين الثورة والقيم النبيلة والتقاليد السامية لشعبنا لا بالعودة لماضى الثورة فقط بل تجد هذه الصلاقة دلائلها في واقعنا اليرى واهتمامات ومعارك الثورة الحالية ومن كل الانجازات التي تحققت. فالثورة استغاثية والتعريب وحلقة جمع الوثائق الوطنية هي من صلب وصميم لاصالة وربط الماضى بالحاضر ، وسجل ماغيثنا في خدمة حاضرنا ومستقبلنا وأساس الانطلاقة فيه : انطلاقة واعية تقدر الاعتبار لماضى النضال لهذا الشعب وتقدر بدرجة أولى وأساسية آفاق المستقبل بأماله واهتماماته ومطامحه الكبرى التي كانت ثورة التحرير الكبرى تهدف اليها وتسمى من اول طلقة في اول نوفمبر 1954 الى تحقيقها »

اذا كانت المناسبة تفرض علينا التذكير والاشارة واستلهم ما يمكن استلهمه منها في رسم آفاق المستقبل الجديد وتأكيد حقائق لا يقوى الشك أو يتسرب لتسيان اليها فان أول ما يلزم ان نضعه نصب اعيننا ونحن نميش هذه المناسبة من عمر الثورة : ان هذه الثورة المباركة كانت تعبيرا حيا وعمليا عن الاعتزاز بالقوى والنسك الكبير لشعبنا بقيمه الاصيلية واعتزازه بالامحود بها وكانت الثورة بعد سلسلة طويلة من محاولات المسخ والاندماج التي دام بها المسحور ووصد لها كل الامكانيات واستخدم لتحقيقها شتى الوسائل من ترعيب وغرارة وترهيب : كانت الثورة بعد كل هذا قد اكلت افلاس كل هذه المحاولات ويرهنت على ان ايمان اشعب بنفسه وقيمه ومثله السامية ايمان قوى ، أقوى من كل المحاولات والوسائل ووسائل الارهاب ، وكانت اهداف الثورة واضحة منذ البداية من خلال رفضها للوضع السي الذي كانت تعيش فيه البلاد قبيل اندلاع الثورة وما بلغه من تردى بالغ لقيم اجنبية دخيلة ، بحيث كان واضحا ان اهداف الثورة تتمثل في الحفاظ على القيم والمثل والقواعد الانسانية لشعبنا والسعي الجثيث الى ان

يكون لنا دورنا واسهامنا في مسيرة التطور الحضارى بعد ان تكون سادة انفسنا وسادة ارضنا وما فيها وسادة الحضر الذى نصنعه بأيدينا ويفرأ في اعتباره موماتنا والاهداف والمطامع النبيلة التى تنوق اليها ونسعى جاهدين لتحقيقها بكل الوسائل - والاحتفال بذكرى اول نوفمبر من كل سنة له مغزى يسيد وغاية نبيلة يلزم ان تحقق في كل احتفال وتنبؤ اكثر عملا وسلوكا وانجازا ، بهى مناسبة نقف فيها وقفة ذكرى وتأمل وتدبر ، وقفة ذكرى سترجع فيها تضحيات شعبنا العظيم وقافلة الشهداء الذين سقوا بدمائهم ارض الوطن ، واجتزعوا بالدماء والالواح الحرية والاستقلال فى اقصى الظروف واستحقوا بهذه التضحية المثالية والنضال الرائع اعتزاز وتمجيد الوطن واعترافاً بإنائه ، وهذا لا يعنى لدينا مفهوم النضال المحض، ويؤكد لنا ان الضعوب لا تنسى وتستمر تحترق وتقدس كل من أسهم فى بناء هذا الوطن ودفع شأنه ومكانته ، وان الحرية التى انتزعها الشعب بشهادته كانت باهضة التكاليف ، وان الوفاء للشهداء ليس فى الترحم عليهم فقط بل ان نستلهم منهم النذر الاكبر من الروح الضالسية المثالية ، وان نحافظ على الاستقلال الذى انتزعوه وندعه يكل جديد ، وان نصف الى ما بنوا بناء جديدا حتى يتشامخ المنه ويقوى وتمحى كسل المواصف اسابته باذى بحيث يكون الاعتزاز بالشهداء بصياغة ايجاد جديدة تصاف الى الامجاد الاسطورية التى صاغوها لان باستمرار العطاء والابداع وصنع الاجداد - تستمر الجزائر مستقلة وقوية وذات شأن ومكانة لان من دلائل حيوية الامة وقدرتها على الاستمرار والبقاء والتطور امتلاكها قدرة وقابلية العطاء والابتكار والابداع باستمرار بحيث ان الحفاظ على الاصلية ليس من الاكتفاء والإقناع والنوم على ايجاد الماضي من التى سمها الاجداد ونظن فى كل مناسبة لفتحت وتفتاح بها ، بل يجب ان نحدد من وحى تلك الامجاد ومن وحى ظروفنا الموضوعية وواقعنا المعاشى وواقع العالم الذى نعيش فيه ونطمح ان نكون جماعة بشرية معتبرة فيه ، ان نحدد مكاننا الحقيقى فى المسيرة الحضارية الكبرى حتى تكون انطلاقتنا واعية وواقعية وبناءة بحيث لا تسهم باستهلاك المنجزات الحضارية لغيرنا بل ان تسهم بالانجاز العمل والابتكار الخلاق حتى تكون خير خلف لخير سلف وحتى تكون الاصلية التى نشدها واعية خلاقة تحمض وتتمسك بالثروات الماضى بآلية باستمرار الى تميزه والاستزادة من الابتكار عليه والتجديد فيه مثل ما كان للعرب فى ايام الحضارة العربية الراعية حيث قال عنهم (وليم اوسلى) ، لئن اشعل العرب سراجهم من القناديل اليونانية فانهم ما لبثوا ان اصبحوا

شملة وهاجة استصاء بنورها أهل الأرض جميعا - ويقول عالم آخر وهو سارطون : أنه لعمل عظيم جدا أن ينقل العرب علوم اليونان وفلسفتهم وأن يريدوا عليها حتى أوصلوها إلى درجة مرموقة من النمو والارتقاء . وهكذا لما توقف الصرب عن التجديد والمعطاء والابتكار واكتفوا بإجتار أمجاد الماضي والتفاخر بما صنع الآرائل ، فحل نجم حضارتهم وفقدوا الاعتبار والمكانة التي كانت لهم . والثورة الجزائرية الرائدة منذ انطلاقتها لم تكن بتحقيق صخرة الاستقلال السياسي وتفتح امجادا في ميدان البطولة البادرة والفداء . بل كانت ثورة رائدة لانها حاولت الاستعادة حسن معاد الماضي والإحتفاء بتراث الآباء وتقيم الاجداد دون أن تغف عن الانتصار بذلك وتجنس امجاد الماضي ؛ بل اطلقت من رؤيا واضحة ونفسرة بعيدة فسعت في مرحلة البناء إلى ترسيخ القيم النصالية والمثل السامية وتعميق مفهوم الاصلية والوطنية اللتان ليستا مجرد امتصاص للوطن بل هما تضحية مستمرة من أجله وبذل دائم في سبيل رفعة وقوته . والثورة في ذكرها المشرسنة تحثف لتبليغ الشهداء الأبرار الذين كانوا مثالا للالتزام والوفاء ومثالا أيضا للبذل والعطاء والتضحية وبالاكتفاء بالذكرى نخلد هذه المحاولات ونعمقها ونرسخها في أذهان أجيال اليوم والفرد لتكون السلاح والزاد الثمين الذي يتزودون في دنيا اليوم والغد .

والذكرى من جهة أخرى تمثل وقفة تأمل وتدبر محاسب فيها انفسنا على ما اضعناه من جديد وما انجزناه خلال هذه العترة من عبر الثورة وسير تعبير عن الوفاء والالتزام لمبادئ الشهداء وسير تعبير عن الاصلية التي ضحى من أجلها شهداؤنا الأبرار ان نفسهم لها انجازاتها في مجالات البناء وفي ميادين الحياة المختلفة . فالثورة الزراعية والصناعية والنهضة الثقافية وما تم في هذه الميادين وغيرها غير دليل تقدمه الثورة الجزائرية في الذكرى العشرين توافل الشهداء وخير تشریف وتكرم لهم في مثل هذه المناسبة مع التهنيد بالاستزادة من الابتكار والابداع والخلق وبناء كل جديد .

وفي الختام اشكر أسرة مجلة الاصلية الغراء على هذه الفرصة التي اتاحها لي لا لأعالج موضوع الاصلية والثورة بالفرد الذي يستحقه من التعصيل والسبق ، وانما لأسجل خواطر عابرة عن هذا الموضوع الهام الذي يلزم أن ينال ما ومن كل رجال المعركة المعنوية التي يستحق في هذه المناسبة وبمعدا حتى تكون أصواتنا واعية وهادفة، ويكون تقييمنا للثورة الجزائرية سديدا وموضوعيا ينطلق من الاعتناء بالماضي من أجل المستقبل انطلاقا وهذا .

الجهاد الجزائري في الحناج



كنت احبنا علما لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين
وكان المجلس منعقدا في مدينة قسنطينة الكلاسة
يوم غرة نوفمبر 1954 ، حينما هتفت البشائر
بانبثاق نور الثورة وانفلاق نارها الموقنة ، فلبينا
دعوة الثورة ؛ واصطلينا بعبارة النار ؛ واعلنا منذ
الساعة الاولى اننا نكون من ركب التحرير في
الطليلة ، ولهمنا كل من انتهي اليها في كل جهات
الوطن ، بان يضع في ميدان الثورة روحه ودمه
وجهه وعمله ، واشعرنا بذلك يومئذ من كتب
نعرف من قادة الجبهة المقنسة وابطلها .

احمد توفيق المدني

وكان الكفاح البطولي ، وكان التضال المبريق و قام الشمس كالعصار فيه نار ، يصب على الطالبين المستعمرين ما تراكم فوق فؤاده من حم الحقد والضغينة التي تولدت خلال مائة وعشرين عاما كلها آلام ، وكلها جراح ، وكلها مصائب وآثام وكلها لموصية ونهب ، وانتهاك حرمان ، وأهدار كرامة ، واجتمعت في صفوف الثورة المقدسة كل ما يملكه شعب ابي ، قام مستجيبا لدعوة الجهاد والتحرير ، فاجتمعت في جهاده الاقانيم الخمسة التي تكونت منها الحرية ، ووقعت اية الاستغلال عالية رفيعة : دم الشهيد ، وجهود الغدائي ، ومداد الكاتب ، وكلية الحبيب ، ومال المقننر .

ضواحي للمجاهدين ، وحسن مذب

واني لبالبصائر ذات يوم ، وانا احرق اقسامها الرئيسية الاربعة ، تحت اشراف خفي من الجبهة ، ورقابة صارمة من الجهاز الاداري : الافتتاحية ، واصميتها : البصائر ، ومنبر السياسة العامة واضميه : ابو محمد ، وقسم الصلح والاختراع ولغضيه : اتم ، ويوميات الازمة (I) الجزائرية ، اذ يامر يا تيمنا من قيادة جبهة التحرير ، بوجوب ذهابي الى القاهرة ، كي انضم الى الوفد الخارجي الموجود هناك .

لبيت دون تردد ، وتركزت البلاد ، والتحققت بالقاهرة في حديث طويل وبما عدت الى شرحه في درسة اخرى ، وتلقاني الاخوة هنالك بمجدل وبحبور ، واندمجت في الولد عند اللحظة الاولى انماجا عضويا ، وقدموني للسلطة المصرية كمسؤول كبير ، وتوالت المحادثات ، وتضمنت المهمات ، وطالت الاسفار خلال ستة اعوام ، فيبلغ مجموعها خمس مرات دائرة الكرة الارضية . والفيت الجو اكثر مما الفيت الارض ، حتى لقبني بعض الاخوان المصريين بالسندباد الجوي ، وناط بي اخواني ، بعد حادث الطائرة الشهير ، مهمة رئاسة مكتب الوفد بالقاهرة . واني لناكرهنا ، استجابة لرغبة ، الاسالة ، العاضلة ، شيتنا يسيرا مما رأيناه وما اضطلعت به من مهمات خلال تلك الفترة من الكفاح الرهيب .

1 - حقلنا من تأميم القنال :

كان يوما من اغرب واسعد ايام الحياة ، يوم اتقى الرئيس جمال عبد الناصر في مدينة الاسكندرية خطابه الشهير ، في شهر يوليو من سنة 1956 ، معلنا تأميم قناة السويس . كانت

(I) وضعت عنوانها : يوميات الثورة الجزائرية - الا ان الرقابة الادارية اجبرتنا على حذف كلمة الثورة .

فرحة شعبية عارمة ، ما وايت مثلها الا فرحة شعب المغرب الشقيق ، يوم عودة ملكه ، واعلان استقلاله ، وما سمعت يمثلها الا يوم اعسلنا استقلال الجزائر * واجتمعنا بشوارع عبد الحالق ثروت ، وقررنا ان نقيم للرئيس تمسائي الشعب الجزائري المجاهد ، فقصدنا الطلب ، وتميم الوعد ، وجاءنا الرئيس الى دائرة المختبرات ، فاحطنا به من كل جانب ، والقيت باسم الوفد ، حسب الاتفاق ، خطابا حماسيا ، تهللت له اسرار الرئيس ، غشمته التهنئة والرجاء ، وعرضت فيه بحاجة الجزائر الملحة للمال والسلاح ، وقلت ان لا انتصار للعروبة الا بانتصار الجزائر ، فان هي تهرت واستقلت ، تالق النجم وسما الى السماك وان كانت الاخرى ، لا - قدر الله - فان كل ما نبينه اليوم ، سيذهب ادراج الرياح .

واجاب الرئيس في جمل وفي شعور بالمسؤولية كان يلوح على كل قسمات وجهه ، فاشاد بالكفاح الجزائري ، واعلن وحدة النضال العربي ، وحث على وجوب التضامن في معركة الحرية ، وقال خطا : واستجابة لرقية الوفد ، وظهارا لهذا التضامن ، فاني اعلن لكم انني اقرر الآن تخصيص المحاصيل الاولى من ترعة السويس ، لفاية ثلاثملايين جنيه (2) ، للكفاح الجزائري " ففكرنا ، وخرجنا جملين متفانين .

2 - ليلا وصبرا :

حوالي الساعة الرابعة ، من احدى عشاي شهر رمضان ، واتا بمرکز جمعية العلماء بشوارع شريف ، بالقاهرة ، جاءني نداء هاتفي من طرف الاخ المجاهد المصري النبيل ، العقيد عزت سليمان ، وكان مكلفا من قبل الاخ الرئيس عبد الناصر ، بالتقيام بمهمات الكفاح الجزائري ، يقول لي : تهيا ، فسأخذك الآن بالسيارة ، لجبهة مهبولة ولامر خطير . قلت : انا مستعد ، وما هي الا دقائق مملوعة ، حتى كانت السيارة عند الباب ، ومررتا على اخ فاضل كريم من رجال الوفد ، لا اذكر هنا اسمه ، لانني لا ادري ان كان يود ان يذكر اسمه الآن ، وذهبنا اتي شطر الصحراء الغربية ، فتعثر سيارتنا بين زعالي وحجارتها ، وطاله بنا المسروغال ، والعقيد عزت يسوق وهو يتعصب عرقا ، حتى كانت الساعة السابعة ، وتسمينا ان نأخذ مصافحتنا لا قطارتنا ، فحل موعد الاطار ، ولم توجد لدينا من زاد الا التعب ، والجوع والعطش ، وانا كلنا ، واليلة مقبرة ، واذا بنا نرى في الافق

(2) ثلاثة ملايين من الفرنكات القديمة .

طائرة كبيرة من سيارات النقل الضخمة ، وحولها جماعة من الرجال اجتمعوا على نار ، ومن جهة أخرى رأينا قطارا يخاريا قادمًا من الشرق ، نفرنا موقنا أحبالا : كما على الخط الصحراوي الذي يصل القاهرة بالسلوم . فاما القطار ، فقد كان مؤلفا من تسع مزجيات ، وكان يحمل صناديق السلاح والعتاد ، المختلفة الانواع والاحجام ، وما وقع ابتياعه للجزائر ، بمال الجزائر . واما السيارات الضخمة الناقلة ، فكانت سيارات الشهم البيل محمد العابد السنوسي ، واما الرجال فكانوا من كرام المناضلين الليبيين ، جاؤا على قدر مع الخبرات المصرية ، لنقل كامل قسك الاسلحة ، تحت ستار الليل ، خفية الى الأرض الليبية ، حيث تأخذ طريقها الى « المسرعة » الجزائرية ، قرب طرابلس الغرب .

تسبنا الجوع ، وتسبنا الغما ، وتسبنا التعب ، وانهك الرجال ، سواء الذين وفدوا مع القطر ، أو الذين كانوا ينتظرون في انزال الصناديق ، وحملها الى السيارات الضخمة ، وكنا نحن الثلاثة ، نسير ارقام الصناديق ، ومحتوياتها ، ونضعها من الرتل الى السيارات ، ودام العمل متواصلا ، مستمرا نحسو من خمس ساعات ، وودعنا كل الرجال ، سواء الذين قمعوا مع الرتل الحديدي ، وكانوا كلهم من الجيش ، أو الذين اتوا مع السيارات الى أن قفل الرتل راجعا الى مركزه ، وإلى أن سارت التافلات الضخمة تحمل للجزائر ما كانت في ميس الحاجة اليه ، وقلنا عندئذ راجعين ، فوصلنا القاهرة مع الفجر ، قبيل الامساك بقليل ، ولم نتناول الا الماء .

3 - مع الملك ادريس :

ليقل القائلون ما شاءوا في الملك ادريس السنوسي ، وليقولوا ما أرادوا عن سوء ادارته وسفاد بطاقته ، وتحكم الرشوة وخراب القمة في دواليب حكومته . تلك امور لا تهم الا اخواننا الابرار في ليبيا ، بله النخوة والهبة والكفاح المرير . اما نحن ، فلا نهم الا بما يتصل بالكفاح الجرائري ، ونشهد ان موقف ليبيا ، شعبيا ، وحكومتها ، ومبكا ، كان موقف بطولية وشهامة وتضحية ، تأمى علينا المروءة والكرامة إن تستهين به ، أو ان ننساه .

دفعنا موقنا جد حرج اثر العدوان الفاد الباغى على مصر ، سنة 1956 ، الذي كان كفاح الجزائر من اهم اسبابه ، حسب تصريح كي مولي رئيس وزراء فرنسا في خطابه امام مجلس الامة الفرنسي ، خلال شهر جابلي من السنة للواليية . فكانت حكومة ليبيا التي سادت علاقاتها مع مصر ،

قد قررت انها لا تقبل السلاح المخصص للجزائريين « والقادم من مصر ، الا اذا جاء عن طريق البحر ، من الاسكندرية الى طرابلس » واشترتي بذلك وسما السيد لانتصر ، صغير ليبيا بالقاهرة .
يتسا قروت الادارة المصرية ، ان ذلك السلاح لا يمكن ان يسير الا برا ، والا فان حادث السفينة
أتوس (2) سيتجدد . وقال الجزائريون ، مساواة الذين بالناخل أو الذين بالخارج :

ما بين معترك الاحداث والمهجع
انا القليل بلا اثم ولا حرج

وتوالى الاستصراخ من ميادين الجهاد ، اين السلاح ؟

لم تجدنا نقما مساعينا السياسية ، لكل من القاهرة وطرابلس قد اتخنت موقفها وتصلبت
فيه ، وابتاسنا ، وصاقت علينا الارض بما رحبت فقلت للجماعة : ساذحي الى طبرق ، وساحاول
الناظر على الملك ، فان نجحت ، فازت الجزائر بسلاحها ، وان اخفقت ، فتكون عندك قد قلنا
بكل واجبتنا - وليعمل الله بعد ذلك ما يشاء .

سافرت ، وكانت المواصلات مقطوعة ، والطريق صعبة ، فقطعت المسافة بين القاهرة وطبرق
مقر الملك ، في أربعة ايام ، ذكرتهى بالانظر القائل : السفر قطعة من العذاب . وكنت اقول : العذاب
قطعة من السفر . ووصلت طبرق على كل حال ، وانا على قيد الحياة . وطلبت نقابة الملك ، فتعجب
الموعد ليوم القد .

ذهبت وانا متوتر الاعصاب ، متجه ، عايس ، وقد غارقنى في تلك المناسبة ما كان مشتهرا
عنى من تناؤل ومن ابتسام يكاد يكون تقليديا ، وادخلونى على الملك فى غرفة صغيرة ، بسيطة
بلت الحد الاقصى من البساطة ، ووقف لي الملك كمادته مرحبا ، فما كاد يصيرى يقع عليه ، حتى
تشنجت ، وصالت جموعى مدورا وما كنت قبيل ذلك اعرف البكاء ، اطلاقا .

قال لي الملك منهشاً : يا لطيف ! ماذا جرى ؟ ما سبب هذه النوبة العاصفة ؟

قلت ، وصوتى متهدج لا يكاد يبين : ابكى على هذه اللحية البيضاء التى شابت فى الاسلام
والجهاد ، وستساق الى جهنم مجرمة آثمة . ابكى على هذا الجهاد الطويل الذى كان ماله الانهيار

(2) سفينة كانت تحمل كميات ضخمة من السلاح الجزائري ، علمت بأمرها الحكومة الفرنسية
ف ضبطتها سنة 1956 على مقربة من وهران .

والاستعداد» . أبكى وأنا أرى المجاهدين والمجاهدات في الجزائر العاصية ، يسكنون بتلابيك يوم القيامة ، يقولون : وبنا ، هذا هو الذي أسلمنا للقتل ، هذا هو سبب ما قاسينا من موت وخراب وانتهاك حرمان ، هذا هو الذي منح عنا سلاحنا ، فمكّن العدو منا ، منكبتنا بمد من ، وأجهز علينا بعد نصر مبين هذا .. وما تركني الملك استمر ، بل تعلم خطوة ، وأخذني من يدي ، وأجلسني الى جانبه ، وأصفر لونه ، فوق أصفراره الطبيعي حتى أصبح كليونة عيب ، وقال ومسوته الضعيف لا يكاد يسمع : أن الذي قنته فظيح ، فطيح جلا ، فيبي لي الامر ، وإن كنت أنا قد اسأت عن غير علم ، فانا مستمند لاصلاح ما افسأت ، واستغفر الله العظيم .

هذا روعي شيئا ، وشرحت له فداحة الامر الذي أصدره بمنع ورود السلاح الجزائري من مصر الى ليبيا الا بحرا ، وفرتما نتبينما بجواسيسها في كل مكان . وقصصت عليه قصة السفينة آتوس ، وكان على علم منها . وقلت وأنا اتصعد الى البالقة : ان لم يدخل السلاح الجزائري ليبيا ، مورا ، حالا ، فإن الجهاد الجزائري يوشك ان يكون مآله الانحمار والانهيار ، والمسؤولية عليك أنت وحشدك .

قال : لا حول ولا قوة الا بالله ! وفكر قليلا ، ثم دق جرسا فجاءنا احد الرجال يقهوة طيبة ، فتناولناها ونحسن سكوت . وقال : ان اخواننا المصريين ، وخاصة ملحقهم العسكري اسماعيل صادق ، قد فقدوا اتزانهم عندما وقع العدوان الثلاثي ، وسألوا احداث قننة تكراه بالبلاد الليبية ، ودفعوا بالعاملة المتحسنة الى احساراق بعض المحلات ، ووزعوا عليهم شيئا من السلاح الجزائري ، فاضطررنا لاصدار امر بان لا يدخل ذلك السلاح الا بحرا ، حتى تتسلمه الايدي الجزائرية ، دون واسطة ، بحرنا طرابلس . هذا فقط ما وقع . ولم يخطر لي اسلا ان ذلك سيكون بلاه على الكرام المجاهدين ، لكننا مستصلح الامر حالا ، ثم التقي بيده على الجرس فدفقه مرتين ، او أكثر . فاذا بفائد عسكري ذي رتبة رفيعة يقف على الباب ويحيى التحية العسكرية ، ويقول لي حزم : سيدي ! قال له الملك : اعط الامر لحالقيادة الحدود الشرقية بان تفتح الطريق أمام السلاح الجزائري ، وان تسهل له اسباب المرور اغاديش القائد العسكري ، وظهرت على وجهه علام الحيرة ، وظل واقفا . قال له بحزم : نفذ ما امرتك حالا ، حالا دون تردد . فالتى القائد التحية العسكرية ، بقوة ، ضاربا بوجهه الارض ، وصاكا د يرجع ادراجه حتى قال له الملك : اسمع !

إذا ما نحن خسرتا استقلال ليبيا ، وكسبنا استقلال الجزائر ، فمن الربحون ؟ وذهب التائد وقتل لذلك ، وقد شرح الله صدوى ، وإزال لوعتي : هنيئا لك يا صيدى ، قال فى ضيه إقتسامة بل هنيئا للكرام المجاهدين فى الجزائر ، فإذا ما انتصر الإسلام يوما ، وسينتصر لا محالة ، فالفضل لله أولا ، ولهم أخيرا ، ثم ودعته يسعد حديث قصير .

فى صبيحة الغد ، وأنا على مقربة من طريق ، رايت سيارات النقل الضخمة ، تسير ياقصى مرعتها ، تحمل سلاح الجزائر الى الاحرار الأبرار الذين يبيضوا وجه الجزائر يوم الكفاح ، ورفموا ذكرها أعلى عليين ، بعد الاستقلال .

٤ - العراق ، والنكث المنظم :

جئت بغداد ، سنة 1957 ، أيام وزارة على جودت الايوبى ، وما كانت فى الحقيقة وزارة ، ولا كان رئيسها رئيسا ، بل كانت حكومة انفصال ، تدير شؤون البلاد ، وريشا يعود الرئيس سيعنى الذكر . نوري السعيد ، من إجازته فى لندن ، وقابلت على جودت الايوبى ، وتحدثنا ، فقال فى عيسا : لا تنتظروا الكثير من النظام الحاضر ، فهو غير حر ، ولا يعبر شيئا عن رأى العراق . ولربما تغيرت الحالة ، وعندئذ ترون حقيقة شعب العراق ، وروح العراق ، وسخاء العراق ورجعنا بكنيمات فاترة لا لون ولا طعم لها ، من الملك فيصل ، والنايف فى ووجه عبد الإله .

وقام شعب العراق ماردا جبارا ، كما تقوم الشعوب القوية الاصيلية ، فحطم الظلم ، وكسر ظهر الطغيان ، وانتقم من عباده الاجنبيين وساسرة السوء . شر انتقام ، فتلاشت لموهم وسالت دماؤهم ، واصبحوا لا ترى الا مساكنهم . كان ذلك يوم 14 يوليو الحالى ، سنة 1958 .

وفى شهر سبتمبر ، اى بعد ذلك بنحو الشهرين ، اعلنا نحن فى القاهرة الحكومة المؤقتة الجزائرية ، فكنت فيها وزيرا للشؤون الثقافية ، وما كنت انهى يومئذ من قراءة النص العربى لاعلان الحكومة الجزائرية ، ومنهاجها ، حتى تقم سفير العراق ، الحامى فائق السامرائى ، الناصر الفائر ، فاعن اعتراف العراق بالحكومة الجديدة ، ووعده العراق بالاعانة الكاملة ، والتأييد المطلق . وبعد ذلك بامد ، سرنا فى وفد قوى الى العراق ، عراق الثورة تحت رئاسة رئيس الحكومة المؤقتة ، الأستاذ فرحات عباس (29 افريل سنة 1959)

خرج لاستقبالنا بعض من البشر - يمر حائش مائج - احتل الطرق والساحات ، واحتل المطاد واحتل نفس مجال الطيران ، فاضطرت الطائرة المقلدة لنا ، لاختراق الصفوف المترامية ، وهي تسمير سير الفيلم ، خفية أحداث مجزرة بشرية .

يعد نصف ساعة على الأقل ، اسكتت الطائرة محركاتها ، ونزلنا ، فتلقتنا ايدي الجماهير ، ويمد لاي وعناء تمكن الرئيس عبد الكريم قاسم من اللحاق بنا ، بينما كانت اكف نحو الماية الف رجل تنلقف اغصانها بقية الولد وتسير بهم ، حسيما تسمح به حركة الجماهير ، ذات اليدين وذات الضمائل . وصقت احدنا انشاء الزحام ، فداسه اقدام الجماهير ، وسال دمه من جراحاته . ويمد ساعة او اكثر من ساعة ، التحق يسا في فرقة المطار بقية رجال الولد ، وكانت المظاهرة الصاخبة قد احيت آمالهم ، وانعشت ارواحهم ، وكادت في نفس الوقت تقضي عمل اجسامهم . وقال عباس فرحات ، بلسان عربي قلنا نطق به : هؤلاء احبونا فعملوا بنا ما فعلوا ، فبماذا كانوا يعملون لو انهم يكرهوننا .

يعد ثلاثة ايام ، عقد عبد الكريم قاسم مجلس الوزراء ، ودعا الى حضوره ، في وثاية وزارة الحرية - فرحب بنا ترحيبا حارا ، بليضا ، وكانت به شبه لكمة تتخالف ما اتصف به اهل الصراقة قاطبة من فصاحة اللسان ، وجسالة القول ، وضخامة الالفاظ . واناظ الي الاستاذ فرحات عباس مهمة الانصاح عن رغائب الجزائر ، ووضعية كفاحها ، وحاجتها الملحة الى المدد السريع الفعال . فشكرت العراق شخيا وسكومة على ما ابداه من وروح ثورية عالية ، ونحتت بما كانت ابداه حكومة قبل الثورة من تقاعس عن المدد ، لا يتجانس مع روح العراق ولا يتفق مع عاطفته المنهية نحو الجزائر وجهادها ، وقلت يعد ان شرحت الموقف الحسري فوق الحدود الجغرافي ، الآن جاءت الساعة الحاسمة ساعة بسما النصر ، او بعدها الغناء ، المال ! والسلاح ! هذا ما نطلب من الراق ، فريد المال الجزيل ، والسلاح الوافر ، فالترب كلهم تقدموا عينا مضي بسا يستطيعون ، والان جسد دوركم ، فانظروا ماذا انتم فاعلون .

قال عبد الكريم قاسم : كفاح الجزائر امر اساسي في كفاح العرب العام . ولن ينصح العرب اصلا في مستقبل ايامهم ، ما لم تفكر الجزائر باستقلالها - كنفسا للجزائر - اما السلاح ، لنستطيعكم سريما ما لدينا ، ومن ايجاد الانواع ، واما المال فهو الآن قليل بين ايدينا ، لكننا لا نبيال

عليكم بشيء ، وستحصل فسوق ما تستطيع - قلت : المال بالنسبة لنا اليوم ، كالسلاح ، وقد تطورت الحركة سياسيا كما تطورت حروبيا ، فالسلاح لتطور الحربي ، والمال لتطور السياسي .

نظن السيد حديد وزير المالية ، فقال : لا تجد بسبب ايدينا اليوم شيئا من المسال : كيف نستطيع ان نعطي من خزانة خاوية على عروشها ؟ فاجابه قاسم ، بلهجة شديدة : سواء آكان لدينا المال أو لم يكن عندنا منه شيء ، فواجبنا امتداد الجزائر حالا . آخر دفع مرتبات الموظفين . آخر احتجاج للشروعات التي لديك . آخر كل شيء ، الا الجزائر ، يجب ان تفلت حالا .

ودخلنا في جدال ، من اجل تعيين مقدار المال . طلبت ستة مليارات من الفرنكات القديمة ، فصرخ السيد حديد ، وكاد يلطم وجهه ، لا نستطيع اطلاقا ، ايذا ، ونحن على حالنا الآن ، ان نجد اكثر من مليارين ، على ان يتالنا منها شقيق شديد . قال قاسم ، وبقية الوزراء لا يقولون كنيسة : ان السنة التي طلبها الاخ توليق غير ممكنة الآن . وان المليارين اللذين قال عنهما حديد لا يكفيان . فانا اقترح ان يكون المقدار ثلاثة مليارات ، لتعديدها سنويا . ما دام الكفاح الجزائري مستمر الى ان يتم الاستقلال . قلت : فليسو زدت عليها مليارا ؟ قال : غير ممكن ، وارجو الاخذ باقتراحى نسكت الجميع . وتلك علامة المصادقة قلت ، مفتحا للفرصة : اما وقد تقرر هذا ، ونحن شاكرون ، فلنعين اجال الدفع ! قال حديد : اننا ندفع حسب الامكان . قلت : ايذا . ان تكاليفنا كثيرة ، ويجب ان تعرف مدانييلنا بصفة مضبوطة فما رأيكم لو قسمناها اربعة الساط . يكون كل قسط 750 مليون ، تدفع في اجال ممتدة كل 25 يناير ، و 25 افريل ، و 25 يوليو ، و 25 اكتوبر ؟ اراد السيد حديد ان يتكلم ، فقاطعه الرئيس قاسم قائلا : انا قبلت هذا الاقتراح . فسجل عندك آجال الدفع ، واريد ان لا يتأخر الدفع اصلا . اطلاقا . وهكذا كان والله . فمند تلك الساعة ، الى يوم استقلال الجزائر ، لم يتأخر قسط عشرون موعده المحدد . فحيا الله همة العراق . وحيا الله شعب العراق . ورحم الله عبد الكريم قاسم . رغم سياسته الهزلة المنكرة في العراق .

5 - وقصة السلاح :

اتفقا مع السلطة العسكرية العراقية ، ان تسلم الاسلحة المخصصة لجزائر ، الى مركزنا العسكري بطرابلس . فقالوا لي : مهديا الامر مع الحكومة الليبية ، وعلينا اتمام الباقي .

ولم يكن من الصعب التفاهم مع حكومة ليبيا ، الحسنة الاستعداد ، قليلة واحدة قضيتها بمد ذلك بطرابلس ، كفتى للاتفاق مع رئيس الحكومة السيد مصطفى بن حليم ، هل تبين المكان الذي تنزل به الطائرات المراقبة حاملة السلاح ، حيث يكون مثلنا العسكري حاضرا لتسلها . قال :
قدم لنا شخصيا المكلف العراقي ينقل السلاح علينا الباقى .

اخبرت السفير العراقي بالقاهرة ، السيد فائق السامرائي بذلك ، واتصل بحكومته فاحاطها خبرا ، واني بكتبي في وزارة الشؤون الثقافية اذ دخل على السفير العراقي ، يتحمل عبه 120 كيلو من اللحم والشحم ، وقال بمد السلاح ، ومسح المرقق للتصويب : هل عندك صورة شمسية ؟ قلت اى نعم ، هذه هي ، فتأملها وقال : اقطعها عموديا قطعاً غير متوازي الاركان . فاخذت مقصا ، وقطعت الصورة كما طلب ، دون ان افهم من الامر شيئا . قال : تاوولي احد النصفين ، فتناولته ، ووضعه في محفظة اوراقه . وقال : السلام عليكم . قلت ايه يا اخ فائق ؟ انا لم افهم شيئا ! قال : ولا انا . انا نفلت طلبا جادى من السلطة العسكرية ببغداد .

بعد نحو اسبوع ، خاطبني فائق السامرائي ، طالبا منى التقدم اليه . قال لي : تطلب اليك الحكومة ان تكون في طرابلس يوم كذا وان تمتلئ طائرة صباح الاحد ، قلت سأنزل وفعلت .

قدمت جواز سفرى للضابط المصرى بالمطار . وكان يعرفنى لكثرة اسفادى ، فحبه قائلا فى ايتسام : مع السلامة . وما كنت اضطر غطوتى حتى سمعت من ورائى صوتا يقول لي هبسا : اجلس فى الطائرة الى جانبى ، ثم أسرع يتخطى الصفوف ، فاذا به رجل طويل القامة ، عريض الكتفين ، ثابت القدم . ودخلت الطائرة فجلست حيث انتهى الى المجلس . وحلقت فى الهواء . وانخذلت مجراهما ، فقلت الفتى عن الرجل المجهور ورايته فى المؤخرة . فذهبت اليه . وجلست صامتا . اما هو ، فقد اخبرتنى بنظرة فاحصة ، ثم مد يده الى جيبه ، فخرج من محفظة اوراقه نصف صورتى التى سلطها لسلخ السامرائي ، وقال لي فى جد : ضح امامها النصف الآخر . فوضعتهم مطبعا ، واذا بالصورة كاملة . وارتاح كل منا لصاحبه ، فقال : انا المقدم يوسف عزيز من سلاح الطيران العراقي ، وانا المكلف بمسح سلاح الجزائر ، وانت المكلف بتقديسى للسلطة الليبية المختصة . قلت : اود ان اعرف قبل كل شئ ، كيف عرفت اننى انا ؟ قال : اولاً ، ان نصف الصورة ينم عن نصفها الثانى ، ثم اننى كنت اعرف انك ستأخذ هذه الطائرة ، فوقفت

حلب صعب المسارين ، وانا طويل النامة ، حاد البصر ، فكنت ارى جوازات السفر عندما تقدم للضابط وهكذا عرفتك ، وكلكتك ، قلت له : الى النصارى ، الساعة التاسعة في بيت رئيس الوزراء .
وليهب كل من ناحيته . وهكذا تم الاجتماع بعد ان اتصت بالرائس ، وانتهت المهمة على احسن حال ، واخذت الاسلحة المراقبة مع ذخيرتها تدفق على مركزنا بطرابلس .

تأملت بعد الاستقلال ، عندما عشت سعيرا بالمرق ، السيد الاخ يوسف عزيز ، فاعلمني انه قام بسفرات عدة متفاربة ناقلا السلاح من العراق الى ليبيا ، وانه كان كل مرة يخترق مورا في الجبال الجوي الاسرائيلي ، جريا وراء السرعة واقتصادا للوقود ، قلت منهشاً : وماذا لو اعترض الاسرائيليون طريقك ؟ قال : لقد كان ذلك مستحيلا عليهم ، لاني اخشع حيالهم في توان قليلة ، نظرا لصيق ارضهم ، فلا يكادون يشعرون بي ، الا بعد ان اكون في سماء البحر المتوسط ، وانا اسير باقصى هالدي من السرعة ، ثم اني لا اكسون عراقيا ، ان لم العمل ذلك !
وضحكنا مصفاً .

٥ - السلاح التركي اعانة للجزائري :

هذه قصة شيقة يجهلها الشعب التركي ، كما يجهلها الشعب الجزائري ، اميط اللثام عنها بنسابة العيد المشرين ، لذكرى اعلان الجهاد للقدس بلجزائري .

علمنا ونحن بالقاهرة ، ان وفدا تركيا ضمما يرأسه عدنان مندريس ، رئيس الحكومة التركية ، سيحل عا قريبا بليبيا ، استجابة لدعوة ملكها ، وحكومتها ، فقرر الاخوة ان اذهب الى طرابلس صحبة اخوين كريمين ، كي نتتبع الحوادث عن كثب ، ونستطلع ما وراء تلك الزيارة من اسرار ، ونحاول الافادة منها على قدر المستطاع .

كانت سياسة تركيا - الرعمية - مياسة منكرة بالنسبة لنا ، فبينما كان الشعب التركي ، للمجاهد الصلح ، يقف موقف المؤيد الصلب للشورى الجزائرية ، يؤازرها في صحفه وفي منتدياته ، كانت حكومة عدنان مندريس ، التي تمسك على الاتجاه الاسلامي الدافق في البلاد التركية ، تصلح الثورة الجزائرية ، وتقل بصوتها في هيئات الامم المتحدة الى جانب فرنسا . او تحاول ان تقف موقفا حياديا ، هو لفائدة فرنسا أولا واخيرا .

وجاء اليوم المصعد ، وحل ركاب عدنان منندريس يطرايس ، فوجد رجال الحكومة يرحبون به . ولكم كانت دهشة منندريس ، ودعشة مستقبليه الرسميين عظيمة ، عندما راوا المطار خاليا من الناس - خاليا تماما ، وركبوا السيارات ، فلم يكن في الطرقات احد ، اى احد . كانت للمدينة خالية بصمة مطلقة ، لا ترى فيها وجلا ولا امرأتولا شيئا ولا صبيا ، هكذا دفعت الفخوة والشهامة اخواننا في طرايس ، حياهم الله وبياهم ، لاعلان غضبهم على تركيا ، واستنكارهم لسياستها تجاه الجزائر المحاصرة ، فاضفوا قاطبة ابواب ديارهم وحاولت تجارتهم ، واضربوا على العمل الادارى فى حوارين الحكومة ، فكاد عدنان منندريس ومنهمه يصمتون وقال لمن حوله من الرسميين : امكدا يقابل الليبيين وفد الحكومة التركية ، ونحسن اسدفاؤكم واخوانكم منذ قرون ، وسالت دماؤنا معا فى شتى المارك الاسلامية ، ونصرانكم فى كل ازمة حلت بكم . لنا هي هذه المقاطعة الضمنية ، وما هي اسبابها العميقة ؟

قال له رئيس الحكومة : نحن ايضا لا علم لنا بهذا ، ولم نشعر بوجود هذا الاضراب الشعبي الا هذه الساعة . اما الاسباب فهي بلا شك ولا ريب ، موقفكم من الثورة الجزائرية ، وانتصاركم لفرنسا على الجزائريين ، وهم يخوضون معركة الحياة والموت ، ويقومون بجهد قاس مرير ، من اجل استرجاع حريتهم السلبية ، واستقلالهم الضائع ، وكرامتهم التي امتنعت شر امتها .

قال لي مصطفى بن حليم : ما كنت اقول لهما حتى غص بريقه ، واختلجت عضلات وجهه ، وقال بصوت متهدج : انكم لا تفهون ولا يفهم اخواننا الجزائريون حقيقة موقفنا اليوم . نحن عاطفيا وقلبيا مع الجزائر فى فضالها الى الشريف . لكننا من جهة اخرى ، لنا ارتباطات مع فرنسا ، ولنا فى الوقت الحاضر مصالح اقتصادية كثيرة معها ، وهي تعيننا ، فلا نستطيع ان نتنكر لها جوارا . قال مصطفى بن حليم : فاجبتة : انذ نستطيعون ان نتنكروا لبلادكم ، ولضمانكم ، ولعواطف شعبكم ، ولا نستطيعون ان نتنكروا لمصالحكم الاقتصادية ؟ قال لي : كل شيء يمكن تقيمه واصلاحه . فى عالم السياسة . فما هو فى وايك المل الذى يرضى اخواننا الجزائريين والليبيين . ويصلح الموقف معهم ؟ قلت : ومع كل الصرب لان العرب كافة ، من اقصى المشرق الى اقصى المغرب ، قد اعلنوا تضامنهم الفعال ، مع الثورة الجزائرية ، فكل عمل ضد الجزائر إنما هو فى الحقيقة ضد العرب عموما ، اما ما يجب عمله ، فسانبرك به غدا ، بعد استشارة مثلي جبهة التحرير . وهو الآن هنا .

قلت له وقد خلوت به في منزله صباحا ، حول الشاي الشهي : لا تريد من تركيا الا امرين
لا ثالث لهما ، ان تغلق عن اعانة فرنسا ضد الجزائر ، وان تنصر ، كثيرها ، سيادي الصل
والانصاف - وان ترسل للجزائر مددا من الاسلحة الحديثة الموجودة لديها ؟ وبذلك تطوى صفحة
الحاضر ، ونفتح صفحة جديدة ، تصل المستقبل بالماضي *

قال له مصطفى بن حليم هذا ، فاجابه : اما تغيير مسلكتنا السياسية ، فمستقوم به تدريجيا ،
حتى نلتقي بمدح جن مع اخواننا الجزائريين والعرب في موقف واحد - واما السلاح ، فجن مستعملون
لامداد اخواننا الجزائريين بنصيب وافر منه - وانما كيف السبيل لايصاله - قال له ابن حليم : ارسلوه
معية من الشعب التركي الى الشعب الليبي ، ونحن نسلمه للجزائريين - قال عدنان : اتفقتا ، انما
الامر موكل بمصادقة رئيس الجمهورية جلال يايار ، وساخبرك بصفة سرية ، عندما تتم هذه
المصادقة ، واخبرت الحكومة الليبية الملك ادريس بهذا ، فقال لعدنان اننا استقبلنا له : انا مسرور
جدا بوعدكم الذي قطعتموه للحكومة باعانة الجزائر المجاهدة ، وارجو ان يتحقق الوعد قريبا - فابلقوا
رجائي هذا للسيد الرئيس جلال يايار *

والى لمكتبى بشارح مديرية التحرير بالقاهرة ، اذ جاءني السيد صفيح ليبيا ، موقدا من
قبل رئيس الوزراء ، يقول : ان الرئيس اتصل من تركيا بما يفيد مصادقة رئيس الجمهورية على
الاتفاق ، وان الامانة في الطريق - فشكرته ، وطلبت اليه تبليغ شكري للسيد ورئيس الحكومة
ريشا اقوم بذلك شفويا - وابلغت اخواننا الامر ، فكان سرورنا عظيما - وبعد نحو الشهرين ، تسلم
مركزنا العسكري بطرابلس ، هذه الاسلحة :

- 1 - 1000 بندقية عيار 303 مع ذخيرتها وقطع تجديدها *
- 2 - 100 وشاش انكليزي من نوع Bren عيار 303 ، مع ذخيرتها ، وقطع تجديدها *
- 3 - 28 مدفع هاون (مورت) عيار 8x ميلتر - فوقها رسم العلم التركي - ومع كل مدفع
مائة قذيفة - وقطع التجديد *
- 4 - 25 مدفع كبير نوت المجلات ، مع كل ما يلزمها ، (ويقول مثلنا العسكري بطرابلس
اننا تركناها للجيش الليبي ، لاننا لا نستطيع استعمالها) *

ثم اخذت تركيا بعد ذلك تغير سياستها الرسمية نحو الجزائر ! الى ان وقعت في المستوى المأمول، وسمحت بفتح مكتب ناشط لجهة التحرير بالعاصمة انقرة .

هذه قطرات من بحر خضم ، لولا شقيق المجال ، وحوف الاطالة ، لسكبنا منها مئات النطرات فوق هذه الصفحات . ولعل فرصة اخرى تستعجلنا ، فنعود الى الحديث عن اعمال المجاهدين في الخارج ، انهاء معركة التحرير ، بينمنا رجائنا وشبابنا ، يقدمون المنهج والارواح ، بسطاء في سادين الكفاح ، امام اضخم جيش استعماري جردته يد الجور والارهاب ، لارضاخ شعب انتف الرضوخ . واذلال شعب طلق الدن والهوان الى الابد . وصوت الشعب ، هو صوت الله .

فرحم الله الشهداء الابراء .

وخلد الله ذكي المجاهدين الاشرف .



في نوفمبر
العشرين

دراسة مقارنة للتيارات الفكرية قبل الثورة وأثناءها

يحتفل شعبنا هذه الأيام بالذكرى العشرين
لثورة أول نوفمبر العظيمة واحتفاله بهذه الذكرى
ليس فقط للتعبير عن نشوة الانتصار أو الانتهاء
بهذه المناسبة التاريخية التي أعادت للإنسان
الجزائري كرامته وحقت له - على أرضه - حريته
ومعصره ، ولكن أيضا لأن هذه الثورة نقلت الشعب
من مرحلة إلى أخرى وحددت له طريقه الصحيح :
ومن ثمة فإن الحديث عن الثورة ، مجرد الحديث
عن شعاراتها وانتصاراتها لا يكفي ولا يفيد كثيرا
وانما ينبغي - في تقديري الخاص - أن نقرن بين
عهد الثورة والجهود السابقة عليها ثم - وهذا هو
الأهم - أن نستخلص العبرة من الأحداث التي
مر بها شعبنا سواء قبل الثورة أو أثناءها

د . عبد الله وكيبي
كلية الآداب
جامعة الجزائر

ومن الاهمية بمكان ان نعيد النظر في بعض القضايا التي عاشها شعبنا في ماضيه القريب والتي ما زال يعيشها حتى الآن وأن اختلفت الظروف ، خاصة تلك التي ترتبط ببيئة المجتمع ارتباطا عضويا ، فهي متحدة دائما وأن اتخذت لها مسارات خاصة أو تولدت بأصباغ وظلال معينة ؟ فمما لا شك فيه ان بعض القضايا أو بعض الأفكار لا تذوب أو تجدد ولا تتوقف لانها تجدد هوية الشعب وتصور واقعه وتطبعه بطابعها الخاص كما انها أيضا ترسم له مستقبله .

وقضية الثقافة القومية أو الفكر القومي وما يتصل بهما من قريب أو بعيد تأتي في مقدمة هذه القضايا التي تحتاج دائما الى الحديث أو الحضور لانها تكون ذوق الفرد وتحدد شخصيته المجتمع .

على ان الحديث عن الثقافة أو الفكر يقتضي منا ان نعرض للتغير الذي حدث بعد الثورة في هذا الجانب ونقارن بين فترة الثورة وما قبلها ، ومثل هذه المقارنة نتيج لنا ان نعرف مدى التطور الذي حدث وساعد على تقدم الافكار أو نضيحها ، وان نطلع على دور هذه الثقافة وهذا الفكر في حقبة من الحقب بحيث يعكس اثر ذلك كله في تفكير المجتمع وثقافته على اختلاف فئاته واتجاهاته وتطلعاته .

وسواء كان مفهوم الثقافة هو التعبير عن موقف أو وجهة نظر تجاه الكون والحياة والانسان أو انها نشاط انساني ابداعي أو تجريبي وسواء أيضا كانت تعبرا عن مصارف معينة تظهس في اشكال مختلفة ، في الفن والادب والمعلوم أو كانت تعبرا عن حركة المجتمع في تطوره الفكري عبر مراحل تاريخية معينة ، وسواء كانت الثقافة - كما يذهب البعض - هي ما يبقى للفرد بعد ان يستوعب المعارف الإنسانية وبعد ان يكون ذوقه ووعيه بالحياة وتجاربها المختلفة ، أو انها مجموعة قواعد للسلوك والتفكير . - أيا كان مفهوم الثقافة إذن فان المهم هو الى احوال التي تتوصل اليها ، الى مسدى ما تقدمه للانسان من وعي وواقعه واستيعاده بمستقبله ، وبتغيير آخى ان وطبيعة الثقافة هي التي تحدد نوعها وأهميتها ، وهذا ما يفسر اختلاف وجهات النظر حولها وحول مفهومها .
هناك فرق مثلا بين مفهوم الثقافة البورجوازي ومفهومها الاشتراكي .

والواقع ان مجرى الثقافة مهما استمد قوته من روافد انما يتحدد بعصبه ، بالهدف السئى يرسم نقطة النهاية فيه وهو ما اطلقنا عليه وظيفته الثقافية التي تحقق الوعي للفرد والمجتمع ، هذا الوعي الذي يسهم في تطور الفكر البشري ويسهم في انتصار الخير في الانسان ، كما يحقق له العزة وكرامة العيش . لذلك تحتاج باستمرار الى العودة الى منابع الفكر والثقافة وإلى الاتجاهات

التي ظهرت في فترة ما ثم اختفت أو تلاشت في فترة ثانية أو تجسدت في فترة ثالثة لطرواف خاصة من بها المجتمع حتى تبه فرصة العودة والظهور من جديد ،

والملاحظة التي نسلها في هذا المصمار ان الاجيال يأتى بعضها عن بعض ويؤثر السابق منها في اللاحق نوعا ما ، فهناك تأثير خفي متبادل بين جيل وجيل ، ويحدث هذا التواصل في الفترات المتخلفة وان بدأ اسيانا أن هناك انقطاعا بين الاجيال المتتالية ، ولكنه انقطاع في الظاهر نتيجة مطبات جديدة فرضها تطور المجتمع في مرحلة من المراحل بحيث يبدو الامر للبعض وكأن جيلا خلق بدون مؤثرات أو افكار سابقة على افكاره ، وهذا التصور هو الذي دفع فئة من الناس عندنا الى رفض الفكر السابق على الثورة بل وعزلها عن المؤثرات والعوامل التي لعبت دورا أساسيا في تكوينها ، وكانهم قد اكتشفوا الضرب الجزائى فقط بعد ثورة نوفمبر دون أن يتمعنوا في تاريخه الطويل المريق الضارب في أعماق الزمن !

ان هذه النظرة « الانفصالية » قد ترضى العاطفة الوطنية في مرحلة «التفجر» ولكنها لا ترضى الحقيقة ، لأن الواقع يؤكد ان حلقات التاريخ مترابطة وان الشعب الجزائرى لم يولد بين عشية وضحاها ، وان جذور النضال فيه ممتدة وان كان نضال ثورة نوفمبر استطاع والسوى لانه حقق الانتصار العظيم ، وما كان له ان يصفه لو لا انه اوتكرز على فكر وعمل تراث نضالى وتجاوب ثورية عريقة .

وحتى لا أخرج عن الموضوع الذى نحن بصدده الحديث فيه ، أريد ان اشير الى نقطة أراها جهرية بالتبويه وهى اثنى في هذا المقال ، اهتم بالفكر بمفهومه العام الذى يشمل الثقافة ويشمل اى نشاط فكري وأبداعى ، فإذا كان الفكر هو مجموعة قواعد ومعتقدات نظرية كونها مناهج معينة ؛ فان الثقافة تجسيد هذا الفكر في اشكال من التعبير تختلف أساليبها ولكنها تسمى الى خدمة الانسان وتكوين تفكيره وذوقه وشعوره .

كذلك فاقنى لا اعرض للادوات أو للوسائل التي استخدمت ليث الفكر والثقافة أو للاشكال التصويرية التي استخدمها الكتاب والادباء والمفكرون لهذا مجال آخر ، وانما الذى يهمنى هنا هو رصد التيارات والاتجاهات الفكرية التي سادت فترة ما قبل الثورة ، هذه الاتجاهات هي التي انعكست من انتاج الكتاب والمفكرين والسياسيين ونشرتها الوسائل الثقافية بين الناس ، كالصحافة والكتاب والمطبعة والمنشورات والبيانات السياسية الى حاب اشكال التعبير الأخرى ، ولكن المهم هو

تأثير هذه الأفكار من جهة ثم مدى الحلول التي قدمتها لمشاكل الشبب ومدى ما سمعته من نجاح أو فشل ، ثم ، وهذا هو الأهم ، النتائج التي نستخلصها منها وكيف نظرت الثورة إليها .

وإذا حاولنا أن نرصد الاتجاهات الفكرية والثقافية في فترة ما قبل الثورة ، وهي اتجاهات تمثل مجموعة أفكار سياسية أو عقائدية أيديولوجية وأن صبح القول - ظهرت في مجرى الثقافة فيما مضى ؛ إذا حاولنا ذلك لا بد أن نصطلم بالحساسية أولاً ؛ لأن جيلنا قد عاش تلك المرحلة وارتبط بأفكارها أو ببعضها على الأقل ، وربما ما زال يئنسمن يحن لها ويتعاطف معها نتيجة تكوينه وارتباطه بالماضي ، والانسان مجبول على حسب ماغيمه ولايسلم فيه بسهولة .

وثانياً ؛ أن تقويم فترة من الفترات يحتاج إلى أدلة وشواهد وأسانيد ونصوص تحصد رأى من يسعى إلى ذلك وهذا ما لا يساعد عليه المجال .

ومن هنا فأننى اعتبر ما أسجله في هذا الحديث أن هو الأ رأى خاص كونه من للماشة وما قرأته ، فالذى أراجع النصوص التي ظهرت بظهور الطباغة في الجزائر منذ بداية هذا القرن وراجع الآثار الادبية والانتاج الفكرى والثقافى بوجه عام سيلتفت أن أبرز الاتجاهات الفكرية التي اتمتت قراءة نصف قرن تتمثل في الفكر الرجعى المحافظ والفكر الاسلاحي والفكر الليبرالى ثم الفكر الاشتراكي .

ولا شك أن الفكر الرجعى المحافظ هو أقدم هذه الاتجاهات وأكثرها ارتباطاً بالتقديم ، وسأعده على تكوينه وبقاؤه واستمراره حتى قيام الثورةجمة عوأم ، منها عصور الانحطاط التي بذرتة وسحبها التي خيمت ليس فقط على بيتنا ولكن على البيئة العربية كلها بعد أن تقلص ظل الحضارة الاسلامية بعد أن تجمعت الثقافة العربية ولم يبق منها سوى قصور براءة ليس لها اعتداد وليس فيها عبق ولا أثر للتطور فيها . وإلى جانب ذلك هناك عامل قوى لعب دوراً قوياً في استمرار هذا الاتجاه ، ونعنى به وجود الاستعمار فى بلادناحقة طويلة من الزمن ؛ فالتحتل شجع هذا الاتجاه ووجد فيه سنداً له ولصالحه بل ساعد على تكوين طبقة تنصب لهذا الفكر الرجعى والاستصارى مما وهى طبقة لذت بالماضى ورات فيه حلاً لمشاكل الحاضر ، واعتنقت فكرة القدورية وترك مقاصد الاستعمار إلى قدرة غيبية وما يتصل بها من سبيل من تحجر فى الفكر بسبب التربية أو التكوين أو تلقين أفكار لا تستند إلى منطق أو عقل أو خبرة حية بحيث نتج عن ذلك استسلام وتواكل فأنشئ الفكر القروى الذى كاد يشل فى الشعب قوة الخيال والابداع والفكر المطلق .

وهذا الاتجاه الرجعي المحافظ الذي التفكير العقلاني بل الذي العقل كلية ورفض الاجتهاد الذي يمثل إحدى الامس المضيئة في الحضارة العربية الإسلامية ، ويدل أن تعمل هذه الطبقة على تنمية الثقافة العربية كما بزغت في الصور والنخب ، راحت تردد نصوصا كتبها اصحابها لواعهم للتخلف ولطروقتهم الخاصة ولصهرهم المظلم ، وعلى هذا أصبح كل من يدعو لفكرة جديدة أو لفهم جديد - في نظر هذه الطبقة - ملجأ أو كافرا ، بل أن فكر هذه الطبقة ورفض كل فكر لا يسانده وشن حربا على الاتجاهات الاخرى وكان موقفه عقبة امام تطور المجتمع وامام تطور الثقافة الاصلية في بلادنا فهو حين ورفض العقل ورفض ايضا التجربة الحية لانه في الواقع الذي ارادة الانسان وحرته وصيره في الحياة .

ان الذي يقف على تفكير هذه الطبقة ويطلع على ما كانت تكتب من افكار ساذجة جامعة ، يدرك مدى التمحور الذي قد يصيب الفكر والثقافة وينمكس على الانسان فيصرف تصرفات تبدو لغيرة مضحكة ولكنها تملأ له سليبة مقنعة ، وهذا ما يفسر كيف انتشرت الافكار الساذجة في بيئتنا واتخذت لها مظاهر مؤلمة مجزية ، بصرف النظر عن اداة الثقافة ومظهرها ووسائلها ؛ فكما يوجد الرجعي في من تقف لثقافة عربية يوجد أيضا في من تقف ثقافة غربية وأن اختلفت التفاصيل ، انه فكر ضد الثورة اصلا من أي نوع كان .

اما الاتجاه الثاني فهو **الاتجاه الاصلاحي** ، وهو فكر متقدم متطور بالقياس الى الاتجاه الاول بل هو ثورة عليه ، فالفكر الاصلاحي خطا بالفكر الجزائي خطوة هائلة قد لا يبدو اثرها لنا اليوم، ولكنه في الفترة السابقة على الثورة كان وثيقة الى الامام بالنسبة للفكر والثقافة .

والسمة الاولى لهذا الفكر انه احطت نوعا من التوازن بين الماضي والحاضر ووجد جسرا بينهما فهو يختار من الماضي المثلثات ، فيضرب بها المثل ويستمد منها القدرة على الاستمرار ويستوحىها فيما يقول ويفعل ، فيما يكتب او يهدف ، ولكن في الوقت نفسه لا يرفض التطور ولا يرفض الحياة - كما يفعل الفكر السابق عليه - وانما يسعى الى المصاهرة بين الحضارة العربية الإسلامية وبين الحضارة الغربية الفارزة التي لا يرى فيها شرا كما يرى فيها اصحاب الفكر الآنف الذكر ، فالفكر الاصلاحي يطبيعه فكر وسطي ، فكر توفيقي فهو يأخذ من الحضارة الغربية بقدر ما ساعده على فهم الواقع وتأمين فكره فلا يتخذ منها مثالا او اطروحة لفكره يمكن بها ان يحل مشاكل المجتمع

وأما الذي يجعل مشاكل المجتمع هو الحفاظ على الجذور أو ما يسمى بالاصالة والاستفادة من العصر
بالتقدم الذي لا يقف على المحتفلات السلبية في الحضارة الغربية الإسلامية .

وهذا الاتجاه هو الذي خلق ثقافة وطنية قوية لأنه تبني أسسها ويمكن لها في الوطن وغداها
بالتكاتف ونشرها بين الجماهير على نطاق واسع وكرس لها وسائل مختلفة وركز على فكرة «الاجتهاد»
أجدد اللغة ، وحيا التراث ، وصقل العقيدة كما بدلت في عصر الانبعاث .

أما السمة الثانية ، فهي الملازمة بين العقل والدين ، وهذه الملازمة تندرج ضمن منطق الإصلاح
وموقفه من قضايا العصر ومن مشاكل المجتمع - وهذه النظرة قديمة في الفكر الإسلامي، وهو الفكر
المجدد الذي يؤمن بالاجتهاد وباعمال النظر في القضايا التي تجد بسبب التطور في عصور تختلف
أوضاع الناس فيها اختلافا بينا عن أولئك الذين عاشوا ظروفنا أخرى لها معطياتها ومشاكلها .

والسمة الثالثة لهذا الفكر انه قرن القول بالفعل ، لذلك اعتمد على مناهج خاصة في بلورة
أفكاره وتعرض لضغط من الإدارة الاستعمارية الفرنسية وحروب متتالية حروب الفكر الوطني
الذي نادى بالانفصال عن الحكم الاجنبي - وصح إن هذا الفكر يتميز بالنظرة الجديدة للحسيات
والإنسان وهي نظرة رسيية إلا انه يبقى فكرا أصليا سواء في الدين أو في السياسة ، فالمرء
ليست في اعتماده على نوع الثقافة أو صيغتها وإنما المبرة بموقفه من الحياة والمشاكل الاقتصادية
والفكرية والسياسية ؛ لذلك نجد هذا الفكر في طقة معينة سواء ثقافت عربية أو فرنسية .

ولا شك ان هذا الفكر - عكس السابق عليه - قد ساعد على إيجاد المناخ المناسب للنزعة ؛
لأنه غرس في أصحابه واتباعه حب الوطن والاعتزاز بتاريخ الإجداد ، كذلك لا يمكن أن نسم حكما في
هذا الاتجاه على مثليه جميعا لأننا نجد داخل هذا التيار من يؤمن بالنزعة وبالعمل لها ، وأما حكما
ينصب على الطابع العام له ، ولو أردنا أن نقارن بين هذا الفكر وبين السابق عليه لوجدنا الفرق
الواضح يكمن في أن الفكر الإصلاحي فكر « حركي » أي أن له نظرة جديدة للتاريخ تتمايز
بفهم « دينامي » للمجتمع ؛ بينما الفكر الرجعي الجامد لا يعترف بحركة التاريخ ولا يعمل من أجل
التقدم بأي نوع من أنواع العمل - فيبدو ما نجده هذا الفكر سلبيا نجد الفكر الإصلاحي إيجابيا
في مجمله - وقد لعب هذا الاتجاه دورا كبيرا في الحياة الفكرية والثقافية والسياسية ، يسر
وكان له الفضل في تعظيم الفكر السابق عليه .

وهناك تيار ثالث لعب أيضا دورا بارزا في فترة ما قبل الثورة خاصة في الفكر السياسي واعنى به الاتجاه «الليبرالي» الذي يرفض الماضي رفضا كليا ويرى فيه عائقا دون التقدم ويؤمن بالمفرد وحده ، فهو اتجاه عقلاني صرف ، ولا شك ان هذا الاتجاه هو ثمرة الثقافة الغربية والفرنسية بوجه خاص وهو اتجاه يدعو الى الحرية الفردية ويثبت التفكير «البورجوازي» الطبقي الذي استمد مقوماته ونظرياته من الفلسفة الغربية ومن الفكر الفردي ، وقد تأثر بالمذاهب السياسية التي دعت الى تكوين الاحزاب وقيام البرلمانات ودعا الى الديمقراطية المباشرة في الانتخابات وحرية التعبير والاجتماعات وما الى ذلك من الافكار التي بهرت فئسة الجزائريين فاعتنقوها ورواها فيها حلا للمشكلات المادية والعنصرية للشعب الجزائري بل واعتبروا هذا الفكر هو الدواء الذي لا دواء غيره لما تحيط فيه المجتمع من تخلف وجمود وعبودية .

على ان هذا الاتجاه يتراوح بين من ينادي «بالاندماج» في المجتمع المتفوق الذي غزا البلاد وبين من ينادى بالاستقلال وبالانفصال عن الدولة الحاكمة ويرفض الاندماج كلية وتحت أي مطهر أو شعار . وبين هذين الطرفين داخل هذا التيار الكبير نجد من يربط بين الاستقلال وبين القضايا الاجتماعية او ينظر للاستقلال هذا في حد ذاته دون اعتبار للناحية الاجتماعية والاقتصادية وهو في ذلك يجاري الفكر الليبرالي الذي يؤمن ببغاء الطبقة وبالأرباح المادية الذي يعتمد على الكفاح الفردي وقانون العرض والطلب .

غير ان الجناح القوي في هذا الاتجاه هو الذي طالب بالانفصال عن الدولة المستعمرة ونأمل من اجل الاستقلال والحرية ، واسهم بفعالية في تثبيت الفكر الوطني الثوري ، ومهد للشبورة بالوسائل المتاحة له في تلك الوقت بل وكافح من اجل التحرر من سيطرة الاستعمار الفرنسي وبرهن على تصمكه بالتضحية الجسيمة وتعرض للتضيق والتشريد والقهر الاستعماري لانه رفض الحلول الوسطى وأمن بالكفاح المسلح .

وبالرغم من ان هذا الاتجاه اتخذ هذا الخط .لانه لم يستطع ان يبلور نظرية متكاملة يحكم بها الفكر الاستعماري وتقليعه من جذوره ؛ ذلك لانه عني في عمله بمحاولة الاستعمار السياسي والعسكري ولم يهتم او يحاول القضاء على أفكاره وثقافته المدونية . بعبارة أخرى : عني بالقضاء على الجانب الظاهر من هذا الاستعمار وترك الجانب الخفي الخطير الذي تقلقل بواسطة الثقافة ، ويرجع

السبب في ذلك - كما أشرت - إلى أن البعض من أصحابه خلبهم الثقافة الفرنسية والحضارة الغربية ولم يستطع أن يحرر من مثلها وصورها وإيهاماتها *

ومع هذا كله فإن هذا الاتجاه وضع الاسس لفكر الثوري ولا أقول التقدمي الاشتراكي ، وأسهم فعلا في تصجير الثورة ، خاصة منه تلك الطلبة التي لم تلوث بالصراعات الحزبية والتسابق على الشهرة أو الزعامة ، وهي طليعة مهدت للفكر الثوري التقدمي الذي طهر بعد قيام الثورة بصورة قوية وأصبح هو التيار العام في فكر ثورة نوفمبر كما تمثل في مواقف وإنكار المتعصبين سواء من ثقافتهم ثقافة قومية عربية أو ثقافة أجنبية *

ويبقى الاتجاه الرابع والآخر ، وهو الاتجاه إلى الاشتراكية وهو اتجاه يبدأ من مفهوم الدين الاشتراكية - كما ظهر في بعض النصوص الأدبية وغيرها ، إلى مفهوم الماركسية لها ، مروراً بمفهوم لصدالة والمساواة بين جميع أفراد الشعب *

والواقع أن هذا الاتجاه يمزج بين أفكار كثيرة حول الاشتراكية ولم يتبلور في طبقة معينة إلا في فترة متأخرة جداً ، فقد اقتصر في بادئ الامر على أفراد لم يؤثروا في مجرى الحياة الفكرية والسياسية تأثيراً واضحاً وإن أسهموا في وجود هذا التيار الذي اتضحت معالمه فيما بعد *

وإذا كان الاتجاه الليبرالي الوطني رأى في الاستقلال حلاً لمشاكل الشعب في التحرر من السيطرة الفرنسية مبيحاً للنهوض والتقدم بصرف النظر عن المنهج الفكري أو الإيديولوجية فإن الاتجاه إلى الاشتراكية نظر إلى الواقع نظرة مختلفة ، نظرة تربط بين الفكر والمادة ، بين الحرية السياسية والحرية الاجتماعية ، بين الاقتصاد والاستقلال السياسي - لذلك حوِّب هذا الاتجاه من الاستعمار كما حاربته أصحاب الاتجاه السابق ، وإن كان ما نال الاتجاه الوطني الليبرالي من اضطهاد أضاع ما نال الاتجاهات الأخرى - وما يسلق على المتعصبين من الاتجاهات السابقة يسلق على هذا الاتجاه فلا فرق بين من ثقفتهم ثقافة عربية أو أجنبية *

كذلك فإن تأثير الاتجاه إلى الاشتراكية يبدو أضعف وأقل في أوساط الجماهير من تأثير بقية الاتجاهات لظروف كثيرة وأموال اجتماعية وفكرية وتقنية مختلفة لا يتسع المجال لمناقشتها *

اذن ، فالفكر الاشتراكي في نشأته الأولى يمثل تياراً في الثقافة الوطنية ولكن ضعيفاً يقياس إلى التيارات الأخرى ، وقد اشتد بعد قيام الثورة وإن اختلفت ملاحمه باختلاف مفاهيم أصحابه وتعدد آرائهم حول الفكر الاشتراكي ومفهوم الاشتراكية *

هذه - في تصوري - هي الملامح العامة للفكر والثقافة في بلادنا قبل قيام ثورة نوفمبر - فيما هي ملامح هذا الفكر وهذه الثقافة بعد قيام الثورة ؟ ؟

إذا كان من الصعب في مقال كهذا أن نفتح بالتفصيل ملامح هذا الفكر أثناء الثورة فلا أقل من أن نرسم صورة لحظه العام الذي سيمسك بعد الثورة بل سيتبلور بعد الاستقلال « والمؤكد أن الثورة حين اندلعت في فاتح نوفمبر 1954 كانت قد رسمت لنفسها طريقاً واضحاً بين هذه التيارات الفكرية ، فقد شبت وسط أمواج من الإنكار في بيئة كانت تقبل بفكرات سياسية ومبادئ فكرية ومعتقدات شبه أيديولوجية « ذلك أن البشعة الجزائرية كانت مشحونة بأفكار متشابهة وأخرى متضاربة « بعضها تجاور وتعايش وبعضها تضارب وتعارض نظراً لتعارض المبادئ والأهداف ولعبت الصراعات على الزعامة دوراً كبيراً في هذا الجو المضطرب المؤلم .

ولا حاجة بنا إلى أن نعيد إلى الأذهان مرة أخرى موقف الاستعمار من هذه الصراعات وهذه الاتجاهات فقد أصرنا إلى أنه حارب الفكر الذي عارض وجوده ومصلحه بينما أيد الفكر الذي ساندته وسلم بوجوده وبثاقه في وطننا ، ومن هنا وأينما كيف كان يغذي الحركات الفكرية والحزبية وكيف كان يبدد الشقاق بين زعماء الحركة الوطنية وينشر الفتنة والطائفية بين فئات المجتمع وكان يظن أنه استراح من « المشايخين » بعد أن دأى التفتت والتمزق والتناحر يحتاج صفوف المناضلين والقادة بوجه خاص 11

ومى الخفايا التاريخية أن الفكر الاستعماري أصيب بهزة شديدة وباضطراب وحلع حين فوجئ بالثورة ، وليس الاستعمار وحده هو الذي أصيب بذلك ، بل فوجئ بالثورة كثير من زعماء تلك الفترة « وقد كان الناس يتساءلون عن حسن البركان الذي تفجر في حين أن السطح كان عادئاً تماماً يشير إلى عكس ذلك ، وكثيراً ما تخطى الاستكمام التي تكنى بالظهور ولا تنفص إلى الإصااق وقد أخطأت أحكام كثير من الناس على الشعب الجزائري أن في الداخل أو في الخارج ، وفوجئ هؤلاء وأولئك بهذا الشعب الذي قيل عنه أنه « فرنس » نهائياً ، فوجئوا بثورته يشملها منذ اللحظة الأولى بنصف ربما لم يسبق له مثيل في تاريخ الشعوب المستعمرة حديثاً .

وكان على الثورة أن تنظر إلى الماضي وتستمد منه العبرة وأن تبحث في غمار الأحداث عن السبل والعيوب التي عاقت المجتمع عن الانطلاق قبل هذا التاريخ ، ووجدت أن عليها لكي تنتمز بل لكي ينتصر فكرها الجديد أن تعيد النظر في هذا الفكر وفي الثقافة أيضا ، فإذا كان العهد

الماضي قبلها قد تميز بالتشتت في الفكر والثقافة بالتمزق في المواقف والسياسة ، واتسم بالفوضى واللبلة والاضطراب ، اذا كان هذا كله هو العلامة المميزة للمرحلة السابقة على الثورة فإن فيها ينبغي ان يستند على افكار جديدة ومواقف جديدة وانه لا بد من مؤشر جديد يقف على الفوضى التي سيطرت على الفكر الوطني ثمنا طويلا .

ومن هنا اعتنيت الثورة على الدعوة الى وحدة الفكر ، على الاتجاه الواحد للفكر الثوري ، فنصوص الثورة منذ قيامها تركز على شعار « الثورة والائتاد والعمل » وتنعو الجزائريين جميعا الى الانضواء تحت لواء جبهة التحرير الوطني « بصرف النظر عن الماضي وعن المعتقدات المختلفة بشرط ان يمتثلوا لهذا المبدأ » وان ينمجوا في منظومة واحدة هي الوحدة الفكرية .

وقد وضعت الثورة الفكر الذي يتشعب بالماضي او يتعصب لافكار قديمة لا تخضع الفكر الجديد فلكي تنجح الثورة لا بد ان يقضى على التفرؤم والنزق والتناثر ، وليس هناك مبدأ يسد وحدة الفكر سوى العمل المحدث النزاهة ، انه المقياس السليم الذي يظهر به الفكر والمعتقد والمناسل خاطئه وايضا انه بالثورة وبالنسب « وحدا ما يميز الثوري عن غيره » ويميز الوطني الحقيقي عن مدعي الوطنية . وقد ادى هذا الفكر الثوري الجديد الى وحدة شاملة سواء فيما يتعلق بالانضال او الهدف او بالرؤية لاحداث وتطوراتها .

والذي يتتبع النصوص التي سجلت الفكر السياسي لهذه الفترة او التي صاغت افكار الثورة هي اشكال للتعبير مختلفة او هي مجال الاعلام والدعاية ، ان الذي يتتبع ذلك سيجد هنا الخط واضحا في فكر الثورة ، اذ انه من غير المقبول في فترة الكفاح الوطني ان تسمح الثورة بالاجتهادات الفردية في الفكر والسياسة خاصة ابان الحركة ، وان تمنح الفرصة للافكار المخترية كي تنزو البيئة وتبذر التفرقة بين صفوف الجماهير التي التفت حول الثورة وضعت بها لديها من غال وليس ، وقد كان هذا من بين العوامل التي ساعدت على انتصارها دون شك . صحيح ان الافكار السابقة على الثورة لم تمت بحد قيامها . لان الافكار لا تموت بين عشية وضحاها ولكنها على الاقل في مرحلة الكفاح المسلح قد توارت واحتدت وفسحت المجال للفكر « الواسع » ان صح التعبير .

على ان هذا الفكر الجديد لا يمثل فجاء قلنا فقط بل يمثل ايضا في ان الشسورة اعطته لونا . خاصا وبعبارة اجتماعيا بدل مفهومه المجرى في القديم للثورة لم تلم تحرير الانسان فوق هذه الاض

من السيطرة الاستعمارية فحسب ولكنها قامت الى جانب ذلك لتحريره اجتماعيا واقتصاديا وتجنله سيدا في هذه الارض وعلى ما فيها من خيرات ، لا لمصلحة طبقة معينة ولكن لكل افراد الشعب ، الامر الذى يجعل وصف هذا الفكر « بالتقمى » وصفا حقيقيا وتاريخيا ايضا .

حقيقة ان هذا الملم أو هذا الفكر التقمى لم يكن محدد المعنى مضبوط المصطلح ، ولكن على كل حال كان يرمز الى شئ جديد في فكر الثورة لانه تبينه في مواثيقها ونصوصها - فاذا كان مصطلح « الاشتراكية » لم يظهر في بداية الامر بهذا اللفظ ، فان بدله وهو مصطلح « الاجتماعية » قد ظهر حين تتعرض النصوص الى قيام الدولة الجزائرية ومنهجها في الحكم والسياسة ؛ فتملأ تتعرض النصوص الى الناحية الاقتصادية والاجتماعية الى العدالة والمساواة فانها تستعمل تعابير تزيد الفكر الاشتراكي وان عبرت عنه بمصطلحات شتى .

غير ان فكر الثورة لا يتم تحديده بـ « الحدين » ، الوحدة والاشتراكية كما يقول المناطقة اذا تم يوضع في قالب خاص لانه حينئذ يصبح مضمونا بلا صورة ، وحتى تكتمل صورة هذا الفكر وضعت الثورة حدا للبلبله التي سادت الفترة السابقة عليها بان اكدت انتهاء هذه الثورة الثغافى والحضارى ، هذا الانتهاء الذى لولاه لمكانت هوية الشعب وكما وضعت معالم شخصيته الخاصة . انها اكدت انتهاءه الى الامة العربية والى الحضارة الاسلاميه بالرغم من ان هذا الانتهاء كان قد تحد منذ زمن طويل حين قاوم الشعب الاحتلال الفرنسى ورفض الانعماج ، فانه قد تجسم بعد قيام الثورة بقوة العمل وبفرويق الواقع بواسطة البارود والقوة بدل المطالب والشعارات التى رفضها الوطنيون الثوريون والمصلحون القوميون منذ بداية هذا القرن .

هذه هي الخطوط العامة لفكر الثورة تنفر عنها فروع أخرى وتندفق اليها روايف كثيرة تسهم كلها في رسم الصورة الجديدة لفكر الثورة وتضافتها - وتحقيق هذه الامكار لم يات بسهولة يسر تحققت بفضل النضال اللزيب وبفضل اراقة المناضلين الثوريين .

وقد خاضت الثورة صراعات طويلة حتى تجسد هذه الافكار ، خاضت صراعا ضد الاتعاطيين وضد الوصوليين والانتهازيين والمستفيدين من بقايا الجزائر تحت السيطرة الفرنسية ، واعتصمت الثورة في تحقيق اهدافها على امرين :

الاول : التمسح ، فلا تردد امام قضية التصير ولا تساهل في المبادئ والاهداف ، واستخدمت شعارها « الثورة فوق الجميع » خاصة تجاه التعصبين الفرنسيين .

لما الثاني : فهو الانتاج تجاه بعض المصوم وبذلك يرحنت على ان فكرها مفتوح وليس فكرها متصبيا مغلقا كما انها لم ترفض النقد والمناقشة فلم ترغم الناس على الالتحاق بصوفها وتركهم يقتنعون بها بعد ان اعطت المثل وقدم منلوها ليرمان على فكرهم للذات وتضحيتهم من اجل الشعب *

وقد استجاب لهذا الفكر الجديد المنقون والكتاب وعبروا عنه في المسرح والقصة ، في المقال الادبي والسياسي ، في الخطب واجهزة الاعلام وعصوما في الانتاج الذي ظهر اثناء الثورة وان تعددت اساليبه واشكاله - ومع هذا فان فكر الثورة باتساعه وشموله لم يتج له حتى الآن ان يدرس بموضوعية ويتفصيل ولم تستخلص منه النتائج وما زال في حاجة الى من يكشف عن قيمه ومثله ومسابره الكثيرة ، ما زال في حاجة الى غريته ومعرفة العناصر الايجابية فيه والسلبية ومعرفة الدور الحقيقي الذي لعبه المنقون اثناء الثورة *

وبعد ... فهذا حديث سقته في فترة تعتمك بالافكار والآراء ونحن نتلمس فيها الطريق نحو ثورة ثقافية حقيقية ، وهي تحتاج الى ان يسوول المنقف للنتزم رايه فيما يتصل ببعائنا الثقافية والاجتماعية والاقتصادية في جرة ونزاعة ، ولقد نختلف في التمسر او وجهة النظر ولكن لا خلاف في ان ما ذكرته قد عاينه شعبنا وهو يشع فينا التساؤل باستعراذ ، كما يشع الى قضايا عاشها جيل من شعبنا وعلائنا نعيش بعضها حتى الآن ، وهي قضايا تمس جوهر وجودنا وصبرنا كما تمس صعب الاجيال التي ستاتي بعدنا ، بل ان الجيل الجديد قد لا يعرف عنها الشيء الكثير ودعنا حتى القليل ايضا *

واعتقد ان الذي يحدد الاشياء تحديدا سليما هو اسلوب الحوار والمناقشة والوضوح في الرأي والرؤية مما حتى نحدد موقفنا من القضايا التي اشرت اليها وتقاين بين الحلول التي نعها من سبقنا والحلول التي نراها نحن ملائمة *

لما دراسة هذا الفكر اثناء الثورة يتوسع وامتناعه ببناء استقلال وهبل ما زال يعيش في بيئتنا بصورة او باخرى فهذا ما يتطلب جهودا اخرى كثيرة ممن يهتمون ببعائنا الفكرية والثقافية والادبية *



البعد الريفي

تمثل الثورة الجزائرية مكانة خاصة بين ثورات القرن العشرين . وقد احتلت هذه المكانة بفضل مجموعة من الخصائص ، لم تدرس كلها كما يجب ، ولا شك أن إحدى هذه الخصائص البارزة تتمثل في البعد الريفي : فقد انتشرت الثورة المسلحة في المناطق الريفية أساساً ، وكان الريف الجزائري هو حاضن الثورة المسلحة وملجأها ، في حين كان الريف في بلدان أخرى هو مقبرة المحاولات الثورية المسلحة ودمغها .

وبعد سنوات الاستقلال الأولى ، وارتفاع شعار العودة إلى الأصل ، وجد الريف الجزائري عناية خاصة ، ظهرت بإقرار سياسة التوازن الجهوي والبرامج الخاصة ، وانتهاء بالثورة الزراعية . في حين نجد الريف ، في تجارب أكثر من بلد استقل حديثاً ، يأتي في آخر القائمة لامتصاصات المسؤولين ، بينما تستحوذ المدينة وقتاتها المترقة على معظم مكاسب الكفاح الوطني .

محمد إبراهيم الخليلي
مدير
وكالة الأنباء الوطنية

وإذا كنا نحن هنا في الجزائر ، وخاصة منا الذين يعيشون في المدن ، لا نلقى اهتماما لانتفا
بالمجهرات الضخمة التي تهدل بالريف ، وفي اتجاه الفئات الأشد فقرا وحرمانا ، وإذا كان سكان
المن نحننا يميلون غالبا إلى إجراء مقارنات شكلية بين « وفرة المواد الاستهلاكية » خلال العهد
الاستعماري ، ومشاكل « المواد الاستهلاكية » التي أصبحت « أقل جودة » « وأشد شرة » الآن ،
فإن ذلك ينعكس المعادلات الاستهلاكية في المدن ، من جهة ، كما يكشف عن عدم اهتمام بالتغييرات
المعمقة التي تمت في اتجاه الريف وفي اتجاه الفئات المحرومة بصفة عامة .

في حين أن الملاحظين الأجانب الذين يزورون الجزائر ، يندهشون لسخامة المشاريع
الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي أنجزت في الريف ، ويسجلون أن هذا المجهود يشكل حالة
ليس من البالغة في شيء أن يقال عنها أنها مهددة بين تجارب العالم الثالث .

وإذا كانت هذه الظاهرة تستحق الاهتمام وتسجيل والتابعة ، فإن المطلوب أيضا ، هو
الكشف عن بعض الأسس التاريخية التي تفسر مسار الثورة الجزائرية في هذا الاتجاه ، وتساعد
على فهم الريف الريفي فيها .

والواقع أن مثل هذه المحاولة تتطلب دراسة مطولة ومعمقة ، لا يتسع لها مقال ، لذلك
سوف تقتصر على تقديم بعض العناصر ، بصفة إجمالية ، من شأنها أن تساعد على فهم جنود
الريف الريفي في الثورة الجزائرية .

عوامل الجوّان الاجتماعي والاقتصادي للريف في العهد العثماني

كان الريف الجزائري ، في العهد العثماني أي التركي ، يلعب دورا مزدوجا : سياسيا
واقتصاديا ، عن طريق القرى التي كانت بمثابة همزة وصل بين أحصاق الريف ، وبين المدن ،
حيث يوجد ممثلو السلطة المركزية . لقد كانت القرى الزراعية ذات نشاط اقتصادي يسمح لها
بسد احتياجاتها من جهة ، ويحتملها من أن يكون لها وزننا الضامن من الناحية الاجتماعية
والسياسية ، أي أن القرى في نفس الوقت التي كانت تلعب فيه دور همزة الوصل بين المدن وبين
للريف ، كانت في ذات الوقت ذات اشعاع اقتصادي وثقافي لعب دورا كبيرا في التمهيد لثورة
الضمير بالانتماء إلى وحدة ترابية مصدرة ، زيادة من شعور الانتماء إلى وحدة عنوية حضارية
إلى مع ذات طابع عربي - إسلامي .

وهذا ما يفسر أن المعارك الكبرى التي خاضتها الجزائر ضد الاحتلال الأجنبي ومحارلات
الغزو الخارجي خلال العهد التركي ، لم تكن من صنع الفئة الحاكمة فقط ، بل لقد ساهم فيها
الضرب مساهمة واسعة .

واواقع ، اننا لا نجد ، على امتداد التاريخ المعروف ، منذ العهد القديم الى العهد العثماني قيام عواصم كبرى استأثرت بكل النشاط الاقتصادي والسياسي والثقافي ، دون أن تكون الى جنبها مدن وقرى مترسطة ، تأخذ منها وتمتص منها .

ويبدو أن التضرير الجغرافي للجزائر لم يكن اجنبيا عن هذه الوضعية ، لأن قيام ونشأة حكم مركزي قوى في العصور القديمة ، كان يعتمد أساسا على تجميع مصادر الثروة بواسطة التحكم في الثورة الزراعية عن طريق امتلاك المعارف العلمية والفنية المتصلة بتصريف واستثمار الثروات المائية ، كما حدث في وادي النيل وفيما بين النهرين . ففي هذه الحالة تتجمع مصادر الثروة والسلطة بين أيدي حكم مركزي قوى يجمع بين السلطة الدينية والدنيوية ، شأن الفراعنة في مصر ، والقيمين على اقتصاد المهد في بلاد الرافدين ، أما في الجزائر فان تضرير الطبيعة والمناخ قد حال دون نشأة حكم قوى شديد المركزية ، ونتج من ذلك أن العاصمة أو المدن لم تكن تحتكر السلطة الاقتصادية .

ولم تنشأ الجزائر عن هذه القاعدة في العهد الاسلامي ، ولا في مطلع العصر الحديث الذي يمكن أن نؤرخ له ، في المنطقة ، بالعهد العثماني . فقد كانت هناك مراكز عديدة للثقافة ، كما أن السلطة السياسية كانت تشاطر فيها الاقاليم ، حسب نظام يتكيف حسب النظام الاقتصادي - الاجتماعي ، أي أنه كان يختلف بين العواصم ، وبين امتداداتها الريفية ، ذات الطابع العشائري ، وغلا فهما قبل من تخلف الجزائر ، عشية الاحتلال الفرنسي ، فالذي لا شك فيه أن الجزائر كانت ، بصفة عامة ، تتمتع بإمكانات اقتصادية واجتماعية ، تجعلها مؤهلة لأن تتطور اقتصاديا وسياسيا في اتجاه التقدم والرفق ، وذلك بفضل التضامن والانسجام الاجتماعي الذي كان موجودا بين الريف والمدن عبر القرى الهامة . لكن الاستعمار الفرنسي أبهى إمكانات التطور تلك ، وليس فقط بالاحتلال العسكري ، ولكن أيضا بواسطة مجموعة من الاجراءات والتدابير استهدفت أساسا بنية الجزائر الريفية وتنظيمها وتسامنها الاقتصادي والاجتماعي .

محاولات لتفتيت هيكل الريف في العهد الاستعماري

إن طبيعة التنظيم الاقتصادي والاجتماعي الذي عرفه الريف الجزائري ، قبل الاحتلال الفرنسي ، تشكل أحد العوامل الرئيسية - الى جانب عوامل أساسية أخرى - التي ساهمت في دفع الريف الى مقارمة المحتلين واحتضانه للمقاومة ، بعد سقوط دولة الباي في 5 جويلية 1830 . فقد كان الريف هو الذي شهد أول محاولة لبناء دولة جزائرية حديثة ، وهو الذي ظل يغذي المقاومة بعد سقوط دولة الأمير عبد القادر وبعد فشل المقاومة التي قادها أحمد باي . وله الدور مضطرب الاستعمار الفرنسي أهمية الدور الذي يلعبه الريف ، بواسطة هيكله الاقتصادية والاجتماعية

والثقافية ، والذي شرع منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر في اتخاذ سلسلة من الإجراءات تهدف الى تمثيت الهياكل الاقتصادية والاجتماعية للريف الجزائري ، والى اسخاف تغيير جذري على بنيتهم المقاربة ، بما يفيد نظام الاحتلال .

ويكفي لتصور الروح التي توجه التدابير المشار اليها ، ان تصوق ما قاله في هذا الصدد أحد مستشاري الامير نابليون ، وهو « كليمن فوفيرنوا » *Clement Fournier* الذي كتب في 1858 يدمر الى « تعطيم الهياكل التقليدية للمجتمع العربي » وقال في هذا الصدد على الاخص :

« يجب ان نلتزج الشعب العربي من الارض بواسطة اسفال نظام الملكية الفردية » - وهو يقصد بذلك الى القضاء على نظام الملكية الجماعية للأرض اذ كان أحد التنظيمات المحلية التي اصطلحت بها ارادة الاحتلال ، والذي حال دون تطور الاستعمار حسب شهرة المعمرين .

وقد حدد مثيرونا الاشار السياسية للتدابير المقاربة التي يستلزمها مثل هذا الترجية ، اذ قال بعد ذلك :

« لم يعد هناك شعب عربي ، لكن هناك رجال يتحدثون لغة أخرى غير لغتنا » ليضيف لذلك : « لا يجوز ان نسمع ، من الآن فصاعدا ، يفتح مدارس عربية ، ولا يجوز ان نأثف لقاض ما بان يستسلم عقاب المسجن ضد من لم يمثل للقوانين الاسلامية ... ان العرب لا يملكون حسق المواطن الا اذا قبلوا بالقانون الفرنسي ... منذ ان وصلت اقدام الجيش الفرنسي التراب الجزائري تم القضاء على العرب بوصفهم قومية » ... ثم يوضح ان المقصود من ذلك هو اغضاء على كل خصائص هذه القومية ، اذ يشهد ببعض مظاهرها التي يجب التخلص منها فورا عنما يؤكد :

« ان التفتك القبلي ، والاقطاع العربي ، وتعدد الزوجات ، تمثل آخر مظاهر هذه القومية » وهي تشكل عقبات يمين تمثيلها » .

وقد كتبت صحيفة « الجزائر الجديدة » *l'Algérie Nouvelle* في 1860 تقول :

« ... لو ان الحكومة استشارت هذا الجزائريين (بقصد اربوبي الجزائر) فسوف يجد على جميع نطاقات الانتخاب كلمات : اندماج مياضي ، حكومة مدنية ، بيع الاراضي ، تجميع العرب » .

وكتب اربوبي دي لا تريهوني *(Robien de la Tréhoune)* في نهاية 1871 : « ... ومن معمر ومهندسون زراعي - يهاجم ... هذا للجس المتوحش من الشياطين ، ويقصد بذلك الشعب الجزائري الذي لا يقدر له التمسك بالأرض اذ يقول في وصفه : « ... انه يتعلق بالأرض بكيفية تدل على الاحتجاج ضد احتلالنا » ليعقب بعد ذلك قائلا :

« ... أن العربي يجب أن يلقي مصير المهزوم : فيجب أن يترك في حضارتنا أو يتخلى »
 أن الحضارة الأوروبية لا ترحم الحياة المفحشة . أن قانون القوة يدفع الحضارة الأوروبية لأن
 تمتص كل ما تستطيع هضمه . وتسحق كل ما يشكل عتية في طريقها . »

وقد قُرب على تطبيق التدابير التي ولدها مثل هذا التوجيه ، أن تخلخلت الهياكل الاقتصادية
 والاجتماعية في الريف ، بكيفية جعلتها تشكل أحد عوامل المجاعة الكبرى التي عرفتها الجزائر في
 1867 و 1868 ، حسبما يؤكد روبرت أجرون نفسه . ويكفي أن نعرف أن عدد ضحايا هذه المجاعة بلغ
 نصف مليون نسمة .

وقد حاول المبرمون أن يستغلوا هذه المجاعة ، في اتجاهين : التخلص من أعداد كبيرة من
 الجزائريين ، وفي نفس الوقت تحميل نظام الملكية الجماعية للأرض المبرور به في أرياف الجزائر ،
 مسؤولية هذا العدد الضخم من الضحايا . فقد كتبت سماعة المبرمين تقول : أن العرب قد عاثوا
 جوعا لأن النظام العقاري عندهم كان يمنحهم من أن يبيعوا أراضيهم أو يرهونها للمعمرين ، وهو
 « ما كان يسمح بانتفاذ الشعب العربي الذي ترجع مأساته إلى الشيوعية » (والمقصود بالشيوعية
 هنا هو الملكية المشاعة للأرض) . وهنا تراجعت قضية على جانب كبير من الخطورة ، لا نستطيع
 أن نغفلها ، فإوضح من كتابات الصحافة الفرنسية آنذاك ، أن مخازن المعمرين كانت تتسفر على
 التموين الذي كان في استطاعته أن يندّد حياة مئات الآلاف من الجزائريين . وليس المهم هو أن تعرف
 على أي مستوى لتحديد مسؤولية موت (أن لم نقل قتل) هذه الأتس بواسطة المجاعة ، ولكن الذي
 يهم هو التأكيد من وجود تية الإيابة عند الاستعمارين ، لأنه لا شيء يفسر موت ذلك العدد الضخم
 من الجزائريين ، مع توفر المواد للتصويبية في مخازن المعمرين .

وسواء كانت تية الإيابة موجودة أم لا ، فالذي لا شك فيه أن المعمرين كانوا يملكون أمالا
 كبيرة على انقراض المنصر العرب من الجزائر ، بل وكانوا يعتقدون أن انقراضهم نتيجة حتمية .
 فقد كتب فيرنيناند كويمون Ferdinand Coomons يقول : أن المجتمع العربي غير قابل للحياة ، أن
 مجتمعا يقوم نظامه العضوي على القدر الأعسر لا يمكن إلا أن يكون مصيره الانقراض ، وقد
 تميز هذا الاعتقاد عند المعمرين ، في القرن الماضي ، بفعل نتائج الإحصائيات التي تمت في عام
 1867 وفي عام 1872 ، فقد كشفت تلك الإحصائيات ، عن أن السكان الجزائريين قد انخفض عددهم
 في تلك الفترة بستمائة ألف نسمة . وقد ظل هذا الاعتقاد راسخا عند المعمرين إلى عام 1880
 حيث تجد أخصائيا في الدراسات الديموغرافية يؤكد أن « السكان الأمازيغي مهددون بانقراض حتمي »
 وكان يتردد بين الأوروبيين إلى غاية 1883 ، الحديث عن انقراض الطبيعي ، الذي يقضي بانقراض
 الشعوب المتخلفة . »

وهذا الاعتقاد الشائع عند أوروبي ذلك العهد ، حول « الانقراض الحتمي للمعصر العربي »
تفسره وقائع واحداث هي نتيجة طبيعية في الواقع ، لسياسة الإبادة *

وتجدر الإشارة في هذا المجال الى المسألة التي اثارها حمدان خوجسة ، عن العدد الحقيقي
لسكان الجزائر في عام 1890 * وحمدان خوجسة هذا كان موظفا رسميا في حكومة الداي ، وقد اثار
هذا الموضوع في كتاب المرأة ، ولستمعل ماراتي الاحصاء التي كانت معروفة آنذاك وتوصل الى
نتيجة مفادها ان عدد سكان الجزائر ، كان قبل الاحتلال الفرنسي نحو عشرة ملايين نسمة *

واذا نحن قمنا بدراسات مقارنة واعتمدنا على الارقام التي اعطاها فرنسيون رسميون عن
سكان هذه المنطقة أو تلك من مناطق الجزائر مضمومة الى مجسوع ذلك ، فافتنا نغش على أكلة
ثبوتية تمل على صحة للفرضيات التي قدمها حمدان خوجسة . وفعلنا فان السكانيات الجزائر ، في
القرن للتاسع عشر ، كانت تسمح نظريا بوجود مثل هذا العدد أو قريب منه . من السكان * ويؤكد
ذلك بصغة غير مباشرة ان « لوپلان دي بريووا *Blanc de Prey* » عكاز قد طالب في 1875 بتوجيه ما
بين ستة وسبعة ملايين ممر الى الجزائر ، يستقرون بها فوق أراضي تخصب من الجزائريين *

ان تلك المصاعى لاستقدام ملايين من الاوروبيين الى الجزائر ، تساعد على اعطاشا صورة
عن السكانيات الجزائر في فترة الاحتلال بل وعن امكانياتها قبل 1890 *

والخلاصة العملية التي نخرج بها من كل ذلك ، هي ان الريف هو الذي بلغ هذا الثمن الباهظ
من حياة ايغاله ، نتيجة لسياسة ابادية في تطبيقاتها ولعقاداتها الصلبة ، يقطع النظر عن نية
واضحها *

دور الريف في الصمود الثقافي

ان الاساليب الابادية التي اعتمدها الاستعمار الفرنسي ولجت عند الشعب الجزائري ردد
ضل متحدة الاشكال ، تمتد من المقاومة المسلحة الى الصمود المعنوي * وقد اسفر هذا الكفاح المتعدد
الاشكال ضد المحتل ، والذي تواصل دون انقطاع طيلة فترة الاحتلال ، ايدولوجية فضالية لم
تكن مجرد حالة شعورية أو فكرية ، تظهر في اوساط محدودة ، ولكنها تبلورت في سلوك على
وجعاً كان الريف هو مهد الاساسي *

وقد ساعد على تبلور هذه الايدولوجية النضالية ، وجود مياكل ثقافية في الريف : فمعروف
ان المدارس القرآنية والامامد الدينية ، قبل الاحتلال واثره ، لم تكن قاصرة على المدن والواضع
الكبرى ، بل كانت منبثة في اريافه الجزائر كلها * ومهما قيل من المستوى الثقافي والصمود للمعاصم
الدينية والروايا في القرن التاسع عشر ، فقد كانت هذه تشكل حلقة هامة في سلسلة الهياكل

الثقافية ... الاجتماعية التي كانت تتحكم في الريف الجزائري وتوجه وجود فعله ضد المحتل بل وفي توسيدها *

أي أن الريف كان يعتمد على المدارس القرآنية والمعاهد الندينية والزوايا ، كما كان يعتمد على المساجد والأسواق المحلية ، لترديد شعارات الكفاح وإيجاد منابر التوجيه ، وتميئة القواعد الشعبية ضد المحتل * لقد كانت كل تلك المواقع موضع اجتماعات ولقاءات شبه منظمة ، تلتمس فيها الجماعات الريفية ، تبادل الأفكار والأخبار والمعلومات بما يبرز الضمير الوطني * وقد كان الفرنسيون أنفسهم يندشون للسرعة التي تنتقل بها الأخبار من مكان لآخر من أرجاء الجزائر الواسعة لأنهم لم يتركوا في الأبن طبيعة الدور الذي تلعبه تلك الهياكل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية *

وهذا هو ما يفسر ، إلى حد كبير ، السرعة التي كانت تنتشر بها الثورات ضد المحتلين الفرنسيين * فقد كان يكفي ، أن يدعو للجهاد شخص ما ، في منطقة ما من الوطن ، حتى تنداعى لتأييده جموع غفيرة مستجيبة له من خارج منطقته ومن داخلها ، لأن تلك الهياكل التي كانت تنظم الريف ، كانت تتحرك بصفة شبه تلقائية لتطلي داعي الكفاح *

على أن دور الهياكل الثقافية والاجتماعية للريف الجزائري لم يكن يقتصر فقط على التهيئة من أجل الكفاح المسلح : بل كان يتمثل ، زيادة على ذلك ، في صنع الصمود المعنوي بوجه محاولات الميخ والتشويه التي استهدفت القضاء على الشعب الجزائري ككيان قومي ، فقد سجل جنرال فرنسي ، عام 1894 أن الكتائب القرآنية ليست لها إلا مهمة واحدة وهي تهذيب الحقد ضد الفرنسيين ، بل أن وزير الحرية « لو كنت فايان » (Lo Comte Vaillant) طالب بعدم الترخيص في تعليم القرآن ، إلا للمعلمين الذين يقع التأكد من ولائهم لفرنسا سياسياً وعقائدياً * وصدر مثل هذا الطلب عن وزارة الحرب الفرنسية يؤكد بأن المسألة تمضت في نطاق الحرب المعلنة من الاستعمار ضد الشعب الجزائري *

وبعلا فإن رجاء الاحتلال الفرنسي في القرن التاسع عشر يسجلون أن فشل المقاومة التي قادها الأمير عبد القادر لم يضع حدا للحرب ، ولكنه أدى إلى تغيير طبيعتها * فبعد أن كانت الحرب بين الجزائر والاستعمار ذات طابع عسكري مسلح ، تنضخ فيه الجبهات وتتحدد فيه مراتع الصدام أصبحت الحرب معنوية ، وفي نفس الوقت أصبحت أكثر شمولاً * وإذا كان الفرنسيون قد سجلوا انتصارات (مؤقتة) في المجالات العسكرية ، فقد حقروا بخصيات مريرة في المجال المعنوي بفضل الهياكل الثقافية ... الاجتماعية للريف *

والواقع أن تقاليد الريف الجزائري في إقامة هذه الهياكل الثقافية واستغلالها ترجع إلى عاملين اثنين :

العامل الأول هو أن التعليم وكل ما يتصل بالثقافة ، كان مرتبطا في القرن الماضي ، بالدين ، أي كانت له مسحة من تقديس تجعل لتلك الهياكل مكانة خاصة بين جماهير الريف ، المعروفة بتدينها الشديد .

العامل الثاني هو أن الإدارة المشاغبة قبل الاحتلال الفرنسي لم تكن تسطع بعيب التعليم والثقافة . كان الشعب هو الذي يقوم بهذا الدور عن طريق الأوقاف التي كان يخصص ريعها للمعاهد الدينية والمساجد والزوايا . وهذا ما يفسر انتشار الهياكل الثقافية في الريف من جهة ، واستمرارها بعد سقوط الدولة الجزائرية ، وحتى بعد سقوط دولة الأمير عبد القادر .

وقد أسفر هذا الصمود الثقافي عن رفض للشرعية الفرنسية وخاصة في الريف الجزائري . وكان رفض الفرنسية ، في الريف ، قد بلغ درجة رفض تضم اللغة الفرنسية التي كان يعتبرها « لغة الكفار » ، مما دفع الإدارة الاستعمارية إلى انتهاج أساليب عديدة لتعطيل هذا الصمود بالقسوة حينما وباليلة حينما آخر .

وقد ساعد هذا الرفض للشرعية الفرنسية ، على تجنب الريف لأضرار التلوث الاستعماري وتشويهاته ، وبالتالي ظل الريف محتفظا بأهليته واستعداداته لاختضان أية محاولة ثورية جنية .

الإصول الريفية للمتفلسين

بعد استقرار الاستثمار ، وانتهاء مرحلة الكفاح المسلح التي استمرت حتى الحرب العالمية الأولى ، وتحول الكفاح إلى الميدان السياسي ، ماذا كانت خريطة الكوادر والأطارات الجزائرية ، انغرض فيها أن تسطع بهذه الحركة ؟

لا بد من التذكير أولا ، بأن دور العاصمة قبل الاحتلال الفرنسي في تكوين الكوادر والأطارات لم يكن كبيرا مثلما كان في تونس والمغرب ، فمدينة الجزائر إذا كانت عاصمة سياسية ، فإنها لم تكن عاصمة علمية مثل تونس أو فاس . وكانت هناك مدن صغيرة ، لها إمكانيات علمية ، وأن تكن محدودة ، وقد كانت الإمكانيات المحدودة لهذه المدن الصغيرة ، ذات أثر في توجيه ما يمكن أن يبنى بالندبة ، إذ أدى ذلك إلى تكوين هذه النخبة في اتجاهين :

أولا : اتجاه الريف . فوقع هذه المدن الصغيرة أو الزوايا في قلب الريف أو على هامشه كان مركز جذب للريفيين المتطلعين إلى المعرفة .

ثانياً : اتجاه الانتشار والكثرة ، نظراً لمستوى التعليم الذي كان يسمح باستيعاب عدد من الطلاب اكبر مما كان ميسمح به مستوى ارقى واكثر تمقيداً *
ونتيجة لهذين الاتجاهين كانت الخاصية الاساسية ان يمكن تسميتهم بالمثقفين آنذاك - اي فيما بين 1871 و 1918 - تتمثل في اصولهم الريفية من جهة ، وفي الطابع الديني للتعليم من جهة ثانية -

وقد رأينا فيما سبق ، كيف ان الصعود الثقافي للريف الجزائري في وجه الاحتلال ، كانت الثقافة الدينية قد لعبت فيه دورا كبيرا *

الا ان الاستعمار الفرنسي ، كان قد نجح ، بعد ذلك في استمالة عدد من مشائخ الزوايا والطرق الصوفية الى صفه ، واستطاع هؤلاء ان يفعلوا ذلك بواسطة تبريرات وفتاوى تسمى للمناسبات -

لكن استمالة مشائخ الزوايا والطرق الصوفية ، لا يعني تلوين كل طلاب وخريجي الزوايا والمعاهد الدينية - فقد كانت جمهرة هؤلاء تشكل قاعدة سليمة في اساسها ، وانما تحتاج لاهزة تكشف عن طبيعة قيادات الزوايا التي انحرفت ، كي تتمتع العشوائية ، ويصبح طلاب المعاهد الدينية مهينين لاستجابة داعي الكفاح * وهذا هو ما تم بالفعل * فحركة الاصلاح الديني قد نمت وتطورت بالجزائر بفعل الهزة التي أحدثتها في مجال الترجيح الديني ، مما سمح باطلاق قوى وطاقت كانت مقيدة بغيره الجمود والانغلاق التي كان يجسمها شعار الزوايا والطرق الصوفية * اعتقد ولا تنتقد *

وتؤكد الانتماآت الريفية للمثقفين الجزائريين ، ظاهرة اخرى هي كون الريفيين يشكلون الغالبية الساحقة من السكان ، وهذا ما يفسر كون القيادات التي عرفتها الثورات المسلحة بالجزائر منذ 1830 الى 1954 كانت عناصر ريفية *

هذا بالنسبة للعناصر المثقفة بالعربية *

اما بالنسبة لفئة المثقفين بالفرنسية ، التي تكونت بعد الاحتلال ، فيجب التنكير بان المعمرين الفرنسيين بالجزائر ، ظلوا فترة طويلة يعارضون في تمام التعليم الفرنسي ، زيادة من قصور الجزائريين منه كما اسلفنا * ومن هنا فقد كان عند « النخبة » المثقفة بالفرنسية في اعقاب الحرب العالمية الاولى معنوا * على ان اول حركة سياسية ظهرت على ايدي مثقفين بالفرنسية او محتمكين بالحضارة الغربية ، ظهرت بفرنسا * محطلة في حركة نجم شمال افريقيا * وهي حركة ظهرت في

أوساط العمال الجزائريين في المهجر - ومعروف أن أغلبية العمال الجزائريين في المهجر كانت من أصول ريفية *

ولا شك أن دراسة تطور النخبة الجزائرية ، فيما بين الحرب العالمية الأولى والثانية ، سوف يكشف لنا عن استمرار هذا الوزن الكبير الذي يحتله الريف في توجيه الأحداث *

لكننا سوف تقتصر على هذا القدر ، في الكشف عن بعض الأسباب التي تفسر البعد الريفي في الثورة الجزائرية ، رغم أن هذه المحاولة تظل ناقصة ما لم تكمل بمحاولة أخرى تتناول أصول فئات المثقفين والسياسيين الذي اضطلحوا بعبء التوجيه للسياسي والثقافي مسند انتهاء الحروب العالمية الأولى إلى تحقيق الاستقلال في 1962 - فمسي أن تتاح الفرصة لكتابة هذا القسم الضروري لاستكمال عناصر الرؤية والوضوح في هذا الموضوع *

مراجع البحث :

- ابغون تورين : المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة *
- روبير اجرون : المسلمون الجزائريون وفرنسا *
- برادي وآخرون : تكوين النخبة السياسية المغربية *
- مجموعة « المجاهد » الاسيومي *

الثورة الثقافية :

كيف ولماذا ؟

هناك احساس لدى العناصر الحية من الشعب الجزائري ، بل وعي لدى هذه العناصر بأن الثورة الثقافية ستكون اصعب واعقد معارك التسوية الجزائرية ، ورغم ان الترتيب الجارى كثيرا ما يضعها بعد التوطين الصناعية والزراعية ، فان عددا من القرائن والعوامل يدل على ان الضرورة ستجبر علينا الدخول في مراحل الثورة الثقافية خلال مدة قريبة ، لى انها ستلتحق بالتوطين الصناعية والزراعية في منتصف الطريق . فيكون اتساع جبهة المعركة هكذا احد عناصر تعيقها . . وهو ليس بالقليل خطورة »

عبد المجيد عقراي

والفهم الذي يبعث على القلق حقا ، هو ان هذا الجانب الاساسي من الثورة الجزائرية لا يزال محاطا بكثير من الضباب والغموض ولبعضنا بالمجاهيل : فلم يحدث حتى الآن ، فيما تعلم ، ان تقدم انسان برؤيا شاملة وواضحة في هذا الموضوع ، وادراكا هنالك من يملك هذه الرؤيا ولم ينشرها فهو في حكم الغيب موجودة ، لان الفكرة تعيش بالنشر والتداول لا في ادراج مكتب ما ... او ادراج دماغ ما -

هناك ليس من الاول ان نزيله منذ البداية ، وهو شائع بكل اسف في اوساط كثيرة ، ومن بينها تلك الاوساط التي تهتم بالدرجة الاولى ، والتي اطلقنا عليها في اول جملة من هذا المقال وصف « العناصر الحية » ، وهي لا تعنى بالضرورة ما اصطلحنا على تسميتهم بالمتفقيين ، ويتلخص هذا القيس في اعتقاد البعض بان نشر التعليم وتكوين الاطارات هما الثورة الثقافية . سوف لن نقف كثيرا عند تفنيد هذا الاعتقاد ونكتفي بالقول بان الثورة الثقافية اوسع بكثير من مجرد نشر التعليم وتكوين الاطارات . وقد تكون للمسافة بين الامرين هي نفس المسافة بين الحروف الهجائية وبين كتاب مثل « المقفلة » لابن خلدون او « نقد العقل الخالص » للفيلسوف كانت . وليأخذ من يريد قياس هذه المسافة كل وقته لذلك . ثم هناك شيء آخر : وهو ان بلدانا كثيرة قطعت شوطا بعيدا في ميدان نشر التعليم ، ومع ذلك فان مشكلة الثورة الثقافية لا يزال مطروحا برمته بالنسبة اليها ، وذلك مثل بعض بلدان امريكا اللاتينية ، او بعض البلدان العربية . ان هذا التمييز لا يصد به التنقيص من قيمة الجهد الذي يبذل في ميدان التعليم ، او قيمة النتائج التي حصلنا عليها او نسمى الآن لتحقيقها . وانما نقف نريد بذلك ازالة الخلط الذي كثيرا ما يقع بين النهضة التعليمية والثقافية .

بعد القول بان الثورة الثقافية امر اوسع واعظم من النهضة التعليمية ، نجد انفسنا امام انواع اخرى من الخلط والغموض ناتجة من محاولات تهدف الى مواجهة مشكلة الثورة الثقافية . ولكنها تنتهى - رغم حسن نية اغليبيتها - الى وضع هراقل جديدة في طريق فهم المشكل والبحث عن حلول حقيقية له . والفائدة الوحيدة التي لا يمكن انكارها على هذه المحاولات ، هي انها دلت خلال سنوات طويلة على وجود شعور بضرورة الثورة الثقافية في هذا البلد ، ونقلت هذا الشعور الى عدد كبير من الناس . فما هي بصفة عامة هذه المحاولات ؟

بإمكاننا تلخيصها في اتجاهات ثلاثة ، برزت في أغلب الأحيان على شكل تيارات متناقضة ومتصارعة ، يعتقد كل واحد منها أنه يحتكر الحقيقة ويسك بمفتاح كل المشاكل الثقافية ، نلنظر إليها عن قرب ونحاول تحليلها بكل موضوعية ، أي بدون أية عاطفة أو حكم مسبق ، (سوى عاطفة واحدة ، وهي الرغبة الصادقة في رؤية شعبنا يحتل مكانه بين الشعوب الراقية القوية وحكم مسبق واحد ، وهو أن كل فكرة لا تساعد على تحقيق هذا الهدف باطلة في نظرنا مهما كان عدد البشر الذين يؤمنون بصحتها) .

أ (التيار الأول) : هو التيار الذي ينشأ بضرورة وجوعنا إلى حضارتنا العربية الإسلامية ، ويطالب بأحياها. هذه الحضارة بكل أبعادها . وهو يهدف بطبيعة الحال من وراء الرجوع إلى حسنة الحضارة ومن أحيائها ، إلى بناء وجودنا الثقافي ، في الحاضر والمستقبل ، على أسسها وعناصرها .

ليس هناك من يستطيع أن ينكر باننا - كعرب - مرتبطين ارتباطا لا يمكن أن ينقسم منه الحضارة ، وليس هناك أيضا من يستطيع أن ينكر بانها قد أمدتنا في أحلك فترات تاريخنا بأهم الطاقات الروحية التي مكنتنا من المحافظة على كياننا . ولستطيع أن نتحدث آلاف الصفحات عن آيادي الحضارة العربية الإسلامية على الأجيال المتعاقبة من امتنا - وتحدثت نفس الشيء عن قيمتها الثابتة مكانتها بين الحضارات الإنسانية ، كل هذا أمر مفروغ منه .

ولكن هناك سؤال يبقى مطروحا أمامنا ، وهو سؤال منهجي ، يفقد تفكيرنا كل معنى إذا حملنا الإجابة عليه . : هل سيكون رجوعنا إلى حضارتنا العربية الإسلامية كافيا لحل كل مشاكلنا الثقافية ؟ أو بعبارة أكثر تطابقا مع موضوعنا ، هل سيكون ذلك الرجوع في حد ذاته ثورة ثقافية ؟

من الواضح أن الجواب على هذا السؤال بالإيجاب أو النفي ليس أمرا بسيطا ، وعدم البساطة ناتجة عن ارتباط شخصيتنا بهذه الحضارة . وإذا بحثنا عن نقاط الارتباط الحقيقية نجدها متمثلة في اللغة والمقيدة الدينية . هذا أمر واضح لا يحتاج إلى إبراهيم وأدلة مقنعة ليحسه كل الناس .

إذا نظرنا إلى هذين العنصرين ، أي اللغة والمقيدة الدينية ، نجدهما يحتلان مرتبة التقديس لدى شعبنا ، سواء عندما كان تحت يمر الاستعمار أو في ظل الثورة والاستقلال فالعربية والإسلام

ليسا مهددين بأي خطر في الجزائر - وإذا كانت هناك عقبات في طريق نشر معرفة واستعمال اللغة العربية ، فهي عقبات ناتجة عن مخلفات الاستعمار ومستزول حتما بزوال هذه المخلفات »

اما التراث الفكري والتاريخي الذي انتجته الحضارة العربية الاسلامية ، فان دراسته تتصم في الجزائر المستقلة يوما بعد يوم ، وستزداد دراسته اتساعا وعمقا مع مرور الزمن وتزايد الوسائل والادعمة القادرة على ذلك - ومهما يكن من امر فان هذه المهمة تستمر اجيالا متتالية ، ثم انها سوف لن تقتصر على الحضارة العربية الاسلامية ، بل ستشمل كل الحضارات الانسانية .

اذا تأملنا الاسطر السابقة بكل موضوعية ، نتوصل الى نتيجة قد تصمم البعض وتلهم البعض الآخر ، رغم ان قصدا ما يبعد عن الصدم أو الاقارة - وهذه النتيجة هي ان الدعوة الى احداث نقرة ثقافية في الجزائر عن طريق الرجوع الى الحضارة العربية الاسلامية دعوة مطلوبة من اساسها ، وهي ترمي - حسب المناسبات الى تغطية اهداف في ابعاد ما تكون عن التورة الثقافية - ونحن لسنا البلد الوحيد الذي يمر بهذه التجربة ، وفي هذا جواب على السؤال الذي طرحناه منذ حين - ففكرة خوض تورة ثقافية اعتيادا محسوبا بمثل الحضارة العربية الاسلامية - زيانة محسب كونها لا تحل المشكل - تحتوي على مناهل لا يمكن حسابها أو السيطرة عليها - ولكن ذلك لا يعني التفرغ الى حضارتنا العربية ، كما اشرنا الى ذلك .

ب) الاتجاه الثاني : اكثر غرابة من الاتجاه الاول ، ولكنه في وقت واحد ، اشد منه مراسا واطغر عواقب ، لان قواعده اكثر ارتباطا بالحياة اليومية لشعبنا واكثر تشابكا مع المحيط العالي الذي نعيش في اطرافه ، بما فيه من قوى جبروتية مجبرون على التعامل معها احببنا ذلك ام كرهننا ، فاذا كان التيار الاول يظهر في الغالب كسلبية هروب من هذه القوى الخارجية ، فان التيار الثاني ليس سوى استسلاما مقنعا اوسانرا لهذه القوى وارتقاء في احضانها طلبا لنجاة وهمية ، انه تيار تبني الثقافة الغربية ، دون قيد أو شرط - اذانتنا لهذا التيار ليست حبيبة على فكرة مسبقة أو عن عمد ، تصبى ما ، بل عن اقتناع ويقين بأن الصليبة عقيمة وخطيرة في آن واحد -

هناك اولاً : ان بعض الحسنى يتصورون اننا نحن الدين سنبتني الثقافة الغربية ، والحقيقة هي ان الثقافة الغربية هي التي ستتبنانا اذا سرفنا في هذا الطريق ، فالتقوى يتبني الضعيف وليس

العكس - والثقافة الغربية ليست شيئا قسار الشكل والمضمون ، بل هي كيان حي متطور ، يتحرك عبر الزمان والمكان ، ومترابط بالبيئة ، وهي عندما « تتيناها » سوف تدعجنا في صلبه البنية - ولكي تفعل ذلك سوف تلقي من كياننا وشمسيتنا كثيرا من الاشياء التي لا تتماشى مع كيانها وشمسيتها ، وستظل تلقي وتلقي الى ان يتبقى منا العظم فقط ، ثم تلقي العظم وتضعه في سلة مهملات التاريخ - لقد خرجنا من صخور التخلخلة الطويلة ومن التهدد الاستعماري مجرد ميكمل عطشى وبض الاصاب الحية ، ونهش نريد كساء من الصلوات والاعصاب لا دخول سلة المهملات ، هذه صورة كاريكاتورية عن الموقف ، قد لا ترضى بعض المثقفين ، ولكنهما تصور حقائق لا يمكن انكارها »

هناك لانيا : ان دعاء الارتداء في احضان الثقافة الغربية ، يتصورون ، عن جهل او تجاهل ان الثقافة الغربية شي - والغربيون شيء آخر ، وفي هذا تجارز يكذبه الواقع تكذيبا قاطعا : فحيثما تسربت الثقافة الغربية تسرب النفوذ الغربي - وما التسابق الحالي من طرف السلوك الغربية في ميدان تثبيت ونشر ثقافتها بين شعوب العالم الثالث سوى نزاح من اجل تثبيت ونشر نفوذها في هذه البلدان - فالاستسلام للثقافة الغربية هو في الحقيقة الخطوة الاولى في طريق الاستسلام للغربيين ، وهذا يعني كثير من الاشياء بالنسبة لمستقبلنا ، بل لوجودنا نفسه »

ان احد الاهداف الرئيسية للثورة الثقافية ، الى جانب اهداف اخرى ، هو وضع حدود نهائي لكل انواع النفوذ الاجنبي في بلادنا ، وهي لهذا لا يمكن ان تتم بواسطة طريق ينتهي بنا الى الاستسلام لهذا النفوذ - ففي هذا المستوى من العمل هناك ترابط عضوي يسحق الوسيلة والغاية ، الى حد يصعب معه احياالا التمييز بينهما بعد فاصل واضح »

هناك لانيا : وهي مسألة ذات اهمية كبرى ، ان الاشخاص الذين تمكنت الثقافة الغربية من السيطرة على تفكيرهم سيطرة تامة ، معرضون في اغلب الحالات ، اذا لم يكن في كل الحالات ، الى ارتكاب اخطاء فادحة في ادراك المعطيات الحقيقية والعميقة للشعب الجزائري - او اي شعب عربي آخر - وذلك لان هذه الثقافة الغربية تقوم عندما تتمكن من هذه السيطرة التامة ، يدور المازل بين فكر المثقف والجوانب العميقة لحياة شعبه - فورا ، مظهر وعلامات الثقافة العالمية التي تشابهها لدى الاغلبية الساحقة من اصحاب هذا النوع من التكوين ، ووراء ستار الاعتزاز والثقة

بالنفس المستند من الانتماء الى ثقافة عالمية قوية غالبا ما نجد واقعا باناسا وشخصية مهتمه
وعيويا كثيرة تسلب صاحبها كل فعالية عند مواجهة المشاكل في اطار وطروف شعبه . وما
ظاهرة هجرة المثقفين من الجزائر ، ومن غيرها من بلدان العالم الثالث الى
البلدان الغربية الا عينة ، في اغبيتها الساحقة من عيوب هذا النوع من التكوين الثقافي . واذا
كانت هناك اقلية استطاعت ان تنجو من الكارثة - فهي شاذة - . والشاذ يؤكد القاعدة كما يقولون .
فالمعصية الى يمت ثورة ثقافية في الجزائر على اساس الارتقاء في احضان الثقافة الغربية ،
هي اذن دعوة خطيرة ، اذا لم تقل مؤامرة شنيعة ضد كل ايماننا ومبادئنا ، وبصفة خاصة منها
الامداد الاستراتيجية ذات الابد الطويل ، وماتلك الاحلام والمفريات التي يرفس شعاراتها
المبشرون بهذا الطريق السهل ، الا سرابات لا تلبث ان تختفي وتترك حكايا لواقع من الهافة
التاريخية والمقل السالح .

ج (الاتجاه الثالث : الذي تجرى في طله محاولات لحل مشكل الثورة الثقافية ، هو
الانتماء الماركسي ، ومن حوله بعض الاتجاهات النضالية المختلفة التي تستمد منه جذورها ،
بل وحتى مصلحاتها وهو اتجاه لا تقتضيه التحليلات والمخططات الجاهزة مسبقا لحل أى مشكل ،
ولكننا لا نملك في هذه الصفحات مجالا كافيا للرد عليها ولذا سنكتفى ببعض الحقائق التاريخية
الغريبة ، التي تحولت الى بديهيات يمكن لكل انسان ادراكها بمجرد التفكير السليم ، ودون
التسليمات النظرية للثوية .

اهم هذه الحقائق التاريخية نستعرضها من تاريخنا القريب : لقد اضلنا التفكير الماركسي في
فهم الظاهرة الاستعمارية ، فادى سوء الفهم هذا الى انحراف خطير في مواقف الماركسيين من
الحركات الوطنية التي قامت في البلدان المستعمرة (بفتح الميم) ، وقد استمر هذا الانحراف في
الجزائر حتى في ظل الحرب التحريرية ، والذين يذكرون التحركات السياسية ايام النضال
وقبلها ، يذكرون بان الارسطات الماركسية « ليس فقط لم تكن من بين روافد الثورة ، بل انها
حاولت باقضى ما تستطيع من جهد جر اكبر عدد من الجزائريين خارجها لقد كان الماركسيون
دائما يحاولون طي الواقع الوطني لصبوب العالم الثالث واخضاعه لتعليقاتهم وتصوراتهم وحولهم
ولم ينتج من ذلك سوى عرقلة مسيرة كثير من النضوب اكثر مما ادى الى مساعدتها على التقدم
نحو اهدافها ، وكثال عابر عن هذه الظاهرة - تشير الى دور الاحزاب الشيوعية في بلدان

امريكا اللاتينية ، التي تراها تقف في كثير من الاحيان ، الى جانب القوى الرجعية المهيمنة ضد حركات وطنية تقدمية أصيلة ، وذلك نتيجة لتعصبها الاعمي لتصورها الخاص للنزعة واسبانها بأنها كل طريق للنزعة غير طريقها هو الاعراف يجب مكافحته وإبادةه ، اذا كان ذلك يتسع في اطار مجتمعات غربية تنتمي الى نفس الحضارة التي انتجت الماركسية ، فكيف يكون الامر في مجتمع مثل مجتمعا (نعرف ان اسم كوبا موجود بعد على لسان النازي . ولكن الظاهرة الكوبية معقدة : فلا يخفى على احد ان النزعة الكوبية لم تلم على كامل او بقيادة أي حزب شيوعي كوبي ثم ان القيادة الكوبية التي تبنت المذهب الماركسي بعد الانصار على باتريسا ، قد حاولت تكييف هذا المذهب حسب الواقع السياسي والاجتماعي في كوبا وفي امريكا اللاتينية بصفة عامة ، ولكن صوتها قد اخمد ، واضطرت الى « اغلاق باب الاجتهاد » تحت شغل من طرف بلدان شيوعية اخرى ، لا تترك امام كوبا أي مجال للاختيار نظرالوقتها الجغرافي وامكانياتها الاقتصادية والتهديدات الخطيرة المحيطة بها » .

فوقتنا المعارض لوضع تورنتا الثقافية داخل التيار الماركسي ، ليس مبنيا اذن على أي عدا لل فكر الماركسي أو أي مركب من المركبات النفسية ، بل هو ناتج عن يقيننا بأن التفكير الماركسي بقواعده وطرقه في التحليل ، ليس وسيلة مأمونة لفهم الواقع الجزائري ، وهو نتيجة لذلك لا يمكن أن يعتمد كفاعلة لتبوية نهائية في هذه البلاد .

ملاحظات منهجية : قد يكون من المفيد الاشارة ، منذ الآن ، الى بعض النقاط التي نتصل بموقفنا من هذه التيارات الثلاثة ، وأولى هذه النقاط منهجية بحتة ، أي تتعلق بطريقة تفكيرنا في هذه الاشياء -

نحن لم نلجأ في نقدنا لكل واحد من هذه الاتجاهات ، الى تلك « اللعبة المكورة » المتمثلة في استعمال اسلحة الاتجاه الثاني لتعطيل الاتجاه الاول ، ثم استعمال اسلحة الاتجاه الاول لتعطيل الاتجاه الثاني ... وهكذا . فالتاس كثيرا ما يلجؤون الى هذه الوسيلة لنقد مذهب أو اتجاه فكري ، فيستعملون في هذا النقد منطق واسلحة الاتجاه المعارض له ، وهي طريقة لو استعملناها لوقنا في حقا فادح ، اذ أن الذي يستعمل تحاليل ومذهب أو اتجاه فكري ما ، يكون - ولو لم يشعر بذلك - قد تبني ذلك الاتجاه - ولو سلكتنا هذه الطريقة في نقدنا السابق لكنا وقنا في حلقة مفرغة تبطلنا تدور حول انفسنا ولا تقدم خطوة واحدة في توضيح موقفنا ومعالجته

بطريقة جديدة متحررة من كل التأثيرات المسبقة ولا تنصع سوى لمعطيات المشاكل والاصناف التي نسمى لتحقيقها ، والذي يقول بطريقة جديدة وموقف جديد ، لا يعنى بالضرورة صادات الطرق والمواقف الاخرى، وسنوضح هذه النقطة في مظهر من البحث .

الملاحظة الثانية : تنطبق على التيارات الثلاثة المذكورة سابقا ، وهي وان لم تتعلق بصلم اتجاهاتها ، وانما بطريقة معالجتها للشكل ، فانها مع ذلك لا تقل تأثرا على اهمية النتائج السعي يمكنها التوصل اليها ، بل نستطيع القول بانها السبب في جعل كثير من الجهود تنتهي الى طريق مسدود . وهذه الملاحظة هي ان التيارات الثلاثة المذكورة تشترك كلها في انها تتصور حل للشكل بطريقة « الاخذ » ، فاما الاخذ من التراث العربي الاسلامي ، او الاخذ من الثقافة الغربية المعاصرة او من تيارات اخرى معادية لها معا . ينصنا المسألة الثقافية المطروحة اكثر في الحقيقة واعده من مجرد « فراغ » يجب علينا ان نأخذ من مكان ما لفضل . لقد حان الوقت لكي نكتب عن العيش عالة على تراثنا الثقافي القديم أو على تراث الآخرين وما كلمات مثل الرجوع الى تراثنا أو دحيات تراثنا ، أو « بحث » حضارتنا سوى علامات مفرقة وضمت بها نبطرق لا تؤدي سوى الى التيه والموت البطيء . فالتاريخ يشهد بان الحضارات القديمة كلها قد عاشت مرة واحدة ، فبإمكان أي شعب من الشعوب ان يحضر حضارته القديمة وما اضافته للتراث الانساني ، فذاك عنصر مهمهم لمكوناته ولكن عليه أيضا ، اذا كان يريد ان ينجو بوجوده وبكيانه واذا كان على درجة كافية من الذكاء تمكنه من ذلك ان يخلق طريقه نحو قم جديدة ... لها مساربها ومنعرجاتها ومخاطرها وارتفاعاتها التي تختلف حتما عن القسم التي تحداها اسلافه ، وما الاثنى سوى تجربة توسع دائرة الادراك وتسليح الازادة لدى الانسان أو الشعب الى في كلهم المتعدد . ولكنه يتحول لدى الانسان الحامل الى مجرد اغنية بلهاء .

الملاحظة الثالثة : التي تشترك فيها التيارات السابقة كلها ، هي طامة التعصب المنهجي ، او عبارة اكثر دقة الانفلاق المنهجي ، ولا تقصد بذلك انفلاق كل تيار تجاه التيارات الاخرى . فذلك قد يظهر طبيعيا ، ولكن تعني به انفلاق كل تيار تجاه ما يمكن ان نطلق عليه قسمة « قضية صير الشعب » - ولا تقصد بذلك قضية معينة ومستقلة بذاتها ، وانما مجموع القضايا الخشباكة التي يتوقف على حلها جميعا فسوز الشعب في التحدي المصري الذي يفرضه ، ويظهر هذا الانفلاق في نفسية وتصرفات دعاة هذه الاتجاهات : فهم يوجهون حماسهم وتشاطهم وكل

تفكيرهم الى الدفاع عن مذهبهم أكثر مما يوجهونهما نحو مجهود حقيقي لحل المشاكل الهامة التي أشرنا إليها .

قد يكون هذا الكلام غامضاً الى حد ما ، ولكن المثال الثاني يجعله دون شك أكثر وضوحاً : لقد شاهدنا « مناخلين » من مختلف هذه الاتجاهات يبدلون كل جهدهم ، عندما يبرز خلال نقاش أو دراسة ما تناقض بين اتجاههم الفكري وجانب من الواقع الجزائري ، فلما يبدلون كل جهدهم في حل ذلك الواقع ليرى الذي يحملونه مسبقاً لا العكس بل على العكس على الفكرة للواقع وتمديدها حسب مقتضياته ، لقد أدى هذا الموقف النفسي الى تحريف الواقع الاجتماعي الجزائري بل وتكرانه في كثير من الحالات - إن الموقف السليم والفعل يفرض ان يكون الشعب أو الحطة الثورية التي تهدف الى تحرير طاقات الشعب ودفعه الى الامام ثابتة من واقع الشعب ومتزاوية مع واقع ذلك الشعب ومدخلة في اعتباراتها كل جوانب ذلك الواقع . ولكن الاتجاهات القائمة لا تتعرف بهذه الحقيقة ، وذلك هو السر في بقائها دون أية قدرة على التفاعل مع المجتمع تفاعلاً حقيقياً والتأثير عليه تأثيراً إيجابياً أي بتجنيده في حركة واحدة قوية ومسبجة في اتجاه حل مشاكله واختصار مراحل الطريق نحو القوة ، بالسرعة التي يتطلبها الظروف الزمنية التي يعيش فيه ، والاضطرار الماحقة التي تحقق بكسل شعب يتحلف عن الركب : تلك هي الشؤرة الثقافية ، وهي باختصار خلق انسان ومجتمع جديدين قادرين على مواجهة هذا التحدي التاريخي الطويل . فالرمان ليس حيناً ، والجهد المطلوب في مستوى الرمان .

« القسم الثاني »

اللمحة الاستثنائية :

يشي شعبنا الآن فترة استثنائية لم يبرمجها في تاريخه الاجتماعي والسياسي الطويل ، أي انها فترة فريدة ، ذات خصائص متميزة عن كل الفترات التي سبقتها . وسيكون لما يجري خلال هذه الفترة تأثير على الفترات التي ستليها لعدة أجيال عديدة : هذا امر يدركه اغلبية الناس ولكن الامر الذي لا تدركه الاغلبية أو تتخلف حولهم ان هذه الفترات الاستثنائية تتطلب نظرة جديدة للاشياء وحلولاً جديدة للمشاكل ، ولا يمكن ابدأ مواجهتها بالنظرة والحلول « التقليدية » . ان التغيير الذي يجب ان يحدث في كيان شعب ما لكي يرقى الى مستوى هذه النظرة الجديدة للاشياء ، والى تفكير وتصرف جديدين تجاه المشاكل التي يفرضها عليه تحد تاريخي حاسم ، هو

بأنضبط ما نسميه نحن بالثورة الثقافية ، ان هذا الطابع الاستثنائي والفريد للفترة التي نعيشها شعبنا حاليا هو الذي يفسر لنا فصيل التيارات السابقة في فرض نفسها كوسائل « صالحة وكافية » لتحرير كل الطاقات الكامنة في هذا الشعب كالأفراد ، وكجموع والتي هي ضرورية لحق دولة قوية ومجتمع متجانس البنية وشعب قادر على فرض نفسه بواسطة عبقريته وإبداعه في كل المجالات ... وهي كلها ليست مجرد مثل عليا وإهدافها في حد ذاتها ، بل شروطا أولية لاستمرار البقاء ، ونحن عندما نؤكد بأن تلك التيارات الثلاثة الكبرى غير قادرة على اعطاء شعبنا منطلقا صالحا نحو هذه الأهداف وعدمه الشروط لا نقول بأن العيب موجود في تلك التيارات نفسها ، فالذي يريد اثبات ذلك لا يمكنه سوى تصحيح وقت لمن ، بل نرى ان العيب كله موجود في عدم فهم طبيعة « الفترة الاستثنائية » واكتشاف القوانين الخفية التي تحكم في تطور الشعوب خلال هذه الفترات من تاريخها والتي لا يمكن دون مراعاتها بل والاستماعة بها ، على حل مشاكل مصيرية مثل مشكل الثورة الثقافية - ولكن نفهمها كتأخرة تاريخية متميزة ، وندرسها على هذا الأساس : وهذا ما سنتحوله في الصفحات التالية .

للإحاطة التاريخية :

التاريخ حركة متواصلة وتفاعل مستمر ، ونحن لا نعلم إذا ما كان التاريخ يبعد نفسه أو لا يسبغها ، بل ربما فقط ان تطور المجتمعات عبر التاريخ يضيغ ، ككل الأشياء في الكون الى قوانين عامة وثابتة أدركت الإنسانية بعضها ولا تزال تبذل الجهد لاكتشاف المزيد منها ، وهذا كان النقد الذي يوجه لهذا العلم (الذي لا يعترف به البعض كعلم) فان التاريخ لا يزال حتى الآن المرجع الوحيد لمحاولة فهم بعض الظواهر المتممة بمسيرة المجتمعات والتحولات الكبرى التي تطرأ عليها « والتي » الذي يلاحظه الإنسان عند تأمل التاريخ ، هو ان فتراته الزمنية ليست متساوية الأهمية : فهناك في التاريخ فترات حاسمة ومنحرجات يكون لما يحدث خلالها تأثير حاسم على الفترات التي تليها ، وقد يمتد هذا التأثير لحقب طويلة جدا ، لا يتناسب طولها قليلا أو كثيرا مع قصر تلك الفترات التي قلنا عنها بأنها حاسمة وبأنها منحرجات خطيرة ، على سبيل المثال نذكر بعض الفترات مثل ظهور الإسلام وظهور الثورة الليبرالية في الغرب وظهور الثورة الشيوعية الحديثة ، ونذكر هذه الأمثلة دون غيرها لانها اقرب الى ذهن الفرد الجزائري أكثر من غيرها . ولكن ما ينطبق عليها ينطبق على غيرها من الثورات التاريخية الكبرى ، وهي تمثل

نماذج متنوعة ومختلفة من النورات ، نحن لا نضع الإسلام في مستوى النورتين الأخيرتين ، ولكننا لنا الآن في مجال المناقشة .

نرجع الى هذه النورات الثلاث ، فنجدها قد درست من كل جوانبها على مر القرون والسنين ولكن النتيجة التي تلقت انتباهنا في مجال اهتمام هذا البحث هي ان كل ثورة من هذه الثورات قد اتبعت نموذجا مينا من الانسان ، يختلف اختلافا تاما عن غيره من النماذج ، وعلينا ان نلاحظ بدوامه الاخلاقية وينظره للمجتمع وللانسانية بل وحتى للكون بصفة عامة، من يستطيع ان يخلق في تمييز نموذج الفرد الذي انتجته الصورة الاسلاميه ونموذج انسان الثورة الليبرالية ، والنموذج الشيوعي ؟ اننا لا نستطيع ذلك حتى لو اردناه . نستطيع ان نصيف الى هذه النماذج سلسلة من النماذج الاخرى مساوية لعدد النورات التاريخية التي نعرفها .

نلاحظ ان هذا النموذج الانساني السلفي تخلفه كل ثورة ، هو اوله انتاج انتجته واول انتصار تحرر عليه ، اما بقية نتائجها الاخرى مثل النتائج الاقتصادية والسياسية والعسكرية والفكرية ، فما هي في الحقيقة الا من صنع هذا الانسان الجديد والفريد من نوعه الذي خلقته تلك الثورة ، فالثورة تخلق نموذجا جديدا من البشر ، ثم يقوم هذا الانسان الجديد بوضع حضارة ونلاحظ بان هذه الحضارة تعيش ما دام هذا النموذج قائما ، ثم لا تلبث ان تتلاشى عند ما يختفي النموذج الذي سمى ، فالتاريخ لا يحتوي على حضارة استطاعت ان تبقى وتعيش بمسند اختفاء النموذج البشري الذي كونها .

هذه النظرة للتاريخ لا تتناقض مع نظرية ابن خلدون حول الدورة الحضارية ونلاحظ ان هذا النموذج الانساني الجديد هو ليس فقط اول شيء يظهر عند وقوع اية ثورة تاريخية ، بل انه ايضا اول شيء يختفي قبل انتهاء الحضارة التي انتجتها تلك الثورة .

نلاحظ ايضا ان هذه النظرة للتاريخ لا تجعل من الانسان مجرد آلة في يد الظروف المادية والاقتصادية ، تصوغه كما تشاء وتصنع به ما تريد كما يفعل ذلك التحليل المادي للتاريخ والتحليل الماركسي ، بل تجعل من الانسان سيد مصيره ومحتما بحظه كاملا من الارادة والمسؤولية والقوة الفردية والجمعية على الخلق والابداع .

نعرف وان هذه الملاحظة الاخيرة هامشية وعابرة ، ولذا يجب الا تلهينا عن اشياء اهم ، والشيء الاكثر اهمية في هذه المرحلة من التفكير هو الاجابة على السؤال التالي : كيف تخلق كل ثورة نموذجا البشري الخاص بها ؟

قد يتوقع منا القاري الكريم ان ندخل في ميدان الوصف الملتق أو العام لملك « الفترات الاستثنائية » أو تلك التورات الكبرى ، والحقيقة أن الإغراء بهذا الوصف التاريخي شديد خاصة وأن كتابا لا تحصى توفر مادة لا يمكن استنادها في هذا الميدان وقد استطاع اصحاب المذهب الكثيرة والمتناقضة ان يجنوا في هذه المادة التاريخية العام أدلة وبراهين لمساندة وتدعيم مذاهبهم دون أن يحدوا أبدا أية صعوبة في تطوير هذه المسألة وتوضيعها مسبقا من أفكار وتغيرات . ولكننا نمكنا رغم هذه الاعتبارات ، وبكل نزاهة وموضوعية ، أن نتوصل الى فرضية عامة ، تحاول بكل تواضع الإجابة على السؤال الكبير الذي طرحناه سابقا ، وهو : كيف تخلق كل تسوية نموذجها البشري الخاص بها ؟ ومنورد المخطوط العريضة لهيكل الفرضية بكل اختصار ، تاركين التوسع في التحليل وإيراد الأمثلة والدلائل التاريخية في مجال أوسع من هذه الدراسة ، ثم أن القاري المطلع على تاريخ التيارات الكبرى للتاريخ لا يد وأن يستحضر صورة الأحداث البعيدة وهو يتابع تسلسل نقاط هذه الفرضية »

إن التورات التاريخية الكبرى قد برزت كلها خلال فترات تتميز بعدم الاستقرار وبازعاعات يكون خلالها الشعب الذي تظهر فيه الثورة مهددا في وجوده وكيانه ومستقبله ، فالثورة لا تظهر إلا عند الحاجة للثورة ، وبعبارة أخرى فإن الشعوب غير مستعدة للتخل عن مجموع العناصر والاشياء التي تتكون منها حياتها ، وعلى رأسها البنيات الفكرية والروحية ، إلا إذا شعرت بأن الاستمرار على ذلك النمط من الحياة يهدد وجودها ومستقبلها . فالتخل الوحيد الذي يمكنه ترجيح كفة الميزان للفائز في الثورة والتغيير الشامل هو تحريك غريزة البقاء لدى ذلك الشعب ، والذي يتصفغ التاريخ يدرك مدى قدرة الشعوب على تحمل و « حزم » ألوان من البؤس والمهانة وتحويلها الى أشتيا عادية - وهذا السبب الذي يجعل الثورة - كل ثورة - تظهر دائما وكأنها شيء متناقض مع الطبيعة ، وظاهرة « خارقة للعادة » ولهذا الاعتقاد ما يبرره »

إن ظروف الثورة تخلق إذن عند ما يجد شعبها نفسه تحت تهديد مسلط على حياته واستمرار وجوده ، ويحدد نفسه عاجزا عن إزالة ذلك التهديد والتغلب عليه ، ونحن لا نحدد هنا نوع التهديد ، لأنه يختلف حسب الفترات التاريخية وحسب الشعوب ، بل وحتى حسب مواقعها الجغرافية ، ولذا تحده يختلف من ثورة الى أخرى : فهو بالنسبة للبعض يمثل في قوة خارجية مادية ويبرز على شكل هزيمة عسكرية مثلا ، ويكون بالنسبة لتورات أخرى تهديدا داخليا يحتمل ومتمثلا في

بلوغ بعض الصاقلات درجة يستعصى عنها ، تهديقها وحياة المجتمع كله . وقد يجد هذين النوعين من التهديد مما في حالة بعض الثورات الأخرى .

القاعدة العامة الأولى التي نستخلصها إذن هي أن كل الثورات الحقيقية قد حدثت بعد أن وجدت شعوبها نفسها أمام تهديد هي عاجزة عن حمله والتظلم عليه . تلك هي المرحلة الأولى إن إدراك ذلك الشعب لمجزءه عن إزالة التهديد المسلط عليه ، هو بمثابة « صدمة » تكون نقطة انطلاق لتفاعل متسلسل لا يستطيع العقل تصوره وحصر تأثيره عبر الزمان وعبر المكان - حسب التعبير الذي يروق كثيراً لهواة الفلسفة - ولكن التأثير الأول لهذه الصدمة يحدث في مجال هورينا أكثر تجريدا وأكثر عمقا ، وهو ما نستطيع تسميته بالضمير الجماعي لذلك الشعب : فتوة الصدمة تنبج إلى إمداد إصااق هذا الضمير الجماعي . . . وهناك يتم تأثيرها المباشر .

يحدث أولا انهيار ثقة ذلك الشعب بنفسه ، وتسرب الشك حول كل شيء . يملكه . . . كل شيء . خاص به ، وبذلك يفتح الباب وأساسا لجميع أنواع الانحلال والتفكك ثم التلاشي : على مستوى البنيات الاجتماعية والأخلاقية والثقافية وغيرها . وليس من الضروري أن يحدث ذلك دفعة واحدة وبصورة مدوية . بل أنه قد يحدث خلال فترات زمنية طويلة جدا وبصورة تدريجية قد لا تحس أحيانا فيمحدر مستوى الإنتاج الفكري نحو الضعالة وتظهر الأمراض السياسية على صورة الانشقاقات وتقتت القيادات ، مما يؤدي إلى التآكل الداخلي وانعدام الفعالية ، ويظهر كذلك التضخيم الأخلاقي والاستخفاف بالقيم . ولكن هذا لا يمنع ظهور بعض المبررات الشاذة أو بعض الانصارات المايرة الموقفة ، وتلك كلها تقديبه التفتنجات الأخيرة لقلب محتضر قبل امتسلاسه للسكرتون . في تلك الفترات يتحول الإيمان إلى طقوس وثيية وتحل حكايات الماضي محل مشاريع المستقبل . وباختصار نجد انفسنا أمام أحلك القصصول في تاريخ الشعوب ، بما فيها من مآسي ومهازل وتفاحة وضيف ، ومن بطولات أيضا تتحدى عجلة التاريخ بشجاعة اليأس ، وشرارة الأسد الجريح ، ولكن عجلة التاريخ قد انتهت في أغلب الأحيان إلى سحق تلك البطولات في بركة من الدماء واليأس .

لقد كان لكل شعب نصيبه من تلك الأيام المألكة . وقد اكتشف كل شعب خلالها أن لا منجد له سوى عبقرته الخاصة وإرادته التي تقضيها غريزة البقاء .

والذي يقول عبقرية الشعب يقول ضميره الجماعي ، الذي لا يكون الشعب بدونه شعبا ولا الإمة إمة .

وسط ذلك الحطام واكدهام الخراب والبؤس يطل الصغير الجماعي يصل بصمت يبحث عن
المخرج الحقيقي من الازمة ، ومهمته في هذه الفترة بالذات اوسع واعقد من ان يحتويها عقل اى فرد ،
هى مهمة ابداع وخلق وتحرك فيها كل بقيرة ذلك الشعب .

لقد قلنا بأن التفكير والانحلال يكون قد اصاب كل البنيات التى تكون شخصية الشعب
وشخصية الافراد الذين يتكون منهم ، لهذا فان مهمة الصغير الجماعي في تلك الازمة هى بنسب
شخصية جديدة للفرد ، وبالتالي شخصية جديدة للشعب كله ، تلك هى المحنة ، وبما ان الفرد
القديم او الحال عاجز عن تجاوز الازمة الفائقة والتهديد المسلط على شعبه .. وذلك هو مصدر
الماء - فان الفرد الجديد يجب ان يكون متمتعاً بقدرات فى مستوى التحدى المطروح بل واكثر
من ذلك : يجب ان يكون عملاقاً فى عالم من الاقزام ، بل من الحطام البشري احياناً . يبدو الصغير
الجماعي فى صنع نموذجيه الجديد منذ اللحظة التى تلقى فيها « الصدمة » - اى منذ ان يدرك الضعب
بانه عاجز عن ازالة التهديد المسلط عليه ، وهو يصنع ذرة ذرة وخلية خلية فى عوالمه الخفية ،
وقد تطول مدة صمنه اجيالاً عديدة فتطول هكذا ايام انتظار الشعوب لورع خلاصها . بداية الثورة
هى بداية مرور نموذج الانسان الجديد من الصغير الجماعي للشعب الى ضمير الافراد الذين يتكون
منهم ذلك الشعب ، وبداية ذلك المرور تكون صفحة قديمة من التاريخ قد طويت وحلت محلها
صفحة جديدة مليئة بالامكانيات والامال والانصارات التى كان مجرد التفكير فيها قبل يسرور
الانسان الجديد مجرد هذيان وأحلام مستحيلة . تلك هى الثورة ، وهى غالباً ما تحدث بصورة مفاجئة ،
كالانفجار او كالميل الجارف الذى يحدث عند ما ينصر سد عظيم ، وهى لذلك غالباً ما تدعى
اعداً ذلك الشعب واصدقاءه معا ، بل وتدعى الضعب الذى تحتل فيه الثورة نفسه .

ان ملاحظة التاريخ عن بعد ، اى تصور المخطوط العريضة لمركاته وظواهره ، امر ضرورى
لهم كثير من جوانب المشاكل الكبرى مثل مشكل الثورة الثقافية الى جانب مشاكل اخرى غيرها ،
ولنا فى هذه النقطة ملاحظة ، وهى انه اذا امكن لكثير من الناس او المجموعات تزييف بعض
الجزئيات التاريخية ، فانه لا يمكن ابداء تزييف التيارات الكبرى للتاريخ . فهذه الاخيرة يمكن
فقط اوتكاب اخطاء فى تأويلها وتفسيرها احياناً واكبر مصدر لهذه الاخطاء يتمثل فى عدم القدرة
على تصور هذه الظواهر الكبرى فى حالة حركة - مما يؤدى الى تقنينها وعدم اكتشاف القواعد
العامة الثابتة التى تتحرك حسيبها تلك الظواهر .

ولكن اذا كانت تلك النظرة العامة الشاملة ضرورية ، فان بعض الامور الاقل عمومية ، اذا لم نقل جزئية ، لا تقل اهمية في بعض الاحيان لفهم تلك القوانين العامة التي نحن في حاجة اليها .

تماشيا مع هذه الفكرة سنحاول الاقتراب بطريقة اكثر من تلك الطائفة التي اطلقنا عليها تسمية «الانسان الجديد» . لقد استطعنا حتى الان رسم الظروف والاطار العالمين الذين يتم داخلهما بروذه على سطح الاحداث التاريخية لشعبه ، ولكن ذلك لا يعتبر اجابة واقية على السؤال الكفئ طرحناه في بداية هذا الفصل ، وهو : كيف تصنع كل ثورة نموذجها البشرى الخاص بها ؟ .

لنحاول اتمام الجواب على هذا السؤال عن طريق فهم ادق واوضح لهذا الانسان الجديد :

قد يتصور البعض ان هذا « الانسان الجديد » هو بالضرورة بشر من لحم ودم - ولكن الحقيقة انه أولا وقبل كل شيء فكسرة في عقول الناس وضائهم - - - انه نموذج مصغر من البشر ذو شخصية مميزة يصوره كل أو اقلية افراد شعب ما ، ويحاولون الارتفاع الى مستواه وتقصيه وتمثل نظريته للاشياء والكون ولعلامات الناس والمجموعات بصيها مع بعض - - - الى آخر عناصر ومقتضيات تلك الشخصية النموذجية ، لقد قلنا ان الانسان الجديد مسن صمم الضمير الجماعي للشعب ، وما الضمير الجماعي سوى مجموع ضمائر الافراد الذين يتكون منهم ذلك الشعب ، والنموذج الانساني هو حسيبة التجارب التي لا تحصى والتعكير المتواصل لاجيال من ذلك الشعب - - - تجارب يتوارثها كل جيل عن الجيل الذي سبقه خلال تلك الفترة المرة من تاريخه ، أي الفترة التي تبدو من الصدمة الى لحظة انفجار الثورة .

والنقاط الاساسية التي يجب ان نشير اليها ولو بإيجاز هي :

أولا . ان خلق الضمير الجماعي للنموذج الانساني الجديد ليس عملية ارتجال تصرف فيها الضمير الجماعي حسب اهواء وميول افسراد أو جماعات معينة ، بل انه يصوغ بدقة لا متفد فيها للخطأ أو التسامح . لا يراعى في صياغته سوى العوامل الدائمة التي تحرك مجموع القسوى الموجودة في ميدان حقيقته التاريخية ، بحيث يكون النموذج الجديد ملاحما مع شعبه مما يجعله قادرا على تعظيم صوابها وتجاوزها .

ثانيا : ان المحور الذي يقوم عليه بناء الشخصية الجديدة هو في الحقيقة شيء منهاى الدقة رغم ان دوره حاسم اكثر من شيء غير . بل ان هذا المنصر يمكن اعتباره جوهر هذه الشخصية

ومحركها الدائم : انه المفاهيم التي تعطىها القيم الانسانية الاساسية - فمن هذه المفاهيم تستمد الشخصية الجديدة اهدافها وتماثلها ، والمبادئ التي تتعامل على اساسها مع الحضارات والتيارات الفكرية والسياسية وغيرها ، سواء مهاتلك التي اصبحت تنتمي الى الماضي أو التي تتمايز منها في زمن واحد .

كشال على هذه النقطة نذكر ان « الحرية » وهي من القيم الانسانية الاساسية ، تأخذ في كل ثورة مفهوما خاصا يختلف عن مفهومها بالنسبة لثورة أخرى ، وعندما نرجع الى الاشارة الثلاثة التي ذكرناها ، نجد ان هذه القيمة يختلف مفهومها بالنسبة للاسان المسلم والليبرالي والشيوعي . ان حقيقة كون هذه المفاهيم الخاصة للقيم هي محور الشخصية المميزة لكل ثورة أو حضارة ، هي السبب في ان كل من يسعى مهاجمة ثورة أو حضارة ما يسمى أولا وقبل كل شيء « لتعطيم مفاهيمها الخاصة للقيم » . لانه يعرف عن « وى اوبالفرزة ان في تعطيم تلك المفاهيم تعطيم للصور التي تقوم عليه شخصية وكيان تلك الثورة » .

ان تحديد كل ثورة لمفاهيمها الخاصة التي تعطىها لتلك القيم الانسانية لا يتسم بالصدفة أو التقليد ، بل ان ادراك تلك المفاهيم الجديدة للقيم امر لا يتم في البداية سوى لضحية قليلة جدا من الابطال الثوريين للثورة - أي ثورة - والذين تستغنى عن حياتهم وعقولهم بمباخرة من الضمير الجبائى للشعب ، وهذا هو الذى يجعل التصورات الاولى لهذه المفاهيم دائما مثالية حسنة قبل ان يتحول ذلك الجسد الى منطق يفهمه كل الناس ، ويمبرون عنه بتصرفات يومية ، ان هذه النقطة جوهرية جدا ، بقدر ما هي معقدة ، ولكننا نكتفي فيها بهذه الاشارات الموجزة الآن .

ثالثا : النقطة الثالثة هي ان النموذج الانسانى الجديد الذى تتخلفه كل ثورة ، ليس مفهوما - كما قد يظن البعض - حصول قطعة من التراث الذى ورثه ذلك الشعب عن ماضيه ، او مجموع معتقداته وتقاليده ، او قطعة ايضا مع التيارات الحضارية الاخرى للشعوب التي تماصره ، بل ان الامر بالعكس من ذلك تماما : ان النموذج الجديد هو الوسيلة الوحيدة لربط اتصال خصب وفعال مع قرات شبيهة ومع العالم الخارجى بكل ما فيه من قوى حية ونشطة ، ان هذا الامر قد يبدو غريبا بالنسبة للبعض ، ولكن الواقع يثبت بانه لا يمكن لاي انسان ينتمى الى شعب بدأ ثورته الثايرينية ان يتفاعل بصورة ايجابية ومنتجة مع اى تراث حضارى - حاضرا كان او ماضيا - اذا لم يكن قد

انصهر داخل لزوج الشخصية الجديدة ، لانه بدون هذه الشخصية لا يسلك أية فائدة للتعامل مع أية فكرة أو أي موقف كان *

الانتاج الفكري والثورة : ان الاشارة السابقة تزداد وضوحا بتأمل مسألة الانتاج الفكري وما يتعرض له من خيول ونشاط * من ابداع أو تقليد ، فالانتاج الفكري بصفة عامة مرتبط في رأينا بظاهرة الثورة الثقافية ارتباطا عضويا ومباشرا ، لقد نظم في الجزائر منذ سنوات قليلة ملتقى لمعالجة مشكل الركود الثقافي ، ولكن التجربة قد اظهرت بان معالجة مشكل الركود الثقافي خارج إطار الثورة الثقافية امر مستحيل ومجديع * فلكي يصبح الانسان منتجا فكريا - في أي ميدان من الفكر - يجب ان تتوفر فيه شروط ضرورية ، وهذه الشروط لا يمكن ان يستمعها سوى عن طريق انصهاره في شخصية الانسان الجديد الذي هو وحده قادر على ربطه بضمير شعبه في المرحلة التاريخية التي ينتمي اليها الشخص المنتج فكريا ، ونحن نؤكد على تخصيص المرحلة التاريخية عبدا حتى نقطع الطريق امام كل الذين يعتقدون بان ضمير الشعب شيء قار وثابت عبر الزمن ، بينما الحقيقة ، كما اوضحنا ذلك ، ان هذا الضمير يتغير بصورة جذرية عند حدوث كل ثورة ، وباختصار شديد نستطيع ان نقول بان الانسان المنتج فكريا يستمد من الشخصية الجديدة عدة اشياء منها :

1 - يستمد منها مفاهيم واضحة ودقيقة للقيم الاساسية كفهومة للحرية او العدالة او حتى مفاهيم اوسع مثل الخير والشر ، فما هو خير بالنسبة لثورة ما في شعب ما قد يعتبر شرا بالنسبة لثورة اخرى في شعب اخر ، وكذلك نفس الشيء بالنسبة للقيم الاخرى ، ومن المعروف ان الانسان لا يستطيع ان يكون كاتباً او شاعراً او مفكراً بصفة عامة اذا لم تكن له مفاهيم واضحة ودقيقة لهذه القيم ، لانها هي التي تمكنه من تحديد موقفه من الناس والاشياء والتصرفات والامعال * الى آخره ، عنفما القول بمنزلة يأتي ضد تصرف ما ، فاني اعني بذلك ان التصرف الذي أنا ضده متناقض مع مفهومي لقيمة من القيم الانسانية - ونستطيع ان نقول ان الموقف : عنفما يقول انسان ما بان عبلا من الامال متناقض مع الحرية ، بقوله له : ولكن أية حرية ؟ عنفما يقول انسان آخر عن عسل من الامال بانه مناف للعدالة ، نستطيع ان نساله : ولكن أية عدالة ؟ - نتمرك هكذا بان الانسان لا يمكن ان يكون منتجا فكريا اذا لم تكن لديه مفاهيم واضحة للقيم الاساسية ، وهي مفاهيم لا يمكن ان تكون شخصية لان الانسان لا ينتج

لشخصه ، بل ينتج من اجل مجتمعه ، وحسب عندما يوجهه للانسانية فاقباله ، فمن خلال ذلك المجتمع ؛ عندما لا تكون هناك مفاهيم واضحة للقيم لدى شعب ما ، تعتمد قدرته على الانتاج الفكري ، ويحل محله الفوضى والتقليد ، و « الصناعات اللغوية » ، وهي كلها ليست انتاجا فكريا .

3- الثاني هو ان الشخصية الجديدة ترفع الانتاج والنشاط الفكريين الى مستوى المشاكل الحقيقية المطروحة على شعبه ، وتحسين النوع من الجود او الصراعات والجهود المباشرة المبذولة التي تسد الطاقات الفكرية لل شعب وتقعها كل فعالية وكل قسمة .

3- **الشيء الثالث**، هو أن انحصار المنتج المعزى في الشخصية الجديدة التي تحلها ثورة شعبه، يطمئنت انتاجه عصرا هو في الحقيقة للعود القوي الذي يتركز عليه قيمة كل انتاج **الشيء**، وهو نأذير لرسالة ٥٠ هي رسالة شعبه في حبة زمنية معينة، ولكنها تكون في آن واحد رسالة الكاتب أو الفكر صفة عامة، لأنها تكون نامة من إيمان شعبه.

منه بصورة موجزة جداً بعض الأشياء التي يستعدها الانتصاح الفكري من الشخصية الجديدة ، ويمكن تلخيص المسألة في جبل قليلة ، وهي أن الخروج من مصور الانحطاط لا يمكن أن يتم سوى على يد إنسان جديد يخلقه الشعب بثورة تتم أول ما تتم في شمع ذلك الشعب .

على أساس هذه النظرة التي عرضناها في الصفحات السابقة ، نستطيع ان نجد القاعدة الحقيقية لبعض القضايا الثقافية الكبرى ، مثل قضية الالتزام وقضية الإصالة : فالالتزام ليس عملية حجز لحرية الكاتب أو الشاعر وفرض أفكار أو مفاهيم معينة عليه ، ، بل ان الالتزام الحقيقي يأتي عن طريق انضمام ذلك الكاتب أو الشاعر أو غيرها في إطار شخصية الإنسان الجديد التي تخلق الثورة ، ليصبح فيه انتماء صادقاً لتصبح فيه في تلك المرحلة ، وبذلك يمكنه التمتع بكامل حريته دون ان يخرج عن دائرة الالتزام ، تلك هي الصورة الوحيدة الحقيقية للالتزام التي يقبلها اللغز كما فرض أشكالها وأنماطها مارات معينة على الاديب والمفكر والفنان بصفة عامة ، فذلك الزام عقيم وليس التزاماً ، أما الإصالة فتصبح عملية عن التمتع والانضال وتظهر بفهمها الحقيقي الذي هو معنى مطابقة الإنتاج الفكري والفنني لخصائص ومميزات النموذج الانساني الجديد التي تخلق الثورة ، التي هو تركيز لخصائص ومميزات الشعب في مرحلة انطلاقه نحو الثورة . لا في مرحلة انحداره نحو التفتت والتفكك .

ولكن ، يجب الا ينسرب الى اذهاننا أن الثورة الثقافية مسألة طيبة أو نخبية معينة من المجتمع كما توحى بذلك كلمة ثقافة في بعض الاوساط ... التي تريد احتكار الثقافة بوسائل أو بأخرى ، بل هي مسألة الشعب كله ، لأنها لا تتعلق بكمية المعلومات التي في دماغ الانسان ، بل ببنائه ، شخصيته الذي يتكامل ويتواصل كل حياته في النسيج الاجتماعي الذي يعيش فيه . ولنا في حاجة الى التاكيد على ان اميق الناس للانصهار في نموذج أو « قالب » الانسان الجديد الذي تغلقه كل ثورة ، هم ليسوا هائلا من اصحاب الادمنة المليئة بالعلوم والفنون . بل ان هناك دواعي كثيرة تجعلنا نعتقد بضرورة مراجعة كثير من المفاهيم الجارية ، مثل مفهوم وطنيته ، في إطار ثورة ثقافية حذيفة وتحديده بدقة ، مستفيدين في ذلك من التجارب التاريخية الكثيرة ...

ان ثورة 1954 العظيمة ، التي برهنت للعالم اجمع على انها اكثر من مجرد حرب تحريرية عادية ، بل هي ثورة نابضة من ضمير الشعب الجزائري كله ، وتسير عن ارادته في تغيير وتحرير كل العلاقات القائمة فيه ، قلنا ان هذه الثورة العظيمة تشتمل على كل العناصر الضرورية ليحت تمسورة ثقافية تخلق الفرد والمجتمع الجزائريين خلقا جديدا - ان نموذج الانسان الجزائري الجديد الذي خلقته الثورة موجود ، وقد كسب الجولة الاولى من المعركة ، سيبرز بكسل ابداه ومفاهيمه وطابعه الحضاري خلال الثورة الثقافية ، ليأتي على الامراض ويجر المبتريات ويهد الرموس ومسا يرمس .

ان الدراسة الحالية ما هي الا محاولة متواضعة للحصول على وسائل عمل نظرية تمكنا من تصور ثورتنا الثقافية تصورا صحيحا ونابها من تفكيرنا الخاص . فاذا كان موعد الثورة الثقافية لم يحن بعد ، فان ذلك لا يستلزم من التفكير فيها منذ الآن ... بل ان ذلك شرط ضروري لنجاحها . كيف ستكون معالم الثورة الثقافية الجزائرية ؟ هذا ما سنحاول الاجابة عليه في الدراسة القادمة .

جان سرفيه وثورة أول نوفمبر 1954

بمناسبة الذكرى العشرية للثورة أول نوفمبر 1954
 رأينا من المفيد أن نلقي نظرة سريعة على موقف أحد العلماء
 الفرنسيين وهو جان سرفيه (Jean service) المتخصص في علم
 الأنتولوجيا (2) وكان هذا العالم يتردد على جبال الأوراس
 منذ سنوات ليدرس عادات مجموعة من السكان هناك . ومن
 خلال سلوكه لزام الثورة تبين لنا مواقف الكثيرين من أمثاله
 الذين كانوا مقيمين بالجزائر وقد اعتنقوا بالعلوم التاريخية
 والاجتماعية والأنثروبولوجية وغيرها ... ولكنهم لم يفهموا في
 الغالب قضايانا الوطنية رغم خيرتهم الواسعة ومعرفتهم للبلاد
 بل كانوا يساندون السياسة الاستعمارية ويدعمونها ببحوثهم
 وأرائهم ومقالاتهم . أنهم عاشوا الظلم الذي كان لواطقون
 بمعان من ولم يفخوا في وجه الظالم إلا نارا ولا موقدا . إن
 الأقلية الأوروبية كانت تتمتع بجميع الحقوق والامتيازات في
 حين أن الأغلبية من السكان الشرعيين كان حقلهم الاضطهاد
 والبطالة والحرمان ... ولهذا فاجابهم ثورة أول نوفمبر
 كما سنرى ذلك في هذا المقال .

د. أبو عمران الشيخ

كلية الآداب
 جامعة الجزائر

(1) اعتمدنا في هذا البحث على كتاب « حرب الجزائر » ج 2 لاييف كوربيير طبعة باريس سنة 1968
 عند الناشر فايارد (Fayard) وسنشير إلى صفحاته .

(2) الأنتولوجيا (Ethnologue) علم استعماري بالدرجة الأولى لأنه يدرس أحوال الشعوب
 البدائية التي ليس لها تاريخ .

ولم يكن (سرفيه) غريباً عن الجزائر إذ عاش في قسنطينة حيث أنهى دراسته الثانوية ثم تخصص بعد ذلك في علم الأينولوجيا والتحق بالمركز الاهلي للبحث العلمي بباريس ، الذي ساعده فيما بعد على السفر الى الأوراس من أجل الدرس والبحث - فتعلم العربية واللهجة البربرية المحلية وأقام بقرية ثنية العيد قرب مدينة أريس واشتغل هناك عدة سنوات فتعرف على السكان وكان له بعض الاصغاء من قبيلة أولاد عبيد (3) *

وقبل اندلاع الثورة بقليل كان يقيم بالقرية المذكورة آنفاً الا أن سنجينه معلم القرآن والمسؤول الإداري (القائد) قد أشارا عليه أن يلتحق بمدينة أريس لأنهما لم يطمئنا على وجوده في القرية - فعمل بالنصيحة يمين أن يعلم بالحقيقة وبعد وصوله الى أريس انتشرت أخبار الثورة وسمح بأن رجالاً مسلحين قد هاجموا حافلة « مشونش » وقتلوا فيها « القائد » وجرح أثناء الهجوم معلم فرنسي وزوجته - وعلم جان سرفيه بأن هذين الأخيرين قد تركا على الطريق - وبما أنه كان يعرف المنطقة معرفة جيدة اقترح على حاكم أريس أن يذهب لامتصاص الجرحين فاجابه الحاكم الى ذلك ، وتسلح (سرفيه) وبعض أهوانه وأسرعوا الى مكان الحادث راكبين سيارة عسكرية (4) - وهكذا شارك العالم لأول مرة في محاربة الثوار ولم يتقدم لحظة في ذلك *

وقد استعان في هذه العملية بأصغقاء له من قبيلة أولاد عبيد لأنه كان يثق بهم مع أنهم لم يتركوا خطورة الوضع - في بداية الامر - الا سائق السيارة العسكرية الذي حاول أن يمتنع عن نقل العلم الفرنسي وزوجته - فهدده سرفيه بسلاحه وأرغمه على مواصلة السير (5) *

وفي برج أريس بالذات تولى سرفيه قيادة الدفاع وأصبح ضابطاً يأمر بأوامره (6) * وعندما لاحظ أن الحاكم قد سلح الأوربيين المثنين دون الأمازيغ قرر سرفيه أن يجمع بينهم في فرقة مسلحة واحدة ولكنه لم يستطع تجنيد الجزائريين الا بمشقة - فاستعمل خبرته « العلمية » لتحقيق غرضه وتذكر الخلاف القديم القائم بين قبيلتين أولاد عبيد والتواية (7) * واعتمد على سياسة التفرقة - فاقنع « قائد » القبيلة الأولى وأفراداً منها بأن الثوار كلهم من القبيلة الثانية ولهذا كان لابد من

(3) كتاب حرب الجزائر - ج 2 - ص 282 *

(4) المصدر السابق ص 345 *

(5) المصدر السابق ص 346 *

(6) المصدر السابق ص 348 *

(7) المصدر السابق ص 350 - كان الشهيد مصطفى بن بوالعيد ينتمي الى التواية *

محادبة مؤلاء « الصماليك » ! وهكذا شكل سرفيه الفرقة الاولى من « المريكى » المرتقة وديهم على محاربة اخوانهم (8) .

غير أن التجاح لم يكتب لهذه السياسة الاستعمارية التي لم تخش أن تفرق المواطنين لصالحها فيمجرد ما اطلع عليها قائد جيش التحرير المرحوم مصطفى بن بولعيد اتخذ الاجراءات اللازمة لاختراقها . وكانت النتيجة تفكك الفرقة وقرار « اسدقاء » سرفيه من اولاد عبدئ الذين استجابوا لواجبهم الوطنى - قيادة خطة « العالم » سرفيه بالفضل الترفع .

والغريب فى الامر أن هذا العالم الخبير فى شقون الاوراس لم يقتنع اطلاقا بأن الثورة المسلحة كانت من صنع الجزائريين فقط وإنما ذهب الى أن دولة أجنبية معادية لفرنسا هيرتها وسيرتها كما دلت على ذلك اذاعة « صوت العرب » بالقاهرة ! (9) ولم يخطر على باله فى يوم من الايام أن المواطنين يقترون على اعداء مقاومة مسلحة وعلى قيادتها مع أن الصحافة الاستعمارية نشرت اخبار العمليات التي قام بها الثوار فى القطر بأكمله غربا وشرقا وبيعت هذه الصحافة أن الخطة نفذت فى وقت واحد بين الساعة الثانية عشرة والساعة الواحدة ليلا ، الامر الذى لم يترك مجالا للشك فى أنها مسيرة تمييزا صجكا .

وكانت جبهة التحرير الوطنى قد وزعت تصويدها التاريخى وشجعت فيه أصيواب الثورة المسلحة وأهدافها . وهكذا اتضح للجميع وخاصة للحكام الفرنسيين أن الحركة ليست مقتصرة على جهة معينة كما كان شأن الثورات السابقة التي بقيت معزولة فى ناحية من انحاء القطر فاستطاع النظام الاستعماري القضاء عليها بعد مدة قصيرة .

ولكن جاش سرفيه أسر على رأيه وفى بداية سنة 1935 نشس مقالات فى جريدة « لوموند » الهارسية تتاول فيها الوضع فى الاوراس وقسر الثورة المسلحة بانها وليدة التعمص الدينى الذى زعمه العلماء المسلمون فى الاهالى ! فكانت محاولة سرفيه فاشلة لأن الاحداث فنتت هذا التفسير الغريب الذى يطر على شصف رأي صامحيه رغم خبرته فى علم الايتنولوجيا ومعرفته بالاوراس وسكانها وبرزت الحقيقة التي لم يكن أحد ليكرها مهما كانت قدرته على التليس والتزييف . واعترف جميع الناس بأن الثورة كانت من صميم الواقع الجزائرى تحت قيادة جبهة التحرير وجيش التحرير الوطنى . فغرضت نفسها على المعز والصديق وفى النهاية كان النصر حليفها .

(8) المصدر السابق ص 368 .

(9) المصدر السابق ص 369 .

الجانب الروحي لثورة فاتح نوفمبر

إذا كان بعض الكتاب أو بعض السياسيين يتحاشون في دواستهم وإبائهم .. ذكر كلمة الإسلام .. كمعنى من عناصر الشخصية الجزائرية ويألفون من استناد عوامل انتصار الثورة إلى شدة تمسك الشعب بمبادئ الإسلام وتقاليده في تطبيق تعاليمه تطبيقاً عملياً .. فإن المجاهدين المخلصين لجهادهم والثائرين المخلصين لتوالتهم .. يحتزون كل الاعتزاز بهذه النسبة للعقيدة = والشريعة الإسلامية ، ويؤكدون أن الثورة التحريرية لم تنتصر بدماء الثوار أو بثقاتهم أو بعددهم وعدتهم فقط ، ولكنها انتصرت = زيادة على الوحدة الوطنية

يوسف مصلاوي

عضو

الإمامة الوطنية للمجاهدين

والاساليب التنقيبية والتمناخ السليم - انتصرت بارتفاع منويات الحلب المجاهدين والتضربين في صفوف الثورة ، والمجاهد الشعبية للذين كلهم بالبلد القاتل : « ما ترك قوم الجهاد الا ذكوا » وبالحكمة القائلة : « ما ضاع حق وادع طالب » وبالتصوص القرآنية التي منها : « ان تصروا لله تنصروكم ويثبت الله لكم » ولولوا يهتدوا لوف بهدكم « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم » (آية)

مطلق الثورة ووضيحتها : نعم لقد كان المطلق الاساسي للثورة روحيا بالدرجة الاولى وسياسيا بالدرجة الثانية ، واجتماعيا في الاخرة ، لذا كان منطلقا ذات ارضية صحيحة واهداف نبيلة ، المجاهد عندما يهم بالقيام باعماله اليومية الخطيرة يملأ قلبه عزيمه وايمانا بالله وبعدالة قضيته ، ثم ينطلق متوكلا على الله لا يثنيه عن تحقيق هدفه أي عارض مها كان خطيرا ولا يقل من عزيمته أي عامل من عوامل الفشل والتضييق. مها كان مصدوم كيفما كان نوعه ، حتى يحقق ما كان مسطرا في برنامجه اليومي او الاسبوعي او الشهري ، وهولي ذلك يواجه كل الحوادث الطارئة المتوقصة بريادة جاش وبالحكمة والايمان .

وكلمتي في هذه المناسبة العظيمة - مناسبة الذكرى العشرين لاندلاع ثورتنا التحريرية ، ثورة المجاهدين الانسانية من حرية وعدالة وسلام وغيرها - كلتنا هذه ليس المقصود منها الاسف على موقف اولئك الحليين من بعض ركائز ثورتهم ومن انفسهم اسيانا ، وليس الغرض مناقشتهم على خطيئهم ذاك وسليبيتهم ، ولكن الذي يهنا في هذه الفرصة الثمينة هو ابراز العناصر الحقيقية الدافعة للثورة ، وابرز بعض الطاقات الروحية المتسكنة في نفوس ابناء الشعب المجاهدين ولولا تلك الطاقات الروحية لا اقبلج في افق الجزائر نور النصر العظيم ، ولا اشرفت شمس الحرية على ربوعها ، فاعنت كسبل خفافيش الاستعمار ، ولا عرفت الثورة طريقها المستقيم نحو تحقيق الاهداف وليل الاطوار .

يمن انطلقت هذه الثورة ؟ لقد بدأت ثورة نوفمبر - كما هو معروف لدى الخاص والعام - بظانفة قليلة مؤمنة ، قليلة في عدها وقى عديتها ، ولكنها كثيرة باعتادها واستعدادها النفسي والروحي ، اذ تحركت بإرادة الله وبموه ، وسارت متمثلة بقوله تعالى . « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » فكان اسلوب البداية عتيقا في مظهره ، شديدا في تأثيره على العدو واعوانه ، اسلوب تقتضيه الحكمة الثورية وطبيعة الاستثمار والوضع السائد في البلاد لسم ياجا

الاستعداد بالفداع الثورة فقط ، ولكن دهشته وحل اعوانه واذا به كان في الكيفية التي وقع بها تغيرها ، والمنهج الذي اختاره صانعوها ومفجروها ، منح لم يكن معروفاً لدى الاستعداد منذ ولدت اهتمام القذرة أرض الجزائر ولا هو متاد في الثورات المتتحدة السابقة حيث لم يكن ليصدق ان اى مخطط مهما كان محكماً يستطيع ان يزعم كيانه الذي يزعم انه اقوى من كل كيان ولم يساوره شك في صحة نتائج التي يتوهم انه اعظم من كل بناء ، لكن امورا كثيرة جعلته بعد ذلك يدرك الفرق الكبير والنون الشاسع بين ثورات الماضي وثورة اليوم .

من عناصر نجاح الثورة : ذلك ان ثورة نوفمبر العارمة قد امتازت بمناسبات خاصة جعلتها للنجاح منها :

- 1 - ان مخططها كان محكماً قبل ظهورها للوجود .
 - 2 - انه لم يكتشف المخطط سر ذلك المخطط وان يبدل كل مجهوداته .
 - 3 - صممة للمواجهة العجيبة التي لم تكن متوقعة ...
 - 4 - اتخاذ الثورة طابع السهول والانتشار .
 - 5 - احترام الوقت المحدد لاطلاق النار في اكثر من سبعين نقطة في كافة انحاء الوطن .
 - 6 - وحدة القيادة الجساعية ، ونية ووح التفرقة السياسية وروح السلطة الفردية ، والاطلاق عن ان الثورة تحت لواء وقيادة جبهة التحرير الوطني ، وهي تهدف الى تحرير البلاد من كل انواع السيطرة الاجنبية ، وتكوين مجتمع جزائري يسترجع اصلاته وكل مفومات شخصيته .
 - 7 - التزام الصرامة ورفع كل التباس من شأنه ان ينشر الفوضى ، وذلك لاقتناع الشعب والمتابعين بنشر برنامج محكم واضح بعد اشمال الشارة الاولى بوقت قصير ، وهو البيان الاول الذي اصدرته الثورة ثم التبروع في تطبيقه والسير على تنفيذه ما جاء فيه .
- واريد في هذه الكلمة ان اطرق هذا الجانب الروحي الهام من جوانب الثورة الكثرة المتنوعة التي لا يستطيع كاتب او كتاب مهما كانت كفاءته وكيفية كانت تضمينهم ان يحيطوا بكل ما لثورة نوفمبر من اسرار وكنوز ، واحداث وعبر ، لذا فاني لا ادعي الاطاحة بجميع عناصر الموضوع لانه

— على أهميته — يحتاج الى مزيد من الوقت ، والمزيد من المساميات ، والى توفر الوثائق التي لها علاقة بالموضوع ، وهي طبعا موجودة لدى بعض المجاهدين الاحياء ، ولدى ابناء الشعب المنضبتيين بكل شيء له صلة بالثورة على الموم وبموضوعنا على الخصوص ، وللصحو على تلك الوثائق ينبغي الاتصال باصحابها والبحث عنهم اينما كانوا .

ان الشعب الجزائري — قيادة على فرجه بميلاد ثورة في بلاده — كان فرجه بما جاءه في البيان الاول للثورة والذي اعلن عن اتجاهه الاسلامي والعربي — كان فرجه بذلك اشد واقص ، مما جعله يثق بالثورة ويؤمن بها ايمانا قويا ، كما يؤمن ان تحرير الوطن وانتصار الحركة الفاصلة لن يتحقق الا بتبشير المفاهيم الاستعمارية الخاطئة وتغيير ما حاول غرسه في نفوس الجزائريين من انحراف في الاخلاق وفي العقيدة ، وانحراف في الفكر والسياسة . - الخ وذلك ما يؤدي الى احداث ثورة شاملة عامة : سياسيا وفكريا واخلاقيا - عملا بقوله تعالى : « ان الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما باتفسهم » فكانت ثورة شاملة لهذا الوجهة الوطنية والسياسية لانها تحت لواء جبهة التحرير الوطني . وكانت ثورة مؤكدة لوجدة الانجاء الروحي ، لانها تحلل شعائر الجهاد والمجاهدين فظهر الشعب ثقته المطلقة في لواءه ، واستبشر بالخلاص من القيود والاستغلال ، بعد تحققه من صلاحية الاتجاه والاهداف ونبل الاختيارات ، لان بيان الثورة الاول كان صريحا في بسطه لبرنامج العمل والخطوط المريضة لسياسة الثورة ، واقراره مبنا الرجوع الى الاصل ، واستمراره لشعائر الاسلام الصحيحة ومقدساته مع محاولة احيائه للثرات الوطني ديننا ولغة وتاريخنا .

وقد يقل الاستعمار كل المعاولات خطية جثوه على الوطن في سبيل تزيق شخصية الجزائري أو تدويرها بل اقتلاعها من نفوس المواطنين ، لكن الشعب لم يرض ابدا بدسخ شخصيته والارتداد عن دينه ولفته بل ابقى الا ان يحتفل بهما كما كانت التفضيحات جسيمة وكيفما كانت الصمود التي يتعرض لها في حياته الاجتماعية .

تحديات الشعب هي سلاحه : ولا يمسخر حروبا عن الموضوع — اذا استعرضت بعض اساليب التحديات التي كان يستعملها الاسباب والامهات المسلمون للحفاظ على اصالته اجاتهم وبناتهم ، خوفا عليهم من التأثير بالاغراء والتزييفات التي كان الاستعمار — يطويع من الميثرين ومن الفئات العسكرية ومن قوافل التفتين من ابناءه — كان يحاول بالوسائل السبابة

وبخبرها أن يصرف أبناء الشعب الجزائري عن عقيدتهم ولغتهم يبعدهم عن واقعهم ، ويسببهم تاريخهم البطولي ، لكن الشعب أدرك أن الصمود الذي احتل بلاده بالقوة لا يرجي منه خير ، ولا ينتظر منه إلا تخريب كياناتهم وتقويض أركان سيادتهم وتشتيت شملهم ، وتفتيت الروابط التي تجمعهم فهو وإن فقد سيادته السياسية وسلطته المرجعية وأصلحته المادية ، فما زال يحتفظ بكرامته وسلطته المنوية وأصلحه الروحية التي يجب استمالتها في كفاحه المستمر وجهاده الذي لا يعرف التوقف ولا الملل والتخاذل ، عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده » ، فإن لم يستطع فليسهه فإن لم يستطع فليقلبه وذلك أضعف الإيمان » وكان أبرز سلاح استعمله هو سلاح المقاومة وسلاح السور ، مقاطعة كل ما يدعو إليه الاستعمار ، والتفوق من كل مظاهره الأخرائية ، فكان الأب المسلم والأم المسلمة يمتحان أبناءهما عن تعلم اللغة الفرنسية معتقدين أن ذلك طريق إلى الفكر والالحاد ، وقد أدى بهم هذا الشعور إلى مفاداة الوطن ، وخاصة بعد صدور قانون إجبارية التعليم بالمدرسة الرسمية ، وكانوا يمتنعون ابتعادهم عن اللباس الأوروبي ، لأنهم يرون في ذلك تشبيها بمادات الأعداء ، كما يمتنعون من التلطف بالفاط من لفاتهم أو الليل إلى عادة مسن عاداتهم .

وكم كان غضب المسلمين شديدا وحزبهم عظيما حين أصدر الاستعمار قرار التجنيد الإجباري على أبناء الجزائر في أوائل هذا القرن ، وكنت ذلك حين فتح أبواب الهجرة إلى فرنسا في وجه الصال الجزائريين ، فكانت الأسرة المسلمة حين يفارقها أبناؤها ذاهبا إلى التجنيد أو إلى العمل بفرنسا كانت الأسرة تقيم مأتما لمدة طويلة حيث كان يدعو ذلك إلى قدوم الأقارب والجيران لتقديم التعازي ، وإدخال نوع من الاطمئنان على الأسرة والتخفيف عليها من حزنها الشديد وهذا بعد عجزهم عن منسج ابتائهم الالتحاق بصفوف جيش العدو وبعد عجزهم عن افئاع ابتائهم عن تحقيق رغباتهم في الذهب إلى فرنسا ، فهم يفضلون بقاعهم مهم على الفقر وسطب العيش خير لهم من أن يفارقهم ليعملوا بأجر مرتمة تجلبهم في استطاعتهم أن يعرفوا عن أنفسهم وعن أسرهم ، لكن خوف الأسرة على ولدها من أن يهلك في المغريات لتلذوب شخصيته ويفقد شرفه ودينه ، وذلك وحده هو الذي جعلها تمشي في أسف وحزن وقلق .

نعم إن شعبا يتحلى هذا الشعور ويمشحياته بهذه المواقف الشجاعة لهو شعب عظيم في شخصيته ، وعظيم في ثباته ، وصلابته ، والحفاظ على كرامته ، والاعتزاز بأصالته ، وعادات أجداده

وانه لامل لان يستأنف معركته الطويلة مع الاستعمار ، على ان تكون معركة اول نوفمبر هي
المعركة الاخيرة التي يجسب ان يوفر لها شروط النجاح حتى يضمن لها الصعود والهيبة ثم
الغلبة والنصر .

طريق الثورة ومنطقها السليم : وهكذا كانت ارادة ثورة اول نوفمبر ، وبهذا الشعور الديني
والوطني سادت قواها في طريقها التسويقي المستقيم ، تجاهداً بيمان ، وثقة ، لتكون كلمة الحق
هي العليا وكلمة الباطل هي السفلى ، فكانت كلمة « السر » او « الرمز » كما يطلق عليها آنف
والتي اعطيت لأول تحررك في الساعة الاولى - كانت للكلمة هي : (خاله، عقبه) كدليل آخر على ان الثورة
لا تحمل غير اتجاه سليم معين ، وعقيدة معروفة واضحة ، ومهاج قوي ، هو اتجاه وعقيدة ومهاج
خاله بن الوليد وعقبه بن نافع وهي الله عنهما في شجاعتهما وتمسكهما بالمبادئ الحق ، وایمانهما
بالاهداف الخلق ، والاختيارات العليا ، والتزامهما بالعمل حسب التعليمات ، والوصايا التي جاء بها
ولا ادل على ذلك من تعليمات القيادة العليا لجيش التحرير الوطني التي تأتي في غالبيتها بما تأتي به
من حيث المجاهدين على المعاملة على أداء الصلوات واحترام شعائر الاسلام وآدابه ، وحث الشعب
كذلك على الرجوع الى الفصيلة والبلد كل البلدة الرذيلة ، حتى ان المخالفة في الامور الاخلاقية
الخطيرة والتي تصدر من الشعب أو من افراد جيش التحرير يعتبر اصحابها كالموتة تعاقبهم الثورة
بنفس حقوة الهيانة السياسية التي هي بطبيعة الحال : الاعداء فيها اذا اثبت البتة جريمة التهم
ولولا الخوف من الاطالة لا ستعرضت بعض التنازج من تلك الحوادث الجديرة بالتسجيل والتدوين ،
ولعل الفرصة تسمح للعمل على جمعها وإبرازها لتكون عبرة للذين يزعمون ان انتصار الثورة
التحريرية انما تحقق بتوفر العوامل السياسية والعسكرية فقط . وهذا من الجهل بطبيعة العرآن
وتناويع الامم والاقوام في عزاها وذلتها وفي حياتها وقرتها ، وكيف يدرك هذا من لم يتدبر معنى
قوله تعالى : « ان الله لا يفر ما يقوم حتى يفرها ما بانفسهم » زيادة على جهل أو تجاهل
لاستراتيجية وعناصر الثورة الاساسية .

سلوك المجاهدين وتعاطف الشعب معهم : على ان الذي يستعرض حياة اغلب المجاهدين في الجبال
او يسأل عن اعمالهم واقوالهم ومعاملاتهم مع بعضهم او مع الشعب - يدرك السر الذي جعلهم
يكسبون ثقة المواطنين وعظمتهم ، ويتمتعون بالهابة والاحترام والتأييد والطاعة فيما يأمرون به لصلحة
الثورة . ولستمعرض نموذجاً واحداً من المجاهدين الاحرار ، ولنتختر في هذه المناسبة التاريخية

— مناسبة الذكرى العشرين لثورة المليون والنصف مليون شهيد — يختار أحد المجاهدين المصو : الشايب موسى الذي وقف بين أفراد فوجيه الصبر المحاسن من طرف قوات العدو المدينة في معركة « عين الحياى » بجبل بوغريف قرب (باتنة) يوم 3 مارس 1955 ووقف هذا البطل يطلق النار من بنقوية صيد ، ويرفع صوته بكلمة (الله أكبر) وقد شوهد جنود العدو من المظليين الذين لم يكن بينهم وبينه إلا مسافة قصيرة جدا شوهد هؤلاء ينزعجون ويترددون لم يتوقعوا ، طنا منهم ان المجاهدين عددهم كثير ، وقد أمر (الشايب موسى) بلزوم الصمت لان المقام يقتضى ذلك ، ولان الحركة حاسمة ، خاصة انها وقعت في مكان غير صالح ويحدد قليل لا يتجاوز المشرة بصادق السيد والمستنسات الصغيرة ، فاجاب — رحمه الله — ارجى اليوم فقط فى الاستشهاد — وارجو ان تكون كلمة الله العليا شاهدة على اخلاصى فى جهادى ، وقد كان له ما اراد فنال شرف الشهادة مع ثلاثة من رفاقه ، وتجا الباتون بمسيرة بعد انتصار الفئة القليلة المؤمنة ، وحرية جيوش العدو الكثيرة .

طابع الثورة وشعاراتها لها دلالاتها :

وباختصار ، حيث لا يمكن التطويل ، فان طابع ثورة أول نوفمبر يوضح أولا فى (كلمات السر) المتداولة بين النوار ، والتي لم تخرج عن مدلولات : الاسلام الوطن ، الثورة ، العلم وغالبا ما تستعمل الكلمات الآتية كرموز للاتصال والتفاهم : الدين والعمل ، الحق العدل ، الله أكبر ، الله محمد ، الاسلام ديننا ، العربية لغتنا ، النظام والعمل ، خالدة عفة ، الجهاد والاخلاص محمد على ، العلم والعمل ، السيف والقلم الحرب والنصر ، وغيرها من الكلمات الاخرى ، كما يبرز طابعها فى افتتاح اغلب الجلسات التى تعقد باسم الله والمجد لله ، ثم باسم جيش وجهية التحرير ، ويوضح أيضا طابعها فى انشاء مصلحة قضائية دينية تابعة لجيش التحرير فى اغلب الولايات وعلى كل المستويات تحمل تارة اسم مصلحة الاوقاف والمحس وتارة مصلحة القضاء ، وهى تقوم بحل المشاكل الدينية والاجتماعية فى اوساط الشعب ، وتنظيم التعليم العربى ورتابته وبالمعنى والارشاد والتوجيه التورى وهنا نذكر منطلق الثورة الاساسى وازرع الشوار الحقيقى وعامل الانتصار الاول والآثار الحسنة التى تركها سنوك التسوية والشوار فى نفوس المواطنين تلك الانتصار التى صيرت اغلب الشعب يعيشون طيلة سبع سنوات ونصف حرة متعاضدة متعاونين متآحين ومتراحمين اغفاء زهاد صائرين ذراة ثورتهم وفى حماية ابناءهم المجاهدين ،

يعززون بعيش وجبة التحرير وتودتهم المطرة ، ويسلون ليل نهار في سبيل الجاهل لدفع شأن الوطن بمزية فائقة وصبر وصبرة ويخطي لائبة .

بناء مجتمع يتعاون الشواو والشعب :

وفي الوقت نفسه يسمى الشعب كل السبي على ضوء تعليمات وتوجيهات الجيش ويتعاون مسح مصالحه العسكرية والمدنية في بناء مجتمع مسلم عربي ، ومحاربة الامراض التي غرسها الاستعمار في نفوس ابناءه من جهل وفقر وفساد خلق والحاد وفرسة وعنصرية ، ومركبات نفس ، لقد نجح جيش التحرير التعليم العربي في المدارس الحرة وفي الكتائب القرآنية الموجودة ، واسبس مدارس جديدة حتى في المناطق المحرمة ، وجعل التعليم مجانا ، وقرر مبدأ العلاج المجاني ، فالمطلون واثمة القساجد لاسيما بالارياض يتقاضون اجورهم من الثورة ، وممرض وطبيب الجيش يملآن الجنود والكشيب مما ، ويزعان الادوية عليهم مجانا ، ولعل العرصة تسبح أيضا لتخصيص دواصا حول هذه الواضيع الهامة التي تتطلب مزيدا من الشرح والايضاح وبلاضافة لذلك فان الثورة - رغم احتياجاتها المادية ورغم صعوباتها - فقد قامت بشؤون الشعب التي يندل الاستعمار بجهودا كبيرا لقطع المسؤولية والمواد الغذائية عنه وخاصة في الارياف وصدرت اواصر تقضي بمساعدة كل محتاج زيادة على مساعدة عائلات المجاهدين والمساكين ، وكسم من مركز للجيش يشترك المجاهدون والشعب في الاكل به ، او اخذ المواد الغذائية ، وكسم من قناطر ولطمان من الملابس تشتري تارة او تهدي او يتصدق بها - توزع على فقراء الشعب ، وهذا كله ان دل على شيء فانه يدل على طلاقة واضحة على مدى عناية الثورة بالجانب الروحي والاجتماعي ، واعتبار هذا الجانب من اهم الجوانب التي تخلق في المجتمع الجزائري تنجيها جديدا في المفاهيم والسلوك والاتجاه ، وتجعله على الدوام مجيدا مخلصا نزيها ملتزما لا يحرم حوله ملل وفشل ولا ضعف او خذلان لانه يضمن بسبائه التضالية وعقته بان الانتصار الحقيقي لا يكون بوفرة المدا والمدة لحسب بل يكون بصفا الضمير واخلاص النية وبذل المزيد من التضحية والرجسوع الى الصالة .

لتحاسب النفسا ولكن يظنن مخلصين ونحن اليوم نحتفل بالذكرى العشرين لاندلاع ثورة التحرير - وقد استقلت بلادنا منذ ثلاث عشرة سنة ، واطلقت شعارات الثورة مستمرة ، الجهاد ليس له نهاية - من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر - الثورة من الشعب والى الشعب) فهمل

بقينا اوفياء لمبادئ الثورة وللجهاد القمسي ، وللمهود المعطاءة للشهداء. الابرار وللشعب المجاهد !
فليسأل كل مواطن نفسه هذا السؤال ولينظر الى مدى بلوغه للثورة ومدى تحقيق الآمال
المرصاة التي كنا نأمل تحقيقها ؟ وهل الاجابة عن هذا السؤال يترتب ما يجب عمله وما يلزم تتيحه
او تصحيحه في مسيرتنا الثورية الطويلة نحو تحقيق الاهداف ولنتذكر قبل ذلك وبصفه قوليه
تعالى : « عسى وديكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون » .



طرح القضية الجزائرية

على المسرح الدولي

على بلحاتم

ان استخلاص العبرة من الماضي والاستعداد للمستقبل كانا من أهم الأسباب التي جعلت الجزائر تنعصر هذه المرة على عدو استلحاق ان يعيد قبل ثورة نوفمبر ثورات عديدة أغسرها حركة هي 1945 . ذلك ان طرح القضية الجزائرية على الصعيد الدولي لم يكن وليد الصدفة ولا نتيجة توافق ظروف معينة ولكنه كان بإرادة المسؤولين عن الثورة الجزائرية الذين عزموا منذ الساعة الأولى للثورة على خوض المعركة على جبهتين وهي أن واحد : الجبهة الداخلية والجبهة الخارجية حتى تتلاشى البلاد حبة السقوط في حلقمة الانزال ، التي يعد بلا مثاوع اخطر سلاح ظل الاستعمار يستعمله فيقتن استعماله طسول داريغه الحافل بالماسي .

ومضى ادركا هذه الحقيقة سهل علينا أن ندرك تمتد الاستثمار في التصدي لتفسيات
البنوة في الخارج، وكيف أن فرنسا راحت تعاربه بأقصى ما يمكن من الشدة والعتف إلى درجة أنها
أعلنت الحرب على دول أخرى أملا في الحد من سعة النشاط الدبلوماسي والسياسي التي قامت به
جبهة التحرير الوطني على الصعيد العالمي * ومن خلال العمل الدبلوماسي الذي كان محوره تسجيل
أو عدم تسجيل القضية الجزائرية في السبورة المباشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة أدرك العالم
سعة الحركة واحتدامها ، بحيث كانت هبة المراجعة الأولى فريضة قاطمة على خطورة النتائج
التي ستترب على هذه القضية على الفور أو في السنوات اللاحقة .

وقد كان كل من الطرفين ، في غمرة ذلك الصراع ، يحثي موقف المذبذبة الدولية لاسباب
تختلف باختلاف وجهة نظر كل طرف - وحتى يتيسر لنا أن نقف على سر السلاح الذي كان
يستعمله كل من الطرفين ، جبهة التحرير الوطني وفرنسا ، فلا بد لنا من التعميق للسياستين
المتعارضتين للطروحتين على بساط الأمم المتحدة .

أولا : صواب سياسة جبهة التحرير الوطني

إن كل حركة ثورية تهدف ، منذ نشأتها إلى توفير الظروف المناسبة سواء على الصعيد
الداخلي أو الصعيد الخارجي لتحقيق ما تسعى إليه - وما لا شك فيه أن القيادة الثورية قد
فكرت طويلا ، قبل تغيير ثورة أول نوفمبر 1954 في الأوضاع العامة التي كانت قائمة في الجزائر
وفي سياق الأحداث الدولية وتوازن قوى عالمنا الحاضر الذي لم يعد يخضع لمعادنة 1896 أو معادنة
1899 أو غيرها من معاهدات القرن التاسع عشر التي ظلت تشكل مبادئ القانون الدولي الصام
كما تصوره المشرعون في الدول الاستعمارية الكبرى .

ذلك ما نستخلصه من البيان الأول للثورة الجزائرية الموجه إلى « الشعب الجزائري والمهاجرين
في سبيل القضية الجزائرية » الذي تضمن مبدأين أساسيين هما : « تدويل القضية الجزائرية وتأييد
الحكام الطبيعيين » لهذه القضية . لماذا جاء تدويل القضية الجزائرية مقرونا باختيار الأشخاص
الذين يدافعون عنها في المحافل الدولية ؟ إذا كان الجزائريون قد استخلصوا كل العبر من مقاومة
الشموب وادركوا أسباب الشهور السابقة (المراتى بنى ورتلان ، الزعاطشة ، حركة 1945
الخ ...) فوفروا كل أسباب النجاح في الداخل فانهم لم يستطعوا من حسابهم الاخطار والتبعات

المحتملة التي قد يؤدي إليها تدويل القضية الجزائرية - فكان يكتفيهم ما آلت إليه القضية الكروية التي لا تزال تعاني من وبلاء التثفل الاجنبي تحت ستار الاسم المتحدة *

هكذا وسمت جبهة التحرير الوطني سيرتها منذ انطلاقة الرسالة الاولى - فكان عليها ان لا تضع أية فرصة تسنح لها لمرض وجهة نظرها في المحافل الدولية وحصى الحجج الماتونية للزعومة التي يخفي وراءها الاستعمار لتبرير أعماله في الجزائر وتميز موقفه الدولي ، وقد كان مؤتمر بانكوك الذي انعقد في شهر أفريل 1955 ، أي بعد اشهر قليل من اندلاع الثورة ، أول فرصة لطرح القضية الجزائرية على المسرح الدولي وإثارة هم الشعوب المشاركة في هذا المؤتمر والتي كانت في معظمها حديثة العهد بالاستقلال - ومن أبرز ما يسجله الباحث في هذا الصدد هو ان نشاط وفد جبهة التحرير الوطني ، الذي شارك في المؤتمر بصفة ملاحظ ، كان على قدر ضخامة وتعقيد القضية التي كلف بالدفاع عنها - فقد كان على الوفد الجزائري ، شأنه شأن المجاهد في جبال الأوراس أو جرجرة أن يصمد ويستमित وأن يفتتح المشاركين في المؤتمر فردا فردا بمدالة القضية التي يدافع عنها - وهكذا لم تنحب جهود وفد جبهة التحرير الوطني سدى وإنما كللت بنجاح كانت له إبعاد دولية معتبرة وكان بداية صراع لا هوادة فيه بين جبهة التحرير الوطني وفرنسا على الصعيد الدولي - لقد صادق مؤتمر بانكوك ، بخصوص كفاح شعوب المغرب العربي ، على لائحة جاء فيها بالخصوص : « ان مؤتمر الدول الافرو - آسيوية يؤيد حقوق شعوب الجزائر والمغرب الأقصى وتونس في تقرير مصيرها بنفسها ونيل استقلالها » - وعلاوة على هذا التأييد الذي أثار حفيظة الاوساط الاستعمارية ، فقد اشارت هنم لللائحة الى ان الدول المساهمة في المؤتمر « ملتزم بتقديم مساعدتها الميسورة الى الشعوب للكفاح من أجل استقلالها » (1) *

ويأقفل فقد تجلت « المساعدة الميسورة » التي وعد بها المؤتمر في الخطاب الذي تسلمه الأمين العام من اربعة عشرة دولة افريقية - آسيوية - بعد ثلاثة أشهر من انعقاد المؤتمر - أي بتاريخ 26 يوليو 1955 تطالبه فيه بإدراج القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة العاشرة للجمعية العامة *

(1) المجاهد لسان حال الثورة الجزائرية رقم 15 أول جانفي 1958 *

أول تنفيذ للقضية الجزائرية على الصعيد الدولي :

مذكرة الأوبية عشرة دولة أو الاسس الرئيسية لتدويل القضية الجزائرية •

ان المادة 20 من النظام الداخلى للجمعية العامة للأمم المتحدة تسمى على ان « كل قضية تعرض على التسجيل فى جدول الاعمال يجب ان تكون مصحوبة بمذكرة إيضاحية » وفى حدود الامكان « يوثاق وتيسية او مشروع قرار » - وبالفعل فقد كان طلب ادراج القضية الجزائرية فى جدول اعمال الجمعية العامة مصحوبا بمذكرة إيضاحية • وقد كانت هذه المذكرة ، التى تحتل ان تكون مبادئ جبهة التحرير الوطنى الخارجية وهذه المبادئ هى :

1) حق الشعوب فى تقرير مصيرها •

ما لا نزاع فيه على الاطلاق ان الحقوق الدولية على وجه العموم لم يكن لها ، منذ بداية القرن العشرين حتى الآن ما كان لدى الشعوب فى تقرير مصيرها من ترددات وتاكيد • صحيح ان هذا الحق ، ككل الحقوق الهامة التى تتماهى بشأنها المصالح ، لم يسلم من التغيرات المتناقضة بل كثيرا ما كان سببا فى النزاعات المسلحة • ولكن الشيء الاكيد هو ان اثباته فى ميثاق الامم المتحدة والعلية التى احرزها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وتزايد الدول التى خرجت من قبضة الاستعمار كل ذلك جعل من هذا الحق واقعا لا يقبل الجدل •

ان فكرة حق الشعوب فى تقرير مصيرها ليست جديدة فى حد ذاتها ، فقد نشأت مع المحاولات الأوبية فى تسوية مشاكل القوميات عقب الحرب الثلاثينية بين الدول الكاثوليكية والدول البروتستانتية فى منتصف القرن السابع عشر • غير ان التغييرات الجذرية التى حدثت بعد الحرب العالمية الثانية قد اكسبته قوة ومناعة لم يعرفها من دى قبل وخاصة بعد ان تبنته الامم المتحدة فى ميثاقها كمبدأ من مبادئها الاساسية كما ورد ذلك فى المادة الاولى من الميثاق •

اذن ، ليس من الغريب ان ترى الدول التى تكفلت بعرض القضية الجزائرية على منبر الامم المتحدة تلج على حق الشعوب فى تقرير مصيرها وتصدر به خطابها الى الامم العام • فقد كان استقلال عدة شعوب فى العشر سنوات من حياة المنظمة الدولية من احد العوامل المشجعة التى دفعت انتصار الثورة الجزائرية الى ابراز حق الشعوب فى تقرير المصير فى المذكرة الايضاحية ومناشدة المنظمة الاممية ان تثبت امام الضغوط وان تقبل تسجيل القضية الجزائرية فى جدول

اعمالها تطبيقا لمبادئها الاساسية ونصص القرارات 537 الذي اصدرته الجمعية العامة بشأن حق تقرير المصير وممارسة الحريات الاساسية .

وبالاضافة الى هذا المبدأ الاول من المبادئ التي تعتمد عليها المذكرة الآتية الذكر ، فلاحظ ان محوري هذه المذكرة قد حثروا المنظمة الدولية من مية « رفض حق الشعوب في تقرير مصيرها او تأخير ممارسة هذا الحق بدون وجه مشروع، مما يشكل مصدرا للمنازعات الدولية » - ولعل هذا الانذار اهم عنصر في هذا النداء الموجة التي منضية الامم المتحدة باعتبار ان سبب وجودها يكن اساسا في الحفاظ على الامن والسلم الدوليين .

2 « تهديد السلام والامن الدوليين

كان لزاما على انصار القضية الجزائرية ، وقد حللوا مذكرتهم الايضاحية بتهديد السلام والامن الدوليين ، ان يبرروا ما ذهبوا اليه « وافضل دليل كان في ايديهم آنذاك « حشد الجيوش الكبيرة ونقلها الى الجزائر ، بما في ذلك الوحدات العسكرية الفرنسية النابتة لستيسة الحلف الاطلسي » - وهكذا ترى ان فرنسا ، عندما اقدمت على استعمال قواتها العسكرية المخصصة لنوع آخر من الدفاع ، وبالتالي استخدام اسلحة اجنبية لقمع الثورة ، قد اعترفت من حيث لا تدري بحقوقه الاوضاع في الجزائر . ومع ذلك استعرت في مخالطة الرأي العام الدول واياهام بان القضية الجزائرية مسألة داخلية ليس من حق الامم المتحدة ان تتدخل فيها . غير ان هذا الزعم لم يقنع الشعوب النافذة عن القضايا العادلة ، لا سيما ان طاق الحرب في الجزائر قد توسع وان حشد القوات الاطلسية بمعاداتها الحربية لم يعد مرامقصورا على القادة الفرنسيين وانما اصبح امرا مشاعا بين الخاص والعام - وذلك ما لم يضب على جبهة التحرير الوطنى عند تحرير المذكرة الموجهة الى الامن العام اذ انها اشارت الى ان الوضع في الجزائر « ما انفك يتدهور يوما بعد يوم واصبح مصدرا للقلق والحيرة الى درجة ان السلام على حوض البحر الابيض المتوسط اضحي ميسرنا للخطر » - ولئن املت مجموعة الدول التي اجذت على نفسها عرض القضية الجزائرية على الامم المتحدة على السطهر الخارجى لمساءة التخصيص الجزائري فلان الدول - وهي حقيقة مرة لا تزال نفسها حتى في العصر الحديث - لا يتحرك لها ساكن الا اذا كانت الماسى تقود بجوارها او في اية جهة اخرى من العالم تهدد امنها او تصر على مصالحها للخطر، وهو ما تمتنع المظهر الخارجى

لكل قضية وطنية - بيد ان الخطورة الحقيقية في القضية الجزائرية بالذات كانت تكمن في الآلام
والحس التي ظل يعيشها الشعب الجزائري في ارضه مدة 130 سنة من الاحتلال *

3) الحقوق الاساسية للانسان :

ان الحرب بصمة عامة - مهما كان زمانها ومكانها - تهدر الحقوق الاساسية للانسان - وإذا
علمنا ان الاستعمار في حد ذاته يعد انكار للحقوق الانسانية ونقيا للحرية والديمقراطية فان كل
حديث عن الحقوق الاساسية للانسان في المستعمرات لا يعدو ان يكون ضربا من التهديد لا سيما
في حالة تحريك الشعوب المظلومة على امرها ضد الهيمنة والاستغلال - وقد اثبت لنا التاريخ ،
بصرف النظر عن كل ذلك ، ان كل حرب استعمارية تكون مصحوبة بحملات القمع والارهاب
واختفاء كل وجه من أوجه الحق والعدل - وذلكما اشار اليه محررو المذكرة السالفة الذكر حيث
أكدوا من غير لبس أو غموض « ما يجسرى في الجزائر من اعتقالات جماعية وحسد للحقوق
الانسانية وحظر الاحزاب السياسية وفرض الرقابة المشددة على الصحافة ومنع صدور الجرائد
المعروفة ونزعها الى قول الحق - وبالتالي هدم مبدأ حرية التعبير واحتلال الجيوش الفرنسية
للمنازل والمدارس وغيرها من الاعمال التي تمد انكارا صارخا للحقوق المشروعة للشعب الجزائري »
هكذا تعرضت هذه المذكرة الى حصر اسباب الفتن والحيرة الذين اثارتهما الحرب الاستعمارية
في الجزائر - غير ان هذه المذكرة لم تتضمن أي قصد في وضع فرنسا في صف الاتهام أو التنبه
بها في المحافل الدولية - وغاية ما في الامر انها اشارت الى الوقائع التي ادت اليها السياسة
الفرنسية في الجزائر وإلى تنبيه المجتمع الدولي الى خطورة الوضع في هذه الربوع حتى يتمكن
من دراسة القضية المروضة عليه وهو على بينة من امره *

فانيا) وجهة نظر فرنسا او عدم اختصاص الامم المتحدة :

إذا كان تدويل القضية الجزائرية ، بالنسبة الى جبهة التحرير الوطني ، هدفا من جملة
اهدافها السياسية على الصعيد الدولي بالرغم مما يتضمنه من احتمالات قد تكون لها نتائج عكسية،
فان هذا التدويل كان يشكل - بالنسبة الى فرنسا خطرا جسيما على كيانها الاستعماري وهذا ما
جعلها تضع كل ثقلها في المعركة لابقاء القضية الجزائرية داخل الاطار الاستعماري ومعالجتها
وكانها مسألة داخلية بحتة - فالوسائل التي كانت جبهة التحرير الوطني تستعملها لانارة

الرأى العام الدولى وكسب الإصداق السكين يؤازرون الثورة الجزائرية ، كانت بالنسبة الى فرنسا مصدر قلق واضطراب . فكلما ازداد انصار جبهة التحرير الوطنى فى الخارج وتدعمت الثورة المسلحة فى الداخل كلما تقام تائسرفرلسا نفسانيا وعسكريا وسياسيا الى ان فقت السيطرة على أعصابها وراح مندوبوها لدى الهيئتهالدولية يتصرفون وكأنهم لم يجارسوا العمل الدبلوماسى ولم يعرفوا نشاط الكواليس .

ان التحجر الذى أصاب العادة الفرنسين، السياسيين منهم والعسكريين على السواء قد حال دونهم ودون الرؤية الواضحة . ولا تحال أحدا يشك فى أن الانضواء تحت القوانين الجامعة التى أصبحت متناقضة مع الحقائق المولية والتماهى فى الاعتقاد الزائف فى أن الجزائر أرض فرنسية والتصمك بوجهة نظر لا تعتمد على أساس قانونى كل ذلك قد ساهم الى حد كبير فى تثبيت انصار فرنسا الذين انفضوا من حولها فى نهاية المطاف .

ولادراك وجهة النظر الفرنسية ، فلا بد لنا من دراسة الاسس القانونية التى كانت تستند اليها .

١) الجزائر أرض فرنسية

ان هذه اللائمة الكلامية التى لم يفلها القادة الفرنسيون ولو مرة واحدة فى المناقشات والتصريحات والمؤتمرات الدولية وغيرها من المناسبات ليس لها من وجهة النظر القانونية أى أساس الا اذا اعتبرنا تلك الصفة التى اختلفتفرنسا بالجزائر عقب احتلال المدن الساحلية فى سنة ١834 وجها قانونيا . فقد كانت هذهالنظرية يشكل حجر الزاوية للسياسة الفرنسية على الصيدين المذهب والحاجى . ومن غير شك ان الاصرار على هذه السياسة وإن كانت خاطئة من أساسها قد ساعد الحكومة الفرنسية فى كسب الوقت وتجاوز الكثير من العقبات . غير أن المصوغة الدولية التى تغيرت موازين قواها بانضمام عدد من الدول الحديثة العهد بالاستقلال لم تقتنع بنظرية لا تعتمد على القانون الدولى . ومع ذلك فإن فرنسا لم تغير من موقفها المتعنت وظلت تزعم ، دون إقناع منها ، أن الجزائر أرض فرنسية وأن سكانها قد أصبحوا فرنسين بموجب الامر الصادر بتاريخ 22 يوليو سنة ١834 والتشريع المؤرخ فى 14 يوليو ١865 .

لقد امر السامسة الفرنسيون ، وتعادوا فى اصرارهم ، على أن هذه النصوص القانونية هى أساس ميلاد الجزائر الفرنسية . والسؤال الذى يخطر ببال كل واحد هو الآتى : كيف كانت

الجزائر قبل صدور هذه القوانين ؟ والرد المنطقي الذي يصرف به حتى القادة الفرنسيون ولو اجمعوا من الانصاح به ، هو ان الجزائر كانت قبل الغزو الفرنسي وحتى في غمرة الحروب التي شنها الامير عبد القادر تشتمل على العناصر الثلاثة التي يشترطها القانون الدول المام في تكوين الدولة وهي عنصر الاقليم وعنصر السكان وعنصر السلطة - وهذا ما لا يمكن انكاره او تحويله الى عدم يقتضي قرار داخلي يتخذه الجانب الاقوى »

ان تحليل طبيعة النصوص التي حددت النظام الاساسي للجزائر خلال فترة الاحتلال ليس موضوع هذه الدراسة ويكتفينا بهذا الصدد ان نورد ما قاله المؤرخ الفرنسي شارل اندري جوليان في كتابه الجزائر المحاصرة : « ان الامر الصادق بتاريخ 22 يوليو 1834 قد سن نظام المستعمرات الفرنسية في افريقيا الشمالية في شكل مستعمرات عسكرية ملحقة بوزارة الحربية ويشرف عليها الوالي المام بالكلب بالقيادة العسكرية والادارة ، الذي يمارس سلطاته بتفويض من الملك » .

لكن هل استطاع الساسة الفرنسيون ان يكبحوا جماح انايتهم ويعترفوا باخطائهم التاريخية ؟ كلا ! لقد تلقى مندوبو الحكومة الفرنسية المتعاقبون على منبر الامم المتحدة بتلك الحجج الواهية وبترداد تلك النغمة الرتيبسة : نغمة الجزائر الفرنسية واعتبارها جزءا لا يتجزأ من فرنسا « مثلها مثل جزيرة كورسيكا أو مقاطعة الرون » (2) . ومع ذلك فان كل رجل سياسي يتسمع يادني حد من التفكير المنطقي يعترف بان كل بناء قانوني ، مهما كان دقيقا ومحكما لا يمكن ان يكون سدا منيعا اذا كانت الحقيقة التي يحاول اخفائها تتناقض مع عاصره الاساسية .

من هنا تأتي الحاجة الاخرى التي ما فتئت فرنسا تتشبث بها ، والتي مؤداها ان الجزائريين يتمتعون بنفس الحقوق التي يتمتع بها الفرنسيون .

2) مساواة المواطنين في الحقوق

تعد فرنسا في نظر الكثير من المؤلفين موطن حقوق الانسان ووطن رجل 1789 . وما لا شك فيه ان فرنسا قد استغلت هذا الماضي لرد الكثير من الكتاب والوم . ولئن كانت بعض الوفود في الامم المتحدة تجادل فرنسا كلما تعرضت الجمعية العامة لاثارة مبدأ حقوق الانسان فلانها كانت تأخذ بمنح ذلك الماضي الفرنسي المسحوق الذي لم تلتزم به فرنسا ذاتها . ومع ذلك فان

(2) عدالات مكتب الجمعية العامة ، الدورة الماشرة 28 سبتمبر 1955 .

الوفد الفرنسي لم يجن فائدة كبيرة من الوضع الممتاز الذي تتمتع به فرنسا بشأن هذه النقطة بالذات .

وكتما ما فقد المسؤولون الفرنسيون السيطرة على الاعصاب ورباطة الجأش ليندخروا في نقاش حاد مع وفود الدول الاخرى كما حدث ان توجه مندوب الفرنسي الى مندوب العريضة السودية في عبارات تنم على الانهيار العصبي وقلة الحكمة اذ قال :

« اتم قلما تهتمون بهذه الحقوق في بلادكم » . وبالرغم من اللهجة الشديدة والتهديدية بالانسحاب فان المسؤولين الفرنسيين لم يستطيعوا اقناع الكثير من الوفود ، لان مجرد ملاحظة ما يجري في الجزائر آنذاك كان كافيا لدحض الحجج الفرنسية المتداعية .

من الذي كان يستطيع ان يشاطر المندوب الفرنسي نظريته عندما أكد : « ان كل جزائري مسلما كان أو مسيحيا ، يعد مواطنا فرنسيا يتمتع بكافة الحقوق الدستورية » وأن المقاطعات الجزائرية مثقلة في الجمعية الوطنية مثل كافة مقاطعات فرنسا القارية » . وحتى السيد وببسي الذي كان آنذاك وزيرا للشؤون الخارجية ورئيس الوفد الفرنسي في الدورة العاشرة للجمعية العامة لم يستطع ان يخلص من الجمود الذي أصاب القادة الفرنسيين . اذ أكد بدوره من على منبر الامم المتحدة : « اذا كنتم تتساءلون عن حرية السكان المسلمين في الجزائر فاني هنا لارد على تساؤلاتكم » اليسوا مثلين في الجمعيات المحلية والجمعية الجزائرية وكل الجمعيات الوطنية ؟ ان المسلمين في الجزائر يمارسون نفس الحقوق التي يمارسها بقية المواطنين الفرنسيين » .

تلك هي الحجج « القانونية » التي كانت تستند اليها وجهة النظر الفرنسية او عبارة اخرى سياسة فرنسا الخارجية بخصوص القضية الجزائرية ومن الجدير بالذكر في هذا المقام انه بقدر ما كانت سياسة جبهة التحرير الوطني تعتمد على أسس قانونية مربة تبنيتها المجموعة الدولية، بما في ذلك فرنسا ، كهدف من اهدافها الاساسية فهي : (حق الشعوب في تقرير المصير ، الحفاظ على الامن والسلام الدوليين ، والحقوق الاساسية للانسان) . بقدر ما كانت سياسة فرنسا متصلبة لا تعتمد على أساس قانوني سوى تلك القوانين التي سنها الغزو وركزتها عقليات القرن التاسع عشر .

وبصرف النظر على أن الأفكار الفقهية والقانونية المعاصرة تنتمي تماما مع فكرة كسب الاقاليم عن طريق الغزو ، فإن القواعد الاخلاقية والقضائية في اواسط القرن التاسع عشر كانت تفرض قيودا كبيرة على ما كان يسمى بالمسحق التقديرى للحرب (Droit Discretionnaire de la guerre) ومن ثمة فإن الاحتلال الفرنسي للجزائر لم يكن سوى نتيجة انتهاك صارخ لحقوق الشعوب، والتاريخ يشهد أن هذا الاحتلال لم يتم بصورة سلمية وإنما بعد سنوات طويلة من المقاومة والتضحيات والخراب والدمار ، مما يدل على عزم الجزائرى على رفض التبعية وانتهاك سيادته . وحتى لو فرضنا أن السياسة الفرنسيين كانوا يستندون في تقديرهم للوضع الجزائرى على تلك النظرية الاستعمارية التي وضعها الفقهاء الانجليز لتبرير احتلال الشعوب ، ونمنى بها كسب الاقاليم بالتقدم ، فإن وايهم لا يستقيم ، لان التقدم في هذه الحالة يشترط فيه ان لا ينقطع لمدة زمنية معينة وأن يكون مصحوبا بنوع من الرضاء الضمني ، وهذا ما لم يحصل في تاريخ الاحتلال الفرنسي للجزائر .

اذن ، فالمحاولات التي قام بها المسؤولون الفرنسيون خلال حرب التحرير لارساء وجهة نظرهم على أساس قانوني ليست سوى مواقف سياسية دفعتهم اليها المصالح الاستعمارية وان الوجود الفرنسي في الجزائر لا يستند الى أساس مشروع كما اثبت ذلك السيد بجاوي في كتابه « الثورة الجزائرية والقانون » .

اخضاع القانون للمصالح الاستعمارية

يبدو من تقى الاحداث الدولية والتقلبات التي تصيب هذه الجهة أو تلك ان الدول ، يحكم المصالح التي تدافع عنها ، لا تتيقده بحرفية النص القانوني الدول ، ولو ساهمت في تحريره ، اذا كان يضيقها في هذا العمل أو ذاك ، وإنما تحاول أن تجعله يسهل وييسر حتى تتمكن من تأويله بما يتفق ورغبتها - وهكذا نرى أن فرنسا ، وهي من بين الدول المؤسسة لمنظمة الأمم المتحدة عد رفضت اختصاص المنظمة الدولية في مناقشة القضية الجزائرية بحجة ان ذلك يعد تدخلا في شؤونها الداخلية ، مما يتعارض حسب زعمها مع المادة 2 الفقرة 7 من الميثاق .

وهذا موقف متطرف يتناقض مع المنطق السليم . فالمذهب الفرنسي ، إذ يتصمم بالدفع بضم الاختصاص ، إنما يستند من وجهة النظر القانونية الى مبادئ نشأت من الاحتلال . وهي مبادئ أجمع فقهاء العصر الحديث على رفضها كوسيلة لضم الاقاليم . لان الغزو لم يعد مختلفا

للمبادئ، التي يستند إليها السلوك الدولي فحسب ولكنه أصبح يشكل مصدرا خطيرا للنزاعات الدولية . ومع ذلك فقد زعم المنسوب الفرنسي في الدورة العاشرة للجمعية العامة « ان احتلال فرنسا للجزائر لا يمكن اتخاذه حجة على العولة الفرنسية لتبرير تدخل الأمم المتحدة في شؤونها الداخلية » ثم قال : « ان الامر لا يختلف عنه بالنسبة الى مقاطعات فلاندر وبورجون وأتيكان وروسيون » وهي مقاطعات ضمت الى فرنسا في القرنين السادس والسابع عشر بعد حروب مع الدول الأوروبية المجاورة .

وقد عرف المنسوب الفرنسي في هذه الدورة كيف يشتغل بمهارة ولباقة الاهداف النبيلة للأمم المتحدة ويؤولها بما يتناسب والاغراض الاستعمارية (حق أريد به باطل) حيث قال : « يدعى البعض ان الاستعمار لا يتحقق الا بالتقسيم (يعنى به فصل الجزائر عن فرنسا) وهل من المقول ان يقال هذا بين احضان هذه المنطقة التي تكونت من اجل محور كل تمييز يستند على العرق أو اللغة أو الدين ؟ أيريد البعض ان يساند نظرية العنصر والتعصب الديني ؟ »

ولئن دل هذا التحريف لمقاصد الأمم المتحدة على شيء ما نسا يسل على ارادة المنسوب الفرنسي في اخضاع القانون الدولي الى المصالح الاستعمارية والاهواء السياسية وعلى مهادته في الاتيان بهذه الصورة التي توهم بانه صادق في قوله « غير انه لم يقف عند هذا الحد في تاويل اهداف الأمم المتحدة ، اذ انه أكد ان « نص الفقرة الثانية للمادة الاولى من الميثاق لا يخول المنظمة الدولية اي اختصاص سوى في مجال تسمية العلاقات الودية بين الأمم - اما المساواة بين الشعوب وحق الشعوب في تقرير مصيرها فلم يرد على وجهه الإلزام »

هكذا حاولت فرنسا عن طريق مندوبيها في الأمم المتحدة ، وبدوافع استعمارية بحتة ، افراغ ميثاق سان فرانسيسكو من احد اهدافه الأساسية المتمثلة في المساواة بين الشعوب وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها ، وهذا تاويل خاطي ومقصود ، والا كيف يمكن لاي رجل يتمتع بأدنى حد من الاطلاع على القوانين الدولية ان يدعى انما ورد في هذه المادة المذكورة انما هو مجرد قول من الدرجة الثانية « ومهما يكن من أمر فان وجوب القانون لا يمكنه ان يأخذ ما يحلو له من التفرقات ويبدأ ما يضايقه » وانكار حق الشعوب في المساواة وفي تقرير المصير من قبل المنسوب الفرنسي أو التقليل من هذا الحق واعتباره مجرد أسلوب في الكتابة ليس بالطريقة المثلى للدفاع عن الحق اذا اعتبرنا ما كانت تدافع عنه فرنسا حقاً .

تسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الجمعية العامة *

أو الانتصار الأول للشعب الجزائري على الصعيد الدولي *

بعد المداولات الطويلة للجنة ، وبالرغم من أن هذه هي المرة الأولى التي تعرض فيها القضية الجزائرية على الأمم المتحدة قررت الجمعية العامة إدراجها في جدول أعمالها . والنتائج السياسية الأولى ، وبالتالي الآفاق القانونية ، التي ترتبت عن هذا الانتصار الجزائري على الصعيد الدولي والتي يمكن استخلاصها تدل على أن المشاكل الاستعمارية التي طلت حتى ذلك العهد بعيدة نوعا ما عن دوائر الأمم المتحدة ستكون في المستقبل عاملا هاما في الحرب الباردة بين الشرق والغرب .

القضية الجزائرية ، بحكم إبعادها التاريخي والاقتصادي والجنسائي ، لم تكن غريبة عن المحادثات الخفية أو العلنية بين الدول الكبرى . ومن هذه الزاوية بالذات تكون قضية الجزائر قد فتحت الطريق الدولي أمام كافة المضاعفات الاستعمارية المطروحة آنذاك أو التي طرحت أو طرح فيما بعد ، ولو أنها ، أي القضية الجزائرية لم تعرض على بساط البحث في هذه السجوة العاصرة بالذات لأسباب يطول بطول البحث فيها .

كذلك كان الشعب الجزائري واثقا في معركة الكفاح المسلح ، وهكذا كان واثقا أيضا في معركة الإجراءات القانونية فرسم طريق الحرية حيث مشروعية الكفاح المسلح داخل الوطن ومن حيث عدالة وأقرار مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها بصورة لم تعد تقبل الجدل .

للمحبة منتصف الليل

عثمان الكعك (تونس)

يسوم عريظن في النخار طويل لا تنقضي غسره له وجبول
مكنا قال شاعر المسيلة محمد بن حاني متنبى المغرب ، في هذا اليوم قبل احد عشر قرنا من حدوده
وكان ينظر بين الغيب
ذلك هو يوم فاتح نوفمبر 1954
يوم مجمل أفر
ويوم سمح أبر
ويوم عظيم الأثر
انطلقت فيه كل حرة وحر ، لازالة الشر ، ورنع الفر ، من أقصى البر ، الى أقصى البر

★ ★ ★

يوم كسر الأغلال
ومسح الازلال
وحقق الآمال
وأنجز الاستقلال
هبت فيه النساء والرجال
الى منبسطات السهول وأعالى الجبال
شيوخ وأطفال

★ ★ ★

ملسوا الهوان
وكافة أساليب الامتهان
والامتحان اشر الامتحان
في كسل آن
وأساليب اخوان الشيطان
الذين ما عرلوا ولن يعرفوا رحة ولا شفقة ولا حنان
امتلكوا الارطسان
واحدوا الاطيان
وكل عزيز ذي شأن
فما بقي للوطنى شأن
الا الحرب والميهدن
يحور السوع من ملايين الاعيان
كونت طوفان
اقتلع الاستعمار في أقل زمان
طوفان واى طوفان
طوفان من دموع ارامل قتل رجائهن عباد الصليان
طوفان من دموع شيخ هرم امين في اعز مقدساته الشيخ الوثور عبد الرحمان
طوفان من ملايين الاطفال مات أبائهم وأمهاتهم فبقوا كالحرفان في قطيع السرحان
طوفان من الفتيات الجميلات المجاهدات الوطنيات القين بانفسهن من حائق جبل مستقرة
وصرخن :
ياكلما التراب ، ولا تأكلنا الكلاب
وتحمين سنوف المذاب
وهن في شرح الشباب
طوفان من ملايين المجائز قتل الاستعمار أزواجهن ثم إبنائهن ثم بناتهن هاشد يهن البكاد
والانتحاب
وژرث القيسور

ونادين بالويل والتبؤد
من الظلم والجور
بنفس تنسور
وهين بالدمع تنسور

★ ★ ★

طوفان من دموع مات الآلاف من الرعاة
قتلوا في الشاب
بعد أن مزقهم الكلاب
وقتلهم التسميط (X) بدون أسباب - ولا حساب
بمجرد أن شاة أكلت ملء فمها من الأعشاب
طوفان من دموع رجال صناديد صليت املاكهم وانزعجت أراضيهم وصودرت أموالهم
وافتشك نوالهم
وسامت أحوالهم
وما سمعت أفوالهم
طوفان من دموع شمع يكي طوال قرن وثلاث قرن لاضطهاد العربية
لغة القرآن المستينة
اللغة الفصحى البهية
أم اللغات السامية
وسيدة اللغات الأدبية والفنية والتقنية
اللغة السامية واعمية
العربية والعرقية
لغة القرآن وما أدراك ما هي
لغة العلوم والآداب والفنون والحضار والتقنية
أزيلت كتابتها

garde - champêtre

(X) التسميط حارس الحقول من الفرنسية

وتنوسيت أساليها
واضيعت تراتيبها
ولم يعد لها من عروج
مع هؤلاء الطلوج
طوفان دموع من شحب أذل
وأهمل
وجرد من أملاكه فاستقل
رما استقبل
فهب للضربة البكر بدون خوف ولا وجل
بإيمان واسع وسوخ الجبال
قاري يأتي بالمخسار
وبروح إسلامية تحكي روح صدر الملة
ثارت فيه حساسة المجاهدين الأولين
والمناورين للميامين
الذين عاهدوا الله بدون ميث
وقد حان الحين
واذف الحسين
فتبنا لأنوار الشياطين
وتمسنا للظالمين

★ ★ ★

منتصف الليل
يا للويل
فما هذا النيل ؟
اليوم تنق في اشجار القاب
ولسوق الخراب

فعل رأس من ؟
والمرأة الجزائرية تغرد في الجبال والتلال
والسهول
فلراس من ؟

★ ★ ★

منتصف الليل في الأوراس
شديدة المراس
زكية الانفاس
وانس الجلاس
عظيمة الياس
كان المسلم يظن
بندقيته بيده واصبه على الاغراس
تهلل الوجه كانه في اغراس
ويا لها من اغراس
اغراس شعب ذي حواس
متحد متراس
متهدج الانفاس
انطلقت الحبة الاولى ذات ازيز
حبة شعب ابي عزيز
انطلقت في الآن نفس حبة بغضلة الجميلة
البلدة الاصيلية
والمدينة الابية الشريفة الاثيلة
فانتبه السو بريفي وسقط
لقد أصيب ينقط
وسقط معه الاستثمار بتلك الديار

فكانه ما كان ولا صار
ولا دام الأدهار
فسبحان الله الواحد القهار

★ ★ ★

انطلقت في نفس الآن حبة ببلاد القبائل
في برج ام نائل
وكل برج هائل
في جبل لا حديجة المراقبة المجاهرة
وبنى بنى المجاهدة
وعين الحسام
وايت ن هاشم
من اشراف بنى هاشم
فيا لفضب
ولنودة البربر والعرب
التي ما لسورتها سورة
ولا تضاهى ثورتها ثورة

★ ★ ★

انطلقت في الآن نفس حبة في العاصمة
لكانت القاصمة
والضربة البكر الحاصمة
اشتهى الزمة تنفوجي قد آذن ليلك بالبلج
فماذا جاء الايمان تجي
وانطلقت حبة في جبال اسرسو ومدينة تياروت
فاردى المجاهدون في وادي مينا

وعلق المشاييق الأبطال الشبان في شجرة من ميدان المدينة
ولكنه شق وأرداه للاحتلال
وابادة للأدلال
ورفع للإبطال

عسرو في الحيلة وفي المسات لحقا تلك إحدى المجزات
قطر جامع بني رستم
وحولت الكنيسة إلى جامع
وارتفع الأسر عن مفارقة ابن خلدون في قرية تضررت

وحورت مزارات الأمير عبد القادر من قيطنة سقط رأسه إلى أم الصكر مدينته الجهادية التي
يها جامع البيمة والكنكة الكبرى إلى مدينة صعيدة ذات القلعة المنيرة والمخيم المتيد إلى مدينة المدينة
التي يها قصره العظيم والتي كل شارع منها يحمل اسم عائلة مجاهدة مستشهدة إلى مليانة ذات
الحرمة والمكان التي يها معامل الحبوب والمنشآت العسكرية ، ونقل وفات الأمير المنتصر ديناً وآخرة
إلى آخر ميدان من عاصمة الجزائر « قطوبى لهذا اليوم الأغر الذي استشهد من أجله مليونان
رايحت إجميلات الثلاث البلاد الحسن واستشهدت ليعة الفتاة الفرنسية التلسانية واستشهدت
مات أمثالها يعيش شعب كامل »

الجنيد للموت يحيى وللجيلة يموت

يا له من حفل متأرجح الانفاس
جيل الأزهار من قرنف وأقحوان وبفسح وأقحاح وآس
من حفل جهادي فيه آلاف الملاحم التي ليس لها أمثال إلا عزوات الإسلام الأولى وعروب
آل عثمان لتخليص المسلمين وجهاد أبناء الأندلس »

فالكاتب يستطيعون وجود آلاف المواضع لكتابة رواياتهم ومسرحياتهم وأخبار البطولة
وتراجم عظماء الأبطال والبطولات والقرى والمدن والشعراء ، يستطيعون نظم قصائدهم الحرة
التي ليس لها مثيل ، والمؤرخون يجدون ضرورة من تحرير الصحف الذهبية ، والرسامون

البارعون لهم ميدان ليس مثله ميدان ، والموسيقيون يستطيعون تلحين أبداع الإلهان ، والنحاتون يفتح لهم بسبب النحت العظيم الشأن ، واريابالأعلام يجدون حلبة الكهيت لكل شريط خلاب جامع لكل طرفة وغريبة وأعجاب .

وجازي الله جهاد الجزائريين خيرا ومسح دموعهم بينابيع النفط التي كانت يرثا وسلاما على ابراهيم ، وبرد حتى جهادهم بمياه الصحراء التي صارت غذاء أوروبا المصنعة وشتاء ابنائها ممن تطلع الجو ودوى المدن المؤثر لأغشاء الوتر *empertus da miscarde* وانهم عنها بأعظم نسبة من البترول ومن انغاز الذي ليس من GAZ الفرنسية ولكن من غزا يغزو فهو غاز ، ولكنه غزو عمراني وحضري واقتصادي . وبالمواد الغذائية التي تحتاج اليها البلدان المصنعة ، وبالارصنة اللهيبة التي يرونها اليها رجال الاعمال في الغرب وأميركا .

فالشاش قد انتصر على القيمة

وصار لها صديق ، في أخرج أيام الضيق

رجعتم من الجهاد الأصغر

الى الجهاد الأكبر

نسميها الله والله أكبر

فثلاث عشرة سنة

من التشييد والبنين

والفلاحة والتجارة والصناعة وال عمران

والثقافة والرفان

كانت مائة اضماف ما قام به الفرنسيين لأنفسهم

فانتفع به المسلمون - اذا انتفعوا - خلال 130 عام !

الطرقات الصحرية الجبلية الطويلة الجميلة في كل مكان من التل إلى الواحات في اتجاهها إلى قلب الصحراء .

وإلى جانبها طرقات متواضعة هي التي يوسا الاستعمار

نسميها الله الواحد انتصار

لقد أصبح الصنع العربي هو الجليل

وغيره المتواضع ا

الحقول جميلة الزروع خضراء الدمن ذهبية المصائد تمشي من القالة الى لا لا مغنية بين الحقول
ويستان واحد من الاشجار المثمرة على اختلافها خضراء زمردية كالقباذ التركية مزدهرة كالزروج
لى الربيع فواحة كاسواق العطارين ونوادى السميدات ونباتات جميلة جليلة كالفاحة الحساننة
نصونها واقصة كالفتيات اللائسة ، تنقى على نضات العيسور التي تهزج فوق غصنها الاملود ،
أنسودة المحد والغنى والخلود .

تمتد الحقول فى السهول

بين الجبال والتلال

تخترق سلسلة من القرى قد انتظمت

انتظام الجواهر واللآلئ

عصرية جميلة

وقديسة جليلة

ترتفع صوامعها بالأدنان

لقوة الايمان

بعد قرقة الصليان

فتبارك الله تعالى عظيم الشان

الواحد الفريد ، الفعال لا يريد

والعاصفة عروس البحر والتل

وهجة قرية الجبل

عظيمة الامسل

وام ولجة الصحراء التى ارضها من تير وذهب

ونثيلها من زرد وترها من ياقوت

وزهرها من عنبر ومسك وند

★ ★ ★

جہاد با ایمان واتحاد

اورث الاجساد

مطلق من يوم اختص بالانفراد

يسوم عريض في الفخار طويل لا تنقضي غرر له وحجول



مقاومة الفلاحين لعملية الاستيلاء على الأرض خلال حرب التحرير

- كيف أصبح المالكه الجزائري عاملاً عند الفرنسي الذي اغتصب منه أرضه •
- هذا التحول الاجتماعي قد تم بعد انقلاب نفسي بالغ الأثر •
- تعاون السلطة الإستعمارية والمستعمرين على إجهاد الفلاح الجزائري على العمل في حقله الذي أخذ منه •
- الاغتصاب ولد اليأس واليأس ولد القنص والقنص ولد الثورة •

يظن بعض الجزائريين أن ما يقال من استمرار الثورة الجزائرية منذ عهد الاحتلال أن هو إلا حديث دعابة تواضع منه أي جهلا - لكن التاريخ لا يتعامل ولا يتواضع - وإنما يشع الانتباه في أماكنها ، وتكفي أن تتوغل الزايفات لتكشف أماكن الحقيقة - وفي هذه المنطقة الأخيرة من بعض ما كتبه (ميشال لوني) يستطيع القارئ أن يفسد على بعض المعلقين التي هي ليست حديث دعابة ، وسيدرك أن ثورة أول نوفمبر 1954 ليست سوى امتداد لثورة الفلاحين للسلبيين الذين رفضوا عملية السلب التي ارتكبتها السلطات الإستعمارية - وانتهى بالثاني ثورة الفلاحين حقا -

إن جمود المشروع وغير المشروع كانت غير دقيقة في عهد الاستعمار - وأما ما ارتفعنا إلى المستوى الأخلاقي الذي هو منبع الحقوق فلأننا لا نستطيع أن نعرف وجه المشروعية في نقل الملكية - إن فكر الماضي تفينا قبل كل شيء في التعرف على ما يجيش بصدر الفلاح الجزائري وما ينفذ بقلبه عندما ينظر إلى الأراضي التي لم تعد في ملكيته ، وتساعدا على إعطاء الملكية للاستعمارية حقا من الاحترام الذي تستمد من أصولها الأولى وعندئذ يتسع المجال للتفكير في المستقبل وفي المشكلة الوحيدة الهامة وهي توفير الشغل والفيز لجميع الرجال والنساء في الجزائر والجزائريين المتزايدة العدد من حين لقطاع -

فقد يمكن أن يصدق أحد أن بعض المستعمرين كانوا يقسمون أراضي المسلمين حتى التمسك - حوب التصريح الأخيرة - وفي وادي السبع أمام مركز (الملس) تقريبا كثر حصص الجزائريين الأروبيين يضيف إلى أراضيهم (ضحا) كل سنة على حساب جوارهم المسلم - وبالقرب من هذه المكان كان هناك مستعمرون اشترى من فلاح مسلم قطعة من الأرض ولم يكتب هذا النصر يغير القطعة التي اشترىها بل راح يغير قطعة الوارث الآخر على الجانب الآخر من الطريق - ويحصل ضريبة (السلم) ويتم الاستمرار وعودا واقترح على الفلاح المسلم انتساب الغلة ، لكن الفلاح المسلم رفض رفضا باتا ، ورحل الضابط لانتهاج مدة خدمته العسكرية ، وكيف ينتهي حل المشكلة ؟

للثورة الكاملة : أن البرؤس الذي نتج من عمليات سلب الأراضي يتخذ لدى الفلاحين الجزائري أوجها ثلاثة ، وأول أشكال هذا البرؤس هو الرضوخ إلى العمل لدى المستعمرين - وينبغي أن نذكر معنى نشأة هذه الطبقة الاجتماعية الجديدة فلك أن المهرب قبل مجيء الفرنسيين كانوا يخرجون في ثلاث طبقات اجتماعية : الملاكون الاطباء الكبار و « الخملمسة » و « الفلاحون » الذين يخدمون أرضهم -

ولكن يقول العربي الذي كان ضاماً أو فلاحاً انتزعت منه أراضيه أو سلبت عائلته موارثه ملكها ، أن عروبته بهذه الأرض أفضل من الكافر اللص ، يجب أن يكون قد حدث في نفسه انقلاب نفسي يجبه أن يحكمه لا يتصرف على أهوائها .

يرتجى المطاولات الأولى القشور ليد الكرامة الاعلى في مقاطعة وهران إلى سنة 1855 وعندهذا صراع بين شعوب (الكاتب العربية) الذين يريدون (حماية) الأهالي وبين كسائر المستعمرين الذين لم يعد لهم الكرامة الاستعمارية فكيفهم لحماية أراضيهم التي ما فتئت تسحق ، وإذ ذلك ثارت عظمة المستعمرين على « الخليفة المماليك الذين تستغلهم الاستعمارية الاعلى » « وعلى من الزمان نشأت حركات التمرد بين المستعمر وعائلته إلى درجة أن اندفع المستعمرين أنفسهم لذلك التمرد ، وقد عرفوا مبلغ دهمهم عظماً رأوا « أحسن حالهم » يملكون الكرم ويضيقون لشجار الزيتون في ماي 1855 ويرشون « عسايات النوار » إلى المزارع ليحرقوها .

وكان طبيب داتما فسكن توشفت أن ينكروا الجنود الذين أتوا من فرنسا بأن المنطقة قد ظاهمت طويلاً قبل الاستسلام بينما كان الأوربيون يركبون لى « أن المنطقة كانت أهدأ المناطق في الجزائر » وأي الغريقين أصعب ؟

وقد تمتعت كثيرة العصور على آثار الانتفاضات التي يسببها الجوع والوباء ، ولكن انتعش من وجود تلك الانتفاضات كان لزام على أن اكتشف ولما في مغزلة في سجلات للحوز القديم « أن موقف بعض الأتقال من أولاد زائر عندما هاجم أولاد بلاغ وبنو مطار في قرية ميس في سنة 1804 » « سيطر بقوة عن مدينة هؤلاء السكان ويشير إلى درجة الثقة التي يجب أن تضعها فيهم في صورة ما إذا حدثت اضطرابات في القل » ولقد انتشر الخبر بأن (سي لالا) على رأس جموع غفيرة - قد يكون القس مغلفين في عدما - تتجه الآن نحو الشمال ناويا نسيب خيامه على جبال تاسالة » ولما تمت هذه الهجمات تليق لها أخذت الباب الناس الذين يملكون دلتا إلى الاعتقاد بأن عهد العزيمة انقضى قد بلغ أجله ، وإلى جانب الصوائف المتنوعة تشير إلى أن الخط الفكري بين حيدى بلماس وتلمسان والذي يمر بقسم من مواطن أولاد زائر قد قطع في مكانين .»

في هذه الحوادث التي وقعت في سنة 1864 كانت صدق المسورة أولاد سيدي الشيخ في جنوب مقاطعة وهران ، وقبل الاحتلال الفرنسي كان يسكن الجنوب قد انتقلوا إلى هذه المنطقة وانتشروا في حركات هجينة والتصادمية مع حشائر القل أي أولاد زائر وأولاد خلفه اللذين تشملهم قبيلة بني عمار ، ومنذ ذلك نشأ جدوج تاريخي لجهده يظهر مرة أخرى بعد تسعين سنة فيما بعد ، وشهدا في حروب الاحتلال قد تمت على ثلاث مراحل (الجزائر في 1830 ، ووهران في 1832)

والجنوب في 1848 ، كذلك نجد أن شرق الجزائر الذي عمل عليه الثورة منذ 1854 قد هزته في 1955 مقاطعة وهران والجنوب الجزائري في 1958 ، والذين يفتنون هذه الملاحظة لاستنتاج فقدان الوحدة بين أجزاء الجزائر بجهلون آثار رمود الفصل بين منطقة وأخرى في الجزائر .

فلك أن أولاد سيدي الشيخ عظماء ثاروا مرة أخرى سنة 1871 قد لهمهم الموراني في جبال جرجرة ، ولم تتحرك منطقة عين تموشنت ، لكن عندما ثار أولاد سيدي الشيخ من جديد سنة 1881 فانهم قد وجدوا صدق في عين تموشنت وقد بقي الفلاحون اليراقشة ينكروا تلك المواقف حتى سنة 1960 ، ولم استطع أن اتعرف على المكانة التي لا يزال يحتفظ بها برعامة بعد ثمانين سنة إلا بفضل الانكاسيس التي استطعت أن استلها من أفراد بعض الفلاحين للكبار .



نشأة الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ودوره في معركة التحرير

نتناول في هذا البحث موضوعا يعتبر من أهم المواضيع الحيوية لكونه يتعرض لثود النخبة للتفتة عن الشباب الجزائري ومساهمتها في التحرير الوطني التي طافها الشعب الجزائري تحت لواء الحزب الطائلي حزب جبهة التحرير الوطني الذي استطاع أن ينظم ويجمع كسمل الطائفات الحية للبلاد في ظروف عويصة ويبتدأ في صفوفه طيلة سنوات من التضحيات والبطلات لاسترجاع التراب الوطني واستعادة كرامة وحرية الشعب الجزائري الذي بقي يتكالب ويفوض ثورات متواصلة ضد الاحتلال الفرنسي منذ ثورة الأمير عبد القادر الجزائري .

حسن السعيد
مدير الرميطة
« الثورة والعمل »

ان صعوبة هذا البحث تكمن في امتزاج والتعافى كل فئات الشعب وراء الاهداف التي حددتها ثورة نوفمبر الحالية وصعوبة تحديد دور الفئات الشعبية رغم تنظيمها داخل منظمات جماهيرية - اذ ان استراتيجية الثورة والاهداف التي كانت ترمي لتحقيقها، وعلى رأسها الاستقلال الوطني كانت تقتضي ان يتحول الطالب في بعض الحالات الى جندي يحمل السلاح أو مناضل سياسى يوجه ويساعد على حل مشاكل الجماهير الشعبية التي وقعت كرجل واحد لتتميز في احلك ظروف الفصح والارهاب الاستعماري على انها جبهة وراء حزبها وحصة فصل استرجاع سيادتها باى ثمن ومهما كلفها التضحيات .

وهناك صعوبة أخرى يلاقيها الباحث في مثل هذه المواضيع الحديثة والتي تعمل بلادنا اليوم على معالجتها عن طريق الحملة الوطنية لجمع وثائق الثورة الجزائرية الستة اقتنتها الاخ الرئيس « هواري بومدين » بمناسبة احدى الذكريات الحالية في تاريخ فضال الشعب الجزائري يوم 8 ماي 1973 وتتسل هذه الصعوبة في تشتت وثائق الثورة وقلة الدراسات الجديدة باقلام وطبيعة دلالة على انساع الرقعة الارضية التي سالت فوقها الدماء الجزائرية .

ان قلة المراجع والوثائق وخصوصا عن المراجع المكتوبة أو المخطوطة باللغة العربية جعلتنا مشقة البحث الامر الذي اضطرنا الى الاستعانة بالمصادر الاجنبية رغم قلتها .

وان الوثائق التي عدنا اليها هي في حد ذاتها تحتاج الى تحييص وغريلة ما يجعل الباحث يبذل مجهودا حاصعا في استخلاص صورة حقيقية وشاملة للموضوع الذي نحن بصدد البحث فيه . ويشمل المجهود الاول في مراعاتها ورد في كل مرجع أو وثيقة وفقا لسير الثورة في مختلف الجوانب وخاصة منها الجانب الثقافي، والمجهود الثاني هو الانتباه أو اليقظة المبرصة للانظار التي تقتضيل عليها المراجع ، وفقا للاتجاهات العامة التي كانت تسيطر عليها تورتنا المقسمة وهي بطبيعة الحال صعوبة منهجية تفترض كل باحث في مثل هذه القضايا الخاصة .

والصعوبة الخامسة تكمن في حصولنا على نوعية المراجع فنجعل ما حصلنا عليه في الوثائق لا نعدو كونها مصادر هي في غالب الاحيان عبارة عن نشرات أو مقالات صحفية تميز عن مبرلات واتجاهات معينة .

ومن بين الصعاب الأخرى التي اعترضتنا في الخروج بتعدد الصعوبات نفسها في الموضوع نظرا لقلة الدراسات العلمية التي تناولت هذا البحث خصوصا وأنه ينبغي ضمن مسألة تاريخ الثورة الجزائرية في ظروف لا يزال معظم المشاركين في الثورة التحريرية على قيد الحياة وهنا تتجسد صعوبة الموضوعية في معالجة مثل هذا الموضوع ، وقبل الدخول في صميم الموضوع أريد أن أحدد بإحصاء الأدوار السياسية للمنظمات الطلابية السائدة حاليا بوجه عام في عالمنا المعاصر .

ما هو الدور السياسي

للمنظمات الطلابية

إن السؤال الجوهري الذي يتجدد طرحه على المستوى الطلابي هو : ما هو الدور السياسي الذي يمكن أن يلعبه الطلبة ، كمجموعة وجمعية هي المجتمع وهو السؤال الذي يضع إلى حد ما نطاق تطور المنظمة عبر السنين .

وباختصار فإن هناك مفهومين أساسيين حول الدور الذي يمكن أن يلعبه الطلبة في الحياة السياسية وكلا من المفهومين يرى بأن الطلبة من حقهم الاهتمام بالمسائل السياسية .

المفهوم الأول :

إن أصحاب هذا المفهوم يعتقدون بأن الطلبة يجب أن يكونوا أحرارا داخل الجامعة ، وبإمكانهم المناقشة أو الحديث في المسائل السياسية ، لأنهم على المدى القريب سيتخولون القرارات السياسية ويحتلون مناصب حامة في مختلف أجهزة الدولة .

هذا الاتجاه يرى بأن دور الطالب في المجال السياسي يتوقف عندما يمكن للقنوات السياسية التي يتخذها الطلبة أن تتحول إلى إجراءات سياسية فعلية ، وهذا المفهوم يسرى بأن أهمية دور الطالب في المجال السياسي لا يجب أبدا أن يصل إلى إشراك المنظمات الطلابية في الحياة السياسية للبلاد .

المفهوم الثاني :

إن المفهوم الثاني يرى بأنه من واجب الطلبة تجسيد القرارات السياسية التي يناقشونها ويمتثلون بها وإن رفض تحقيق المتطلبات السياسية للطلبة يعتبر مشكلة إعمال للمسؤوليات

بأنسبه للمنظمات الطلابية وعندما تتخذ القرارات لا يد عن الطلبة ان يبذلوا كل الوسائل التي يملكونها لتحقيقها ، وعلى المنظمات الطلابية ان تهتم بصفة خاصة لتكليف الرجال الذين يجسدون تلك القرارات .

ووفقا لهذا المفهوم الثاني للدور السياسي للمنظمات الطلابية ، تصبح المنظمات الطلابية عاملا هاما يعتمد المجتمع عليها عند اتخاذ القرارات .

نشأة الاتحاد

الاجتماعات التمهيدية لنشأة الاتحاد :

قبل الحديث عن نشأة الاتحاد والمراحل التاريخية التي مر بها وأسماع التي بذلت الى ان خرج في شكل منظمة ثقافية وسياسية تنضم مصالح الثورة يجدر بنا الإشارة بادي ذي بسنه الى الاجتماعات التمهيدية التي سبقست المؤتمر السياسي ، والى الطرف الذي ظهرت فيها فكرة نشأة الاتحاد ... والى الوضع السياسي والاجتماعي آن ذاك .

فمنذ فترة زمنية طويلة لم يكن للحركة الطلابية الجزائرية استقلالا ذاتيا بل كانت متفجعة في تجمع طلابي أكثر شمولا مثل (جمعية الطلبة المسلمين لشمال أفريقيا) A. E. M. N. A. (1) . وتكمن أهمية مثل هذه التتعليمات في كونها لا تشكل بالنسبة لطلاب المغرب العربي اطارا للكفاح النقابي فحسب بل وكذلك للنضال السياسي .

لقد نشأت جمعية الطلبة المسلمين لشمال افريقيا عام 1958 بالجزائر واستطاعت هذه المنظمة ان تصدى اهدافها النضالية بسرعة لتصبح المستوعب الذي يجيش بالوعي الوطني لدى جميع طلاب المغرب العربي ، ولكن مصاعبات الاستعمار الفرنسي لها ارغمتها على تغيير مقرها بحيث امتد نشاطها الى فرنسا واتخذت لها مقرا بشارع سان ميشال في باريس عام 1967 .

وتم في شهر جويلية من عام 1962 لقاء المسؤولين على مختلف فروع جمعية الطلبة المسلمين بافريقيا الشمالية فقرر ائروه توجيه نداء لبعث تأسيس اتحاد المسلمين للطلبة المغاربة U. M. E. M. الذي يجمع على (2) المستوى التنظيمي ثلاث فيدراليات وثلثة الا ان سرعة مسيرة التحرر

1) Association des Etudiants Musulmans Nord Africains.

2) Union Musulmane des Etudiants Maghrébins.

الوطني التي برزت في قيام ثورات مسلحة قد اوقعت كل منطقة طلابية على اتباع طريقة خاصة غرضي مبركتها .

وبذلك ظهر الاتحاد العام للطلبة الترتيبين عام 1953 م بعد ان عقد مؤتمره الوطني الاول في شهر جويلية في نفس العام وقام الطلبة الجزائريون من بينهم بتنظيم الاتحاد المحل طوال السنة الدراسية لعام 1953 - 1954 وخلال اجتماع جمعية الطلبة المسلمين لافريقيا الشمالية بالجزائر يوم 26 فبراير 1955 صادق الطلبة على لائحة تطلب من الطلبة الجزائريين تكوين اتحادهم .

خلال السنوات الممتدة ما بين 1953 - 1955 م اهتم الطلبة المسلمين الجزائريين بانشاء المروع المحلية لتنظيم الطلبة داخل اطار يضم الطلبة الجزائريين الا انه يجدر بنا ان نشير الى ان النواة الاولى لمنظمة طلابية في شكل اتحاد تحتاج الى الايمان بقاعدة متينة تكون مصيرة تصيرا صادقا عن كلمة (اتحاد) فلماذا اجمع الطلبة المسلمين الجزائريين على كلمة (اتحاد) دون مفاهيم تنظيمية اخرى ؟

غنى عن التعريف ما توصلت الى اقراره المنظمة الطلابية الاسلامية لشمال افريقيا في شهر فبراير في عام 1955 م فقد كان اهم حدث تسم الاتفاق عليه من طرف المنظمة المذكورة المصادقة على لائحة تطالب بانشاء الاتحاد الوطني للطلبة الجزائريين U. N. E. A (انقضى اجتماعات تحضيرية تمت بين الفترة المصنوعة ما بين 69 فبراير و 7 افريل 1955 اعلن الطلبة الجزائريون بان تأسيس الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين هو خير مثال واكبر دليل على اعطاء اسم يوافق ويتلائم مع المسمى فالاتحاد يعني بكل بساطة وحدة الطلبة وتوحيدهم بالفضب المكافح ذلك الشعب الجزائري الذي يرفض النخل عن شخصيته والتنازل عن كرامته وكل ما يمت لافضيه وحضارته وقد ادت جهود توحيد الحركة الطلابية الجزائرية الى عقد المؤتمر التأسيسي للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين يوم 8 جويلية 1955 بقصر الميثياليته MUTUALITE

النشأة والتسمية :

ان ضرورة الاتفاق على تكوين هيكل لمنظمة مبررة عن طموح الجماهير الشعبية فكسرة كانت تنال جميع العناصر المختلفة التي شاركت في المؤتمر التأسيسي ليلاد الاتحاد ، فمن خلال جهود

1) Union Nationale des Etudiants Algériens.

الحركة الطلابية التي اشترنا اليها سابقا استقر الرأي على تكوين الاتحاد كاساس ميدني لابد من اقراره والمصادقة عليه بالاجماع ... يبقى بعد ذلك تحديد نشاط وصور الاتحاد هذا يأتي بعد الموافقة على التسمية فلم اختير اسم الجمع الطالبة الاسلامية ؟ ان من بين المسائل الاساسية التي طرحت على سباط المناقشة عند التضيرات الاولى للمؤتمر التأسيسي للاتحاد مسألة التسمية او الاسم الذي يطلق على المنظمة فهل يسمى بالاتحاد العام للطالبة الجزائريين ؟ ام بالاتحاد العام للطالبة المسلمين الجزائريين ؟ ان الاجابة المقنعة التي صدرت عن اللجنة التضيرية والمتمثلة في ان بلادنا تعرف وضعية خاصة تميزها عن بعض البلدان الاخرى هي التي كانت السبب في اقرار التسمية الثانية ، ففيه كان مجمل ما جاء في اجابتها عن السؤال المذكور هو انه اذا كانت بلادنا تحتل بقصة من افريقيا وكان القطرين الشقيقتين (تونس والمغرب) احتفظا بسيادتها كما هو معروف تاريخيا في اطار اسلامي محض فبالنسبة للجزائر التي يحاول الاستعمار تسخها عن حضارتها واسمايتها باسماليب استعمارية معروفة لابد لها اسام هذه الصليات التشبه بالاطار الاسلامي الذي يعتبر - وتاريخ الاشقاء شاهد على ذلك - خير اطار للمحافظة على الشخصية الجزائرية والتمسك باصالتها وثقافتها

والجدير بالملاحظة في هذا الصدد ان كلمة مسلم في الاتحاد لا ترمي الى تأكيد الطابع الديني فحسب بل وللتصريح عن اداة الطلبة في المحافظة على الاصالة والحضارة الجزائرية ، وعليه فان التذوة التضيرية باعقلية ساحقة وافقت ان الاتحاد سيكون صلبا =

اهمية اتقاء الاتحاد :

ان انشاء مثل هذا الاتحاد في الظروف المأسوية التي كانت تعيشها بلادنا انذاك جعلته طابعا خاصا ومفرا هاما . فلاحية التي يمكن استخلاصها بكل بساطة في انشاء الاتحاد المذكور هي انه كان الدليل الواضح والمبصر من مدى التزام الطلبة بالشعب الذي رفض التنازل عن شخصيته والانفصام عن ماضيه وحضارته وغياته تاريخه ، وكل هذه الامور ذكرتها تتدجج في اطار عربي اسلامي مما يؤكد موافقه الاسم للتسمية .

ان تكوين الاتحاد العام للطالبة المسلمين الجزائريين كان منذ تاريخ طويل يشكل مرحلة حاسمة في تطور الحركة الطلابية الجزائرية ، ولعل من الاهمية بمكان احدي الدلائل الملموسة التي تدبر عن حصول وعي لدى الطلبة الجزائريين اقرارهم النفاخ عن مصالحهم المادية وتخليهم

الشديد بنزاهتهم الروحي والتعافي وهناك أهمية أخرى لابد من الإشارة إليها لأنها ذات مغزى لا يستهان به وهي أن ميلاد الاتحاد نتج عنه تركيزه أكثر إنشاء الاتحاد المغربي وتحقيق الوحدة الطلابية المغربية إلى ما بعد شهر جانفي 1958 م حيث أنشئت منظمة طلابية على مستوى طلاب المغرب العربي أطلق عليها (كنفدرالية شمال إفريقيا للطلبة)⁽¹⁾ CF. N. A. E. تغيير اسمها في ما بعد .

وقد رأى طلاب شمال إفريقيا أنه من الضروري خلق الهياكل وتركيزها للقيام بتنسيق العمل لضمان الأمن والإمكانيات قصد توسيع النشاط واعتماده على مستوى بلدان المغرب العربي كلها .

الناحية التنفيذية :

كان الطلبة الجزائريين ينخرطون في الاتحاد العام للطلبة عن طريق الفروع المحلية ويقوم الأعضاء في المنطقة بانتخاب ممثلهم في المؤتمر ، وفي المؤتمر يتم انتخاب اللجنة المديرية تتكون من 27 عضوا في المؤتمرات الثلاثة الأولى لقفز عدد الأعضاء إلى 22 عضوا في المؤتمر الرابع عام 1960 م أما من حيث نشاط اللجنة المديرية فقد كانت تجتمع ثلاث مرات على الأقل في السنة ، وكان يخول لها أن تنتخب اللجنة التنفيذية المكونة من 5 إلى 7 أعضاء .

وعندما أصدرت الحكومة الفرنسية قرار حل الاتحاد الناحية المديرية في كل من ليزان LAUSANNE وسويسرا وتونس وتم تنظيم فروع على مختلف البلدان الأجنبية التي يتوجه إليها الجزائريون .

أهداف الاتحاد :

حدد المؤتمر التأسيسي للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في قوانينه وتوصياته أربعة أهداف رئيسية :

- 1 - الدفاع عن المصالح المادية والأخلاقية والنقاة ، وتأمين شروط معيشة الطلبة ، وتشجيع التبادل الثقافي مع طلبة وشباب جميع الدول .
- 2 - القيام بمكافحة الأمية ، والنضال من أجل تعلم الأطفال الجزائريين وشبط مناهج تعليمية لحقائق الواقع الجزائري .

1) Comme Fédération Nord Africaine des Etudiants.

3 - اندماج على اللغة العربية وتطوير الثقافة الوطنية ، وهذا الهدف لن يتحقق الا بعمل حد للقانونون الاستعماري الذي كان يهدف القضاء على اللغة الوطنية وذوبان ما تحمله من أوجه ثقافية وحضارية .

4 - العمل على تحقيق الاستقلال الوطني ، وقد أصبح هذا الهدف الرابع مع تطور الأحداث الهدف الاول أو بالأحرى الهدف الاساسي الذي يدور حوله نشاط الاتحاد .

ومع ان المؤتمر يعتبر المنظمة كتنقابة وطنية مكلفة بحماية المصالح المادية والمعنوية للطلبة ، فان الاتحاد العام للطلبة الجزائريين قد وصف نشاطه الاساسي في اطار سياسي فكتسيرا - والوضع عرج - ما نرد بأعمال القمع والتقتيل والإبادة التي مارستها الاستعمار الفرنسي ضد الشعب الجزائري في مدينة مكسيكته وغيرها ، وكثيرا ما طلب الاتحاد بإبهاء الحرب وفتح مفاوضات مع جبهة التحرير الوطني .

وفي مواصلة تضاله ونشاطه السياسي قرر الاتحاد يوم 20 فبراير 1956 التقيام بأضراب انداري عن الدروس والطعام من أجل إيقاف عمليات القمع كما قرر في 19 ماي 1956 اضراب عن الدروس والامتحانات بالنسبة لجميع الطلبة والتلاميذ الجزائريين حتى يتم التحرير الكامل للوطن ، وقد كانت هذه المواقف دليل واضح على مدى تمسك الاتحاد بأهدافه المذكورة .

الاتحاد والوضعية الطلابية :

ان الحرب لا تستهدف من الناحية النازية الى تخريب جسدي لشعب من طرف شعب آخر فحسب ، بل تخلف وراءها بصمات معنوية وروحية لا يمكن ان تمحي الا بإرادة قوية .

والثورة الجزائرية احدى الامثلة الحية على هذه الحقيقة المرة ، لان المئات من الآلاف الجزائريين الذين اضلوا من ديارهم ، ورموا من اوساط عائلاتهم واصدقانهم ، والذين املتوا من هذه الاعمال الاجرامية نجدهم مهنددين في اصالتهم وثقافتهم ومهد هذه المأساة هي نتيجة الحرب الاستعمارية التي قامت بها فرنسا ضد الشعب الجزائري ، والطلبة الجزائريون الذين هم جزء من الشعب الذي تحرك ليلة فاتح نوفمبر لاسترجاع حريته وكرامته . ماجروا وطنهم طلبا في التعليم نظم التعليم في الجزائر والهجرة في طلب العلم .

وقد تميز النظام التعليمي في الجزائر قبل ثورة قاصح نوفمبر بنظامين أديا مع مرور الأيام الى وجود فئتين من الطلبة الجزائريين :

التعليم العربي :

الفئة الطلابية التي تعلمت باللغة الوطنية وفقا لنظام تقليدي عتيق في أغلب الحالات لأن المدارس التي كانت تنشأ معرفة من حين الى آخر لطلق إيراياها والقاء القبض على رجالها مثل مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي يعتبر عبد الحبيد بن باديس أول مؤسس لها في هذا الوطن الذي كانت لغته وثقافته وحضارته مهددة بالمسخ والزوال ، لم تجد حاته العنة من أبناء الشعب الا الهجرة للاقطار النربية الشقيقة طلبا للملم والمعرفة فقد هاجر الكثير من الشباب الجزائري الى الخارج قبل بداية معركة التحرير الوطني عام 1954 بسبب فقدان امكانيات تعلم اللغة الوطنية وبسبب التفاوت الكبير في مناهج التعليم المصري وطرقه المتبعة ليتعلم اللغة الوطنية في الكتاتيب وهي طريقة خالية من جميع مناهج التعليم المصري مما ادى بالطلبة الجزائريين الى مفادرة الوطن في اتجاه المدارس والجامعات في البلدان الشقيقة ان مشكلة طرق تعلم اللغة الوطنية كانت تطرح نفسها بصورة حادة وخطيرة لانه بإمكاننا ان نتساءل عن كيفية وثيقة تكوين الذي يعطى للطلبة لتكوين اطارات جزائر الغد فهو يتقدم ما كان مركزا على الجانب الادبي والدين نجده خاليين من الجانب الفني والبيداغوجي وفي هذه الحالة فاذا كانت اهمية التعليم العربي تكمن في كونه يلقن دروسا تستهدف احترام الثقافة العربية والعادات الاسلامية فهي في نفس الوقت لا تستجيب لمتطلبات المجتمع الذي يطمح نحو التقدم .

التعليم الفرنسي :

اما الفئة الطلابية الثانية فهي الفئة التي تعلمت الفرنسية سواء في الجزائر أو في فرنسا وعانت الفئة من أبناء الجزائر التي تلقت تعليمها وفقا لنظام المدرسة الفرنسية رأت من القيد لها أن تبحث على مركز تعليمي خارج المركز الفرنسي خصوصا بعد أن يصبح بإمكانها بعد سنوات من الدراسة الثانوية مواصلة التكوين بلغات اجنبية أخرى مثل الانجليزية ، والالمانية التي كانت تدرس كلغة ثانية بعد اللغة الفرنسية في الجزائر وفرنسا ،

ومن دون شك فان انصراف الطلبة الجزائريون عن المدرسة الفرنسية كمؤسسة تربوية وتعليمية يرجع الى ردود فعل أبناء الجزائر لما يشعرون من متاعب وعراقيل سواء من حيث نظام

الامتحانات أو المعاملات ولا مجال للحدوث عن انفرس المتنوعة أمام الطلاب المتفرجين لأن الغبول في الوظيف العمومي يشترط التنازل عن الشخصية الوطنية التي هي اقلا كنز لا يمكن للجزائري ان يتنازل عليه *

ومن هنا جاءت المنظمة الطلابية وهي في بداية نشأتها مشكلا خطيرا هو مشكل الطلاب اللاجئين خصوصا بعد ان سومت عليها الإقامة في فرنسا وانتقال مركزها الرئيسى الى تونس وتوزيع الطلاب على اكثر من 25 دولة في أوروبا *

وهناك مشكلتان أساسيتان على الاتحاد أن يقوم بإيجاد حلول لها *

تمثل المشكلة الأولى بالنسبة لطلابنا في - سويسرا - بنجيك - ألمانيا الغربية - هل وجهه المخصوص في تدهور الوضعية المادية والاقتصادية للطلبة المنوحين بسبب ارتفاع المعيشة باستمرار وعدم اكتفاء المنحة من ناحية وعدم تقاظم الطليق مع الجو لخدمة البرد الذي لم يتعود على مثله قبل الهجرة *

التوجيه التربوي :

في مجال التوجيه التربوي أن الاتحاد أمام الطلاب المسلمين الجزائريين قد اعطى المسألة توجيه الطالب نحو احتياجات جزائر الله أهمية كبرى وحده سياسة تستجيب لحاجيات البلاد اذ اجريت دراسة احصائية عام 1960 على حوال 26 مطالبا موزعين في مختلف بلدان أوروبا * وتونس وحالات الاحصائية تصور لنا مدى تفهم المنظمة الطلابية للاطارات التي تحتاجها البلاد عند تيل استغلالها *

جدول توزيع الطلاب حسب الفروع

27 %	طالب	112	- م.د.رس الهندسة
18 %	طالب	73	- المعلوم
24 %	طالب	105	- المفرق الاقتصادية التجارية
22 %	طالب	91	- الطب والصيدلية
9 %	طالب	45	- الادب

وكل ما يمكن قوله بعد هذا الجدول هو ان المنظمة الطلابية كانت دائما تحدد الخطوط العريضة لسياسة التخصصات حسب الحاجيات الاساسية للجزائر المستقلة فهي بهذا الهدف كانت تعمل على توفير ذخيرة متينة لمركة البناء والتشييد بتجهيتها للاطارات التي بإمكانها ان تستلم مقاليد تسيير شؤون البلاد بعد الاستقلال .

الاتحاد والثورة الجزائرية

منذ أن ظهر الاتحاد العام لطلبة الجزائريين الى الوجود رأى من أن يفتح نضاله السياسي لصالح استقلال الجزائر .

فقد كان يعزى بأن يحمل المشاكل الثقافية أو الاقتصادية والاجتماعية التي يتخبط فيها الشعب الجزائري لا يمكن حلها الا بطلاق نهائي مع النظام الاستعماري بالجزائر ولا يمكن للشعب الجزائري ان يعرف ازدهارا أو تحورا الا بالتخلص من الاستعمار الاجنبي .

في المجال السياسي : فعول هذا الهدف كل النشاطات للمنظمة الطلابية ، فهو في علاقات مع الاتحادات الطلابية يعمل من أجل الحصول على التأييد الطلابي وحسن المساعدة للقضية الجزائرية .

وكان الاتحاد العام يعتبر نفسه جزءا متفاعلا في الثورة الجزائرية ومتضامنا مع كل الفيسن يكافحون من أجل استقلالها .

جبهة التحرير وجيش التحرير : وبطبيعة الامر فإن شكل المشاورة تتخذ ميزة خاصة بمنظمة طلابية تبرز لنا على الصعيد الخارجي : في التعريف بالقضية الجزائرية وحسب تأييد الرأي العالمي - تكوين الاطارات التي تكون في خدمة جزائر الغد .

- اجراء دراسات حول المشاكل الكبرى في الجزائر ، ونشر اللغة العربية وفي تحقيقه لاهدافه السياسية ، ولمتوحات من اهدافه ثورة نوفمبر 1954 ، نرد المؤتمر التاميسي للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ، بالاعمال التي قام بها الاستثمار الفرنسي عند مطلع الثورة ضد الشعب الجزائري انتقاما من العمليات العسكرية التي كان يقوم بها جيش التحرير الوطني ضد القوات العسكرية الفرنسية .

طلاب المؤتمر الوطني الاول بتوقييت اخلاقه البكر قرارا ، في مفاوضات مع التوار حسرل
استقلال الجزائر *

وشرعت المنظمة الطلابية في نشر الوعي بالتورة واعدادها في اوساط تلاميذ الثانويات
والتكميليات بالجزائر وخارجها *

وفي اطار مواصلة نضاله السياسي قرر الاتحاد يوم 20 جانفي 1956 القيام باضراب عسرن
الطعام وتوقف الطلبة الجزائريون عن الحروس طوال يوم كامل ، كاتذار للسلطات الفرنسية
بفقد توقييت عمليات القمع والارهاب التي يقوم بها الاستعمار الفرنسي ضد الجزائري *

(ضمن الامن والسلم في البلاد) كما طالب باطلاق المساجين السياسيين من السجون الفرنسية
ومن المهم الاشارة الى ان الاسبوع الاخير من شهر جانفي 1957 الذي عرف بنصف شهر التضامن
مع الاخوان في السجون ساهمت فيها بعض العناصر المنطونة والرجية من الطلبة الفرنسيين
ضد الجزائريين ، بلغت هذه المضايقات درجة خطيرة في جامعة مونيوي وعلى اثرها بسوزت
تناقضات في صفوف (الاتحاد الوطني لطلاب فرنسا) واستنكار بعض الاوساط الفرنسية
التفهمية لمثل هذه الاعمال وقد استطاع الطلبة الجزائريون اجتياز هذه الازمة بكل وعي ، وذلك
عنما واجه الاستقلالية بكل برودة ، هونهالبيت تدبيره لضرب المنظمة الطلابية واعضاؤها *

المؤتمر الثاني (مارس 1955) وبعد الموادث التي وقعت بمدينة سكيكدة يوم 20 أوت 1955
والتي خلغ فيها الاستعمار 4000 جزائري مسر اوساط عائلاتهم ، وجههم بالمصعب البلسي
للمدينة حيث تم اعدامهم على يدى البوليس الاجرامى والقوات العسكرية الفرنسية المتوحشة
الا انه رغم مرور شهور قليلة من نشأة المنظمة وانقباد مؤتمرها الثاني بالمعاصمة
الفرنسية من (24 الى 28) مارس 1956 فقد اتخفت خلاله موقفا بطوليا وواضحا من التورة *

فبعد ان حيا المؤتمر الثاني الارواح البرينة التي سقطت لتميش الجزائر حرة مستقلة وتعد
بكل شدة بمختلف اعمال الاضطهاد والابادة المتكررة ضد الشعب الجزائري منذ مجازر ماي
1945 حيث اعصمت السلطات الاستعمارية بالقطاع الفلسطيني وحده ما يزيد عن 45000 جزائري *

كما حدد المؤتمر الوطني الثاني الذي حضرته منظمات طلابية ودولية وشارك في اشتغاله
3x فرعا للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين الذين جددوا تفهم الكاملة في الاتحاد الوطني

الذي اعطاهم فرصة التنظيم لتكثيفهم وواجبهم كطلبة ولكن كجزائريين قبل كل شيء وقد وقع المؤتمر كل الالتماسات عندما أكد بصفة علنية في لائحة صادق عليها بأجماع من أجل استقلال الجزائر وتعيينه للداء الخاص يشقون فرنسا في مفاوضات مباشرة مع حزب جبهة التحرير الوطني كما أعلن رسميا عن الانضمام للاتحاد وتبنيه الكامل لسياسة حزب جبهة التحرير الوطني ومن هنا قرر قسوع الجزائر للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بأجماع في اجتماع عام عند يوم 26 ماي 1956 القيام باضراب عام لطلبة الثانويات واجامعات ورنسهم لحضور الدروس وامتناعهم عن المشاركة في الامتحانات وحدد يوم الاضراب بيوم 29 ماي 1956 الذي تحتفل به سموباً واصبح يعرف (بيسوم الطلاب) ، هي الداء التاريخي الذي وجهه قسوع الجزائر أعلن فيه عن رفض الطلبة لتأسيمة الدروس سواء في الجامعات او الثانويات ودعاهم فيه حامياً الى الالتحاق بصعوف حزب وجيش التحرير الوطني .

من أجل المساهمة الفعلية في الكفاح المسلح الى جانب اسوانهم الشمال والفلاحين وقد استجاب الطلبة الجزائريون سواء في الجزائر ارضي الخرب وتونس وفرنسا لهذا النداء التاريخي فتركوا مقاعد الجامعات وطاولات الثانويات والتحق بعضهم بصعوف الثورة معلنين عن حبهم وتضحياتهم من اجل القضية الوطنية ولتعيش الجزائر حرة مستقلة .

وتمتد هذا اللقاء لترسم على ارواح الذين سقطوا في ساحة الشرف واقعين اجلالا وتكريما على ارواح هؤلاء الاباطال الذين ضربوا اروع الادمثلة في التضحية من اجل ان تحيي الجزائر ، واتعهد باسمكم جميعا على اننا سنواصل كل التضحيات من اجل بلوغ الاهداف المقدسة التي حيدنها ثورة فاتح نوفمبر »

والزم الطلبة الجزائريون الذين لم تتح لهم العرصة او مناسبة الالتحاق بالثورة بالاضراب طوال ما يقرب من سنتين (29 ماي 1956 الى عام 1957) .

حتى قرر المؤتمر الثالث للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين المقصد في باريس في الفترة ما بين 25/23 ديسمبر 1957 في ظروف شبيهة سرية وطلب من الطلاب العودة الى مدرجات الجامعات نظرا لوعي الثورة بأهمية الاطار وحاجتها اليه عند استقلال البلاد .

وتشير الى ان عند الطلبة المسجلين في جامعة الجزائر اصبح لا يتجاوز مجموعة قليلة من الافراد فضلا عن ان اغلب المدارس قد انغلقت ابوابها منذ اضراب عام 1956 وتشتت تلامذتها

بسبب تضاعف عمليات القمع والملاحقة ضد الطلبة الجزائريين سواء في الجزائر أو في فرنسا ، إلا أن المؤتمر الوطني الثالث رغم الظروف الموبقة التي انعقد فيها فقد أكد مرة أخرى الإرادة الصارمة للطلبة الجزائريين في مواصلة تضامنهم للحصول على الحقوق اإادية وقضيتهم الوطنية وكذلك عن طريق مضاعفة مختلف نشاطاتهم ، ومنذ ميلاد الحكومة المؤقتة الجزائرية عام 1958 عبرت المنظمة عن إبتهاجها بهذا الحدث واعتبارها كحكومة شرعية وحيدة للجزائر ، وبالتالي فهي تعتبر نفسها نسير وفقا لقراراتها .

والسؤال الذي طرحته آن ذاك بعض المنظمات الأجنبية العلمية وخصوصا منها الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا U. N. E. F. لآهل يمكن القول بأن المنظمة الطلابية الجزائرية تابعة لحزب جبهة التحرير الوطني ؟

ومع الأيام تأكدت بأنها جزء منه لأن اختيارات الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين هي ميسا يتعلق في المستقبل نفس الاختيارات والأهداف التي حشدتها ثورة نوفمبر في مؤتمر الصومام 1956 والتي كانت المنظمة الطلابية أحد الاطراف المدعوة للمشاركة فيه ، ولم يحد من هذا الهدف حلال السنين الطويلة والمريرة من كفاح الشعب الجزائري .

فالمؤتمر الرابع للاتحاد المنعقد بتونس (يشر الباي) من 26 جويلية الى 3 اوت 1960 وهو المؤتمر الأخير الذي يعد إبان معركة الكفاح المسلح يحدد أهدافه السياسية فيما يلي .

- تأكيد إرادة الشعب الجزائري في الاستقلال ، والتتديد الشديد بألحرب التي تقوم بها فرنسا في الجزائر .

- القول ميسا بقرار المصير كوسيلة لحل المشكل الجزائري .

- ضرورة دخول فرنسا في مفاوضات مع الحكومة الجزائرية المؤقتة من أجل تقرير مصير مسلم حقيقي بجزائر وما جاء في الإلعة السياسية العامة للمؤتمر الرابع للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين .

- ودائما وفاء منهم للطريقة اصلاطنا الذين ضحوا بحياتهم من أجل القضية الوطنية ، وإدراكا منهم اليوم أكثر من قبل بالمسؤولية ودورهذه المرحلة القاسية التي تمر بها الثورة مع اصالح ألحرب - فإن الجزائريين المجتمعين في مؤتمرهم الوطني الرابع من (26 جويلية الى 3 اوت)

بنو الباي (تونس) بدون توقف وبأى ثمن الكماح أو التحرير ، وضاعفون مشاركتهم المباشرة في الحركة ، ويعتبرون أنفسهم دائما مجتدين في حملة الثورة ، وهم على استعداد للانقطاع من جديد عن دراستهم من أجل الاستجابة لاي نداء توجهه الثورة .

ونستخلص من كل ما سبق ذكره ، ان المنظمة الطلابية ، وكل ما قنمته من تضمينات لتمثل في استشهاد العديد من اعضائها في ساحة القتال من أجل استعادة التراب الوطني ، وتسركو المدرجات الجامعية ليعيشوا فوق صفوح الجبال مسؤولين وجنود في صفوف ثورة (تعرف بدايتها ولا يمكن تحديد نهايتها) لهم أفضل من خدمة يقدمها الانسان لمجتمعه يمكن أن تلمبها منظمة طلابية للشورة خصوصا وأنها لم تنصرف عن الاحداف التي رسمتها لنفسها داخل ثورة الشعب الجزائري .

الاتحاد وقروب القمع

ان السلطات الفرنسية قد ضاعفت من افعالها القمعية ضد الطلبة الجزائريين يوما بعد يوم لكون ان الحكومة الفرنسية بدلا من اتخاذ وسيلة لسياسة التفاوض والوصول الى سلام حقيقي ، جابهت موقف الشعب الجزائري كنه بطريقة قمعية بواسطة السلطات الخاصة التي سلمها البرلمان الفرنسي يوم 26 مارس 1956 للنظام الاستعماري بالجزائر الذي كان قد تجاوز .

ومنذ افريل 1956 عاش الطلبة الجزائريون في الاحياء الجامعية مضايقات شديدة ، وحيلة من الاعتقالات سواء في فرنسا أو في الجزائر ، بل ان بعض الطلبة الفرنسيين اصبحوا يتقوون بالاراء حرايات ضد الطلبة الجزائريين منذ 1956 .

لطح بعض الاساتذة الاستعماريين خصوصا في الجزائر ايديهم في دماء الابرياء ، عندما طالبت (لجنة العمل الجامعية) C. A. U. وطلوبوا بتجديد عام للطلبة الفرنسيين ، بل ذهبوا الى حد المطالبة بانشاء فرقعة من المقاتلين لمضاعمة حرب الاسادة ضد الشعب الجزائري وعمرق الاتحاد الوطني للطلبة المسلمين الجزائريين خلال الفترة الممتدة ما بين عام 1955 وجانفي 1959 حيلة من الاعتقالات في صفوف الطلبة وقندان بعض اصنامر القيادة ومصادرة مقر الاتحاد بباريس واتقاء القبض على المسؤولين في الاتحاد مع قتل بعضهم وسجن البعض .

وتعتبر سنة 1956 من أخطر المراحل التي مرت بها المنظمة تشتت في عمليات القمع والاعدام والقيام بعمليات الطرد بحيث بلغ عدد الطلبة المحكوم عليهم حوالي 40 طالبا وقد تمثلت عملية القمع حتى بعض المحامين من الذين تطوعوا للدفاع عن الطلبة الجزائريين عضبة المحاكمة ومثل هذه الاتصال الإجرامية تفنينا عن الحديث عن أعمال البطش والتعذيب التي كان الطلبة الجزائريين يتقونها داخل السجون الفرنسية *

إن قرار حل الاتحاد من طرف الحكومة الفرنسية لا يعني في نظر أعضاء الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين نهاية للمنظمة بل لقد حصدت عكس ما كان متوقعا لدى الحكومة الفرنسية ، فقد نتج على قرار الحل خروج أجهزة التسيير إلى المنطقة من فرنسا وقرار عدد كبير من الطلبة الجزائريين مما ساعد في التطور الطارئ للسياسة الدولية للاتحاد العام واكتسب الاتحاد بذلك صيغة هامة تمثلت في تأثيره على الحركات الطلابية العالمية فزاد النشاط النقابي والتنظيمي للاتحاد الذي يشرف على أعضاء المنسح وتسيير بعض المصالح وتحسين الشروط المادية للطلبة الجزائريين الموزعين على 25 دولة *

وإثر الإعلان عن قرار الحكومة الفرنسية المتعلق بحل الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في 28 جانفي 1958 تم اعتقال 50 طالبا جزائريا وإذا كان من الطبيعي أن يتلقى الطلبة الجزائريين ضربات قاسية على يد السلطات الفرنسية داخل فرنسا فإن عملية القتل وملاحقة البوليس الفرنسي لأعضاء الاتحاد تجاوزت حدود السيادة الفرنسية ، فقد تعرض الطلبة الجزائريين لعمليات الإبادة والقتل واساليب الاضطهاد والارهاب والقمع في عدد بلدان أوروبا الغربية وفي الوطن الأم *

وهذه قائمة نموذجية لبعض الضحايا الذين سقطوا فداء من أجل القضية *

قائمة الضحايا واسمة

المرحوم : محمد خميستي :

تم يوم 12 نوفمبر 1957 إلقاء القبض على المرحوم محمد خميستي الأمين العام للاتحاد العام لطلبة المسلمين الجزائريين ، في الوقت الذي كان مسجلا كطالب بجامعة مون بوليس ويعد إسابع تحت تعذيب الشرطة الفرنسية تم نقله إلى مسجن بربروس ثم حول إلى مسجن الجزائر Maison Carrée بالبراني *

وكانت (التهمة التي وجهت للمرحوم) هي قيامه بنشاطات سياسية للنس بالامن الصيام
الفرنسي بالجزائر وبعد ايام كالت السلطات الفرنسية في غلة منصودة ، ومتجاهلة بأن
الامين العام للاتحاد لم يفضل الجزائر منذ أكتوبر عام 1953 *

تقرر يوم 23 ماي 1959 تقديم 15 طالبا جزائريا الى القصر عليهم بعودة اعادة تأسيس
الاتحاد العام بعد حله مع مطلع 1958 من طرف الحكومة الفرنسية *

وكان من المقرر أن يمثل الطلبة أمام المحكمة (17) بباريس ولكنه تم اغتيال المرحوم امقران
ولد عرابدية المحامي وهو أحد المحامين المخلصين بالدفاع عن الطلبة عشية (المحاكمة) بباريس في
شهر ماي 1959 *

وهذا الحادث الاجرامي يذكر بهادث المحامي قونوقى الذى سقط ضحية عمليات القمع
الفرنسية *

طالب عبد الرحمن :

وقد اعدام الشهيد « طالب عبد الرحمن » الذى كان يراول تعليمه بكلية العلوم بجامعة
الجزائر يوم 24 افريل عام 1958 بالجزائر وكانت التهمة هي على يد الزمسة العسكرية بالجزائر .
ويحمل اليوم نادى الطلبة اسم هذا الطالب الشهيد الذى ضرب أروع مثل في التضحية
البطولية والفداء *

أخسر ضربة استعمارية :

وقد كانت آخر ضربة استعمارية موجهة فسد الطلبة الجزائريين بصفة خاصة والثقافة
بصورة عامة هي حرق (المكتبة) الجامعية أخسر توقيت اطلاق النار عشية الاستفتاء الشسمى
لشهر جويلية عام 1962 * هو قد تسميم هذا التخريب في الحاق اضرار على يد الارهابية
بالمؤسسة الثقافية فيما القروع الحقوق والمعلوم والطلب 500000 كتاب من كتب المكتبة الوطنية
وهذا الحادث الرهيب الذى استهدف هدم الثقافة في الجزائر في اطار سياسة (الارض المحرقة)
قد دبرت بعد توقيت اطلاق النار ، وهي دليل على أن عملية القتل والملازمة الطلابية وتخريب
المؤسسات التربوية قد تواصلت حتى بهد اتفاقيات انيان بهدف إبقاء الشبب الجزائري في
بحر من ظلام الجهل والتخلف الفكرى *

دور الاتحاد على الصعيد السياسي الخارجي

إن النشاط الحيوي الذي تميز به النشاط السياسي للمنظمة الطلابية الجزائرية أبان مرحلة الكفاح المسلح قد جعلت العالم بكامله يجعل من قضية التحرر الجزائرية في مقدمة القضايا العادلة وذلك في جميع المظاهرات التي تنظم في المدن المناسبات، فيفضل الاعمال الجادة والعلاقات الودية التي أقامتها المنظمة الطلابية الجزائرية أصبحت على الاتحاد الطلابية التقدمية تتجاوز النأييد للمعوى مثل بوقيات الاحتجاج ضد أعمال القمع التي تقوم بها السلطات الفرنسية ضد الشعب الجزائري ، بل تقوم بتقديم مساعدات مادية مثل المسح وشرح القضية الجزائرية في الأوساط الشعبية منها والطلابية وتنظم حملات لجمع التبرعات والحديث عن القضية الجزائرية سواء الصحف أو عن طريق المناشير والبرقيات خلال المظاهرات وأخذ الكلمات حول القضية الجزائرية أثناء المهرجانات الطلابية بل ذهبت بعض الاتحادات الطلابية إلى تقديم المنح والادوية والمأهلات المالية لعائلة الطلبة الجزائريين لمساعدتهم في إداد واجبههم الوطني - ومواصلة تعليمهم ليكنوا كجرة الشون في معركة البناء والتشييد فعمل الصعيد الدولي مثلا استطاع الاتحاد الوطني للطلبة المسلمين الجزائريين، رغم ملاحقة السلطات الفرنسية لأعضائه ، وقرار حله أن ينظم الندوات الدولية بلندن (بريطانيا) في الفترة ما بين 27 و 28 أبريل 1958 - حقق منها انتصارا دوليا هاما نظرا لكونها خصصت لمناقشة قضية حل الاتحاد والتعريف بالقضية الجزائرية على الصعيد الدولي والحصول على تأييد 32 منظمة طلابية من بل أن المنظمات الطلابية للمشاركة في الندوة التزمت بشرح القضية ومطالبتها باستقلال الجزائر -

ومن ناحية أخرى سمحت للاتحاد أن يجتاز بعض العقبات المادية لمواجهة أزمة الحل والملاحقة لفسان حياة الطلبة المشتتين في أنحاء المعمورة - وتجنب الإطالة والوقوف كثيرا حول النشاط السياسي الدولي للاتحاد ، تقول بكل اختصارات المنظمة كانت تشارك مشاركة فعلية بهمعف التعليق بالقضية الجزائرية في كسل المناسبات الدولية أو الجهوية الهامة سواء كانت منها نوات عالمية للشباب أو مؤتمرات طلابها منذ تأسيسها إلى استقلال البلاد -

وقام الاتحاد أيضا بتنظيم مهرجانات ، وجولات عبر عدد من بلدان العالم في الفترة ما بين (1960 - 1967) ، كما شارك أعضاء الاتحاد في تربية ومنشآت دولية -

المغرب العربي :

وعلى صعيد بلدان المغرب العربي، لعب الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين دورا فعالا في تكوين (كوندوالية) شمال افريقيا للطلبة التي تكونت مع مطلع سنة 1998 وتضم الاتحادات الوطنية الثلاث لبلدان المغرب العربي الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ، الاتحاد العام للطلبة التونسيين ، والاتحاد الوطني للطلبة المناريه *

وكان الهدف الاول الذي انشئت من اجله هذه الكوندوالية هو تحديد وتطبيق سياسة خارجية مشتركة للاتحادات الطلابية للمغرب العربي في كل القضايا المشتركة والمصرية ، واتى قضية استقلال الشعب الجزائري في طليعة القضايا التي يعمل على تحقيقها أبناء شمال افريقيا *

وفي فرنسا :

انه بالرغم من أن قوانين الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين تنص على تحسين العلاقات مع جميع طلاب العالم ، ولعام الظروف المعوية التي كانت تسببها الثورة والمنظمة الطلابية في فرنسا *

كان الاتحاد ، يتنازل او يسكن من الاهداف التي ترمي الى تحقيقها الثورة الجزائرية وفي مقدمتها آنذاك الاستقلال الوطني وعليه صادقت اللجنة الادارية يوم 10 ديسمبر 1996 على لائحة تدبر فيها عن اسفها العميق للمتحفظات التي يبديها الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا (باغروح حسن النيامي وذلك بتجديده بصمة و ضحة موقفه من السياسة الاستعمارية بالجزائر والمطامح الوطنية للشعب الجزائري) *

وتسبب رفض مكتب اتحاد طلاب فرنسا في تحديد موقف واحد في قطع العلاقات بين الاتحادين *

العلاقات مع الاتحاد الوطني لطلاب فرنسا :

وبعد اغطاء كل العلاقات لمدة ما يقرب من اربع سنوات بين الاتحاد العام للطلبة الجزائريين والاتحاد الوطني لطلبة فرنسا بسبب عدم وضوح مواقف الاتحاد الفرنسي من القضية الجزائرية ، جددت العلاقات مرة أخرى عام 1960 على اثر انعقاد مؤتمر الوطني في شهر ابريل وحشد

مواقفه من القضية الجزائرية بكل وضوح وكان هذا الموقف الاخير الذي يؤيد استقلال الجزائر ،
قد سبقه حدثا هاما وبما كان له من التأثير على مؤسس الطلبة الفرنسيين ، ففي 24 من شهر
سبتمبر 1959 أمضى 241 متقنا فرنسيا (بيانايطيون فيه باحلال السلام بالجزائر والدفاع
عن حق الشعب الفرنسية في رفض المشاركة في العمليات العسكرية التي تقوم بها القوات
الفرنسية ضد الشعب الجزائري .

وقد حظى هذا البيان باشهاد كبير في الصحافة العالمية ، وردت الحكومة الفرنسية على هذا
البيان بسلسلة من التواء القبض والعقوبات ضد الذين امضوا هذا البيان .

وعلى اثر تجديد العلاقات مع الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين قررت الحكومة
الفرنسية قطع المساعدة المالية التي كانت تقدمها للاتحاد الوطني لطلاب فرنسا في شهر جوان .
وهذه المساعدة المالية التي تقدر بـ 70.000 فرنك جديد وتمثل 25٪ من ميزانية الاتحاد
العلاقات بين التلميذتين قام الاتحاد الفرنسي في مطلع شهر أكتوبر 1961 بنشر بلاغ يطالب فيه
من الطلبة والشباب والعمال وكل العناصر الديمقراطية التعبير عن مطالبهم لفضول فرنسا
في مفاوضات سلام مع الجزائر ، وبالحصول عام صغره حوالى 150000 شخص عبروا بحضورهم
لهذا المهرجان عن المطالبة بالسلام في الجزائر وعدم تدخل البوليس الباريسي ومحاومة الحكومة منع
عقدتها لانها كما ترى يمثل خطرا على الامن العام .

ومن دون شك ، فان مثل هذا المهرجان محتمرا مكسبا كبيرا للقضية الجزائرية وتحقق بفضل
السدور السياسي العميق للمنظمة الطلابية الجزائرية .

وكانت المبادئ الاساسية التي تقوم عليها سياسة الاتحاد في مجال التعاون الدولي حمسى
رفض انشاء العلاقات مع أية منظمة طلابية ليست لها مواقف واضحة من الحق الطبيعي لجيوس
الشعوب في الاستقلال الوطني تمشيا مع ميثاق الامم المتحدة .

والبدء الثاني هو التمتع باستقلالها السياسي ازاء اتحاات التقسيم في العالم فهي لا تسمح
لنفسها على العمل من اجل خلق المعسكرات او التكتلات على اختلاف انواعها موافق الاتحاد
كانت تمسح مبادئ الثورة الجزائرية والمصالح الحقيقية لشعوب افريقيا التي كانت تكافح من
اجل استقلالها وتحصل بهداف تحرر بلدانها اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا .

واصدق ما نقول عن النشاط السياسي الخارجي للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين هو ما جاء في وثيقة الاتحاد الوطني لطلاب فرنسا نشرت في شهر جانفي عام 1962 حيث جاء فيها ما يلي :

(وان التطور الهائل في السياسة الدولية للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين قسمه جعلته من إحدى الاتحادات ذات الوزن الكبير واكثرهم تأثيرا عن الحركة الطلابية العالمية .

والحقيقة انه اذا كان لجيل الثورة الشرف الكبير في مفادرة مقاعده الجامعات وحمل السلاح لتعيش الجزائر حرة مستقلة فان ما يقوم به الطلبة اليوم من واجبات وطنية مثل الخدمة الوطنية والاعمال التطوعية لفائدة الثورة الزراعية لبرهان على سلامة شببيتنا وصدق المثل القائل انه خير خلف خير ملقب .



مكانة ثورة أول نوفمبر 1954

بين الثورات العالمية

ودورها في تحرير الجزائر وأفريقيا



تتلمس الأبحاث التاريخية مدى ما تعدّته
من تأثير في الانفتاح الداخلي والعالمي - وفي
التاريخ الحديث والمعاصر عدد من الثورات تعتبر
عالمية لما لها من دور في تغيير أوضاع البلدان التي
انطلقت منها ، وفي أوضاع البلدان الأخرى خارج
حدودها - ومن ضمن هذه الثورات : الثورة
الأمريكية ، والفرنسية ، والروسية ، والمصرية ،
ولادة أول نوفمبر 1954 الجزائرية من هذا النوع
ورغم تأخرها زمنيا ، مع ميزات أخرى لها تميزها
عن غيرها كما سنوضح .

يحيى بوعزيز
وهبران

فالثورة الأمريكية عام 1776 تأتي أهميتها في كونها استطاعت أن تحرر ثلاثة عشرة ولاية على الصاطي، الاطلسي من الاستعمار الإنجليزي وأن تمن حقوق الانسان " ولكن هذه الثورة سرعان ما انزلت بمد ذلك الى الحرب الأهلية بين ولايات الشمال والجنوب بسبب مشكلة العبيد الانفارقة والاسترقاق التي ما تزال حتى اليوم تمثل وصمة عار في جبين المجتمع الأمريكي الذي يطبق السياسة المنصرية البيضاء ضد السود الانفارقة والهنود الحمر " ثم ان الثورة الأمريكية قهرت الانسان الأمريكي الاصيل ، ووسخت حمة النقي يبعد، الأوروبي اللقضاء وفرضت سيطرة الأوروبي الذي ذهب الى هناك غازيا ومستعمرا - ومن هنا فهذه الثورة بقدر ما كانت رحمة وبركة على الأوروبي الغازي فهي لعة ونقطة على الأمريكي الاصيل "

والثورة الفرنسية عام 1789 عظيمة الاثر لكونها حطمت اعظم ملكية مستبدة جائرة في أوروبا واعادت للشعب الفرنسي كرامته وحرية بعد ان ألغت نظام الاقطاع وامتيازاته التي كانت تقسم الشعب الفرنسي الموحّد الى طبقات اجتماعية لا اساس لها اطلاقا في سنن التشريع والعدالة . وكان كابوسها تقبلا على المجتمع الفرنسي لثلاثة قرون حلت " ثم ان هذه الثورة استطاعت أن تقوى عروش أوروبا الاخرى ، وتبعث في شعوبها روح الامل في التحرر والانتفاخ من رجس الاقطاع وجبروته وذلك بفضل المبادئ والمثل التي جاءت بها ونادت بتطبيقها . وكان لها الفضل بعد ذلك في اندلاع الثورات الدستورية التي حصلت بأوروبا في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، وادت الى سقوط الملكيات المستبدة وقيام حكومات دستورية عادلة .

ولكن الثورة الفرنسية رغم هذا كانت ثورة حصراء سالت فيها انهار من السماء وتطفت القصلة رؤوس حوالى خمسة عشر ألف شخص في ظرف شهر ونصف معظمهم من الابرياء - ثم ان هذه الثورة سرعان ما تحولت عن اهدافها التحررية . وانماقت وراء سياسة التوسع والاستعمار داخل أوروبا وخارجها بزعماء نابليون وبنايرت الذي غزا إيطاليا والنمسا ، والماليزيا ، ومصر في الشرق ، وسوريا ، وهدد الجزائر بنفس الوضع لو لم تعاجله المشاكل الداخلية وتحالف أوروبا ضده .

والثورة الروسية عام 1917 كانت رحمة وبركة على الشعب الروسي حررت من ظلم وجبروت القياصرة المستبدين ، وتحكم الاقطاع الفلاحين ، وساعدت الشعب الروسي على تحقيق معجزاته الكبرى في ميدان الاقتصاد والتكنولوجيا مما سمح له ان يقتحم الفضاء الخارجي ويكتشف اسرار

الذرة • وهذا النمو والتطور في الميدان الحضارى هو الذى ساعدها على التأثير فى الإفطار المجاورة لها بشرق أوروبا ، وفي الصين بآسيا •

ولكن هذه الثورة الروسية لا تستطيع أن تبرىء نفسها من التحكم والسيطرة التى يفرضها الشعب الروسى حاليا على شعوب غمير روسية خاصة الشعوب الإسلامية فى القوقاز والتركستان وكازخستان بآسيا الوسطى •

والثورة المصرية عام 1952 لا ينكر فضلها فى تغيير أوضاع مصر الداخلية حيث حررت الشعب المصرى من الملكية الماسدة ، والاقليّة الاقطاعية المتنجسة التى كانت تتعاون مع الاستعمار الانجليزى • وساعدته على اقتحام معارك البناء الاقتصادى والحضارى ، وكان من أبرز مكاسبها : استعادة القساسة الى الشعب المصرى ، وطسود الاستثمار الانجليزى ، وتحرير الشعب من الادلال الذى كان يعيش فيه منذ قرون وقرون ، وتمكينه من ادارة دفة البلاد بنفسه فاصبح يشعر لأول مرة بنعمة الحرية والاستقلال •

ولكن الثورة المصرية يميلها عن السبر والتقدم ، الاقطاع الداخلى الذى ما زال لم يصف بعد بصورة نهائية • والرجعية العربية بالمنطقة التى تسرى فيها خطرا محدقا بها ، وتسمى جهدها لتصفيتها مستعينة بالقوى الخارجية التى تشاطرها الراى ، لان الثورة المصرية كانت المصيب فى كل الانتفاضات التى حصلت بالشرق العربى خاصة بالعراق واليمن ، وامارات الخليج ، وسوريا ولبنان وغيرها •

اما ثورة أول نوفمبر 1954 الجزائرية فزيادة عن كونها - عالية - نهى اعظم تأتيا ، وأبلغ أهمية ، سواء فى الميدان الداخلى أو الخارجى ، وذلك لكونها كانت ثورة ضد سلطة استعمارية شرسة حكمت البلاد بصورة مباشرة طوال قرن وربع القرن ، وضعد روح التشكك التى زرعتها هذه السلطة الاستعمارية خلال هذه الفترة - وحملت الشعب الجزائرى يسرى تاريخه الطويل الزاخر بالامجاد والبطولات ، شيئا وشيئا أو بشابة سراب • ولكى تبعد عن الخيال والاساطير • لابد من ايراد الدلائل والبراهين المادية من واقع البلاد وتاريخ الشعب • ولنبدا بالميدان الداخلى •

ثورة أول نوفمبر 1954 أعادت الثقة للجزائرى بنفسه :

لقد خضعت الجزائر للاحتلال الفرنسى طوال قرن وربع قرن ، وعمل المحتل الفرنسى كل ما يقدر عليه من أجل أن ينسى الشعب الجزائرى أصله وتاريخه ، ويشطب بجرة قلم على أمجاده

الحضارية التي تمتد الى غابر الازمان ، وعانى الشعب الجزائري الشيء الكثير من الضيم والجور والقسوة والمكران ، وكان اخطر ما عاياه فوق هذا كله ، حالة التشكك في أصله ، وتاريخه ، وفي شخصيته القومية لدرجة أن بعض الجزائريين تجرأوا على التسؤل بأن ليس هناك بلد اسمه الجزائر ، ولا شعبا اسمه الشعب الجزائري العربي المسلم ، ودعوا الى دمج هذه البلاد وشعبها في المجتمع الفرنسي الأوروبي المسيحي .

وثورة نوفمبر 1954 هي التي أعادت الثقة للمجتمع الجزائري في نفسه ، وأكدت له أصالته التاريخية التي تمتد الى اعماق التاريخ القديم «وعودة الثقة هذه هي القاعدة الاساسية للكفاح البطولي الذي خاضه شعب الجزائر طوال سبع سنوات ونصف » وقد تبدو للبعض هذه « الثقة النائية » بسيطة او صاذجة ، ولكن أهميتها في الحقيقة بالغة ، ولولاها لما تحمل شعبنا تلك الاحوال التي تمجز الجيبال عن تحصنها ، وهناك امثلة حية اليوم لشعوب فقدت الثقة بنفسها ولم تستطع ان تعمل شيئا ، ومن ضمنها شعب جنوب امريكا ، والهنود الحمر بامريكا ، وسكان استراليا الذين مسخهم مجتمعات أوروبا العازية المستعمرة ، وادابها ولم تبقي على البص من الا هي اجل الاستغلال السياحي والدراسات البشرية كما يجري الحال في استراليا مثلا .

لقد كافح شعب الجزائر ، قبل ثورة نوفمبر 1954 ، سبعين عاما بالسلاح ، ونصف قرن بالسياسة ، فلم يحصل على طائل ، وكلنا نسمع دائما بأن الجزائر قلب ميت وطشاق مكرس اعاق الجناحين عن الحركة والسير ، سمعنا هذا من بعض اخواننا التوتبيين والمخاربة في مطبخ الحسيينات عندما بدأوا يحاولون الانتفاضة ، وهم محقون في هذا ظاهريا لكنهم لم يكونوا يعلمون بواطن الامور كما ندرکہا نحن ، كما لم يكونوا يحسون بنقل الكابوس الذي كا نحن نرؤخ تحته .

ان ثورة نوفمبر هي التي دفعت هذه التسببة ، وزعت هذا التشكك ، واثبتت ان الجزائر لم تكن قلبا ميتا ولا طائرا مكرس الجناحين ، بل هي قلب شاب ينضج بالحياة والحيوية والنشاط ، وصقر لا تاله السهام والنبال ، ولا تقفل منه فريسته مهما كانت طافية او خرسية .

ان ثورة نوفمبر من هذه الناحية هي : « البصت » الجديد للجزائر الجديدة والحديثة بكسل ابعادها ومفاهيمها انها وصفت كسل الدروس التي مضت واستخلصت العبر من اتفاق كل التورات السابقة لها من عبد القادر ، واحمد باي ، وبومزة ، وبوزيان ، وبوبقشة ، وبوحارة ،

والحاج عمر ، وبوخنتاش ، وسي الصادق وعاطية الى اولاد سيدي الشيخ ، والمقراي ، والحداد ، والمعمري ، والاوراس ، وبوعامة وغيرهم الذين لم يكونوا يخططون لعملهم ولا يعتمدون على القاعدة الشعبية كعبية ، وانما كانوا زعماسحريين لتورات اقليمية متباعدة الزمن ، مزولة عن الاسكانيات التي توصلها الى اهدافها النبيلة .

وقد فهمت ثورة نوفمبر جيدا ان ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بها ، وان الحرية تؤخذ وتتزعزع ، ولا تهدي وتمطى ابدا . كما انها درست التجارب الماضية لها وهي حصيلة سبعين عاما من الكفاح المسلح ، وخمسين عاما من الكفاح السياسي ، واصرت على ان لا تدخل الحركة الا بجهة قوية تمثل كل فئات وطوائف الشعب ، تحميها من الاغتراق والمهلك ، وبقيادة جماعية منضبطة تجنبها المزالق الشخصية التي وقع فيها اجدادنا في القرن الماضي وتضمن لها النصر والنجاح .

وليس من السهل توحيد الشعب في جبهة واحدة في بلد عشت في الاستعمار ، وكبش بانيابه ومخالبه عليه وعلى مقدراته طيلة قرون وربع القرن . واصبح الكثير من زعمائه السياسيين يدعون النبوة والرسالة ، وتباينت آراؤهم حول المطالب الوطنية الواضحة للشعب الجزائري تاياما خطرا وعميقا . فالبعض يدعمون الى التجنيس والفرنسة والسذوبان في المجتمع الفرنسي الاوروبي المسيحي . والبعض يدعون الى تحقيق اصلاحات اجتماعية بسيطة لا تصدى الشؤرون الدينية والاقتصادية . والبعض وضوا ، نتيجة للتطور التاريخي ، ببروز شخصية جزائرية ولكن في إطار الكيان الفرنسي وتحت علمه . ولم يكن هناك الا تيار واحد مستقل يبرز مع ظهور هيئة « تجسم شمال افريقيا » ، في بداية العشرينات من القرن الحالي ، وتدرج في إطار « حرب الشعب الجزائري » قبل الحرب العالمية الثانية ، وحزب « حركة الانتصار للحريات الديمقراطية » بعدها . ولكن هذا التيار كان محاربا من الجبهة : الاستعمار الفرنسي ، واذاباه من الجزائريين .

وقد وصلت المحسومة بين هذه التيارات السياسية الى درجة المفونة خاصة بعد الحروب العالمية الثانية وفي مطلع الخمسينات بصسورة اخس . وتسربت هذه المفونة حتى الى داخل التيار الاستقلال نفسه : حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية الذي انشق على نفسه ودخل في دوامة من الصراع والسباب بين زعيمة الهرم ، والاكثرية من شبابه المناضلين . جعلت الاستعمار يطنن للوضع ، ويتفرج من بسيد على ساحصة الحركة .

وكان فصل ثورة نوفمبر 1954 في توحيد هذا الشتات « مكسبا وطنيا » هائلا ، وفي منتهى القداسة ، بحيث أذابت الجميع في « جبهة التحرير الوطني » الاغلبية عن ايديا واقتناع ، والاقلية « بالموسى » والحجر ، والشافور . وكان هذا انجازا عظيما لثورة نوفمبر 1954 .

الصعاب الداخلية التي واجهتها الثورة :

لقد كانت الجزائر في نظر التشريعات الفرنسية قطعة من التراب الفرنسي رغم وجود تسهانة كايو مترا من مياه البحر المتوسط فاصلا بينهما ، ورغم الاختلاف والتباين في التاريخ والعادات واللبس واللغة والعقيدة « يل وحسن في الجغرافية والمناخ » وتشبها مع هذه النظرة الحاطنة استماتت فرنسا في مقاومة الثورة الجزائرية واستعملت كل الوسائل التي قامت امكانياتها وطاقتها المادية والبشرية ، فجنبت ما يزيد عن مليون وصف من الجنود ، وسلحت قرابة المليون ممر اوروبي القاطنين بالجزائر ، واستماتت بخيرة الحنف الاطلس وامكانياته العسكرية والفسية ، وجنبت طابورا من « الحركة » والقوم الجزائريين الذين باعوا ذممهم ووطنيتهم وضما نهم - واقامت معسكرات الاحتشاد والتجمع التي ساقمت اليها مئات الآلاف من امداد الشعب كسمالة للفصل الثورة عن الشعب . واقامت ساطق صحرة في شرق البلاد وغربها . عززتها بحطوط الاسلاك الضائكة المكهربة والطرق الملمسة ، والمراكز العسكرية ، وذلك من اجل عزل الجزائر تماما عن العالم الخارجي ومنع وصول المؤن والنجيدات الى الثورة والمجاهدين « وجهزت من طائرات الاستكشاف والقنبلة لمراكز التوار زاد مصلحتها الشهرى عن عشرة آلاف عملية - وهزمت ذلك بفرق من الجيش الفرنسي الحنيفة للثقل بسرعة وراء الشوار . وضمت عمليات عسكرية ضخمة ودوية اكسحت الجزائر شيئا فشيئا « وشعبة بشعبة من اجل اثناء كل اثر لجنود جيش التحرير الوطني وكان من ابرز هذه الصليات ، عمليات : للمجهز ، وشال ، وماراؤون ، والضباب وغيرها من جبال تلمسان ، والونشريس ، الى جرجرة ، وحوض الصومام ، والبيبان ، وبوغالب والاوراس ، والشمال القسنطيني . ومن سمات هذه العمليات : الضخامة في العدد والعدد ، والدوام في المدة طويلا ثلاثة اشهر وزيادة . بل ان عملية المجهز في القبايل الصخرى دامت اكثر من خمسة اشهر ، انتشر فيها بفسود الجيش الفرنسي في كل كدية وشعبة واستعملوا ادوات المجهز لاكتشاف الجنود الى جانب اجهزة الارصاد والاتصال والقفز وكانوا يقتربون حتى الحاج

أدراكه في مكان ما . وتسم إنجاز مضمّن هذه العمليات في عهد دوجول . ولشدة هولها وتساوتها فانه حتى الاحمر عندما تسمح أريز الطائرات تسمى للاختفاء والاحتفاء بالاشجار كما أكد لنا ذلك أكثر من مجاهد .

وزيادة على هذه العمليات العسكرية الضخمة ، مارست القوات العربية عمليات التطبيب الهندسية بمختلف الاساليب والاشكال ، كتنسيق الاطافير بالكلايب ، وتسليط الكهرباء على اجزاء الجسم الحساسة ، من الذكر ، والفرج ، والهرد ، ونقر بطون الحوامل ، وتطبيق الاشخاص بصوره مقنونة ، وغسل الرؤوس في أحواض المياه الحارة أو الباردة ، ووضع حنفيات المياه في اقراء الاشخاص وفتحها حتى تمتلئ البطون ثم تتركس بالارجل لتخرج المياه على الدبر ، وكراء الناس على شرب مياه الصابون ، وترك آخرين لتعطش مع وجود المياه بقربهم ، وتسليط الكلاب عليهم لتنهشهم ، وسحب البعض احياء بالخيل والحيوانات ، وجرح الجسم بامواس الحلاقة وإبداع البيض في بيوت مظلمة أياما وأسابيع على الاسمنت البارد وادغام البيض على المشي على المسامير ، وما الى ذلك من فنون التعذيب الهندسية ، كل ذلك من اجل الحصول على معلومات عن الثورة وجنودها . وادغام الناس على التنكر لرجال الجيش والجهبة وتواصلت هذه العمليات طوال سنوات الثورة . ولكن الثورة لم تفشل ، والنشعب لم يتردد في تدعيمها ، وامدادها بكل ما تحتاج اليه من مؤن وذخائر وعون .

منجزات الثورة داخليا :

ان كل الوسائل التي استعملتها فرنسا ضد الثورة لم تعدها ، يصل ان الكثير منها عاد وبالا عليها هي . أما الثورة فقد واصبت سميرتها بتدرج وتطور منطقي . فبعد انطلاقها الاولى في نوفمبر 1954 لم يمش عشرة شهور عليها حتى انطلقت انطلاقتها الثانية في احداث عشرين اوت 1955 التي عمت كل الشمال القسنطيني . لتسفر احلام واكاذيب الدعاية الفرنسية التي كانت تدعي ان متزعمي الحوادث « فلاة » وقطاع طرق « مدفوعون من الخارج » وليسوا ثورا ذوى اهداف وطنية . ثم اكتمل شمول الثورة في اكتوبر من نفس العام عندما فتحت جبهة وهران الغربية أو الولاية الخامسة . وفي مؤتمر الصومام ابتداء من 20 اوت 1956 حققت الثورة شخصيتها السياسية والعسكرية . فوضع إطار لجيش التحرير الوطني يمكنه ان يصبح جيشا نظاميا في مستوى جيش

المرد ، بل وأقوى منه في الأساليب - ويرثه شخصية جبهة التحرير الوطني بأهدافها الواضحة ومطالبها المادلة التي اعترف بشرعيتها كل العالم التحرر وأصبحت لجنة التنسيق والتنفيذ ، والمجلس الوطني للثورة الجزائرية ، يلعبان دورا بارزا في مقاومة أساليب جيمس الحلال في الداخل ، والأعياب الدبلوماسية الفرنسية في الخارج ، وكان ميلاد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في 19 سبتمبر 1958 خطوة حاسمة لكسب الاعتراف الدولي بالدولة الجزائرية الجديدة ، وأرغم دخول على الاعتراف بحق تقرير المصير للجزائر في نوفمبر 1959 ، ثم جاءت مظاهرات ديسمبر 1960 لتفصح كسل الكاذب وادعاءات الصباط الفرنسيين بأن الثورة الجزائرية قد ماتت وانتهت ، وإن السبب الجزائري ضد الجبهة ومع فرنسا ، وكانت صحيفة المتظاهرين بشعارات « تحيا الجزائر - وجهة التحرير » و « ونسقط فرنسا والاستعمار » في عين تيموخلت ، والجزائر العاصمة ، وهران والبلدية وعنايه ، أخطر انفجار وجهه دغول وجعله يقطع رحلته ويسود الى فرنسا بسرعة لكشف التقارير احررة التي كان يوجه اليه ضباط المرسوم النسيبة والسيكولوجية بالجزائر ، « ليسرع على التو في مخاطبة الجبهة كمثل وحيد للشعب الجزائري ، والنواض منها من أجل الاستقلال الوطني ».

لقد حظيت الثورة الجزائرية صيغة حكومات فرنسية هي : حكومة هادي فراس ، وفي مول ، وبرجيس مونوري ، وادثار فور ، وفيليكس قايار ، وصولي الثانية ، وديلان ، وقوضت أركان الجمهورية الراية الفرنسية ، وزعت الفضل في الجيش الفرنسي وألقت به هزائم تاريخية رغم الدعم الكبير الذي كان يتلقاه من الحلف الاطلسي ، وجعلته يتردى في تمردات داخلية كما حصل في 13 ماي 1958 ، وأبريل 1960 وجاني 1961 ، واستطاعت الثورة أن تعزل فرنسا دوليا طوال سنوات الثورة السبع ، وأن تصيب الاقتصاد الفرنسي بضرر قاضية فدمور وتضمض - وأعدت التضييق والانحلال الى اوساط الشعب الفرنسي الذي انقسم على نفسه بين مؤيد للحرب الاستعمارية التي تشنها بلاده ضد الشعب الجزائري ، ومعارض لها ، وباحتصار مان فرنسا أورتها ثورة نوفمبر الجزائرية اقلاما اقتصاديا ، وعرلة سياسية دولية ، وتقسما اجتماعيا ، وهزائم عسكرية كبيرة ، واضطرت في النهاية أن تعترف بالواقع المر وتناك من أن ما يجري في الجزائر ثورة وليس تمردا ، ووراء هذه التسوية قيادة كقوة ، وتخطيط حكم ، وأهداف وطنية سامية ، واكرهت في النهاية أن تذهب الى طاولة المفاوضات في مولان ، وايفيان ، ولوقران ،

لتجلى مع الذين كانت تزعم أنهم « فساد » ولصوص مدقوعون من الخارج » وتعترف بهم كممثلين وحيدين للشعب الجزائري » وتتفاوض معهم على قاعدة الاستقلال التام »

ولم تغلق فرنسا في خلق التلاعبات والثورة العقباء في طريق الاستقلال . فشلت في خلق « القوى الثالثة » من العمال والخونة لتنافس بهم جبهة التحرير الوطني رغم الرحلات العديدة والطويلة التي كان يقوم بها لويس جوكس أو كيسيجر فرنسا انذاك وفشلت في فصل الصحراء عن اجزاء الوطن الاخرى ، كما فشلت في اثاره السدول المجاورة لها فيما دعته قضية الحدود . وكانت ديبلوماسية جبهة التحرير اقوى وأبلغ منها في الاقتناع والتوصيح حتى لدى من كانت تظن انهم سيكون سدا وجدارا في وجه التسوية الجزائرية مثل تونس والمغرب الانصى »

دور ثورة نوفمبر في تحرير افريقيا :

ان دور ثورة نوفمبر الجزائرية في تحرير افريقيا عظيم جدا - والتاريخ هو الذي سيصنفها عندما يتقدم الزمن وتبدل الحوادث » والمنصفون من الساسة الانارة اعترفوا فعلا بهذا الدور . لان ثورة نوفمبر هي التي حطمت حقيقة الامبراطورية الفرنسية ما وراء البحار ، وكانت آتني حلقة في سلسلة الهزائم التي توالى على فرنسا طوال قرن ونصف قرن من الزمن »

فلقد فشل الامبراطور نابليون الاول في غزو روسيا عام 1812 وفقد في محارته الطائشة معظم قواته التي كانت تقدر بنصف مليون جندي ولم يعد الا بحوالي مائة ألف رجل فقط . وتحطمت ضده دول أوروبا وأرغسته على العيش متفيا في جزيرة سانت هيلانة الى ان مات لتحمل بعد ذلك عظامه الى متحف لى ذاتفاليه : بباريس »

وفي عام 1870 هزم حفيده الامبراطور نابليون الثالث أمام قوات بروسيا الشابة التي اعتقلته واعتقلت معه مائة ألف من جنوده بعد هزائم هيتزوسيدان ، واحتل الالمان باريس وتوجوا امبراطورهم غليوم على دولة للمانيا المحسنة في إحدى قاعات قصر فرساي بضواحي باريس . وكانت تكبة كبيرة ما تزال آثارها ماثلة في اذهان الفرنسيين حتى اليوم »

وفي الحرب العالمية الاولى 1914 - 1918 تعرضت فرنسا لهزيمة ثالثة ولم ينقذها من تحت اقدام الالمان سوى الانجليز والامريكان الذين تعرضت مصالحهم للخطر كذلك ، ولكن الالمان

جدوا الكرة ضدها في الحرب العالمية الثانية وهو موها واحتلوا فرنسا كلها تقريبا ، وارغموا
الماورصال بيتان على الصالة لهم ، ولم ينقذ فرنسا الا نجدة الامريكان والاسجلز مرة أخرى ، وتحالف
روسيا معهم ، وسواعد الافارقة وامكانياتهم المادية

ولم تنته مشاكل الحرب العالمية الثانية واهوالها حتى دخلت فرنسا في حرب استعصارية ضد
الشعب القيتنامي بالهند الصينية وكان تصميها منها الفضل والهزيمة النكراء خاصة في معركة
ديان بيان نو عام 1954 التي اعتقل فيها القيتناميون اكثر من عشرة آلاف جندي وضابط
فرنسي وارغموا الحكومة الفرنسية على الذهاب صاغرة الى طولة المعاضات بجنيف في نفس
العام ، لتضئ على صك الرحيل والانسحاب مذلولة .

ومن سوء حظها عندما انسحبت من الهند الصينية أن الثورة الجزائرية على الايواب ولم يبق
سوى بضمة إسماعيل لتفصر وتندلع وتصبح اضطرقية تواجهها في عقد الخمسينات . لقد كانت
ثورة نوفمبر 1954 ، بالنسبة للجيش الفرنسي ، رهانا له على كسب الانتصار ونزعه مهما كان
الثمن الذي تدفعه فرنسا حتى يعوض عن هزائمه السابقة عبر قرن ونصف من الزمن . فما حسي
حيله ووسائله يا ترى ؟

انها اتخذت عن كل المستعمرات الفرنسية في افريقيا -

فبعد امضاء اتفاقية جنيف حول الهند الصينية عام 1954 طار رئيس الحكومة الفرنسية
مانديس فرانس الى تونس بجمعية المارشال الهم جوان ذو التجارب الفاضلة في المغرب الاقصى .
وذلك ليمنح تونس استقلالا ذاتيا داخليا على أن تبقى الشروط والامن الداخلي والشؤون الخارجية
وال دفاع في يد فرنسا لمدة عشرين عاما . ولكن الشعب التونسي لم يرض بذلك ، وتدمر كفاحه
قيام الثورة في المغرب الاقصى والجزائر . خاصة بعد احداث 30 أوت 1955 في الشرق الجزائري
تصامتا مع الشعب المغربي . واضطرت فرنسا أن تعترف بالاستقلال التام للمغرب الاقصى ، وعاد
محمد الخامس من منفاه مرفوع الرأس في حين اضطرت الفلاوي صنيعة الاستثمار أن يذهب وراكا الى
فرنسا لمقابلة محمد الخامس والاستفتاء والاعتذار له عما يمر منه مسن خيانة . كما اضطرت الملك
الصوري محمد بن عرفة أن ينسحب الى طانية ثم الى منفاه خارج المغرب .

وكانت احداث القرب الاقصى المزحومة والهائلة حافزا لبورقيبة ليشد الرحال على التو
الى باريس وينتزع من في مولاي رتيس الحكومة الفرنسية الاستقلال التام لبلاده تونس اصوة بالمغرب

الانصي • ولم يكن بد من ذلك لان فرنسا غارقة الى الانكسار في ثورة الجزائر المظفرة ، والجيش الفرنسي في رحا من محبوس من اجل الحصول على الانتصار ضدها •

وعندما انتصر الاشتراكيون في انتخابات مجلس 1956 ، كان المراقبون يظنون ان فرنسا ستنصف ثورة الجزائر • وكنا نحن نعرف انها سوف لن تعمل شيئا لان الاشتراكية لقب زائف في فرنسا خاصة بالنسبة للجزائر • والاشتراكيين هياكل يكون محتوى ، وصفق حدينا بسرعة لان في مولي الامين العام للحزب الاشتراكي الفرنسي ورئيس الحكومة الجديد تراجع بسرعة عن افكاره بعد صرية الضباط التي تنقاه من اوروباى الجزائر غداة زيارته لها يوم 6 فيفري 1956 ، فقبل استقالة الجنرال كاترو الذى لم يلتحق بمنصبه اصلا ، وعوضه بالاشتراكي السفاح لاکوست الذى طلع على العالم بخير • ربح الساعة الاخير • الذى بقي من عمر الثورة الجزائرية لتسوت وتندثر ، ولم يكن يدري ان ذلك الربح هو • ربحه الاخير هو • ليسقط ويصوى ، وينلوه الى نفس المصير ، المينسوف العيقرى • سوستيل • الذى هوى هو الآخر فى ادخال ثورة الجزائر المظفرة الكبيرة التي بقيت شابة وقوية تدوس باقدامها كل هؤلاء الاعبياء ، وتسقط كل الحكومات الفرنسية المتوالية وتطيح بالجمهورية الرابعة باكملها •

واعتمد التعفن السياسى في فرنسا الى الجيش نفسه الذى اصبح يشعر بالمرارة من الهزائم الكراء التي تتوالى عليه تباعا وبدون شفقة ، وظن ان التمرد والتحدى ضد فرنسا سينقله من الفصل فصرم بالجزائر غداة 23 ماي 1958 وجاء بالجنرال دوغول الى الحكم من قريته المزعزعة بـكولومبي ، كسعد لما دعاه • الجزائر الفرنسية • ولم يكن هذا الرجل اقل عنادا من سابقه نجواه الجزائر ، ولكنه يمتاز عنهم بشطرته البعيدة لصالح فرنسا الداخلية والدولية - فاكتر مسن التردد على الجزائر ليطلع على الامور عن كثب ومن المواقع ، في اطار • رحلات الجواند العسكرية • التي كان ينظمها له ضباط جيشه ، ورغم انه اكتشف خطورة الثورة وسموية ادغالها الا انه اصر هو الآخر على الصناد والتحدى : • كالمهر يحكى انتفاخا صولة الاسد • فانخذ يصنع جيشه بالعدة والعدد ، ودعا النصارى الجزائريين الى الاستسلام ورفع العلم الابيض فيها دعاء : • سلم الابطال • • وكما حاولت لتحدى الثورة الجزائرية والتعرج لواجبتها التعت الى مشاكل المستعمرات الفرنسية الاخرى في افريقيا - وكانت شعوب هذه المستعمرات قبل ثورة نوفمبر الجزائرية شبه نائمة تفت في سبات الغفلة والتسيان • فايقتظتها هذه الثورة بتسجسها وحديها ، وتسابلت عما

يجرى في شمال قادتها ، وعندما علمت بالحقيقة ، وينتظرة نومها وغفلتها سلكت نفس الطريق عل
غرار قول الشاعر العربي :

ولا رايت الناس شمسها وحالهم الى يحرك الظامى اتيت يجرتي
وكانت صيحة « يا » التي اعلتها شعب غينيا بداية لسيرتها نحو التحرر واضطر دوجول
الى الاعتراف بالواقع والتسليم باستقلال شعب غينيا ، ولكنه حاول ان يقتله بقطع كل مساهمة
له كان شريان الحياة لا ينبع الا من باريس - غير ان الشعب الغيني واصل مسيرته وبقي حيا يردد
وما يزال يتابع طريقة بنجاح .

وبعد تجربة غينيا الناجحة اخذت باقي الشعوب الافريقية الاخرى تملن صيحتها واضطرت
فرنسا ان تسلم باستقلالها ، واضطر رئيس وزرائها ميشيل ديبري في يوم واحد عام 1960
على استقلال اثني عشر بلدا افريقيا بعد استقلال موريتانيا في نفس العام ، ولم يكن هذا الاعتراف
سهلا وكربا من فرنسا ، وانما بفضل ضغط الثورة الجزائرية التي كانت بمثابة البعير لها
تنطحها وتصفعها وتشبعها وكلا وفرنسا من كل جانب .

وكانت فرنسا تفكر ان التخلص من مشاكل مستعمراتها الاخرى يتيح لها الفرصة والقوة
لكي تلمن ثورة الجزائر وتتغنى عليها وعلى خطرهما ، ولكن ثورة الجزائر كانت « مسمار جحا » في
جسدها الهرم ، وجاءت القاذبة مزدوجة فتحررت افريقيا كلها من رجس الاستعمار الفرنسي
والبريطاني ، والبلجيكي ، وتحررت الجزائر بعدها وكانت خير رائدة لقافلة التحرر الافريقية .

ثورة نوفمبر مغفرة للحرب وافريقيا : وصيكة الجزائر الكبرى .

ان انتصار ثورة نوفمبر 1954 الجزائر ، بعد مغفرة للحرب جيما ، لانها رفعت واسمها عاليا ،
واعطت درساً لا ينسى للبلدان الاستعمارية بان العرب قادرون على تحقيق انتصارات خارقة ، بل
وهذه في التاريخ . وفي نفس الوقت فان هذه الثورة مغفرة لافريقيا ايضاً لانها هي التي اعادت
اليها الحياة والحريية ، وحفزتها على مسح غبار الخلة والتخلف ، ودفعتها الى العمل من اجل
التحرر الوطني وطرد المستعمرين التسلط المستعدين .

اما الجزائر فان ثورة أول نوفمبر هي : « معركتها الكبرى » بلا جدال ولا نزاع ، ذلك لان
الجزائر وان عاشت تاريخاً مجيداً عبر مسيرتها الطويلة الا ان المحتصم الجزائري كان باستقرار

شبه منزول عن الحياة الحقيقية ، ويمشي على هامش الأحداث والتطورات التي هو صانعها وخالقها .
نظرا لحكم الاسر والمائلات الانتاعية في صميمه . وهذه الظاهرة وان كانت قدرا مشتركا بين شعوب
الارض خلال العصر الوسيط وجزء كبير من العصر الحديث . الا ان الجزائر كان لها وضع خاص
ميزها عن غيرها . فقد وليت بالنزوات الاستعمارية منذ فجر تاريخها ، وعندما تمتعت بالاستقلال في
بعض المهور الإسلامية ، كان ذلك في إطار الاسر والمائلات الاوروستقراطية الإنتاعية .

ولم يتنفس شعب الجزائر الصعداء الا بعد اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954 التي طردت
الاستعمار . وطرقت حمة بقايا هذه الاسر الطاغية لأول مرة في التاريخ يسبك شعب الجزائر صميمه
بيده ، وينعم بالاستقلال والحرية الحقيقية ، ويشارك بجميع فئاته في ادارة بلاده ، وفي استئصال
حيراته . كما أنه لأول مرة في تاريخه يشارك بجميع فئاته في ثورة تحريرية جماعية لتحرير بلاده
وطرد المحتل الفاسد بالقوة والمنف ، وذلك مصدر انتصاده وعظمته .

وهكذا فان ثورة أول نوفمبر 1954 ، من الأحداث الكبرى المالية في الحقبة المعاصرة ،
ولا هيبتها هذه تولي السلطة الثورية أهمية خاصة لجميع وثائقها حتى لا تضيق كما ضاعت وثائق
ووثائق الثورات السابقة لها . ونتمنى من خالص ان تدون وقائع هذه الثورة وأحداثها بأمانة
لتكون عبرة لأجيالنا الصاعدة والمقبلة على مر الدهران الثمن الذي دفعته هذه الثورة غل وغال جدا
من فسمه مليون ونصف مليون شهيد .

على أن الاهتمام بوثائق هذه الثورة لا يعني احوال وثائق تاريخنا خلال القرن الماضي وبداية
الحالي ، والا فتكون الفجوة كبيرة جدا . ووثائق هذه الحقبة مكسدة في الارشيفات الفرنسية بأكبر
أن برورف نس ، وباريس وينبغي استعادتها بأية وسيلة كانت ومنها التصوير ، ومساعدة الدارسين
والباحثين الجزائريين على دراستها وتحليلها قبل أن تأكلها الارضة ويطمسها الفجار ، وهي معركة
أخرى جديدة يتحمل تبعاتها الجيل المنقلب ، وتمثل في إطار الثورة الثقافية التي هي ضرورة لواقع
الثورتين : الصناعية والزراعية .

مآخِمة المرأة في صنع النص



● ان التطور الذي يريده المجتمع للمرأة
انما ذاك الذي يعتمد الامالة والمفتح معا *

● ان التمسك في كل يد يقدر يتصف
سكانه على الامل ، ويلقون في الجهل والسلبية
والتواكل همرمان من الانتفاع باعمال نصف
المجتمع * ولهم من الهزيمة لعمل وتضال الرجل
نفسه نسبة كبيرة *

● كانت تظاهرو تقول للمستعصر ان
الجزائرية لا تخلع حجابها بدعوة من المستعصر ،
ولكنها تخلعه في ساحة القتال ، او في وطن حر *
● لقد اثرت المرأة فعلا حقانقنا التاريخية
بالضاميين والمهامم البعيدة ، عندما عملت بفعالية
من اجل الحفاظ على مقوماتنا واصلتنا
فذكرت بذلك في صنع النص مرتين *

بقلم: زهور ونيسى

ان الحرية شيء لا يبدل له لتقدم العقل والروح .. ان العقل يمكن ان يتحصر * والروح تصاب بالشلل بسبب غياب الحرية - وى تقدم للبشر والانسانية موهون بالحرية والعدالة *

والحرية شيء لا يبدل له لانه ليس كالايشياء الاخرى .. التى تكتسب بالبئع والشراء .. وحتى بالمزادات وانما هى شيء لا يرضى بغير الارواح والنماء واليتم والعداوب والحرمان ثمنا .. شيء لا يمكن شراؤه ولا بيعه ولا التفاوض على كسبه .. لانه لا يرضى بغير الانتزاع والاخذ ، بالقوة والصمود والاخلاص .. والتفانى *

جالت هذه الخاطرة فى ذهنى وكسل شيء فى الجزائر المتاضلة يستعد للاحتلال ينكسرى النصر .. تذكرى الحرية المنتزعة بملأين الشهداء رجالا ونساء غير خمسة اجيال كاملة من المستن .. حملت مختلف البطولات واروع الامثلة فى الغدواء والنضال واسترخاضت الارواح والابشاء والاحباب .. واعطت للشعوب مثالا حيا لا ينتمى عن سمود الشعوب ورايتها عندما تريد .. والجزائر وهى تحتل اليوم بعيدا عاشت طيلة خمسة اجيال كاملة هذه الارادة .. التى تجسمت فى الثورات المستمرة المتتالية والكناج الطويل المديد .. ضد الاحتلال الاستيطانى الذى سلبها الحرية - عاشت هذه الارادة لانها لا ترضى بشلل الروح وانتحار العقل .. وهى الجزائر ذات التاريخ الحافل المجيد *

ونحن عندما نقول الجزائر انما نقول للشعب الجزائرى .. وعندما نقول الشعب فانما نسمى كل افراد وقطاعات الشعب رجاله ونسائه وشيوخه وشبابه واطفاله ثم نصول بعد ذلك ان نأخذ الجانب الذى يهمنى من قطاعات هذا الشعب ونحن هنا وكما هى العادة ، نحاول ان لا نفرج عن نطاق نصف هذا الشعب - المرأة الجزائرية ووضعها المرأة فى مختلف ظروف الجزائر :

- كيف كان وضع المرأة قبل اندلاع الثورة الطاقرة ؟

- كيف كان وضعها خلال هذه الثورة ؟

- وكيف هى الآن بعد انتمسار الثورة المسلحة ، والدخول فى ثورة ابشاء واختبة ؟

وللجابة على هذه الاسئلة الثلاثة يصدق المناهل وامانة الكاتب الموضوعى ، فانه لا بد من تقسيم الموضوع الى ثلاثة اقسام حسب لاسئلة ،

- وضع المرأة قبل الثورة :

ان وضع المرأة قبل اندلاع الثورة التحريرية جزء لا يتجزأ من الوضع العام الذى كانت عليه الجزائر ككل من جهة ، ووضع الانسان الجزائرى من جهة اخرى *

لأنه لا بد من التطلع لصورة المرأة في هذا الوضع بدءاً من فترة تاريخية معينة « مضطرين إلى ذلك ، لتسير نحو معرفة هذه المرأة ووضعها ، دون إهمال أي جانب ، وحتى نخرج في الأخير بصورة متكاملة الجوانب ، واضحة الملامح ، بارزة الشكل والمضمون ، ولو كانت مختصرة »

لا بد من الرجوع إلى الخلفية حيث نقطة زمنية معينة تعد البداية للتاريخ الجزائري المورخ *

لقد تميز المجتمع الجزائري بكل خصائص الشعوب المميّزة ، فوافرت عليه وتطافرت عوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية فصاغته في قالب جمع بين مقومات الانسانية كلها ، قالب فيه مرونة الانسان الهادئ ويماطفه المدفوعة بالفضلة إلى التطور والتجديد والانتفاع ، وبالتالي فإن انسانه يملك طاقة الحياة للتفاعل والتجاوب ويتطور يوماً نحو الكمال .. كأي إنسان سوى مجتمع غنى بارضه وتاريخه وقيمته ، يقنط على كل ذلك ، متفان في حمايتها من الغفلاء والطامعين ..

في هذا المجتمع كانت المرأة تتمتع بالاحترام والتقدير وتحظى بالرماية * محترمة الجانِب ، مسموعة الكلمة قوية الشخصية ، ولعل كسل ذلك ، أني تمعنها بالحقوق والاحترام في المجتمع القديم ، هو الذي جعلها قاعدة قوية للأسرة *

في هذا للمجتمع الذي يسوده جو التقية المالية .. ويبرز فيه سمة تمثيق الحرية كانت المرأة تعيش وتلد الحياة ، وتشارك في كل صغيرة وكبيرة ، فكان ركوبها للخيل ومشاركتها في الزراعة والحرب أمراً طبيعياً مثله مثل غنائمها بطنفها *

وتكون الصورة التي اعطاها التاريخ على يد المؤرخ «غوستاف لوبون» ، أوضح ، من وضع المرأة وقتها ، يجدر بنا ان نأتي بنموذج للمرأة .. «الكاهنة التي جلست على عرش الجزائر دون كل الرجال وقد يمكن ان يكون س في سرد مسيرة هذا النوع من النساء في فترة تاريخية معينة دليلاً على قوة حيوية المرأة الجزائرية للقيم وقدرتها وكفاءتها ، ولكنه دليل آخر على الوضع السليم الذي كانت تحظى به من طرف مجتمعها حتى انه ملكها عليه ، وحكمها في الوطن والرتاب والاموال . ولم تكن لهذه المرأة القائدة ميزة الشجاعة والبطولة فحسب ، بل كانت تعمل فكرها الثاقب متى يلزم ذلك .. فقد حدث ان تصحار جبالها بالتسليم للمسلمين عند فتحهم للجزائر بعد ان راوا منها اقتناعاً بالاسلام وعدالتهم فاجابتهم قائلة يد ان اختارت لولدين لها ، صفوف المسلمين ، امرأة اياهما بالمدخول في الاسلام ، اجابت رجالها قائلة : «انما الملكة من تعرف كيف تموت» ، وماتت ككسل قاتلة مفرار في ساحة القتال *

ودون ذكر جميع الثورات الثمينة ضد الاستعمار الفرنسي الذي جثم على صدر الجزائر فأخذ كل شيء منها وترك اليافى مضموا مشلولاً عام ١٨٢٠ ، ونظراً لأننا نحاول توضيح مسورة حقيقية للمرأة هاننا فنذكر مثلاً واحداً للشورة ونضال المرأة ضد المستعمر والتي تتمثل في إحدى بطلات الجزائر «للا غاطمة نسومر» والتي قاتلت الجاهدين والمسيكين الجزائريين في ثورة عارمة عام ١٨٥٧ ضد جنرالات الجيش الفرنسي لتزيد في موكب الشهيدات رقماً ليس جديداً فقصيب بل رقماً مميزاً * استشهاد المرأة المؤمنة القاتلة من أجل الحرية والدين وحق الشعب في الكرامة والمعدالة *

ومع التركيز على ذكر وضع المرأة في مجال الميدان السياسي بسبب المناسبة ... هاننا نلاحظ ان هذه المرأة بالنسبة للمجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية قبل الغزو الفرنسي المخطط ، كانت تحتل المكانة اللائقة بها كمصولة جاي في كيان الأسرة بدايةً والمجتمع ككل . فكانت تشارك في جميع الاعمال الشاقة والتي كانت تتلخص في العلاء والزراعة * وكانت في المدن تتبوا مكان الصداقة في مجالات الثقافة والفكر والادب وتعمل بذلك على رفع المستوى الاجتماعي للوطن ومن أولئك النساء عتيقة بنت عبد الرحمن ، وولدة الأمير عبد القاسم ، والشاعرة عائشة بنت أبي الطاهر التي عاصرت الاديب ابن القفون القسنطيني وساجلته * وغيرهن * من المفكرات الاجتماعيات اللاتي كان لهن نصيب في حمة المجتمع الجزائري في هذا المجال *

ويأتى المستعمر يشكله اليغرض ومخططاته الحتمية لتميش الجزائر وانمان الجزائر فثورة تاريخية مطلقة وذلك لأنه لم يكن استعماراً مادياً فحسب بقدر ما كان استعماراً روحياً ، واستيطانياً بشما ، كان ان يقمى على حقيقة هذا الشعب ، تاريخاً ولنة وتقليد وعقيدة ، لولا ما سبق وفكرناه ، من عشق الإنسان الجزائري لشخصيته وكيانه ودعاه عنهما من توقف او استسلام *

لقد استعمل المستعمر ضد الجزائريين مختلف اساليب الظلم والتخس وحاول تجريدهم من القومات والمادى ، وعصلى على فصلهم عن الجزائر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية فابيل من علمهم يعقهم ودينهم جهلاً وشعوذة ، ومن غنامهم فقترا وحرمنا ومن حضارتهم وتطوهم تنفلاً وانحطاطاً ، ثم بعد ان تم له ذلك بنا يومهم انه الكريم صاحب النزية الحضارية السامية وسار يعطوهم جرعته المتوالية والمستمرة من فكره ولغته وتقاليد طمما في الوصول الى عملية فرتمة عامة *

فهل تم له ذلك بالنسبة للمجتمع ككل والمرأة بصفة خاصة ؟

أنه بالنسبة للمجتمع لم يقدروا على تشويه السطح والمظهر أما المضمون والروح
فبقيت نقية أصيلة .. وكانت يوم ثورته أهم عوامل انتصاره *

وأما المرأة فنجدها رغم جوهها وحالة التقلب والجمود التي تجرعت منها أكثر من أخيها
الرجل بسبب وضعها داخل البيت ، ينقسم كفاحها ضد صليبات القمع والتشويه الاستعمارية إلى
نوعين اثنين :

أولهما : كفاح ظاهر مباشر ويتميز في المظاهرات والتنظيمات والنشاطات العزبية
والاصلاحية *

وثانيهما : كفاح غير مباشر وغير ظاهري هو ذلك الموقف الإيجابي الذي وقفته كمسؤولة
عن مقومات الأسرة وعاداتها وتقاليدها الروحية والمعنوية وبالتالي موقفها إزاء مقومات
وخصائص المجتمع ككل حيث - اشاحت بوجهها عن كل ما هو اجنبي واستعماري بما في ذلك
الثقافة والتطعيم .. متفطنة لنور الإغراء والاثارة الذي يمثله المستعمر معها قصد كسب لقتها ، لأنها
على رأس خلايا المجتمع لقد رأى أنه لا طريق أحسن وأضمن للوصول إلى تدمير شخصية
واصلة ومميزات هذا الشعب إلا بالاستيلاء على عقل المرأة لتكون بعد ذلك أداة لتحويل الأسرة
وبالتالي المجتمع عن هذه الصالة *

لقد تعمقت - أكثر - التمسك بالحجاب واستتات أكثر في التمسك بالعادات والتقاليد
نوعاً تمييز بين حسنها وسيئها ، فقط حتى تثير اصحاب هذا «النفيل» الذي تراء فون أن يراها ،
ولا تستسلم ولا تهانن *

المرأة أثناء الثورة

وهنا نقول ليس صيغة أن ترتبط الدعوة إلى تحرير المرأة بالدعوة إلى تحرير الوطن وذلك
في جهاد المثقفين والفكرين والمسلمين بكل أنسمن المفارقات أن الرواد الإرائيل الذين تصدوا
للدفاع عن المرأة كان معظمهم من المدركين بثأب فكرهم مدى الحاجة إلى تحرير المرأة كضرورة
اجتماعية وحضارية من أجل اللحاق بالمتحركات الإنسانية المتقدمة *

وهكذا فإنه عند اندلاع الثورة التحريرية كان المناخ الاجتماعي الذي تعيشه المرأة مثبها
بالاستعداد للتفاعل والحركة والعطاء .. مثلها مثل الجماهير الجزائرية ككل ، لتعيش أخصب
الفرات في تاريخ الجزائر الحديث - أرهاصات قوية توشك على الانفجار ، ووجدت المتفئس لها
في ثورة نوفمبر ١٩٥٤ *

أن النساء في كل بلد يقتر يتصف مكانه على الأقل ، ويقاؤهن في الجول والسلبية والنواكل
جرمان من الانتفاع بأعمال تصف المجتمع ، وفيهم الهزيمة لعمل ونضال الرجل نفسه ، نسبية
كبيرة .

بهذا المفهوم المنطقي والثوري في أن واحداستقبل الرجل الجزائري مناضل ومجاهد شورة
أول نوفمبر ١٩٥٤ أخته ، وأمه ، وزوجته ، وابنتهملقيا عليها اعياء كثيرة من مسؤوليات الكفاح
المسلح ، وكانت عند حسن الظن بها ١٠ فقد اشتركت جنسية ، وممرشة ومستولة عن التموين
والسلاح ومستولة عن الاتصالات السرية في جميعجبال الولايات الممت زيادة على دورها المعروف
في المدينة كدائبة ومسيطة .

وكان ما كان ١١ مما يقابل الكفاح والفداء من معاملات استعمارية ضد كل الثوار . فعندت
المرأة اشنع انواع التعذيب ، ولغقت روحا سعيدةمع انفاصها ، لأنها لم تتمترف على مواقع أخوانها ،
واستعملت معها ايشع عمليات الاهانة والوحشية في التعذيب بالمسجون والمعتقلات وحكم عليها
بالاعدام ، ورغم ذلك بقيت ساعمة حتى النصر ١٢

وقد كانت (صخرة الموت) بالنصبة للاستعمار الفرنسي في الجزائر هي : ثورة المستوطنين في
١٢ ماي ١٩٦١ واسقاط الجمهورية الرابعة فيفرنسا ١٣ واستيلاء دوجول على الحكم .

يومها قنن الاستعمار في فئاته القيمة عن كل سلاح يحاول تجريته آخر مرة ومن بينها
سلاح السفر وتحرير المرأة الجزائرية .

وعقد سوسنيل اجتماعات وشعبية سيق إليها الناس بالقرعة ، وخطب داعيا إلى تحرير
المرء ، وتحت ضغط السلاح اكرمت بعض النساء على خلع الحجاب وحرقه في حركة مسرحية امام
الجماهير بعد انتهاء الخطاب في ساحة افريقيا بالعاصمة (الغرم ساينا)

وكان هذا الحادث كله كانه الاشارة للسرية، وفي اليوم التالي لم تظهر امرأة جزائرية واحدة
في الطريق سافرة حتى اللواتي كن قد اسفرن عوجوههن قبل الحادث صحن إلى الحجاب ١٤
كانت تظاهرة تقول للمستعمار ان الجزائرية لا تخلع حجابها بدعوة من المستعمار ولكنها تخله
في ساحة القتال ١٥ أو في وطن ممتلئ حر ١٦

لقد برهنت المرأة ايام الثورة انها عضفوكفه لتحمل اصعب المسؤوليات وتطبيق اخطر
المشاريع الفدائية والنضالية على المصوم ١٧ وسجل لها التاريخ ذلك بحروف لا تمحى على
مدى الايام واصبحت قدوة يقتدى بها ومثالا لاحتذى به كل النساء في الشعوب المكافعة من
اجل التحرر والكرامة ، فقامت بواجبها لمصنعيام وشغلت مكانها يارزا في سجل الشهداء
والخالدات من ابناء الوطن .

وكانت نتيجة كل ذلك النصر الذي اصره الشعب الجزائري فدأة الاستقلال « عندما توقفت مرحلة من الكفاح لتبدأ أخرى أشد تعاقدا وأكثر سوءا » لنجد المرأة قد نزلت الى الميدان لتسهم من جديد في خوض المعركة الثانية « معركة البناء والتشييد ، وبناء المجتمع الجديد » وتذلل حسن ذاتها ما يترقب عليها من ولجبات نحو الاسرة والمجتمع والوطن ، وقد حاولت اثبات وجودها ، رغم اصطدامها مباشرة بالعادات البالية ويكثر من الافكار السلبية والاستعمارية التي استقطبت من جديد بعد ان اخفاها وهج نيران الثورة ومبادئها « وفي ذلك يقول ميثاق مؤتمر الصومام الوثيقة السياسية الأولى للثورة الجزائرية عام ١٩٥٦ »

توجد في هذا المجال امكانيات هائلة تزداد مطردا *

واننا نحس بتأثر وأعجاب الشجاعة للثورية المتحمسة التي عبرت عنها الفتيات والنساء والزوجات والامهات وجميع اخواتنا المجاهدات اللاتي تشاركن فعليا وبالسلاح احيانا ، في النضال المقدس لتحرير الوطن *

وكل واحد يعرف ان الجزائريات قد اشتركن عمليا عدة مرات في الانتفاضات العجيبة والمتكررة التي جعلت للجزائر تنصيب منذ سنة ١٩٤٠ ضد الاحتلال الفرنسي *

والانتفاضات الهامة التي قام بها سنة ١٨٦٤ اولاد سيدي الشيخ بجنوب وهران ، والتي وقعت سنة ١٨٧١ بمنطقة القبائل ، وسنة ١٩١٦ بالاراس ، وبمطلة ممسك ، انفجارات خلعت الى الابد تلك الوطنية الملتحية الجافزة لاقتضى التضحيات التي عبرت عنها المرأة الجزائرية - والنساء الجزائرية اليوم مفتتحة ان الثورة السامية مستوذي حقها الى تحقيق الاستقلال . ومثال الفتاة القبايلية التي رفضت حديثا طلبا للزواج على اعتباره انه لم يمس من مقام هو مثال يجسد بصورة عظيمة الاخلاق السامية التي تحرك الجزائريات « النص

المرأة في الاستقلال :

وغم كل هذه العوامل وغيرها وبعنا المراقبة فدأة الاستقلال تنطلق من جديد في استمرارية ملتزمة ، لاثبات قدراتها على تنعيم النظام الاشتراكي والحكم الشعبي الذي امدت به يوم ان تبنت اول نوفمبر ١٩٥٤ *

ودعمها في نضالها الجديد ما سطره لها مشروع برنامج طرابلس حيث جاء فيه : « ان مساهمة المرأة الجزائرية في الكفاح التحريري ، قد كونت ظروفها حسنة ، لمصطفي الاغلال ، وتقويض الانقال التي توقعها ، ولتشريكها في كيفية تامة في تسيير الشؤون العامة ، وتطوير البلاد » النص

لقد اشترت المرأة فعلا حقائقنا التاريخية الخاضعين والمفاهيم الجديدة * عندما شاركت بفعالية في صنع النصر واغتناك الحرية اولا ، وعندما حاولت الاستمرار في البناء بعد الاستقلال ثانيا .

ولكننا اليوم - ونحن نحتفل بعيد استقلالنا على اطار الكفاح من اجل انجاح ثوراتنا المنقورة الزراعية والصناعية والثقافية ليس لنا سوى ان نسجل ان هناك مشاكل - قد تبس لفئة من الناس عديدة التعقيد ، وقد تبس لفئة اخرى بسبب سهولة الحل * ومن تباين هاتين النظريتين نلتصم كل فئة منها جلولا تأخذ في الشكل الاول لطابع الهروب الى الاسام ، وتأخذ في الشكل الثاني مجابهة عبقريه نافذة * باعتبار ان هذه المشاكل على غموضها استغلت وزادها الزمن تصصرا وايهاما ، ثم يتراضع الناس يحنث ، على اعتبارها مشاكل مزمعة يدورون فيها * ولا يخرجون منها * ومن اشد هذه القضايا تعقيدا في عالمنا العربي الاسلامي بسفة عامة والجزائري خاصة قسيسة المرأة والمجتمع وحتمية التطور .

وفي اعتقادنا ان هذه القضية لم تدم من القضايا المستعصية الحل في مجتمعنا كما كان شأنها في الماضي فليست هذه القضايا في جوفها سوى ثمرة حتمية لمجتمعات الاستقلال . المجتمعات التي كان طابعها الاساسي هو التحكم المطلق ، واستغلال الانسان لاخيه الانسان - رجلا كان او امرأة - .

والذا كان مجتمعنا قد تجاوز هذه المرحلة وانتقل الى مرحلة اخرى ، تنوب فيها الفوارق بين الطبقات وتنداعى امس الاستغلال ، فان القيود التي وضعت على حركة المرأة نحو التطور قد اخذت تذوب وتفسح لها طريق الحرية لتأخذ مكانها كعامل منتج ومواطن صالح في البيت او الحياة العامة * ولكن ليس معنى هذا الحكم ان تنقف المرأة من حركة التطور التي يجيش بها المجتمع ، موقف المنفرج المجهور * بل يجب ان تشارك كما سبق وشاركت في هذا التطور . ولذلك فان السؤال الذي نريد طرحه اليوم ليس مطالبة المرأة بالتطور ، انما تطور ، وانما يتوضح كامل معنى التطور في مجتمعنا العربي الاسلامي ، وكيفية تطبيقه مع هدم المساس بمبادئ الدين الصحيحة والافكار التي يمتز بها المجتمع ، والتي لا تمتعه ابدا من التطور الايجابي الناضج .

والمسألة ليست بالبساطة التي تتصورها غير أننا نعتقد أن الثورة إنما هي تلك القوة العظيمة والاميلة المنيقة من الشعب والتي لا تقبل بغير القوى العظيم والاصيل الصديق من أمثائها أن ينتمى إليها أو يعمل في إطارها أو حتى يدافع عنها * لأنها من القوة بحيث لا تقبل إلا بالقوياء ، ومن الأمثلة بحيث لا تقبل بغير الاصلاء * ومن الصعود بحيث لا تقبل بغير المجاهدين الصامدين رغم كل الظروف والازمات *

ولذلك نجد كثيرا من ثنائنا المناشلات والواعبات والمجاهدات صامدات في الدفاع عن مبادئهم وقيم هذه الثورة يحملن شعاراتها سلوكا وتصرفا وعملا يصمت وبإخلاص وبهذه فعلا سيحقق المجتمع الجزائري آماله الكبرى في خلق المجتمع الافضل بإيجاد الأسرة الفضلى *

وما نرى تلك الا محققا عن قريب أن شاء الله * حيث أن ثورتنا كانت دائما ولا تزال العامل الاول في صالح المرأة صانعة الاجيال ، والدافع الاساسي لتقدمها ووعيها بل وخلقها جديدة خالية من الراسب الخرافية والتحجر الفكري * متطلعة الى حياة تعتمد الأمثلة والتنتج *



دور الشبيبة الجزائرية في معركة التحرير

إذا كانت أيام الشباب لدى الكائن الانساني
تمثل اقوى واحسن واعز ايام عمره المديد ..
حيث ان بها وفيها يتقرر مصيره ، وعليها يتوقف
نجاح او فشل حياته المستقبلية ، فان الشبيبة من
الامة ليست الا كثرة الشباب بالنسبة لحياة الفرد .
فهى عصبها الحساس وعافيتها الحركة ، والدافعة
الى تحقيق الاهداف المأمولة بكل عزم وفاعلية .

ولا يبالغ المرء اذا فرد في اعتقاد بان الشبيبة
من ابرز المؤثرات التى يمكن ان يقرأ بها مستقبل
مشروع خطىح تعززم الامة الجيازه فى مختلف
مجالات حياتها .

أحمد بن نعيان
مطبعة العمل العربية
الكاظمة

والجزائر 13 امتازات وتميزت في القرن الحادي عشر بأعظم تفلها من شبه الوجود الى راس قائمة البلدان الثورية الحرة في العالم - فانها تلك الثورة التحريرية الحالية ، التي ماتزال جراحها نازفة في الاجسام ، وسورها ماثلة في الازمان ، لا تقتصر الا لوسيلة التعبير التي تنقلها لجيل ما بعد الثورة ، وما اصبح هذه الوسيلة - مهما اوتيت من البراعة والبلاغة - ان تنقل الصور الحقيقية الملائمة للوقائع ، وما اصعب في الوقت ذاته ان يصلح هذا الجيل بان تلك الحقائق وقعت في عالم الشهادة !

ولا ادل على ذلك من تلك التعاليق التي كنا نسميها حول بعض الافلام الثورية « كحركة الجزائر » ، وبع الاوراس ، الليل يخشى الشمس ، النصارى والاقيون » ، والتي كانت تنهم بانها مخرقة في المجال والمبالغة و (الوسترنية) في الوقت الذي لم تكن تعبر في عرضها وجوهها الا على جزر سطحي وبسيط جدا من حقائق الثورة وعنفها !

ولكن لا نجيب كثيرا عندما نعرف هذه الحقائق قد ادخلت العالم وغيّرت الكثير من مفاهيم علمائه وفكره وسياسيه وادخلت المستعمر الغربي ذاته ، وفاقت جميع تصوراتها وتنظيراته بالرمح مما كان عليه من علم وذكاء وحكمة وجبروت !

ولأن فان انتجزا علما كهذا لا يد ان تكون للشبيبة به علاقة ، ولا يد ان يكون لها فيه دور ، وما هي هذه العلاقة وما هو الدور ؟

يجوز ان نعرض الى التفاصيل التاريخية التي اكتشفت قبيل وبعد اندلاع الثورة التحريرية تحاشيا للولوج في بعض الاستطرادات والتشعبات التي لا نفيدها فيما نستهدفه من جوهر الموضوع * فنقول : اذا كان من الثابت ان اول مسن تلف مبادئ الثورة وتبناها باخلاص ولا تتوحد هي الطبقات المعروفة فان اكثر من في هذه الطبقات تحسسا للثورة وتفاعلا معها هو شبابها ومن هنا يتكرر القول ان علاقة الشباب الجزائري بالثورة كانت علاقة جدلية اي علاقة تأثير وتاثير واخذ وعطاء *

فلقد اقبلت الثورة على الشباب الجزائري بسادتها واحداثها وقيمتها ونظامها وهو في حالة من الفراغ المادي والذهني مفرين صراخ ينظر الى الحاضر نظرة ملل ورفض ، وإلى المستقبل نظرة تخوف وبأس ، متفرقا بين مقام « مهاجر » وصار منتظر - فكانت الثورة خير موئل لهؤلاء فانحدروا اليها بقوة فصرهم وخلقتهم (بتشديد اللام) ، وصنعت منهم توارا واصلوا المسيرة الى النهاية . فكانوا اقصى الامدادات المجددة لها على طول امتدادها *

وعكسا حصل تفاعل المبادئ السامية مع الإرادة القومية فتحقق الانجاز الاعظم .
غير ان هذه الملائمة الجذلية القوية المتصلة كما كانت لتحدث بنفس الكيفية لولا وجود بعض
الموامل (الدائية والموضوعية التي تكاملت فسيرتها على تلك الدرجة من الفعالية والقوة .
وسنحاول فيما يلي ان نتعرض لاهم هذه العوامل التي تنحصر حسب رأينا في الاتي :

- عامل نفسي
- عامل ديني
- عامل وطني
- عامل اخلاقي
- عامل اجتماعي

العامل النفسي :

ان من المسلم به في العلوم السيكولوجية ان فترة الشباب هي اخطر الفترات التي يحدث فيها
تغير جذري في تكوين الفرد (جسدا وعقلا) ينقلهم من الطفولة والمراهقة الى سن الرجولة
والاكتمال ، ومن طور المول الى طور المائل المسزول . ومن الاحلام والآمال الى مواجهة اعياء
الحياة العملية الثقيلة .

وهذا كثيرا ما تحطم آماله أمام الواقع المأخوذ لطموحه فتبعته الثقة بالنفس الى تجاوزها بالرفض
والتمرد ، فيكون الشاب بذلك أكثر فئات الضعف انصياعا لاي جديد ليتخذ منه متنفسا يتخطى به
الواقع المفروض والمفروض ، وأميلها أيضا الى التحرك سلبا أو إيجابا - - وسلبية أو ايجابية هذه
الحركة تتوقف على نوعية المبادئ والافكار السائدة بتشريها ويقتنع بها . ويرجع هذا الميل الشديد
والسريع في الاقتناع بالافكار والتحمس لها ، الى خلوص ذهن الشبان وفقر تجربتهم الحياتية التي قد
تضيقهم الى التردد في اتخاذ المبادرات الخطيرة ، الى جانب ما يائسون في انفسهم من قوة جسدية
وحوية تبث على الاعتداد بالنفس وركوب المخاطر وخطى المغامرات .

وعكسا اجتمعت هذه العوامل النفسية وتكاملت مع ما فطر عليه الشباب الجزأري من خصال
طبيعية خلقة ، فكانت من أقوى العوامل التي ساعدت على تكوين شباب الثورة التحريرية .

وإذا وضعنا العامل النفسي في المرتبة الأولى فذلك لاعتقادنا أنه أمر مهم جدا بالنسبة للشباب .
ولئن ظن البعض أن العامل الاقتصادي هو الأهم في الثورة والتفاف الجماهير من حوله * فإن ذلك أن صدق على العلاجين والعامل * فإنه لا يصحق بالضرورة على الشباب * ولا أدل على ذلك من أن معظم الثورات والانتفاضات المعاصرة التي خاضها الشباب في العالم لم تكن لأسبابها اقتصادية أكثر مما كانت رافعا جريئا للأوضاع السياسية والاجتماعية * * سميا وراء تغييرها وبجديدها ببيات يراها أفضل * *

ولناخذ مثال فرنسا ، واليونان ، وتركيا ، ولبنان ، ومصر * * يل لناخذ الشبان الجزائريين أنفسهم الذين تركوا المدارس ، والجامعات ، والمعامل ، والمزارع ، وكفاف الرزق فيها ، والنحوا بالبرد والجوع والعذاب في الجبال والسجون فهل كان ينقصهم الخبز ؟ !

ولنفرض أن عامل الخبز هذا كان جوهرياً في الموضوع فلماذا لم يتجند الشباب في الجيش الفرنسي الذي كان يقدم له كل الاغراءات المادية والمعنوية ؟ ! بل كنا نراه يمر من صفوف الخففة الاجبارية في الجيش الفرنسي الى صفوف الثورة التحريرية ؟ !

ونكتفي بطرح هذا السؤال الذي سنورد الاجابة عنه فيما تستقبله من تحليلات للعوامل المتبقية * *

العامل الديني :

لقد كانت المبادئ الاسلامية السامية التي انطلقت منها الثورة التحريرية واعتمدت عليها طيلة قيامها * من الاسباب القوية التي اقتضت الشباب ورجعته في تبنيها ومن عظمة الاسلام ان مبادئه قد تقع الجاهل والعالم والامي والمتعلم والصغير والكبير فوجد جل الشبان ضالتهن في الثورة فتحسوا لها وزادوا تشبها بها لما كان يتجسد فيها من مطابقة الاقوال للفعال ومسايرة المبادئ للتطبيق فكانت المحرمات محرمة ، والمنكرات كفر باليد قبيل النساء والقلب * * والوعود تنجز والجهود توفى والواجبات تؤدى انطوعا أو كرها ، وكانت السهالة والمزاغة في ذلك تسود كل سلوك (ما عدا بعض الاستثناءات التي لها حشيتها الخاصة) فكانت الثورة بذلك متجاوبة مع توقعات الشباب الدينية منها والدنيوية ، مصحوبة المستعمر لديه ذات طابعين متماثلين :

طابع ديني يمثل في جهاد الكفار ، وطابع وطني يمثل في تحرير البلد واسترجاع الشخصية الوطنية وكلا المبدأين جمعهما الاسلام في مصي « النصير او الاستشهاد » - و « حب الوطن من الايمان » فكان الانضمام الى صفوف الثورة هواحسن مراعاة رابعة بالنسبة للشبيبة الجزائرية حيث لا تخرج نتائجها عن احدى المستبين :

مستقبل مضمون في الحرية والاستقلال ، او خلود موعود في الجمة والنعيم .

هكذا اثرت الثورة بمبادئها الدينية في نفوس الشبان فتقنتهم من رعاة وطلاب ومفكرين ومهاجرين الى ابطال اشداء مؤمنين اقوياء . فعالمهم حساسة وشجاعة الشباب الذي يتطوع للذبح ابيه الذي حكمت عليه الثورة بالغيابة ! !

وما اقوى ايمان الشباب القوي يودع وثاقه للقيام بسلبية فمائية لا تؤمل العودة منها وعنه الاوحد ساعتهما هو احصاية الهدف والتمحاق بالسلالعود والخلود !

يشكل هذه الوراثة الحية نتيجته كيف كان الدين من اقوى العوامل التي دقمت بالشباب الى المبور الى الحياة فوق الموت والظناب - وقد ساعدت على ذلك وحدة الدين في الجزائر وانتشاره بين كافة الاوساط الوطنية - ووحدة المنصب الاشعري القوي يؤثر الفمل والاجراء على القتل والمجلد ، فكان الشباب المؤمن مخلص الاعتقاد سريع التنفيذ قليل التذبذب والتردد في التصميم على بلوغ الهدف الذي يقتنع بشرعيته .

فاقتنع فعلا ومسم فاستشهد وتحرر وكان للمليقة الاسلابة في ذلك دور لا ينكره حتى اعداؤها الوزماد !

اذكر ان احد قداماء المجاهدين قال في مرة : انني كنت قبل الثورة التحريرية شيعويا اعتقد ان الدين اتيون الشعوب ! ولكن عندما التحقت بصفوفها (وكان ذلك بدافع الوطنية فقط) تعرفت على حقيقتها وراعت ان الدين بالنسبة للثورة الجزائرية - على الاقل - كان محروا للشعوب ومنها لها ولم يكن ايدت اقيوتا !

هذا شاهد واحد وان الامثلة على فاعلية الدين في تحريك الجماهير الشعبية المؤمنة عموما والشباب على وجه الخصوص نحو الثورة والانتماء اليها اوسع من ان تحصر وأشهر من ان تذكر . . . على ان هذا العامل وان كان هاما للنس هو الوحيد في ثورة الشباب بل تكاملت معه عوامل اخرى .

العوامل الوطنية :

يتطلع النظر عما يوجد بين الدين والوطنية من علاقة متينة - كما ذكرنا - فإن مفهوم الوطنية الذي كان يعتبر الدين عصباً مسغرقاً في فئته المركبة من العناصر الثلاثة (الوطن - الدين - اللغة) إلى عبر عنها الإمام عبد الحميد بن باديس في شعاره الخالد (الجزائر وطننا - الإسلام ديننا - العربية لغتنا) والذي كان من الشعارات البارزة في الثورة التحريرية . دعمت لشعب إلى البحث عن ذاته وإدراك ذاتيته ، وشخصيته التي كانت أبسط نظرة ولغية إلى المستعمر الاستيطاني في الجزائر تثبت أنها شخصية متميزة تميزاً جوهرياً في المعتقد ، واللغة ، والعادات ، والتقاليد ، والقيم ، وحتى في الصفات الفزيولوجية ! فضلاً عن الفوارق السياسية والاستقلالية في المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي كانت تصل أبناء الوطن عن أولئك المستعمرين الذين أقل ما يمكن وصفهم به أنهم منتصبون للشخصية الوطنية الجزائرية جسداً وعقلاً ولفاً ومعتقداً ! فصوروا المواطن غريباً في وطنه ، لغة ، ودين ، وتاريخاً ، وحقوقاً اجتماعية وسياسية ! ! هما صير كلمة عربي (مواطن أصلي) نائي مقابل كلمة فاووي أي (أجنبي دخيل) وكلمة عربي في المفهوم النادر لدينا تعني **هجنس** ، **والفلسة** ، **والدين** ، ولا يدل على ذلك من أن سمجنا إلى الآن لا يعرف بين مفهوم عربي ومسلم ! فتمتد المسلم عربي ، والعربي لا يكون إلا مسلماً !

إن هذا الخلط الذي نتج أصلاً من ارتباط المواطن الجزائري الشديد بالإسلام ديناً والعروبة لغة وثقافة لفهم معاني القرآن .. قد قوى أكثر من ضيقية النخبة الوطنية على الاستعصاء ، وضاعف من روح وطنيتها ، ودفعها أكثر إلى أن تترك القوة والفلس ذاتيتها الخصيزة لتلصق ، وتحيط كل صاورة سياسية استعمارية ، أو حزبية وطنية ، بما في ذلك سياسة الإدماج ، التي أصبحت النخبة الوطنية والاستعمار على رفضها بمواضع مختلفة ! !

واعتقد أن من الأخطاء الكبيرة التي وقع فيها الاستعمار هو عدم تشجيعه لسياسة الإدماج التي نادت بها بعض الاتجاهات الحزبية التي قد لا نشارك كثيراً في وطنيتها ، ودافع اجتهداها وحسن ليتها .. ولو وجهت تشجيعاً من طرف المستعمر فيما كانت تصبو إليه لتمادي هذا الأخير الكثير من العواقب الوخيمة التي لم يكن بد من أن تعود عليه بالمسارعة الفادحة والمعالجة وانطبق عليه المثل العربي القائل (الصيف ضيقت اللبن) .

علما بأننا لو فرضنا ان المستمر قد نجح في ذلك المخطط الإدماجي قد يتمكن من تأجيل موعد اندلاع الثورة التحريرية الى بعد حين ولكن لا بد من حتميتها في النهاية لان الشعب غير الشعب ، والدين غير الدين واللفة غير اللفة »

ورحم الله من كان يمبر على لسان الشعب الجزائري قائلا :

**شعب الجزائر مسلم - والى المروبة ينتسب
من قال حاد عن امله - او قال هتات فقد كذب
او وام ادماجا فيه - وام الحال من الطليب**

في غمرة هذا الصراع المنيب الذي خلق جوا من الشعور يحالة الانسان الملحق (اذا صح ان نسمي تشبيه ابن سينا) الذي لم يحصل لاعلى حقوق اجتماعية وسياسية على غرار وعادة ايطاليا واسبانيا الذين استوطنوا بلده وشرفتهم فرنسا بمنحهم جنسيتها وجميع الحقوق ! ولا على شخصيته واستقلاله السيامي الذي يخول له تقرير مصيره والعيش الكريم تحت راية وطنه . فكان هذا الشعور بالظلم قويا في نفوس الافراد ثم سرعان ما عممته وعمقه ثورة نوفمبر فوجد الشباب الكامل ، وخلف الاثر البالغ في نفوس الشعب عموما والشباب خصوصا لما كان عليه هذا الاخير - يحكم السن - من موقف اللائحة - من الاحزاب السياسية ذات النزعات والمشارب المختلفة والتي اقل ما يقال عنها انها لم تكن تؤمن بالكفاح المسلح وسيلة وحيدة راية لاسترجاع الهوية الجزائرية .

كان الشباب اول من وقص بلا تردد على انقام رصاص نوفمبر الذي صمغ فيها بعد المفاهيم الخاطئة لكل تلك الاحزاب فكان منها الذي اعترف ورجع الى الطريق الصحيح والذي تصبى فاندحر !

العامل الاخلاقي :

قد يتبادر الى الاذعان اول وهلة ان الدين والاحلاق شيء واحد والحقيقة انهما مختلفان بالرغم من وجود ترابط شديد بين الاثنين .

والدليل على ذلك اننا قد نجد اناسا متخلفين جدا وهم غير متدينين كما نجد اناسا متدينين وهم اقل تخلفا ، وبعبارة منطقية نقول : اذا كان كل متدين متخلفا فليس كل متخلف متدین (مع اعتبار كل ما في معاني الاخلاق من نسبية في الزمان والمكان) -

ومن هنا أردنا أن نبز هذا العامل كمصدر مستقل له تأثيره الواضح في انجذاب الشباب إلى الثورة وتحسسه لها .

فما من شك أن جل القيم الأخلاقية المتأصلة في المجتمع الجزائري ترجع إلى العقيدة الإسلامية إلا أن هناك بعض الصفات الطبيعية والطبية في المجتمع ساعدت على التمسك بها وتقديسها أكثر من بعض الشرائع الدينية ذاتها . وتشتمل هذه القيم على الخصوص في : (الوفاء ، الأمانة ، الاعتدال بالنفس ، الجد ، الصراحة ، الأمانة للمرأة .. الخ) .

والدليل على أن هذه القيم ليست متشعبة بالفروقات مع الطواغر الدينية هو عدم وجودها بنفس الكيفية في مجتمعات عربية أخرى بالرغم من انتشار الطواغر الدينية فيها بكمالية قد تكون أكثر من انتشارها في الجزائر !

فكم نعرف من أشخاص يرتكبون معاصي كبيرة من الوجهة الدينية ولكن لا يجرؤون على نقض عهد ، أو خلع وعد ، أو الاعتداء على الغير ، أو خيانة عهدا !

لقد بُني مجتمعنا هذه القيم واتخذ منها مبادئ لتقييم الأفراد - فيقال فلان كريم ، فسلان شجاع فلان سليم ، فلان وطني .. ويكفي للشخص أن يكتسب أكبر قدر من هذه الصفات الحميدة كي يكون محبوبا ومحترما لدى المجتمع .

وعندما جاءت الثورة مجسدة لأمسي صور هذه القيم الأخلاقية التي كانت بحق أسس صور الملأ الأعلى الأخلاقي الذي يمكن أن يتحقق في مجتمع إنساني معاصر !

فكان لهذا العامل قوة جذب شديدة لانغلاف الشباب حول الثورة التي كان الالتحاق بصورتها عنوان شرف ينسج كل ما يمكن أن يكون للشخص من عيوب قبلية . فكانت الثورة للبيض عملية اكتمال أخلاقي وتزويج للشخصية ، وللبيض الآخر عملية تمريض وتغذية لما كان يشوب سلوكهم الأخلاقي والاجتماعي من نقائص .. وفي جميع الأحوال فقد كانت الثورة أكبر مصنع لانتاج الرجال والابطال والقادة والشهداء ، وأدق مصفا لاختيار العزائم ، ومكامم الاخلاق السائفة .

العامل الاجتماعي :

إن الظروف الاجتماعية الصعبة التي كان يعيشها الشباب الجزائري بين حرمان وفقير وامية وجهل جعلت الحياة أمامه رتيبة بدون معنى لا يجديها ما يتجاوب مع طموحاته المادية والمعنوية ،

التي قد تصرف اهتمامه عن الواقع الثوري فكانت كل النشاطات الاجتماعية التي يهتم بها الشباب ويمجر إليها توتراته ممدومة في الأرياف وقليلة في المدن وهي أن وجدت تتطلب إمكانيات مادية لا تقدر عليها إلا النخبة القليلة من أبناء الميسرين .

فكان عدم انشغال الشباب بنشاطات اجتماعية مختلفة مدعاة لتركيز الاهتمام على الثورة التحريرية التي دخلت كل قرية ، ومدينة وفتحندراعيها لكل شاب وطني ، دون أي شرط سوى الإيمان بالمبدأ والاخلاص في العمل ، فحلت بذلك في نفوس الشباب محل النوايا الثغافية والرياضية والترفيهية وقد ساعد على ذلك عدم التزام الشباب بالمسؤولية العائلية حيث أن جلهم غير متزوج - ولا تترتب على انضمامهم الى النشاط الثوري - أية نتائج عاطفية على أنفسهم ، او عبثية على الثورة بالتكفل بآبائهم أو أزواجهم كما أن حياة اليأس والشقاء التي كان يعيشها معظم هؤلاء الشباب وخاصة في الأرياف لم تكن تختلف بكثير عما قد يعانونه في صفوف الجهاد . فكان الالتحاق بالثورة بالنسبة للكثير ، هو عملية انتقال من حال حرمان وعذاب هائل يؤمنون بضرورته ، وحتميته فكانوا بذلك مهينين طبيعيا واجتماعيا ، الى عمل مشاق الثورة وحرمانها ، وأخطارها العاقبة ، فاقبلوا على صفوقها بكل استعداد وعزيمة - فكانوا أقوى وهم وعد لها على مر أمتدادها ، ويذكر التاريخ أن نسبة الشبان في النشاط الثوري كانت تفوق الثلثين .

وكم اذكر تلك العبارة التي كان يرددتها بعض شبان جيش التحرير الوطني عندما تترأى لهم أضواء العاصمة من أعالي جبال جرجرة الحالقة أحبيك أينما الجزائر التي اكافح عنك دون أن أعرفك ، وكم استشهد من هؤلاء دون أن ترى عيبا عاصمة الجزائر البيضاء !

واعترف أنني لا اذكر أملاقا مثالا لأي أبا اعززم بالالتحاق بالثورة فوجد مقاومة من أبنائه أن لم يجد تشجيعا ودعما - في حين اذكر عشرات الأمثلة عن شبان التحقوا بالجهاد عسكيا وتمردا على طاعة الوالدين !

وكم يدفني هذا الى أ كبار أمامنا عبد الحميد بن باديس على تلك النظرة المائلة الى الشباب الجزائري حيث قال :

يا نثره انت وجاؤنا وبك الصباح قد القريب
خيل للعياة صلاحها وخفى الخطوب ولا تهيب

فقد كان دجاؤه في الغلاص من الاستمرار متصبا على الشباب فكان الشباب عند حسن
وجائه .

ولعلنا بهذا نكون قد أبرزنا بعض العوامل التي جعلت من الشباب الجزائري أقوى دعم
للتورة التحريرية . . . ونعتقد اننا لم نف الا بالقليل الكفى والبسيط الكيفي مما يتطلبه إبراز دور
الشباب في الثورة الجزائرية ، لان هذا الدور اعظم من أن يحلل ولوسع من أن يحيط في
صفحات كهذه ، ولكن حسبنا ان ذكرنا شباب الاستقلال بما قدمه شباب الثورة قرب من مذكر ،
ومصلح ، ومعتبر .



تطور الإستعمار في الجزائر وفي سائر المستعمرات

كل شيء في الدنيا يتطور ويتغير في مصر
الإتحاد ، تلك عادة الله في خلقه . حتى الاستعمار
الفرنسي الذي غيم في الجزائر مئة قرن وثلاث قد
تطور عبر السنين من تاريخ مد سيطرته على
بلادنا إلى أن خرج منها .

استعمار قس = نعم كان أساسه في البداية
التهجوم العسكري والغزو والحرب والقتل حتى
ركز حكمه على القوة والقهر والتمدن ودام حكمه
القسى مئة قرن إلا دبح حتى بعد الحرب العالمي
الأولى .

عبد الحميد بن أبي زيان
ابن شنهو
مدرسة التربية الرسمية

كان للمعمرين يدورون انفسهم اسياة البلاد وكوى النفوذ الصكرى والسيطرة بفضل توليهم
المبنى على القوة والتقدم في الاقتصاد والعلم وابقاء الاحالى في حالة الجهل والفقر وما زالوا
يظهرون سلطتهم منذ الاحتلال مع استعمال القتل العنف ، وكان مخطط الاستعمار منذ البداية
الحقار الشعب الجزائرى واخذ اراضيه ومنحه للمعمرين الاوروبيين الذين ولدوا الوفاء من سائر
انحاء اوروبا من فرنسا واسبانيا وكتانيا وايطاليا ومالطا واليونان والبرتغال .

لم يكن هؤلاء في الحقيقة من النخبة الاوروبية بل كانوا من سفلة القوم ومن الطبقة الفقيرة وحتى
من النصوص والمجرمين الذين اخرجتهم الحكومة الفرنسية من غياص السجون وبغت عنهم وجلبتهم
الى الجزائر ليعمرها ولذلك لاحظ المؤرخون ان الاجاز الاولى من المعمرين كانت لا مبدأ لها
ولا ضمير الا حب المال والمعاملات العاسنة والنهب والراعية . فصاروا يعاملون الاحال معاملة
للصوصية والخداعة .

ان الحكام الاولين مثل كلوزيل وبيجو وغيرهما تصدوا في الحقيقة من اقامة هؤلاء المعمرين
انشاء جالية قسبة ومتجذدة لتواجه الاحالى الذين لم ينعنوا للحكم الاجنبى . وقال الميرشال بيجو
في هذا الصدد : « نحن امام شعب شديد العزم وقوى . فلكى نخضعه ونقهره يجب علينا ان نقيم
امامه وفي جانبه وفي وسطه شعبا اقوى واشد منه » .

اتى هؤلاء المعامرون الى الجزائر ليعمرها ويستغلوا اراضيها وترواتها وانفسار اهلها
واصطحابهم وقتلهم مثلما فعل الاوروبيون بامريكا بالنسبة لهنود الحمر ، اتوا الى الجزائر حاملين
جراثيم واعمالهم المنحرفة ومصممين العزم على ابادة الجزائريين وحلال محلبم الاجانب حتى
تصبح البلاد يوما قطعة من فرنسا القلب سكانها الاوروبيون حاملين الجنسية الفرنسية ليحلوا
مشكل اكثريه المسلمين . هكذا بدأ الاستعمار .

التوروات القوالية

فتار الجزائريون على المحتل الغاصب غيرما مرة وهذا امر معلوم ومعروف عند المؤرخين فاناروا
توروات عديدة مهم لالا فاطمة تسوس واولاد سينى الشيخ والقراني والشيخ الحداد وبومزة فضلا عن
الكفاح البطولى الذى خاضه الامير عبد القادر مدة 17 سنة . فآخذ الاستعمار نيران تلك التوروات
وتماقتب الاغتصابات ومصادرة الاراضى الجباية والفردية التى تمد مساحتها بالملايين من الهكتارات

من الأرض المحبة وقتل الملايين من المجاهدين اثر تلك الثورات وترك العدد العديد حسن اليثام
الذين تصروا . ويقول مشال آيسار في كتابه تاريخ ناكث عهد ، ان عدد السكان بالجزائر كان
في سنة 1830 تسعة ملايين فصار بعد اخفاء ثورة المقراني والاضطهاد الاخرى الى سنة 1871، ثلاثة
ملايين .

تحويل الاستعمار بعد 1919 - الحرب الروحية

اخذ عدد من الفرنسيين الاحرار منذ بداية الاستعمار يستنكرون تلك الاعمال الوحشية وما
زالوا ينضمون تصرفات الحكام المستعمرين على منبر مجلس النواب الشيوعى بفرنسا وفي الصحف
ويشتمون افعالهم اللانسانية التي طاموا ارتكبوها ضد الاحتلال . فهبت شبه ربح الانسانية خصوصا
بعد الحرب العالمية الاولى بعد ما اظهر الجنود الجزائريون بطولتهم في الحرب وهلك منهم العدد
العديد في المعارك العنيفة التي دارت رحاها بين جيوش الحلفاء وجيوش الامبراطور الالمانى .

بدأ الاستعمار يخفف من وطأته ومن العنف فانخفضت الشدة شيئا ما لكنه بدل العنف باطلاق
المسوم في المصمم قسطن حربا باردة وهي حرب روحية . فهاجم الدين والفكر الاسلامي والتقاليد
والعوائد العائلية الاسلامية واللغة . فستروبروتا سجا علنيا دليفا يؤدي في آخر انجازها الى
تعطيل الشخصية الجزائرية وازالة الروح الدينية والمقائدية وتهديم التقاليد الاسلامية واخيرا
محو الدين واغلاق الكتاتيب القرآنية حتى يضرب الجهل والامية اطنابها في الوسط الجزائري .

وفعلا بينما كان الجزائريون ضد الاحتلال متفقين ، كهم يكتوبون ويقرأون ويخطبون
ما تيسر من القرآن ومن الامهات ، اصبحوا بعد عشر سنوات من الاحتلال اميين قليلا ما تجد في
وسطهم من يحسن العلوم البسيطة فضلا عن العلوم العصرية الا من رحم ربك .

لكن من جهة اخرى فتح الاستعمار باب المدارس لابناء الاعيان ، اولاد الخيام الكبرى ، كما
كانوا يسمونهم ، كانوا يمينون من بينهم النضال والتواد والمقتبين والكتاب والمجوجات والمترجمين
الذين اصبحوا مناصرين للاستعمار أو أعوانا له وحتى هناك استعملهم الاستعمار كصلة وصل بين
سواد الشعب الجاهل الفقير والنخبة اجتماعيا واقتصاديا والادارة الفرنسية . وكان هؤلاء في
اول الامر يعملون في المكاتب العربية (bureaux arabes) مع ضباط الشؤون الاهلية .

برز من بين هؤلاء، والحق يقال، رجالا أمراء وطنيون كثيرا ما كانوا ينفون سيرة عنرة أمام الإدارة الفرنسية مستنكرين ظلمها وتمديها وتصرفاتها بكلام حق أريد به باطل.

تسم ظهرت في الفترة المتراوحة بين 1919 و 1939 جماعات من القانونيين الفرنسيين الذين أخفوا يكميوت عن الاستعمار وعضائهم اذاء « الوطن الام والاهمال » ، مبررين هذه المؤسسة بجمع واحة قانونية - فركزوا ادعائهم على أن الجزائر كانت بلادا منحلة ومتاخرة في المدنية وكانت الفرصة طاربة لاحتياها على السواحل الجزائرية وقالوا أن الجزائر كانت تترزق فقط من مهب أموال أوروبا وأخذ الاسرى الذين كانت تبهم في اسواقها (basar) اذ كان يدو لها الرق ارباطا فادحة « فاستوجب تنقية البحر الابيض المتوسط والسواحل البرياريسك (cote bascoque) من هؤلاء اللصوص البحريين (pirates) الذين عمروا العالم الاوروي المنمن ظلم وجورا - فرأت أوروبا على زعمهم من الواجب عليها أن تنتقم من أعمال الجزائر الاجرامية فتولت فرنسا النيابة عنها وقامت مقام البلاد الاوروبية التي اعصرت فرنسا لغزو الجيوش الفرنسية الجزائر .

تلك كانت اقوال المؤلئين الاولين الذين أخفوا حقيقة الاستعمار ومقاصده - ولكنها كانت مجرد اقاويل وعطل ومبررات للاحتلال - اما الاسباب الحقيقية للهجوم على القطر الجزائري هي كسب المستعمرات لاغراض اقتصادية -

الاكتشافات والاختراعات العلمية

الحركة البخارية والكهربائي والتفط

ذلك انه اكتشفت في القرن الثامن عشر الطاقة البخارية التي يسهل خدمة الحديد والحديد الصلبة - فتشيد الاروبيون والامريكيون بفضل الاختراعات والاكتشافات العلمية المعامل والمصانع الضخمة التي اعدوا يصنعون فيها المنتوجات المختلفة من النسيج والحرف والحرف والنحاس والحديد والفضة والذهب والقصدير والزجاج والبلور والاواني المعدنية وغير ذلك من الامور المنزلية - فصاروا في نفس الوقت يستحصلون اليه المائلة الكثيرة - وازدادت الحركة الصناعية ضخامة عند اكتشاف الكهرباء، التي سخرت لصالح الانسان وتضاعف الانتاج اكثر فاكثر لما اكتشفوا خصائل الوقود السائل والغازي واستعملوه لمحركهم بفضل سهولة استعماله وقلة تكليفه بينما كانت الطاقة البخارية تستلزم استعمال ادوات ومركبات وخزانات الماء الضخمة مع كثرة

تجديدها وإصلاحها • فكثر الإنتاج بفضل المعامل الجديدة التي كانت تحرك بالقرود والكهرباء ١٩٠٠
أن الصنوعات لم يستطع أصحاب المعامل أن يروجوها كلها حتى تراكمت في المخازن •
فانخفضت أسعارها بسبب الفائضات وكثرة المعامل التي شيدت في أوروبا وأمريكا دون غيرها •
فأثير مشكل جديد ألا وهو مشكل البطالة وإيقاف العمل ١

المراسلة : إن تلك الحركات العظيمة الصناعية والاقتصادية خلقت طبقه من الراساليين
الذين ابتازوا في الأمم الرأية المذكورة بجمع الأموال الطائلة بكل الوسائل من الكذب والتدليس
والمعاملات الربوية والتصرفات غير الشرعية • فصارت بسبب ذلك تندفق عليهم الأموال الطائلة
من المعامل والتجارة والمعمود الاقتصادية العظيمة لكن أخذ التنافس الذي أشرنا إليه يمتري هؤلاء
الراساليين الذين خسروا الكساد وإيقاف حركة البيع وتراكم السلع وإثارة الفوضى من طسوف
العمال فانخفضت الأسعار وتحسنت جسيمة المتطلبات ، الأمر الذي أدى بالكثير من أصحاب
المعامل في القرن الماضي إلى إفلاق أرواها لعدم استطاعتهم مواجهة تيار الإنتاج وقلة الاستهلاك
كما حدد الكثير منهم بالإفلاس أو أفلسوا فعليا لعدم كفاية السوق الداخلية الوطنية إذ كان
العرض أكثر من الطلب •

ففكر عندئذ الكثير من أصحاب المعامل اكتساب أسواق في الخارج وفي البلاد التي لم
تدركها حركة التصنيع وخصوصا منها البلاد الأفريقية والآسيوية حيث كان يمنع بيع المواد
اليها إذ أن الأوروبي لم يستعمل اليد العاملة الأجنبية إلا كان يمد خائنا لبلده ويحاكم محاكمة
الجوايس والحوة • فكم من مواطنين إنكليزيين وهولنديين أجرى عليهم الحكم انقسي بسبب
اطلاعهم الغير على سر المعامل •

فتبع إذ ذاك عصر التجول عبر البحار والبلاد البعيدة لإيجاد الأسواق (expeditions) في
أفريقيا وآسيا (x) • فنصبوا التجار وعسفوا العقود بها وأبرموا الاتفاقات مع ملوك تلك الأقطار
ليقيموا معهم المعامل التجارية حتى يصدروا اليها منتوجات معاملهم ويستوردوا في نفس الوقت
المواد الأولية اللازمة لمعاملهم لكثير قوت تلك الشركات بفضل الأموال التي صارت تندفق
عليها • فاختلت تحمل وتعقد في البلاد التي كانت مقيمة بها وطغت في احتكار تلك الأسواق حتى

Scala échelles d'Orient

(x) كانت تلك المراكز تسمى سلالم المشرق

تكون حرة لا يزاحمها احد فيها * فرضخ احواليها لارادتها التي فرضتها عليهم وعلى ملوكهم بالقوة وجاربت الملوك وقهرتهم وتقلبت عليهم واستقطبت الممالك واحلت محلها الحكم الاوروبي *

التشكيل الجزائري مهمة وجمال القانسون

اذ كانت الجزائر بلادا واقمة قرب فرنسا لا يحجزها الا البحر الابيض المتوسط ، عظمة فرنسا ياباز من راسمالييها على احتلال الجزائر التي تكون سوقا اقتصادية هامة ومخزنا هائلا للمنتوجات الفلاحية والمواد الاولية *

نعم لم تكن اللغة بالمرحوة في الحقيقة الاسباب وسببا لتبرر فرنسا الهجوم على بلدنا (cann belli) كما يقول المفكرون الاستعماريون - كانت في الحقيقة مهمة وجمال القانسون الاوروبي اذاه مشكل الاستعمار قلب الحقيقة باطلا والعكس بالعكس * ترى البعض منهم يقول دهقنا لنمدن الاحالي وتخرجهم من حالة الوحشية والنؤس التي كانوا يتخبطون فيها *

كانوا يتكلمون كما رأينا سابقا في أول الامر عن حق الثوى على المغلوب لكن لم يس احسن أهمية لهذا القول الواهي وقال بعضهم أيضا أن الاستعمار صار حقا مبررا يوجب تطور المستعمر (فتحا) اذ صار الاستعمار يعمل في صالح هذا المستنصف ويتولى الدفاع عنه كالوحي عن حقوق مصبورة واصبح المستعمر (كسرا) متشبها بفكرة الاستعمار ويوجوبه كالهواء للتنفس وكالماء لحياة السلك فو كحق وهبه الله له * وقال هانوطو وزير خارجية فرنسا سابقا ما مضته : « ان الاستعمار حتى لكل جماعة بشرية » فاه يكون أحد المتطلبات الطبيعية للاجيال الصاعدة التي توجه نظرها الى الافاق لتطير بعيدا (2) *

وقال دانيال سوران الشيخ الفرنسي لصالة توران من جهته ما معربه :

« ان الملك القاري هو الوسيلة الوحيدة الفعالة في نهاية الامر للاستعمار الذي تريده نهايا * والتوسع الاستعماري يصير الآن حتميا لا يستطيع احد تجنبه اذا اراد ان يعيش *

(2) يعني البشرية الاوروبية * عاش هانوطو من 1853 الى 1944 وكان عضوا في الاكاديمية الفرنسية وألف كتبيا كثيرة عن التاريخ خصوصاً منها الامبراطورية الاستعمارية الفرنسية *

والمدنيات الفياضة تريد أن تثبت في موضع ما تفلت من الضغط الجماعي الذي تقتفيه ومن
التخبر الخطير للثعالبات والمصالح التي أصبحت في طريقها أوروبا حيث تكسب فيها البشر .

فأتنا نهرب إلى الخارج لنتنفس وأيضاً لثلاثين ألفاً إذا كان العدو وفي القديم هو الأجنبي
فأصبح الآن هو الجار لأنه صار يناقشنا في الرقعة الأرضية التي شأقت بنا أكثر فأكثر وحللت
حيث كانتنا .

فأخرجت الحركة الاستعمارية الثورة الاجتماعية ولذلك يجب تسجيها ومساعدتها وتنظيمها
من طرف هؤلاء الذين يشبهون بدون مستوى بالماضي المنهجر . والاستعمار يسير للسيل المرم
الذي يفرض الحياة للتأجعة التي لا يملكها صبر والتي سارت تنهار ، منفذا واسماً ليسكن له
فقره والتوسع والانتشار .

نحن مستعمرات المستقبل وحتى الماضي لا تترك إلا متاجر فانية إن لم تفتح للصير والإسكان
بالمضيافة والسهولة والمرحة التي نجدها نحن السائحين في الأرض نحن الكثير المهد الذين
سيضاهونهم أكثر فأكثر عندما تنص أوروبا بالبحر رغم أنك تراها الآن عامرة جداً » (3) .
كلما حال ذلك الإيطالي فيكتور أماتويل الثالث ما يحبه :

« نحن بحاجة إلى الهواء للتنفس والأرض للانتشار والضم والبترول لتدفئتنا وتسخينها
والإفلاق والمياه الفياضة لبطونتنا وللشعر » .

ونخرج من عنصرنا (notre zone) الآن كمية عظيمة من القوة المادية بحيث أنه أصبح حقاً
في الانتشار في العالم حقاً لا يقبل جدلاً كحق سيول الوديان في الوثوب نحو البحر » .

العقل الاستعماري (l'esprit colonial) — إن النظام الاستعماري المبني في أول
أمره على القوة القاسية والقتل والتفك قد مهد لأرجال القانون حجباً أعظمها سبعة حقاً فأصبحت
حقاً أريد به باطل كما يقول الفقهاء . كما دعاه المستعمر القانونيين والعلماء في العلوم الاجتماعية
ليفكروا في الأمر . فأرادوا في الهجوم عقدا مزدوجاً يرمي ضمناً بين المستعمر والمستعمر (colon et colonisé)
عائناً عن رأيهم المستعمر إلى البلاد لتختلف ليمسها أهلها وسائل استقلالها ويدبره ويفرجه من حالة
تخلفه ووحشيته . فكانه رضى المستعمر (فتحا) ضمناً بتقديم المستعمر إلى بلده وقبل الأمر الواقع

(3) دانيال سوران . النظام السخاري بالمغرب ص 4

وغم دفاعه عن تراب وطنه - فاذن ، وضع حكمه اذ تيقن في آخر الامر انه اتى الاجنبى ساعيا وراء مصلحته وتمدينه وتنقيفه وتحريضه على استغلال ثروات بلده التي كانت راکدة لا يستفيد منها احد فمن الظلم والمهوان ان تبقى تلك الثروات مغزونة في الارض واليهى متوقفة عليها ، فباستغلالها يستفيد المتخلف هو الآخر ولذلك اضطر لقبول الاجنبى كوصى عليه .

وذهب القانونيون والاقتصاديون ان البلاد المتخلفة ذات الثروات الواسعة من المواد الأولية الغير المستغلة من طرف الاهال لسببهم على استثمارها والاستفاد بها يتحتم الاستيلاء عليها شرعا اذ ان ثرواتها ملك للبشرية ، فلا يحق لاي قوم ان يستيقها واکدة والعالم في حاجة اكيدة اليها فطلعت على المستعمر باسم البشرية ويمنون احتياج الامم المحرومة منها بحيث كان الهجوم لاكتسابها شرعيا فاستولى عليها باسم البشرية (au nom de l'humanité) اذ هي ملك جماعى (bien commun) حتى اصبح على قول هؤلاء الاستثماريين عملا انسانيا واجتماعيا وعدالة بشرية حتى يقام الانسجام والتعادل بين ثروات العالم والمستغلبين سواء اكافروا مستعمرين أو مستعمرين

وقال جريمال في هذا الصدد :

« لكن أكثر من ارادة القوة أو اية الرأبلة فان المعطيات الاقتصادية للحضارة المصرية هي التي تجعل المؤسسات من ورده البعبار ضرورية ، والنظام الصناعى الاوربى والعدد الضخم للسكان الذين اصبح وجودهم تابعا لحسن سيره تحرس بان تسفل ثروات العالم كله . والحال ان الثروات المغزونة من المواد الأولية توجه فطليا في الاراضى خارج اوروبا لا يستغلها سكانها . وهذه الثروات ليست ملكا للشعوب الافريقية والاسيوية فحسب بل هي « كنز جماعى للبشرية » ، بحيث اخذت الاستثمار على عبثه استغلاله وروجان منتجات تلك الشعوب المستغمة (populations opprimées) التي كانت تملكها « لا هي تستغلها ولا ينتفع منها غيرها لا بموجب حق القوى بل بموجب حق القوى في اعانة الضعيف » .

ليس هناك حجب في نظر هؤلاء المفكرين اذ ان المستعمر (كسرا) له واجب في اخذ تلك الشعوب المستغمة على عاتقه واستغلال ثرواتها ومن واجبه ايضا ان يتفهمها ماديا وروحيا وان يقيمها من البؤس الذى طامأ احاط بها قبل تحول المستعمر الى بلادها ، وعامل الامر ان يصير

مشاركاً لها في التسيير والاستغلال واقتسام الارواح ويكون ذلك المقابل الشكلي للاستيلاء الامر الذي يزيل لمصلحة كل صيغة المتصايبية » (4) .

تلك كانت الفكرة الاخيرة التي تشجع بها الاستثمار الذي تطور كما بيناه بوضوح منذ حلوله في اراضي الغير الى ان خرج مطروداً منها لاصياف عديدة منها :

1 - استثمار كفاف الشعوب المستنضة » .

2 - حركة اسقاط الاستثمار التي خلقها الحريان الاولى والثانية .

3 - تجنب للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي خلفها تناقض الطبقات بسبب حلول الافكار الاشتراكية في العالم اجمع سواء في البلاد المستعمرة الرأسمالية أو البلاد المستعمرة » .

فاختتمت تلك الثيوات كلها وساعدت على محاولة محاربة الاستثمار في العالم ومحوه لان الافكار التقدمية أصبحت تفرض نفسها حتى في البلاد المتطرفة في الاستثمار مثل بريطانيا وفرنسا وبلجيكا واسبانيا وهولندا واخيراً البرتغال .

الاستثمار الجديد والامبريالية

لكن اذا تفتقر الاستعمار وتهر وغلب ، فليس معناه انه وضع السلاح ومات بدون وجهه بل لا زال حياً ولا زال يفرض ارادته وسيطرته ونفوه اذ كان تتهقره مجرد تأخير استراتيجي ليرجع الكرة مهمي سنحت له الفرصة متقننا بفناعات الاستثمار الجديد والامبريالية .

ولما وضعت الحرب الثانية اوزارها قرر ميثاق سان فرانسيسكو والميثاق الاطلنطي ووضعت قرارات منظمة الامم المتحدة لفكر الاستثمار في التحويلات اللازمة عندما يوضع امام الامر الواقع لتلاخيص مكتسباته المحصل عليها منذ القرون . فاجرى تلك التحويلات (reconversion - mutation) مثل قائد الجيش الذي يضطر للرجوع الى وراء ميدان الحرب ليتم تنظيم جيشه .

تسيطر الاستثمار برامح عديدة ترمي الى ابقاء احتكازه لثروات البلاد المستعمرة التي سوف تستغل وابقاء امتيازاته وفرض الانمان والتفويض على البلاد المستقلة حديثاً مالياً واقتصادياً وفكرياً

(4) جريمال هنري - اسقاط الاستثمار 1929 - 1963 ص 28 - ان هذا الرأي ليس رايه انما اني به ليعبر عن رأي الكتاب المتشبهين بفكرة الاستثمار . اما افكاره فهي تقدمية اذ نراه متشعباً بالمذهب الماركسي .

وعليا و « اطاريا » بحيث تبقى تابعة له على الدوام ويبنى النفع هو هو بل ربما يجرح شأنها سالما لانه سينتج من المسؤولية السياسية والسكينة وحتى المالية التي كان يتحملها - فمضى هذا النظام الاستعصام الجديد الذي تحالف مع الامبريالية العالمية التي هي مشابهة له .

وما هذا النظام الا نظام استغلال ثروات البلاد المستقلة اخيرا والمتخلفة اقتصاديا ووضع اليد على مقاديرها في خفاء ونظامها الاقتصادي وعلى عملها ومؤسساتها الصناعية والتسيير على مسيرها الذين اصبحوا آلة وعمله مسخرين لبيد المستعمر القديم الذي خرج من البلاد فطليا لكنه بقي مسيطر عليها مسيرا من يبيد سياستها بدون ان يتحمل مضيق الحكم المباشر واقامة القوة العسكرية التي كانت تكلفه نفقات باهظة وتضحيات بشرية خطيرة . فحسبه يحرك عمله ويمينهم على فرض نفوذهم على اخوانهم واقامة الحكم الليبرالي بالبلاد واعطاء السلطة لخدمة من المسؤولين الحونة والمتولين بفضل اسيادهم - اما الثروات فلا يزال المستعمرون القنصاء يستغلونها لمعادتهم وفائدة الشركات الرأسمالية التي تقوم على جماعات رأسمالية دولية *transnationale* التي اصبحت سيدة البلاد المتخلفة تنصرف في سياستها وربما تقلب الحكم فيها ان اقتضت مصلحتها . ان هذه الشركات التي تكون في الحقيقة دولة في قلب دولة تحميها دولة وطها باوروبا وامريكا . لكن ثرى كثيرا من الدول النامية أخذت تتجرد شيئا فشيئا من تلك الرقبة وتصلص من التبعية بتاميم ثرواتها والاستفادة منها بوحدها . فقرر الكثير منها مثل الجزائر وغينيا والكونغو واليمن الشعبية وطنزانيا وسوريا وغيرها استغلال ثرواتها بدون مشاركة اية دولة او شركة اخرى . حقا ، كان قرارها خطيرا لانها كانت تخشى رد فعل الدول الامبريالية لكن طهر تيار آخر دافع عن تلك الدول الصاعدة .

نعم نلقن على كل حال ان الاستعصام الجديد والامبريالية اياهما محسوبة لاسباب شتى منها :
اولا - وهي شعوب البلاد المستعمرة قديما التي لا زالت تجري عليها سيطرتها الاقتصادية والسياسية .

ثانيا - نشر الأفكار التقدمية في الشعوب المستضعفة التي اتخذ حكامها المخلصون بحسب لهم حساب ، فانهم أخذوا زمام الحكم يقبضة من حديد .

ثالثا - تكفل الدول النامية وصحارية الامبريالية ، تلك الدول التي تسمى الآن العالم الثالث بانها اجمعت على ان تستغل ثرواتها بنفسها ، فامم الكثير منها ثرواتها كما يبينه .

رابعا - تشكلت تلك الدول في الميدان السياسى وكونت منظمة مرسومة البنيان وانزلت عن
تضرعات الدول الرأسمالية المسيطرة اقتصاديا على العالم ، لتكون كتلة دول عجم الانحياز التي
تطاول الآن الخروج عن محيط الدول الخترة مثل أمريكا والاتحاد السوفياتى واليابان والمانييا
الفيديالية وفرنسا ويطاليا وانجلترا وبلجيكا وهولندا وغيرها، فوسحت دول عجم الانحياز صفوها
لتجابه الدول الرأسمالية المذكورة وتفرض عليها اقتسام الثروات المالية وبيع موادها الأولية
بأثمان تسمرها هي ، نظرا لظروفه الاقتصادية حتى تدير الوضعية القديية حيث كانت الدول
الرأسمالية تشتري المواد المذكورة باسعار عالمية بخسة وتبيع المنتجات للدول النامية بأثمان
باهظة وتجويعها وتفقرها بينما تزداد هي غنى .

إن هذا الوعى قد خلق حركة فكرية واقتصادية وتضامنا فى العالم المتخلف الذى أصبح يجرى
هو الآخر ارادته على الدول المتقدمة .

فشعرت حاته بالخطر . فصارت تستعمل وسائل العنف والتهديد والوعيد وتفقر
وتحتكر المواد الضرورية وتشتري الضمان وتثير الحرب الباردة كعادتها لكنا نظن ان محاولاتها باءت
بالفشل . فنراها الآن في سكرات الموت وسيطرتها على العالم هي في طريق الدوبان والاضمحلال
تلك هي آخر مرحلة الاستعمار العصرى الذى طالما ظلم الشعوب الضعيفة وقتلها تقتيلا وجوعا
وحاول صوحا لكن « جاد الحق وزعق الباطل » ان الباطل كان زعوقا « والحق يملو ولا يملأ عليه »

اذ أتينا يبيضى المظلمات الخاصة بالاستعمار والجديد والامبريالية فى هذه الدراسة الخاصة
بالجزائر فلان بلادنا تدور فى محيط عالمى تتأثر بتياراته فتحس بالآلام التي « تمرى » العالم
الثالث وتنتمى بالراحة التي يتمتع بها .

من وهي ذكرى الثورة :

المَجْنَدُونَ ضد أَنْفُسِهِمْ

إن التجربة الثورية في خطها العريض
فُتت بشعبنا إلى القعة وكانت (مخاطرة) إنسانية
معززة بالإنسان المصيق وهي مخاطرة لا يمكن
تكرارها بسهولة أو في كل لحظة من أجل ذلك فهي
تجربة هيأت الفرصة الكافية للأفراد جميعا لكي
يخلقوا من أنفسهم معجزات كما كانت هي معجزة
العصر ، لقد ثبت بالتجربة أن ثقة شعبنا بنفسه
طوال عهد الكفاح الدامي انتمت ما هو كاف
... وأكثر ... للتمسك بذاتيته في أصرار ، ومع ذلك
فنحن نرى ونسمع من يدعو لما يشبه عملية

محمد فضيل عمرو

« انتصار » جماعية تتخذ شكلا جديدا هو أن تقمص ذاتنا ذاتا أخرى أيا كانت تلك الذات الجديدة لتحوط إلى الأبد ، تلك نفوس أم تلقى حياة القمص فاستحوطتها /اضفاف المستنقعات في الرهاد المظلمة وعادت إليها لمنهنا بالحياة العفة وتواصل تزييف القيم وطمس الكماح المجيد « وكأنها كانت تسكن خلف أسوار المجتمع وترقب المعركة الثورية من بعيد لتري ماذا عسى أن تكون الخاتمة » وهي في كلتا المالماتين معزولة الروح عن قلب التجربة وليست هذه تصورات مفروطة في التجريد ولكنها صورة حقيقية « لجثث » تحيا في المجتمع الذي نعتقد انه مجتمع ثوري بكل ما في الكلمة من معاني البقاء والتجديد والتطور والايمان السامق بكرامة الوطن وشخصية المجتمع « والذي يبارك خطواته الجريئة في عملية اكتشاف شخصيته وإثباتها بأسلوب عنيف صارم لا مساومة فيه ولا غش ولا تشويه ولا تردد *** جثث تجادل وتقف في وجهك الحجة فيما تدميه » ثم تترى أمامك بدون وجل مؤمنة بأنها تشهد الكمال للمجتمع ، فيما تقوم به من تقمص للذات الغريبة عنها والفرار من ذاتها ، في حين أنها « مجنونة ضد نفسها »

لا أن الذوات المستعارة لن تمطي للفرد قيمة - - وإن تبني له مجتمعا لأن « القيمة المنصرفة » هي تلك التي تملكه وصيدا في أحصاق الذات نفسها - - وصيدا غير مزيف اكتسبناه بفضل النضال الشاق ، والتحدى العنيف ، والمجتمع الذي ينشد القمة يغتر إلى افراد يؤمنون بانفسهم وتلتقى كلمتهم على أن معنى الفرد أن يكون هو من هو وأن يبدل الجهد المشكور في تعزيز وجوده ويترجيه حريته لتمثل جنبا لجنب مع حرية الغير حتى يتحقق للجميع مثلهم الأعلى في الحياة « كما يفكر - أيضا - إلى خلة واضحة تقود النضال إلى الهدف المنشود ، لانا اذا لم نتخذ قرارا مشتركا في شأن مطالبنا افترقا قبل أن نبلغ من سعينا شيئا ، والقرار الذي يتبني أن يصابق عليه أفراد المجتمع الذين يسترمون انفسهم « هو الالتزام الصائب بتقدير ذاتيتهم والايمان بها وبالتالي تقديرهم للذات الكبرى *** ذات المجتمع - - ولأن كل عزم يعقد بعد ذلك لممارسة النشاط في أي وجه من وجوه الحياة الاجتماعية سيظل نجاحه مشروطا بالقيمة التي حصدت للذات مقلدا ، والذين يذعنون في الضغاء لهذه الهجرة الروحية يضعون أقدامهم على حافة العدم وجفونهم مسدلة ويرفضون - يلوم - سميم وجودهم وكيانهم ، بحثا عن يتبناهم من مجتمعات « جاهزة » متطورة رايح هذا هو طريق التطور ، وليست هذه هي تروايا الوطنيين وليست هذه هي طريق المعاملة أن الطريق الواضحة أن تلقى بأنفسنا - كاملة غير ممرقة - إلى قلب المجتمع الذي وجدنا فيه والذي خلقته المعركة لمقرم بدورنا في عملية التحرير والتطوير والخلق من جديد ، وتلقى بكل طاقاتنا في المعركة لتكمل النفس ونشارك اصحاب السواعد الكادحة الذين لم يكفروا يوما بشخصية وطنهم ، ولم يفهموا أن الحرية اعلام - فقط - تملأ سماء البلاد -

وإذا كان وجه مجتمعنا يبدو لاعين هؤلاء الفارين من ذواتهم وجها « نيميا » متقرا فمن الغدور وضعة النفس أن تسلمه اندماجه وتخلي عنه أو نشترى له من « سوق الاقتعة » قناعا وسيما ، نقول للتاريخ هذا وجه مجتمعنا لا .. أن رسالتنا تدفعنا إلى حشد كل ما في وسعنا من جهد باكسابه عناصر الجمال ، وعوامل القوة ، ففي ذلك الخلق اعسدام شنيع لأنفسنا بلا رحمة ولا تيرير ، وقرار نذل لعين يقضى أن تعيش روائب غير مكرمين »

ورغم هذا الاسم الذي يعتصر قلوب المؤمنين بشخصية مجتمعهم لوجود تلك « الجثث البشرية ، الطافية فوق سطح المجتمع فإن الغهم المستقيم لمليمة المجتمع » وحركة التطور من شأنه أن يبدد المخاوف ويؤكد اضمحان في أن القافلة ستظل تسير في هريقها الصليم وأن عملية النمو الاجتماعية ستقدم بوظيفتها على مدى الايام باستيعاب العناصر القابلة للتكيف وإضافتها إلى الكيان المتكامل ويعزل العناصر المشوهة تلك التي تعد وربما في جسم المجتمع .. تماما كما يفعل الجسم الحي حين يطرد الطفيليات الغريبة حتى لا تعوق النمو الصليم في الانسجة »

في كل مجتمع نوات سلبية وقد تستमित في فضائها الفاضل « لتقنع الناس بضرورة تحويل سلبيتها إلى ايجابية فمالة يتغذى بها نظام الامة في الحياة ولكن للمجتمع أيضا « حصانة طبيعية » ضد من يعتسف به ويقتافته طريقا مخفوقا بالخطر والذين لم تستطع تجربتنا الثورية أن تبلغ بهم دعوة ، وتبعث فيهم عنصرا أصيلا « منقول لوهؤلاء : أن بين الله وشعبه صفاء ومودة ووعدا صادقا على أن يرعى كل تحرك نحو خير الجميع ، وسوف لن يجرم الشعب من أبناء أوقياء يغفون ألمه في البقاء والازدهار ، وسوف لن ينجح كل من يحاول تجميد الثورة وتعطيل العزم المعقود على يمت الشخصية الوطنية في الجوائر قوية متكاملة واغتيال روح المجتمع بأسلحة المزيفين / حركة التشكيك غدر يقضى بنفسه على المجتدين في هذه الجبهة ضد ذواتهم »



المنطلق لتحرر متجدد ودام



ان فصحا دقيقا شاملا لثروة توفيق يظهر
انها ترمي الى تحرير الانسان من كافة القيود .
الانسان دائما وايدا يبقى منطلقا الاول ومرجعها
الاخر . انها ترمي الى تحريره من القيود التي
تمنع تفتح انسانيته وتحررل تساميه .

★ ★ ★

ان الانسان كائن من نوع خاص . انه يملك
القدرات بالقوة وبالفعل على ان يجعل من وجوده
كاننا علويا كمالانكة ، وعلى ان يجعل من هذا
الوجود كاننا سفليا كالبهيم . ان تفتح هسله
القطرات ونموها الى اقصى الحدود قد يتعرضل
بسبب ظروف مجتمعية وطبيعية ودولية . للملك
لا يد من ثروة تلقى هذه الظروف من جهة ، وتخلق
ظروفا اخرى افضل منها تسهل نمو الانسان
وتسهل عملية تساميه .

د . خيم الله عصار

كلية الآداب

جامعة الجزائر

أن ثورة نوفمبر يوم اندلعت كانت ترمي إلى تحقيق الجزائر من شروط الحياة الاستعمارية التي فرضتها فرنسا على البلاد ، هذه الشروط التي كانت تعزل دائما وتمنع دائما نمو الإنسان الجزائري وتفتح من أجل تحقيق إنسانيته . وبالطبع فتحليب الجزائر من هذه الشروط يتطلب الثورة المسلحة والتمسك بالحارب الذي يتخلل عن ارتكازه الدائم ومصلحه في سبيل ازالة تلك الظروف ، أي تحرير بلاده منها .

والآن ، حوالي اثنتي عشر سنة مرت منذ أن ارتفع الهلال والنجمة في سماء الجزائر ، أي منذ أن ظهرت البلاد من شروط الحياة الاستعمارية والاحتلال . فالسؤال الذي أمامنا : هل الشروط التي تركنا الاستعمار والظروف الحياتية والاجتماعية التي وجدناها في جويلية 1962 كافية بتسهيل نمو الشخص الجزائري وتحقيق كرامته وإنسانيته ؟

★ ★ ★

لا أبجد أفضل من كلمات رسول الله عليه السلام ، عندما وصف الحرب ومعاركها بالجهاد الأصغر ، إن الحياة بعد الحرب بالجهاد الأكبر ! لماذا ؟ الحرب تضع اختيارا واحدا أمام الإنسان : العنف . إما ان يسلح يمدح فتصبح اختيارات عديدة . ان التحرر هنا أكثر تعقيدا ، والشروط التي تتناهم على ضمير الإنسان تتداخل فيها النواحي المادية والمعنوية . الماضي مع الحاضر .

إن بعض الاختيارات المطروحة بعد الاستقلال هي : كيف يمكن القضاء على الجهل والمرض والموت ؟ كيف نحال ترك المستعمر الثقافي ؟ ما هو موقفنا من روح النصر الذي تعيش فيه ومن روح ماضينا الذي يظل علينا عبر الاجيال ؟

يمكن أن نأخذ الخطوط العامة للثورة بعد الاستقلال بمحاولة جديدة من أجل ازالة الفوارق الطبعية الاجتماعية التي تقسم المجتمع إلى أقلية مستغلة وأكثرية مستغلة . وهذا يعني بالدرجة الأولى رفع مستوى الأكثرية من السكان الريفيين والفقره ، وبكلمة أخرى تحسين الظروف المعيشية لهم بواسطة دعمهم ماديا ، واضعائهم قطعة من الأرض لينخسوها ، وبناء قرى نموذجية تليق بهم .

لقد خضت الثورة خطوات جبارة في هذا المضمار ، ذلك لأنها عرفت بكل تأكيد أن أية فلسفة أو ثورة تهمل الظروف المادية وتأثيرها على تكوين الجسد ، وتضع حدا في مرتبة ثانوية أو تتركه في

حسابها ، هي فلسفة أو فكرة مكتوب لها الفناء ، ان الجانب المادى من الحياة والجانب الجسدى من الشخص يشكل البوقة التى تمشى فيها النفس ، انه كالأصيص بالنسبة لوردة غرست فى ترابه ، يقدم لها الغذاء والماء ويضم جنودها بين جوانبه التى تلتحم به ويترابه التحلما عضويا تاما .

إذا كانت ثورة نوفمبر هي الجذر ، فالثورات الثلاث هي زهورها ، التى بدأت تغطي أكلها لتحرير الإنسان يوما بعد يوم .

ان المعرفة العلمية والقوانين العلمية والصناعة والتكنولوجيا حيادية بمعنى انها تتبجح قوانينها خاصة من وجودها . ولا تأثير لرغبات الإنسان وإخوانه عليها . بيد أن التعبير عن القانون والمعرفة الصناعية والتكنولوجية يتم فى لغة معينة ، ولذلك تبدأ هذه الجوانب العلمية الحيادية . تبدأ بالخروج عن حيادها وتنصب لى روح أمة ما ، عندما تنصب فى لغتها . لذلك كان لا بد من التعريب ، من أجل تحرير الجزائر من التركة الثقافية العلمية واللاعلمية ، الاديوية واللاأدينية من صيغة المستعمر وتلوينها بصيغة عربية أصيلة .

لسنا فى مكان يسمح بتفويم الخطوات التى تمت فى هذا المضمار ، لكن يمكن القول بكل تأكيد أن التعريب يسير بانتظام على قدم وساق وقد بدأ يطي أكله .

ان التحرر من الاحتلال يتم بسرعة : خلال ثمان سنوات . لكن التحرر من تركة الاستعمار يأخذ وقتا أطول بكثير . إنه جهاد أكبر ، دائم ، غابت ، ويحتاج خصافة عقلية أكثر تمقيدا من تلك التى تحتاجها الثورة لتحرير البلاد من المستعمر المحتل . لذلك لا بد من التقويم الدائم المستمر لكل خطوة تنفذ ، ولا بد من برنامج دقيق ينفذ بدقة . وقد اعتبر عام 1985 العام الذى فيه يتم تعريب الحياة فى الجزائر كاملة .

ما هي خصائص ماضينا التى يجب أن نتحرر منها ؟ ما هي خصائص روح العصر الذى يجب أن نتحرر منها ؟

قبل هذين السؤالين يجب أن نسال : ما هي الخصائص في الماضي والحاضر التي يجب تبنيها وتنسيبها ؟

- ان ماضينا يبدنا يتراث كبير من المعرفة والعلم والأدب .

- ان ماضينا يمدنا بأزوع رسالة أخلاقية عرفتها البشرية ، ترتبط بدين أصيل حنيف .
ان في تراثنا كسا ذكرنا الكثيرين المعرفة ، لكن معرفة العصر تتجاوزته . ان معرفة الانسان عام 1980 ستتجاوز معرفته الحاضرة ، فكيف إذن لا تتجاوز معرفة حضارة توقف عطاؤها منذ ثلاثة قرون ! ان المعرفة في تراثنا تعتبر فقط جزءا من محاولات الانسان التاريخية في بحثه المذروب عن المعرفة .

إذا صبح هذا القول على المعرفة ، فهو لا يصح أبدا على رسالتنا الاخلاقية - ان كل ما أتى به العصر الحديث من مثل اخلاقية سواء تجلت في فلسفته أو في منظماته الدولية أو الانسانية ، يقصر أو على الأقل لا يتجاوز رسالة ديننا الاخلاقية التي تنبئ : بتفضيل بني آدم ، لا فصل لمربي على عجمي الا بالتفوق ، ومن احيا فسللكانه احيا الناس جميعا ، كلهم من آدم وأدم من تراب ، وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون « الم ...

اما العصر فيبهرنا باتساع مداره وينمو الفكر العلمي فيه ، ونمو التكنولوجيا والصناعة . كل هذا لا يمكن التهاون به . وما على الثورة الا ان تتوسع في مجالات التنمية العميقة والصناعية والتكنولوجية الى أبعد الحدود

اننا لم نخضع من التخلف العلمي بعد - ان المقياس الذي نستعمله لمعرفة تحررنا من التخلف العلمي - الصناعي - التكنولوجي هو : هل ننقل كل شيء ؟ أم اننا لنقل ونبدع ؟

انني اجد اننا مازلنا ننقل جل العلم والصناعة والتكنولوجيا ، لذلك فتحررنا لم يتم بعد .
عندما تطالعنا الصحف والاذاعات عن انجازات تقنية وصناعية وعلمية ثبتت هنا على أرض الجزائر وأخذت من رحيقها فاعطت زهورا جديدة، يمكن القول ان تحررنا من التخلف العلمي قد تم - ترى كم عاما نحتاج حتى نصل الى هذه المرحلة ؟

★ ★ ★

ان النفس الانسانية تملك القدرة على النقل والتقليد والمحاكاة . لقد نقلنا علومنا ككسيرة وموضوعات كثيرة ، ولقدلنا الكثير من اساليب الحياة في الغرب ، وحاول بعضنا ان يحاكي طراز

الثائق واللباس والتعبيرات اللفوية ، وقد أدت عملية النقل والتقليد والمحاكاة الى تغيرات شبيه جذرية في مجموع حياتنا .

والنفس الانسانية تلك القادرة على الابداع من اجل تجاوز ما اتى به الآخرون من علوم وموضوعات واساليب العيش المختلفة ، بيد ان هذه الفترة لم تطلق من عقابها يد ، مازالت سجنية لم تتحرك نحو السو ، لذلك مازال في مسيرتنا بعض بذور التطفل على الثقافة والحضارة التي نستوردوها من وراء الافق البعيد .

ان الملاحظة تظهر ان مشكلة النقل في حقل العلوم لا تشكل اى افتحار (من كلمة افتحور PRADOX) ، لكن عملية تحرر المرأة ، والحرية للسبية التي يتمتع بها شباب اليوم ، تشكل حقا واسما للصراع بين قزعت المزمعين وتحرر والموضويين .

يقال ان المرأة في تحررها الجديد ، صمت صرح كيان اجتماعي تقليدي أصيل . انها في طريقها الى تهديم ما بقي ، وليس أمامنا الا ان نعود بها الى الجدران الارسية والسقف اذا اردنا المحافظة على الاسالة والفتح العويم .

هل كان فعلا صرحنا الاجتماعي الذي عاصت فيه امهاتنا وجداتنا اصيالا موافقا لمبادئ الاسلام الحقيقية حسب القرآن والسنة وموافقا ليدا الكرامة الانسانية ؟

— بادىء ذي بدء ، الله تعالى امر بشرب الزاني والزانية ثمانين جلدة ، لكن المرأة في مجتمعنا التقليدي اذا زنت تذبج ، اما الرجل فلا يحاسب .

— يمكن للرجل ان يركب الخيل ، يسوق السيارة ، يذهب ويحج حيثما يريد ، لكن هل المرأة (فتاة كانت ام سيدة) تتمتع بنصف هذه الحرية ؟

— الزوج يحاسب زوجته على خروجها دون اذنه من بيته ، لكن من يحاسب الزوج عندما يبغي ؟

« لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » لكن هل كان الرجل في مجتمعنا التقليدي اكثر تقوى من المرأة حتى يتمتع بتلك الحقوق الستة لا حد لها ؟

يقولون ان المرأة المصرية يتحررها قدم مرت من الدين . لكنى ارى ان الكثير من الرجال مرق من الدين قبلها في مجتمعنا التقليدي المتعبد ؟

★ ★ ★

في بحث علمي عن وضع المرأة في الجزائر، وجد الباحث ان سكان المدن أكثر تسامحاً مع بناتهن من سكان الريف : انهم يتسامحون معها اذا خرجت لوحدها ، اذا ذهبت الى السينما لوحدها ، اذا ذهبت الى المكتبة ، او تأخرت بعد غروب الشمس كانت النتيجة الطبيعية غير المباشرة لهذا البحث ان الاسرة في المدن تترك من الدين شيئاً فشيئاً .

اجل الابوان في المدينة مهتمتان على الدين بحسب هذه المفاهيم، لكن يا ترى، الا يمكن ان يكون الآباء في الريف مهتمين من الدين بحسب مفاهيم اخرى ؟ وان المجتمع القديم لم يكن في جوهره أكثر أصالة وإسلامية من المجتمع الحديث ؟

هناك بعض الزيف في نظرتنا الى المرأة خاصة وفي ايائلنا عنها . حضرت مجلة فرنسية ذات مرة ان 47% من النساء المتزوجات في فرنسا يكن أزواجهن ، ترى كم نسبة الرجال الذين يخونون زوجاتهم ؟ ربما تتجاوز التسعين بالمائة .

الا يمكن ان نصيب الى ذلك البحث العلمي الجزائري بحثاً آخر نسأل فيه الأيوين لماذا وكيف يضللون الولد على البيت ؟ أنا لا ادعو الى الفوضوية في معاملة المرأة والتسامح معها اذا اخطت بشروط الاخلاق ، لكن ادعو الى معاملة متساوية بين الذكر والانثى وان قبلنا ان الرجال قوامون على النساء في بعض المجالات التي حددها الله، العظيم الرحيم .

★ ★ ★

في الحقيقة ارى ان مجتمعنا التقليدي هو مجتمع الرجال فقط . والآن هو في طريقه حتى يصبح مجتمعاً تشارك فيه المرأة بقدر مشاركة الرجل . وبالطبع هذا سوف ينعكس من سيطرة الرجل وعنجهيته وتفريبه وتشريكه . لذلك لن يسر من هذا . بيد ان الجانب الجيد الغريب في القضية ان يعتبر الرجل وضعه في المجتمع التقليدي بالنسبة لعلاقته مع المرأة ، يمثل روح الاسلام الحقيقية .

★ ★ ★

ان مجتمعنا التقليدي مجتمع غير متحرر ، وهو مقيد . انه مجتمع سيطري كما اثبتت الدراسات العلمية ، ويتصف بوجود الشخصية السيطرية التي تتميز بالتوجه من الخارج .

وهذا المجتمع الآن يتغير . المرأة فيه تتحرر والجيل الجديد يتحرر من السلطة ومن التسلط
الرجالي .

— انه ينتقل تدريجيا من مجتمع توجد السلطة فيه خارج نفس صاحبا ، الى مجتمع تصبح
السلطة فيه نابعة من الداخل ، الى موجبة ذاتيا .

— انه ينتقل تدريجيا من الشخصية السيطرية الى الشخصية المبدئية الموجهة بحسب
مبادئ وحطوط عريضة ذاتيا .

لكن التقيديين يظنون انه ينتقل من النظام السليم الى الفوضى المرضية ، من التوجيه الى
اللاتوجيه ، من الشخصية الانضباطية الى الشخصية العفوية ، لذلك نراهم دائما
يتشامخون .

عل الرغم من عجز ويجر الجيل الجديد ، فهو في رأي افضل من عجز ويجر الجيل الذي
عاش قبل قرن من الزمان : الجيل الجديد يقدم لنا مهندسين واطباء ومحامين ومعلمين ، يقرأ
اكثر ، ويسافر اكثر ، وجسمه اليق رياضيًا وعدم معرفة ذاتية افضل ، وخوفه اقل ،
وخدماته للمجتمع الجديد افضل ، يتطوع ويساعد الملاح ، ويعمل في المصنع ، وبكلمة أخرى انه
يبنى الجزائر الناهضة .

الجيل قبل خمسين عامًا ، كان اميا على الاغلب ، كان خاليًا من الاطباء والمهندسين
والمحامين والمعلمين ، كان منزويًا على نفسه في دحاليذ التكايا والكنائس . كان يعرف شيئًا من
تراثه من شيوخه ، لكنه كان جاهلًا في العديد من المجالات العلمية والتقنية والمعلومات الانسانية .

★ ★ ★

هل يجب علينا ان نكون راضين عن انجازاتنا في العيد العشرين للثورة ؟

اعتقد انه يجب ان نكون راضين عن الطريق الذي تسير فيه ، لكن غير راضين عن السرعة .

المالم كله يتغير بسرعة هائلة ، فالحق لو ذهنا اليه بسيارة لاستغرقت الرحلة عدة
اعوام ، لكن الصاروخ وصلها في بضع ايام

المالم يتغير بسرعة الصاروخ ونحن نتغير بسرعة الحصان في مجالات وبسرعة السيارة في
مجالات أخرى .

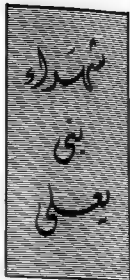
هل يمكن لنا أن نزيد من سرعة تحررنا ؟

لا اعتقد انه باستطاعتى الإجابة على هذا السؤال فى هذا المقال •

فى رأيى أن تحررنا من المستعمر عسكرياتهم بسرعة الصاروخ • اما تحررنا الثقافي فمما زال
يتلكا ويسير بسرعة يمكن لنا أن نزيدها اذا صمنا •

العيد العشرون لثورة نوفمبر المجيدة يشهد على إنجازات عديدة هائلة ، تسر القلب وتبهج
النفس • لكن القناعة فى مسيرة الأمة ليست كنزا لا يفنى وانما فقرا لا يفنى ، وعليه يجب أن لا
نفتح بسرعة مسيرتنا لأن القناعة معناها التوقف عن الطموح وبالتالي عدم تنمية القوة الدافقة
الهائلة التى أطلقت العرب قبل ثلاثة عشر قرنا ، وأطلقت شعب الجزائر نحو ثورة نوفمبر قبل
عشرين عاما •





د. ع. مصطفى
كلية الآداب
جامعة الجزائر

فنعلم جبالنا السماء مأوى
لاحرار تريد بها اعتصاما
نكم بدل الاعادي من جهود
لنهرهم فما نالوا المـراما
لعمري خاب مسعاهم وطاشت
سهام كلما مطروا سهاما
نقدما كان موطننا عريضا
لآساد تحامي أن تضاما

بني يعلی تفوا ان الرجا ما
لعمري قد حوت همما عظاما
حوت جننا لا يبطال كرام
لقد رفعوا لنا في الناس هـام
يسق لنا يسعاهم نضار
وصبح التصر قد دحر التلاما
ورايات الجزائر خافتات
على الاوطان ترتاد النماما
فيالك من نفوس آبيات
تضريت الجبال لها مقامـا

هم الانجال قد كرموا جدودا
 فما اعتنقوا الردى الا كراما
 هم الابطال ان يلتوا قتالا
 يبيدوا الخصم أو يلتوا حاما
 فلم توهن عزائمهم خطوب
 تجر على مواملتنا الظلما
 لقد سهروا وضحو في علانا
 فما تخطى العلا قوما نياما
 أباة لم يطيعوا العيش هونا
 يرون العيش في ذل حراما
 هنيئا يا بنى يعلى قبور
 بها كنزات قد عظمت مقامها
 فياكنزات طبت لهم مقبرا
 وثلت من الملا ما لا يمامى
 ضمنت ببطنك الشهداء حبا
 كنتم الام أبناء كراما
 بذلت العون في العجاء حتى
 رأيت النصر ينقسم ابتساما
 وفقت من الشدائد كل لسون
 لما خفت العهود ولا التزاما
 فقدمنا ككت يا وطنى المندى
 منار ثقافة يهدي الانام

❀ ❀ ❀
 ألا يا أيها الشهداء اننا
 نكابد من فراقكم غراما
 فكم أم اذا نلحت رياح
 غدت تحكى لذكركم الحامام
 وكم طفل يطل بالتلاتى
 وليس بصابر الا لاما
 ألا يا قوم رفقا بالنكالى
 ألا يا قوم رفقا باليتامى
 ألا استوصوا بهم خيرا وأدوا
 حقوقا واحفظوا لهم الزمام
 فتلك أمانة الشهداء فارغوا
 ألم يطلوا لثانكم مقام
 ألم يقتضوا ليحيا الشعب حرا
 ويلقى في الشعوب له احترام
 اذا ما سار شعب في سنام
 فلا يخشى انتقاما واحتساب
 فقد سنوا التعاقد والتأخى
 وقد سنوا المحبة والوثام
 ألا أعظم بها سننا لقوم
 يريدون الكرامة والسلام

دور المسرح في الثورة :

المسرح الحديث بدا مع جيش التحرير

ان انعدام المراجع والوثائق هي المشكلة الرئيسية التي يواجهها الباحث في الجزائر ، خاصة من كان يهتم بتاريخ الحياة الفنية والمسرحية قبل القرن العشرين * ولم تنشر حتى الآن ايّة دراسة حول هذا الموضوع ، باستثناء المذكرات التي كتبها الفنان محي الدين باش طرزي * وهي مذكرات ذاتية أكثر منها دراسة او تاريخ * وقد اقتصر حديث صاحبها على التجربة المسرحية في الجزائر العاصمة دون التطرق للحديث عن النشاط المسرحي في بقية مدن القطر كقسنطينة ووهران ، وهما من عواصم الفن المسرحي في الجزائر * والشئ الوحيد المؤكد والثابت هو ان النشاط المسرحي قد طمس في الجزائر مع بداية الفتح الاسلامي ، وخلال فترة الحكم العثماني * وذلك لأسباب عديدة ، ونحاول التعرف على بعضها فيما يلي *

جروه علاوة وهي

زيارة جروج أبيض وبداية المسرح الجزائري

كانت فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر من سنة 1830 حتى سنة 1888 « عبارة عن فترة قحط فني - فالفرق المسرحية الفرنسية التي كانت تقدم عروضاً مسرحية في تلك الفترة كانت تقتصر على تقديمها في التكنات العسكرية فقط ، ولم تكن تستخدم الممارح الرومانية في عروضها . أما هذه البنايات المسرحية التي نجدها في الجزائر العاصمة ، وتسنطينة ، وهران ، وسيدى بعباس ، وبجاية ، وموق أهراس ، وسكيكدة ، وغيرها من المدن الجزائرية ، وهي من لحاز البناء الإيطالي ، فانه لم تكن موجودة قبل سنة 1888 - فأغلبها بني بعد هذا التاريخ أي بعد مضي ما يقرب من 50 سنة على الاحتلال . وحتى بعد هذا التاريخ فإن العروض المسرحية كانت تقدم على ركع المسرح للجمهور الفرنسي فقط من أبناء المستعمرين ، وكان يمنع أبناء الجزائر المسلمين من ارتياد هذه الدور العنية .

ومهما يقال عن فترة الاحتلال الفرنسي لشمال أفريقيا فائناً لا يمكن أن نلكر بأنه جاء البنية بشيء جديد ، وهو المسرح - المهم هو انه بعد سنة 1888 تكونت في الجزائر عدة فرق مسرحية ، كرتها الفرنسيون ، وهذه الفرق دفعت بأبناء الجزائر إلى التفكير في انشاء فرق مسرحية خاصة بهم . إلا أن الحظ لم يسلمهم في ذلك حتى مطلع القرن العشرين وبعد زيارة كل من فرقة ألفونس جروج أبيض وقاطمة رشدي إلى دول شمال افريقيا .

ومن هنا يكون تاريخ بداية الحركة المسرحية العربية في الجزائر هو أواخر القرن التاسع عشر ، بالإضافة إلى ارتباطه بزيارة القرداسي جروج أبيض وقاطمة رشدي ، ومنذ هذه البداية الجديدة للمسرح في الجزائر ، نجد انه قد مر بمراحل ست ، اختلفت فيها درجات الوعي الفني والسياسي ، وتنوعت الأعمال المسرحية التي قدمت ، وبما أننا نقوم بمحاولة رصد للحركة المسرحية في الجزائر ، فائناً سوف نحاور استعراضاً لمعالم الاساسية التي قام ويقوم عليها حالياً للمسرح الجزائري ، وحتى نعرف ما قمه وما بقي عليه أن يقدمه في الرحلة الراجعة .

المحتال *** والمغامر « رشيد القسنطيني »

منذ سنة 1926 وحتى سنة 1964 مر المسرح في الجزائر بخمسة مراحل متباينة ، ثم من سنة 1964 وحتى الوقت الراهن مر بمرحلة واحدة .

المرحلة الأولى في تاريخ المسرح بالجزائر تبدأ من سنة 1926 وهي السنة التي تعقب بداية رسمية للمسرح العربي هنا . هذه المرحلة تمتد حتى سنة 1934 أي على مدى ثمانى سنوات . ولقد امتازت العروض المسرحية في هذه المرحلة القصيرة جداً ، بشيء من الواقعية والاهتمام بقضايا ومشاكل الشعب اليومية ، بحيث اقتضت عروضها على أنواع معينة من المسرحيات ذات الطابع الهزلي أو ما يعرف في الجزائر « بسكاتش » وكذلك المسرحية الارتجالية أو « الكوميديا دي لارتى » وهي المسرحية التي تعتمد دائماً على شخصيات معينة وثابتة ، كالأب والبنات والعاشق . إلا أن رواد المسرح الأوائل في الجزائر قد حوّلوا أو غيروا في التسميات المتعارف عليها في هذا النوع من المسرح الارتجالي ، وجعلوا المصطلح الأساسى فيها هو رجل الدين المتزمت ، أو ابن القرية اذى يكتشف انديته لأول مرة ، وما يحدث له من الغرائب والمواقف المضحكة .

هذا إلى جانب شخصية - المحتال - وهي الشخصية الماهرة التي تعرف كل شيء ولا تعرف شيئاً ، ويمكن أن نقابل هذه الشخصية أو نقارنها بشخصية - ارلكان - في الكوميديا « دي لارتى » ومن أشهر رجال المسرح في هذه المرحلة « حلالو » و « رحمون » ، اللذان كرّسا جهودهما لإقامة الكوكبات الأولى للمسرح الجزائري إلا أن هناك شخصية أخرى كان الفضل كل الفضل لها في أحداث التأثير الكبير على الحياة المسرحية وقتها في الجزائر ، وربما قلبت المفاهيم السائدة والمعمول بها يوم ذلك راساً على عقب ، والقصد بذلك شخصية « المغامر » الذي جاب أطراف الدنيا على ظهر السفن ، لأنه كان يعمل بحاراً في أول الأمر ، ولعل أن يصبح فنان الشعب الأول ، وهو « رشيد القسنطيني » الذي تعلق به جمهور المسرح العربي في الجزائر تعلقاً كبيراً . وما استطاع فهميته حتى يومنا هذا ، فهو ما زال موجوداً بيننا . وكلما دار الحديث بين جماعة عن المسرح فكر اسم رشيد القسنطيني كرائد أول ، والمؤسس الفعلي للمسرح العربي في الجزائر ، أو بعبارة أمق مؤسس المسرح الشعبي ، حتى أن البعض يطلق على هذه المرحلة ، اسم مرحلة المسرح الشعبي - والحقيقة أن رشيد القسنطيني هو أبو المسرح في الجزائر بلا منازع ، تلك هي بعض ملامح المرحلة الأولى من تاريخ المسرح العربي في الجزائر ، وهي وأن كانت قصيرة بالمقاييس إلى المراحل الأخرى إلا أنها استطاعت كما استطاع رجالها تثبيت ركيزة المسرح ، وجعله مطلباً جماهيرياً وشيد أساساً ، وعاملاً من عوامل الثقافة .

الاحتلال على رقابة الاحتلال

تبدأ المرحلة الثانية من سنة 1934 حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية . ولذا كانت المرحلة الأولى عبارة عن تعويد الأريضية لجيلاد مسرح عربي جزائري ، وكان من روادها حلالو ورحمون .

انضم إليهما رشيد القسطنطيني الذي زود الحركة المسرحية بالخفة والمسخرية التي كان يتمتع بها في حياته الخاصة ، وإذا كان رشيد القسطنطيني في تلك المرحلة الأولى قد اكتفى بالتمثيل فقط ، فإنه في المرحلة الثانية راح يساهم بالتأليف ويكتابة المسرحيات فزود الفرقة التي كان يعمل بها بمسدة مسرحيات ساخرة طعمها بما عرف به من خفة الدم وسرعة الاليدية ، فلفتت مسرحياته أقبالا متقطع النظر وتجاوزا كبيرا من الجمهور الذي كان يأتي إلى قاعة المسرح يتعرج على الشخصيات البارزة التي كان قام رشيد يتناولها بالنقد والمسخرية ، ويجعل منها أضحوكة وميزة أمام العامة . لقد كان لمسرحياته وخاصة « جحا » و « فاقرا » و « بنى ويوى » « صدق كبريا لا مثيل له في تاريخ المسرح العربي في الجزائر » .

ولكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل ، لأن أعضاء الفرقة لجأوا بدورهم إلى استخدام الحيلة مع لجنة الرقابة ، فكانوا يمرضون عليها نصا ، وفي ليلة العرض يقومون نصا آخر غير الذي تمت مراقبته . بعد كل هذا طلبت الإدارة الفرنسية من أعضاء الفرقة العمل تحت إشرافها على أن تقوم هي باختيار المسرحيات التي يجب عرضها ، وعلى أن تكون مختارة من التراث المسرحي الفرنسي . ولكن اقتراح الإدارة الفرنسية قوبل بالرفض من طرف عناصر الفرقة كما رفض من طرف العاملين بالفرق المسرحية الأخرى . وقد أدى ذلك إلى توقف النشاط للمسرحي للمرة الثالثة ولفترة قصيرة جدا هذه المرة ، عادت بعده الفرق إلى العمل بمناصر جديدة ويتنظيم جديد . وكان ذلك مع اندلاع الحرب الكونية الثانية .

مسرح لخمسة الحلفاء

تبدأ المرحلة الثالثة من تاريخ المسرح العربي في الجزائر في نهاية المرحلة الثانية ، وتشمل سنوات الحرب العالمية الثانية ، أي أنها تبدأ في سنة 1939 وتنتهي سنة 1945 . وتعتبر المرحلة الثالثة أقل أهمية من المرحلتين الأولى والثانية .

وتعود الأسباب في هذا إلى عدم التفاهم بين الإدارة الاستعمارية وبين العاملين في الفرق المسرحية التي كانت قائمة يوم ذلك . وانعكس عدم التفاهم هذا على نشاط الفرق المسرحية ، التي راح البعض منها يقدم مسرحيات أقل ما يقال عنها أنها لم تكن تعض الشعب في شدة ، ولا عالجت قضايا ومشاكله العميقة التي كان يتخبط فيها . كما أن المسرحيات التي عرضت في هذه المرحلة لم تساهم إلى الجوزء اليسير في توعية الشعب من الناحية السياسية ، يعكس مسرحيات المرحلة الأولى . وإذا كانت المرحلة الأولى ، قد شهدت مسرحيات ذات مضمون مياس ، مثل « فاقرا » و « بنى ويوى » ، فإن المرحلة الثالثة لم تضامد إلا مسرحيات بعيدة كسل البعد عن الصراع

السياسي الذي كان قائما في الجزائر يوم ذاك ، بين الادارة الاستعمارية وبين مختلف المنظمات والاحزاب السياسية الوطنية . بل ان اغلب مسرحيات تلك المرحلة كانت مسرحيات مهزوزة الضمير ، ومن تلك المسرحيات نذكر « العودة للارض » و « السعادة » و « العائلة » وغيرها .

كما نلاحظ في هذه المرحلة ظهور حركة جديدة لم يعرفها المسرح العربي في الجزائر من قبل ، وهي حركة الترجمة والاقتباس . اذ اتجهت بعض الفرق المسرحية الى ترجمة مسرحيات من التراث الفرنسي ، وقدمتها امام جمهور جزائري . وكانت مسرحيات لا صلة لها بمشاكل الشعب ، كما ظهر في هذه المرحلة ، جيل جديد من كتاب المسرح ، مثل محمد التويحيى من البليدة ، ومصطفى بديع ومصطفى كزدارلي ، وكاتب مصطفى . كذلك نلاحظ في هذه المرحلة ان الصراع الذي يسود في المرحلة السابقة بين ادارة المصارح الفرنسية وبين الفرق المسرحية العربية ، قد زادت حدته . وبلغ الامر بالادارة الفرنسية ان طلبت من الفرق المسرحية العمل لغايتها هي ، وان لا تقدم الا المسرحيات التي تخدم مصالح الحكومة الفرنسية والحلفاء . أي ان الادارة المذكورة ارادت ان تجعل من الفرق المسرحية ابواقا وجهاز دعاية للحلفاء .

الا ان المسؤولين من تلك الفرق وقفوا في وجه هذا الطلب موقفا مشرفا . وكان جوابهم الرافض والوقوف عن النشاط . ومن ثم لجأت الادارة الاستعمارية الى انشاء فرق مسرحية اغتب عناصرها من الجزائريين أو الانداب الذين رضعوا من فرنسا حليب الخبز والخيانة . وهذه الفرق اطلق على احداها اسم « فرقة بلدية العاصمة » وكانت تعمل حسب التوجيهات الاستعمارية ، ولا تقدم الا المسرحيات التي تخفأها لها الادارة الاستعمارية . ولكن هذه الوضعية لم تستمر ، بل طرد عليها تغيير ، وخاصة مع بداية الخمسينات ، ونهاية الحرب العالمية الثانية ، وحوادث الثامن من مايو - ايار سنة 1945 ، وتلك كانت المرحلة الراحلة .

المسرح يدخل حرب التحرير

المرحلة الراحلة من تاريخ المسرح العربي في الجزائر تبدأ من سنة 1945 ، وهي السنة التي انتصر فيها الحلفاء وهزمت النازية . لذلك كان لهذه المرحلة رد فعل كبير على جميع المستويات . الا انها لم تكن مرحلة طويلة ، فقد توقفت في سنة 1954 أي مع اندلاع الثورة التحريرية الكبرى ، لتعبر للظهور من جديد في حوالي سنة 1956 .

لقد كان لهذه المرحلة تأثير قوي على الحركة المسرحية . فقد لعبت فيها الفرق المسرحية دورا كبيرا في ميدان التوعية السياسية ، بالنسبة للجماهير الشعبية . وذلك لان سنة 1945 هي السنة التي بدأ فيها الوعي السياسي عند الطبقات الشعبية في الجزائر يظهر بشكل أكثر وضوحا من

السنوات السابقة ، سنة 1945 هي السنة التي دفعت فيها الجزائر 45 ألفا من خيرة أبنائها غداة للحرية والسلام ، في كل من مدينة سطيف وخرطلة وقالة - لذلك كانت أغلبية المسرحيات التي عرخت في هذه المرحلة ذات مضمون ثوري ، سواء أكانت مقصودة أو عن غير قصد ، ففي مدينة قسنطينة وحدها بلغ عدد الفرق المسرحية حوالي 12 فرقة هابوية ، بالإضافة لفرق التايمة للندارس ، هذا عدا الفرق الأخرى في كل من العاصمة وهران والتي يبقى تاريخها مجهولا هكتا ، نظرا لقلّة المصادر التي تتحدث عن الحركة المسرحية في الجزائر ، حتى في المكتبة الوطنية ، هنا عدا كتاب واحد هو مذكرات محي الدين باشا طرزي ، الذي سبق وأشرنا إليه .

ولكن الجميع ، وكل من حاول التحدث عن مراحل المسرح الجزائري العربي ، اكدوا ان هذه المرحلة كانت من اخصب المراحل وأخطرهما ، ونذكر فيما يلي هتارين بعض المسرحيات التي قدمت خلال هذه المرحلة ، وما نذكره ليس من باب الحصر ، ولكن اعتمادا على ما وصلنا من أخبار ، وعلى ما رواه لنا من عايشوا تلك المرحلة ، ومن جملة هذه المسرحيات : « بلال » ، وهي مسرحية شعرية للشاعر الجزائري الكبير محمد العيد آل خليفة ، في « جنيف » للاستاذ توفيق المنى ، و « بطل الشعب » مقتبسة عن نص أغريقي ، وقد اقتبسها للمسرح الجزائري الشريف شبيب ، كما ظهر جيل آخر من كتاب المسرح بالإضافة إلى الكتاب السابقين من هنا يمكننا القول ان ما بعد سنة 1945 ، كان هو البداية القطعية لحركة المسرح العربي في الجزائر ، ذلك لأن المراحل السابقة ، لم تكن إلا عبارة عن تمهيد وتعبيد لإرضية لقيام المسرح ، أما بعد تلك السنة ، فقد جاءت مرحلة التوعية السياسية ، استعداداً لشخص الحركة التحريرية الكبرى .

المسرح يلتحق بجيش التحرير في الجبال

المرحلة الخامسة هي آخر مرحلة في تاريخ للمسرح العربي في الجزائر قبل مرحلة الاستقلال ، وتنطلق هذه المرحلة من سنة 1956 وتمتد حتى سنة 1962 ، وهي لم تكن مثل المراحل السابقة لها ، حيث كانت المسرحيات تعالج بعض انقضايا ذات الصلة الوثيقة بالحياة اليومية وباهتمامات الشعب كمسألة الاستعمار ، وكيف يمكن التخلص منه ، وكذلك مسألة استغلال « الكولون » لطاقات الفلاح الجزائري ، ونور الملاك الجزائريين انكار من الطبقة المتبرجة .

ومع اندلاع الثورة التحريرية ، بدأ ضغط الاستثمار يزداد على رجال الفن في الجزائر ، وقد أصبح يرى أن وجود فرقة مسرحية خطر يهدد وجوده ، كما رأى في ذلك علامة من علامات

الاندلس بانتهاهم حكمه * لذلك جند كل طاقاته الجهنمية لمحاربة الفنانين * ولكن هؤلاء التحقوا بصغوف الثورة والجيش في الجبال ، بعد توقف نشاطهم الفني في المدن - وهناك في الجبال تكونت فرقة جيش التحرير الوطني للفنون الدرامية ، وسلمت ادارة الفرقة الى السيد مصطفى كاتب * وبذلك اصبحت هذه الفرقة المسرحية هي المسير الاول للثورة الجزائرية في قول العالم العربي والغربي * وقد نالت الفرقة نجاحا كبيرا في كل الدول التي قُتِمت فيها عروضاً مسرحية وكانت مهمة هذه الفرقة مقتصرة على تعريف السواي العام العالي بحق الشعب الجزائري في تحرير بلاده وتقرير مصيره بيده * ومع هذه الفرقة التابعة للجيش الوطني ، كان ميلاد جيل جديد من كتاب المسرح ، الذين جنّدوا ، كل طاقاتهم الابداعية لخدمة الثورة بالكتابة والكلمة الثائرة والملتزمة - ونذكر منهم على سبيل المثال عبد الحليم رايس ، الذي قدم لفرقة مسرحية « اولاد الضيبة » ، وقد احرزت بها الفرقة نجاحا باهرا في كل المدن التي عرضت فيها - وهي مسرحية ثورية تحدثت عن الوحشية التي يعاني منها افراد الشعب الجزائري ، والمذاب الذي يتعرضون له على يد زبانية الاستعمار * كما ابرزت الجانب الفدائي عند افراد الشعب والتصميم على انتزاع الاستقلال من بين مخالب الاستعمار ، مما كلف ذلك من التضحيات * كما ظهر في تلك المرحلة ، كاتب ياسين الذي نشر اول عمل مسرحي له في سنة 1966 ، وقدم فيما بعد للمسرح عددا من المسرحيات الثورية * مثل « الجثة المصفوفة » و « المرأة المتوحشة » و « مسروق النكاح » و « الاسلاف يساعفون شراوتهم » وفي المدة الاخيرة اي بعد الاستقلال « رجل نمل المطاط » و « محمد خذ حقيقتك » و « صوت النساء » و « افكار موح زيتون » - ان في هذه المرحلة الخامسة ، خرج المسرح العربي في الجزائر من المدينة ، وانتشر هو الآخر بالمجبال لخدمة الثورة ، وخدمة القضية الوطنية والتعريف بها في الاراسط العالية ، السياسية منها والثقافية وشارك الفنان الجزائري ورجل المسرح في المعركة التحريرية من أجل استعادة السيادة الوطنية ، وتحرير البلاد من سيطرة الاستعمار الفرنسي *

مع الاستقلال : مسارح شعبية وثورية ** ومسارح للشبيباب

امتدت المرحلة الخامسة من تاريخ المسرح العربي في الجزائر حتى سنة 1968 ، حينما حصلت البلاد على استقلالها ، بعد سبع سنوات ونصف من الكفاح المرير ضد الاستعمار اليخيش * ومع سنة 1968 تبدأ مرحلة جديدة من تاريخ المسرح الجزائري ، وهي المرحلة السياسية والاخيرة ، والتي ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا * ومع حصول الجزائر على استقلالها الذي سفته لهما مليون ونصف من الشهداء ، تعود الفرق المسرحية الى الظهور من جديد في مختلف مدن القر ، وبشكل أكثر من السابق - ففي مدينة قسنطينة التي عدد سكانها

حوالي 350 ألف نسمة بلغ عدد الفرق المسرحية فيها خدأة الاستقلال أكثر من 25 فرقة ، كما شهدت السنوات الأولى من الاستقلال ميلاد الفرقة المسرحية الوطنية التي اعادت الى القلوب الماشقة لهذا النوع من الفنون ، الامل لدى كاد أن يموت من قبل ، فلقد تم انشاء فرقة المسرح الوطني الجزائري في سنة 1963 ، وهي نفس السنة التي تم فيها تامين قاعات المسارح في كل من قسنطينة ، وعناية ، والجزائر العاصمة ، وسيدى بلعباس ، ووهران ، وبذلك عادت اغلب العناصر المسرحية الى النشاط وانخرطت في الفرقة الوطنية لتعمل الى جانب العناصر الأخرى التي كانت تتأخر من قبل في صفوف فرقة جيش التحرير خلال الثورة ، لا يمكننا الآن الحديث عن هذه المرحلة الصاعدة ، بشيء من التحليل والأسباب ، لانها ما زالت مستمرة ، وما زالت معالمها لم تتضح بعد ، الا أنه يمكننا أن نثيين فيها ثلاثة اتجاهات متباينة :

1 - المسرح الشعبي ، ويمثله افضل تمثيل للكاتب والممثل « رويشد » الذي يريد المسرح أن يكون امتدادا طبيعيا لمسرح رشيد القسنطيني ، ولقد امرك الكاتب رويشد متطلبات المرحلة الراهنة ، فقرأ يجازيها محاولا أن لا يكون متخلفا عما يحدث في عالم المسرح من تطور ، رغم أنه من الكتاب التقليديين في المسرح ، ولقد قسم هذا الكاتب ، لفرقة المسرح الوطني خمسة مسرحيات ، حصل معظمها على جوائز في مهرجانات مسرحية مختلفة مثل « صمن الطيور » ، و « الفولة » ، و « اليرابون » ، وبالإضافة الى رويشد ظهر في هذه المرحلة كذلك كتاب من الشباب يمثلون الاتجاهين الثاني والثالث .

2 - مسرح الأصالة والتراث - وخير من يمثل هذا الاتجاه هو الكاتب ولد عبد الرحمن كاك ، الذي ينهل من التراث الشعبي والخرافات كما هو الحال مع الكاتب الصديقي في القريب الاقصر ، فأغلب مسرحيات كاك مستوحاة من القصص الشعبي القديم والمحفوظ في الفلكلور الشعبية ، ومن المسرحيات التي قدمها هذا الكاتب نذكر « اقرب والصالحين » و « كل واحد يحكمه » و « القراقوز » و « مائة واثنان وثلاثون سنة » و « ارفيقا قلب واحد » .

3 - مسرح الواقعية الثورية ، وخير من يمثل هذا الاتجاه الثالث والاخير هو الكاتب والمخرج الشاب عبد القادر علولة ، ومن المسرحيات التي قدمها نذكر « العلق » ، و « الخيرة » و « حلق سليم » المأخوذة عن مذكرات احمق لمرغول ، كما ظهرت في هذه المرحلة الى جانبه الفرقة الوطنية ، فرق مسرحية هابوية او شابة ، واشهر هذه الفرق على الإطلاق هي فرقة بكرة لو ، المركز الجهوي للتنشيط الثقافي في قسنطينة ، التي قسمت منذ ظهورها في سنة 1965 مسرحيات عديدة نذكر منها « الحياة والشباب » ، لكاتب هذه السطور ، وقد أحرزت الجائزة

الآلاف في مسابقة مهرجان الشباب سنة 1965 * و « مدرسة الكذابين » لكاتب هذه السطور
أيضا ،

وقد اعتمدت هذه المسرحية على شخصية « جحا » ونوادره . كما قدمت الفرقة مسرحية
« شرارة في القصب » عن نص صبيش . وثمست كذلك ثلاثية كاتب ياسين « الجثة المطوقة »
و « الاسلاف يضاعفون ضراوتهم » و « مسموق النكساء » ، كما قيمست « أرييب ملكا »
لمويفركل و « أرفى الزنجى » لبوكمان . وقد نالت هذه الفرقة الجائزة الأولى في مهرجان مسرح
الهوة بمدينة مستغانم لمدة ثلاث سنوات متوالية . وهذا المهرجان سنوي يقام في شهر آب من
كل سنة بالمدينة المذكورة . وإلى جانب هذه الفرقة هناك فرقة أخرى في مدينة وهران « وهسي
فرقة » سيمون ، التي قدمت بتجاح كبير مسرحية « ثمن الحرية في السوق السوداء » ، وكذلك
مسرحية « للمعجبة » عن نص لادجين يونسكو . أما في العاصمة فإن أشهر فرق المسرح الشباب
هناك هي فرقة مسرح وثقافة وقد قدمت « الضعيف للضعيف » و « حرية المرأة » ، ويضاف إليها
فرقة « مسرح البحر » التي قدمت « جمعدى » صوتك ، ولحكمة » و « محمد خذ حقيقتك » .

ولقد شاركت هذه الفرق الشبابية وما زالت تشارك في تغذية واثراء الحركة المسرحية في
الجزائر . ولقد وصل الامر باليخص من نقاد المسرح عندنا الى مغاربة أعمال هذه الفرق الشبابية
بأعمال الفرقة الوطنية . وكانت نتائج المقارنة في صالح فرق المسرح الشباب ، التي ما زالت
متأصلا لم تتلوث بعد بمركبات الغرور والعظمة أو « السجومية » ، وهناك فرق عديدة لم
نذكرها . وإن كان في ثقتنا مواصلة هذه الدراسة بمراسلات أخرى في المستقبل حتى نستكمل
الصورة ، صورة المسرح العربي في الجزائر .

إلياذة الجزار

لا نجد أبلغ تمبير من الكفاح التحريري
الوطني من هذه القطع الغالدة لشاعر
النضال السياسي الثوري والكفاح التحريري
المسلح الأستاذ مفدى زكريا التي نظمها
حميما بطلب من وزارة التعليم الاصلى
والشؤون الدينية ، والقاهها في الملتقى السادس
للتعرف على الفكر الاسلامى بتاريخ 13 جمادى
الثانية - 1 - رجب 1392 هـ الموافق 24 يوليو
- 10 - اغسطس 1972 م . ونشرت مرة أخرى
فى كتاب الملتقى السادس . وتميد نشر هذه
القطع منها هنا للمناسبة .

مفدى زكرياء

وجاءت فرنسا ... فكشاً كراماً وكنا الألى يطعمون العلماء !
 فابطـرهم قمعنا الذهبى (١) ، وكم تبطر الصدقات للثأما
 وباعت فرنسا ضمير اليهــــــــــــــــود ، فباع ضمير اليهود الثأما
 وما كان بوشاق الا ابن أوى وما كان بو خريس الا طغماً (٢)
 وعُمر شارل المريض فرنسا فثار بها الشعب يقلى انتقاما
 وشاق الفرنسيين بالماعطين ، وما ذاق شارل المريض المناما
 وأوحى له قمعنا غرونا فطلق هذى القموح سهام
 وصب النفايات ، فى أرضنا وحان المسيح ، وأغرى السوام (٣)
 ومروحة الداء لم تك الا كما يستبيح للصوم الحرام (٤)
 ابوتان ، ... هل سيدى فـرج وان طال ليل ... أقر النظام ؟؟

شعنا الورى ، وملأنا الدنيا
 يشمر تـرتله كالمسلاة
 نسايحه من حنايا الجزاشر

(١) قصة الديون المترتبة على فرنسا « راجل تسديده تين الصبح معروفة » فضلا عن ديون اخرى نقلها
 (٢) اشتركت خزينة الدولة مع بعض التجار كاليهوديين بوشتان وبوخريس فى تمويل تلك القصة الانعلاية
 وكان اليهوديين صبيان فى فرنسا
 (٣) ولقد شارل العاشر هناك فرنسا يقول فى خطاب العرش يوم ٢ مارس ١٥٣٥ م ما نصه : « ان الصل الذى
 سلطوم به لرضة سرف فرنسا سيكون باعاه الله القدير لغنايه المسيحية جهدا . »
 (٤) حدثت الفروجه مصروف
 (٥) بونان العاشر (الفرنسي الذى رسمه حظه الهجوم من تفر سدى فرج باس من نابلون بونابارت فى يوليو
 ١٨٠٨ ولد (البحر العشرى الفرنسي سلك الرسوم عند حملته على الجزائر سنة ١٨٣٥

بلي ... يا فرنسيس ، هذا الحمى
 بلونا السنين الطوال جهاداً
 صمت مائة وثلاثون عاماً
 صعدت ، نقاوم : شرقاً وغرباً
 غرنا لاموريسير أحمد باشا
 وثرتا ، نقاوم : بيتاً فييتا
 ولولا تخادع بعض الكسالى الرعاديدي ! ، لم نقلت المجرماً !!
 معسكر فجر عرم الشباب ، فطاول عملاقها الانجما
 وبويع ، شاعرها الهاشمي فكان بها القائد الملهما (ج)
 يصوغ النطشام ، ويبري الحسام ، فيقطر داءك . وهذا .. دما

شملنا الوري . وملنا الدنيا

بشم نرسله كالصلاة

تساويه من جنايا الجزائر

(1) انطلقت المقاومة الجزائرية بعد الاحتلال لشكلين ، سياسي رسمي ، ونحسي « فاما السياسي فله تولي زمام امره الحاج احمد . باي قسنطينة (وكان من عائلة القراي الذي سينتوي سنة 1871) فانطلقت حركته الالاسية عن الجزائريين ومن بعدا آنذاك « وكان احتلال لاموريسير مدينة قسنطينة سنة 1838 م الماردا بتهاية المقاومة الحكومة السطحية لانتفي ظاهراً ونشيت النار تحت الرماد وقد سجلت مدينة قسنطينة بدلاها الجديد شعبة خالده من صلوات البطولة إذ انصرف الفرنسيون لاحتلال المدينة حارة لعقود ودارا لغدرا ، ودام حصارها سبع سنين كاملة

(2) المقاومة الشعبية اى سنة 1832 جميع وجوه القوم ورؤساء القبائل اجمعين في مؤتمر عظيم بمسجد مدينة معسكر وابتاعوا بالامانة بطلا شايبا في الرابطة والاضرب من غيرة ، عرف بيجم بالشجاعة وقوة الشجاعة والراي الحصين من الامر عبدالقادر بن الشيخ محيي الدين الهامسي على ان يؤسس دولة جزائرية اسلامية تتسود الامن وتوطد العدل وتكفي للمعتدي . والامر عبدالقادر الى جانب بطولته والحرية شاعر ملهم يرضي معاديه بالشاعر النبيلة والحساس والقلبي بام البئين التي كانت مصدرا من مصادر الصلابة

أيا عبد قادر ... كنت القديرا
شرعت الجهاد ، فلياك شعب
وتظمت جيشا ، وست بلادا
والهبت في التبايعين المحتايا
وحملت ماريان (1) ما لا تطيق
ثمان ومشرأ (3) . تحوض المنايا
وتدمخ بالسيلم عن جادلو
وكم رلهم لأغراةلك العنايشمو
وكم عاهدوك (5) ... وكم أخلفوا ،
وعبدت للشعب ، درب القما

وكان النضال طويلا عسيرا
وتاجاك رب ، فكان النضيرا
فكنت الأمير الخبير الخطيرا
وأيقظت في الخائمين الضميرا
وجرعت بيجو (2) العذاب المريرا
وتزجي السرايا ، وتبني المصيرا
ك ، فكنت الضليع ، وكانوا الحميرا (4)
ن ، فلم تك غمرا صبيا غريرا (5)
وكنت بما يضمرون بصيرا ..
وما خست ، مذ خلقوك أسيرا

شغلنا الوري ، وملأنا الدنيا

شعر ترتله كالصلاة

تسايحه من حتايا الجزائر

(1) هاريان هي فرنسا

(2) وقائع الأمير مع (سحر) مشهوره (راجع نقرة الزائر)

(3) قامت معاوله الأمير 18 سنة من 1830 إلى 1848 م

(4) انجالات الصليبية العجيزه بين الأمير وجنالات فرنسا وحصولها بيجو ، معروفة ويوجد لها نصيب
شاك في - تعبه الزائر -

(5) من جملة الأساليب المصوغة الفرنسي معاوله شرا الضمائر وكم حاول الفرنسيون ذلك مع الأمير فاني
واستفصم بانجانه

(6) معطلت هذه الحرب عدة معاهدات عقدتها فرنسا مع الأمير واعترفت له فيها بالسيادة والاستقلال على
البلاد لكنها كدت معاهدات غش وخداع لا تصحها إلا هي رأت الخطر وارتأت أن تستغل الفرصة فاسية ،
أما الأمير فكان بعد تلك المعاهدات مع علمه بما تطوى عليه من خداع ، يسرع للبلاد ويسعد لسعيد
العرباب ولعنها

تلقف وايتت اين الجزائر وعد اين زيان تبيل الصراير (١)
وهب الزعاطشة الثائرو ن . فهب لنصرتهم كل ثائر
تعدى اين زيان ستف اللثام فمات الشهيد ، فداء الجزائر
وهل يخف اين الجزائر هاما ويحتي جيبنا أمام الصراير ؟
لتشهد بسكرة اصرارنا وصدق تدانا أمام المجازر ...
وترو النخيل لمقبة عنا وتعك الرمال صمود القصور
ويذكر أبو معزة للجبا (٢) ل صراع أبي بقله في المقاور
وتحفظ سطيف لأبطالها وابطال مرزا جليل المناخر
ودام الصراع ، ولم تخب يوسا شعاليه ، في القرى والخواضر
وكانوا البقاة ، فكنا المنايا وكانوا البقايا ، فكنا الكواسر (٣)

شغلنا الوري ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتينه كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

(١) قاد الثورة العارمة في واحة الزعاطشة قرب سكرة الرجم الشهيد عبد الرحمن بن زيان سنة ١٨٤٦ م
ولد ذكرى لتضامنها باسمها وبطلة المالبين (les zavis des deux Moudes) وسورة الواقعة هي
الآية : هذه الزعيم عبد الرحمن بن زيان معاهده مع قادة الجيش الفرنسي عن أن لا يهاجموا الزعاطشة ويتولى
هو أملاكهم بها يحتاجونه ، وكان ذلك منه حيلة جرئتة لربح الوقت والاستعداد لحمله معهم ، لا أن قضاها
فرسا تظن لتجنيبه ومال الاستنزاف والتحدى قائلا : هل يوجد جراري لا يسجد أمام قدي ؟ قليل له :
نعم ، عبد الرحمن بن زيان ، سح الزعاطشة ، فليس يحمله فانتقم من البلي . انه وارسل اليه جيشا قائده
عبد الرحمن وجيشا ثانيا قائده ، وألحقا فطيفة فقامت العرب سوات وكاتب المياومة في كل سر من
الأرض ، نعمة بقله حتى استعصفت مليون بقله ومليون سجد لم وصل الفرنسيون الصور فلوهموا أمهده سوا
سوتون دونه بدون طائل إلى أن انقروا فيه بكرة فقامت يوباهم التي من أجهار السود . ثم دخلوا المدينة فقامت
الحربا شاموا مشارع وسنا ليست إلى أن وصلوا بيت الزعيم عبد الرحمن فكان يدافع حتى قتلوا الباب فجلس
يصل وأولاده وأهل بيته يتعاونون بقوة بقله وسفلة سمعه وهو يصح صحن البيت فجا . القائد الفرنسي
وسأل : هل يوجد جزائري لا يسجد أمام قدي ؟ فقال له عبد الرحمن : أنا عبد الرحمن بن زيان . فقال
القائد : - إن خضعت عاملك معاملة حسنة ، فقال : كل أبي مجاهد في سبيل الله والفضل أن أموت محامدا
من أن أعيش خائفا كوثي . قطع رأسه فأخرجوه إلى جثوده سحت اليها المرحمة بدم الاستشهاد وكان
لجثوده : الله على علمك زمن طويل لم تلصوا كره القلم وقد احصرت لكم انظم كره فالديو بها . ثم ادخل
اجتاده على الجريم وقام أهل البس من الرجال والملاويين يدافعون عن الشرف فاحترق رؤوسهم وخرجهم
لأعين . فقال أحد المجاهدين قوله الطالفة وهو يموت . سوف نأبي اخفادنا ونفرجكم من ملادنا . وصدق
المجيد ففرجوا بعد مائة وأربع سنوات !!

(٢) ثورة أبي سرة وأبي بقله وما وقع فيها من معارك بقله في كل من سطيف ولستيف
(٣) معاد الطير : الطيور المهضمة الصغار - والكواسر جمع كاسر : أي السود الكاسرة

وتذكر ثورتنا العارمة
يفجر بركانها جرجرا
وخلد باسم امها ذكره
وقارت دماء بنى راتن
نومر من نبيوك لثاكلا
والهيت نارا ، تديب الثلو
بجند ، يباع ويشرى كما
وارعفت رائدون فى كبره
وصمرت للجمرالات خدا
أتسى المزائر حواءها ؟
يطولات ، سيدتى فاطمه (١)
فترجف باريس والعاصمه ا
فركى قداسه الدائمه (٢)
نفدى قرارته العاصمه
رفقت التواكل يا فاطمه !!
ح ، وتعصف بالنفثه الطالمه
تباع ، وتستاجر السائمه (٣)
ودست على أنفه الراغمه
فغابت نواياهم الأثمه
وأجادها لم تزل قائمه ؟

شغلنا الورى ، وملأنا الدثا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايجه من حنايا اجزائر

(١) - لافاطمة نسومر ابنه سى محمد بن عيسى بن الطويه الرحمانه والديه للاحديه الى تسى باسمها
فمه جرجرة ، وزوجها سيدى الحاج عمر بن قرية تاكللا ، آت ابران ، كانت تسير التوره فى جبال جرجره
اولا مع فؤادها ثم صافرها وهى التى صرعت الياسافا سى الجوى عييل فرنسا ، وصعدت فى غافوتها من
1856 الى 1857 م على رأس الميخاضين المسلحين ضد سبه جبرالات فرنسيين : قاستنى وبينوت ويوسف
وماكاهون وعشيل ودبلى كليم تحت القيادة المباشرة للمارشال راندون الذى تراسى العمليات فى نفس
الجن الذى كان فيه واليا على الجزائر
لافاطمة كانت تسير جيشا يضم سبعة آلاف مجاهد ضد جيش المارشال راندون الذى كان يضم خمسا
وأربعين ألف مقاتل متوزع على جميع القواعد الحربية الحديثة ، وصمدت ساعة العمليات كل جبال جرجرة
الى لمة للافديبة ، والموقعه الحاسمه كانت فى معيظه اتريمن فى 24 جوان 1857 م ، اعتكلت للافاطمة
فى قرية تاكللا يوم 11 جويلية 1857 مع ابنها اخوان الرحمان.

بنو سيدى الشيخ (١) قادوا النضالا
 سليمان حمزة آلى يميننا
 سلوا بويريت العقيد المسجى
 ويستل من صدره روحه
 ووهران تمرخ فيها الدماء
 وصراؤنا وابن شهرة فهب
 وجيش أبى شوشة المستميسر
 بصمراثنا ، ينسف الاحتلالا
 وصوت اس حصاد دوى دوى
 ينادى : الدار ، ويدعو : القتلا
 ومن آل مقران فى الشاهقا
 ت ، تسور يواشق ، تهوى النضالا
 وقال بومرراق حان الجهب
 د ، فحقق بالمعجزات ، المعالا

شعلت الورى ، وملأنا لدنا

بشعر ترتله كالصلاة

تسايبه من حنايا الجزائر

(١) أولاد سيد الشيخ بعباد الباشا سليمان بن حمزة بن بونكر سنة ١٨٦٤ م ولدت حوله قبائل اولاد
 سيد الشيخ وهزمو الفرنسيين شر هزيمة وانقادوا لفرقة تحت قيادة الكولونيل بويرير وكتب نهاية الحركة
 التي دامت طويلا موت سائر رجال فرق العدو . بدأ فيها الكولونيل قاندا . وقد تمكن البطل سليمان بن حمزة من
 قتله يومه الله الحركة ، لم يستشهد بعد ذلك خلال الحركة وكان من بين الفرق المتتابعة اليوم الى الجسد
 الجزائري المتفوق مع فرنسا وما كادت الحركة تلبس حتى احدثت العصبة الإسلامية حياته اليوم فاضوا على
 الفرنسيين وانضموا للمجاهدين ، وقام بالصعراء ، جنوب الاغواط ، بوشوشة وفي نفس الصحراء . تار حصه
 المعاهد ناصر بن شهرة وذلك في نفس الوقت الذي كان فيه بونكر والفرانسي يتسلطان القلاية في الشمال ،
 والشيخ زهير بن الشيخ المعاد بوجه القناعات الصارحة الى كل مناطق الجزائر يستغفر الناس للقتال ويقول
 ان الوقت حان وان فرنسا فرسة الشهاب فيهب انتهاز الفرصة ، وذلك في آخر سنة ١٨٦٥ . وكان الاتصال
 وبقا آنذاك بين الفرنسي والشيخ المعاد . لا راز الفرانسي الشيخ الحصاد يوم ٥ سابر ١٨٦٦ م . سرا في
 صدوق ، ولياقل منه النظر في ضرورة إعلان الجهاد ، واتت عائلة الفرانسي كلها في مجاعة ، وفي ليلة ١٤
 مارس ١٨٦٦ م أعلن الفرانسي الجهاد رسميا بنا . على سياسة الإسلام في عدم مباينة العدو . وكذلك حسب
 ميلاي . الامم المتحدة الآن ، وله ارسل الفرانسي الى الجزائر الفرنسي في المعاصه يقول له : اعلموا اننا في هذا
 اليوم قد اصننا الجهاد عليكم وهدمكم ولقد لبدي الجهاد . وبعت كذلك باستقالته من وطنه يأسا انا ، ورد
 المعاول التي بعثتها له فرنسا . يوم ١٥ هاجر مرج بونكر برج واجلفها ، ومن هناك انطلقت الثورة عارمة
 لا تبق ولا تفر

فيا آل مهران أسد الكساح
 نهدتم ، تشقون درب الخبو
 وحداد في السوق ألقى عصاه
 « كمثل عصا .. سألقى الفرنسيين في البحر »
 سلام مقراني يمضي شهيدا
 ولابن الثمانين ، يفندو أسيرا
 ومرحى لك يطفى بشر
 وعاشت مناصر راحت تنأ
 فردد رجس صداه أبو
 وهمار تزهر بأمودها

ونبع الندى ، والهدى والصلاح
 د . فعبتموا نهجه بالصلاح
 وأعلنها في الندى وانبطاح (١)
 يسوفلات رمز الفدا والكفاح (٢)
 وما كسل القيد فيه الطماح (٣)
 شال بركانه بالأمانى القساح
 جى بوذريس شيحا وريف الجناح (٤)
 عمالة بدنى حظوظ النجاح (٥)
 يذود عن الشرف المستباح (٦)

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

يشعر ترتيله كالصلاة

تسايبه من حنايا الجزائر

- (١) يوم ٨ افريل ١٨٧٢ م أعلن الشيخ الصاه العرب وهو يتجاوز الثمانين من عمره ، وذلك في سوق صفاق والتي عصاه بعد صلاة الجمعة في السوق وسط الجبلور وقال : سمرى الفرنسيين الى البحر كما رما اما هذه الصا الى الارابي
- (٢) استشهد محمد القراي يوم ٥ مايو ١٨٧١ م بسوفلات ، قرب عين ساه
- (٣) بعد حصاره عتيق طاعة شاملة التي انقضى على الشيخ الحداد قرب ساه وقد تجاوز الثمانين . وكان متوليا ومحمولا على ظهر ، وذلك يوم ١٣ من يوليو ١٨٧١
- (٤) مالك البركاني ابن أخ عيسى البركاني أحد خلفاء الأمير عبد القادر . أعلن الحرب يوم ١٣ يوليو ١٨٦١ م في سوق الاحد ينواحي شرتال وجبال قنصر في ولاية الاصنام . بعث الطريفة التي أعلنها بها قبله الشيخ التمسكاد
- (٥) في الجن الذي كان يدير فيه العرب مالك البركاني في جبال بني مناصر والظهرة . كانت هناك حروب يقومها في الشمال أمثال الشيخ الصفاق في جبال حورح وكنان شفا في زاوية ولوسس
- (٦) كان أولاد سيدي الشيخ في الصحراء الوحرابة بواصون الكفاح التي بسادوه سنة ١٨٨٥ م . وأسد وطيسه عام ١٨٨١ م تحت قيادة بوعامة بن أولاد سيدي الشيخ وأهل الكفاح عدة طوبله ووصل جوسه حتى المدينة وضواحي القاصدة
- (٧) كما خدمت لوره أولاد سيدي الشيخ بوره توات ومن صالح سنة ١٩٠٥ م وأصل الطواشي الكفاح في الهلار وأي نواح أخرى من الجزائر تحت قيادة الشيخ أمود حتى سنة ١٩١٢ م ، وكلمة أمود بالله الله الاملائية معاصرا السيرة أو العروة

جزائر أبدعها ذو الجلال وصور طينتها من نصبال
 بلاد تمارح عشاقها وتمتع عنهم لدين الوصال
 فما انكفأت ثورة في السهو ل . ولا انطفت ثورة في الجبال
 ولم يحن أوراس هامته ولا هدأت عاصفت الرمال (١)
 ولا استسلمت جرجرا للغمير ، ولا اوهن المزم طول النكال
 ملوا ساحرة الشهداء أما بها قرر البدوي (٢) المثال ؟؟
 ودوى بشر شال صوت النغير ، وان كن يبدو بميسد المثال
 زارود صدق الضمير (الأمير) فقهاء يلاحق طيف الخيال
 ويمدو يقرمى خلف الوغود ، ينشد ولون قرض الحال !
 تحارب خالدا مهما تكن ... فلم تك تمعل قدر الرجال !!

شغلنا الوري ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتضه كالمصلا

تسأيتك من حفيدا الجزائر

(١) لم يفتح أوراس ولا جرجره ولو مرة واحدة ليعود غيول أمام المقاومة

(٢) في هذه الأجزاء والمجاهات المعقدة غيرها الى مدينة ترسال نائب التور كدك في تلك الاونة الا انها لم تكن عشق فاسه إذ أعلن أحد رجال العاصمة الجورين السيد محمد اليدوي في (ساحرة احتومة) انذاك استقلال البلاد وأخذ وى به محاولة سطم الإدارة السعلة الجديدة ، لكن الحركة اجمعت وارسل الفرنسيون السيد اليدوي لسجن المص بعض به سبعة أعوام

(٣) الامير خالد بن يحيى الدين ابن الامير عبدالقادر الجزائري ، كان يطالب فرنسا باجواز عهدها الكاذبة للجزائريين انما ، العرب العظيم وكان يطالبها بالاعتراف بالوفاق الاستثنائي ، الا انها ، ويوجب تطبيق الإصلاح المنشئ في تنويه الجزائريين بالفرنسيين في الحقوق والواجبات ، ودخلوا الجزائريين لعلى النواب الفرنسيين ويصعد أن وضعت الحرب أوزارها شغل وهذا أم ساحرة فرساي حيث أن الاميركي (ولسون) يحاول حيا فرعى بوجه الى نادى بها أمام العرب ، وسها جريساتي الشعوب في تكرار عصرها

لمن يبع صوت اليوف المتدال وأغنى صرير الرياح العوالى
 فحرب ليرع أعباد الصر ع . يتود سرياء نجم الشمال (ج)
 نارص فرثا . يدك فرنسا وينذر ساستها بالوبسالم
 معاميد ترخر فيهم حنايا بروح الفدا ، والأمانى الفوالى
 تيساركهم صرخت الضمير وتلهمهم ذكريات النقال
 وقال الرعايد : قوم زراع مجانين . تجرى ورام النبال
 وقال المناحيد : قوم كرام صايد . من عطماء الرجال
 وقال الفرثيس : بش المصير ، اذا القوم لم يحقوا بالنكال
 وقال الألى ناصرنا حريتنا سقمى على لعنة الاحتلال
 وقال الذى خسدوا شمعه فداء الجرائر ، روحى ومالى (ج)

شعلنا الورى . ولأنا الدنيا
 بشعر ثرتله كالصلاة
 تسايحه من حنايا الجزائر

(أ) حرب تيجة الربيعا التماسه ، وصعدت عم ذكر مؤسسه ملكية تفتضها الظروف .
 (ب) بشعر الاطلاعه الاولى لمدى وكوبا . * وكان بشعر حزب الشعب الجزائرى ويسمى اذ ذاك الشبد
 الوطنى وفى كذلك حتى خلفه فى الحال الرسمى بشد : - لهما - نفس المؤلف

وفي الدار جمعية للعلماء تعذى المفصول بوحى لىء
 وتهدى النقوس الصراط السو ى وتقرى فيه معانى الايام
 تواكب نجم الشمال اندمعا وتفسر أكرائيه بالسنة
 ويعقد باديس فيها المشير فتزخر بالخلص الأضياء
 وتنفرو الضلالات فى الثانهين ، مع الوهم . فى موكب الأضياء
 وترى جذور الأصالة فى الشعب . تمحو بها وصمة الدخلاء
 وتبى المدارس عرض البلاد فىمل اين باديس صرح البناء
 ويرتاع مستعمر مستعد وتخشى العنايش تبع الضياء
 ويرهب ظل الأسود اين أوى ويودى المافق صدق النداء
 كذا عبيد العلماء الثنايا بوحى السماء ، ووحى السماء

شعل الورى وملأنا لدنا

بشعر نرسله كالصلاة

تاييحه من حنايا الجراتر

جرى الله على الشدائد حرا
 وان ننس ... هلا نسينا الجرا
 وان الموتى بماية عام
 وان رقصوا فوق أشلائنا
 رقصا على نغمات الرصاص
 وان خفنوا نجم هذا الشما (2)
 ضحايا اخمص فيها البقا
 اذا ما فيولت (3) ضلل قوما
 وخدر قوما بمؤتمرات (4)
 فللشعب حزب يصون المأدى
 وذكرى احتلال الجزائر (1) شكرا
 ج ربا ان نزال الخراحت حمرا
 حفلنا بعيه الجسائر دهرا
 واحيوا على نذبح الشعب ذكرى
 ص . ورحنا نبث المقادير سرا
 ل فللشعب حزب مصى مستمرا
 على العهد .. ما ان تباع وتشرى
 وعر ضعاف العقول واغرق
 فضت سرا ب المتباهات نهرا !
 وشعب الجزائر بالناس أدرى !

شغلنا الوري . وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالمصلاة

تسايبه من جنايا الجزائر

(1) العهد القوي الشؤوم

(2) حل حرب بجهه إفريقيا الشمالية

(3) خروج ملوم فيولت

(4) المؤس الإسلامي عام 1936 م

أفاق من الوهم حزب البيان فاسلم للمخلصين العتاس (١)
 وزايله الشك في أصبه فمدت لحزب البيان اليان
 وأوحى اندماج فرنسا اندهما جا لعزيين مرهما توأمان (٢)
 فبارك باديس ، جمع الصفوف ، ودشن ياديس عهد الأمان
 ويوليوز والملعب السند ي وأحمد يعلن فيه الأذان (٣)
 ويصق فيه بصوت جديده فيصق منه العتل الجبان
 ولاذت فرنسا بأصنامها تحاول بالدس كسب الرهان
 فتقتال كحول (٤) تلقى دسا ه عن الطيب الواسع المولجان (٥)
 لثن خائنا الدهر في طيب وأصفى مصالي لشدر الرمان
 فلن يجحد الفضل تاريخنا وهذي الدنا للرجال امتحان

شغلنا الوري ، وملأنا الدنيا

بشعر ترتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الحزائس

(١) اشاره للإلاع فرحات عباس عن تساؤلاته اعراسه الداخلي وتزوج الى الحق لصله
 (٢) أي أن الطالبة بالاندماج أوجت للحزب البيان بعد الاستطام بالواقع بفكره اندماج الحزبين ، حزب البيان
 وحزب الشعب بعد امتتاق البيان لبياني، حزب الشعب والويرة في حراثة الوحدة الفرنسية
 (٣) اساره لتفجاء الدغشة التي قام بها أحمد مصالي اندماج جهارا لأول مرة بقرار في الخطاب بالاستقلال خلال
 الخطاب التاريخي يوم 17 يوليوز 1956 م بالقلب البليدي بتعاصمه الخراس
 (٤) الشيخ الطيب العبي والشيخ كحول
 (٥) عن الطيب الواسع المولجان

وان وزع الراى حربا عنيـدا ففى القصد ، ما انفك حزبا وحيدا (1)
 وتابى الزعامات كبح الطـمـوح ، فتصنع للغف شكلا جديدا
 وتغرى الكراسى ضعاف العقـول ، كـار جهنم . ترجو المزيـدا
 وتغزو السياسة فكر الرعـيم ، فيصبح فكر الزعيم يليـدا
 كان الزعامـة اعصار جـان ولم ار للجان عقلا رشيدا
 وما الانتصار (2) دخول انتعاب وضرب الموائد ، ضربا شديدا !!
 ولا كلمات على جـدران هل العبر فى الحرب كان مقيدا ؟؟
 ولا بالهتافات عاش ... ويحيى فما حرر القول يوما عبيدا !!
 ولا بالوفود ... وسمع فرنسا اهل عليه الفـرور الصديدا ...
 ولن يفل العار الا السـما وعاش الحديد .. يفل الحديد ..

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

شعر ترتله كالصلاة

تسايحه من حيايا الجزائر

(1) اعصار حزب القمص

(2) الاعصار للحزب الديمقراطي

ولم نثر في أربعين وخمس
 طربنا مع العلقاء اغترارا
 فكانوا مع الغدر ، عونا علينا
 وكانت مجازرهم بسطيف
 وهز ايستراد شعبا تواني
 وعلما اشيري الثنايا
 وكانت تلاحق أقلامنا
 وكانت تكافح أحزائنا
 فغفل صوت الرصاص اللغي
 فقامت تعبدا أكبادنا
 ضحايا المذابح في يوم نحس (١)
 وقمنا نصشق في غمر عرس
 ودرسا لقادتينا أي درس
 وقالة لشعب ، دقات جرس
 وايقظ في الدمق ميت حس (٢)
 فدد لون الدما كل لبس (٣)
 سراب الضياع فباعت يخبس
 مع الوهم ، بين صراخ وهمس
 وأنطق السنة غمر خرس
 طريق التغلص من كل رجس

شغلنا الوري ، وملأتنا الدنيا

بشعر نرتله كالصملاة

تساويه من حنايا الحزائر

(١) مجررة سنة 1945 م في سطيف ، وعراقه ، وعين الكبر ، وليلة الحج

(٢) الجلاء ايستراد كاربونيل طاعة قسنطينة

(٣) الزاوي جلاء قلالة .

تأذر ريسك ليلة قسدر ر لقي الستار على الف شهر
وقال له الشعب : أمرك ربي ! وقال له الرب : أمرك أمري !!
ودان القصاص فرنسا العجـوز . بما اجتاحت من خداع ومكر
ولملع صوت الرصاص يدوي فعاف اليراع خرافات حبر !!
وتأبى المدافع صوغ الكلا م ، اذا لم يكن من شواظ وجر !
وتأبى القنابل طبع الحـرو ف ، اذا لم تكن من ميثاك حمر !
وتأبى المصفائح نثر الصـحـف . ما لم تكن بالقرارات تسرى !
وتأبى الحديد استماع العـبيـد . اذا لم يكن من روائح شعري !
نقمير .. غيرت مجرى العـيـاة . وكنت - نقمير - مطلع فجر !
وذكرتنا - في الجزائر - يدرا فقمنا تضاهي صحابة يدرا

ثعلنا الوري . وملأ الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

نسايبه من حنايا الجزائر

نمبر - جبل جلالك فينا
 سبحا على لجج من دماننا
 وثرنا - نغمر نارنا ونسورا
 وندهم ثورتنا متعانا
 ونسخر جيبتنا بالبلايا
 ونعمو السياسة . ملوعا وكرها
 جمعنا لحرب الخلاص شتاتنا
 ولولا التحام ، لنصنف وقنا
 فليت فلسطين ... تتففسو خطانا
 وبالقدس تهتم .. لا بالكراسي
 ألت الذي بث فينا اليقينا ؟
 وللنصر رحنا نسوق السفينا
 ونمنع من صلبنا الثائرينا !!
 فتلهم ثورتنا العالمينا
 فنسخر بالظلم والظالمينا
 لشعب أراد ... فاعلى الجبيننا !!
 سلطنا به المهج المستبيننا
 لكننا سماسة مجرميننا !!!
 وتطوى - كما قد طوينا - الستينا !!
 تميل يمارا بها ويمينا !!

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالملاة

تساويه من حنايا الجناز

أنى أمرنا صارحاً فانطلقنا ولذنا بوحدتنا . فانمقنا
 وفاوصنا القوم فى أمرنا وأمر سيدنا . . فرقصنا
 وقالوا : سجرى عليها اقتراعاً بلا . نعم - خدعة - فاعترضنا
 فرنا ... تناسيت ما ليس ينسى أما فى نغمير . . كنا اقترعنا
 وأجرى علينا الرصاص انتحايًا وحضب أوراقا . . فانتخبنا ؟
 وقلنا ... وقالت لنا الكائنا ت : خذوا حذرکم واثبتوا . . فثبتنا
 فلم تك نرضى بنصف الحسلول ، ولا بالدومنيون نحن انتدعنا (٢)
 وديقول ألقى ييدقه فطاولها رحنا فانتصرتنا (٣)
 وخاف الحواجز تحمى الملاة ، وتبكي فرنا لها . . فضعكنا (٤)
 وفكر ديقول فى حمتهم وفي صدقنا . . ثم قال . . فهمننا (٥) !
 شعلنا الورى . ولأنا الدنيا
 بشعر نرتله كالصلاة
 تسايحه من حتايا الجزائر

(١) غي موله وحكاية الاسفاد السفيف

(٢) خدعة الاستلال الداخل واليهجه لفرنسا

(٣) الهادى * والرخ من قطع التلويج

(٤) الخواصر التي امامها علاه المعبرين شوارع الماسجه سنة 1958م مع عصابه لافانارد وفي هذا اقول
 من القصد يتنود في اللهبه المقدس :

وبرى المسلاة على السدود جواليسا تحمى النساء على السدود - وجالها ::

(٥) ملاوصات ابلهان التي اثبتت عنها الاستلال

فرضنا ارادتنا الفارعة ولم تخب ، نيراننا الدالمة
وصفتنا مصائرنا ، بالرصاص ، وبالرأى ، ونحبة لثامته
ومتت بها كلمات الاله ، التي وقعت باسمها الراقص
ولاح الخلاص ، يحلم الليالي ، ترفرف أعلامه اللامع
ودوى نشيد الجزائر يفزو السدنا قسما بالدمع الناصع (1)
وجلجل صوت تشيد اللواء ، ففعلوا الرؤوس له حاشمه (2)
وجيش بردد : هذى دما لنا السقواى دوافقها دافعه (3)
ويمدح طلابنا بالتشيد ، وعمالنا ، واليد الزارعه (4)
وبنت الجزائر تنلو نشيد السعدارى ، فتصنى الدنا راكمه (5)
وقمنا تشيد صرح البلا د ، وثبى سيادتنا الطالمة

شغلنا الموى ، وملأنا الدنا

بشعر ترتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

-
- (1) نشيد الثورة : قسما بالننازل ، لدى زكريا، مشور فى اللهب المقدس
(2) نشيد الصم : علم الجزائر ، عشت يا علم ، لدى زكريا، مشور فى اللهب المقدس
(3) نشيد جيش التحرير : هذى دما لنا العالم دماله ، بلمه السبع لدى زكريا، مشور باللهب المقدس
(4) نشيد طلاب الجزائر : نحن طلاب الجزائر ، نحن للمجد ماء ، لدى زكريا، مشور باللهب المقدس ونشد
الحاصل الجزائريين لدى زكريا، مشور باللهب المقدس : نحن جند الانقاذ والفعل
(5) نشيد لبتن الجزائر : انا بنت الجزائر ، لدى زكريا، مشور باللهب المقدس
وكل هذه الاناس مع نشيد فرروس ونشد الشهيد، وغيرها نظف فى فرروس امام اسوره الكبرى

وقالت جزائرنا الغالية هو الصديق ، حقق آماليه
 ومن دم شمي ، وأكباده الى النصر ، قدمت قربانيه
 وجندت من خالد بن الوليد وسعد بن وقاص أبطاليه
 وجددت حطين في موطنه وخلدت أمجاد انطلاقه
 وجل الندى بالملايين شرفت ، الغد ، في رفق الغاليه (١)
 وفي كل شهر لنا قصة مشاهدا المهج ، لقائيه
 تلقن وجدة أدوارها فتحفظ بنزوت والسافيه
 نيا مغرب مازجته الدما وأجمع ، في المصير المعانيه
 وزحاه أطلسنا في القرو ن ، فرحنا تدين بوحدانيه
 دعوا المغرب الواحدوي يقرر ويفرض مصائرنا الباقيه !!

شغلنا الوري ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايجه من حنايا الجزائر

(١) الغناء : مغربه الشهداء في سوانح عاصمه الجزائر

واقلت بعض زمام الثأني !!
 ودنيا المطامع ، تبتدى الخمايا
 فهب رجال لعمد الجرا
 وتطوى العماقات ، طوى الكتبا
 وحل عوامضها للز
 ومالدا بالشارع يونيو
 فقما نشيد اقتصاد اللا
 ورحنا نوفر للكادحين .
 ويررع فلاحا أرضه
 ونصنع من صلب واقعتنا
 وحوى الكراسى ... كاعمار جن
 وتدفع عشاقها للتجنى
 ح ، وان قلب البعض ظهر المجن
 ب ، وعن كنه أمرها .. لاتسنى !!
 مان ، فان الزمان لأفصح منى !
 فأنمش ، كالمعارض المرجع
 د ، ونعى المصنع فيها ونبنى
 المرغيف الشريف ، بدم وفن
 بذبوب الشرايين ، لا بالتمنى !
 مذاهنا .. رافضين التنى !!

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

شعر ترتله كالصلاة

تسايبه من حنايا الجزائر

فهرس العدة

- 2 عثمان شوب
5 مولود قاسم نابت بلقاسم
- 11 المهلى البوعيل
23 يحيى بو عزيز
35 د. علي عيسى
42 رابع بونار
51 مولود قايد
- 63 د. عبد الجليل الميمى
- 78 د. زكي نجيب محمود
III د. ايلون توران
III د. محمد العربي الزيرى
III د. هشام بو قنرة
109 كلود جانو
ترجمة : فتيحة بفاي
- 114 محمد الصالح رمضان
- 119 اجري الحديث : عثمان شوب
- 125 احمد مطاطلة
- 131 ادان الدرة : عثمان شوب
180 د. انور عبد الملك
191 د. شاكى مصطفى
- 236
- الافتاح : ثقافة و سياسة
تعريب الاماح والفلوب
دراسات تاريخية
اشواء على مذكرات الامير عبد القادر
موقف بايات تونس من ثورة الامير عبد القادر
الاخلاقيات القتالية عبد الامير عبد القادر
نظام الحكم في اماره الامير عبد القادر
ثورة سنة 1871 و نتائجها
وثائق
رسالة من مسلمى غربا
دراسات ثقافية وادبية
فهم الامة فى كتابها
تأملات عن المواقف وهل ينبغي تشجيعها
الجزائر والعالم الثالث
من الذهب الاسود الى الحجر الاسود
العالم العربى يبحث عن وحدته
دراسات لغوية
من قصص العربية فى العافية الجزائرية
مقابلات
الاستاذ محمود المسعدى فى حديث خاص مع الاصاله
دراسات قانونية
جريمة الرشوة ومسؤولية المرتضى فى قانون المعويات الجزائرى
نسموات
ندوة الاصاله فى تونس : من مشاكل الثقافة العربية المعاصرة
الحصصية والاصالة
الايام التاريخية لارمة التطور الحضارى العربى
مؤتمرات
مؤتمر قرطبة - المؤتمر السابع للمستشرقين المختصين
بالدراسات العربية والاسلامية - مؤتمر السكان العالمى -
الدورة الثالثة للجنة المرأة العربية .

ثقافة و سياسة

انطلقت في عدد من البلدان العربية في الاعوام
الاخيرة وخاصة منذ انقلاب هزيمة 1967 وحركة
6 أكتوبر 1974 ، عدة مؤتمرات فكرية بدءاً من ندوة
الاشتراكيين العرب وملتقيات التعرف على الفكر
الاسلامي في الجزائر ، إلى ندوة المفكرين في
بنغازي ، والمخطوم ، وندوة أزمة التطور الحضاري
في الوطن العربي في الكويت ، وسواها من
المؤتمرات في العالم العربي .

عثمان شبيب

ويمكن ان نخرج هذه المؤتمرات في اطار دعوة الوعي بما للفكر من دور في بناء النهضة الحضارية.
والانتقلت الى أهمية تطبيق التفاعل بين العمل السياسي والعمل الفكري .

ولعل اهم الدوافع الثانوية وراء الاطاح والتأكيد على ضرورة تواجد هذين المنصرين متفاعلين ،
ما اتسمت به حياتنا السياسية والثقافية العربية في بعض العترات من تطورات جزئية قاصرة تطرح
العمل الفكري كتنقيض للعمل السياسي او العمل السياسي كتنقيض للعمل الفكري أو التناقض عامة .

والواقع ان طرح هذه العلاقة بهذه الكيفية هو نوع من الثنائية . وهذا غير صحيح - لان القول
بالثنائية بينهما هو حكم مقارن بين شيئين مختلفين وليس تقييماً لاي منهما . فالدلي يرفض الفكر باسم
السياسة لا يقيم ثنائية بينهما ، وانما يسعى لفرض السياسة على الثقافة والفكر . والذي يرفض
السياسة باسم الثقافة أو الفكر لا يقيم ثنائية بينهما كذلك . وانما يسعى لافراغ السياسة من

يعد هام من إبداعها وهو الفكر ، والمعارنة كما قلت هي التي تصنع هذه الثنائية بين السياسة والفكر حيث لا ثنائية بينهما ، وليس هناك موقف من السياسة لا يتصمن موقفا من الفكر ، وليس هناك موقف من الفكر والثقافة لا يتصمن موقفا من السياسة فهناك علاقة عضوية جدلية بينهما .

فالتمييز القاطع إذن ، بين الفكر والعمل لا يستقيم في الحياة السياسية ، وليس ثمة مستوى من الحياة المعالة النشيطة يمكن اغفال الفكر فيه ، الا مستوى التنفيذ الآلى للاوامر ، وليس ثمة نوع من التفكير يمكن ان يكون عديم التأثير في العمل .

وليس هذا فقط ، فتماسك المجتمع وانتظام عقده مرهون بمتانة الاتصال في المجالات المختلفة بين العقول السياسية من جهة ، والعلمية والتقنية والفنية والفلسفية والدينية من جهة أخرى . ولا نصور ان يتم هذا الاتصال أو التكامل أو التفاعل بجمع ممثل الانماط المختلفة من المعرفة والخبرة في لجان ودعوة كل نمط الى طرح آرائه للسياسة الأخر ، ان العلاقة يجب ان تكون اعنى من هذه ، انها اقرب ما تكون الى التكوين العضوي .

فالعمل السياسي لكي ينطلق لا بد له من نظرية فكرية واضحة أو شبه واضحة ، وان تكون هذه النظرية مسندة الجذور في الواقع تصبر عنه وتتجاوزوه في نفس الوقت ومن خلال تفاعلها مع هذا الواقع تتحدد الخطط السياسية المعدة للتطبيق .

ولا بد إذن للعمل السياسي من بعد فكري يظديه ويضيء طريقه ، ونفس الامر يقال بالنسبة للثقافة او النظريات الفكرية . فهي بدون القوة السياسية تفضل مجرد نيات تنموج في اطار نهضة ولكنها ليست هي النهضة ذاتها مهما بلغت من الاثراق والنضاعة . فالنهضة العربية الاسلامية الاولى لم تزدهر الا بعد تشييد دولة الاسلام في عصر عرسها الذهبي . والنهضة الاوروبية لم تكن نهضة الا لكونها قوة سياسية واقعية قوية دون التضارعا على الجانب الثقافي أو الادبي ، او الفكري ، او الفني . ولم يشهد العالم في أية فترة من تاريخه نهضات من هذا القبيل اي نهضات ثقافية دون ان تتزج وان تقرن بشكل عضوي بالقوة السياسية المعالة .

اذن لا بد من بعد سياسي للثقافة لكي تكون فعالة ، ولا بد للعمل السياسي من بعد فكري وثقافي لكي يؤدي الى قيام نهضة حضارية حقيقية .

ولعل الامور في بعض البلدان العربية اليوم تسير في هذا الطريق . فثورات التحرر السياسي وثورات التغيير الاجتماعي الجندري تفتقرن بيقظة فكرية وثقافية عارمة ، مقترنة بالعمل الجدى لبناء قوة مادية فعالة .

وعلىنا جميعا مسؤولية ازالة تلك العاصرة التي اشترت اليها آثفا والمتمثلة في سلبية علاقة الثقافة بالسياسة ، اذ القطاع الثقافي يوجه عام ما زال ضعيفا من حيث فاعليته في مجال الحكم الوطني .

وعندى انه يجب للاجابة عن التساؤل الفلق الحائر عن السبيل المتلى لطريق بين الفكر والعمل ، بين الثقافة والسلطة. ان يخلق مناخ ثقافي وسياسي جديد يتيح لاجهزة الحكم في الدول العربية ان تتغلى بمزيد من طلائع المثقفين المحصلين الاكلا.الذين يلعبون دور « المثقفين المضويين » على حد تعبير غرامشي ، والذي بدونهم لا نستطيع نهضتنا الحصارية ان تواصل تقدمها بالسرعة والفاعلية المتشودين .

وهكذا ، فاذا كان طريق المعرفة هو اختيارنا ، فان المعرفة هي اول طريق العمل ،



تعريب الأَمْخْساخ والقلوب

المعروف ان اللغة ليست عاية في ذاتها وانما هي مجرد أداة للتعبير عما يتمخض عنه التفكير المنطقي أو تندقق به الاحساسات والمواقف ، او بعبارة أخرى ان اللسان ليس الا الصورة الخارجية للسخ والقلب ، منبعم الافكار والمواقف .

ونعرف أيضا ان الاستعمار الفرنسي قد ترك وراءه سمومه التي حاول بها اجتثاث عناصر

مولود قاسم نائيت بلقاسم

شخصيتنا وعمل كل ما في وسعه لاستئصال روحنا ومسح واذابة ذاتيتنا .

وتجدر بنا الصراحة هنا والاعتراف بأن هذه الاستعمار قد نجح . مع الاسف . الى حد كبير في هذا لدى طائفة من مواطنينا فان لم يكن في الميدان السياسي فعل الاقل في المجال الثقافي العقل والروحي . في مسح العقول . وغزو القلوب .

بمناسبة تجديد الترشاد او انطلاقه في هذه الأيام لوضع اللغة القومية مكانها ، نريد نشر هذه الكلمات الأربع لمسيه مولود قاسم ولد سبق ان نشرتها مجلة الجهاد الاسبوعية في اواسط اعدادها فيما بين 15 نوفمبر ، و 6 ديسمبر 1962 ولا ما بعدنا نشرها اليوم بعد اثني عشرة سنة فليس هناك للتاريخ ، بل ايضا لانها في كتاب من الكتاب التي انتشرت اليها من الناحية الثقافية لا تزال صحيحة وصغيرة عن الواقع . . الامثال .
(1) نشرت في العدد 136 من الجهاد الاسبوعي بتاريخ 15 نوفمبر 1962 .

هذه هي المشكلة التي امامنا حلها قبل كل شيء عند ما نتكلم عن شخصيتنا ، فاذا اردنا التعريب فعلينا قبل كل شيء ، البدء بتطهير الادمغة وتصفية القلوب لدى هذه الطائفة من مواطنينا ، حسن احوالنا في كل شيء الا في هذا الاسماخ ، فنقبل استئصال هذه الزائدة الدودية لدى هذه الطائفة ، أي قبل تعريب الاسماخ والقلوب ، لا يمكن لنا النجاح في تعريب الالسنه ، وذلك ان كل المرافيل من هذه الطائفة وهي مع الاسف على الاقل من الآن ولا تزال - الماسكة بالزمام في اغلب دوائرنا الحكومية ، هذا الوضع خلقه الاستعمار واراده عن ترو وقصد وعلينا الآن معالجته معالجة ناجحة ان لم تكن جذرية قبل الاقل تدريجية ولكن لنعمهم هذه الطائفة ان عليها الاعواء والتدارك .

هذه الطائفة الامية في لغتها - وفي مفهوم بقية الشعوب تعبر جاحنة على الاطلاق - عوفى ان تخجل وتحاول التمازك او على الاقل تمتسرف بهذا النقص نجدها تحسر على احتقار العربية وكل ما هو عربي وتبالغ في رفاحتها هذه الى حد «الهزء علانية لبيزوا افسهم عن » الرجعيين المتأخرين » - وهناك من هذه الطائفة نوع يكن هذا الاحتقار في نفسه ويكتفي بالعمل في دائرة رسمه - وفي احسن الظروف تجد هذا المركب يرسم في الاعماق وسرر احيانا في الميدان لعمل يفتر قصد سوء من المصائب به ، والنتيجة على كل واحدة هي المسخ .
لدينا الآن ثلاثة انواع من هؤلاء المسوخين عقليا او روحيا او كليهما :

فمن النوع الاول اولئك الذين حكى لي عنهم احد موظفي وزارتنا الخارجية ممن كانوا في القاهرة ايامهم عندما يرون الآلات الكتابية العربية يفقهون ويشبهون الحروف العربية بـ«البرسميل» او رؤوس الذباب ، لانها في نظريهم اشكسال متشابهة متشابهة لا يمكن ان تكون لها دلالة ما - وهؤلاء لا يكتفون بهذا - فهم مع جهلهم يلتمهم يقعون في الجهل المركب اذ يحكمون على هذه اللغة بالجمود والنوت والوقوف لدى حدود القسرون الوسطى وانها ليست - وعندما يتكلمون عليها يقولون انها لم تعد - لغة علمية وانها عاجزة عن التعبير عن دقيق الاصطلاحات الحديثة وانها لم تعد صالحة الا للمساجد - كالكلايتية للكنائس - وفي احسن الاحوال للخطب الرنانة الجوفاء .

هذا موضوع بذاته يعود اليه في مقال خاص ، واننا نريد فقط ان نول هنا مقدما ونحن نعتقد الكلام عن المسخ ان هذا احد اشكال الاسماخ لالروحي فحسب بل والمنطقى العقل أيضا اذ ان كلام شخص عن موضوع يجعله يسمى لدى العرب جهلا مركبا وفي الغرب ادعاء فهؤلاء الانصاف

متقنين اسميهم يتامى الثقافة فهم لا شرفيون ولا غربيون ولا جامعون بين فصائل هؤلاء وأولئك .
وانما مذبذبون مسموون تجب علينا معالجتهم .

ومن النوع الثاني أولئك الذين ينظرون نظرة الشك الى العربية ومكانتها بين اللغات العلمية
لكبرى . فهم بدون أن يهاجموها أو يسحروا منها علانية يحترمونها أكثر من الأولين ويكتفون
سوء معاملتها ووضعها جانباً بسوء من نظر الشفقة على ذوبها والاستعلاء عنهم واشمارهم
أحياناً بأنهم في الحقيقة مساكين يرئى خالهم وقد ينصجون لملا في اقاص بعضهم بنقص انهم -
فقد قال لي في هذه الايام الاخيرة آخوان مهاجرين في كرامتهما أكثر من مرة لجهلها بلفظ
المستعمر - وهذا في عهد الاستقلال - وأنهم يفتكرون أما في النخرة الى إحدى البلاد العربية
الأخرى أو الذهاب الى باريس لدراسة الفرنسية والعودة بعد ذلك الى الجزائر .

والنوع الثالث وهو الاحسن نسبياً ... فهم الذين وسبت في اعماقهم بذور المستعمر وتأثروا
بها وبزور ذلك في سلوكهم بدون شعور ولا تية سيئة منهم . هؤلاء نخدم حتى من بين احسن
عناصرنا الوطنية ، فهم يستعملون منطق المستعمر ومصطلحاته رغم مآكستها لجميع أركان كياناتنا
وتقاليدنا وذاتيتنا . وحتى بعد أن ألغى عهد الاستقلال بصفة رسمية أو مطبوعة صيغة "عبد
الاستغلات" أو الاستعمالات تجدهم مستورين في استعمالها وغير مباليين بقيمة هذا التفسير ولا
مدركين لغراه ، والا فكيف تعبر الامثلة الآتية التي قد تبدو لكثير من هؤلاء واشباههم ثانوية
وبدون أية دلالة ؟

١ - منذ ثلاثة أسابيع تقريبا نشرت إحدى جريدتنا الصادرتين بالفرنسية كلمة تحت العنوان
الآتي : « جمعية الادباء والفنانين والموسيقيين تعلن الخ » فانهضت عسروا لعدم سماعي حتى
ذلك اليوم بوجود مثل هذه الجمعية لدينا وسرعان ما غاب أمل بعد أن قرأت ما تحت العنوان ... أي
صلب الخبر ... فقد حسا فيه أن هذا الاجتياح ميقع في قاعة بلبليل .. أي في باريس .. أي
نها جمعية فرنسية مقرها باريس . لم لا يضيف المحرر للخبر كلمة الى العنوان يلهم منها العاري
الجزائري بدون قراءة الكل ان النبا يتعلق بجمعية فرنسية وفي فرنسا ؟ ان المسألة مسألة منطق
تلفاني مباشر . فهذا العنوان يناسب منطق العربي الذي ينصرف ذهنه بديها الى باريس بمجرد
قراءة العنوان ولا يحتاج الى قراءة الخبر كله . أي انه منطق « الماضي الفرنسي » ونحن الآن مستقلون
وجزائريون ونصنعنا البحر الابيض عن « الام سابقا » . فقد كان هذا منطق بعض الجزائريين

إيضاحي الماضي إذ كانوا يقولون « المتربول » « الوطن الام » ويمنون بذلك فرنسا مقلدين
الفرنسيين المحتاجين الى هذا الاسم للتمييز بين فرنسا نفسها وما كانوا يسمونه « فرنسا ما وراء
البحار » . ونفس هؤلاء الجزائريين ، حتى من بين الوطنيين ، كانوا يقولون : الجيش ، البرلمان ،
الج . . . ويخصصون الجيش الفرنسي والبرلمان الفرنسي ، قلما لا يضيفون الوصف « الفرنسي »
على الالتي في حديثهم مع مواطنيهم ؟ ان الفرنسي اذ يقول الجيش يقصد بديهيا الفرنسي ولا يحتاج
الى الوصف . ومنطق الجزائري ينبغي - وكان ينبغي - ان يكون آخر اى جزائريا .

2 - في نفس جريدتنا المتشار إليها جاءت أيضا كلمة « المنحدرين » وسغا للهنود الصينيين
الشمالين الاسفقاء . الذين تبادلنا معهم التمثيل الديبلوماسي ونحن في صميم كاهنا التحريرو .
3 - عن وزير صيني شعبي انه « غير معروف في الغرب » كما لو كان هذا مهما لنا كجزائريين
وكما لو كنا جزءا من هذا الغرب ! لهذا معنى في صحيفة غربية . اما نحن فقلنا وذلك ؟ ما هذا
المنطق ؟

4 - لا تزال الإذاعة والصحافة بل والادارة وبالتالي العامة - تستعمل أحيانا الاسماء الفرنسية
للشوارع التي بدلنا اسماءها (2) .

5 - لماذا قلبت بلدية العاصمة « أو مندوبيتها الخاصة » - وتبعتها في ذلك الإذاعة والجرائد -
- حتى المجاهد بالعربية في بعضها - وضبح اسماء ابطالنا الشهداء فبدلت بالاسم العائلي
واععبت بالاسم الشخصي . عيان رمضان ، ديدوش مراد ، زيروت يوسف ، ان هذا النظام لا هو
غربي ولا هو شرقي ، لا عربي ولا قرطبي ، وانما آثار العهد الفرنسي . وهو وضع مفروض علينا
وغير مطبق في فرنسا نفسها ولا في واقي واقي ، ففي فرنسا وبقيّة العالم يبدل بالاسم الشخصي
ويتأوه العائلي ، فلا يقال ابن الخطاب عمر ولا قاسم عبد الكريم ولا عبد الناصر جمال كما لا يقال
ديول شارل ولا هيجو فيكتور . وفي مقال في « الشعب » جاء ما يلي :

يعطاه رابع ، زيروت يوسف ، سملي ياسف ، طالب عبد الرحمان ، عيان رمضان ، عيسات
ابدير ، كلها مكتوبة والاسمان الوحيدان اللذان وضعنا منسقين هما هنري علاق ودوير
لاكومت !..

(2) هذا لا تزال تظهر منه حتى اليوم بعد اثنتي عشرة سنة من استعادة الاستقلال !

والأمثلة على هذا الوضع المعكوس كتسمية في حرائدنا ووسائل نشرنا الأخرى ، وفي الأفواه أيضا ، ولكن اذا كانت وسائل التوجيه ... اذا كان رب الدار بالطيل ...

6 - وأجملها كلها : الايقول كثير وكثير جدا من موظفي وزاراتنا ووزائريهم حتى اليوم «ج.ج» ترجمة صوتية لـ G.G. ويمتنع بذلك مقر حكومة الجزائر المستقلة ؟ بل وقد سمعت مرة احدى وزرائنا يقول لصديق له « زرني في «ج.ج» (X) - اى مقر الولاية الصالحة ... عوض ان يقول : « زرني في مكتبى او في مقر الحكومة (2) » اذا كان يريد التواضع ؟

7 - هل صحيح ان اغلب المدارس العربية الحرة في وادي الصومام هجرت هذه الايام من مملحتها بعد ان لم يتلقوا اى شئ من شهري سبتمبر ؟ فلا تالفة الولايات تتولى امرهم كلنى قبل ولا صاحبة المعارف اعرفت بهم بعد . وهكذا اضمحلوا من كل الاولياء والمعارفين !

وليست المسألة هنا مسألة منطقية (يكسر اليم ويحت الطاء) وانما منطقية (بعكس الترتيب السابق) وهي ان هذه الناحية اكثر احتياجا من غيرها ثم ان احدى هذه المدارس ، وهي مدرسة قلعة بنى عباس، هي اذا لم تخفى الذاكرة أول مدرسة وضع حجرها الاساسى اى باديس في قرية من قرى الجزائر من تنبلها الى زيتونها . فاذا كانت المسألة مادية فما على الحكومة الا ان تأخذ مسن رواتب موظفي بعض الوزارات الاخرى لعائفة المعارف التي يدونها لن تسيروا ولا وزارة (وصاحب هذه الاحرف من الخارجية وليس معلما) .

8 - واخيرا وليس آخرا : هل صحيح ان احدى وزاراتنا بعثت هذا ايام برسالة الى اليمن بـ ... الرئيسية ؟

حل بثورة الاخ السلال تسببت رسمية الفرنسية الى ربوع اليمن السعيد (3) ؟ ام وعدنا فرنسا على سفاف لفيان وفي نطاق التعاون المبرم بيننا بفرض لفتحها على العوائى العربية ؟ مس المعروف ان المراسلات بين الدول تكون بلغة المرسل ، وعن سبيل المصلحة فى المعاملة قد تكون بلغة المرسل اليه . والفرنسية فى الحالة المذكورة (وارجو ان تكون مجرد اشاعة) ليست لغة اليمن ولا لغة الجزائر ؟

G. G. = Gouvernement Général (1)

(2) ويسمى الفنى الآن مقر الحكومة .

(3) لاكن ان القال كتب ونشر في نوفمبر 1962 .

سنعود مرتين على الأقل الى الموضوع للكلام عن تعريب الالسنه – بعد الكلام عن تعريب الاصحاح والفلوب – ولنرفع عن يتامى الثقافة المنفرسين المرضى الشك فى علمية العربية وقهرتها على التطور والتكيف والتصير عن مختلف ميادين النشاط الانسانى ونبين كيف ينظر الغربيون سادتهم الى الكنوز الاسانبة التى كانت الضادطيلة اكثر من سبعة قرون المعب عنها وعننا بل والمتكلم بها فى قصود المانيا وجامعات فرنسا واطاليا ... وما تركته حتى الآن حسن الآثار المصقة فى ثقافة اوروبا هذه .

لنخرج خشائش الارض – كما يقول اسن المتفح – من كهوف جهلها التى القى بها فيها النظام الاستعمارى الصليبي وليراجوا مواقفهم روحيا وعقليا كما راجعه البعض سياسيا بكل تواضع واعتراف بالخطا فاذا كانوا يحرصون على الاصفاء . الى الاوربيين حتى فى الحكم على ثقافتهم وكيانهم فليسسموا على الاقل الى النزهاء المصفين منهم وهم كثيرون فى اوروبا بنوفى فرنسا نفسها .





أضواء على

مذكرات الأمير عبد القادر التي أشرف على تسجيلها بقصر أمبواز

انني اخترت سمونا هذه الليلة كما يعمل
عليه عنوانه : « أضواء على مذكرات الأمير
عبد القادر التي أشرف على تسجيلها بقصر
أمبواز » .

إن هذه المذكرات لم يكشف عنها الفقيه الا
منذ سنوات قليلة ، وبالضبط منذ ثمان سنوات
وقبل أن تناول الموضوع ، اسمحوا لي أن أعرض

للحديث عن الظروف التي اكتشفت فيها هذه المذكرات ، إذ كانت قبل هذا الاكتشاف مجهولة
تماما ، سواء في المصادر العربية ، وأهمها كتاب « تحفة الزائر » او المصادر الأجنبية التي تعتمد
بالنسبة .

المهدي البوعجيل
عضو المجلس الاسلامي الاعلى
الجزائر

غادر الامر الجزائر آخر مرة ، بعد ما وضعت حربه مع الفرنسيين اوراها ، وطن انه يقاد الى
بلاد المشرق ، وفاء بما تعد له به ولي عهد ملك فرنسا الذي أبرم معه عقد الصلح بعد ما قابله
بمرسى القرويات. ولهذا فوجيء بعد ما ألزم بالاقامة الإحصائية في قصر أمبواز ، كما تحدث عن ذلك
في موضع من هذه الدراسة ، وفي مدة اعتقاله بالقصر المذكور ، وردت عليه رسالة من امسقب
فرنسي ، يطلب منه الجواب عن سبعة اسئلة أوتمانية ، فاجاب الامر عليها ، وكلف قريه ورفيقه
في الاسر ، العالم الاديب ، الشيخ مصطفى ابن النهامي ، أن يتولى تحرير قصودها ، وهذا الجواب
هو ما أطلقا عليه اسم المذكرات . وقد علمنا انها كانت مجهولة عند المؤرخين ، اللهم الا ما عرف على
سبيل الاحمال ، من أن الامير عندما كان بقصر أمبواز ، كان يقصد كثير من الكتاب والفكرين ،

محاضرة الغيت في المركز الثقافي الاسلامي بالمعاصرة .

والهواة ، فيتبادل معهم الرسائل بواسطة الضباط الذين كانوا يتداولون على حراسته . وأصبح الجنرالان ، دومان وبواصوني Boissoner اللذان حررا بدورهما مذكرات خاصة ، سجلا فيها انطباعاتهم عن اقامة الامير بقصر امبور .

اكتشف هنتي المذكرات لأول مرة ، الاستاذ هنري تيسي Henri Teissier اصقاف مدينة وهران الحالي ، واختار محتواها اطروحة كتبها لتسليم شهادة الدكتوراة في الآداب العربية ، اكتشف الاسقف المذكور هذه المذكرات عند صهره ، جاك شوبلي Jacques Chevalier شيخ بلدية مدينة الجزائر سابقا ، وعندما نال منها وطره ، قدمها شيخ البلدية المذكور هدية الى وزارة حلفاء المجاهدين ، وهي الآن في المكتبة الوطنية .

هذا مجل ما يتعلق بهذه المذكرات وبالطرق التي اكتشفت فيها ، وسنتعرض لبعض التفاصيل عنها في صلب الموضوع .

كان السؤال المرجح الى الامير ، ينحصر كما ذكرنا في سبع نقاط : الاول السؤال عن تشيعة الامير ودرجة والده ، ثم ذهاب الامير وفقه والجمال الحج قبل توليته بقليل ، ثم الظروف التي تولى فيها الحكم ، وما اتخذه من ترتيب مدنية وعسكرية في دولته الناشئة ، ثم الاتفاقات والاختلافات التي وقعت له مع قادة الجيش الفرنسي في حالتي السلم والحرب ، ثم انطباعاته عند مقابلته اولي عهد ملك فرنسا في مرسى القزوات بعد انتهاء الحرب ، ثم ما هي انطباعاته عن محاسن ومساوي الفرنسيين ، وما هي الطرق التي يراها صالحة لحل المشاكل لوقدر له ، او جعل نفسه مكان الفرنسيين خصوصا فيما يتعلق برعاياه المسلمين الذين اختاروا الاقامة بالجزائر ، محافظين على دينهم ، ورفضوا هجرة الوطن ، واخيرا موقف ملك المغرب عبد الرحمن العلوي معه اه .

هذه هي الاسئلة التي قال عنها كاتب المذكرات مصطفى بن التهامي بعد ان نشر الرسالة التي اختصرناها بنصها قال : « فلما قرأ مولانا ايده الله مکتوبه ، واستوعب معانيه كلها ، كلني اعمل الله مقامه واعاد علينا وعليه عرائد بره بصلاح الحال والمال ، بان اجمع ذلك على ما طلب كاتب المکتوب ، فاجبته بالموافقة . واتقا باعانة الملك ، وسالكا صحة المسالك ، وموتجيا تقا دتيوسا ، ماله الصلاح الديني بحول الله وقوته اه تعليق مصطفى بن التهامي الذي كلفه الامير بتحرير هذه الاجوبة ، كما يدل على ذلك ما كتب في اول ورقة من المخطوط بالفرنسية : « تاريخ الامير عبد القادر وتقل مخطوط السيد الحاج مصطفى بن التهامي كتب بعضه بخط الامير سنة 1849 »

وهذا النص الأصلي بالفرنسية :

« Histoire de l'Emir Abdolkader, Copie du manuscrit de Sid El-Hadj Mustapha Ben Thami faite en partie de la main de l'Emir, 1849 »

وقبل ان ندس في تفاصيل موضوع المذكرات اى اجوبة الامير عن اسئلة الاسقف نرجع الى الحديث عن مفاجاة الامير بتصرفات السلطات الفرنسية , التي دامت الشروط , التي تعهد بها ولي عهد ملك فرنسا , كان لهذه المفاجاة اسباب في مقدمتها انقلاب الراى العام الفرنسى اثر حداث قتل الاسرى الفرنسيين الذين كان عددهم يتجاوز 300 اسرا , اثر واقعة التكرور المشهورة عند المؤرخين الفرنسيين بواقعة «سیدی ابراهيم» التي وقعت سنة 1846 قرب مدينة مكنة , اى قبل انتهاء حرب الامير بسنة واحدة , وقد اتهم الراى العام الفرنسى الامير عبد القادر بتواطئه مع قادة جيشه , خصوصا مع قريه صمطلي بن التهامي قائد المنطقة الغربية حينئذ , على قتل الاسرى , وذلك اثر الحادثة المشهورة التي شنّها المارشال بيجو , وقد خصصت هذه الواقعة بسنة تأليف لا يسع المقام لتتبعها وانما نشير الى ان بعض هذه التأليف , خصصها اصحابها لهذه الواقعة بعد مرور قرن عليها , اى سنة 1946 , وحكسوا فيها ببراعة الامير من دم الاسرى , بل ذهب واحد من اصحاب هذه التأليف وهو الجنرال ازان Azan الفرنسى فاثبت زيادة على براءة الامير , اثبت ان جل المسؤولين الفرنسيين كانوا على علم من براءته وانما تصدوا كتمان ذلك لتضليل الراى العام الفرنسى والامنى , حتى يجدوا مبررا لبعض شروط الصلح وادانة الامير استجابة لرغبة المارشال بيجو لمجر يطول .

ذكرنا هذه التوطئة , لان الامير في اجوبته عند مظهر عليه الحذر حيث صاغها كلها فى قسالب لا تتسرع حقد خصومه , وركزها كلها على ان تصرفاته كانت تصرفات ملك , يايحه قومه لينفذ فيهم احكام الشريعة الاسلامية , كما يظهر من هذه الاجوبة , ان الامير كان يتحقق انها لا تهيم اسففا عاديا , بل اتخضت السلطات الاسقف واسطة لاستئصاله الحُر , حتى يمكنهم من تصيد مزاعم شائنية , من كتاب وصحافيين الذين ايدوا بحملتهم , ووجه نظر ثلاثة المعمرين الذين كان على راسهم بيجو وغيره من المؤثرين . ونجد رسالة الاسقف صريحة فى ذلك , حيث ختمها بقوله : « واعم انك اذا قبلت كلامى , ولعنت بمزيجى , تمنع ان شاء الله , وتبطل جميع كذب الكتابين الذين كذبوا عليك وعلى حوادك فى القسوازط اى الحرائد - وفى الكتابين ويصفى القول والقال

من تكثير كتب الكداب على ذلك الاجر التامى الملك الملام والله يوفقنا لنجى بجاه اهل الخير
خامس عشر جمادى الآخرة سنة اربع وستين ومائتين والرب « . بهذا الاغراء وهذا الاخلاص ختم
الاسقف كتابه , وقد فهم الامر مقصوده , ولهذا عقب عليه مصطفى بن التهامى وختم تعقيبه بقوله
« ومرتبيا نعمة دينويا ماله الصلاح الدينى يحول الله وقوته »

وقد صور لنا ولده فى تحفة الزائر هذا الجوالخنيق بقوله يصف حالة والده وحالة وفاته
نصر اميراز حيث قال « وداوم الامير فى تلك المدة على تدريس العلم , وافادة الطلبة من جماعته
ثم ملك اخوه محمد السعيد , واخوه السيد مصطفى , وخليفته السيد مصطفى بن التهامى
جادته , وافادوا الطلبة امادته واجتمعوا لقراءة البخارى على نية تفريج كربهم الخ »

كما اكتشف اثر آخر , لا يقل قيمة عن المذكرات - وهو مجهول ايضا عند المؤرخين -
وهذا الاثر يبرز المذكرات ويصور لنا حينئذ المعتقلين بقصر اميراز , وانهم بالفضل كانوا
يتوجسون خيفة من سجنائهم , وهذا الاثر الذى اكتشف منذ سنوات قليلة , هو استغاثة مصطفى
ابن التهامى محبوس المذكرات , وهو تروى على الحسمانة بيت , وقد مهد لها بقوله « وما قلته
مع الرضى والتسليم للقدر والقضاء , منوسلا متضرعا , معتزعا , متبرعا , مفصلا فى الوسائل
تارة ومرة مجمل , راجيا للعل له , ولكل من دعاها مثذلا ومؤملا حصول كشف الكرب , والفرج ,
ورفع الشمة عن الداعى الخ

وابتدا الاستغاثة بقوله :

ووقع الخلف بالانكلاف
والحق النقص ببدر السم
وللنعم فى القصر ومائد
واقصصت بالاعتراف جيبيل
للفاخر المالك كل ما سكن

لما جرى القصر بالانكلاف
ووجب الوحى بقصر اليم
واقصص القصر عند صائد
واقصصت عن المقبول حيل
لم يبق الا الاجتهال والسكن

وبعد استغاثته بالانبياء والصحابة والتابعين على عادة المستغيثين قال :

فى رقع ضيمي وبلا بلواى
وانقضى من شدة الحال

هذا الذى قلمته نجواى
فامن علينا بصلاح الحال

داوى سقام دائسا الصال	مولاي يا ذا المن والافضل
من ربة الاسر الى اللواذ	نفس مع الرفقة والافذاذ
ومسجد جماعة وجمعة	بمنزل حسب الجسب والسمة

ولم يستقل مصطفى بن التهامي بهذه الاستمالة بل شاركه فيها رفقاؤه وعلى رأسهم الامير والى ذلك اشار بقوله :

أميرنا ومشير فيكوا	يا غوث وقتنا اليك يشكر
وكافلا يشارك المأثور	يا صاحب التصريف في الامور
ياولياء الله ثم ارفع	الى جنابك المسمى اشجع

الخ

هذا كل ما يعلق بمناخ الفترة التي قضاه الامير بقصر امبواز ، واشرف فيها على تسجيل ما سينتج بالذكرات ، وانه لا يمكن ان اتعرض في مجال هذه الدراسة المحدودة ، للفصول السبعة التي انحصر فيها الجواب فاقصرت على الفصلين الاولين ، وهذا اللذان ركزت عليهما هذه الدراسة اى نشأة الامير في حجر والده ، متنوعة بتفصيل مسهب عن الحياة الثقافية اذ ذاك ، ثم رحلته مع والده الى الديار الشرقية ، وهذان الفصلان ، طيدان جدا اذ يشتغلان على جوانب هامة من تاريخ حياة الامير لا زالت مجهولة بتفاصيلها ، خصوصا الحياة الثقافية في عهده ، التي ذكر جوابه عنها بذكر السند اذ ذاك ، حيث كان علماء المهد والمناظية ، يسلطونه اهمية كبرى ، لا فيما ينص السند في علم الحديث فقط ، بل حتى السند في نية فروع المعرفة ، التي تربط الحاضر بالماضي ، وتوجد بين علماء الاقطار المختلفة جيلا بعد جيل ، وتمتد الصلة بين العلماء الذين كانوا يتبادلون هذه الاجازات والتكليف ، تارة بتبادل الزيارات والاتصالات وتارة اخرى بالمراسلة ، وهذا الفصل الذي خصصه الامير للسند مجهول اكثره عند العلماء المتخصصين بل جمع هذه الاسانيد في فهرسهم (واقصد سند علماء الجزائر) .

اما رحلته الى الججاز صحبة والده التي اجاب عنها بتفصيل ، فانها ايضا مجهولة ، بتفاصيلها ، ولو ذكرها عرضا صاحب نسخة الزائر ، وخصص لها بعض السطور . وقال انها غابا مدة سنتين ، زارا اثناعسا دار السلام بفغداد ولقيا المشائخ ، وجدوا المهدي القادري الخ . اما الامير فانه ذكر في جوابه الناحية الجغرافية التي كانت تمر عليها قوافل الحجاج برا ، ولم يسمي لغيره ذكرها حيث

انها مختلف عن الطريق الممهود الذي كان يسرع عليه المسافرين وخصوصاً بين وهران وتونس ، كما افادنا ان والده ذهب رفقة اوفد الرسمي بصراخين وهران الى الاسكندرية بعد اجتماعه بهم في تونس ، ثم تعرض بتفصيل للبلاد التي زاروها وللمسلمة الذين اجتمعوا بهم في مختلف المواسم ، ويؤيد ما قاله عن الرحلة الى الحج ما اكتشف اخيراً بعد الاستقلال وبالضبط ، عند نقل رئاسة الامر الى الجزائر ، وهي رسالة كتبها والد الامر عند رجوعه من الحج ، ومروره على جزيرة قبرص ، ستحدث عنها في موضعها ايضا من هسة الدراسة .

ولنرجع الى الحديث عن الاجوبة ، فالجواب الاول كان عن نشأة الامر وترجمة والده فاجاب عنه الامر مبتدئاً بذكر التعريف بنسب الاسرة ، مما هو معروف ومتفق عليه ، ثم واصل حديثه عن الامر فقال « سأرضي الله عنه بطرف غريس من الجهة الغربية على مرحلة من ام مسكر يستقر ابيه ، في قرية اختطها والد والده ، على راس المائتين القرن الثالث عشر ، اشتهر اسمها بالقيطنة ، مشتقة من القطن ، ضد الضمن ، لان اهله قاطنوا ليسوا باهل صود ، على مشارف وادي الحمام ، وهو وادي اكبر الاودية ، ينسب الوادي الى مزار قبره مصرض بين الحمام وبين القبة ، اسمه محمد ابن الحنفية الخ . وبعد ان ذكر وفاة مؤسس القرية الشيخ مصطفى بن المختار قال انه ورثه ولده محيي الدين الذي كان له ثلاثة ورثون يوليخ عدهم (600) ستمائة فرد ، تسعهم سبع حققات لدراسة العلم ، ثم تعرض لمسجد القرية فقال : انه بناء احد بابات وهران ، كما ان بايا آخر ، بنى رحي ، وآخر بنى المسكن الخ .

وهما بين قوسين نسه المستعملين على ان تاريخ اختطاط القيطنة الذي اشتهر عند الخاص العام ، بانه كان سنة 1206 هـ ، مصدره الوحيد فيما ظن . صاحب تحفة الزائر ، وهو خطأ وغلط ، يحالف الواقع ، اذ نجد المؤرخ اياً راسي الناصري ، اول من وصف قرية القيطنة في عهد مؤسسها قال في رحلته « وقد ذهبت للقيطنة ذات يوم لاسال في البيوت ما ياكل الطبخة ووقفت بسباب الجامع ، فاذ هو نولة كبيرة بمحرايها : وعشرين بينه بيت الشيخ المشرفي ، فرايت الشيخ مصطفى بن المختار ، أحد تلامذة الشيخ المذكور ، يدرس في الاول من المختصر ، ثم رجعت في ساعة فرايت الشيخ مصطفى الطبري يدرس في الثاني ، ولم يبال بي احد ، الخ . اهـ . وقد كان المشرفي هذا هو الامام عبد القادر بن عبد الله المشرفي صاحب التاليف الذي طبع اخيراً بالجزائر واسمه دهممة الناطل في اخبار المالطية تحت ولايسة الاسبانية بوهران من الاعراب كبتى عامر »

وهو استاذ جد الامير مصطفى ابن المختار مؤسس قرية القيطنة . كما هو استاذ المؤرخ ابي راس . وقد توفي المشرفي هذا سنة 1199 هـ وكان يدرس بالمسجد المؤسس بقرية القيطنة ، فكيف يمكن ان المسجد اسس سنة 1206 اي بعد وفاة من درس فيه باربع عشرة سنة وكذلك القرية ، فانا نجد ابا راس عندما زار قرية القيطنة ووصف مسجدها ، كان ذلك قبل هجرة طلب العلم يمازونة وقد ذكر في رحله انه ذهب الى مازونة بعسكر صومه سنة ، وادا عرفنا ان ابا راس من مواليد سنة 1165 هـ نذكر ، ان ما قدمه صاحب تحفة الزائر من ان القرية اسست سنة 1206 غير صحيح وانما يمكن ان المسجد وقع تجديده سنة 1206 اذ ان الباي محمد بن عثمان قايع وهران اسس عدة مساجد وعادرس بعد فتحه لوهران وكان الباي محمد بن عثمان من تلامذة مصطفى ابن المختار مؤسس القرية المذكورة ونفس صاحب المذكرات قال من تاريخ اختطاط القرية : « اختطها والد وانه على رأس المائة » .

ولنرجع الى اجوبة الامير السني واحصل فيها صاحبها حديثه « وبني محيي الدين الى ان تولى ولده عبد القادر فمات بعد سنة من توليته » ثم تعرض للحياة الثقافية في بلاد غربي اذ قال : « ان جد الامير مصطفى ابن المختار اخذ عن عبد القادر بن عبد الله المشرفي وهو اخذ عن النور التتسائي ثم ذكر العلماء الذين اخذ عنهم او كانوا في عهده وذكر مختلف اسانيدهم المتصلة بعلماء الجزائر وفاس وتونس والازهر كل ذلك بتفصيل ودقة لم نجدها في غير هذه المذكرات . كان علماء ذلك العهد يعطون أهمية كبرى للسند والاجازة ، نجد في كتب التراجم خصوصا في بلاد المغرب العربي عندما كانت تنوزر العلاقات بين ولاء الجزائر تارة مع ولاء المغرب وتارة مع ولاء تونس ، ويقصد علماء المغرب او علماء تونس مكلثين بالسفارة يتصمون المساجد حيث يتصلون مع علماء البلاد الجزائرية ويتبادلون معهم الاجازات والتأليف وكذلك العكس عندما يذهب العالم الجزائري في نفس المهمة الى المغرب او تونس يتصل بعلماء البلاد الموقد اليها ويتبادل معهم الاجازات والتأليف ، والادباء والشعراء منهم يسمون بعضهم بعضا بالقصائد اليليفة لا زال الكثير منها محفوظا بحمد الله ، كما كان قبل هذه الاتصالات كثيرا ما يُلْكَمُ العقبات ويسهل على السفير بلوغ امنيته . ولا انهي صاحب المذكرات حديثه عن اسانيد العلماء الذين اخذ عنهم جد الامير ، عقب على ذلك بقوله : « هذا ما تيسر بحسب الوقت من طريقنا العلمية ولا ينهب الوهم بن وقف على هذه الاسانيد فيعتقد اننا لم نأخذ العلم الا من بعيد . بل وطننا القريسي

محط علم ومحل تعليم ، فهاهو الجزري في « عقد الجمان » لما تكلم على بعض الاجداد المذكورين في النسب قال « ومنهم ... ابو محمد السيد عبدالقادر بن احمد بن محمد بن ايناء عبد القوي المعروف بابن خدة مرضعته ، وبهذه الاوصاف حلاه الشيخ عبد الله الونشريسي في كتاب البستان في ذكر العلماء والاعيان ، ونفقه عليه كثير من الناس منهم شيخنا السيد عبد الرحمن ابن ذرقه وسيدى ومولاي على الشريف الخ .

ثم استأنف صاحب المذكرات حديثه فقال : « وقد كان العلامي يعظم نفسه ، ويعير عنه بشيخ شيوحا في غير ما مرة في شرحه على الصغرى . ولما صنف خطيب الجزائر ومفتيها سيدي قنورة في التوحيد قال هنا حجتة كالتكميل لتقييد شيخنا السيد عبد القادر بن خدة فلا بد من الجمع بينهما على ان الجزري ذكر ان في غربي كان ما يزيد على مائة قرية . قال شيخنا السيد ابن عبد الله ابن الشيخ المشرقي (وهنا يبين قوسين) يقصد مصطفى ابن التهامي شيخه ابن عبد الله المشرقي ، سعيد عبد القادر ابن عبد الله المشرقي ، الذي سبق الحديث عنه ، اذ كثيرا ما يشتبه الخفيد بسميه الجد ، وابن عبد الله شيخ مصطفى ابن التهامي حافظ مشهور ، له فهرس ، وقد تولى القضاء في العهد التركي والتدريس بام عسكر . ثم تولى الخلافة في عهد الامير عبد القادر ووافده في سفارة الى ملك المغرب ، حيث لقى حقه ، ودفن بكناس - قيل مات مسموما - قال صاحب المذكرات « قال شيخنا السيد ابن عبد الله ابن الشيخ المشرقي رايت كتابا وققت على تمامه ، فوجدت الكاتب لما كتب اسمه قال ، كتبت بقرية اولاد علي ابن صناع ، وفي القرية ما يزيد على ثلاثمائة مؤلف ، والقرية هي اليوم خربة ، تسمى القواير ، وبقريةا روضة سيدي عثمان بن عمر . تحت ام عسكر ، عند اتجار واديا الى الارض المستوية المطاح ، ثم قال وناهيك بوطن خرج منه العلامة شيخ الاسلاف محمد المصطفى الرماحي ومن ساكاه من تلامذته ، وذكر عددا وافرنا من علماء الراشدية وختم قائمة العلماء بذكر بعض علماء وهران وتلمسان . ثم تعرض الى الحديث عن الفقرة الثانية من الرسالة اي الرحلة الى الحج ، وقبل ان تعرض لهذه الفقرة التي استوعبت حلة الامير صحيحة والده الى الحج ، ترجع الى الحديث عن الحياة الثقافية بالراشدية تمليفا على ما ذكره صاحب المذكرات ، اذ نجد اطلال النفس في ذلك ، وتأييدا لما ذكره وتتمينا للفاصلة فنذكر ان مراكز الثقافة بالجزائر في العهد التركي انتقل كلها من المدن الى القرى والحيال كما وقع لبحاية بمسد احتلال الاسبان لها ، فان المراكز الثقافية بمسا انتقلت الى واديا ، والى قسم جبالها ، وسار طلبه

الذين يلحقون بها ، ومنهم سكان مدينة قسنطينة نفسها ، التي لم تصب بأكروه . بفضل موقعها ، ومع هذا ، نجد كثيراً من علمائها ، قصدوا معاهدواى بحاية للعلم ، وللقراءات ، كما ذكر ذلك وترجم لكثير من هؤلاء الاعلام . عبد الكريم ابن المكون في تاليفه الذى خصه لترانيم علماء قسنطينة ما بين القرن العاشر والحادى عشر ، وكذلك وقع لنفس طلبة العلم بمدينة الجزائر ، التي رغم استنحالها في المعهد التركي ، الى عاصمة ، ومع هذا نجد نخبة علمائها ، انتقلوا الى معاهد قرومة ، وجباجة ، وقد تخرج من معهد جباجة ، العالم الشهير الشيخ سعيد قدورة ، واستاذ ابر القاسم المطاطي ، اللذان توليا الافتاء المالكي بالعاصمة الواحد بعد الآخر ، اما القطاع العربي ، الذي له صلة بموضوع بحثنا ، فانه اشتهر ابتداء من اوائل القرن العاشر ، وامتاز بانه من اعلم المراكز العلمية ، التي تخصصت في دراسة الفقه ، والتوحيد ، وصار طلبة العلم ، يردون على الراشدية ، من مختلف بلاد المشرق والمغرب ، رغم وجود عاصمة العلم القديمة تلمسان ، وكان المتخرجون من معاهد الراشدية ، يشنون في اجازاتهم وتاليفهم - عند حديثهم عن اساتيدهم في الفقه أو التوحيد - يقولون مثل ما قاله احمد القرى التلمساني في حاشيته على صفري الامام السنوسي عند ما كان يريد ان يدعم نظرية تتعلق بفن التوحيد « انه اخذه عن مشائخه بتلمسان ، وغيرهم من علماء الراشدية العارفين بهذا الشأن » وما قاله ابو مهدي عيسى السكتاني قاضي مراكش « هكذا تلقيناه من اشياخ علماء الراشدية » وغيرهم . ثم ان دراسة علم التوحيد كانت لها اهمية اذ ذاك ، كما نجد الراشدية من المراكز المتنازعة لدراسة الفلسفة ، واشتهر فقهاؤها بمقاطعة عدة تآليف فقهية مشهورة ومتميزة في البلاد الاسلامية والمغرب العربي بالخصوص . ومن ذلك ما قاله صاحب « تسهيل المطالب لبيضة الطالب » في معرض حديثه عن الراشدية فقال في التبريف بها : « وهي التي عناها الشيخ مصطفي الرامسي محشى الثنائي في بعض ابويته بقوله وأراك أيتها السائل تحتمل بكلام عبد الباقي وذلك بمنزل عن التحقيق ، لان شرحه وشرح الحرشي لا تكثر بينهما في بلادنا الراشدية ، لعدم تحقيقهما ، وعندهما كلام الاجهوري ، وهو كثير الخطا وما يزيد هذا ، وجود تآليف للفقيه مصطفي الرامسي المذكور ، احصى فيه غلطات الحرشي في شرحه على مختصر خليل . كان الرامسي هذا الذي اشاد به صاحب المذكرات من كبار ائمة المذهب ، ومن حفظه ، ولم تكن شهرته مختصرة على بلاد الجزائر والمغرب العربي فقط . بل جاوزتها الى بلاد المشرق ، وبالمخصوص في مصر . وقد روى الاصم

محمد بن علي السنوسي دفين ليبيا في مهرمنه ان شيخه محمد ابن القندوز المستغاثي تلميذ المدرير اخيره ان شيخه المدرير عندما كان يصعد تأليف شرحه على مختصر خليل . كان يعتقد عمل حاشية الرماضي على التتائي . ويقول ان صاحبه من المحققين . فهي تفتني عن غيرها . وهذا ما يؤيده الشيخ محمد الجعوي الذي قال في كتابه « الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي » بعد ترجمته لخليل . مؤلف المحضر قال « فمختصر خليل اكثر المؤلفات الفقهية صوابا ورعا عن كون مؤلفه انما خرج به الى النكاح كما سبق . وقد وقع للزرقاني اغلاط في النقل وغيره فاعتني الماربة بتصحيحه . ووضوا عليه حواشي مستفيدة من حواشي الشيخ مصطفى الرماضي على التتائي وغيرها منهم الشيخ محمد بن الحسن بناني » الخ .

كما اشاد كثير من علماء المشرق والمغرب بالرماضي . منهم عبد الرحمن الجامعي العاسي من رحلته المسماة « الحاج المشرق » . الجامع ليواقيت المغرب والمشرق » قال « كنت وفدت على العالم الرواية النقاد . مهمل العلم الاصفى . ابي عبد الله سيدي محمد المصطفى الرماضي . فوجدته يسكن بابه بيوت الشعر قرب غاية في واس جبل يواي اليهم ليلا . وينزل بالهار في داره ومسجده يطالع كتبه . ويقرى طلبته . فسألته عن ذلك . فقال كاعل هذه الحالة . على عهد الاسبانيين خوفا منهم . فاننا كنا لا نأمن في المورد من ان يصكونا ليلافرحنا لبيوت الشعر . ليسهل علينا الفرار لغاية الجبل اهـ » .

كانت هذه الزيارة حوالى سنة 1120 هـ مكتوبة . بوجود الابحاث . لتفتح اطفال المشكلات والذين ترجموا للرماضي واشادوا به وعلوه كثيرون . وقد ذكر هو نفسه ما يزيد ذلك في معرض توبيخ واحد تلامذته الذي خالفه في قضية فقهية . قال له في آخر كتاب طويل قيم ارسله اليه « لكن استغنيت بنفسك . واستقللت بفهمك . على عادتك . اذا انت قد احطت بنفسك لغفوى . لم تسألني عن مسألة . ولم تباحثني في قضية . والائمة ترد على استنبتهم من تلمسان . ومن المغرب الأقصى . ومن الجزائر . والاخوان عن يمينك وشمالك . تباحثني . مكاتبة ومشافهة . وتلك طريقة اهل العلم الخ اهـ » .

هذه قصرات علقيت بها على القطعة الاولى المتعلقة بالحياة النقابية بالراشدية التي تعرض لها صاحب الذكورات بمزيمس الضبط والتفصيل .

ولنواصل حديثنا من الفقرة الثانية من الذكورات التي خصصها لرحلة الامير صالحة والده الى الحج . وبعد ان ذكر ان السيد سيدي الدين سافر من وهران يوم السبت 2 شعبان سنة آخر ثلاثين ومائتين وألف (أي سنة 1240 هـ) مع الوفد الرسمي . بين اي منطلق رحلة الامير مع قافلة الحجاج كان من مدينة سيق وفي ذلك يقول « وصفت انطلاق رحلات وطننا المشروقة . البلية آثارها المرسومة . هو وادي سيق . الى وادي سيدي القناد الى جديوية . الى مجاعة . الى الحطاف الى جندل . الى المدينة ثم منها الى اربعا بني صليمان الى برج حمزة الى قرية بني منصور في ميسما

البيان الى سيدى مبارك الى صليط الى وكسة البار (؟) الى قسنطينة ثم منها الى الصومعة الى وادى
المنارف ... الى ان وصلوا تونس فقال « ووافق دخولنا المدينة الخضراء تونس المؤنة » اول يوم
من رمضان 87 يوما من يوم مسيرنا فاعجبنا تائقها ، وبعد اطلعتنا على مساكنها البهية ، واسواقها
الشهية ، قلنا والله انها ليهية ، قلنا أهلها الوالد بالتعظيم ، والتبجيل ، خصوصا علماء التدريس
والتبجيل فكانت أملا حسن المقبل .

وتودعه لوعة حيث سار
يعن إليها حنين الوجار
اشتتياق الرزق عمود النوار

لتونس مؤنس من جاءها
ميفد ولو حل أرض العراق
ويامسل عمودا ويشتاقه

فأقمنا فيها أحد عشر يوما مكرمين عبد عثمان وأرباب دولتها ، خصوصا الفقيه العلامة السيد
أحمد المخرى ، سلامة الشيخ الطاهر ، حائز زياصة العلم والعدل يافرشية ، ولقبنا وكيل
أوقاف المغاربة الحاج أحمد الخريشي بأكرام ، وأى أكرام ، وأخذنا عهدنا خيلا ، وبملا وجمالا باتمانها
متصاعدة ، ثم بعد ما ذكر أكرام الوكيل المذكور لوالده ورفاقه ، وأنى عليه قال انه هيا لهم
سفينة ، يظهر ان قائدها إيطالى ، ثم قال انه لا يستحضر اسمه غير انه ثبت ان عنده صغرين
أديبين ، حادقين اسم أحدهما كركو ، واسم الآخر اندرى ، وسافرنا ستة أيام عارضتنا الريح
التكبد ، وما عدوا الا على التولى للرسى ، ولما رأى الرئيس صاحب المركب الذى ركب فيه أهمل
مخزن وموان ، سافر ، ومركبه باقى ، اغتاض لذلك وقال هذا مركب انجليزى ، ونحن ادق منهم صنعة ،
وأقوى منهم على المسائل الصلبة ، وهامى سيقتي وحشد حينئذ قلاعه ، ووافقت الرياح ، فبقينا فى
البحر بين أيام الرجوع الصلبة والتيسير ، تسعة عشر يوما ، فوافق نزولنا لمرسى مقصد المغاربة ،
والمضاربة ، مدينة الاسكندرية ، أشر يوم من رمضان ، واجتمع لنا بذلك عيدان عيد الفطر
وعيد السرور بالخلص من البحر ... ثم قال

« ثم سافرنا فى وادى النيل بالمشاع ، وسافر الوالد من موضع يقال له كافور
الزيات ، لزيارة ولى الله سيدى محمد البهوى ، وفى اليوم السادس وصلنا القاهرة مصر ، فلقينا
خارجها ولى الله البركة ، المتدى فى السكون والحركة ، السيد محمد السعيد الفاتنى وجدناه
سيدها من المدينة ينتظرننا منذ صبح خير الوالد ، وهو ولد سيدنا ومولانا محيي الدين ، فمضى بنا
الى داره ، حكنا بها اثني عشر يوما ، ونحن جميع الرفقة طامنا من داره ، غذاه وعشاه ، وأخيبنا
بموضع يقال له « بركة الفل » ، ورأينا يدار مرضى الله تعالى عنه ، من اجتماع العلماء ورؤساء
البولة عنده فى كل وقت ، ما فيه معلوم لمن يهمل قدره ، ومفتن « لمن يأمل أجره » وشاهدنا من
برحم بالوالد وأدبهم معه ، وتخطيه ما يزهى الناظر - وعفى معنا لزيارة الحسين عليهما السلام
والامام الشافعى ، وأهل القرافة الكبرى والصغرى والجامع الأزهر ، ما يهر وأضر ، ثم بمسح ، زينا
علماءا المحققين ، كالشيخ على الليل ، والشيخ فراج ، والشيخ محمد ابن الأمير وأمثالهم ، ثم

سافروا يومين: وليلة الى مرسى بحرس سويس ، فلقينا ضابط مدينتها باكرام وتبجيل . وعين لنا مركبا مع وقتنا ، رئيسه اسمه الرئيس سعيدمان ، وحليفه اسمه يحيى ، وركبنا باذن الله وعونه . بعد صلاة الجمعة . وفي اكثر ايامها نمشي بالبحر ، ونرى بالليل . لما في البحر من كثرة الحصى ، التي تهتك العلك ، فادسها على ينبوع البحر في تاسع يوم من سفرنا ، ثم ذكر وصولهم الى جنة بعد ما وقعوا برايح ، حيث احرموا وصيغهم الرئيس سعيد بمنزله في جنة ، وبعد ان توه بالصياغة ، وقال انها اشتعلت على الاكرام المعجوز عنه من كثير من الناس ، واصل حديثه بقوله « وسرنا منها ليلتين ويوما بالثلثية والتهليل الى ان دخلنا بلاد الله اكرام ، قبل العجر يقدم ساعة ، وبعد اداء المناسك ، ووصف وفود الحجاج قال . وقد فرغنا من مناسكنا حينئذ ، فجلسة اقامتنا لمناسك الحج ، والعمرة ، ستة ايامين يوما ، ثم سافروا مع الركب الشامي قاصدين الروضة الغناء الشريفة ، فاقمنا بها ، اياما عسورا . مقدار ما صلينا جنتين بسلامة المسجد النبوي ، وتلاوة قرآن ، ودعاء ، وإيتال ، الا ان نخرج لزيارة أهل البقيع ، من زوجاته ، وبناته ، ومن به من الصحابة والتابعين ، او لزيارة احد ، وقبر عمه حمزة ، او زيارة مسجد قبا ، ثم خرجنا ، مودعين صاحب الروضة ، زائرين مدينة السلام بغداد ، على طريق الشام لوجود الموصي قطاع الطريق ، الذين لا يتألمهم حكم سلطان ، ولا خوف الله « أم ملخص محتوى النقطتين اللتين اجاب عنهما الامير او بسمرة اصبح ، اشرف على الجواب عنيهما .

وقبل ان يواصل حديثه على بنية رحلته الى دارالسلام ذكر انه عند ما كان في الحج بلغتهم بعض اخبار البلاد . من جملتها ثورة ابن الشيخ التجاني على باي وهران حسن . والسبب فيها . ثم قال ان هذا الثاني هو اخو الشيخ الحالي ، الذي وقعت له مع حروب في عهده ، دعته الى محاصرة عين ماضي ثم انتهى هذا الحصار ، باستسلام الشيخ وأذعانه بعد تفرده ومخالفة الجماعة . وستعرض له في فرصة أخرى ، كما ستعرض للرسالة التي كتبها والده من جزيرة قبرص الى اخيه وأمله بالتيقنة وهذه الرسالة كانت مجهولة ، واكتشفت منذ سنوات قليلة وقد كتبها بعد ما قضى سنتين في الشرق ، وهي تختلف عن رسالة الامير حيث أن والده اقتصر في رسالته على الاموال اللاتي لاقوها في مصر ، بسبب الحرب بين محمد علي والمماليك وفي الجباز بسبب الحرب بين امير مكة والوهابيين ، ويظهر انه كتبها في طريق رجوعه من جزيرة قبرص . وبعد ان وصف الجزيرة ذكر انه يستامته مع رفاقه على موعد اللقاء بالاسكندرية حيث عزم على الرجوع برا ، لزيارة قبر والده والسمه دفن بركة (ليبيا) ولم يذكر ولده الامير في رسالته ، مع انه ذكر حل رفاقه الذين كانوا من حبات مختلفة بالقطاع الغربي ، كما ذكر في رسالته انه ترك واحدا منهم مريضاً بإمجان (شرق الاردن) واكثرى له مسكناً بطلية ، واعترف انه لم يجد ما يدفع به كراء هذا السكن . حتى ياع كساره . وتعرض في رسالته هذه الى ذكر المسافة التي قطعوها بين مصر وجدة . وهي رسالة قيمة ، بالنسبة لتاريخ حياة الامير وتاريخ الجزائر . نتمنى ان يهتم بها اي بالرسالة والتذكريات ، بعض الباحثين ، اذ تشتمل على صفحات من تاريخ البلاد تصحح كثيرا من الاغلاط والاشطاه .

موقف بايات تونس من ثورة الأمير عبد القادر

أن تاريخ الجزائر يجب أن تعاد كتابته
وصياغته من جديد من واقع الوثائق الجزائرية
الاصيلة التي لم تر النور بعد حتى الآن ، والتي
تتكس في دور المخطوطات والوثائق الأجنبية ما
وراء البحر ، وفي البلدان المجاورة للجزائر
خاصة تونس والمغرب الأقصى ، وفي دور
المخطوطات التركية .

يحيى بوغزمز

ولقد سبق لمجلة « الأصالة » أن قامت ، مشكورة ، ببادرة طيبة في هذا الميدان ، فاصدرت
عددا حافلا بالدراسات القيمة حصول موقف المؤرخين الاجانب من كتابة تاريخ الجزائر ،
وطريقتهم في ذلك ، وهذه الفكرة هامة وضرورية ، لأن المؤرخين الاجانب ، والفرنسيين على الاخص ،
كانوا يصوغون الحقائق التاريخية من وجهة نظر خاصة تستهدف اساسا تبرير القزوه
الفرنسي للجزائر وتمعيم وجوده وبقائه بها . ويؤرخون لاحداث الجزائر بالتبعية فقط لتاريخ
فرنسا التي يحلو لهم ان يعبروا عنها بالبلد الام ، كان الجزائر يتيمه لا اب لها ولا ام الا فرنسا ،
ولا تراث لها الا تراثها .

ثم ان جهل هؤلاء المؤرخين الفرنسيين لفة العربية جعلهم لا يستطيعون استيعاب ما في
الوثائق العربية من حقائق واحداث صحيحة ، ويكتفون بتجليص بعض احوالها بصورة مشوهة
تندعيم وجهة نظرهم المتحيزة .

ويمكن ان نضيف الى هذا الهم ، بحكم الاحتقار والاستخفاف الذي يكونه للعصر الاعم لم يكونوا يعطون الاهمية لانكار الجزائريين التي سجلوها في وسانهم ووثائقهم ويعتبرونها من قبيل التافه والمراعات ، اللهم من كان في نظرهم خطيرا على السيطرة الفرنسية ، فتراهم يتبعون كل حركاته وآثاره ليعبروا الاحكام التي سيصممونها ضده .

وفي اطار عملي لاستكمال المعلومات حول دراسات الجامعة التي اقوم بانجازها واعدادها منذ عدة سنوات حول : « دور المقراني والحداد في ثورة 1871 » اتيج لي ان اطلع واكتشف المزيد من الرسائل والوثائق الجزائرية حول ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر بدور الوثائق في باريس ووزارة الحرب ، وايسك ان بروفانس ، وفي قسنطينة ، وتونس .

وبينا انا انقب وابحث في دار الوثائق للحكومة التونسية اواخر شهر ديسمبر 1973 اكتشفت عددا كبيرا من الرسائل لعدد من زعماء ثورات الجزائر في القرن الماضي امثال : بن ناصر بن شهرة ، والشيخ محمد الكيلوتي ، والشيخ الحسناوي ، والامير عبد القادر ، وابنه محمد ، والحسن بن عزوز ، ومحمد الصغير بن عبد الرحمن وغيرهم ، ورسائل أخرى لشخصيات وممينة تونسية وعثمانية حول أحداث ثورات هؤلاء الزعماء وغيرهم ساحاول نشرها بحول الله في مستقبل الأيام .

والتي ، الذي استلقت نظري في هذه الرسائل هو ان كثيرا من الاحداث التاريخية الشائعة في تاريخنا ينبغي تصحيحها من واقع هذه الوثائق الجزائرية التي لم تر النور حتى اليوم . كما ان الثغرات الكبيرة التي تتخلل كتابها الوطني خلال الفترة الاستعمارية لا يمكن ان تصد الا بالموثقة الى هذه الوثائق نفسها .

فالذي يكتب اليوم عن ثورة اولاد سيدي الشيخ لا غنى له من البحث في دور المحفوظات المغربية ، ولا ينبغي الاطمئنان ابدا لما كتبه ونشره الفرنسيون حولها ، وكذلك الحال بالنسبة للنبي يكتب عن ثورة المقراني والحداد ، والزعاطفة ، والامير عبد القادر ، لا بد له من العودة الى دور المحفوظات في تونس والمغرب ، واسطنبول وغيرها لفرض نفسه .

فلقد كان شائعا مثلا من الكتابات الفرنسية ان الامر عبد القادر كان ضد ثورة المقراني والحداد عام 1871 ، وذلك استنادا الى الصيغة التي اثارها ضد ابنه محي الدين الذي التحق

بالتوازي في منطقة الحدود الشرقية للجزائر ، فتراثا منه « وكتب رسائل استنكار الى الحكومة الفرنسية بوردو والى وزراء تونس ، وقباصل فرنسا في دمشق وطرابلس الغرب » والى قاضي محسني باجران » (1)

ولكن اكتشفت في دار المحفوظات التونسية رسائل للأمير عبد القادر وجهها للرئيس التونسي يحنهم على تقديم المساعدات لاولاد معقرا ومن مهم من اللاجئين وما قاله في رسالته الى مصطفى خرنندار : « انه بلغنا دخول الفقة المقراتية واولاد يلس في دائرة دولتمك السامية لالذين بحماها المنيع مستعظمين جناها الوفيص مشهورين العرصة في دفع ما حل بهم من عظم المصبة ... فلما مول من الجناح السامي تصديق ظنهم والاعتناء بشاهم وان يلاطهم بعين الرحمة ويساعدهم بيد النعمة (2) واكد نفس الامر في رسالة اخرى الى الوزير خير الدين التونسي . بعد ان اشاد بخصاله وخصال السلطات التونسية (3) .

فلو كان الامير عبد القادر ضد ثورة اولاد معقرا لما طلب من الدولة التونسية تقديم المساعدة لهم بعد التجاؤم الى هناك ، وهذا يؤكد ان ممارسته لايته محي الدين لا تعني ممارسته باقوا التوار الجزائريين داخل الجزائر »

وكان شائما ايضا ان الامير عبد القادر لم يكن يهتم كثيرا بالمنطقة الشرقية من الجزائر لمدحها عن مركزه . ومعارضة الحاج احمد باي له ، ووجود الفرنسيين في الوسط عقبة في طريقه من نفوذته الى هناك . ولكنني عنيت على رسائل للأمير ولحقائه بالمسيلة ، ومنطقة يسكرة ، توضع بجلاء عنايته بالمنطقة الشرقية لم تكن اهل من عنايته بمركزه في الغرب . وما عاشر هذا بحول الله في دراسة خاصة مستقبلا ، واشير فقط هنا الى ان الامير متلا كتب رسالة الى السيد علي بن سالم يطلب منه فيها ان يستعلم له على المنطقة الشرقية حتى طرابلس ، وقال له : « ثم انه لا بد منك ان تذل جهدك في استقصاء اخبار الشرق من

1) Louis Rinn : *Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie*. (Alger 1871) pp. 105-110

2) ارشيف الحكومة التونسية ، صندوق 78 ، ملف 929 ، وثيقة رقم 64 بتاريخ 25 ربيع الثاني 1289 (2 جويلية 1872)

3) الحمد السابق ، وثيقة رقم 65 بتاريخ غرة ربيع الثاني 1289 (8 جوان 1872)

طرابلس ، ليكم ونعرفنا بها على ما هي وتبين لنا صحيحها من غير مفصلة بحيث لا تحتاج الى
سؤال غيرك » * (4)

وكتب الى الشيخ الحسن اوى الحناشى الثانى بالاوراس يعثه على الجهاد ويعول له : « وبعد
ايها الفارس المجاهد الصابر المكابد اسمع اسمعك الله خيرا ووقاك يلقطه خيرا ان الجهاد شعاع
الانبياء وحرفة المؤمنين الاتقياء فاحمد الله الذى ارشدك اليه وسله ان يثبتك ويمينك عليه » * (5)

وراسل باى تونس احمد باشا ووجه اليه هدية عشر خيول وبعض النحف وذلك من اجل
ربط الصلة معه ومما قاله فى رسالته الى محمد بن حسن باى الوزير التونسى : « فانا قد بعنا
اليكم من يقوم مقامنا فى التهنة وعقد المحبة بيننا وبينكم وحسن الجوار معكم » فاستوصوا
بالخامنين خيرا ودعوا مهم موقف الكرام عند المصطفى السيد احمد باشا » * (6)

ولم يتوقف الامر عند محاولات الامر عبد القادر نفسه فقد بدل خلعاؤه وتوابه نفس الجهور
مع سخطات تونس من اجل دفعهم جبهة الكفاح ، ومما قاله الحسن بن عزوز حاكم المسيلة الى حمودة
باشا باى : « فان طهر بك ان تكون وصية يبيك وبينه (اى الامير عبد القادر) فى المعرفة لتزول
لامور المختلفة وتجتمع الكلمة الشريفة ونحصل فى قوله تعالى : « ولا تنزعوا فتغسلوا وندع
ويعكم » * وفى دوله : « تعاونوا على البر والتقوى ... » فتحن بذلك بمشاه وبائياتها حلاء ،
ولم يكنف بهذا فحذره من معبة صداقته للفرنسيين وقال له : « نعم وانت كن فطنا ليبيبا عاقلا
واطر عانة الامور من حاسب الكفرة ولا تطعن ردهم من جانب الحب بل من جانب المكر والخديعة
لا غير وما شغلهم عنكم الا نحن ونولا نحن لرجعوا اليكم وما نحن مشغولون الا بهم وانت
ما والينا والحب بيننا عاين ولا حتى لا يتفك ابدا والسلام معاد عليكم » * (7)

(4) المصدر السابق - وثيقة رقم 40 بتاريخ 6 ربيع الثانى 1263 (مارس 1847) *

(5) المصدر السابق - وثيقة رقم 41 تحمل نفس التاريخ السابق *

(6) المصدر السابق - وثيقة رقم 42 ووثيقة 35 ووثيقة 36 *

(7) المصدر السابق - وثيقة رقم 33 لا تاريخ لها *

واكد هذا في رسالة أخرى لنفس الشخص وقال : « ومن جملة ما ذكرناه للسيد أحمد باشا على ان يشتموا (كما) ان تكونوا اسم والسلطان السيد الحاج عبد القادر على رأى واحد ليقبر الدين وتجنب كلمة المسلمين » - (8)

ان كل هذه الجهود من طرف الامير عبد القادر وحفائه توضح الاعمىة التي كان يوليها بلجيحة لشرقيه ، ولدور تونس فيها سلبا وايجابا وحظورة الموقف الذي ستتخذه على مستقبل كمالح الجرائر .

ولكى بايات تونس كان لهم موقف آخر معارض ومصاد . فقد كانوا ضد ثورته وعارصوا *
توايهم ووكلائهم في تقديم اية مساعدة له . والرسائل الثلاثة التي سسمرعها في هذه الدراسة هي موضوع هذه القطع بالداث * وقبل استعراضها لابد من تسجيل الملاحظتين التاليتين :
اولا . ان الامير عبد القادر لم يكن غائلا عن المصادر التي يمكن ان يحصل بواسطتها وعسن طرفها ، على السلاح من الخارج ومنها حل طارق الثنى يسيطر عليه الانجليز والذي يستر براءة هامة لقادة المقاومة لكي يربطوا صلاتهم بمسئلهات من أوروبا التي تتوفر فيها الاسلحة الضرورية لكفاح والمقاومة ، وقد كانت صلات الامير عبد القادر بالحكومة الانجليزية عن طريق مسؤوليها يحل طارق ، وكشف الدكتور الميمى اخيرا عن عدد من هذه الرسائل * (9)
ثانيا : ان معارضة بايات تونس لشويرة الامير عبد القادر من خلال معارستهم لوكيلها طارق الذي قدم مساعده للامير عبد القادر ، يؤكد موقفهم السابق من تأييد الاحتلال الفرنسي لبحرائر * (10)

المحل الى الوثائق الثلاثة :

لقد كان لبايات تونس وكيل مقيم بجس طارق مثابه تفصل لميلتهم يدعى زاكى كولووز على عرار التركلاء الاخرين في بلدان ومدن أخرى بالغرب العربي ولوروبا *

- (8) المصدر السابق . وثيقة رقم 34 لا تاريخ بها .
(9) الدكتور عبد الحليل الميمى : **بحوث ووثائق في النوايخ المغربي 1816 - 1871** (الدار تنويسيعة للنشر - مارس 1972) * ص 197 - 229
(10) الدكتور ابو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال** * (مهد البحوث والبحوث العربية) القاهرة 1970 من 132 - 133 وما بعدها *

وحلال تردد رسل الامير على جبل طارق للاتصال بالسلطات الانجليزية للحصول على تأييد منها له وعلى ما يمكن من الاسلحة ، اتصل هؤلاء الرسل بوكيل تونس واحكوا الصلة بينه وبين الامير عبد القادر ، فاصبح يساعدهم على جمع بعض الاسلحة وادوات الحرب وعلى تنظيم الاتصالات مع الغير .

وسا ان علاقات البايات بالامير غير حسنة وليست وثيقة ، وتوقع ذاكى كرطوزو ان يقوم بعض الوشاة بإبلاغ البايات بتونس لثبارة مساعدهه للامير فانه اراد ان يسبقهم ويبلغ الماء . بغير عمله مع تبرير ذلك فكتب اليه رسالة قال له فيها : « والمنهى لسيادتكم انه كتب لنا المجاهد سيفى الحاج عبد القادر بن سيدي محى الدين ان اتب مع وكيله فى قضاء مآربه بجبل طارق وشراء آلة الحرب الذى يحتاج اليه لا يعلم اننى خديكم وسلم انه محب لثنايكم فاعفنا (كذا) مع وكيله خفية حتى قسى الثوب وتوجه الى تطاون فاذا بلغ سيدنا خير عن ذلك فقد انهيماء اليه قبل ان يصل حصرتكم الشريرة » . وبما انه كان يتوقع ان يكاتبه الامير عبد القادر مرة أخرى ليطلب المساعدة فقد استمر الى الباي قائلا : « فان اذن لنا سيدنا بقضاء ما يحتاج امتثلنا امرك ولا تأخرت ولا تنصى امرك ان شاء الله » (11)

كان هذا حوالى عام 1841 - وبعد عدة سنوات ، قام ذاكى كرطوزو بتسليم جوازات سفر تونسية الى بعض المواطنين المغاربة غير التونسيين فكتب اليه الباي رسالة ويحه على ذلك ، واغتنم الفرصة وذكر له بانه علم بكونه يقدم اعانة وصاعدة للامير عبد القادر وعفاه على ذلك معنيا ان علاقة تونس مع فرنسا حسنة ولا يمكن ان يعين من يتور عليها . ومما ذكره فى هذا المعنى قوله : « اما بعد فانه بلغنا أنك كتبت بصيرتات (جوازات) لانا من غير ايلتنا القائمين على حكام الدولة المعنفة دولة المظم سلطان الفرنسيين وكذلك بلغنا ان عندك خلطة مع عبد القادر باعانه فى بعض مهماته نضفنا من سماح ذلك لان دولنا مع دولة فرنسا فى غاية المحبة والصفا لا نسين القائم عليها بوجه مشعل غيرها حسن احبائنا الدول » . (12)

وقد رد عليه كرطوزو برسولة طويلة برز فيها قضية الجوازات بكون : « الذى اعطيهم الباصابودات تأس مساكين واغراب (كذا) وحما من دولة المغرب ولم تدروا (كذا) على خلاص

(11) ارشيف الدولة التونسية - صندوق 78 ملف 229 وثيقة رقم 4 .

(12) اسدر السابق ، وثيقة رقم 5 .

الباصاوير من قلة ما بأيديهم » يعنى من حاله ، وبرر صلاته بالامير عند انقادر بقوله : « ولى عليه مقدار ستة ذاق (كذا) ريال ترتيبت لى عليه من المقضيات الذى كنا كنعى (كذا) له » وأونسج بانه اذا قطع صلاته منه « ربما يضيما ذاك (كذا) الدرهم » .

وأعلن به فى الاحير بانه مع ذلك هو مستعد لقطع العلاقات مع عبد القادر ، وحتم رسالة باعلانه مان سلطان المغرب الاقصى يتصل به كذلك ليقتضى له مأربه (X3) وذلك ليظهر له مركزه الكبير ويزيل بعض الشكوك التى اصصحت تساوره نحوه

ان هذه الوثائق الثلاثة تكشف بوصصوح صعب بايات بوس وعدم قدرتهم على مواجهة ضغط الفرنسيين مما جعلهم يقتلون طهر المحن لنامير عبد القادر ولكن من زعماء ثورات الجزائر فى اقربن الماضى -

غير ان هذا الموقف لم يكن قابعا عن عقيدة وايمان منهم والدليل على ذلك ان بلاد تونس كانت على الدوام ملجأ لحرار الجزائر المكافحين الذين ترغمهم الظروف على النجوى الى هناك = كما ان الشجصيات الرسمية التونسية من غير الباياب كالوزراء والولاة والاعاوات فى العاصمة والاقاليم كانت لهم مواقف مشرفة تكشف عنها الرسائل التى يزخر بها ارشيف تونس الوطنى . وهذا الموقف المشرف بقى حتى ثورة 1954 حيث كانت تونس قاعدة هامة لثورة التحرير الكرى ، وعانى الشعب اسونى بنفس القدر الذى عاناه الشعب الجزائرى من المحن وهو ما يؤكد وحدة الشعبين عبر التاريخ .

نص الوثائق الثلاثة :

الوثيقة الاولى :

الحمد لله وحده (14) ولا حول ولا قوة الا بالله تعالى .

مولانا الامير المجاهد ابو العباس سيدى احمد ابن المقيم القدر سيدى مصطفى باشا باى محروسة تونس وسلطان افريقية نصره الله واعطاه ما يعجب ويشاء والسلام على على (كذا) مقام مولانا ورحمت (كذا) الله وبركاته تسال الله دضاكم موجبه والتهنى لسيداتكم انه كتب

X3 المصدر السابق . وثيقة رقم 6 .

X4 ارشيف الدولة التونسية ، صنفوق 78 ملف 929 وثيقة رقم 4 . فى نهاية الرسالة طامع صاحبها الثانى وكتب داخله : عيده 1257 ذاكى كرتووزو وكبل وحق تونس بجبل طارق .

لنا المجاهد سيدي الحاج عبد القادر بن سيدي يحيى الدين أن ألق مع وكيله في قضاء مارب
بجبل طارق وشار، آلة الحرب الذي يحتاج لها يعلم أنني خديكم ونعلم أنه محب لجنايكم فالفنا
(كذا) مع وكيله خفية حتى قضى المارب وتوجه على تطاون (كذا) فإذا بلغ سيدنا خبر عن ذلك
فقد انهتاه إليه قبل أن يصل حضرتكم الشريفة وليعلمنا بأمره المطاع ربما يعود الكتب (كذا) اليها
المجاهد في قضاء ما يحتاج من أمور الحرب فإن أخذ لنا سيدنا بقضاء ما يحتاج امتثلنا أمره والا
تأخرت ولا نتمنى أمره أن شاء الله : والواصل اليكم على يد خديكم سيدي محمود كاهية عسك
كمان (كذا) وأما فلة المكتابة لمولينا (كذا) هي رعية للآب (كذا) فإن كان لسيدينا غرض شرفنا
بقضائه وما نحن إلا خدام سيدنا والسلام في 5 محرم الحرام عام فاتح 1257 (15) كتب عن الآن
خديكم زامي كروطوزو وكيلكم بجبل طارق *

الوثيقة الثانية :

الحمد لله وحده (16) *

المحترم بغضبتنا المنسوب لثقتنا الكواجر (كذا) كروطوزو وكيلنا بجبل طارق (كذا) أما
بعد فانه بلغنا أنك كتبت بصبرتات (17) لأناس من غير أياالتنا القائمين (كذا) على حكام الدولة
المفخمة دولة المعظم سلطان الفرنسيين وكذلك بلغنا أن عنكم خلطة مع عبد القادر باعانت في
بعض مهماته فتقربنا من سماع ذلك لأن دولتنا مع دولة فرنسا في غاية المحبة والصفا (كذا)
لا نعين العائم عليها بوجه مثل غيرها من أحيائها الدول لا نعين القائم عليهم بوجه بمقتضى العبة
وشروط الوفاء وانت من اتباع دولتنا فالواجب أن لا تفعل ذلك ولا تقرب حماء بحيث لا ينطرق
اليك وهم في أمثال هذه النوازل التي لا نرضاها ولا نمضيها ولا بد أن تحرر لنا مكتوبا في هذه
التألة صدر هذا من الفقير الي ربه تلي (كذا) بعبد الكثير احمد باشا بلى صاحب المملكة
التونسية 30 جمادى الاولى من سنة 1263 (18) *

(15) الموافق 27 فيفري 1847 *

(16) ارشيف الدولة التونسية - صندوق 87 ملف 929 وثيقة رقم 3 - ولا يوجد عليها طابع

اليد *

(17) أي جوازات السفر من الكلمة الفرنسية :

(18) الموافق ماي 1847 *



الفرنسية وحيدة

الجمهورية الفرنسية لرد لثبات الحقوق وكيلنا بجلال
اما بعد فانه بلغنا انك كتبت بصبي نزلت مناس من غير اننا اننا نجيب
في خلق الدولة فحينئذ دولة افعلهم سببها التي تيسر وكرهنا بلعنا
ان عندنا خلقت مع عرافنا وراعا ننه في بعض مملات بتغير بل
من مملات بلعنا دولتنا مع دوله برافنا في غايه المحبة والصلح
في غير القديح عليها بوجه من غير قامت احبا بنا الدول في نعيم
الناجح عليهم بوجه بقتضي الحسن ونسرك الوداد انت من اتبع
« ولتقلدوا لواجب ان لا تفعل ذلك وان تفرج جاء بغيره في غير
دهم في امثال هذه النوازل التي تفرجها في نعيمها وكرهنا
مكتوب بل في كتبه النازلة صدرت من النعيم التي
احدنا بل في كتبه الجملة ان نوصيه في حادي المردى
في حادي



11. 17. 56

உணர்வு

[illegible]

الوثيقة الثالثة :

الحمد لله وحده (19) ولا يلوم إلا ملكه *

أحمد الله وجود المؤيد بالله سيدنا أحمد باشا سلطان فرقية (كلدا) السلام عليك ورحمت
(كلدا) الله وبركاته أما بعد قبضنا الإعر كتابك تاريخه جمادى الأولى عام 1263 وقرأناه وفيه
مضمونه (كلدا) وخطابه وسعدنا (كلدا) منه صحتكم وعافيتكم لله الحمد إبقاكم الله حرًا متبعًا وما
ذكرت لنا سيدنا على سببة البصايرورات (كلدا) التي اعطينا للناس التي لم هما (كلدا) من دولة
سيدنا تعلم سيدي أن السلى اعطينا لهم البصايرورات ناس مساكين وأغراب (كلدا) وهما
(كلدا) من دولة المغرب واستعملوا بجاننا وشفتنا من حالهم واعطيناه لهم لله خالصا واعانهم بما
أطلق الله به على أيدينا وهما عندك فيه اخفى (كلدا) الجزيل من الثواب ومن الآن أن شاء الله
لما قبضنا الوردي (كلدا) من سيدنا لم باقي (كلدا) نعطيه أكثر لكلي لم هو من دولتنا وما ذكرت لنا
سيدنا على أننا كتبتوا (كلدا) (20) سيدي الحاج عبد القادر محي الدين تعلم سيدي أن ذلك صحيح
نراه صاحبنا من القديم مدة من سنين ونحن كتبتوا مع بعضنا (كلدا) وكل ما يكتب لنا عليه
كتفسيه له ولع عليه مقدار سنة ذا ألف (كلدا) ريال ترتبت لي عليه من المقضيات التي كنا كتفسيه
له ولع عليه مقدار سنة ذا ألف (كلدا) ريال ترتبت لي عليه من المقضيات التي كنا كتفسيه له ونتاج
لما يكتب لي نجاوبه لانه في مكاتبه يذكر لي يصتلي الدوام واذا (كلدا) انقطع عليه الجواب ربما
يفسحوا ذاك الدوام (كلدا) والآن لما اشتكوا لكينا وانت طلبتنا في تركا لعانته وكتابته ودخلوا
في صا (كلدا) سيدنا كانت طلبتنا في ذلك تركا كتابته على الراس والعين ونطق لما نفع
ذلك يفصح لنا المال الضعيف المذكور ولكن على وجهك من بعدها يكون أكثر من ذلك لم يفرنا
من فضل الله وسيدناكم وسيدي ج (كلدا) عبد القادر المذكور تعرفوا بالتحقيق أنه لم عنده
(كلدا) هنا في جبل الطريق (كلدا) ولا في بلن الروم من يتيق (كلدا) به بفى له سره ما عدا نحن
لأجل هذا لما نطقوا عليه يفصح (كلدا) لنا ما ذكر أعلاه وكذلك الشريف العلوي المنصور بالله
مولانا عبد الرحمن سلطان المغرب حتى هو يكتب لنا على سره ومصلح خسر (كلدا) كتجاوبه
وكيعنا (كلدا) بأمر فالحمد أحمد واذا خصكم ما يقضى (كلدا) نحن على الخيمة والطاعة والمولى يحفظكم
وبرعكم بمته أمين والسلام في 17 جمادى الثانية 1263 (21) خدمكم ذامي كرتونو *

(19) أرشيف للدولة التونسية * صندوق 78 ملف 929 وثيقة رقم 6 ليس عليها طابع صاحبها *

(20) يلاحظ على صاحب الرسالة أنه يكتب بالعامة المغربية بحيث يدخل حرف الكاف على

لاممال *

(21) الموافق حوان 847 هـ *

الأخداقيات القتالية عند الأمير عبد القادر

من كتاب مذكرات العمليات العسكرية ضد
القبائل (والمقصود بكلمة القبائل البربر والعرب
معاً) في الجزائر ، المتضمن تقريراً عن مهمة ميسو
سوشيه مساعد إسقف الجزائر العاصمة لدى
الأمير عبد القادر ، المتعلقة بتبادل الأسرى (باللغة
الانجليزية) : تأليف دوسون بورير السزميل

د . علي عيسى
كلية الآداب - جامعة الجزائر

NARRATIVE OF A CAMPAIGN
Against the
KABAILES OF ALGERIA
With
THE MISSION OF M. SUCHET
To the
EMIR ABDEL-KADER
For an exchange of prisoners.
By
DAWSON BORRER, F.R.G.S.,
Membre correspondant de la société orientale à Paris,
Author of
« A journey from Naples to Jerusalem. »
LONDON :
Longman, Brown, Green, and Longmans,
Paternoster-Row
1848

بالمجمل الجغرافية الملكية بلنغن (لندن : لونجمان 1948) امكننا ان نستخلص بيانات ذات القيمة تاريخية وسياسية بالنسبة للجزائر عن اوضاع البلاد في مواجهة الغزو الفرنسي لها اثنا السنوات الاولى من الاحتلال .

ويسرى ان اقدم هذه البيانات لمجلة الامصال لعددها الخاص بمناسبة الذكرى العتريس لاندلاع الثورة الجزائرية ، وعن هذا الكتاب ، اذكر انه من المكتبة الخاصة لـ سير ويليام مولسورث عثرت عليه في محل بيع الكتب القديمة في أحد احياء اليهود في لندن عام 1990 . ومن حسن الحظ ان لدى الانجليز عادة يبيع كتبهم الخاصة لحبي القراء وهم كثيرون لكي تتم فائدتها . وهي لاتباع الا لحال مع الكتب ويندر جدا ان تباع لغيرهم ممن قد يستخدمونها للسلح بها في المحال التجارية كما فعل الشعوب الي لا تقرا . ولو لم تكن هذه العادة لديهم لما كان في استطعتي ان اوفق في العثور على هذا الكتاب الذي ما ان وقع عليه نظري حتى قررت الا ادعه يفلت من يدي لاهمية القضية الجزائرية في ذلك الحين . والسطور اثنائية - بما تحتويه من نصوص وتلخيصات - مستمدة كلها من هذا الكتاب .

■

قام الفرنسيون بحملة كبرى ضد القبائل في السابع من ماي 1848 بعد مضي ثمانية عتسر عام على بدء الاحتلال الفرنسي للجزائر . وكان الباعث على ذلك حاجتهم لتقوية مركزهم ازاء اشتداد المقاومة من طرف الامير عبد القادر وعدم خضوع القبائل للعبادة . وقد سمحت اخلاقيات المستعمر لكي تبرر هذه الحملة العسكرية بان تنشر الاكاذيب عن القبائل البربرية والعربية ، مثل الادعاء بان البربر كانوا يشبون من يقع في ايديهم من الفرنسيين المحاربين ومثل ان العرب موحشون وماكرون . ولكن الدافع الحقيقي انه حتى سنة 1848 لم تكن فرنسا قد افادت كثيرا من الغزو وذلك لان هذه الحرب كلفت خزائنها الكثير من الاموال : حوالي 1,000,000,000 فرنك فرنسي في الوقت الذي لم تحصل فيه من دخول الضرائب على الشعب الجزائري اكثر من 625 ، 773 ، 24 فرنك . فضلا عن ان الفرنسيين كانوا يفرضون الضرائب ويستولون على الاراضي والمناقصات الزراعية من الشعب والسيوف على رقابه . وكان يفتن المستعمر ان الجزائريين كانوا يقدمون للامر عبد القادر بانظام وتحمس وفي ظروف الحرب المصيرة كل ما فرغه عليهم من ضرائب ، وكانت تبلغ 1/20 المحاصيل من كل قبيلة يضاف اليها ضرائب على المال والتقطان وعلى التجارة والصناعة

مع غرامات على المخالعين اقلانل وضرائب استثنائية حسب متطلبات الجهاد . وازاء المقاومة المبيغة من الامير عبد القادر وجيشه قرر الفرنسيون شن حملة 1848 سالعة الذكر ، رغم الاعتراضات التي قوبلت بها فرنسا والصنائع التي قدمت لحكومتها من داخل البلاد وحارجها بان الجزائريين شديدي المراس وان محاربتهم لعرض اخضاع بلادهم اصصاعا كليا مستكلف فرنسا خسارة فادحة في الاموال والارواح والعناد .

ان الجزائريين كما هو ثابت في تاريخ كفاحهم حاربوا حرب مسلحين ضد كهار معتصبين - هكذا كان تصور الجزائريين للفرقة - ولم يمنعه هذا التصور وهم في اشد اطوار المقاومة من احترام السلطات المسيحية المحلية المسألة كما منرى فيما يلي :

3

من خلال وقائع هذه المعارك في عام 1848 تراسى الى علم الفرنسيين ان لدى الامير عبد القادر عبدا من الاسرى احتجزهم في تلمسان عاصمة الازاشى التي كانت ما تزال تحت سيطرته ، ولم تعرف اشبارهم الا عن طريق قائد الحملة العسكرية الفرنسية في السادس من جوان يوم اسفلان استيلائه على مسكره ، اذ عثر الفرنسيون عند دخولهم هذا الموقع على اسماء ستة وخمسين من الاسرى الفرنسيين ، منقوشة على جدران احسنى القلاع وفي اعلاما الصليب . وكان مكتوبا تحت اسمائهم الكلمات الآتية :

« نحن لا نعرف الى اين نصير ... اننا في حراسة الله ! » وعلق الاب موشيه نائب اسقف الجزائر العاصمة على هذا الانباء بقوله : « يا للهول ! ان قلبنا ليمزق لهذه الانباء المؤثرة ؟ » ثم قال : « لقد توجهت في الحال الى الاسقف مخاطبياه : لو عهدت الى « بالبحث عن هؤلاء الاسرى المساكين فلن اعود ندونهم حتى لو اضطرت والذهاب الى تلمسان لطلبهم من الامير عبد القادر نفسه » وعلم موشيه بعد ذلك ان الامير وعد بتسليم جميع من كانوا لديه من الاسرى الفرنسيين مقابل الافراج عن بعض كبار مساعديه والمحتجزين في سجون العاصمة وتسليمهم اليه شخصا . ويريرو يريرو ان الاسقف التمس من الحاكم الفرنسي آنذاك تحرير ثمانية من رجال الامير - هذا كان عندهم - وان فرنسا بدأت تمسك الهدايا لترسلها الى الامير عبد القادر تقديرا منها

لوعه السبيل : ولم يمضي يوم واحد حتى جاءت الهدايا والمواقفة على تبادل الاسرى ، وهنا يحدثنا سوشيه قائلا

« في نفس الليلة حيث هذا التبا :الساو الى احد كبار العرب المحتجزين وكان يزيـل مستشفى حسين داي... وهو الخوجة (الكسكرتير السابق) لـ بن سالم ، فناقش ويقت عليه علامات الصحة من الفرحة » واطلعت على قرار اخلاء سبيله ورافقه الى دار الاسقف حيث قضى الليل . كما ابلغت السبعة الآخرين السجناء... بأنهم سيكونون احرارا في اليوم التالي » واني سأقودهم الى مقار قائلهم وعائلاتهم وانتظفنا جميعا في الصباح وبصحبنا مترجم ومائس بحر الدابة التي تحمل هدايا عائلات الاسرى المرسلة من فرنسا الى الامير عبد القادر ... وفي يومائك كان ينتظرنا مبعوث من قبل نائب الامير ، الذي طلبت منه ان يبين لقولت الجزائر الحاصرة انني سأحضر بسرعة مع ثمانية من المتخصصين العربيه كانوا اسرى وانرج عنهم . وفي اليوم التالي جاء الرد بالامان وارسال مرشد ليدلنا على القنائل التي ينتسب اليها هؤلاء الاسرى ومكانها . وما ان خطوت داخل المناطق العربية حتى وجدت نفسي تحت تعوذ المجاهدين ... وقد تعرضت لحادث افزعتني عندما فاجأتني كتيبة منهم بالرأب والبنادق موجبة الى صدرى ... وبعد ذلك علموا بيميتي وتسلموا اسراهم واحضروا لهم الخيول ليركبوها ليقتصدوا قبالهم »

ويروى سوشيه بعد ذلك كيف كان يلقى الاحترام والاستقبال الرسمي الحافل من المجاهدين تقديرا لانغراضه الانسانية وهو في طريقه للقاء الامير عبد القادر ليسلمه وصالة اصناف الجزائر الماسة . ويقول انه في بعض الاحيان لم يكن يمنع حرية الحركة ولا استكشاف الاماكن التي بها كنائس في الطريق . حفاظا على اسرار جيش الامير عبد القادر وكان يقال له بصراحة ان الحيووش الفرنسية تعزو البلاد ومن حق المجاهدين تقييد تحركاته . وكان يردد دائما انه يحمل رسالة الى الامير عبد القادر ولا بد ان يسلمها اليه شخصيا في يديه ، ويوصله الى سهل شليف خلف مرشده وصل الى بعض الفرق النظامية لجيش الامير بقيادة ثابيه وهذه الفرق كانت تسمى الفرسان الحمر تمييزا لها عن الفسوق العربية المتطوعة غير النظامية ، وكان عبد الفرسان الحمر يتراوح بين ثمانية وتسعمائة مقاتل موزعين على المرتفعات القريبة لمراقبة تحركات العدو وقد اكرمهم نائب الامير وقاله جيش المنطقة الذي كان قد التقى به ذات مرة في عملية تبادل اسرى سابقة . وعرف سوشيه ان عليه ان يقطع مسيرة خمسة عشر يوم أخرى من هذا المكان حتى يمكنه

«مأينة الأمير» وابتدى استعدادده لذلك لكي يعود بالأسرى أو يبقى معهم فى حالة رفض الإفراج عنهم • وقيل له أنه فى الغالب يكون الأمير قد انحله له مقرا جديدا فى تقديمته بعد سقوطه عسكريا • وكان طوال الطريق موضع احتشام وإكرام من القوات الجزائرية والسكان • وأعجبه جدا من الإطعام الجزائريين إحاطتهم به فى كل مكان حتى به يسألونه عن الزى الذى يرتديه وعن مهمته وديانته أثناء اجتيازه مناطق قبائل بني عطف (!) وبني سنخير وأولاد عباس .

4

ويذكر سوشيه أن ظروف القتال والتكتم حصته يكاد يفقد الأمل فى معرفة أين يوجد الأسرى وأين مقر الأمير عبد القادر • والحقيقة أن الأمير كان مشغولا بعض الوقت عن لقاء سوشيه ، لابلأغ أوامره وتعليماته للقبائل بالابتعاد عن طريق المرأة وسرح العمليات العسكرية حتى لا يتعرضوا للاختطاف ، وبعد جهد جهيد أخير شيجان طاعنان فى السن سوشيه أن يذهب صحتهما إلى سهل غريس - وبعد مرورهم بواد موسى أعلن أن الأمير موجود وسط حديقة كروجر ويرتقال • ثم جاء ضباط عظام من طرف الأمير لاستقباله وقادوه إلى الأمير الذى كان يجلس على الأرض بلا فراش فى ملابس بسيطة كأي جزائري من عامة الشعب ، قوامها حائك عادى مع برنوس أبيض اللون • ولم يكن يحمل سلاحا البتة فى هذه المقابلة • ويذكر سوشيه أنه عندما وقص نظره على الأمير تراجع لينظم ملايسه ويسلم رسالة الأسقف ويطلب الإذن بالمقابلة • وبعد دقيقتين أذن له الأمير فى التسول عليه .

ويصف سوشيه الأمير بقوله : عمره حوالي الخامسة والثلاثين ذوقامة متوسطة ، على صحياه مظاهر عظيمة بتواضع ، وجهه بضاوى • ذو لحية كستنائية وبشرته بضاء مائلة إلى الصفوب رغم أن الشمس قد أكسبتها اللون البرونزى • وحينا بصمت يدور عليه التفكير والإحشام • ولكن عندما يتكلم تتحول حديقته بالتدرج إلى أن تصل إلى بريق أحاذ • وحينا يتناول الحديث الدين يفرق قليلا ثم يرفع عينيه للنسياه كأنسه يتلقى الوحي • أنه رجل بسيط فى أحواله • وإذا كان هناك موجب للضحك فقد كان يضحك بلا تزم مله شديقه • وكان يبدو أن منظرى دائرى المسيحي قد لغت نظره • وقال أنه كان سعيدا لأن يرى قسيسا كاتوليكييا لأول مرة • وبعد تسلاوة المترجم لخطاب الأسقف كان الأمير مسرورا وبدت عليه علام الرضى التام - ورد على سوشيه قائلا :

« انى محب كما تمجب انت نفسك تماما بروح العطف والاحسان التى لدى الاسقف »
انى اعرف كل شئ - (ثم يتحسس استطرده) اننى اعرف كل ما فعله من اجل الجزائر وانه لموضع
تجيب كبير منى » *

واجاب سوشيه بانه يطلب الاذن باطلاق سراح الخمسة والستين اسيرا فرنسيا الموجودين
لدى الامير - ويرد الامير بوعيه السياسى الفائق بقوله :
« اننى لا استطيع اجابة وغيات الاسقف حيث ان انفرنسيين لم يعيدوا البنا جميع العرب
الامرى لديهم بلا استثناء »

ولكن عندما ابلغه سوشيه بان شروط تبادل هؤلاء الاسرى الذين جاء من اجلهم لم تتضمن
الادراج عن كل الاسرى العرب وانه سلم النماية الكبار الى قبائلهم وان الاسقف لا دخل له فى
السياسة ، اقصع الامير واحترم الشروط - ثم قال على الفور :
« ان اسراكم سيطلق سراحهم على الفور - اليسوم - ومسحضرهم من وعمران حيث
احتجزناهم .

ويرى سوشيه حديثا ممتعا فى الدين بينه وبين الامير - وما جاء فيه قول الامير :
« اذا كان دينكم (الكاثوليكي المسيحى) على هذه الدرجة من الجسار والمطب والاحسان
فلماذا لا يرعى كل الفرنسيين دينهم ؟ »

واجاب سوشيه بان الامر لا يختلف فى كون الديانات وانه ربما كان بين المسلمين اصحاب
الدين الاسلامى الرائع من لا يتبعون قواعد دينهم - فاقنع الامر بهذا الجواب بلا ادنى تصبب *
وبخصوص الهدايا التى حملها سوشيه قال الامير :

« اننى اتقبلها فقط لانها من الاسقف » وما كنت لاقبلها من أى فرنسى آخر ، كنت
سأرفضها » *

وحينا طلب سوشيه اذن الامير بان يرسل الاسقف احد التساوسة لى مجموعة فرنسية
تقع فى الاسر لكى يرعاهم سمح الامير بذلك * ثم حمل سوشيه ردا مكتوبا منه الى الاسقف انطوان
فى العاصمة بتاريخ صباح يوم الجمعة الموافق 28 ربيع الثانى عام 1257 هـ يعرض احلاما عالية

واحتراما لكل عمل انساني وينبع فيه حبه لهذا الاسقف - هذا الخطاب يدل على أن ظروف الجهاد ضد الفرة لم تمنع الامير عبد القادر من التمسك بالاخلاقيات القتالية الفاضلة التي تميز نموذجها للسلوك الحربي لم تبلمه بعض الدول المتحاربة في هذا النصف الآخر من القرن العشرين * ولا نسي أن يسجل أن الامير منذ قرن وربع قرن أخذ بمبدأ الحوار بين المتخاصمين وأبدى استعدادا للتفاهم والتعايش مع عقلاء المسيحيين لو كانوا من نوع الاسقف الجزائري ، وبذلك يعد رائدا للسياسة الحديثة في عصرنا الحاضر *



ظلم المحكم

في إمارة الأمير عبد القادر

إن الأمير عبد القادر الجزائري الذي ولد في القبيطة من نواحي مسكر سنة 1807 ومات بدمشق سنة 1883 م قد سجل صفحات لامعة في تاريخ الجهاد بالجزائر بعد الاحتلال الفرنسي لها سنة 1830 وقد لفت جهاده للرأي انظار السياسيين الاوربيين اليه وانظار المسلمين التي كانت تتابع باهتمام جميع انتصاراته الحربية في مختلف معاركه مع جيوش الاحتلال الفرنسي *

لمرحوم
دراج بونار

ودامت حروبه للمستعمرين الفرنسيين من سنة 1832 الى سنة 1847 م حيث اضطر الى التسليم لاسباب مختلفة * بعضها يعود الى كثرة الجيوش الفرنسية التي كانت تعاربه وإلى تدهور الأوضاع الاقتصادية للمنطقة الوهرالية التي خلفتها الحرب ونج عنها ضعف الفلاحين وحوادث الجاعات وقلة تموين الجيش الشعبي وبعضها الآخر يعود الى اسباب أخرى *

بجيت الجزائر يوم الجمعة 25 أكتوبر 1974 بولادة احمد رجالها الصالحين المغلصين في الشأن الثقافي وهو الاستاذ راج بونار

وكان الأستاذ الفقيه من كتاب « الاصاله » عند نشأته حتى وفاته وهذه الدراسة عن نظام الحكم في إمارة عبد القادر
المرحوم له « الاصاله »
رحم الله الفقيد ورحمة واسعة * « الاصاله »

وقد نقل الأمير بعد تسليمه الى فرنسا وسجن بها الى أن أطلق سراحه سنة 1858 م ثم انتقل منها الى الاسنانة التي أقام بها مدة ثم غادرها الى دمشق حيث أمضى فيها بقية حياته .

إننا ذكرنا هذه اللوحة لتشهد بها الحديث عن نظام الحكم في إمارة الأمير عبد القادر .

وهذا الجانب من نشاط الأمير عبد القادر قد لا يصير كثير من الباحثين السياسيين ما يستحقه من عناية وتقدير على ما فيه من عبقرية إدارية ونشاط اجتماعي خلاق ولكن الباحث الاجتماعي والقانوني قد يقف عنده كثيرا ونحن هنا نريد أن نذكر صورة موجزة عن هذا النظام الذي تموزنا مراجع كثيرة للحديث عن أجهزته المختلفة مكتفين ببعضها ما أمكننا الاستفادة منه مثل تحفة الزائر (1) وطرس الأخبار (2) وكتاب الجزائر (3) وتاريخ إفريقيا الشمالية لا ندري جوليان وغيرها .

ولما كان نظام الأمير عبد القادر الجزائري يقوم على نظام البيعة الإسلامية فينتهي أن تذكر إجراءات بيعته والحوادث التي وقعت فيه وصك هذه البيعة .

بيعة الأمير : يبيع الأمير عبد القادر بيعتين كانت الأولى منها سنة 1832 م وقد بايعه فيها بمسكن قبائل غريس وأعراب المنطقة كلها وذكر لنا صاحب التحفة أن الناس بايعوا الأمير البيعة الأولى وجاء في صك هذه البيعة . أن الله يعصى بالسلطان ما لا يعصى بالفران وأن الوطن في حاجة الى الدفاع عن حياء وأن أهل المل والقعد وزعماء القبائل والإعيان والعلماء والصالحين قد توجهوا الى الأمير وقالوا ان قبول الولاية قد تبين عليك وقد توفرت فيك شروطها من عدل وشجاعة وعزم وعصية من غير طلب منك لها . فرضى بالترشيح لها وبايعوه على أن ينصروه في السراء والضراء .

ولما تمت هذه البيعة أرسل علماء غريس منشورات الى القبائل يدعونهم فيها الى طاعة الأمير وبيعه (4) .

(1) محمد عبد القادر الجزائري : تحفة الزائر في تاريخ الجزائر تعليق ممدوح حقي (بيروت دار اليعاقبة العربية) ص 155 .

(2) الرقي محمد : طرس الأخبار -- سيطوط الحزاة الملكية بالرباط تحت رقم 5496 ص 21

(3) توفيق المدني . كتاب الجزائر .

(4) اندري جوليان : تاريخ إفريقيا الشمالية بدون تاريخ ص 597 .

البينة الثانية :

ثم وقعت البينة الثانية - وكانت اعم من الاولى سنة 833 م وجاء فيها ان بينة الامير تستوجب لزوم الطاعة له في القول والفعل لاقامة العدل وجمع الشمل ومহারبة العدو وتمت في 13 رمضان سنة 1248 هـ (4 فبراير سنة 833 م) وهكذا تمت بينة الامير نهائيا وقد برزت بهما دولة شعبية تحكم باسم الشعب ولغاثة الشعب فكانت دولة ديمقراطية بحق فترة كان فيه قيام الدول الديمقراطية في العالم العربي قليلا او متعلما *

وقد حقق الامير في فترته القليلة ما التزم به أمام الشعب فكان اميرا عادلا في احكامه وكان قائدا حرييا محبيا في جهاده وكان شعبيا لى جميع تصرفاته *

وقد حدثنا كاتب المامى زار الجزائر في ايام حروبه سنة 837 م لقال فيه (6) كان الامير يسوس رعيته بالعدل ولم تقل عمليات الاعداء متعلما قلت في ايامه والجدير بالذكر انه لم تقع محاولة لاغتياله حتى في ايام محنته وعزيمته . في حين ان اغلب الدايات كانت لهم نهاية دموية .

تشكيل حكومته :

قامت حكومة الامير عبد القادر بمدينة معسكر على انتخاب عام له كرئيس اعل للدولة ولم ينتخب الناس معه من سيكونون اعوانه في الحكم وهذا اعم فارق يفرق بين حكومة الامير والحكومات المصرية ، بل تركوا امر تعيينهم له وقد اختار اعضاء حكومته من وجالات القبائل وذوى الصبغة فيهم لتولى مسؤوليات الحكم كما اختار العلماء ايضا *

واذا حاولنا ان نميز بين السلطات الثلاث : التشريعية والتنفيذية والتضائية في جهاز امارة الامير فاننا نجد بعض الصعوبة لايجاد معالم واضحة لكل سلطة على حدة *

(3) طرس الاختيار ص 21 *

(6) مونتير ماغندر : الامير عبد القادر ترجمة ابن الميذ دودو بلماجد الاسبوعي العدد 509 -

24 ماي سنة 1970 ص 30 - 31 *

السلطة التنفيذية :

- تعتبر السلطة التنفيذية هي أهم السلطات، ونجد قمتها الأمير عبد القادر الذي كان رئيس الحكومة الأعلى والقائد الحربي ثم يليه جملة من الوزراء، وهم (7) *
- 1 - الوزير الأول وهو محمد بن العربي ومعه كاتبان هما احمد بن علي بن أبي طالب ،
والحاج مصطفى بن الهاشمي *
- وكان ينوب الأمير في كثير من المهام المدنية والعسكرية *
- 2 - وصاحب الأمير وهو محمد بن علي الرحاري وكان يقوم بدور الوساطة بين الأمير والمواطنين والربعية والاياب *
- 3 - ناظر الحرية أو وزير المال هو الحاج الجليلي بن مريجة ،
- 4 - ناظر الحرية الخاصة بالأمير والمقتصد الخاص بالأمير وهو محمد بن فاخة *
- 5 - ناظر الاوقاف وهو الحاج الطاهر أبو زيد وهو يتولى العناية بكل ما يتصل بالاوقاف والمساعد والتعليم على ما يبدو *
- 6 - ناظر الاعشار والزكوات وهو الحاج الجليلي العلوي وكان كسدير للنجابة *
- 7 - ناظر الخارجية الحاج بن الميلود بن عراش وكان - كوزير الخارجية -
ان هذه التشكيلة هي التي تتكون منها السلطة التنفيذية للأمير *

السلطة التشريعية والقضائية :

اما السلطة التشريعية والقضائية فان كليهما لم تكن مملكتها في امانة الأمير ودولته واضحة السمات ولا تمايزا الصلاحيات ، بل اننا نجد هاتين السلطتين متداخلتين في كثير من أعمالهما ، فالسلطة التشريعية لم يكن تفرعها مطلقا في كل الأمور يسأل كان خاصا ببعض اللوائح الادارية او ببعض القوانين الادارية وما يلحق بها من كل ما له صلة بالسياسة الشرعية التي يذكرها فيها. القانون الاسلامي وكان دستور الدولة هو القرآن الكريم واسنة النبوية وكانت

(7) نسخة الزائر ص 162 *

المدونة الفقهية التي يعتمد عليها الفقهاء هي مبنية الإمام مالك وما تفرع عنها من كتب المذهب المالكي كمتن خليل وغيره .

وقد تأسس مجلس السلطة التشريعية للأمة من مجلس سماه « مجلس الشورى » (8) وهو يتكون من أحد عشر عضواً من جلة العلماء ورئيسه هو أحمد بن الهاشمي الراعي وهو إلى جانب رئاسته للمجلس كان قاضي القضاة . وهذا ما يوضح لنا تداخل السلطتين معا في حكومة الأمير . وأهم ما قام به المجلس من نشاط هو نشر مدونة عسكرية فيها قوانين وإجراءات عسكرية وغيرها كتبها عبد القادر بن ربيعة في كتاب سماه « وشائج الكنايب » وأورد صاحب النجمة فصولاً منه .

وقام المجلس أيضاً بإرسال المناشير إلى القبائل وكان يتمتصا بالعصايا والنوازل التي تصدرها المحاكم الأولية يفصل فيها كما تفصل المحاكم العليا في الدول الحديثة في مثل هذه القضايا . وكان مقر المجلس يحضره محسكر وله مجالس أخرى فرعية في أنحاء القطر تتيمة وتقع تحت إشرافه وكانت هذه المجالس الشورية الفرعية تتولى أيضاً معالجة الأمور التي تقع بين الرعيّة وتتصل في الأحداث التي تقع في المقاطعة وكان تعيين أعضائها يقع على يد خلفاء الأمير في المقاطعات .

وكانت كل قضية يرفع فيها الفصل تكتب في سجل ويوقع عليه رجال الشورى وإذا وردت مالة خطيرة على مجلس فرعي مرفقا ورئيسه إلى المجلس الأعلى بالمخاضة محسكر ويستدعي الأمير بحضور جلسات المجلس ويعقد تحت رئاسته ثم يقع البت فيها .

السلطة القضائية :

إن قاضي القضاة - كما قلنا - هو رئيس مجلس الشورى الأعلى بمحسكر وأما القضاة الفرعيون فهم ينقسمون إلى قضاة الجند وإلى القضاة المدنيين . وهؤلاء القضاة المدنيون كانوا مبينين في مختلف المقاطعات الإدارية ففي كل مقاطعة قاض (9) يفصل في النوازل الشرعية على مذهب

(8) تحفة الزائر - ص 162

(9) النحلة - ص 309

الإمام مالك - وكان الأمير يشرط في القاضي أن يكون عالماً نزيها متحرراً للحق وجب لكل قاضي كاتبين أكرهما يقوم بدور المتني حيث يتولى مطالعة المتأوى ودراستها من مقتضى ما جاء في المذهب المالكي ثم يقدمها إلى القاضي ليحكم بها إذا كان موضوعها يتعلق بنزلة من النوازل الصغرى ، أما النوازل الكبيرة فكانت تحال على المجلس الكبير بالحضرة (ممسكر) .

إدارة الأمير :

أما إدارة الأمير وتعني بها سير حكمته في شتى مجالاتها فقد كانت إدارة محكمة تبدأ من رئيس الدولة وهو الأمير إلى آخر موظف في أجهزتها المختلفة .

وكان تعيين الحكام والخلفاء والفواد يتم بإمراسيم يقرها كاتب الديوان الخاص ويختتم على كل سطر منها بحاتم الإمارة وهو خاتم كبير الحجم نقش على دائرته بيت لبوصيري وهو قوله : (ومن تكن يرسل الله نصرته - أن تلقه الإسديني آجامها تجم) وتعثر على جوانبه (الله - محمد إيويك - عمر - عثمان - علي) ونقش في وسط الدائرة : (الواقع بالقوى المتين ، ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين بتاريخ سنة ١٢٤٨ هـ وكان عامل الناحية ويدعى الخليفة أيضا يتم تعيينه داخل ديوان الأمير وعند تسليبه لرسم التقليد يعطى له حاتم عليه اسمه ولقبه ، ويخلع عليه يرتس جوخ على حسب رتبته ثم يحلف على صحيح البخاري على أن يحسن السيرة والعدل في أعماله وأحكامه وإذا مات العامل رجع الحاتم إلى دار الإمارة بممسكر - ولم يكن الأمير يكتفى بسلوك عماله الظاهري بل كان يستعلم عن جميع أعمالهم وسلوكهم حتى لا يقع منهم جور . معتديا بفعل عمر ابن الخطاب وكان لتشدده في إقامة العدل لا يستعمل موظفي الدولة التركية ، لما اشتهروا به من ظلم وسوء سياسة » (١٥) .

التقسيم الإداري لإمارته :

وقسم الأمير إمارته إلى مقاطعات وكان عندها في أول حكمه قليلا حيث كان لا يتجاوز مقاطعتي تلمسان وممسكر ثم زاد عندها فصارت تشمل مقاطعات تلمسان وممسكر وتيطري ومليانة وبرج حمزة ومحانة وغيرها ، وكان على رأس كل مقاطعة عامل وحليفة - ثم قسم الأمير المقاطعة إلى

(١٥) الصفحة - ٣٥٧

دوائر ووضع في كل دائرة آغا وهو رجل عسكري يحكم تلك الدائرة وكان في كل دائرة قائل
تتضمن على بطون وعشائر * وقد جعل على كل قبيلة قائدا وعلى كل بطن وعشيرة شيخا .
وكانت الادارة الاميرية اذا صدرت من حاكم توجه الى العمال والخلفاء ثم تنتقل منهم الى
الاغوات فالقواد فالمشايخ .

واذا نزلت أحداث عامة في الدوائر فإن المشايخ يرمونها الى القواد وهؤلاء الى الاغوات
والاولئك يبلغونها الى الخلفاء ليعرضوها على حضرة الامير بمسكن فيحصل فيها بالعدل اما اذا كانت
الحوادث ثانوية فإن خليفة الناحية يكفي للعسل فيها كما ذكرنا سابقا * وهذا نلاحظ ان الامير قد
استعمل النظام الاداري التركي ثم حاول ان يزيد عليه ويحسسه .

انشاء المستشفيات :

وانشأ مستشفيات لجنوده في كل مقاطعة لتقتضيه وضعته الحربية التي كان يخوضها مع
الجنود الفرنسيين من انشاء مستشفيات لعلاج جنوده ومرضى شعبه وقد عني عليها أربعة اطباء
يرجع امرهم الى طبيب حضرته وهو ابو عبد الله الرزواي * (٢٢)

بناء الحصون ومعامل السلاح وغيرها :

وعنى الامير ايضا ببناء حصون كثيرة ليستعين بها على مواجهة الجنود الفرنسيين فانشأ
حصونا سمينة وسيدو واقدامت وكان حصن تماقت اعطىها * وقد استعان على بنائها بعمال
من اسبانيا وغيرهم *

كما عني ببناء مصانع للسلاح ليصنع فيها البارود والسيوف والبناق والرصاص . وكانت
مصانعه منتشرة بمسكن ومليانة وغيرها *

وكان عند اللزوم يشتري السلاح من تونس ومراكش كما يشتري الملح والكبريت من البحارة
الفرنسيين واما الدافع فكانت تصنع بمعامل تلمسان تحسنت اشراف مهندس اسباني وكان
صناعها من يسمون قرداحية وبعضهم كان يرافق الجيش لاصلاح اسلحته عند اللزوم * كما كان
يرافقه صناع السروج والخياطون *

(٢٢) التحفة - ص 313 * (٢٣) المصدر السابق 315 *

جيش الامير وحرسه :

لم يكن جيش الامير الذي كان يحارب به العرسيين كبيرا بل كان عدده لا يتجاوز 25 ألف وثلثمائة جندي وكان ينقسم الى 22 ألف جندي من المشاة والذين وخمسمائة خيالة ومائة وحسين حديا مدفعيا كانوا يديرون عشرين مدفعا في السيفر *

وكان للامير جيش خاص به يحرسه وهو يتألف من خمسمائة عبد تحت رئاسة سالم آغا الرنجي *

واما لباس الجنود فكان - غالبا - من الجوخ وسلاحهم كان محلي بالذهب ومرصعا بالحريران وهكذا كان الامير يمتني بجنوده عناية بالغة وقد درّبهم على الحرب وعودهم لقاء الشدائد حتى كان يضرب بهم المثل في شجاعتهم وضرهم على ميثاق الحرب وفي اقدمهم على منازلة الاعداء في ميادين الوغى لم تشغل الحروب العنيفة الامير عن العناية بالتعليم بل كان يولي عناية كبيرة .

التعليم :

وكان يسهه اساسا للنهضة الوطنية وحدا ما جعله يرتب الملحقين في سائر المدن لتدريس فنون العلم المختلفة وقد عين لهم مراتب مختلفة على حسب درجاتهم العلمية ، وحنا الناس على طلب العلم واحرام احبه واتخذ اجراء شديدا ازاء الطلبة فاعفاهم من المطالب الاميرية وكان اذا حضر لديه طالب علم امتحنه في مادته فاذا وجده محصلا لها وناحضا فيها اكرمه والا اعرض عنه وقد نتج عن ذلك نتائج عمالة في انتشار الحركة العلمية ولاحظ صاحب النخبة انه انتشر العلم في جميع المقاطعات وقيل الناس على تعليم اولادهم الامور الابتدائية فكثر ذلك العائلة واحمد الامير في حفظ الكتب في كل جهة وامر جنوده ان ياتوه بكل كتاب يثرون عليه وتشتد في حيازة الكتب التي كانت بين ايدي الطلبة ايام حكمه وعزم على تاسيس مكتبة عامة في تاقدمت . ثم اضطره الظروف الحربية ان يحصل هذه المكتبة متنتلة بتنقل الزمالة ولا وفقت حادثة طاكبي بهجوم الدرك على الرماله تبعثرت تلك الكسبر سوى عليها الفرنسيون *

العناية بالأخلاق والمواصم الإسلامية :

لم يكن معنى الأمر بالتعليم وحده بل كان يعنى كثيرا بتربية الشعب وتهذيب اخلائه حتى يكون شعبا قويا صالحا للحياة .

فكان يمنع أفراد الشعب من معاقرة الخيول وتطاول الفمار ، وخصوصا جنوده وكان يحظر على الناس استعمال التبغ لانه كان يمسده اسرافا والاسراف يحرمه الشرع وكان يحظر على الرجال ان يستعملوا الذهب والفضة للرئيسة الا في الأسلحة . عملا بما تقتضيه الشريعة الإسلامية من تحريم استعمال الذهب الا في دائرة محدودة .

وكان يلزم الناس بحضور الصلوات الخمس في المساجد والرجل التاجر كان اذا بقى في دكانه وقت الصلاة اخذته الشرطة وجلسته حتى لا يعود الى تركها واهمالها وأما النساء فانه كان يمنهن من دخول المساجد وقد وضع حراسا على ابوابها ليحولوا بينهن وبين دخول المساجد نظرا لحياة الجد التي كانت وضعيته الحربية تتطلبها وكان أيضا يعنى بالاحتفال بيوم المولد النبوي الشريف ويعد يومًا رسميًا يخرج فيه يخاصته الى أرض واسعة ويجرى تماثيل عسكرية احتفالاً به ، واكراما لجلاله ان هذه الصورة التي أوردناها للأمير - على أيما زعم - تطلعننا على شخصية عبقرية بحق في سلوكها السياسي وفي سلوكها الحربي وفي روحها القومية .

كما تطلعننا على عبقرية الأمير الادارية والنظامية وعلى سمو فكره السياسي والعلمي أيضا . وقد صدق الأمير فيها انتمه مفتخرا بأعماله اذ قال مخاطبا .

لئن كان هذا الرسم بعطيك ظاهري	فليس يترك الرسم صورتنا العظمى
ثم وراء الرسم شخص محجب	له حمة تملو بأخصها النجما

ثورة سنة 1871 وتاثيرها

يحتاج تاريخ هذه الفترة من المقاومة الجزائرية للدراسة خاصة ، ونحن سوف لا نعالجها الا في نطاق المنطقة التي تهتمنا . ولكي نضع هذه الثورة في اطارها الزمني ونفهم اسبابها ونتائجها نضع امام القاري الملاحظات التالية :

مولود قايد

لم يطرأ تغيير يذكر على مظاهر فرنسا الاستعمارية ، منذ عهد شارل العاشر المتطرف ولوى فليب «البورجوازي» وناپوليون «الصغير» والجمهورية الثالثة «الامبريالية» . ولكن عصر التصنيع في فرنسا جاء بتغييرات جذرية في النظريات السياسية والنظام الاداري وفي ظروف الحياة الاجتماعية . فقد اصبح الفرد يتمتع بطقواتا تحت له المساعدة في اعمال الدولة . وهذه الحقوق الى انتزاعها المواطنون في فرنسا نفسها اخذ المستوطنون وراء البحار يمارسونها ، هم ايضا ، تدريجيا وكذلك استولى المديون على مقاليد الحكم التي كانت في ايدي الجيش ووقع بذلك تحول خطير الشان في الحياة الاناويسه والسياسية والاجتماعية في الجزائر .

ونتيجة لهذا التطور . وجدت الادارة نفسها مضطرة الى الحد من سلطان القطاعيين الاحاق ومن مستكاثهم ممن ساهموا في اقامة دعائم الامبراطورية ، وذلك لارضاء افرنسيين الفيورين على وضع « المواطن » الذي يتيح لهم المساواة في الحقوق ، من جهة ولترضية الجيل الجديد ممن يخدمون فرنسا ، من جهة اخرى .

وهذا التحول نجم عنه إخلاء الأريستوقراطية القديمة التي حتم عليها أريستوقراطية أخرى هي ابن سلطانا وتقودا من الأولى ، ولكنها أكبر عددا وأكثر شوعا ، وإما أولئك الذين مسح هذا التحول ، فقد كان بعضهم يتلقون الصريبات صامتين بينما تلقاها البعض الآخر بالاحتجاج ، هؤلاء كان من الممكن ترصيتهم دائما بمنحهم العايا حرية وليأخذين .

وإذا حصرنا الحديث في منطقة بجاية ، وسنجد أن أولاد أورايح كانوا راضين عن وضعهم بعد تبريق منطقتهم ، حيث وجدوا أن ذلك لا يعرضهم من حالهم يسبب تعيين أعضاء من أسرهم ومن حمايتهم قيادا على بعض الدواوير ، بل أن تعيين بعض الأتائب في المنطقة لم يكن يضايقهم حيث صحتوا لأنفسهم السيطرة - وكذلك عرف ابن عن شريف وابن الجنوب نفس الرضا - وفي مقابل ذلك ، نجد أن أسرة القراني قد أبدت امتعاضا نتيجة لتحويل عناصر أجنبية إلى منطقة نفوذها ، ولا سيما تلك العناصر التي كانت تنافسهم (2)

(1) بعد مصادمة باسما في سنة 1837، عين الأمير عبد القادر عبد السلام القراني خليفة على سناة ، وبدافع الخيرة قام ابن عبد الحميد القراني في يوليو 1838 بحرس بدمامة على المراتل حال كانه منطقتهم فسببية وقد عينه في 24 أكتوبر في نفس الجسة المراسلات فان ، حفظة على محاله التي لعنه راضيا من منطقة لفرسوس في الشرق ، إلى منطقة عسكرية في بدمامة في معسكر بج معسكر الأجرى وحلما في صهارف الجنوب وأجرى تيرى في الغرب ، ولا بدت كل من الأسرة دمره لم يكن في صالح أي صمد . وبعد انتصار فرنسا ، استولى الفرنسيون على أراضي عبد السلام وأتباعه فيما تلتوا أوصل خلافة أحمد القراني وسجروا به لخدمة التي عروا عليها بوشيف في سنة 1841 . ولكن إلى جز في نفس أحمد نصف سناة . حر ابن الإدارة الفرنسية اعادت في أساء، عيونه عبد السلام وبروس وفندور أراضيها ، عقب استسلامهم في سنة 1844 وهذا الآخر ، حرمة من دخل معسر في الوقت الذي اتى فيه عن سمته وقام في وجه منافسوه الأقوياء .

وله استمرت وفاة خلافة أحمد تتلقى ترميحا كلما توغل المسود الفرنسي في الداخل واشتر نظام الاميركية الإدارية . وكذلك أصبح الخليفة في سنة 1845 - محمد عوفو عالي ، وفي غضون هذه السنة أيضا ، ألقت منطقة جنوب الحسة بدائرة مكررة كما الحقب بوسمافة بدائرة أوغال . وفي سنة 1847 ، نصب البويرا ومنطقتها تحت ابن بسمالم محمد لاسم سناة . وبعد موت بومدة ، انتهى في تارمات مركز عسكري في منطقة أصبحت جديدة وحسنة عس خلافة القراني .

ولما مات أحمد القراني في سنة 1853 ، لم ينجح ابنه محمد سوى لفصل الباشا لآن لقب الخليفة كان قد انتهى حسنة

وفي سنة 1859 ، حدثت في إفريقيا سياسة واسعة من الأرض التي تحت الفرنسيين الذين انعموا مركزا استعماري في دوج الإمبراطور .

وفي سنة 1861 ، انضى عدد العوم والخير وشجعهم الإدارة الفرنسية تحت أوامر الباشاوات ، وفي سنة 1864 ، حررت أراضي القراني وقسمت اداري إلى 4 قيادات عين عليها أسوة .

والى جانب هذه الإجراءات التي تمسك من إصدار أراضي الخلافة ، تعد إجراء آخر في سنة 1858 يخضع بموجب الانقياد للعلو الصواب ، في الوقت الذي سجا فيه من التصرف في التوالد التي يخصونها من الخاصين لاداريهم كما حصرنا من حق إصدار أحكام لفضاية الخ

ومن جهة أخرى ، فقد أصبح دور الخليفة الذي كان يحكم اراضي شاسعة ويحصد للقيادة العسكرية الدنيا ، تحت وطأة الاستعمار وضغط المعمرين والمطور السياسى والاجتماعى مجرد موظف لا سلطة له . وقد جردوه من الاختيارات انى كان يتمتع بها أبائوه واصبح يحصص لموظفين اداريين ثانويين ويتعاملون قواعد الاحترام والساقه .

وهذه الظروف التى اعتبرت متخينة هى التى حملت لباشاعا القرأى على التصريح امام عدد من كبار الصياد بقوله : « ان ما تصنعونه عادل امام الله ، لاننا جميعا ابناء آدم وسيعتبره التاريخ من الحسنات ولكم قد ضحيتم بنا نحن الذين ساعدناكم ولا مزل نساعدكم لعرض النظام فى البلد . وتبما لذلك . فملى الرغم من جميع الجهود التى بذلناها والنماء التى ارقناها مسرف لا يتمتع ابناءؤ بذلك التقدير والاحترام الذى ورنناه نحن عن آبائنا » (2)

وهذه هى لهجة التذمر التى لسمعها من الاعاى سليمان بن حمزة من اولاد سيدي الشيبه انى كان يشكو من انه تعرض لامتحان مهين وانه بدلا من احترام سلطته تشمل الإدارة الفرنسة حادثة للقضاء عليها فى الوقت الذى تشكلت فى ولائه وتقرض عليه مراعاة ،

وهذا الفلق الذى يسود فى القعة الاجتماعية فى ذلك الوقت كان له تأثير على الاشخاص الذين يحيطون بالباشاغواب . وكاسمت كل حادثه تقع لهم تصعب موضع تطبيق وتشعر بسرعة بين السكان الذين كانوا سحنون عن الوقائع ليعتقوا من كل منها قصية مثالبية . وكذلك كان الناس يحسون باحوال الدعاة الذين يتادون بان احتلال المسيحيين انما هو عذاب من الله الذى سيبيعت « مولى الساعة » لطرد امزاة ويسيد النظام وللمدل الى هصابه . وما كان الجميع مقتنعين بصحة هذه الدعوى ، فقد كان كل واحد منهم ينتظر يفارغ الصبر حول الساعة لكي يسميد اراضيه ويعود الى الاستقلال امام انى كان يتمتع به .

ومى عصرون سنة 1870 جرت اتصالات عديدة بين رجال الزوايا الخرائيين ورجال الطرق فى البلدان الاخرى ، فى موسم الحج .

وقد شهدت زاوية صديق فى هذه السنة اقبال اساس عليها ، خصوصا بسبب المواعيد التى تلقى فيها وتشعر بقرب مقدم « مولى الساعة » وهذه البشرى كانت تنتقل من فم الى فم وتبعث

في النفوس السلوى والعزاء في مختلف أطراف المنطقة * وكذلك أصبحت النفوس مستعدة للتوردة ولم تكن تنتظر إلا شرارة لكي تندلع نيرانها *

وهذه الروح كانت تسود في جميع الطبقات الاجتماعية * ولكن السانس بين الشخصيات والرعاء الذين كان كل واحد منهم حريصا على امتيازاته وعلى نعرته القليلة ، حالت دون تحقيق الوحدة التي ينتظرها الشعب * على أن المشايخ الذي فهم هذا الوضع ، عمل ما في وسعه لتحطيم الحواجز التي تعوق الوحدة في منطقته *

فبعد ما تصالح مع ابن عمه ، عيّد السلام القراني سعى للتقرب من ابن عمه الشريف والشيخ من حماد التي كانت علاقاته به سبعة منذ وقت طويل . وقد تم التصالح بين هذه الأطراف وحل النزاع بينها محل الخصام في 5 يناير 1870

وعندما انتشرت أخبار الحوادث التي وقعت في سوق هراس وفي تبسة والميلة في يناير وفي فبراير في المنصعة ، ساد الاعتقاد بأن الساعة قد اقتربت * ولكنه بعدما أخذت هذه النوراة بالحديد والنار وسالت الغمام غزيرة - اقتنع الناس أن «سولى الساعة» لم يأت بسعد ؛ ونظروا لأن الساعة لم يعثر نشاطهم السرى بين الجماهير فقد كان اثر هذه احوادث غير محسوس ، بل ان بعض المناطق انبثت فيها الامل وزاد كرمها للمدوخلات بعد ما زادت رغبته قوة في القيام بعمل مباشر *

وكذلك جعلت هذه الحوادث كل عربى مشبهوها فيه في نظر الاوروبيين * وبعد اغتيال اربعة اوروبيين كانوا يعملون في مضيق الببياد في 18 فبراير سنة 1871 ، قام الفرنسيون في بسرح بوغريج باقامة المنازيس والمحصينات حول المدينة * وهذه الاجراءات اعتبرها القراني عملا يدل على عدم الثقة فيه * وخصوصا وان الرأى العام المحل كان يرى فيه الخزع باعتيال العمال الارمة * وقد صرح القراني امام القبطان دوفال بقوله : « ان هذا الموقف يحرجنى بقسوة ، انهم محطون في هذا التصرف لاني ساقوم ، متى رغبته في ذلك بالاستيلاء على المدينة على الرغم من حصيناتهم » قولوا لهم في البسرج بوغريج يأسى قتل الميل الى الثورة ، بدرجة اننى قمت باعادة قطع الغم الذي يتكون من 150 رأس والذي سرق من السيد كورنو واننى سابعث بهذا القطيع الى البرج مع فرسانى » *

وبالفعل ، فإن الباشا بما لم يكن يمتلك في هذه المرحلة في فائدة قيام ثورة مسلحة - ولكن بصرف العرسيس اعاضه بعد ما تعرض لصفط الحيط به وتأثر باصالح الراى العام ، ولذلك فقد وجه استقالته الى الوالى العام ماكماهون ، في شهر مارس واستعد للعمل *

وفي ٢6 مارس ، قام فرسانه بهجوم على برج بوغريج ولكن القبطان اوليفي والكومندان بوشيروب اللذين احاطهما القاصى حسن بن حلة بتحركات المقراني في الليلة السابقة ، تمكن من صدده *

ولم تقم الثورة بعد هذه الحوادث مباشرة - فهل كان المقراني ينو حصر هذه الصليبية في ادهاب سكان الارج الاوروبيين اكثر مما كان يقصد تحدى السلطات العليا ؟ أم انه ادرك خطاه في تقدير قوة المدد ، فاراد جميع الحفاه والانصار ؟ ومهما يكن من أمر فإن المقراني لم يحط حسولا ، علما بتأيانه * وكذلك ظل ابن على الشريف في صيغته ، كما بقى الشيخ ابن الحداد في حالوته مستغرقا في صلواته وتاملاته في صدوق *

وفي مقابل ذلك ، وجه اعلانا الى ذوى الحليم الكيبة « يطلب اليهم فيه رفع علم الثورة او ان يمدوه بتعزيزات ، على ان هؤلاء لم يردوا على ندائه - راما سكان جبال حوجرا والحضنة وتيتري الذين كانوا مؤيدين له ، فانهم لم يفهموا موقفه وكذلك أرسلوا عددا من الودود اليه والى الشيخ الحداد لتطلب منهما توضيحات عن الموقف وعندئذ ، لم يتردد المقراني فى ان يعلن الاهمية التى يملقها على ثورته وخصوصا حيثما رأى حامية برج بوغريج تتلقى كل يوم تعزيزات جديدة *

وتحت ضغط الاخوان ، خرج الشيخ ابن الحداد من تحفظه ومن عزلته ليعين الجهاد * واتى ذلك ، حمل السكان السلاح وجمعوا على السهول حيث زعموا على ضياح المصريين وحاصروا المراكز الاستعمارية وقصوا على حاميه تازعالت وحامية اقنوا -

وقد قامت القوات الفرنسية من بجاية يرحف هضاد واضطرت المحاصرين الى فك حصارهم ، واما اقتراني فقد اضطر فى 20 مارس الى التسير على اتجاه معاكس لاتجاه بهر السومام ، نحو الشمال لغربى تاركا وادى الساحل ليلعات من العدائين كلفهم بمداوشة مؤخرة المدو *

وفي هذه الاثناء كانت معارك ضارية تجرى فى الغل وبجاية ودلس وعين الحمام وتيزي وزو ودور الميزان * بل ان نتيجة نفسها التى هي قريبة من الجرائر وخاضعة لحراسة مشددة لم تغفل من الاضطراب الناجم عن اعمال العدائين *

وفي 26 ابريل وصلت قوات من الحشنة ورمورة والبيان ودخلت في معارك انتصرت فيها
صد قوات الجنرال سوسبي *

ومن وادي الساحل ، اتجه الباشاغا الى سدور الفزلان . وفي 5 مايو كانت المعارك على اشدها
ضد قوات الجنرال حرز . ولما حان وقت الظهر ادى الباشاغا الصلاة ثم ركب فرسه وسار لتابعة
المركبة عن كتيب . وفي المركبة ، اصابته رصاصة في البطن اودته قتيلا لتوه وسقط من سرجه ووقع
روجه الى الارض بعد ما تلفظ بالشهادتين . كان المرافعون له يعتقدون انه غر في سجنه *
ولكنهم راوا ان السجدة طالت ولما لم يرغ رأسه صرعوا اليه لرغفه . وفي هذه العمية قتل ثلاثة
من اتباعه الذين كانوا هادئين ولا أثر للحواف في نفوسهم . وما توقف اطلاق النار لحظة فتمسوا
جثمانه دون ان يشعر العدو أو المقاتلون المسلمون بهذا الحادث . وكذلك دفن الباشاغا في قلعة
بنى عباس التي كانت مقر أجداده *

وبعد ما اسبر خبر وفاته ، ساد الحزن والالم في جميع الاتجاه ورثيه الشعراء بقصائد
من الشعر القمائل أصبحت تشبه النساء بالالم والحسرة في المناسبات . وفيما يل نموذج من هذا
لشعر الذي عمر عليه في بنى يعلى وأيك ووتلان :

أَحْبَبُ فِي الْمَلَأِ إِعْلَافُ	— نظرت من النافذة
فَقَبَّحَ ذَا الْبِشَاغَا أَتَيْتُ رَدْنَ	— فرائضهم يفسلون الباشاغا
أَكْشَكَسَ إِيذِي سَنُ	— وقد حلموا عنه بركاته
ذَلَكُمُ امْسَلْ أَبْسَعَانِ	— ووضعوه في كفن أبيض
مَهْلَسَتْ أَقَى عَيْسَاسِنِ	— ثم دفنوه في بنى عباس
فَوَحَّتْ الْقَادُ فَرَحَتْ الْكُفَارُ	— ليتنها انقاد وليتها الكفار
إِيْرَمَتَاغُ إِيْرُوحُ فَوَحَّتْ الْكُفَارُ	— لقد ذهب أسدنا ، فليسعد الكفار
الحرية أو فَعَامَسَ نَمَحُ	— اخرى في أيدينا
إِلْكُسْ دَا الشَّجَعَانِ إِيْرَمَتَاغُ السَّحُ	— فليكونوا شجعانا يا رجالنا

* * *

لم يكن لوت الباشاغا أثر يذكر في أعمال المواطنين ، فان الرجال والنساء من جميع الاعمار استمروا في لشغال في حماس منقطع النظير . و يقطع النظر عن الزعيم والجماعة ، فقد كان الهدف الوحيد هو اطلاق النار وقتل الاعداء .

كانت الممارك تجرى في وادي السومام وفي السهول العليا وفي كل مكان وبدون نظام وبدون قيام اتصال بين الجماعات القبائلية . وهذا الشتمت هو الذي سمح للقوات الفرنسية التي تتمتع بالنظام بصعد هجمات المقاومين والقبائل تفوقها . وقد حاول يومرزاق شقيق الباشاغا الذي خلفه تكميل هذا النص . وقد اضطرت بعض القبائل التي فقدت كثيرا من رجالها ولم تعد تملك الذخيرة الى الانسحاب من المعركة وكان من نتائج ذلك هزيمة جديدة للمقاومة في تلا ايجاسن وفي تلا اوزرار وتاكتورت وبنى ورتلان الخ .

وكذلك قرر الشيخ اعزيز واحوه محمد ارحداد تسليم انفسهم للعدو المتصر في 30 يونيو 1871 = (3)

ولما تركت المعركة كل من ايلماين وآيت وذرار ، وآيت هلا اثناء الاشبك الذي وقع في 30 يوليو في تخراط كاد يومرزاق ان يفقد حياته . كان فرسه متعبا ولا يصعد الا بمشقة في الطرق المؤدية الى بنى بعل . ولما علم به الناس هرعوا ليغفروا تراجمه الى بنى ورتلان . وهناك رتب يومرزاق صفوفه ودخل في معركة عنيفة جدا ضد العدو في تاسوت . وفي هذه المعركة التي قضى بها الشعراء ، سقط عدد كبير من القتلى والجرحى .

وعلى الرغم من هذه التطورات ، فقد استمرت المعركة في جميع انحاء البلد . وكذلك فقدت اغوات الفرنسية التي كانت تتلقى تعزيزات باستمرار ، كثيرا من رجالها . وقد استعمل الجبال لالاند وسوسيبين وجيريز كل ما لديهم من وسائل الضغط والقوة ضد السكان ، لكي يحتفظوا بمواقعهم أو لكسب مواقع جديدة . وكان الجنود الفرنسيون يطلقون الرصاص على الاهالي بدون تمييز كما لو كانوا ممارسون رياضة الصيد .

(3) استسلم اعزيز في جرجرا للجنرال لالاند . وكذلك قرر احوه لاستسلام له سنة هذا الحير لعمى الجنرال وقصد الى بجاية لعمى الباي . ولد كان على مسافة قصيرة منها التي من معه سبيد اذراع وقد نزل كل واحد من على فرسه وماتوا . وفي عمى اللحظة هذه اذراع طمعة غادرة تم اسير رجاله بعد وثاقه لسلحه اسروا الى الفرنسيين . ولا اخفق من عماله ، فلم للسلطات الفرنسية رسالة من اخيه يصحبه فيها بالاستسلام . وبعد ذلك اخرج اذراع ولكنه خرج مع ذلك ، لقب الخياط الذي خدم مع اسرية اللذين تطوعا في صفوف العدو

وحده السياسة التي تقوم على القتل وتحويل الزرع ، كان من نتائجها ضعف روح المقاومة مع مرور الأيام وتحلل القبائل واحدة بعد واحدة عن المعركة .

قصائد واغاني شعبية جمعت في بني يعلى وبني ووتلان :

أَيْتَ وَدَرَارْ دُيْتُ الْمَايْنِ
عُوسْنِ يَوْمَرْزَاقِ
انْهَكْنِ اِبْسَلَاوَنْ
إِعْمَلْ أَوْ عِيَاظِ قَنْخَرَاظِ
يُلِيدْ يَوْمَرْزَاقِ فِي تَرْكَرِ
اِيحَوْمْ أُنْهَكْ فِي دُرَاوْ
أَرْلَسْ فَيَسْتِ يَمَلْ أَكُورْجَانَا
حَزْنْ أَحْزَنْ ، اَلْهَى مِجَانَهْ

- كان بنو أذرار وبو الماين
- يرقبون يومرزاقي
- ليسلوه الى الاعداء
- وقد ارتفع صوت مهاد في خراط
- صعد يومرزاقي في ترار
- انه يحوم كالصقر حول الجبال
- تسارع الناس من بني يعلى الى كرجان
- احزني ، احزني يا يتابع محابة

* * *

اَمَلَكُ بَوْمَزاقِ قَمَطَلَوْنِ
 اِيَتِدو غَرَّ اِيَتِ وَرَدِلانِ
 قَنَسَمَا سَنَتِ اِقَرَسَمَانِ
 اَرَبُوسَ دَمَلالِ اَعْدِيو دَا بَرَكانِ
 اُدُمُ اَحَزِي نِيَطُ سَيَمَطَاوْنِ
 اَقَرُومَتِ ، اَقَرُومَتِ اُسُوَتَوَرَكَلانِ
 الباز خبعتت القمائن
 احزن ، احزن اَتلى حِجَانة

• • •

- فابلت بومزاق في قمطاون
 - في طريقه الى بني وردلان
 - بين كوكبة من العرسان
 - بوجه حزين وعيون باكية
 - الا تبكين باسماء بني وردلان
 - فقد خانت المصافير المقاب
 - احزني ، احزني يا صابيح حِجَانة

اق تُسَدِّين بَكر او بَليوِير اُوْزار
 - دفت النغوف في القرى واشتد الغرغ
 في العرس

- وفي مساوت كانت تنقد شمعة فويه

- هدر الرعد واطبق البرق كان نهايه
العالم حانت

- عيشت السادي . ومرع الناس من كل
صوب

- زغردن يا نساء ، زغردن !

- يا نساء بنى يعلى ان عهد الحريه قد
اقبل !

- لقد سكنت المذاهج

- لم يبق في البلد نصرائي وحد وانتهت
المبارك

- سقط رجال شهداء

- لا تخلعوا ايمانكم حتى النهايه

- زغردن يا نساء ، زغردن !

- يا نساء بنى يعلى ن عهد الحريه اقبل !

اق بنساوت ميشعل او شغال

ارغو كتر اى نكر السويث

استطول اعتر نهو زومت

زعومت زعومت

اسو ريبي توطه الحريه

نسيم المذبح تحبب السارود

لعوك اروي لعوك الطراد

موتن ارقار هوتن شهيداي

تكتبت اوكاسي لك تعنه

دعرت دغرت

سو تبلى توحده امره

* * *

- اصدر يومزاق امره والتف الجميع حوله

- واخذ كل واحد مقعد

- ثم طاردوا الرومي حتى غيرانه

- التي خرج منها كالثوب المستوحش

- زغردن يا نساء ، زغردن !

استط يومزاق نحماعنه ام فرجاش

كل يون بط امكاش

تبين اروي ام ذا العايش

انفعه الم اوشن امشني

زعومت دغومت

اسو ريبيلُ تُوَطِدُ الحَرْبَةَ • يا نساء بني يعلى ، ان عهد الحربة لـ
أفصل !

* * *

أَرْبَى أَكَاثِدُ أَصْبَرَ دَلْوَةً • يا لاهى هننا من لدنك الصبر والثوة
أيت لؤلؤى إخنبر البركة • وانس أيها الأولياء ، امحوا بركنكم
إلى أكل حنودتج حذ اغيتيال • ليس على أرض أحدا حق لاحد
فألعيشة كم حذ أريتياك • وطريقنا في الحياة لا تمنى احدا
زغرمت ، زغرمت • زغردي يا نساء ، زغردي !
أسو ريبيلُ تُوَطِدُ الحَرْبَةَ • يا نساء بني يعلى ، ان عهد الحربة لـ
أفصل !

* * *

لا رأى يومراق ان اكبر اضراره قد ماتوا ورأى الحياة تنعقبه من كل جانب من اشخاص
لا هم لهم الا الجاه والمال ، عادر وادى الساحل في 2 أكتوبر 1871 • وبعد ما استولى العدو على زماله
بوموراق في 8 أكتوبر ، عمد قلعة بني حماد توغل الى الجنوب في اتجاه الصحراء ، • افام مدة قصيرة
في ورقلة ثم اتجه هو وانساعه الى تونس هاربين من قوات الجسرال لأكروا التي كانت تتعقبهم
(5 يناير 1872) •

ولكن بوموراق الذي انهكه التعب والجوع وقع أسيرا في يد العدو في 20 يناير عند هصر
رويسه • ولما تقى الى معسكر العدو وسعدوا جراحه ، عاد الى وعيه وعرفوا عليه واثى ذلك
اعتقل واصدرت عليه محكمة جنائية الحكم بالاعدام خفف الى حكم بالسقى الى حرية كاليبرونيا الجديدة •
وأما المناطق التي قامت بالثورة ، فقد قررت الحكومة الفرنسية معاقبتها كما يلي :

I - غرامة قدرها 27 مليون ونصف مليون فرنك - أى مجموع موارد ميرية أجزائر وبكاليف
الجيش ، تدفع على قسطين في طرف منتين (1871 - 1872) • وبذلك أصبح للمسجون تحت
رجحة الرابين ، حيث كانت الموارد المالية التي يمكنها غير كافية لتسديد العرامة •

2 - حجز جميع الاراضي اجماعية في المناطق الثائرة (وبذلك قام ابن علي الشريف وأورباخ باستغلال الامتيازات التي يتمتعون بها للمضاربة في المقار على حساب سفار الفلاحين لتوسيع ضيعاتها .

وكذلك وقع الاستيلاء على عدد كبير من الممارات التي اعتبرت «املاكا شاغرة» ، وعلى 406 446 هكتارات من الارض التي هرب ملاكها الى داخل البلاد او الى الجبال المجاورة . وبعد ذلك ، مضعة اشهر ، اعطى الوالي العام نفسه الحق في نزع ملكية عدد من القبائل من اجل ما سمي « بالمصلحة العمومية » واقام فيها مراكز للمعمرين الذين اسكنهم من فرنسا (1)

وكذلك كان من نتائج فشل هذه الثورة ، قيام اقتصاد رأسماني ووضوح سياسة جديدة لاهالي ، وهذه السياسة ادخلت عليها تعديلات في ظروف تاريخية مختلفة . وأما الحركات الوطنية الثنائية ، فقد كيفت نفسها للظروف الجديدة التي توغل فيها الاستعمار والعناصر الأوروبية في كل مكان . ولكن اتخاذا الوطنية شكلا حديثا استغرق وقتا طويلا ، وكان نتيجة لتطور المجتمع ووسائل النضال . وقد كانت نجمة شمال افريقية ، وحزب الشعب الجزائري ، وحركة انتصار الحريات الديمقراطية واحباب البيان وجمعية العلماء ، هي الهيئات التي ساعدت على هذا التطور ، وذلك بالإضافة الى الافكار الجديدة التي ظهرت في أوروبا والنضال الذي قامت به الشعوب المستعمرة ، ونضال العمال الخ . ، وإما تنظيم الحماير فلم يصبح حقيقة الا بعد ذلك .

وفي غضون حوادث سنة 1945 كانت منطقة بجاية المسرح الرئيسي لعمليات العمع (عبوشة ، خراطة ، سطيف بوقاعة الخ -) وقد تحسنت قري هذه المنطقة كل ضغط الاضطهاد ، فدمرت وحرقت كما اطلق عبان حشود المندزين الفرنسيين الذين كان يحدهم البعض ، لاعمال القتل والتعذيب . ولكن الشعب انتقم لنفسه لهذه الاعمال ، حينما رفع السلاح في أول نوفمبر 1954 .

(1) ممثلهم ممن أدانتهم المحاكم الجنائية أو ممن تقلوا من الالزاس الخ .



رسالة
من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني
سنة 1541

عرف النصف الاول من القرن السادس عشر
اجتالا سياسية هامة ، حدث مستقبل المغرب
السياسي، وشكلت علاقته مع كل من الامبراطورية
العثمانية والدول الايوبية فيها بعدة وقد ساهمت
الاجتادات الداخلية في اسبانيا ، في هاته الفترة ،
بقسم كيب في بلوذة هذه الاجتادات ، فلك انه بعد
سقوط غرناطة سنة 1492 اجتبت اسبانيا المسيحية
بجاه هسلي الاندلس سياسة تهلف للقضاء

د. عبد الجليل التميمي
كلية الآداب - جامعة
تونس

البربرية ويصوره جلوية على كل مظاهر الاسلام، فذلك ان نفوة الشر الى اجنحت اسبانيا فله
 الهيب العواطف وضعت على منطق الفكر، منطق جديد احاطه وجال الكتيبة بقسمية سماوية
 تحتمل في كل القراوات التي انطلعا جبال الدولة الساسيين - والكعبة اسبانيا تدين بان
 عليها واجب تظهر ارضها من المسلمين والاسلاموات اصيبت تفتني منه ومن شيعة (1) بان
 خصوصاً بعد انحاز التوسم الضعفاء، لبربر في اوروبا وارقيا وتيسا

اندفعت اسبانيا في محاولة لتصفية المسلمين فارضة اقسى الاضرار عليهم وتضييعهم بالجملة خلال عشر سنين (٢) وقد اعترف ملك اسبانيا خلال القرن السادس عشر بضميمة الاستمرار في

* اكشفنا عن الدكتور عبد الجليل التميمي باسمي الحرب للحاضرة التي اتقاهم بالملحة الفرنسية هي الرئيس العالي الاول
من الدولة اللبنانية المتحد بالملح الجهمي للفرسانة الشرقية بتأثير (ايطاليا) ما بين 24 و 26 سبتمبر 1974

(1) John Lynch, *Spain under the Habsburgs*, p. 205, 2^e édition, London, 1965.

(2) P. Chaunu, *l'Espagne de Charles Quint*, p. 37, Paris, 1973.

تطبيق هذا القانون ، وبذلك خيرت الاقلية الاسلامية الاسبانية التي عرفت شتى ظروف التمييز والملاحقة عن طريق ديوان التحقيق بين التصغير أو الرق مدى الحياة (3) ، وصودرت املاكهم وحرم عليهم التكلم باللغة العربية ، وارتداء الالبسة الوطنية ، والتردد على الحمامات ، وفتح ابواب منازلهم أيام الحفلات والحمة والسبت (4) وإقامة الشعائر الدينية وعدم التسمية باسماء عربية ، كما حوّل جميع المساجد الى كنائس (5) ، ومع المسلمين من حمل السلاح كما فرض عليهم العيش في احياء خاصة وارتداء البسة معينة وأن يحملوا اشارة زرقاء على القبة اذا ما بقوا على دينهم ، كما حرم عليهم بيع الحرير والذهب والفضة والاحجار الكريمة ، وامروا ان يسجدوا في التساوير متى من كبير الاحبار (6) ، وسلطت عليهم اقصى انواع العقوبات اذا لوحظ عليهم بعض الولاء الى هاضيمهم أو التعلق بدينهم في اسبغ طاهره وعاداته ، على أن تشكيلهم وحدة اجتماعية وسيطرتهم على الاقتصاد بفصل نشاطهم وذكرتهم وحررتهم في تصريف شؤون التجارة والزراعة وازدهارها على ايديهم (7) قد اثار نجاحهم هذا ، بعد الشعب عليهم التي انهمج بالتآمر ضد أمن الدولة خصوصاً وهم « الحلفاء الطبيعيون لايخوانهم قراصمة » شمال افريقيا « (8) كما كانوا يعتبرونهم آنذاك »

ومن الطبيعي في مثل هذه الظروف أن يلتجئ المورسكيون الى الثورات والانتفاضات في أغلب المدن التي بها اقلية اسلامية وخاصة في غرناطة وبلنسية وقد اقمعت تلك الثورات بدون رحمة ولا شفاعة ، واتخذت وسيلة لتصحيح الكره والحقد على هذه الطائفة ، ومن جهة أخرى كان من

(3) Tulio Halperin Donghi, « Recouvrements de civilisations : les morisques du royaume de Valence au XVI^e siècle », p. 169, in, Annales E.S.C., 1956

يذكر أنه بعد الحرب ، احتلت يريث الطيفات البيروغرافية ومعدن من السيد الدين أسروا في غرناطة .

(4) محمد عبد الله عتدي ، نهاية الانكسار والتاريخ الحروب القشتالين ، ص 334 - 335 ، الطبعة الثالثة ، القاهرة 1966 .

(5) المصدر نفسه ، ص 351 .

(6) المصدر نفسه ، ص 353 - 354 .

(7) Lynch, op. cit., p. 211.

راجع أيضا

F. Braudel, La Méditerranée et le monde méditerranéen, T. II, p. 1^{er} 2^e édition, Paris, 1966.

(8) Joseph Pérez, L'Espagne du XVI^e siècle, p. 108, Paris, 1973.

الطبيعي أن يتلقى المورسكيون إلى الملوك المسلمين في المشرق والمغرب لاستنجادهم وإن تنكروا دعوتهم ووفودهم ورسائلهم إليهم للعمل على انقاذهم مما يماثلونه من الظلم وعصاه من رجال الكنيسة وديوان التحقيق الذي عاق قسداً واحداً لنفسه كل أنواع المعويات ومسلطها عليهم .

وقد أرسل أهل غرناطة في منتصف سنة 1477 سفارة إلى إسنابول ملعتين نصر السلطان العثماني محمد العاتج إلى حالة المسلمين بالاندلس طالبين تدخله لإنقاذهم (9) ، كذلك السفارة التي وصلت إلى سلطان مصر الملك الأشرف في أواخر القرن الخامس عشر ، مستحضرة إياه في التدخل لإنقاذهم من الملوك الصغرى ، وقد بعث الملك الأشرف بفرود إلى البابا وملك الصغرى يذكرهم بأن الصغرى الذين هم تحت حمايته يتمتعون بكل الحريات ، في حين أن أبناء دينه في مدينتي إسبانيا يماثلون أشد أنواع الظلم ، وقد همدوا بتأديع سياسة التتكيل والمصاص تجاه رعاياه المسيحيين إذا لم يكف ملك قشتالة وإراقون وغرناطة عن هذا الاعتداء وترحيل المسلمين عن أراضيهم وعدم التعرض لهم ورد ما أخذ من أراضيهم (10) .

أما السلطان بايزيد الثاني فقد اتصل بقصيدة في أحد المورسكيون يصور له فيها مأساة المسلمين ويستجده لتحريرهم وإنقاذهم (11) .

أما تدافعهم للملك المغرب فقد تمددت مع مرور الأيام غير أن الأوضاع الداخلية التي كان عليها المغرب وخضوع بني وطاس لإسبانيا وعقد معاهدة 1538 معهم وأزدياد النفوذ الإسباني - البرتغالي على السواحل المغربية قد جعل من المستحيل القيام برد فعل حازم وفعال .

على النجاح السريع الذي عرفته الامبراطورية العثمانية في كل من أوروبا وإفريقيا وعلى الانتصارات الحربية التي حققها السلطان سليم وسليمان القانوني على الجيوش الأوروبية الحليفة آنذاك ، وسقوط عدد من النواصم الأوروبية ، قد اضطر إسبانيا لهذا الصراع الذي واجهته الامبراطوريتان العثمانية والإسبانية والذي اتخذ شكل محاربة دين كل منهما الآخر ، عمل أن

(9) Aziz Sarnik Ilter, *Sümlü Afrikada Türkler*, t. I, p. 52, İstanbul, 1937.

(الترك في شمال إفريقيا)

(10) ابن أبيس في تاريخ مصر ، ج 3 ، ص 246 ، مذكور في : عمان ، نفس المصدر ، ص 227 .

(11) القرى ، إلهام القرطبي في إلهام عيني ، ج 2 ، ص 209 - 215 ، القاهرة ، 1039 .

الانتصارات التي حققها العثمانيون والاهمية التي اصبحت عليها استانبول بعد الفتح ، قد شجع عددا من المهاجرين المسلمين واليهود على الاستقرار بالعاصمة العثمانية . (12)

كان المورسكيون يتبعون باهتمام مدى انتجاح الذي حققه العثمانيون ، وكيف ذات لهم كل من سوريا ومصر ، وخاصة الجزائر التي اصبحت حصنا متينا يلتجئ اليه المهاجرون الاندلسيون . ان وجود حبر الدين بيلر باي الجزائر في العقد الثالث والرابع من القرن السادس عشر ومدى النجاح الذي حققه في ملاحقة الاسبان بالولاية ثم تدميره حصن البيون (Penon) سنة 1599 بالجزائر وتشجيعه حركة انقاذ مسلمي الاندلس قد جعل الاسبانيين يصرون على ملاحقة المسلمين ايما كانوا ، وتشديدها حملات عليهم ، واقامه القلاع الحصينة على ارض افريقيا الشمالية ، ومراقبة الحركة البحرية العثمانية ، وقطع الطريق للمحاولات المتكررة التي ما فتئ البحارة المغاربة يقومون بها بنجاح لانقاذ المورسكيين من الارض الاسبانية ، كما كان هؤلاء يتصلون سرا برحال البحر المسلمين ، ويهددهم سرا بالمعلومات اللازمة للقيام بهجرتهم بنجاح (13)

وقد اطرو قادة اسبانيا خوفاهم من اتحاد كلمة المورسكيين مع العثمانيين ، فشدوا المراقبة على مرانهم بل ذهبوا بقرار من الملك ، الى انشاء ميليشيا ، لسرد هجمات المغاربة الخطيرة (14) لانقاذ الامليات الاسلامية المبتوتة في عهد من الولايات الاسبانية ، وبالفعل كان نشاط حبر الدين في هذا الصدد حاسما وفعالا ، وهو الذي عرف بعينه نظره وحيويته الفائقة (15) والاصول الحربية التي اشتهر بها فضلا عن شخصيته القوية ما تمتعت به من ارادة ، وهذا اكسبه احترام اعدائه وخوفهم منه . ان نجاح حركة حبر الدين البحرية وهجماته الموقفة على السواحل الاسبانية حصل المورسكيين يستجيدونه لانقاذهم كاهل بلنسية (16) وعمرناة وغيرها وكثيرا ما قام قواده امثال صالح رايس (17) وايدين رايس وطبقه رايس بهذه المهمة ، ويذكر لنا المؤرخ كاتب

(12) W.E.D. Allen, Problems of Turkish power in the sixteenth century, p. 12, London, 1963.

(13) محمد خير فارس ، تاريخ الجزائر الحديث ، من الفتح العثماني حتى الاحتلال الفرنسي ، ص 17 ، دمشق 1990

(14) Chauna, op. cit., t. I, p. 242.

(15) Fray Diego de Haedo, Histoire des Rois d'Alger, traduit par Grammont, p. 38

(16) محمد عبد الله عتاك ، في العهد ، ص 385 .

(17) Haedo, op. cit., p. 38.

سليمي ان خير الدين تمكن خلال سبع سفرات ان يوجه 36 بارجة الى السواحل الاسبانية لتقلل
سمعي الب مورسكي (28) خلال سنة 1539 ، ويدل هذا على مدى الدور الفعال الذي قام به
خير الدين لانقاذ آلاف من مسلمي الاندلس الى السواحل المغربية (29) .

ان نجاح خير الدين في خلق هيكل دولة قوية بالجزائر ، ثم المساعدة المعنوية والعسكرية التي
كان يقدمها لدى السلطان سليمان القانوني قد حثته على الاستمرار في جعل المغرب قاعدة عتامية
لصد الهجوم الاسباني ، بل ان السياسة العثمانية كانت تهدف الى اشغال جيوش شارل الخامس
في حوض الابيض المتوسط الغربي ، وهذا ما يفسر اقدام خير الدين اثناء رجوعه من استانبول
سنة 1534 لاحتلال تونس واعلاها ولاية نايبة للامبراطورية العثمانية .

ادخل هذا الانتصار الحيرة لدى البابا ، وخاصة الامبراطور شارل الخامس الذي اعتبر ذلك
تهديدا مباشرا للمسيحية ولخطوط مواصلاته البحرية مع اطراف مملكته ، فضلا عن تلبية
وتشجيع البحارة المغاربة للهجوم على السواحل الاسبانية ، ونجدة مسلميها ، وبالفعل نجح
شارل الخامس في الاستيلاء على تونس وايضا خير الدين عنها ، غير ان الخطة التي كان يعلم بتحقيقها
ليست الاستيلاء على تونس حيث كانت اوضاعها الداخلية ، واستنجاد مولاى حسن المعصي بشارل
الخامس ، قد ساهمت بشكل كبير في انتاج ازمة لاسا هي ضرب مدينة الجزائر والاستيلاء عليها
خصوصا وان الضميمة القوية خير الدين قد دعيت الى استانبول ليصبح قبطان دليا اى وزير
البحر العثماني ، ولم يبق للامبراطورية العثمانية على الساحل المغربي الا الجزائر .

وعليه كان شارل الخامس يخطط للقيام بحملة على الجزائر التي أصبحت قاعدة قوية وحصينة
للسلطان سليمان القانوني تجاه السواحل الاسبانية خصوصا بعد الانهاء الحزينة التي وصلته من

(28) كاتب سليمي ، مجلة الكبار في اسفار البحار ، ص 40 ، استانبول ، 1911 .

(19) Charles-André Julien, Histoire de l'Afrique du Nord, Tunisie - Algérie - Maroc de la
conquête arabe à 1830, 2^e édition, revue par Roger Le Tourneau, p. 254, Paris, 1964.

اما يمينون في مقاله : المؤرخون (دائرة المعارف الاسلامية) باللغة التركية ج 8 ، استانبول ، 1968 ، يذكر
ان الامبراطورية العثمانية قد ساهمت المؤرخون عندما طلبت من كليلغ باشا تقديم الاسلحة والمعدات الحربية لهم .

ورربا اثر نجاح جيوش السلطان سليمان في الاستيلاء على مدينة بود (Bude) (20) وحويل
 اكبر كتابها الى مسجد كان هذا الحدث بمثابة اهانة وتهديد للسلطات المسيحية الاوروبية (22).
 امر شارل الخامس اذن على الوجه بأشخاص اصطلح قام على اشراعه واحضاره ، ويبدو انه
 من اكبر التجمعات البحرية المقاتلة التي ظهرت في القرن السادس عشر (23) ، وكان البحارة
 والجلبى خليطا من مختلف اصناف الامبراطورية الاسبانية ، وكان هدف الحملة هو الاستيلاء على
 الجزائر ، واجتثاث العثمانيين من البحر الابيض المتوسط ، وعزل فرنسا وقطع طريق التجارة
 اليها عن طريق حلقاتها العثمانية (24) ، وكان الاسبان يعتقدون انه لولا بروز العثمانيين بالمغرب
 لامكنهم انتشاء مملكة على السواحل المغربية (25) ، وهم يدركون الطريق على رسل المورسكيين
 الى استئصال لطلب الحنة ، وما لا شك فيه ان احتمال قيام العثمانيين بحمله على اسبانيا قد
 اثرت في نلاحظ مبريد (26) .

ان اصرار شارل الخامس الشخصي في اختيار زمن الهجوم وتجمع كلمة الجزائريين وراء
 حسن اغا ، ثم نزول الامطار بكثرة وهبوب عواصف مبكرة ، الحقت بجيش شارل الخامس اكسر
 هزيمة حربية وبحرية مني بها في حياته ، وكان ذلك في اواخر شهر اكتوبر 1541 - على أن نتيجة
 هاته الحملة كانت بميدة المدى وذات نتائج محسوسة حيث أصبحت الجزائر « كالمروس تختال في
 حليها وحليها من رخاء الاسعار ، وأمان الاقطار ولم يبق لهم عدد يخافون منه ، وشاعت هذه
 القصة في مشارق الارض ومغاربها ، وبقي وعبد المسلمين في قلوب الكفار مدة طويلة » (26) .

(20) C. Brandi, Charles Quint et son temps (1500-1558), p. 454., Paris 1951.

(21) Colonel Lamouche, Histoire de la Turquie, p. 99, Paris, 1953.

راجع ايضاً :

Halil Inalcik, « The Heyday and decline of the Ottoman Empire », t. I, p. 328, in, The Cambridge History of Islam, Cambridge, 1970.

(22) هولي بلحمسي : « غارة شارل الخامس على مدينة اجبرال بين المصادر الاسلامية والمصادر الغربية » ، ص 48 ،
 منشورة في : مجلة تاريخ وحضارة المغرب ، عدد 5 و 7 ، ابريل 1990

(23) E. Ravenet, « Un épisode de l'expédition de 1541 contre Alger », p. 320, in, Revue Africaine, 3^e et 4^e trim. 1939.

(24) L. Guin, « Quelques notes sur les entreprises des Espagnols, pendant la première occupation d'Oran », p. 313, in, Revue Africaine, n° 178, Juillet-Août, 1886.

(25) Lynch, op. cit., p. 214.

(26) مسلم بن عبد الله : « الرحلة البيرة فيما جرى في الجزائر حين غارت عليها جنود الكفرة » ، ص 29 ، المنشورة في
 مجلة تاريخ وحضارة المغرب ، عدد 3 ، الجزائر ، 1987

وقد ترددت انباء هاته الهزيمة في اسبانيا وكان وضعها شديدا على القادة ورجال المدن ، ولا احداهما لدى الوردسكيين كان مؤثرا وبالعنا حيث جعلتهم يتطلعون الى النجدة من السلطان العثماني : وبالفعل نعى اقل من شهر فقط من هزيمة شارل الخامس امام الجزائريين بحث مسلمو الاندلس برسالة الى السلطان سليمان القانوني ، وعلى الرغم من تعدد رسائل الوردسكيين الى السلطان العثمانيين ، حسب مختلف الروايات التركية والعربية والاروروبية ، الا انه لأول مرة نشر على نص من هذا القبيل ، ويسرنا ان نفعمه اليوم الى الباحثين .

لا يوفر لنا هذا النص الاسم او الاسماء التي قامت بتحرير هاته الرسالة ، ويصر ذلك بحشية وقوعها في يد السلطة الاسبانية التي كانت تحرص دوما على بث الميون والحواشيس للثور على مثل هذه الرسائل والمعلومات ، وانها لتكشف عن معلومات ذات اهمية تاريخية ، كعدد الوردسكيين الموجودين بالاندلس ، واعطاء صورة حية مؤلمة لما بلغته من السلطة الاسبانية المسيحية آنذاك ، ومدى الحيرة التي تسكنت منهم ، ثم التأكيد على نشاط حير الدين وما قام به لانقادهم ، ومطالبة السلطان سليمان القانوني باعادة تعيينه بيلر باي الجزائر لانه الشخصية الوحيدة القادرة على انقاذهم من الهجومات الاسبانية .

فبخصوص عدد الوردسكيين بالاندلس تصاربت الاحصائيات تضاربا كبيرا خلال القرن السادس عشر وبالنسبة للمدن الكبرى كقرطاجنة آخر معقل للمسلمين وبلنسية وقشتالة واراغون وغيرها ، وقد جاء في رسالتنا هاته ما يلي : « ان عبيدك الفقرا (كذا) الغريا (كذا) المنقطعين بجزيرة الاندلس » جملة عدتهم ثلاثمائة الف واربعة وستون الف منهم من وساهم بقرطاجنة خمسون وغيرها بجزيرة الاندلس والباقي من عامة المسلمين » (27) يبين لنا ان ذكر هذا الرقم لا يدل قطعا على اعطاء رقم اعتباطي اجمالي ، بل ان ذكر الاربعة الاف بعد الستين الف توحى بمدى حرص محور الرسالة وبلا شك اطلاه على عدد الوردسكيين على اننا اذا اخذنا بين الاعتبار احصائية سكان اسبانيا البالغ عددهم ستة ملايين (28) سنة 1547 وهي السنة التي حررت فيها رسالتنا لا نستغرب الرقم الذي قمتم هاته الوثيقة ، ربما يساعد على تقرب هذا العدد ما قدمه المؤرخ محمد عبد الله

(27) راجع نص هاته الرسالة في آخر هاته الدراسة

(28) P. Chaunu, op. cit., t. I, p. 90.

عنان من أن سكان غرناطة وحدها بلغ 400 ألف (29) في أوائل القرن السادس عشر والمؤرخ شونو (Chanuu) 500 ألف (30) وأنطونيو بلسترو (A. Pallestros) 700 ألف (31) .

ومن جهة أخرى يذكر المؤرخ هنري لا بير (H. Lepeyre) أن المسلمين القاطنين سنة 1609 بإسبانيا بلغ 206000 أى حوالى 300 ألف (32) وأن الذين غادروا إسبانيا بلغ عددهم 275 ألف . ولا بد أن تأخذ بالإعتبار الهجرات المتكررة من إسبانيا إلى المغرب لتلمس تأثير ذلك على عدد السكان خلال 68 سنة الفاصلة بين هذين التاريخين يتبين لنا إذن أن رقم 364 ألف الذى قسمته هاته الوثيقة يمكن الاعتماد عليه ، كما أنه يتلوهج ضمن عديد الإحصائيات المتضاربة الستى نمتلكها ، ولا شك أنه اليوم أقربها إلى الصواب والواقع .

ترسم الوثيقة بعد ذلك صورة مؤلمة وحية لما قاساه المورسكيون في عهد محاكم التحقيق والقرارات الجائرة التى سلطت عليهم ، ولا ادعى ذلك من قراءة نص الرسالة نفسه ليعكس لنا هذا النداء الأليم والملمع الذى اصطبغت بيسه الكتابات الثائرة من الجانب العربى والتى وصلت إلينا في هذا الموضوع . وقد تضمنت منهم فداءات النجدة للملك المغرب الأقصى ، إلا أن التحديات والحملات التى ما فتئت السفن الإسبانية والبرتغالية تقصنها على الساحل المغربى لم تدع مجالا لاتخاذ موقف أكثر فعالية ونصاعة في نظر المورسكيين على أن ذلك لم يصح المهاجرين الاندلسيين المرابطين على السواحل المغربية من الصل على نجدة اخوانهم الاندلسيين .

على أن الذى يلفت انتباهنا في هاته الرسالة هو اطلاع المورسكيين الدقيق على أحداث البحر الأبيض المتوسط وتبنيهم لما يجري في المنطقة من أحداث وحروب ونتائج وسرعة وصول الأخبار إليهم ، إذ بعد أقل من شهر لهزيمة شارل الخامس وعلى الرغم من تحويل بقايا جيشه إلى إيطاليا بدل إسبانيا ، وصل إلى علم المورسكيين خبر فداحة هزيمة عدوهم شارل الخامس أمام الجزائريين ، واعتبروا ذلك نصرا من عند الله ، وقوى أملهم وهذا ما يفسر تلقائيا تحريرهم هاته الرسالة إلى

(29) عنان ، نفس المصدر ، ص 312 .

(30) P. Chanuu, op. cit., t. I, p. 165.

(31) Ibid

(32) Jean Pignon, « Une géographie de l'Espagne morisque », p. 73, in, Etudes sur les « moriscos andalous en Tunisie, Madrid-Tunis, 1973.

السلطان سليمان القانوني واستنجد بهم به وتفكيره ما قدم به خير الدين الذي انجدهم بعد ما كان يهرب إلى الجزائر .

إن هزيمة شارل الخامس أمام الجزائريين قد أصغت على هاته المدينة معرى كبيرا ورمزاً للجهد والدفاع عن المسلمين باعتبارها : « سياج لاهل الإسلام وعذاب لاهل الكفر والظلم » .
وأصبحت القلوب المكسرة بها عزيزة والرمع المزلزله بها مؤثثة اليه . . . » (33) .

اعتبر محرو هاته الرسالة أن الخمد المرسل إلى الجزائر هو تعزيز لشوكة المسلمين ولذا طالبوا السلطان بإعادة تعيين خير الدين باشا على الجزائر ليعمل من جديد على صد العدوان الإسباني .
وانتفاذ مسلمي الإندلس ، وهذا ما يؤكد مسعى السمعة والشسمية التي كان يتمتع بها خير الدين في لربع الثاني من القرن السادس عشر .

تساهم هاته الوثيقة بما وفرته من معلومات ذات أهمية تاريخية على اللقاء اصواء جديدة على قضية المورسكيين (34) هاته القضية التي لا نعلم عنها إلا ما نقلته الوثائق الإسبانية المتسببة بروح التحيز الديني والكراهة والحقد على المسلمين أما الوثائق العربية أو التركية فهي ضئيلة جدا ولا تستجيب حقا لتساؤلات المؤرخ الحديثة .

نص الرسالة (35)

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه يقيم مواطي الاقدام الشريفة التي اراها ، اذا من باليون الرعدة ابرأها ، ورحاب الاكف

(33) راجع نص الرسالة ص 43 - 46 .

(34) من المريب أن يخصص أحد مضاميع الاستعراق الفرنسيين لرتي بروفنس (Lévi Provençal) بنص الأسطر لخدمة المورسكيين في دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ونحن نأمل أن يسه هذا النص والحيات المجلس بالنسبة للطبعة الجديدة بدراسة أعمق واتمثل لجواب هاته المسألة التاريخية والتي تكتس أهمية خاصة في ظل مرجع الرب والاوروبيين على حد سواء .

(35) هنرنا على هاته الوثيقة بالترتيب منصف طوب كاي (Top/Kapı) باستشارت تحت رقم 3154، T.K.A. وهي نسخة من مرسى أندلس سهل القراءة جيدة أما الوثيقة فمئات حجم 44:5 طولاً على 24:5 ستم مرشداً ، راجع الشكل رقم 2 ، ص 44 .

الكرمية التي (كذا) عطاها (كذا) ، اقام من بالارض المحلة اثارها ، اقدم شامها السعي في الحيرات والقربات ، واكب شامها فعل الحيرات والمكرات ، ادام الله ايامها ونصر اعلامها ، وارطاه (كذا) ركابها اعتاق للمحدين والمترددين ، وانقشه في كل وقت بتصر وفتح مين ، نسل (كذا) الله تعالى ان يجعله اركابا لم يزل مستطيا مطايا السعد مصعوقا بالسعود ، مطا للسيادة السلطانية عليه تدور وبه سود ، وان يجعله دايما باقيا راقيا في درجات الم والمك الى امر الدهر ، مصوتا في حر كف الله الحريز ، وان يفرق له العادة بطول بقايه وما ذلك على الله بعزيز ، ركاب حضرة الحود ، ورواق امر الممدود ، ومعدن الرافسة والحنان ، وما من الخائف للذهاب ، وعظم ان الله سامر بالمسند والاحسان ، حضرة فخر ملوك السبيطة ، ودرة تلك السلوك الوسيطة ، كبير سلاطين الزمان ، حبل افانين الاماني والامان ، السلاذ الاعلم والشال الاعصم ، ذي العروة التي (كذا) لا تقصم ، والحجة التي (كذا) لا ينقص ، الذي يعترف له القاصي والداني بالفضل عسى الاطلاق ، بيوه رتبة الاصامة والجلالة بالاستحقاق ولم لا وهو تسييم الخلافة العلية في منصب النوراة ، وحايض القضية السنية من خدمة المساجد الثلاثة ، وله ملك مصر وانهارها ، والشلم وديارها ، والمحاز وشرف مقدارها ، والى حضرة مجتمع الرفاق من الافاق ، واليهما تصحج الاجسام بالرحله والامثلة بالاشراق ، وعلى جمع تلك الحضرة العلية لمحاسن الدين والدنيا ، انعقد الاجماع والاصحاق (كذا) ، مولانا السلطان الملك الاشرف الاضخم الارفع الاعرف الاعلم الاحلم الارحم الارف (كذا) ، الاجود الاكرم الاسمح الاعظم ، قاص للمحدين وقاطع دائرة العنات (كذا) والبعات (كذا) والمردة والمسددين ، مهند طريق الحج والعمرة والزياره ، المايز بشرف الدين والدنيا من الجهاد في سبب الله والسقاية في المسجد الحرام والمعامرة ، مطهر البسيطة من دنس فساده ، ومظهر آيات الرامة والرحمة في بلادها ، سلطان الاسلام والمسلمين ، عز الدنيا وايدى وظل الله على الخليفة اجمعين السلطان بن السلطان بن السلطان سليمان بن السلطان سليم بن السلطان بايزيد بن محمد خان ، مسداله ظلال النعمة بامتداد ظلاله ، وشاعب لديه مواهب اكرامه وافضاله ، وادم نجم سمه المير باهر الاشراق ، وجعل منهم صده الحفير لازم الاختناق ، وحقق شهب اذلياء محمده من مرده النعاق ، جميع الانقار والافاق ، فهو الامام الهام ، والاسد الباسل الصرعام ، الذي عهد الله تعالى بدولته البلاد ، وامن ببركة اقباله في مسالكها وممالكها العباد ، ومزق به ثوب الفساد ، وقطع يسيعه وسنانه وبادرني قلبه الاهل ولسانه

داير اهل العناد ، فسعد الاسلام ببولته ، واعز دين الله العزيز في مدته ، وخملت نيران البغي
بسماعته . وامنت الاماني وشمل الامان بحسن سياسته ، نسل (كذا) الله تعالى ان يصل لسيدنا
مولانا عادت (كذا) نصره وتمكينه ، ويريه قرّة العين في دنياه ودينه وبعد : فان عبيدك الفقرا
(كذا) المساكين المنتظمين بجزيرة الاندلس وجملة عدتهم ثلثمائة ألف واربعه ومستون الف منهم من
وسايهم بفرناطة وغيرها خمسون والباقي من عامة المسلمين . راضعين شكرهم ، وما يلاقون من
بلاهم ياكين متضرعين مستنصرين بعناية مولانا السلطان دام عزه ونصره لا اصابهم من اعداء
الدين وطاعة المشركين ، وما هم فيه من مكابدة الكفار ، ومقاساة (كذا) التضيق والاضرار ،
وحور اهل الشرك اناه اللئل واطراف النهار ، وتحريقهم ايانا ياشار (36) قد تكالب العدو علينا
ومدد السوء والضرر البنا ، واحاطت بنا الاعداء من كل جانب . وومونا عن قوس واحدة بسهم
صايب ، وطالت بنا الايام . وعاشت فينا يد الكاية والايلام ، وخللنا حيرانا واخواننا ببلاد المغرب
من اهل الايمان . وقد كان بجوادنا الوذير المحترم ، المجاهد في سبيل الله خير الدين وناصر الدين
وسيف الله على الكافرين « علم باخواننا » ومسانجده من عظيم اهلنا لا كان بالجزائر . واجتمعت
اهل الاسلام على اطاعة مولانا ومحبيته بالخرائط والظاير (كذا) . وانتظم العدل والشرع والامان
في البادي والحاضر ، فاستفتنا به فاعلنا وكان سببا في خلاص كثير من المسلمين . من ايسر
الكفرة الترددين ، ونقلهم الى ارض الاسلام . وتحت ايلة طاعة مولانا السلطان ولصاحبه مدينة
برشك (37) وورشال وتواحي تلمسان ، فلما سمع الكافر اللعين بذلك ولم يقدر على متعنا
بالسياسة والامانة والحرق بالنيران ، علم اننا اخترنا المصيبة في الاموال والادنان ، واقرنا ديننا

(36) من المسلم به تاريخيا ان معارك التحريك كانت كثيرا ما استتصفت الحرق تنكيلا بالاعضاء وانها موزع بالزنج
وخضعة بالتوازي المسلمين . راجع : عقال ، نفس المصنف - ص 347 .

(37) في النص الاصل توجد حاته الكفية على الشكل التالي : برشل ، وعلى الرغم من تجريباتنا لم نتمكن من معرفتها
وتحديد مكانها ، لكن بالرجوع الى كتاب الفتر نفس المصنف - ج 2 ، ص 59 ، يذكر ان الانطليسي استمروا في عقد صس
المن الساسية ومنها مدينة برشك (Prisk) وتسلمنا حل من تحريك لكافة برشل ؟ وحتى برشك لم يشر على
تحديد لها .

ملاحظة : انظر تحقيق النسبية في آس هذه الوثيقة للاستناد عند الرسم الجليل .

على سائر الاديان ، فلما صدقت الضماير ، وبلغت القلوب الخناجر ، خاف من صبيتنا واجتماع كلمتنا وتركنا اموالنا واطنانا وصجرتنا وفراغنا الى بلاد الاسلام لسلامة ديننا ، تحاير في امره ، وجعل اليه اهل تدبيره وحزبه ، فديروا ومكروا وهل يحق لكسر السيف الا باهله ؟ وانلق وايهم المكوس ، وتديروهم المكوس ، على قتال الجزائر ، ليسا يبقوا ببلاد المغرب لاهل الاسلام ناصر ، فعاقبهم الله بقباب اصحاب القيل ، وجعل كيدهم في تضليل ، وارسل عليهم ريح عاصف وموج قاصف (كذا) ، فجعلهم بسواحل البحر ما بين اسير وقتيل ، ولا نجا منهم من الغرق قليل ، والآن اشتد غضبهم على اهل الاسلام ، وهم يتوسلون بالرهبان والاصنام ، ونحن نتوسل بسيد الانام الى موجب الوجود ذو (كذا) الجلال والاكرام ، وهم عظمين (كذا) على الجزائري ، والله تعالى هلكنهم وينصر دينه وهو نسم الناصر ، يا مولانا سلطان البرين والبحرين نصركم الله .

النداء المدد لنصرة الجزائر لانها سياج لاهل الاسلام وعذاب وشغل لاهل الكفر والطغيان . وهي موسومة باسمكم الشريف ، وتحت اباله مقامكم الشريف ، وقد اصبحت القلوب المتكسرة بها عزيزة ، والرعية المختلفة بها مؤتلفة الياسة ، وطرارز دوتنها المجاهد في سبيل الله عبيدكم الوزير الاجل خير الدين ، الممثل لاورس مولانا ، وتنازع عر الدنيا والدين ، فانه اسيا هذا الوطن ، وجميع النواحي والسكن ، واوعب قلوب الكفار ، وغرب ديار المردة والفجار . واطهر نظام السلطة العثمانية واحكام مولانا نصره الله حتى تزينت بها الديار والاصمار ، فترغب وتطلب من مولانا نصره الله فيما يراه من ارساله لهذا الوطن ان ودا (كذا) مولانا صلاح (كذا) في ذلك فيكون ذلك غاية الاحسان لجميع اهل الاسلام وقهر وتكاية لحزب الشيطان ، وقد اتفق جهمنا من المسلمين المذكورين على دفع الشكوى (كذا) الى مولانا السلطان الاعظم سلطان الاسلام لا زال بالمرح موصوف (كذا) وبالبهاء والنصر مخروف (كذا) بان يقبضنا برسائل المجاهد خير الدين باشه (كذا) الى الجزائر . فانه لهذا الوطن نعم ناصر وجميع اهل الشرك منه خائف وحائر (كذا) ، والسلام التام على مقام الشريف العالي ورحمة الله بتاريخ أوائل شهر شمسان احد شهور سنة ثمانية واربعين وتسعمائة (38) .

تحقيق موقع مدينة

« برشلوك »

عبد الرحمن الجليلي

وتراني أرجع في تحديد موقع هذه البلدة إلى ما هو مذكور في كتب الجغرافية القديمة - والاسلامية منها على الخصوص - فبعد البحث والتقصي في المكتبات عنها في كتب أهل الفن وجدناها مذكورة عند الادريسي في كتابه « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ولقد ذكر فيه ثلاث موانئ : فلوردها أولا في حوض ذكي يسمى بلد المقرب الاوسك - الجزائر - فلكر منها تسمى 3 « برشسك » - وجزائر بني مزغنا « وبجاية » وجيجل ... (ص 36) ط ليدى 1864 م ، ثم وصفها في مكان آخر من كتابه هذا (ص 88) فقال : « وطريفة » برشك « مدينة صغيرة على تل وعليها سور تراب ، وهي على صفة البحر وشرب أهلها من عيون ومغلاها غلب » واقتضاها الملك العظيم رجاء في سنة 7 وبها فواكه وجعل زراعت وحفنة كثيرة وشجر ، ومنها إلى قرشال - وهي مسورة - 20 ميلا ويصل بينهما جبل منبع يسكنه قبيلة من البربر تسمى « ربيصة » ... وأعاد ذكرها في صفحة 101 فقال : « وبين برشك وقرشال على البحر يصل بينهما جبل كبير منبع يسكنه قوم من البربر يسمون دبيعة » .

فحين جلد عرفنا أولا أن « برشسك » هي من بلاد السبخس الجزائرى الغربى ، وأن موقعها - ما بين القديمتين : قرشال وقرش - وأنها تبعد عن مدينة قرشال غربا بشرين ميلا يصل بينهما جبل منبع ...

وما يسهل لنا الوصول على هذه المدينة بالتحقيق هو أن نلحظ نظرة مختلفة إلى الخريطة الحالية للسبخس الغربى من القطر الجزائرى حيث نجد مدينة قرشال « لم تكن تسمى » نوفى NOVI ، لم تكن تسمى Fontaine de

تصلتنا بطريقها الكبير وعلينا منه تحقيق موقع مدينة « برشسك » التي جاءت في علم النواص - فاللغات بها بل ملحوظا :

« برشك » ينتج إليه ، وكسر الراء وسكون الشين هو اسم لحدى الكواني القريبة من بلاد الجزائر السبخلية التي اشتهرت على الخصوص أيام دولة بني عبد الواد الزيرية ، وتكلم عنها ابن خلدون في تاريخه والادريسي في جغاليته : فترى ابن خلدون يقول علما ترجع للاخوين الطالين ابي زيه عبد الرحمن والحسين ابي موسى عيسى المشهورين بولوى الامام : انهما (من أهل « برشك » من أعمال تلمسان) ج 7 ص 388 ط بولاق 1284 هـ ! ولا ساق غير لزيم بن حماد الكلاني في حوادثه مع بني زيان (683 هـ / 1284 م) قال عنه باه كان حسن مشيخة هذا القصر - يعني برشك - كما صعد بالفر أيضا (ص 99) وهناك اورد خيرا آخر عن ابي زيسه عبد الرحمن بن محمد اس الامام فقال : كان أبوه من أصل « برشك » ج 7 ص 300 ، وذكر بأن عبد الرحمن هذا سافر من تلمسان إلى برشك سنة 708 هـ / 1308 م - 9 في مهمة للسلطان ابي حمو كانت هي السبب في القضاء على لزيم ومشيخته وزعمته على تلك التواض واليهضت وصار اسم « برشسك » إلى السلطان ابي حمو ج 7 ص 300 ، والله اعلى ابن خلدون أيضا يضيف اسم هذا البلد بالخرمات ، فضيف إليه ، فالحق وكسر الراء وجعل فوق الشين المصبة علامة السكون كما جـ ذلك موضعها في « الترميد » بأن خلدون ورحلته غربا وشرقا ص 441 ط جنة التاليف والترجمة والشر - فالحقورة 1951 م تحقيق محمد بن تاووت الطنجي .

30 سنة أو أربعة آلاف ذراع على اختلاف في ذلك .. وهذا
 اختلاف لفظي فقط - كانت الجملة ليبلغ ما يعادل 40
 كيلو ميترًا ، وهذا ينطبق تماما على المكان المسمى اليوم
 « فيليبسبورق » Villebourg ؛ فبرنسك الآن عسى
 « فيليبسبورق » أو ما تسرب منها مثل دوبيليكس أو
 فرانسيس فارنيز ؟ .. وعلى كل فلا تخرج « برنسك »
 عن هذا الخط ، فانظر الخريطة .

ثم فورايا ، نسم فيليبسبورق Villebourg ثم دوبيليكس
 Duplex ثم فرانسيس فارنيز Francis Garnier
 ثم تسي ؛ ويبلغ طول هذا الساحل 576 كم وبلا شك
 أن مدينة « برنسك » تكون ضمن إحدى هذه الإمكـ
 المذكورة فيما بين ترينال وتسي .
 وربما أن الاندوس جعل المساحة التي بين ترينال
 و « برنسك » هي شرون ميل ، والمثل هو عبارة عن





ورأس نقابتي وروبي

ضمير الأمة في كتابها

ان يضلوا في كثير جدا من شؤون الحياة
الجارية ، دون ان يكون للضمير دخل في هذا
الاختلاف ، وبالتالي دون ان يكون للكاتب الحق في
دور مطلوب فلهم - مثلا - ان يضلوا في افضل
الطرق لتنظيم المرور ماذا تكون ؟.. هل تسيير
السيارات في هذا الشارع او ذاك في اتجاه واحد
او في اتجاهين ؟..

د. زكي نجيب محمود
استاذ الفلسفة بجامعة
القاهرة

وكيف تخفف حدة الرحام في ساعات الذهاب الى العمل والانصراف منه ؟ بل ان للباس ان
يختلوا فيما هو اخطر من ذلك شأنه كال يضلوا في خير نظام لتقسيم المراحل التعليمية وفي أنفع
المنهج الدراسية وهكذا ، لهم ان يضلوا في نظام الفصل الدراسي الواحد في الجامعة او نظام
الاصلي ، وهكذا هل في أمثلة أخرى كثيرة من نظم الحياة الاجتماعية ، فليس كل اختلاف بين
الناس محركا للفساد ، وادن فليس كل اختلاف بين الناس في شؤون الحياة الجارية مما يستدعي
بالضرورة ان يكسب الكاتب « الاديب » ، لان أمثال هذه الامور متروكة لمن يصون مقتضى الوقائع
واحسانها ومعالجتها على النحو الافضل ، بدءا من التعاريف الصحفية وانتهاء الى البحوث العلمية ،
لكنها امور - كما قلت - لا دخل لضمائر الناس فيها ، والفصل فيها اما يكون للعلم وللتجربة ،

الدكتور زكي نجيب محمود من أبرز المشاركين في ملتقى الفكر الاسلامي الثامن في مدينة بجاية . ويسرنا ان
ننشر له هذا المقال الهام كبادرة مساهمة في « الاصاله » .

لكن هناك ضرونا أخرى من المواقف ، ما أن يحتلف في شأها الناس حتى تثار الصائغر في الصدور ، حافزة أصحابها الى الجهر بالرأي الذي يروه صوابا ، ثم الوقوف دون هذا الرأي مهما تطلب ذلك من كفاح وجهاد وتضحية بالراحة أو بالمال أو حتى باحياة نفسها ، وتلك هي المواقف التي تمس انسانية الإنسان ، كالطرية والعدل والمساواة وما إليها من قيم عليا تحدد للإنسان أهدافه البعيدة ، وتحطط له طريق السير نحو تلك الأهداف « فمن حق الإنسان العاقل أن يبدى رأيه المشروع ، بالتقول أو بالفعل دون أن يكون لكائن من كان أن يحرمه من هذا الحق بحجة أنه أعلم منه بالطريق الاسلام ، فالعرق الاساسي بين الحر والعبد هو في أن الحر يقرر لنفسه القرار ليكون مسؤولا عنه ، عل حين أن العبد يقرر له سيده ولذلك يكون سيده هذا مسؤولا عن عبده أمام القضاة ، فإذا اعتدى معتد على حق الناس في حرية التعبير عن وجهات انصارهم ، لم يكن ذلك من قبيل الاختلاف على طرق المواصلات ومراحل التلمس ورسوم الجوارك وجباية الضرائب ، لا بل هو من صنف غير ، يثور من أجله « الصبر » ويكتسب « الادب » ، إذ - على لائق - ذلك هو ما ينبغي أن يكون »

انه لمن عجب أن الناس جميعا ، في كل بقعة من بقاع الارض ، وفي كل عصر من عصور التاريخ قد اتفقوا على مجبوعة من القيم العليا ، لا يحول بينهم وبينها الا أن يمتثل سلطان ذو بطش ، يرى أن مصلحته تقتضي ألا يمارس الناس حياتهم في ظل تلك القيم ، وحتى في هذه الحالة فإن ذلك السلطان الباطش لا يجرؤ على نسخ قيمة من تلك القيم ، انه لا يقول للناس مثلا : اتنى جئت اليكم داعيا الى العلم والكميت ، بل تراء - بكل سلطانه وقوة بطشه - يراوغ زاعما أنه يريد العدل كما يريد كل انسان ، ويريد الحرية وهكذا الا انه يرى العدل متحفظا في كذا وكيت ، ويرى الحرية متمثلة في هذا وفي ذاك ، انه لا يفي « القيمة » العليا المقيمة ، لكنه يستتر وراء اسمها يساء لنفسه من تأويل وتفسير »

لقد وقعت لحظة أكثر ، عندما كنت أقرأ قصة « دون كيجوته » ، وطالعت الموقف الذي جمع طائفة من اللصوص من قطاع الطرق ، بعد أن نهوا ما نهيوه ذات يوم وجلسوا ليقتسموه ، فاضت بينهم خلاف على طريقة التقسيم ، وبدأت بينهم المهرجة ، فجاء رئيس اللصاية يستفسر الامر فقالوا له : اننا نريد « العدل » في تقسمة الغنائم اللصوص يريدون اعدل فيما بينهم ؛ وهكذا ترى القيم الانسانية العليا أحرأ لا خلاف عليه بين الأترياء وبين المجرمين على حد سواء »

ولو كان الامر مقتضيا على فرد واحد ، لوجد هذا الفرد من ضميره ما يهديه الى الصواب ، وحتى اذا خائته ارادته وارتكب الخطأ ، فإنه عندئذ يعلم من وحي ضميره أنه إنما فعل ما لم يكن يجوز له أن يفعله لو أتبعته له الإرادة القادرة .

ولكن الامر يختلف بالنسبة الى الجماعة من الناس ، فها هنا اذا ما اعدى المعتدون على القيم الانسانية العليا ، فقد لا يتحرك الضمير بالقوة الكافية في هذا الفرد او ذلك الفرد من عامة الناس وعندئذ ينوب عنهم الكاتب الاديب ، انه لم يتعرض لظلم امدح من سواء ، ولا لطغيان أكثر مما تعرض له الآخرون . لكنه يحكم تكوينه الذي جعله شاعرا او اديب قصة ومسرحية او عبر ذلك من صتوف الصياغة « الادبية » . اقول انه يحكم تكوينه ذلك يكون اغتف ثورة في ضميره ، قيعن الرأى او بصوغ حقيقة الوقت ، اعلانا وصياغة تفرجان ما كان مضرا غالما في نفوس الآخرين ، أى أن ضمير الكاتب اذ يتحرك لعصه ، فهو كذلك يتحرك نيابة عن سائر الناس .

هذا هو ابو العلاء المخرى في زمانه ، يعاني ما يعانيه الجمهور كله من اضطراب السياسة وفساد الساسة ، لكن الجمهور من طبيعته الصمت الذي لا يسن ، والاديب بينهم هو رحمة الذي ينطق بلسانه عما كانت نود السنتهم أن تنطق به لواء استطاعت ، فيقول ابو العلاء فيما أحسه مع الناس كلما كثيرا ، بالضرع مرة وبالشعر الفسى مرة أخرى فيكون بذلك بمثابة ضمير خاص لنفسه ، وعلم يشمل الناس أجمعين ، فتراه يقول ما معناه بلغتنا المارجة : أن الناس تسوسهم هذه الايام شياطين مملطة عليهم ، هم الولاة الذين يتولون امورهم الاصدار جميعا ، هؤلاء الولاة لا يعيهم أن يجرع

الس حتى الموت ، ما دامت مواالهم منقلبة بالطعام والشراب ، وان الامير من الامراء لم يمل امارته الا عن طريق المربية ، وحتى أولئك الذين يظهرون الورع والتقوى ، عاتبا ورعهم ذاك وقواهم مصائد يصيدون بها المناصب والمكاسب ، الا انى قد مللت العيش في هذه الامة — هكذا يقول ابو العلاء بعد ترجمة لفنه الادبية الى لغتنا المارجة — مللت العيش في هذه الامة لاننى ارى امراها وكانهم مكفون بحراهم لا صلاحها ، فلقد طنوا الرعية واستباحوا كيدها ، وجاوروا مصالحها مع انهم اجراء هذه الرعية يأخذون وواتهم من كسها ، انك اذا قلت الحق اضطرت ان اتقوله مهموسا وأما اذا بقلت لقوا وباطلا ، اقاموا لك المناير عالية :

« اذا قلت المحال رفعت صوتى وان قلت اليقين اطلت همى »

لقد قامت معركة صفين بين علي وصاويه على الخلافة وسالت العامة خزيمة على ارض المعركة فتمركت
 ه الفسائر ه تسأل : من المسئول عن هذه الدماء ؟ انه محال ان يكون الفريقان صا على صواب ، والا
 لما اقتتلا . بل لابد ان يكون احد الفريقين على الاقل متخطئا ونفس التكر عن قى الفريقين هو الخطيئة
 والسؤال الذى تحركت له الضمائر عندئذ هو : حاكم المخطئ الذى كان سببا في قتل مئات
 المسلمين ايجل مسلما ام يكون قد خرج على اسلامه ؟ وبهذا السؤال الذى انبثق من ارض
 المعركة . بدأت البقعة الاولى لاقوى حركة فكرية في تراثنا الاسلامي . وهي حركة المعتزلة . ان
 الفسائر التي اقلتها الرشح القائم واقصحت على قلتها ذلك . لم تكن ضائر الافراد المتحاربين
 واحدا واحدا على السواء بل كانت ضائر قليلة قليلة . هي التي استطاعت التعبير عما كان يتردد
 في الصدور . اى ان ضائر الفئة القليلة القادرة على الصياغة التي توضح جوهر القضية المطروحة .
 كانت تتأرق أصالة عن نفسها وتبابة عن سواها .

ولابد لي ان اذكر في هذا السياق ان هذا السؤال الحاس بالحكم على من اقترف ذنبا كبيرا من
 المسلمين . لم يكه مطرح حتى اخذت الاراء تتشعب وتتعدد . فتكونت بذلك فرق (بكسر الفاء) وضع
 الراد (كثيرة) هي بمثابة « الاحزاب » الكثيرة التي تحدث . لا تكلفا واسطفا بل تكونت بطريقة
 تلقائية طبيعية اقتضتها ضرورة الموقف : فهناك سؤال خطير مطروح . والاجابات عليه كثيرة
 متضاربة . فمالذا يحدث عندئذ سوى ان يتجسع أصحاب الرأي الواحد في جماعه واحدة لتتناضل
 آراء الجماعات الاخرى الى ان يتبين الخي فيما هو مطروح امام الفكر ليجيب ؟ »

وفي دنيا الادب والفكر امثلة لا حصر لها . توضح لنا كيف يتصدى الكاتب للنظا الذي يسى
 اتساية الانسان ليصحه « سريرا في ذلك عن شيرة القلق اولا . ومعبرا عن ضائر الاخرين
 ثانيا ؟ ولاحت مثلا واحدا من كاتبة امريكية نشرت قصة لها في منتصف القرن الماضي . عن قضية الزوج
 في الولايات التي لم تكن متحدة بصورة كاملة عندئذ . ولقد أطلقت على قصتها عنوان « كوخ
 العم توما » . فما كانت تظهر حتى شعت اليها الاصدار والاسراع في امريكا وانجسترا . ثم
 ترجمت فور ظهورها الى عدة لغات اوروبية اخرى .

كانت قضية الزوج عندئذ مكتومة في الامم المتحدة كالكتابة . يقرأها الناس او لا يقرأوها لكنها
 على كل حال لم تبه من يفصح عنها بالكتابة جهرا وعلاية . حتى تصدت لها « هلويس ستر » في
 قصتها تلك . وحسبك ان تعلم كم كان عيبا ان كايها . اذا علمت ان حريا لعلية بين شمال البلاد

وجنوبها تشيب ، لترغم أهل الجبوب على عتق ما يملكونه من وقيق ، وانتصر لسكون قائد الشمال
 وذهبت إليه الكاتبة في مسكره تحبيه ، ولم يكن القائد قد رآها من قبل ، فلما رآها مقبلة عليه
 بجسمها الصغير النحيل ، قال لأصحابه : « أهذه هي السيدة النحيلة التي أنارت هذه الحرب الصرو
 س ؟ » هكذا ترى كيف تحرك ضمير انسانية واحدة فأحدث ما أحدثه ، فلا يحق لنا ان نقول ان
 الكاتبة الواحدة هذه قد عبرت عن قلق ضمير واحد بل الاصوب ان يقال : ان ضمير امها كان كامنا
 في ضميرها ، وساكفي بنقل مشهد واحد قصير ، من قصة « كوخ الم توما » ليرى القارئ تما
 من هذا العمل الادبي العظيم ، وهو المشهد الذي تحدى فيه العامل الزنجي «الم توما » سيده
 «ميون لبرى » :

أخذ العاملون من الرقيق يتقاطرون الى الغرفة التي جلس فيها سيدهم ليراجع موازين
 السلال التي جاءوا يخلونها مليئة بالمحصاد ، أخذوا يتقاطرون واحدا او واحدا في آن واحد ،
 باجسام انهمكا المرض والضعف حتى لم تكن تستقيم ، جاء دور الم توما ، فوضع سلته على الميزان
 وأحيز ، فدخل ليقف مع من سبقوه الى قاع الغرفة ينتظر الآخرين ، لكن الم توما قد أخذ يتربص
 بسلحات من عينيه فلقة الوميض ، خوفا على امرأة زميله ، يعلم ان سيدهم يتربص بها ، وجاء دور
 هذه المرأة التي أوشك جسدها ان يكون حطاما ، فأقبلت بسلتها مرتعشة ترتجف حوارجها من الفزع
 ووضعت سلتها على الميزان ، وكانت كاملة الوزن كما رأى السيد نفسه ورأى من وقف ليظفر ، لكن
 السيد الدمى الغضب ، وصاح في المرأة قائلا : ما هذا أيتها البهيمة الكسول ؟ امرأة أخرى تأتي
 الى سلته منقوصة الميزان ؟ = تعال يا توما واضرب هذه البهيمة بالسوط لتطعمها كيف تختل السلال

قال الم توما : هموا سيدي اننى لا أستطيع ذلك ، فهو عالم اتعود وما لست أقوى عليه !
 فنزع السيد « لبرى » حرامه وأخذ يجلد به توما جزاء عصبانيته ، ثم أوقف الضرب لحضة ليسال
 فيها قائلا : اتحزبه الآن ان تقول انك لا تقوى على فعل ما أمرك بفعله ؟

قال الم توما : نعم ياسيدي ، **قالها وقد دفع يده ليمسح دمه السائل على صفيحه ، ثم مضى**
ليقول لسيدة : اننى لأعمل طوال ليل ونهارى اذا شئت ذلك يا سيدي ، نعم اننى لأعمل ما بقيت في
جسدى حياة ، اما هذا الذي تأمرنى به فليست أراه مما يجوز فعله ، ولذلك فلن أقم عليه أبدا ،
أبدا .

هنا سرت في الحضور دهشة مما قاله الم توما لسيدهم ، وأخذوا ينظرون بعضهم إلى بعض بطرات تسال : أية زوية على وشك أن تعصب بنا جميعا ؟ !

أما السيد « لري » فقد تملكته الحيرة الداهلة فتردد قليلا قبل أن يزاو قائلا : ماذا أنت إيتا البهية النجسة السود ؟ ! أتقول لسيديك أنه لا يجوز لك أن تفعل ما أمرتك بفعله ؟ ماذا تعرفون اسم إيتا الماضية الملعونة عن الصواب الذي يجوز أو الخطأ الذي ألا يجوز ؟ أضنتت ياسيد توما أنك قد انقلبت من عمد إلى سيد في لحظة واحدة ؟ أأنت الذي تهيم سديك إلى الخطأ واصواب أزعج لي أن شرب هذه المرأة بالسوط عمل لا يجوز ؟

أجابه توما : نعم ياسيدي ، هذا هو في الحق ما أزعجه ، إن المرأة المسكين مريضة وضعيفة ، ولو ضربت بالسوط لكان ذلك قسوة بالغة للمدى ، وهو ما لي أفعله أبدا ، أبدا ، سيدي إذا أردت قتلى ، فدونك فأقبل ، أما إن أرفع يدي بالسوط على أى واحد من هؤلاء ، فذلك ما يستحيل على أن أفعله أبدا ، أبدا .

تحدث توما بصوت رزين هادئ ، لكنه مشحون بزمية لا يحفظها أحد ، وبرقت عينا الحضوران يريفا محيفا ، ثم نقض على فريسته كالطيوان الكاسر ، صارحا بقوله : انظروا ، هذا كلب ورجع وجدناه بيننا نحن الاثنين ! هذا هو قديس .. هو سيد ولا أقل من ذلك .. جاء في الانجيل : أيها الخدم أطيعوا سادتكم ؟ أأست سيدك الذى اشتراك يداله ؟ لقد اشتريتك بكل ما فيك بكل ما تحتوي عليه هذه الحارة الملعونة السوداء ! لقد أصبحت ملكي حسبا وروحا ، أليس كذلك ؟ - ورفس يدهما الثقيل الم توما ، قائلا له : أجبني !

ومن أعماق الآلام الذى نال هذا المسكين في جسده ، وبرغم ما أخذ به جسده يتلوى وينعنى ويستقيم من وطأة ما أصابه ، فإن قول السيد له بأنه قد بات ملكا له جسدا وروحا : بث فيه نشوة روحية عجيبة ، تآلق بها وكأنه قد أصاب نصرا ، وفجأة استخام بجسدهم وشخص بصره إلى السماء وقال في صرخة عالية ، وقد اختلط على وجهه الدمع والدم :

لا ! لا ! لا ! لست روي ملكا لك يا سيدي أنك لم تشتريها إذ اشتريتها ؟ كلا ، ولا كان في وسعك أن تشتريها ، لقد سبق لها أن اشتراها خالفتها ودفع لمنها ، اشتراها ودفع لمنها من في

وسمه ان يصونها ، اهل ايها السيد يجلسى ماتشد ، واما روجي فلن يكون في وسك قد ان
تلعق بها الاثى ..

تلك لحة مما لعله حي عل كاتبة اذية في قضية راتها بطة بالسانية الانسان في صميمها
ان شعلت النفوس قد يقرنقون الائم الذى يصيب جمهور الناس في اعز ما يملكون ، ولعنى انه قد
يصيبهم في ادميتهم نفسها ، وعندك تقع تبعة البيان عل من في وسه ان يضح عن حقيقة الوقت
بيانه ، فلذا لم يصل ، قل عنه : انه ضمع علن .



تأملات عن الفوارق ولعل ينبغي تجميعها

هل يمكن أن نطعن إلى فكرة « الفوارق »
دون أن يؤدي ذلك إلى تجميعها ؟

ولكن ما هي الفوارق التي نتحدث عنها ؟
إن التماثلات التي نسطرها هنا ، نتيجة
توافق بين الملاحظين ، وجدت أحيانا في الصحف
السيارة - وخصوصا في صحيفة « الوعند » التي
رددت عددي نظريات قديمة نوعا ما في علم

« د. إيفون تودين »
كلية الآداب جامعة الجزائر

الاجتماع وصعدت إلى الانهيار بالانكسار التي يتضمنها هذا المصطلح - وقد كان ذلك بمثابة
التفكيك الذي كان يدور حول تجديد التضرعات المنصيرية في فرنسا والبحث عن الطرق للكتابة
للاجها (1) . واستخلصنا للملاحظة الأخرى ، من العدد الذي خصصته مجلة الإمالة في الصيف
الماضي لتاريخ الاستعمار تحت عنوان : « تاريخ الجزائر والمؤرخون الأجانب »

وهذه الملاحظة التي وجدت تدعيا في ملاحظات أوجت بها دراسات شخصية أسهنا بها
حول هذا التاريخ نفسه ، دفعتنا إلى البحث ، بعزل عن الجانب الوصفي لحالة تاريخية واضحة ،
عما قد يكون جوهر الحالة الاستعمارية نفسها ، وعما يبدو بالبعض إلى أقلمة فاضل أيديولوجي
نوعاما ، بين التاريخ العام والتاريخ الاستعماري ، مما يوحى بأن الملاحظة تقع في النوع الأول من

(1) راجع عدد 22 أكتوبر 1973 ، الذي يحتوى على عرض للكتاب -

Juilette Mince : Les travailleurs étrangers en France, Ed. Seuil.

التاريخ بطريقة مثالية للطريقة التي تقع بها في اثباتي - كما لو كان الأشخاص الذين يؤلفون التاريخ العام لا يتشابهون الأشخاص الذين يؤلفون التاريخ الاستعماري ، بل هم يحتفون عنهم . وفي تلك المناسبة ، قلنا ان التاريخ المتأخر للاستعمار ، قد أصبح اتجاه قديماً فقد قيمته « لأنه يبقى على ما كان أساساً لمبدأ المتقلب على الوضع نفسه ، وهو عول المستعمر وحالته التي تقضي بأن يظل منعصلاً عن غيره ، بحكم طبيعته » وبذلك يصبح من الصعب الحديث عن المستعمر والتعامل معه أو درسه ، إلا على أساس اعتباره مختلفاً عن غيره من الناس . وكذلك يصبح أولئك الذين يستغلون الزعة المضادة للاستعمار في عملية صممة تحت ستار النقد ، وبشيء من النفاق في بعض الأحيان ، في الإبقاء على فتوة الفوارق وفي تسليط الاضواء على الإنسان المستعمر وتعرضه للفضولين ، بدلاً من وضعه في مكانه الطبيعي في المجتمع البشري في العالم (2) وهكذا يلتقي نوعان من الاهتمام ، أحدهما يتصل بالأحداث اليومية ، والآخر ذو علاقة بالتفكير والتأمل .

الموجة ؟ العوارق ؟ اعدام التشابه ؟ نريد ان نخصص السطور التالية لافاء الضوء على هذه الكلمات لتبين معناه ، ولهذه الغاية ، يجدر بنا ان نعيد الى الإذهان بعض عناصر تاريخها السياسي . فإن هذه المصطلحات قد دخلت في قاموس التقابيل الديموقراطية ، ولكنها من جهة أخرى ترد كثيراً (وهذا تناقض يطرح علينا مشكلة) في الآثار التي خلفها دعاة العنصرية ، مثل شارل موراي ريجوينو (في كتابه ، رسالة عن عدم التساوي بين الجناس) . وكذلك أوجت المصانعي التي تطوى عليها هذه الكلمات ببيان من التأمل بين عدد من المفكرين الألمان الذين لا تكاد تربطهم صلة بالديموقراطية ، مثل فخت وهيجل . ومن ثم ، فإن من المفيد ، عند استخدام هذه المصطلحات ، معرفة السياق الذي تستعمل فيه والشخص الذي توجه إليه الخطاب .

قلنا ان علم الاجتماع قد أعطى لمصطلح « العوارق » معنى يتسم بالجدية .

وضع الكاتب لوفيفر (H. LEFEVRE) في سنة 1970 ، كتاباً صغيراً يحتوي على نظرة مججلة تحت عنوان غير ، وهو : « بيان عن نزعة العوارق » (3) . وكذلك ظهرت ترجمة

(2) راجع الإصالة ، العدد الخامس ، النص الفرنسي ، ص 20 .

(3) H. Lefèvre : Le Manifeste Différentialiste, Gallimar, N.R.F Col. Idées

جديدة في علم الاجناس ، ولكن هذه النزعة تنسب خصوصاً بالتعبير عن ارادة الرنص . فان عنوان الكتاب يوحى بان المؤلف يريد اقامة محاربة مع البيان الشيوعي الذي وضعه كارل ماركس، والذي اعيد النظر فيه ، خصوصاً في عهد استالين . فان الشكل واحد ، بينما تقف كلمة « الفوارق » في مقابل الجماعة ، او « الشيوعية » .

وتنبئت نظرية « الفوارق » في ذهن مخترعها ، معاه المساهمة في عمل يستهدف القضاء على الروح الديكتاتورية والحقيقة السيامية التي تمثلها الشيوعية . ومعنى هذه النظرية اقامة عقيدة الفوارق . بحيث تواجه النظام الذي يتسع لجميع الخلافات منها وحدة متجانسة . وكذلك تنبع النظرية ، كما يقول المؤلف على ان « المحتل (أو التمييز) يتسم بطابع يعده عن كل ما عداه . وعند هذه النقطة تجد النظرية في التحليل النعسي وفي فصل الفوارق الفردية في علم النفس ، دعامة قوية « ومن البديهي ان «الشاذ» سيظل طفلياً وغير ناضج » (4)

وكذلك تبدو نظرية « الفوارق » التي ارتفعت الى مرتبة نظام ، في اسلمها ، وكأنها محاولة للرد او لانتقاد نظام آخر يعرفه (لوفيفر) معرفة جيدة باعتبار أحد ابداعه وواضعي أسسه النظرية

وهذه الملاحظة مهمة ، لان الفوارق لا توجد في حد ذاتها ، وانما يوجد « الفارق » والاختلاف بالقياس إلى شيء ما ، او إلى إنسان ما . ومن ثم فإن التفريق لا يعتبر عملاً حسناً او رديئاً في حد ذاته ، بل هو كذلك باعتبار من يحسب عليهم التفريق .

وهكذا يتضح ان اعتماد عقيدة « الفوارق » معناه الوقوف ضد عقيدة الديكتاتورية الشاملة ، وهي عقيدة ذات ابعاد سياسية معروفة بالدقة . وكما يقول المؤلف ، فان نظرية الفوارق ليست نظاماً .. وانما هي طريقة في الحياة . وهي ليست طريقة للتفكير ، بل هي وسيلة للوجود بطريقة تختلف عن طريقة الغير . - (5)

(4) نفس المصدر ، ص 67 .

(5) نفس المصدر ، ص 786 .

وهذه الطريقة في التمييز « يمكن التقريب بينها وبين الديمقراطية - فإن مع التفكير في القرن الثامن عشر الذي شهد تصيق البحث في النظريات السياسية ، كان يقوم على أساس ما نل فان فلاسفة القرن الثامن عشر الذين يراهم مجتمعنا ونظما سياسية مختلفة يطلق عليها مصطلح « النظام القديم » (وهو يقوم في جوهره على أساس متحيز من الذاتية والتشابه » . كانوا يتحدون بعض الفرد في التميز والاختلاف عن غيره بل بما يسوته « الحرية » ، والإمران مختلفان في الظاهر ، ولكهما في الحقيقة شيء واحد حيث الحرية في نهاية التحليل ، معناها الحق في التميز والاختلاف عن النموذج السائد ، أي « الوجود بطريقة تختلف عن طريقة الغير » ، حسب تعبير لوفيفر . وكذلك قام الفلاسفة بتحليل جميع أشكال الحرية الفردية ، والمدنية ، والسياسية والاقتصادية » .

وهذا البحث والتحليل كان من نتائجه إلهيار المجتمع الذي كان يقوم على أسس متجانسة نسبيا ، ليحل محله مجتمع « انضمامي » بمعنى انه يتطور على عناصر متضادة ، ولكنه أيضا جماعي ، باعتبار انه يشمل تلك صنوعة .

وهذه النيات والمقتضيات ، هي التي تشر إليها المقالات التي نشرتها صحيفة « لوموند » التي اشترنا إليها في مستهل هذا المال ، وغيرها من المقالات التي ظهرت في الصحف اليسارية الفرنسية التي عالجت حقوق المهاجرين « ولكن النية الحسنة لا يمكن ان تتحيز تبادا فكريا ، بل ولربما أدت الى احياء الاسطورة التي تخفى ظهورها واعدت اعداءها بذلك بالحجج العوية التي تستعمل ضدها » .

وتدل بعض الملاحظات التي نستخلصها من اوضاع تاريخية محددة ، على ان صياغة للمشكلة بهذا الاسلوب عرض ناقص يتطوّر على كبر من التبسيط . ولربما أدى الى حل ناقص ، اذا لم يكن حلا خطيرا .

فحين نلاحظ ، مثلا ، ان الكاثوليك في المجتمع الانجليزي كانوا « مميزين » (والانجليز يدينون بالذهب البروتستانتي) ولكنهم كانوا متميزين الى حد انتهى بهم الامر لرفضهم . وكذلك كان اليهود في مملكة فرنسا « متميزين » ، فكانوا يعيشون على هامش المجتمع ، والمسيحيون في العالم العربي ، كانوا هم أيضا يتمتعون بحق التميز ، ولكن هل يمكن ان نفي عنهم عمل وضهم ؟

وقد كان العرب في الجزائر الفرنسية «متميزين كذلك ...»

نجميع هذه الأوضاع غير المريحة ، توحى بفكرة الانصال والعزلة ، وبسان الجماعات الرئيسية ، تضع الاقليات والجماعات الصغيرة على هامش المجتمع . وهذه نقطة ينبغي الإلحاح عليها .

وهذه الأوضاع التاريخية التي تمثل حالات عاشتها مجتمعات بشرية حقيقة ، لا يمكن معوجها باعتبارها خطأ في التفكير ، بقولنا : « كان الامصل أن يقع كذا وكذا ... » .

فإذا كانت صياغة الفكرة على أساس المعطيات الديمقراطية كما هي في كتاب « بيان تسرعة العوارق » غير وافية ، فينبغي أن نحاول تعميق مفاهيم هذه المصطلحات .

لتحاول إذا أن ننظر إلى الموضوع نظرة غير منطقية ولناخذ المشكلة من الزاوية المقابلة ، على الأقل ، على المستوى السياسي . فإن ملاحظة ذات مغزى تثير اهتمامنا ، بل وقلقنا ، فإن « العوارق » تشكل أيضا الأساس الذي تقوم عليه المعيدة التي تنادى بعدم تساوى الاجناس ، والنظريات المنصرفة المختلفة أما تقوم على أساس هذه المعيدة ، وتستمد منها مبرراتها ، والتحليل التاريخي والنية السياسية التي تعطي لهذه النظريات قوتها ، من شأنها أن تدفع بنا في طريق الادراك والتمييز الضروري .

إن هدف النظم السياسية التي تنطوى على مبدأ « العوارق » هو بصفة عامة، تبرير المصرية فإن النظم التي سادت في القرن التاسع عشر ، وهي التي تهمننا هنا كانت تستهدف تعطيل تيار الفكر التنويري (ثورة 1889) ، أو القضاء عليه . وقد كان اليقظ والحقد على المجتمع الذي تبلور عن الثورة الفرنسية ، هو الذي يثير عواطف المفكرين الألمان والإنجليز ، بل والمفكرين الفرنسيين أيضا . وأما الوحش الذي انحمت الجهود للقضاء عليه ، فهو المجتمع العرسي الذي انقسم فيه التمييز بين ما يسمى بالطبقات العليا والطبقات السفلى ، أو الذي يتجه إلى تحقيق هذا المثل الأعلى ، وقد رشح في نفوس هؤلاء المفكرين أن العيب والحلل الذي يجب اصلاحه هو في المجتمع الذي يحرز على التمييز في نحو العوارق ، والحقيقة التي يجب إعادة الاعتبار إليها ، هي التي تؤكد الفكرة التي فصل بين الطبقة الارستوقراطية ، بمختلف اشكالها ، والطبقات الشعبية الفقيرة المختلفة .

لنقرأ هذا النص الذي كتبه مورا ، ناهمان : « لو كانت الديمقراطية ، كما هيل مراد ،

ظاهرة اقتصادية ، ولو وجدت حالة الديوقراطية حقيقية في المجتمع ، لا عسرت بها الملكية ، ولا عترف بها العلم واعتبرها بما ينبغي من الأمانة. ولكن الديمقراطية ليست إلا وهما وكذبا. والذي عرّفه فرنسا منذ إعلان حقوق الإنسان - ذلك الإعلان الرئيل - إنما هو حالة نفسية للديمقراطية وهذه الروح الديمقراطية كانت سببا في وقوع أخطاء قاحلة ، كما كانت المؤسسات الديمقراطية مهلكة كما سبق أن لاحظ بورجيه . وهذه المؤسسات ، ظلت تمسك منذ قرن من الزمن لضعاف الرباط العائلي الذي لم تستطع القضاء عليه ، وروح التجمع والحلابة الريفية ، وبالاختصار كل ما يبعد فيه الفرد الحزن والقوة . ومن هذا الوضع ظهرت أهمية اليهود بيتا . ومن هنا أيضا لأهمية التي اكتسبتها جماعة البروتستانتية ، وأهمية الأجانب . إن هذا النظام السياسي هو المسمى بالديمقراطية ، هي الشىء والموت ... (6)

وهذا النص يوضح لنا كيف يتطور التفكير المعادى للديمقراطية إلى تفكير عسري يتناول التمييز في المجال السياسي والاجتماعي مما « والتمييز مناهة التفرقة التي تتحول إلى عامل وراثي إلى نهائي » يتخذ شكل الارستوقراطية « وهذا التحليل - تحليل مورا - قد أدى فينخت وهيجل في ألمانيا ، قبل ذلك بثلاثة أرباع القرن ، إلى استخلاص نتائج ماثلة » . ومن هنا ، يمكن ربط تفكير مورا بتيار التفكير الذي ساد في ألمانيا قبله - وهو يحیی هذا التيار بالحاجة على العصبية التي ينفلها احتلال الأجانب وبالتالي على إلغاء الفوارق التي لا تفضلها حواجز من المؤسسات .

وأما فينخت وهيجل ، فقد طبقا نظرية الفوارق ، لا على الطبقات الاجتماعية ، بل على الشعوب بحيث استطاع هذان المفكران إقامة دعائم نظرية تنص بوجود أهم رفیعة وأخرى منخفضة « بل انهما وضعا أساسا لمنصرية تتجاوز الحدود وتمزق إلى الشعب الألماني حقا طبيعيا في التبعات النهائي ، وهو الوضع الذي تكون فيه الفوارق نهائية » .

وعلى ضوء ما تقدم ، يمكننا أن نتساءل : كيف استطاع المثال الديمقراطي والمثال المناقض له أن يعبرا عن نفس المطلب ويستخدم ما نظرية واحدة ليستخلصا منها نتائج متناقضة ؟

لكن نحاول استكشاف عناصر حل للمشكلة نرى القيام بالمزيد من النعديده باقتصادات تتطرق بالشكل الذي يتخذه الفارق « الرحى » ، حيث نتحتم علينا أن نسميه الآن عسك الفسارق

(6) Enquête sur la monarchie. Ed. Fayard, p. 119.

« الديمقراطية » ، وطبيعة الحجج المستعملة قصد ترشيدنا وتضيء الطريق امامنا للتحرف على نواحي النص في وضع نعمة العوارق التي حللتها آفناواتي أصبحت تمثل الى حد ما الضموم الشائع للصلبوعات المذكورة في الوقت الحاضر .

ففي كتاب شارل مورا الذي اقتبسنا منه النص السابق، يرد هذا الكاتب على بول بورجيه * والكتاب عبارة عن تحقيق يحتوي على وسائل ليخص القراء سنلوا ابداء رأيهم في الخصائص المميزة للنظام الملكي * وفي هذا التحقيق تبسوارآ، مورا وبورجيه متطابقة - ولكن تفكير مورا الحاد واتصق ، قد حول تأملات بورجيه الى نوع من التعليل الفلسفي على طبيعة العلاقات التي يمكنها ان تجمع بين فكرة النظام وفكرة العوارق في مجتمع يستحق هذا الاسم * وفيما يسلي ما قاله امورا : و ان السيد بورجيه يعرف جيدا ان « الديمقراطية » مثال اعلی مزيف ، ليس في تفاصيله وعوارضه فحسب ، بل وايضا في مبدئه وجوهره * فان الديمقراطية بالضرورة خالية من الشكل وتؤدي الى التعقيد ، والا ، فهي ليست ديمقراطية * والديمقراطية لا يمكن تنظيمها * وذلك لان فكرة التنظيم بدرجة ما ، تستبعد فكرة مساواة باية درجة * فالتنظيم ، مناه للفرقة والتمييز وبالتالي ، وضع سلم من القيم بحيث تكون شكلا هرميا * وعلى هذا الاساس لا يمكن ان تسود المساواة في أي تنظيم اذا استثنيا التنظيم الحديث المتواضع للحياة السياسية والمجتمعات التي منيت بالعقر الشديد والحرمان والتي تحو حياتها من كل تعقيد * ،

ومحور هذا النص ، ليس هو النقد الاضافي للديمقراطية ، بل هو في التناقض الذي يكشف عنه والذي يزكهم بين فكرة المساواة وفكرة ، التنظيم * وفي رأي مورا ، ان مبدأ المساواة لا يمكن ان يؤدي تطبيقه الى اقامة مجتمع منظم - وبالتالي ، فان المساواة ، منهاها العمومي * واما الفرقة والتمييز فينجم عنها حتما قيام نظام هرمي الشكل من القيم الاجتماعية وغيرها * والتنظيم الهرمي للمجتمع ، أي التعرقة وعدم المساواة ضروري لانه شرط اساسي لحياة المجتمع وبعبارة اخرى فادا قعدا شرط عدم المساواة والفرقة فقدنا التنظيم وبالتالي فقدنا المجتمع نفسه .

ومن جهة اخرى فان درجة التنظيم وعدم المساواة ، تنكس درجة الحضارة التي تصل اليها جماعة بشرية . ومن ثم ، فان الذين ينادون بالمساواة ، اما يناهون في نفس الوقت بالعودة الى الوحشية .

ونحن نجد ملاحظة مماثلة في كتاب لوفير حين يقول ان « عدم التميز » يفترض اتحادا وتجانسا ، بحيث يقترب من « غير المنظم » عند مورا (7) ، أي انه توجد علاقة بين عدم التمييز وعدم التنظيم عند مورا .

ولكن هي مورا ، التي يحتوى على اشارة واضحة الى عدم المساواة ، يجعلنا نلمح العناصر التي تبحث عنها لحل المشكلة ، ويبدو ان هذا الحل ، يقع في العلاقة الموجودة أو غير الموجودة بين الفارق وعدم المساوى - مالتفرقة العنصرية مثلا ، تنطوي على عدم المساواة .

ولكن لنستمر في الاقتباس على أمل إلقاء ضوء أقوى على الموضوع ، فان مورا يضيف الى ما تقدم قوله :

« انه يتحتم ان يتمتع كل واحد باكثر ما يمكن من الحقوق في بلد غنى ممتد مثل بلدنا . ولكنه ليس من شأن أحد ضمان التساوى في هذه الحقوق حينما نطبق على أوضاع غير متساوية بطبيعتها - والفائز يكذب ، والحقائق اليوسفية تنفى ضوءا ساطعا على هذا الكذب وتنزع من المواطن الاحترام للنظام السياسى القائم في بلده ، حين يتنقى باستمرار تصميحة بأحداث الفوضى وبإلحاق الثورة » (8)

« أوضاع غير متساوية بطبيعتها » ؟ انه يتحتم لتوضيح هذه العبارة التي خطها مورا ، ان نستعرض كل ما في فكرة يجعل من حالة الضرورة التي تسيطر العالم - واذا توجد حالات من عدم المساواة ، أو بعبارة أخرى ، من الفوارق النهائية التي يعتبر زوالها محالما للطبيعة ، وبالتالي ، يؤدي بالضرورة الى الفوضى - والانسان الذي يتجه بارادته الى مقاومة هذه الحالات التي وجبت بحكم الامر الواقع ، يثبت بذلك انه قد فقد صوابه ، تماما مثل الشخص يحاول مقاومة اقوات الطبيعة السماوية .

ولكن الطبيعة (أو الحالة الطبيعية) تضاعف بالوازنة - وهنا نجد امامنا ترميزا آخر للتفرقة العنصرية وللتفرقة الاجتماعية معا . وهذا الترميز ، يتطابق تماما مع ترميز طبقة المتبردين* .

(7) لوفير المصدر المذكور ، ص 145

(8) المصدر المذكور ، ص 119

ونتيجة لما تقدم ، تدرك أهمية تجنب الخلط حينما نتحدث عن مبدأ العوارق ، بحيث لا تقع في الاضطراب والتناقض ، وفلاسفة القرن الثامن عشر ، كانوا متيقضين لهذا الخطر ، ولذلك فقد حللوا بوضوح الاخطار التي تنجم عن الاستعمال غير المفيد للعوارق التي يطبقونها على الحرية - هؤلاء ، يرون ان ترك العوارق تلعب دورها بدون مقابل وبدون تقييد ، ينطوي على خطر العوضى ، ولكنهم ، بدلا من البحث عن علاج لهذه للمشكلة في الاجاء ، على نظام عدم المساواة ، اى حرية العوارق التي استقرت لهاثيا ، وجد روصو هذا الحل في الاستعمال المعتدل للمساواة ، فهو يقول :

« اذا بحثنا لتعرف ما يتكون الخير الاعظم بالنسبة الى الجميع ، الخير الذي يكون النهاية التي يجب ان تستهدفها جميع النظم القانونية ، فسنجد ان ذلك ينحصر في شيئين : الحرية والمساواة - الحرية مهمة ، لان كل تبعية حاصلة تمثل قوة تجرد منها العولة - والمساواة ، هي ما مهم لان الحرية لا يمكن ان تكون بدونها (علامة الاحتمام في النص الفرنسي) »

ابهم يقولون ان المساواة وهم من اوصاف الخياليين ولا يمكن وجودها عمليا - ولكنه اذا كان من غير الممكن تجنب الامراط ، فهل يسمى ذلك انه لا يبيح العمل على الاذل لتضييقه ؟ انه نظرا لان قوة الاشياء ومنطقها تميل بها دائما الى القضاء على المساواة ، صاب ان تتجه قوة التشريع دائما الى الاجاء عليها » - (9)

وبالاختصار ، فان روصو ومورا ، متفقان في هذه المرة ، حين يعتقد كل منهما ان الحياة في عدم المساواة اسهل من الحياة في المساواة ، وتعا لذلك ، يوجد اتجاه طبيعي يدفع بالمجتمع في طريق عدم المساواة . والتطور الطبيعي ، يدفع نحو خلق نظام اجتماعي حرص على الشكل . والرضا ، بالنفس الاجتماعي والقوى ، ينجم عنه التثريق والتمييز . والتضال على الصعيد القومي وعلى الصعيد الدولي .

واما الاتجاه العاكس ، اى اقامة مجتمع على اساس المساواة ، فهو يكون نتيجة لانتشار الوعي ولبنيل جهود بعيد النظر ولا يمتز ايدا - وائ مجتمع سار في الطريق الذي تراق في فيه الحرية العادلة ، وصل الى اهدافه ؟

(9) Rousseau : Le contrat social, oeuvre complete, Gallimard, Ed. la Pléiade, T. III, p. 39

وهكذا ، وفي نهاية هذه الجولة من التامل تساؤل ، هل يجب تشجيع العوارى ؟ الجواب عن هذا التساؤل بالإيجاب والسلب ، بالسلب ، اذا لم نعمل على تحديد طبيعة العوارى ، واذا كنا نجهل ان هذا التعبير يكاد يحصل في طياته بالضرورة عدم المساواة ، وبالإيجاب ، اذا أدركنا ان العوارى ، لا تغل من الاخطار الا متى رافقتها المساواة .

والاشئلة التي سقناها في السطور السابقة بالفة الدلالة ، وتؤكد تحليلنا : فان الكاثوليك في بريطانيا يتمتعون بحق الاحتفاظ بالعوارق والتميز ، ولكنهم لا يتمتعون بالمساواة مع بقية رعايا الملكة . والمسيحيون في العالم العربي ، تنكروا من الاحتماط بعوارقهم ، ولكنهم يعيشون في عزلة ، واليهود في اوروبا الغربية كذلك ... الخ .

واذا لم ترافقها المساواة ، فسان العوارق تحمل دائما في طياتها جرثومة العزلة والانعزال . وينبغي ان نلاحظ من جهة أخرى ، ان الحل الذي تنطوى عليه العوارى ، اذا اقتصرنا عليها ، هو الحل السهل بالنسبة الى كل أغلبية لمشكلة أقلية ، مهما كانت ، فهذا الحل يطي الجساسة من قمع مجتمعا للأخرى ومن تقبل ما لم تنصده عليه ، ومن اريحة الكرم ، بل ومن التفكير والخيال (10) .

(10) سلطت الاضواء في الندوة التي عقدت في يازل (13) اغسطس - 3 سبتمبر 1972) والتي نظمتها شركة لانتاج المقايير الطبية تحت شطرا لتقدم الملئى - سلطت الاضواء خصوصا على اتجاه المجتمعات الحديثة الى حل مشاكلها الداخلية بالفرقة بدلا من البحث عن حلول بناءة جديدة لها . وقد وسف أحد المشاركين في الندوة الحالة التي نجمت عن التطور الملئى في المباراة التالية : « ولقد أدت جماعة الدول المتقدمة الى قيام مجتمعات تدعى بالفرقة والتميز ، وهي تركة اجتماعية متولدة من مذهب داروين في النشوء والارتقاء » وكل مكان عرف النور والنضال اليوم في العالم انما استعاد السلام الى ربوعة لا بالتصالح والوثام بل بالانفصال والانقسام والتقسيم والتميز المنصرى . وحتى لو صايناعن الضال الذي يقوم على اعتبارات الجنس والطبقة فسنجد عزلا وابادا يقوم على اعتبارات احادية مثل الشيوع الطاغين في السن في ماواهم والمرضى في مستشفياتهم ، والمصابين بالامراض النفسية في ملاجئهم الخ . وهكذا فان الناجحين والاقوياء ، يستطيعون ان يتفادوا فيما بينهم اسباب الناتج الاجتماعي ، وهكذا فان النزواج بين العوارق والمساواة ، امر صعب ، ولكنه اذا تم ، فستجني عنه حالة مثالية . ولكن ، من الذى اتبع له ان يشهد هذه الحالة ؟

الحزائرُ والعالم الثالث

د. العربي الزبيدي

كلية الآداب جامعة الجزائر

لها صلات مشتركة أصعب التخلّف والكسر الواحد .
لتحريف التخلّف وهناك طائفتان كثيرة ولكن أشهرها
ذلك الذي يجعل البلد للتخلّف هو الذي يقل مردود الفرد
المتوسط فيه عن مائة دولار ، أي حوالي خمسة عشر
جولاري ، لأن البلدان المتقدمة يزيد الدخل الفردي فيها
عن الألف دولار في السنة .

وحسب هذا القياس الأول نجد أن معظم البلدان في
أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية متخلّفة في حين أن ألمانيا
بلمن أوروبا وأمريكا الشمالية أستراليا ونيوزلاند والجمهورية
متقدمة .

ولكن القياس سرعان ما يتكشف أنه لا يمكن الاعتماد
على الدخل المتوسط لتحديد التخلّف لأن الإحصائيات
الأساسية التي لا يمكن بثوبها إيراد هذا القياس ليس
متوفرة في كثير من البلدان لأن الإحصائيات المحلية ما زالت
لا تتيح اهتماما كبيرا لعلم الاقتصاد تقرا لغيرها حسن
السيطرة المالية على مجتمعاتها .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن الواقع قد أثبت بأن ضعف
المردود المتوسط لا يمثل سوى ظاهر واحد من مظاهر
التخلّف . فهناك بلدان الأجانب وليبيا والكويت مثلا
يصل الدخل الفردي فيها إلى أربعمائة دولار أو يزيد -
ومع ذلك فهي متخلّفة أو قريبة كما يقال في حين أن هناك
بلدانا كاليابان مثلا ، لا يصل الدخل الفردي فيها إلى
أربعمائة دولار ومع ذلك فهي متقدمة وجمعة .

تسمية العالم الثالث حديثة جدا بالنسبة لتكوينه وهي
عبارة ترجع فقط إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية وسامعها
هو السيد ألفراندسول . أما تكوين هذا العالم فإنه يرجع
حسب اتفاق المؤرخين إلى القرنين الخامس عشر والسادس
عشر ، أي إلى مستوطن ما يسمى في التاريخ بالعبودية
الغربية .

ولقد اختلفت المفردات في تعريف العالم الثالث
وختلافا كبيرا ولكننا ، وعلى الرغم من ذلك نستطيع القول
بأنه هو الوعاء المحتوي للثورة العارضة التي ستغير وجه
العالم ، كما أنه في آن واحد ، عالم الكف والظلم
المستقبل ، فهو عالم الكف لأن البلدان التي تكونت كانت
مهددة لآدم الحضارات ، وهو عالم المستقبل لأنه يحسب
مخاطر جيزة وفروقت هائلة في المجالات البشرية والاقتصادية .

ولكن كان من الصعب جدا أن نجد عبارة واحدة تمكثنا
من تعريف العالم الثالث سياسيا وجغرافيا ، لأننا نستطيع
القول بأن العالم الثالث وهو جميع البلدان التي تتوكل

حماية الاول بين الإحتبار للطلاقات المكتوبة التي ترسب بلندن العالم الثالث بالبلندن المختصة . ونحن لا نضع بلندن العالم الثالث في هذا الحيز ، يجب علينا ان نأخذ بين الإحتبار ، أيضا : الوضع التوريثي الذي قاد الى ايجاد هذا الكيان العربي . ذلك من العالم الثالث اليوم ، مركب ، فعليا انه الاندماج بالبلندن المختصة والراسمالية منها على وجه مخصوص . وهذا يرجع الى ان رؤس الأموال للتوريث في البنوك الاسيوية قد خلفت ثوبا من الاحتكار بالتبعية لمركبة التصدير والتوريد جعل اقتصاد البلندن التخلخل ويكون مضميا بالقوة في التكام الراسمالي يوجهه كيانا شه ومثي شه ، وذلك بالانسلاخ الى الرابطة التوريثية بين الكيانين .

2) هيئة السيطرة الإبنيلية نفسها : فهذه السيطرة تظهر جلية في ميدان ثلاثة هي على التوالي :

أ - الميدان السياسي لانها تأخذ مباشرة في مراكز التسير والتقرير في البلندن السيطرة عليها .

ب - الميدان الاقتصادي لانها تؤثر في الهياكل والشركات الاقتصادية في البلندن للسيطرة عليها . ومن المؤكد ان البلندن المستعمرة تحول دائما لمحافظة على الاوضاع الاقتصادية الجيدة في البلندن المستعمرة والى جانب ذلك لتسيير قطاعات يسمي عادة بالقطاع العمري ، وبكسود مساهرا للثنام الاقتصادي في البلد المشرق ويستحصل كوسيلة لاستنزاف الثروات الجينية التي تنشرف عليها البلندن للسيطر عليها .

ج - الميدان الثقافي : لانها تصبح متحكم في الإنتاج الثقافي لتفرض على الجميع المنحصر انماها الحياة الساقطة في البلندن المستعمرة ، وكذلك طريقة العمل والاسلوب في معالجة الآدور والمقنات الى في ذلك حسن مكونات الشخصية .

الوضع التوريثي الذي قاد الى تكوين العالم الثالث

منذما يرجع البعث الى القرنين 15 و 16 لأن لهم في التي تعتبر الفترة المأساة بين مجرورة البلدان الأوروبية

اما القياسي الثاني في تحديد التخلخل فيتمثل حسب بعضهم في نسبة الزيادة في المداخول السنوي للفرد .

من هذا المداخول قدر في بلندن التخلخل ، ولا يتغير الا ناديا كمن صعدت ثابتة ، وهي في مصلحتها للاحقة او من المصنعة التقليدية او من المواد الأولية التي تصد الى الخارج لتكوين المصنوعات الأجنبية . وقد يتغير المداخول الفردي - امينا - في بعض هذه البلدان نتيجة الاقتدار السكاني او تلك المواد الخام على مختلف انواعها كما انه قد يتغيره بأكبره حرفة لاكتشاف صلات جديدة او لتراجع سعر المواد المصنعة . ومع ذلك فن هذه البلدان تبلي من جملة بلدان العالم الثالث للتخلخل لأن ما تبنيه من موال لا يستمر في صالح التنمية كما ترى ذلك اليوم في العديد من البلدان .

لما في البلدان المختصة ، فان نسبة الزيادة التوريثية ثابتة ومتواصلة بأكبره متساوية وذلك نابع عن كونها لم تكن انشوا بمدة في التنمية مكتنبا من تحديد مبالغها الاقتصادية التي تضمن لها الزيادة المداخول .

وبالتبعية للصح ، فان بلدان العالم الثالث كلها تقريبا قد تعرضت للسيطرة الإبنيلية وأول احتلال تعرضت له هذه البلدان هو الاحتلال الأوربي وما يمتد به حسن ظلم وتصلب واضطهاد . والحديث عن الاستعمار يتوعدنا حثا الى الكلام من حركات التحرير والتحرر وكذا مختلف التيارات المتنافسة التي تعمل - في غالب الأحيان - على تقنين قوى هذه البلدان التي أصبحت تسميها نعية ، وعرفلة مصلحتها نحو التمتع والتخلص مما يسمى بالتخلخل وفي الواقع ، فان هذه التيارات مضطحة ، وهي من وحى الإمبريالية التي لا يمكن الخروج العالم الثالث من التخلخل بدون القضاء عليها .

ولكي نعرف على العالم الثالث حتى لمعرفة لا بد من الاعتماد علىالاحتاجات الأساسية :

1) ضرورة وضع العالم الثالث في لمحة الصحيح ، القفلي الذي يتطور فيه ، ونسبته مغلقة . وسيرة أخرى

للجبهة الثانية وقد بدأ هذا العمل بتطوير ويتوسع في الفترة ما بين القرنين السادس عشر والسابع عشر .

وخلال « القرن » في مطلع القرنين 18 و 19 ، قامت أهم القدرات كانت سيطرة أوروبا الاستعمارية . والواقع أن أوروبا بدأت تقسم العالم منذ معاهدة Tordesillas التي وقعت بتاريخ 7 جوان 1494 . ولكن هذه المعاهدة على تجزئة العالم إلى مناطق ثلثة ، وهي منطقة قريبة من الدول الأوروبية ، تخدم كل دولة ثلثة التي يمكن لها أن توسع فيها وإن تقيم فيها مستعمرات . وقد تم ذلك حسب طيفي أسس طرفة أن أوروبا وحدها تملك ولايات خلفية في الاستعمار ومن ثمة صارت القوى والفرص العلمية عمليات استعمارية عبر البحار والحدود إلى شواطئ العالم .

وبعد تقدم الزمن سوف نرى أن هذا الطيفي يمثل ، فحسب إلى نفسية الاكتشاف صالحة لمساعدة أي أنه لا يمكن البلد أن يكتشف منطقة لتوسع من مستعمراته ، وإنما يستحق عليه أن يضمن حياته لها وإن يكون كذا على ذلك .

وقد بدأ الاستعمار بطريقة بسيطة جدا ، بل بدأ من طريق التجارة ، فاستقرت شركات تجارية متعددة مثل شركة فوجندا الإنكليزية في سنة 1606 ، والشركة الهولندية - الإنكليزية أيضا في سنة 1600 م ويوجد الفصل الأكبر لاهاجن الترك في إنشاء للمستعمرات البريطانية في أمريكا الشمالية . في هذا الشركة الملكية الهولندية الهولندية ، التي ستكون سببا من أسباب الاحتلال الفرنسي للشمال الأفريقي . ثم شركة الشرق الفرنسية . وهناك أيضا شركات أخرى لها دور فعال في خلق الاستعمار وكيفية .

وبعد ظهور هذه الشركات التجارية ، فبدأ ، فهو تتنافس بين الدول صاحبة الامتيازات ، ثم استعملت التنافس التجاري وتطور إلى أن أصبح سببا . نتج عنه في كثير من التنازلات احتلال وحرمان وتكاثف ، تنهي في

التي ستعرف التقدم التكنولوجي ابتداء من القرنين 18 و 19 من جهة . ومن البلدان التي كانت متجمعة متمسكة ببيئتها البعيدة وهي البلدان التي تسميها العالم الثالث من جهة أخرى .

عندما نرجع إلى هذه الفترة لا نستطيع أن نجد فرقا كبيرا بين القويتين . بل لا نستطيع أن نجد فرقا على الإطلاق يمكن أن يساعد مجموعة من البلدان على السيطرة على مجموعة أخرى من البلدان . أيضا الفرق بين القويتين بدأ يظهر لا كما قد يتصور البعض في العلاقات الثنائية وإنما هو الفرق كولا في اندلاع ثورة اجتماعية جعلت للحضارة الأوروبية تدور بانه من الضروري التخلص من الهياكل الاستعمارية التي كانت تسود العالم آنذاك وللتخلص في التظم الاستعماري والقبيلة للتمييز من الانكسار السلبيمة نحو الفرق والتقدم .

في حين ذكرت هذه المجتمعات الأوروبية ضرورة الاعتماد بهذه الثورة ، التي هي في الواقع ثورة ثقافية ، وفي حين استعاض الأوروبيون أن يفتقروا تنمية في مجالات الاجتماعية المختلفة نجد أن البلدان التي تسميها اليوم (العالم الثالث) لم تتمكن من أن تحقق تقدما وتكرس المواجهات التي كانت تعيق عنها زود التقدم ، فخلقت تفتش في التقدم الذي يستترب الاستعمار من خلاله .

وبعد هذه القضية الاجتماعية والثقافية في البلاد الأوروبية ومع انتشار الوعي والاندفاع في أوساط الجماهير الشعبية الأوروبية التي دعت بحكم البرجوازي الذي كسر قيود الملكية والذي سيكون نقطة للوحدة صاعدة الاستعمار الأوروبية الامبريالية ، نرى أن البلدان المختلفة لم تتمكن بسبب جمود هياكلها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وثقافتها من التخلص مع التخلص التكريفي : فخلقت تفتش في الفكر الاستعماري والقبيلة عجزه من أهم اهتمامات هياكل التحول التبريدي .

وكذا فإن الفرق في مجال الوعي والثقافة هو الذي سيسبب للمجموعة الأولى من البلدان أن تعيش على

مطمحين الإحباط بسيطعتهم لها تائج كبير على مصرع الإنسان المستعمرة ، ومن أهم هذه المصادمت : معاهدة دمود سنة 1678 التي تنص فيها إسبانيا بشرعية الاحتلال الإنكليزي في منطقة الكاريب . وقبل ذلك استطاعت الإنكليزا أن تفرّد الهولنديين من كنع من المناطق ، ومنهم سيلفيا (نيو استرادام) التي صارت تسمى بعد الاحتلال الإنكليزي (نيويورك) ، ووقع ذلك سنة 1664 .

والمعاهدة الثانية التي تستحق الذكر هي معاهدة باريس التي أبرمت سنة 1763 والتي قضت حداً حربيه السبع سنوات بين إنكلترا وفرنسا . ويقتضي هذه المعاهدة تنازل فرنسا لإنكلترا على كلتا جزر الأنتيل ومناطق الهند الصينية الفرنسية والصينيينال في حين يسمح لفرنسا بملفقي هذه المصاعد أن تستولى وتستعمر غرادلوب الواقعة في أمريكا الوسطى .

وهكذا بدأ الاستعمار ينتشر في مختلف انصه هذه الذي نسميه الآن « العالم الثالث » . وكلما ازداد انتشاره كان يوجه الاقتصاد في هذه البلدان بحيث يتركه تابعاً وخاصة الاقتصاد في الوطن الأم . لاجل ذلك يحصل الاقتصاد المستعمرات يركز أساساً على التصدير

ولم تكن أوروبا البعده على استقلال الأنواع البشرية التي سيطرت عليها في مختلف القارات وخاصة القارة الأمريكية . لذلك جلت إلى عمل توحش نزي- يتمثل في كل الإفرقة كميده كمة القمارس وثنية سالي القنطرات الاقتصادية في المستعمرات الجديدة ، ولذلك خلقت ذلك الشكل الذي ما زال العالم يعاني منه وهو شكل التمييز العنصري . فقد يقال إن رؤساء وملوك هذه الدول الإفريقية هم السودلون عن تيطرة المييه لأن ذلك كان يتم بموجبهم . ولكن الواقع أن الدول الأوروبية هي صاحبة المسؤولية الأولى ، لأنها هي كنع من الإحباط كانت تقضي لولاك الرؤساء تسلية يد عملة كانوا ياحطونوا بالخص الامان وإذا كانت هذه التصرفات الأوروبية قد تسببت في خلق مشكل التمييز العنصري في بعض المناطق ، فإنها

قد تسببت في إضعاف إفريقيا ، لأن معظم الذين يؤخذون عبيداً ، إما كانوا يفتلونون من بين الطبقة التي قد تشكل خطراً على الحكم في ذلك الحين والتي يستحسن إضعافها كالمخلص منها . ولذلك المصاهر أن أوروبا تقلت حسن إفريقيا في الفترة ما بين القرن الخامس عشر والتاسع عشر حوالي 100 مليون نسمة . قد يقال أيضاً أين ذهب هذا العدد الهائل ؟ - والجواب بسيط . لأن معظمهم كان يموت تحت السوط والتطبيب وهو يهضم القمارس أو يبيش المصارع ، وبهذه الطريقة صارت أوروبا المستعمرة قادرة على السيطرة على باقي الشعوب التي وقعت في قبضتها ، وراحت تستغمر أراضيها الهائلة كمة المصاهرة وتنية حيالها وتثبيتها بحيث تسبح قادرة على ضمان الردود القار والمتزايد بالفسراد ، لأن هذا الوضع هو الذي يخلق الفرق بين الدول السيفرة والدول المحيط عليها ، وهذا الفرق هو الذي سوف يمكن المصهورة الأولى من أن تستعمر على حساب دول المصهورة الثانية ، وهكذا ينشأ العالم الثالث

وحيثما حل ، فإن الاستعمار قد في مراحل ثلاث تكاد تكون متشابهة في جميع انصه العالم . وبعدها انشا لا نستطيع التفرس لهذه المراحل وتطورها في كل بلد على حدة ، فالتا تركيز دراستنا على مثل الجزائر الذي هو نموذج في مقارنا .

إما المرحلة الأولى ، فإنها تبدأ عادة ، بالافصال الميشر مهما كان نوعه ، وتتسم خاصة بالسيطرة العسكرية والديبلوماسية .

وفي الجزائر ، بدأت هذه المرحلة سنة 1830 : وكانت في أساسها نهج اجنبي استهدف سيطرة البلاد بعبسة الثامر للكرامة في حين أن الأسباب معروفة وهي كسيرة لا علاقة لها بالشتم والافادة كما يدعون . وقبول النضج بالتمسك المتمثل في تلك القلوبة المسطحة المستمرة التي لم لهذا طوال الثلثين الإغرين من القرن التاسع عشر ،

واحد من هذه المرحلة في الجزائر كما هو الشأن في جميع البلدان المسيطر عليها والحقه نستطيع صرحها فيما يلي:

(1) القضاء على المصادرة ، وهو امر كثيرا ما لا يتم الا بالنمط المصري .

(2) العمل على ابناء القطاع التقليدي وتدعيمه في المجال الاقتصادي ، او قد كان ذلك بواسطة تشجيع عملية الاهالي الجامعة التي ترعى جميع انواع التطور ، ويمثل هذا التشجيع في اوراق الاهالي وصدمهم عن صياغة الرأى الذى يتم في مختلف أنحاء العالم ، وعلى سبيل المثال لذلك ان الفرنسيين كانوا يطمحون سكان الريف من شراء المصانع الحديثة ويساعدون على ان تنشر في اوساطها اساطير وغرافات لتفهم من ذلك

(3) خلق قطاع يسمى عليها بالقطاع المصري ، بهدف الى ايجاد مصادر ثابتة لتزويد الاقتصاد في الوطن الام بالمواد الأولية الضرورية لخلفه مشائه ، وتأمين هيكله وتجميعها من جهة والايجاد لسوق مريحة لتوزيع المصنوعات الاستعمارية من جهة اخرى .

وللصالح على هذا القطاع الجوى بالنسبة للصالح الاستعمارية ، فان هذه الأخيرة تحمل ثاقبة على تكوين يد عملة من الاموال قائمة على فهم جزئى عن التطور التكنولوجى الذى يتم في الوطن الام ، وعلى هذه العملية لعرب صلاحيين بعضهم واحد . لمن جهة توهم السكان بانها عملة بتركيبيهم وخسرة صلاحيهم ، ومن جهة اخرى تعيد استثمار الثروات الاقتصادية المتجاوزة لتفقد في عملة الاقتصاد بالوطن الام .

ويتربط من هذه المرحلة الاولى من الاستثمار نتائج اساسية اربع هي :

(1) اتساع الهوة بالنسبة للفارق التفرقي بين الكيانين المستعمر والمستعمر ، وقد كان يكاد يكون غير موجوده فيها يتعلق بالجزائر . ودليلا على ذلك كتب التاريخى السضى تريت في معلقها بان الجنوبى الفرنسى ، كان قبل الاحتلال يعيش حالة من الشرق الجزائري .

(2) اقتصاد المدينى الى او الانقياد السكانى في البلد المستعمر ، ذلك ان هذه الرحلة تتناول بمقدم مصوغات مختلفة من المستعمرين يتطلب استيطانها توفير اسباب الحياة والرفاه ، ومن جملة هذه الاسباب بناء المستشفيات والمستوصفات لتحسين الوضع الصحى .

وعلى الرغم من ان هذه الفئات الصغيرة لم تعد لا يناء الوطن ، فانهم قد استفادوا منها بالضرورة ، وساعد ذلك على ان يتضاعف عددهم ، وعلى ان يظهر ما . جديد لم يكن معروفا من قبل ، ويمثل في الهجرة على مختلف المراحل . في الصراع ينتهي دائما بالقضاء على حصة البلد المستعمر او تسويةها تسويةا قريبا من المسخ على اقل تقدير . « الوعى والادراك » : ذلك ان النتيجة المباشرة لتسعة الاعمال على حدناك بعض الامور التى كانت طموحها عاجزة عن فهمها من قبل ، وذلك اننى هذه الادراك في الجزائر الى ميلاد ما يسمى بالمركات الوطنية التى هي الى الواقع كبير من رفض الاهالي الذى يقسم عملة الى توينين :

أ - نوع ياتي في شكل الحركات السلفية او حركات الإصلاح ، وهو خاص برفض السلطات والظلمة الحالية باعتبارها اساس المجهود والفساد ، وكذلك رفض المبادئ الحية الاستعمارية المستوردة .

ب - وهو النوع الذى يتجاوز الإصلاح الى العقيدة باسترجاع المصادرة

ولقد كان الاستثمار يهتم كثيرا بهذه النتيجة الرابعة وينتاج تطورها ويؤدبه عن كتب بحثا عن الدخول التى تمكنه من ايقاف التيار الجارف . وبضمن حل توصل اليه هو التخليق او ما نسميه اليوم بالاستعمار الحديث .

والمرحلة الثانية او الاستثمار الجديد لان ذلك هو القصد ، فانها تبدأ عملة عندما يعسلى البلد المستعمر على استقلاله السياسى ، وتتميز بثنائى ثلاث :

(1) تتلاقى الفكرة الاولى بلسف الليال الاقتصادية الأوروبية ، وانهاير الاوضاع بسبب ما على :

١ - عدم توفيق الدول والاكرات الوقية ، وقيام رؤس الدول والاكرات لخدمة من البلاد المستعمر فيها فليها : الامم التي يعمل الاقتصاد عليها في كلفتها وينحصر في السوق الدولية والحادية التي ليس لها مخرج غير السوق الاجنبية .

ب - فقر الشعب وعدم قدرته على استهلاك منتجاته .

ج - وجود تعليم لا يتواءم مع الواقع الفعلي ، بل على العكس . فان التعليم في كل بلد مستل حديثا ، كما رأينا في الجزائر ، تعليم شديد الاتصال بواقع التعليم في البلاد المستعمر سابقا ، مع فرق واحد يتمثل في كون المعلم الثاني شغل يسقيه منه جميع ابناء الشعب ، في حين ان الاول لا يلمه سوى فئة قليلة من الموظفين وهي الفئة التي لها استعداد لان تقدم خدمات في الشكل المحدد للمسير السابق ، ولان تقبل انهاء الدراسة والتروسة على البلدان لتسليم عليه سابقا .

د - انحصار الميديونوالتي التي يترك شاكل خفية كالمعلم والمعلم والمعلم ..

هـ - الصراع حول ابيع المشرق لتقوم الوضع وتعتبر المواقف الاقتصادية : اعتمد على الفكرة المبدئية التي كونها الاستعمار وعجزها عن طيته وهو ما وقع في كثير من البلدان المعام الثالث ، ام حصل يتبنى المذهب الى الفكرة الشعبية والتكليم الاشتراكي .

و - تتعلق الفكرة الثانية بغير التبية في الميكانات التصيرية والعلابة والتفافية والتفافية - وهو التي ابدية للاستعمار .

فالتبية للرجال الاول ، ان الدول الاستعمارية لديها بعد الاستقلال في اثناء تركاها كبرى احتكورية لاستغلال الثروات الطبيعية في اماكن العالم الثالث وتزويد السوق العالمية . وفي غالب الاحيان يتم شغل هذه الشركات بحيث تصبح لقوة في العمل في شؤون البلد الذي توجد فيه .

وفي الختام نللي بداية الاستعمار الى منع مساهمة وبيع كثيرة للاستعمار في الايجين الخاصة والعامة . ولكنه يصل الى ان ياتي البلد لتسليم عليه مدينا في حابة الى طوعة وخلفها للبلدية بالعينة للاستعمار في الوطن الام .

وفي مجال التربية والثقافية ، قدم الدول البكرية سابقة مغاربا وخلفها لتعلم وتنتج حركة التعليم والتكون في البلدان المستعمر حديثا . وفي هذا الصدد تطول ان نرجع الى اللغة الاجنبية هي التي استطاع وحدها ان تسيطر بالخدم التي ، لان اللغة الوقية عاجزة عن استيعاب العلوم .

ولانجاح هذه المرحلة الثانية يعتمد الاستعمار مدينا ، على اثنين اثنين :

١ - فئة البروجوازيين سلبية الانبيات التي اقامت المرأة بدون علم ، ولم يعلوا شعور بالانتماء الى الوطن فليها عيدا الوحيد خدمة لصالح الشخصية .

٢ - فئة المثقفين الذين استعمارية والمثقفين بالعقلانية الاجنبية مدينا عن الواقع الوقي . ان سلم هذه الفكرة من الاكرات التي كونها الاستعمار في عودها الى ابناء حياها بحيث ابعثت فكرة عن اعلها وترويا وسفرت تثير من الطلبي خدمة لصالح الاستعمارية .

وامام تطور هذه المرحلة الثانية ظهر مؤلفان اسفيل في البلدان للسلطة حديثا :

١ - حواف البيرول ويمتد بالتكليف مع الاستعمار الجديد وتكليف مساهمة التبية الوقية مع المفضل الاجنبي . ذلك ان فكهم عند الاستقلال لم يتكلم الى ايد ودية مقلدة . وانما الى في ايسا طبقة لها لوزاها من لصالح الاستعمارية في الوطن الام مدينا .

ومن حيزات مؤلف البيرول التزوير في السياسة للتدجيرة الى طليبات سكان البلدان كخدمة ، وضج لاجل للخدمة ولغة الاجنبيين وكذا لخدمة التزويد من

انتماء دولة واقيم الاميرالية والتشجيع على علسس
الطبقات وتسيبها .

(2) موافق الرضى . وباتى هذا الموقف نتيجة تلمس
البيعة الى ان الاستعمار الجديد يختلف وسائله وشكل
كاتبه يوصى مع التنمية الاقتصادية . اما اعتدله فهو :

1 - هلله اشكال النتيجة جدا كان نوصها .

- العمل على ايجاد استراتيجية مستقلة للتنمية
الاقتصادية . وهذا يتطلب :

- ازالة العقبات التجارية والمالية والقانونية التي كانت
تربط البلد المختلف بالوطن الام سابقا .

- العمل على تجميع المؤسسات الاجنبية في جميع
المجالات . وتحديد مسار الحركة الاولى مع رفع نسبة
الرسوم على الاستثمارات غير الوطنية .

- العمل على الاستفادة من الميزة التقنية والتفنية .
والقضاء على نزوحات التسلل السيكولوجى وذلك بواسطة
المسيرة على مختلف انواع التعليم . واعادة تقيم الميزة
الوطنية في عمار التنمية وتكوين المجمع .

- وعلى سبيل التنمية الاقتصادية الاميرالية التي
تريد ان تجعل من العالم الثالث متفهما في انتاج المواد
الاولية .

- الاستفادة من جميع القوس . واستغلال الخلاف بين
الدول الكبرى .

- ازالة حجة موحدة ضد جميع انواع الاستغلال
الاجنبى .

وفي خلال البسطة المتكامل حديثا تصب كل هذه
التصميمات بثورات ثلاث : زراعية وصناعية وقانونية .

ولم موافق الرضى هذا تستسلم القوى الاميرالية .
وتخرج تصل على ايجاد احسن الوسائل لتكليف مع

الوضع الجديد . واسبق الاستسلام وانحة يمكن صرحا
في الاخر :

(1) ان مطالب بلندن العالم الثالث المرافقة صارت
تشكل خطرا ما حقا بسبب ظهور الجبهات الموحدة .

(2) ان الوضع في البلدان الاميرالية نفسها قد تبع .

وان ابرز الاشقة في قضية الاستسلام والتكيف هذه
مثال الجزائر من 1954 الى 1974 .

وسواء كان الرضى او القول . فان التحولات في العالم
تخلق البلدان المستنة الى ايجاد نوع جديد من السيطرة .
وهي التي بدأت في مستوى هذا البلد . وهي ما نسميه
بالرحلة الثالثة .

والا كانت الرحلة الاولى تصل على التوسع الاستعماري
والرحلة الثانية على التكيف فان الرحلة الثالثة تلجس
الى القوة للظلال على استراتيجيات الاميرالية والسماح لها
بواسطة عناصر شرات العالم الثالث وذلك بطرق
مختلفة اهمها : التلون والمساومات الاقتصادية .

ولم هذه العلاقات الجديدة ينجم على العالم الثالث
القيم يتعدى القدر وهو غير يستعمل الا على كائنات
التي تقع مياكلها الداخلية . وتقوم الرحلة الترفيقية
التي يستلزمها عالم اليوم لتفرض على البلدان المستعمرة
ما يمكن فرضه . في تكليف صنع المسيرة الجديدة .
لا لتبطلها ولكن لتتمكن من القيد عليها . وهذا لا يكون
الا اذا وجد رجال يهيئون ضرورة رسم استراتيجية
الاقتصاد الوطني لتتسلل والقنطرة الاجتماعية الملمسة
بالواقع الذي يملك الاقتصاد العالمي .

وفي الاكسمة . فان العالم الثالث موجود ما وجد
التعريف الاقتصادي . ولا يمكن ان يكون هناك تصور
الخصص ما لم يلقى على البنيات الاجتماعية والميكانيك
الاقتصادية القديمة . وما لا تشا . في مستوى البلدان
القوية سموات الاقتصادية كبرى على غرار المشرق
الاوربية للشرق والمجموعة الاقتصادية الاوربية .

من الذهب الاسود الى الخجر الاسود

د. هشام بوقرة

أستاذ مساعده مركز الأبحاث
والدراسات الاقتصادية والاجتماعية - تونس

وان نقرة عجل الى عناوين بعض المحاضرات التي أليتها
وهي ليست بالفتح أمها ، تكفي لتعطي الشاغل
المتشرك التي تلجج الفصحين الباحثين اليوم عما عني
طريق نجة واحدة :

- رسالة الأديان في العصر الحديث لعبد الوهاب
يوحديّة

- دور الاسلام في بناء الإنسان المعاصر لعبد العزيز
كامل

- الاسلام والعنف لعبد المجيد الشرفي .

- الملهية في الاسلام كالحبيب الفقيه .

- الايمان في الاسلام لعبد شيش .

- المرأة ، بيننا وجودها في نظر علماء العرب لعبد
السوي .

- فكرة التقدم عند المفكرين الاسلاميين القدامى لعبد
حساب .

- الاسلام والتاريخية والتقدم لعبد اركون .

هنا بالنسبة للجانب الاسلامي ، فلما بالنسبة للجانب
المسيحي فاننا نجد من بين الواقع الفروقة :

انتظم في تونس بين 18 و 17 نوفمبر 1974 ميسفي
دوليا ، تحت عنوان « الملتقى الاسلامي والمسيحي » ، وكان
مولوحيه : « المجمع المسيحي والمجمع الاسلامي في
مواجهتهما لتحديات التمسو » وقد شارك في هذه
الاجتهات والامانة المصالحين ، بعضهم من تونس واليهي
الآخر من بلاد جنبيه ، لاذي منها المغرب ، ومصر وليبنان
وفرنسا ، وهولندا وبوسرا ، وليرها ، واشرف على
سيره والاعمال له ، مركز الدراسات والابحاث الاجتماعية
والاقتصادية ، في تونس ، يتعاون مع « المركز الثقافي
الدولي » بالبحرانات .

وقد يبدو مبدئيا للبعد عن هذه التمثل ان هذا الملتقى
كان لتصلية الحجاب ، بين ديارتين اصطفتا كثيرا وحمل
جميع كل واحدة منهما للاغتر الايمان والاحياء ، ولكن
حسن التنظيم والانتقاء والاشراف البقار الذي استطاع
به مدير مركز الابحاث الدكتور عبد الوهاب يوحديّة
ومستوى الدراسات التي قدمت ، جعلت المؤتمرين
يتجاهلون « الحجاب » ويغفرون السلطة الجالية ، ليتفكروا
مما الى الاستقبال الى الازمة الموحدة الى يواجهها التفكير
الديني ، والى الطريق المتصلة الملقى التي تتواس فيها
القيم الروحية المسيحية - الى الى واقع اليوم ، بتحدياته
وعديته ومنه وشلاله الروحي . وما يحمله المستقبل من
سخط بالركة الابية ، وتراكم التجزئات ، وتسارع السباق
نحو التلاح الابية ، وتكسب المصالح في الذي يأتي :

- صحيفة وفاق المراسلات التودائية لمسيحة سميت فلودنلان .

- المسيحية امام التاريخ والتقدم للاستقلال والانداز .

- نظرات مسيحية في التكنولوجيا جون كابلور .

- نظرات مسيحية في تمدد الثقافات في العالم المعاصر للويس غاردي .

- نظرات مسيحية في التزايد الديموغرافي للمعاصر للانسان كسمار .

وليس في نيتي ان اترافى في هذا الحديث ، الى هذه المفاهيم ، بالمعنى او بالقدرة ، لمعاتها وفعه جسدا ، والمختصاتها متشعبة ، والفرق التي عالجتها بها مواضيعها لتتروح بين الانبائية التقليدية المفرطة والعلمية الاكاديمية المتشككة ، والمستقبلية المبرزة ؟ ولكنني اود ان افسر الانبائيات البعيدة لثلاث تونسي وادب كل اعمال هذا المؤلف وحاول من خلالها اما الانشاء او الاستثناء ، ولكنه كان في كل حالات حساسا لهذا التمسس الجانبي الذي ينعكس في الخلفية احدى المفاهيم الكبرى للمعاصر .

مؤتمرات

سابقة

ليست هذه اول مرة ، وهذه امر يجب ان يقال ، يلتقي فيها علماء مسلمون ومسيحيون في مثل هذا المستوى ، فلهذه ذات الخطوات منذ اكثر من عشرين سنة ، عندما تكون في القاهرة بين 1948 و 1952 فريق « اخوان الصفا » وهذا للتعلق التاريخي كالمؤثر الاخير في العلاقة المعاصرة بين التراثين المسيحية والاسلامية ، لا انه في الوقت الذي انقضت فيه الهمجية الصهيونية على فلسطين ، بدأ المسمى المسيحي الاسلامي للتغريب ، ليس الا ان من سبب الصدمة . ويتبقى القضية الفلسطينية المحلية الحقيقية التي تحرك الجاهليين ، والوجبة التي تحمل اسمها هذه ، صوحا وحيوتا ، نحو البحث عن تفهؤ نظري ممكن ، ان افان له لا لتضييق المساحة .

مكنا ان سترى انه بعد حرب البسة ايلم ، يتخذ مؤلفون كجوان ، في نفس المستوى ، الاول في جيلون سنة 1970 والثاني في برمانا بلينان سنة 1972 .

ثم جاءت المسوقة الرابعة ، في طباعة صغر متفحة الحشرات ، طافت الجيوش الغربية مرة اخرى بالجيش الاسرائيلية في اكتوبر 1973 ، وحرب الحظر على البترول ، واعتزت الانصاب الحية في الحضرة الصنعية الاوروبية ، وارتفعت افراس القرب ، في الوقت الذي ظهر فيه العرب للمرة الاولى في مركز القوة ؟

هذه المرة مستشار الحركة بشكل طحل ، وتكاد تصح اللغات لشهرة خلال سنة 1974 :

1 - في ماي لكاه في كولومبو حول « الروحانيات في الايام » .

2 - في جويلية لكاه في الكرا بيهية لمانه ، دعا اليه الجميع المسكوني للكنائس وكان موفوعه « وحادية الله في الجنتج الاثري » وكان حله تطبيق التناول بين المسلمين والمسيحيين في افريقيا .

3 - في اوت لكاه في لوفان ييلجيا تليت « التوبة الصلية للديون والسلام » .

4 - في سبتمبر لكاه في قرطبة - جامعة الاسلام الكنية في اوربا - نظمت جمعية « الصلوة الاسلامية المسيحية في اسبانيا » وكان حله لتسيق التنظيم للكنائس بين المسلمين والمسيحيين .

في نفس هذا الوقت ، وللمرة الاولى ، يقوم وفد من علماء المملكة العربية السعودية بزيارة واسعة في اوربا ويستقبل من طرف السلطات الرسمية والعلمية ، ثم يتنهي به الحفل امام ايقايا داس الكنيصة ومسجد براج السيد المسيح !

فيل عشر سنوات فقط ، ثم تكن هذه الاحداث تطغر في اعيال ، وكان الاسلام شيئا تقريبا في صدور المستغلين

بالذين يلقون ما يعرفون عنه في قصة دوس ملقة ،
ويستلزون في السابعة دينلوهات وشهوات للتصغير !
فما الذي حدث ؟

أهي حقا ، قط ، المستغلة الوحيدة للضعف البشري
في كل هذه الأرض يحول أن يثقل عليه من كسفت
مصلحة التكنولوجيا واحدة بالانفصال ؟

الامر في رأيي يتكبد لسعة من الصراخ ، أي حسن
لاني على الأرض ، بعد تركه الصائم على التسليم وتخليق
مطعم النجاشي للجنة ، للجنة وراء الباب !

الذهب الأسود

والنجس الأسود

قد يستأنن الكثيرون الى القول : هي فكر المسيحية
جاءت تستنكر ، ونكر ، وتوب ، والمسيحيين ، والنجاشات
التي شرعية ، والمؤمنين الكافروسي . عاد الهم الرشوة !
المسيحية يتوقفون بالتردد وتنبهون على الفساد ،
ويؤمنون الكمية ، الذهب الأسود والنجس الأسود ، في
نهاية الحال !

لا قصة الاسلام مع المسيحية صراحة ، هذا صحيح ،
ولكنها ايضا صراحة عن طريق المذكرة الثالثة ، السريعة ،
التيبة ، او التسمية ! ليست قصة عدوان متبادل ؟
يسته ينسحب القوت وتزلق لصالح ، قد جاء الاسلام
محميا لكل الكراهات الاخرى ولكنه ايضا كسح لها ، فهو
لأن قاي لها ، قد قصة لأن اننا نعلم من التخليق وجود
الفرق ، الامر ، في التسمية ، كسوف شكل وتخليق ،
قصة ، ذلك قصة والمسيحية قصة ، وكنتا كيند
ايضا يصير في الفرق ، وبمازفة بعضها لعل قصة .
لا يعني هذا ان الاسلام يمتنع ويوجد التسمية الباطل في
فكر الاسلام ، وانما انه يطرح كوجود روحاني .

عند المسيحية بعد ذلك على الاسلام لتصل الرسوبة
التسمية السابقة ، في محاولة من أوروبا لمحاولة
للمحاولة ان تلوح للصحف الثايرين بانك في بيت للنفس

وبالمعنى يتفر من جراح يسوع ! فلا رفض الله للنفس
والسالي ان يسوع من المسلمين ، فلتنتقل اليه فتعنه
المحاولة الباطل ! مع الكروب المسيحية الآن ، بعد تاجر
الباطل الانساني الذي كان موجودا ايضا في عملية التاجر
الانساني ، وهكذا كان الجيش الانساني متفرد حسرة
اخرى من كرس التسمية ، كتبت هذه المرة ، مع الاثبات ،
عن مكان لها تحت الذهب والهم الكروبي .

ومعنا صيب الصالح التركي بالفساد وسر ، والهم
والقصة السعة ، فمرى وتجاهت ، عند التسمية عن
جديد ، تصليها جئات التخليق الى بلاد السلام ، لتكون
كلان الاستيعاف وفرقة الاستشفائية الاولى ، او ، حليمة
الكروبي .

ان هذا الكلام قد يزعج بعض مستمعين من قوى النجاشي
للمسيحية الباطلة او التي كسفت اليوم الى الخلية ، ولكنه
ان في يكن خلفية للتقريبه كلها ، فهو جيب منها ،
ويبقى ان الجانب الاخر ان لم يكن مستخدما سياسيا
فهو مشكلة مباشرة للسلام استهدف بها طسوده او
استهدف بعض جهوه ، لأن المسوكات التسمية ، في
انقلب حالها ، هي حركة مثالية ، ليس لأن عدوانية
بوجه من الوجوه .

هذا كلام طعني ، قد تفرلون ! ولكن هذا طعني هو
لا يزل حتى اليوم يزل يشكل على وحده في تحركات
الطعني ، وايضا في طعج التخليق . هذه الية على بعض
الآشربة التي يمتنع ان توضع قريبا مسر غلقة :

تطهير التمسيل

لأن الباطل خلال للخطي الاخر بان كثير من الإسه
التمسرين اعمالا معددة مسودة في الدعوة الى تصعيد
التسلي ، وتحويل هذه الدعوة ، ونشرها بشكل واسع بين
للتخليق المسلمين ، وهم يستجيبون بذلك الى العديد من
الدعوات التبريرية الدعوة . صورة لوضع ، وهم يستجيبون
الى واحد من أهم الانساني ، لأن قديما بعد بالفرح
للمسيحية . الكلام فيه شيء من الغلظة ، لا شك ، ولكنه

الاسم في المصمم

قد يشعخع البعض بوجهه عن مثل علم المصممين طقوسه
ويقول : لماذا إن علم المصمم يمتد إلى المخرج من
المتابعة إلى المرافقة . من المصمم إلى المتخصص . من
المصالح الإيدي إلى الإيدي البقية : لا . ليست موهبة ،
لا موهبة ، بل هي : أصناف من الفنون . وعندها كل : الاسم
في المصمم . ولأنها تأتي لا تكون في الفنون حيدة كان
روعتها . لأنني أولاً فمن يوضح كل رسوم ، بمركبة ،
وعنده ، ومختلفة ومختلفة . ولأنها أن التفرغ
كل . بل لا . لا يكون التفرغ غير هذا . يراد بالمدن
والفكر والتأمل والتفكير الذين كانوا مطلق . ومبدأ
أية المصمم الحقيقي للتفرغ : رجال السياسة . ورجال
الفن . والاقتصاد . والمؤسسات المختلفة :

لم ما هو المصمم من كسل علم . فكرة التولية .
حتى على المستوى التقني : هو المخرج بتقنية لفتة . أي
يدين جديد ؟

إن بين المسيحية والاسلام فرق جوهري . وهو أن
المسيحية دين روحي . بينما يجمع الاسلام الدين والعلم
الاسلام هو علمات عريضة تنهض لها المسيحية يوماً ،
فهي بالإضافة إلى الصلاة بين العيد ورجوع . يتكلم بالطقس
بين الأفراد داخل المجتمع لدى قوانين ضيقة موصوفة
وسلوك متين . ففلسفي التولية لا يكون لها إلا الله
مدين . تذكرها لأنها أسس بني الفهم . فما تتفق
الروحانيات في الاسلام . أي تقيس عقله في مستوى
الواقع . أي منه . ولما تفهم التعريفية بالتقنية .
وهو أي لا سبل إليه . لأن المجتمعات المسيحية المصرفة
قد أنهت تفكيرها عمل مفس من العلمانية والتربية
الاسلامية لا الآلية : لم أن تلك المجتمعات قد خلصت
حروباً شروساً للتفكير من التولية وولاية الكائنات :

الاسلام . أي اسلام ؟

ونحن نتحدث عن الاسلام . بقلبيته . أي مسلم ؟
اليوم . وأكثر من أي وقت مضى . لم يعد الجروب فرنسا

يبحث على الحرية . ملكا ؟ أولاً لأن القضية الديموقراطية
هي أساساً قضية اوروبية . تأتي منها المجتمعات الغربية
المسيحية ولا يوجد ملكاً أي مجتمع اسلامي يلتفت فيه
كثافة السكان النسبة الصغيرة التي بلغتها في مولدتها مثلاً .
ولذلك فالمقدرة إلى تحديد التسل في البلدان الاسلامية
هي سابق لزمانه . ولأنه ما في الأمر أنه يمكن أن يدعى
أن تنظيم العائلة وفقاً لتكاملات التنوع في كل بلد .
ومختلفة ومولدة . دون أن يكون ذلك عن طريق فرض
حكومي صنف . وإنما بالتوعية وبسبب الثقافة وروح
المسؤولية وفقاً لتبليغ الاسلاميات ذاتها التي ليست على ذلك

تقديم هذا الموقف . يجب أن لا ننظر فقط إلى واقع
مجتمعنا في تونس أو مصر مثلاً . وإنما أن ننظر إلى
الغربية حيث نجد أن طرح المشكلة السكانية سابق
بالفعل لزمانه :

التسابق

في الغربية

في الغربية بالذات . وعندما نتحدث عن المجتمعات
الغربية . نجد أن الاسلام والمسيحية . يتساويان في
صمت . ولكن بشكل يكاد يشبه حركة السلاح الأبيض :
الغارة الافريقية السوداء . غابة بالوردة القلبية المختلفة .
وغيرة في امكنيتها البشرية والمادية والاسلام متقابل
فيها بشكل اوسع والاسلام من التعريفية المستوية فيها
بالحركة الاستعمارية . أي التي تأتي عليها من اساليب
حركات التعريف المختلفة . وهو أي لا يعني منه الاسلام .
بل قد يؤخذ التعريف الموضوعي إلى القول بأن مصيد
الاسلام في الغربية انتقد . وحقوقه في تصحيح موقفه
المعشوي والمفرد الروحي أكبر من حقوق المسيحية .

لأن شتاً ما أينا . لا بد من طرح السؤال . عندما
يتعلق الأمر بمتنابجية العمل الاسلامي في الغربية :
من المستفيد ؟

تلك وانظر عند « فلول » الإسلامية « المعاصرة متخلفة كلها ... ما عدا السعودية في مستوى الانحلال السياسي لا الواقع .. على النقيض المستوي والتشريعي الحديث المستند من القوانين الوضعية والتشريعية الانتدابية ، والمجتمعات الإسلامية كذلك قائمة على علاقات علمانية تستوحى قواعدها من الموضوعات الغربية « صحيح ان الاسلام هو مصدر لتبرع في كل البلدان الإسلامية ، ولكنه الله وحده التي بنت حضارته السابقة ، لأنه أصبح مجرد أحد مصادر التشريع ، وصحيح ان التشريع في أغلب البلدان الإسلامية يراعى ان تكون مقتضائهم القانونية موافقة للشريعة الإسلامية ، ولكن الفرق هنا دقيق ، فهم يقسون الرأيا مستوحاه على الاسلام يحاولون ان يلبسوه زيها ، فلم يده هو المطلق ولا دائسرة الاستبداد ، وانما أصبح وسيلة لتغيير حيوية حسن الاقوال والمعاملات التي تولد وتوضع خارج ، بهذه الطريقة المصطنعة على الاطلاق ، يمكن ان يوجد في الاسلام كل شيء ما أتى وما سيأتي !

الاسلام الآن : اسلام المصلحات خاصة ، هو في حرية في دار الاسلام ، فبريت عليه الايديولوجيات الحديثة الغربية ! هل يعني هذا ان الاسلام نفسه يتجه في نهاية الامر الى التجريد النقي ، فيكون في ذاته بعد المنعصر النفسية في هذا التلاقي مع المسيحية ؟

المسيحية

في البلدان

ولكن المسيحية اليوم هي التي أدت تسمى الى الاسلام . علم نعمة لايسد من ابراهيم ، ان النصرانية هي التي تعطل ود صعد ، للفلظيات التي لاكرها في اول الحديث جاءت البلدان بها من الجانب المسيحي ، ولم يبدد الجانب الاسلامي الا بالعودة الى تنظيم الملقى الاخر الذي انتظم بلدنا ، ولما كانت المسيحية قد سمت الى الاستسلام بهذا الشكل اليوم ، فلانها تلقت الانذار الذهبية حسن الانبياء التي اسار « كوريجيت » بقصوم فتح احوار

اوليا ، اي سلسلة من صلوات البحث . لقد كان هناك الاسلام الشيعي والاسلام السني ، واخرين ، واليوم يوجد ما قد يسمى بالاسلام « المعاصر » : اسلام اولئك الذين يقولون انهم صامون لانهم ينتهون الى الحديث المعاصر الذي سهل وفضل فيه الاسلام . هؤلاء ، منهم الماركسيون ومنهم اللاسلك (المتلاحون) ، وفيهم الذين ومن كانوا لم ينهلوا الايمان - بطبيعة الاسلام - فهم يبرزنه بقى التجريد ، متجاوزين « من عرف سر المائدة سقطت عنه المائدة » الى الاكثلة بنظرية مئة غاية الانتاج مبسطة غاية التبسيط ، تدل في نهاية الامر على انتهاكهم في مستوى الترات الوعوت ، كعدم قدرتهم على التناغم مع وعلى حيزهم عن تعظيم « لانهم كمت نالعه لا يستطيعون التجوف بالغصم نحو الافراد المطلق !

وهذه اولئك هؤلاء ، يوجد اسلام الناس جميعا اسلام يجر رداء مطلق الفون طوية من المصافة والجسول . يتكاد يكون واثيا مهيئا ، فتمت مئة التسوية والفرقة والرجل المستصلح لتافع طية ترتوي باسم الله ، ولا تزال تلمس الوسوليات السياسية المتركة الى عواطف الرعايا بالقلة نامة وماركسي لامة اخرى . هذا الاسلام اسلام كل يوم هدام علمه الاجتماع ولكل الاسلام الاخر يضللان في داي ، لان الاول ينقل الواقع باسمه بمرشد النظرية بينما يصلح الثاني النظرية باسم عبادة الراسخ .

الزمة الاسلام

الزمة التي يعانيها الاسلام لظت واضحة محدودة وهي ليست زمة روح بلعد ما هي زمة دنياك الامة في راي ان الاسلام يسعى لتنظيم الحياة كلها ، دنياها واخرها ، وهو اليوم لا يتكاد ينظم شيئا . 3. على الاقل لا ينظم الا القليل من مجتمعات قليلة ، قد ظل الاسلام على المستوى التجريدي متشبكاً ، بل يمكن القول من هذه الناحية انه اكثر ارباب الارض تلمسا ، لاحتياجه على نموص اينية مصادرة لمصلحة ولكنه على مستوى الدولة والمجتمع كسد

مع المسلمين ، بعد أن كان منذ سنتين يرا فلة اليهود في دم المسيح التخلد فيها ! يتوحد فيه ! مرة أخرى نفوذ آل الفسفة الفلسطينية !

إن الكنيسة هي التي كانت منوطة عن الإسلام ترفض واردة وجوده ، كما كانت في كل صلاته تيسل الظاهرا باسم يسوع ، ابن اليهود ، وصليب اليهود ! ولكن السبل الدواب التي قصت به الصهيونية رفع اللثة ، مستعملة لذلك كل أنواع التلويح الخال والكهنوتي لدى آل كيرسار ساحة اليهود في ساحة القدس بطرس ! غير أن الجرح كان ليعينا حينما في صعد السد المسيح ، ولذلك لم تنقل الكنائس المسيحية الشرقية ، في البلاد العربية خاصة ، عن ريب الفسفة الدينية بالفلسفة السبسية لفضل اللاتينان اتجاها بعد سنة من ذلك

ولكن هذا التعديل في الاتجاه ، نحو الإسلام ، قد جاء ، نتيجة لفضل آخر أكثر حساسية ولائها ، إذ ليس من باب الصلوة إذ لآل المعنى المسيحية في اعقاب حركة نصالية الاستعمار في أفريقيا ، وإن تزايد السامات وشموها بعد أن انصاع البرتغال لحسية التاريخ ! فقد تخلعت المسيحية بذلك من الحائق الأكبر الذي كان يبعث نفوها وتحررها نحو شعوب العالم الثالث ، باتجاه الاستعمار ، استعادت الكنيسة بكارتها وأصبحت تستطيع أن تلعب الدور من جديد !

ولكن انتهاء الاستعمار ، وهذا يفرودنا إلى عمل ثلاث قد أبرز في العالم لسوى جديدة متنافسة على السنوسى الحضارى والاقتصادى ، تتحول أن تصل من الاستقلال السياسى متغللا لركز قوى جديد ، في الوقت الذى تتدلى فيه القوة والحضارة في أوروبا ! وهذه القوى تتدلى فى إسلامية أو غلبت عليها الإسلام ! فالتشرق باعتبارها العظم من القطر ، مسلم ، وشعوب كثيرة في أفريقيا ، ذات الثورة وألحد مسلمة ، وصغير التسلم ، استعمل مستعمدة حتى يصنع النمو في هذه التناقض ، أىنى هذا أن الكنيسة دخلت التناقض على الثورة المتجدد بوجه آخر ؟ قد يكون !

لكني الآن ، ولجريت الطويلة في فرنسا على نصو هذا الفن ، إن المجتمعات الغربية حاضرة بالفعل حريضة بالفعل ، مهددة بالفعل ، ولكن هذه الحالات التي أصبحت اليوم تلشظ بشكل ما ، ليس خلف عن حقيقة التقنية ، ونمو - الاقتصادية الصناعية - التي تويجت بالشمالية المستتلة - وأنها تلشظ أيضا عن استئصال الكنيسة وانسحابها ، ويقتل عن مختلف الروسي أمام الناس .

إن هذه الامراض ناسبا قد صعدوها لنا المجتمعات الأوروبية معلقة ومسيبة ، فبعضات تنش في مجتمعاتنا ولكن بشكل خليل وعاشق ، دون تنسيق أو لومسج ، لسبب بسيط ، وهو أن المجتمعات الإسلامية لا تزال تقوم فيها بمعنى القلبي القوية للدين - حتى وإن كانت ضعة عن روجه الخفية ، وهي لذلك تقوم طام اللطاح أو بلايا الفصل الضيق ، وما ذلك إلا لأن الإسلام مرتبط بالتقديم الحيوى خلة الفرد والمجتمعة وهو ما لم ينفذ الكنيسة في المجتمعات الغربية .

علم مجبوبة من دقواتر الجسول ارتدت أن أسوأها سائلة كما هي في الر هذا الثاني الذى مضتت كدنا والذي أعز من سائيه يتنوع المراسم ووفرة التناقضات ونعدد الجنسيات المتشركة وإن كان غياب المسلمين السود ، وإغلب السنية ، قد حصره إلى نوع من الانكاف بين الإسلام السننى والمسيحية ، إلا أن هذا القباب الكفى ، قد عرفت وفرة الاختصاصات بين الممارسين ونعدد غيراتهم في كل اللذاب والبالد الإسلامية .

ولا يأتونى إن الإحاف أن متحنى المؤثر في مجبوسه كان في اتجاه تمييز الدراسة الإسلامية ، وإلقد اليهود جديدة ورائه إحيانا على الضحايا الحضارية الإسلامية الكبرى ، وهذا إلا كان يساهم بشفق وأمر جسدا في حيوية البعوت الإسلامية وانفانها فانه جعل الإسلام يبدو إحيانا في عوالم التكم ، والكمس هو الصريح !

هذا بالإضافة إلى أن المؤثرون يتكسب اختصاصاتهم ويجهز كائنا يتجهون كثيرا إلى ممارسة التبريد البشري كما في مستوى الكفى أو في مستوى اللطف المسمرى

المسؤولية كمرء في الجانب القابل ؟ لما كنا نعلم في بلدنا الإسلامية من مشاكل النمو الصناعي ، فلا نقس استوردنا أدوات النمو وكذلك مشاكله ، والمسؤولية كبيرة لأن في جانبنا أيضا ، نحن الذين يهرون بالتجوزات الضخامة الضخمة فنهلكنا عليها لهلك الفراقى على النار ، تماما كما نهلكنا الأمسى في فورة الجوار ذرى .

« الإنسانية اليوم تتطلع الى نهاية هذا القرن بشعيد كفى وعظيم الإثبات والديانات الكبرى بنيت الى زمن ليس بعيد خروجة عن كبريات مشاكل العصر ، وشبابنا اكتسبوا للزنى والنسب لا يسجيا الا ذليلا الى الدينين فذهب منها زنا يتلى به وجهه ويضغ حبرته ويحعل الرمز ويتقلب على صليب البهيم » هكذا قال الأخ يوحنا في تقديم إصدار للكنى ، واما كانت هذه الأزمة الضخمة لم يبد نفس المنة لدى رجل كسبي الصالح ، تمكن الإيمان ، معتز ، الوطى ، لأن صوتا متفلا منه الدكتور عبد العزيز كامل يرى في الإيمان والإله الإنسانى والقانون الاخلاقى احدى الركائز التى يمكن ان تستعمل في التنمية المتصلة مع الثقافة على الدور الروسى للاستقام .

المسيح المسيح والفكر الاساسى في مواجهة كنهيات العالم : الفارق طوية ، ولكن الله الذى انتصب منذ قرنين قد بدأ يهيم راسه بنفسه لكسوة ما يشك به الصلح ، ولكنك قد علمه المتعولة وصمده ومتعالية :

حصة الجيرة ، من داخل الفصح ، وخروج الموضوع . لقد لوك « المفرد التنسي » للجامعة التونسية ، واكثر اهلها رجالا مختصين ، لم تفلح - باسم الشيطان - بسى على حصر منهم على الكلام باللغة الفرنسية ، الا وحدها ، بينما عرض احد المستشرقين - مبعوط - على قول كلمة بالفرنسية في يد التلخا الآن العربية عجزت عن التبرع في مجال الله والتاريخ ؟

لاني ادرى ، كما يعرف الناس جميعا ، الحالة القارية والوجدانية ، بين الاسلام واللغة العربية ، فان احمد في هذه السلوك قضية صيرورة ، تتصل الى القائمة كقضية للكنى ، في باب : قضايا مدنية !

الفرق هو في مستوى تويجات المستقبل ولذلك كانت الصلوات الاخ يوحناية تاتي كالتجديد من ان لاخر . عند ذلك تبدي بنى الحلق ، ما الذى نستطيع ان نعلمه مع ؟ كفى ؟ واين ؟ على ان نأخذ ؟ كفى يمكن مطلقا التنبؤ ببلدة الفرج التى تحمل الامسى وهم يعيشون والها مشحونا بالتفاهات ؟ لم ايسا وصراحة ، بعد ترك المصلحة ، لا يد من نصيحة الجسد : طلة يعرفون عا ؟ وطلة تعرف حكم ؟ طلةا لأن الى كلمة سواء ، انفس بطيئة اسلمه ليصل في شعور النفسية ، لانها جزء من اسلمه ، لذلك فان المصحات التوتيرية لم تترك منه يهين المسيحي . واما بالتصدي ؟ فالمسلم منذ الفرون طوية فرق يسجن المسيحي ويرتبه ، لانه لا يستطيع ان يعلم جزءا من ايمانه ولذلك فان اصطلاحات الكنسى القريب لقرن في ضماير الناس بالصلح ، الرومى ، دون ان نفس في شوء ضللة هذا الرومى ، يسجل كاتى بالمجاهير الشخصية في عملية التفريق هذه بين الدين وحطه ، قد تلمست تماما ان يكون الرومى يصلح « المسيحية » تلمست تماما ان يكون له دين ، تتجلى في سفاطها على كفاية صميم الطراء ، وانها الرسبول ، وكفى لا - وهي لود في طسوانها وتجهدها وترويضها ، اية المسيح عيسى ابن مريم وسول الله - ا وكم من رجل حتى بيتنا بعد هذه الاية في صلته ، لم خرج حلقا ونشأة الجحش طويلا وذل آخر ييسه من كان هو يصل باسمه ! !

وطلة في الجانب القابل ؟ كفى لا تزال حتى اليوم في هموس التوتيرة والمعية ، لا تلمس الا بطي الصلوات الهزيلة المشحونة بالتفاهات والموضوعات الاستعارية والفتور للتيهدها ! ان فطنا او بطى انشأنا كسده تنافوا في هذه الكتب وترويا بية ويملكون ما فيها !

لان تمام المسيحيين هنا مسؤولية تتلهم وتجههم كمت الانبياء ، ان مسيحيهم الجدية في مثل هذه الباب ستكون تلكه لغتي حركة الاكلام القارية التى يجرؤنها ويهم منها يالون الى مثل هذه الكلمات !

العالم العربي يبحث عن وحدته

أثارت أزمة البترول مشكل العلاقات بين
العالم العربي والقرب بشكل درامي . وأنه لمن
الصدفة أن توجد أكثر اللخائر الذهبية السوداء
في البلدان الإسلامية ولهذه الصدفة معلول واحد
وهو اعطاه حجم آخر لظاهرة بدأت تبرز مع
ظهور ما اتفق على تسميته « بداية العهد
الاستعماري » .

كلود جانود
Claude Jannood
ترجمة لفتيحة بنأي

وامام التحدي الغربي ، سارعت الشعوب الإسلامية فوراً في تبني موقفا متناقضا تتنازع
من جهة سلطة القيم الأجنبية ومن جهة أخرى اداة وحشية للحفاظ على القيم القديمة .

حقاً أن مشكل كل الشعوب والثقافات التي كانت تخضع للسلطة الغربية يقل ويكبر غير أنه
نظراً لقوة الوحدة الثقافية الإسلامية فإن الصراع بين القيم الذاتية القديمة وبين القيم الجديدة أخذ
يتسم بصفة واضحة .

ويرى Gustave von Grunbaum المستشرق النمساوي ماهية الثقافة . بقوله : « انها نظام مفقود
يحتوي على أسئلة واجوبة تتعلق بالعالم وبالسلوك الإنساني في كل مناسبة يتبنى فيها المجتمع
معياراً ضرورياً جديداً . ويقول Jacques Berque في مقدمته : أن مشكل هذا التعريف يجنبنا الوقوع
في الخطأ الذي يجعلنا نمزج بالثقافة ماديتهما ولغائهما بحيث تكون هي كلمة ثقافة مرادفاً لكلمة
مجتمع » أما Von Grunbaum فهو يعرف الوحدة الثقافية الإسلامية بكونها نوع من فقدان الهوية
بحر المحسوس .

والمسلمون يؤمنون إيماناً كلياً بدليل اعظم يفسرون الواقع تفسيراً ما ورائياً - وهذا تتسامح
هل ان الاسلام هو الذى حدد هذا الموقف أم ان هذا الاتجاه هو الذى جعل رسالة محمد صلى الله
عليه وسلم تؤول بهذه الطريقة المجدولة ؟

ونحن نعرف ان المسيحيين الغربيين ساهموا فى تفسير ما وراء القول غير ان ذلك لم يمنهم
من احرام العلوم العصرية وتنمية سيكولوجية الانسا *

تبقى ان الثقافة الاسلامية العربية (باستثناء الاثراك والارانيين) تواجه التحدى الغربى
بما لديها من خاصيات سبق ان ذكرناها ، ولم يكن هذا التحدى هو الاول من نوعه ، ولكننا
نعلم ان اسلام عصر الخلافة العباسية ادخل عدة أحداث من الحركات الخارجية بسبب
ان الفرق بين التحدى الاول والتحدى الثانى حسب Grunebaum وكما يلخصه Jacques Berque هو
ان الاول قام بهذا التحدى وهو واثق بسيادته بينما يسير التحدى المعاصر بشكل انطاعى ، قلق
يريد المحافظة على كيانه *

الوحدة الثقافية الإسلامية

ان هذه الوحدة سجلت صفحات عامة جدا ترى كيف يعيش العرب مع الغرب هذه العلاقات
التي يفرضها الغرب نفسه عليهم وكيف ان المسلمين حسب Grunebaum يتبنون الاسلوب الاوروبى
دون ان يتبنوا النظرية التي يقوم عليها هذا الاسلوب ، انهم يعبلون الغرب دون اقتناع بقبوله
ويتعلمون منه دون محاولة فهمه - وهنا ترجع مسؤولية شرح وتفسير حقيقة الغرب الى
المستشرقين الغربيين حتى لا يتعرض سلوك العرب الى مواقف متناقضة بحيث نراهم يستجلبون
الثقافة الغربية ثم يحطون من مستواها *

واصبحت الامبريالية مصدرا لكل الاضرار وكل الاخطاء ، كما ان الغرب نفسه يساهم
بقسط وافر فى هذا الاتجاه حيث ان المفهوم الجديد الذى تكون لدى الغرب عن التساوى بين
جميع الناس وعن التعديل Equivalence الذى يريد بين الثقافات وبالإضافة الى ما بلغت اليه
سلطته من انحطاط كل ذلك يحثه على اتخاذ اتجاهات مازوخية *

فكيف لا يستغل هؤلاء الذين سواهم التحدى الثقافى الغربى هذا الموقف للباطلة
بحقوقهم الشرعية الى التضييق قضيتهم *

ويرى Grunebaum أن سلوك العرب الحالي يسوده نوع من « الخداع النفسي » ،
يوجد العرب في وضعية ممزقة بين مشكلة اثبات كيانهم وبين ميلهم الى الغرب ، وبالتالي
دان قدرتهم على الخلق والابداع والتحرر تذبذب في تقليدهم للغرب ،
وكل البيانات التي أتى بها Grunebaum تقوم على ممنومات قيمة ترجع كلها الى سلسلة
واحدة ألا وهي تعوق الثقافة الغربية أو بالأحرى تفوق كيانها الذي لا يقهر ، وهذا هو الخط الذي
رمسه Jacques Berque لأنه يرى أن تجربه السنتي الأخيرة دليل واضح على أن حظ خلود الذاتية
في المجال العالمي كبير .

وكل ثقافة تتغير بالنسبة لذاتها كما تتغير بالنسبة لغيرها من الثقافات الأخرى أنها
تؤكد ذاتها ثم تصحح موضع شك ، وهكذا يحدث للثقافة الغربية تماما - غير أن هذه الضرورة التي
تتمثل في المحافظة على الهوية الذاتية مع قبول قوانين التقدم المادي الضروري لا تسير بسكون
قلق - أما عبد الله المروى ، فهو يرى أن اعلبية هؤلاء المثقفين عبيد التقاليد بينما تنزع الاقلية
الى التنوع والاختلاف - وكلا الاتجاهين يلتقيان في نقطة واحدة وهي أن كلا منهما يفر من الواقع ،
فكيف يمكن لنا العثور عن هذا الواقع وجملة مطالبنا لقوانين المقنن .

أما إذا اعتبرنا احبة عبد الله المروى على أسئلته غير صحيحة فهذا لا يعنى أننا ننكر عمله .
كلا انه هو الاول الذي أكد ان حظوظ العودة الى الواقع مشكوك فيها .
وأخيرا فإن الصراع مع إسرائيل لم يساهم الا في مضاعفة هذه النزعات التقليدية بحيث سهل
تسلط المورخاوية الصغيرة بما فيها العسكرية والمدنية .

وقد كان هذا الصراع موضوع دراسة على حالة الفلسطينيين والازمة العربية الاسرائيلية والتي
تقدم لنا بالدرجة الاولى ملفا شاملا عن هذا الصراع كما تعرض علينا تماثيل قيمة خاصة بأصله
وتطوره .

وان العالم العربي ، وفرض الاعتراف بوجود الدولة الاسرائيلية رفضا تاما من أول يوم وهو
حدث مدهش في عهد كانت فيه تحولات الشعوب وتفكيك الارامى عملية عادية . اما Jacques Berque
فهو يرى في هذا الوضع الشامل تميرا عن حاجة العرب للمحافظة على كيانهم « كما ان
المشكل الفلسطيني يكشف الخناق عما تحتويه العروبة من تناقضات . هذه العروبة التي يراها

Jacques Berque امرأ محسوساً ، لا يرجع ال نظام الامم ، لانها بلغت درجة من النصح الحقيقي
في حين بدأت القوة السياسية والعسكرية الغربية تصعب *

ومن الآن فصاعداً ، فإن العالم العربي سيتكون من ذوات عديدة لها مصالح خاصة ومتباعدة في
كثير من الاحيان ، الامر الذي تحمل اتجاهاتهم ملتبسة ومتناقضة أمام المشكل الفلسطيني
ويخلق اختلافات بين ما يتحده الغادة من قرارات وبين ما يجري من افكار ومشاعر لدى الجماهير
الكاوجة *

حقا ان هذا الكتاب القيم ، كتب قبل حرب Kipour وازمة البترول ، اما اليوم فلم نيسق
الوحدة العربية مجرد وهم ولكن هل سيكون لهذا المفهوم الجديد دور في حل الصراع مع اسرائيل ؟
يجيب Maxime Rodinson انه رغم تفاؤله وامله في حل هذه القضية فهو لا يغني شكوكه
في امكانيات ايجاد الحلول المرجوة لهذا المشكل *

ومع ذلك ، فهو لا زال يعلم ولا زلنا نخدمه فلسطين حيث يشترك الاسرائيليون
والواطئون الاصليون في بعت دولة حسن تمطجديد ومثالي ، لم يسبق لثلاثها من قبل ، وان ما يمر
اليوم من أحداث في هذا الشأن ويبدو لنا في شكل وهم قد يصبح يوما ما حقيقة القد *

تعليق

رغم بعض المعانق الواردة في هذا المقال فانه لا يحلو من نزعة عنصرية ومن بعض التناقضات
ومن نوع من الاحتقار لمواقف العرب وعلاقاتهم مع الغرب وعلاقاتهم مع بعضهم واتجاهاتهم
المتباعدة والمتضاربة *

ومن هذه المعانق اعترافه بان العصر العباسي واجه التحدي الاجنبي باكثر مرونة مما يواجه
بها الآن المسلمون التحدي العلمي والقمي الغربي اننا نلاحظ حركة رجعية تحد من تفتح الاقلية *
التقدمية نحو الثقافة والعلوم الاجنبية وتغطي تصورها العلمي وتفكيرها المارائي وشموذة
طائفة منها بنوع من الجهالة الجبيسة وتضع هذه الحركة تحت شعار التمسك بالتقاليد والامسالة
والاسلام حتى تترر تأخرها وتزمتها وقصر نظرتها وضيق آفاقها المدنية *

ونحن نعلم ان الاسلام لا يعني الجسود أو مقاومة العلوم والحركات الثقافية الحرة *

اما قول Von Grunebaum بأن الوحدة الثقافية الاسلامية نوعا من فقدان الهوية فهو المحسوس في هذا الرأي شيء من الصحة لاننا نلاحظ ان من بين المثقفين العرب المعاصرين من لا زال يميل الى الدراسات والبحوث النظرية المجردة والى العودة الى تاريخ الأحداث وتاريخ الأشخاص وتاريخ الأوقاف وسيرة الملوك والسلاطين وكان الواقع المحسوس لا يترى للمشاكل المعاصرة التي تستحق الاعتبار والدراسة والبحث العلمي . مع ان ذلك لا يسمعا من حين لآخر من الغاء لغة اعتزاز الى نرات الاجداد للتخلف منطلقا لدراسة تحليلية ، الثقافية لها هدف جديد ومنهج حديث .

كما ورد في هذه المقالة بعض التناقضات ولعلها راجعة الى مواقف المثقفين الغربيين المتناقضة من الثقافة الاسلامية . فمنهم من يقول ان العرب يقلدون الغرب تقليدا اعمى ولكنهم في نفس الوقت يحاولون المحافظة على كياناتهم .

ويصرح Grunebaum بأن العرب في وضعية مزقة بين اثبات الذات وتقليد الغرب ، حتى ضعف ميلهم الى الحلق والتحرر وذات في تقليد الغرب . ولعل رأي عبد الله الروي ارجح واصوب فيما يتعلق بازمة الثقافة العربية الاسلامية وانهم الكاتب موضوعه يذكر تناقض آخر وهو قوله : كلنا نجم بفلسطين يشترك فيها المواطنون الاصليون والاسرائيليون لبعث دولة من طراز حديد ومثالي تقوم على ارض فلسطين ونحس نساءل هنا كيف انه يعترف بمواطنيين اصليين لارض فلسطين ويتمنى لهم شريك ديمقراطي . وعلى اي اساس يقع هذا التمايز وهذا التعاون ؟ لماذا لا يتحقق هذا الحلم على ارض اسدى البلدان القريبة او بارض امريكا انه حل خيالي يرفضه المنطق والعقل والتاريخ والمبادئ الانسانية .

المراجع التي اعتمد عليها Claude Jannoud

لتقديم هذا الموضوع هي .

1 - الوحدة الثقافية في الاسلام

تأليف Gustave Von Grunebaum مكتبة التاريخ

2 - أزمة المثقفين العرب

كتاب التقيدية أو التاريخية

تأليف عبد الله الروي

3 - الفلسطينيون والازمة الاسرائيلية - العربية

Jacques Berque
Louis Jean Duclos
Jacques Berque

Jacques Couland
Jacqueline Hadamard
Maxime Rodinson

تأليف :



دراسة لغوية

من فصيح العربية في العامية الجزائرية

بشرع الأستاذ محمد الصالح رمضان إيتسعد من هذا الصدد في كتابة سلسلة من
التحقيقات حول اللغات البدوية وهي فصيح

اللغات تستعملها العامة في حديثها (وقد يكون

مثل ذلك أو بعضه في المقرب وفي تونس أو في

غيرهما) نضربها دارجة أو دخيلة أو لقيطة لا أصل

لها في العربية مع أنها أصلية أو تمت إلى الأصلية

بسبب + ولكن عني عليها طول الامد وعلم

الاستعمال في السنة وأقلام المثقفين من اساتذة وطلاب، نحققها وجاه ان تستعمل لتعود إليها الحياة

من جديد ، وتحققنا لها لا يخلو من فوائد أدبية أو لغوية أو تاريخية .

محمد الصالح رمضان

1 - استعمال يستاهل : استحق يستحق ، تقول (فلان يستاهل كذا) أي يستحقه أو

يستوحه + ومن أمثاله فيه :

(رأس بلا كيف يستاهل صرية بسيف) والكيف ما يعتاده الإنسان ويحه من اشبهات كالشاي

والقهوة والدخان إلخ ... عربي فصيح من قولهم : استاهل الشيء استوحه واستحقه أه المبحم

الوسيط ، ويقال (هو أهل لكذا) أي مستحق له : (وهم أهل لذلك) : مستحقون له

المفرد والجمع فيه سواء ، وتقول : فلان أهل لكذا ولا تقل مستاهل والساعة يقول أه محتار

الصباح = أقول : وآهلوه أهله لأمر : جملة أهله أو رأه صالحا له .

والأهلية : الصلاحية والاستماع ومنه (شهادة الإهلية) التي كانت تعطى من الجامعة الزيتونية ، وهي تساوي شهادة الإحصاء أو المكمل أي شهادة التعليم للتوسط ومنه **المؤهلات** أي الصلاحيات التي تؤهل الإنسان لعمل من الأعمال .

(2) **استمتى يستمتى** أي انظر ينتظر وبعضنا يحذف الراء اختصارا أو ادغاما فيقول استمتى يسنى (بضميم السين والنون) نقول : فلان يستمتى في أو يستمتاني أي ينتظرني ومن أمثاله : **فيه** : (نأكل القوت ونستمتى الموت) .
قال شاعرنا الشعبي :

حل الدرس في التبن ملومة واستمت حتى يهب الريح
عربي فصيح مع بعض التصرف في اللفظ سشبر إليه من بعد

والاصل . **استمتني يستمتني** أي تأتي يتأتى - يقال **استمتني في الامر واستمتني فلانا** : تأناه أي أهمله وترفق به . قال الرمضري في الأساس تأتي في الامر **واسمتني** يقال : تأن في امرك واتند قال حاوية بن بدر :

استأن تطمر في امرك كلها وإذا عزمت على الهوى فتوكل

واستمتني في الطعام : انتظر ادراكه **واستمتنيست فلانا** : لم اعجله **واستمتني** به : وفق ام فالمسألة اذن مسألة تسهيل الهزة لا غير في لهجتنا وهي لهجة عربية معروفة وبها قراءة ورش التي تقرأ بها القرآن في المغرب العربي كله .

هذا مزيد ، اما الجرد فهو : **اتني ياتي اتيناواتي** : تهل وترلن **واني** ايضا : تاخر **وابطسا** فهو اتني ام من المحم .

أقول ومنه : **الاناة** : الانتظار والتسهل .

والثاني : التسهل والتريص ومنه المثل أو الحكمة (في التأتى السلامة وفي المجلة الندامة) .

(3) **البطلة** (بالدال) المجلة) أو **التبديلة** : ما يلبسه الانسان من انواع اللباس مطلق لباس ، ولعل الكلمة في لغة العامة مأخوذة من التبديس والتغير بمعنى ابدال لباس بلباس آخر . تقول : فلان **بليكتان** أو ثلاث **بديلات** بعضها للممل والبعض للراحة أو للزينة في الاعياد والاعراس ونحوها .

ولعل أصلها العربي نالذال المجبة بذلة والعامة وخصوصا في الخواصر ينطقون النال المجبة دالا
مهملة ٥ والبذلة في الفصحى : الثوب السقى يتنزل ولا يسان كتوب العمل أو ثياب الذين
لا عمل لهم ويلبسون ثيابا عادية كالبطالين والاس الماديين فثيابهم في الصالب مبتذلة . ففي
اصباح :

البذلة : ما يمتحن من الثياب في الخدمة أه وعمل هذا فلا يحسن أن نطق البذلة على اللباس الجديد
أو الالبسة المحترمة المصانة وكذا الالبسة الرسمية لأنواع المواطنين كالشرطة والجند ورجسالم المدرك
وغيرهم فكلها البسة ذات بال وهي **الحلل** في فصيح العربية واحدها **حلة** وهي كل ثوب جديد أو محترم
لبسه لتتحل به في عين الناس .

وقد لا تكون الحلة الا من ثوبين أو أكثر من جنس واحد وفي لسان العرب : **البذلة** « بكسر
الباء » والمبذلة من الثياب : ما يلبس ويمتنع ولا يسان أه **والبذلة** عندنا (يفتح الباء بعدها دال
مهملة) فتأمل .

3 - **يسل** فلان : سمح وفسد أو سخط وتقل في نظر الغير فهو يسل أي سامط ركيك
أو سخي فليل ، هنا معناه عند العامة نقول : فلان **يسل** (بتضعيف السين) أي يأتي بأشياء
لا يقبها الناس و (بركى ما تبسل علينا : كذلك أي حسبك ما تأتي به **فالبسالة** عندنا : الساجة
والركافة والسحف ومعناها **البسالة** . **والبسالة** في العربية : الشجاعة والبطولة » وقد **يسل** فلان
يسل **بسالة** فهو **باسل** : أي هو بطل شجاع و**يسل** **يسولا** الرجل : عيس من غضب أو
شجاعة - **الباسل** - : الأسد لكراهة منظره » ولم أجد للمعنى الدارج عندنا ما يقاربه في العربية
من هذا اللفظ سوى : **يسل** اللحم أو خم ، وخم اللحم وأخم يعض تن أي فسد وتغيرت رائحته
ويسل اللبن : فسد . **ولبن** **باسل** : كرية الطعم حامض ، وكذلك الحل إذا فسد طعمه وتغير .
والتيبذ أيضا إذا أشهد وحامض ، **ويسل** **التي** (بتضمين السين) كرهه ، **واليسيل** الكرية
الوجه : راجع لسان العرب في ذلك -

5 **يقشيش** : ما يقدم من فوس أو حساء لقضاء الحاجات من غير الاجرة للمساومة والرشوة
على حد قولنا في الامثال السائرة : (دهن السريسير) و (اطعم الفم تسع العين) الخ وعلى حد
قول الشاعر :

احسن الى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الانسان احسان
وقد لا يعي الشاعر بقوله هذا المساومة والرشوة المنهى عنها شرعا وفوقا فكون معناه
انسانيا عاليا . وهو الاحسان الذي لا يبرأ من ورائه شيء **والبخشيش** غير ذلك وهو ما يقدمه
الاجاب والمساغرون من علاوات للناس ليغورهم ويغنواهم او ما يرضى به العاضى والصانع
والنوطع . والكلمة من الدخيل جاءتنا في العهد التركي ولعلها من اصل فارسي (بخشيش)
راجع دائرة المعارف الاسلامية = عريها **الخلوان** (بضم الاول ومكون الثاني) كالفران والعموان :
وهو من التحلية أى الحلاوة ضد المارة ، تقول فى امثالنا (حل باش تولى) أى ذق الحلاوة لكى
يعود . وقال الشاعر .

فلو كنت تعطى حين تسأل سامحت لك النفس واحلولاك كل خليل
أى حلا لك

والخلوان عند العرب : ان يأخذ الرجل من مهرابنته لنفسه وهو عار وشنار منهى عنه شرعا .
قالت امرأة تمدح بملها :
(لا يأخذ الخلوان من بياتها)

6 - **البسيسة** : طحين يحيط بالسمن أو بالزيت مع العسل أو السكر ويؤكل من غير ان يقل او
يطبخ . وخبز مبسوس وكسرة مبسوسة أى فيها سمن أو زبد أو زيت يجعلها سهلة **التبسيس**
أى التعتت عربى فصيح فى لفظه ومعناه . من يس السويق والدقيق ونهرها **يسه** بسا : اذا
حطه يسمن أو زيت وهى **البسيسة** قال اللحياني هى التى تلت يسمن أو زيت ولا تبلى . **والبس**
اتخاذ **البسيسة** قال الراجز .

(لا تحبزا خبزا وبسا بسا)

ومى القرآن الكريم : « ويست الجبال **بسا** » أى فتفتت فتفتت يوم القيامة فصارت ترابا كالدقيق
تدوره الرياح . ويقول فيها تعالى فى آية اخرى « **يشفها وبى** نسفا » الخ . **وبى** الشيء : اذا
فتته .

7 - **البوس** : التقبيل لمط فارسي معرب وقد شاع وذاع استعماله عددا بدلا من التقبيل تقول
باسه بيوسه يوسا : اذا قبله . وقد تنطق بسينه صاددا فى بعض اللهجات . قال الزمخشري فى

أساس البلاغة : **باس** له الأرض **بوسا** (يقصد قبلها خضوعاً له) ، وتقول : بساطك اليوم **مبوس** (اسم مفعول) وغدا أنت محبوس . وتقول أيها **البائس** (أى القليل اسم ماعول) ما أنت إلا **البائس** (أى اليائس) اه .

8 - **البخنوق** نوع من التياب غير محيط يوضع على رؤوس النساء ويسبك تحت الحنك اقل من الملاحة لا يتجاوز الحزام عادة . يكون مطرّزاً ومزكّشاً أحياناً . قال الشاعر الشامي التونسي :

بخنوق بنت المحاميد عيشة ريشة بريشة (أى خيط محيط)
وعامد ما يكملوش القيشة (أى نقشه) يعنى أن بخنوق عائشة معه مطرّز طرزا متعسا
لا يكفى فيه وقت ، عربى فصيح فى لغته ومتناغم بعض التحريف فى اللفظ . والاصل **البخنق**
بضم الباء والنون من غرمد . قال المتنبي :

يقتل العاجز الجبلان وقد يسبح عن قلع بخنق الملوك
قال ابن برى قال ابن خالويه : البخنق اصل عن الجرادة ، وبخنق الجرادة : الجلباب السئ
على اصل عنقها وحمه سائق اه .

9 - **البرواق** : نبات لا يصلح لقي الا لوقيد عبد ما يبس له حب صفر اسود من حجم الحمص
يزهر على الرشح ويثر فى الصيف لا ترعى الحيات الا فى الضرورة القصوى رائحته كريهة
يعرف فى الفرنسية بـ ASPHODELE واليه تنسب بلدة (البرواقية) عندنا فى ولاية التيطرى
بألهضاب العليا ، وحى حديث كبير فى ابن عكّون من ضواحي العاصمة . ولكن اسم هذا الحى
بالفرنسية les Aphodèles بالجمع . عربية **البروق** من غير مد لواء واحد **بروقة** .

قال ابن منظور فى لسان العرب : أخبر امرأى قال : البروق نبات ضعيف ديان له خبطة دقاق
فى رؤوسها قعايل صغار (كذا) مثل الحمص فيها حب اسود ولا يرعاها شئ ولا تؤكل وحدها
لانها نورت التهج (يقصد الانتفاخ) . الى أن يقول : وتقول العرب : (مو اشكر من بروق) ،
وذلك لانه يعيش بأذى لدى يقع من السماء ، وقيل لانه ينضّر اذا رأى السحاب . وبرتت الايل
والظم يكسر اراء تروق برقا (بفتحها) اذا اشتكت بطونيه من اكل البروق . ويقال ايضا (اضمت
من يروقة) قال جرير :

كان سيوف التيم عيذان بروق اذا فضبت عنها لحرب جهونها



مقابلا

الأستاذ محمود المسعدي

في مدينة فاس
الأصالة

- النهضة العربية ومعالمها .
- الحلول المساندة للمشاكل الثقافية في المجتمعات المختلفة .
- الفكر العربي وهل هو في مستوى التحولات الاجتماعية والسياسية في بلاده .
- الثورة الحقيقية تجديد واصالة كيف نفسر هذا ثقافيا ؟

اجرى الحديث
عثمان شبوب

سـ منذ حوالى قرن والناس يتحدّثون عن النهضة العربية فهل قامت فعلا هذه النهضة وما هي معالمها ؟

الأستاذ محمود المسعودي وزير الثقافة في تونس غشي عن التعريف فهو من أبرز رجال الثقافة والفكر في المغرب العربي والعالم العربي الذين قدموا للثقافة العربية الإسلامية خدمات كبيرة سواء بالتأليف الفكري والتنوع أو بتشجيعهم عن مؤلفي المسؤولية ، وقد اهتمنا فرصة وجوده بالجزائر بمناسبة الاسبوع الثقافي التونسي لتجرب معه هذا الحديث .

ج : من المعلوم أن الحضارة العربية ظلت طوال عصور الانحطاط منطوية على ذاتها معزولة عن العالم الخارجى لا تتعامل مع الحضارات الاخرى تاترا وتاتبرا بل انها كانت مقطوعة حتى عن ذاتها وعن ما فيها الى ان افاقت الامة العربية فى دهشة من سبائها الطويل بفعل صدمة الاحتكاك بالغرب غداة حملة نابليون على مصر ، فقامت بذلك « نهضة » بالمفهوم الاشتقاقي للكلمة تميزت بالنطلع الى الجديد من خلال اتصالها الماسوى بالغرب - ولكن طبيعة العلاقات الاستعمارية التى كان الغرب يتحيز لفرضها على العالم العربى لم تساعد على ارساء قواعد تفتح ايجابى على الحضارات الزاحفة وفى قمار هذه الازمة ظهرت حركة سلفية شملت الدين والسياسة والادب هدفها تلمس طرق النجاة والتقدم ، بالعودة الى الاصول فى فنانها الاول وباحياء التراث بحثا عن الحلقات المفقودة لربط الحاضر بماضى بعيد وتركيز انتساب الانسان العربى الى حضارة عرفت كيف تفرض وجودها وقيمتها .

ولكن النهضة فى مفهومها الحضارى المطلق لم تبدأ الا فى اعتاب الحرب العالمية الثانية بظهور الحركات السياسية المناهضة من اجل الاستقلال واسترجاع السيادة وبظهور تيارات فنية وفكرية خلت عن الادب العربى عيامل التقليد باكتشاف انماط جديدة من التعبير قادرة على تجسيم الحرية الحصرية التى أخذت تهز المجتمع العربى هزا عنيفا .

ثم دخلت النهضة العربية مرحلتها الحاسمة بعد النظر بالاستقلال والثورة على الانقطاع وعلى الانطفاء البالية . وينسول الامة العربية معركة الخروج من التخلف فى مختلف القطاعات اصبح بالامكان ان نتحدث عن نهضة عربية حقيقية واضحة المعالم ، صادرة عن تصور عصرى لمفهوم الثقافة والتقدم .

س - من المؤكد ان المجتمعات المختلفة لها مشاكلها النوعية فهل من الممكن مواجهة هذه المشاكل التى ظهرت فى لوبوفا من خلال بعض المذاهب الفكرية والاجتماعية مثل الوجودية والوجودية المتطرفة والشخصانية والماركسية وغيرها بنسب الطرق التى استعملت فى الغرب ام هل يمكن البحث عن حلول بطرق جديدة ؟

ج : يواجه المجتمع العربى فى الحرب التى يشنها على التخلف من المشاكل ما لم يراهجه اى مجتمع آخر تنوعا وتمتدا ، ولئن اتجه العالم العربى لحل مشاكله الاقتصادية نحو ابرام عقود تنمية مع العالم المصنع ونحو استيراد الآلات والمعدات اللازمة لاقامة المصانع او لسد الحاجيات الاساسية فانه لا يجوز له ولا يستطيع ، على الصعيد الفكرى ان يستورد حلولاً قائمة على هذا المنهج او ذلك .

عليه اذن أن يستمد من أسالته وعبقريته ورؤيته الكونية الخاصة ما يساعده على مواجهة صعوباته وتذليل عقباته ، ولكن بما أن العالم العربي جزء من مجموعة عالمية تشكل في نهاية الامر كلا أصبح ينضج أكثر من أي وقت مضى لقانون المفاعل والتبادل بحكم تضاؤل المسافات وانتشار وسائل الاتصال والتبليغ وتوثيق العلاقات وتربط المضاكل ، فانه لم يعد بإمكاننا طرح مشاكلنا في إطار مفق وكأنها لا تهم سوانا ، ان مشاكلنا التربوية والفلسفية والاجتماعية مثلا تتطلب منا يقصه وانتباهها متزايدين لا يجرى في العالم من محاولات وتجارب ، ولنا بحكم علينا الاطلاع على كل التيارات الثقافية وتكييفها حسب معطياتنا ومقتضياتنا وبما لا يتضارب مع اخلاقنا وقيمنا الأساسية ، قصد إيجاد حلول علمية لمشاكلنا ضمن لنا الانسجام مع روح العصر وتقينا عنرات الطريق .

س - يتهم الفكر العربي بالسلبية فهل هذا صحيح وكيف تفسرون هذا ؟

ج : لا يغلو اتهام من اجفاف . وعلى كل ، فمثل التصود هنا هو الاديب العربي ، فالتفكير السياسي العربي قد حقق جولة من الاهداف - واذا اعتبرنا أن انتاج الاديب في الغرب قد شكل في اغلب الاحيان ارضية الثورات السياسية والاجتماعية فانه يمسر أن نجد من بين الادباء العرب من مهد لثل هذه الثورات ، وقد يرجع ذلك الى اهتمام الكتاب العرب في تعديل افقهم وتربيتهم على استعمال لغة جديدة تتماشى ومتطلبات الطرف التاريخي الجديد والى روايتهم أشكال ادبية أهمها وعلمة المديح فقد ظل الكاتب العربي في الكثير من الاحيان عداها يتغنى بمناقب السلطة ويشلق النفوذ ، بل انه حتى عندما يتعرض الى الثورة يقتصر على امتداحها عوض أن يتناولها بالتحليل لتثبيت جذورها وتمييق الوعي بها في صفوف الشعب . وفوق ذلك كله فقد اعوزت معظم ادبائنا المدة على امتلاك حرية التعبير فهم مكبوتون يخضعون اقلهم وقرائحهم للرقابة الذاتية وهي أخطر انواع الرقابة على الخلق والابداع ولكنه من المصنف حقا أن نتجاهل عددا من الكتاب العرب قدموا للامة العربية خلال كفاحها للبريدعما فكريا لا ينكر ، وأناروا امام الاجيال سبل الحقيقة والحرور والتجديد ، ولذكر من بين هؤلاء عميل المثال ، طه حسين والمقاد والحكيم وتحيب محفوظ وميخائيل نعيمة .

س - هل كان الفكر العربي المعاصر على مستوى التحولات الاجتماعية والسياسية ؟

ج : استنادا الى جوابنا المتقدم يجوز أن نقول أن الفكر العربي عامة لم يكن دائما في مستوى هذه التحولات ، الا أنه يمكن التاكيد بأن هزيمة حوان 1967 كان لها اعمتق الاثر في الادب العربي

وقد شاهدنا من خلال هذا الابدع سواء في ميدان الشعر أو المسرح أو القصة ، تحولاً جندياً على صعيدى الشكل والمضمون فقد أصبح الإبداع العرب ضمن الامة العربية بحق وقد انكبوا على مراجعة ماضوية خلاقة لكل القيم المتعارضة في عالمنا المعاصر . وليس من المبالغة في شيء ان نقول ان التعبئة الجبارة التي حققت النصر للانصار العربية خلال حرب أكتوبر الاخيرة قد شارك في التمهيد لها الادب العربي الحديث بشعره وكتابه ونقاده ولا يفوتنا ان نذكر في هذا المجال ، وعلى سبيل المثال ، الدور العظيم الذي اضطلع به الادباء الفلسطينيون داخل الارض المحتلة وخارجها للحفاظ على الروح المصونة للشعب الفلسطيني ولبقاء النار الثورية متقدة في القلوب = ان النيس الذي يشهد على حياة الامة واستمرارها للمسة قبل كل شيء في كلمات ادبائها الواعية الدافعة .

س - هناك ثورات في عصرنا الحاضر تعطي أهمية بالغة لطابع الوطنى كاتفاق لتجديد ويقال ان الثورة الحقيقية تجديد واصالة ، كيف نمر هذا من الوجهة الثقافية ؟

ج : ان الاستمرار بنوعه القديم والجديد يعمل دائماً على طمس معالم الشخصية وتقويض اركان القومية في البلدان التي يسيطر عليها سلطانها . فمن الطبيعي ان يكون للثورة والنمرد عليه طابع وطنى واضح ، ولكن الثورة لا تستطيع ان تنطوى على ذاتها فهي في حاجة الى التضامن مع كل الثورات في العالم ، لان قضايا الكفاح من اجل الحرية والعدالة الاجتماعية واحدة ، وان التجديد الذي تتحدثون عنه والذي هو غاية كل ثورة لا يتحقق الا من خلال هذا التضامن وهذا التضامن ، اما الاصالة فانها تكمن في الانطلاق من الواقع القومي لكل ثورة . ومن البديهي ان الثورة مهما كانت وسائلها وغاياتها فلا بد لها من قاعدة ثقافية تكون منطلقاً لبث الوعي وتسته الطاقات الخلاقة وتقدير العقليات وتهينة الفرد للمشاركة وتحمل المسؤولية ، وعلى هذا الاساس ينبغي لنا ان نصور الحركة الثقافية ثورة مستمرة هي مبتدأ الفعل الانسانى وتوجيهه الحملى .

س - ماذا يستطيع ان يقدمه التراث للفكرنا المعاصر ، اى ما يمكن ان يشارك به في تحديد رؤيتنا الاستراتيجية ؟

ج : ان احياء التراث عمل ضرورى يجب ان يتواصل ولكن لا ينبغي بحال من الاحوال ان يشعلنا عن الخلق والاحتمام بتقييم الانتاج المعاصر ونهمله بالنقد والتحليل لذا يجدر بنا ان نجدد

نظرتنا الى التراث وان نراجع طرق البحث وان نرسم لعلنا هذا اهدانا اوضح وابعد . فاحياء التراث ليس غاية في ذاته . وليس مجرد تدارك ما أهملته المطابع او ما كتب قبل اختراع المطبعة وماذا يستطيع ان يقدمه التراث لفكرنا المعاصر ؟ هذا هو البؤل الذي ينبغي لكل باحث أو محقق ان يطرحه على نفسه - ان لكل اثر قديم قيمة تاريخية لا تثير اهتمامنا بالضرورة فالحلى نشده في الاثر القديم هو ما يتضمنه من حقائق وقيم دائمة تجعله رغم تقدم العهد معاصرا بالمعنى الفلسفي للكلمة . يجد فيه القارئ جوابا عن بعض تساؤلاته الوجودية - ان ما نطله من التراث هو ان يكون قاعدة فكرية ثابتة ينطلق منها تفكرنا المتاصل المتميز . وأرضية حضارية ترسح فيها جذور امتنا الى ماض حسب لعبت الامة العربية فيه دورها القيادي العظيم .

س - هناك من يقول بأن للفكر المغربي خاصية مميزة فما هو وأيكم في هذا القول ؟

ج : للسكان والزمان وما يجري فيهما من أحداث وتطورات، حضيات لها اثرها البين في تكوين العقليات ، فلا ريب اذن ان تكون للفكر المغربي خاصية مميزة علينا أن نلتبس اسبابها وسر تركيبها من جغرافية هذه الارض التي حرثها التاريخ فأبعت فيها حضارات اتخذها الفكر المغربي غذاء أحسن حضمه فتميز بالزوع الى الشمول والتسامح والتفتح .

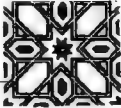
= ما وأيكم في الوضع الثقافي الراهن في المغرب العربي من حيث المؤسسات والأجهزة

والبرامج الرسمية والتشعبية ؟

ج : لقد كانت الثقافة في أقطارنا الى عهد غير بعيد ترقا فكريا لا يتوفر الا لبعض المحظوظين من تمكنوا من دخول ادرسة ويلفوا من التعليم مستوى معيناً ، أما اليوم وقد تحققت ديمقراطية التعليم فقد اشتدت الحاجة الى الثقافة وتزايد الطلب فكان لا بد من إعادة النظر في تصورات الثقافة بوصفها عاملا اساسيا من عوامل التنمية والنهوض بالانسان وكان لا بد من تخطيط سياسة هدفها تحقيق ديمقراطية الثقافة على أساس اللامركزية وذلك بالمساعدة على بحث الفرق المسرحية والموسيقية وغيرها وبد شبكة من المؤسسات والحلابة الثقافية تشمل المدن والقرى قصد تمكين المواطنين حينما كانوا ، من حقهم في الغذاء الفكري والفني ومن ممارسة النشاطات التي تنفق ومواهبهم وميولهم - ان ايصال الثقافة يختلف عناصرها الى الجاهل هو اذن شغلنا الشاغل حاليا ولا يحفى ما يتطلب هذا المشروع الضخم من اعتمادات لبناء دور الثقافة وتمويل

النشاطات الثقافية بأنواعها ، وفي وجود وزارات للشؤون الثقافية بأنظار المغرب العربي خير دليل على ادراك المسؤولين للمجدلية التي تربط التنمية الشاملة بالتنمية الثقافية • وقلة تم الى حد الآن انجاز عمليات ثقافية هامة شملت البناء والتجهيز والتنشيط ، ولكن الطريق طويلا وعسرة ، والامكانيات المادية والبشرية محدودة ، فعلينا ان نتأخر وأن نمضي النقص بالحماس وأن نعالج الضعف بالعزم الصادق •





جريمة الرشوة

ومسؤولية المرتشي في قانون العقوبات الجزائري

الرشوة جريمة ذات خطر اجتماعي يظهر الرها في التجارة بالوظيفة العمومية مقابل منفعة مادية مثالها الموظف جزء عمل من أعمال وظيفته يقوم به لصالح الراشي ، وهي محرمة في الدين متنوعة في القانون عهد جاء في الحديث الشريف « لصن الله الراشي والمرتشي والماتى بينهما » وجاء في المادة 126 من قانون العقوبات الجزائري الصادر

د . احمد مطاطلة
كلية الحقوق - الجزائر

في 8 جوان 1966 بأنه « يعد مرتشيا ومعاقب بالمخس من سنتين الى عشر سنوات وبغرامة من 500 الى 5.000 دينار كل من يطلب أو يقبل عطية أو وعدا أو يطلب أو يتلقى هبة أو هدية أو أية منافع أخرى الخ » .

وتعتبر جريمة الرشوة من أخطر الجرائم التي تقع من موظفي المصالح العمومية وشربها يظهر في كونها تقع من أشخاص يمثلون السلطة الحكومية في البلاد وبالتالي يندرجونها فيما أر كل المجتمع للدولة من أمور تصريف شؤون البلاد وتسيير ادارتها وحماية مصالحها ومصالح المواطنين من أي اعتداء كان . وتصور هذه الخطورة بالخصوص في مصدر الاجرام الذي يأتي مسن الداخل أي من نفس اولئك الذين عينوا في وظائف ليكونوا حماة لها . ويسهروا على ولايتها من الخطر ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فان انتشار عملية الارتشاء بين الموظفين يسبب لبدة في النفوس ويورثي بسملة الدولة والثقة في اعضائها كما يسس بشرف ونزاهة الوظيفة العمومية اضف الى ذلك الخلل الذي يسبب به جهاز الدولة فتصبح المصالح تباع وتشترى وتضيق حقوق

المواطن من لا يستطيعون الإيعاء يطالب المرشدين من أجل هذا كانت الرشوة من أبضع جرائم المواطنين وقد عاقبت عليها القوانين بقسوة في مختلف الأزمنة والصور ولا تزال إلى الآن محل عقاب شديد وخاصة في البلدان التي أخذت بالنظم الاجتماعية التي تجعل جماعة المصالح العمومية التي يستفيد منها جميع المواطنين فوق كل اعتبار وذلك إن جريمة الارتشاء قد خلقها في الواقع ظروف اجتماعية خاصة ظهرت في نظم سياسية معينة ساد فيها الاستغلال والاستغلال كالنظم الاستعمارية والتي تقوم على أساس استغلال الإنسان للإنسان ، وقد عرفت بلادنا من ويلات الاستعمار ما عرفت وما زالت تعاني من مخلفاته الكثير ، ومن مخلفاته جرائم الرشوة هذه التي كانت منتشرة في الجهاز الاستعماري الذي كان موجهاً لامتصاص دماء الشعب ، فكانت مصالح شعبنا وحقوقه تستغل في أبضع الصور من طرف القاييد والباشاغا ورجال الجندمة وحراس الحقول والغايات ، والأجهزة ، القضائية والإدارية بأنواعها من الغوار إلى الولاية العامة ، حيث كانت تباع أعراض الناس وكرامتهم كما تباع البضائع الرخيصة في الأسواق . هذه هي مظاهر الرشوة في الماضي ، وبالنسبة للجرائم اليوم ، فإن إعمال الرشوة هذه تعد منافية لأخلاق النظام الجديد الذي يقوم على أساس توري ويسر حسب اختيارين هو الاختيار الاشتراكي الذي تبناه الشعب والسلطة الثورية في البلاد ، ذلك أن ظهور هذا النوع من السلوك الأحرار في البلاد لا يعود في حقيقته إلى النظام السياسي الاشتراكي للبلاد ولكن لانعدام الضمير الوطني لدى بعض من لا تزال تسيطر على نفسياتهم العقلية الاستعمارية ولهذا يجب أن يكونوا مراقبين لا من طرف رجال الأمن العمومي نحسب بل من طرف جميع أفراد الشعب حتى تتمكن البلاد من تطهير آثارهم لانهم يستطيعون أن يبيعوا أغل مصالح البلاد مقابل رشوة ذائفة يتلقونها من جواسيس الاستعمار الجديد وصنائه .

هذه إذن بعض مظاهر الرشوة ، أما تعريفها في الاصطلاح القانوني فهو مشتق من معناها الثاني وهو ألا تجار بالوظيفة العمومية أو استغلالها للحصول على منفعة غير مشروعة ، فهي بهذا لا تقع إلا من موظف عام وقد نصت المادة (286) من قانون العقوبات على ذلك بما يأتي : « يمد مرتضيا ويساقب بالحبس من ستمين إلى عشر سنوات وبغرامة من 500 إلى 5000 دج كل من يطلب أو يقبل عطية أو وعدا أو يطلب أو يتلقى هبة أو هدية أو أية منافع أخرى وذلك :

1 - ليقوم بصفحة قاضيا أو موظفا عموميا أو ذا ولاية نيابية بإقتداء عمل من أعمال وظيفته غير مقرر له أجر سواء كان خارجا عن اختصاصاته الشخصية إلا أن من شأن وظيفته أن تسهل له أداءه أو كان من الممكن أن تسهله له »

2 - ليقوم بصفته محكما أو خبيراً معيناً من السلطة الادارية أو القضائية أو من الاطراف
باصدار قرار أو ابداء رأى لمصلحة شخص أو فئسده .

3 - ليقوم بصفته قاضيا أو عضواً محلفاً أو عضواً في جهة قضائية باتخاذ قرار سواء لصالح
أحد الاطراف أو ضد

4 - ليقوم بصفه طبييا أو جراحا أو طبيب أسنان أو قابلة بالتقرير كذبا بوجود أو باخفاء
وجود مرض أو عاهة أو عن سبب الوفاة ،

فاستلذاً من تعريف هذه المادة للرشوة نستنتج ان جريمة الرشوة تتطلب لقيامها توافر
أركان ثلاثة أساسية هي :

1-صفة خاصة في الجاني *

2- ركن مادي الى الفعل الذي تتم به جريمة الرشوة *

3- قصد جنائي *

صفة الجاني : ان صفة الجاني في جرائم الرشوة تأخذ اصلها من فكرة المناجزة بالوظيفة
العمومية التي نصت عليها المادة 286 قاتلة : « ليقسوم بصفته قاضيا أو موظفا صموميا ... »
فلا يمكن بهذا الاعتبار ان يرتكب جريمة الرشوة الا موظف عمومي ويراد به كل شخص يعمل
بصفة دائمة أو مؤقتة في إدارة أو مصلحة عامة ، سواء كانت تابعة مباشرة للحكومة المركزية أو
لأحدى السلطات أو الهيئات الإدارية اللامركزية كالولايات والمدن والقرى والمؤسسات العامة ،
ويشترط في اكتساب هذه الصفة للموظف ان يكون قرار التعيين في الوظيفة صحيحا يصدره من
السلطة القائمة التي تسلمه طبقا للاوضاع التي يحددها القانون لان بطلان القرار الصادر بتعيين
الموظف يحول دون تطبيق أحكام الرشوة عليه متى أخذ أو قبل أو طلب منعه أو عطية مقابل
عمل من أعمال الوظيفة أو الامتناع عنه ، كما يشترط ان تثبت هذه الصفة للموظف وقت العمل
فلو كان ذلك قبل تولية الوظيفة أو بعد عزله أو انصرافه عنها فإن أحكام الرشوة لا تنطبق عليه
وانما تنطبق عليه أحكام أخرى كالحكام النصب مثلا ، والواقع ان اطلاق اسم الموظف العمومي
هو من باب التفلسف لان المنع هنا يشمل جميع المستخدمين في الإدارة والتدربين بأجر والحكمين

والخبراء ، كما ان الفقرة الرابعة من المادة (205) عقوبات قد سوت الاطباء والجراحين واطباء الاسنان والقبائل في الرشوة بالموظفين حيث جاء فيها : « ليقوم بصفته طبيبا او جراحا او طبيب اسنان او قابلة بالتقرير كذبا بوجود او باخفاء وجود مرض او علة او حمل او باعطاء بيانات كاذبة عن مصدر مرض او علة او عن سبب الوفاة » . مدل هذا على ان احكام هذه الفقرة تنطبق على كل من ذكر من الاطباء بشرط ان يكون العمل المطلوب منهم معايل الرشوة التي يتسلونها لاعتله شهادة او بيان مزور . كما يشترط في البيان والشهادة ان يكون متعلقا بمرض او حمل او علة او وفاة ، اما اذا كانت الشهادة او البيان المطلوب صحيحا في اصله او تعلق بامر آخر خارج عن مشمولات الفقرة الرابعة من المادة المذكورة فلا تسرى عليه احكام الرشوة .

الركن المادي : يتحقق الركن المادي في جريمة الرشوة بطلب او قبول عطية او وعد او تلقى هبة او هدية او اية منافع أخرى مقابل ادائه او امتناعه عن عمل من اعمال وظيفته لصالح الراشي ونظرا الى سعة هذه النشاطات التي ذكرت ، فإن الفقهاء يحصرون الركن المادي عادة في بعض منها كالآخذ والقبول والطلب ، وتفصيلها كما يلي :

الآخذة : ويمثل في الدفع المجل الذي يدل على حصول الموظف فعلا على مطلبه ولا يشترط في هذا اية وسيلة معينة وانما تكفي في ذلك البيئة والمقارن .

القبول : وحكمه ان الراشي يتقدم بوعده بمطية فيقبله الموظف المرتشي فتتم الجريمة بمجرد هذا القبول سواء او في الراشي بوعده او لم يوف به ، ولا يشترط في القبول صيغة معينة فكما

يمكن ان يكون بالقول يصبح ان يقع بالكتابة او يدل على معنى القبول كالاياء . بل احيانا يتم ذلك بمجرد قيام الموظف بالعمل المخالف للقانون لصالح الراشي لما في ذلك من قرينة كما يشترط في القول ان يكون صيغة جدية فلا يمتد بمن يظهر ذلك بقصد الإيقاع بالراشي .

الطلب : هذا النوع من النشاط يعد بخطر صور الركن المادي لانه يدل على اصرار الجاني على وضع وظيفته موضع السلطة للمتاجرة بها فلا يتووع عن المطالبة بالمطاه شانه في ذلك شأن الناجر المحترف بحيث لا يبقى شك في اجرامه فتتم جريمته بمجرد ابداء الطلب ولا تتوقف على استجابة صاحب الحاجة لتوافر شروط الجريمة في نفسه .

موضوع الرشوة : المقصود بموضوع الرشوة هو حصول المنفعة أو العطفة وهي التي ينصب عليها فعل الإخذ أي الطلب ولا عبرة بنوعها أو بقيمتها أو الشكل الذي تقدم فيه وإنما يكفي أن تكون المنفعة شيئاً مادياً تقوداً لمجوهرات ملبس ، أو مأكّل ، بل يصح أن تشمل في خبطة يؤديها المرتضى لمصالح الرائي كان يحصل على ترقية أو نقله من مكان إلى آخر وسواء في ذلك أن يكون المستفيد من المنفعة المطلوبة هو المرتضى نفسه أو شخص آخر يتم الاتفاق عليه ، إذ قد تهلم الأشياء المطلوبة إلى المرتضى أو إلى شخص يدعى بالمستفيد من الرشوة كطلب الموظف تعيين مقابل عمله صديقه في وظيفة أو أن يسمى له في ذلك وإذا سلمت الرشوة إلى زوجة الموظف أو به دون علم منه فلا يكون مرتشياً ولا يسأل عن ذلك إلا بعد أن يعلم بها ويرافق عليها ، وإلا فلا رشوة .

مقابل الرشوة : حكمة أن الرشوة لا تتم بمجرد القبول والإخذ للمنفعة فقط بل لابد من وجود مقابل معين وهو أن يقوم الموظف بمسأل أو يستع عن أداء عمل من أعمال وظيفته لمصالح الرائي ، كما إذا قبل القاضي من متهم في قضية مطروحة أمامه هدية مقابل إصدار حكم ببرائه حيث تكون الإداة واجبة . غير أن هذا لا يؤخذ به كشرط حتمي أي من يكون العمل داخلاً في اختصاص الموظف أو تحت صلاحياته . بل يكفي في ذلك أن تكون وظيفته مما يسهل له أداء العمل أو الامتناع عنه لمصالح الرائي أو تمكنه من تسهيله له . (الفقرة الأولى من المادة 326 ج) .

الوقت : المراد بالوقت هنا الزمن الذي تتم فيه الرشوة بأخذ أو قبول العطفة وليس صورتهان :

الأول : وتشتمل في أن يكون الإخذ أو الطلب أو القبول المنصب على منفعة أو وعد بهما سابقاً لزمن تنفيذ العمل أو الامتناع الذي من أجله تبذل هذه المنفعة وهذا هو المفروض للرشوة في صورتها المألوفة .

الثانية : وتشتمل في أن طلب أو إخذ أو قبول المنفعة أو الوعد بها يتم بعد أن يكون الموظف قد قام بأداء عمله أو امتنع عنه بناء على تفاهم سابق بينه وبين صاحب الحاجة ولكن دون اتفاق على تقديم خبطة أو وعد بها وهذا ما يسمى في اللغة عادة بالرشوة اللامعة ، ويشترط فيها أن لا تنفذ إلا إذا كان هذا العمل أو ذلك الامتناع مخالفاً لواجبات الوظيفة وهو ما يعني

قيام الموظف بتنفيذ ذلك في دائرة اختصاصه فقط بخلاف الرشوة في صورتها الاعتيادية فانها تعترض ان يكون الموظف مختصا بالعمل المطلوب منه كما تفترض ان يكون خارجا عن اختصاصه.

القصد الجنائي : يتضمن هذا في ان الرشوة جريمة عمدية تقوم على غرض نفسي يتطلب من الخائى العلم بخطورة الجريمة وادراك عواقبها , ويشترط لتوافر القصد الجنائي فيها ان تنصرف ارادة الموظف الى اخذ المصلحة او المنفعة او طلبها او قبول الوعد بها علما بالغرض الذي تنذل من اجله كتمن للعمل الذي يؤديه او يمتنع عنه , فاذا تجرد عنه من هذا العلم بان اعتمد بان المال الذي يبدل له انبا يستوفي به دينا عليه مثلا او لا يصدوان يكون هدية بريئة فانه لا يكون مسؤولا عن ارتكاب جريمة الرشوة *

المقويات المقررة لجريمة الرشوة : حددت المقويات المقررة لامال الرشوة في المادة 126 من قانون العقوبات بالمجلس مسن سنتين الى عشر سنوات وغرامة من 500 الى 5,000 دينار , للقضاة والموظفين العموميين والمحكمين الخبراء والقضاة او الاعضاء المصلين او اعضاء الهيئات القضائية والاطباء والجراحين واطباء الاسنان والقبائل *

اما العمال والمستخدمون والمندوبون باجر او مرتب (م 127) والمستوفون للمنفوذ (م 128 ع) الذين يرتكبون جريمة رشوة فقد قررت لهم عقوبة الحبس من سنة الى خمس سنوات مع غرامة من 500 الى 5,000 دينار , ويماقب الوسطاء بنفس المقويات * وتصادر مواد الرشوة لصالح الخزنة العامة , كما يمكن ان يحكم على اللجنة بالحرمان من حق او اكثر من الحقوق الواردة في المادة 14 من قانون العقوبات لمدة مئة على الاقل وخمس سنوات على الاكثر *



ندوة

ندوة الأمصال في تونس

من مشاكل الثقافة العربية المعاصرة

التتمة فرصة حضوري مؤتمر الإقليم المقاربة لاجسوي
هذا الحوار مع نخبة من رجال الفكر والثقافة في تونس
الثقافة .
وقد تأخر نشر هذه التمسدة بسبب الاعتناء الخاصة التي
استغرقتها .

أدار الندوة :
عثمان شبيب

الإصابة .

في هذه الجلسة المباركة يسعدنا أن نلتقي بالأخ عثمان شبيب رئيس تحرير
مجلة « الأصالة » الحرائرية في النادي الثقافي (أبو القاسم الشابي) حول
موضوع حساس عندنا جميعا : موضوع مشاكل « الثقافة العربية المعاصرة » .

عهد العروسي
المطوي

هناك عدة أسئلة مطروحة علينا . ويمكن أن تكون طريقة العمل أن نبدأ بالسؤال ، وأن
يعطى كل واحد منا رأيه في السؤال بالتداول بدون أن يناقش بعضنا بعضا ، ثم عندما ننتهي
من السؤال الأول ننتقل إلى السؤال الثاني . ثم إلى ما بعده .

السؤال الأول هو : هناك من يرى بأن قضية الحرية تمثل حجر الزاوية في ازدهار الثقافة
العربية المعاصرة أو وجودها . كيف تتصورون هذه المسألة ؟

قضية الحرية هذه ، قضية توضع أمام كل مشكلة . ليس فقط مشكلة الثقافة
العربية بل وفي السياسة أيضا وفي الاقتصاد وفي غيرها - أنا في الثقافة
العربية ، إذا تحدثنا عن الحرية ، فمعنى ذلك أن نتحدث عن التقييد أو الالتزام

الدكتور
اللتجي الكمي

أو ما هو في معنى هاتين الكلمتين ، على كل حال عندما لا نقول الحرية فأفروض أن نتصور الطرف
المقابل الذي يتأثر بهذه الحرية . اعني الثقافة العربية والتقييد العرب أو الثقافة العربية ككل



حاشية من المصنفين في سورة الإسراء

يروي في الصورة الإسلامية : عيسى بن مريم وعلى بن عبد الله الكوفي

ومحمد الرضا الطوسي ، وود ، الحسين بن علي ، والحسين بن علي

وعلي بن الحسين الأسدي : محمد بن علي ، الحسين بن علي ، الحسين بن علي

تراث ، وعرق المتغربين العرب وكيفية تناولهم لهذه الثقافة وتنميتها لها * فيبدو لي ان الحرية في هذا المجال اي مجال الثقافة العربية لا ينبغي ان تترك هكذا غير مقيدة ، فلا بد لها من تعريف بمعنى لا بد لها من تحديد * فالتحديد هذا راجع الى الظروف المحلية التي تمر بها الثقافة العربية . وبطبيعة الحال قد يكون لبعض الزملاء الحاضرين صورة لهذا التحديد الذي لا بد منه إما في نظري . فليس هناك اطلاق حرية للثقافة العربية في هذه المرحلة من حياة امتنا على الأقل كما هو الشأن في الحالات السياسية والاقتصادية لاننا شعب عربي ناهض يريد ان يسترد وجوده ويدعم كيانه ، فاطلاق الحرية في مجال الثقافة العامة لعله ان يكون فيه تهديد لقومات ثقافتنا العربية *

اعتقد شخصيا ان قضية الحرية في البلاد النامية عامة ، وفي العالم العربي خاصة ، وهو يهتما بالدرجة الأولى ما دما نتحدث عن الثقافة العربية قضية مطروحة وحساسة ، وهي - الحقيقة - ليست جديدة ، وانما برزت هذه القضية خاصة بعد ان تخلصت الشعوب العربية من مظاهر الاستعمار الكلاسيكي ووجدت نفسها ، او على الأقل البعض منها وجد نفسه في مفترق الطرق :

**د . الحبيب
المنحاني**
استاذ
بكلية الاداب
جامعة - تونس

ما هو الطريق الذي تستملكه هذه البلدان للخروج من التخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ؟

اعتقد شخصيا ان اختيار هذا الطريق مرتبط وثيق الارتباط بقضية الحرية واولاها هنا على ما ذكر قبل قليل ، فلا يمكن ان نفهم كلمة الحرية بالمفهوم الكلاسيكي المعروف ، وهذا يقول البعض : ان لها مفهوما واضحا ، وأنا شخصيا اري ان مفهوم الحرية المرتبط بالوضع الاقتصادي والاجتماعي ، وضرورة المجتمع بمرحلة تاريخية معينة ميزات خاصة *

فالحرية في النظام الرأسمالي تختلف مفهومها عن الحرية في النظام الاشتراكي ، ويختلف هذان المفهومان عن مفهوم الحرية في البلدان النامية التي تقطع مرحلة تاريخية معينة ، لكن دون ان تضمن دينا في المفاهيم المجردة اريد ان اربط قضية الحرية بالثقافة العربية المعاصرة ، وهو السؤال الملحق عينا في هذا النقاش حول ميكافون مجلة « الاصاله » *

اعتقد ان من اكبر المشاكل التي تترتب عن الثقافة العربية المعاصرة هو تحديد هذه الحريات في بعض بلدان العالم العربي ، وانعدامها تقريبا في بعض البلدان الاخرى وهذا ما يجعل الثقافة

العربية المعاصرة والثقف العربي الذي يمثل هذه الثقافة العربية المعاصرة في وضع غريب ، شاذ ، فبوقته اما ان يكون غريبا متناقضا مذبذبا واما انه يكون نزيها صادقا مع نفسه يؤمن بمبادئه ، فيتمزج ، ويصبح دوره في المجتمع هامشيا ، واما ان يسلك طريق الانتهازية، محاولا تبرير انتهازيته هذه فيما يكتب ويقول، وبكل هذه الاوضاع السائدة ليمت في خدمة الثقافة العربية المعاصرة، وطبعا ان تحديد هذه الحرية بالنسبة للثقف العربى له انعكاسات مباشرة على الثقافة العربية المعاصرة وما تشعر به احيانا من عدم تفاعلا مع اوضاع مجتمعات العالم العربى لتكون هذه الثقافة متعائلة ومصرة ومراة عاكسة يجب ان يتوفر على الاقل حد ادنى من الحرية ليستطيع المثقف ان يصغر عن هذا الواقع ، وان يمسكه في اتجاهه مثلا ، ومن هنا اعتقد شخصيا ان موضوع الحرية في الثقافة العربية المعاصرة موضوع ما يزال ينتظر الحل ، ان المثقف العربى يقوم في اغلب البلدان العربية بدور هامشي وهذا تناقص غريب في جهة المثقف العربى يمثل النخبة النيرة التى تستطيع ان تنظر الى هذه المشاكل نظرة موضوعية ودقيقة ، وهى كفاءة للتفسير الناجح ، وهو من جهة اخرى منزول عن مباشرة هذه القضايا يؤدى دورا هامشيا في بلاده ، واعتقد ان السبب في هذا الدور الهامشي الذى يقوم به المثقف العربى هو طبعا قضية الحرية وامكانية التعبير عن الراى ، والسقد البلاء .

السؤال المطروح عن قضية الحرية ليس فقط بالنسبة للثقافة العربية المعاصرة ولا حتى بالنسبة للثقافة العربية القديمة - ويرى البعض ان عدم وجود توفر هذا العنصر ، عنصر الحرية هو الذى كبل الثقافة العربية وعاقها عن التفتح
والخلق ، نريد من الاسانلة الافاضل عنمنا يتحدثون عن هذا الموضوع ان يلتصقوا آراهم
بأمثلة عن نضال المثقف العربى في سبيل هذه الحرية .

تدخل السيد
عثمان شبيب

ان قضية الحرية من القضايا التى ما اطفكت - منذ عديده السنوات - شغلي الشاغل ، هالانسان - ان نحن اجلنا القول اجمالا - ليس يمكن ان يكون « انسانا » - وله حرمة الانسانية - الا بالحرية - فالحرية - بالفضبط - هي « جو » نفسه العقل والروحي - وبلاضافة الى هذا الجو - وحده - يمكن لك ان تفهم جميع اسرار مسؤولياته ، وجميع اسرار خلقه ، وجميع اسرار اثاره وجميع اسرار فتوحاته على تنوعها .

الاستاذ
محجوب بن
ميسلاد
استاذ
بكلية الاداب
جامعة تونس

وان نحن حصصا الحديث غارثنا ان نكتشف عن « صفة الادب بالحرية » اكدنا بك حازمين - في نطاق ذلك الاصل الشامل - ان لا ادب الا بالحرية وفي جو الحرية ا . . .
انيس في ادب الادب تطالكم اسرار مسؤولياته واسرار خلقه - واسرار اتماره ,
واسرار متوحاته ؟

الا انه يحب عينا ان نترف يابه ان كان « سهل » عينا ان نجزم بهذا على وجه الاجمال
ار الاطلاق فما اصعب ان نصله تفصيلا , وما اصعب ان نحرره تحريرا دقيقا مقننا ا . . .
وانما كان الامر كذلك لان « الحرية » نسيحها العلق نسيج . . . الم نقل انه نسيج الحرمة
الانسانية « نسيها ؟

وليس يمكن ان تطمح في تخصيصه - تخصيص الحق - من دون ان تستعرض « شروط الحرية
شرطا شرطا . . . وهو امر يجرك حتما الى ان تثير من المشاكل ادقها , واعصها , واشدها تقيدا :
ناحيك ان تلك المشاكل هي مشاكل « المنزل الانسانية » في الوجود . . . وهي مشاكل تص
بها صنوف من اللس حيرت المفكرين طيلة القرون المتتالية . . .

فما مكانة الانسان في الطبيعة ؟ وما مكانة الطبيعة في الانسان ؟ وما صلة الحرية بالعوامل
البيولوجية , والعوامل النفسية , وبالعوامل الاجتماعية ؟ وما اثر الحرية في تلك العوامل
نفسها ؟ وما شأن الحرية من التقاليد الثقافية الموروثة وما موقف تلك التقاليد من الحرية ؟ وما
جنس العوامل التي تترك الحرية ؟ وما حسس العوامل التي تطمسها ؟ . . الى ما هالك مسن
القضايا المعقدة التي تتحرك حتما الى ان تحور نسفا حاضرة شاملة تكون فلسفة الحرية .

وانه ليكني ان نضل عن سر من اسرار الحرية او عن شرط من شروطها لتنتهي الى طمس
حقيقتها في الاذهان فتتقلب الحرية الى ضدها .

والجيب في امر من يطسسون « ملامح الحرية » - لذهولهم عن سر من اسرارها - انه هم
يطالونك بلامح متنوعة - لهم حينها الحر , وهم حينها الصلف , وهم حينها الاباحية , وهم حينها
الفوضوية . . . وحيثهم يتحدثون في ذهولهم عن ان « الحرية الحق » بناء لا هم , ونظام لا نزق ,
وخلق لا اجهاش !

عالمية - مهما كان الميدان الذي تتجلى فيه آياتها - « نظام -خلق » ولا تنتهى الى اى صنف من صنوف خلقها الا على أساس « دستورهما الباطن » او « ناموسها الحق » !

وان هذا ليمبو لك اوضح ما يكون ، واسطع ما يكون فى ميدان الادب الرفيع والفن الاصيل .
ولعل ابلغ عبارة عن هذا ما قاله الاديب الفرنسى جيد (*Jidé*) اذ قال معرّفاً
الفن ومقتضياته الصارمة : «*l'art vit de contraintes, et donc il les choisit très fortes*»

« فبالرغم من ان الاديب الفرنسى اهم بمسألتهم به من ترعم حركة الاباحية الخفية فهو -
كما ترى - يتشدد كل التشدد فيما يخص التقيديسبادى الى . وباصول الفن بل تنتهى به الصرامة
فى هذا الميدان الى ان يطالب « الفن الرفيع » بان « يتزم » بالزم لوازمه ا
ولا غرابة !

فالاديب الفرنسى « جيد » يعرف - مثلاً يعرف كل فنان شاعر بمقتضيات الفن - ان فى
التزام الفن بالزم لوازمه « التجسيم الحق » لما يمكن ان تسميه « الهيكل الاصول » الذى يجعل من
الفن « النظام » الخلاق !

وفى الحق . فان الاديب الفرنسى لم يشترط هذا الشرط - أساساً - فى « الفن الرفيع » الا
ليكون الاثر الفنى - سواء اكان قصيداً او رواية او مسرحية او تمثالا منحوتاً او انعاماً مؤلفة او
الوانا مزوقة - المرأة اثنى تتحلل فيها - بحق - حرة الفنان « من حيث هى » النظام الباطن ،
لاشواقه الاصيلة فيضحي فى إمكانك ان « تراه» مجسدة فى الاثر الفنى عيه .

- والذي يصبر بنا ان ننتبه اليه من وراء كل هذا انما هو امر للغاية التى يرمى اليها الفنان من
اشتراطه هذا الشرط الصارم فى شؤون الفن الرفيع « فهو يعرف ان « الاثر الفنى » الجديد الذى
يعرضه على الناس سيكون اثرًا طريفاً ينضم الى آثار تالمة ويجب ان « يحتل » مكانته بينها « وهى
آثار « تقاليد ثقافية » سيهض بينها اما كاداة وصل ، واما كاداة فصل . واما كاداة وصل وفصل
فى عين الحق !

وليكن لنا من هذا الامر العجيب « جس » ما سميها « صنوف اللبس » التى تحف بشؤون
تضايًا « منزلة الانسان » فى الوجود - عامة - وبشؤون الثقافة والادب بين الناس خاصة !

فقد يكون « أداة وصل » باعتبار أنه « في نطاق تقاليد فنية حية — سيكون حلقة جديدة تنضم الى سلسلة ثقافية تتحدى — في كتب عين الأسلوب — بقيم واحدة ، ومبادئ فنية واحدة واشواق بشرية واحدة ، وآفاق وللمماية الفنية واحدة »

وعد يكون « أداة فصل » باعتبار أنه « تجديد » للأسلوب وللقيم وللمبادئ الفنية وللأشواق البشرية والآفاق ومايتها فيفتح « عهدا جديدا » ينصل عن عهدها القديم إن قليلا أو كثيرا »

وقد يكون « أداة وصل وفصل » في عين الحين ، إن هو. كان آثرا من آثار « عهد ثقافي جديد يتصل بالعهد القديم من نواح ، وينفصل عنه من نواح بفصل ما يمتاز به من خصائص ترمي لا الى مجرد الوفاء لقضايا العهد الثقافي القديم فحسب بل ترمي أيضا — بل ترمي بالخصوص — الى اشباع حاجيات الفرد ومقتضيات حياة الفرد .

وسواء أكان الأثر الفني الجديد « امتدادا » لعهد قديم أو للنوع القديم أو لأسلوب فني قديم ، أو « احياء » لبعض خصائصه ، أو « تحديثا » لبعض رسومه ، أو « قلبا » لبعض أسسه وأصوله — فالأمر الجزم هو من المحال أن يكتب له البقاء، فيصلى بتغذية العقول والقلوب والأذواق ما لم يكن آثرا من آثار « سيرة خلافة » تشهد بأصالة صاحبها .

وأصالة صاحبها اما تتجسم لك فيما تضطرم به نفسه من الحرس الزكي على « الأزم لوائم » فنه من حيث أن فنه ليس يعرب عن اشواقه الفردية فحسب ، بل يطرح فيها يطرح فيه كل فنان أصيل : أن يكون على « تخوم مجهول » وأن يقاؤل « فتنا مينا » ليس يخدم فنه ، وليس يخدم الحياة وليس يخدم التقاليد الفنية التي ينتمى اليها فحسب — بل يخدم ما للفن وما للحياة وما للتقاليد الفنية التي ينتمى اليها من « الشوق المبرح » الى ما فيه مجد العقول ومجد القلوب ومجد الأذواق .

وبد هي ان شيئا من ذلك لا يجم ما لم يكن الفنان يعرف كيف يقيد وثباته بقيود الأزم لوائم فيه ... وهو أمر يبدو لك أوضح ما يكون ، واسطع ما يكون عندما تنجم الفنان في بيئة وفي فترة زمنية يجد فيها « التقاليد الثقافية » متهافنة أو معطوسة المعالم ، أو باثرة القيم ... خلعا يجد فيها العقول والقلوب والأذواق تنهت بها عظيما ولا تستفسر بما يتطلب منها العن ان تستفسر به من عرة المبادئ والقيم الفنية .

ففى مثل هذه البيئة وفى مثل هذه الظروف الرسمية تكسب « سوية الفنان » بقداصة ليس من المبالغة فى شئ، أن نقول انها « قداصة خلقة » أنحنى الفنان بأن يترك جنس المسؤولية المزدوجة التى هى مسؤوليته بحكم الوضع الذى هو وضعه - ذلك انه ليس مطالباً بأن يتقطع الى طقوس فنه فحسب بل هو مطالب بتحريك المتول وتحريك القلوب وتحريك الاذواق الى جيب تحريكه شؤون الفن¹

والى هذا يرمى أن كان فنه الجديد - فى مثل هذه الظروف وأداة فصله قبل أن يكون أداة وصل - بين تقاليد الأمس - فى الميدان الفنى - والتقاليد الجديدة التى يريد أن يسهل لها سبلا جديدة فيضحي لها ما يضحي من السبيل على الفوس ... فكأنه مطالب بأن يتخذ من خلقه الفنى الجديد أداة ساحرة لخلق « حساسية جديدة » تستشعر - من جديد - بما يجب أن تستشعر به من عزة المبادئ وأقيم القيمة الجديدة .

وهو امر ليس أصعب منه ولا أدق ولا أعز سالا . ويرتطم به الفنان - مثلما يرتطم به كل الرواد المصلحين فى أى ميدان شئت من ميادين الخلق سواء ادبيا أو خلقيا أو سياسيا أو اجتماعيا أو دينيا ! - نظرا الى الشقة السحيقة التى تفصل بين مقاييس العنان الرائد - أو المصلحين الرائدة - وجمهور المستهلكين !

هى - بالضبط - ساعة « الحرية الخلقة » !

وهى حرية تنفى ما حولها من شؤون يقدمها تنفيها تلك الشؤون عينها !

وفى هذا « النفى المتبادل » يتكن سر « الكفاح » الذى هو كفاح الرواد كلما ارادوا حقا أن يفرسوا جديهم غرسا احميلا يسهل السبل للنظام عقلي « جديد » أو « لنظام فنى « جديد » أو « لنظام انساني « جديد فى نطاق « بحث ثقافى « حقيقى !

ومحال أن يتم ذلك الكفاح الذى يرمى الى « تحوير جذرى » فى النعوس على أساس اندفاعات ضمير غير منظم الاذواق ، أو انظار عقل متهاافت ، أو نزوات طبع فوضوى²

وهل عنى الاديب الفرنسي جيد³ غير هذا عندما اشترط على الفنان أن يتنزم بالزم لروام فنه ؟

وجل من الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي عندما طالب الفنان بأن « يسوس » نفسه
« فكرة صغرية » ؟

محمد المختار
جشتات
كلية الآداب
جامعة تونس

إذا أعطينا للثقافة العربية امعاصرة مفهوما واسعا يشمل بالإضافة لفرع
المعرفة العامة كل ما يتعلق بالأدب ، والفكر ، والفن في ميدان المسرح والسينما
والتنفزة ، فإن الحرية يشو لها - هي أيضا - مفهوما أوسع وأرحب من حيث
التعبير ومواجهة المشاكل الدقيقة التي تهم حياة الإنسان العربي الجديد .
فهذا الإنسان (العربي الجديد) أعاد النصال المرير تكوينه النفسى ، وصهر

عقله وقلبه في ميدان المعركة التي كافع فيها المستعمر ووقف فيها أعزل من السلاح يتحدى إرادته
الحاضرة الرصاص وصوف العذاب والتشكيل -

أجل ، تمكن الاسماء العربى بعرة ثباته من انتزاع حريته من برائن المستعمر وأصبح يعتز
بدايته وكيانه ، وقد أصبح يرى في الحرية نفسها تاليدا يصاعف من وزنه ويمر ذاتيته ووجوده .
وكان من الطبعى ان يجد الإنسان العربى نفسه فوق أرضية سياسية تفرض عليه تغيير نظرتة
للحرية وموقفه مما ينجم - يوميا - من صراخ لا يفل حذو ومراة عن الصراع الاول للتغلب على
مظاهر التخلف والوقوف أمام تيار الامبريالية التي فتحت واجهة استعمارية ثانية تمارسها في
غزو الشعوب العربية بطرق حمية ومدمرة .

وكان على المثقف - بصفة خاصة - أن يحدد موقفه من هذه الارضية ليستطى للحرية مفهوما
مفائرا للمفهوم الاول يسائر نهضة الامة ، ويصون وسدتها ، ويتماشى مع مواقفها السياسية في الداخل
والخارج ويتفاعل مع كافة المستويات والنزعات والميول السارية في طبقات الشعب .

ولم يعد باستطاعة المثقف - على هذا الاعتبار - أن يتنكر من خلال تمسكه بحرية التعبير لواقع
امته وطنيا وقوميا ، كما لم يعد في امكانه - أيضا - السكوت عن كلما يمس حرية الافراد والجماعات
وينال منها ارحاميا - ولكي لا يزيغ المثقف موقفه من الحرية ويعرب بكل اخلاص وصديق عن وجهة

نظرة في كل ما يحدث أمام سمعه وبصره كان للجرأة واليقظة الوعي تأثيرها في نفسه . وهو ما جعله يتساءل علانية : كيف تقتضي له السيطرة على حرية التعبير ؟ هل بالصل على اكتساب نفوذ سياسي في هيكل الدولة يدعم به موقفه ؟ أم بتسانده مع المثقفين العرب داخل بلادهم وخارجها في اتحادات لها صيغة التنظيم النقابي ؟ أم بتحريضه للجماهير على الوقوف معه في وجه كل من يحاول النيل من الحرية التي خلصها الشعب من براثن المستعمر ؟ ثم أية حرية يمارسها المثقف في التعبير عن موقفه من قضايا أمته ومشاكل المجتمع الذي يعيش فيه ؟ وما هي حدودها ومفاهيمها ومعانيها ؟

إن منطق الأحداث التي تندلع يومياً بشكل مفاجئ ، يضطر المثقف - أحياناً - للخروج عن دائرة التروي وضبط زمام النفس ؛ وبذلك تمد حرية التعبير عن موقف المثقف العربي سلاحاً ذا حدين يقطع أولاً بسجادة المثقف - بصفة شخصية - براه في الأحداث التي يعيشها بطريقة حاسمة وصریحة . وسيتجهف مع ذلك موقف من يبدع زمام السيطرة على هذه الأحداث سواء كان قوة حكومية ، أم شعبية ، أم دولية : شقيقه أو صديقه أو محارة أو محايدة .

هذا فيما يخص الحرية التي يواجهها المثقف أما في خصوص الحرية التي تواجهها الثقافة العربية المعاصرة ، فهي كتعبير إنساني تتأصل فيه المعاصرة تسلم عن الوقوف في واحنتين :

الوجهة الأولى : حرية تمصيص الثقافة العربية وتحويلها بين طبقات الشعب والامة العربية وعدم حصرها في التملكين وتقييدها ببرامح دراسية تنطلق من المدرسة الابتدائية وتنتهي في صفوف الجامعة .

الوجهة الثانية : اذابة الحواجز المفروضة من الداخل والخارج على الثقافة العربية وتحريرها من خطر انزواء الثقافي الاجنبي ، ومن خطر النهجات العامية الملتفة واللجل والامية ، ومشاكل الحرف والمهن الآلية واليومية ، التي تصرف الاعلانية الساحقة من طبقات الشعب عن الاهتمام بالثقافة العربية والتفاعل معها لتتوابع وتكريأ على مستوى التحاطب والتعامل مع الافراد والمؤسسات .

إن الحرية في نظري هي حجر الزاوية بالنسبة الى الثقافية العربية المعاصرة ، وقضية ازدهار تلك الثقافة ترجع أولاً وقبل شيء الى حرية الكتاب والمفكر . فينبغي كما قال الأستاذ محجوب بن ميلاد توفير جميع الحريات للكتاب العربي حتى يتمكن من الانتاج الصحيح لا الزيف وإن يقوم بدوره الفعالي في المجتمع العربي المعاصر . ذلك أن قضية الحرية هي أولاً وبالثبات قضية كرامة الانسان

الاستدلال

مبادئ الساحل

كلية الآداب
جامعة تونس

العربي • فإن لم يتمكن الكاتب من الادلاء برأيه الصريح حول كل ما يهم المجتمع الذي يعيش فيه ، أصبح يشعر بأنه محروم من التمتع بحريته كغيره من المفكرين في جميع أنحاء العالم المتحدين ، وعند ذلك يصيب ثقافتنا العربية الإسلامية ما نشأ عنه اليوم من ركود وضعف في الإنتاج •

ومجمل القول إن حرية الفكر العربي تعتبر من أهم العوامل لتفتيح التراث في شتى مجالات الخلق والإنتاج من مسرح وقصة وشعر وفنون • فإذا لم تضمن الدولة للثقافة وبالتالي كرامته فإن الثقافة العربية سوف تبقى منزلة عن حسياسة المجتمع وعن تطور العصر ولا يتسنى لها الانتشار والاشعاع في كافة اصناعات العالم كغيرها من الثقافات الانسانية •

الإسلام والعهد المجيد النبوي

• هناك نظرية تقول بأن عصبة الحرية تمثل حجر الزاوية للثقافة العربية المعاصرة •

نعم لا ثقافة بدون حرية • فالثقافة في كل المصور وفي كل الاصناف لا تنمو

ولا تزدهر الا في الحرية فهي كتلك السمكة الشهيرة تحيا وتسمح في ماء الحرية شريطة الا يكون الماء عكرا • من تلوث الماء ماتت وهكمت منه السمكة •

فضرورة الحرية إذن لا جدال فيها مع انها حرية نسبية تكون فردية فتحملها حريات أخرى فردية وجماعية تحاورها وتتماشى معها وقد تكون جماعة قوامها الصالح العام فتحترم الفرد وتحترم كرامته •

الا ان هذه الحرية التي حاولنا تصويرها بياحجاز وتقصير فهل كانت توجد عندنا معشر العرب والمسلمين ؟

لو استثنينا في تاريخنا بعض العصور الزاهرة لرأينا ان هذه الحرية كانت مفقودة • انها كانت تقتل في براعها فلا تزدهر ولا تزدهر • فهذا لسان الدين بن الخطيب يمدد الطلعة والإدياء والعلماء الذين احتضنوا الذين قتلوا لانهم عبروا عن آراء تخالف غيرهم فرموا بالزندقة أو المروق أو الدهرية أو الإلحاد أو الكفر أو غيرها من المأهيم التي صنعت لكبت الرأي الحر • وهنا الأمير عبد اله بن زيري يقول في كتاب التبيين متحددا عن شعبه : • وأما الرعية فسبح ذلك ما كانت تبغى

طما منها في الحرية » فهو لا يستطيع ان تصور الشعب حراً . وهذا الامام مالك يعرفون انه امتحن لافئته بسقوط يمين الاكراه . فحتى الامام مالك زعيم المفلول وخضم المفلول ترون انه عذب بسبب ابدائه رأيا كان يتألف اهواء الولاة .

ان الحرية في القديم كانت محدودة جدا . وكان المتعب في علوم الدين مقلدا يحثي التجديد ويمده بدعة كما كان الاديب مدحا يمدح الخليفة او الامير ولا يفتخر ولا يعض الا نادرا بما نسميه الان قومية وما كان يطلق عليه سابقا لقب الشعبية . فحتى ابن جندون مؤرخ البربر اما قسر على مدح السلطان ابي العباس المصفي في تونس : يقول صاحب كتاب العبر : « وكان مما يفرون به السلطان على قعودي عن امتداحه فاي كنت قد اهلكت الشمر وتفرغت للعلم فقط فكانوا يقولون له : انما ترك ذلك استهانة بسلطانك لكثرة امتداحه الملوك قبلك . ونسجت ذلك عنهم من جهة بعض الصديق من بطانتهم فلما رفعت له الكتاب وترجعت باسمه انشدته ذلك اليوم منه القصيدة امتدحه واذكي سيره وفتاحاته واعتذروا عن النحال الشعر واستعطفه بهدية الكتاب اليه وهي هذه »

هــل غـسير بايك للغيرم مؤمـل

او عـن جـنايـك لـامـاني مـعـدل

اما في الوقت الحاضر فما زال المتفقون من قلة الحرية في البلدان ذات الصيغة الاشتراكية لامتطاعهم بإرادة الدولة او الحرب او من كثرها وتلوث مائها في البلدان ذات الصيغة الليبرالية لامتطاعهم بجدار القصة واصحاب رؤوس الاموال . . . فما الصل ؟ انا اعتقد ان للتعف يستطيع في كل النظم السياسية التي تحظى بالقدر الادنى من رضا الجماهير ان يقول كل شيء على شرط ان يكون صادقا نزها منحصا مفتحا قابلا للجدال متواضعا متحكما في تفكيره غير متعصب لرأيه عنصما بين الجدال ان رأيه غير مصيب اعتقد ان المثقف يقرأ ويسمع ويقنئ به عنصما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

فالنظم من قلة الحرية او كثرتها كثيرا ما يكون عله ينسثر وراءها الحجج اولئك الذين اصيبوا بعقم فرائد اخفاء اغفائهم وسخافة تفكيرهم وراء دحان المراقيل الوهمية .

لعمل المثقف الواعي المنتقد أن ينتج في ميدان اختصاصه - عليه أن يشمل ما يراه صحيحا سالما
لئلا يحل محله ويتكلم باسمه أولئك الإقزام الاتهازيون المارقون عن الثقافة .

الجواب عن السؤال الأول : الثقافة والحربة *

محمد الطلاوي

كلية الآداب
جامعة تونس

يمكن أن نصوغ الجواب على النحو التالي : هبل وجدت حرية ثقافية
في انصهر الاسلامية القديمة ؟ الجواب : نعم ، كانت توجد حرية كبيرة
في كثر المصور . ولا سيما في المصور العباسية وبالرغم من أن الثقافة في القديم كانت دينية
أولا وبالذات ، فإن الدين لم يكن كابوسا على الفكر ، ولم يقيد حرية المفكرين ، وتطالما كتب
التاريخ والادب بأخبار كتير من المفكرين الذين كانوا يسخطون علانية على اوضاع سياسية او
اجتماعية سيئة . ويكفي ان تسوق مثال المعتزلة ، زعماء التحرر في القرنين الثاني والثالث ، ومثال
زعمائهم كعمرو بن عبيد الذي ما كان يتوانى في ترويج الخليفة العباسي المنصور ، على صلابته
وقسوته . وفي الجانب المقابل ، كان اهل السنة أيضا منتصرين لافكارهم ، معبرين عنها بكل رسالة
فلندكر موقف مالك بن أنس من طلاق الاكراه ، وموقف الامام أحمد من قضية الحر والإختصار
وقضية خلق القرآن ، فلئن افرد الخليفة المأمون في حمل الناس على اعتناق مبادئ الاعتزال ،
فليس الذنب في نظرنا ذنب المعتزلة ، وإنما ذنب السلطان الذي فهم مبدأ الوسطة العقائدية فهما
خاطئا .

فالحرية ليست حرية الثقافة لحسب ، بل هي أيضا حرية سياسية واجتماعية ، اعني حرية
في اداء الرأي والانتصار له في الحقلين السياسي والاجتماعي . ولا حرية في نظام سياسي لا يقر
حرية كل فرد في التفكير وفي التعبير عن افكاره وفي نشرها . قد يحسب صاحب السلطان بسان
الحرية ان اطلقت قند تؤدي الى فوضى ، واخترام في النظام ، وهو اعتراض كثيرا ما يتمل به حاققو
الحرية ، والجواب ان هناك ذخيرة كبيرة من الفوائذ التي يمكن منها وتطبيقها لمقاومة الفوضى واضمار
المناسكين في مجتمع ما بأن حرمتهم محسوبة بحرية الآخرين ، ومقيدة بمتطلبات الحياة الاجتماعية
ضمن مجموعات بشرية منتظمة .

حينئذ يمكن تقييد الحرية ، في صورة تهديدها لكيان المجتمع . بحدود قانونية صنف عليها لدى المشرع والرأى العام . اما ان تقييد الحرية مبدئيا ، اما ان يحكم على الناس بالصمت والسبر مع الرأى السائد بدعوى انهم قد يهددون النظام اذا تركوا احراراً ، فذلك ما لا يقره الاسلام . بل الاسلام يتمتع ظاهرة المحاسبية والانتقاد عند كل معكروم تجاه حاكمه ، تلك الصاهرة التى يعبر عنها ابو حيان التوحيدي بهذه الجملة : « وحق الملوك على المالك معروف » . وحتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يسلم من النقد ، عند تقسيمه الارزاق مثلا ، وما علمنا انه زوج بالمواضى فى السجن او ضرب عقبه .

فلا بد من الحرية فى النقد وفى الانتقاد وفى التوجيه والاصلاح ، ولقد ساءنا ما سمعناه من بعض حكامنا فى العالم العربى ، من ان الحرية لا بد ان تقيد فى العالم الثالث ، عالم الشعوب الغامية . فهل يعنى هذا الحكم انه ينبغي اطلاق ايسدى السلطان فى القوس والاعراض والاموال ، ما دعنا فى تخلف عن ركب الحضارة التقنية الغربية ؟ اليس هذا تفهقرا بالنسبة الى العصور الاولى للإسلام ، حين كان الخليفة والامير والوالى يتعرضون للنقد ، ولنتهم بسبب سلوكهم او سياسيتهم ؟ اليس هذا تفهقرا حتى بالنسبة الى الثلاثينيات ، حين ظهر كتاب توفيق الحكيم : « يوميات نائب فى الارياف » ، وفيه ما فيه من نقد لادع للاوضاع السياسية والعدلية فى مصر ؟ وهل يمكن ان يظهر اليوم بمصر - او بل فى عربى آخر - كتاب مثل اليوميات او حتى مثل حديث عيسى بن هشام لسويلى ؟

انه من اللغو ان نتحدث عن الحرية الثقافية بمعزل عن الحريات الاساسية فى الحياة السياسية والاجتماعية .

لقد اتى مسلم الاحوان على اهم جواب قضية الحرية فى الثقافة المعاصرة ، واحاطوا بها ، ووفوها حقها من الدرس والتمحيص . وسوف لا أزيد على ما نالته فى هذه الدورة ، وانما أريد فقط أن أشير الى أن الثقافة العربية المعاصرة ، حل تحتل مكانة مرموقة وسط الثقافات المعاصرة الاخرى ؟ وإن نعم فما هى درجة هذه المكانة ؟ وهل انها احتلتها عن جدارة ؟ وإن كان النعم فما هو المائق دون تقدمها واظهارها ؟

الجيلانى
بن الحاج يحيى

ان الشيء الذي يتبادر الى الذهن . هو ان الملتقف العربي المعاصر يعيش وسط مجموعة من المناقضات في مجتمعه ، وان قضية الامية وانتمائها للواقع في المجتمعات العربية المعاصرة يلعبان دورا حاما في حجر زاوية الثقافة . واكثر بكثير في قضية الحرية *

فتوجيه العناية الى هذه المشكلة الخطيرة « هو - في نظري - احدى الباحثين واشد مساهمات به ، اذ لو وجد له حل ، وسومت مشكلته فان جميع الحلول وامكانياتها تسهل في معالجة القضايا الأخرى *

محمد العروسي الطوي

ان الحديث عن الحرية من اهم مشاغل الانسان خاصة فيما يتعلق بالثقافة واذا تحدثنا عن الحرية في المجتمع العربي - حتى في عهوده السابقة - وجدنا ان الكبت بالمفهوم الذي ظهر في مجتمعات أخرى لم يعرف ياتم معناه في البلاد

العربية اياها تطورها ونموها الديني والاجتماعي والسياسي . ونذكر في هذا المجال حركة الاعتزال أو الجدل « الشيعي » وما دار حولها من نقاش يصل أحيانا الى درجة العنف مما يمكن جعله يعود الى الامزجة أكثر مما يعود الى « العقائد » فبينما نجد ابا العلاء المعري يقد المجتمع في مختلف اوضاعه السياسية والدينية دون ان يناله الإرهاق أو الكبت في مفهومه السياسي نجد في التصويب الاسفي - في عهد المرابطين - تصويب الامور باعتبار كتب ابي حامد الفزالي مما يجب حرقه وان اكتسابها يعتبر جريمة يعاقب عليها - وفي العصر الحديث نجد بعض الكتب التي تؤلف أو الآراء التي تطرح قد لا يصل العنف مع اصحابها الى الدرجة التي يمكن ان تجعلها في اطار « الكبت » ونحن حرية التعبير . وفي هذا الصدد نذكر مثال طه حسين ونظريته في الادب الجاهلي ، والطاهر الحداد في كتابه « امرأتنا في الشريعة والمجتمع » *

ومعنى هذا كله ان الباحث يجد مجالاً للقول عن قضية حرية الفكر والتعبير في مختلف عهود الحضارة العربية *

لكننا اذا اردنا ان نتحدث عن الحرية كشيء اساسي في أي مجتمع من المجتمعات - وخاصة في الحلق الفني والادبي - فانه من المخاكد القول بانها ضرورة حتمية لكن على اساس الا يكون

هددنا تهديم مقومات الامة وميزاتها الشخصية لان الحرية تصبح خطرا مهددا وعلى الامة ان تعف موقفا جماعيا ضد ذلك وهذا لا اعتبره كبتا ولا تقييدا * وموقف لا يكون سلبيا ايضا الا اذا كانت لها قابلية للنقد البناء الزيه * والنقد لا يمكن ان يزدهر الا في مجال حرية التعبير لانه بدون نقد لا يمكن ان ننهض وان نتحول الى ما هو احسن * واتنى - اذ اؤكد على حرية التعبير والنقد - اؤكد ايضا على ضرورة الحفاظ على اصلتنا , وان يكون هدفنا من الحرية هو ان نتناسى في الابتكار والمخلق الذي يعود بالنفع على المجتمع وعلى الاساسية بصفة عامة *

عثمان شوب

لقد اخذت هذه النقطة بعض ما تستحق من التوضيح , ولنتقل الآن الى الاجابة عن سؤال يتروى لدى البعض ومعاذها ان قضية الحرية اذا اثبتت في القديم فلان

لها مبرر من الوقح : هناك قيود على الفكر , وهناك اتصال من بعض رجال الثقافة والفكر لازالة تلك القيود *

اما في عصرنا هذا فالحرية مكفولة , والدليل على ذلك انه لا يوجد في العالم العربي شعبا العم التقاتي . ولم تسمح بشخصية ثقافية تحدد وجوبها من طرف السلطات , اذن , وتماشيا مع هذا المنطق فنطرح قضية الحرية لا معنى لها هنا ؟

الدكتور التجني الكبي

أود من جديد الكلام في هذه النقطة لأبين , تمقيا على كلمة الاخ عثمان شوب في ان الحرية مشكل مطروح في جميع العصور , في الثقافة وفي غيرها كما قلت قبل قليل * والحرية هي عبارة عن صراع مع الحالة الاستقرارية التي يمثل

الها المجتمع . فهناك اجتماعيا وسياسيا ميل هذا الاغلبية للمحافظة والاستقرار , وهناك سجة ,و سميهم قلة وهم المخفون , هذه النخبة تريد ان تغير فهي في صراع من اجل حريتها في التعبير . وعصر التغير حام جدا لتطوير المجتمع . وعليه لا تصور هناك تنقلا بمعنى الكلمة , في القديم وفي الحديث , لا يمشي في صراع مريد بينه ككائن حر وبين الاوضاع الاستقرارية المحافظة التي

يسهل المجموع الى الابقاء عليها والى مواسلتها .ولذلك يمكن ان اوبط هذا السؤال بالسؤال
الموالى الذى يتمنى بالتراث .

التراث ايضا ينثر مشكلة , مشكلة الحرية باراء , التراث * فمضمون يرى من مفهوم حريته
ان يتحدد من هذا التراث , ويريد ان يوصل لعامة عربية حديثة لا تنتمى الى تراثها القديم .
فترى منى انه حتى فى ايماننا هذه نجد ثقافتنا العربية المعاصرة تعاني من هذه القضية , قصة
الحرية , الكل يتصورها بمفهومه الخاص * السياسى له حريته الخاصة والاقتصادى له حريته الخاصة
الخ * انما المثقف ليس فى رأى الشخصى الذى تمنح له الحرية او يطالب بها ليجد الظل الوئيد
ليكتب بحرية , فان اعطيت له اعتبر نفسه قد كتب وهو حر والا يستتران ليس هناك حرية ,
ويبقى فى تشكك دائم لاتعادهها * انما المثقف الحق هو الذى اذا لم يجد نفسه طرفا فى هذا الصراع
عليه عن نفسه انه ليس فى حرية , حتى وان وجد كتاباته تنشر وكن ما يقال مسسوع ويميل به *
فليستقدان هناك تزييب لا محالة فى حقيقة حريته وانه لا يرى بوضوح الامر * اذ فى رأى : الحرية
مشكل قائم بين المثقف وبين عصره فى كل وقت *

اويد اولاً ان أقول ملاحظة حول السؤال الذى طرحه السيد رئيس تحرير
مجلة « الإصالة » الأستاذ عثمان شبيب قبل أن أنتقل الى ملاحظة ثانية موجزة
عن السؤال الثانى , قضية التراث ,
هنالك رأى يقول ذى الحقيقة قضية الحرية فى الثقافة العربية المعاصرة هى قضية

الاستناد
الحبيب
الجحاني

زائفة نظرحمام باب الترف الفكرى , قضية ليست موحدة وأدليل على ذلك انها وجدت مشاكل قبل
استغلال الشعوب العربية وظهرت أسماء وأثارت ضجة وزوبعة ولكن اليوم لا نجد ما يشبه ذلك
والمثقفون الآن يعيشون بسلام اعتقد ان مثل هذا الرأى معناه انكار لواقع موجود , وهناك ملاحظة
أولية وهى انه لا بد ان نفرق بين بلد عربى وبلد عربى آخر , وفى نفس البلدان العربية لابد ان نفرق
من فترة زمنية معينة الى فترة أخرى وهذه ظاهرة شرب من دعاتم العربى . انه يس بطروف ذهنيه
تتغير , وتقلبات سريعة جدا بحيث ما يمكن ان يصبح الحكم عليه بالنسبة لفترة السنينات ربما لا يصبح

اليوم هذه الملاحظة الاولى ، لكن بصفة عامة لنعوم بسلية تحليل الموضع السياسي ولنظم الحكم الى غير ذلك بصفة عامة ، فانتا نجد نفس النتيجة أي أن المثقفين العرب بصفة عامة يعيشون كما قلت في الاول خلف الجبهة اعنى جبهة فضال الشعوب العربية فهم ليسوا في الطليعة ، لا يساهمون وشم حاجة العالم العربي الى الفكر المجدد الى الفكر النوري، الى الفكر الدقيق، والى الموضوعية الى الصراحة ، الى الجرأة ، تجد هؤلاء المفكرين انهم يجب منطقيا أن يكونوا في الطليعة تجتمع من الوداء وتجد اناسا آخرين هم الذين يشرفون على مصير الشعوب العربية ، هذا الوضع الذي يوجد على الاقل في اكثر البلدان العربية يكفى أن يكون جوابا على من يريد أن يتجاهل هذه القضية ويقول أن القضية ليست مطروحة ، لاننا لم نتمتع في التحليل ونسأل : ما هي الاسباب التي جعلت هؤلاء ينكمشون وينزفون ؟

بالنسبة للسياسيين متهمون بأنهم لم يخلقوا الظروف المناسبة ليعمل المثقف دوره في الحياة الاجتماعية والثقافية ولكن السياسيين يقولون بأن المثقفين انزاليون يعيشون في ابراج عالية وهم لم يساهموا في خلق مجتمع عربي واثق بأنهم معنى الكلمة ، إذن فالمشكلة ليست مشكلة بين السلطة وبين المثقف وإنما

تدخل الأستاذ عثمان شوب

المشكلة بين المثقف والمجتمع ؟

هل نحن سمحنا للمثقف واعطيناه الحرية ليبرد عن مثل هذه التهم مثلا . اذا كانت هذه التهم موجودة ؟ أولا يجب أن نفصح له المجال ليعبر عن آرائه حول هذه القضايا . ثانيا هناك نقطة أساسية ، وهي مأساة المثقفين ، فلا بد أن نتعرف بأن المثقفين

الأستاذ الحبيب المصنعي

العرب على الاقل في بعض البلدان العربية وهي موجودة في المغرب العربي وهي من العراقيل التي تجعل المثقفين في بعض الاحيان لا يلعبون هذا الدور الاساسي اعنى تلك الفروق الكثيرة وريسا اختلاف اتجاهاتهم وانقساماتهم حول قضايا صغرية . هذا الى جانب بعض العوامل السياسية

لكن حتى هذا العامل يجعلهم لا يقومون بالدور الاساسى وانهم فيما بينهم غير متفقين حول قضايا
مصرية اساسية .

الاستاذ محجوب بن ميلاد

قضية « التراث » فى الاقطار الاسلامية من اشد القضايا تعقيدا ومن اعظمها
خطرا . وفى الموقف فى علاجها توفيق فى علاج غير ما قضية من القضايا
الحوية التى هى قضايا « الاخلاص للذات » و « الاخلاص لما تربيته الذات لنفسها
من المثل الحقيقى على اساس « البصر الحقيقى » ينو اعمى الاشياء .

ولئن كانت الاقطار الاسلامية فى اشد الحاجة الى تميز جوانبها المادية بما شئت من شؤون الصفة
التكنولوجية والادوات الطبية المصرية فى جميع ميادينها الاقتصادية والصرانية ، فهى فى عين
الحاجة الى أن « تصفى حسابها المهنى » - فيما يخص « التراث » وفى نطاق عين الصرامة الفنية ا
الا أن الامر الجوهري الذى يجب أن تنتبه اليه - قبل كل شيء - هو أن علاج قضية التراث يتطلب
منا أن نميز بين عناصر هذه القضية او بين جوانبها - اذ لها عناصر متعددة ، وجوانب محتلة - حتى
يمكن لنا أن نوضح جنس « المرافف » التى يجب أن تتخفها من تلك العناصر - عنصرا عنصرا -
او من تلك الجوانب جانبيا جانبيا .

ومن أدوات التوفيق فى علاج تلك القضية أن ندرك أن موقفا من هذا المصير قد لا يجب أن
يكون - مبدئيا - عين موقفا من سائر العناصر أو أن موقفا من هذا الجانب ليس يجب - حتما -
أن يجانس موقفا من سائر الجوانب .

وانا اعنى - من وراء هذا - أنه من الباطل أن نغال مغالاة البعض - فمقدس التراث « جملة »
وعلى الاطلاق متلما أنه من الباطل - كذلك - أن تنطرق تطرف آخرين « فترفض » ذلك التراث على
اساس عين « الجملة » وعين الاطلاق ا

فترائنا - كترات كل امه لها تقاليدھا الثقافية العريقة فى القمم - سائر القرون وتشعب
تشعب المشاط العقلي والروحي ، وتمنق تمنق الشوق للكشف عن اسرار الحياة ، وتنوع تنوع
المغليات التى غذته بما شامت منها ، وشامت مقاصدها ، وشامت اموازاها ، وشامت ظروف

تجارها السياسية ، والاجتماعية والخلقية والفكرية والعلمية والتاريخية ان تقسده به
فأضحى بين أيدينا هذا التراث الذي نعرف انه من أضخم ما عرفته التقاليد الثقافية
بين الأمم (التحضر ذات الماضي السحيق - من ألوان التراث - تاهيلنا أنه تراث شعوب جمعت بينها
الرابط الإسلامية العربية من المحيط الهندي الى المحيط الأطلسي ونتاج ما أنتجت من صنوف
الإنسان في نطاق ما عرف تاريخها من مد وجزر ، ومن حرب وسلم ، ومن صراع وتعاون ، ومن شقاق
وولام ، ومن دقي وتدهور ، ومن توحيد وتمزيق شمل .

ولئن شامت ظروف الانحطاط ان تتمتع « الصلة الحية » بيننا وبين هذا التراث ، او ان
نصعد الى حد بعيد فتصحي أحيانا وإهية كحيط العنكبوت . فقد شامت « النهضة الحديثة » ان
تربط ما انقسم أو ما وهي من الروابط بيننا وبين تراثنا واصبحت العقول تنقبه - في نطاق وعي
أعمق فأعقب ، وأشممل فأشممل - الى ضرورة « أحياء التراث » تمهدا لمستقبل نريده قويا ، ونريده
يكتسب بما يجب ان يكتسب به من « عزة الذات » حتى تنهض « الذات » مستقيمة الطلعة لمجابهة
مشاكل حاضرنا والمستقبل

لكن :

الانتبته ان القضية - جوهر - من قضايا الحرية الخلافة ؟ الانتبته الى انها وعيلية ليس
أدق منها ويمترضها من الصعوبات ما لا يضحى ؟

الانتبته الى انها تتطلب من « الاختصاصيين العنيين » ان يغنوا اعبارا في الكشف عن « اسرارها »
وعن « شروطها الفنية » : وهي اسرار وهي روط من الطب الاسرار ومن اعز الشروط تاهيل
انها « تبدو » متناقضة « وبدولك » لطائفها « دقائقها » في اعظم سسؤال انت حري بان
تطرعه وهو هذا « السؤال المردوح :

ما جنس اتصالنا بالتراث ؟ وما جنس انفصالنا عنه ؟

ومع ان تطمع في التوفيق في معالجة قضية التراث - ما لم « تنبته » على ضوء
« الشروط الفنية » التي هي شروطها هذا « الشأن المعجيب » الذي هو شأننا من التراث !

ولئن اكدت لك سالما انه من الباطل - جزما - ان نقالي مثالات البعض فنقدس التراث
تقدسا - بالجملة وعلى الاطلاق ، او ان نرفضه - رفض بصهم له - بالجملة كذلك وعلى الاطلاق

ولأن كلا الطرفين يتحدان - من دون شعور منهم - هي عين الدهول عن «حائب جوهري» من القضية
دخول الحرب الاول عن ضرورة الفصل ودخول الحرب الثاني عن ضرورة الوصل - بيننا وبين
التراث !

وكلاهما يتحدان - من وجه كان - هي عين «السلطنة» التي يمزوها والتدبر والفكر الرشيد
في اعتبار اسرار الحياة في فتوحاتها المبيتة - فكان لاول مكتوباً عليه - اراد ام لم يرد - ان
« يفرق » في الماضي لاعتباره التراث « حقيقة مقدسة » نقصد لذاتها ؟ وكان الثاني مكتوباً
عليه - شعر بذلك ام لم يشعر - ان يكون « مبتناً » لتقريره ما قرر - ان يحرم ذاته الحياة
من بعض مباحث حيويتها المتأصلة في تربة تقاليد الثقافية ؟

وهل يوجد مجتمع حرى بالبقاء ما لم يسهر على تغذية عقول ابناءه بصنوف « القيم » التي هي
قيم تراثه حتى يمكن لتلك العقول - مزكاة - أن تزكى بدورها تقاليداً بما تثيرها به من كوز
متوحاتها ؟

وهل التقاليد الثقافية الحية الا « سلم ذهبي » لا تنفك الهمم تتسلق درجاته ولا تنفك
تصنيف الى نالده درجاته طريف الدرجات قشرفت - بفضل ذلك - على آفاق اوسع فارسع - فتمكن
« الحياة » من وثبات جديدة في حلبة كل خنفس تكون - دائماً - مجداً للعقول ، ومعيداً للقلوب
ومجداً للذواقي !

وهل « الحرية الخلاقة » تبقى غير هذا ؟

وان نحن اعتبرنا كل هذا أمليس يبدو من الواضح الخلل ان مشكلة « احياء التراث » - وهي
مشكلة حديثه بالاقطار الإسلامية - ليس يمكن ان تنحصر - مثلاً ينظر النض - في مجرد اعادة
نشر امهات الكتب القديمة على نحو ما كان من النشر للتأليف العديدة التي عثر عليها من
تأليف المتنلة ، او الشيعة ، او اهل السنة -

فمن هذه التأليف ووضعها بين ايدي الباحثين امر ضروري - ولكنه لا يتجاوز ان يكون
« خطوة » بحسب ان تمضيها « خطى » أخرى ترمي الى المطبق عليها بالبحث والتحليل والدراسة
والانقد رجاء الفوس على اسرار «الروح الحى» التي أوحى بها فكان « بارزا » في مختلف اجزائهما
ونصولها «مثلاً كان» مبرزاً ، لما يحدو مؤلفيهما من الشواغل الجوهرية والمطامع الاصيلية التي ترمي

الى « الصنع » - أكثر فاكثراً - على أسرار « النظرة الحق » لشؤون منزلة الإنسان في الوجود - على ضوء ما اكتشف لهم من أسرار التنزيل السنّي اتخذوه دستور انقاسهم العقيدة والروحية حال ما كان لهم من « التجارب الوجودية » *

وإذا ما اعتبرنا أن « العقلية » التي هي عقليتنا اليوم في هذا القرن العشرين ليست هي « العقليات » المتباينة التي نجست خلال قرون التاريخ الإسلامي ، وأن الطسوف النفسية ، والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية التي عاش وسطها المباشرة الذين اضطلوا بأمداد التراث بانقاسهم ليست هي الظروف التي نحن فيها - أفليس يتضح لنا جلياً أن المطف على التراث بالبحث والتحليل لاجلاء جوانبه الجوهرية يجب أن يجرى على « أصول » معينة تضمن لنا الاقتدار على فهم ما يصلح لنهضم من هذا التراث فينمى لنا - في نطاق الإخلاص إلى للذات الحية - أن نوفر لأنفسنا - وللتراث - أسباب « البحث الحق » وسط عالم نواميسه ليس أشبه منها صرامة ... والا طرحنا - وطرح التراث - مثلما طرحت الحضارة الإسلامية في طي العمم *

وأهم تلك الأصول التي يجب أن تحطون عند عطفنا على التراث بالدراسة والتحليل والنقد فأهمها - عندي - أن نميز فيه بين أمرين اثنين ليس لهما عين الحزمة *

١ - أما العنصر الأول فهو « العصر العلمي » أعني ما انتهى إليه « العقل الإسلامي » من فوجات في ميدان العلوم على اختلافها *

وبدعي أن هذا العنصر - مهما دل على عظمة الفاتحين فيه ومهما كان لهم من الفضل في عهدهم في حيلة التنقيب على حقائقه - عنصر « موقوت » أعني أنه « معين وقته » وينظر إليه بالإضافة لما كانت عليه العلوم قبلهم وما انتهت إليه اليوم بدمهم *

وشأنهم هنا شؤون !

ففي ميدان الهندسة - مثلاً - فهندستهم ورتوها عن أقليدس اليوناني : حضموها ولم يضيفوا إليها شيئاً * وهي هندسة ما زالت صالحة ليومنا هذا في مستواها الحاس ، بالرغم من أن علماء العصر اضافوا إليها « هندسات » أخرى تصلح في مستويات غير مستوى هندسة أقليدس وتعتبر لا تحضاً لها بل توسيعاً للاتاق الهندسية الشرية *

رلى مثل ذلك فى الجبر وفيما انتهى اليه الجبر عند المحدثين من تطبيقات مدهشة فى ميدان العلوم الموسوعية - اعنى فى ميادين الفيزياء والكيمياء وعلم الحيل مما لم يحلم به قط العلماء القدامى *

اما ما كان لهم من الانظار فى ميدان علم الهيئة فهو لا ينظر اليه الا من الناحية التاريخية البحت على نحو نظرنا لنحو استاذهم بطليموس فى تصويره قضايا علم الهيئة وقضايا اخلاها ان نحن قسنا هذه الانظار بالانقلابات المدهشة التى ثبتت فى العصور الحديثة على ايدى كوبرنيك ، وزيون وايشنستين وغيرهم من علماء الهيئة *

2 - واما المنصر الثانى - فى التراث - فهو لا يخص « التقدم الطبي » عند القدامى وإنما يخص « تقدما » من جنس آخر اعنى « التقدم » الذى انتهى اليه « الضمير الاسلامى » فى حيلة الكشف عن « الاسرار الروحية » - « اسرار العلوب » - من وراء تجاربهم المتنوعة فى الميادين الاعمادية والفلسفية والحلقية *

وهو عصر اطلق عليه - قديما - اسما مختلفة : فسعى حينئذ بالتدبر ، وحينئذ بالاعتبار والازدجار ، وحينئذ بالفكر ، وهى اسما مرادفة لاسم « المنصر الروحى » عندنا اليوم .
ومهما يكن الاسم الذى تطلقه على هذا المنصر فهو المنصر الاهم فى التراث اذ به كان التراث « اسلاميا » *

هو - بالقيبط - منصر « توحيد الذات » فى صعيد الافراد وفى صعيد الجماعات .
هو منصر « تفجير يناير » « صدق الذات » و « اخلاص الذات للذات » فى صعيد الافراد وصعيد الجماعات *

هو منصر « تحريك الذات » فى ميادين حريتها الخلافة :

وهو هو - لا أكثر ولا أقل - المنصر الذى كان به « التنزىل » هدى ورحمة لعباد .
وعل يمكن ان يكون لنا - من وراء « احياء التراث » غنى اعظم من هذا الغنى : ان نستلهمه نيسا حلى بتصميم من اسرار اقتدار الذات على محاربة « قضايا المصير » وسط ما يكتنف « المنزل الانسانية » فى هذا الواحد من الاقدار والصورف على اختلافها فى الشكل والجنس ؟

ولئن كن أولئك الذين يقدسون التراث بقديسا واولئك الذين يرفضون التراث رفضا من الباطل فذل كلا الطرفين يتجدد في عيسى « اكمل العقل » فلا يبحث عن الفوس عسل اسرار الذات في نور خلقها ولاها يستهان الى ان التراث ان تن في حاحة الى « الاحياء » علانه في حاحة الى ان نهمة من لهب نفوسنا ونسورعولنا حتى يهينا - هو - ما كمن فيه من آيات عزم يوحى بالزم ومن آيات نور توحى بالتنوير فتتصم وتوحاننا في حلقات سلسلة التالسد والطريف وفي كتب « البعث المستأنف » ...

وهو أمر ليس يمكن ان يتم ما ثم يصبح نفوسنا عند عطلها على التراث « مخابر حية » - حتمه لا محازا - فتسخر نقدها ، وتحليلها ، وبحثها وتجاربها الوجودية المضطربة على اختلافها - لتصفية الحساب الممتوى للتراث * وعلى ضوء « معاييس » نعلها ، وتحليلها ، وتجاربها الوجودية المضطربة يصبح لها الحق - كل الحق - في ان ترفض التراث - كله أو بعضه - او في ان تقبل التراث - كله أو بعضه - باعتبار ما ناله العبارة الذين اضطلعوا ببناء صرحه لئنه لبنة على مر القرون من « الانصبة » المتفاوتة و « الخطوط » المتباينة : توليقا وخذلانا ، وعجزا واقتدارا . وأعتاد ، وضللا في حلة تصيدهم « الاسرار » أو « الأصول » التي يتم في كتب مراعاتها او على أساسها تجبر « نتائج » صدق الذات واحلاص الذات للذات في صعيد الامداد وفي صعيد الجماعات .

ومما يزيد قضية موقفنا من « التراث » ومن « احياء التراث » صعوبة ودقة وإسعفاء امران اثنان :

١ - اما الامر الاول فضرورة تحررنا من موروث الاوصام والاساطير الناشئة عما كان اقدامي لا ينفكون بفضاؤن به من احكام التكفير والتبديع والتشتيع خلال ما احتتم - على مر القرون - من الخصومات المذهبية بين الشيعة والمعتزلة وأهل السنة * فحمل ذلك ما جعل من « الحجب الكنيعة » دوننا حقيقة أمرهم حزبا حزبا ، دوننا ودون حقيقة ما كان يصزم من المبادئ ، والمقاصد والمحاف والنوايا ، دوننا ودون ما انتهى كل فريق منهم الى تقريره أو الكشف عنه من عناصر « تحريك الذات » وتحريك عميق اشواقها *

وهو تحرر ضروري يجب ان يحرص عليه الباحث فينا - مهما يكن منزعه ، ومهما يكن منجاة المذهبي ، ومهما يكن من أمر اشواقه الخاصة ... ان كان يطعم - حقا - في ان يطر بعين الانصاف

لجنس اسهام الشيعة ، وجنس اسهام المعتزلة وحنس اسهام أهل السنة في ميادين كفاح كان
حنا كفاح « الصمير الاسلامي » خلال القرون في سبيل الزان صدقه ، واخلاقه للذات وفي نطاق
ما عرف من مختلف الآفاق - سعة أو ضيقا - وعلى أساس ما حفزه من أصول « النفس » العقي أو
الروحي .

والذي يمكن لي الجرم به - بعد بحوث استغرقت بيغا وثلاثة عقود من السنين - هو أن هناك
حائسا من الحقائق يمكن اعتبارها « جزءا مشتركا بينهم مثلما أن هناك » فتوحات « خاصة انهم
بها كل حزب من تلك الاحزاب الثلاثة ولاغناء لها اليوم عن اعتبار وجاقتها وإن انكرها بعضهم على
بعض لمواهل متعددة قد نقر منها البعض وقد لا نقر منها البعض الآخر .

وهي جميعها - بالإضافة للباحث التريه في هذا الصبر - « كوز من الاعتبار » أو من الفكر ،
يشهد على ما كان لها من الاقتدار على تفجير « صق الذات » والهاب « لهب الذات » ما كان
نؤلا البائين لصرح التراث من آيات الاخلاص للبيبا أو لسمينة والصبر على طوقه الجملة وسط
« مجتمع اسلامي » قلاقله ، وفنسه ، وهرات معه وفورات غليانه لم تكن - دائما - مما يسمح لنقى
الفكر أو لنقى العقيدة أن يخضع للفكر أو للعقيدة - فكان نكرهم أو كانت عقيدتهم « اعجب سبيح »
باهيك أن طيته وسده لم يكونا طية ضمائرهم وسدها على عمر القرون .

2 - وأما الامر الثاني فينحصر في بقية التي لا يزول بان أولئك المفكرين الاسلاميين
القدامى - بلخوا ما بلغوا في حنية الاخلاص للفكر ولفضايا منزلة الانسان في الوجود - لم
ينتبهوا لكل أسرار صدق الذات ولا لكل أسرار تحريك الذات « على نحو ما جاء تقنين أمرها في
كتب « التنزيل » !

وقد ينتهي بي الأمر - في هذا المصداق - إلى الجرم - بأنهم أن عاصروا على الكثير من أسرار
التنزيل فانهم لم ينتبهوا إلى الكشف عما يمكن أن نسميه « مفتاح » تلك الأسرار جميعها !

وليس من أهل السجوت شأنا ولا من أقنبا اعتبارا أن نهم - نحن أبناء القرن العشرين ! -
بالكشف عن مختلف الموامل الفلسفية والسياسية والعمرانية التي حالت دون عباقرة الفكر الإسلامي
بالامس ودون اجلانهم أمر ذلك « المفتاح » لأسرار التنزيل !

وهو مفتاح كان يمكنهم - لو اتجهوا إليه - من ادراك « الامر الجديد » الذي به احتياز « التنزيل القرآني » عن سالف الكتب المنزلة : اعني ما اشتمل عليه من « اصول » هي اصول « دستور جاهز » يرمي الى الكشف عن أسرار « غرس » كل مثل أعلى جديد في هذا العالم المصنوع المتودد !

وان انت « استعطمت » هذا الامر الذي اذهب اليه في هذا الميدان فابيت ان تعتبر اوتتك المفكرين العظام من المقصرين في حلية التفسير والتاويل لأسرار التنزيل فالامر الذي لا شك فيه هو انهم لم يترسوا اليه بالشرح على نحو ما كان منهم الا « ضموا » بالكثير مما اكشفوه ممن الحقائق على « غير اهله » !

وبما يكن من اهرم فالامر اليقين هو ان هناك « مناطق » من مناطق اسرار التنزيل تسطر ما - ابناء القرن العشرين - ان نطليها حقها من البحث والكشف والتجليل « استشفافا » لتلك « الحركة المحيصة » التي غنت « اعظم المعول » حلال التاريخ الاسلامي اسمى « حركة تدبر اسرار التنزيل » - فيمكنهم مثلاً هي حرية بان تمكننا من « الهبسة » على صروف الزمن وغلاب صموباته على اختلافها !

وهو « استشفاف » لا مناص لنا منه ان نحن أردنا - حقاً - « احياء التراث » وأردنا لانفسنا « البحث الحق » الذي يضمن للذات الحية « عزماً » به يكون « غلاب » صروف هذا « الزمن الطامي » - - - وغلاب صموباته على اختلافها !

ذلك ان « احياء التراث » والاقبال على « تصفية حسايه المتنون » والفوز بتجاوز ما انتهى اليه القدامى من المذاهب والانظار ليس يمكن ان يتم - على اساس الجد وعلى اساس الرشد العقلي - الا في نطاق الفوضى على ما فاتهم من اسرار التنزيل أو - - - ضموا به على غير اهله !

ويقيني الذي لا يزل هو انه في امكانك ان تكون من أشد ابناء هذا العصر حرصاً على علومه وعلى تقنياته وعلى صرامة معادلاته الجبرية مع اقبالك على تدبر اسرار التنزيل في كنف الضيق الاصيل لتجبر يتابع سبق الذات وخلص الذات لذات !

واني لاذهب الى ابعد من هذا فأؤكد لك ان من كان حراً من ابناء هذا العصر وعرف - معرفة « الدقة » - ما انتهت اليه القول المعاصرة من مدعش الاكتشافات في الميادين العلمية على

اخلافها ، وما حطبت به الفلاسفة من التوفيق في التعمق في مختلف جوانب « منزلة الانسان » في هذا الوجود - كان « أقوى » علقهم أسرار التنزيل من أي عبقرى من عباقرة الفلاسفة القدامى عسل الإطلاق - ومهما كان منزعهم والمشرّب ! - لانه اضحي في امكانه ان يسمح تلك العلوم وبلك الغلسفات ومتوحاتها لهم اسرار التنزيل والتعمق في فهمها على نحو لم يعلم به أولئك العباقرة الاسلاميون نظرا الى انهم لم يتمتعوا بما تتمتع به اليوم من كسار جبار العقول لا في علوم المادة فحسب بل فيما يسمى اليوم بالعلوم الانسانية ان هي حدثت بان تكون علوما تخدم - حقا - حرمة الانسان وتبله !

ولو انى اودت ان اترك هذه الاجواء الفلسفية وقم شواحقها الى ميادين اقرب مثلا ، وإبرز للعيان ، والصق بشواغلنا اليومية وبما نعالجه من مختلف اشكال لقلت ان « احياء التراث » وتصفية حساباته المعنوى من الامور الضرورية لا بالنسبة « للمؤمن » المخلص لتراثه العصري الاسلامي الغيور على بصره - فحسب - بل ايضا بالاشاعة لمن يرفضون التراث ويريدون الاخلاص لمقتضيات هذا الزمن الصارم الذي لا يعرف الا دستور حديثه والتناو !

وان هذا ليبدا اسطع ما يكون وأوضح ما يكون في الميدان التريوى *

ففي الميدان التريوى تبدو قضية احياء التراث « عادية » ان صح هذا التمييز : لا هي مسربة بسرrial المتطرفين تطرف أقصى اليمين أولئك الذين يقدمون التراث تقديسا مى غير ما انتباه منهم حقيقة « للمشاكل الفنية » التي يثيرها امسراجاء التراث ، ولا هي مسربة بسرrial أولئك الذين يرفضون التراث فى غير ما انتباه منهم لما ينتهى اليه هذا الرفض من العواقب *

او ان شئت قل - وهذا ادق - ان قضية التراث في الميدان التريوى هي « المحك » الذى يمكن لك اتخاذ « حكما » لريها بين الطرفين اذ فى هذا الميدان بدو لك - بالتدقيق الفنى ا - جنس وحاجة الموقعين وحسن غلوها فى عين الجين *

ذلك ان القضية ليست « قضية اهواء » وانما هي قضية « حق » لا بد لك من احلاله اجلاء الوصوح على أساس « اصول فنية » لا مناص منها !

ولا غرو *

ففى الميدان التربوى تلمس « بالاصابع » جنس الاحطار المتجسمة فى انجازنا لهذا الشيق
أو لذلك انجازا غير بصير ... بذات الرهان المطلوب من وراء التراث ومن احيائه ... ذلك
ان « الوضع التربوى » يحملك - حمل المنب - على ان تطرح على نفسك اسئلة هى اخطر الاسئلة
واعضها شانا :

فما حقيقة التراث ؟ وما وظيفته - أو وظائفه - فى نطاق « ثقافة انسانية » - مهما تكن
عده الثقافة - وما الاهداف البعيدة والقريبة التى تستهدف من وراء ذلك التراث حتى تحرس
عليه حرص « الغيرة الصادقة البصيرة » ان كنت تمتد - محققا فى اعتقادك ! - انه « يصن » لك
ملوعها فى نطاق كل طمعنان ، أو تنتكسر له - معها فى تنكرك له ! - ان تبين لك انه لا يصن
لك بلوغ تلك الاهداف ؟

وفى حالة ما تبين لك ان ذلك التراث حرى بان « تنتكر » له - لانه لا يضمن لك بلوغ تلك
الاهداف جميعها أو بعضها - فما جنس المواقف التى أنت حرى باتخاذها لجباها الامر وعلاجه
حتى يصبح التراث قادرا - من جديد - على اداء ما أنت حرى بان تطلبه بادائه من حيوى
الوطائف ؟

ولو انك وقفت امام هذه الاسئلة الخطيرة وقعة التدبر والاعتبار لامكن لك ان « تقيس »
« تيس الدقة ! » - فحس اعطى الشاسعة التى تم قطعها من بداية « النهضة الحديثة » الى يومنا هذا
فى ميدان « الوعى » بحقيقة « مشاكل التراث » وبحقيقة ما ينتظر منه ان يؤديه فى حياتنا اليومية
ففى غضون الثلث الاول من هذا القرن كان معظم الادباء يكتفون بطرح هذا السؤال : « هل
يكفى الادب العربى - وحده - لتكوين ثقافة الاديب المعاصر » ؟ لشيورهم - اذ ذاك - بالفروق
المدهشة بين اجواء الادب الغربية المعاصرة وصنوف اعذية موادها واصولها ومقاييس تقدها
وفلسفاتها الجمالية - وبين اجواء الادب العربى القديم .

وهو سؤال ان دل على شئ فانما يدل على ان الادباء - اذ ذاك - لم يكونوا لينتهيروا الى
« خطورة » وضع التراث العربى الاسلامى ونظرة المشاكل التى يدعوننا الى ان ننظف عليها بالبحث
والتحليل والعلاج فى نطاق اشمل آفاقه - وفى حد ذاته - بل بطروا اليه من زاوية صيقة تخص

« الادب » وحده من حيث هو عبارة غنية تنص جانباً من جواب الذات العربية المعاصرة وبالتقارنة مع العبارة الادبية افريقية *

وفي الحق فان ادبياً كالمعاد سرعان ما انتبه الى ان اصلاح هذا الادب هو في الحقيقة عملية اوسع نطاقاً واعقق حيدراً مما كان الادباء يظنون فاكد هذه « الحقيقة الجوهرية » : وعلى ان اصلاح ادب أمة هو اصلاح احساسها « جوهرها » ، وان اصلاح مقاييس هذا الادب هو اصلاح مبادئها في ميدان احساسها بالحياة وبشؤون الحياة على احتلالها ... فكان ما كان منه من النشاط الادبي الذي اتسع نطاقه شيئاً فشيئاً فتجاوز السند الادبي الى ضرورة المعطف على الذات الاسلامية من وراء ابراز خصائص « عبقرياتها » و« ابراز بعض » الحقائق الجوهرية « التي تخص النظرة الاسلامية للوجود ... فكان بذلك رائداً من الرواد الذين سموا - حقاً - « لترميم » الذات الاسلامية »

وبالرغم من اننا نتعرف بالمجهود الحصب الجبار الذي بذله المعاد في هذا الميدان فلا بد لنا من استئناف عمله على « اساس فنية اصولية » اعوزته لكونه عالم القضية معالجة الادب لا معالجة الفيلسوف الاختصاصي *

وليس من شك عندى في ان « الادب العربي » الذي عنى بامر « الذات الشرقية » ويتغير بتأثير صدق الذات الشرقية على نحو فريد شامل انما هو ميخائيل نعيمة *

فعد عبد الى التشكل « مجابهة » - على حد اصطلاح المسكرين - عن طريق معالجة « مشكل بناء ذاته » لاعتباره - محققاً في اعتباره - ان قضايا « الذات الجماعية » لا تعالج الا اذا اتخذت « الذات الفردية » من نفسها « مخبراً حياً » تصهر فيه « صوارم » اواخر البعث في نطاق الاخلاص المضطرب لخواص الاشواق ... فتكون « الذات الفردية » - اذ ذلك - « النموذج الجديد » او « المثال الحى » الذى يقتدى لكونه دل - بتوقيته - على الطريق الجديد للمصر الجديد في تشدائنه شروط كل بناء جديد في سبيل كل بحث *

ولس من شك عندى - في ان ما حظى به ميخائيل نعيمة من الاشراف على قسم « ثقافة الذات » كحظى بان يهضم - من وراء دراساته وتاملاته ، وتجارب الوجودية - « حقائق جوهرية » استمدتها من اذكى البنائين الشرقية والغربية - هو الذى مكنته من تغيير نتائج صدق ذاته

فعرس علينا ما عرض في الآثار الحرة بأن تكون « أركي غداء » لقلوب تريد لنفسها الإخلاص للذات - في « عبارة عربية » كان ميخائيل نعيما حريصا على صفاتها ، ونقاوتها ، ونظامتها عين، حرصه على صفاء القلوب ، ونقاوة النوايا ، ونظامة الأنفاس !

الا أننا اذا ما اعتبرنا أن ما حظ به ميخائيل نعيمة وأضرابه من أنصبة التوفيق في بناء الذات وسعت « أدغال » هوروت الانظار - انما فازوا به عن طريق عبقري الجهود وعن طريق الاشراف على مضامير جبار المقول الغربية - كان لزاما علينا أن نذكر أن قضية التراث في « الح الحاجة » الى أن تسرع بصلاحها على أساس أوسع نظرية حتى « ليسر » لدوستنا أمر اضطلاعها بوظائفها الحيوية في حليه « بناء المقول » البناء القوي السالم !

وهل يمكن أن تضطلع « مدرستنا » بوظائفها الحيوية في هذا الميدان ان هي كانت تقدم لمقول الناشئة « بضائع » منها « بضائع قديمة » و « بضائع حديثة » وبينها ما بينها من التناقض الشديد ، والتناقض العميق ؟

في اعتقادي ان قضية التراث تحبل مكاتين تثيران الاسف والحسرة *
المكانة الاولى : نقاسة المظهر التي اقتصرت على ابقاء التراث في كتب مطبوعة او مخطوطة انحصرت العناية بها في التجليد الفاخر وكتابه الصاوين بـ

بين جنات المختار

النهب وادراجها وراء الزجاج في خزانات من الخشب الرفيع *

المكانة الثانية : التجنيط الذي تمثل في تمجيد التراث وعدم استثماره * في ميدان الادب على وجه الخصوص بقيت القصة والسر محفوظة في كتب مخطوطة او مطبوعة لم ينفذ عنها الثبار ، ولم تتناولها الاقلام بالبحث والتجديد لتدخل عالم المسرح الحديث والسينما والتلفزة والاسطوانة - وبالرغم من شألة التجارب في هذا الصدد فان الاعلبية الساحقة من بطارية التلفزة - على سبيل المثال - انفلتت بمقامات « بديع الزمان الهمداني » حين اخرجتها التلفزة اللبنانية في حلقات تمثيلية كما ان الجواهر - في كافة الاقطار العربية - طربت للقصائد العربية العتيقة التي ثرنت بها السيرة « أم كلثوم » *

وإرى شخصيا أن استخدام الوسائل السمعية والبصرية تعيد للتراث العربي مكانته وتجعله يتجاوب مع روح العصر .ويأخذ مكانته في حياتنا *

ماذا يقصد بوصف الغزو الثقافي بأنه سلاح ذو حدين ؟

لقد تصورت من هذا المعنى أن للغزو الثقافي خطرين :

الخطر الأول : التأثير الميطن بالمقاصد الفكرية والمناطقية الهدامة التي تبرز بصفة خاصة في الإنتاج الثقافي المقروء أو المسموع أو المرئي التي تحرص الأجهزة الثقافية العربية على استيعابه من تاريخ العرب مواصلة منها لنفس السياسة التي كان يسلكها الموطعون والحربون من أسانفة ومعلمين ورحبان في المدارس في أيام العهد الاستعماري البغيض. وقد تبجل هذا بصفة واضحة في الاثرطة السينمائية ** (مثلا : لورانس العرب) *

الخطر الثاني : في التأثير الناجم - تلقائيا - عن معطيات الثقافة الغربية التي لا تتلاءم كلها مع البناء النفسي والاجتماعي للشبابنا « خاصة وأن التقاليد والعادات التي توارثناها جيلا بعد جيل تضع كثيرا من الفوارق الحادة بين مجتمعنا والمجتمع الغربي في مجال العلاقات الاجتماعية والجنسية - بصفة أخص - وأخفى ما يؤخذ من هذا الخطر « الجنب الغريزي » الذي يدفع الشباب الى تقليد ومحاكاة المجتمع الغربي في التفكير والاخلاق والمعاملات البشرية -

وفي اعتقادي أننا إذا تدبرنا الملل الكأمة وراء هذين الخطرين سهل علينا الحد من شروء الغزو الثقافي . وتمكنا من السيطرة على وسائل الاعلام التي تنسرب منها كافة الاخطار التي تهدد ثقافتنا العربية . وتستهدف في الدرجة الاولى النيل من سلامة امتنا وتقويض الروح المتويزة لساننا *

وبواسطة المراقبة اليقظة والمستمرة من طرف اختصاصيين يتوفر فيهم الاطلاع الواسع على ضروب الثقافة وتاريخها وما تحمله من تأثير نفسي يقع الحد من خطر الغزو الثقافي ، وتخضع الكتب والمحلات والمنشورات والاشربة السينمائية والتلفزية وكافة وسائل الاعلام الثقافي لا يتشأ مع مصالح المجتمع العربي وبمى ذاتيه ويقتى أسالته ، ويرفس فيه ووح الاعتزاز بقوميته . واعتقد ، أن مراعاة الخط المباشر الذي ينتهجه الغزو الثقافي يستخدم له أحدث الوسائل وأقوى الأجهزة أكيد وضروري وأشد فاعلية من الرقابة ، وذلك لحصر طرق مقاومة تاتر هذا الغزو

خاصة وإن هذا الخز سيق إن مارسه المستعمرون بين طهرائنا في زمن مبكر ، وجعلوا السواد لاعلم من امتنا تحصص له تحت تأثير كوايس الارهاب الفكرى والجهل والاستنفاص والشعور بالذل والهانة والتحلل الذهني ، وقد وجدت الجماهير مدفوعة الى اكتشاف تخلفها الحضارى وهو ما اثار فيها - بطريقة تلقائية - الدهشة ولاعجاب بالثقافة العربية - - هذا بالاصافه الى ردود الفعل الخفية - والمتصدرة - التي نالت من سلامة النفوس وقلبت المفاهيم والقوم ورحلت لادمان ، بل وقلبت حتى النظرة العابرة للامور .

إذا اعتبرنا كل ذلك واكدنا على مراعاة العواصم الذهنية التي باعدت - زمتنا - بين طبقات المجتمع العربى وحملته يتباين من حيث المناخ المحدود جغرافيا وسياسيا فان ادراكنا لحمل الغزو الثقافي والقضاء عليه يصبح هيسوراني مستوى الفهم والادراك والعمل الايجابى .

اطن انه لم يبق الا اختلاف بين المتعمين حول اهمية التراث الذى يعتبر من المفومات الاساسية للثقافة التي لا يمكن ان تبنى من العدم . فالثقافة المصرية - في نظرى - يجب ان نعلمد أولا وبالذات على التراث القديم للنساهمة في تمييز حضارة انسانية اصيلة - وهذه من الامور التي اصبح يؤمن بها كل المتعمين بما في ذلك الشبان .

**الاستاذ
حامد الساحل**

وعلى هذا الاساس فاننا نلاحظ فى العالم العربى وخاصة فى اقطار المغرب العربى التي هي حديثة عهد بالاستعمار ، اهتمام كبير باحياء التراث القديم سواء منه ما يتعلق بالآداب او التاريخ او الفنون الشعبية . والجدير بالملاحظة فى هذا الصدد ان هذا التراث مشترك بيننا جميعا فى غالب الاحيان ، فالاجدر ان نتفاخر جميع اليهود وحى نمجذب تسميت الطاقات ولا يبقى كل منا يعمل على انفراد فى هذا الميدان الذى يهم الثقافة العربية الاسلامية برمتها .

قال بعض الرعلاء : هناك تراث تراكم عليه العبار وهناك تراث آخر يمكن ان يفيدنا - يذكرونى هذا الراى بقسطنطين زريق الذى قال فى كتابه « نحن والتاريخ » للتاريخ اثنان متناقضان بل نقل ان التاريخ تاريخان : التاريخ العبه والتاريخ الحافز ، فثمة تاريخ يتقن كاهل صاحبه - فردا كان او امة -

**الاستاذ
عبد المجيد
اللويد**

ويشمل حيويته ويصنف هيته ويبحث انتاحه هزلا سقيما وثمة تاريخ آخر يحفز وينشط ويبعث ويدفع الى الابداع والتقدم . آراء قيمة تبث على الارتياح . لكن كيف يمكن ان نميز بين التراث الثقيل الذي لا يجدي والتراث الحاضر الباعث على النشاط ؟ لو كانت توجد عصا سحرية تفصل بينهما لاستعملها مؤرخو الامم الغربية واستخلصوا من تراثهم اثمته كما يستخلص الذهب من احبات معدنه . واهام هذه الصعوبة المادية فاني اعتقد ان تراثنا كله جدير بالعناية سواء كان علميا او دينيا او ادبيا .

على شرط ان تكون الدراسة موجهة دائما الى الرفع من مستواها الثقافي . على شرط ان يتذكر الباحث شيئا جديدا طريفا يساهم به لافى تقدم الثقافة المحلية فحسب بل في تقدم الثقافة الإنسانية .

والاعتماد بتراثنا وابرار ما يوجد فيه من حلوم ويعينا ايضا على شيلين اثنين : الحادثة على استقلالنا وشخصيتنا واصالتنا من جهة والمساهمة في بناء مستقبل افضل من جهة اخرى .

لان الامة التي تعرف تجربة آياتها انما هي امة واقعية واعية لا تغرط ولا تغرط في تقييم امكانياتها وهي امة تريد دوما ان تمتد الماضي لا لتقليده بل لتجاوزه .

الموضوع الثاني : نحن والتراث .

لاهتمام بتراثنا ضروري ، ولا سيما بالتراث المغربي بعد ان افتكت شعوب المغرب العربي استقلالها فصار لزاما على المغاربة ان يحيا تراثهم وينشروه ويعرفوا به اخوانهم في المشرق ، كما فعل المشاركة في بحث التراث العراقي او الشامي او المصري . ولسنا ، حين تلج على ضرورة الاهتمام بتأوارنا المغربية ، لسنا نصد عن روح اقلية شقيقة . ملا معنى للانثوية في الحديث عن التراث الذي يشترك فيه كافة العرب والمسلمين وان ما كتبه « الشامي » ابو الصلا او « الايراني » الغزالي . او « المصري » الشافعي او « الاصماني » ابن حزم ، لمحنة « للعرب قاطنة وللمسلمين بل وللانسانية » ولكن ، والحق يقال ، ليس عمن حرج في ان يتم اليوم بمفكرى العرب واديائهم وقنايه ، اقرب الناس الى المغرب ، الى المغاربة انفسهم .

وبأي نوع من التراث نعلق همتنا ؟ الجواب : بكل انواع التراث . الفكرى ، والادبى والمادى ، والفنى والمفائدى والاجتماعى . أى بكل الجوانب التى كانت فى القديم تكون الشخصية العربية وترتبطها بالخطيرة العربية الاسلامية ، ثم بالبشرية عامة .

على انه ، ان كان لا يد من تمييز الاوليات يحسن فى نظرى ان نحصى التراث العكسوى والمفائدى قبل غيره ، ولا اعنى بالتراث المفائدى شروفاً اخرى على حوطا مالك او حواشى مجهولة عن الاربعين النووية ، بل اعنى الكتب والرسائل والمصنفات التى تبرهن على الروح التقدمية التحررية فى الاسلام ، وتبين ان كبرى القضايا الانسانية لم تكن غريبة عن العرب وعن المسلمين فى ايام عزمهم ، وتبحث فى ابناء المروبة والاسلام اليوم ، لا الضعور بالخضار البارد ، والاعتزاز العقيم بامجاد ماضية ، بل تخفى فى نفوسهم الثقة بالمستقبل ، والايمان بان ما قدر عليه الاجداد قد يستطيعه الاحفاد ، وربما يزيدون عليه ، فسلاشفلتنا اذن اعتمادنا بالتراث ، عن تحصيل علوم العصر وتقنياته ، ولا يحجبنا امتخاونا سبيلهم اذن الشباباء فى تقسيم المياه السعوية بالميراث الترتى ، حاجتنا اليوم الى تشييد السدود وابجاد طول عصية ناجية لمشاكل الجفاف فى مناخنا واقايلنا ، ذلك هو مستقبل الايام التى اشار اليه الرصافى حين حذرنا من الوقوف عند امجاد الماضى دون تجاوز لهم :

ارى مستقبل الایسمام اولى

بمطمح من يحاول ان يسودا

الموضوع الثالث : الفزور الثقافى -

دعونا فى جوابنا الاول الى التحرر والى الافراميداً حرية الفكر والتعبير والنشر ، وقلنا : لا حرية ثقافية فى بلاد فقدت منها هذه الحريات الاساسية . وان طالبتنا بالحرية فى نشر افكارنا ، فمن البديهي ان لا نمنع الغير من نشر افكاره . حتى ان كان هذا الغير خصماً لنا فى العقيدة او الاقتصاد او السياسة - خصوصاً وان هذا الغير تقدم علينا المشروطا وناطنا وكبه فتخلفنا عنه وصرفنا فى حاجة الى الاخذ من علمه ومن سناعته ، ومن فكره ، ومن هوائه وتقاليده ، حتى نسد بعض نقصنا ونقص الفارق الذى يفصله عنا - ولكن الاخذ بالمعلوم الصحيحة من الفزور ، والاخذ بالتقنيات القيمة والفنيات الضرورية قد يستتبعه ، بكل الاسف ، التأثير يمرائد وعقليات وقيم قد تظهر لنا ، فى حالنا

الراهنه ، سبعة فاسدة قبيحة . فما العمل ؟ هل نغلق أبوابنا تماما . أمام الصالح والطالح من تأثير الغرب . كما فعلت الصين واليابان طيلة قرون . ونرضى بتخلها ؟ وإذا قبلنا هذا الحل القاطع . قمناه انه يجب قطع كل الصلات السلوكية واللامسلوكية . وغلق موانئنا البرية والجوية في وجه مسموم وطائراتهم . وإحراق كتبهم وأفلامهم . ومطاردة لغتهم الخ .

والرأى عندى أنه لا بد من تسليح فاشتننا بثقافة أصيلة صحيحة . وفكر واع قويم . قادر على التمييز بين الضروري المستحب من ثقافة الغرب والفضول الكريه منها . وكما توجه قوانين حماية المجموعة من تصرفات الفرد المخطئ في فردته . فهناك قوانين تحمي الاخلاق العامة من تفشى الجنسيات الرخيصة التي تنقلها إلينا الافلام الغريبة او المجلات او الكتب . كما تحمي فاشتننا من تسرب عدوى المنب والمبت بالعيم كما نراها ونسمها في بعض مسوجات الغرب .

ولكن أخشى ما أخشاه هو أن يتعلل السلطان هذا الخطر الاخلاقي . فيمنع كذلك الكتابات او الافلام التي تنقل أفكارا جديدة تقدمية او ثورية فيجس الصالح مسح الفاسد في وجه ونحجزه عينا بالقولة العامة = ربح العرب ما فترح القلب .

والعزو الحقيقي ليس آتيا من السفارات الاجنبية في بلادنا . بل هو نابس من أنفسنا . إذ تشاهد فاشتننا منصرفة من لغتنا نابتة تقاليدنا حولى عن حضارتنا . متلوقة للمسخ والانساخ . دون أن يكون لها بلغة الغرب صحيح المعرفة . ولا بتقاليد كادى الدواية ولا بحضارته علم . وهما تقول = لا يفهم الله ما يقوم حتى يفهموا ما بأنفسهم . والسلام .

الترات التي تحدث عنه معظم الاخوان والذي يقع احياؤه لحد اليوم حسب معبر الاستاذ محبوب بن ميلاد في العالم العربي لا يساوى عشر ما يوجد من كنوز في خزائن المخطوطات سواء في المكتبات العامة منها او الخاصة ويصرف

الجيلاني
بن الحاج يحيى

النظر عن كيفية احياء هذا التراث بشكل علمي وبشكل معصر . فان نشره والتعريف به هو من او كد الواحيات الملقاة على عاتق المتفهمين في البلاد العربية . وقبل هذه المرحلة . اعتقد أن التراث يجب قبل كل شئ احصاؤه والتعريف به فالمخطوطات لا زالت للاسف الشديدة في العالم

العربي وفي المغرب العربي على الخصوص معثرة ومشتتة سواء لدى المكتبات العامة كما أسفنت أو لدى المكتبات الخاصة ، فكثيرا ما نجد من أمهات الكتب جزءا أو اثنين في تونس والسابع أو الثامن في المغرب وبقية الاجزاء ربما في الجزائر أو في ليبيا أو في موريتانيا أو في غيرها من البلدان ، فحتى المؤسسة العربية التي تهتم اهتماما جديا بهذا التراث وبإصنائه في حاجة الى مزيد من الامكانيات المادية والعلمية لتتمكن من اداء رسالتها على الوجه المطلوب . تلك المؤسسة التي تشل في معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية والذي بدأ احيرا بتصوير ما يمكن تصويره من بعض المكتبات العامة وجعله في متناول الباحثين فهي نظري يجب قبل كل شيء على دول المغرب العربي بالخصوص ان تحصى هذا التراث وتنشره في قوائم للتصريف به ولتعت النظر الى وجوب العناية به واحيائه ثم تأتي مسألة المؤسسات التي انبثقت في عهد الاستقلال سواء في الجزائر أو في المغرب أو في تونس فهي لا زالت لحد الآن لم توفر بالنشر الذي يشمت من أحله ، ففي تونس مثلا انشئت مؤسسة هي الدار التونسية للنشر وكان من أهدافها انها تتولى هذا التراث ، مع الملاحظة بأن احياء التراث يتطلب مجهودات مادية بالاضافة الى المجهودات الفكرية كالباحثين والطلما ففهم المؤسسة الحديثة تحتاج الى عناية خاصة فويل كثير من الاموال اذا انها تصدر كتباً غير راجية تجاريا في الغالب الامر الذي حملها لا تروج كثير الا لدى العلماء والباحثين . فس واجب الدولة ان تهتم بهذا القطاع وتصرف جهودها في سبيل الاعانة على نشره واحيائه على نطاق واسع .

ان ما اتراه الاخ عثمان شوب بشأن الادلة التي يفهم منها ان هنالك تضيقا على الفكر في المجتمع العربي يدعو الى ملاحظة ان مناخ الحرية لم يوجد بعد . وهذا يقضى حرية التعبير ، حرية التفكير . حرية اصدار الصحف ، حرية نشر الكتب . وهذا اذا ما وجدنا انفسنا لا نجده متوفرا في كل الاقطار العربية . وفي مؤتمر ادباء العرب الذي انعقد في دمشق اثرت عدة قصايا تدل على ان هنالك عددا من رجال الفكر سلطت عليهم الاحكام والاهم التشريد . وان ركود الماء لا يدل على سلامته . ولعل السؤال الذي يرد هنا : كيف تمتع هذه الحرية ؟ ألا تستدعي نفسا لاجيقا حتى نكتسب . وكيف نمارس هذه الحرية اما بخصوص احياء التراث فاني اعتقد ان احياء التراث هو - مبدئيا - استعوار لاصالنا وشعور بعزة كياننا . لهذا كان من الضروري العودة اليه واحيائه . والحرية للتلفئة بالتراث

**محمد العروسى
الطوى**

هي في تناول احيائه + هل نحى منه كل شيء مهما كان غثا أو سمينا حتى ذلك الإندب الخميع
التي قد تخرج بصور مثله اليوم في صحفنا ومجلاتنا = فهل نشره على علته بدعوى الأمانة
أم نحترس من نشره أو نهذب على الأقل +

ان قصة تناول التراث ذكرتها الآن بالمسلسل التلفزيوني « عروس الصحابة » الذي يشتمل
مواقف من حرب الردة والهداء للدعوة الإسلامية والتبليغ من اصحابها + ما هو موقف من تناول
تلك القضايا - وهي من التراث ؟ - لعل هذا لم يكن يسمح به في الزمن الماضي + ولكن الكثير
منا اصبح يبتريه دليلا على حرية تناول التراثنا +

ومهما يكن فان احياءنا لتراثنا ينبغي ان يخصص لمدة مقاييس ، فلا يؤخذ على علته بدعوى
الحرية فيه ، ولا يؤخذ لجرد التبريك أو يستأعترأ بل ينبغي ان ينظر الى جوابه الإيجابية
التي ساهمت في النهوض بالانسان والتقدم بالعكر البشري + ومن هنا - وأمام ضخامة ذلك
التراث - يصبح من الضروري ان يحسب للأهمية حسابها عندما نتناول ذلك التراث بالاحياء +

طن ان للاستاذين العروسي الخطوي ومحمد الجلاوي ، اهتماما بمسألة احياء
التراث ولذلك اوجه اليهما حاضرة بهذا السؤال : هناك من ينتقد العمل
السائد في هذا الاطار اطار احياء التراث بأنه يأخذ كل الانتاج وينشره بدون

تدخل الاستاذ
عثمان شبيب

ان يكون هناك مقياس للاختيار . فهل هذه الجهود المبذولة في نطاق المغرب العربي وفي نطاق العالم
العربي في مسألة التراث هل هي تسير في نطاق المستقبل والتحديث ؟

لعل اسرعى في الإجابة عن هذا السؤال الذي هو للاستاذ الجلاوي . ومن
طريق هذا المشكل ، يرجع الى انه كان لدى كلام أريد ان أقوله في موضوع
التراث فلمعه ان يكون جوابا صاعدا في الموضوع ، وأبدا مباشرة بالاحياء من

الدكتور
المنجي الكبي

سؤالكم في كون الكتاب الذي أريد ان احييه ماذا يقيدني ؟ واذكر هنا كلمة كان قالها المقاد في
بعض مقالاته انتقادا على قول قديم وهو : يقولون لك اقرا ما ينمك قال المقاد وكيف ذلك ؟

يمكن هذا بحال انما هو الاصوب ان يقال لك انتفع بما قرأ - فمن كذلك ، اذا كانت لدينا فكرة مسبقة عن الكتاب الذي نريد ان نحبيه وعما يمكن ان يستفيد منه صاحبه الذي احياه او عما يمكن ان تستفيد منه الطبقة الموجه اليها الكتاب خاصة الخ - - فهذا في رأيي ما لا ينبغي ان يكون على الاقل على المصلي البعيد هو موقفنا من التراث بما فيه كتب وآثار . التراث هو ملك جماعي للامة والتراث هو نظري كائن له حياته المستقلة في صميم الامة وهو نفسه يستطيع ان يحافظ على نفسه ، حتى اذا لم يحافظ عليه افراد تلك الامة في عصر من عصورها او في مكان من امكنتها . وبما شيء عجيب ان اقسوله التراث كائن حي . انما على كل حال لدى احساس بان التراث له قوة ذاتية يدافع بها عن نفسه ليبقى ويخلد رغم العواصم - فحقى الكتب التي حرقت وحتى الآثار التي هدمت لا بد ان ياتي زمان تكتشف فيه ويستثنى بها ويرد لها الاهتمام الذي فقدته مع الايام لاسباب عنصرية او مذهبية او غيرها - اريد ان اعول ان الثقافة في حد ذاتها تراث - انما هي في الحقيقة تراث مع اضافات الجليلي اليه وهذه الاضافة الجديده تكون من العاصرة او من التفاعل المصري الذي ينشأ للامة مع جيرانها او تفاعلها في داخلها ككائن حي ، على كل التراث ايضا هو وجدان الامة وفيه ما فيه - ولكن لا بد عند احيائه من ان لا نراعي المسائل المذهبية او المذهبيات - والمعاصرة هي ايضا تصبح عندما تشمل في التراث مثل اخذ ورد - وعلى خدمة التراث والمحيين له ان يتجهزوا من كثير من هذه الامور غير المرشوعة ، ويحيوا التراث لجرد احيائه دون ان يمنع هذا اعتبار الحاجة والاولوية وعلى الدارسين ان يحووه بالحق المصري ، بلوق المعاصرة - اذا صح هذا التعبير - حتى يكون له اهميته . في خدمة اهداف الامة ، في خدمة اهدافها في حاضرها وفي المستقبل .

هناك بعض النقط ، او بعض المشاكل بالاعرى ، ما دنا بصدد الحديث عن التراث ويمكن ان نشير اليها ، وهي ما رأينا في بداية النهضة من اهتمام بعض المستشرقين باحياء نوع من التراث وذلك فيما نرى ، لاسباب اعتقادية ، لومذهبية ، او سياسية ، ونرى ذلك من العرب انفسهم ، وعندنا مثلا من يحيى تراث شمرا تبا على اساس ان يصنفهم الى شعراء النصرانية في الجاهلية وشعراء النصرانية في الاسلام - هذأنوع من الاحياء الموجه ، لسنا لا نقره لاسباب دينية فقط وانما لانه يجالي كثيرا من شروط الضبط والدقة على ما يقتضيه العلم - وهناك من يصيه اختصاصه فاذا كان من المتفلسفة فلا يحيى التراث الا لاتخاذ ما فيه من الآثار الفلسفية

والبقية في النار ! وهذا أيضا نوع من الاحياء غير مبس على الاحترام ودون مراعاة للاسلوب العلمى المتبع في احياء التراث »

أما أهمية المحاولات التي ذكرتم انها تجرى في بعض الدول العربية لحياء التراث فلا بأس بها في نظري . هناك معهد لحياء التراث تابع للجامعة الدول العربية وهناك محاولات في نطاق المغرب العربي بين وزارات الثقافة في سبيل احياء التراث بشكل منظم وبشكل فيه تعاون جماعي بين هذه البلدان لانها تنقسم الى تراث مشترك . ونرجو ان يكون الوعي بقيمة التراث اعنى واعم وان يكون التشجيع المادى على احيائه اوفر .

وشكرا .

محمد المروسي المطوى

احاول ان اضيق الى ما فعلته سابقا عن التراث وحياته . هل نحى التراث بصفة عامة ام نحاول ان نقوم أولا بعملية تقييم ؟ اعتقد شخصيا ان المأسس العربى اليوم هو في وضع يوجب عليه التفريق بين الاهم والمهم . كما اعتقد ان عملية احياء التراث هي عملية كبيرة تحتاج الى مجهودات ومجهودات . وأن المرحلة التي تعيشها لامة العربية مرحلة حماسة ودقيقة تتعرض فيها الاجيال العربية الصاعدة الى التمزق او الازدواجية في الشخصية . اى اسناد الراى الذى يقول بان احياء التراث ينبغي ان يكون احياء هادفا بأن نحى من التراث كل ما يتبر ويسلط الاضواء على الفكر العربى الاسلامى المجدد والمبتكر في مختلف المجالات : الفكر الذى خلق وابتكر في عصر كانت الانسانية فيه تعيش في عصر جهالة وحمود . وهذا من شأنه ان يكون حماية أو مصلا واقيا من البلاى النفسى امام ما يمرر عنه بـ « الغزو الثقافى » .

تمخل الاستاذ عثمان شوبوب

نقصه بانارة موضوع الغزو الثقافى التصدى لمناقشة الاتجاهات المتعددة حول تحديد مفهومه وطبيعته : هناك من يرفع شعار الغزو الثقافى ، من الانزاليين ، المقلين ويريدون كما قال الاخ مولود قاسم في مرات ، غلق الابواب والنوافذ في وجه كل ثقافة غير الثقافة العربية الاسلامية . وهناك من يقصد بالغزو الثقافى الفكر الاشتراكى الماركسى بالخصوص ويتحامل

الغزو الثقافي الآتي من الفكر الليبرالي الفكري الرأسمالي ؟ وهناك من يلمد بالغزو الثقافي ، الاستعمار الثقافي الذي يهدف الى قتل الشخصية الوطنية للشعوب النامية بشكل عام وتشويه هذه الشخصية ، وإبعاد هذه الشعوب عن الاهتمام بهذه المواضيع وغير ذلك من التفاصيل والجزئيات التي تفرغ عن هذه الاتهامات فنريد أولا تحديد مفهوم كلمة الغزو الثقافي نقاش هذه المفاهيم التي ذكرت وإذا رأيت ان تمطونا امتعة حسية من الواقع ، مثل تلك المراكز والمؤسسات التي تلمس دورا خطيرا في المجتمعات العربية في اطار تمثيل هذا المخطط الاستعماري لتشويه الثقافة العربية وتهديم الشخصية الوطنية والتمهيد للسيطرة الامبريالية فاكون لكم من الشاكرين .

الاستبداد الحبيبي الجنساني

مفهوم الغزو الثقافي ، اعتقده يأتي ذي بدء ان نغرق في تحليل هذه العضية وفي النظرة اليها بين بلدان المغرب العربي وبلدان المشرق العربي في اهمية وخطورة هذه القضية وخاصة نقصد من بلدان المغرب العربي البلدان التي

كانت خاضعة للاستعمار الفرنسي . وليست لهام سياسة ثقافية واضحة للتحرك من استيعاب الثقافية الامر الذي اريد ان الهمه وان اتحدث عنه هو ما اصميه بكل وضوح مظاهر الاستعمار الثقافي لان كلمة الغزو الثقافي كلمة عامة ويمكن ان تشمل مفاهيم هي بيئة عن الخطر الواضح الذي يمكن ان نوضحه بسهولة لما نقول مظاهر الاستعمار الثقافي ومظاهر الاستعمار الثقافي طبعا هي آتية من البلدان التي استعمرت بالامس القريب البلدان العربية وخاصة كما قلنا بلدان المغرب العربي ، بقي طمنا ، اعتقد لا تحتاج الى السرد على من يرى في التفاعل والاستفادة من الثقافات المالية بانواعها ، من يرى في ذلك خطرا وغزوا ثقافيا . هذا الاتجاه الانعزالي ، ان وجد هذا الاتجاه ، فهو ضئيل ولا يلعب دورا كبيرا ، اعتقد شخصيا وخاصة بالنسبة للجيل الصاعد واخشى ما اخشاه ان تتم المبالغة في وجود هذا الاتجاه وفي خطره وفي رجعيته من طرف يقضي الى القبض محاولا بذلك ايهام الذاتيين عن الاصلالة . معالم الشخصية الوطنية بانهم مناصرون فئدة . جسيمة محافضة ! وقد سمعت هذا الكلام كثيرا لكن لو بحثنا وخاصة بالنسبة للجيل الصاعد . وجدنا هذا التيار ضعيفا جدا قد بقي في فئات قليلة وربما الكثير منها عن حسن نية دون ان

يكون ذلك عن وعى وعن سياسة ثقافية ، وإنما الذى نحشاه مثل ما قلت ان تقع المبالغة فيه لظهور ذلك الخطر وللذهاب الى اطراف التقابل وهو ما يسمى بالنفع او كما قيل « بالافتتاح » . هناك قضية ايضا لا يد ان تجاهها بكل جرأة وصراحة وهي قضية الفكر اليسارى وفي طليعه الفكر اليسارى الفكر الماركسي العربى ، هذا التيار موجود فى العالم العربى ولا يتכן تجاهله وطبعاً يجب ان يوضح : كيف سيكون موقف الثقافة العربية المعاصرة من هذا الفكر اليسارى صا طبعاً يجب ايضا ان لا تقع فى الخطا وان نبالع وان نقف مواقف عاطفية تفرق الصغوفه وتضعف القوى الوطنية فما معنا قد اتفقنا انه يجب على الثقافة العربية المعاصرة ان تكون مرتبطة بالواقع لسياسى والاجتماعى للشعوب العربية وان تكون متعاطلة مع الثقافات الاجنبية ولكن يجب ان يكون هذا التفاعل منسجماً مع معطيات هذا الواقع السياسى والاجتماعى ومع قيم المجتمع العربى لاسلامى الذى نريد ان نبنيه ، ما هي قيم هذا المجتمع العربى الاسلامى لانه بناء على ذلك نعرف ايضا ، وفى نفس الوقت انطلاقاً من ثقافتنا وشخصيتنا من اى نوع من هذا الفكر يمكن ان نستفيد وما هي الثقافة التى نتفاعل معها واعتقد شخصياً قبل ان نعب امام هذا التيار للفكر اليسارى ونحاول طبعاً ان نحدد موقفاً منه ونرصد كل ما هو لا يتماشى مع واقع الامة العربية ، يجب ايضا ان نكون صرحاء وان نلقى على انفسنا مسؤولاً واضحاً : ما هي الاسباب يا نرى التى تركت هذا الفكر اليسارى ينتشر فى العالم العربى بسهولة ويستشر خاصة بين الاجيال الصاعدة .

عندما يبدو بعض الاحكام نريد امثلة على ذلك عندما يقال بان الفكر اليسارى يشكل خطراً على مجتمعاتنا من المعيد ان لا يكون ذلك على مستوى الصوميات ، نريد ان نعطي امثلة عن هذا الخطر وما هي اوجه التفاعل وامكانيات مع هذا الفكر الذى هو فكر انساني قس كل شىء .

تملأ الاستاذ
عثمان شوب

أما شخصياً ما جرى حديث عن الثقافة الا ارتدت فرائضى . ذلك ان كلمة « الثقافة » مشحونة بالصناعات ... وهي كلمة تطلق على حقيقة معقدة ذات جوانب متعددة . وليس يمكن ان تعالجها من جانب من دون ان يخال الى

محبوب
بن ميلاد

مجاورك في شأنها انك انكرت حرانها الاخرى فيحل بينك وبينه من سوء الفهم اشكال .
ان اعتبرها الثقافة نظرة عامة شاملة للحياة ولجميع جوانب الحياة كان كل انتاج يجرى في
نطاق هذه النظرة وعلى اساس مقاييسها « امرا ثقافيا » .

هناك ثقافة علمية ، هناك ثقافة فلسفية ، هناك ثقافة سياسية ، هناك ثقافة دينية ، هناك
ثقافة فلاحية ، هناك ثقافات ... حتى في ميدان الزى واللباس والاكل والشرب والسكنى ...
في نطاق الحضارة الواحدة .

دائم تحدثت عن الحضارة الهندية وعن تقاليدھا الثقافية عن الحضارة اليونانية وعن تقاليدھا
الثقافية ؛ عن الحضارة الغربية وعن تقاليدھا الثقافية ؛ عن الحضارة الاسلامية وعن تقاليدھا
الثقافية . وعلم جرا ...

ولو انك اتخذت حضارة من هذه الحضارات لتبين لك - خلال تاريخها - ان تقاليدھا الثقافية
ايضا « تتحرك » ، فتعرف ما تعرف من المراحل الحاسمة او من المنعرجات ، وتعرض عليك ما
تعرض من « حبيب » الوصل والوصل بين حلقاتها نظرا الى ان « العقلية » او « الحساسية » تتغير
مقاييسها بفضل ما تشرف عليه من الفتوحات الجديدة والاماق الحديثة .

أردت مرة ان ألوح الى « الانقلابات » البعيدة الغور التي طرأت على الحساسية الاسلامية وعلى
« العدة العقلية » الاسلامية - اثناء زحف تاريخها فقلت ايها : « تحدثت مع المحدثين ، فتكلمت مع
المكتبيين ، فنفلسفت مع المتفلسفين ، فتصوفت مع المتصوفين فتحدثت مع المحنطين فهل تبصت مع
المجوفين ؟ »

فما عانيت من وراء هذا ؟

عانيت ان الثقافة الاسلامية في مراحلها الحاسمة عرفت « اتراء » في عدتها العقلية
تحدثت لنفسها « مقاهيم عقلية » جديدة عالجت على اساسها جميع قضاياها : اعتقادية كانت او
قضية ، او فلسفية او فنية ، او اقتصادية او اجتماعية ...

وان ذلك ليبرر لك - على اوضح ما يكون - عندما اضرقت العقول الاسلامية على فلسفة
يوتان ، ومنطق يونان فكان ما كان من « فزو » العقل اليوناني للمقول الاسلامية فتلقت بلباقه
فاضحت تنظر لآرائها على ضوء فتحة الجديدة فكانت - في عين الحين - محصنة لذاتها اخلاصا
للحياة في تمنح آفاقها واخلاصا للفكر في وثباته ...

ولو أننا نظرنا للثقافة المصرية الإسلامية في ذات « حركة » نموها وازدهارها وتقلص ظلها لادركنا أننا اليوم في « منعرج » حاسم من منحرجات « تطور الذات » وإن ما نبنيه لأنفسنا - في هذا العصر - من البيت الحق - والخروج من التحلف - يحتم علينا أن نبذل من « الجهود العقلية » ما يكفل لنا - حقا - غلب هذا العصر ، وغلب مشاكله في نطاق « البصر الحق » بنواميس تطور الثقافات وأثره فتوحاتها ... »

وهو « عمل خلق » أو « عمل رشد على » بآتم معنى الكلمة .
فالحياء تجرى !

والحياة لا تنتظر أصحاب الونى !

وما دامت الثقافة - في مدلولها الشامل - أننا ترمى إلى أن تبس العقول في نطاق الصفة التي هي عمدة العصر فلا بد لنا من أن نقبل على بناء العقول على أساس ما شئت من الصفات الإيجابية التي تفتح لنا نوافذ على « آفاق العصر » وتكسنا من « عمدة العصر » في كل الميادين الفنية التي ليس يمكن البناء - في هذا العصر - من دونها : ولا نتحدث عن « عزو ثقافي » ولا عن « استثمار تقامي » * ففي مثل هذه المباريات أخطر خطر علينا أن نحن لم نتصر في حقائق الأمور !

أما غيرتنا الحق على قوة الذات ، وذكاة الذات وعزم الذات فإنما تحصر في أن نطعم عمل التراث - في نطاق كل عمل صادق - حتى نجعل منه أركي غذاء للعقول في غير ما منافاة بينه وبين حاجات الحياة في زحفها القوي في نطاق كل حق !

وهو عمل نسي صرامة أصول لا تقل عن صرامة أصول التكنولوجيا المصرية !

سوف أتناول هذا الموضوع من الجانب الذي أعرفه أكثر من غيره ألا وهو الجانب التربوي * ففي البلاد التونسية كما هو الشأن بالمسبة إلى الجزائر والمغرب حسب ما اعتقد ليس هناك عزو ثقافي بل أن الأمر يتعلق ببعض



مظاهر من الاستثمار الثقافي الذي هو في نظري من أخطر أنواع الاستثمار * ذلك أن الاستثمار السياسي أو الاستثمار الاقتصادي أو العسكري يمكن التخلص منه ، أما الاستثمار الثقافي فإن

رواسبه تبقى عالة بالاذهان على امد طويل لانه غير مفروض بالقوة حيث ان اهل البلد المعنى بالامر هم الذين يتشبثون بأهوابه يحضى ارادتهم وهذا يابح عن الوضع الاستعماري الذي عاشته اقطارنا الحربية الثلاثة . ذلك ان جانباً كبيراً من جيل ما قبل الاستقلال تزود بثقافة مزدوجة تغلب عليها الزعة الفرنسية أو هو مثقف ثقافة فرنسية سحنة وحتى التونسيين من ذوى الثقافة العربية الصميعة فقد كانوا يشعرون بشيء مسن مركب النقص لجهلهم للفرنسية . علما تحسنت تونس على استقلالها بقيت الحالة على ما كانت عليه رغم الجهود المبذولة لاعطاء الثقافة العربية المكانة اللائقة بها . من ذلك ان كثيراً من المسؤولين مارلوا ينظرون الى الامور بالخيفاس الفرنسي البحت ففي الجامعة التونسية يقف المسؤولون مدة طويلة بعد الاستقلال مرتبطين اشد الارتباط بالسلطان الممول به بالجامعات الفرنسية فاذا ما شفى من مصب بقسم اللغة الانكليزية مثلاً لا يمكن ان يحسنه من التونسيين الا المتحصلين على شهادات جامعية فرنسية ويا حبذا لو كانت من « الصوروبون » ! والجدير بالملاحظة ان هذه الحالة احدثت تغير شينا فشيناً الآن . ولكن الاخطر من ذلك في نظري ان حيل ما بعد الاستقلال قد شب على العقيلة التي اشرنا اليها انما . فهو يرى مثلاً ان العلوم الصحيحة من فيزياء وكيمياء ورياضيات لا يمكن ان تصدر الا عن فرنسا . وذلك لان اغلب اساتذته من الفرنسيين . وحتى فيما يخص التاريخ فاذا كان الامر يهم التاريخ الاسلامي عهد به الى الاساتذة التونسيين اما اذا صحح الامر يتعلق بالتاريخ العام وتاريخ الحضارات الانسانية والتقدم التكنولوجي بالعالم فهو من صميم الاساتذة الفرنسيين ومن ذلك تنشأ عند الطلبة التونسي مركب نقص يبدو من الصعب التغلب عليه .

اننا لا ننكر فضل التفتح على الثقافات والحضارات الاجنبية ولكن على شرط ان يكون هذا التفتح يشمل جميع انحاء العالم وان يمكننا من الاخذ باسباب التقدم في مجال العلم والمعرفة والتكنولوجيا . وهذا لا يتحقق الا اذا اقمنا على تحرير نظامنا التربوي على اساس سليمة واذا ما بلفنا في اقرب الاجال درجة الاكتفاء الذاتي في مجالات التربية والتعليم .

غزو ثقافي ؟ هل يوجد غزو ثقافي ؟ ومتى كانت الثقافة غزاية ؟ انا اعرف ان الثقافة كالمعلم تطالب من المهد الى اللحد . تطالب ولو في الصبي . فكيف نكسب هذه الثقافة في مفهومها على عقمتها واصبحت عازية مخفية الى حد ان



الشعوب أحدث تحرر منها وتبتكر الاحسنة لحجزها ؟

كلا - انا لا اعتقد ان الثقافة في معناها السليم عازية - انها فاتحة - تمنح العقول وتبهر البصائر فالافضل ان نتناقص في موضوع الفتح الثقافي وهذا المنح لا ننسى اننا نرصد الاموال الطائلة لننعم بآثره - لكن لعل الزملاء يشيرون الى تلك الكتب وتلك المجلات وتلك الانلام التي تأتينا من الخارج فيجدها شائبة فيها شائبتهم ويؤثرونها على انتاجنا - الامر الذي قد يؤذيهم ان علم الاعزاز ببلادنا وحضارتها - فاذا كانت المسألة مطروحة على هذا النحو فيجب عند ذلك الا نتحدث عن المزور أو المنح الثقافي اما يجب ان نعرض لرقابة -

ان الامة اذا كانت تخاف على كيانها من عواصف التيارات الخارجية فمعنى ذلك انها متخلعة لما تلتحق ببرك الحضارة المعاصرة يجب ان نقر ذلك بدون اي مركب نعم شعوبنا ما زالت متخلعة - ونحن نبذل الجهود العظيمة لنخرجها من تخلفها -

ولكي نضمن لمسرتنا كل اسباب النجاح يجب ان نراقب كل الواردات اليها - فعل الحدود توجد مؤسسات يراقب موظفوها المسافرين والبضائع - فعملية مراقبة جواز سفر أو محمول شاحنة لا يختلف عن عملية مراقبة كتاب أو شريط سنمائي - وكما ان الام في بيتها تراقب الطبع والمواد الغذائية سعيها على حفظ صحة افراد امرتها وسلامتهم فكذلك رب البيت تراقب ما يقرأ وما يسمعه وما يراه أبناءه - فهناك أنواع من الكتب وأنواع من المخصص التلفزيوني لا نسمح لابنائنا ان يشاهدوها نظرا لصغر سنهم - فاذا كنا قد قلنا مبدأ الرقابة في بيوتنا فلا جرم ان نراقب الدولة انتاجا تخاف من اثره على شعبها -

لكن يجب ان تكون اجهزة الرقابة عندنا في المستوى المطلوب - فلا يكفي ان تراقب الانتاج الخارجي اما يجب ايضا ان تحرص كل الحرص على مراقبة وتهذيب انتاجنا الداخلي مع عدم الإفراط أو التفریط - عرضت في قاعاتنا اقسام قامت من اجلها سجة - من بينها فلم « لورا » دار ابي « بطولة عمر الشريف سجة واستنكار ووسط - محطه بعض المتفكرين لان الشريط كان بصورة فترة غير زاهية من فترات تاريخ الشرق العربي - أو لان لورانس - كان يهوديا - مع انه كان يعرض في نفس الوقت وفي قاعة اخرى من قاعات مدينة تونس شريط آخر كنت ترى فيه التحدي والاستهزاء وشتن الدين الاسلامي محسنا في بشاعته ولم يحتج احد ضد ذلك

الشريط - وهل يجب أن أذكر الشريط التلفزيوني المصري الذي اخفى بطله الضابط في أرض العدو وقد كنت عند بداية رؤيته أترقب رواية بطولته رائعة فلم تمر بعض دقائق حتى وجدت نفسى امام رواية عرامية وكئيكة سافرة - ولعلكم يدركون أيضا مسلسلنا التلفزيوني ونجيه الأملين : امثله التي لا تسر ورفيقتها السيارة وما جرى لهما في بلادنا اننى اصبحت يروحى المنتج مسرحا لمسماجة والردائل *

ان الرقابة الإيجابية الواعية شيء ضرورى مع انى انفصل عليها النقد ، النقد النزيه المستقيم نسجن الى حد الآن لا تزال نستهلك الإنتاج جبرائلا داخل والحدوحى دون ان نتعرف ولو بصسورة تقريبية على محتوايهما قبل العرض أو القراءة نفسى تونس تباع كتب عربية واجنبية كثيرة ومتنوعة من بينها القيمة المغيبة ومن بينها أيضا الهزيمة السقيمه * هناك كتب تمدح العرب أو المسلمين أو النظام السياسى وأخرى تنفدهم * وقد يجد الكتاب ومعهه جنب الى جنب فى مكتبة واحدة وهذا شيء حسن نتمنى به تونس لكن هذا لا يكفى انما يجب ان يعرف القاعد بمحتوى كل كتاب حتى يعرف القارئ ما هو فى حاجة اليه ويكون بذلك قد ربح وقتا ثمينا وأقل عمل شراء ما يعمه

قلت فى تدخل سابق « الفوز الثقافي » هلماذا افضل هذا الاستثمار ؟ ان هنالك معطيات تاريخية لا يمكن تجاهلها - نحن كما مفروض عسكريا وماديا - ولقد تخلصنا من هذا التسيطر المادى : خرج الجبدى ، وخرج المعمر ، وخرج

عهد العروسي المطوى

القبس ... حرح هذا التالوث - كما عبر عنه المرحوم الطيب المهرى - ولكن هل بقيت لذلك لتالوث محفلت ؟ أذكر اننى قرأت مرة للمرحوم احمد حسن الريات - وهو يتحدث عن بلاده - أذكر انه قال : لقد ذهبت الانسباح وبقيت الأرواح * وهو نفس المعنى الذى يحمله هذا السؤال . هل الفرو الذى كان ماديا مليوسا تخلصنا منه ومن آثاره نهائية ؟ الواقع اننا ما زلنا تحت كابوس ذلك الفوز * ولهذا أرى ان « الفوز الثقافي » ما هو الا استمرار لعزوى استثمارى سابق زالت طواهره وبقيت بواطله *

أن الغزو الثقافي أو السيطرة الثقافية - حسب الذي افهم - هو أن يبقى الإنسان تابعا لمن كان غالبا له أو لمن هو غالب الآن ولو كان خارجا عنه ، يتبعه فكريا ووجدانيا . وذلك أحطر أنواع التبعية .

اننى لا اريد أن أعرج على النقطة التى أثارها الاخ محبوب بن ميلاد نقطة التفتح أو ضم اللغة العربية لمختلف الثقافات الإحسرى . لأن العربية عرفت ذلك منذ قرون . وكان انبعاث النهضة فيها مبنيا على الإخذ والعطاء ، والتمسول بعبارة الرسالة العالية التى تقصصتها . ولهذا يصبح من نافلة القول ومن المبرور منه موضوع التفتح وضم الثقافات انما هو الموضوع هو الحصانة المطلوب توفرها عند المثقف العربى حتى لا يخفى الذوبان ولا يطمسه الانسلاخ . وقد كانت هذه الحصانة متوفرة فى الماضى عند ما كان المحتشم العربى يشعر بالعزلة والتفوق . ولكن المشكلة التى يمايتها المحتشم العربى اليوم هى اننا ما زلنا مغلوبين . وهذا ممكن أخطر سواء اكان واردا من الشرق أو الغرب . فما هو موقفنا من تلك المستودعات الذهبية . وما هى صلتها وتأثيرها فيما نعتبره من قومياتنا الذاتية ؟ انه بلا شك اذا كان فيه خطر على تلك القومات فهو نوع من العروهما اختلفت التسمية من تفتح الى ضم الى تقليد . ولهذا لا نذكر التفتح دون أن نذكر الاتصال معه لانه بدون أن يكون محصيا بالاتصال فإنه يصبح تبعية .

وإذا كان من الضرورى أن نذكر نماذج من التبعية الثقافية وكيفية موقفنا منه فاني سأكتفى ببعض الامثلة فقط الاستعمار الفرنسى يطلق عبارة شمال افريقيا ويريد تركيزها فى الادهان لقصد واضح هو الاشعار بانغصمال هذه الاقطار من العالم العربى . ولكن للتأصيل المأزبة قاوموا تلك العبارة بعبارة « المغربى العربى » لتؤكد الاتصال وتبعد الانفصال .

ومثال آخر هو اللغة البربرية والحضارة البربرية . لقد كان دعوة المستشرقين لذلك مبطنية رعاية امستعمارية هى ايجاد الانقسام فى الشعب الواحد . فادا نحن تناولنا ذلك هل نتناول فى ذلك الاطار أم نتناوله فى اطار البحث المحدود ودراسة العوامل الاجتماعية المختلفة التى كان لها وجود فى ماضيها القريب أو البعيد .

وهذه الترددات المتكررة من أن العربية ليست لغة علوم أو حضارة . يقتنع بها الكثير من الشباب والاساتذة . انها اصداء لما كان يردد فى الخارج من انزالين والمستعمرين حتى يتكون مركب القنص ولا نحاول النهوض من الكومة .

ان التفتح على اللغات والحضارات وحدها منذ انبعاث الدولة الإسلامية من عهد الرسول عليه السلام ، وان تعلم اللغات الأجنبية يقصد منه اكتساب آله الرفع وبراءة الاطلاع عند الأمم التي تريد بحق ان تنهض . فالعربي مفروض فيه ان يطلب العلم حينما كان . وان يتقن اللسان الذي يأخذ به ذلك العلم سواء في أمريكا أو روسيا أو غيرها على أساس ان يعود الى وطنه الام ليصبه في لمة وبلطته حتى تصبح هي كذلك لمة العلم والتقنية ، والتفهم - والامثلة كثيرة على لجاعة هذا المهج الذي اتبعته - الى حد قريب - بعض الدول المتقدمة والتي كانت مسخلة .

المشكل اذن هو مشكل مركب النقص ولاء الشعور بالحفاوة الذي يسيطر على الكثير من المتقولات . وهو المشكل الذي اذا لم تغلب عليه يبقى الفوز الثقافي قائم السدات لا تقيد فيه الشكوى ولا يقص عليه . لياؤه والتمنيات .

فيما يتعلق بالفزو الثقافي ، وربما الكلمة هذه تكون هي الاجرة في الندوة فالفزو الثقافي لامة من الامم لا ينبغي ان نفهم منه كونه غلبة من جانب الغازي المتغلب عليها لانه قد يكون غزو ثقافي من المغلوب للعالم . وهذا وقع في

الدكتور
المنجي الكبي

الدولة الإسلامية الاولى ، فقد كان هناك تخوف من تراث العرس الذين غلبهم العرب لنشر الدين الاسلامي . وكان للعرب بعض المواقف من ذلك التراث يمكن ان نسميها اسباب منعة وحساسة ، لحياة العالم الاسلامي الجديد من التراث الثقافي الموجود لدى هذه الامم التي غلبت على امرها ودخلت في الاسلام . ولنا فمسألة ما نسميه بالفتح أو الغزو هو امر واقع . وكل ثقافة عرضة له . ومسألة وجود العالم العربي الاسلامي في مهب تيارات ثقافية غازية تتمتع في المصمكين : المسكر الشيوعي والمسكر الرأسمالي ، ليس فيه خطر كبير علينا . لانه في الحقيقة من الممكن ان تستفيد الثقافة العربية الإسلامية من هذا الصراع بين المسكرين فيما بينهم وتكتشف لنا القومات الرائقة في هاتين الثقافتين أو هذين الفروين فيمكن للمتقف العربي أو للثقافة العربية ان تستفيد من الغزو الاشتراكي الشيوعي وتستفيد أيضاً من الغزو الرأسمالي الليبرالي .

وفيما يتعلق بالوسائل التي يمكن ان نأخذ بها عن ثقافتنا . ففي رأيي ان المسألة تقتصر فقط على بث الوعي باننا بنض ان نبقي امة لها أسالتها اها شخصيتها وسط هذه الثقافات التي

تهب عليها من كل جانب وسبيل الاحتفاظ بشقاقتها الخاصة هو أن تأخذ وأن تمنح في الوقت نفسه ، ولكن لها الحق إذا كانت تخشى من الضياع أو عدم التوازن أن تتخذ ما تراه صالحا من وسائل الحصة ضد بعض الطوم العاصف والمسمومة التي تريد أن تتسرب إليها في إطار التبادل الثقافي القائم في نطاق التعاون الدولي عن طريق الوسائل السمعية البصرية • فإذا تحققت الإمة من حصانتها بالقدر الكافي فيمكن لها أن تأخذ كما أعطت هي قديما وأخذ غيرها بدون عهد •

وشكرا



الخصوصية والأصالة

عل واس القضايا التي يواجهها الفكر والفكر
العربي إذ يتعرض لقضية النهضة بوجه علم
والنهضة الحضارية بوجه خاص . ذلك التناقض
الذي يستشعره المثقف العربي بسين مفهوم
الـ « أصالة » والـ « عصرية » . ومرد ذلك إلى
أن الفكر العربي والفكر العربي الذي يعي ذلك
الفكر ويعبر عنه ويطوره إنما يتحرك في إطار

الدكتور أنود هيد الملك
استاذ الأبحاث في المركز القومي
للبحث العلمي في فرنسا

الفكر الاجتماعي والفلسفي الحديث ، وبالتسالي يملك أن يفرج عليه ما دام أنه قابلاً للمطالعة
والنقريات والمنهج الكونية للفكر الحديث وفي هذا يكمن الخطر كل الخطر .

بدعوة من جامعة الكويت ومن جمعية المبرجين الكويتية ، عقدت بالكويت ندوة فكرية عامة
بين السابع والثاني عشر من أبريل الماضي . حول « أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي » .
وقد ضمت الندوة التي عقدت جلساتها في فندق هيلتون ، نيفاً وأربعين مفكراً عربياً بالأشامة
إلى الذين شاركوا فيها من الكويت (وقد أربى عددهم على الخمسين) .
وقد دعي للمشاركة في هذه الندوة رئيس تحرير مجلة الأصالة . وصنشر ابتداء من هذا
العدد بحثي في إطار اطلاع القراء على مختلف الندوات التي تعقد . دون أن تكون هذه الأبحاث
تعتبر بالضرورة عن آرائنا . « الأصالة »

أن الفكر الاجتماعي والفلسفي الحديث يتكون من مجموعة من المفاهيم والنظريات ، والمناهج التي وجدت صورتها الحالية في الغرب - في أوروبا أولا ثم في أمريكا الشمالية بعد حين ، في الفترة التي تتراوح بين القرن الخامس عشر والقرن العشرين - وهذه الفترة بالتدقيق إنما هي مرحلة صعود الغرب الأوربي إلى مكانة الهيمنة على مصائر ومفاتيح العالم ، بعد بداية الاكتشافات البحرية الكبرى . وتكون البورجوازيات التجارية الوطنية في أوروبا وتكون الفلسفة الإنسانية ، العقلانية ، الليبرالية ، السمية على اختلاف مدارسها في أوروبا - ومعنى هذا أن ما نطلق عليه الفكر الاجتماعي العلمي لم يتكون كنتيجة للدراسات المقارنة للمجتمعات القومية والمناطق الثقافية والبيئات الحضرية المختلفة التي فيها يتكون العالم تلك الدراسة التي وحدها يمكن أن تكون أرضية صالحة لقائمة الاحكام والتحليلات والنصايا النظرية العامة وأما يمثل ، كما بينا مرارا وتكرارا بالتفصيل ، الرصيد الفكري المرحل لمرحلة هيمنة الغرب ، وهو بالتالي يمكن اعتباره على أحسن الفروض مجموعة من القضايا والاكتشافات السابقة على المرحلة العلمية والتي يمكن أن تستعمل كافتراضات عليية فقط لا غير .

ومن بين هذه الافتراضات ان عملية التطور الاجتماعي ليس فقط عملية لا نهائية وإنما هي أيضا عملية تتكون في الأساس من أرواح جميع المجتمعات القومية والمناطق الثقافية والبيئات الحضرية بالقوة - القوة السياسية بمعناها الشامل ، وفي قلبها تلك العلاقة الحدية من السلطة السياسية والهيمنة الفكرية - إلى نمط تكون وتطور المجتمعات الغربية المتقدمة من هنا . من هنا بالصلب ، بدأ ذلك التناقض الذي قلناه بين الإصالة والمصرية - فالعالم العربي ، حول مصر يكون إحدى دائرتين في الحضارة الشرقية يوجه عام إلى جانب دائرة آسيا حول الصين - والعالم العربي - حول مصر . يستشعر تلمذا في اعاقه انه فقد الصدارة منذ القرن الخامس عشر بالضبط عندما « أصبحت بلاد مصر جرحا لغيرها » ، أي عندما أصبحت ديار الاسلام والإمامة العربية محلا لوجات متتالية من الغزو الصليبي والاستعمار التقلدي ثم الإمبريالية والصهيونية .

وعلى هذا الأساس فإن إشكالية حركة التحرر في العالم العربي ليست إشكالية الانتقال من مرحلة الاحتلال والتبعية والرجعية إلى مرحلة الاستقلال والتحرر والنفوذ الاجتماعية ، كما هو الحال مثلا في أمريكا اللاتينية أو بعض القاطعات في أفريقيا السوداء ، وإنما هي على وجه التحديد

تورة من اجل الانتقال من التدهور الحضارى الى النهضة الحضارية وجدير بالذكر هنا ان تمييز النهضة كان ولا يزال التعبير المركزى للمصطلح السياسى لنهضة مصر والعالم العربى منذ مطلع القرن التاسع عشر ، كما كان تماما فى اليابان والصين ولبنان وقطاعات من الهند . ان النهضة الحضارية هى وجهة ذلك النسيج للشعب من الحركات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية والوجدانية والدينية التى منها يتشكل معدن التحرك العربى المعاصر كله .

من هنا اذن ، كما يينا ، أصبحت الاشكالية الاساسية لتحرك العربى هى المحاولة على تبين الاجوبة الصالحة لتساؤلين : لماذا الانحطاط وكيف تتحقق النهضة .

فريق ذهب الى تأكيد الاصاله ، ووجد وجهته العلميه فيما اطلقنا عليه الاصولية الاسلامية . وفريق ثان وجد وجهته الفلسفيه فيما اطلعنا عليه المصريه الليبرالية . ولقد يينا ان تأزم الامبريالية ، وما صاحبه من عجز اليورجوازية المحليه فى انجاز مهم الثورة الوطنيه التحريرية حول الثلاثينيات من هذا القرن ، ترتب عليهما تفرع كل من هذين الاتجاهين الرئيسيين الى شعبيتين ، شعبيه محافظة ، وشعبيه واديكاليه جذريه . فانقسم الاتجاه المصرى الليبرالى الى شعبيه محافظة تتكون من احزاب وايدولوجيات اليورجوازية المحليه ، وشعبيه واديكاليه جذريه . انجهدت نحو الاشتراكية بوجه عام والماركسية الوطنيه بوجه خاص وانقسم اتجاه الاصوليه الاسلاميه الى شعبه محافظة اتخذت وجه السلفيه وايدولوجيه الاخوان المسلمين ، وشعبه واديكاليه جذريه اتخذت فى الاساس وجه التنظيمات والايدولوجيات القومية العربيه بوجه عام وما اطلق عليه الناصريه بوجه خاص .

ومن هنا تبرز صعوبة الاحتفاظ بالتناقض الذى وركه العقل العربى فى طوره الغربى ، لم تعد الاصاله حكرا على اتجاه او مدرسة وانما أصبحت القاسم المشترك لاحتمالات القطع الاكبر من المدارس الفكرية والقوة السياسيه المتحركة فى عالمنا العربى اليوم ، ولم تعد المصريه او المعاصرة حكرا على قطاع معين ، وانما أصبحت فى الصف الاول من اهتمامات عين هذه المدارس الفكرية والفكرى السياسيه . حقيقة حاول الاتجاه السلفى ان يصنع فكرة الاصاله يضمنون دجى متخلف وكانه فى تناقض مع التحرك المصرى ومقتضياته . كما ان الجناح المرمى بين احضان الامبريالية الغربيه - جناح العملاء الحضاريين يتشبهت باطروحة براءة ساذجه مؤداه ان المصريه ندير طهرها الى الاصاله وكانهما فى تناقض تام .

لكن الارضية الاجتماعية والسياسية والفكرية في العالم العربي تبدلت جوهريا وفي الاساس ووجه شامل كما قلنا وبيننا مرارا * وليست موحدة التحركات التي اعادت ولا زالت تقيمه تشكيل المجتمعات العربية اليوم ، وليست السويس و 6 أكتوبر ، الا دليلا ساطعا على ذلك * اذن يجدر بنا ان نتساءل : ما هي العلاقة بين الاصالة والمصرية واذا كان هناك تناقض لا يزال قائما سواء بشكل صريح او ضمنى في العقل العربي ، فكيف يمكن الربط بين الاصالة والمصرية او بميزة اخرى كيف يمكن تحقيق المصيرية الاصيلة في عالمنا العربي اليوم *

يمكن البحث عن الاصالة بعد الاعتراف بان العالم يتكون من وحدات لومية ومناطق ثقافية وبيئات حصارية متمايزة ، على مستوى او في صعيد الروح المجردة اى في مستوى مثالى . وهذا تماما ما فعله ويفعله المستشرقون ومن حولهم ذلك الحشد الهزيل من الصلاء الحضاريين العرب . غالا صالة عندهم اقرب ما تكون الى متحف للمخلفات والرواسب فكل ما هو متحلف وصالح لوقت التقدم - والذي تتكون منه العقلية الاسطورية على وجه التحديق ، يطلق عليه انه اصيل . وتسلط عليه الاضواء وينكب عليه الدارسون والمنظرون باسم المحافظة على الشخصية القومية وجذور الماضي * الخ

ومن ناحية اخرى جاء ماكس فيبر ، عميد الفكر الاجتماعى في الغرب المناهض للوكس ، يؤكد ان كل قومية تتشكل حول نمط مثالى Idéaltypus وأن ذلك النمط المثالى هو معطى مجرد . لم يتشكل وبالتالي لا يمكن اعادة تشكيله وفقا للتطور التاريخى التميز لمجتمعات قومية لبشرية متبصرة . هكذا باختصار تم الالتقاء بين المستشرقين السفينين والفكر الاجتماعى المثالى في وقتنا هذا ولا يخفى عن الاذهان ما في هذه النزعة من ضرب الوحدة القومية والجهة الوطنية المتحدة وتقسيمها بشكل متفصل بين انصار الاصالة - بهذا المعنى المسمم المحدود - واخوانهم فى الوطن * فهناك مثلا في افريقيا الشمالية على وجه التحديد ما يسمى « تعليم اصول » وهو التعليل باللفظة العربية حسب المناهج الازهرية ، الى جانب التعليم المصرى . وكان الوطن يجمع بين قومتين متميزتين حوله وكان التراث العربى الاسلامى يمثل الردة ووجهه الماضى ، وكان تقليد الغرب هو وحده الجدير بان يمت بالمصرية * هكذا تنقسم الطبقة السياسية على بعضها في عملية احتراكية لا يستفيد منها الا الاستعمار .

وعلى هذا الأساس ، رأينا أن نركز جهودنا الميدانية ومحاولاتنا النظرية حول إعادة تشكيل النظرية الاجتماعية عامة على أساس تفاعل المجتمعات في الشرق والغرب ، وقد اقتضى هذا الجهود التركيز بشكل أساسي على مفتاح نظري قادر على الربط بين المجتمعات والمعطيات من ناحية ومستوى التعميم النظري من ناحية أخرى ، وكان هذا المفاح هو : تصور الخصوصية .

وقد عبرنا عنه بشكل محدد عام 1970 ، على أساس العمل القائم المنشور تباعاً من عام 1962*
أن تصور الخصوصية يتشكل من مستويات ثلاث :

1) المستوى الأول يعني بالتركيب الداخلي لتصور الخصوصية ، وعدنا أن هذا التركيب الداخلي يهدف إلى تبين السط المتميز للاستمرارية الاجتماعية لمجتمع قومي معين ، وهذا السط إنما هو على وجه التحديد نمط العلاقة المتبادلة والتأليف بين أربع عوامل محورية تكوينية لكل مجتمع أي لكل استمرارية اجتماعية :

أ - عامل إنتاج الحياة المادية لمجتمع معين في إطاره الجغرافي والإيكولوجي (وهذا ما يطلق عليه أسلوب الإنتاج) .

ب - إعادة إنتاج الحياة (وهذا هو بعد الحياة الجنسية البيولوجية على وجه التحديد) .

ج - النظام الاجتماعي (السلطة والدولة) .

د - العلاقات مع البعد الزمني (نهائية الحياة الإنسانية ، الأديان والفلسفات) .

أن تطبيق هذا المربع التكويني على المعطيات الاقتصادية الأولية سوف يثري تحليلنا للمجتمعات البشرية إلى درجة كبيرة جداً .

2) المستوى الثاني يسمى بتحريك هذا المربع التكويني عبر التطور التاريخي في أطواره الجغرافي المحدد :

أ - التطور التاريخي يضع في المقام الأول عنصر الزمان ، ومن هنا الأهمية المركزية لمفهوم ما أطلقنا عليه (عتق المجال التاريخي) .

البعد كلما أمكن أن ندقق في أدراكنا لكيفية تحرر المربع التكويني للاستمرارية الاجتماعية . ومن حسن الحظ أن الغالبية الكبرى للمجتمعات البشرية تتكون من مجتمعات قومية تتراوح بين أقدم القوميات في العالم (مصر أم الدنيا) وبين المجتمعات القومية الحديثة في أوروبا الغربية مثلاً ،

ب - أما عنصر « المكان » الذى عنى به بطريقة مبدعه خلاقه الدكتور جمال حيدان حديثا - فانه يعنى على وجه التحديد ان كل مجتمع بشرى يتجلى ويتطور فى مجال جغرافى محدد بالنسبة للمجالات الجغرافية الاخرى وهذا ما تعنى به الجغرافيا السياسية Geopolitical كما انه يعاير وجوده وتطوره التاريخى فى مجال جغرافى له تركيب تاحلى محدد وهذا ما تعنى به الايكولوجيا التى ترصد الامكانيات والطاقت البشرية والحوية معا .

3) المستوى الثالث هو مستوى التفاعل الجدىل بين عوامل الاستمرارية وعوامل التغير . وعلى وجه التحديد : ان تحريك المربع التكوينى على مدى التطور التاريخى فى اطاره الجغرافى سوف يشكل العلاقات المتبادلة , وبالتالي الاهمية النسبية , لكل عاصر من العناصر التكوينية الاربعة بطريقة محددة . مما يؤدى , على مرالاجيال , الى تشكيل خصوصية كل مجتمع قومى محدد , مثلا : دور الدولة والجيش فى الحياة المصرية , اهمية مستوى الثقافة الوطنية فى ايطاليا والمانيا , ايدولوجية اقتحام الحدود واللاقومية فى المجتمع الأمريكى , النزعة التجريبية الموضوعية فى المجتمع الانجليزى , استيعاب التناقضات فى دائرة الشخصية القومية فى المجتمع الصينى ... الخ .

وجملة القول , وهذه الصفحات الغلاتل , مجرد لغت نظر الى اهمية الموضوع - ان تصود الخصوصية التى نلغمسه فى اعمالنا يهدف الى تسليح الفكر المعاصر وخاصة الفكر القومى العقل التقدمى , باداة علمية , مبنية على التحليل التاريخى الموضوعى الدقيق , لتبين ما هو اصيل حقيقة فى الاستمرارية التاريخية لمجتمع قومى معين , وما هو بالتالى , القالب القومى المتميز الذى يمكن ويجب انرائه يمد من المعطيات والتجاوب المصرية دون غيرها كما انه , وقد يكون هذا اهم بكثير , يمنح الفكر المعاصر ورجاله الوسيلة الفعالة للتنجيز عملية تطوير المجتمعات القومية بحيث تصبح معصرية قومية على اساس اصالتها الموضوعية التاريخية , ومن خلال هذه الاصاله الموضوعية التاريخية وبعميق تلك الاصاله الموضوعية التاريخية - دون تقليد الغرب التازم حضاريا كما يشير بذلك علاؤه الحضاريون بين صفوفنا - وعلى وجه التخصيص فان تبين الفروق النوعية يمكننا من تبين سبل التحرك الاكثر فعالية وتجنب مناطق التازم المزمنة . أى انه يمكننا من التحرك مع حركة الجدلية الاجتماعية لمجتمعاتنا القومية فى طورها المعاصر أى ان نواكب ونمارس عملية

الضرورة التاريخية من الداخل - من الداخل ، كقول وأعية صاحبة سيادة. لا كمقول عملية لقوى
الهجنة الحاوية التي لا تهدف الا الى الاحتفاظ بـألمنا العربي في مكانة التبعية ، بينما وجهنا
هي النهضة الحضارية .

ولنحاول الآن ان نطبق عليا مفهوم الحصوية ، علما تتبين فعالتيه في ادراك ابعاد التحرك
السياسي للمجتمعات المعاصرة *

(x) ولبيدأ مثلا بتطبيق مفهوم الحصوية على المجتمع المصري . والمرض هنا بطبيعة الامر
ليس هو التبدل على ان مصر بلد يمتاز بالحصوية - ما دام كل مجتمع متاصل في التاريخ له
خصوصيته المتميزة ، واما هو تحديد نوعية الحصوية المصرية كما ترددت عبر التاريخ وكما
تتدرج أمامنا اليوم *

ان المجتمع المصري ، بوصفه مجتمعا قائما ، تواجد على ارض مصر كما هي الآن منذ نحو سبعة
آلاف عام، ومن قبلها ما يقرب من عشرة آلاف اعوام على شكل مجتمعات محلية غير موحدة في شمال
وادي النيل * المجتمع المصري الثابت أي المجتمع المصري القومي أو « القومية المصرية » عاش في
سهل شق حوله خفتي النيل وهو محاصر بالصعادي ، وهذا كله في منطقة جغرافية مسطحة من
التلال الى البحر الابيض * ومعنى هذا انه لا سبيل الى استئصال مياه النهر للزراعة ، أي
لاتفاح الغذاء الضروري لحياة المجتمع البشري الا بواسطة السيطرة على مجرى النيل من التلال
حتى مصبه في البحر الابيض . وهذا العمل لا سبيل الى تحقيقه الا بواسطة تنظيم مركزي
موحد يستطيع أن يدير المياه ويحفر القنوات ويبنى السدود والجسور وينظم الري والصرف
والملاحة النهرية - على أساس ان موارد الامطار محفوظة تكاد لا تذكر في مناخ مصر . ومن ناحية
ما من موقع مصر الجغرافي بين الشرق والغرب تاريخيا وفي العصر الحالي أيضا وبين القارات الثلاث
التي تحركت فيها الانسانية بشكل أساسي حتى القرن الثامن عشر - جعل منها مظلة المباد التجاري
والاقتصادي والانساني والعسكري وبالتالي جعل منها ارض الغزو المرموقة - وهذا ما تم بالضبط
منذ الهكسوس حتى الدولة الصهيونية والاسطول السادس *

وقد فرضت هذه الظروف القاسية على مصر ومجتمعاتها عبر سبعة آلاف سنة من التاريخ أن تحيا
حياة موحدة الى ابعد درجة ، على أن تكون سلطة الدولة المركزية الموحدة هي محتاج الوجود القومي

كله : في مجال الانتاج من طريق الري والزراعة والتجارة ثم الصناعة . في مجال الوجود القومي وصيانة مصر كمشروع قومي ثابت بواسطة الجيش الوطني وهو محور جهاز الدولة المصري عبر عشرات الاجيال من احسن الى محمد علي وجمال عبد الناصر . وقد فرشت ايضا ان تتحقق هذه الوحدة في صعيد الفكر والوجدان . وهذا ما تم بالفعل : فقد تناثرت حصارات ثلاث على ارض مصر الفرعونية ثم القبطية ، ثم الاسلامية العربية ، وثلاثهما تندسم بسملة التوحيدية الفلسفية والدينية مما يتفق في الاساس مع حاجة حصر التاريخية الى تحقيق اكبر قدر من الكثافة الموحدة المركزة للمخاط على وجوده والاستمرار في ادائه رسالتها .

هذا اذ هو باحتصار كبير التشكيل التاريخي لنسب الاستمرارية الاجتماعية للمشروع القومي المصري . ولا ينبغي من الباحث لحظة واحدة ما في هذا التحديد من قسوة على انماط التحرك السياسي والاجتماعي والفكري الواردة من بيانات وقارات لم تمارس استمراريته الاجتماعية كما مرستها مصر بالذات .

وعلى وجه التحديد ، فان هذا النمط من الخصوصية يجعل لزاما على من يتصدى لتطوير الجدلية الاجتماعية في مصر ان يدرك جيدا ذلك الرباط الجفري الذي لا يمكن قصمه بين شعب مصر ودولته بين حيش مصر وشعبها . بين وحدة الوجدان والضمير والتفكير وطبقاتها الاجتماعية ومدارسها الفكرية والسياسية المختلفة . ان تطوير المجتمع المصري لا يهدف الى احلال طبقة اجتماعية مكان طبقة اخرى ، كما في بوليفيا مثلا او جزر المالديف ، وانما يهدف احلال جبهة من الطبقات والعنات الاجتماعية والمدارس والتيارات الفكرية والفلسفية المختلفة محل جبهة اخرى قد تنفق عنصرها الى حد ما مع جبهة القوى الجديدة وانما تختلف عنها تماما فيتا. يتعلق بكيفية علاج النمره الوثقى في قلب المجتمع المصري لتحقيق مهام الحفاظ على المجتمع وتأمين استمراريته ، وتمكينه من التقدم لانجاز المهام التاريخية التي يحددها لنفسه في كل مرحلة من مراحل التاريخ .

(2) ولو طبقنا مفهوم الخصوصية على اليابان لادركنا مدى تعاليتها .

ان مجسوة الجزر التي تتكون منها اليابان هي مجسوة جزر صخرية . ضحلة لا تكاد تعرف الانتاج الزراعي ، وهي محاصرة بوحشية شديدة بالحيط الهادى مما جعل منها منطقة على منأى من موجات الغزو الاجنبية حتى منتصف القرن التاسع عشر . وفي العصر الحديث وبعد الفتح

الاجنبى وبعد ثورة مييجى الصناعية التجديدية التى قامت فى اليابان بعد نصف قرن من محنة على وعلى نمط تجربته العظيمة ، أدرك اليابانيون أنه أيضا لا يملك المواد الأولية ولا مصادر الطاقة التى هو فى حاجة ماسة إليها فى عصر التصنيع -

وقد ترتب على هذين العاملين الاساسيين أن المجتمع اليابانى وجد نفسه مضطرا للتواجد كمجتمع والاستمرار كمجتمع ان يفرض بسنن صفوه نظاما عسكريا شديدا الاحكام تسيطر عليه مجموعة صغيرة الحجم من قادة السلاح واصحاب الامر فى تدبير انتاج ما تيسر وتوزيع محاصيله القليلة بشكل محصور لا رسة فيه . ولحق ان دراسة المجتمع اليابانى للمعاصر اليوم تبرهن بشكل ساطع على ان هذا النظام الانطوائى العسكرى ، وفى قلبه شخصية الامبراطور بوصفه رمزا للامة لا رئيسا للدولة . وما زال قائما وراء سراب المدخن والمصانع ونواذى الليل المتأخرة .

ان هذا النمط من المحسوسية اليابانية هو بالضبط ذلك الذى يجعل اليابان قادرا على التحرك بسرعة خارقة فى اى مجال قومي يختاره ، سواء اكان الصناعة الالكترونية أو الحرب . سواء اكان الافتتاح الدبلوماسى أو فرض اقصى صور التقشف لمواجهة أزمة البترول مثلا - وهو نفس النمط الذى يجعل الغرب فى تشكك دائم وسخط دائم على اليابان .

ومن بين الظواهر الاخرى التى لا يد ان يدرسها العقل العربى على اساس مفهوم المحسوسية الذى قدمناه منذ 1968 : اامة العربية ، النهضة العربية اوريا ، الغرب الصينى روسيا ، امريكا اللاتينية . الخ - - وبطبيعة الامر لا يمكن ان تتناول هذه القضايا هنا ، وانما وجب التنبيه اليها بغية القيام بعمل جماعى تنقيبى دقيق هو الآن من مقتضيات نهضتنا .

واذا اردنا ايجاز الموضوع لقننا : ان خصوصية مصر مثلا ، ليست فى حانات حان الخليل وتجمعات الطريقة الشاذلية ، وان كانت من عناصرها وانا فى دور الجيش والضمب معا فى الوجدان القومى كما ظهر ذلك بشكل ساطع يومى 9 و 10 يونيو 1967 ويوم جنازة الرئيس جمال عبد الناصر - ويوم 6 اكتوبر 1973 وما تلاه من تحرك تاريخى من ادكان ميزان القوى الى العالم اجمع .

وتقول ايضا للأجياز والتوضيح ان نهضة العالم العربى اليوم ، من محنة على ورفاعة الطهطارى والانفاني حتى حرب الجزائر والسويس وفلسطين و 6 اكتوبر وما سيجيء حتما ، وهو آت

لا تكمن في تحقيق محاولات اوفر للاستثمارات الغربية ولا في جنب الملايين من السياح الى شواطئنا وانما تعمل على كسر الهيمنة الغربية المكتسوة لخضارات الشرق على مصائر العالم المعاصر . واشراق الشرق الناهض بشكل فمالي وقيادي في تنطيط مجرى مصائر العالم خلال عشرات الاجيال القادمة »

ومن هنا كانت اهمية مفهوم الحصوصية والنظرية الاجتماعية القائمة على اساسه *

القاهرة - باريس فبراير 1974

المراجع :

x) بدأ عملنا من اجل تحديد مقصود الحصوصية ثم اعادة تشكيل النظرية الاجتماعية والسياسية على اساس هذا التصور . على مرحلتين :

x - كانت المرحلة الاولى تتكون من دراسات ميدانية عن مصر والعالم العربي كما على :

Egypte, société moderne, Paris, 1962 : « Introduction à la Pensée Arabe contemporaine » *Civilization*, VX (1963) n° 1, 43-72.

دراسات في الثقافة الوطنية ، بيروت 1967

Idéologie et Renaissance nationale : L'Égypte moderne, Paris, 1969 ; A. Abdel Malek, A.A. Belal, H. Hanafi (eds) :

La Renaissance du Monde Arabe, Louvain, 1972.

الفكر العربي في مرحلة النهضة ، تحت الطبع ، بيروت 1974

« من اجل استراتيجية عامة للنهضة العربية » ابريل 1973 - xxi , xxi6 *

ب - ثم كانت محاولة ثانية ، من الدراسات الثورية ، «مجتمعة النظرية العامة منذ 1962 » وقد جمعت المحاولات النظرية الملمدة من 1962 - 1972 في كتاب هو اول مجلة لسلسلة باسم « الجدلية الاجتماعية »

La Dialectique Sociale, Paris, 1972.

وأيضاً :

« Pour une sociologie de l'impérialisme » *L'Homme et la Société*, n° 20 et 21 (1971), 37-54 ; 279-98 ;
Spécificité et Théorie Sociale

تحت الطبع 1974

الجيش والحركة الوطنية ، بيروت 1974 *

(2) وفي المجال العالمي ، الاستاذ العالم في مجال دراسة الحضارات المقارنة الجانب

هو ولا شك :

Joseph Needham ; *Science & Civilization in China*, (vol. 1-7..) Cambrig, 1954

Clarks and Craftsmen in China and the West, With a four seas, The grand Titration, 1970.

احسن عرض لاعداله هو :

Henry Horckenshaw « The making of an honorary Taoist in M. Teich & R. Young, eds., *Changing perspectives in the history of science : essays in honour of Joseph Needham*, London, 1973 1,20.

ومن اهم الدراسات التي تستعمل فكرة الخصوصية بوجه عام ، دور التصدي نفسه *

Raghavan Iyer : *The Glass Curtain Between Asia and Europe*, London, 1965

Fernand Braudel : *La Méditerranée au temps de Philippe II* Paris, 1949.

Niyazi Berkes : *The Rise of Secularism in Modern Turkey*, Montreal, 1964 ; Barrington Moore, *Social Origins of Dictatorship and Democracy*, 1966.

الدراسة النظرية الوحيدة التي تحاول تصور الخصوصية بشكل اولي هي :

C. Wright Mills : *The Sociological Imagination*, New York, 1959.

الأبعاد التاريخية لأزمة التطور الحضاري العربي

د. شاكرو مصطفى
استاذ بجامعة الكويت

لماذا تطلب وفاق العرب مع العصر تل هذا الوقت الطويل ، ودون كبير جدوى ؟ هذا السؤال المصيري النشأ كالجرح في ضمير كل عربي ملتزم اذا كان ما يزال يأخذ يوماً بعد يوم أبعاداً مأسوية متزايدة فلأنه قد ضمت على ارتطام هذه الأمة بالحضارة الحديثة وبمعياتها والآنها سنون بيعة ببيعة - كتلة الأقاليم العربية ضمت عليها الفترة الزمنية الكافية لتكون في مستوى العصر

وتكنولوجيته وفيه الحضاري - معظيها ، على الأقل انطلق قبل الصين التي بدأت منذ ربح قرن بعضها قبل روسيا التي بدأت منذ سيعين سنة . وبعض قبل اليابان التي بدأت منذ مائة سنة . ومع ذلك فهذه الأمم وصلت - كلها وصلت - بينما لم يصل أي إقليم عربي طليعى إلى شيء بعد مأسوية السؤال إنما تنبع من احتمالات الاجرة عليه : لعل وصلت الأمة حفا مرحلة التفتوحة فهي إلى الابدان والمفم الحضاري ؟ أم ضاعت الطريق ؟ واتي الطريق ؟ أم نسة من الأمراض المسمدة في تكوينها العام ما يشل المفاصل أن تسير السير الذي يقتضيه إيقاع العصر ؟ ، تلك هي المسألة .

وإذا كانت أبعاد التحليل لهذا التحلل تحمل من السمة والتشعب ما تنساح معه على آفاق الحياة كلها من فكرية واقتصادية واجتماعية وسياسية ودينية .. فان الباحث في هذه الآفاق ما أن يحاول لمس الجنود حتى يجد نفسه فيجأة في رحاب التاريخ .. وللقابل فان الباحث عن الأبعاد التاريخية لهذا التخلف ، ما أن يحاول الاستقصاء والشوول حتى يجد نفسه فجأة بدوره

في عدوان مستمر على حقوق هذه الأبحاث الأخرى التي تتناول تلك الآفاق بالدراسة * ولا ننسى من هذا العدوان ما دامت إلى البشرية تسير عامة في مراحل حياتها في عملية دياكتيكية الحدود * التنافى والتواصل هما اللمعان اللذان يحكمان المسيرة . ففي الوقت الذي تفرز فيه مرحلة تاريخية معينة عبور المرحلة التالية فإن هذه المرحلة بدورها تنعكس سابقتها وتتأقظ وتكتمل وهي تنفيها وتنفضها تكون محكمة بها ويجودها برابطة من البنية تكاد من الحسية أن تكون نوعا من الارث * البيولوجي * وهكذا فال حاضر العربي وهو ركيزة الغد ومنطلقه . هو بالزعم منه ، وفي جانب الاتصال والهوية من جوانبه ، حصيلة تلك البقايا الحية والرواسب الميتة . المرة والحلوة على السواء ، التي أفرزها ذلك الماضي الطويل الذي تجره ألام العربية ورائها كالمقطار الطويل *

إن أهمية البحث في الأبعاد التاريخية لأزمة التطور الحضاري العربي إنما تأتي من أن اللاتاريخية في الفكر تعني العمى من ادراك أعاد الواقع في ألوانه وخطوطه ومحر كاته ، تعني رؤية مسطحة ذات بدين لواقع موضوعي في إبعاد في المكان والزمان والانسان والحياة لا تكاد تدرك ككرة وتقيدا *

ولمنا قل أن نطلق الشراع للنصوص ملزموه برسم بعض الحدود ونقاط الاحتياط والملاحظات
١ - فنحن لا نفهم التاريخ في هذا البحث على أنه الأدب التاريخي وكتابة التاريخ أي كتنقية من تقنيات المعرفة . ولا ننظر إلى الوقت نفسه على أنه مجموع أحداث الماضي الذي انتهى بالحروب والعقائد والأجرام إلى صفحات ولكن ننظر إليه كجذور للواقع العربي القائم وكجزء من هذا الواقع * وما نذهب في تحليله - أن ذهننا - مع الزمن أو مع المكان أو مع الأفكار ، إلا كوسيلة لكشف الأبعاد العميقة في الحاضر العربي *

وإذا اختلطت كلمة تاريخ مع كلمة التراث أحيانا فإننا نعني بالتراث مرتسم ذلك التاويع في الحياة والحصيلة (المادية أو الفكرية) المؤثرة فيه في مسيرة المجتمع العربي *

٢ - ليس المختلف صمة خاصة بالمجتمع العربي * ثلاثة أرباع شعوب الأرض تشاكره ذلك * لكن العناصر التاريخية لهذا التخلف قد تكون مختلفة لدى العرب عما لدى الشعوب النامية الأخرى * ومن هنا تأخذ الدراسة لهذه العناصر أهميتها الخاصة لأنها تكشف عن الميزات الخاصة لتطور الحضاري العربي بما فيه من أرض موات ومن إمكان عطاء . إنها ملبة تبش في الحدود

كل اجنزر * هي رحلة في التعميمات والجراح مما من الماضي * اوث التاريخ ليس كله في كفة المساوي .
ومن دنيأ التحلف . على أننا ملزمون بكشف جانب الجراح منها فقط , جانب السلب والقال
الرفصا التي تسلك بالمجلات الى الأرض *** وبالرغم من أن التاكيد على ذلك اشتهر بدفع ابواب
مفتحة على مصارعها الا أننا نضمه بين المعطيات الأولى ونصيف اليه :

3 - أنه ليس ثمة ما يمنع بعضا من ابعاد التحلف التاريخي أن يتحول بمعانة جديدة له
أو بفهم جديد الى بعد حضاري من ابعاد القد *** أن التحلف لا يستمد الى عناصر مطلقة . الى لعنا
أدوية , متصلة بتقائص ازيلية * وانما هي عوامل شلل ولعنا تنسبية دوما في اطار العصر التي
توجد فيه ومن خلال الدور المعطى لها في الساس , ويستوى المانة الانسانية التي تتعرض لها *
وأذا لم يكن ثمة من عنصر في التاريخ هو عنصر تحلف مطلق أو ثابت , فانا لن ننظر الى العناصر
التاريخية في التحلف الا من خلال منظور متكامل لمستقبل , الا من خلال المنظور الذي يقابلها
لننظر الحضاري . ليس من بعد يمكن أن يصبر عامل تحلف الا بمقدار ما يعمل ضد عوامل التطور
المستقبلية وبمقدار ما يتعكس منه على القد من قيود حجرية *

4 - وتتفاوت أثر هذه الابعاد اتاريخية البقايا الواسع في الزمن وفي المكان * فبعضها
قديم قدم هذه الامة لارتباطه بقدرها الجغرافي أو التكويني . وبعض حديث طاريء من صمت بعض
المصور والاحداث المتأخرة وبعضها يظهر فترة ثم يغيب أو يحتلف حدة وضعفا حسب الأجيال
والمعطيات الحياتية الأخرى * كما انها تتفاوت حسب أقاليم الوطن العربي الأوسع وظروف
تاريخها وانصائها بالمضمارات الأخرى فترسبت التحلف التاريخي في اقدمي هي غيرها في الاقليم
الأخر والأوان بعضها في هذه البطح غيرها في تلك الجبال أو الصحاري أو الخلجان البشرية *

5 - وعلى المستوى نفسه كان عناصر التحلف , ان كانت قديمة وباريحية ومتفاوتة
فان ذلك لا يعني انها ميتة - ولكن يعنى انها تعمل بشكل قديم * لا يعنى انها غيرحية الحياة الواسمة
ولكن يعنى أن هذه الحياة تجرى فيها ضمن القواعد المتكاملة والأرضية المتحركة والمعطيات الموروثة .
وانها تتألف عن نفسها , بل وتهاجم احيانا , من وراء قشرة سميكة أشبه بأسوار القلاع البوسطة,
حجارتها المجلد والتقليد والامثال والاعتقاد الاجتماعي والقوالب العكرية الجاهزة وخلال
التقديس وموروث الاحترام لقيم *

6 - ونحن لا نكرر أبدا ولا يجوز أن ننسى أن العديد من هذه العناصر التاريخية في التخلف قد إحد يتحول نعت ضربات الحياة الحديثة وإيقاعها الحار ، بعضها يموت مرغما على هون وبعض يقف على بقايا الأرض القديمة التي ما تنكث تؤكل باستمرار وبعض يشطور بدوره أيضا . يحاول أن يأخذ من العصر ويسطيه . ولكن هذا الاستدوال المعطى يسيران ببطء لا يتفق مع تواتر العصر نفسه وسرعته ومنطقه *** وتضيف عما يبيل التلازم القاصر الى عناصر التخلف نفسها لتزيدنا تعميدا في الفكر والاجتماع والسياسة والدين على السواء .

7 - ثم إن عناصر التخلف في التاريخ اتفقد بكثير من أن تكون ذات بعد واحد . انها مشتبكة الحدود ، متعددة الصور *** خطوطها تتقاطع - تتوج - تلهث - تصطم - تنهب في كل اتجاه وفي لا اتجاه لأنها نتيجة عوامل بالمشترط وطروف تاريخية شتى في فترات زمنية متعددة ولما كن ليست اقل شتافا * وأدراكها على هذا الاساس يكشف مدى المجازفة في محاولات التبسيط والتعميم التي قد فلجا اليها مكرهين بغية الانقصار عن التيارات العامة *

8 - وعلى المستوى نفسه احيرا يظهر مدى المجازفة عند الوعوع * التجزئية * - ان تجزئة تلك العناصر التحليلية ، وهي مجرد عملية منهجية يجب ان لا تحجب عما أنها في واقعها الاجتماعي - التاريخي وحدة * انها كل * وانها كيان واحد حمسى متفاعل . تشكل اجزائه وحدة تاريخية التكوين ان تحلف عناصرها عن عصور شتى فقد تماقت هذه العناصر في تفاعلات اجتماعية - فكرية طولية ليسنجم بعضها مع بعض ويعمل بعضها من خلال بعض *

ولعلنا بعد هذه الملاحظات نستطيع للممة الأبعاد التاريخية في التخلف العربي في الملامح التالية التي لا نعتبرها على أي حال أكثر من محاولة أولية *

ولعل الملاحظة الأولى يجب ان تتعلق بملاقات الانسان العربي بالزمان * وإذا كان صعبا ملاحظة هذه العلاقات من خلال الفلسفة والايديولوجيات الفكرية فلهل الامسهل والاقر ب موضوعا ان ندرسها من خلال دراسة شأن * التاريخ * نفسه ، ودوره في الايديولوجية العربية المعاصرة او في تكوين ما نسيبه بالتقافة انقومية والشخصية العربية والتأهيل للفد * ان اوتباط العرب بهذا الذي يسمونه نارة بالماضي وتارة بالتاريخ وثالثة بالتراث او السلف ليس كارتباط أي امة اخرى به *** وان دراسة الأبعاد التاريخية للتخلف العربي لتأخذ معنى خاصا ، واساسيا ومصريا من خلال هذا المنظور لقيمة ودور الماويخ في كيان العرب وفي ايديولوجياتهم المعاصرة *

أن بنى المجتمع العربى - ولعل لحضارته الزراعه أثرها فى ذلك - هى فى مجموعها ينسب تاريخية التكوين ، تاريخية حتى النحاح الشوكى تاريخية بامتياز وبصق مع كل ما يحمل التاريخ من حلال واهتراء وغيار خائق * اننا لا نعيش زمنين مما : الحاضر والماضى فقط ولكننا ، نعيش فى الواقع ايضا أزمنة من هذا الماضى نفسه * وإذا كان التاريخ والتراث والماضى والسلف ... وما يتصل بهذا ودالك منها ذات ضغط خاص على المحفظة العربية وبالسالى فى الفكر الايديولوجى العربى الماصر علانها تحتل فى التكوين الثقافى القومى مكانا خاصا ندر أن عرفته شعوب أخرى ... مكانا ليس بالبادد أن يصل فى بعض حدوده ، عالم التقديس والمناطق الحرام .

ان الحضارة العربية (والتي كان للإسلام أروع أطوارها واكمل تلك الأطوار) تختلف عن الحضارة الغربية فى مفهومها للزمن ومن ثم فى مفهومها للصيرورة التاريخية * وانها (وهى فى هذا تشبه حضارات الشرق فى اليابان والصين والهند) نتاج محتملات قومية مكثفة العلاقة بأقدم عصور التاريخ (2) .

وقد اعتادت هذه المجتمعات أن تحيا مع تاريخها دوما * أن تحيا حياة اجتماعية شديدة التماسك مع الماضى ، تركيبية البنية ، وحدوية الزمان * يدمج فيها الماضى بالحاضر كل الانماح ويتعلم ، ضمن معركة الاستمرار المادى ، وجيلية الوجود التاريخى ، كل التناقضات التى تغلفها العصور المتتالية * أنها ترفض نفيته الزمن الى وحدات كمية أو النظر اليه كامتداد بعيد هو بالنسبة اليها حضور مستمر . الصيرورة التاريخية بالنسبة الى الصرب عملية مركبة جدلية اذا امتدت عبر الاجيال فاللاشق فيها جزء من السابق متم له .. وإذا ظهر الإسلام مثلا فى القرن السابع فاعلم لا فتاح العرب أنه * ملأه أبكم إبراهيم ووصل الناس بهذا الشكل سواء بالنسب البيولوجى أو بالرباط الروحى ؛ قبل خمسة وعشرين قرنا منهم وإذا كرر مرات أنه جاء * مصدقا لما بين يديه من التواتر والانجيل * (3) ثم اذا حصلت واية السنة والامامة فى هذه الأمة كمشكلات للابمان وإذا ظهر فيها ما يزيد عن عشرة آلاف حافظ معروف وأربعة آلاف مؤرخ خلال

(1) عبر الاستاذ انور عبد الملك عن جانب من هذه المعركة فى حديثه مع مجلة (النقاش العربية - أبريل 1993) .

(2) تكرر ذكر ذلك فى القرآن ثلاث عشرة مرة * .

عشره قرون وما يزيد عن تسعة آلاف كتاب في التاريخ وهو ما لم تنبجها امة اخرى من قبل ايما
فان لذلك كله دون شك مصدا البعيد في التكوين والسج الفكرية وفي اقامة التركيب الوجدوي
العكري لمحضارة العربية *

ولم يكن غريبا ، في النهضة العربية هذا اواخر القرن الماضي ، ان يطلق العرب في البحث
عن « الانا » الصانعة الى التاريخ ان « الاصالة » رغم معانيها العديدة المتصلة بالابتكار والخلق
الجديد والارض التي لم يمسسها بشر من قبل امة ترتبط عند العرب بالتاريخ والتراثية خاصة .
الجانب التراثي من التراث العربية يكاد يطغى احيانا كثيرة ، وفي كثير من اللحظات على الجانب الى
الحاضر ، الدارج على الارض *

وإذا كان لتاريخ (أو التراث) يحول الى قضية. وإلى قطب اهتمام خاص في الازمات الكبرى
وفي فترات التحدي والخاصة الى الاتصال العميق بالذات. فانه في المجتمعات النابوحيمة العبيقة
التكوين ، وذات العلاقة الخاصة بالفكر التربوي يأخذ (و سنج) بعاده * ولقد برأينا بالنسبة الى العرب
تيارا من الاندفاع وراء التاريخ العربي يتواذى مع حركة النهضة العربية ما بين اواخر القرن
لماضي وأعمود الأربعة الاولى من هذا القرن * وقد أخذ هذا الاندفاع تأرا الشكل الديني لدى الجوع
المتدنية التي تريد احياء عصور بعينها ورجال مصفين ضمن اطار معين وأخذ تارة اخرى الشكل
الرومانسي العاطفي أو شكل الوفيقي لدى البهارات القومية التي تنظر الى التراث من خلال الليبور
الملون والفضائية أو تحاول أن توفق ما بين قيمه والعصر * ولو بالرغم منه * كما أخذ أخيرا شيك
الرفض الكامل لدى « المصريين » فكل هذا التراث عندهم يجب أن يلقى الى النار (3) * انه مصدا
للثورة * مصدا لفهم والتكنولوجيا اليوم ومضاد للعد * ولكن هذا لا يمنع انه بالنسبة اليهم
يشكل قضية من قضايا الصدام مع الواقع *

وقد دخل العرب منذ 1948 عصر الهزائم (4) التي لم تقتصر في الواقع على المستوى العسكري
والسياسي ولكنها أحدث أيضا إعبادا حصارية وفسيية تجلب في الاعراف « بالتحلف » انقسي

(3) ليس هذا التوزيع سوى محاولة لتبسيط اواقف المختلفة من اثرات * والواقع انها
مواقف متداخلة كل التداخل وانه ثمة بين المتدينين من يحاول الموقف النسوبيقي أو الوقت
الاعتدالي من بعض القضايا (الرق والحجاب وان بين انوميين من يقف الموقف الرفضي * * * الح *
(4) لا تقصد بها فقط الهزائم العسكرية أمام الصهيونية في اسرائيل ولكن أيضا الهزائم
أمام العرب الاميرالي التي يسحقنا دون انقطاع بتصفوه التكنولوجيا وانتاجه الاستهلاكي
واستثماراته للثورة العربية حتى البشرية منها .

والثورى والتنطلى والإجتماعى والعلمى وفى تلك انصباغ للآسوشية التى جلدنا بها أمسنا جلدنا. وإذا كان عصر الهزائم هذا يقابل من قبل الجماعة العربية بالرفض وبما يمكن أن نسميه بحركة النهضة الثانية أى عبرت من نفسها بالثورات ومشاريع التنمية والتوسع العلمى والاتجاهات الاشتراكية ... فقد رافق هذه الحركة بدورها حادثة موارية الى التراث وإلى تجديد الموقف العربى منه .

وهكذا عاد التراث فى الصراع الحالى القائم بين الأيديولوجيات فى الوطن العربى كله ليحتل مكانه الواضح فى المستويات الاشكالية الأولى .

على أنه من المؤسف أن النظرة العربية للتاريخ ما تزال نظرة سكونية رجعية الإجاه ... فنحن لا ننظر إليه على أنه نقاط انطلاق ولكن حدود انتهاء . ولا على أنه نسخ فقط ولكن على أنه جذوع جاهزة للتملق والأرجحة . ولا ننظر إليه على أنه كان يحمل الف إمكان ولكن على أنه ذو بعد أحادى هو الشكل الذى تحقق منه ... التاريخ عندنا ، رغم زمنيته المتطورة الطويلة لا يترف بالزمان لأنه يترافق كله فى لحظة وفى مستوى مسطح واحد ... إنه عندنا فى صورته المستقبلية محاولة لاسقاط الماضى كاملا على المستقبل. لا محاولة لتجاوز الكمال له . ومن هنا تتحدد مجموعة من الدويل والتتابع .

... من هنا مثلا كان التاريخ قارب نجاة للكثيرين . مهربا من الواقع المسكين أو كان غربة عن العصر يدل أن يكون اندماجا متزايدا فيه .

... ومن هنا أيضا نحل الاستمرارية التاريخية محل الاصلة أو تتوحدان فى مفاهيمنا الأيديولوجية محل الامتداد الوحيد الاتجاه محل الانطلاق المتفرع مع كل الآفاق وتلتوى « الاصلة » لتصبح تقليدا وعودة ذليلة الى الأرض الأولى كما تعود الأشجار الاستوائية لتعمل من أغصانها جنورا بدلا من أن تنضج فروعها للزهر والثمر -

« آمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم » ؟

... ومن هنا أيضا وأجسا نصف متسكة « التراث » عند العرب . فى مركز مشاكل الجدل . كل الطرق تؤدى الى « روما التراث » عند بحوث التورات ، أو القدم والخلف أو الأيديولوجيات أو التخطيط ودنيا العدد . تقف كقاطعى الطرق على مفترق الطرق لتقسم الناس الى يمين ويسار وتقدميين ورجعيين وتقليديين وعصرين ... ولتتلم السيوف وتزرع الجهود فى الصحراء ...

وأذا لم تجد هذه المشكلة حلاً نهائياً بعد ، إذا لم تتفق الفرقاء بعد على موقف شبه واحد منها فلائها ليست في الأصل « مشكلة » ولا من المستوى الاشكالي ولكنها جزء من الهوية العربية ، جانب من الكيان نفسه ، يناقش وينظر اليه من خلال ايدولوجيات معينة وترمي عليه المعاني الدينية تألوة أو القومية تارة أو يجري إسقاطه هو نفسه على المستقبل بهذه المعاني ، تارة ثالثة ... بينما الوضع الطبيعي، من خلال معطيات المحاصرة العربية أن تستوعب المتناقضات * ان توائم الروح العربية بين معطيات الفكر الحديث والعلوم والتكنولوجيا وبين الحفاظ على أخص ما في التراث ضمن التركيب الحدودي القومي أو التاريخي * قد لا يكون منطق العكس التبرير (وهو منطق ثنائي في جوهره يقوم على التضاد المطلق بين الوضع وتقبضه) فإبلا لئل هذه العملية الاستعمارية الصعبة التي تقوم على منطق آخر هو المنطق الجدلي التركيبي الذي يصل من الوضع وتقبضه الى التقبض والى معادلة تركيبية جديدة . ولكن تحرية اليابان ثم تجربة الصين في لورتها الثقافية الاخيرة قد توحى عند الدراسة بالكثير * (5)

— ومن هنا ايضا وايضا يستمر في العملية العربية ذلك الجاح القبيى المدود . ويحصل (ما وراء الطبيعة) الميتافيزيك في نواح عديدة يمكن الطبيعة (الفيزيك) ولا تؤخذ وتنتشر من الدين الا القيم الاستفسالية ، وشعارات الطاعة والقناعة والفناء وعجز الانسان وسيطرة القدر دون القيم الايجابية الديناميكية كميادى العمل والمسؤولية والحرية والتعاون والعقل والتعكير في مظاهر القسمة وطلب العلم ،، النظرة الى التاريخ من الراوية السلبية السكونية هي التي تمنع هذه القيم من اخذ كافة ابعادها في حركية المجتمع العربي *

— ومن هنا الى كل اولئك كانت تلك الانفصامية التي تعيش بين عصر نصطلم كل لحظة يحدوده وفكره وآلته وبين « تاريخ » قريظ به في الغالب بشكل رومانسي لمقابلة عقد النقص ، وتريدى على أن يلبس ثياب هذا الواقع سواء كانت فضفاضة ، لم ضيقة ! ان ما يعطى تلك الانفصامية

(5) لسننا هنا في صعد بحث مشكلة التراث والدين والتاريخ وامكان أو تعذر اعتبارها ركائز لمستقبل ولكنها خاطرة عائرة اقتضابها ايضاح الفكرة . ولعلنا نضيف اننا لا نقصد بالحفاظ على التراث : السلبية والرجسى ولكن نقصد ما تستطيع تسميته بالتراثية التي يقترب منها كسل الاقتراب عندنا من مفهوم الاصالاة والارتكاز الصيغ في الاوى لتمتد العروج بعيدة في السماء *

حدودها المأسوية هي أننا في الوقت الذي نقسح فيه بفكرنا التاريخي السكوني الرجعي الأحادي نواجهه بالسروغم منا حضارة أخرى ساحقة القوة تنظر الى التاريخ نطة مختلفة حتى في الجذور تقوم على احيائية الحدث التاريخي وعلى تفريده المستمر ومسؤولية الانسان المباشر فيه .

وننتق بعد هذا في مستوى الفكر التاريخي وعلاقة الانسان العربي بالزمان الى مستوى الحياة العربية نفسها لجد - وضمن اطار الملاحظات التي فرطت في مطلع البحث - ان « الاستمرار الاجتماعي » الذي تمشيه الشعوب العربية إنما تحكمه عناصر عديدة تشكل في مجموعها التركيب العربي القائم .. وان لامتدادات التاريخ في هذه العناصر المكان الواسع ان لم يكن الاول « وإذا تركنا جانبا اطار البيئة الطبيعية واثارها في الانسان العربي « عبر الايكولوجيا والجيوبوليتيك استطلعنا ان تقف من العناصر الاساسية الباقية عند اربع جوانب :

أ - طريق الانتاج المادي : كيفية وتوعية العمل الاقتصادي وماذا يحبل من تقل التاريخ «
ب - تكوين نظام السلطة , تاريخية التكوين السياسي القائم ونوع العلاقات بينه وبين الشعب «

ج - طبيعة العلاقات الاجتماعية : أسس التكوين الاجتماعي « الجنس والمرأة « الولادات المائلية والمشارية والطائفية « القيم الخلقية «

د - قيم الفكر التراثية (الايديولوجية الفكرية « اللغة والتعبير) «

وليست التجزئة التي اصطبغناها في تقديم هذه الجوانب سوى تكتيك درامي فانها سواء في تطورها التاريخي أو فسا انتهت اليه من تكوين الواقع العربي القائم إنما تشكل كلا , تشكل وحدة متكاملة « تتم المفاهيم الاجتماعية والدينية فيها المفاهيم السياسية وتنطفي الانتكار والادغام يؤس الاقتصادي كما يترك الطابع الانتاجي الزراعي واليدوي ميسره الواضح في الحياة السياسية والاجتماعية على السواء ويبرز في الوضغ الفكري والسلطة وقوى المجتمع « وايديولوجيات الناس «

وإذا كانت هذه الجوانب تكاد تجمع تواحي الحياة كافة فلأن تراث الماضي المتشغل في الحياة العربية حتى الصميم والمؤثر فيها حتى الصميم يضطرننا لأن نلاحق هذا التراث حيث ننقف « بل

ويضطرنا لأن نلاحق منه خاصة الجانب السلبي لعقود . على أن المشكلة هنا مزدوجة . الصعوبة وصعوبتها ليست فقط في اختيار الملامح التي تصور أنها هي السبب في التعرّيق والتخلف ، وقد تنهم في هذا الاختيار بالنصف أو الوهم أو الجرئية ولكنها في أمر أشد خطراً هو أننا لكي نختار الأبعاد التاريخية في التحلف لابد أن نصلطع مسبقاً في العكس أبعاداً مستقبلية محددة لتقدم . في الحلفية الفكرية لابد أن يكون ثمة مفاهيم قياسية معينة يكون التخلف تخلفاً بالقياس إليها يبدأ أو تنصير ، أو مقايير .

عل أننا تعادياً لهذه وتلك سنحاول أن نكون في الجانب الوصفي . لأنه الأقرب إلى الموضوعية وإلى الأرض المشتركة ، دون جانب التقييم الذي يفسح ميدانه لكل الإلهام . وسنحاول أن يكون المقياس في حدود روح العصر ومعطياته وحاجاته لأن أساس الأزمة كلها أننا تكمن في القرية عن العصر .

1 - طريق الإنتاج المائي وجانب التراث فيه :

برغم أنوف المصانع التي تتصاعد بنجانها إلى السماء في أكثر من موقع الوطن العربي وبرغم التروات الضخمة التي تمدق ومشاريع التخطيط والبناء والخبراء من الطابع الأرضي في المجتمع العربي الماسر هو طابع الإنتاج التقليدي . علاقات الإنتاج وطريقة ومعايير لم تتغير إلا في الغليل القليل عما كانت منذ قرون قد تزيد أحياناً على العشرين والثلاثين .

لقد ورثنا في مختلف مناطق الوطن العربي حياة إنتاجية تقوم أساساً على الزراعة ، وقد لا يكون في هذا كبير أمر نولاً إن هذه الإنتاجية الزراعية حاصطت أيضاً على الوسائل والطرق التقليدية . وإذا كان الملاح فيها متوحداً مع الأرض في الصلة والملاقة حتى كانه جزء منها ، فإن من الطبيعي عند هذا الملاح أن لا يكون الإنتاج له ولكن للأحر مالك الأرض (سواء كان شخصاً أو حكومتاً مسيطرة) وإن تنحصر في كمية الإنتاج لا جهود الإنسان ولكن القوى الأخرى الطبيعية دوماً وفي الأسماء لا قيمة الجهد والعمل ولكن القوى غير المنظورة التي لا حول للمرء أمامها ولا قوة ، لأنها من عالم الخسطين . . .

وقد كانت هذه الحضارة الزراعية خلال القرون السابقة ، مسمرة ومقولة ضمنين الإطار التاريخي لها ومنسجمة مع ما تفرزه وما يتصل بها في الوقت نفسه من تنظيم اقتصادي اجتماعي

سياسي أيضا ومن علاقات استغلال ولكن معطيات المصاولة الحالية ، مع الانفجار السكاني المرمي بحمل هذا الطريق الانتاحي اليوم مسدودا ٠ أنه لا يؤدي فقط الى تزايد الفقر والبؤس الشديد والجوع وسوء النظفية ولكن أيضا الى الصاق الطبقات العالقية بالتراب وبطبقة السوائم التي تعيش معها وهذا يعني عبودية وتمطيل ثلثي قوى الانتاج في الوطن العربي ٠ انسانية الفلاح هذا الركن الاساسي في الانتاج المادي ، تنتهي أمام اشباح الجوع والسيطرة الراكضة وراءه . وأمام علاقات الاستغلال الاضطوبية التي تغسل يديه وانفدمين ٠٠ بلى لقد حاولت قوانين الاصلاح الزراعي والثورات أن تغير من ذلك الوصف الانتاحي التقليدي ولكن سره التطبيق مع بعض العوامل الاخرى كان يشل مفعولها الثوري ، ان لم يزد في معظم الاحيان الى تحول الكثير من أراضي الزراعة العربية ، الى ارض موات ٠٠٠

واذا كانت البداوة وما يتصل بها من انتاج وعوى من موروثات الماضي العربي أيضا باعتبارها من لوازم الارض العربية التي تمسلا الوادي والصحاري قلبها كله في المشرق الاسيوي واصحابها الجنوبية في افريقيا واعتبارها تحتجز ٥٥ ٪ تقريبا من الكتلة السكانية العربية وما تزال تحتجزها . فان المناطق المضاربة من الوطن العربي يحكم حوارها المتصل دوما مع البادية كانت دوما معرضة لاجتياح البدوي لا من الناحية الديمغرافية محسب ولكن من ناحية القيم أيضا - انفسر مع بدوي اصحابها انما كان في العهد العثماني خاصة فقد تقلصت الارض الزراعية وسيطر الغزو على اطراف الريف وقامت التصبيبات القبلية وتمسكت حتى الى الآن ليستسك بها الناس بدل السلطة التي كانت غالبة ٠٠٠

وصما يتصل بالمعلية البدوية احران ما تزال تلمس آثارها الواضحة في المجمع العربي :

اولهما : الرغبة من العمل والاعتماد على موارد أخرى للحياة : فاذا لم يكن غزو حبلنا الابيل او انتقلنا الى مرعى آخر اكثر امراعا ٠ ومن الصدف الغريبة أن البيروك طهر في المناطق الصحراوية العربية : كنوع من الرعى الجديد المجاني دون عمل ٠٠٠ وبلى حليب النوق فنحن نلعب اليوم الارض ٠٠٠

الثاني : امتحان الحرف والنظرة « النوقية » التي ينظر بها العرب الى الاعمال المهنية ، واذا قال الفرزدق القديم في هجائه الرير لصاحبه جرير :

هو القين وابن القين والقين جده

ولا خب. في قين تحدر من قين

فما تزال هذه « الألفة » من العمل المهني هائلة في تكويننا النفسي . التعميل في العمل ينصب على الوظيفة الرسمية والاعمال ذات السلطة أو لا فعل التجارة واعداد الوساطة وفي أسوأ الاحوال عمل العمل الزراعي والمعامل مع الارض - - اما الحرف فكانت خلال القرون الاسلاميه عامة متروكة لى لا سلطان لهم من قوة عسكرية أو قوة من مال أو فضلة من ارض - -

ولم يستطع العصر الحديث ان يخلص العرب من هذا الموقف « السدوي » البدائي بعد . ونتاج النفسية العربية الى نوع من اعادة التفكير والتأهيل في هذه الساحة لتخلق نوعا من الانسجام بينها وبين العصر يقبل لا الحرف والمهن ، كمثل نبيل ولكن « الصناعة » والتكنولوجيا كقدر حضارى لا يد منه - - -

ولقد كانت للتجارة دوما في العرب مهمة النبل بين الاعمال - الموقع الجغرافي العربي هو الذى جعل من التجارة لا العمل العربى للتحاق والربح فقط ولكن العمل المدحج ، المبارك ، ايضا وقد كان الناجر رمز الحضارة العربية الاسلامية وخاصة في عصورها الذهبية - ولكن التجارة العربية الواسعة التي سمحت بتكدس الثروات والتعوق الحضارى والسياسى العربى انتهت منذ القرن السادس عشر ، مع عصر الاكتشافات الجغرافية . القرون الثلاثة التي تلت ذلك كان فترة ركود لا ملى العطاء الحضارى فقط ولكن ايضا في علاقات العرب العالمية . اتكثفت صلاتهم مع الدنيا والناس - عزلوا عن العالم كله بعمليتين متقابلتين فقد انغلقوا على العالم ضمن أسوار الامبراطورية العثمانية من جهة كما انقضت علاقات العالم العربى المتقدم ، خاصة معهم من جهة اخرى - الا ما يكون من محاولات اكسب والذهب الحريمى او التجارى ، بينما أصبح الوطن العربى كله قوقعة كبيرة ، انكمأت العملية التجارية الى الداخل وانفترقت بالاستهلاك الداخلى المحدود والجمود العام الاجتماعى والفكرى - واذا أعاد العصر الحديث للموقع العربى منذ قرن عمل يتكرها ويستغل المواقف العربية نفسها بالاستعمار والقوة العسكرية والنفوذ السياسى والمالى والحضارى - واستمرت بالمقابل تحساسة العرب بيرة داخلية من جهة ومحدودة المردود من جهة اخرى - ولم يستفد العرب من ثورة وسائل الاتصال والنقل الحديثة لانهم فى المواقع ،

لا يملكونها - كما أنهم ياتصدهم عن طبيعة العلاقات التجارية المعقدة في الحضارة الحديثة
حسروا الامكان والعلم والقسوة على معاودة السيطرة على هذه التجارة التي غادرتهم - وفي
الطروف الحالية على الاقل - الى الابد -

وصعب الانتاجية العربية الذي حذى عليه الآن أربعة قرون أو تزيد ترك بلاد العرب في وضع
من العفر المتجمد ومن اقتصاد الكفاف المتشدد السكوني في الوقت الذي كانت فيه « انتاجية »
المناطق المقابلة جغرافيا للعرب على البحر المتوسط والتي تسميها « الغرب » ترتفع بشكل هائل
حتى ظهرت الرأسمالية وما يتصل بها هناك ، وتطور مفهوم حديث للمال ودراته وطرق
استخدامه غريب كل الغربة عن المفهوم التقليدي العربي الموروث -

لقد اعتبر العرب - من خلال مراحل التاريخ - وما يزالون المسال قيمة ثابثة
لاحركية - وذا بعدين فقط سواء في حركته من بيع وشراء أو في مادته من نقد وعقار - عشرات
الايام التي فتحتها له الحضارة الحديثة في الشبكة العالمية المالية المعقدة ، وما تزال غريبة على المجتمع
العربي الذي يحتقر - ربما بسبب فقره نفسه - المادة - وينظر اليها كامر ثانوي غير رئيسي
في دورة الحياة الكبرى - وما يزال يناقش مشكلة الربا « كفضية حيوية ، ويجد العزاء الجميل عن
فاقته في مصير اولئك الذين « يكتزون الذهب والقضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيسهرهم بعذاب
اليم - يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم
مدنوقا ما كسم تكبرون » » ولقد يتكشف هذا الموقف السكوني والسلبى من المال حين ننظر الى
حيرة العرب اليوم بهذا الدفق الهائل من الارصدة العربية المجيدة الذي هبط عليهم فجأة ، وعلى غير
استعداد وانتظار ، فهم لا يسيرون ما به يفعلون -

وعى أى حال فان هذه الاوضاع الاقتصادية السكونية في الوطن العربي قد اسببت بالرغم
منها بعدد من الهزات منذ اصطدامها بالاقتصاد الاستعماري الغربي وبسوء الاستهلاكية المحلية
وارتفاع مستوى المعيشة ولا سيما في المناطق الأكثر صلة واحتكاكا بالغرب وفي عقد الاتصال
معها -

لم يصيب الريف من ذلك الاصطدام الكبير انقلاب يغير مصاره ، فيما عدا تحول مصر الى
مزارع قطن لصانع ما تنسجر في مطالع هذا القرن وتحول كروم الجزائر الى خمود في الاقبيبة
الفرنسية ، فان الريف العربي ظل على أدواته القديمة وعلى وتيرة انتاجه التقليدي وان دخلته

الاله والسود في بعض المواضع فإن انتاجه العامة ظلت تقصر يا طراد من مدى الحاجة الميشيه للسكان المتزايدين .. ولكن المراكز المدنية هي التي توسعت فيها طبقة الجورجوازية الصغيرة التوسع الكبير الذي سيطرت منه على الاقتصاد من جهة وعلى الحكم بواسطة الجيوش التي أفرزتها من جهة أخرى وعلى ما بين هذين القطبين من ثقافة وايدولوجية -

أفرز التطور الاقتصادي والاجتماعي اذن خلال القرن العشرين طبقة واردة جديدة في الوطن العربي كله ألفت - الى حد ما - وفي بعض المناطق حاصصة الطبقات (القطاعية - التجارية العلمية) التقليدية وحلت الى حد كبير محلها في وظائفها نفسها ولكن تحت شهادات جديدة : هي الاقتصاد القومي (العلمى) والدولة القومية « ولكن طسرق الانتاج لم تتغير كثيرا في مستوى التصنيع المحدود وسوى ظهور طبقة عمالية متزايدة السمة أيضا في المدن انصرية ولم تتركز الفعالية الاقتصادية العربية في هذه المورجوازية الناشئة فقط ولكن العمالية النقابية والسياسية أيضا للدرجة التي أضحت معها حاجاتها وآمالها هي حاجات وآمال المجتمع العربي نفسه « يصد ان فرضت نفسها كطليعة له ، لا سيما أن القطاع الريفي ما يزال على عقالته السلبية في الشؤون العامة - ولما لم يكن للجورجوازية العربية الناشئة من طسوح واضح حتى الآن أبعد من الرقى الاقتصادي وذلك تحت تأثير قصورها الفكري وفيضان السلع الاستهلاكية من العالم المتقدم ، وكانت تعيش تناقض الازدواجية الحياتية بين موروثات الماضي السلبية وتطلعات المستقبل عبر الواضحة ، وكانت تغتر حتى الآن أيضا الى فلسفه فكرية واضحة تحدد لها الطريق فانها تتحبط ويتخبط معها الوطن العربي - في ما يمكن ان نسميه بالمنزلة بين المنزلتين أو مرحلة الضياع والحيرة وفي مختلف ألوان النشاطات والقطاعات « فهي في الانتاج بين الطرائق القديمة والمرحلة الرأسمالية ، وفي الفكر بين التراثية السلفية والصربية الكاملة ، وفي السياسة بين دولة القرون الماضية والبيروالية والدولة الاشتراكية ، وفي المجتمع بين أقسى التقاليد التي شاعت مرراتها القديمة وبين الانعراج الاجتماعي الحديث الذي لم تتبلور القيم الجديدة ... وأخطر شأنها انها استطاعت بعد ان ناشلت اقسام منها للتحرر الوطني أن توجد لنفسها القوة الضاربة - حين أضحي ضباط الجيوش العربية من اينائها ... حين استطاعت ان تحقق سلسلة من الانقلابات العسكرية سيطرت بها - دون وضوح كامل في الرؤية المستقبلية أو استعداد في الحيرات ، على معظم اجزاء الوطن العربي ... ان التناقضات داخل هذه الطبقة هي التي انعكست قلنا وعلم

استقرار في كافة هذه الأجزاء... كما انكسبت امتدادا ونجفا للحرية وحددا أعلى على
من ينفذ في طريقها أو يرفع شعار الوعي العقلائي ..

2 - تكوين نظام السلطة مع التوزيع

لو شاء باحث أن يلخص في مطويع قصة النظام السياسي الذي ساد أربلاا العربية في القرون
العشرة الأخيرة (أن لم نشأ أن نذهب إلى هاوراعها ثلاثة أو أربعة قرون أخرى) لوجد أنها
ليست أكثر من تحالف مصلي ثلاثي الأطراف قائم ما بين طبقة عسكرية عربية دوما ولكن لها
الرئاسة وطبقة من الإمر المحلية (الاقطاعية أو النجارية) ثم طبقة تعيش على أطراف هاتين
الطبقتين من رجال « العلم » الدين «...» ثم تأتي الطبقات الشعبية المحلية وتشمل حرفيي المدن
وعلاحي القرى « وهي الرعية الطيبة وموضغ الاستغلال الدائم والانتاج للآخرين سواء كانت
من الأحرار أم من المبيد »

فأما الطبقة العسكرية فإنها وإن غيرت الأسماء من أتراك أوائل إلى يوييئ إلى صلاحقة
وأتانكة وأيوبيين ثم إلى ضاليك ومغول (أيلخانيه وحلايرية) وتركان (قره قونلو وآق قونلو)
وصوييبن ثم عثمانيين (6) « فقد كانت في الغالب من الأتراك كما كانت من الماييك لدين برزوا من
طريق الجيش وهذا ما كان يفرص على المنطقة العربية الشرقية خاصة الحكم العسكري القائم
على قوة السلاح « الرئاسة السياسية كانت دوما للعواد في الجيش » وطريق الهند كان أقرب
الطرق إلى السلطة « السيف والسياسة متلازمان فإن تحولت الرئاسة إلى وراثة أسرية كما في العهد
العثماني فإن الولايات المختلطة والأعمال كانت من حولها وعلى الدوام للقادة العسكريين الذين
كانوا يحملون تارة لقب نائب وثارة لقب باشا... حتى طبقة الماييك وهم متصدرو
الاحسان . لم يكن تجمعهم إلا عصبية السلاح والاشتراك في استقلال الرعية الكاذبة « وكثيرا
ما كانوا أشبه بصيادات من اللصوص تشجع الرعية منهم العطف شحادة وتمتج أحبابا على
الطرق لتضرب المزارع والقرائب والمدوا على الناس »

(6) لا بد هنا من استثناء منطقة المغرب الأقصى خاصة من هذا التعميم غير أنها وإن كان لها
نظورها الخاص بالسياسة للأسر الحاكمة وخاصة العلوية والأخيرة إلا أنها تندرج من حيث النتيجة
ومن حيث الكفاءة هذه الأسرة الحاكمة مع الطبقات الاقطاعية والتجارية والعلوية خلال القرون
الماضية ضمن هذا التحليل نفسه »

إما طبقة الأسر المحلية فانما نسيها كذلك تجوزا لانها خليط متنوع من بيايا الطبقات الوافدة في الغالب : العسكرية والتجارية لخدمة والموظفين الذين اعتنوا او المتوطينين والإشراف ٠٠ ومرار هذه الأسر انما كانت في المدن حيث يقوم مركز الفعل السياسي * وكانت توجه في تحالها مع طبقة عسكرية سلاح الحماية لصالحها في الاقطاع الزراعي والرعي الواسع او في حماية لتجارات والاموال والمغار * وبالرغم من انها كانت احيانا تمكسب او تنهب من قبل الطبقة العسكرية الا انها كانت مجتهد في الخضوع لهياكل رغبة او رهبة سميل ضمان انقياس النفس الهادئ وتجد في الحصول على « الأمن » عوضا كافيا عن ترك السياسة لاربابها ٠٠

وأما طبقة « رجال » العلم « الدين » وهم مجموعة تمتد من القضاة والمفتين الى خطباء الجوامع بما في ذلك رجال الطرق الصوفية على اختلافها وكانت وظيفتهم افرار القيم والافكار التي تصدر الطبقات المسففة « تعطي التغطية الكافية للطبقات الحاكمة (يشكلها العسكري والاقطاعي لتجاري) أفكار القضاة - والتسليم - والرضى بالقسوم - واطيعوا ٠٠ أولى الامر حكم » ورفض بعضهم فوق بعض درجات « وترفع درجات من نفاء ويزرق من يشاء بغير حساب » ، ويعين من يشاء ويذل من يشاء « هي وحدها دون غيرها القيم والشعارات التي اخضرت من وامن الدين ونواحيه » ويتبع ذلك تلك الامثال والتعليمات الاجتماعية التي سربت الى الناس : اليد التي لا تقدر عليها « قبلها وأدع عنها بالكسر رأى من اخذ امي صاد عمى ٠٠ نوم الطمطم رحمة » يوم الحكومة بسنة وسفنها لا تتعبر « ظم بالسوية عدل بالرعية ٠٠ انها التراث السياسي الذي ما يزال قائما في النفوس تأسس للملاحة بين الحاكم العربي و « الرعيبة » وكما كان الحكم ودينا والتجارة والاقطاع على الوارثة كذلك تحولت في القرون الاخيرة مجموعة رجال العلم الى أسر تتوارث المناصب الدينية في شبه احتكار وتنهب بدورها موارد الإرتفاف الكثيرة *

واساليب الحكم انما كان نتيجة هذا الوضع التسلطي الاستعلائي المنظم فلما كان الهدف الاساسي للحاكم هو البقاء في الحكم اطول مدة يستطيعها فقد كان الاسلوبان الوحيدان المواتيان والكلان لمثل هذه الاوضاع هما : الاستبداد والسلطة المطلقة من جهة وسناسة القمع بالقوة والمقهر من جهة اخرى الحرية الوحيدة المتاحة هي حوبة الحاكم وأعرانه في التصرف لا باموال الناس وبالحقوق والفكر وتفسير الدين ولكن بالحياة نفسها ايضا « الحكم تعبه كان فرديا ، ولئن كان يحمل الصفة الاسلامية ، الا انه لم يكن يصدر عن مبادئ اسلام في الشورى والعدل ولكن عن

أهواء التسلطين ، والملاقات في هرم السلطنة كانت مع من هم أعلى ، علاقة الرشوة والنفاق
وإزلفي ومع من هم أدنى علاقة استماد وإبتزاز . وما هذه بالضبط إلا تنمة تدك في علاقات الصود
والتسزول .

وربما استطعنا أن نلتحق بالطبقات الحاكمة ، ذبلا ، تابعا لها هو الطبقة البيروقراطية التي
كانت أشبه بكنانة أسرار الحكم يديرها الاتصال بالكبراء والحكام ويديرها أسرار ومراسلات الدولة
وسجلاتها وجداول الضرائب والحكم القصاة والمعتن . ميزتها التي تكسب بها الخبز والرزق
أنها تقرأ وجمهرة الناس أُميون وأنها تشكل طبقة حاكمة وسيطة والناس كل الناس على الرهبة
والرحاء من الحكم . التصلدار ، و ، اليازجي ، هما مع المبكرى نجوم المجتمع الأدنى والوجه
المباشر لحكامه .

وأما الشعب المحكوم فكانت علاقاته مع الطبقات الحاكمة علاقات انقسام وانكماش ذاتي . نوع
من القطيعة الكاملة كانت قائمة بين الطرفين فيها الحذر (مقابل النهب) والكره (مقابل الاحتقار)
والقندير العردي (مقابل الأهمال) . توطلدت لدى الطبقات التحتية مع الأيام عقد من المشاعر المستقرة
اعطتها الظروف وتقلب الحكام وحكم السيف القمببر منها . الشعور بالعجز والخنوع والهروب
من مسؤولية . ورفض التعاون مع الحكومة . وتحليل سرققتها : أموال ، الميري حلال ، والهروب
من دفع الضرائب . التي كثير ما كانت تسمى ، حفلات ، حتى المجرمون كان من العيب إخبار
الحكومة عنهم وفي بعض الثباق الريحية كان من العيب دفع الضريبة طوعا دون أن يستلها وتلقه
تبرر الدفع إبن الحكومة ، كانت لا تختلف صورته عن أي عدو . المواقف منه تنقسم بكافة
ردود الفعل التي تصدر تجاه الإعداء ، وكان من شأن الظلم المستمر أكثر من ألف عام أن ترك في
قراوات النفوس نوعا من التناثر . فتت مشاعر الانتماء والترابط القومي والسواء ودونها إلى
مشاعر إمانية انكشائية دائية . الانسحاق تحت وطأة الظلم المتعادي حول الشعوب العربية رغم
عوامل الانسحاق والتقارب فيها إلى ذرات من الرمل . وإذا كان هذا الحال هو الذي لم يسمح لها أن
تكون كتنة من القوة الصخرية المتناسكة فإنه هو نفسه الذي سمح للولايات القبلية والباطنية
والمذهبية والمعلية أن تنمو . وسمح للوجاهات الفردية المحدودة أن تبرز . كان كل ذلك شكلا
من أشكال الدعا عن الذات ، حتى عصبية السلاح ما بين انكشائية مثلا وسبائية وخاصة
كانت نامية متحركة وحتى راحة إلى الواحد كانت قائمة . وأما انوجاهات فكانت أشبه بغشبية

الموجة ... أى إصعادم من السلطة كانت: لوحادات هي الوسيط لحل لا القانون ولا مبادئ العمل والدين .

وإذا نحن احملنا الصربات الاستعمارية الغربية الاولى للعرب أيام الاسبان والبرتغاليين ومطالع التقليل الانجليزى والنسب لم يكن من شأنها سوى عزل المنطقة العربية عن العالم . فقد فاجأ الاستعمار الحديث بلاد العرب منذ مطلع القرن التاسع عشر بالهجوم الاحتمالي ثم اسلمها قطعة قطعة حتى مطلع القرن الحالى فلم يبق خارج سلطته سوى الكتلة الوسطى من الجزيرة العربية .

وكان من نتائج الوجود الاستعماري وعمله فيما يتعلق بالتكوين السياسى العربى امران :

الاول : استقلال الاوضاع القائمة لمصلحته وهكذا فانه بعد ان حل محل الطبقة العسكرية الحاكمة واضحا بدلا منها « طائفا » من عسكريته تحالف مع الطبقات المستغلة الاخرى (مس اقطاعية وتجاروية ودينية) « وإذا ولد من هذا التحالف بمتيجة الاحتكاك مع الغرب والاخنة بمبادئه السياسية طبقة بورجوازية فى البلاد العربية بدأ يظهر وجودها واثرها منذ أواخر القرن المائى ثم ما لبثت ان حمل قسم منها راية العمل ضد الاستعمار حتى تحقق جيلها فى الخمسينات والستينات من هذه الطبقة التى كثيرا ما تحولت (كما فى مصر والمغرب) الى طبقة رأسمالية لم تولد ولادة مثيلتها العربية ولكنها كانت الشكل الجديد لتلك الطبقات المستغلة القديمة » صراع التناقضات وحلها فى المجتمعات العربية الحديثة انما تم بالتدخل المباشر من القوى الاحدية الخارجية المستعمارية وتحت رعايتها مما حفظ لدى الحكام اماليب خندق الحريات والاستبداد والاستقلال القديمة من جهة وحفظ فى الوقت نفسه ردود العمل الانصاعية الرافضة لدى طبقات الشعب من الجهة الاخرى ومن هنا ذلك الازدواج المتناقض ما بين مبادئ الديمقراطية والحكم البرلماني وبين تطبيقاتها فى البلاد العربية ومن هنا ايضا ذلك الغم الازور لحقوق المواطن دون واجباته ومطالبته الشعب للحكومة بكن شيء دون التعاون معها »

الثانى : ادخال التمزنية الاقليمية والمنطق الاقليمى الى بلاد العرب - الحدود بين الاقاليم العرب انما الاستعمار هو الذى وضعها جميعا « مصيفا بذلك مشكلة جديدة الى التكوين السياسى « ما من حد فى بلاد العرب على الاطلاق : سواء فيما بين بعضها بعضا او فيما بينها وبين البلاد المحاورة

وصحه عربي أو اشترك فيه عربي (7) * حتى الاستعمار الواحد فرض التجزئة السياسية على الاقاليم التي دخلها فجعلها وحدات شتى (كما جرى في سورية ولبنان والمغرب بالسمية لعرسا وفي العراق وفلسطين والاردن ومصر والسودان بالنسبة لانكلترا) * واذا كان السبب المباشر في ذلك محاولة فكرة الوحدة العربية التي بدأت تظهر في بلاد العرب فقد كان من نتائجها المباشرة ايضا ان تحولت هذه الحدود الى مسلما بديهي لدى الشعوب العربية * بعد ان مضى حتى الآن ما بين قرن الى خمسين سنة ، وظهرت على اساس ذلك مصالح اقليمية متنافرة . ومطلق اقلبي مرر وكيانات اقليمية بعيت بعد ذهاب الاستعمار نفسه قائمه * * ولئن استند بعضها الى الاثر يسات والتاريخ الاقدم أو الى اللغات المحلية المتدثرة او حتى النهضات العامة فان ما ثبت اسمها هو تلك المصالح الاقتصادية الطبقية التي ربطت بها والتي سميت احيانا كثيرة بالاقتصاد الوطني * وقد توطدت هذه الحدود الاستعمارية للدرجة التي وجدنا حروبا (كما بين الجزائر والمغرب) وشكاوى الى مجلس الامن (كما بين مصر والسودان) وتهديات عسكرية (كما بين الاردن وسورية) أو بين اليمن الشمال والجنوبي (متبادلة تنسب بين الملاد العربية الواحدة ولا تمتنعك الآن اية دولة عن الاحتواء وراء المصالح الاقليمية في مباحثاتها مع الدول الشقيقة سواء تعلق الامر بمشروع مياه (كسد الفرات وقصته بين سورية والعراق) أو تعلق بتحديد نقاط الحدود (كما بين الكويت والعراق ، أو اليمنين) أو بتشمير مالي (كما بين السعودية وسورية) أو بحسرة عمال (كما بين سورية ولبنان أو بين مصر وليبيا) * * ان بعض دول العرب (كما هي الخليج) مغلفة على ابناء البلاد العربية حتى للزيارة .

فاذا كانت الطامحات الاسامية في الحكم بالبلاد العربية . منذ بدء الاستعمالات في ختام الحرب العالمية الثانية الى اليوم هي تناقص قيمة الانسان العربي باستمرار كاتسان وانهمزام القانون وسيطرة السلاح والمسكرين على السلطة حتى باسم الثورة وكان الاسلوب السائد في كل مكان هو الاستبداد ودروس الحريات وتوحيد مفهوم السلطة والوطنية بحيث تكون * معارضة السلطة * تعنى الحيانة الوطنية . وكانت الحرية الوحيدة المعمولة هي حرية الحاكم في اعلام رأيه والحيار اوحيد المتاح هو بين الخنوع أو السجى أو الرحيل وكانت ثمة قطعة شبه كاملة بين فئات

(7) لا يشذ عن هذا الا الحدود التي وضعت بين السعودية واليمن بعد حرب 1934 *

الحكام والطبقات المستغلة المتحالفة معها وبين الشعوب التي تحبذ الاكثرية الصامتة فيها الموقف السلبي او تبساق قطاعات منها مع الغدق السياسي في التصفيق لكل حاكم جديد وشتيمه كل حاكم سابق . اذا كانت الظواهر الاساسية هي هذه وكانت الاشتراكية التي دخلت عمل بعض الدول والتي تقوم في الاساس على التخطيط والعلم وحب الانسان والطه والعمل المضاعف انما اقيمت عمليا على الارتجال والجهل والخذل والسب واحمال العمل . وكانت الخطوات نحو الوحدة تتراجع وتنتكس بدلا من ان تنمو وتتوطد وكانت قوى الشعوب العربية بنتيجة ذلك كله تنتاقص والثورات فيها تفسل والاستعمار يجد الركائز . اذا كان كل اولئك فلان ثمة يسير عواملها الكثيرة ورغم كونها ظاهرة من ظواهر التخلف في العالم الثالث ، ثمة خلفية تاريخية واسعة من المحيطات المورثة هي التي تمنح هذه الامور مرتكزاتها والثروة الصالحة لقيامها ... ليست لتربة فيها يقول الزراعيون « قلب » بذور الاشجار المثمرة وتميدها الى اصلها الردي ... واذا كان نجاح الاستعمار انما يكون اولا بوجود استعداد لدى الشعوب المقنونة له فسان نجاح الديمقراطية والاشتراكية ومبادئ العصر السياسية لا يمكن ان يتم بدون وجود حد ادنى من الاستعداد لها . ان هذا الاستعداد يهيئ هبة من السماء ولا يأتي ينقل النظريات والشعارات عفوا وتقليدا ولكن تكسيه الشعوب بالنضال الطويل وتدفع غالبا ثمنه في تاريخها نفسه .

ولعلنا مضطرون لنل على هذه النقطة من البحث ان نشير الى اشكاله سياسية ذات جذور عريقة في التاريخ السياسي العربي هي التصاق الدولة بالدين والدين بالدولة منذ ظهور الدولة الاسلامية الاولى في عهد الرسالة . لا فصل بين الطرفين في المفهوم الاسلامي لان الاسلام ديس ودنا واذا كانت الفرق الدينية المتناحرة حول الخلافة وغيرها في التاريخ الاسلامي انما تمثل احزابا سياسية ، وكانت هذه الفرق - الاحزاب في بعض الاحيان اساس لشوء عدد من الدول ، كالادارسة والفاطمية والرسومية وامامة عمان وقرمطية البحرين وزيدية اليمن من هذه الظاهرة ما تزال قائمة الى اليوم وقد كان من نتائجها في مصر الحديث مثلا ظهور الدولة السعودية على اساس الحركة الوهابية والملكه اللبسية على اساس الحركة الادريسية وقيام بعض الحركات الاسلامية السياسية في اطار الاهداف ذاتها (حركة الاخوان المسلمين ، وحزب التحرير الاسلامي .. الح) .

وبعبارة أخرى أن يكون الهدف من هذه الملاحظة شجب أو تأييد لقاء الدين بالدولة فإن هذا التراث التاريخي الطويل من اللقاء والتوحيد قد ترك أمام الدولة العربية الحديثة ثغرة لا بد من ردها بمحاولات توفيقية قد تنجح أو تفشل لا على المستوى التشريعي القانوني فحسب ولكن على مستوى الممارسة السياسية أيضا وأقام الألمان العقبات والازعاجات في وجه عوامل التحديث السياسي .

3 - قانونية العلاقات الاجتماعية :

ولعل التاريخ لا يمكن ويتجدر في شيء فتركبونه وتجفده في العلاقات الاجتماعية . المجتمع في السياق العميق من الطوايا هو الذي يحتضن أكثر من غيره رواسب التاريخ وتأثيراته الباقية وجروحه ... ومن هنا كانت المقاومة الاجتماعية للتغير أشرس المقومات وقساها وأكثرها تعقيدا . ولعلنا في نوع من التبسيط ولسعة الملامح . نستطيع أن نرى الأبعاد التاريخية في التخلف الاجتماعي العربي ، من خلال ثلاث زوايا تكون بدورها وحدة متكاملة :

- 1 - علاقات الأسرة : النظام الأبوي - الجنس والمرأة .
- 2 - التركيب الاجتماعي والطوائف الانتماء : العائلة والمشاركة والطائفية .
- 3 - القيم الاجتماعية : نظام القيم السلبي (المسوغ) - الامس السكونية (القمع والعجز) مفهوم الشرف الجسدي - عذبة النفس أمام الغرب .

1 - الأسرة والنظام الأبوي والجنس :

إذا كان التكوين البنوي للمجتمع العربي يقوم كما في الكثير من المجتمعات الأخرى على الأسرة ، المحيطة الأولى . فإن هذه الأسرة تتعرض اليوم إلى ما تستطيع أن نسميه بالانسحاق أو التفتت بعد وضع من التكتل دام أكثر من اثني عشر قرنا على الأقل . أن تاريخ الأسرة في المجتمع العربي . وأن كان يرتقي إلى ما قبل الإسلام بكثير فإنها إنما أخذت ملامحها المحدودة ، منذ العصر العباسي الثاني بعد أن توطدت خليطة المجتمع الإسلامي واستقرت مختلف المعاهيم التطبيقية والدينية والاقتصادية والفكرية فيه وبمقدار أن تمت نظام القيم ...

إن الآلام التي تنقسم بها علاقات الجيل الجديد بالجيل السابق اليوم إنما تنجم لا من ذلك الصائغ في النظرة إلى الحياة والوجود والقيم فقط ولكن أيضا عن قسوة الفترة التاريخية التي

تعرفت داخلها تلك العلاقات في القرون السابقة. وإذا جاز لنا أن نعطى هذه العلاقات في العديم اسم النظام الأبوي فيجب أن نسرع إلى القول أن هذا الشكل منها إنما هو جزء متمم ومتساوق مع النظام الإجماعي - السياسي العام الذي يقوم بدوره على الاستبداد. - ويمثل الأب في البيت صورة مصغرة عن الحاكم السياسي الاستبدادي ويهدد له إذا عصى الطفل في نظام التربية التقليدية الذي ما زال شامخا حتى في المدن العربية المتطورة لسلسلة من قوى «الاضاع» المستمرة، أوانها الغاب الجسدي و«الميب» والاسم من الناحية النفسية والتلقين والتعليم التقليدي من الناحية الفكرية - النموذج الاجتماعي الأعلى الذي ظل مطلوبا ومطيفا عدة قرون هو نموذج Conformist الذي يشأ لا على صورة أبية الجسدية فقط ولكن على صورته الفكرية أيضا وعلى وظيفته الاجتماعية الاقتصادية - المجتمع قرر أن يكرسه لأنه اقتنع خلال العصور السابقة الطويلة بأنه بعد أن وصل إلى معرفة المثل الأعلى للإنسان المسلم في عصر الرسول والصحابة، لم يتبق به إلا ممارسة ذلك المثل بالتقليد والتكرار... وقد ربط ذلك بالمعاني الدينية وبالجزاء الأخروية زيادة في توطيد التقليد وفي إحاطته بالتقدمية والتسليم... قبلاد الإسلام كلها تحولت من يد جغرافي، في وحدان المسمى، إلى يد مقدس - كل صور الحياة فيها فاسبا هي بإرادة المجتمع نموذج واحد مكرر - ونتيجة لذلك فقد ثبتت ووطئت العادات والتقاليد الاجتماعية حتى الآن والتمعن... أصبحت نوعا من الطبيعة الثانية للناس - وصار من الصعب التخلي بسهولة عنها أو الأساس بها وأضحت جريمة السجل عن بعضها أشبه في العرف العام بالفرق لأمري «

ولازم هذا النوع من التربية التقليدية الماء الحجاب كشف على الحياة الجنسية ردها إلى خلياب المشهور وإلى دنيا المحرمات - انضمامها بدورها للفقر والقمع حتى أصبحت نوعا من الأسرار وعوامل المحل - الكبت الجنسي حالة شائعة لها ألف صورة وألف جريمة وألف عقدة وعقدة في المجتمعات التي تعيش - ولما كان الجنس مرتبطا بالمرأة فقد دفعت هذه بدورها إلى المرتبة الإنسانية الثانية وقرروا طويلة ولئن فرض عليها الحجاب فقد كان الحجاب أحب انتقالها في الواقع لأن نوع العلاقة التي كان يربط البيت بابيها أو بأخيها أو بزوجها أو بابنها كانت دوما تقوم على أساس التعمية المطلقة أن لم نقل المبرودة - والمجتمع العربي رغم ما أصابه من عوامل التغيير، في العلاقة مع المرأة بالذات، وفي مفهوم الجسم ما يزال، تحت وطأة هذا التاريخ الطويل، يصنع نفسه المؤنث خارج نطاق المجتمع والحياة والإنتاج باستثناء بعض المدن... تخلف المرأة العربية

لم يأتها من عقمها الاقتصادى خلال التاريخ فلقد كان اقتصاد البيت والعمل في الحقل -دوماً من أعمالها من عملها - أو لا الفرو - هي المنتج الاقتصادى الوحيد في الحياة البدوية ولكن أما حاء تغلبها من ضعفها الحسد أمام القوة - ومن ارتباطها بالخمس - حولها الضعف الى خسادم وحولها الجنس الى أداة متممة - نموذج « الجارية » بمعنى الخدمة والمتممة كان النموذج الذى يصور المرأة العربية عبر القرون الأخيرة . السنا ترى الى هذا النموذج الموروث من التاريخ الوسيط ما يزال يسمى بيننا فى مازلتنا العربية ... وإن شئت ان تراه أوضح ما تراه فانظر المرأة فى الريف وانظر الى وطنيتها فى بعض البياع العربية البائدة فى المطور ...

2 - التركيب الاجتماعى وأطر الاتهام التقليدية :

غياب السلطة السياسية كظام أمن وقانون وخدمة ، وتسلب القوة العسكرية العربية على الناس واستمرار الاستبداد والظلم والبؤس الاجتماعى قرونا بعد قرون بحيث أصبح المثل الأعلى للحاكم هو الحاكم العادل ، كل اولئك اسهم فى انكماش الفرد العربى منن وقوته الذاتية اشعره بمرلته أمام مصيره وبأنه اعزل أمام القهر الحياتى الذى يكاد - لانمواجه مع مفهوم القدر الدينى - يصبح بديهية مقبولة وقدرا مقدورا لا مفر منه وهذا ما أوجد فيه نزعتين متناقضتين ولكنهما رغم التناقض المتضارى فيهما متساووقتان لانهما تنبجان مع منبغ واحد هو غريزة الدفاع عن النفس . وقد حملنا الاستمرار التاريخى نوعا من الطابع الاجتماعيه المستقرة :

- فردة عماء عدها تؤكد الفات لعدم الثقة بها وقد تصل الانسانية فيها درجة الإهمال الكامل لمصلحة الآخرين وللصلحة العامة كاستصل درحة النفاق والرياء المخزى أمام القوى المسيطرة ، ولا محاء للواطء التماسا للخلاص .

- نزعة جماعة دفاعية بدورها الوجدت ووطدت ضمن المجتمع العربى التقليدى خلال القرون السافنة تجمعات يهرب اليها الفرد العربى لاجتناب الأزمات ومراكز قوة يستند اليها فى الدفاع عن ذاته وفي الانتصار على مصيره الا عزل وطبيعى ان تكون الاسرة . وهى الحجر - الركيزة فى المجتمع هى الملجأ الاول لا سيما حين تكبر لتصبح عشيرة واسعة . ولم تكن الاسرة فى بعض الاحيان بالكافية فى الدفاع . فكان الفرد يصيب اليها الالتفات حول المسئوب الدينى او الاحتواء وراء اسوار الطائفة المذهبية ، او حتى الجماعة الحرفية او القرية او الحى فى المدينة

وهكذا بينما كانت المزرعة الفردية تفتتح المجتمع العربي، وتحوله الى اقوام من الرمل البشرى المبعثر كانت الحاجة الملحة الى الأمن والاطمئنان تعود فتجتمعه على الوان من التجمع المحلى واللاتانى * وكما ظهر النظام الإقطاعى الاوروبى منذ القرنين التاسع والعاشر كنوع من الدفاع السياسى والاجتماعى أمام هجمات الفايكنغ النصارىين كذلك فإن رد الفعل فى المجتمع العربى الاسلامى تجاه الصفح السياسى والتمرق للمهادى انما كان بسبب ظروفه الدينية والجغرافية وحضارته المادية والفكرية وتكوينه التاريخى (ظهور وبراغشيتى نجات يلحا اليهما الفرد حيا : العشائرية والطائفية) وإذا كان الله السوى الذى عاود السيطرة على المناطق الزراعية فى بلاد العرب أيام العثمانيين هو الذى اعاد العشائرية كنظام اجتماعى وغلبة سيمامية الى الثمو والسيطرة فى الريف فإن الطائفية بدورها والطائفية الواسعة والشبيبة بالعشائرية وإن كانت نواتها وكانت اصيق منها) هما اللتان سيطرنا بالمقابل فى المراكز المدنية - وعقارب (اخوة السلاح - اخذ احادية) عند الطبقة الحاكمة العسكرية نعمت العائلية الواسعة لدى الطبقات استغلة (الاقطاعية والتجارية والمدينة) ونمت الرابطة المذهبية أيضا (فى اطار المذاهب الاسلامية او فرق التصوف كالمولوية والبيكاشية والسنوسية .. أما لدى المشرق الاسلامية او المشرق من الديانات الاخرى (المسيحية واليهودية) فقد اوضحت رابطة الطائفة الدينية مؤسسة جماعية كبرى وأساسية بجانب كونها علاقة دينية ، وهذه الطائفة التى كانت تسمح خاصة للطبقات الشعبية المسحوقة ان ترتبط بمراكز القوة والحماية كانت فى الوقت نفسه تضع هذه الطبقات تحت تصرف وقيد استغلال الرؤساء الدينيين على احتلالهم ، نوع ما نستطيع ان نسميه تبادل المصالح والتساند فى الدفاع * وقد لعبت التمدلات الاوروبية خاصة دورها الكبير خلال الحكم العثمانى فى دعم ما يسمى بروح اسماعة *Esprit de corps* ضمن الطوائف الدينية المسيحية خاصة ولدى بعض الطوائف المسلمة أيضا .

وقد كانت ثمة تجمعات دفاعية اخرى محدودة السعة من حرقية تربط بين أبناء الحرفة الواحدة او عصبية بن أبناء الهى الواحد فى المدن أو أبناء القرية ضد القرى الاخرى لكنها كانت تجمعات اقل فاعلية وأثرا فى العملية الاجتماعية الدفاعية لان من السهل زوالها بتغيير الحرفة أو تغيير مكان السكنى وكثيرا ما كانت تعود فتتطرق على القطبين الاولين : العشائرى والطائفى مما نستطيع معه القول بصورة عامة ان الانتماء الاجتماعى وإن الولاء انما اخذا ضمن الجماعة العربية ، خلال

عقد قرون ، وحتى مطلع القرن الحالى شكلين محوريين لا علاقة لهما لا بالأرض ولا بالمجاعة
الواسعة : ولكهما تساوفاً فى الوجود التاريخي ووجداً فى وقت معا .

– عصبية العربى والنسب والرابطة الدموية المتمثلة فى انقباض والمضائر (الحيلولات) فى
البادية والريف والمائلة الكبيرة فى المدن •

– عصبية المدن والطائفية المتمثلة فى المذهب الدينى الضيق بالنسبة للإقباض الدينية خاصة
سواء كانت مسلمة أو غير مسلمة •

بأما الرابطة التى تربط هذه المجموعات بعصبها مع بعض ضمن الأطوار الأوسع وتجصل
منها المجتمع العربى الاسلامى (المسلمون أو العثماني) فلم تكن أكثر من رابطة المسكنة أو
الاشتراكية فى مسكنى منطقة أو مدينة واحدة وكانت رابطة سكوية لا تسمح بأى تفاعل لا مع الأرض
ولا مع البشر الذين عليها • المجتمع نفسه بسبب من انفلاخه السياسى والاقتصادى كان قد تحول
فى علاقاته الى اليهود والركود فلم يسمح بقيام علاقة بين المجتمع ككل وبين الأرض (وطنية)
من جهة ولا بين المجموعات البشرية فيه بعضها مع بعض (قومية) لتندمج فى كتلة اجتماعية
إيجابية من جهة أخرى •

وحيث حست رياح القومية من أوروبا وأواخر القرن الماضى على بلاد العرب حاول رجال النهضة
العربية القفز من المشائرية والقبيلية أو النوسمعيهما وانغرقهما فى القومية الواسعة وظهر مفهوم
الامة العربية والعروبة • وبالرغم من أن هذا المفهوم قد حاول فى المشرق العربى أن يتفصل عن
مفهوم الاسلام بسبب من توافقه فى الظهور مع القومية الطورانية التركية المسلحة وقيام العداء
بين القوميتين ، إلا أنه لم يجد مثل هذا التحدى فى المغرب العربى لأن المستعمر كان عسكياً
فلم يتحصل المفهوم هناك أحدهما عن الآخر فالعروبة هناك هى الوجهة الآخر الحديث للاسلام ،
هما وجهان لعملة واحدة •

أما مصر بين الطرفين فقد كانت بسبب هرة تاريخها الخاص وتفرداها بالسبق فى النهضة
تدفع الولا الاجتماعى فيها فى اطار تطورها الذاتى فهو مصرى اقليمى فان توسع شمل رادى النيل •
وعلى أى حال فان هذه المفاهيم ذات الطابع السياسى لم تستطع أن تأخذ أبعادها الديناميكية
فى النضلة القومية لأنها لم تجد فى الخلفنة السيكون اجتماعية للشعوب العربية فاصدة اجتماعية

موحدة صلبة تستند اليها - تنزلت في المشرق العربي فوق قاعدة مقسمة الولاء بين العشائرية والطائفية واصبحت أحيانا كثيرة بصيغتها وقامت من عناقيلها بينما تنزلت في المغرب العربي فوق قاعدة إسلامية تقليدية فعملت بصورة آلية كل ارث الماضي ورواسبه الميتة - وضلت في مصر بين هذا وذاك فلا هي هضمت القومية العربية كمنطق ديناميكي (اجتماعي سياسي) لنهضة ولا اعطت الاسلام مطلقا جسيدا ولا تجاوزت الاقلية الى امن اوسع ، وبالمقابل فان الإنكار الحديث في الديمقراطية والتحرر والمساواة وحقوق الانسان لم تستطع ان تستقر وتوطد وتمطي ثمارها هي اعادة التكوين الاجتماعي لان مفهوم القانون نفسه ظل قلقا يصطدم بالولادات الاجتماعية الموروثة ويصطرح معها وقد يتراجع امام الانتصارات العشائرية والطائفية -

ثم ان علاقتنا بالمغرب صاحب هذه الافكار كانت على النوام علاقة مأسوية - وادا كان هدفه على النوام قهرا فقد اوردنا هذا الفكر الكثير من العقد السيكو - اجتماعية : كالنقزم امام لونه ومركبات النقص والهروب للماضي والتمسك الاعى بالثرات أو بالمعكس أو التقليد الاعى للمغرب في ابوقت الذي كان فيه هذا المغرب الاستعماري يستغل باستمرار الانقسامات الطائفية ويفذي الولايات العشائرية ويقسم على هذه وتسك استراتيجيته في البقاء ويتصد بشك حراز للتقسيم السياسي ايجاد نزعات اقليمية محلية (فينيقية فرعونية قومية سورية - بربرية ...) يصر في مساربها الصيقة ذلك الولاء القومي/العربي الاربع الذي أخذ ينسو بالطراد - كما يمدى ويوقد الصراع بين مفهوم العروبة والاسلام ... وهكذا بينما كانت الحلفيات الاجتماعية التاريخية تلعب دورها السلبي باستمرار في عرقلة قيام تكوين اجتماعي عربي مخلص وأوسع الولاء والانتفاء الى الارض (الوطنية) او الى الجماعة (القومية) واضع العلامة والصلة الوطنية بين العروبة والاسلام كانت العملية الاستعمارية بالمقابل تسعى للخطأ على الواقع الاجتماعي القديم وعلى امتحانه التقليدية لاستغلالها الكامل ... وليس من الاسرار أن المجتمع العربي اليوم يعاني في العديد من بقاعه كلمنان مثلا وسورية ومصر من المشكلة الطائفية كما يعاني في المراقح والجزيرة العربية والمغرب العربي من المشكلة القبلية - العشائرية وساني هنا وهناك على السواء من مشكلة مضطمة هي الانتفاء الديني (للاسلام) أو القومي (للعروبة) لو من مشكلة التخلص والتجاوز لما لحق الاسلام من رهسب اجتماعية جمعت على جباه اصطباكه كل قدرة خلاقة ،

3 - القيم الاجتماعية :

إذا انتهى المجتمع العربي الاسلامي خلال عدة قرون الى ان يتحول الى مجتمع راكدة ، المحافظة هي هذه الاول ، فمن سمات المجتمعات المحافظة ان نظام القيم فيها انما يقوم على اساسين :

الاول : انه نظام خارجي ، او قبي لا تتبع القيم فيه من الدات الداخلية من حاجتها وقناعاتها والامها ولكن تنحصر من عل وقد تتصل ياوام الدين ونواحيه * انها اذن ليست لروحية - وان كان أهل الأرض هم الذين صاغوا معظم قوايلها وحدودها - ولكنها علوية غيبية الحكمة ، وليست ذنية المنطلق ولكنها خارجية مفروضة من عالم الغيب على عالم الشهادة *

الثاني : ان المنطلق الرئيسي فيها هو « الممنوع » لا المسموح * تقوم على اساس قاعدة السلب لا الايجاب * الـ « لا » هي المطلق فيها وقد تنقدس الـ « لا » وتكبر لتدخل منطقة الدين و « الحرام » فهي عند ذلك امر مقدس . تكرسه الجامعة جزءا من مميزات الدين ، وان تكن اسمه في بعض الاحيان اجتماعية بحتة * انهم لا يسمعون الوسيلة لربطه بالنظام الديني حفاظا على سكونية المجتمع * ان جذور هذه الـ « لا » انما تبنت من جدلية الصراع الطويل الذي قام بين الفرد العربي والمجتمع فادا كان طول عهود الصمت والظلم السياسي والعهر الاجتماعي والكيث الجنسى والفيود والروابط خلال القرون المتتالية قد جعلت الفرد العربي ذا طبيعة كلبية ابيفورية ومكياثينية في وقت مما ، انبت الانا فيه حتى ملأت كل الاطار امام عينيه فهو لا يرى غير ذاته ومصلحته الضيقة وويسته الخندرة ، فان الحياة بالمقابل عرفت كسب تضغط هذه « الانا » القنومة المتضخمة والتضخم المرضي ، وتيدها الى قيم البيز والصفا من طريق نظم القيم القسي الحرمانى - وحدلة الصراع بين الطرفين فهي نفسها التي شكلت بعد هذا اسس القيم الاجتماعية العربية عبر السنين وهي اسس سكونية كلها اخلت شكل الامثال والحكم الدارجة وقد تستعين بآى القرآن ويمكن ان ترى ملاحها في عدة وجوه *

- القناعة المادية والرضى : فالقناعة كنز لا يفنى والرزق مقسوم ولا تتطلع لأهل منك تنحب *

- التسليم بالواقع : ويدخون ها هنا رادة الله ليصطوا التسليم شكل الايمان الدينى * وهكذا يصح الفقر من أمر الله ، والظلم فى الأرض عقوبة الهية على الفساد ، والتقليد الاحتشاي قمة الكمال واقصى التطلح الدينى *

— الشعور بالجزء : فاعين لا تقاوم المخز وصغر الانسان امام الله يسحبونه على الصغر امام الحاكم .

— الهرب من المسؤولية على طريقه لا تتم بين القود ولا تر المنامات الوحشية . السنا نفق كل اوزارنا الخلقية على الشيطان وبكل اسباب نحملنا وهزائمنا على الاستعمار ؟
— الاتكالية . فرزكم ياتيكم وما توعدون * ولا تعكروا لاله يدبر . والناس ليس يبدعهاشي . . .
ويستنتجون من ذلك أن لا ضرورة للعمل .

— والفاق الاجتماعي فمن يأكل من خير السلطان يضرب بسيفه .
— الشرف الجسدي وقد تحول مفهوم الشرف من القيم المعنوية الى الاطار الجسدي . ليكون حارسا للكرسي الجسدي . . . وبالإضافة الى الازاع الديني فقد ربط الشرف ، وهو القيمة الاجتماعية الكبرى ، بآدني ما في الجسد ليكون احد عوامل انقمع الاجتماعي من جهة ويكون في الوقت نفسه عاملا من عوامل الحفاظ على الانقسام الاجتماعي العميق .

وبالرغم من أن هذه القيم المخيلة كانت تسمى الاصل حاجة حيائية لاقامة التوازن في الحياة العربية الناشطة المتغيرة ، كانت نوعا من الصبر على الشدائد ومن الترضية للإيمانية ومن المعونة الحلمية السامية ومن الحفاظ على النيل يوم كانت قيم العمل والعكر والابتاع فاعلة ، وديناميكية ، حية . الا أنها انحطت مع فقد هذه القيم وغياها عن الحياة العربية في عصور الركود ، فبقيت اشبى بالتقالب الفارغة وصار الصبر استسلاما والرضى الايائي جبرية خائفة والاستمانة بقوى النروح اتكالية وقصورا ذاتيا والبقاء النومي عشائرية عمياء ، وقيما حيوانية .

ولقد نستطيع ان نضيف الى هذه القيم المتدهورة قيما اخرى من مثلها ولكنها عى اى حال لم تكن جميعا تقوم بداتها وتستمر في البقاء لولا الركود الحياتي المتكرر ولولا أن نصب بجانبها سلم من العقوبات الاجتماعية العممية يبدأ من الاستهزاء والتخجيل وقد ينتهي بالموت (كما في حالات خرق القيم الجنسية خاصة) ، نظام كامل من الازهاب الاجتماعي يسهر عليها كل فرد فيه خير . وكل عين رقيب هذا بجانب العصا الدينية النليطة المرفسوعة بالشوَاب والمقاب الدينوين والاخرويين من ووله كل ذلك . . . إن عصورا كاملة ، منذ اليهود التركية الاولى الى الملوكية ثم الى العثمانية كلها سهست في توطيد هذه المسلمات الاجتماعية عصرا بعد عصر نتيجة القناعة العامة

بأن المجتمع العربي الاسلامي قد عرف ذات مرة في صدر الاسلام قمة الكمال فليس له انذ الا ان يكرهها ، وليس له الا أن ضمح لها التفاصيل ويحيطها بالسياج المثني .

وحيث اصطدمت هذه القيم بالحضارة الغربية العدوانية كانت المفارقة من العنف بحيث اوجدت نوعا من الانقسام في الفرد العربي - القيم التي كانت منسجمة مع معطيات عصورها اصبحت متناقضة مع حاجات العصر وحسرت في الذات العربية نوعا من المأساة قوامها التمزق بين كل ذلك التراث الاجتماعي المتكامل وبين ضرورات التفتح والتمرد الحديث * * على الافاق الجديدة .

وإذا كان الاستعمار الغربي قد استغل هذه القيم التقليدية جسيما في مكيايلته الاستعمارية ، استغل حتى معطيات الدين ، فان أهم ما أصابه هو عدم النعش ومشاعر العمر امام تحديه احصاري وإذا اخمدت حنة هذه العقدة والمشاعر بجراح ثورة الجزائر فقد عادت واكتشفت جميعا اثر هزيمة العرب امام اسرائيل 1967 حتى استردوا اللغة بأنفسهم مرة أخرى اثر حرب اكتوبر 1973 .

4 - المعطيات التراثية في الفكر العربي

(الايديولوجية الفكرية - التعليم والتعبير اللغوي)

التساؤل الاخير هو عما في الميدان الثقافي العربي من بضاعة تاريخية سواء في الاسس او في أدوات الفكر .

اولا : فاما في الاسس فان منظومة الافكار التي يدور الفكر العربي في فلكها وتشكل اسمه ومنطقه ليست هذا العصر بالطبع ، رغم ما فيها منه وما تحمل من طابعه * الامم لا تغير افكارها بالسرعة التي يعبر بها المرء هلابسه * انها تراث من « المعادات » الفكرية والطرائق تمشي فيها وتكون مع القيم الاجتماعية وطرق الاناج ومبادئ السياسة وحدة متكاملة .

ولعلنا نستطيع دون كبير اعتماد عن الواقع ان ترد النسيج الاول لمعطياتنا الفكرية التراثية الى ما بين اواخر العصر الاموي ومطلع العصر العباسي الثاني * تلك الفترة الممتدة ما بين مطلع القرن الثاني واواخر القرن الثالث هي فترة الربيع في العطاء الفكري الاسلامي * فترة التفتح الاخذ المعطى * ما كان بعدها فانما كان يبادر الصيف ومواسم الخمر الساحل لقرن او قرنين ثم كان الدبولى

البطل المتحدى عدة قرون - العلم الاسلامي بمختلف اسمه وطرائقه وفروعه انما في تلك الفترة المحسبة فحين عيال عليه الى اليوم - وعلوم الاواثن انما ثمرت - اصبحت قطعة من الثقافة العربية الاسلامية واخذت اقصى ابعادها في العنسة واعطب رادهاك والكيمياء في تلك الفترة ايضا ولم تصف اليها القرون التالية بعد النضج من جديد -

كل ذلك التمتع الابداعي الاول ذبل بعد ذلك. لم تتقطع المحصورة ولكن ضمر الجانب الابداعي الخلاق في الفكر. تحول الزهر ثمرًا ولكن المواسم لم تأت بزهر جديد . مماثاة القرآن اقتصرت على القراءات والتفسير. الحديث اقتصر على التلقين والترداد الحرفي. حتى الفقه اعلق باب الاجتهاد فيه . وألغى الدينية التي اقبلت على الاجتهاد مفتوح الابواب لم تستطع أن تبتدع فيه الجديد بعد أن قيدت نفسها بدورها بالنتم الاول - النحو جمد عند مدرستي البصرة والكوفة - اللغة - ظل عداؤها على ما روي - الاصمعي وأبو عبيدة عبد الطبري ظل أبا النواريزم بالبقون ذبوله وانباع - الجعافيون كرروا ما قاله السابقون حرفًا بعرفه . دنيا الفلسفة وهي دنيا الفكر الحر بعد أن حاولت البغوذ من باب علم الكلام والاعتزال الى الفكرى الارحوب وقمت اسيرة منطق ارسطو وحوارية سقراط - ثم سحقتها محاولة التوفيق بين العقل والدين - بين المعقول والمنقول - الكيمياء دارت حول حجر العلاشفة تفتش عيشا عنه - ورتست المشكلة عن الاغريق فلم تتنازل عنها - بطليموس كان الامام وصاحب القول الفصل في الملوك وان كان كثيرا ما يكتذب أو ينقص - حتى الانجازات الرائعة التي قدمها العرب في علوم الفزياء والرياضيات والفلك والبيات والطب طلت في حدود الحاجات العملية اول الامر ثم ما لبثت أن طمست بلاهال والتقليد التلقيني(8) وحتى تلك المعقول التي تغلخت منطلقات فكرية حيائه للاعتقاد العام كاخوان الصفا ومكبرى المذاهب الباطنية افرقوا انفسهم وجهودهم في التصورات اللاهوتية التي حولتهم الى - فرق تعليمية - تصب الفكر في القرائل والاطار الصورة والتأملية . وفكر - الجماعة - ومكر الشيعة كلاهما دخلا اطارات التلقين والاشكسال المحدودة ... وهذا الشكل جامت العصور البوذية ثم السجوقية ثم الملوكية - المعروضية

(8) ليس المراد من هذه الكلمات على الإطلاق انكار المساهمة الهامة التي اضاعها العرب الى تراث الانسانية الفكرى خلال الحضارة العربية الاسلامية ولكن الاشارة فقط الى ان هسسه المساهمة لم تستمر وتتطور الى محالات عميقة وفكرية اوسع. واقعق وان علية الفكر التلقيني خفتها وقتلت المكان الذي كانت تعد به .

ثم المعنانية على إيقاع لغائي واحد لا يتغير - كان العقل خلالها أداة ترداء لا أداة تحليل ومفسر -
 حلاق ... وسيلة من وسائل توطيد الواقع المعنوي و « تجديده » لا يفقه وتجاوزوه الى ما وراءه
 الحماط - الفقهاء - اللغويون - النحويون - الكيميائيون علماء الملك والرياسة
 اصحاب الفلسفة - الاطباء كلهم كانوا يعيشون على التراث السابق ويرددونه ويكررون - جعلوا
 همهم في حفظ وتسجيل « سير رجال » العلم لا في تطوير العلم - نفسه - عينا تمتشى بعد
 القرن الخامس من انتاج « ابداعي » جديد ، عن خلق علمي - قصارى الجهود الفكرية اما كانت
 في المجتمع ولتخصيص والشرح والتبسيط - والاضافة ونظم المتنور - في اعمال الاجرار -
 وحين جاء العصر الحديث كان صتيق العلم قد اصاب كل البراعم ...

ولسنا في صدد تدبير قصيدة هجاء لتلك المصور ولكننا فقط في الوصف الموضوعي
 لمساراتها الفكرية التي كانت تشكل منظومة من الالهي او ايدولوجية فكرية هي في الوقت نفسه
 السبب والنتيجة مما في التحلف الحضاري العربي وملاحق هذه الايدولوجية ما تزال حية تسعى بين
 طهرانيا الى اليوم وقد كانت تشكل من قبل وحدة متكاملة متساندة بعضها مع بعض من جهة
 ومع المواقف احيائية الاخرى السائدة من جهة ثانية ولقد نستطيع بيان تلك الملاحق في النقاط
 التالية :

١ - الغيبية : ان غلبة التقى على الفكر وغلبة قيم التسليم على القيم الدينية الاخرى نقلت
 الفكر السببي التحليل من الارض الى السماء ، ابرزت جانب الله في العمليات الحياتية على
 حساب الانسان . وبهذا الشكل اعطت الفكر العربي ، خلال التاريخ ، فرصة واسعة للتكسر
 والمطالبة ما دام بالإمكان تحليل كل شيء ، بملة العقل ، القادر على كل شيء ، ودعا عن التفكير
 في التقى صار يكفي التفكير الاقرب والاسهل في ما وراء الشيء ، وقد انحط هذا التفكير الماروني
 بالتدريج حتى اضحي باسم التقى وعق الايمان يقبل امورا شتى منها :

— ان تعطل قوانين الطبيعة بالكرامات وان يستطيع نفر من ذوي القربى الى الله ان يعلموا
 بها كما يشاؤون - صارت المعجزة والخوارق مما تقبله العقيدة الصنية وتسلم به -

— ان تتدخل في قوانين الطبيعة قوى غير منظورة فتحرقها او تخرقها وان يكون بالإمكان
 عن طريق « كلمة » سحرية تسخير هذه القوى في ذلك - السحر والاحصنة والتمايم والتمازج
 اخذت مكانها من مسلمات الناس الفكرية فلالا العقل يرتضها ولا المنطق يقف لها او يدينها -

— أن تقبل الأسطورة فيكون المكان معني أو يوم محدد أو شجرة أو حيوان أو إنسان قدسية خاصة أو قدرات غير محدودة . وقد خلق هذا نوعا من الهيمنة الاستلابية اشتركت في تكريس الأوضاع الاستعمارية والسياسية التي سادت تلك العصور وما أكثر ما انسحب التسابيح الأسطوري على المواقف السياسية والاجتماعية وعلى ألوان الظلم فغدرها أو علقها بمنفذ منتظر أو قنوة منتفخة قوية ... حتى إذا انهار الظالم لسبب أو لآخر أو قتل المحرم كان ذلك جزءا وفائنا .

ونسرع هنا الى تسجيل ملاحظة احتياطية عامة هي أن الفكر العربي التراثي لم يكن غيبيا كله - كان جانب العقل والفكر العلمي في المصور الأولى ناعيا وقويا ومنتجا بدور ، ولكن الجانب الغيبي هو الذي بقي وسيطر منذ القرن الخامس خاصة - وظهر في الجامعة الإسلامية من الصوفيين والمدنبيين الميبيين أضعاف اصعاف ما ظهر فيها من رجال العقل والبحث العلمي الذين ابتدح حبرهم بالتدريج منذ العصر السلجوقي .

٢ - التلقينية : وتصد بها اقتصار العقل على التلقين والتزديد : أي أساس هذه الخاصة إنما يكمن في التسليم للسابقين بالانضعية المطلقة وفي سيطرة المولى على الأحياء . أن توقف الاجتهاد الفقهي مثلا لم يكن سببا في جود الفكر العربي الإسلامي ولكن كان نتيجة الأوضاع الفكرية العامة التي آمنت بدونية الأحياء وتفوق السلف التفوق النهائي . اعتبار عصر مضى أحسن عصر ، وأخلاقية سابقة أسس أخلاق ، وفكر مضى أزود فكر ... هذه العقلية السلفية من بدعياتها رفض التجاوز والاقتصار على التكرار والتزديد والتفريق الفكري المتناهي .

وإذا عدنا الى التاريخ وجدنا أن الممارسة السياسية الدينية هي التي بدأت رحلة التلقين والتعلم . عصمة الأمام . وعلمه بالعلم كله وضرورة أخذ هذا العلم عنه أوجدت خطأ فكريا تعليميا . بلغ أوجه يوم أنشأ الفاطميون الأهر ونظموا جهازهم الدعائي العاطفي اتق التنظيم وسلحوه عبر الكتب والدرجات والسماء . بأكمل الأسلحة - وقد تمه السلافة الى فاعلية هذا الجهاز الحركي وإلى خطره السياسي على سلطانهم السنن قفابلوه جهاز مماثل ... وهكذا ظهرت سلسلة المدارس التي عرفت بالنظامية والتي ما لبثت أن عشت العالم الإسلامي السنن في كل مكان ورسنت لها الاساتذة والايوقاف لتخرج أجيالا يمد أجيالهم العلماء الرئيسيين الذين سرعان ما تسلبوا الوظائف الدينية والمدنية أيضا في الدول الإسلامية المتتالية . ولكنهم جميعا إنما كانوا يصاغون

ضمن قالب معين وتدریس مكرور محدد *** وادارتاج التنظيم الدعائي الفاطمي يعدد انهيار الفاطميين او انزل الى بعض الانحاء البعيدة بيناسيطر خريجو المدارس السننية عبر العصور فقد انتهى هؤلاء واولئك مما الى مواقع فكرية واحدة هي مواقع المحافظة والتلقين والوقوف عند النص المسطور وما وراءه الشيخ السابق للبيئة اللاحق

3 - السكونية : وقد نستطيع ان نسميها اللاتاريخية ايضا ذلك ان الفكر العربي الاسلامي بعد مرور العصور الاولى اعتبر وظل يعتبر ان مرور التاريخ والزمن ليس بنى قيمة وان الامكان اعادة الحياة الى عصر سابق في جيل لاحق *** مقولة الصلاح لكل زمان ومكان استقرت كقولة اساسية من مقولات الفكر والحياة - القيم التراثية الاولى اخذت دوما صمة القيم المطلقة والماضي اضحي دائم الحضور والفسط على الحاضر* ويرغم معطيات التغير المؤسسة ومن معايشة العلماء لها وتطويرهم حتى اللباس والقيم الاجتماعية والسياسية معها فانهم طلوا يعتبرون تغييرهم ابتعادا نحو الاسوا عن العصر المثال الذي يجب ان يصلح : عصر الرسالة والصحة - تقديس ذلك العصر سطح النظرة الفكرية والقي عامل الزمن ... حمله حيا اكثر من الواقع الى وان كان هذا الواقع بعيدا كل البعد عنه *** صار نوعا من القالب الاسمي تجهد العصور التالية للتناول في اطاراته لا عن طريق المعاناة من جديد ولكن عن طريق التقليد البحث والبياني ايضا . عن طريق الموقف السكوني *

ما من شك في ان فهم التقى والايمان على النحر التسليمي هو الذي لعب الدور الاول في هذا المجال ولكن العصور التي يسونها بصمورا الانحطاط منه السلبوتي حتى الملوكي والعثماني كانت تجدد في التعلق بذلك العصر امثال وفي تقديسه نوعا من التعويض والتغطية على مناسحا وانحطاطها وعميقا الفكرى والحضارى ومن امانة ذلك انه حكم على عمر بن عبد العزيز من خلال شبهه بعدد عمر بن الخطاب . وارتفعت قيمة تورالدين كعناولة عميرة ثانية ووجد بعد عصره بقرنين في يكتب سيرته كنموذج للحاكم المسلم - وظلت الخلافات السياسية التي ترجع الى العصر الاسلامي الاول حية في نفوس الناس تشمل الخلاف بينهم عبر القرون (فرق الشيعة والسننة) وفضل الناس اعتماد حديث غير صحيح على التدبير المثلّي وهكذا سكن الفكر كله عند منعطف تاريخي محدد . عند مرحلة واحدة من الزمن . وعندنا يتصلق بها من علم وفكر وقيم * او لنقل انه . بدل السكون . كان يتحرك ولكن في حلقة مفرغة تبتدىء من النص لتنتهى في النص ايضا ***

وهكذا أخذ الماضي (أو التراث) حجما غير طبيعي وغير مرر ضمن الحاضر حتى ابتلعه وانفاه وسد متاهد الابداع والتجاوز له . ان سيره الفكر منذ آوائل العصر المملوكي حتى آخر العهد العثماني لم تخف كلمة الى الفكر العربي الاسلامي كانت سيرة الناسن السكولي، واجترار السابقتين ودواد الفراغ . العلم نفسه صار من حية ووظيفة سياسية اجتماعية وراثية ذات عائدات مادية محددة بناهوا السلاطين او بشروط الواقفين وصار من جهة اخرى نوعا من الزخرف والزينة . لقد بلغ من سكون الفكر ان كانت الطاقات المبدعة تشغل نفسها احيانا كثيرة بالواشئ من النتيجة او من التطريز في التاليف . الموسوعات الكبرى التي تعلم (صبح الاعشى نهاية ، الارب ، مسالك الاصدار ، تاريخ الاسلام ، الخ) ليست الا هربا واضغالا للفاعلية المبدعة . وتلك المحاولات التلخيصية من الالبيات والناكسر والشروح والهوامش هي هرب من نوع آخر . بل لقد نرى احيانا بعض المؤلفات العجيبة من مثل وحل حمل مؤلفه على شكل انثى عشر جدولا متجاورا لاثني عشر علما نستطيع ان نقرأها طولانيا فاداهي علم النحو او العروض او الاصول . وتستطيع ان تقرأ المداول المتجاورة عرضانيا فاداهي علوم اخرى ومباحث في الفقه والتصوف والفسرقة والتاريخ . الخ .

4 - الارهاب الفكري الجماهي وهو الصورة الاخرى المكتملة للكتك الجنسى والاضطراب الاجتماعي والاستبداد السياسي . موانع كلها تتبع من موقف واحد هو قتل التمرد على النظام الحيواني العام ، والاضطراب للمواضع المورثية . ولقد كان في التاريخ العربي الاسلامي الاول مشاهد من الارهاب الفكري . كان منه ما نعرف متلازمة ابي ذر او زمن الحجاج او هشام بن عبيد الملك او ايام محنة ابن حنبل من قتل المأمون والمتصم او قصة مصرع الحلاج او السهروردي ولكن لسنا الى هذا النوع من الارهاب الفكرى نقصد . هذا الاضطهاد وانما كان صراعا فكريا بين مذاهب حرة ويستعين فريق منها بقوة الحكم على الآخر . ولكن لاضطهاد واضطهاد ينطلقان فيها من عقيدة ذاتية توصل اليها فهما يصطراعان على مستوى واحد من الايمان لاقرارها . ولقد يكون في ذلك عدوان على الحرية الفكرية ولكنه ايجابي ديناميكي حي . وانما نقصد الى الارهاب الآخر : الارهاب الذي يستهدف فرض الجموع العام والعمل على استقرار المؤسسات الفكرية بالتسليم الجماهي على شكلها الموروث . مؤرخ تحت الحكم الفاطمي ذكر الامويين يبيض الخبر فخر مركزه وحتى تاليه وآثر في الاندلس تبرا ان يناقش امية الرسول صلى الله عليه وسلم فاجبر على الهرب

من البلاد وقالت (هو احمد العزالي شقيق حجة الاسلام) خطر له ان يقدر موقف ايليس مسر وحدانية الله فرمى بالفكر والحجارة ، ورايسج وجدت في منزله كتب الفلسفة فاحسرت في لسوق بعد ان استنابه الخليفة ونخاص انتقد موقف بعض الصحابة من الرسول (وهو موقف خيانة) فجهر الناس حتى اضطر ان يلزم بيته شهرا لا يفاديه * * وسدس كايي الخطيب: نقض مسر قبره مرتين للتمثيل بجنته وسابع كايي رشدا حسرت مؤلفاته امام الناس * *

ولسنا نمنى من هذه الامثلة الدواع من مواقف اصحابها وهي مواقف يحتل الجدل الكثير ولكن تقدمها كمناجج متطرفة تكشف عن الموقف الفكرى العام المؤيد من ليل السلطة ومن جمهرة العلماء والرافض لاي منها شلود عليه * انه رعب التغير والرغبة في « سعادة التوافق » وفي اسجام المجتمع الكامل يعصه مع بعض دون اى نعم تشاز والا كان الثمن باعسا * * الانتماء » بلغ صورته النموذجية الرغبة في تلك العصور للدرجة التي لم يعد فيها اى عالم سوى نسخة ثانية من الآخر * * وكما ربطت القيم الاجتماعية بالثابو ، الديق ربطت كذلك قيم الفكر فى كايوس واحد من الصفات الجماعى * ومن شان هذا النوع من المناخ المخلق ان يحث كل البراعم ضمن ما يمكن ان نسميه « الذات العليا الجماعية Superego collectif المشبعة بكل محظورات والساو »

ولسنا هنا في صدد البحث عن العوامل والعلل التي ادت بالموقف الفكرى الى هذا الحسور والاللال وهي عوامل قد تتصل بمناخ اقتصادية وسياسية معقدة شتى وقد نجد لها مبررات دينية ونفسية دفاعية ولكنا نكتفى بالجانب الوصفى لها كواقع حياتى وكطواهر فى هذا الواقع، ونصيف ان اما اخرى فى مراحل حصارية ماثلة عرفت هذا النوع من الازهاب الفكرى الجماعى (وما غاليله واصحابه بالامثلة البعيدة) ولكن التفتح الحضارى انما كان ربما بالتمرد على ذلك الازهاب ، بالرفض المتكرر والمتزايد له وهو ما لم يحدث فى العصور العربية الاسلامية المتأخرة وقد حدث بالضبط عكسه اذ ازداد الضغط احكاما وتسلطا يتحول العلم فى العشرين الملوكنى والعشائى الى مؤسسة حكومية وموارد شيز ورزق ، يبيعه اصحابه من حكام (ممالك * سلطنين * باشوات * اغوات قواد عسكريين اسر * اقتصادية ومالية) كلهم جديد التحول على الحصار العربية الاسلامية . عتيف الحرس على بقاء السلطة فى يده اطول فترة ممكنة ، شديد الفرة على مصالحه واستمالاته للشعوب وعلى زيادتها باستمرار * * ونستطيع ان نقول دون ان نقصد من ذلك معنى الامانة المطلقة ان العلماء تركوا دور الريادة والمخلق الفكرى تماما ليأخذوا دور كلاب الحراسة لدى الطبقات الحاكمة *

ثانياً : وإما أدوات الفكر فقد عانت بدورها على مسيرة الانطلاق الفكري وعمل التقدم وكانت بدورها أيضاً في جدلية الحياة السبب والنتيجة مما في التخلف الفكري لا سيما مع ثباتها الطويل ونمادى القرون عليها قرناً بعد قرن - وتقتصر هنا على ثلاث مشاكل منها : الامية والمدرسة واللغة .

والامية ابدادت بذل ان تنقص في المجتمع العربي الاسلامي - حركة التعلم والتعليم لو انها استمرت في هذا المجتمع على الوتيرة التي بدأت بها في القرون الثلاثة الاولى من الحضارة الاسلامية لكأن الأرجح أن يختلف صميم المسيرة الفكرية كلها - صحيح أن المساجد كانت وظلت باستمرار مراكز التعليم والتحرير من الامية ولكن الملم نفسه اضحى بالتدريج نوعاً من « الصنعة » - نوعاً من العمل - وكما يذهب الاجير الى تعلم الحرفة لدى معلمها . ويشأ العلاج الصغير على محراث ابيه ليتابع بعده كذلك صار الذين يقصصون المسجد انما يقصصونه ليكون الملم صنعة لهم ومورد رزق - وكما أن الاسكاف او متقف الاسلحة او البناء لم يكن يهتم بتعلم صنعة غيره كذلك لم يكن الحرفيون والفلاحون ليهتموا بتعلم صنعة « القراءة والكتابة » . ثم أن ذلك كان ضرباً من الشرف لا يحتاجونه ويكلفهم الوقت الطويل والمال الجزيل بالانقطاع والرحلة . ولذلك احتكرته بالتدريج أيضاً الطبقات المسيورة ، وادان المصنم هو ابن هارون الرشيد قد نشأ امياً لأن ابيه لم يكن ينتظر له ولاية الخلافة فلم يابه بتربيته فقد كان اخرى أن تكون الطبقات الشعبية على مثل ذلك الزهد في التعلم ولا سيما بعد ذلك العصر - - وهكذا يبدو ان الامية ازدادت انتشاراً في العصور التالية كما يبدو أن انشاء « نظام » المدارس النظامية في القرن الخامس يجانب دوافعه السياسية والمذهبية كرد فعل على العناية الغاطية الشعبية - انما ظهر أيضاً بسبب الحاجة الى المتعلمين ولهذا السبب انشئت « المدارس » المتفصلة عن المساجد وعين لها المدرسون ووصدت لها - وهذا هو الالم - الاوقاف للاساتذة والطلبة كذلك - - غير أن المكبات السياسية والعسكرية لم تعان من الحضارة العربية الاسلامية ابداً - وبعد اكتمال السلاجقة ثم الصليبيين للشرق العربي جاء المنول ثم التتر - ودمرت القوى الايطالية (من تورند وغيرهم) صقلية وافريقيا واستغندت الحروب الطويلة المصلة التي انتهت بخروج العرب من الأندلس ، كل قوى المغرب والأندلس - وكان طبعياً في مثل هذه الاحوال أن تهتم الجاهلير الشعبية بمطالب الحياة المباشرة ، بالجزيل الواسع - - ليصبح « التعلم » عراً ومطلباً ثانوياً - وحين جاء العهد العثماني وضعفت السلطة السياسية جاء

« المد » البدوي الذي أصاب الوطن العربي في مختلف الأماكن بالضررة القاسية - فصار الريف كله أمياً ، وقطاعات واسعة من أهل المدن (أرباب الحرف والجند والتجار ، لاديين والباعة) أميين أمية كاملة .. حتى كان بعض الناس يجوعون مع الحبيج ليرتزقوا من كتابة الرسائل للناس وكانت الرسالة تصل إلى أو القرية فيدور أهلها على الفاري الوحيد لديهم أو في الجوار لقراها .. و « العلماء » أنفسهم ، حين صار العلم حكراً لهم وعورد رزق في العهد العثماني صاروا يشجعون على ذلك الاحتكار ويصلون عليه .. يروى محمد كرد علي أنه حين بدأ يتعلم ، وهو من عائلة تجارية ، جاء العلماء إلى أبيه ينهونه ويصيحونه بالكف ، ويهددونه .. فلكل إنسان « حرفته » الموروثة وقيم التمسك على الآخرين ؟ وهكذا تحولت الأمية مع القرون والتفتش إلى مؤسسة اجتماعية وجدت ما تزال واضحة المتبايل في الحياة العربية اليومية اليوم ، أغريب أن تكون أحد الأسباب والنتائج في التحف العكري العربي ؟ »

ثم إن المدرسة ارتبطت بالسلطة : الذين كانوا يتخرجون من المدارس لا سيما بعد استشارها منذ القرن الخامس ، كانوا لا يشكلون طبقة من « العلماء » ولكن من « الموظفين » . المؤسسة التعليمية أصبحت ذبلاً من ذبول السلطة : تبدأ منها بالبناء والتعيين وأوقاف (وكلها من صنع الطبقات الحاكمة والغنية) وتنتهي إليها : بالخدماء والخلع والتعيين لحظابة الجوامع والامامة والقضاة والإفتاء والكتابة في الموازين لم تعد ذات وظيفة علمية ولكن وظيفة عملية مدغها تسيير أمور المجتمع وتأمين جانب الأعمال والإحكام الدينية فيه وجانب الشؤون الحياتية من كتابة عقود وسجل شرائب .

ولما كان التعليم نفسه في تلك المدارس محدوداً بشروط الواقع من جهة وباحتياجات السلطة من جهة الترقى والأيديولوجية الفكرية العامة من جهة تالفة لذلك فقدت المدرسة « كمؤسسة » تعليمية إلى الانحطاط والجمود بدل المسيرة نحو التوسع والإزدهار .. حتى المدارس التي كانت كثيرة المدد في العهد المملوكي تضائلت أعدادها وماتت أوقافها وأقفرت من الطلبة وصارت في مطالع القرن العشرين غرائب مهمة القباب والقبابيك .. تابعة لمعيريات الآثار .

وإذا كانت هذه قصة « التعليم المال » في الصور السابقة فإن قصة التعليم البدائي كانت أحد قتاها وظلته . الآباء الذين كانوا يرجون لابنائهم بعض القراءة والكتابة كانوا يجوعون

« الكتابات » حيث يتكون المنهاج من حفظ القرآن خاصة وتعميم بعض الكتابات وبعض الحساب (الهندي) « ١٠٠ » النصا « كانت هي السيد الأكبر في الكتاب « ١٠٠ » هذا كله إما ينتهي في ما بين السابعة إلى العاشرة من العمر « ١٠٠ » حين ينتقل من « عصا » الشيخ (أو الحاجة أو الملا) إلى عصا الحاكم ومن النقيض الأول إلى النقيض الاجتماعي - الفكري الأوسع « ١٠٠ » ولا يشكل هذا التعميم بالطبع أي مادة من مواد الحياة الفكرية .

وأخيرا بآي اللغة والتعبير : وإذا تأملت اللغة أداة الفكر بامتياز ولا تفكير إلا بالكلمات فقد عرفت اللغة العربية بدورها عصر تصليب الشرايين والقوالب الجامدة بعد القرون الثلاثة أو الأربعة الأولى « لم يكن انتشار السجع المكلف سوى صورة لفراغ الكلمة من المعنى والمحتوى . وبالتالي تأكيد لفراغ الفكر نفسه من الجديد « صاروا يهتمون بالاصداف بدل الاهتمام بالكائنات الحية في دأحها « ثم أن تلك الصور الجاهلية في الشعر والأدب من تشبيهات بالسيف والقمر وأنواع أدبية في النحر والهجاء والمزل والتي اعتمدت على الحياة الأدبية في القرون الأولى استمرت هي نفسها بعد ذلك « افرقت الأدب في « اللفظية » المطلقة للدرجة التي أضحت مصطلح « عصور لانحطاط » لاصفا بسمة أو سبعة قرون على الأقل من الإنتاج الأدبي القلت «

وهكذا فإن اللغة « كاستودع لتجارب الماضي اعانت الفكر على توطيد السلفية بقولها التي تجسدت كما أعانها الفكر المتجمد على استمرار بقائها قوالب جاهزة « وجاء التعبير الأدبي (من نثر وشعر) فكري هذا التجرد بالانفصال عن الواقع الحياتي للناس وعتابة الشكك التعبيري القديم ذاته « ١٠٠ » وهكذا حدث نوع من الانفصام ضمن الذات العربية . ما بين الفكر وأدائه التعبيرية (اللذين اعتبرنا تمام القرية عن العصر المعاش) وما بين الواقع الحياتي الذي يحياه الإنسان العربي بالعصر « ١٠٠ » وكما لم يعد الفكر متصبا إلى آلام الناس وأحوالهم كانت اللغة أمرا غريبا على الناس وكان الأدب مجرد لعب في فراغ الألفاظ وعمليات تطرز وغسيمساء ... أما الكلمة فصارت نوعا من « السحر » لا تعني مدلولها ولكن مجرد ترتيب سحري . ليس هذا هو الذي يا ترى تقصده العواصف التعبيرية في عشرات الألوف من القصائد الحديثة - القديمة . ويسر عدم رفض الجوع اليوم لناقض كلام الحكماء مع الواقع وإيمان الناس بأن الكلمة يمكن أن تقوم مقام الفعل وتحل محله اشفاقا من الإيمان بفعول « الآتية » السحري ؟

★ ★ ★

وبعد هذا كله فقد أهل علينا القرن العشرون بمعادلة صعبة أشبه بتدوير المربع في المنطق الشكلي ... كان على العرب فيها أن يتحلوا مرة واحدة عن أيديولوجية فكرية تمتد إلى جانب ركائزها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، في أسس متناقضة كل التناقض مع معطيات الفكر الذي تميزه الحضارة الغربية وتفرضه ، بمختلف الوسائل والقوى ، على العالم .. كما تصطبغ وسيلة في التعبير مفترية كل الفرية عنهم من جهة وعن مدرهم نفسه من جهة أخرى بالإضافة إلى أن كلمة العرب الكبرى كانت على الأمية والجهل المنق ... لا عنى التبييد ولكن عنى العاصم المملوء بالعود *

إن البنية الفكرية للمجتمع العربي اليوم ، إن تمقت كل التعتد ، بعد خضوعها قرايه القرن الأخير أو يريد لصدمات الحضارة الحديثة وللتعامل معها وإذا اذوجت الملمية والفقيه فيها فنحن نجد فيها يتعاضدان ما في عقول الكثيرين وإذا اختلط معنى « العلم » التعاليد بمعنى ال Science الحديث للدرجة التي نسي فيها بعض هياتنا الصعية الكبرى بالمجمع العلمي وهو ليس أكثر من مجمع لمؤى أدبي فقهي نحوي ... وإذا انسحب الأرهاب الفكرى الجماعى على العصر بقيت له بكل مكان أكثر من عصا غليضة وعشرات أو مئات الجماعات والمراكز وإذا اضحى العرب غرياء عن العصر يسبب حاجز « اللغة » المردوج غريتهم عن لغتهم التي لا تمثل - بصرف عن اللغات الأجنبية التي تتكلمها الحضارة الغربية الحديثة ... - إذا كان أولئك دلائل المتطلفات التي تقوم عليها هذه الحضارة لم تعد بعد ركائزها في الذات الصربية التي ما تزال تحت وطأة القرون السابقة - إنها تحاول كسر قوالب الفسية والتلقين والسكسون أمام مقاومة داخلية عنيفة تحمى أحيانا كثيرة وواء أسوار الدين - كما تحاول فهم أو اللحاق بأيديولوجية الحركة والمهمة والتجحر والبراعانية والممل التي يقوم عليها العصر الحاضر ومعطياتها في الإحساس بقيمة الإنسان وبالزمن وباللزام بالخطيط وبالعلم والتكنولوجيا وبالمداله التوزيعية وبأن العمل الإنسانى هو القيمة الأولى *

وبعد هذا فإن التاريخ القديم ما يزال برعما فينا : أه حزن ، ما * ولقد يكون في جانب منه عنصر الامصال في الذات العربية - ولكن هذا التراث الثقيل يضع العرب أمام إشكالية مزدوجة : إشكالية الفرقة عن التراث نفسه بحكم الانقطاع الطويل عنه والاكتماف ، بالجانب السكونى منه دون الحوائب الديناميكية الأخرى وإشكالية الضريبة عن العصر الذي تقف أمامه ، مع الأمية و جهل الأسس الفكرية ، وقفة الإبهم المجهور أمام الآلة المعقدة ... وقد خلقت لنا هذه الإشكالية المزدوجة

تحدياً مزدوج الوجه أيضاً : تكليف ذلك التكوين التاريخي الطويل تكيفاً بنيوياً داخلياً من جهة والمحاق بالعصر من جهة أخرى ولكن بسرعة مثقلة تعرض أحداها عن التخلف والثانية عن الكتلة العربية الواسعة والثالثة عن السرعة المتزايدة لتقدم الحضارة نفسها - - لسنا مطالبين وليس بإمكاننا - ولو حرصنا - أن نخرج من إهاب التاريخ الصيق بالمطام ولكن المادلة الصعبة هي توظيف هذا التاريخ كقوة دفع من خلال معياناته ذاتها - كسر حالة الحصار التي يعيشها الإنسان العربي منذ عشرة قرون على الأقل وذلك بالفكر التاريخي أي بألة التاريخ نفسها وينطلقه ذاته - نقل الانظار والعكر واللغة والعمل من الماضي الى المد من « الفردوس المفقود » الى « الفردوس الموعود » ولكن بالمعنى الجسمل الديالكتيكي لا الاستمراري ، وبالمعنى الذي يلتزم بالماضي والحاضر والمستقبل مما لانه يعتبر الإنسان وحدة كاملة *

على ان التاريخ ، مع الاسف ، رغم انه المحور في معركة بناء الذات ليس كل مأساة الإنسان العربي المعاصر - الإبعاد الأخرى التي عليه ان يجاهدتها لتجاوز أزمته الحضارية القائمة قد تكون أشد ضراوة - ولكن عليه ان يجاهدتها كلها صواعل جميع المستويات - أحر المطلب الصعب ؟ ليكن ذلك - ولكن عدم الاستجابة له يلقينا على المركب الأصعب : حسارة معركة البقاء *

مراجيع مختارة :

لا تكاد نمر على مرجع واحد تناول بالذات موضوع الإبعاد التاريخية للتخلف الحضاري العربي لكن معظم الأبحاث التي تناولت أزمة العصر الحضارية الحالية لامست عرضاً بعض الجوانب منه * ومن ذلك كتب كثيرة ودوريات عديدة نختار منها بالقائمة التالية :

- تحديث العقل العربي - الدكتور حسين صمص (دار العلم للملايين - بيروت 1969) *

وهو دراسة حول الثورة الثقافية اللازمة للتقدم العربي في العصر الحديث تتطلى من الإيمان بإمكان هذا التقدم ويطالب الكتاب بالتحول من صناعة الكلمات الى صناعة الأشياء وبالتحديث القيمي ، والنيادي والبنوي ، والترنوي والإعلامي عن طريق « ثورة » تعمل على التحديث -

- تجديد الفكر العربي - الدكتور زكي نجيب محمود (دار الشروق - بيروت 1974) *

وهو تحليل فكري لمشكلة التوفيق ما بين التراث وبين عصنة الفكر العربي - ولضرورة التحول من فكر قديم الى فكر جديد ينتقى من التراث نفسه بعض مبادئه وهو يؤكد انه من

النبة تبدأ ثورة التحديث للانتقال من حضارة اللفظ الى حضارة الرأي - ويمتدح فلسفة عربية تستند الى قيم باقية من تراثنا *

— معنى النكبة — الدكتور قسطنطين ذريق — (بيروت 1948) *

وقد اصدمه في اعقاب نكبة فلسطين 1948 لتحليلها ونحس النكبة بانها انهيار في القيم وشك من العرب في قياداتهم وفي انفسهم كلمة * واكد ان النصر يكون على مراحل طويلة وانه يمكن في التفكير الموضوعي حالة العرب ونوع التفكير وانماط التصرف والسلوك وبعد ان يتحدث عن الاسباب القريبة والبعيدة للنكبة يرى ان دخول العرب الى العصر الحديث ومشاركتهم فيه تقتضي : اقتباس الآلة وفصل الدولة عن التنظيم الديني وتدريب العقل العربي على العلوم * وفتح المصادر لاكتساب ما في الحضارة الانسانية من قيم عقلية وروحية *

— معنى النكبة مجددا — الدكتور قسطنطين ذريق — (بيروت 1967) *

عودة اخرى الى الموضوع نفسه بعد نكبة عام 1967 يقول فيه انه يجب الاقراو بان المجتمع العربي ينتمي حضاريا الى مرحلة مختلفة عن تلك التي ينتمي اليها المجتمع الاسرائيلي وان الطمس الحديث هو مصدر القارة التي يجب ان يصطنعها العرب كاسلوب فكر ونظام حياة * وطريق التحول بالمجتمع العربي من مجتمع انفعالي توهي ميتولوجي شعري الى مجتمع فعل تحقيقي عقلاني علمي انما يكون بالاخذ بالحضارة الحديثة وخاصة في مجالات العلم والمقالات والانتاج وبالتخطيط والبحث وحشد الكماليات البشرية والمادية .

— أزمة الفكر العربي — اسحق موسى الحسيني — (دار بيروت للطباعة — بيروت 1954) *

وهو تحليل لازمة الفكر العربي يعتبرها أمرا طبيعيا جاء نتيجة فترة الانتقال من حياة قديمة الى حياة حديثة والسبب فيها هو انتشار التعليم وتصارع الآراء والمذاهب الحديثة نتيجة الاحتكاك بالغرب مما ادنى الى وجود أزمة فكرية وروحية والى الاحساس بالتخلف المادي *

— بعد النكبة — قدرى حافظ طوقان (دار العلم للملايين — بيروت 1990) *

وهو كتاب آخر من الكتب التي اعقبت النكبة اكد على ضرورة تبني الاسلوب العلمي منهجيا للحياة واتباع الفلسفة الليبرالية لان العلم وحده هو سيد الكون * ولئن يقدر لعرب تقدم الا اذا

تولى أمورهم عقليات علمية تعرف مصى العلم والتنظيم والارقام - -) لان التحدى الصهيوني علمي ولا يعزم الا بالعلم - ويؤكد على دور التربية، التعليم باعتبارهما اساس تنشئة الجين الجديد - وللؤلف كتاب آخر اصدرته الدار نفسها بعد ثلاثة سنوات من الكتاب السابق بعنوان (دعى المستقبل - بيروت 1953) عرض فيه للأفكار نفسها -

- أزمة التسدن العربي - محمد وحى - (دار العلم للملايين - بيروت 1956) - وهو يرى من خلال سيره لاغوار النفسية العربية ومشاكلها على مستوى العقل والشخصية ان قضية العرب قضية تمدن لان الحياة العربية دعم كل اقراءن التكادبة تقف وراء العالم المتحضر في العلم والاخلاق والقيم : هناك جهل يعنى التعمد ، وجهل المظاهر الفساد الحقيقي في المجتمع والفسادية في الجماهير البعيدة عن مثالياتها ورسالتها - ويركز المؤلف الانتباه حول - أزمة القيم وعطاشها النزعة العيبية ، وسيادة الخرافة والجهل ، والمفاهيم البدائية لمعنى الشرف ، وتقديس التقاليد ، ولما كانت عظمة الحضارة الغربية انما هي التي « قرة الخلق » التي هي الفكر العلمي ، فالتمدن ليس الاخذ بنتائج الحضارة الغربية ولكن بقوة الخلق حده فيها -

- أزمة المجتمع العربي المعاصر - مدثر عبد الرحمن الطيب (دار الطليعة - بيروت 1961) - يشير فيه الى ان هذه الأزمة الحادة العنيفة ليست مجرد أزمة اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية ولكنها أزمة حضارية شاملة استحكمت خلال المائة والخمسين عاما الأخيرة نتيجة الكوارث والحزن التي نزلت بالعرب ونتيجة الصدام بين مملكتنا وتقاليدنا الموروثة الى فقدت حيويتها وبين مثل الجديدة الواحدة التي لها جذور لدينا والملاحة ان تعدد انفسنا من الداخل - وان نبحث ثبوتة خلقية ثقافية حضارية شاملة في تفكيرنا وفي نظرتنا الى العالم والى انفسنا غايتها تحديد موقعنا من تراثنا القديم ومن القيم الحديثة الواحدة وتغيير نظرتنا واساليبنا الى الحياة -

- الاقليوية الجديدة - عبد الله محمد الريداوى (دار الطليعة - بيروت 1970) وقد كتبه المؤلف من « وحى المكسبتين » ليدرس البعد المظري للاقليوية في الوطن العربي ثم البعد التاريخي ثم البعد الحركي - وهكذا بعد ان حلل موضوع الاقليوية يبحث معالم الواقع العربي الذي اصطلحت فيه وسياسة الاستعمار في اصطناعها وصورها التي ظهرت فيها وينتهي بكشفها للاقليوية الجديدة وتقييمها خاتما بحثه بالقول : ان تخطي الاقليوية الجديدة بمختلف نظنها وفي جميع

إبعادها الإيديولوجية والمنهجية والتطبيقية والاستراتيجية هو السبيل الوحيد لمواجهة النكسة
مواجهه مصصرة ولصنع المستقبل العربي صنعا قديما ..

– الحرب تاريخ ومستقبل – تأليف جاك بيرك (سريب على سعد – بيروت/دون تاريخ) *
– الحرب من الامس الى الغد – تعريب آخر عن الانكليزية للكتاب السابق بقلم خيرى حماد
(القاهرة 1972) *

قراءة الكتاب بالفرنسية يعطيه آفاقه الفكرية الواسعة * ومؤلفه انما حاول ان يقدم فيه
صورة ديناميكية حية عن الواقع العربي المتغير من الامس الى الغد : من زوايا تحول الإنسان
نفسه والنظام الاقتصادي وظهور التقنية الجديدة والقواعد الشعبية ودخول المرأة في الحياة ، ومن
روايا العتون والقيم السياسية * * انه صورة لتجاوز الشرق العربي لنفسه ما بين مطالع القرن
والستينات *

– الإيديولوجية العربية المعاصرة – عبد الله العروى (دار الحقيقة – بيروت 1970) *
وهو كتاب آخر كتب بالفرنسية (وتوجيه محمد عيتاني) بقلم عربي عتيق التحليل يفرس
بالشكل المنهجي ، والاستناد الى ثقافة فكرية دسنة ، وهي الشعب العربي لذاته وعيا فكريا
وعمليا عن طريق تحليله تاريخيا وفكريا وروحيا بالامس وتحليله فكريا وإيديولوجيا في الحاضر
من خلال الصور الثلاث للعربي المعاصر : صورة الفتيخ ، والليبرالي والماركسي دان أن يعمل في
النهاية مشكلة التعبير *

– الحرب والفكر التاريخي – عبد الله العروى – (دار الحقيقة – بيروت 1973) وهو
كتاب يكاد يكون هرحا لبعض نواحي الكتاب الاول ناقش فيه المؤلف : منطق الإيديولوجية العربية
وموقف العرب من التدرين التاريخي والمضمون القومي لثقافة وبعد أن ناقش الماركسية تجاه
الإيديولوجية الإسلامية وتجاه مثقف العالم الثالث لمس الكتاب بفصل عن أزمة المثقف وأزمة المجتمع
وعن ارتباط الاولى بالثانية *

– مشروع رؤية جديد لفكر العربي في العصر الوسيط – طيب تيزيني (دار دمشق –
دمشق 1971)

القسم الاول والثاني من الكتاب دراسة نظرية للجذور التاريخية والمعرفية للفكر الفلسفي المادي والمثالي عامة ولدى اليونان خاصة . اما القسم الثالث فهو الذي يهمننا فهو محاولة لالتقاء نظرة جديدة ، ماركسية المنطق ، على الفكر العربي الاسلامي منذ تكوينه الاسلامي الاول حتى شكله المتطور بعد تمازج الثقافات مع تطبيق ذلك على كبار المفكرين الذين اطلعهم هذا الفكر .

— الاقتصاد والمجتمع — (الدكتور محمد ربيع) وكالة المطبوعات الكويت (1973)

— وفي الكتاب ، يجانب القسم النظري الاقتصادي — الاجتماعي ، بعض الفصول المتعلقة بتطور المجتمع العربي ، والتطور الاقتصادي في البلاد العربية وتحتوي بين فاطمها دراسة الدين في المجتمع وكلها مما يتصل ببحث العوامل التاريخية في التخلف العربي .

— النقد الذاتي بعد الهزيمة — جلال صادق المظم (دار الطليعة — بيروت 1968)

وهو دراسة ، من منظور ماركسي ، لهزيمة العرب عام 1967 وهو يشير خاصة الى امراض الشخصية العربية من مثل الاستهانة بالحساب ثم الانهيار عند أول مشكلة والسطحية والهرب من المسؤولية . . . ووسط كل ذلك بالبيان التقليدي للمجتمع العربي . كما اشار الى اخطاء التطبيق الاشتراكي في الاقطار العربية التي انتهجت الاشتراكية وناقضها على المستويين النظري والتطبيقي وآثار قضايا العلم والتكنولوجيا ، والتخطيط ومساواة الحسنيين ...

— الفعالية الترددية في النكسة — تديم البيطار (دار الاتحاد — بيروت 1965)

— من النكسة الى التوبة — تديم البيطار (دار الطليعة — بيروت 1968)

والكتابان تطبيق وتوسعة للافكار الاساسية التي عرضها المؤلف في كتابه الاساسي الايديولوجية الانقلابية الذي حاول فيه دراسة الاسس النظرية والفلسفية والدينية لتلك الايديولوجية وعضومتها الثوري . وهو في هذين الكتابين يرى ان النكسة هي النتيجة الطبيعية لاضاع عربية معينة وان الحل يكمن في تلميز تلك الاوضاع وبتدين الانحرافات في النسودات العربية من فكرة وذاتية واستراتيجية ويدعو الى ان تتجاوز النظم الترددية ذاتها . .

أما الدوريات فكتب منها نشر مقالات عديدة أو عقد ندوات لمحت جوانب من التخليق العربي
ونشير بإحاطة إلى :

- مجلة الآداب (بيروت) في مجموعتها منذ عام 1967 إلى اليوم *
- مجلة المعرفة (دمشق) في مجموعتها في السنوات ذاتها وفي الدورة التي عمدتها ما بين
4 - 8 تشرين الثاني عام 1967 لدراسة هزيلة 1967 *
- مجلة الكتاب (بغداد) في مجموعتها وفي الحوار الذي عقدته للموضوع في شهرى آذار
- نيسان 1968 *
- بعض المقالات والأبحاث التي نشرت في مجلة المصور (القاهرة) بقلم أحمد بهاء الدين ،
وفي جريدة الأهرام *
- العدد الخاص من مجلة الثقافة العربية (نيسان 1973) حول : الإنسان العربي بين
تراثه وثقافته الاستعمار (ومن كتابه أنور عبيد الملك * إحسان عباس * صادق جلال العظم ،
منح الصلح ، هادي العلوي ، وليد خنوري ... الخ) *





مؤتمرات

اللقاء الاسلامي المسيحي بقرطبة

(1) تقديم مسيحي للدراسة الإسلامية في صورة تمكن المسلم من رؤية نفسه فيها .

(2) تقديم إسلامي للدراسة المسيحية في صورة تمكن مسيحي من رؤية نفسه فيها .

(3) الترابط بين التوسيع السياسي والديني

(4) المشاكل الإنسانية والإخلاقية في الإسلام والمسيحية.

وكانت تتبع محاضرات كل بقعة من جدول الاتصال مناقشة حرة من طرف الوفود الرسمة .

على أن أهم نقطة أثير حولها اسدل واحيانا الاستنكار العلني ، من طرف الجانب المسيحي هي تلك التي تناولت دور التشهير والمبشرين في تركيز المدام الاستثمار وحماية دور التشهير والمبشرين في مركز المدام الاستثمار وحماية تلكك الأرواسو الضعيفان حالنا في عصفه من البلدان الإسلامية . رئيس في امراض فقط كما كتب احد الصحفيين الجزائري (الطر كلبية الوله) وسيدلفنا الدكتور هيد الجليل التشبي في محاضرات القية من دور التشهير في تونس واستشهرها في عهدنا القديم .

وفيما يلي كلمة الوفد الجزائري في هذا المنتدى

اسدل بمدينة قرطبة باسبانيا بتاريخ 23 - 28 شعبان 1394 هـ الموافق 20 - 25 سبتمبر 1974 م منتدى اسلامي مسيحي نظمه جمعية الصداقة الاسلامية (مسيحية التي يوجد مقرها بمغربي

وشاركت في هذا المنتدى اغلب الدول العربية فيه وفود رسمية وغير رسمية بالإضافة الى ممثل الاقلييات المسيحية بها

كما يوجد ممثل لجميع الكنائس العامى ورجال الصحافة الاسبانية والعربية والعالمه .

ومن الجزائر في هذا المنتدى اسيدلمان عثمان شوب المستشار بوزارة التديم لاسق والشؤون الدينية ورئيس تحرير مجلة الاسالة . والعصري عطوفون ثاني مدير المقتضات بالوزارة المذكورة .

واللاحظ ان البلدان الاسلامية غير اصرية لم تسلم للمشاركة في هذا اللقاء .

جدول احوال المنتدى :

ركز المنتدى احواله على النقاط التالية :

كلمة الوفد الجزائري في ملتقى قرطبة

الأبدي الرئيس :

خيرة السادة والسيدات :

بالصل على تتيب القدم الاستمرار في كثير من بلاح جدا
المالي الثالث .

وهناك مجموعة طاقا ينفي عرسها الى بصراحة
وبوضعية اذا اردنا ان نسم هذا اللقاء وغيره من الفلقات
الكلمة : على امس صحبة : سلمية

عندما كان امس الحاضرين في جلسة اول امس ، يمدو
بعض الحقائق فقط من التعبير هي البس بالاحتجاج ،
بشكل او بالتر ، على ان هذا ليس غاش ينفي لسياته
ومن في عهد الانتاج المشترك ، وكنت انتهي لو كان
هذا هو الواقع ، لكن ما جريات الوقائع والاحداث تكتم
عكس هذا

ان نقاض يتكرر نفسه اليوم ، وان كان بسايب
مختلفة : فحركة التضييق ما تزال متواصلة عبر العالم
الاسلامي وسها اجزائنا وتركر بصفة خاصة على
التبلي في الفارس ويترك الايراب احيانا في المسن
والريف ، وبالسند ، والرسائل ، رسي مجموعة من
الوقائع المثبتة لهذا آتية في اسبانية وس بيروت ، وس
رومة ، وفرنسا ، وغير ذلك ، يمكن ان واحد حكم الاملاخ
عليها ، وقد اصل بالورادة في الجزائر اعلى والوراء
هؤلاء السباب ، ولما عليها لاجاد الخدم .

كما اتصلت بالجزائري كثير من البلدان الاسلاميه ،
وطالبت منها التمسك لدى المنظمات المسيحية لايقف صمد
الحركة وذلك لان في الجزائر شخصية دينية مثيرة تشمل
قائمة الياا ويمنع بسمة طيبة ، وتقدم الجزائر غامة
لحرفه الشجاع في كلفنا التحريرى وهو الكارودنك
دونك ، ونظروا لملقنا الطيبة مع كثير من المخطات
البروتستانتية ، خاصة في اوروبا امس كلفنا
التحريرى التي عيسود حسن تاييما لنا في كلفنا

باسم الجزائر اشكر حمية الصداقة الاسلامية للمسيحية
التي ظلمت هذا اللقاء الهام وانعكس سميت واعتذار
السيد مولود قاسم وزير التسليم الاسل والتضوون القيدية
الذى كثر حريسا كل الحرس على الحضور بنفسه لو لا
امال طارئة جئت في آخر لفته .

ان هذا الملقي الكبير ، والمكتبات الستى لتت في
الجزائر ، بتمسية اعتماد مختلفيات الفكر الاسلامي كسل
سنة - بين رجال الديانتين يمشون الحب يلعلن الصلالم
الاسلامي والمسيحي وبين شخصيات ثقافية من مختلف
الاتجاهات الايدولوجية وامام الذين من الطلبة والناقليت
من الانقسام النهائية والجامعة . اقول ان هذا الملقي
ولك المكتبات لتمثل خطوة الى الامام في طريق العمل
المشترك لمرجعية اطار موجبة الاتحاد والاتصال والاتصال
التي تهمة مستقبل الحضارة الانسانية .

ايها السادة والسيدات .

اما وحي تفادس قضايا التعاون بين الاسلام والمسيحية
يحدث بنا ان علم قاية الاحكام ، بتمسيرة بفرزة في
عصرنا وهي ظاهرة بروز ما يسمى بالامم الثالث ، وفي
طليقة الشعوب العربية والاسلاميه ، وقد حل هذا العالم
بمنحل بنسمة اعياه صغره ووجاهه بامكانياته المتراصة
الكمالي الناجية عن عهود مختلفة ، وعمود السيلسورة
الاستعمارية ، وتسله ان المسيحية يمكنها ان تقوم بغور
فصل في هذه المرحلة : مرحلة تمسيرة الاستعمار ، وان
تعاون مع الاسلام خاصة لايقف وتجاوز ظاهرة الدول
الروس والمجسي ، اذا تاملت من سليلات المسلى
الاخير .. ماضى قيام رجال القرن الكبيرى ودامم المسيحية

لقضية الحسود :

واسحروا لي الآن : ان اقدم مقترحات فيما يخص قضية الحواد بين الاسلام والمسيحية .

١ - ليس هناك من حواد دون تبارف وتبادل للاحترام بين الجانبين .

٢ - يتمتع تقيم أي حواد بين اتباع ادينتي اذا ثابت لدى طرف من الاطراف الرغبة في خرس متطبيع على الآخر ، يقول السيد بيتون (وكان في الجوار في عهد الاستعمار) قلنس للمسيحي ان يلقأ الى الحواد لا الا باصباره شديدة الى التنصير .

٣ - تجنب النقاش في المسائل الاقتصادية الاساسية ، حيث توجد تمايزات في الممتلكات ، وعدم الانجساء الى الزمرة التوفيقية الساذجة للبر والقيمة .

٤ - التركيز على الحواد في المجال الثقافي والحضاري والتاريخ قد سجل لنا مآثر لهذا التعاون الاستثنائي المسيحي في جهود اذهاب الحضارة الاسلامية - حيث كان التسامح والمسلمون في بنفاد يمتلئون " على كتف خبايا قلعة افلاطون وارسطو " وفي طيلة التي كان يفسحها المسيحيون من افراس وايطاريا وغيرها لتعلم المربية والغاء ربيدم الثقافي

في هذه الميادين الثقافية اصبحت الاتصالات بين الاسلام والمسيحية ثمرات طيبة ، وهذه النظرة لسواد لتنج كاتفا حديثة في وجه التعاون الاسلامي المسيحي ، ومعنى لقاء اليوم ذلك اليمد الانساني الراص ، كمتنفي مشتر بلاده والطف لا بين الدينين فقط بل وبينهما وبين التيارات الفكرية الانسانية الاخرى .

وشكرا

التحريرى ، اقول طلبت كثير من السلطات العربية الاسلامية للتدخل حتى مع هذه لرقب نشاطها التبشيري - ولؤكذ ان هذا النشاط يقوم به الكاثوليك والبروتستانت ما جدا الارثوذكس .

ومن جديدا لا تترك لكم كيف تعامل المسيحيين في بلادنا والكاثوليك دولال والاسقف تيسى موجودان حذا ومعا يتولى هذا الامر عنا .

فرجو ان الاسود تنصص في المستقبل ويرودنا ان يردل هذا التناقص بين الاديان وان يقع التركيز على التعاون في ميدان مواجهة الانعزالوالامداد وسنشرة الاب ايلجابكال عن الازمة الدينية في الغرب من شامها ان توجه التبشير نحو هذه المجتمعات التي تناس من الاديان الدينية والاحلاني وان تركز عليها .

ومعاق عظة اخرى ينبغي ان يتم فيها هذا التصاور وتنصص الجاليات والاقليات الاسلامية في العالم المسيحي سواء منها عمالنا وبلائنا في أوروبا الغربية فضلا او الاقليات الاسلامية في القبلين .

ان الكنيسة عليها ان تقوم بواجبها لدى السلطات المدنية في هذا الشأن ، وان توامل ذلك النشاط العسكري الذي قامت به بعض المنظمات والمجتمعات المسيحية تجاه قضية فلسطين .

ولما قضية الازمة العدية فنحن ليس لنا أزمة دينية ، تنبها كله مؤمن .

صحيح ان فيه استغفادات من بعض القسباب وخاصة وسط الطلاب المائرين يبيس التشكيلات ولتعمقات ، سواء يتمك الاحتكاك المباشر في الجرائر بعضهم او في الخارج ، او بواسطة اجهزة الاعلام - ولذا كان هذا الممد قبل هذا لا يتباد يذك فان هذا لا يمنع حسن الجسار بالنسبة المستقل ، وكما يقول القنصل السياسي الاتاني المعروف : (سحاز من الهداية) .

الدورة الثالثة للجنة المرأة العربية

مناشئة نيابة أنفسهم كأفراد ، وتجاه الممثلين كآباء وأمهات .

وفي هذا المجال أيضاً يجري بحث تحسين حال المرأة الريفية وحال المرأة في الريف . وتوفر شبكة من الجمعيات الصحية لحماية الأمومة وصحة الأم والطفل . والمسبل على تحسين وضع النساء في السجون وفي أماكن الاحتجاز الأجنبي .

لانيا : المرأة والسلام ، طرح هذا الموضوع للمناقشة في أكثر من جلسة من جلسات لجنة المرأة العربية . واستحوذ على أهمية كبيرة من الأعضاء وتقدمت أكثر من عضوة باقتراحات شاملة لهذا الموضوع بحيث توسع المرأة لأول مرة في مركز شمال لتطبيق السلام العالمي . وقد كان من أهم التوصيات التي صيغت :

- تحسين مستوى إدراك النساء في الدول المليحة من طرق الممارسات والعنف ، وتحسين عمليات مكافحة الأمية ، وتصميم جهود التخطيط التنموية الانثوية والعدلية من أجل السلام القريب وتجميع جميع الجهود باسم نساء العالم - من أجل إزالة التوتر وإقرار السلام المالي . والاعتراف بقيمة التقدم والتنمية الشاملة التي يمكن أن تحققها المرأة بإسهامها في الثقافة العربية .

كما أوصت اللجنة عقد حلقة دراسية بمناسبة عام المرأة حول كداح المرأة الفلسطينية من أجل التمسرد الوطني في الأرض المحتلة .

تراجعت تشكيل عدد اللجنة بمناسبة الدول العربية المذكورة مائكة نائب وزير الشؤون الاجتماعية بمصر وطرمها وفد نسائي من بلادنا يندرس فيه .

زهود زويبي

امانة بالمرأة العربية وأهمية دورها في المجتمع .. وتتحقق لمجتها الأولى وتكثفها من أداء رسالتها ، ودراكا بأن تحقيق الإصلاح الشامل للشكليات المجتمع العربي الاجتماعية والاقتصادية رهف بأن قسم المرأة بمورما العربي غير أحسن مسؤولياتها من هذا الشأن .. إعتلافاً عن هذا القهوم ، عادت لجنة المرأة العربية دورتها الثالثة ؛ بخاصة الدول العربية ، وذلك كمراسة شؤون المرأة ومناقشتها ، ووضع نطقت النهوض بها ، وتزويج مركزها . مع الاسترشاد بالمصين التي سبقتها لجنة مركز المرأة في الأمم المتحدة في هذا المجال .

من أهم الموضوعات المطروحة للمناقشة في الدورة .

أولا : أمثل الطرق لتخفيف تفتح المرأة العاملة بمخاوفها ، تأمام زحف المرأة إلى مبادئ العمل والاكتاع وأدت اللجنة سرودة انطاع أولوية خاصة بمشاكل المرأة العاملة .

وقد تميز أن التشريعات العربية تحقق للمرأة العنفة حماية كافية ومع ذلك فإن هذه الحماية غير مضمون بها في كثير من البلاد .

لانيا : استهدف تخصيص عام 1975 ليكون عام دوليا للمرأة لتكثيف الجهود من أجل إبراز دور المرأة في البناء الوطني بصفة عامة . ودخل ذلك نسوق يعتبر عام المرأة فرصة لتكثيف صمود التقدم الذي تم إحرازه في هذه المجالات منذ مسعود ميثاق الأمم المتحدة عام 1945 . كما ستناقش فيه مبادئ جديدة حول تحقيق المساواة الشاملة أمام القانون في جميع المجالات التي لم يتحقق فيها ذلك بعد ، وتعلق الرقي والازدهار بأن للرجل والمرأة حقوقاً وسرؤليات

بيان قرطبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

انطلاقاً من الإيمان بالله ، والقيم الدينية والأخلاقية ، التي يدعو إليها الإسلام ، وتدعو إليها السجدة .

ورغبة في التعاون من أجل العمل المشترك ، لتحقيق الإيمان بالله ، لإسعاد المسلمين والمسيحيين ، والبشرية جمعاء .

وأولاً في تنقية العلاقات بين المسلمين والمسيحيين ، مما شابها في بعض فترات التاريخ من شوائب أو سوء فهم ؟

دعت « جمعية الصداقة الإسلامية للمسيحية في إسبانيا » لعقد مؤتمر إسلامي مسيحي ، فلبى الدعوة وفود وأشخاص ينتمون إلى ثلاث وعشرين دولة إسلامية ومسيحية ، وعقد هذا المؤتمر في مدينة قرطبة من الباشير إلى الخامس عشر ، من شهر سبتمبر سنة ١٩٧٤ م (من الثالث والعشرين إلى الثامن والعشرين من شهر شباط سنة ١٣٩٤ هـ) وكانت الموضوعات التي طرحت للبحث هي :

١ - تقديم مسيحي للديانة الإسلامية في صورة تمسكن السلم من رؤية نفسه فيها .

٢ - تقديم إسلامي للديانة المسيحية في صورة تمكن المسيحي من رؤية نفسه فيها .

٣ - الارتباط بين الدين والتوسع السياسي .

- ٤ - أزمة العقيدة ، والتجارب التربوية في كل من الإسلام والمسيحية .
- ٥ - ميادين العمل المشترك التي يمكن أن يتعاون فيها المسلمون والمسيحيون .
- وفي جلسة الافتتاح نليت رسالة تحية وتأييد من الرئيس محمد أنور السادات ، رئيس جمهورية مصر العربية ، كما وردت رسائل وبرقيات إلى المؤتمر من الرئيس أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية العراقية ، والسيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لنظمة التحرير الفلسطينية ، ومن تيفاق الكردينال بيبولوي ، رئيس أمانة الملائكة مع غير المسيحيين بالفاتيكان ، والأستاذ خوسيه لويس ميسا المدير العام للملائكة الثقافية بوزارة الخارجية الإسبانية . . وقد أقرت أمانة المؤتمر إلى حضراتهم بالفكر والتقدير .

ثم أقيمت محووت متعددة في كل من الموضوعات السابقة ، وأعتقها حوار مشترك فيه أعضاء المؤتمر ، وانستت البحوث والحوار ، بالانفتاح والسبق والمودة . وسوف تقوم « جمعية الصداقة الإسلامية للمسيحية » بإسبانيا بنشر هذه البحوث وإذاعتها ، لتمكين أكبر عدد من المسلمين والمسيحيين ، من التعرف على جو المؤتمر ، وما دار فيه .

وفي ختام هذا اللقاء التاريخي ، يسر المؤتمر أن يقدم إلى المالكين الإسلامي والمسيحي وكل محبي السلام ، بالتوصيات التالية التي وافق عليها المؤتمر :

- ١ - إقامة تعاون إسلامي مسيحي ، تأسكيد الإيمان بالله ، وتعميق القيم الدينية والإنسانية ، وقصر دراسة الملائكة المعنوية على مجالات التخصصين ، مع الاحترام التبادل بين المذاهب .
- ٢ - الدعوة إلى تأليف في حقل العقيدة ، يتعاون فيه متخصصون من المسلمين والمسيحيين ، لنشر الحقائق الداعية إلى الإيمان .
- ٣ - تبسير تبادل سبل البحث العلمي ، والتعاون بصفة عامة في مجال الوثائق والمحفوظات الإسلامية والمسيحية .

- ٤ - نغية الناهج والكتب العراسية في المثلث المسيحي والإسلامي ، من الأخطاء التي تسمى إلى أي من الدينين .
- ٥ - تشجيع تبادل الزيارات ، والإكثار من اللقاءات ، وتوسيع دائرتها بين المسلمين والمسيحيين ، لمواصلة الحوار في الموضوعات المشتركة .
- ٦ - عقد المؤتمر القبل بقرية بدعيت ، لمواصلة دراسة الموضوعات التي تهم المجموعتين ، ولتأدية إنجازات اللقاء الحالي .
- ٧ - الدعوة إلى إقامة مؤتمرات مماثلة في البلاد الإسلامية والمسيحية الأخرى ؛ للتعاون على تحقيق الأهداف التي دعا إليها هذا المؤتمر .
- ٨ - مناقشة المسلمين والمسيحيين بأن معنى كل منهم ينشر عقائده بين أتباعه ، والإحابة بالمشيقات الدينية الإسلامية والمسيحية ، أن ترى الوسائل الإعلامية والتطوعية والثقافية والفنية ؛ حتى لا يقترب منها إلى المجموعتين ما يفسد خطتها وأهدافها ، من تعميق الزوابع الدينية وتمكينه .
- ٩ - التعاون بين المسلمين والمسيحيين على منع ما تلاقىه الأقليات الدينية في أي جزء من العالم ، من اعتداء واضطهاد ، والعمل على وضع حد حاسم لذلك ، إقراراً للعدل والسلام .
- ١٠ - تأكيد الحقوق الوطنية والإنسانية للشعب الفلسطيني ، مع اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد لهذا الشعب . وتأكيد عروبة القدس ، ورفض مشروعات اليهود ، والتقسيم ، والتدويل ، وإنفاذ الاعتداءات التي تقوم بها سلطات الاحتلال الإسرائيلي ، على الشعوب ، وعلى التمدسات الإسلامية والمسيحية ، وبخاصة للمعبد الأقصى . والطالبة بإطلاق مراح جميع المعتقلين ، لا سيما رجال الدين الإسلامي والمسيحي . وتأييد النضال العادل للشعب الفلسطيني . والطالبة بتحرير جميع الأراضي العربية المحتلة .

- ١١- اعتبار الآكار الإسلامية والسيحية في العالم ، ترأثاً إنسانياً يبنى الحفاظ عليه ، والإنشادة بالنجرات التي قامت بها إسبانيا في هذا المجال ، والمأمول أن تواصل العمل لتحقيق مزيد من النتائج .
- ١٢- تأليف لجنة مشتركة دأعة لتأهية تنفيذ توصيات المؤتمر .

ومن الحق في ختام هذا اللقاء ، أن يتقدم المشتركون فيه ، بعميق الشكر والرفقان بالجميل ، لكل من يصر إقامته ، ويحسون بالذكر جميع المستولين في إسبانيا ، وفي قرطبة بصفة خاصة ، دينيين ومعتدين ، مع الإنشادة بالروح الطيبة التي فتحت مسجد قرطبة الكبير للمسلمين لأداء الصلاة .

قرطبة { ٢٨ من شهر شعبان سنة ١٣٩٤ هـ
١٥ من شهر سبتمبر سنة ١٩٧٤ م }

المؤتمر السابع للمستشرقين المختصين بالدراسات العربية الإسلامية بألمانيا الاتحادية

عقد المؤتمر السابع للمستشرقين المختصين
بالدراسات العربية والإسلامية في مدينة غوتنغن
بألمانيا الاتحادية ، بتاريخ 15 - 22 أوت 1974 ،
حيث أقيمت للتحاضرات في إحدى القاعات
التابعة لجامعة غوتنغن . وقد دعى إلى المؤتمر
عدد كبير من العلماء يناهز المائة والعشرين ، قام
من بينهم سبعة وأربعون عالما باللقاء أبحاث أعلنوها
وكان الموضوع الرئيسى هو « نقل علوم الأوائل
إلى الحضارة الإسلامية » .

د . اصان عباس
جوتنغن - ألمانيا الاتحادية

وقد خصصت الجلسات الصباحية للأبحاث التي تدور حول هذا الموضوع الرئيسى ، أما
الجلسات المسائية فألقيت فيها دراسات مختلفة تقع خارج نطاق الموضوع المذكور . وكان المؤتمر
دقيق التنظيم ، والبحوث فيه - على وجه الأجمال - ذات مستوى جيد - ولكن المناقشات التي كانت
تدور عقب كل محاضرة كانت حرة موحدة لا تتعدى أحيانا بعض التعلقات الهامشية ، ولعل
السبب في ذلك تباين حقول التخصص وتباعدها .

ولما كان الموضوع الرئيسي للمؤتمر اما يمثل اثر الثقافة الكلاسيكية في تاريخ الفكر الاسلامي فقد كثرت السحوت التي تتناول الفلسفة والطب والحيوان والفلك ، ومن أمثلة ذلك بحث عن « ما ود به نصير الدين الطوسي على الشهرستاني في نقده لابن سينا » للاستاذ ولقد مادلونيخ من جامعة شيكاغو ، وبحث عن « اثر الفكر السياسي العائسي في مسألة الخلافة » للاستاذ شيبور من جامعة همبورغ ، كذلك التي الاستاذ مروتوك من جامعة غلاسكو بحثا عن مختصر لكتات في الحيوان منسوب الى قسطنطينوس مقارنا بينه وبين نص ارسطوطاليس في الموضوع نفسه . وتناول الاستاذ المان من جامعة غوتنغن كتاب تاريخ الامراض لروفرس الافسوسى .

اما بحوث الجلسات المسائية فقد تمجدت بموضوعاتها وتفاعلت ولكن من اللات للنظر كثرة المحاضرات التي تناولت موضوع الدين بمسألة والتصوف الاسلامي خاصة ؛ فكان هناك بحثان في الجهاد وبحث في « الاراء » وراج في تطور لمعة « الفلاة » ودلالاتها ، وخامس في مكانة « القراء » في صدر الاسلام . وقد تناول الاستاذ حامد الفار من جامعة بركلي الحديث عن « الذكر الجهرى والذكر الخفى » في الطريقة النقشبندية ، وبحث الاستاذ بانزون من جامعة ليند يهولندة عن النظرات الاخلاقية لدى شاه ول الله دهلوى والقي الاستاذ تظيف حوجا من جامعة همبورغ بحثا عن « كتاب مشرب الارواح » لروزيهان النقي ولقد قدم الاستاذ دى يونغ من ليدن بحثا عن « المصابيح البكرية وتحول سلطانهم في مصر الحديثة » .

فاذا تجاوزنا المحرر المتصلة بالدين وجدنا دراسات اخرى في اللغة والتاريخ والآثار . وتجدر الاشارة هنا الى ان اليوم الاخير من ايام المؤتمر كان مخصصا في الاكثر للدراسات المتصلة بالادب الحديث . وكان من أبرزها وأكثرها امتاعا بحث الفاه الاستاذ بيبير كاكيا من جامعة ادنبره حول « القصة الشعرية في الادب الشعبي المصري » وقد وافق المحاضرة تسجيلات صوتية لنادج من تلك القصص . وقد لفت الاساذ استيفان فلدس جامعة امستردام اهتمام الجمهور بموضوعه الجدد الجرى ، في مثل هذه المؤتمرات وحسبوه الانسان الفلسطيني في اثار غسان كنفاني الادبية . وقد خلص الاستاذ فلد في بحثه هذا الى ان صورة الفلسطيني في قصص غسان سارت في خط تطوري مواز لتطور القضية الفلسطينية نفسها . على المرحلة الاولى يتخذ الفلسطيني صورة الريف الذي يقتل رغم براسته . يمسأ يمثل الاسرائيلي بجسيدا للرهيب الريحب . وما يمثل هذه المرحلة قصة « ورقة من الرملة » و « رجال في الشمس » . وفي المرحلة الثانية التي تتلها

قصة « ما تبقى لكم » يجد الفلسطيني والاسرائيلي ان كلا منهما يتحدث بلغة لا يفهما الآخر ، وان لا سبيل الى اى تفاهم ، وتجيء مرحلة ثالثة تمثلها قصة « ام سعد » و « عائد الى حيفا » ، وفي هذه المرحلة يتم الحديث عن الفلسطينيين من زاوية شبه طبقية تفوق بين الاغنياء والعقراء ، كما ان الاسرائيلي في القصة الاخيرة يصبح نوعا ما ذابجه انساني *

وقد كانت البحوث والمناقشات تلقى باللغة الالمانية أو الانجليزية أو الفرنسية * ولاحظ كثير من الحاضرين قلة عدد المصاهر التي دعيت لحضور المؤتمر من بين العلماء العرب ، وهذه مسألة طرحت للمناقشة فتباينت حولها الآراء ، ولم يتخذ فيها قرار حاسم * والحق انها ظاهرة تستحق مريخا من العناية ، إذ لا بد من ان يكون هناك تعاون وثيق بين الباحثين الشرقيين والمشتريين في موضوعات تهم الفتى ، لتتضافر الجهود في خدمة الدراسات العربية والإسلامية *

مؤتمر السكان العالمى بوخارست

شهد العالم هذه السنة ثلاث مؤتمرات دولية مختلفة في اتجاهاتها وأهدافها وانقسم فيها العالم الى فريقين متصارعين ، الدول النامية ومعها الدول التقدمية والاشتراكية والدول الصناعية الرأسمالية ومن هم في فئتهما وفي مقدمتها الولايات المتحدة الاميركية * وكان اول هذه المؤتمرات مؤتمر الامم المتحدة الذى عقد فى ابريل (نيسان) الماضى لبحث موضوع المواد الأولية ، وعلاقات الدول النامية مع الدول المتقدمة صناعيا وإعادة النظر فى النظام الاقتصادى السائد ، والثانى مؤتمر الامم المتحدة لقانون البحار الذى عقد فى كراكاس لبحث موضوع الثروات المائية وقضية المياه الاقليمية للدول وحقوق الدول غير الساحلية فى البحار *

والثالث هو مؤتمر السكان الذي عقد في بوخارست من 19 الى 30 اغسطس الماضى • ولقد جسدت المؤتمرات الثلاث حقيقة الصراع بين المستغلين (بالفتحة) والمستغلين (بالكسرة) فى هذا العالم المتصارع -

وبعد جاء مؤتمر السكان العالمى فى بوخارست اكثر جدية فى المواجهة بين النظريتين المتصارعتين لمستقبل البشرية • وقد حضر المؤتمر كل من افغانستان - الجزائر - الأرجنتين - امريكا - النمسا - البحرين - بربادوس - بلجيكا - بوتان - بوليفيا - بورتوجال - البرازيل - بلغاريا - بورما - بوروندى - الاتحاد السوفياتى - الكاميرون - كندا - افريقيا الوسطى - تشاد - تشيل - الصين - كولومبيا - الكونغو - كوستاريكا - كوبا - قبرص - تشيكوسلوفاكيا - داهومى - كوريا الديمقراطية الشعبية - اليمن الديمقراطية - الدانمارك - الدومينيكان - الاكوادور - مصر - السلفادور - غويانا - انيوييا - فنلندا - فرنسا - الغابون - المانيا الديمقراطية - المانيا الاتحادية - غانا - غواتيمالا - غينيا - غينيا بيساو - هايتى - هنغوراس - هنغاريا - الهند - اندونيسيا - ايران - العراق - ايرلندا - اسرائيل - ايطاليا - جاماكا - اليابان - الاردن - كينيا - جمهورية الصين - الكويت - لبنان - ليسوتو - ليبيريا - ليبيا - لوكسمبرغ - مدغشقر - مالاوى - ماليزيا - مكسيكو - موناكو - ميفوليا - المغرب - نيوزيلنده - باكستان - بنما - بيرو - باراغواى - الفلبين - بولندا - نوزلاند - البرتغال - قطر - الجمهورية الكورية - جمهورية فييتنام - ومانيا - السنغال - سيراليون - سنغافورة - الصومال - جنوب افريقيا - سيريلانكا - السودان - السويد - سويسرا - سوريا - تونس - تركيا - اوغندا - اوكرانيا - الامارات العربية - تانزانيا - الولايات المتحدة الامريكية - بريطانيا - الاورجواى - يوغوسلافيا ... بالإضافة الى عدد كبير من المنظمات الدولية وحركات التحرير العالمية .

اهداف المؤتمر

حددت الأمم المتحدة سنة 1974 كسنة السكان العالمية وتتلخص اهداف هذه السنة فى الآتى :

1 - زيادة المعرفة والمعلومات عن الحقائق المتعلقة باتجاهات السكان ومخططاتها المستقبلية والموائل المرتبطة بهذا الموضوع -

ب - رفع درجة الوعي والتقدير فيما يتعلق بمشاكل السكان وما يرتبط بها عن طريق الحكومات والهيئات غير الحكومية والمؤسسات العالمية ووسائل الإعلام .

ج - توفير المواد التعليمية الفعالة عن السكان ، حياة الأسرة ، وأولئك الانجابية عن طريق الاجهزة الرسمية والاجهزة التعليمية الاخرى .

د - تشجيع المناقشة والتفكير فيما يتعلق بالسياسات البديلة وإذكاء الاختبارات الديمغرافية في تحفيظ التنمية ، وكذلك تنمية السياسات والبرامج في المجال السكاسي مما قد ترغبه الحكومات في مياسته .

هـ - توسيع نطاق التعاون الدولي المحالات السكانية وتوفير المعونات الفنية المتزايدة والمساعدة للدول الراعة فيها وطبقا لاحتياجاتها .

ولهذا فقد تقدمت الأمم المتحدة بمشروع خطه عمل عالية للسكان تتضمن المبادئ والارشادات من أجل السياسات والنشاطات السكانية ، وقد اهتمت هذه الخطة بشكسل رئيسي بالسياسات والاجراءات التي تؤثر على التغيرات السكانية ، كالتوالد وانشاء الأسرة ، والأمراض والوفيات والتوزيع السكاني والهجرة والبنين السكاني . الا ان جدول أعمال المؤتمر كان اوسع من هذه الخطة بحيث شمل البحث اتجاهات السكان الحالية وتطورها في المستقبل ، والعلاقة بين التغير السكاني والتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، والمعلومات بين السكان والموارد والبيئة . والسكان والمائلة ، والسكان وحقوق الانسان .

دوافع المؤتمر

تمود الدوافع الحقيقية لهذا المؤتمر من التحولات التي نشأت منذ عام 1800 عندما رفسح مالتوس الحجاب عن نظريته الديمغرافية المشهورة والحلول التي نصح بها لايحاد التوازن النافس بين الزيادة السكانية والموارد الغذائية . وهي النظرية التي تقول بزيادة السكان حسب التوالية الهندسية $1 - 2 - 4 - 8 - 16$ الخ ، بينما تتم الزيادة في الموارد الغذائية حسب التوالية الحسابية $1 - 2 - 3 - 4 - 5 - 6$ الخ . الامر الذي ينتج عنه الفارق الضخم بين عظم تكاثر السكان امام الثروة الغذائية المحدودة وما يتبع هذا الاختلال من فقر وجوع ومرض وخروب . ولقد دعى مالتوس آنذاك الى الحل من التوالد عن طريق التأخر في سن الزواج وعيلية المنزل وما

المترجمين، وشن الحروب الى جانب ما تقوم به الطبيعة من مساعدة في هذا الشأن بما تصوره للبشرية من اوبئة وامراض فتاكة .

ولقد لاقت هذه النظرية صدى واسعا لدى الدوائر والانظمة الاستعمارية الامبريالية فبمسا بعد ، وميررا للتشديد من قبضتها على مناطق استعمارها واستغلالها على نطاق العالم . وما لا شك فيه فقد تصدت لهذه النظرية النظريات التقدمية في التحليل العلمي لاسباب الفقر والجوع والمرض على النطاق الدول وعرضت بطريقة موضوعية الاسباب الحقيقية لتسك المسكر الامبريالي بهذه النظرية والدفاع عنها واعادت الكرة المالتوسية الى مصدرها ، وبرزت ان العالم لم يمان من نقص الحيرات لابتاء البشرية ، والارض العنصر الاساسي للانتاج لم تستغل استغلالا كاملا لصالح بني الانسان . بل ان الاجزاء التي جرى استغلالها حتى الآن لم تتم وفق حاجات ومتطلبات ابناءها الشرعيين . فالاستغلال تقوم به قوى ايدوية تعمل يوحى من مصالح خارجية على حساب اصحاب هذه البقعة او تلك من الارض . ومن هنا بالتحديد يكمن السبب الحقيقي في الفقر والجوع الذي يتدرج بعلاجه الآن اعداء الشعوب من امبرياليين واستعماريين ورأسماليين في هذا العالم .

حقبة الصراع داخل المؤتمر

حضر الدكتور كورت غالدهايم السكرتير العام للامم المتحدة في كليته التي افتتحت فيها اعمال المؤتمر ، حذر من قرارات سياسية تطغى على اعمال المؤتمر ، الامر الذي يعرف المؤتمر عن اهدافه الاساسية . ولقد رافى هذا التحذير جومر التخوف في مهتمل اعمال المؤتمر من انقسام يقع بين الدول النامية والدول المصنعة .

والدكتور غالدهايم والمخوفون معه هم من الفئة التي تملك القدرة على الادراك بان مشكلة السكان وطرق معالجتها على الصعيد العلمي في ضوء حدود الاستغلال للمواد الغذائية والثرروات المتاحة لا يمكن فصلها عن اصولها الاقتصادية وخصوصها للنظام الاقتصادي الدخول الزاهسن الذي تلعب الاحتكارات الرأسمالية والاستغلال الامبريالي الدور الاساسي فيه ، ومن هنا جاء التحذير والمخوف مما قد وقع فعلا في المؤتمر .

وقد تقدمت الامم المتحدة بسودة خطة ترمي فيما ترمي الى تنظيم الاسرة وتحديد التسلسل وتفضيض معدل النمو السكاني ضمن جدول زمني يطبق بشكل كامل خلال عام 1985 . وقد ايلت كل من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكيسية والصين الى التصديق لهذه الخطة بشبه الامر الذي حمل كل من الاتحاد السوفييتي والصين الى التصديق لهذه الخطة بصفه . حيث اعلن المذهب السوفييتي في الجلسة يوم 8/20 ان المشكلة هي الامبريالية وهي المسؤولة عن الفقر في العالم الثالث ، وليست مشكلة السكان . واكد ان الوضع السكاني يحتاج الى اصلاحات اقتصادية واجتماعية دولية . كما هاجم المذهب الصيني بشبهه كل من الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي لانارتهمسا المخاوف حول انفجار السكان في العالم . وقال ان الحل للمشكلة السكانية في العالم يكمن في مكافحة المدون والذهب الذي يمارسه على شعوب العالم النامي كل من الاتحاد السوفييتي والامبريالية الامريكية وان الادعاء بان المشكلة تكمن في زيادة السكان الهائلة وكيفية الحد منها هو ادعاء مجانب للحقيقة وينطوي على محاولات مفضوسة للتستر على حقيقة المشكلة التي تكمن بالمدون والذهب الامبريالي .

ان الصين التي بلغت زيادة السكان فيها بنسبة 60٪ خلال العشرين سنة الماضية قد تجاوزت هذه النسبة في الزيادة الاقتصادية والتحسين الاجتماعي . وهذا ما يفند النظرية الراسالية الامبريالية حيال مشكلة السكان في العالم . كما اعرب الكثير من وفود العالم الثالث في المؤتمر عن نفس المشاعر التي تقدم بها مندوب الصين الشعبية .

القضية الفلسطينية في المؤتمر

دعا رئيس الوفد الفلسطيني في المؤتمر الدول المشاركة فيه الى وضع حد للارهاب والتوسع والعدوان الصهيوني الموجه ضد الشعب الفلسطيني .

وقال : ان الوجود الصهيوني في المنطقة العربية اعاق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة . الامر الذي حمل تحقيق التنمية امرا مستحيلا . واثار الى سياسة التجويع والتمييز والارهاب التي تمارسها سلطات الاحتلال الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني وتقاتلها مع سياسة التمييز المنصري التي تمارسها حكومة جنوب افريقيا وروديسيا المنصرية ضد المواطنين الافارقة وان هذه السياسة فرضت الخلف في مجالات التعليم والزراعة والصناعة على شعب فلسطين

بل انها امدت بآثارها السيئة الى باقي الاراضي العربية الاخرى * واكد ان الحل الوحيد للمشكلة الفلسطينية هو الحل الديمقراطي وبناء الدولة الديمقراطية الفلسطينية التي تتعاضد فيها جميع الاديان والاجناس بحقوق متساوية ويسود تمييز ومن هنا فان المشكلة الانسانية في منطقتها العربية اصبحت مشكلة الكائن الانساني وحقوق الانسان

ولقد كان لهذه الكلمة وقع كبير داخل المؤتمر الامر الذي حطه على التاكيد بان كل حل للقضية الفلسطينية يهدف الى القضاء على حركة المقاومة الفلسطينية ولا يعترف بحقوق الشعب الفلسطيني الشرعية يجب ان يشجب *

وقال في بيان اصدره في نهاية اعماله بشأن القضية الفلسطينية ان القضية الفلسطينية هي مسألة ارض وليست مسألة لاجئين ويجب الاعتراف بالشعب الفلسطيني ودعم نضاله من اجل تحرير وطنه *

المؤتمر والمشكلة الاساسية

بطرا لانقسام العالم الى ثلاثة اقسام داخل المؤتمر بين مؤيد للمشروع الذي تقدمت به الامم المتحدة وبين معارض وبين مطالب بالتعديل، ونظرا للقاسم المشترك الذي يجمع بين هذه الاطراف الثلاثة في ان أي محاولة لتخفيض معدل النمو السكاني دون ايجاد الوسائل الكفيلة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية هي محاولة عديمة الجدوى فقد جزم المؤتمر بقرار يقضي بترك كل دولة تعالج قضاياها حسب ما ترتأيه من وسائل تحقق لنفسها منها افضل النتائج على ان يعقد مؤتمر آخر لنفس الغاية يحدد موعده فيما بعد . وهكذا انتهى مؤتمر السكان العالي في يوغا ريسيت كما انتهى مؤتمر قانون البحار في كاركاس ومن قبله مؤتمر الامم المتحدة لبحث موضوع المواد الأولية وعلاقة الدول الفقيرة مع الدول المصنعة بلا نتائج لقضاياها المطروحة وارجاء البحث فيها في دورات قادمة *

الفتاحية

مولود قاسم نابت بلفاسم ■

قيمة اللغة في نظر بعض الامم

دراسات ثقافية وادبية

8 د * موسى سويي

لمحة عن تاريخ العلوم عند العرب

24 د * هشام بوقصره

عودة الاسباح المنشوعة

31 مولود قاسم نابت بلفاسم

الموسيقى الكاملة

36 د * الحاج جرماتوس

نهضة الادب العربي

48 د * محمد اليملاوي

بلاط بني حمدون بالمسلة من حلال شعر ابن هاني

62 د * عبد القادر حليمي

تلوث البيئة

74 د * تركي واسبج

ابن ياديس ونشأة الحركة الاصلاحية في الجزائر

95 علي مرحوم

لمحات من حياة ابن ياديس

دراسات تاريخية

116 د * العربي الزبيري

تأسيس شركة بكري وبوجناح

124 محمود بوعباد

رحالة مصري يزور الجزائر في القرن التاسع

136 مولاي بالحمي

الوزير الزباني في الجزائر العاصمة

144 د * ليل الصباغ

عبد الملك بن مروان أصالة عربية اسلامية

159 د * موسى لقيال

البتر والبرانس والمظهر الاجتماعي لسكان المغرب

167 محمد المنوني

عبد الرحمن الجامعي القاسي

187 د * محمود دياب

صلة اسرائيل بأرض فلسطين

من معاضرات ملتقى بجاية

193 عبد المجيد مزبان

جدلية الانحطاط الاقتصادي في الحضارة الاسلامية

206 د * مصطفى عبد الله بصو

دور الشمال الافريقي في الحضارة والفكر الاسلاميين

215 د * محمد زنيبر

المنتقف المغربي بين الفاعلية والسلبية

نلوات

227 د * هشام شرابي

العائلة والتطور الحضاري في المجتمع العربي

237 د * اسحق يعقوب القطب

تعليق على دراسة العائلة والتطور الحضاري

267 د * محمد جواد رضا

ازمة التطور الحضاري معناها وملاساتها

دراسات لغوية

277 محمد الصالح رمضان

من فصيح العربية في العامية الجزائرية (2)

مناقشات

287 محيي الدين باشي تارزي

حول مقال : المسرح الحديث بدأ مع جيش التحرير

قيمة اللغة

في نظر بعض الأمم (1)

السيد مولود قاسم نايت بلقاسم
وزير التعليم الأسلي واشؤون الدينية

في مقال سابق « تعريب الامخاخ والقلوب » قلنا ان الاستعمار قد نجح لدينا الى حد كبير في المجالين العقلي والعاطفي ، وان علينا ، قبل تعريب الالسنه ، تعريب الامخاخ والقلوب . فلدينا عناصر لا تكتفي بالحكم على العربية - ومنتهى الحقايرة احتقار الانسان للغة - ، بل نجدها تتجاوز هذا الى حد الرغبة في فرض عالمية الفرنسية ورسميتها على بقية اجزاء العالم . فلقد وعب مثلا طلبة جزائريون جاءوا الى المانيا للدراسة في ان يمتحنوا في الاخير - اى بعد سنوات من الدراسة والاقامة هناك - بالفرنسية ورفض الالمان ذلك طبعا .

وقد سمعت كثيرا من اخواننا - حتى من بين عناصرنا الوطنية - يستثرون ممن

(1) هذا المقال نشر في جريدة المجاهد الاسبوعية بتاريخ 1962/11/22 .

ان الالماني ، او النمساويين ، او غيرهم من الاوروبيين لا يفهمون الفرنسية ، ويقولون عنهم « ما اجهلهم ، كلمتهم بالفرنسية فلم يفهموا . ماذا يفقهون في هذا البلد ؟ » . هذه العناصر نجدها حتى من بين أولئك الذين أقاموا في هذا البلد أو ذاك سنوات بدون ان يتعلموا لغة . فهم يذكرونني - مع الفارق الكبير - بذلك الاسباني الذي بعد ان أقام في كوبنهاغن سنين طوالا ولم يتعلم الدانماركية اجاب بما يأتي عن اسباني آخر سألته عن رأيه في الدانماركيين : « انهم يا صاحبي كلهم احمره » . اني في عاصمتهم منذ عشرين سنة ولم يتعلموا مني التكلم بالاسبانية بعد ! » .

هذه الطائفة تريد « جزائر حديثة .. ذات لغة حديثة ثلاثم العصر .. » . وبعبارة اخرى يريدون ان يجعلونا على مستوى واحد - في هذه النقطة - مع تلك البلاد التي يسمونها « افريقيا المتكلمة بالفرنسية » مثل ..

فاذا كانت هذه الطائفة مستغلب فاقول ما أحلى ذلك العهد ... (1) اذ كانت مدارس حزب الشعب ومدارس جمعية العلماء منتشرة خلال القطر كله رغم جميع الصعوبات . وكانت المطالبة باللغة القومية مقرونة بالصراع من أجل مجلس تأسيسى ذى سيادة . من أجل الاستقلال التام بجميع عناصره ، وكان هناك إجماع على ذلك .

وقلنا أيضا في المقال السابق أن اللغة ليست الا الصورة الخارجية للتفكير والاحساس . الواقع انها أكثر من هذا . فهي تلك الصورة التي تغطي محتواها لونا ، وشكلا ، وقواما . فهي ذلك التيار الذي يبعث الروح في جميع اركان الكيان الوطنى . وذلك الاسمنت الذى يضمن وحدة البنيان القومى والذى بدون تلاحمه لا يمكن أن يكون أى كيان لامة من الالام .

والاسلام نفسه يعترف بهذه القيمة الجوهرية للغة - فلان العرب كانت أمة تمتاز بلغتها وتفتخر بها . انزل القرآن نصفا إعجازية لهم ، وكان احدى معجزات الاسلام واحدى اسلحة الرسول في التغلب على عنجهية الجاهلية .

وفي التاريخ الحديث نجد ان اللغة لعبت دورا رئيسيا في تكوين أو انبعاث دول أو دويلات . فعرف تصب الفلاميين في بلجيكا للفنهم ، وحرصهم على خلق مروق

(1) « Que la République était belle sous l'Empire »

كما كان يقول الفرنسيون !

بينها والهولندية الام وذلك لنسيان عهد الاحتلال . وكلنا نعرف الدور الذي كان للغة في اسعاث الامة التشيكوسلوفاكية . فقد حاول كل من النمساويين والامان احتقار التشيكية واعتبارها « لهجة افذاض » . وذلك لنفي كل ماض ثقافى قومى عن هذه الامة . وبالتالي نفى وجودها . ولا يزال النرويجيون حتى اليوم فى صراعهم مع آثار الاحتلال الدانماركى والسويدي فى لغتهم . فمع التآخى الكامل فى اغلب الميادين مع هذين البلدين ، ورغم القرابة الوثيقة فى اللغة الى حد النفاهم بدون دراسة أحد منهم للغة الآخر ، نجد الاولين حريصين جد الحرص على محو الآثار اللغوية التى تذكرهم بمهد « الاتحاد » مع هذين البلدين ، بقصد اثبات ان هناك امة نرويجية لها لغتها ، ومميزاتها ، وذاتيتها . بل وحتى فى فرنسا نفسها نجد نوعا من هذا : لا تقاوم جريدة لوموند فى مقالات متسلسلة منذ صنين تسرب كلمات اجنبية (اوروبية) الى الفرنسية ؟ الا تنادى بالويل والثبور لمستقبل اللغة ، وبالتالي للامة الفرنسية ، اذا استمر هذا الوضع ؟ وفى المانيا : ألم يستبدل الالمان فى عهد النازية (كاتب هذه الكلمة ليس ممن انصار النازية ولا الشيوعية) كلمات المانية خالصة بالمركبات اليونانية اللاتينية ؟ (الباء تدخل دائما على المتررك) . ألم يعتبر العيسوف الالمانى الكبير فيخته ، تلميذ كنط ، اللغة - بجانب المقاومة المسلحة - عاملا ضروريا على استقلال المانيا واعادة وحدتها ؟ ففى كتابه « خطاب الى الامة الالمانية » ، الذى هو مجموع محاضرات القاها فى جامعة برلين قبل التحاقه بامية . اخذ فيخته يبرز جمال اللغة الالمانية وغناها وما لها من روعة ، وكيف أن كثيرا من لغات أوروبا ما هي الا لهجات متفرعة عنها . ويبيى ما لهذه اللغة من قوة على اعادة شمل الامة الالمانية المشتتة اذ ذاك الى أكثر من ثلاثين دولة وولاية ، ونعت مجدها ، واثارة الشعب الالمانى فى وجه الجيوش المحتلة ، حيرش نابليون . فقد كان اعتقاد فيخته فى قدرة اللغة على رفع معنويات الامة ، واعادة وحدتها ، وتوطيد أركانها من القوة بحيث ظن أنه أدى رسالته وغادر الجامعة بمجرد انتهائه من القاء مضمون كتابه المذكور . جارا وراءه أغلب طلبته من جامعة برلين رأسا الى جبهة القتال .

فى هذا الوقت رحل الصدى من بون ، صدى الموسيقى الثائرة فى وجه نابليون موسيقى بيتهوفن الذى كان يرى أن الموسيقى أروع وأقوى تعبير . وخلد بالحنان بعض

قصائد صديقه . شاعر الحرية والثورة شيللر . وكانت نيته الاولى بدء سيمفونيته التاسعة بقوله : « هكذا قال شيللرنا الخالد » . هكذا يتلاقى الفيلسوف فيخته والموسيقار بيتوهون مع الشاعر شيللر للثورة ، وتمجيد اللغة ، وحفظ كيان الامة !

نعم ان الفرنسية جميلة وجميلة جدا ، وقد تكون ضرورية لنا لمدة . ولكنها تأتي بعد لغتنا التي ، فضلا عن انها جميلة ، وغنية جدا ، وذات تقاليد علمية ، ويعتبرها الفرنسيون أنفسهم من كبريات اللغات - فهي لغتنا - ثم ان هناك لغات أخرى لا تقل جمالا عن الفرنسية ، ونحن - في هذه النقطة (1) ، من اعداد تعدد الزوجات مثني ، وثلاث ، ورباع ، وأكثر !

وأوجه الآن الى حكومتنا وبعض مؤسساتنا الثقافية والشعب كله :

1 - فمن الحكومة نريد البدء بالرأس ، أي ضرب المثل من فوق : فبجانب ايجاد المدارس والمعلمين وبقية المشاريع نريد الآتي :

أ - اجراء المناقشات في مجلس الوزراء بالعربية (اذا لم يكن الحال كذلك الآن) .
ب - تعريب الدوائر الحكومية (من الكتابة على الابواب والاوراق الرسمية الى الخطب والقرارات والبيانات الخ) (2) -

ج - تنظيم دروس عربية لمن لا يعرفها من الوزراء والموظفين . فمع كثرة أشغالهم يستطيعون أن يكرسوا جزءا من أوقاتهم لتعلم لغتهم القومية - ان سعد زعول ، مع مسؤولياته، تعلم الألمانية وهو في السبعين - كما ان بن غوريون البولوني المولد تعلم العبرية بعد وصوله الى فلسطين ، ومع أشغاله وكبر سنه يتعلم الآن اليونانية القديمة - وديفول تعلم الألمانية في أسابيع - او حاول تذكر ما تعلمه منها ونسيه منذ أكثر من خمسين سنة - ليلقى خطبه في ألمانيا بالألمانية .

2 - من مجلس النواب زيادة استعمال العربية . فلي من لا يعرفها منهم تعلمها بسرعة ، وعلى من يستطيع التكلم بالفصحى ملازمة ذلك . فما دام هناك مترجم فلم لا تستعمل الفصحى « وبالتنوين » ، كما يقول البعض سخريه ؟ والكلام بالفصحى - لمن يستطيع ذلك - أحسن درس عملي في العربية لاغلب النواب وبقية المستمعين ، فيسكون عدوى مفيدة تعم الجميع . فالمسألة كلها تمرن وتعود .

(2) وفي نقاط أخرى شيرملي (3) تحقق شي كثير من هذا ، وفي تحصن مطرد الآن .

3 - من الاخ وزير الدفاع منع استعمال الالفاظ الفرنسية للرتب العسكرية
مما صارما ، فتتبع مثلا كلمة « الكولونيل » من لافتات الشوارع ، ومن الامخان ،
ويستعمل مقابلهما العربي (1) .

4 - 1 - من الاذاعة عدم استعمال بعض اسماء اعلام فرنسية لامكانية جزائية
مثل « ميزون بلانش » ، روشي نوار ، الخ . اذ انها تؤدي الاذن بورودها في نص عربي.
لتترجم «ميزون بلانش» بالدار البيضاء (2) و «روشي نوار» (3) «بالصخرة السوداء» أو
« الحجر الاسود » ، أو كما نريد ، وانما لنستعمل اسماء عربية عوضها .

ب - من الاذاعة ايضا وغيرها من مؤسساتنا التخلي عن الترجمة الحرفية القاموسية
من الفرنسية الى ترجمة لمعى طبقا لروح اللغة المترجم اليها . فجملة « وكان الاخ
ديدوش مراد أول رئيس ولاية أن يسقط » (4) تستحسن ترجمتها هكذا :
« والاخ مراد ديدوش أول رئيس ولاية استشهد » أو : « أول من استشهد من رؤساء
الولايات » ، لان استعمال «أن يسقط» ترجمة حرفية غير عربية ، وكان ينبغي استعمال
« سقط » (أي الماضي) . هذا من ناحية النحو والتركيب . فضلا عن قلة الفوق في
كلمة سقط ويسقط !

ج - استعمال القائم بأعمال « » (5) التي جرى بها الاستعمال في جميع البلاد
العربية عوض « المكلف بالمهام » (6) التي تستعمل في سياق آخر وبمعنى آخر « (7)

(1) هذا كله تسم .

(2) سمي قفلا : « الدار البيضاء » .

(3) سمي « أبو مرداس » .

(4) à tomber

(5) chargé d'affaires

(6) chargé de mission.

(7) وامثال هذه الترجمات الحرفية . المحرفة ، المشوهة ، الملوقة ، تسميها مدرسة B Russel « ترجمة
قاموسية » ، أي عكس الترجمة التي تحترم عبقرية اللغات le génie des langues . على انه لا ينكر
احد ان الترجمة من اصعب الامور والامان هم الذين يقولون ان الترجمة كاللغة : فاما ان تكون جميلة وليست
وقية ، واما ان تكون وقية وليست جميلة : اما ودية جميلة ... فمقصود نادا

د - ترك الواو في « الديمقراطية والشمعية » اذ ابهما بدل . كلمتان مترادفتان لا يحتاجان الى واو العطف الذي هو ترجمة حرف العطف العرنسي (8) ، وهو خطأ مدح في العرنسية ، وامسح في العربية .

ر - ترك التكرار في « الاداعة الجزائرية للراديو والتلفزيون » ، واستعمال « محطة الجزائر للاذاعة والتلغزة » أو « اذاعة الجمهورية الجزائرية ... » ، اذ الاذاعة هي ... الراديو ! (9)

5 - من فرقنا المسرحية التمثيل بالفصحى لا بالعامية . فنظرا لاهمية دور المسرح الثقيفية وطرب شعبنا لسماع الفصحى فلمنثل بالفصحى وبها فقط ، ولنترك القشتالية (وهي ذلك المزيج العربي الاسباني لدى الاندلسيين قبل سقوطهم) .

على أن المسؤولية الكبرى في مسألة التعريب هذه تلقى قبل كل شيء على عاتق المتقنين بالعربية ، والعبء على الشعب كله لا على الحكومة ، ومجلس النواب ، والمؤسسات الثقافية فحسب ، وسنعود الى الموضوع .

(8) فكرة « ديمقراطية » من الكلمتين اليونانيتين « ديموس » و « كراتين » أي حكم الشعب ، و « لشمعية » في هذا الوصف تكرر له ، أي أن « الديمقراطية الشمعية » لفظ واحد مكرر معناه « الشمعية الشمعية » ، وإذا ما حاز هذا التكرار السمع في اللغات الأوروبية نفسها ، التي تفرق بين اللفظتين المكررتين بحرف المطب ، واشطرونا أن تجاريهم في هذا التكرار ، فليكن ، ولكن بدون حرف العطف في العربية . طبعاً قد يبدو هذا كله من التفاصيل ، والجريئات ، والسلطحيات ، والصفاسف ، في نظر البعض ، ولكن ما استغنم عندما يصرون على : « الجمهورية الديمقراطية والشمعية » !

يبل وإن لفظ الديمقراطية نفسه ، فضلاً عن اسمية ، تكرر ، لأنه حثفن في الاسم « الجمهورية » الذي مناد حكم الجمهور ، أو الاغلبية ، أو الشعب ، وهذا يسميه اناطقة عندنا « باب تحصيل الماحصل » ، ويمسجه الاوروبيون "Tautologie"

(9) هذا أيضا تسم



لمحة عن تاريخ العلوم عند العرب

الدكتور محمد سويس

كلية الآداب - جامعة الجزائر

يقول الفرنسي André Servier في كتابه «الاسلام ونفسية العلم» الذي اصدره في حدود الاربعينيات من هذا القرن : « ان المدنية الاسلامية اقل من ان يمتنى بدراستها اذ هي تقليد مشوه لمدينتي اليونان والرومان. سقط العرب على عاتقها في الكتب السريانية فاقبسوها دون ان يعرفوا لها بما يستحق الذكر من النقد ، لان العربي قد اثبت ان لا طاقة له على استقصاء البحث بصورة جدية ولا قدرة له البتة على ابداع شيء من عنده

ولم يتقن العرب من العلوم الا التي لا تحتاج الى عناية في التفكير أو مشقة في البحث وكانت سبيلها ميسورة كالناريخ والجغرافية وما اليهما ... »

هكذا يقول وهذا ما نطالع نحن ، فنقف حيارى لانكاد نفقه امرا وتختلط السبل امامنا فما هي حقيقة الواقع ؟

اننا اد نطالع الكتب الغربية في شتى ميادين المعرفة نجد فيها عشرات او قـل مئات من المصطلحات العربية البحيـلة على لغاتها المتداولة بين اهل الذكر من علمائها . ففي الرياضيات نجد اللفاظ : zéro المحرف عن اللاتينية zéphirum المقول عن العربية : الصفر ، و tare (تحريف الطرح) و algorithmic او algosiane (من الخوارزمي) و algèbre (الجبر والمقابلة) losange من (اللوريج المارسية) وفي الموسيقى gamme (من الجمع) وفي الكيمياء élixir الاكسير و alambic (الانبيق) و alcool (الكحول) و alcali **القل** ونقل الى اللاتينية في صورة Kallitum واختزل في صورة الحرف K واستعمل رمزاً لاحدى القليات : البوتاس وفي الفلك azimut zenith الـمضادة alidade Dénébola « ذنب الاسد » Algol (السمـت) واسماء النجوم ومجموعاتها مثل Algol الدبران Aldébaran النول و Algéti, Bételgeuse, Kokab, Algerib Vega النسر الواقع و Rigel رجل الجبار و Pomalhaut فم الحوت و Mercab **مركب** وفي حساب المعاملات والرياضيات التجارية chèque (صك) و aval (حوالة) و douane (قبالة) و gabelle (ديوان) السخ السخ .

نقتصر على هذا العدد القليل من المفردات ونقول : هل البعرة تدل على البعير ؟ وهل يدل اثر السير على المسير ؟ وهل يدل اللفظ العلمي على العالم القدير ؟ فيجبنا أشهر مشاهير الاعلام في الغرب نفسه ، لا التكرات غير الموصوفة . وهذا العالم الهندسي لفرنسي Charles صاحب النظرية الشهيرة ، يذكر كتاب الجبر والمقابلة فيقول : « ان كتابا ألفه محمد بن موسى قصده المبتدئين كان معلما الاوحد في الحساب والجبر طيلة عدة قرون » . وفي شأن ابي الوفاء الـوزجاني يقول الفلكي Delambre « هو راصد متقن وحساب ذكي » ويقول Charles هو من عيون الحسابين ، ويقول Arago و Mathieu في تقرير قنـماء لجامعة العلوم بباريس في العاشرة من ديسمبر 1838 : « لقد وقف العرب على الاختلاف الثالث لحركة القمر ، وقد اثبتـه ابو الوفاء ببـعداد ستة قرون قبل أن يتسمى الى Tycho Brahé المحقق منه » . وهذا الفلكي العـد Lalande يحشر البتاني ، بطليموس العرب . ضمن من بلغ القمة في ميدان العلم وحلـقوا في الفضاء الاعلى ، ولا يتجاوز عددهم

في نظره العشرين من الشخصيات العلمية ، وهذا اسم ابن سينا ينقش على بوابه
كلية الطب بباريس بجوار اسماء العلماء الاعلام من الحصور القديمة والحديثة .

فمن ذا الذي سنقلد اذن السيد Service أم هؤلاء الذين ذكرنا ؟ على اننا ،
وان كان التواتر يفيد عادة القطع ، نرى أن نصرف الاهتمام الى محتوى هذا الراى غاية
الامكان ونخلص العناية به ونأمله ونوقع الحد والبحث عن حقيقته ونسأنف النظر في
مبادئه ، ولتبتدىء في البحث باستقراء ما بقى لدينا من آثار العلماء العرب مع العلم
ان ما بقى ما هو الا قطر من بحر وغبض من فبض - ومع الاشارة ايضا الى انه لا يمكننا
أن نسنعرض كل ما أتى به العرب من جديد في ميادين العلم وانه من المنعذر أن يحاط
به ولو احاطة اجمالية في حديث كهذا بل وحتى في عدة احاديث .

فستكتفى اذن فيما يلي بلمحة خاطفة من بعض ما وقفنا عليه من آثار العرب
في ميادين خاصة من العلوم ، ميادين الفيزياء والكيمياء وعلوم طبيعية .

آثار العرب في الفيزياء :

اشغل العرب بالفيزياء اما مباشرة معتبرين اياها علما مستقلا له طرقه الخاصة
ونظرياته الذاتية واما عرضا كوسيلة لصنع الآلات التي يحتاجون اليها في الرصد
الفلكي او في الطب وغيره ومن اهم هذه الآلات الاسطرلابات والارباع والمواريث
والمنازل المريا .

فنقلوا عن اليونان مبادئ علم الخيل وتأثروا على الخصوص بفلسفة ارسطوفى
الطبيعيات وبرسائل ارشميدس في علم التوازن . كما وقفوا على نقد يحيى النحوى
لفلسفة ارسطو ، ولا سيما عند ذكر حركة القصر في الفذائف فكان ارسطو يرى
ان الوسط الذى تتحرك فيه القذيفة اما يدعمها بواسطة قوة كامئة فيه بينما يصرح
يحيى أن آلة القذف طاقة تختزن في القذيفة نفسها . وكان يقول ايضا ان سرعة
الجسم الساقط في الفراغ تنهاى الى سرعة قارة مناسبة للقوة المحركة وان هذه السرعة
تنخص في الهواء متأثرة بمقاومة لوسط . فنقل ابن سينا هذه النظريات وحللها
واضاف اليها آراء طريفة .

وفي القرن الثانى عشر الميلادى أكد ابو البركات البغدادى - خلافا لراى
القديما - ان الفراغ موجود . وحاول أن يفسر فكرة يقارب مدلولها ما نسمى اليوم

بالتسارع - ويذكر يوشكفيتش أن البيروني وقف على معنى السرعة الآتية والتسارع والحركة غير المنتظمة .

ونقل العرب أيضا ما جاء في كتب إيرن الاسكندري من تطبيقات لرفع الانتقال ولتحويل وجهة الحركات ولصنع الآلات المتحركة تحركا تلقائيا .

وتبع أبو الريحان البيروني في الرياضيات والفلك والفيزياء، وعلم الحيل وتقتصر على ذكر التجارب التي قام بها بحساب الوزن النوعي لثمانية عشر عنصرا من الجواهر المعادن مستتبلا لذلك جهازا مازال يستعمل لهذا الغرض حتى اليوم ووصفه سعد الدين التفتازاني في كتابه « شرح المقاصد » .

ويشتمل هذا الجهاز على وعاء في شكل مخروط ناقص مصه متجه الى اسفل فيزن البيروني الجسم بالهواء ثم بالماء ويتسكن هكذا من معرفة حجم الماء المزاح أى حجم الجسم نفسه .

« وحمل ، حسب قوله ، قطب الاعتبار في الجواهر مائه من الياقوت الاكهم ، وكذلك في الفلزات مائة من الذهب الابزير المخلص مرارا » فيجد أن وزن الزئبق المساوي لحجمه أحد وسبعون من القطب وأن نسبة حجم الحديد الى حجم الذهب المتساويين في الوزن نسبة مائة واحد وخمسون الى ثلاثة وستين » .

وإني أعدت حسابات البيروني وقارنت بينها وبين النتائج المتعارفة اليوم فوجدت الجدول الآتي :

الجسم	الوزن النوعي بالنسبة الى الماء	الوزن النوعي المتواضع عليه اليوم
الذهب	19	19.3
الفضة	10.38	10.5
النحاس	8.68	8.9
الاسبراب	11.44	11.30
العفر	8.86	
الزئبق	13.5	13.595
الحديد	7.92	7.9
الكلزورد	3.91	3.9
العقيق	2.90	الخ

وهذه الاعداد نفسها ودقتها تكفيها مؤونة الحكم على عمل البيروني في هذا النطاق العلمي .

وفي القرن الثالث برز الحسن بن الهيثم في علم المناظر . وكان هذا العلم يشمل ما يعرف اليوم بالبصريات في مظاهرها الهندسية والطبيعية والمزاجية والنفسانية . كما يشمل عديدا من مشاكل الطواهر الجوية والملك والعيزياء العامة .

وقصد ابن الهيثم من مصنفاته في هذا العلم ثلاثة اعراض نقلها عنه ابن ابي اصيبعة في « عيون الانباء » فيقول : « وأنا - ما مدت لي الحياة - باذل جهدي ومستفرغ قوتي في مثلي ذلك متوخيا منه امورا ثلاثة احدها افادة من يطلب الحق ويؤثره . في حياتي وبعد مماتي . والآخر اني جعلت ذلك ارتياضا لي بهذه الامور في اثبات ما تصوره واقتنه فكري من تلك العلوم . والثالث اني صيرته ذخيرة وعدة لزمان الشيخوخة واولان الهرم » .

ولعل احسن ما يمكن ان نتقدم به في هذه البسطة الوجيزة عن اعمال ابن الهيثم ان نحمله هو نفسه . في مقدمة كتاب المناظر . يعرض علينا طريقته في البحث العلمي فيقول :

« ونبتدى في البحث باستقراء الموجودات وتصنيف احوال المبصرات وتمييز خواص الجزليات . ونلتقط باستقراء ما يخص البصر في حال الابصار . وما هو مطرد لا يتغير . وظاهر لا يشتبه من كيفية الاحساس .

ثم نترقى في البحث والمقاييس على التدريج والترتيب مع انتقاد المقدمات والتحفظ في النتائج . ونجعل غرضنا في جميع ما تستقره ونصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى . ونحترى في سائر ما تميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الاواء ...

فلعلنا ننتهي بهذا الطريق الى الحق الذي به يثلج الصدر . ونصل بالتدريج والتلطف الى الغاية التي عندها يقع اليقين . ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التي يزول معها الخلاف وتنجسم بها مواد الشبهات ...

وما نحن مع جميع ذلك برآء مما هو في طبيعة الانسان من كدر البشرية . ولكننا بجتهد بغير ما هو لنا من القوة الانسانية . ومن الله ستمد المعونة في جميع الامور » .

اولا : يتخيل لك انك تتلو صحيفة من النثر العلمي المعاصر ؟

ثانيا : تجد شبها قويا بالطريقة التي رسمها بيكن ونيوطن لعلوم التجريبية ؟
الا تحس في بعض مقالات كلود برنارد صدى لافكار ابن الهيثم وترجيح وترديد لما كان
يخالج خلدك وقت البحث او عند عملية الخلق والابداع ؟

فبهذه الطريقة تمكن ابن الهيثم من اتخاذ الموقف العلمي الصحيح من خلاف
ذى اهمية اساسية كان قائما بين الفلاسفة وعلماء المناظر الاقدمين في تصور كيفية
الابصار اهو بخروج شعاع من البصر الى المبصر ام هو يورود خيال المبصر الى البصر .
فيقول في شان هذا الخلاف : « ولما كان ذلك كذلك ، وكانت حقيقة هذا المعنى مع
اطراد الخلاف بين أهل النظر المتحققين بالبحث عنه على طول الدهر ، ملتبسة وكيفية
الابصار غير متيقنة رأينا أن نصرف الاهتمام الى هذا المعنى بقاية الامكان ، وتخلص
العناية به وتنامنه ، ونوقع الجدل في البحث عن حقيقته ، ونستأنف النظر في مبادئه
ومغدماته ، ثم ترائلت الاسئلة مزدحة على فكره : هل الاضواء جميعا سواء منها
المشرق من الاجسام المضيئة بذاتها أو المشرق من الاجسام المستضيئة بغيرها تمتد في
الجسم المشرق الواحد على السموات المستقيمة ؟

وان قيل ان الابصار يكون يورود الصور من المبصر الى البصر فان هذا الضوء يرد
من كل نقطة من المبصر الى جميع سطح البصر ، فكيف يتسنى للبصر ان يدرك المبصر
باجزائه المختلفة والوانه وتخطيطاته كما هو عليه في الواقع دون ان يختلط كل ذلك
بعضه ببعض ؟ وكيف يدرك البصر المبصر في مكانه خارج البصر ؟ وكيف يتسنى له
ان يدرك بعده وعظمه وشكله ؟ وكيف يتسنى ان يدرك المبصر واحدا بالنظر اليه بالعينين
الاثنين ؟

وايضا هل الاضواء جميعا تنعكس على صفة واحدة ؟ وان كان الامر كذلك فما هي
الصفة العامة التي تنعكس عليها الاضواء جميعا ؟ واين يكون الخيال المشاهد وما هي
صفاته ؟

هذه هي الاسئلة العديدة التي تواردت على فكر ابن الهيثم فحلها وكانت حلوله
موقفة ، والهم في غالب الاحيان الى حقيقة الواقع .

ونحن نرى ابن الهيثم يعيد النظر فيما عرف من علم النور مبتدئاً من البداية كان لم يسبقه فيه أحد ، ناقداً المادى ، ومحفظاً محتزاً غير متدفع ولا متسرع الى تسجيل النتائج ، بل يكرر التجارب فى ظروف مختلفة . ويتنبع الواقع بنفسه ويربط الصلة بين مظاهره ويتسق نتائجها تنسيقاً . وبهذا العمل المتواصل المستمر قد انشأ ابن الهيثم علم النور والبصريات .

نعم ان اقليدس قد بحث قبله فى مظاهر الانكسار . وتناول بطليموس درس الانكسار ونظير ارسيدس فى المرايا المحرقة .، الا انها كانت معارف مشتقة ، وارشادات متفرقة لا تضمها الوحدة التى يتكون الهيكل العلمى ، بل ان النور نفسه لم يثبت وجوده كظاهرة طبيعية لها ميراتها وخصائصها التى يكون فى الامكان قياسها وتقديرها تقديراً رياضياً ، فقد كان اصحاب التعاليم متفقين فى ان الابصار هو بخروج شعاع من البصر الى المبصر ، اى انه من الصفات الوظيفية للعين ، منها يمتد شئ حتى يلمس المبصر وذلك يتم الاحساس فيكون شأنه شأن ما يسميه علماء الاحياء فى الحشرات « قرون الاستشعار » . بل ان ديكارت بعد ابن الهيثم يستعق قرون يشبه الانسان وهو يبصر المبصرات بعينه الاثنتين بالكيف الذى يتحسس المحسوسات من حوله بصورين يسكنهما فى يديه .

فكانت مزية ابن الهيثم ان اقر وجود ظاهرة النور فى ذاتها ، فالنور كائن طبيعى متميز عن سائر الكائنات قابل للدرس ، وبذلك بالفعل قد انشأ علم النور او كما يسميه ابن الهيثم علم المناظر .

ثم ان ابن الهيثم لم شعت المظاهر العديدة واطهر الصلة بينها وتدرج من ذلك الى القوانين العامة .

ومن النظريات التى اختصر بها ابن الهيثم تفسيره لظاهرتى الانكسار والانكسار - ار الانعطاف حسب تعبيره - تفسيراً حيلياً ، (وهو يشبه النور بجبات كالكرة الساقطة على سطح مستوئى ترجع فى الفضاء مكونة مع السطح زاوية مساوية لزاوية السقوط . ثم يستند الى ملاحظة هى « ان الحركة على السطح اسهل واقوى وان ما كان من المائلة اقرب الى العمود كان الحركة عليه اسهل مما بعد ، فالضوء اذا صادف جسماً

مشفا اغلظ فإنه بخلطه بمانعه من النفوذ من جهة حركته . وليست الممانعة في غاية القوة فليس يعود في الجهة التي تتحرك منها ، أفليس هذا اساس نظريات فرما وهو يقنس الخاصة « بالمسافة النورية » ؟ ويقرر ابن الهيثم « ان كان جسم الضوء اللطيف من المخالف كان انعطاف الضوء عن استقامته الى جهة العمود . وان كان اغلظ مائى خلاف جهته » ثم يضيف : « لتتوهم من موقع الضوء على سطح المخالف عمودا عليه في المخالف وسطعا مستويا مارا بنقطتى مبدا الضوء وموقعه قائما على سطح المخالف يعنى على السطح المستوى المماس لسطح لمخالف على موقع الضوء . فيكون العمود المذكور فيه وكذا الخط الذي عليه ينعطف الضوء في المخالف » .

أفليس ذلك هو نص قانوني من قوانين ديكارت الضابطة لطاهره الانكسار ؟ ويعتد ابن الهيثم التجارب على المرايا الكروية أو المجسمة المكثفة . ويدرس انكسار الاشعة على طبقات الجو ويصغر تضخم قرص الشمس قرب الافق ويسجل ان الشفق يبدأ وينتهي اذ كونت الشمس تحت الافق زاوية تساوى 29° درجة .

آثار العرب في الكيمياء :

استمد العرب في البداية على ماوردته عن اليونان من فكرة العناصر الاربعة : النار والهواء والماء والارض . والطبائع الاربعة : الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة . وان من الاشياء ما تكون فيه هذه الطبائع بالقوة ولا تكون بالفعل فيمكن تعصيلها ومعالجتها وتديرها حتى تخرج من القوة الى الفعل وصار عمل الكيمياء يقصد منه البحث عن اجسام تمكن من تغيير بعض هذه الطبائع وتحويلها واظهار غيرها .

فيصف ابن خلدون هذا العمل ذاكر ان الباحثين يتصفحون المكوبات لعلهم يعثرون على المادة المستعمدة لعلك تم يشرح الاعمال التي تخرج بها تلك المادة من القوة الى الفعل مثل حل الاجسام الى اجزائها الطبيعية بالتصعيد والتقطير وجمد الذائب منها بالتكليس واماء الصلب بالقهر ؟ وفي زعمهم انه يخرج بهذه الصناعات كلها جسم طيبعى يسمونه الاكسير وانه يلقي منه على الجسم المعدنى المستعد لقبول صورة الذهب والفضة مثل الرصاص والتصدير والنحاس بعد ان يحمي بالنار .

وكل الباحثين في الكيمياء عالة على ابي موسى جابر بن حيان الصوفي ، وهو يذهب الى ان مواد الكون كله اما تتألف في الاصل من عنصر واحد ، واما سبب اختلاف المعادن بالكيفيات والالوان فهو ناشئ عن التفاوت في مقدارى الكبريت والزئبق فيها . . . وينسب برتولوجل ابتكارات العرب في الكيمياء الى جابر . ولذا عرفت الكيمياء باسم علم جابر وقد ثبت ان العرب استحضروا كثيرا من المركبات التي تعد من اركان علم الكيمياء في العصر الحديث ؟ فهم استحضروا ماء العصاة (الحامض الازوتيك) وزيت الزاج (الحامض الكبريتيك) وماء الذهب (حامض النيترو وهيدروكلوريك) والاصود الكاوي والبوتاس (الفل ومنه جاء الرمز الكيماوى K) وروح النشادر وحجر جهنم (نترات الفضة) والسليمانى (كلورور الزائبق) وملح البارود (نترات البوتاس) والزاج الاخضر (سلفايد اشدريد) . ولاحظ جابر ما يحدث من واسب كلورور الفضة عند اضافة محلول ملح الطعام الى محلول حجر جهنم واعلن ان مركبات النحاس تكسب اللهب لونا ازرق .

آثار العرب في العلوم الطبيعية :

واما في ميدان العلوم الطبيعية حيث بلغ العرب شأوا فسيحا فنحن سنترك الحديث عن الطب وما يتعلق به ، اذ علو شأنهم فيه اشتهر من ان يذكر . فلنترك اذن ابا بكر الرازى وكتابه الحاوى والشيخ الرئيس ابن سينا وقانونه وابن رشد وكلياته وابا القاسم الزهراوى وكتبه في الجراحة والتشريح . وابن زهر وكتابه « التيسير في مداواة والتدير » وابن الجساز وكتابه زاد المسافر وابن نفيس مكتشف الدورة الدموية الصغرى وغيرهم وغيرهم .

ويكفى ان نذكر ان العرب هم اول من اجرى التجارب الطبية على الحيوانات قبل اجرائها على الانسان للتأكد من نجاحها ، فابو بكر الرازى هو اول من جرب مرهم الزئبق في القروود ، واستخدم غيره القروود في تجارب اخرى سواء في مجال الجراحة او العلاج - وكانوا يسجلون تطورات المرض في مشاهداتهم السريرية بكل دقة وكل صدق ومن ذلك ان Meyepoff نشر 33 مشاهدة سريرية للرازى ودرسها موضعا ما تقدم به الطب بواسطة هذه التجارب وهذه الملاحظات الشخصية ووصف الرازى عملية القرح عند الانتشار في العين *caterac*

واهتم ابن سينا بوصف التهاب السحايا الحاد وخراج الكبد وفرق ما بينه وبين التهاب الرئة رغم قرب مواضع الا لم فيهما وجعل لكل منهما علامات تعرف به . كما انه اول من اكتشف « الطفيلية الموجودة في الانسان المسماة بالانكلستوما . وكذلك المرض الناشئ عنها المسمى ' بالرهقان » وقد سمي ابن سينا هذه الطفيلية بالدودة المستديرة . ووصف ابن سينا داء الفيل *Isis* وهو مرض يصيب الرحلين فتتضخمان .

ونذكر ايضا انا القاسم الزهراوى (ولد فى ضواحي قرطبة حوالى سنة 403 هـ - 1013 م) وبرع فى التشريح . فietعرض للتوليد والآلات اللازمة لاستخراج الجنين الميت من الرحم وكانت اخت الحفيد ابن بكر بن زهر وبنتها متخصصتين فى الامراض النسائية والولادة .

وكان الزهراوى ماهرا فى بتر الاعضاء ومى لجراء العمليات الجراحية فى البلعوم والمري . واخترع لهذه الغاية آلة تساعده على اجراء هذه العمليات وكان يارعا فى خياطة مشغاف الجراحات فى الأمعاء .

وفى القرن السابع الهجرى (XIII الميلادى) برع علاء الدين بن ابي حزم المعروف بابن النفيس فائز عملياته الجراحية فى الرئة ومراقبته لعمل القلب قد وقف على الدورة الدموية الصغرى ويمكن ان يعتبر ابن النفيس اول من عسرف ميكانيكية الدورة الدموية قبل *Sevvet* بثلاثة قرون وقبل *Colombo, Hapvey*

نحن نكتفى بهذه الملحة الموجزة المتقتضية عن آثار العرب فى الطب ...

ونحن نقصر ، فى هذا الميدان ، على تلاوة صحيفة حفظها لنا موفق الدين عبيد اللطيف البغدادي (المتوفى سنة 629 هـ / 1231 م) فى كتابه « الافادة والاعتبار فى الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر » وهذه الصفحة تدل على وضوح الفكر وزكاء الروح العلمية الحق التى جعلت اطباء العرب لا يتقيدون بالتقليد مهما كانت مكانة الطبيب المقتضى به . بل هم جعلوا مهمهم فى التجربة والبحث والنظر وكان ذلك سر نجاحهم واساس اكتشافاتهم . فاستفاد البغدادي من وجود جثث الموتى فى المجاعات بمصر زمن الحروب الصليبية فقام بتشريحها ووصل الى اكتشافات ذات بال لا سيما فيما يخص المخاض وكيفية اتصالها وتناسلها واطضاعها .

وهذه الصفحة من انفس صفحات النثر العلمى . جمعت بين الإيجاز والدقة والوضوح . يقول البغدادي : « ومن عجيب ما شهدنا ان جماعة من ينتمون للطب وصلوا الى كتاب التشريح لجالينوس فكان يمر على افهامهم تصور القول عن العيان فاخبرنا ان بالمقس قرب القاهرة تل عليه ومم كثيرة ، فخرجنا اليه فرأينا ثلا من ومم له مسافة طويلة يكاد يكون ترابه اقل من الموتى به يحس من يظهر منهم للعيان بعشرين ألفا فصاعدا . وهم على طبقات في قرب العهد وبعده ، فشاهدنا من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسيبها واورضاعها ما افادنا علما لا تستفيده من الكتب اما انها سكنت عنها ، ولا يلقى لفظها بالدلالة عليه ، او يكون ما شهدناه مخالفا لما قيل فيها . والحس اقوى دليلا من السمع . فان جالينوس ، وان كان في الدرجة العليا من الحرى والتحفظ فيما يباشره ويحكىه فان الحس اصدق منه ... فمن ذلك علم الفك الاسفل فان الكل قد اطبقوا على انه عظمان مفصل وثيق عند الفك ، والذي شاهدنا من حال هذا العضو انه عظم واحد ليس فيه مفصل ولا درز اصلا . واعتبرناه ما شاء الله من المرات في اشخاص كثيرة تزيد على ألفى جمجمة باصناف من الاعتبارات فلم نجده الا عظما واحدا من كل وجه . ثم اتنا استمعنا لجماعة مفترقة اعتبروه بحضرتنا وفى غربتنا ، فلم يزيديا على ما شاهدناه منه وحكيناه وفلنتقتصر اذن على التلميح لبعض شعب العلوم التابعة للطب العاملة على تمكنه من وسائل العلاج . ومن اهم تلك الشعب علم النبات الذى اقتبست بواسطته الادوية المفردة من البرارى والجزائر والبحار .

ومن أشهر من كتب فى الموضوع ابن البيطار المالقى فى النصف الاول من القرن الثالث عشر الميلادى . فوضع كتابه « الجامع لفردات الادوية والاغذية » ،

ومقدمة كتاب الجامع هذا غزيرة المعنى ، متينة التركيب ، حليلة القيمة من ناحية التفكير العلمى . نعدّها نموذجا فذا من نماذج النثر العلمى العربى . واليك نصها وتفصيلها :

(الفرض الاول) بهذا الكتاب استيعاب القول فى الادوية المفردة والاغذية المستعملة على الدوام والاستمرار . عند الاحتياج اليها فى ليل كان او نهار . مصافا الى ذلك ذكر ما ينتفع به الناس من شعاع ودثار . واسوعبت فيه جميع ما فى الخمس مقالات من كتاب الافضل ديوسفوريدس بنصه ، وكذلك فعلت ايضا بجميع ما اورده الفاصل

جالينوس في الست مقالات من مفرداته يفصه ثم ألحقت بقولهما من اقوال المحدثين في الادوية النباتية والمدنية والحيوانية ما لم يذكره ، ووصفت فيها عن ثقات المحدثين وعلماء النباتيين ما لم يصفاه ، واسندت في جميع ذلك الاقوال الى قائلها ، وعسرفت طرق النقل فيها بذكرنا قلها ، واختصصت بما تم لي به الاستبداد وصح لي القول فيه وروضت عندي عليه الاعتماد .

(الفرض الثاني) صحة النقل فيما اذكره عن الاقدمين واحرره عن المتأخرين فمما صح عندي بالمشاهدة والنظر وثبت لدى بالحبرة لا الحبر ادخرته كرا سريا ، وعددت نعي عن الاستعانة بغيري فيه سوى الله غنيا ، وما كان مخالفا في القوي والكيفية ، والمشاهدة الحسية ، في النفعة والمأهية ، للصواب والتحقيق ، وان ناقله وقائله عدلا فيه عن سواء الطريق ، نيزته طهرنا وهجرته مليا ، وقلت لنا قل او قائله لقد جئت شيئا فريا ، ولم احب في ذلك قديما لسبقه ولا محدثا اعتمد غيري على صدقه .

(الفرض الثالث) ترك التكرار حسب الامكان الا فيما تمس الحاجة اليه لزيادة معنى وتبيان .

(الفرض الرابع) تقريب مأخذه بحسب ترتيبه على حروف المعجم ليسهل على الطالب ما طلب من غير مشقة ولا عناء ولا تعب .

(الفرض الخامس) التنبيه على كل دواء وقع فيه وهم او غلط لتقدم او تاخر لاعتداد اكثرهم على الصحف والنقل ، واعتمادى على التجربة والمشاهدة حسب ما ذكرت قبل .

وبلغ علم النبات الاوج في القرن السادس عشر على يد القاسم بن محمد الوزير القسائي ، طبيب السلطان المغربي السعدي احمد المنصور ، وبقي لنا منه كتاب مخطوط « حذيقة الازهار في شرح ماهية العشب والعقار » امتاز بمحاولة لتصنيف النباتات كانت الاولى من نوعها .

فهو يقسم النباتات تقسيما ابتدائيا يسميه الجنس ويفرعه حسب الصفات العامة الجوهرية او المرضية للعشب . ثم تقسيما ثانويا يسميه النوع وحيانا تقسيما ثالثا هو الصنف .

فحسب التقسيم الاول هو يعتبر جنس الشجر وجنس الشجر الصغير وجنس التيناس ويعرفه بأنه ليس من الشجر ولا من البقل بل يلحق الشجر الصغير كالياسين

والتسرين . ثم ينتقل لجنس البقل ويقول فيه « انه يتولد عن حبه » ويعرفه بأنه « المستأنف في كل سنة » ثم يفصل الفسائى الصفات العريضة التابعة للساق والورق والتمر .

فبالنسبة للاولى هو يميز بين جنس البقلين « وهو نبت يفتش الارض ولا ساق له » وجنس اللبلاب المعرض وجنس القصب وجنس العيس وجنس الكلوخ . وبالنسبة للثانية يميز بين جنس الهديات , وهو ماله اوراق مستطيلة قليلة العرض وجنس المرتصات , ذات الاوراق المستديرة , وجنس الالسى كسمان الحمل ولسان الثور وجنس الكفوف كالحروع وجنس السيوف كصيف الذئب وبالنسبة للثالثة يميز بين جنس المبوب وجنس القطاني - ومن الاستعمالات الطريقة في لغة العلم ما استعمله الفسائى من صيغة المبوب في تصنيفه للنبات , كالشجحات والكلوخ والسماتر والاقاشى رتلك خطرة اولى نحو فكرة الفصيلة التى جمع فيها ما تشابهت صفاته من النباتات .

ونلاحظ ان اول تأليف فى تصنيف النبات ظهر باروبا هو كتاب Depantis الذى وضعه Andrea الايطالى حوالى سنة 1524 وطبع بفلورنسة سنة 1563

الخاتمة : فلسفة البحث العلمى عند العرب :

هذا بمص ما قدمته العربية فى سبيل العلوم وفى سبيل تقدم الفكر البشرى . وما الذى ذكرنا الا غيض من فيض وقطر من بحر .

على ان قيمة الانتاج العلمى عند الامم التى تنتمى للعربية والاسلام لا تنحصر فحسب فيما عسى ان وقعوا عليه من جديد وما استنبطوا من اجهزة وآلات وما سجلوا من مشاهدات وارصاد واماطوا عنه للثام من اسرار الطبيعة .

بل لعل اجمل ما يجتنى من هذا الانتاج هو ما اتسم به البحث العلمى عند المسلمين من فلسفة اصيلة ونظرة عميقة للواقع ونزعة انسانية شاملة .

وفى الامكان ان تلخص هذه الفلسفة فى بعض من المبادئ الاساسية هى :

1 - لا يكون الحق الا ما املت التجربة انه حق :

وعلى هذا الاساس نشاهد ان العلم العربى منذ البداية يبنى التقليد نبذا ولسا فيما اوردنا من اقوال بعض العلماء شاهد واضح لامرأ , فيه على هذا , فالكاشى يملن :

« واختصرت الطرق اختصارا مهتديا بتور الحاطر ، لا مقتديا بسطور الدفاتر ؟ »
ويصرح ابن البيطار . « فما صح عندي بالمشاهدة والنظر . وتبت لدى بالخبرة لا الخير .
ادخرته كنزا سريا ، وعددت نفسي عن الاستعانة بغيري فيه سوى الله عيا » ويضيف :
« ولم احاب في ذلك قدما لسبقه ولا محدثا اعتمد غيري على صدقه » ، ويقول البغدادي :
« ان جالينوس . وان كان في الدرجة العليا من التحري والتحفظ فيما يباشره ويحكمه ،
فان الحس اصدق منه » .

ورغم ما كان لبطليموس من صيت في العصر القديم ، ورغم ما كان لاقليدس من
شهرة ولنظرياته من طغيان على الهندسة اليونانية . فان العرب لم يقتلوا لهما مجرد
تتلذ بل هم عرضوا جميع ما نقلوه عنهما على محك العقل وناقشوه وجربوه - فرصدوا
وساروا في الارض يقيسون ويحسبون - وجمعوا نتائجهم في « ازياج لهم منتحنة »
واصلحوا الجسطى وحرروا مصادرات اقليدس ساعلين في الشك اولى خطوات البحث
العلمي او كما قال ييكن هم « جعلوا الشك بين قديمي الحقيقة » .

وان نفس قلندنسي ما ذكره نصير الدين الطوسي والا بهري من شكوك حول مصادرة
اقليدس الشهيرة الخاصة بوحمانية المستقيم الموازي لمستقيم مفروض من نقطة مفروضة
خارجة عنه - ونحن نعلم ان هذه الشكوك هي التي ادت في القرن التاسع عشر الى بحث
الهندسات الحديثة اللا اقليدية ولا تنسى ايضا ما قام به الطوسي وابن الهيثم من تحرير
لكتاب المناظر لاقليدس ،

2 - انه لا علم الا بالعدد :

فلذا اجريت التياسات المدققة وضبطت الازياج وسجلت القيم فكانت تلك عنية
رائعة لعصر النهضة الاوروبية وعصر غليلو وطيكوبراهه وتم تنويعها بقوانين
كلا رونيون . ويكفي ان تذكر ان فكرة المدارات الاهليلجية التي هي اهم ما بنيت
عليه قوانين كبلار ، قد سبقه اليها نور الدين البيتروجي بالاندلس حيث نبذ آراء
بطليموس في صورة العالم واعرض عن مداراته الدائرية وما كان يشغلها من خارجات
المراكز ومن افلاك السداوير ...

وهذا المبدأ هو الذى حدا أيضا بالعرب الى انشاء حساب المثلثات كعلم مستقل والى وضع ازياج الجيوب وجيوب التمام والظلال ، كما يمثهم على تصنيف المعادلات وحلهم على حلها الى نهاية المرحلة الرابعة فاستعملوا لهذا الغرض القطار المخروطية .

3 - انه لا يكون العلم الا بالعمل المستمر والثابرة :

ويمكن ان تمثل لسلوك علماء العرب بصحيفة التلاوة الاسماعيلية : « وانما مثل العلم بلا عمل كمثل الشجرة بلا ثمر ، ومثل العلم بلا عمل كمثل الرعد والبرق بلا مطر ومثل العلم بلا عمل كمثل القوس بلا وتر » .

ويصل البرونى هذا العمل المتواصل - فى الفلك على الخصوص - بقوله : « وتلك هى عظمة هذا العلم السماوى ، وذلك هو جلالة بحيث لا يمكن ايا كان ان يلم به باجمعه » .

ويقول بهاء الدين العالمى فى هذا المعنى : « قد وقع للحكام الراشدين فى هذا الفن مسائل صرفوا فى حلها افكارهم ، ووجهوا الى استخراجها انظارهم ، وتوصلوا الى كشف نقابها بكل حيلة ، وتوصلوا الى رفع حجابها بكل وسيلة . فما استطاعوا اليها سبيلا ، ولا وحدوا عليها مرشدا ودليلا ، فهى باقية على عدم الانحلال من قديم الزمان . مستعصية على سائر الاذهان الى هذا الآن » .

والى هذا المبدأ ترمى مقالة بيوطن اذ سئل عن الطريقة التى تم له بها اكتشاف قانون الجاذبية العام فاجاب : « فكرت فيه على الدوام » .

4 - الحكمة ضالة المؤمن انى وجدها اخذها :

فهذا الرسول الكريم صلعم يقول : « اطلبوا العلم ولو بالصين » وفى حديث آخر : « استمعينوا على كل صناعة بصالح اهلها » ولذا تهافت علماء العرب على نقل كتب «الاقدمين» مهما كان جنسهم ومهما كانت نحلتهن الدينية فنقلوا كتب اليونان وكتب الهنود وكتب الصابئة وكتب النبط .

وهذه صفة العالم الحق . هو دائما متفتح قابل لمختلف الاراء قصد نقدها فما كان دعبا ابرزا ابقاه وما كان زائفا القاه .

عند نقل المادة العلمية ، كلما امكن النقل اللغوي الاشتقاق من الاصول العربية لا يترك العمل بها ولا يستعاض عنها باستعارة المصطلحات الاعجمية .

فهذا عبد الرحمن الناصر بأمر بتصحيح التعريب لكتاب ديو سقوريدس وهذا ثابت بن قرة يصلح ما ترجمه الرعيل الاول من النقلة وينبذ من تراجعهم ما كان يداخلها من الالفاظ اليونانية .

وهذا أبو الريحان البروني يقرر في كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة » ، « ان كان الاسم انحول مشتقا يكن تحويله في العربية الى معناه لم اهل عنه الى غيره الا ان يكون بالهندية احب في الاستعمال ، فنستعمله بعد غاية التوثق منه في الكتبية . وان كان له اسم عندنا مشهور فقد سهل الامر فيه » .

وبهذه الطريقة تمكنت العربية تدريجيا من تادية عامة المعاهيم العلمية ونحن ذكرنا فيما سبق بعض الصحف من النشر العلمي العربي واشربنا الى وضوح معانيها ودققة التعبير فيها وما اتسم به من ايجاز غير مختل وربط منطقي بدون تعقيد .

اعتقر في النهاية ان انا اطلت او مللت ، الا لاني آمل ان السيد سرفيبي قد لقى جوابه وما كان عليه ان يكون عقوقا ، بل ان يرى للعرب من يتهم على الغرب وان يعترف لهم بالجميل ولكن :

ومن يجعل المعروف في غير أهله * يفره ومن لا ينقى الشتم يشتم
« هذا ومن الكلمات الباهرة والحكم الدائرة والامثال السائرة ان العلوم تقور ثم نعور في رمان بمنزلة . لنبات او عيون المياه وتنقل من قوم الى قوم ومن صقع الى صقع »
انما آن لبني العروبة ان يتناولوا المشعل من جديد ؟
ولكن الامر ليس رهين الترجيحات والمنى . « فمن لم يحتمل الم التعلم لم ينق لذة العلوم . ومن لم يكدرج لم يفلح »

عَوْدَةُ الْأَشْبَاحِ الْمَشْبُوهَةِ

د. هشام بوقمرة

طلعت علينا مجلة الصدى في عددها المؤرخ في 26 - 8 - 1974 بمقال تحت عنوان « اللغة العربية من أصل أفريقي لاتيني » ، وهو حديث مشوش لاطروحة خطيرة قدمها السيد صالح (أو صلاح) العتري امام جامعة السوربون بتاريخ 24 نوفمبر 1973 ، ثم تلقفت بعض الصحف التونسية الاخرى (1) هذا المؤلف في نهات غير معهود ، ربما لان اقواله صادفت هوى ، او لان هلاساتها وراميتها تنسكب بسهولة في مجازي اخرى ، غير مجازي العلم .

ويبنى الاستاذ العتري ادعاه على وجود « علاقة عضوية عائلية بين اللغة العربية من جهة واللغات اللاتينية والافريقية من جهة اخرى » (2) وهو يخلص من تحليله الى التاكيد بان « اللغة العربية وليدة اللغات القديمة من لاتينية وافريقية حسب المقاييس

الاصولية والمعنوية المعروفة الآن في ميدان الالسنفة الحديثة « ثم يرى في هذه النظرية « دعوة الى محور المركبات » (١٩) عن طريق انتماء اللغة العربية الى مجموعة اللغات الهند واورورية . ويردف هذا بتقديم نفسه بطريقة لا تترك مجالاً لتشكك في مراميه : « ان الناس يقولون لي انني عربي وتونسي في نفس الوقت ، والحق ان هذين المفهومين يبدو ان لي متباعين ان لم اقل متناقضين ! بالنسبة لي ، اعتقد ان مفهوم عربي خاص للتدليل على ساكن الجزيرة العربية واصيلها (١٩) ، واما مفهوم تونسي فخلافاً ذلك تماما ، التونسي هو مجموع كل هذه الحضارات واللغات التي توالى عليها واثرت فيه ، لذلك لا يمكن ان اكون تونسيا دون ان اجد نفسي من رواسب العربية » ويزيد هذا الموقف الاستغراقي حدة حين يؤكد من جديد في صحيفة لاكسيون (عدد 4 - 9) بان كلمة تونسي تنفي كلمة عربي وبان دعاء التراث الروماني والفينيقي في تونس هم اقرب الى الحق من المتسككين بالماضي العربي . وان علينا ان نترك الشعب يتكلم لفته (٩) - اي العامة طبعا - ويصر بها عن احلامه وآماله !

ومن المفيد قطعا ، للتعرف على المؤلف ، ان نذكر هنا ما اورده في كتابه (ص 2) من اعتزازه بانه اشرب الثقافة اللاتينية واستوعب اللغة الفرنسية ، واقتناره بانينا ، شخصيته على جانين ، الجانب التليدي السلفي الذي جاءه . من اثنائه الى العرب من جهة امة . والجانب الراض المنازع الذي اتاه من نسبه اللاتيني (٩) من جهة ابيه ، وهو بهذا يضع نفسه عند البدء في موقع المنازعة والممايزة بالنسبة لنوى النسب الصريح الذين هم من ام واب عربيين .

واني اذ طرح جانيا ما جاء في العرض الذي قدمته « الصدي » على لسان المؤلف من افكار سطحية تارة ، ومفردة ضيقة المنطلق تارة اخرى ، كالمس المتعمد الذي ينتقيه المؤلف لتفسير المفسرين لكون القرآن « كلام الله » او كالحبط الواضح في قوله بان « اللغة العربية اختلفت بها قبيلة قريش » « او كالحلط الشنيع في قوله بانه « بعد نقاش طويل توصل النطويون العرب (٩) الى الايمان بهذه القاعدة الموضوعية التي تفرض نفسها كالمثلخصة في انه هنالك لغات اخذت من نفس النبع ولها بالتالي اصل واحد اطلق عليه اصطلاحا مجموعة اللغات الكامييتو - سامية (١) او كالامك الواضح في قوله : « اتفق النطويون العرب (٩) على ان لفهم لم تتعامل ابدا مع اللغات اللاتينية والاغريقية » .

انى ادا طرحت هذا جانبيا , فاننى اجد ان الاستنتاجات الخطيرة التى يريد الاستاذ العترى ان يروجها والدعاوى العريضة التى يسعى لالباسها ثوب العلم والمواقف الحرجة التى يصيبها اليوم فى بوق الدعاية , تتطلب جميعها وقفة علمية جديّة متأنية .

ان الهدف الذى يسعى اليه الاستاذ العترى يتجاوز حدود العلم اللغوى ويتصل اساسا بغايات حضارية وسياسية مشبوهة عمل المستشرقون كثيرا , والاستثمار اكثر , لترويجها فما افلحوا .

- هو يريد ان يخرج اللغة العربية من اطارها الطبيعى الذى نشأت فيه بميزاتها وخصائصها ومناخها الفكرى الاصيل .

- وهو يريد ان يخرج الشعب العربى من انتماؤه الاصيل ومن حضارته المتميزة لاحاقه بالارضية الحضارية اللاتينية الاغريقية .

- وهو ايضا يريد ان يشوه ويمسح كل التراث الاسلامى وان يشكك فى اصل الاسلام ذاته , حيث يصرح فى صفاة غريبة بان اثبات الاصل الاغريقى اللاتينى للغة العربية سيسمح «بارجاع الافكار الاسلامية الكبرى الى اصلها الطبيعى الذى يعود لها» ! لقد خاض المستشرقون طويلا فى هذا الامر وكان فيهم السليم النيسة كبلانشير والحقود المتعامل كنوذى ونولارس وكان هدفهم فقط ان يثبتوا وجود تسريبات اغريقية الى القرآن ولكنهم لم يفلحوا جميعا فى العثور على المجارى التى سلكها هذه التسريبات المفترضة , فاين هم من هذه الدعوى الاحادية التعطية الجديدة !

- وهو اخيرا يوجه الى الشعب التونسى سبة حضارية حين يدعو الى « التعرى » من كل رواسب العصرية ! ليلقى به فى صحراء تيسه البحث عن اصوله الرومانية والفينيقية , متناسيا هذه القاعلة الاجتماعية البسيطة , وهى ان الماضى ليس له قيمة وجودية الا بمقدار تأثيره فى الحاضر المعاش وتسطله الى تكييف ملامح المستقبل .

لان العلم هو العلم ولانه لا يبنى الا على المعطيات الواقعية الملموسة . كما يقول المؤلف . ولان قبول اطروحة دكوراه من قبل هيئة تحكيم السورديون - او اية جامعة اخرى - لا يعنى ابدا اقتناع اعضا تلك الهيئة بالاكار الواردة فيها وتركيبهم لها

على عكس ما يقوله المؤلف ، فاني سأحاول مناقشته بعض مواقف المؤلف العلمية والاخلاقية ، انطلاقاً من كتابه بالذات ، ومن الاستنتاجات الصريحة التي تقدم بها .

واني لأعترف منذ الآن بالتقصير الذي قد يحوم حول الجهل ! فكتاب الاستاذ العتري ليس كتاب القاري، العادي ، بل ليس كتاب صاحب الاختصاص ! انه يعتمد في كتابه على اكثر من خمس لغات ، واذا استثنينا منها العربية التي كتبها ثروة بحروفها وتارة بالحرف اللاتيني فان اللغات الاخرى مكتوبة بهجائها الاصلى ، ولذلك فان على القاري ان يعرف - على الاقل - الاغريقية واللاتينية والسريانية والعبرانية فضلاً عن اللغات الحديثة ، ليستطيع متابعة ادغال الاستشهادات التي يعج بها الكتاب .

ثم ان الكتاب ليست له اية خاتمة واضحة يجدها فيها القاري، زبدة آراء المؤلف ونظرياته على غير ما هو معمول في الرسائل الجامعية ، وانما على القاري ان يطلبها هنا وهناك متناثرة متشتتة ، الامر الذي يحد من امكانية الاستفادة من هذنه الاطروحة . ويجعله يجد الانجاء الى ما نشرته الصحافة اوفى واجدى *

ومع ذلك فان القاري ، ما ان يتجاوز الصفحات الاولى من الكتاب ، حتى يرى يجلاء ان مفتاح عقلية المؤلف يعتمد على مفالطين ، اولاهما التميم المطلق على اساس جزئيات غير مسلم بها ، وثانيهما انتفاء الموقف الذي يجده اصلح لجدله والصلح المطبق عمن المواقف العلمية الاخرى التي لا تخدم مراميه . واصلح مثال نأخذه على هنا ، قبل ان نتقل الى غيره من المواقف العلمية ، هو تناوله لتقييم اعمال السلف في هذا المضمار .

تقييم اعمال السلف :

اني لا ادعي للسلف المعصية ! ولكن الخدمات العلمية التي قدموها يجب ان تدرس في اطارها الصحيح ومعطياتها الموضوعية . فلا يركب الخلف الغرور ، وينسب الى الاولين جميعاً ما هو الا رأى طائفة أو فرد . وبما ان العرف العلمي يقتضي من الدارس ان يستعرض آراء سابقيه ، فان الاستاذ العتري يخصص بعض الصفحات في اول كتابه ، لطرح القضية التي يريد درسها وتقييم اعمال اللغويون العرب ، مؤكداً وبالحصر على علماء اللغة من السلف . متجاهلاً الدراسات الحديثة المتعددة التي صدرت في هذا الميدان ، وهكذا يجد المؤلف (كتابه ص 1 - 4) :

١ - ان اللغة العربية لم تدرس في الماضي الا من جهة نظر داخلية . اغفلت الظروف الخارجية التي عملت على نشأتها وحددت تطورها . فكان من ذلك ان جعل العلماء من اللغة العربية شجرة تستقر عروقها في السماء وتحقق اغصانها على الارض . وتمود مسؤولية هذه الوضعية الشاذة الى علماء اللغة العرب والى المستشرقين الذين رأوا في اللغة العربية لغة الهية ذات اصل سماوى ومنشأ غيبي « فبما ان القرآن كلام الله . فلا يمكن ان يكون فيه لفظ اجنبى - السيوطى - كتاب الاتقان » .

ب - ان العلماء العرب لم يدرسوا العرب والديخيل الا بالقياس الى اللغات المجاورة . وقل ان تعرضوا الى الاغريقية واللاتينية كما لو ان الشعوب الناطقة باللغة العربية لم تعرف بدا لغة اخرى غير العربية (١) او انها لم تكن تعرف ابدا مركز ثقافة غير ثقافة الاسلام . هذا والحال ان المناطق التي تتكلم فيها العربية اليوم قد كانت فيها اللغة اللاتينية واللغة الاغريقية ليست لغة ثقافة فحسب وانما أيضا لغتين اداريتين ورسميتين .

هكذا يعرض المؤلف مسؤولية علماء اللغة العرب . أى جهود احدى عشر قرنا من البحث اللغوي . في « الوضع الشاذ » الذي بقيت فيه دراسات اللغة العربية . ليرد مقابل ذلك . في جريدة لأكسيون . شجاعته في الانقضاض على هذه المسلمات المحصونة المقدسة ! والواقع العلمي ليس بهذا في شيء .

ان القضية الاولى التي يشير اليها المؤلف معروفة في الآثار العربية بأنها قضية اللغة - لا اللغة العربية بالذات - أهي وحى وتوفيق من الله . أم اصطلاح وتواطؤ بين الناس ؟ وقد خصص لها لسيوطى في كتابه « المزهر » فصلا طويلا جمع فيه اغلب آراء النقاد من .

- من القائلين بالوحى - أى الاصل القبيى للغة - المحدث والمحدث ابن عباس الذى استند الى قوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلها » . وسقده شرح رايه ابن فارس وجمع من المفسرين والمحدثين . واورد السيوطى احتجاجات اصحاب التوقف المختلفة . اما الاصوليون فقد طرحوا الموضوع بجهد ليتهم المنطقية المعروفة . ولخص الامام فخر الدين الرازى آراهم في كتابه « المحصول » على الشكل التالى : « الالفاظ اما ان

تدل على المعاني بدواتها أو بوضع الله إياها أو بوضع الناس أو يكون البعض بوضع الله والباقي بوضع الناس ، وقال الرازي : « ان المحققين متوقفون في الكل » الا في المذهب الاول القائل بأن الالفاظ تدل على المعاني بدواتها ، فانهم يرفضونه لانه ينبغي بمضاهي بعضها .

اما اللغوي الشهير ، ابن جني ، فقد قال في كتابه : « الخصائص » بأن « أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع وإصطلاح ، لا وحى وتوقيف » .
بل أن ابن حنبل يذهب في تصويره لكيفية وقوع هذا الاصطلاح بين الناس إلى ما يقارب النظريات اللغوية الحديثة المسماة ، حين يقول : « هو من الأصوات المسموعات - أي محكاة المحيط - وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل » .

اذن :

— لم يتناول علماء اللغة وحدهم هذه القضية بل تناولها الأصوليون والمفسرون لارتباطها بالقضايا الكلامية المتصلة بالقرآن .

— أن القول بالأصل الغيبي السماوي للغة هو قول طائفة قليلة من المفسرين القاهريين .

— أن الأغلبية الساحقة من علماء اللغة ، ومن أهل الأصول أيضا ، يقولون بأن اللغة اصطلاح ، أي من وضع الناس ، وليس لها أي منشأ غيبي .

— أن القضية أساسا تتصل بأصل اللغة كوسيلة للتعامل ، وليس بأصل اللغة العربية أو لغة قريش ، كما يريد الأستاذ العتري !

وأريد أن أسجل هنا الحيرة التي يتحبط فيها العلماء القائلون بالمصدر الغيبي للغة فهم يتساءلون في أول الأمر عن أصل اللغة من حيث هي وسيلة تعبير واتصال ، ألا عن أصل اللغة العربية أي غيبية أم اصطلاحية ، وهم يعلمون أنهم في نهاية المطاف سينتهون إلى منطلقهم من أن القرآن « كلام الله » نزل باللغة العربية ، وهي نهاية مضنية على العقل . لا يتحملها إلا النصور السلفي الطاهري ، ولذلك تراهم يلجؤون حججهم لو كما ويبتسرونها ابتساراً ، في غير ما فتاعة عقلانية . بل أنهم لا يؤكدون بأن

لغة القرآن ، أى لهجة قريش هى التى وقع عليها التوقيف بالوحى (انظر مثلا تحليلا طويلا للزركشى فى المزمع ج ١ ص 27 وما بعدها) .

بعد كل هذا يمكن لمباحث تزييه ان يواصل بناء الصروح النظرية على مثل هذه الانتقادات المبتورة والتبسيطات الاستشرافية التى لا نصبا بها فى كتب ذوى المعرفة المحدودة باللغة العربية او الاغراض الاستفرازية ؟ ان نظرية الاصل العيبى لنفسه العربية هى من اوهى النعريات وقلها رواجاً بين العلماء العرب . وهى أيضاً ممن المواقف التى دخلت بصورة نهائية فى متحف النسيان لدى المشتغلين بهذا العلم ! لكن الاستاذ المعترى حريص على ان ينفض عنها غبار النسيان ، وان يجعل منها حصيلة الفكر اللغوى العربى ويبين على ذلك وضعا شاذاً (وضع من ؟) .

اى لم اعرف من قبل رجلا افلح فى تتبع صات المستشرقين ومن لف لفهم ، وانتفاء سقطاتهم واثاراتهم المبطنة واستنتاجاتهم الملتوية ، ثم حشوها فى كتاب ليجعل منها معطيات علمية ومسلمات منطقية !

التعامل مع السلب ، اى مع التراث اى مع الجذور الحضارية للواقع المعاش يتطلب نوعا من الأخلاقية العمية التى تفترض :

- ان لا نزيّف مواقف السلف سواء بالسلخ او بالبتّر او بالسّخ او بالتعطيم والقدسية .

- ان نضعها فى اطارها الحضارى فلا تسلط عليها من المقاييس ما لا تطيقه . ثمة عند تقييمها لنا الحق فى ان نحكم على بعضها بانه اثرى لارتباطه بمعطيات موضوعية اتدثرت ، وان نستبقى منها الرصيد الوعائى الذى يمكن ان يقدم الاستمرار فى نظرنا الفلسفية والحضارية للمستقبل .

- وعلى اية حال يتطلب العلم فى كل موضع ان لا ننقى من النظريات تلك التى تبدو اسهل انطاء ، بلوغ هدف محدد سلفا .

وهذا ما لم يفعله الدكتور المعترى .

الموسيقى الكاملة

السيد مولود قاسم نايت بلقاسم

وزير التعليم الاصيل والشؤون العديدة

نقدم اليوم للقراء ، وخاصة للطلبة ، هذا الكتيب عن
تعليم المبادىء الاولى للموسيقى الكلاسيكية العالمية
للدكتور حكيم بن عطية ، مدير المعهد الموسيقى البلدى
للعاصمة ، بالعربية والفرنسية ، وهى اول محاولة فى
الجزائر فيما نعلم .

وقد حان الوقت لنا ان نعلم هذه الموسيقى لشبابنا
فى المدارس يلفتهم . وبدانا فعلا بتدريسها فى
بعض ثانويات التعليم الاصل . وتعميمه على جميع

المدارس متوقف فقط على وجود الاساتذة بكفاءة وكفاية .

(٤) مقدمة لكتاب عن الموسيقى للدكتور حكيم بن عطية ، مدير المعهد الموسيقى للجزائر ورئيس الشرفة
السيمفونية الجزائرية ، سيصدر قريبا تحت عنوان : مبادىء اولية فى النظرية الموسيقية .

ونظن ان هذا الكتيب سيساعد الى حد كبير على تعميم هذا التعليم وادائه النور المنتظر منه في تربية الذوق ، وشعده الحس ، بل وخلق أيضا .

وذلك ان هذه الموسيقى ، اذ تمتع العقل والروح معا ، تعرف الحس ، وترسوي الذوق ، بل وتعالج الجسم أيضا . حيث اصبحت اليوم تستعمل اكثر فاكثرا في مستشفيات وعيادات البلدان المتقدمة لا في العلاج النفساني فحسب ، بل وفي العلاج الجسماني أيضا . طبقا لنظرية الطبية القائلة بأن كثيرا من الامراض التي كان يظن حتى الآن (1) انها جسمانية بحنة هي في الواقع ذات طابع مزدوج ، نفساني - جسماني (psychosomatique) ، تعالج ككل بهذه الموسيقى في عدة بلدان اوروبية ، منها على الخصوص جمهورية المانيا الاتحادية ، والنمسا ، والجمهورية الديمقراطية الالمانية . (2)

ثم ان هذه الموسيقى ليست من ذلك النوع المخدر للاعصاب والنفوس ، او المهيج لها . ولا من ذلك النوع الذي يبعث على الانحلال الخلقي . كتلك الدنونة التي تتفنى بالحس ، والعلمان ، وتعذب في غلاماتها الى وصف « قده » ، و « خده » و « ثفوه » ، إلخ .. إلخ .. من كلام اقذع من هذا بكثير وأقطع ، من تلك السفاهات التي عجلت بفقدان الادبلس ، وتبيح الأوساط التي تسمى بـ « العلما » في نظر بعض السذج والقوم التبع !

فالموسيقى الكلاسيكية العالمية هي اغلبها ولدى اساطينها هي موسيقى تهذيب النفس ، والسمو بالروح والعقل . وترسيخ القيم الخلقية العليا على كل من المستويين الفردي والوطني ، بل والعالمى .

ويكفى أن نذكر بعض الامثلة في هذا المجال .

ففي اسود لحظات مقاومة الروس في ستالينغراد للحصار الخانق الذي احاطت به الجيوش الالمانية المدينة ، كانت الفرقة الفيلهارمونية الروسية في هذه المدينة تعزف السيمفونية التاسعة لبيتهوفن الالمانى ... التي يتفنى فيها المبقرى الخسالد بقدرة الانسان على الخروج من احيق السالك ، ويشيد فيها بانسانية الانسان !

واذا ما تذكرنا ان الموسيقى الخالد كتب في مذكراته ، وهو يؤلف سيمفونيته الخالدة هذه بتأثير صديقه الشاعر النورى المعروف شيللر ، ما يل : « آه ، يا لها من

(1) وان كن ابن سينا والرازي خاصة قد لبها الى هذه الطبعة المزوجة للمرضى مند اكفر من الف سنة !

(2) W.J. Revers, G. Harter, W.C.M. Simon : « Neue Wege der Musiktherapie Grundzuege einer alten und neuen Heilmethode ».

تعاسة ! انى لاتصور جوعا . ولم أذق طعم الحب منذ ستة ايام ! » أدركنا القبة الروحية التى كان عليها . وهو ينظر من أعلى بكل سخرية واحتقار الى المتاعب المادية العارضة التى لا ينبغي أن تجر الى منزلقاتها وحضيضها النفس الايية السماء . المتعالية عمل المادة الممياء الصماء !

ليس هو الذى كتب مرة يقول : « أن الموسيقى هي وحى أعلى من كل فلسفة . واعمق من كل حكمة ! واللى تفتح له موسيقى يتحرر من كل المحن التى تنقل كواهل الآخرين ! » ؟ (1) .

وهو نفس بيتهوفن الذى ظل يردد تلك العبارة المشهورة لاستاده الروحى الفيلسوف كنت : « هناك شيان هما اعظم ما فى الوجود : السماء المتلألئة بتجومها فوقى ، والقانون الاخلاقى فى ضميرى ! » *der bestirnte Himmel ueber mir und das moralische Gesetz in mir !* .

وهو نفس بيتهوفن الثورى الذى قال فى سياق من السياقات التاريخية عن نابليون الذى كان جائئا على مسقط راسه . بون : « انما انت دكتاتور مثل الآخرين ، تفوس حريات الشعوب ! » وترك لنا بهذه المناسبة رائعة من الروائع الحائلة فى تجميع الحرية سماها البطلة : « Eroica » ، وهى زمجرة ضد الاحتلال . ونداء الى الكفاح التحريرى ، بعد أن كان يرد اهداءها الى نابليون !

وهو الذى رفض وظائف عديدة عرضها عليه جيروم بوناپرت . اخو الامبراطور وملك كاسل ، وملك بروسيا ، وامبراطور النمسا ، وآخرون ، وهو فى صميم الفقر والبؤس ، مرددا عنهم جميعا : « أمراء ، وملوك ، وأباطرة ، وقيصرة ... وجدوا ، يوجدون ، وسيوجدون ، أما بيتهوفن فليس هناك الا واحد ! » .

وكان يردد فى هذا السياق شعاره المعروف : « احب الحرية فوق كل شىء ، ولا تنكر الحقيقة حتى امام التيجان ! »

وهو نفس بيتهوفن الاخلاقى الذى رفض أن يساير تيار عصره ويؤلف فى أسلوب الأوبرا السائدة اذ ذاك ، ولم يؤلف الا واحدا فى هذا القطاع وفى موضوع عام جدا

(1) « Musik ist hoechere Offenbarung als alle Weisheit und Philosophie ; Wenn meine Musik sich verstaendlich macht, der muss frei werden von allem Elend, womit sich die Andern schleppen » .

a) Kurt Pahlen : "Musikgeschichte der Welt".

b) Romain Rolland : Beethoven.

c) Beethovenfest ; Bonn - 1927.

في نظره . وهو الوفاء الزوجي . وسماه « فيديليو » « Fidelio » في عصر نشأت فيه
أوبرات تبث الانحلال والاختلال ، وطلعت فيه موسيقى خفيفة مسقة تدعو الى اللهو ،
والمجون . والاستهانة بقيمة الانسان . في موجة عارمة شملت أوروبا ، وخاصة فيينا
التي بدأت تسودها موسيقى جميلة حقا ، ولكن في غاية الحفة والاسفاف في نظر بيتهوفن
الجدى الصارم ، من نوع موسيقى عائلة شتراوس (ومعناه بالالمانية النعامة !)
ولانر (Lanner) وخاصة روسيني ، (راس البومة ، كما سماه بيتهوفن !) .

لقد كانت موسيقى بيتهوفن في خدمة القيم الاخلاقية العليا للانسان . في الدفاع
عن حرية الانسان ، وكرامة الشعوب ، وضد الدكتاتورية ، والاستعباد . وقل كثيرا من
ذلك عن موسيقى اعلام آخرين مثل موسورغسكي في روسيا ، وسميتانا ودفورجاك
Dvořák في تشيكوسلوفاكيا ، وخبوين Chopin في بولونيا ، وژلطان كودالي
في المجر ، وغريغ Grieg في النرويج . وسبيلوس في فنلندا . وفيللا لوبوس
Villa-Lobos في البرازيل ، وجورج يونسكو Jonesco في رومانيا ، وآخرين
كثيرين ، ممن عبروا بموسيقاهم عن كفاح شعوبهم من اجل الحرية والكرامة ، وعن
روحها ، وشخصيتها ، وانيتها ، واصالتها ، على اساس موسيقاهم الشعبية ، وباستلهاهم
تلويخهم ، من افراح واتراح ، وكان تعبيرهم في نفس الوقت روائع من الفن العالي الخالد
الذي اصبح تراثا مشتركا للانسانية كلها .

فلندرس هذه الموسيقى اذن بعناية وحده ، وليتخرج من شبابنا ممن يمزفونها
ويؤلفون فيها آثارا تكون لوحات عن كفاح وآلام هذا الشعب ، وآماله ومطامحه !
وليشمل ذلك الامة الاسلامية كلها ، بل والانسانية جمعاء . ولتكن تلك اللوحات في
نفس الوقت روائع فنية للتمتع والامتناع ! وليصوغوا لنا الحاننا ملائكية تعبر عن الخلق
والمبدأ ، وعن جمال البلاد وجلالها ، الحاننا تختلف عن الدندنة والدبكة الخليعتين
والساندتين حاليا عندنا فيما نسميه بالموسيقى الكلاميكية (الاندلسية) ، التي نحبه
الحانها حقا ، ولكن نخطئ على كلماتها 1 .

ولياخذ شبابنا من كنوزنا الفنية الشعبية ، وليعطوا ألماننا الشعبية هذه ذلك الطابع الفني العالمي الرائع ، كما فعل الخمسة الروس (٤) في القرن الماضي ، وكما فعل بعض الذين ذكرنا في هذه المقدمة ، وآخرون كثيرون ، وكما أخذ يعمل عندنا العصفور النادر الوحيد ، المرحوم محمد ايقريوشن ، وبدأ يواصل على دربه الدكتور حكيم ابن عطية ، مشيدين بامهم ، وأوطانهم ، وتاريخها ، وقيمها ، وآلامها ، وآمالها ، وممتعين في نفس الوقت للانسانية كلها !

لقد اطلت في هذه المقدمة ، وكم كنت أود أن أطيل أكثر ، خاصة فيما يتصل ببيتوفن الخالد ، عن قصد ، ومدفوعاً في نفس الوقت برغبة جامحة .

ولأختم ندائي هذا لشبابنا في المدارس بأعادة تلك الكلمة الماثورة التي سجلها وطبقها بيتوفن الخالد ، « أن الموسيقى هي وحى أعلى من كل فلسفة ، وأعمق من كل حكمة ! والذي تفتح له موسيقاى يتحرر من كل بؤس ينقل كواهل الآخرين ! » .

(١) ديمسكي كورساكوف ، موسورغسكي ، بوردين ، فيسركوي (Caesar Cui) وميلى بلاكيريف (Mili Balakirev) ، مؤسسي الجماعة .

نهضة الأدب العربي

الدكتور الحاج يوليوس

عبد الكريم جرهانوس

استاذ التاريخ الحديث

بجامعة بروكسل



إن نهضة الأدب العربي الحديث ، بما يتميز به من اتجاهات تختلف تماما عما كانت عليه الأعمال الأدبية في القرون الطويلة الماضية ، تعتبر ظاهرة مذهشة ولكنها تسير الوعي الوطني والعقل للشعوب الإسلامية بوجه عام . فبعد أن خلق الإسلام علماء ، خلال القرون الوسطى ، نقل ثقافة القدماء من النسيان .

ونقلها إلى الشعوب الأوروبية التي تبعت وشيكا من عالم الهمجية . وبهذا قدم الاسلام ولفته العربية خدمة جليلة للانسانية . ولا يصرّف التاريخ نظيرا للانطلاق الفجائي والمستوى الرفيع الذي بلغه المسلمون في العلم والادب والفن . ولكن الظروف الجغرافية والاجتماعية والسياسية والفكرية اوقفت هذا التطور الذي فاقتمت اللغة العربية طوال قرون على مجرد التعليقات والتشروح . ولا اريد ان اتحدث عن اسباب تدهور الشعوب الاسلامية لاني سبق ان وضعت كتابا في هذا الموضوع نشرته في لاهور باللغة الانجليزية عام 1953 .

فعندما اشاعت اشعور الاسلامية استقلالها السياسي ، قمعت بموقفها الى ان يقتضها حملة نابليون من سباتها العميق . وفي خلال بضع عشرات من السنين قامت اللغة العربية . ملكة اللغات السامية والتي كانت قد اوشكت ان تموت . فبعثت من جديد بكل امجاد ماضيها ، مزينة بكل ما حققته المدنية الحديثة ، واستطاعت ان تواجه اعداءها القدامى بكل فخار .

٢٦. اتبعت في الفرصة ان اكون على اتصال وثيق بحركة التجديد والنهضة التي شملت الشرق الاسلامي . ففي فجر شبابه التحقت بكلية الحقوق في استانبول قبل 55 عاما . وقد كنت بنفسى وقتئذ في معارك النضال الاجتماعي للدولة العثمانية . وعاصرت البيئة الخائفة لحكم السلطان عبد الحميد . وشاهدت الفرح الغامر بعد خلع عرشه . ثم شاهدت الالام التي كانت تعانيها الشعوب خلال الحرب العالمية الاولى ثم مولد الجمهورية التركية الجديدة . وهي الجمهورية الوليدة التي قطعت جميع ارتباطاتها القديمة بالعالم العربي وبقية المسلمين عندما أعلنت المادية *

لقد شهد القرن العشرون تغيرات بعيدة المدى في الحياة السياسية للشعوب جعلتها تختلف اختلافا بينا عما كانت عليه طوال القرون . تحولت المانيا والمسا وروسيا وتركيا الى جمهوريات . وحتى الصين البعيدة قد ألقت عن كاهلها عرش ابن السماء ... كل هذه الاحداث كان لها اثرها العميق في آداب الاتراك والعرب .

ان الادب هو التعبير عن افكار الشعب ومشاعره . وهو يصور الحياة الاجتماعية والاقتصادية للشعب . وهو يتأثر تأثرا عميقا بالاتجاهات السياسية للعصر . ويؤثر

بدوره في اتجاه السياسة . وصورة أدبها . مجردة عن بيئتها الاجتماعية والسياسية
هي صورة باهتة مضطربة .

وقد كان الاساس الاجتماعي والسياسي للادب العربي الحديث ، حتى نهاية الحرب
العالمية الاولى ، يرجع الى بيئة الدولة العثمانية ، التي كانت مكونة من متعدد القوميات
والديانات والعناصر والمستويات الثقافية ، والتي كان كل عنصر فيها يحقد على العناصر
الاحرى . وقد كان المسيحيون من رعايا السلطان من العرب والبلغاريين واليونانيين
والارمن والمارونيين ينظفون على الدوام الى حماية حكومات اجنبية . وكانت حكومة
تركيا تلجأ بين الحين والحين الى اتحاد اجراءات عنيفة ضد الخارجيين عليها من القوميات
الشورية .

ولو كانت الدولة العثمانية ، التي يحكمها أمير مسلم ، قد طبقت الشريعة الاسلامية
التي تفرض عليها ان تمنح الحقوق المدنية الكاملة لغير المسلمين من رعاياها ، لكانت
اول دولة تطبق مبدأ اللامعصرية . وكان في الامكان ان تطبق هذا المبدأ دول اخرى
بالمثل . ولكن الروح الغربية ، الداعية الى المعصب العرقى ، طغت على امكانية
تطبيق مبدأ اللامعصرية وجعلت كل قومية تتعصب لعرقها وتماذى القوميات الاحرى .
ولكن الاعتبارات النظرية والافكار الاجتماعية ، مهما اوتيت من منطق ، فلم تكسب
لها القوة الحاسمة التي تستطيع ان تغير المشاعر والافكار السائدة في ذلك العصر
وهي التي كانت تدفع تلك الشعوب دون هوادة للعمل على تحقيق احلامها مهما كانت
وعودة الطريق الذي تسلكه ...

وقد حاول الحكم الاستبدادي للسلطان عبد الحميد ، بكل جبروته وأسياليه
الارهابية ان يقف في وجه التيار العكري لتلك الحقبة من الزمن ، ومن ثم سعى ذلك
الحكم الى اقامة امبراطورية لا عنصرية مؤسسه على المبادئ السياسية للاسلام ، حتى
انها قد وسعت دائرتها الدينية الى المستعمرات الهولندية والبريطانية والفرنسية
التي استطاع المسلمون فيها ان يؤلفوا عنصرا متفوقا . ونستطيع ان نقول - دون ان
نتفق مع حكومة عبد الحميد في اسياليها البغيضة التي اتبعتها لتحقيق اهدافها -
نستطيع ان نقول انها كانت تبذل جهدا كبيرا لا يستهان به - في وجه مصاعب مروعة -
في سبيل اقامة « دار الاسلام » المثالية في العصر الحديث .

وقد كان المنتسبون الى حزب تركيا الفتاة ، وكذلك أنصار الفكر الوطنى فى مصر
ينتمون من الطبقة المتوسطة القليلة العدد ، وهى الطبقة التى كانت ترغب فى تنفيذ
مطالبها الثقافية والاقتصادية عن طريق اكتسابها للحرية .

لم تكن فى الدولة العثمانية أية صناعة آلية . ولم تستطع هذه العناصر التقدمية
ذات الأفكار التحررية أن تكتسب تأييد الجماهير الزراعية الواسعة من الفلاحين أو جماهير
المدقمين . ولذا انحصرت الاتجاهات الثورية فى متقضى المدن . وكانت نتيجة الضغط
الذى جاء من أعلا ظهور رد فعل ثقافى ، وهو الذى نطق أدبا وطنيا ، وقد خلقت مجلة
« ثروتى فنون » التركية كثيرا من الادباء الذين تطوروا بالرواية التركية حتى أصبحت
ناقش المشاكل الاجتماعية بلغة سهلة يفهمها القارئ المتوسط الثقافة .

وعلى أى حال فإن الحكم الاستبدادى للسلطان عبد الحميد لم يقتصر على الهام
الشعراء والكتاب الاتراك للتعبير عن احساسهم الوطنية فحسب ، بل وامتد هذا
الالهام أيضا الى أرباب السلطان من الناطقين بالضاد الباقين على ولائهم للخليفة . والذين
لم يستطيعوا أن يحسوا دموعهم لرأى الحالة الذليلة التى أصبحت عليها البلاد .
وكانت مصر تتمتع بحرية نسبية لأنها لم تكن تحت حكم السلطان بطريقة مباشرة ،
ولذا وجد فيها عدد من الكتاب الاتراك المضطهدين ملجأ على ضفاف النيل . وقد
كان استبداد عبد الحميد هو الذى أوجد ذلك الطراز الجديد من الشعر الذى يختلف
تماما عن القصائد التقليدية القديمة .

وكان من بين الضحايا الجديدة لحكم السلطان عبد الحميد ، ولى الدين يكن المولود
بالقسطنطينية والذى كان يقهر بجنسيته المصرية . فقد ثار ضد الطغيان قائلا :

يبكى بسوك ويضعبك الزمان	ماذا أصابك أيها السوطن
ما أوشكت أن تنتهى محن	الا وجبات بمدحها محن
أما الرسوم فأنها درست	أما الرجال فأنهم دفنوا
المصر راجت سوق باطله	فالحق فيه ماله ممن
يا قوم هبوا من مضاجعكم	طال المدى حتمام ذا الوسن

وقد كان الشعور بالاضطهاد ، الذى اتار ولى الدين يكن فى استأنول ، هو نفس
الشعور الذى عبر عنه جميل الزهاوى فى العراق فى قوله :

نحن في غفلة نيام نائبات الزمان غير نيام
نحن في دولة تداركها الله تبسح المعظور للحكام
وعدها بالاصلاح جم ولكن لا يجوز الاصلاح حد الكلام
نحن قوم ارادة شخص واحد ان نعيش كالانعام

وقد اقتطع طبع الحكومات الغربية ولاية بعد أخرى من جسم الدولة العلية ، اليونان ورومانيا وبلغاريا وكريت وقبرص ، ولم تبد أى ولاية رغبة ما فى العودة الى الحكم العثماني حيث ينتظرها فيض من الاضطهاد والتقتيل . وما اكثر الحزن الذي الهم الأبيات الآتية :

دعى الله شعبا أهمنته وعاته وملكا كبيرا ولكنه تزعزع
تقطع منه كل يوم مدينة وما الكف الا اسبح ثم اسبح

وقد نفى ولي الدين يكن الى مدينة سواس بالأماضول ، حيث بقى ينظر بقلب كبير الى المصير لمواطنيه . وكان الياش يغلبه أحيانا فى أشعاره التي منها قوله :

يقول أحيتى صيلرا وحمل فى النار يصطبر
ونحن أمامنا وطن تراه اليوم يحترق
فمن يجزع فمعذور ولكن قل من عذروا
فيا أفق التهم حزنا وجد بالدمع يا مطر

ولكن الآمال المحطية تحققت آخر الامر . فقد سار الجيش التركي تحت قيادة نيازى وأنور نحو العاصمة فى عام 1908 ، وارغم عبد الحميد على إعلان الدستور . وهنا عانق الاتراك والعرب والاكرد والشراكسة ، المسلمون منهم والمسيحيون ، بعضهم البعض ، وظهر أن شعبا متحدا جديدا قد نشأ من الأشلاء الممزقة التي كانت من قبل . وبلغ الفرح أطراف أمريكا البعيدة حيث هاجر الكثيرون من العرب الشرفاء ، واقيمت الأعياد والأفراح فى شتى أنحاء الدولة . وظهر الشعراء كما تظهر الزهور البرية .

ففى سوريا ولبنان ظهر عبد الله البستاني ، ومحي الدين الحياط ، وشكيب ارسلان، وإياس فياض وشبلى ملاط . وفى مصر التي اهتمت بالانقلاب الحديدى بطريقة غير

مباشرة ظهر أسعد رستم . وسعيد شتير وغيرها . وفي العراق ظهر الزهاوى والرصافي.
والدجيلي والمبادي . والهنداري . الذين مجدوا قدوم نسيم الحرية . وقد وصف الزهاوى
شعور بغداد في ذلك الوقت قائلا :

وقفت والعين تبكي عن مسرتها امام شعب من الافراح عجاج
امام بحر من الافكار مضطرب امام جيش من الاصوات دحراج
ان الشعوب اذا حاحت عواطفها كالبحر يضرب أمواجاً بأعواج

أما مصر التي كانت بعيدة عن الاضطهاد الذي مارسته الحكومة العثمانية فكانت
لا تزال مرتبطة بتقاليد الخلافة . فترى أحمد شوقي الشاعر الشهير في قصيدته السعي
كتبها بمناسبة اعلان الدستور يمتدح حكم السلطان عبد الحميد قائلا :

اسدي الينا أمير المؤمنين يدا جلست كما جل مى الاملاك مسديها
بيضاء ما شابها للارياء دم ولا تكدر بالايام صاقيها
وليس مستظما فضيل ولا كرم من صاحب السكة الكبرى ومنشيتها
ولكن الشاعر المتعلق لا ينسى مطلقا شعوره الوطني الغريزي فيقول :

يا شعب عثمان من ترك ومن عرب حياك من بيعت الموتى ريحيها
صبرت للحق حين النفس جازعة والله بالصبر عند الحق موصيها
نلت الذي لم يمله باللقنا أحد فاهتف لانورها واحمد نيازيها

وقد عبر الشاعر الكبير المعاصر حافظ ابراهيم عن حسن نية السلطان عبد الحميد
فامتدح كرم اخلاقه :

أتنى الحبيج عليك والمروان وأجل عيد جنوسك الثقلان
أرضيت ربك اذ جعلت طريقه أمنا وفزت بنعمة الرضوان
وجمعت بالدستور حولك أمة شتى المذاهب جملة الاضفان

أما سعيد شتير فيقارن سعادة الحاضر وآلام الماضي في أبياته الآتية :

اليوم لمرح أحرارا بفضلكم نفذو ولمسى ولا هم ولا نصب
قد اطلق الحر من السجن أمين به وعاد لوطن المحبوب مغسرب
فلا جواسيس تخشى من وشايتهم ولا جرائد نأتينا فترتعب

تنام في الليل لا الاحلام تقفنا وتنهض الصبح لا خوف ولا وعب
كم بين حال اتنا كلها طرب وبين حال عدتنا كلها وهب

ولكن ميهات ، فلم يبق الفرح طويلا . اذ عاد عبد الحميد فقبض على السلطة من جديد . والى الدستور ، واستاصل حزب تركيا الفتاة من البلاد . ولكن محمود شكت باشا الذي ينحدر من أسرة الخليفة عمر ، قاد الجيش مرة أخرى الى استانبول ، وبعدة قتال عتيف هزم القوات الموالية للسلطان . وخلق عبد الحميد عن عرشه .

وقد صادف خلعه ارتياح جميع العالم الاسلامي . الذي شهد سلسلة من الانتعاش حول هذا الامر . وقد سبه فارسي الخوري في قصيدة له فقال :

شادوا لك العزة القصاء من قدم فجئت تهدم ما شادوا وما رسموا
كانت لهم دولة بالسيف ناهضة وفي زمانك لا سيف ولا قلم
حصدت ما زرعوا فرقّت ما جمعوا هدمت ما رفعوا يثمرت ما نظموا
وأعلن معروف الرصافي الشاعر العراقي في افتتاح :

انما نحن أمة تدرأ الضيم ولا تستكين لـوال
أمة سادت الانام وطابت عنصرا من أواخر وأوال
فاذا ما علا الغشوم تهضنا فقدفناه ساقلا من عال
نحن من شملة الجحيم خلقنا لاوى الجود لا من الصلصال
وتقرأ علامات التهديد في الآيات الآتية :

يا ملوك الانام هلا اعتبرتم بملوك تجور في الافعال
فاتركوا الناس مطلقين والا عشتهم موثقين بالأرواحال

لقد فتح الشعراء السوريون والعراقيون قلوبهم وتركوا مشاعرهم في انطلاق ولكن مصر - للاستيلاء الى ذكرها - استقبلت سقوط عبد الحميد بمشاعر متضاربة . وقد طهر لبض الكتاب ان الاحتلال الاجنبي أكثر ضررا من حكم السلطان عبد الحميد لانه كان على أي حال أمير المؤمنين .

وقد طلع القرن العشرون على الشعوب الشرقية وهي مصابة بمركب النقص . وقد ذقت بنفسها مرارة هذا الشعور الذي كان يعانيه اخوتي في الاسلام . وقد كان انتصار

اليابانيين في منشوريا على الروس عام 1905 أول تشجيع أحياء شعور جميع الشرقيين .
وتواترت الأنباء وقتئذ بأن اليابان ستعقد مؤتمرا اسلاميا في طوكيو مما ألهب شعور
الشعوب الشرقية .

وقد ادخلت الامتيازات الاجنبية التي فرضت على المسلمين ، والمدارس التبشيرية
الاجنبية ، في روع الشرقيين المستغلين الفكرة الزائفة من أن كل اوروبي هو ضارب
من السوبرمان أي الانسان المتأخر .

كفى الغرب فخرا أنه متقدم	وان له هالا به يتنعم
وان له في البر جيشا عرمرما	يمائله في البحر جيش عرمرم
ترقى قلما اشتد ساعده عتبا	وبات يفيض الشرق والشرق يكضم
يطبل على اجفانه يحقوقه	سكونا كان الشرق ليس له فم
فيا أيها الغرب المدل بنفسه	رويدك ما هذا الضرور المذم
أزعج ان الشرق يلث صاغرا	امامك مفصوبا وأنت المكرم
وتبقى عليه هكذا متسيطورا	تمس دم الاموال منه وتهضم

وقد ايقظ سليم البستاني الوعي الوطني في قلوب مواطنيه السوريين . كما كتب
الزهاوي في العراق الايات الآتية لتعوض مركب النقص :

وشمل الوعي الوطني جميع المسلمين الذين عاشوا تحت الحكم العثماني .

حتى المسيحيين في لبنان قد شعروا ايضا بشعور الجنسية العثمانية بعد اعلان
الدستور . وقد دعى خليل زينة المسيحي الى عقد اجتماع بالاسكندرية قال فيه
« فلتسعدوا أيها العثمانيون لانكم اكتبتم الدستور . فقد جاء اليوم أخيرا الذي
يستطيع فيه جميع الانبعاث أن يتحدوا في عناق اخوي . فبواسطة الدستور اصبحنا
عثمانيين ونحن نفتخر بوصفنا عثمانيين . اننا عثمانيون قبل كل شيء الى آخر عمرنا .
وشعارنا الحرية والوطنية ، وفخرنا راية الهلال ، وملجؤنا الدولة العلية .

وتقلل هذا التحسس طوال سنتين في كل شعوب الدولة ، من اترك وشراكمسة
واكراد وعرب ، مسيحيين ومسلمين ، كما لو كانوا قد اتحدوا ضد الاتهامات الاستغلاية

للغرب . وسعوا الى خلق دولة متحدة مستقلة . وقد خلد الادب العربي المعاصر هذا الشعور في كثير من آثار الشعر والنثر .

ولكن الفرح العظيم سرعان ما تبمته هيوم نقيلة . فان الغرب الطامع لم يقابل هذه الاشعار باشعار مثلها ولكنه أطلق بقبضته على أجزاء جديدة من جسم الرجل المريض . فضمت النمسا أول الامر ولاية البوسنة . فينس الرأي العام العثماني وقاطع البضائع النمساوية . وينتخب شبلي الملائق اللبناني بمرارة في هذه الأبيات :

الا من يبلغ النمسا كلاما	نسجله ونورثه البنينا
بان عهدوها كانت سرايا	وكان رداها نلفا مينا
فلا تجد السنون الى التصامى	سيلا ما تعاقبت السنونا
أو النمسا تكفر عن ذنوب	جنتها فاعتقدت عارا وهونا
اتحب جارة الدانوب أنا	لذل لملها أبدا جينا

واستولت بعد ذلك إيطاليا على طرابلس الغرب . واليونان على كريت . واطلق أمين ناصر الدين اللبناني في سخط يقول :

أظن بنوا اليونان أن سيولنا	تتلعن أم أختنر علينا التأخر
الم يذكروا بالامس ما كان بيننا	على حين خضنا الموت والموت يزخر

لقد هزم الجيش العثماني تحت قيادة أدهم باشا في عام 1897 الجيش اليوناني هزيمة مكرة . وكان ذلك تحت الحكم غير الشعبي للسلطان عبد الحميد . فما كان أخرى الدولة بأن تكون أقوى وهي متمتعة بحريتها الوطنية :

وخلتم توالى الظلم أورث شعبنا	خمولا وأصبحتنا على الهوان تصير
قهرناكم والملك قد كان ذاويا	فكيف رروض الملك فينا أخضر

أما الرصاصي العراقي فانه يصم إيطاليا بالعار عندما اجتاحت طرابلس الغرب ونفمة قصيدته اسلامية وعثمانية مما :

ألا انهض وشمر أيها الشرق للحرب	وقبل غرار السيف واسل هوى الكتب
ولا تفترق ان قبيل عصر تمعن	فان الذي قاله من أكذب الكتب

الست تـراهم سـين مصر وتونس اباحوا حـمى الاسلام بالقتل والنهب
وما يؤخذ الطليان بالذنب وحدهم ولكن جميع الغرب يؤخذ بالذنب
اما شعراء العراق الآخرون ، مثل رضا الشيبى ، وحبيب العبيدى ، وخيرى الهنداوى
وعزير الجواهرى فقد أيدوا السلطان الجديد وحفزه على دود العدوان . وفى حلقة
الادب العربى باستانبول القى حبيب العبيدى قصيدته ذات الخمسةائة مقطع التى
تضمنت تاريخ الاسلام كله والتى تمتشیر الشعور الوطنى الاسلامى . وربما كانت
بعض سطورها كأنموذج :

كيسف ترضى يا شرق أن يمضى الغرب اماما وأنت تمضى وراء
أفلم يأن أن تجدد عهدنا شهد الصبح فضله والمساء
استام الهران دون المناسيا انما الموت والهوان سواء

وذكر حافظ إبراهيم فى مصر الهجوم القادر على طرابلس الغرب فى فريدة طويلة .
وقد قربت التقاليد التاريخية وكذا الدين الاسلامى بين أعضاء الطبقة المتوسطة .
اما الطبقة العاملة واصحاب الحرف والفلاحون فلم يكتفوا قد يفتظوا الى الوعى الاجتماعى.
فتبعوا كالعصيان الاتجاهات الفكرية للمستعدين . كان هناك حلم حول قيام التعاون الوطنى
تحت حكم آل عثمان الذى تقوده الشريعة . ولكن هذا الحلم تمزق شر ممزق تحت وطأة
نظرية الطورانية . وهى النظرية التى كانت تعمل لضمان الدور القيادى لنحس
التركى وحده ، لا الاتراك العثمانيون فحسب . بل وكل الشعوب التى تتحدث باللغة
التركية التنارية سواء فى صيبيريا أم فى غيرها .

كانت نظرية الطورانية نظرية وطنية عرقية تعمل على الاضرار فى دولة مكونة من
عروق مختلفة . وكان رنين الطورانية يحكى نذير الموت للدولة العثمانية الدستورية
الجديدة .

وعندما اشتعلت نيران الحرب العالمية الأولى ، كان أعضاء حزب تركيا الفتاة يحاولون
أن يربطوا بين قوتين متعارضتين فى سبيل المحافظة على الكيان الكلى . فقد أعلنت
الحكومة الجهاد المقدس الذى كان فريضة واجبة على كل مسلم ، وكانت تعمل فى ضمان
مؤازرة مسلمى الهند وفى أن يهب المسلمون فى افريقيا ضد الفرنسيين ، ولكنها
حاولت فى نفس الوقت ان تضمن للطبقة الحاكمة التركية القيادة المطلقة .

ولكن اتجاه اتباع الباب العالي من غير الاتراك كان مقسما : كان الفريق المتحدث باللغة العربية يؤمن بانتصار الحلفاء ، اذ لم تكن ألمانيا قد ظهرت على مسرح السياسة العثمانية الا حديثا . اما الفريق الآخر فكان يتألف من تلك العناصر التي كانت تظاهر حزب تركيا الفتاة لاسباب شخصية .

ولم تستطع احكام الاعدام التي اوقعها جمال باشا على الوطنيين السوريين أن تطفيء اللهب الذي امتد مع الوقت الى الجزيرة العربية أيضا . وقد سقط عدد كبير جدا من الشهداء الذين ضحوا بحياتهم في سبيل الحرية . وقد قامت القومية العربية . قوية وكأنها قد طمعت بدماء أولئك الشهداء الشرفاء . وقد ندب خير الدين الزركلي الشهداء في أبيات تمس أوتار القلب فقال :

نمى نادب العرب شبانها	فجسد بالتعي أحزانها
يكى كل دى عمرة تربه	قهاج نزارا وعدنانا
فصن المدامح أن لها	تفيض وترسل كالسيل هتنا
فجائع من حديث	القلوب وحييات تستطيع سلوانا

الا ان نهاية الحرب أتت على حزب تركيا الفتاة . وغرف العلم العربى لجديد على تلك البقاع التي كانت تقام فيها المشائق قبل سنتين . وقد حيا الادب العربى الثخير الجديد بحماسة بالغة . وعبر مصطفى الفلايى عن آمال المستقبل السعيد بهذه الابيات :

راية العرب راية المدنية	راية المجد راية الحرية
انت مهوى آمالنا الوطنية	ومناز يهدى السبيل السوية
يكى نحمى الحى المقى وتجنى	دمت فينا مدى الزمان عليه
ونرجى الحياة فى روض آمن	ثمرات تحيى القلوب وتقنى
فى حسمى دولة الى العربية	وارف ظله خبيب أغنى

ولكن هذا الحلم المقدس تبعثر بقسوة تحت وطأة الاطماع الانانية . فقد روع هذا الجحاح حكومات الحلفاء ، وتغلبت الروح الاستعمارية فتتكر الحلفاء لوعودهم التي بذلوها أثناء شدتهم . واقتسموا تلك المساحات الشاسعة فيما بينهم كفنائهم حرب

على مذبح مصالحهم . فصارت سوريا وفلسطين تحت الانتداب . أما الاردن ومصر
والعراق فبقيت تحت الحماية البريطانية .

وكانت خيبة آمال الراى العام العربى غاية فى المرارة . فقد اثبتت الايام أن
المبادئ الاربعة عشر للرئيس ولسون لم تكن الا خداعا . فقد اطبق اخطبوط
الرأسمالية الطامعة على ذوى النيات الحسنة وداسهم بالاقدام .

وقد احتج خير الدين الزركلى والفلايى فى سوريا . وحتى شعراء المهجر من وراء
البحار . مثل جورج صوايا والياس قرحات فى البرازيل ضد القصب الاجبى . وهاجم
الفلايى فى جرة خداع المستعمرين وقحتهم فى السطور التالية عام 1960 . قال :

هبوا فامتكم على خطر	جارت عليها الاعادى جور منتقم
حتى تسيل ربوع الشام مفعمة	دما يسيل الردى فى سيلة العرم
وذمة العرب والايام شاهدة	لنضر من الوفى فى السهل والظلم
حتى يغلوا بلاد العرب أجمعها	من ساحل الروم حتى ساحل المجرم

لقد كان الشعراء فى كل مكان أبواقا للثورة العامة . وقد أبقى الادب العربى الوعى
القومى حيا ثم قاد القضية العربية اخيرا فى طريق النصر . والآن ونحن فى دولة حرة
لانزال فى حاجة الى الكفاح . فسنستطيع أن نلقى سلاحنا وهو القلم . اذ علينا
أن ندافع عن حرية لشعب ضد الاستغلال . وأن نحرر الفقراء من همومهم * وأن نرفع
الجماهير الى مستوى الحياة السعيدة *

بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعراين هائي الأندلسي

الدكتور محمد اليملاوي

معيد كلية الآداب - تونس

تأسيس المسيلة :

لقد أسس الخليفة الفاطمي الثاني ،
القائم بأمر الله ، مدينة المسيلة بالزّاب في سنة
927/315 ، وكان آنذاك ولي عهد أبيه المهدي الفاطمي
عبيد الله . وسميت المسيلة أولا باسمه : المحمدية ،
أذ اسمه هو : أبو محمد . وقد اختار لها موقعا في
مقاطعة الزّاب ، (أو المقرب الأوسط كما كانوا يقولون ،)
وسطا بين سهول الحضنة في الجنوب وجبال المعافيد
في الشمال ، على الطريق الرابطة بين إفريقية والمغرب .

بين طينة شرقا وأشير غربا ، ليسهل له أمر مراقبة القبائل البربرية التي طال تبردها
على السلطة الفاطمية المخيلة ، دخيلة من نواح : فهم أصحاب بدعة في مذهبهم .
يقندسون أنهمهم ويدعون لهم العصمة والهداية ، دخلا ، أخذ على جمهور المغاربة الذين
تعلقوا أما بالمالكية ، أو ، إذا خرجوا عن الجماعة ، فال المذهب الخارجي الذي يسوى

بين المؤمنين ولا يجعل للعرب فضلا على الاعجمي ولا على البربري . فذلك كان الخوارج من اكبر اعداء الدولة الفاطمية ، فكانت قبائل زناتة ، وبخاصة بطون مفراوة وبرزال ، تقود الثورة تلو الثورة ضد هؤلاء « المشارقة » المبتدعين الذين بلغ بهم الزيف الى تاليه انتمهم . ثم كانت الثورة الكبرى التي قادها ابو يزيد مغلد بن كيداد فكانت تؤدي بملكهم ، ولم يستقر امرهم بشمال افريقية بعد مقتل صاحب الخمار الالهة وجيزة . ثم عادت الثورات والتتن ، يقودها خاصة بنو خزرج من مفراوة .

فلا بدع . ازاء هذه الحال من عدم الاستقرار . ان يفكر الحنفاء لفاطميون في تاسيس القلاع والحصون . استعدادا للطوارئ : ولهذا الغرض انشئت المسيلة فكانت . كما لاحظ ابن خلدون « ... ميرة للعساكر عند محاصرة المنصور لابي يزيد بجبل كيانة » (تاريخ بيروت ج 4 ص 175)

بنو حمدون وقد أسسها مع القائم قائد من قواد الفاطميين يدعى « علي بن حمدون ابن الاندلسي » ، فأصبح واليا عليها وعلى كامل اقليم الزاب الذي كان يمتد جنوبا الى الواحات وغربا الى حدود صنهاجة بأشهر وشرفا الى قسم من الاوراس . وعلى بن حمدون هذا . كان مع اخيه محمد وأبيهما حمدون من قواد الدولة الفاطمية ودعاتها ، خصوصا حمدون مؤسس الاسرة فهو عبد الحميد بن سماك الجذامي الاندلسي . قدم من البيرة بالاندلس الى منطقة بجاية والقائل الصغرى حيث انتصب دعاة الشيعة الاسماعيلية باكبجان وعبرها . وعبد الحميد من اصل يمني (جذام) عاش طويلا باسبانيا . فانقلب اسمه مصفرا الى « حمدون » . ولعله عمل بالاندلس ايضا على نشر الدعوة الشيعية . فكم من فتنة اثارها اليمنيون على الدولة الاموية . بالبيرة وباشبيلية . ولا شيء يمنع من افتراض ان حمدون قدم الى الاندلس مع الاجناد الشامية التي استعرت باسبانيا . كجند حصص او دمشق او قيسرين . كما لا يستبعد ان تكون له صلة بمراكز الدعوة الاسماعيلية باليمن او بسلمية في سوريا .

ولئن غمض دور حمدون . فدور ابيه في نشر الدعوة وتوطيد أمر الدولة واضح فمحمد هو الذي صاحب الداعي الحلواني الا يلد كتابة - اما على . فقد صاحب المهدي عبيد الله من سجدلماسة الى رقادة . وخدم الدولة الناشئة الى ان تم على يديه تأسيس المسيلة فانصب اميرا عليها .

واجب على بن حمدون أبن بن جعفر ويحيى . نشأ ببلاد القائم مع اولاد الخلفاء . فكان حاجب المنصور . الاستاذ جودر . يسهر على تربيتها كما يسهر على تربية امراء الاسرة المالكة . وكانت أم المزم لدين الله أرضعت جعفرا . فصارا أخوين بالرضاع . وان كانا متفاوتين في السن . جعفر يكبر المزم بحوالى عشر سنوات .

ولما مات على بن حمدون - في معركة شمس أبي أيوب ابن صاحب الحصار - سنة 945/334 . رثى ابنه حمير أعمال المسيلة والزاب . فكان له من عطف المزم الدائم مشجع على أن يتصرف في امارته بصفة تكاد تكون مستقلة . فلا يصرف الى مركز الخلافة الا الجزء القليل من أموال الجباية . واستجد دولة وسطانا . وبنى القصور والمتنزهات وقصده العلماء والشعراء « (ابن خلدون عبر ج 4 ص 175) . فكانت هذه الثروة . وهذه الاناقة . وهذا السلطان المستقل محل اتهامات كثيرة من حساد جعفر . ولقد بلغ صيت أمير الزاب الى الشرق . فمن الغريب أن تصله من الشاعر الحلبي الصنوبرى مدحة يقول فيها مودبا بلفظ جعفر (النهر)

« جعفر . روحى لك القداء أبا أحمد . ما كل جعفر جعفر

ما الزاب الا عدن لانك فى الزاب . وما ماوه سوى الكوثر » ولا يوجه مثلها الى سيده ومولاه . الخليفة المنصور أو المزم . ولا يمكن أن يحتج علينا بالفارق المذهبي بين الصنوبرى وحكام افريقية . فمعلوم أن بلاط سيف الدولة كان يتشيع . ومعلوم كذلك أن جعفرا يفرض فيه انه شيعى . لانه يخدم الدولة الفاطمية .

لكن ولا جعفر بن حمدون للخدباء الفاطميين لم يكن صاميا ولا ثائتا . فلقد تردد فى آخر أمره على المزم وقطع صلته به والتحق بتخصمه الاموى بقرطبة . والسبب فى هذه القطيعة هو السامس الشديد الذى كان يوجد بين مزم وحمدون من جهة . والاميرين الصنهاجيين زبرى بن مناد وبلقين من جهة اخرى . تنافس على الرئاسة فى الدولة . وتنافس على خلافة المزم حين اعين عن عزمه على الانتقال بالخلافة الى القاهرة العاصمة الجديدة . والعداوة بين الاندلسيين والصنهاجيين . هى نفسها صورة للعداوة القديمة بين صنهاجة المستقرة . وزناتة البدوية المتنقلة النائرة . وكان جعفر يدارى قبائل زناته . وربما أعانهم خفية على خصمهم . فلما قتل زبرى بن مناد القائد المخراوى ابن

خزر (971/360) وحمل رأسه الى المزم ، ساعد جعفر الزناتيين على قتل زيري . وأرسل رأسه مع اخيه يحيى الى بلاط الحكم الاموى بقرطبة . فقطع المزم منه الرجا . وكان فكره في تكيفه بولاية كامل افرقية والمغرب عوضا عنه . فلما بان عداؤه ، صرف الامارة الى بلقين بن زيري وسماء أبا الفتوح يوسف ، فكان بدء الدولة الصنهاجية الزيرية .

وكان من أمر ابني حمدون ان خدما مدة الدولة الاموية بالاندلس . ثم ان جعفر تنافس مع الحاجب ابن أبي عامر فاحتال المنصور على قتله سية 984/373 . أما يحيى بن حمدون . فقد رجع الى ولاه الفاطميين في مدة العزيز بمصر فمات هناك سنة 992/381 م .

محمد بن هاني :

هذا أمر المسيلة وبني حمدون كما يعرف من كتب التاريخ . فما علاقة ابن هاني بهما ؟ ومن هو هذا الشاعر ؟

أبو القاسم محمد بن هاني الأزدي البلبري . ولد سنة 931/320 اما باشبيلية واما بالبيرة قرب غرناطة ونفضل البيرة ، لاسباب : (1) لعبه البلبري . ولم يقولوا الاشبيل . (2) ثم ان ابا هاني ، وهو رجل غامض الاطوار . كان قد انتقل من المهدية الى الاندلس . معاش مدة باشبيلية ثم استقر بالبيرة . على مقربة من غرناطة الحالية . ولا يستغرب أن يكون هو الآخر داعيا شيعيا . تعلم مبادئ الدعوة واساليب الدعاية بالمهدية أو القيروان ثم انتقل الى البيرة حيث كان سبقه جد امراء الزاب . حمدون الجنامي . ولا يستدع في استقراهما بالبيرة . ما دامت هذه المدينة مركزا هاما للمصيبة اليمينية . وكلا الرجلين يسمى . حمدون جنامي . وهانيء أزدي . وبهذا النسب الأزدي اليميني افتخروا الشاعر كثيرا فيقول مثلا في أول مدح لجعفر مغاضبا بشعره :

ق 31 . ب 60 - يمانية في نجرها أزدية - أفصلها نظمنا وأحكمها وصلنا (1)
فصارت العصبية اليمينية هي التي دفعت بالشاعر الى بلاط المسيلة . ولعله كان في نيته أن يقصد الاميرين منذ أطرده من الاندلس . هذا ما نفهمه من عبارة وردت في « مطمح » ابن خاقان : « ... وأزعجته الاندلس ، فخرج على غير اختيار ... الى ان وصل الزاب واتصل بجعفر ابن الاندلسية . **هاوى تلك الجنسية** » فكان أمراء المسيلة كانوا بمثابة القناصل الاندلسيين بالمغرب . اليهم يتوجه الوافد من الاندلس . وبجملهم يلوذ المطرود كابن هانيء . ولا سيما اذا كان يست أيضا بالمتحد اليميني وبالاصل البلبري .

ولد ابن هانيء بالبيرة وترعرع باشبيلية ونطق بالشعر فى واليها من قبل الناصر الاموى ، وعاشه مدة ، ولكن أهل المدينة - أو الاقليم - تقموا عليه مجونه أو عبثه بالقيم كما اليوم ، فاطردوه من بلادهم ، فانتقل الى الصوة ، فتعرف على القائد الفاطمى جوهر الصقلى ، وهدحه ، وكان يحاصر آخر الادارسة بفاس - كان ذلك سنة 958/347 ، وسن الشاعر آنذاك 27 سنة - لم نرضه صلة القائد ، فنصحوه بالتوجه الى « الجعفرين » ، ولا نخالهما الا جعفرًا وإخاه يحيى ، سميا « الجعفران » على طريقة العرب فى تخفيف الاسمين بتثنية أحدهما الحسنان ، الخالديان ، العمران الخ ... ولا نظن انه كان غير ذى علم بالجعفرين فيرشده اليهما فاذا بلغت شهرتهما حلب ، فبارئى أن تبلغ الاندلس ، انما الخبر يفهم منه انها كانت فى جيش جوهر ، فنصحها الناس بالتقدم اليهما دون انتظار وصوله الى المسيلة .

ومهما يكن من أمر ، فقد بدأ ابن هانيء حياته بالزأب سنة 348 على الأكثر ، وكان قبل ذلك قد محن واستهتر بالاندلس كما يقولون ، الا ان الاستهتار المسوب اليه قد لا يعدو التجاهر بمقيدته الشيعية فى وسط منى محافظ أو الشروع فى بث الدعوة الفاطمية على غرار حمدون أو هانيء أبيه . ذلك انه حين نزل بالمغرب ، كان متشيعا بالمعتقدات الاسماعيلية ، كما تشهد به قصيدته فى مدح جوهر ، وهى اول قصيدة نطمت بالارض الافريقية . وهى اول شعر لابن هانيء اذا ما اعتبرنا أن شعر الفترة الاندلسية قد ضاع تماما . يقول فى هذه المسحة ، مقرا بخلافة الائمة الفاطميين ووضوح حقهم فى لوث أمر المؤمنين :

ق 10 ، ب 18 - أوكى به نهج الخلافة مهيعا بيني ، وأعلام الخلافة وضحا
ولقد اعترف هو بتشيعه القديم الذى سبب له نقمة الامويين ، فقال مفتخرا بولائه للائمة :
ق 37 ، ب 49 - وهما قصصوا الا قديم تشيمي فنحي هز يسرا شدة المتدارك
وبقى بالمسيلة خمس سنوات على الأقل - فأول قصيدة ينظمها بالقروان/المصوورية
مد تورخ بسنة 964/353 ، على انه من الممكن أن يكون قد نظم قصائده فى مدح الحضر
وهو لا يزال بالمسيلة ، كما أرسل مدائح الى جعفر وهو ملازم للحليفة ببلط القروان .
وأنه يصعب فى هذا الشأن ، أن تجزم بفكرة أو بأخرى - فشمس الشاعر بعيد عن الدقة
التاريخية او المكائنة الزمانية . ولا علم لنا قط بأسرته ، ولا بحياته الخاصة ، ولا حتى

بمقر اقامته الدائم اكان بالقيروان ؟ أم بالمسيلة ؟ وانما نضطر ، فى هذا الشأن ومي غيره ، الى التاويل ، كان نقول مثلا ، استنتاجا من هذا البيت الذى قاله حين فارق المعز على ابواب مصر وعدده بالحقاق به سريعا .

ق 47 ، ب 186 - « ولولا قطين فى قصى من السوى لما كان لى فى الزاب من متلوم »
انه ربما كان له مقر دائم بالراب ، وبه نعلمن اسرته ، فلذلك ، حين فارق الخليفة لسم يعد الى المروان بل عاد الى الزاب ليستقدم اهله ويجمع امتعته ، ولا غرابة ان يكون والشاعر قد استوطن الزاب نهائيا ، فكثيرا ما تغنى بجماله ، وحياة الرفاء فيه ، ويجو الامن والطمانينة الذى خلقته سياسة جعفر فى ولايته :

ق 43 ، ب 202 - « فتركت ارض الزاب لا يأسى اب لايين ، ولا تبكى البهول حلالين ورتت حواشى الدمى بالمسيلة وطاب العيش وعرف الناس عوائد الرفاء والافاقه حتى صاروا يستخشنون النسيم العليل لفرط حساسيتهم :

ق 36 ، ب 54 - « تبغدد منه الزاب حتى رأيت به تسميم الروع فيه فيستجفى
ق 8 ، ب 36 - « ارضاً وطئت الدر وضارضا بها والمسك تروا والرياض جبابا
وربما كان يبقى بالمسيلة الى سنة 2 973/3 على الاقل ، وهى سنة انتقال المعز الى القاهرة ، لولا خيانة جعفر والتحافة بالامويين .

ولكنه ، بمجرد وصوله الى القيروان ، أصبح الشاعر الرسمى لىلدولة الفاطمية ، والىوق الرنان للذعوة الاسماعيلية ، يعلى ماقلب الائمة ، ويندخى حجج خصومهم ، ويحتج لاحقيهم بالخلافة بل بالسلطة على الارض من عليها فيقول فى الخليفة المعز لدين الله :

ق 55 ، ب 17 - « وكفى بمن ميراثه الدنيا ومن خلقت له ، وعبيده الثقيلان
ق 1 ، ب 31 - « هو علة الدنيا ومن خلقت له ولعلسة ما ، كانت الاشياء

فلا مندوحة له اذن عن مصاحبة الخليفة الى مصر وقد أزمع ان يكابر به شعراء المشرق ميقوى بشعره حاب الذعوة الاسماعيلية .
وملا صاحب ابن هانى الخليفة فى مسيرته الى الشرق ، فوصل معه الى برقة ، وهى قديما قرية تقع على مائة ميل من سفاذى الحالية .

فودعه هناك واعتزم كما قلنا الرجوع الى الزاب لآخذ عياله . ولكن يد المنون سبقتم
فقتل ببرقة ليلة 23 رجب من سنة 2 294/3 أبريل 973 . ولا يعرف بالتدقيق سبب
قتله أو موته : انتقام سياسى ؟ أم حسد أدبى ؟ أم عداوة عاطفية ؟ أم حادث طارىء .
أم موت مفاجئ دون اعتداء ؟

وهكذا نكون قد عرفنا بالشاعر وبمفوضية بالمسيلة . بقى ان نتمسك من شعره
فيهما ما قد يساعد على زيادة التعريف بهذه الدويبة التى انتصبت بالزاب مدة يزيد على
40 عاما . وزيادة التعرف على حصارها وعلى دوافع الاخوين السياسية وحقيقة علاقتهما
بالتقى المتنازعة فى الشمال الاfrican آنذاك . وهى لمصرى بواح هامة ومعلومات مفيدة .
الا ان الشاعر قلما يوضح اشاراته . فلا بد اذن من أن تكون استنتاجاتنا كما قلنا تأويلا
وتخمينا .

البلاط الحسنى

ان ممدوحى ابن هانى بالمسيلة لم يكونوا اثنين . بل ثلاثة - فالى الاخوين جعفر
ويحيى . يضاف ابراهيم ابن جعفر . واذا اعتبرنا أن الرثاء هو شرب من المدح . أضفنا
الى شعره فيهم رثاء لحفيد جعفر . ورثاء لام الاميرين . وهكذا يكون الشاعر قد شارك
أصحاب المسيلة فى اتراحهم وأراحهم . مما يدل على أن العلاقة بينه وبينهم تجاوزت
علاقة الخدمة والتزلف بالمديح الكاذب طلبا للرفد . وصارت علاقة صداقة ومودة ووفاء
يشهد بها شعر الشاعر كما تشهد بها حياته . ولكن . لا يمكننا أن ندقق كلام الشاعر
فنجعله مصدرا تاريخيا . فهو شاعر لا مؤرخ . ومهمة الشاعر تتمثل فى الاحياء بالمعاني
الطريفة القوية فى القالب الفنى الجميل . لا فى السرد التاريخى المضبوط المنظم . وابن
هانى . من هذه الناحية . شاعر بالمعنى التام - فانه لا يكاد يذكر المكسان ولا الزمان
ولا مسرح الحوادث ولا أبطالها . فيصير المؤرخ . أى الدارس لديوانه من الوجهة التاريخية
مضطرا الى التأويل والتخمين . وربما اضطر الى أن يتاول الشاعر كما يتاول كلامه .

بلاط واحد أم ثلاثة ؟

من ذلك اننا قد نتوهم من قراءة شعره أن كلا من جعفر ويحيى واسماعيل له بلاطه
الذى يقصده الشعراء وأصحاب الحاجات والبلاط الاول هو بلاط جعفر بالطبع . لانه

هو الأمير ، بل هو الملك ، وإن كانت عبارة الملك لا تعنى أكثر من مدلول عبارة « أمير »
أو « وال » ثم أن يحيى هو الآخر يسمى « ملكا »

ق 52 ب 15 - وتنفذ على يحيى الوعود ببابه كما ابتدئت أم الحطيم المواسم
وهو لا يرى إلا في صورتين - صورة الملك الذى يدير سياسة وعيته ، وصورة القائد
الذى يتجهز للقتال -

ق 8 ب 20 - ولم تر يوما غير عاقد حبة لتدبير ملك ، أو كميأ مدججا
ولكن لا تدرى هل كان ليحيى مركز امارة خاص بمدينة من مدن الزاب . أم كان يشارك
أخاه فى تدبير شؤون البلاد بالمسيلة نفسها . كما توهم به عبارة المؤرخين ، فهم
يقولون : أميرا الزاب من قبل المعز . وكذلك لا تعرف مقدار السلطة التى يتمتع بها
إبراهيم بن جعفر . أكان عاملا لآبيه على بعض الجهات ؟ أم كان فقط قائد حملات حربية
ضد القبائل ؟

استقلال المسيلة عن الخلافة :

وربما استمتجنا ، من كثرة ورود عبارة « الملك » فى شعر ابن هاني ، ان أمراء بنى
حمدون كانوا يتمتعون بشيء من الاستقلال الإدارى فى امارتهم . وإن الشاعر ، إذا ما
ذكر العلاقة بينهم وبين الخليفة . يصدرها كملاقة مؤازرة ومساعدة . أكثر منها علاقة
خضوع وتبعية

ق 63 ب 3 - ويا ملك الزاب الرفيح عماده بقيت لجمع المجد . وهو فريق
ب 60 - وكنت يد المنصور منصور هاشم لذا البطش اذ ايدى القوارس سوق
وهذه المؤازرة من بنى حمدون للخلفاء الفاطميين . يجسمها الشاعر فى هذه المقارنة
بالنبي (صلعم) والانصار : كما نصر أهل يثرب - وهم يمتنون أيضا - جد المعز . أى
الرسول (صلعم) بالامس . فان بنى حمدون (اليمينيون) أنصار الخفيد اليوم :

ق 6 ب 40 - سد الامام بك الثغور وقبله هزم النبى بقومك الاحزابا
ويتخلص من تهمة الإفراط فى مدح اليمينيين . فى حين ان الخلفاء هاشميون ، أى
شماليون عدنايون . بأن يشبه بنى حمدون بالسيوف اليمنية التى يحتاج اليها كل
مقاتل :

ق 50 ب 14 - رايتك سيف بنى هاشم وخير السيوف اليماني الحزم

العمران بالزاب القصور :

ومن مظاهر الاستقلال ، تشبيه جعفر للقصور والمنتزهات كما قال ابن خلدون . وهذا شاعرنا يكثر في تمجيد القصر الذي بناه جعفر لابنه ابراهيم ، دون ان نمسرف بالضبط موقعه :

62 ، 26 - ألكنى الى القصر المشيد تحية فقد حدث الركبان عنه فأكثروا ويعود الى وصفه عبر ما مرة ، فيقارنه بقصور الأكاسرة في العراق البعيد ، ويفضله عليها ، وان كان يستعمل له كلمة « إيوان » الفارسية :

57 ، 4 - إيوان ملكك ، لو وأته فارص دمرت وخر لسمكه إيوانها

5 سجدت الى النيران أعصرها ، ولو بصرت به ، سجدت له نيرانها وقد رأينا سابقا تشبيه الزاب بالعراق والمسيلة ببغداد ، ويحسن بنا أن نتوقف ههنا عند هذه الظاهرة التي طبعت أدب المعاربة ، وهي مركب النقص ازاء المشرق الذي كانت منه حضارتهم ، فجعلوه معيار الذوق الرفيع والفن اللائق والأدب العالي الخ ... وهي ظاهرة انتقلت فيما بعد الى ظاهرة دفاع عن خصوصية المغرب والاندلس ، وعن طرافة الحضارة المغربية مثلما ظهر عند ابن حزم أو الشنقندي في الدفاع عن الاندلس وإظهار فضائلها ، وربما انقلب مركب النقص الى مركب تفوق وغرور ، كما تشعر به ملحمة ابن الخطيب حين فصل بهر « الشنيل » الفرتاطي على نهر النيل الشرقي ، فقال ، مستخدما حساب الجبل ، ان الشنيل - ألف نيل : « ... وما لصر تغش ينيلها ، والألف منه في شنيلها ؟ »

واين هائي كمعظم ادباء الاندلس والمغرب ، يخصص لهذه الظاهرة ، حتى وان نقل قصر المسيلة على ايوان كسرى ، فمن غريب العادات عنده أو عند غيره ، انه اذا أراد التشبيه بجبل شامخ مثلاً ، فانه يقصد الى جبال الشرق ، ولا يلتفت الى جبال بلاده فهذا تشبيه سفن المزم الحربية بالعلو والصلابة فيتبادر الى ذهنه علو الجبل ، فيختار جبل « كبكب » وهو جبل بالحجاز :

13 ، 39 - وليس بأعسلي كبكب . وهو شاهق وليس من الصفاح ، وهو صلود

واذا شبه قلعة بعلو البهمة ، والمتانة ، فانه يعود الى محفوظاته الادبية فيقارنها
بحصن السموال :

١,٢ = بى ، هذه تباء والابلق العرد . فسل أجعات الاسد ما فعل الاسد

الحياة الانثقة بالزباب :

ولعل من مظاهر الاستقلال بالزباب ايضا ، هذا النوع من الحياة الانثقة اللطيفة
السعيدة الذى تشع به أبيات ابن هانى ، حياة لهو ومحالس أنس وسمر أدبى ، بعيدة
عن التقشف الذى ينسب الى بلاط الخلفاء (انظر مقابلة المعز لشيوخ كتامة في اتعاظ
الحفقاء) ، وعن البساطة التى عرف بها البربر ، فهى حياة بظرف الاندلس ، ولعل
انتساب الاميرين الى اصل اندلسى كان عاملا قويا على احلال العوائد الاندلسية
بالمسيلة . ثم ان العلاقة بين المسيلة والاندلس ، على الصعيد الحضارى على الاقل ، لم
تنقطع ، فكما التجأ ابن هانى الى المسيلة . قصد كثير من الاندلسيين بلاط الاخوين ،
منهم من اعتبر المؤرخون جاسوسا لبنى أمية متواطئا مع جعفر . كالشخص الذى تشير
ليه سيرة الاستاد جوذر . عثمان بن أمية ، وغيره . هذه « الحلاوة » فى العيش بالمسيلة
تتمثل فى المجالس التى يعقدها الاميان فيشاركان فيها الشاعر ، وفى الافراح التى
تدفع الحملات الحربية الناجحة ، فينصح الشاعر الامير باتخاذ شئ من «راحة المقاتل» .
ق 40,٢8 : فبالسعى للعليا يشاد بناؤها وفى النهو أيضا راحة النفس والفكر
ب ٥٥٩4 ولا خير فى الدنيا اذا لم يقز بها . ملكك مفدى فى افتسال من العسر
ب 45 ألا انعم بإيام الله من المي . تحلت بأداب أرق مسن السحر
ونتمثل ايضا فى الهدايا التى يتعاطاها الاخوان ، فهذه جارية أهداها جعفر الى
يحيى :

ق ٥٥=5٢,٢8 وان التى زارتك فى الحذر موهنا . أحق لها بالخنزروانة والكبير

فيقالها يحيى بهدية خيل عيقة . وإن نسبة الشعر الحرى فى قصائد المسيلة
أكثر منها فى قصائد القروان ، فعلى هذا دليل على حياة اللهو هناك وجياة الجد فى
بلاط المعز ، وهذا على سبيل المثال بيت من مقدمة خميرية فى مدحة لجعفر :

و 14,61 : وقهوة مرة معتقة من عهد نوح أو عهد أرفخشذ
ب 17 تسبح في دنيا إذا هدرت قراءة قش ، صليبه هجد

حروب الاخوين :

ولكن الشاعر يخصص قسما كبيرا من شعره بالمسيدة ، لوصف حروب امراء
بنى حمدون ضد القبائل الشائرة . ولعلنا نستغرب كثرة هذه الوقائع في شعره وتطعيمها
له . مع سكوت المؤرخين عنها ، والجواب ان دور الشاعر المداح هو ان يعظم الانتصارات
ويخفف الهزائم . ويفخم التحركات . فيجعل من الحملات البسيطة حربا ضروسا
ويصور الرعايا المتلهذين عن دفع الضرائب في صورة اعداء كماء مدججين بالسلاح .
ومن دوره ايضا ان يسبغ على هذه الحملات حالة من البطولة الملحمية ، فلذلك يستمد
عن التدقيق . فلا يذكر التواريخ ولا الامكنة ولا الاشخاص وولا الخصوم . فهذا مثلا
يحيى بن حمدون . ينسب اليه الشاعر انتصارات في المغرب الاقصى . ولكن أين
بالضبط ؟ ومتى ؟ وضد من ؟ ذلك ما لا جواب عنه ، لا عند الشاعر ولا عند المؤرخين :

30,8 : نحا المغرب الاقصى بسطوة بأسه ففادره رهوا . وقد كان مرتجا
وهذا الامير ابراهيم ايضا خاض حروبا بالمغرب الاقصى ضد الحرويين . وهو الاسم
الذي يطلقه الفاطميون على الحوارج عادة :

ق 43,32 : واعين الحرويين متقيد النهي مطاهر عقد الحزم بالحزم موثقه
ب 53 وبالمغرب الاقصى قريح كتائب تنجب بمسراه ، مسرجف مشرقسه

ومن هذه الحروب ما يشكل لغزا في شعر الشاعر ، مثلا : القلعة التي شبهها بحصن
الابلق . لقد خصص قصيدة كاملة لوصف مناعتها والتفنى بنظر جعفر بها بعد حصارها .
وسبها الى المنصب الحرووي والى مخلد بن كيداد . ولكن مخلد بن كيداد كان قد قتل
بجبال كيانة في عام 336 ، اي قبل تاريخ القصيدة ب 34 عاما ، فيتساءل المرء ما وجه
ذكره اليوم ؟

ق 8,16 : حرورية ، ما كبر الله خاطب عليها . ولا حين بها مالكا وفهد
و وكانت هي الجماء حتى احتبى بها ملوك بنى قحطان ، والشعر والمجد
25 وكانت شجا للملك ستين حجة وما طيب وصل لم يكن قبله صد ؟

- 26 بها النار نار الكفر شب غرامها ولو حجبت في الزند لأحرق الزند
28 فمن جبرة قد اطفئت مخلدية وأخرى لها بالزأب مذ ذعن وقد
20 ولما تجلى جعفر صعدت له وأقبل منها طور سيناء ينهد

ونفهم بالحنس والتخمين ان هذه القلعة انما هي معقل جبل اعتصم به بعض بقايا الثورة المخلدية ، في جبال المعاضيد ، وربما في جبل كيانة بالذات ، ونفهم بالخصوص من عبارة « ستين حجة » ان الامن لم يستتب قط للمعاضيد في المغرب الاوسط طيلة مقام الفاطميين بالقرية . ونفهم أيضا ان جعفرا بعد ان اخذها وأسر زعيها ، عفا عنه : ولعلمهم كانوا من النوار الزناتيين الذين كان يحركهم بنو أمية عن بعد ، وكان جعفر يقاومهم بمقدار .

ونقف أيضا عند عبارة « العجاء » التي وصف بها القلعة قبل احتلالها من جعفر : كانت ناطقة بغير العربية ، فيمجرد استيلاء جعفر عليها . حلت فصاحة الاعراب وأدب العرب ، وانه يصعب أن لا نرى في هذا الكلام صورة من تحقير الحكام العرب لاهل البلاد البرابرة ، فابن هاني المتشبع بالحضارة العربية الموروثة عن الشرق ، كما يصد في تشابهه الى جبال الشرق أو انهارة ، لا يحاول كذلك ان يتعمق لغة الهوم ولا عقائدهم ولا خصائصهم التي بها يتميزون عن العرب الاصليين : فالمذهب الحواري كفر في نظره ، بالرغم من انتشاره بالمغرب ، ولغتهم ، عجمة ورطانة ، ولعل الرطانة هي التي جسرت الى الكفر في نظره .

غير ان الامر اعمق من نزعة التكبر على المنصر البربري : فلعل هذه المقيلة صورة من العداوة الدمينه التي كانت واقعة ظاهرة بين الحكام الفاطميين ومعكوميهم البرابرة . ومعلوم ان بعض المؤرخين قد عزوا الى هذه العداوة انتقال الفاطميين عن المغرب الى الشرق فاعتبروا تخلى المعز عن الحكم بالمغرب والقرية نوعا من الهروب واعترافا بعجزه عن الانسجام مع البربر ، وهذه نظرة جورج هارسي . وحسين مؤنس (هي مقعة تحقيقه لرياض النفوس) .

وما قد يؤيد هذا التحليل لموقف ابن هاني اراء البربر عامة ، سكوتهم الغريب عن جماعة الصنهاجيين فانه لم يذكر ديري بن مناد ولا بنقن ، لا يخير ولا بشر ، ولم يسدهما

ولو بيت ، ولا مدح أى قائد بربرى : حتى البيتان اللذان مدح بهما جعفر بن فلاح
الكتامى فانهما غير ثابتين .

أهذه عنصرية عربية ضد الـ « عجمية » البربرية ؟ نعتقد ان السبب فى اهباله
للزعماء الصنهاجيين هو ولاؤه لبنى حمدون خصوم الصنهاجيين ، وقد سبق ان قلنا ان
هذه العداوة بين بنى حمدون من جهة والصنهاجيين من جهة أخرى ، هى التى حملت
جعفرا فى نهاية امره على الخروج عن طاعة المعز ، وحملت هذا الاخير على اسناد ولاية
كامل شمال افريقيا الى بى زيرى ، بعد ان فكر مدة فى اسنادها الى جعفر . ثم الى ول
عهده ابنه عبد الله .

المنافسة بين الاخوين :

تظالما قصائد ابن هانى فى الاخوين بصمدى لمنافسة بين جعفر ويحيى ، ففسرى
الشاعر يدعوهما الى المحافظة على الوثام . ولا سيما بعد وفاة والدتهما . وانه على
عادته يوضح اسباب هذه الازمة : اكان ضيقا من يحيى بسيطرة جعفر على الحكم ؟
اكان تبرما بتقديم ابن ابيه ابراهيم عليه هو او على ابنائه ؟ لا ندري ، ولكن المؤكد هو
ان المنافسة بينهما قد كادت تبلغ حد القطيعة ، وقد بلغتها فعلا بعد خروجهما الى
الاندلس : فانا نعلم ان يحيى لم يرض بالخيانة وعاد بعد مدة وجيزة الى ولاء الفاطميين
بالقاهرة . والشاعر ، والحق يقال ، لئن كان شديد المحبة للاخوين ، فانه ما كان ليرضى
عن خيانتها للدولة الفاطمية والمعقيدة الشيعية وقد كان حذر جعفرا من معية الأصماء
الى مغريات كاتب له يدعى الوهرانى ، وكان الوهرانى هذا ، كمشان بن أمين ، داعية
للامويين بالاندلس يبت الدسائس فى بلاط الحمونيين حتى يصلهم عن ولاء الشيعة ،
وقد نجحت مساعيها فعلا . ولعل يحيى لم يكن راضيا كل الرضى عن تفاق أخيه الاكبر ،
وربما فكر فى الانقطاع وحده الى خدمة الدولة الفاطمية ؛ ذلك ما قد نعلمه من القصيدة
25 التى مدح بها ابن هانى ، احدى المعز ظاهرا والحسين ، وانما مدح فى الحقيقة يحيى
بن حمدون فدعاهما ، ودعا من ورائهما الخليفة ، الى اختبار ساعده وتجنيد فى خدمة
الدولة .

ومهما يكن من أمر موقف يحيى ، فان الشاعر يلج كثيرا على وجوب الوفاق بينهما
ويبين لجعفر ان اخاه مؤازر له ومؤيد كما أيد الله موسى بهارون :

ق 64,18 : لعمري لقد أيدت يوم الوغى به كما أيدت لقاك بالانمل العشر
ب 65 : لذلك باجى الله موسى نبيه فنادى أن اشرح ما يضيق به صدرى
ب 66 : وهب لى وزيراً من أخى استعن به وشد به أزرى وأشركه فى أمرى
فهل أشرك جعفر أخاه فى أمره ؟ لعل نصيبه من الحكم لم يكن وافراً ، مما أوغر صدره ، أو أوغر صدر جعفر عليه إذا ما طالبه بالقسمة العادلة . فلذلك يعود الشاعر الى مطالتهما بالوفاء والوفاق ، بعد وفاة والدتهما . وكأنه خشى عليهما أن تذهب ربحهما بعد فقدان هذه اللحمة التي كانت توحد بينهما ؛

ق 80,59 : فلولا لضريح لنادتكما تميزكما من شمات الممدى
ب 82 ، فقد يضحك الخى سن العقيد عتهتز أعظمه فى الشورى
ب 84 : وات اليمين ، فصل بالشمال فما يبيد عن يد من غنى
ولا تترك هذه القصيدة دون أن تنبه الى آيات عصماء منها مدح فيها ابن هانىء ، الامهات بصدق لا متين له ، وبعان مؤثرة لم نر مثلها فى الشعر العربى :

ق 69,59 : لامانا نصف أنساينا ابا الملك القيل منا انمى
70 دعائم اياما فى الفخار وآكفاء آبائنا فى العلى
71 ألم ترهن يباريفنا فيمرقننا وينلن المدى ؟
72 كفلسن لنا بظلال الحيام واكفلننا بظلال القنا
73 وتندو فمنهن أسماعا وابصارنا فى حجال المها
74 فلو جاز حكى فى الغابرين وعدلت أقسام هذا الورى
75 لسميت بعض النساء الرجال وسميت بعض الرجال النساء

تَلَوُثُ البَيِّئَةِ

الدكتور عبد القادر حليمي

كلية الآداب - جامعة الجزائر

1 مفهوم التلوث 2 مصادر التلوث 3 اثر التلوث

مفهوم التلوث :

في السنوات الاخيرة كثرت الدعاية وازدادت الاحاديث حول موضوع التلوث الذي اصبح الشغل الشاغل لدى الكثير من المؤسسات البشرية في النول المتقدمة والصناعية بالخصوص . وان كان هذا التلوث البيئي اقدم من هذه الدعاية وانه يعد مشكلا عالميا ظهر تدريجيا واشتد وقعه على المظاهر الحيوية والاقتصادية في السنوات الاخيرة بسبب زيادة الاختراعات والتجارب النووية والغروب بالقاذات

السامة , , واحتلال المصانع لمساحات كبيرة من سطح الارض واحلال المعركات ذات القوة البخارية محل اليد العاملة والقوة العضلية .

ولكن ما معنى التلوث البيئي ؟

نقول ان هذه البيئة متلوثه اذا اختل توازن مركباتها , اذ الاصل في البيئة التوازن في المركبين العضوي وغير العضوي , ونعني بالتوازن الانسجام والنظافة . فالطبيعة البكر تتسم بالاعتدال والملاءمة للانواع المختلفة من الحياة , وهي على هذه الحالة ما دامت بعيدة عن يد الانسان التي ان تحللت هذه الطبيعة غيرت وجهها , وقد يكون هذا التغير في اتجاه معاكس لاتزان الحياة فيحدث التلوث , ويعرف البعض هذا التلوث على انه عدم كفاءة او قسرة النظام الطبيعي على تقبل المواد او العناصر التي جلبت له , وبالتالي تبقى هذه المواد او العناصر المجلوبة , في شكل رواسب , او بقايا متراكمة او مفسدة بطول الزمن للنظام الطبيعي نفسه , وقد عرف التلوث المقتصر للمجلس الاوربي المتعقد في 144 سبتمبر 1967 في الآتي : يكون الهواء متلوثا اذ وجدت به مواد غريبة او احدثت فيه تغيرات مهمة لنسبة مركباته بحيث تؤدي الى آثار مضره . وللمعرفة متى يكرن الهواء متلوثا يجب معرفة مركبات الهواء, النقي أي الهواء العادي الذي لم تدخل عليه تغيرات , والجدول الآتي يبين نسب احجام اهم العناصر الغازية التي يتركب منها الهواء النقي منسوبة الى مائه :

78.09%	الازوت
20.95	الأكسجين
0.00005	الهيدروجين
0.93	الارقون
0.33	ثاني أكسيد الكلورون
0.00182	النيون
0.0005	الهيليوم
0.0002	الميثان
0.000114	الكريبتون
0.000001	الايون

وهذه الغازات المذكورة بعيدة جدا عن التثبيح , وتوجد بنفس النسب حتى ارتفاع 25 كلم تقريبا مختلطة ببعضها ما عدا القليل منها مثل الاوزون , ويمد غاز الازوت

عباد الحياة على سطح الأرض وفائدته الأساسية أنه عنصر ملطخ للخيوط الغازية . واليه يرجع الجانب الأكبر من الضغط الجوي ومن قوة التيارات الهوائية . وسحاراف اشعة الشمس . ويكون رداء واقيا للكرة الأرضية من شدة التقببات الحرارية . كما تحتاج النباتات في نموها الى غاز الآزوت . أما غاز الأكسجين فهو ضروري للحياة ولعملية التمثيل الاخصراوي بالنسبة للنباتات بصفة خاصة . ولا يمكن للكائن الحي أن يعيش بدونهُ ، على عكس غاز الاوزون الذي يتركز بالخصوص في الطبقة الهوائية التي تبعد بحوالي 25 كلم عن سطح الأرض وهو غير صالح للحياة مثله مثل الآزوت وثاني أكسيد الكربون وأهم دور يقوم به غاز الاوزون في الغلاف الغازي أنه يحمي سطح الأرض من وصول الأشعة الشمسية ابنفسجية القصيرة جدا والمضرة بالاحياء . ذلك أن غاز الاوزون له قدرة فائقة على امتصاص هذه الاشعة .

وهكذا نجد أن لكل غاز من غازات الهواء المذكورة دورا في تنظيم الحياة على سطح الأرض ، وإذا ما اختلست تلك السبب المذكورة للغازات في الجو حدث التلوث للهواء وكذلك اذ ما ادخل غاز آخر غريب عن تلك الغازات او اذا اختلطت مواد أخرى صلبة او سائلة بالهواء العادي حدث تلوث للهواء .

لكن يجب أن نلاحظ ان ظاهرة التلوث لا تحدث للهواء فقط بل كذلك للمياه ولما هو على وجه الأرض فاذا اختلط الماء بمواد كيميائية سامة وتمعن وتحول الى ماء فاسد ومضر بالنباتات والحيوانات وكل من وما يستعمله . فمياه الاودية المتلوثة قد تشكل خطرا بالنسبة للحياء التي تعيش فيها مثل الاسماك التي لا تستطيع أن تعيش في المياه الملوثة . لان المياه اذا كانت مختلطة بالوحل مثلا تحول دون استخلاص الاسماك للأكسجين من الماء . وقد يلحق بالوحل في منافذ تنفسها ويكون غشاء يعوقها على امتصاص الاوكسجين فيحدث لها تسمم ثم تموت . وكذلك اذا كانت المياه ملوثة بالمواد العضوية ومتشعبة جدا بالغايا الحيوانية والمباتية فان البيكتريا الموحودة بهذه المياه تستهلك في نشاطها كمية كبيرة من الاكسجين تستخدمها من هذه المياه وبالتالي تحول هذه المياه الى مياه فقيرة جد في الاكسجين بحيث لاتسد حاجيات الاحياء المائية التي يحدث لها اختناق وتموت .

فالفضلات الصناعية والكيمياوية الملقاة بالمياه تضر الاسماك والحيوانات المائية بصفة عامة وحتى الانسان وبالحصوص هواة السباحة . ويمكن تعادى هذا الخطر بتشريع بناء أو قوانين صارمة كتحريم القاء البقايا الصناعة فى المجارى المائية قبل تصفيتها وتوجيه المواطنين نحو عدم القاء القاذورات الا فى الاماكن المخصصة لها .

ويجب أن نشير فى هذا الصدد الى أن خطر التلوث المائى قد امتد فى القرن الحالى الى المياه البحرية لما تفرغه بها السفن من زيوت ومواد سامة , وبالحصوص مياه الموانىء حيث أصبحت أغلب الموانىء فى العالم ملثمة بالفضلات والريوت . وهذا التلوث للمياه البحرية قد ينتشر فى مسافات بعيدة بسبب الامواج والتيارات البحرية وبالتالي يتحول الى خطر يهدد الاحياء البحرية , بن والاحياء على وجه الارض بصفة عامة , لما للاحياء البرية من علاقة مع الاحياء المائية , فهناك حيوانات مائية أو بحرية نلحدا ميتة على السواحل بسبب التلوث المائى .

وتلوث الهواء أشد خطرا من تلوث المياه لانه ليس من السهل التحكم أو التخلص من الاوساخ الهوائية ثم لسرعة انتشار هذا التلوث بسبب شدة تحرك الهواء فى شكل رياح ولان الهواء يعمر كل الفراغات البيئية , وهو عماد الحياة للانسان والاحياء التى تنفسه وتستمد منه الطاقة والقدرة على الحياة بصفة عامة . والاوساخ الهوائية قد تنتقل الى الاحياء بطرق عدة منها التنفس واللمس والتغذية .

2 - مصادر التلوث

ان مصادر التلوث عديدة ويمكن تصنيفها الى مصادر طبيعية ومصادر غير طبيعية فالطبيعة قد تكون من :

1 - أصل بحرى

ب - أصل كونى

ج - نسانى

د - أصل ميكروبى

وغير طبيعية قد تكون من أصل بشرى أى راجعة الى نشاطاته

أصل بحرى :

فالرياح الهابة فوق المسطحات البحرية نحو اليابسة كثيرا ما حملت بين طياتها البلورات الملحية (كلوريد السوديوم) ونثرتها فى الاجواء او على سطح الارض لهذا كانت النباتات الشاطئية فى الغالب من النباتات التى تنلّام وهذه الاجواء المحلية واذا ادخلت فى هذه الشواطىء نباتات غير محلية فالها لا تستطيع على الحياة . وقد قدرت الاحصائيات ان الرياح البحرية تحمل الى البحر ما يقرب من مليارين طن من الملح سنويا . ولو فرضنا أن هذه البلورات المحلية وزعت على مساحة لامتدت حتى 300 كلم عن الشواطىء . ويظهر خطر تلوث الهواء بالاملاح فى ارتفاع قدرته على التحت وتاكل المعادن التى يصيبها هذا الهواء ، وخطشه لجدران المباني التى يمر بها .

أصل كوني

من المعروف ان الغلاف الغازى المحيط بكرتنا الارضية قد تنزل به فى بعض الاحيان بعض البقايا الكونية كما انه كثيرا ما تعرض للشهب التى تتحول الى غبار كوني بعد احتراقها وتختلط بالهواء وقد تبقى عالقة به لمدة من الزمن قبل ان تصل الى سطح الارض ثم ترسب على سطح الارض . وقد دلت الاحصائيات ان وجه الارض يترسب به يوميا ما يقرب من الف طن من الغبار الكوني . وهذا الغبار عبارة عن جزيئات دقيقة يتراوح قطرها ما بين بعض السنتيمترات الى بعض الميكرونات . وقد يعود اصلها الى الشمس وقد يعود اصلها الى نجوم اخرى . تتركب كيمياويا من الحديد والاليمينيوم والاوزون ومعادن اخرى بنسب مختلفة . ودور هذا الغبار الكوني امتصاص جزء من الطاقة الشمسية او عكسها فى الغلاف الغازى .

أصل نباتي

نميز فيها غبار اللقاح الذى تتراوح أقطار جزيئاته ما بين 10 و 50 ميكرون تلفظه النباتات فى بعض الفترات . ثم المفترات وبعض الفطريات التى يشتد وجودها بالهواء من الجزيئات الغريبة المعنة سواء اكانت من اصل معدنى او عضوى . فالتعليقات المائنة فى الهواء تتجمع اول ما تتجمع حول هذه الجزيئات التى تعرف ايضا بأنواع التكاثف ثم تسقط على الارض وتقدر هذه الجزيئات بحوالى 15 طن سنويا فى الكيلومتر المربع .

وتختلف النباتات عن بعضها فيما ترسله في الهواء من غيرات . وكذلك فيما ترسله من غاز ثاني أكسيد الكاربون عن طريق التنفس اثناء الليل بالخصوص .

أصل ميكروبي

ان التلوث يؤدي الى افراز الميكروبات التي تتوالد وتتكاثر وقد تتطاير في الهواء ولهذا نشم الرائحة القوية بالقرب من أماكن التخمر مثل المخابز وأماكن صناعة الجعة الخ ... وكذلك تكثر الميكروبات في الأجواء التي يكثر بها الناس مثل بعض المحلات المصنوعة كالدكاكين وقاعات الاحتفالات الى آخره .

مصادر تلوث طبيعية

واعنى بها الانسان وتساطاته الصناعية وغير الصناعية . وهذا التلوث الناتج عن مصادر غير طبيعية هو المشكل الذي يعاني منه الاحياء على وجه الارض أكثر من التلوث الطبيعي ، اذ أنه أشد خطراً على مستقبل الانسان ، ولأن الانسان بما أوتي من قوة عقلية بإمكانه أن يغير وجه الطبيعة وأن يكون وقعه عليها أشد وأخطر ، فالتقابل النرية مثلاً بإمكانها أن تغير بسرعة المركب الهوائي وادخال المواد المشعة حيث أن مادة الستراتيوم 90 المشعة والناتجة عن التجارب النووية اذا نزلت على الارض امتصتها النباتات التي تأكلها الحيوانات وهذه يستهلكها لانسان الذي يدخل الى جسمه تلك المادة المشعة التي تتسرب في عظامه ثم تأخذ بأشعاعها في اطلاق نسيجه اللحمي والعظمي وبإمكانها أن تحدث له مرض السرطان الذي ينتهي به الى الموت ، فدرجة نقاوة جونا الذي وهبه له الاله يجب المحافظة عليه ، وقبل التعرض الى آثار التلوث الجوي يسبب الانسان يحسن بنا أن نشير الى ان أصل هذا التلوث قد يكون ناجماً عن المحرقات وقد يكون مصدره الصناعة .

التلوث البيئي الناتج عن المحرقات :

ان الاحتراق الناقص للمحروقات سواء اكانت صلبة أم غازية يشكل منبعا أساسيا للتلوث البيئي والتلوث الجوي بالخصوص ، وهو أشد خطراً على صحة الانسان من التلوث الطبيعي وقد يكون الاحتراق الناقص ناتج عن وسائل النقل الحديثة أو التدفئة في المنازل أو المراكز الحرارية أو احتراق فصلات المدن . وهذا الاحتراق لناقص قد

تتولد عنه غازات سامة مثل أكسيد الكبريت وأكسيد الآزوت تختلط بالهواء الذي يتنفس منه الإنسان فتدخل بذلك هذه الغازات السامة الى جسم الانسان وتحدث له اختلالا في التوازن وامراضا فتاكة . وتمتد السيارات التي هي من ضرورية وسائل النقل الحديثة من أهم مصادر التلوث الجوي لما تلقيه يوميا من غازات سامة مثل أكسيد الكاربون وثاني أكسيد الكاربون ورصاص وكلور وكبريتات في الاجراء , وأجواء المدن بالخصوص . وقد دلت التجارب والملاحظات على أن محركات السيارات ترسل في الهواء عن طريق مداخنها بالخصوص كميات كبيرة من تلك الغازات السامة اذا كانت تسير ببطيء أو أثناء قيامها أو أثناء تغيير سرعتها . وأن أجواء المدن مليئة بالاملاح الرص التي ان نزلت على الارض امتصتها النباتات ومنها تنتقل الى الانسان وربما انتقلت اليه مباشرة مع بقية الغازات السامة عن طريق الاذقة والانجح الضيقة والمتنوية والاضناق وكذلك أماكن الوقوف كأمكن الاشارات الحمراء هي التي تسرف بها نسبة التلوث . ولأخذ فكرة بسيطة عن مدى مساهمة السيارات في تلوث الأجواء نذكر هذه الاحصائية عن البلاد الأوروبية : بلجيكا لسنة 1966 .

عدد السيارات	المستهلك من المحروقات	وزن التلوث بالاطنان
1.672.254	192.342 طنا	808.379

واذا أضعنا الى هذه الارقام التلوث الناتج عن النقل بالسكة الحديدية والملاحة البحرية والجوية تبين لنا مدى شدة خطر النقل على التلوث الجوي . وكذلك التدفئة المنزلية وبالخصوص اذا كانت بالفحم الحجري الذي يحوي كمية كبيرة من الكبريتات يرسلها في الهواء أثناء الاحتراق .

التلوث البيئي الناتج عن الصناعة :

ان التلوث البيئي الناتج عن الصناعة يشتد في البلدان الصناعية ومن أجزائها قد ينتقل بواسطة الرياح الى احواء البلدان المجاورة سواء كانت صناعية أو غير صناعية ومعنى هذا ان هناك بلدانا تتمتع بالصناعة وأخرى تشقى بدخانها . اذ ان هذا التلوث قد ينقل الى مسافات بعيدة قد تبلغ مئات الكيلومترات خارج حدود البلدان الصناعية . وأنواع التلوث والامساخ الناتجة عن الصناعة كثيرة ومتنوعة حسب نوع الصناعة نذكر منها :

التلوث الناتج عن الصناعات الحديدية : ويتمثل في جزيئات دقيقة مختلفة الاقطار اذ قد تتراوح اقطارها ما بين 10 و 100 ميكرون تتطاير في الهواء لمدة من الزمن ثم تسقط على الارض . ويمثل أيضا في الدخان الاصهب (مائل الى الحمرة) من جزيئات دقيقة لأكسيد الحديد . والفبار . والغازات السامة من ثأى اكسيد الكبريت وحمض النيترات . وثأى أكسيد الكربون وبايجاز فان كل المراحل التى تمر بها صناعة الحديد تساهم بارسال نسبة من الاوساخ سرعان ما تنتشر فى الاجواء . وقصد قدرت الاحصائيات ن ائناج الطن الواحد من الحديد يؤدى الى تلوث الجو بحوالى 12 كلف من أكسيدات الكبريت .

التلوث الناتج عن صناعة الاسمنت : ويتجلى جيدا فى الدخان الكثيف والفبار المتطاير فى الطبقة الجوية المخيبة على مصانع الاسمنت . وكذلك المنازل المجاورة لمصانع الاسمنت تظهر مكسوة بطبقة من غبار المصانع .

وهذه الاوساخ قد تلصق بأى جسم لامسته سواء اكان لانسان أم لحيون أم لنبات.

التلوث الناتج عن الصناعات الكيماوية : وهذا أخطر التلوث لانه لا يظهر للمعان بحكم أنه عبارة عن غاز سام يكون مختلطا بالهواء ثم لسهولة انتشاره الى مسافات بعيدة .

والصناعات الكيماوية كثيرة ومتنوعة منها صناعة المأض الكبريتى التى تؤدى الى تلوث الجو بأكسيد الآزوت والكبريت . وصناعة حمض النيترات . وصناعة الكلور . وصناعة المخصبات مثل الاسدة الازوتية والفوسفاتية . وصناعة الورق التى تتولد عنها الروائح الكريهة . والصناعات البترولية التى تنطلق منها الا بخرة البترولية والدخان والفبار . وأكسيدات الكبريت الخ ...

وحسب الاحصائيات التى أجرتها مصلحة الكهرباء فى فرنسا يتحلل لما فى الجدول الآتى مدى مساهمة مختلف مصادر التلوث بفرنسا فى تزويد أجوائها بالفبار والاساخ غير الغازية .

النسبة المئوية	الغبار ألف طن سنويا	المصدر
18	240	مراكز التعدين
12	150	معامل الكوك
28	370	المصانع
11	140	القطارات
25	330	المنازل
6	80	المراكز الحرارية
100	1.310	المجموع

ويلاحظ على هذا الجدول أن أهم مصادر التلوث في فرنسا هي المصانع تليها التدفئة المنزلية . وأن الأجواء الفرنسية تتلقى سنويا ما يقرب 330 مليون طناً من الغبار يضاف لها كمية أخرى من الغبارات السامة وبالمخصوص غاز ثاني أكسيد الكبريت و ثاني أكسيد الكاربون .

اثر التلوث :

لما كان التلوث يظهر في شكل جزيئات دقيقة وعازات سامة متطايرة في الهواء أو مختلطة به ولكنها غريبة عنه أو تدخل فيه ينسب تؤدي إلى فسادها وعدم اتزانها فإن الإنسان باستنشاقه لهذا الهواء يجلب إلى جسمه عن طريق الرئتين في أغلب الأحيان كمية كبيرة من الأوساخ التي تتسرب في خلاياه أو تلزق بجسمه أو يستهلكها فيما يستهلكه مما يؤدي به إلى الموت أو إلى الأمراض ، أو إلى الموت البطيء حيث يتولد في كثير من الأحيان عن تلوث الهواء أمراض الرئتين مثل الالتهاب والسعال والاختناق ، وأمراض القلب والسعال العيون الخ ... وقد دلت الإحصائيات في بريطانيا أن من بين مائة ألف وفيات 82 كان سببهم الالتهاب الرئوي الناتج عن التلوث الغازي ، وأنه في سنة 1952 قد ماتت أربعة آلاف نسمة من جراء تلوث الهواء بثاني أكسيد الكبريت. والملاحظ على نسبة الوفيات من التسمم الجوي مرتفعة في المدن عنها في الريف ذلك أن أجواء المدن أكثر تعفنا من أجواء الريف حيث سجلت نفس الإحصائيات في بريطانيا أن نسبة الريفيين الذين يموتون سنويا بسبب التلوث الجوي لا تزيد عن 0.0042 ٪ كما

دلت نفس الإحصائيات أن من بين مائة ألف وفات ، سجلت 125 بسبب السرطان الرئوي من التلوث الغازي . هذا في المدن الصناعية ذات الكثافة الصناعية والبشرية المرتفعة . أما في الريف وتنخفض هذه النسبة بكثير إذ تصل إلى أقل من 64 في المائة ألف . وهكذا فإن نسبة المصابين بمرض السرطان الرئوي مرتفعة بالضعف في المدن عنها في الريف .

وأشد الغازات السامة بالإنسان هي غاز أكسيدات الكبريت وثاني أكسيد الكاربون وأكسيدات الآزوت وكذلك أملاح الرصاص . فارتفاع نسبة هذه الغازات السامة تؤدي إلى قساد الدم وتلونه ، ومثال لذلك أن ارتفاع نسبة أكسيد الكاربون تؤدي إلى الاحتناق ، حيث أن الدم في العادة يحوي ما يقرب من 0.4 ٪ من ثاني أكسيد الكاربون فإن زادت هذه النسبة في الدم مال الإنسان نحو الاحتناق والنقص . وكذلك الرصاص يحدث آثارا فعالة على الشبكة الحشوية في الخلايا البشرية وبالمخصوص في الكريات الحمر والحماض البولية والجهاز العصبي . والرصاص مثله الأملاح السامة حيث يؤدي بالمدة إلى إفراز الأحماض المفرة . ويصل الرصاص إلى المنة عن طريق المواد الغذائية الملوثة بالرصاص . وقد دلت التجارب أن ابتلاع غرام واحد من الرصاص مرة واحدة يؤدي إلى الهلاك إن لم يكن مصحوبا بقي ، كما دلت الأبحاث في الولايات المتحدة أن نسبة الرصاص بدماء الحصر أكثر منها بدماء الريفين ذلك بسبب تلوث أجواء المدن والنفاثة بالنسبة لأجواء الريف .

فأجواء المدن ممتلئة بالغبار والأوساخ وبالمخصوص غاز ثاني أكسيد الكاربون الذي يلفظه السكان يوميا وكذلك الدخان الناتج عن تدخين التبغ . وقد دلت الإحصائيات أن 5 ملايين نسمة يلعمون يوميا عن طريق التنفس ما لا يقل عن ملونين متر مكعب من ثاني أكسيد الكاربون وحوالي ستة آلاف طنا من الأوساخ السائلة . وهذه كمية كبيرة تعود إلى جسم الإنسان مرة أخرى في شكل سموم إن لم يتخذ الاحتياطات اللازمة لبداء عن نفسه خطر التلوث .

أما بالنسبة للتبغ وهو من أشد الأخطار والعادات الفاسدة التي أصبح يعاني منها مجتمعنا الحالي فإنه باتفاق عدد كبير من العلماء والباحثين يشكل داء عضالا لا يمكن

التخلص منه بسهولة , لانه مرتبط بالحالة النفسية للإنسان , وما أخطر الأمراض النفسية !

وقد دلت الأبحاث , أن مرض السرطان الرئوي الناتج عن التلوث الجوي لمسبب غير التدخين يمثل نسبة ضعيفة إذا ما قورن بمرض السرطان الرئوي الناتج عن التدخين حيث أن من بين 100 وفيات بسبب السرطان الرئوي سجلت 75 % بسبب التدخين و 25 % بسبب التلوث الجوي . والجدول الآتي يبين نسبة الوفيات بمرض السرطان الرئوي في بريطانيا لكل مائة ألف نسمة بسبب التلوث والتدخين في الوسطين الريفى والمدنى .

السبب	الوسط	النوع	عدد الوفيات
التلوث الجوى	مدن يزيد سكانها عن مائة ألف نسمة		125
			112
			93
			84
			64
التدخين للمدين تتراوح أعمارهم بين 45 و 75 سنة .	المدن	استعمال الفليون	143
		استعمال السيجار خفيفا	297
		استعمال السيجار متوسطا	287
		استعمال السيجار كثيرا	394
	الريف	استعمال الفليون	41
		استعمال السيجار خفيفا	87
		استعمال السيجار متوسطا	183
		استعمال السيجار كثيرا	363

ويوضح هذا الجدول معالم الارتباط الشديد بين التدخين ومرض السرطان الرئوي وأن هذا العامل يختلف شدة باختلاف البيئة وباختلاف النوع للتدخين حيث نلاحظ أن خطر التدخين أشد على سكان المدن من سكان الريف , لأن أجواء سكان المدن مشبعة

بالتلوث ويضاف لها تلوث التدخين على عكس اجواء الريفيين القية نسبيا . ثم ان خطر التدخين اشد منه اذا كان باستعمال السيجار لان الدخان في هذه الحالة يدخل الى رئة المدخن دون تصفية وعلى العكس في حالة استعمال الغليون الذي يلطف من حدة مادة النيكوتين ومن كمية الدخان الداخلة الى جوف المدخن .

فالتدخين رغم انه ينشط الاعصاب ويحركها او يبهها من حين لآخر الا ان تنشيطه مؤقت للعابة ثم ان الامراض المنجزة عن استعماله تفوق بكثير هذا التنشيط حيث يقلل من العمر ويؤدي الى اختصار الحياة وينشط امراضا عديدة من بينها كما ذكرنا السرطان الرئوي ثم انه يقلل من الشهية وفسد الدم ويغير المزاج الطبيعي الخ ...

وخلاصة الحديث ان الانسان الحديث بآلاته الحديثة وعاداته الفاسدة كثيرا ما ادى الى تعفن جوه وجلب الداء لنفسه , ولا شك , ان لم يصلح احواله بالمحافظة على عدم نفوث بينه , فانه سيمصل الى مرحلة فيها سيفضي على الحياة على سطح الارض وبالتالي سيحل الخراب محل العمران عندما تنشعب الارض وجوها بالتلوث لان هذا التلوث لا يؤثر على الانسان فقط بل كذلك على الحيوانات والنباتات وعلى المظاهر الاقتصادية بصفة عامة حيث يؤدي الى انخفاض المردود الحيواني والنباتي والصناعي .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

في الذكرى
الخامسة
والثلاثين
لوفاة
ابن باديس

ابن باديس ونشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر

د. توكي دايج

كلية الآداب - جامعة الجزائر

هناك جانب هام في حياة الشيخ عبد الحميد بن باديس لم يتناوله الباحثون حتى الآن بما يستحقه من عناية واهتمام ألا وهو دوره في نشأة الحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر .

وهذه الدراسة تحاول - في اختصار -لقاء الضوء على هذا الجانب الهام .

والمعروف ان الشيخ عبد الحميد ينتمي الى مدرسة التجديد الاسلامي او المدرسة الإصلاحية السلفية التي

ظهرت في العالم الاسلامي خلال القرن الثامن عشر الميلادي على يد السيد محمد بن عبد الوهاب (1696 - 1791) والامام محمد عبد الله الشوكاني (1758 - 1834) ثم جمال الدين الافطاسي (1838 - 1897) ومحمد عبده (1849 - 1930) ورشيد رضا

« 1865 - 1935) وعبد الرحمن الكواكبي (1848 - 1902) في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

وقد عملت هذه المدرسة منذ البداية في ثلاثة ميادين هي :

أولا : - إحياء جذوة الدين الإسلامي في نفوس المسلمين حتى يعود الدين كما كان في عصور الإسلام الأولى قوة دافعة للنهضة . والبذل . والتضحية . والعمل على إجراء روحه والكشف عن حقائقه ، باعتبار أن الإسلام دين ودولة - أو نظام روحي واجتماعي في وقت واحد . ولذلك عمل اتباع هذه المدرسة على محاولة التوفيق بين الإسلام من ناحية ومقتضيات المدنية الحديثة من ناحية أخرى . كما يظهر ذلك في كتابات الإمام محمد عبده ورشيد رضا ، وطنطاوي جوهرى الذى حاول في تفسيره للقرآن الكريم أن يوفق بين النصوص القرآنية . وبين أكثر الآراء العلمية تقدما في العصر الحديث .

ثانيا : - تطوير اللغة العربية وحمايتها باعتبارها لغة القرآن الكريم . وإداة الدين ووعاءه وذلك لأن المستعمرين الأوروبيين قد حاولوا عن طريق الاحتلال ، والغزو الفكرى والثقافى للعالم العربى والإسلامى كما حاول المبشرون ورجال الاستشراق القضاء على اللغة العربية ، وإحلال لغاتهم محلها أن أمكن أو إحلال اللهجات المحلية في كل قطر عربى محلها فى الإدارة والتعليم وفى سائر مجالات الحياة الحديثة كما ينضغ ذلك قيسا قامت به فرنسا فى الجزائر ، وتونس ، والمغرب وما قامت به إيطاليا فى ليبيا وبريطانيا فى مصر وفلسطين والعراق . وذلك بقصد تزيق وحدة العالم العربى والقضاء على لغة القرآن تمهيدا لقضاء على الإسلام نفسه ، كدين ونظام اجتماعى شام .

ثالثا : - مكافحة الحرافات والبدع والأفكار الضالة العربية عن الدين التى الصقها رجال التصوف وعلمة المسلمين المتقدين بهم بالدين الإسلامى فى عصور الجهل والجهود والانحطاط ، والعودة بالدين الى أيام النبى (ص) وخلفائه وصحابه ومعنى ذلك هو تنقية الدين من كل لون من ألوان الشرك سواء كان علنيا أو خفيا كاشراك الأولياء والأضرحة مع الله سبحانه وتعالى فى طلب المنافع أو دفع المضار .

(٢) انظر ابن تيمية (اعلام العرب) للدكتور محمد يوسف موسى ص 282 - 285 القاهرة ، بدون تاريخ واطر كذلك (رعباء الإصلاح فى مصر الحديث) للأستاذ أحمد أمين ط 1949 ص 3 - 20 مكتبة النهضة المصرية

أن الدعوة السلفية المعاصرة أو مدرسة التجديد الاسلامي كما يطلق عليها في بعض الاحيان ليست وليدة العصر الحديث فحسب وانما هي تضرب بجذورها في اغوار الماضي الاسلامي البعيد فهي ترجع الى تراث الامام ابي العباس احمد بن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية الذين عاشا في أواخر القرن السابع والنصف الاول من القرن الثامن الهجريين . فقد كانت دعوة ابن تيمية ومدرسته كما تعلقون تركّز على عدة دعائم أساسية هي :

1 - الرجوع الى الكتاب والسنة في كل شأن من شؤون الحياة ، واتباع سبيل السلف الصالح من صحابة النبي وأتباعه في فهم الآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية المتصلة بالمسائل الفلسفية وخاصة في مسألة الصفات الالهية ،

2 - الدعوة (1) الى ترك طريق الفلاسفة والمتكلمين ورجال التصوف حيث انها لا تتفق - في نظرهم - مع روح الدعوة الاسلامية ولعل هذا هو الذي أعطى لهذه الحركة اسم « الحركة السلفية » ،

3 - محاربة البدع والمنكرات ولا سيما ما أتخذت منها مظهر الشرك بالله كالتمسح بالقبور . والصلاة عندها ، وطلب الحاجة منها . والاستعانة أو الاستغاثة بشيء غير الله كالأولياء ، والاضرحة ، والتبرك بالأشجار والأحجار .

4 - فتح باب الاجتهاد على مصراعيه وعلان الحرب على التقليدين والمتصبيين للمذاهب والآراء (2) .

هذه هي مبادئ المدرسة السلفية أو مدرسة التجديد الاسلامي عند ابن تيمية وعند المصلحين المعاصرين وعنده هي أسسها وجذورها التاريخية والملاحظ أن هذه المدرسة تدعو الى الجمع في الإصلاح للمسلمين بين الإصلاح الديني والمدني ، باعتبار أن الاسلام دين ودولة حتى سير التجديد الديني والتجديد المدني فيها جنباً الى جنب ، ولا يتخلف أحدهما عن الآخر لأن هذا النوع من التجديد هو الذي ينهض بالمسلمين في العصر الحاضر حيث لا يمكنهم النهوض بأحدهما دون الآخر (3) .

(1) انظر دكتور علي مامي الشارح « تراث الإنسانية » عدد 2 مجلد 4 ص 105

(2) الاجتماع الديني ص 328 وانظر أيضا ابن تيمية للدكتور محمد يوسف موسى المرجع السابق

(3) السعدون في الاسلام ص 528 .

والسؤال الذي ينبغي الإجابة عنه هنا هو ... هل كان ابن باديس نبيا من زرع المدرسة الإصلاحية لسلفية في الجزائر ، أم هو الذي بذورها وغرسها في التربة الجزائرية ؟

إن الإجابة عن هذا السؤال الهام تقتضيما الرجوع الى الوراء قليلا لنبحث عن نشأة هذه الحركة في الجزائر حتى نعرف مدى تأثير ابن باديس بها ، ومدى أثره في نشأتها

... إذا بحثنا في المحاولات الإصلاحية التي ظهرت في بعض نواحي الجزائر في بداية هذا القرن قبل ظهور ابن باديس على المسرح الجزائري في عام 1913 فإما نجدها لا تصو أن تكون محاولات فردية محدودة النطاق ومحدودة المفعول أيضا قام بها أفراد قلائل ممن تأثروا قليلا أو كثيرا بدعوة الإمام محمد عبده الإصلاحية التي كانت تنقلها لهم مجلة « المار » للسيد رشيد رضا ، أو ممن وقفت في أيديهم أعداد من مجلة « الصروة الوثقى » للسيد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، أو ممن كانوا على صلة بالجزائري والمجلات العربية التي تصدر في الشرق العربي .

ويمكن أن نذكر من هؤلاء الأفراد الشيخ عبد القادر المجاوي المتوفى سنة 1913 الذي باشر التعليم في المدارس الفرنسية الإسلامية مدة طويلة وترك لنا عدة مؤلفات تدور حول الفقه العربية وشرحا « منظومة اللحم في انكار البدع (1) » وهي منظمة طويلة نظمتها تلمذه المولود بن الموهوب (2) ، وحصل فيها حيلة شعوية على الدع والطريقة .

كما ينبغي أن نشير الى محاولات الشيخ مصطفى بن الحوجة المشهور بالكمال المتوفى سنة 1915 وقد كان شغوفا بمحبة الإمام محمد عبده وهو الذي كما يقول المرحوم عمر راسم (3) - أدخل مذهبه الى الجزائر وعرف الناس به وبجمال الدين الأفغاني وأصحابهما كما ينبغي أن نشير الى محاولات المولود بن الموهوب التي تجلست في المحاضرات التي كان يلقيها قبل الحرب العالمية الأولى في نادي صالح باي بقسنطينة -

(1) محمد علي دوز « نهضة الجزائر الحديثة ونورها المباركة » ص 104

(2) المرجع السابق ص 142

(3) سعد الدين بن أبي شبيب مجلة آداب الجزائر العدد الأول السنة الأولى ص 52

ومحاولات الشيخ عبد الحليم بن سماية المتوفى سنة 1931 الذي كان يدرس (4) « رسالة التوحيد » للإمام محمد عبده في المدرسة الثمالية وقد كان من المعجبين به وبطريقته في الإصلاح .

كذلك ينبغي أن نشير إلى المرحوم عمر راسم ونشاطه الاصلاحى فقد كان هو الآخر متأثرا بالإمام محمد عبده حتى أنه جعله المدير الدينى لجريدة (5) « ذو الفقار » التى كان يصورها في الجزائر قبل الحرب العالمية الاولى بقليل .

ويذكر الشيخ رشيد رضا في كتابه « تاريخ الامام محمد عبده » (حص 871 - 872) أن الامام محمد عبده عندما زار الجزائر وتونس في صيف عام 1903 وجد له حزبا دينيا كونه مجلة « المنار » فقال « ومن خيار العلماء الشيخ محمد بن الحوجة صاحب المصنفات والشيخ عبد الحليم بن سماية » . وقد عهد هؤلاء الفضلاء إلى الشيخ محمد عبده أن يوصى صاحب المنار بلّا يذكر دولة فرنسا بما يسوّها لتلا تمتع « المنار » من الجزائر وقالوا له « اننا نعدك مدد الحياة لنا فاذا انقطع انقطعت الحياة » ثم يصف الشيخ رشيد رضا إلى ذلك قوله « وقد وجد له في تونس والجزائر حزبا دينيا ينتمى إليه من حيث لم يكن يعلم وانما الصلة بينهم وبينه مجلة « المنار » .

من الملاحظ أن هذه المحاولات التي أشرنا إليها منذ قليل قد قام بها أفراد يعملون باستثناء الفنان الرسام السيد عمر راسم موظفين عند ادارة الاحتلال الفرنسى .

فالشيخ عبد القادر المجاوى كان مدرسا رسميا في المدارس الفرنسية الاسلامية والشيخ المولود بن المرحوب كان مفتيا واماما رسميا ، وكذلك الشيخ محمد بن مصطفى بن الحوجة والشيخ عبد الحليم بن سماية .

والوظيفة عند دولة الاحتلال تقف عاتقا كبيرا في وجه المصلحين والمناضلين
توقعهم عن أداء واجبهم الوطنى على الوجه المطلوب ١

(4) انظر رسالة الشيخ عمر راسم المعروفة بـ «ترجم بعض علماء الجزائر» مطبوعة نفلا من محمد على دوز .

(5) سعد الدين بن أبى شبيب المرجع السابق ص 63

ولعل هذا هو السبب الذي جعل مدرسة التجديد الاسلامي قبل ظهور ابن باديس تبقى محدودة الانتشار في الجزائر الا في نطاق افراد قلائس ولم تنتشر انتشارا واسعا الا بعد ان ظهر الشيخ ابن باديس على المسرح الجزائري في عام 1913 ،

ولذلك فان الشيخ ابن باديس في نظرنا هو الذي ارسى دعائم المدرسة الاصلاحية السلفية في الجزائر . وهو الذي شرح معالمها . وأوضح مقاصدها للجزائريين وهو الذي مهد لها التربة . ورعاها وتمهدها حتى أصبحت قرية الجدور . راسخة البنين واسعة الانتشار لا في قسنطينة وحدها ولكن في الجزائر كلها من ادناها الى اقصاها .

ومن هنا يمكن القول بكل اطمئنان بان الشيخ عبد الحميد بن باديس يعتبر من أهم المصلحين المعاصرين الذين بذروا بذرة الاصلاح في الجزائر . واليه يعود الفضل في نشأة هذه الحركة السلفية في بلادنا . وهنا تتساءل ما هي المؤثرات التي وجهت ابن باديس الى اعتناق الفكرة الاصلاحية السلفية ؟ ومن اين اخذها ؟ هل من اساتذته في مدينة قسنطينة ؟ أم من اساتذته في جامع الزيتونة بتونس ؟

والجواب هو ان الشيخ عبد الحميد بن باديس قد تأثر أول ما تأثر بالفكرة السلفية عن طريق اساتذته في جامع الزيتونة في تونس لا من اساتذته في قسنطينة لانهم كانوا طرفيين وذلك بعد سفره الى تونس في عام 1908 لاتمام دراسته في جامع الزيتونة فهؤلاء الاساتذة هم الذين بنوا فيه فكرة الاصلاح والسلفية صحيح ان الامام محمد عبده رائد هذه المدرسة كان قد زار الجزائر العاصمة وقسنطينة في صيف عام 1903 قبل أن يسافر ابن باديس الى تونس وألقى سلسلة من المحاضرات التوجيهية على من اجتمعوا به في كل من العاصمة وقسنطينة . ولكن الشيخ عبد الحميد بن باديس كان في هذا التاريخ لا يزال غلاما يافعا لم يتجاوز عمره الرابعة عشر بعد ولذلك لا نعتقد أنه اجتمع بالامام محمد عبده في مدينة قسنطينة وحتى اذا ما كان قد اجتمع به او حضر دروسه فلا يمكنه أن يسوعب افكاره الاصلاحية وهو في هذا العمر المبكر . وفي مثل هذا الوقت القصير من الزمن الذي لا يتجاوز بضعة أيام فقط .

ومن المعروف تاريخيا ان الشيخ عبد الحميد بن باديس لم يأخذ الفكرة الاصلاحية عن كل مشايخه الذين درس عليهم في جامع الزيتونة ، وانما اخذ عن اثنين فقط

وهما الشيخ محمد النخيل القيرواني المنوفى سنة 1924 ، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور أما بقية مشائخه فقد كانوا تقليديين جامدين يناهضون فكرة الامام محمد عبده الإصلاحية ويحاربونها بين تلاميذهم في جامع الزيتونة .

وقد أشار الشيخ عبد الحميد بن باديس نفسه الى تأثير هذين الاستاذين عليه في مقال له نشره في جريدة البصائر في عام 1936 فقال : « عرفت الاستاذ الطاهر بن عاشور في جامع الزيتونة ، وهو ثاني الرحى اللذين يشار اليهما بالرسوخ في العلم ، والتحقيق في النظر ، والسمو والاتساع في التفكير . اولهما العلامة الاستاذ محمد النخيل القيرواني رحمه الله ، وثانيهما الاستاذ شيخنا الطاهر بن عاشور . وكانا كما يشار اليهما بالصمات التي ذكرناها يشار اليهما بالضلال والبدعة ، وما هو اكثر من ذلك لانهما كانا يحددان آراء الاستاذ محمد عبده في الإصلاح ، ويناضلان عنها ويبنانها فيمن يقرأ عليهما ، وكان هذا مما استطاع به الوسط الزيتوني أن يصرفى منهما . وما تخلصت من تلك البيئة الجامدة ، واتصلت بهما حتى حصلت على شهادة « العالمية » ووجدت لمسى الاختيار فالتصقت بهما عامين كاملين كان لهما في حياتي العلمية اعظم الاثر على ان الاستاذ ابن عاشور اتصت به قبل نيل الشهادة بسنة فكان ذلك تمهيدا لاتصالى الوثيق بالاستاذ النخيل » - (1)

ادن فقد تعرف ابن باديس على مدرسة التجديد الاسلامي لأول مرة في حياته عن طريق اساتذته في جامع الزيتونة عندما كان طالب علم هناك في الفترة ما بين عام 1908 وعام 1912 وازداد ايمانه بها قوة وصلابه واقتناعه بجديتها لتخليص الاسلام والجزائر مما يتخبطان فيه من حهل وبدع ، وحرافات . بعد سفره الطويل الى المشرق العربي في عام 1913 وهو السفر الذي ادى فيه فريضة الحج واجتمع خلاله بعدد كبير من رجالات الفكر والإصلاح في العالم العربي من بينهم الشيخ نخيت الطيعي شيخ جامع الازهر السابق واحد انصار الامام محمد عبده . والشيخ حمدان لونيي شيخ ابن باديس السابق ، والشيخ حسين الهندي العالم السلفي المحاور الذي تصحه بوجوب العودة الى الحزائر لاحتياجها الشديد الى علمه وتمكيكه . ومنهم الشيخ البشير الابراهيمى الذي تعرف عليه ابن باديس لأول مرة في حياته في المدينة المورة حيث كان قد هاجر اليها في حدود عام 1910 ومنذ ذلك الحين اوتبطا بصداقة متينة كانت من أسسك

(2) البصائر عدد 16 السنة الاول 24 ابريل 1936

الصدقات على الجزائر والحركة الإصلاحية السلفية التي برزت فيما بعد في حركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

« العوامل التي ساعدت على نشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر »

هناك جملة من العوامل ساعدت على نشأة الحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر يمكن تصنيفها تحت قسمين رئيسيين :

القسم الأول ويشمل العوامل الجزائرية الداخلية التي يمكن حصرها في العوامل التالية :

- 1 - محاولة الاستعمار الفرنسي القضاء على الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر .
 - 2 - نشاط حركات التبشير المسيحي المحمية من طرف الاستعمار في العمل على تنصير أبناء وبنات الجزائر .
 - 3 - سياسة لفرنسة والنجنيس التي أرادت دولة الاحتلال فرضها على الجزائريين .
 - 4 - المحافظة على الشخصية الجزائرية التي أصبحت مهددة بالخطر من طرف الاستعمار وعملاته من دعاة الفرنسة والاندماج والتفريب .
 - 5 - انحراف معظم الطرق الصوفية في الجزائر عن جادة الاحلام الغيبة حيث أكثروا من البدع في الدين بل وتعاون بعضهم مع الادارة الاستعمارية ضد مصالح بلادهم العليا (X) .
 - 6 - تأثير دروسه الشيخ عبد الحميد بن باديس التي كان يلقيها لعدة سنوات في الجامع الاخضر بقسنطينة في الدعوة الى الإصلاح ، وندد البسوع ، ومقاومة الحرافات والجهود ، وتحرير الفكر الجزائري من سيطرتها .
- اما القسم الثاني : فيشمل العوامل الخارجية وهي عوامل اسلامية وعالمية يمكن حصرها في العوامل التالية :

(X) انظر كمال علي ذلك « مجلة الفتح » لمسيد صبي الدين الحطيط العدد 257 السنة السادسة القاهرة 1350 هـ حيث عدد فيها خيانة الطرق الصوفية ومنها الطريقة التيجانية للقصة الوطنية الجزائرية لتعارها مع دولة الاحتلال .

١ - اليقظة العامة التي دبت في أرجاء العالم الاسلامي والعربي (ومن بينه الجزائر) نتيجة احتكاكه بأوروبا ثقافيا وسياسيا وعسكريا ، ابتداء من النصف الثاني للقرن التاسع عشر .

٢ - المحلات والجرائد العربية الشرقية التي كانت تنسرب الى الجزائر حاملة معها الدعوة الإصلاحية السلفية التي ينادى بها جمال الدين الافغاني ومحمد عبده واتباعهما مثل « العروة الوثقى » ومجلة « المنار » وجريدة « المؤيد » وجريدة « اللواء » وغيرها من المجلات والجرائد التي تهتم بفكرة التجديد الاسلامي .

٣ - عودة الجرائدين الذين درسوا في الشرق العربي الى الجزائر أمثال الشيخ البشير الابراهيمى - والطيب العقبي - والعربي التبسي - وكلهم عادوا الى الجزائر بعد الحرب العالمية الاولى .

٤ - اليقظة العامة التي دبت في الشعب الجزائري نتيجة للحرب العالمية الاولى . وتطلع الجزائريين الى الإصلاح الشامل الذي ينهض بهم دينيا واجتماعيا وثقافيا . وسياسيا من الوضعية السيئة التي كانوا عليها قبل هذه الحرب .

هذه جملة من العوامل تطافرت على نشأة الحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر بعد الحرب العالمية الاولى . ويحدثنا الشيخ البشير الابراهيمى عن الاتجاهات الرئيسية التي توزعت المصلحين في اتباع المدرسة السلفية في الجزائر قبل تكوين جمعية العلماء في عام 1931 ويذكر لنا اتجاهين كانا يسودان تلك الاوساط :

أحدهما : اتجاه اصلاحي بطرء كان اصحابه يرون أن السبيل الى الإصلاح انما يكون عن طريق التربية والتعليم من اجل تكوين جيل قائد يعمل على احداث النهضة التي تقود الشعب الى الحضارة .

والثاني : اتجاه ثوري متحمس كان اصحابه يرون أن السبيل الى الإصلاح والتغيير انما يكون عن طريق القيام بثورة فكرية واجتماعية ودينية تزلزل قواعده البدع والخرافات من الاساس وتمجّل بالقضاء على الطرقية تمهيدا للقضاء على الاستعمار الذي يقوم بحمايتهم .

يقول الشيخ البشير الإبراهيمي : « كان المصححون إذ ذاك يلتقون على فكرة ولا يلتقون على نظام ولا في جمعية . لأن جمعية العلماء لم تؤسس بعد ، فكانت الاوساط الإصلاحية في ذلك العهد يتجاذبها رأيان يلتقيان في المقصد . ويختلفان في المنظر المصلح للاصلاح وكيف يكون »

أحدهما - صرف القوة كلها وتوجيه الجهود متضافرة الى التعليم المنشر . وتكوين طائفة جديدة منسجمة التعليم ، مطبوعة بالطابع الإصلاحى علما وعملا مسلحة بالادلة مدربة على اساليب لدعوة الإصلاحية . والحفاية العربية حتى اذا كثر سواد هـــــ الطائفة وكان منها المحطوب ومنها الكاتب ومنها الشاعر ومنها الواعظ ، ومنها الراعى المتجول استخدمت في الحملة على الساطل والبدع على ثقة بالفوز (وقد كان الإبراهيمي من أنصار هذا الرأي) .

(أما الرأي الثاني فيتمثل) في أخذ المصلحين ، والهجوم عليهم وهم غارون ، واسماع العامة المفروقة صوت الحق قصيصا . غير مجمم (ويرتكز هذا الرأي) على ان هذا البدع والمكرات التي يريد الإصلاح ان يكون حربا عليها هي أمور قد طال عليها الامل وشاب عليها الوالد ، وشب عليها الولد ، (وقد كان الشيخ ابن باديس من أنصار هذا الرأي) وقد رجح الرأي الثاني لمقتضيات لله من ورائها حكمة » . (1)

وهكذا نشأت جريدة « المنتقد » للشيخ ابن باديس سنة 1925 كي تشن هــــ الهجوم على الفساد والطرقية غير أنها لم تعمر طويلا حين أوقعتها فرنسا بعد صدور 18 عددا فقط منها ، فخلفتها جريدة « الشهاب » للشيخ ابن باديس كذلك في نفس العام لكي تواصل نفس الهجوم .

ولعلنا نلاحظ ان اصحاب الاتجاه الاول كانوا متأثرين بالامام محمد عبده الذي كان ينادى بعد وقف جريدة العروة الوثقى سنة 1884 ببناء الإصلاح في العالم الاسلامي على التربية والتعليم من أجل اعداد القادة - وأن اصحاب الاتجاه الثاني : كانوا متأثرين بالسيد جمال الدين الافغانى الذي كان ينادى بتحقيق الإصلاح في العالم الاسلامي عن طريق الثورة السياسية والاجتماعية والثقافية التي تزلزل اركان الجبود

(2) سجل مؤتمري جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ص 42 .

والاستبداد السياسي ، والفساد الاجتماعي من الاساس لا على أساس التربية والتعليم لانها تتطلب وقتا طويلا وهو رجل ثوري يريد تحقيق النهضة في اسرع وقت ممكن .

ولسنا نزعم بأن الفضل يعود للشيخ ابن باديس وحده في نشر مدرسة ابن تيمية الاصلاحية السلفية في الجزائر هذه المدرسة التي تطورت تطورا كبيرا على يد المصلحين المعاصرين غير أن الشيء المؤكد علميا وتاريخيا « حتى الآن » هو أن الشيخ عبد الحميد بن باديس كان أول مصلح مطلق قاد مدرسة التجديد الاسلامي في الجزائر بسوعي وصبر وثبات طيلة سبعة وعشرين عاما ، وأعطاهما نفسا قويا من روحه الثائرة .

وعلمه الغزير وقلمه البليغ ، ونشاطه المتواصل . حيث عمل على غرسها في طلابه الكثيرين في الجامع الاخضر بقسنطينة ، وعلى رواد دروسه في التفسير والحديث والحضارة الاسلامية من جماهير سكان مدينة قسنطينة وضواحيها ، لمدة حوالى سبعة وعشرين عاما وهو الذي أذاعها في كامل أنحاء الوطن الجزائري بواسطة تلامذته أولا ثم بواسطة جريدتي « المنتقد » و « الشهاب » اللذين أصدرهما في عام 1925 على التوالي بعد ذلك - حتى أصبح حزب الاصلاح السلفي في الجزائر ابتداء من تاريخ تكوين جمعية العلماء في عام 1931 من أقوى الأحزاب الاصلاحية في العالم الاسلامي .

يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس في هذا الصدد :

« لم تقم في أمة اسلامية هيئة علمية منظمة تعلن الدعوة اعلانا عاما ، وتصدد للمقاومة غير مبالية بما يؤيد البدع من سلطان ديني وسلطان دنيوي ، غير الامة الجزائرية فكان من علمائها الاحرار المستقلين الدين لا يعيشون على الوظيفه ، أولئك الذين نهضوا بالدعوة الاصلاحية ، منذ بضع عشر سنة وجاهدوا فيها لله . وصابروا واسسوا لها مؤسسة دينية « جمعية العلماء والمسلمين الجزائريين » حتى أصبحت الدعوة الاصلاحية - والعرض لله والحمد - ثابتة الاركان ، مشيدة البناء ، ناسقة الافنان ، دابة الثمار وارفة الظلال ، لا على الجزائر وحدها بل على الشمال الافرقي كله » (٢)

عندما نهض ابن باديس بمهمة الاصلاح الديني والاجتماعي للمجتمع الجزائري ابتداء من عام 1913 كان أول ما وجه اليه عنايته هو نقد الاوضاع الفاسدة في هذا المجتمع

(٢) الشهاب ج 12 م 11 ص 646 - 647 عند مارس 1936 م

ومهاجمة ما خلفه من آثار وخيبة في الأفكار ، والأخلاق ، والعقائد ، والسلوك الاجتماعي
الصام .

وللشيخ عبد الحميد بن باديس هبة عامة يمتاز بها على أضرابه من الشيوخ والعلماء ،
وهي أنه كان رجلا يحافظ مثلهم على ذى الشيوخ ووقارهم وسمتهم العام ولكنه كان في
نفس الوقت يختلف عنهم اختلافا كبيرا - فقد كان يحمل بين حنبيه قلب الشباب ،
وعزيمة الشباب ، و ردة الشباب ، وطموح الشباب ، بل وثورة الشباب . وقد عرّف
كيف يجمع في براعة وذكاء بين القديم الصالح من ثقافة وتراث وتقاليد عربية ، وبين
الجديد المفيد في العلوم والأفكار العصرية في تلاؤم وانسجام كاملين .

وكان يعيش لاهته ووطنه أكثر مما يعيش لنفسه أو لأسرته . ولذلك كان من
أقدر رجال الجزائر المعاصرين على تحرير عقول الجزائريين وأذهانهم ومعتقداتهم
من الآراء الباطلة ، والمعتقدات الفاسدة . ومن هنا استطاع أن يطبع في نفوس تلامذته
وأبناءه الكثيرين أعماق الآثار ، ويوجههم التوجيه الصالح المفيد الذي جعل منهم دعاة
متجسسين للأفكار التي ينادى بها ويناضل من أجلها ، لأن الشيخ عبد الحميد بن باديس
قد وقف من المجتمع الجزائري الراكذ المتحلف - فكريا وحضاريا في سائر الميادين
موقف الناقد الحصين والمرشد المحلل ، إلى الطريق السليم الذي يؤدي إلى التحرر من
سيطرة الخرافات والبدع ، وسيطرة الاستعمار في وقت واحد ، لم يقف منه موقف
المداهن أو المرائي الذي لا يهمه في الحياة سوى تحقيق منفعته الخاصة فقط كما يفعل
الكثيرون من السياسيين المحترفين ومن هنا استطاع ابن باديس - بما قدمه لبلاده من
جلائل الأعمال وبما أظهره من تجرد وإخلاص أن يكون مصدر إلهام ، وقوة صالحة
لرجال الدين ، ورجال السياسة ، ولقادة الحركة الوطنية في البلاد طيلة سبعة وعشرين
عاما . وأن يوجههم جميعا في الطريق الذي يؤدي إلى تحرير الجزائر الكامل من الاحتلال
في نطاق حضارتها العربية الإسلامية ورغم أن حياته كانت قصيرة نسبيا حيث لم يعيش
سوى واحد وخمسين سنة فقط فقد ترك بصماته وتأثيره على كامل الحياة الوطنية
والقومية في البلاد ، من تربية ، ودين ، وأخلاق وسياسة واحتشاع وصحافة وأدب إلى
غير ذلك وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى إخلاصه وتفانيه في العمل ، وتجرده من المنافع

الشخصية في سبيل المصلحة العامة للوطن وهل هذا ما جعل الشعب الجزائري يحتفل
بذكره الخالدة كل عام بكل اجلال واكبار منذ وفاته في عام 1940 .

« ميادين الإصلاح التي عمل فيها ابن باديس » .

اذا بحثنا عن أهم ميادين الإصلاح التي عمل فيها الشيخ ابن باديس وأثر فيها
تأثيرا كبيرا فاننا نجد قد عمل بصفة أساسية على اصلاح ثلاثة أمور جوهرية لنهضة
الشعب الجزائري هي :

1 : اصلاح عقلية الجزائريين .

2 : اصلاح عقيدة الجزائريين .

3 : اصلاح أخلاق الجزائريين .

اولا : - اصلاح عقلية الجزائريين .

لقد أخذت قضية اصلاح عقلية الجزائريين عناية كبيرة من عمل ابن باديس
ومجهوداته . ذلك ان اصلاح العقول كما تعلم ايها السادة هو المقدمة الطبيعية لكل
اصلاح ناجع في المجتمع . ولعل هذا ما يوضح لنا اهتمام ابن باديس البالغ بأمور
التربية والتعليم من أجل تكوين جيل أو اجيال قاندة في الجزائر تعمل على بعث نهضة
شاملة في البلاد تخرج بها من حالة الجمود والركود الى الحيوية والنشاط ومن ثم تندفع الى
مزاومة الشعوب في ميادين الرقي والحضارة . وبالتالي تنهض متكاتفه الى كسر قيود
الاحتلال الغاصب الذي بسط سيطرته عليها ودحا طويلا من الزمن نظرا لتخلف
الجزائريين الفكري والعلمي والحضاري . ويظهر هذا من الكتب التي كان يدرسها
لتلاميذه في الجامع الأخضر حيث كان يدرس لهم مقدمة ابن خلدون وموطا الامام مالك
والمراجع الاساسية في الادب العربي وتاريخ الحضارة الاسلامية . وكان يرى ان تحقيق
هذه النهضة المنشودة يتوقف بالدرجة الاولى على تكوين الفرد الجزائري من الناحية
الفكرية والنفسية تكوينا عرييا اسلاميا متينا من ناحية . ثم العمل على وبسط كافة
الجزائريين بشبكة واسعة النطاق من التنظيمات الاجتماعية أو السياسية أو الوطنية .
لدفاع عن كيان الوطن المهدد بالخطر من ناحية أخرى . حتى يصلوا متكاتفين متحدين
على تحرير الجزائر من الاحتلال في دائرة حضارتها العربية الاسلامية لا في دائرة

اللائية أو الاندماج - أو التجنيس كما كان البعض من الجزائريين المتأثرين بالتأففة العربية ينادون خلال العشرينات والثلاثينيات من هذا القرن .

ويلاحظ أن ابن باديس كان يؤمن إيماناً لا حدود له بدور القرآن الكريم في تكوين هذا الجيل المنشود على غرار الجيل الذي كونه القرآن في العصور الأولى للإسلام يقول ابن باديس في مجلة الشهاب : « فأننا نربي - والحمد لله - تلامذتنا على القرآن ، ونوجه نفوسهم إلى القرآن من أول يوم وفي كل يوم ، وغايتنا التي ستتحقق أن يكون القرآن منهم رجالاً كرجال سلفهم ، وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودها » . (1)

أما كيفية تنقيف هذا الجيل القائد فيشرحها لنا الشيخ البشير الإبراهيمي بقوله : « كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعنا بالمدينة المنورة سنة 1913 في تربية النشء هي ألا نتوسع له في العلم ، وإنما نربيّه على فكرة صحيحة ولو مسح علم قليل فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعدناه من تلامذتنا » . (2)

أذن فابن باديس كان يهدف من عمله التربوي والإصلاحي العظيم إلى تكوين جيل أو أجيال مسلحة بعقيدة سليمة ، وفكر نير ، ووطنية صحيحة كي تعمل على بصت النهضة في المجتمع الجزائري لأن هدفه البعيد هو تغيير الواقع الجزائري بكل خموله وسلبه كما ذكرنا . والطريق إلى ذلك هو تحرير عقول الجزائريين من الجسود والخرافات والجمل .

ثانياً : - إصلاح عقيدة الجزائريين .

كما شغلت قضية إصلاح عقيدة الجزائريين فكر ابن باديس ونشاطه التربوي الهام كذلك شغلت قضية إصلاح عقيدة الجزائريين فكره ونشاطه الإصلاحي الهام .

وقد كانت مدرسة التجديد الإسلامي التي يحمل ابن باديس لواحقها في الجزائر تركيز عملها بصفة عامة على مقاومة الخرافات والبدع (3) التي شوهدت عقيدة المسلمين

(1) الشهاب ج 4 - 5 م 14 ص 112 عدد جوان وحويطة 1938

(2) مجلة « مجمع اللغة العربية » عدد 21 ص 143 - 1964 .

(3) انظر كتابنا « الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم » ص 272 - 273

كما اشرنا الى ذلك من قبل . ولذلك كان من اهداف نشاطه التربوي والاصلاحي تطهير عقيدة الجزائريين من البدع وكل مظاهر الشرك سواء العلني منها أو الخفي .

ويرى الشيخ عبد الحميد بن باديس ان الذين تسببوا في جمود الفكر الاسلامي واكثروا من البدع في الدين . انما هم رجال الطرق الصوفية ولذلك أعلن في مجلة « الشهاب » « بأن الاوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف ، ومبناها كلها على الغلو في الشيخ والتحنيز لاتباع الشيخ . وخسمة دار الشيخ وأولاد الشيخ الى ما هالك من استغلال واذلال وإهانة لاجل الاذلال والاستغلال . ومن تجسيم للعقول وإمانة للمهم وغير ذلك من تلك الشرور » (4) ومن هنا عمل بكل حمة على تطهير عقيدة الجزائريين من هذه الاوضاع الطرقية الماسدة التي روجوها بين العامة على أنها من الدين والدين بربها منها ، حتى يعود الدين في العصر الحديث كما كان في القرون الاسلامية الاولى طاهرا نقيًا من تلك البدع وبذلك يصبح قوة دافعة لنهضة الجزائريين بدلا من أن يكون عاملا عاثقا لهم عن التطور والتقدم ، وهذا ما يفسر لنا سر الحرب العنيفة التي شنها ابن باديس على الطرقية في الجزائر سواء في دروسه الخاصة أو في محاضراته العامة ، أو في مقالاته الصحفية النارية التي كان ينشرها في المنقذ . ثم الشهاب . والسنة الشريفة والصراط ثم جريدة البصائر . حتى انه اعتبر معركته ضدهم لها الاولوية على المعركة ضد الاستعمار الذي اصبحوا - حتى ولو لم يشعروا - العوبة في يديه يسخرهم لتحقيق مآربه ضد مصالح الوطن العليا .

ثالثا : - اصلاح اخلاق الجزائريين .

وهذا ميدان آخر ناضل فيه ابن باديس أيها السادة نضالا مشهودا وأعسى به ميدان اصلاح اخلاق الجزائريين التي تدهورت تدهورا كبيرا نتيجة لفساد العقول . وفساد العقيدة الدينية . ولذلك وجه عنايته الى اصلاح هذا الجانب الهام في المجتمع الجزائري باعتبار أن الامم أخلاق . فإذا صلحت اخلاقهم صلحوا وإذا فسدت اخلاقهم فسدوا . وابن باديس يذهب الى أن الاخلاق انما تنبع من داخل الفرد وبالتالي يجب العناية باصلاح هذا الداخل قبل كل شيء آخر . والوسيلة لذلك هي تطهير القلوب ،

(4) الشهاب ج 4 م 33 ص 176 - 179 عند جوان 1937

وتهذيب النفوس واصلاح العقائد حتى يعمل الفرد على تغيير ما بنمسه كي يغير الله ما به من سوء وانحطاط طبقا لقوله تعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » والظواهر عند ابن باديس دلائل على البواطن ، فادا كان باطن الفرد صالحا ومستقيما كان ظاهره كذلك وليس العكس ، ومن هنا ركز عمله في التربية والاصلاح الديني والاجتماعي على محاولة اصلاح ضمير الجزائريين وبعوهم حتى تكتمل الشخصية الانسانية لديهم في جوانبها الاخلاقية اولا - ثم بعد ذلك في بقية الجوانب الاخرى - يقول ابن باديس : « ان الذي نوجه اليه الاهتمام الاعظم في تربية انفسنا وتربية غيرنا هو تصحيح لعقائد ، وتقويم الاخلاق ، فالباطن اساس الظاهر وفي الجسد مضنة اذا صلحت صلح الجسد كله وادا فسدت (1) فسد الجسد كله » .

ولذلك كان ابن باديس يرى ان التربية الاخلاقية الفاضلة في الامرة ثم المدونة والمجتمع هي العاصم للفتى والثبات من الانحرافات الخلقية والوطنية معا ، لان الشخص الذي لا يستطيع ان يكبح حياح نفسه وشهواته في سبيل مرضاة ربه او مصلحة وطنه لا يمكن ائتمانه على مصالح الامر والوطن ، ومن هنا يتضح لنا لماذا كان ابن باديس يعمل على احاطة على التراث العربي الاسلامي في الجزائر ويعمل بكل امكانياته على نشره بين ابناء وندت الجزائر حتى لا تنحرف اخلاقهم عن الجادة القوية لان المحافظة على هذا التراث هو الذي يحفظ اشخصية الجزائرية من الانهيار ، يقول ابن باديس في معرض الرد على بعض الجزائريين المحترقين بسبب تعليمهم في معاهد اجنبية « نعرف كثيرا من ابنائنا الذين تعلموا في غير اخصائنا ينكرون - وربما عن غير سوء قصد - تاريخنا ومقوماتنا ويودون لو حللنا ذلك كله واندمجنا في غيرنا . وكما نرد عليهم كل مناسبة تبدو منهم فيها مثل هذه البوادر السامة الحاطنة » (2)

هذه باختصار شديد هي اهم المبادئ التربوية والاصلاحية التي عمل فيها من باديس وحقق فيها نجاحا عظيما ،

(1) التفسير ص 396 - 397

(2) الشهاب ج 9 م 23 ص 403 - 408 عدد نوفمبر 1937 .

ظهور جمعية العلماء على رأس مائة عام من الاحتلال :

إن الحديث عن نشاط ابن باديس الإصلاحى يجرنا إلى الحديث عن جمعية العلماء التى كونها بمساعدة نخبة من رجال الفكر والأصلاح فى الجزائر لكى تحمل راية الفكرة الإصلاحية السلفية فى البلاد على مستوى الوطن كله :

فى عام 1930 احتفلت فرنسا احتفالات صاخبة بمناسبة مرور قرن على احتلالها لعاصمة الجزائر فى عام 1830 (1)

وقد اصطبغت هذه الاحتفالات الجارحة لكرامة الجزائريين وشرفهم الوطنى بصبغة مسيحية استعزازية أظهرت مدى مشاعر الحقد والكراهية والبغضاء التى يكنها رجال الاحتلال ضد عروبة الجزائر وإسلامها .

وقد عملت هذه الاحتفالات بصم صفوف المصلحين من رجال مدرسة التجديد الإسلامى السلفية فى الجزائر ، وجمع شتاتهم فى منطقة واحدة . وبذلك ظهرت « جمعية العلماء الجزائريين » إلى الوجود فى الخامس من شهر ماي سنة 1931 وقد تولى رئاستها منذ البداية الشيخ عبد الحميد بن باديس باعتباره رائد الحركة الإصلاحية السلفية فى الجزائر . واستمر يشغل هذا المنصب حتى وفاته فى عام 1940 ويذكر الشيخ البشير الأبراهيمي نائب رئيس جمعية العلماء أنه « لو تأخر ظهور جمعية العلماء عشرين سنة لأوجدنا فى الجزائر من يسمع صوتنا » (2)

وقد قامت جمعية العلماء بقيادة ابن باديس على رأس مائة عام من الاحتلال الفرنسى للجزائر عنوانا عن الثبات فى المقاومة والكفاح ودليلا على الصمود فى الجهاد ، وبرهانا على إصرار الجزائريين فى الاحتفاظ بطابعهم العربى الإسلامى الذى لا يمكن القضاء عليه كما كان المستعمرون والمبشرون يحملون فى ذلك الوقت .

وقد عملت جمعية العلماء منذ ظهورها للوجود على نشر رسالة ابن باديس الإصلاحية والثرورية التى بدأها قبل ذلك بنحو ثمانية عشر عاما ، والتى تتلخص فى إحياء اللغة

(1) انظر كتاب « الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفة وجوده فى التربية والتعليم » ص 66 - 67

(2) مجلة « مجمع اللغة العربية » بالقاهرة العدد 21 ص 151 - 1964 م .

العربية والثقافة الإسلامية في البلاد ، وتقوية الشعور بالشخصية الجزائرية ، والدفاع عنها وتطهير الدين من المخرافات والبدع ، والمحافظة على التراث العربي الإسلامي في الجزائر ، والعمل على تحريرها من سيطرة الاحتلال الاجنبي .

ويمكن القول بالجمال بأن جمعية العنقاء تعتبر حركة اصلاحية سلفية من ناحية كما تعتبر حركة قومية وطنية من ناحية أخرى . فهي حركة اصلاحية سلفية باعتبارها كانت تعمل على مكافحة البدع المنافية للدين ودعوة الجزائريين الى العودة الى الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم في كل ما يتصل بأمر الدين .

وهي حركة قومية باعتبارها كانت تقاوم بدون هوادة سياسة ادماج الجزائر في فرنسا أو التجنيس بجنسياتها ، وتطالب للجزائر بالمحافظة على طابعها القومي العام كما كانت تناضل بدون هوادة من أجل تربية الشعب وتنظيمه في منظمات وطنية كي ينهض لمقاومة الاستعمار في سبيل تحرير الجزائر وضمها الى الاسرة العربية الكبرى التي أراد الاستعمار عزلها عنها فترة طويلة من الزمن .

« نضال ابن باديس عن الشخصية الجزائرية »

ولن تكتمل لنا الصورة عن دور ابن باديس في « نشأة الحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر » وعن دوره ودور هذه الحركة في نضالها الوطني الحديث دون التحدث عن دوره في المحافظة على الشخصية الوطنية ونضاله التاريخي في سبيل تدعيم مقوماتها الأساسية التي هي . الاسلام - والعروبة - والوطنية الجزائرية كما يحددها ابن باديس .

والواقع أن كمال الشيخ ابن باديس عن الشخصية الجزائرية سيبقى خالدا في التاريخ تذكروا الاحياء القادمة بكل فخر واعتزاز .

فقد بدأ هذا النضال قبل الحرب العالمية الاولى وواصله بدون كلل ولا ملل حتى آخر لحظة في حياته .

وكان لا يتسامح مطلقا مع أي انسان مهما كان مركزه في المساس بأحد مقوم من مقومات هذه الشخصية .

كتب في عام 1937 مقالا طويلا في مجلة الشهاب (I) تحت عنوان « الجنسية القومية والجنسية السياسية » ختمه كما يلي : « وبعد . وقد دلت تجارب الزمان والاحوال على اننا من أشد الناس محافظة على هذه الجنسية القومية . واننا ما زدنا على الزمان الا قوة وتشبها بأهدافها . وانه من المستحيل اضعاقلنا فيها فضلا من ادماجنا أو محوئنا . - وعندما أفكر أحد الجزائريين المفونين بالثقافة الفرنسية في عام 1936 وجود الامة الجزائرية في التاريخ . ونادى بربط مصر الجزائر ربطا نهائيا بمصر فرسا رد عليه ابن باديس في الشهاب (2) ردا قويا مضحا أصبح مثلا سائرا عند كافة الجزائريين منذ ذلك الحين وقد جاء فيه قوله : « اننا نحن فنحننا في صحف استاريخ . وفتشنا في الحالة الحاضرة . فوجدنا الامة الجزائرية المسلمة منكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا . ولهذه الامة تاريخها الخافل بجلائل الاعمال ولها وحدتها الدينية واللغوية . ولها ثقافتها الخاصة وعواقلها وأخلاقها . يا فيها من حسن وقييح شأن كل أمة في الدنيا . ثم ان هذه الامة الجزائرية المسلمة ليست هي فرنسا . ولا يمكن أن تكون فرنسا . ولا تستطيع أن تصير فرنسا . ولو أرادت . بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها . لا تريد أن تندمج ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة ..

أما دفاع ابن باديس عن الدين الاسلامي واللغة العربية وهما الركنتان الآخران في الشخصية الجزائرية حسب مفهومه فالحديث عنه طويل جدا ويكفي أن نشير اليه اشارة فقط لان المجال لا يسمح بالتطويل .

في عام 1938 ختم ابن باديس تفسير القرآن كله خلال ربع قرن من الزمان وأقيمت احتفالات كبيرة في قسنطينة بهذه المناسبة التاريخية العظيمة وقد خطب ابن باديس في جماعير المحتفلين خطبة بليقة ومركزة ختمها بالمعهد التالي :

فقال « اننى أعاهدكم على أننى أقضى بياضى على العربية والاسلام . كما قضيت سواذى عليها . وانها لواجبات .. وانى سأقصر حياتى على الاسلام والقرآن . ولنسة الاسلام والقرآن . هذا عهدى لكم . وأطلب منكم شيئا واحدا وهو أن تموتوا على

(1) ج 12 م 12 ص 505 عدد فبراير 1937

(2) ج 1 م 12 قسنطينة ص 45 - 50 عدد ابريل 1936

الاسلام والقرآن . ولغة الاسلام والقرآن .. وقد وفى الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله . بعهده هذا حتى فارق الحياة في 16 ابريل سنة 1940 ،

وفى الواقع فان ابن باديس أصبح بهذه الاعمال العظيمة التي قام بها من أجل وطنه عنوانا عن الضال المستنيت من أجل الشخصية الجزائرية في العصر الحديث . ولاشك ان الذي ساعده على تحقيق كل ما حققه من أعمال جليلة في سبيل الشخصية الجزائرية ومستقبل الجزائر من تربية وتعليم - ونمط وارشاد - وتفسير القرآن والحديث - وتكوين المدرس والنوادي والمساجد ، وائباء الجمعيات القومية كجمعية التربية والتعليم ، وجمعية العلماء - وتكوين لصحافة العربية الحديثة - والندوة عن التراث العربي الاسلامي للشعب الجزائري- لا شك ان الذي ساعده على تحقيق هذه الاعمال كلها في هذا الوقت القصير من الزمن نسبيا انما هو الايمان الذي لا حدود له بالبدأ الذي كرس له حياته . وسخر له جميع مجهوداته ألا وهو خيمة الاسلام - واللغة العربية والوطنية الجزائرية . ولايمان هو الذي جعله يتغلب على كل العراقيل - وما أكثرها - التي وقفت في وجهه سواء كانت من صبح الاستعمار وعملائه ، أو كانت من صنع الجامدين والحقادين .

والايمان هو الذي ساعده على النجاح في عمله ، حتى استطاع أن يهزم خصوم القضية الوطنية ، وخصوم اللغة العربية ، وخصوم الاسلام في الجزائر ويؤيذهم جميعا واحدا بعد آخر وبذلك خرجت الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها الدينية والفوية ، والوطنية طافرة متصمة على أعدائها وسارت الجزائر نحو تحقيق هدفها الكبير في الحرية والاستقلال حتى قام ثورة الفاتح من نوفمبر سنة 1954 التي حققت الاستقلال بلجزائر في نطاق حضارتها العربية الاسلامية كما نادى وعمل ابن باديس طيلة حياته .

ولم يغادر ابن باديس هذه الحياة في 16 من شهر ابريل سنة 1940 حتى كانت الجزائر كلها تموج ب نهضة عربية اسلامية واسعة النطاق .

والشعب الجزائري كله يردد تشييد ابن باديس الخالد .

شعب الجزائر مسلم وفى العروبة ينتسب

من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب
أو رام ادماجا لله رام المحال من الطلب
رحم الله ابن باديس رحمة واسعة ورحم سائر الشهداء. الأبرار الذين سقطوا
في ميدان الجهاد في سبيل الشخصية الوطنية وتحرير الوطن ، وبذلوا أرواحهم
وخصة لكي تمشي الجزائر حرة مستقلة .



لمحات من حياة الشيخ ابن باديس

على مرحوم



« أن الأمة الجزائرية لم تزل حية »
« طالما أنها محافظة على دينها ولغتها »
« عبد الحميد بن باديس »
« ليس في العالم أمة عزيزة الجانب تقدم لغة غيرها
على لغة نفسها » *
« مصطفى صادق الرافعي »

هذه لمحات من حياة استاذنا المبرور ، عبد الحميد بن باديس ، اسجلها اليوم ، بعد مضي خمس وثلاثين سنة على التحاقه بربه ، واضيا مرضيا عليه من الله والناس ... ولم اعتمد في هذه اللوحات على ما سبق نشره الا في النادر القليل ، بل هي من مروياتي المباشرة عنه سماعا ومشاهدة . باستثناء لمحة واحدة رويتها عن أحد قدماء تلامذته ...

وسأحاول ان اربتها ترتيبا تاريخيا ، بقدر ما تسمحني الذاكرة ، مع مراعاة الموضوع بقدر الامكان ...

* * *

يرجع عهدي بالشيوخ الى سنة 1932 - وهي السنة التي يسر الله لي فيها الالتحاق بدروسه العلمية ، في الجامع الأخضر ، وسيدى قموش بقسنطينة . وكان صدى هذه الدروس قد سار في أرواح القطر . وازداد اقبال الطلاب عليها من العائلات الثلاث : ويعزى السبب في هذا الاقبال غالبا ، الى طلبة الشيخ الذين أصبحوا منتشرين في طول البلاد وعرضها . وما منهم من أحد الا وهو يحمل بين جنبيه شحنة من الحويصة والنشاط ، وشعلة من الحماس والتأثر ، التي استولت على روحه منذ الايام الاولى التي جلس فيها أمام هذا الرجل الموهوب ، واستمع الى دروسه .

* * *

دوس التفسير :

بصرف النظر عن مختلف الدروس العلمية المقررة للتلاميذ ، فقد كان على رأسها جميعا درس التفسير ، وهو درس عام ، يحضره الى جانب الطلبة جمهور كبير ويقع يوميا بعد صلاة المشاء في الجامع الأخضر ما عدا يوم العطلة الاسبوعية .

تدوم حصة الدرس ساعة واحدة في الغالب ، أو تقل عنها تارة ، وسمعت أول درس في التفسير هذا من سورة الاحزاب . ولم يكن يتاح الدوام على حضور هذا الدرس القيم ، الا للقة من المتفرغين ، ولعل من أولهم شيخنا مسنا كان يتولى منصب قاض وتخلي عنه أو احيى على التقاعد . يقال له الشيخ أحمد البوعوني ، وهو من اماضل الرجال ،

علما وورعا وتقوى = ولم أذكر أبدا أنى حضرت درس التفسير ، دون أن أرى هذا الشيخ جالسا الى جانب الاستاذ ، الذى كان يجلس على كرسى خشبى متواضع *
ومن الطرائف أن هذا الشيخ ، قد سمع دروسا على الشيخين عبد القادر المجاوى وحمدان الوبسى * والاخير من أساتذة ابن باديس *
ونظم في تهنتهما بختام دروسهما قصائد شعرية = مثلما فعل فى ختم الشيخ لدرس التفسير ، وجاء فى قصيدة قوله :

« وَأَن الشعر من عاش قرنا لكاهديان فى الطفل الصغير »
« ولو عاد الشباب لقتت فيها معامات المرزق أو جرير » (١)

— كان الشيخ بن باديس يستهل درس التفسير بما كان يستهل به السبى (ص) خطبه * « أما بعد فن أحسن الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ... »
ثم يأخذ فى تلاوة الآيات التى يريد تفسيرها من حفظه . وبعد ذلك يشرع فى التفسير بلغة عربية فصيحة ، وبأسلوب غاية فى الوضوح . يركز فيه على استجلاء المقاصد والمبر وكثيرا ما ينزل معانى الآبى على ما تنطق عليه من أحوال المجتمعات الاسلامية ، أو البشرية . فى العصر الراهن ويجرى المقارنة الملائمة بين الماضى والحاضر * مع الإشارة الى أسباب النزول عند الاقتضاء - وتلك هى الطريقة السلفية التى وصف بها الشيخ الابراهيمى رحمه الله طريقة ابن باديس فى درس التفسير * (٢)

يسود عادة أثناء هذا الدرس فى المسجد ، جو من الخشوع والوقار ، حتى لكان على رؤوس الحاضرين الطير ... اجلالا لكتاب الله ، وتأثرا بما كان يبدو عليه الشيخ المقصر ، من مظهر روحانى يأخذ بالألباب ، ويملا النفوس سكينة واطمئنانا *

* * *

افتتاح الدروس العلمية :

حين بداية الدروس ، أول السنة الدراسية ، يجمع الاستاذ تلاميذه فى اجتماع عام ليزودهم بنصائحه الغالية . ويحضهم على الجد والاجتهاد . وتحاشى مواطن الشبهات

(١) شعاب الحرم فى يونيو ١٩٣٨ (٢) نفس المرجع

التي تعمق عن الانقطاع للدراسة ، وتمس بالكرامة وشرف النفس ، ومكانة العلم
مؤكدًا على التحلي بكل خلق كريم ، وتجافى كل عمل ذميم ٠٠٠

كان الشيخ - رحمه الله - يأخذ تلاميذه بالتوجيه الجنى ، والتربية الحازمة •
ويعطى لهم من نفسه الاسوة الحسنة • واني لأراه يحصر من منزله الى مسجد سيدي
قموش ، قبل صلاة الفجر ، ليتأكد من استيقاظ التلاميذ لاداء الصلاة والاستعداد
للمشروع في الدراسة • مع العلم بأنه يبقى في العمل أحيانًا بمقصورته في الجامع
الآخر ، الى ما بعد الساعة العاشرة ليلا • وكنت أرافقه في ذهابه الى المنزل تارة ،
حينما بقي الى هذه الساعة المتأخرة من الليل •

وقد حضرت عليه دروسا في مختصر الشيخ خليل في الفقه ويشرع فيها اثر
صلاة الصبح مباشرة • وكان لا يعتمد في الدرس الا على المتن وحده • يعتمد الى تحليل
الموضوع منه تحليلا دقيقا واضحا ، فلا ينتهي الا وقد ألم التلاميذ بمضمون الدرس
الماما كافيا •

ويقصى الشيخ بياض نهاره ، وزلفا من الليل ، في ألفاء الدروس واحدا تلو الآخر •
وختامها درس التفسير كما أشرت آفا • وقد يرتفع عددها الى ثلاثة عشر (13) درسا
أحيانا في اليوم الواحد •

* * *

وخلال شهر رمضان يزداد الشيخ حيوية ونشاطا أكثر من ذي قبل ، فيضيف الى
دروسه المألوفة ، درسا في شرح متن صحيح البخاري ، قبيل صلاة الطهر حرصا على
إفادة جمهور المصلين هذا الدرس في الحديث النبوي ، ما رأيت مثله في الإيجاز مع
الإعادة والتأثير •

واني لأذكر الى الآن وقع كلماته المؤثرة على الاسماع ، وفعلها في النفوس
والارواح ، فلا تبرح موضحها الا وقد ازدادت يقظة ووعيا ، وإرادة في الخير • يتيسح
لها هذا الخير والنفع ، ما تكون عليه من طهارة وصفاء في شهر الصيام •

* * *

الخطابة والكتابة :

الى جانب الدروس المعهودة ، كان الشيخ يدرب تلامذته على الخطابة والكتابة ، وينشر ما ينتجه بعضهم ، تشجيعا لهم ، فعلى ليلة يوم العطلة يجتمع الطلبة ليتباروا فى القاء الاشعار والكلمات المكتوبة والمرجلة ، وكل يريد أن يتفوق فيما يأتى به من قول ، نثرا أو شعرا * وقد برز بعضهم فعلا فى هذا المضمار ، وظهر منهم الكاتب المبدع ، والشاعر المجيد والخطيب البليغ * مع ما كانوا عليه من المستوى العلمى المتين ، الذى اهلهم للنهوض بأعباء المسؤولية ، التى أنيطت بعهدتهم فى حقل العمل السديس والثقافى ، والاجتماعى والوطنى *

ولذلك فإن أفضل ما كان يمتاز به استاذنا من جهاده فى ميادين متنوعة ، ومجالات كثيرة . هو هذه الدروس ، التى كان يبني بها الرجال المتحلين بأكرم الصفات من شجاعة وإخلاص ، وتضحية فى سبيل الله والوطن **

ولعله لو انصرف الى تأليف الكتب . بدلا من بث العلم فى صدور الرجال ، ما كان لينفع بذلك أمته وبلاده - حسب رأى - مثلما نفع وأحيا هذه الأمة . بما ينل من جهود فى سبيل نشر العلم والتعليم * وقد كون الرجال الذين ضربوا يسهم وافر ، فى العلم والعمل * منتزعين بالامتناع عن قبول الوظيفة الاستثمارى - عملا بتوصية - لان الوظيفة ما هو الا قيد فى عنق صاحبه **

* * *

مؤسسات ومشاريع :

انتصب الشيخ للتدريس بالجامع الاخضر ، وميدنى قوش ، فى سنة 1332 هـ . و 1912 م * (I) وكانت دروسه هى حجر الزاوية فى اقامة صرح النهضة * ولكن هذه الدروس ، لم تصرفه عن العمل فى ميادين أخرى لا تقل أهمية ، فى طليعتها : تأسيس المدارس ، والوادى ، وبناء المساجد الحرة هذا الثلاثون الجبوى الذى تكاملت به جوانب النهضة الجزائرية **

(I) شهاب ختم انقضى 1938

فالمدارس للنشأة ، تتلقى فيها دروس الدين والأخلاق ، وقواعد اللغة العربية والتاريخ الوطني .»

والاندية للشباب ، تجمع شتاته ، وتقيه شر الصياع وترجع له ثقته بنفسه وبدينه وقومه . بما يسمعه من المحاضرات فى التربية والتوجيه الدينى والقومى .»

والمساجد لجمهور المصلين ، المتعطشين لسماح دورس اليقظة والحياة ، المسنوحة من روح الاسلام النقى من الخرافة والجور والتعصب .»

ويستد نشاط الشيخ الى مجالات أخرى ، تستكمل بها عناصر النهضة . فيدعو الى تكوين الجمعيات الخيرية . والفرق الكشفية والرياضية والغنية ، ويشجع على تأسيس جمعية التجار المسلمين وأخرى لنوى الاسر الكبيرة بقسنطينة .»

وكل هذه المشروعات والمنظمات ، التى كان له فضل السعى فى انشائها ، قد أتت أكلها باذن ربها ، وأعطت ثمراتها الياينة فى خدمة المجمع الاسلامى الجزائرى .»
لقد كان الشيخ - كما رأينا - يقوم بأعمال ، تنوء بحملها الجبال ، فى أكثر من مجال لانجاز المنشآت المتنوعة الاعراض والغابات . وكما ترمى فى جوهرها وحقيقة امرها الى احياء الدين واللغة والتاريخ ، والحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية بصفة عامة .»

ونورد على سبيل المثال أن مما تضمنه القانون الاساسى لجمعية التربية والتعليم ، التى حوره بنفسه سنة 1349 هـ - 1930 م .»

أ - « تربية أبناء المسلمين وبناتهم تربية اسلامية ، بالمحافظة على دينهم ولغتهم وشخصيتهم » (2) .»

ب - « وان للجمعية ان تكون فروعاً فى البلدان التى ترغب ان تكون فروعاً منها .»
كما انها تدعو المسلمين أن يهضوا لذلك نهضة حقيقية ، ويسعوا له السعى الجدى المتواصل . فانهم لا نقاء لهم الا بالاسلام ، ولا نفاء للاسلام الا بالتربية والتعليم ، والله مع الصادقين » .»

* * *

(2) نشرة جمعية التربية والتعليم سنة 1354 هـ - 1936 م

لننتقل الآن - مع الشيخ - الى ميدان آخر من ميادين جهاده ، وأعني به ميدان
الطباعة والصحافة .

والحقيقة التي يجب ألا نفعل عنها هي ان نجاح جميع المشاريع الآتية الذكر ، يرجع
الى وجود « المطبعة الجزائرية الاسلامية بقسنطينة » التي وفق الله الشيخ لتأسيسها .
وكان لها دور أساسي فعال ، منذ بداية ظهور النهضة ، لانها يسرت للشيخ سبيل
النشر الذي هو أخطر الوسائل في بناء النهضة الوطنية .

ولعل القاء نظرة على قائمة الصحف والمجلات ، التي كانت تصدر عن هذه المطبعة ،
تربنا مدى اهميتها القصوى في بناء النهضة بجميع جوانبها .

1 - جريدة المنتقد - صدرت سنة 1343هـ - 1925م - وكان شمارها : الحق فوق
كل أحد - والوطن قبل كل شيء .

وقد عطلتها السلطة الاستعمارية بعد بروز 18 عددا منها ، خشية من أثرها
وتأثيرها ، والتفاف النخبة المثقفة حولها ، ولانها كانت تنشر أبناء انتصارات ثورة
الريف في شمال المغرب ضد الاسبان بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي ، رحمه الله .
ودامت هذه الثورة من سنة 21 الى 26 (X) .

2 - جريدة الشهاب الاسبوعي - صدرت على اثر تعطيل المنتقد - 25 - 1929 م .

3 - مجلة الشهاب الشهرية ، صدرت في سنة 1929 ، وقد امتد بها العمر الى أن
توقفت في شهر سبتمبر 1939 م ، بعيد اندلاع الحرب العالمية الثانية .

4 - صحف جمعية العلماء ، وهي على التوالي في الصدور :
السنة النبوية - الشريعة - الصراط السوي .

صدرت هذه الصحف الثلاث ، خلال سنة 1933 - وعطلتها الحكومة بقرارات جائرة ،
في نفس السنة .

5 - البصائر - لسان حال جمعية العلماء ، طبعت لأول ما ظهرت في العاصمة .
ثم نقلت في اوائل شهر سبتمبر 1937 م الى المطبعة الجزائرية بقسنطينة ، واستمر
صدورها الى أن توقفت هي الاخرى ، على اثر اعلان الحرب في سبتمبر 1939 .

(X) كتاب الفكر والثقافة المدصرة لآثور الحدي

- وصدرت عن نفس المطبعة صحف أخرى * تنتمي بالولاء لجمعية العلماء ،
وليست تابعة لها رسميا ، وهي بالترتيب :

1 المجيم : جريدة انتقادية دفاعية ظهرت في سنة 1933 م ، شمارها :

« ان الابرار لفي نعيم ، وان الفجار لفي جحيم » ومبدؤها قول الله :

« **وإن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل** » * (2)

(2) أبو العجائب جريدة أدبية فكاهية انتقادية - ظهرت حوالى سنة 1935 م وكان
يتولى تحريرها ، الكاتب - الشاعر : الشيخ محمد العابد الجلالى ، رحمه الله *

(3) الشعلة : جريدة أدبية انتقادية. صدرت سنة 1950، وكان يشرف على تحريرها :
الكاتب الشهيد أحمد وضأ حوحو *

يضاف الى ما تقوم ذكره من أنواع الصحف ، ما قامت بطبعه هذه المطبعة من
الكتب * وما أخرجته من البشريات والمنشورات الكثيرة ... تحت اشراف الشيخ
في حياته ... وإدارة الشهيد أحمد بوشمال ، رحمهما الله تعالى *

والحق أن هذه المطبعة قد أسهمت بحط موقور ، في احياء اللغة العربية ، والثقافة
الاسلامية ، وأدت خدمات جليلة في دعم النهضة الحديثة في الجزائر ، منذ تم تأسيسها
سنة 1925 م ، الى أن أذن عهد الاستعمار بالزوال *

* * *

محاولة دنيئة :

كان طبيعيا - في منطق الاستعمار - على الاقل - ألا يعرض الطرف على هذه الاعمال
« الضخمة » التي كان ينهض بها الشيخ بمعاونة اخوانه ، من كبار أعضاء الجمعية ...
ولذلك فانه ما انفك يدبر المكائد ، ويحيك المؤامرات ، للقضاء على شيخنا واعضاده *

وكانت أخطر هذه المؤامرات هي المحاولة الدنيئة ، التي سخر لها أحد اتباع
الطريقة العلوية ، لاغتتيال الشيخ وذلك سنة 1926 بقسنطينة *

(2) سورة الدورى 47

فقد كمن له إخواني في ممر مظلم ، يمدخل منزله وهاجمه اثر عودته مسن درس التفسير ليلا * * ولكن عناية الله بالشيخ أبطلت كيد الكائدين * ونجاه الله من الاغتيال المدبر ، وحطه لهذه الأمة ودينها * *

وأبي لشيخ الا أن يمنع الناس من الفتك بالياني ، وأن يعفو عنه ، بعد أن أصبح في قبضة العدالة * *

وفي ذلك يقول شاعر الجزائر الاكبر : محمد العيد من قصيدة :

« حمتك يد المولى وكنت بها أولى فيالك من شيخ حمته يد المولى »
« وحفت بروح القدس شخصك فانتنت مصيبتك الجلى كرامتك المثل »
« وان أنس لا أنسى الذين تظافروا على الفتك بالياني فقلت لهم مهلا »

* * *

وقد آن لي - أيها القاري - أن أروي لك في هذه اللحات ، بعض ما رأيت وما سمعت من أستاذنا * وعسى أن تستبين منها بعض السجيا والخلل الكريمة . التي خصه الله بها * * وكم هي كثيرة تلك الخاصيات التي لم نكتشفها الى الآن أقلام الكتاب في حياة هذه الشخصية الخالدة *

I - الاعتماد على النفس ، في التقرب الى الله *

في درس العقائد الاسلامية الخاص بالطلاب ، تطرق الشيخ الى توضيح رايه في حقيقة التوسل والوسيلة * مؤكدا أنه لا يجوز الاعتماد على غير ما يقوم به الانسان من عمل صالح ، ينتفع به في دنياه ، ويتقرب به الى الله في آخراه *

أما ما يتوسل به الجهلة بحقائق الاسلام ، ويحتجهم باسمه ، أو يضلهم به بعض المشموذين فلا عرة به في نظر الاسلام الصحيح *

ثم ساق لنا حديث النفر الثلاثة ، أصحاب الغار ، المروي في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم ، حتى آواهم المبيت الى غار فدخلوه ، فانحدرت
صخرة فسدت عليهم الغار - فقالوا ، انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا الله
بصالح أعمالكم »

ثم ذكر في الحديث ما قدم كل منهم من صالح العمل ، وقالوا في دعائهم :
« اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فامرح عنا ما نحن فيه » فانفجرت
الصخرة وخرجوا يمشون * * *

وهكذا استجاب الله دعائهم ، لانهم توسلوا اليه بصلح الصالح *

* * *

2 - شكوى شكوى الامام الزمخشري من الدهر :

في درس من دروس اللغة ، شرح الشيخ معنى الافصح والاعلم في اللغة ، وهو
مشقوق الشفتين الذي يعجز عن السطق بحرف الميم ، مستشهدا على ذلك ببيتي شعر
لزمنشري ، ونصهما :

« وآخرني دهرى وقدم معشرا على أنهم لا يعلمون وأعلم »

« ومد أفلح الجهال أيقنت أننى أنا الميم والأيام أفلح أعلم »

وعلق الشيخ على البيتين بقوله :

ما كان ينبغي للزمنشري - على فضله وعلمه ، واقتداء الناس به - أن يتضجر من
الدهر ، وبهذه الطريقة التي لا تميزها آداب الاسلام * * وقد قال الله تبارك وتعالى :

« ووفعنا بعضكم فوق بعض درجات ، ليتخذ بعضكم بعضا سخريا ، ورحمة ربك
خير مما يجمعون » * (x) تلك سنة في خلقه ، ولن تحد لسنة الله تبديلا *

* * *

3 - بين الام والفضرة :

في درس ما ، جلس أحد التلاميذ في الصف الأول امام الشيخ ، وقد لبس برتوسا
جديدا من ثياب المنك فتأمله الشيخ جيدا ثم قال : - والابتسامة تملو محياء - أنا

(x) سورة الزخرف 32

ـ والله ـ أفضل أن ألبس البربوس الذي تحيكه أمي ، وليس الذي تنسجه ضرتهأ *
 ويعنى بذلك تقديم البضاعة الوطنية على الأجنبية *

* * *

4 ـ في احتفال بالمولد النبوي ، سنة 1937 م :

في كلية الشعب بقسنطينة ، وفي حفل أقامته مدرسة التربية والتعليم ، وبعد
 أن أدى التلاميذ ولتلميذات أدوارهم في الخطابة والحوار والتمثيل ، بلسان عربي
 مبين ، تحت إشراف معلمهم * تآثر الشيخ ايما تآثر ، واني لأراه جالسا في الصف
 الاول مأخوذاً بالمشاهد التي تجري أمامه *

وفي ختام الحفل ، صعد الى المنصة ، وألقى قصيدته الشهيرة « شعب الجزائر
 مسلم » والتي تناقلتها الاجيال منذ شهر ربيع الاول 1358 هـ الى الآن ، واني ماشاء الله
 ومطلعا :

« حبيب يا جميح الادب ورقيت سامية الرتب »

ومنها :

« أحيت مولد من به حيا الانام على الحقب »

« بالعلم والآداب والأخلاق في شئ عجب »

ومنها :

« نشء بحب محمد غذاء أشياح نجيب »

« فبه اقتدى في سيره واليه بالحق أنسب »

ويواصل مخاطبا التلاميذ :

« يا نشء يا ذخر الجزا ثر في الشدائد والكره »

« صبحت بلبالك الفصاح فعم مجمعا الطرب »

« وأذقتنا طعما من العلم فصحي ألد من الضرب » (1)

(1) ش ج 4 - م 23 يونيو 1937

— ويبدو ان هذه القصيدة ، كانت بنت وقتها ، ولم تعد مسبقا وعدد أبياتها
اربعمون • وكلها من فرائد الشعر الاستنهاضي النادر ، وكانت يومئذ بمثابة الرد
الطاسم ، على دعاة الفرنسة والاندماج •

* * *

5 — وفي مناسبة جعل مدرسي آخر ، ارتجل الشيخ هذا النشيد ، من وحى الساعة
ومطلعه :

« اشهدى يا سما	« واكتبن يا وجود »
« انصبا للحمى	« سنكون الجنود »
« فنزيح البسلا	« ونفسك القيود »
« ونزيل الرضى	« من وفى بالعهود ، الخ

وعدد ابيات هذا النشيد اثنا عشر • وقد اتخذته المدارس والفرق الكشفية من جملة
اناشيدها الوطنية ، التي سار ذكرها ، والتفنى بها بين تلاميذها واشبالها وفتيانها في
طول البلاد وعرضها •

* * *

6 — تكريم المتخرجين من جامع الزيتونة :

في أواخر يوليو 1939 م ، أقامت جمعية التربية والتعليم بقسنطينة ، حفلة تكريم
للطلبة الجزائريين المتخرجين من جامع الزيتونة في ذلك العام . تحت اشراف الشيخ
بصفته رئيسا للجمعية . وتولى تقديم الخطباء الذين أعدوا كلمات للمناسبة • وفي كلمة
افتتاح الحفل قال مخاطبا المحتفل بهم :

« انكم رجعتم الى وطنكم تحملون شهادات علمية ، ومن أجل ذلك كنتم جديريين
بهذا التكرم • ولكن لا تظنوا . انكم ستجدون مصاعب الحياة قد أزيلت من طريقكم •
يجب ان تعلموا — يا ابنائي — انكم مقلون على خوض معركة شديدة ، من أجل خدمة
امتكم ووطنكم ، بما احرزتم عليه من علم •

وإذا كان أبناء الشقيقة تونس ، يدرسون العلم في الزيتونة ليصبحوا موطعين في بلادهم ، فإن فضلكم الوحيد هو أنكم تقرأون العلم للعلم ، وليس للوطيف • وهو فضل كبير فكونوا عند حسن ظن أمتكم بكم ، كونوا على استعداد لاداء واجبكم نحو وطنكم ••

* * *

7 - القلب الفارغ من الايمان :

كنا ثلاثة مع الشيخ في زيارة تفقدية لشعبة من شعب جمعية العلماء ، في دائرة جيجل ، وفي أثناء الطريق قص علينا القصة التالية قال :

« كنت يوما راجعا من صغر ، في سيارة عامة ، ولحق بنا في الطريق الطبيب الفرنسي فلان •• بسيارته الخاصة • وما أن لحني داخل السيارة العامة ، حتى استوقفها ، وطلب مني أن انتقل الى سيارته ••

وبينا نحن في طريقنا ، اذا به يصطدم بسيارة أخرى ••

قال الشيخ : ومع أن الصدمة لم تكن خطيرة ، الا أن الطبيب صرخ صرخة - حين الاصطدام - ظننت أن روحه قد خرجت معها ••

وعلى الشيخ ذلك بفراغ قلبه من الايمان بالله ، لان الايمان يحفظ على المؤمن ، ثباته واطمئنانه ، عندما تحل به المصائب وتفاقمه الصدمات مهما كانت عظيمة • وهذا ما شعر به هو حينئذ ••

ومن عادة الشيخ أن يستعمل العبر من أحداث الحياة ، كبيرها وصغيرها ، ويربط العلة بالمعلول ، والسبب بالمسبب ، في بدهاء وغفوية تأخذان بالآليات ••

* * *

والآن يحسن بنا ان نعيش مع شيخنا ، في بعض مواقفه السباسبية ، التي برهن بها على أنه وحيد زمانه في الشجاعة وعلو الهمة ، والتضحية في سبيل المبادئ السامية ••

وهذه لحاحات من تلك الصفات :

1 - بعيد تأسيس جمعية العلماء في شهر ماي 1931 م طار صيتها في ارجاء الوطن بسرعة البرق . وبلغ صدى أعمالها ومساهماتها في بحث الامة من جديد ، على أساس تعاليم الاسلام ، المعيد عن كل جمود أو جمود . بلغ ذلك الى أسباع دوائر الاستعمار فحكمت في الطريقة التي تحبط بها مساعي الجمعية . وقدر السيد « ميرانت » مدير الشؤون الأهلية بالولاية العامة يومئذ ، أنه ربما استطاع أن يصل الى ذلك بوسائل الاغراء والترغيب .

وهكذا سعى الى احضار الشيخ ووالده في مكتبه . وهو يأمل - ولا شك - أنه سينجح في ابعاد الشيخ عن رئاسة جمعية العلماء ، بالوسيلة التي اختارها . ولذلك فقد عرض على الشيخ أن يختار لنفسه أية وظيفة يرغب فيها : « مفتي أكبر » أو قاضي قضاء » مثلا . على شرط واحد هو : أن يتخلى عن رئاسة جمعية العلماء . مع اضافة مساعدة مالية تمنحها الحكومة لوالده . قصد تحسين أوضاعه العلاجية والاقتصادية .

فماذا كان موقف الشيخ ازاء هذا العرض المغري يا ترى ؟ لقد طلب الشيخ مهلة للتفكير قبل الجواب . وما كان الشيخ - في الواقع - في حاجة الى أي تفكير . ولكنه طلب هذه المهلة من باب الكياسة . وخرج من مكتب السيد ميرانت ، ليحييه كتابة بالرفض لما عرضه عليه .

وهكذا تكون عزة النفس . وكرامة العلم في ذويه . أن التاريخ الاسلامي يحمل على صفحاته الكثير من مثل هذه المواقف الخالدة للعلماء ، الذين آثروا العزة والكرامة ، - حتى مع شظف العيش - على بيع ضمائرهم وكرامتهم ، للملوك والامراء والحكام . بالثمن البهيس . ويكونوا بذلك أسوأ قدوة في الدين والدنيا ، لابناء امتهم .

وصدق الشاعر الذي قال في هذا الموقف :

« عفت الوظيف فما خلقت لئذلة
كان الوظيف على الايبى عصبيا »
« ويقيت موفور الكرامة لم يصيب
خبر الدخيل ولم يرد نصيبا » (٢)

* * *

(٢) ترويق شامخ - مجلة القيس في 26 - 4 - 74

2 - في يوم خامس عشت سنة 1935 ، وقعت حوادث دموية خطيرة بين المسلمين واليهود في قسنطينة . قتل فيها اثنان وعشرون من اليهود . واثنان من المسلمين . وقع هذا بعد ما ذاب اليهود على استفزاز المسلمين ، بتوجيه الشتمات والاهانات الى الدين الاسلامي ، في يومين سابقين . وفي الوقت الذي كان الوضع ينذر بالانفجار الخطير بين الطرفين ، خرج الشيخ بنفسه يجوب الشوارع ، مع بعض النواب المسلمين قصد التهدئة وتجنب الكارثة . وبقي كذلك الى ما بعد منتصف الليل .

موقف بطولي - ولا شك - لم يحش فيه الشيخ رصاص اليهود ، من أجل أن يمنع عن المسلمين ما كان يتشاه من غدر وعدوان ، لا من اليهود ، بل من تدخل الجيش الفرنسي ضد المسلمين .

وحين وقعت الواقعة . وتحركت السلطات الاستعمارية ، لتأخذ بنار اليهود من المسلمين دعا الشيخ جميع النواب والاعيان المسلمين ، الى جمع الصف وتوحيد الكلمة ، بغية الظهور بظهور العري ازاء السلطة . وحضر الوالي العام الى قسنطينة . وكان الشيخ على رأس الوفد الذي قابله في دار العمالة . وتكلم الشيخ في قوة المؤمن ، وشجاعة القوى بقوة الله ، مثبتا حق المسلمين في الدفاع عن أنفسهم ودينهم ، ضد العدوان المتكرر من اليهود عليهم . وتحول الموقف لصالح المسلمين بعد ما كانوا مهددين وهذا بفصل الموقف الشجاع لشيخنا ، وبفضل ما حققه من تكتل النواب والاعيان المسلمين في المدينة .

وعند الصباح يحمد القوم السرى .

* * *

3 - وحلت الذكرى المشؤومة ، ذكرى مرور مائة عام ، على احتلال قسنطينة في شهر سبتمبر 1937 . وآن للمستعمرين أن يقيموا الحفلات الصاخبة بهذه المناسبة ، دون مبالاة بجرح عواطف المسلمين ، وآن للشيخ أن يوجه ضربة من ضرباته القوية المهودة ، الى الدوائر الاستعمارية . وجمع اربع عشرة جمعية اسلامية في المدينة وبعد شرح واف لموضوع الاحتجاج من طرف الشيخ . طلب من الجميع أن يوافقوا على اعلان مقاطعة الحفلات الماثوية الاستعمارية .

ووقعت الموافقة ، واصدر الشيخ منشورا مؤرخا في 1937/9/28 م ، يدعو فيه السكان المسلمين جميعا الى المقاطعة مستحفا - كعادته - بأى خطر يلحقه من الاستعمار ، على هذا التحدى الجريء * ووزع المنشور بصفة واسعة بين الناس * وأحبطت بذلك مساعي المستعمرين ، وسقطت في أيديهم *

ومما جاء في المنشور :

« في مثل هذه الايام . منذ قرن مات أجدادكم المجاهدون المدافعون ، والفرنسيون المهاجمون ، في ميدان البطولة والشرق » *

ويضيف :

« لكن قوما من الانانيين ، الذين يأبون الا أن يكونوا سادة متفوقين ، والا أن يشعروا المسلمين بسلطة الغالبين على المغلوبين ، ارادوا ان يقيموا احتفالات عسكرية بدخلة قسنطينة . تثير العواطف وتمس كرامة الاحياء منا والاموات . وتنافي مبادئ الاخوة والرحمة التي ندعو اليها » *

« يحتفلون احتفالاتهم . ومطالب الشعب الجزائري . بعزلتهم معطلة ، وحقوقه بسعيهم مهملة ، وسوط القوانين الاستثنائية نازل بيدهم على ظهره في كل يوم » الح * *

« فقاطعوا هذه الاحتفالات ولا تشاركوا فيها * * »

* * *

4 - في سبتمبر 1938 ، قامت أزمة سياسية حادة ، بين دول الحلفاء والمانيا الهتليرية وظهرت نذر الحرب مهددة بخطر جارف وأسرعحت بعض الهيئات الجزائرية ، التي تدعى بالطاعة للصيا لفرنسا وتميش على عطفها والتماس رضاها * *

أسرعت بارسال برقيات الولاء وشواهد الاخلاص للحكومة الفرنسية . والحق أن فرنسا ما كان يهمها ولا تلك الهيئات واخلاصها ، لانها واثقة منها سلفا * * ولكن الذي كان يهمها بل ويقض مضجعها ، في مثل هذه الظروف العصيبة هو موقف جمعية العلماء * * فهل ينطق أبو الهول بما يرضى صااسة فرنسا ؟ *

والجواب هو ما يروى فيما يلي :

أوعزت دوائر الحكومة الى من يد نص برقية الولا ، ويتقدم بها الى الجمعية وهي
في اجتماعها السنوي العام بنادى الترقى ، عسى أن توافق على إرسالها ..

وبعد أن دافع أنصار البرقية عن وجهة نظرهم ، ملحين على إبراز الفوائد الجمة
التي تجتنيها الجمعية من إرسال هذه البرقية لفرنسا ..

وبعد أن ناقش الاعضاء هذه القضية - رفض إرسال البرقية بأغلبية ساحقة ..

ولم يقتنع مؤيد البرقية بالنتيجة ، وطلبوا عرض الموضوع على الاجتماع العام ..
وكان ذلك .. ووقف أحدهم - رحمه الله - ويمتهن مهنة محام - ليدافع بكل قواه
عن رأيه ورأى أصحابه .. ولكن بنون جدوى .. ووقف عضو آخر له وزنه في قوة
الاقناع ، وبلاغة التعبير .. وفصاحة اللسان ، ولكن حظه لم يكن أحسن من حظ سابقه ..

والني لأرى يجسي في القاعة أحد الشيوخ المعمرين ، يرفع صوته مستنكرا قسول
المتكلم : « عار عليك يا شيخ » عدة مرات ..

ووقف شيخنا أخيرا ، ليندلي بكلمة الفصل في القضية .. فقال :

« اتنى لا أوافق على إرسال هذه البرقية أبدا ، ولو فطموا رأسي - وأشار بيده الى
عنقه - لأن ذلك يعتبر قبولا مني بتجديد أبناء هذه الامة في الحرب . وكيف أوافق
والوان الاضطهاد ما تزال تنصب على الامة ، وتتناق من دينها ولغتها ، وقوميتها . وأنا
لا أنتظر الا احدي الحسنيين : فاما حياة السعادة ، واما الفوز بالشهادة ..

وضجت القاعة بتصفيق الاستحسان والتأييد ..

ووقف بعد الشيخ ، العضو المتكلم قبله ، ليقول لهُ بالحرف الواحد :

« اذا كنت تحب تروح للسجن .. الناس عندهم وليدات .. »

ويجيب الشيخ بالحرف الواحد :

« اذا كان أنت عندك أولاد .. فانا أعتبر أن أولاد الامة كلهم أولادى .. »

والني لأسجل هذا ، للحقيقة والتاريخ .. سائلا الله الرحمة للمصيب والمخطئ معا ..

* * *

5 - روى في أحد تلامذة الشيخ وخواصه هذه القصة ، التي وقعت بمحضره ، وجاء فيها :

أن هوطفا فرنسيا كبيرا في الاستعمالات ، قام بزياره للشهيد الشيخ العربي التبسي - رحمه الله - محاولا بذلك أن يستدرجه الى بعض التصريحات التي قد تفيد منها فرنسا سياسيا ، فلم يحصل منه على طائل وأحاله على الشيخ ابن باديس ، رئيس الجمعية .

قال الراوي : وكنا جماعة من الخواص مع الشيخ الرئيس ، بمكتبه في دار جمعية التربية والتعليم ، حينما جاء الزائر الفرنسي . وبعد التعارف المعتاد ، أراد هذا الفرنسي - وكان مستعربا - أن يمهّد للموضوع بالحديث عن حضارة الغرب والاسلام في الاندلس ، وكأنه أراد بذلك أن يكتسب ثقة الشيخ به . وقد جازاه في قوله ، وشجعه على تنويه بهذه الحضارة . بيد انه لم يدع الفرصة تمر دون أن يلاحظ لمحدثه أخيرا ، قائلا : بأن هذه اللغة التي حفظت هذا التراث الانساني ، وعبرت عن هذه الحضارة ، وتقلتها الى أوروبا فاستنارت بها في عهودها المظلمة ، قد أصبحت الآن مضطهدة من طرف الادارة الفرنسية في هذه البلاد . وغدا أهلها يلاقون الضغط والارهاق اللوانا وأشكالا .

وبهت الموظف الفرنسي . لأنه ما توقع أن يسمع مثل هذه الصراحة . وحاول أن يخفي تأثير وقع هذه الملاحظة على نفسه بتغيير مجرى الكلام ، فطلب من الشيخ أن ينفرد به لحظة . لأن لديه أمرا هاما يريد أن يلقي به اليه . فما كان من الشيخ الا أن اعتذر عن تلبية طلبه ، مبينا له أن الجالسين معه من خواصه الذين لم يتعود أن يخفي عليهم أي أمر يهم مصلحة الامة ، وأنه لا يعمل وياهم الا في وضع البهار . فاذا كان لديه أي أمر من هذا القبيل ، فليبدل به أمامهم .

فقام الفرنسي الكبير ، متهاككا على نفسه ، فودع وخرج يجر أذيال الحمية والفشل .

* * *

6 - وقص علينا الشيخ قصته - والبشر يفيض على محياه - يوم أوبته من تونس ، حاملا شهادة العالمية ، قال :

حينما ولجت باب الدار، أسرع الى أبى فعانقنى، وقال لامى - فى سرور واحتياج - :
« ها هو قد جاءك علما .. فاطلقت من فيها زغرودة .. ما زلت اتذكرها ، ولن أنساها،
وشمرت من أعماقي منذ ذلك اليوم بمدى عبء المسؤولية التى أحملها على عاتقى بصمتى
علما .. وبما أثرت به فى نفسى تلك المناصب الباقية فى ذاكرتى ما دمت حيا .. »

7 - والآن وجب - من باب الاعتراف بالفضل لذويه - أن نأتى بلمحة وجيزة عن
والد الشيخ ، السيد مصطفى بن باديس ، طبقا لما اعرف عنه شخصا من كريم الاخلاق .
فقد كان - رحمه الله - من ذوى الفضل والمروءة ، والحفاظ على شعائر الدين ،
والغيرة عليه . كان يحفظ القرآن ويتعبد بتلاوته ، وخاصة فى شهر رمضان . وقد
أضى ليالى شهر الصيام كلها . سنة 1351هـ ، يقيم صلاة التراويح فى مسجد سيدي
قوش ، الذى بناه على نفقته . وحيث كلفت من طرف الشيخ ، بإمامة المصلين فى صلاة
التراويح أثناء ذلك الشهر .. »

كما أنه خصص مصلما لتعليم القرآن الكريم فى ذلك المسجد ، على نفقته . وليس
صحيحا ما قيل عنه ، أنه كان غير راض عن نشاط ابنه العلمى والدينى . ودليل ذلك
أنه هو الذى سعى لدى الحكومة ، من أجل الاذن له بالتدريس فى الجامع الاخضر . بعد
أن سمى المفتى ابن الموهوب لمنعه من التدريس فى الجامع الكبير .. (1)

لقد وجه والد الشيخ ابنه - وهو بكره - الى قراءة كتاب الله ، منذ أول طفولته ،
ونعومة أطفاره - ولم يوله شطر لمدرسة الفرنسية ، التى لم يقب عنه ما كان يمكن
أن تؤهله له من مناصب عالية ، مثل أقرانه من أبناء الاسر القسنطينية .

وقد اتنى الشيخ على أبيه عاطر الشاء ، فى كلمته التى أجاب بها على كلمات
الخطباء ، وقصائد لشعراء ، فى حفل التكريم الذى اقيم له بمناسبة ختمه درس
التفسير ، حينما كان يذكر بالخير والفضل جميع الذين أفروا فى حياته وعملوا على
تكوينه - والذين آزروه فى جهاده من اخوانه العلماء .. وقال بخصوص والده :

« ان الفضل لاول يرجع الى والدى الذى وبانى تربية صالحة ، ورجهنى وجهة
رشيدة . ورضى لى العلم طريقة ، تبعها ، ومشربا أردته وقاننى وأعاشنى ورائى كالمهم

(1) ص 4 ج 4 - م 1357/14 هـ

وراشني . وحماني من المكاد صغيرا وكبيرا . فلاشكرنه بلساني ولسانكم , ولاكل
ما عجزت عنه لله الذي لا يقصير أجر العاملين * * (2)

والحقيقة التي يجب أن يقال هي : أن شيخنا عبد الحميد ما هو الا نفسه وبانية
نفع الله بها هذا الوالد الطيب الذكر . فوهبها لهذه الامة المسلمة , ليحيى تراثها
الجيد , وحضارتها الاسلامية العظيمة * *

فلو أنه وجه في بداية تعلمه في اتجاه المدوسة الفرنسية - لا قدر الله - لضاع
على بلاد العروبة والاسلام خير كثير * *

* * *

والآن ما بقي على الا أن أختتم هذه اللمحات بالإشارة الى ما كان يتصف به الشيخ
من زهد وتقشف , وعزوف عن زخرف الحياة ومتاعها * * لينقطع لخدمة العلم والدين
والسوطن *

فقد كان يكتفي من الطعام بالقليل , الذي يمسك عليه حشاشة الروح * وكثيرا
ما تكون وجبة غدائه الحبز والذبن , اللذين آتاه بهماليه من السوق . أو يؤتي له أحيانا
بقدر من الكسكس مع اللبن من در أبيه * وفي عدة مناسبات , كنا ندعى معه من طرف
بعض محبيه وأنصاره * -حين توضع المائدة أمامنا , يسأل صاحب الدعوة عما إذا كان
يوجد كسكس * فإذا كان موجودا فلا يزيد عليه * وإذا لم يوجد فلا يتناول الا من
طعام واحد , دون تعدد * *

وكان في فصل الشتاء يتخذ كل لباسه من الصوف , ما عدا القميص , وهو
حريص على استعمال كل ما هو من إنتاج وطني في جميع شؤون حياته * * ليكون قدرة
حسنة لغيره * *

رضي الله عن هذا الامام المجاهد بعلمه وعمله *

فقد كان شجاعا لا يخشى في الحق لومة لائم •
وكان معلما ومرييا ، كون الرجال ، وصنع الاطفال •
وكان عابدا متتمكا • عزف عن ديناه ، ورغب فيما عند الله •
« وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » • •





تأسيس شركة بكري وبوجناح ودورها في عهد الباين مسن ومطفي باشا

د. العربي الزبيري

كلية الآداب - جامعة الجزائر

إن المصادر لا تتفق حول تاريخ إنشاء هذه الشركة ولكننا نرجح أن تكون قد تأسست رسمياً سنة ثلاث وتسعين وسبعمئة ألف عندما طلبت منهم فرنسا أن يزودوها بالحبوب لمدة خمس سنوات متتالية⁽¹⁾ ولنا على ما نقول حجة فيما أورده السيدان روزي وكارات من أن حكومة الإدارة حصلت في سنة أربع وتسعين وسبعمئة ألف على قرض من الجزائر قدره خمسة ملايين من الفرنكات ، وقد تم لها ذلك بواسطة شركة يهودية كان يسيرها الاخوان بكري ، وبوجناح .⁽²⁾

(1) - Pelissier, *Aperçu historique...* p. 299

(2) - Rozet et Carotte - p. 253

وعندما أنشئت ، كان الراى حسن قد تولى الحكم فى الايالة (3) وترى بعض المصادر أنه قد عين الى جانبى تفتالى مستشارا يحظى لديه بكل سطوة وسلطان . (4) وعرف هذا الاخير كيف يسفد من منصبه المؤثر ليضع للشركة الجديدة اسسا متينة فى مختلف أنحاء البلاد وفى خارجها . ومن جملة ما قام به فى هذا الصدد شفاعته فى مصطفى الوزناجى باى التيطرى . وصيانه من الموت سنة اثنتين وتسعين وسبعائة وألف ، ثم تقديم يد المساعدة له واقراضه مبلغا كبيرا ، من المال حينما كان الجيـح يعتقدون بأن الموت هو مصيره الحتمى . وبعد ذلك قدمه الى الداى فى صورة جديدة والتسـله العفو فحصل عليه . وعيه فى العام التالى قائدا على ناحية سيبار (5) . وفى سنة أربع وتسعين وسبعائة وألف استطاع أن يرفعه من حديد الى رتبة الباي على رأس مقاطعة الشرق الجزائرى خلفا لحسين بوحـر (X) . وبـدئى أن الوزناجى بعد هذه الخدمات كلها ، أصبح يدين بالولاء المطلق لولـى تعنته بوحناح . وعليه ، فمجرد ما وصل الى عاصمته الجديدة بدأ يسـى الى المؤسسات الفرنسية . وفتح جميع الابواب للشركة اليهودية الى درجة أنها استحوذت . فى تلك السنة على جميع كميات الحبوب والجلود والاصواف والشموع التى دخلت الى أسواق شرق الايالة (2) .

وامثال الوزناجى كثيرون من الضباط والاعيان الذين كان بوحناح يعينهم أو يوصى بتعيينهم فى مناصب حساسة تجعله يصرف فى جميع انواع التجارة لا يحشى فى ذلك منافسا (3) .

أما خارج الايالة . فان الشركة قد فرضت نفسها فى كثير من البلدان الاوربية . وعينت ممثلين لمصلحتها فى أهم موانى البحر الابيض المتوسط . وإنما توصلت الى ذلك بفضل ما كان لبوحناح من تأثير كبير على الداى وأعوانه . فلقد كان يتفاوض باسم الجزائر ، مع ممثلى تلك الدول : يسالم من شاء ويعلم الحرب ضد من أراد محاربة نفوذه التجارى (4) . كما أنه كان يتعامل مباشرة مع جميع قناصل البلدان الاجنبية ويغنى دائما بما يعد (5) . وإلى جانب ذلك استطاع (X) أن يرتشوا شخصيات فرنسية

(3) انظر العمل المدون

(4) - Esquer, *La prise d'Alger*, p. 19

(5) - Mercier, *Histoire de l'Afrique Septentrionale*, T. III, p. 440

(5) - Dupuy, *Américains et Barbaresques* - 1176 1824, Paris 1910, p. 85
Plantet, *Correspondance des Deys d'Alger*, T. II, p. 453

(1) - Emerit, *Essai d'une marine* "... p. 369

كبيرة من جعلتها وزير الخارجية السيد تاليران وعددا من المسؤولين عن المواقف التجارية في باريس (2) الامور التي جعلت الشركة تسيطر على أهم اسواق الجمهورية في ذلك الحين ، وفي نفس الوقت دفع البريطانيين الى العمل على التقرب من هذه القوة الجديدة لعلهم يستطيعون استعمالها لتحقيق ما عجزوا عن التوصل اليه بوسائل أخرى ، أى الى اخراج فرنسا من شمال افريقيا ، واخذ الامتيازات لانفسهم ، ولأجل ذلك فتحوا مضيق جبل طارق الى السفن اليهودية التي تريد السخول الى المحيط الاطلسي (3) .

وللمحافظة على هذه السلطة التي لم يسبق لاحد ، في تاريخ الجزائر ، أن حصل عليها ولابقاء التجارة في حوض البحر الابيض المتوسط خاضعة لها ، كانت الشركة تقدم لسيوان خدمات جليلة في ميدان المحابرات ، وذلك بفضل ما يرسله ممثلوها في الخارج من معلومات لها محاسن بسؤن الايالة أو غيرها من البلدان الاسلامية (4) .

وبهذه الكيفية أصبحت التجارة في عهد هذين الدايين أكثر من أى وقت مضى بين أيدي اليهود وفي خدمة مصالحهم بالدرجة الاولى ، والسبب في ذلك أنهم عرفوا كيف يستفيدون من الحلفاء الدولية ، واستطاعوا أن يكسبوا الى جانبهم عددا من الشخصيات ذات الوزن الثقيل سواء بواسطة الرشوة أو بتقديم مختلف الخدمات . وبالإضافة الى ذلك ، فإنهم كانوا ماهرين في تسويق أسوء البضائع ومخادعة رجال الجمارك مهما كانت بقلتهم على عكس المسلمين الذين كانوا مشهورين بصدقهم وأمانتهم في ميدان التجارة (5) .

وعلى أية حال ، فإن الشركة قد بدأت تصدر منتوجات البقر الجزائرى الى ميناء مرسيليا سنة ثلاث وتسعين وسبعائة وألف مستعملة في ذلك مينائى عناية وستورة على الرغم من احتجاجات مديرية الشركة المنكبة الافريقية (2) التي كانت تملك الامتيازات آنذاك .

ومما ساعد هذه الشركة الجديدة على النجاح في عملياتها الاولى مع فرنسا ، وبالإضافة الى ما أسلفنا من أسباب عامة ، أن اليهود كانوا يجيدون اللغة العربية

(2) - Masson, *Marseille depuis 1789* - p. 539 (3) Degrammont - p. 351

(2) - Fillins "L'Algérie ancienne et moderne" - p. 48

ويعرفون كما ينبغي عادات الجزائريين وأخلاقهم . وعليه كانوا يخرجون بأنفسهم الى مختلف أنحاء المقاطعة ويشترى ما يريدون ثم يحملون بضائعهم على متن سفن اجنبية يحمونها بالراية الجزائرية بينما كان يمثلوا الشركة الفرنسية لا يعادرون مؤسساتهم خوفا من التعرض لهجمات السكان . كما أنهم كانوا ينقلون حمولاتهم على متن السفن الفرنسية التي كثيرا ما كانت تتعرض لحجر البريطانيين والاسبانيين أو المهاجرين الفرنسيين كما سبق أن اشرنا الى ذلك . وفي بعض الاحيان كان الفرنسيون يلجأون الى بركي وبوجناح يوصلون لهم بضائعهم الى الموانئ الايطالية . ومنها تحمل برا الى فرنسا .

وعلى الرغم من أن المصادر تذكر بأن الشركة صدرت الى فرنسا في تلك السنة وحدها ما تزيد قيمته عن مليونين من الفرنكات (1) ، فان سنة أربع وتسعين وسبعائة وألف هي التي تمكن فيها اليهود من الحصول على جميع الاحتكارات التجارية في الشرق الجزائري ، والاسباب في ذلك هي :

- ان مجلس ادارة الشركة الملكية الافريقية اعلن يوم 17 / 1 / 1794 أنه يحل الهيئة التي يشرف عليها ويتنازل للامة عن جميع الامتيازات ، وعلى اثر هذا القرار طل الميدان خاليا ليوجناح وشركائه ، خاصة وأن الوكالة التي خلعت الشركة لم تشرع في العمل الا بعد التاريخ المذكور بشهرين كاملين ، وقد وجدت نفسها ، منذ البداية امام صعوبات وعراقيل كثيرة أهمها عدم توفر رؤوس الاموال ، وانعدام وسائل النقل مما جعل حكومة الجمهورية الحامية خزانها تطلب من السيد كيباز حاكم القالة ، في ذلك الحين . أن يتعامل معهم فيما يتعلق ببراء الجبوب أو نقلها الى مرسيليا . ووجدت الشركة اليهودية في النقل وسيلة أخرى لتحقيق الأرباح فصارت تستأجر السفن الاجنبية ، وتزودها بجوازات سفر جزائرية ثم تكتريها للفرنسيين . (2)

- ان ممثل الشركة اليهودية في مرسيليا عرف كيف يتصن بالمسؤولين الفرنسيين ويكسب قوتهم الى درجة أنهم صاروا يتجهون اليه بدلا من وكالتهم الرسمية لاستيراد معظم ما يحتاجونه من مواد غذائية أو صناعية .

(1) - Msssm "Concessions..." , p. 59

(2) - AOMA, S/S 3 B n° 1044

- ان الورتاجي الذي عين على رأس البايك في تلك السنة كان قد اتخذ مسن بوجناح مستشاره الاول ، لا يعمل شيئا الا بأمره - ومعلوم أن أمره لا يكون في غير صالح الشركة .

وعلى هذا الاساس ، تصاعف نشاط الشركة وامتد تحت رعاية سلطات الجمهورية وحمايتها وصار هؤلاء اليهود ، من جهة أخرى ، يرسلون شحنات متعددة من الحبوب خاصة الى كل من ماهون وليفرنة أو مالطة .

وفي سنة خمس وتسعين وسبعائة واثم أبرمت مصالح التموين في باريس اتفاقية مع ممثلي بكري وبوجناح لتزويدها بمائتي ألف حمولة من القمح نصفها على سعر مائة فرنك للحمولة الواحدة ، ونصفها الآخر على سعر مائة وعشرين وينص الاتفاق على أن يكون دفع الثمن نقد (x) . والقريب في الامر أن الوكالة الافريقية كانت في تلك الاثناء ، ترسل كميات من نفس القمح تشتريها بخمس وعشرين فرنكا للطنن الواحد (x) ، أي بحوالي ثلاثين فرنكا للحمولة .

وامام هذه الانتصارات الباهرة التي أحرزتها شركة بكري وبوجناح في شرق الايالة وفي فرنسا نفسها ، اضطرت الوكالة الافريقية الى التنازل عن حقوقها والانسحاب من مينائي جيجل والقل في شهر أكتوبر سنة خمس وتسعين وسبعائة والـ (3) . ثم اعترفت رسميا باليهود وصارت بدورها تلجأ اليهم في القيام بسائر أنواع نشاطها وخاصة كراء السفن الاجنبية ومرافقتها الى مقاصدها لكي لا تتعرض للهجز .

ولم يرض يعقوب بهذه النتيجة . فذهب الى باريس حيث تقاهم مع تاليران على ارسال أكبر كمية ممكنة من الحبوب الى حيوش بونبرت في إيطاليا . وبهذا الصدد يذكر روزي وكارات أن اليهود « عندما انتهوا من عملية التزويد سنة ست وتسعين وسبعائة والـ طالبوا بدفع الاثمان ، ولكن الحزبية كانت خاوية ولذلك أعطى لهم بيان رسمي يحدد المبالغ المترتبة في ذمة الدولة الفرنسية (1) ثم حاول المسؤولون الفرنسيون أن يسحبوا البيان بحجة أن هؤلاء اليهود كانوا ، في نفس الوقت ، يزودون الحماية الانكليزية المرابطة في جبل طارق والتي تعتبر خطرا كبيرا بالنسبة لنفوذ بلادهم في

(1) - Masson "Concessions..." - p. 57

(1) - Rozet et Carette - p. 253

(2) نفس المصدر ص 58

(3) انظر الفصل الخامس بالمؤسسات الادبية

حوض البحر الابيض المتوسط . غير أن الداي تدخل مرة أخرى وكتب الى حكومة الادارة رسالة حملها سمون بوقية . فند فيها جميع الاتهامات . وأكد اخلاص اليهوديين للامة الفرنسية (2) .

وعندما قام بونبرت بحملة على مصر سنة ثمان وتسعين وسبعائة وألف . طلب وزير خارجيته السيد تاليران من يكرى أن يزود الجيش الفرنسي بكميات كبيرة من القمح . تحصل في مراكب جزائرية لئلا تتعرض لهجومات الانكليز (3)

وأكثر من ذلك . فإن الشركة اليهودية تمهدت ووفت بإرسال شحنات من العتاد الحربي الى تونس الحبيب . كما أنها حملت الى مصر . بطلب من قائد الحملة ذاته . مينيوني زجاجة خمر وكميت من الاقمشة والادوية والزيت وغيرها من المواد التي يحتاج لها الأجناد عادة أثناء الحروب (4) .

وما من شك أن هذه العمليات الاخيرة قد تجاوزت كل اطار تجارى ولاجل ذلك طلبت انكثرتا من الباب العالي أن يأمر بطرد جميع اليهود من ممتلكاته (2) ولكن مصطفى باشا الذي تولى الحكم على اثر وفاة بابا احسن يوم 9 ماي سنة ثمان وتسعين وسبعائة وألف . كان صديقا لبوجناح . تربط بينهما مصالح شخصية متعددة . ولذلك أغضض عييه ولم يعط للأمر اهتماما (3) .

وأكثر من ذلك أنه عندما انتزع المؤسسات من الفرنسيين . وضعها تحت تصرف الشركة اليهودية تستغلها كيفما شاءت بدون مقابل اللهم إلا اذا كانت هناك اتفاقات سرية بين الداي وأصحاب الشركة . وفي سنة ثمان مائة وألف أصدر الداي قرارا يقضى بتعيين نفتالي رئيسا للحالية اليهودية بدلا من ابراهيم بوشارة (4) .

واذا كانت القطيعة بين الجزائر وفرنسا . قد سمحت لشركة يكرى وبوجباخ بأن تستحوذ بكل سهولة على التجارة الخارجية في شرق الايالة على حساب الوكالة . وأن تضاعف نشاطها بحيث أنها صدرت أكبر كمية من الحبوب والمواد الاخرى . فإن خزيئة

(2) - Genty "De l'Etablissement des Français dans la Régence"

(1) - Julien "Maroc et la question d'Alger"

(3) إيرتس . المجلة الافريقية ص 375

(2) إيرتس . نفس المصدر

(3) دوكزون . ص 355

(4) إيرتس نفس المصدر ص 374

الدولة الفرنسية لم تتحسن ، ولم يكن في قدرة السلطات المختصة أن تدفع ، تقديرا ، قيمة كل ما وصل الى ميناء مرسيليا . ولأجل ذلك تجمع عند ادارة الشركة اليهودية عدد من السدات تمثل أكبر من 151,000 . 8 فرنك (1) .

ولجمع هذه الديون كلها ، فكر نمتان في ضرورة العمل على تحقيق السلم بين البلدين وذلك ليتسنى له أن يستعمل الداي في المطالبة بحقوق الشركة . ولقد توصل الى ذلك ، وحصل على ما يريد عندهما وقع الجانبان يوم 17 أكتوبر سنة 1801 على معاهدة صلح جا . في بعدها الثالث عشر أن المواطن دوبر تانفيل يتعهد باسم الحكومة الفرنسية بدفع المبالغ التي يطالب بها الرعايا الجزائريون بصفة شرعية . ولكن الفرنسيين لم يكونوا يعتبرون الديون كلها قانونية لأن الشحنات الأخيرة التي وصلت « كانت من القمح الفاسد الذي لا يمكن استهلاكه » (2) ومع ذلك قرر بونبرت عدم إثارة سخط اليهوديين ، والاستمرار في مباطلتها للتمسك من استعمالها خاصة وأن الوكالة الفيت نهائيا بقرار صدر في السابع عشر من شهر جاعى سنة 1801 (3) ، وأن المسؤولين القداما عن الشركة الملكية الافريقية رفضوا الاستجابة للقصل الاول الذي حاهم الى استئناف نشاطهم في موانئ الشرق الجزائري . ولقد سبق أن رأينا أسباب هذا الرفض الذي كان ضربة قاضية بالنسبة للامتيازات الفرنسية (4) وفرصة أخرى اغتنمها الاخوان بكري وبوجناح لمواصلة احتكار العمليات التجارية هناك وتحقيق مزيدا من الأرباح .

وعلى الرغم من أن السلطات الفرنسية حاولت تنظيم المؤسسات الافريقية فانها لم تنجح في انشاء شركة جديدة تقصى على الفوضى ، وتعيد الحيوية للعلاقات التجارية بين شرق الايالة ومرسيليا . ومما لا ريب فيه أن السبب الرئيسي في ذلك يعود الى مناورات اليهود الذين استطاعوا أن يستولوا فعليا على المؤسسات مضيفين الى نشاطها الاساسي المتمثل في تجارة الحبوب والصوف والشموع والجلود والزيت . نشاطا آخر

(1) إيسكر ، ص 58

(3) انظر الجزء الخاص بفترة الفوضى الاولى من فصل الهيئات الاجنبية

(4) نفس المصدر

(2) - Fillias "L'Algérie ancienne et moderne" - p 46

يتعلق باستغلال غابات الكرمة في نواحي بجاية . حصلوا عليه من الداي مصطفى مقابل ضريبة مرتفعة جدا (1) . ويستخرج من هذه الغابات جميع أنواع الأخشاب الضرورية لصناعة السفن الحربية والتجارية .

وفي سنة خمس وثمانمائة وألب وقعت مجاعة كبرى في البلاد . وبدا من أن تقوم شركة بكري وبوحنا بمساعدة السلطات لتوفير الاغذية للسكان . كانت تجلب الحبوب من مختلف أنحاء الإيالة ثم ترسلها الى فرنسا مما أثار غضب الميليشيا التي كانت متذمرة من تصرفات هؤلاء اليهود الذين أكثروا من التدخل فيما لا يعنيههم . ومن استغلال نفوذهم الذي لا يعرف حدودا للاستيلاء على كل من يرفض التعاون معهم . وتجسم هذا الغضب في مبادرة قام بها أحد الميليبيين يدعى يحيى عند ما خرج الى نهج باب الوادي وأطلق رصاصا بندقيتها على نفثا لأرداه قتيلا صباح اليوم الثامن والعشرين من شهر جوان من نفس السنة على الساعة السابعة (2) .

ويعتبر اعدام نفثا هذا أولى ضربة قاسية توجه للشركة اليهودية . ذلك أن الميليشيا كلها والسكان وقفوا الى جانب القاتل وضيقوا الحناق على مصطفى باشا الذي وعد بطرد جميع اليهود من الجزائر للتخفيف من حدة التوتر .

وعلى الرغم من الشروع في انجاز الوعد بترحيل حوالي ثلاثمائة أسرة الى كل من تونس وليفرن (1) . وحجز سائر ممتلكات بوحنا الذي كان مدينا للخرية الإيالة بمبلغ قدره مليونين من الفرنكات . فإن الميليشيا قد ألقت القبض على الداي مصطفى وقتلته ثم حادت في مكانه بأحمد بن علي (2) في اليوم الأخير من شهر أوت سنة 1805 .

(1) إيزنبيث ، نفس المصدر

(2) هو أحمد غوية الذي جابه تمرد ابن الأعرش وأحمد تمردات أخرى في تلمسان وتيارت كما أنه حارب إيالة تونس ومات في إحدى المراكمة سنة 1806

(1) - Feraud, Histoire des villes de la province de Constantine Bougie, Constantine 1869, p.210

(2) - Degrament, p. 361 et Essenbeth, "Les Juifs en Algérie" - p. 17

رحالة مصري

يزور الجزائر في القرن التاسع

محمود بوعباد
مدير المكتبة الوطنية

من المعروف ان الرحلات من الانواع الادبية التي
اخص بها الادب العربي القديم . وقد اشتهر المغاربة
والاندلسيون من بين العرب بالعدد الضخم من الرحلات
التي خلفوها وكذلك بجودة اكثرها وقيمتها التوثيقية في
ميادين مختلفة . وقد كثر عدد الرحالة المغاربة نحو
الشرق لانهم كانوا يرحلون الى المشرق الاسلامي لقضاء
فريضة الحج قبل كل شيء وللاستقاء من منابع العلوم
الدينية والعلوم المخلفة الاخرى والاداب وذلك في

البقاع المقدسة والعواصم والمراكز الثقافية التي احتضنت اشهر الفلاسفة والعلماء
وابلغ الكتاب والادباء .

غير ان القرن التاسع فاجانا برحلة مصري اخذ الوجهة المعاكسة لرحالة المغرب والاندلس
فتوجه نحو غرب العالم الاسلامي، وروى لنا بشكل شيق ما جرى له في اثناء سفره .

صاحب الرحلة

ولد عبد الباسط بن خليل بملطية بالشام حيث نشأ وقد أخذ العلم نأدى ذى بدء بمشق وحلب على علماء إجلال ، ثم ارتحل الى القاهرة حيث واصل دراسته وشمل تكويته العلمى علوم شتى من فقه ، ولغة ، وبيان ، ومنطق ، وحكمة الخ ... وقد اشتهر من بين علماء عصره باطلاعه الواسع فى الفقه الحنفى . والآداب ، وقد كان طلب الطب حافزه الى مفادرة مصر ووطنه الجديد والرحيل الى العرب يطوف فى أقطاره . وكان أطباء المغرب يتمتعون آنذاك بشهرة كبيرة فى المشرق الاسلامى .

وجاب عبد الباسط القطر التونسى الحال والجزائر الحالية والاندلس أو على الاصح ، ما يقى من الجزيرة فى أيدي المسلمين على عهد المؤلف طالبا للعلم وتاجرا أيضا وذلك مدة أربع سنوات فيما بين سنة 866 هـ / 1462 م . وسنة 871 هـ / 1466 م . وعلق السخاوى على هذه الرحلة الطويلة فقال :

« ودخل المغرب فأخذ دروسا فى النحو والكلام والطب بل اتقنه بخصوصه مع جماعة » (1) .

ولم يكتف عبد الباسط بالتجارة وطلب الطب بل اصيل حيثما حل بمعاصره من العلماء والإدياء والموظفين ، وأحيانا بأمرء الاقطار التى زارها . ويقول كراتشوفسكى عن باقى حياة عبد الباسط :

« قد عمر عبد الباسط طويلا وتوفى قبل وقت قصير من فتح العشانيين لمصر ، وذلك فى عام 920 هـ / 1514 م . مسمعا بتقدير الجميع له ، كفقهاء الحنفية ، وسمعة واسعة كخبير فى الطب » (2) .

وخلف عبد الباسط آثارا فكرية عديدة . قال السخاوى عنها :

« وألف ونظم ونثر وأقبل على التاريخ ، واستمد فيه منى كثيرا » (3) - ومن مؤلفاته : - الروض الباسم فى حوادث مصر والتراحم ، وهو تاريخه الكبير ولم يبق

(1) الضوء اللامع ، ج 4 ص 27

(2) تاريخ الادب الجغرافى العربى ، ص 447 .

(3) الضوء اللامع ، ج 4 ص 27 .

منه الا قسمان ما يزالان مخطوطين الا ما نشر منه المستشرق الايطالى ليقى ديلا فيدا (4) والمستشرق الفرنسى روبرت برانشفيك (5) .

« نيل الامل فى ذيل الدول » .

جعله ديلا لكتاب دول الاسلام لنذهبي وهو مخطوط .

« الجمع المقتنى بالمعجم المعنون » وهو كتاب فى التراجم ، مخطوط .

« غاية السؤل فى سيرة الرسول » .

وقد ذكر الزركلى فى الاعلام انه مطبوع (8) .

« نزهة الاساطين فىين ولى مصر من السلاطين » وهو مخطوط .

« والقول المانوس فى تحرير ما فى القاموس » ، وهو مخطوط 0

وكتب أخرى منها شروح فى فقه الحنفية حسبما ذكر الزركلى (6) .

وقال عبد الباسط الشعر ، وقد روى بعض فتاحه فى الروض الباسم . ومن جملة ما ذكر بيتان من نصيدة مدح بها الملك الزياني محمد المتوكل (7) الذي زار فى عهده العرب الاوسط .

محتوى الكتاب :

كتاب « الروض الباسم » كتاب تاريخي ، ذكر فيه عبد الباسط احداث العالم الاسلامي وعلى الخصوص احداث مصر والشام ، مدونة على ترتيب السنين المعروف عند قدماء المؤرخين . وقد نهج فى كتابه منهج كتاب « انبا ، الفخر فى ابنا ، العمر » لابن حجر العسقلاني وكتاب « السلوك فى معرفة دول الملوك » للمقريزى ، وهدف عبد الباسط الى ان يجعل من الروض الباسم ديلا لهذين الكتابين اذ شرع حسبما ذكر ليفى ديلاقيدا فى تسجيل الاحداث فى الفترة التي توقف عندها المقريزى (8) وابن حجر عن التدوين .

(6) الاعلام ، ج 4 ، ص 43 .

(7) برانشفيك ، ص 49 . والمتوكل هو محمد بن ابي ثابت المتوكل على الله ملك من ملوك بني زيان فى تلسان ، تولى الحكم من سنة 866 هـ / 1462 م الى سنة 873 هـ / 1468 م .

(8) ينتهى « اخبار السلوك فى معرفة دول الملوك » فى سنة 840 هـ / 1436 م .

وواصل سرد الاخبار الى سنة 874 هـ/ 1369 م . حسب ما انتهى اليها من الكتاب ،
واضاف الى احداث كل سنة وفيات أشهر العلماء والشخصيات التي وقعت في اثناها .

وضمن الكتاب حديث رحلته الى المغرب التي دامت كما ذكرنا قبل قليل ، أربع
سنوات . وقد نزل عبد الباسط بتونس يوم 22 من ذى القعدة سنة 866 هـ/ 1462 م .
ثم زار تباعا مدينة قابس ، فالقيروان ، فباجة ، فمنايا ، فقسطنطينية ، فبجاية ، فالجزائر
فمازونة ، ودخل تلمسان في ذى القعدة من سنة 868 هـ/ 1363 م ، بعد سنتين من
نزوله بتونس ، وأقام بمملكة بني عبد الواد عاما كاملا قضى اكثره بتلمسان ، والباقي
بوهران . ولم تمكنه الاضطرابات الواقعة حينذاك بالمغرب الاقصى من زيارة مملكة
بني مرين غير ان ذلك لم يمنعه من ذكر الاحداث الجارية في ذلك القطر بالتفصيل .

وبعد هذه الإقامة الطويلة بمملكة بني عبد الواد ، غادر عبد الباسط المغرب الاوسط
متوجها الى الاندلس ، فركب البحر من وهران في 15 من ربيع الثاني سنة 870 هـ/ 1465 م
وزار في مدة شهرين ونصف غرناطة ، فماسة ثم قفل راجعا الى وهران ، فأقام بها مدة
ثمانية شهور ، من أول رجب 870 هـ/ 1466 م . الى 15 ربيع الاول 871 هـ/ 1466 م .
وهو تاريخ ركوبه البحر ليعود الى بلاده مارا ببجاية ، وتونس ، وطرابلس الغرب .

ولم يدون المؤلف أخبار رحلته المغربية على حدة في « الروض الباسم » بل ذكرها
مع غيرها من الاحداث التاريخية الجارية بالشرق والمغرب في السنة التي وقعت فيها .
غير أنه من الممكن ان تجعل من مجموع مشاهداته ، كتابا مستقلا بل رحلة متمسكة
لو فصلناها عن باقي الاحداث المذكورة بالروض . وهذا ما فعله أولا المستشرق الايطالي
« ليفي ديلافيدا » بالقسم الخامس بالاندلس ، وحلوا حلوه ثمليه العرسي « وروبرت
برانشفيك » بالقسم الخامس شمال افريقيا ما عدا طرابلس ، وألف ما اقتطفه برانشفيك
رحلة تامة الى اقطار المغرب الاسلامي . وتمتاز هذه الرحلة بكونها تختلف عمن بعض
نظراتها من الرحلات التي اقتصر فيها أصحابها على وصف البلدان التي زاروها ، وذكر
الرجال الذين اجتمعوا بهم وهكذا ، بل ان عبد الباسط قد عني عناية خاصة بالاحداث
السياسية الجارية في البلدان التي أقام بها في اثنا رحلته ، وبالعلاقات الدول المغربية
بعضها ببعض . فاول حادث ذكره عن القطر التونسي فور حلوله به خير سياسي ، فقال

« ووجدنا صاحب تونس وسلطانها المتوكل على الله عثمان خارجا عنها أخذا الخ ١٠٠٠ » ٩٤ . وقد اعتنى المؤلف طوال رحلته بجمع مثل هذه الاخبار ، وأعار اهتماما خاصا للعلاقات بين الدولة الحفصية والدولة الزيانية ، واهتم أيضا كما اشرنا سابقا بالاحداث الجارية بالمغرب الأقصى ابان اقامته بمسكة بني زيان . وروى بالتدقيق قصة اهل نجم دولة بني مرين وتورة أبناء عمومته من بني وطاس . واعتلهم عرش قاس والمغرب الأقصى مكانهم .

ويطبيعة الحال لم يكتف عبد الباسط بسرد الوقائع السياسية بل وصف أيضا المدن التي مر بها مثلما يفعل الرحالة . غير انه لم يصعها كلها . كما وصف أيضا منتزهات وولانم دعى اليها ، وذكر من لقي من علماء ، وأدباء ، وأمراء وموظفين في المدن التي زارها . وذكر مؤلف « الروض » احداثا يومية حدثت اثناء مقامه بالقرى والبلدان . سجلها كما يسجلها محرر اليوميات - ومن جعلتها احداث وقعت له كولادة بنت له . أو أصابته بمرض . أو دخول سارق عليه ببيته وهكذا . كما اضاف لكل ذلك . بعض النوادر والعرائف التي وقعت بالبلدان التي أقام بها . وروى بين الحين والآخر بعض الابيات الشعرية قالها في مناسبات مختلفة .

والكتاب كله مكتوب بأسلوب بسيط لا زخرفة فيه ولا تنميق .

ولم يبلغنا من الروض الياسم الا قسمان ما يزالان مخطوطين محفوظين بمكتبة الفاتيكان بإيطاليا ، ولم تشر منهما الامتقطعات نشرها كما سبق لنا ذكره ، المستشرق الايطالي ليبي ديلافيا و المستشرق الفرنسي روبرت برانشفيك . وذكر هذان الباحثان ، وذكر بعدهما الاستاذ عبد اله عنان (١٥) ، ان المخطوط رقم 728 يصل الى سنة 850هـ/1466 فقط . أما الثاني فيشمل الاحداث الجارية قبما بين سنة 865هـ/1460 - 61م وسنة 871 هـ/1466 م . وذكر برانشفيك ان عبد الباسط قد دون اخبار رحلته عبد الباسط الى المغرب التي جرت كما ذكرنا سابقا . فيما بين سنة 866 هـ - 1462 م . و سنة 871 هـ - 1466 . وذكر برانشفيك ان عبد الباسط قد دون اخبار رحلته

(٩) برانشفيك ، ص ١7 .

(١٥) عنان (محمد عبد الله) - رواية معربة عن المغرب والاندلس : في مجلة معهد الدراسات الاسلامية بـطربيد ، 1970 ، ص 95 - 111 .

المغربية في كتابه الآخر « بيل الامل في ذيل الدول » . وتمكن المستشرق الفرنسي من مطالعة الكتاب المخطوط المحفوظ بمكتبة الجوليان باوكسفورد ببريطانيا . وقال ان اخبار المغرب كباقي الاخبار قد اختصرت اختصارا كبيرا « بالليل » الذي ألفه عبد الباسط بعد « لروض الباسم » وقد أحال المؤلف في « النيل » على « الروض » من أراد المزيد من المعلومات سواء الاحداث المشرقية أو الاحداث المغربية (IX) .

عبد الباسط في الجزائر :

ان أول مدينة زارها المؤرخ المصري بعد مغادرته أراضي تونس الحالية حيث نزل هي قسنطينة ، وقد دخلها في شوال من سنة 868هـ فقال عنها :

« رأيت مدينة عجيبة الموضوع ، حسنة المجموع ، على جبل عال ، وتحته واد عظيم كثير الحصب والجنة والبساتين ذات الاشجار ذوى الثمار المتنوعة ، وبها لنعم والخبرات والرخاء للعالم ، وأعجبتني الى الغاية ورأيت ابنيتها وهي حلبة فائقة وأقننا بها ثلاث أيام ثم سرنا في رابعها الى جهة تلمسان » - (12)

ثم دخل الرحالة المصري بجاية حيث اجتمع بالعالم ، بنى القاسم محمد المشدالي وبعدها الى الجزائر ومأقال عنها :

« وتبركت بسيدنا الشيخ الولي العالم العلامة الشهير الخطير الكبير سيدي عبد الرحمان الثعالبي وصيحا شينا من فوائده وسألته بعض أسئلة كانت تشكل على فأفادنيها على أحسن وجه وأتمه ورأيت تفسيره » - (13) .

وبعد قيامه من الجزائر قال : « اجتزنا في طريقنا الى تلمسان بمدينة مازونة ، وقلمة هوارزة ، والبطحاء ودخلنا تلمسان في أواخره » أي أواخر عام 868هـ (13) .

ومن البديهي ان يطيل عبد الباسط إقامته بتلمسان اذ كانت عاصمة المملكة كما كانت مركزا علميا بلغت شهرته الشرق الاسلامي . فاكتر من ذكر ما وقع بها وبالمغرب الاقصى المجاور من احداث اثناء مقامه بها ، وأطال في الحديث عن لقي من علماء وفي ذكر ما جرى له من احداث ومقامرات ومن الغريب انه لم يصف المدينة .

(12) براتشفيك ، ص 35 ،

(13) المصدر نفسه ، ص 40

(13) المصدر نفسه ، ص 41

وأول ما لفت نظره طريقة الاحتفال بعيد الاضحى فى عاصمة بنى زيان فيما قال :
 « خرجنا لمصلى بظاهرها ، وحضر محمد بن أبى ثابت صاحب تلمسان صلاة العيد
 فى هذا اليوم . بعد أن خرج فى موكب حافل . حين تعالى النهار جدا ، ثم صلى ونحس
 أضحيه كبشا أمدح فى المصلى بعد فراغه من الصلاة وشهر هذا الكش محمولا على
 بغل مع رجل يعد لذلك ، فشق به المدينة لاجل أن يمتن بصحبة الامام على قاعدة مدح
 مالك رضى الله عنه . وكان هذا الرجل لما سار بهذه الذبيحة الاضحى مجدا ببغله فيها
 محتا فى ذلك . ولم اكن أعرف ذلك قبل هذا التاريخ فسألت بعض اصحابى عن ذلك
 فاجابنى بأن ذلك من عادة ملوك هذه البلاد وأصل ذلك ما لمعته أنا من اعلام الناس بأن
 الامام دبح ثم عاد محمد بن أبى ثابت المذكور الى المدينة فى موكبه الحافل « (14) »

ومن الاخبار والاحداث السياسية التى وقعت وعبد الباسط بتلمسان — وقد انقرد
 بذكر بعضها — خبر تهديد السلطان التونسي من بنى حفص بالهجوم على تلمسان ، وقد
 حدث فى عدة مناسبات عن هذا التهديد . وذكر ما قام به السلطان الزياني محمد
 بن أبى ثابت المتوكل من تفقد للأسوار وتحصين لمأصمته وما انقرد بذكره أيضا
 محاولة انقلاب وقعت فى شوال من سنة 870 هـ ذهب ضحيتها وزير من وزراء الملك وهو
 عبد الله التجار الذى كان عبد الباسط قد نزل عنده . وتوثقت علاقات المودة بينهما ،
 كما تحدث عن الهجومات التى كان يشنها قراصنة النصارى على شواطئ البلاد الاسلامية
 فيختطفون الناس لايقاعهم فى الاسر فى البلاد المسيحية وقد بلغه خبر هجوم اربعة مراكب
 بساحل بحاية نجم عنه أسر الكثير من المسلمين وقد اخفقت فى اثناء مقام عبد الباسط
 بمملكة بنى زيان . مساعى مراكب آخر نزل ناحية هنين وهو مياء تلمسان . فقال :

« فى هذه الايام احضر الى مدينة تلمسان ونحن بها أحد عشر نفرا من الفرنج
 أسروا من ساحل هنين وكادوا وردوا اليها بمركب ليخطف المسلمين والاغارة عليهم
 بالعزقات وبحوها فأخذوا وجهروا الى تلمسان للسلطان بها حتى يرى فيهم رأيه . وكان
 لما فطن المسلمون بهم ناروا عليهم فهرب منهم الكثير وأخذ من ذكرنا . وتقع الباقون
 بمركبهم الى البحر ووسعوا . ولما احضر المأخوذون الى صاحب تلمسان أمر بسمة منهم
 فمبقوا مشقوقين من رقابهم على بعض أبواب تلمسان الى أن ماتوا وأبقى منهم خمسة
 يذكر أنهم من ذوى اليسار فقادوا عن انفسهم بالمال » (15) .

(14) المصدر نفسه : ص 41 - 42

(15) المصدر نفسه : ص 43

ومن العلماء الذين نقيهم عبد الباسط بتلمسان ، عبد الله محمد بن العباس ، وقاصي الجماعة محمد العقباني وأخوه أبو سالم إبراهيم خطيب جامع تلمسان الأعظم وإمامه .
والشيخ محمد بن مرزوق . وكان من أهداف رحلة هذا العالم طلب علم الطب كما
ذكرنا آنفاً ، فأورد لنا دلائل على تدريس الطب بتلمسان زمان رحلته ، بل على نفوق
اطباؤها . وقد أخذ هذا العلم عن « محمد بن علي بن قشوش أحد اطباء تلمسان » وقد
كان يزاول الطب ويدرسه في الوقت نفسه . ومن الذين لازمهم عبد الباسط طبيب
اسرائيلي اسمه موسى بن سموييل بن يهودا الاسرائيلي وقال عنه : « لم اسمع بنمي
ولا رأيت كمثل له في مهارته في هذا العلم وفي علم الفوق والمقات وبعض العلوم
القديمة » (18) .

ومن مدينة وهران التي لم يذكر عنها الا اخبارا ثانوية ، بقي عبد الباسط يتتبع
اخبار تلمسان والعلاقات بينها وبين تونس وكذلك اخبار المغرب الاقصى ، ومن وهران
ركب البحر كما ذكرنا سابقا ، لزيارة ممكة غرناطة ، ولم يتحفظ بأخبار دات ميسة
عن المغرب الاوسط في طريق عودته لبلاده الا ما لاحظ من زعر سكان ساحل بجاية من
هجمات القراصنة المسيحيين عليهم لاختطاف الناس .

قيمة الكتاب :

ليس في تناول الباحث المدارس لتاريخ المغرب الاوسط في عهد بني زيان بعض
انقطاع يحيى بن حددون صاحب « بقية الرواد في اخبار بني عبد الواد » (17) وأخيه
عبد الرحمن عن سرد اخبار البلاد الا كتاب « نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان »
لمحمد التميمي وهو كتاب ما زال مخطوطا غير اننا ننوي اصداره في الشهور القادمة
ان شاء الله ، بعد الفراغ من تحقيق نصه والتعليق عليه . واما بعد انقطاع اخبار
لننسى سنة 868هـ / 1463م (18) ، فان البحث المدارس لتاريخ بني زيان يجد
نفسه امام فراغ كبير اذ ليس هناك كتاب واحد متسلسل الاخبار عن تاريخ بني عبد
الواد بعد « نظم الدر والعقيان » ، فيصطر الباحث الى اللجوء الى التقاط احبار ومعلومات
منعقدة عنهم في كتب مختلفة متعاودة القيمة ، كالحلقات وكتب التراجم ، وكتب وضعت

(36) المصدر نفسه ، ص 45 .
(37) راجع مقالنا « من آثارنا المفقودة » ، بقية الرواد في اخبار بني عبد الواد ليحيى بن غلسون ، في
الاسئلة عدد 33 ، 1973 ص 223 - 222 .
(38) حل عبد الباسط بتلمسان في سنة 868 هـ / 1463 م وهي السنة التي فيها انتهى فيها التمس
سمره بلاخبار .

دعا السلطان الحفصى الى مصالحة الملك الزياني محمد بن ابي ثابت المحاصر بتمسان ، فذكر " صاحب " تاريخ الدولتين " ان ابا عمر عثمان صالح ملك تلمسان لان بعض العلماء خرجوا من المدينة المحاصرة " و تراهم على السلطان فى الكف عن البدع على أن يلتزموا بالبيعة عن صاحبها ويدخل تحت طاعته ونظره ، فقبل انابتهم ولم يحرم اجابتهم " (23) . بينما نرى عبد الباسط الذى ذكر كذلك توسط علماء تلمسان وشقاعهم يزيد قائلا : " وكان قد وقع فى عسكر عثمان الغلا ، الكبير والقال والقيس وبعض خلف بينهم وكان هو قد عزم على العود وبقي يود مندوحة لذلك وحجة من حنح بها على رجوعه ... " (24) . وتستبعد أن يجهل الزركشى مؤرخ الدولة الحفصية هذا الخبر بينما أطلع مؤرخ مصرى يقوم بجولة فى البلاد ، على هذه الفتن التى وقعت داخل المسكر الحفصى والى كانت الحافز الحقيقى لانسحاب الجيش الحفصى عن تلمسان . وسبق لنا أن ذكرنا ان عبد الباسط قد انفراد بذكر أخبار سياسية ذات أهمية كبرى وقد ذكرنا أحداها على سبيل المثال وهى محاولة الانقلاب التى وقعت فى البلاط الزياني .

ومن أهم الاخبار التى أتى بها خبر يوضح لنا بعض الايضاح ، الصنف الداخلى للدولة الزيانية ، والقائمة التاريخية مستنتجة من حكاية برويه عبد الباسط . وذلك ان المؤلف سمح عجوزا تدعو للملك الزياني عند مروره بأزقة تلمسان فى يوم الاحتفال بعيد الاضحى ، فمن جملة ما دعت له به ان " يسخر الله تعالى له سليمان بن موسى " . فقال عبد الباسط " فحجبت من ذلك وكان سليمان هذا من كبار أمراء عرب تلك البلاد " (25) . فالتأمل لتاريخ الدولة يستنتج من هذه الحكاية ومن سير الأحداث اذا ما رجع إليها ، ان مصر الدولة التى اسمها بفراسن كان متعلقا أولا بقوة الدولتين الحفصية والمرينية المجاورتين لمملكة تلمسان وبقوة الاعراب من بنى هلال وسليم ثانيا ، فكان هؤلاء البدو يمزرون موقف المنوك من بنى عبدة السواد اذا ما آذروهم ويضعفون مركزهم حتى التلاشى ، اذا ما انقلبوا عليهم وخذلوهم . كما ان النطاحن

(23) الزركشى ، ص 337 .

(24) برايتشيك ، ص 37 .

(25) المصدر نفسه ، ص 42 .

لتاريخ دول أخرى وبفان أخرى ، منها على سبيل المثال : تاريخ الدولتين الموحديين والحفصية لمحمد الزركشي (19) . وبه معلومات عن العلاقات الحفصية الزيانية ، أو « نفع الطيب » ، لأحمد المقرئ و « أزهار الرياض في أخبار عياض » للكاتيب نفسه ، ولا يجد الباحث في هذين الكتابين إلا أخباراً قليلة عن الدولة الزيانية أغلبها خاص بالحياة الأدبية في عهد تلك الدولة بتلمسان . ومن كتب التراجم نذكر « البستان في ذكر الأولياء والصفاء بتلمسان » (20) لمحمد بن مريم ، ويدخل « الروض الباسم » لعبد الباسط ابن خليل ضمن هذه المصادر التي يحتاجها الباحث لمواصلة تاريخ بني زيان ، بعد نهاية حديث إسطين تاريخ لدولة الثلاثة وهم يحيى وأخوه عبد الرحمن بن خلدون ومحمد التنسي والمؤلف المجهول « زهر البستان في دولة بني زيان » (21) .

أن عبد الباسط مؤرخ وهو رغم أسلوب الرحلة الذي اختاره لسرد الأحداث قد أولى الأخبار التاريخية اهتماماً كبيراً وقد سبق لنا أن أشرنا إلى أن أول شيء قيده عند نزوله بتونس هو حبر سياسي . ونلاحظ عنده الاهتمام نفسه عندما وقف وقفة قصيرة بتونس لم تزد على أربعة أيام وهذا في طريق العودة إلى بلاده . فذكر أن سلطان تونس المنوكل على الد حرج في أوائل ربيع الأول سنة 871 هـ / 1466 م بمساكره إلى جهة تلمسان الخ *** (22) .

وقد استنتجنا فيما يتعلق بهذه الأخبار التاريخية البحتة المذكورة بالروض الباسم من مقارنة بين ما أورد المؤلف من أخبار عن العلاقات بين تونس وتلمسان ، وبين الأحداث نفسها المروية في كتب التاريخ الخاصة بالحفصيين ، أن عبد الباسط مؤرخ جمع بين الدقة والإمالة ، في سرد الأخبار فإنه لم يظهر انحيازاً لأي دولة من الدولتين

ففي سبيل المثال ننقي عبد الباسط أكثر تفصيلاً وأكثر نزاهة أيضاً من الزركشي صاحب تاريخ الدولتين عند حديثهما عن حملة السلطان الحفصي أبي عمر عثمان على تلمسان سنة 886 هـ / 1462 فإن الزركشي أهمل ذكر خبر مهم يتعلق بالسبب الذي

(19) الزركشي (محمد بن إبراهيم اللواتي المعروف بالزركشي) - تاريخ الدولتين الموحديين والحفصية - تونس ، 1289 هـ .

(20) نفس التحقيق محمد بن أبي شبيب - الجزائر ، 1366 هـ / 1908 .

(21) راجع مقالنا « مخطوطات لم تكتشف » زهر البستان في دولة بني زيان » في الثقافة ، عدد 13 ، 1973 ، ص 55 - 66 .

(22) برانشفيك ، ص 68 .

بين أفراد الأسرة المالكة كان عاملا آخر لضعف بني عبد الواد وسببا في حدوث عدة أزمات عرفت دولتهم .

ورغم أن عبد الباسط قد اهتم اهتماما كبيرا بتاريخ بني عبد الواد حينما أقام بمملكتهم ورغم انعزاده بذكر بعض الأحداث التاريخية ، فمنح لا يمكننا أن نقيس كتابه بالاركان الرئيسية لتاريخ بني عبد الواد التي مر ذكرها . وذلك أن عبد الباسط لم يصح كتابا في تاريخ قطر من اقطار المغرب أو دولة من دولة ، وإنما أرخ لكافة العالم الاسلامي وعلى الخصوص مصر وسوريا كما سبقت الإشارة الى ذلك ، ويشمل هذا التاريخ العام أخبار المغرب التي كانت نتيجة مشاهداته الخاصة ونتيجة تحقيقه ، إلا أن الاختيار الى اعتبارها قليلة بالنسبة للاخبار الموجودة في كتب أساطين اتاريخ الزباني قد امتازت بكونها رويات شاهد عيان أو على الأقل راو تثبت كل القرائن نزاهته .

ولا تنحصر قيمة « الروض الباسم » في مضمونه التاريخي البحت بل أن من أهم ما نجده بالكتاب المعلومات عن الأشخاص وعن العادات والتقاليد وعما يسمى اليوم بالأحداث اليومية والأحداث العامة ، فبالإضافة الى طرائفها أحيانا فإن أكثر الأخبار المروية ، وتائق مهمة عن الحياة الاجتماعية وعن سير الإدارة وعن التجارة والاقتصاد بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان ، وقد ذكرنا سابقا أن عبد الباسط رجل ذكي وعالم وأدب ، له فكر نقاد ، وله رغبة واضحة في الاطلاع على أحوال البلدان التي يزورها وعلى البلدان التي تجاورها أيضا ، كما أن له رغبة في التعرف على رجالها من علماء وتجار وموظفين ، وحرصا على إيراد ما يجري بها من أحداث عامة يسردها بأسلوبه البسيط ، وعدم وجود مثل هذه المعلومات في كتب التاريخ الأخرى الخاصة ببني عبد الواد أو التي خصصت قسما كبيرا لتدوين أخبارهم لا يزيد « الروض الباسم » في حوادث العمر والتراجم « لعبد الباسط بن خليل ، الأقيمة وأهمية »

مصادر البحث :

(1) المصادر العربية

- ابن خلدون (عبد الرحمن) - كتاب العبر - بيروت ، 1956 - 1959 .

- ابن خلدون (يحيى) * — بقية الرواد في أخبار الملوك من بني عبد الواد
— الجزائر ، 1903 — 1913 م *
- ابن مريم (محمد) * — البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان * — الجزائر ،
1326 هـ / 1908 م *
- بوعبيد (محمود) — مخطوطات لم تكتشف ، زهر البستان في دولة بني زيان في
في الثقافة ، عدد 13 ، 1973 ، ص ص 55 — 66 *
- بوعبيد (محمود) * — من آثارنا المغمورة ، بقية الرواد في أخبار بني عبد الواد
ليحيى بن خلدون ، في الاصاله ، عدد 13 ، 1973 ، ص ص 213 — 222 *
- انتنسي (محمد بن عبد الله) * — نظم الدر والمقيان في بيان شرف بني زيان * —
(مخطوط) *
- الزركشي (عبد الله) * — تاريخ الدولتين الموحديّة والحفصية * — تونس ،
1289 هـ *
- الزركلي (خير الدين) * — الاعلام * — من دون ذكر مكان النشر ولا التاريخ *
- زهر البستان في دولة بني زيان لمؤلف مجهول * — (مخطوط) *
- السخاوي (محمد) * — الضوء اللمع لاهل القرن التاسع * — بيروت ، من دون
تاريخ *
- عنان (محمد عبد الله) * — رواية مصرية عن المغرب والاندلس في مجلة
معهد الدراسات الاسلامية ، بمدريد ، 1970 ، ص ص 95 — 111 *
- كراتشكوفسكي (اغناطيوس) * — تاريخ الادب الجغرافي العربي * — القاهرة
1957 *

(2) المراجع الاجنبية

Brunschvig (Robert). Deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord au XV^e siècle.. - Paris, 1936.

Al-Andalus, 1933, pp. 307-334

الوزير الزياتي في الجزائر العاصمة ووصفه للجامع الجديد

تقديم : م . م بالحميسي
كلية الآداب - جامعة الجزائر

دخل أبو القاسم بن أحمد الزياتي (1) إلى
المغرب الأوسط بعد فشل مهمة بوجعة
كلفه بها السلطان العلوي سليمان فاقيم بوهران
لدى الباي محمد الكبير وذلك غداة
تحرير المدينة من الاحتلال الإسباني (1792)
ثم انتقل إلى تلمسان حيث مكث 8 أشهر ثم شرع
في الرحلة الثانية إلى اصطبل على حساب
الخاص سنة 1793 - وفي الذهاب مر الوزير بالعاصمة
وأما القامته القصيرة قائلا :

من أخبار المدينة

ه ولما بلغنا لمدينة الجزائر وجدنا الوباء بها خفيفا (3) فنزلت خارجها وبقيت

مضاربى ووجهت من حاشيتى من ياتينى باللوازم من لحم وحطب وعلف دواب فما رجع
إلا وأنا مصاب بالحصى ...

ولما كان يوم الجمعة لم أجد بدا من الدخول الى صلاتها فركبت الى المسجد فصليتها
وانعدت الى الحرسى لوزية المراكب وألتها وتحقيق خسرهما بالمشاهدة فجاءنى بعض
الاحبة من أهل فاس والزمونى بالنزول عندهم نامتعت ... ومن المدة جاءونى وفى
جملتهم حاصى البلد العقيه السيد محمد مالك ... فخرجت لملاقاته وجلس معنا وأنس
وحشتنا وطلب منا النزول عنده فلم يمكننى ذلك ... (ثم) توجهت معه لداره وبنتنا
عنده وحضر معنا بعض اصفيائه من أهل الباشا كاتبه وحاجيه وصهره وتذكرنا أحوال
الدنيا وهو معها وما يؤول اليه حالها - واقمت بالجزائر اربعة وعشرين يوما ... الى
ان نهيأ لنا السفر خجاء الكاتب والحاجب والصهر والقاضى لوداعنا معهم صلوة من
حسن باشا (4) بواسطتهم دون شعورى وعلمى معهم تظف وحلاوات من دورهم للزاد
وقالوا ان مولانا يقرأك السلام ويطلب منك الدعاء فى الحرمين الشريفين ... وتوجهنا
من الجزائر القسطنطية ... (5) ثم واصل الزىانى سفره الى المشرق ، فمن تركيا الى
التيام الى الجزائر الى مصر . وفى طريق العودة مر على تونس ثم قسنطينة وانتهى به
التجوال الى الجزائر العاصمة . بلا زاد ولا حال لا ينك درهمًا . وامتنق بها رغم ذلك
سيعة أشهر وهو ضيف على القاضي ابي عبد الله بن مالك . (6) مكرما معظما يقدم عليه
صاحب القاضى « بمؤونة خدائى دقيق وانى سمنا ومثلها خليعا وفجعا » وكان القاضى
كلما استقبله « هين يمشى وسأل عن الحال الذى يجده الانسان من عناء السفر وجسمه
بكيس غيه اربعمى سلطانيا . درو ، ... فاقسم لتقيضها فانى أعرف أمور السفسر
بخصوصها وكانت فارغ اليد من أجل مالك فى المركب الذى فيه رزقت » (7) .

الجماع الجديد

« وفى يوم الجمعة توجهت مع أصحاب لى حملونى على الصلاة فى المسجد الجديد الذى
أسسه حسن باشا . (8) بعد سفرنا للجزائر (9) واقام به الجمعة فشدته وشاهدته
وصيلنا الجمعة وأخبرونى بما أنفق عليه من الاموال وما جلب له من أصناف الرحام

والممر وما اوقف عليه الرباع والضبياع ما لا تسمح نفس أحد بانفاقه الا من وفقه
الله *

زيارة الوزير للجامع

« ومن الغد رجعت اليه منفردا وتأمله موضعا موضعا وميزت ما فيه من انواع
الصنع واختلاف الاشكال وماسبة الموضوعات من كل نوع الى ان احصيت جميع
اوضاعه وكأنه تصب عيني في الفبية وأنشأت فيه رسالة ولعلت آياتنا على قدر وسمى
في مدحه ومدح بانيه وتجزيته الخير على ما قام به من رسم معالم الدين واتباع سنن
المهمدين وتظهر تلك البقعة التي كانت قبل ذلك « تيرنة » يباع بها الحمر ويجتمع
يها الاشرار (١٥) وصيرها معبدا للمسلمين جلاها الله في ميزان حسنانه وبلعه غايه
امنياته لا رب غيره »

رسالة في ملح الباشا والمسجد

الحمد لله الذي خلق الانسان وعلمه البيان وألهم من أحب من الملوك في الحديث
والقديم الى سلوك السبيل القويم وحبب لهم أفعال الخير ليبلفوا بذلك الى القرار في
جنت النعيم *

وبعد ، فلما أراد الله جلت قدرته ، وتقدست أسماؤه وصفاته ، رجعونا من الحرم
الشريف ودخلونا لثغر الجوائر الشهير عن التعريف ، وإقامتنا به لبائع الذي حصل ،
والعذر الذي يسميه بعد عنا ما كان بأيدينا وانفصل ، كنت اجتمع مع أفراد من الاحيار ،
وجماعة من العلماء الابرار ، وأتفاوض معهم في سيرة سبطانهم الأعظم ، الماجد الأكرم ،
حامى بيضة الاسلام وناصي سنة سيد الانام ، الذي قمع أهل العكر وقادتهم بلارسن
المنصور المؤيد السلطان حسن ، فذكروا لنا من أوصافه السنية ، وسيرته المرضية
السنية . ما ملأ منا الاسماع ، وقام عندنا مقام الاجماع ، أبده الله لمحايطه هذه الإمة
وزده غزا وحفظه من كل عاقبة ونقمة *

فأردت أن أثبت ما سمعت من فضله وإن كنت لا أحصيها على التمام ، المشهورة
عند الخاص والعام ، وأجعلها في قرطاس طلبا للأجر والثواب ، وإذا أحب الله عبدا
ألهمه الى الصواب ، لترسم في دفاتره وتوضع في حملة ذخائره ، فإنه حفظه الله من

أمرأه العدل ، ومن أهل المروءة والفصل . لما جلس على كرسى « الخلافة » السعيد سوى بين القريب والبعيد ، وانتصف للمظلوم من الظالم ، وأعز المسكين والشريف والعالم . وقمع أهل الريغ (12) والفساد . وكف عاديهم في كل بلاد ، وأجرى أحكامه على القانون الشرعي ، والمذهب الحنفي الموحي . وأجرى الصدقات على الفقراء والايتمام . والمعونة لأهل الحرمين في كل عام ، فشمّل عدله الرعايا سهلاً وجبلاً . وشاعت مكارمه أفراداً وجملاً . ثم حصن ثغور المسلمين بالصقائل والأبراج . وعمره بالمدايع والمهاذر على طبقات تحاكي الإدراج وملا خرائن الثغور بالبارود « والكور » « والبجب » والسلاح . من المكاحل والسيوف والأسنة والرماح . وأكثر من الجوارى المنشآت في البحر كالإعلام (13) . وشجّنها بكل عساكر الإسلام ، للتضييق على أعداء الدين براً وبحراً ، زاده الله عزاً ونصراً . إلى أن صير أجناسهم تحت العلة والعقر . ووفدوا على اعتابه صاعرين من كل قطر يطلبون مهادنته (14) على ما يطلب من الأموال ، والكون عنده أمره في الأقوال والأفعال ، فوطئ على كل جنس منهم ضريبة يؤديها في كل عام كالجزية . ولا يشرح أسرارهم إلا بضعايف المسلمين في القدية . وفي كل سنة يأتونه بالهدايا (15) والوظائف . إبقاء الله محفواً . ويعين عنايته ملحوظاً . ثم صرف همته لجهاد مدينة وهران وأخلائها من عبدة الصليب أهل الضلال والحسران . ووجه لها عساكره رجالاً وركباناً . وأمدّهم بالقبائل عجباً وعباباً . ووجه معهم والمهاذر وآلة الحرب . وبكل ما ينفع والصرب ونزلت عليهم السمكر من كل جانب . وكنهم للشهادة طالب راضٍ . وحاربوهم حرب المهاجرين والإنصار . ووقع بالفكرة ما لم يوقع بمصر من الأمصار . إلى أن صار التلذذ عيهم دكا . وحديث خلاصهم افكا . فطلبوا الأمان لأنفسهم على أن يسلموا البلاد . ولا يحملون إلا نسائهم والأولاد . فانهم لهم بذلك ووفى . وقرأ عليهم حسبي الله وكفى . فاما عظم هذا الفتح الذي لم يحصل لملك من الملوك . وحصل به السرور لنفي والصلوكة وشاع في بلاد الكفر والإسلام وتحدث به أهل اليمن والعراق وخراسان ومصر والشام . ورفع له المسلمون أيديهم في المشرق والمغرب يدعون له بالعرّ كل أعجمي ومعرب فآله يطيل معادته . ويديم مجادته (16) . ثم وجه نظره في فكّاك أسرى المسلمين من جميع أيلة الكفار وألبعث عنهم في القرى والأمصار . فاصداً بذلك وجه الله وإبفاء مرضاته . عملاً بقول نبينا عليه من الله أفضل صلواته « من فث أسيراً من يدي الكفار حرم الله

جسده من النار » وجازاه الله في الآخرة بالخور العين وأسكنه في الغرف التي في أعلا
العليين »

عزم ألباشا على بناء المسجد :

ثم ألهمه الى تطهير بقعة كانت بقرب دار الخلافة محمدا للشرار ، وبناع بها الحمير
للكفار . فاشتراها وما حواليلها بمال مائتير . وصير عاليها ساندبا وما تأتي في ذلك
صبر . صيرها مسجدا جامعا للاسلام . ومعيدا لاهل الخير والدين والعتناء الاعلام ،
وافثق عليه من الاموال مالا تسمح نفس بافقاته ، وعمره بالحلال لذي هو من خالص
ارزاقه »

وصف المسجد :

ورتب فيه اهل الهندسة و « العسفة » من كل صنعة واتقنوا بناء سمة ورفصة
وجعل اسفل هذا المسجد دكاكين وقهاوي وأوقفها على هذا المسجد المذكور ، الذي ادرمه
ليوم السبت والنيهر . وحقق قبله هذا المسجد اهل العلم والفتوى وأوقف على عماراته
من لا شك أنه من اهل الخير والتقوى . وجمع له أنواع المرمم والرخام . من بلاد الأتراك
والأروام . من كل قائم وميسوط ومربع ومخروط ومدرج ومشجر ومنقوش ومسطر
وحدود وقودود وقيام وقعود ، وأعتاب وأبواب ، وخصص ومحراب . وفي وسطه قبة عظيمة
مرتفعة في الفلك يفرغ من لمان أنوارها في البحر المسك قائمة على سوارى كالصدارى
مجردات عوارى كالجوارى . يحاكين في بياض اللون ، البرد النازل من الكون . كأنهن
في القيام حور مقصورات في الخيام . وجعل لهذه القبة سراجيب بأبواب البلور التي
لم ير في عصر من المصور يكاد سنا يرقه يذهب بالإبصار ودار بهذه القبة قبة على
شكل منق . كأنهن جدول موفق ، من ثنائي وثلاثي ورباعي وخماسي وسداسي وسباعي
ومقرص ومشجر وقاطع ومقطوع ومسطر . وداخل وخارج وبخاريات . وقصاعي
وانصاف ترنجيات وفوق ذلك من الاسباغ كل لون غريب بتدبير اهل الفن والعقد
والتجريب . وكتبوا أسماء الله وآياته ، وأنبيائه وحلفائه ، تمطيب بالذهب الابرين
الصينان وليس الخمر كالصينان ، ودار بهذه القبة « شدرانا » من العود موه بانواع
الاطلية الغاتقة بالالوان ، يصل فيه الامراء والاجناد وأعيان الديوان عليه « اوداع »

وازهار وأغصان وثمار وأطيار ، وأمامه كشك يجلس به المؤذنون وأهل الإلهان والقراءات ، ومن له وظيف بالمسجد كالموقت والراوى لحديث الانصات ، وجعل لهذا المسجد تميرا من الرخام الشعاف ، مؤلف من سبعة أصناف ، من مرمر وحزق ، وزبرجد وودج ، وغيره وزح وماروز ، كأنه اللؤلؤ ، المشروذ أبدع فيه كل حارط صنعة الحارط وكل تاقضي زائد على الشرط ، وكل مسطر حقق ما سطر ، وكل مشجر أبدع فيما شجر . فهو كالأمير والفتاح على رأسه والكل في خدمته وأنسه . وكسا جدرانها بالزليج والفرمرى والصينى . وفوقه الجبصى اللغائى المعدنى وجلل فى كل جهة رواشن تسطع منها الأنوار الضئيلات ، وسلاسل موهة لتقنادل والثريث . وجعل تحت كل روض ساعة على كرسى كالعروس . يطرب لمناجها جوامع النفوس ، هجار بلطافة شتتكه ضخامة المساجد والمدارس وجاز برق صنعه أنوار الزارع والفارس . فلو رآته السلبيانية بالقسطنطينية لسلبها ولو كلمته « آية صوفية » ما أجابها . ولو قابله الجامع الأزهر ، لتعجب من حسنة واتهر ، ولو ناظرته مساجد الشام وحلب ، لاعترفوا بفضلها وأقروا بالقلب . ولو سمعت بنشيبهه بيعة الإشبونة لتهدمت ولو شاهدته كنيسة رومة العظمى لا سلمت فزهت طرفى فى رياض أزهاره وأنواره واستمعلت فكرى فى مزارق شموسه وأقماره وتحقت بسيادة بابيه وتيقنت أن السعادة والكرامة تحف به وتدانيه ، ودانئنى من التشميريرة والحشية ما أنطلقنى الله بما يتقبله من الادعية . وعلمت أن معمره ميسر أصلحهم الله وسرهم ، وإن لله رجالا لو أقسموا على الله لأبرههم فأجانبى المسجد بسان الحال وأنشد وقال :

ظهر ثيابك وأحسن الوضوء ولا	تس التحية أن شاهدت أسارى
وأمن قيتى وأقص إلى قبلتى	وسرح الطرف فى رياض وأزهارى
وأحرم وقف جواركن وأسجد لرب الورى	وأدع لمن صاننى وحط أوذارى
وأبرزنى لوجود العز من عظم	فهو روحى ومسمعى وأبصارى
صيرنى مسجدا لله عصرنى	بالذكر ذاك الذى عمر بمقدارى
أمر مولى أكياما بلا عله	فى زينة لىرى حسنى وأنوارى
أقام فى خدمتى حورا على سراد	من شموسى وإن أسى فالمدارى

انسنى بخوان مطربات فما
 طوقنى سباج العز متهجا
 توجنى التاج والاكليل منتظما
 وكل حليى واكؤس منفلة
 وزاد فى المهر املاكا معينة
 فمن بجود بما سطرحت محتسبا
 حامى لواء الرسول المصطفى ، حسن
 ينمن من شغلى يروى انداوى
 بكل تنوع من الازهار ممطارى
 من اليواقيت افراطى واذرارى
 وكل فرشى وما تحتى واستارى
 لن يقوم بغدمتى واوطارى
 الا النقى الزكى الاسد الفسارى
 فخر الملوك رعاه مولانا البارى

1 - هو ابو التاسم بن أحمد بن عل المشروف بالرياني . وهو وزير ومؤرخ ورحاله ، وثله عباسي سنة 1147 هـ / 1734 م ، ودرس بها ثم قطن بين أسفار خارج المغرب وبين المناصب العليا أيام السلطان الحول عيـد الله وابنه محمد وحفيده سليمان الى ان توفي في رجب 1249 / نوفمبر 1833 .
 ومن بين مؤلفاته المدينة « الترجمة الكبرى » التي جمعت احبار مدن العالم برا وبحرا ، ومنها فقتبي هذه الصفحات .

2 - كان السلطان محمد بن عيـد الله قد كلفه بحمل رسائل وحدايا الى السلطان المشايي عبد اعبيـد (1725 - 1789) ركادت الرحلة الاولى في حدود 1200 هـ / 1786 م /

3 - لم يشر قل على ما يشير الى اي وياه بالجزائر العاصمة في تلك السنة ولم يذكره :

II. De Granmont : Histoire d'Alger sous la domination Turque

Venture de Paradis, Alger au XVIII^e

4 - حسن باتشا داي الجزائر من جويليت 1794 الى مايو 1798 ثم حلفه داي مصطفى .

5 - « الترجمة الكبرى » تحقيق عبد الكريم اغيلال 1967 ص 151 .

6 - تذكر بعض المصادر أن محمد ابن مالك جدا مفتى مالكي لاقضى وتولى القضاء من سنة 1210 الى 1214 هـ / 1795 الى 1800 م .

الحفناوى : « تعريف الحلب برجال السلف » ج 1 ص 474 .

J. Gonzalez . Essai chronologique sur les musulmans célèbres de la ville d'Alger 1887 . pp. 63-64.

A. Devoux : Les édifices religieux de l'ancien Alger. Alger 1870 - p. 118

7 - الترجمة الكبرى ص 374 - 375 .

8 - هذا خطأ لأن المسجد الجديد بى سنة 1660/1070 وأشرقت الميليشية التركية على تشييده من أموال المؤسسة المروقة « بسمى الخيرات » وكانت لصالح الخنفيين .
وأما المسجد الذى بناه حسن باشا سنة 1794/1209 فهو جامع كتشاوة ولم يكن غيره خليفة وحده على رأس الإمالة .

د ا ج ج

A. Devoux : Les Edifices religieux de l'ancien Alger. Alger 1870 - pp. 132-149.

H. Klein : Feuilles d'El-Djazaïr. Alger S.D. pp. 153-154.

G. Marçais ; Manuel d'art musulman, Tome II - pp. 789-792.

9 - سنة 1793/1208 م .

10 - المروى أن الجامع الجديد أسس مكان المدرسة « البرعانية » مما يؤكد مرة ثانية أن الزياتى قصد جامع كتشاوى .

11 - ساحته .

12 - الميل من الحق .

13 - اقتباس من سورة الرحمن آية 24 .

14 - الجدير بالذكر أن محاصرة وهران من طرفه الباي محمد الكبير دعمت بذلك إسبانيا شارل الرابع إلى التدخل في مفاوضات مع الداي حسن من أجل مغادرة المدينة وإبرام معاهدة (سبتمبر 1791)
وعندما اندلعت الحرب بين فرنسا وإنجلترا حاول الإنكليز الحصول على تأييد من الداي لصالحهم .

15 - نذكر من بينها ما قدمته « وكالة افريقية » L'Agence d'Afrique الفرنسية .

16 - وعن تحرير وهران على يد الباي محمد الكبير سنة 1791 وما جرى بها من الحوادث قبيل طرده الإسبان المحتلين يراجع القارى الكريم دراستنا بسجلة تاريخ المغرب وحضارته عدد 11 .

عبد الملك بن مروان

أصالة عربية إسلامية في قيادة الدولة

د. ليل الصباغ

كلية الآداب - جامعة دمشق

يعيش العالم العربي اليوم حركة فعالة لاعادة خلق ذاته والاسهام ايجابيا في بنى الحضارة الانسانية . ومهما كانت تجارب الحاضر غنية بقوى الابتاع فانها لا بد لها من ان تتغذى من نسخ الماضي وترتبط بمقومات اصالته الخلاقية : فلا شيء يعين الحاضر على دفع خطواته باقدام وروى واضحة وثبات نحو المستقبل بقدر ما يفعل تمثل الماضي وتجسده في الذات . ومن هنا كانت القيمة الكبرى للتاريخ في ميدان البناء الايجابي والمتواصل للامة .

وصفحة التاريخ التي سنستعرضها اليوم مما بعيدة عنا بما يقارب ثلاثة عشر قرنا وربع . ومع ذلك فهي لا تبد وباهتة وانما نابضة بالحياة والحركة . فنقد احيائها الراقع الذي نعيش فيه وأخرجها من بعدها (الورق) المحدود الذي سطر في احرفها وكلمات , ليعطيها ابعادها الكاملة ويميد اليها تحركها الحسيب والمتفاعل مع أحداث

الحاضر . وبذلك بدت ضاغطة بكل ألوانها على الذات العربية وكأنها حدث اليوم لا واقعة
الأمس . وإذا ما أريد إعطاء تلك الصفحة التاريخية عنوانا يلخص ما ورد فيها لكان ذلك
العنوان : (دعم بناء الدولة العربية الإسلامية الواحدة لتصبح قادرة على متابعة حمل
الرسالة الإنسانية التي أتى بها النبي العربي بكل أصالتها وبكامل قيمها) .

والصورة التي تبرزها الصفحة التاريخية هذه ليست صورة عمر بن الخطاب أو عهد
الخلفاء الراشدين أو معاوية بن أبي سفيان كما قد يتبادر الى الذهن : ان من المعروف ان
كلا من هؤلاء قد أرسى دعائم الحضارة الإسلامية بنائها بالدولة العربية الإسلامية ، وانما الصورة
هي لمهد عبد الملك بن مروان ، وللتفاعل الحسب الذي تم بين الشعب العربي المسلم
وامانيه وبين السلطة الحاكمة . وربما تبدو الصورة في بعض تفاصيل أحداثها غير
منسجمة تماما مع عديد من المثل الإنسانية التي ترضى النفس المسلمة الفردية الحرة .
اذ ان بعض الخطوط فيها قاسية ، وبعض الألوان صارخة ، ولكن مهما قيل فيها فهي
لوحة واقعية حية وجيالة لبناء دولة قومية بناء واقعيًا وثوريًا عقلائيًا - بتعبير الحاضر -
بكل ما في هذا الواقع من تناقضات القبح والجمال .

ان عبد الملك بن مروان هو الخليفة الأموي الخامس في التعداد الامام خلفاء بني أمية .
وهو الثاني من السلالة المروانية ، وقد استلم الحكم بعد أبيه مروان بن الحكم في عام
665 هـ / 684 م . واستقام على الملك واحدا وعشرين عاما اي ما يقارب ربع قرن من الزمن .
ولقد عجت باخبار خلافته الطويلة وأعماله العديدة كتب التاريخ الاسلامي ، ما دون
منها في المصور السالفة او ما ألف حديثا . وعلى الرغم من اختلاف بعضها في تقويم
بعض تصرفاته فانها كلها متفقة في الاغصاء بعلم هذا الخليفة وثقافته ، وفقهه ، وأدبه
وشعره . حتى انه كان بعد رابع ثلاثة فقهاء فحول في المدينة هم سعيد بن المسيب ،
وعروة بن الزبير ، وقبيصة بن ذؤيب ، ولقد قال عنه الشعبي : (ما جالست احدا الا
وجدت في الفضل عيه الا عبد الملك ، فاني ما ذاكرته حديثا الا زادني فيه ولا شعورا
الا زادني فيه) . كما ان كتب التاريخ قد اجمعت على عزمه وحزمه في تطبيق ما يؤمن
به ، وعلى معرفته بطباع البشر وانحرافات خلقهم . ووقوفه مقوما بشدة ما يراه منها .
فقد روى عنه المسعودي ان بعض جلسائه طلب الخلو اليه يوما فاجابه الى طلبه قائلا :

« بشرط ثلاث خصال ، لا تظر نفسي عندي فانا أعلم بها منك ، ولا تختب عندي احدا فلست اسمح منك ، ولا تكذب بني فلا رأى لكذب ... » فاسناذن الجليسي منه وانصرف . وما لاشك فيه ان ثقافته الواسعة ، وتفهمه لاحكام الدين الاسلامي واعماق قيمه . قد ساعداء على توسيع ساحة رؤياه ، وايضاح معالم الطريق الذي عليه ان يسلكه في استكمال بناء الدولة العربية الاسلامية ، كما امل عليه عقله المنظم ورؤاه الواضحة مخطط عمل جلي الخطوط لم يسبقه اليه احد في تكامله . فلقد رسم عبد الملك في هذا المخطط بناقب فكر حكيم وبعد بطر غريب ثلاثة ابعاد رئيسية تركزت عليها الدولة العربية الاسلامية ولا تقوم متماسكة الا بها : اولها بعد سياسي حربي دعامته الجيش الذي كان عليه ان يتحرك بحسب ما تمليه سياسة الدولة : أي للحفاظ على كيان الامة ووحدتها ، ولحفظ الرسالة الاسلامية ونشرها ، ولتحرير الشعوب المغلوبة على امرها . كما كان عليه ان يتحرك بالسرعة التي تقتضيها الظروف وبنك السياسة ، وبالكم العدي الملائم والاستعدادات الكاملة . فلهذا الغرض فرض الخدمة الاجبارية على ابناء العرب المسلمين ، واستعان بقيادة لهذا الجيش حازمين وقادرين على تصبته بسرعة وتوجيهه كالصاعقة الى الهدف المنشود . ولقد استشارت تحركات الجيش العربي المسلم هذه المؤرخين العرب فاستفاضوا في وصف معاركها واحداثها كمادة مؤرخي ذاك الزمن الذين كانت تهزم أحداث الحرب والطمان اكثر من غيرها .

واذا كان هذا البعد الحربي - السياسي بمعظم الموائر التي تفرعت عنه قد سبق عبد الملك اليه خلعا، قبله ولم يفعل هو سوى انه اضاف بعض الجديد فان البعدين الآخرين كانا بعدين جديدين كل الجدة في التمكين للدولة العربية الاسلامية . واحدهما البعد الثقافي العربي ، وثانيهما البعد الاقتصادي العربي . وهنا نرى ان حديث المؤرخين المسلمين قد جاء احيانا مقتضبا ولا سيما في البعد الثقافي ، وكانى بعضهم لم يدرك مداه وعمق نتائجه لانه عاش فيه واقعا فقصر في التعبير عنه اذ رآه بعدا طبيعيا ولقد وازن عبد الملك بين الابعاد الثلاثة فجعلها تتعاون فيما بينها وتتفاعل ، ويخدم كل واحد منها الآخر ويدعمه . حتى بدت الدولة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا . واعتمد عبد الملك ، في تنفيذ هذا المخطط الشامل على حيوية الشعب العربي التي بعثتها الرسالة الاسلامية دافعة كالشلال المعطاء .

أما منجزات البعد الحربى ، فكل مهتم بشؤون الحرب يدرسها بسدقة وإيمان لأن فيها من الكر والفر وحسن تصرف الامور العسكرية الشيء الكثير ، لا كعمليات حربية تفصيلية وترتيب نزاع فحسب وإنما كتنجيه للنحركات الحربية يشهد قدرة وبراعة فى التكتيك . ولئن تدخل فى اطارها تفصيلا ولكن نمر على خطوطها الكبرى ومنجزاتها سريريا لتفاعها مع الوجه السياسى والثقافى الاقتصادى ، ومع المفهوم الشامل العام الذى كونه عبد الملك عن الدولة العربية الاسلامية الواحدة ومقوماتها .

فقد وصل عبد الملك بن مروان الى الخلافة وقد عادت المصيبة القبلية التى دأب الرسول الكريم عليه السلام على اخمادها ، تلر بقرنها وتمزق وحدة الامة العربية . والمطامع الشخصية التى استغلت الخلافات المذهبية والمواطف النعابية تكتل المسلمين قتات واحزابا متفجرة تطالب كلها بالحكم والخلافة ، لانا أحق على زعما من الامويين بها : فهناك شيعة على بن أبى طالب وكانت ثلاث فئات التوابين والسبئية ثم جماعة المختار ابن أبى عبيد الثقفى (التى سينجم عنها الكيسانية) ، وهماك المواليون لعبد الله ابن الزبير الذى تار فى الحجاز ومد سلطانه الى العراق وبماق أخرى . وأخيرا الحوارج ، هذا بالإضافة الى تمرادات فردية ومحلية عديدة .

والى جانب هذا الانقسام الداخلى المروع كان (الروم) فى شمال بلاد الشام وفى شمالى افريقيا ، يتسللون بدساتهم الى صفوف السكان ويثيرون نفوس الطامحين منهم ويحرضونهم على الثورة ، لتعود السيطرة لهم بعد ان كانت البلاد قد حررت من عبوديتهم وسلطانهم ، مستغلين فى ذلك الاوضاع الداخلية المرتبكة .

ويصور المؤرخ المسعودى فى كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) النذر المهددة للامة العربية الاسلامية عند استلام عبد الملك بن مروان الحكم تصويرا يوضح - وان كان لا يدقق تاريخيا - ثقل الاحداث وضغوطها على الحليفة الجديد فيقول : « ان عبد الملك سار فى عام 66 هـ - أى بعد عام من قبضه على السلطة - على رأس الجنود الشامية لقتال المختار بن أبى عبيد الثقفى بالكوفة - وكان متزعزع الشيعة - وبينما هو فى الطريق اتاه فى احدى الليالى خبر مقتل قائده الذى سبقه لقتال المختار وهو عبيد الله بن زياد ، وانهزم جنده » واتاه فى تلك الليلة أيضا بآ مقتل القائد الذى كان قد سيره لحرب عبد الله بن الزبير بالمدينة . ثم جاء خبر دخول الموالي لابن الزبير أرض

فلسطين ولحق أخيه مصعب بهم . ثم جاءه خبر مسير امبراطور الروم ونزوله (المصيصة) - وهي على حدود بلاد الشام الشمالية - في طريقه الى الشام . ثم جاءه ان عبيد دمشق وأوباشها خرجوا على أهلها وأن المسيحيين فيها فتحو السجن وخرجوا منه . وأن خيل الاعراب اغار على حمص وبلبك وغيرها الى ما هنالك من أخبار السوء التي تذهب بعقل الحليم تبعث في النفس اليأس والقنوط * .

ولكن عبد الملك لم تتركه تلك الاحداث الجسام . فالبعد السياسي الحربي للدولة واضح في ذهنه . فقد كان يدرك ان عبد الله بن الزبير سيحاول بوساطة أخيه مصعب ان يستعيد نفوذه في العراق من المحتار . ولذا ترك الامر له ليصفيه . وفعلًا فان مصعب تمكن من قتل المحتار واعادة سلطان أخيه على العراق . وبذلك ابتلع ثائرًا ثائرًا وعبد الملك يراقب . وعندما خرج بنعمه ليقضي على حركة ابن الزبير في العراق ثار عليه في دمشق عاصمة ملكه عمرو بن سعيد وكان مرشحًا لولاية العهد . واخذ البيعة لنفسه من الاهالي . فارتد عبد الملك على اعتقاله واسبح هذه المرة سياسة الملاينة والمحاورة حتى سلبه عمرو بن سعيد نفسه . الا ان عبد الملك لم يمهله طويلا اذ دبر قتله . وكما اتبع سلاح السياسة مع هذا الخصم فانه طبقه مع أهل الأراق . واستطاع بالحرب والسياسة معا ان يقض الناس من حول مصعب بن الزبير وأن يقضى عليه على الرغم من أفانين البطولة والشجاعة التي أظهرها هذا الأخير .

وبعد ان استتب الامر لعبد الملك في العراق وجه بصره الى الحجاز . وامره مع عبد الله بن الزبير او بالاحرى امر قائده (الحجاج بن يوسف الثقفي) في اخضاع تسورة الحجاز معروف ومشهور لما أصاب الكمية الشريفة من ضربات منجنيقه وما عاناه أهل مكة من حصاره ... وانتهى الامر بقتل عبد الله بن الزبير ورضوخ الحجاز لخلافة عبد الملك .

واستفاد من هذا الصراع الداخلي القائم الحوارج فادلوا هم الآخرون بدلوهم فيه وشروعوا يمينون حملات متفرقة على جنوب فارس والعراق وفي الجزيرة الا أنه كانت تنقصهم وحدة الكلمة فسلط عبد الملك عليهم سيفه الحجاج فاستطاع هذا الاخير ان يستعين عليهم (بالهلب بن أبي صفره) ويفتت شملهم ويقضي على تجمعاتهم .

وإذا كان عبد الملك بن مروان قد تمكن بمقدرته وتجاوب الشعب معه ، وبمهارة قواده أن يقبض على زمام الموقف وأن يحدد تلك التحركات الداخلية الخطيرة لا على ملكه وملك بني أمية فحسب وإنما على وحدة الأمة العربية الإسلامية وكيان الدولة الواحدة كله ، فإنه استطاع كذلك أن يجعل الدولة تقف وحدة مترابطة وكالطود الشامخ في وجه لحركات المارجرية التي استغلت انشغالاته العديدة وتوزع قواه لتمارس ضغوطها الحربية على الحدود الشمالية والغربية للدولة العربية الإسلامية . والذي يلمت النظر في سياسة عبد الملك سرعة الحركة وشمولها : فهو لا ينتظر اخماد حركة ليقضى على أخرى وإنما يحاول أن يعرك الخيوط كلها معا ، بمصها حركة مداعبة وأخرى حركة احتراز وتآلفها حركة عنيفة . فالفتنة مشتملة في بلاد الشام بينه وبين عمرو بن سعيد ، وملتصية في الحجاز والعراق بينه وبين ابن لزيبر ، إذا بالقوم الذين يسمون بالمراجمة أو المردة - وهم قوم من تصارى بلاد الشام كانوا يقيمون قرب انطاكية ويمتدنون حتى الجنوب - يقومون بتحريك مسلح معمم من امبراطور الروم ، وينزلون سهل البقاع ويزفون جبال لبنان الشرقية ، ويشنون حملاتهم على الحجيج ويعسدون في الارض . ولما كان عبد الملك في محنة حقيقية فإنه اتخذ حركة خيط لينة ، وقبل المعارضة مع امبراطور الروم لايقاف تلك الغزوات بل وجدد الهدنة معه على أن يدفع له مالا ويكف المراجمة عن أعمالهم العدوانية ... الا أنه عندما صفاله الجو بعث اليهم بجيشه ففتك بهم .

ومثلما أثار امبراطور الروم المراجمة في بلاد الشام ، فإنه فعل مع بعض سكان شمالي افريقية من الامازيغ : فقبل وصول عبد الملك الى الخلافة تزعم (كسيلة) حركة تمرد منهم ضد العرب المسلمين وفتك بجيش عقبة بن نافع وأرداه قتيلا ، وزحف على القيروان وسيطر عليها . وبدا وكان حكم العرب والاسلام في افريقيا قد انتهى . ولكن لما تم الامر لعبد الملك ، وكان قد اشترك يوما في فتوح العواصم في شمالي افريقيا ، فإنه أمد أمره في برقة زهير بن قيس اليلوي - وكان من قواد عقبة المجريين بجيش لجب . وقد تمكن هذا الأخير بعد معارك مظفرة من القضاء على كسيلة ومن دخول القيروان ، وبعث بفرق من جيشه الى مختلف البقاع المجاورة ليعيدها الى الحكم الاسلامي . فانتهز الروم فرصة تبعثر الجيش هذا ونزلوا على الساحل الافريقي عند قرطاجنة ، واستولوا على برقة وطرابلس وسقط زهير شهيدا في المعركة .

ومع أن عبد الملك لم يكن قد انتهى بعد من ثورة ابن الربيع وذيلوها نهائيا فإنه شعر بأن انتصار الروم في شمالي أفريقيا مع بعض أعوانهم من سكان البلاد خطر صخم على الدولة العربية الإسلامية ولذا فإنه بحث بعائده (حسان بن النعمان) عام 73 هـ مع جيش كبير ، فدخل يعزم قرطاجنة واستولى على القيروان ثانية ، وهزم الروم واحلافهم ، ووطد للدولة الإسلامية في إفريقيا . وقضى على تمرد (الكاهنة) في جبال الاوراس ، واستقبله الأهالي استقبال المتفقد ، واندفعوا لاعتناق الدين الإسلامي ، بل وانخرطوا منذ ذلك الوقت في جيش المسلمين ليحاربوا إلى جوارهم الروم في بقية أنحاء شمالي إفريقيا وليفتحوا معا إسبانيا . ولبسحوا في جهاد تحريري مقدس تنشر فيه القيم الإسلامية ومبادئ الرسالة في العدل والحرية والمساواة .

عبد الملك بن مروان في صراعاته الحربية تلك التي كانت اداته فيها جيش العرب المسلمين المتماسك ، وفي منحه الحزم بل الشدة والقسوة أحيانا في قمع تلك التمزقات في كيان الأمة الواحدة والدولة الواحدة ، والتي ترسم في لوحة دعم الدولة الإسلامية تلك الخطوط العنيفة الدامية وبعض الظلال المعتمة . كان يؤمن دون مواربة أن الإسلام رسالة تنشئ الوحدة السياسية وتعمل على تكوين مثل وقيم موحدة راسخة ، وأنها لتشع على العالم مثلا اجتماعية بساة وحلاقة لابد لها من دولة واحدة محكمة البناء وذات أصالة مرتبطة بأصالة الرسالة ذاتها . ويبدو أن الجيش الذي سهره لتحقيق تلك الوحدة أو بتعبير آخر الشعب العربي المسلم ممثلا عسكريا - قد تجاوب معه تجاوبا كاملا ، لأن العاملين فيه كانوا يؤمنون بما آمن به عبد الملك ، أي بضرورة الإبقاء على تلك الوحدة التي هي الشجرة الكبرى من ثمرات الإسلام ، بأي ثمن .

ولم يكتف عبد الملك في الواقع عبر الجيش أن يلم شمل الأمة الميحق وأن يراب صدوعها فحسب وإنما وضع للجيش الإسلامي مهمة أخرى وهي تحرير الشعوب المغلوبة وبت القيم الاجتماعية المتدلية الجديدة التي أتى بها الإسلام وترسيخها فعليا وعمليا . ولهذا أعاد حركة الفتوحات التي تلكت قليلا حيويها الأولى . فأمند شرقا في سبستان وتوغل المسلمون في المنطقة القريبة من كابل في أفغانستان الحالية ، وبدأ مدا دفاعا في شمالي أفريقيا ميثابحه خليفته لوليد بحركة وثابة . وهو إذ أعاد لفتوحات الإسلامية انداعها الأولى كان يعتقد أنها تعبير حي عن وحدة الأمة الإسلامية ومجال

للفتيق طاقاتها : فالفتوحات رصت الصفوف في مجهود مشترك واسع لتحقيق هدف سام ، واشعرت الشعب العربي بمسؤوليته المالمية الانسانية ومن ثم بذاته الماملة لرسالة مساوية خلافة . ومن المعروف ان الفتوحات الاسلامية - مهما قول المؤرخون والمستشرقون حول دوافعها - لم تتخذ لها يوما ديدنا فرض العقيدة الدينية بالقوة والعنف . بل حملت تلك العقيدة وقيمها الى الشعوب عملا خيرا ، وحكما عادلا وتسامحا وجبا . وتركت لها بعد ذلك ان تختار العقيدة التي ترتضيها . وهذه الحرية الدينية التي كفلها لاسلام للشعوب هي التي جذبتها اليه ماعتنقه طائعة ، واتخذت لغته العربية لغة لها باحيارها الحر البحث بل وانتمحت مع العرب المسلمين كليا ، وزودت المد العربي الاسلامي بطاقة جديدة متفجرة كانت لا تخبو الا لتعاود الاشتعال وتضي بالاسلام وللإسلام أرضا جديدة وأناسا آخرين .

الا ان عيد الملك يشبول نظراته في بناء الدولة العربية الاسلامية الواحدة رأى ان البعد الحربي بكل أهدافه لا يكفى وحده لترسيخ قدم هذه الدولة بل يجب ان يدعم ذلك السعد ببعد يشد أزره ويحميه ريعق أثره وهو البعد الثقافي - ويعنى هذا البعد في خطوطه العريضة اشعاع الرسالة الاسلامية بأصالتها العربية ، ولسانها العربي اى كما أوحيت للرسول عليه السلام صافية « انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » . وهذا الاشعاع لن يتم عبر الفتوحات فقط وانما يجب ان ترافقها حركة تعريب شاملة تسود فيها اللغة العربية مرافق الحياة كلها حتى تدرك الرسالة الاسلامية بكل أعماقها ومفهوماتها . وتصل الى جميع الناس بأصالتها دون تحريف الاعاجم أو عوج اللفظ . وهذا هو العمل الابداعى الحق الذى اختطه عبد الملك وتنفذه وتايه خلفاؤه من بعده . وكانى بآبن خلدون وهو يتكلم فى مقدمته عن أصحاب السيف والقلم وقيمتهم فى الدول كان يحكم على محط عبد الملك هذا . فقد قال ابن خلدون . (اعلم ان السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على امره ، الا ان الحاجة فى أول الدولة الى السيف ما دام أهدبا فى تمهيد أمرهم أشد من الحاجة الى القلم ... وكذلك فى آخر الدولة ...) . واما فى وسط الدولة فيستغنى صاحبها بعض الشئ عن السيف لانه قد تهد أمره ولم يبق همه الا فى تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة الول وتنعيد الاحكام ، والقلم هو المصير له فى ذلك ...) ولعل بن خلدون سها عن القول

بان ذلك القلم يجب ان يكتب بلغة صاحبه حتى يكون المبني اصلب . وهكذا ابتداء عيد الملك حركته الشهيرة في التاريخ باسم « تعريب الدواوين » .

والدواوين أو ادارات المولة المختلفة يرجع انشاء بعضها الى عهد عمر بن الخطاب ولا بد ان ديوان الجند وكان أول الدواوين التي استحدثت . قد كتب بالعربية لان القائمين عليه كانوا من العرب المسلمين . أما ديوان الحراج والبيبايات فقد بقيت لغة تدوينه على ما كانت عليه قبل الاسلام . اى الرومية في بلاد الشام والفارسية في العراق والرومية والقبطية في مصر . كما كان القائلون على هذه الدواوين من أهل النعمة من الفرس والروم . ويبدو الوضع في الواقع منحرفا وغير متوازن البتة مع المنطق السليم : فالدولة عربية اسلامية ، ولغة الوحي والرسالة فيها العربية ، ولغة الحاكم عربية ، ودواوين الحراج والطراز والطومار رومية اللغة او فارسيته . فمن الطبيعي ان يلاحظ عبد الملك وهو الخليفة العربي العالم ولتفقه في الدين والادب ، ذلك التناقض وتلك الازدواجية المزعقة لوحدة ثقافة الامة ، والمستتة لابتداعها والمركبة لنشاطها لا المالي والاداري فحسب – كما يمكن ان يظن – وانما الفكرى والعملى بعامه . لان الادارة ترتبط بحياة كل الناس ارتباطا وثيقا ، وفي الوقت ذاته احس عبد الملك بنشاط الحركة الثقافية العربية الاسلامية المنصرفة الى دراسة علوم اللغة والدين فرأى دعمها وافساح مجالات الانتشار والاختصاص امامها بفرسها في المؤسسات الحكومية . فتعريب الدواوين يعنى نشر اللغة العربية والثقافة العربية على اوسع نطاق وتحويلها من لغة القرآن والمسجد فحسب الى لغة للحياة اليومية تمتزج فيها كلمات الدين بتفاعلات الحياة ، وبذلك تستعقب العقيدة الدينية في النفوس لتفاعلها المحسب مع العيش . لقد كان تعريب الدواوين اذا مظهر حي لنمو الفكر العربي الاسلامى وافتتاحه على من حوله . وبالتالي لتسكن العرب في المبدآن الحصارى وقدرتهم على لتحرك الفعال في الاطار المدنى . والى هذا المعنى يشير ابن خلدون عندما يعلل تعريب عبد الملك لدواوين فيقول : « لما جاء عبد الملك بن مروان واستحال الامر ملكا وانتقل القسوم – اى الصرب – من غضاضة البداة الى رتوق الحضارة ومن سذاجة الامية الى حذق الكتابة . وظهر في الصرب ومواليهم مهرة في الكتاب والحسبان ، أمر عبد الملك سليمان بن سعد والى الاردن لعهد ان ينقل ديوان الشام الى العربية » .

وبالإضافة إلى ذلك الدافع الرئيسي الذي حدا بعبد الملك للقيام بعمله الثوري هذا قائم لابد أنه أدرك أن تسلم الفرس والروم لديوان الحراج وهو ديوان المال وعصب حياة الدولة ، أمر له أخطره الجمة فكانه يسلم به الدولة العربية الإسلامية ولا يكتمل إلى الإعداء المقيضين الذين ما انفكوا عن كيدهم ودسهم . فالكتاب من الروم والفرس كانوا لابد يشعرون أنهم بعيدون مبدئياً عن مراقبة السلطات العليا للدولة لأنهم يدونون بلغة لا تجيدها فالمرتفع أمامهم إذا خصيب للتلاعب والتزوير ولعلمهم كانوا يحسون الأغنى للحاكمين الجدد عن خدماتهم ، فبهما تحكموا واستبدوا ورفعوا رؤوسهم عالياً ، أو أهملوا عملهم وتقاعدوا فيه فإن مقاماتهم لن تدرك . وإلى هذه الناحية بالذات تشير روايات معظم المؤرخين عند كلامها عن الأسباب التي دفعت عبد الملك إلى تعريب الديوانين . ففي واحدة من الروايات « أن (سرجون بن منصور النصراني) الذي كان يتقلد ديوان الشام أمره عبد الملك يوماً يتولى تتأقلم عنه وتوأنى معاد لطلبه وحثه فرائى منه تفریطاً وتقصيراً فقال عبد الملك (لسليمان بن سعد) وكان يتقلد له ديوان الرسائل . أما ترى أذلال سرجون علينا وأحسبه قد رأى ضرورتنا إليه وإلى صناعته ، فما عندك حيلة ؟ قال لو كسنت لحول الحساب إلى العربية . قال فافعل ... فوله عبد الملك خراج الأردن لسنة فلم تنقض حتى فرغ من نقله » .

والرواية التي ذكرت عن تعريب الحجاج لديوان العراق تشبه في إطارها العام وبالتحديد الموجه إلى قدرات العرب فيها ما ذكر عن تعريب ديوان الشام . فقد كان على رأس ديوان العراق (زاذان فروخ بن يبري) . وكان إلى جانب في عمله (صالح عبد الرحمن) مولى بى تميم ، وكان يكتب بالعربية والفارسية . وأحسن صالح عبد الرحمن أن (الحجاج) يقر به إليه ، فقال مرة لزاذان « لقد استجفنى الأمير ولا آمن أن يقدمني عليك وأن تسقط . فقال له زاذان : لا تظن ذلك فهو أحوج إلى منه إليك لأنه لا يجد من يكتفي حسابه عبرى . فقال له صالح : والله لو شئت أن أحول الحساب إلى العربية لحولته . فقال له زاذان : حول منه شطراً حتى أرى . ففعل . ولا قتل زاذان من حرب ابن الأشعث خلفه صالح وترجم الديوان إلى العربية » .

ولا يقل خطورة وأهمية عن تعريب ديوان الحراج تعريب الطراز والطومار . أما الطراز فكما عرفه ابن خلدون هو أن ترسم أسماء الملوك والسلاطين أو علامات تختص

بهم في طراز أنوابهم المصنوعة من الحرير أو الديباج . والطومار هو الصحيفة الرسمية التي تكتب عليها الرسائل السلطانية والوثائق الدولية . وقد كان الطراز أو تياب الخنفاء . والطوامير تصنع في مصر ويقوم على صناعتها رجال من الإقباط ويكتبون عليها أو في رأسها بالرومية ما معناه (باسم الاب والابن والروح القدس) فلما علم بذلك عبد الملك بن مروان أكبر الأمر وقال : ما أغلظ هذا في أمر الدين والإسلام . وكتب إلى أخيه عبد العزيز وكان واليا على مصر وأمره باستبدال عبادة (قل هو الله أحد) بما كان يكتب . ولا بد من التنويه هنا بأن الطراز والطومار كانا يرسلان من مصر إلى بلاد الروم وبالمقابل كانت الدنانير الذهبية تضرب في بلاد الروم وترسل إلى بلاد الإسلام .

لقد كان تعريب ديوان الخراج والطومار والطراز تحديا عنيقا لنفوذ الروم والفرس على حد سواء . ولزلة لوجودهم لا تقل عن زللة الفتوحات لسيادتهم . فقد فهموا منه - كما يجب أن يفهم - أنه تكامل لبناء الدولة العربية الإسلامية . وترسيخ لدعائم العرب فيها . وتمكن لمفهومات الحضارة منهم واستفناؤهم عن خدماتهم . وتحرر الدولة من ضغوطهم : فزمام الأمر انفلتت إذن نهائيا من بين أيديهم ولا أدل على ذلك من شعور المرأة الذي أحس به الكتاب الروم والفرس ، فبعد أن عرب (سليمان بن سعد) ديوان الشام دعا (عبد الملك بن مروان) (سرجون بن منصور) إليه وعرض عليه ما فعله سليمان فغضب ذلك وخرج مهموما فلما سأله قومه عما به أجابهم : (اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم) أما (زاذان فروخ) فعندما رأى قدرة صالح عبد الرحمن على تعريب جزء من ديوان الخراج في العراق فإنه بذل له على ما تذكر الرواية مائة ألف درهم كي يظهر العجز عن نقل الديوان إلى العربية . وبشر ابن خلدون أن هذا الأمر أي التعريب قد رغم منه كتاب الفرس أي كرهوه وتضايقوا منه .

ولم يقتصر الأمر على ردود فعل عردية ملونة بالمرارة والا لم فحسب بل أن القضية أخذت مدارها في العلاقات السياسية بين الدولة العربية الإسلامية والدولة البيزنطية . فقد حاولت هذه الأخيرة منع ما حدث وأشرعت تهدد وتضغط بأن يرسل أميراطورها رسالة استنكار إلى الخليفة عبد الملك اثر وصول الطراز والطومار إليه بكتابت (قل هو الله أحد) و (لا إله إلا الله محمد رسول الله) بدلا من كلمات (باسم الاب والابن

والروح القدس) وضمنها قوله : (ان عمل القراطيس بمصر وسائر ما يطسرس هالك للروم ... ولم يطرز الآن بطرازهم ... فان كان من تقدمك من الخلفاء قد اصاب قفسه اخطات , وان كنت قد اصبحت فقد اخطاوا , فاختر احدى الحالتين) وبعث كتابه هذا مع هدية يسترضيه بها ويدعوه للرجوع عما بدأ به , فرد عليه عبد الملك هديته وأخير الرسول بانه لا جواب لديه على الرسالة . فكرر الامبراطور رسائله وتمادى عبد الملك فى صمته فاستشاط قيصر الروم عيضا وبعث اليه بتهديده الاقتصادي - الدعوى المعروف وهو انه سيدون على الدنانير المسكوكة لديه سببا بالرسول الكريم عليه السلام (انكم احدثتم فى قراطيسكم ما تكرهه فان تركتموه والا اتاكم من الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه) .

وإذا تابعنا رواية المؤرخين الى مداها فانه يستنتج منها ان عبد الملك قد شعر بالمرج من هذا التهديد ذ ان اقتصاد الدولة يعتمد على النقد الذهبى البيزنطى الذى كان وحده التعامل التجارى الرئيسية فى أنحاء الدولة العربية الاسلامية بل وفى معظم العالم المعروف آنذاك , حتى ان العرس انفسهم كانوا لا يسكون سوى العملة الفصيصة . فكانة الدينار البيزنطى فى الاقتصاد العالمى كانت مكينة ومتينة . والتهديد فى الحقيقة - اذا ما نفذ - حطير ومود بل ومهين للدولة العربية الاسلامية : فالنقود بتداولها الواسع مجال دعوى قوى وذو اثر . واذا منح دخول تلك النقود فان اقتصاد البلاد يهدد بأزمة عنيفة لان الدولة لا تملك بدىلا عنها . ولم يرد عبد الملك ان يقطع بالامر وحده - على ما تذكر الرواية - باستشار خالد بن يزيد فاشار هذا عليه بتحريم دخول الدنانير الرومية الى البلاد الاسلامية , وبسك عملة عربية اسلامية ذهبية تحل محل الدينار البيزنطى . ولم يتردد عبد الملك وأوجد النقد العربى الذهبى لدولة العربية الاسلامية .

وبذلك اوتسم البعد الاقتصادى بكل عمقه فى تكامل بناء الدولة العربية الاسلامية ذلك البعد الذى حررها اقتصاديا من كل ضغط اجبى أو تلاعب بمقدورها . فبئس الدولة لنقد خاص بها هو أساس اول من أسس بنائها الذاتى الاقتصادى , اذ ان السماح للنقد الاجنبى بالتحول حرا على أرضها مع عدم رجود قوة نقدية خاصة توازنه أو تقاومه , وبإعراق أسواقها عندما يحلو للدول الاجنبية ان تفعل ذلك , وبإدخاله مزىبا أحيانا .

يعنى جعل تلك الدولة فى مهب الريح وتعرضها لازمة اقتصادية تزعزع كيانهما
وبنياتها بشكل مستمر .

وربما يقول قائل ان عمر بن الخطاب كان اول من ضرب الدراهم الفضية على النمط
الفارسي وزاد على بعضها عبارة (الحمد لله) وعلى بعضها الآخر (محمد رسول الله) .
وان معاوية حاول هو الآخر ان يضرب بعض الدراهم والدنانير وكذلك فعل بعض عماله فى
العراق . بل ان هناك رواية ان مصعب بن الزبير كان اول من ضرب الدنانير والدراهم
بأمر من أخيه عبد الله وكتب على أحد الوجهين (بركة الله) وعلى الثانى اسم (الله) .
ولكن هذه العمليات كلها اذا اتت صحة الرواية كانت محلبة ومحدودة وتنصب على
النقد الفضي بخاصة . والدليل على ذلك ان الدنانير البيزنطية والدراهم الفارسية بقيت
سائدة فى النظام النقدي للدولة العربية الاسلامية حتى عهد عبد الملك بن مروان وهذا
ما اجمع عليه معظم المؤرخين . ومهما قالت الروايات فى الدوافع التى حدثت بسبب
الملك الى سك العملة العربية الاسلامية فان عمله لم يكن فى الحقيقة رد فعل لتجدد أو
لضعف آنى وإنما كان ضمن المخطط الدينامي الذى رسمه فى ذهنه لترسيخ دعائم الدولة
العربية الاسلامية على قاعدة ثنائية من الذاتية العربية الاسلامية الحرة والخلافة . بل ان
سك العملة العربية الاسلامية قد تم كما ثبت من الدراسات الحديثة بين عامى 74 - 75 هـ .
أى قد تكون اسبق زمتا من عملية تعريب الدواوين وما ولدته من تحديات شتى . وقد
أدرك ابن خلدون بحسه التاريخي النقدي هذا الامر فعزا عمل عبد الملك الى سبب تابع
من متطلبات تكوين الدولة ذاته فقال : « ان السكة - وهى الطابع الذى يوضع على
الذهب والفضة لاثبات صحة وزنها - هى وظيفة ضرورية للملك اذ بها يميز الخالص
من المغشوش بين الناس فى النقود عند العملات ويتقون فى سلامتها الغش بخمس
السلطان عليها بنقوش معروفة » . ولما جاء الاسلام اغفل ذلك لسداجة الدين وبداوة
العرب الا انه تباحث الغش فى الدنانير والدراهم لعقلة الدولة عن ذلك . فامر عبيد
الملك الحجاج بصرب الدراهم وتمييز المغشوش من الخالص وكتب عليها (الله أحد الله
الصمد) .

وقد أنشأ عبد الملك دارا لضرب النقود فى دمشق . وبقى وزن الدينار العربي
على وزن الدينار الرومى وكذلك الدرهم على وزن الدرهم الفارسي . ووضع الصبغات
لوّزن النقد وضيطة .

ومن هذا الاستعراض السريع لصفحة التاريخ العربي الاسلامي يتضح بجلاء ان مفهومات الدولة الواحدة الاسلامية بكل أطرها ومقوماتها لم تكن خافية على العرب المسلمين في ذلك الوقت بل كانوا مدركين وبصق لكل بعد من أبعادها وعاملين على التمكين له حتى في أعنف الازمات . فحركة التعريب الكبرى التي أعطاها عبد الملك بن مروان زخما ودفعها قوين ، لم تكن لتاصيل عروبة الدولة الاسلامية بقدر ما كانت لوطيد أصالة اسلامها ووجدتها ونشر رسالتها : فبالتعريب وحده عبد الملك لغسة الادارة مع لفة الرسالة الاسلامية التي تستند نك الادارة اليها . وبذلك أزال التناقض المؤدى للمقتل والواقع ، كما أزال ذلك التباين في العلم التي ورثها العرب المسلمون في الامصار المفتوحة ودمجها كلها في وحدة عربية سلامية واحدة . وأبعد النفوذ الاجنبي بكل أشكاله عن التسلل الى شؤون الدولة ، وأفسح المجال للعناصر العربية الاسلامية الكفمية كي تبارس الاعمال الادارية الجديدة . فبث الثقة (الحضارية) في نفسها مما فتح لديها قوى الابتكار والابداع حتى ان الكاتب (عبد الحميد بن يحيى) كان يقول دائما : (لله در صالح - ويقصد به صالح عبد الرحمن - ما أعظم منته على الكتاب) .

وبالإضافة الى كل ذلك فان حركة التعريب مكنت لفة القرآن من التحرك في أوسع ميدان ، ومن بث مبادئ الدين مباشرة بين الناس ودون وسيط . فقد اضطرت العناصر غير العربية الى تعلم العربية وأتقناها ومن ثم تفهم الوحي والاعتناق العقائدي للدين . وتبنى الثقافة العربية الاسلامية قلبا وقالبا . والاسهام فيها واعتازها بفكر جديد بل واختصاب اللغة العربية ذاتها بمعان ومصطلحات لم تكن فيها . ان الحركة العربية الاسلامية لعهد عبد الملك بن مروان بكل أبعادها المذكورة آنفا كانت في الواقع رفعا لحرارة التفاعل الفكري المثير بين الشعب العربي والشعوب الاخرى التي تعاشيه في نطاق الدولة الاسلامية الواحدة . واسرعا فيه . كما كانت بداية غنية للاتجاه نحو الافادة من الثقافات الاخرى وصهرها في بوتقة الاسماله الاسلامية . ذلك الصهر الذي ستتولد منه البلورة الماسية للحضارة العربية الاسلامية - فحركة التعريب إذن لم تكن أبدا حركة تقوقع عربي وتغصب عنصري قومي - كما يحاول بعض المستشرقين وصفها - وانما هي على العكس من ذلك دفع للعرب المسلمين للانفتاح على الحضارات الاخرى والتوغل

فى الاطار الحضارى الانسانى والاخذ والعطاء فيه عن طريق تحميل الشعوب الاخرى اداة
الحوار معهم *

واذا ما عدنا ثانية الى الحاضر فان صفحة التاريخ تلك تجعلنا اكثر ادراكا لهذا
الحاضر وتطبعاته , وأعمق تفهما لمضمونات الوحدة العربية وآفاق تنفيذها ان فى الميدان
الثقافى أو الاقتصادى أو العسكرى أو السياسى * كما تدعنا تلك اللوحة من التاريخ
اقوى ايمانا بأن تكامل بناء الدولة وتطويره - ونحن نعيش هذا فى حاصرنا - يجب أن
يتم فى كل الابعاد وفى آن واحد ودون تلكؤ وانتظار . وأن الازمات مهما قست عاجزة
عن اعاقه عمليه البناء أو ايقاعها اذا توافرت الارادة الصلبة والفكر النير المبدع لدى
العاملين عليها وفيها *

وأخيرا تؤكد لنا هذه الصفحة من التاريخ أن عروبة اللسان والثقافة لنا نحن أبناء
الوطن العربى كله ليست أصالة قومية فحسب قد تثير بعض العنصنة القثوية - كما
يحاول بعض المتروطين أن يدسوا عليها - وإنما هى أصالة انصهرت وذابت فيها كل
الانقسامات والنصديعات الاجتماعية والسياسية ففدت أصالة حضارية غنية بكل قيم
الفكر الانسانى * كما ان هذه العروبة فى اللسان والثقافة أصالة عماندية بالنسبة
للسعوب الاسلامية لا يمكن اترك اسس الدين وتمثل قيمه و لتعرف على الهوية الذاتية
لفكرها نفسه دورها *

البر والبرانس والمظهر الاجتماعي لسكان بلاد المغرب قبل الإسلام

د . لقبال موسى
كلية الآداب - جامعة الجزائر

لم يعن الحكام الذين تواردوا على شمال افريقية ، قبل الاسلام ، بالمنطقة ، ولا بسكانها الا بقدر ما يحفظ الامن الداخلي ، ويجعل الجباية مستمرة ، وطرق التموين البرى والبحرى آمنة غير مخوفة ، لا فرق فى هذه الناحية ، بين الفتيقين ، وبين الرومان والوندال والروم والبيزنطيين ، فكلهم او معظمهم كانوا غرباء عن مجتمع شمال افريقية قبل الاسلام .

وغربتهم انعكست آثارها فى عدم مخالطتهم للسكان ثم فى بقائهم يجهلون انماط حياتهم الاجتماعية والثقافية لدى طويل ، يضاف الى ذلك ان اغلب هؤلاء الحكام كانت حامياتهم العسكرية تكتفى بالحماية داخل مراكزها الساحلية والمناخية ، على نحو يتعذر معه تسرب شئ ذى بال الى محيط السكان الاهلين ، هذا

بيتما تعرضت هذه المراكز لضغط شديد من طرف السكان ، مظهره تلك الاغارات المستمرة لهدم والنهب ، ولاشاعة جو الخوف والقلق وعدم الاستقرار .

ونتيجة لذلك بقي الحاجز قويا وتبادل التأثير ضعيفا نسبيا . بين سكان البلاد وبين من فرضوا انفسهم حكاما مستغلين .

ويبدو ان جهل الحكام الاجانب بأساليب الحياة القبلية لمدنهم عن البدوة وانماطها ، وعدم توغلهم في دواخل البلاد الا الى مدى محدود ، ثم ترفعهم عن السكان استعماله واعتناهم بربا من بين أهم العوامل التي قضت على الحكم الاجنبى بالفشل . لان دواعي النفرة عند السكان تكاثرت فوحدت بين أشتاتهم ، وصيرتهم في الجملة الباسا ضد من عداهم . وبالأحرى أكثر استعدادا للنضال لتغيير القديم . ولتبني كل نهج جديد . يحقق لهم ذاتيتهم ويرضى رغباتهم ويعالج جو الارتباك والحيرة الدينية الذي خيم عليهم فترة طويلة .

وكان الاسلام هو ذلك النهج الجديد الذى ملأ الفراغ السياسى والحضارى فى المنطقة . بعد ان تبناه السكان أثر فترة تميزت بالصراع لتأكيد الذات . او لارساء قواعد الاتجاه الجديد . وعلى رغم ما حفلت به الفترة من أحداث شاقة فلم تكن خلوا من الفائدة التي انعكست آثارها على السكان . ثم على دعاة الحركة الاسلامية ايضا . ويبدو واضحا ان دعاة الحركة الاسلامية رغم قلة امكانياتهم المادية وبدعمهم عن مراكز انطالقهم . كانوا أكثر استغلا للنفرات ولقط الصف في النظام القديم . كما كانوا أكثر استفادة من اخطاء سابقهم . ومخلفاتهم المادية فى المنطقة ثم من الطاقات الحربية والتجارب التي اكتسبها السكان الذين سيصبحون . بعد فترة قصيرة عدة للمسلمين جنودا للحركة الاسلامية ووقودا لها بتنفيذ بلهيه وباشماعة لا فى مجال بلاد المغرب فحسب وانما فى مجالات أخرى فى البر وفي البحر .

ويبدو ان نجاح دعاة الحركة الاسلامية فى مهمتهم فى بلاد المغرب . لا يصزى فقط الى بساطة العقيدة الاسلامية ودعاتها . أو الى ظاهرة الاستعداد النفسى عند السكان وانما يضاف الى ذلك عدة عوامل من أهمها .

— الف العرب المسلمين لانماط الحياة الاجتماعية : البدوية والحضرية في شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية . وهذا أمر يسر عليهم فهم نوع الحياة التي كان يحياها السكان في المنطقة .

— وقد توغل العرب المسلمون ودعاة الاسلام بنقوذهم السياسي والروحي منذ فترة مبكرة الى مناطق العزلة النائية حتى في مجاهل الصحراء .

— وعلى اساس من احترام للتقاليد غير الوثنية للسكان ، وفهم حياتهم الخاصة تمكن العرب المسلمون الذين لم يأنفوا من مخالطة السكان . عن طريق الخدمة العسكرية ، والمصاهرة ، والولاء ، ثم الحلف ، من الاشراف على ميلاد مجتمع جديد على نهج جديد ابرزها يميزه : الاخوة في الدين وفي السلاح ثم الاشتراك في المفاهيم وفي التضحيات .

— ولأن أهداف العرب المسلمين لم تكن مادية صرفة ، ومبادئهم لم تكن مقلدة ارحعوا الى البلاد تكاملها ، ونظروا اليها نظرة جديدة قوامها الوحدة . فهجروا أغلب المصطلحات القديمة ، ومحووا التقسيمات ومظاهر التحزنة التي شاعت في اليهود الوثنية ، وأوجدوا بديلا لذلك في المصطلحات الحديثة التي لم يراع فيها غير اعتبار قرب المنطقة أو بعدها عن مهد الحركة الاسلامية ، ومركز الفتوح الاسلامية في الفسطاط أو في دمشق . وبفلاذ . وهكذا ظهرت الى لوجود مصطلحات المغرب الادنى ، والمغرب الاوسط والمغرب الأقصى على انقاض المصطلحات الكثيرة التي تميز بها العهد القديم . كما ظهر لأول مرة في فترة تالية . في كتب السايه المسلمين تقسم حده لسكان البلاد ذلك هو تقسيمهم الى مجموعتين كبيرتين تسمى احدهما : مجموعة البرانس وتسمى الاخرى مجموعة البتر .

ولمعرفة كنه هذا التقسيم ، ولتوضيح الاسس والاعتبارات التي لوحظت في هذا التمييز بين مجموعتين يبدو الاعتبارات الاجتماعية من جهة . ثم الاعبارات الثقافية والاصول النسبية من جهة أخرى .

ولتوضيح ذلك نلاحظ أن أغلب قبائل مجموعة البتر كانت تعيش وفق أنماط الحياة البدوية من النجعة . وسكنى الخيام ، وكسب الانصام والميل الى قطع السابلة والاغارة على مراكز العمران ، والاعتصام بالاماكن المنزلة والبعيدة عن متناول السلطة السياسية فكلمة البتر بهذا مفهوم تكاد تكون مرادفة لكلمة «النوميد» التي ترجع الى فترة ما قبل الاسلام .

أما انجب قبائل مجموعة البرانس فهم مستقرون للزراعة وللغراسة . وبحكم استفراهم هم قريون من مركز السلطة او مشموكون بانظارها . كما أنهم كانوا أكثر من غيرهم تأثرا بما طرا على البلاد من هجرات بشرية . وحروب . وثقافات سامية أو آرية . وبهذا المعنى تبدو كلمة البرانس وكأنها في مدلولها ترادف كلمة « المور » سكان منطقة أو ولاية « موريطنيا » والكلمة يعود ظهورها أيضا الى فترة ما قبل الاسلام في شمال افريقية .

وهنا يجب أن نؤكد على ظاهرة هامة هي ن سمة البداوة كما تبدو السمة الوحيدة بالنسبة لبعض فروع البتر . مثل بنى توجين وبنى خزرج من مغاوة . كذلك سمة الاستقرار بالنسبة لبعض فروع البرانس . مثل كتامة وزواوة وصنهاجة الشمال . فلم يحدث أن استقر بنو توجين أو بعض فروع زناتة الآخرين في غير مجاهل الصحراء . وعندما يمكن بعضهم مثل بنى مرين وبنى عبد الواد من تأسيس ملك ورأى حول قاعدة مستقرة . ظلت صفات البداوة غالبية على حياتهم . وظلت بيئة الصحراء تجذبهم ومواشيهم وانعامهم هي عنوان غناهم وخير ما يملكون . ولم تسعنا المصادر التاريخية بما يشير الى أن فرعا ما من بين فروع كتامة أو زواوة قد سلك سبل اليدو . أو عرف بالحياة البدوية في فترة ما من تاريخ هاتين القبيلتين الكبيرتين اللتين تنتسبان الى مجموعة البرانس .

ومما له علاقة بالاعتبار الاجتماعي ما لاحظته بعض الباحثين من أن السبب في تسمية البرانس بهذا الاسم إنما هو المظهر الخارجي للباسهم الذي كان يشتمل على غطاء للرأس ما زال يستعمل حتى اليوم في اللباس المحلي المعروف بالبرنس والقشابة الجلابة .

وعرف البتر بهذا الاسم نظرا لأن لباسهم الخارجي لم يكن يشتمل على هذه الوقاية الخاصة بالرأس مثل اللباس المعروف بالكدرن الذي يبدو بالقياس الى البرنس أو القشابة . ناقصا أو ابتز . ومن ثم ميزت هذه المجموعة عن غيرها بهذا الاسم الاصطلاحي كما ميزت الأعمال التي لا تذكر في بدايتها اسم الله . ومن ذلك خطبة زياد بن أبيه التي عرفت بالبتراء .

ورغم ما في ملاحظة الاعتبارات الاجتماعية من أهمية وجاهة في مثل هذه الحالات فإن ما يرد على ذلك جيلة مأخذ من أهمها *

— ان النسابة والمؤرخين المسلمين ، لم تجر عاداتهم في مثل هذه الحالات ، بملاحظة الاسس الاجتماعية لانها قضية حاصلة * بينما قضية الاصل الواحد تلمس دورا رئيسيا في الانساب العربية *

— وظاهرتا السداوة والاستقرار بالنسبة لمجموع سكان شمال افريقية المحليين مسألة نسبية قد تقوى هنا وضعف هناك *

— لقد اشتهرت بعض قبائل فرع البتر بنوع من الحياة المستقرة ، مثل قبيلة كومية التي تعرف أيضا بصطقورة ، وكانت تضرب مختلف فروعها في جبال تارة ، وارشقول وعلى ساحل هين * ومن هذه القبيلة عبد المؤمن بن علي المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين وأبو الخلاء الموحدين أيضا ، ثم هانيء بن مصدور النسابة والمؤرخ المشهور ، ومثل قبيلة كومية ، قبيلة جراوة ، وهي القبيلة التي أسست نظاما إقطاعيا ، بزعامة الكاهنة في منطقة أوراس . ثم قبيلة نفوسة البثرية . التي كانت تضرب في الجبل المعروف باسمها « جبل نفوسة » جنوب مدينة طرابلس الغرب *

وبالنسبة لفرع البرانس المستقرين ، نلاحظ أن بعض فروعهم : اشتهروا لفترة طويلة ، بظواهر الحياة البدوية النقية * ومن ذلك فروع صنهاجة الجنوب وهم المثلثون ، ومنهم جدالة ومسوفة ، وجزولة والمتونة والاخيرة هي عصبية دولة المرابطين والقبيلة المؤسسة لها في القرن الخامس للهجرة ، على انقاض الامارات الزناتية في المغربين الاقصى والاوسط *

— وقبائل المثلثين ، هم من فرع البرانس قطما ، ومع ذلك لم يكونوا يلبسون البرنس ولم يثبت انهم لبسوه في فترة ما تم هجروهم الى غيرة * وبصعب ايجاد علاقة ما بين غطاء الرأس في البرنس ، وبين اللثام عند قبائل صنهاجة الجنوب *

— والبرنس في هذا الوقت ، سعة للابهة والفروسية ، وهو لباس الفرمسان ، ويبدو أن أغلب الذين يهتمون بالحيل ، وباجود السلالات منها وأغلب الذين يتخذونها للركوب وللزينة ، انما هم في الجملة ، من بقايا فرع البتر وزناتة *

وليس من المستبعد أن يكون الاعتبار الذى لوحظ فى التمييز بين البتر والبرانس
لعويا ثقافيا على اعتبار أن البرانس يحكم استقرارهم كانوا أكثر تأثرا من غيرهم بالمؤثرات
الاجنبية ، وبالخصارات واشغافات الساعية والآرية التى عرفها سكان شمال افريقية
منذ فجر التاريخ ، وكل ذلك له انعكاساته على الوصف المعوى ، حيث نلاحظ تميز
البرانس بلهجات خاصة متميزة عن غيرها * وهذا يخالف البتر الذين بقوا بحكم
البداءة والعزلة وتجافى سكى المدن والامصار ، والاحتلاط مع الغير ببناءى عن المؤثرات
الاجنبية الطارئة ولذلك احتفظت لهجاتهم بأصالتها وتقائها مثلما بقيت انسابهم خالصة
لم ينفذ اليها دجيل *

أما ابن خلدون وهو عماد المدرسة المغربية ، فيفهم من كلامه عن مجموعات السكان
وانماط حياتهم ان الفارق بين البتر والبرانس سلالي وعرقى . وليس اجتماعيا او
ثقافيا ، واساس هذا الاتجاه ان ابن خلدون عبر بالجدم ، وهو الاصل النسبى كما
اطلق مصطلح الشعوب بأزاء كل جذم ، وخيرا حكى اتحاق النسابة على نسبة السكان
المحليين الى جذمين عظيمين هما البتر وهم سلالة ما دغيس الابتر والبرانس وهم
سلالة برنس *

ومما يؤيد فكرة التمايز النسبى بين المجموعتين عدة اعتبارات من أهمها :

أ - اعتقاد النسابة المحليين ، وهم اعرف باحوال بلادهم ، ان البرانس هم أبناء
مازيغ بن كعان ، وأن البتر هم عرب مضربون ينتمون الى قبيلة قيس عيلان الشمالية *

ب - وقد مال بعض النسابة والمؤرخين المسلمين الى القول بأن بعض قبائل بلاد
المغرب من عرب الجنوب اى من حمير او من كندة *

ج - وقد لاحظ الرحالة المغاربة ان بعض مجموعات السكان وأهمهم قبائل زناتة
هم عرب صريحو النسب ، فى أصلهم ، وإنما شاعت بينهم اللهجة الزناتية وتبرروا
بسيمى طول الجيرة للسكان المحليين . كذلك نلاحظ ان النسب الحميرى ، كان يتقنى به
ملوك صنهاجة من سى زيرى وبنى حماد ، ومن المرابطين أيضا ، مثلما يفخر اهل زواوة
والطوارق بهذا النسب حتى الآن *

د - وادعاء بعض القوم الاصاله فى المنطقة ، مثل ادعاء بعضهم الشرافة ، وانعكاس ذلك مع اختلاف اللهجات المحلية ووجوه الكسب ، طواهر تؤيد وجود فكرة التمايز العميق بين مجموعتي البتر والبرانس كما عبرت عنها كتب الانساب العربية والمحلية .

هـ - ويلاحظ أن التسمية العرب والمسلمين فى تقسيمهم للعرب الى جذمى عدنان وقحطان لم يلاحظوا غير الفارق التسميى ، فكيف يمكن تصور غير ذلك بالنسبة لتقسيمهم للسكان المحليين فى شمال افريقية الى بتر وبرانس ؟

هذا مع ملاحظة أن اغلب قبائل قحطان ، مثل معظم قبائل البرانس ، مستقرة ومتحضرة وبيئتها مفتوحة على المؤثرات الخارجية ، وتفصلها عن مجموعة فرع عدنان اللغة واللهجات المتفرعة عنها ، مثلما تميز مجموعة البتر عن مجموعة البرانس فى اللهجات ايضا .

وليس يستبعد - أن وضعنا فى الاعتبار قضية الهجرات المستمرة من المشرق ثم الروايات المحلية بخصوص انتماء بعض سكان المنطقة الى حضر ، أو الى حمير ، أن يكون معظم البرانس فى بلاد المغرب ، من أصل عربى جنوبى أى اعدادا لفرع قحطان الذى تفرعت عنه شعوب كثيرة هاجر بعضها الى الخارج على فترات متباعدة من التاريخ ، كما أن معظم البتر يكونون على هذا الافتراض من ارومة شمالية مصرية ، أى امتدادا لفرع عدنان الذى تنتمى اليه عشائر كثيرة ، بعضها هاجر الى مناطق مختلفة فى المشرق والمغرب وأسس أنظمة سياسية .

وفى ضوء ما سبق تتضح اماننا حقائق هامة اولاهما تتعلق ببقاء مجموع البتر فى بيئة العرب ، على تقاليدهم البدوية العريقة التى الفوها فى بيئتهم الاصلية ، وبقاء اغلب البرانس على الانماط الاجتماعية المتطورة التى امتازت بها بيئة جنوب الجزيرة العربية .

وثانيها تتعلق ببقاء ظاهرة الاختلاف فى اللهجات المحلية بين بقايا البتر ، وبقياء البرانس ، مثلما يلاحظ ذلك بالنسبة للهجات المحلية السائدة فى شمال وجنوب الجزيرة العربية .

وأهم هذه الحقائق : سرعة انتشار الإسلام في المنطقة , وإقبال البتر ثم البرانس
على اعتناقه , وتبنى نشره مع إخوانهم دعاء الحركة الإسلامية في الآفاق القريبة والبعيدة •
وموقفهم الإيجابي من أقربائهم دعاء الإسلام , ثم اقتناعهم بالدين الجديد كمعصر
فعال لبعت الوحدة القومية , في مظهر جديد , أضاف إلى المنطقة , وإلى الحضارة
الإسلامية فيها , آفاقاً جديدة , كما عمل على جمع شمل الأقرباء بعد طول الافتراق •



عبد الرحمن الجامعي الفاسي

حامل راية الأدب على مستوى المغرب الكبير

محمد المنوني
المغرب

عرفت المائة الهجرية الحادية عشرة مجموعة من الادباء
المغاربة ، وكان بينهم اديب لم يستمر في اقامته بالمغرب ،
وانتقل لبث معارفه بالجزائر فتونس ، وهذا هو عبد
الرحمن بن عبد الله الجامعي الفاسي . وثبتين من
نسبته انه ينتمي الى فريق اولاد جامع : القبيلة العربية
النازلة شمال فاس (1) ، حيث ينتقل اوزاع منهم
للسكنى داخل نفس المدينة ، وبالضبط قد يكون ذلك
بفاس الجديد ، التي يبدو وانها كانت مستقبر اسرة

المرجع ومكان ولادته عام 1087 هـ / 1676 - 72 م . غير ان المصدر المعنى بالامر (2) يكتفى
بالاشارة الى ولادته ودواسته بفاس دون تحديد .

وحسب المتعارف آنذاك فقد تناولت دراسة المرجع على اسابذته - القرن الكريم ،

وعلوم اللغة العربية ، والفقه ، والحديث والتفسير ، وكان تفوقه أكثر في المواد الدسائية
والمعارف الأدبية *

والى هنا : ستقف معلوماننا عن حياة المترجم بفاى والمغرب ، وستلتقى به - بعد
هذا - بالجزائر ، دون أن نعرف - بالتحديد - تاريخ انتقاله الى المغرب الاوسط ، غير
انه نفسه يشير الى اقامته بتلمسان أو أن الفتح الاول لمدينة وهران ، وقد وقع أوائل
عام 1199 هـ / 1707 م (3)

ولا تدرى - على وجه التحقيق - سبب انتقال صاحبنا عن المغرب ، وقد تشير لذلك
فقرة وردت في مکتوب خاطب به الداي الجزائري ، محمد بكداش ، وهو يقول فيه :
« ودير بين شحذت سببكنه اللهبيه المحن الزمانية مخلصت من الشوب ، واذا ببت
كورتہ التركيبية فايرزت تصارها من لباب النوب ، أن يستعمل تدبيره في انقاذ
عبد مازال فرارا من نار المحن وهي تحله وتمقده ، ومطارق السكبكات تنتظر قبضه
وترصده » (4)

ويبدو أن حرفة الادب لاحقت الاديب الجامعي وهو في مهجره الاول ، فسا كان
يطيب له العيش بالجزائر حتى ينتقل عنها الى تونس اوآخر عام 1122 هـ - 1711 م ، (5)
ولا شك أن هذا الارتحال ناشى عن حادث مقتل الداي بكداش في نفس الصباح (6) ،
بعد ما صار المترجم يعيش في كنف رعايته *

وفي تونس ينتهى المطاف بالرجال المغربى ، وقد صار من المؤكده أنه اتحد منها
دار قرار ، ومن الاشارات في هذا الصدد أنه في عام 1125 هـ نظم بيتين من الشعر
ليؤرخ بهما بمام المدرسة الحسينية الكبرى (7) ، وهذه من مشيدات مدينة تونس ،
يضاف لهذا سياق ترجمته في « ذيل بشارت أهل الايمان » - وسنعرضها من بعد -
حيث يتبين أن النزول المغربى حين كتابة الترجمة كان لا يزال بقيد الحياة ، مع
ملاحظة أن هذا المصدر انما فرغ منه مؤلفه عام 1137 هـ (8) وبعد هذا يبدو أن وفاة
الجامعى وقعت في نفس الحاضرة التونسية ، وهو ما يمكن أن نستفيد من رثائه من جهة
أديب تونسى بقصيدة على روى العين من بحر الكامل (9) *



والآن - بعد هذا العرض - فإن المصادر المغربية المعروفة أحملت - بالمرّة - ذكر المترجم ، ولا يستثنى من هذا سوى اشادات قليلة وردت في مؤلف للجامعي نفسه . ولحسن الحظ فإن بعض المصادر الجزائرية والتونسية تلقى أضواء على ثقافة صاحبنا ، وبالمخصوص عن نشاطه الأدبي في مهجره بالمغربين : الاوسط والادنى ، بعد ما كان لمصادرها فضل الكشف عن جوانب أخرى من حياة أديبنا المغربي *

وهكذا : فإن للمترجم اشتغل في تلمسان ، بتدريس مادتي النحو والبيان (XO) ، وفي مدينة الجزائر كتب شرحا على ارجوزة الحلفاوي في فتح مدينة وهران ، كما صدر عنه الشعر الرائع ، والترسيل البليغ ، بمناسبة هذا الفتح . أو في مطارحته مع أديب الجزائر : محمد بن محمد الشهر « باين على » (XI) القلقل ، المفتى الحفي *

ومن العلماء والادباء الآخرين الذين عرفهم بمدينة الجزائر أو غيرها : محمد بن أحمد الحلفاوي التلمساني مفتيها ، وهو ناطع ارجوزة فتح مدينة وهران ، ويحليها بشيخنا * (X2)

ثم الشيخ محمد مصطفي الرماحي القلمي ، حامل راية الفقه المالكي في عصره ومصره * (X3)

ومحمد بن ميمون الزواوي ثم الجزائري (X4) ، مؤلف « التحفة المرضية في الدولة البكداسية » *

ورابعا : ابو العباس أحمد بن قاسم البوني عرف بابن ساسي ، زاره بمدينة بونة : عنابة) ، واستجازه فاجازه * (X5)

وسوى هذا فإن ثقافة المترجم الأدبية بهرت الثعنتين بالامر في الجزائر وهو ما يشهد به مؤلف « التحفة المرضية » (X6) ، في فقرة مطولة تقتطف منها ما يلي :

« ... الكاتب اللوذغي ، العالم الاملي ، أبو زيد : السيد عبد الرحمن ابن عبد الله الجامعي نسباً ، العاسي منشئاً ، الجزائري داراً ، وهو رجل وحيد الدهر بل فريد العصر لا أعلم اني لقيت مثله في طريق الآداب ، ولا أشد كاهلا منه في الانتحاب ... صدر عنه الشعر المعجب ن لم نقل المعجز ، والنظم الذي هو لوعده صدق براعته متجن » *

وحيثما أنقل المرجع الى تونس اشتهرت معارفه أكثر ، وصار له درس حفيـل
بجامع الزيتونة ، وألف - في الفترة نفسها - « نظم الدرر المديحية في محاسن الدولة
الحسينية » : دولة الباي حسين بن علي بن تركي ، كما وضع شرحا على خطبة شرح
تلخيص الغزويني لسمعه الدين التفتازاني ، ومن أدباء ، الخاضرة ، الذين اتصل بهم :
محمد بن محمد الاندلسي الوزير السراج ، مؤلف « الحلل السندسية ، في الاختصار
التونسية » (17)

وقد عقد له المؤرخ التونسي حسين خوجة الحفي ترجمـة (18) كشفت عن جوانب
من حياته بفاس ثم بتونس ، وسنثبت معظمها فيما يلي :

« ... العالم العارف ، جامع العلوم والمعارف ، الاديب النقيب ، الوجيه صاحب
العقل الرجيع ، الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عبد الله الشهير بالجامعي ، تزايد بمدينة
فاس سنة 1087 ، وحفظ بها القرآن العظيم »

ونشأ في طلب العلم عن والده ، وعن غيره من مشايخ العصر ، وحصل على علوم
شمتي .

وأخذ النحو عن الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عمران الفاسي * (19)

ولازم الشيخ : محمد العراقي * (20)

وسمع من الشيخ محمد الكماد القسنطيني (21) ، وأخذ عنه أبوابا من مختصر
الشيخ خليل ، ومجالس من صحيح البخاري ، والفسير مع كبار من مشايخه تطفلا
وخضة بين أيديهم .

وقرأ مختصر الشيخ خليل - ملازمة ومراجعة - على فقيه العصر والأوان ، منذ
سنة 1100 الى الآن . حافظ أمي على الحسن بن رجال (22) ، فسح الله في عمره آمين ،
وسمع عنه التفسير .

وأخذ صحيح البخاري عن الشيخ محمد بن سليمان الاندلسي (23) : على رواية
أبي ذر الهروي *

ودراية عن خاتمة ائماء العلماء : الشيخ عبد السلام بن الطيب القادري ، وعنه
- أيضا - شمائل الترمذي *

وسمع مجالس صالحة من صحيح البخارى على الشيخ محمد بن محمد الغلال (25)
 امام جامع المولى ادريس، من سنة 1105 الى سنة 1108 *
 واحد شفاء القاضي عياض - رواية ودراية من اوله الى آخره الا مجالس قليلة -
 على لسان العرب ابي عثمان سعيد بن احمد الميمري التادلي (26) ، وغيرهم *



وقدم الى مدينة تونس ، وتصدر للتدريس بالجامع الاعظم : جامع الزيتونة ، وكان
 له درس عظيم ، ومخفل جسيم ، ومدحته العلماء وشكرته الطلبة وأثنوا عليه *
 له معرفة واطلاع على الكتب الغربية واستخراج النكت المجيبة ، وله معرفة تارعة
 في اللغة ، وعلم التأريخ ، وأخبار الناس *
 وله ولوع بالمقامات الحزبية وقلائد المقيان * ودبوان الشعراء الستة ، بالاخذ عن
 مشايخ : احلهم خاتمة الادباء : الشيخ محمد بن قاسم ابن ذاكور وغيره *
 صاحب قريحة جيدة في نظم الشعر البليغ لا يضاهي ، فريد عصره فيه في زماننا
 هذا ، له مهارة في جميع الفنون *

قليل الكلام ليس بمهذار ، لا يتكلم الا بمقدار ، اذا سئل اجاب ، واذا قال اصاب
 وتكلم بفصل الخطاب ، حسن القامة ، جميل الصورة ، له ميل الى الانقطاع والخلوات
 صبور لا يتأسف على ما فات ، حوّل لتكررات الدهر وتقلبات الزمان ... » *

هذه ترجمة احامى في كتاب « ذيل بشائر أهل الإيمان » ، وهي نفسها صارت
 موضوع تحليل لبعض جوانبها من جهة محمد الشاذلي النيفر (38) ، وكان ذلك بمناسبة
 استعراض المؤرخ التونسي لبارزين من اعلام البعثات التلقائية ، الواعدين من جامع
 القرويين بفاس ، الى جامع الزيتونة بتونس ، حيث كانت مساهمة المترجع كبيرة في
 بعث المدرسة الادبية بالقطر الشفق ، وهكذا يعقب مؤرخ الحصره ويقول :

« ... وفي مقدمة رجال هذه المدرسة الشيخ عبد الرحمن الجامعي ، الواحد على
 تونس في ثلث القرن الثاني عشر ، بعد تمتين ممارسه ودراسته على جلسة من علماء
 القرويين ... »

واعتنى بالأدب عناية خاصة ، وأخذ من شيخ الأدب في المغرب : محمد بن قاسم ابن زاكور ، مجبى الطريقة الأدبية القومية . وباعت الكتب الأدبية المصنعة بمد الاندثار والإهمال . حتى أخذ الأدب العربي الصحيح مكانه من أصوله المعتمدة في الدراسة الأدبية في القرويين . وبذلك تمثلت دراسة عصور الأدب في مختلف بعض عصوره .

وكان هذا السمت من الشيخ ابن زاكور باعتناؤه بأصول الأدب . أن شرح ديوان الحماسة ، وسماه : « عنوان النفاسة » ، كما شرح قلائد العقيان . وسماه : « مقباس الفوائد » ، بشرح ما خفي من القلائد .

وتقل هذه الطريقة الى تونس الشيخ عبد الرحمن الجامعي ، فاعتنى - مزيد الاعتناء - بثلاثة كتب هي من أمهات الادب العربي ، وهي : « ديوان الشعراء الستة » و « المعامات الحريرية » و « قلائد العقيان » ...

والمستقى لهذه الاشعار لشعراء الستة هو الاعلم الشنتري ... والمدرسة الشنترية تنوسيت ، فجدد العهد بها بأحياء هذا الكتاب في تونس الشيخ الجامعي ... »

وتبعاً لتقافة المترجم الادبية يبدو أنه ثامن الادب الزجل أن لم يكن نظم على فوافيه ، كما يظهر أنه يعرف قواعد الشعر الملحون . ويقدر قيمته وبالحصوص من الوجهة التاريخية ، وستكتشف هذا من اشارات وردت خلال شرحه لارحوزة الحلفاوى في فتح وهران ، فهو يلاحظ عند تقديم قصيدة زجلية أنها على طريق كلام المشاركة (29) يساً يميز أخرى بأنها قصيدة عروبية من الملحون (30) . وعن قيمة شعر الزجل يقول أثناء كلام : « ... كما ننقل - أن شاء الله - من النظم الملحون الذي قيل في هذا المعنى ما تدعو الضرورة اليه . وما في ذلك من بأس . فانه في هذا القطر (الجزائر) سان الكثير من الناس . وقد عاب الحافظ ابن خلدون على كثير من مؤرخين عرب افريقية المستعجمة . حيث تركوا رواية اشعارهم لادخلها من اللحن والمجعة . فكان في ذلك تصحيح أنسابهم وإيامهم ، وطمس أخبارهم وأعلامهم » (31) .



والآن نعرض مؤلفات المترجم فى شىء من التفصيل ، مع تخمين ترتيبها حسب التسلسل التاريخى لوضعها .

ونذكر - أولا - « شرح ارجوزة الحقاوى فى فتح مدينة وهران » ، وقد جماعت هذه المنطومة المشروحة من 72 بيتا تنفرغ الى خمسة فصول :

فى ذكر دولة الباي الجزائرى محمد بكداش .

وانظمته العسكرية .

مع وصف حصار وهران ،

وذكر مصير المعركة .

رحامسا : فصل ختامى : فى التناء على المنعم الاعظم ، والصلاة على النبى المكرم .
وذكر اسم الناظم .

وتبرز أهمية هذا الشرح فى التعليقات التى تحلل الفصول الثلاثة الاولى وهى تسنوعب معظم الكتاب ، مما جعل هذا القسم مصلحا هما لسيرة الداى بكداش وفتح مدينة وهران عام 1119 هـ . مع افادات اخرى عن حياة المؤلف ، وعن اسماء اديبة عاصرها بالفطر الشقيق . وقد جاء النويه بهذا الشرح فى « التحفة المرضيه » (32) ، ثم فى ذيل « بشائر اهل الايمان » (33) . وكان من أوائل الذين اعتمدوه محمد أبو راس الناصرى المصكرى (34) .

لا يزال هذا الشرح مخطوطا : فى نسختين بالمغرب والجزائر ، ونسخه ثالثة فى المكتبة العبدلية بترنس رقم 4454 ، ويذكر أنه مترجم الى لفرنسية . أما الموضوع الثانى للمترجم فهو رحلته التى تحمل اسم « التاج المشرق » ، الجامع ليوافيت المغرب والمشرق ، ولا تعرف الا من خلال اشارة المترجم لها فى موضوعه الذى يأتى ثالثت هذه اللاتحة .

وهو : « نظم الدرر المديحية فى محاسن الدولة الحمينية » : دولة الباي التونسى : حسين بن علي بن تركى (35) . ولقد الآن لا يعرف هذا الكتاب بكامله ، والوجود شذرات منه اختلطت مع مختارات من ديوان الاديب الجزائرى : محمد بن محمد

المعروف بابن علي ، ومن غيره ، وتشتمل على الجميع قطعة ضمن مجموع ، ج ، ع ، ك ،
1387 ، ص 66 = 134 .

وقد صدرت هكذا : « ومن رحلته الأديب ... عبد الرحمن الجامعي المغربي التي
ترجمها بنظم الدرر المديحية في محاسن الدولة الحسينية » . ولأول مرة يبدو أن القطعة
كلها مقتبسة من الرحلة الجامعية ، وبعد قراءة النص وتنبهه يتبين أن أكثره جيبى عن
نظم الدرر المديحية ، والذي منها هو أقله ، وهنا رجعت إلى الوجود من رحلة أحمد
بن عمار الجزائرى ، وهى - بدورها - تقتبس بعض محتويات النص المشار له دون أن
تحدد المصدر فى أغلب الحالات ، ومرة واحدة ينقل ابن عمار شذرات واردة - يعينها -
فى هذه القطعة ، ويمزوها إلى تأليفه : « لواء النصر ، فى فضلاء العصر » (36) ومن
هنا قد نتبين أن القطعة المتكررة الذكر ، مأخوذة - بأجمعها - من كتاب ابن عسار ،
وبهذا يترجح أن هذه العملية قد أدت إلى معرفة قسم مهم من كتاب لواء النصر ، بعدما
كان يعتبر مفقوداً فيها أظن .

ومن الحدير بالذكر أن القطعة المعنية بالامر ، يوجد ببعض هوامشها تعليقات قصيرة
بأعضاء ابن عمار نفسه (37) .

والى هنا سنصل إلى الموضوع الرابع والآخر للمترجم ، وهو الذى يقول عنه خوجة
الحنفى (38) أواخر الترجمة الجامعية : « وله شرح على خطبة السعد البياتى » ، وواضح
من هذا التعبير أنه يشير لشرح سعد الدين التفتازانى على تلخيص المفتاح للفزوينى ،
غير أن هذا الف شرحين على التلخيص : مطول ومختصر ، وهذا ما لم يوضحه المصدر
المشار له ، ويوجد فى فهرس مخطوطات المكتبة الاحمدية بتونس (39) ، ذكر شرح خطبة
المطول على تلخيص الفزوينى دون تسمية المؤلف ، فهو يكون هذا هو شرح المترجم
المشار له ؟ .



وبعد هذا استنيل هذه الدراسة بتقديم نماذج من أدب المترجم ، ونذكر - أولاً -
قصيدته فى غرض التهئة بفتح وهران عام 1119 هـ :

تلت رسل البشائر يوم عيد
فأجبت من رسوم البشر رسما
وأصبح وجه دين الله طلقا
ويا ربما تبسم ذا أزدوا
وقد نفذ الوعيد فكان عيدا
فيا حادي الرمايل مسفرات
بحقك أن وردت عليه قبل
وقل «مهران» يهنيك افتكاك
لك البشرى وللإسلام أخرى
تذكر حيث كنت مئاح شرك
وكنت مقام تظليث فأضحى
وبدلت الفواقس في الزوايا
حزى جيش «الجزائر» كل خير
هم المستفنون وقد أحاطت
وما أنت المجار قلست تخشى
فقد ذهبوا وما يرحون عودا
ركيف وقد غدوا والرعب يجرى
ولولا الليل جنهم لاضحوا
ولولا أنهم شردوا يلسيل
وقد ظنوا بأن لهم نجاة
وهيهات النجاة لمن أحاطت
ولو أغنى التحصن عن قتيل

عليها سورة الفتح السعيد
عفا بالشرك مذ زمن مديه
ووجه الكفر في حزن الفقيه
ننا ويسومنا سوم العبيد
لأهل الحق تنفيذ الوعيد
بفتح الثغر مستحلي الورود
مبأسه عن الصب البعيد
وانفاذ من الأسر الشديد
بمنك من يد الكفر العنيد
فعلت مقام شكر للحديد
يقرر فيك توحيد المجيد
بآذان وذكر من مجيد
إله الخلق ذو الملك العتيد
بك الأعداء تطمع في المزيد
عداة الدين أخوان القرود
إليك فعش هنيئا في خلود
بهم بين الطريفة والطريد
نهارا في مقلغة القيود
لكان القتل أجدر بالشريد
بريس الثغر من بعد الشroud
به نار وبحر في صعيد
وحال السور من قدر المريد

بما فتحت بروجهم وصلت
ولو عقلوا لما لجأوا لشيء
وان لم يسجدوا لله طوعا
وان فروا استدركهم قريبا
اسودقا بها السمر الموالى
اذ اغرسوا الرماح جنوا سريعا
عليهم من شدى الازهار اذكى
ختام (نعم يهدى) الفوالى

مماقلهم بصاعقة الرعود
سوى دين التحية والسجود
لقد سجدوا بمصاة الهند
باندلس جنود من اسود
وموردها دماء ذرى المجود
ثمار النصر من ورق الحديد
سلام لا يعقب بالنفود
مؤرخ ذلك الفتح السعيد (40)

ويقرب من هذه الخريدة قصيدة أخرى للمترجم تقتطف منها ما يلي :

لقد فتكت بالقلب فتك البوائر
وخدت بقد السمهرى حشاشتى
رعى الله طبيا قد رعى حب مهجتي
وما زلت ارعاه ويحسب أننى
ويظهر احسانى اليها اسائة
بذا حكم الحسن البديع له ولى
وانى وان ابدلت عندى فى الهوى
ايحسن عذلى فى طباء عيونها
تهر قدودا فى دعوص (41) كأنها
جنود بها الاسلام عزمناء له
حموا بالصفايح اليبض من كل عابت
فكم كسروا ثغرا به كانت العدا
فيا حادى الاطمان حث براكب

عيون الطباء الآنسات الجثائر
ففاضت عيوني بالدماء ومحاجرى
ولم يرع فى نجد عرازا وحاجرى
اخون له عهدا فيصبح حاجرى
وبالعكس ما يديه يبدو لناطرى
وما حاكم الحسن البديع بجائرى
فما عاذل فيما أروم بصادرى
طبى شرعت فتك الاسود الحوادر
بنفود تفتت فى جنود «الجزائر»
على كل جبار عتيد منافر
حماء فلم يعبث به كف فاجر
تبسم فى وجه من الدين كاشر
يؤم حمام رغبة فى الذخائر

وسرّبي الى ذاك الرباط فانه
وانك مهما جتته جئت روضة
ديار بني عثمان - حيث تالعت
بلاد براس الغرب تاج مكلل
بدت بمنصات الزمان كأنها
وقد قدمت من يحرها بسوشع
ولاح بها بساب الجزيرة مثلما
كان مجاز البحر مصمم عادة
ولله أبراج بشاطيء بحرها
كان الرياض الخضراء محدة بها
غصون وأنهار وتلك لهذه
فتبدو وقد حرك النسيم برودها
ولله ما غمته من كل منظر
فدعني من غرناطة وريوعها
فما تفضل الحيرة بيضاء عادة
ومن لربوع بالجمال وقد غدت
وهذه ربوع حاطها بأحاطة

ذخيرة صاع للجهد ورائر
مؤرجة أرجاؤها بالآزاهر :
شباب ولور (42) - مستقر المسافر
وخلخال سوق الشرق غير ضواهر
عروس تجلت في أعالي المناير
وصيغت لها الأمواج خلخال حاسر
تبسم ثغر في وجوه البشائر
نخل سوارا واكتسى بجواهر
تحاكي النجوم الزهر في عين خازر
ذوائب اصديغ الوجوه النواضر
تجن فتحنو لاستسلام الفزائر
نصال رماح في زرد مشاجر
حللته ما مر تلقى بخاطر
وشبيل فالحسن انتهى للجزائر
مقرطقة (43) بالبحر ذات غدائر
كخط زبور في قديم الدفاتر
مؤلفة من ستره خير صائر (44) ،

وبعد القصيدتين الوهرانيتين . ها هي مختارات من رحلة : « نظم الدرر المديحية ... »
« .. فاما مدينة فاس عمرها الله بدوام ذكره ، وأمنها من مكروه ، وإن كانت
الدخائر إليها ترفع ونجلب : فالعلم - خصوصا - الادب - كثر من غير أساس جدارها
لا يخرج ولا يطب ، وقد كنت ألفت بها عيون أعيان ممن يشار إليهم في البيان بالسنن ،
الحنا يذكر بعضهم في رحلتنا المسماة « بالتاج المشرق . الجامع ليوافيت المغرب والمشرق »
كمل الله ترميح تاجها بلنا الحرمين ، وجمع فيها ما تفرق في البرين والبحرين »

وأما مدينة الجزائر ، فأول بلد لقيت بها مثل من فارقت من أدباء بلدى ، وبها تذكرت بعض ما كان نسيه خلدى . لاجتماعى بها بالأديب الماهر ، الدال وجوده على صحة القول بوجود الجوهر الفرد فى سائر الجواهر . أديب العلماء ، وعالم الأدباء . محبى طريقة لسان الدين ابن الخطيب ، الامام الخطيب ، بن الامام الخطيب . ذى القدر العلى . أبى عبد الله محمد بن محمد المعروف بابن على (45) ، أبى الله وجوده بالالطاف مطروفا ، وبالنفحات الأدبية منفوحا متحوقا .

رأيت أول ما لقيته وأنا لا أعرف مسماء ، فرأيت صورة تدل على حقيقة الأدب ومعناه ، قبادرنى بسلام بوذن برفان سابق ، ويشهد بحب لاحق ، فشاهدت منه لطافة لو تجسدت لكائنات ماء زلالا ، وعابقت فيه ظرافة لو تملكت لود النسيم أن يكون لها ، اعتلا ، فتصافحنا مصافحة الأغصان والانهار ، وافترقنا وقد تحانت ذنوبنا تحات ورق الاشجار ، ثم انشد بعدما بنفسه عرفنى :

رقة الجسم واهتزاز القضيبي خبرا منك عن أغر نجيب
أديب يبيننا كأكد منه نسب والأديب صنو الأديب

والبيتان افترهما الشهاب القاضى الافاندى عند لقاء شيخ شيوخنا أبى العباس المقيلى ، بالقاف المعقودة بالكاف (46) . فحضرنى - بعد انشاء ما ذكر - فى الحال قول من قال ، وأخذه من مقولاتى ، لا من مقولاتى -

وإذا الأديب مع الأديب تزاكرا كأننا من الآداب فى بستان

ثم افترقنا بعد الدعاء والفاحة . على أن لا تكون خاتمة - إن شاء الله - لهذه الفاتحة ، ثم بعث لى بعدما فارقتى قصيدة له ، نسجت على منوال رائية ابن زمرك التى مطلعها :

نفسى العدا لشادن مهما خطر (47)

تخيرها من حر كلامه ، وبعتها الى لأقف على محلة من البلاغة . وأعرف قدره بين أرباب البراعة ، اذ كرها هنا ليعرف الواقع عليها أن بالسويداء رجلا ، وأن بالزوايا خبايا ، وهى هذه :

بأبي غزr الأسيف مقلته شهر
خنت الكلام ولا تخنت عادة
بعث الصدود إلى المنية باعشا
يدتو وينأى مثل ما ألف الرشا
طعن الفيؤاد بسهرى قوامه
عجباله رشا تحكم فى الهوى
ما لاح ينتهب القلوب جماله
فضح الغزاة والثالثاء والنفا (48)
من لى به قمرا قفى قمر السما
يبسود مرصع خده كز برجه
عاصيت فيه عواذلى وأحلت ما
واسا الذى جهل الحقيقة أولا
فارقت فيه نفائستا وجنيت من
والعشيق ربتا يلسه به الفتى
حتى اذا عكفت عليه رياحه
يا روضة ما كنت أحسب ظلها
مسح - فديتك - ماء جفنى انه
ولقد علمت بأن حيك قاتلى
فأرحم عزيزا مات فيك صابة

قاسيت فيه من الصباية ما اشتهر
قمرية الاوصاف خامرها الحفر
فاذا على قفى تنصل واعتذر
حنرا فان رمت الوثوب به نفس
وبصارم الاحاط صال ولا مفر
خعت له الأحشاء واصل أو هجر
الا وقال الناس ما هذا بشر
مهما تطلع أو تبسم أو خطر
بالحسن - مقتصر - لطلته وقر
قد سال فى صفحات هاتيك الدرر
القاه من حكم الغرام على القدر
فأجال بادرة اللعاط وما شعر
به وساوسا ورويت عن طرق الفكر
وهو الجهول بما سينتجه النظر
ولى وقد ألف الكتابة والسهر
يضحي ودمعى فى جوانبها نهر
مهما امتصر على منابته أضر
لكن اذا نفذ القضا عسى البصر
وغنى قوم للخصوم قد افتقر

وكنتم بعدها ما تصه : فليطالها مولانا بمن الشفقة الادبية فانها من حر الكلام .
الذى اتبعت فيه الخواطر ، والسلام .

قلت : لو حكمت فى قوله : للخضوع ، لقلت بر له : للسؤال ، للمناسبة اللفظية
والمعنوية (49) .

ولما راقتنى بدائع هذه القصيدة ، خاطبته عنها يقول ، وإن كان دون طوله مرماى وطولى .

ام نفثة من شاذن عقلى سحر	اخائل الازهار هيمت في سحر
نشر النسيم عن الهوى طلى الخبر	ام نفثة صحورية من-تشرها
ينقطر الهندى فى ماء الزهر	بل غادة ضربت هجر خسارها
فتارجت دارين من ذاك المجر (50)	وغدت تجر ذيولها حول الحمى
لم يكسها انسان عاشقها الخفر	اكرم بها من غادة لؤانها
بحر الهوى فركبت فيه على خطر	خطرت وبين وصالها وغريمها
ليل الخمار قفلت ما هذا يشر	ورمت لنا عن وجهه صبح مسفر
شمرية ماء البديع بها اتهمر	بل دوحه مطولة بل قطعة
انى وحقك لى بعيش قد غير	وافيت تذكرنى الصبا فاجبتها
الا وكان عقيق دعصى لى مطر	ما شمت بارقه لرشف عذيبه
شر القضا من لقي فيما نشر	واتت تصا طينسى حديثا دره
كاس العقار متى تلذ به عقر	ايه قديتك هاته وكأنه
بابى غزالا سيف حقتنه شهر	ومتى يصمخ سعى اليك ففنه
نظما يشرف فى النحور على الدور	هذا الذى ارضى وحقك فى الهوى
لحقوقه فى عين من عرف النظر	ما كدل من نظم القريض موفيا
نفسى الغداء لشاذن مهما خطر (51)	ودليله انشاد ذاك وقوله

ومن هذه الرحلة الجامعية بعد كلام كثير ما نصه : وقد اعتقدت السفر اعتقادا حازما ، والمعبت من العوامس ما كان لفعله جازما ، الا انى لم ازل اقدم فى ركوب البحر رجلا واخر آخرى ، حتى رايتى - لعصور النفقة - بى اولى واخرى ، فاستبدلت الفجاج والمعجاج ، بالتجاج المعجاج ، واقتحمت امتطاء على كافر (52) جامع للسلامة غير جانح . ونسيت ما قال فيه ناعته ، لا يستغروب من البحر الا سلامته ، لا جرم ان الدولا

يلتقط دون غوص البحار ، ومن استسهل الصعب ادرك المني ، ودون اجتناء العسل ما
جنت نحلته ، ولا يقطب الرطب الا من شاكه نخله ، مركبنا من مرسى الجزائر حرسها الله
على بلقاء حاتم الجؤجو والاضلاع ، ذات اجنحة مثني وثلاث ورباع ، يلعب بها الريح
فتطاوله مطاوعة لاراقة للنسيم ، ويسقم بها الصحيح فلا يتمكن من التسقيم ، كأنها
حبشية (53) تصارع من عباب البحر ثعبانا ، وكان شراعها شيب فودبها مما اذا قهاغتوا
وطفيانا ، فامهلتنا ريشا قرانا آية نوح ، وطفق من احرقته من الاحباب لوعة البين يروح
ثم مدت احنحتها للنبور الهوب ، وطارت بالاجساد وحلفت القلوب ، فبقيت بأيدي
المودعين خائفة الجوانح ، كما انتفضت الطرائد في مخالب الجوارح ، فانشدت في ذلك
اقول ، وهو في معناه من يدعي المقول :

اعسان على البين والبيد قاتل	غمراب ولكن بالشرع يطير
من الزنج بيض السوابق سايق	لا غربة الاعراب حيث يسير
لمسرك ما هه النسوى واطالها	سوى الفلك في نج البحار تخور
وليس غمراب البين الا غرايها	ولا ذئب عند العيس حين تشور
فكم بين مرجو اللحاق وسايح	يسير فلا يسرجو لقواء عفير

دم يزل الهوى يحفصنا تارة وتارة يرفعنا ، ويدفعا طورا الى الهلاك ومه حيننا
يمنعنا ، حتى هيح من البحر عيانه ، وقد اقام الليل عمود بيته الاسود وارخى اطنابه .
فبتما بين محوقل وداع ، ورافع صوته بالاستحلال والوداع ، حتى انقض بازي الصباح
وكسر من غراب اللين القوادم والجناح ، فصار البحر يسكن بنا تارة وتارة يسوج ،
وطورا يميل بنا الى حيث يميل الانس ويعرج ، حتى امتد من نوع شمس اصيل اليوم
السامي مري بهيج ، وكان ماء البحر ذائب فضة مسال فيه من انضار خليج (55) .
فاطللنا على اطلال بونة ، ثم راينا بيوتا انتظمت ذات محاسن غير منهوكة ولا مخبونة .
اوجدنا الله برؤيتها من العدم ثانيا ، وخرجنا من البحر اليها خرج الجنين من الرحم
وانيا ، قد خلقتها ، اما دار الشيخ الرباني . العالم العرفاني الذي يبيت في هذه الرحلة
المباركة على قواعد بركنه اساسي ، ابي العباس احمد بن الولي الصالح ، البر الساجج ،
ابي عبد الله قاسم ، ابن الولي الصالح ، ابي عبد الله محمد المعروف ساسي ، رحم الله

عندهم ، وقرى مددهم ، قتيصر في الحال لقاءه ، ودل على فرحه بعلاقتي بمبالاته واعتناؤه فحبي ، طلق الحيا ، وانزلني بمنزل لآكرم أضيافه عليه مهيا ، فاقبت عنده يتزهنى كل يوم في رياض تأليفه الحديثية وغيرهما ، وينثر على كل ساعة من فوائده ما تبخل به على الفاضلين قعور بحرهما ، وكنت أحضر أثناء تلك المدة مجلس رواية الصحيحين بين يديه ، مع مشايخ بلده وولديه ، ومما رويت عنه فسح الله في أجله وأسهب ، أن تأليفه بلغت ما ينيف على المائة ما بين مختصر ومسهب ، ولما وقعت منه في علم الحديث على البحر العباب ، والعجب العجيب ، سألته الاجمالة فيما وقفت عليه وغيره من تأليفه (56) ، نقصيدة مستشعر اله فيها مع ذلك في شأن هذه الرحلة المباركة لهذا الأمير المبارك وجب على ذكرها هنا لذلك فقلت :

عن حديث العزول مسعى عدول	وشهود الغرام فيك عدول
مرسل الدمع واصطبار ضعيف	وقواد مقسم وعليس
لم ازل لك يا عزيز ذليلا	وقييح جفاك عندي جميل
صل ولا تهجر المحب والا	طاب لي لسواك عنك الرحيل
واذا ما عصيت انى لدائس	لعداء العضال منك تزيل

شيخ يونة أحمد الحبر ذى الفهم الذى يرتقى اليه النهيل

وأرخی البزل والتفضل والجو	د على من به يضيف السبيل
ان تشا الصدق فيه : بونة مصمم	وبحر تدها والعلم تيل
ذو تأليف ذات نظم ونثر	وسناد علا ونقل يصول
برعت اذ سمعت لآحياء دين	بأحاديث صححتها الفحول
سيرة المصطفى وأصحابه الفر	عليه الصلاة ما قيل قيل
وعلوم بها الى الله يدري	طرف الرشده من مناه الوصول
ببراهين كالسيوف على الاعداء	وهي لطالبيها الاصول
يا اماما به اعمالها الله علموما	بها يطاع الرسول

لك خضت العباب مقتبا من نور علمك والزمان بخيل
فامسحن بإجازة بمد سرور للنهائية اذ سواها يطول
وأعمل الفكر بعد ذا في شئوني فهي شيء له تطيش العقول
ولتشر بالذى بدالك فيها فعلى لما تشير القبول
وعليكم السلام ما قال صبي عن حديث العرول سمعي عدول

ومن نفس المرحلة عن مدينة تونس : فلم أزل أسير في عمارة متصلة المسارح والمزارع ، مأمونة المراتع والمرايح ، الى ان اشرطنا على منابر الحضراء في اليوم الرابع . فرأينا مرئي تقف دون وضعه الاقلام والالسن . فيه ما تشتهي الانفس وتلد الاعين : أبراج لها في سماء الحسن طموح وشروق . محفوفة بهساتين يطيب فيها الصبوح ويحمد لها الغبوق ، في أرض كان ترانها مسك وزعفران ، نشر الربيع عليها مطاوف خزه وكلل على رؤوس هضابها التيجان . ذات دراليب تثير املالكها من تخوم الأرض غديا زلالا . وننتثر بجواهره فتستحيل في مجاريها صلالا . فلما سرحت طرف طرفي في ميادين هذه الربوع الرابعة ، واجلته في مجال أبراجها الشاسعة الواسعة ، رأيت برجا ملا الفضاء ارتفاعا وامتدادا ، وزاحمه قبة الجوزاء فكان لها عمادا ، فعلمت أنه منزل صاحب السعادة الابدية . ودار أمير الحضرة العلية . فكبرت أجلا وتمجيدا ، وانشدت مخاطبا لعمى تبشيرا وتجريدا (57) :

خليل هنئ تونس وديارها دنت بعدما قد شط عنك مزارها
وهذي ربوح طالما كنت تشتهي توصلها بانث فبان نفاها
سريت لها هل تحدد اليوم عندها سراها وهل يثنى عليك قوارها
وخضت لها بحرا عميقا ومن يشقا الجواهر لم تعظم عليه بحارها
وخاطرت في أخطار بيدها لو هشت بها الغول يوما أفرعتها فدارها

وسنحتزى بهنه المطالع من القصيدة التوسنية . لسخنم مقتبسات الرحلة الجامعية بفقرة عن الاديوب التونسي محمد الوزير السراج ، وهي تبتدي هكذا :

« ٠٠٠ وفي اليوم المذكور ؟ جمع الله بيسى وبين ناظم الحضرة وناظرها ، اديبهما الذي احيا الله به من رياض الادب موانها ، وأجرى بها من بلاغته نيل محاسنها وفراستها وشد له سروج الالفاظ على متون جياذ الماسى مركبها ، وبسط به جواهر بدائع المحسنات في صدور الطروس وركبها ، الاديب الشهير ، أسي عبد الله محمد بن محمد الملقب بالوزير المعروف بالسراج ، ادام الله بوجوده الابتهاج فوقعت بيننا - بعد التعاون - مذاكرة قامت لها سوق الادب على سوقها ، وتبايعنا فيها مبايعة لا نزال - ان شاء الله - قائمين بحقوقها ، فكتبت بعد ذلك أزوره بدكانه ، لانتزه في بيانه وناناه فلم يزل يونس وحشتي ويسلي غريتي ، حتى قدم الامر - نصره الله - من غيبته ، واستهل هلال طلعه في سما ، حضرتة ، وكان ذلك أوائل محرم سنة 1123 هـ » .

التعليق

- (1) انظر عن هذا الكتاب وتفرغاته : مخطوطة (ارجوزة الانوم) للامام « مهدي باب : العرب للمستحجة من بادية زماننا ،
- (2) (ذيل بشارتي أهل الايمان في فتوحات آل عثمان) ، للمؤرخ التونسي : حسين خويبه الحلي ، المطبعة الروسية بتونس ، عام 1326 هـ / 1908 م - ص 265 - 266 ، مع الرجوع الى مخطوطة نفس المصدر ، بالملكية رقم 9153 .
- (3) (شرح المترجم لارجوزة الخلفاوي في فتح مدينة زهران) ، وهو مخطوط ، مستحدث عنه من يسمه : نسخة خاصة - ص 215 مع ص 85 .
- (4) ورد النص الكامل لهذا المکتوب في : (النحلة المرقمية ، في النولة البكتاسية) ، تأليف محمد بن ميون الجرائري ، ونحايق الدكتور محمد بن عبد الكريم ، نشر دار الثقافة ببيروت - ص 196 - 198 .
- (5) هذا التدريج يستفاد من رحلة المترجم الممنونة « بسط المر المر المديسية » ، وسرد الشريف بها ، مسح عرض مقتطعات منها في ذيل هذه الدراسة .
- (6) انظر عن هذا الحادث : مقدمة (النحلة المرقمة) - ص 31 .
- (7) (ذيل بشارتي أهل الايمان) - ص 66 ،
- (8) المصدر الاسير - ص 246 .

- (9) وردت الإشارة الى مطلع هذه المرتبة : في « فهرس مخطوطات المكتبة الاسمرية بتونس » نشر دار الفتح ببيروت - ص 60 .
- (10) (شرح المترجم لارجوزة الحلفاوي) : نسخة خاصة - ص 215 .
- (11) مبريد في ذيل هذه الدراسة طائفة من محتارات ادب المترجم الذي صدر عنه وهو بمدينة الجزائر ، وانظر في مصادر ترجمة ابن علي : العطين رقم 45 .
- (12) (شرح المترجم لارجوزة المذكور) : المخطوطة المتكررة المذكور - ص 3 .
- (13) (المصدر الاخير) - ص 53 ، وانظر عن ترجمته « شجرة النور الزكية » - ص 334 .
- (14) نفس المصدر - ص 44 .
- (15) (نظم النور المدينية) للمترجم ، في فترة سيرد صها بذيل هذه الدراسة ، وقد تقبل بعضها في « فهرس الهادس » بمناسبة ترجمة (بولي) ج 1 - ص 160 - 172 ، وانظر عن ترجمته - أيضا - (شجرة النور الزكية) ، ص 329 - 330 .
- (16) ص 184 - 187 .
- (17) انظر المقتطفات الواردة بديل هذه الدراسة من نظم النور المدينية للمترجم ، مع ذيل بشأن اهل الامان - ص 167 ، وانظر عن ترجمة الوزير السراج ومصادرهما مقدمة الطبعة الجديدة لتاريخه : (الجليل السيمسية) ، الدار التونسية للنشر ، الجزء الاول القسم الاول - ص 36 - 224 ، ويحسن أن يضاف لهذه الترجمة ما جاء عن الوزير السراج ، في المرفوع عن نظم النور المدينية للمترجم .
- (18) ذيل بشأن اهل الامان - ص 165 - 167 .
- (19) ترجمته في « سلوة الانفاس » ج 1 - ص 372 - 373 ، حيث يرد اسمه هكذا : عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الرحمن بن همران السلاسي .
- (20) يظهر انه يتشبه لعمد - يفتح أوله - بن ادريس العراقي الحسيني الذي توجد ترجمته وراجعها في سلوة الانفاس ج 3 - ص 28 - 29 .
- (21) ترجمته في المصدر الاخير - ج 2 ص 30 - 31 .
- (22) ترجمته في « نشر المثاني » - ج 2 ص 734 - 735 .
- (23) « الصواب احمد بطل محمد ، وهو ابن العربي بن سليمان الفرناطي ثم الناسي ، حيث توجد ترجمته وراجعها في « سلوة الانفاس » - ج 3 ص 291 - 292 .
- (24) « نفس المصدر » - ج 2 ص 348 - 350 .
- (25) هكذا ورد نسبة - بالهاء - في مخطوط المكتبة الملكية من هذا المصدر ، وفي الطبع وورد الهاء بالهاء ، والمالب ان الكل تصحيف عن الهلائي ، وهنا تصادف ، هل المعنى بالاس هو محمد بن محمد الشاذل الهلائي ؟ وقد اثبت الكتاني ان مثلته بناسي حسب سلوة الانفاس - ج 2 ص 89 .
- (26) ترجمته في نشر للنسائي - ج 2 ص 127 .
- (27) ترجمته وراجعها في « سلوة الانفاس » - ج 3 ص 180 .
- (28) « الكتاب القهي لجاسة القرويين بمناسبة ذكرهاا المائة بعد الالف » - ص 222 - 223 .
- (29) شرح ارجوزة اخفاوي : المخطوطة المتكررة الذكر - ص 41 .
- (30) المصدر الاخير - ص 120 ، (31) نفس المصدر - ص 8 ، (32) ص 259 ، (33) ص 167 .
- (34) « الجبر المغرب من اعر المغرب ، الحال بالاندلس وشرق المغرب » ، عند اوائله .
- (35) انظر عن دولته : احتاف اهل الزمان لابن ابي الضياف الطبعة الرسمية بتونس - ج 2 ص 85 - 116 .
- (36) « نعمة الجيب بشأن الرحلة الى الحبيب » ، مطبعة قولتانة في الجزائر ، عام 1323 هـ/ 1904 م - ص 40 .

(37) انظر ص 93 ، 95 ، 99 من القطعة المشار لها

(38) ذيل يشائر أهل الايمان - ص 167 .

(39) ص 196 - 197 ،

(40) النحلة المرسية - ص 260 - 261 .

(41) في القاموس : « البعض بالكسر ، وبهاء : قطعة من الرمل مسددة أو الكتيب منه المحتسب » (الفسيفس) .

(42) قد يكون ما هنا تصحيح عن ثالث قباب يالندف في الكلتن .

(43) يبدو ان الجراء في هذا البيت تصحيح عن المساء بالميم ، والقرطمة القطيفة التي لها شمل .

(44) الجملة المرسية - ص 187 - 192 ،

(45) الى جانب مستغافات هذه القطعة التي تعلق عليها ، انظر عن ترجمة ابن علي : « رحلة ابن عسار » المطبعة الآمنة الذكور - ص 35 - 85 ، مع مقدمات يسيرة منها : في كتاب « تعريف الخلف برجال السلف » ، تأليف ابي العباس محمد المعتزلي ، مطبعة فونشاة بلژائر - القسم الثاني منها ، ص 85 - 87 .

ومقدمات أخرى من نفس الرحلة مع اسامات جديدة : في كتاب « صفحات في تاريخ مدينة الجزائر » تأليف نور الدين عبد القادر ، مطبعة البعث بقمطنية - ص 196 - 198 و ص 200 - 203 ،

(46) « القاطي الانامى » هو قاضي القضاة شهاب الدين الحفاسي المصري أحمد بن محمد بن محمد اسنى ، حسب ترجمته في « خلاصة الآثار » - ج 1 - ص 331 - 343 ، اما ابو العباس القليلي : فهو أحمد بن سعيد قاضي القضاة الجديدة وغيرها ، انظر عن ترجمته ومرجعها : (سلوة الاناس) - ج 3 ص 206 ،

(47) قصيدة ابن زمرق - المشار لها : انتهت ابن عمار في رحلة ص 86 - 87 ، وقبله ذكرها القرى في كل من اذهار الرياض ج 2 ص 122 - 125 ، مع نصح الطيب المطبعة الاخرية المصرية - ج 4 ص 325 - 327 ،

(48) انفق يفتح أوله مقصورا : الكتيب من الرمل المختص الأبيضي .

(49) بعد هذه الفقرة بالذات تحتل القطعة التي تعلق عليها الى موضوعات أدبية اجنبية عن الرحلة الجامعية ، وبعد فصل كثير تأتي قصيدة المترجم في الرد على زميله الجزائري ، وقد انتهت هنا اثر الاول اعتبارا بالاهتمام الواسع بين موضوعي القصيدتين .

(50) هارن اسم طرفين : بالشام ، وبالبحرين ، والمراد ان نشر ذلولها يوقع الى الجهات البعيدة .

(51) انحاء من قول هذه القطعة واما مدينة الجزائر ، الى هنا : كله ورد عند ابن عمار منسوبا الى رحلة الجامعي ، حسب نسخة المخطوط ص 82 - 85 ، ومن الجدير بالذكر ان هذه القصيدة الأخيرة والتي قبلها ، وردت في هذا المصدر متصنتين دون فاصل احسن بينهما .

(52) الكافر من اسماء البحر .

(53) في القاموس : والحبيشة حسن الايمل الشديدة اسوداد .

(54) يعهد بذكر الزنج ان معظم المركبة كان لونه السوداء ، وقوله سابق لأغربة الاعراب : اشارة الى ان هذا المركبة كان للأفريق .

(55) تلميح الى لقبين معروفين : فابنيت المهورك هو الذي ذهب للثاء ، والحين : حذف ثاني الجزء ساكنا .

(56) من قول هذه القطعة : فدخلتها اما دار الشيخ ، الى هنا : ورد بعله ببعض تصرف في « فهرس الفهارس » ج 1 ص 169 ، غير ان هذا المصدر يجمع في نسخة هذه الفقرة بين رحلتين المترجم : (نظم الدرر المديحة) و (الناح المشرق) ، فهل وقف مؤلف فهرس الفهارس على رحلة الناح المشرق ؟

(57) تلميح الى التجريد ، من المحسنات الابداعية المصوية ، ويمثل هنا حيث حرد الشعر من نفسه شخصا ممثلا في مثل وضعيته ، وصار يتخاطبه .

صلة إسرائيل بأرض فلسطين

صلة قوم تابعين وعالة غير لهم طول حياتهم

د • محمود دياب

لم يكن لليهود كيان مستقل في أي عصر من عصور التاريخ لهم الأمر في فلسطين كلها في أزهي عصورهم وهو عصر داود وسليمان وكان الفلسطينيون وهي التي تسمى فلسطين باسمهم نزحوا كشعب يعرف بهذا الاسم إلى هذه الأرض بعد مجيء الكنعانيين إليها من جزيرة كريت وسكنوا الساحل الجنوبي الغربي من فلسطين وهو المنطقة المحصورة بين غزة وبيافا وكان الكرمل يفصل بينهم • وبين الفينيقيين في الشمال •

وفلسطين قد سكنها منذ 2500 ق • م لبلاد قبائل سامية نزحت من جزيرة العرب عرفت باسم الكنعانيين وسميت أرض كنعان ولانها أرض واطنة •

وسميت كذلك للتفرقة بينها وبين جزء آخر من هذه القبائل سكن لبنان وسمي
بالفينيقيين • وفي هذا الوقت نزح ساميون آخرون الى العراق وكونوا البابليين ونزح
آخرون الى الشام وهم الاموريين •

وبالنظر لتوقع الاموريين في الشام • • والكنعانيين في فلسطين بين دول عظيمة
في وادي الرافدين (البابليين والاشوريين) في جهة الشرق وبين مصر من جهة الغرب •
بالاضافة الى وجود الحبشيين في الشمال فكانت هذه الدول تتحارب مع بعضها في
ميدان كان هو فلسطين والشام ولذلك لم يتسن للاموريين والكنعانيين التوقف امام
دول كبيرة وانما اقاموا دويلات غرار دول المدن الكبرى •

علاقة اليهود بفلسطين :

يحدثنا التاريخ ان ابراهيم عليه السلام هاجر ونفر من قبيلته من اور الكلدانية
في جنوب العراق الى ارض كنعان حوالي 1800 ق م و اقام خيامه في وادي • • الاردن
ثم اجريت الارض وهاجر الى مصر ولا داعي لترداد ما جرى له من فرعون الذي اكتفى
باعدائه هاجر كهنية له مع هدايا أخرى من ايل وخلافه وولد له منها اسماعيل السني
ذهب به الى مكة وهناك بنى البيت الحتيق •

وولد له اسحق ويعقوب الذي ولد له 12 ولدا • كان احدهم يوسف الذي وصل
الى منصب كبير لدى فرعون وهاجرا اسرائيل (يعقوب) الى مصر التي اتزلتهم هنزلا
رحبا حتى عضوا اليد التي اطعمتهم من جوع وكانوا جواسيس للهكسوس على المصريين •
لما اتاح الله لمصر الاستقلال وثبتت خيانة اليهود لهم اضطر المصريون لمساكنتهم
عما جنته يداهم ، وخرجوا من مصر على يد موسى عليه السلام •

ولم يدخل موسى ارض فلسطين وانما دخلها بوشع أين بو •
ويقدر اليهود الذين خرجوا من مصر بحوالي ستة آلاف الى سبعة آلاف (فيلب حتى
تاريخ توريه الاكلزمية) جي 179 وطه باقر مقدمة في تاريخ المحاصرات القديمة ج 2
ص 285 •

ولما مات بوشع ابن نون تولى امر اسرائيل رؤساء فرفوا بالقضاة (IX30 - IX20 قبل الميلاد) *

وكان عهدهم عهد حروب مع جيرانهم من الفلسطينيين والكنعانيين وتولى امرهم شارول (طالوت) الذى هزمه جالوت وقتل طالوت وتولى مكانه حامل ذرعه داود (X000 - 960 ق م) واستولى على القدس (بيرس) وسكن حولها سبطان من اليهود هما (يهوذا بنامين) والعشرة الاسباط الاخرى سكنت الشمال *

وتولى سليمان الملك (960 - 935 ق م) وهو الذى بنى فى القدس هيكلًا لاقامة الطقوس الدينية وبناء على طراز كنعانى وامده بالخشب المستعمل فيه حيرام ملك صبور الفينيقي *

وتولى ابنه حيعام الملك بعده ورفض الاستجابة لتخفيف الضرائب عن شعبه فاستغل الاسباط القسرة وكونوا مملكة فى الشمال تسمى اسرائيل مستعينين فى ذلك بملك مصر وجعلوا عاصمتها نابلس *

وهنا قامت دولة يهوذا فى الجنوب واستمرت الحروب بينهما فى مطقة نابلس والقدس *

وقامت الامبراطورية الاشورية فخضعت الدولتان ودفعنا الجزية *

ولقد رفض ملك اسرائيل هوشع دفع الجزية بعد ذلك للاشوريين بتحريض من مصر فهاجمه شلمنصر الخامس وحاصر السامرة (وكانت قد اصبحت عاصمة بعد نابلس (شكيم) وقتلها خليفته سرجون (721 ق م واسر سكان زهاء 280 واخذ اسرى واجل محلهم قوم آخرون *

وهكذا انتهت مملكة اسرائيل فى الشمال *

اما مملكة يهوذا فقد عاشت بعد زوال مملكة اسرائيل 135 سنة ودفعت الجزية للاشوريين *

ولما ضعف لاشوريون كانت تحت رعاية مصر *

وعين ملك مصر (نيمو) ملكا ليهودا وانحاز الأخير الى مصر اثناء حربها مع
السابليين فازلح بيوخذا نصر دولة يهوذا من الوجود وأخذ اليهود اسرى الى بابل * (586)
قبل الميلاد +

وهذا ولم تقم دولة داود وسليمان (وهي أوسع ما وصل اليه اليهود) في أي وقت
من الاوقات كل فلسطين ولم يشغلوا سوى منطقة التلال الداخلية وبقى الفلسطينيون
يسكنون الساحل الجنوبي الغربي من غزة الى يافا وكان يشغل الجزء الشرقي (الادوميون
- الامويون - المؤبيون) *

وهذا ثابت في الخريطة التي رسمها (سمث) لملكة داود والتي نشرها في كتابه
(الله والانسان في يد اسرائيل) صفحة 87 تبين المنطقة التي تكشف لها ملكة داود
على الوجه * وجاء بالتحديد في كتاب (ويلز) لا يستطيع أحد أن يقول ان ارض الميعاد
كانت يوما في قبضة العوانيين تماما *

ولقد اضاف اليهود مبالغات في وصف ملكهم ومملكتهم ايام داود وسليمان بقصد
الدعاية وبقصد اثبات حقوق لم تكن لهم ولن تكون لهم يوما باذن الله *

وهذه الدويلة اذا شئنا التسامح واسمينائها دويلة لم تكن مستقلة يوما من الايام
ولم تكن في الواقع الا تابعا لاحدى الدول الكبيرة المحيطة بها فمرة تتبع اشور وبابل
ومرة تتبع مصر حتى صور وسورية

وكان داود يحكم في اول امره بصفته تابعا للفلسطينيين قبل أن يتمكن من احراز
الاستقلال *

وحتى في عهد الاستقلال الاسمي .. يقول ويلز (ان داود وضع نفسه في حماية
جبرام ملك صور فثبتت هذه المحالفة الفينيقية ملكه) واما سليمان ابنه فلم يتجاوز
منزلة المعاون للملك التاجر حرام *

(كتاب تاريخ معالم الانسانية ج2 ص 249 , 252) *

وجاء أيضا في كتاب ويلز (موجز تاريخ العالم) ترجمة عبد العزيز توفيق جاد
من سلسلة الالف كتاب صفحة 93 *

ان سليمان لم يكن وهو فى اوج مجده الا ملكا صغيرا نابعا بحكم مدينة صغيرة وكانت دلة من الهزال وسرعة الزوال بحيث أنه لم تنقضى بضعة اعوام على وفاته حتى استولى ششمق ملك مصر اول فراعنه الأسرة الثانية والعشرين على اورشليم *

ولم يخلف بنو اسرائيل اى اثار حضارية * وليس هناك أى ثراء فى التاريخ العبرى *

والهيكل الذى بنى فى عهد سليمان فانه على ضالة لو اخذنا اطواله لامكن وضعه داخل كنيسة صغيرة من كنائس الضواحي (موجز تاريخ العالم ص 93) وبناء عمال فينيقيون واحساب الارز من لبنان *

وبنى على طراز كنعان حتى اسم هيكل مأخوذ من كنعان * ولقد اعاد ملك الفرس اليهود الى القدس عام 528 ق م * لانهم عملوا كجواسيس له واستمروا تابعين حتى ازالتهم تيتوس الرومى فى سنة 70 ميلادية *

اما صلة العرب بفلسطين فهي دائمة *

ان جميع القبائل التى نزلت أو مرت بها سواء كانت كنعانية أو مينيكية أو بابلية أو شورية أو كلدانية أو مصرية هي عربية سامية *

ولقد عشنا طول عمرنا فى هذه الأرض - وإذا كانت الصهيونية العالمية تريد ان تفرق بيننا وبين اليهود الاصليين فهم ليسوا منها * فاليهود الاصليون ابناء عمومنا أما اليهود الحاليون الذين يدعون للصهيونية العالمية بالولاء فليس لهم صلة بنا ولا باليهود القدامى * فلقد كان اليهود القدامى يعيشون فى كنف مصر طالما هي قوية فاذا زالت قوتها زال من الوجود الكيان اليهودي كله *

ولما كان العرب نى قوتهم كان لليهود وجود فى كل مكان حل به العرب وياحوا لهم ما لانفسهم باعتبارهم اهل ذمة واهل كتاب ولما تقلب الاسبان على المسلمين الى الاندلس رحلوا الى مراكش مع باقى المسلمين *

أردت فقط بكل ذلك ان ادلل ان داود وسليمان عليهما السلام لم يتعدا منطقة القدس وناپلس ولم يستمر حكمهما غير 70 عاما وفى هذه المدة كانت تحت حماية حرام *

وبذلك يمكن القول بأن فلسطين لم تخلص لليهود القدامى في يوم من الأيام ولم تخلص لليهود الصهيويون الآن فإهم قوم تابعون يشتغلون بالجاسوسية لا قسوى أمة حتى تهى لهم مكانا بينها فعلوا ذلك مع فرنسا أيام نابليون ٠٠ ومع ألمانيا أيام غليوم وفعلوا ذلك مع بريطانيا حتى أخذوا وعد بلفور وأقاموا بإسرائيل سنة 1948 . بمساعدة بريطانيا ومنذئذها المسامين الذين كانوا خدما للصهيوتية العالمية .

ويفعلون ذلك مع أمريكا وهم يصرخون كل يوم طالبين العون والمساعدة منها بطائرات الفانتوم واسكاى هوك .

فهم قوم تابعون وسيعيشون طول عمرهم عالة على غيرهم وعلى العالم حتى يأتي امر الله بزوالمهم وهذا اليوم نراه قريبا ياذن الله .

اما ملكيتنا لهذه الارض فهي قبل اليهود كانت ملكا للعرب .

وإثناء وجود اليهود القدامى كانت ملكا للعرب ولم يكونا مستغلين بها يوما واحدا وكنا نعتبرهم أبناء عمومتنا .

وأما ما أتى على هذه الارض من استثمار الاسكندر والرومان فلم يغير انها عربية واتى لها عمر ابن الحطاب فأخرج منها الفزاة واصبحت خالصة لابنائها العرب .

واستمر كذلك حتى الانتداب البريطانى الذى لم يجرؤ ان يقول انها يهودية وحتى صك بلفور ووعد الخائن لم يقل بشئ ذلك وجاء فيه المحافظة على حقوق أهل فلسطين الموجودين بها مع وجود وطن قومي لليهود .



من محاضرات ملتقى بجاية

جدلية الانحطاط الاقتصادي في الحضارة الإسلامية

عبد المجيد مزبان
كلية الآداب - جامعة الجزائر

انه لمن العسير على الباحث أن يجمع المعلومات المشتتة في كتب التاريخ ليكون منها سندا لبحث اجتماعي اقتصادي تركيبي يأخذ به صورة واقعية عن فترة من الفترات الحاسمة في حياة حضارة ضخمة ومتشعبة مثل الحضارة الإسلامية .

ولا يمكن أن يقال بأن الإحاطة بمثل هذا الموضوع ستصبح ممكنة عند الباحث الواحد مهما تكلمت لديه المعلومات ومهما تنوعت ، ذلك لاننا نعرف أن كتابة

التاريخ لم تكن في القديم الاسردا للأحداث السياسية قلما تتظلمها ملاحظات عن الحياة الاقتصادية ، ومهما كانت الصلة قوية بين هذه الاحداث السياسية والاحوال الاقتصادية ، فانه من الصعب أن تستخرج هذه الاحوال الاقتصادية بكل وضوح جملة المعلومات التي حفظها لنا التاريخ .

ولكن هذه الصعوبات لا يمكن ان تبقى سدا مانعا يجعلنا نتردد أيد الدهر عن فهم مجتمعنا من خلال تاريخه الاجتماعي والاقتصادي بالإضافة الى التحليل السياسي العلمي الذي لم يكتف بسرد الاحداث . وانه لمن اللائق بنا أن نكون جماعات من الباحثين تتعاون على جمع المعلومات وتصنيفها وتحليلها بالمنهج العلمي الذي تقتضيه الدراسات التاريخية والاقتصادية والاجتماعية المعاصرة وذلك للوصول الى المعرفة العلمية الحقة في كل ما يتعلق بالحضارة الاسلامية والمجتمعات التي رسخت فيها هذه الحضارة .

غير ان المجهودات الفردية لا يمكن ان يستهان بها في مثل هذا الميدان مهما كانت الصعوبات التي تواجهها ، ورغم انحصارها في جوانب جزئية من البحث عن الواقع الاقتصادي والاجتماعي لحضارتنا . ولكن من المؤكد ان ليس في الامكان الاطاحة بموضوع متشعب مثل موضوع الحضارات والمجتمعات من طرف الباحث الواحد وان عظمت ثقافته التاريخية ومعارفه الاجتماعية وليست التأملات عن الحضارات وخصوصا منها تلك التأملات التي عودنا عليها فلاسفة التاريخ بمغنية شيئا ، لانها قليلة الارتباط بالمعرفة العلمية الدقيقة .

وانما لسحتي كلما أسرفنا في الوصف التركيبي السريع للظواهر الاجتماعية العامة مثل ظاهرة الانحطاط التي تهمتنا هنا ، أن لا نأخذ الا صورة خيالية عن الواقع ، ومن أجل هذا نحدد انفسنا قبل الشروع في التحليل ، ونقر مسبقا بأنه تحليل جزئي ومحدود .

اننا هنا في مجسم ملتزم شديد الحماس لثرائه ، وحق له أن يلتزم ويتحمس لثرائه بعد أن حرم منه في ظلام الاستعمار ، وانه لمن المحرج بالفلسفة لمن يتعرض لموضوع شائك كموضوع الانحطاط الحضاري في مثل هذا المجمع الرقور ، أن يكشف عن بعض المظاهر المؤلمة من واقعنا المجتمعي فيما سلف من العصور .

وما دام للعاطفة حقا في مثل هذه الاحوال فاننا كثيرا ما نقول تسليية لانفسنا بان حضارات العالم كلها خاضعة لقانون الازدهار والانحطاط وتعتمد في ذلك على التفلسف التاريخي الذي يقول مع ابن خلدون بشيء الحضارات الانسانية وموتها ومنا من يعتمد حتى على العقيدة الاسلامية ويستشهد بالكتاب العزيز مرددا تلك الايام نداولها بين الناس « ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون » . نعم يجوز أن نعتقد بموت الحضارات

وباختلال بنياتها في بعض الظروف ، ولكن يجوز أن لا نقول بموت الشعوب الخالصة
لهذه الحصادات ، وإذا كانت الحضارة الغربية قد أوسعت إلى مستوى السيطرة العالمية
اليوم وهي بنت الحضارة اليونانية والرومانية المنقرضة كما يقولون ، فإن ذلك راجع
لارادة الأجيال المتوالية منذ سنة مرون ولا شك أن عزم الشعوب الإسلامية على النهوض
والارتفاع إلى مستوى حضارى عالمي منذ بداية هذا القرن سيؤتى ثماره إن تأكد مما
العزم عبر الأجيال .

لكن النهضة ثورة ، ولها ثورة اليعة في كثير من الوجوه ، لأنها ترفض الأحداث
المسلطة على الشعوب من الخارج كما ترفض التناقضات التي تعانيها المجتمعات في داخلها
لقد عشنا في القرن العشرين تسلطات استعمارية كلها ذن وبوس ، ولكننا عشنا مع
ذلك امتدادا لوضعية انحطاطية جاءتنا من صميم حضارتنا وعن زمن بعيد . وإذا كنا
لا نقول بفكرة قابلية بعض الشعوب للاستعمار دون البعض الآخر فأننا لا ننفي مع هذا
أن الصراع بين الحضارات لا يعرف الرحمة خصوصا إذا تكاثرت قوى الإعداء لمة ما وأحس
أحدهما أن في حياة الآخر خطرا على كيانه .

فإذا قلنا أن حضارة ما أصيبت بالانحطاط فليس معنى هذا أنها تقلصت من تلقاء
نفسها وهرمت لكي تشرف على الموت ، كما هو الشأن بالنسبة للكائنات الحية . بل
الواقع أن للانحطاط جدلية . وكل جدلية تحتوي على تناقضات وصراعات داخلية
وخارجية معا .

فالاستعمار كظاهرة لتوسع الحضارة الغربية نتيجة جدلية وصراع عالمي واسع
وانحطاط الحضارات المختلفة نتيجة أيضا لمثل هذا الصراع .

لقد بدأنا نحس مثلا بضعف الحضارة التكنولوجية حينما ظهرت حرب الطاقة منذ
شهور ، ولو قدرنا أن الصراع سيشتد بين المجتمعات المنتجة لمواد الطاقة والمجتمعات
التكنولوجية فإن الأمر سيؤول في افتراض أول إلى انتصار زائد للتكنولوجيين أما بتسلط
عسكري أو سياسى جديد وأما بالعدول عن المواد التقليدية للطاقة لحق مصادر لأزدهار
تكنولوجى جديد ، أو سيؤول الأمر في افتراض آخر إلى انهيار كامل لحضارة التكنولوجية
الغربية . وظهور حضارة جديدة تحل محلها ، وتدعى هي الأخرى الشمولية والعالمية .
وتتعرض لصراعات من نوع جديد . نعم أن الحضارات لا تتطور على وتيرة واحدة وحسب

اتجاه يمكن معرفته مسبقا ، ولكننا لا زلنا والعالم مشنت الى مجتمعات وحضارات ووطنيات وعقائد مختلفة ، تعيش الصراع المستمر بين الطوائف البشرية وتخضع لهذا النوع من التطور النئى ينلخص فى التناقضات والتفككات وتحديد البناء •

نقول تحديدا لموضوعنا ان انحطاط الاقتصاد فى الحضارة الاسلامية كان متصلا بالصراعات العالمية ، وصار امرا محتوما منذ تفوق الحضارة الغربية ابتداء من القرن السادس عشر ولنبدا بتحليل هذا المظهر العالمى ، يعد الطابع التجارى اهم مظهر من مظاهر الحياة الاقتصادية عند المسلمين ومن ميزات هذه التجارة التى توسعت بكيفية تصاعدية منذ القرن الثامن وبدأت تنقلص بكيفية سرية ابتداء من القرن السادس عشر ، أنها تجارة عبر القارات • ومعنى هذا أن الحضارة الاسلامية فرضت على العالم طول هذه المدة نظمها التجارية وتقاليدها فى المعاملات ، وتقنياتها المالية ، ومعاييرها فى تقييم البضائع والمنتجات المتنوعة •

ولا يمكن لتجارة عبر القارات اعنى القارات الثلاث التى هى آسيا وافريقيا وأوروبا ، أن تعيش اذالم تكن الطرق التقليدية فى البحار طوع يديها • وطرق البحر هذه فى الشرايين الحقيقية لحياة الحضارات ذات الطابع الجارى • وتمول بعض الملاحظات أن القوافل البرية والملاحة المحصورة فى الشواطئ الافريقية من البحر المتوسط هى اهم ما تتميز به تجارة العالم الاسلامى وليس هذا بالصحيح • بل كانت الملاحة عبر المحيط الهندى ، وخصوصا فى عصر ازدهار بغداد لا تقل اهمية عن الملاحة فى البحر المتوسط • ولم تكن الشواطئ الاوروبية هى الاخرى خارجة عن نطاق التبادل العربى • اما القوافل البرية فقد كانت رغم اهميتها وتمدد طرقها بمثابة الشرايين الجرئية لهذا النشاط •

وليس من الممكن أن نتصور الظواهر الاقتصادية منعزلة عن الاحداث السياسية او نمطى اسبقية للاقتصاد على الاحداث العسكرية الكبرى • بل يجب أن يعد المركب الحضارى مركبا واحدا متشعبا ، ونلاحظ أن الفتوحات العسكرية الاسلامية التى وقمت على حساب الحضارتين الفارسية والبيزنطية أدت الى شهيد سبيل الحلق والاستقرار الاقتصادى برا وبحرا • ولم تزدهر التجارة الاسلامية إلا بعد أن أصبح البحر المتوسط بحرا عربيا • لا تسبح فيه لغيرهم الواح • على تعبير ابن خلدون • وليس من الممكن أن

تصور التجارة العربية شبه تجارة بدائية متحصرة في القوافل المتباطئة عبر الصحارى .
بينما الاساطيل العربية مستولية كليا على جميع البحار المعروفة اذ ذاك .

واذا اردنا ان نأخذ نظرة عن هذه الظاهرة فلنستشهد بكلام صاحب المقدمة اذ
يقول بلحرف في الفصل الخاص بمراتب الملك :

(كان المسلمون لمهد الدولة الاسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانبه .
وغظمت صولتهم وسلطانهم فيه . فلم يكن لأهم التصراعية قبل باساطيلهم بشئ من
جوانبه وامتطوا ظهره للفتح سائر ايامهم فكانت لهم المقامات المملومة من الفتح والغنائم .
وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه ، مثل ميورقة ومنورقة وبابسة وسردانية
وصقلية وقوصرة ومالطة وأقريطس وقبرص وسائر ممالك الروم والافرنج . وكان
أبو العاسم الشيعي وابناؤه يغزون اساطيلهم من المهدية جزيرة جنوة فنقلب بالظفر
والفخيمة وافتتح محاهد المامري صاحب داية من ملوك الطوائف جزيرة سردانية
في اساطيله سنة خمس وأربعمائة . وارتجما النصرى لوقتها . والمسلمون خلال ذلك
كله قد تغلبوا على كثير من لجة هذا البحر . وسارت اساطيلهم فيه جائية وذاهبة
والعساكر الاسلامية تجزئ البحر في الاساطيل من صقلية الى البر الكبير المقابل لها من
العدوة الشمالية . فتوقع بملوك الافرنج وتشن في ممالكهم ، كما وقع في أيام بنى الحسين
ملوك صقلية القائمين فيها بدعوة العبيديين . وانحازت أمم النصرانية باساطيلهم الى
الجانب الشمالى الشرقى منه من سواحل الافرنجة والصقالبة وجزائر الرومانية
لا يعدونها . واساطيل المسلمين قد ضريت عليهم ضراء لاسد على فريسته . وقد هلات
الاكثر من يسيط هذا البحر عدة وعددا . واختلفت في طرقه سلما وحربا . فلم تسبح
لنصرانية فيه الواح » .

ان طرق السلم ، التى هي طرق التجارة ، وطرق الحرب في البحار يصاحبها
البعض ولا تمهيد الى المبادلات السلمية وفرض النظام الاقتصادى العربى عبر النواحي
القريبة في القارت الثلاث ، الا يسيطر الاساطيل العسكرية .

ومن الملاحظ ان جدلية الازدهار الاقتصادى للحضارة الاسلامية هي جدلية داخلية
وخارجية معا . ولا يمكننا أن نفهم الجانب الخارجى الا بالتصارع مع الحضارات المجاورة .

ولا تعود ولا ازدهار الا بتعميد طرق البحار الضامنة لتضخيم المبادلات وجلب الارباح الكبيرة . ومهما كانت المصاريف التى تبذل فى الحروب مقللة لهذه الارباح فان المصاريف العسكرية كانت عملية رابحة اذ انها كانت تضمن المبادلات الضخمة ، وكان كل من التجارة والحرب سببا ومسببا فى نفس الوقت . فى نتائج مستمر : الحروب توطيد للتجارة والتجارة توطيد للحرب الى أجل .

واما جدلية الانحطاط اذ اخذت من الوجهة الخارجية فلا يمكن أن تفهم هي الاخرى الا بتتبع الاحداث العسكرية الحاسمة وخصوصا تلك الاحداث التى كانت تضعف من القوة البحرية للمسلمين وتضييق آفاق المبادلات عبر البحار وسوف نلاحظ أن التقلص التدريجي لسلطان الاسلامى فى الميدان العسكرى كان متبوعا بطبيعة الحال بتقلص التجارة العربية عبر القارات .

ولقد توهم كثير من المؤرخين الغربيين الذين شاهدوا ما كان عليه الاقتصاد الاسلامى ابتداء من القرن السابع عشر من تحول أهمية المبادلات وأسبقية التجارة البرية على التجارة البحرية عند العرب ، توهموا أن هذه الحالة هي نفس الحالة التى كانوا عليها قديما . ولم يخطر ببالهم أن الاحوال الاقتصادية قد تدهورت وتقهقرت ابتداء من اواخر القرن السادس عشر الى درجة الرجوع الى الوراء والخروج من الصيفة العالمية الى الصيفة المحلية أو الاقليمية للمبادلات ولا يمكن أن تتفانى الضربات العسكرية الكبرى التى لقيتها الاساطيل الاسلامية فى الجانب العربى من البحر المتوسط . ثم الضربة الكبرى التى وقعت فى ليبانتا سنة 1571 حيث استعادت الاساطيل الأوروبية قوتها ونفوذها حتى على الجزء الشرقى من البحر المتوسط ابتداء من ذلك الوقت . ومهما كانت القيمة السياسية لهذه الاحداث كأحداث مفردة ، فإن الأهم هو أن نلاحظ توالى الضربات العسكرية على المسلمين فى البحر المتوسط ابتداء من القرن الرابع عشر وهو عصر بداية انحطاط الحضارة الاسلامية بتقلص نفوذها العسكرى والاقتصادى فى نفس الوقت .

ولا يمكن أن نعتبر الفرصنة النشيطة التى ظهرت فى القرون التالية لمعركة ليبانتا بمثابة تعبير حقيقى لطرق البحر ولم تكن قط انتصاراتها حاسمة ، وليس لها التوابع الاقتصادية المجددة للكيان الحضارى الاسلامى .

ونقول بالتالى انه لا يمكن أن نفهم الازدهار الاقتصادى للحضارة الغربية الا بهذه الاحداث نفسها وبإدراك حركية التطور الحضارى من الوجهة العالمية الشمولية بتفاعل وتصارع الحضارتين المتنازعتين على الطرق البحرية للتبادل عبر القارات .

ولقد تضيخت المبادلات الرابعة عند العربيين حينما تقلصت المبادلات عند المسلمين وكانت الظاهرتان مرتبطتين بالاحداث العسكرية كما رأينا .

ليس مرجع الامر اذا الى تفوق طبيعة حصارها ما على طبيعة حضارة أخرى . اذ الحضارتان من طبيعة اقتصادية واحدة فى نظرها وهذا على الاقل فيما يخص الأسس التجارية وبعض الأسس الرأسمالية العالمية التى تسبب الاقتصاد الإسلامى فى زرع بذورها حول البحر المتوسط فى فترات ازدهاره . وما لبث الاقتصاد الغربى أن تسلط وتسلط طرق ممالكه وتقاليده الجديدة . وتقنياته . وتقنياته على جميع بقاع العالم ابتداء من القرن السادس عشر . بعد زوال نفوذ الحصص المنازع . وبعد الأخذ بكثير من عاداته التجارية وتقاليدهم .

اننا حينما ندعى أن البناء الاقتصادى الذى شيدت على أسسه الحضارة الإسلامية . هو من نفس النوع الذى شيدت عليه الحضارة الغربية . فلا معنى أنهما متشابهتان فى جميع المظاهر . وانما معنى أن الطابع التجارى هو المتغلب عليهما معا .

لكن تضخم المبادلات على يد الأوروبيين كان أوسع بكثير وهذا مما أدى الى خلق حضارة جديدة بدأت تعرف تطورا جديدا ابتداء من القرن الثامن عشر . اما الطرق البحرية فقد خرجت عن تقاليد الاقليمية المنحصرة فى البحر المتوسط . وصارت الملاحة العسكرية ثم التجارية تنجح الى الآفاق البعيدة عبر القارات الجديدة وعبر المحيطات . ويمكن أن نؤكد بان اكتشاف امريكا والملاحة فى اتجاه الهند عن طريق جنوب افريقيا كان عبارة عن اقلاع حضارى جديد تقل المبادلات التجارية من مستوى الخطوات الاولى للعالمية الى مستوى العالمية الحقيقية الواسعة . ويعد هذا الاقلاع بمثابة ضربة أخرى قاضية بالنسبة للحضارة الإسلامية لانه أكسب الاقتصاد الغربى قوة متضاعفة وزاد فى تثبيت وتوسيع الفوارق بين مستوى الحضارتين سواء من الوجهة العسكرية أو الاقتصادية .

واذا دققنا الملاحظة فانتنا سنجد الانحطاط الاقتصادي للحضارة الاسلامية داخلا في خضم هذه الاحداث . فلقد بدأ تقلصا مع التقلص العسكري ، ثم تقهقرا بعد الانزال عن طرق البحر . ثم انهيارا كاملا بعد توسيع الملاحة الاوروبية الى القارات البعيدة .

واذا اردنا ان نثبت شيئا من خلال هذه الملاحظة فليس اهم من الاقتناع بان انحطاط الحضارة الاسلامية كان نتيجة صراع عالمي واسع ، ولم يكن امرا ذاتيا مرجعه الى الطبيعة الخاصة بالحضارة الاسلامية . فالتفسيرات المثالية التي تنحصر في اتمام الثقافة العربية الاسلامية بالجمود وتحملها مسؤولية تخدير الافكار وعدم القدرة على الخلق والكبت عن الانفتاح الى رأسمالية اوسع والى حضارة صناعية لا يمكن ان يعتد بها اصلا في تفسير ظاهرة الانحطاط . وليس من الصعب ان نفتتح بان الجانب المكري للحضارة ما يزدهر بازدهار المركب الحضاري الراسخ ويتقهقر بتقهقره مع انه من الواجب الا تقلل من شان التأثير الثقافي في الابداع الحضاري ولكن لا يمكن ان يعتبر بمثابة المحرك الاول في جميع الظروف .

ولا يبدو مطلقا ان ضعف التفكير او فتور العقيدة هو الذي كان السبب الرئيسي في الانحطاط الحضاري عند المسلمين ابتداء من القرن الخامس عشر ولا يبدو ان هـنـه الحضارة قد هـرمت لطول مدتها واستنفذت قواها . كما يتصور ذلك المثاليون او المفكرون المتأثرون بقوانين التطور المأخوذة من علم الاحياء . ولم تكن الحضارة الغربية المنتصرة ثم المهيمنة للحضارة الاسلامية باقوى ولا اغنى من الحضارة الاسلامية في الميدان الثقافي طوال القرن الخامس عشر ، ولم تكن بأقل شيخوخة منها اذا ربطاها بجذورها البيزنطية والرومانية .

ان القضية اذا قضية صراع عالمي وليس الجانب العسكري فيها بأقل اهمية من الجانب الاقتصادي ومن الطبيعي ان يكون للعقيدة والثقافة دورها واهميتها في هذا الصراع . هذا هو الجانب الاول من جدلية الانحطاط الاقتصادي للحضارة الاسلامية . وبقي علينا ان نعرف جانبا ثانيا من هذه الجدلية وهو جانب الصراع الداخلي الذي كانت تسفر عنه تناقضات المجتمع الاسلامي نفسه . ويجب قبل الشروع في عرض هذا الجزء من المسألة ان ننتبه الى فساد النهج الذي يعول بصم المشاكل الداخلية الى المشاكل

الخارجية لتصور عدد المشاكل الاجتماعية التي أطاحت بالكيان الحضارى عند المسلمين .
بل القضية قضية حركية واسعة وتسلسل سريع بين الأحداث والظواهر . ولا يمكننا .
حسب معلوماتنا التاريخية . وحسب الموضوعية النسبية التى وصت اليها العلوم
الإنسانية . أن ندرك الا الظواهر الاكثر بروزا منها . ولا يمكن أن نعرف حركية
الأحداث بالدقة اللازمة . بل ليس فى وسعنا أن ندركها الا مجرأة ومن بعض
جوانبها فقط .

فما هى أهم المظاهر الداخلية لمدلية الانحطاط فى اقتصاد الحضارة الاسلامية
اذن ؟ . نقول ان الانظمة الاجتماعية والاقتصادية فى العالم الاسلامى كانت تدقضا
وصراعا مستترا بين البسات القطاعية التى كانت تفرضها الدول والامارات التقيدية
المبينة على العصبية كما وصفها بن حلسون . وبين القوى الشعبية الدائمة السطوح الى
انشاء جماعة اسلامية مبنية على روح العدالة والمساواة التى لقتها الثورة الاسلامية
للتعوب . ولا يمكننا أن نفهم الثورية التاريخية التى يصفها صاحب المقدمة كمانون
سياسى عام الا بادراك هذا النوع من الجدلية المبينة على تصارع الطرفين المناقضين .
وهما الشعوب المطالبة بالعدالة الاجتماعيه الاسلاميه من جهة ومن جهة أخرى الاقطاعيات
السياسية والاقتصادية العارضة سيطرتها الطاحنة بالعنف المطلق . حسب تقاليد
سياسة ما قبل الإسلام . ولا يمكن مع هذه الملاحظة أن نجد القضية فى جدلية سطحية
ينحصر تفسيرها فى الصراع بين البدو والحضر . كما يوهن ذلك ابن خلدون وكما يوهننا
كثير من الباحثين فى تاريخ المجتمعات الاسلامية من أبناء عصرنا .

وعلىنا أن ندرك كيف يقع هذا التناقض بين الطرفين . ولا يخفى على أى مؤرخ أن
العقيدة الاسلامية بدأت ثائرة على الطرفين المادى لتجار القرى وما لشت أن توسمت الى
مهاجمة الاقطاعيتين الرومانية والساسانية . داعية الشعوب الضعيفة الى تقويس دواعيم
هذه القوة المتسلطة على العالم المنحصر فى ذلك العهد . ولا حاجة بنا الى سرد النصوص
وذكر الأحداث التى تثبت هذه الصيغة الثورية للعقيدة الاسلامية الاولى لانها نصوص
وأحداث كثيرة ومتنوعة ثم انه لا حاجة الى سرد الأحداث التى أدت الى انحراف الثورة
الاسلامية فى الميدان السياسى والاجتماعى على الخصوص اذ أسهب المؤرخون فى وصفها .
ولا زالت العقيدة الاسلامية السنية على الخصوص تنخص هذا الانحراف فى المعتقد الذى

يؤكد بأن الخلافة الإسلامية الشرعية لم تدم أكثر من أربعين سنة وأصبحت ملكا عضوضا بعد هذه المدة القصيرة . ولا يمكن أن نفس الطرف في دراستنا لهذا التطور الانحرافى عن أهمية الأحداث السياسية فى اتحاد النطلعات الشعبية التى كانت تدعو الى المساواة بين المسلمين .

وما لبثت الدول أن تحولت الى مملكات وامارات محافظة نسجت انظمتها على النوال الرومانى أو الفارسى وانتصبت فيها الاقليات المسيرة والمصنجات المتسلطة فى شكل نظم اقطاعية مستغلة .

ولو نظريا بدقة الى نظام الارض فى عهد هذه المملكات والامارات لوجدناه امتدادا لنظام الاقطاعى الرومانى والفارسى فى كثير من الوجوه . أما تقسيم الاراضى الى اراضى زكاة وارضى خراج وارضى صلح واخضاع كل نوع الى قانون خاص . فلم يكن معمولا به فى جميع الظروف . ونظما الى هذا أن الاراضى التى كانت فى دول ما قبل الاسلام ملكا للاقطاعيات المملكات السابقة قد اخذتها الاقطاعية الاموية منذ عهد يزيد . ولدينا أكثر من مثال على أن الامارات الجهورية كانت أكثر تطرفا من الدول العامة فى خلق عصبيات اقطاعية والتسلط على اراضى السكان غصبا بدعوى تغلبهم على البلاد جهادا ، كما كانوا يدعون .

هذا ولم يكن الطفغان الاقطاعى الذى يصفه لنا مؤرخو الاسلام مقتصرًا على استغلال الاراضى واسترقاق أهلها بل كان يمتد الى النشاطات الاقتصادية الأخرى مثل الاحتكارات التجارية ، والاستيلاء على بعض الصناعات الكثيرة الارباح . ولا عجب فى مثل هذه الأحوال أن تحتاج مثل هذه الاقليات الى الدفاع عن مصالحها بعد السيف ولا عجب أن تكون فوائدها مبنية على حساب الشعوب . ولا غرابة أيضا أن يؤدى أسرافها فى الاستغلال الفهر الى حقد الشعوب وثوراتها كلما استطاعت الى الثروة مبيلا .

هذه هى معطيات الجدلية الداخية الى كان يصعها لنا ابن خلدون بأنها دورية سياسية مقتصرة على ميدان نشوء الدول واحتطاطها ، ومتحصرة فى الصراع بين البدو والحضر والشعوب والامويون على السواء دورهم الحركى فى هذا الميدان ، وأن كان دور البدو وأكثر وضوحا فى الميدان العسكرى لحكم طبيعة النظام القبلى . لكن لا نسى فى

هذه الدورية أن الاقليات الحاكمة كانت دائما تفقد صفتها الشعبية حينما تستولى على الحكم تتناسى أهدافها الاخلاقية بمد فترات قليلة . وهذا السقوط الدورى فى نفس الاوضاع وارجع الى الجدلية العالمية التى كانت تمشى عليها الاحداث اذ ذلك .

وملخصها أن العصبية العسكرية التى تنزع الثورة وتطالب بالرجوع الى المشروعية الاسلامية تضطر الى اتقان نظمها العسكرية أكثر فأكتر من أجل الفتوحات الداخلية ومجابهة العدو فى الخارج . ويطغى هذه الاهتمامات على تحقيق أهداف العدالة الاجتماعية بعد مرور الجيل الاول بقليل قد يتحول ابناء العاهدين الى اقطاعيات سياسية ثم اقتصادية وتبرز من جديد حركة الصراع الداخلى والخارجى . أما فى الميدان الاقتصادى المحرر ، ولستنا نزل الميدان الاقتصادى هنا الا لفرض منهجى ، فانه يمكن تصور الجدلية الانحطاطية كما يسلى .

ان الاقلية الاقطاعية فى دول القرون الوسطى تسرف فى احتكار وسائل الثروة بين يديها وتصرف أموالها فى غرضين رئيسيين : تقوية وسائل الدفاع عن مصالحها ، من تجنيد لسرترقة والقبائل الحامية ومن انعام على دعاة من جميع الانواع (شعراء ، ومتقفون وأولو نعمة) هذا من جهة ، وفى وسائل الرفاهية والمتعة من قصور وجواري وكنوز من جهة اخرى .

والتنافر فى مثل هذا السلوك الاستهلاكى الذى يجعل توسيع الانتاج ، انه ملوك لا يبنى الا على تفقر الشعوب والزيادة فى خلق الفوارق الطبقة فيكون الغنى فى مثل هذه الانظمة مسرفا فى الفس ، والفقر مسرفا فى الفقر - ولا سبيل الى الخروج من هذه الدوامة مادامت الثورة تحتاج الى تدعيم الطبقة المثيرة بشتى المصاريف ، ومادامت هذه المصاريف تحتاج الى البحث عن الموارد والحاجيات اينما وجدت وهذا دائما على حساب الشعوب .

ونتساءل أين تكمن فى هذه الظروف روح الجماعة الاسلامية وعقلية المساواة والعة الاقتصادية التى يدعو اليها الاسلام . انه لا يمكن أن يقال بأن العقيدة الاسلامية ترفض الاعتراف بالواقع الطبقي ولا تحكم على المستغلين لآخوانهم بالزيف عن الاخلاق الاسلامية . بل الترف والفسوق صفتان متلازمتان فى منظر هذه الاخلاق . ولا يمكن من جهة أخرى

أن ندعى بأن الحقد والصراع بين الاقطاعات والشعوب ظاهرة مفقودة في المجتمع الاسلامي ، اد لو ادعينا هذا لا دعينا أيضا أن عتف الاصطدامات والثورات وتطاحن الفئيات المتحاربة اوائل القرون الوسطى لم يكن الا من أجل كراسي الحكم وانه لجهد بالمحركات السياسية الحقيقية أن ندعى بأن ملايين لبشر كانت تموت في الحروب الداخلية لتناصر اصحاب العصبيات حتى يحرزوا على شرف السلطان . ونتساءل أيضا لماذا كانت آمال الشعوب معقودة ابدا بكل ثورة تلوح في الافق ؟ ولماذا كانت قضية مشروعية السلطة تطرح في كل جهة وفي كل جيل بكل الحاح ؟ مرجع الامر كله فيما يبدو لسا مرتبط بالعقيدة والاقتصاد بقدر ما هو مربوط بالاحوال السياسية والاجتماعية ولا نعتقد أن لنساسة مكانة ممتازة لتفسير هذه الظواهر .

ان روح الجماعة الاسلامية وروح العدالة الاجتماعية كانت تلجا دائما الى الشعوب ، وكانت الجماعات المحلية على الخصوص ، سواء منها الحضرية أو البدوية وعى التى تحتضن الاخلاق الاقتصادية وعقيدة المساواة التى كانت تجعل مثاليتها فى سيرة عمر وفزاهة عيسى بن أبى طالب .

والسبب فى ذلك أن الشعوب كانت عرضة للاستغلال الاقطاعي ، وعرضة فى بعض الاحيان للثورات المزيقة وكانت فى كل مرة ضحية الاستغلال . ومن أجل هذا كانت تنبع من صميمها المقاومات العديدة والمتنوعة ضد السلطان الاقطاعى الذى كان سائدا طوال القرون الوسطى .

وانما لم استقصينا البحث عن هذا الصراع بين الاقطاعات والشعوب لوجدنا أنه الظاهرة الأكثر بروزا واشمل الحضارى الذى منى به المجتمع الاسلامى ابتداء من القرن الرابع عشر . ولسبب فى ذلك أن الشعوب كانت تستنفذ حماسها باستمرار فى مقاومة السلطان الاقطاعي ، وكان هذا السلطان يسقط باستمرار تحت ضربات هذه المقاومات الشعبية . ونظي أن الضعف العسكري والسياسي الذى وصلت اليه دول الاسلام ابتداء من ذلك الوقت مرجعه كما يقول المؤرخون الى التطاحن والفوضى الداخلية .

ولكن تفسير هذا التطاحن وهذه الفوضى لا يمكن أن يناسي الجانبين الاقتصادى والاجتماعي ليقصر على الجانبين السياسى والعسكرى . ومن أجل هذه الجدلية الداخلية المستغفلة لفوضى ، الدائمة التناقض والصراع ، كان مآل الجدلية الخارجية لفائدة العالم

العربي . وتم انحطاط الحضارة الإسلامية ما بين القرن الرابع عشر والقرن العشرين .
هذه محاولة مختصرة وعاجلة حاولنا أن نعرض فيها بكتيفة عامة الوجهين الداخلي والعالمي
لجدلية الانحطاط الاقتصادي في الحضارة الإسلامية . ولسنا ندعي انضباط الأشياء
الاجتماعية بين يدينا فنقول بان هذا التفسير يحتوي على كل الوقائع ويرفض أنواعا
أخرى من التحليل . بل كان غرضنا من هذه المحاولة هو ألغات النظر الى المحرك
الحضاري الكبير الذي هو الصراع . وأهميته في شرح مآل الحضارات منذ ظهورها حتى
الآن وأؤكد مرة ثانية بانها محاولة جزئية ومحدودة لادراك جزء من الوقائع المتشعب
للحضارة الإسلامية .



دور الشمال الإفريقي في الحضارة والفكر الإسلاميين

د • مصطفى عبد الله عيو
طرابلس - ليبيا

أغض العلماء في دراسة الحضارة الإسلامية وتبيين دورها الهام في التراث الإنساني وتطويره في مختلف الميادين • وكان للفكر الإسلامي من مكانة خاصة في الدراسات التي قام بها هؤلاء العلماء ، وليس هنا مجال الكلام عن هذه الدراسات التي قام بها هؤلاء العلماء للكشف عن الدور الذي ساهمت به الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي في هذا الخصوص فالوقت لا يتسع لتناول هذا الموضوع إلا بالشكل العام الذي يتمشى

والوقت المخصص لتل هذا الحديث ، ولكن هذا لا يمنع من اللقاء نظرة عابرة على الدور الهام الذي قامت به حضارة بلاد الشمال الإفريقي الإسلامية في مختلف العلوم والفنون وفي التراث الإنساني بصفة خاصة •

فتمند مجيء الاسلام الى بلاد الشمال الافريقي في القرن السابع الميلادي والبلاد تسهم باستمرار ففي تنمية الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي وان اختلفت هذه المساهمة من عصر الى عصر حسب ظهور مراكز الاشعاع الثقافي فيها والتي انتشرت بطول البلاد وعرضها . وكان للموقع الفريد الذي اختص الله به بلاد الشمال الافريقي ما ساعد أهلها على القيام بهذه المهمة فهي بوقوعها على البحر المتوسط وعلى سواحل المحيط الاطلسي استطاعت أن تمنح الفرصة لأهلها ليؤثروا في حضارة البحر المتوسط ويتأثروا بها . وعن طريق بلاد الشمال الافريقي انتقلت الحضارة الاسلامية الى اسبانيا ومنها الى أوروبا . وعنها أيضا انتقلت هذه الحضارة الى صقلية وبقية الجزر العربية في البحر المتوسط ومنها الى إيطاليا وفرنسا ومن هناك الى بقية الدول الأوروبية . وإذا كان علماء الحضارة الاسلامية قد حددوا طرقا رئيسية ثلاثة لانتقالها من العالم الاسلامي الى أوروبا فان بلاد الشمال الافريقي كان من نصيبها هذان الطريقان الهامان واللذان سبق الإشارة إليهما .

ولم يكن دور اهالي الشمال الافريقي قاصرا على نقل الحضارة الاسلامية الى أوروبا فقط بل انهم استطاعوا الوقوف أمام ما تعرضت له بلادهم من هجمات واغارات شنها الاوروبيون على سواحل بلادهم بعد أن تم طرد المسلمين من اسبانيا في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي . ونجحت بلاد الشمال الافريقي في اثبات وجودها في ذلك الصراع البحري الذي ساد مياه البحر المتوسط طيلة القرن السادس عشر حتى بداية القرن التاسع عشر . واستطاعت بحرية بلاد الشمال الافريقي أن تحتفظ لنفسها بمركز التفوق على بحرية الدول الأوروبية بفضل تماسك بلاد الشمال الافريقي واتحاد أهلها في مجابهة العدوان الأوروبي حتى إذا نجحت فرنسا في الاستيلاء على الجزائر في 1830 م بدأ التفكك يأخذ طريقه بين دول الشمال الافريقي في الوقت الذي أخذت فيه الدول الأوروبية تضم صفوفها وتوحد كلمتها ضد نشاط بحرية بلاد الشمال الافريقي بعد مؤتمر فيينا 1815 الذي عقد بعد نهاية حروب نابليون بونابارت . وكان الاحتلال الفرنسي للجزائر بداية النهاية لبحرية الشمال الافريقي وبداية وقوع هذه البلاد بأفطارها المختلفة في قبضة الاستعمار الأوروبي فكان الاحتلال الفرنسي لتونس في 1881 والاحتلال الإيطالي لليبيا في أواخر 1911 والاحتلال الفرنسي للمغرب في 1912 .

وهكذا كان على اهل الشمال الافريقي أن يعطو كل جهودهم طيلة فترة الصراع البحري اى مقاومة لمحاولات التي بذلتها أوروبا للسيطرة عليهم مما استنزف طاقتهم وحول جزءا كبيرا منها الى ميدان الحرب وعطى مسيرتهم الحصارية والفكرية حتى اذا كان القرن لتاسع عشر شاهدت البلاد نوعا ما فى المسيرة الحضارية وقد بدأ الاستعمار الاوروى يفزو البلاد ويستنزف قوى أهلها ويتحكم فى توجيهها .

ولا شك أن السيادة البحرية لبلاد الشمال الافريقي فى البحر المتوسط قد اقترنت بنفوق أهلها فى الملاحة لبحرية وعموما وصناعة السفن وتطويرها واجهزة الملاحة البحرية كالبوصله Compass التى جاء ذكرها لأول مرة فى أوروبا حوالى سنة 1190 م عندما ذكرها الشاعر الفرنسى جوبودى برومان فى قصيدة له (1) ، ويعطى المؤرخ الانجليزى ستانلى لين بول Gatot de Provins فى كتابه (2) عن حركة الجهاد البحرى لبلاد الشمال الافريقي والتي اعتبرها مع غيره من الاوروبيين قرصنة بحرية الكثير من المعلومات عن التقدم الذى وصل اليه اهل شمال افريقية فى علوم البحر ووسائل المواصلات والآلات البحرية العبية كالرشفة والاسطراب . وما زالت بعض المصطلحات البحرية الاسلامية مستعملة فى اللغات الاوروية حتى وقتنا الحالى كدار الصناعات Arsenal والحبلى Cable والاميرال Admiral وغيرها .

ومع أن نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر قد شاهدت أقول السيادة البحرية لبلاد الشمال الافريقي فى البحر المتوسط الا أن ما حدث فى تلك الفترة يكفى لتكشف عن الدور العظيم الذى ساهمت به بلاد الشمال الافريقي فى البحر المتوسط يوم أن عرفت كيف تفرس وجودها بعونها البحرية المدعمة بتقدمها فى فنون البحر ويعطى المؤرخ الأمريكى جاردنر والى فى كتابه عن البحرية الأمريكية وقراصنة الشمال الافريقي والذي صدر فى 1905 باسم « بحريتنا وقراصنة المغرب » (3) معلومات هامة عن البحرية الأمريكية وعلاقتها ببحرية بلاد الشمال الافريقي ، وقد

(1) جورج فصول حوراني ، العرب والملاحة فى المحيط الهندي ، ترجمة د. مصطفى بكر ، القاهرة مكتبة

الاحمد - ص 84

(2) Lemo - Pole, Stanley ; The Barbary Corsairs - London 1898, P.F. XVIII - 316

(3) Gardner W. Allen ; Our Navy and The Barbary - Corsairs - Boston, New-York - Chicago 1905 P.F. XVII 354

حاولت الولايات المتحدة الأمريكية الوصول الى تسوية مع بلاد الشمال الافريقى تضمن لسفنها التجارية سلامة المرور فى البحر المتوسط بمد أن حصلت على استقلالها من بريطانيا وأصبحت مسؤولة عن حماية سفنها التجارية وكان للولايات المتحدة مساعى دبلوماسية فى هذا الخصوص مع دول الشمال الافريقى . وقام المستر جون آدمز عندما كان يشغل منصب وزير مفوض (4) فى لندن بمقابلة الشيخ عيه الرحمن سفير طرابلس الغرب (ليبيا) فى لندن لتوسية العلاقات الامريكية مع طرابلس الغرب وقد وصف الوزير الأمريكى هذه المقابلة فى خطاب له الى جون جى وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية فى خطاب له بتاريخ 27 فبراير 1786 م حيث جاء فى هذا الخطاب ما يأتى :

« يكفى القول أن سعادته أثار تساؤلات كثيرة بخصوص أمريكا ومناخها وتربتها وحرارتها وردها . . الخ ولاحظ بأنها بلاد كبيرة جدا ولكن طرابلس الغرب فى حرب معها . وردا عليه سئل كيف تكون هناك حرب بين امتين ليس بينهما عداوة ولا اصابة ولا اهانة او دافع آخر بين الجانبين . واجاب سعادته بأن تسركيا وطرابلس الغرب وتونس والمزائر وامراكش كانت سيادة للبحر المتوسط وأنه لا يمكن لاي أمة أن تمبر ذلك البحر بدون معاهدة سلام معها » (5) .

وكان من أهم نتائج الصراع البحرى بين بلاد الشمال الافريقى والدول الأوروبية أن وقع الكثير من الاسرى الأوروبيين فى أيدي مسلمى الشمال الافريقى . وقد استطاع هؤلاء الاسرى أن يظلوا على الكثير من جوانب الحياة عند مسلمى الشمال الافريقى وأن ينقلوها معهم عند عودتهم الى بلادهم . ويساهم بعض الدين جاءوا الى موانئ الشمال الافريقى للتجارة أو للإشراف على عمليات تبادل الاسرى فى نقل الكثير من معالم حضارة المسلمين ومعلوما تهم عن بلاد السودان التى كان أهلها على اتصال وثيق بمسلمى

(4) من مواليد 30 أكتوبر 1735 ومات فى 4 يوليو 1826: أى بعد نصف قرن من اعلان استقلال الولايات المتحدة الأمريكية 4 يوليو 1776 وكان آدم أول مبعوث دبلوماسى لفتحيل بلاده فى لندن (1782 - 1787) عاد الى بلاده واختير نائبا لرئيس الجمهورية ثم رئيسا لها (1796 - 1800) بعد رئاسة جورج واشنطن .
(5) انظر للملحق

الشمال الافريقى يحكم اتصاليهم المستمر فى الميدان التجارى بفضل نشاط تجارة القوافل وازدهارها . ومكنا جاءت المعلومات الأولية عن بلاد السودان الى اوروبا بفضل جهود مسلمى بلاد الشمال الافريقى فى الكشف عن بلاد السودان والتعرف عليها والوصول اليها , وقد عرف الاوربيون كيف يستفيدون من هذه المعلومات عندما نشطت جمعياتهم العلمية فى سبيل استكشاف القارة الافريقية فى اواخر القرن الثامن عشر وطيلة القرن التاسع عشر، وبذكر فى هذا الخصوص المسير سيمون لوكاس Simon Lucas الذى كان يقوم بالترجمة الى اللغة العربية ومنها فى القصر الملكى بلندن والذى كان اول من استماعت به الرابطة الافريقية African Association بلندن فى مشروعائها الكشفية للقارة الافريقية بحكم خدمته السابقة فى شمال افريقية عندما اسره رجال بحرية المغرب وقد عاش اسيرا يعمل فى قصر سلطان المغرب لمدة ثلاث سنوات حيث آتيت له الفرصة ليتعلم الكثير مما أهله فيما بعد ليعمل نائبا لقنصل انجلترا فى مراكش لمدة ستة عشرة سنة حتى اذا عاد الى لندن التحق بخدمة القصر الملكى فى لندن , وبعد ذلك وقع عليه اختيار الرابطة الافريقية ليكسبون اول رجالها المبعوثين لاستكشاف بلاد السودان والوصول الى نهر النيجر عن طريق مدينة طرابلس , ولكن لم يستطع التقدم بعد مدينة مسراقة بعد وصوله الى طرابلس واكفى يجمع معلومات أهلها عن المناطق الداخلية فى افريقية بحكم نشاطهم التجارى معها . وعاد لوكاس الى لندن مكتفيا بما حصل عليه من معلومات ولكنه ما لست أن عاد الى مدينة طرابلس كقنصل لبلاده فيها .

وبلاد الشمال الافريقى يحكم موقعها الجغرافى هى المنفذ الطبيعى لبلاد السودان وقد عرف أهلها كيف يقومون بواجبهم فى هذا الخصوص قبل أن يعرف الاستعمار الاوربي طريقه هناك . ولم تكن الصحراء الكبرى بجفافها الشديد عائقا فى وسط العلاقات بين شمالى افريقية واجزائها الوسطى والغربية بل كانت عاملا منظما , وكانت واحاتها محطات للراحة والتبادل ومراكز لنشر الثقافة الاسلامية وعن طريقها عرفت الاسلام طريقه الى بلاد السودان , وقد حبله تجار القوافل معهم . وعن طريق المراكز الثقافية فى واحات الصحراء انتشرت اللغة العربية , واستطاع اهالى شمالى افريقية بنشاطهم التجارى والثقافى أن يكونوا حلقة الوصل بين اهالى السودان والعالم الخارجى

وعندما بدأت الجمعيات العلمية الأوروبية في استكشاف المناطق الداخلية لأفريقية وخاصة بلاد السودان في أواخر القرن الثامن عشر كان اعتمادها الأكبر على ما كتبه علماء بلاد الشمال الأفريقي . وفي مقدمتهم البكري من رجال القرن الحادي عشر والادريسي الجغرافي الكبير من رجال القرن الثاني عشر . وابن خلدون المؤرخ التونسي من رجال القرن الرابع عشر والذي يعتبر بدراساته الاجتماعية المؤسس الأول لعلم الاجتماع والحسن الوزاني المعروف بليون الأفريقي من رجال القرن السادس عشر . وقد نقلت معلومات هؤلاء العلماء إلى أوروبا عن طريق الترجمة وخاصة إلى اللغة الفرنسية . ويعتبر ما كتبه كل من الادريسي والحسن الوزاني عن الصحراء الكبرى والسودان من أو في ما قدمه المؤرخون والجغرافيون القدماء عن هذه المناطق . وما يؤسف له أنه لا توجد طبعة عربية لموسوعة الحسن الوزاني مع أنها ترجمت من اللاتينية إلى معظم اللغات الحية كان آخرها فيما أعلم الطبعة الفرنسية (6) التي ترجمت عن اللغة الإيطالية وقد صدرت الطبعة الفرنسية المشار إليها في جزئين ببوايس في سنة 1996 .

وكان اعتماد « الرابطة الأفريقية » كبيرا في نشاطها الكشفي على هذه الموسوعة ويستحق الحسن الوزاني المعروف بليون الأفريقي دراسة خاصة لأهمية موسوعته وفضلها في التعريف على أفريقية عند الأوروبيين بل لأهمية الدور الذي قام به في حركة النهضة الإيطالية بعد أن وقع في الأسر البحري بالقرب من جزيرة جربة في طريق عودته إلى المغرب بعد رحلته إلى أسطنبول . وقد باعه البحارة المسيحيون إلى البابا ليون العاشر الذي اكتشف مواهبه وعرف كيف يستفيد منه بعد أن احتضنه وضمه إلى العقيدة المسيحية ولقبه بليون الأفريقي . وكان لحسن الوزاني دور كبير في الجامعات الإيطالية بسماحته العلمية حتى إذا مات البابا ليون العاشر جاء الحسن الوزاني إلى تونس حيث عاد إلى عقيدته الإسلامية وقضى أيامه الأخيرة ومات فيها .

واستمر أهالي الشمال الأفريقي يقومون بدورهم الحضاري على أحسن ما يكون في الربط بين بلاد السودان والعالم الخارجي حتى عرف الاستعمار الأوروبي طريقه إلى بلاد السودان مستفيدا من نشاط تجارة القوافل التي كانت تربط ببلاد السودان بالمافد البحرية على ساحل البحر المتوسط في الشمال . ونجح الاستعمار الأوروبي في

(6) Jean-Léon l'Africain : description, l'Afrique Nouvelle, Edition traduite de l'italien par E. Epeaud, Paris 1950, 2 vols.

تغير اتجاه الاتصال بين اهل السودان والعالم الخارجي بانشاء منافذ جديدة على ساحل المحيط الاطلسي . والآن وقد تحررت بلاد السودان واخذت بلاد الشمال الافريقي تعمل على تجديد الدور الذي كانت تقوم به في السابق مع البلاد الواقعة الى جنوبي الصحراء الكبرى كمنفذ طبيعي لها بدأت الجزائر بمد الطرق المعبدة لربط موانئ الجزائر ببعض مناطق السودان . وبقي على بقية بلاد الشمال الافريقي أن تعطى اهتمامها الى هذا النوع من المواصلات وعلينا أن نستفيد من تقنية العلوم الحديثة في تمهيد الطرق الصحراوية ومدها وصناعة السيارات وتكييفها والمهمة التي ستقوم بها مع العناية بالخدمة ووسائل السلامة والامن . وبهذا يمكن تحديد نشاط الحضارة الاسلامية وعلاقتها بهذه المناطق التي يقع على اهل الشمال الافريقي السدور الهام في تطويرها على أساس انساني حضارى بحكم الموقع الجغرافى واستمرارية التاريخ لعلاقتنا التي حكم عليها أن تقف بعد تغلغل الاستعمار الاوربي في بلاد السودان *

وبلاد الشمال الافريقي تقع بجزئها الغربى على ساحل المحيط الاطلسى وهى بذلك تواجه الى حد كبير العالم الجديد كما واجهت بساحلها الطويل الدول الاوربية وبوحداتها الجنوبية بلاد السودان . وبحكم هذا الموقع على المحيط الاطلسى كان لاهالى المقرب دور كبير فى المحاولات التي بدلت لكشف ما وراء المحيط الاطلسى قبل أن ينجح كولومبس فى اكتشافه الجغرافى . ومن الثابت أن كولومبس اعتمد على بعض الخرائط العربية فى رحلته البحرية التي أدت به فى النهاية الى بداية كشف العالم الجديد . وهناك دراسات تاريخية يقوم بها بعض الاساتذة الامريكيين للكشف عن تاريخ امريكا فيما قبل اكتشاف كولومبس لها والمحاولات التي بذلت قبله كما حدثتني بذلك الاستاذ ارثر جيفرى Arthur Jefférey فى مايو 1958 عندما كان رئيسا لقسم اللغات الشرقية بجامعة كولومبيا فى مدينة نيويورك . ومن المتوقع أن تؤدي تلك الدراسات الى معلومات هامة تفيد فى الكشف عن الدور الذى قام به بعض رجال المغرب فى كشف العالم الجديد حتى اذا قامت الثورة الامريكية ضد انتبعية البريطانية ونجحت فى تحقيق اعلان استقلال الولايات المتحدة الامريكية يوم 4 يوليو 1776 كانت دول الشمال الافريقي مشغلة فى بلاد المغرب فى مقدمة الدول التي اعترفت باستقلال الولايات المتحدة الامريكية وكان ترتيبها الثالث بعد كل من فرنسا واسبانيا فى الاعتراف بكيان الولايات المتحدة

الامريكية ، وقامت بلاد الشمال الإفريقي بتبادل التمثيل الدبلوماسي معها . كان ذلك في الوقت الذي لم تكن فيه الكثير من الدول الأوروبية وغيرها على علم بتلك الجمهورية الأمريكية الناشئة فضلا عن الاعتراف بوجودها .

أما كيف تجسد الفكر الإسلامي في بلاد الشمال الإفريقي بعد ازدهاره وكيف أصبح أهالي الشمال الإفريقي في مؤخرة التقدم بعد أن كانت لهم الصدارة مع أن الفرق الزمني لا يساوي ذلك الفرق الحضاري الكبير إذا قارنا ما كان عليه الحال في بلاد الشمال الإفريقي والولايات المتحدة الأمريكية في نهاية القرن الثامن عشر ، وقد رأينا كيف كانت تسعى الأخيرة لكسب صداقة دول الشمال الإفريقي فهذا ما يمكن تلخيصه في العوامل الآتية مع ضرورة الاهتمام بالعلاج السريع لاستئصال المسيرة الحضارية .

أولا : إن الجهد الشاق المستمر الذي بذله أهالي الشمال الإفريقي في مقابلة الغزو الأوربي بعد أن تم طرد المسلمين من أسبانيا وسقوط غرناطة آخر معقل إسلامي في الأندلس في 1492 م وما صاحب هذا الجهد من تركيز جميع الإمكانيات والقوى لصعد المسدود وبالتالي رده على أعقابيه ، وقد استنزف هذا الصراع الإمكانيات البشرية والاقتصادية ، ولم يعط الوقت الكافي للتأمل والتفكير والابتكار .

ثانيا : توحيد كلمة الأوروبيين بعد مؤتمر فيينا 1815 تجاه دول الشمال الإفريقي واتفاق الدول الأوروبية الكبرى فيما بينها على اقتسام بلاد الشمال الإفريقي وبالتالي استعمارها .

ثالثا : ما دپ بين حكام بلاد الشمال الإفريقي من خلافات وخصومات ساعدت الأجنبي على استغلالها لتنفيذ خطته الاستعمارية - بضرب بلاد الشمال الإفريقي ببعضها في سبيل إضعافها وبالتالي الاستيلاء عليها .

رابعا : الشعور بالحساسية المطلقة وعدم قابليتنا للنقد الذاتي الذي هو مرحلة أساسية في مراحل الابتكار والخلق والانشاء .

خامسا : تركيز كل الجهود وتخصيصا حركة التحرير من الاستعمار الأوربي طيلة النصف الأول من القرن العشرين والانصراف الكلي للخروج من مرحلة التغلف بتوجيه العناية إلى تنمية البلاد وتطويرها بعد النجاح في الحصول على الاستقلال السياسي .

سادسا : تغفل الاستعمار الاوربي في افريقية ونجاحه في عزل بلاد الشمال
الافريقي عن بلاد السودان التي أوجه لها منافذ بحرية على ساحل المحيط الاطلسي
بعد أن زعزع التماسك بين أمالي السودان وأمالى افريقيا , ولا بد من إعادة الثقة
لارجاع العلاقات الحثينة بينهم وتطويرها لمصلحة الطرفين -

سابعا : يجب أن يعود البحر المتوسط لاهله مع ضمان سلامة الملاحة فيه وحريتها
للجميع حتى يطمئن سكان الشمال الافريقي فينصرفوا الى الابتكار والتجديد وحتى
يكون هذا البحر مصدر خير لهم بدلا من أن يكون مصدرا للخطر الذي يهددهم ويقطع
عليهم أمنهم وسلامتهم , وعلى شعوب هذه الدول أن يتضافروا مع الشعوب الاخرى
التي تقع على سواحل البحر المتوسط في سبيل تحقيق هذه الغاية *

ثامنا : الاهتمام باحياء تراثنا القديم ونشر ما تركه علماء الشمال الافريقي مع
ضرورة ترجمة كل ما كتبه الاوربيون عن هذه البلاد وهو شيء كثير وغني بالمعلومات .
وعلى جامعات الشمال الافريقي أن تقوم بتنسيق هذه المهمة فيما بينها وتخصيص
الاموال والاشخاص الكفاء للترجمة مع التعليق عليها وإظهار ما فيها من خفايا , ولنا
عينا تركه الفرنسيون والاسبان والايطاليون ما يحتم علينا ضرورة الاسراع بهذا
الاهتمام حتى لا تضيع المادة الموجودة وحتى يمكن الاستفادة من العناصر الوطنية المهيئة
لتقيام بهذه المهمة *

ثاسعا : ضرورة إعادة النظر في مناهجنا الدراسية على أسس تحقق ما نهدف إليه
مع العناية بالمدرس في كافة مراحل التعليم من حيث الاستعداد والإعداد مع العناية
بتشجيع البحث في الجامعات والإساتمة الاخصائيين , وقد آن الاوان لاعطاء العناية
للتكيف لا للكم بحكم ما تستلزمه مرحلة البناء والانطلاق * ولا أغالي إذا قلت أن هذه
الناحية هي محور الانطلاق لاستئناف المسيرة الحضارية وعليها يتوقف تحقيق أهدافنا
وبرامج التنمية فالمعلم بحكم مهنته هو خالق الأجيال ومنقذ الامم *

وأخيرا بقی علينا أن نتكاتف جميعا في سبيل استئناف المسيرة الحضارية بعد أن
نهجنا في تحقيق استقلالنا السياسی , وعلى أبناء الجيل الجديد ممثلين في جميع قطاعات
المجتمع أن يحافظوا على ما خلقه الاجداد والآباء من تراث وأن يعملوا على تنميته وتطويره
على أحسن ما يكون *

المثقف المغربي بين الفاعلية والسلبية

د . محمد زبيبر
كلية الآداب
جامعة محمد الخامس بالمغرب

في الوقت الذي تنقسم فيه شعوب العالم المعاصر الى كبيرة وصغيرة ، وقوية وضعيفة ، ومتقدمة ومتخلفة وتحاول القوة منها السيطرة على الاخرى تحت شعار العالمية والاممية وسمايرة العصر .. وما الى ذلك من المثل البراقة والمفترية يصبح من حق الشعوب الفتية ان تستمسك باستقلالها وان تمنح لهذا الاستقلال معنى كاملا تتجلى شموليته في كل مظاهر حياتها العادية والعقلية والروحية . وهذا المعنى لا يمكن ان يكون هو

الانزعال والانطواء . ولا يمكن ان يكون هو التعصب القومي او العداء للغير او جحد الفضائل والمزايا التي توجد عند سائر المجتمعات والشعوب .

بل انه يعنى موقفا اكثر ايجابية وفعالية يمكن تلخيصه في المبادئ التالية .
1) بناء الاستقلال العتي على اساس اكتساب كل ما يمكن من القوة العادية الضرورية في

هذا العصر • وهذا يقتضى سلوك طريق الاتصال والتفتح للاستفادة من تجارب الغير ومساعدتهم • 2 - بناء مجتمع جديد مبني على التخلص من رواسب الاستثمار ومخلفات الانقطاعية القديمة وتحرير المواطن من كل انواع العبودية والنبعية حتى يصبح قادرا على الانتاج والخلق والابتكار • 3 - محاولة فهم الهوية الذاتية للجماعة وتحديد ما في عالم تتصارع فيه الايديولوجيات والحضارات ، ويتحول هذا الصراع - فى النهاية - الى تمسيح كل القيم والمثل ، وخلق بليلة فى العقول الضيقة والاذعان الموسوسة والنفوس المتهورة • وهذا المبدأ الثالث هو الذى سبحاول ان نركز حوله افكارنا فى هذا الحديث للتغلب الذى لست اعتقد انه سيعطى الموضوع حقه ، اذ هو موضوع يتطلب بحثا طويلا وتحليلا واسعا ، ولكن ما لا يدرك كله ، لا يترك بفضه •

وهذه الهوية الدينية لمجتمعاتنا لا يمكن ان نلمسها عن كسب ، فى مجتمعاتنا ، الا من خلال الواجهة الثقافية • وهذا من طبيعى لان دور الثقافة هو ان تعبر عن المجتمع • فالمجتمع يعي بنفسه عن طريق الثقافة التى يخلقها • الا ان الثقافة ، حينما نريد ان نندبرها ككل متماسك ، تكشف لنا عن جانب واسع ومعقد فى الحياة الاجتماعية •

فهى بمشاكلها وعناصرها توازى الحياة الاقتصادية • وهذا ما يتطلب تحليلا دقيقا نكتفى منه الآن ببعض الخطوط الرئيسية :

1 - أغراض الثقافة :

باعتبار الموضوعات التى تتناولها ، فإن أغراض الثقافة عديدة ويصعب حصرها • فمهما ما يتصل بالدين أو الفلسفة ، أو بالعلم ، لوضعى أو بالشعر أو بالسياسة أو بالتمنيات المختلفة ، أو بالترفيه عن النفس • • الخ • الخ •

2 - ألوان الثقافة :

للتقافة ألوان مختلفة • وقد اعتدنا ان نستعمل كلمة الثقافة بمعنى التكوين العقلى او مجمل الآداب والعلوم - وهذا استعمال ضيق • والحقيقة ان الثقافة تشمل الآثار المكتوبة او المروية • وتشمل الى جانبها كل فنون التعبير الاخرى : التصويرية ، مثل الرسم والخط والنحت ، والهندسة المعمارية ، والنقش والنقش والنقش وسائر الفنون اليدوية • الموسيقى بمحتف اشكالها وما يتصل بها من فنون كالرقص والدراما

الفنائية ونحسيد الفردى والجماعى . يضاف الى كل هذا مجموعة من التقاليد الثقافية التى تتصل بالطهى او حياة المنزل أو الآداب الاجتماعية أو الحفلات والاعياد .

3 - مستويات الثقافة :

وللتقافة أيضا مستويات متعددة فى المجتمع ، وهذا ما تبرزه كل الابحاث الاجتماعية لدى مختلف الشعوب . فهناك الثقافة المحلية التى ترتبط بقربة أو بمجموعة بشرية محدودة تعبر فى ناحية صغيرة . وهناك الثقافة الاقليمية التى تعبر عن المجتمع الاقليمى بمعطياته الخاصة . وهناك ما يسمى الثقافة القومية التى تدل على ارفع مستوى فى الاعمال الثقافية على صعيد الوطن بكامله . وفى هذا الاطار ، يجب ان نميز بين ما يسمى الثقافة الشعبية والفولكلور ، من جهة وثقافة المثقفين من جهة أخرى .

4 - الثقافة والزمان :

الثقافة ليست بشئ آنى ، بل هو عمل مبنى على تراكم الازمنة والصور . ولذلك فهى تشمل تراثا متخلقا عن الاجيال السابقة ، ونتاجا معاصرا يكون آخر حلقات التطور فى المجتمع .

هذه بعض النقاط الرئيسية فى هذا التحليل قدمتها باقتضاب لنستطيع فيما بعد ان نفهم علاقة الثقافة بالهوية الذاتية . وقضية الهوية الذاتية تطرح علينا بحدة حينما نواجه المستقبل ونريد ان نبتكر ونبدع فى الميدان الثقافى . وطبيعى ان يكون جيلنا طموحا . بعد حوض معركة الاستقلال فهو يريد ان يخلق ثقافة جديدة تناسب المرحلة التاريخية الجديدة التى دخلنا اليها . وهذه المرحلة الجديدة لا تعنى فى شئ الرجوع الى الماضى . سواء منه القريب أو البعيد ، بل . انها تعنى ان تكون ثقافتنا تعكس مجتمعا فى وضعيته الحالية أى ان تسايره وتحاوره وتعاوب معه . ومن ثم كان من واجب المنصب الواعى ان يبحث عن هوية المجتمع الذى ينتسب اليه . وهذا ، فى اعتقادى . هو الاساس الاول للالتزام .

وستختل عن هذا الالتزام اذا زاع عن هذه الطريق وسار مع بعض الانحرافات التى يمكن ان نصنفها كما يلى :

1 - **الجمود** : كل من يعتمد ان التاريخ وقف في عصر من المصور الماضية فهو **الجمود** منناه الدعوة الى حرمان الاجيال الناشئة من حريتها في التفكير والبحث واعادة النظر في كل الاشياء . هنالك ، بكل اسف ، طائفة من المثقفين يقفون هذا الموقف ويدافعون عنه . مع انهم لو تفرسوا في مجتمعهم لراوه ينشد التطور والتغيير .

2 - **الانحراف** : هنالك بالعكس ، انحراف آخر يدفع بالمثقف الى التحمس السريع لكل فكرة جديدة غربية . فترا يبشر بها ويدافع عنها ويبحث عن اقرب منها احبانا . وهذا ، في الغالب ، موقف المثقف الذي يعيش بعيدا عن الواقع . فهو يأخذ الفكرة مجردة عن سياقها التاريخي والبيئة التي برزت فيها ويحاول ان ينقلها الى مجتمع آخر دون الاهتمام بطروء ذلك المجتمع وملابساته . ولربما صادف عمله صدى ، ولكن في دائرة ضيقة ومحدودة ، بحيث يؤول به الامر الى ان يكون مثقفا برجوازيا ، لانه لا يستطيع ان يفتح على الجمهور الواسع ولا ان يتجاوب معه . وانا لا انكر ان نية هذا المثقف ربما كانت حسنة ، وربما كان يسعى الى الخير والتقدم . الا انه ياتي البيوت من غير ابوابها .

3 - **الذاتية الفردية** : هنالك المثقف الذي يعيش لسمه ومع نفسه . فهو يعتبر نفسه في جزيرة خالية ، فلا يتحدث الا عما يعجبه في عالمه الخاص . ويستطيع ان يكتب ويؤلف ، ولكنه لا يخرج عن ذاتيته ، ويظل بسبب ذلك بعيدا عن الغاية الكبرى المنشودة من الثقافة . الثقافة ليست غاية في ذاتها ، بل ان لها نطلعات اساسية واجتماعية .

انها تهدف الى الحوار ، الى اثارة التفكير لدى الغير . فالمثقف الذي لا يستطيع الخروج من قوقعته ، يؤول به الحال الى ان يصبح من الجفاليين الخالص الذين ينشدون الفن لفن أو من المفكرين التجريديين الذين يتوهمون ان التعمق هو الابتعاد عن الواقع المألوف والملموس . من كل هذا يتبين ان الالتزام الاسامي بالنسبة للمثقف يمكن في اختيار واضح ، الا وهو ان يقلل ان يعيش في مجتمعه بما له وما عليه كمضو متواضع ولكنه واع يفتل للستطيع ان يقوم بمسؤوليته على الوجه الاكمل . يجب ان يتعاطف مع مجتمعه ، مهما كانت عيوبه . كما يتعاطف مع أسرته . وفي نفس الوقت نطالبه بان يكون ثوريا في تفكيره اي ان يكون ساعيا الى التغيير والتجديد . ان يرفض الاستكابة والجمود . وهنا يترامي لنا لاول وهلة ، بعض التناقض :

فنحن نطالبه بالتعاطف مع مجتمعه ونطالبه في نفس الوقت ان يثور عليه ، ولكننا سرعان ما ندرك ان التناقض ان التناقض آت من سوء فهمنا للكلمات التي نستعملها - فكلمة ثورة هي من الكلمات الرائجة بكثرة في قاموسنا المعاصر ، ونستعملها بصورة تلقائية دون ان نتدبر مفهومها بطريقة عقلية مقنعة ، والكلمة حينما نشرع في تحليلها نجدما تجمع بين قوة العقل والعاطفة •

هي ثورة لانها تعبر عن شعور قوى كامن في النفوس - لقد تجاوزت مستوى الفكرة المجردة واستحوذت على الذات بكاملها ، واصبحت قوة عاطفية دافعية الى التحرك والعمل موحية بنيد اشياء وتحبيذ اشياء . باعادة النظر الى الواقع حسب صورة جديدة • انها رغبة ملحة في التجدد تدفع الى بر كن ما هو ميت ويابس وتحطيم كل الحواجز التي تمنع عن التقدم • كما تدفع الى البحث عن لقاحات جديدة تؤدي الى بلوغ الاهداف من اقصر الطرق •

وهي كقوة عاطفية تنطوي على كراهية وحب تتجلى بوضوح في ردود الفعل التلقائية المصادرة عن المجتمع الثوري • الا ان اقوى العاطفية ، كما هو معلوم كثيرا ما تتجاوز اهدافها في اندفاعها العارم • فهي طاقة كائنة في النفوس واذا ما فسح لها المجال ، تستطيع ان تنهب ابعاد ما كان منتظرا ، وفي اطار هذا الانطلاق العفوي تنصهر للاحرفات ومبالغات تعود عليها بالانتكاس ، فيكون مد يتبعه جزر • وتتاح الفرصة آنذاك لدعاة الجمود لان يظهروا بمظهر العقلاء والحفهاء الذين حذروا ونصحوا في الموقت المناسب ، ولكن لم يستمع اليهم احد • ولذلك فالثورة لها ايضا جانب عقل • بالعقل ، بفصل وسائله الخاصة المبنية على العلم والتقييم والموازنة ، يستطيع ان يخطط لكل التغيرات التي يتطلبها المجتمع ويرسم لها حدودها ، وينسق بين معطياتها ونتائجها بحيث ان وزية الثورة من خلال العقل هي غير رؤيتها من خلال العاطفة ، وان كانت الاهداف واحدة • الا انه لابد من اضافة حرارة العاطفة الى برودة العقل لتكون الثورة ثورة • والذي يقع احيانا في مجتمعاتنا العربية هو اننا لا نوازي بين هذين الجانبين حينما نشهد التجديد • فننتقل مع تيار العاطفة في تفكيرنا وان كنا نطهر بمظهر الباحثين المرتكزين على العقل والمنطق ذلك ان العاطفة ، لا تظهر عيانا وجهارا وانما تبقى في الخلفية بسلماتها ومفوصاتها • وعن ذلك تتسولد مواقف متصلبة تموزها المرونة

الضرورية للمريد من الاطلاع وروح التفهم والتدقيق التي لا بد منها عند معالجة شؤون المجتمع . ومن هنا تنشأ بعض الاحكام العشوائية التي تحرق الاخضر واليابس وتضر من حيث انها تستهدف النفع . ومن بين هذه الاحكام التي تلحق ضمتنا في عدد من المواقف الفكرية اننا وجدنا الفراغ الكامل في مجتمعاتنا ويجب ان نلأ هذا الفراغ . بماذا ؟ ان نجلب له من هنا وهناك من بلاد أوروبا المتحضرة الجهاز المادى والفكرى الذى يسمه . وهنا يكمن الخطأ قد يصح لنا ان نقول اننا وجدنا نقصا . ولكن لا يعقل ان نقول اننا وجدنا فراغا كاملا . والكلمات يجب استعمالها بمعناها الدقيق . والنقص هذا امر مسلم به ولا يجادل فيه الا المتعصبون . وهذا النقص هو الذى عني بكلمة اخرى اكثر استعمالا وهو **التخلف** . والتخلف لا يعنى الفراغ أو العدم وانما يعنى فقط توقفا في مرحلة لا زالت بعيدة نسبيا عن الاهداف التى كان يجب ادراكها . وعلى هذا فالمجتمع المتخلف قائم في مرحلة ما-وقيامه يدل على وجوده ككائن حي - فالفرق بين المجتمع المتخلف والمجتمع المتقدم ليس هو الفرق بين الوجود والعدم ، وانما هو الفرق بين درجتين في الوجود . والمجتمع المتخلف على أى حال ، موجود . ووجوده هذا يمنعا ان نتكلم عن الفراغ المطلق . هذه الدرجة من الوجود التى يستمتع بها هي التى أردت ان ادعاهسا **هويته** . ويجب ان ننظر ايها الآن لا كمرشدين وانما كعلماء اجساعيين يكفون بسجيل الطواغر وتحليلها وربطها ببعضها . ولكي نستطيع ان نقوم بهاته المهمة ، يجب ان نتحلل من عدد من العادات الفكرية التى درسا عليها واعتقدنا تلقائيا انها صالحة . فقد ألف متقف عندنا ان يتحدث عن المجتمع وهو لا يعرف منه الا ذلك الوسط الضيق الذى يحيط به وسط الاسرة والاصدقاء والهيئة المهنية التى ينتمى اليها . وطبيعى ان تكون الملاحظات والامثلة التى يركز عليها في تفكيره مستقاة من أغلب الاحيان من هذه الدائرة الضيقة . اللهم الا اذا بذل مجهودا في التغلب على تلك العادة ليوسع منظوره ويتحرر من احياءات الاتصالات اليومية . هالك يظهر عندنا ما نستطيع ان نسميه مجتمع المثقفين . وهو مجتمع يعيش مع نفسه ولبفسه داخل المجتمع الكبير . وليست النية الحسنة هي التى تعوزه ولا الرغبة في خدمة الصالح العام . ولكن مستواه العكسرى يجعله يشعر بنوع من التمايز عن الغير ، ويدفعه الى شيء من الانلاقات على بعضه ولو كانت المناسبات والمحسومات تقوم بين افراده . وكثير من المثقفين حيسا يتحدثون عن

المجتمع لا يخرجون عن دائرة هذا المجتمع الصغير الصغير . فالحياة بالنسبة اليهم
نجعت كلها في تلك الدائرة . وانتقاداتهم وملاحظاتهم ونظرياتهم تبقى مرصنة بحدودها .
انهم يعيشون فقط مجتمعهم الكبير ويعيشون في مجتمعهم الصغير . وبهاته الطريقة
ينزلون في اسوء موقع لادراك الهوية الاجتماعية , وبما ان المجتمع الثقافي عندنا , في
الظروف الراحنة , ظروف التخلف , يعيش فكريا مع الخارج اكثر من الداخل فهو
يعيش في حلقة لا تحو من امتعال الشيء الذي لا يؤهله لان يكون ممثلا حقيقيا للمجتمع
في كليته . هذا الجو المغفّل الذي يسود مجتمعا الثقافي , والذي يتكون من ايحاء
المقرّوات والنظريات المجردة ومن عادة الاجترار المتواصل لنفس الافكار والصور والجدول
يؤول في النهاية الى خلق بصورات صلبة وكثيفة تكون حواجز حقيقية عن رؤية الواقع .
انها مثال آخر من الجمود الفكري الذي لا يريد ان يعترف بنفسه . ولعل هذه الظاهرة .
اذا تدبرناها بامعان . هي أيضا من ارت الماضي الذي حافظنا عليه بدون وعي ولا انتباه .
فقد ألف المثقفون المغاربة , في الازمان السالفة ان يكونوا مجتمعنا خاصا له مظاهره
ومميزات التي تجعل منه كيانا مستقلا وطعليا في آن واحد بالنسبة للمجتمع العام .
انهم يعيش حينه ويستفيد منه ولكنه يتجاهله ويرفض ان يندمج فيه . وهذا ما يفسر لنا
عددا من الاحداث والطواهر التاريخية التي لا محل لذكرها هنا . ولذلك فان المستشفيات
من بين لجال الثقافة في بلادنا كان لهم صدى عميق . لانهم خرجوا عن القاعدة المتبعة .
فرجل مثل ابن خلدون , برغم استيائه الى هذه الطبقة المحظوظة من رجال الفكر والقلم
لم يفتقر بهاته المكاسب واستطاع ان يحرق هذه الحواجز التي تخلفها الاسرة والبيئة
والحاج . ليذهب بكل تواضع الى البادية فيدرس مجتمعا ويبحث في انسانيته . وينظر
الى عوامل قوتها وضعفها مع الحرص على تفهم كل الجزئيات واستقصاء كل المعلومات .
ومن المعلوم اننا ندرك هوية المغرب في العصر الوسيط احسن ادراك من خلال ما كتبه
ابن خلدون . فعلى اكتاف هذا الرجل القل قامت شهرة عدد من المستشرقين والعلماء
العرب المعاصرين . والمثال الذي يقدمه لنا لا زال صالحا الى اليوم كموقف فكري . انه
يسند قبل كل شيء , الى الواقع ويعتمد على طريقة الاستقراء ولا يفامر بنظرية الا بعد
ان يكون لها وجد لها شواهد من الحياة .

ورجل مثل الحسن البصري , سليل البادية المغربية , لم يغير بتضلعه في العلوم
الرائجة في عصره فكان فقيها يردد المحفوظات والمرويات , بل تجول في البادية وصمد

الجيلات وانصمت الى الكبير والصغير واستطاع فيما كتبه ان يعبر بصدق لا عن ذلك المجتمع المصطنع الذي يكونه المثقفون حينما يعتبرون انفسهم طبقة خاصة ، ولكن عن المجتمع المغربي في شموليته . فهو في هذا العمل ، يتجاوز نفسه كما يقول فلاسفة اليوم . ولكن كم هم المباء الذين استطاعوا ان يسروا في هذا السبيل ؟ انهم قلة وسط كثرة هائلة . والذي يخشى منه على مجتمعنا النقيمي اليوم هو ان يحافظ على نفس السلوك دون وعي ، فيعيش على هامش المجتمع لان امراته يدافع العرور أو الكبرياء أو الكسل يرفضون ان يندمجوا فيه ليدركوا هوئيه على حقيقتها . افنا نطالب المثقف ان يكون ثوريا في تفكيره . والثورة تعنى ماذا ؟ تعنى تغيير الواقع الموجود ، نقله من الصورة الراهنة الى صورة أحسن منها . وفي هذا الحال هل يستطيع ان يغير وهو يجهل ماذا يريد ان يغير ؟ طبعا ، هو لا يترف بهذا الجهل ويقول انه يعرف ادواء مجتمعه ويحللها ويبين علاجها . ولكنه في هذا الموقف يظل انسانا ينظر الى الأشياء من الخارج ، من بعيد ، ينظر اليها بنظرة الميكانيكي الذي يقصر نظره على ملاحظة تفاعل القوى فيما بينها . ولكن الميكانيكي على صواب في موقفه لانه يتناول الأشياء . أما المثقف فهو مخطئ حينما يقتصر على هذا النهج وحده لانه يواجه البشر . وليس وضع البشر كوضع الأشياء . وهنا يكمن السر في ان العلوم الانسانية لا زالت لحد الساعة لم تندمج في بقية العلوم الوضعية برغم كل المحاولات . وما دام الامر هكذا ، فلا مسودة للمثقف من ان يغير موقفه الفكري ، فيتخلى عن هذه الصور والاشكال النظرية الصلبة التي رسخت في ذهنه ليعيد التجربة الحداثية في عصرنا الجديد ، فيخترق سياج الافكار المغلولة والمسبقة ، ويجرد من كبرياء العالم ويذهب ليرى كيف يعيش الناس وماذا يعيشون في مجتمعه . ولديه هنا برنامج حائل من الاعمال المفيدة التي يمكن ان تبرز سواء في ميدان البحث والدراسة أو في ميدان الابداع الادبي والفني أو في مجال بحث التيارات الجديدة التي تسري في المجتمع تكامله وتكون من عوامل لتغييرات الثورية ، فيدواثرها في تطور العقلية ومظاهر الحياة المادية على السواء .

وهذه الناحية الاخيرة يجب ان تستلفت نظرنا بالخصوص فنحن لا نريد أن نجعل المجتمع في خدمة المثقف بل المثقف في خدمة المجتمع . ان العطية الموجودة حاليا بين

المجتمع والثقافة يسبب انعزال هذا الأخير تجعل دروة متضائلا ما عدا في وسط محدود .
وهنا يحق لنا أن نتساءل : هل يستطيع المثقف أن يؤدي دوره بصورة أحسن ؟
والجواب نعم لاننا عرفنا من التحليل السابق الاسباب الرئيسية التي تعوقه عمن
اداء مهمته على حقيقتها والتي يمكن أن نجعلها في المقط التالية :

- انه يعيش في طبقة تكاد تكون منعزلة وقلما يحاول أن يخرج من حدود تلك الطبقة .
- مما يقوى انعزال تلك الطبقة غورها بالعلم النظري واقتناعها بأنها تعرف كل
شيء عن المجتمع وانها في غنى عن أي اتصال أو تجربة اضافية .
- طغيان الثقافة الاجنبية على العقول بصورة تتجاوز الاحتياجات الحقيقية وتتحول
الى تضخم في الاستهلاك لجرد الاستهلاك .

- التوهم بأن مجتمعا لا ينطوي الا على فراغ وان هويته الفكرية متقدمة .

من كل هذا يتضح ان مثقفا في انطلاقة يبقى في وسط الطريق ولا يسير فيها الى
النهاية . فهو يقطع جزءا من مسيرته ويضل عن الجزء الآخر . انه يحاول بمجهود الشخصى
وذكااته أن يكون في مستوى المثقف العالمى ، . وكثيرا ما حالفه التوفيق . ولكن حينما
يصل الى هذا المستوى لا يقدّر المسافات الطويلة التي أصبحت يفصله فكريا عن مجتمعه
(المخلف) . انه يقنع بهاته النتيجة كتحرر ذاتي ، يرى نفسه كالفرد السى نجا حسن
وسط الجماعة وترك الجماعة وراءه . فهو ينظر الى هاته النتيجة كأنها (غاية الغايات)
فى حين أنها من الوجهة الفكرية ليست الا مرحلة تتبعها مرحلة ثانية .

والمرحلة الثانية التي يمكن أن تعتبر هي غاية الغايات تجعله يتحول من طور
المثقف العالمى الى طور المثقف الملتزم ، أى المثقف الذى ينزل من سماء النظريات الى
صعيد الحياة الحقيقية ليلابسها ملابس يومية ويحاول أن يؤثر فيها بشكل من الاشكال .
وهذا الاتصال لا يمكن أن يتم الا عن طريق المشاركة العالمية فى حياة المجتمع ، بمسناه
الكامل . وهذا هو السبيل الوحيد الذى يتيح له أن يكون فى آن واحد فاعلا ومنفعلا ،
أى أن يجد لحياه ونشاطه معنى حقيقيا . ان هوية مجتمعا تجعل قبل كل شيء ، فى هاته
العلاقة التى يمارسها الانسان المغربى منذ آلاف السنين مع الارض . فالارض . هي
محط اماله ومسرح نشاطه . وتلك حقيقة يمكن أن تتغير مع نمو التصنيع ولكن الى

الآن لا زالت الارض هي لقاعد الاساسية التي تركز عليها حياته المادية والثقافية .
ولنترك يوما بيوتنا ومكثنا لنخرج الى البادية نتجول في اسواقها ونستمع الى اهاليها
ونحضر في افراحهم ومواسمهم لنستخلص من استقراءاتنا الفكرة الاسياسية التي تدور
عليها حياة المجتمع في البادية .

وسكتشف انها العلاقة مع الارض بما تتضمنه من عطاء وشح وكسح وجهه وأمل
وياس . فاذا عدنا الى المدينة نجد ان البادية لا زال لها امتداد كبير هنالك . فكثير من
أهل المدن لهم ارتباط بابادية اما عن طريق العلاقة العائلية أو عن طريق النشاط
الاقتصادي أو عن طريق الوظيفة والمهنة . فالارض ادنى هي الحقيقة الكبرى التي تنبئ
عليها هوية مجتمعا بكل مظاهرها . وهي التي تفسر عقلية وطريقة تفكيره . وما نسيه
الادب الشعبي أو الفولكلور ما هو الا تعبير عن هاته الحقيقة . وكل الصراعات التي
جرت في تاريخنا كان منسوخا الارض . وكل الاحتكاكات بين القبائل الرحل والمستقرة
تعود بنا الى قضية الارض . والمؤسسات الاجتماعية على نطاق القرية واحماة تهدف الى
احكام . لعلاقة بين الانسان والارض . فالفاعل المثمر بين المثقف والمجتمع لا يمكن ان
ينم الا اذا تشبع المثقف بمعطيات هذه الهوية الجماعية واستطاع ان يتمثل هاته التجربة
التي يعيشها مجتمعه بكيفية عادية وتلقائية . وبعبارة أخرى , لا بد له من ان ينتقل من
هذه (الثقافة العالمية) الى تمثل مستوى من التحليق فوق الواقع الملموس والتي قد
تفري بجمال منطقتها وتناسق افكارها ونظرياتها ولكنها تظل نوعا من النموذج المثالي
على شكل المثل الانلاطونية , الى (ثقافة الواقع) المبنية على التجربة المباشرة وعلى الاتصال
الانساني الواقع الذي لا يتقيد بأي قيود . والابحاث الاجتماعية الماصرة
تسير الى دينامية الثقافة الاجتماعية - وهذا عنوان دراسة قيمة لاحد
الباحثين المرموقين ابراهيم مولس - الى اى قائمة اليقانة للتحرك داخل المجتمع
بقوها الذاتية . وهذه الحركة تتمثل في الحلقة الطبيعية التي تدور منها الثقافة .
فالمثقف ينشئ الشيء الجديد - نظرية , رواية مسرحية الخ . . . ويبرزه للجمهور - ومنه
ذلك الحين يسلك اثره في مدار يتسع أو يضيق حسب طبيعة ما انشاه . ففي مرحلة
أولى . ينزل انتاجه في الدائرة الضيقة التي تتكون من مجتمع المثقفين . فهم أول من
يبد ولوه ويتحدثون عنه , ويتناقشونه فيما بينهم . وفي مرحلة ثانية , ينتقل صدى

ذلك الانتاج الى جمهور اوسع عن طريق الصحافة ووسائل الاعلام وهنا يختلف مصيره
فقد يصبح من المكاسب الثقافية التي يعنى بها فكر الجمهور ، بالمعنى الاوسع ، وهذا
لا يتم الا اذا كان هناك تجاوب مع بين المثقف والجمهور أى الا اذا استطاع المثقف ان
يخترق عالمه المصطنع ليسعد الى الواقع المجتمعي في سائر ابعاده . ذلك ان المثقف يتعلم
هو بدوره على المجتمع في تكوين ثقافته الملتزمة . فهناك دور يدور باستمرار بين
الجانبين . المثقف يمد المجتمع بانتاحه ويرى أثره فيه والمجتمع من جهته . يصحح رؤيه
المثقف عن طريق الاحتكاك المتواصل .

تلك هي الحالة المثلى ولكن هناك حالة ثانية ، وهي التي يقابل فيها الانتاج بالرفض او
الاهمال ، فيكون الصدى ضعيفا او منعدما في الجمهور . وهنا تضيق الحلقة التي يدور
فيها ذلك الانساج ليقتصر استهلاكه على دائرة جد محدودة . حينئذ يجب على المثقف ان
يبدأ بانهام نفسه . نعم ، قد يكون سابقا لأوانه ، وقد يكون عبثيا فاجا الناس بما لم
يتعودوا عليه فانصرفوا عنه وقابلوه بالصدود . ولكن هذه حالات نادرة في التاريخ
والنادر لا حكم له . ثم ان أسباب الاتهام هنا ليست هي عدم فهم الجمهور او شدة المفاجأة
بالنسبة اليه . بل هي تكمن في اشياء أخرى أهمها ان الانتاج لا يتصل في شيء مع حياة
ذلك الجمهور ، اذ لا يبرهن على أى مجهود صادق في تفهم عقليته وردود فعله ومثله
وتطلعاته الجماعية ولا ينزل الى عمق الوضعية التي يعيشها مكثفيا بالرؤيا السطحية .
وبعبارة أوضح انه لا يبرهن عن أى نوع من تجربة الواقع والاستفادة منه ، ويطلق
حيثما في قفص ، (الثقافة العالمية) يتقلب بين تجريداتها ومفاهيمها في حين ان تلك
الثقافة ما هي الا منطلق لفرد الواقع . ومعنى كل هذا انه يبقى بعيدا عن الاصاله التي
هي نهاية النهايات في كل عمل فكري او اخلاقي او فني فالاصالة هي الارتباط بالاصل
النابع من المجتمع . ولا يمكن التوصل اليها الا بالبحث في الطرق المباشرة او الملتوية .
التي يحاول المجتمع ان يسلك منها نحو تحقيق حريته بصورة من الصور . اشربا فيما
سبق الى هذه العلاقة الوثيقة التي تربط مجتمعا بالأرض في ظروفه الراهنة . وهي
علاقة تقتزن بمبوديات وتروضيات وتخضع لمصادفات تتجاوز الطاقة البشرية وترتفع
باسرار الكون والطبيعة وكل مجهودات مجتمعا منذ عشرات القرون كانت تتجه الى فتح
باب الحرية في نطاق هذه العلاقة التي تتشخص فيها الحياة بكل تصوراتها . وبسط

رقصة من رقصات الفلاحين تعبر بصورة من الصور عن هذا التطلع الى الحرية . اب الارض
بتقريبها بين الشج والعطاء , تمثل المادة التي تتجاهل الانسان وتفرض عليه ان يدخل
مهما في صراع مستمر يتحرر من حاجاته الاولى . بينما الثقافة التي تعبر عمن روح
الانسان , تحافظ له في كل صيغة من صيغها على هذه الارادة الكامنة في التحرر وتجمله
يصمد ويكافح ويثابر ويميد تجربته باستمرار . وهذا ما يعطى لوجوده معنى ساميا .
وسنتفهم حقيقتنا واصالتنا اذا تعمقنا في معرفة هذه العلاقة بين الانسان المغربي والارض
التي لها معطيات خاصة استطاع ابن خلدون في فترة ما ان يلمسها , ويجب علينا اليوم
ان نعيد النظر فيها بنفس العمل والشسولية اللذين سار فيهما مفكرنا المغربي الكبير .
نعم ان دخولنا في عهد التصنيع قد يشير بعض هذه المعطيات , ولكن لا زالت , الى حد
الساعة رائحة التراب اقوى في بلادنا من رائحة المداخن , ولا زال الفلاح يارض او
بدون ارض هو المثل الاول لشعوبنا المغربية . فالتوقف الذي لا يحاول ان يرتبط , بوجه
من الوجوه مع هذه الاصاله سيظل بعيدا عن كل تأثير وستكون اقوى من فعاليته .





العائلة

والتطور الحضاري في المجتمع العربي

الدكتور هشام شرابي

نواصل نشر ابحاث الندوة الفكرية التي انطلقت في الكويت حول « أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي » حسبما أعلننا عنه في العدد الماضي .

ان الاهتمام الذي يبدقنا الى القيام بهذه الدراسة ليس اهتماماً نظرياً بل عملياً.

(١) أود أن أسجل ديناً لا يمكن تسديده لزميلي الأستاذ مختار عالي لما استفدته منه خلال أحاديث طويلة في خريف عام ١٩٧٢ ، وقد تناولنا فيها العديد من الشؤون والقضايا الواردة في هذا البحث ، والكثير من الافكار والملاحظات التي اعتمدها هي نتيجة هذه الاحاديث ، كذلك فاني مدين له بالانجاء في بحثي نحو موضوع العائلة والطفل والتي لدرس العلاقات بينها وبين سلوكنا الاجتماعي .

وأود أيضاً أن أسجل عبق لتدبري للأستاذ حنا دميان الاخصائي في التربية والتحليل النفسي ، الذي قام بترجمة هذا البحث الى العربية ترجمة دقيقة صادقة لم يكن بإمكان غيره القيام بها .

أن دراستنا هذه هي في الأساس محاولة لتحقيق المعرفة القائية ، وإذا كان الرحي الصحيح أساساً لتفقد البناء فهو أيضاً أساس السلوك العقلان ، وكما أننا نرى أن أي تغيير فعلي من المجتمعات لا يمكنه أن يثبت إلا من صميم ذلك المجتمع (أي بتغيير الذات) ، التحرر الصحيح لا يمكن أن يحصل إلا من خلال عملية تنبثق من قلب المجتمع (أي التحرر الذاتي) . كذلك نقول بأن المعرفة السليمة لذلك المجتمع لا بد أن تصدر من ذاته المجتمع نفسه ، وإن كانت المعرفة لتعتمد العمل لا الفكر لحسب ، يجب أن تكون معرفة ذاتية قائمة على معرفة النفس ومستمدة من اختبار داخلي صميم .

قد تعرض هذه الدراسة عند نشرها إلى كل أنواع الهجوم من جانب المجتمع القوي هي موجبة إليه ، قد يمتننا البعض بإرتكاب الأخطاء والمخالفات ، وقد يقدم البعض الآخر على رفض بعض فرضياتنا ونتائجنا ، كما أننا قد نهم بالنية السيئة بسبب « قولنا أشياء كهذه » من بني قومنا ، كذلك فأننا قد نهم بمزازرة أعداء العرب بمجرد نشرنا هذا البحث بلغة أجنبية .

والواقع أن هذا الاحتمال الأخير هو الذي أقلقنا بالنا نوعاً ما ، وإذا كنا قد قررنا الاستمرار في مشروعنا فلأن المجتمع العربي واقع لا يمكن إخفاؤه ، وقد خدنا موضوعاً لعدد متزايد من الاستقصاءات يقوم بها علماء الاجتماع والانتروبولوجيا واختصاصيون بعمق النفس الاجتماعي والعلوم الإنسانية ، وإذا كانت دراستنا هذه قد زادت في المعرفة المتوفرة حتى الآن ، فيجب النظر إليها كتمن يجب علينا دفعه لتحقيق المعرفة القائية التي نحبس إليها .

إن القسم الأول من دراستنا المخصصة في هذا البحث يتناول قضية لعائلة وتكون الشخصية في إطار العائلة ، ويتركز التحليل في هذا البحث على الارتباط الموجود بين العائلة والمجتمع الذي تعيش فيه ، كما يتركز على أثر طرق تربية الطفل وتجارب المقلولة في تكوين السلوك الاجتماعي في الفرد ، ونحن نأمل أن نقدم فكرة عامة عن كيفية معالجة الموضوع وعن الامتار الفكري العام لهذه الدراسة ، ولعل من الضروري أن نشير هنا إلى أن السهولة النسبية في وصف الارتباطات القائمة بوضوح بين بعض الظواهر لا تقابلها سهولة مماثلة في تبين العلاقات الضرورية القائمة بين هذه الظواهر . مثال ذلك ، عندما نقول بأن تحصيل الطفل يؤدي إلى اضفاء شعوره بالذنب وبالتالي إلى اعتاقه نحو الأعلى (Super - Ego) عند البالغ ، فأننا بذلك لا نقول بوجود علاقة سببية

ضرورة (Causal relationship) بل اننا نكتفي بتوضيح الروابط التي يمكنهم أن تفسر الظواهر الاجتماعية أو النفسية عندما يتم النظر إليها في إطار معين ، ان امكانية اليات هذه الروابط كقرئيات (لا امكانية البرهان عليها تجريبياً) تتبع أساساً من تصور الروابط هذه في إطار نظام عام للعلاقات الاجتماعية . وأملنا ألا تقتصر هذه الدراسة على تأحيثها النقدي ، وبذلك تكون أيضاً عاملاً تنبيه لعلماء الاجتماع عند القيام بأبحاث تتناول قضايا الاجتماعية الحيوية ولا تقف عند الايحدث الأكاديمية التي اعتدوا على تناولها بسبب ثقافتنا الاجنبية .

ان منطلقنا الاسامي في هذا البحث هو ان العائلة كمؤسسة اجتماعية هي الوسيط الرئيسي بين شخصية الفرد والحضارة التي ينتمي اليها وان شخصية الفرد تتكون ضمن العائلة ، وان قيم المجتمع وأساطير السلوك فيه تنتقل الى حد كبير وتتقوى من خلال العائلة .

أما لقواعد التي تركز عليها في هذا المنطلق فيمكن تلخيصها كما يلي :

١ - عندما يولد الطفل تكون ذاته غير متكونة وهي تتكون بصورة تدريجية كنتيجة للتفاعل بينها وبين ذوات أشخاص آخرين .

٢ - ان الذات منظمة تنظيماً تصاعدياً وهي مؤلفة من عدة مستويات يجري اكتسابها في سياق النمو والتجربة ، والمستوى الاول هو الأكثر أهمية اذ عليه يرتكز إطار الشخصية الاساسي ، ويمثل الأم فيه دوراً حاسماً من حيث أثرها في تكوين شخصية الطفل . أما المستويات الأخرى التي تشمل التعلم في الطفولة والمراهقة والادراك والوعي فهي من البلوغ فهي ذات أهمية مختلفة .

٣ - ان الانسان حسية عوامل وراثية نبشوة وهو ، تعريفاً حيوان اجتماعي وبالتالي مجموعة العلاقات الشخصية المشتركة . والواقع ان الأنماط التي تتخذها هذه العلاقات فيها بعد تتكون الى حد كبير في السنوات الأولى في حياة الطفل .

٤ - ان طرق تربية الطفل تمثل دوراً حاسماً في تعيين نوعية الشخصية من حيث ارتباطها بمجتمع معين ، ودلالاتها عليه ، وإذا فان فهم طرق تربية الطفل يؤدي الى فهم السلوك الاجتماعي ودافعه في المجتمع .

٥ - ان المواقف التي يتخذها الوالدان ضمن العائلة تؤثر تأثيراً حاسماً في نمو الشخصية ، وذلك لأنها تؤثر في حاجات الطفل الأساسية وتأمين استمراره في الوجود وتمتعه بالطمأنينة العاطفية ، ويستمر الوالدان طول مرحلة الطفولة في تشييل دور خطير الأهمية في ما يتعلق بضبط دوافع الطفل وارواء حاجته وتحديد مقاييسه والتأثير في مختلف مراحل نمو الألة كما في نتائج هذا النمو(١) .
والواقع ان الفرد البشري يعيش في هذه الحقبة من حياته حساسة قصوى بالنسبة الى شروط البيئة وسائر العوامل المؤثرة .

٦ - ان التغييرات التي تطرأ على طرق تربية الطفل وعلى تجارب الطفولة تنبع قبل كل شيء من موضع الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها العائلة ، أي من مستوياتها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، كما من وضعها الأثني والديني والاقليمي . ان هذا البحث يتركز على نموذج عائلة عربية تجسد القيم والمواقف السائدة في وسط اسلامي مدني ، وفي طبقة اجتماعية وسطى او اقرب الى الوسطى ، هذا مع العلم ان بعض التعديلات يمكنها أن تنطبق على سائر الفئات الاجتماعية في المجتمع العربي بما فيها البدو والفلاحون .

العائلة الكبيرة (Extended Family) :

ان الشكل السائد في بنية العائلة العربية هو العائلة الكبيرة ، وفي ما خلا بعض الاستثناءات فإن العائلة الكبيرة لا تسكن عادة في بيت واحد ، ففي المدن الصغيرة والكبيرة نجد ان العائلة قد تعيش في حي واحد أو قد تتوزع على عدة أحياء من المدينة ، فانفقراء قد يتكدسون في غرفة أو غرفتين ، بينما يعيش الميسورون في فيلات أنيقة ، أو في شقق مختلفة الحجم .

وكما سيبدو لنا يوضح فن الخاصة المميزة للعائلة هي استمرار الانماط الأساسية للروابط العشائرية في تنظيم العائلة وعلاقاتها ، وبالرغم من أن سيطرة الاب على العائلة قد فقدت من شدتها ، فإن وضعه فيها يبقى أساسياً ، وهناك ، في بلدان « متقدمة » كسوريا ولبنان عائلات كبيرة من الطبقة الوسطى والاقرب الى الوسطى تنعكس فيها

David p. Ansbai and Edmund v. sullivan Theory and (١)
problems of child Development « New York , 2 nd. ed. 1970 » ,
P. 303 .

المعرفة - ١٠

يوضح بنية العائلة العشائرية ، ويمكننا ان نطلق على هذه العائلات تسمية العشيرة أو العائلة لان العشيرة والعائلة تصيحيان في الواقع شيئاً واحداً ، وتجدر الإشارة هنا الى ان الروابط العشائرية هي أقل متانة في الطبقات الفقيرة خاصة بين فقراء المدن من جهة وأوساط الطبقة الوسطى ذات الثقافة الغربية من جهة أخرى . ومع ذلك فإن الاب يظل يدرس سلطة واسعة في هذه الاوساط بالذات . والزواج في العائلة يجري في معظم الأحيان في إطار القرى العائلية، والمرأة يجري تدريبها لتصبح امرأة مكسرة للواجب، وواجبها الاول في الزواج لا تتوثق عراه قبل انجاب الاولاد ، وقصي الباكر هو أن ما تملكه العائلة . انه « روح » أمه « وحبيب قلبها » الذي « سيقربها » ويظل اليكز حتى ولادة أطفال آخرين ، عالم أمه الوحيد ودليل قيمتها كأمراة . وضماناً لحياتها في المستقبل .

والعائلة ميدان تفاعلات مستمرة وشديدة بين مختلف أعضائها ، وهذا في الواقع مصدر كل ما في الحياة العائلية من سعادة وقناعة ، فعاطفة الحب لا تشكل لمح العائلة ولا توجد في أطوارها تعبيرات واضحة عن الحب ، ما خلا بعض العواطف الحارة التي تبدأ النساء تجاه الصبي ، وحتى ولو كان الاب لطيفاً وحنوناً فهو يبقى بعيداً عن متناول أطفاله لما يبدوه من امتعاض وتمال . ولذلك فإن الطفل في معظم العائلات ينسوي ويشعر على درجات متفاوتة بأنه غير مرغوب فيه ومثلوم وتميس ويصف هذا الشعور شاب قروني مسلم ترعرع في عائلة من عائلات الطبقة الاقرب الى الوسطى في مدينة تونس فيقول :

« من منا نحن العرب يستطيع ان يزعم بأن عائلته أو البيضة التي قد عاش فيها قد أرادته وقبلته وأحبته واعتزقت بهائيته ؟ لا أحد بكل تأكيد إذ كيف يمكن للإنسان أن يكون محبوباً عندما ينحصر وجوده في كوله شيئاً مفيداً قد جرى التناجه من أجل استمرار العائلة وضمان شيخوخة الوالدين ، أو من أجل أرضاء كبرياء الاب الذي يشبه رجولته بكثرة أطفاله ... » (١)

وسرعان ما يكتشف الطفل النزاع والتوتر الموجودين في صلب العائلة ، كما يظهران.

١. M. homed Karoui , « one fois Un Arabe ... » (١)

Une fois des Arabes ... , « Les Temps Moderne , 8
Septembre - octobre , 1972 » , P. 347 .

في عداة الأم عند الأب وهو في كثير من الأحيان عداة مبطن ، وكما في عداة الأخ نحو أخيه والأولاد نحو والديهم .

الا أن أشد عداة يشعر به الطفل الذكر هو تجاه أبيه ، منبه السيطرة التي تقطعه وتجعل العائلة تعيش في جو من اللطيان . وهذا ما يمرر عنه الشاب التونسي بقوله ،

« انه (أي الأب) لا ينجبنا من أجل ذاتنا ، بل من أجل نفسه ، وليس نحن الذين نأتي الى العالم ، بل هو الذي يرى حياته مطبوعة بطابع التبرير والقيمة ، وهكذا فإن ولادتنا ليست ابتداءً حراً ، بل محاولة لتمديد حياة الأب ، انه ينجبنا لتكوين سنداً لحياته ، وبالتالي فهو يحرمانا من حياتنا نحن . فنحن لا نعيش بل لنبيع له ان يعيش هو من خلالنا ، وهذا ما يجعل حياتنا مزيفة منذ البدء والواقع ان هذه الحاسة لا يتصف بها العربي وحده بل اننا نجدها في مختلف المجتمعات والمصور ولكننا نحن العرب نذهب بها الى بعد الحدود » (١) .

ان تماسك العائلة يتعقق بواسطة ادراج الطفل في المجتمع من خلال اعتماده عليه العائلة وروبطه بها ودفعه إليها .

ومن أهم نتائج هذا الاعتماد ان الطفل ينمو وشعوره بأن مسؤوليته الاساسية هي تجاه العائلة لا تجاه المجتمع ، والابن المتخصص يواجبه هو الذي تدفعه تربيته الى الشعور بأن واجبه هو من جهة التضحية في سبيل والده وأخوته ومن جهة أخرى يملئ كل ما في وسعه من أجل أقرانه . فهو مثلاً لا يتزوج اذا كان اشقاؤه الصغار ما زالوا في المدرسة او اذا كانت شقيقاته لم يتزوجن بعد ، او اذا كان والده في حاجة الى الاعالة ، وفي إطار هذه الشروط النفسية والاقتصادية لا يبقى سوى مجال صغير للشعور بالواجب تجاه المجتمع الأكبر الذي يتصوره الفرد ك فكرة مجردة لا ينطبق عليها مفهوم المسؤولية بصورة طبيعية ، وبالنسبة الى الفرد المرتبط عائلياً بهذا الشكل ، لا يمثل المجتمع سوى عالم الصراخ والكفاح بجيشة منزع الفرد لنفسه مكاناً ليدعم كيانه وكيان العائلة ورفاهها .

ان العالة مرتبطة بالمجتمع في علاقة ديكتيكية فهي تقدم المجتمع وتناضيه في آن واحد ، واذا التقي وجود مطالب اجتماعية ومطالب متناقضة فمن الأسهل على الفرد أن

(١) المصدر نفسه .

يوفق بين الجنتين، بالقيام بواجبه تجاه العائلة، وهذا ماثب مراراً عديدة في وقت الازمات كما جرى عند نزوح الفلسطينيين من ديارم في عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ .

والعائلة في خصائصها الأساسية صورة مصغرة من المجتمع، فالقيم التي تدورها من سلطة وتسلسل وبقية وقمع، هي التي تسود العلاقات الاجتماعية بصورة عامة . فالنزاع والتضاد والتنافر هي عوامل تميز العلاقات بين أعضاء المجتمع، كما تميز العلاقات بين أعضاء العائلة، كذلك فإن بقية العائلة الغاءة على السلطة والتسلسل تقابلها بقية اجتماعية مماثلة أي أن النظام الاجتماعي، مع العلم أن الفرد مضطهد في كل منها على حد سواء . ومن حيث هي نظام، تقوم العائلة في أن واحد بتجسيد ودعم النظام الاجتماعي الأكبر، كما أن جميع المؤسسات التي تمثل دور الوسيط يا في ذلك المؤسسات التربوية والدينية، تقوم هي أيضاً بتعزيز القيم والمواثب التي بواسطتها تدرج العائلة أعضائها في الحياة الاجتماعية، وفتي عن الدول أن قيم ومؤسسات الطبقات المهيمنة اجتماعياً (الطبقات البورجوازية الاقطاعية) هي القيم السائدة في هذا المجتمع، وبقدر ما يكون الفقراء في المدن والارياف تحت سيطرة النخلة السائدة فانهم جزء من المجتمع، كما أنهم يخرجون عنه بقدر ما ينفستون من هذه السيطرة، ومن الواضح أن تغيير المجتمع يعني تغيير العائلة والعكس بالعكس، ولكن اذا كان هذا التنافس يتجاوز ارادة أو قدرة الدتات المسيطرة اقتصادياً والحاكمة سياسياً فقد يستقر الامر بالاتجاه الذي سيستخدمه في الستين المقبلة التطور المدوي في أوساط الشعب

السيطرة

وكما أن الصبي يشعر بأن أباه يضطهده، فهو يشعر أيضاً بأن أمه تسحق شخصيته، وأما البنت فيسكنها أن تكون محبوبة، إلا أنها تنتمي الى فئة مختلفة، وهي لفقي في العائلة معاملة مختلفة، ان استعمال كلمة رضيعي للدلالة على الشقيقة وعصدي للدلالة على الشقيق الذي يجده في الكويت وغيرها من البلدان العربية، يشير بوضوح الى ذلك التمييز والواقع ان الاتى يجري تمييزاً من الذكر بصورة أساسية، فيد كسب للعائلة، وهي حبه عليها . والبنت منذ نعومة أظفارها تدفعها العائلة الى الشعور بأنها غير ضرورية، وتعلمها على قبول وضعها كأتى، وهذا صحيح خاصة في العائلات المحافظة أكثر من غيرها .

ليه ، وهو لا يلقى أي تشجيع في تكوين مقاييس تميز من مقاييس الآخرين وتمكنهم تكوين رأي مستقل في نفسه وشؤونه وفي كل الشؤون الأخرى ، ان هذه الظاهرة كما سنرى فيما بعد ، تجد دعماً في عدد من أنماط الحياة الاجتماعية لا يملك أهمية كبرى حل نسبة قدرة اللاسؤال الحر عند الدرد ونضوجه الذهني بشكل مستقل . ان النظام التربوي والاجتماعي يثني الطفل عن اللذة في آرائه الخاصة ويشجعه على قبول آراء الآخرين دون تردد او تساؤل وهذا ما ينمي في نفسه الاذعان للسلطة أي لأبيه وللشيخ والمعلم ولما بعد لكل من هو أقوى منه أو أغل منزلة أو جاماً ، وهو ، إذ يكبر ، يتعلم ان يكون محتفظاً والا يتخذ موقفاً ثابتاً في أي موضوع ، لذلك نراه يكذب عادة واستشارة « الآخرين » « أخذ رأيهم » ليخفي الصعوبات التي بمالها في اتخاذ قراراته . وأسوة بشعوره بالجلل فان شكه في نفسه يقوى بسبب فقدانه للسيطرة على ذاته . كما بسبب تزايد السيطرة الخارجية عليه بدخوله المعتزلة الاجتماعية .

ولا شك في أن الاغراط في الحماية كما في العقاب له أثر كبير في نمو شخصية الطفل وتكاملها ، مثل ذلك ان الأم التي لا تسمح لطفلها ان يلعب وحده في الحديقة او في الشارع فتسبب دوماً الى جانبها تميل لتحقيق املاكه بمعهداً مليئاً حراً . فالطفل « العائل » هو ، في نظر الأم ، الذي يجلس الى جانبها حاداً ، ساكناً ، مطيعاً ، فهي تتصور ان الطفل الحسن التربية هو الذي لا يحدث ضجة كبيرة والذي يفعل ما يطلب اليه فطه والذي يحترم من يكبره سناً . وينتجبة ذلك يصبح الطفل في كثير من الاحيان « طغلاً خجولاً » يهرب في وجه التهديد ولا يقاتل عندما يستهدي عليه طفل آخر . ييكي ويشكي ويتنصص الرحمة عندما يقع في الصعوبات ، وهناك حادثتان شاذتاها في دمشق وفي يوسطن مبعبران أفضل لتعبير عن طبيعة هذه التربية ونتائجها في تكون الشخصية وما ينتج عنها من سلوك اجتماعي .

فؤاد له من العمر ست سنوات ، وبيها هو يلعب في الشارع أمام منزله دق الباب فجأة وهو يبيكي ، وقال لاهه أن ولداً آخر ضربه وأخذ منه طابته ، فكيف كان تصرف الأم حيال هذا الوضع ؟ كان أبها أظهرت غضبها على الولد السارق واحتشنت ابتسج البائي ، وأخذت تلعننه وتواسيه وتقول له « انتظر حتى يحل يومك » وتكون دورح يعمل يا الولد ، هو يهرجلك لطابة ما تقال » .

هذه الحادثة شبيهة بالحادثة الأخرى التي جرت في يوسطن وهي أن جوتي وصهره

صبح سنوات ، وجع الى البيت بعد شجار مع صبي يكرهه بأربع سنوات أخذ منه طابة اليبسول التي كان أبوه قد اشترىها له ، ولما أخبر امه عما به ، ماذا قالت له ؟ قالت : أنصحك بأن تعود الى الملعب وتقتش عن ذلك الصبي وتترد الطابة منه ، والا غضب أبوك كثيراً .

ومن الامور التي يتطلبها الاطفال بصورة خاصة عرفان الجليل الى الوالدين ونجد أن اهتمام بن الوالدين كثيراً ما يتجه بشكل المنافسة على كسب خضوع الطفل والاستئثار بعاملته ، فالطفل مدقوع الى الشعور بأنه مدبّن لوالديه أو لاحدهما بكل شيء ، والام بسبب قربها من الطفل ، لها حدة أكبر في كسبه الى جالبيها ، فكلما كبر الولد كلما امتنع في شعوره بالدين ، ولكنه يمتنع هذا الشعور ، ثم يقوى هذا الامتناع في مرحلة المراهقة التي هي أشد المراحل خطفاً وحرماناً بالنسبة الى الطفل العربي ، ذكراً كان أم أنثى ، فالصبي يعتمد على أبيه ويرغب في التحرر من الاتكالية ، وهو بسبب القيود الاجتماعية القاسية ، يتشدد في تم ميله الجنسية والعاطفية ، لامكالة له في هذا العمر لانه مازال يعتمد اقتصادياً على أبيه ويعيش تحت جناحه ، انه مزم على الدّل والخنوع ، وبما ان شعوره بعدم التلاؤم يبلغ القمة في هذه المراحل فهو مسحوق بما يشعر به من عجز وتفاهة ، وذلك لما أن يبلغ من الرشد حتى يكون متمسكاً الى ابراز ذاته واعتراف الآخرين به والى الحصول على المكالة الاجتماعية والسلطة .

اعطبل والشعور بالذنب :

ومن أهم المبرور المتبعة في تربية الطفل عائلات الطبقة الوسطى طريقة التفصيل . لقد أشار العالم النفسي اريك فروم الى فعالية هذه الطريقة بقوله : « لاني أكثر تأثراً وفعالية في حق معنويات الفرد من اقتناعه بأنه تالف وديء » .

ان وظائف الطفل البيولوجية ، وبصورة خاصة الوظائف الجنسية تصبح أداة السيطرة . فالطفل يبدأ يعطبل من جسده ومن وظائفه الجسدية وهو يتعلم باكراً الجمع بين وظيفة التبول والتغوط وعدد من الموانع الاجتماعية القاسية ، فهو يدفع قسراً الى تعلم النظافة (Toilet training) وذلك قبل لتزوج عضلات الابراز بقفزة ملوية ، مما يؤثر في نمو شخصيته تأثراً سلبياً قد تكون عواقبه وخيمة ، ونجد ان في العائلات الأكثر عاقلة تعديداً على الطهارة الجسدية تؤدي الى تعزيز وعي الطفل بعدم ملاباته وبالتالي الى زيادة شعوره بالاذنب في ما يتعلق بجسده .

ان موضوع الجنس موضوع هرم في العائلة ، والحياة الجنسية يلغها غشاء من التكم والبرقة. وبالتالي فان تجربة الجنس عند الطفل تنصف بالفوضى والام والقموض. وفيما يلي حادثة جرت في دمشق في صيف ١٩٧٢ في بيت عائلة مسلمة من عائلات الطبقة الوسطى :

كان طفل يبلغ السادسة أو السابعة من عمره يجلس بعد الغداء مع شيوخ والديه في غرفة الاستقبال، كان الوالدان موجودين وكان هناك أطفال من بيت الجيران يلعبون في الطرف الآخر من الغرفة ، وكانت بنت في الثامنة من عمرها تلمب معهم فتقفز وتقع على أرض الغرفة وكان الصبي يمدق فيها ، واذا بأبيه يقفز ويصنعه في وجهه صاعداً « أخرج يا قليل الحياء ، الخ » ،

وبالرغم من أن موضوع الجنس هو أقوى وسيلة تجمل الطفل يشعر انه شرير فهي ليست الطريقة الوحيدة لتفجيد من نفسه، فهناك طريقة فعالة أخرى هي الاستنزاء، الذي يركز على التفجيد ،

فاذا ارتكب الطفل أمام الشيوخ خطأ في القول أو في العمل فان تصحيح خطأه يتم في معظم الاحيان بواسطة الاستنزاء ، وتأثير هذا الاستنزاء بوجود الشيوخ تأثير مؤلم بقدر ايلام الضمعة ، وهو ذو مقعول مماثل في تكون شعوره بالتفاهة ان واقع الاذلال يجعل الطفل يوجه غضبه نحو ذاته ويعلمه على الخضوع ، الذي يتحول عادة الى موقف من مواقف الدفاع الذاتي ، ان التحجّل المؤلم الذي يعانيه الاطفال الصغار لا ينجح فقط عن خجلهم من الشراء، بل أيضاً عن فقدان ثقتهم بأنفسهم والخوف من الاستنزاء بهم.

وهناك تمييز دقيق واضح بين الشعور بالتحجّل والشعور بالذنب أو الخطيئة، والجدير بالذكر ان الطفل العربي ، في عائلات الطبقة الوسطى ينتمي تربية تجهه يشعر بالتحجّل أكثر مما يشعر بالذنب ، فالدافع الى التحجّل هو ان الآخرين يشاهدون ما ارتكبه من عمل سيء. لأنه يشعر داخلياً بالندم على ذلك العمل السيء. حاكماً على نفسه كما يجب أن يتحكم . وفي شروط تربية كهذه تنعدم القدرة على نقد الذات وإدانتها فينشأ مقابل ذلك هرم رد فعل الضنط والنقد الاجتماعي ، ان الشعور بالتحجّل يتكون بتأثير ما يتصوره الفرد عن رأي الآخرين فيه أكثر مما يتكون بسبب وأيه في نفسه، فالإنسان العربي يقول: « أنا خجلان من نفسي » ولكن كلمة أنا وكلمة نفسي لا تدلان هنا على شيء واحد فكان الأنا ، يحكمه على نفسه يعود الى عامل خارجي ، بمعنى ان الشعور بالتحجّل نتيجة أثر

خارج عنه ، والواقع ان ذلك التعبير يعني فقط : « أرجو المعنونة اذا كنت قد جرحت شعورك » ، وليس هناك مجال للقول : « اني اشعر بالذنب وشعوري هذا يعذبني » ولعل وجود بطل كالـ بطل الشكسبيري هاملت أمر لا يمكن تصوّره في المجتمع العربي .

ومن الناحية العملية فالعيب الذي يشعر به الفرد العربي هو « مايقوله عنه الناس » بمعنى ان لا عيب في ما لا يراه الناس وما لا يسمعه ، وهذا ليس فقط تمييز بين مايقفه الانسان وما يجب أن يقره بل انه يفترض موقفاً هو موقف الكتّان ، الذي يتحول في سلوك الراشدين الى عادة اخفاء النوايا والخدع مما يقوله الآخرون ، وبذلك تصبح أعمال الناس غير ما تبدو عليه ، بحيث ان هناك دوماً معنى مبطناً ولية مكتومة وراء كل كلمة وكل ايماءة عند الآخرين .

ان هذا بالطبع يتصل بالأخلاق ولكن اهتمامنا هنا ليس بالجوانب الأخلاقية بل بالنتائج العملية الناجمة عن التكتّم في السلوك اليومي مثال ذلك : عندما تقول الأم لطفلها في مكان عام (حذيقه عامة مثلاً) ، ان لا مانع من التبول لأن « ماحداً هم يتطلع » ، فانها في الواقع تعلمه التكتّم والتخفي ، قائلة له بأن لا مانع من فعل ما هو محرم طالما ان عيون الغير لم تقع عليه ، ولذلك لا يمكن الطفل أن ينظر الى الامور المحرمة نظرة جدية أو الأقل بنوع من التعفّف ومن هذا القبيل فان التمييز بين سلوك ظاهر وسلوك باطن يتخذ الصفة العملية . بمعنى ان وجود مقياس مزدوج السلوك ليس فقط أمراً مقبولاً ضمناً بل هو موضوع تشجيع في هذا الاطار التربوي .

ومن المفيد هنا ان نتساءل كيف يتأثر نمو الأنا الأعلى (Super ego) بهذا النوع من التربية ، نستطيع مثلاً أن نتساءل : هل يتمكن الطفل الذي يخضع للقمع والتطجيل من تحويل القيم الأساسية التي يتلقاها من المجتمع الى حوافز « داخلية » أم انه يكتفي باكتساب عادات وتعلم حيل تساعد على تدبير أموره ؟

والفرد المتحرر من الضغط الخارجي (من الخوف والالتكال) هل يؤول الى التقيد بما في السلوك الظاهر من قيم أساسية أم بما في السلوك الباطن من قيم عملية ؟ وما هي الشروط التربوية التي تشجع نمو هذا النمط من السلوك أو ذاك ؟ وبصورة أخص الى أي حد يتأثر نمو الضمير الأخلاقي والشعور بالمسؤولية بهذا النمط من أنماط التربية الاجتماعية وبجوانب الطفولة المرتبطة به ؟

من الواضح ان نمو الأنا الأعلى نمواً كافياً يفترض نوعاً من القدرة على الشعور

بالمسؤولية ولكن الطفل الخاضع للتعجيل قد كون في نفسه شعوراً بأنه ليس مسؤولاً في كل حال وإن لا مجال لومه على الإطلاق . وكل مرة تقول الأم دفاعاً عن طفلها عندما يصفه والده بأنه كسر قسماً أو قتل في المدرسة أو ماشاكلة ، كم مرة تقول « الحق مش عليه » ، « هو ماعملها » ، وأسوة بما يجري في موقف التعفي ، فرد الفعل هو « لا لوم علي » ، « أنا غير مسؤول » المسؤول شخص آخر ، بحيث أن الفرد ينتظر إلى نفسه على أنه مظلوم أي ضحية الآخرين ، وكثيراً ما نجد المتهم في مركز الشرطة ، أدخل قاعة المحكمة ، يظن ، وإن كان بريئاً ، بأنه مظلوم . أي أنه يقول « أنا مظلوم » بدلاً من قوة « أنا بريء » أن كونه بريئاً وكونه مظلوماً هو ، في نظره شيء واحد ، وذلك لأن الذات هي الموضوع وبالتالي فلا يمكن أن تكون مسؤولة .

ولأن الطفل لا يمكنه أن يلجأ إلا الغضوب من أجل الدفاع عن نفسه ضد الغضب والاستهزاء فلا يمكنه أن يعتبر نفسه مسؤولاً بل مظلوماً ، فكيف يمكن الشعور بالمسؤولية أن يتصور إذا كان الفرد يشعر بالعجز شعوراً مستمراً ؟ وبما أن الفرد يرفض بصورة لا شعورية التي تسحقه فهو يعطي نفسه من المسؤولية ، مما يؤدي إلى غياب النقد الذاتي وإرادة العمل .

لذلك نجد أن الأهل ، بدون الشعور بالمسؤولية ، يعنى كياناً خامساً ، وغير تام ، أي مجرد مركز لمعادات اجتماعية وقواعد شكلية للسلوك ، كما يحيل ارتباط الأهل بالأهل ارتباطاً ضعيفاً ، وبين فردي كيف أن وصفاً كهذا يسهل عملية التناطبق (Identificaa) وعلمية تكون الجماعات للصطنية (Artificial group formation) (١) .

إن الطفل الذي يخضع للاذلال والقمع عليه أن يتحمل سلطة أبيه إل أن يستطيع التخلص منها ، فهي سلطة لائبة ضمنية لها ويمكن رفضها دون ألم أو ندم بمجرد انتماء له القدرة على فرض نفسها . أما التمييز الذي يحصل عليه الأهل فهو في نفسه من الضغط التغييل الذي كان يزرع قوته وبالعثور على مخرج لحاجاته المكتوبة وأما شكل

(1) « Group Psychology and the Analysis of the Ego », in the Complete works of Sigmund Freud « London , 1953 » , Vol . II , P . 105 F f .

السلوك الذي يتخذه هذا التعويض فهو بالضبط ما يجري بصورة طبيعية عند أفراد الطبقات الوسطى في المجتمع العربي ، أي سلوك التأكيد بالذات والتمركز حولها بشكل المجتمع التي هي في النهاية مصلحته أيضاً .

إن التعليم كما يجري في إطار العائلة وخارجها يتميز بصفتين رئيسيتين ، فهو من جهة ، يخلل من أهمية الافئدة والمكافأة ، ومن جهة أخرى يزيد من أهمية العذاب الجسدي والتفليح .

إن غرب الأولاد طريقة مقبولة لضبط السلوك ، وهذا يتم بأشكال مختلفة لكن أكثرها شيوعاً هو الصدمة التي قد لا تكون مؤلة بقدر ما هي وسيلة اذلال ، وهذا ما يفسر فضائحية ، فالصدمة يمكن توجيهها بسرعة ودون سابق انذار ، والطفل المتصاد على هذا النوع من العقاب يرفع ذراعه فوق وجهه بصورة آلية عندما يتعرض لأي تهديد وال جانب كونها وسيلة تأديب ، فالصدمة وسيلة أخرى لتأكيد السلطة وفرض الخضوع الدوري ، ولواقع ان الطاعة في العائلة العربية هي نتيجة الخوف أكثر مما هي نتيجة الحب والاحترام .

إن هذا الشكل من أشكال ضبط السلوك يجعل الطفل يشعر بالعمى وفقدان الحماية . والطفل الذي يلقى معاملة كهذه يعتاد على البكاء والتعيب ويكتشف ان عليه لحماية نفسه ان يستعدي الرحمة والفران ، وان يبرر نفسه ويعدو ويكي بأشياء يمكن. وهنا نجد أيضاً ان احترام الطفل لذاته هو الثمن الذي يدفعه لتميز سلطة الأب، والسلوك العدواني الذي يتيحه الأطفال الكبار تجاه الصغار ليس مجرد استمساك عليهم بل هو أيضاً محاكاة لسلوك الكبار ووسيلة للتفريغ مما يمانونه من اذلال وفيما بعد يصبح تعبير الآخرين طريقة فعوية في تأكيد الذات بمعنى ان الفرد يشعر بالرقعة اذا حط من قدر الآخرين بأذلالهم والاستغناء بهم والتفليح من قيمتهم .

أما التفليح فهو الشكل الأكثر تنظيماً من أشكال فرض السلطة وتثبيتها ، فهو يجمع بين العقاب والتثريب (Indocination) وهو طريقة تعتمد على التردد والحفظ بحيث لا يبقى مجال للتساؤل والبحث والتجريب .

والهدف من التفليح هو نقل قيم المجتمع وعاداته الثابتة في مواجهة العالم الى صميم التركيب النفسي في الفرد . ان الفرد هنا يتلقى نماذج متكاملة فيحرفها الى نمط سلوكي درنا

لهم أو لقد ، وفيها هو يفعل ذلك بمتاد على رؤية الأشياء وتقييمها بصورة تدعم نزعة الامتثال وتضعف طاقاة الابداع والتجديد ، وبذلك فان طاقات الابداع والتجديد يجري توجيهها نحو اشكال مسبقة في التفكير والتصرف ، مما يساعد على تعزيز نزعة الامتثال ،

والتلقين من حيث هو طريقة خارجية في التعليم يجعل المتعلم يستجيب باكتساب عادة الصم (أو الصم) ، اي الدراسة والتعلم بالاستظهار . ان ما يدرسه الطفل بهذه الطريقة يحفظه كما هو بمعنى ان الفرد المتعلم لا يتأثر بموضوع التعلم لانه لا يتعمق فيه وادراكه ، بل باستنساخه وحفظه ، والتقليد المجتهد هو الذي ثبت ذاته وينال المكافأة لا بطرح الاسئلة الملائمة بل باصغاء الاجوبة الصحيحة (الملقنة) . ان المعرفة في اطار كذا تصبح بالضرورة معرفة « مجردة » ليس لها سوى علاقة واجبة بتجارب الحياة اليومية . انما ذات وظيفة متعالية كجزء من طقوس واحتفالات وتربيه اجتماعي ، وبالتالي فهي ليست عملية وهنا نجد ان التمييز بين المعرفة النظرية والتطبيق هو لتمييز متصلب لا وساطة حية فيه ، انه يميز يحافظ على الفصل الموجود عند الفرد بين الفكر والعمل وبين الحلم والواقع ، والفرد المتعلم عندما يحول السلطة الخارجية (الأب ، المعلم ، الرئيس) الى شيء في داخله يلتزم منه ان يستجيب استجابة منفعة دون تساؤل كما يفعل الأطفال في مدرسة الكتاب . ان الطفل يتعلم باكراً جداً ان يستجيب طوعاً للتلقين ، لما ان يبدأ بالكلام حتى يجري تدريبه على ترديد الكلمات خاصة الاسماء كأسماء الالهل والاقارب وينال مكافأة جزئية على استجاباته الصحيحة ، ثم يجد في المدرسة الابتدائية وبمدها ، ان أسلم طريقة للدراسة وأكثرها ارضاء للمعلم هي طريقة الصم (الصم) .

ان الحياة عند العربي تبدأ وتنتهي بالتلقين أما المنصر المشتبك بين التلقين والمقاب فهو ان كلامها يشدد على السلطة ويستبعد الفهم والادراك ، أي ان كل منها يدقم الى الاستسلام ومنع حدوث التغيير . ان الطفل يتعلم ان يتقبل دون اعتراض او تساؤل سيطرة القوي والمتعلم ، وهو من خلال ذلك يتعلم القو (Overcommunication) .

وما القو سوى نتيجة لكثرة التشديد على المعاني الكلامية واستعمال العواطف في التعبير وفي الاوضاع الصلية وخاصة في الازمات يؤدي القو الى الفسوس ، اي الى حوار فاشل، انه نتيجة للالتر والاهتياج وتعابير مطبوعة يسوء التصور والافراط . ومن اشكال القو المبالغة والتقليل ، مثال ذلك ان القول « هو غني » يصبح عنده « مصاري بحر » وأن القول « هو قريب جداً » يصبح « هو على خطوتين من هنا » . ومن القو ماهو افراط في استعمال تعابير الامر والخطابات المحاسية ، وكذلك المبالغة في التعبير عن طريق الكلام والحركات الجسدية ، كما في تعابير الفرح والحزن والدهشة وما شاكل .

والواقع ان نمط التعامل الاجتماعي السائد هو المشعور بالافراط والمبالغة فالتناقض العادي عندنا قد يبدو للرجل الغريب عراكاً شديداً قد يؤدي الى سفك الدماء ، كذلك فان الميل الى الافراط في التعبير يجد له دعماً في التصورات الشعرية والدينية التي هي جزء من حضارتنا العربية ، ولطفل اذ يتشرب هذا النمط من التعامل ويقتبسه ، يعتاد من جهة ، على رؤية العالم في صورة أضخم من الواقع ، ومن جهة أخرى القبول بالسلوك العاطفي كنمط سلوكي سوي . انه يعتاد على ما في تحذيرات والده وتهدداتها من مبالغة وافراط ، مثال ذلك الأقوال التالية : (والله لو لقلت هذا لأبيلك لقطعت لسانك قطعاً) والقول الآخر : « واذا ان قلت هذا مرة أخرى لقطعت رأسك » . وإذا تعلم الطفل كيف يمل وموز الكلام اليومي يبدأ بتصوير أحداث الحياة اليومية تصوراً خاطئاً ، وذلك بنتيجة المبالغة والقو .

ان القو يتلام بصورة خاصة مع المسيرة الاجتماعية حيثما ينطلق الناس في الحوار « الاجتماعي » دون أن يشعروا بأية حاجة الى الحوار ، كما سترى فيما بعد والواقع ان خاصة القو الاساسية تظهر جلياً على انها تجسيد للمسيرة ، أي في الواقع شكل من اشكال عدم الحوار .

لخلاصة ان هذا الوجه من وجوه التعلم ، بما له من واقع اجتماعي ، يعمل على تعزيز السلطة وتطبيع البصم واستبعاد التساؤل والبحث ، كما يعمل على تعطيل ملاقة الابداع وتكون أنماط جامدة من التعامل والحوار .

حب الممارسة

إن العائلة العربية توجه الفرد منذ طفولته الأولى نحو الأشخاص أكثر مما توجه نحو الأشياء « فأول تدريب يتلقاه الطفل هو فن الممارسة : « فن مرحباً لعمو » قبل مع السلامة جدو » الخ .. وهكذا فإن الطفل يشمو ويكبر دون أن يجد نفسه وحيداً في أي وقت من الأوقات ، لأنه دائماً هابط بالناس ، فما أنت يستطيع من النوم حتى يجد من يستله ويأتي به ليجتمع بالآخرين ، وإذا اتفق له أن يستريح في النوم فإن والدته تقلق عليه وتقول لأحد من أفراد البيت : « اذهب وانظر إذا كان الولد قد استيقظ من النوم » ، أما إذا كان مستيقظاً (وهو يلعب فرحاً أو يرقب العالم من حوله) فمرعان ما يلقي به إلى مكان الاجتماع بحيث إن العائلة تستولي على حياته الخاصة منذ ذلك الحين .

إن تدريب الطفل على الممارسة يتم بإشراكه في الحديث وفي الحفلات الاجتماعية وكما كبر الطفل كلما ازداد تدريبه لتمثيل الأدوار الاجتماعية ، أنه يعتقد يقول نفسه دون انقطاع مفرد من الجماعة ، كما يعتقد على النظر إلى بقائه وحيداً كأمر غريب أو شاذ ، وهكذا يدفع الطفل إلى القبول بحاجة توكيد نفسه في المقامات الاجتماعية على أنها أمر طبيعي ، وبالتالي فهو يشرع في محاكاة الكبار في أفعالهم وطريقة حديثهم ، فالطفل الذي يبقى صامتاً يصبح هدفاً للاستعزاء لأنه لا يشارك في الحديث فيقولون عنه : مسكين هذا الولد له لم يأكل وليس له لم ليتكلم (مسكين هل الولد له لم يأكل وماله لم يجي) .

وبالرغم من أن الأطفال العرب يشمرون عامة بالحجل أمام الغرباء ، فلا عجب أن يعتادوا في خلال موسمهم على التذويب والدمالة والتملق ، وبما أنهم يبدأون بالتعامل مع الناس في سن مبكرة سرعان ما يتعلمون فن إرضاء الآخرين ومسايرتهم ، بحيث إن الطفل المرضي عليه هو الذي يعرف كيف ينغمه بالقول المناسب أمام الأقرباء والأضيوف .

وإذا سألنا مع لسلي هوايت (Leslie White) إن المعرفة هي القدرة على التصرف بصورة ملاقة في وضع معين ، فإن أئمن معرفة في بيئته كبدته هي معرفة أصول التعامل مع الناس : « فالقول إن سير ولد شاطر » يعني أنه يعرف كيف يتدبر أمرهم مع الآخرين ، أي كيف يتعامل مع بيئته المألوفة من والده وأشقائه وأقربائه وجيرانه ،

ولكن الطفل المرن اذا وجد في بيئة أخرى ، اهي في الطبيعة ، شعر بالارتباك (الا اذا ترمح في الغربة) لأن ماينقصه بالضبط هو القدرة على التعامل مع الأشياء .
ان التدريب على فن المفاخرة هو في الواقع تدريب على المسيرة ، والمسيرة تعني أن يسير المرء مع الآخر ويرافقه ويتلامم معه ، والمسيرة من حيث هي التلاؤم والتسوية ذاتها وظيفة اجتماعية تؤدي من جهة الى تخفيض توتر التفاعل الاجتماعي ، ومن جهة أخرى الى تقوية حب المفاخرة ، ان وجهها الايجابي هو في تلك الدعانة والضيافة اللتين ينصف بها المجتمع ككل ، انها وضع اجتماعي يسحر الغرباء لأنها تبحث على الراحة والاطمئنان ، كما انها تزيد من قوة التفاعل الاجتماعي وتدعيم ميل الحياة الاجتماعية الى التسلي .

ولكن للمسيرة مساوئ اجتماعية عديدة ، فلما لا شك في ان العمل الاجتماعي الذي تسيطر عليه روح التسوية والمحاكاة لا يمكنه ان يؤدي الى نتيجة فعالة ، فمعالجة المشكلات المطروحة معالجة فعالة أمر صعب التحقيق عندما يكون التعامل الاجتماعي مطبوعاً بالمسيرة والتهديب الفكري . والواقع ان المسيرة تقنع عراقل عاتلة في طريق العمل ، بحيث يتمتر التخبير عن الخلافات أو حلها عند لقاء الناس وجهاً لوجه وبحيث ان الممارسة المكتوبة تستمر في الظل ، فنصبح الغضابا مرعونة بالأشخاص أنفسهم ، وهكذا فان التمييز ، في الحياة العامة بين الناس وأفكارهم يبقى تمييزاً مستحيلاً .

والمسيرة أكثر من مجرد سلوك تقليدي ، فهي تفرض موقفاً ذهنياً يتربس من المواجهة المباشرة ومن معالجة المشكلات في جذورها ، موقفاً يفتش عن الحلول في تسويات موقتة . والطفل اذ يتعلم كيف يتكيف مع الناس يفعل ذلك ليس فقط لتعلم ما يلزم من أسلوب الحديث والتصرف بل أيضاً لتكييف ذاته نفسياً مع فن التعامل الاجتماعي .

ولا شك في أن الافراط في المفاخرة الاجتماعية يولد حساسية مرهقة تجاه الناس ، فالطفل ، الذي بطبيعته يحاول لفت الانتباه اليه ، يتحول الى مثل . انه يصبح واعياً لذاته ويقفأ ، ولكن ما يجه ليس معنى الكلمات ، بل كيفية إثبات دوره بصورة عامة . كذلك نجد ان المتكلم في حديث عادي أو في مناقشة خاصة أو عامة يميل الى توكيد ذاته وإرضاء الآخرين . وأسرة الأطفال الصغير الذي يسمع درساً يتقنه فإن المتكلم الراشد حريص على كسب اطراء الناس سواء يمز الرأس دليلاً على الموافقة أو الابتسام دليلاً على الاعجاب أو بالتعليق بصورة مؤاتية ، ومن الفائق جداً في القاءات الاجتماعية ان

يتبارى المتكلمون وان يقاطعوا بعضهم بعضاً . ان العدوائية في حالات كهذه تلعب من حاجة الفرد الى تأكيد ذاته ، وبالتالي فهي تمزق ما في المناقشة من « تآشيش » . ان المستمع الصبور لا مكان له في مسار كهذا ، فهناك انقاص لدور المستمع لان الصمت يعتبر تقصيراً ونقصاً في المكانة الفكرية أو الاجتماعية . ان الدور الذي يحمله المتكلم يتصف الى حد كبير بحدود الانفصال التي يتصورها المتكلم عند المستمعين ، فالافكار والبيانات تتبدل بحسب رد الفعل المقترض من جانب المستمعين ، والاطراء الذي يبدؤه هؤلاء لا يمس مجرد استجابة موضوعية للافكار ، بل حكماً في قيمة المتكلم — الممثل ككل . وبالتالي لا يمكن النقد ان يكون موضوعياً بل هو سلاح هجوم ، ذلك ان ما هو اقل من الاطراء الشديد يعتبر نوعاً من الذم والاستغفال ، وهكذا نجد بوضوح ان المسارة ، في مجتمعاتنا ، لا تسيطر على اللقاءات الاجتماعية فحسب بل ايضاً على التعامل الفكري .

ان الرأى الذي تركز عليه المسارة يؤدي بصورة تلقائية الى تقديف الروح العدوائية التي تظهر خاصة في الاستغابة ، أي في النيل من سمعة الآخرين ، وبالإضافة الى ان الاستغابة وسيلة لتفريغ عن العدوائية المكبوتة ، فهي تدعم الميل الى المعاشرة ، فالطفل يتعلم الاستغابة عندما يلاحظ ان والده وغيره من الكبار ينادون من سمعة أشخاص يعرفهم ، وهو . اذ يتعلم كيف يخاطب الناس ، يتعلم ايضاً كيف يستفيد من الواقع ان الاستغابة هي الوجه الآخر لمسارة ، ونتيجة من نتائجها المحتملة .

ويمكن الاستنتاج من ذلك ان التوافق الظاهري الذي تحفقه المسارة يؤدي الى الواقع الى لوتر مبطن ، وبدلاً من ان يتيح الناس خلفاتهم وتناقضاتهم ان تنحل بصورة صريحة وواضحة يتقدم يكتتمونها ويحملونها تنازلاً في نزاع باطني ، ولذلك فان التفاعل الاجتماعي لا يجري الا على مستوى الخاطيات . أما سائر مستويات التفاعل الاجتماعي فهي كلها مستقطبة حول العداء والخشعة والنزاع .

ان الميل الى المعاشرة ما هو إلا نمط حضاري آلي في خدمة الامتثال الاجتماعي . وكما رأينا سابقاً ، فالطفل يجري تربيته على الانثناء الى الجماعة عن طريق الرضوخ الى ارادتها . وقبل كل شيء الى ارادة أبيه الذي يعبر عن هذه الارادة ويحسدها . واذا كان في البيت أشخاص آخرون يحاولون تثيل دور الاب ، فالطفل يصبح عندئذ فريسة دوافع فوضوية عنه ان يصارحها ويقمعها ، ومن الواضح أنه في ظروف كهذه يحتاج

الى كثير من الخط . ومن طائفة الاحمال ، ليبقي في ذاته استجابات اجتماعية فعالة وملسقة .

ان الميل الى المماثلة يجمع بين الناس في علاقات التسلية ويعرف بينهم في العلاقات التسلية . وأسوة بالاغتياب والرياء ذات سوء الظن هو جرم لا يتجزأ من الموقف الناتج عن الميل الى المماثلة والمماثلة . انه الموقف الفاعل « بات الاشياء ليست كما تبدو » .

ونجد ان الفرد ، في التعامل الاجتماعي لا يثق حقاً في كلام الآخرين لأنه يمي نوعية السائر الاجتماعي الذي يشفي الجميع ورائه ، وهذا ما يؤدي الى تغليب الشك والاغتياب في ما يتعلق بنوايا الآخرين ودوافعهم ، كما رأينا سابقاً .

وباستثناء حالات الصداقة الحميمة فان الفرد لا يقبل الآخرين على الشكل الذي يطرون فيه ولا ينظر الى تعدياتهم على أنها ملازمة ، كذلك من الصعب الاجابة بالرفس في لغات الناس وجهاً لوجه ، وحق في اللغات العملية ، كما أنه من السائد النظر الى تعدياتهم الآخرين نظرة استخفاف ، كما في القول « هذا كلام بكتام » (هذا حكمي بحكمي) أي أنها كلمات لا تلتزم صاحبها بالفعل ، كذلك نجد ان القول ان كلمت لا يمكنها ان تكون كلمتين (كلمته ما ينصير قننين) ، أي ان الوعد ملازم هو في الواقع إشارة الى الاستثناء بالنسبة الى القاعدة المتعارف عليها شيئاً ، وحق الاتفاق الرسمي لا يعتبر اتفاقاً على الإطلاق ، ولو كان بين رؤساء دول والواقع ان التعديات تم بصورة مجردة عن الواقع الذي تشير اليه ، وهي ليست مرتبطة مباشرة إلا بالمناخ الاجتماعي ذاتها .

وكما ذكرنا سابقاً فان ما يقال عن الفرد وما يعلمه هو أو ما يظنه من قول الآخرين فيه يمثل دوراً حاسماً في تعيين مواقفه تجاه الآخرين وتجاه نفسه ، ان سوء الظن ينبع من وعي واقع الاغتياب ، وبما انه يتعدى التمييز بين الصواب والخطأ في ما يتعلق بشخص من الاشخاص فان موقف الفرد يصبح موقفاً ازدواجياً ، فهو إما أن يلتقي ثناءً ومدحاً وإما أن يجري الخط من قدره ، وفي كلتا الحالتين تلتصق عنده صورة مشوهة عن وأي الآخرين ، ونتيجة ذلك ، من الناحية النفسية ، ان الفرد مدفوع الى القبول بهام الاشخاص والاشياء ليس كما يراه هو بل في خلال اطار مفروض عليه وبמיד عن الحقيقة . انه يثبت في واقع التجربة معاني واهدافاً لا تظهر بوضوح في ذلك الواقع وما لا شك فيه أن المخاوف والرغبات هي عوامل تسهم في عملية التشويه ، إلا أن جذور هذه العملية موجودة في الازدواجية الأساسية التي يجري التعبير عنها في تفاعل الفرد مع الآخرين .

المرحلة م - ١١

إن التعاس مع أشخاص من خارج العائلة هو ، بالنسبة الى الطفل ، تعاسل مع غرباء ، ولذلك فإن سوء الظن الذي يتعمق في محيط العائلة يصبح قاعدة لتعامله في المجتمع وذلك مع شئ من المبالغة . وهكذا فإن الفجوة القائمة بين العائلة والمجتمع تزداد سوءاً لما أن يدخل المرم في الحياة الاجتماعية حتى يشعر بعدم الاطمئنان ، كما يشعر بأنه في تعامله مع الآخرين دائماً مخدوع أو مستغفل ، ومعرض للانسحاق اذا لم يتخذ موقف الهجوم . ان تجربته عن العالم الخارجي تجربة تخيب آماله فتعيد به الى كنف العائلة ، وهذا ما يجعل العائلة تقوى قبضتها عليه عندما يكبر فتمنعه من تحقيق الاستقلال الذاتي ، وبالتالي من تنمية وعيه الاجتماعي .

وما يسهل مهمة العائلة هذه ان المجتمع في تركيبه القائم بضبط الفرد ويُنظِّله اذا ما استقر عن العائلة أو العفوية أو الطائفة ، والواقع أن سوء الظن الذي أثره اليه من حيث هو موقف نفسي ونمط من أنماط السلوك يؤدي الى دعم العلاقات الاجتماعية القائمة والتي يمتشق منها هذا الموقف .

وهكذا فإن التقابل بين المجتمع والعائلة يبدو كآلية من الآليات التي تلجأ اليها الثقافة الاجتماعية المسيطرة لضبط التغيير والمحافظة على استقرار النظام الاجتماعي الذي هو بدوره مبني على النمط السائد في توزيع الثروة والسلطة والمكانة الاجتماعية .



تعليق
على دراسة
« العائلة والتطور الحضاري في الوطن العربي »

الكتوراسمى يعقوب العطب

مقدمة :

انه لمن دواعي السرور ان نتناول الخلفة بحوث ودراسات حيوية تناقش القضايا
الرئيسية في هذه المرحلة الانتقالية التي يمر بها المجتمع العربي المعاصر . ان المجتمع العربي
يواجه أزمة حضارية في احجيم والنوع لم يواجهها منذ عدة قرون ذلك أن المرحلة التاريخية
التي تمر بها المجتمعات العربية والمواقف الحضارية المعاصرة بالاضافة الى الارادة الذاتية للتغيير
والتمطور لها آثار مباشرة في تشكيل الحضارة العربية المعاصرة

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذه الحلقة هو أين تقع المجتمعات العربية من الحضارة المعاصرة ، هل تعتبر متخلفة أم متقدمة على غيرها من الدول التي تعاني المزيد من التخلف أم هي في نقطة الوسط على الامتداد الحضاري ؟

ويتبع ذلك سؤال آخر وهو هل يمكن أن تصنف جميع البلاد العربية بدرجة متساوية على المقياس الحضاري بمناخه المادية والمعنوية وهل تتأثر الخصائص الحضارية بين المجتمعات البدوية والريفية والحضرية داخل المجتمع الواحد ؟

ويؤكد علماء الاجتماع أن التغير والتطور يتفاوت بين مجتمع وآخر وبين المجتمعات المحلية داخل البلد الواحد وكذلك بين الجوانب المادية والمعنوية بسبب عدة عوامل تاريخية وسياسية واقتصادية وراثية وتربوية وإسرية تجمعت من التعميم أمراً حسباً ما لم تكون الدراسات العلمية التي تجري على مستوى الوطن العربي مشتملة على هيئة مثله للخصائص والمفردات والمعطيات الفاعلة في البعثات الاجتماعية والدينية . أي يجب أن يكون علماء العلوم الانسانية شديدي الحذر عند اجراء تعميمات حول الظواهر السلوكية السليمة والمعتلة على حدة سواء بالرغم من الخصائص الحضارية المشتركة بين الدول العربية من المحيط إلى الخليج .

أما الدراسات الاجتماعية النظرية والميدانية على مستوى الوطن العربي (Macro Studies) محدودة ولا تشمل كافة البلاد العربية . إلا أن هناك العديد من الدراسات الديمغرافية والاسرية وتلك التي تتعلق بالمشكلات الاجتماعية والسلوك الانحرافي والتغير والنظم الطبقي والمجتمعات المستحدثة قد أجريت في العشر سنوات الاخيرة في معظم بلاد العربية وبصورة خاصة (مصر ولبنان والاردن والعراق والكويت وتونس وليبيا والجزائر والمغرب) ، مقتصرة على دراسة الخصائص الاجتماعية في داخل البلد الواحد وبصورة حزبية في معظم الاحيان (Micro Studies) باستثناء التعدادات السكانية (والتي تحتاج الى المزيد من الدقة العلمية) الشاملة في معظم أقطار العربية ،

وهناك ملاحظة أخرى في مقدمة التعليق لابد من الإشارة إليها والمتصلة بحلقة البحث . وهو التمييز بين مصطلح التطور أو التغير الحضاري والتطور أو التغير الحضاري . والثاني يشير الى التغير الخطط الذي يتحدد بأهداف وفي إطار خطة متكاملة تسعى الى تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة ذلك ان طبيعة التغير

Change هو التلقائية والجزئية وتسير بسرعة معينة بحسب معطيات معينة . وكذلك التطور (Evolution) .

وان كان من أهداف الحلقة هو تحليل الواقع الحضاري في الميادين المختلفة إلا أنه من الأهمية بمكان دراسة اتجاهات المستقبل في التطوير الحضاري للمجتمع العربي في الجوانب المادية والمعنوية وفي الميادين المختلفة. وهذا يتطلب المزيد من البحوث والدراسات المتخصصة على الصعيدين القومي والعربي .

وفي التعليل على هذا البحث القيم ، أود أولاً ان اقدم لتقديمي للعجود التي بذلها الدكتور الشراي في الاعداد لهذه الدراسة والحرارة العلمية التي نحن بأمس الحاجة اليها والتي قضع المثقف العربي أمام الحقائق الاجتماعية التي نعيشها في حاضرتنا وستبقى الى فترة زمنية في مستقبلنا . ونحن بأمس الحاجة الى مثل هذه الدراسات والبحوث حتى نواجه انفسنا أولاً ونقدم للأجيال القادمة الواقع الحضاري العربي بكافة جوانبه المادية والمعنوية الظاهر منها والمستر ، الايجابي والساي على حد سواء ... والمهم في هذا المجال الوقوف على الحقائق بأسلوب صمي وبطريقة موضوعية تاركاً الجدل للسؤولين في الميادين المختلفة ترجمة لنتائج البحوث الى برامج ومشروعات تستهدف التطوير والتحديث .

وسوف اتناول في التعليق على هذه الدراسة ثلاثة مجالات على النحو التالي :

الاول : الدراسة من حيث الهدف والاسلوب والعينة والاطار النظري.

الثاني : علاقة الأسرة كنظام اجتماعي بالنظم الأخرى من حيث البناء والتركيب والوظيفة .

الثالث : العوامل التي تؤثر في الوضع الراهن لقرية الأمرية في الوطن العربي مثل : الأسرة ، الوضع الديمغرافي ، الأسرة والمواطنة الصالحة ، والأسرة والقيم العربية المعاصرة .

أولاً : الدراسة من حيث الهدف والاطار النظري :

يتناول البحث العلاقة بين الأسرة والمجتمع وأثر طرق تربية الطفل ومجارب الطهولة في تكون السلوك الاجتماعي والشخصية على اعتبار ان الاسرة كمؤسسة اجتماعية تعمل كوسيط بين الفرد والحضارة التي ينتمي اليها .

وقد تمحّد إطار البحث في المواقف النفسية والاجتماعية والتربوية والوراثية التي تحيط بالطفل وتؤثر في تكوين شخصيته . والدراسة في إطارها النظري تناول مفاهيم فرويد في تكوين « الا » - (Ego) وال« اى » (Super Ego) ، كذلك مفاهيم عالم النفس الامريكى Eric From خاصة الاتجاهات الواردة في مؤلفاته التي تربط تكوين الشخصية بالاسرة والبيئة من حولها .

وقد ذكرتي هذه الدراسة بدراسة قامت بها الدكتورة سونيا حمادة في كتابها The Temperament and Character of the arab الذي تسجد الواقع الاجتماعي المرير الذي يعاني منه الفرد في الوطن العربي في مختلف مراحل حياته وفي المجتمعات البدوية والريفية ، دون أن تتطرق الى الايجابيات المادية أو المعنوية في التكوين الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية ، للمجتمع العربي في الحسنيات .

أما المنهج الذي اتبعته الدراسة فهو منهج دراسة الحالة الذي يتمثل في تقديم أمثلة لحالات فردية من واقع بعض المجتمعات العربية لتمثل فئة اجتماعية أكبر وهي التي أشار اليها بالطبقة الوسطى . وإما البيانات التي يتضح من مقدمة الدراسة تعتمد على تحليل المحتوى للدراسات النفسية والاجتماعية والتربوية والاعلبيات الشخصية كما ورد في مقدمة الباحث .

وبالنسبة الى العينة التي يرجع اليها البحث فكتياس للأسرة العربية المعاصرة هي الاسرة في الطبقة الوسطى « او لفئة من الطبقة الوسطى في المجتمع العربي على حد تعبير الباحث . ان الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والتربوية التي تميز هذه الطبقة فهي بحاجة الى تحديد حتى يتضح الإطار الذي يدور حوله التحليل النفسي - الاجتماعي - التربوي الذي اتبعته الدراسة والطبقة الاجتماعية الوسطى في الوطن العربي هي حديثة العهد ولا تتمدى في تكوينها العقدين الآخرين من الزمن ان لم تكن أحدث من ذلك في بعض البلدان العربية مثل اليمن أو دول وامارات الخليج . وحتى تتضح لنا عينة البحث من الطبقة الوسطى فلا بد من الاشارة الى ان أفراد هذه الطبقة هم مزيج من الطبقة العليا التي سمحت لأفرادها بالانطلاق الى ميادين العلم والعمل خارج الاهتمامات الاجتماعية للأسرة ذات الحسب والنسب واحتلال المراكز الادارية قبل ان يصل اليها الآخرون ومن الطبقة الدنيا (الفلاحون والعمال وذوي الدخل المحدود) التي دفعت بأفرادها بأعداد كبيرة الى المدارس الى خارج القرى من أجل قطعهم بدوافع متنوعة

ومن خلال القرص المتاحة لتعليم والعمل بعد حصول البلاد العربية على الاستقلال والتحرر من الاستعمار ، وبعبارة أخرى فإن أفراد الطبقة الوسطى يمتازون بالتعليم والثقافة ويكونون الكادر الوطني في الحكومة أو القطاع الخاص على المستويات الفنية والإدارية . إلا أن الاحتكاك والتفاعل بين أفراد الطبقتين العليا والدنيا لم يشكل قيساً جديدة شاملة في لطاقتها وجذريّة في حتمها لتعمل محل القيم التقليدية المرتبطة بالطبقة الأصلية التي يمثلها كل منهم وبذلك نجد أن أفراد الطبقة الوسطى متأثرين بالقيم التقليدية في مختلف مجالات العلاقات الأسرية . أي أنه بالرغم من وجود بعض المظاهر الحضارية المادية التي ينتمى بها أفراد الطبقة الوسطى التي قد تتشابه بأفراد مثيلاتها في المجتمعات المتقدمة إلا أن المضمون الفكري والقيم والمعتقدات لم تتبدل أو تتغير بنفس القوة والحجم والاتجاه مع التقسيم المادي وبسبب علماء الأنثروبولوجيا مثل هذا الوضع الموهو الثقافي (Cultural Laq.) أو ما يسميه علماء الاجتماع والتربية بصراع الأجيال ونسوق على سبيل المثال ما كشفت عنه بعض الدراسات الاجتماعية التي يقوم بها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في اتجاهات الأمرة المصرية المعاصرة بأن عدداً من الفتيات اللواتي أُلحمن لتعليم الجسماعي يترددن على جلسات « الزار » لحل المشكلات النفسية هذا بالإضافة إلى أن قراءة الحظ بالمصحفة والجلسات تحت إهدم المثقفين والموظفين قبل الأخبار أو التعليقات الأدبية .

ونخلص من ذلك بأننا عندما ندرس عينة من الطبقة الوسطى لابد وأن نتماخباها لنعينة من الفناحيات الكمية والتنوعية لتعكس العينة صورة حقيقية من أفراد هذا القطاع العريض المتباين من الأفراد الذين ينتمون إلى اتجاهات فكرية وعقائدية وقيم قد تكون غربية ، أو شرقية ، أو عربية تقليدية .

الأمرة العربية المعاصرة :

يركز الباحث في دراسته على مفهوم الأمرة العربية المستدة التي يعيش أفرادها الذين يتكونون من الآباء والأبناء والأحفاد والأقارب المجاشرين الذين يعيشون في منطقة واحدة أو حتى تسود بينهم العلاقات العشائرية . أن التعريف المعاصرة للأمرة الحديثة هو كما يقول وليد أو جبرين « رابطة اجتماعية من زوج وزوجة وأطفالها أو بدون أطفال

أو من زوج يقرده مع أطفاله أو زوجة يقردها مع أطفالها» (١) .
 إن العلاقات الأسرية في الوطن العربي لا تتحدد فقط في إطار القرابة بل نتيجة
 المصاهرة أيضاً ، فتجد أن الزواج بين شاب وفتاة من فئات اجتماعية مختلفة هو تكوين
 روابط وعلاقات جديدة بين أسرتهن أو عشيرتهن يرتبطان بعلاقات معقدة ليس في أيها
 تصنيف أدواراً جديدة على كل من الزوج والزوجة بل أحياناً تثقل كاهل الزوجين مادياً
 واجتماعياً ونفسياً ، إذا ما قام كلاهما بدورها المتوقع على الوجه المطلوب .
 ولكن لابد من الإشارة في هذا المجال أن أفراد الطبقة الوسطى في الأسرة العربية
 المعاصرة بدأوا ينتقلون تدريجياً من نمط الأسرة الممتدة إلى نمط الأسرة النووية وفق
 التعريف المشار إليه خاصة وأن المثقف والمثقفة (الزوج أو الأم العاملة) يحكم العمل
 والوظيفة كثيراً ما ينتقلون من بلد إلى آخر (أو من القرية إلى المدينة) أو من مدينة
 إلى أخرى الأمر الذي يؤثر في تركيب الأسرة وبنائها ويضعف من نفوذ وسيطرة الأسرة
 الممتدة وإن استمر الولاء للوالدين والأجداد والشعور بالانتماء لقرية أو أخى إلا أن
 العلاقات تأخذ شكلاً جديداً وتطوّر مفاهيمها عن النمط التقليدي . أي أن الزوج أيضاً كان
 عمله أو إقامته يشعر بالمسؤولية المادية والاجتماعية والمنوطة تجاه إخوانه وإخوانه
 ووالديه الكبار . والتحديات الجديدة التي تواجه الزوجين في البيئة الجديدة وتكونت
 أصدقاء ومعارف جدد تأخذ جزءاً من الولاء والانتماء وبالتالي فإن الرابطة بين الأسرة
 النووية والأسرة الممتدة أخذت بالتفكير والاتصال غير المباشر بين الأعضاء أخذ يحل محل
 التفاعل المباشر .

وظيفة الأسرة العربية المعاصرة :

بعد أن تبين لنا أن بناء وتركيب الأسرة العربية المعاصرة أخذ بالتغير من الأسرة
 الممتدة فإن هذا التغيير يؤثر في وظيفة الأسرة العربية المعاصرة إذ أن الوظائف التقليدية
 المعروفة للأسرة تتحدد في استمرار إنتاج أفراد جدد وإعانتهم وتثقيفهم اجتماعياً
 وروحياً وسد الوظائف الحالية (٢) .

W . Ogburn + M . Nimcoff — A Handbook of (١)
 Sociology London . 1947 .

(٢) الدكتور عبد الباسط محمد حسن زملاؤه - أصول علم الاجتماع - مطبعة

لجنة البحوث العربي ١٩٦٤ ص ١٨٩ .

والتغيير الحضاري والتنمية الاقتصادية والاجتماعية التي شهدته المجتمعات العربية قد ساهم بطرق متفاوتة في تغيير البقاء الأسري وأثر في الحركة السكانية المستمرة من البادية والريف الى المدن وزيادة عدد السكان وزاد عدد الادوار المترتبة على الاسرة وأفرادها الأمر الذي دعى الحكومة الى انشاء العديد من المؤسسات الحكومية والاهلية في المجالات الاقتصادية والاسرة والدينية والسياسية والتربوية لتعمل لحل الوظائف التي كانت تؤديها الاسرة الممتدة أو المجتمع المحلي أي ان الوظائف التي تؤديها الاسرة كما وتوعداً قد تفقرت كماً ونوعاً. والمشكلة تنفاً عندما ينتقل الفرد بعد بلوغه من « اسرة التوجيه » الى الاسرة النووية أو اسرة الانجاب « التي ينجب فيها أولاده وتنشأ علاقات متصلة ومنفصلة في نفس الوقت تؤدي الى بلية وصراع نفسي وحضاري تختلف قوة وضغطاً حسب البنيان الاجتماعي حيثما ينتقل الفرد من مكانه الخاضع في اسرة « التوجيه » الى مكان الاستعلاء في « اسرة الانجاب ». كما أن الصراع التقليدي بين « الكنة والحماة والصراعات الأخرى داخل الاسرة الممتدة قد ينعكس في تربية الاجيال .

ونخلص من ذلك ان التربية في السنوات الاولى قد اصبحت مشتركة بين الاسرة والمدرسة في دور الحضانة ثم في الصفوف النظامية ، وبيئة المدرسة وأسلوب معاملة المعلمين والمعلمات للاطفال وتوجيههم يؤثر على تكوين الشخصية وان اختلفت درجة التأثير على العقل من تأثير الاسرة .

كما ان الكيفية التي تقوم الاسرة بتأدية وظائفها والاساليب المتبعة يتوقف الى حد كبير على بعض المتغيرات التي لها أهميتها في التنشئة وتربية الاطفال التي تحتاج الى مزيد من المعالجة في البحث . وأهم هذه المتغيرات :

١ - مستوى التعليم للوالدين أو الزوجين :

ويبدو ان هناك تفاوتاً ملحوظاً في مستويات التعليم بين أفراد الطبقة الوسطى في المجتمع العربي لكن من الزوج والزوجة الأمر الذي يؤثر في سياسة التوجيه والتنشئة وما قد ينتج من تضارب وخلاف بين الزوجين على أسس التربية ونمط العلاقات والقيم.. اذ قد يتجر كل منهم الى اتجاه معين وينعكس هذا التضارب والخلاف في اتجاه تكوين القيم .

٣- المهنة والوظيفة والمسؤولية لكل من الزوجين أو لاحدهما :

إذا أن الاستقرار الوظيفي والمستوى الاجتماعي للوظيفة يؤثر في نشوء علاقات اجتماعية جديدة ليس بين أفراد الأسرة الممتدة أو النووية فحسب بل في الوسط الاجتماعي، وهذا يؤثر في اكتساب قيم جديدة قد تتعارض مع القيم التقليدية . مثل الفرد المثقف من أبناء القرية الذي يعمل مديراً لمؤسسة ويعيش في المدن وتطلب مهنته القيام بأدوار مختلفة قد تتعارض مع قيم الريف ، ومن هنا ينشأ الصراع النفسي والاجتماعي لدى الفرد وبين أفراد الأسرة .

٣ - الدخّل :

للدخّل أثر كبير في العلاقات الأسرية والمكانة الاجتماعية والتقدم الحضاري المادي واعتلاك الأدوات المنزلية الحضارية ذات المكانة الاجتماعية ، الأمر الذي يؤثر في نوع المكنن والأثاث والملبس وقضاء وقت الفراغ في محيط الأسرة .

٤ - مكان الإقامة :

إذا أن المكانة الاجتماعية في المجتمع العربي لا تقل في حدتها أو مشكلاتها عن تلك في المجتمعات الغربية هذا بالإضافة إلى نشوء علاقات جديدة بين النساء في الحي الواحد بحكم الجوار وبالتالي فإن الفرد بالأسرة يرتبط بمجاعات المهنة والجوار التي تؤثر في التفاعل والاختلاط بين الفرد وهذه الجماعات من ناحية وبين أفراد الأسرة الممتدة .

إن هذه المتغيرات تؤثر بدرجة كبيرة على وضع الأسرة لدى أفراد الطبقة الوسطى في المجتمع العربي المعاصر والتي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار عند دراسة خصائص ومجاعات القيم لدى أفراد هذه الطبقة وطريقة تربية الأطفال وتكثيفهم ، وتتخذ أشكالاً متفاوتة بحسب الاختلافات في المهنة والدخل والمكان ومستوى التعليم بين فئات وأفراد الطبقة الوسطى نفسها .

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال هل تعتبر الطبقة الأسرة - طبقة واحدة - أو كما قسم لويد ورنر (Loyed Warner) الأثروبولوجي الأمريكي في سلسلة مؤلفاته حول مدينة يانكي (Yanky City Series) في المجتمع الأمريكي ، الطبقة

الوسطى إلى ثلاث مستويات وهي الطبقة الوسطى العليا والطبقة الوسطى والطبقة الوسطى الدنيا ولاغراض الدراسات الاجتماعية وتحليل القيم ومستويات التربية وحتى يمكن تحديد أو التباين والتباين بين ثلاث الطبقة الوسطى فان مثل هذا التقسيم يعتبر ذو خصائص عملية وحلية إن أمكن تجريبه في إطار مثل هذه الدراسات أو اختبار فعالته على الأقل.

الأسرة كنظام اجتماعي The Family as a Social System

لاغراض تحليل دور الأسرة في التطور الحضاري بصفتها الوحدة الاجتماعية الأساسية في المجتمع العربي ، وكما اتخذها الباحث في دراسته لوسط بين الفرد والمجتمع : والوقوف على نقاط القوة والضعف في بنية الأسرة والوظائف التي تؤديها فان الاتجاه الذي يتبعه علماء الاجتماع فهو اعتبار الأسرة نظاماً اجتماعياً يتفاعل مع النظم الأخرى المساعدة في المجتمع ويؤثر فيها ويتأثر بها .

وحق لقف على أهمية تقييم مختلف جوانب النظام الاسري التي تؤثر في طرق وأساليب التربية وتحديد المعالم البارزة للاتجاهات التي حددتها الدراسة في مجالات بناء الطفل وتكوين شخصيته لا بد من تحديد عناصر النظام الاجتماعي كما حددها شارلز لوميس (C. Loomis) في كتاب النظام الاجتماعي (The Social System) ، وسوف نطبقه على الأسرة العربية بإيجاز :

الاهداف والاعراض :

ماهي الاهداف التي تسعى الأسرة العربية في الطبقة الوسطى الى تحقيقها - الاهداف الكمية والنوعية ، المادية والمعنوية والأي درجة تختلف عن أهداف وأغراض الطبقتين العليا والدنيا ؟ وهل هذه الاهداف متركزة حول الايجاب ، حماية الطفل وتنميتها ، أم الاهداف الاقتصادية ولمكانة الاجتماعية هي وراء السعي لتحقيق الأسرة الكبيرة العدد ؟ أم ان هناك اتجاه في الأسرة العربية المعاصرة نحو الاعداد القليلة من الاطفال والاهتمام بتوجيه الاطفال على العدد ؟

٢ - العادات والتقاليد (Norms)

ان الأسرة لاكتنفي بغرس الاهداف والاعراض التي يسعى الأفراد لتحقيقها في الحياة فنصب بل تضع المعايير والاساليب والطرق المشروعة لتحقيق هذه الاهداف مثل

ما هو صحيح وخطأ صالح وباطل ، مناسب أو غير مناسب ... الخ .
وعامى للمعايير والمقاييس التي تتبعها الطبقة الوسطى في المجتمع العربي .

٣ - الدور والمركز (Status — Role)

المسؤوليات التي تتناط بالفرد تحدد دوره ومسكته في الأسرة مثل دور الأب ، دور الأم ، الابن ، الجد ، العم ... الخ ، مثل الأب يعمل في الخارج والأم تربي الأولاد ولعمد الطعام وترعى شؤون البيت ؟
وحل الادوار والمراكز العائلية في الطبقة الوسطى مازالت كما هي أم حصل عليها تغيير خاصة وان الزوجة المتعلمة أصبحت فصل خارج البيت وتنافس نشاطات اجتماعية ؟
ما هو نطاق وأثر التغيير في الادوار والمراكز على القيم الأسرية للطبقة الوسطى وبالتالي كيف ينمكس ذلك على تربية الاطفال ؟

٤ - السلطة (Power)

الحقوق والواجبات والسلطات ودرجة التأثير على الغير . ويتضح ان الأب (أو الزوج) هو صاحب السلطة العليا وله الكلمة الاخيرة في كل الأمور حتى الطلاق إلا ان الزوجة قد تكون لها تأثير أكبر من لزوج إذا ما اتبعت لاسلوب المناسب في شق أمور الأسرة ومع المستوى التعليمي الذي وصلت اليه المرأة والفئة المعاصرة ، هل يمكن ان تصور أن السلطة في شؤون الأسرة أصبحت مشتركة خاصة واننا نسمع في الوطن العربي صيحت لتحرير المرأة ، وفي عدد من الدول فقد خضت المرأة خطوات كبيرة في المطالبة بالحقوق السياسية والمدنية والشرعية والمساواة في المجالات الوظيفية ... الخ . ثم كيف ينمكس انتقال السلطة التدريجي من وضع كان فيه كل شيء بيد الرجل الى الوضع الذي أخذت المرأة تشاركه في ممارسة الصلاحيات والواجبات داخل المنزل وخارجه على تربية الاولاد وحل هذه الاتجاهات تؤثر في تغيير القيم الأسرية ؟

٥ - المكانة الاجتماعية (Social Rank)

وبالرغم من نشوء الطبقة المتوسطة في المجتمعات العربية ، الا ان هناك تصنيفات للأسرة فتجد أن أسرة فلان له مكانة مرموقة بالبلد وأسرة فلان لم يجمع بينا أحد ،

أو أسرة فلان معظم أفرادها يشغلون وظائف هائلة ولم مراكز في الدولة الأمر الذي يحدد مكانة الأسرة . وينطبق ذلك على المرأة التي تشغل مناصب في المجتمع فإن الادوار التي تلعبها تؤثر بصورة مباشرة على مكانة الأسرة تماماً مثل الرجل .

وفي مثل هذا الوضع الاجتماعي المتحرك والمتغير دائماً ماذا يحدث للأسرة الريفية الاصل في الطبقة الوسطى خاصة عندما تسعى لرفع مكانتها الاجتماعية والتابع قيم جديدة في الوسط الاجتماعي الحضري !!

وما هو الثمن هل ينعكس ذلك في ارتفاع نسبة الطلاق أم في تربية الاولاد وتثقيفهم .

الجزاءات والمكافآت (Sanctions) يضع المجتمع وكذلك الأسرة مفاهيم ولوائح (مكتوبة أو غير مكتوبة) لفرض العقوبة على الفرد الذي يتصرف عن السلوك والمعايير والقيم التي يشجعها المجتمع للأسرة وذلك للحفاظ على توازن المجتمع وتماثل الأسرة والحد من الاخلال مثل الاخلال بالثرف أو الهروب من المسئوليات الاسرية.. الخ والمكافآت أيضاً ضرورية للأسرة حيث يحصل الفرد الذي يسير بالطريق القويم على الرضا النفسي وثناء الآخرين . والجزاءات والمكافآت نوعان مادية ومعنوية - وتختلف أشكالها وصورها .

هل للأسرة في الطبقة الوسطى في المجتمع العربي المعاصر المعايير والمفاهيم المكتوبة وغير المكتوبة التي تحدد العقوبة والمكافئة على السلوك وما هي أنماط السلوك والقيم التي تتميز بها الطبقة الوسطى دون غيرها والتي تؤثر في الحفاظ على توازن الأسرة وتماثلها وعلى توجيه الاطفال وتربيتهم .

النشاط Activity النشاط عبارة عن الاعمال والبرامج والمراسم والاحتفالات والمراسم اليومية والشهرية والسنوية التي تشترك فيها الأسرة والتي تقوم بها سواء لوحدها أو بالاشتراك مع أسر أخرى في المجتمع أو مع أفراد الأسرة الممتدة وتوع النشاط ومدى اشتراك أفراد الأسرة فيه له أهمية كبيرة في كيان الأسرة واستمرارها .

ماهي أبرز سمات نشاط الأسرة في الطبقة الوسطى في المجتمع العربي في المجالات الاقتصادية والاسرية وتربوية والمواطنة الصالحة والدينية وهل يسهم جميع اعضاء الأسرة بهذا النشاط وكيف تهد الطبقة المتوسطة الطفل القيام بمختلف النشاطات التي تعود على الطفل والأسرة والمجتمع بالعائد الأكبر من النواحي النفسية والاجتماعية والمعنوية .

وتتفاعل هذه العناصر مع بعضها البعض وتؤثر كل منها بالآخر وتتأثر به وهي في مجموعها مهمة جداً وضرورية لحياة الأسرة والمجتمع وبمقايها وتنظيم العلاقات بين العناصر المتفاعلة .

ان أي دراسة اجتماعية ونفسية للأسرة العربية المعاصرة لا بد من تحليل العلاقات والمتغيرات الجزئية من خلال النظام الاسري ككل وليس من خلال جزئيات محددة دونما أي اعتبار لعناصر الاخرى من النظام خاصة اذا ما أودع دراسة للتغير والتطور في الكيان الاسري في المجتمع العربي المعاصر لتتولد الوقوف على لقاط القوة والضعف في مختلف جوانب النظام الاسري ومدى موازنة الواقع الحالي مع معطيات التراث العربي والاسلامي وتحقيقية ما تسعى اليه الامة العربية في الحفاظ على كيانها ولما يراعى التقدم الحضاري ولا يتم ذلك الا في لاسم الاسرة ووضوح أهدافها وتكامل العناصر المكونة للنظام الذي تدير عليه .

الاسرة وأزمة التطور الحضاري :

لقد أوردت الدراسة العديد من المواقف المعاصرة في الاسرة العربية خاصة بين أسر الطبقة الوسطى والتي تمكس الاتجاهات السلبية على تربية الطفل ونموه في مجتمع يتحاشى مع القدرة والتكنولوجيا. وقد اتضحت هذه الاتجاهات في انكسالية الطفل والتبعية في المعاملة بين الذكر والانثى والامتياز به وأن الاسرة توجه الطفل نحو الاشخاص اكثر ما توجه نحو الاشياء .

واذا افترضنا الدراسة أن الاسرة كقوة اجتماعية تفصل كوسيط بين شخصية الفرد والحضارة التي يرتبط بها وينتمي اليها . فان التحليل يجب أن لا يقف عند حد تحليل أساليب المعاملة التي يتلقاها الطفل من احدى أو كلا الوالدين أو من أعضاء الاسرة الممتدة فحسب بل لا بد من النظر في النظام الاخرى السائدة في المجتمع والتي تؤثر في كيان الاسرة وتركيبها والوظائف التي تؤديها .

أي أن ما يحدث حالياً للطفل كما عرضته الدراسة أو على الاقل الجانب السلبي من الموضوع لا يمكن أن يعزى بسبب الاسرة وحدها بل ان المجتمع هو المسؤول أيضاً عن مثل هذه المواقف ؟ ويقرر الدكتور الشراي في بحثه أن تغيير المجتمع يقتضي بتغيير المجتمع وقمكس بالعكس أي أن العلاقة متبادلة بين الاسرة كنظام اجتماعي مع المجتمع

بأنظمتها المختلفة الأخرى مثل النظام التربوي والاقتصادي والسياسي والديني .
وسوف نقش كل جانب من هذه الجوانب بشيء من الإيجاز لتحديد بعض
المواقف التي تسبب الاختناق Bottleneck في مسيرة الحضارة والتقدم الحضاري والتي
تتصل بالأسرة من حيث علاقتها بالنظام الأخرى .

علاقة الأسرة بالنظام التربوي :

يذكر الدكتور شراي في البحث بأن التعليم الذي يتلقاه في إطار العائلة وخارجها
يقل من أهمية الاقناع والمكافأة ويزيد من أهمية العقاب الجسدي والتلقين .. وهذا
بالتالي يؤدي إلى أضعاف قدرات الطفل للإبداع والتجديد ومنع حدوث التغيير ويزيد
من تعلم القو .

وسواء أكان هذا التعليم الذي يحصل عليه الطفل في إطار الأسرة أو في داخل
جدران المدرسة أو في خارجها ، فالزوال هو ماذا يجب أن يتم لتصحيح هذا الوضع
وتوجيه التربية بحيث يزد من أهمية الاقناع والمكافأة ومساعدة الطفل على تنمية
قدراته ومواهبه .

فإذا أخذنا موقف الأسرة من تعليم الطفل والطرق التي يمكن اتباعها في
التطوير والتحسين .

ليس من الممكن تزويد الأب والأم بالمعلومات والمهارات واتاحة الفرصة لهم
بالإلتساب إلى المعاهد والجمعيات في برامج خاصة لكبار (Adult Education)
وكذلك ليس من الممكن إقامة برامج ضمن وسائل الاتصال الجماهيرية المختلفة
مثل الراديو والتلفزيون والصحف لتعاطب الكبار وتناقش القضايا الأساسية
والمشكلات التي تعاني منها الأسرة العربية مع تخصيص هذه المشكلات وتقديم احتمالات
وبدائل الحلول .

ليس من الممكن أن ينشأ معهد خاص على مستوى الدول العربية يكرس
للبحوث والدراسات والاهتمام بالأسرة العربية خاصة في هذه المرحلة الانتقالية التي
يها المجتمعات الحضرية والتي تعاني فيها من أزمة التطور الحضاري ما تعانيه ؟

وكذلك ما هو الدور الذي تقوم به الأجهزة الحكومية والتطوعية تجاه الأسرة ؟
أهو دور علاجي (وهذا ما هو قائم على الأرجح) أم هو دور وقائي ؟

أليس هذا هو الوقت المناسب لتقييم مختلف البرامج والأنشطة التي تعنى بطوون الأسرة البدوية والريفية والمدينة على حد سواء (لأن التحضر والحضارة متصلان يوماً إلى قلب هذه المجتمعات) وحديد نقاط القوة والضعف فيها من حيث الأهداف والخطط والانشازات التي تم تحقيقها والآثار الانجابية والسلبية لتغيير والتطور على الأسرة العربية المعاصرة .

ثم اذا نظرة الى النظام التربوي الرسمي في المستوى الابتدائي وتفحصنا دور المدرسة في تربية الاطفال وزويدهم بالمعارف والمهارات التي تساعدهم في التعرف على ميولهم واتجاهاتهم سئل قدراتهم ومواهبهم وتوجيههم نحو الجامعة والمجتمع بالإضافة الى ولائهم للأسرة .

أليس من الممكن أن يعاد النظر في الكتب والمناهج المدرسية و مدى ما تتضمن من موضوعات تحقّق الاتجاهات المشار إليها وصياغة المناهج التي تتناسب مع روح العصر والتكنولوجيا . أليس من الممكن كذلك توفير المدارس والابنية الصحية والامكانيات والموارد التي تبني لطفل المناخ الملائم لتنمية ؟ ثم أليس من الممكن تدريب المعلم والمعلمة وتأهيلهم نظرياً وعملياً للقيام بمهام تتعلق وإثارة الاهتمام لدى الطالب وتعلم وتجريب الوسائل التعليمية المختلفة التي تصق خبرات الطفل وتزيد من إقباله على التعلم والاستطلاع ؟

وإذا كانت التفتنة مشتركة بين المدرسة والبيت أليس من الضروري توثيق قصة بيتها وتنظيمها والتنسيق بينها وإنشاء الخدمات المدرسية اللازمة لمساعدة الطالب في اجتياز الصعوبات والعقبات التي يواجهها في التكيف الى المجتمع خارج بيئة البيت والحي .

ثم ما هو موقف البحوث التربوية ؟ من هو المسؤول عنها ، أين وصلت وماذا بالنتائج التي تم التوصل اليها وماذا تم بشأن المشكلات التي كشفت عنها الدراسات المختلفة ؟ ومن هو المسؤول عن البحث وما دور الجامعات ومعاهد البحوث في هذا المجال ؟ وهل ترصد الاموال الكافية لقيام بالدراسات المطلوبة ؟ وهل هناك برامج لدراسات المقارنة على المستوى العربي .

الأسرة والوضع الديمغرافي :

من المعروف أن الأسرة العربية كبيرة في حجمها ويتضاعف هذا الحجم اذا

ما أخذنا بقياس الأسرة الممتدة ، ويعتبر معدل حجم الأسرة العربية (حوالي ٦,٣ شخص للأسرة الواحدة) من النسب العالية في الدول النامية .

وقد واكبت المجتمعات العربية مجموعة من القيم التي تستهدف حجم الأسرة الكبير بحيث أن الأسرة الكبيرة « عشرة » وتوفر الأيدي العاملة ، وتحدد اسم العائلة ، وتربح الوالدان عند الكبر ، وتجلب الراحة النفسية للكبار عندما يروا الصغار يرتفعون في البيت ويعيشون بمحتوياته .

ولم تجر دراسات إلا في نطاق محدود مثل دراسة الاتجاهات لحجم الأسرة الأمثل بين المثقفين والمهنيين (١) التي أجريت في مصر والأردن وبعض البلاد العربية الأخرى .

وإذا نظرنا إلى اتجاهات الطبقة الوسطى ، أليس من الممكن أن يكون الاتجاه نحو الأسرة المحدودة العدد والتي تتساحل القرص لتربية الأولاد تربية صالحة ومناسبة (النوعية) بدلاً من الاتجاه نحو الكم وانجاب الأعداد الكبيرة دونما أي تخطيط أو تنظيم لتوفير فرص الحياة والرعاية المناسبة ؟

وفي هذا المجال لا يمكن أن نقام برامج ومشروعات لتنظيم حياة الأسرة من جوانبها المختلفة مثل أسس تربية الأطفال ، الترفيه ، الجوانب الاقتصادية والروحية والجنسية (التباعد بين الولادات) ... الخ وفق ما تقتضيه ظروف كل مجتمع عربي حيث أن الهدف هو رفاهية الأسرة وتزويد الأطفال بالرعاية والحماية والنفاد والاهتمام اللازم ؟

هذا بالإضافة إلى الهجرة الفردية (الزوج أو المعين في الأسرة) أو الجماعية (الأسرة بكاملها) من البادية والريف إلى مراكز المدن ومن مدينة إلى أخرى ومن البلد الواحد إلى بلدان عربية وأجنبية معياً وراء التعليم وكسب الرزق بسبب عوامل الجذب والطرد والتي أخذت تزداد حدة بحيث أصبحت تشكل تبعاً إدارياً (خدمات) واجتماعياً (السلوك الأخلاقي) على الدولة .

أليس من الضروري في مثل هذه الحالة دراسة المشكلة السكانية وتحديد السياسة

(١) مثل الدراسة التي قام بها الملق في عمان بعنوان :

Characteristics and Problems of the Professional Elite in Amman — ١٩69 .

المعرفة — ١٢

الديمقراطية المناسبة لطروف كل دولة بشرط المحافظة على تلاحم الاسرة ولتاسكها ووعايتها
ولتقديم الخدمات اللازمة لها وايضا كانت ؟

وبالنسبة الى الجوانب الديمقراطية والاهتمام بنوعية الواقعين الجدد الى الحياة
ليس من الممكن أن تصدر تشريعات تؤثر الحد الأدنى لسن الزواج عند المرأة حتى
تتاح لها فرصة التعليم واكتساب خبرات في الحياة الاسرية ليتمكن من القيام بدورها في
تربية الاطفال ؟

الاسرة والمواطنة الصالحة

يقصد بالمواطنة الصالحة معرفة الفرد لحقوقه وواجباته والتزاماته تجاه المجتمع
وغيره من الناس . ويذكر الدكتور الشراي في بحثه أن الدور المتوسع من الطفل هو
التضحية في سبيل والده وخواه وأقربائه ، أي أن اتجاهاته تتكون نحو الاسرة أكثر
من أن تكون نحو المجتمع ؟

أنه من الطبيعي أن تقوم الاسرة بتعريف الطفل بنفسه وذويه وأقربائه وغرس
حبه واحترامه وتقديره لكل عضو في الاسرة انشوية أو الممتدة وأن تزوده بالقيم
الاجتماعية . فيختلف مجالات التفاعل والتعايش مع أهل وعشيرته ، ولكن ما هي مساوئ
الاستمرار في هذا الاتجاه على شخصية الطفل واتجاهاته ، ومن ثم من أين يستمد الطفل
عناصر الانتماء للمجتمع والولاء والاخلاص لهذا الاطار الاجتماعي من حوله .

ومن ناحية أخرى فإن النظريات التربوية تؤكد على تعلم الطفل وتأثيره بالخبرات
المحسوسة والمواقف التي تعود عليه بالمكافئة المادية والمعنوية .

ويقودنا هذا الوضع الى البحث عن الطرق والوسائل والفعاليات التي تنظم وتوجه نحو
الطفل في مختلف مراحل نموه وتربيته بالمجتمع من حوله سواء العناصر الاجتماعية
والانسانية أم العناصر المادية الطبيعية والاشياء الأخرى .

كيف تزود الطفل بالخبرات والمهارات والمعلومات التي تخرجه من قوقعة نفسه
ومن بين جدران عشيرته لينظر الى المجتمع من حوله بشكل يتفق مع قدراته ومطاقاته
وتحدث أكبر تأثير ممكن وبأسرع وقت وبأقل تكلفة ؟ كيف يمكن أن يزيد من مشاركة
الاطفال في المحافظة على البيئة من حولهم وجعلها نظافة ، وكذلك كيف تدعم الشعور
بالولاء والاخلاص ، ومساعدة الغير والتعاون مع الجماعة في انجاز البرامج التي تقدم للغير ؟

ثم كيف يمكن أن نعرف الطفل بالدور الذي تقوم به المؤسسات المختلفة مثل الشرطة والجيش ، والموظفين والخدمات العامة بأسلوب يدركه أصحابها والوظائف التي تؤديها حتى تنمي اندراكه وخبراته المباشرة نحو التبر والمجتمع ، وكما قال ريسان (Reisman) كيف يجعل الفرد متجنباً نحو المجتمع (Society Oriented) ،

أليس من الممكن أن يتم التعاون بين الأجهزة الإعلامية والباحثة والتربوية والأسرية والإدارية (البلدية) والداخلية القيام بمشروعات وبرامج مشتركة توجه نحو الأطفال في مختلف البيئات والمجتمعات ؟ وماذا تمل الخدمات للأطفال في البادية والقرية مثلاً تمل للطفل في المدينة من حيث الكم والنوع ؟

الأسرة والقيم العويية المعاصرة

لقد ورد في بحث الدكتور الشراي العديد من القيم الأسرية التي تتعلق بمفهوم الأسرة العويية ودور الرجل والمرأة ومكانة الطفل الذكر والأنثى ، وتدريب الطفل على الاكتال وفقدان الثقة بنفسه والتعجيل والإذلال في مختلف المواقف السلوكية خاصة تلك التي تتعلق بموضوع الجنس وتوجيهه ضربه نحو ذاته ... الخ .

وبلاحظ أن المجتمعات العويية في العقدين الأخيرين قد شهدت تطوراً حضارياً (اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً ودينياً وأسياً) ملحوظاً في الجوانب المادية والمعنوية . ويختلف هذا التطور كما وتوفاً من مجتمع عربي إلى آخر وفي مختلف المناطق داخل المجتمع الواحد .

فإذا كان هذا التطور السريع قد جبر وراءه أنواعاً متباينة من المشكلات الاجتماعية والنفسية والتربوية ويرجع السبب في ذلك إلى أن مضمون التطور متأثر بدرجة كبيرة في الحضارات المعاصرة المتنوعة (النوية والشرقية) من ناحية وعلى صعوبة تكيف الفرد العربي بأسلوب يحافظ على قيمه وعاداته وتقاليده ويتقبل التغير بالقدر والنوع الذي يتلاءم مع الاحتياجات والظلمات الفردية والمحلية والقومية من ناحية أخرى .

والتوضيح تماماً هو أن الحضارات الغربية والشرقية المادية منها والمعنوية تراث خصائص وميزات نشأت من خلال تجارب وخبرات هذه الدول عبر القرون ، ووصلت إلى ماوصلت إليه بسبب عدة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ساعدت على تحقيق الانجازات التي نراها اليوم ولقد مذهولين أمامها ؟

كما أن العرب تراث وحضارة هريقة أخذت مكانها في العالم من يضع قرون مضت ، إلا أن الحقيقة التي يجب ان نواجهها هي أننا متخلفين عن الحضارات الغربية والشرقية في الظروف المعاصرة ويؤكد علماء الاثروبولوجيا ان الحضارات المتخلفة لتتورد عناصر حضارية من الحضارات المتقدمة (وهذا لايعني ان حضارة العرب أفضل من الحضارة العربية الاصيلة) . ول نجد مظاهر هذا الالتئام الثقافي في كثير من الادوات والمعدات في مختلف مجالات الحياة ؟

وكما قال الدكتور الشرائي في محاضرته في نادي الاستقلال بالكويت حول هذا الموضوع أن الانسان العربي عجز بين اتجاهين حضاريين الأول يشده نحو الحضارة الغربية والثاني يشده الى التراث العربي ولكل من الاتجاهين قوى وفعاليات تحاول ان تجذبه بمختلف الوسائل . فأين الانسان العربي اليوم هل هو لا يزال على مفترق الطرق ، وإذا ان الجواب إيجابياً فالى متى سيبنى في مثل هذا الوضع ، اذا ان التطور الاجتماعي لايعرف (الحياة) أو (عدم الانحياز) كما هو معروف في عالم السياسة .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل جميع القيم العربية المتلفة بشؤون الأسرة من حيث التكوين والبناء والعلاقات بين داخل الأسرة النووية والأسرة الممتدة ، والدور والمركز لكل من الذكر والأنثى الصغير والكبير والمكافئات والجزامات وأم من ذلك كله الأهداف والأغراض التي تسعى الأسرة الى تحقيقها ، هل جميع هذه القيم متوافقة مع متطلبات المجتمع العربي المعاصر ؟ أم أن هناك شعور أنه بالإمكان ، بل والضرورة تدعو الى النظر في تطوير القيم الأسرية واستبدال بعضها بقيم جديدة ؟ وإذا ان الأمر كذلك ماهي القيم الجديدة التي نحتاج اليها الاسرة العربية في المجالات التالية : التعليم،الاقتصاد، الزواج ، السكن ، المواطنة الصالحة ، الدين والمجالات المجتمعية الأخرى للصبي والبلنت والرجل والمرأة للوالدين والابناء على حد سواء .

ليس بالإمكان ااحة الفرصة لعلماء الاجتماع والاثروبولوجيا بوالفهم والتربية للقيام بالدراسات والبحوث الميدانية لدراسة القيم العربية وتحديد المواقف والمجالات التي تحتاج فيها هذه القيم الى تطوير وتغيير وصقل وبورة بحيث تتغلب التوتر الاجتماعي والنفسى والاختناقات التي تواجهها العلاقات والقيم الأسرية في المجتمع العربي المعاصر .

أن تحديات العصر تفرض علينا أن ننظر الى واقعنا بمنظار علمي وتواجه أنفسنا، ونقولها بصراحة أن أساليب التربية والنظام الاسري تعاني أزمات واختناقات ولقي

تحتاج الى دراسات علمية لتشخيصها والوقوف على خصائصها والعوامل المؤثرة فيها وتحديد المشكلات والاختناقات في المجتمعات الريفية والبدوية والمدنية (أي دراسة شاملة للأمرة العربية) يشترك فيها فريق من العلماء المشار اليهم على نطاق المجتمع العربي وعلى مستوى المجتمعات المحلية في نطاق المجتمع العربي الواحد .

ان انشاء معهد للدراسات والبحوث الاسرية في هذه المرحلة من التطور الحضاري في المجتمع العربي المعاصر لا يقل أهمية عن معهد للدراسات البيولوجية أو الحيوانية أو الادارية ، ذلك أن من صمم أهداف المعهد الاسري تزويد المخططين للسياسات الاجتماعية بالمعلومات والمؤثرات والبيئات التي تساعد في تطوير التشريعات والتنظيمات والخدمات والمشروعات والنشاطات التي تسهم في التطوير البشري والوظيفي للأمرة العربية المعاصرة .

هذا بالإضافة أن مثل هذا المعهد يمكنه تخطيط سياسة التدريب والتأهيل لتختلف مستويات العاملين في الرعاية الاسرية في مجالاتها المختلفة حيث أن الهدف من برامج الرعاية هو التنمية الاجتماعية الشاملة وليس علاج حالات المعوقين والتكبير والحالات الخاصة ؟

ولا بد من التنسيق بين مثل هذا المعهد والجامعات ومراكز البحوث حتى تكل بعضها بعضاً ، وأن تعزز برامج كليات الآداب ومعاهد تدريب المعلمين والمعلمات لتتضمن الموضوعات التي تناقش الامرة العربية وقضاياها ومشكلاتها وأفضل الطرق لتطويرها .

وأخيراً فإن الدراسة التي تقدم بها الاستاذ الدكتور الشراي تعتبر خطوة عملية وعلمية في تسليط الضوء على الواقع الاسري والتربية في المجتمع العربي المعاصر في مرحلة التطور الحضاري ، يجب أن تتبعها دراسات على المستوى العربي لتعالج الموضوعات من الزوايا الاجتماعية والانثروبولوجية والتربوية بالإضافة الى النفسية التحليلية والتطرق الى مختلف مناسط واتجاهات الحياة الاسرية بالإضافة الى الاتجاهات التربوية .

أزمة التطور الحضاري

معناها
وملابساتها

بالنسبة للجامعات العربية الحديثة

الدكتور محمد هادي رضا

لعل خير المداخل التي تبين علاقة الجامعات العربية الحديثة بأزمة التطور الحضاري في الوطن العربي هو البدء بشيء من التنظير Theorization في طبيعة هذه العلاقة التفاعلية بين شعوب عريقة ومؤسسات علمية شابة فلقد يبدو أن كثيراً من لعنت الذي تعرضت له جامعاتنا الحديثة حتى الآن وليس هناك ما يمنع من إحقال تعرضها إليه مستقبلاً - إنما نجم عن هذا التمازج المثير بين عراقة المجتمع العربي برؤاه القبيبة قاته

ولكون المحيط به .. وبين شباب الجامعات العربية بينها ووطنها العناية التي دخلت
بها اليه . ونحن على كثرة ما نفكر أو نكتب عن وظيفة الجامعة في المجتمع نقفل أو نهمل
- عن وعي أو غير وعي - مهمة تنظيم هذا الدور وتنظيم المؤسسة التي تمارسه . ان
غياب التنظيم هنا كان سبباً دائماً في غيش رؤاها الجامعية العامة ذلك الغيب الذي غدا
بدوره عنصراً رئيسياً بين عناصر الازمة التي نتدارس في هذه الندوة ذلك اننا لم نشق
لأن - بل ان نجتمع - على أجوبة موحدة للاسئلة المطلة حول وظيفة الجامعة في المجتمع
العربي المعاصر ... هل هي تغيير هذا المجتمع ؟ أم المحافظة عليه ؟ هل واجب الجامعة
تقوية الوضع القائم وتدعيمه ؟ أم للعمل على تحسينه وتطويره ؟ واذا كنا نسلم جميعاً
بوجود أزمة تطور .. ففي أي اتجاه يتوجب على الجامعة أن تسهم في تذليل أزمة
التطوير هذه ؟ باستعارتنا لورثة من الماضي لمواجهة مشاكل العصر فيكون واجبها
آلتة العناية بالتراث ؟ أم البحث عن حلول ملائمة زمنياً لهذه المشاكل ويكون واجبها
عندئذ تأكيد طرائق التفكير العلمي في تربية الشباب ؟ بعبارة موجزة .. هل تريد
لجامعاتنا أن تكون امراس رسو في موانئ التاريخ ؟ أم أشعة أبحار في هيكل الحياة ؟
ان الطريق الى التنظيم تبدأ بتقرير المقولات الثلاث الاتيات .

المقولة الأولى :

إذا سلمنا بأن للجامعة مسؤولية مقررة في الناس الحلول لمشاكل
المجتمع فمن المنطق يستتبع بالضرورة التسليم بأن هذه المشاكل
ليست مورثة من العصر الحالية فقط وانما يشترك في صنعها
الظروف المادية التي تحابه الانسان منذ الثورة الصناعية وما أحدثت
من تبديل شامل في وسائل الانتاج الصناعي والزراعي وما ترتب على
ذلك من المشاكل الانسانية المعاصرة . واذا كان ذلك كذلك فان
المجتمع لا يقدر أن يقطع في حل المشاكل الجديدة بحلول عتيقة لمشاكل
قديمة وباحلت وجهاً من أوجه الشبه بما كنا الحل الحديثة ولكنها لا تغلها
غثلاً نأماً لتباين الظروف الموضوعية التي خلقت كلا منها . واذا كان

هذا صحيحاً - وهو صحيح فعلاً - فإن حلول الجامعة لمشاكل المجتمع لا يمكن أن تلتزم في التدريج بقدر ما يمكن - وببقي - أن تستقرأ بتعلق المختبر وطريقته في فهم المشكلة وحلها .
وواضح هنا أن الفرق بين التاريخ والمختبر هو فرق مابين الرواية والتجربة .

المقولة الثانية :

ان الجامعة مؤسسة علمية . ومعنى كونها مؤسسة علمية هو ان التأثير الوحيد الذي تستطيع ان تتركه في المجتمع هو تأثير علمي بالمعنى العام للعلم الذي يلوته الحركة العلمية في القرون الثلاثة الاخيرة . ان هذا هو الاختيار الوحيد للجامعة الحقيقية في الازمنة الحديثة وكما تستطيع الجامعة ممارسة تأثيرها العلمي هذا فلا بد من توفر الحرية اللازمة لذلك . ان الحرية هنا ضرورة وليست ترفاً . الحرية هنا هي الضمان الاكيد والوحيد ضد احتمالات الانحراف بالجامعة عن كونها حرماً للبحث عن الحقيقة الى جعلها مؤسسة - تبشيرية .

المقولة الثالثة :

ان الجامعيين الحقيقيين حقاً غير منازع كما ان عليهم واجباً اخلاقياً صريحاً في تعميق المفاهيم العلمية عن الجامعة وعملها بين افراد المجتمع وبهذا وحده يمكنهم ان يجعلوا من انفسهم قوة قيادية في حياة شعوبهم . وكما يقض لهم لعب هذا الدور القيادي يجب ان يظفروا على وعي صحيح ودائم بمحاجات مجتمعاتهم الحقيقية لا المتوهمة وتوجه فعاليتهم العلمية باتجاه تنضيج تلك الحاجات في عقول افراد المجتمع

والإيحاء بحلول ملائمة لها. أن أي انعزال عن مشاكل الجماهير الشعبية سيفرض على الجامعيين غربة قسوة عن القطاعات المنتجة في المجتمع ويخلق ازدواجية جديدة يدفعون هم أكثر من سواهم فيها .

على ضوء هذه المقولات الثلاث يبرز مكان الجامعة العربية الحديثة من أزمة التطور ثلاثي الأبعاد لثلاثية القوى التي تتعامل معها الجامعة .. النمط الفكري الموروث في المجتمع العربي .. الدولة .. الطلاب .

الجامعة العربية الحديثة

والنمط الفكري الموروث في المجتمع العربي

المفتاح لتهم علاقة الجامعة العربية الحديثة بالنمط الفكري الموروث في المجتمع العربي يمكن في التعارض بين عراقة المجتمع العربي وحدائه الجامعة . وإذا ما تجاوزنا الجامعات العربية الدينية فإن تسع عشرة جامعة من الجامعات الثلاث والعشرين في العالم العربي تأسست بعد الحرب العالمية الثانية ، وواحدة خلال الحرب نفسها واثنان في العشرينات وواحدة في عام ١٩١٩ . زاء هذه الحدثة في الممارسة الجامعية يشمخ المجتمع بقرونه الأربعة عشر اسلامياً وضعف ذلك من القرون حضارياً . وإذا كان الزمن يخلق تعارضاً بين الجامعة والمجتمع فإن النظرة الى الذات تخلق تضاداً بينها وهو تضاد يعمل أحسن تمثيل جوهر الأزمة الحضارية في الوطن العربي . فمنذ الحرب العالمية الثانية على وجه التحديد تيقظ العرب الى حاجتهم لاعادة بناء وجودهم الاقتصادي ومضوا في ذلك قدماً على انه أكثر حاجاتهم القومية دعماً الى الركيز .

وإذا كان القرب هو ممالك القوة التكنولوجية فلم يكن هناك من مناص الا في استعارة طرائقه وأساليبه في عملية اعادة لبناء فكانت مطالع التنمية الاقتصادية . ولما كانت تلك التنمية مستعارة الوسيلة والاسباب فلم يصاحبها افراز مماثل من الحضارة القريبة في طرق التفكير العامة عند الجماهير العربية فتوقفت عندما وجدت اهاهما عليه من طرق التفكير في الحية والعلاقات الانسانية . وفي الوقت الذي رحب فيه المجتمع العربي بمعمليات القرب الآلية والمادية استقصى على مصاحبات الاخلاقية والانسانية وحاول الاستعصام بها . بعبارة أخرى .. ان التنمية الاقتصادية رافقتها جهود اجتماعي

وبقدر ما كانت التنمية غربية ووافدة كان الجسود وطنياً وأصيلًا. وهكذا ولدت الجامعات العربية الحديثة كان من قدرها أن ترطم هذا الوضع المعقد وتكون رمزاً عليه . ذلك ان هذه الجامعات صيغت على صورة الجامعات الغربية فجاءت جامعات علمانية مسؤولة عن نشر التفكير العلمي وطريقة للبحث العلمية . وفي غمرة الترحاب القومي ببيلاذ الحياة الجامعية الجديدة لم ينتبه الناس الا بعد حين الى الازدواجية الجديدة التي خلقها الوجود الجامعي . ومن هنا كان أحد المصادر الدائمة لقيام الازمات في الحياة الجامعية العربية الجديدة مطالبنا بتكثيف نفسها بالعناصر الاساسية لثقافة الموروثة في المجتمع العربي تلك الخصائص التي تقوم - كما يقول الاستاذ زكي نجيب محمود - على التفرقة « تفرقة حادة بين الله وخلقه، بين الفكرة المطلقة وعالم التحول والزوال، بين الحقيقة السرمدة وحوادث التاريخ » بين سكونية الكائن الدائم ودينامية الكائن المتغير فالاول جوهر لا يتبدل والثاني عرض يظهر ويختفي . على انها تفرقة لا تجعل الوجودين على مستوى واحد بل تتخذ من عالم الحوادث رمزاً يشير الى عالم الخلود فيها تكن طبيعة الواقع والاحداث مما يقع عليه البصر والسمع فليست هي الا علاقات تثير - صاحب البصيرة النافذة - الى الكائن الروحي الكامن وراءها الى مبدعها وبمجريها ، وسواء نظرتا الى الانسان باعتباره عالماً صغيراً أو نظرتا الى الكون كله باعتباره السنانا كبيرا وهي مقابلة يكثر ورودها في ثقافة العرب الاقدمين فان مادة الجسم في كلتا الحالتين انما هي ستار يستر وراءه روحاً يتمتع على الفناء « و » من هنا كان بين الاسس العميقة في بناء الثقافة العربية الصميعة أن تكونت - للارادة - اُولوية منطقية على - العقل - فالارادة فعل ، والفعل باطلنه قيمة لوجهه . وما دامت مجموعة القيم قائمة اُمامنا لم نصنعها بل لشخص فيها لتعزوا فلم يبق للعقل اذن من مهمة يؤديها الا ان يرمم الطريق المؤدية الى تحقيق ما تنتضيه تلك الفاذج العليا المنصوبة اُمامنا . ومعنى ذلك ان مجال العقل منحصر في دليلا للتنفيذ بحيث لتتمس به السبل المؤدية الى الثقافة المطلوبة أما الفسافة نفسها فلا شأن لها بها لانها تنتمي الى عالم القيم . فليقتلبن للناس كيف شاءوا في أي الطرق يملكون لكن الفاذات مرسومة لهم تعدد الخطى كأنها انهم المعاهد تهدي الساترين في فيه الغلاة « (١) » .

(١) زكي نجيب محمود .. مواقف الثقافة العربية الحديثة في مواجهة العصر بحث
مقدم الى مؤتمر الاصال والتجديد في الثقافة العربية المعاصرة - القاهرة - ١٩٦١ .

لقد وجدت الجامعة العربية نفسها ترتطم بهذا الاستشراف والحصر المسبق لعمل العقل . ذلك ان الجامعة يحكم كونها مؤسسة عقلانية لا تستطيع الا أن تأخذ بالنظرة النسبية الى الاشياء وترفض المطلقات وهذا ما وضعها في موقف المجساة مع النمط الفكري الموروث القائم أصلاً على التسليم بالمطلق . والجامعة كؤسسة عقلية تجد ان واجبها الاول ان تحصر اهتمامها بالتطواهر الطبيعية ثم هي مضطرة بالتبعية ان تنظر الى الانسان نفسه كظاهرة من ظواهر الطبيعة يخضع البحث العلمي بالطريقة نفسها التي تخضع لها فيزياء أو علوم الحياة» (١) على حين ان النمط الفكري الموروث لا يحصل في رفض هذه النظرة الى الانسان أو ذلك الالتزام بالتطواهر الطبيعية ولا يساوم عليها.

يقول واحد من البق الناطقين بلسان النمط الفكري

الموروث ...

« اننا نرفض الحتمية العلمية لاننا نرفض الحياة داخل قفس الحضارة التكنولوجية والتضحية بالعديد من مزاياها وخصائصها الانسانية ونعتقد ان الروح العلمية ليست كل شيء في الحياة فالانسان عاش حوالي خمسين الف سنة قبل ان يكتشف الطريقة التجريبية ويتقن حقيقة الحرارة والجاذبية والنور . والسلوك الانساني لا يخضع دائماً لنواميس العلمية في برودتها وصرامتها والانسان محتاج الى الحرية وممارسة الفعل والى جانب النظرة العلمية التي تكشف وجهاً من الحقيقة والواقع هناك الرؤيا الروحانية للأشياء والرؤيا الشعرية والرؤيا الفنية وبصفة عامة الرؤيا الشاملة للكون ومنزلة الانسان فيه» (٢).

(١) فكري حبيب - مجود ... المرجع السابق .

(٢) محمد حجازي ... الأصالة والابتعاد ... بحث مقدم الى مؤتمر الأصالة والتجديد

في الثقافة العربية المعاصرة - القاهرة ١٩٧٩

غير أن التاملتين هلسان هذا النمط الفكري الموروث عندما يحسون أن منطقتهم لا يكاد يكون مقلماً يفتشون الى مثابة العقل الشرقي التي لا مجال للجدل فيها ولا لنفع... يفتشون الى الموت وما فيه من قوهين لقدرة الانسان على المساءة والتفكير والفصل ، ومن محاولة لتبسيط العلم نفسه فيدفعون باله :

و سواء نشطت القعدة الدرقية ام لم تنشط وسواء تغيرت طبيعة العلاقات الاجتماعية ام لم تتغير فان الانسان لا يزال حائراً في امره لزاء الموت والمصير وهو اللغز الذي عجزت عن حله كل المذاهب ولا بد ان يفلس الانسان ذاته وبالتالي لا بد ان يفلس كل وطن نفسه ويستهدي سلوكه بوحى من القيم التي يضمنها الحياة في كل ابعادها الوجودية . وفي ذلك يتجلى الوفاء الاصيل لاصيل الاشواق البشرية^(١) .

وهكذا يعود انصار النمط الفكري الموروث الى لفتهم السوقية مكرسين الانفصال عن الواقع . وهذين له ولائتين من الحياة بالموت . لقد كان من بعض افراقات هذا التضاد بين الجامعة والنمط الفكري الموروث ظهور دعوة علمية محدثة لتدريس الدين في الجامعة بألوان ولغاية قريبة من الأسلوب واللغة التي يدرس بها في المدارس الابتدائية والثانوية . فقبل عامين نشر عالم من علماء الأزهر (٢) مقالة في « مجلة اتحاد الجامعات العربية » تحت عنوان « تدريس الدين في الجامعات العربية » قرر فيه ان « القرينة الدينية كامنة بصفة عامة في طبيعة النفس الانسانية وقد تظهر عند المنكرين أنفسهم حيفا تحزيم حوار الحياة أو تلميم بعض الكوارث أو المن » ثم خلص من ذلك الى المطالبة بالعلمة « الكاملة بالتصميم الديني في جامعاتنا حتى تحفظ شبابنا وهم عدة المستقبل من الاخطار النفسية والاجتماعية المحدقة بهم وعليان ان نجو لهم تعاليم الدين على حقيقتها وان تربطها بحياتهم وان نأتى لهم من

(١) محمد مزال ... المرجع السابق .

(٢) الدكتور بدوي عبد اللطيف عوض... تدريس الدين في الجامعات العربية ..

مجلة اتحاد الجامعات العربية ... العدد الثالث ، نوفمبر ٧٧ القاهرة .

أبسط الطرق التي تتنعمهم ومن أقوى البراهين الكونية والنفسية التي تقضي على ماران على نفوسهم من ترهات وإباطيل » .

لا يرب ان هذه الدعوة الجديدة - اذا ما اكتسبت قوة مفاجئة وليس هناك ما يمنع من وقوع ذلك - ستضيف بعداً جديداً الى الازمة بين الجامعة والتمتع الفكري الموروث فهي أولاً تتميز بالجرأة على علانية الجامعة العربية الحديثة التي كادت ان تصبح تقليداً على حين لا تفكر الجامعة في فتح باب المجاية حول قضية كهذه . اما من الجهة الاخرى فان الدعوة تكشف عن وجه آخر من أوجه التضاد بين الفكر الموروث وعمل الجامعة . فتقرر أن « القرزة » الذهنية كاملة بصفة عسامة في طبيعة النفس الانسانية « لا يتفق إطلاقاً مع موقف العلم من الفرائز وبخاصة علم النفس حيث أصبحت مسألة الفرائز لا تحمل أكثر من قيمة رمزية الى مرحلة من مراحل تطور هذا العلم فهيك من تقرير أن هناك « طبيعة خاصة في النفس الانسانية » بكل هذا اليقين والحسم في وقت شيدت البحث العلمي أكثر فأكثر العلاقة الوطيدة بين الكماليات الحياتية والظواهر السوكية للانسان حتى لتنبؤا الكيمياء العضوية انه « يكفي ان تحرم البلازما من بعض عناصرها الكيميائية حتى يتلاشى من الروح أنبل ما فيها فعندما تتوقف القدة الدرقية مثلاً عن افراز مادة التايروكسيد في الاوعية الدموية تزول ملكة الذكاء ويفقد الانسان حسن الجمال والتدين » وان « اللدود على اختلافها هي التي تجعل الحب والحقد والحاس والقروح ممكنة » .

ان من المهم جداً أن نلاحظ هنا أن المجاية بين الجامعة والفكر الموروث ليست حتمية ولا لازمة الا اذا كان ذلك مراداً لذاته . وعندما تترك الجامعة حرة في تعاملها مع الأشياء تعاملها عسماً مرفقاً من الفكر الموروث والذي هو اكبر تحدياتها يمكن أن يقع ضمن مسؤولياتها في البحث عن الحقيقة وهي هذه الكيفية ربما استطاعت أن تكتشف لعلاقتها به سيفة جديدة تستطيع بها أن تتعاضد معه وتطوعه لمعاييرها الخاصة ومن ثم تجو عناصر البقاء فيه وهذا تقدمه على طريقتها الخاصة . وعندما يقع هذا فإن الجامعة تستطيع الانصراف الى معالجة مشاكل المجتمع الملحة مثل مشكلة الطاقة الانتاجية والامن والاستثمار القاصر لطاقت البشرية والتوزيع المبرأ من العدل لدخل القومي ولتختلف التكنولوجيا من دون اضطرار الى تكريس اهتمامها لاجتناب نقاط الاحتكاك بشواهد الفكر الموروث .

حقاً إن هذه العلاقة المتشعبة بين الجامعة والنمط الفكري الموروث في المجتمع العربي هي إحدى أكبر الأزمات في العالم العربي الحديث . وهي تبدأ حيناً لتثور أحياناً وفي كل مرة ثور تأخذ لها صفة من إحاميين ضحايا وقراءين . ولما وقعت المسألة عند حد التضحية والغربان هانت ، ولكنها أسوأ من ذلك بكثير . إنها حجر عارم على إرادة الجامعة لتحرير العقل العربي من قيوده التاريخية .

الدولة

والحريات الجامعية

في المجتمع العربي الحديث

يلاحظ الدكتور منى حنراوي أن كون الجامعات العربية جامعات صغيرة السن وكونها لم تبلور تقاليد جامعية ، وحقيقة أن دور هذه الجامعات ليس دافقاً مفهوماً من قبل الرأي العام وأحياناً أخرى هو ليس مفهوماً حتى من قبل الحكومات نفسها ، وأخيراً ... كون الزمن الذي نعيش فيه هو زمن الأزمات المتكررة ، كل هذه العوامل تخلق حالة رخوة في العلاقات بين الحكومات والجامعات في البلاد العربية (١) .

إن ما يزيد في رخاوة هذه العلاقات كون أغلب الجامعات العربية معتمدة اعتماداً كبيراً على الحكومات في تلبية حاجاتها المالية كما أن خوف الحكومات من نقد الاساتذة الجامعيين لسياساتها الداخلية والخارجية قد فرض عليها درجة عالية من المحاسنة نحو الجامعات .

مظاهر الخوف والريب والحاجة التي تحدد علاقة الجامعة بالجهاز السياسي مزيداً عليها ضغط الفكر الموروث نضعنا وجهاً لوجه أمام واحدة من أقدم قضايا حياتنا الجامعية الحديثة ، قضية الحريات الجامعية ، أو ما نسميها التعارف عليه باسم الحرية الأكاديمية .

يرتبط مبدأ الحرية الأكاديمية أصلاً بفقيتين أساسيتين من قضايا التعليم العالي قديماً

(١) حنراوي ... الجامعة والحكومة في الشرق ... ص ٣٣٥ من كتاب « العلم والتكنولوجيا في البلدان النامية » المنشور باللغة الإنجليزية - جامعة كمبردج - ١٩٦٨ .

وحدثنا ، قضيتين أشبه مايمكن أن تشبها به هو وجها القطعة الواحدة من النقد . وهو يكاد يفتقر لها في ذاته حتى ليجعل منها تعبيرين عن نفسه . اول هاتين القضيتين ... حق الانسان في المعرفة وحقه في التماس الحقيقة وحقه في فهم طبيعة علاقته بالكون المحيط وحقه في اعادة تقدير طبيعة هذه العلاقة بين حين وحين من عمر الميزة الانسانية التي يطلق عليها اصطلاحاً اسم التاريخ . وحقه في تجديد فهمه لنفسه وادراكه لوجوده بين منازل مسيره تلك على ضوء مايتراكم بين يديه من مستجد الحقائق والاحداث ثم حقه في المدى البعيد في أن يعيد تقييم علاقته بأخيه الانسان وفي ان يعيد تنظيم مجتمعه على نحو جديد يتوافق مع التقييم الجديد . ومن نافله القول ان قضية البحث عن الحقيقة قديمة قدم الانسان ، وان تلمس الانسان الى معرفة حقيقة الاشياء لم يبرأ منه حتى الانبياء الموحى اليهم . وقد سأل ابراهيم وبه ان يرى كيف يجيب الموحى ؟ فلما سأله الله « ألم تؤمن » قال « بلى ولكن ليطمئن قلبي » .

وقصة الخضر مع موسى كما يسردها القرآن الكريم رائحة في التعبير عن هذا انغلاق الخلق من أجل للمعرفة . فقد شرط الخضر على موسى لقاء رضاه باسطحاحه له الا يسأل عما لم يحيط به خبراً . ووعد موسى أن يفعل . ولكن الخضر عاد يحضره من أنه لن يستطيع معه صبراً . فلما قتل الخضر صبياً اتهمه موسى بقتل انفس الحرام . ولما خرق السفينة وماه بالغرق . ولما رمى جداراً خرباً حجب عن قطعه . آلفه انبثه الخضر لبأ الولد القليل والسفينة المحروقة والجدار المرمم ثم قال له هذا فراق حابيقي وبينك .

ولا تدري اذا لم تكن الحكمة الخفية في النس القرآن قد أرادت ان تقول ان حاجة موسى الى صحبة الخضر قد اثبتت مع معرفته ماكان يحجل . ربما أرادت ذلك . ولكن الشيء الذي تعرفه معرفة عميقة هو ان محرق موسى الى اصاب اماعيل الخضر كان محرقاً انسانياً أصيلاً وأن الخافه في سؤال الخضر عنه به عن المساهلة فيه هو تعبير عن هذا انغلاق الخلق الذي يقود الى العلم والذي يترجم عنه البحث العلمي الحديث حين يعرف المشكلة Problem بأنها حالة من التناقض بين الكائن الحي وبين بيئته الخارجية لفقد استقواره أو توازنه الداخلي ولا تعيده اليه مرة ثانية الا عندما يزول التناقض ... أي عندما يعلم الانسان ما لم يكن يعلم ... ويطمئن قلبه « (١) » .

(١) محمد جواد رضا ... الحرية الاكاديمية ... بغداد - ١٩٦٨ .

لقد تجنب الجامعيون العرب حتى الآن طرح هذه المسألة بما هي أهل له من الصراحة والمباشرة والاستمرار . ولعل الخشية من السلطان السياسي كانت تقف وراء هذا التجنب . وفي تقديرنا ان خشية كهذه لا مبرر لها . ذلك ان الاتفاق على حدود هذه الحرية فيه أكثر من منفعة لأكثر من طرف واحد . فالجامعة العربية الحديثة أحوج ما تكون الى ضمانات قانونية وعرفية عامة لحقها في البحث عن الحقيقة وتعليمها سواء كانت هذه الحقيقة مادة أم اخلاقية دينية أم اجتماعية ، سياسية أم اقتصادية . فهي بغض هذه الضمانات ستبهت حتماً الى حيث العمق الفكري وفي هذا خسران مبین للجامعة والمجتمع والدولة على حد سواء ذلك أن مشاكل العلم والمجتمع لا يتسدى لها ولا يفس مشاكلها ولا يتكر الحل لها إلا العقل الحر الجريء المتقحم الطلعة غير المكبوت وغير المحجور عليه . وليس في هذا كله أي تهديد للسلطان السياسي تقدمياً كان أم محافظاً اذا كان واثقاً من قوة الرأى التي يقوم عليها . وفي كلتا الحالتين يستطيع السلطان السياسي أن يجد في الجامعة الخلاقة المبتكرة عوناً له على مواجهة مشاكل السياسة والاجتماع وما إليها اذا ما اطلق يد الجامعة في دراستها وتشخيص مسبباتها واقتراح الحلول لها .

صحيح ان الطلاب الجامعيين العرب كانوا رأس الحربة في كل حركة ثورية في الازمنة الاخيرة مما جعل الاجهزة السياسية تنظر الى الجامعة كما لو كانت مكاناً لصناعة القلق الاجتماعي . ان الواقع ينفي ذلك بطبيعة الحال . كل ما فعلته الجامعات العربية بطائفتها ورؤاها المستقبلية ان فتحته بصائر الاجيال الشابة على حقيقة عوامل الوهن في الحياة العربية الحديثة . وحينئذ كان السلطان السياسي مرناً وراغب في معالجة تلك العوامل لم تتع المجاهدة بينه وبين الجامعيين . المجاهدة كانت تقع فقط عندما كان النظام السياسي ينقلب على نفسه ويهرب من مواجهة الواقع ويفقد ثقته بمررات وجوده .

ستعرض فيما يلي لاتجاهات ثلاثة في فهم الحرية الاكاديمية .

الاتجاه الاول عربي يلخصه الدكتور عقراوي على النحو التالي :

الحرية الاكاديمية هي حرية أساتذة الجامعات في التعليم والقيام بأبحاثهم العلمية الخاصة والتعبير عن وجهة نظورهم ونظرياتهم بحرية كاملة وان يكونوا محصنين ضد الاضطهاد بسبب النظريات التي يؤمنون بها أو يعلمونها . والحرية الاكاديمية تعني بالإضافة الى ذلك

حرية الجامعة في ادارة شؤونها الداخلية ووضع مناهجها الدراسية الخاصة وتعيين طرق التدريس وقواعد الامتحانات ومنح الدرجات العلمية.

الجامعة يجب أن تكون قادرة على ممارسة هذه الوظائف مع أقل قدر ممكن من سيطرة الوكالات الاجتماعية الاخرى^(١).

الاتجاه الثاني اتجه امريكي اقترحه الجمعية الامريكية لاساتذة الجامعات A. A. U. P. عام ١٩١٥ وهو معمول به حتى الآن مع بعض التعديلات . في هذا المفهوم تعرف الحرية الاكاديمية على النحو التالي :

« ... لا يمكن للجامعة أن تضع أية قيودات أو موانع أو كوابت على حرية الاستاذ الجامعي في البحث الا اذا كان نشاطه يقود الى التدخل في واجباته التدريسية أو يتعارض معها . كما لا يحق لها أن تحلله بأية حدود تحول بينه وبين نشر نتائج بحثه العلمي داخل الصقوف أو المحاضرات العامة أو من خلال النشر في المطبوعات خارج الجامعة إلا في تلك الحالات التي تقضي بشيء من ذلك ضرورات تكليف التعليم طاجات الطلبة الناشئين قلبلي الخبرة الذين لم يستكملوا من أسباب الرشد ما يضمن الاطمئنان الى حسن أحكامهم وصوابها وإلا في الحالات التي تكون فيها الجامعة مؤسسة طائفة أو دينية يحمل وجودها تبريراً أخلاقياً لمثل هذه الحدود من وجهة نظر منشئها والداخلين فيها .

كما أنه لا يحق لأي استاذ جامعي من الناحية الاخرى أن

(١) حقراوي التقليد الجامعي في الشرق الاوسط في كتاب
الجامعة و انسان الفقه بيروت ١٩٦٧ .

ينتفع من امتيازاته الجامعية في اثاره القضائية الجدلية التي هي خارج اختصاصه . كذلك على الجامعات أن تعترف بأن الأستاذ الجامعي في مايقوله أو يمارسه من نشاط خارج الحرم الجامعي وخارج حدود اختصاصه العلمي إنما يفعل ذلك بحكم أهليته للتمتع بذات الحقوق التي يتمتع بها سائر المواطنين والتقييد بذات القيود التي يتقيدون بها^(١).

أما الاتجاه الثالث فهو سوفيتي وقد صاغه في اللغة العربية مباشرة الأستاذ الكساندر كوفالوف مدير معهد اللغات الشرقية في جامعة موسكو في محاضرة عامة ألقاها في كلية التربية بجامعة بغداد بتاريخ ١٩٦٠/٢/٢٠ .

قال كوفالوف :

« . يفترض بعض الزملاء في البلاد الأجنبية بأن نظام الجامعات الحكومية قد يؤدي الى تكرار الدور النشط الذي تلعبه الجامعات في المجتمع من حيث انه يتعين عليها ان تتبع آينبرولوجية حكومتها .

في هذا الرأي فكرة صحيحة وهي الاعتراف بوجود تأثير معين من جانب الحكومات على الجامعات . وهذا التأثير أمر لا مباحة فيه في جميع الحالات بصرف النظر عما اذا كانت الجامعة للحكومة او للأفراد او للهيئات على اختلاف مشاربها كاثوليكية كانت أم غير ذلك » ولقد صدق لينين في خطابه الذي ألقاه في المؤتمر الاول لرجال التربية والتعليم في الاتحاد السوفياتي حيث صرح بأن القول بانفصال المدارس عن الحياة وعن السياسة كذب وبهتان ودياء . فليست المسألة مسألة اثبات او انكسار لوجود تأثير من جانب الدولة على الجامعات . ولكن الامر المهم في هذا هو وجهة هذا التأثير .

(١) تقرير الجمعية المشار اليها .

فاذا اخذنا الدولة السوقية لوجدناها توجه جهودها نحو تحسين حالة الشعب المادية وكفالة رفاهيته ونحو ازدهار العلوم والفنون وتنشئ الشبنة على حب الكدح والعمل وعلى روح التأخي واحترام جميع شعوب العالم . وفي هذه الحالة لا توجد تناقضات بين مطامع الدولة وما يصبو اليه الشعب ، بين ايدولوجية الدولة ونزعة العلوم الحرة ، بين سياسة الدولة ومناهج الجامعات . فالدولة تطلب من مديري الجامعات ان ينظموا وان يبرروا الناشئة لاني روح خائنة راضية مستكنة وانما في روح وثابة تصبو دائماً وابداً الى التقدم المستمر الى الامام ، الى الزحف على العوالم التي لم تصل اليها معارف الانسان بعد . . . »

بعد هذا اثبت كوفالوف - ق الجامعة في انتقاء طلابها على اساس الاختيار المعلي للمال :

« من المعلوم انه لا يتسنى للجامعات ان تتقدم وتتطور تطوراً طبعياً معارداً الا اذا تمكنت من اختيار طلابها من بين أكثر الناس نبوغاً وأوسعهم معارف واستعداداً من العاطلين على التعليم الاعدادي والتوجيهي القادرين على استيعاب المعارف الجامعية . . . »

يتضح من هذه الاتجاهات الثلاثة انه مع التساهل التام بحق الجامعة وحريتها في ومم برامجها الاكاديمية كتقرر المناهج والامتحانات وسياسة القبول وتعيين مستويات للتخرج وطرق التدريس الا ان هذه الحرية وهذا الحق ليسا من غير ضوابط اجتماعية عامة . فالدكتور حقراوي قد سلم « بأقل قدر ممكن من سيطرة الوكالات الاجتماعية الاخرى » على عمل الجامعة . والجمعية الامريكية لاساندة الجامعات قيدت الاستاذ بالبحث عن الحقيقة واذاعتها ولكنها حرمت عليه الازلاق الى كل ما يتدخل في مسؤولياته الاساسية - مسؤوليات البحث العلمي والتعليم - ويتمارض معها على انها ميزت بين ذلك كله وبين نشاطاته الاجتماعية كمواعين تام الاهلية لاستمهال حقوق المواطنين

خارج جدران الجامعة ولكنها حرمت عليه الالتحاق بمصافته الأكاديمية لممارسة فعاليات تتفق ضمن حقوق المواطنة وواجباتها . أما الاتجاه السوقياتي فلا يهادي في وجود تدخل من الدولة في شؤون الجامعة ولا يعترض عليه طالما أن هذا التدخل يقود الى ما يخدم المجتمع ويدفعه في طريق التقدم .

إن كل هذه القيود تبدو طبيعية مادامت الجامعة جزءاً من المجتمع ولا تعمل في فراغ اجتماعي وهي قيود تبدو مبررة أخلاقياً مادامت تلزم الجامعة بالعمل على تقدم المجتمع على اعتبار أن الجهل والفتنة هما أسوأ أنواع التخلف . ويزيد في تبرير هذه القيود من الناحية الأخلاقية أن قضية الحرية الأكاديمية لم تبرز أصلاً إلا عندما أصبح حق الإنسان في البحث عن الحقيقة مهدداً ، وإلا عندما حاولت قوى المحافظة والتخلف في المجتمعات الانسانية أن تصجر على حركة العقل الانساني وقصود حقه في فهم اسباب الظواهر الطبيعية والاجتماعية التي كانت ترهب الانسان وقدموا لرادته في التحرر .

إن تاريخ هذه المراعات مدون وعميق ولا حاجة الى الوقوف عنده ، غير أن انصار حرية الجامعة في البحث عن الحقيقة لا يفوتهم أن يدعموا مناصرتهم هذه بالقانون الطبيعي نفسه . فهم يرون أن التبرير الأخلاقي لحق الانسان في البحث عن الحقيقة ، قائم في القانون الطبيعي العام نفسه ، أي في مجموعة القوانين العاطية في الطبيعة ، وم يرون أن مسؤولية العالم أو الأستاذ الجامعي وولاءه منصرفان أساساً الى الحقيقة ذاتها وليس الى شيء آخر . وإذا كانت الحقيقة مطوية في طبيعة الاشياء وصلبها فكذلك حق الانسان في البحث عنها وفي التماس السبل التي هو الآخر جزء مكمل لطبيعة الاشياء في هذا الوجود . وإذا كان ذلك كذلك فإن حق الجامعيين في البحث عن الحقيقة — طبيعة كانت أم اجتماعية — هو الآخر قدم قدم الطبيعة نفسها وباقى بقاءها .

حقاً ... أن الحقيقة الطبيعية لم تعد تثير أزمات بين الجامعة والمؤسسات الاجتماعية الأخرى ، فقد دخلت في باب المألوفات اليومية . غير أن ما يثير الأزمات بين الجامعة ومؤسسات المجتمع الأخرى هو الحقيقة الاجتماعية التي طنت قفص وراء تنازل البحث العلمي لما رداً من الزمن طويلاً جداً . إن مسألة توزيع القوة الاجتماعية داخل المجتمع وعلاقة الفرد المادي بالقوة القومية وتقرير نصيبه منها وامثال ذلك من قضايا الحياة الانسانية الاساسية هي إحدى بؤر التفجر بين الجامعة العربية الحديثة ومراكز القوى داخل البيئة الاجتماعية .

الجامعة العربية الحديثة

وطلابها

يمثل ضغط الطلاب على الجامعة في المجاميع - الأول تزايد أعداد الطلبة بسرعة لا قدرة للجامعة على مجاراتها الأمر الذي يترك امكانيات الجامعة العلمية والفنية والبشرية والمالية تلهث وراء حجم الزيادة في أعداد طلبتها . ومثير احصاءات الأمم المتحدة الى ان عدد المقبولين للدراسة في الجامعات العربية قد زاد بين عامي ١٩٦٥ - ١٩٧٥ بنسبة ٦٠٪ فارتفع من ٥٥ مليوناً عام ١٩٦٥ الى ١٣٥٧ مليوناً عام ١٩٧٥ . وقد فرضت هذه الزيادة في أعداد الطلاب زيادة عمالة في نفقات التعليم العالي فارتفعت بدورها خلال الفترة ذاتها بمقدار ١٢٠ مليون دولار أي بنسبة مقدارها ٦٧٪ مما كلفت عليه في المعد المتقدم على هذا العدد . وتعاود هذه الزيادة في نفقات التعليم العالي في العالم العربي ١٩٥٧٪ من إجمالي ميزانيات الدول العربية ، و ٤٥٨٪ من إجمالي الدخل القومي للعام لهذه الدول .

على أن هذه الأرقام لا تستطيع اعطاء احساساً بالرضا عن الوضع الجامعي العربي وذلك لأمرين :

الامر الأول :

ان قدرات الاجهزة المتخصصة للأمم المتحدة تشير الى أنه عندما يتضاعف عدد الطلبة في الجامعات فان التكاليف الحقيقية لتعليمهم تزداد أربعاً أضعافاً ، وعلى هذا فان زيادة ال ٦٧٪ من ميزانيات التعليم المشار اليها لا تمثل الا درجة تختلف الجزيئية وراء تعاضد أحجام الطلبة وان من بعض آفاق هذا الوضع الانخفاض المستمر في نسبة عدد الاساتذة الى أعداد الطلبة حتى لقد بلغت هذه النسبة في الجامعات المصرية - وهي مؤشر جيد لوضع التعليم العالي العربي - استاذاً واحداً الى كل ١٥ فتيذاً في حقول الدراسات الطبية واستاذاً واحداً الى كل ٣٦ طالباً في الفروع الأخرى مرموماً وذلك في النصف الثاني من الستينات . وإذا ما قارنا هذه الصورة بنسبة ال ١ - ٩ في الدراسات العلمية و ال ١ - ١٢ في الدراسات الانسانية في الجامعات الامريكية تبين لنا مالتواء به جامعاتنا من جهة تعليمي فادح .

لقد واجهت جامعاتنا هذا الضغوط بكرم عظيم ففتحت ابوابها لطلبة المزارحتلت

في سبيل ذلك مءاق طءافءا البشرة انسءاماً منها مع نقاءءءا الطءفة الموروثة من ءبة
ولقءءراً منها لدور العلم في علفة التطور الاجءءى .

الامر الثاني:

الءى لا ىبر احساءء بالرضاء عن وضع التءلم الءامءى هو التباء القاء في عرس
هءا التءلم بىن البىن والبناء ، هءا التباء الءى يكاء بكون ءىزاً . وعل لرضم من
الشعور المتءاطم في الاوساط العربفة المستءرة بان « دور المرأة في أى مءمع هو سة من
البناء الاساسفة لمءزة لءقارة ذلك المءمع ، سة تشمل الوضع القانونى للمرأة وءظفا
من التءلم ومشارءتها في الءياة العامة » (١) فان حظ البناء من التءلم الءامءى لا يكاء
ىساوى ثلث حظ البىن في هءا التءلم عل النطاء القومى واء آخر الاحساءاء
المنوءرة ءقفر الى أن نسة البىن الى البناء في التءلم الءامءى العربى المعاصر هو
٢١٨ - ١ . وءىارة أخرى أنه ازاء كل فءاة ءامفة هنالك ما يقارب ثلاثة أولاء .
عل ان هءه الصورة كءاء تكون مشرفة إذا ما قىست بالصورة المءة لها ألقىماً وهى
عل النءر التالى :

(١) الءكءور شكرفى ءفاء ... مفوم الأصالة والءءءء والقافة العربفة
المعاصرة ... (مؤمر الأصالة والءءءء في الثقافة العربفة المعاصرة) القءرة ١٩٧١ .

نسبة البنات الى البنين في التعليم الجامعي العربي *		
البلد	البنات	البنون
الجزائر	١	٤
البحرين	١	٢
مصر	١	٣
العراق	١	٤
الكويت	١	١
لبنان	١	٣
ليبيا	١	٨
المغرب	١	٩
السعودية	١	١٥
السودان	١	١٠
سوريا	١	٥
تونس	١	٦

(*) حسب احصاءات ١٩٩٩ الواردة في الكتاب الاحصائي السنوي للأمم المتحدة لعام ١٩٩٩ .

واضح من هذه الاحصائية البسيطة انه باستثناء الكويت حيث تكون النسبة وداً واحداً لقاء كل بنت في الجامعة فإن في ثلاثة من البلدان العربية هي مصر والعراق ولبنان هناك بنت واحدة في التعليم الجامعي لقاء كل ثلاثة من الاولاد . في الجزائر هناك بنت واحدة ازاء كل أربعة أولاد . وفي ليبيا كل ثمانية أولاد تقابلهم بنت واحدة وفي المغرب النسبة هي بنت واحدة الى كل ٩ أولاد وفي سوريا ١ - ٥ وفي تونس هي ١ - ٩ . أما في السعودية فهناك بنت واحدة بازاء كل ١٥ ولد . ان هذا يمثل مشكلة اجتماعية من الطراز الاول حيث تظل المرأة متخلفة عن الرجل في فرص النمو الفكري والاجتماعي والمهني هذه الامداد الكبيرة .

على انه مهما كانت التقصير التي تواجهها مشكلة الأعداد الطلابية والاختلاف الكبير في فرص تعليم البنات والبنين ، فاننا بجموعها لم تلعب في وقوع احتكاك حقيقي بين الجامعة وملايا . الاحتكاك والتأزم جاءا من الضغط الآخر الذي وجهه الطلاب الى الجامعة وهو ضغط نفسي وعقلي واحد . ولقد يبدو ان العقلية الجامعية السائدة في كثير

من جامعاتنا الحديثة كالتدريس لها اقرؤه هذا الضغط من أزمات وهمايت بين الجامعات العربية وطلابها .

وجوه المشكلة هنا هو أننا نواجه في جامعاتنا توعية جديدة من الطلبة الجامعيين.. طلبة يتميزون بدرجة عالية من الوعي لما يقع حولهم وربما بدرجة عالية نسبياً من المقادير السياسية والاجتماعية وفي كل الاحوال برغبة أكيدة لممارسة تقرير المصير ، المصير الفردي على الأقل . هذه هي القضية في نطاقها العالمي خصوصاً في أعقاب ما صار يعرف بثورة الطلبة . هذه القضية تحمل - فيما يبدو - غيراً على بعض الجامعيين العرب التكيف لهذا الواقع الطلاني الجديد وقد يقرح ذلك أحياناً برفض التعامل الإيجابي معه . ان من بعض ما يكسب في الاغراء بهذا الرفض هو ما درجنا عليه عموماً من توقع العكس من الطالب الجامعي العربي . ان هذا التحول في الوضع النفسي لطالب العربي قد لا يرضينا ولكنه يصر في النظر عن رضائه أو رفضه له هو بعض حقائق الحياة الجامعية الحديثة التي يتوجب علينا أن نتعلم العيش معها .

ان ما يزيد في تعقيد هذا الموقف ويفرض عليه درجة عالية من التوتر هو أن الجامعات العربية تعتمد - في الاغلب - أسلوباً مبسطاً جداً في توزيع الطلبة على التخصصات العلمية . انها تعتمد المدرجات أو العلامات الامتحانية معياراً لهذا التوزيع مع الاغفال التام لكل الحقائق التربوية والنفسية التي تؤكد ان العلامات الامتحانية لا ينبغي أن تعني حكماً نهائياً على التلميذ وان لرغبات الطالب ولطموحه الاجتماعي دوراً مهماً في اختيار دراسته العالية ، وان ذلك الدور يجب أن يحسب له حساب جدي عند توزيع الطلاب الجامعيين على التخصصات العلمية . لقد أصبحت العلامة الامتحانية في ترتيبنا الجامعية ضرباً من القضاء والقدر ، ضرباً من الحكم النهائي على التلميذ .. حكماً غير قابل للاستئناف ولا للتمييز . وكثيراً ما صار الطالب عندنا يجد نفسه وقد نزل في قسم أو كلية لا لأنه أراد الالتحاق بها ولكن لأن درجاته في الامتحانات قد وضعت حيث نزل . ان في هذا طبيعة الحال مخيرة هائلة بكل ما كشف عنه علم النفس التربوي من ضرورة احترام رغبة الطالب الجامعي في اختيار حق دراسته . لقد نجم عن هذا درجة عالية من الراتبة الفكرية والتوقية عند طلابنا جردتهم من المساهمة الإيجابية والمجزئة في تقرير مصيرهم العقلي والعلمي والمهني وحرمتهم حجة المخاضات العقلية . أننا لم نلتجئ لأن الى ضرورة الاذن لطالب بقدر من الحرية في اختيار دروسه وأساتذته ومجالات دراسته وثقل ما يستطيع حمله من الاعباء الدراسية في وقت معين .

ثم هناك قضية شائكة أخرى تقف بين جامعاتنا وطلابنا . فطلبة الجامعات اهتمامهم السياسية والاجتماعية . بعض الجامعات يشجعون هذه الاهتمامات ويرفضون مصرين على أن عمل التلميذ في الجامعة هو طلب العلم من دون أن يسألوا أنفسهم .. العلم لماذا ؟ ولماذا ؟ أليست معرفة أسباب الفقر والتمييز الاجتماعي والاستعمار واستغلال الانسان للانسان .. أليست هذه كلها جزءاً مما ينبغي أن يعلم ؟ أو ليس من حق الشاب الجامعي أن يفهم مشاكل مجتمعه الانساني فيها يوازي على الأقل معرفته التركيب النووي للاميا مثلاً ؟ اننا مدعوون ولا ريب الى الاعتراف بان الاهتمامات الاخلاقية عند الشباب الجامعي العربي هي من دون أدنى ريب خير مطلق . ان هذا الانشغال الاخلاقي يقتضئ الحرب والسلام ، التمييز والمساواة ، الفقر والغنى ، الحرمان والبذخ ، الجهل والعلم ... ان وعيم هذه المضلات .. ما هو ؛ لا دليل على توظيف هذا الجيل لآرائه وطاقته ووقته وشبابه في خدمة قضايا المجتمع والانسان . وهو تضحية لامراء فيها . والجامعة مدعوة الى أن تجد في هذا التحدي الجديد باباً آخر من أبواب البحث عن الحقيقة . وعندئذ السـ الجامعة باخلاقية الاهتمامات الطلابية فانها تستطيع أن تقتحم أكبر العقبات بينها وبينهم ولن يتعذر عليها اخضاع السلوك الطلابي الجامعي للبحث العلمي والتعامل معه على ضوء ذلك بدلاً من الاكتفاء بنقده والتشهير به . وعندما يقع ذلك فلن يكون هناك ما يتدفى وكرامة الجامعة في الاعتراف لطلاب الجامعي بحرياته الاكاديمية اعترافها لاستاذالجامعي بهذه الحريات . فما هي حقوق الطلبة الجامعيين في إطار مفهوم الحرية الاكاديمية العام ؟

يتفق فقهاء الفتنيرع التربوي على أن هناك أربع قضايا أساسية يمكن التسليم بها على انها حقوق طلابية غير منازعة هي :

أولاً :

حق الطالب في المشاركة التربوية التي تأتي في صورة التشاور . فمن حق الطلاب الجامعيين أن تسمع وجهة نظرهم في دراستهم وفي مؤسساتهم العلمية . ومن حقهم أن يمايوا على كل ما يستقرون عنه أو يطالبون ايضاً له . ومن حقهم أن يقدموا ما يرون من اقتراحات وحلول حول أي اجراء تربوي يؤثر في دراستهم وحياتهم عموماً وهذا يشمل بطبيعة الحال الجوانب المالية وقروض التخرج ولظام التقويم . حق هتوات المناهج لم أن يمايجوا فيها اذا ما قدموا لذلك تفسيراً مقنعاً .

ثانياً :

الحق الثاني من حقوق الطلبة هو حقهم في تفريد المنهج Individualization ان جاز هذا الاشتقاق .. أي جعل المنهج ملائماً لكل تلميذ على انفراد لتجاوب مع قدراته الخاصة . لقد أصبح من أوليات المعرفة التربوية المعاصرة أن الطلاب لا يتساوون في قدراتهم العقلية ولا في أذواقهم ولا في طموحهم . ولقد كان ويليام جيمس يقول : « صحيح أن الفرق بين انسان وانسان قد لا يكون كبيراً . ولكن هذا الفرق القليل القائم بينها هو كل الفرق بينها في الدنيا وهذا ما يبرر المطالبة بتعلم ملائم لكل منها على الفراه .

ثالثاً :

الحق الثالث من حقوق الطالب الجامعي ولعله ان يكون أهم حقوقه على الإطلاق هو حقه في تعليم ممتاز . لقد ثبت في أحيان كثيرة وأماكن كثيرة أن أسوأ أنواع التعليم هو الذي يقع في الجامعات والكليات خصوصاً حين لا يكون البحث العلمي جزءاً من عملية التعليم . وأن أقبح ما يمكن ان يقع للطالب الجامعي هو الملل والقأم كما ان غير للتغيرات التي قدمت لأن يعزو ظاهرة السأم داخل الجامعة الى غياب جو الالتهام العقلية الذي يجتفق بعض الاساتذة في خلقه . كما ثبت ان لا علاقة لصعوبة المادة العلمية بالسأم الذي يعاني منه بعض الطلاب أحياناً . ان الطلاب يتجاوزون جفاف الاستاذ وتشدده في مقاميه اذا وجدوا أنفسهم يتعلمون منه شيئاً مهماً واذا كان هو يستطيع ان يفتح أمامهم آفاقاً عقلية وجمالية جديدة .

رابعاً :

الحق الرابع من حقوق الطلبة ... هو حقهم في تنظيم حياتهم الاجتماعية واختيار قياداتهم والتمتع بكافة الحقوق التي يؤهلون لها كواطنين على أن يعرفوا في الوقت ذاته انهم مسؤولون عن صيانة هذا الحق وانهم بهذا يتحملون ما يتحملة المواطنون العاديون من مسؤوليات سوء استعمال الحقوق .

ختاماً : ..

اعتقد ان حديثنا عن الجامعات العربية ومسؤولياتها في مواجهة أزمة التطور

يظل حديثاً طويلاً لا يحتوي له ان لم تكن تقصد بالجامعات العربية الجامعيين العرب .
الجامعة تظل شيئاً فردياً ما لم يمتحها الجامعيون حياة حقيقية بالمواقف التي يشعرونها
الى جانب ضرورات التقدم ... الى جانب الحقيقة طبيعية كانت أم اجتماعية ...
والى جانب الحقوق الانسانية المشروعة لابناء شعوبهم ... أي ما لم يمارسوا مسؤولياتهم
الاخلاقية بنفس الحرص والاخلاص الذين يؤدون بها واجباتهم العلمية . ذلك ان كلنا
المسؤولين داخل الجامعة وازاء المجتمع غير قابلين الفصل عن بعضها . وينطوي
الجامعيون كثيراً اذا ميزوا بين حريتهم وحرية المجتمع . ان حركة التاريخ تتعامل مع
الكتلة الاجتماعية ككل وليس مع ذرات معينة من تلك الكتلة ... وعندما نضع أنفسنا
في مسار تتعامل العام مع حركة التاريخ منجد لنا معنى خاصاً في كلمات هنري تورو :

اننا لا زلنا نولد

ونحن لا نغلك الا رؤية ناقصة عن الاشياء

حقاً ايها السادة

ان الرؤى الكاملة هي رؤى القعد الذي لم يولد بعد . ولذا فان من

حقنا ان نعي ان علاقة الشعوب بالتاريخ هي علاقة ولادة دائمة .

ولقد توقفت ولادتنا منذ زمن طويل

ولهذا نحن نعاني من شيء اسمه

ازمة التطور

لأننا لم نعد نولد باستمرار



من فضج لعربية في العاصمية الجزائرية

2

محمد الصالح رمضان

(10) - بابايا (بتفخيم الباء الموحدة وتكرارها مع المد) :
كلمة تعجب واستهوال وتعظيم - شائعة كثيرة الاستعمال
بين الموام في السادية والحاضرة ينطق بها الانسان اذا
هاله الامر او استعظمه او تعجب منه , وهو استعمال
عربي فصيح , اصله به به : كلمة اعظام وتعجب وقد
تقلب هاء الكسرة الى مد كما في استعمالنا *
قال الشاعر :

من عزاني قال : به به ! ستخ ذا اكرم اصل
(11) - الباط : هو الابط , كما تتلفظ به عامتنا في تلمسان ونواحيها (بحذف الهمزة
ومد الباء الموحدة المفتوحة) اي ناطن المنكب في الانسان والحيوان , وباطن الجراح في
الطير (ج) الباط عربي فصيح - قال الشاعر الهندي :

* تابع لما نشر في العدد 93 من هذه المجلة

شربت حسبه وصنرت عسه وايض صارم ذكر إباطي

أي سيف صارم تحت إبطي ، فقد استعمل الشاعر لفظ **إباط** (بيد الباء) مكان **إبط** كما يستعمله النمسانيون ولكن بإثبات الهمزة بدلا من تسهيلها ، والتسهيل في عاميتنا هو الغالب وهو شائع في العربية ، بل هو من أضرب التخفيف المستحبة في اللفة الشاعرة الموسيقية وبه قراءة ورش التي نقرأ بها القرآن في بلاد المغرب العربي كـ « **ونأبط الشيء** » : جعله تحت إبطه »

(12) - **البخنوق** : نوع من الثياب غير مخطط ولا محيط ، يوضع على رؤوس النساء ، ويشد تحت العك أقل من الملاية (الملاة) لا يتجاوز الحزام من وسط الإنسان ، يكون عادة مطرزا ومزركشا شتغ في بوادينا أو بعضها على الأقل ، وهو لفظ فصيح مسع بعض الحريفيه . قال الشاعر الحمصي في أغنية لطيفة : **بخنوق** بنت الحاميد عيشة (عائشة) ريشه بريشه (أي خيط يخطط) وعامين ما يكملوش النقيشه (أي النقشة) يريد لا يكفي في تطريزه وقت لدقة نقشه وكثرة ذركشته ، عربية الفصح **البخنق** (يضم الباء والون من غير مد) وهو خرقة تنقع بها الجارية وتشد طرفيها تحت فكها لتقي الحمار من الدهن ، والدهن من الغبار ، كما قال الجوهري (ج) **بخانق** - قال أبو الطيب المنبي . يقتل العاجز الجبان وقد يحجز عن قطع **بخنق** المولود وقال ذو الرمة . عليه من الظلما جل و**بخنق** »

(13) - **البلبلة والتلبيل** : (بتفخيم اللام) وصوت التيس عند الهياج والسفاد ، تقول (المنروس يلبل وكذلك يلبلب) والثاني أصح عربية ، كما يقول في المجاز (فلان **يلبل** أو **يللب**) تشبيها له بالتيس في صوته الجهوري وكلامه المتتابع الذي لا فائدة تترعى منه ، (وأصح زيادة بيان في **لبلب** من هذا المعجم (بحرف اللام) »

(14) - **البدة أو التبديلة** : (راجعها في التاء من هذا المعجم)

(15) - **البريق** : وعاء من معدن أو فخار له اذن أو عروة يرتفع منها ، وخرطوم يصب منه الماء ونحوه ، فصيحة **الابريق** خفف بتسهيل الهمزة ، كما تقع غالبا في العربية أو في بعض لهجاتها (ج) **أباريق** - قال تعالى : « **يعطوف عليهم ولدان مخلون بأكواب وأباريق** » وقال عدي بن زيد : ودعا بالصبح يوما فجات دقينة في يسنها **ابريق** »

وقال آخر :

كان **ابويق** الهدام لديهم ظبياء بأعلى الرقبتين قيام

وجمع **البريق** عندنا **برقوات** على غير قياس وكلاهما بالقاف الحضرية .

(16) - **البرق** : (بالقاف البدوية وفتح الباء والراء) . الضوء الذي يلمع في السماء بين السحاب على أثر انفجار كهربائي في السحاب يسمع له دوى كبير هو الرعد ، و**البرق** . هو ذلك الخط الضوئي المتكسر اللامع الذي يكاد يخطف البصر . وصوابه **البرق** (يفتح فسكون وبالقاف الحضرية) قال تعالى : « يكاد سنا برقه يذهب بالابصار » .

(17) - **البريق** (يضم الباء وتضعيف الراء بعدما ياء ساكنة وعاف بدوية) الزجاج والبلال الذي يلمع ، وكل ما يبرق فهو **بريق** لانه **يبرق** .

(18) - **البرواق** . نبات لا يصلح الا للوقد عندما يبس . وهو يزهر في الربيع ويشمر في الصيف له حب صغير أسود في حجم الحصى . لا ترعاه الحيوانات الا اذا لم تجد غيره لان رائحته كريهة ويؤنها في بطونها . واليه تنسب بلدة **البرواقية** في ولاية لتيطرى بالهضاب العليا من وطننا . وحى حديث كبير في ابن عكثون من ضواحي العاصمة ولكن اسم هذا الحى بالفرنسية *Les Asphodèles* أنشاء الفرنسيون في حرب التحرير الجزائرية ضمن مشروع قسنطينة الذي حاول به يقول تحسين الوضع في الجزائر وتهذبه الخواطر ونهية الشعب ولكن (اصعب ضيقت اللب) كما في المثل العربي القديم أي فت أوان الإصلاح (وأسفوديل) هذا هو اسم البرواق بالفرنسية . وصواب **البرواق** هو **البروق** من غير مد الواو . واحده **بروقة** فهي لسان العرب : أحبرى أعرابى قال . **البروق** : نبت ضمب ريان له خطرة دقاق في رؤوس تماميل صفار ... قال وتقول العرب (هو أشكر من **بروق**) وذلك لانه يعيش بأدنى تدى ... وقيل لانه يخضر اذا رأى السحاب (أى أحس بالندى والرطوبة) . و**برقت** الابل والغنم (بكسر الراء) تبرق برقا (بفحها) . اذا اشتكت بطونها من أكل **البروق** . ويقال أيضا (أضعف من **بروقة**) قال جرير . كان سيف النيم عيدان **بروق** . اذا قضبت عنها لحرب جفونها .

(19) - **البرنوس** لباس مأنوس عندنا (يفتح الباء وتونه مضمومة بعدما واو مد) وهو لباس وطنى علوى واسع فضفاض ، يكسو اللذات كلها من الرأس الى القدمين مفتوح من أمام مشدود عند الصدر . له جناحان كبيران وقلنسوة من

أصله وهو أصناف والوان يصنع محليا واغلبه من الصوف الابيض ، وقد يتخذ من ملف أو وبر أو حرير أو كتان على حسب الحاجة وأقدار الناس ، وهو ضيق من أعلى واسع من أسفل يليسه الرجال والاطفال عادة في أغلب قصور السنة لأن منه الكثيف والخفيف وهو من أقدم أنواع الالبسة .

وفي العهد التركي بالخصوص كان لباسا رسميا لأصناف من الخند والموظفين . منه : الأحمر والأزرق والأسود ، كل لون لصنف منهم أو من الاعيان وهو اليوم مع القشابة لباس عامة الناس وخاصتهم في القرى والمدن الداخلية وفي البادية وقد بدأ يزوه اللباس الأوروي حتى بات من السادر رؤية البرنوس في كبريات المدن والبلدان الساحلية .

وقد كان وما يزال من مميزات المغاربة عن المشاركة في العالم العربي رغم الانتماء الحضاري والاجتماعي العريق بينهما ، وقيل (من علامات البربر لبس البرنوس وأكل الكسكوس وحلق الرؤوس) وهو يجس على يرانس وبرائيس وهناك قبيلة بربرية عرفت في التاريخ باسم البرانس ، قرية في الأوراس ما تزال تدعى البرائيس شمال بسكرة .

والبرنوس لفظ عربي أو مغرب وأصله برنوس بلا مد - ففي لسان العرب - **« البرنوس** كل ثوب راسه مه ملتزق به دراعة كان أو مطرا أو جبة » وفي حديث عمر (ص) : (سقط البرنوس عن رأسي) وهو من ذلك ... قال المؤرخي : وهو من البرسي (بكسر الباء) أي القطن والنون زائدة وقيل إنه غير عربي « اه - وجاء في صحيح البخاري في باب البرانس من كتاب اللباس ما يلي : « حدثنا معتمر سمعت ابي قال رأيت على أنس برنسا أصفر من خز » وفيه أيضا : حديث مالك عن نافع عن ابن عمر (وهذا الستد عند المحدثين هو سلسلة الذهب) - « أن رجلا قال يا رسول الله ما يليس المحرم من الثياب ؟ قال (ص) : لا تلبسوا القصص ولا العمائم ولا السراويلات ولا البرانس ولا الخفاف الا أحد لا يجد النملين » اه - **والبرنوس** عندنا من نسيج النساء في المنازل اذا كان من صوف أو وبر ، والصوف هو الشائع الاعم ، وهو لباس الذكران دون النساء - ومن الناس من يكتفي بطرحه

على كتفيه كالمطف - وهو فعل الوجهاء والأفاضل - ومنهم من يلبسه وهو صنيح
المامة والدهاء . فإذا تضايقت منه لا يسه واستغنى عنه في الطريق تزرعه ووضعه
على منكبه كالمعلق حتى يعود إلى منزله . هذا هو البرنوس عندنا أما تلك القلتسوة
الطويلة التي كان النساك يلبسونها في صدر الإسلام . . . ويطلقون عليها اسم البرنس
فهى غير برنوسنا شكلا ومعنى .

(20) - بوق عينه (بالقاف البدوية وتشديد الراء) : وسمها واحد النظر إذا هدد
أو توعده . نقول (بوق عينيه في) أى نظر إلى بشدة مهددا أو محذرا ، فصيح جيد ومنه
المثل العربي (بوق لمن لا يعرفك) أى هدد من لا علم له بك فإن من عسرك لا يهاب
بك .

وبعضنا يقول (يلق عينه في) باللام بدلا من الراء ولعل ذلك أيضا وجه
في العربية .

ونقول : الزجاج يبرق والسيف يبرق وكل شيء يلعب نقول فيه يبرق (بتضعيف
الراء) والصواب يبرق من غير شد للراء . وأما قولنا (فلان يخلق في عينيه) فمعناه
ينظر متفصلا لا مهددا ولا متوعدا .

(21) - البزار أو البازار : كلمة تطلق عندنا على ذلك النوع من المحلات والدكاكين
التجارية الكبرى المصرية التي تكثر فيها البضائع وتسوق . لعل اللفظ عرب من
الفارسية ففي دائرة المعارف الإسلامية « البازار مجموعة من الدكاكين في شوارع
مسنوفة . . . له بابان يقللانه من طرفيه » وانتشرت الكلمة في اللغات الأوروبية الحديثة
وهي تطلق على ذلك النوع من المحلات التجارية الكبرى كما تقدم . وفي قسنطينة نوح
مسقوف يدعى دروج البزار .

(22) - بزق يبزق : رمى البزاق أو البصاق من فمه (تتعاقب فيه الزاى والصاد)
والبزاق أو البصاق هو التفل الذي تسميه في عاميتنا (الغالب) بقلب التباء دالا .
فالبزاق عربي فصيح في لفظه ومعناه من بزق يبزق بزقا وبزاقا بمعنى بصق (بالصاد)

(23) - البسيصة : طحين دقيق يخلط بالسمن أو بالزبد أو بالزيت ويخلط مع
العسل أو السكر لتحليته ، ويؤكل من غير أن يبل بالماء أو يطبخ أو يقلى . فصيح في
لفظه ومعناه .

وخبز **ميسس** وكسرة **ميسسة** أى فيها سمن أو زبد أو زيت يجعلها تتفتت بسهولة • فصبح جبد كذلك • من **بس** السوق أو الدقيق **يسه بسا** : إذا خلطه بسمن ونحوه ، وذلك هو **البسيسة** قال اللحياني : هى التى تلتك أى تخلط بسمن أو زيت ولا تبيل ولعل **(الملتوت)** المعروف فى شمالى قسنطينة هو هذا المخلوط بالسمن ونحوه **والبسبوسة** فى مصر هى **البسيسة** • **فالبس** فى العربية : هو اتخاذ **البسيسة** قال الرازجى . (لا تخبزنا خبرا **ويسا يسا**) وفى القرآن الكريم « **وبست الجبال يسا** » أى فتتت نعمتنا يوم القيامة فصارت كالدقيق أو كالتراب تذروا الرياح كما جاء هذا المعنى فى آية أخرى من القرآن عن الجبال وزوالها يوم القيامة قال تعالى : « ينسفها ربي نسفا » صدق الله العظيم •

24 - **بسل** فلان : سدد وسمج أو سخف وثقل عند الغير ، فهو **باسل** أى سخيف ركيك لا يحتمل • نقول : فلان **بسل** أو **يبسل** علينا (بضعيف السنين) أى يثقل علينا بما يأتى من أقوال أو أفعال لا تناسب ولا تليق بالمقام ، ونقول (بركة **ها تبسل**) أى حسيك سخفا لا تعلقنا ولا تثقل علينا • **فالباسل** عندنا : هو ثقل الظل ضد خفيف الروح • **والبسالة والسهاطة** فى استعمالنا بمعنى واحد (راجع سطر) •

أما **البسالة** فى العربية هى الشجاعة والبطولة والافدام كما هو معروف ، وليس مرادا فى كلامنا هذا المعنى • ولم أجده للمعنى الدارج عندنا ما يماثله أو يقاربه فى الفصحى سوى . **بسل اللحم** إذا خم أو أحم أى تزن وفسد ، **ولكن باسل** أى كسريه الطعم حامض ، ومثله البنية والحل إذا فسد طعمهما وتغير • **وبسسل الشيء** : كسره **والبسيل** : الكسرة الوجه • راجع كتب اللغة فى ذلك •

25 - **بفى** (يسكون الباء الموحدة وفتح الفين الموحدة بعدها ألف ليثة) : فعل ماضى بمعنى أحب وأراد أو طلب ، مضارعه **يبفى** (بكسر الفين) أى يريد ويطلب استعمال عام شائع عندنا وهو فصيح لا غبار عليه ، مثل ما يستعمله الحجازيون وزينا غيرهم فى المشرق والمغرب مع بعض التغيير فى المبنى أو المعنى وهو من **البقية** (بكسر الباء وضها) أى الحاجة والطلبية أو من **الابتقاء** أى الاحتياج والطلب يستعمل مجردا ومسریدا فى العربية وأكثر ما يستعمل فى معنى الطلب **ابتقى** لا **بفى** والامثلة على ذلك كثيرة فى القرآن والحديث وفى كلام العرب ، وفى المجرد **(بفى)** يقول عامر بن الطفيل •

وبالمرددات قد لاثنين غنما ومن أهل الجامعة ما بلغنا (أى أردنا)
ومن ذلك البقي التي تبقى الاتصال بالرجال اتصالا غير شرعى .

(26) - **البقيش** أو **الباقشيش** : ما يقدم من فلوس الصانع والقاضى والدلال وغيرهم ممن يرجون فى قضاء المصالح من عبر الاجرة المستحقة المعينة لهم . وذلك للمساومة والرشوة ونحو ذلك . كالعطايا والهبات التى تقدم لقضاء الحاجات وهذا هل حده قولنا فى الامثال الشعبية : (ادهن السير يسير) و (اطعم الفم تستيح العين) الخ . وكلمة **بقيش** دخيلة غير أصيلة ربما جاءتنا فى المهد التوركي أو فى المهد الرستمي لانها من أصل فارسى (**بقيش**) انظر دائرة المعارف الاسلاميه . عربيا : **الحلوان** (كالغفران) والحلوان (يضم الاول وسكون الثانى) من النحلية والحلاوة ضد المرارة . نقول فى امثالنا (عل باش تول) أى ذق الحلاوة لتعود مرة أخرى . أو كما قال الشاعر العربى :

فلو كنت تعطى حين تسال سامحت لك النفس واحلولاك كل خليل
أى حلالك . **والحلوان أيضا** : أن يأخذ الرجل من مهر ابنته شيئا لنفسه وهو عار وقبيح مبهى عنه شعرا وعرفا . قالت امرأة تمدح بهما : (لا يأخذ **الحلوان** عن بناتنا)
(27) - **بلج الباب يبلجه** (بتصفيف اللام) : أغلقه **بالبلج** : وهو سوع من الاقفال للابواب كالنزاح يدار باليد . لم أجد ما يقابله فى لفظه ومعناه سوى **بلج الباب يبلجه** بلجا أى فتحه . ضد ما نستعمله نحن (مضمعا) **فبلج** المضعف (هندنا) عربية **فبلج** بالتخفيف من غير لعله . ومنه **المزلاج** أى القفل قال الشاعر التلمسانى ابن خميس .

أبوابهم مفتوحة لضيوفهم أيدا بلا قفل ولا مزلاج

(28) - **بلادج** : الطائر المعروف فى مصر بـ (اللقلق) وفى تلسان وما جاورها بـ (بوشقشاق) وهو كبير طويل القوائم والعنق والمنقار . أسود ريش الجناحين أبيض ريش البطن والرقبة وربما الظهر أيضا . يبني عشه فى أعالي المباني ولاشجار بالأعواد الدقيقة والأغصان اليابسة . وهو من الطيور الفصلية المهاجرة الى تطهر فى بلادنا فى فصل الربيع والصيف يستعقطنى التل والهضاب ولا يصل الى الصحراء . قال ابن الخطيب الوزير الأندلسي وصفه :

وغريبة الاوطان في طلب الصلا
بسط الربيع لها بساط زبرجد
جاءت تشمر بالزمان المقبل
فمشت من العيان فيه بأرجل
مدت جناح الابنوس مرصعا
بالصاج مها قهقهت بالصندل

وتسمية هذا الطائر **بيلارج** تسمية محلية ولعلها مقربة أو أندلسية لم أعثر عليها بعد.

(29) - **البنة** (يفتح الاول وتشدد الثاني) لذة الطعم وطيبه . تقول عند ذواق أى شيء إذا استحسنا طعمه واستطبنا ذوقه : **(طعم بئن)** أى لذيت طيب أو تقول **(فيه بئن)** أى فيه لذافة وطيب . لم أجد ما يشبهه أو يقاربه في العربية سوى : **البنة** بمعنى الرائحة الطيبة . تقول العرب (شممت مه بنة طيبة) . و (أجد في هذا اللثوب بنة نفاح أو سفرجل) أى رائحتهما . ولذلك قيل الروض الالاف والبستان المعطار : **البنان** و**البنانة** (يضم الاول فيها) لطيب الرائحة .

(30) - **البنج** - (بضم الباء الموحدة وسكون النون) : مادة مخدرة منومة كالخبيش وغيره من المواد والعقاقير المخدرة والمسكرة . وقد يدعى **السيكران** أيضاً لأنه يسكر .

تقول : **(بنج الطبيب المريض)** إذا نومه وخدره كما تقول **سكره فالتبنج والتسكر** عندنا بمعنى التخدير والنويم . ونقول : المريض **مبنج** أو **مسكر** (اسم مفعول) أى فاقد للحس والشعور واليقظة . لعل كلمة **بنج** معربة من الفارسية فقد وردت بهذا اللفظ وهذا المعنى في المصنفات الطبية وغيرها لمؤلفين فارسيين يكتبون بالعربية كالرازي وابن سينا وغيرهما ، ومن طريقهم دخلت الى العربية . ومن طريق العرب أنفسهم الذين عاشوا في الفرس وتأثروا باللغة الفارسية ، لأن الملاحظ أن هذه الكلمة لم تكن معروفة بلفظها ومعناها عند العرب قبل الاسلام وفتوحاته في الفرس واستعملها أطباء المغرب والأندلس - وهم تابعون لاهل المشرق في لغتهم وثقافتهم - كاسحاق بن سليمان وابن الجزار وغيرهما . ولا غرابة في ذلك ولا ضير فالتعريب من مستلزمات الحضارة الاسلامية ، ومن مقتضيات الرفق القوي والتوسع التعاقبي لدى كل الشعوب في كل عصر وهكذا تعربت كلمة **بنج** وخضعت لقواعد اللغة العربية وأحكامها واستؤنسنت وعم استعمالها في المشرق والمغرب . واشتمت منها الامعال والاسماء بشتى الصيغ العربية

فنقول مثلا **بنج** الطبيب لريض **يبتجه تبتيجا** فالطبيب **هبنج** والمريض **هبنج** وهذا **بنج** قوى المعمول وهكذا ، مثل ما نقول : خدر يخر خدرا فهو مخدر والآخر مخدر الخ ..
 أما ابن منظور صاحب لسان العرب فيقول : « **البنج** (يفتح الاول) : ضرب من النبات قال : ابن سيده وأرى الفارسي قال : انه ما ينشد به أو يقوى به الشيب » .
 وعندى أن هذا النبات هو المعروف **بالسيكران** أما **البنج** فهو مادة وعقار طبي مخدر كما تقدم وقد يكون مستخرجا من أنواع النبات المخدر .

31 - **اليوس** : التقبيل لعله معرب من الفارسية . نقول **باسه يوسه يوسا** : اذا قبله . وقد نطق بسميه صاددا في بعض الجهات والسين أصح . ففي أساس البلاغة للرمخشي : « **باس** له الأرض **يوسا** » . وتقول : اليوم بساطك **هبوس** وغدا أنت محبوس . وأبها **البائس** ما أنت الا **البائس** . كل ذلك بالسين .

32 - **اليطعاه** مثل **الرحبة** : ساحة فسيحة وميدان واسع ، وبعضنا يسميها **الططاحة** كما في وهران وما جاورها ، والاوليان أصح .

(يبيع)



حول مقال: المسرح الحديث بدا مع جيش التحرير



محمد السيد باش تارزي

لقد قرأنا في العدد 22 من مجلة « الأصالة » مقالا بعنوان « المسرح الحديث بدا مع جيش التحرير » بقلم جروه علاوه وهبي ، ونحن نشكر هذا الكاتب عنايته واعتماده بمسرحنا الجزائري ، اذ نحن في حاجة ماسة الى مزيد من الحقائق والوثائق التي تزيد في اشراف تاريخنا ، وكلما اكتشفنا مؤرخا جزائريا يكتب في اي موضوع من مواضيع تاريخ وطننا ، ازددنا فخر واعتزازا ، خاصة اذا كان الكاتب نزيها وخاليا من الانغراض التي قد تجره الى التزوير والتشويه . ونحن نقول خضرة الكاتب جروه ما قاله الشاعر العربي : علمت شيئا وغابت عنك اشياء . ولا ندري اغابت عنه ام تغابت ، لان ما قرأناه في المقال المذكور مغاير للحقيقة ، واخشى اذا نحن لم نضع حدا الى مثل هذا النوع من الدراسات التي ينقصها التحري والتمحيص ، فاننا نفقد ثقة القراء العارفين بتاريخ المسرح الجزائري والمزودين .

لا ريب كاتب المقال تجاهل ما كتبناه في مذكراتنا على تاريخ المسرح الجزائري من سنة 1919 الى سنة 1939 وتجاهل أيضا ما كتبت في الصحف والمجلات الجزائرية المناضلة في تلك السنوات لاسباب أتجاوز عن معرفتها إنما اكتفى بالقراءة نظراً للقراء إلى الغلط الذي ارتكبه الكاتب المذكور .

أوله : نشأ المسرح الجزائري سنة 1919 وليس سنة 1926 كما اعتقد صاحب المقال . فالمرحلة الأولى حينئذ ، بدأت من سنة 1919 ومثلت فيها في الجزائر العاصمة روايات هزلية فكاهية في غالب الأحيان اجتماعية مسماة « سكاتش » (في العالم المسرحي بأجمعه وليس في الجزائر فحسب) . هذا النوع من تمثيلات ذلك العهد ، كان من تأليف دحيون سعد الله وعلاؤ سلاني الذي لا زال على قيد الحياة ومثلت على خشبات مسرح « الكورصال » في حي باب الواد بالجزائر العاصمة إلى سنة 1923 .

ففي هذه السنة نشأت فرقة التمثيل بالعربية الفصحى التي مثلت روايات : « في سبيل الوطن » ، « فتح الاندلس » وكذلك رواية « الجهلاء المدعون بالعلم » من تأليف خادكم محي الدين باش طرزي ، ودامت إلى سنة 1926 .

أما المرحلة الثانية فقد بدأت في هذه السنة بنشأة « فرقة الزاميه » التي أسسها علاؤ سلاني ومثلت رواياته : « جحا » ، « أبو الحسن » ، « الخليفة والصيد » ، « عاشور وأخيه » ، « عترة الحشاشي » ، « أبو عقيل » الخ . وفي هذه الرواية الأخيرة ، وزعوا دورا لرشيد القسنطيني ، ولما قام بتمثيله ببراعة أمهشت العقول ، أصبح نجما ساطعا في زمن : أقل من القليل بسواحه . ألف ومثل أكثر من ثلاثين رواية أذكر من بينها : « العهد الوفي » ، « بن كوجو » ، « بابا قدور الطماع » ، « زغيريان » ، « المرسلان » ، « عايشة وبانندو » ، « تشرتش » ، « ثقبه في الأرض » ، « ياحسراه عليك » ، « يونقاب » ، « تحب كتابي » الخ . فهذه المرحلة التي تعد أعظم مرحلة في حياة المسرح الجزائري ، انتهت سنة 1934 . لقد كانت للرشيد القسنطيني فرقة التمثيلية الخاصة التي أسسها مع رفيقته سوسان ، ولم يعمل مع أي فرقة أخرى منذ سنة 1927 عندما ألف روايته الأولى « العهد الوفي » إلى أن ترك التأليف الروائي سنة 1934 وانخرط في فرقة صديقه عبدكم محي الدين باش طرزي ليساعده في مشروعه .

فإن روايات « فاقو » ، « على النيف » ، « بني وي وي » ، « خالد » ، « الجدايعين » وكذلك رواية « الكذابين » فهم من تأليف عبدكم المذكور وكلها مثلت من سنة 1934 إلى سنة 1938 . كان الرشيد القسنطيني يقوم بالأدوار الرئيسية الفكاهية في هذه الروايات . وهذا إلى سنة 1938 عندما قام بالاستمرار بتحطيم هذه الفرقة وتشتيتها كلياً بمسألة

أما في المرحلة الثالثة ، أعنى الحرب العالمية الثانية فقد تصدى الرشيد القسنطيني لتأليف الاتاشيد النقدية الهزلية المعروفة عند الخاص والعام . وكان مع ذلك يقوم بأدوار رئيسية في روايات « المشحاح » « الشرف » « سليمان الملك » « عايشة أم الزبايل » « ولد الليل » المقتبسة من التمثيليات الغربية إلى أن وافاه الاجل المحسوم سنة 1945 .

فالمحنة التي أسميها الرابعة ، قسنتحدث عنها بكن تفصيل في الجزء الثاني من المذكرات التي مقتصد قريبا بالشركة الوطنية للطبع والتوزيع .

والجدير بالذكر انه منذ سنة 1946 أي منذ تأسيس أول فرقة رسمية عربية جزائرية بإمران العاصمة بفضل نواب الحركة الوطنية الجزائرية المنتخبين في ذلك العهد وإلى جمعت كل امتلئين الجزائريين أمثال مصطفى كاتب ، محمد التوي ، حبيب رضا ، رويشد ، عبد الحليم رايس ، مصطفى بديع ، حسن الحسني ، أبو الحسن ، مصطفى قزدرلي ، كلثوم ، نورية ، الخ . مثلت منذ نشأتها إلى سنة 1955 ، أكثر من مائة رواية . أذكر منها : آذان الفجر ، الوصيف الأبيض ، المافقون ، عباسية أخت الرشيد ، خالد ، عطيل ، الهجرة ، بطل قريش ، عيلة وعنتر ، في سبيل الشرف ، الواجب ، حنيعل ، جيل اليوم ، ولاده وابن زيسدون ، تكبة البرامكة ، تحي الأخوة ، صلاح الدين الايوبي ، الصحرا ، يد الله ، عدو الشعب ، عياض ، الخ .

كانت لجنة القراءات تتألف من أعضاء منتخبين من طرف البلدية بمشاوركة مدير المسرح ووكيله تحت اشراف الاستاذ أحمد توفيق المدني . وهذه اللجنة لم تسمح قط بأي رواية مثلت أو قرأت كروايات « العودة إلى الارض » « السعادة » أو « العائلة » كما زعم الكاتب في مقاله . أما قوله بأن مذكرات محي الدين باش طرزي تجاهلت حركة التمثيل في عاصمتي قسنطينة وهران . فاننا ننبهه بأن المذكرات كانت خاصة بمهد ما قبل 1939 عندما كانت الحركة المسرحية متركزة في الجزائر العاصمة فحسب .

هذه هي الحقيقة - حقيقة طبعت في صحف المعهد المذكور ، وصورها موجودة حاليا كوثائق رسمية . وهذا كله معروف لدى جميع من لهم الملم بتاريخ المسرح الجزائري من مثيليين ومؤلفين رواشيين سنن لا يزالون على قيد الحياة . ونحن مستعدون لنشر صور كل هذه الوثائق ذا لزم الامر . لاننا نعتقد جازمين أن كل ما كتب حول فترة ما قبل سنة 1954 ليس له أي نصيب من الصحة .

شهرس المذد

تكلم لغة قرمك

دراسات اسلامية :

- 1 فتوى بجواز تمويل الذبح في الحج نقدا
د. عبد الكريم يوليوس جرمانوس 9
23 ابن حزم الظاهري الاندلسي
مبروك السواني

دراسات ثقافية وأدبية :

- 48 الخطابة في النثر الجزائري الحديث
د. عبد الله ركيبي
علاقة العامية بالنصحي أو محاولة احلال العاميات محل
67 اللغة النصحي في الوطن العربي
د. رايح تركي
87 ملحمة بنت المشرين اصدق الرعد
مفلى زكريا
97 الامير عبد القادر ومشروع قناة قابس والبحر الافريقي
يعني بوعزيز

من معاضرات ملتقى بجاية :

- وضع الجاليات الاوروبية في العالم العربي الاسلامي
ابان الحكم الثمانية
119 الدكتور هليل الصباغ
وضع الجاليات الاوروبية في بلدان المغرب قبل الاستعمار
د. سلفاتورى بونو
138
د. محمد نجاة الله الصديقي
153 الاسلام والمسلمون في الهند

مولود قاسم نايت بلقاسم - 1 -

160	د. صلاح الصاوي	دور المفكر اليوم وعلى مر المصور في امته وتجاه الانسانية في كل من قضايا الساعة وآفاق المستقبل
183	د. راشد الراجح	دور المفكر اليوم وعلى مر المصور في امته وتجاه الانسانية في كل من قضايا الساعة وآفاق المستقبل
192	د. هورسيت غريكة	مسؤولية المؤرخ كمفكر: نحو المجتمع
199	د. جوزيف فان ايس	نشأة علم الكلام في الاسلام
214	د. عثمان أمين	أصالة الفلسفة الاسلامية وأثرها في الفكر العربي
221	د. ميقال دي ايبالزا	بين التعصب والاسلامية , أو الاسلام من خلال بعض الشخصيات في انماط المسيحية
231	د. الحبر يوسف نور الدائم	الفكر الاسلامي , آثاره واسباب قوته وضعفه
246	د. اينادي فترى مايير فيتش	الوحدة والتنوع في الثقافة الاسلامية

تسويات :

260	د. خاشع الماضيدى	التخلف السياسى وابعاده المضار
276	د. حسن صعب	تمليق على بحث د. خاشع الماضيدى
284	د. إبراهيم أبو لغد	الاستعمار وأزمة التطور في الوطن العربي

مناقشات :

297	د. هجر الزاهري	حول قرية موقع برشك
-----	----------------	--------------------

دراسات لغوية :

299	محمد الصالح رمضان	من فصيح العربية في العامية الجزائرية - ١ -
-----	-------------------	--

تكم لغة قومك⁽¹⁾

مولود قارسم نيت بلقاسم
وزير التعليم الاصيل والشؤون الدينية

بلايل الجزائر والمغرب

قلنا في المقال الاخير ان رسالة التعريب هذه ليست رسالة الحكومة وحدها - فلديها من المشاكل الاخرى الكثير - وان المسؤولية الكبرى تلقى قبل كل شيء على عاتق المثقفين بالعربية وعلى المؤسسات الثقافية والشعب كله ، فالحكومة هي المحرك والمنفذ ولكنها لا تستطيع وحدها وبنوع من مصباح علام الدين أو خاتم سليمان جمل جميع بلايل الجزائر تنشد ابا الطيب و ابا العلام !

الراديو للامناخ

ولئن اردنا اليوم العودة الى الاذاعة - وكثير من الاخوان هناك اصدقاء قداماء - فانما ذلك لتقديرنا التقدير الحقيقي لاهمية رسالتها التثقيفية التوجيهية للشعب في مختلف الميادين .

لمعروف وقع الاثر في الجهاز العصبي ، وهو شيء تقدره

(1) نشرت في المجلة الاسبوعية بتاريخ 1962/11/29 .

شركات الاعلان لترويج البضائع،والاحزاب السياسية فى دعايتها
الانتخابية ، حق التقدير ، كما ان استعماله فى تشييف الشمب
شائع فى أوروبا خاصة . (2)

ولذا نعود اليها اليوم ونطلب منها - ومن التلفزة - ما يأتى :

x - تغليب الفصحى على العامية فى نشرات الاخبار وغيرها
من حصصها الكلامية (وتغليب هذه الحصص الكلامية على
الفنائىة) . وهنا أود ان اشكر جميع من اشتركوا واشترك
فى حصص « عجيب وغريب » . ولئن كنت من انصار الفصحى
انى اعجبت بهذه الحصص لا من حيث محتواها فحسب (ضرورة
التكلم بالعربية ، عدم الزواج بالاجنبيات الخ ...) ، بل وأيضا
من حيث شكلها : فقد كانت بلغة دارجة مهيبة منظومة بامثال
شعبية مثل :

إذا تزوجت ابن على الساس ،

وإذا ملست ملس من ملينك ،

إذا ما جا برمة يجي كسكاس ، الخ ...

على ان يكون الاتجاه العام دائما تغليب الفصحى الى ان تعود
طبيعية،ونستغنى تماما عن العامية،أو تمحي بذاتها - على الاقل
بشكلها القشتالى الخالي .

ب - اذاعة مسرحيات بالفصحى . فهناك مسرحيات عربية
سهلة ممتعة،لثوفيق الحكيم،مثلا،وشوقي، وغيرهما . وهناك أخرى
مترجمة عن لغات اجنبية ترجمة جميلة،أو على الاقل سليمة .

(2) لقد تم شيء من هذا فيما بعد .

ج - قراءة كتب ومحاضرات كل يوم بضع صفحات وفي حلقات متسلسلة حتى آخر الكتاب كما تفعل كثير من الاذاعات الأوروبية .

د - تنظيم دروس بالعربية - بمساعدة التلفزة (x) - كما تفعل أغلب اذاعات العالم ، على ان يكون الشرح بالفرنسية ليفهم المستمع المشاهد دقائق الشرح بالمقارنة،وهنا أيضا ما على الاذاعة الا ان تأخذ بعض الكتب الموجودة وتعرضها في حلقات متسلسلة - وفي أوقات مناسبة ، كوقت الغداء،والعشاء،والصباح أيام العطل والاعياد ، على أن تكون منتظمة،أو يعلن في آخر كل درس عن التالي .

هـ - اذاعة محاضرات رأسا من الجامعة بالعربية (2) - كما تفعل الاذاعة الفرنسية مثلا التي تذيع محاضرات في الآداب،والفلسفة، والتاريخ ، والفنون ، رأسا من السربون ومن قاعة المحاضرات ، وان امكن تسجيلها وعرضها مرة اخرى في المساء .

2 - من صحافتنا الفرنسية اللغة تخصيص ركن يوميا لنشر دروس من كتب عربية مشروحة بالفرنسية . فقد استعملت هذه الطريقة الصحافة الاسرائيلية في فلسطين للهاجرين الآتين من اكثر من تسعين بلدا ، وكانت هذه الطريقة - فيما يقال - ناجحة ، كما تنشر الجريدة الانجليزية « الاوبزرفر » الاسبوعية بانتظام درسا في اللغة الروسية لقرائها مشروحا بالانجليزية .

(1) لقد تم هذا فيما بعد .

(2) لقد تم شي من هذا ايضا،وان كان بنهر الانعام

3- من التجار الكتابة على دكاكينهم بالعربية ، أو على الأقل
بالعربية والفرنسية كما فعل الاخوان التونسيون وغيرهم . (1)

الشطحات الغرابية ،

4- من المثقفين بالعربية تريد التخلص من مرضهم بالتقليد
- تقليد الغراب لمشية الحمام - والاقلاع عن الميل الى الترطن (2)
بالفرنسية - وخاصة عندما لا يحسنونها - وهذا حتى فيما
بينهم ، وهم فني غنى عن هذا . نفهم ان يمجز المثقفون بالفرنسية
عن التعبير بالعربية الدارجة عن بعض المفاهيم المجردة ونعذرهم
- مؤقتا - ولكن ليس هذا حال المثقفين بالعربية .

فلم اذن هذه الشطحات الغرابية ؟ وبأى حق يماثبون الآخرين ؟
ففى الوقت الذى يعمل كثير من المثقفين بالفرنسية على بعث
العربية فى هذا البلد نجد المعنيين بالامر يجتحنون الى الترطن !

تكلم بلغة قومك !

على هؤلاء يتطبق ذلك المثل الشعبى : « جا يعاونو على قبر
أمو هر بلو بالفاس » ألم هذا الترطن ؟ لم هذه السخافة ؟ الا
تشعرون انكم بهذا تضعون انفسكم فى حالة اقل ما يقال فيها
انكم لا تفيطون عليها ؟ كيف تتصورون اذن هذا التعريب ؟ ام
تظنون الحكومة ستعرب البلد بالملاكمة ؟ اهذه هى مساهمتكم ؟
ان لئين نفسه احتفظ بموظفى القيصرية بعد انتصار ثورة
أكتوبر ، وكان يود احلال آخرين محلهم، ولكنسه كان يحتاج اليهم

(1) هذا أيضا تحقق منه الكثير الآن .

(2) هذا ما لم يحدث فيه أى فرق ، بل هو بالعكس ، فى تمامه !

كفنيين . وهؤلاء المتفرنسون لغة فحسب، أو لغة وشيئا آخر الى ذلك، إذ يسمونكم تترطنون لا يزيدون الا احتقارا لكم واللغة التي كان ينتظر منكم الدفاع عنها . أبدأوا بأنفسكم ، تكلموا لغة قومكم ، وكلما سمعتم احدا منكم يرطن قولوا له : « تكلم لغة قومك »! واذ ذاك فقط تحق لكم مطالبة الحكومة بمضاعفة جهودها في التعريب؛ أو بالعمل على ذلك اذا لم تقم بهذه الجهود .

العربية في المدارس العربية

5 - نريد من المعلمين والمعلمين أن يفرضوا على التلامذة الا يتكلموا الا بالفصحى في المدارس وحتى في أوقات اللعب . فقد كان معلّمو الفرنسية في المدارس الابتدائية الفرنسية في الجزائر يفرضون على الاطفال عدم التكلم الا بالفرنسية داخل وجوار المدرسة . وكانوا يعاقبون التلميذ الذي يتلفظ بلفظة واحدة غير فرنسية ، وذلك لتعميد الطفل التدريب على الفرنسية . فلم لا تقلدهم في هذا وتطبقه على لفتنا نفسها ؟ أي أن يفرض التكلم بالفصحى وبالفصحى وحدها في جميع معاهد التعليم بمختلف درجاته - على أن يشمل ذلك المعلمين، والمعلمات، والاساتذة - على الاقل في أوقات الدروس العربية، وذلك الى أن يتم تعريب التعليم، ويطبق هذا الفرض على جميع المعاهد ، وطبعاً « بالتدريج » . فالجهد الذي يبذله الطفل في الاوقات الاولى للتمرن على التكلم بالفصحى أحسن رياضة عقلية له ، كما ان في ذلك جانباً تربوياً، إذ يتدرب الطفل بذلك منذ الصغر على بذل الجهد، وتذليل الصعوبات، وضبط النفس، ومراقبتها، وهو يشاهد بنفسه يومياً التقدم الذي يحرزّه بجده هذا .

العربية إعراب !

وهذا لا معنى له طبعاً الا اذا كان « بالتنوين » ، نعم بالتنوين ، اذ التنوين معناه الإعراب، وماهى العربية بدون إعراب ؟ وليعرف أعدام التنوين ان اليونانية القديمة واللاتينية لا تفهمان بدون مراعاة النحو ، اذ انهما - كسائر اللغات الكبرى ذات الافاق والثقاليد الثقافية المريقة - لا تتصوران بدون مراعاة النحو مراعاة دقيقة . بل يعتبر ذلك مقياساً لأصالة اللغة، وعلميتها، وعظم تراثها واقدميتها فى المجال الثقافى ، وليس هذا خاصاً باللغات القديمة ، بل نجد ان بعض اللغات الحديثة تتجاوز هذه اللغات القديمة فى الموضوع « للتنوين » .

فالالمانية مثلاً لها اربع حالات اعراب، لا ثلاثة فحسب، كما فى العربية : الرفع والنصب والجر . وبالإضافة الى ذلك لا يكتفى فيها باعراب آخر الكلمة كما فى العربية ، بل تعرب حتى أداة التعريف أيضاً ، أى ان هناك « تنوينا » مزدوجاً . ورغم ذلك لم يسخر حتى اليوم ولا المائى واحد من هذا .

وفى اللغات السلافية كالتشيكية ، والبولونية ، والروسية ، تعرب حتى مسماء الاعلام، ويحدث لها بذلك تغير كبير حتى فى مخارج الحروف . بل ويتغير شكل الكلمة احياناً الى حد الغرابة عن الاصل بتغير حال الاعراب . فكلمة « براها » (براغ) مثلاً فى حالة الرفع تصبح « برازى » فى حالة الجر . (1)

(جر) Przeć (نصب) Prahu : (رفع) Praha (1)

الكسل العقلي :

وفي الروسية ست حالات اعراب ، لا ثلاث فقط كما في العربية .

وفي الفنلندية اثنا عشرة حالة لا ثلاث أو اربع أو ست فحسب ، ولم يتدمر لا الالمان ، ولا الروس ، ولا الفنلنديون بعد مسن « تنوينهم » هذا ، لانهم لم يصابوا بهذا الكسل العقلي والمرض النفسى .

6 - تريد من المائلات - وخاصة الامهات - والام « ربة الدار » - ان تحرم على اولادها الترعطن، وتفرض عليهم التكلم بلغة قومهم ، على الاقل فى الوسط العائلى، لتكمل بذلك عمل المعلم فى المدرسة . ولتقتد فى ذلك يكثر من المائلات الفرنسية نفسها والالمانية، والاوروبية الاخرى التى تزجر ابناءها عن التكلم لا بالاجنبية فحسب ، بل وبلغة قومية ركيكة ضعيفة أو لهجة عامية . فهناك عائلات المانية كثيرة تقول لاولادها : « تكلموا بالالمانية » عندما يتكلمون فى الدار بالمانية سوقية . فالالمانية فى نظر هذه العائلات هى الالمانية كما تكتب ، أى الالمانية المنونة « . ولننقل نحن لكل من تسمعه يترعطن : « تكلم بلغة قومك » !

بهذا سوف لا نحيب العربية فى الجزائر فحسب . بل ستساعد على جعلها لغة الحياة القومية فى السلوك العملى اليومى فى البلاد العربية جميعا .

ولنكن قدوة للمشرق

وبهذا سنسن سنة حميدة ، فقد ظلمت هذه اللغة في بلدها كثيرا وطويلا، فلم لانرجع لها مكانتها الاولى، ونخط الطريق لجميع البلاد العربية الاخرى المحتاجة الى هذا هي أيضا ؟ لم لايرجع الفضل الى الجزائر في هذا ؟ فقد فتحت الجزائر فيما مضى الطريق، على الاقل في المغرب والاندلس ، فأول نحو عربي شامل وضع في المغرب والاندلس هو الفية ابن معطى الزواوي الجزائرى التى أشاد بها ابن مالك الاندلسى فى يدم الفيته ، وهكذا كان ابن معطى الجزائرى نوعا من أبى الاسود الدؤلى للمغرب والاندلس .
— لنبدأ نحن — فى حدود الامكان — باستعمال الفصحى فى المغرب ، وسيتبع المشرق ،

سياسة ثقافية لتوحيد افريقيا

وهنا موضوع آخر بهذا الصدد : اذا كنا حقيقة ننوى انتهاز سياسة لتوحيد افريقيا فلم لا نفكر منذ الآن فى اقامة معاهد ثقافية عربية — فى المستقبل القريب — فى أهم المدن الافريقية لمقاومة سموم مختلف المدارس التبشيرية الاستعمارية هناك ؟ وقد نحتاج الى تأسيس معاهد خاصة هنا فى الجزائر لتعليم افريقيين آخرين وغيرهم العربية واعدادهم للدراسة فى جامعة المستقبل ، جامعة الجزائر التى سيدرس فيها كل شئ بلفة الجزائر . فالمانيا لها معاهد « غوته » المنتشرة فى المانيا نفسها وفى الخارج، وبريطانيا وايطاليا لهما معاهدهما ، وامريكا وفرنسا لهما جامعات فى الخارج ، وروسيا لها جامعتها «الافريقية»، والسويد

أنشأت أخيراً معهداً في إيسالا لدراسة اللغات الأفريقية وجلب
أفريقيين، وفرنسا غزت قلوب العالم بمعاهدها المنتشرة في الخارج
وبثقافتها، مما أعمى الكثير مدة طويلة عن سياستها
الاستعمارية... وجعل الناس لا يصدقون أن فرنسا...

«أخذ الثأر» من اخواننا،

وهناك نقطة أخرى : فقد عشنا مدة طويلة عالة على بعض
البلاد العربية فيما يخص لغتنا . فلم لا تأخذ «ثأرنا» في المستقبل
القريب جداً وذلك بإنشاء معاهد في العواصم الأوروبية وغيرها،
يدرس فيها، إلى جانب أطفالنا هناك ، أبناء العرب الصغار حيث
لا توجد ولا مدرسة عربية واحدة ، بقطع النظر عن الأوروبيين
أنفسهم الذين يرغبون في تعلم لغتنا . فقد علمت العربية بضعة
أشهر في ألمانيا متعلّوها في مدرسة ثانوية (I) ورأيت أقبال الألمان على
تعلمها وحسن نطقهم بها، واهتمامهم تبعاً لذلك لا بالجزائر وحدها،
بل وبالعالم العربي كله .

(1) Moritz-Arndt Gymnasium (in der Nähe der SPD - «Baracke» in Bonn).

فتوى

بمواز تعويض الذبح في الحج نقدا

بسم الله الرحمن الرحيم

اجتمعت لجنة الافتاء المركزية بالمركز الثقافى الاسلامى .
الكائن بشارع على بومنتجى ، رقم 12 ، الجزائر العاصمة ، يومى
الاثنين والثلاثاء 6 و 7 جمادى الثانية 1395 هـ ، الموافق لـ 16 و 17
يونيو 1975 م ، تحت اشراف السيد مولود قاسم نايت بلقاسم ،
وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية ، وبحضور كبار مساعديه
وحضر هذا الاجتماع ، بالاضافة الى أعضاء اللجنة ، بعض مفتشى
وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية بالولايات ، وبعض
أعضاء الوفدين الرسمى والدينى الذين حجوا هذه السنة ،
وبعض أساتذة الطب بالجامعة .

وكان موضوع الاجتماع :

« ذبح الاضاحى والهدى فى موسم الحج بمنى ، وما يتسبب فيه من هلاك عدد من الحجاج نتيجة التزاحم على المذبح ، فضلا عن ضياع قيمة الذبائح لعدم الاستفادة منها ، مما يفوت على الامة الاسلامية مقصد الشريعة من هذا الهدى ، وللتغلب على امكان ايجاد حلول أخرى طبقا لروح الشريعة ومقصدها » .

وقد افتتح السيد الوزير الجلسة بكلمة توجيهية تبعتها مناقشات طويلة ، مؤكدا بأنه يطلب من اللجنة البحث عن امكان اصدار فتوى فى الموضوع تكون شرعية لا ادارية ، أى أنه يترك طبعا مطلق الحرية لكل عضو فى اللجنة ، والمهدة على ضمايرهم .

وفى صباح يوم الثلاثاء 7 جمادى الثانية 1395 هـ الموافق لـ 17 يونيو 1975 م ، اجتمع الاعضاء المدعوون من خارج العاصمة القادمون خصيصا لهذا الغرض ، لتمهيد الاعمال وجمع النصوص التى بيد كل عضو من أعضاء اللجنة وكانت الجلسة تحت اشراف رئيس المجلس الاسلامى الأعلى .

وتجددت المناقشات حول نفس الموضوع ، وتلا بعض الحاضرين نصوصا فقهية من الكتاب والسنة ، وبعض الاقتراحات من بعض كبار العلماء ، مما دل على أن اصل المشكلة قديم ، ولاحظه كثير من علماء المسلمين والحجاج ، وشاهدوا ما تشاهده اليوم ، واستنكروا ما عليه الوضع فى منى فيما يتعلق بالذبائح وعدم الانتفاع بها ، وكلهم يطالبون بأن يهتم المسلمون بدراسة هذه المشكلة وايجاد حلول لها .

وكان من بين هاته النصوص ما يلي باختصار :

١) من القرآن الكريم : جاء في سورة المائدة قوله تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا لا تعلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا
الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام » ، وفي سورة الحج
قوله تعالى : « والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير
فاذكروا اسم الله عليها صواف ، فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها
واطمعوا القانع والمعتز ، كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون ،
لن ينال الله قومها ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك
سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم .. »

وجاء فيها قبل ذلك قوله تعالى : « ولكل أمة جعلنا منسكا
ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام » ، وفي سورة
البقرة قوله تعالى : « واتموا الحج والعمرة لله ، فإن أحصرتم
فما استيسر من الهدى ، ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى
معله » .

وجاء فيها قوله تعالى : « فمن كان منكم مريضا أو به أذى من
رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك » ، وجاء في سورة
المائدة قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم
حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم
به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة ، أو كفارة طعام مساكين ، أو
عدل ذلك صياما » .

(2) ومن الحديث الشريف : جاء في أول حديث جابر رضي الله عنه ، (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يعج . ثم أذن في الناس في العاشرة بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج ، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتبس ان يأتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعمل مثل عمله ، فخرجنا معه ، ثم ساق الحديث ، وفيه ، (... ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل من شيء عملنا به) .

وروى عبد الرحمن بن معاذ التميمي قال : (خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن يعني) قال : (ففتحت اسماعنا حتى ان كنا لا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا) ، قال : (فطلق يعلمنا مناسكنا حتى بلغ الجمار .. الخ ، الحديث) . وقال صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : (خذوا عني مناسككم) ، وفي حديث جابر ، (ثم انصرف - أي رسول الله (ص) - فنحر ثلاثا وستين بدنة بيده ، ثم أعطى عليا فنحر ما بقي وأشركه في هديه) ، ثم قال نبي الله صلى الله عليه وسلم ، (قد نحرنا هنا ومنى كلها منحر ، وكل فجاج مكة طريق ومنحر ، فانحروا في رجالكم) . -

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أي الحج أفضل ؟ قال : (الحج والشج) فالج رفع الصوت في التلبية ، والشج سيلان الدم ، دم البدن .

وبعد الدراسة الدقيقة والمستفيضة لهذه النصوص وغيرها ،
اذ لا يتسع المقام لذكرها جميعا ،

وبعد استعراض الطريقة السيئة التى يؤدى بها هذا الواجب
الدينى ، وتجارب أغلب اعضاء اللجنة الذين حجروا وشاهدوا فى
عين المكان مظاهر غير لائقة ،

وبعد اجماع اعضاء اللجنة على أن الحالة الراهنة التى عليها
الوضع فى منى لا تشرف الاسلام والمسلمين ، والاسلام ينزهه
أتباعه عن المبت ، والتبذير ، وتضييع الاموال ،

وبعد أن تقرر بأن هذا مفسدة من المفاصد المنهى عنها شرعا ،
لان قتل الحيوان بدون منفعة فساد فى الارض ، وان ذلك متكر
يجب تغييره ، والآية الكريمة تقول : « ومن الناس من يعجبك
قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام ،
واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل
والله لا يحب الفساد » (سورة البقرة) ،

وبعد أن لاحظ الجميع المجهودات المشكورة التى ما فتئت تقوم
بها خاصة فى المدة الاخيرة السلطات فى المملكة العربية السعودية
لتحسين أداء فريضة الحج فى جميع المجالات ،

ونظرا لسهولة المواصلات وكثرتها جوا ، وبرا ، وبحرا ،
بعد فتح قناة السويس ، وامكان تزايد عدد الحجاج فى السنوات
المقبلة ، اكثر من ذى قبل ،

اجمع الماضرون على وجوب الاسراع بتنظيم عمليات ذبح
الهدى بما يلى :

1) الاكثار من المذابح فى متى وفى سائر احياء مكة وضواحيها
بمقدار كاف لتجنب التزاحم المفضى الى المأسى ، وليمكن توزيع
لحومها على الفقراء والمساكين فى جميع احيائها ،

2) اشراف ذباخين مهرة على عملية الذبح ، والسليخ ، والتقطيع ،
لمنع فساد اللحوم وضياعها بدون الانتفاع بها ، كما هو الحال
الآن حيث يتركها الكثير تتمغن فى المكان ولا يأخذون منها الا ما
خف وزنه وغلا ثمنه ،

3) اقامة ثلاثيات مجهزة تجهيزا حديثا داخل المذابح وثلاثيات
متنقلة لحفظ اللحوم ،

4) تأسيس مصنع لتصبير اللحوم وتعليبها ، والاستفادة من
جلودها وسائر اجزائها ، عند عدم استطاعة توزيعها .

وفى حال تمذر هذا التنظيم ، او عدم كفايته وحده لحل
المشكل ، رأى اليمض المحافظة على شعيرة الذبح ، رغم المنع
الشديد ، او المصيام عند المعجز المالى ، او الجسمى ، او التمذر
عموما ، وقوفا عند النصوص التى لا يسوغ معها اعمال الرأى ،
او الاجتهاد ، فى نظرهم .

ويرى الجمهور ، مع احترام النصوص ووجوب المحافظة على الشئان الاسلامية طبعاً ، زيادة عن بسدل الصيام الوارد فى القرآن ، وكذلك الصدقة فى القدية وهدى الصيد ، أنه :

(ا) نظرا لتمذر تنظيم الذبح فى الوقت الحاضر كما تقدم ، مع بقاء المفسدة على حالها ، بل وربما ازديادها مع تزايد عده الحاج ،

(ب) واقتداء بما ذكره بعض الحاضرين من أن العلامة الشيخ محمد البشير الايراهيمى رحمه الله ، وهو من علماء الاسلام ، قد افترى فى البقاع المقدسة بجواز تمويض الذبائح بدفع أثمانها وهى فتوى شقوية ، لم يكن لها نص مكتوب ، أو لم يعثر عليه ، وانما تواتر ذكرها ، وتفندها المرحوم الشيخ محمد الفسيروى عندما كان سفيرا للجزائر بجدة ، وتبعه فى ذلك كثيرون ،

(ج) واستنادا الى ما يجرى به العمل من دفع الكثير من الحاج اثمان الذبائح الى المطفوفين وعمالهم بصفة التوكيل ، بحيث لا يباشرون بأنفسهم عمليات الشراء ، والذبح ، والتصديق باللحوم ، لتمذر ذلك عليهم ، وخوف الهلاك من شدة الازدحام ،

(د) وعملا بالمبدأ الاصولى المعروف فى الشريعة الذى يقرر بأن درم المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وبالتالي ،

(ر) درءا للمفاسد عن الامة ، وجلبا لمصانها مما ، يجعل هذا المال الذى كان يضيع فى التراب يقيس الفقراء ، والمساكين ، وفى سبيل الله :

يجوز دفع ثمن الذبائح نقدا لفقراء المسلمين والمساكين بمكة
المكرمة والبقاع المقدسة ، وفي سبيل الله عموما ،

وبذلك يصبح هذا الرأي فتوى شرعية بالنسبة للعجاج
الجزائريين ،

هذا ، ونذكر بأن هذه المسألة ستعالج ضمن موضوع الحج
الذي هو النقطة السادسة في جدول أعمال الملتقى التاسع للفكر
الإسلامي الذي سينعقد في تلمسان في الشهر القادم .

الجزائر في 8 جمادى الثانية 1395 هـ

الموافق لـ 18 يونيو 1975 م .

انتظروا :

عدد «الأصالة» الخاص

بتلمسان

النظرة الإسلامية إلى الحياة

د • عبد الكريم جرمانوس
مئاذ الأارنخ المءىء
بجامعة بوءاببست - المجر

كان من ائمن ذكرىائى الأقالى بالاسأاالأبشمر
الأبرامبى المبشر بأأربز الأزائر ، وءلك فى الأاهرة
فى سنى الألاكبناء ، ولا ازال اأأفل بصووءه الشمسفة
اللى الأأفلأ له مى مع نفر من اصءقائنا •

اذكر عئما كئأ طابا فى الجامع الأزهر انى اعأأأ
أن األس الأرفصاء مقعبا على ارضفة مأل كئبى صفر ،
بئما كان البائع ینشر امام ناظرى كنوءه الأئمنة كلا •
وكئأ اسأأرق اسأأأأا عمقفا فى الأهام وأألب

الصأأأا ، الواأأة بعء الاأرى ، من أعمال السلف الصالأ مئمجا فى عالم ذاك
لموءة كئأ افیق بمءها مئءهشا امام أفة الأاهرة الیومة الأالفة بمرباءها اللى لا أعمء
ولا أأصى ، أئأ بءا لى كل ذاك غربا وعجبفا الى أء مئر • ولأء أصرمأ قرون عءبفة
من الزمن وءأأأ أعاأها الكأبر من الفكر السامفة ، فأأأة المأال فى الوقت نفسه
امام أأأاماء وآمال أءبفة •

ان عصور تاريخ الانسانية تتقدم ببطء من مرحلة الى أخرى ، ويكون طابعها مصاحبا ومتسما بالانجازات الروحية والمادية للبشرية . وكل عصر منها يكشف لنا عبر طرازه الذاتي فردية فريدة من نوعها مرتبطة بقوة الظروف المادية للعصر مدار البحث . ومن السهولة بمكان ملاحظة الصلة الحميمة التي تربط الظروف المادية بالرغبات الروحية لتلك العصور .

ان هيرودتس ، وهو ابو التاريخ ، والذي كان اغريقيا متعلما ، ذا الملم كامل باللغة الفارسية القديمة ، قد بقي ، وذلك عندما توخى وصف رحلاته في بلاد فارس ، غير مأخوذ بالقرابة اللغوية ما بين اللغة الفارسية وبين لهجته الايونية الاغريقية .

ولقد لاحظ بنوع من عدم الارتياح ، خجل الفارسيين من العرى الانساني ، بينما كان الاغريقون يسجدون جمال المسد الماري مخلدين اياه في اعمال تحت كثيرة . وهكذا فان ما جذبه وفنته هو الفرق في الحضارة الملية (وليس اللغة) وهو أمر كان أكثر استكراها بالنسبة لعقليته الاغريقية .

لقد تقدم العالم ببطء وتغير وتبدل لكون المنجزات المادية تتولد نتيجة الاستيقاظ الروحي منتقلا من الاشكال الفطرية ليتخذ اشكالا أكثر تمقيدا . وهكذا فان مراكب النقل البحرية الخاصة بالقرون الوسطى تيرينا تفرقا جزئيا محدودا متى ما قارناها بقوارب التجديف والسفن الشراعية الفائرة . كما ان الاسلحة التي خاض بها اناس القرون الوسطى حروبهم لا تدل الا على تقدم بسيط مقارنة بالسيوف والنزوع والمتجنقات والتحصينات القديمة . كما ان العرسان الآسبويين من اقليم طورانيا في العصور الوسطى هم الذين جلبوا استخدام ركاب السرج الى أوروبا ، بعد ان كان مجهولا بالنسبة للامم الكلاسيكية . اما مسحوق البارود ، الذي اخترع أولا في الصين ثم انتشر تدريجيا في بلدان الغرب ، فقد كان اشارة ايدان بتغيير كامل في بناء المجتمع واسهم بصورة فعالة في تصفية امتيازات طبقة الاشراف الفرسان وعرس بفترة صعود العناصر الديمقراطية - كما أن شعار ، بل صرخة الحرب في القرون الوسطى لم تعد بعصه رمزا لتبأين ملي وطني ، بل احتل محلها عنصر روحي حديد الا وهو الدين .

وادتقت الشعوب الى مرتبة الامم وانقسمت الى معسكرات متباغضة ، وكان الشكل الحادجى لتباينها ذاك هو الشكل المتمايز لآلاتها الحربية • وكان الاسلام والمسيحية يشكلان المتقدمين الأساسيين ، ورغم كونهما ينطلقان بصور جوهرية من ذات المبدأ الأخلاقى للوجود ، فقد وقفا على طرفى نقيض من بعضهما البعض كأعداء الداء •

ان عقلية القرون الوسطى ، وعقلية انسان القرون الوسطى بطبيعة الحال الذى كان يعمل ، مستخدما معاناته ، التى يشغلها إما باليد أو بالقدم ، وكذلك انتقال التجارة بواسطة العربات التى تجرها الخيول والسفن الشراعية ، كانت كلها تشبه بناء هندسيا تتحكم بأمره قوانين حاذية لا مرد لقضائها ، وكانت النظرة العامة لاسان القرن الوسطى ذى المعرفة العلمية المحدودة قد عدت بحاجة ماسة الى روح منظمة وهادئة لتتغل ذلك الانسان عبر الظنون الآتية خلال تقلبات الحياة • ولقد ساعدت الادبانات السماوية المنزلة ، بما جاءت به من تعاليم ، الانسان على تعزيز نفسه ضد قوى الطبيعة التى كانت ترهبه وتخفيه •

حيث ان الدين وفر له قاعدة صلبة ليقف عليها ويعيش على ظهرها • ، لان الانسان وجد فى الدين هداية ووحية له • ولقد كانت التعاليم الدينية تنسم تماما بذات الطابع الذى تنسم به يديهيات العلوم الطبيعية : هى لا تحتل البرعمة العقلانية الا ان صلاحيتها المطلقة لا يمكن انكارها على أية حال • ان يديهيات الرياضيات والهندسة نفتقر الى البرهان العتلى ، الا انه بدون مبادئها الاولية لا يمكن تصور وجود الرياضيات أو الهندسة •

وابان الحروب الاصلاحية ، التى ترجع الى كشف جزئى عن المسببات الطبيعية للظواهر الطبيعية فان المتفادات القبيية للكنيسة المسيحية قد فقدت الكثير من اوجحية صحتها وقدرتها على الجدل •

وقد اقدم اطال الاصلاح على ترجمة التوراة الى لغاتهم الوطنية وهكذا فان اساطير المذاهب الرسمية قد ظهرت بصفتها اوهاما وتوهيمات والاعيب كنسية • ونتيجة لتلك الترجمات فان اسفار التوراة قد عمت معرونة على نطاق اوسع بكثير ، بن انها فسرست تفسيراً محصها مى قبل مبشرى العلوم بشكل لم يسبق حدوثه ذى قبل •

كما ان قراءة تلك الاسفار باللفات الوطنية قد اعطى زحماً لمهضة لوعي القومي معادية لكل القوايين السائدة والمفقة من قبل الامبراطورية الرومانية المقدسة وكاثوليكية السماوية المصطنعة . ولقد كان استقبال الوعي القومي يشل الحطرة الاولى بانجاء الدينيوية . ورغم ان الحروب كانت ما تزال تخاض تحت الرايات المتنايزة للدين ، الا ان ميذاً جديداً للتمايز قد اندرج قيد الاستعمال : الا وهو ميذاً اللغة .

ان القرن الثامن عشر للميلاد قد انشأ ، جنباً الى جنب مع اتجاهه الدينيوي الفريد في التفكير ، فكرة الحمى ، التي كانت أصلاً مجرد « الوطن الام » ، ثم تطورت عمر مدلول متميز جلي في الارتفاق الى الجماعة التي تتكلم لغة معينة والتي هي متميزة بعدا عن آية جماعة أخرى تتكلم لغة أو لساناً آخر . وبالندرج فان الوعي القومي قد حفر أو غرس استقاليات القومية في الآداب والنوع مميزاً تلك المجموعة عن غيرها ، بل ووصل به الامر الى حد اعتبار الاغراب كأعداء الداء مضطهدين (بكسر الدال) .

وهكذا فان البنية الاجتماعية المحكمة والمشرّف عليها في أوروبا من قبل الكنيسة الكاثوليكية قد تحطمت الى عناصر غير متجانسة ، الامر الذي اضطرها والحال كذلك الى الاقرار بالمبادئ الوطنية المختلفة فيما يتعلق بالتراث الديني . وهكذا بدأت الدينيوية تشق طريقها منعطفة باتجاه عقلية جديدة .

ولقد غدا الدين الموحى به من لدن الارادة السماوية والمشروح من قبل رجال دين منغلين ، حجر الاساس للمجتمع الذي تمسك بعناصر متعددة النشآت في آن واحد وفي مهي الانسجام الكامل . وقد غدا كذلك سندا ترتكز عليه الحكومات كأقوى حليم لها ، حيث ان بطرته الى الوجود كانت منجاسة الى ابعد حد مع الادعاءات الخاصة بالاصل الالهى (المقدس) للدولة .

لقد كان الدين بشتابة المعلم الذي لا معدى عنه لاختلاقيات الانسان ولسلوكه العام تجاه أمر الالوهية الغامضة الغيبية المسمحية الفهم ، وكذلك تجاه اخوته في الشرية . والدين الاسلامي تطورانه الفنية وهب الناس فكراً عملياً ليواجهوا بنجاح عراقيل الحياة الدينيوية ، ووعد بالسلاوة والتعيم مقابل رعب الموت . ولا يوجد انسان ، في أى عصر

من تصور اندريخ ، يستطيع الاستثناء عن معتقد ديني بغض النظر عن صفة ذلك الدين . واعبوم الفلسفية والعلوم الطبيعية تملك بذاتها المتعددة تماما كما يملك أى مؤمن متدين بمعتقده الدينى الذى يقار عليه .

هل بإمكان الديوية ان تصرف النظر عن عقلية تشجع بصورة كاملة كافة تطلعات الحياة الانسانية ؟ وهل بوسعها ، بموافقة السواد الساحق للناس ، ان توجد الحلول لكافة الرغبات المادية والروحية لمكر وروح الانسان ؟

ان الفرق الجندى ما بين المبدأ الدينى والمبدأ الديوى يكشف عن نفسه عبر الاقرار بأن وجهة النظر الدبشية ترى بأن الانسان يولد وهو متقل نالوعى بالمسؤولية ، بينما تسمح وجهة النظر الديوية للانسان حقوقا مكتسبة .

ان العالم قد شهد خلال حركته التاريخية ومن خلال السبر الحثيث للتقدم انقلابا شاملا فيما يتعلق بالبنية الاجتماعية والنظرة الروحية . لقد عدت الاكتشافات التقنية العلمية نحمل الانسان الى سطح القمر ، ولكن هل تراها اتاحت للانسانية ان تكون افضل واسعد حالا ؟ وهل زودت الانسان بقانون روحاني ينظم سلوكه ؟ لا شك ان المسلمين هم فى وضع افضل فى هذا المصارع من معاصريهم الغربيين ، حيث ان الاسلام فى تعاليمه ، كما جرى تفسيرها من قبل المفكرين والمتكبين على علوم الدين قد أورد المؤمنين به عطية مكتملة هي بمثابة علاج واقى ضد التردد والحور العقليين .

ترى أمن الحرى بي ان استشهد باولئك الذين بينوا الصراط الصحيح للسلوك ان فى السراء أو فى الضراء ؟ اننى بكل بساطة استشهد ببعض الفقرات والعبارات من أعمال بعض المرشدين الاثيرين عندى ، وذلك عبر الدرب الشانك لمسيرة الايمان والشك . ان احد خلصائى القدامى ، عبر صفحات الكتب ، سواء ابان سنى شبائى ، أو الآن فى سنى شيخوختى هو ابو طالب ، محمد بن ابي عطية الحارثى المكى فى كتابه « قوت القلوب » .

ولما كنت متشكك الطبع فى المدارس الاوربية حيث تشربت بكافة اشكال الفوابة الحادعة لحرية الفكر ، واما فى سائر فيض الاشعار الفغنائية ، ناديا بحرية فى المبدأ

لا حدود لها ، كما كنت مسحورا الى حد التقديس بفلاسفة المثل المجردة وممثل مبدءا كفاية العقل العلمي ، الا اننى برغم ذلك مازلت اجد ميلا لا يقاوم للفوضى في الفصول الثمانية والاربعين لهذا الكتاب التعليمي المنير للعقل . حيث انه يتضمن معلومات وافية مكتسبة لكل مسائل الحياة ، وهو رقيق مستعد على الدوام لتقديم المشورة والنصح في مختلف مجالات الوجود الانساني . وهذا الكتاب والكتاب اللاحق له ولكن الاوسع منه الا وهو كتاب « احياء علوم الدين » للغزالي الذي اقمى باحلاص خطي سلفه ، جبنا لو قرنا مرات ومرات من قبل شبابنا ومعمرينا على حد سواء .

لقد كان للقرن الرابع للهجرة فاريج روحى حافل وراء ظهره . فالاسلام كاعتقاد ارتقى الى دين وانشأ مجتمعا واسحا متعدد المصالح المادية والروحية . فقد اتسرت التأثيرات الروحية الاحنبية ولونت تفسير سر الوحي الالهى ، وفقا لنظم تفكير عديدة . وحكومة الدولة الاسلامية شملت من ازر الانظمة الروحية صنفها دعما وتنظيما لها هي . الا ان التفسيرات الجامدة للوحي الالهى لم تقنع الكثيرين من المؤمنين المصححين ، ممن كانوا يبحثوا عن تفسير اكثر قبولاً . وكانت الاسئلة الملحة المتعلقة بازلية عالم الله ، وتوافق الصفات الالهية وبالقضاء والقدر ، المستقل عن ارادة الفرد ، كلها كانت تهتف طالبة حلا لها .

وهكذا فان حزب الشيعة ، حزب احفاد الرسول ، بناء على المبدأ الخاص بالسوحي المقدس قد طور نظاما دينيا غنيا بالنسبة لشرعية الحكم .

ان نهويات الحنين الدائمة للنفس الانسانية باتجاه خالقها ، والاستعداد لتحقيق وحدة مطلقة في الطبيعة وفي عالمها الصغير الذى هو الانسان ، كلها اسهمت في تلوين واتراء آراء المفكرين المسلمين . ومع ذلك فان الحديث النبوى لم يتوقف عن كونه الاطار الذى يحتوى السلوك الانساني .

وفي القرن التاسع الميلادى ، فان العالم المالكي ابو عبد الله محمد بن سالم (المتوفى عام 909 م) واولاده ، ابو الحسن احمد و ابن سالم (المتوفى عام 980) ، قد تبنا نهجا قوبل بمعارضة شديدة من قبل علماء المذهب الحنبلى مثل ابو نصر السراج (المتوفى عام

987 م) ، وذلك في كتابه « الملح » . والمظاهر الرئيسية لهذه الطريقة التي اصطلح على تسميتها بالسالمية هي : ان الله يخلق بدون انقطاع وفي كل لحظة ، وقدرته تلك على الخلق ، التي هي غير مخلوقة (تفعيل) تحصله حاضرا في كل مكان خصوصا على السنة من ينلون القرآن . كما ان الله يمتلك قدرة غير مظهرية « مشبهة » ، بالاضافة الى « الارادة » التي هي قرار واع ومدرّوس . والامتثال لنصوص القانون يتم عن طريق الاكتساب المتعمد طوعا . كما ان الاحتمال يستحق الحمد بصورة تفوق ما يستحقه المتمتع . والمؤمن الصادق يستطيع ان ينال الاندماج الصوفي مع السر الالهي عن طريق بلوغه ادراك ذات نفسه الى درجة تماثل حالها عندما منحت اليه من قبل سر الربوبية .

ان المعارضين الحاصلة لتعاسم وافكار السالمية مثل ابو يعلا القرا (المتوفى عام 1085 م) ، والذي خلف لنا عبر ذلك كتابه « الاحكام السلطانية » وابن تيمية (المتوفى عام 1328 م) وابن القيم الجوزية (المتوفى عام 1350 م) ، والسى احتط ، خلال مؤلفاته العديدة ، خطأ موازيا لكتاب ابن حزم « طوق الحمامة » وذلك عن طريق كتابه « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » منتقدا فيه الاتجاهات شبه المعتزلية للمذهب السالمية .

وما تزال السالمية متمسكة بالاعتقاد القائل بان الروح تواصل تواجدها الشخصي (في الفترة ما بين الموت الذي لا مناص منه وما بين يوم النشور) ، وهذا الاعتقاد حمل الكثيرين من عطاء السنة على القبول بالتعاليم الوحدانية وبممثل تلك التعاليم ابو طالب المكي .

بل ان علماء الاندلس في القرن الثاني عشر مع ابداء بعض الميل الى الاسماعيلية ، مثل ابن براهيم (اتوفى عام 1141) وابن قصى ، وابن العربي (المتوفى عام 1240 م) قد اظهروا نوعا من التفهم والتعاطف مع مقولة الاسماعيلية بخصوص الوحدانية ، وفي نفس الوقت فان بعض المبادئ السالمية الاخرى قد حفوظ عليها ضمن شعائر الطريقة الشاذلية .

وقد اطنب ابن خلكان في ذكر صاحبنا ، وذلك في مؤلفه « وفیات الاعيان » (المجلد الاول الصفحة 622) . واستنادا الى هذا المرجع فان ابا طالب كان رجل صدق وصلاح ، وكان صاحب اجتهاد في القضاة الدينية ، تلك الامور التي ادلى بها برأيه في المسجد

الجامع * ولقد ولد في « جبل » وهي مكان يقع ما بين بغداد وواسط * أي انه لم يكن من مواليد مكة المكرمة ، ولكنه عاش هناك ردها من الزمن ، ومن هنا حصل على لقب « المكي » * وقد لوحظ عليه الاعتدال ، كما اعتاد على كبح حماس نفسه وعلى اقتيات القبول ونتيجة لهذا الامر كان لوّن جلده يميل الى الاخضرار *

وقد اجتمع هناك الى عدد من العلماء وشيوخ الطريقة من رواة الحديث - وعقب وفاة ابو حسن ، ابن سالم الذي كان تابعا له ، انتقل الى البصرة ، ثم اتجه قاصدا ببغداد حيث قام بالقاء المواعظ على سواد الناس ، ولكن ذكر انه خبط في اشياء تافهة مما جعلهم ينفضون من حواليه *

ويذكر محمد بن طاهر القدسي (المتوفى عام 1113) ، وذلك في مؤلفه المسمى « كتاب الانساب » ان الناس في بغداد قد وصوه باتيان بدعة حارجة عن الشرع ومجره *

وثمة محدث من حقبة متأخرة الا وهو حاحي خليفة التركي (المتوفى عام 1658) ، يقول في كتابه « كشف الظنون » بأن رأى جمهرة المتعلمين في عصره وفي كل الاقطار قد اجمع على انه لم يوضح كتاب آخر يماثل كتابه « قوت القلوب » الذي يناول طريقة العبادة مرشدا الى عتبة التوحيد ، وانه لم يسمع عما يشابهه في كافة بقاع المسكونة *

الا ان ذلك الكتاب قد سقط في عياصب السسيان ، الى ان عاد واشتهر من جديد تحت اسم « دقائق الطريقة » ، وجرى اختصاره من قبل زين الدين محمد بن خلف الاموي من دمشق (المتوفى عام 1342) ، وذلك تحت عنوان « الوصول الى العرض المطلوب من جواهر قوت القلوب » *

ولامراء في أن كتاب قوت القلوب يشتمل كما يوحى بذلك اسمه الكامل ، على ارشاد مكتمل لسلوك الانسان الجسدي والروحي والخلقي على حد سواء * وهو يظهر من فصله الاول وحتى الاخير ، ان الانسان يحتل مرتبة بالغة الاهمية في حطة الله الخالصة بالخلق ، وانه قد كتب عليه أن يتدبر امره بما يتفق مع ارادة الله الخالق ، حتى يتأتى له الرضى والسعادة في الحياة الدنيا ، والطمانينة في الحياة الاخرى * ولا يوجد هناك أي تافهوس

دنيوى (وسمى) يستطيع توفير قناعة من هذا القبيل . وكل التحذيرات تركز على سور قرآنية وعلى تراث معين ومجرب *

والاسلوب الذى يخلل الاجزاء الاربعة بكاملها جلى طلى متائق ، وكثيرا ما يرتقى الى مرتبة الذوى الشعرية ، خاصة فى الفصول المتناولة للامور العاطفية . ومثال ذلك الجزء الاول الذى يتضمن النضائح المتعلقة بالعبادة وممارسة الشعائر الدينية خلال النهار والليل فى كل يوم من أيام الاسبوع ، وكذلك فى الاعياد والمناسبات الدينية الخاصة ، بينما يقدم الجزء الثانى شرحا للكتاب المقدس ، مثنيا على المتعلمين ومقرعيا للكسالى والمهملين *

وفى الفصل السابع والعشرين يكشف الحجاب عن سر السلوك الواجب انتهاجه من قمل شيخ الطريقة تجاه مريديه . كما يذكر الامور الثلاثة التى تشكل الفوايات الرئيسية التى تحرف الناس عن الطرق المستقيم وهى : حب المال ، حب الاستئثار بالسلطة والتهاك على النساء ، وبالأضاح الى ذلك فان بعض الراسخين فى العم قد افنوا بأن ثلاثا تبعد المرء عن خالقه : فقدان الاخلاص فى القرار ، الجهل بالهيج القويم ، وحديث العالم السىء الطوية *

والغزالي (احياء علوم الدين المجلد الاول ، الصفحة 80) يفسر اللاهوت الذى لا يحرصن فقط تعريفه الدينى الذى يمثل انكارا لكافة التصورات الاساسية المحروء اليه وحسب ، وانما يسبب اضطرابا كاملا فى الوجدانيه العلمية الخاصة بفلسفة النشوء والارتقاء فى القرن التاسع عشر *

وانو طالب يأمر بالاخلاص الكامل فى العبادة وبالحضوع والاجلال الكاملين نحو الله تعالى . ويعلن الغزالي فى كتابه « احياء علوم الدين : المجلد الاول ص ، 153 » ان المحضوع يحتل المقام الاول فى الدين وهو حصيلة الاعتقاد بأن الله على كل شىء قدير . وهو الذى انعم عليه وبورك له بهذا اليقين صاعر ذليل فى ابتهاهه وفى كامة الأحوال الاخرى *

والغزالي مثله فى ذلك مثل سلفه أبى طالب ، يعطى وزنا خاصا واهميسة حيوية للطابع المقدس لكل عمل يؤتى (احياء علوم الدين : المجلد الاول ص ، 240) ، وتبعسا

لذلك فإن مراسم الحج لا يمكن أن تؤدي ابتغاء لأي عرض دنيوي أو تجاري أو بهدف الربح - وهكذا فإن كل عمل يتعلق بالعقيدة يجب أن يشتمل على استغراق كامل في التيقن والايان بأن المخلوق هو عبد صاغر ومدعن مطيع متين لربه ، خالق كل شيء . حيث ان الانسان لا يمتلك أى استقلال في مبدئه الروحي ، اذ انه يحمل في روحه غرسة القدرة الالهية ، ويجب ان يظل جسده محيطا بهذه التبعية السماوية . وهي مقولة ذات اخلاقيات رفيعة يمكن ان يبنى على اساس منها مجتمع متين الصرح ، راسخ البنيان .

وابو طالب (قوت القلوب ، المجلد الثاني ص ، 17) يؤكد في سياق تناوله للعلم ، مثله في ذلك مثل خلفه العزالي (احياء علوم الدين . المجلد الاول ، ص 48) ان العالم الحق لا يمكنه الاستغناء البتة عن الاخلاقيات . بل انه في تذييلاته يندفع في أسلوب روائي يقص علينا احاديث الناس في زمانه وهم يلتقون في الطرقات ، فكل منهمم يستفهم الآخر عن عمله ، وغالبيتهم العظمى تتحدث عن اعمالها وتجارتها ، معصحة بذلك عن روح دنيوية خاصة بالحياة الفانية (المجلد الثاني ، ص 42) . وهو عدا عن ذلك ينبههم الى حقيقة كون النجاح في الحياة يرتبط ارتباطا وثيقا بالسلوك القويم ، بل هو محصلة ذلك السلوك الذي ارسيت نوااميسه في القرآن والحديث وفي تفسيراتهم المعتمدة ، وهو انذار وتحذير لشدة ما ينطبق بصلق على ايماننا هذه حيث اناس كثيرون يشكون اليك ما أصابهم من غم ، ويففلون عن نعم الله عليهم في حياتهم .

وهو يستنكر - مشيرا الى نقيضه ابن حنبل - البذخ في البناء وفي الزخرف وفي اقتناء وسائل الترف ، وكل ضرب من ضروب البدع المتنافية للشرع ، والتي سرعان ما تفقد تقليدا يتبع ويقلد ، وتعود الى الصلال والخروج على الدين الخفيف . (قوت القلوب : المجلد الثاني ، ص 68) .

والالتزام الاخلاقي بالتوبة تجاه الله هو واجب على ابن آدم ، بحيث لا يقترب الاثم ابدا ضد أخيه الانسان ، ولكن متى ما حدث واقترب امر ا من هذا القبيل فعليه ان يطلب الغفران . والتحويل بكبر الخطيئة في الوعي يقلص من اثرها الى ادنى حد . وكل فعل خير هو بحد ذاته ثواب ونوال . وهو يوجه اشد الاستنكار والتقريع ساردا الامثلة

الكثيرة من القرآن ومن الحديث ومشيرا الى مراجعها ، الى كافة انواع الفطرسمة والمظلمة الزائلة التي هي بمثابة عصيان ضد الله •

والغزالي ايضا يروى قصة ربيع بن الخيثم (المجلد الاول ، ص 153) الذى كان متواضعا وحبيا الى درجة انه كان دائما يحفض نظره الى الارض لدرجة ان بعضا من الناس حسبوه اعمى لا يبصر •

وبعد ان يذكر بان الصبر هو ميزه المؤمنين الصادقين (قوت القلوب : المجلد الثانى ص 87) ، يأتى لمحدث عن اشكر والامتنان ، وهما برأيه واجب اخلاقى تجاه الله وتجاه الانسان - وهو يؤكد على ان الحمد هو جزء من العقيدة ، داعما ذلك بطائفة من اقوال النبی (صلعم) - وهذا التثنية القيم مفيد لجيلنا الحاضر ، الذى كما يبدو قد فقد هذه الدعامة من دعائم الحياة الاجتماعية بين الناس (قوت القلوب : المجلد الثانى ، ص 105) •

كما ان مقاطع تحتل صفحات عديدة تتناول مسألة الخوف • وهو يبين بمنتهى الجلاء ان المؤمن الصادق لا يعرف الخوف ، ولا يجد الخوف طريقا الى نفسه ، نتيجة وعيه الواقى بالمعادلة الالهية •

اذ انه مما لا شك فيه ان الخوف ينبثق من ارتكاب المحاصي ، وما تخلقه من اثر فى الروح الانسانية • وهكذا فان البشر الابرياء الذين لم يقتربوا اى نقض ضد التعاليم الالهية ، هم بمثابة معصومين ، ويعيشون حياة ورع وتقى • وهؤلاء الناس هم القسوم الزاهدون ممن انعم الله عليهم بالمعرفة الحقيقية ، معرفة اوامر الله ومعرفة الافعال المنكرة المحرمة عليهم ، وهذا النفر من الناس ذو ضمائر نقية حاصلة لا تشوبها شائبة •

ويعد ابو طالب السائرین على النهج القويم بالجنة ، ويتوعد الاشقياء الضالين بسعير جهنم • واسان القرون الوسطى كان اكثر ميلا لتقبل المرتبات الاخلاقية الناتجة عن اعماله من الانسان الدينوى التعليم المادى والمفكير من اهل القرن العشرين • وهذا الاخير يمكن ، ولكن بمسر وصعوبة ، حصره ضمن حدوده عن طريق عقوبات دينوية (وضعية) ، ليمتنع عن ارتكاب الآثام المنكرة بحق اخوته بنى البشر وبحق المجتمع •

وتتيمة للعلمانية فإن الانسان المعاصر قد اضحى يصرب صفحا عن الالتزامات الاخلاقية ، تلك التى كانت فى الاسلام تمثل القوة المحركة الرئيسية لمراقبة الاعمال الانسانية . ونحن متى ما قرأنا مؤلفات ابو طالب والتزائى ، آخذين هذه الحقيقة بعين اعتبارنا ، فسوف ندرك بشكل كامل ونفهم اهمية النظرة الاخلاقية بصدد الحياة بالنسبة للفرد أو بالنسبة للمجتمع سواء بسواء .

ان السعادة الحقيقية تكمن فى التواضع طالما راح الانسان يمد من تطلعاته ما يتجناه ما يترتب عن افعاله من نتائج ، وطالما صرب صفحا عن الممع الآنية الزائلة . وهو يستشهد بقول ابو سعيد الحضرى : « ايها الناس ، ليس للشهائد والمسغبة ان تؤدى بكم الى النحاس الكفاية بسلك مسالك الفعال المنكرة » .

اما القسم الثالث من كتاب قوت القلوب ، فانه مكرس لدراسة المرتبة التى يحتلها كل من الايمان والتواكل على الله ، وبالنسبة لاسان القرن العشرين المعبا بالسطرة المادية المنجمدة الى الحياة ، فان تسيير امور الحياة بواسطة نواميس اخلاقية وتعاليم روحية محضه ، يبدو أمرا شديدا الغرابة ، ويصعب على القهم والادراك ، وموقفه هذا ينبعث من ثقافته العلمانية ، التى تشيد بحرية وهمية يمكن أن تؤدى بكل سهولة الى التردى فى هاوية اللا مسؤولية ، وعدم الاكتراث بنجاة نواميس واعراف الاحلاقيات الخاصة بالمجتمع .

ان ادراك المسؤولية ورفعه الى اعلى مراتب التشريع ، التى تمثل اقرارا بالوحدانية الالهية ، أمر من شأنه أن يعقل لجام ضعاف النفوس ويردعهم عن ارتكاب المعاصي والانغماس فى الملذات الحرام ، وعن كافة الاشكال الاخرى التى تميز الحياة اللااخلاقية . ولا نبالغ فى قولنا بأن مجتمعات هذه الايام تعاني من كافة هذه الشرور الدنيوية المأفونة .

ويقول ابو طالب بأن التوكل على الله تعالى هو اعلى المراتب وأشرفها مقام ، يختص به المقربون من ربهم . « وان الله يفتق رحمته على أولئك الذين وضعوا ايمانهم به (المجلد الثالث الصفحة رقم 3) » . ويؤيد قوله هذا بسرد قصة ، جريا على عادته كلما رأى فى ذلك ما يلائم العرض المتوخى ، وهى قصة حسن الذى رفض قبول هدية ممن

أحد الناس دعم انه قبل الهدية المقدمة من قبل شخص آخر ، وعندما سئل في ذلك اجاب موصحا بأن الاول قد منح له لدعم ابقاء حلف ذاتي ، ربما ليحصل على الشهرة والمجد بين الناس ، أما الثاني فقد وهب ما وهب انطلاقاً من اجلاله لله تعالى وحسب . بل ان التعبد بعد ذته يغدو محط اللوم وموضع متى ما تم ابتغاء للحصول على استحسان الجمهور ، أما التعبد والتصرف بهدف مقدس ، فهو أمر يستحق الحمد والثناء .

ويبدو للوهلة الاولى ان انا طالب يفرض العديد من الواجبات الاخلاقية على الانسان المتردد بغية تجنيبه وبال نار جهنم ، وهو يتناول هذه الواجبات بالشرح والتفسير وذلك في الفصل الثاني الذي يعالج قضايا الاكتساب الحلال والمسل الصادق الشريف والسلوك المخلص تجاه الاخوة في الدين ، وكذلك الاستعمال المتدبر والواعي للمستكرات الانسانية .

وليس هناك من عمل من اعمال الحياة الانسانية في طريقها المرسوم من المهد الى اللحد ، الا ويمثل الالهام الالهي وتفسيرات علماء الدين قيمة عملية لاحد لها بالنسبة اليه . وكل هذه الامور محللة ومفسرة بناء على النظام المسنود الى ابي طالب وكل الشرائع الدينية المتعلقة بالشهادة والعبادات وكذلك كافة الشعائر المتعلقة بممارسة الواجبات الدينية المسنونة على المؤمن قد اوضحها تفصيلا في الفصول الثالث والثلاثين ، الرابع والثلاثين والخامس والثلاثين . وربما كانت هذه الفصول هي التي تركت أعماق الاثر في فكر الغزالي -

ويتحدث ابو طالب بأسهاب واسع حول أهمية النية ، وذلك في الفصل الثامن والثلاثين . ويذكر بأن الاعمال كافة تنبع من النية وتصدر عنها ، وان لكل امرئ ما نوى . ويذهب تائلا بأنه حتى الشيعة يعتقدون بأن الله لا يقبل آة كسرة الا متى ما كانت مدعومة بالفعل ، وانه ليس هناك من قول أو فعل الا ويصدر اصلا عن النية . ويستشهد بحديث رواه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يقول بأنه الى جانب كافة افعال الخير التي أمر بها الله تعالى ، فان صدق النية يقف في المقدمة ، ويفسر عبد الرحيم بن يحيى الاسود معنى هذه الجملة القائلة بأن نية المرء افضل من واجبه وابقى ، على

انحو التالي : ان النية الخالصة التي هي الدافع الكامن وراء افعال الانسان هي افضل من تلك الاعمال ذاتها *

وتقع على عاتق كل انسان واحسان عدة تحاء وبه واتجاه اخوته في البشرية . وهذه الواجبات واسعة النطاق وتشير الى السلوك الرزين الواجب انتهاجه تجاه المحيط وتجاه البيئة التي يعيش فيها : الوالدين ، الاقارب ، واليتيم والجيران بالإضافة الى كل شخص تربطه به علاقة ما *

وهذه المنظمات تتعلق بكافة الاعمال ابتداء من الطهارة الجسدية وحسن المصاه الاخلاقي . ويمعن ابو طالب النظر في التفاصيل الدقيقة عن طريق تعداد امكانيات كل عمل من تلك الاعمال السالفة الذكر *

ان هذه الفصول تستأهل ان تترجم وتنقل بحذوهرها بغية ان تكون دليلا هاديا لشباب أوروبا الجديد الذي جرى تعليمه بطريقة علماسة ، وللبجيل الاكبر سنا ممن فقدوا ارضيتهم الاخلاقية في مسالك الحياة نتيجة لما عانوه من مآس حزين عالميتين . ولا مراء في ان الاهداف المادية تتحكم بجيلنا الحاضر *

ان الثراء ، المكتسب بأية وسيلة من الوسائل ، والترامي المهين على الوصول الى المناصب العالية على حساب الكادحين من الناس ، قد اصبحا الهدف المثالي للانسية العلمانية . من ذلك يتبين ان العالم قد وصل الى مفترق طرق ، وهنا ينتصب امامنا سؤال ملح وحاد : الى أين تتجه البشرية ؟ الى مهارى اللاشيئية ، العدمية ؟ ام تراها تنوب الى رشدها وتؤوب الى طريق الصواب . طريق الهادين الى الاخلاق ولي الاذعان للارادة المساوية الغير مرئية والعامة لكل شي ؟

ان قراءة « قوت القلوب » وقراءة « احياء علوم الدين » سوف تهيب بالناس لان يمدوا النظر في سلوكهم ، وسوف تقود خطى اخوتنا الى ابتغاء سلوان ، اسمى واشرف بكثير ، مما تستطيع العلمانية المعوجة ان تمنحه لهم *

ابن حزم الظاهري الأندلسي

مبrouk العواوي

استاذ

بوزارة التعليم الاصيل والشؤون الدينية

١ - نشأة المذهب الظاهري •

ان المذهب الظاهري حدث كرد فعل طبيعي للمذهب القياسي والاسراف فيه ، عل النحو الذي نراه باغوار في تاريخ العلم ، فالوقوف عند النص يقابل الاسراف فيه والقلو لي تجاوزه ، والمبالغة والاغراق في الاستنتاج منه ، وتعميله الكثير مما يحتمل ومما لا يحتمل كالذي نراه في التفاسير من تحميل آياته ما تطيق وما لا تطيق ، واجتلاب الاخبار والآباء من هنا وهنا ، والتكثر من ذلك لاقحامها في تفسير القرآن •

وكالذي نراه في رواية الحديث حتى تخرج قوم من الرواية نتيجة تكثر قوم منها والامر في تاريخ الفقه شبيه بذلك •

وقد ظهرت بوادره الأولى في صورة ما عُد معنزة البصرة ، اذ اهل الرأي في الكوفة ثم ظهر في صورة أخرى عند الامام أحمد بن حنبل ثم برز كمذهب تشريعي كامل مستقل في القرن الثالث للهجرة في بغداد على يد أبي سليمان ، داود بن علي بن خلف الاصفهاني المتوفى عام سبعين ومائتين للهجرة على اثر وفاة الامام أحمد بن حنبل .

على أن المحدثين هم أيضاً - وهم سدة السنة والقوامون عليها وحمايتهم - وقفوا معارضين لأصحاب الرأي والقياس وعلى رأسهم أبو من جلنهم الامام البخاري . وقد عظم شأن المذهب الظاهري في الشرق في القرن الرابع الهجري ، وكان بين أتباعه كثير من أصحاب الجاه بآيران .

وكان الداودية بفارس يتقلدون الاعمال والقضاء ، وكانت لهم الغلبة ، لأن السلطان عاهد الدولة البويهية كان يتقصد هذا المذهب ، بل إن هذا المذهب اعبر رأيه في الخلاف بين المجتهدين قبل أن يعتد بخلاف المتأبلة .

• ابو محمد علي ابن حزم المجتهد ومجدد القرن الخامس الهجري .

ابن حزم من أئمة الثمرات التي انشقت عنها فرسنا المفقود (الانلس) .

لهو من اعلام الدين والشعر والادب والتاريخ والفلسفة ، ومن ولي الوزارة هو وأبوه العالم التبييل أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف - أول داخل للاندلس - ابن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي مولى يزيد بن أبي سفيان .

إن أبا محمد علياً هذا فقيه ظاهري أحياناً فقه داود الاصفهاني وسلك به مسلكاً انسم بسمته فوسع رحابه وأيده بالأدلة ، وناقض مخالفه في أقوال صارمة ، وجسد قلبه الافحام والألزام وأفاض في شرح فقه الصحابة والتابعين ، وأخرج من ذلك كنوزاً نافعة . واستخرج من ذلك الخضم الزجاج هي الآثار السلفية فانفس افرد باستخراجها وكشفها .

• أنا ابو محمد ابن حزم فوق أن فقهه لون من الاستنباط غير ما عليه الاربعة ومن قاربهم هو في شخصه نوع منفرد بين الفقهاء ، فهو الباحث والمحدث المجدد ، وهو عالم

الملل والنحل المجادل فيها الاريب ، وهو الشاعر السائر الذي يقارب شعره فحول الشعراء ، ويمتاز نثره الفنى بالبراعة فى المعنى وجودة الخيال ، ونصاعة اللفظ ، واشراق الاسلوب .
أبو محمد رجل قوى الشخصية الى ابعد مدى ، عظيم الاعتداد بنفسه الى ابعد غاية ولكنه اعتداد قوامه لفهم العميق ، والعقل المحكم الرقيق ، والعلم الواسع الدقيق ، والايمان القوى ، والقدرة البالغة على النخفل فى مواطن الموضوعات التى يعالجها ، واستشغاف ما عسى أن يكمن وراءها ، وعلى الجدل والمناظرة ، وعلى الاقتناع والافحام .
خذ مثلاً كتابه المحلى فانت تجده كيف يعرض المسألة من مسائل الفقه الاسلامي ، مقررًا فيها رأيه ، وهو رأى لا يستمد الا الى الأدلة الماثورة : القرآن وما صح من الحديث كما هو مذهبه .

ثم يعرض آراء الأئمة السابقين : من مثل : امام دار الهجرة مالك والشافعي وإبى حنيفة والاوزاعي ومن اليهم فى هذه المسألة نفسها مع ايراد ادلتهم وبيانها أجلى بيان ثم تفنيدها ، اذ انه يعرضها على الآثار المروية الصحيحة ، أو يعرض الآثار التى اعتمدها هؤلاء الرجال على السند ، اذ ينقد إسانيدها ويتحدث عن رجالها .

ثم ينتهى بان يصك رأيه فيها صكاً ، لا يتجمل ولا يترقق ولا يتلطف .

وما ظنك برجل يستطيع ان يتناول الامور التشريعية كلها : عباداتها ومعاملاتها ، ويقضى فيها دون أن يرجع فى شئ منها الا الى الكتاب والسنة الصحيحة والاجماع الثابت المنقول عن الصحابة نقلاً صحيحاً على ما هو مذهبه .

أما القياس والرأى فباطل ومسكر وفساد كبير .

ثم هو يستطيع مع هذا أن يحتج لجميع ما ذهب اليه من ذلك احتجاجاً بمضى نحو الاقتناع أو الافحام .

وخذ أيضاً كتابه « الفصل فى الملل والاعواء والنحل » تحده هو حو سعة علم وقوة عقل ومهارة فى المناظرة ، وبراعة فى ادارة الخصم ، وثقة بالنفس واعتداد بها ، يريك الشمس فى ظلام الليل الاسمح أو اذ شئت يريك الظلام الخالك فى رابعة النهار .

ثم بعد ذلك له لسان حاد عنيف لادغ ، قد يفترق له ذلك لتلك الصفات العلمية
الرائعة .

قد يفترقها له من ينكر هذا اللون من ألوان المناقشة وينفر منها ويفزع ، لتلك
السمات الجميلة الاخاذة من شخصيته .

ومن لك بأخيه .

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها .

هذا القدر انه من الاندلس التي مازال ذكرها يدمي القلوب ، وينحعب بالنفس حسراته
ويثير العبرات ، ويبقى بالنفس المؤمنة اشد أنواع الحزن ، انها مأساة الساريخ الاسلامي .

هذا المايعة هو الذي وقف أحد خلفاء الموحدين وأعظمهم على قبره خاشعاً في وسط
الحاشية والجمهور وقال : «أشهد بالله ان كل العلماء عيال» على ابن حزم .

نسبه ومولده :

هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان
ابن سفيان بن يزيد الفارسي ، وكان جده الأعلى يزيد نصرانياً فارسياً أسلم على يد يزيد
ابن أبي سفيان الذي كان القائد لجيش الأردن أيام الفتح لعهد عمر بن الخطاب رضي الله
عنه والمتوفى عام 18 هـ . وأول من دخل الاندلس من أجداده هو خلف الجد الخامس وقد
استوطنوا قرية « منت ليشم » أو « متلجتم » في اقليم الراجية من عمل (أولية) من
كورة (لسة) وتعرف ببلدة الحمراء وهي غرب الاندلس وغرب قرطبة ، بينها وبين
قرطبة على طريق اشبيلية خمسة أيام أو أربعة وأربعين فرسخاً ، وبينها وبين اشبيلية
اثنان وأربعون ميلاً وهي برية بحرية وفيها آثار قديمة . ثم سكن أملاؤه قرطبة .

ولد بقرطبة بالحانب الشرقي من ربض منية المظيرة بعد صلاة الصبح وقبل طلوع
الشمس آخر ليلة الارباء ، آخر يوم من شهر رمضان سنة 384 هـ بهذا كتب ابن حزم
بخط يده الى القاضي صاعد بن أحمد الجياني الاندلسي صاحب طبقات الامم التوفى 462 هـ .
وأحد تلاميذه .

هذا وقد كان والده أحمد بن سعيد وزيرا من وزراء هشام الثاني المؤيد بن الحاكم الثاني .

المستنصر بن عبد الرحمن الثالث الناصر ، الذي تولى الخلافة 390 - وحاجبه المنصور ابن أبي عامر ومن كبار رجال دولتيهما .

وأبو عمر أحمد بن سعيد هذا يمد من أهل العلم والرواية ويسلك اسمه في سلك علماء قرطبة وشيوخها الكبار من مثل عبد الله بن محمد بن مغيث الأنصاري ، وعبد الله ابن محمد بن عبد البر النمرى والد الحافظ أبي عمر بن عبد البر المشهور ، وغيرهما . وكان له قصر في الجانب الشرقي من قرطبة بالقرب من قصر الزاهرة في مدينة الزاهرة التي اختطه المنصور بن أبي عامر ، وأقامها بطرف البلد على نهر قرطبة الأعظم ليضاهي بها الزهراء التي بناها عبد الرحمن الناصر .

في هذا القصر نشأ على نشأة مثرفة في نعمة موفورة سابعة بين مظاهر الطبيعة الفاتنة وصور الترف البالغة حدا من الافتتان والروعة بعيدا .

في هذا القصر أمضى ابن حزم حياته الأولى من لندن خرج الى الوجود الى أن بلغ الخامسة عشرة من عمره لا يكاد يفاد ذلك القصر الا حين تنتقم به السن ، ثم هو لا يفاد الى قصر وزير آخر أو رئيس أو قصر الحاجب نفسه المنصور أو انه المظفر في بعض الاحيان .

وفي هذا القصر تلقى تعليمه في هذه الفترة من حياته ، فلم يختلف الى استاذ يأخذ عنه ، وقد ظل مجبرا مدة صباه محدودا بدائرة الحرم لا يتجاوزها الا ان يكون الى قصر من القصور الاخرى ، ولم يتصل بها خارج القصر الا بعد أن تبطل وجهه .

أما قبل ذلك فالتساء وحدهن بطائنه وصحابته واساندهن ، اليهن وكل أمره وحين يسط تعليمه وتربيته ، ملقد علمنه القراءة والكتابة أى تحصيل الاداة الأولى للسرقة ، ثم يلى ذلك حفظ القرآن ورواية الشعر .

فقد كانت اذن تربية ترمى في حقيقتها الى تكوين الذوق العنى وتنقيفه ، والى اعداد اللسان وتقويمه وهو أداة التصير عما يستشعره الذوق وما يحسه من صور الفن .

وشيء آخر في طفولته وهو ما يشير اليه من أنه أصيب في تلك الفترة من حياته
بـ«مقان القلب» وإذا كان يرجع في بعض كلامه - ما لاحظته عليه معاصروه من حدة في
الطبع ، وعنّف في المناقشة وعنّ عن ضبط نفسه فيها - الى ما كان يمايه من مرض الكبد
أو الطحال ، فقد يكون لهذا المرض الذي عرض له في صباه أثره الباقى في كيانه الجسمي
والنفسى .

ولعل أن هذا المرض الذى أصابه صغيرا كان من الامور التى أحاطته بجو خاص من
المعطف والرعاية ، وملا القلوب اشفاقا عليه ورحمة له ، وحذارا أن يناله شيء من المكروه
يعرضه للخطر وأن هذا المرض وما يثيره من خوف ، وما يبعث عليه من اشفاق وحزن ،
كان من أول الاسباب التى جعلتهم يأخذون بألوان من التدليل والملاطفة فى مثل تلك
البيئة المؤلمة من الجورى والفياء يرعينه رعاية أمثالهن لئله ، وينولين تعليمه وتربيته ،
ويؤخذ تلك النشأة المقصورة أشد القصر ، المحدودة الافق ، التى ظلت مفروضة عليه
خمسّة عشر عاما لا يتجاوز نطاقها المضروب .

وهو فى هذه المرحلة الاولى من حياته قد اتخذ الشعر مجالا ومستراحا يستريح
فيه ويشغل به نفسه ويعصر به عنها ، ويرى فيه أهواءه ونوازعه وحوالغ نفسه وأحداث
قلبه ومكنونات ضميره ممثلة بين يديه فى صورة جميلة من صنعه . وتلك هى بداية ذلك
الشاعر الذى لم يمتعه بعد امعانه فى الدرس واستغراقه فى العلم أن يبلغ من الشعر
مرتبة مذكورة ، حتى ليملق أبو مروان بن حيّان المؤرخ الاندلسى الكبير ومعاصر الامام
ابن حزم بقوله : « يالدائع هذا الحزم - على ابن حزم - وغروره ! ما أوضحها على كثرة
الدفتين لها والطامسين لحاسنها » .

وحنى يقول عنه تلميذه المبرز الحميدى ، وهو الذى صحبه زمانا واختص به ونقل
مذهبه الظاهرى الى الشرق ، وعنى بجمع شعره :

« كان لشيخنا أبى محمد بن حزم فى الشعر والادب نفس واسع ، وباغ طويل ،
وما رأيت أسرع بديهة منه ، وشعره كثير » .

وقد امتدت هذه المرحلة الاولى من حياته الى سنة 399 هـ .

المرحلة الثانية *

نبدأ هذه المرحلة من حيث انتهت الاولى أى من سنة 399 وتمتد خمس سنين أى الى سنة 404 هـ * ففى هذه المرحلة يبدأ الفتى ابن حزم دور التحصيل المنظم بالسماع من أئمة العلم ، والتلقى عن رجال الادب ، ورواية فروع المعرفة المختلفة بالجلوس الى أولئك الشيوخ فى مجالسهم التى يتخذونها أو حلقاتهم التى يعقدونها فى مسجد قرطبة الجامع وما اليها من المساجد . وفى أثناء هذه المرحلة وقعت أحداث وفنن وانقلابات وحصار لقرطبة ، ومن أشد ما وقع عليهم فى ذلك مرض الوباء سنة 401 هـ ، جعل من دور قرطبة مولنا للحزن والفرح ، ونال بيت ابن حزم نصيبه من ذلك *

وفى أثناء تلك الفتنة والاحداث الجسام انتقل والد ابن حزم أو النجا من دوره المحدثه بالجانب الشرقى من قرطبة فى ربض الزاهرة الى دوره القديمة فى الجانب الغربى من قرطبة وذلك فى جمادى 399 هـ وانتقل الشاب على مع والده *

ثم حدثت أحداث متعاقبة أثرت أبلغ التأثير فى نفس الفتى وآلته أشد الالم *

أما أولها موت أخيه أبى بكر الذى كان يكبره بخمس سنوات ، وهو الذى كان اليقه ورفيقه فى الحياة الاولى ، فقد أصابه الطاعون الذى أتاح على قرطبة وعات فيها فلقضى نحله فى شهر ذى القعدة سنة 401 هـ *

وثانيها فاه له لم يكد ينقضى على ذلك الحادث الذى تفرقت له نفسه عام واحد حتى فجع فى والده فتوفى رحمه الله *

ثم بسع السيل الزبى بعد انقضاء الحصار وتسليم قرطبة لسليمان المستعين ودخلوها بحنوده لقد وقع انتهاب الحند لمنازل آل حزم فى الجانب الغربى بقرطبة والزول فيها * وماذا عسى أن يكون بعد أن أجلى آل حزم عن دورهم فى الجانب الغربى من قرطبة كما أجلا من قبل عن دورهم فى الجانب الشرقى منها ؟

انما هو الجلاء عن قرطبة جيعاً مع زمر الهاربين منها ، فلم تعد لابن حزم دار مقام * واذن يدبر ابن حزم أمره للرحيل عنها ويجلو عنها وكان ذلك فى مستهل عام 404 هـ * ترك ابن حزم قرطبة وهو فى العشرين من عمره شديد الحسرة عليها وأين يلتجئ ؟

التجأ الى المرية فدخلها في المحرم 404 هـ وأقام بها الى سنة 407 هـ (ثلاث سنوات) •
وظل متابعا فيها دارسته الدينية وتلقيه عن شيوخ الحديث والفقه •

وفي المرية تراه يجلس في دكان اسماعيل بن يوسف الطبيب الاسرائيلي الذي كان مشهورا بالفراسة وقد جعل ابن حزم وكده منذ البدء باثبات التحريف والتناقض والتبديل على التوراة ، ولذلك درسها دراسة مستأنية ، وكان هو رائد ابن خلدون في المنهج الذي اتبعه في نقد الخبر التاريخي اعنى الناحية الزمنية والعددية •

وكان من أوائل من لقيه ابن حزم من يهود هو اسماعيل - أو أشموال - بن يوسف الكاتب المعروف بابن النفرالي ، ووصفه بأنه أعلم اليهود وأجدهم ، وقد ذكر أنه لقيه مرة عام 404 هـ وابن حزم فارق قرطبة قبل ذلك بقليل وسكن ما لقيه ، وفي هذا اللقاء وقعت بينهما مناظرات •

وتاريخ اللقاء بين ابن حزم وابن النفرالي يدل على أن اهتمام ابن حزم بشؤون الملل الاخرى بدأ في دور مبكر • ومازال ينمو حتى تمثل على أتمه فيما حواه كتاب الفصل من ذلك •

ولم يكن ابن حزم يعرف اللغة العبرية بدليل ما قاله في الفصل : • ولقد أخبرني بمضى أهل البصر بالعبرانية •

وإذا تحدث عن أسفار التوراة استعمل أسماء عبرية أو استعمل الاسماء العبرية • ولا شك أن ما وقع من التحريف في الاسماء انما هو من جهل النسخ وأن ابن حزم كان يعرف الوجه الصحيح منها •

هذا وأن اليهودي يوسف بن اسماعيل بن النفريلة خلف والده في الوزارة لباديس ابن حموس في الاندلس وهو الذي سم بلكين بن باديس ولي العهد ، وكانت هذه الحادثة مما أثار الناس على هذا اليهودي حتى هموا بقتله ، لأن بلكين كان مرجوا لديهم •

ولم يكف هذا اليهودي عن حبك المؤامرات واثارة الفتن والعداوة والنفرق وضرب هذا بهذا والتعرض لنقد الاديان والتطاول عليها في سخريه ، حتى كان اليهود أنفسهم غير راضين عنه ، ويتشابهون باسمه ويتظلمون من جور حكمه •

ومن الأديان التي تهجم عليها وانتقدها حجارا الإسلام فقد نقل عنه أنه قال : أنه
يظم القرآن شعرا وموشحات • وكانت له مطامع سياسية كبيرة حتى « طلب ان يقيم
لليهود دولة » كما يقول ابن عذاري مما انتهى بقتله سنة تسع وخمسين وأربعمائة •

أما الأسباب التي أدت الى مصرعه فيمكن اجمالها فيما يلي :

أولا : توسع شأن اليهود وتسلطهم على المسلمين في حكومته وحكومة أبيه اسماعيل
الذي كانت له منزلة عند حبوس صاحب غرناطة وقد اتاحت له هذه المنزلة أن يعلى من
شأن اليهود ، حتى يستطيلوا على المسلمين مما جعله حريصا على إبراز مقومات الشخصية
اليهودية ، وتحصيل التراث اليهودي ، والمباهاة به ، والمناظرة فيه •

ثم نفور المسلمين من دفع الجبايات لهم خصوصا وأن باديس لم يأذن - رسميا -
ليهودي بمطالبة المسلمين بالمال ، ولكن يوسف وأعوانه كانوا يحتالون لذلك •

على أن السلطان الذي أحرزه والده اسماعيل مكن لليهود كثيرا في الشؤون الادارية
والمالية ، لانه كان يختار الموظفين منهم ، فاكتسبوا الجاه في أيام اسماعيل واستطالوا
على المسلمين ، ثم ان هذا الجاه الدنيوي هو الذي ساعد الجماعة اليهودية يومئذ على تثبيت
اللغة اليهودية وبسبب الثقافة اليهودية والظهور بذلك •

ثانياً : عدم تورعه عن نقد الأديان ومنها الدين الاسلامي •

ثالثاً : مؤامراته على أكابر صنهاجة •

رابعا : ثورة الاقبياء على هذا الوضع أى على وضع الثقة في شخص غير مسلم وغيرها
من الأسباب ومن ذلك نجبت قصيدة الشيخ أبي اسحاق الالبيري التي يحرض فيها
صنهاجة على التخلص من اليهود والوزير اليهودي •

يقول فيها :

فكنيت ابراهيم بها عايتين	وانى احتلت بغرناطة
فمنهم بكل مكان لمن	وقد قسموها وأعمالها
وهم يخصمون وهم يتسمون	وهم يقبضون جيالاتها

وهم يلبسون رفيع الكسا وانتم لأوضاعها لاسمونه
وعسى أمتاكم على سركم وكيف يكون أميناً خؤون
وكان لهذه القصيدة أثر في تحريك النفوس *

وقد رُذِّ ابنُ حزم على ابنِ النفريلة برسالة * وطريقته في الرد تنقسم الى قسمين :

اولا : المشكلات التي اثارها ابن النفريلة الذي كتب كتابا في تناقض كلام الله تعالى - بزعمه - ورد ابن حزم على كل مشكلة منها ، وهو لا يكتفى بالرد على النفريلي بل يشععه بانتقاد احدى المسائل التي وردت في التوراة لافتا ابن النفريلة الى أن بيته من زجاج *

والقسم الثاني ناقش فيه ابن حزم بعض ما يسميه « الطوام » التي وردت في كتب يهود ، وهو الجواب الذي افاض فيه في كتاب الفصل * واعتذر في ختام الرسالة عن ايراد شنع اليهود بشل ما اعتذر به في الفصل فنهب الى أن الله تعالى قص علينا من كفرهم ، فاقصدى هو يكتب الله في ذلك *

ويختم الرسالة بقوله :

« وبالله تعالى نمود من الخذلان ، ومن معارضة الله تعالى في حكمه باعزاز من اذله الله تعالى » *

وفي المرية اعتقل ابن حزم ثم نفى عنها فأنجه الى يلمسية ، ثم عاد الى قرطبة في شوال عام 409 هـ ، بعد غيبة طويلة عنها قاربت سبع سنين *

وقد عاد لبدء فترة جديدة من حياته *

ولكن ابن حزم حين عاد الى قرطبة عاد رجلا ناصحا قوي الشخصية مستكمل الارادة *

وقد كانت المجالس التي اتيحت له في المرية ، ونجاحه فيها ، وشهادة مناظره له ، مما سنده في سبيل النظر لمستقل والراى الذى لا يخضع الا لما يجتمع له من أداة تقنعه في مسائل العلم والدين *

دواست ابن حزم الدينية في هذه الفترة :

ظل ابن حزم متابعا دراساته الدينية في هذه المرحلة أيضا وتلقيه عن شيوخ الحديث والفقه ومن جدد الصلة به من شيوخه منذ عاد الى قرطبة استأذنه عبد الله بن يوسف الرهوني الذي يكثر الرواية عنه كثرة ملحوظة وقد عاش استأذنه هذا الى سنة 435 هـ . وفي هذه الفترة قتل الخليفة المستظهر وتولى المستكفي فنكل بشيعة المستظهر واخذ ابن حزم سجيناً وبقي في السجن الى أن سقطت دولة هذا المستكفي الذي يقول فيه ابن حيان : حمار في صورة انسان *

وبعد خروجه من السجن اتجه الى العامريين في شاطبة ، شرق الاندلس وتخلص من خوض السياسة وخلص للعلم والدين والكفاح العلمي والمنهجي ثم انتقل الى قلعة البونت ثم الى ميورقة في حيازة حاكمها أحمد بن رشيق واخذ ينشر علمه ومقهبه وهنا تتلمذ عليه حامس علمه الحافظ الحميدى ، ولكن فقهاء ميورقة سخطوا عليه وأتاروا الاقتصاد صده واستنجدوا بالديجي فورد على الجزيرة وناظر ابن حزم مكان سببا لمفارقة ابن حزم الجزيرة واستئنافه التجوال بل تحامله على ابن حزم كان سببا في احراق كتبه - ابن حزم - في اشبيلية وتمزيقها بأمر المعتضد العبادى صاحب اشبيلية *

ولما خرج من ميورقة قصد اشبيلية فكاده فقهاؤها حتى أقبلوا الامر بيته وبين المعتضد العبادى . ومن اشبيلية ذهب الى قرطبة التي كانت ملكا له ولأبائه في ليلة وهناك انقطع الى العلم تدريسا وتاليفا وقد مزقت كتبه وأحرقت باشبيلية - كما ذكرنا آنفا - وهو اذ ذاك في قرطبة مست ليشم بكورة ليلة في غرب قرطبة ، غرب الاندلس وتوفى رحمه الله تعالى ورعى الله عنه هناك عام 458 هـ *

مزاج ابن حزم :

تميز ابن حزم بمزاج حاد عنيف سيطر عليه طول حياته ، وجر عليه ما جر من تأليب الناس * وقد كان رحمه الله تعالى يعزو حدنه لمرض فيه *

فهو في نقاشه غير هادى ، فكثيرا ما ينزل على المخالفين له لعنة الله وغضبه وقتاله ، وكثيرا ما يصممهم بالضلال والورق والكسر والعسوق ، وأكثر من ذلك طمسه في عقولهم وعلومهم ونياتهم ، وللأسف أن يقع في هذا عالم جبل جاد الزمان بثله *

ولكن لنضع ما لا حيلة فيه ، ولنندم على العجز لهذا النفس الخيرة والعقل الكبير .

لم تترك الصراحة والحدة والصلابة لابن حزم صديقا ولا شفيما عند الناس ، يجتهد في الرأي الاجتهاد الصائب ويتصيد الحجج القوية المحكمة ، ثم يشوه ذلك كله بعبارات التقرير حتى يزعج السامع في خير الكلام وشره ، وحتى لا يكون عنده في اجتهاده الصائب وحجته السديدة شافع لهفوته وحدته وبقي رحمه الله طول حياته يلتقي عواقب مزاجه مما لا يحمله أقوى الرجال رجولة ، ولا يزيد ذلك الا مضيا في سبيله ، وعنادا في جداله وحماسة في كمامه وعنفا في خطابه .

والحق ان اندفاعه وغلوه في الدعوة وحماسته لها لم تكن الا عن عقيدة واخلاص وتفان

والحق ان اندفاعه وغلوه في الدعوة وحماسته لها لم تكن الا عن عقيدة واخلاص وتفان فيما يراه اده الحق ، ومن كان في هذه المرتبة من الجهاد لم يبال الهومات الصغار من هاهنا وهما ها .

ولقد أشار ابن حبان بعض الاشارة الى هذا حين قال : « كان يحمل علمه ويجادل من خالفه فيه على استرسال في طباعه ، وبذل بأسراره ، واستناد على العهد الذي اخذه الله على العلماء من عباده : « لتبينه للناس ولا تكتونه » .

على هذه الطباع قامت علائق ابن حزم مع الناس موافقين ومخالفين .

اخلاق ابن حزم :

البيت الذي نشأ فيه ابو محمد بن حزم بيت فضل وتهذيب وبيل . فلا عجب اذا نشأ كرم الخلق ، جم المزايا ، طيب النفس ، وقد أجمع من ترجوا له على صدقه وتحريره وتدينه وزعمه وورعه وحشمته وسؤدده وتواضعه وعفته (المقرئ والذهبي وابن بشكوال وياقوت والفتح بن خاقان) عمي والده . وكان جليلا محتشما كبير الشأن . بتعنته احسن العناية ، ورأى هو من افراد امرته السرية من كانوا مثال الكمال وعلو الاخلاق ، وعاش محاطا بجماعة من طبقة علم يصب بمعاشرته سقطة الناس ، وكان بمنأى عن الحاجة التي تعرض صاحبها للذل والاحتياج ، وجد الدنيا تجر أذيالها في داره فتقلب في نعيمها

ما شاء وبلغ من جاهه حتى منصب الوزارة ، ثم صدف عن ذلك كله وعكف على طلب العلم والمصنائى .

أما أبوه الذى عرف أن السعادة لا تدوم لكائن ، فقد أخذ ولده بتوطئ نفسه على الخشونة والقلّة والتكد ، وكان فيما أوصاه : « إذا شئت أن نحيا سعيدا فلا تكن على حالة الارضية بسوبها ، واول ما تشاهده من كبر نفسه زهده فى جاه حاضر ، ودنيا مقبلة مع مجد طريف وتآلة فى الوزارة له ولا ييه قبله مع تحريه الحق مها جر عليه »

ثم صلابته فى المضي فيه متحملا المكارة والشدائد ، ولم يذكروا من عنائه الا طول لسانه ، واستخفافه ورقوعه فى أئمة الاجتهاد بأقبح عبارة وأفظ محاوراة وأمنع تمرد « (تذكرة الحفاظ للذهبي) »

واذا طرحا جانب المبالغة فى هذا القول وجدنا عنده فى ذلك ما كان يدفعه من مزاجه ومن حماسه فى سبيل ما يمتد انه الحق ، ثم اندفاعه فى الجدل والنضال عن مذهبه ، مرخيا لحديثه العنان ، وانكم لتمررون أن أصحاب العقائد من الناس أبعد ما يكونون عن المجاملة والمداورة .

أما فيما لا يمس لعقيدة والعلم فقد كان ابن حزم مطبوعا - كما قال : « على الثانى والتربص والمسألة ما أمكنت » .

وعلى مقدار تشدد هذه الطقة فيما يمس العقيدة تجد منهم تساهلا وتسامحا فيما يمس أنفسهم وحظوظهم لدرجة يظنها الجاهل « عجزا ورهبة ، وما هى بهما ، وانما وجوها مراهبهم وغرائهم جهة واحدة سامية صرفوا اليها جهودهم ووقفوا عليها تفكيرهم وقواهم وجعلوها محورا تركّز كل شعورهم ، فلا يشغلهم عنها شاغل مهما أكبره الناس واعتصموا به »

وهذا هو السر فى زهد الانبياء ومن وليهم من طلائع المصلحين أولى العقائد فى حظوظ أنفسهم وعدم الانتصار لها ومقابلتهم السوء بالاحسان .

حتى ليجترأ عليهم - مع قوتهم - أضعف الناس ومن لا يدفع عن نفسه .
ولعل هذا أيضا يفسر لك اعراض ابن حزم عن دنيا نشأ فيها ووزارة ذاق حلاوتها .

أما وقوعه في أئمة الاجتهاد بأقبح عبارة فلا أخالك واجدا شاهدا عليها قط *
وليس في مخالفة أئمة الاجتهاد في آرائهم ما يعد من هذا القبيل ، وما كان ترك
اجتهادا ليعبد طعنا في صاحبه *

والذي يعرف عن ابن حزم أنه كان جم النواضع جم الادب مع الاحياء والاموات *
سبب اختياره للاجتهاد على طريقة الظاهرية :

بعد أن عاد شيخنا ابن حزم الى قرطبة لم تلبث مظاهر شخصيته القوية المستقلة أن
أعلنت في الظهور والاعلان عن نفسها ، فلم يكف أن خرج على المذهب المالكي السائد
أهل الاندلس واصطنع مذهب الشافعي حتى تجاوز بميدا الى مذهب آخر يرفض هذه
المذاهب المعروفة جميعا ، إذ يخالفها في أحد الاصول الأولى التي بنت عليها وهو القياس ،
وذلك هو مذهب داود بن علي الاصماني ، رأس المذهب في الشرق ، ان هذا المذهب
بعد غربا بين أهل الاندلس ، وإن وجد بعض الاتباع له فيهم *

— كقاضى الحضرة الشهير منذر بن سعيد البلوطي ، وأبى الحيار أستاذ ابن حزم —
مع ما في ذلك من مواجهة الأذى والتمرض للمكروه *

اختار امامنا ابن حزم طريقة لاجتهاده شبيهة بطريقة الظاهرية وعلى رأسهم
أبى سيديان ، إذ رأى أن صناعة القياس أخذت تسقط سلطانها ، ويشهد اغراؤها
للغفهاء ، فينحسون بها المذاهب المختلفة في التشريع والافتاء *

وقد أتبع له أن يدرس الفقه في مذاهبه المختلفة ، وأن يقرأ من كتب المذاهب المستترة
طائفة غير قليلة ، يمكنك أن تعرفها في رسالة « فضل علماء الاندلس » التي نقلها صاحب
الفتح بنصها ، وأن يمعن في الاحكام التشريعية التي جاءت بها هذه المذاهب ، ودونتها
هذه الكتب نظرا وتأملا وتنبها وفحصا بتمعن مصادرها وموادها *

واسباب التحالف بينها واختلاف السبل بها ، وكيف كان هذا التفاوت البعيد
فيها ، إذا كانت تصدر عن أصول لم يختلف المسلمون عليها ، وهي الكتاب — كتاب الله
الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، وسنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم الصحيحة بصحة أسانيدها وعدالة روايتها وناقلها *

فما بال الاختلاف البعيد والافتراق الشديد اذن ؟

انما هو القياس والراى يحكمونه فى هذه النصوص ، ويمعنون فى هذا التحكيم •
فاذا هى خاضعة لهم هم ، اذ كان هذا القياس شيئا مختلفا ، لا ميزانا ، ثابتا
عادلا •

فهم انما يصدرن اذن فى هذه الاحكام التشريعية عن الهوى الذى يسمونه قياسا
ورائيا •

ومن ذلك كان اختلاف هذه الاحكام ذلك الاختلاف المتباعد الاطراف ، وذلك التشتت
الذى لا يكاد يضبطه ضابط •

« وجميع اهل القياس محتشون فى قياساتهم ، لا تكاد توجد مسألة الا وكل طائفة
مهم تأتى بقياس تدعى صحته ، تمارض له قياس الاخرى ، وهم كلهم مقرون على انه
ليس كل قياس صحيحا ، ولا كل رآى حقا » (المحلى) •

وايضا ان الفساد الذى تعرضت له الحياة الاجتماعية فى الاندلس عامة ، وفى قرطبة
خاصة ، كان له اثره فى البيئات الفقهية والقضائية •

وكان القياس وما اليه من الاستحسان مركبا ذلولا طيعا استطاع به جماعة من
الفقهاء ان يوائموا بين احكامهم وفتاواهم ، وبين مقتضيات الحياة العاسدة التى اطرحت
فيها مبادئ الخلق والضمير اطراحا ، ومسخت فيها كل اصول الدين وآدابه مسخا ،
وأصبح الرجل العاقل فيها هو « من حمله كل بلد ، ونفق عند كل أحد » كما يقول
أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم •

فمثل هذه « الوصولية » التى أصبحت خلق العصر ، وذلك النفاق الذى أصبح
قوام الحياة « العافلة » لا يمكن الا ان يضع ميسمه ويترك اثره على الحياة التشريعية فى
قرطبة خاصة •

وبذلك لم يقف لقياس والاستحسان واعتبار المصلحة عند الحدود التى وضعت لها •
بل اتسع فيها وتسومع فى رعاية الشروط المقررة لها ، والتقيود المضروبة عليها •

وذلك شيء يشبه القوضى التي لا ضابط لها *

فكان من الطبيعي الذي يجارى منطق الامور أن يحدث لهذا رد فعل ، كالذي حدث في بغداد في القرن الثالث الهجري بمنع القياس البتة ، فضلا عما عدها مما هو أبعد مدى عن قيود النص *

وكان ابن حزم أصلح من تظهر على يديه حركة رد الفعل في شكل ثابت قوى ، إذ كان رجلا علما واسع الاطلاع على المذاهب والآراء المختلفة ، واد كان رجلا من أصحاب المبادئ الذين يضعون دينهم وخلقهم وضميرهم ومعتقدهم فوق كل اعتبار *

وإذ كان رجلا صريح النفس ، مستقيم الخلق ، لا تفشيه عاشية ، ولا يقوم دون ضميره حجاب ، يكره المواربة ، ويبغض الالتواء ، ويسقت التناول ، يضى الى غاية قدما لا يخاف في الله لومة لائم ، ويأخذ السبيل الى هدفه مباشرة ، دون مداورة *

ثم كان مع هذا كله شديد الثقة بنفسه ، والاعتداد بها ، والاعجاب بمواهبها *

وبعد هذا كله فهو رجل سىء الظن بالناس ، وسوء الظن هذا صفة أصيلة عنده ، نشأت معه في حياته المقصورة الاولى ، وفوتها الاحداث التي عرکها وعركته ، حتى كان ذلك كالطبيعة له ، فكان يقول : « محن الانسان كثيرة ، واعظمها محنة باهل بوعه من الانس » ويقول : « داء الانسان بالناس أعظم من دائه بالسباع الكلبة ، والافاعي الضارية لان التحفظ من كل من ذكرنا ممكن ، ولا يمكن التحفظ من الانسان أصلا » *

وهو بذلك لم يكن يعد هذا الخلق عيبا من عيوبه ، بل يقره وينكر على من ينكره ، اذ يقول : « وأما سوء الظن فيعده قوم عيبا على الاطلاق ، وليس كذلك ، الا اذا صاحبه ما لا يحل في الديانة أو ما يقبح في المعاملة ، والا فهو حزم ، والحزم فضيلة » (الاخلاق والسير) *

بهذا الخلق الناقم المتشائم ، وبهذا الطبع الصريح المستقيم الواضح جعل ابن حزم ينظر الى هؤلاء الفقهاء والقضاة ، وما يستنبطونه من الاحكام ويقضون به - فاذا هو سىء الراى فيهم ، شديد النقمة عليهم *

وانما هو القياس عنده هو الذى مكن لهم أن يقولوا فى الدين برأيهم ، ويحكموا فى كلام الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أهواءهم ، حتى كانت هذه الفوضى التشريعية فى رأيه .

وعكنا أتبع لظاهرة « رد الفعل » أن تجد فيه مبعرا عنها .

فانصرف ابن حزم عن المذهب الشافعى الذى لم يخل فى اعتناقه من مؤاخذه مواطنيه، الى الاجتهاد على طريقة المذهب الظاهرى الذى يرجع بالدين وأحكامه الى ظاهر النص وحده .

وأياضا يمكن أن يكون ابن حزم قد تأثر بأستاذه أبى الحيار اذ كان « داوى المذهب لا يرى التقليد » ، كما يمكن انه تأثر أيضا بالقاضى منذر بن سعيد اذ كان منذر هذا « داوى المذهب قويا على الانتصار له » وكان ابن حزم معجبا به ومكبرا له وقد اطلع على كتبه .

وبدا ابن حزم بذلك عهدا جديدا تعرض فيه لنوع آخر من الاضطهاد ، اضطهاد الفقهاء ، وجمهرة علماء الدين ، استطاع أن يثبت له .

كما بدأ عهدا جديدا من النشاط العقلى فى تقرير مذهبه هذا وتوطيد أركانه والدفاع عنه ، ظهرت فيه شخصيته أقوى ظهور ، بما كان يعقده ويديره من المناظرات المتصلة العنيفة بينه وبين أولئك الفقهاء .

وقد امتدته ملكاته العقلية وشدة مراسه ، وحافظته الواسعة القوية وطلاقة لسانه ومثانة خلقه ، بما اظهره فى هذه الخصومة من الماحية العقلية ومن حضور الدليل واستحضار الشواهد وأذاع من شأنه فى البيئات العلمية .

وأنت يمكنك ان تصفح كتابه « المحلى » لترى مناظرة الامام ابن حزم فى هذا المذهب الذى اصطلعه لنفسه ولترى اندفاعه فى المهاجمة دون هرواة أو مصانعة .

ولم يكن ابن حزم ظاهرى المذهب فى أمور الفقه ومسائل التشريع فحسب .

بل ان ظاهريته كانت أعمق وأكثر من أن تنحصر في دائرة الفنيا والتشريع وأصول
الفقه ، فقد وجهت آراءه في العقائد والمذاهب الكلامية وجهتها ، وطبعتها بطابعها ، فهو
ظاهري فيها كما هو ظاهري في الفقه والتشريع *

ولم تكن الفوضى في هذه الدائرة - دائرة العقائد - أقل منها في مجال الفقه ، ان
لم تكن أكثر وأخطر *

وقد أجبل أبو محمد مذهبه هذا في قوله :

« وجملة الخبر كله ان تلزموا ما نص عليه وبكم تعالى في القرآن بلسان عربي مبين ،
وما صح عن تبيكم صلى الله عليه وسلم ، برواية الثقات من أئمة اصحاب الحديث ورضي
الله تعالى عنهم ، مسندا الى الله عليه السلام ، فهما طريقتان يوصلانكم الى رضى ربكم
عز وجل (الفصل) *

وهذه النصوص كافية مبينة عن نفسها بنفسها ، لا شيء من دين الله خارج عنها
أو مستثنى وراءها : « واعلموا ان دين الله ظاهر لا باطن فيه ، وجهه لاسرحتة ، كله
برهان لا مسامحة فيه » واتهموا كل من يدعو الى أن يتبع بلا برهان ، وكل من ادعى
للديانة سرا باطنا ، فهي دعاوى ومخارق *

واعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها ، ولا
أطلع أخص الناس به ، من زوجة أو ابنة أو عم أو ابن عم أو صاحب على شيء من الشريعة
كتمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم ولا كان عنده عليه السلام سر ، ولا رمز ، ولا باطن ،
غير ما دعا الناس كلهم اليه ، ولو كتمهم شيئا لما بلغ كما أمر . ومن قال بهذا فهو كافر ،
فاياكم وكل قول لم يبين سبيله ، ولا وضع دليله ، ولا تعوجوا عما مضى عليه نبيكم
صلى الله عليه وسلم ، واصحابه رضى الله عنهم » (الفصل) *

ودلالة هذه النصوص التي هي المرجع الاصيل في العقيدة الاسلامية هي الدلالة
للنفس :

« وحمل الكلام على ظاهره الذي وضع له في اللغة فرض لا يجوز تعديه ، الا بنص
أو اجماع ، لان من فعل ذلك أقسد الحقائق والشرائع كلها ، والمقول كله » (المصل) *

« ومن أحوال شيئا من الالفاظ اللغوية عن موضوعها في اللغة بغير نص محيل لها ،
ولا باحياح من اهل لشريمة ، فقد فارق حكم اهل العقول والحياه ، وصار في نصاب
من لا يتكلم منه » (الفصل) *

فالرجوع الى النص والاعتماد عليه انما يكون بوساطة هذه الدلالة اللغوية المتسق
عليها بين اهل اللغة ،

وذلك ما يصير ابن حزم عليه اصرارا ، ويكرره تكرارا ، في كل مناسبة ، وفي سياق
كثير من المناقشات التي يمتحن بها آراء خصومه ، كقوله في سياق الكلام عن تحديد
الجسم ، والفرق بينه وبين الشيء والحق والحقيقة والمثبت *

« هذا حكم هذه الاسماء في اللغة التي هذه الاسماء منها » فمن أراد أن يوقع شيئا
منها على غير موضوعها في اللغة ، فهو مجنون وقاح ، وهو كمن أراد أن يسمى الحق
باطلا والباطل حقا ، وأراد أن يسمى الذهب خشبا »

وهذا غاية الجهل والسخف ، الا ان يأتي نص ينقل اسما عن موضوعه الى معنى آخر ،
فيوقف عنده ، والا فلا ، وانما يلزم كل مناظر يريد معرفة الحقائق أو التعريف بها أن
يحقق المعاني التي يقع عليها الاسم ، ثم يخبر بعد بها أو عنها بالواجب ، وأما مزج
الاشياء وقلبها عن موضوعاتها في اللغة ، فهذا فعل السومسطانية الوفحاء الجهال العائثين
لمقولهم وانفسهم » (الفصل) *

وفي جميع هذه الاقوال تجده انما يجيز المدول عما يدل عليه الوضع اللغوي حين
يكون هناك نص محيل لهذه الدلالة ، أو اجماع يصرفها *

وقد زاد حالة ثالثة في موضوع آخر فصل فيه القول ، وهي ضرورة الحس ، وذلك
اذ يقول : « ان كلام الله تعالى واجب أن يحل على طاهره ، ولا يحال عن طاهره البشة ،
الا أن يأتي نص أو اجماع أو ضرورة حس ، على أن شيئا منه ليس على طاهره ، وانه
قد نقل عن طاهره الى معنى آخر » *

قالا لقياد واجب علينا لما أوحى ذلك النص أو الإجماع أو الضرورة ، لأن كلام الله تعالى وأخباره وأوامره لا تختلف ، والإجماع لا يأتي إلا بحق ، والله تعالى لا يقول إلا الحق ، وكل ما أطله برهان ضروري فليس بحق » (الفصل) *
هذه النصوص بيان لظاهرة ابن حزم في ناحية الأصول *
لقد استطاع أن يقيم هذا المذهب في جميع المسائل الكلامية ، وأن يطبق مبادئه تطبيقاً بارعاً دقيقاً .

وأن يحتج برأيه في هذه المسائل احتجاجاً قوياً ، وأن يخاصم فيه جميع المتكلمين دون استثناء ، مخاصمة عنيفة ، ييسط فيها حجته بسطاً رائعاً ، كما ييسط فيهم لسانه أحياناً بسطاً لاذعاً ، انتصاراً لهذا المذهب الذي اصطنعه في الكلام ، كما اصطنعه في العقيدة .

ولا نعرف أن له فيه سلفاً يقرره هذا التقرير وييسط مبادئه ذلك البسط ، إنما هي بعض المسائل المفردة يذكرها هو لمثل الشافعي وداود الاصفهاني (الفصل) *
وهكذا اوقف ابن حزم وحده هنا في مسائل الكلام ، كما وقف وحده هناك في مسائل الفقه والتشريع .

وكان ابن حزم قد اتيج له أن يدرس المذاهب المختلفة دراسة عميقة مفصلة ، وأن يستحضر في ذهنه تفصيلاتها ودقائقها استحضاراً دائماً ، وأن يعرف من تاريخ هذه المذاهب وسير أصحابها ما يعينه على امتلاك ناصية القول فيها *
ولقد يمكن من خلال قراءة كتابه (الفصل) أن تتمثل في سير مبلغ مطالعته الكثير ودراساته المفصلة لكتب المتكلمين من أهل المذاهب المختلفة من المشائفة والمغاربة كالنظام والملاحظ والباغلابى وأبى جعفر السمنائى ومحمد بن زكرياء الانصارى ومحمد ابن الحسن بن فورق وابن مسرة الى كثير غيرهم .

ومهما يكن من أمر فإن ابن حزم أخذ يهاجم هذه المذاهب والآراء الكلامية المختلفة ، مهاجمة عنيفة متصلة ، كلما اتيجت له الفرصة لهاجتها ، بل لـم يكتف بجالس الماطرة الى كانت تنعقد بينه وبين خصومه من هذه الطوائف المختلفة ، وقد كانت

مثلة في الاندلس تشيلا واعيا ، بل انه جعل يضع في ذلك الرسائل والكتب ، كذلك الكتاب الذي أشار اليه في الفصل واطافه اليه : وهو « النصائح المنجية من المضائق الخزية ، والقبائح المردية ، من أقوال أهل البدع ، من الفرق الأربع ، المعتزلة ، والمرجئة ، والحوارج ، والشيعة » . وهذه الفرق الأربع كانت معروفة منتشرة في أرجاء الاندلس في ذلك الوقت ، كانت كل واحدة منها تتطوى على فرق مختلفة وآراء متمايزة ومذاهب كثيرة ، وإن يكن يجمعها أصل المذهب الذي تنتمي اليه .

وكل ذلك مما كان يجعل الفكر الاسلامي أقرب الى الفوضى التي لا صابط لها .
والى جانب هذه الطوائف الاسلامية كانت هناك طوائف اليهود والنصارى والملاحدة تضطرب بمختلف النزاع ، وشتى الآراء والاعواء ، وتصطنع في ظهورها والتعبير عن نفسها المظاهر المختلفة والإساليب الكثيرة .

كل ذلك كان يمتلئ ابن حزم في ذهنه تشيلا واضحا متميزا .
وقد وقف من هؤلاء جميعا موقف الرجل الكبير لنفسه ، المعتد أكثر الأعداد برأيه ، المؤمن القوى الايمان بمذهبه ، وقد اتسمت مناظراته لهؤلاء ومناقشاته بقوة الحجج وسطوح الدليل . كما اتسمت في أكثر الاحيان بعنف الكلام والتهجم على المناظر بالوان مختلفة من السباب والتسفيه والتكفير والتفسيق .

وهي سمة ترجع في بعضها الى ما كان يعالجه من مرض عضوي يحصل بكيانه الجسدي وهو المرض الذي أشار اليه وهو يتأمل نفسه ويحلل حالته ويعملها ، فيقول :

« ولقد أصابتنى علة شديدة ، ولدت على ربوا في الطحال شديدا ، فولد على ذلك من الضجر وضيق الحلق ، وقلة البصر ، والنزق ، أمرا حاسست نفسي فيه ، اذ انكرت تبدل خلقي واشتد عجبى من مفارقتى لطبيعى ، وصح عندى أن الطحال موضع الفرح ، اذا فسد تولد ضده » (رسالة الاخلاق) .

ومهما يكن من أمر ، فهكذا كان شأن ابن حزم في خصوماته العلمية والدينية ، وفي موقفه من علماء عصره ، سواء الفقهاء والمتكلمون ، وسواء المسلمون وغير المسلمين ، وذلك أول ما تحسه في كتابه « الفصل » .

وقد كان ذلك من أول ما أقسد بينه وبين معاصريه ، وأثار عليه الزواجر والأعاصير .
وهكذا اصدع ما بين ابن حزم وأهل عصره ، وما زال هذا الصدع يتفاقم ويتسع ، وما
زالت الأعاصير تهزه من كل جانب ، وهو ما ضل سبيله لا يكاد يعا بها فهو يرى نفسه
موكولا إليه محاربة هذه المذاهب والآراء ، وإذاعة المذهب الذي يراه هو المذهب الحق ،
وأنه ناداء هذه الرسالة يحقق الحق ويبطل الباطل ، وأن إيمانه بهذا على هذا الوجه
يجعله لا يقيم وزن لانتكار الناس وما يثرونه عليه وما يحيطونه به من تنفير العامة عنه .

بل أنه ليرى في موقفه من انتكار الناس فضيلة من أكبر فضائله ، وتقوية من أجل
ما يجب أن يحرص عليه من تقائه : « وهو أطراح المبالاة بكلام الناس ، واستعمال
المبالاة بكلام الخالق عز وجل » على حد تعبيره ، وكما يقول في هذا الموضوع نفسه :

« من حقق النظر ، وراض نفسه على السكون إلى الحقائق ، وإن أمتها في أول صدمة ،
كان اغتيابها بدم الناس أياه ، أشد وأكثر من اغتيابها بمدحهم أياه » (رسالة الأخلاق
والسير) *

فهو إذن لا يكفى بعدم المبالاة بانتكار الناس عليه ، بل يلزم له ذلك الانتكار ،
ويستشعر العبطة به

أسلوبه :

يغلب على أسلوب ابن حزم الاطناب بدل الإيجاز . فهو لا يكتفى إلا بالقول المسهب .
وربما كرر بعض معانيه فيردد القول في كل مكان احتاج إليه ، وكذا لا ممانع أن
يذكر المعنى الواحد في كتاب واحد في مواضع كثيرة منه .

ولذلك الاطناب جاءت كتبه بينة واضحة ، لا غلظ فيها ولا انهم ، بل المعاني فيها
ضاحية مكشوفة قريبة .

وأنه لهذا الاطناب ثبتت المعاني التي يقصد إليها في قلب القاري ، وأنه ليعتمد
على ذلك التكرار في تثبيتها ، وتوثيقها .

ومثله مثل الخطيب الذي يكرر معانيه التي يريد تقويتها ليكون لها مجرى في نفس
السامع ، من غير أن يكون التكرار مملا ولا ذاهبا بروق القول وجمال التعبير .

جدل ابن حزم :

كان ابن حزم رجلا جدليا بيق .

وأول وصف لمهاجه في الجدل انه كان مختصا في طلبه الحق ، ولا يفي بجذله الغلب المحرد ولا الاستطالة بلسانه أو قلبه ، أو اختيار المجالس والسيطرة عليها ، انما كان يقصد طلب الحق لسات الحق في نظره ، وتحرير القول في دين الله ،

ولقد صرح هو بذلك ، وانه مستمد لترك ما يقول الى غيره ان تبين له وجه الصواب فيما يقوله مخالفه ، فان طالب الحق لا يصح أن يعصيه التمسب لقوله حيث يكون .

وابن حزم في مناقشته مع غير المسلمين وصدد هجومهم عن الاسلام كان مسلكه غير مسلكه مع علماء المسلمين من حيث أصل الاستدلال ، لا من حيث شكل المناقشة .

لقد كان يستند في مناقشة الفلاسفة على العقل المجرد ، فهو في ابطاله أقوالهم في أن العالم صدر عن الله صدور العلة عن العلول - اعتمد على البدهيات العقلية المجردة التي ترد اليها المقدمات المنطقية العقلية .

وفي مناقشته اليهود والنصارى قد اعتمد على بدهيات العقول ، وسلك سبيل الالتزام لافحامهم والزامهم بنصوص محترمة عندهم .

وانه لا يكتفى بالدفاع عن الاسلام ، بل ينتقل الى الهجوم ، فيحلل نصوص التوراة بتحليل الخبير العالم بموارد هذه النصوص ومصادرها ، ويشرح آبارهم وأحوالهم في استقصاء دقيق عام .

هذه هي طريقة مناقشته لأقوال غير المسلمين .

أما مناقشته لأقوال علماء المسلمين من الفرق وأصحاب المذاهب والمقلدين لها ، فقد كان لها منهاجها لادها نوعان يختلف كل نوع باختلاف منهاجه .

فالفرق الكلامية كالمعتزلة نجدهم في مناقشتها يعتمد كثيرا على العقل ، لانهم تصدوا لمسائل عقلية فهو يناقشهم مناقشة عقلية ، ويحاول أن يرد ما يدعيه الى أصل بدهي ، ويرد ما يدعي خلافه الى أقوال غير اسلامية ، وهو في أثناء ذلك يشدد في القول شأنه دائما .

أما مناقضته لأقوال الفقهاء والمحدثين فإنها نوع آخر • عمل المقل فيها محدود ، وليس بكثير فلا يعتمد على قـل المجرد في مناقشة هذه الآراء ، بل يعتمد على النصوص والآثار وقواعد استنباط الفقهاء •

وتراء في هذه الدراسة ومناقشة الأقوال المختلفة يرسل إليها ارسالاً من الفكر الإسلامي من الأحاديث النبوية ، والآيات القرآنية •

أنه يتبدى في مناقشته لأقوال مخالفيه • بعرض الامر موضوع الخلاف ، يعرضه في صورة واضحة نيرة محرراً موضع النزاع في دقة ، حتى لا يكون للإبهام موضع ، وكأنه يرى رأى سقراط : وهو أن تحرير موضع النزاع يذهب الخلاف ، وإن كان الخلاف قد تقادم •

وإذا حرر موضع النزاع ساق حجة المخالف له نيرة واضحة ، وأحياناً يفصلها تفصيلاً ، وأحياناً يوجز في سياقها لها ، ولا يفصل القول فيها ، ولكنه في أجماله وتفصيله لا يترك حجة يمكن أن تقال •

وإذا بين ذلك أخذ يفند هذه الحجج في عنف في أكثر الأحيان ، وبعد ذلك التفتيد بسوق حججه في هذا الموضوع • وفي بعض الأحوال القليلة يقدم الإثبات على التفتيد بأن يقدم الحجج الذي يبنى عليها رأيه على تفنيد أقوال مخالفيه •

وهو في تفنيد أقوال مخالفيه يعتمد مع الرد الإيجابي الذي يعتمد على أصول دينية ثابتة عنده • إلى طريق الإقحام والالزام •

فيرد أقوال المخالف بمناقضتها لأموال أخرى قد قررها المخالف في غير هذا الوضع ، وكل ذلك في دائرة اعتقاده • ابن حزم • وطنه •

مصنفاته :

أحصاهم بعضهم قبلت نيفاً وخمسين مؤلفاً • وقد ذكر أبو مروان بن حيان : أنه كس من مصنفات ابن حزم وقر بعير لم يجاوز أكثرها عتبة ياديه لزمه الفقهاء فيها ، حتى لأحرق بعضها بأشميلية ومزقت علانية • وقال صاعد : أخبرني ابنه الفضل المكنى

أبا رافع ، بن علي أبو محمد « أنه اجتمع عندي بخط أبي من تواليفه في المعه والمديث
والاصول والتحليل والملل وغير ذلك من الماريغ والسبب وكتب الادب، والرد على المعارضين،
نحو أبعانة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة . ثم قال صاعد : « وحسنا
شيء ما علمناه من أحد ممن كان في دولة الاسلام قبله الا لأبي جعفر بن جرير الطبري ،
فانه أكثر أهل الاسلام تأليفاً الخ » .





الخطابة في النثر الجزائري الحديث

د . عبد الله وكبي

كلية الآداب - جامعة الجزائر

كانت الخطابة في العصر الجاهلي إحدى الفنون الأدبية التي انتشرت بصورة كبيرة لأنها تلائم ظروف ذلك العصر ، كانت القبائل العربية تعيش حياة مضطربة في كثير من الأحيان ، وكان الخطيب لسانها مثل الشاعر يعبر عن مواقفها في السلم والحرب .

ومع أننا لا نجد كثيرا من الخطب التي قيلت في ذلك الوقت لعدم التكوين حينذاك ، فإن ما بقي من بعض الخطب يدل على قدرة في الارتجال امتاز بها العرب

ويؤكد ما عرف به الخطباء من فصاحة وبلاغة . ثم تطورت الخطابة بعد ظهور الإسلام وتغيرت في أسلوبها ومحتواها ، نظرا للمقيدة الجديدة وطريقة نشرها وتمددت أساليبها وتنوعت أفكارها .

ولكن حين جاء لعهد الاموى رحمت الخطابة الى ما يشبه عصر الجاهلية من حيث المناقحة عن القبيلة والدفاع عنها ، ولكها القبيلة السياسية والحزب السياسي ، ووجد الخطباء مجالا خصبا في هذا الصراع السياسي والصراع الديني بين العرق الاسلامية لذلك اتسعت الموضوعات وتمددت الاساليب وبرز خطباء لهم شهرة فائقة امثال « الحجاج ابن يوسف » الذى عرف بالبيان والارتجال والصياغة .

ولما جاء عهد العباسيين استمر الصراع أيضا وتنوعت الثقافة العربية وتوسعت لتستوعب ثقافات أخرى ، الامر الذى أسهم في أن تصبح الخطابة فنا منظما أكثر منه فنا مرتجلا ، على أن العباسيين قضوا على المصارعة نسبيا ومن ثمة اتجه الخطباء الى الدين والوعظة والتبويه بالحلقة وغير ذلك .

وحين تدهور الادب العربى فى العصور السالفة حتى عصر الاتراك ماتت الخطابة تقليدا أكثر منه ابتداعا وفنا ، ومالت الى الرتابة ، بحيث ظهر التكلف فى أسلوبها وطابعها العام وبلغت الخطابة نهاية التدهور فى العهد التركى ، واقتصرت اعراضها على المناسبات الدينية ، يكرر الخطيب معاني السابقين ولكن بأسلوب ضعيف وصياغة جامدة .

وما كان يمكن أن تستمر الخطابة على هذا النحو فى الجزائر بعد الاحتلال ، لولا ظهور الامر عبد القادر وبعض المثقفين الجزائريين الذين ملكوا ناصية القول ، وادركوا خطر الخطابة فى الدعوة الى الجهاد واستنفار الذين يحاربون الاعداء ، خاصة وأن فترة الاحتلال كانت تساعد على هذا اللون من النشر ، لأن الصراع بين الجزائر والاستعمار ، بلغ ذروته فى الثلاثينات والاربعينات من القرن الماضى ، الامر الذى ساعد على أن يتغير أسلوب الخطابة ومصونها أيضا ، فالساذج التى بقيت لنا من تلك الفترة تدل على أن الخطابة تحررت من أسلوب السجع المتكلف ، المقصود لذاته . ومالت الى السساطة فى التعبير والمقصد فى القول ، دون اطناب الى المناسبات التى تقتضى الاقتناع ، فحينئذ يكون المجال مجال تفصيل أما فى الاستنفاد للكفاح والحرب فإن المجال يقتضى التركيز والابحاز ، ويقتضى التمايز الحماسية العياضة المنعجرة .

فخاصية الحماسة فى تلك الخطب من أبرز السمات التى نلاحظها فى انماج الخطباء فى ذلك العصر لأن الخطيب كان فى موقف يحتاج مصه الى أن يدعو الناس الى القتال

ومكافحة الفرسيين الغزاة . وهناك خاصية أخرى بارزة للعيان وهي ان النظرة الدينية تطغى في الخطب التي بقيت من تلك الفترة ، فالنظرة الدينية كانت تغلب لا على الخطباء وحدهم ، بل على المجتمع الجزائري بوجه عام ، فقد كان الغزاة في نظر الناس كفارا ، جاءوا لاحتلال بلد عربي مسلم . ويتضح هذا في الآيات القرآنية والاحاديث الشريفة التي كان الخطيب يستشهد بها على موضوعه ، ويؤكد رايه بهذه الشواهد الفاطمية ، ليشير الحوافز الكامنة في النفوس والتي تستجيب لمقيدة الدينية بقوة اليقين فيها ؛ أما الخاصية الأخرى التي نلاحظها في هذه الخطب وهي أن أسلوبها كما أشرنا أسلوب واضح لا تكلف فيه ، وأن السجع يأتي تلقائيا ، ولكن العناية به ليست مقصودة ، وإنما تأتي عفو الخاطر إلا في البادر ، حين يقصد اليه الخطيب قصدا لظهور قدرته وبراعته في اللغة وتبحره فيها ومعرفته الواسعة بمرادياتها وأساليبها ، ولكن على الصوم فإن الخطيب في تلك المرحلة قد خطا بالخطابة خطوة طيبة من حيث الصياغة فتحررت من الركاقة ومن التعقيد ومن التراكييب المحفوظة وأصبحت فنا هدفه الابانة والافصاح عن الرأي لا التلاعب بالالفاظ والتقليد الجامد للقديمين .

وكما ذكرنا فإن الحرب ضد المستعمرين وظروف الصراع أسهمت في أن تصبح وظيفة الخطابة هي التعبير عن قضية وطنية ، أو عن عقيدة روحية بدل ان كانت قبل الاحتلال تعبيرا عن موضوعات مستهلكة ، ولا شك أن التغيير الذي طرأ على البيئة الجزائرية في مرحلة الصراع ضد الأعداء قد لون هذه الخطب بون الحماسة ، كما ذكرنا ، وساعد على أن تنشأ خطابة عربية سليمة في هدفها وأسلوبها .

فالامير في إحدى خطبه يوضح موقفه تجاه السلم والحرب ، خاصة حين ينص الأعداء إحدى المعاهدات فلا يجد سوى هذا الأسلوب الحماسي الذي يحث على القتال ، طريقا لاستنهاض الهم ، وبعث النخوة في النفوس حيث يقول :

(إما بعد ، فلا يخفى أن الله تعالى قال في كتابه المجيد : « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يولونكم من الكفار ، وليجودوا فيكم غلظة ، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ») .

البدء بالقرآن تحرك نفوس الجنود ، وتساعد على التأثير في نفوسهم وتهيئهم لأن يقتنعوا بالأفكار التي فيها حث على قتال الفرنسيين بعد أن نقضوا العهد : (وهؤلاء القوم قد عادناهم مكثوا العهد وصداقناهم وصارناهم فلم يصبروا وإن تركناهم وشأنهم فلا لبث أن نراهم قد فتكوا بنا على حين غلة) . ونحس من هذه التعابير أثرا بأسلوب « على بن أبي طالب » وطريقته في مراعاة الفواصل .

وبعد أن أعد النفوس للأمر الذي يهدف إليه وبين كيف أن الأعداء لم يحافظوا على المواثيق والعهود ، يتجه إلى جنوده يدعوهم للبية نداء الجهاد : (فهيا بنا أيها المسلمون إلى الكفاح ، وحلوا إليه باحتداد وارموا عن عواقمكم برود الكسل ، وأزيلوا من قلوبكم دواعي الخوف والرجل . أما علمتم أن من مات منكم مات شهيدا ومن بقي نال الفشل وعاش سعيلا) .

ولمعت بطربا في هذا النص هذا الشعار الذي نردده اليوم ، بينما رددته الأمير منذ أكثر من قرن ونصف تقريبا . الأمر الذي يؤكد هذا التواصل بين الأجيال فيما يتعلق بالوطن ومصيره ونظرة الأجيال إلى حرب التحرير ، والتضحية من أجل حريته واستقلاله .

ويؤكد هذا الأسلوب أن الأمير استخدم الخطابة للنائير وهذا هدف الأدب والفن . كما استخدم التعابير المنتقاة ، واختار لأفكاره ألفاظا فيها البساطة بقدر ما فيها من الإيجاز ، وهي طريقة تناسب غرضه في موقفه ونظراته للمعركة وإذا لاحظنا السجع فانه غير متكلف ، كما انه ليس عاما في خطبه وليس مقصودا لذاته . ثم إن الأمير لا يطيل في هذه الخطبة ولا يطنب بحيث نحس بالملل حين نقرأ خطبه كما لا يجري وراء المعاني الدقيقة وإنما يوجز في كل ذلك بصورة واضحة .

على أن عمه أما طالب في خطبة أخرى ، يتحدث بكثير جدا من الاطناب ويعمى بتفصيل الأحداث ويوازن بين السجع والارسال في سلامة طاهرة ، وربما كان للمناسبة أثرها ، في اطنابه ، لانه أراد أن يقنع قادة الجيوش الجزائرية واقتناع الناس بالهدنة مع الفرنسيين، فكان يسيء إلى الأذنان هذا الموقف ، أو ذاك فيتحدث عن الأوضاع التي كانت عليها البلاد ، وما حدث فيها بعد الاحتلال . وهو يريد أن يلفت النظر إلى الاضطراب الذي

حدث في المجتمع والامراض الاجتماعية التي انتشرت بين الناس ويعتمد على العاطفة الدينية ليعظ الناس ويؤثر فيهم أيضا * يقول : « قد علمتم ايها السادة ، انه لما تكررت المظالم وتواطأ العمال ومن واقفهم على ارتكاب المآثم ، انتقم الرب تعالى منهم وعمنا ذلك معهم * قال تعالى : واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة * » ولكي يصل الى عرضه وهو وعظ الناس بالواقع الذي تدهور بسبب المآثم التي ارتكبتها المسؤولين عن الشعب في عهد الاتراك ، واستغلوه ولم يراعوا الاخلاق وما يأمر به الدين ، صان الخطيب مهده لخرضه هذا ليصل الى ما يريد فنقول : « فسلط الله علينا عدو ديننا فتكالب على بلادنا واستولى عليها واستبدل مساجدها بالكنائس » *

فهذه الفقرة تشير الى نظرة الخطيب تجاه الاحتلال ، وهي نظرة دينية اخلاقية ولكنها تشير الى أن المحتلين أخذوا منذ البداية في تدمير المعالم الوطنية الروحية الثقافية حتى أفقرت : (من الدرس والنداس) * ومن هنا ينطلق لوصف الحياة المضطربة التي كان عليها الشعب في عصره وينقل لنا هذا التغيير والاضطراب ، والقلق الذي يسيطر على النفوس سواء في عهد الاتراك أو عند بداية الاحتلال ، وهو وصف حي للواقع الذي عرفتته الجزائر في عصر طغت فيه المطامع على الشعب بحيث سكن الناس في الخيام ، هربا من الاضطهاد ، وضاعت بهم الارض رغم امتدادها ، واتساعها ، من شدة الهول وقسوة الحياة . * فخرج لذلك أهل قطرنا وضاعت بهم ارض مغربنا واستبدلوا القصور المشيدة بخيام الشعر ومضارب الوبر وتفرقوا اوزاعا في المواطن وتباينوا في الموارد والمعاطن وتغيرت الاحوال واشتبه المكن بالمحال وتوالى الجبل والارتحال ، وضعف الرجاء في أن يؤوب المسافر ويعود اشارد الناصر الى أن طالت القصة وعزما ندفع به هذه القصة ، ومالت شمس الاتفاق الى الافول وتها جند القناصر والتعاوضد لرواح والقول » *

هكذا وصف عم الامير في خطبته ما آل اليه الامر ، يصف ذلك بدقة وبتفصيل واضح بفرص التأثير في الناس وتصوير حياتهم التي تدهورت بسبب الظلم والجور * وايضا يصف التناحر والتنافر بين الجماعات ، والخلافات التي سادت حياة المجتمع قبل ظهور الامير ، ليصل من خلال ذلك الى مدح الامير واطهار مكانته وشجاعته وبالتالي يدعوهم الى اللطف حول القائد الشاب الذي يرهن على حكمة وجراة . « فاطهر الله تعالى بلفظه

بدو الدين ومؤيد كلية المؤمنين ابن أحي هذا السيد عبد القادر بن محي الدين فبذل جهده في الدفاع عن الدين والوطن وأتى في ذلك بالعجائب والغرائب ما هو به قمين فكم من حروب أضرمت نارها وكم من كرب أزالها عن المسلمين وأطفا أوارها وكم ضيق على العدو وأخذ بخنقه وصبره محجورا في أحرج مكان وأضيقه * وبعد هذا الوصف للواقع المتغير وللأمر المفقد وهو وصف اختار الخطيب كتاباته وتمايزه ليفتقد منها إلى مآربه وهو الدعوة إلى الهدنة فيقول : « ثم لا زال العدو يتكاثر ويجلب من بلاده العساكر والنخائر بالعدد الوافر حتى كثره بجوده وجاء بما هلا جميع أغوار الوطن فاستمر القتل في المسلمين وتوالى عليهم التمحيص في سبيل رب العالمين » فهذه مررات يهد بها إلى ما يقصد إليه فهو حين يصف قوة العدو وامانه في اظهار جيشه وعنايه بعد بذلك الاذهان لما يأتي ولكنه يكتفي بهذا بل يضرب أمثلة بين تغاثل القادة المسلمين في الاقطار الأخرى التي استعجد بها الأمير فلم يجدوه ، وقد اسندعي حضرة الأمير ، كما لا يخفى ملوك الاسلام من أقاصي البلاد ، فاستنصرهم للجهاد ، فاعاروه أذنا صماء ، ولم يسمعوا له تداء ، بل أجاب لسان الحال : لا حياة لمن تنادى ولا معين على من تمادى »

وبهذه المبررات يدعو الناس إلى الموافقة على مهادنة العدو ، بل يصل على التخويف والتزهيل في الأمر - وهذه خاصة من صفة الخطابة التي تعالج مثل هذا الموضوع « فإذا تمادى الأمر أيها السادة على ما نحن عليه ولم ينجح الأمر إلى ما دعاء العدو إليه فلا حرج أنما نكون قد القينا بأيدينا إلى التهلكة وتسببنا فيما يصيب على كل منا مسلكه ، وتكون قد اعتنا أهل الفساد على انفسنا ومهدنا لهم السبيل إلى ما يؤذينا »

ثم يستشهد بأبيات في هذا القرض ، وهي سمة من سمات الخطابة العربية ، الهدف منها الاعتبار والذكرى ، واقامة الحجج والبرهان على الغاية المقصودة - ويبدو أن عم الأمير من الخطباء الذين يعرفون أسلوب الاقتناع كما أنه يراوح في خطبته بين أمور كثيرة مما يدل على ادراكه لهذا الأسلوب في التأثير على مستمعيه وهو بعد أن ساق حججا كثيرة يعود إلى الأمير عبد القادر فيمدحه ، ويشيد بنفسه ، ولكنه يقرن ذلك بالدعوة إلى السلم وأن الإمام هو صاحب الرأي الأخير ، كما أن حقوق دماء المسلمين واجب ويستندل على رآه هذا بالدين حتى يستحب العادة لهذا الموقف الضعيف « وصون دماء المسلمين فرض

متعين حتى في الجهاد ، وقد قيل سلامة مسلم واحد خير من فتح حصن لكافر معاته *
وقد ورد في الحديث النبوي . من أعان على قتل مسلم ولو بنظرة ، كلمة ، جي ، به يوم
القيامة مكتوبا بين عينيه آيسا من رحمة الله ، والمتسبب كالمباشر * وورد أيضا من
تشكل بغير شكله وتطور بغير تطوره وحام حول حصى سمك الدماء وهتك المحارم ، فقد
باء بفضب من الله ورسوله * وحتى يكون كلامه أكثر اقناعا على هذه الهدنة ، فانه
يعود الى التخفيف من جديد لينتهى الى دعوة الرؤساء والجنود للصلىح والسلام *

ومهما يكن من أمر فان هذه الخطبة طويلة ، نقلنا منها أغلب فقراتها لنمدل على ان
الخطيب فيها اطلب بسبب الموضوع والموقف الذي يستدعي الاقناع والاطباب كما استنخم
قدراته وموهبته لتبرير الموقف الذي اضطر اليه الامير * على ان أسلوب الخطيب كما
أشرنا يمتزج فيه السجع ومراعاة الفواصل بالاسترسال في الجمل والتعابير ، ولكنه
أسلوب واضح سهل يمتاز بسلامة اللغة وبالتصوير ومراعاة القام ، دون صنعة متكلفة
زائدة * والنموذجان اللذان أشرنا اليهما يدلان على مستوى الخطابة العربية وعلى مستوى
النثر فيها في المرحلة المشار اليها * وهو مستوى يدل على ان اللغة العربية ما زالت تتمتع
بتفوقها وقوتها وقدرتها على البيان رغم الظروف الصعبة التي واجهتها أثناء الاحتلال ،
هذه بدايته ، وفي نفس الوقت يدل هذان النموذجان على ان الخطابة استخدمت أداة لتصوير
الواقع بحيث عكست ما كان في البيئة الجزائرية في ذلك الوقت ، فهي شاهد صادق على أن
الاديب حين يكون صادقا يكون مرآة للعصر ، وصورة تعكس الواقع بما فيه من استقرار
واضطراب وبما فيه من صراع أو جمود * وفي النهاية فانها أسلوب آخر من النثر
للتعبير عن الفكر ، والشعور بالواقع والحياة ، فهي من هذه الناحية أداة للتبليغ وطريق
لربط الماضي بالحاضر *

على أن الخطابة بعد حصر الامير يبدو انها قد تدهورت لظروف تتصل بالحياة الادبية
والثقافية والفكرية والسياسية فقد هيمن الاستعمار على الواقع وأثر في مجرياته ، فكان
ناثيره شديدا على أداة الخطابة أي على اللغة العربية التي ضعفت بل
وكادت تختفي من الحياة لادبية الامر الذي أثر في أسلوب الخطابة كما أثر في أسلوب
غيرها من العون الادبية والنثرية خاصة بعد منتصف القرن الماضي * وهذه الظروف

المختلفة المتشابهة قد أدت بالخطابة ، ان تنحصر في دائرة وتميش بميدة عن واقع المجتمع وظروفه ، وأصبحت تدور في حقة مفرغة وآوت مثل اللثة الى المساجد والزوايا وباتت تعقيدا لعصور الانحطاط بل أشد منها سواء من حيث أسلوبها أو موضوعها . ومن هذا رأينا تلك الخطب المنحطة في الأوراق الصفراء تلقى في أيام الجمعة أو في يوم المواسم أو في الأعياد ضيقة واحدة وبانكار جامدة متشابهة في البيئة الجزائرية التي سادتها الحرافات والادعاء ساعد عليها الاستعمار وإدارته التي سيطرت على الدين وأئنته وقضاته وشاهدت الخطابة أحلك فترة لها في الجزائر ما بين الثلث الأخير من القرن الماضي وبين الربع الأول من هذا القرن خاصة في المساجد الرسمية التابعة لهذه الإدارة الاستعمارية حتى انه يمكن القول بأن الخطابة الرسمية أسهمت في الابتعاد على الجمود الأدبي والفكري والديني أيضا لأنها كانت تضجع على التقديرية والتواكل وساعدت بشكل أو بآخر في بقاء الحرافة والوهم والخوف من العدو . فكان أسلوبها ضعيفا وركيكا غثا لا يرقى الى الأسلوب الأدبي اطلاقا ، كما ان الخطباء كانوا عبارة عن نسخة واحدة مكررة لانهم يرددون ما كتب بلا فهم ، لان ثقافتهم ضحلة وتعليمهم جد بسيط الامر الذي أعان على انتشار هذا اللون من الخطب فترة طويلة ، وكان عائقا قويا أمام تطور الخطابة في تلك الفترة التي أشرنا اليها .

ولكن بعد ان انتشرت الافكار الإصلاحية واتصلت الجزائر بمن حولها ونشأت النوادي التي ساهمت على ظهور خطابة جديدة ، في أسلوبها ومصونها وموضوعها ، وكان لابد أن تنشط الخطابة في جو يمتاز بالحركة والصراع والدعوة الى فكر جديد يستمد أصله من عصور الخطابة العربية النحبية ويعتمد على الفصاحة العربية والبيان العربي ، وقد ظهرت جمعية العلماء في مرحلة كانت تحتاج الى خطباء فصحاء يدعسون الى أفكارها وينشرونها بين الناس ، ذلك أن بث الفكرة الإصلاحية تتطلب قدرة على الاقتناع واتصالا مباشرا بالجماعير في شتى أنحاء الوطن . فكانت الخطابة أداة صالحة لإذاعة هذه الأفكار فهي أداء ضرورية اقتضتها الحاجة الى الدعوة واستنهاض الهمم وعلى الرغم من معظم الخطب التي قالها رجال الفكر الإصلاحى ، لم تسجل ، ولم يعن بها الدارسون ، وان ما بقى خطيب بمميزاته الخاصة ، على امتداد عشرات السنين حتى ثورة نوفمبر 1954 وهذا

الموهبة وعلى الثقافة وعلى الارتجال في كثير من الاحيان ويبدو من الصعب أن نشير الى معظم الخطباء أو الى أغلب إنتاجهم في هذا المجال ، لأن هذا يحتاج الى دراسة كاملة لكل خطيب سمزاته الخاصة ، على امتداد عشرات السنين حتى فترة ثورة نوفمبر 1954 وهذا العمل أو هذا المسح الشامل للبيئة التي ظهرت فيها الثقافة أو ظهر فيها خطباء الحركة الإصلاحية وكثر عددهم يصعب عن دراسة مثل هذه مخصصة لرصد الملامح العامة للخطابة في النثر الجزائري الحديث ، يصعب الاثام بذلك ، وعاية الامر أن نشير الى بعض النماذج التي قد لا تغطي فكرة شاملة عن الموضوع ولكن ترسم الطريق لمن يريد التوسع في الموضوع والافاضة فيه ودراسته من مختلف وجوهه ، والوصول فيه الى نتائج واضحة .

والاتجاه الثالث في الخطابة العربية في الجزائر ينمثل في الخطب التي بقيت لنا من آثار الحركة الإصلاحية ورجالها ، وهو اتجاه يختلف في أسلوبه ومضمونه عن الخطابة في السبعين الذين أشرنا اليها سابقا . وكان هذا نتيجة ظروف سياسية واجتماعية وثقافية ، ونتيجة مرحلة جديدة عاشتها الجزائر منذ أوائل القرن الحالي حتى قيام الثورة سنة 1954 .

ولا شك أن اتصال الجزائر بمس حولها ونشأة الصحافة الوطنية وانتشار الاندية والجمعيات الدينية الإصلاحية وظهور حركات سياسية وطنية ، الى جانب اليقظة الفكرية التي برزت بعد الحرب العالمية الاولى ، لهذه الاسباب كلها وغيرها ظهرت الخطابة العربية الإصلاحية والسياسية أيضا ، وكان لها أثرها في تطور الخطابة تعبيرا ومحتوى . خاصة وأن رجال الفكر الإصلاحى اعتمدوا في ثقافتهم على التراث العربي الاسلامي وحاولوا احياءه بوسائل مختلفة من بينها الخطابة . يضاف الى هذا أن جمعية العلماء بعد تكوينها سنة 1931 ، اعتمدت فيما اعتمدت عليه من بث أفكارها بين الجماهير على الخطابة التي تساعدها على ذبوع آرائها ودعوتها الى النهوض والتحرر من الوهم والافكار القديمة البالية . وكان لابد أن تنشط الخطابة وتصبح فنا له سماته وخصائصه وله أهميته بالنسبة لرجال الإصلاح ودعوتهم الجديدة ، ذلك أن بث الفكره الإصلاحية يعنى الدعوة الى تطور ويعنى تغيير النظرة الى الماضي والحاضر معا ، بل والمستقبل أيضا . ومن هنا كانت تلك العناية

الكبيرة للخطابة ، لانها منبر ساعد المصلحين على الاتصال بالجماعير والحديث اليها مباشرة دون حاجز ولان هذه الجماعير امية في الاغلب ونسبة المتعلمين فيها كانت قليلة بالقياس الى تعدد السكان في ذلك الوقت فحات الخطابة لتتلاءم هذا الفراغ وتعرض المحرومين من القراءة في أن يعرفوا قليلا أو كثيرا من مبادئ الجمعية وأهدافها .

وفوق هذا فان فن الخطابة من العنوت التي اشتهر بها العرب وهي من تقاليد النشر العربي منذ العصور القديمة والاحتفال بها قديم منذ العصر الجاهلي كما اشرنا ، وفكرة الاحياء من الاهداف التي سمعت اليها الحركة الاصلاحية .

ورغم هذه العناية بالخطابة لدى رجال الحركة الاصلاحية فان ما بقي يعد قليلا بالقياس الى ما قيل من خطب ، فلم تسجل كل الخطب ولا معظمها ، وانما بقي القليل منها نتيجة ظروف ثقافية ومادية حالت دون تسجيلها ، فالمعروف أن الحركة الاصلاحية كانت تبثت بوعاظها ومرشديها وخطبائها الى مختلف انحاء الوطن بمساسبة خاصة أو للدعوة والارشاد ونشر الفكرة الاصلاحية ، ومع هذا فان الخطب التي بقيت لا تساعد الدارس لهذا اللون من النشر أن يقطع برأى كامل في مستواها وموضوعاتها وسماتها . وانما يمكن القول بأن الخطابة تنوعت ، اسلوبا وموضوعا ومضمونا ، تنوع الخطباء وتنوع ثقافتهم وتجاربهم ونظرتهم ومدى قدرتهم على التمييز وتفاوتهم في ذلك .

ونأتي في مقدمة الخطباء الذين اشتهروا بالفصاحة والبيان الشيخ بن باديس ، والابراهيمى ، والمتمى ، ونوفيق المدنى ، وغيرهم من بقيت بعض آثارهم وسجلت في صحف جمعية العلماء مثل « الشهاب » و « البصائر » القديية والجديدة و « السنة » و « الصراط » و « الشريعة » وغيرها من المصادر .

اما خطباء « حزب الشعب » فان كثيرا من آثارهم قد ذهبت ، لان خطبهم كانت سياسية وطنية تهاجم الاستعمار بجرأة وشجاعة وصراحة فائقة ، الامر الذي يصعب معه أن تنشر في الصحف ، لان الرقابة كانت لا تسمح بذلك ، ولأن صحفهم كانت تصدر باستمرار وأغلب الظن أن بعضها يمكن ان يكون لدى الخاصة من رجال الحزب الامر الذي يحتاج الى بحث طويل ودراسة متأنية والى الاتصال بالاشخاص الذين لعبوا دورا في السياسة وفي الخطابة مما ، وفيهم من الخطباء باللغة القومية ممن لا يحتفل عن خطباء الحركة الاصلاحية فصاحة وبلاغة وقدرة على الارتجال .

على أنه لابد من التفرقة بين الخطابة لدى الاصلحيين ورجال حزب الشعب ، ومنشأ هذه التفرقة يأتي من أن الموضوع يختلف الى حد ما ، فالطابع العام الذي تنقسم به خطاب المصلحين هو طابع الدين والوعظ والتركيز على فكرة الأحياء والرجوع الى الماضي . بينما خطب رجال حزب الشعب يغلب عليها طابع السياسة ، والحماسة والانفعال القسوى والهجوم على الاستعمار واتباعه والدعوة الى النضال من أجل الاستقلال . وهذه التفرقة بين خطب هؤلاء وأولئك تصلح لموازنة بين نموذجين من الخطابة يكون مجالا حصصا للدراسة والكشف عن الاساليب المختلفة للخطباء الجزائريين في مرحلة لعبت فيها الخطابة دورا حطيرا في التوعية ونشر المبادئ، والعمل على دفع الجماهير الى مقاومة الاستعمار الفرنسي واهدافه المروعة . فضلا عن فكرة التشبث بالخطابة بوصفها ما أديا عريقا في الادب العربي . على أن كثيرا من خطباء حزب الشعب كان يستخدم الفرنسية بسبب التعليم ، أو يستخدم العامية بقصد التوصيل .

وحين يكون الحديث عن الخطابة لدى المصلحين فإن الذهن يتجه الى الشيخ «بن باديس» الذي سبق الجميع في الدعوة الى العكرة الاصلحية وتزعمها في تلك المرحلة قد شهسر بسانه بقدرته على الارتجال في خطبه . ونسجل بأن خطبه التي كتبها وألقاها أكثر من التي ارتجلها حسب المصادر التي نقلت لنا هذه الخطب ، ولكنني أعتقد ان الخطب التي ارتجلها أكثر من التي سجلها وبقيت لها ، لأن رئيس جمعية العلماء كان كثير الاتصال بالجماهير وهذا يقتضي خطبا مرجلة حسب المناسبة . ومن ثم فإن الذي بقي من هذه الخطب يبدو قليلا بالنسبة لما قاله الشيخ بن باديس وإن التي كتبت هي تلك التي كان يلقيها بين رجال الحركة الاصلحية في نادى الترقى أو في غيره من النوادي في مناسبات خاصة يستعد لها ، ويحتاج فيها الى الروى والدقة والافصيل ، لانه يخاطب علماء ورجال فكر وثقافة مما يتطلب عناية ماثقة بالصياغة والتنظيم الدقيق . أما تلك التي تقال أمام الجماهير فانها تهدف الى بث العكرة الاصلحية ولا تحتاج الى عناية بالصياغة لانها مرتجلة في لحظتها ومناسبتها الخاصة ، ولأن المتلقى لها هو مزيج من مستويات كثيرة في فهمه وتجربته وثقافته ، ومن هنا تجده حيناً يركز على الدين في بعض الخطب ، وحيناً على

الإصلاح والاجتماع وأحيانا أخرى على السياسة والإصلاح مما ، وعلى التربية والأخلاق
في كثير من الأوقات .

على إحدى خطبه سنة 1939 ، التي ألقاها بنادي الترقى يتحدث عن العرب والقرآن
وارتجلها أمام رجال الإصلاح ، وأراد أن يحث الناس على التمسك بالوطن والقومية
العربية ويدعوهم إلى النعلق بالقيم السامية ، يقول : « من الطبيعة العربية أنها لا تخضع
للجني في شيء ، لا في لغتها ولا في شيء ، من مقوماتها ، ولذلك ترى القرآن يذكسرها
بالشرق » . ويطنب في وصف الشرق ومدفه هو تحريك النفوس ودفعها إلى التمسك
بالحق والدفاع عنه . كما يستمر في تبيان فضل القومية العربية في أسلوب واضح
فيه سهولة وفيه غوص على المعاني البعيدة ، بل وفي تفلسف في كثير من الأحيان .

ومن سمات « ابن باديس » في خطبه أنه لا يتكلف أو يتظاهر بالفصاحة ، كما أنه
لا يستختم الخطابة لإظهار قدرته على القول ، وإنما يستخدمها لتؤكد أغراضه وأهدافه
الإصلاحية والوطنية ، لذلك ينتهز الفرصة لتوضيح هذه الأفكار ونشرها بين الناس ،
وهو يختصر الكلام حين يرتجل ، ولكنه حين يكتب يطيل ولا يوجز . والبداهة دائما تكون
بالحمد والصلاة على الرسول (ص) ثم يأخذ في عرض الموضوع ، كما فعل في خطبة أخرى
سنة 1933 عرض فيها لنشاط جمعية العلماء أثناء هذه السنة ، ولكنه يربط بين الشعب
الجزائري وبين الشعوب الأخرى ، وعأيته من ذلك بعث الهم وتحريك النفوس ، يقول :
« لنا مواهب مثل ما لغيرنا ، ولنا في هذه القومية العربية الحالدة مثل ما لغيرنا ولنا من
هذا التاريخ البعيد مجد وملك مثل ما لغيرنا وفوق ما لغيرنا ... » . ويطنب في مقارنة
الجزائر بغيرها من الشعوب ويشيد بالقومية العربية وبالدين الإسلامي كما يشيد بالجزائر
وطنا للجزائريين ، وينوه بالنمة القومية ، وعرضه أن يصل إلى أن الجزائر مثل غيرها من
الشعوب التي تستحق الحياة والحرية .

وكما يقارن في خطبه بين الجزائر وغيرها من البلدان ويقوص في ذلك ، فإنه يقوص
في مناسبات كثيرة عن الأفكار الدقيقة التي تنبئ عن ثقافة واسعة عميقة ، كما فعل في
خطبة أخرى قالها سنة 1933 في الاجتماع السنوي العام لجمعية العلماء ، وأسهب فيه
عن الجمعية وأعمالها وعن خصومها ، وأعدائها ، وعن نشاطها وأهدافها ، وعن وجودها

نفسه ، يقول في معرض تصنيف أعداء الجمعية وخصومها : « فاما الذين استغربوها فهم طائفة من السنج يقيسون الحقيقة الانسانية بوجودهم و يقيسون التاريخ الانساني بأعمارهم و يقيسون الاجتماع الاسامي ببيت بجمع زوجا وزوجة وأولادهما ، يفرقهم الصباح للكبد على القوت و يجمعهم المساء للنوم تحت السقف » . هـى نقطة فى الحياة عند هؤلاء تحتاج الى مظاهر الحشد والاجتماع وصم رأى لراى ، وبهذا المقياس يقيسون الدين فهو عندهم اسم متعارف بين المسلمين وصلاة مفروضة تؤدى أولا تؤدى وانتساب الى الاسلام يجرى مجرى القابليات فى زماننا هذا « » .

فهو فى هذه الخطبة يحلل موقف المستقرين من جمعية العلماء وهم أولئك السنج الذين لا يتطلعون الى المستقبل ، وانما ياحنون الحياة بلا طموح أو تكبير وبلا كد أو كفاح .

وإذا كانت الافكار الإصلاحية محل عنائته فى خطبته ، فإن فكرة العروبة سيطرت على جزء كبير منها فى فترة كان كثير من الساسة والمصلحين والكتّاب لا معنى بها ولا يوليها اعتمادا كبير خاصة فى الثلاثينات وقبلها بل وربما بعدها من هذا القرن .
ففى إحدى خطبه سنة 1937 يشيد بالعروبة والعربية معا فيقول :

« أما بعد فحياكم الله أبناء العربية والاسلام وانصار العلم والفضيلة حوربت فيكم العروبة حتى ظن أن قد مات منكم عرقها ومسخ فيكم نطقها ، فجتتم بعد قرن تصدح بابلكم بأشعارها فتثير الشعور والشاعر ، وتهذر خطباؤكم يشفاشفا فتدك الحصون والمعاقل ، ويهن كئنا بكم أقلامها فتصيب الكلبي والمفاصل « » .

كما ان ابن باديس كان يمزج بين الإصلاح والسياسة والوطنية فى مناسبات كثيرة فهو لا يفتأ معرضا بالاسمعار من جهة وحائا رجال الجمعية على المقاومة من جهة أخرى .
يقول فى إحدى خطبه سنة 1938 « حينئذ سجن الوطنيون الجزائريون : « أما بعد فسلام عليكم يا أنصار جمعة العلماء المسلمين الجزائريين أجمعين ، وسلام على مساجبيكم فى المساجين ، وسلام على متهمكم فى المتهمين ، وسلام على متكبريكم فى المتكبرين سجون واتهامات ونبكات ثلاث ، لا تبني الحياة الا عليها ، ولا تشاد بالصروح الساقطة للعلم والفضيلة والمدنية الحق الا على أسسها « » .

ويأخذ في ضرب الامثلة وذكر الاشخاص الذين اضلهمهم الاستعمار من رجال الحركة الاصلاحية ، ويستشهد بالقرآن على غرضه *

وكثيرا ما يرمز الى الاستثمار ويدعو الى مقاومته ، ويفسر الابيات التي يستشهد بها أثناء خطبه ، ليعمق في النفوس والاذعان فكرة النضال والاستمرار في المقاومة رغم كل شيء ، كما فعل في خطبة قالها سنة 1936 فهو مثلا يستشهد بهذا البيت للاحنف بن قيس *

ان على كل رئيس حقا ان يخضب الصعدة او تندقا

ويشرحه بقوله : « والصعدة هي الرمح ، يريد أنها تخضب بالدماء أو تنكسر ، وتندق في يده أثناء محاربته للاعداء ، ولكن صعدتنا التي نخضبها هي القلم (وخضابة الحمر) ولكنه لا يندق في هذا القلم حتى تندق أمامه جبال من الباطل * * »

وفكرة الرمز في خطبه هي خصائص أسلوب ابن باديس ، كما فعل في خطبة أخرى سنة 1933 . حين كان يتحدث عن الصعوبات التي اعترضت الجمعية ومحاربة الاستعمار لها ، فنرى ابن باديس يهدد رامزا بأن هذا الامر لا يد أن يتغير . يقول : « وما حيلة من يسلك سبيلا ، فمعرضه الصخور حتى لا يجد عنها مجيدا ، ان الضرورة تقضى عليه أن يجتهد في نزعه واماطتها ثم لا يكون جهده في ذلك الا كتمادية في السير * * * »

فهو اذا كان يرمز مرة فانه يصرح مرات أخرى في وضوح وجرة *

والواقع انه من الصعب أن نعرض بالتفصيل لافكار ابن باديس في خطبه لاهما متنوعة وكثيرة ، وانما أشرنا لها فقط لمبين ان الخطابة قامت بدور لا يقل عن المقال أو غيره من أشكال التعبير في البئر الجزائرى الحديث . خاصة وان ابن باديس عنى بالدين في خطبه كما عنى بالاجتماع والثقافة والسياسة احيانا وبغيرها من الميادين الاخرى *

واللافت ان أسلوب ابن باديس يمتاز بالوضوح والدقة واختيار الكلمات وتقصيل القول كما أشرنا ، ولكنه يستخدم السجع في أحيان قليلة ويكون عفواً الحاطر ، لا يقصد اليه قصدا ، كما في بداية بعض خطبه مثل قوله :

« الحمد لله معطي الطلع لبازل المهج ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله الذي جاءنا بها حنفية سمحة لا اصر فيها ولا حرج ، وعلى آله الطيبين ، الطاهرين ، وعلى اصحابه فرسان الرهج ، الذين اقاموا بالحق كل عوج ، وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم الدين عدد من دب ودرج » *

ومن الخصائص التي اشرنا اليها ، أن ابن باديس كان يستشهد بالقرآن والحديث والشعر في خطبه لتأكيد المعنى الذي يهدف اليه أو توضيح المعنى ، أو لغير ذلك من الأغراض الأخرى الكثيرة في خطبه المتنوعة أسلوباً وموضوعاً وغاية *

كما أن الجدية المطلقة تبدو في خطبه ، فهو لا يعتمد لل فكاهة أو النكتة أو السخرية المباحرة ، لأن شخصيته لا تميل الى هذا الأسلوب وإنما تميل للجد والرياسة والهدوء ، في التعبير والقصد في لقول والهجوم على الموضوع بلا تزويق أو نميق أو بهرجة أو شقشة لفظية ، فهو من خطباء الماني لا الالفاظ * لذلك فخطبه يمكن أن تكون مصادر أمينة تساعد المؤرخين ولدارسين على فهم تلك المرحلة وإدراك معانيها وأحداثها *

وخطبه مثل مقالانه سجل لمرحلة من أخطر المراحل التي مر بها الشعب الجزائري فهي مرآة صادقة تعكس ما كان يجري في بيتها في فترة تعددت فيها الاتجاهات وتصارعت فيها الأفكار وكثرت فيه المشارب نتيجة عوامل شتى *

ويأتي الشيخ البشير الإبراهيمي في مقدمة من اشرنا اليهم من الخطباء اللغاة ، فقد ملك ناصية القول واسنوع البيان العربي وتبحر في اللغة العربية وآدابها ، ورزق ملكة توليد الكلام ، وامتاز بالحافظة القوية وبالقدرة الفذة على الارتجال * ولم يبق من خطبه الا القليل ، فقد تنقل في ربوع كثيرة وخطب في المحافل الكثيرة ، داخل الوطن وخارجه ، ولو كشفت آثاره في هذا الميدان وأطلع عليها الباحثون فرما تفسرت النظرة تجاه الخطابة الأدبية في الجزائر * فالإبراهيمي أديب مصلح ، لا عالم مصلح فقط والعرق سين الأديب والعالم أن الأول يعبر من مشاعره وعواطفه بلغة جميلة موحية ، وهدفه أحداث اللذة الإدسية والامتناع الى جانب الفكرة وخدمة الإنسان ، بينما ننصب عناية الثنائي على الجانب المعنوي والتفكير المتزن والوضوح في التعبير لا بهدف اللذة

الفنية وانما بهدف توصيل الأفكار - فاللغة علمه أداة ووسيلة ، بينما هي لدى الاديب وسيلة وهدف ، وبتعبير آخر ، فان وظيفة اللغة لدى الاديب هي التصوير واحداث المتعة الادبية وعميق الفكرة من خلال هذا الاسلوب أو ذاك في حين ان وظيفتها لدى العالم أو المفكر هي نقل الامتداد وتوصيلها الى الآخرين بصرف النظر عن الجمال أو عدمه . ولعل هذه التفرقة تساعد على فهم أسلوب الشيخ باديس وزميله الابراهيمى فلكل أسلوبه الخاص في خطبه بل وفي مقالاته . وهذا راجع الى المزاج الخاص ، مزاج الابراهيمى مزاج الاديب المنشئ ومزاج باديس مزاج العالم الزعيم ان صحح هذا التعبير - كما ان الثقافة قد لعبت دورا في ميل باديس الى الفكر الواضح والمنطق الفنى يسبغ على كتاباته منهجية معينة ، وهى ثقافة دينية بالدرجة الاولى .

بينما ثقافة الابراهيمى لغوية أدبية وان نشبع بالعلوم الدينية ودرسها وبالفكر الاصلاحى ومبادئه ، ولكنه فى واقع الامر مزج بين الامرين بين المصلح والاديب فى حياته الثقافية . وهذا يعطى طابعا خاصا لخطبه وكتاباتة كلها .

وهذا التمييز بين الشخصين يصلح موضوعا لموازنة طريفة وخصبة بين خصائص كل منهما وتكشف عن الشخصية الانسانية والادبية ، وعن الاسلوب الخاص لهديسن المثقفين الجزائريين . ومجال هذه الدراسة خاص برصد أنواع الخطابة وتطورها وسماتها وتبايرها العام ، لا الحديث عن كل شخصية بمفردها وعن سماتها الخاصة .

ويعتق الشخصان فى موضوعات كثيرة ، وبوجه خاص تلك التى لها صلة بالافكار الاصلاحية ، وما يتصل بمبادئ جمعية العلماء واهدافها ، وهذا يشمل الخطباء الآخرين الذين ينتمون للحركة الاصلاحية . فخطبهم فى هذه الموضوعات متشابهة ولكن الخلاف يأتى فى الصفات الخاصة بكل واحد منهما نتيجة الثقافة والتربية والتكوين والنظرة المينة والاسلوب الخاص وما الى هذا السبيل .

ولا شك أن الشيخ البشير الابراهيمى ، يمتاز بأسلوبه الخاص فى النشر خطابة أو مقالا . فهو فى تعبيره يميل الى الجزالة والضحامة ، ويعنى بأساليب البلاغة العربية من حماس وطباق وتورية وتشبيه واستعارة ومجاز وما الى ذلك من أنواع البديع والبيان .

فهو في هذا المجال يتشبه الى مدرسة البلفاء العرب وخطبائهم المشهورين
بالقدرة على توليد الماني والاحتفال الذي يأتي عفو الحاضرة ، أو نقصد لذاته أحياء .

ففي خطبة للإبراهيمي قالها بمناسبة مهرجان شوقي بالجزائر ، نرى الخطيب يحتفل
بالسجع كقوله : « حيالكم الله وحيالكم وابقاكم للمرونة تحيون مآثرها ، وتجسدون
مآثرها » ثم يسرسل على هذا النسق فيمدح الشاعر شوقي لينتقل الى الحديث عن
العربية والعروبة ويربط بينهما في ذكاء ووعي ، كما يربط بين الماضي والحاضر ، ويشد
الشاعر لمحة فرنسا في قصيدته المروفة :

سلام حسن صبا بردي أرق ودمع لا يكفكف يا دمشق

ففي هذه القصيدة يعرض شوقي للثورة الفرنسية عشيدا بها وبشعاراتها المعروفة
ولكن «الإبراهيمي» لا يرى في ذلك سوى نمونها على الشعوب ، ففرنسا تأخذ أكثر مما
تعطي وليس ما نفعه خالصا لوجه الحرية والتحرير ، و « الإبراهيمي » يدرك عن تجربة
أي « فرنسا » رفع الشاعر وتحققه لابنائها لا للجزائريين ، أو لم اسمعرتهم واحلف
أراضيمهم واستغلت عرقهم وجهودهم »

وللإبراهيمي خطب كثيرة في مناسبات مختلفة ، خطب في فتح مدارس جمعية
العلماء ، في شتى أنحاء الوطن ، وحين تبنى المساجد التي يؤسسها الشعب بماله الخاص .
كذلك خطب في رحلاته داخل الوطن أو خارجه ، وفي كل هذه الخطب يصدر عن نظرة
اصلاحية ولكن بأسلوب أدبي ، كما يصدر فيها عن روح عربية أصيلة تتعلق بفكرة
القومية العربية وبالتأوين العربي والحضارة العربية الاسلامية .

ويلتقي في هذا مع « توفيق المدني » في فكرة القومية العربية ولكنهما يختلفان في
المعالجة ، فطريقة « الإبراهيمي » - كما اشرت - طريقة الاديب يعنى بالنعير الجميل
والاسلوب الرصيف ، بينما توفيق المدني - لميله للسياسة - يعنى بالبساطة في التعبير
والوضوح مع مسحة أدبية ، الامر الذي يحمل من خطئه - كمقالاته - كتابات يطبق
عندها وصف «الاديب السياسي» . ويتفقان في الارتجال فكلا الخطيبين يمتاز بملكة

الارتجال وحسن الالقاء وتوليد المعاني - غير ان المدني يمتاز بالمقارنات في خطبه ويضرب الامثلة من التاريخ بسبب اهتمامه بالتاريخ والكتابة فيه .

وهناك خطيب آخر اشتهر بالقدرة على الخطابة والارتجال والنفس الطويل ، وهو الشيخ « الطيب العقبي » الذي كان من رجال الحركة الاصلاحية البارزين بل من المؤسسين لها والمدافعين بحماس عن مبادئها واهدافها . وقد عرف بمقالاته الجريئة ضد الطرقيين كما عرف بخطبه الاصلاحية التي تهاجم البدع والمخرفات وتدعو الى التحرر من رواسب الماضي . وهو من الخطباء المشهورين في العصر الحديث . وقد جمع بين العلم والشعر ولم يلق العناية الكبيرة من الباحثين . وربما يرجع السبب الى ان انتاجه ما زال بعيدا عن ايدي الباحثين ، فرغم ان العقبي له انتاج وفير في الخطابة الا انه لم يطبع أو لم يسجل أصلا ، لان معظم خطباء الحركة الاصلاحية لم يعنوا بالتسجيل والكتابة كما ذكرنا، لذلك لا نثر على خطب كثيرة ، بالرغم من أن الحركة ، الاصلاحية ، قامت على المنبر في جانب كبير منها .

وجملة القول ان الخطابة في الشر الجزائري الحديث اذا كانت قد استندت على التراث العربي القديم واثرت بالاساليب العريقة ، استخدم اصحابها السجع أحيانا واستشهدوا بالقرآن أو الحديث أو الشعر ولكنها اختلفت عن ذلك في المحتوى والموضوع من جهة ، كما أنها انحرفت من الزخرف اللفظي ومالت الى الوضوح والبيان العربي الاصيل من جهة أخرى ، وأعادت بذلك للأسلوب العربي مكانته في الادب الجزائري الحديث .

ومع هذا فان الخطابة في الادب الجزائري تحتاج الى دراسة أوسع وأشمل لان دورها لا يقل عن دور المقال في بث الافكار والآراء السياسية والاصلاحية - فهناك خطباء اتخذوا من السياسة مجالا لخطبهم بالعربية والفرنسية وعرفوا بالفصاحة والقدرة على التعبير والاقناع . وبصرف النظر عن أن الخطب السياسية كانت تلقى في الانتخابات أو في مناسبات سياسية معينة ، فانها أسهمت في توعية الجماهير وتوعيتها بالواقع المؤلم الذي عاشه الشعب الجزائري تحت الاحتلال .

كذلك فان الثورة قد فتحت مجالا جديدا خصبا للخطباء على السواء واستخدمت الخطابة أداة ووسيلة لتعميق المعاهيم الثورية في أذهان جنود جيش التحرير وأفراد الشعب بوجه

عام ، ولكن لسوء الحظ ، فقد ضاع معظم هذه الخطب التي قيلت أثناء الثورة ولو عثرنا على جزء منها لأمكن استخلاص بعض السمات والخصائص للخطابة في وقت الكفاح التحريري ولعثرنا على نصوص تصور لنا الأسلوب والأفكار التي طمت في تلك المرحلة .

أما بعد الاستقلال فن الظروف تغيرت وتغير موضوع الخطابة لتغير الواقع ، وربما أمكن القول بأنها ضمنت من حيث صياغتها لأن المثابة بها من الناحية الأدبية الفنية قلت وأصبح الهدف هو التعبير عن الفكرة وتوصيلها الى الجماهير بقطع النظر عن الجمال الادبي أو عدمه ، ونحن لا نقصد أسلوب المحاضرات ولكن نقصد الخطابة المرتجلة غالبا .

ومهما يكن من أمر فإن الخطابة في النثر الجزائري الحديث قد لعبت دورا هاما سواء فيما يتصل بانقضاءيا الاجتماعية والسياسية للشعب او فيما يتصل بالناحية الادبية والثقافية ، وبذلك ملأت فراغا كبيرا في الادب والنثر بصورة خاصة وأسهمت في تطوير اللغة العربية والانقاء عليها وعلى مرونتها كما أنها أسهمت في نشر الافكار والمبادئ والاهداف التي آمن بها الشعب وضحى من أجلها .

واذا كنا لم نشر الى الخطب التي ردها بعض العملاء التابعين للإدارة الفرنسية نفاقا أو تملقا للاجنبي ، فلأن ذلك لا يضيف جديدا لما ذكرناه بالنسبة لتطور الخطابة أسلوبا وصياغة ، لأن الخطب التي قالها أصحابها تنويها بمجهودات رجال الادارة الفرنسية تقربا منهم ، فهي من النوع العاتر الذي تطلب عليه المجبة والتكلف والتهافت . على أننا نعتبرا بالخطابة الاصيلية التي ساعدت على تطور النثر الجزائري الحديث وحملت في كثير منها قيما أدبية وإنسانية ، وعمقت معاني الخير والنضال وحب الحرية في نفوس الناس وبذلك كانت وسيلة وأداة ساعدت على التقدم والازدهار والتطور في الفكر والنطق والشعور .

علاقة العامية بالفصحى

أحمدالة اهلالة العامية محل اللغة الفصحى في الوطن العربي

د. رابح ترمي
كلية الآداب - جامعة الجزائر

- 1 - تحديد المصطلحات .
- 2 - مقدمة عامة .
- 3 - نظرة تاريخية الى علاقة العامية بالفصحى .
- 4 - مؤلفات اللغويين العرب القدماء في العامية .
- 5 - متى بدأت مشكلة العامية في البلاد العربية ؟
- 6 - متى بدأ اهتمام الأوروبيين بدراسة اللهجات العربية العامية ؟
- 7 - من هم رواد الدعوة الى العامية في البلاد العربية من الأوروبيين ؟
- 8 - من هم دعاة العامية من العرب ؟
- 9 - الدعوة الى البربرية والفرنسية في الظاهر والمغرب العربي .
- 10 - قصور العامية في التعبير وفقرها في المفردات .
- 11 - الاخطار التي تترتب على استبدال العامية بالفصحى .
- 12 - الدعوة الى العامية وفضية تيسر اللغة العربية .
- 13 - خاتمة الدراسة .

1 - تحديد المصطلحات

أ - ما المقصود باللغة العربية الفصحى ؟

اللغة العربية الفصحى هي اللغة التي تستخدم في تدوين الشعر والنثر ، والانتاج الفكري والملمى عامة ، وهي تخضع لقوانين تضبطها ، وتحكم عباراتها . وهي تتوخى الايضاح والاصالة . والاعراب احدي وسائلها الى تحقيق هذه الغاية ، غاية الايضاح والافصاح عن صلات الكلمات بعضها ببعض وعن نظم تكوين الجمل بالحالات المختلفة لها .

ب - ما المقصود باللغة العربية العامية ؟

أما اللغة العامية فهي لغة الحديث التي تستخدم في الشؤن العادية * ويجرى بها الحديث اليومي في البيت والسوق والشارع ، وهي لا تخضع لاية قوانين لغوية ضابطة لانها تلقائية ، ومتغيرة تبعا لمغير الاجيال وتغير الظروف المحيطة بهم : ومن أبرز مميزاتها حلوها من ظاهرة الاعراب *

2 - مقدمة عامة

لابد ونحن نحاول احلال اللغة العربية الفصحى محل اللغة الاجنبية في حياتنا الادارية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية أن نتحدث عن ظاهرة العامية أو العاميات التي تعيش مد قرون جنباً الى جنب مع اللغة الفصحى * وذلك بقصد معرفة طبيعة العلاقة الموجودة بينها ، وكيف ينبغي أن توضع هذه العلاقة في إطارها السليم *

ذلك انه قد يعترض علينا البعض مثلاً قائلين ان اللغة العربية التي تربدون أن تكون لها السيادة المطلقة في الجزائر لا تعاني فقط من مشكلة مزاحمة اللغة الاجنبية لها في غف دارها مزاحمة شديدة * في شتى مجالات الحياة الوطنية ولكنها تعاني كذلك من مزاحمة اللغة العامية واللهجات المحلية المتداولة في بعض جهات الوطن * فلماذا التركيز في عملية التعريب على مشكلة اللغة الاجنبية وحدها ؟ ومحاولة القفز فوق مشكلة العامية أو العاميات ؟ اليسمت هي الاخرى تكون بدورها أيضا اذدواجا لنصويافه أخطاره ومضاره على تعليم الاطفال في المدارس وتوحيد لغة الثقافة والتعامل والتوجيه للمجتمع في الوطن ؟

ومن هنا رأينا أن من الضروري ونحن نمالج قضية التعريب معالجة جذرية في هذه الندوة أن نلقي ضوءا كائيا على مشكلة العامية في علاقتها بالفصحى حتى لا نترك أية فرصة لأي متشكك في قضية التعريب يحاول من خلالها اثاره القبار حولها أو حول أهميتها * ووجوب الاسراع في تحقيقها حتى نخرج من هذه البلبلة التي تضطرب فيها منذ الاستقلال بسبب سيطرة لغة أجنبية سيطرة طاغية على كافة المرافق الاستراتيجية في البلاد *

3 - نظرة تاريخية الى طبيعة علاقة العامية بالفصحى :

وإذا بحثنا عن طبيعة العلاقة القائمة بين اللغة الفصحى من جهة ، واللغة العامية أو العاميات من جهة أخرى • فإننا نجد في كل لغات العالم تقريبا علاقة قديمة تضرب بجذورها في أعماق تاريخ نشأة اللغات المكتوبة • بل إن الفصحى كانت في إحدى مراحل تاريخها عبارة عن لغة عامية ، تطورت نتيجة لوامل مختلفة لا مجال لتفصيل الحديث عنها الى لغة فصحي •

ومن هذه النظرة كان اللغويون العرب القدماء مثلا يعتبرون اللغة العامية عبارة عن تحريف غير مقصود للعربية الفصحى • وليست لغة مختلفة عن اللغة الفصحى اختلافا حذريا •

ولذلك كانت مؤلفاتهم في دراسة العامية تعتبر فرعا من دراستهم للغة الفصحى وخدمة لها ، ومحافضة عليها ، من التحريف ، والدخول ، وليست دراسة مستقلة للعامية عن الفصحى تمام الاستقلال كما هو شأن الباحثين اللغويين المعاصرين •

ومن هنا لم يكن اهتمام اللغويين العرب القدماء بدراسة العامية وعلاقتها بالفصحى يهدف الى تدوينها كلفة قائمة بذاتها • وأما كان من أجل تصحيحها لكي تصبح جزءا سليما من اللغة الفصحى وليست جزءا منافسا لها •

4 - مؤلفات اللغويين العرب القدماء في العامية :

ونظرة سريعة الى مؤلفات اللغويين العرب القدماء - وهي كثيرة جدا في هذا المجال - توضح لنا بكل تأكيد ما نذهب اليه •

ومن بين تلك المؤلفات نذكر على سبيل المثال ما يلي :

أ - ما تلحن به العامة - للإمام الكتاني (189 هـ) وهو من علماء القسرون الثاني الهجري •

ب - ما تلحن به العامة - لابي الصاس أحمد بن يحيى ثعلب (291 هـ) وهو من علماء القرن الثالث الهجري •

ج - لمن العامة - لابي بكر بن محمد المازني (248هـ) وهو من علماء القرن الثالث الهجري *

د - لمن العامة - لابي عبيدة (209هـ) وهو من علماء القرن الثالث الهجري *

هـ - لمن الخاصة - لابي حلال العسكري (1) (395هـ) وهو من علماء القرن الرابع الهجري ، وغيرهم كثيرون *

ان استراض هذه المؤلفات التي ذكرناها والتي لم تذكرها لضيق المقام يوضح لنا ان العامة قد لازمت العربية الفصحى منذ اقدم عصورها دون ان تزحزها عن مكانتها الادبية او العلمية او الثقافية او الدينية *

وقد عاشت العامة الى جانب الفصحى هذا الزمن الطويل وخصوصا بعد ظهور الاسلام دون ان يحدث بينهما تنافس في الميدان الادبي او العلمي الذي اقتصت به اللغة الفصحى وحدها حتى العصر الحديث *

5 - متى بدأت مشكلة العامة في البلاد العربية في العصر الحديث ؟

لقد بدأت العامة كمشكلة تطرح نفسها لأول مرة في العصر الحديث على العالم العربي ببداية ظهور حركة الاستعمار الاوروبي للاقطار العربية في القرن التاسع عشر حيث قام بعض المستشرقين والمبشرين والمستعمرين كل في مجاله الخاص * وبطريقته الخاصة أيضا * بشن حملة واسعة النطاق ضد اللغة العربية الفصحى بهدف القضاء عليها باعتبارها لغة القرآن الذي هو مصدر الدين الاسلامي ، ولغة الثقافة العربية التي هي في جوهرها ثقافة القرآن ، واخضارة الاسلامية ثم اخيرا باعتبارها الرابطة العظمية التي تربط بين العرب في شتى اقطارهم واعصارهم ، ولذلك فان القضاء عليها سوف يحقق لهم عدة اهداف في وقت واحد *

1 - القضاء على الدين الاسلامي الذي هو مصدر القوة والمقاومة للعرب المسلمين وهذا يحقق هدف المبشرين الحاقدين على الاسلام *

(2) انظر تاريخ الدعوة العامة للدكتورة نفوسة سبيد/دار المعارف بالقاهرة سنة 1964 - ص 7 ،

ب - القضاء على الثقافة العربية من طريق فصل الاجيال العربية الجديدة عن تراثهم الثقافي المدون بالحروف العربية لان بعض المستشرقين دعوا فيما دعوا اليه الى استبدال الحروف العربية في الكتابة بالحروف اللاتينية *

ج - القضاء على اللغة العربية الفصحى واستبدالها باللغات العامية المحلية لكل قطر عربي * وهذا يحقق هدفا استراتيجيا للاستعمار لا يقل أهمية وخطورة عن الهدفين السابقين وهو فطم عرى الوحدة القومية بين أقطار الامة العربية حتى يمكن استبعاد العرب جميعا بعد أن تذهب قوتهم التي تتمثل في اتحادهم وتكاتفهم وتضامنهم وذلك طبقا للقول الاستعماري المعروف « فرق تسد » *

ومن هنا واجهت العربية الفصحى هذه الحرب الضارية التي تجاوزت فيها جهات متعددة واستهدفت الدعوة الى استعمال العاميات بدلها الى أن تلاقي نفس المصير الذي آلت اليه اللغة اللاتينية منذ قرون بعد أن صارت اللهجات العامية المتفرعة عنها وهي الفرنسية والإسبانية والإيطالية والرومانية لغات رسمية لشعوبها * وبالتالي ماتت اللاتينية في الحياة العامة ولم يبق سوى في بطون الكتب * ومتاحف التاريخ فقط *

والدليل على سوء نية المستشرقين والمبشرين والمستعمرين ضد اللغة العربية الفصحى هو هذه الموجات الضخمة من الدراسات المفروضة التي قام بها البعض منهم لنصرة اللغات العامية ، بقصد خلق الفركة وتعميق أسباب الخلاف بين أبناء الوطن العربي في لسانهم الذي هو اللسان الموحد ثم لكي يجعلوا من قضية اللهجات العامية مشكلة قائمة في العرب أنفسهم تلهيهم عن الانصراف الى معالجة قضاياهم المهمة والحساسة في التطور الفكري والثقافي ، والنهوض الاقتصادي والاجتماعي للبلاد العربية ، ومقاومة مخلفات الاستعمار (2) الثقافي الذي لا يزال جائئا على عقول البعض من أبناء العروبة *

ولولا أن العربية هي لغة القرآن * ولغة الدين والحضارة الاسلامية لتحقيق لأعداء العرب ما كانوا يرمون الى تخطيطه من وراء نشاطهم المحكوم في الدعوة الى العامية والكتابة بالحروف اللاتينية * ولملح من نافلة القول أن نعيد الى الإذعان بأن أكثر

(2) أنظر مجلة اللسان العربي/عدد 3 - ص 72/الرباط سنة 1965 .

الهاجبيين على استعمار الوطن العربي خلال القرن التاسع عشر ، والثالث الاول من القرن العشرين كانوا يرون أن تقطيع اوصال العرب والمسلمين لا يمكن أن يتم لهم كما يريدون ما دامت هناك لغة واحدة يتكلمها العرب في جميع أقطارهم وأمصارهم ، وما دام هنالك حرف عربي يربط حاضر العرب الى تراثهم الثقافي في الماضي ، فاذا نجح أعداء العرب في الدعوة الى العامية والكتابة بالحروف اللاتينية أصبح لكل قطر عربي لغته الخاصة أو ربما لغاته الخاصة لأن لكل قطر عربي مجموعة من اللهجات العامية ، كذلك فان الصلة التي كانت تربط العرب بتراثهم الثقافي سوف تنقطع بعد الاستغناء عن الكتابة بالحروف العربية واستبدالها بالحروف اللاتينية كما فعلت تركيا مثلاً وعندئذ سوف يصبح العرب مجموع « وحدات » لغوية متنافرة مما يسهل عملية إخضاعهم بخلاف ما اذا بقوا يكونون كتلة روحية وفكرية (3) ولغوية متساكة *

يقول الأستاذ ساطع الحصري في هذا المعنى : « لقد فكرو المستعمرون أن اللغة الفصحى هي التي تصل لبلاد العربية بعضها ببعض ، وهي التي تنقل الأفكار والنزعات من قطر عربي إلى آخر . فاذا توقفت حركة نشر اللغة الفصحى في البلاد العربية ، وقامت فيها بعكس ذلك حركة جديدة ترمي الى انعاش وتدعيم اللغات العامية فلا بد من أن يصبح بعد مدة كل قطر من الاقطار العربية دالة خاصة به فيزول بذلك خطر انتشار فككرة الاستقلال . كما ينتفي احتمال قيام فكرة الاتحاد بين مختلف الاقطار العربية . »

وقد وجدت هذه الفكرة قبولا حسنا في المحافل الانجليزية والفرنسية على حد سواء وأخذ القوم يتحمسون لها ويثيرون الدعايات للغات العامية في كل البلاد العربية ، ولا سيما في المستقبلية والمتقدمة منها ، واشترك في هذه الدعاية عدد غير قليل من مشاهير رجال الفكر والاستشراق * (4)

وتشرح مجلة « الثقافة العربية » اللبنانية دور المبشرين في الدعوة الى العامية بقصد القضاء على اللغة الفصحى فتقول : « ان الاساليب التشهيرية وخاصة اليسوعية منها

(3) راجع كتاب « التبشير والاستعمار في البلاد العربية » ط 3 بيروت سنة 1964 - ص 224 .

(4) راجع كتاب « تآخيدات في الفرجية والإجتماع » ط 2 بيروت سنة 1962 - ص 113 .

(5) صدر ابريل منته 1973 ح 33 / بيروت .

بعد أن لعبت دورها الهام في إبراز الشخصية العربية المتميزة عن الشخصية العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . وذلك عن طريق إحياء اللغة العربية ونشرها على نطاق واسع ضمن أهداف النول الأوروبية في محاربة اليساب العالي - أخفت الإرساليات اليسوعية بعد انهيار الرجل المريض (تقصد انهيار الخلافة العثمانية) تعيد النظر في تقديرها « لغة العربية » وأخذت تدعى من خلال خريجيهها عامة وبعض « الهاتمين » بالمصاهرة الفرنسية اللاتينية أو البحر المتوسط أمثال (سميد عقل ، ورينية حبشي) وباسم الوطنية ضرورة التركيز على اللغة اللبنانية ، و « الثقافة اللبنانية » أمعانا منها في تزييق الكيان العربي . والشخصية القومية العربية .

6 - متى بدأ اهتمام الأوروبيين بدراسة العامية العربية ؟

لقد بدأ اهتمام الأوروبيين بدراسة اللهجات العربية العامية التي أطلقوا عليها اسم اللغات العربية العامية منذ بداية ظهور حركة الاستعمار الأوروبي للعالم العربي في القرن التاسع عشر . وقد تجلّى ذلك في مظهرين هامين :

المظهر الأول - « هو ادخالهم تدريس اللهجات العامية في مدارسهم ومعاهدهم وجامعاتهم »

المظهر الثاني - « تجلّى في اتجاههم الى التأليف في اللغة العامية في مختلف الاقطار العربية »

وقد يرّز المظهر الأول كالآتي :

- 1 - ففي إيطاليا درست اللهجات العربية العامية في « مدرسة نابولي للدروس الشرقية » التي تأسست في عام 1727 ووقع تجديدها في عام 1888 .
- 2 - وفي النمسا أنشئت مدرسة في « فيينا » سنة 1754 أطلقوا عليها اسم « مدرسة القناصل » لأنها كانت تعلم لغات الشرق ومن بينها اللغة العربية الفصحى ولكنها وجهت اهتمامها الأكبر لدراسة العامية العربية .
- 3 - وفي فرنسا درست اللهجات العربية العامية ابتداء من أواخر الثلث الأول من القرن التاسع عشر في « مدرسة اللغات الشرقية » التي تأسست في عام 1759 .

4 - وفي روسيا القيصرية انشئت مدرسة « لازارف الايكليزيكية » التبشيرية للغات الشرقية ، في موسكو سنة 1814 وكانت تعلم العربية الفصحى واللهجات العامية العربية في وقت واحد *

5 - وفي ألمانيا أنشئت مدرسة كبيرة لتدريس اللغات الشرقية ومن بينها اللغات العربية ولهجاتها العامية *

8 - أما في بريطانيا فقد انشئت جامعة (5) «لندن» في أوائل القرن التاسع عشر فرعا فيها لتدريس العربية الفصحى ولهجاتها العامية في مختلف الاقطار العربية الى غير ذلك من بقية البلدان الاوروبية الاخرى التي كانت لها مطامح استعمارية في بلاد العرب ، وقد كان الهدف الاستعماري واضحا من اهتمام الدول الاوروبية بدراسة اللهجات العامية الى جانب العربية الفصحى وذلك لكي يتمكنوا من التفاهم بها في مستعمراتهم في الوطن العربي ، واستغلالها في عملية المؤسسة والاتصال بافراد الشعب ولم يكن اهتمامهم بدراسة العاميات العربية هو البحث العلمي النزيه كما قد يتبادر الى الاذهان *

أما المظهر الثاني لاهتمام الاوروبيين بدراسة اللهجات العامية فيتجلى في اتجاههم الى التأليف فيها والدعوة الى كتابتها بالحروف اللاتينية والدعوة كذلك الى استبدالها بدل العربية الفصحى في التعليم والادارة ، والثقافة بهدف القضاء على اللغة الفصحى *

وقد ظهرت مجموعات كبيرة من المؤلفات الاوروبية عن العاميات العربية في مختلف بلاد العرب تشير الى طائفة منها فقط على سبيل المثال نظرا لضيق المجال ، ومن بينها المؤلفات التالية :

1 - كتاب قواعد العربية العامية في مصر تأليف الدكتور ولهم سبيتا باللغة الالمانية في عام 1880 ويعتبر هذا الكتاب هو الرائد في هذا الميدان حيث سار على منواله بقية المؤلفين *

2 - كتاب اللهجة العربية الحديثة في مصر تأليف الدكتور كارل فولرس باللغة الالمانية نشر 1890 *

(5) انظر كتاب تاريخ المعركة الى العامية/المرجع السابق - ص 9 .

- 3 - كتاب لغة بيروت العامية تأليف مانويل ماتسون باللغة الفرنسية سنة 1911 .
 - 4 - كتاب قواعد العامية الشرقية والمغربية تأليف كوسمان دبرسفال بالفرنسية
نشر سنة 1858 .
 - 5 - كتاب عربية مراكش تأليف لويس مازمير بالفرنسية سنة 1925 .
 - 6 - كتاب عامية دمشق بالألمانية ، وقد طبع في هانوفر سنة 1924 .
 - 7 - كتاب لهجة بغداد العربية (8) للمستشرق الفرنسي لويس ماسينيون باللغة
الفرنسية نشر سنة 1912 .
- وغير ذلك من الكتب الأخرى وبمختلف اللغات الأوروبية ، وكلها تقريبا تدعو الى استعمال العامية بدل العربية الفصحى والى كتابتها بالحروف اللاتينية بدل الحروف العربية .
- ومما لا شك فيه ان هذه الأبحاث التي تناولت دراسة العاميات العربية والدعوة الى كتابتها بالحروف اللاتينية ، ومحاولة ضبطها ، واستنباط قواعد علمية لكتابتها .
- والعمل على محاولة استبدالها باللغة الفصحى في التعامل والثقافة معا انما كان يهدف الى القضاء على اللغة العربية الفصحى ، باعتبارها الرابطة الكبرى التي تربط بين العرب في حاضرهم ومستقبلهم ، كما ربطت بينهم في ماضيهم وفي تراثهم الثقافي والحضاري .
- 8 - من هم رواد الدعوة الى العامية في البلاد العربية .

من الأدويين ؟

يعتبر المستشرقون الألمان هم الرواد الأوائل في الدعوة الى العاميات العربية ، كما يعتبرون الرواد الأوائل في الدعوة الى الكتابة بالحروف اللاتينية - بدل الحروف العربية .

(6) انظر دراسة مفصلة عن تاريخ دراسة اللهجات العربية في مدارس أوروبا وجامعاتها للاستاذ هينريش اسكندر المصطفى تحت عنوان اللهجة العربية العامية نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بالدمشق ، ج 3 (1935) من ص 349 الى 374 .

ويأتي بعدهم المستشرقون الانجليز الذين استوطنوا مصر عقب الاحتلال الانجليزى لها فى عام 1882 * ثم استشرقون الفرنسيون وغيرهم *

ويعتبر الدكتور ولهم سيبتا صاحب كتاب قواعد العامية (7) العربية فى مصر والامانى الجنسية الذى تولى ادارة دار الكتب المصرية خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر هو الرائد الاول لكل من كتب فى العامية المصرية حيث ألف اول كتاب له فى هذا الموضوع سنة 1880 *

ومن هذا الكتاب انبثقت الدعوة فى العالم العربى الى اتخاذ العامية لغة أدبية وفى هذا الكتاب وضع أول اقتراح لاتخاذ الحروف اللاتينية فى كتابة العامية العربية ببدل الحروف العربية - ومن هذا الاقتراح نبعت فيما بعد الدعوة الى كتابة العربية الفصحى نفسها بالحروف اللاتينية خلال الثلاثينات والاربعينات من هذا القرن *

وقد سار على منوال الدكتور ولهم سيبتا عدد من المستشرقين الاوربيين من بينهم الدكتور كارل فولرس ، والقاضى الانجليزى فى المحاكم المصرية ولور الذى وضع كتابا باللغة الانجليزية عن العامية المصرية اسمه العربية المحكية فى مصر سنة 1901 وباه ، وفيلوت اللذين اشتركا فى تأليف كتاب فى العامية المصرية (طلقا عليه اسم « المتعصب فى عامية مصر » وذلك فى عام 1928 *

كما يعتبر المستشرق الفرنسى لوى هاسپيتيون من دعاة الكتابة بالحروف اللاتينية بدل الحروف العربية - وقد دعا الى فكرته هذه فى عام 1929 فى محاضرة عامة فى باريس .
تشاطء المبشر والمهندس الانجليزى ولیم ولكوكس فى الدعوة الى العامية والكتابة بالحروف اللاتينية *

واذا كان الدكتور ولهم سيبتا الالمانى الجنسية يعتبر الرائد فى الدعوة الى استعمال العامية والكتابة بالحروف اللاتينية كما قلنا فان المبشر والمهندس الانجليزى ولیم ولكوكس الذى قدم الى مصر عقب الاحتلال الانجليزى لها ، عام واحد فقط يعتبر اكبر

(7) انظر مجلة المتعصب عدد نوفمبر سنة 1882 السنة السادسة من ص 352 الى ص 354 .

داعية الى العامية والكتابة بالحروف اللاتينية فى البلاد العربية وقد جعل منها شغلـه
الشاغف لمدة طويلة •

وقد استهل دعوته الى العامية بحاضرة القاها فى نادى الازبكية بالقاهرة فى شهر
يناير سنة 1892 تحت عنوان : لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن ؟ زعم فيها ان
سبب تخلف المصريين عن الاربين فى العلوم والاختراعات انما يعود الى تسكهم باللغة
العربية الفصحى ، وعدم استخدامهم لغة الحديث العامية بدلها ، ثم دعاهم الى نبد اللغة
الفصحى – ونبد الكتابة بالحروف العربية ، واستعمال العامية كما فعلت أوروبا فى نبد
اللغة اللاتينية واتخاذ العاميات المحلية لغة رسمية بدلها •

وقد دعم دعوته بعدة اعمال منها :

- 1 – قام بترجمة عدة نصوص من كتابات شكسبير الى العامية المصرية •
- 2 – قام بترجمة الانجيل الى العامية المصرية سنة 1926 •
- 3 – ألف رسالة تحت عنوان « سوريا ومصر وشمال افريقيا ومالطة تتكلم
اليونانية لا العربية » وقد نشرها سنة 1928 •
- 4 – ألف كتابا دينا بالعامية المصرية تحت عنوان «الكل والايان» حاول فيه ان
يدخل العامية فى نماذج علمية ، ويحتوى الكتاب على ارشادات صحية ولوائد طبية
مصطبغة بتعاليم الدين المسيحى – وقد نشر هذا الكتاب عقب الحرب العالمية الاولى •
- 8 – من هم دعاة العامية من العرب :

واذا كانت الجهود التى بذلها المستشرقون والمبشرون والتى اشرنا الى بعضها قد
فشلت فى تحقيق اهدافها فى القضاء على اللغة العربية الفصحى وفصل العرب عن تراثهم
الثقافى فى الماضى فانها قد نجحت فى تكوين تلاميذ لهم من ابناء العرب انفسهم اصبحوا
دعاة متحمسين لاستعمال العامية فى الانتاج الادبى والفكرى بدل الفصحى والكتابة
بالحروف اللاتينية بدل الحروف العربية •

ويلاحظ أن معظم هؤلاء التلاميذ هم من المسيحيين الحاقدين على الاسلام ولغة القرآن •
نذكر من بينهم على سبيل المثال •

– المحرري مارون عسّين اللبناني – الذي ألف في عام 1925 كتاباً في اللهجة العامية اللبنانية – وقد تنبأ فيه بموت العربية الفصحى ثم دعا الى الكتابة في العامية *

– وسعيد عقل – الذي ألف مجموعة من الكتب باللهجة اللبنانية والذي لا يزال حتى الآن يواصل دعوته الى استعمال العامية بدل العربية الفصحى ، ثم رينيه حبشي* ، وسلامة موسى ، ثم لطفي السيد ، في فترة من حياته ثم عبد العزيز فهمي ، صاحب الدعوة الى الكتابة بالحروف اللاتينية في اللغة الفصحى في الثلاثينات وغيرهم *

9 – الدعوة الى البربرية والفرنسة في اقطار المغرب العربي :

وإذا كانت الدعوة الى استعمال العاميات كلفات أدب وعلم لكي تحل محل اللغة العربية الفصحى قد بدأت في المشرق العربي على نحو ما ذكرنا فإن السبب في ذلك يعود الى أن اللغة العربية كانت راسخة الجذور في الثقافة والادارة والتعليم في اقطار المشرق العربي ، وهي اللغة السائدة في المجالات المذكورة : لذلك اتجه خصومها واعداؤها والمقادون عليها الى محاولة طعنها من الخلف عن طريق الدعوة الى العامية ، والكتابة بالحروف اللاتينية *

أما في اقطار المغرب العربي وهي تونس والجزائر والمغرب فإن الوضع كان يختلف عن المشرق العربي اختلافاً كبيراً – ذلك أن الاستعمار الفرنسي – وخصوصاً في الجزائر – قد أقام سياسته منذ البداية على محاربة العربية الفصحى والعامية معا ، حيث طارد اللغة العربية من الادارة والتعليم ووسائل الثقافة المختلفة وأحل اللغة الفرنسية محلها في كل تلك المجالات ومن هنا فهو لم يكن في حاجة مثل الاستعمار الانجليزي في المشرق العربي – الى الدعوة الى العامية العربية ومحاولة إحلالها محل اللغة الفصحى ، ما دام قد عمل على محاربة اللغة الفصحى ولهجاتها العامية في وقت واحد وشجع الحديث باللهجات البربرية لكي تحل الى جانب اللغة الفرنسية محل اللغة العربية الفصحى والعامية العربية في الحديث وكل المجالات الأخرى *

وقد عرقت هذه السياسة (8) في تاريخ الاستعمار الفرنسي بالمغرب العربي بالسياسة البربرية وسياسة الفرنسية *

(8) انظر كتاب « التعليم القومي والتخصية الوطنية للدكتور تركي رابع قيد الطبع الفصل الثاني بعنوان « موقف الاحتلال من اللغة العربية واللغة البربرية ».

يقول الكومندان مارتى وهو أحد دعاة السياسة البربرية فى مراكش فى كتابه « حروب الفند » ان المدرسة الفرنسية البربرية هى مدرسة فرنسية بتعليمها وحياتها بربرية بتلاميذها ، ويبتثها اذن فليس ثمة واسطة اجنبى كل تعليم عربى وكل تدخل من الفقيه ، وكل ظاهرة اسلامية (8) يجب منعها بصرامة تامة .

وكتب السيد موريس لوجلاى أحد موظفى الإقامة العامة فى المغرب فى مقال له سنة 1921 بعنوان « المدرسة الفرنسية لدى البربر » - ما يأتى - يجب أن نحذف تعليم الديانة الاسلامية واللغة العربية فى مدارس البربر وأن نكتب اللهجات البربرية (10) بحروف لاتينية .

وقد كانت السياسة البربرية التى سارت عليها فرنسا فى أقطار المغرب العربى ترمى الى فرنسة هذه الاقطار لغويا وسياسيا وقضائيا - وتتخذ الى ذلك وسائل التفرقة بين عنصرى البلاد وحما العرب والامازيغ .

أما فى الجزائر فقد كان التعليم الابتدائى الذى تتكون فيه شخصية المواطن التكوين القومى والوطنى فى كل بلاد العالم - مفرنسا بنسبة 100 ٪ ولا تدرس اللغة العربية سوى فى التعليم الثانوى وكلفة أجنبية فقط ثم هى مقسمة الى لفتين - عربية فصحي (كلاسيك) وعربية عامية (مودرن) كما كانت ادارة الاحتلال تطلق عليها .

وكانت ادارة التعليم تعمل على توجيه الجزائر بين الراغبين فى دراسة العربية الى جانب الفرنسية الى دراسة العامية بدل الفصحى إمعانا منها فى محاربة العربية .

أما فى جامعة الجزائر فقد كانت اللغة العربية تدرس فيها كلمة ميتة مثل اللغزة اللاتينية واليونانية القديمة .

ولم يكن للغة العربية - خارج نطاق مدارس التعليم العربى الحر والزوايا التى كان الشعب يؤسسها ويمولها - مكانة فى مدارس الاحتلال سوى فى ثلاث مدارس فقط هى المدارس المعروفة بالمدارس القرنسوية الاسلامية حيث كانت تنال حظا لا بأس به

(9) انظر علال الفاسى/ الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى/ طبعة الرسالة بالقاهرة سنة 1948 ص 264 .

(10) نفس المرجع نفس الصفحة .

الى جانب اللغة الفرنسية غير أن هذه المدارس كانت قليلة لا تتجاوز ثلاث مدارس فقط توجد في كل من ، العاصمة ، وقسنطينة ، وتلمسان ، كما أن عدد طلبتها كان محدودا للغاية ولذلك لم تلعب دورا كبيرا في نهضة اللغة العربية في البلاد - وانما كان دورها مقصورا على تخريج مجموعة من الموظفين في الترجمة والشؤون الدينية فقط .

وهكذا عملت الدول الاستعمارية وفق خطة مرسومة استهدفت في جوهرها القضاء على اللغة العربية بكل الوسائل الممكنة - سواء عن طريق الدعوة الى العامية ، والحروف اللاتينية كما حدث في المشرق العربي أو عن طريق اعتبارها لغة أجنبية كما حدث في الجزائر .

• يلاحظ أن الميدانين اللذين حارب الاستعمار ليهما اللغة العربية هما التعليم والادارة . وقد اختلفت أساليبه في هذه الحرب .

أما برانيا فقد عملت على محاولة تقليب الانجليزية في التعليم والادارة على اللغة العربية في الاقطار التي خضعت لاستعمارها وهي مصر ، والسودان وفلسطين ، والعراق .

أما إيطاليا وفرنسا فقد عملتا منذ البداية على ابعاد اللغة العربية عن الادارة والتعليم مما ابعادا كاملا بل ومن كافة مجالات الحياة في ليبيا والجزائر بهدف القضاء النهائي عليها .

10 - قصور العامية في التعبير ، وفقرها في المفردات :

ومع التسليم بوجهة نظر دعاة استعمال العامية في الانتاج الادبي والعلمي ، لكي تحل محل اللغة العربية الفصحى - فهل هي قادرة فعلا على الوفاء بمطالب الفكر والعلم والتكنولوجيا .

الواقع كما يؤيد ذلك كل الباحثين اللغويين تقريبا أن العامية سواء في البلاد العربية أو غيرها من البلدان الاخرى لغة قاصرة جدا في التعبير الا في المجالات البسيطة كما أنها فقيرة فقرا شديدا في مفرداتها ولا يشتمل متنها على أكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادي فقط ، وهي فوق ذلك كله لغة مضطربة كل الاضطراب في قواعدهما ،

وأصاليها ، وصانئ الفاظها وتحديد وظائف الكلمات في جملها (11) ، وربط الجمل بعضها ببعض الى غير ذلك كما أنها لغة تخلو من المصطلحات العلمية ، ومن الدقة في التعبير وأداة هذا شأنها لا يمكن أن تقوى مطلقا على التعبير عن المعاني الدقيقة ، ولا عن حقائق العلوم والآداب والانتاج المنظم . ولذلك فهي لا تصلح أن تكون أكثر من لغة تخاطب في الشؤون العادية . ومن ثم لا يجوز اتخاذها أداة للكتابة وما يطلب بها من أغراض . لهذا فهي لا تصلح أن تكون لغة عامة لانه من السخافة كما يقول الكاتب الكبير عبد القادر المازني - أن نتخذ لغة قاصرة غير وافية لا يفهمها الا عدد محدود من الناس (نظرا لاختلاف العاميات حتى في البلد الواحد) وأن نهجر لغة ، يفهمها كل واحد في كل بلد .

وفوق ذلك أية عامية يمكن استخدامها بدلا من العربية الفصحى ؟ فلكل قطر عربي عامية خاصة بل عامياته الخاصة به فعامية مصر غير عامية الشام وعامية العراق غير عامية الحجاز - أو الجزائر أو المغرب ، الخ .

إن الدعوة الى العامية واستعمالها بدل العربية الفصحى سوف يقودنا الى بلبلية فكرية ، واضطراب ثقافي واجتماعي خطيرين للغاية .

وقد سبق أن ذكرنا بأن ظاهرة العامية الى جانب الفصحى هي ظاهرة عامة وطبيعية في كل لغات العالم وليست قاصرة على اللغة العربية وحدها ، حتى أن الكاتب الأيرلندي المعروف برنارد شو قال في إحدى قصصه ساخرا من اختلاف نطق الانجليز للغة الانجليزية باختلاف مناطق إنجلترا ، وكيف أن أهل كل منطقة يسخرون من نطق بقية المناطق . قال : د انه ما من انجليزى يفتح فمه بكلمة انجليزية الا ويعد انجليزيا آخر يضحك ساخرا من نطقه ولهجته ، لان الانجليز (12) لم يتفقوا بعد على طريقة التكلم يلتفتهم .

وما يصدق على اللغة الانجليزية يصدق بدون شك على اللغة العربية وعامياتها المنفرعة عنها .

(11) انظر علم اللغة للدكتور عبد الواحد والفرط 5 سنة 1962 - ص 290 .

(12) انظر كتاب العربية بين اتسارها وخصومها للإستاذ الزور الجلفى - ص 281

فإذا تجاوزنا عن جوانب قصور العامية في التعبير ، وعن فقرها في المفردات ، وعن اختلافها من قطر عربي إلى قطر عربي آخر ، إلى ناحية أخرى هي ناحية التراث الثقافي والحضارة الإسلامية ، فإن اصطلاح اللغة العامية كما يزعم دعايتها - في الآداب والعلوم ، والكتابة بها بدل اللغة الفصحى من شأنه أن يحول عاملا أو أجلا بين الأجيال العربية الجديدة على امتداد الوطن العربي وبين الانتفاع بالتراث العربي المملوء باللغة العربية الفصحى حيث تصبح هذه اللغة بعد اصطلاح العامية ، والكتابة بالحروف اللاتينية لغة غير مفهومة إلا لطائفة قليلة من خاصة الناس ، وهم الذين يتوفرون على دراستها كما يتوفر الآن بعض علماء أوروبا على دراسة اللغة اللاتينية أو اليونانية القديمة .

ولسنا في حاجة إلى شرح الكارثة التي تصيب الثقافة العربية بضياع هذا التراث وعدم استطاعة الانتفاع به لمعظم المتعلمين من الأجيال العربية الصاعدة .

ومن هنا نجد استنكارا يكاد يكون شاملا من المفكرين العرب الحريصين على التراث العربي على محاولة استخدام العاميات بدل اللغة الفصحى (13) في الكتابة الأدبية والعلمية .

يقول الدكتور طه حسين محذرا من مضية استخدام العامية في الانتاج الفكري : « أحب أن ألفت نظر أديبائنا الذين يطالبون بالاتجاه إلى اللهجات العامية إلى شيء خطير ما أرى أنهم قد فكروا فيه فاحسنوا التفكير هو أن العالم العربي الآن وكثيرا من أهل العالم الشرقي كله يفهم العربية الفصحى ، ويتخذها وسيلة للتعبير عن ذات نفسه ، وللتواصل الصحيح القوي ، بين أقطاره المتباعدة فلنحذر أن نشجع الكتابة باللهجات العامية . فيمنع كل قطر في لهجته وتمنع هذه اللهجة في التباعد والتدابير ويأتي يوم يحتاج فيه المصري إلى أن يترجم إلى لهجته كتب السوريين واللبنانيين والمراقين ويحتاج أهل سوريا ولبنان والعراق إلى مثل ما يحتاج إليه المصريون من ترجمة الكتب المصرية إلى لهجاتهم كما يترجم الفرنسيون عن الإيطاليين والإسبانيين وكما يترجم هؤلاء عن

(13) انظر دفاع الكاتب الكبير عيسى محمود العقاد عن اللغة الفصحى في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج 22 سنة 1959 - ص 74 ،

الفرنسيين ويصيف طه حسين الى ذلك قوله ولنسأل انفسنا ايها خير أن تكون للعالم العربي كله لغة واحدة هي اللغة الفصحى يفهمها أهل مراكش كما يفهمها أهل العراق أم تكون لهذا العالم لغات بعدد الاقطار التي تتألف منها اجزؤه وأن يترجم بعضه عن بعض كما يترجم بعض الاوروبيين عن بعض * (143)

11 - الاخطار التي تترتب على استبدال العامية بالفصحى *

إن الاستعاضة عن اللغة الفصحى بالعامية أو اللهجات المحلية كما يدعو الى ذلك خصوم العربية الفصحى لن يحل أي مشكلة للعالم العربي ، وإنما هو سوف يخلق له مشاكل جديدة هو في غنى عنها من أبرزها انقسام الوحدة القومية بين مختلف أقطار الأمة العربية التي تلعب فيها اللغة الفصحى الدور الاساسي باعتبارها العامل الاساسي في وجود الشخصية القومية وفي بقائها *

وذلك عندما يستخضع كل قطر عربي عاميته الخاصة به كلفة علم وثقافة بل هو سوف يخلق مشكلة خطيرة لكل قطر عربي على حدة حيث ستنشأ فيه من اللغات بعدد العاميات واللهجات الموجودة في مختلف مناطقه الجغرافية وأصرب مثلاً على ذلك بالجزائر يوضح لنا خطوط هذه المشكلة *

فهناك العامية التي هي غالباً عبارة عن عربية فصحية محرفة * وهناك الى جانبها عدة لهجات أمازيقية يستعملها بعض المواطنين كلغات تخاطب الى اجانب العربية العامية في بعض جهات الوطن - فاية لغة أو أية لهجة نتخذها اذا نحن سرنا مع دعاة العامية - كلفة وطنية للثقافة والانتاج الادبي والعلمي ؟ ثم من ضمن لنا أن سكان بقية المناطق يقولون بسيادة لهجة لا يعرفونها على لهجتهم التي يعرفونها فالامر الطبيعي أن كل طائفة سوف تنعصب للهجة أو العامية التي تتحدث بها عن اللهجة أو العامية التي لا تتحدث بها ، مما قد يتسبب في نزاعات جهوية وهو ما سوف يؤدي لا محالة الى تصدع الوحدة الوطنية مما لا يرضاه عاقل لوطنه *

(144) انظر مجلة اللسان العربي/عدد 3 الرباط سنة 1965 - ص 75

اذن فالدعوة الى العامة بغض النظر عن مصدرها ، وبغض النظر عن الحجج التي يتنوع بها دعائها هي دعوة غير قابلة للتطبيق المثل سواء على مستوى الوطن العربي ككل ، او على مستوى كل قطر عربي على حدة .

وعلى كل حال فان الدعوة الى العامة قد خفت حدتها في السنوات الاخيرة في الوطن العربي ولم يزل يتسكك بها سوى قلة ضئيلة من دعاة الانفصال والانزالية ممن لهم علاقات مشبوهة بجهات استعمارية حاكمة على وحدة العالم العربي وهم يتركزون في الوقت الحاضر في لبنان .

12 - الدعوة الى العامة وقضية تيسير اللغة العربية :

وترتبط بقضية علاقة العامة بالفصحى قضية أخرى هي قضية تيسير اللغة العربية الفصحى ونادى، ذى بدء، هناك فارق جوهري بين الدعوة الى تيسير اللغة الفصحى في قواعدها ، وفي حروف كتابتها ، وفي طريقة شكلها ، لكي تزداد سهولة ويسرا على المتعلمين وخصوصا الاطفال الصغار والاجانب الذين يرغبون في تعلمها - وبين الدعوة الى العامة بهدف التخلص نهائيا من الفصحى ، فالعمل على محاولة تيسير اللغة الفصحى متنا وكثافة وشكلا عمل مشروع بل هو واجب على كل أبناء الضاد نحو لغتهم ، مثلما تفعل جميع أمم الارض حيث تلاحق لغاتها بعمليات التيسير والضبط والتطوير بين وقت وآخر .

وقد بذلت محاولات عديدة ومدد وقت طويل من أجل تيسير قواعد اللغة النحوية والصرفية . ومحاولات أخرى في ضبط حروف الكتابة حتى يتخذ الحرف الواحد صورة واحدة سواء كان في أول الكلمة أو في وسطها أو في مؤخرتها ان هذه المحاولات الإصلاحية الهامة التي تجرى الدعوة اليها ضمن نطاق اللغة الفصحى هي أمر واجب تحتمه سفسة التطور وهو ليس مرغوبا فيه فحسب بل هو واجب من أهل لغة الضاد نحو لغتهم ولذلك فنحن بقدر ما نستنكر الدعوة الى العاميات والى الكتابة بالحروف اللاتينية للأسباب التي شرحناها نبارك بل ونندع الى العمل بكل جد وموضوعية على تيسير العربية الفصحى

في القواعد • والكتابة والشكل الى غير ذلك مما تدعو الحاجة اللغوية اليه حتى تصبح
لغتنا سهلة ميسرة على المتعلم والمعلم مما • وهذا ما يساعدنا على سرعة تحقيق التعريب
في أقرب وقت ممكن •

13 - الخلاصة •

ومن هذا الغرض السريع لطبيعته العلاقة بين اللغة المعصية واللغة العامية قديما
وحديثا - والعوامل التي جعلت من هذه العلاقة الطبيعية والعميقة مشكلة شغلت الأذهان
والكتاب في العصر الحديث نستخلص الحقائق التالية :

أولاً : ان ظاهرة وجود لهجة أو حتى عدة لهجات عامية الى جانب اللغة الفصحى هي ظاهرة
عامة في كل لغات العالم سواء منها القديمة مثل العربية أو الحديثة مثل الفرنسية
والانجليزية وبناء على ذلك فاننا مثلاً من الانجليز والفرنسيين والامان يدعون الى نزع لغتهم
الفصحى والاستعاضة عنها باللغات العامية ، وانما نشأ عندهم يبدلون أقصى الجهد من
اجل المحافظة على لغتهم والعمل على نشرها في مختلف بلاد العالم كما انهم يعملون على
تكوين المجامع اللغوية لصيانة اللغة واصلاح كل خلل يطرأ عليها والعمل على ادخال
الكلمات الجديدة واسماء المخترعات الحديثة الى متن لغاتهم حتى تصبح مسايرة للتقدم
العلمي والتكنولوجي والحضاري كما انهم يحاولون من جهة أخرى التعريب بين لغة الكتابة
من جهة ولغة التخاطب العادية من جهة أخرى ليقبل التباعد بينهما ما أمكن ذلك •

ثانياً : ان الدعوة الى استعمال العاميات في الوطن العربي هي في الاصل والمنشأ دعوة
استعمارية مكررة قام بها وروج لها بين العرب والاف بها مستشرقون من خدام الاستعمار
ومشبهون حاقدون على الاسلام ولغته العربية تنفيذاً لمخطط استعماري وصلبي حيث
كان يرمى الى تزيين وحدة الامة العربية عن طريق القضاء على الرابطة الكبرى التي تربط
بين شعوبها في المشرق والمغرب معاً ألا وهي اللغة العربية لغة القرآن والثقافة العربية
الاسلامية •

ثالثاً : ان معظم الدعاة الى اللغة العامية والكتابة بالحروف اللاتينية من العرب هم
من اصحاب الاقليمية الضيقة وهم في جملتهم من الحاقدين على العروبة والاسلام
والماورئين لقيام أية وحدة بين اقطار الامة العربية •

رابعاً : ان مشكلة الازدواج اللغوي التي تنشأ بالنسبة لتعليم الأطفال في المدارس حيث يعملون بالفصحى في المدرسة ويتحدثون بالعامية في المنزل والشارع والسوق ليست مثل الازدواجية اللغوية التي تنشأ من وجود لغتين مختلفتين تمام الاختلاف في كتابتهما ونطقهما وقواعدهما الى غير ذلك من الاختلافات الجوهرية وذلك مثل اللغة العربية واللفة الفرنسية .

فالعامية المحلية مثلاً هي في الاصل عربية محرفة وليست لغة اجنبية وقد عاشت الى جانب اللغة الفصحى قروناً عديدة في تفاعل طبيعي ولم تصبح مشكلة تشغل الاذهان والعقول والاقلام الا في العصر الحديث نتيجة دعاية استعمارية مأكرة تريد تفرقة كلمة العرب ووحدة صفهم .

خامساً : ان انتشار التعليم على نطاق واسع وتحقيق ديمقراطية الثقافة بالنسبة الى جماهير الشعب ونشاط وسائل الاعلام من صحافة واذاعة وتلفزة قليل بالتخفيف من حدة هذه المشكلة لانه سوف يرفع من مستوى العامية حتى تقترب من الفصحى كما انه سوف يصل على تقريب الفصحى من لغة الحديث وبذلك سوف توجد لغة يمكن ان نطلق عليها تجاوزاً اسم اللغة الوسطى أو المشتركة تصبح لغة الحديث في السوق والشارع والمنزل والتعليم في المدرسة وبذلك لن تبقى العامية كمشكلة تطرح نفسها على الساحة العربية كما هي عليه في الوقت الحاضر .

سادساً : ان مشكلة التعريب التي نمانحها في الوقت الحاضر هي من جملة التركة الثقيلة التي ورثناها من العهد الاستعماري وهي اثر من آثار الحرب الضارية التي شنها الاستعمار الفرنسي على اللغة العربية حتى اصبحت لغة اجنبية في عقر دارها والعمل الثوري الحلاق الذي يبغى علينا اليوم بذله هو تصحيح هذا الوضع الشاذ بالنسبة للفتنة الوطنية بحيث تعود الى سابق عهدها الذي كانت عليه في البلاد قبل دخول الاحتلال الاجنبي الى الجزائر . وهي كونها اللغة الوحيدة التي لها السيادة الكاملة في هذه البلاد ادولياً وثقافياً ، وتربوياً وتعود اللغة الاجنبية الى مكانها الطبيعي كلفة اجنبية ليست لها أية امتيازات خاصة في هذا الوطن وانما هي كغيرها من اللغات الاجنبية احدي النوافذ الثقافية التي يطل منها شعبنا على ثقافات العالم وفكره وحضارته فقط . والله ولي التوفيق .

ماممة بنت العشرية !

صَدَقَ الوعدُ !

شعر : مفدى زكريا

صدق الوعد ، فاطنحى يا بشائر ودنا السعد ، فامرحى يا جزائر !
ومضى الزحف يجرق السد لما أن طغى المد من دماء المجازر !
وسمعنا - يا بنت عشرين - صوتا قدسيا يحدو ركاب المقادر !
فاجتلى الرب ، يوم كلمه الشعب ، وتجاه فى الذرى كل ثائر !
فدنا من كلمه وتبدلى قاب قوسين ، عاصفا بالجباير
واستوى الفلك ، يوم أن قيل بعدا وانطوى الشك من ضمير الدياجر
وصدقنا الفدا ... فرعنا المنايا وسبقنا المدى ، فقدنا المصائر
وأردنا اليقا ... فدسنا غرور الدهر ... فانقاد راغم الأنف صاغر
وسخرنا من مزعجات الليالى وهزأنا من كبرياء المخاطر

الجزائر - يوم فاتح نوفمبر 1974 - الذكرى العشرينية لاندلاع الثورة
الجزائرية .

وأتى أمرنا ... فأطرقت الدنيا خشوعا ... وأذعنت للأوامر !
وحرقنا نفوسنا ... فصنمنا من شعاليها ، مصر الجزائر !

* * *

بنت عشرين ... يوم مولدك الدامي ، رأينا دماك تبني الجزائر
وبقلت القطام ... بعد ثمان فسمعتا حجاج ... ناه وأمر !
يا ممام اقلسمى ... ويا أرض ميدي

واسم يا عقل ... واخلى يا ضائير
أينع القرس من رماد الضحايا ونما الزهر من رفات المتقاير
ونفوس المخرجين تصاعد ن بخورا من عابقات المجامر
زغردى ... تصرخ الدماء - بنت عشرين - وتنفض بها عروق الجزائر
واخفقى يا بنود ... تخفق لك الدنيا... وينمر منك أرض الجزائر
حول هذه المشانق عيدانا ... وآلواحها الغضاب مزاهر
وافتلى من حبائلها الحمر أوتارا ... بها تعزفين نحن الجزائر
وصرير الأغلال في السجن ، أوزانا وأقنالها الفلاظ مزامر
وأثمين المعذبين تساييح ، بها تلهين أسمى المشاعر
والحنايا من الضلوع محاريب ... وأكبادهما الحرار منابر
وابعثوا من تنهدات العذارى في سراديبها ... نبوغ المباقر
أنا . من فيض وحيها ... نبع ألها مى... ولولا العذاب، ما كنت شاعر

كم تنفيت في الدنيا ... بيطولوا ت بلادي ، وكم غزوت المخاطر
وعلى الشامقات ، والساح وقعت خطى الثائر الشجاع المفامر !
وتغطي قعر السجون تشيدي طائرا في الفضاء مع كل طائر
وتسامي مخلدا كل ذكرى يقنصر الوحي من جهاد الجزائر
ومضى في ملاحم الثورة الكبير ي يروع الدنيا ، ويشدو المفامر
وتتبادى بمغرب عريبي وحدته - طوع الجراح - الأواصر
لم يزل صادحا على كل غصن من ذرى مغرب الأباة القساور
عاشقا كل مابه ... كل من فيه ... ومن فوقه ... ومن بالمقابر
مغربي جنة ... أفى جنة الله سوى كل مستقيم وطاهر ؟
واذا ما مدحت قومي ، أليسوا من دمي ؟؟ من حماة حرب الجزائر ؟
ان من يجحد البطولات نذل والذي يغمط الرجال مكابر
يشكر الله كل من يشكر الناس ، ومن يكتم الشهادة . كافر !

* * *

بنت عشرين ... خلدي اليوم ذكرا ك ، عساها تنير بعض البصائر
عمر المجد ، أنت ... لا عمر الور د ، وفي الورد مسحة تتناثر !
أنت كالشم ، رفعة وشموذا أبدا لن تنال منك الأعاصر
ما وضعت السلاح في الثورة الكبرى ، ومازلت تصنمين المصائر
ثورة الزرع والبناء ، وماشتت ... وشاء النهي خير الجزائر

يرث الأرض كل من يزرع الأرز ، وللخاتمين دمع المعاجر !

* * *

بنت عشرين...والفراخ ابن عشر ين ... وعمر الشباب ريان ناظر
لم أزل عاشقا ولوعا ، وإن جاو زت خمسين ، وابن خمسين ماهر !
عمر الشاعر الأصيل شباب أزل ، مثل المخطوط البواكر
أن من يزرع الشبيبة في الأعمار ،... لا يتحنى أمام المخاطر
يرضع الحب والجمال حناياه ويرعى صباه ، فيض الحواطر
أنا من همت بالجمال قديما وتفتيت بالعيون الفواتر
وعشقت الأصيل ، والنهر ، والواحة ، والرمل ، والمهاو الجثاذر
والصباح الرضيع ، والورد والشا طيء ، والليل ، والنجوم الزواهر
مذ عرفت الجمال ... آمنت بالله وآمنت بعمده بالجزائر !
وطن المعجزات ، والسحر والشعر ، ومرعى القلب . وريض القساور
أن يكن خالق الجمال جميلا هاهنا رف حسنه بالجزائر
هاهنا من جماله لسات في الربى ، في الذرى ، وخلف المقاصر
حار أهل الفضول ، في رؤية الله ، وضلوا عن وجهه في الجزائر !
جسدونا على الجزائر لما خط فردوسه بأرض الجزائر
وحباها ملء الجمال جلالاته دونه رؤوس الجبابر
وطنى ... أنت بدعة صنعتها من طلاسيم فتها يد ساحر

وطنى ... أنت بسمة الرب في الأرز ، امرأة حبه المتساوتر
وعلى الأطلس المرید ، يداه تقدر حان الزناد من كف ثائر
وبساح الفدام صرخته الكبرى تدوي ، فتستفز المشاعر
وطنى لو دخلت جنة عدن

- وعدوني ... ! ! - لم افتتن بالمظاهر

وإذا كان من جمالك فيها تبت لله من جميع الكبائر ، !
لك أخضت قانتا صلواتي وتعلقت خاشعا - بالسوائر
وبأنفاسك الزكية تسمو كلماتي وأستمد الخواطر
أنت في المغرب الموحّد كالنسر ، جناحه ، لحمه وأواصر !
كم تناجي (قرطاج)⁽¹⁾ (سرتا)⁽²⁾ فيهبو لحديث الغرام (وادي الجواهر)⁽³⁾
(تونس الحب) والجزائر ، والمغرب شعب مسوحد متنازر
لا فروق - لا غربة - لا تشناز لا انحياز - لا نزعة - لا عناصر
والطباع السماح حظ مشاع بين هذا وأرض الجزائر !
والجمال البديع فيها شريك أيتما كنت لم تزل في الجزائر
فاتركوني أثمل بحب بلادي ، وذروني أحفل بحسن الجزائر
قف (بأبيارها) الموالم يسكر ك من الورد عطره المتقاطر
والها ، في دروب (حيدر)⁽⁴⁾ نشوى يتباغمن بالعيون الكواقر
والمنار المذول في (القبة)⁽⁵⁾ الميرى يروع الطبا ، ويفشى السرائر

آية الحسن في (الشريمة)^(٩٥) تتلوها خميلات لا يطلون الدفاتر
نعمتها (جواسق) كالآسماني، بين خاف عن العيون، وظاهر
دس قوس السماء، على قدميها أثرا من شفاهاه الحمر، سافر
وتملى بحب (مليانة)^(٩٦) القلب، وفيها للعاشقين (عناصر)
ولو ان (النسور) لم ترد العين، تصورت أنها عين ماحر
ولو ان الملوك لم تقصر الحب، على حبها، لما عاث ماكر!
واسألوا (جرجرا) أعلمها الزيتون، اصرارها حيال المكابر؟
صمدت مثله تجاه المنايا وطوت مثله عروش القياصر
واسألوا نبيل أرزنا... كيف أبقي أرز لبنان - وحده - يتفاخر؟
واسألوا دولة (الكروم) (بمتيجة) هل كرمت بينها المنائر؟
و (بسرta) آتد، وسل (جبل الوحش) (وادي الهوا) وجسر المغاير
هل رأى النهر والروابي، سجلا يتراقصن، يجتذبن الخواصر؟
لم تزل (قلعة ابن حماد) تاجا مشرقا في جبينها بالمفاخر
و (تلمسان) و (الوريط) يناغيها، ويصطاد ظبيها في المعابر
لم يزل شامخا (بمشورها) زيان (لا تدر عليه الدوائر
وكان لم يزل هناك (شعيب ابن حسين) تروى هدهاء المناير...
وبصحرائنا... يخيم (هارو ت) حريص على اقتناص الجثائر
ماله - والعيون تنفخ نفطا أشعل النار من عيون السواحر؟

وسل البحر - عن زوارقه السكرى ، تهادى على ضفاف الجزائر
والنسيم العليل يعبث بالشا طىء . كما تعبث المنى بالخواطر
جل كورثيشنا (فلم يسخ بالرو شة) للقناتيين ، هل للعساكر !!

* * *

ايها السائلون ... هذى بلادى هذه معجزات أرض الجزائر !!
ايها الناس ، هاهنا نبغ الهامى ... ومن هاهنا تنبأ شاعر
هاهنا . ركز الكرامة والعزة والنبل والندى (عبد قادر) !
كلما جاء بالكتاب نبى جئتكم فى يدى كتاب الجزائر !

* * *

بنت عشرين باسم عشرين أشدوا ملء سمع الدنيا تشيد الجزائر
وبذكرى الخلاص ، فى ليل عرس قمت ، والشعب بالهتافات هادر
وجموع البلاد ، تزحف كالسيل اندفاعا . وكالحيا المتقاطر
والبنود المرنحات نشاوى راقصات ، محموعة تتخاصر
والصبايا . ذكرن آدم بالتفاح ، يرتج ، نافذ الحكم قاهر
وسرت رعشة الزغاريد فى آدم ، فاهتز ، يستزيد السواحر
وشياطين الصحافة حيرى فى الثنايا ، ما بين ساء وساهر
وعيون المصورين سهارى تعصر الوهم من خلال المناظر
ان تنفست ، أو تيسمت ، طارت نشرات عبر الفضاء تتقاطر

والأعازيف - مرحبا بنت عشرين ... بموج الأثير ، تغزو الحواضر
حدث رائع . وعيد جليل طيروه لا تحفلوا بالمصادر
واذكروا مجد بنت عشرين تلثم قديمها الدنا . وتهفوا المقادر
وتبارك بميدها ، قمة المجد ، تميد الصفا ، وتحذوا المصائر
يا بناة الخلود ، فوق الضحايا فوق أنقاض ماردات القياصر
أنتم مطمح الجزائر في الجلى ، واشعاع نورها ، في الدياجر
وضمم الأمان في وحدة الشعب ، اذا رام كيدها متشامر
ورجام الغد السعيد ، اذا ما عاث مستهتر ، وزور ماكر !
حرروها ، من الراسب والاطماع ، والدس . واعصفوا بالسماير !
ظهرها من الخفافس ، والأحلاس ، والمابئين ملء المأير !
والأولى نافسوا الكواعب غنجا ودلالا ... وما ورام الستائر !
واحدروا في دنا الثقافة (حركيين) كم ضللو شباب الجزائر !
حرفوهم عن الأصالة فكرا ولسانا ، وعقة ، وضمائر !
ان جيلا (مختثا) ليس بينى لحد . غير بؤرة من صراير !
فانبذوا بالمعرا كل عميل اجنبي الطباع ، أجرب غادر
ليس في الشعب بقعة لعميل ليس بالخائنين تبني الجزائر !
ثقة الشعب ذمة فارقبوها واتقوا الله ... يوم تبلى السرائر !
ان فعلتم فالمجد لابنة عشرين ... وطول البقاء لشعب الجزائر

- تعليلات -

- (1) (قرطاج) . عاصمة القرطاجيين - ضاحية بالشمالى (تونس) .
 - (2) (سوترا) اسم لبلدة قسنطينة بالحدية الشرقية من البلاد الجزائرية وهو اسم روماني .
 - (3) (وادى اعواجر) النهر الذى يخترق مدينة فاس ويجرى من تحتها رشاء .
 - (4) (الأبيار) ضاحية جميلة من مرتفعات عاصمة الجزائر .
 - (5) (سيعة) أروع ضاحية فى مرتفعات الجزائر العاصمة .
 - (6) (القبة) من معائن ضواحي عاصمة الجزائر ، وبها منار يفصرها دقا ونورا .
 - (7) (الشريعة) سلسلة جبال تيمد عن عاصمة الجزائر بخصمى كيلو مترا وتقع على ارتفاع 1800 مترا فوق سطح البحر وهي من روائع الطبيعة فى الجزائر تنالس جمال سويسره جمالا وجلاا وطيب مناخ .
 - (8) (مليانة) تيمد عن العاصمة بشمايح كيلو مترا وتكثر برقة هوائها وعبودية هائها . (والناسر) اشارة الى مناج الميوني بمرتفعات المليانة . و (النصور) اعل قمة بمليانة ويسمى (عين النصور) .
- اشتهرت مدينة المليانة كتلسسان بجموعة (حب الملوك) ولذاته . وفى ذلك يقول لسان الدين ابن الخطيب : « وما فيها من حب للملوك . أخرى بها حب الملوك » والملوك آنذاك لا تفرهم غير بطونهم وملكاتهم للاغارة على بلدان ليرهم ! ! :



منشورات
وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية

صدر أخيراً:





الأمير عبد القادر ومشروع قناة قابس والبحر الأبيض

يحيى بو عزيز

لقد شهدت أوروبا خلال القرنين 16 و 17 حركة تجارية واسعة دُعيت « بالثورة التجارية » وذلك كنتيجة للكشوف الجغرافية الاستعمارية . فتجمع لدى الهيئات والشركات رؤوس أموال ضخمة ، استثمر جزء منها في حركة « الثورة الصناعية » التي ظهرت في القرن 19 . أما الباقي فقد خرجت أوروبا لميسدان الاستعمار في إفريقيا وآسيا وأمريكا من أجل استثمارها في مشاريع أخرى اقتصادية جريا وراء الأرباح دائما ، ومن ضمنها مشروع قناة السويس .

وكان فرديناند دو ليسبيس نائبا للتوصل الفرنسي بالاسكندرية خلال عهد محمد علي حتى عام 1849 ، موثق صلته بابنه الأمير سعيد ، واهتم بدراسة مشروع شق قناة في برزخ السويس تربط البحرين الأحمر ، والمتوسط ، تسهيلا للملاحة الدولية بين الشرق

والغرب ، وخدمة للمشايخ الاستعمارية في المنطقة العربية وجنوب آسيا والمحيط الهادي والهندي *

وعندما عين الأمير سعيد حديويا على مصر خلفا لآبيه ، سعى فرديناند لديه حتى اقتعه بمشروع القناة دون صعوبة ، بعد ان أوضح له بأن اسمه سيخند في التاريخ مثلما خللت أسماء فراعة بناء الاهرامات ، بفضل هذا المشروع ، ويذكر دو ليسبس بأنه خلال عمله بمصر ككاتب للقنصل ، كان يعمل على التخفيف من القساوة التي يتعرض لها الأمير سعيد من طرف آبيه (1) وهو الامر الذي جعل العلاقات بينهما وطيدة ، وسهل له النجاح في مهمته *

وهكذا وافق الحديوي سعيد على الفكرة عام 1854 ، وأضى عقد الشركة عام 1856 * وشرعت الشركة في العمل عام 1859 - وكان من ضمن بنود الاتفاق حق الشركة في امتلاك أراضي واسعة على جانبي القناة دون مقابل وبلا شريطة - وسعى دو ليسبس حتى حصل على موافقة الدولة العثمانية عام 1860 رغم معارضة الانجليز ، وفي نوفمبر 1869 دشنت هذه القناة في حفل بهيج كان من ضمن المدعوين اليه الأمير عبد القادر بدمشق *

مشروع قناة قايس والبحر الاثري في الداخل :

وفي الوقت الذي أصبحت فيه قناة السويس حقيقة واقعة ، وشرع دوليسبس في دراسة واعداد مشروع قناة باناما بأمريكا الوسطى للربط بين المحيطين الأطلسي والهادي برز مفام آخر بمشروع شق قناة جديدة في شمال افريقيا * هذا المفام هو القائد رودير le commandant Roudaire ، والمشروع هو شق قناة بين مدينة قايس في خليج قايس ، واحواض منخفض الجريد الداخلية غربا - فما هو حقيقة هذا المشروع ؟

تعتبر المنطقة المحصورة بين خليج قايس شرقا ، وجبال أولاد نايل ، وهضبة مزاب غربا ، وجبال الاوراس والنمامضة وتبسه ، والظهر التونسي شمالا ، وجبال مطاطة والبقار جنوبا ، حوضا داخليا واسعا يدعى العرق الشرقي الكبير - ويشتمل على عدد كبير من الاحواض والشطوط الداخلية المائلة خاصة في الشمال الشرقي والغربي

1) Bulletin de la société de géographie commerciale de Paris. (Paris 1882-1883) T. 5 pp. 338-340

أهمها : منخفض الجريد الذى يشتمل على شط فجاج ، وشط الجريد ، وشط الفرسة ، ولا يبعد كثيرا عن خليج قابس بتونس • ومنخفض ملفيخ الذى يشتمل على شط عسلوج ، وشط ملفيخ ، وشط مروان ، وذلك بالجزائر غرب منخفض الجريد •

ويستد الى جنوب أحواض ملفيخ عدد آخر من الشطوط تشمل جزءا من منخفض وادى ايفرغر الذى ينحدر من السفوح الشمالية لجبال الهقار • والى الشمال الغربى من منخفض ملفيخ توجد بالهضاب العليا مجموعة من الاحواض والشطوط الداخلية المألحة فى خط شبه مستقيم من الشرق الى الغرب أهمها : شط الحضة ، والزاهر الشرقى ، والغربى ، والشط الشرقى ، مفصولة عن حوض ملفيخ بمرتفع الزاب والزيبان بين بسكره وباتنة وحوض الحضة •

وتدعى بعض النظريات الجغرافية والجيولوجية بأن هذه الاحواض كانت تمثل فى بعض العصور القديمة بحرا داخليا واحدا له ثلاثة منافذ الى البحار ، واحد الى البحر المتوسط شمالا عبر مجرى نهر الشلف ، والثانى الى المحيط الاطلسى غربا عبر ممر قازة ، والثالث الى خليج قابس شرقا عبر شط فجاج • ثم ان هذا البحر جفت بعض أجزائه ، وبقي البعض على شكل أحواض وشطوط وزواجر داخلية ، أهمها مجموعة أحواض منخفض الجريد ، ومجموعة أحواض منخفض ملفيخ ، ومجموعة أحواض الهضاب العليا •

وتقع أحواض منخفض الجريد على انخفاض 25 مترا من مستوى سطح البحر ، وحولها مناطق سهلية واسعة ، ذات تربة رسوبية التكوين ، وكذلك الامر بالنسبة لآحواض منخفض ملفيخ • وفى نفس الوقت تنتشر فيه عدد من القرى العمرانية ذات الكثافة السكانية العالية خاصة منطقة وادمسوف جنوب منخفض ملفيخ ومروان •

ويسود هذه المنخفضات مناخ صحراوي قاسى ، جاف وحار ، صيفا ، وبارد شتاء • ومن أجل ذلك يعاني السكان باستمرار كوارث الجفاف غالبا ، وتضطرب أوضاعهم الاقتصادية الفلاحية والحيوانية • وشاعت فكرة لبعض الجيولوجيين فى القرن الماضى وحتى فى القرن الحالى ، بأنه يمكن خلق بحر داخلى فى هذه المنطقة من أجل أحداث تغيير فى مناخها الذى سيؤدى الى تغيير فى أوضاعها الاقتصادية والعمرانية لفائدة السكان •

وهذا البحر تكون نواته الاولى أحواض شط الجريد ، والفرسة ، وفجاج ، التي ستربط بقناة الى خليج قابس الذي لا يبعد كثيرا عن خليج فجاج ، الذي يمثل التراجع الشرقي لشط الجريد الكبير . ثم بعد ذلك يربط في مرحلته الثانية بأحواض منخفض ملفينغ بوادي ريغ في الجزائر . على أن يربط في مرحلته الثالثة بشط الحسنة في إقليم الهضاب العليا بالشمال الشرقي عبر عمر الزاب ، والزيبان ، وحوض ايفرغر في الجنوب عبر وادي سوف .

انه مشروع ضخم حقا ، وعظيم الفائدة لو قدر له النجاح . وقد اعتمد به السيد رودير ، ووضع عنه دراسة قدمها الى المجلس العلمي بالاكاديمية الفرنسية بباريس ، فأحالها هذاعلى السيد فرديناند دوليسبس عضو المجلس على اثر عودته من مصر بعد تدشين قناة السويس ، لاستحسنه وشجعه . ومع أننا لم نتمكن من معرفة أهداف رودير من وراء اهتمامه بهذا المشروع ، الا ان دوليسبس كان صريحا في أهدافه الاستعمارية . فقد اصطحب معه رودير ، وتقابل مع رئيس مجلس الوزراء الفرنسي ليقنعه بأهميته ، وأكد له بأن إنجازه سيحول دون قيام الثورات ضد السيطرة الفرنسية بجنوب الجزائر وتونس ، ويقضى على محاولة الدولة العثمانية في استعادة سيطرتها على تونس ، ويوقف أطماع الإنجليز ويساعد فرنسا على القود باحتلال تونس في النهاية (2).

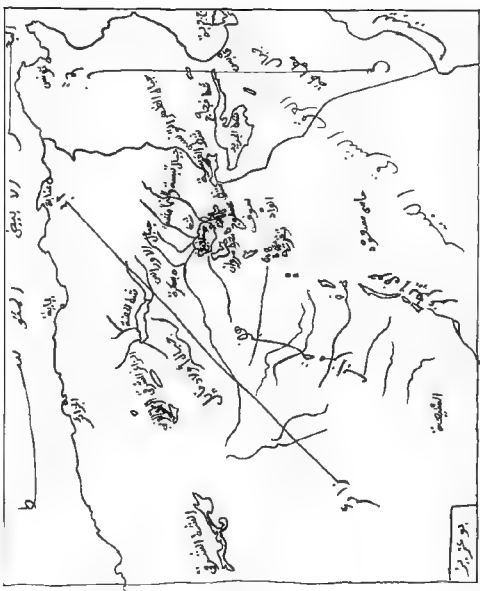
الامير عبد القادر يؤيد المشروع :

ورغم ان الأمير عبد القادر كان بعيدا عن الميدان ، يعيش في منفاه بدمشق ، الا انه رمى يده في الموضوع ، وعرض تأييده للمشروع ، فكاتب ديه ليسبس مهنا ومشجعا له (3) ، وكاتب سكان قابس والمناطق المجاورة لها بحثهم على تأييد المشروع ، ويسلمهم عن بعض الحسائر التي ستلحقهم من جراء خلق ذلك البحر الداخلي الذي سيفسر لهم بعض القرى والأراضي الزراعية (4)

(2) ديه المصدر - ص 342 .

3) *L'exploration du Globe. Journal des conquêtes de la civilisation sur tous les points* (Paris 24-11-1879) n° 149 pp. 825 - 826.

4) *L'Afrique Explorée et civilisée. Journal mensuel* (Genève, Suisse, novembre 1879) n° 5 pp. 81 - 82.



ويدعى الفرنسيون بأن تأييد الأمير عبد القادر للمشروع كان « تلقائياً » وليس بإيعاز من أحد ، كما أن دى ليسبس اعتبر هذا التأييد بمثابة « جواز مرور » لانتجاح المشروع (5) وليس باستطاعتنا ، أن نجزم بصحة هذا الادعاء ، أو نفيه ، لأننا لم نتمكن من الاطلاع على أصول الوثائق العربية وكل الوثائق الأخرى المتصلة بالموضوع . ولكن هناك بعض القرائن يمكن أن تساعد على إعطاء الجواب على تأييد الأمير « التلقائي » للمشروع .

هل كان الأمير عبد القادر مرشحاً لتتصيبه ملكا على مملكة قناة السويس :

لقد كان الأمير عبد القادر على صلة بالشخصيات العلمية والسياسية بأوروبا ، وعين عضواً في المجتمع العلمي الفرنسي بإكاديمية باريس بعد أن قدم له كتابه : ذكرى العاقل وتنبية العاقل . وبسبب عضويته هذه متن صلاته بقرديناند دى ليسبس وأفراد عائلته . خاصة شقيقه جول دى ليسبس . وبسبب هذه الصلة المتينة أهدت له شركة قناة السويس قطعة أرض في « بولبح » بمدينة بور سعيد ، ورشحه دى ليسبس لينصب أميراً على مملكة قناة السويس التي تسمى الشركة من أجل فصلها عن باقي تسياراب مصر . (6)

وعندما دعى لحضور حفلة تدين قناة السويس ، اجتمع اليه رؤساء الكوميابية يقمهم الرئيس الأول مسيو قرديناند دى ليسبس وفاوضوه في أمر أرض بولبح التي كانوا أهدوها له فأخبرهم بأن اسماعيل باشا خديوى مصر غير موافق لهم على هذه المنحة وأطلعهم على ما كتبه اليه في ذلك فصمموا على تنفيذ أمرهم بأى وجه كان فأبان لهم انه لا يريد وقوع الشحنة بينهم وبين اسماعيل باشا بسببه ثم تبين ان اسماعيل باشا انما قصد بمنحه هذا وانكاره ان يستأثر بهذه الأرض دون غيره فلما اطلع الأمير على الحقيقة سمح فيها للكوميابية وسقط في يد المانع الحاكم . (7)

5) *Bulletin de la société de géographie*, pp. 342 - 343.

(6) تراجع في هذا الموضوع وثائق قناة السويس بمكتبة قصر عاوين ، ومكتبة كلية الآداب بجامعة القاهرة التي تحدثت عن محاولة تتصيب عبد القادر ملكا على مملكة القنال .

(7) الأمير سعيد - *لحظة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر* (الاسكندرية 1903) ، ج 2 ص 185 - 186 .

ان أهداف الشركة من وراء إهدائها قطعة أرض في بور سعيد الى الامير واضحة وهو ما جعل الحديوي اسماعيل باشا يعارض ذلك بشدة ، وعلل ان القناة هي التي لمصر وليست مصر هي التي للقناة ، ولذلك دخل في مفاوضات عويصة معها حتي تنازلت عن البند الذي يمس على حقها في ملكية اراض واسعة حول القناة ، ومع ذلك لم تتوقف عن محاولاتها لفصل القناة عن بقية البلاد المصرية *

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا : كيف سمح الامير عبد القادر لنفسه ان يكون « دمية » في يد شركة قناة السويس - « وعيلا » لها ، تنفذ بواسطته ، مشاريعها الاستعمارية ، وتحطم به وحدة مصر الترابية ، ان هذا السؤال سيبقى مطروحا ما دام لم تكتشف وثائق أخرى تبطله - وهنـه « العمالة » لشركة قناة السويس ، وزعيمها فرديناند دو ليسبس ، هي التي جعلت الامير عبد القادر يعلن تأييده لمشروع قناة قابس ويتوجه بذلك التأييد الى دي ليسبس بدلا من رودير صاحب المشروع *

وهذا التأييد يرجح ان يكون « تلقائيا » نظرا للعلاقات الخاصة التي كانت تربط الامير وابنه محمد بدى ليسبس وافراد عائلته خاصة أخيه حول دي ليسبس فلقد كان يرأسل باستمراد فرديناند وأخاه حول الذي كان وكيلا للحكومة التونسية بباريس ويستشيرهما في بعض الامور * فبعد قيام جمهورية الرابع سبتمبر 1870 كاتب عبد القادر جول دي ليسبس واستشاره في امر قدومه الى باريس لتهنئة رجال العهد الجمهوري الجديد ، فرد عليه بالقبول والاستحسان وفعل مثله ابنه محمد فكاتب المذكور طالبا منه ان يتدخل له لدى رجال العهد الجديد حتي يكون صاحب خطوة لديهم ، وطالبه ايضا بالتدخل لدى باي تونس من اجل الحصول على نيشان لاحد كتاب أبيه الاوروبيين *

وقد عمل الامير عبد القادر نفسه ذلك فكتب الى الوزير التونسي مصطفى بواسطته يطلب نياشين الى بعض الاوروبيين بمدينة معسكر * (8)

وليس من الطبيعي ان تكون هذه الصلات والعلاقات بين الطرفين ، عائلة الامير ، ودي ليسبس ، لله وفي الله * بل هناك اسباب ودواعي ، فشركة قناة السويس بزعامة

(8) أرشيف الحكومة التونسية ، صندوق 78 ملف 929 و 929 و 70 و 71 و 72 و 92 ،

فرديناند دى ليسبس ، لا يمكن لها أن تقوم بأهداء قطعة أرض في منطقة قناة السويس إلى الأمير عبد القادر ، لو لم تكن تستهدف تحطيم وحدة مصر الترابية . ولو كان عليها هذا كله ، فلماذا لا تهدي له قطعة أرض في أوروبا مثلا في باريس أو لندن ، ولماذا لا نستشير مسبقا صاحب الأرض الحقيقي ، خديوى مصر اسماعيل باشا وحكومته ؟

والأمير عبد القادر تورط ووقع في جبال فرديناند دى ليسبس وشركة قناة السويس ، ولم يتقطن لاهدافها ورميها ، أو انه كان على علم بها ، ولكنه تقاضى لغاية في نفسه . ورغم أن هذه الغاية لم تتحقق للشركة ، إلا انه أصبح يشعر بثقل الفضالها عليه ، ولم يجد ما يرد به لها ، بعض جميلها ، فسارع لتأييد مشروع قناة قابس والبحر الأفريقي الداخلي ، كتعويض لجزء من ذلك الجميل ، دون أن يعرف أيضا ما تهدف إليه من وراء ذلك ، ولربما يكون تأييده للمشروع عن طيبة ، ولكن لابد من الحذر خاصة تجاه مثل هذه الاحداث والمشاكل ، وخاصة بالنسبة لأشخاص كالأمير عبد القادر . ولعل وثائق أخرى تظهر فيما بعد ، تزيد وضوحا لهذا الموضوع وتكشف لنا أسرار أخرى .

نصوص ووثائق البحث :

اولا - رسالة الخديوى اسماعيل باشا إلى الأمير عبد القادر حول قضية قطعة الأرض المهداة له .

جناب الأمير (9) المحترم والملاذ المكرم الأمير عبد القادر .

بعد اهداء السلام التام وكمال الاحترام اللائق بالمقام بدي لجنابتكم انه قد بلغنا تشریف حضرتكم وتوجهكم إلى ترعة السويس بقصد الاستيلاء على قطعة الأرض التي كنتم موعودين بها من طرف الكومبانية على ما قيل وبما انه لما كنتم مشرفين هذا الطرف وحصلت المقابلة مع جنابكم واخبرتمونا بأن الكومبانية ستعطىكم قطعة أرض وانكم انتم ترغبون في التوطن هناك وفي ذلك الوقت جاوبنا حضرتكم مشافهة بأن الكومبانية لا يمكنها تسليم شيء من تلك الأرض حيث أنها إلى الآن لم تثبت لها حيازتها وأشرنا وأومينا لجنابتكم بالعلم اشارة واليق عبارة أننا لا نوافق على توطنتكم هناك لما في ذلك

(9) الأمير محمد - ج 2 - ص 286 .



الحمد لله وحده

سعادة الخليل الوفي والصديق الصافي الفاضل الكامل السيد البارون جولي
وليسيس الاغني دام بالعز والشم اما بعد سؤا ل خاطركم الشريف واستفسار
مؤا حكم المنيق ^{والله} وسلفي الاعز كتابكم والولد الاشهر خطا بكم و فرحت
بما فيكم وسلامتكم التي هي عندنا غاية المراد وان سعادتكم ما احببونا عن
فليتكم جميعا فاننا نطلب سلامة جميعكم ونفرح بفرحكم ونستبشر بضرركم
ونع الله تعالى عنكم كل باس وبشر ونغير سعادتكم ان بعض الناس اشاروا
على ان نطلب الاذن من حكومة افراشا الجديدة في زيارتهم ونهنيهم
بما حصل من راحة افراشا على ايديهم وانا اطلب رأيكم في هذا الامر فاني لا
اعرف حبيبا عا قلا ناصحا مثلكم والله تعالى يخلف ما يشاء وارجوكم ان
تسألوا خاطر جميع احبابنا بانه عنا اخر ربيع الاول
١٢٨٨

المخلص
عبد القادر



من مخالفة الافكار . وبما أن عقب أخبارنا لجنايبكم بما ذكرناه كنا تحدثنا أيضا مع جناب قنصل جنرال دولة فرنسا وبعدها جنابه اخبرنا رسميا مشافهة أن ذات حشمة الامبراطور لا يأذن في اقامتكم هنا ما دام ذلك مخالفا لرغبتنا وهذا لانكار الاعمال والحكومة كما والحالة هذه أيضا مضمون الحكم المحترم الامبراطوري الصادر في حق مادة هذه الترتعة لم يصرح بالترخيص للكيمانية انها تملك أرضا من هناك لاحد ما ، ومن حيث ان توطن جنابكم بهذا الطرف لا تساعدنا عليه افكار الاعمال والحكومة معا ، كما أن حكم الامبراطور المخم لا يساعدكم على استهلاك أرض في هذا الطرف فمع غاية التأسف صرت مجبورا على اخطار جنابكم عن ذلك ، ونؤمل عدم المؤاخذة ودمتم .

ثانيا - رسالة التديوي اسماعيل الثانية الى الامير عبد القادر حول نفس الموضوع .

حضرة المحترم (10) الامير المبجل المكرم بعد السلام وكمال الاحترام اللائق بالمقام قد وصلنا عزيز مکتوبكم لذي ارسلتموه على يد حضرة الباشا باش معاوننا وبه عرفتم عن حضور حضرتكم لاجل ستلام الارض التي اعطتها الكومبانية لجنايبكم الى غاية ما ذكر فيه صار معلوما والمال انه قبل وصول مکتوبكم هذا لما بلغنا تشرف حضرتكم الى الاسكندرية والتعجيل بالنوجه الى جهة القنال ثاني يوم تشريفكم لنجاز المقصود بوقته حررنا لحضرتكم مكاتبة واضحة عن الحقيقة وبها عرفنا جنابكم أن الكومبانية لم يكن لها اذن ولا صلاحية في ان تعطى اراض ولا املاكا في تلك الجهة لاحد كما هو مصرح عن ذلك بالحكم الصادر من ذات فخامة الامبراطور المعظم المتعلق بمادة الاراضي الكائنة في تلك الجهة ولا يجوز لها في تملك شيء منها لاحد ثم افهمنا حضرتكم ان مقتضيات الاحوال لا تساعد على قبول توطن حضرتكم في هذه الجهات كما ان فخامة الامبراطور ما اجاز توطنكم هنا مع عدم رضانا وقبولنا ، ومن تاريخ مکتوبكم يسم ان وصول تحريرنا كان بعد تحريره ولا بد أنه علم لديكم منه ما يكفي عن الاطالة في الشرح والاطناب في الاعتذار بهذا الخصوص نظرا للضرورة ودمتم .

ثالثا - رسالة الامير عبد القادر الى جول دي ليسبيس يستشير في موضوع قدمه الى فرنسا لتهنئة العهد الجديد .

الحمد لله وحده (11)

سعادة الخليل الوفي والصديق الصافي الفاضل الكامل السيد البارون جول دي ليسبس الافخم دام بالمرز والنعم أما بعد ، سؤال حاطركم الشريف واستفسار مراجكم المنيف فانه وصلني الاعز كتابكم والالذ الاشهى خطابكم وفرحت صافيتكم وسلامتكم التي هي عندنا غاية المراد وان معاداتكم ما أخبرتمونا عن تميليتكم جميعا فاننا نطلب سلامة جميعكم ونفرح بفرحكم ونتضرر بضرركم دفع الله عنكم كل باس وشرو ونخبر معاداتكم ان بعض الناس أشاروا على ان نطلب الاذن من حكومة فرنسا الجديدة في زيولتهم وتهنتهم بما حصل من راحة افرنسا على ايديهم وأنا أطلب رأيكم في هذا الامر فاني لا اعرف حبيبا عاقلا ناصحا مثلكم والله تعالى يخلق ما يشاء وارجوكم أن تسألوا خاطر جميع أحبائنا نيابة عنا • آخر ربيع الاول 1288 (12) •

المخلص عبد القادر

رابعا - رسالة الامير محمد ابن الامير عبد القادر الى جول دي ليسبس وكيل قونس في باريس في موضوع الوساطة لدى حكومة فرنسا •

من الشام في 15 ربيع الثاني سنة 1288 (13) •

الحمد لله وحده (14)

سعادة المعظم الارفع والهام الارفع موسيو جول دي ليسبس الافخم •

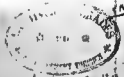
غيب أهداء كثرة الاشواق الوافرة الوافية لمشاهدة طلعتكم السنية الهية نعروض أنه قد قلعت منى عدة معروضات لناديكم وما حصلت على الجواب وعلمت ان المانع لعلم مجاوبتكم الارتباكات التي وقعت في فرنسا النى اتاخ الشرا ناقة في وسط مركزها الذي هو ينبوع التمدن واللفظ والاختراعات والمعارف والسعادة والتتعم والحفظ والسرور قيا

(12) ا. ح. ت. صندوق 929 ملف 78 وثيقة 71

(13) الموافق - حوال 19 جوان 1871 ،

(14) الموافق حوال 4 جويلية 1871 .

(15) ا. ح. ت. صندوق 78 ملف 929 وثيقة 72 .



الحمد لله وحده

سعادة المظلم الدين والهام الشيخ مكي بن محمد بن سليمان الازرق
 عباد الله كثرة الاشواق الوردية لمشاهدة طاعتكم السنية البرية نعرض الله
 قد تقدمت مع هذه معروضات لنا ديم وما حصلت على اللولب وعلقت ان الماخ
 لعدم جوازكم الارشادات التي حصلت في اولنا الذي اناخ الشرفا فنته في وسط
 مركزها الذي هو يوسع القدر والذلف والاختراعات والمعارف والسعادة والتتم
 والخط والسور في اسما ومن العلوم لدى الناس العام ان الذي وقع هو في رجال دولة
 فراسة الجالية سطر في حرقى مطون الدفاعة لغير الله لانهم اقاموا ثمانين من اسما
 يساهم في المصارف مغالبتهم للايمانين مغالبتهم تكن منتظرة وما اجروه من السياسة
 حينما كانت في الحرب الا عليه في ابرز ومناجها والذي عارف وطلع على حقيقة
 احوال فراسا وجاهلها يعلم يقينا ان ظلم الفتن التي اندفعت فتاى فراسا بفتح عظيم
 كما انتهى الفتن للماضية التي غلظتها والاحتجاب والاحتجاب او بامعنا هذا وان اول
 على بصرهم وانظاركم وساعدكم تكون لغالبكم هذا المحسوبه وحفظ عنه الحكومة
 المعينة وعلم يقينا انه لا يحصل في هذا الا بانظاركم فترجوا عدم اخرجي من افكاركم
 بعد ما تشقهم الاحوال وتقبل افكاركم التي قد اطمعت على مصحتكم الشريفة من مكتوبكم
 للوالد المورخ في ابريل سنة ١٢٠٠ نسرت جدا وشكرت البارئ تعالى على ذلك والمزجوان تنو
 عت في اهداء كثرة اشراق واوثر احتراماتي لجميع الاصحاب الذين تعرفت بهم حينما كنت
 مشرف بحكم العام وزجوان وخدمت فرصد مع الرجا، بعدم المواجهة ان تعرفت عن
 سعادة احكام مونسو قرياني واروده والنظمين عن مصحتهم لاني حررت لسعادته وكذلك
 والذي مر به ولم ياتنا جواب من طرفه وكذلك تعرفت عن حبيب مونسو شار مونسويان
 ومونسو شار قابو الذي كان ترجماني بالوزار الحربية سابقا وسعادته الفضل علينا بذلك
 ارجو من سعادته قبول لغراماتي الفايعة لانه يديم الوقر ومنه كما رمت

المخلص
 محمد بن اليرس عبد
 القادر

أسفا ومن المعلوم لدى الخاص والعالم ان الذي وقع هو قنصل لرجال دولة فرانسى الحالية يسطر ويدخر فى بطون الدفاتر لآخر الدهر لانهم أقاموا ناموس فرانسى بشباتهم فى الحصار ومقابلتهم للامانين مغالبة لم تكن منتظرة وما أجروه من السيامة حينما شبيست نيران الحروب الاحنية فى باريز وضواحيها والذي عارف ومطلع على حقيقة احوال فرانسى ورجالها يعلم يقينا أن تلك الفتى التى اندفعت ستاتى فى فرانسى بنفخ عظيم ، كما أنتها به الفتى الماضية التى عظمتها واصلحتها واصلحت اوروبيا معها وانى لى أمل كلى بهتمكم وانظاركم وساعدتكم تكون لخلصكم هذا محسوبة وحظ عند الحكومة الجديدة وتعلم يقينا انه لا يحصل لى هذا الا بانظاركم فلنجوا عمن اخراجى من افكاركم بعد ما تستقيم الاحوال وتتجلى الامكار ثم انى قد اطمنت على صحتكم الشريفة فى مكتوبكم للوالد المؤرخ فى 8 ابريل 1871 فسررت جدا وشكرت البارى تعالى على ذلك والمرجو أن تنوب عنى فى اهداء كثره اشواقى ووافر احتراماتى لجميع الاصحاب الذين تعرفت بهم حينما كنت متشرف بمعلمكم العام ونرجو ان وجدتم فرصة مع الرجاء بعلوم المواطنة ان تعرفنى عن سعادة اخيكم مسيو فردنان واولاده والتطمين عن صحتهم لاننى حررت لسعادته وكذلك والدى حرره ولم يأتنا جواب من طرفه وكذلك تعرفنى عمن جيبى موسيو شار مونتوبان وموسيو شار قابو الذى كان ترجمان بالوزارة الحربية سابقا ولسعادتكم الفضل علينا بذلك أرجو من سعادتكم قبول احتراماتى الفاتكة لافنديكم الموقر ودمتم كما رتمم *

المخلص فى محبتكم محمد ابن الامير عبد القادر

خاصا - تقرير من جول دى ليسبس الى الوزير التونسى مصطفى حول بعض التطورات فى فرنسا مع احالة رسالتين له من الامير عبد القادر وابنه محمد *

الحمد لله (15)

تعريب مكتوب للصدر الهام جناب الولى الوزير الاكبر امير الامراء سيدى مصطفى من البارون جول دى ليسبس وكيل المظم الارفع مولانا الملك بباريس فى 2 اغشت سنة 1871 *

(25) 1. ج. ب. صندوق 78 ملف 429 وثيقة 69 .

أما بعد فانه لم يقع بفرانسا الجمعة الفارطة ما تكون فيه مصلحة خصوصية تونس
تونس وأهم الامور التي وقعت هي اتمام انتخاب الاعضاء للمجلس البلدى بباريس يوم
الاحد الفارط وأكثر الاعضاء هم من محبى السلم والمافية لكنه قد حصل للحزب الآخر
الذى هو عكسه مقدار وافر من الاعضاء حتى انه نوههم منه المقلاء من أهل الرياضسة
الذين يودون قبل كل شىء اصلاح ما وقع لوطنهم من الشر من الحرب الاحالي ومن اعارة
الاجانب بواسطة الخنعة ولا يلزم البناء على ما حصل من الفوز فى الانتخاب لهؤلاء الناس
أن أهل باريس مبنيون على الشر لانه يلزم مراعاة عدد السكان الذين لم يتدخلوا فى
مادة الانتخاب تجنباً من بعضهم واحمالاً من غيرهم وهذا يدل على عدم مشاركة كثير من
الناس لحزب الثورة والبالزة الواقعة بين السلطان وبين خديوى مصر مع كونها دخلت فى
طريق المساعدة فانها لا زالت لم تنفصل والجرائلات بنت على ذلك آراء متناقضة هذا ولما
كان كلما يتعلق بأحوال الغرب وأحوال الجزائر بالخصوص ببس دولة المعظم سيدنا
قلذلك اشرف بان أوجه لجنابكم نسخة من مكتوبين وردا لى من الامير عبد القادر ومن
ابيه فان جناب الامير المشار اليه لما كانت له عنة ودادية قديمة ممي ويستشيرنى دائما
فى الامور الدقيقة سألنى هل يناسب قدومه لفرانسا ليهنى بنفسه رجال الدولة فهذه
نازلة مهمة جدا ولم أر انه يتيسر لى التثرك لفصلها وحدى فلهذا خاطبت مسيو تيار فى
هذا الشأن مشافهة وبالكتابه ، فاجابنى بواسطة كاتب سره بجواب لطيف مضمونه أنه
استحسن خطابى له وأن الامير عبد القادر لما يقدم لفرانسا يقع له من القبول الحسن ما هو
أهل به فقد ناجزت باعلام الامير المشار اليه بما لدولة فرانسا من الاعثناء به هذا ما لزم
عرضة الخ *

الحاق خبر وهو انه فى ساعة التاريخ ورد لى اعلام من مطبعة مدام يواتفين بأنها وجهت
لجنابكم صحبة هذا الباور صندوقين آخرين ضمنها رزمة من الرقاق الجديدة .
سادسا - رسالة جول دى ليسبس الى الوزير التونسى مصطفى خزندار حول رسالة
الامير محمد التى يطلب تياشين لبعضى الاوربيين *

الحمد لله (16)

تعريب مكتوب لصند الهمام جناب الوزير الأكبر أمير الامراء سيدى مصطفى من البادون جول دى ليسبس وكيل المعظم الارنغ مولانا الملك بياريس فى 20 دجنر 1871 •

أما بعد فاني اتشرف بان أوجه لجنابكم صحبة هذا المكتوب مكتوباً وردى من دمشق من ابن الامير عبد القادر يطلب فيه بالنيابة عن أبيه نيشانا من الصنف الثانى للسنيور بول دفاى كاتب وترجمان عند والده فليتنظر جنابكم ما يظهر لكم فى شأن المطلب المذكور هذا وانى انتهز هذه الفرصة لتوجه لجنابكم تجريدة تتضمن تقييد التواش التى وعدت منذ مدة الانفار معتبرين ولا زالت لم توجه لهم والمناسب توجيهها لهم فوراً والمغروب من فضل جنابكم الاعتناء بمطلبى المذكور - هذا ما لزم عرضه •

الحاق غير • والمغروب من فضل جنابكم أن توجهوا على يدى الجواب الذى يظهر لدولة المعظم سيدنا اعطاء على مطلب الامير عبد القادر وانا أوجه له من غير تعطيل •

سائبا : رسالة الامير عبد القادر الى محمد باشا طالباً منه منح نياشين الى عدد من الاوروبيين بمدينة مسكر •

الحمد لله (17)

المقام العظيم قدره الجليل عزه وفخره سند الوزارة العظمى والمنصب الاعز الاسمى مقام رب السيف والقلم والفضائل والحكم وزير الامراء وأمير الوزراء سعادة محمد باشا الاعظم لازال وفيح القدر والهمم أما بعد ابداً واجب المقام الجليل من الاحتفال والتبجيل فقد تلقيت بيد التكريم كتابكم الكريم وتنوته بكمال السرور وابتهاج العيون والصدور حيث بشرنى بدوام عز وجودكم ومزيد اقبالكم وسعودكم وشكرت الله تعالى على صفاء مودتكم الحميدة ووفور نعمه وقاهية داتكم المجيدة ادام الله فى أوج السعادة ارتقاءها وعلى دست الوزارة الكبرى بقاها هذا ولما كان السيد چنائى مسؤوليى حاكم دائرة مسكر فى بلاد الجزائر قد اقام ثم من سنة 1832 الى الآن وتزوج وله ستة اولاد نوادر وخادم

(16) ا. ح. ث. صندوق 929 ملف 78 وثيقة 70 •

(17) ا. ح. ث. صندوق 929 ملف 78 وثيقة 91 •

المولة الفرنسية في تلك البلاد أكثر من ثلاثين سنة وحصل نيشانا من الدرجة الاولى المستحسنة وله اخوان معتبران أحدهما آى ديفزيون جنرال كبير حاكم مدينة لانقى وحائز نيشان يسمى الحملة والثاني قبطان بمدينة باريز ومع نيشان الوردة من الا بريز وكان ذلك من أخص المخلصين الينا والمظهرين تمام المحبة لدينا وله عناية وافية بأخواننا في الجزائر ورعايته كافية لكافة أخصائنا واردا وصادرا فخرجو مكافأة له على حسن هذه المعاملة التفضل عليه بالنيشان ذي الشان الفاخر والاحمان اليه بالانتماء بهذا الوسام الزاهر حسبما عودتنا اسلافكم الكرام بالانعام على أخصائنا وذوي الاحترام وبه تقنمون جزيل الشكر وثنائنا ومزيد امتناننا بقول رحابا أدام الله مقامكم منهلا لكل قاصد وموللا للمكارم والمحامد والسلام * من الشان في غرة ذى القعدة سنة 1294 (18) *

الداعي المخلص عبد القادر الحسيني الجزائري *

**ثامنا - رسالة الامير عبد القادر الى فرديناند دى ليسبس حول قنال قابس والبحر
الافريقي ***

الحمد لله وحده (19)

الى صاحب السعادة السيد فرديناند دو ليسبس بعد ارسال التحيات الخالصة والاحترامات الطيبة اللاتفة بمقامكم السامي ، نعلمكم باننا عندما قرأنا صحف مصر وسوريا * اطلعنا على مقالات مترجمة من جرائد أوروبا لحصت محاضراتكم واحاديثكم التي ألقيتوها في عدة مدن فرنسية ، وفي مدينة لندن ، حول العمل الذي اقترحتموه عن رغبة ومجبة من اجل التقدم ، وهو فتح قنال قابس في افريقيا * ان كسل الناس يعرفون ان سعادتكم تمتازون عند الله بحضوة واعتبار ، وتحققوا من ذلك بمناسبة افتتاح قناة السويس ونجاحها ، رغم ان عددا كبيرا من العلماء الاوروبيين صرحوا قبل ذلك بأنه عمل مستحيل وهم يجهلون بأن رعاية الله تقرب كل بعيد وتمتع الابواب

(18) الخواص حوالي 7 أكتوبر 1877 ،

(19) عبرت عنه الرسالة بصرف من المصدر التالي :

L'exploration du Globe. Journal des conquêtes de la civilisation sur tous les points
(Paris 24-11-1879) n° 149 pp. 825 - 826.

المخلقة ، انهم يجهلون أن ارادة الله نظرت الى ذلك العمل بعين فاحصة فانهجي بذلك الانتقاد ، واصبحت الاماكن الخطيرة ملاجي ، وحولت حبال الاعناق الى حجب أو خيوط للالجمة .

انه من المستحيل على رجل عاقل ان يجعل فرائد هذا المشروع الذي تحدثتم عنه ، والنتائج التي يجب ان تستخلص لكل الناس البيض والسود ، العرب والاوروبيين ان المشروع سينجح اذا اقتنع به اصحاب رؤوس الاموال الاوروبيين ، وأعطى رؤساء الدول مساعدتهم وتأييدهم له .

لقد عرفنا أن صاحب الجلالة ملك بلجيكا اعطى كل تأييده لهذا المشروع القيم بواسطة تأثيراته ، وجلالته جدير ان يكون المحرك الاول والمهد للطريق لهذا العمل المثمر الفريد والعظيم ، اتوسل الى الله من أجل افلاحه ونجاحه وتوفيقه بفضل عنايتكم ودمتم .

في 15 رمضان 1296 (20) .

الصادق المخلص عبد القادر الحسيني

تاسعا - رسالة الامير عبد القادر الى سكان قابس يحثهم فيها على تأييد مشروع قنصل قابس .

الحمد لله (21) الذي صل على من لا نبي بعده عنده .

الى سكان قابس والمناطق المجاورة السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد
اعلموا ان المشروع الذي يمهده القائد رودير ويؤيده ويصل لانجازه السيد فرديناند دوليسبس هو فتح قنال في منطقة قابس . وهذا المخطط المبارك عبارة عن مشروع مفيد ونافع لسنتين طويلة يتوارث الابناء عن الآباء فوائده ونتائجه الطيبة التي لا يستطيع أي رجل عاقل ان ينكرها .

(20) المواقف جوال 32 اوت 1879 .

(21) عربت هذه الرسالة بتصريف من المصدر التالي :

L'Afrique explorée et civilisée. Journal mensuel Genève, Suisse. novembre 1879) n° 5
pp. 81 - 82.

ان الله تعالى خلق الدنيا كلها عاليا وسافلها لفائدة الانسان لكي يسخرها ويستفيد منها . وخلق النجوم والكواكب والشمس والقمر والسموات لكي يحصل على نتائج وفوائد ، وخلق كل ما على سطح الارض من حيوانات ونبات ومعادن ، واخضعها للانسان لكي يتطور ويتضاعف ويتكاثر .

وقد امر الله الانسان ونصحه كثيرا في القرآن ان يسخر البحر ، ويسخر عبابه للتجارة وجلب الفوائد والارباح فقال : « وما يستوى البحران هذا عتب فرات سائغ شرابه ، وهذا ملح اجاج ، ومن كل تأكلون لحما طريا ، وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » . وبهذه الايات حدد التجارة وخصصها ، وفي القرآن الكريم آيات اخرى مماثلة لهذا المعنى . اليس الاسكندر هو الذي فتح للناس البحر المتوسط الذي يبلل شواطئ أوروبا وإفريقيا والبلاد العربية ؟ اليس البحر هو الذي ساهم في ربط الصلات والعلاقات بين مخلوقات الله ، وسمح بتبادل العلوم والفنون ونقل السلع فيما بينهم وهو ما يسمح بخلق التجارة .

وقد اعين الله في الكتاب المتيق للناس ، في كل القرون والمصور الماضية واللاحقة ، بأنه سيخلق أيضا لهم أشياء لا يعرفونها ولم يحدد لهم طبيعتها . فقال تعالى : « ويخلق ما لا تعلمون » ، وربما سيكون فتح هذا القتال من بين هذه الاشياء التي سيخلقها للناس في هذا القرن .

وفي غضون هذا اعلموا الآن بأن هذه المنفعة العامة ، والفوائد القيمة لهذه المنافع الغير المحدودة ، يمكن أن ينتج عنها خسارة وضرر ، وتخريب لبعض الاراضى والتقى ، ولكن لا ينبغي أن نعمل عنها لهذا السبب . ان الله تعالى العارف أكثر من كل العارفين لم يعمل عن خلق النار لفائدة كل الناس ، لأنها تحرق الديار والبائسين ، ومخلوقات الله . ولم يعمل عن خلق الحديد الذي يستغله كل المخلوقات الانسانية ، لأنه سيستغل لقتل الناس الذين سيعودون اليه مثل الرسل والعلماء ، والرجال العظماء الآخرين الذين عاشوا لفائدة ومصلحة مخلوقات الله . ولم يعمل عن انزال المطر التي هي خير وفائدة لكل المخلوقات والحيوانات التي خلقت لخدمة الانسان ، لاننا منتج عنها فياضانات وتخريب للديار والبلدان .

كذلك اذن المنفعة العامة وفوائد الجميع ، لا ينبغي أن يضحى بها لسبب بعض الاضرار والمواقب الوخيمة التي يمكن أن تنتج عنها ويجب على كل الناس ان يؤيدوا القائد رودير قولاً وعملاً ، سرا وعلانية ، ويمترفوا بحميله وشرفه لانه يعمل لهدف نافع لعباد الله وكل الشعوب عائلة واحدة له . تلك هي النصيحة التي اوحى اليي بها الدين اقدمها لكسم والسلام .

دمشق في 15 رمضان 1296 (22)

عبد القادر بن محي الدين الحسيني

(22) الموافق حوال 31 أوت 1879 .

كنا أعلننا في افتتاحية العدد الاول من هذه المجلة أن ننشر فيها محاضرات ملتقيات الفكر الاسلامي تياما ريثما تصدو في كتب الملتقى التي تقسمها كلها .

ولقد بدأنا في هذا فعلا وإن لم نلحقه بانتظام لأسباب عدة .

وذا . بوعندا ، واستجابة لرغبات الكثير لستائف العمل بهذه السنة بانتظام ، وسننشر في المستقبل على مراحل حتى المحاضرات التي تكون قد صدرت في كتب الملتقى وتم تنشر بعد في الجلسة حيث أن هذه الأخيرة بحكم طبيعتها تنشر اكثر من الكتاب .





من مؤلفات ملحق بجزء

وضع الجاليات الاوربية في العالم العربي الاسلامي ابان الحكم العثماني

الدكتورة ليل الصباغ

استاذة التاريخ بجامعة دمشق

الجمهورية العربية السورية

قد يستفاد من جلول ابحاث (الملحق) المطروح بين
ايدنا ان المقصود من دراسة موضوع الجاليات والاقليات
وبخاصة الاسلامية منها هو دراسة للعناصر منها حاليا
في انحاء العالم لا بحثا في ماضيها . الا انني رايت
ان دراسة اوضاع الجاليات الاوروبية في العالم العربي
الاسلامي بعامة والمشرقي منه بخاصة في القرنين العاشر
والعاشر عشر الهجريين (السادس عشر والسابع عشر
الميلاديين) بالذات ، دراسة هامة وذات مغزى للموضوع

العام ، وتدخل في صلبه ، وتكون واحدة من نواه الكبرى للاسباب التالية :

أولا : قدرة الماضي على اشباع اضاء تكشف حنايا الحاضر وتزوده بطاقة ديناميكية
تساعده على التحرك في الطريق القويم ، وتنبئ لهذا الحاضر بعض طريق المستقبل ومسالك
المحطوقه . ففي الدراسة للجاليات المعاصرة يمكن لهذا الموضوع ان يقدم تجارب شخصية
ودروسا مستفادة *

ثانياً : تعريف الاجيال العربية والاسلامية الحاضرة وهى تمشى مجابهات وتحديات مع العالم الغربى بجاليات هذا العالم التى سطت رحالها فى الماضى على الارض العربية الاسلامية ، وبأسباب نزوحها اليها ، وأهدافها منها ، ونشاطاتها ، والدور الذى لعبته فى حياة المجتمع العربى على الرغم من قلة عددها * وهذه ناحية من نواحي حياة هذا المجتمع فى تلك العصور لم يسلط عليها المؤرخون العرب المسلمون ، الماضون والمعاصرون أضواء كافية ، ولم يصيروها الاحتمام اللازم ، بل أن الماضين مهم قد صمتوا حيالها مع انها - كما أثبتت أحداث التاريخ - كانت ذا أثر فعال وكبير فى حياته ولا سيما فى المنحيين الاقتصادى والسياسى *

ثالثاً : تعريف الاجيال العربية والاسلامية الحاضرة بالموقف الانسانى السمع للفكر الاسلامى من تلك الجاليات الغربية عنه دنيا وقومية ومشاعر ، ذلك الموقف الذى تبدى فى العهود والمواثيق التى وقعتها الدولة العثمانية مع دول تلك الجاليات والتى تطلق عليها كتب الحقوق الدولية والتاريخ العالمى اسم (الامتيازات) Capitulations

تلك المواثيق التى حولتها الدول الاوربية نتيجة تهاونت الدولة العثمانية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من « عهود أمان » واتفاقات تجارية سمحة الى امتيازات فعلية يستثمر الاوروبيون بواسطتها خيرات البلاد العربية لمصالحهم فقط ، ويفرضون بموجبها سيادتهم * وقد طلعت هذه الامتيازات قائمة فى مصر حتى عام 1937 ، وفى سورية الى عام 1947 م * وقد أقامت الدول الغربية علاقاتها مع الصين فى القرن التاسع عشر على غرارها وكانت المنفذ لهد لتتدخل بشؤونها واستغلالها تجارياً *

وفى الحقيقة لا بد للباحث فى موضوع الجاليات بعامة فى تعريف كلمة (جاليسمة) وتحديد المعنى الحقيقى لها * فإذا ما رجع الى المصدر الاول لتعريف الالفاظ وهو معاجم اللغة لوجد أن لفظ (جالية) قد اشتق من فعل (جلا) و (جلا القوم عن أوطانهم يجعلون اذا خرجوا منها الى بلد آخر ، ويجعلون عن الخوض أى ينفون ويتردون) * ويضيف صاحب (لسان العرب) الى تعريفه ذلك قوله : (وقيل لأهل الدمة) (الجالية) لأن عمر ابن الخطاب أجلاهم عن جزيرة العرب لما تقسم من أمر النبى فيهم فاسموا (جالية) ولزم هذا الاسم أهل الدمة أين حلوا ، ثم لزم كل من لزمه الجزية من أهل الكتاب بكل بلد

وان لم يجلوا عن اوطانهم . ويستدل من ذلك التعريف ان للحالية معنيين احدهما عام وهو الاول والثاني خاص . والقصود في بحثنا هذا بالطبع المعنى العام ، اى أن الجاليات الاوروبية هي الجماعات غير العرب المسلمين التي جلت عن اراضيها في اوروبا لتستقر على الارض العربية وتعمل في حدودها فكلمة (جالية) بالعربة اذن تقابل كلمة (كولونيا Colonie) اللاتينية التي تعنى في اصلها تملك مجموعة من المهاجرين أرضا قريبة أو بصدّة عن مواطنها ، وقد ينفصل هؤلاء المهاجرون تماما عن الوطن الام ويؤسسون كيانات مستقلة لهم ومثل على ذلك المستعمرات اليونانية في القرن العاشر ق.م* في جزر بحر ايجة وشواطىء آسيا الصغرى ، وقد يبقون أعضاء في مجتمعهم الاول الذى نزحوا منه . ولقد تطور مفهوم (كولونيا) على مدى العصور ، وأصبح لفظ (كولونى) Colonie بالفرنسية و (Colony بالانجليزية بمعنى منطقة اقامة رعايا دولة ما خارج حدود اراضيها ، كما أطلق على مجموعة من الافراد من رعايا دولة ذات السيادة يعيشون في حدود دولة أخرى ، أو مجموعة من البشر من قومية أصلية واحدة قبلوا غرباء أو لا مواطنين دولة أخرى .

والنزوح عن الاوطان أو بمعنى آخر (الجلاء) عنها أو الهجرة منها له أسباب عديدة يبحثها علماء الاجتماع وتلخص بأن بعضها ارادى وبعضها الآخر لا ارادى أى أن خروج افراد أو جماعة من اوطانهم ليقيموا في بلاد أخرى يكون اما لرغبة مثبتة من ذواتهم كالرغبة في البحث عن عيش أفضل ومستوى حياتى أرفع أو استقصاء لمعسل ورزق لا توفرها لهم مواطنهم أو حبا في المغامرة والانطلاق في آفاق الدنيا الواسعة والتعرف على مختلف نواحيها أو طلبا للعلم أو الاستزادة منه ، أو لان المهنة التى اخذوها لانفسهم تتطلب ذلك الترحال والنزوح كالتجارة مثلا . ويكون النزوح لا اراديا اذا فرضت السلطات الحاكمة هذا الامر على بعض رعاياها عقابا لهم على جرم اقترفوه أو لانهم لا يماثلون سياستها ويعتقدون دينها ومذهبها وتكون الهجرة أحيانا ارادية الا إنها تحدث تحت ضغوط متفرقة من الاوطان كالاضطهاد السياسى نتيجة احتلال أجنبي أو حكم استبدادى وطنى ، والاضطهاد الدينى ، والتخمة السكانية ، أو نتيجة لحداث بعض الكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين والجفاف والفيضانات والوبئة الخ ... وأخيرا

قد ينزع أفراد أو جماعات من مواطنهم لشادية مهمات معينة أو رسالات محددة تكنفهم بها ضمائرهم أو المؤسسات المختلفة التي يرتبطون بها .

ويستخلص من كل ذلك أن الجاليات هي هجرات بشرية محدودة العدد نزح أفرادها من مواطنهم لأحد تلك الأسباب الأنفة الذكر أو لمجموعة من تلك الأسباب واحتفظت في البلاد التي انتقلت إليها بطوابعها الخاصة لأسباب قومية أو دينية ، كما احتفظت أحيانا بارتباطاتها بالوطن الأم .

ويصل الدارس لشوء الجاليات الأوروبية في العالم العربي منذ العصور القديمة وتطورها حتى نهاية الوسيطة ، إلى أن العالم العربي بواقعه الاستراتيجي الهام على مفترق ثلاث قارات كانت هي كل العالم القديم والوسيط ، وبسيطرتة على قسم من شرقي البحر الأبيض المتوسط وجوبه وهو مركز النقل الاقتصادي والسياسي في تلك العصور وبمرور طرق التجارة العابرة الكبرى منه ولا سيما تلك المنطقة من مدنه وموانئه إلى أقاصى شرق آسيا وأواسط أفريقيا والمائدة إليها وبخاصة منها طريقا التوابل والحريز ، وباحتضان هذا العالم للأماكن المقدسة من اسلامية ومسيحية ويهودية ، فانه جلب إليه انظار العالم الأوروبي وغدا مطعما من مطامعه . فاندفع اليونان والرومان في العصور القديمة والصليبيون في العصور الوسيطة يحتلون أرضه ، ويجوسون في منابيه ، ويزرعون جالياتهم ومدنهم في ربوعه ويفسحون المجال لتجارهم كي يبعثوا في مخازنه الطافحة بمختلف المنتجات الزراعية والصناعية ، المحلية منها والمستوردة من أقاصى شرقى آسيا وأواسط أفريقيا) عن المكاسب الاقتصادية الضخمة التي سيحققونها لو حملوا تلك السلع والبضائع إلى أوروبا - وبالإضافة إلى هذا تدفق الحجاج الأوروبيون المسيحيون بخاصة إلى مشرقه متمسكين في أماكنه المقدسة المسيحية ما يقربهم إلى ربهم . وهكذا كان العالم الأوروبي منذ العصور القديمة محطا لهجرات أوروبية محدودة العدد وعديدة ، استقرت وفودها على أرضه وعاشت بين ربوعه ولا سيما في مدنه قبل الحروب الصليبية وإبانها وبعدها . وإذا كانت الفرصة قد اتاحت لتلك الجاليات الأوروبية كي تعيش في العصور القديمة إبان الاحتلالين اليوناني والروماني وفي العصور الوسيطة إبان الحروب الصليبية في مناخ مشابه لمناخ حياتها العامة في بلادها ، بسبب كون السلطة السياسية

منها ، ومن ثم مارست نشاطاتها المختلفة بحرية وكانها فى مواطنها ، ونبت وابتعت
وكونت مدنا واحياء خاصة بها ، فانها حاولت بعد انتهاء الحروب الصليبية ان تحتفظ
بمكاسبها فى هذه البقاع وبنشاطاتها الاقتصادية ، وأن تخلق جوا ملائما لها عند الحكام
المسلمين السائدين ووسط السكان المغايرين لها ديناً ولغة وقومية وعادات وتقاليد ،
وأن يكون هذا الجو اقرب ما يكون الى المناخ الذى كانت تعيش فيه سابقا أو الذى تعيش
فى ظله فى بلادها ، وهكذا يشاهد أن دول الجاليات المتزوجة على الارض العربية الاسلامية
وهى بخاصة من مدن إيطاليا كالبيندقية وجنوة ويزة ، واما لى ومن بعض مدن فرنسا
فى البروفنس قد سمعت حشيشا كى توقع الاتفاق تلو الاتفاق مع الحكام المالك المسلمين
السائدين فى مصر وسوريا ، ومع أمراء شمالى افريقيا لتأمين سبل التجارة وبقا ،
جالياتها العاملة على الارض العربية حرصا منها على المغانم الضخمة التى كانت تسدرها
عينا عمليات التجار فى تلك البقاع ، ولا سيما أن بلاد الشام ومصر كانت معبرا
للبضائع الهندية ومخرنا للبهارات التى تباع بأرباح طائلة فى أوروبا ومحطاً لكثير من
الصناعات التى تنهافت عليها أوروبا .

ولم تكف هذه الجاليات الأوروبية بعد الحروب الصليبية بممارسة نشاطها التجارى
بل أن بعضها وهو ضئيل العدد كان من الرهبان الكاثوليك - وبخاصة من رهبنة
الفرانسيسكان - وبقي يمارس نشاطه الدينى فى مدينة القدس .

وفى الحقيقة لقد حاولت هذه الجاليات التى كانت أشبه بجزر صغيرة فى خضم بحر
اسلامى ، أن تكون مدنية أو دينية ، أن تلعب دورا سياسيا خفيا الى جانب ممارستها
القاهرة للدين والتجارة وهذا الدور كان لصالح الامارات وامالك المسيحية فى أوروبا :
فعملت عيوننا للبابا وملوك الفرنجة وأمراهم تحمل اليهم أخبار المسلمين والسلاطين ،
وتحتهم بين آونة وأخرى على القتال والحرب وتساعدهم على حسم المزاومات ضد
المسلمين . وعلى الرغم من أن الحكام المسلمين كانوا يشعرون أن افراد هذه الجاليات هم
دعاة وخدام للفكرة الصليبية وانهم خطر داخل وخارجى يهدد كيان الدولة الاسلامية فانهم
رحبوا بهذه الجاليات وسمحوا لها بالإقامة ومنحوها الكثير من الحقوق التى تضمنتها
المعاملات المعقودة ، وذلك رغبة منهم فى الربح الماجم عن التبادل التجارى بينهم وبين

العرب ، وحرصا على كسر طوق الحصار الاقتصادي المفروض عليهم من أوروبا بعد الحروب الصليبية - إلا أن هذا لم يسمعهم بالمقابل من مراقبة تلك الجاليات مراقبة شديدة ومن تطبيق مبدأ المسؤولية الجناعية عليها عندما كانت سواحلهم تتعرض لهجوم القراصنة الأوروبيين أو عندما تتأزم علاقاتهم مع الدول الأوروبية ، أى أنهم كانوا يقضون عليهم أو على قتلهم ويصادرون أموالهم وبضائعهم ويحرمونهم من الحقوق المصوحة لهم .

وجاءت العصور الحديثة لترى تطورا كبيرا فى الأوضاع الأوروبية وفى أحوال العالم العربى الإسلامى : فقد خضع معظم هذا العالم فى مشرقه ومغرب فى الربع الاول من القرن السادس عشر لدولة اسلامية واحدة هى الدولة العثمانية التى أعادت لصالحها بناء « الدولة العربية الإسلامية الموحدة » والامبراطورية البيزنطية فأمنت مبادتها على كل شرقى البحر الابيض المتوسط وشرقى أوروبا حتى وصلت أسوار فيينا وكان على أوروبا أن ترد على الخطر اسحق بكيانها واقتصادها ، وبالفعل فإنها عادت الى التفكير بحملات صليبية جديدة ، إلا ان مشروعات الحملات الصليبية الجامعية على الرغم من تحقيق بعضها لم تنجح. لان أوروبا العصور الحديثة غير أوروبا العصور الوسيطة : فأوروبا العصور الحديثة كانت تعيش فى القرن السادس عشر (أكرم من ثورة) فى تاريخها ، بل فى تاريخ العالم ولا سيما من الناحية الاقتصادية : فالاقتصاد الرأسمالى أو بمعنى أدق الرأسمالية التجارية التى نمت فى أواخر العصور الوسيطة نجحت فى القضاء على الاحتكارات التجارية الدولية السائدة ، كاحتكار مدن إيطاليا وبخاصة البندقية لتجارة البحر الابيض المتوسط مشتركة فى ذلك مع الممالك المسلمين ، واحتكار العصبية الهانسية للتجارة فى بحر شمالى أوروبا ، وذلك عن طريق إيجاد طرق جديدة ، توصلها الى تجارة الشرق دون وسيط اسلامى واستطاعت أن تكشف أثناء بحثها عن تلك الطرق قارة بكرة جديدة ، فيها الخمر والذهب والفضة وهى أمريكا وهكذا انقلبت موازين الاقتصاد العالمى رأسا على عقب وسقط البحر الابيض المتوسط والدول المظلة عليه عن عرشها الاقتصادى وانتقلت حركة النقل التجارى البحرى الى المحيطات وسيطرت عليه دول أوروبية حديثة التكوين القومى كالبرتغال واسبانيا وهولاندة وفرنسا وانجلترا ورافق هذه الثورة الاقتصادية العنلية الكبرى ظهور النمايز القومى فى أوروبا الغربية ، ذلك

التمايز الذي حول الاقتصاد الاوربي الى اقتصاد خاص يبحث في الآفاق الواسعة المكتشفة حديثا عن اسواق تدر عليه الذهب والفضة وفي خضم هذه الثورة الاقتصادية والسياسية لم ينف عن بال أوروبا الغربية العالم العربي الاسلامي على الرغم من انه كان يقع في قبضة الدولة الاسلامية القوية التي تهددها بالخطر : فقد بقي محطاً لمطامعها الاقتصادية ولا سيما بعد ان بعثت حياة تجارة آسيا عبر الطرق البرية وتدفق النشاط التجاري الى مسكن القوافل في الداخل ، وغدت اراضي الامبراطورية العثمانية والدولة الفارسية وسيطة للنقل التجاري البري بين أوروبا من طرف والهند والصين من طرف آخر . فالقصر النسبي لطرق البرية وأمنها جعلها تتفوق على طريق رأس الرخاء الصالح البحرية المكتشفة حديثا ، والطويلة والمحفوفة بالمخاطر . وهكذا على الرغم من ضعف مركز البحر الابيض المتوسط والبلدان المطلة عليه تجاريا فانه بقي محافظا طيلة القرن السادس عشر على بعض اهميته لسيطرته على منافذ طريق الحرير البرية الآسيوية وطرق القوافل الوافدة من افريقيا الوسطى والغربية اليها . وأمام هذا الاغراء الاقتصادي اندفعت دول غربي أوروبا كفرنسا وانكلترا بالاضافة الى مدن ايطالية وبخاصة البندقية وفلورنسا نحو ايجاد مراكز تجارية لها في انحاء الامبراطورية العثمانية أو تثبيت السابقة ، لتكسبون محطات تجارية وسيطة بينها وبين الشرق الأقصى وأواسط افريقيا ، ومراكز تبادل للسلع بينها وبين اجزاء الامبراطورية العثمانية ذاتها . ويلاحظ أنها أخذت تسخى تدريجيا عن مفهوم الحملات الصليبية المشتركة أو بمعنى أوسع عن الدفاع عن المسيحية ، ذلك المفهوم الذي كانت البابوية والامبراطورية الجرمانية المقدسة لا تزال تنادى به . فحل اذن محل فكرة القضاء على الدولة العثمانية الاسلامية مفهوم اقامة علاقات سلية معها ، تؤمن لها مصالحها القومية الخاصة وتحافظ بها على ميزان القوى المالية ، ويعتمد فيها على الدبلوماسية أكثر من الاعتماد على الحرب والقوة العسكرية . وشرعت دول أوروبا وبخاصة الغربية منها تسعى جاهدة لدى الدولة العثمانية لتعقد معها اتفاقات تجارية تحقق لها تجارة آمنة في أراضيها واقامة سلية لجالياتها على تلك الاراضى . وبالفعل فانها ارسلت البعثة ترو الاخرى الى السلطان العثماني لتحقيق هذا الغرض ، واقامت علاقات دبلوماسية بينها وبينه .

وفي الوقت ذاته كانت جالياتها تنجده لتستقر في مدن العالم العربي الاسلامي وموانئ عاملة بالتجارة والاستثمار الاقتصادي غير المباشر لبعض منتجات هذا العالم وبخاصة الحرير والقطن . ولم تلبث أن نظمت هذه الجاليات شبه (مستعمرات) أو (دويلات صغرى) ضمن الامبراطورية العثمانية تتمتع فيها بشروط حياتية مشابهة لتلك التي كانت تعيش في ظلها ضمن أوطانها : فقد عاشت كل جالية أو (أمة) Nation كما كانت تسميها فرنسا في كل (اسكلة) ، في حفاة متلاصقة وضمن مبنى واحد كان يطلق عليه اسم (الوكالة) أو (الحان) أو (الفندق) ، وهو عادة من الاملاك الوقفية . وكان لكل جالية دولة تنظيمها الإداري الخاص ، الا انه على الرغم من اختلاف هذا التنظيم بين جالية وأخرى فانه كان يتشابه في خطوطه الكبرى . فهذه (الجاليات) كانت اشبه بجمهوريات صغرى لها رئيسها (أى القنصل) ومجالسها ، وموازنتها ، وقضاؤها ، وتحكم نفسها بنفسها بحسب قوانينها وتقاليدها . وكانت تتبع في رئاستها العليا لسلطة سفير بلادها في القسطنطينية ، او لفرقة تجارة قائمة في موطنها أو للشركة التي لها امتياز العمل التجاري في المنطقة . وعلى الرغم من خضوع هذه الجاليات غير المباشر للسلطات العثمانية ومراقبتها ، وعلى الرغم من شكواهم الدائمة من (بنص) هذه السلطات لهم بحجة سوء تصرفهم احيانا وذلك بمصادرة ممتلكاتهم وارعامهم على دفع الرشاوى والهدايا والقرامات ، وعلى الرغم من أن أفراد هذه الجاليات حرموا من الحياة العائلية - اذ كانت سلطانهم المسؤولة لا تسمح لهم بحمل أسرارهم معهم - فانهم عاشوا حياة اجتماعية لا تخلوا من الرفاه والمتعة واللهو ، وتنقلوا في أنحاء البلاد نزهة واطلاعا وكونوا صدقات مع بعض سكان البلاد والسلطات الحاكمة .

وفي الواقع لم تكن تلك الجاليات أو (المستعمرات) المحدودة العدد سوى مظهر مجتزأ من مظاهر الاستعمار الأوروبي الذي قام اثر الكشوف الجغرافية ، والذي امتد الى أمريكا وأفريقيا وجنوبي شرق آسيا . فهي طليعة الاستعمار الغربي الأوروبي الكبير السني اقتصحت معاملته في القرنين التاسع عشر والعشرين . وليس ادل على ذلك مما قاله : « شوارزلوف » ، آخر سفير للمملكة الفرنسية لدى « الدولة العثمانية » ان نفوذ

الليفانت هي اجمالاً ممتلكات المملكة ، ، وعلق المؤرخ الفرنسي « فاندال » على ذلك قائلاً :
(بأنها امبراطورية استعمارية بثمن زهيد) .

وإذا كانت التجارة وأرباحها في القرنين السادس عشر والسابع عشر هي الدفاع
الاول الذي دعماً كثيراً من الاوروبيين من فرنسيين وانجليز وهولانديين وبنادقة
وجنوبيين الى الزوح عن اوطانهم والاستيطان المؤقت في اسكالات الشرق ، فإن السياسة
المسيحية الجديدة التي ارتأتها البابوية كانت العامل الثاني : فقد ادت الثورة الفكرية
الاوروبية في مطلع العصور الحديثة الى تحول بالفكرة الصليبية التي سادت أوروبا ، بأن
العصور الوسطى من مفهومها الحربي الى مفهومها السلمي : أي أن العالم العربي الاسلامي
يجب أن لا يفرز بالجنود المسيحيين والحرب وإنما يجب أن يشق الطريق فيه للمسيحية
على المذهب الكاثوليكي بالفكر والاقتناع والسلام والمحبة ، ومن ثم اخذت الدول الاوروبية
وبخاصة فرنسا تسعى للبعثات التبشيرية لدى البلاط العثماني ليسمح لها بالاقامة على
الارض العربية . وبالفعل شرعت البعثات التبشيرية الكاثوليكية اليسوعية والكبوشية
والكرملية بالتسلل والاستقرار على الرغم من مقاومة الدولة العثمانية لها ، وذلك بصفة
أن افرادها من رعايا الدولة المتعاقد معها واخذت فرنسا تدريجياً على عاتقها حماية هذه
البعثات لدى الباب العالي . واتخذت هذه الجاليات الدينية اهدافاً لها نشر المذهب
الكاثوليكي بين مسيحي العالم العربي الاسلامي ، وتوحيد الكنائس الشرقية مع كنيسة
روما ، ومنع تسرب الهرطقة البروتستانتية الى هذه المنطقة ، ونشر المسيحية اذا امكن
بين المسلمين ، وتثبيت قدم أوروبا في هذه البقاع ولا سيما فرنسا ، وذلك عن طريق
الوعظ والتعليم وتقديم الخدمات الاجتماعية .

وبذلك أصبح يرى على ارض العالم العربي الاسلامي في العصور الحديثة جاليات
مدنية تعمل بالتجارة وبخاصة وجاليات دينية تتكون من رجال الدين المرافقين لتلك
الجاليات المدنية ومن الرهبان العاملين في نطاق بعثاتهم . وكانت هذه الجاليات كلها
تعمل ضمن مخططات اقتصادية وسياسية ودينية لصالح دولها الاوروبية .

ان الحديث عن الجاليات الاوروبية في العالم العربي الاسلامي في العصور الحديثة
يستدعي مباشرة في الواقع البحث في الاتفاقات التي عقدتها دول هذه الجاليات مع

الدولة العثمانية لانها هي العمود الفقري في وجودها وتمويلها . ولقد منحت الدولة العثمانية اولى هذه الاتفاقات للبنادقة عام 1521 م أى بعد فتح السلطان سليمان الاول لسورية ومصر بأربعة أعوام فقط ، واتبعتة تأخر مع الفرنسيين والكتلانين عام 1528 م الا أن أكثر هذه الاتفاقات شهرة ذلك الذى عقد بين الملك فرنسوا الاول ملك فرنسا والسلطان العثمانى سليمان القانونى عام 1535 م والذى قلده الدول الاوربية الاخرى فى السنوات التالية كالكثرا وهولاندة وغيرها . ولقد نصت تلك المهود التى يطلق عليها اسم (الامتيازات) بصورة عامة على السماح للاوروبيين بدخول الاراضى العثمانية والاستقرار فى أى جزء من اجزائها دوماً ضغط أو اذعاج ، والمتاجرة بحرية فى مدها وموانئها ، وحرية التنقل بين حنبااتها . كما أنها نظمت ظروف تلك التجارة ، وسمحت لتجار الدول المتعاقدة باستيراد جميع البضائع وتصديرها هو مسموح به ، وحددت رسوم الجمر على تلك البضائع ، وحظرت على موظفى الدولة العثمانية ورعاياها استخدام العنف أو الضغط على التجار والبحارة ، أو الاستلاء على متاعهم المستورد أو المصدر ، أو تقاضى ضرائب منهم غير منصوص عليها فى المواثيق أو غير مشروعة .

وعلى الصعيد الشخصى ضمت الدولة العثمانية فى تلك الاتفاقات للمقيمين على أرضها من هؤلاء الاوروبيين الحرية الشخصية فمنحتهم حرية الديانة وسمحت لهم بممارسة طقوسهم الدينية شريطة ألا يخرجوا عن الحدود المرمية ، وأعفتها من دفع الجزية وأقرت أن ما يملكون يرجع الى ورثتهم فى ديارهم الاصلية اذا ما حضرتهم الوفاة على أرضها دون أن يتدخل أحد من الموظفين العثمانيين بالامر أو يعيقه .

وقد اذنت هذه الاتفاقيات للدول المتعاقدة معها أن تقيم ممثلين عنها فى استانبول العاصمة تحت اسم ، سفير أو مقيم اوبيل ، وفى المدن الاخرى التى تختارها قناصل . وأجازت لهؤلاء الاخيرين أن يشرفوا على مواطنيهم وأن يحلوا النزاعات والحصومات التى قد تنجم بينهم وأن ينافروا عنهم اذا ما أحاق بهم ضيم أو حيف . وبذلك لم يعد هؤلاء الاوروبيون خاضعين لسلطة الحكام المحليين المسلمين ، فالسفير والقناصل هم ممثلو مواطنيهم بالقرب من السلطات التركية من ناحية ومن ناحية أخرى هم مفوضو حكوماتهم بالقرب من مواطنيهم . وهكذا وجد وتوطد التمثيل الدبلوماسى بين الدولة العثمانية

المسلمة وبين الدول الأوروبية المسيحية . ولقد اتخذ هذا التمثيل في بدئه طابعا تجاريا لان العلاقات بين الطرفين كانت تحمل هذا المضمون ولانه كان مرتبطا الى حد كبير بالشركات والمؤسسات التجارية للدول المتعاقدة ، الا انه تطور مع الزمن حتى أخذ مضمونه السياسي .

ويلاحظ أن الهم الاول للسفير والقناصل هو الدفاع عن اشخاص مواطنيهم وأموالهم ومصالحهم والسهر على تطبيق ما جاء في الموائيق ، والحصول بين آونة وأخرى على تثبيت لها أو تجديد ، أو اضافة بنود مستحدثة عليها اثبتت الايام والممارسة التجارية الفعلية والتجارب الحياتية الواقعية للجياليات ضرورتها . الا أن هذه المهمة الاساسية لهؤلاء الممثلين ما لبثت أن امتزجت بمساووات سياسية تلعب فيها أصابع الدول الأوروبية ما تشاء في شؤون الدولة العثمانية وسياساتها الخارجية بل والداخلية .

إن بنود هذه الاتفاقات بصوميتها متشابهة الا ان كل دولة كانت تسعى للحصول على اكبر قدر من الحماية والرعاية لمواطنيها وأوسع نفوذ لدى الدولة العثمانية . ففرنسا مثلا تمكنت من الحصول نتيجة صداقتها للدولة العثمانية وتحالفها معها على حق خضوع جميع الاجانب المتاجرين في انحاء الامبراطورية لمرأية الفرنسية ما عدا البنادقة وفيما بعد الانجيز . وتوصلت الى ان يكون لسفرائها حق التقدم في السير والجلوس على جميع سفراء الملوك الامراء المسيحيين ، هذا بالاضافة الى تحقيقها تدريجيا مطامحها الدينية باضافة بنود عن الحفاظ على الاماكن المقدسة وتأمين زيارة الحجيج المسيحيين الأوروبي وأخيرا حق حماية المسيحيين الكاثوليك في الامبراطورية وصلاحيه القضاء على مراكب بحارة شمالي افريقيا أو كما كانت تسميهم القراصنة إذا ما هاجموا مراكبها .

ولقد اثارته هذه الاتفاقات بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية ابتداء من اتفاق 1535 م ، مع فرنسا تساؤلات كثيرة في جميع الاوساط العلمية ونقاشا طويلا ودراسات واسعة كونت مع الزمن أدبا تاريخيا وحقوقيا ضخما وبجميع اللغات يدور كله حصول هذه الاتفاقات واليهود والموائيق ومضموناتها ووجهات نظر الحقوقيين والمؤرخين بها . فقد استثار الكثيرين أن تمنح الدولة العثمانية المسلمة قناصل الدول الأوروبية المسيحية وسفرائها استقلالا شبه تام في تقرير شؤون مواطنيهم وتنظيمها في النواحي التجارية

والحقوقية والجزائية وأن يتم هذا وفقا لقوانينهم الخاصة ودون أن يتبع ذلك معاملته بالمثل من قبل تلك الدول . فهي بحسب رأيهم (امتيازات) فعلية ، فهي بذلك بدعة ونزول من السلطان عن حقوقه ومبادئه لمصلحة الدول الأجنبية ، فالوضع الطبيعي للأجانب في مختلف الدول حاليا هو أن يكونوا خاضعين لقوانين البلاد التي يقيمون بها ولسلطاتها وهذا نتيجة طبيعية لسيادة الدولة على أرضها . وأن أكثر ما أدى الى دهشة المحققين قبول الدولة العثمانية وهي في ذروة قوتها ومجدها وجبروتها هذا الوضع الذي يطلق عليه في إطار القانون الدولي اسم (Exterritorialista) أي إعفاء الأجانب من قضاء الدولة التي يقيمون فيها وامتداد قوانينهم الى حيث يقيمون خارج حدود أوطانهم ، وهذا طعن صريح بسيادة الدولة المستقبلية لهم واستقلالها .

ولقد حاول بعض المؤرخين إيجاد تسوية لهذا الأمر فقال بأن الدولة العثمانية وهي الدولة الأقوى قد تمتعت مثل هذه المهود كرها منها ونظرت اليها كلفتة عطف من سيد كبير وكريم نحو أمير غربي صغير ، كما فسره بعض آخريه للعامل الاقتصادي البحث فبين أن الفلق الذي سببه تحول تجارة الشرق الأقصى من مستلكات الدولة العثمانية الى طريق رأس الرجا الصالح ، واهتمام العالم الاوربي بأمريكا بدلا من الليفانت وحاجة الدولة العثمانية للمال الذي كان يأتيها عن طريق هذه التجارة العالمية ، من حسيطة للجوارك واستيراد للنقد الفضي، وشعورها أن التجارة الخارجية لديها لا يمكن أن تنشط الا بواسطة الاوروبيين ، كل هذا دفع الدولة العثمانية لتكون أكثر مرونة في علاقاتها التجارية مع الاوروبيين والمسيحيين وأكثر تسامحا .

وفي الحقيقة أن معظم الناقدين لتلك المهود يذسونها في ضوء التطور الحاضر للحقوق الدولية لا في ضوء الاوضاع السائدة في تلك القرون ، كما انههم نادرا ما يترضون الى التصريح الاسلامي وموقفه من هذا الامر . فالمستعرض لمعاملة الأجانب أو الغرباء في بلد ما عبر العصور التاريخية القديمة والمتوسطة ثبت له أن الموائيق التي أصدرتها الدولة العثمانية لصالح الدول الاوروبية ليست في معظم بنودها وفقراتها بما فيها (القضاء الخاص) شيئا جديدا أو مبتدعا في تاريخ العلاقات الدولية إنما هي امتداد لتقليد دولي وأعرف تجارية سارت عليها الامم المختلفة في العصور القديمة

الوسطى فى اتفاقاتها ومواقفها التى كانت تسير التبادل التجارى وأوضاع الاجانب
فليها حتى الدول الإسلامية منها *

/ وإن المادوس للشريعة الإسلامية التى هى (شريعة عامة لجميع البشر لا للمسلمين
فحسب) والتي تبنتها الدولة العثمانية على المذهب الحنفى ، يرى فى صلبها احكاما خاصة
(بالمستأمنين) لا تخرج فى الواقع عما ورد فى تلك الاتفاقات والمواثيق فى بدايات
منحها - فالاجانب فى دار الاسلام هم (المستأمنون) ، وهم فى الاصل أهل (دار الحرب)
طلبوا الامان من المسلمين فى (دار الاسلام) فمنحوا من امام المسلمين أو من أحادهم •
وهذا الامان يمنح عادة اذا لم يكن منه ضرر على مجموع المسلمين • ولقد قررت الشريعة
الإسلامية للمستأمن فى دار الاسلام من الحقوق ما يقرب من حقوق الذمى لان المستأمن
هو بمثابة أهل الذمة فى دار الاسلام • فمن حق المستأمن أن تحمي الدولة ولا تؤذيه
ولا تسبب له الاذى لانه فى حمايتها ورعايتها وأمانها •

وله الحق فى الرواح والمجىء وفى حماية شخصه من أى اعتداء أو حبس أو عقوبة
بغير وجه حق ، وله الحرية فى التنقل فى دار الاسلام والاقامة حيث يشاء الا ما يخص
الحرم والحجاز اذ يسرى عليه ما يسرى على الذمى وله حق التمتع بمرافق الدولة وبالحقوق
الخاصة مثله مثل الذميين وهؤلاء فيها كالمسلمين مع بعض استثناءات ، وله حق مباشرة
جميع التصرفات القانونية لكسب المال وسواء باشرها مع المسلمين أو مع الذميين • وأن
حق الملكية حق مصون له ، وحكم أمواله هو حكم أموال المسلمين فى حرمتها • ويخضع
المستأمنون لضريبة تجارية تفرض على أموالهم المصلة للتجارة وهى فى الأساس العشر ومن
الجاز أن تكون أقل أو أكثر على قاعدة المعاملة بالمثل • الا أنهم معفيون من ضريبة الجزية •

أما كيف يسمح للاجانب بالقضاء وفق قانونهم الخاص وقض خصوماتهم أمام قناصلهم
بدلا من تطبيق نصوص التشريع الإسلامى عليهم ونظر القضاء المسلم فيهم فان المذهب
الحنفى الذى سارت عليه الدولة العثمانية أجاز فى الواقع تقليد الذمى القضاء على أهل
الذمة وجواز تولية المستأمن القضاء على المستأمنين اذا كانوا جميعا من دار واحدة ، ومن
هنا لم يكن حكم الفصل فى الخلافات بين مواطنيه بدعة أو امتيازاً • أما حول الشريعة

التي يتم الحكم بموجبها فإن معظم الفقهاء لا يقبلون الحكم بغير شرع الاسلام في دار الاسلام الا ان مراعاة بعض الامور المتعلقة بدين هؤلاء المستأمنين وأحوالهم الخاصة لا يخرج في الواقع عن اطار الشريعة الاسلامية ومفهوماتها العميقة فهي استثناءات اقتضتها ظروف المستأمن وتشبه تلك التي خص بها النسيون .

ومن كل ما ذكر سابقا يتبين أن جميع اليهود والمواثيق الممنوحة للجانبين في الدولة العثمانية لم يخرج في بداياته الاولى عما رسم في الشريعة الاسلامية فكأن تلك الانقياد في مطالعها عهد امان او عهد ذمة اوضحت للاوروبيين وثبتت تسجيلها ما كانوا يخجلونه من القانون الاسلامي يحقهم ، واذا كانت هذه اليهود قد أثارت الدارسين الغربيين ببسوسها ذات الروح الانسانية السخية وبفهمها العميق لحريات الانسان وحقوقه الطبيعية فلاها أتت مفارقة لتصوراتهم ومعتقداتهم وشرائعهم القائمة ، آنذاك .

الا ان أوروبا استغلت تلك الروح الانسانية الكريمة عندما ضعفت الدولة العثمانية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وتغلغل النفوذ الاسلامي فيها ، فوسعت حق القضاء الممنوح لها حتى أصبح لكل دولة قضاء خاص بها بمحاكمه وشهوده وقانونه ، كما انشئت المحاكم المختلطة وهذا ما دعا الى تسمية تلك اليهود والمواثيق بالامتيازات . ويلاحظ أن من رعايا الدولة العثمانية نفسها من اضموى تحت حماية قناصل السندول (المتأذ) هؤلاء من مسيحيين بخاصة ، وقد سمح لهؤلاء القناصل بأصدار براءات يعطى لبعض من يعمل معهم من الرعايا العثمانيين حق التمتع بما يتمتع به مواطنوهم من (الامتيازات) -

والآن ما هو الدور الذي لعبته هذه الجاليات الاوروبية في العالم العربي الاسلامي ؟ لقد أشرنا في مقدمة البحث أن هذه الجاليات قد لعبت دورا هاما في حياة المجتمع العربي على الرغم من انعزالياتها الظاهرة ضمن اسوار الخانات أو الفنادق التي أقامت فيها وقلّة عددها ، وفي الحقيقة لقد كان في هذا الدور ايجابيات وسلبيات على المجتمع العربي وان كانت سلبياته أكبر وأقوى من ايجابياته :

في المنحى الاقتصادي انشأت الجاليات الاوروبية بتجارتها في الحاصلات العنصرية الاسلامي التجارة الخارجية العربية بعد ان أصابها الركود نتيجة تحول طرق التجسّارة

العالمية عن البحر الابيض المتوسط وربطتها ثانية بالتجارة العالمية التي انتقلت بحاصة الى المحيط الاطلنطي . كما ان هذه التجارة في بدايتها أدت الى نشاط صناعي ملحوظ في هذا العالم والى تطور زراعي هام أخرج الزراعة العربية من حدودها الضيقة المرتبطة بالاستهلاك المحلي الى زراعة واسعة تعمل بهدف التصدير الخارجي وسد حاجة أوروبا من بعض المنتجات كالقطن والحرير والى ادخال مزارعات جديدة كالنخ و الطماطم وغيرها .

الا ان هذا الانتعاش الاقتصادي الذي عاشه العالم العربي الاسلامي في بعض مدنه وموانئه كان انتعاشا سطحيًا « ومحدودا » اذ أن الجاليات الأوروبية سمعت حينها لاجراج التجارة الخارجية تدريجيا من ايدي اصحابها الوطنيين لتجمع كل خيوطها المحركة من ايديها ، توجيهها كيفما تشاء : ويتضح هذا في اغراق البلاد بنقدها ولا سيما المزيف منه ، وفي الاستمانة بفتة ضئيلة من سكان البلاد تعاطفت معها لتقاربها الديني أو لمصلحتها الخاصة كالمسيحيين واليهود . وبذلك كانت هذه التجارة الخارجية لصالح تلك الجاليات وقلة ضئيلة جدا من المواطنين الذميين ، فهي أشبه بزرقة مورفين لمريض تمنع انتعاشا « أوليا » الا انها لا تلبث أن تضعف قواه وتسيطر على ملكاته وتقوده ارادته . كما انها كانت لصالح صناعاتها التي نمت في بلادها فأخذت تنافس بها صناعة العالم العربي الاسلامي وتميتها تدريجيا . ونفس الشيء يقال عن الزراعة التي لم يستفد من تطورها الجديد الا هي والاقطاعيون . وعلى الرغم من أن هذه الجاليات قد حملت الى الاسكالات اساليب عملها التجاري المتطورة الا أن التجار العرب ولا سيما المسلمين لم يأخذوا بها فظلوا محافظين على انماطهم التقليدية التي تعودوا »

اما اثرها في المنحى الاجتماعي فقد عاشت هذه الجاليات على حواف المجتمع العربي لان أكثرية المسلمة عزلتها وانكسرت عنها ، ولم تنظر اليها نظرة ود وترحاب . وبالطبع فانها بحثت في هذا المجتمع عن الفئات التي يمكن أن تنقارب معها ، ووجدت في تلك المنسجمة معها دينا كالمسيحيين واليهود مطلبها ، ووجد هؤلاء بالمقابل مصلحة اقتصادية كبيرة في التعامل معها ، فعملوا عملاء تجاريين لها ومترجمين ووسطاء ، وبذلك انتعشت هذه الفئات اقتصاديا واجتماعيا ، وكون المسيحيون منهم بخاصة طبقة بورجوازية جديدة محدودة العدد تختلف في عقليتها عن مسيحي القرى والمدن الصغيرة : اذ أخذت تميل

الى تقليد أوروبا في عملها حتى أصبح لها هي الأخرى ممثلين تجاريين في بعض جوانب أوروبا ومدنها كليفورن في إيطاليا مثلا ، كما شرعت تقب الجاليات التي تعمل معها في كثير من مظاهر حياتها ولياسها . ولقد دفعها هذا (التأثر) الى الانفصام عن حياتها الشرقية بل واحتقارها ، فضمف ولاؤها لدولة الحاكم ولا سيما أنها تختلف عنها ديناء وأخذت تسعى لتربط نفسها بالدول الأوروبية حتى أن بعضها طلب إراءات رسمية تمنحه رعاية تلك الدول . هذا بالإضافة الى أن غنى هذه الفئة أغرى كثيرا من القرويين بالهجرة الى المدن للجمال في التجارة الخارجية ، وكان من نتائج هذه الهجرة اختلال التوازن الاجتماعي السابق في المدن الكبرى وتوسع الشقوق الصغيرة التي كان يشكو منها تركيب المجتمع العربي والتي كادت تلتئم من جراء الحياة المشتركة المتسامحة التي كانت تعيشها فقاته على الرغم من الاختلافات الدينية الموجودة بينها . ولم يكن هذا التصدع الجديد في التركيب الاجتماعي نتيجة لزيادة عدد الاقليات الدينية في بعض المدن فحسب وإنما نتيجة استغلال الجاليات الأوروبية الدينية لتلك التجمعات المسيحية الكبيرة نسبيا لتقوم بعملها التبشيري فيها ، ذلك العمل الذي نجح في قسم كل طائفة من الطوائف المسيحية الشرقية الى فريقين متنازعين وخلق كنيسة كاثوليكية ترتبط بكنيسة روما . وهذا في الاوساط المسيحية أما في الاوساط اليهودية فقد ادت تجارة الجاليات الى ازدياد القوة الاقتصادية والمالية لليهود نتيجة تعاملها معهم ولا سيما في نطاق العمليات التجارية المصرفية حتى غدوا عصب التجارة الخارجية ومحركها الاول . وقد أدى هذا بالتالي الى نمو شعورهم بضرورة التضامن مع يهود أوروبا والعالم لتكوين كتلة يهودية تفديه (الكابالية) الصوفية التي اتخذت (صفدا) مركزا من مراكز بثها الفكري . وبالإضافة الى كل تلك الآثار الاجتماعية السلبية فإن الاحتكاك بين الجاليات الأوروبية والاقليات الدينية قد نقل معه بعض العادات والتقاليد كتدخين التبغ ولعب الورق ، والرغبة في تقليد الأوروبيين في انماط لهوهم وحياتهم . وفي الحقيقة أن الاثر الاجتماعي قد بان في الاقليات الدينية التي احتكت بهم أكثر مما ظهر في مجموع المجتمع ، إلا أن ذلك المسرب المحدود ما لبث أن اتسع وانتقل الى الاوساط الإسلامية تدريجيا بالاحتكاك مع تلك الاقليات .

والامر نفسه يقال عن الاثر الثقافي ، فالى جانب تأثر اللغة العربية ببعض الكلمات التجارية الاجنبية ولا سيما الإيطالية ، فان المدارس التي أوجدتها البعثات التبشيرية في بعض المدن والقرى قد حملت انماط التعليم الاوروبي والعلوم الحديثة الى العالم العربي الاسلامي . وقد وافق هذا ادخال الطباعة بالعربية في القرن السابع عشر مما ساعد على خلق نهضة فكرية في الاوساط المسيحية اتجهت الى احياء الآداب العربية ، والدراسات الدينية لمسيحية ، والبحث عن المخطوطات العربية ، مقلدة بذلك خط عمل المبشرين الدينيين الاوروبيين أنفسهم .

واذا كانت هذه المسيلة من النهضة الفكرية عملا ايجابيا سيعطى اكله في القرن التاسع عشر فان وجود الجاليات الاوروبية المدنية والدينية على الارض العربية وكثير منها متعلم ومثقف كان عاملا في (سلب) العالم العربي قسما كبيرا من كنوزها الحضارية : فقد اهتمت هذه الجاليات بحضارات هذا العالم ومخلفاته ، وعرفت مواطنيها بها عن طريق ادب رحلات غزير ويحث حثيث عن الآثار القديمة والوسيلة الناجمة عن تلك الحضارات وعما تركته وراءها في هذا العالم من مخطوطات عربية وعبرية وسريانية وغيرها . ولم تكتف بذلك بل سعت الى قتناؤها بكل الوسائل وارسالها خفية الى أوروبا . ويمكن القول ان اكبر نزع شاهدهه المكتبة العربية المخطوطة يرجع في الواقع الى القرنين السادس عشر والسابع عشر اذ كانت هناك حملة علمية مركزة لهذا الغرض أسهم فيها الملوك والأمراء والعلماء والمستشرقون الاوروبيون واعتمدوا فيها على الجاليات لتحقيقها .

هذا قليل من كثير من نتائج وجود الجاليات الاوروبية على الارض العربية ولكن أهمها النتيجة السياسية التي تلخص بانها كانت مقدمة استطلاعية للاستعمار السياسي الذي تلاه بعد قرون . ولن نقول كما قال المؤرخ (مانتيران) بان هذا كان انتقاما للمسيحية الاوروبية من الاسلام المنتصر دوما ، وانما نقول ان الدولة العثمانية بسليبتها وجهلها لمقومات الشورى الاوروبية في العصور الحديثة كانت العامل الرئيسي كسلطة حاكمة في تقديم العالم العربي الاسلامي لقمة سائغة لشراة الاقتصاد الاوروبي الحديث ، لا باغلاقها هذا العالم في وجهه كما درج على القول كثير من المؤرخين - وانما فتحها له وهذا العالم سادر في تقوقعه وجود مفهوماته الحضارية .

وأخيراً وبعد ، ما المقزى من هذه الدراسة بالنسبة لحاضرنا ؟ اننى ارى فى العرض اللاحث السابق عفا وتواضحة لنا فى تعاملنا مع أوروبا والعالم الخارجى بمجموعه بجميع كتله السياسية والمنهبيه ، فهو يزودنا بوعى أكبر لحاضرنا ومستقبلنا ، وما يمكن أن يكون للجاليات الغربية عن عروبتنا من آثار سلبية وإيجابية فى مجتمعاتنا • فلنسمح بتعاملنا معها واعين ، الى اعدام السلبى منها وتنمية الايجابى لصالحنا واخصابه • هذا بالنسبة للجاليات فى أطر مجتمعاتنا • أما حول جالياتنا المنبثة فى كل ركن من أركان المعمورة فعلينا أن نؤمن أنها قادرة مهما قل عددها أن تلعب دورا ما لصالح اقتصادنا وقضايانا وتطورنا • فهى قادرة بتجمها وتنظيم نفسها تنظيما لا يتعارض مع نظم المجتمعات التى تعيش فى نطاقها ، ويمتابة ارتباطاتها باوطانها عن طريق ايجاد منظمات فى تلك الاوطان تشرف عليها وتوجهها ، وعن طريق اعلام متبادل بينها عبر المجالات والنشرات والصحف والكتب والاذاعة والتلفزيون والمراسلات الخاصة ، أن تخدم هذا المجتمع بأن تحمل اليه كل ما هو جديد سليم من المجتمعات التى تعيش بينها وذلك فى جميع الميادين الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والفنية - كما فعلت الجاليات الاوروبية فى الماضى - وأن تحمل من مجتمها الام الى تلك المجتمعات زبدة الحضارة العربية الاسلامية ، وتنقل قضايا مجتمها اليها لتتحسس بها وتعاونها على ايجاد حلول صحيحة لها كجزء من النضام الانسانى العام ، على أن يكون التعريف بتلك الحضارة والقضايا لا عن طريق النشر الكلامى المنطوق والمطبوع فحسب وانما عن طريق السلوك القويم والتعامل الرفيع والعمل الجدى المثر لصالح تلك المجتمعات وصالحها • الا أنه لابد لدول هذه الجاليات العربية أو لاية منظمة عربية مشتركة يمكن أن تنشأ فى المستقبل لجسمها والتخطيط لها ، أن تبقى هذه الفئات على صلة وثيقة بمجتمعاتها وقضاياها الكبرى بشتى وسائل الاعلام والاتصال ، وأن تتعرف باستمرار على جميع نشاطاتها ، وأن تستفيد من تلك النشاطات فى مواطنها ، وأن تزودها دائما بالمون فى جميع المجالات والا تتركها تفرق وسط زحام المجتمعات الاخرى التى تعيش بين يديها •

أما الاقليات الاسلامية المنبثة فى كل ركن من أركان العالم فهى على الغالب مواطنسة محلية تدن بالدين الاسلامى ، وعلى المجتمع الاسلامى أن يبحث فى طرق تعليمها الدين

الصحيح وقيمه وكيفية بنها لصالح مجتمعاتها ، كما يمكن للجاليات العربية المقيمة
مها والمائلة لها دينا أن تقوم بالتقريب منها عن طريق انشاء علاقات
اقتصادية واجتماعية وفكرية واسعة معها ، لتكون تلك الاقليات تطبقها مبادئ الدين
القوم عنصر حياة خصبة وسلام ومحبة في مجتمعاتها •

فالجاليات العربية والاقليات الاسلامية في العالم يجب أن تكون رسل الحضارة التي
تحملتها أي رسل سلام ومحبة وتسامح ، وتعاون ، وعمل مثمر لصالح المجتمعات التي
تعمل فيها وتميش بين ظهرانيها ، ولصالحها ، وأخيرا لصالح المجتمعات التي انتشرت
منها والمبادئ الدينية الانسانية التي تؤمن بها •



وضع الجاليات الأوربية في المغرب

د. سلفاتورى بوتو

استاذ تاريخ بجامعة روما

- إيطاليا -

ليسمح لى أولا بتوجيه شكراتى الى السيد الوزير مولود قاسم لدعوته لى بالمشاركة فى هذا الملتقى الثامن للتعرف على الفكر الاسلامى . فانا ممنون له على الخصوص للفرصة التى آتاهها لى للتعرف على مدينة بجاية الجهاديين التى ستأخذ مرة اخرى حضارتها وازدهارها عبر التاريخ فى هذا الملتقى .

ويحلو لى التذكير باننا نجد فى الوثائق الايطالية كثيرا من الاخبار ذات العلاقة بالتطور التجارى والصناعى لهذه المدينة التى تحتضننا اليوم . ففى القرن الرابع عشر مثالا ، تحدث الفلورانسى « فايزو ديفل اوبرتى » صاحب القصيدة الشعرية المشهورة « ايل ديتامونتو » عن هذه المدينة قائلا : لقد وايت بجاية التى يحدها العالم اجمع .

ان اختيار مسألة الاقليات والجاليات المهاجرة كموضوع أول فى هذا الملتقى ليبين لى ملائمة جدا . فهذا الشكل يستأثر اليوم اكثر فاكثر باهتمام المسؤولين السياسيين

والاختصاصيين فى الموضوع الذين ينظرون اليه من مختلف جوانبه القانونية والسوسولوجية ، والانثروبولوجية الثقافية ، والتاريخية - ففى شهر ماى القادم سيعقد بايطاليا ، وفى ترييستا على وجه التحديد ، مؤتمر دولى لبحث مشكل الاقليات * وسيدرس ملتقاه - كما ينبغي - هذا الموضوع الهام فى اوسع ابعاده وذلك بالرجوع الى كل القارات مع العناية الخاصة باقليات وجاليات الهجرة الاسلامية ، وسينظر الى المشكل خاصة من وجهة الواقع السياسى الاجتماعى الراهن *

ومن ناحيتى ، اود أن اصدى لاشغال الملتقى حول هذا الموضوع مساهمة من نمط تاريخى تهم المغرب * فبماكان التاريخ فى الواقع - وهذه هى القناعة التى تقود اعمالى واعمال كل المؤرخين - أن ينعنا أمثة ويقسم لنا مقترحات عمل فى الواقع المحييط بنا * وفى اطار هذه العقلية ، حاولت أن اتفحص المعالم البارزة لتاريخ وجود الجاليات والاقليات الاوروبية فى المغرب *

واذا ما طرقتنا موضوعنا مباشرة أمكننا أن نلاحظ بادىء ذى بدء أن المغرب منذ فجر الاسلام حتى القرن الماضى ، غالبا ما كان يارى ، بل ونستطيع ان نقول : « دائما » ابتداء من القرنين 12 و 13 ضمن دوله ومجتمعاته عناصر وفئات وجاليات من مختلف الاقطار الاوروبية وخاصة من البلاد المتوسطية ايطاليا وفرنسا واسبانيا * ويمكن ان نقول منذ الآن بأن هذا الوجود لم يكن ينطوى على أى مظهر أو علاقة استثمارية ، ويمكن أن نتحدث عن استثمار أو امبريالية سابقين لاوانهما - مثل المورماندين أو الاراغونيين ، القشتاليين أو الفرنسيين - عند التحدث عن احتلال هذه الدول الاوروبية لبعض القلاع المحصنة أو لبعض جهات المغرب لحق تقصر أو تطول * لكن هذا الموضوع يشكل ظاهرة مستقلة تختلف تماما عن الظاهرة التى نريد ان نعنى بها هنا *

ان هذا الوجود لعناصر أو لطوائف اوروبية مستقرة بصورة قانونية فى مدن المغرب وخاصة فى المدن الساحلية ليسشكل مظهرا يتميز به تاريخ المغرب ، فالوجود السلمى لهذا الائتلاف الاجنبى ، الخاضع للقانون والمحمى من قبل هذا القانون نفسه ، وكون هؤلاء الناس اندمجوا بصورة منظمة ومفيدة فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية المحلية ، بل

واختلاطهم وامتزاجهم بالعنصر المحلي الى درجة ما ، ليشكل واحدا من ملامح تنوع و ثراء مظاهر الحضارة في المغرب ، وتمثل - مع غيرها - جزءا من اسهام المغرب الاصيل في التاريخ والحضارة العالمية .

وقبل الخوض في موضوع هذا الوجود الازوي بالذات من الوجهة العرقية والسياسية قد يكون من المناسب الاشارة الى مكان يوجد في المغرب الاسلامي من مجموعات صغيرة من السكان - الاهالي منهم أو احفاد الرومان والبيزنطيين - الذين استمروا في اتباع المسيحية . وصحيح ان ما نملكه بهذا الصدد من وثائق تاريخية قليل جدا ، وكل ما لدينا ان هو الا اشارات وتلميحات غالبا ما تكون متسرعة غير واضحة ، نجدها في آثار المؤرخين والجغرافيين العرب ، وبعض الوثائق الواردة من الجهات الدينية المسيحية ، وشواهد مما نجده في نصوص غربية ، وشهادات أثرية .

ففي بلاد طرابلس مثلا ، تشبه كتابات ضريحية بوجود مسيحي حتى الصام الالف تقريبا ، وفي القيروان كانت توجد كنيسة في القرن التاسع ، وعثر فيها كذلك على قبور مسيحية ترجع الى نصف القرن الحادي عشر . وبعض الجيوش من المسيحيين الذين هربوا من المدن الساحلية أمام زحف قوات الفتح الاسلامي بحثت عن ملاجئ لها في المناطق الجبلية أو في محلات متاخمة للصحراء ، وظلت تحافظ لمدة من الزمن على معتقدات وتقاليدهم مسيحية . وفي عام 1068 كتب الجغرافي العربي البكري يقول : « توجد في تلمسان آثار لبنانيات قديمة وبقايا لسكان مسيحيين ما يزالون موجودين ليومنا هذا ، وهناك أيضا كنيسة ما يزال يتردد عليها المسيحيون » . ان عدد الجماعات المسيحية بأفريقيا - التي سادت من بينها لمدة طويلة جماعة قرطاجنة نظرا لسمعتها ولسلطانها - راح يتضاءل ويتناقص عبر العصور خصوصا على اثر وصول القبائل الهلالية الى المغرب فبدأ سبيل القرنين السابع والحادي عشر . واستطاعت هذه الجماعات أن تحافظ على بعض العلاقات مع المركز البايوي على الرغم من أن هذه العلاقات لم تكن وثيقة كما تشهد بذلك بعض رسائل البايوات « ليون التاسع » ، « وغريغوار اسابع » .

وتود أن نذكر في هذه المدينة بالذات ان الامير الحمادي الناصر تحلى بالعدل والسخاء ازاء الجماعات المسيحية التي تقيم بالتراب الذي كان يحكمه ، وكان لهذه الجماعات

من حين لآخر علاقات مع المركز البابوي ، وبخاصة في عهد البابا الاكبر « غريغوار السابع » وبمناسبة زيارة أحد ممثلي المجمع الكنسي المحل لروما ، بعث الامير الناصر برسالة وببعض الهدايا الى البابا « غريغوار » الذي أجابه في عام 1076 وشكره على لطفه ، وحمد له أريحيته وشهامته . ومما كتبه البابا للملك المغربي ما يلي : « ان الله القادر على كل شيء الذي يقضي بأن ينقذ كل الناس ، وبأن لا يقع أحد منهم في الهلاك ، لا يقل منا في الواقع أكثر من حيننا لامثالتنا ، بعد المحبة الواجبة علينا نحوه ، والعمل بما يفرضه الاثر القائل : (عامل غيرك بما تحب أن يعاملوك به) » ونحن أي المسيحيون والمسلمون ، يتعصن علينا خاصة وأكثر من الشموخ الاخرى أن نصل بفضيلة الاحسان ، نحن واياكم الذين نعبد ، بأشكال مختلفة — نفس الاله الواحد ، والذين نحمد فيه وتقدس كل يوم ، خالق الدهور ورب العالمين »

واستمر الحاديون في حماية المسيحيين طيلة ملكهم ، وفي القلعة عاصمة المملكة الاولى كانت توجد عام 1114 كنيسة اهديت لمريم العذراء وكان يسكن فيها أحد الاساقفة .

ان هذه المظاهر من تاريخ المغرب لما يزيد عن قرون ، وهذه العلاقات القائمة على احترام متبادل كامل بين الاسلام والمسيحية لتشرق — على ما نعتقد — حضارة المغرب وتفتد اتهامات النزعة التعصبية الموجهة فيما بعد الى الاسلام من قبل الاستعمار لشرير ما يهدف اليه من هيمنة وقمع . وفي نفس الحقبة من ناحية أخرى ، في صقلية التي كان يحكمها العرب قبلا ولدة تقارب القرنين ، كان الملوك السورمانديون يحترمون ويحبون الذي تبقوا من المسلمين بالجزيرة . وكان « روجر الثاني » يستقبل بكل اجلال وتكريم في قصره رجال العلم والعلماء من العالم الاسلامي ، ومن بينهم الرحالة الشهير الادريسي الذي اهداه مصنفه في الجغرافية وتقويم البلدان »

ان وجود آخر للعناصر المسيحية بالمغرب الوسيط قد يدعشنا اذا ما قابلناه بتصوراتنا وبمقلبتنا الراحنة . ونحن نشير هنا الى رجال الميليشيا المسيحيين الذين كانوا يخدمون سلاطين المغرب ، وأول ما نعلمه مما يتعلق بهذا الامر جاءنا من العربي ابن الاثير : ان قبيلا من الجيوش المسيحية (الفرنج) كان في خدمة المرابطين ، غير أنه لم يرق بواجبه

كما ينبغي حين هاجمهم الموحدون عام 1142 * وكذلك جند الموحدون قوات مسيحية وقد استصحب السلطان عبد المؤمن معه الى المغرب قبيلقا قوامه ما بين عشرة أو اثني عشر ألف رجل من الاسبانيين الذين قدموا من الاندلس * واحتفظ بهذا الفيلق من القوات - بفضل تجنيدات تالية - خلفاؤه كما تشهد بذلك بعض الرسائل البابوية التي كانت تهتم بالمصير الروحي لهؤلاء المسيحيين * ولدى ملوك تلمسان وتونس نجد قبائل ما ثلث من القوات المسيحية من عدة آلاف تدعى « الرماة المسيحيين » ، أو « الجيوش الفرنجية » أو الميليشيا المسيحية * ، وهذه القوات التي يوافق على تجنيدها الأمراء المسيحيون بل وحتى البابوات ، تاتمر بأوامر رؤساء وقادة من أمتها ومن دينها ، لكنها تنلقى جراياتها المالية وأوامرها العامة من الحكومة العربية * وإذا ما ولد أمير من الأمراء ، كانت الميليشيا تأتي شأنها شأن باقي هيئات الدولة للاعراب عن ولائها للملك الجديد * ولم يكن الموحدون يقبلون المسيحيين في صفوف جيوشهم فحسب * بل كانوا غالبا ما يدعونهم الى خدمة القصر ، ولشغل مناصب في الحكومة حتى ولو كان عدد هؤلاء الخدمة أو الموظفين المسيحيين ظل محدودا على الدوام *

والوجود الأكثر انتشارا - حتى لو كان من حيث العدد أقل ثباتا - للعناصر الاوروبية في مدن المغرب كان مرتبطا بالتجارة * فالبحر الابيض المتوسط لم يقم عائقا خلال العصور الاخيرة ، بل على العكس من ذلك ساعد على قيام العلاقات بين سكان سواحله المتقابلة ، لتكون المسافات البحرية كانت لغاية مطلع القرن الماضي اسهل لعبور كثيرا مما كانت عليه المسالك البرية القارية ، ومنذ القرون الاولى لفتح الاسلامي لافريقيا الشمالية ، أعيد تنشيط المبادلات مع بلاد اوروبا المتوسطية ، وهي مبادلات كانت من قبل مزدهرة في عهد الفينيقيين واليونان ، والرومان ، وكانت التجارة مع امتزاجها في الاحداث السياسية بالمغامرات أو الصراعات بين الاسلام والمسيحية ، تجرى في خطوط مسجلة بعض الشيء ، وتحظى بالاسبقية بالنسبة الى العلاقات السياسية ، وبلاستمرارية لما وراء انقطاعات مؤقتة ، ويرجع ذلك الى كون العلاقات التجارية تحقق منفعة متبادلة حقيقية *

وطوال القرون الأولى من الحساب الهجري ، كانت معلوماتنا نادرة جدا وجزئية تماما ،
وابتداء من القرن الحادي عشر اغتنمت هذه المعلومات ، وانتهت الينا خلال القرون التالية
كذلك نصوص اتفاقات وعقود ووثائق أخرى .

وكان الايطاليون وبخاصة الجمهوريات البحرية التي تحتل مكان الطليعة فيما
يتعلق بالملاحة والتجارة بالعالم المتوسطي في العصر الوسيط الاوائل ، وظلوا أكثر
نشاطا ، في المبادلات مع المغرب . فالولا كان سكان « آملغي » ثم « البندقية » ثم
البيزنطيين « ثم سكان جنوة » وكانوا يستوردون الصوف ، والجلود الخام ، والجلود
المذبوغة ، وزيت الزيتون ، والشمع ، وكان شمع بجاية مشهورا لجودته ، وتدعى بجاية
بالايطالية « بوجيا » الذي يعنى بالضبط « بوجي » وحامل الشمعة . ان التجار الايطاليين
الذين ينظم اليهم الكاطاليون والمرسيليون وأوروبيون آخرون يبيعون المواد المعدنية من
النحاس والحديد والقصدير ، وأقمشة من القطن والصوف والحيط والحريز ، والقنب
وأسلحة ومصنوعات زجاجية ، وصمغ ، وطلاءات ومختلف الاواني الخشبية والمعدنية ،
وتستفيد الظروف الاقتصادية للمغرب المتوسطي من هذه التجارة حيث يتولى المغرب كذلك
دور الوسيط بين أوروبا وبلدان ما وراء الصحراء ، بلاد السودان الذي يأتي منه
الذهب الثمين في الاقتصاد المتوسطي .

ولتطلبات تجارية ، يحدث أن يستقر شيئا فشيئا بعض الاوربيين في مراكز المغرب
التجارية ، وفي بعض المدن . وقد تكونت في القرن الثالث عشر مجموعات ، وجماليات
صغيرة حقيقية ، ولهذه الجماليات تضمن المعاهدات المبرمة بين الحكومات الاوروبية والملوك
المحليين سلامة الاشخاص والممتلكات ، والحرية والتنسيهات لممارسة التجارة ، وفي
نفس الوقت تفرض قواعد واجبات محددة . ففي كسل من تونس وطرابلس وقابس
والمهدية وبجاية وعنابة ووهران ومبنة وغيرها تملك مختلف الجماعات الوطنية من
البيزانتيين والفينيسيين والجنوبيين ، والماجوركان ، والبروفانسيسيين ، والارغونيين ،
والمرسيليين ، والفلورانسيسيين مجموعات من المنازل والمساكن مما نسميه مستودعات
وبالايطالية « فوندكو » (وهو مأخوذ من الفندق بالمرية) وهذه المنازل والمساكن
والمستودعات تبلغ في بعض الاحيان ابعادا حتى صغير مخصص لوطاني جنسية معينة .

ففى المستودع يجدون علاوة عن المساكن ، ديوانا قنصليا وقرانا ، وحاما . وبهذا الصدد ، حين لا يكون الحمام موجودا داخل المستودع ، تنص الاتفاقيات على تخصيص الحمامات العمومية فى يوم من ايام الاسبوع ، لافراد الجالية المعنية .

وتوحد مستودعات الجاليات المسيحية على العموم الواحد الى جانب الآخر فى نفس الحى من المدينة الذى يدعى عموما الحى الفرنجى ، وأحيانا يوجد فى ريف خارج المدينة . وللقنصلية الاوروبيين حسب الموائيق والمعاهدات ، الحق المقصور عليهم فى رعاية مواطنيهم ، وهذا كان يتماشى مع القانون الدولى حينئذ . ومن ناحية اخرى كانت المعاهدات تفرض على الاوروبيين أن لا يترقوا ، الا لضرورة ملحة ، الا حراس السواحل المنصوص عليها فى الموائيق والمعاهدات ، أو بموجب استعمال قلمي توثيقى مثل الاسواق المفتوحة للتجارة الخارجية . وقد غبضت هذه القاعدة لضمان الرقابة الجمركية والمالية للعمليات التجارية . وتوجب الاتفاقات على الاوروبيين من ناحية اخرى أن يتجنبوا كل ما من شأنه أن يجرح السكان والمشاعر الدينية للعرب ، وكنتيجة لذلك ، أن لا يباشروا حرية اداء الشعائر المسيحية الا داخل الكنائس أو المؤسسات المخصصة لمكثى الاجانب .

وفى المغرب الوسيط ، نجد الى جانب التجار والقنصلية ، والقوات الاوروبية التى تخدم الملوك المحليين ، عناصر اخرى من اصل اوروبى خاصة ، وليس بالضرورة من البلاد المطلة على البحر الابيض المتوسط ووجود هذه العناصر التى ستتحدث عنها الآن مرتبط بظاهرة انتشرت فى المتوسط لذلك العهد . وهى حرب السباق ، والقرصنة الحقيقية فى بعض الاحيان التى تقنن أو تمارس خارج كل قانون ، أو كن اذن حكومى . وهذا الضرب من الحرب البحرية المعروف فى البحر الابيض المتوسط منذ الازمان الغابرة لم يختلف نهائيا ، بل كان المسيحيون والمسلمون فى العصر الوسيط يبارسونها على حد سواء . ولم تترك حرب السباق هذه ، نظرا لطبيعتها ، الا قليلا من الآثار فى الوثائق وفى المصادر التاريخية ، لذلك ، فمن الصعب التاكيد بكل يقين أى الجانبين فقد السيطرة فيها ، وفى أى تاريخ كان ذلك .

ان ممارسة السباق تتضمن ، الى جانب القبض على سفن الاعداء وغنائم اخرى من شتى الانواع ، استعباد الرجال المأسورين من الملاحين والمسافرين على ظهر تلك السفن .

قال نشاط القراصنة يرجع اذن وجود العبيد في البلاد المسيحية ، كما في البلاد الاسلامية اولئك العبيد الذين يصبحون بدورهم موضوع مبادلات ومتاجرة ، وانها حقيقة تاريخية يمكن ان تدعشنا ، وتتناقض أكيدا مع مفاهيمنا القانونية والاخلاقية الراحنة ، لكن لا يسعنا ابدا ان نتجاهلها أو ان تقلل من أهميتها .

وابتداء من مطلع القرن السادس عشر ، ارتفع نشاط القراصنة الذين ينطلقون من سواحل المغرب بوصول رؤساء قراصنة أتراك محتكين جريئين - ممن لعبوا دورا هاما في حياة المغرب - فقد غدا عروج وخير الدين الاخوان بربروسي سادة الجزائر وجعلها منها مركزا نشيطا جدا للحرب السريعة ، واستقر رؤساء قراصنة آخرون في محلات أخرى ، ومن بينها تونس في آخر الامر بمرصاها « لاغوليت » وطرابلس - واستمرت الحوادث المحققة للنزاع المجدد بين أوروبا المسيحية بقيادة امبراطورية هابسبورغ ، والاسلام المتوسطي الذي تشكل الامبراطورية التركية طيمته حتى حوالي نهاية القرن 18 ، وجرت في نهاية الامر الى دعم ثلاث مدن كبرى من دولة القراصنة في المغرب ، وهذه المدن « الدول » هي الجزائر وتونس وطرابلس ، وهي الايالات البربرية كما كانت تعرف منذ ذلك العهد في الاستعمال الاوربي .

ومن نهاية القرن الخامس عشر حتى العقود الاولى من القرن الاخير، ظلت حرب السباق واقعا دائما في البحر الابيض المتوسط ، وكان البربريون فيها ابطالا ، ولكن كان هناك ايضا قراصنة اوروبيون ومن هذا القبيل يجب ان نعتبر فرسان مالطة وفرسان « سانت اتيان » من اجل اوضوعية التاريخية . وكان البربريون يمارسون حرب السباق ليس فقط على حساب السفن التي تجوب البحر المتوسط ، بل أيضا بالنزول في الشواطئ الاوروبية وبمهاجمة المدن ، وكان ينجم عن ذلك تدفق مستمر للعناصر الاوروبية المستعبدة على المدن البربرية ، وهذه الظاهرة معروفة جيدا وتؤيدها شواهد كثيرة وعدة نصوص لكتائب اوروبيين يعنحون على العموم ، الى رسم لوحة أكثر قتامة مما هي عليه في الواقع ، والى السعي فقط الى إثارة ما يدور الى التنديد والتشنيع بالمسلمين دون ان يظفروا في ذلك الى كل الجوانب . وواضح اننا نذكر هنا هذا الجانب من تاريخ المغرب دون ان تكون لنا اية نية لإثارة الجدل أو الحسام اللفظي ، ودون أي سوء للتقدير ، فنحن نعرف

في الواقع ، وقد سبق ان قلنا ذلك ، أن هذه الظاهرة تشترك فيها ضيقا البحر الابيض المتوسط . فبينما كان المستعمدون المسيحيون يتألمون في المدن البربرية ، كان مسلمو المغرب - يحتفظ بهم كمبيد في ظروف قاسية جدا ، بالعديد من مدن الساحل الاوروي . وتهمنا ظاهرة الاستعباد بالنسبة الى الموضوع الذي نريد معالجته بهذه المناسبة ، فلنحاول بادىء يده اعطاء بعض الاشارات الكمية : ففي العترة الحاسمة من حرب السباقي فيما بين القرن السادس عشر والقرن السابع عشر ، كان بمدينة الجزائر التي أصبحت في عهد ما المدينة الأكثر ازدهارا بالسكان والمدينة الأقوى في المغرب ، ما بين 25 و 30 ألف عبيد ، وفي نفس الوقت كان عدد العبيد الاوروبيين يرتفع الى عشرة آلاف في تونس ، وما بين أربعة أو خمسة آلاف في طرابلس . وخلال القرن السابع عشر ، حين أخذت حرب السباقي تتضاءل وتغرب ، أخذ عدد العبيد (يتناقص) تدريجيا في المدن البربرية الثلاث مع زيادة قطع خلال عهد نابوليون .

وزيادة على العبيد ، كان مثل السابق ، أوروبيون آخرون في المدن البربرية ، فقد كان يوجد بها ممثلون قنصليون ، وتجار ، ورجال دين ، وقد اقيمت العلاقات القنصلية الأولى من قبل فرنسا التي احتفظت بأحسن العلاقات مع الاسلام ، حتى خلال احتدام النزاع المتوسطي ، وكنا بعد ذلك نشهد قنصليات لدول أوروبية أخرى . وقد يبدو وجود تجار أوروبيين متناقضا مع وجود حرب السباقي ، لكن هذه الحرب التي تخللتها في الواقع فترات هدنة مبدئية على الأقل مع هذه الدولة الاوروبية حيناً ، ومع تلك الدولة الأخرى حيناً آخر ، لم تكن تحول دون التجارة حسب المتطلبات المتبادلة للتبادل التقليدي ، بل يمكن القول بأنها هي التي كانت تمول التجارة جزئياً . فالتجار الاوروبيون يشترون فعلا مقام القراصنة لشحنها من جديد الى أوروبا ، وهم من ناحية أخرى يلعبون دور الوسيط لاعادة شراء العبيد ويحصلون على فوائد وأرباح ممتدة من هذا النشاط . وكان رجال الدين أخيراً أول الاوروبيين الذين يؤمنون المدن البربرية لغايتين اثنتين : مساعدة العبيد المسيحيين روحياً ، والسعى الى تحصيل المبالغ اللازمة لافتدائهم في حدود الاموال المتاحة لهم ، والواردة اليهم من صدقات المحسنين الاوروبيين . وكان بعض رجال الدين يتوجهون الى بلاد البربر لفترات قصيرة للقيام بالدور الذي انيط بهم والمتمثل في تدبير

افتداءات محددة ، وكان آخرون ، بالمقابل ، يقيمون بصورة دائمة فى المدن البربرية حيث أسس ابتداء من تاريخ ماسلم تبشيري منتظم يخضع لجميع الدعوة المسيحية ، وهذا من جديد برهان آخر على روح التسامح والاحترام حيال الدين المسيحي من الجانب الاسلامي ، وهو موقف كان أقل انتشارا بكثير فى الارض المسيحية .

والى جانب « الاقلية » التى يمثلها العبيد المسيحيون ، وتجمعات الاوروبيين الاحرار ، من التجار والقناصل ورجال الدين ، واعوانهم ومساعدتهم ، وبعض المسيحيين الآخرين الذين يصلون فى هذا القطاع أو ذاك ، نجد فى الاطار الواسع المتنوع الذى تمثله أى مدينة بربرية تجمعا آخر من اصل أوروبى لكنه عميق الاندماج بالمجتمع الاسلامي ، أى أولئك الذين نبهوا الديانة المسيحية واعتنقوا الاسلام . انهم فى معظمهم عبيد دفعتم الى اعتناق الدين الجديد الظروف التى كانوا يعيشونها ، لكنهم فعلوا ذلك على العموم عن طواعية واختيار ، على انه حدث كذلك أن رغب أوروبيون يطلق ارادتهم فى ترك العالم المسيحي لاعتناق العقيدة الاسلامية ، والاضواء تحت لواء البربرية ، وكان هؤلاء الاوروبيون من التجار ، وأرباب السفن أو من البحارة الذين قدموا الى بلاد البربر من أجل العمل ، ومن العسكريين الذين فروا من المعاميات الاسبانية خصوصا من وهران ، وثمة أوروبيون آخرون كانوا يقدمون الى المدن البربرية من أجل اعتناق الاسلام والاندماج فى عالم أكثر حرية وعدلا من العالم الذى اتوا منه ، فقد كانت عدة بلدان أوروبية يحتاجها فى الواقع لذلك العهد نظام « سياسى واحتياجي » تحكمى « استبدادى » وقمى . فلقد كانت ولادة أى فرد تشترط تماما حياته الاجتماعية حيث تقوم امتيازات البعض - وهم النبلاء والافغيا ، وذوو الباس الاقوياء بالتمايز عن الآخرين الذين خلقوا للطاعة والانتقاد . وكانت لمدينة البربرية تتراعى لهؤلاء باسم الاسلام ، علما من التسامح والمساواة والحرية .

وكان اعتناق الاسلام يدمج فى العالم البربرى وفى مساواة تامة ، رجالا يأتون من بلدان أوروبية مختلفة . فقد كانت تتاح لهم امكانية الاغتناء السريع والارتقاء فى سلم المراتب الاجتماعية ، واحتلال حتى أعلى مناصب المسؤولية فى الحياة السياسية والعسكرية للولايات . ولنذكر فقط على وجه المثال اسماء حسن أغا السرديني الذى حكم الجزائر

لحساب خير الدين بربروس ودافع عنها ضد هجوم الامبراطور « شارل كانت » ، وحسن باشا ، وهو في الاصل من مدينة البندقية الذي حكم الجزائر من عام 1577 حتى عام 1580 ، ثم عالج على الشاب الكالابري الاصل الذي غدا باشا طرابلس بعد وفاة « دراغوت » ثم سلطانا للجزائر . لكن الذي يعنينا اكثر في موضوعنا هذا ليس فقط هؤلاء الابطال الافراد ، مهما كان امرهم يهونا ، بل العدد الكلي لهؤلاء البربريين الذين هم من اصل اوروبي . فلقد كان منهم بالجزائر في سنة 1580 نحو خمسة آلاف ، وكان لبعضهم أسرة ، وبلغ عددهم في سنة 1600 ثمانية آلاف زيادة على 1200 امرأة ، وكان عددهم في النسبة مائلا في تونس وطرابلس .

ان هذه التوجدات الاوروبية المتنوعة لتفني اللوحة - هي متنوعة من قبل - التي تمثل الائتلاف العرقي والاجتماعي للعالم البربري : فلقد كان في الجزائر في حدود نهاية القرن 18 خمسة عشر ألف تركي ومشرقي وردوا من مختلف الجهات ، وخمسة وعشرون ألفا من العرب المهاجرين من اسبانيا ، واثنا عشر ألفا من المغاربة العرب والبربر الذين اتوا من داخل البلاد ، وستة آلاف من الكراغلة ابناء الاترك من امهات جزائرية ، وما بين خمسة أو ستة آلاف يهودي ، وبضعة آلاف من الملونين الافارقة . فقد كانت الجزائر - لذلك العهد ، وظلت كذلك طويلا ، المدينة الاكثر ايواء لمختلف الاجناس في العالم . وليس من السهل ان يصف المرء باختصار حيوية وتنوع الحياة في المدن البربرية لكن يمكن يمتنهي السهولة أن نخيل - واملنا أن تكشف عن ذلك ابحاث مقبلة - مدى نشاط المبادلات وشدة التأثيرات وعمق الاندماجات في هذه البوقة من السكان المختلفي الثقافات هذه البوقة التي يمثلها العالم البربري - وينبغي بالخصوص ان تعجب من هذه الحياة المشتركة المنظمة والسلمية بجماعات عرقية واجتماعية مختلفة فيما بينها وقليلة التجانس داخل هذه المدن . ان هذا الانجاز للعالم البربري للعالم الذي ظل طويلا موضع احتقار واتهامات حادة ، ليستحق ان يلاحظ وأن يقدر حق قدره في مجموع التاريخ المتوسطي ، والتاريخ العالمي على السواء . فمن العالم البربري - ومن المدن في نظري ابراز ذلك - نشأت فيما بيننا نحن المغاربة والاروبيين صلة ليست فقط من نسيج الاحداث التاريخية ، بل وهي كذلك وبصورة اكثر محسوسة - رابطة من الدم . وكما

قلنا ، فان عهد الثورة الفرنسية والحروب التي خاضها نابوليون سجل زيادة ملحوظة لنشاط القراصنة البربريين ، وبعد سقوط نابوليون ، بمناسبة المفاوضات الدبلوماسية الرامية الى منح أوروبا استقرارا سياسيا ، وضعت المسألة البربرية بجدول الأعمال في التوصية التي اقترتها بعزم كل الدول بهدف وضع حد لكل نشاط قرصنى فى البحر الأبيض المتوسط ، وتحت التهديد بالقوة ، ابلفت وقرضت على الحكومات البربرية القرارات التي شاركت فى اتخاذها الدول الأوروبية . والواقع انه حصل فى السنوات التالية بعض حلقات القرصنة لكن نشاط السباقين أخذ فى الانتهاء شيئا فشيئا .

وفى الجزائر حصل فى عام 1830 مع بداية الاحتلال الفرنسى انتقال فورى من العهد البربرى الى العهد الاستعمارى . وعلى العكس من ذلك ، فقد شهدت بقية بلاد المغرب قبل عهد الاستعمار ، فترة تاريخية أخرى دامت نصف قرن بالنسبة الى تونس ، وثمانين عاما تقريبا بالنسبة الى المغرب الاقصى وليبيا . فيخصوص ليبيا يجب القاء الضوء على النقطة التى - حسب تأكيدها السابق - نعتبر فيها الاحتلال الإيطالى بمثابة عهد استعمارى ، حتى ولو كانت عودة حكومة الاتراك المباشرة فى عام 1835 تشكل - بقيتا - نوعا من التدخل والحكم الاجنبى .

ان الفترة التى تبدأ من نهاية العهد البربرى الى بداية الهيمنة الاستعمارية لتسجل تطورا سياسيا واجتماعيا ملحوظا لبلدان المغرب هذه ، وفى نطاق هذا التطور ، يتغير أيضا ، بالنسبة الى الماضى ، وزن وتشكيل ، ومركز الجاليات الأوروبية التى قد تأخذ فى وقت من الاوقات طابع « الاقلية » الحقيقى . قعدد الأوروبيين يرتفع فى الواقع ، ويكون مظاهر جديدة لا يمكن الحكم عليها من بعض الجوانب ، ولنبادر الى القول ، بأنه يكون عاملا ايجابيا للحياة المحلية .

وعلى اثر مبادرات التحديث والتقدم التقنى والاقتصادى ، التى اتخذتها الحكومات المحلية ، خصوصا فى تونس من قبل الباي أحمد ، وظف العديد من الأوروبيين لخدمة الادارة المحلية أو مباشرة خدمة القصر - وهؤلاء كانوا اطباء واطارات وموظفين من مختلف اختصاصات الادارة العمومية ، ومن المدربين العسكريين . ونذكر على وجه المثال واحدا منهم ، ويسمح لي باختياره من بين الإيطاليين ، وهو « لويجى كاليغاريس » الذى نزل

بتونس في عام 1833 بعد ان خدم لمدة سنوات الجيش العثماني كمستشار عسكري . وقد اضطلع مهمة تدريب القوات المسلحة التونسية ، وشرع في تسطير برامج تهذيب لتأسيس جيش تونسي نظامي ، وباقتراح من « كاليغافيس » هذا ، ظهرت عام 1838 المدرسة البوليتيكية التي تولى ادارتها واجتهد وتأير للحفاظ عليها ، وهناك ايطاليون آخرون اسهموا في خدمة تونس كمدرسين في المدرسة كالبوليتيكية أو في جيش الباي .

ومن بين الذين اسهموا مباشرة في الحياة السياسية الادارية المحلية نذكر ، وعلى وجه المثال داتسا ، « جيوسيبي ماريافو » وهذا الاخير المولود بتونس من اوين يوجمان بالاصل الى « ليفورا » استطاع بفضل مبادرات ذكية في قطاع صيد المرجان والنون ، ان يكسب ثروة هائلة ، ثم أصبح مستشارا ذا نفوذ في قصر باردو ، وانتهى باستلام منصب « وزير خارجية » الباي المنصب الذي تولاه لمدة عشرين عاما في حدود نصف القرن الاخير والذي اضطلع به بولاء ووفاء مطلقين للبلد الذي شهد فيه النور والذي يعتبره وطن له .

وهاجر اوروبيون آخرون الى بلاد المغرب لممارسة مهنة حرة ، او لقيام بنشاطات او اقامة مؤسسات تجارية او صناعية مختلفة . وكان لبعضهم مبادرات ثقافية : مثل فتح مدارس حرة ، والقيام بنشاطات تتمتع بالنشر والطباعة . وغير ذلك ... لقد كانت بلدان المغرب تشكل في القرن 19 أرضا مضيافة ، وملجأ أما لكثير من المغتربين السياسيين المجبرين على مفارقة أوروبا ، وهم بالخصوص من الايطاليين الذين يسمعون بذلك الى الاغلات من الاعتقالات والاضطهادات الناجمة عن فشل العديد من مؤتمرات الثوريين والاحرار والوطنيين . فكثير من الوطنيين الايطاليين قضوا بضع سنوات أو حقبا طويلة من حياتهم حتى مماتهم في بلدان المغرب . ولدينا اخبار الكثير منهم ممن كانوا انصار « مازيني » أو « غاربيالدي » البطليين الكبريين لحركة « ريزوجيانتو » الايطالية - الذين التجأوا الى تونس وطرابلس . ومن هاتين المدينتين تابع بعضهم نشاطهم في الدعوة السياسية . ومن هؤلاء المغتربين من اختار نفس المصير الذي اختاره ماركو العهد البربري : فقد اعتنقوا الاسلام ، واندمجوا كلية في وطنهم الجديد ، ومن

ذلك ما حصل بتونس بالنسبة للعناصر السابق « لناربالي » وهو « بييترو مكارو »
الذي اضحي العمد الايمن للوزير الاول خير الدين »

ان هذا الاندماج من العناصر الاوروبية المتزايد عددهم باستمرار في الحياة السياسية
والادارية لبلدان المغرب - حتى وكان معظمهم من اوفى الخدمة للحكومات التي كانوا
يتبعونها ، لم يكن يخلو من الخطر ، وقد اناح في بعض الاحيان فرصا خطيرة للنفسوذ
والتدخل من قبل احكومات الاوروبية . ثم ان اضرارا وخطرا اشد وضوحا واكثر
مباشرة بالنسبة لصير بلدان المغرب التاريخي ، كانا يتمثلان في مظهر آخر جديد من
الوجود الاوروبي الذي ظهر خلال القرن 19 ، وذلك في تونس أولا - كما يبدو لنا - ثم
في المغرب الاقصى وفي طرابلس الغرب . وقد اخذت في الوصول الى بلدان المغرب ،
وخاصة ابتداء من نصف القرن الثاني لمجموعات لايفتا عددها في ازدياد من المهاجرين
الباحثين عن العمل ، وهم في هذه المرة عناصر قليلو الخبرة والتأهل من وجهة المعرفة
والاعداد ، من الحرفيين البسطاء ، وصغار الباعة ، والعمال والشفالين اليدويين على
المعوم ، ومن عمال الاشغال البحرية والصيدادين . وكثير منهم كانوا من الماطليين
والإيطاليين ، وكان معظم هؤلاء الاواخر من سكان الجنوب الإيطالي ومن الجزر .

وهكذا تقف المجموعات الاوروبية هذه من بضع مئات من الاشخاص الى الف ، الى
بضعة آلاف ثم الى عدة آلاف الى ان تبلغ عشرات الآلاف مثل ما حدث في تونس قبيل
فرض الحماية . ولدينا بهذا الصدد كثير من المعطيات وبعض الدراسات ، غير انه ما يزال
من المتعذر تقديم ارقام يقينية وكاملة .

وفي نفس الحقبة ، تغير مظهر الوجود الاوروبي في اتجاه آخر : ذلك ان روح المبادرة
لبعض العناصر في المجال الاقتصادي ، امتدت في صورة مبادرات جديدة ملحوظة . فقد
شرع مثلا في استغلال موارد البلد الطبيعية مثل منجم جبل رصاص في تونس ، وفتحت
خطوط للملاحة البحرية مثل الخط الرابط بين تونس ومالطا وطرابلس الذي اقامته
شركة « روياطينو » ، وفتحت مصانع من مختلف الانواع ، واقامت المزارع الكبرى
ونظمت شبكات تجارية ، وهذه المبادرات العديدة والمتضاعفة جلبت عناصر اوروبية

أخرى باحث عن العمل مما زاد في عدد الجماعة الأوروبية وفي نفس الوقت ، تصل هذه المبادرات في بعض الأحيان على تمكين صفو الاقتصاد المحلي ، بل وقد تذهب إلى حد الأضرار به مباشرة ، بينما تصمد العناصر الأوروبية إلى زحزحة اليد العاملة المحلية والحلول محلها .

خلال القرن التاسع عشر ، وقد تميزت مميزاته بالقياس إلى الماضي ، لم يعد الوجود الأوروبي يشكل أو على الأقل لا يشكل دائما - مثل القرون السابقة ، علامة وعاملا من عوامل النشاط الاقتصادي للمغرب بل قد تحول هذا الوجود شيئا فشيئا إلى عامل خطر . فابتداء من السبعينات شرعت الحكومات الأوروبية تأخذ مبادرات لتشجيع زيادة التوغل الاقتصادي ، والوجود الديموغرافي لرعاياها ، فقد دخلت في منافسات فيما بينها ، وراحت تطالب بمواقع مقصورة عليها ، وباحتكارات ، وبأسبقيات ، ومنذ ذلك العهد أخذت أوروبا تتحيز لتحقيق مراميها الاستثمارية الخاصة في كامل أنحاء العالم وأصبح وجود مصالح اقتصادية أو جاليات هذه الدولة أو تلك بمثابة صكوك للمطالبة بحقوق مضمونة للتوسع ، وغدت مبررات وفرصا للتدخلات الفعلية ، والجاليات الأوروبية من جهة عملت كذلك في بعض الحالات ، وفي بعض الأحيان ، أن بصورة مكشوفة أو سرية إلى تحريضات وضغوط لدى حكوماتها طالبة منها التدخل الاستثماري .

وبعد أن بحثنا - ولو سطحيًا - تطور الوجود الأوروبي في المغرب قبل الاستثمار يحدو بنا أن نحاول استخلاص بعض الاعتبارات الحتمية من هذه الحوادث التاريخية . أن وجود عناصر أوروبية في المغرب لم ينجم عنه أي ضرر بالمنطقة طيلة قرون عديدة بل قد ساعدت على قيام العلاقات مع الخارج ، مسهمة في ازدهاره . واستمر الأمر كذلك طالما أن الأوروبيين اندمجوا كلية في البلاد مما جعلهم يصبحون جزءا من سكانه . أو اعتبروا أنفسهم بجانب تحدد نشاطاتهم ونحكمتها القوانين ، أي تخضع لمصالح الدول التي يملكون فيها .

ولكن الوضع تغير كما قلنا حين ازداد الوجود الديموغرافي ، والتدخل الاقتصادي للأوروبيين ، وحين تدعم ليتجاوز مستوى الاقادة للحياة الاقتصادية المحلية .

لقد لقننا التاريخ درسه الذي يجب أن نترجمه ونكيفه مع الظروف الراهنة . والحقيقة أن مغرب اليوم من مراكش إلى ليبيا قد استخلص العبرة جيدا من التاريخ في الدفاع عن استقلاله وعن حضارته .

الإسلام والمسلمون في الهند

د • محمد نجاته الله الصديقي

أستاذ الاقتصاد

بجامعة علي كره المسلمة - الهند

الإسلام هو رسالة الله الخالدة إلى الناس وعلى
الامة المسلمة يقع عبء توصيل هذه الرسالة بهدف إعادة
بناء الانسانية حسب رضا الله تعالى عن طريق الاقتناع
كما جاء في محكم التنزيل •

« وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على
الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » (البقرة : 132)
« كنتم خير امة اخرجت للناس تعلمون بالمعروف
وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (آل عمران : 110)

أعتقد ان هذه الآيات الكريمة تلقى ضوءا على الطريقة المثلى للبحث عن الاسلام
والمسلمين ليس في الهند فحسب بل في أى قطر من الاقطار اذ يتسائل المرء هل الامة
المسلمة تقوم بالدور المنوط بها كما جاء في القرآن الكريم وان كان الجواب لا ، فلماذا وما
هى طريق علاج العيوب حتى يمكنها ان تلعب دورها كاملا من غير نقصان •

ولى مقدمة موضوعى هذا ارجو ان اوضح الحقائق الآتية :

1 - المسلمون فى الهند والهنود عامة يغلّب عليهم الفقر والجهل بتعاليم الاسلام السمحة .

2 - علاقة المسلمين فى الهند ببقية السكان غير طبيعية . ولعل الصراع السياسى منذ التجزئة ترك هذه العلاقات غير مرضية وبما زاد الحالة سوء التدهور المستمر فى العلاقات بين الهند والباكستان .

3 - ان 89 فى المائة من السكان الهنود يميندين عن الاسلام ويجهلونه جهلا تاما . ويغلّب سوء الفهم بالاسلام وتعاليمه فى الفئة القليلة التى لها امام به . وليس هنالك بحوث عن الاسلام باللغات الاقليمية فى الهند الا قليل منها - على الرغم من ان هنالك خمسة عشر لغة كبرى - وذلك لعدم اهتمام العلماء بتلك اللغات . وبعد ان قل استعمال « الاديء » وزاد الاهتمام باللغات الاقليمية انكسرت حلقة الوصل بين الكتاب والمتحدثين من جانب وبقية السكان من جانب آخر . ونتج عن ذلك ان الجيل الجديد من المسلمين قد نشأ وهو يجهل الاسلام .

4 - ان المسلمين المتعلمين ينقسمون الى قسمين : اقلية تلقت تعليمها حديثا واقلية فقيرة على علم باللغة العربية والتعاليم الاسلامية بطريقة تقليدية فى المعاهد الدينية . وسجد ان البون شاسع بين هاتين المجموعتين . ويندر ان نجد من يلمون بالفهم الدينى الصحيح والعلم الحديث - والتعليم الحديث لا يأتى واحيانا يمدى مفهومنا عن الايمان - اما عن التعليم الدينى وتعليم اللغة العربية فهو لا يواكب تحديات الحياة العصرية وعليه فان الاقلية المجاهدة تقع تحت نفوذ الاقلية المتعلمة دينيا خصوصا فى المسائل الدينية . لكن هذا التأثير اصبح غير ذى معنى لانه اخفق من ان يستجيب الى تعقد وتغير نظام الحياة فى الهند . انه يهتم بالمظهر اكثر من الروح والجوهر ويعنى بالاختلافات الفكرية بين الطوائف المختلفة . وعليه فان دوره الدينى غير مهم ان لم يكن عكسيا لانه فشمل فى مواجهة الاتجاهات اللادينية التى انبعثت من اليقظة الغربية .

5 - وعقبه أخرى فى طريق الارشاد والوعظ الدينى هى الاهتمام الاكثر بالتقليد والبعد عن النظرة الموضوعية فى الشؤون الدينية . ان عامة المسلمين فى الهند قد تربوا!

على الطاعة العمياء لتعاليم رجال الدين الطائفة التي ينتمون اليها تحت اسم الاسلام ولعل مبعث ذلك يرجع الى الخوف من الآراء الممارضة في المجموعة الاسلامية نحو الاوان الاخيرة في التاريخ الاسلامي عندما لم تكن معرضة للتحديات الايديولوجية وعليه فان التغير كان بطيئا - ولكن منذ السبعينيات فان هذا الوضع قد اختلف كلياً - لانه حتى في الهند فان الوعي الذي نتج عن التطلع نحو المعرفة وظهور وسائل الاعلام والتعليم الحديث يهدد بزوال ذلك المفهوم التقليدي خاصة وان المدافعين عن الايمان غير مهيتين لهذه الحالة - وهذا يقودنا للبحث الموضوع فيما يتعلق بالاسلام والمسلمين ليس في الهند فحسب بل في العالم اجمع : الحاجة الملحة لفهم جديد لاصول الحياة الاسلامية على ضوء التوحيد وتوجيه المجموعة الاسلامية نحو رسالتها الخالدة بقوة وعزيمة .

التوحيد يحوى الفكر الانساني ويحمي كرامة الفرد ويوجهنا نحو التفكير المستقيم والحكم الصحيح الذي يبعد عن الاهواء والعواطف ويدفعنا للايمان باهداف الحياة حسب رضاً الله سبحانه وتعالى - ورضاً الله يتمثل في القرآن الكريم وعن طريقة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وتحدد الحرية التي في أطوارها يتمكن الانسان من ان يدبر امور نفسه ومجموعته سياسياً واقتصادياً . هذه خصائص الحياة الإسلامية منضمة الحقائق التي تتعلق بالنواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . متميزة عن شؤون الفسرد الشخصية والامرية - التي يمكن ان تقتبس من التعاليم الربانية بواسطة المجهود الفردي خاصة في العالم المميع من آن لآخر ولد فان الاجتهاد اصبح اساس الحياة المصرية الحديثة لاننا لو اخذنا الحياة ككل نجد انها عملية تستدعي من كل فرد في المجموعة ان يشاركه مشاركة فعالة فيها . ان موضوع الساعة هو التفكير والتعلم من التجارب الانسانية وتفسير تطبيق اوام الله سبحانه وتعالى . ان السلبية ومحاولة التقليد من الصعوبة ان تمكن الانسان من ان يعيش حياة اسلامية خالصة في العصر الحديث .

المفهوم الجديد للاجتهاد يتمثل في «الدعوة الى الخير» التي تربط بين المجموعة الاسلامية والانسانية جمعاء . ولكيما نستوعب هذا المفهوم في الحالة الهندية ينبغي ان نعود بذهننا الى تاريخ الاسلام المبكر في مكة . ان التوحيد هو الموضوع الاساسي الذي نادى به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبالإضافة الى تعاليم التوحيد فان سيرة الرسول وخصاله

الحميدة واعمال الصحابة الانسانية اوضحت عالمية الدعوة وشقت الطريق نحو القفص
المبني .

ان كل الناس عيال الله هذا هو الشرط الاساسي الذي يحدد علاقات المسلمين مع
جيرانهم واخوانهم الذين جاءوا من أب واحد وأم واحدة حسب مشيئة الله التي ارادت
ان يخدم الانسان الآخرين . وعلى الرغم من العداء الذي واجهه المسلمون الا انهم كانوا
يطعمون الجائع ويساعدون الارامل واليتامى ويأخضون بيد الضمفاء والمساكين . وعليه فان
المساواة والعدالة والتعاون التي ادخلت في مكة لم تنبثق من التوحيد فحسب بل ازدهرت
عن طريقة المعاملة الحسنة التي قام بها المسلمون الاوائل . وكان لذلك اثر كبير وحيد
في مكة . ان السور المكية عن القرآن الكريم ركزت واوضحت الفرق بين المسلمين
واعبادهم في هذا المجال . وكثير من الاحاديث والقصص اوضحت تاثير المكيين بسيرة
النبي واصحابه . ولعل اصدق مثل لذلك قصة ابن دغنه الذي اخذ سيدنا ابا بكر في
حماء محاولا ان يشبه عن ترك مكة وقائلا ان شخصية مثل ابي بكر تخلم الناس لها كل
الحقوق ان تعيش في مكة . انني ارى ان هذا الجانب الانساني من الحركة الاسلامية مهم
جدا في تحديد الايديولوجية . واعتقد ان الامة الاسلامية اذا ربطت بين التوحيد والاجتهاد
كمعلمين بارزين في الحركة الاسلامية في تفسيرهم وتطبيقهم للرسالة المحمدية فان هذا
سيحدث تقدما ملحوظا حتى بالنسبة للحالة الهندية .

ان المعلمين المشاهير اليهبة اعلاه يمكن ان يطبقا في حالة المسلمين الهنود اليوم للاسباب
الاتية . ان عدد سكان الهند يبلغ ستمائة مليون ومتوسط دخل الفرد 28 دولار امريكي .
نسبة التعليم 30 في المائة مع محاولة تحسينها ولقد اعطاهم القادة نظرة الدولة التي
تتمتع بالحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية . بل هنالك نظرة ضيقة للقيم الاخلاقية
وعلاقة الانسان بآحيه الانسان لا تفرغ كثيرا عن صلات الانعام بعضها ببعض . ولا عجب
فان ثمار التقدم لم يجنأ الا فئة قليلة وحتى أولئك الذين نالوا قدرا من الثروة
والتعليم الحديث قد فشلوا من تحقيق المساواة مع المبرزين بالملاد . وموضوع الساعة
هو ان تشير العقول والعلوب . ولا شك أن الهندوسية غير قادرة على ايجاد البصوت
الروحي والاخلاقي الذي يقود لبناء المجتمع الصالح الذي تسوده الحرية والمساواة

والعدالة الاجتماعية • والاتجاه نحو الغرب لن يحقق النظام المنشود • واليوم الهند قد أدركت الفراغ الروحي وانعدام المثل والاخلاق على مستوى الفرد والمجاعة وإن الشعب الهندي يحس بانتشار الفساد في الدوائر الحكومية وانشغال القادة بصالحهم الخاصة وهنا يأتي الدور الذي يمكن أن تلعبه المجموعة الاسلامية باحياء التراث الاسلامي في مكة وتوجيه سواد الشعب نحو تحقيق الاهداف السامية • ولاني اعتقد أن المسلمين الهنود - رغم بعض التناقضات - يمكنهم أن يلعبوا دورهم كاملا اذا آمنوا به وأزالوا العوائق المشار اليها آنفا • ليتهم يشاركون بقلوب مفتوحة في بناء الامة الهندية الناهضة لينهم يشتركوا في حوار مفتوح مع مواطنيهم يفرض اشعارهم بالحاجة الملحة للمثل الروحية والاخلاقية التي تحقق المجتمع الناصح • وقبل كل ذلك ليتهم يبحثون عن الاخطاء بهدف تصحيحها وتهئية الفهم للقيام بذلك الدور كاملا من غير نقصان •

وفي البداية ينبغي الاهتمام بالتعليم خاصة في النواحي الاسلامية لان ذلك ينتج المسلمين المفكرين العارفين بأمور دينهم وديانهم والقادرين على العمل الجاد المشعر • وهذا بلا شك يفترض ضرورة الاهتمام بالاحوال الاقتصادية والصحية والغذائية التي تتفلق بالناس كافة وانه مما يشجع الصدر أن بعض المؤسسات الاسلامية في الهند تضع اسبقية لذلك العمل في برامجها • لقد طال انتظارنا لاعادة النظر في نظام التعليم الاسلامي في الهند حتى يراكب احتياجات المجتمع وهذا يعنى الاجتهاد مع بعض التصرف - وهذا يتطلب اتجاه جديد نحو تأليف الكتب الدينية بكل اللغات المحلية في الهند وتدريب الموظفين على التحدث بتلك اللغات حتى يتم توصيل التعاليم الاسلامية لعامة الشعب •

ويمكننا أن نشير الى بعض العقبات التي تتعرض الاسلام في الهند والظلم الذي يقع على المسلمين ونذكر على سبيل المثال لا الحصر حوادث المردان ضد المسلمين التي قتلت كثيرين من الابرياء وازمة الفتنة الاردنية ومشكلة الجامعة الاسلامية • بكل كره - والمخاوف التي تهدد لازالة تدون الاحوال الشخصية الاسلامية - ولكنني اعتقد ان هذه المشاكل يمكن أن تحل بسوية من الوعي والمشاركة الفعالة في بناء الوطن والايام بالاهداف القومية مع ضرورة الاهتمام بالدور الذي يمكن أن تلعبه الامة كما ذكرنا سابقا • ان

المواجهة ليست من مصلحة المسلمين ولا القطر عامة لانها تزيد الحوار المطلوب والاتصال المباشر الذي قد يقنع الهندوس بتقدير الاسلام واحترامه *

ان رسالة الله الخالدة ستجد استجابة في قلب كل انسان وعليه فاننى لا ارى مبررا لعزل غير المسلمين في الهند * خصوصا اذا علمنا انه لم يكن مجهود مركز لادخالهم في الاسلام في الماضي القريب * أضف الى ذلك ان الاسلام يكسب باستمرار اراضى جديدة كلما ازداد الوعي والادراك بحدودية العقل البشرى واخفاقاته * ويسرنى أن أوضح ان المجهود المتواضع الذي تقوم به « الجماعة الاسلامية في الهند والمؤسسات الاخرى قد حققت نتائج مشجعة في التفسير بالاسلام وتعاليمه ويبدو أن هذا الاتجاه مستمر أكثر من المجابهة التي تتعرض لها شبه القارة الهندية من آن لآخر * ولعل افضل النتائج هي شعور الثقة والصداقة بين المسلمين الهنود وايمانهم بالاتجاه لبشر بالرسالة الربانية التي سنحقق الخير للانسانية جمعاء *

ملحقه :

ان العالم الاسلامي له كل الحقوق للاهتمام باحوال المسلمين الهنود بل هو واجب حتى يقضى بمعرفة تطلعاتهم وآمالهم في المجالات الآتية :

(1) بحث الخطوات المناسبة للامام بمشاكل المسلمين الهنود خاصة فيما يتعلق بامور الدين والنشاطات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية * ان الحالة الراهنة فيما يتعلق بالموضوعات المذكورة أعلاه غير مرضية بأي حال من الاحوال * ان كل المعلومات تجمعها السفارات المختلفة من الصحف الانجليزية في حين أن الحقائق المجردة توجد في الصحافة الاردية أو المطبوعات الاسلامية بمختلف اللغات المحلية * ومعظم مؤلفات المفكرين الاسلاميين في الهند مكتوبة باللغة الاردية وعليه أصبح من الضروري خلق وكالات مختلفة بواسطة المفكرين في العالم العربي الاسلامي لتقوم بترجمة هذه المؤلفات حتى تلم الشعوب الناطقة باللغة العربية بالتطورات الاسلامية في الهند * ومن الجانب الآخر ينبغي أن تقسم مؤسسات مماثلة بترجمة المؤلفات العربية للفئات المسلمين الهنود المحلية مثل الميالىم وبنفخه وتاميل والكجراتي والهندي حتى يتعرف المسلمون بالمؤلفات الاسلامية الحديثة في العالم العربي *

(2) ويجب دعوة المسلمين الهنود للتوترات العالمية لحثهم للاشتراك في الموضوعات الاسلامية المتنوعة والنشاطات الدينية والندوات الاكاديمية * لان هذا سيوطد العلاقات

الاخوية بينهم وبين أشقائهم في العالم العربي مما يعود بالنفع والخير للجميع .
ينبغي تنظيم زيارات دائمة يقوم بها المفكرون الاسلاميون للهند من الخارج للآثار
الحميدة والفرائد الجملة المترتبة على تلك الزيارات .

(3) أرى انه من الاهمية بمكان النظر للهند باعتبار انها نظم سبعين مليوناً من
المسلمين لهم كل الحقوق وعليهم كل الواجبات على الرغم من الفرق الواضح بين
الفكرية والتطبيق . وعليه ينبغي توطيد العلاقات بين الدول العربية وهذا القطر لان
به مجموعة كبيرة من المسلمين ولا شك أن التعاون الاقتصادي مرغوب فيه بين الهند
والإقطار الإسلامية لنامية . لان المواجهة بين الدول الإسلامية والغرب أصبح حتمياً
في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية وهناك أمل كبير لكسب الهند لجانب
الدول الإسلامية متى ما توفر الفهم المتبادل للأمور المتعلقة بينها .

يجب أن تقر بنظرة التشكك من جانب الهند للعطف الذي يحظى به المسلمون الهنود
من الإقطار الإسلامية وذلك لتشككها من تلك الإقطار وسياستها المؤيدة لباكستان مما
جعل الهند تعتبر أن اهتمامهم بالمسلمين الهنود ما هو الا وسيلة لتحقيق تلك السياسة
المحادية للهند . - ولحسن الحظ ان الامور بدأت تسير بطريقة حسنة لازالة تلك
الحساسيات - وعندما يزول سوء الفهم بين الهند والإقطار الإسلامية فإن المناخ
سيكون صالحاً لمزيد من التعاون الذي يعود بالنفع للهند عامة والهنود المسلمين خاصة
ولا شك أن التجارة مزدهرة بين الدول الإسلامية والهند والخطوة الثانية هي أن يزداد
التبادل الثقافي والمنح الدراسية حتى يتمكن الهنود من تعلم اللغة العربية وتلقي
الدراسات الإسلامية ويتم توزيع المؤلفات الإسلامية المفاسية .

وحسب ما أوضحت اعلاه فإن أهم حلقة في الإخوة بيد الهنود المسلمين وبعت الاسلام
هي ايجاد الامكانيات التعليمية الصحيحة وعليه يجب على المساعدات الخارجية أن تركز
على هذه النقطة التي تتعلق بالتعليم والتربية الدينية . اننى واثق كل الثقة انه متى تم
ايجاد معادلة صحيحة بين الإقطار الإسلامية والهند مبنية على المصالح المشتركة
فإن الدور الذي يمكن أن يلعبه المسلمون في الهند سيكون كبيراً وفعالاً في ازدهار
الاسلام في ذلك الجزء من العالم ، ولا شك ان النتائج التاريخية ستكون بعيدة المدى .

دور المفكر اليوم وعلى مرّ العصور



د . صلاح الصاوي

استاذ الادب العربي بكلية الآداب
جامعة طهران - إيران

بسم الله الرحمن الرحيم

« الفخر الله ابتغى حكما ، وهو الذي انزل اليك
الكتاب مفصلا ، والذين آتيناكم الكتاب يعلمون انه منزل
من ربك بالحق ، فلا تكونن من الممترين » وتمت كلمة
ربك صدقا وعدلا ، لا مبدل لكلماته ، وهو السميع
العليم » وان تطلع اكثر من في الارض ، يضلوك عن سبيل
الله ، ان يتبعون الا الفتن ، وان هم الا يفرصون » (X) *

الفتاحية :

الدليل دليل على نقص ، فهو لمن يموّزه الدليل ، أما العظماء فقد شاحدوا عظمة
المطلق ، فلم يتقيدوا ، وكل من تقيد آل الى محدود وانتهى عند جزئي *

+ (الأمام : 6 ، ي : 114 - 116 .

ومشكلة الانسانية اليوم كما هي منذ فجر الوجود ، مشكلة النفس الانسانية •
فالانسان انى وانى كان يحاول جاهدا أن يقطع الصلة بينه وبين مبدئه ، تسول له نفسه
أن يستقل فيكون الها ، وتكون الحياة الزائلة خلودا • وثمة كان القلب فى الاوضاع
والتنكر للقيم • وتقامم ذلك حتى صارت الارض حلية بحيل الشيطان !

فالسلاح للعدوان لا للامان ، والاقتصاد للامتصاص لا لتوفير مقومات الحياة ، والتعليم
للتضليل واستهلاك الطاقات الفكرية ، والفكر سمسار لكل بدعة ، والروحانية جلد
الشعالب ، والاخلاق دموع التماسيح ، والفن موس لكل فاجر ، والشرف أرخص من
لقمة ذليلة ، والحرية عنوان سجن ، والمقاليد جصور وانفاق اعراض ، والمنزل ميدان حرب
شعواء ، والاسرة منتدلى للنفاق ، والدين لمق على الشفاء كذب ورياء والرياء والكذب
دين ، والانسان يحسد النمل على سعادتها ميت يتشبث بالحياة فى طرف كفن ، هذا الامن
رحم ربي وكان يمضى سويا على صراط مستقيم • وليس هناك من مظاهر الانحطاط
والوحشية وتحكم الغرائز البهيمية واستغلالها على عناصر الخير فى الانسان الا هذا الوحش
الاستعماري أو الاحتكاري الذي يخفى مغالبه المدعاة فى اكمامه الخيرية وأنيابه النتنة
خلف ابتسامته الصفراء المشعة وما أتمخض فى جسم الارض من الجراح وما اراق من دم
الانسانية وأهدر من دموع ونواح وما طرد الناس من ديارهم وسلب حقوقهم ومقدراتهم
لقد تلاتى جانب الجمال والرحمة من الانسان وانحاز نهائيا الى جانب القهارية والجبروت
جانب المظهر وما اسفر عنه من عصيان « الا عبادك منهم المخلصين » فكان عليه ان يدفع
التمن ، ثمن خطيئة الدماء ، عبادة النفس والمادة ، فالدم يظلم للدم ، والسلام المزعوم
مصصف قرآن على طرف رمح فى صفيق •

فلا عجب اذا وقد كشف العلم بدوره عن جبروته وقهارته فى أن تواجه الانسانية اليوم
أخطر ما مرت به من مراحل ، حيث يتهددها الخطر من داخل الانسان ، من نفسه التي
استعبده وكادت تخنقه ، ومن خارجه ، من الطبيعة التي اعتمدت على قداستها وأمنها
وكادت تطرده • وليس للنفس من شكيمة تردعها الا العقل ، يمود بالانسان الى عبادة
الصواب والحكمة ، أوتنزع السار بين جبروته النسبي والجبروت المطلق ، حتى يؤمن
بعبودية القمر ما دام قد مرق من العبودية الحرة عبودية الحب والخير والجمال •

مع الموضوع

عندما استقر رأيي على اختيار هذا الموضوع « دور الفكر ... » من بين ما طرحه الملتقى من موضوعات كلها ذات حساسية وطرافة ، لم أملك إلا أن استبد بفكري ذلك التشبيه المعروف لافلاطون في جمهوريته « تشبيه الكهف أو المغارة » . وعشنا حاولت الاصراف عنه فلا جديد فيه على حضرات السامعين من حيث العلم بفخزاه وبقيمته الفكرية . الا أن الراحة العقلية التي أحدثها تكامل وجه الشبه بينه وبين موضوعنا وانطباقه عليه من حيث شموله لتصوير الفكر وموضوعه وواجبه في حدود هذا الموضوع ، كانت الجديد في نظري الذي يستدعيهم للنظر اليه من هذه الزاوية ولو بمجرد السماع :

لقد شبه افلاطون أولئك الذين تعوزهم الفلسفة « بالمسحورين في كهف بحيث لا يستطيعون النظر الا في اتجاه واحد ، لانهم موقوفون ، وقد اشتملت وراهم نار ، وقام قبائلهم جدار ، وليس ثمة ما يحول بينهم وبين الجدار ، فكل ما يرونه عليه هو ظلالهم هم وظلال الاشياء الكائنة وراهم ، التي تلقيها النار بضوئها على الجدار ، فلا مناص لهم اذن من أن يمسوا هذه الظلال كائنات حقيقية دون أن تكون لديهم فكرة ما عن الحقائق التي ألقت امامهم هذه الظلال . وأخيرا استطاع أحدهم أن يفر من الكهف الى حيث ضوء الشمس فيرى الاشياء الحقيقية لأول مرة ويدرك أنه كان حتى الساعة مخدوعا بظلال » . ثم قال افلاطون : « فلو أن ذلك الرجل كان من قبيل الفيلسوف الذي يصلح أن يكون حارسا ، فسيشعر أن من واجبه ازاء أولئك الذين كانوا من قبل زملاء في السجن أن يهبط اليهم من جديد في سجنهم ويصلبهم كنه الحقيقة ويهديهم الى الطريق الذي يصعد بهم اليها . ولكنه سيجد اقناعهم عسيرا لانه بسبب انتقاله من حيث تسطع الشمس ، سيرى الظلال أقل وضوحا مما يرونها هم ، ولذا فسيبدر لهم أغبي ادراكا مما كان قبل فراحه من الكهف » (١)

ولا أخالنا مضيقين الا أن مغارة افلاطون هي النفس الانسانية في يومنا الحاضر . واذا كان هو قد جرد من ذلك الفكر حاكما لجمهوريته ، فما اخرجنا اليوم الى الفكر الذي يحكم جمهورية النفس التي اعتمد واكتنفها الظلام من كل جانب وتحجرت على الاوامر . لقد سيطرت النفس تماما على الانسان وشملت ملكاته الفاضلة وتحاول الآن أن تخضع كل شيء

حتى الحقيقة الكلية لحايرها ، ولاضيق للعمل والحقيقة بعد ذلك • الا أن مهمة هذا المفكر ستكون بالغة الصعوبة ، وسيشقى عليه تحرير الانسان من نفسه وأغلالها لانه سيناشد عقله وعقله مقهور نفسه ولن يستطيع بالفكر وحده أن يبطل ما تغرى به النفس من لذة أد من عليها الانسان ، فهو وهو المتنور لا يرى في هذه اللذة ما يراه حميس الظلام • ولهذا سيكون أعنى ادراكا ، ما لم يهدم حدار الخافرة ويبدد ما ران عليها من ظلمات حتى تقتحمها الشمس وتمحو الظلال والاورام • الامر القى يطالبنا برسم حدود شخصية هذا المفكر وإمكانياته اللازمة •

نعم ما كان أغنايا عن تناول هذا الاصطلاح « الفكر » بالبحث أو حتى بالإشارة الى مدلوله ، لولا الواقع الملموس فيما نراه من تمعد المشكلة ومن أن أغلب المفكرين في الفترة الاخيرة ، قد أصبحوا علاا مزمنا في ابدان محتملاتهم ، لا تلبث أن تولد أوبشة تقتشى قتصيب الانسانية اتى أصبحت يدورها من الضعف والهزال بحيث لا تجد المناعة الشخصية ضد أى راء يطرأ عليها • الا أننا لا زلنا نرى أنه لا بأس من أن نطلب انطلاقة أخرى تقرب الينا حقيقة المفكر حتى نتبين العارق بين ما هو عليه اليوم وما كان عليه بالأمس والامس الاول ، أو بعبارة أخرى ما كان عليه وما صار اليه •

فدونك مثلا الديانة الهندوكية • فهي تقسم أهداف الحياة الى أربعة ، تحت نوعين من الحكمة :

الهدف الاول ، آرتهها Artha : وتعنى التملك المادى للشيء أو العين أو الجوهر ، بمعنى حيازة ما يملكه الانسان من الاشياء الملموسة ، والاقتصاد والصناعة والسياسة في حلمة هذا الهدف والحفاظة على بقائه واستمراريته •

والهدف الثانى ، كاما Kama وتعنى اللذة والعشق بالمعنى الاصلى لا بالمفهوم الشهوانى الغربى اليوم •

والهدف الثالث ، دهارما Dharma : وهى مجموعة الوظائف الدينية والاخلاقية • وهناك في كتاب الشرائع المعروف باسم Dharma Sastras توحيد جميع التعمائر الدينية والامس الاجتماعية للطبقات ، حيث تقسم الطبقات ، وحيث يعتبر احكيم المفكر درجة أعلى من السلطان ومن صاحب الثورة •

وهذه الاهداف الثلاثة التي يطلق عليها Trivargo والتي ترتبط بالحكمة العملية في الاعمال الدينية ضرورة لكل فرد . الا أن المفكر دون الجميع عليه أن يتزود علاوة عليها بالهدف الرابع المرتبط بالحكمة النظرية ، وهو :

موكشا Moksa : وتعني النجاة أو الخلاص ، وهو الهدف الغائي للحياة . ومن هنا أطلق على المفكر اسم Paramarcha Vid أى العارف أو العالم بالهدف العالى . (2) وهكذا نرى أن المفكر منذ فجر المجتمعات يمثل فى هذه الديانة المبكرة همزة الوصل بين الكون والحقيقة أو بين المظهر والبدا .

هذا ، على حين نرى أن المفكر الاسلامى قد ارتفع الى درجة النبوة بالذات ، بغض النظر عما ذهب اليه امثال ابن تيمية من تفضيل المفكر أو الفيلسوف الكامل على النبى ، والفكر على الدين (3) فهذا ابن رشد مثلاً يقول : « يقوم دين الفيلسوف على دراسة ما هو كائن ، وذلك لان ارفع عبادة يمكن أن يعبد الله بها تقوم على معرفة ما صنع ، لما يؤدى اليه هذا من معرفتنا اياه على حقيقته كلها ، وهذا هو اصلح الاعمال عند الله . وذلك مع كون اخس الاعمال هو أن ينسب الى الضلال والزهو الباطل من يرد الى هذه العبادة التي هى اكرم العبادات ، ومن يعبد بهنا الدين هو خير الاديان » . (4)

وفسر موسى بن ميسون قول استاذة هذا بقوله :

« والعلم هو العبادة الحقيقية الواجبة نحو الله . أجل يمكن أن تبدأ رؤية الله فى هذه الدنيا ، ولكن الحصول على العلم ليس سهلاً للجميع ، فאלله أقام النبوة مقام العلم من أجل البسطاء . والسوء حال طبيعية أكمل من حال العامى ينهى اليها بعض الاخيار . ولا يختلف الوحي النبوى من حيث الاساس عن افاضة العقل الفعال ، وان شئت فقل دوام وحي العقل » . (5)

وليس من هدفنا هنا أن نعرض لمدى فهم هذا القبيل من المفكرين فى مسألة النبوة ، وانما القصد هو بيان مقام المفكر ، وأنه لدى فريق من المتفكرين الاسلاميين هو والنسب سواه .

أما شيخ الاستشراق السهروردي ، فيرتفع بالفكر الى درجة الثالثة ، « فهو يقسم الراغبين في العلم أربع طبقات ... الرابعة منها طبقة من استكملوا مرحلة الفلسفة كما يدرج نفسه شخصيا تحتها في العالم الإسلامي . هذه الصفة التي أصبحت لقباً على امرائها لقب « حكيم مثاله » (بمعنى من ارتبط بمبدأ الوحي) فيثاغورس وافلاطون الاستدلالية ثم ادركوا مرحلة الاشراق والعرفان ، وهو يدرج في هذه الطبقة التي يطلق لسلسلة من الحكماء منذ ذلك الحين ، حتى اطلق على الحكيم الصفوي العظيم في القرون العاشر و ملا صدرا « لقب صدرا المتألهين » * (6)

وهكذا لا زال الفكر في الاسلام منذ البداية حتى الآن كما عرفه الجرجاني بأنه هو من تشبه بالاله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الابدية كما أمر الصادق (ص) في قوله : « تخلقوا باخلاق الله » أي تشبهوا به في الاحاطة بالمعلومات والتجرد عن الجسديات * (7)

وعليه نشاهد ان الفكر لدى افلاطون هو الحاكم ، ولدى الهندوكية أعلى من الحاكم ورب المال درجة ، ولدى المتفكرين الاسلاميين نبي أو أعلى درجة ثم هو أخيراً مثاله . ولا اخال درجة بعد هذا ، والا ، لارتفع مقامه اليها *

فاذا ما عدنا الى ماثورنا ومنقولنا ، لنشاهدنا أن الاسلام يضع الفكر مكانة أسمي من الشهيد : « وزن حبر العلماء بدم الشهداء فرجع حبر العلماء » ، ومن العابد : « تفكر ساعة خلو من عبادة ستين سنة » ، ولتجلى لنا شرف مقامه وعظم مسؤوليته : « ان أول ما خلق الله العقل - ، و « ما قسم الله بين عباده شيئاً أفضل من العقل - ، و « الرسول عقل من الخارج والعقل رسول من الداخل » - . ثم ان القرآن الكريم ما نزل الا لقوم يقولون ، يتفكرون ، الا لاوى الانصار أولى الابواب أولى النهى : (سبحانه له ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم ، هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا يا أولى الانصار) - (الحشر : 59 ، ي : 1 - 2) و (ان في

++ احاديث نبوية -

خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولى الالباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض : ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار) (آل عمران : 3 ي 190 ، 192) و : (قال قمن ربكما يا موسى ، قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، قال فما بال القرون الاولى ، قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ، الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى ، كلوا وارعوا انعامكم ، ان فى ذلك لآيات لاولى النهى ، منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنهم نخرجكم ناره اخرى) (طه : 20 ي 39 - 55) *

فالكتاب الكريم - عقل الوجود وموضوع تفكره - بما يتضمن من وجهات النظر المختلفة كونية أو اسانية طبيعية أو ما ورائية وما يشير اليه من الآيات الانعكاسية والافاقية يقدم نظاما عقليا كاملا للمفكر الحق ، بل انه بذلك ليناشد المفكر اذ يقدم له الموضوع الاول موضوع الوجود وما وراء الوجود بهذه الصورة الاستدلالية العقلية مرة والتجريبية الحسية أخرى ان يرتفع بفكره الى أعلى مستويات الحقيقة المكية الكاملة وراء المظاهر الناطقة لثقة المظاهر . ومن هنا كان المفكر هو المخاطب الاول للسماء والقرآن هو الموضوع الاول بين المفكر والسماء فهلبقى بعد هذا شرف يطمح فيه المفكر *

ولعل الفرصة قد حانت لنسأل عن المفكر فى يومنا هذا ، من يكون من ذا الذى يمكننا على معيار ما قدمنا أن نعتبره مفكرا فى هذا العصر الحاضر الذى التاثت فيه العقول وانحصر الفكر فيما دون الحجاب الحاجز للانسان - فمن السير أن احدد دور المفكر اليوم ما لسم اتعرف حدوده *

ان أمامنا منذ القرن الرابع عشر الميلادى حتى اليوم فى أوروبا هذا الكتلوج الضخم من المفكرين وعقائدهم المختلفة ، التى كانت تصدر الى بلادنا تحت ابط الاستعمار حتى انتهى شبحه وانقطع دابره أخذت تجدد من الاساليب التكنيكية فى الادب والفن والازياء وتبنى الاشياء واصطياد الاتاع ما يكفل لها التسلسل الى محتتمنا والتفريغ خاصة فى روح

+ + استصمال مجازى معنى انه اذا اكتمل فى عقل كميل وإله يطالب المسنم بتفكره أولا .

شبابنا واجيالنا الصاعدة التي تجتاز فترة رومانيسمه نتيجة لما لقيناه من الاستثمار الذى شغلنا عن العناية بها وتثقيفها حسب مبادئنا ومعاييرنا الثقافية والدينية والحضارية، وهذا يعنى أننا قد جربنا بالفعل كل ما صدر إلينا من انتاج الفكر الحديث فى أوروبا ، بل لا زالت هذه الانماط الفكرية تؤثر فى مجتمعاتنا نسبيا ولا زالت تجد فريستها من كل من يجهل قيمته الحقيقية أو من هان على نفسه مفرد فيها ، على حين أنها قد ماتت فى مهدها الاول منذ تجربتها الاولى ، ولم تقم لها مجتمعاتها وزنا أو تعترف بها رغم أنها ولدت فيها ، ولا تصور التمسك بهذه الافكار والمقائد الا حقا ما بعده حق فالتسل يقول : من حر بالمجر بجلت به الفدامة ، فهل يمكننا أن نعتبر داروينيا أو فرويديا أو يونجيا أو ماركسيا مثلا مفكر الساعة والمستقبل الذى سيحل مشكلات أمته والانسانية كلها ؟ اذن ولماذا لم تعمل ؟ ولماذا زادت بلة الطين ؟

الواقع ونفس الامر أن التجربة الاوروبية برمتها فاشلة مضطربة اضطراب الائم ، فعل حين نلاحظ أن الارسطية لا زالت تهيم ويطرق غير مباشر على الفكر الاوروبى حتى على من أراد القضاء عليها وبناء فلسفة جديدة ، نرى أن الفكر الحديث أشبه ما يكون فى تقساته وتوباته بمصاب الحمى المتقطعة قد تغلب عليه التطور الفحائى ، وأن التشعب الذى منى به هذا الفكر منذ عصر النهضة الاوروبية قد اتاح الفرص لكل من يوسع على دور النشر حتى يصبح صاحب نظرية أو منهج فى عصر الصواريخ التقريبية لذتها فى زوالها وانتظار غيرها يتصف بكل شىء الا العقل ويرتبط بكل شىء الا الحقيقة الثابتة ويعتون بكل شىء الا الانسانية وان اطلق عليه المذهب البشرى مثلا ، لقد صفق الغربيون كثيرا لهذه الصواريخ ولكن الظلام هو الذى بقى ، فليس هناك أسوأ حالا مما وصل اليه المجتمع الغربى من تفكك وضياح وانهايار فى المادى الاخلاقية والاسس الاجتماعية والقيم الانسانية ، ولم يعد يملك الا الركوع على صعيد الحقيقة والتنازل عن كبريائه ومطهرسته التقليدية وقصصته صور الاعتراف والعجز مما يعرف الآن من مشاهد الاستهتار والدابالية والاباحية بل وجنابات الضمائر الميتة ، من ذلك الذى كان يتصور اوروبيا يفرط فى ثقته ويخرج من احلى العواصم الى النيبال فى صورة « هى بى » ووجهه يقسم بالتمرد والقذارة لا وجود للصابون فى حياته ؟ أو أن الاسرة الواحدة تقيم وترمل احياء

على جانب خط برلين الفاصل بين ألمانيا ، وألمانيا ؟ أو ان يطغى ذلك الرصاص فى قلوب الاطفال والامهات ويفتصب الاراضى والمقدرات ؟ سكرة عمياء مزاجها الحزف والتثبث بالعيش مكنت للنشر من أن يشوه الحياة • الامر الذى حرك عقلا الغرب الى استنكار جنابة الفكر الحديث والبحث عن خلاص من هذه الوحامة والدعامة الروحية •

أما دارسوا الفكر الغربى فهم فى حيرة أمام هذه الظواهر والتقنيات فكل هذه الانفكار والنظريات ليس الا مظاهر للصفاة الشيطانية وسيطرتها على الفكر ويا ليتها كانت على شئ من أصالة الفكر الشيطاني فلا زال الشيطان أول مخلوق فكر أو بتعبير اصح أول مخلوق قاس ، وشتان بين القبط والنسر •

وشهد شاهد من أهلها هو ول ديورانت الأمريكى قال :

« والمهروب الوحيد الجدير بالعقل الناضج هو أن ترتفع عن النظر الى الشوارد والاحزاء حتى نتأمل الكل ... وثقافتنا اليوم سطحية ومعرفتنا خطيرة لاننا اغنياء فى الآلات فى الأغراض » •

والفلسفة على هذا النحو الذى دونت به خلال المائة عام الأخيرة قد تكون جديدة بهذه الاستهانة وهذا الاغفال • ولقد انصرف ذلك العقل الذى كان يمكن ان يصنع الملوك والفلاسفة الى محمقى البحث فى تحليل الأدلة التى تؤيد أو تنفى امكان وجود النجوم والمحيطات والبكتيريا ، والحيرة فى عدم ادراكها ، وقد استمرت هذه المعركة التى تشبه المعركة بين الصفاد والفئران - هائتين وخسيتين عاما دون أن تخرج بشرة لها قيمتها فى الفلسفة أو فى الحياة ، وبفائدة لاي شخص اللهم الا فائدة طابع الكتب • كما قال :

« لنا ان نقرر أن الفلسفة تناقض نفسها باستمرار مع تتابع مذاهبها ؟ وان الفلسفة جميعا خاضعون لثورة جنون قتل الإخوة ، فلا يهدأ لهم بال حتى يعطموها كل منافس يطالب بارتقاء عرش الحقيقة » • (1)

ونعود لنقول ، الواقع أنه لا حديث فى الفلسفة الحديثة الا عناصر المروق ومحاولات النسيان التى وجدت من فساد الزمان والاضاع وتلاشى الحدود فرصة تسمح لها بأن تهتك ثوب الحياة وتخرق اسباب المروءة : مروق الانسان من الخير الالهى ونسيان الجانب

المتعالى الوجود ، ومرورقه من الخير الانساني ونسيانه لامانة الانسان والقيم الانسانية •
لقد خشي أحدهم على الفلسفة يوما من أن تصبح خادمة للإلهيات *Anella theasla* أو يفيا
يقضى منها علماء اللاهوت وطرحهم *Meretrix theologorum* فكيف به إذن وقد تحولت الى
ما هو أسوأ وغدت يفيا للسياسة *Meretrix Politicorum* أن كونها جارية للدين لا يسيبها
فالدين بجانيه المتبايز يبقى سيحقق لها موضوعها الاصلى ولكن المار الفاضح أن تستهين
وتسلم حريتها لتصبح يفيا لمنصرية من العنصريات مهما كانت أو للتجربيات وواقعية
منحطة أو للصناعة والوثنية الحديثة أو تصبح أخيرا معلمة للبهاء • (B)

لقد بدأ الفكر الاوروبى ينحت الاصنام منذ قدم ديكارت بفلسفته ، الا أن الوثنية
الجاهلية كانت تتخذ الاصنام ومزا يقربها الى الله زلفى فهناك وراء الصنم علة غائية — فترة
كانت النفس لا تزال قريبة عهد بالمبدأ ولم تكن قد التثاقت كما التثاقت البحر الابيض اليوم
بمخلفات المصانع — أما الاصنام الحديثة فهي الغاية فى حد ذاتها وليس ورامها أو أمامها
من شيء وعندما تقرب الفكرة بيزر الصنم ، وعندما قال نيتشه ان « الله قد مات » كان
يشير الى فراغ الحياة الفكرية للانسان الاوروبى من المعنى ، والمعنى المطلق والبعد المتعالى
والعلة الغائية • وهذا ما يؤكده أيضا محمد اقبال بقوله :

« ان مثالية أوروبا لم تكن مطلقا من الموانىء الحيلة التى تؤثر فى وجودها ، ولهذا أدت
الى خلق شخصية ضالة أخذت تبحث عن نفسها بين ديمقراطيات تنكر التماسيح وكل مهما
استغلال الفقير لحساب الفنى ••• وصدقونى أن أوروبا اليوم تمثل أكبر حجر عثرة
فى سبيل الانسان والرقى الاخلاقى • (10)

ولعلنا لو تعمقنا فى البحث عن السبب فيما آل اليه الفكر الاوروبى الحديث نكسب
قد اقترنا من تحديد هوية المفكر الذى تحتاجة الانسانية اليوم ، فالسبب كما يبدو لنا
راجع الى تصور المسيحية عن الانسان أو على حد الاصطلاح الانثروبولوجى المسيحى ،
فالمسيحية تعتبر الانسان ارادة ، وأن هذه الارادة قد منيت بالخلل والانحراف بسبب
الصلة الاولى للهبوط ، واشترطت لزوال هذا الخلل غسل التعميد والايمان بالمسيح (ع)
وهناك بعد أن يتلاشى الخلل يستطيع الانسان أن يتعقل ، فالانسان فى نظر المسيحية
ارادة أولا أضيف اليها العقل ثانيا ، ومن ثم صرح كبار المفكرين المسيحيين منذ بدء التاريخ

المسيحي بان على الانسان أن يؤمن أولا ثم يتمثل بعد ذلك ، أو على حد تعبير القديس
انسلم . آمن أولا وتمثل ثانيا ، ومن ثم انكر الكلام المسيحي قدرة العقل
على ادراك الكليات ، فكف يد العقل بالكلية عن العلم ، كما أوجد صدى في محاولة
القديسين أوجستين وتوماس من بعد للتوفيق بين الايمان والعقل .

وفي هذا الصدد يقول الأستاذ سيد حسين نصر - من أشهر بالنبأ عنه في هذا
المقام والذي حللنا تسمياته الطيبة للسلقى بالتوفيق وتحقيق الاهداف المرجوة وشكره
وسلامه للقائمين عليه والحاضرين فيه - يقول :

« وكان على العقل أن يثبت وجوده وأن يتحرر من الشك الفلسفي . وهذا ما حققته
الرقائق لقد جعلت من الانسان ، وكان نصفه ملاكا ونصفه حيوانا ، وكانت إحدى وجليه
في السماء والآخرى في الأرض ، انسانا أرضيا كاملا ، الأرض موضوعه والعقل اداته .
ومن هنا استغلت قوة استدلالية صرفته داخل البشر ، بها يجد طريقه الى العلم بكل
شيء ، ولما كان طريق وصال الحقيقة قد تحدد بالإرادة والايمان دون العقل ، فإن ضعف
الايمان ومحدودية العقل بالاستدلال قد ضيعا وصال الحقيقة المطلقة أو على الأقل قد
حددها ، ثم حدث في القرن السابع عشر في اعقاب قرنى الشك نوع جديد من اليقين
الفلسفي الى حد ما على يد ديكرت ، الا أن هذا اليقين الفلسفي هو الآخر لم يكن مبنيا
على نظر كلي بالنسبة للانسان ولما حدده بالاستدلال أو
ما قال ديكرت تكون الحقيقة قائمة على أساس تمثيل الشخص من نفسه ، يعنى انه جعل
« نحن نفكر » أساسا له « نحن موجودون » التي تأتي في الدرجة الثانية بعدها . وعليه
فهو في الواقع قد ألغى الوجود بمعنى واقعية كلية ، تعتبر نحن الجماعة ومرتبة منها
وجعل الوجود الفردي والبشرى معيارا لمعرفة العالم العيني والواقعي الخارجي . والحقيقة
أنه وأن لم يستطع أن يحدث تحولا كليا في جميع شؤون الفلسفة الا ان قد بدأ طريقا
يبدو في نظري مقارا للتأسف الشديد فقد افضى الى المتفلق الذي يمايه الفكر الاوروي
اليوم » (11)

هذا هو السبب وتلك كانت النتيجة ، تخرج منها بأنه لا مفكر بدون حضارة ، ولا
حضارة بدون دين ، ولا دين الا ما يدخل الانسان بجميع جوانبه في نظره الاعتبار .

أما حضارة عصر الحديد فلن نفرنا ، لأنها هجنت الحديد وامتهنت الانسان ، فما كانت الا لتجمل من الاسان سيد المخلوقات طعاماً للآلة ومن المادة تأيوتا للروح ومن العقل مسخاً وأضحكة في التاريخ حتى أصبح الفرد سيد البشرية وصاحب الفضل عليها في الوجود ، ولي نخطئ لتقدير بل سنضع كل شيء في نصابه . وبالفما ما بلغت التجارب وما ابداع المختبر فلن يملأ الحير الذي رسمه الدين في أذهاننا عن رمزية الدجال الضال المضل وخوارقه الا اذا اكتمل السجال سوء وظهر على حقيقته فهو لا زال في دور الطفولة يتربى بين المعامل والمختبرات . الشرق لا يأخذ من الغرب ، واللاحق لا يتقدم السابق . فاذا ما طلعت الشمس من الغرب فقد انقلبت موازين الحياة بأسرها ، شيء أعمق من تصور الظل أو المد أو الرياح والأمطار أو مجاري الأنهار أو اضطراب نظام الفلك أو تحريك الموتى في القبور أو انكشاف المستور واستتار المكشوف أو سقوط كل ما في يد الانسان من ضمانات وركائز وهي من التوازن الى اللاتوازن ، شيء عبر عنه الاسلام بالقيامة . التي بدأت علامتها في الظهور = (12)

لقد ظل الشرق يعطى الغرب ، والغرب يفسد ما اخذ . وارسل مبالغ في دهشته أمام الظهور المفاجيء لسيدنة اليونانية . فقد كانت امراً طبيعياً وسيراً تدريجياً قام على عناصر شرقية وظل الفكر اليوناني شرقياً حتى اوسطو غنقل الاصاله من الماهية الى الوجود وحدد الفكر بالمنطق ، وكل تحديد الفكر قضاء عليه .

وتعرض الفكر الاسلامي للفلسفة الغربية وتبين : مرة في انصر العباسي والاخرى في العصر الحديث . والذي حدث في المرة الاولى أن اعلام المفكرين الاسلاميين كالكندي والفارابي والشيخ الرئيس ابن سينا ومن لف لفهم، استوعبوا كل ما طرحه الفكر اليوناني عليهم وعضموه وتعاموا معه بكل رحابة صدر وحلم من قرون الزمان . وحسبنا أن نشير الى ماثرة الكندي مؤسس الفلسفة الاسلامية التي استقبل بها الحقيقة آياً ما كان موطنها وجنسها (13) . ومع هذا فقد اسفرت المحاولة لدمج الفلسفة اليونانية في وجهة النظر الاسلامية عن تقاصر هذا النوع من الافكار عن بلوغ المداير العالية التي رسمها الإسلام أمام مفكره . ولم يكن أمام المذهب المشائي الذي حاز قصب السبق اذالك الا أن يطوى حصيره من المشرق وبها جر الى المغرب ثم لا يلبث سراجة أن ينطفئ بضروب حياة الى

الوليد وقبيله من الابداء . فلا تمسك بها الفلاسفة لقناعة بجانبها النظرى ولا يكتسها
عيون الجماهير لما فاءت عليها من جانبها العمل . ولا اخال وجودها فى الفترة بين الكندي
وابن سينا الا ضرورة استعمالها كسلاح للرد على الكلام المسيحى والعقائد السابقة التى
استخدمتها سلاحا ضد الاسلام . فقد انتشر انذاك الاسلام على ارض ملقبة بالانكسار
والقصائد اليونانية . ثم بقيت تمارس تحت الموازين والضوابط الاسلامية الى ان ثمت
علم تسانخها . اما ما بقى منها بعد ذلك منذ ان امدها خواجه نصير الدين الطوسى
بنفس رافىء حفظ لها نوعا من الوجود فى البلاد الاسلامية وما اضاء عليها صدر الدين
الشبرانى من تكليف فهو ذلك الجانب منها الذى تنقله وجهة النظر الاسلامية او قلنقل
تلك بضاعتنا ودت لنا وتعرف الشرق على ما كان له فى الفلسفة اليونانية سواء عند
افلاطون والاهلى او الافلاطونيين المحدثين او ارسطو .

وحسبنا ان نشير الى تصريح ابن سينا عميد المشائين الاسلاميين . الذى ورد فى
مقدمة « منطق المشرقيين » حيث يصرح بان كتبه الفلسفة المشائية الشهيرة كالشفاه
والنجاة لا تخرج عن كونها كتابات طاهرية قصد بها عوام الناس ثم يرى ان يبسط
الفلسفة الشيخ الاكبر محى الدين المشرقية التى يقصد بها الصفاة التى يطلق عليها
علم الحواص (14) او نشير الى الفصل الذى عقده ابن عربى لقائه مع ابن رشد والاخير
فى آخريات أيامه ، والذى ختمه مشيحا جنازة زعيم المشائية بقوله :

« هذا الإمام وعده اعماله : . يا ليت شعرى هل أنت آماله ؟ ! (15) فقيامه حجة
الاسلام القزالي ومناهضته للمشائين ليست الا دليلا على أن الاسلام لم يأخذ شيئا من
الغرب وانه يطرد كل ما لا يتفق معه فى وجهة القطر ، وانه ليس فى حاجة الى ما يملكه
من الفكر الغربى . وأخيرا أنه من الثقة فى نفسه والبسر فى المعاملة حتى يسمح للعقول
بان تتريض بشطرنج استجريطى أو اجطاطا ليس قد تستفيد بل لقد استفادت منه منطقا
لزمها فى فترة ، ثم لم يسلم بعد ذلك من حيلات امثال السهروردى ، والبيرونى وابن بكر
الرازى وابن تيمية »

اما أن تزين المشائية على الفكر الاسلامى وتزاحم نبوغه الخاص وتمرقل نمو حياته
المقلية ، فهذا ما يدعى الى ما صارت اليه ،

وأما الحكمة العملية في الاسلام فتفوق نظيرتها عند أرسطو برأجل تتجاوز التصور . فالاسلام قائم على أساس تعهد الحياة البشرية على مستوى عالمي كلي وفي تمام شؤون الحياة دقيقتها وجلبيلها مادية وأخلاقية ومعاملات وما يشمل جميع جوانب الإنسان من أدق خصوصياته واسرار وأحواله وأطواره وأماله وأهدافه ونزعاته ، فمن خجلة فكره وهاجي قلبه الى أعلى مستويات يقينه ، ومنه وهو تقطة في الاصلاب اليه وهو وريقة في التراب ، كل هذا بمنتهى الحساسية والدقة العملية ، ان من الصنح التي يوزن بها في ميزان الاسلام صنجة اسمها مثقال حبة من حردل ، وأخرى اسمها « مثقال ذرة » - ومن ثم كانت المدينة الفاضلة الارسطية أو جمهورية افلاطون أو بمعنى أعمس الحكمة العملية اليونانية اذا قيست بكمة الكرمة أو المدينة المتورة أيام الرسول (ص) أو بمعنى أعمس بالحكمة العملية الاسلامية ، لا تمدو قطرة كدرة ملوثة أسسة في مقابل محيط زاهر طاهر زلال - مثلاً بينما نرى ان الجملة أو العبارة اليونانية المشهورة « لا تعلموا أبناء السفلة العلم » تنقل عدواها الى ابن سينا فيوحى في ختام الاشارات والتنبيهات بالعلم بالفلسفة وقصرها على الخواص (16) يتقدم السهروردي بسواعده الفتية الشابا ليكتسح ارسطو نفسه من الطريق ويفتح الابواب على مصارعها أمام الجميع في مقدمة حكمة الاشراف يقول : « فليس العلم وقفاً على قوم ليفلق بعدهم باب الملكوت ويمنح المزيد من العالمين » (17) والواقع ان الاسلام استطاع بأصالته وتساميته أن يقض بعد البحث والتحصيل كل ما لا يردف له من الفكر اليوناني بجانيبه النظري والعمل ، عن كاهله .

وكان من الامانة بحيث وضع الصحيح مكانه واقره وجب غير الصحيح وأبطله . وهذا ما نستنتجه علاوة على ما ذكرنا من عدم توفر القناعة الكافية لدى الحكماء المسلمين من بعد الفكر اليوناني . وما كان هذا لولا أن الاسلام يحكمته النظرية والعلمية وبجانيبه الظاهري والباطني وبمنطقه الصوري الاستدلالي والتجربى الاستقرائى كان قد وسع آفاق الفكر أمامهم ورفعهم درجات فوق ما قدم لهم ذلك الفكر . الامر الذى حداهم الى العودة الى أساطين الحكمة فيما قبل سقراط مسقطين الدودة الهلستينية من حسابهم . بل لقد ذهب السهروردي الى اعتبار الحكمة اليونانية فرعاً من فرعين انشقت الحكمة

الادريسية السماوية اليهما ، أحدهما في فارس والآخر في مصر ، ومن مصر انتقلت الى اليونان *

وأما المرة الثانية فذات ظروف وملابسات مغايرة • وآية ذلك أن الفكر في أوروبا كان قد بدأ ينحرف منذ عصر النهضة ورأى الاستثمار فيه خير سلاح للقضاء على مقومات شخصية البلاد المستعمرة وأصالة الرأي فيها ، وذلك بعد أن جربه في الشعوب الأوروبية ذاتها ونجحت التجربة • فسد ذلك السلاح بشتى أشكاله وإمكانياته وطرق الاستفادة منه الى ما لها من عقائد وما عقدت عليه مجتمعاتها وحياتها وثقافتها من مبادئ وما احتفظت به من تراث حضارى • فالوقوف اذا ليس موقفا فكريا مجردا وإنما هو سطو فكري مسلح بالاستعمار • وهذا ممن شأنه أن يستغلب العناصر الانهزامية من الانتهازيين والوصوليين والقشريين والذيين والنقاعيين والامعات وجميع القصاص المصابة بالفراغية كما يبيح في جسم الأمة تمردا شرسا من الاقليات الحاقدة ويلهب زوائد دودية لم تكن في حساب الصورة الاجتماعية ، ويكون منها قاعدة له يتحرك منها الى مكان الاتصال ، وبالتالي يحدث ما نراه الآن من الامراض العكسية والملل الاجتماعية في جسم المجتمع الاسلامي • وخاصة أن المتلقي في هذه المرة لم يعد هو الأمة الاسلامية الصاعدة الفتية في عصرها الذهبي وأوج اندفاعها وأعلى ما سجلت من قمم المد الفكري والجبري والحضارى وإنما كانت أمة منهكة القوى خادمة الفكر ضعفتها نوبات المغيرين الطامعين واستهلكتها الحروب والفتن والانتقاسامات الداخلية وغربت في الزمان عن مشارق الوحي واستكانت قوة الابداع فيها الى التكرار والاجترار وفقدت قوة التمييز بين ما ينفعها وما يضرها وما هو لها وما هو عليها ، تتضائل وأوروبا الصاعدة بثورتها الصناعية واطماعها التوسعية تزلزل جدران بيتها عليها من كل جانب وتقتحم اسوارها بوقاحة • ومع هذا لم يعدم الاسم هذه المرة أيضا من ينتفض الانتفاضة الجذرية التي ايقظت العالم الاسلامي وبصرته بحقيقة موقفه ومصيره فكانت « النهضة الحديثة » وكان رجال « الإصلاح والنجدية » وعلى رأسهم جمال الدين الاسد ابادي المعروف الافغانى أمثال الشيخ محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي وغيرهما في كل مكان وامتد ثلها الفيور الى هذا الشمال الافريقى فكان صالح بن مهنا وعبد القادر المجاوي وابن باديس • ولا شك في أن ما نراه من مظاهر التحرر في

العالم الاسلامي عامة والعربي خاصة اليوم هو ثمرة هذه النهضة التي شقت الطريق امام الامة والقتل عن عائقها مسؤولية التحرر من الاستعمار بهتت اشكاله واطواره والنهوض بالاسلام الى ما يليق بالامة الاسلامية في عالم اليوم .

الا ان الكلمة التي تقال هنا ، هي ان طبيعة الموقف في مواجهة الغرب كانت تتطلب حركة تضاليتها اكثر منها فكرية ، وان هذه الطبقة من الزعماء كانت ما تتطلبه هذه المرحلة فقد كانوا مسلحين بصدق النوايا وقوة المزامم ومناعة العقيدة الاسلامية اما التوقف على الفكر الغربي لمواجهة الفكر الغربي ، فلم يكن هذا الشرط متوفرا فيهم . ولهذا ظل الدور تضاليا حتى اليوم برز على مسرحه في كل بقعة من العالم الاسلامي ابطل احرار صناديد ان ضاقت المقام حتى عن الاشارة الى اسمائهم فلن يضيق بهلله المناسبة عن الاشارة الى عبد القادر الجزائري ، وعبد الكريم الخطابي في هذا الشمال الافريقي . ثم ورث هذا الجيل الطليعي الكفاح ابناءه البررة القائمين اليوم ممن ادرا دور البطولة على خير وجه ولا يزالون على العهد والطريق بما يشهد لهم بالشرف في التاريخ .

اما الآن فالدور دور الفكر . لقد انتهى دور البطل والدور اليوم للمفكر . وهذا الذي نشاهده من انشاء المراكز الفكرية وتشكيل المؤتمرات العلمية والملتقيات الثقافية والفكرية والبعثات صحبها الاقلام الواعية الرائدة وما تبشرنا به المطابع من تحول جدي في الاتجاه الفكري وما تبديه الحكومات من جهود لبعث التراث العلي ، كل هذا وغيره ، ان دل انما يدل على أننا قد بدأنا جهادنا الاكبر ، في معركة التحرير الفكري ، وبمست الثقافة الاسلامية وتصحيح المفاهيم ورد الاعتبار للقيم ونفض الغبار عن تراثنا الحضاري وتصبئة الجهود للانطلاق في بحث حضاري يحقق للاسلام عزته وللامة الاسلامية كرامتها . كما يدل على مدى احتياجنا للفكرين المبصرة الذين يستطيعون ان يستقبلوا مدا فكريا حسان اوان ارتفاعه ، فتبني له السدود الراقية ويصرف في الوجهة الايجابية البناءة ، فالمرية من شأنها ان تفك عقال العقول وتفتح شهيتهما ، وما احوجا الى غذاء لهذه العقول التي جاءت قرونا ، هذا الجوع الذي ادى بها في مستهل العصر الحديث الى الانكباب بوعي وبغير وعي على موائد الفكر الغربي الحديث حتى كادت تنسى مذاق ثقافتها الخاصة ، وبهتت الشقيقة بينها وبين انفراجها الاصيل فلم تعد تهضم ما تقدمه لها الموائد الشرقية .

وأعود لأقول انه ان دل أخيرا فانما يدل - بالرغم مما أحدثته سطوات الفكر القريب الحديث في عالمنا الفكرى من اضطرابات وانحرافات وما نقلت من عدواها الى روح أجيالنا الصاعدة - على أن كل ما هبت به الرياح الغربية من بنور الفكر والمقائد لم تجد في أرض الإسلام ما يكفيها من شروط الانبثاق . وأن مبادئنا الاجتماعية لا زالت مسيطرة والإسلام ما أنفك القوى الذى يطرد كل ما لا يتفق معه في وجهة النظر كما هو دائما . الا ان هذه الحقيقة يجب الا تكون باعثا على التواكل فنسمح لانفسنا بالمبالغة في التفاضل بها والاطمئنان اليها تاركين الامور على عواهنه فقد تغير الزمان وضعفت روح الايمان واضمحل العقل الانساني تحت سطوة النفس وتآكلت الشكائم وتصمرت الاعنة . فالحالة تقتضى منا دقة فائقة وعناية بالمة في مراحل ثلاث : مرحلة استئصال الطفيليات فمرحلة النقاة وتكامل الشفاء فمرحلة توفر الحصانة الداخلية والمناعة الذاتية .

والآن فلنبحث في اطاري الزمان والمكان ، على أن هناك عالما فكريا أو عقائديا لم تكن قد خبرناه بعد وثبت أن أمته واضية به ، فتجربه وتتخذ منا لسا ، والا فلنعمد الى الإسلام صاغرين شاكرين . فلنعمد الى القرآن ، لا على سبيل محاولة الاستفادة من تطبيق الامكانية القرآنية على قدر الامكان ، فالدين حقيقة صماوية لا يمكن رغم مرونتها أن تخضع لما نريده منها بل نحن الذين يجب أن نخضع لها ونتطابق معها . لنعمد اليه طيرا قتلته الظما وطال به السرى في قياقى الفكر والتجارب العقيمة ونطفيء هيمنا في ينبوع الوحي المتدفق بالرى والنور . لنعمد الى قائدنا الاعظم الذى أخرج من حرار مكة مجتمعا مثاليا كان خير أمة أخرجت للناس ولا يزال هذا على الرغم من كل شيء . لقد أدت الأديان المرحلة دورها وسجلت نتائجها فكانت جوارب جزئية وادوارا في سبيل التكامل . ومن هنا كان الإسلام آخر الأديان وكان الدين عند الله الإسلام . وعليه فالإسلام ومفكره هم المسؤولون عن الحياة عن الانسانية والانسان اليوم . حقيقة اثبتتها الواقع الملى واكدها مواقف الإسلام من كل ما ورد اليه من الخارج على مختلف التصور منذ كبرت المذنة ودفع المحارب بأنفاس المصلين . واعترف بها كثير من فضلاء القرب واكابرهم .

وقبل أن أتعرض لدور المفكر أود أن أقدم بالتالى :

لقد كانت كلمة جاهلة صدرت فى أكثر من مكان من العالم الاسلامى فى مستهل العصر الحديث عندما باغشنا وجوه الاستعمار تقول : ان الاسلام فى ذلك الوقت كان قد قال كلمته الاخيرة ولم يعد لديه شئ يضيفه بعد دور الحواشى والحواشى على الحواشى والتذييلات على هذه وتلك . ولا يمتينا قائلها فكفى بنفسه عليه اليوم حسيبا وانما تعنينا الحقيقة فى أن الاسلام ليس له كلمة أولى وكلمة أخيرة يفلق عليها كتابا أو يفتتم بها دورا فكلمته الاولى والاخيرة هى « لا اله الا الله » الابدية الازلية المنزهة عن حدود الزمان المنفتحة على اللانهاية أولا واخيرا . فالكلمة الاخيرة للاسلام هى العلة الغائية من هذا الوجود . وإذا كان الاسلام قد استهلك فى جانبه الظاهرى طبقات من محترفى صناعة التحشية والتذيل ، فليس معنى ذلك أن ظاهره قد استهلك هذا بله جانبه الباطنى . فالاسلام هو اللقاء بين الله والانسان والارتباط الثابت الباقي فى الانسان بال دائم الباقي سبحانه ولهذا كان باقيا بقاء رب العالمين سار مع الانسان حتى يسوم يبعثون . والاسلام بما يتمتع به من الكلية التى تؤهله للاستمرارية ليس من البساطة حتى يستهلكه هؤلاء البسطاء أو أن يسير أغواره أولئك الحشويون الذين تطلعو على فتوحات غيرهم آبقين من استلهم الاسلام ما يجب أن يضيفوه فى عصورهم التى وصموها بالانحطاط .

والقرآن أشبه ما يكون بالمرآة يرى فيها المفسرون انفسهم فقد استعرض المفسرون سيان الظاهرى منهم والباطنى أفكارهم وانطباعاتهم حسب ما غلب عليهم من جوانب العلم المختلفة وما توفر لديهم من علوم الاوائل . ثم دار اللاحقون فى فلك السابقين والحقيقة القرآنية لا زالت لم تقض بعد بأكثر ما كان لديهم . أما بالنسبة لنا نحن اليوم فليس لنا تفسير يتناسب مع ما يقتضيه هذا الزمان فلكل زمان فهم وتفسير أوسع وأعمق من سابقه وإن قام على أساسه لأن الكون يتكشف كل يوم عن المزيد من أسرار ونواميسه وحقايقه والتحرية تنسج بالانسان فتزداد معارفه ، بما لو عاد به الى القرآن ونواميسه قوله تعالى : (ما فرطنا فى الكتاب من شئ) وقوله تعالى : (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) . وليس معنى هذا أنه بمجرد أن تصنع المكواة أو تتكشف الذرة عمن طاقتها

يذهب بعض من سامحهم الله على تصديهم للمسؤولية دون تولي امكان الاضطلاح بها ، الى القول بان المكران في القرآن مستدلين بقوله : (يوم تكوى ٠٠) والنزلة في القرآن مستدلين بقوله : (مثقال ذرة خيرا يره ٠٠) فالقرآن وجود تدويني ، بؤرة تجمص فيها الوجود ، بذرة كمنت فيها الشجرة بكل ما قدر لها من امكانية الوجود والحياة ففيه كل ما في الوجود من نواحيس كنية ومبادئ عامة . ومع أن حظ المفسرين وهم فرسان هذا الميدان وأرباب هذا البيان كان من الضالة الى هذا القدر فما بال غير المسلمين بالعربية اللام الكافي حتى يسلموا ويستسلموا تسليم عمر واستسلام لبيد ، بسل وما بال الغرباء عن العربية مع أن القرآن رحيق مختوم اذا فُص في الترجمة ضاعت لوحته السماوية وتلاشت نهكته الروحية وهيات لكلمة البشر أن تتلا فراغ الكلمة السماوية وهيات أن يتولر للغات الأخرى ما للعربية من امكانيات وروحانيات تمكنها من تلقي ضغط المعاني والافكار والضلال الجانبية والايحاءات والايامات والحركات الظاهرية والباطنية والايقاع والترنيم وسحر الرتم وجمال الفنون البلاغية وتأثيرها ما جعل الترجمات أقرب الى الشروح السطحية ، والواقع الملموس أن البيئات الإسلامية الغربية على العربية هي التي تصدر دائما النحل الشادة والمقائد الباطلة والمذاهب المنحرفة التي لا تزيد في نظري عن كونها تطفلا سحبا على الاسلام ، يجد من جهن الناس بالعربية وبحقائق الاسلام ومما في عقولهم الباطنة من روايب ومما يشاهدونه من سوء الاستفادة من الاسلام ما تجده النار في الهشيم اليابس والذئب الضاري في القطيع النائم . ثم يقال ان الاسلام دين تخلفناه ولم يعد صالحا . وما هذا الا لان العقل اليوم اتسع عن التفاسير الموروثة والنفة اليوم ضاقت عن فهم مضامينه وبين هذه السمة وهذا الضيق منزلق لمن شاء الحيانة والمروق أو شاء التحرر من التزام الحق .

ثم ان الاسلام في الزمان بمعنى وجوده الاوضى التاريخي قد مر بمراحل ثلاث حدها المفكر الجزائري مالك بن نبي بمرحلة الروح والايمان وتنتهي عنده واقصة صفين . ومرحلة العقل وبناء الحضارة وتنتهي عند ابن خلدون ومرحلة الفريضة وتنتهي بوطن الروح والجلود الى الارض بمعنى العودة الى البدائية (18) . وهو تقسيم

صحيح في نظرنا . والسؤال هنا في أى هذه المراحل حدث أن طبق الاسلام تطبيقا كاملا أو اتبعت له الفرصة الكافية لتطبيق جانبه العملي في اخراج المجتمع الاسلامي المثالي ؟ أو بمعنى أصح المجتمع الحضارى الذى تتمثل فيه جميع قيم الاسلام ومبادئه وتعاليمه ومثله بحيث يمكننا أن نقيس على غراره ؟ ! وهذه النقطة وإن كانت خارجة عن حوصلة هذا البحث فهي تحتاج الى بسط فى الموضوع الا أن الجواب هو أن الاسلام لم يطبق لأن تطبيقا سليما كاملا . بل لقد ولد غريبا وعاش غريبا وعاد غريبا وطوى للغرباء . فهل لنا أن نغامر مرة ونسمح له باخراج المجتمع الاسلامي الحضارى المثالي حتى يكون قدوة للناس جميعا . وهل يمكننا أن نكف عن نعمت الاسلام بالقصور والتخلف حتى نكون قد جربناه تجربة عملية صحيحة فتكون أحكامنا عليه أحكاما قطعية لا ضروبا من التذليل لأراء المرفضين والهاقدين .

إننا نحن المسلمين المسؤولين عن الاسلام لا المستشرقون ولا مفكرو الغرب الذين ابتلوا الاسلام بأفاتهم الفكرية وألوه حسب عقائدهم الشخصية ثم حكموا عليه بسنق الحاقد أو الناقد وهم فى الحقيقة يجهلون أبسط مبادئه وليس لديهم الا مكان للتمشى معه الا ريشما تغلب عليهم حزازات ربثها بيشاتهم فى قلوبهم فينقنون على اعقابهم مفلسين ناقلين . انه الاسلام الذى حمل الدنيا على يديه ثلاثة عشر قرنا أمد العالم فيها ولا يزال يمدحها بالنور والحضارة . ولا زالت اقدام الاوروبيين تفرع الطريق الى كنوزه الفكرية طلبا لمزيد من المعرفة حتى اليوم . فهل لنا أن ترتفع الى مستوى المسؤولية والواجب التاريخي حتى نستطيع أن نقدم الاسلام للدنيا على حقيقته التى تجب كل ما كدسته الأيام والاوام من شبهات عليه فى نظر العالم والغربى خاصة وهل لنا قبل ذلك أن ندرج أن الاسلام حقيقة كلية نازلة من السماء لا ترتبط بمحدوديات زمنية أو دنيوية ولا تنقيد بأعراض فكرية تطرأ عليها ، فنخلصه من كل ما تطفل عليه من عقائد ومذاهب ونزعات فكرية متضاربة ، ونمود به دينا خالصا كما يريد الله لا كما أرادته السياسة أو كما عرفته الفرق ، دينا كما قدمه لنا رسول الله (ص) جماله وقوته وعمقه وعبقريته وغناه ووسعته وفعاليته وتأثيره فى بساطته الساحرة الآخذة . ونقدمه فى ثوب زماننا وعلى قدر عقولنا وتجاربنا ومنطقنا ؟ فمن طبيعة الاسلام انه مرن يسير مع الزمان الى الابد

وليس من طبيعة الانسان أن يعود الى الوراء وخاصة من أجل الدين . تجربة سبقت
وحدثت في العالم الاسلامي قام بها الفزائي مع الفارق على كل حال الا أنها حدثت بالفعل
ولا زال اثرها قويا حتى اليوم واستحق لذلك لقب « المجدد في الدين » .

وبعد هذه المقدمات وعودا على بدء لم يبق لي الا أن أهنس في اذن المفكر بهذه الكلمة
التي قالها عظيم من عظماء هذا القرن هو فريدهوف شومان لعل ارسم بها خطا بيانيا
لمشكلة الانسانية في حقيقتها وأضع نقطة البداية في يده ، قال : « ان خطا الرجل
الحديثانه يريد أن يصلح الدنيا دون أن تكون لديه الارادة أو القدرة على أن يصلح الانسان .
وهذا التناقض الفاضح ، هذه المحاولة لاييجاد عالم افضل على قاعدة انسانية أسوأ لا يمكن
أن تنتهي الا الى الاضمحلال ، اضمحلال حتى ما هو انساني مما يؤدي الى فقدان السعادة
أيضا - واصلاح الانسان يعني دبطه مرة أخرى بالسما واستحكام الحلقة المكسورة مرة
أخرى - انه يعني انتشاله من مملكة الاهواء من عبادة المادة الكمية والمكر ودمجه مرة
أخرى في دنيا الروح والصفاء ، حتى يمكن أن يقال انه في دنيا علته الفائية » . (19)

فان كانت هناك كلمة فلنقلها ضمن توديع المكان شاكرين صبر الحضرات وتكرمهم
بالاستماع الى ما لا يقاس بإمكانياتهم العلمية معنويين عن القصور والتقصير، وهي أن على
المفكر أن يعود فعلا الى المفارقة وليتحمل مشقة اقناع زملائه حتى ولو بدا لهم أغبي ادراكا
مما كان قبل فراره من المفارقة . ما نقادهم بالفعل لا بالقوة هو ما يبهج الدنيا بميلاد مفكر
حق في عصر ضال .

فيظل في التاريخ القمة التي تطالب بنظيرتها في المستقبل . ولا يكون الا بصنق
النية والعزم والتماس اللون من الله (ربنا لا تؤاخذنا بذنوبنا واعف عنا واغفر لنا
وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) .

1 - 2 : دمل « برتراند » تاريخ الفلسفة الغربية « ترجمة زكي نجيب واحد أمين « مجلة الناقد
والترجمة والنشر « ص 967 : ج 1 « ص 207 .

3 : غريه من الاخلاص ارجع الى ابن تيمية في كتاب « منهاج السنة » ج 1 « ص 88 حيث حدد موقفه اللاسفة
من الرسل والرسالات ورايهم في الصادات ، وهناك يقال : « فقالوا أن « الرسل لم تبين العلم والحقائق التي

يقوم عليها أبرهان في الامور المعنوية . ثم منهم من قال ان الرمح علمت بذلك وما بينته . وصم من يقول انها لم تعلمه واما كانوا ضارين في الحكمة المعنوية ولكن خاطبوا الجمهور بخطاب تمثيل ، خبات لهم في امر الانسان بالله واليوم الآخر ما ينفعهم اعتقاد في سياستهم وان كل اعتقاد باطلا لا يطابق الحقائق . وهم يقررون بالمبادئ لكن يقولون : مقصودها اصلاح اخلاق الناس ويقولون : انها تسقط عن الخاصة المسارفين بالحقائق « (نقل عن الدين والضمير ، لحيود الفرقاوي مصر الانجليز المصرية ، 1958) شيء يذكرنا بما كفايل « الغاية تبرر الوسيلة » واعتقد اننا قد اشرنا الى آرائنا بالجملة الاولى في هذا البحث .

(4) رينان ، ارنست : « ابن رشد والرشدية » ترجمة عادل زعير ، القاهرة ، 1957 ، ص 176 ،

(5) المرجع السابق ، ص 190 .

(6) السهروردي ، الشيخ شهاب الدين يحيى بن سبيح بن اميرك الشيرازي بالقول : (

ج 2 ، تصحيح هنري كرين ، طهران ، 1952 ، ص 10 - 11 ، وارجع ايضا الى س . ج . نصر « فلاله سكه - مسلين » ترجمة صلاح الصاوي بيروت ، دار النهار ، 1971 ، ص 85 ، والقسم الثاني من الحاشي ص 189 ، الحاشية رقم 25 : والطبقات الثلاث هي :

1 - طبقة يداروا يحسون الظن للمعرفة وبالتالي القمو على البحث عنها ،

ب - طبقة اكتسبوا المعرفة الكلية واتموا الفلسفة الاستدلالية ولكنهم بلغوا غرياء عن العرفان والسهروردي يند الفارابي وابن سينا من هذه الطبقة ، يقفوا بتشكيل المعرفة الاستدلالية هل الاطلاق ولكنهم طهروا انفسهم حتى بلغوا درجة الخلق والاشراق الباطني كالحلاج والبسطامي والتستري .

(7) المرجع السابق ، ص 10 من محم : « التحريفات » لثمة استندنا من تعريف المرجع السابق للفلسفة في مورد الفيلسوف (8) « نقل عن » الفلسفة المدنية في الميزان » محمد بلوان ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، سنة 1389 ، 1969 ، ص 44 - 45 ، نقل « مباحث الفلسفة » وهو عبارة عن ترجمة .

تأليف

نيويورك 1952 .

(9) ارجع الى مجلة دبرجبي ، القاهرة دار العلم ، العدد الثالث ، مايو 1966 ، ص 156 وما يليها مقال « الفقه والاسطورة في التاريخ ، لالفريد شفيون ، ترجمة عبد العزيز حلمي ، وارجع ايضا الى في

ترجمه الى الفارسية احمد آبرام تحت عنوان « احياء فكر ديني دار السلام » طهران 1968 ، ص 204 .

(10) آقبال لاهوري صحيفه

(11) س . ج . نصر : عن حديث صحفي مع معروف مجله « تلاش » الايرانية تحت عنوان « اسان ، فلسفة » وجود حاجي باسما نسيابريم « سنة 1347 ، شمس العدد 9 . وقد نقله الداعي الى العربية ونشر في مجلة دعوة الحق المغربية الا انها لم تتكون حتى بارسل نسخة للمترجم . وهناك عند المقاربة على النحو التالي : لقد جعل ويكارت الاستدلال معيارا للمعرفة ، صحيح ما يقال من ان ارسطو كان استدلاليا ايضا ولكن السجود في الفلسفة الارسطية يعني واقفه واسمة فيما وراء الفرد والفكره يشاعدها الفرد من نفسه الى حين ياتي ويكارت ويحصل الاستدلال الواقعي اساسا اي يحصل انفس او الاستدلال اساسا لادراك الواقعية بل كونه اساسا للحقيقة » .

(12) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقتل فتنان عظيمان يكون بينهما مقدمة عظيمة . . . وحتى يموت دجالان كذايوت قريب من ثلاثي كهم يرغم انه رسول الله ، وحتى يتقي المسلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج وهو يقتل ، وحتى يكثر لكم المال فيفيض وتكثر الزلازل .

حتى يوم الرجل من يقبل صدقته ، وحتى يمرضه فيقول القى يمرضه عليه لا قبل ل به وحتى يتطول الناس في البسيان وحتى يمر الرجل بغير الرجز فيقول يا ليتني مكانه ، وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورأها الناس يمسي أمثوا أحسنون فذلك حين لا يدفع لناس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو اكتسبت في إيمانها خيرا ، ولتقوم الساعة وقد مشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه . ولتقوم الساعة وقد انصرف لرجل بلبن بقرته فلا طعمه ولتقوم الساعة وهو يلط حوصه فلا يسقي فيه ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها » .

(البحار طبع صحيح ، ج 9 ، ص 74 ، في أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

23) « يعني لنا أن لا نستحي من استحيان الحق واقتناء الحق من أبي آبي ، وإن أتى من الأجناس القصية عفا والأمم البديئة (لنا) ، فانه لا شيء أولى بمطالب الحق من الحق وليس (يعني) بحس الحق ، ولا تصغير بقالته ولا بالآتي به ، ولا أحد بحس بالحق ، بل كل يشرفه الحق » رسائل الكندي الفلسفية « لابن زيسمة ص 102 = 103 .

24) ص ، ج . نص: « ثلاثة حكماء مسلمين » دار النهار ، بيروت - 1972 ، ص 39 .

25) ذكر ابن عربي قصة اللقاء بقاء على سمي ابن رشد وتعليقا لرغبته لما سمع عن فتوح ابن عربي بعد الخلو فها التيا ابن عربي على حاله وقال : « عند حال ابتعادها وما رأينا لها أربابا فأنشد لله الذي أنسا في زمان فيه واحد من أربابها الفاتحين مغالين ابوابها وألمع لله الذي خصني برؤيته » كما قال ابن عربي أن ابن رشد شكر الله تعالى الذي كان في زمان رأى فيه من حل الخلو جاهلا وخرج مثل هذا الخروج من غير درس ولا بحث ولا مطالعة ولا قراءة . (موقفه نراجع من ابن رشد يذكرنا بتراجع ابن سينا) الفتوحات المكية ، القاهرة ، 1399 ، ج 2 ، ص 153 = 154 .

26) أبو عل سينا « الإشارات والتبصيرات » طهران ، 1339 شمسي ، ص 169 - 170 تحت عنوان « خاتمة ووصية » .

27) السهروردي « شهاب الدين يحيى بن حش بن اميرك : « مقدمة حكمة الاشراف » طهران 1331 شمسي .

28) ابن تيم ، مالك : « شروط النهضة ومشكلات الحضارة » مصر ، 1957 ، ص 36 .

29) شوان ، فريد هوف

« ترسة صلاح الصاري » تحت الطبع .

دور المفكر اليوم وعلى مر العصور



د • واشد الراجع

عميد كلية الدراسات الإسلامية
بجامعة الملك عبد العزيز
جدة - المملكة العربية السعودية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

الحمد لله القائل : (قل هل يستوى الاعمى والبصير
افلا تتفكرون) سورة الانعام • والصلاة والسلام على
الشيخ النذير ، صاحب الرسالة الخالدة ، والنبوة الخالدة
ذى الفكر الثاقب ، والعقل النير والهدى المستقيم • الذى
أرسله الله بالحجة والبرهان فلما الناس جميعا الى ما فيه
صلاح دينهم ودنياهم • صلاة وسلاما دائمين الى يوم
يعثون وعلى آله وصحابه الطيبين الطاهرين •

أيها السادة الكرام :

انه لمن دواعى الفضة والسرور أن أنشارك في هذا المنتدى العالمى الثامن للتعرف على
الفكر الإسلامى بجزائرينا الحبيبة بحديث لا أدمى فيه الإحاطة والشمول لأن مثل هذا
الموضوع - كما أتصوره - يستأهل أن تقدم فيه رسالة جامعية ، بل يستحق أن تقدم فيه

عدة رسائل لاعلى درجة جامعية ، ولكنى على أى حال سأختصر الموضوع وأتناوله من زاوية اسلامية أراها جديرة بالتنويه والاشارة على سبيل المشاركة والإسهام * فأقول وبالله التوفيق *

لن أخوض فى تعاريف لمعنى الفكر والمفكر ، والمقل والعقل، وما فى معناها - نظرا لكون تلكم معانى مملومة لديكم ، وتعريف المعروف تنكير - كما يقال - * كما أننى من الزاوية التى أريد الحديث فيها عن الموضوع اتفق مع من يرى ان الفكر والادراك والعقل بمعنى واحد فهى أسماء ممتدة لمسمى واحد *

ويطلق الفكر ويراد منه التفكير ، أى العملية التفكيرية ، وقد يطلق ويراد منه نتيجة الفكر أى متوصل اليه الانسان من العملية التفكيرية * وليس الفكر بمعنى التفكير عضوا خاصا به ، حتى تصح الإشارة اليه بل هو عملية مقعدة ، تتكون من الواقع المحسوس (1)، وإحساس (2) الانسان (سواء بحساسة واحدة من حواسه أو بحواسه كلها) ، ودماغه (3) والمعلومات (4) السابقة لديه *

وما لم تجتمع هذه الاشياء الاربعة فى عملية معينة لا يمكن ان يحصل فكر ولا ادراك ولا عقل * (يراجع الفكر الإسلامى - لمحمد محمد اسماعيل - ص 67) *

وعلى هذا فإن البحث فى تركيب العقل وتكوينه ومادته غير داخل فى حديثنا * لأن الذى يهمنا فى هذا المؤتمر الفكرى الإسلامى ، أن نتحدث عن العمليات التفكيرية التى يقوم بها العقل وما يترتب على ذلك من نتائج *

وسواء عرف العقل بتعريف مادى محسوس أو قيل فيه ما قيل فى تعريف الكهرباء (لا يدرك كلها وحقيقتها ، ولكنها تعرف بآثارها) فإن اهتماما كما قلت على المحصول الذى تقدمه لنا تلك الموهبة العقلية المطيبة التى رعبها الله بنى آدم تكريما وامتحانا (لئيلوكم أيكم أحسن عملا) *

أيها المؤتمرون الكرام :

ان تاريخ الفكر والمفكرين مرتبط بتاريخ الإنسانية منذ وجودها * تكلمت الأديان القديمة عن العقل والفكر وبحث فى هذا الموضوع قدماء الفلاسفة من اغريق وسواهم *

وظهر في المسلمين كثير من العالسة كابين رشد والفارابي وغيرهما كما ان هناك كثيرا من العلماء والمفكرين الذين قدموا للانسانية - على مدى تاريخها المديد - كثيرا من الاختراعات والمكتشفات التي سمدت بها البشرية وأسهمت اسهاما فعالا في الحضارة والتقدم والازدهار ، وان ما نشاهده اليوم من تقدم ورقى في المجالات الفضائية والعلمية لهو نتيجة لتلك الجهود الجبارة ، والافكار المبدعة التي هي - بلا شك - استمرار لافكار اقوام سابقين ربما بدأت بمحض الصدفة ثم اتخذت شكلا فكريا منظما قام على قواعد دقيقة ونظريات سليمة أثبتت الايام صدقها وصوابها ومن ثم قدمت للاسرة البشرية الكبرى خدمات لا ننكر في مجالات مختلفة فحنت لها آفاق المستقبل الزاهر . والامل المرتجى والسعادة المرتقبة ... ولا اعتمد ان هناك احدا يجادل في قيمة الفكر ودور المفكر في نهضة امته ومن ثم العالم بأسره .

كما لا اعتقد ان هناك احدا ينازع في ان التقدم التكنولوجي والرقى الحضاري ، والانماء الاقتصادي ، والتوسع العمراني والتكيف الاجتماعي المزدهر في العصر الحديث كل ذلك حصيلة حتمية لجهود المفكرين والعلماء من مسلمين وغيرهم .

« والمعرفة حصيلة انسانية وشركة بشرية » .

ويجدر بنا ونحن في هذا المقام أن نلقى نظرة سريعة على موقف الاسلام من كسل هذا ، من الحقائق الثابتة أن الاسلام دين فهم وعقل وتفكير وادراك فهو ليس ممن دعاء « الطاعة العمياء » او « اغمض عينيك واتقذ وانت اعشى » كلا . الاسلام أيها السادة دين الحجة والبرهان ، انه دين قام على ذلك ولم يقم او ينتشر بالسيف والاكراه (لا اكراه في الدين) انه دين يحترم العقل ويدعو الى التأمل واستعمال الفكر (وفي انفسكم افلا تبصرون) .

تعالوا بنا في رحلة قصيرة نفصت خاشعته الى بعض الآيات من القرآن الكريم نرفع من شأن المفكرين والعلماء وتدعو الى استخدام هذه الجوهره الغالية لما فيه الخير والصلاح في الدين والدنيا .

قال الله تبارك وتعالى : (تلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) - (سورة العنكبوت) - (وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون) (سورة

المؤمنون) ، (كذلك تفصل الآيات لقوت يعقلون) (سورة الروم) ، (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) (سورة البقرة) ، (يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون) (سورة آل عمران) ، (وإذا ناديتكم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) (سورة المائدة) ، (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) (سورة الانعام) ، (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون) (سورة البقرة) ،

ولعلكم تدركون أيها السادة أن الخطاب في في هذه الآيات الكريمات هو خطاب للعقل عامة - ومنه ما يفتوى على العقل النوازع - وفي الآيات التالية نجد الخطاب موجها الى العقل المدرك . قال تعالى : (ولكم في القصص حياة يا أولى الالباب لعلكم تتقون) (سورة البقرة) ، (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الالباب) (سورة البقرة) ، (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب) (سورة الزمر) - (قل لا يستوى الجاهل والطيب ولو أعجبك كثرة الجاهل فأتقوا الله يا أولى الالباب لعلكم تفلحون) (سورة المائدة) ، (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الالباب) (سورة آل عمران) ،

والآن نأتي الى نوع ثالث وهو الذي يندرج نصا تحت عنوان المحاضرة وهو العقل الذي يفكر ويستخلص من ذلك زبدة الرأي والروية - كما يقول العقاد رحمه الله - وقد عبر عنه بمبارات مختلفة تتفق في المدلول والمعنى مما هو مندرج تحت **الملكات الالهية** فكرا ونظرا وبصرا وتدبرا وما الى ذلك .

قال سبحانه وتعالى : (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض) « سورة آل عمران » ، (ومن ذلك الآية الكريمة التي صدرنا بها المحاضرة : (قل هل يستوى الاعمى والبصير أفلا تتفكرون) « سورة الانعام » ، (أنظر كيف نصرت الآيات لعلهم يفقهون) « سورة الانعام » ، (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء) الآية من « سورة الاعراف » ، (أفلا ينظرون

الى الابل كيف خلقت) « سورة الفاشية » * (أو لم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأفسهم أفلا يبصرون) « سورة السجدة » * (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته) « سورة ص » * (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) « سورة محمد » * (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) « سورة الزمر » * والآيات كثيرة جدا والوقت لا يسمح بسردها ولعل فيما اقتبسنا أكبر دليل على فرضية التفكير في الاسلام ، فهذه الجوهرة الثمينة لم يخلقها الله عبثا بل هي مسؤولية كبرى لها ما بعدها *

فالعقل الوارد في النصوص القرآنية المذكورة آنفا هو - كما قلنا - العقل الذى يغايب الضمير ، ويميز بين الاشياء الضارة والنافعة ويوازن بين الاصداد * هو العقل القادر على التأمل والروية * وهو العقل الذى يقابله الجمود والتجبر - ان صح التعبير - والتنتن وليس بالعقل الذى يقابله الجشون فذاك عقل بلا شك ، ولكن الجشون يسقط السكليف في جميع الاديان والشرائع - أما الجمود فلا يسقط التكليف الشرعى كما هو معروف *

اذن فالمقصود هو استعمال الفكر لما هو أبعد مدى * وعلى سبيل الخروج بنتائج مثمرة ومفيدة * وفي قوله : (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) ما يدل على ذلك فالدين الاسلامى ليس كالدyanات الاخرى التى يوغل بعضها فى الجانب الروحى ويهمل الجانب الدنيوى بشاتا (لارهبانية في الاسلام) أو يوغل بعضها الآخر فى الجانب المادى فيمطيحه أكثر مما يستحق * كلا فالدين الاسلامى وسط بين متطرفين وحقيقة بين نظريتين * فهو دين يشرع الاحكام الدينية والدنيوية ويمنح العقل جانبا كبيرا لفهم تلك الاحكام وتطبيقها مع مراعاة الجانب التعبلى فيها أحيانا *

وباختصار فالدين الاسلامى دين محراب * ودين سياسة وحكم وعقل وتفكير * لا يعرف الاقياد الاعمى بأى شكل من الاشكال ، فانه دين اكتشاف واختراع ، ودين مختبرات ومعامل وتكنولوجيا أو بميزة أخرى (دين دنيا ودين) فهو يمارض فكرة (ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر) ، بل لقد جعل صلة العبد بربه فى كل مجال وفى كل حركة يتقوم

بها والكل لله ! (قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين) *

واذا كان كذلك فدور المفكر المسلم اليوم وعلى مر المصور في أمته وتجاه الانسانية في كل من قضايا الساعة وآفاق المستقبل دور ذو أهمية كبرى . وقد قدم المفكرون الاسلاميون في الماضي لامتهم الاسلامية وللبشرية جمعاء جلائل الاعمال واعظم المكتشفات والمخترعات التي ساعدت على ازدهار المجتمعات الانسانية في كل من ميادين التشريع ، والاقتصاد ، والصناعة والطب والمعلوم والفلسفة وغيرها ، مما بطول ذكره فيما لو تعرضنا لذكر الاسماء . ومما لا شك فيه ان النهضة الحديثة في الغرب هي نتيجة لتلك الجهود الفكرية الاسلامية ، وليست نهضة أوروبا التي تحققت في عهد احياء العلوم وتقلست الانسانية من العصر الوسيط الى العصر الحديث الا امتدادا لنهضتها الاولى التي استمدت مقوماتها من علوم العرب وآدابهم وفنونهم خلال القرن الثاني عشر - (انظر رحلة الادب العربي الى أوروبا - لمحمد مفيد - ص 21) *

ويقول المستشرق الايطالي فرانچيسكو (لم تكن قرطبة وحدها خلال أيامها الزاهرة في القرن العاشر ، مركزا هاما للثقافة العربية الاندلسية ، ولكن طليطلة واشبيلية وغرناطة وبلدان ريفية أخرى ، كانت كذلك مراكز كبرى لهذه الثقافة ، بل لقد ظل بعضها على تلك الحال حتى بعد ان استردها المسيحيون . . . ولم يكن للنشاط الفكري والروحي يوما في تلك الآونة المحصورة التي امتدت في القرن الثالث عشر أية حدود سياسية أو دينية ، بل ظل فخرا للحضارة العربية ، وما نما من قسائنها في التربة الاوروبية - (انظر كتابه « العرب » الطبعة الفرنسية - ص 172) - هذه شهادة أوروبي للفكر الاسلامي وللحضارة العربية الاسلامية بالتأثير للفكر الاوروبي ابان نهضته . واذا كان المسلمون قد أصيبوا بنكسات وانحطاط فيما بعد فالصيب ليس عيب الاسلام ولكنه عيب المسلمين انفسهم * (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) *

ولكن طلائع العودة الى المجد الاسلامي العظيم والتضامن وتوحيد الصف بين الشعوب الاسلامية قد اخنت في البروز بشكل يدعو الى التفاؤل ولله الحمد ، وما مؤتمر القمة الاسلامي الذي عقد قبل أيام بالاهور منا ببعيد !

وان ما يقوم به رؤساء الدول الاسلامية وعلى رأسهم جلالة الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية وفضامة الرئيس حسواري بومسدين رئيس الحكومة الجزائرية الشقيقة وبقية ملوك ورؤساء الدول الاسلامية من جهود لا كبر دليل على تحقيق وحدة الفكر الاسلامي ومن ثم وحدة الامة الاسلامية صفا وهدفا . لتستعيد مكانتها الحقيقية بين أمم العالم كما كانت في عهدها الزاهر . وما ذلك على الله بعزيز *

أعود فأقول ان أهمية الفكر ودور المعكر اليوم وعلى مر العصور في أمته وتبعاه الانسانية في كل من قضايا الساعة وآفاق المستقبل جد هام ولولا المفكرون وما يقومون به من أدوار تساعد على الاكتشاف والتنظيم والتخطيط والسمي لخير البشرية لكان هذا العالم في مستوى متخلف بنائي يمجز عن توفير قوت يومه ومشربه وملبسه ! ولعانت فيه الفوضى قسادا *

يقول الأستاذ محمد الشوباشي : « ان الازدهار الحضاري الحالي ، المادي منه والمعنوي هو ثمرة عمل الانسان ، وخبرته المكتسبة من العمل ، وهذا العمل وهذه الخبرة رفعا مستوى ذكائه ووسعا أفق علمه ، ثم زاده ارتفاع مستوى ذكائه واتساع أفق علمه اتقاناً لعلمه واستفادة من خبرته ، وظل هذا التأثير والتأثر المتبادلان المتواصلان يرفعان على التوالي مستوى حياته المادية ومستوى فنونه ، وأدابه على السواء . . . ان الادب والعلم لا يعيشان بمعزل عن الناس ، ولا يتجعلان معتقداتهم وميولهم ، بل يعبران عنها ويترحانها . ويسوان بمقدار سمو تلك المعتقدات والميول ولا تخفي الرابطة بين هذا السمو وتقدم العلوم والمعارف « ان السعادة الحقيقية لا تتوفر للسان الا باستشعار قدراته وهو يواصل العمل الابداعي للوصول بحياته الاجتماعية من الناحية المادية والمعنوية الى مستويات مطردة الارتقاء وتوطيد النظام الذي يكفل للناس جميعا الاستمتاع على قدم المساواة بالرفاهية التي يسفر عنها مسعاه » وعندئذ يسود الصفاء والاخاء فعلا *

نعم ان دور المفكر هام جدا . وتأتي أهميته عندما ننعم النظر في التقدم البشري في الماضي والحاضر والمستقبل ، اذ لا يمكن بأي حال تصور هذا التقدم العظيم بدون وجود مفكرين عظماء قدموا لنا عصارة أفكارهم لفتح آفاق جديدة من السعادة والازدهار لمستقبل الانسانية في شكل آراء مؤيدة بالادلة والحجج والبراهين وفي شكل بحوث ودراسات

واكتشاف في مجال المعرفة البشرية ، فالمفكر يقف خلف كل تقدم وكل ما تعنيه هذه الكلمة

ولكن هناك نقطة هامة جدا يجب الانتباه لها وأخذها بعين الحسطة والاعتبار • ان المفكر يستطيع ان يكون عضوا عاملا في اصلاح أمته والبشرية جمعاء ، كما يستطيع ان يكون معولا هداما في بناء مجتمعه المتمدن والتقاني والحضارى • وما نشاهده اليوم في انحلاء العالم من رخاء وسعادة ، أو شقاء وضيق وحرب وتدمير كل ذلك نتيجة لادوار المفكرين المتدلين أو المنحرفين كل بحسبه •

فمثلا المفكر المسلم يختلف تماما عن المفكر الشيوعى الذى لا يعترف بدين ولا باله • المفكر المسلم له هدف في هذا الوجود يختلف كل الاختلافات عن الهدف الذى يهدف اليه المفكر المادى المنكر للبعث والحساب •

ومن هنا تأتي أهمية دور المفكر وخطوته ، وهذا بيت القصيد • المسلم له مبادئ وأهدافه ومصادر تفكيره ومنابع وجدانه ، ودوافع تأملاته • انه يستمد تشريعاته من الكتاب العزيز والسنة المطهرة ومن هنا تبدأ • من هنا المطلق والى هنا المصير •

المفكر المسلم له اخلاقه وضميره الذى يحاسبه فى السر والعلن • اما المفكر غير المسلم سواء كان غربيا أو شرقيا فان مصادر تفكيره وأهدافه ونظراته الى الوجود وتقويمه للأشياء يختلف اختلافا واضحا عن مصادر وأهداف ونظرات المسلم •

ولذا فان دعاء الوفيق بين الفكرين يصطبغون بعتبة كاداء فى كثير من الاحيان ! ولا أعنى بذلك انكار ما قنمه الفكر الانسانى بعامة للأسرة البشرية من تقدم علمى وتطور حضارى فكما قلنا ان المعرفة حصيلة انسانية وشركة بشرية • ولكن المراد ان الفكر الاسلامى يحول تلك الاكتشافات وتلك العلوم الى ما فيه صالح البشر واسعادهم فى دينهم ودنياهم • انه فكر اخلاقى ومثل ومبادئ •

اما الفكر غير الاسلامى فانه غالبا يتخذ من تلك الجهود الفكرية والمخترعات العلمية الحديثة الهائلة وسائل تدمير للبشرية وتدمير وابتادة • كثيرا ما يسخر الاستعمار مفكره لحكمة اغراضه الدينية وكبت حريات الشعوب والقضاء على المفكرين الصادقين والاحرار

**المناضلين - وانتفاضة الجزائر ورجالها الأبطال ضد الاستعمار الاجنبي قد أثبتت قوة
إيمان الشعب الجزائري المؤمن بعقيدته وأخلاقه ومثله الإسلامية الفاضلة •**

فعل الشعب الجزائري الشقيق المسلم وسائر الشعوب الإسلامية ان يتخذوا من ذلك
درساً وان يعموا انه لن يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به اولها ان لا **حاكمية الا لله**
وحده ، وان الازدواجية في أى شيء فكرياً كان أو غيره تحدث البلبلة والاضطراب •
وعلى المسلمين جميعاً ان يحذروا الافكار المستوردة فهي وان لاح بريقها ولان ملمسها ففي
ثناياها السم الزعاف والخطر المحقق • والحذر والحيطه مطلوبان في كل شيء ، وما لم يكن
الفكر مستمداً تفكيره من مبادئه ومثله ويثبتته فانه يمشى غريباً في مجتمعه وينطبق عليه
المثل (أخرج وان رقص) وديننا ولله الحمد غني بانكاره البناء ومثله وأخلاقه المتحيزة
لبناء مجتمع انساني متكامل مؤمن بربه يعمل بكل اخلاص في سبيل مستقبل أفضل
وحياة سعيدة للأسرة الانسانية بكاملها •

والله الهادي الى سواء السبيل ***



مَسْؤُولِيَّةُ الْمَوْخِ كَمَفْكَرٍ نَحْوَ الْمَجْتَمَعِ

د . هورست غريكه

« الجمهورية الديمقراطية الألمانية »

مرة أخرى تسمح لي الدعوة الكريمة للحكومة الجزائرية أن اشترك في هذا الملتقى الكريم للتعرف على الفكر الإسلامي وأن يكون لي شرف لالقاء محاضرة في هذه المجموعة العلمية المؤلفة من طلاب الحاضر والمستقبل .

وأرجو أن تسمحوا لي أيها السادة والسيدات ، أن أعبر لحضراتكم قبل كل شيء عن شكوى العميق للحفاوة البالغة التي قوبلنا بها في مدينتكم الرائعة بجاية عاصمة الحمادين السابقة ، ذات التقاليد الفنية العريقة ، كما

أود أن أبلغ لكم أطيب التمنيات من أصدقائي بلدكم الكثيرين في جمهوريتنا .

إن الشعب في وطني - وخاصة جيل الشباب من أبنائه - ليتابع باهتمام بالغ وتقدير عميق التأثير السياسي المتزايد للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية .

ان الجزائر اليوم تعتبر مثالا رائعا وقدوة طيبة للبلدان المتحررة في قارتي آسيا
وافريقيا ، فهي تلعب دورا كبيرا وملوحا تتزايد اهميته يوما الى يوم في المعسكر المعادي
للإمبريالية .

ولعل سبب هذه الاهمية الزائدة يرجع في المقام الاول الى ذلك الدور البطولي الذي
لعبه الشعب الجزائري عندما اراد التغلب على تبعات الاستعمار والتخلص من آثاره في
المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، كما يرجع ذلك أيضا الى تلك السياسة
الرشيطة الواعية لهدفه ، التي يفتتحها مجلس الثورة الجزائري وجبهة التحرير الوطني
الجزائرية في المجالين الداخلي والخارجي .

ولهذا فقد طلب منا طلابنا بالحاح - بعد عودتنا من الملتقى السادس للتعرف على
الفكر الاسلامي في صيف عام 1972 - أن نخبرهم بما لسناء في بلدكم العظيم من
تواحي التقدم والازدهار وأن يحدثهم بشيء عن تاريخه المشهور وعن قصص البطولة
الملحمية في مقاومة الجزائر العنيدة ضد الاستعمار والإمبريالية .

أيها الأصدقاء الاعزاء ،

وأنتم تحتفلون في هذا العام بمرور عشرين عاما على ملحمة الكفاح المجيدة لشعبكم
فإن قلوبا كثيرة في أنحاء العالم المتحرر تخفق مع هذه الذكرى الرائعة ، ولن تمر هذه
المراسم الجليلة دون الاحتفال بها في مدارس جمهوريتنا ومصانعها ، وإن لجنة الصداقة بين
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية وجمهورية ألمانيا الديمقراطية والتي أشرف
أنا بعضويتها لعمل جاهدة على تعزيز أو اصر الصداقة وتوثيق الروابط والعلاقات بين
البلدين كما أنها تؤدي دورا اعلاميا كبيرا عن جمهوريتكم في كل الأوساط الجماهيرية
بجمهوريتنا .

أيها الأصدقاء الاعزاء ،

اسمحوا لي أن أقدم الى الملتقى الثامن للتعرف على الفكر الاسلامي نيابة عن لجنة
الصداقة الجزائرية الألمانية بباطور تحياتي متمنيا له كل التوفيق والنجاح .

دارت محاضراتي في الحلقة الدراسية السادسة حول تأثير الاسلامي في اوربا
وابان العصور الوسطى ، ويوجه خاص حول نصيب العالمين الجليلين ابن سينا وابن رشد
في تطوير التفكير العلمي . واليوم اود أن اتناول طائفة من الافكار التي ادليت بها
آنذاك واصلها بغيرها ، ثم ابدي بعض الملاحظات حول مسؤولية العالم بصفة عامة
والمؤرخ بصفة خاصة إزاء المجتمع .

كثيرا ما يطلق على زمننا الحاضر عصر العلم ، يقصدون بذلك أن تأثير المعارف العلمية
في تطور المجتمع الانساني وفي حياة الفرد أخذ دائما في الازدياد والعمق وليس هذا
التأثير ايجابيا دائما ، بل كثيرا ما يكون سلبيا . والاصوات التي تبرز الجانب السلبي
وتخصه بالذكر ، تشتمد وتعلو حتى لتصل في أحوال ليست نادرة الى درجة معاداة العلم .
والدوافع الى مثل هذا الموقف متعددة الجوانب . ان هذا الموقف المتشائم لا يثبت الا اذا
اغفلنا أو تفاقمنا الوجهين الملازمين لمفهوم العلم . ذلك أن العلوم تنهض من ناحية بسبب
البحث عن الخصائص الرئيسية ، وارتباط العلة بالملول والقوانين في الطبيعة والمجتمع
والتفكير ، ثم صياغة ما مرت به من تجارب في صورة نظريات وفروض وقوانين . ومن
ناحية أخرى ، تتخذ المعارف الجديدة المكتسبة أساسا لعمل بشري آخر ، وتوضع موضوع
التطبيق العملي . ولا تنفصل الوظيفتان الاجتماعيتان الموضوعيتان للعلم عن بعضهما الا
في النظرية - أما في الحقيقة والتطبيق فذلك محال .

ان الدعوة التي تنادي اعتمادا على التقاليد واحيانا بحسنة ، الى العلم للعلم
كفاية في ذاته تزاوله الخاصة وترفض كل فكرة لاستخدامه واستغلال اثره على انها
دنيوية أو مادية ، أقول ان مثل هذه الدعوة بعيدة عن الواقع وعواقبها ضارة . فهي
نفضي بالعلم حتما الى الجرم لانها تسلبه دليل صحته الذي لا يثبت الا بالتطبيق ومن
خلاله ، وتنزل به الى درجة اللعب بالافكار الذي لا طائل تحته .

اتضح لنا إذن أن اكتساب المعارف واستخدامها يؤلمان وحدة لا تنقسم عراها . كما
لا يوجد علم لذاته ، لا يوجد استعمال « لذاته » دون فائدة تجني منه ، بل أن كل معرفة
علمية في وسعها أن تعود على المجتمع البشري بالنفع ، كما نصيبه أيضا بالضرر .

فاقتحام عالم الفيروسات والجراثيم مثلا قد مكن الانسان من مكافحة كثير من الامراض الخطيرة ومن زيادة خصوبة الارض الزراعية الى غير ذلك من الانتصارات الباهرة فى مجال تحسين الحياة *

ولكن من جانب آخر استخدمت نفس هذه المعارف استخداما اجراميا بشعا فى صناعة اسلحة الجراثيم التى تبيد سكان اقاليم بأكملها وتجعلها خرابا لا يسكن ومثال آخر : بمساعدة علم الوراثة سينمى الناس من زمادة المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية زيادة هائلة وبهذا يسهل مكافحة الجوع فى العالم * ومع هذا فان نفس هذا الاطلاع على القوانين الطبيعية يفتح ايضا آفاقا مروعة تطل على عالم من الاشباح ، مسخت فيه الاحياء بيولوجيا ، حتى لانها تصبح اقرب الى الانسان الآلى منها الى البشر *

وازاء هذه الآفاق المزعزة والمزدة بالخطر ينبى على العالم ، اليوم اكثر من أى وقت مضى ، الا يتفصل من المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقه لاستخدام معارفه استخداما صحيحا ، حتى لو شعر أن فى ذلك تكليفه ما لا يطيق ، لان ليس له سلطان يذكر على الاستخدام العلمى لنتائج عمله * وفى المرحلة الاخيره يباط استخدام نتائج البحث العلمى سواء كان ايجابيا أو سلبيا بالطابع الانسانى أو غير الاساسى للدول والمجتمع اللذين يسخران العلم فى حليتهما *

لهذا من الضرورى تحليل هذا الطابع تحليلا شاملا والتعرف اليه حتى يمكن تضييره بمساعدة كل واحد من العلماء والتزامه الواعى ، وبذلك لا يمكن تسخير الغايات الانسانية السامية للروح العلمى فى منعمة نثة قليلة فى ظلم الشعوب والامم الاخرى ، ومى مصالح الاستثمار والاستعمار الجديد ، بل تستخدم من اجل رخاء كافة الشعوب وتوفير السعادة والسلام لها *

والمقدمة لحل هذه المشكلة هى المعرفة الصحيحة للسواصل والبواعث التى تقضى بالمجموع الى التغيير وتدفع تطوره الى الامام أو تعوقه * ولا يمكن الوقوف على هذه العوامل من مجرد تحليل الظواهر والظروف المعاصرة فحسب ، بل يجب تتبع المبادئ والروابط المطقية حتى نشوئها وتكونها * ان من يعرف الماضى ويتركه هو وحده الذى يستطيع ان يفهم الحاضر ، وأن يملك زمام المستقبل *

وخليق أن ننوء هنا في بجاية بذكر واحد من أوائل المفكرين في تاريخ البشرية الذي وضع الاشتغال بالماضى الى درجة العلم ، وأعني به : ابن خلدون ، فقد تقلد هنا كما لا يخفى ، منصبا سياسيا عاما من 1365 - 1383 وجمع بالتاكيد اثنا ذلك جزءا من حبراته التي عرضها بعد ذلك بسنوات في المقدمة وفي الجزء الاول من تصنيفه المشهور « كتاب العبر » . واليوم بعد انقضاء قرابة 600 سنة على تأليف هذا الكتاب ، لا تزال لكثير من افكاره جدتها وتنتزع الاعجاب والتقدير .

ولا يحق بالطبع لمن لا يستطيع قراءة المقدمة في لغتها الاصلية ، بل يقرأها مترجمة أن يتحدث في جمع من خيرة العارفين بأبن خلدون حديثا عاما عن عالم من الطراز الاول مثله ، بل ليس له أن يشترك في النزاع حول تفسير عبارة أو أخرى لهذا السياسي والديبلوماسي وأهمية ابن خلدون البالغة بالنسبة لى كثير مسلم ترجع الى انه حاول في القرن الرابع عشر أن يتصق فى دراسة الاسباب الطبيعية والموضوعية لصلية التطور التاريخي وأنه استطاع أن يستخرج قوانين معينة لسير التاريخ . وبهذه المفاهيم فاق جميع معاصريه وسبق الى افكار لم تنشأ فى أوروبا الا بثلاثمائة سنة بعد ذلك على يد الطبقة الوسطى التقدمية .

ومع ذلك فمن الخطا قبول جميع آراء ابن خلدون ومنهجه كله دون نقد ، ولا يمكن أن نفهم حق الفهم الا من خلال عصره والظروف التي سادت فيه ، فتصوره مثلا لدورة الحلت التاريخي الدائمة هي انعكاس لحجرات عصره ، ابن خلدون عالم ينشأه العالم العربي ونهضته وازدهاره ، وما هو يشهد اضمحلاله وانقسام شمال افريقيا بين أسر حاكمة كثيرة تدب بينها العداوة والبغضاء ويشهد أيضا الاضرار الفادحة التي نزلت بالتجارة والحرف والزراعة والعلوم والفنون من جراء الهجمات الدائمة لقبائل البدو المنتقلة . وحسب ابن خلدون يمر كل مجتمع بطور شباب أو دأوة يقوم على الحياة والقيم البدوية الحشنة ، ثم يمتد نتيجة لمياة الحضارة عصر ترف وازدهار ، تذهب فيه القيم البدوية الى غير رجعة ، ويكون فى ختامه تبعا لذلك الانقسام والحرب على يد مجتمع جديد ما زال يقف على اعتاب طور الشباب والبدأوة .

ونحن نذكر اليوم القيود التاريخية لنظرية الدورة هذه ولا نستطيع أن نقبلها في هذه الصورة - وحسب فهمنا يبالغ ابن خلدون في أهمية العصبية وروح الجماعة - من المؤكد أن الوعي بالتضامن بين مجموعة بشرية تنتسب إلى عرق واحد ، قد يكون ذا أهمية تاريخية ، إلا أن هذه الظاهرة لا يمكن أن تقوم بدور المحرك الرئيسى في التطور الاجتماعى ، كما يصورها ابن خلدون ، وقد بين لنا التاريخ دائما ، أن الروابط العائلية أو العرقية لا تثبت طويلا أمام الأعباء الثقيلة - وابن خلدون نفسه يعترف بهذا على الأقل في فترة الاضمحلال - ويفض النظر من كل هذا فإن الانكباب اليوم على كتاب هذا العالم المخرى أبعدى بكثير من مطالعة كثير من المحدثين - فبينما يعترف ابن خلدون بقواعد ومقاييس تمود التاريخ وينصح بمقارنة الحاضر بالماضى حتى نستخلص العبر من التاريخ ، نجدهم اليوم في أوروبا الغربية وأمريكا كثيرا ما يستبدلون التاريخ بملسم اجتماع لا تاريخى ، أو يضعون نصب أعينهم عدم الاعتراف بالقوانين ، وإنما يكتفون بإعطاء وصف مجرد للأشياء الفريدة في نوعها - وهم يرفضون استخراج العبر من التاريخ ، متعللين بأن التاريخ متسم بالاضطراب والفوضى - ويبلغ هذا الفهم ذروته في القول بعدم جدوى التاريخ مطلقا ، وبذلك ينكرون المعالم المنطقية لعملية التاريخ ويذهبون إلى أن استمرار سير التاريخ يبقى مفتوحا على الإطلاق - إن هذا التشاؤم العميق إزاء التاريخ ليس من شانه فقط تدمير العلاقة بين الإنسان وماضيه ، وإنما يحول أيضا دون استلهام الماضى واستمداد القوة منه لخلق أعمال ومآثر جديدة *

ومن الميزات الواضحة للدول الوطنية المتحررة أن مثل هذا الموقف إزاء التاريخ لا يوجد فيها أو يكاد - لقد أيقظ تطور حركة التحرير الوعى التاريخى المتزايد بين الشعوب المكافحة من أجل استقلالها - أن تذكر التقاليد المجيدة قد أسهم في كثير من الأحيان في الصمود أثناء الكفاح وفي تكليبه بالنصر ، وإني أسوق هذه الحقيقة ، التى لا نزاع فيها ، دليلا على أن الوعى التاريخى المتفتح يؤثر تأثيرا فعالا في الأعمال السياسية - الفعلية للبشر - من هذا يتضح لنا الأهمية البالغة لمسؤولية المؤرخ إزاء المجتمع - فعلى سبيل المثال اتضح من ماضى بلادنا أنه من الممكن استغلال تأثير التاريخ لأهداف رجعية ذلك أبهم في القرن التاسع عشر قد الهبوا حماس الشباب بوجه خاص

للروح العسكرية والحكم الاستبدادي والاستعلاء القومي وروح الانتقام والمنصرية .
وزجت به مثل هذه الافكار العاسدة التي غذتها مصالح الاستعمار الالمانى الاجرامية ،
فى حربين عالميتين ، لقي فيهما حتفه .

ولهذا كان على عاتق علم التاريخ فى جمهورية المانيا الديمقراطية أن يستخرج من ذلك
عبرة ، وأن يقوض الصورة التاريخية القديمة التى قامت على تقاليد قومية ورجعية وأن
يرعى فى مجالى البحث والتعليم الاسس لوعى تاريخى سليم عند كل المواطنين ، ولا سيما
الشباب منهم ، يعكس في دقة الواقع التاريخى . وفى مدارس المانيا الديمقراطية يحظى
تدريس التاريخ بأهمية خاصة اثناء من الصف الخامس حتى الصف الحادى عشر . ان
برنامج التعليم عندنا يسمى جامعا اثناء عرضه لخصائص تاريخ شعبنا ، نهضاته
ونكساته ، الى ربطه بالاحداث التاريخية العالمية . ومن خلال ذلك يؤكد على وجوه الاتصال
المتنوعة والعلاقات والتأثير المتبادل بين الشعوب ، نحاشيا من البداية لكل صورة
تاريخية قوية تنسم بالتحيز .

ان تربية الروح الوطنية التقدمية والروح العالمية الحقة هذه ، ستقاوم فى وعى تام
الاستعلاء القومى والمالات فى الوطنية (الشنوفيتية) . والتميزين العنصرى والثقافى
واحتقار الشعوب ، وهذه كلها امور تدفع الاستعمار الى تزيف التاريخ وتشويهه .

وعلى هذا النحو يمكن أن يحقق التاريخ وظيفته الاجتماعية ويضع حجر الاساس لوجهة
نظر سياسية سليمة ولعمل اجتماعى واعى الاهداف ، كيلا تقنى البشرية نفسها عن طريق
اساءة استخدام العلم . واما نستختم روح البحث الدائبة فى التقدم نحو سلام البشر
وسعادتهم
والسلام عليكم .

نشأة علم الكلام في الإسلام

د • جوزيف فان ايس

مدير المعهد الشرقي بپاسا كوتجن
جمهورية ألمانيا الديمقراطية

ليس علم الكلام ظاهرة من صميم الاسلام كما هي الحال في المسيحية فنظام التعليم في العصور الوسطى الاسلامية ركز على الفقه والحديث ، والمناوس والمساجد امتنعت كراسيها للشريعة وليس لعلم الكلام ، وحتى المدرسة النظامية الشهيرة التي أسسها الوزير نظام الملك قبل الحرب الصليبية الاولى بعدة عقود والتي اعتبرها البعث الاوروي زمتا طويلا صاحبة فضل التحول الى النقيض، أي انتصار علم الكلام الاشرعى - فانها لم تسهم كثيرا

في تغيير الوضع وعندما يحاول الاسلام فى ايامنا هذه أن يتكيف وفق متطلبات العالم الحديث فإنه لا يفعل ذلك بتمرسه بالمفاهيم الكلامية والفلسفية وانما بتوفيره حلاولا جديدة لمشكلات شرعية عايشها مجتمعه المتدين منذ البداية غير أن المستشرقين الغربيين يعاقفون على طريقتهم فى تقييم الامور حيث يفهمون تاريخ الفكر الاسلامى بالدرجة الاولى على انه تاريخ كلام وفلسفة ، وليس تاريخ فقه •

واذا كنا لا نرغب في أن نغير من أساليبنا الخاصة فلا بد - على الأقل - من تقديم مسوغ لذلك . ويمكن هذا المسوغ في أن علم الكلام كما يبدو قد حظى بالاهتمام في القرون الإسلامية الأولى حينما لم تكن الحياة العقلية قد استقرت استقرارا كاملا ، وأن علماء اشتغلوا بعلم الكلام ممن لم نسمع كثيرا عن اشتغالهم بالفقه ولعبوا دورا هاما لدى بلاط العباسيين الأول في العاصمة بغداد المدينة الجديدة ولم يطغ الفقه على سخر علم الكلام إلا في وقت لاحق بعد المحنة التي شرعتها الحكومة في النصف الأول من القرن الثالث الهجري حتى صار الفقه علم الأمان . باختلاف الرأي فيه لا يوجب الخطر والمخاضة ، أما علم الكلام فاكسب صفة اللعبة الخطرة التي لا يمارسها إلا المفكرون المنفلتون على أنفسهم .

أما الآن وقد عرفنا أن ما قامت به الدراسات الإسلامية في أوروبا لم يكن قط ميثا فلتحتاجي على تسويغ تجيز منهجي ثان اتسمت به الدراسة الأوروبية ويمكن أيضا في صيغة موضوعا هذا وذلك هو الاعتقاد في أن البدايات أمتع وأهم من النهايات فالعلماء قبل سقراط يسبحون عقولنا أكثر من الخوططين وحسن البصري أشد إغارة لنا من عضد الدين الأبيجي ، والعلماء الشباب ييشرون بالخير أكثر من العلماء الشيوخ ، على أن البداية تعدثنا عن كيفية مجيء الشيء إلى الوجود وأحيانا عن سبب ذلك - فلا شيء في التاريخ واجب الوجود ، وإنما يدرك الأمر بعد وقوعه وحينذاك يساورنا شعور بأن ما حدث كان لا محالة حادثا . ورغم أن علم الكلام لازم الإسلام تقريبا على الدوام ، فإنه لا يحوز القول أن الإسلام لم يكن بقادر على أن يستغنى عن علم اللاهوت إلى الحد الذي ساء الإسلام ، وعندما فعلت ذلك (يخطر في بالي سمعيا القيومي) إنما فعلت ذلك تأثرا بالإسلام وبين المسلمين عدد كبير ممن ينسوا على دينهم الاستغناء عن علم الكلام فلماذا إذن علم الكلام وكيف بدأ ؟

يحاول المستشرقون أن يجدوا الجواب على وجه العموم بالرجوع إلى المعتزلة premiers penseurs de l'Islam كما دعاهم البير نصري نادر . ويعني ذلك العودة إلى القرن الثاني الهجري ، إلى واصل بن عطاء المتوفى عام 130 هـ أو عمرو بن عبيد المتوفى حوالي 144 وضرار بن عمرو شخصية المدرسة الأولى من لدينا عن تصورات الكلامية

معلومات تكاد تكون كافية ، المتوفى حوالى 200 * وكان ضرار صاحب منهج بخلاف واصل الذى قلما كان * وربما نعرف الكثير عن مقاصد واصل الاصلية لو عرفنا جيدا غرض دعائه المعروفين والذين ذكرهم صفوان الاصاى فى شعر له ، هل هم مبشرون بعثوا ليدعوا غير المسلمين الى الاسلام ، وكان هؤلاء منتشرين فى المعبورة الاسلامية ، فى المدن بل هم اكثر فى الارياف * وكان واصل مشتغلا بالدفاع عن الاسلام ، ولا زالت الاجيال المتعاقبة تتذكره بالالف مسألة كتبها فى الرد على المانوية وهكذا قدر لعلم الكلام أن يبدأ على شكل صراع الدفاع بالحجة ضد الكافرين *

غير اننا لسنا بحاجة على أن ندخل فى تخمينات حول هذه النشاطات فواصل والمعتزلة ليسوا كما يبدو متناح مسالطنا * علم الكلام موجود قبل المعتزلة وفى القرون الاول الهجرى ، فمن غير المحتمل أن كل الحركات الفرعية التى وسمت الحياة الفكرية فى زمن الامويين الاول - الحوارج والقدريّة والمرجئة - خاضت مترك السياسة دون أن تنسى اية بقية نظرية فوقية * أجل بإمكاننا أن نثبت عكس ذلك فحوالى 75 هـ بدأ الخليفة عبد الملك بن مروان مراسلة الاباضية فى البصرة وما زالت الرسالة محفوظة فى مصدر خارجى متأخر * وحوالى الوقت نفسه وليس بعد 80 هـ على الاقل كتب الحجاج واليه على العراق ويتهرب من رسالة الى الحسن البصرى طالبا منه أن يوضح أصول المقيسة القدريّة وحججها * ورد الحسن البصرى لا زال محفوظا * ومنذ أن حقق H. Ritter النص فى عام 1933 لم يشك أحد فى صحته شكاً جدياً * واستنادا الى الحجج كلها معا ، اظن أن ذلك يستحيل حقا *

وتبقى مشكلتان لاد من حلها : فلا زالت كمية النصوص ضئيلة جدا ورغم تلك الوثائق ولم يعثر فى الوثيقتين المذكورتين بعد على الاسلوب الفنى الخاص بعلم الكلام المعتزلى ذلك التركيب الجدل بين السؤال والجواب والتسمى كلاما وهو المصطلح المميز الذى حدد به العرب دائما طبيعة ما يقال له باللغة الفرنساوية « théologie » فلينبه ان نلاحظ الفرق بين المصطلحين المسيحي والاسلامى * يسمى ما يفعل فى هذا العلم بالفرنساوى أو اليونانى وفقا للمضمون. théologie أى معرفة اللغة فبينما يسمى فى الاسلام وفقا لشكل الجدول كلم المحسم أى سأل مسائل وحصر موقفه فى أقوال لا

معنى لها • ولا يبنى هذا اسددام طريقة أخرى للتعبير كلا ولكن ذلك يؤكد طغيان هذه الاداة الاسلوبية المعينة وفيها وجد الهدف الجدلي في علم الكلام المتزلى المبكر شكلها الملائم • ويختلف الوصف في القرن الاول الهجرى فكل من رسالى الاباضية والحسن البصرى علم الكلام على اعتبار انها تعنى بمسائل كلامية غير انها ليست أسلوب كلام ، هل نستنتج من ذلك ان لا كلام قط في تلك الايام ؟ ربما من العجل أن تدعو ذلك نتيجة لمجرد انها بقيت على حجة الصمت ومن الصين المذكورين ففهم انهما لا يفضلان استعمال الكلام ولا الحسن البصرى طلب منه الدخول في حوار خيالي مع خصومه ولا الاباضيون كما يفترض عادة في نصوص الكلام المتأخرة • وانما طلب منهم تبين افكارهم وهذا ما فعلوه اذصف الى ذلك انه اذا كما حقا تبحث عن مادة تولى الى الاتجاه الماكس فقد نخرج بفقرات قليلة وثيقة الصلة بالموضوع ليس الا محمد الماقر اعلم الشيعة الخامس المتوفى سنة 117 هـ يرد ذكره على أنه استعمل حجة كلامية ضمن رواية أوردها المؤلف الشيعة الكليني في كتابه الكافي عمر بن عبد العزيز (حكم من 99 الى 101 قيل انه شدد على مهارته في الكلام ولا سيما فيما يتمق بمناقضاته مع الشيعة • واحدهم صحار العبدى والنزى كان وثق الصلة بالاحنف بن قيس وبماوية وقيل أنه عاش زمنا في حياة النبي روى عنه المؤلف المتأخر الشماخي الخارجي أنه تصح في القديين بما يلي :

« كلومهم في العلم فان امروا به بقضوا ، وان انكروا كقروا » • وسحار العبدى هو معلم العالم الاباضى المعروف ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة التميمي الذي عاش في النصف الاول من القرن الثانى الهجرى فيصح أن نفترض أن لديه نظرية جبرية معتدلة تشبه تلك التي لدى الاباضية وتشبه الفقرة السالفة الذكر في محتواها تقريبا ما قد ينوقه المرء من رجل كصحار • اما في الفاظها وتركيبها فنحنظرنا مفاجاة واذا كانت الفقرة صحيحة فيكون قد ثبت لدينا أن الفعل كلم وربما الاسم كلام جارى الاستعمال في هذا النوع من النقاش الكلامى بل أنه ثبت لدينا أيضا أن ملحا من أكثر الملامح الفنية تكرارا في الجدل المتأخر وهو الابتداء بالخبر بمن شبيئين واستعمال المنقلة لم يكن غير معروف لدى علماء القرن الاول •

فهل يابرى هذه المصوص صحيحة ؟ لمعتبر بتحذير النظام المتزلى حشد الاكاذيب لا يؤدى الى الصديق ونحن نقول بلسان حالنا ان حشدا من الشكوك لا يمكن ان تبى علمه حقائق تاريخية والشك قائم فى صحة هذه الشواهد فمما يشك فيه أن آتية الشيعة ولا سيما جعفر الصادق واباه محمد الباقر كانوا بمثابة نحلة نتخذ تمسب اليهم افكار من لحقهم من الرواة وصوره عمر بن عبد العزيز التاريخ مشوهة فقد حاول المؤرخون المعاصرون له أن ينعتون بمصلح بنى أمية الكبير بل هو فى رأيهم مهدى سنة الحصار (100) وكما استفنا نقول ان المصدر الذى يروى لنا عن صحار الميسى متأخر والشماخى توفي سنة 928 هـ وابن سعد ذكر صحارا بكتبات قليلة فقط والنظرية المطروحة اذن والتى نود ان ندافع عنها - وهى أن الحضارة الاسلامية لم تتم علم الكلام ولا سيما فى الكلام وانما نمت معه - لا يكفى أن تمام على مواد مفككة كهذه لا سيما وهى نظريته حذرية . لقد ألفنا الراى القائل عرب الصحراء هم ارباب اشعر واللغة واللهم لا يتقروا صنعة المدن كعلم الكلام بدأت حضارتهم من مراغ ثم بخلصوا شيئا فشيئا من صحايهم الموروثة كما اننا نلتزم بالراى السائر وهو أن الادب فى أيام الامويين كان يروى شفويا ولذلك يصعب علينا قبل امكانية الاتناج الكلامى المدون آنذاك . فنحن بحاجة اذن الى أكثر من شاهد للتدليل على ذلك والشواهد متوفرة ورغم ان امكانه الشك فيها قائمة الا انها ترمى قاعدة لنقاشنا اعرض وثبت فس بين كتابات الامام الزيدى الهادى الى الحور يحيى بن الحسين المتوفى 298 رد على رسالة زعم أن الحسن بن محمد بن الحنفية كتبها ضد القدرين والامام الهادى هو مؤسس الجماعة الزيدية فى اليمن وحفيد القاسم ابن ابراهيم الرنى المشهور . والحسن بن محمد بن الحنفية هو حفيد على واهو ابن هاشم المرووف الذى اتخذه الكيسانبة اماما وقيل انه بلغ تركه الى العباسيين ورد الهادى محفوظ فى محطات عدة مرفق به عدد كبير من نفس النص الذى يجاور ويسود بنا هذا المر مرة أخرى الى القرن الاول الهجرى فقد توفي الحسن بن محمد بن الحنفية بين سنة 99 وسنة 101 ان لم يكن قبل ذلك وفى هذا المر نلتفى مرة أخرى أيضا بتركيب الفقرة نفسه الذى كما قد وجدناه فى نصيحة صحار الصدى مع ما يرافق من نقاش طويل حول

تفسير آيات من القرآن وثيقة الصلة بالموضوع . على أن التركيب هنا ليس مفككاً ولا مشتتاً بل يتخلل النص كاداة تمير مقصودة ولنضرب على ذلك مثلاً أو مثلين :

يقول الحسن بن محمد بن الحنفية مخاطباً خصومه من القدرين أخبرونا الجبر إرادة الله بهم (يعنى بالعباد) فوضعها (النار) فيهم أم الشر أراد بهم ؟ فان قالوا الجبر إرادة بهم فيقال لهم وكيف ذلك وقد جعلها (يعنى النار) وقد علم أنهم لا ينتقمون بها وانها لا تكون الا فى مضرتهم . وإن زعموا أنه جعلها فيهم ليضربهم انتقص عليهم قولهم « ولربما كانت هذه المحاجة محتاجة الى تعليق فهو يقول ان كانت النار قد خلقت منذ البدء فقد قدر الله الشر والا كان هذا الفعل لا معنى له والحجة كما تبدو قاصرة فقد غفل عن ذكر اعتراضين على الاقل ، فقد تجيب القدرية ان الله لم يقدر الشر وانما كان على سابق علم به ، وسبق المعرفة لا تعنى الجبر وقد تدعى القدرية ان النار لم توجد بعد وانما ستوجد بعد يوم الحساب عندها تدعو الضرورة لذلك وكلا الاعتراضين معروف فقد اقترح الاعتراض الاول الحسن البصرى فى رسالته الى الخليفة عبد الملك والثانى قال به ضرار ابن عمرو . المتكلم المعتزلى فى القرن الثانى الهجرى وبما ان المؤلف قد غفل عن ذكرها فى هذا النص فان ذلك دلالة كما يبدو على انه لم يكن يعرفها اذ انه لو لم يذكر فعلاً كل الذرائع التى يمكن توقعها من القدرية فان ذلك يعنى ان رسالته ليست كتاب الاشهاد للجبرية فى كيفية تناول حجم العودية والعقرة التالية تبين ان ذلك بالفعل كان مقصده قال الحسن فيها :

« هل يستطيعون (يعنى القدرية) ان يجهلوا ما جعلهم الله به عارفين ام لا يستطيعون ؟ فان قالوا : لا فقد انتقص قولهم عليهم ان قالوا : نعم فقل هل يستطيعون ان يجهلوا معرفة الله فلا يعرفون انه خالق كل شىء ومصدر كل شىء ؟ فان قالوا هذه الفطرة وليس يشأ احد عليها فالحق كلهم يعرفون انه الله ، فقال : هل يستطيعون ان الله يجهلوا الليل والنهار والسماء والارض والدينا والآخرة والناس والخلق كلهم ان الله جعلهم كما شاء وكيف شاء ؟ فان قالوا : نعم فقد كذبوا والناس كلهم شهود على كذبهم . وان قالوا : لا فقد تابوا » *

وكما رأينا فإن الخطة نفسها قد طبقت في خطوات عديدة لتضم كل الخجج المتعارفة المروفة في العترة اثنى كتب فيها الكتاب ومستوى النقاش يتلأم والوضع في أواخر القرن الاول وكان عيلان المشقى الذى اعلم أيام الخليفة هشام بن عبد الملك (105 - 125) قد استعمل مصطلح الفطرة بمعنى خاص ولدينا شواهد كافية تسدل على أن ظهور هذا المفهوم يعود الى القرن الاول الهجرى . القرآن وحديث الفطرة المشهورة لدى رواء ابو هريرة والحجة التى أبرزها الحسن بن محمد بن الحنفية قاصرة لما من قدرى ينفى ان من يعرف شيئا لا يستطيع أن يجهله ، ولكن القدرية ترى ان بجانب الفطرة كثيرا من المعلومات لا يعرفها الانسان ضرورة وانما يكتسب معرفتها بالنظر العقل فالموقف - كما يرى - غير مسلم الماما جيدا بالاعتراضات التى يمكن أن يطرحها الموقف القدرى وقد كان مقصده ان يؤلف كتابا مرشدا يتناول فيه « بنعة » القدرية تناولاً حسناً ولكن الافكار التى يحيل اليها أو يأتى بها نفسه افكار غير تاضجة وهو أمر يدعو الى العجب على ان هذه البدائية صفة تقم بها كل تلك النقط تقر وخير توضيح لذلك هو الافتراض ان تلاويخ هذا الكتاب يعود الى زمن كان علم الكلام فيه لا يزال فى أول أمره ، مع العلم انه ليس فى الا ربعين قطعة التى نسخها الهادى الى الحق اثبات داخلى يشير الى بطلان النص .

على ان مقاومة افراد الشك أمر عسير هل مجرد على ان نفترض ان كتابا كهذا قد كتب فى زمن مبكر حين كان صنع الورق فى بلاد العرب غير معروف وورق البردى وجلد الرق من الغلاء يمكان ؟ هل تستحق القدرية مثل هذا العناء وتلك الاثمان فى زمن كانت ميادين النشاط الادبى الاخرى لا زالت محدودة ؟ أضف الى ذلك ان تعامل الحسن بن محمد بن الحنفية على القدرية وهو أمر نسلم به الآن - قد أهملته كتب التراجم فنسمع فقط انه كان يعنى بمسائل الكلام غير انه يبدو ان وجهة نظره كانت مختلفة اد قلنا نسى مصدر . « ذكر كون أول المرحلة أو اقباس بعض ما فى كتابه ما فى الارزاء وهو أول كتاب فى موضوعه على ان لهذا الاثبات السلبى ناحية ايجابية فاذا كان الحسن بن محمد ابن الحنفية حقاً قد ألف كتاب الارزاء فلسنا بحاجة الى ان نفكر ملياً حول امكانية وجود انتاج كلامى فى زمن الامويين الاول بل اما أكثر استعدادا للتصديق فان المؤلف نفسه

قد كتب كتابا آخر حول مسائل كلامية وكونه من المرجحة لا يعني أنه كان جريا
بالوقفان كثيرا ما احتمعنا *

وقد اقتبس الذهبي المتوفى 748 أو 752 في كتابه تاريخ الإسلام وابن حجر المتوفى
852 في كتابه تهذيب التهذيب كثيرا من كتاب الأرجاء فالكتاب اذن كان متداولاً حتى
القرن التاسع وإذا لم يكن قد عرف مفردا فقد عرف من خلال مصادر ثانوية وقد درس
W Madelung هذه الاقتباسات وشدد على صحتها وفيما بين ذلك من الزمن استطعنا
أن نوسع من قاعدتنا فقد حصلنا على المصدر الذي اقتبس منه ابن حجر وهو كتاب الإيمان
لأبي عمر العدني المتوفى 243 وفيه يرد النص كاملا كتب على ثلاث ورفات تقريبا ونحن
قد لا نفيده من النص في مهمتنا إلا وهي البحث عن امثلة لعلم الكلام اذ يرد على صيغة
رسالة كتبت الى الشيعة والعراق أى كرسالة الحسن البصري الى عبيد الملك كما انها
قد لا تسهل علينا مهمتنا فتمطينا بعض الملامح الفنية الكلامية التي ذكرناها أبنا ولكنها
تمطينا معلومات غزيرة عن موقف المؤلف السياسي وبذلك نتيج لنا فرصة الحكم على
مواقفه الكلامية وهذه مقرة من الرسالة يقول ونحن أراد أن يسألنا في أمرنا ورأينا فانا قوم
الله ربنا والإسلام ديننا والقرآن امامنا ومحمد نبينا ونرضى من أمتنا بأبي بكر وعمر
ونرضى أن يطاعا ونسخط أن يعصيا ونعادي لهما من عاداهما ونرجى منهم أهل الفرقة
الاول ونجاهد في أمي نكر وعمر الولاية فان أبا بكر وعمر ولم تقتل فيهما الامة ولم تختلف
فيهما ولم يشك في أمرهما وانما الأرجاء قيس عاب الرجال ولم نشهده ومن نعادي
فيهم سببته منيته طهروا بكتاب الله وعلنوا الحرب على بني أمية ٠٠٠٠٠ يقومون المعصية
على من عملها ويعملون بها اذا طهروا بها يصرون عنتها وما يعرفون المخرج منها انحذوا
اول بعث من العرب اماما وقلدهم دينهم تقمض على حبههم وبغارقون على بعضهم جفاة
على القرآن اتباع الكهان يرجون دولة تكون في بعث يكون قبل الساعة ٠٠٠ حرقوا
كتاب الله وارقتوا في الحكم وسعوا في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين *

ومن خصومة هذه السبئية التي أدركنا ان يقولوا : هدينا بوحي ضل عنه الناس
وعلم حقي ويزعمون أن بنى الله كتم تسعة أعشار القرآن ولو كان نبي الله كانا شيئا
مما أنزل الله لكتم شأن امرأة زيد ٠٠٠٠٠

أهل الحسن بن محمد بن الحنفية هذه الرسالة على مولاة عبد الواحد بن أبي وكان كما يبدو على وفاق معه وكان عبد الواحد مقيما بمكة فطلب منه أن ينلو الرسالة في كل مكان كما أننا نسمح عن استماتته في عقيدته لدى خلفه النسابة الكوفي ابن الصقيب جختب ابن حرب فلا ريب اذ من أن الرسالة قد وجهت بالدرجة الاولى الى المتطرفين من فرق الشيعة المنشقة في الكوفة فالسبئية الذين يهاجمهم هم اتباع المختار ، اذ انهم بعد اخفاق المختار في ثورته وقمعه على يد مصعب بن الزبير دأبوا على أن ينفذوا آمالا انتظارية واستندوا في تسويقهم ذلك الى الاجزاء السرية من القرآن والتي ادعوا انها كتبت ولم تبلغ لى بقية الامة - والمختار هو الذي يقتل من اعتبرهم مسؤولين عن قتل الحسين كان قد « نظم المعصية على من فعلها » و « عمل بها » نفسه والمختار هو الذي « اتخذ أهل بيت من العرب (يعنى أهل البيت) اماما » . وقد اعلن الحسن بن محمد بن الحنفية ضمتنا أن ولاه المختار لايه لم يكن سوى تطفل واحتال ورغم انه علوى وأحد اقطاب العائلة العلوية آنذاك فان دوره في مجرى الاحداث كان معتدلا ومحابدا وهو أمر يدعو للمعجب فهو لم يعلن اشتراكه في الدعوة ضد الامويين كما انه قبل خلافتي أبي بكر وعمر الراشدين - وموقفه من « أهل العروة الاولى » الذين اشتركوا في الفتنة الاولى هو موقف المتجنب والمستنق في اصدار أى حكم عليهما : أى يرجى الحكم عليهما يسخر على عثمان - وعسى .

وربما أن بدا في الامر مفاجأة ولكن المفاجأة تزول عندما نتوقف عن النظر في الامر بمنظار مقاييس الصور اللاحقة حين التمسعت شقة الخلاف بين الشيعة والسنة فالمحسن ابن محمد بن الحنفية علوى ولكنه ليس بالضرورة شيعيا - وهناك علويون كثيرون وبينه احفاد على أيضا من لا يحضر بالهم أن يعارضوا الحكم الاموى بل فضلوا العشر بهدوء قانعين بما يصرف لهم من عطاء والذي استأنف الاعتراف بأبي بكر وعمر هو زيد بن علي الذي قتل في ثورته سنة 122 ومؤلفنا لا يد وأنه قد عرفه اذ كان احد احواله القاصيين وتشدد مصادرها على أن موقفه هذا هو سبب فقده لاتباعه من الكوفيين وقد افقست المعتزلة الاولى على موقفه الارجائي من عثمان وعلي وطورته بينما فهست المرجئة مصطلح الارجاء فهما آخر كل هذه الامور مجتمعة مع ما تتميز به الرسالة من نكهة خاصة ودقة

في رسم المناخ العام - نشير الى أن الوثيقة هذه صحيحة (1) واني اشارك الرأي فان الحسن بن محمد بن الحنمية عقد بهذا التصريح صلحا مع الحكم الاموي *

واذا كانت هذه هي الحال حقا فلا بد من أن نسال سؤالا آخر ما الذي حمل الحسن على التخلي عن دعوة المختار ومجاهرته بالعداء للتطرف والثورة ؟ نفترض ان وراء ذلك نوعا من الضغط السياسي أو قل نوعا من الاغراء فقد حافظ شقيقه ابو هاشم على علاقته الودية مع اتباع المختار الذين دعوا في وقت لاحق * بالكيسانة وكانوا حينذاك يدعون بالسبئية ، وأما الحسن فكان قد حاول لما صار موقف المختار في العراق يائسا أن ينضم اليه ولكنه قدم الكوفة بعد موته ثم قام بمحاولة مخفية لحق نواة للمقاومة في نصيبين الا أن جنود عبد الله بن الزبير قبضوا عليه وزجروا به في السجن وحسب رأى Madlung المدعم بحجج مقنعة فقد كتب كتاب الارجاء بعد 72 بوقت قريب ووقتها كان عبد الملك قد نجح نهائيا في القضاء على انبي الزبير وبدأ يحاول لم شعث اميراطوريته التي تقطعت اربا واربعتها نزاعات الماضي الجامحة مستعملا في ذلك سياسة حذرة هيها الانسجام الديني * وما أن حلت سنة 72 حتى اعترف أبو المؤلف يعني محمد بن الحنفية بسياسة الامر الواقع وبإيع عبد الملك كخليفة ويبدو ان ابنه شاركه رآه الوضعي ذاك *

وربما طرأ أمر آخر اذ ليس من غير المحتمل ان يعيد عبد الملك من ضعف العلويين المالي المزمع فنحن نعرف ان معاوية كان يدعم للحسن بن علي وروى ان الحسين سأل مروان ان يهبه 4000 دينار وقبض زين العاسدين مالا من المختار بل وسر عندما سمح له عبد الملك بالاحتفاظ به وعلى الموالي نفسه زار محمد بن الحنفية عبد الملك في دمشق ليقر امامه بأنه غارق في ديونه فقام الخليفة بإجابه نحوه خير قيام مع انه أبدى بعض التحفظ نحو ديون موالي محمد بن الحنفية وهذا يثبت ان قطب العائلة العلوية لم يكن يتحدث باسمه فقط وانما باسم كل من هو أمير نمته وينطوي تحت لوائه * اي أن اقطاب بني هاشم وحدوا انفسهم يقومون بالدور نفسه الذي كان يقوم به رؤساء القبائل قبل الاسلام على أن هذا الشرف المسدى اليهم يتطلب منهم عطاء يفوق طاقتهم ولكنهم اذا تقبلوا المال من هؤلاء القريشيين الذين احتفظوا بثراهم وازدادوا ثراء بحكم توصلهم الى مناصب

(1) Madlung.

للولاية وغيرها من المناصب المخزية - اذا فعلوا ذلك فلا بد لهم من دفع ثمن هذا القبول وهكذا يبيع محمد بن الحنفية الخليفة وخضع لضغط خفيف اثناء زيارته لدمشق فسلم سيف النبي الذي كان الى ذلك العهد في عهدة العائلة فليس من المستبعد اذن أن ابنه الحسن قد كتب كتاب الارزاء رمزا للشفاء واعترافا بالجمل *

ومثله في الدلالة ما بدا على انه الماثور الوحيد من تفسير القرآن مروى عن الحسين ابن محمد بن الحنفية في تفسير الطبري وبنور التفسير حول مشكلة مالية حلها الحسين حلا عمليا * ففي سورة الانفال (41/8) حيث ينص القرآن على كيفية تقسيم الغنائم يرد ان الخمس الذي لا يعطى للمجاهدين تستحقه ست ثلثات منها الله والرسول وذو القربى * فما لله وهو يسير يخصص لصيانة الكعبة وما للرسول وذو القربى مبرز امامها صمويات فالرسول متوفى وذو القربى مصطلح يحتاج الى تحديد فتكثر الآراء ويتساقوا ومعلمها تعبر عن مصالح شخصية وكان على زين العابدين وهو معاصر لحسين قد حاول أن يحصر معنى ذى القربى على بنى هاشم على أن الدولة لم تمر هذه التفسيرات اهتمام بالفا كما يستفاد من مصادر أخرى فعندها ذوى القربى هم قریش كلها أو هم على حد قول قتادة بن دعامة خليفة حسن البصري في خلفه في البصرة جميع من في الحكم بعد اخي غير أن احسن بن محمد بن الحنفية يرى أن نصيب الرسول ينبغي أن يكون من نصيب اقربائه وهم بنو هاشم ، اما نصيب ذوى القربى فمن نصيب اقرباء الخليفة * فالحسن يعلم ان المشكلة موصع خلاف منذ أيام أبى بكر وعمر * ويحلله هذا يحاول تقرير فرض عائلته تقريرا واقعيا حتى يحصل على بعض المال الذى يتولى الامويون الاشراف عليه وليس مستبعدا ان الطبرى ومن روى عنهم رووا هذه الفتوى لانها مثلت في وقت ما طريقة تقسيم كان عبد الملك يتبعها *

واذا كان هذا الاستطراد قد نجح في التدليل على صحة كتاب الارزاء فلربما ساعدنا أيضا في التدليل على صحة كتاب الحسن في الرد على القدرية فقد كان عبد الملك ممن انصار الجبرية وكان همه أن يؤمن وعبته بأن الملك الذى يعده ويعد عائلته حق الابقى وملك لا يجوز التصرف فيه سوى وفق المشيئة الالهية والخلافة هي الهندي كما نعتة بذلك الشاعر الفرزدق ومخالفوها هم في الضلالة اصف الى ذلك ان في المذهب القدرى ما يسوغ الثورات ويبدو هذا واضحا ايام يزيد بن الوليد في أواخر العصر الاموى وربما

أيضا أيام هشام وقد الملح الى ذلك عمرو بن سعيد الأشدمي في دعوته-عندما كان يدبر الثورة على عبد الملك في سنة 83 وهنا استجاب الحسن بن محمد لمطالب الخليفة أو قتل كان عند حسن ظنه ومن حسن حظنا ان لدينا شاهدا رواء مصدر آخر على نقض الحسن القدورية وهو ابن بطة الحلبي في كتابه الابانة وحلافا لما حدث لكتاب الارعاء فان كتب التراث من تراجم ومصنفات تهمل كتاب الرد ، على القدورية فربما مرد هذا الاصل الى ان الزيدية احتفظت بالكتاب لانها تتفق مع الحسن في موقفه اللين من الخليفتين اسي بكر وعمر كما انها حافظت على آرائه في الجبرية لعدة اجيال فلما غيرت رأياها في أواسط القرن الثالث واعتنقت آراء المعتزلة كان لابد أيضا من رفض النص الذي احترمته زعنا ولهذا وصلنا النص وبرقمته تصحيحات الهادي الى الحق .

ويترتب على هذا الاستنتاج نتائج كثيرة فالاسئلة التي وجهناها في بادئ الامر وبدأت كأنها تزيد من شكوكنا يمكن أن يرد عليها الآن ردا قاطعا نعم كان في القرن الاسلامي أقول كناية مدونة وكان فيه المأم بفن الكلام مع العلم انه كان حينذاك لا زال مغلوبا على أمره والمصطلح « كلام » كان لا يزال في طريقة الاستعمال وكل من الحسن بن محمد ابن الخنفة وصحار العبدى افترض معنى اصطلاحيا من حذر اللفظ الاول باستعماله تكلم والثاني باستعماله كالم .

والنتيجة الاولى سهلة القول اذ ان هناك كتباً أخرى دونت في أوائل عصر الامويين وقد أشار R. Blachère الى مؤلفات عبيده بن شربة ووعب بن منه في مقالة حول هذا الموضوع وقد ذكرنا نحن رسالة الحسن البصري ومراسله عند الملك والاباضيين . كما يمكن أن نشير أيضا الى تاريخ سالم بن حطيفة وهو كتاب يقتبس منه البر ادى المؤلف الحارثي كثيرا في كتابه الجواهر المنققات والى رسائل جابر بن زيد الازدي الاباضي النوفى 83 هـ المكتسفة منذ عهد قريب طبعا لاند وان نحلز الزيب فكثير من شواهد القرن الاول لا تمدد عن كونها شواهد اعطيت تواريخ سابقة للتواريخ المسلية على ان هذا لا يعنى ان كل شئ كان مزورا أو انه لم يدون قط قلم تمد الثقافة العربية من فراغ بل استمرت الحياة في سيرها كما كانت تسير من قبل فمسوريا ومصر كانتا دوما متحضرتين وغلاء اثمان اوراق البردي وجسد الرق لم يؤثر على انتاج اليونان والسريان وربما عاق

الغلاء فقرأ الناس عن التعبير المدون على أنهم لم يكونوا ليفعلوا ذلك على كل حال أما الدولة فتحتاج الى وثائق مدونة وسجلات وقد أورد M. Bravmann بعض المعلومات الى تشهد بأنه كان لثمان في المدينة ما يشبه ارشيف الدولة وإذا ما اعرنا هذه الحقيقة اعتبارا فليس غريبا ان يكتب الحس بن محمد بن الحنفية كتابه في المدينة : والمدينة لم تكن صحراء وإنما كانت مركز الامبراطورية الاسلامية حتى نهاية فترة عبد الله بن الزبير ولم يكن وجود ورق البردي وجلد الرق بالامر الجديد على هذه السعة من العالم كما ان وضع الحس بن المدي كان يمكنه من دفع ثمن ذلك هذا اذا لم يكن قد نال ذلك هبة من مجلس الخليفة .

فهل هذا يعني ان المجلس قدم له مساعدات خاصة بعلم الكلام ؟ قد يساعدنا هذا الافتراض على تحليل بدء استعمال اسلوب الكلام في وقت مبكر اذ ان هذه النقطة بالذات ما تزال تستقطب اهتمامنا ومنها عادت عجلة التاريخ قرنا الى الوراء ولكن هل نحتاج فعلا الى افراض كهذا ؟ اذ انه من المعروف ان الاسلوب المجلد وتعاقب السؤال والجواب والحوار المتخيل امور عرفها علم الكلام المسيحي وفي أيام الامويين كتب يوحنا الدمشقي كتابه : *Dialexis Christianon kai Sarakenon* ولم يقض الحس حياته في المدينة فقط بل زار العراق مرارا حيث كان علم الكلام المسيحي قد ازدهر هناك قرونا ، وفي شبابه كان في نصيبين المدينة التي احتضنت مدرستها السبطورية المع القول فترة طويلة نحن لا نقول هناك بالتأثير المسيحي وإنما نود القول ان الناس واصلوا ما كانوا قبل ذلك يفعلون . وحتى لو لم يكونوا قد فعلوه انفسهم بان القرص التي هيأها لهم عالمهم الذي يتسع بسرعة ، اباحت لهم ان يكونوا على يقضة من ذلك وهناك ما يمكن تسميته بالخزون المشترك . أما ان يكون هناك تأثير كان يكون المسلمون قد استحووا لقضايا معينة نتيجة حجج المسيحيين المعارضة أو أنهم اضطروا لتصحيح موقفهم ليتجنبوا تحرش المسيحيين ثار لم يعده . المجلد المسيحي لم يؤثر على حرية القدرة ولم يوحدها كما اعتمد احد المستشرقين الالمان في مقالة مشهورة . فكل الامر من وجه للحوار الكلامي الذي اثر على المسيحية والاسلام معا ، أما كون المسيحية قد عرمت هذه القضايا قبل الاسلام فذلك لسبب بسيط وهو ان المسيحية سبقت الاسلام . وما قول القدرة

فإن الله غير مسؤول عن الزنا الذي يرتكبه الإنسان إلا تكرارا لنقاش البايان المسطور .
ضد رأى حنانا رئيس مدرسة نصيين المتوفى 71 الذى قال بالجبر على انهم لم يكرروا
الحجة تأثرا للجدول المسيحي وانما اغادوا من مخزون مشترك *

أما تأثرهم بيوحنا السمشقى ففيه وازد رغم أنه عمل مع المسلمين كما كان أبوه سرجون
وجده اللذين عاشا بعض الوقت فى بلاط المسلمين وربما كان لشعور سادته بالتفوق
الاسلامى اثر فى اعاقته عن أن يؤثر تأثيرا ملموسا فى أمور الكلام . ولم نسمع كثيرا عن
نقاش دار بين المسلمين والمسيحيين فى بلاط معاوية وعبد الملك والوليد كما سمعنا بعد
ذلك فى بلاط الخليفة العباسى المتصور عن النقاش بين المسلمين والمجوس . أما يوحنا
فقد كتب معاورته بين المسيحي والمسلم بعد ترك بلاط الامويين ولما الى دريمار سابا ،
وحجته التى تقضى به مسؤولية الله فيما يختص بارتكاب الزنا مقعدة وفريدة ولم ترد قط
على هذا النحو فى أى مصدر اسلامى *

وكان المسلمون لا زالوا يعيشون فى مجتمع اكثره مسيحيون ورغم ذلك فالصلات
الدبية كانت ضعيفة . وكأوا فى الوقت نفسه بحاجة الى المسيحيين وربما رفعوا من
اقدارهم احيانا كما هو الحال عند الاخطل مثلا . ولكنهم لم يكونوا ليسألوا فى أمور
الكلام فهناك الكثير ممن اعتنقوا الاسلام ومن هم قادرون حينذاك على حل هذه المشكلات
استنادا الى تجاربهم السابقة والتى احضروها معهم الى الدين الجديد فقد قاموا بشؤون
الادارة وجمع الضرائب بل سمح لهم ببناء الكنائس خلافا للعهد المشهور المسوب خطأ
الى عمر بن الخطاب ، غير ان المسلمين يبدو انهم نفروا فى البداية من تعليمهم القرآن
ويمكن مقارنة الوضع بما يحدث اليوم فى مدينة بيروت حيث تعيش فئات مختلفة
جنباً الى جنب ويتعاملوا بعضهم مع بعض ويؤدون أعمال الادارة وأمور السياسة معا ،
دون أن يتحدثوا عن اديانهم بل انهم يجهلون جهلا يدعو الى العجب معتقدات جيرانهم
ورغم هذا الولاء فهناك صد وازدراء ملحوظان فلو كان آنذاك اتصال ديبى لكان هناك
جنل وليس لدينا نص يشير الى ذلك وقد اثبت C.H Becker أن الاخبار المسيحية عن
الاسلام فى القرن الاول الهجرى وهى بادرة خالية من الهداء اد لم يحث على موضوعات
المجدل المطروحة المروفة فى المصادر المتناحرة وسدو أن المسيحيين اعتبروا الاسلام بدعة

من سلسلة البدع التي تمودوا عليها • وكان هذا خطأ افترضوه ولكنه خطأ معنوي •
فالاسلام حينئذ كان لا زال يرسى قواعده الاعتقادية ولم يكن له صيغة واضحة الحدود بعد
ولم يكن المسلمون بقاددين على أن يبدأوا بالهجوم أو قل أنهم كانوا يترفعون عن ذلك
فعلم الكلام في الاسلام يبدأ جدالا ضد الكافرين والاسلوب الكلامي لم ينم ولم يطور
للرد على غير المسلمين كالمناويين كما قد يخيل للمرء عنفما يرى أصل الكلام ونشاطات
المعتزلة التبشيرية علم الكلام في الاسلام بدأ حوارا اسلاميا داخليا حينما انمحت سداجة
الماضي بما فيها من اعتزاز بالنفس نتيجة التباس الوضع السياسي على الناس ويعبر عقولهم بالفتن
والاختلاف • اما من رفع مستوى هذا النقاش الى مستواه ذلك فهو كما يبدو الخليفة عبد
الملك اذ كان محتاجا الى حوار ليهدى من التوترات القائمة ولينشر آراءه السياسية والكلامية
وتوفرت لديه الكفاءات اللازمة والمصادر المالية ليشرع في ذلك • واتخاذ عبد الملك لهذا
الموقف مع ما صحبه من خطوات أخرى انما هو مواصلة للتراث الذي وجدته في بلد قرر
أن يختار منه عاصمته : تراث الامبراطورية البيزنطية الذي كان قد شكل المجتمع السوري
قرونا •



أصالة الفلسفة الإسلامية وأثرها في الفكر العربي

د . عثمان امين

استاذ شرفي للفلسفة في كلية الآداب
وعصر مجمع اللغة العربية بالقاهرة

ماذا تعني بالفلسفة الإسلامية ؟

نعني بها تلك المذاهب من النظر العقل المتعلق بالله
والإنسان والكون ، تلك التي أقامها الفلاسفة المسلمون
القدامى أمثال الفارابي ، وابن سينا ، وابن رشد
والفلاسفة المسلمون المحدثون ، أمثال الافغاني ، ومحمد
عبد و محمد اقبال .

ولكن الباحثين الغربيين اختلفوا في امر الفلسفة
الإسلامية منذ ظهور النواصير الاستشراقية ، اختلفوا

في اسمها كما اختلفوا في وجودها : فمنهم من رأى ان الأولى ان يطلق عليها اسم
(الفلسفة العربية) لان رجالها كتبوا آثارهم باللغة العربية التي كانت لغة الثقافة في
العالم الإسلامي ، ومنهم من رأى انها ليست عربية لان جمهرة أهلها لم يكونوا عربا .
ولم يقتصر الخلاف على اسم الفلسفة الإسلامية ، بل تعداه الى انكار وجودها :

فمن الباحثين من نازع في أن يكون لها وجود مستقل ، زاعبا أنها أشبه بأن تكون خليطا من آراء القدماء . تمددت مابها وانعلم الاتساق بين مواردها . ومنهم من ذهب إلى أن فلسفة الاسلام إنما اشتقوا فكرهم من الفلسفة اليونانية التي كانت شائعة بين المسيحيين من أهل سورية والوثنيين من أهل حران ، وأضافوا إليها عناصر اقتبسوها من الهند وفارس ، ومنهم أخيرا من حكم على الفلسفة الإسلامية إجمالا بأنها جاءت شرحا مشوها لمذهبى أرسطو والافلاطونيين المحدثين . أما نحن فلكى نكون منصفين يجب أن نعترف بأن الفلسفة الإسلامية تحتوى على عناصر هامة من الفكر اليوناني، وأنها نفترض :

أولا : خضم الفلسفة اليونانية . ولكننا نقرر مع ذلك بأن الفلسفة الإسلامية أو العربية شيء ؛ وأن مجرد الهضم والتشيل للفلسفة اليونانية شيء آخر . أن المذهب للفلسفة الكبرى في الحصور الحديثة متأثرة إلى حد كبير بالفلسفة اليونانية - وأثر تلك الفلسفة ظاهر للعيان في مذاهب (بيكون) و (ديكرت) وكانط . ولكن من ذا الذى ينكر ما في مذاهب هؤلاء الفلاسفة من أصالة ؟ وأذن فكيف سبأ للبهض أن يطوا أن عقلا كمقل الفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد كان عقلا جديدا لم ينتج في الفلسفة شيئا أصيلا ، وأنه لم يكن إلا مقلدا لليونان .

ويجب أن لا تقييد عن بالناس مسألة لها خطرها . وهي أن أغلب كتاب الغرب ممن كتبوا عن الفلسفة الإسلامية قد عجزوا عن أن يتبينوا أصالتها وخصائصها واتجاهاتها فحسن جهة نجد أن المستشرقين ممن تيسر لهم أن يقرأوا اللغة العربية التي كتبت بها الفلسفة الإسلامية عجزوا عن أن يحفظوا لانفسهم فكرة واضحة عن تلك الفلسفة . ومن جهة أخرى نجد الكتاب الغربيين المتخصصين في تاريخ الفلسفة يكشفون عن عجزهم حين يواجهون الفلسفة الإسلامية ، ويرجع ذلك في الغالب إلى جهلهم باللغة العربية . وليس يسمح المقام بالحوص في مناقشة الأقوال التي أدلى بها في هذا الصدد الباحثون من مستشرقين ومؤرخين غربيين .

* * *

ولكن أبادر فأقول أن للفلسفة الإسلامية مكانتها التي يشهد بها الواقفون على أسرارها . وحسبنا لكى نتبين مدى الاسهام الفكرى الاصيل الذى كان لها أن تشير إلى أهم

نظرياتها التي كان لها في العصر الوسيط كله صدى بعيد . أول عمل جليل أهيئ
قام به ملاسفة الاسلام هو محاولتهم التوفيق بين الفلسفة والدين : لانهم اعتقدوا بوجه
عام أن الفلسفة والدين متآخيان متوافقان في المسائل الأساسية للحياة الإنسانية المثل .
وأى تعارض بينهما لا يكون تعارضا حقيقيا ، وإنما يكون نتيجة سوء فهم لكل منهما .

وقد بين لنا ابن رشد في كتابه (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال)
أن الاسلام يحث المسلم على النظر العقلي ويدعوه الى التأمل الفلسفي ، وأن القرآن يحض
على طلب المعرفة والبحث عن الحقيقة . وللفلسفة والدين عنده هدف واحد هو توجيه
تشاط الانسان لبلوغ الكمال الذي تهفوا اليه النفس الناطقة . ولعلاسفة الاسلام أيضا
مشاركة فلسفية ذات اصالة ، هي نظريتهم في النبوة . وقد بسط الفارابي هذه النظرية
في كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) ، وتفرقة الفارابي بين (النبي) و (الفيلسوف)
سنجدها بصع عباراتها تقريبا بعد عصره بسبعة قرون في (الرسالة اللاهوتية السياسية)
للفيلسوف اسبينوزا . واصالة فلاسفة الاسلام واضحة في مسالتين أخريين : قدم العالم
وعلم الله بالكلية : ذهبوا الى أن المادة أزلية ومخلوقة مما . فقولنا ان العالم محدث
(أى بدأ في زمان معين ، قول على سبيل المجاز ، لان الله من حيث هو العلة الاولى هو
صانع المادة والعالم ، ولكنه تعالى خلق المادة والعالم بفيض من فيوضاته الازلية ، اذ لا
يمكن أن يقع صنع الله في زمان ، وإنما نسبة الله الى صنعه كسببة الملة الى معلولها) .
والعلة غير منفصلة عن الملول - ومن قال بحدوث العالم فكانه قال ان الله قد خلق العالم
بمشيئة في زمان ما . ويعنى ذلك ان الله كان ينقصه شئ قبل انفاذ مشيئته ، وهذا
ما يجب أن ينزه الله عنه . لان الله هو الكمال المطلق ، وليس كمثله شئ .

وذهبوا الى أن علم الله محيط بالكلية ، أو بالأشياء العامة ، وبعبارة أخرى ان علم
الله لا يتعلق بالجزئيات ، أى بالأشياء العرضية الفردية ، وإنما يحيط بالقواميس الكلية .

ولو كان الله يعلم الجزئيات والاعراض لحث تغير زمانى في علمه ولاقتضى ذلك تغيرا
في ذاته . والله منزّه عن كل تغير . ووضح أن موقف العلاسفة الاسلاميين من المسائل
التي أوردناها موقف متميز عن مواقف فلاسفة اليونان من جهة ومواقف المتكلمين

المسلمين من جهة أخرى - واذن فمن التجنى على الفلسفة الاسلامية الزعم بأنها إنما هي شرح مشوه لفلسفة أرسطو - والافلاطونيين المحدثين - والحقيقة أنها صاغت لنفسها مقهيا ضافيا له أصالاته ، وهي كما قال أحد الباحثين الغربيين : تو شك أن تكون تقلبت في كل الاطوار التي مرت بها الفلسفة في العالم الغربي بعدها بقرون .

* * *

ان من المسلم به الآن لدى الباحثين الغربيين أن العارابي كان له أثر كبير في فلسفة المصور الوسطى : فقد ترجم كتابه (احصاء العلوم) الى اللغة اللاتينية وكانت له في المذاهب الفلسفية المسيحية واليهودية منزلة مرموقة ويظهر ذلك الاثر على الخصوص عند روجر بيكون وريمون لول - وترتيب الفارابي للعلوم هو نفس الترتيب الذي اخذ به الفلاسفة المسيحيون في القرون الوسطى مع فروق بسيطة - اما ابن سينا فيكفي أن نذكر كتابه (القانون) في الطب ، وأثره في الفكر المسيحي مشهور - وقد جرى القديس (توما الاكويني) على نهج ابن سينا في التدليل على وحدانية الله وتنزيهه عن الجسمية - وسلك ديكارت في اثبات وجود النفس وروحانيتها واستقلالها عن البدن مسلكا شبيها الى حد كبير بمسلك ابن سينا من قبل - وقد بين الاستاذ (جيلسون) مدى الاثر الذي كان لابن سينا في الفكر الاوربي في العصور الوسطى المسيحية - ووضح الصلات الوثيقة بين الفيلسوف الاسلامي واللاهوتيين المنتسبين الى مذهب القديس (أوغسطين) ، وقرر أن الفلسفة الغربية في القرن الثالث عشر عبارة عن مختلف المواقف من أرسطو وابن سينا وابن رشد ، واقترح (جيلسون) أن يطلق على هذا التيار الفكري في أوروبا اسم (الاوغسطينية النازعة الى السيئوية) ثم جاء الاب (دوفو) وبين أن اللاهوتيين المسيحيين - النازعين الى السيئوية (كانوا يشترقون من منهسل الفيلسوف الاسلامي وينخذونه مصدرا لاهامهم ولكن وجد الى جانب هؤلاء مفكرون آخرون كانوا يتابعون مذهب ابن سينا حتى في الموضوعات التي تخالف العقيدة المسيحية : وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم (الاب دوفو) اسم السيئويين اللاتينيين) وأول مفكر مسيحي تأثر بإبن سينا هو (حنديسا لنوس) رئيس ديوان الترجمة في اسبانيا ، كتب رسالة في النفس

بدأ فيها من ابن سينا وانتهى بأوغسطين . وقد اقتبس براهين ابن سينا عن النفس مبيّنا أنها جوهر لا عرض ، وأنها حادثة وروحية . واقتبس من ابن سينا أيضا رمزه المشهور المسمى برمز الرجل المعلق في الفضاء ، الذي لا صلة له بالعالم الخارجي ، ولكن فكره يكشف له أنه ذات مفكرة وأبها موجودة . وهذا الرمز نفسه قد ذكره كثيرون من مؤلفي العصور الوسطى للمسيحيين . ولذلك كان من الممكن أن يكون ديكرت قد اطلع عليه فكان له إحدى في تأملاته ، ولا سيما أن (الكوجيتو) الديكرتي قريب منه مؤيد له . واللاهوتي (جيوم الاوكرتي) يذكر ابن سينا في كتبه حوالي أربعين مرة ، معارضا أقواله تارة ومقتبسا تعريفاته وأمثلته تارة أخرى : يأخذ تعريف ابن سينا للحق بأنه ما يكون في الذهن مطابقا لما هو عليه خارج الذهن ، ويقتبس من ابن سينا تفرقه بين الماهية والوجود ، كما يقتبس تدليله على أن النفس تدرك ذاتها بذاتها دون حاجة إلى البدن . والحق أن ابن سينا قد أضاف إلى الثروة الفلسفية والعلمية إضافات جعلته من معاصر الإنسانية المفكرة . فإذا انتقلنا إلى ابن رشد وجدنا أن الإعجاب بشروحه لأرسطو كان عظيما في أوروبا حتى سماه الشاعر (دانتى : الشارح الأكبر) ومن المشهور أن مدرسة بادوا في إيطاليا كانت تنتمي إلى مذهب ابن رشد، وأن سيجرد وبرايان كان زعيم المدرسة الرشدية في فرنسا إبان القرن السادس عشر ، وقد ظل المذهب الرشدي متناسرا عند الأوروبيين في الكتب والجامعات من منتصف القرن الثالث عشر حتى أوائل القرن السابع عشر . وقد يجد الباحث في فلسفة اسبينوزا أن موقف ذلك العيسوف من مسائل الفلسفة والدين والوحى والنبوة ، يشبه الموقف الذى سبقه إليه الفارابى وابن رشد . ولعل اسبينوزا عرف شيئا من نظريات المسلمين عن طريق موسى بن ميمون ، وعرف فلسفة ابن رشد خاصة عن طريق الطبيب اليهودى (جوزاف دل ميدجو) أحد أخصار الفلسفة الرشدية في القرن السابع عشر . ولابد أخيرا من أن نشير إلى فضل الفلسفة الإسلامية على الفلسفة اليهودية . وحسبنا هنا أن نذكر أن كتب أرسطو لم تنقل إلى اللغة العبرية ، وأن اليهود قنعوا في معرفتها بما كتبه المسمون من ملخصات وشروح . ولقد تبين للباحثين الغربيين أن أصحاب اللاهوت من اليهود قد ساروا خطوة في اتسار فلسفة الإسلام ، وأن المفكرين الذين سبقوا موسى بن ميمون ميسون بمنهجهم وآرائهم

ففي الدين لفلاسفة المسلمين ، وأن كتاب (دلالة الحائرين) لموسى بن ميمون وإن يكن حافلا بنقد آراء الإسلاميين ومحاولة تفنيدها والرد عليها ، يجد قارئه في كل صفحة منه ما يشهد شهادة قاطعة بأهمية الفلسفة الإسلامية وبعد أثرها في الفكر اليهودي . ولعلنا نحب أن يتسرب إلى وهم أحد من الناس أننا نتنحل الأسباب للإشادة بفضل الفلسفة المسلمين على غير حق .

فالأواقع أن كل ما أوردناه هنا في إيجاز شديد إنما هو مقتبس من شهادة علماء العرب في المصور الوسطى وفي عصرنا هذا . وهي شهادة تقطع بأن ثقافة الغرب قد استفادت بنسب من مؤثر من المواد التي قمها إليها مفكر الإسلام .

أما تخلف الفكر والفلسفة في العالم الإسلامي إبان العصور المتأخرة فأسبابه معروفة، وإن يكن أكثر الناس لا يريدون أن يعترفوا بها وأن يواجهوها إذا هم تبينوها - وليس من شك في أن هذه الأسباب راجعة في جوهرها إلى سببتي أساسيتي :

الاول : الابتعاد عن روح الدين وعن روح العلم *

والثاني : التفكير للإحتراف وفقدان الحرية ، والقعود عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقد نتج عن هذا التخاذل العقلي والاخلاقي تخاذل الادارات الفردية وتهافت (الروح المعنوية) كما يقال اليوم . لقد ذهبت الادارة الاخلاقية التي تزكي في كل انسان عقله ، وقلبه ، وتجعله مركز اشعاع حوائي ، وحل محلها جملة من العادات الموروثة لا تسوق الناس الى العمل الا بفضل بقية من قوة الانزلاق والقصور الذاتي كما يقول علماء الطبيعة . وذهبت الروح المعنوية القوية الابدائية وحل محلها ما يسمى الآن بالرأى العام ، وهو شيء هوائي مصطنع متقلب يحركه في أغلب الاحيان أناس من الوصوليين أو على الأقل من الغرضيين . وقد ألف المسلمون في عصور الاستبداد وانحسار الفكر الحر أن يفزعوا من الحرية ، حتى أصبح الرأي العام واعنا هزلا ضعفت مناعته من كثرة التوقي والحند والتحوط والوسوسة . فاذا أراد المسلمون حقاً أن يستعيدوا مجدهم الفكري الحضاري فلا بد لهم من العودة الى مهم حقيقة دينهم : عندئذ يتبينون أن حياتهم قوامها تحقيق الرسالة الاسلامية على الحقيقة : وهي تزكية الوعي وتزكية الضمير ، وانما تكون تزكية الوعي بالانجاء الى العلم والنور ، وتكون تزكية الضمير برعاية النعمة وإتقان العمل .

وليس من سبيل الى الاصلاح الا أن يقتنع الجميع من حاكم ومعكوم بأن الحرية لازمة
 حياة النفوس لزوم التنفس لحياة الابدان . والواجب اذن أن يمارس - المسلمون حرية
 الفكر والعمل ممارسة دائمة موصولة غير مقطوعة . وواجبهم على الخصوص أن يشعروا
 في قرارة أنفسهم بأنهم يستطيعون دائما أن يعلنوا آراءهم في اصلاح بلادهم دون أن
 يتعرض واحد منهم للاذى والتنكيل . ولا بد لهم من الشعور بالامن الحقيقي الذي لا يوجد
 الا في كنف الحرية والنور وهما الحد الأدنى لكفالة الكرامة الانسانية . ان كثيرين ممن
 معكرو القرب قد تعرضوا لازمة الانسان المعاصر فصوروا الفراغ الروحي الذي يؤدي
 الى الشعور بالغرابة واللامعقولية . ولكن ما عثرنا نحن المسلمين في الخوف من دعوة
 أنفسنا ودعوة الانسانية كلها الى العودة الى مبادئ الاسلام ، وهو دين يؤكد منذ البداية
 أن التفكير فرىضة وانه فرض عين لا فرض كفاية ، كما يقول فقهاؤنا . وهو أيضا يؤكد
 حرية الانسان ، ويكرم المرأة ، ويتجه الى تدعيم الاسرة واستتباب السلام بين الطبقات ،
 واقامة المساواة في الحقوق والواجبات ، وينه الى ما في المجتمع من آفات نفسية ، ويحث
 على علاجها لتقسيم للمؤمنين الحياة على الارض ولكي تتم للانسان خلافة الله عليها . اذا
 أراد المسلمون سلوك الطريق الصحيح في الفكر والعمل ، فيجب عليهم أن ينزعوا ممن
 نفوسهم كثيرا من الاوهام عن العلم والايمان ، ويجب أن - يعلموا أن الكشف العملية
 والانجازات العملية لا يمكن أن تتم بقرارات رسمية ، وأن الموحية وحدها لا تكفي ، بل
 يلزم الفكر المائب والعمل المتواصل . وليس هذا الذي نقوله جديدا ولا تقليدا للقربيين
 بل لقد دعا اليه الرسول الكريم في قوله :

« ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » . فالمشكلة الاولى والاخيرة في اصلاح
 الفكر والعمل هي مراعاة الضمير والسعى الى الاتقان . واملنا اليوم ، بعد أن ظهرت في
 الافق بوارج فجر النهضة اسلامية جديدة ، أن تتفجر طافات الامة ، فتمضي قمتا الى
 ارساء قواعدما على فلسفة الاسلام الخالدة وهي فلسفة مثالية وواقعية في آن واحد ،
 لانها تحصر على الاصاله ، كما ترحب بالفتح ، وتدعوا الى تنوير الازهان سبيلا الى
 تحرير النفوس *

* * *

بين التعصب والإسلاميّة

أد الإسلام من غمالت بعض الشخصيات في العالم المسيحي

د. هيفال دي ايبالزا

(اسبانيا)

كلية الآداب - جامعة الجزائر

- معالي سيادة وزير التعليم الاصل والشؤون

الدينية ،

- ايها السادة الافاضل

- ايها الزملاء الاعزاء ،

قبل كل شيء، أريد أن اعتذر لكم لسوء نطقي في اللغة العربية . أنا اجنبي وكالبعض منكم اني لا اتكلم جيدا هذه اللغة القيمة . ولربما يوجد هنا من يتكلمون لغتي احسن كانها لغتهم . والى هؤلاء جميعا اعتذرتي ان

اسأت الى هذه اللغة ، واتمنى ان نستطيع التفاهم عند الكلام عن المواضيع التاريخية التي تمس في آن واحد بلدكم وبلدي .

وبالفعل سوف اتكلم لكم عن فترة من التاريخ المشترك لمدينة بجاية وجزيرة مايورك، تلك الجزيرة التي تلقيت فيها تربية . وان سالنا سكانها يوما عما يعرفونه عن مدينة

بجاية فيجيبوا كلهم أن رامون يول مات هناك * أما المؤرخون فانهم لا يعرفون عنه أن توفي في مدينة بجاية أم في البحر * ولكن المايوريكين يظنون أنه مات في هذه المدينة التي أصبحت مشهورة في مايوركة ومدينة بجاية قديمة جدا وما زالت قائمة حتى الآن * فالمسافة بين المنطقتين 180 ميلا ولكن العلاقات التاريخية كثيرة بينهما * فلنذكر أيها السادة البعض منها :

- في العصور القديمة كانت السفن الفينيقية تعبر البحر الابيض المتوسط من بجاية والجزائر متجهة الى اسبانيا فتتوقف بجزر مايورك وايبزة *

- عندما استقر الاسلام في الاندلس توجه عدد كبير من المسلمين الى البقاع المقدسة لاداء فريضة الحج عن طريق البحر فتوقفوا ب مايوركة وبجاية كمثل عصام الجولاني الذي فتح الجزيرة لامراء قرطبة في أواخر القرن الثامن للهجرة *

- خلال الصراع السياسي الذي نشب بين فاطمي إفريقيا وأمويى الاندلس في القرن الثالث الهجري ، كانت بجاية ومايوركة مناهين عدوين بمضهما البعض واستعملا للحروب البحرية بين الدولتين *

- وبعد وقت طويل أي خلال الحروب التي نشبت بين المرابطين والموحدين هيا بن غني أمراء مايوركة المرابطون جيشا للكفاح ضد الموحدين في المغرب وقد دخل هذا الجيش مدينة بجاية ومنها ابتدا حربه ضد الموحدين في كل المغرب الشرقي *

- وبعد وقت مضى عقد ملوك اراغون ومايوركة عهودا واحلاما سياسية وتجارية مع الامراء المغاربة ، تسمح لهم التجارة مع هذه البلدان * وقد انشأت قنصلية لمايوركة في بجاية أما التجارة فقد كانت مزدهرة كما كانت ، عليه عند قرون وقرون *

- وفي القرن الثامن لجا الى بجاية يهود مايوركة هربا عن اضطهاد المسيحيين لهم * ومكنوا بها تحت حماية الدين الاسلامي الذي هو دين تسامح *

- وحلال القرن التاسع والعاشر حاولت القوات الامبريالية لفرناند المسيحي الاراغوني والامبراطور شارل الخامس وألمانيا ، أخذ المدينة فارسوا عدة حملات من مايورك * وقد يمرق فمثل هذه الحملات العسكرية *

— خلال العصر الحديث أى ما بين القرن العاشر والثاني عشر كان عدد كبير من سكان مايورك فى بجاية منهم المسافرين والاسرى كما وجد عدد كبير من أسرى ومسافرى بجاية فى مايورك والجزر المجاورة . وهذه هى الفترة المؤسفة والمؤلمة فى علاقات بلدنا . حيث عرفت بالحرب المستمرة التى دامت ثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا .

— أما الآن ومع استرجاع الاستقلال كثر عدد الجزائريين الذين يزورون أو يعبرون مايورك كما أن المايوركيين الذين يأتون لزيارة بلدكم وهذه المدينة الجميلة هم دائما فى ازدياد ملحوظ .

— وأخيرا انى أتكلم لكم اليوم باسم مواطنى مايورك جيرانكم الشماليين مع ذكرى السلام والاخوة السائدة بين البلدين المجاورين . هذا السلام الذى يعد آخر رباط لتواريخ عريضة مشتركة والتى تواصل سيرها نحو المستقبل مع أجل التمانى .

فلنتذكر أياها المستعمون الحاضر والمستقبل ونعيد نظرة الى الماضى وبالأحرى الى رامون يول ووقته ونحو رحلاته وإقامته فى بجاية حتى وفاته فى البحر بين بجاية ومايورك . انها تواريخ الماضى ولكن يجب التعرف عنها لانها جزء من تواريخ تظهر تارة مؤسفة وتارة مسرة . وهى تراث مشترك للبلدان الجارين .

ان رامون يول رجل دينى من مايورك كان فيلسوفا ، رياضيا وشاعرا ويعد من كبار وعظماء الادباء الاسبان فى اللغة الكاتالانية . وكان رامون يول أول فيلسوف أوروبى لم يكتب باللغة اللاتينية ، ولكنه كتب باللغة الكاتالانية تلك اللغة الشعبية . جال كثيرا فى أوروبا ومصر وتونس وفى كل المغرب . وتعرف رامون يول بأهم الشخصيات لعصره فى أوروبا . وقد يلاحظ تأثر بعض المفكرين الاوروبيين بأفكاره الفلسفية . كان يحسن اللغة العربية ومثاثر بها فى مؤلفاته . وحكنا أثر رامون يول أكثر من غيره من الفلاسفة الاوروبيين فى التيار الاسلامى للفكر الاوروبى فى القرون الوسطى .

وقد كان أيضا رجلا دينيا تابعا لنظام فرانسمسكو . وان مثل حياته الدينية وبشيرة يرينا كيف كان يريد نشر الدين المسيحى فى كل انحاء أوروبا وشمال افريقيا . فقد نشر رامون يول وكتب باللغة اللاتينية والكاتالانية فى أوروبا وتعلم العربية من أجل

التبشير والكتابة بها في المغرب ، وانشأ في تلك الفترة فرانسيسكو دى أسيس النظام التبشيري من أجل نشر الدين المسيحي في أوروبا والعالم كله .

ان رجال الدين المسلمين فرانسيسكانيين نسبة الى فرانسيسكو بشروا في كل أوروبا بزهة وتعبد . ولكنهم كانوا يريدون التبشير وسط المسلمين الذين لم يعرفوا الدين المسيحي . فابتدأت هذه الحملة التبشيرية بمشاركة سان فرانسيسكو نفسه وقد كان دائما ضد الحروب الصليبية لانه كان يظن انها عسكرية وليست دينية . ولهذا الغرض سافر الى المشرق للاعتماد عن الحروب الصليبية ومن أجل التبشير هناك . وهكذا فقد استقبل استقبالاً حاراً من طرف السلطان صلاح الدين الايوبي في مصر . فاستمع اليه السلطان باهتمام ومراعاة ورجع فرانسيسكو الى أوروبا مسروراً بالاهتمام الذي تظاهرت به شخصية كصلاح الدين الايوبي . ولكنه لم يستطع اقناعه وأما تبشيره فقد كان معتدلاً ومحترماً بدون مهاجمة رسول الاسلام ولهذا فقد احترمه المسلمون لانهم رأوا فيه رجلاً دينياً يؤمن بيده ومن أولئك الذين يطلب القرآن احترامهم .

ولكن رجال الدين الفرانسيسكانيين لم يكونوا كلهم محترمين كمؤسسهم وفي نفس الوقت أتت الى المغرب جماعة من رجال الدين ليبشروا بالمسيح ولكنهم هاجموا الرسول والدين الاسلامي .

— في 1219 انتقلت جماعة تقم 8 من رجال الدين الفرانسيسكانيين من إيطاليا الى المغرب لتدعوا الناس على الايمان بالمسيح . فمبروا إيطاليا وجنوب فرنسا ثم اسبانيا والبرتغال ووصلوا أخيراً الى اشبيلية التي كانت تحت حكم الموحدين . كانت المدينة اسلامية ولكن المسيحيين كثيرون فيها وكان الحاكم يقيم علاقات دبلوماسية حسنة مع مسيحي الشمال وخاصة مع التجار الذين يزورون المدينة ويشاركون في تنميتها بتجارتهم .

وعندما سكن هؤلاء — رجال الدين الستة — عند تاجر مسيحي ، وقفوا أمام باب مسجد وبدأوا التبشير . فلم يرض المسلمون بهذا وأوعبهم على السكوت فدخلوا الى الحاكم وطلب منهم ما هو هدفهم فاجابوا انهم أتوا لتبشير بالايان وكذلك بطلان الدين

الاسلامي فسجنوا في برج الذهب بجانب الوادي الكبير وبعد محاكمتهم سألهم الى أين يريدون أن يطردوهم . نحو الشمال في البلدان المسيحية أم الى الجنوب ، أى الى المغرب فاختاروا الذهاب الى المغرب . وهكذا طردوا الى المغرب كمشوشين وإن الحاكم لم يسرد تطبيق حكم الاعداء رغم انهم شتموا النبي وذلك لانه اتهمهم انهم مجانين ولان هذه الحادثة لم يسبق لها مثيل في الاندلس .

في الحقيقة يلزم التكلم عن تمصّب هؤلاء رجال الدين الذين لم يحترموا العقائد المسلمة . فعندما وصلوا الى المغرب خرجوا ثلاث مرات من السجن أو مطرودين فرجعوا الى عاصمة الموحدين للتبشير علانية . وإن مسيحي مراكش خاصة منهم دان بيدرو البرتغالي الذي كان يعيش هناك .

الخليفة المستنصر بالله ، كانوا يريدون اقناع المسلمين أن المبشرين كانوا سريين في تبشيرهم ومحترمين للدين الاسلامي . ولكن المسيحيين والسلطات الاسلامية كانت تحثي ثورة الشعب وأخيرا وفي 16 جانفي من 1220 قطع الخليفة نفسه رؤوس هؤلاء رجال الدين . فجمع دان بيدرو البرتغالي اجسامهم وأخذها الى أوروبا عندما رحل من المغرب ليقيم أيامه في جزيرة مايورك .

وحنا نرى في هذه التواريخ المؤسفة نتيجة عدم احترام هؤلاء الرجال الدينيين للاسلام وذلك انهم كانوا لا يعرفون الدين الاسلامي واللغة العربية . ورغم هذا أرادوا التبشير في بلد مسلم . فخلقوا اضطرابات وحاصروا المسلمين بهاجتهم للاسلام وشتمهم للنبي . كانوا يحملون بايمان ولكن تعصّبهم الديني لم يؤد الى أية نتيجة .

ولكن وضعية وحالة رجل دين فرانسسكي آخر تختلف تماما عن وضعية الرجال الست الاولين وهو أنسالم تورميذا الذي ذهب الى تونس حوالي 1390 ، ودخل الاسلام تحت اسم عبد الله الترجمان . ان هذه التواريخ مهمة في العلاقات بين مايورك والمغرب في العصور الوسطى .

لقد ولد أنسالم تورميذا في مدينة مايورك وهو رجل ديني فرنسيسكاني أيضا درس في مايورك وليردا وبولونيا بإيطاليا وعند الثلاثينيات من عمره اتجه الى تونس ليدخل

الاسلام . وكان ذلك أمام السلطان التونسي وأخذ منصب ترجمان في جمارك ميناء تونس ومنه وصل الى منصب قائد الجمارك وشغل مناصب هامة في الادارة المالية في مملكة الحفصيين الذين كانوا في قمة مجدهم وشهرتهم وقد وصلت فتوحاتهم حتى بجاية . ان انسالم تورميذا رجل سياسي وديني وكذلك كاتب ذو مكانة عظيمة لانه كتب من تونس عدة مؤلفات باللغة الكاتالانية ويمتها الى بلاده عن طريق التجار . وكان له هذه المؤلفات اهتماما كبيرا وأثرا عظيما . ويستر في هذه اللغة كاتبا كلاسيكيا . وفي آخر حياته كتب كتابا باللغة العربية وهو « تحفة الاديب في الرد على أهل الصليب » وفيه يذكر حياته ودخوله الى الاسلام والامراء التونسيين الذين خدمهم ونقضه الصريش للمسيحية على الخصوص هذا الدين الذي كان يعرفه جيدا لانه قسيسا ورجلا دينيا مسيحيا .

وكان لهذا الكتاب صدى كبيرا في العالم العربي والاسلامي . وقد وجدت أنا 48 مخطوطة يدوية بالعربية والتركية بين الرباط وبغداد وثلاث منشورات بالعربية وثلاثة أخرى بالتركية . الأخيرة منها وجدتها سنة 1970 ، أنا اظن أنه المؤلف الوحيد الذي كتب بالعربية وبلغة أوروبية واستطاع أن يكون في الاثننتين . ولهذا فإن حياة هذا الرجل الديني مهمة . فرنسيسكاني من مايورك استسلم وكتب بالعربية ولكنه لم يتراجع عن ثقافته المايوركية وحافظ على علاقته الاخوية مع شخصيات من جزيرته وكتب بلغته كما كتب بالعربية وعلى نفس المستوى .

ان الفترة التي جاء فيها رامون يول الى بجاية تتراوح بين تعصب الفرنسيسكانيين المراكشيين واستسلام الفرنسيسكاني التونسي .

ولد رامون يول حوالي 1232 في مايورك سنتين أو ثلاثة بعد أن احتلت الجزيرة من طرف ملك أراغون وقد كان صاحب وسام وملازما باب الملك الى أن احتدى الى الايمان وعمره 33 سنة . مترك عائلته وأشقائه وراح يبذل الجهود في نشر دينه في أوروبا بكتابه وتبشيره . وبما أنه عاش وسط المسلمين أراد أيضا أن يدفع المسلمين الى الايمان بالعقيدة المسيحية . فتعلم العربية وأرغم البابا وبعض الامراء المسيحيين على

انشاء مدارس تعلم اللغة العربية لكي يتعلمها المبشرون فيتعرفون على الدين الاسلامي والثقافة العربية *

ورغم انه ادعى نشر المسيحية قبل كل شيء فرامون يول هو واحد من الذين اثروا في الثقافة الاوروبية بقيم عربية من خلال كتابته ومبادهاته التربوية وهكذا ألف كتاب السامل الذي حرره بالعربية أولا ثم بالكاتالانية * ودرس في مختلف جامعات أوروبا * ولكنه فكر أيضا في نشر العقيدة المسيحية بين المسلمين فرحل حوالي 1280 الى المشرق عامة وإلى الاماكن والبقاع المقدسة المسيحية في فلسطين * وبعد اثنتي عشرة سنة اتجه الى تونس وتحدث أياما وأياما مع العلماء المسلمين متمقلا في ايمانه أمامهم ومحاوла تفهم براحتهم * وإن تأثره بهذه المحادثات لا يستطيع نقيها في كتبه التي تلت المحادثات * فتكلم دائما عن الايمان الاسلامي وصفات الله * ولا مبتدا بالمعتقدات المسيحية * كما كان يعمل معلمو اللاهوتية الاوروبيين *

وكانت هذه المحادثات خطيرة من حاب آخر لرامون يول * لانه اتهم أمام السلطان انه آمن وبالف في التكلم عن دينه * ولمسح خطه اقنعت إحدى الشخصيات السامية الملك بأن لا يؤخذ أمر في شأن رامون يول وإنما يلزم إرجاعه الى أرضه وكانت حجته هي التالية : ان قتلنا هذا الرجل الذي جاء هنا للتبشير فإن المسيحيين لن يقبلوا المسلمين الذين يريدون نشر العقيدة الاسلامية في أراضيهم * انها حجة غريبة ولكنها كانت فعالة واستطاعت ان تنفذ رامون يول من الهلاك في تونس ، فرجع الى إيطاليا وحث البابا والشخصيات الكاثولكية على الاهتمام بالتبشير عامة وبين المسلمين خاصة *

وبعد ان واصل يكتب ويسافر في كل انحاء أوروبا اقدم في الخامسة والسبعين من عمره على القيام برحلة من جزيرة مايورك الى المغرب وإلى مدينة بجاية فبدأ تبشيره الملني ومهاجته للدين الاسلامي فالتقى القاضي الحكم عليه وقال له : أي جنون سمح لك بمهاجمة ديننا الحنيف علنية ، فسجنه ولكنه انتظر مجيء العلماء المسلمين للتعداد معه واقناعه عن حقيقة الدين الاسلامي ، فاستجاب له وراح يكتب ليلا ليجمع ثمار هذه المحادثات والاقتراح وهكذا ألف في بجاية كتاب محادثة رامون يول المسيحي مع

¹ Jaime Ferrando

وأخيرا بعنه أمير أو حاكم بجاية فى باخرة متجهة الى مدينة بيزة بإيطاليا . وهكذا واصل هذا المجوز الذى لا يخضع لشيء ، كاتباً ومرتحلاً عبر كل أوروبا وكان جديراً بحقيقة الدين المسيحى وكان دائماً فى استعداد لنشر هذا الدين حتى عند البابا والأمراء المسيحيين . ولكنه لن ينسى المسلمين ففى 1314 رجع مرة أخرى الى بجاية وهو فى الثانية والثمانين من عمره ومنها انتقل الى تونس حيث طلب من ملك أراغون أن يرسل له ترجماناً وكاتباً يساعده فى أعماله ، ورجع مرة أخرى الى بجاية حيث مات فى السفينة التى كانت تنقله الى مايورك .

وجاء فى بعض الأساطير أن رامون يول اضطلع فى بجاية وفى الحقيقة نحن لا نعلم شيئاً عن آخر أيامه التى قضاها فى بجاية . وإن سكان مايورك يكونون له احتراماً وإكراماً عظيمين إذ أنه يوم الاحتمال بذكرى وفاته توضع صورته على مقدم بلدية بالمّة ولقد رايته أنا عندما كنت ولداً . وهكذا ترى بين تعصب بعض من زملائه الفرانسكانيين ودخول الاسلام من طرف آخر شخصية رامون يول العظيمة . ورغم انه دافع فى بعض الأحيان عن المروءة الصليبية لكثير من رجال القرون الوسطى . فقد اشتغل خاصة بالتبشير الدينى بكتابه ومؤلفاته متعلماً اللغة العربية والحضارة الإسلامية . وهو رجل ركز تبشيره على الحواد المنظم هكذا ومريداً ان يؤثر فى المسلمين كأن المعلم اللاهوتى المسيحى الذى تأثر أكثر من غيره من المسلمين . وهذا مثل لتأثير الحضارة العربية الإسلامية فى أوروبا خلال القرون الوسطى كلها .

وأنا أظن أن اهتمام رامون يول بالمسلمين وتأثيرهم فيه كان من أسبابها أنه عاش فى جزيرة وسط البحر الأبيض المتوسط قابلاً لجميع تيارات هذا البحر المشترك . ولهذا الفرض نصب تمثال رامون يول فى ميناء بالمّا بـ مايورك رمز للضيافة والانزال ولاعتناق العقل لجميع التيارات الفكرية فى أوقات رامون يول .

وفيمّا يتعلق بانفتاح رامون يول دعوى أيها الاخوة اختتم كلامى بهذه الحكاية عن هذا التمثال المشهور لميناء بالمّا .

لقد أقاموه منذ سبعة سنوات وخطر لشخصية مايوركية أن توضع جملة فى كل اللغات كتب بها رامون يول أى باللاتينية والكاتالانية والعربية . هذه اللغات التى كانت

لغات ثقافية في عصره ولاختيار الجملة العربية اتحدوا بي عندما كنت استاذاً بجامعة ليون
فرنسا ففكرت أنه من الأحسن أن يختارها عربي مسلم وعلى الخصوص جزائري لأن رامون
يول عاش في الجزائر وتوفي في بجاية * ولهذا الغرض عرضت الفكرة على زميل الاستاذ
الدكتور علي مراد الذي كان له اللطف في اختيار جملة ثمينة لرامون يول وهي « لا محبة
بدون ارادة ولا ارادة بدون محبة » وأرسلها الى مايورك *

ولكن الجملة كانت كلها في سطر واحد أفقى أما قاعدة التمثال كانت عمودية وضحت
القاعدة غير كافية لكتابة الجملة في سطر واحد فلجأ زملائي الماركيون الى قطع الجملة من
اليسار الى اليمين أى ابتدأوها من الاخير فوضعوا آخرها في السطر الاول ووسطها في
السطر الثاني أما أول الجملة فوضعوه في آخر سطر من البلاطة * وهكذا أصبحت
الجملة غير مفهومة وغامضة في عين الناس *

أما أنا فقد كنت في جامعة ليون ولم أطلع عن هذا الحادث * فاشتكت الناس في
مايورك قائلة ان ما كتب غامض جدا وغير مفهوم * فقام الشخص وأتى بالفكرة بمسدة
مجادلات في الصحافة قائلا انه استشار أساتذة جامعات حذيرين بما يسمون وأنه عرض
البلاطة على بعض العرب وأنهم فهموا المعنى العام للجملة الا أنهم قالوا انها تظهر غريبة
شيئا ما * واستنتج اننا ترجمنا نص الجملة الى عربية المصور الوسطى ولهذا لم تفهم
جيذا واستطاع بهذه الوسيلة أن يقضى على احتجاجات الناس *

وبعد مدة من الزمن مررت بمايورك فرأيت التمثال وما فعلوه بها * تعلمت الى السيد
الجليل وقلت له ان هناك غلطة عظيمة ذات أهمية * فتمجب قائلا : انت كذلك تشكو الآن
بعدها اقنعت الناس جميعا ان الجملة مفهومة ولكن العنطة أصلحت ونستطيع اليوم رأى
تمثال رامون يول وهو فاتح ذراعيه في ميناء بالمنا * ذراعان مفتوحان الى العالم وموجهة
الى بجاية خصيصا هذه الارض التي توفي فيها *

كل هذه الاحداث هي تواريخ المصور الوسطى - أما الآن فقد طرأ تغيير شامل بين
بلدى وبلدكم بين الدين الاسلامي والمسيحي ولكن جملة رامون يول التي اختارها زميل
الجزائري علي مراد ما زالت صالحة ولها شأن في علاقات المايوركيين مع جيرانهم سكان

بجاية - واختم كلامي أيها الاخوة المستمعون قائلا : « لا محبة بدون ارادة ولا ارادة بدون
محبة » .

والسلام عليكم

مراجع عربية

- البكري (أبو حميد الله) كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب , طبعة دى سلان , باريس 1965 .
الادوي (الشريف) كتاب رحلة المشنق في احتراق الأناق .
؟ (كتاب الاستفسار في عجائب الابصار) طبعة دى كريمير ليانا 1952 .
الفيراني (أبو العباس أحمد بن أحمد ...)
« عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بسحابة » طبعة الجزائر 1910 .
ابن خلدون (عبد الرحمن) كتاب السير ... ج 6 .

الفكر الاسلامي

آثاره وأسباب قوته وضعفه

د • الحبر يوسف نور الدين

كلية الآداب - جامعة الخرطوم

— السودان —

لعل من نافلة القول بيان أن العرب — قبل الاسلام —
لم تكن لهم فلسفة متكاملة ولا نظرة شاملة للوجود وإنما
هي نظرات مبثرة وخطرات «فرقة» ، ولقنات مشتتة
نمير عن تجاربهم المحدودة في الحياة كقول طرفة ابن العبد
في داليته :

لعمرك أن الموت ما أخطأ الفتي

لنا لطول المرضي وتبيناه باليد

ثم جاء الاسلام فأبدع في كل شعبة من شعب الحياة

وآثر في كل ناحية من نواحيها فكان نوراً ورحمة ، وهداية ورشداً ، وسنحاول أن نبين
بعض تلك الآثار الضخام في شيء من الإيجاز والاقتضاب :

أثر في العقائد :

من المعلوم أن معظم العرب قبل الاسلام كانوا أهل وثنية ، وكان لكل قبيلة (1)
صينها بل قد يتخذ بعض الأفراد أصناماً خاصة يقدسونها ويدعون لها بالطاعة والولاء.

(1) من الأصنام المذكورة : هبل واللات والعزى ومناة واساب ومائلة — انظر كتاب الاستبصار لابن الكلبي
وسيرة ابن هشام — ج ٢ — ص 78 وما بعدها .

ويسألونها النجاح والفلاح . وهذا لا يمسى أنهم ما كانوا يعرفون عن الله شيئا ولكنها المعرفة الفاعضة غير العميقة التي لا تؤثر في السلوك والعمل . ومن الجاهلين من شك في جنوى تلك الاصنام فطفقوا يبحثون عن دين تطمئن اليه النفس ، ويرتاح اليه الضمير ، ويركن اليه الفؤاد .

كما فعل زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه ، ونهى عن فعل المنكرات ، وقبل المؤودة ودان بالتوحيد :

ارسا واحمدا أم السب وب أدین اذا تقسمت الأمور (2)

ولم تك قضية التوحيد قضية سهلة ميسورة كما يظن بل جاهد في سبيلها الرسول صلى الله عليه وسلم ، جهادا كبيرا ، ومكث يدعو اليها سنين عديدة حتى دخل الناس في دين الله افواجا . ولم تكن المسألة خاصة بالعرب عباد الاصنام واللات الذين تساءلوا منكرين متدهشين حائرين :

(اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا شيء عجاب ص - 5) بل تجاوزتهم الى أهل الكتاب الذين حرقوا الكرم عن مواضعه ، واستدعوا عقائد ما أنزل الله بها من سلطان . فاليهود يزعمون أن عزيزا ابن الله والنصارى يزعمون أن المسيح ابن الله ثم يخترعون نظرية الشالوث .

فيأتي القرآن بالقول الفصل ، والحكم الحاسم (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد - مائدة/73) ثم عادوا جميعا - اليهود والنصارى ليدعوا انهم ابناؤه الله وأحباؤه (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناؤه الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر من خلق - مائدة/18) .

جاء الاسلام ناقدا تلك الدعاوى ، مقنندا تلك الاباطيل ، نافيا تلك الاوهام ولا عجب اذ يقول تعالى (وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيما عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ، مائدة/48) فهذه الهيمنة هي التي تغطي الاسلام حق التقويم والتعديل والتصحيح ... تصحيح الاوضاع الجائرة في كل جانب من جوانب الحياة ...

(2) ابن هشام - ج 2 - ص 241 .

صحيح عرب الجاهلية الذين سكنوا الى حجارة لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تسمي ،
وصحيح اليهود والنصارى الذين أتوا بعقائد من تلقاء انفسهم واعطوا انفسهم حسيق
التبديل والتحويل والتحريف *

التوحيد اعظم عقيدة جاء بها الاسلام وهي الاساس الذي تبنى عليه الحياة الانسانية
العاضلة الرشيدة ولهذا عظم الله سبحانه وتعالى الشرك وعده ظلما عظيما ، وجرما كبيرا
لا يقفر ، والمتزلة الدين نبهوا في واحر العصر الاموى واستورا على سقوهم في العصر
العباسي جعلوا التوحيد الاصل الاول والاعم عندما اقرروا الاصول الخمسة التي تجمعهم
وسموا انفسهم أهل التوحيد * ثم جاء على المسلمين زمان انحرفوا فيه بعقيدة التوحيد
عن الجادة فاخترعوا نظرية الاتحاد التي يمثلها ابو المقيت الحسين بن منصور الحلاج كما
استدعوا نظرية وحدة الوجود التي يمثلها محي الدين بن عربي الحاملي * قهب الامام
احمد بن عبد الحليم بن تيسية الحراني وغيره من علماء المسلمين لاثبات يذودون عن دين
الله ، ويردون ما جاء به القوم في منطق قوى ، وفكر مستقيم *

عظم الاسلام الشرك بالله لان التوحيد واستقامة العقيدة هي التي تدفع بالناس في
الطريق السوي الاقيم ، والصراط المنيح المستقيم * وليس من اللازم ان يبعد الانسان
صنما أو وثنا أو بقرة ليكون مشركا بالله فقد يصب الهوى والغرائز والوازع والشهوات
(أرايت من اتخذ الهه هواه افاننت تكون عليه وكبلا * الفرقان/ 43) والانسان الذي
يلغي عقله ، ويضرب عن الفكر ولا يرى ولا يسمع ولا يفكر الا باعين الآخرين وآذانهم
وعقولهم الانسان الذي يسمع ويطيع من غير مناقشه ولا أخذ ولا رد ولا اعمال فكر ...
مثل هذا الانسان عابد لغيره لان العبادة تعني الطاعة والتسليم وهذا ما فات على عدي
بن حاتم في خبر الآية (3) المشهور *

ومن العقائد السابقة التي جاء بها الاسلام ايضا عقيدة البعث لا شك ان الموت من
الحقائق التي استوقفت الجاهليين قليلا ، ودفعتهم الى شيء من التأمل والتفكير أما ما بعد

(3) من قوله تعالى (اتخذوا احبارهم ورجهالهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم . النوبة/ 31) فقال
عدي وكان نصرانيا وقتنا ما كنا تصدم فقل له (سي) ألم يحرموا عليكم الخلال ويسروا لكم الحرام فاطمئنتهم .
قال نعم . قال فذلك عبادتكم اياهم .

الموت فقد اختلفوا فيه اختلافاً بعيداً * منهم من آمن به ومنهم من حقد عنه ومنهم من وقف حائراً مضطرباً ولعل زهيراً بن ابي سلمى كان من المؤمنين بالبعث والحساب يدلك على ذلك قوله في المعلقة :

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخس ليوم حساب او يعجل فينقم

الا ان اسان المؤمنين بالبعث كان مرتطاً بالحراة الجاهلية والالهام المتهافة فقد كانوا يعقلون الرواحل عند الاجداث ويتركونها من غير طعام ولا رى حاسين ان الميت لابد مشبور (4) عليها *

اما طائفة الشاكين غير المستيقنين الذين لم يقطعوا رأى مما بعد الموت فيستلهم قوله تعالى (ما الساعة ان نظن الا ظناً وما نحن بمستيقنين الجاثية/32) وقوله بل ادراك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم عنها عمون * النمل/66) *

والكثرة الكاثرة من الجاهليين كانت تنكر البعث انكاراً ، وتستبسه استبعاداً وهم الذين جادلوا الرسول (ص) واكثروا جدالته ، وفتنوا له العظام النخرة البالية سافرين منكرين مستهزئين * ونشأت بينهم طائفة عرفت بطائفة الدهريين واليهيم يشير القرآن الكريم حين يقول (ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر * الجاثية/24) والقرآن بصور لما انكار الجاهليين للبعث تصويراً رائعاً نجتزى منه بقوله تعالى (وقال الذين كفروا هل نفلكم على رحل ينشكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق حديد افترى على الله كذباً ام به جنة * سبا/78) *

لقد أثارت هذه العقيدة الجديدة دهشة الجاهليين وعروا عن هذه الدهشة في اسفلهم كما في قول الآخر :

يخبرنا ابن كبشة صوف نحيا وكيف حياة اصمدها وهام (5)

(4) وسها ايضا الهامة ذاب ذو لاصبح المفواتى :

يا عمرو الا لدع شمس وتقصني اطربك حيث تقول الهامة استقرنى ، وانظر المصليات .

(5) تد على موضع هذا البيت ولعله في نسخة ابن هشام .

ولم يكتف القرآن الكريم بالتقرير المجرد لهذه القضية بل ساق الأدلة والمجج والبراهين التي تستند صحة دعواه فآله الذي أنشأ المشاة الأولى قادر على أن يعيدها مرة أخرى وهي أهون عليه وله المثل الأعلى (من يعيدنا ؟ قل الذي فطركم أول مرة الأسراء/ 51) وفي الظواهر الطبيعية شاهد ودليل ... الأرض الميتة ينزل عليها الماء فتهتز وتربو وتنبث من كل زوج بهيج (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة ماذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت أن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير - فصلت/ 39) وفي السوم واليعة دليل (ومن آياته مناعكم بالليل والنهار) * والناس مختلفون في الأعمال . متباينون السلوك ، متفاوتون في الأفكار ولا بد من محاسبة وتقييم وعنده ضرورة اخلاقية لا مناص منها (أفنحمل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون - القلم 35 - 36) * هذه العقيدة ... عقيدة البعث آمن بها المسلمون الأوائل إيماناً عميقاً فآثرت في سلوكهم تأثيراً عنيفاً ، وكان إيمانهم بها - كما يأنهم بالتوحيد - بسيطاً عميقاً في آن ... آمنوا بها ، صدقوا الرسول ، ولم يسألوا عن كيفية البعث ثم جاء اخلافهم من بعدهم فما عتثوا يتسألون عن كيفية البعث ففقدوا المسألة تعقيداً ، وفقد الناس حرارة الإيمان فاستبدلوا بالجذل والكلام . عاد الناس يسألون هل تبعث الأرواح وحدها وتبقى الاحسام أم هل تبعث الاجسام والأرواح جميعاً ؟ أما الكثرة ممن نسميهم فلاسفة (6) اسلاميين فقد زعموا ان الروح عنصر خالد باق دائم والجسم عنصر مادي فان متحلل والبعث إنما يكون للأرواح التي تطلق من محسها الذي تشله الاجسام ولقد سخر احدهم من هؤلاء فقال :

زعم المنجم والطبيب كلاهما لا تبعث الاجسام قلت اليكما

ان صح قولكما فليست بغامر أو صح قولي فالوبال عليكما

وظاهر ان القرآن الكريم يشير بنعيم مادي وروحي ، وينذر بعذاب روحي مادي والانسان نفسه مادة وروح فلا معنى لمن قال تبعث الأرواح دون الاجسام *

هذا الحديث عن اتوحيد والبعث ان هو الا محاولة متواضعة لتبيين بعض ما للإسلام

(6) حذو واحدة من المسائل التي كفر بها الامام الفرائي الفلاسفة . انظر تهافت الفلاسفة ود . راسم البراوي/ قادة الفكر 333 وبا بعدها .

من إثر في عقائد الناس • واثر الاسلام لا يقتصر على ما استحدثت من افكار وعقائد كان لها دورها العظيم في تاريخ الفكر البشرى • وعلينا ان نذكر دائما ان الاسلام حث وشجع وطالب الناس بأعمال الفكر ، وإيقاظ الشعور ، وتربية الحس (قل انما اعظمكم بوحدة ان تقوموا لله مثنى وفردى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة) (قل انظروا ما في السموات والارض) (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاوى الالباب • آل عمران/ 190) • (7)

وجد الاسلام الناس يدينون بمقائد متباينة ، ويسلكون سلا مختلفة قدامهم دعوة ملحة لا ممان النظر ، والتجرد عن الهوى والغرض وحمل حملة عنيفة على تقليد الاباء والاجداد من غير بصير ولا تدبر (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا ، بل نتبع ما افئنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ؟ البقرة/ 170) والامام الفزائى بما له من معرفة وثيقة بالدين وقواعده ، والاسلام وروحه يهاجم التقليد والمقلدين هجوما عنيفا وحق له ان يفعل فالتقليد دليل على البلادة ، وضيق العنق ، وطمس البصيرة وفى ذلك يقول الامام الحجة (فان زعم ان حد الكفر ما يخالف مذهب الاشعري أو مذهب المعتزلى ، أو مذهب الحنبلى أو غيرهم فاعلم انه نظر بليد قيده التقليد فهو اعشى من العميان (8) •

وفى موضوع آخر نجده يستمر فى هجومه على المقلد محتدا محتدا ما قائلا (وشرط المقلد ان يسكت ويسكت عنه لانه قاصر عن سلوك طريق المجتاه ولو كان احلا له كان مستتبعا لا تابعا ، واماما لا ماموما فان خاض المقلد فى الحاجة فذلك منه فضول ، والمشتغل به صار كضارب فى حديد بارد - وهل يصلح العطار ما أفسده الدهر ؟) • (9)

فالتفكير فى الاسلام واجب شخصى ، ومسؤولية فردية والجماعة لن تغنى عن الفرد شيئا فى هذا المجال • وما من أحد يطيع أحدا طاعة عمياء فيضله الا ناله غضب الله ،

(7) جمع الاستاذ العقاد مجلة صالحة من الآيات التي تنمو هذا المعنى فى كتابه (التفكير فريضة اسلامية لميراجع) .

(8) البراوى : قادة الفكر/ 210 ،

(9) نفسه/ 211 .

وتدم حيث لا ينفع الندم ، وتحسر حيث لا تجدى الحسرة (ويوم يعرض الظالم على يديه
يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلنى
عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا • الفرقان/ 27 - 29) والرسول
(ص) يرشد الانسان قائلا (لا تكن امعة تقول فان احسن الناس احسن وان اساووا
اسات ، ان تتجنبوا اساءتهم) وكل هذا يناقض مناقضة صريحة مذاهب الجاهليين فى
التفكير والعمل خذ على ذلك مثلا قول (10) دريد بن العتمة :

وهل أنا الا من غزية اذ غوت غويت وان ترشد غزية أرشد

والاسلام يوسع دائرة النظر المستقل ، والتأمل المفرد فالكون كله مادة للفكر ،
محال للنظر ومسرح للتدبر قال تعالى (وسخر لكم ما فى السموات والارض جميعا
منه - الباقية/ 13) وقال (وكاين من آية فى السموات والارض يسمرون عليها وهم عنها
معرضون • يوسف/ 105) •

اما حديث تفكروا فى مخبواته ولا تفكروا فى ذاته فليس حجرا على الفكر ولا منعا
للنظر ولكنه حفظه من الضياع وضمن له من التبدد ولقد اثبت تاريخ الفكر الفلسفى
صحة هذه النظرة ، فالفلاسفة الذين شغلوا انفسهم ببيدات ما وراء الطبيعة وهو
ما يسمى - Metaphysique فراحوا يتصورون حقيقة الذات الالهية المقدسة كما
تتخللها اوهامهم لم يأتوا بطائل ابدا وان هى الا تهويمات لا يستند لها دليل ، وتخيلات
لا يعصدها برهان •

ولم تتقدم الفلسفة الاسلامية شرا واحدا فى هذا الميدان • ولقد ادرك الفلاسفة
الغريبيون بتأثير من النظرة الاسلامية ان طريق ما وراء الطبيعة طريق مسدود لم يخفق
له العقل الاسمانى فاصربوا عنه اضرابا وهكذا وجدنا من سمي بالفلاسفة
المحربين Empiristes الذين خطا العلم الحديث بفضل جهودهم خطوات
واسعات موفقات •

(10) عن دالة مشهورة يرى فيها احد عبد الله مطلقا (ائت جديد الجبل من ام سيد) .

وهذا هو الخط الذي سلكه علماء المسلمون في العصور الوسطى واستطاعوا أن
يجتنبوا نتائج ايجابية هائلة اعتمدوا فيها على الملاحظة الدقيقة ، والملاحظة المتكررة
والتي تجارب المعادة والاستقراء العلمي الممتاز . وعندما اتصل العرب المسلمون بفكرهم
من الأمم ، واحتكوا بثقافات أجنبية ، وفلسفات غريبة لم يكونوا ضاعفا ما حتى الشخصية
وإنما كانوا أفرقاء استمدوا قوتهم من اعتزازهم بما يحملون من مبادئ وأفكار وتعاليم
وقيم مما جعلهم العنصر المسيطر على الأوضاع المهيمن على الحياة ، المسير للأمور والاحداث
فإن افتخر غيرهم بما كانوا من رخرف وزينة ومتاع منهم لا يعتزون الا بما عندهم من
نور وهدي ومعرفة بالله رب العالمين (اذا سلم ديني فأهون بالمصاب) (11)

(ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي)
(ابي الاسلام لا أب لي سواء اذا افتخروا بقيس أو حميم)
(دعي القوم ينهر بمعصية . ليحلقه بذئ الحسب الصميم)
(ولا كرم وان كرمتم جود ولكن التقى هو الكريم) (12)

ولو كان انتصار العرب انتصاراً عسكرياً ليس الا لذابوا في المجتمعات الجديدة التي
احتلوها ولما تسمى لهم ان يكونوا قادة الفكر وحداة النظر ، وبناء الحضارة - ولو كان
انتصاراً عسكرياً مجرداً خضعوا في مسائل الفكر والآداب والفن للملاد المفتوحة خضوع
الرومان لليونان لان اليونان كانوا ارسخ قديما ، واطول ناعا ، واقطع خرسا في مجال
الافكار والآداب من الرومان المتفوقين عسكرياً الذين لم يجدوا بدا من النقل والتقليد
والمحاكاة (وما التكحل في المنين كالتكحل) (13) - اما المسلمون فقد كانوا يملكون
مقياسا لا يخطئ يفصلون به بين الحق والباطل ، والخير والشر ، والعصيلة والرذيلة ولكم
هو القرآن الكريم الذي انزله الله سبحانه بورا وبرحانا ومرشدا ودليلا (14) .

(12) هذا مثل يطرب .

(13) الابيات لنهار بن تومعة من شعراء الدولة الايوبية - الشعر والنجباء - ج 2 - 537

انظر الكامل للشعر أيضا .

(14) شعر مشهور لابي الطيب المنبجي .

(14) يقول : M.M. Sharif

(هناك حقيقة هامة تماثل منها أو لم يعط لها الكتب المسيحية الذين كتبوا من تاريخ الحصار الاسلامي)

وهذه الحقيقة هي ان الفترة الذهبية التي جعلت المسلمين يفتخرون بالعلم مصدرها القرآن الكريم واحاديث
الرسول . (الفكر الاسلامي - 25) وهو قول صحيح له من الشواهد ما يؤيده .

وتعاليم الاسلام بما فيها من سحر اخاذ ، ونور ثاقب وحق متبلج استطاعت ان تفعل فعلها بفضل جهود بعض الافراد الافذاذ حتى عندما اخلد جمهور المسلمين الى الارض واطمانوا بالحياة الدنيا ورضوا بها فضربت عليهم الذلة والمسكنة واذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون فبدلوا بؤسا بعد نعمة ، وذلة بعد عز ، وضعفا بعد قوة وسلط الله عليهم قوما غلاظا شدادا قاسية قلوبهم لا يرقبون فيهم الا ولا دمنة اولئك هم التتار الذين عاثوا في الارض الفساد ، وخرّبوا الديار ، وحرّقوا الكتب ، وسكّوا الدماء ونهبوا الاموال (15) . . . أقول انه بفضل جهود بعض المسلمين البررة الذين تجلّت فيهم عظمة الاسلام وسماحته حيّا الله لبعض اولئك الهج الرعاع ممن أمرهم وشدها ، قدانوا بدين الحق ، فالتفت بالرغم من تفوقهم المادي ، وقوتهم العسكرية الضاربة الا انهم لم يكونوا الراس المقدم في مسائل الفكر والعلم والمعرفة . وحملت افئدة الصالحة الى آمنت منهم راية الاسلام فحلّقوا خلقا جديدا وصار نشئا آخر فتباؤك الله احسن (16) الخالقين .

هكذا اثر الاسلام في افكار الناس وفي طريقة تفكيرهم وهناك جوانب أخرى نود ان نلمسها لمسا خفيفا والاسلام اثره في كل ناحية . وجد الاسلام الناس مستمسكين بشل جاهلية ، وقيم مورثة بهم بعضها ، وقوم بعضها وترك بعضها على ما هي عليه على ان ينظر الناس نظرة حديثة مستحدثة مستشعرين وجود الخالق وعظمته في كل تصرف وتصوّر . حرم الخمر والميسر والاستمتاع غير المشروع بالنساء ووجه بسالة العرب ، وجبه للمغامرة وركوبهم المخاطر ووجه اسلامية جديدة تركيزا للجهاد واعلاء كلمة الله وسما بنظرتهم فلم تعد الحروب سلبا ونهبا وكسبا وخصما (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة - النساء/ 84) حالطت هذه النظرة الجديدة قلوب الناس ، وخامرت عقولهم فاصبحوا لا يصعدون الا عنها فالاموال مثلا لم تعد ملكا خالصا للناس وانما هي تمليك وتخويل يجب ان يحسن الانسان التصرف فيه قال عبده بن الطيب (17) :

(15) انظر نقولا زيادة : دراسات اسلامية 93 - 24 .

(16) انظر ابا الحسن اصفهاني : رواية لا رهبانية/ 24 وما بعدها .

(17) تاجر معظمر جهاد القاسية - انظر المقتضيات .

رب حباناً بأموال مَحْذُولَةٍ وكسل شيء حياء الله تخويل
ومن آثار الإسلام الخالدات تنظييه حياة الناس ، ومدهم بالقانون الذي يحتكون
اليه في صفات الأمور وكبائرها فلم تمد الأمور فوضى ضاربة لا ضابط لها كما كانت من
قبل وقد أدرك العرب هذه الحقيقة وأحسوا أن وجه الحياة قد تغير ، وأن القيم قد تبدلت
قال أبو فراس الهللي :

وليس كمهد السدار يا أم مالك ولكن احاطت بالرقاب السلاسل
وعاد الفتى كالشيخ ليس بقاتل سوى الحق شيئا واستراح العواذل
أصف الى ذلك كله أن الإسلام أثر تأثيراً لغوياً بعيد الغور فيفضله حفظت اللغة حتى
لولا القرآن لما وضع شيء من كتب اللغة البتة كما يقول الأستاذ مصطفى صادق
الرافعي (18) ، وبفضله اتسعت اللغة وتمت وازدهرت ، وبفضله أصبحت لغة عالمية ،
وصارت لغة الفنون والعلوم والافتكار . والقرآن بلغته الأدبية الفنية المعجزة صار المثل
الاعلى للبلغة العربية ، والمعين الذي لا ينضب ، الذي ورده الأدباء والكتاب والشعراء
والمشجرون وما زالوا يردونه ويفيدون منه ، ويتحصنون به . والأحاديث النبوية بما لها
من صياغة أدبية رفيعة محكمة موجزة كانت هي الأخرى رياضاً وحناناً يتأنق فيهن المتأمل
ويجتلي النظر ، ويجنى الثمار .

بعد أن تحدثنا في أجمال عن أثر الإسلام في العرب نود أن ننتقل الى أثره في الحضارة
الإنسانية على وجه العموم وهو انتقال شكل أذ المسألة واحدة فتأثير الإسلام ذلكم
التأثير البالغ في حياة العرب ونقلهم تلك النقلة الفكرية الحضارية الضخمة يعتبر بلا ريب
تأثيراً مباشراً في التاريخ البشري ، والقسم البواذخ التي صنعها الإسلام كآبى بكر وعمر
لا تمد مفخرة للعرب فحسب بل هي مفخرة على المستوى الإنساني العام . وتاريخ
الحضارة الإنسانية حلقات متصلة أخذ بعضها برقاب بعض وقد شاركت في صياغة
أهم وشعوب ودور الإسلام في الحضارة الإنسانية قديمها وحديثها لا ينكره إلا مكابر
جهول . ومن المؤسف أن بعض المسلمين جهلا منهم ، وغفلة وسوء نظير يحسبون أن

(18) قال ذلك في مقدمته لفرح ادب الكتاب .

العلوم التي ينعم الناس بشمرتها اليوم لن هي الا جهد خالص للاوروبيين وقضل سابق لا يشركهم فيه احد * وهم في هذا انما ينسون ان هذه العلوم ثمرة تجارب طويلة ضاربة في أعماق التاريخ *

وانظر المسلمين في العلوم يتجلى لنا في اتجاهين : الاتجاه الاول في المهجع العلمي الدقيق الذي التزموا فكانوا متحردين عن الهوى والفرس ، مخلصين للحق والحققة ، يادلين الجهد كله للوصول الى نتائج مقننة مبرهنة (19) والاتجاه الثاني في النتائج التي وصلوا اليها بعد ان اتبعوا ذلك المهجع العلمي العظيم * فقد استطاعوا ان يهسروا عالم المصور المظلمة عند الغربيين بما احرزوه من تقدم علمي منير في كثير من الميادين * ففي الكيمياء برز جابر بن حيان الذي قيل فيه (ان لجابر بن حيان في الكيمياء ما لأرسطو في المنطق وفي الحساب والجبر ابدع محمد بن موسى الخوارزمي ، وفي علم الفلك اشهر البتاني ، وفي الطبيعة علا كعب ابن الهيثم ، وفي النبات طارت شهرة ابن بيطار الى غير هؤلاء ممن لا يحصرهم العد ، ولا يحيطهم الجبر *

بالاضافة الى هذه العلوم التجريبية التي اعتمدوا فيها على التجربة والمشاهدة اهتم المسلمون ايضا بالعلوم الدينية كعلوم القرآن وعلوم الحديث والفقه بفروعه وأصوله ، كما اهتموا بالعلوم اللسانية من نحو وصرف وعلوم بلاغة ومعاجم ، وبذلوا في علوم التاريخ والجغرافيا والعنصرة وسائر العلوم الانسانية جهدا جاهدا ناصبا * هذه الجهود لم تذهب عبثا ولم تمض سدى ، بل أدت دورها كاملا في تقدم الانسانية وازدهار الحضارة ولم تكن حضارة شوها حواء تنظر بعين واحدة وتسمى بسباق واحدة ، وتتنفس من منحر واحد حتى كأنها شق الذي تصوره لنا الخرافة المأهولة شق انسان بل كانت حضارة متكاملة تقف ورامها عقول صافية مؤمنة ، ونفوس أمة مطمئنة وقلوب عامرة واعية * وما من باحث منصف الا ويعترف اعترافا كاملا بالمسؤولية الضخمة التي نهض بها المسلمون دون كلل او ملل ، يقول أحد المفكرين * (وبداية القرون رفع المسلمون لواء الحكمة وخدموا العلم والمعرفة ، واحبوا علوم السابقين وعلوم الفلاسفة

(29) انظر فصل النزعة العلمية في التراث العربي من كتاب العلوم عند العرب ، لقنبري حافظ طوقان - 77 وما بصما .

والطلب والفكر ومن الباء في أسمي صورة إلى الغرب والشرق على السواء، مما أتاح لنا أن نصل إلى النهضة العلمية الحديثة ولهذا يجدد بنا ألا تكف عن البكاء كلما تذكرنا اليوم الذي سقطت فيه غرناطة (20)

هذه الحضارة التي حاولوا أن نصف بعض جوانبها والتي كان يفديها ذلك الفكر النير المسور ضعفت وتضععت به... المسلمون وتضعضهم وكان لذلك الضعف والتضعض دوافعه ودواعيه من تلك الدوافع صعب الوازع الديني في النفوس فيجذب القرآن التي كانت مبنية في النفوس تملأها حماساً للعمل، وتحثها حتى عتياً على أعمال الفكر وإيمان النظر بدأت تخبو وتبوح فأصاب الناس كسل قاتل وخمول مريع ماتت منه الهمم وخبت له النفوس فسيطرت الشهوات وسيرت الناس الأهواء (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً - مريم/58) . وعندنا يترك الناس الاجتهاد والمجاهدة والجهاد... عندما يترك الناس التعلق بالمثل العليا، والأهداف السامية والأعراس النبيلة... عندما يكون همهم الأكل والشرب والسبق فقد أذنوا بزوال (فاعرضوا فارساً عليهم سبل العرم وبدلباهم بجنتيهم جنين ذواتي أكل خطط وأكل وشيء من سدر قليل - صبا/16) .

هذا أقوى الدوافع التي أرجعت المسلمين الفقير ثم كانت عامل مساعدة عجبت بالنهاية منها تكالب الأعداء من الخارج فالتنار والصليبيون والاستعمار الحديث أنزلوا ضربات قاصصات، وصبروا سوط عذاب على المسلمين الذين كانوا يعانون من أمراضهم الداخلية العتاة ويكفي أن كثيراً من المسلمين كانوا عونا وظهيرا وناصرين لأولئك المتدين على إخوانهم المسلمين . ومن العوامل التي أدت إلى عواقب وخيمة وبيلة مخاصمة العقول وضعالة الفكر . ففي فترة السكوف التي عاشها المسلمون عم الجهل بعقائد الدين والدنيا وتعلق الناس بالقشور والأعراض والأشكال وافترقت الشماثر الدينية من معانها وانتشرت الإلزام (21) والحرمان واستهان الناس بالواجبات (22) والعراقض وتصعبوا وتدابروا في مسائل فرعية لا تفي ولا تسمن من جوع (23) وهكذا، وهكذا مما يدعو للحزن والأسف .

(20) M. M. Sharif : الفكر الاسلامي - 27 .
(21) قال الآخر : برئت من الحوائج لست منهم وإن باد ومن قوم إذا ذكروا علينا يرمون
إسلام على السحاب .
(22) زعم بعض المتصوفة أن العراقض أعلام ترفع عن المواقف
(23) كان بعضهم لا يجوز الانكاح للمجاهدين في المذهب .

ولعبت الفكر الاسلامي من جديد لابد من رجوع الناس الى القرآن الكريم دراسة وتحصيلا وفهما وتطبيقا وهذا لا يمكن ان يحدث ما لم تقم الدول بواجباتها فالدولة في الاسلام ليست هدفا في ذاتها بل هي وسيلة من وسائل اعلاء كلمة الله (الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وانوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر - الحج/ 41) . ولا بد ان يقوم الافراد العلماء بواجبهم ايضا فالاسلام لا يصيبه الا حاكم مستبد او عالم مداهن - والعالم في الاسلام ينصح ويعظ ويرشد والحاكم يستشير ويسمع ويعطي كلمة الحق وتاريخنا ملي بسير العلماء العاملين الابطال الذين ادوا الامانة وحفظوا المهود ولم يمالئوا باطلا كيف وعبادة بن الصامت يقول بايعنا رسول الله (ص) على ان نقول الحق لا نخشى فيه لومة لائم .

لقد دخلت في افكار المسلمين مسائل لا تمت الى الاسلام بسبب فلا بد من النظر في التراث الذي خللته القرون الماضى نظرة فاحصة نافذة تفي الشوائب التي عمت بالاذهان فالناظر في تاريخ الفرق والمذاهب الاسلامية يجد ان كلا منها قد بالغ وتطرف في جوانب على حساب جانب آخر وذوئ الله وسط بين الافراط والتفريط . . . منهم من زعم ان الانسان مجبر مكره لا يملك من امره شيئا ومنهم من زعم انه حر حرة مطلقة . . . منهم من دعا الى تنقية الباطل واهل الظاهر ومنهم من اهتم بالظاهر وافغل الباطل . . . منهم من كفر منكب الكبرية ومنهم من تهاون زاعما لن تضر مع الايمان مصيبة وهكذا . وفي مجال الفقه لابد من الاسترشاد والاستئناس بأراء الفقهاء السابقين (24) ولكن ذلك لا يعني ان آراءهم حجة ملزمة يصار اليها فهم رحمهم الله بذلوا جهدهم لحل قضايا عصرهم . وعلماء المسلمين اليوم لابد ان يبذلوا جهدهم لحل قضاياهم بعد ان يحاولوا محاولة جادة تسيير الحياة وفق تعاليم الدين وهداه .

هذا ونحن نعيش في مجتمع مضطرب من المعارف العلمية فهذه لابد من الاخذ باسمائها بالحكمة ضاللة المؤمن وهناك توبه وحداق من كثير ممن تأثروا بالحضارة الغربية اذ يزعمون ان الحضارة لا تتجزأ فهي اما ان تؤخذ جملة او تترك وهؤلاء يريدون منا ان نكون حطاب

(24) احسن السيد سيد سابق صنفا في هذه المسئلة اذا لم يتقيد الا بالدليل .

ليل نأخذ الفث والسمن كانا مشلولو الادارة * نحن نريد أن نأخذ بأسباب الملم لان ديننا يدعونا لذلك وهو بمد حق من حقوقنا شاركنا فيه مشاركة فعلية ولكننا لا نريد ان نرث امراض القوم وآفاتهم *

وعلينا ان نتابع ما تخبره المطابع فبعضه جيد نافع وبعضه يهاجم الفكرة الاسلامية هجوما يواحا وبعضه يهاجمها من وراء حجاب فباسم التقدمية والقومية والاشتراكية والواقعية يهاجم الدين (25) وتذيع الفضيلة *

ان ظلام الجهل المتراكم لا يقطعه الا نور المعرفة الوهاج والمعرفة لا تنال الا بالجهد المائب والتوفيق المتألب وليست المعرفة - بعد - ترفا ذهنيا ولا حلية ترتدى وانسا العبرة بنا تخلفه من اثر في النفس والشعور وبين ايدينا علم غزير وأدب جم وكفز ثمين متمثل في كلام الله وحديث الرسول والمحروم من حرم منها فقد جاء في الحديث الذي اتفق عليه الشيخان (مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الفيت الكثير اصاب ارضا فكان منها تقية قبلت الماء فانبثت الكلا والعشب الكثير وكانت منها اجادب امسكت الماء فمع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا واصاب منها طائفة أخرى انما هي قيمان لا تمسك ماء ولا تنبت كلا ، (26) وما من نهضة ترمى للمسلمين والقرآن مهجور والحديث مهدم ، والشرعية ممطلة *

(25) انظر مذاهب عداءة في فكرنا العربي المعاصر للدكتور محمد محمد حسين .

(26) زاد المسلم 2/393/394 .

بعض مراجع البحث

- ١ القرآن الكريم .
- ٢ زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم للشيخ محمد حبيب الله الشنيطي .
- ٣ سيرة ابن هشام - تحقيق وشرح مصطفى السقا وآخرين، مصر 1936 م .
- ٤ ترجمة أحمد شبيب [Muslim thought (Its, Origin and Achievements)]
تأليف : M. M. Sharif
- ٥ العلوم عند العرب : فهدى حاتم طوفان القاهرة - 1960 م .
- ٦ ريانة لا رجائية : أبو الحسن الندوي - بيروت - 1966 م .
- ٧ قادة الفكر الإسلامي في ضوء الفكر الحديث دكتور راشد البراوي « القاهرة - 1969 م .
- ٨ دراسات إسلامية : د. عقولا زيادة - بيروت 1960 وهو مقالات لمجلة من المستشرقين الأمريكيين للنسوة
ال عربية «مجلة» .

الوحدة والتنوع في الثقافة الإسلامية

د. إيفادى فستى هايرفيتش

استاذة بكلية أدبيات بجامعة الأهر

(القاهرة)

عضوة في المركز الفرنسى للبحث العلمى

(باريس)

اسمحو لى - كمقدمة - أن أروى لكم حكايتين من تلك الحكايات التى تعين على فهم القصود من الكلام بإيراد الامثال • والحكايتين مقتبسستان من المثنوى الواسع المكتوب باللغة الفارسية ، والذى ندين به لذلك العبقري الفذ جلال الدين الرومى الذى عاش - كما تعلمون - فى القرن الثالث عشر بالاناضول •

كان بدوى فقير يعيش فى الصحراء ، وفى حالة من العوز والفقر المدقع • وذات يوم - نزولا عند الحاج امرته - عز على الرحيل الى بغداد واستجداء الخليفة ، ولما كان راغبا فى تقديم هدية لهذا الأخير ، ظن أن أنفـس هدية لا يمكن الا ان تتمثل فى ذلك الماء الذى تعد كل قطرة منه ذات قيمة بالنسبة اليه ، مهما كان هذا الماء ملحا أجابا • واستطاع البدوى المسكين بكثير من الجهود والمناء ، أن يحمل الى العاصمة مثل هذه الهدية الغريبة التى قدمها باعتزاز للخليفة • وما كان من هذا الأخير الا ان تظاهر بالدهشة

والاعجاب بهذه الهدية ، وإن يرد اليدوي وهو محمل بالعطايا والثروات ، على أنه أمر باصطحابه ، مشيراً إلى أن الطريق الذي يجب أن يسلكه ، ينبغي ألا يمكنه من رؤية النهر ذي الماء العذب الفرات الذي يجري على مقربة من قصره .

ولعلكم أدركتم أن الذي أريده هو أن تعذبوا هذا الادعاء الذي خول لي التحدث هنا عن ثقافة ليست بثقافتى الأصلية . وأرجو أن يبلغ تسامحكم منى مبلغ تسامح هذا الخليفة .

والحكاية الثانية هي حكاية شخص فى بغداد يدعى علياً . وبعد أن بدد هذا الأخير ثروته وميراثه ، ودعا الله أن يمهده بالحنن من عنده : رأى فى المنام أن كنزا كان مغبواً بمكان ما فى مدينة الفاهرة . ورحل إلى هذه المدينة ، وتعرف المكان الذى رآه فى المنام ، وكان يناسب لمشروع فى عملية الحفر حين مرت به دورية للشرطة فاقبضته ، واتهمته إلى انتزاع الاعتراف منه بأنه إذا كان يجوب الشوارع فى مثل هذه الساعة من الليل ، وبرغم قانون منع التجول ، قائماً ذلك من أجل العثور على كنز كان قد رآه فى الحلم . وسحبر منه ضابط الشرطة قائلاً : « أرى أنك لست سارقاً ولا جوالاً ، وإنما أنت عبي » . فلقد طالما رأيت أنا فى المنام أن لدى شخص يدعى علياً من سكان الدار كذا ، والنهج كذا ، فى بغداد ، كنزاً مغبواً . فهل ترانى مجنوناً مثلك حتى أجشم نفسى مشقة مثل هذه الرحلة ؟ وعاد على إلى منزله ببغداد ، فاكشف فى عقر دأوه الثروات التى وضعت حدا لتعاسته وشقاقه . ولكن كان لابد له أن يفترق للعثور عليها .

وربما تعين القيام بشئ هذا الاعتراف ، وتحويل المركز الروحي ، للحصول على مزيد من الوعي الحاد بالكمن الذى تختزنه أى ثقافة فانا لا اطالب إذا بالمعذرة والتجاوز إلا لاني القيت نظرة عبر معتادة على ثقافتكم . وما أنا بمستطيع كذلك أن أعرض عليكم إلا بعض أفكار قد ألهمتنى أياها مثل هذه الرحلة . فكما أن المسافر بعد اكتشافه الكلى لمناظر طبيعة ، يحاول تحليل مكوناتها ، أو يحاول ، بالمقابل ، إذا ما حصل على صور جزيئية أن يعيد تركيب المجموع ، كذلك أنا إنما أود - ضمن هذه الثقافة العظيمة المترامية الأطراف ، الممتدة من أقصى عالم إلى أقصاه ، منذ ثلاثة عشر قرناً ، والتي يتقاسمها مئات من ملايين الناس - أن أحشد فى التمييز بين بعض العناصر التى تتردد - كما يبدو لى -

بصورة ثابتة الى حد ما : واعنى بها ما يظل أكثر جوهرية ، أى البنيات التى تشرط عقلية جماعية تنتقل من جيل لآخر ، وما تزال مستمرة .
والذى يترأى لى أكثر بروزا بصورة عامة : هو القيمة الجامعة الشمولية للإسلام ،
والذى تتجلى على كافة المستويات .

ان سورة التوحيد (الاخلاص) وآية سورة الروم اللتين تذكران بأن اختلاف الشعوب والثقافات آية من آيات الله لتبرزان هذه الوحدة الأساسية الثاوية تحت تعدد الظواهر . فالواقع النهائي واحد ، والحقيقة واحدة ، وبالتالي فلا يمكن للوحى الا ان يكون واحدا ، ولا للرسالة النبوية التى تعبر عنه الا أن تكون واحدة هى الاخرى . وانما تفكير الناس هو الذى اقامها حيناً ، وعكسها حيناً آخر .

اختلاف فى الالسن وفى الألوان - كما تشير الآية واختلاف اذن فى الحساسية على مستوى التجربة والظرف الماش . وكما ان قوانين الطبيعة لا تتغير ، وانما تتجلى فى سورة « مناخات » متقلبة ، فان الاسلام الحالد ، وغير المتغير ، كذلك يتجلى لنا بمظاهر مختلفة . وهكذا فالمساجد التى كانت فى لاهور ، أو قرطبة ، أو اسطنبول ، أو كازانيسا (فى الساحل الغربى للسفنغال) وحتى هذه الدوائر المتواضعة من الهجرة التى نجدها فى الصحراء ، تمكس تلك « النية » التى تتوقف عليها قیمة وصحة كل من فعل من أفعال الحياة الاسلامية ، والتى نرمز اليها فى الزمان والمكان وجهتها الجغرافية والروحية : فهى اذ تبني حول أو فى اتجاه القبلة انما تتحدد بالنسبة الى تمال لا یكن ان يتصور أو ان يتمثل . واذا ما كانت وضعية أو ترتيب المواد البنائية مما يمثل مفاهيم وتصورات المهندس الحضارى ، وبالتالي ، النظرة الخاصة الى حقبة من الحقب الزمانية ، واذا ما كان رسم الآيات القرآنية المنقوشة فى الحجر أو الرخام أو الملاط ، قد تختلف اسلوبا ، فان المحتوى أو المضمون يخترق التاريخ . انها كلمة صادرة عما وراء الزمان والمكان .

ان الثقافة الاسلامية برمتها محصلة تلك المعطيات الثلاثية : فقد احتضنت تراث اليونان ، ثم جاء العرب ، والسوريون ، والفرس ، والأتراك ، والاسبان ، والصربون لاثرائها دون تقويض هذا التعانص الذى يمنحها اصالتها الخاصة ، وهذا على الرغم مما

حصل عبر العصور - من انتقال لمراكز الثقافة : الكوفة والبصرة في القرن الثامن وبغداد ثم القاهرة ابتداء من القرن التاسع ، دون أن تفلت تلك المراكز الكبرى في شمال أفريقيا التي كانت مبعث إشعاع العلم والايان ، ولا ما أسهمت به إيران ثم العشانيون * ولو ذهبنا الى حصر الخصائص الاساسية للثقافة الاسلامية الفينا ابداء وعلى الدوام مفهوم قدسية الدين وطابعه العالي ، ووجدنا مثلا أعلى للاخاء الذي يتجاوز ود القوميات ، وروح البحث التي تبرؤها شتى الاحاديث الشهيرة *

ومن ناحية أخرى فان بعض الثوابت تشرط ضربا من النظرة الى العالم ، وتسهل مجموعة بشرية ، بفضل تصورات وممارسات مشتركة ان واحدا من (لا متغيرات) هذه النظرة لتتمثل - كما تبدو لي - في تصور خاص للزمن * ونحن نعرف ان هذه المسألة قد استهوت دائما المفكرين ، والمنصوفة المسلمين ، ثم ان اختلاف الليل والنهار ، في القرآن آية من الآيات الكبرى للخالق *

وعند الفلاسفة ورجال الفن في الاسلام ، تملب فكرة (الآن) دورا اساسيا * (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) ، (اني لا احب الآفلين) ذلك كان رد ابراهيم (عليه السلام) *

فالله وحده هو الدائم الباقي * ومن هذا المعطى الاساسي للتوحيد المتعال المتمثل في ان (لا حقيقة الا الحقيقية) يتفرع التصور لزمان يقول عنه الجرجاني انه (اتساع الحضرة الالهية) *

وقد عبر المفكر المعاصر محمد اقبال عن هذه الفكرة في عبارة أكثر عصرنة * (فالزمان الطبيعي - كما كتب - هو الدييومة الحالصة وقد جزأها الفكر * وهو ضرب من الاسلوب الذي بواسطته ينسج الواقع القياس الكمي نشاطه الخلاق المستمر) *

وقد جاء منضرو المودمة السنية للفلسفة الاسلامية - الاشاعرية - ضنوا ملعبا مفاده ان الطريقة الحلائية لقوة الالهية ذوية * وقد اعتبروا المكان والزمان كما لو كانا مؤلفين من نقاط وآنات ، وابتدعوا فكرة (الطفرة) او (الوثبة) التي هي اشبه ما تكون - على ما يبدو - بنظرية (الكلمات) (كونتا) في الفيزياء الحديثة - هذا التصور للزمن المؤلف

من آفات ، المجرد من الديمومة قد طبع الميثاقين المؤرخين على السواء * ومن بين هؤلاء الطبرى الذى نجده يعرض الاحداث التاريخية كما لو كانت آفات زمنية لا صلة بينها من الداخل * وليس قلة (كلام عن التاريخ العام ، بل احداث معينة تثبت بشهادات صحيحة *

ثم ان المفهوم الذى للزمان قد شرط تقدم الرياضيات فى الاسلام باتجاه الجبر والتحليل (لوغارتيمات الحوارزمي) فى حين كان الفكر الاغريقى فكر المساحين (المهندسين) الحاسبين *

ويبدأ * لأن * الاساسى للجامعة الاسلامية فى الشريعة يظهر الهلال الجديد الذى تجب رؤيته بالعين المجردة بشهادة شاهدين *

وهذه النظرة للعالم التى يعرضها الفلاسفة وعلماء الكلام فى مذاهب من الفكر المطلق : رجال الفن ، والشعراء ، والمصوفة المسلمون فى اخذة وجودية لعدم قابلية * الآن * لوصف ، وللإشراق الآنية التى تتم عن الوحدة فى التعدد سيتخلون منها رمزيتهم ذاتها أما قيل بأن الوليى * ابن الآن * ؟ وهو أيضا مشاهد ، لان من خلاله يتكشف الخلود الحى *

أما الفن الاسلامى فنحن نعلم ان السنية تحرم من حيث المبدأ تجسيد الصور وتمثيلها * فهو يتغنى - كما قال (لويس مانتسيون) السمو الى ما وراء الاشكال وعدم التمكين من عبادة الصور والتماثيل ، بل انما ينزع نحو الاتجاه الى ما وراء ذلك ، نحو الذى يفتح فيها الروح ، ويبحث فيها الحركة * تماما كالذى يحدث من الحركة فى الفانوس السحري وفى مسرح الظلال * وسيكون فنا انطباعيا فى جوهره تسيطر فيه النفسانية والزخارف العربية ، والتكرار الذى لا حد له لنفس الفكرة ، والموسيقى ، الموزونة ، ان شكل الغزالي ليعكس هذه العقلية * السيكلوجية ذاتها المألعة من بيوت مستقلة بعضها عن بعض ، يعطى كل واحد منها معنى كاملا بذاته * وهو ما يترك لدى القارىء الغربى غير المنتهى انطباعا بالمتقطع والمنفتق ، وهى مع ذلك تشكل كلاً لا يتجزأ بفضل وحدة الالهام الثاوية - والحال - الذى سواء اكان سرورا أم كآبة ، يربط ما بين هذه النوطات * الايقاعات النفسية والأبدية فى نفس الوقت *

وعن جلال الدين الرومي « ذلك الشاعر المسلم من ابناء القرن الثالث عشر ، الذي ذكرته آنفا ، والذي كتب قبل سبعة قرون من ظهور الفيزياء النووية انه لو جزئت الذرة لوجدت فيها نوات ، وشس وأقلاك تدور حولها » (عن هذا الرجل) أقتبس الوصف لما يسميه بـ « عالم الزمان » ، انك في كل لحظة تموت وتحيا » . ما هذه الدنيا الا لحظة » كما جاء في معنى الحديث « انما فكرنا سهم سده الله : فكيف يمكن لهذا السهم ان يظل في القضاة ؟ انه صائر اليه تعالى » .

« في كل لحظة وآن تتجدد هذه الدنيا ، ونحن لا نعي ولا ندرك تغيرها الدائم » الحياة تندفق دائما من جديد ، على الرغم من أنها - جسيما - تظهر بمظهر الاستمرار وانما - لسرعتها - تبدو مستمرة مثل الشرارة التي تديرها في يدك » .
« الزمان والديمومة ظاهرتان تتولدان عن سرعة الفعل الالهي » - كما ان الجمرة التي تدورها تتراعى كما لو كانت خطا طويلا من النار » .

ومثل الزوال السريع لظواهر الكون التغير الدائم للأفكار على صفحة الذهن : وان هي الا انعكاسات للموجود الذي هو الدائم وحده : كل شيء ، فكرة : وتلك هي مادة الكون - والله خالق الأفكار هو نفسه الفكرة الاسمي التي تستمد منها أصلها كل الاشياء التي ما هي الا مسرح لتجلياته ، والتالي انعكاسه : لكن الجاهل يأخذ الانعكاس على انه حقيقة وواقع » .

وقد سار كبار أساتذة الإسلام بالاستبصار ودراسة الاحوال النفسية حيث يحس الزمن فلا يتصور ولا يحسب ، الى درجة من الدقة واللطافة لا تضادها أي ثقافة أخرى ، وها هنا أيضا يتعين الوصول الى تجاوز المحسوس ، الى ادراك وفهم ان كلام الانعكاس والسراب ، والصدى يشير الى شيء ثابت غير قابل للزوال » .

ومن هنا سيتفرع خط مميز آخر للثقافة - ولثقافات الاسلام : وبتمثل هذا الخط في استخدام الرمزية كوسيلة للمعرفة » .

ومعروف ان كلمة « الرمز » ، ذاتها ترجع بالاشتقاق في اللغات الاوروبية الى كلمة Tessère التي تعني (قسيمة تذكرة) هذه القطعة الصصلالية التي كان يتخذ منها

أداة اختبار وتعرف في العصور اليونانية اللاتينية الغابرة ، فقد كان المسافر يسلم نصف القسيمة لضيفه كدليل عرفان بالجميل ، ويكفى لهذا الأخير أن يستظهر بها للاستفادة في يوم من الأيام بحسن الضيافة لدى ضيفه الاول .

فالرمز اذن هو قبل كل شيء كمال يجب ان يستكمل ، فنحن لا نعطى الا المؤشر : (القرينة وعلينا ان ننفذ بهما الى الحقيقة التي يتضمنها ، وعلينا ان نفسر الرمز وأن نطلق من هذا الرمز الى ما يدل عليه ، لهذا المسمى يدعونا كل المفكرين في الاسلام ، وهم ، بذلك ، انما يقتدون بتعاليم القرآن الذي يلتفت على الدوام نظر الانسان الى الدلائل والآيات التي بثها الله في الخلق ، وهكذا يدعونا الكتاب المقدس الى التأمل واعمال الفكر في التجربة الماضية والحاضرة لبشرية ، والى دراسة طواهر الطبيعة . وما (اختلاف الناس في الالسن والالوان) - كما رأينا - الا جزء من هذه الرموز .

ولقد كان هذا النداء الدائم المستمر الى التفكير المعتمد على وقائع ملموسة أساسا لكل الطريقة التجريبية الحديثة . وبينما ينسب الاكتشاف الى « روجير باكون » في أوروبا ، نجد هذا الأخير لا يفتأ يردد بأن المعرفة الحقة انما تقوم فقط على روح البحث ، ووسائل الملاحظة والتنقيب لفكرى الاسلام . ان روح الثقافة الاسلامية روح واقعية ومحسوسة . فهي على طرفي تقيض مع التقليد والجمود . وهذا أمر على غاية الأهمية بالنسبة لانسان اليوم . فهذا الموقف الذهني هو الذي قاد العرب الى التجريب والملاحظة ، وهو ما كان أصلا للاكتشافات الحارقة التي انتقلت وراثتها الى الغرب .

ومن ناحية أخرى ، فإن العلماء المسلمين كانوا ، على الدوام ، يعتبرون دراسة الطبيعة لا غاية في ذاتها ، بل وسيلة لمعرفة الخالق الذي يمس خلقه حكمته بحيث ان دراسة الحكمة المنعكسة هذه تقود الى معرفة الخالق ذاته ومنذ بداية نزول القرآن نجد نوعا من الاصطفاء للمعرفة ، اذ قيل لنا بأن الكتاب سيكون اماما لاولئك الذين يملكون الاستعداد لتلقى التعليم ، والذين لا يتخذون من ذهنيهم الذاتية مقياسا للحقيقة : ليس « الذين يؤمنون بالغييب » على استعداد للاعتراف بوجود بعد آخر للواقع يقصر العقل البشري دون الوصول اليه ؟ ان هذا الاستسلام للواقى الملموس يعتبر في حد ذاته ، الشرط الاساسي لعقيدة علمية حالصة ، وهي الشرط كذلك للاسلام .

وهذا الموقف على طرفي نقيض مع الموقف الاطمئنانى السلبى . ذلك لان كل مسلم
او مسلمة ، بعد الاعتراف بالعجز والقصور ، يجد لزاما عليه ان يتعلم . وقد اقام هذا
العقل الايجابى فى جوهره - كما قلنا - أسس الثقافة الحديثة ، او على الاقل بعض
مظاهرها الهامة .

ومما يسترعى الانظار ان نلاحظ ان السورة الاولى فى ترتيب نزول القرآن تتحدث
عن المعرفة ، وتلفت النظر دفعة واحدة الى علم النور وتكون الاجنة (العلق) . وثمة
رسالة عجيبة لاحد المفكرين المسلمين فى العصر الوسيط تبرز فى هذا الصدد المسعى
المتشغل فى الانتقال من المعلوم الى المجهول ، وبالأرتكاز على معطيات الواقع .

« لقد خلق الله الاسباب ، بحيث ان نقطة لا سمع لها ولا عقل ولا بصر ، ليس لها
خاصية السيد المالك ، ولا خاصية العبد ، نقطة لا تعرف سرورا ولا ألما ، ولا رخصة
ولا دونية ، وقد أودعها الله رحم الام ، ثم حول هذا الماء الى دم ، وجعل الدم لحما ، وفى
هذا الرحم حيث لا توجد ايد ولا أدوات ، خلق نواقد الفم والعينين والاذنين ، وصور
الإنسان والخلق . وكثر الصدر حيث وضع قلبا هو فى الآن ذاته قطرة وعالم ، وجوهرة ،
ومحيط ، وعبد ، وملك . فإى عقل يستطيع ان يدرك بأنه هو الذى أخرجنا من هذه الحال
من الجهل والمهانة الى المستوى الذى نحن عليه . وقد نبهنا الله الى ان نستغنى سمعنا
وبصرنا لنعرف من أين جئنا وإلى أين ستصير . واليوم أيضا أقول لك : انى لئن اتركك
هنا أبدا ، وسأخذك لى ما وراء هذه السماء والارض الى ارض النعيم ، وسماء لا يمكن ان
تخيل أو ان تغتر على بال . طبيعتها هى ان تشرح النفس وتمت فيها الجبور ، وما كان
جديدا فى هذا المقام الرحب لن يقدو قديما ، لا شئ فيه يفسد أو يتلف وما من أحد
يموت ، ولا من شخص صاح فيها هو بنائهم ، لان النوم انما جعل للراحة ولطرد الالسم ،
وفى هذا المكان لا ألم ولا كآبة . وإذا لم تصدق بهذا ، فما عليك الا أن تفكر مليا : كيف
يمكن لهذه القطرة ان تصدق لو قلت بأن الله خلق عالما آخر غير عالم الطلمات هنا عالما ،
فيه سماء ، وشمس ، وضياء قمر ، فيه اقالييم ، ومدن ، وقرى ، وحدائق ، حيث يوجد
صناع من بينهم ملوك ، وأغنياء ، وأناس أصحاء ، ومرضى ، وعصى ؟ والآن عليك أن
تخشى ايها القطرة فعين تخرجين من هذا المقر الدامس المظلم ، ستنتمين الى آية فحة ؟

انه ما من خيال أو عقل يستطيع ان يصدق هذه الحكاية ، من انه يوجد خسارح حسده
الظلمات ، وهذا التقذى من الدم ، عالم آخر ، وغذاء غير هذا الغذاء ، لكن على الرغم من
أن هذه القطرة كانت تجهل وتفكر مثل هذا الامكان الا انها لم تستطع مع ذلك ان تمنع
عن الخروج ، ذلك لانها دفعت اليه دفعا » .

ثم اختتم يقول : « وستجدن نفسك خارج هذا العالم بمكان اشبه ما يكون ببطن
الام ، وسنغادرين هذه الارض لتدخلن مكانا ارحب وأوسع » .
مع العلم ان آية (وأرض الله واسعة) تشير الى هذه المنطقة الواسعة التي وصل
اليها الاولياء والصالحون » .

ان هذه الرسالة لتكتسب في نظري أهمية خاصة في تجسيدها لطراز من الفكر الذي
سبق ان تحدثت عنه ، والمتمثل في الانتقال من الدال الى المدلول . وكما ان البقعة
(النواة) قد لا تقوى على تخيل بعد آخر للأشياء ، فان الفكر كذلك يعجز عن تصور
ما وراء الوضعية البشرية . ومع ذلك فهذا العالم الآخر موجود ، وذلك ما سيؤيده - من
ناحية - اعجاز القرآن ، ومن ناحية أخرى ، مختلف الدلائل والآيات التي يؤيد بعضها
بعضا .

وبصدد علم النمو وتكون الاجنة هذا ، أود ان الاحظ بالمناسبة ان مدرسة فلسفية
حديثة بفرنسا « ريموند روير » وبأحتي « نانسى » قد توصلوا الى مذهب روحي بالاعتماد
على مكتشفات أحدث لعلم النمو . وذلك حين لاحظوا ان كل شيء يجرى كما لو كان نمو
أى مخلوق يتم حسب نموذج أبوى مثالى .

وبالإضافة الى هذه الغاية الداخلية ، توجد غاية أخرى خارجية . فكثيرا ما يدعوننا
القرآن الى ملاحظة ان كل شيء في العالم يخضع حاجات الانسان أى مسخر له - فالحياة
ستكون عسيرة على هذا الاخير لولا وجود الليل للراحة والسكون ووجود النهار للنشاط
والحركة . « ومن رحمته ان جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله »
(71 - 73) « والقمر قدرناه منازل لتأملوا عدد السنين والحساب » (7) .
« والآنعام خلقها لكم فيها ذن ، ومنافع ومنها تأكلون وتحمل أثقالكم » (7) ،

« وان لكم فى الانعام لعبرة نستقيكم مما فى بطونها من بين فوث ودم لبنا خالصا سائغا » والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ... وتحمل أثقالكم ... » (7) ،
للشاربين » (68 - 68) ، « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا ...
الشرات » (3 - 18) »

ان موقفا فكريا كهذا من الوجهة السيكولوجية ليمثل تحريرا كبيرا . فليس هناك
من قوة خفية - والله وحده الذى لا تدركه الابصار هو النور والحياة لكل الخلق ، وليس
للانسان ان يخشى طواهر الطبيعة ، فهو مخلوق لنسخيرها - كما لاحظ « اقبال » والله
حين عم آدم الاسماء كلها منحه امكانية صياغتها فى مفاهيم ، ومن ثم التصرف فيها .
وهكذا فان الكون - مثل القرآن - كتاب يجب ان نحل رموزه . ومهما حدث ، اليس
لهما - كما لاحظ محمد عبده - الله واحد ؟

والسلسلة الثانية من الآيات والرموز التى يلفت القرآن الانظار اليها ، هى التاريخ ،
وقد جاء فيه ان الحضارات نشأت وازدهرت ثم تلاشت واندثرت . وتحدث عن عاد ،
وثمود ، وعن قوم نوح ، وقوم فرعون ، وعن مدين التى جاءها النبو شعيم ، ودمرها
الزلازل . وللامم مثل الافراد آجال مكتوبة ينتهون عندها . « نحن الحضارات » كما قال
الكاتب الفرنسى (بول باليرى) « نعلم اننا قانية » .

ان المفهوم النارى هو دائما استمرار ودوام الحقيقة النهائية تحت التفورات الزمنية .
وتشهد هذه التفورات ذاتها بنطرة دينامية للتاريخ ، الى جانب كونها تطالب بالسلا .
لا للمرش ولكن لله الذى هو وحده الدائم . وفيه كذلك تأكيد وبراى للطابع غير الاقليمى .
الذى يتسم به الاسلام . فالغاية المنشودة هى اعطاء نموذج من تنظيم اجتماعى يجلب
اعضائه من مختلف الطبقات ثم يتحول هذا الخليط الى أمة واعية لذاتها ، ويجسد ابن
خلدون هذا التصور للتاريخ بوصفه حركة مستمرة جماعية ، وفى تطور حتمى داخل
الزمن .

وهذا يقودنا الى التأمل فى نمط من الآيات والرموز : أى ما تمنحه ايانا
السيكولوجيا . وقد قال الله فى كتابه بانه كشف عن آياته فى الذات الانسانية ، وخارج

الذات الانسانية « وفي الارض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون » (20) ،
(21) « وكاين من آية في السموات والارض يرون عليها وهم معرضون »
(105) - وقد منبى أن سجننا بأن البحوث فى السيكلوجيا السدينية قد
توغلت فى الثقافة الاسلامية الى أسد الأماد .

ان مفهوم السر الانطولوجى للكائن - للفيب - يقود فى مجال السيكلوجيا الى ادراك
معرفة الذات انطلاقا من الحدس الاساسى المتمثل فى أن (الانسان يتجاوز الانسان الى
ما لا نهاية) فى قلب الانسان يوجد هذا كل شىء اصل تماما كما يوجد هذا الاصل فى
كل ذرة من ذرات الكون . والتوحيد الموضوعى يقابله التوحيد الذاتى والله يتجلى
فى الخارج كما يتجلى فى الباطن .

هذه القيمة الجامعة الشمولية للاسلام ستترجم على صعيد الحياة اليومية بما يمكن أن
نسميه قومية فوقية ، فمن طنجة الى جاكارتا ، تقضى السنة بأن يتبادل الناس التحية ،
وبأن يتوضأوا ، ويفطروا فى شهر رمضان بنفس الطريقة - وقوق ذلك كله ، بأن يتعالوا
ويساموا فى التمنى والانتساب : فالمرء مسلم قبل أن يكون مواطنا لهذا البلد أو ذاك .

وهذه الثقافة التى ثبتها الايمان ، ثبتتها اللغة كذلك - فبين اللغة وعلوم الدين
ارتباط وثيق - ذلك لان اللغة كانت أصلا للملوم القرآنية : فقه الله ، التفسير ، السنة
(الحديث) ، الشريعة والكلام - وانما جاءت الملوم العقلية والتجريبية مثل المنطق ،
والميتافيزيقا ، والرياضيات ، والفلك ، والطب بمد ذلك .

واللغة العربية ، لغة الحضارة التى طبعها الاسلام العالمى النزعة تمثل - كما أكد
ذلك « ماسينيون » بقوة - هذا الطابع الاصيل المتأصل فى كونها لغة الرسالة والدعوة
الدينية ، ولغة إيصال المواد العلمية فى الآن ذاته - ان اللغة العربية « وهى نودج من
الكلاسيكية المنفتحة على التصعيد ، الموقفة بين ما هو عقلى وما هو قسوى » ما تزال بالنسبة
الى سبعائة مليون من المسلمين ، ومعظمهم ليس عربى اللسان ، لغة العقوس والشعائر
الدينية ، لغة الصلاة - اللغة التى يحب أن يعرف المسلم منها ولو بعض النصوص - ثم
ان المفردات المستعملة فى التقنية وفى الفلسفة والقانون والتصوف عربية فى كل لغات
البلاد الاسلامية كتركيا ، وأفغانستان ، وإيران وغيرها ...

ونحن نعرف ما قاله العالم الكبير « البيروني » من أن « العلوم انتقلت الى العربية بواسطة الترجمة من كل انحاء العالم » وقد زانتها هذه اللغة ، واصبحت تنفذ الى القلوب ، وقد حوت محاسن هذه اللغة مع ما نقلته من العلوم في عروقنا وشرائطنا » . ويحكى الامام الغزالي ان سلطانا أحضر بين يديه فريقين من المؤرخين احدهما من الصبيح ، والثاني من الروم ، واخذ الفريقان يتنافسان في ترصيع وزخرفة إحدى قاعات قصر السلطان . وهناك ستر يقسم الحجرة شطرين ، ويفصل بين المتنافسين المتواجهين لكن دون أن يتمكن أى طرف من رؤية الطرف الآخر ، وبينما كان فريق منهما يكف على ترتيب الحائط الداخلى من القاعة ، كان الفريق الثانى - الصوفيون - يكتفى بالعمل دون حواطة على صقل الجدار الذى كلف وجاء يوم التدشين ، فاخذ السلطان اولاً بجمال ألوان الفريق الاول ، لكن سرعان ما رفع الستار الحاجز فاذا بالصور الملونة تنعكس فى الحائط الابيض المصقول كالمرآة . وبدت الصور المنعكسة أجمل من الواقع »

ومن خاصيات الرمزية انها تمكن من أن نقرأ على مستويات عدة ما ليس متناقضاً ، بل يفنى بعضه ببعض . فاذا كان هذا المغزى يرمى الى تجسيم ضرورة الزهد من أجل أن يتمكن القلب وقد أضحي « ناصعاً كالثلج » من امتلاك اللوحة الحافظة للحظة اتصال خالدة ، حين يتم الكشف ، عن طريق الاشعاع الروحي الفورى ، امكن الاعتقاد كذلك بأن مثل هذا الجمال مرتبط بهذه النظرة - التى وصفناها - الى العالم . فلاشياء طُرا فائيه ، وغير دائمة مثل الاشعة التى تعكسها المرآة . ثم ان البياض علامة تركيب أو تأليف فى صفاته النام وهو يتضمن كل الألوان التى يعكسها الموشور ويضاعفها ، وهكذا فإن الاسلام فى وحدته التى لا تقبل التجزئة يجمع كل القيم التى نقلتها اليه عبر العصور « شعوب مختلفة »

وكيف انتهى حديثنا عن ثقافة الاسلام دون التنويه بالذى كان ملقن هذه الثقافة ، والذى اعطاها اطلاقها الاولى »

فنحن لا تقتبس عن مسلم ، بل عن كاتب فرنسي كبير هو « الفونس دي لامارتين » هذه اللوحة للنبي (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم) « انه ما من رجل غير محمد

ننظر نفسه قصدا أم عن غير قصد ، لهدف اسمى كهذا الهدف . فقد كان هذا الهدف مما يفوق القدرة البشرية . هدم المعتقدات الباطلة التي تتخذ زلفى وواسطة بين الخالق والمخلوق . رد الله الى الانسان ، والانسان الى الله . الفكرة العقلانية والقدسية للالوهية الصحيحة في هذا السديم من الشرك والوثنية » .

« وما من رجل سواء أنجز مثل وسائله الضعيفة عملا كهذا العمل الذي يتجاوز المألوف ويفوق طاقة البشر . ذلك لانه لم يعتمد في تصور وانجاز مقصد عظيم كهذا المقصد الا على نفسه . ثم قلة من الاجلاف في ركن من أركان الصحراء » .

« ثم انه ما من رجل عدا محمد استطاع أن يتجز في مثل هذا الوقت القصير ثورة في العالم ترقى الى مثل هذه العطية والاستيرار اذا ما ان مضى اقل من قرنين على نبوته حتى ساد الاسلام المبشر به والمسلح أرجاء البلاد العربية كلها ، كاسبيا لتوحيد الله كلا من الفرس ، وخراسان ، وجنوب الاتحاد السوفياتي ، والقوقاز ، واسبانيا ، وجزءا من بلاد الغال » .

فاذا كانت عظمة المقصد ، وقلة الوسائل ، وضخامة النتيجة ، تمثل المقاييس الثلاثة لمعبرة الرجل فمن ذا الذي يجزؤ على أن يقارن بمحمد - من الوجهة الانسانية - رجلا من عظماء رجال التاريخ المعاصر ؟ ان أشهر هؤلاء الرجال لم يهزوا الا أسلحة ، وقوانين ، وامبراطوريات ، ولم يؤسسوا (اذا أسموا شيئا على الاطلاق) سوى قوى مادية غالبا ما تمهار قبلهم . أما هذا الرجل فقد هز أسلحة وديانات ، وامبراطوريات ، وشعوبا . ومما لك وملايين الرجال على ثلث المعمورة . غير انه زاد فهز أسلحة هذا ببح المعابد ، والآلهة ، والديانات ، والافكار ، والمعتقدات ، والارواح . وأسس في كتاب كل حرف فيه قد عدا قانونا ، وقومية روحية تشمل شعوبا من كل لسان ولون ، وأوحى ، كطابع لا يصح لهذه الوطنية الاسلامية ، كراهية الآلهة الزائفة ، ومحة الاله الواحد المنتزه عن المادة » .

وكانت هذه القومية المتقدمة من مدنى السماء فضيلة ابنا محمد . وكان كسب تلك الكرة الارضية لعقيدته هي معجزته ، بل ولم تكن تلك معجزة رجل ، وانما هي معجزة

العقل • ان فكرة توحيد الله التي نودى بها ، بعد خفوت وتهافت لاهوتيات خرافية ، كانت تنطوي في حد ذاتها على فضيلة تتمثل في انها - حين تفجرت على الشفاء - احرقت معابد الاوثان المتداعية ، وسطعت باشتعتها على ثلث العالم •

ان حياته وخشوعه ، ووقفاته البطولية ضد معتقدات بلاده الباطلة ، وجراته في مواجهة صلف المشركين ، وثباته في تحمل المقام بمكة لمدة خمسة عشر عاما وقيامه بدور الفاضح العمومي ، وكاد يكون الضحية بين مواطنيه ، ثم هجرته ، ودعوته التي لا تعرف الكلل ، وحروبه غير المتكافئة ، وتفته في النصر ، وطموحه النزيه المترفع ، وسلامته الحارقة في النكسات ، وصبره الكبير عند النصر الذي لا يقصد من ورائه السيطرة وصلاته التي لا تنتهي • ومناجاته الصوفية لله ، ووفاته ، وظهره بعد الموت ، كل ذلك يشهد بقناعة لا غش فيها ولا تدجيل •

هذه القناعة هي التي منحته القوة على تجديد عقيدة ، وهذه العقيدة تقوم على ثنائية ، وحدة الاله ، وتنزهه عن المادة • احدهما تبين ما يجب ان يوصف به تعالى ، والاخرى ما ينبغي ان ينزه عنه ، احدهما تطيح بالسيف آلهة الساطل ، والثانية تدشن بالكلمة فكرة •

فيلسوف ، خطيب ، نبي ، مشرع ، محارب ، فاتح افكار ، مجدد العقائد المقولة مقيم لشريعة لا صور فيها ولا ظلال ، مؤسس لعشرين امبراطورية ارضية ، ولامبراطورية روحية • لاكم خلو محمد •

«اي رجل اعظم منه في كل المراتي التي تقاس فيها العظمة الانسانية ؟»



ندوات

التخلف السياسي وأبعاده الحضارية

الدكتور فاضل المعاضبي

التخلف السياسي وأبعاده الحضارية :

أود أن أشير منذ البداية إلى حالي عنوان هذه الندوة « أزمة تطور الحضارة العربية » من اضطراب وإيهام فيما يتصل بتهوم « التطور » الذي يختلف فيه العلماء والباحثون اختلافاً كبيراً ، كما إن عنوان بحثي « التخلف السياسي وأبعاده الحضارية » الذي هو وجه من وجوه هذه الندوة ، ينطوي هو الآخر على مفهوم يتنوره الفوضى والإيهام ، ويكثر فيه الخلاف والتباين بين المختصين فيه - الذين تتكون منهم عائلة العلوم

الاجتماعية ، ذلك هو مفهوم « الحصار » الوارد في عنوان هذا البحث ، لقد يقصر بحث الباحثين مفهوم « الحصار » على الجانب المعنوي من التراث الاجتماعي ، ويرى فريق. لأن منهم ، أنه يدل على الجانب المادي من التراث الاجتماعي ، ويلعب فريق ثالث ، إلى استعماله مرادفاً للتراث الاجتماعي كله بشقيه المادي والمعنوي ، وهذا كما لا يخفى يحرض الباحث في موضوع كهذا إلى بلبلة فكرية أود أن أشير إليها منذ البداية أيضاً .

يضاف إلى ذلك ، أن الشارحة لتوضيحية المرفقة بعنوان هذه الندوة والبحث ، تنطوي هي الأخرى على مفهوم آخر يختلف فيه المختصون اختلافاً كبيراً ، ذلك هو مفهوم « الديمقراطية » وهذا الوجه من الاختلاف لا اعتقد أنني بحاجة إلى تفصيل الحديث فيه ، إلا تقدير ما يسلج مع وجبة نظراً .

ومن زاوية النظر إلى الخاشية لتوضيحية المشار إليها ، يتبين اتجاه عكسي هذه الندوة ، إذ هم يشيرون ، من طريق التليخ لا التصريح الواضح ، إلى أن التخلل السياسي ، يعني انعدام الحياة الديمقراطية وضعف اجزئتها في معنى الاقطار العربية . وإن مفهوم السياسة الديمقراطية ، يعني الحكم الشعبي ، بشكل أو بآخر ، من خلال منظمات برلمانية وأحزاب وما يجري هذا المنجرى أو ذاك ، وهذا كله في الواقع مجال اختلاف كبير واجتهادات شتى يختلف فيها المعنيون بهذا الجنب في الاقطار العربية ذاتها وفي بلدان العالم الأخرى .

كل هذه الاشارات التحديدية ، تدفعني إذن إلى تحديد موضوع البحث حتى لا افطر في وقتكم وفي وقتي أيضاً ، بالحرص في افكار غير منظمة وليست لها وجهة واضحة ليتقيا ، وعليه فإن السياسة على ما أرى : « هي أسلوب توجيه قيادة الأمة العربية نحو تحقيق اهدافها الكبرى المتمثلة في وحدتها وتحريرها وتحقيق العدالة الاجتماعية بين مواطنيها » . وهذه الاهداف باقات ، هي التي تقرر لنا توجهية الاساليب والاجزئة والوسائل التي لتحقيقها . هذا ولما كان موضوع بحثي هو : « التخلل السياسي وايماة الحضارية » فسأبدأ بتشخيص مظهر وايماة هذا التخلل ، ثم أخلص بعد ذلك إلى النواحي الإيجابية فأتناول تلك الأساليب والاجزئة والوسائل التي يجب أن نبناها لتحقيق ذلك الهدف الأمثل .

أن من أم وجوه التخلل السياسي في الاقطار العربية ما يلي :

٦ - الأخذ بالمفهوم التقليدي للسياسة ، أعني اعتبار السياسة أسلوباً من أساليب ضبط الجماهير وتوجيهها دون مراعاة المصالح الهامة للشعب ، وهذا العلم السياسي يضمن للحاكم البقاء في مركز الحكم ، ولا يضمن للشعب التقدم والازدهار ، كما لا يضمن الحياة الديمقراطية للمثل ، وقد يلجأ الحاكم من طريق هذه الهيئة الى اضعاف القوى والحركات أو حاربها ، كما يلجأ الى شق الصفوف ، وحقن الثمرات وبعث الرواسب الدفينة التي تجزأ المجتمع ، كما يلجأ الى التعامل مع القوى الايجابية لضرب مصالح الشعب ، ويتعلق بأيديولوجيات تخدم أهدافه الخاصة ، وهذا كله يجد له أمثلة واضحة في الاقطار العربية المختلفة .

٧ - طغيان الشككية وروح المحافظة على الفئات الحاكمة في بعض الاقطار العربية . فمن المعلوم والواضح في التاريخ والسياسة والاجتماع ، ان احكم التقليدي المزمع لفئة حاكمة من هذا القبيل ، يؤدي بالضرورة الى الشككية والجحود والتسكك بروح المحافظة ، وهذا يعني ، بشكل أو بآخر ، مقاومة التجديد والتقدم والتفكير الحديث ومقاومة الأخذ بأسباب الحياة الجديدة لمواكبة التقدم البشري في مناطق أخرى من العالم حفاظاً منهم على مراكزهم من التهديد أو اللدبذبة ، أو لمحمدي الظروف والعوامل والتغيرات الجديدة لهذه المراكز .

ولذا فإن هذه الفئات الحاكمة تصطنع كل ما من شأنه أن يحافظ على هذه الشككية وهذا الجحود والمحافظة ، عن طريق خلق الحدود ، الى تقوية أجهزة الشرطة ولامن ، الى الاكثار من السجون والمنعشات الى منع وسائل الاعلام والثقافة التي تحمل الفكر الجديد ، الى اثاره الخوازمات والعصبيات والتناحر بين الفئات ، الى رسم المجددين والمطالبين بالاصلاح ، بالكفر أو المروق أو العمالة أحياناً وما يجري هذا المجرى أو ذلك . ان استغلال لرواسب التاريخية من أجل تحقيق هذه السياسة أمر يكاد يكون بيناً في كل مكان من الوطن العربي ، فالطائفية والشعبوية ، والعشائرية والاقليمية أو القطرية ، والتقدمية المخلفة ، وحتى القومية أحياناً وحركات الانتماء القومي أو الحضاري أو النصراني أو الديني ، هي بعض أسلحة هذه الفئات لبقائها في الحكم .

٨ - وجود نفوذ ومصالح أجنبية استعمارية في الوطن العربي ، أدى الى ظهور التجزئة العربية ، وأوجد نظاماً سياسياً مختلفاً ، وحرف سياساتها عن قضايا الشعب الاساسية ، الأمر الذي أدى الى خلق فئات أو جماعات معينة تتعامل مع القوى الايجابية

خس مصالح أهل البلاد ، وقامت فئات حاكمة مصلحية مختلفة مارست ضرب أية حركة تحريرية تهدد تلك المصالح ، ووضعت كل العراقيل أمام وهي الجماهير الشعبية لمصالحها المشتركة ، ويتأقير من الاستثمار زجت هذه الفئات والحكومات في الوطن العربي ، خلافاً وخصوصاً مصطنعة ضد بعضها البعض ، بين أوتة وأخرى ، سراً أو علناً ، وشجعت ظاهرة التبريج السياسي بأنواعها المختلفة ، وخلقت زعامات وخططت انقلابات وحركات هنا وهناك ، لخداع هذه الشعوب . وهذه أساليب اصطنعها الاستثمار الجديد في العالم خلال ربع القرن الأخير ، وقد قبدوهذه الظاهرة واضحة في الاقطار البامية وبالأخص في أمريكا اللاتينية وإفريقيا .

ومن أساليب الاستثمار هذا الشأن أيضاً تشجيع الحركات الرجعية في بعض الاقطار العربية باسم قدسية الماضي ، وباسم قدسية التراث مما يثجده من قارات وأقصر العصر الحديث ، بحيث يهي الشعب العربي في بعض الاقطار العربية ، وهو يحمي في إطار الماضي المسحوق منطلق على نفسه لا علاقة له بالعصر الحديث في وجوه كثيرة من حياته .

«) اختلاف أنظمة الحكم في الاقطار العربية ، وفئتها فلسفات سياسية متباينة ، بل متعارضة في كثير من الأحيان ، فبناك أنظمة ملكية ، وأخرى جمهورية ، إضافة الى عدد من الامارات والشيخات وبعضها تكتبي الاشتراكية . وأخرى رأسمالية وقطاعية وخبرها تكتبي النظرية الدينية ، فضلاً عن ذلك ، فإن الدول التي تتبنى الاشتراكية تختلف هي الأخرى من بعضها في هذا المذهب وتطبيقه ، ن هذا التباين يؤدي بالضرورة الى العدم وحدة الهدف بين الاقطار العربية على الصعيدين القطري والقومي ، كما يؤدي الى فقدان التنسيق السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، وحتى العسكري بين العرب جميعاً .

إن التآمر الاستعماري الصهيوني الرجعي ، يركز في صراعه مع قوى التحرر والثورة والاشتراكية في الوطن العربي ، على قاعدة انطلق "سنية" هي ، بسعدهة التناقضات التي ورثها الواقع العربي ، واصطنعها انطور المزيف بتأثير القوى المعادية لأهداف الأمة العربية . فهو يحاول صرف العرب عن التناقضات الرئيسية في مجتمهم ، ويحاول إن يقضي على المنايع والجذور التي يستمد منها النضال العربي قوته وسيوئته واندفاعه . وأم هذه المنايع ، فكرة الوحدة العربية ، وشجرة الثورة على الواقع القاسم ، التي تتميز بها الايدولوجية العربية الثورية .

٥) ان اندام الاجماع السياسي العربي حل الصعيدين القطري والقومي ، ادى الى ظهور المجاهدين أو فروع من الانظمة العربية ، من حيث نظرتها لحل القضية الفلسطينية حلاً جليرياً وصحيحاً ، باعتبارها أول وأهم القضايا السياسية العربية ، وقد يرجع سبب تأخر حل هذه القضية بما يزيد من ربيع قرن من الزمن ، الى هذا الاختلاف في السياسات العربية التي كان للاستعمار اثر كبير في صقلها عن طريقها الصحيح .

٦) وجود التجزئة العربية ، وعدم اتمام أي نمط من أغطى الوحدة بين الاقطار العربية في صالح الجماهير وقضاياها الاصلية ، وقد يرجع السبب في ذلك ، الى أن الانظمة العربية العاتية : قد لا تضمن البناء في مواقع السلطة في حالة قيام وحدة شعبية وديمقراطية في الوطن العربي . فضلاً عما تتعرض له مصالح هذه الحكومات والفئات التي تمثلها من الخطر .

ان المنطق القومي العربي ، لا يعترف بالكيانات القطرية في الوطن العربي ، وانما يرى في التجزئة الراهنة ، مرحلة طارئة أوجدها الاستعمار ، وسهدت لها أوضاع الجحود والتخلف في المجتمع العربي .

ان الوحدة العربية مفهوماً ثوري صحيح ، تعتبر للعامل الهام في تعميق كل تغيير حقيقي في المجتمع العربي ، لان الحرية التي هي اليها كل قطر عربي على انفراد لا يمكن أن تبلغ من العمق والشمول والمعنى الاكبر ، ما تبلفه الحرية التي تحققها الامة العربية في وحدتها ، كما أن الاساس المادي للاشتراكية ، وتحقيق العدل الاجتماعي بين المواطنين العرب ، يأخذ مداه الصحيح ، عندما يكون محسالة التطبيق في الوطن العربي كوحدة سياسية وجغرافية وبشرية .

ان لتفخيص الاوضاع والظروف السياسية الصعبة التي تحتدها الامة العربية اليوم ، تدعونا لأن نرفع صوتنا عالياً من أجل الوصول عن السياسات الخاطئة التي سببت للاعدام توجيه الشرابات الى حركة التحرر العربي ، ونحن اذ ندعو الى الكف عن الجري وراء الأوهام التي أثبتت التجارب المتتالية عدم جدواها ، قالنا في ذات انما نعلم عن مفاعيل وطموحات الجماهير العربية وطلاتها القومية التقدمية والوطنية ، ونحن بذلك نخلق أوسع القرص لقاء بين كافة القوى والانظمة العربية الوطنية لمواجهة الاخطار المحدقة بها ، وهي اخطار لا يمكن أن يتخلص منها أي نظام عربي معاد للاستعمار والصهيونية والرجعية ، ولا يتخلص منها أية قوة وطنية .

ان الاوضاع الراهنة في الوطن العربي ، التي تتم بالضعف والتداعي ، لا يمكن الخروج منها ، كما لا يمكن مواجهة اعداء الامة العربية مواجهة فعالة ، الا باقامة وحدة حقيقية ثابتة قائمة على أسس شعبية ديمقراطية تتحقق من خلالها الوحدة الوطنية في كل قطر عربي .

٧ - وجود التفاوت الطبقي والاجتماعي والاقتصادي والفكري بين المواطنين العرب في كل مكان من وطنهم الكبير ، كسبب ونتيجة لهذا التخلف السياسي السائد في الوطن العربي ، ولا ينبغي ، أن بعض الانظمة العربية نفسها تقلدي هذا التفاوت ولا تنفيه ، لكي تضمن البقاء في السلطة ولكي تحافظ على مصالحها الخاصة .

٨ - يمثل النظام البرلماني الشكلي الذي وجد في بعض الاقطار العربية ، احد وجوه التخلف السياسي في الوطن العربي . فقد أثبتت هذه التجربة فشلها في التعبير عن رأي ومصالح الجماهير وفشلها كما كان الحال عليه في القطر العراقي قبل ثورة اربع عشرين مجوز عام ١٩٥٨ وفي غيره من الاقطار العربية الاخرى ، ذلك لان البرلمانية ، كانت واجهة شكلية ضد امعاء الجماهير العربية ، ووسيلة من وسائل شرعية أساليب الحكومات العربية في حكم الجماهير وقهرها ، وغير خالي على المواطنين العرب ، عمليات التزييف والتزوير التي رافقت انتخبات تلك البرلمانات العربية .

ومع ذلك ، فن صبح الأخذ بنظام البرلمانية وهذا ما سنعالجه في بحثنا - في الوطن العربي كوسيلة من وسائل الحكم الصحيحة لتقيل الامة العربية من حالة التخلف السياسي الى حالة التقدم السياسي - كما تشير الشارحة التوضيحية لهذه الندوة - فهل يتساح للاقطاعيين والرأسماليين والرجعيين والمستغلين لمصالح الجماهير العربية ، ممارسة حقوقهم البرلمانية والديمقراطية واذا كان ذلك ممكناً ، فهل هذا يعني الاقتراب من مصالح الجماهير وضد ما وهل ذلك يعني ، امكانية تعايش وتأخي جماهير الشعب مع مستغلبين واعدائها .

وهكذا هذا كله ، ان تدهورت الحياة في الاقطار العربية بمختلف وجوهها السياسية ، والفكرية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، تحت على الامة العربية اليوم ، رسم طريق جديد لسياستها تتمكن بواسطته الانتقال من حالة التخلف الى حالة التقدم ، وسنعالج هذا التخلف من زاوية مفهومنا لحرية أو ممارسة الديمقراطية الواردة في هذه الندوة .

يبدو أن الديمقراطية يفهمها العام ، معروفة عند العرب منذ ما قبل الاسلام
بعدة قرون ، يؤيد ذلك ، ما جاء في القرآن الكريم (سورة النمل) بشأن النمل سلجاني
عليه السلام وملكة سبأ :

بسم الله الرحمن الرحيم « قالت يا أيها الملك ، اني القى الى كتاب كريم انسه من
سليان ، وانه بسم الله الرحمن الرحيم . ألا تعلموا علي وأقوتي مسلمين ، قالت يا أيها الملك ،
افتوني في امري ، ما كنت قاطمة امراً حتى تشهدون قالوا نحن أولي قوة وأولي بأس
شديد ، الأمر إليك ، فانظري ماذا تأمرين .. قالت « ان الملك اذا دخلوا قرية أقسموها
وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، وكذلك يفعلون ، واني مرسة إليهم يدي . فضاطرة به يرجع
المرسلون » صدق الله العظيم .

على انه يمكن اعتبار الديمقراطية بهذا المعنى « صفة من صلات الفرد أو المواطن
العربي ، وذات علاقة بفردية الشخصية العربية ، لقي عاشها العرب في جزيئهم قبل
الاسلام ، حيث لم يكن العربي ليعترف بوجود شيء أعلى منه سوى السماء ،

ولما جاء الاسلام ، على يد رسولنا الكريم محمد (ص) بباده الرقيقة السمية «
هذب النزعة الفردية ، ونظام الديمقراطية المطلقة عند المواطنين العرب ، ودعا الى شورى
الحكم الذي طبق في عصر الرسول (ص) وال خلفاء الراشدين ، وفي ذلك قال تعالى ،
بسم الله الرحمن الرحيم « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة ، وأمرهم بشورى بينهم ،
وما رزقناهم ينفقون » ، صدق الله العظيم .

لكن الفردية السياسية ، أو الحكم السياسي الفردي ، بمع ذلك ، انى الحرية الفردية
للمواطنين (الجماهير الشعبية) في الدولة الاسلامية ، كما ألغيت الحرية الاجتماعية البسيطة
أو نضالها ، عند العرب ، الأمر الذي أدى الى نشوء المشاكل المختلفة في الدولة الاسلامية ،
وخصوصاً ما يتعلق بها بالديمقراطية والحرية السياسية غير تاريخ العرب الطويل وتلافى
دور الشعوب في تلك الأحداث الكثيرة .

وقد أثرت النزعة القبلية عند العرب ، بما لها من معايير ومقاييس وتقاليده
على الاحوال السياسية عندهم بعد تأسيس دولتهم الاسلامية الواسعة ، ونشأت
التجزبات المؤيدة والمعارضة لحكومات من قبل المواطنين العرب وغير العرب على حد
سواء ، وخاصة في العصر الأموي الذي أصبحت فيه لقبلية احدى صلات الحكم السياسية .

اما في العصر العباسي والذي يعتبر عصر لنضج الحضارة العربية الاسلامية ، فقد ضعف فيه شأن العرب ، ولعبت فيه الشعبية دوراً كبيراً في تحريك السياسة . وتسلب القواد والامراء والاقطاعيون على الامور ، الامر الذي أدى الى حرمان المواطنين عموماً من معظم حقوقهم بما فيها الحرية السياسية أو الممارسة الديمقراطية .

ولما خضعت الاقطار العربية للحكم العثماني ، الذي ادعى الحكم باسم الاسلام ، وهو بعيد عنه ، فقد مر الوطن العربي بمرحلة من التخلف في كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية . وانعدمت الحريات بأبسط أشكالها ، وعاش شعبنا العربي في ظل هذا الحكم الذي استمر زهاء أربعة قرون . في فترة من الظلام والتأخر . والتدهور ، بما لا حدود له ، وما زال الامر على ذلك ، حتى خضعت الاقطار العربية الى السيطرة الاستعمارية التي كرس التجزئة ، بكل أشكالها ، وقد خففت هذه المسيرة الطويلة لتاريخ العرب بكل ما فيها من سلبيات ، روابب كثيرة وكبيرة في الوطن العربي ، أهمها مسألة التخلف السياسي وانعدام الديمقراطية .

ونتيجة لكل ما تقدم ، ومن أجل معالجة « التخلف السياسي في الوطن العربي » من زاوية مفهومنا لحرية ، أو محاولة الديمقراطية قللنا ترى ما يلي :

يعيش شعبنا العربي اليوم ظروفاً عربية ودولية ، هود^{١٥} قمر شديد الحرية ، وتزييف بالغ لها ، بسبب بقاء النفوذ الاستعماري المباشر في بعض الاقطار العربية ، بينما تمارس الرجعية المحلية في البعض الآخر ، مهام الاستعمار وتتعاون معه ، وقد مرست هذه الحكومات وتلك من خلال مواقفها في السلطة عملية تزييف شعارات الحرية والديمقراطية وأفرغتها من محتواها الحقيقي ، وأصبحت الديمقراطية مجرد واجهة تخفي طغيان الفئدت الحاكمة ، وتخفي تزييفها واستنزافها لمطبقات الشعبية .

فحرية كوسيلة لتحرير الانسان العربي كليا وجذريا ، تعني التحرر الكامل سياسياً واقتصادياً وثقافياً ، من كافة أشكال السيطرة الاستعمارية ، وعلى هذا الاساس فإن مسألة الكفاح ضد الاستعمار وعد كافة أشكال السيطرة الاستعمارية ، سياسية كانت أو اقتصادية أو ثقافية ، من الامور الاساسية لمعالجة التخلف السياسي العربي .

ان قدرة المجهير العربية ، على قضيح تزييف المطبقات الرجعية لحرية ، وتعريه للتطبيق المشوه والكاذب للديمقراطية البرجوازية وقضيح المفهوم البرجوازي - الاقطاعي

الحرية ، و إيجاد أساس نظري جديد لمفهوم محدود ومفوس للحرية والديمقراطية ، في اثارها الاشتراكي هو أيضا من الامور الاساسية لممارسة التقدم للامة العربية .

ان الطابع الانساني للاشتراكية العربية ، يعتبر من اهم سمات المرحلة ، لانت عبودية الانسان ، في أنظمة الاستغلال ، هي أخطر شكل ، من أشكال ضياع الحرية الانسانية ، وتبعاً لهذا . فان ازالة أنظمة الاستغلال وتصفيتها ، وتبديل علاقات الانتاج الرأسمالية ، هي وحده التي تتيح الظروف الموضوعية الملائمة لتحرير الانسان وخلصه من الضياع والاستغلال ، وبذلك فاننا ضرورة ان تلازم الحرية والعدل الاجتماعي . باعتبارها القاعدة المادية المتينة لنمو حرية الانسان .

على أن مسألة النضال ضد الاستعمار الغربي ، واعتبار المعسكر الاشتراكي قوة ايجابية فعالة في النضال ضد الاستعمار ، لا تلغى الامة العربية من اتباع سياسة خارجية عربية هذبة ، تلك هي سياسة الحياد الايجابي ، وعدم الالتزام العضوي بأي من المعسكرين ، رغم ان منطلقات الاساسية والمبدئية التي يمارسها المعسكر الاشتراكي اكثر انسجاماً مع مصالح الامة العربية ، وأشد تعاضداً مع قضائها المعاصرة .

ان سياسة عدم الالتزام ، وان كانت تعني في مفهومها المباشر ، تجنب الانسياق وراء التبعية ، والابتعاد عن الانغماس في معارك المعسكرين اليومية المباشرة والحادة ، الا انها تعني في نفس الوقت ، التزام سياسة مبدئية وفورية على الصعيد الدولي ، تعمل على تخفيف حدة التوتر الدولي ، وتدعم حركات التحرر القومي والوطني في العالم .

وعلىنا اليوم ، أن نرفض كافة أنواع التطويش والتقسر التي لحقت بحرية الانسان العربي بوجه خاص ، وحرية الانسان بوجه عام ، وأن ندين دكتاتورية الفرد . كما ندين دكتاتورية البرجوازية ، وأن نحدد بوضوح نظرتنا الى الديمقراطية البرغالية البرجوازية ونظرتها للحرية السياسية .

ان التغيير الاجتماعي ، الذي تنشده الامة العربية ، لا يتحقق - برأينا - عن طريق النظام البرلماني بمفهومه البرجوازي ، لأن البرلمانية بمفهومها هذا ، لا يمكن أن تكون أداة تحويل اجتماعي جذري ، انما هي أداة شكلية للديمقراطية ، تخفي وراءها نفوذ الاقطاع والبرجوازية الكبيرة .

ان النضال الجماهيري ، هو وحده طريق التغيير في الوطن العربي وليس البرلمانية

البرجوازية ، وإذا كانت الطبقات الاقطاعية والفئات العليا من البرجوازية ، قد لعبت دور الحليف مع الاستثمار القديم ، فإن البيروقراطية والبرجوازية ، تلعب اليوم دور الحليف مع الاستثمار الجديد ، ويهتركان معاً في استغلال جماهير الشعب ، وربما يسم الديمقراطية البرلمانية المؤيعة .

لم تكن الحرية بشكلها السياسي ، مفهومها مجرداً مطلقاً ، بل هي ذات مفهوم اجتماعي محدد ، منعت لطبقة ، ومنعت - بشكل أو بآخر - عن أخرى . فلما قادت البرجوازية الثورة ضد الاقطاع ، في أوروبا ، نادت بالحرية المثالية المطلقة للشعب كله ، ولكنها عندما استمتعت السلطة اقتصرت الحرية على طبقة محددة ، ولم تتردد البرجوازية عن ضرب الجماهير الشعبية عندما تعرضت مصالحها للخطر ، وتحولت الحرية المطلقة ، أو ما يسمى (بحقوق الانسان) الى حرية أو مصلحة طبقية .

ان النظام البرلماني في أوروبا الغربية ، يمثل الفلاف السياسي لتنظيم الاقتصاد البرجوازي ، لأن البرجوازية التي تتمتع بامتيازات فعلية ، استطاعت أن تحول النشاط البرجوازي الى خدام للاقتصاد الرأسمالي ، ولم يؤد دخول الطبقة العاملة في برلمان أوروبا الغربية الى قلب سلطة البرجوازية ، بل اضطرها الى تبني أشكال وأساليب جديدة أكثر مرونة وفهماً لمتطلبات الواقع ، فأمنت بعض المطالب العالية ، وبردت التضال الثوري للجماهير ، واستمرت البرجوازية في الحكم .

ولما كان النظام البرلماني ، هو طريق البرجوازية الغربية في الحكم ، وكونه جزءاً من البناء القومي لتلك المجتمعات ، فقد جاء تطبيقه في بعض الاقطار العربية مجرد نقل لواجهة غربية مقنونة من جذورها الاساسية والاقتصادية والاجتماعية ولم ينولد من معطيات الحركة القومية الاشتراكية وحاجاتها الفعلية المباشرة .

ان المجتمعات في الاقطار العربية ليست مجتمعات برجوازية ، بل هي مجتمعات شبه اقطاعية - قبلية - برجوازية ، ولذلك بقيت البرلمانية في الوطن العربي مجرد بناء سياسي هزيل ونسخة مزيفة عن البرلمانية الغربية ، فلم تستطع مواجهة الفضال القومي الاشتراكي من جهة ، كما لم تستطع ترسيخ جذورها في الحياة السياسية من جهة أخرى ، ولذلك أصبحت ظاهرة الانفلاتات العسكرية ملازمة لهذا النظام في وطننا الكبير ، وقد مكنت البرلمانية العربية الوضع الاجتماعي المتخلف ، شبه الاقطاعي -

المعاشري - الطائفي ، ومن خلال التناقض بين تطلعات الجماهير وبين واقع البرلمانية الرجعي ، انفجرت هذه الانقلابات العسكرية ، وتعاثت الديمقراطية البرلمانية بحمل كل منها بذور الاخرى لتجنيها .

ان فشل البرلمانية وسقوطها في الاقطار العربية ليس ناجماً عن تطبيقها السليم من قبل جماعات سيئة فقط ، بل املاها الواقع الموضوعي للفوس ، ومميطات تطورات النضال الاجتماعي والسياسي في الوطن العربي ، والبلدان المختلفة في العالم عموماً .

وفي الظروف الراهنة ، حيث يجري الانتقال من المجتمع الاقطاعي - الرأسمالي ، في عدد من الاقطار العربية ، يجب ان تنتقل السلطة من أيدي الطبقات الاقطاعية البرجوازية الى الطبقات الكادحة وعلى هذا الاساس ، ماله يجب ان تتخطى البرلمانية باعتبارها أحد أشكال سيطرة تلك الطبقات على الجماهير الشعبية من العمال والفلاحين والكسبة والكادحين .

ان نمط البرلمانية يعني الانتقال الى الحكم الدكتاتوري الفردي أو البروقراطي أو العسكري ، بل يعني زوال اقطار البرجوازي شبه لاقطاعي للديمقراطية ، والانتقال الى ديمقراطية أوسع وأعمق تلك هي الديمقراطية الشعبية ،

ان مفهوم الديمقراطية الشعبية ، ينطوي على توفير ديمقراطية واسعة للجماهير الشعبية ، ويؤكد في الوقت نفسه ضرورة عزل القوى الطبقية والسياسية المعادية للثورة والاشتراكية . وهذا العزل ينبغي ان يأخذ شكله القانوني من جهة وشكله الشعبي من جهة أخرى . ان فكرة التعاون الطبقي في اذهان بعض الناس ، ينبغي ان تسقط وتصفى ، لان المعركة مع القوى الرجعية المعادية للثورة ولصالح الجماهير ، تقتضي فضلاً طويلاً متنوع الاشكال بنية استتصالها من الجذور وحيث ان الرجعية لم ترحم الجماهير الكادحة طوال آلاف السنين من تاريخ الانسانية لذلك يجب ان تضع الجماهير العربية مسألة الصراع الطبقي ضد الطبقات الرجعية بشكل واضح وحاسم ، فأما ان تمسك الجماهير ، أو تمسك الرجعية وحلفائها في الداخل والخارج ، وكل تسوية وسط بينها ، اكذوبة وخدعة لتيجم افذاذ الرجعية ، لان الرجعية المحلية في الوطن العربي - مما بدت ضعيفة - تلك قوى هائلة ، واسلحة مادية ومعنوية كثيرة ، وقد

جدورها في كافة أجهزة السلطة ، وهي مع ذلك ، تلك نمسا طوبى في المقاومة ضد الجماهير الشعبية من طريق التخريب والتآمر وهرولة التحول الجديد .

على ان الديمقراطية الشعبية لا تتم دون اطار سياسي ثوري وعلائق ثورية منظمة ، تتمتع ببعد نظر سياسي وكفاءة في العمل ، مليئة بروح التضحية ، وبحلقة لأقصى حد لقضية الجماهير ، ولتحافظ على صلات حميمة وحبة بالجماهير ، فملها وتعلم منها ، ومن خلال هذه الطلائع الثورية المنظمة يتحقق الطابع المركزي والديمقراطي للسلطة الشعبية ، التي تقوم على أساس المؤسسات والمجالس الشعبية ، على ان مركزية السلطة الديمقراطية ، يجب ان لا تلغى بالانتخاب ونحوه او عملية شكلية لهذه المجالس ، لأن الشرط الاساسي لديمقراطية المجالس الشعبية وثورتها هو في تكوينها عن طريق الانتخاب الحر المباشر على جميع المستويات في القرية ، والمدينة والحفاظة ، ثم على المستوى القطري والقومي .

ان مهمة الطلائع القومية الاشتراكية في الوطن العربي ، تأمين الجميع ، بمن ثورية مبدأ الاقتراع الشعبي وحرية في انتخاب الهيئات التنفيذية والمجالس الشعبية ، ان مثل هذه المهمة لا يمكن أن تتحقق الا اذا استطاعت هذه الطلائع تأمين التفاف الاكثوية الساحقة من الجماهير حولها ، باعتبار الجماهير هي قاعدة الثورة وحاميها . وبالتالي رفض مبدأ الوصاية على الشعب ، أو ممارسة السلطة عن طريق التفويض نيابة عن الشعب .

ان تطبيق الديمقراطية الشعبية ، على نحو ثوري ملمح ، لا يتم عن طريق تكرار شعارات الحرية والديمقراطية ، بل عن طريق خلق موضوعية تكفل حرية هذا التطبيق ، واصله ، عن طريق اقتدار الطليعة الثورية على قيادة اكثوية الجماهير الساحقة ، قيادة قادرة على أساس الثقة الحرة والعصبة لهذه الطليعة .

ان مبدأ المركزية الديمقراطية ، هو الأساس الملائم لنجاح السلطة الثورية الشعبية ، وان ديمقراطية هذه السلطة تتم عن طريق انتخاب هيئاتها السياسية من الشعب ، وتأمين رقابة شعبية على هذه الهيئات ، وانتخاب الهيئات العليا من الهيئات الدنيا ، والعتاد مؤتمرات المجالس الشعبية والمنظمات بصورة دورية ، وبذلك تتدرج الديمقراطية وهي صاعدة الى أعلى ، الى أن يصبح مبدأ جماعية القيادة الصورة الديمقراطية للسلطة الثورية في القمة .

أما المركزية في التنظيم السياسي ، أو التنتظيات السياسية السلطة ، فتتحقق عن طريقه ، خضوع الأقلية للأكثرية . خضوعاً طوعياً هكنا ، وخضوع الهيئات الدنيا الى الهيئات العليا ، وخضوع الهيئات والمنظمات لقرارات القيادة المركزية وتوجيهاتها ، صدامت متبينة عن ارادتها الحرة ومعبرة عن مصالحها .

ان ممارسة الجماهير الشعبية لحقوقها الديمقراطية بشكل صحيح ، يتطلب توعيتها سياسياً واجتماعياً وفكرياً ، عن طريق اقامة نقابات اعمال والفلاحين واتحادات الطلبة ومنظمات الشبابية والموظفين والمستخدمين ، والاتحادات النسائية ، لان المجالس الشعبية قد لا تستنفذ لافة اشكال التنظيم الشعبي وبدون الاطارات التنظيمية المهنية والمجالس الشعبية ، تتحول الجماهير الى سدى بلا قوة ، وبلا وعي ، وبلا الضباط واع مسؤول .

ان ربط الديمقراطية ، ربطاً عضوياً بمتعدد الاحزاب ، هثل المنطق البرجوازي في فهم الديمقراطية ، ان هذه القضية يجب أن تقم على اساس الظروف التاريخية الملغوسة للصراع الاجتماعي والسياسي في كل قطر في العالم .

ان حزبا رئيسيا - مثلا - يقود جبهة من القوى السياسية تمارس السلطة الثورية ، لا يؤدي بالضرورة الى الابتعاد عن الديمقراطية ، ان مبدأ الحزب القائد اصبح أمراً هليه لظروف المرحلة ، لانه يقيم سلطة مركزية ثابتة تقود عملية التغيير ، وقد أكدت التجارب الثورية الاشتراكية في العالم ذلك ، ويمنع خاص في ظروف البلدان النامية ، الا أن ممارسة شعبية للديمقراطية - وهي شرط لنجاح البناء الاشتراكي - وتوقف على فرطين أساسيين :

الاول ، قدرة التنظيم السياسي أو الحزب على قيادة الاغلبية الساحقة من الجماهير الشعبية ، وأن يؤمن التفافها الملوعي الواعي حوله .
الثاني : ممارسة الديمقراطية الداخلية ضمن صفوفه .

ان ممارسة الديمقراطية داخل التنظيم السياسي ، أو الحزب القائد ، ينبغي أن تتوافر لها ظروف موضوعية داخل تنظيمه منها : أن تكون سياسته واضحة ومحددة دوماً ، متسجمة مع متطلقاته النظرية والاستراتيجية ، ومنها استمراره في الكشف اتجاهاته المتغلفة والاعراف التي قد تتسرب من الواقع البرجوازي الاعطاعي - المعاكزي الى صفوفه ومنها أن تستمر عملية التشييف السياسي العلمي الدائم بين صفوفه .

والحقيقة - وفي ظروف الانتقال الى الاشتراكية - فقد شهدت معظم التجارب الثورية ، ظهرة سلبية خطيرة ضمن مرحلة رأسمالية الدولة ، تلك هي لشوء طبقة جديدة بيروقراطية ، استفعل أمرها وأصبحت عقبة أمام تطوير الديمقراطية، واتخذت موقفاً فرقياً على جماهير الشعب ، ان نظام رأسمالية الدولة ، في حالة ضعف الطبقة العاملة عددياً وتنظيمياً . هو الذي يخلق الظروف الموضوعية لنمو البيروقراطية ، فذلك أصبحت الادارة الديمقراطية لوسائل الانتاج فرماً أساسياً لممارسة الديمقراطية على الصعيد السياسي ، وينبغي ان تضطلع المجالس العالية بدور أساسي في إدارة المشروعات الانتاجية والصناعية ، والوقوف بوجه نمو البيروقراطية الجديدة .

إن القوى الثورية التي تستلم السلطة ، في أي قطر عربي ، مطالبة وبشدة بتطوير أجهزة الدولة ، بحيث تصبح هذه الاجزة في خدمة الجماهير لاجباً عنها ، ولتصبح قاذرة على المساهمة الفعالة في قضايا البناء الاشتراكي .

إن الممارسة العممية للديمقراطية الشعبية ، تقتضي عدم إبعاد الجيش عن السياسة ، لأن إبعاده يحرم لطاعاً هاماً من المواطنين من ممارسة حقوقه السياسية ، ات فكرة إبعاد الجيش عن السياسة مبدأ التزمته الرجعية والبرجوازية في الحكم ، لأن جعل العسكرية حرفة مصحوبة بالامتيازات المادية ، يحس من الجيش أداة طيعة بأيدي الطبقات المستثمرة وذلك أصبح الفصل السياسي في القطاع العسكري حقيقة أساسية في التطور التاريخي لنضال الأمة العربية في المرحلة الراهنة ، وكل محاولة لانتكار هذه الحقيقة لا بد أن تكون تحريضاً للشورة ، وعرقلة لسير التحول الاشتراكي . ولا شك فان التثقيف السياسي والايديولوجي للجيش لا يقل أهمية - مجال من الأحوال - عن التدريب العسكري . بل بالعكس ، فإنه يخلق متاعاً ملائماً لقيام مفهوم ثوري جديد للانضباط ، يقوم على أساس الايمان بالمثل العليا لا الخوف من القصر ، كما يلقي الاساليب البرجوازية الاحتراكية في العلاقات بين الرئيس والمرؤوس .

ان التزام الحقيقة عامل أساسي في ممارسة الديمقراطية الشعبية على نحو ثوري . لأن الحقيقة ثورة وأخلاق في نفس الوقت ، والزام الحقيقة هو وحده الذي يميز الثورة عن الاتهازية ، وهو الذي يميز الدعوة عن الدعوية ، وهو الذي يميز التقدمية عن الديموقراطية . ان حجب الحقيقة عن الجماهير ، يعتبر تنكراً لأبسط مقتضيات الديمقراطية

وهو شك في حكمتها وقدرتها على التمييز بين الخطأ والصواب . وان الشك يحس الجماهير السلم ، أول مراحل الانزلاق نحو المفاهيم الفاشستية ان التزام الحقيقة أمام الجماهير ، وسيلة لتثقيفها وعاملاً أساسياً في تكامل نضجها السياسي ، ولهذا فإن التظاهرات الثورية وسلطانها مطالبية دوماً بمصارعة الشعب بكل ما يتعلق بشؤونه السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفكرية ، مطالبة بأن تكشف الأخطاء ، معتمدة كالت أو عقوبة ، وكل محاولة لحجب الحقيقة عن الشعب هي أضرار علي من الثورية الى الانتهازية .

ان انتشار الامة بين الجماهير الشعبية ، يعرقل ممارستها لديمقراطية ولذلك أصبح من الضروري تصفية الامة تصفية تامة وسريعة ، والعمل على تعليم المواطنين الامين ، لا القراءة والكتابة فحسب بل تمكينهم من استيعاب حد معين من المعارف يتيح لهم ممارسة حقوقهم الديمقراطية بوعي ، ان تصفية الامة واجب ملغ على السلطة الثورية وجميع المنظمات الجماهيرية .

ان الممارسة الكاملة للديمقراطية الشعبية . ستبقى مبتورة ما دامت المرأة بعيدة عن الحياة العامة للمجتمع ، لذلك أصبح تحرير المرأة للعربية ضرورة ديمقراطية ، بالإضافة الى كونها ضرورة انسانية . ان النظرة الفوقية للمرأة . جزء لا يتجزأ من فكر المجتمع الاقطاعي - العنصري . وعليه فإن تحرير المرأة يقع في مقدمة مهام الثورة القومية الاشتراكية وان بناء مجتمع عصري ديمقراطي متحرر ، لا يمكن ان يكون تاماً وسليماً الا اذا واجه قضية تحرير المرأة مواجهة ميدانية شاملة وجذبية وعلى السلطة الثورية ، ان تعمل على مكافحة العقلية السلبية تجاه المرأة ، وتعمل على تصفية آثار الاقطار الرجعية ، وتتيح للمرأة المساهمة الفعلية في الحياة العامة والنضال ، هذه المساهمة الفعلية هي التي ترفع كل القيود التي تمنع تطور المرأة وتفتح شخصيتها الانسانية ، وعلى السلطة الثورية ان تقف في نفس الوقت ، بوجه المفاهيم السطحية الشكلية البرجوازية لتحرير المرأة المناقبة لجوانب الانحائية في التقاليد العربية والمعرفت في ذات الوقت لقضية البناء الاشتراكي .

ان حرية المرأة الحقيقية ، لا يمكن ان تنور الا بالنضال على جبهتين : جبهة النضال ضد الاطر والتقاليد والمبادئ المتخللة وجبهة النضال ضد المفهوم البرجوازي الشمالي للحرية ، وربط هذا المفهوم الجديد - لحرية المرأة بقضية البناء الاشتراكي للمجتمع العربي.

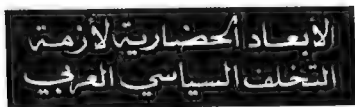
ان ظروف التأخر الاقتصادي الذي يعاني منها وطننا العربي ، معترفاً بوجود
البيروقراطية والبرجوازية في القيادة السياسية ، ستؤدي الى تقديم لغوذ الاستثمار الجديد
واستمراره ، ولذلك فان السلطة تمثل مصالح الجماهير ، هي وحدها القادرة على وقف
التسلل الاستعماري الجديد وكيفية مصالحة .

ان سياسة مبدئية قورية على الصعيد الخارجي ، ذبمة من المفهوم الاشتراكي الذي
يرفض جميع أشكال لاستغلال داخل الوطن العربي وخارجه ، سياسة قائمة على الثقة بقوة
الجماهير العربية ، هي وحدها التي تمكن الأمة العربية من الالتقاء - على الصعيد الدولي -
مع حلفاء ثابتين للضبة النضال ضد الاستعمار . ان تعزيز التفاعل مع بلدان العالم الثالث
- ونحن منه - التي تلتج سياسة الحياة الايجابية وعميق الصلات معها (على نحو متفاوت
قبلاً لظروف الحكم فيها ودوجة استقلالها الاقتصادي) ، سيام - بالتاكيد - في تقوية
جبهة الكفاح ضد الاستعمار .

واذا كان تحرير فلسطين ، رهناً بوحدة القوى التقدمية في الوطن العربي
وغوها بالأساس ، فان سياسة مبدئية مرنة وثورية هي التي تستطيع أن تدفع القوى
التقدمية في العالم ، الى تأييد قضية الشعب العربي في فلسطين .

ان حوكة القومية العربية ، باعتبارها حركة شعب مضطهد ، لا يمكن
الا ان تعتبر نفسها ، دوماً ، جزءاً لا يتجزأ من حوكة نضال جميع الشعوب
في العالم ضد الاستعمار .

تقليق
على بحث الدكتور خاشع المعاضدي



الدكتور حسن صعب

الأبعاد الحضارية لأزمة التخلف السياسي العربي هي أبعاد قانونية وأيديولوجية وقومية واقتصادية واجتماعية وتنظيمية . ان هذه الأبعاد هي خصائص مشتركة ، وان يمكن على درجات متفاوتة، لأنظم السياسية العربية وهي كلها نظم الثقالية لدول نامية، يتوالت تطورها على عملية تحولها من طور التخلف الى طور التقدم .

ويتجلى البعد القانوني لأزمة التخلف السياسي العربي في التراوح بين سيادة القانون
سيادة عامة بالسود على الحكام والمحكومين معاً ، وبين سيادة ادارة الحكام وأهوائهم
بديهة لسيادة القانون .

ويتجلى البعد الايديولوجي في التراوح بين الايديولوجيات السلفية والمصرية .

ويتجلى البعد القومي ، بعد الهوية أو الذاتية ، في التراوح بين المصيرية القومية
العربية العامة والمصيريات الخاصة القطرية والفتوية .

ويتجلى البعد الاقتصادي في التراوح بين أوج الثروة البترولية والمجز عن تسمية
هذه الثروة في الانتاج تشميراً عقلانياً يؤدي الى نموه نمواً ذاتياً خلافاً ومطرداً .

ويتجلى البعد الاجتماعي في التراوح بين القيم والبنىات الاولى التقليدية وبين القيم
والبنىات الاجازية العصرية .

ويتجلى البعد التنظيمي في التراوح بين اللانظام الحزبي، والتنظيم الحزبي الأحادي،
والنظام الحزبي التصادي .

كما يتجلى لتخلف التنظيمي في التراوح بين التنظيم الاداري العشوائي التقنيدي
المتصور لحرراً شخصياً أو عائلياً أو قليلاً ، أو طائفياً، وطبقياً، والتنظيم الاداري
العقلاني المتمركز تحركاً مؤسسياً اختصاصياً ذاتياً . ويتجلى أيضاً في التراوح بين علوية
السلطة المدنية أو السلطة العسكرية في التقرير السياسي .

ويبلغ لتخلف التنظيمي أوجهه في فقدان الأصول القانونية الحية للتناوب الطوعي
في الحكم لسايزل للتناوب الطوعي في الحكم الاستثناء والتغالب القسري في الحكم
هو القاعدة .

ان هذه المصنلات يمكن أن توصف بالأبعاد الحضارية لأزمة التخلف السياسي العربي
أو بالأبعاد السياسية لأزمة التخلف الحضاري العربي . ان السياسة هي في ذروتها عملية
صناعة القرارات، وذروة المصية صناعة القرارات الحضارية . وهذا هو مصدر تصورات
السياسة بأنها صناعة الحضارة وتصورة لنظام السياسي الأفضل بأنه النظام الصالح للحضارة .
وهذا التصور أزم الدول النامية ، التي يمكن أن تعتبر العملية الانمائية لتطورها من
التخلف التقدم ، بمفهومها الشامل والمتكامل ، عملية تحول حضاري كلي .

ان السياسة في ذروتها التفريرية هي مجموعة اختيارات حضارية . والاختيارات الحضارية هي اختيارات اعمالية او سياسية . وبما ان ازمة التخلّف السياسي العربي هي ابعاد او معضلات تواجهها سائر الدول النامية . وهي أيضاً على هذا الصعيد الدولي العام مجموعة معضلات او اختيارات حضارية واقتصادية وسياسية . واذا كنا نقوّر وصفها بالاختيارات Option ، فذلك لان وهي المعضلات ، الذي تحرك بحجارب العالم الثالث ، وقسمه ، بالملاحظة المتأخرة ، علوم الحضارية والسياسة لا والافاء . يتبع لنا ان نتمدد لمعضلات الافاء حولاً ثلاثة ومسؤولة ، وعلى ان لننارها ببياسات او استراتيجيات مستقبالية ابداعية لابياسات ماضوية اجترارية .

ان هذه المعضلات هي متغيرات حضارية حركية لا مقولات حضارية سكونية . وهي بهذا حوافز للتحرر في طريق التقدم اكثر مما هي موانع للتحرك . وتنطوي المتغيرات الحضارية الحركية على احتمالات تطويرية متعددة لا على حتمية قطورية واحدة . فالختمية الحقيقية هي الاحتمالية أي حتمية الحرية . ولذلك فان الاستجابة لتحدي المعضلة الحضارية هي اختبار ارادي بين عدة احتمالات لا لتقرير آلي لاحتمال واحد . وتجربة السادس من تشرين هي اقرب برهان محسوس على ضرورة التمييز بين الحركية والسكونية ، والاحتمالية والختمية ، والاختيار الارادي والتقرير الآلي . انما التجربة التي قلبت لجة في ساحة المعركة ، المتقدمين متخلفين والمتخلفين متقدمين . وقلبت في ساحة العلاقات الدولية ، بالسلاح البترولي ، تفوق المتقدمين خافتاً . وتناقت المتخلفين تدلواً . وبلغ تعليم هذا التفوق حداً حمل الملقبين الغربيين على تشبيه المفعول السياسي للطاقة البترولية العربية بما كان عليه مفعول البحرية البريطانية البترولية بالامس . وربما هو عليه مفعول الطاقة النووية اليوم (١) . ولما المقيمون لمفعول الطاقة البترولية الاغامي . فقد فعوا لحد التحدث عن العالم الرابع . عالم الفئ البترولي المتفوق على العوالم الاول والثاني والثالث (٢) .

واذا أعدنا تعليم ابعاد أزمة التخلّف السياسي والحضاري العربي بعد هذه التجربة.

- (1) International Herald Tribune Lessons of the Embargo ,
March 15 , 1974 , P . 4
- (2) Theo Sommer , And Now The Fourth world , Newsweek
March 25 , 1974 , P . 17

لجاز لنا ان نصورها . بدون ان نبالغ في تبسيطها ، بأزمة المارقة او الحوة بين طاقة العرب البترولية التي بلغت منزلة طاقة المتقدمين . وتنظيمية العرب . التي عاتزل في مستوى تنظيمية المتخلفين . والتحدي الحضاري والاقتصادي والسياسي الاكبر للعرب . هذا فيما بعد السادس من تشرين . هو تحدي رفع مستوى التنظيم الى مستوى الطاقة . وهذا الوضع العربي العربد هو دليل آخر على ان « الحوة الاثائية » ليست بالضرورة حوة بين عالم وعالم . ولا بين اقليم والقليم . ولا بين أمة وأمة . ولا بين دولة ودولة . بل هي حوة عتمة او مستعجلة داخل العالم الواحد . والاقليم الواحد . والامة الواحدة . والدولة الواحدة . والنظام الى واحد .

ان مفارقة التخلف التي تدام العرب الآن هي الحوة بين مستوى الطاقة العربية ومستوى التنظيم العربي . والحوة الاثائية بين المتقدمين والمتخلفين كثيرأما توصف بلها حوة تنظيمية .

فكيف نرفع مستوى التنظيم العربي لمستوى الطاقة البترولية العربية ؟

وأى تنظيم نعي ؟

التنظيم السياسي والاداري ؟

التنظيم القانوني الدستوري ؟

التنظيم الاقتصادي والاجتماعي ؟

التنظيم الايديولوجي ؟

أو التنظيم الحضاري والاقتصادي الكلي ؟

ان نوع التنظيم يتحدد بتحديد وظيفة أو مهته . فليس أي تنظيم خاية في حد ذاته بل هو ادارة لمهمة وآلة خدمة للانسان واسماحه . ان التنظيم المنشود هو التنظيم الذي يكافئ به طاقة العرب البترولية وطاقتهم التنظيمية . ان الطاقة البترولية هي الطاقة المتقدمة والمتدفقة في السنوات العشر القادمة . فالتنظيم أن المشروع التنظيمي المنشود هو المشروع القادر على أن يصير طاقة العرب العابرة طاقة انتجية أو ابداعية عربية دائمة ، تظل تنمو ، بعد عتفت البترول أو نفاذه ، نموأ ذاتياً مطردأ . ان مثل هذا المشروع هو مشروع اصحابي اغائي . فأي تنظيم يحقق المعجزة أو أن عهد المعجزات قد ول وفات . عرف العرب بأنهم أهل الاعجاز ولكن عليهم أن يصنعوا م المعجزة هذه المرة .

لهم أقتناء بأحسن ما أعطى المتقدمون من موارد المساندة وطبيعية ومالية ، ولكنهم يفقدون بالمركب التنظيمي العلمي التكنولوجي لعقلنة عملية إنتاج أو انتاج هذه الموارد . ولا بد أن تكون هذه العقلنة مشروعة تنظيمياً صورياً عربياً . فلا أحد يستطيع ان يصدرها او ان يستعملها للعرب . ويمكن ان يكون هذا المشروع مشروع تنظيم ديمقراطي شعبي ، كالذي اقترحه باحثنا الدكتور المعاصيدي . جواباً على أزمة التخلل السياسي العربي . ولكن الذي نخشاه هو أن تكون الفرصة التاريخية النادرة قد فاتت ، لبل ان يوضع المشروع وينفذ ويحكم على العرب ولذلك نقترح مشروعاً تنظيمياً أقرب مثلاً وأسرع تطبيقاً ، وسعي به مشروع خطة عربية متكاملة لتحقيق ثورة علمية تكنولوجية عربية .

ووضع العرب خطة الخطر النووي ، ونفذوها بفعل شبيه بفعل السلاح النووي . وكان العلم العربي والفكر العربي داخل الجامعات وخارجها ، ودخل كليات الهندسة والمباني والاقتصاد ، وورع الخلاق في وضع وتنفيذ الخطتين . وكتاب « المصالح الاقتصادية في خدمة القضايا العربية » شامداً على ما قدم به المفكرون والخبراء العرب في هذا السبيل . وم الآن امام تحدي التخطيط العلمي والتكنولوجي كما كانوا بالامس امام تحدي التخطيط الدفاعي والبيروني .

دخس الفكر العلمي الانساني طور البحث التطبيقي والتنظيم التطبيقي . فالاعمال ينشئ فكرياً وتنظيراً ، ولقد يمكن أن نترجم ترجمة تطبيقية في مشاريع وخطة وقرارات وميزانيات . وهذا ما يتجسد في التخطيط الاتاني للسنوات العشر القادمة . ويواجه التحدي التفكير والتنظيم والتخطيط السياسي كما يجابه أي وجه آخر من تفكيرنا أو تنظيمنا أو تخطيطنا .

ولذلك نقض ان نستلير بمهجية التنظيم التطبيقي واستراتيجية الاهداف المنشودة ، التي تحدد اهدافنا ووسائلنا العربية المشتركة في السنوات العشر المقبلة ، ونخطط لها تخطيطاً تكاملياً ولعلمي الاولوية لتخطيط التحول أو لتطوير العلمي والتكنولوجي . ولذلك ان الطاقة العلمية والتكنولوجية هي محور الطاقة الانمائية والدفاعية معاً ، وهي طاقة السالفة تنظيمية ابداعية قبل ان تكون طاقة صناعية أو آلية أو أدائية . وكأولاً ونحن لعملي الاولوية العلم والتكنولوجيا انما نعطي الاولوية للإنسان القادر على اقتباسها اقتباساً ابداعياً فعلى صناعيتها صناعة ابداعية .

وليس مفعول الطاقة الابداعية العلمية التكنولوجية مفعولا اقتصاديا فحسب ، ولكنه مفعول انتشوري يمتد الى كل فعاليات الانسان وقطاعاته ، ويترأخ ما بين التكنولوجيا السياسية والتكنولوجيا الجيولوجية والتكنولوجيا الفضائية .

والتخطيط لعربي التحول العلمي والتكنولوجي هو تخطيط تكاملي بالضرورة على الصعيد القطعي وعلى الصعيد الاقليمي . فهو اذا تخطيط سياسي واجتماعي بمقدار ما هو تخطيط فني أو صناعي أو اقتصادي . ان السياق الحقيقي لازمة التخلف السيامي العربي ولكل أزمة لتخلف العربي هو السياق الحركي للتحول من طور حضاري لطور آخر ، أي من طور ما قبل صناعي الى طور علمي تكنولوجي ، يوصف ايضا بأنه طور ما بعد صناعي .

ان كل سياسة عربية ، اما ان تكون سياسة « عبور » ما بين الطورين ، واما ان لا تكون سياسة .

وكل تنظيم عربي ، اما ان يكون تنظيما لعملية « العبور » بأسرع ما يمكن وأقوم ما يمكن واما ان لا يكون تنظيما .

وليس لنا الا هذا الفكر المستقبلي الابداعي هاديا لخصلة تحررة من تخلفنا السيامي ومن كل وجه آخر من وجوه تخلفنا الحضاري . اننا بين اختيارين ، الارتقاء بتخلفنا لمستوى تفوقنا البتروني أو الانحدار بتفوقنا البتروني لمستوى تخلفنا ونحن قادرون على الاختيار الاول ، فلهذا نأخذ بالثاني ؟

وتحقيق هذا الاختيار يتوقف على مبادرة مؤسسة من مؤسسات الجامعة العربية ، أو منظمة الدول العربية المصدرة للبترول ، على مبادرة جامعة عربية أو معهد عربي للانماء أو هيئة عمية أو فكرية عربية ، مبادرة تؤدي الى تعميق أحسن الأدمغة العربية داخل الوطن العربي وخارجه لوضع خطة متكاملة لابلأغ العرب المستوى العلمي والتكنولوجي للدول المتقدمة في السنوات العشر القادمة ثم تعرض هذه الخطة على مؤتمر لوزراء التخطيط ومالية العرب لاقرارها واعتماد الميزانية اللازمة لتنفيذها ثم ترفع الخطة والميزانية للمجر ذروة لرؤساء الدول العربية لاقرارها وتأييل هيئة عربية للاقرار على تنفيذها من قبل الدول والهيئات العربية المعنية .

وآمل ان يمل هذا الاقتراح في قرار أو توصية تصدر عن المؤتمر .

المراجع

- البيلادي ، حازم - المجتمع التكنولوجي الحديث ، المعارف ،
الاسكندرية ، ١٩٧٢
- صعب ، حسن - الانسان العربي وتحدي الثورة العلمية التكنولوجية ،
دار العلوم للبلايين ، بيروت ١٩٧٣ .
- معلوف ، الياس - البحث العلمي والائتماء ، دار النهار للشر ، بيروت ،
١٩٧٠ .

- Ellul, Jacques : The Technological Society, Knopf, New
York 1964
- Frekis, Victor C : Technological Man, The Myth and the
Reality, George Braziller, New York, 1969
- Garric, Daniel : L'homme elec tribal ou la civilisation
de l'ordinateur, Grasset, Paris, 1972
- Jones, Graham : The Role of Science and Technology in
Developing Countries, Oxford University
Press, London, 1971
- Kahn, Herman : The year 2000, A Framework for Speculation
and
on the Next Thirty Three years,
Wiener, Anthony J : Macmillan, New York, 1967
- Meier, Richard L : Science and Economic Development, New
Patterns of living : The Massachusetts
Technology 1966
- Nader, Claire Science and Technology in Developing
Zahlan, A.B. editors : Countries, University Press. Cambridge,



<u>Nations Unies</u>	Plan d'Action Mondiale pour l'application de la Science et de la Technique au Developpement, New York, 1971
<u>O. E. C. D.</u>	Technological Forecasting in Perspective, Paris, 1967
<u>O. E. C. D.</u>	The Conditions for Success in Technological Innovation, Paris, 1971
<u>UNESCO</u>	Le Developpement par la Science, Paris, 1969
<u>UNESBOB</u>	Elements for a Regional Plan for the Application of Science and Technology to Development in Selected Countries of the Middle East, Beirut, 1972

الاستعمار

وازمة التطور في الوطن العربي

المكتور ابراهيم بولند

— ان عنوان هذه الورقة الذي اختارته اللجنة التصورية يدل بحد ذاته على اهم آثار الاستعمار الغربي في الوطن العربي . الا وهو قبول وتقبل نظريات تاريخية واجتماعية نشأت في أوروبا في ظروفها الخاصة ومن ثم تم انتقالها الى شعوب العالم الثالث . فمتدما نتكلم عن أزمة تطور في الحضارة . نحن نعلم بأن الحضارة « تسير من نقطة معينة ثم تنشأ وترتقي الى شكل آخر . وهذا النمط من التفكير انتقل الى العلوم الاجتماعية والانسانية من بدايته في العلوم الطبيعية والحيوانية ، فبعد ان كانت نظرية النشوء والارتقاء الداروينية محاولة جادة لتفسير التغيرات الاساسية في النبات والحيوان ، انتقلت هذه

النظرية عن طريق سببهم وغيره من علماء القرب الى تفسير الثقافات الاجتماعية والانسانية .

ويمكن لعلماء أن يتدروسوا هذه النظرية ويناقشوا صحتها نظرياً إلا انه معلوم لدى كثير من الناقدين الاجتهعيين في العالم الثالث ، وحق في أوروبا وأمريكا ، بأن المجتمعات الغربية ، ومفكرها الذين اسماها مساهمة فعالة في ارساء دعائم الاستعمار الغربي استخدموا وما زالوا يستندوا الى هذه النظرية الداروينية الاجتماعية في عداولتهم المشكورة ، على الصعيد العلمي والسياسي ، أن يميزوا بين التقدم في الغرب والتخلف في العالم الثالث ، وما التفسيرات المختلطة التي يستخدمها علماء الغرب وغيرهم في تصنيف المجتمعات المعاصرة ، الا محاولات مستمرة لتأكيد صحة هذه النظرية الداروينية في العلوم الاجتماعية والانسانية ، ومعلينا في هذا المجال الا أن تشير الى بعض المصطلحات التي يجري استخدامها يومياً في الصحافة والكتب والجامعات الغربية والمثارة بها ، فمن منا لايعلم حقيقة مايقصد به « بالتخلف » و« بالتجدد » و« بالتصنيع » و« بالتطوير » و« بالعائنية » و« بعقلانية » أو « بالعالية » وليس المقصود بكل هذه الصفات التي يتميز بها مجتمعات معينة أن ننتج بأن المجتمعات التي لا تجر عليها هذه الصفات بأنها تقليدية«درجية» غير متطورة تنقلب عليها التفسيرات الدينية وهذه بالتالي لاعمية ولا عقلانية وأليس المقصود بذلك أن ننتج بأن المجتمعات الغربية التي تتحلل بالصفات الاولى أرقى وأكثر تطوراً من المجتمعات الأخرى ، عربية كانت أو أفرو – آسيوية وأليس المقصود بذلك أن يحاول مسيرو هذه المجتمعات أن يقتبوا هذه القاييس وأن يتبعوا سياسات وبرامج متكاملة يكتفل بتطوير مجتمعاتهم بحيث تسامر النمط الحديث اذا ملت بصحة هذه النظرية جاز لنا أن نتصور ان هناك أزمة « تطور » حضري في العالم العربي ، وأن الاستعمار ساهم مساهمة فعالة في احداث هذه الازمة « الا انني اختلف في تصويري لما يجري في الوطن العربي على الصعيد الحضري وسأحاول في الصفحات التالية أن أوضح مفهومي لازمة الحضارة في الوطن العربي .

١ - الوجود الاستعماري في الوطن العربي :

تُخذ الوجود الاستمراري في الوطن العربي أشكالاً مختلفة لا بد من تحديدها .

١) الاستمرار غير المباشر الذي تم عن طريق استخدام التهديد بالقوة دون استخدامها ، وعن طريق استخدام قوته الاقتصادية لسطرة الاقتصادية ولتسلب الموارد

الطبيعية في الوطن العربي ، ولفتح الاسواق العربية البضائع الغربية ، ولتقبل أي محاولة لتقوية الاقتصاد القومي والتصنيع ، ولتسهيل التعامل الاقتصادي الطبيعي بين البلاد العربية والآسيوية والأفريقية ، وأخيراً لتنشيط الحياة الاقتصادية العربية التي استندت الى التعامل الإسلامية وذلك عن طريق التبشير والرساليات العربية التي نشرت أحياناً بخططا تريوي أو صهي . ونستطيع أن نقول بأن محاولات خنق مصر في أوائل القرن التاسع عشر ، والتنشيط على دول المغرب والخليج ، وبداءة التدخل الغربي في سوريا ولبنان وفلسطين دون الاحتلال العسكري . توضح للتدخل الاستعماري في المنطقة وهذا ما أعنيه بالاستعمار الغير مباشر . وكان هذا النوع من الوجود الاستعماري آثار عديدة سألكم عنها فيما بعد .

٢ () الاستعمار المباشر والذي تم باحتلال المنطقة عسكرياً وبالتالي تسييرها سياسياً وثقافياً واقتصادياً بحيث تقدم أهداف المستعمر وكان لهذا الوجود الاستعماري آثار أخرى تختلف عن سابقتها .

٣ () الاستعمار الاستيطاني والذي تم باحتلال أجزاء من الوطن العربي عسكرياً وبالتالي القبض على زمام الامور بها ، وإحلال أجناس أوروبية ومختلفة بدل المواطنين كما كان الحال في الجزائر والى حد ما في ليبيا وفلسطين وكان لهذا الوجود الاستعماري آثار أكثر خطورة على الحضارة العربية ومستقبلها من سابقتها .

٤ - روج المؤرخون الغربيون ومن جاراتهم من مؤرخي العرب القديين ثملوا عليهم فكرة خطيرة جداً تتلخص بأن العالم العربي قبل الوجود الغربي أو قبل التحدي الغربي ، كان في سبات عميق ، حضارياً تجرد في القرون الوسطى ، وأن اوضاعه السياسية والاجتماعية كانت على درجة عالية من الاستقرار نتيجة لسلط سياسي واجتماعي لقنات معينة ، وأنه بدأ يتحرك ويتسائل ويحاول التغيير اثر صدمة القوة الغربية . ورغم أن هذه الفكرة ما زالت مسيطرة على معظم ما يكتب عن العالم العربي إلا أنث الأبحاث والدراسات القليلة الجديدة التي رفضت الاسس الفكرية المصورة والتاريخي الاستعماري تدل دلالة واضحة على أن حركات التغيير في العالم العربي ، ومحاولات استئناف النشاط الفكري والسياسي مبيت الوجود الاستعماري في المنطقة ، وكان للوجود الاستعماري أثر ملبس على هذه الحركات الأصيلة بحيث انه شوهها وحول وجهتها وأهدافها وصلبها أصالتها - والجدير بالاشارة اليه بأنه أصبح مسلحاً ، بأن الفكرة التي

رافقت الوجود الاستعماري الفير مبادئ أطلق عليها العرب فترة النهضة ، وإن كان لهذه
 التسمية دلالة ، فما هي إلا التسليم الفكري للتصور العربي لما كان عليه العرب ولما حاولت
 الفئات المطالبة بالتغيير أن تعمل اليه . وما علينا في هذا المجال إلا أن نشير الى تلك
 الحركات التي سبقت هذا الوجود الاستعماري والتي كانت محاولات جادة لممارسة النشاط
 الحضاري العربي أو لاحداث تغييرات سياسية أو اجتماعية من شأنها أن تحقق قدراً أكبر
 من العادل والحرية والتكامل الاجتماعي . فحركة الوهابيين في نجد ومنطقة الخليج ،
 والحركات المتكررة لاحداث تغييرات في نظرية وبنيات المعرفة في مصر عن طريق
 تعديل وتوسيع برامج الأزهر ، وحركة ظاهر العمر في فلسطين ، والقبائليين في لبنان ،
 ومحاولات نجم المجتمع في الجزائر وتونس بوضع حد للفصل الكامل بين الحاكم التركي -
 التركي والمواطن العربي كلها جاءت قبل الوجود الاستعماري ولتجدي للفري المبادئ .
 ولجديد بالأمر أن هذه الحركات جاءت نتيجة لاحتساس داخلي بضرورة تعديلات في
 لبنات المجتمع وبضرورة استمرار حيوية الحضارة العربية استناداً الى اصولها الفكرية
 الاسلامية ، وعلينا أن نلاحظ أيضاً أن التدخل الاستعماري جاء بعد أن أوشتت هذه
 الحركات على النجاح . فاحتلال الجزائر مثلاً تم بعد فترة انجازات اجتماعية ضخمة كان
 من شأنها لو لم يتدخل الاستعمار أن تعيد للجزائر حيويته الفكرية والسياسية وارتباطاته
 بالمنطقة العربية . ونستطيع أن نضيف الى هذا بأن التحول الاستعماري الفير مبادئ الى
 احتلال عسكري مباشر جاء في الكثير من الحالات وربما كان رد فعل طبيعي للاستعمار
 لانجازات اجتماعية وسياسية وفكرية كان من شأنها أن تقوي شوكة هذه المجتمعات ،
 ونستطيع في هذا المجال أن نشير الى ان الاحتلال الانكليزي لمصر والاحتلال الفرنسي
 لتونس جاء بعد أن نجحت الفئات الوطنية في مصر وتونس في وضع اسس طيبة للحكم
 الوطني ، إذ أن الحركات الوطنية والفكرية في مصر وتونس عبر القرن التاسع عشر صارت
 الفئات الحاكمة للحصول على مزيد من حرية العمل والفكر ، ولتجديد الحكم المطلق لولاة
 منها ووضع اسس دستورية وتشريعية كافية بالمشاركة الشعبية في الحكم . وكذلك الحال
 في سورية ولبنان إذ أن الحركة القومية العربية التي صارت السلطة التركية وصلت الى
 مرحلة تسمح لها بالسيطرة ابان الحرب العالمية الاولى ، وبدل أن تستقل هذه البلدان عن
 الامبراطورية العثمانية ، كان لها أن تخضع للاستعمار البريطاني والفرنسي وان تصارعها
 للحصول على الاستقلال الاي هدفته سابقاً .

٤ - ان الحركات التي هدفت إلى التغيير الاجتماعي أو الحضاري أو السياسي في الوطن العربي قبل التحدي الغربي استلهمت التراث العربي والفكر العربي والاصول العربية في تحديد وجهتها واعتقدت بأن هذه الاصول كافية بأحداث التغيير المناسب بحيث تعيد للمجتمع العربي حيويته الفكرية والسياسية والاجتماعية . الا ان الوجود الاستعماري الفعير مباشر اضاف الى هذه الاصول والاسس ، اساً أخرى غربية ، وكان لقوة الاستعمارية اثرها الواضح في احداث تغير جوهري في تصور الطريق الى المستقبل ، فإكان الفئات الحاكمة ، والفكرين الذين خدموا هذه الفئات الا أن يتقبلوا بعض التصورات الغربية كحقيقة للتطور ، فجاءت للتنظيمات الجديدة مقتبسة من القرب بحيث تكفل في تصور الحاكم في الوطن العربي ، تجديد وتقوية المجتمع فجاء الجيش والمصنع وملكية الارض ، والتنظيم الاقتصادي وانظمة التعليم ، والقوانين الجديدة كلها مستوردة من نظام غربي معين وكان لهذه التنظيمات اثرها الكبير على الحوار الفكري الذي ميز العالم العربي منذ القرن التاسع عشر . فبعد ان يكون هناك نظام ترويبي واحد للمجتمع ، واجه المواطن نظامين مختلفين اختلافاً كلياً ، نظام تستند في أسسه المعرفية والتنظيمية الى أصله العربي . ونظام ترويبي يستند الى أصله الاسلامي العربي . وقد عرف المواطن بأنه ان أراد أن يصل الى القمة الاجتماعية - الاقتصادية عليه ان يتقبل النظام الجديد . وكان هذا التطور « أثر خطير على المستقبل العربي » اذ انه كرس للتصنيف الاجتماعي والسياسي في المجتمع بحيث سمح للثقة التي تنقفت غربياً أن تظهر في النهاية على الوطن العربي . وساهمت بإيجاد نظامين متوازيين في المجتمع لينشئ أجيالاً موازية لا تربطها ببعض الا أضعف العلاقات . ونحن نشعر جميعاً كيف نظرت الثقة المستغربة الى الاكثوية الساحقة في المجتمع العربي .

الا ان المهم في كل هذا أن أزمة الحضارة في الوطن نشأت بان هذه التغييرات الجمهورية في بنيات المجتمع العربي وفي متطبيقاته - وعليها أن تشير هنا الى ان الدعوة لحضارية والاجابة الحضارية اثناء هذه الفترة جاءت مناسبة لهذا التمزيق الفكري . اذ اننا نلاحظ ان ما اصطلحنا على تسميته بالمصلحين « العرب انقسموا قياً بينهم الى قسمين رئيسيين: نعتقد مثلاً ان جمال الدين الافغاني ، ومحمد عبده ، وخير الدين التونسي ومحمود قياضو ، ساهموا مساهمة فعالة في النهضة الحديثة الالام فكرياً وحضارياً يتمتعون الى مدرسة فكرية استمدت جذورها من الحضارة العربية الاسلامية ، وهذا

جاءت دعوتهم استجابة امسية لمجمع التساؤلات والقلق الفكري الذي ميز المجتمعات في تلك الازمنة . وبأن واحد نعتقد بأن بطرس البستاني ، وشبلي الفعيل ، وأديب اسحق كذلك ساهموا مساهمة فعالة في ارساء أسس العقلانية والعلمية في المجتمع العربي ولعبرهم مصعبين كذلك ، إلا ان استجاباتهم اختلفت كثيراً عن تلك الاستجابات التي تميز بها الافغاني وعبيده وغيرهم ... بالرغم من ان هنالك فوارق جوهرية بين الفئتين الا انه من المعروف بأن حواراً دائماً رافق الانتاج الفكري هذه الفئات مما كان له أثراً حيداً على ديمومة الصلة بين الفئات المثقفة وبتكثيف الوجود الاستعماري المباشر وتبنيته لتلك الفئات التي قبلت تصوراتهم وقيمه انقطع الحوار ، وكان لسيطرة المستعربين السياسية والاجتماعية أثراً كبيراً في تسيير المجتمعات العربية دون اعتبار للاصول العربية أو الاسلامية فجاءت النظمه التعليم ، والاقتصاد ، والسياسة تؤكد اهمية وحيوية الوجهة الغربية للمجتمع العربي وانت الاس الوحيد المتقادم العربي يكن في التغلب على تقليدية المجتمع وعلى قبول المنطقتان الفكرية والاجتماعية الغربية .

ويجدر بنا في هذا المجال ان نشير الى محاولتين لاستئناف الحوار بين الفئات المختلفة دون ان يكون لأي منها أثر انجهايي يذكر : محاولة علي عبد الرزاق في كتابه الاسلام واصول الحكم والتي حاول فيه ان يؤكد بعض الأسس الاسلامية لحكم السياسي المصري بأشكاله المختلفة ، وبغض النظر عن صحة أقواله أو خطأها ، الا اننا نستطيع ان نعتبرها محاولة جادة في المحافظة على اصول المجتمع العربي الاسلامي مع تعديلات جوهرية في ممارسة الحكم السياسي . أما المحاولة الثانية فهي محاولة الدكتور طه حسين في مستقبل الثقافة في مصر « حيث تبني فيه فكرة ارتباط مصر بالحضارة الاوسطية » حيث أكد بأن مستقبل مصر الحضاري يرتبط الى حد بعيد بالتيارات الفكرية والحضارية المنكشرة بالذول الاوسطية ، وهو بهذا عني حقاً ارتباط مصر الفكري بأوروبا وان لا أمل لمصر — أو لاية دولة اخرى في المنطقة — ان تنهض وتتطور دون ارتباطها بالفكر والحضارة الاوربية .

ان هذه المحاولات رغم جراتها الفكرية لم تسمح للفكرين آنذاك أن يدخلوا في حوار علمي واضح حول المستقبل الحضاري لوطن العربي وكل ما جرى حقيقة ان القسم المجتمع الى قريقتين : فريق أكد الصلة العربية او الاسلامية للمجتمع العربي وربما كان هذا الفريق أكثر سيحة من الآخر ، بينما استمر الفريق الثاني رغم هزيمته أمام المهاجرين

بتركيز الشنطيات التربوية والاجتماعية والسياسية بحيث تؤدي في النهاية الى ارتباط العرب الحضاري بالقرب ولا بد لنا هنا من أن نشير الى حركة ثلاثة تباينت حول افكار معينة مهددة ، ثم تطورت الى حركة سياسية ، وهي حركة القومية السورية التي نادت بالوجود السوري والشخصية السورية الفريدة ورغم انها اعترفت بوجود الثقة العربية في سوريا الكبرى وارتبطت سوريا بتاريخ العرب الا انها اكدت المميزات الخاصة السورية لشعب السوري وكما لم يكن لدى عبد الرزاق ولطه حسيان ينجحها في مصر ، لم يتسنى لحركة السورية ان تنجح في منطقة الهلال الخصيب .

هـ - ربما يعود فشل هذه الحركات الفكرية الى طبيعة الاوضاع السياسية والاجتماعية التي سادت للمنطقة العربية في القرن العشرين . اذ ان الوطن العربي فقد استقلاله وتجزق شكله ولم يعد الحوار المطلوب ، حواراً هادئاً داخلياً بين فئات تنصارع لرسم المستقبل العربي ، بل أصبح حراً عنياً - غريباً على الصعيد السياسي والعسكري - فحركات المقاومة السياسية العسكرية نشأت للقضاء على السيطرة العسكرية السياسية للمستعمر الغربي ، ورغم حرص حركات المقاومة على لاستقلال السياسي للاجزاء المختلفة للوطن العربي إلا انها قبلت ببداية خطيرين : الاول انها اعترفت بمقاييس الاستعمار ومعايير الحضارية ، وبذلك قبلت فكرة التخليط والتقدم وادعت بأنها اقدر من الاستعمار على تطوير المجتمع العربي بحيث يصبح أكثر حداثة وتقدماً . أما المبدأ الثاني وقد قبلته تدريجياً ، هو مبدأ التجزئة العربية وقبولها فكرة الدول المستقلة . وهنا نلت النظر الى الفرق الجوهرية بين أي حركة هدفت التغيير قبل الاستعمار وبعده . اذ ان الحركات السابقة انطلقت من منطلقات عربية - اسلامية وهدفت الى تغيير شامل في الوطن العربي ككل بينما نجد ان الحركات الوطنية التي راغبت وحلت محل الاستعمار انطلقت من منطلقات عربية - غربية وهدفت أصلاً الى تحرير ذلك الجزء من الوطن العربي الذي فشلت فيه . ولا نود ان نقول بأنها رفضت فكرة الوحدة العربية أو وحدة الوجود العربي ، الا أنها مع ذلك مارست هذا الرفض على الصعيد العملي . وفشتني من قوتنا هذا الحركات القومية العربية الكبيرة كالبعث والناصرية أو القوميين العرب مثلاً . ويعود أهمية هذا الاختلاف بين الحركات القديمة والجديدة حضارياً الى حقيقة ملموسة باتعدام

الحوار الحضاري على المستوى العربي ككل . إذ أنه ما لبس اليوم وما نعرفه هو انت
الثقافة العربية في المغرب مثلاً مجبولة لدى الدول الشرقية وإن التناقضات الكثيرة الدائرة
في دمشق يجعلها المراتب أو المثقف التونسي ، وإن الانتقادات الحضارية في الجزائر تكاد
تكون مجبولة في الجزيرة العربية . وتكاد تكون هذه الحقيقة عكس ما كان يجري في
القرن التاسع عشر مثلاً . إذ أن حركة التغيير في تونس كان لها صدى في لبنان وكان من
الطبيعي للشيخ محمد عبده أن يقف في تونس لتحدث إلى التنمية الإسلامية ويعترف على
حقيقة ما تشهده هذه التنمية والجزلة السياسية ، وأنني أحدها الاستعبد قبلها
ومارسها الحركات الوطنية التي استلمت الحكم في هذه الدول وبدل أن تحاول العودة إلى
ربط الأمة العربية ولاستئناف الحوار الحضاري بين فئاتها المختلفة نجد أن الحكم الوطني
بالع في التشديد على استقلالية الوطن الصغير وبالسيطرة على وسائل الثقافة ولاعالم في
هذا الوطن مما ساعد على صنع الحوار الثقافي والحضاري الذي يجب أن يجري على
المستوى القومي .

ورغم أن لتجزئة السياسة للوطن العربي ، والتي عجزت جامعة الدول العربية أن
تتغلب على أسوأ آثارها ، حرمت هذا الوطن من الاقادة من المثل العربي ككل ، إلا أن
الحكم السياسي لم يربحاً شكلاً خطراً أكبر على مستقبل الحوار الحضاري في هذا الوطن .
إذ أن ما حدث نتيجة لوجود الاستعماري السياسي والفكري وتطلب التفكير الغربي أن
الأقطار العربية قبلت بشكل من السيطرة السياسية ونظريات الحكم المستمدة من الفكر
الغربي الليبرالي والفاشي والماركسي منه ، ولم يعد لفكر السياسي العربي الأصلي أي
انعكاس في الحكم في العالم العربي إلا في المناطق التي نهتها بالتقليدية والمشيحية . فأت
كان هنالك حوار معاصر حول مستقبل الحاكم والمواطن في هذا الوطن أو ذاك فأنني
لا أبالغ أن قلت بأن هذا الحوار يقتصر أولاً على تلك الفئات التي تثقفت غربياً أو تلك
التنظيمات السياسية التي استلهمت للتنظيمات السياسية الغربية نموذجاً لما ترغبه . أما
الممارسة الحقيقية لاسية على الصعيد الشعبي في القرى والجبال والاماكن الشعبية فلم تعد
لها قيمة في الفكر أو الممارسة السياسية . ورغم أن اهتمامنا في هذه الدراسة لا يتركز على
السياسة إلا أنني أشير إلى هذه الفجوة لأوضح نقطة أساسية هامة وهي أن الفكر مرتبط
ببيئته ويعتمد أصوله من ممارسات الشعب وتاريخه . وممارسات الشعب العربي
لا تنعكس في الفكر السياسي العربي المعاصر أو ما يشهده هذا الفكر . ويعود هذا انفصل

الى أن الفكر العربي الذي دوماً يفكر لصالح « الشعب » حقيقة يفكر ويظهر وهو يعتقد انه يحاور الفكر الغربي . فعندما يتقبل الديمقراطية كأساس للحكم او الشيوعية او اي مذهب آخر ، يتقبل هذه كما وردت اليه من الغرب وليحصل على قبول ورضى للغرب بأن واحد . ورغم ان هناك هذولات احياناً جادة للربط بين الفكر العربي المستورد والاصول العربية كنعت الاشتراكية باشتراكية عربية ، الا ان الواقع ان الفكر العربي لم يعد الى التاريخ العربي ليدرس ويوضح الاسس الاشتراكية لمجتمع عربي سابق . وكأنه باستخدام شعار معين ألغت الاصول التاريخية لفلسفة القربية المستوردة . وإذا اردنا القول بأن المجتمع العربي او على الأقل فئة منه يخاف من الديمقراطية بطبيعتها ، علينا ان ندرس علماً ممارسات هذه الفئة لنظهرها على حقيقتها . واستطيع القول بأنه ان كان الحضارة العربية مستقبلاً فعلى الفكر العربي أن يقوم بمهمتين أساسيتين : المهمة الاولى أن يعيد كتابة التاريخ العربي من منظور عربي ومن بعد عربي بحيث يتمكن المواطن العربي أن يقرأ حقيقة تاريخه بحسناته وسيئاته ، وأما المهمة الثانية أن يدرس الواقع العربي - سياسياً واجتماعياً وحضارياً - على المستوى القومي والوطني والمحلي بحيث تكون هذه الدراسات منطلقاً من منطلقات عربية وتسمح في نهاية الامر أن يلمحوا واقع الفكر المعاصر . فان تحقق لنا هذا يكون قد قلبننا على الترين سلبين للاستعمار الغربي كما كرمه الحكم الوطني : اعادة الصلة التاريخية للمواطن العربي بين ماضيه وحاضره وعلى المستوى الاقليمي يكون الانسان العربي حقيقة الاصل في الكتابة التاريخية وأخيراً اعادة الصلة الاجتعية والسياسية التي تربط بين فئات المجتمع بحيث يستفيد الفكر من ممارسات الشعب بدل أن يستلهم ممارسات الغرب في تفكيره وفي تخطيطه وتوضح أهمية هذه النقطة في المثال التالي : يتكلم الكثيرون عن الصراع الطبقي في العالم العربي تاريخياً ، الا انني اشك كثيراً في وجود دراسات عربية علمية توضح الطبقات الاقتصادية التي تتشكل منها المجتمع العربي فهناك دراسة واحدة عن الصراع الطبقي في مصر ، وهناك دراسة عن الصراع الطبقي في العراق في عهد عبد الكريم قاسم ، ولا نعرف القليل أو الكثير عن الطبقات الاقتصادية في تونس والكويت وسوريا والاردن الخ . فبدلاً من يتكلم الفكر العربي عن الصراع الطبقي في المنطقة بحدودنا الجديدة لتوضيح صورة المستقبل العربي أن نعرف علماً حقيقة الوجود الطبقي في المجتمع العربي ويتكلم الكثيرون عن المدافع الفئوي المذهبي العربي وتقتصنا الدراسات عن وجوده وامكانية المحافظة عليه مع العلم بأن المهندسين العرب يدرسون العمارة في الغرب أو مدارس اتخذت

النمط الغربي لمودجا فها تشكك عن الفلاح العربي . ولا نعرف عدده والاختلاف انما ساط معونه ، والتناجه المادي والفني وتشكك عن ضروره تحديته « دون أن نعرف ما يمكن أن يساهم به في ابو الحضارة العربية . وهكذا .

ولا نغالي ان قلنا بأن المستقبل الحضاري في الوطن العربي يعتمد اهدافاً أساسياً على ما يستمد من الفكر العربي من حقائق الأوضاح العربية ، ومن الإنسان العربي في ابداهه وفي قلته ، وفي تليده العبر وفي مشاكله النفسية والاجتماعية لتشكك هذه أسس تصوراتنا ونظيره في محاولة لتفسير ما يجري في الوطن العربي أو في ما يسبوا الى تحقيقه .

٦ - ما أثرنا اليه سابقاً ، ينطبق على أجزاء الوطن العربي شكل ويمكننا أن نلزو الكثير من المشاكل الحضارية الى الآثار التي تركها الاستعمار المباشر وغير مباشر . ورغم أن كل هذا ينطبق على الأجزاء التي رزحت تحت وحاة الاستعمار الاستيطاني ، الا أن هنالك آثاراً أخرى لابد من الإشارة اليها خاصة بالأرطان التي صارت هذا النوع من الاستيطان إذ أن الأخير لم يحد فقط الى ماهدف اليه الاستعمار بشكل عام من تضيير وتشويه الحضارة العربية والاستغلال الاقتصادي بل حاول جاهداً ان يتأصل الحضارة العربية بكل مظاهرها من جذورها في هذه الاوطان فقد حاول الاستعمار الاستيطاني في الجزائر أن يطمس اللغة العربية بكاملها ، وأن يتأصل الدين والتراث الاسلامي وأن يحول الاكثرية الساحقة من المواطنين الجزائريين الى طبقة كادحة فرنسية اللغة دون أن تشارك في السير الحضاري . ثم حاول أن يتأصل الفن العربي والفنون الشعبية المختلفة ورغم ان المحرلة الايطالية في ليبيا كانت أقل وطأة منها في الجزائر ، الا أن المستوطن الايطالي كان يبغي نفس الهدف فحاول تدريجياً حرقة النمو الفكري والتعليمي بحيث يتمكن في نهاية الامر من طمس المعالم العربية اللببية . والمستوطن الصهيوني في فلسطين حاول ونجح الى حدده بعيد أن يغير الوجه الطبيعي لفلسطين فهو دها ، وهدم أثارها العربية وأخذ جاداً يصفب النفسية العربية للواطن العربي الذي أصر على البقاء في فلسطين بعد الاحتلال . فبالاضافة الى ان هذا النوع من الاستعمار حرم المجتمع العربي ككل من مساهمة عناصر فعالة من أعضائه في الحضارة العربية ، وحرم هذه الأجزاء من الوطن العربي من معرفة أصولها وتراثها العربي فانه سام برور الزمن بإيجاد شكوك في العقل والنفسية العربية في هذه الأماكن . وما نعرفه من دراسات تؤكد بأن المواطن الجزائري الناء فترة الاحتلال ، والمواطن الفلسطيني تحت حكم الصيوني يبق أفكار المستعمرو وجهات نظره في طبيعة الارتباطات

الإنسانية والعلاقات السائدة بين الشعوب . وتدل هذه الدراسات بأن المواطن العربي ينشأ في مجتمعات سياسية عنصرية قليلة الثقافة في حضارته ولغافته ، وأنالي يستقبلها ويحده أكثر تماثلاً على قبي ثقافة وحضارة الشعب السائد ، ولا نستغرب إذن مساهمة الضعيفة في السبر الحضاري العربي . وهذا بالطبع لا ينفي استمرارية الرقص الحضاري للمجتمع العنصري كما يتجلى في الأدب والشعر المقاوم . إلا أن هناك مشكلة أخرى ، أشار إليها الأخ هبدافه العمري في كتاب أخير والمتعلقة باستخدام الصراع السياسي مع لاستعمار الاستيطاني لمحوهول الصراع الحضاري القائم في المنطقة لخدمة المثالث التقليدية فقد لاحظ الأستاذ العمري بأن الصراع القائم حول مستقبل فلسطين يستخدم كذريعة في بعض المناطق لحق الصراع الفكري ولتفوية الغثالث السلفية التي عارضت الوجود القوي لكل أشكاله وأن استمر هذا التيار السلوكي ، فها لا شك فيه أن ما تبقى من حرية فكرية للقفاش حول المستقبل الحضاري سينقرض وسيكون له أسوأ الآثار على الحضارة العربية . إذ أن مظهر في بعض البلاد العربية أن السلطات الحاكمة بها تثبت سياسات فكرية وحضارية وتربوية من شأنها أن تلوي شوكه الغثالث السلفية وتصنيف الحركات لبرالية أو الاشتراكية جريباً وراه الثقة الشعبية ويحذر بنا في هذا المجال أن نشير إلى بعض ردود الفعل الفكرية للواجهة العربية الإسرائيلية في حزيران ١٩٦٧ إذ تبين أن هناك تياران فكريان حاولا أن يفسرا اهزيمة العربية ، التيار الراديكالي والذي طرح جملة من المصورات للوضع العربي الاجتاهي والاقتصادي والسياسي والفكري اكتسب بأن الطريق الوحيد للواجهة الناجحة تكمن في اختيار راديكالي للمستقبل يتطلب المعرفة الشاملة وقوياس الاسس والنظيات القائمة وتبني الخطا ثورية جديدة كاملة ، أما التيار الثاني جاء اسلامياً عربياً فسر الهزيمة بعده الاوضاع القائمة من الاصول الإسلامية العربية ، ون المواجهة الناجحة تتم بالعودة والتمسك بهذه الاصول والظاهر بأن الدول العربية اختارت بدائل اخرى تتميز بالازج والمخلطين هاذين القيصين ، إلا أن الذين يمشون على المستقبل الحضاري العربي يعتقدون بأن استمرار التحدي الاستيطاني سيؤدي إلى مواجهة كاملة بين هذين التقيضين ولربما يؤدي إلى سيطرة العناصر الفكرية السلفية على المجتمع مما يؤدي في نهاية الامر إلى الافلاس الفكري .

٧ - حاولنا في الصفحات السابقة أن نشير إلى الخلفية السياسية والفكرية لازمة

الحضارة في الوطن العربي . وأريد الآن أن أشير إلى بعض الخطوط العريضة للمحاولة الناجمة لمعالجة هذه الازمة .

اصبح واضحا ان التقليل العربي - وبالتالي لتقبل العالم الثالث - للتكنولوجيا الغربية ادى سابقا ان التسليم بالسيادة الفكرية والحضارية للغرب وان الميراث لخدمة الامور في العالم الثالث حاولوا جامعين تنفي العديد من الافكار والتنظيمات والمؤسسات الغربية . كذلك اصبح واضحا ان هذا الخلط بين مبادئ عامة وافكار وتنظيمات تبلور بالمجتمعات الخاصة لا مبرر له وفي النهاية فاشل آن الاوان اذن ان يتدارس متقدو العالم العربي في الاسس الفكرية والاجتماعية التي يتكئها ان تسام في سير الحضارة العربية . ورغم ان الحرية الفكرية في الوطن العربي مقيدة بشكل عام ، إلا ان المجتمعات العربية التي تتوفر بها هذه الحريات بانكنا ان تسام مساهمة طيبة في تشجيع النقاش الفكري لكل الامور التي يحسن مناقشتها وتوفير الوسائل المادية والادبية والمنوعة للمفكرين من سائر الاوطان العربية . فلماذا مثلاً لا نؤسس اكااديمية عربية للبحث العلمي والتاريخي تكفل نخبة من علماء الغرب بشكل دوري حرية البحث والكتابة والنشر لتسام هذه النخبة بايجاد فلسفا عربية أصيلة مستمدة من مجل التراث العربي من شأنها ان تحدد طرق انموذجي العربي ولذا لا يسمح لكل هؤلاء العلماء أت يعبثوا النظر كاسماً في نظم التعليم المعاصرة والمناهج المتبعة بحيث تصبح هذه ملائمة للتحديات العديدة التي يواجهها المجتمع العربي ككل اذ أننا نعلم بان أنظمة التعليم في العالم العربي أنظمة مستوردة ، وتنظم المعرفة بها مستوردة دون اصاله ومناهجها ضعيفة ، متباينة لا تستخدم التراث العربي ولا يتخدم المستقبل العربي ، فلماذا لانواجهها بجرأة وكفاءة دون اللجوء الى خسبراء لتسوردم من اليونسكو واسلافهم الذين أرسوا تنظيم التعليم العربي في القرن التاسع عشر ونظموا المعرفة قيا وهكذا .

لقد نجحتنا في استعادة استقلالنا السياسي من المستعمر مع العلم بأننا مازلنا نواجه بإبشع مظاهره في فلسطين : الا ان اثرة السياسة في تزيق الوطن العربي الى اجزاء محروص على استقلالها ، وبالتالي فكنا من الجذ من التفاعل الطبيعي بين اعضاءنا ، وآثاره الفكرية والحضارية والتي شوهت الكثير من قيادتي نجحت في تحويل الدفة الحضارية للمجتمع العربي و آثاره الاجتماعية التي ساهمت في خلق فجوة كبيرة بين فئة مستغربة وأخرى متمسكة أو مرتبطة في الماضي مازلنا نمانيا وان يصبح التاريخ والتراث العربي

جزءاً حيوياً من الواقع المعاصر والى ان يستعيد العربي ثقته في حضارته الثقافية عن طريق الانجاز العربي ، والى ان يستعيد الوطن ارتباطات ثقافته المتعددة بحيث يكون المواطن العربي بحبائه ومشاكله وآماله محور الانتاج الفكري العربي يسمى الوطن العربي في أزمته الحضارية التي اتينا لندرسها . وهناك اشعار عديدة يفسر بالخبر «ها هذه الندوة بالذات التي سمحت لعدد من المفكرين العرب بالندوة الحرة ، والله ولي التوفيق .





حول قريّة موقع برشك

ذهب الزاهري

كتب المؤرخ الكبير الشيخ عبد الرحمن الجيلال ملأا في مجلة الإصالة عدد 23 محرم 1395هـ - جانفي 1975م في موضوع موقع بوشك ، ذكر فيه أقوال الأديسي وابن خلدون وغيرهما من المؤرخين في تحديد موقع بوشك وحده تقريبا بين خمس قرى ، والتحقق أنها تبعد عن الأولى Novi بنحو 25 كلم ، وعن الثانية Gouraya بنحو 18 كلم ، وعن الثالثة Fontaine Dugénie بنحو 4 كلم ، وفي هذه هريم سيني إبراهيم الذي ربما

كان من الاشراف السليمانيين (1) أمراء تنس ، كما يوجد بها آثار فينيقية ورومانية ، ولقد كانت مركزا مهما أيام ملوك البربر ؛

يريد المؤلف - لعبد الواديين ومن قبلهم (2) وهي مسقط رأس ابني الامام وغيرهما من الاعلام ، ومكانها الاصل يسمى Gumugu وعن الرابعة Villebourg بنحو 6 كلم وعن الخامسة Ténès بنحو 18 كلم وعن تنس Duplax 57 كلم .

فالشكر التام للشيخ عبد الرحمن الجبلاي والمدير الاصاله المحترم الذي وجه اليه السؤال عن موقع برشك ، وهذا نص ما عثرت عليه بالفرنسيه والمسئولية على المؤلف لا على الناقل ، وليست كلمتي بتمقيب ، بل هي تضمين وتعميم للفائدة فقط .

(I) راجع تاريخ الشيخ مبارك العلي، ج 2، ص 57.

(2) 170 في التحريف ببرسك

LA CITE BRESK, OU SE TROUVE ?

D'après le livre « Les guides bleus » (Prosper Ricard).

ALGERIE-TUNISIE page 128 (Hachette) 1950

D'Alger à Cherchel, 96 km, itinéraire décrit page 77

La route suit une bande étroite resserrée entre la mer et les collines et traverse de beaux vignobles. 99 km. Les Rosiers. A droite on voit le Cap Rouge.

103 km. NOVI (hôtel modeste), d'une commune de 3 874 habitants. Pont sur l'oued Arilas. A droite, pointe des oliviers.

De NOVI à (61 km sud) Duperré par une piste muletière, page 137.

109 km. FONTAINE DU GENIE ; sur la place, magnifique monolithe romain de 10 mètres de haut et de 1 mètre de diamètre ; au sud du village dans le Djebel DJAOUT (537 m) , carrières de granit ; débarcadère. - 113 km. Estuaire de l'oued Messelmoun, qu'après un détour la route traverse (114 km). - 117 km, pont sur l'oued Essebt. - 118 km, ferme à gauche. - 121 km, Domaine St Georges à gauche. Désormais, les exploitations seront plus rares. - Montée en lacets surplombant la mer.

124 km. GOURAYA. (hôtel du commerce), petite ville de 7 400 habitants. Nombreux gisements de fer dans les massifs montagneux avoisinants, dont 2 sont exploités. Débarcadère.

126 km. LE BOIS SACRE, grande maison de plaisance, dans un parc ombreux. A droite du cap LARES pointe l'îlot TOKIKT INNDICH.

128 km. KOUUBA DE SIDI BRAHIM, près de laquelle sont les ruines GUMIGU, comptoir phénicien et colonie romaine, qui sous le nom de BRESK, garda une certaine importance à l'époque berbère.

131 km. - Embarcadère au bord de la route en corniche, qui devient sinueuse.

133 km. - Pont sur l'oued MELAH.

134 km. - VILLEBOURG (hôtel du Roulage), petit village viticole. Au sud mines de fer du LERHAT (408 m. d'altitude) - 140 km, belles forêts de pins d'Alep.

147 km. - DUPLEIX (auberge), ancien oued DAMOUS, que l'on traverse sur une passerelle métallique, pour s'élever à la hauteur du Cap SIRAT.



من فضج لعربية في العامية الجزائرية

3

محمد الصالح رمضان

(32) - **تاهل** عندنا بمعنى تزوج أى صار ذا **أهل** وببيت فصيح جيد لأن من معانى **الأهل** : الزوجة ، ففى العربية **تاهل** أى اتخذ أهلا . وأهل البيت سكانه ، وقد **أهل الرجل** **ياهل** (بالتخفيف) تزوج مثل **تاهل** وكذلك **اتتهل** . وكلمة **أهل** تستعمل استعمالا واسعة فى العربية ، منها ما يدل على الزوجة والتزوج كما تقدم ، ومنها غير ذلك مثل مكان **أهل وماهول** ، أى فيه أهل ومكان ، وفلان **أهل** لكذا أى مستحق له . . . الخ . وفى الحديث (إن النبى (ص) أعلى الحزب حقا وأعلى **الأهل** حظا) و**جمل أهل** أى متزوج .

ومثل **تاهل** عندنا استعملت أى تزوج واتخذ بيتا وأهلا فاستعملت من البيت ومن معانى البيت فى العربية : **أهل الرجل ومياله** ، يقال (**تبيت المرأة**) : إذا صار لها بيت وبهمل ، فهى **متبيتة** (بدلا من **مستبينة** عندنا) ، ومن معانى البيت أيضا : المسكن ، والعيال والزوجة ، تقول (**بيت الرجل**) وأنت تقصد امرأته أو عياله أو داره .

ومن استعملاتنا فيه يقول الرجل : (**مولاة بيتى**) أو زوجتى وربة منزلى ، وتقول هى (**مولى بيتى**) أى زوجى .

(33) - **توتو يترتو** : ارتعد يرتعد من الخوف أو الهيبة أو نحو ذلك ، تقول (**فلان يترتو** من الخوف أى يرتعد ويرتجف ، وهى حالة تمتري الإنسان عند الخوف والفرع ينخلع

لها القلب وترتعد الفرائص خوفاً وعلمنا فلا يكاد يثبت كما قال طرفة بن العبد :

لدى موطن يخشى الفتى عنده الردى متى تترك فيه الفرائص فرصد

مربى لصيح من قولهم : (قبض على يده يترقره) أى يهزه ويزعجه فالترثرة كالزعجة والزلزلة وزنا ومعنى : قال أهر القوارس :

ألم تملئ أنى إذا الدهر مسنى بنائية زلت ولم أتكرتس

أى لم أفرح فأتزلزل أو أتقلقل كما فسره ابن منظور وغيره .

والتراتر : الشدائد قال مهمل الأحمسي :

وحتى تثلوا بعد ما يهست العدا بكم ان أصل الحرب فيها التراتر

والطرطرة بالطاء عندنا أبلغ وأشد من التترثرة . ورغم أن التاء والطاء تتماثلان فى لساننا على كثير من الكلمات حتى لا تكاد نفرق بينهما أحياناً فالطرطرة بمعنى أقصى درجات الفزع والهلع فى كلامنا ، وهى الحالة التى يسلح فيها الإنسان على نفسه ، وتلك غاية فزع الجبان الرعديد الذى يتخلع قلبه وترتجف فرائسه . وكان الطرطرة هنا اسم صوت يتصل بالسلاح .

فقلنا فلان يترقر منناه خائف يرتعد فقط ، وأما يطرطر لمنناه أنه لا يعماسك من شدة الخوف ولا يتحكم فى نفسه من شدة الفزع والهلع حتى أنه يبول أو يسبح لا إرادياً .

36 - التسنين : طلوع الأسنان فى الأطفال معروف ، ومن معانيه أيضاً عندنا : تجديد آلات التعلو المدنية بآلة أخرى أو بغير السن المعروف بالسنن (كما سياتى) ومنها سنن التجار ، المنشار : إذا حده أسنانه وشبهذا لتصبح قاطعة وحادة ، وفى الجاز تقول العرب (هذا مما يستك على الطعام) أى يشدك ويهيك فى الأكل . وأسنان الفم واحداً سنن وهى (الثنايا والرابعيات) فى مقدم الفم ، سميت بذلك لأنها حادة قاطعة وتسمى أيضاً قواطع ، تليها (الأنياب) للضيق ، ثم (الأضراس) للطنن ويطلق على جميعها أسنان تجرأ فيقولون فى الفم مفرون أو اثنان ومفرون سنا فى كسل فك : ثنيان ورباعيتان وثنايان وخمسة أضراس أو أربعة .

37 - التفرسن والتفرسين عندنا بمعنى الاتقان والإجادة للشعر والمذق فيه والمهارة . نقول (تفرسن الولد فى القراءة) إذا برع فيها وأتقنها ، وكذلك العامل والصانع والمعرف إذا أتقن عمله وأجاده ، فهو متفرسن أى فارس فيه كان ذلك من الفروسية بمعنى البراعة .

فالتفرس والتفرسين والمتفرسين كله بنون زائدة في الأخير ، لعله مشتق من الفراسة والتفرس أى العلم والخبرة بالشئ ، تقول العرب (رجل فارس النظر) من الفراسة أى أصابة الرأي ، و (هو فارس بالامر) اذا كان عالما به خبيراً ، و (تفرس فيه) : ثبت وتروى ، و (تفرس فيه الشيء) : توسع فيه وتخيله ، و (تفرس في فلان الخسر) : تعرف بالنظر الصائب أو رأى فيه مخائيل الخسر .

وهكذا للفراسة (بكسر الفاء) معنيان أحدهما : المهارة فى تعرف بواطن الأمور من ظواهرها ، ومنه حديث (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) ؛ وثانيهما : الرأى الصائب المبني على التفرس . أما الفراسة (بفتح الفاء) فهى كالفروسة والفروسية أى الحدق بركوب الخيل ، وقد فرس (بضم الراء) بالخيول : أى حدق أمرها فهو فارس بها . فالتفرس عندنا هو ولا شك من الفراسة (بكسر الفاء) والتفرس ، أو سنن الفراسة (بفتحها) أى الفروسية وكله جائز فتأمل .

ومن غرائب اللغة التى كثيرا ما تجمع بين النظائر والأضداد ، نص ذكره ابن منظور فى لسان العرب - وذكر غيره من جام بعده - جام فيه : « وقال الليث القرئسي (بزيادة ثون قبل السين) حسن تدبير المرأة لبيتها » يقال : انها امرأة مقرئسة » اهـ . ومثل ذلك فى القاموس ومختاره : « قرئسة المرأة : حسن تدبيرها لأمور بيتها » اهـ . كلاهما بنون زائدة كما فى لفظنا (التفرس) ولكنها قبل السين (تفرس) وفى لفظنا بعد السين (تفرس) فتأمل قراءة الاتفاق فى المعنى أو فى بعضه على الأقل وفى اللفظ كذلك مع تقديم أو تأخير النون الزائدة ! ومعنى التفرس عندنا : هو التشبه بالقرئسيين والتخلق بأخلاقهم والتكلم بلهجتهم ، وكان من سياسة الحكم الاستمارى عندنا قرئسة الجزائر والجزائريين للقتضام على شخصيتنا ومقوماتها ومن أهمها : الاسلام والعروبة او العربية ، لذلك حاربهما الاستعمار بكل وسيلة وقرض علينا (التفرس) والاندماج فيه . يقول مفدى زكريا فى أحسن أناسه الوطنيه :

فلننا نرضى الاندماج ولا نرتد فرنسيسا

ويقول الشاعر الفكاه الامين العمودي فى طبيب جزائري تزوج فرنسية ورزق منها ولدا سماه (صالحا) وسماه أمه (موريسا) :

حتى الطبيب ولا تنسى قرينته	فهو سليمان والمادام بلقيس
له غلام أطال الله مدته	تنازع العرب فيه والفرنسيس
لا تمذّبوه اذا ما غان ملته	فمنصفه (صالح) والنصف (موريس)

منشورات
وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية

صدر كتاب :

- الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الاسلامي

- » الخامس »

- » السادس »

في خمسة اجزاء

- الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني تأليف أحمد

اين سحنون الراشدي - تحقيق : المهدي البوعبدلي

- اللهب المقدس ، للشاعر مفدى زكريا

منشورات
وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية

انتظروا :

- اليازة الجزائر التي نظمها الاستاذ مفدى زكريا
خصيصا للملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامى
مع ترجمتها (بالفرنسية)
- الملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامى
فى ستة اجزاء (بالفرنسية)
- الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى
فى خمسة اجزاء (بالعربية)
- الملتقى الثامن للفكر الاسلامى فى أربعة اجزاء
(بالعربية)
- مبادئ أولية فى النظرية الموسيقية
للدكتور حكيم بن عطية ،
مدير المعهد الموسيقى البلدى بالجزائر
(بالعربية والفرنسية)